بسم الله الرحمن الرحيم

مَوارِدُ الظمآنْ لِدُرُوسِ الزَّمَانْ

خُطبٌ وحِكَمٌ وأحْكَامٌ وَقَواعِدُ ومَواعِظُ وآدابٌ وأَخْلاقٌ حِسَانْ

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز المحمد السلمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء الأول

الطبعة الثلاثون (٣٠)

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير

الموكل عنهم إبراهيم بن علي العودة

جزاهم الله كلهم خيراً

اللهم صلي على محمد وعلى آله وسلم

١٤٢٤ هـ

بالله يَا نَاظِراً فِيهِ ومُنْتَفِعاً مِنهُ سَلِ اللهَ تَوْفِيْقاً لِجَامِعِهِ

وَقُلْ أنلْهُ إلهَ العَرْشِ مَغْفِرةً واقْبَلْ دُعَاهُ وجَنِّبْ عن مَوانِعِهِ

وَخُصَّ نَفْسَكَ مِن خَيْرٍ دَعَوتَ بِهِ وَمَن يَقُومُ بِمَا يَكْفِي لِطَابِعِهِ

والمسلمينِ جَمِيْعاً مَا بَدَا قَمَرٌ أَوْ كَوكَبٌ مستَنِيْرٌ مِن مَطَالِعِهِ

آخر: وما اكْتَسبَ المَعَالِيَ طَالِبُوْهَا بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضَ الجَلِيْلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فوائد عَظِيمَة النفع

قال بعضُ العُلَماءِ عَلَى سَبِيْلِ النُصْح والإرْشَادِ يا هَذَا إنَّمَا خُلِقَتِ الدنيا لِتَجُوْزَهَا لا لتَحُوْزَهَا ولِتَعْبُرَها لا لِتَعْمُرها فاقْتُلْ هَوَاكَ الْمَائِلَ إِلَيْهَا ولا تُعَوّلْ عَلَيهَا واعْلَمْ أَنَّ الدُنْيَا مَزْرعةُ النَّوائِبِ ومَشْرَعَةُ المَصائِبِ ومُفَرّقَةُ المَجَامِعِ ومُجْرِيَةُ المَدَامِعْ.

(١)

اللّيْلُ والنَّهار يَعْمَلان فِيْكَ فاعْمَلْ فيهما أَعْمَالًا صَالِحَةً تَرْبَحَ وتَحْمَدِ العَاقِبَةَ الحَمَيْدَة إن شاء الله تعالى.

فائدة: حفْظُ الْأَوْقَاتِ تُفِيْد الْأَعْمَارَ وَتُكْثِرُ الآثارْ وَالله الموفق.

وَالوَقْتَ أَنْفَسُ ما عُنِيْتَ بِحْفظِهِ   وَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيْكَ يضيعُ

آخر: والعُمر أنفسُ مَا لإنسان مُنْفِقُهُ   فاجْعَلْهُ في طَاعَةِ الرحمنِ مَصْرُوْفَا

(٢)

المَلائِكَةُ يَكْتُبَان مَا تَلفَّظُ به، فاحْرِصْ عَلَى أنْ لا تَنْطِقَ أَلَّا بِمَا يَسُرُّكَ يَوم القِيَامِةْ مِن ذِكر الله وما وَلاه.

(٣)

إعْلَم أنَّ قِصَرَ الأَمَلِ عليه مَدارٌ عظيم وحِصْنُ قِصَرِ الأَمَلِ ذِكْرُ الموتِ وحِصْنُ حِصنْهِ ذِكْرُ فِجأَةِ الموتِ وَأَخْذُ الإنسان على غِرَّةٍ وغَفْلةٍ، وهُوَ في غُرُرٍ وفُتُور عن العمل للآخرة، فأحفظ هذه الفوائد وأعمل بها تُفْلح وتَربَحْ إنْ شَاءَ الله تعالى.

وَقَالَ بَعْضهم: الواجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ المُبَادَرَةُ إِلَى الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانْ وَأَنْ يَنْتَهِزَ فُرصَةَ الامْكَانِ قَبْلَ مُفَاجأَةِ هَادِمِ اللَّذَاتِ وأَنْ يَتَوكَّلَ عَلَى اللهِ وَيَطْلُبَ مِنْهُ العَوْنَ فِي تَيْسِيْرِهَا إِلَيْهِ وَصَرْفِ المَوانِعِ الحَائِلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا .

آخر: مُنَايَ مِن الدُّنْيَا عُلُومٌ أَبُثُّهَا ... وأَنْشُرُهَا فِي كُلِ بَادٍ وحَاضِرِ
دُعَاءٌ إِلَى القُرْآنِ والسُّنَّةِ الَّتِي ... تَنَاسَى رِجُالٌ ذِكْرَهَا فِي المَحَاضِرِ
وَقَدْ أَبْدِلُوهَا الجَرَائِـــد تَارَةً ... وتِلْفَازِهِمْ رأْسُ الشرُور المَنَاكِرِ
ومِذْيَاعِهِمْ أَيْضا فلا تَنْسَ شَرَّهُ ... فكَمْ ضَاعَ مِن وَقْتٍ بِهَا بالخَسَائِرِ

آخر: كُلُ امْرىءٍ فِيْمَا يَدِيْنُ يُدَانُ ... سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَخْلُ مِنْ عِلْمِهِ مَكَانُ
يَا عَامِرَ الدُنْيَا لِيَسْكُنَهَا وَمَا ... هِيَ باللَّتي يَبْقَى بِهَا سُكَّانُ
تَفْنَى وتَبْقَى الأَرضُ بَعْدَكِ مِثْلَمَا ... يَبْقَى المَكَانُ وتَرْحَلُ الرُّكْبَانُ
أأُسَرُّ بالدنيا بكُــلِّ زِيَــادَةٍ ... وزِيَادَتِي فِيْهَا هِيَ النُــقْصَانُ

آخر: كَأَنَّكَ لم تَسْمعْ بأَخْبَار مَن مَضَى ... ولمْ تَرَ فِي البَاقِينَ مَا يَصْنَعُ الدَّهرُ
فإِنْ كُنتَ لا تَدري فَتِلْكَ دِيَارُهُم ... عَلَيها مَجَالُ الرِّيح بَعدكَ والقَطْرُ
وَهَلْ أَبْصَرَتْ عَينَاكَ حيّاً بِمنْزِلٍ ... عَلَى الأَرضِ إِلَّا بالفَنَاءِ لَهُ قَبْرُ
وَأَهْلُ الثَّرَى نَحْوَ المَقَابِرِ شُرَّعٌ ... وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا إِلَى رَبِّهِمْ نَشْرُ
على ذَاكَ مَرُّوا أَجْمَعُونَ وهكذا ... يَمُرُّونَ حتّى يَسْتَردُّهُم الحَشْرُ
فَلَا تَحْسَبَنَّ الوَفْرَ مَالًا جَمْعَتَهُ ... وَلَكِنّ مَا قَدَّمْتَ مِن صَالِحٍ وَفْرُ
وَلَيْسَ الذي يَبْقَى الذِي أَنْتَ جَامعٌ ... ولكنَّ مَا أَوْلَيْتَ مِنْهُ هُوَ الذُّخْرُ
قَضَى جَامِعُوا الأَمْوَالِ لَمْ يَتَزَوَّدُوا ... سِوَى الفَقْرِ يَا بُؤْساً لِمَنْ زَادُهُ الفَقْرُ
بَلَى سَوفَ تَصْحُو حِيْنَ يَنْكَشِفُ الغَطَا ... وَتَذْكرُ قَوْلِي حِيْنَ لا يَنْفَعُ الذِّكْرُ
وَمَا بَيْنَ مِيلادِ الفَتَى وَوَفَاتِهِ ... إِذَا نَصَحَ الأَقْوَامُ أَنْفسَهُمْ عُمْرُ
لِأَنَّ الذِي يَأْتِي كَمِثْلِ الذِي مَضَى ... وما هُو إِلَّا وَقْتُكَ الضَّيِّقُ النَّزْرُ
فصَبْراً على الأَوقاتِ حَتَّى تَحُوْزَهَا ... فَعمَّا قَلِيْلٍ بَعْدَهَا يَنْفَعُ الصَّبْرُ
تقضي المآرِبَ والسَّاعَاتُ سَاعِيَةٌ ... كأَنَّهُنَّ صِعَابٌ تَحْتَنَا ذُلُلُ

آخر: طَالَ التَّبَسُّط مِنَّافِي حَوَائِجِنَا ... وَإِنَّمَا نَحْنُ فَوق الأَرض أَضْيَافُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ أَحَدُ العُلَماءِ رَحِمَهُ الله تَعالى عَلَيْكَ يا أَخِي بمُحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ، وقَهْرِهِ، وذَلِكَ لِخَصْلَتَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ عَدُوٌّ مُظلٌ مُبين، لا مَطْمَعَ فِيهِ بِمُصَالحَة وَاتّقَاءِ شَرّه أبَدَا، لِأَنَّهُ لَا يُرْضِيْهِ وَيُقْنِعُهُ إِلَّا هَلَاكُكَ أَصْلًا، فلَا وَجْهَ إذاً للأَمْنِ مِنْ هَذَا الْعَدُوْ وَالْغَفْلَةِ عَنْه، قَالَ اللهُ جَلَّ وعَلَا ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوْا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِيْن** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فاتَّخذُوْهُ عَدُوّاً** ﴾، وَالخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّـهُ مَجْبُـولٌ عَلَـى عَدَاوَاتِكَ، ومُنْتَصِبٌ لِمُحَارِبَتِكَ، في اللَّيْلِ والنَّهَارِ يَرْمِيْكَ بسِهَامِهِ، وأَنْتَ غَافِلٌ عَنْهُ، ثُمَّ هُوَ لَهُ مَعَ جَمِيْعِ المؤمِنِيْنَ عَدَاوَةٌ عَامَةٌ، وَمَعَ المُجْتَهِدِ في العِبَادَة وَالعِلْم عَدَاوَةٌ خَاصَةٌ، ومَعَهُ عَلَيْكَ أعْوَانٌ نَفْسُكَ الأَمَّارَةِ بالسَّوْء، والهَوَى، والدُّنْيَا، وَهُوَ فارِغٌ وَأَنْتَ مَشْغُوْل، وَهُوَ يَرَاكَ وَأَنْتَ لَا تَرَاه، وأَنْتَ تَنْسَاهُ وَهَوَ لَا يَنْسَاكَ، فَإذاً لَابُدَّ مِن مُحَارَبَتِهِ، وَقَهْرِهِ، وَإِلَّا فلَا تَأْمَنْ الفَسَادَ وَالهَلاكَ وَالدَّمَار، وَمُحَارَبَتُهُ بالاسْتِعَاذَةِ باللهِ والإِكثارِ من ذِكْرِهِ.

شعراً: إذَا شئتَ أَنْ تَلْقى عَدُوَّكَ رَاغِماً ... فَتُحرِقَـهُ حُزْنـاً وَتَقْتُلَـهُ غَمَّـا

فَعَلَيْكَ بالإِخْلَاصِ وَالزُّهْد والتُّقى ... فَمَنْ فَازَ فِيْهَا مَاتَ حُسَّادُهُ هَمَّا

آخر: وَلِمَ أَرَى كَالإِخْلاصِ للهِ وَحَدَهُ ... وَلا مِثل تقوَاهُ وَإِكْثَـارِ ذِكْـرِهِ

فَصْـلٌ

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ وجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ أَنَّهُ لَم يُؤْثَرْ عَنْ أَحدٍ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِح مِنَ الصَّحَابَةِ وتَابِعِيْهِم بِإحْسَانٍ تَعْظِيْمُ أَحدٍ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ وَالمُوَالِيْنَ لِأَهْلِ البِدَعِ وَالمُنَادِيْنَ بِمُوَالاتِهِمْ، لِأنَّ أَهْلَ البِدَعِ مَرْضَى قُلُوْب، وَيُخْشَى عَلَى مَنْ خَالطَهُمْ أَو اتَّصَلَ بِهِمْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ مِنْ مَا بِهِمْ مِنَ هَذَا الدَّاءِ العُضَال، لِأَنَّ المَرِيْضَ يُعْدِيْ الصَّحِيْحَ وَلَا عَكسْ، فَالْحَذَرَ الحذرَ مِنْ جَمِيْعِ أَهْلِ

البدَع، وَمِنْ أهْلِ البِدَعِ الذَيْنَ يَجِبُ البُعْدُ عَنْهُمْ وَهِجْرَانُهُمْ، الجَهْمِيَّةُ، والرَّافضَةُ، وَالمُعْتَزِلَةُ، والْمَاتُرِيْدِيَّةُ، وَالخَوَارِجُ، والصُّوْفِيَّةُ، والأَشَاعِرَة، وَمَنْ عَلَى طَرِيْقَتِهِمْ مِنِ الطَّوَائِف المُنْحَرِفَةِ عن طريقة السَّلَفْ، فَيَنْبَغِي لِلْمُسَلْم أنْ يَحْذَرَهُمْ وَيُحَذِرَّ عَنْهُمَ وصلى الله على محمد وآلِهِ وسلم.

فائدة: وَقْتُ الإنسان هُو عُمره وَمَادَة حَيَاتِه الأبدِيَّة في النَّعِيْم المقيْم وَمَادةُ المعِيْشَةِ الضَّنْكِ في العَذَابِ الألِيْم وَهو يَمرُ مَرَّ السَّحاب.

شِعْرَاً: إِنِّـــيْ أُبـــثُكَ مِنْ حَدِيْثــي ... إِنَّ الحَـدِيْثَ لَهُ شُجُــوْنْ
غيَّــرْتُ مَرْقَــدَ نَوْمِـــيْ ... لَيْـلًا فَفَارَقَنــيْ السُّكُــوْنْ
قُلْ لِيْ فَأَوَّل لَيْلـــــةٍ ... في القَبْـرِ كَيْـفَ تَرىَ يَكُــوْنْ

آخر: يَا مَنْ سَيَنْـــأَ عن بَنِيْـــهْ ... جَاءَ اليَقِيْــنُ فَوَجّهُـــوْهْ
مَثِّـــلْ لِنَـــفْسِكَ قَوْلَهُـــمْ ... جَاءَ اليَقِيْــنُ فَوَجّهُـــوْهْ
وَتَحَلَّلُـــوْا مِنْ ظُلْمِـــهِ ... قَبْـلَ الْمَمَـــاتِ وحَلِّلُـــوْهْ

آخر: أَعْوَامُ لَهْوٍ كان يُحْزِنُ ذِكْرُهَـا ... قَلْبَ اللَّبِيْبِ لفَقْدِهَـا لِلَّطاعَـةِ
لَوْ أَنَّهَـا مُلِئَتْ بِذِكْـرِ إِلٰهِنَـا ... وَتِـلَاوَةِ القُـرْآنِ زَالَتْ نَدَامَتِـيْ

آخر: بِطَاعَـتِكَ الإِلٰـهَ تَنَـالُ عِزَا ... وَتَسْعَـدُ يَا فَتَـى يَوْمَ الجَـزَاءِ

آخر: عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ في كُلِّ لَحْظَةٍ ... فَمَا خَابَ عَبْدٌ للمُهَيمن يَذْكُرُ

آخر: لَوْ يَعْلَم العَبْدُ ما في الذِكْرِ مِن شَرَفٍ ... أَمْضَى الحَيَاةَ بتَسْبِيحٍ وتَهْلِيْل

فائدة: العِلْمُ بِمَا جَاءَ عَنِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤهُ وَمَا جَاءَ عَن رَسُولِهِ ﷺ خَيْرُ مِيْرَاثٍ، والتَّوفيقُ مِن اللهِ خَيْرُ قَائِدْ، والإِجْتِهَادُ في طاعَةِ اللهِ خَيْرُ بِضَاعَة، ولا مالَ أَحْسَنُ من عَمِلِ الرَّجُلِ في يَدِهُ، ولا مُصِيْبَةَ أَعْظم مِن الكُفْرِ باللهِ، ولا عَوِيْنَ أَوْثَق من الإِعْتِمَادِ على اللهِ جَلَّ جَلَالُهْ، ثم مُشَاوَرَةِ

أَصْحَابِ الرَّأْيِ السَّدِيْد مِن المُؤْمِنِيْن، وَلا أَوْحَشَ مِن الكِبْرِ، والكُفْرِ والعُجْبِ، والنِّفَاق، والإِلْحَادْ.

وقال يحيى بنُ معاذ: عَجِبْتُ مِن ثلاثة: رجُل يَرائِي بَعِمْلِهَ مُخْلوقاً مِثْلَه وَيتركُ أنْ يَعْمَلَهُ للهِ، وَرَجُل يَبْخُل بِمالهَ وَربهُ يستقرْضُه مِنه فلا يُقْرِضُهُ مِنه شيْئاً، وَرَجُل يَرغَبُ في صُحْبةِ المخْلوقين وَمَوَّدتِهم واللهُ يَدْعوهُ إِلَى صُحْبَتِهِ وَمَودَتهِ.

ملاحظة: لا يسمح لأي إنسان أن يَخْتَصِرَهُ أوْ يَتَعَّرضَ ل بما يُسَمُّونَه تَحقِيْقاً لِأَنَّ الاختصار سَبَبٌ لِتعطِيلِ الأَصْلِ والتحقيق أَرَى أَنَّهُ إِتِهَامٌ لِلْمُؤلِف، ولا يُطْبع إِلَّا وقفاً لله تعالى على مَن يَنْتَفِعُ بِهِ مِن المسلمين.

فائدة عَظِيْمَةُ النَّفَعْ لِمَنْ وَفَّقَهُ الله

ما أَنْعَم الله على عَبْدٍ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ انْ عَرَّفَه لَا إِلٰهَ إلا الله، وفَهَّمَهُ مَعْنَاهَا، وَوَفَّقَهُ لِلعَمِلِ بِمُقْتَضَاهَا، والدَّعْوَةِ إِلَيْهَا.

شِعْرًا: عَلَيْكَ مِن الأُمُورِ بمَا يُؤَدِّي ... إِلَى سُنَنِ السَّلَامَةِ والخَلَاصِ
وَمَا تَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ وشِيْكَاً ... وفَوْزاً يَوْمَ يُؤخَذُ بالنَّواصِي

آخر: عَجِبْتُ لِمَنْ يَعْمُر قُصُوْراً فَسِيْحَةً ... لِيَسْكُنَهَا وَقْتاً قَلِيْلًا وَيَرْحَلُ
ويَتْرُكُ قَبْراً فيهِ يَسْكُنُ وَحْدَهُ ... زَمَاناً طَويْلًا ثُمَّ يَأْتِي يُهَرْوِلُ
إِلَى مَوْقِفٍ فِيهِ يَشِيْبُ وَلِيْدُهُ ... وَتُسْقِطُ ذَاتُ الحَمْلِ فيهِ وتَذْهَلُ
ومِنْ بَعْدِه الأَهْوَالُ لَوْ قَدْ رَأَيْتَها ... لَطَلَّقْتَ دُنْياً بالثَلاثِ مُعَجلُ
فَلِلّهِ دَرُّ الزَّاهِدِيْنَ بِجِيْفَةٍ ... عَلَيْهَا أُنَاسٌ جَاهِلُونَ وَغُفَّلُ

آخر: آخَرُ يُسَرُّ بِصَفْوِ عِيْشَتِهِ الجهُوْلُ ... وَتُعْجُبُهُ الأَقَامَةُ وَالحُلُولُ
ودُوْنَ مُقَامِه حَادٍ حَثِيْثٌ ... عَنِيْفُ السَّوْقِ والمْوتُ السَّبِيْلُ

سَبيْلٌ ما تَوَجّهَ فيهْ سَفَرٌ	فكَانَ لهُمْ إلىٰ الدُنْيا قُفُوْلُ
طَرِيْقٌ يَسْتَوِيْ للْخَلِق فيهِ	مَسَالِكُهم وَيَخْتَلِفُ المقِيْلُ
يُطَافُ عَلَيْهُمْ بكُؤوس لَهْوِ	ومَزْجُ كُؤُوْسِهَا الدَّاءُ الدَّخِيْلُ
وتَصْقُلُ وَجْهَهَا لَهُمُ خِدَاعَا	وتَحْتَ صِقَالِهَا السَّيْفُ الصَّقِيلُ

آخر: أَكَبَّ بَنُوا الدُّنْيَا عَلَيْهَا وَإِنَّهُمْ	لتَنْهَاهُمُ التَّقْوى عَنْهَا لَوِ انْتَهَوْا
أَيُّهَا النَّاظِرِ بعدِيْ في كِتابِي	مُسْتَفِيْداً مِنْهُ مَرْغُوب الطّلَابْ
قاطِفاً مِنْهُ ثِماراً نُسّقَتْ	باجْتهِادي بمشيْبِيْ وَالشَّبَابْ
إهْدِ لِيْ مِنْكَ دُعَاءً صَالحاً	وَتحَرّى فيه أَوْقَات الإِجَابْ

آخر: (تَضَرُّعٌ إلى الله جَلَّ وَعَلَا)
قَرُبَ الرَّحِيْلُ إلِىَ دِيَار الآخرة	فاجْعَلْ بفَضْلِكَ خَيْرَ عُمْري آخرةْ
وارْحَمْ مَقِيْلِي في القُبُور وَوَحْدَتي	وارْحَمْ عِظَامِيْ حين تَبْقَى ناخِرَةْ
فأنا المُسَيكِيْنُ الذيْ أيَامُهُ	وَلّتْ بأوْزَارٍ غَدَتْ مُتَواتِرَةْ
فَلَئِنْ طُرِدْتُ فمَنْ يكنْ لِيْ رَاحِماً	وبِحَارُ جُوْدِكَ يَا إلٰهِيْ زَاخِرَةْ
يا مَالِكِيْ يَا خَالِقِي يَا رَازِقِي	يا رَاحِمِ الشيخ الكبيرِ ونَاصِرَهْ
مالِي سِوَى قَصْدِي لِبَابِك سَيّدِي	فأجْعَلْ بفَضْلك خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهْ

آخر: دَعْ عَنْكَ ذِكْرَ فُلَانَةٍ وَفُلانِ	وَاتْركْ لِمَا يُلهِي عَنِ الرحْمٰنِ
واعْلَمْ بأنَّ الموتَ يَأتِي بَغْتَةً	وَجَمِيْعَ ما فَوقَ البَسيْطَةِ فانِ
فإلَى مَتىَ تَلْهُو وقَلْبُك غافلٌ	عن ذِكْرِ يوْم الحِشْرِ والميزَان
أتراكَ لَمْ تَكُ سَامِعاً ما قَدْ أَتَى	في النَّصِ في الآيات بالقُرآنِ
فانْظُرْ بِعَينِ الأعْتبارِ ولا تَكُنْ	ذَا غَفْلةٍ عن طَاعَةِ الدَّيَانِ

(فَصْلٌ)

(١) «فوائدُ عظيمةُ النفعَ جِدّاً مما قاله العلماء إعْلَمْ أنَّ قِصرَ الأمل عليه مَدَارٌ

عظيم، وَحِصْنُ قِصَرِ الأمَلِ ذِكْرُ الموت، وحِصْنُ حصْنِهِ ذكر فجأة الموت وَأخْذُ الأنْسَانِ على غِرَّةٍ وغِفْلَةٍ وهو في غُرورٍ وفُتُورٍ عن العمل للآخِرةْ».

(٢) «اللّيْلُ والنّهارُ يَعْمَلان فيْكَ، فاعْمَلْ فيهما أعْمَالًا صالِحَةً تَرْبَح وَتَحْمِدَ العَاقِبَةَ الحَمِيْدَة أنْ شاءَ الله تَعالى» والله الموفق.

وقال عيسى بن مريم عليه السلام عَجبْتُ لِثلاثةٍ: لِغَافل ولَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهْ، ومُؤَمِّلٍ دُنْيَاهُ والموتُ يَطْلُبه، وبَانٍ قَصْراً وَالقَبْرُ مَسْكَنُهُ.

(٣) «المَلائكةُ يَكْتُبَان مَا تلَفَّظُ به، فاحْرَصْ عَلَى أن لا تَنْطِقَ ألَّا بِمَا يَسُرَّكَ يَوْمَ القِيَامَةْ كالْباقِيَاتِ الصَّالِحات وَمَا وَالَاهَا».

شعرا: وإنَّ أَحْسَنَ بَيْتٍ قَالَهُ رَجُلٌ ... بَيْتٌ تَضَمَّنَ تَوحْيْدَ الذي خَلَقَا

آخر: إذا المَرْءُ لم يَعْصِ الأٰلَه بِفعْلِهِ ... وَلَا قَوْلِهِ فَهْوَ الأَدِيْبُ المُهَذَّب

آخر: تَمْضِيْ حَيَاتُكَ ثُمَّ تَبْقِي صَفْحَةٌ ... كَتَبَتْ يَدَاكَ سُطُوْرُهَا قَبْلَ الرَّدَى

مَهْمَا مَكَثْتَ فأَنْتَ ضَيْفٌ رَاحِلٌ ... عَنْ ذِيْ الدّيَار اليَوْمَ حَتْماً أَوْ غَدَا

فاتْرُكْ إذاً أَثَراً لِذِكْرِكَ صَالِحاً ... إنْ كُنْتَ تَبْغي أنْ يَدُوْم مُخَلَّدا

«واسْأَلْ بِمَا سَأَلَ الخَلِيْلُ إلَاهَهُ ... في سُوْرَةِ الشُعَرا سُؤَآلاً مُسَدَّدَا»

(فصــــل)

ومَن أرادَ طِبَاعَتِهِ إبْتِغَاءَ وَجْه الله تَعَالىٰ لا يُرِيْدُ به عرضاً مِن النُيا، فقد أُذِنَ لَه في ذلك وَجَزَى اللهُ خيراً مَن طَبَعَهُ وَقْفاً لِلَّهِ، أو أعانَ على طبعِهِ، أو تَسبَّبَ لِطَبْعِهِ وتوزيعه على إخوانه المسلمين. فقد وَرَدَ عنه ﷺ أنه قال: «إنَّ اللهَ يُدْخِلُ في السَّهْمِ الوَاحِدِ ثلاثة نَفَرٍ الجَنَّة: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ في صَنْعَتِهِ الخَيْرَ والرَّامِيْ بِهِ، ومُنْبلَه» الحديث، رواه أبو داود.

وورد عنه ﷺ أنه قال: «إذَا مَاتَ الإنسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أوْ وَلَدٍ صالِحٍ يَدْعُوْ له» الحديث رواه مسلم.

وَعَنْ زَيْدْ بن خَالد رَضي اللهُ عَنْهُ أنّ رسُول الله ﷺ قال: «مَنْ جَهَزَ غَازياً في سَبيلِ اللهِ فقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلف غازياً في أهْله بِخَير فَقَدْ غزا» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِمَّا يلحَقُ المؤْمِن مِن عَمَلِهِ وَحَسنَاتِهِ بَعْدَ مَوتِهِ عِلْماً عَلَّمَهُ ونَشَرهُ وَوَلداً صَالحاً تركَهُ، أو مُصْحَفاً ورَّثهُ أو مَسْجِداً بَنَاهُ أوْ بَيْتاً لِابْن سَبِيْل بَنَاهُ أوْ نَهْراً أجْرَاهُ أوْ صَدَقَة أخْرجَهَا مِنْ مَالِهِ في صِحَّتِهِ وحَيَاتِهِ تَلْحَقُهُ مِن بَعْدِ مَوْتِهِ» رواه ابن ماجَهْ وابن خُزَيْمَة.

وَرَوَاهُ البَزَّارُ مِن حَدِيث أنسٍ إلاَّ أنَّهُ قال: «سَبْعٌ تَجْرِي للْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ وهو في قبره مَنْ عَلَّمَ عِلْماً أوْ كَرى نَهْراً أوْ حَفَرَ بئراً أوْ غَرسَ نَخْلاً أوْ بَنَى مَسْجِداً أوْ وَرَّثَ مُصْحَفاً أوْ تَرَكَ وَلَداً يَسْتَغْفِرُ له بَعْدَ مَوْتِهِ».

فائدة عظيمة النفع

وَقَفَ قومَ على عَالِمَ فَقَالُوا لَهُ إنَّا سَائِلُوكَ أفَمجُيْبنا أَنْتَ قَالَ سَلُوْا وَلا تُكْثِرُوْا فإنَّ النَّهار لَنْ يَرْجِعَ والعُمَرَ لَنْ يَعُودْ، والطَّالِبَ حَثْيث في طَلَبَه، قالوا فأوْصِنَا، قال: «تزوَّدُا عَلَى قَدْرِ سَفرِكُمْ، فإنَّ خَيْرَ الزَّاد مَا أبْلَغَ البُغْيَة، ثُمَّ قَالَ الأيَّامُ صَحَائِفَ الأعمال فخلِدُهَا أحْسَنَ الأعمال، فإنَّ الفُرصَ تَمرُ مَرَّ السَّحَاب والتَّوانِيَ مِن أخْلاق الكُسَالى، ومنَ اسْتَوطَنَ مَرْكَبَ العَجْز عَثَرَ بِه، وتَزَوَّجَ التَّوانِي بالكَسل فوُلِدَ بَيْنَهُمَا الخُسْران» إهـ.

شِعْرًا: مَا مَضَى فاتَ وَالمؤَمَّلُ غَيْبٌ ... وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِيْ أَنْتَ فِيْهَا

فائدة عظيمة النَّفع

أَشْرَفُ الأشْيَاءِ قَلْبُكَ وَوَقْتُكَ، فإذَا أَهْمَلْتَ قَلْبَكَ وضيَّعْتَ وَقْتَكَ، فَمَاذَا بَقِيَ مَعَك، كلُ الفَوائِدِ ذَهَبَتْ.

شِعْرًا: وَذِكّـرْ بـالتُّقَـى قَلْبـاً غفُـوْلاً ... فَلَوْلاَ السَّقْيُ مَانَمَتِ الزُّرُوْعُ

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبـــة الكتـــاب

الحمدُ للهِ الذي تَفَرَّدَ بالجلالِ والعظمةِ والعزِ والكبرياء والجَمالِ وأشكرُهُ شكرَ عَبدٍ مُعْتَرِفٍ بالتقصيرِ عن شكرِ بعض ما أوليهُ مِن الانعام والأفضالِ وأشهد أنْ لَا إِلَهَ إِلَا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ .

وَبَعْدُ فَبِمَا أَني رَأَيتُ كِتَابَ المَنَاهلِ الحسانِ مطلوباً ومرغوباً فيه ورأَيتُ أَني أَوَسِعُهُ وَأَزِيْدُ فيهِ زيادَاتٍ كَثيْرَةً ما بَيْنَ حِكَمٍ وأَحْكامٍ وَقَواعِدَ وَمَواعِظَ وآدابٍ وأخلاقٍ وقصائِدَ زُهْديات لِيَكُونَ جَامِعَاً نَافِعَاً صَالحاً وَمُنَاسِباً لِرَمَضَانَ وَغَيْرِهِ ولِلْعَالِمِ والْمُتَعَلِمِ ولِلأَئمَّةِ وَغَيْرِهِمْ وَبَذَلْتُ وُسْعِيْ وَاعْتَنَيْتُ جُهْدِي في تَهْذِيْبِهِ وَتَنْقِيْحِهِ وَتَرْتِيْبِهِ وَقَدْ أَكْمَلتُ تَشْكِيْلَهُ لِيَعْذُبَ لِلسَّامِعِ والقَارِىءِ وَيَسْهُلَ عَلَيهِ .

وأَسْأَلُ اللّهَ الحَيَّ القَيُّومَ العَلِيَّ العَظِيْمَ القَويَّ العَزِيْزَ ذَا الجَلالِ والإِكرامِ الوَاحدَ الأحدَ الفردَ الصَمدَ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْواً أَحَدْ الحَلِيمَ الكَرِيمَ القَرِيبَ المُجِيْبَ أَنْ يَجْعَلَ عَملَنَا خَالصاً لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ مُقَرِّباً لَنا وَلِمَنْ قَرأَهُ وَسَمِعَهُ لَدَيْهِ فِي جَناتِ النَعِيْمِ وأَنْ يَأجرَ مَنْ طَبَعَهَ وَمَنْ أَعَانَ عَلىٰ طَبْعِهِ وَمَنْ تَسَبَّبَ لِطَبْعِهِ مَدَىٰ اللَّيَالي والأَيَّامِ وأَنْ يَغْفِرَ لَنا وَلَهُ وَلِوَالِدِيْنَا وَوَالِدَيْهِ وَجَمِيْعِ المُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنهُمْ والمَيتِينَ بِرَحْمَتِهِ إِنَهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين وصَلّىٰ الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِين .

عبد العزيز بن محمد السَّلمان

آخرُ: لَا تَبْكِ لِلدُّنْيَـا وَلَا أَهْلِهَـا   وإبْكِ لِيَوْمٍ تَسْكُنِ الحَافِـرَةْ
وَابْكِ إِذَا صِيْحَ بِأَهْلِ الثَّرَى   فاجْتَمَعُوْا في سَاعَةِ السَّاهِرَةْ
وَيْلَكِ يا دُنْيَـا لَقَـدْ قَصَّرَتْ   آمَـالُ مَن يَسْكُـنُكِ الآخِرَةْ

آخرُ: قِفْ دُوْنَ دِيْنِكَ في الحَيَاةِ مُجَاهِداً   إِنَّ الحَيَاة عَقِيْـدَةٌ وَجِهَـادُ

آخرُ: إِذَا كَانَ رَأسُ المَالِ عُمْرِكَ فاحْتَرِزْ   عَلَيْهِ مِنَ الإِنْفَاقِ في غَيْرِ وَاجِبِ

وَسَمَّيْتُ هَذَا الكِتَابَ الجَامِعَ المُسَلِّي لِقَارِئِهِ وَسَامِعِهِ :

(مَوَارِدَ الظَّمْآنِ لِدُرُوْسِ الزَّمَانِ)

حِكَم وأَحْكَام وَقَوَاعِد وَمَوَاعِظ وآداب وأَخْلَاق حِسان

أَسِيْرُ خَلْفَ رِكَابِ النُّجْبِ ذَا عَرَجٍ
مُؤَمِّلاً جَبْرَ مَا لَاقَيْتُ مِن عِوَجِ
فَإِنْ لَحِقْتُ بِهِمْ مِن بَعدِ مَا سَبَقُوْا
فَكَمْ لِرَبِ السَّمَا في النَاسِ مِن فَرَجِ
وإِنْ ظَلَلْتُ بِقَفْرِ الأَرضِ مُنْقَطِعاً
فَمَا عَلَىٰ عَرَجٍ فِي ذَاكَ مِن حَرَجِ

(هَذَا الكِتَاب وقف لله تَعَالىٰ عَلىٰ طَلَبة العلمْ) وَغيرهِمْ مِمَّنْ يُريد الانتفَاع به واحْذر أَيُّهَا الأخ من بَيْعِهِ أَوْ تَعْطِيْلِهِ .

بِاللهِ يَاقَارِئاً كُتُبِيْ وَسَامِعَهَا   أَسْبِلْ عَليهَا رِداءَ الحُكْمَ والكَرَمِ
واسْتُرْ بِلُطْفِكَ مَا تَلْقَاهُ مَن خَطَاءٍ   أَوْ أَصْلِحَنْهُ تُثَبْ إِنْ كُنْتَ ذَا فَهَمِ
فَكَمْ جَوادٍ كَبَى والسَّبْقُ عَادَتُه   وَكَمْ حُسَامٍ نَبَا أَوْ عَادَ ذُوْ ثُلَمِ
وَكُلُّنَا يَاأَخِيْ خَطَآءُ ذُوْ زَلَلٍ   والعُذْرُ يَقْبَلُهُ ذُوْ الفَضْلِ والشِيَمِ

آخر : مَن الذِيْ مَا سَاءَ قَطْ   وَمَنْ لَهُ الحُسْنَى فَقَطْ

آخر : أَخَا العِلْم لا تَعْجَلْ لِعْيب مُصنِّفٍ   ولَمْ تَتيَقَنْ زَلَّةً مِنْهُ تُعْرَفُ
فَكَمْ أَفْسَدَ الرَّاوِيْ كَلاَماً بِنَقْلِهِ   وَكِمْ حَرَّفَ المَنْقوْل قَوْمٌ وَصَحَّفُوْا
وكَمْ نَاسِخٍ أَضْحَى لِمَعْنىً مُغَيِّراً   وَجَاءَ بِشَيْءٍ لَمْ يُرِدْهُ المُصَنِّفُ

آخر : سَلِ الإِلٰـهَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ   فَهْوَ الذِيْ يُرتَجَى مِن عِنْدِهِ الْأَمَلُ
فَإِنْ مُنِحْتَ فلَا مَنٌّ وَلا كَدَرٌ   وإِنْ رُدِدْتَ فَلا ذِلٌّ وَلَا خَجَلُ

(فصـــل)

الأركـان الستة وكيفية الإيمان بها :

الأوَّل : الإيمانُ بالله جَلَّ جَلَالُه :

وهو الاعتقاد الجَازم بأن الله رَبَّ كُلِّ شَيءٍ ومَلِيكهُ وأنَّه الخَالِق الرازق المُحْيِي المِمُيْت المُدَبر لِجمَيع الأمور .

وأنه المستحق لِأَنْ يُفْرَدَ بالعُبُوْدِيَّةِ والذْلِ والخُضُوعِ وجِميعِ أنواعِ العِبادة ، وأنه المتصفُ بصفاتِ الكمال المنزه عن كل عيبٍ ونقص ، وهذا هو الأساس الأول الذي يَقُوم بِناء شَخْصِيَّةِ المُسْلِمِ عليه .

شِعْـــراً :

عَلَيْكَ بِتَوحِيْدِ الإِلٰـهِ فإِنَّهُ   هُوَ العُرُوَةُ الوُثْقَى بِهَا يُتَمَسَّكُ

آخـــر :

تأَمَّلْ صحِيْفَاتِ الوُجُود فإِنَّها   مِنَ الجَانب السَّامِي إِلَيْكَ رَسَائِلُ
وَقَدْ خُطَّ فِيْهاَ لَوْ تَأَمَّلْتَ خَطَّهَا   أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ

٢ ـ الركن الثاني : الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة هو التصديقُ الجازمُ بأَنَّ لله ملائكةً مَوْجُودِينَ مَخلوقِينَ مِن نُور ، وأنهم كَما وَصَفَهم الله عبادٌ مُكْرَمُونَ يُسبحونَ الليلَ والنهارَ لا يَفْتُرون وأنهم لا يَعْصُون الله ماأمرهم وَيَفعلون مَا يُؤْمَرون ، وأنَّهم قَائِمُون بِوَظائِفهم التي أَمَرَهَمُ الله بالقيام بها .

ويجبُ الإيمانُ على التفصيلِ بمن وَرَدَ تَعْيينهُ باسمهِ المخصوصِ كَجبريل وميكائيل وإسرافيل ورضوان ومَالك ، فَجبريلُ هو الموكلُ بأداءِ الوَحْي وهو الروحُ الأمين ، ومِيكَائِيلُ المُوكلُ بالقَطْرِ ، وإسرافيلُ الموْكلُ بالصوْرِ ، ومَلَكُ الموتِ الموكلُ بِقَبْضِ الأَرْوَاحِ .

ومنهم الموكلُ بأعمالِ العِباد ، وهُمْ الكرَامُ الكَاتِبون ، ومنهم الموكلُ بِحفْظِ العَبْدِ مِن بينَ يديهِ ومن خَلْفهِ وهُمُ المعَقّبَاتُ ، ومنهم الموكلُ بالجنةِ ونَعيْمِهَا وهُمْ رِضوانُ ومَن مَعَهُ .

ومنهم الموكلُ بالنارِ وعَذابها وهُمْ مَالِكُ ومَن مَعَه، ومنهم الموكلُ بِفتنةِ القبرِ وَهم مُنْكَرٌ ونكِير ، ومنهم حملةُ العرشِ .

ومنهم الموكلُ بالنُطَف في الأَرحامِ وكتابة ما يراد بها ، ومنهم ملائكةٌ يَدخُلُون البيتَ المعمورَ يَدخُله كُلَّ يومٍ سَبْعُونَ ألفاً ثم لا يَعُودُون ، ومنهم ملائكةٌ سَيَّاحُونَ يَتّبعُونَ مَجالِسَ الذِكر وغير ذلك .

ويَجِبُ الإيمانُ بِمن لم يَردْ تعْيينهُ باسمهِ المخصوصِ أو تَعْيينُ نوعِهِ المخصوصِ إجمالاً والله أعلم بعَدَدِهَم ، قال تعالى : ﴿ كُلٌّ آمنَ باللهِ وملائكتِهِ ﴾ الآية وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ البرَ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة ﴾ الآية .

فجعل الإيمانَ هو الإيمانُ بهذِهِ الجملةِ وسَمَّى مَن آمنَ بهذه الجملةِ مُؤْمِنين ، كما جَعَلَ الكافرين مَن كَفرَ بهذِهِ الجُملةِ بقوله : ﴿ ومَن يكَفر بالله وملائكته ﴾ الآية .

وفي حديث جبريل : « أن تُؤْمِنَ باللهِ وملائكتِهِ وكُتُبه » الحديث فهذه الأُصولَ اتّفقَتْ عليها الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا الرسلُ وَأتباع الرسل .

إيْمَانُنَا بالله ثُمَّ بِرُسْلِهِ وَبِكُتْبِهِ وَقِيَامَةِ الأَبْدَانِ
وبِجُنْدِهِ وَهُمُ الملائكةُ الأولى هُمْ رُسْلُهِ لِمَصَالِحِ الأَكْوَانِ
هَذِي أصُوْلُ الدِّيْنِ حَقاً لا أصُـ ـوْلُ الخمسِ لِلْقَاضِي هُوَ الهَمَدَانِ

آخـر: وبَعْدَ حَمْدِ الله أَنّي أشْهَدُ أنْ لا إلهَ مُسْتَحِقاً يُعْبَدُ
إلاَّ الا لـهُ الوَاحِدُ الفردُ الصَّمَدْ مَن جَلَّ عن زَوْجٍ وَكُفْء وَوَلَدْ
وَأنَّ طَه خَيْرُ مَنْ قَدْ أُرْسِلَا يَدْعُوْ إلى التَّوْحِيْد سَائِرَ المَلَا
صَلى عليه الله ذو الجلالِ مادَامَتِ الأيام والليالي
وآلِه وصَحْبِهِ الكِرَامِ السَّادَةِ الأئمَّةِ الأعلامِ

(فَصْلٌ): ٣- الركن الثالث : الأيمان بكتب الله :

الإيمان بكتب الله هو التصديق الجازم بأن لله كتباً أنزلها على أنبيائه ورسله وهي من كلامه حقيقة ، وأنها نور وهدى ، وأن ما تضمنته حق وصدق ولا يعلم عددها إلا الله .

وأنه يجب الإيمان بها جملة إلا ما سمي منها وهي التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم وموسى فيجب الإيمان بها على التَّفْصِيل .

قال الله :﴿ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس ﴾ وقال : ﴿ وآتينا داود زبورا ﴾ وقال : ﴿ أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ﴾ وقال : ﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ﴾ فيجب الإيمان بها على التفصيل والبقية إجمالاً .

ويجب مع الإيمان بالقرآن وأنه منزل من عند الله الإيمان بأن الله تكلم به حقيقة ، كما تكلم بالكتب المنزلة على أنبيائه ورسله ، وأنه المخصوص بمزية الحفظ من التغيير والتبديل والتحريف .

قال الله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وقال : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ .

ومنزلة القرآن من الكتب المتقدمة كما ذكر الله فيه قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ﴾ . وقال : ﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ . وقال : ﴿ ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ .

قال المفسرون : مهيمناً مؤتمناً وشاهداً على ما قبله من الكتب ، ومصدقاً لها يعني يصدق ما فيها من الصحيح وينفي ما وقع فيها من تحريف وتغيير وتبديل ، فما شهد له بالصدق فهو المقبول ، وما شهد له بالرد فهو المردود .

وله يخضع كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه . وقال الله تعالى : ﴿ ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون . الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ .

ويجب على كل أحد إتباعُه ظاهراً وباطناً والتمسك به والقيام بحقه ، قال الله : ﴿ وهذا الكتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾ وقال : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ﴾ .

وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب الله فقال : « خذوا بكتاب الله وتمسكوا به » وفي حديث علي مرفوعاً : « إنها ستكون فتن . قلت ما المخرج منها يا رسول الله . قال : كتاب الله » وذكر الحديث .

ومعنى التمسك به والقيام بحقه حفظه وتلاوته ، والقيام به آناء الليل والنهار ، وتدبر آياته وإحلال حلاله وتحريم حرامه ، والانقياد لأوامره والانزجار بزواجره ، والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه ، والعمل بمحكمه ،

والإيمان بمتشابهه ، والوقوف عند حدوده ، والذب عنه لتحريف الغالين المبطلين والنصيحة له بكل معانيها والدعوة إليه على بصيرة .

وفي جواب أهل العلم والإيمان : السلف متفقون على أن القرآن هو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب ، وهو أعلى منها درجة ، فإنه قرر ما فيها من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر ، وزاد ذلك بياناً وتفصيلاً .

وبين الأدلة والبراهين على ذلك وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالة المرسلين ، وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل ، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين .

وبين عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها وبين ما حرف منها وبدل وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة ، وبين أيضاً ما كتموه مما أمر الله ببَيَانِهِ .

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إليه القَوْم وأَيْقِظْنَا من سِنة الغَفْلَةِوالنَّوم وأرزِقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ اليَوْمِ الذي يَرْبَحُ فيه المُتَّقُونَ اللَّهُمَّ وعامِلنَا بإِحْسَانِكَ وَجُدْ علينا بِفَضْلِكَ رامْتِنانِكَ واجعلنا من عِبادِكَ الذين لا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، اللَّهُمَّ ارحَمْ ذُلَّنا بَيْنَ يَدَيْكَ واجعلْ رَغْبَتَنَا فِيما لَدَيْكَ ، ولا تحرمنا بِذُنوبنا ، ولا تَطْرُدْنَا بعُيوبنا ، واغفر لنا وَلِوالدينَا وَلجميع المُسْلمين الأَحياء مُنْهُم والمَيتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَم الرَّاحِمِيْنَ وصلّى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ .

مِنْ أَهْمَلَ الدِّيْنَ لا تَأْمَن عَقَارِبَهُ ... وَلَوْ تَسَمَّى بِإِخْلاصِ بِنِيَّاتِ
لِآدَمَ جَاءَ إِبْلِيْسٌ وَقَالَ لَهُ ... إِنِّيْ لَكُمْ نَاصِحٌ فاسْمَعْ مَقَالَاتِي
فَاقْسَمَ الخُبْثُ فِي رَبِيْ وَنَزَّلَهُمْ ... مِن الجِنَانِ إِلَى دَارِ الأَذِيَّاتِيْ

وصلى اللهُ عَلَى محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين .

(فَصْلٌ): ٤ – الركن الرابع: الأيمان بالرسل:

الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن لله رسلا أرسلهم لإرشاد الخلق في معاشهم ومعادهم. اقتضت حكمة اللطيف الخبير أن لا يهمل خلقه، بل أرسل إليهم رسلا مبشرين ومنذرين.

فيجب الإيمان بمن سمى الله منهم في كتابه على التفصيل، والإيمان جملة بأن لله رسلا غيرهم، وأنبياء لا يحصى عددهم إلا الله ولا يعلم أسماءهم إلا هو جل وعلا.

قال الله تعالى: ﴿ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك﴾ وعَدَدُ المذكورين في القرآن خمسة وعشرون وهم: آدم، نوح، إدريس، صالح، إبراهيم، هود، لوط، يونس، إسماعيل، إسحق، يعقوب، يوسف، أيوب، شعيب، موسى، هارون، اليسع، ذو الكفل، داود، زكريا، سليما، إلياس، يحيى، عيسى، محمد صلى الله عليه وسلم،

اللَّهمَّ أَتْمِمْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ الوَافِيَةَ وَأرْزُقْنَا الاخْلاصَ فِيْ أَعْمَالِنَا وَالصِّدْقَ في أَقْوَالِنَا وَعُدْ عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ قُلُوْبِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهْ.

(فَصْلٌ): وَمَوْضُوعُ الرِّسَالةِ التَّبْشِيْرُ والتَّنْذِيْر، قال تعالى: ﴿**رُسُلاً مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِين لَئِلَا يَكُونَ لِلناسِ على اللهَ حجة بعد الرسل**﴾.

والحكمةُ في ذلك دعوةُ أُممهم إِلَى عِبادةِ اللهِ وَحْدَهُ. قال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾ وأفضل المرسلين أولو العزم، وهم المذكورون في سورة الشورى.

قال تعالى: ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك

وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ﴾ الآية ، وقال : ﴿ وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ﴾ .

وأفضل أولياء الله أنبياؤه ، وأفضل أنبيائه المرسلون ، وأفضل المرسلين أولوا العزم ، وأفضل أولي العزم محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبين وإمام المتقين وسيد ولد آدم ، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا ، وخطيبهم إذا وفدوا .

صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون ، وصاحب لواء الحمد والحوض المورود ، وشفيع الخلائق يوم القيامة ، وصاحب الوسيلة الذي بعثه الله بأفضل كتبه ، وشرع له أفضل شرائع دينه ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس .

وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرق فيمن قبلهم وهم آخر الأمم خلقاً وأولهم بعثاً ، ومن حين بعثه الله جعله الفاروق بين أوليائه وبين أعدائه .

فلا يكون ولياً لله إلا من آمن به وبما جاء وابتعه ظاهراً وباطنا ، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أوليائه ، بل من خالفه كان من أعدائه وأولياء الشيطان . أهـ وَاللهُ أَعْلَمْ وَصَلى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ .

(فَصْــــلٌ)

مَا يَجُوْزُ عَلَى الرُسُلِ وما يَجِبُ عَلَينا نَحْوُهُمْ

الواجب علينا نحو الرسل والأشياء التي تجوز عليهم والأدلة على صدقهم وما أيدهم الله به : يجب علينا تصديقهم وأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمروا به وبينوه بياناً واضحاً شافياً كافياً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله ولا يحل خلافه .

قال الله تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾. وقال : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ﴾ الآية ، ويجب علينا الإيمان بأنهم معصومون من الكبائر .

وأما الصغائر فقد تقع منهم ، والكتاب والسنة يدلان على ذلك ولكن لا يقرون عليها ، بل يوفقون للتوبة منها ويجب احترامهم وأن لا يفرق بينهم .

ومَن كَفَر بنبي مِن الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء ، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض .

فمن رد نبوته للحسد أو للعصبية أو للتشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيماناً شرعياً وإنما هو عن غرض وهوى وعصبية ا هـ .

ويجب الاهتداء بهديهم والائتمار بأمرهم ، والكف عن ما نهوا عنه ، ويجب الاعتقاد أنهم أكمل الخلق علماً وعملاً ، وأصدقهم وأبرهم وأكملهم أخلاقاً ، وأن الله خصهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد ، وبرأهم من كل خلق رذيل .

ويجب محبتهم وتعظيمهم ، ويحرم الغلو فيهم ورفعهم فوق منزلتهم ، ويجوز في حقهم شرعاً وعقلاً النوم ، والنكاح والأكل والشرب والجلوس والمشي والضحك وسائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العالية .

فهم بشر يَعْتَرِيهم ما يعتري سائر أفراده فيما لا علاقة له بتبليغ الأحكام ، وتمتد إليهم أيدي الظلمة وينالهم الاضطهاد ، وقد يقتل الأنبياء ، كما أخبر الله بذلك في كتابه بقوله سبحانه : ﴿ ويقتلون الأنبياء بغير حق ﴾ .

ومن الأدلة على ما ذكرنا أولاً من أنه يجوز في حقهم أشياء قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين ، إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في

الأسواق ﴾ وقال عز من قائل : ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لكني أصلي وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء » ، وكان صلى الله عليه وسلم يمرض ويتألم ويشتكي ، وكان يصيبه الحر والبرد ، والجوع والعطش والغضب والضجر والتعب ، ونحو ذلك مما لا نقص عليه فيه .

شِعْرًا: وَأَهْوَى مِن الفِتْيَانِ كُلَّ مُوَحِّدٍ مُلَازِم ذِكْرِ الله في كُلِّ لَحْظَةِ
لَهُ هِمَّةٌ تَعَلُوْ عَلَى كُلِّ هِمَّةٍ كَمَا قَدْ عَلَا القُطْبُ النُّجَوم العَلِيَّةِ

اللَّهُمَّ إنَا نَسأَلُكَ باسْمِكَ الأَعْظِم الأَعَز الأَجَلَ الأَكرمِ الذي إذَا دُعِيْتَ بِهِ أَجَبْتَ ، وإذَا سُئِلْتَ بِهِ اعْطَيْتَ ، ونَسْأَلُكَ بوجَهِكَ الكَرِيم أَكْرَمَ الوُجُوه وأَعَزَّ الوُجُوه ، يَا مَنْ عَنَتْ لَهُ الوُجُوْهُ وخَضَعَتْ لَهُ الرِّقابُ ، وخَشَعَتْ لَهُ الأَصْوَاتُ ، يا ذَا الجَلال والإكرام ، يَا حَيُّ يا قَيُّوم يا مَالِكَ الملك يا مَن هُو على كل شيء قدير ، وبكُلِّ شيءٍ عليم ، وبكل شيءٍ مُحِيْط ، يا مَن لا يَعْزُبُ عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ، نسأَلُكَ أن تَغْفِر سِيئاتِنا وتُبَدْلَهَا بِحَسَنَات يا أكرم الأكرمين

اللَّهُمّ انظِمْنَا في سِلْكِ عِبَادكَ المخلصينَ ووفقْنَا للقِيَامِ بأَرْكانِ دِينكَ القَوِيمِ وَنَجنَا مِن لَفَحَاتِ الجَحِيْمِ وأَسْكِنَّا في جَناتِ النَّعيم واغفرْ لَنَا ولِوالدِيْنا ولِجَميع المُسْلمين الأَحْيَاءِ منهم والميتين بِرَحْمَتِك يا أَرْحَمَ الراحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(**فَصْلٌ**) : وَأَمَّا الأَدِلَّةُ عَلَى صِدْقِ الرُسُلِ فَكَثِيرة ، وأَعْظَمُهَا شَهَادَةُ الله لَهُمْ بِأَنَّهُمْ صَادِقون . قال الله تعالى : ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾ وقال عز شأنه : ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ .

وقال عز من قائل عن إسماعيل عليه السلام : ﴿إنه كان صادق الوعد﴾ وقال عن إبراهيم : ﴿ إنه كان صديقاً نبياً ﴾ وقال : ﴿ سبحان ربك رب العز عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴾ .

فسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب إلى غير ذلك من الأدلة ، فهم أصدق الخلق على الإطلاق ، عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وأيدهم بالدلائل الدالة على صدقهم في دعواهم الرسالة .

فمن أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم الذي أعجز الورى كلهم ، ومثل انشقاق القمر ، وحراسة السماء بالشهب ومعراجه إلى السماء ، إلى سدرة المنتهى ، إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام ، وكفاية الله أعداءه وعصمته من الناس ، وإجابة دعائه ، وإعلامه بالمغيبات الماضية ، والمستقبلة .

فالقرآن جاء به ذكر عن آدم ونشأته وما وسوس به إليه إبليس وما وقع له من الهبوط إلى الأرض بعد أن كان في الجنة وحدثنا عن نوح عليه السلام وما لقيه من قومه من أذى وسخرية .

وما دعا الله به وما أرشده الله إليه من صنع الفلك وركوبه وإنجائه وأصحاب السفينة ودعوته لابنه وعصيانه له ، وانهمار السماء ، وتفجر الأرض عيوناً ، وغرق الكافرين ، ونجاة المؤمنين .

وأخبر القرآن عن موسى عليه السلام ، وما تم عند ولادته ، وما وقع له في مصر ، وما حدث له في مدين ، وما رآه في جبل الطور ، وما كلف به من أعباء الرسالة ، وما دار بينه وبين فرعون من حوار ، وما جرى من السحرة ، وما انتهى إليه أمر فرعو وملئه وموسى وقومه .

وأخبر القرآن الكريم عن عيسى وأمه عليهما السلام ، وما وقع لهما من

الخوارق ، وما صنعه لهما بنو إسرائيل من مكائد ، وأخبره عن غيرهم من الأنبياء . قال الله تعالى : ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذا قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ﴾ الآيات .

وقال تعالى : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك ﴾ الآية . وقال :﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيها إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ .

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يعلمها عن مشاهدة ولكن أعلمه أياها الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وقال تعالى : ﴿ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ .

وأخبر صلى الله عليه وسلم بأمور غيبية عن القرآن . قال الله تعالى : ﴿ وعد اللذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾ الآية ، وتحقق الوعد وقال : ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمِنِين ﴾ الآية . وقال : ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ﴾ وقوله : ﴿ سيهزم الجمع ﴾ الآية ، فكان ما أخبر به على أتم الوجوه .

ومن هذا الباب إخباره عن مكنون الضمائر فيما أتى به من القرآن فقال : ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

قال الشيخ : ومثل إخبار أهل الكتاب قبله ، وبشارة الأنبياء به . ومثل إخبار الكهان والهواتف به ، ومثل قصة الفيل ، التي جعلها الله آية في عام مولده من العجائب الدالة على نبوته .

ومثل امتلاء السماء ورميها بالشهب التي ترجم بها الشياطين ، بخلاف

ما كانت العادة عليه قبل مبعثه ، وبعد مبعثه ، ومثل إخباره بالغيوب التي لا يعلمها أحد إلا بتعليم الله من غير أن يعلمه إياها بشر ا هـ .

وكما أيد الله موسى بالآيات البينات ، قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ وكما أيد الله سائر رسله ، مع انضمام ذلك إلى أحوالهم الجليلة ، وأخلاقهم الفاضلة الجميلة ، من سلامة الفطرة والعفاف ، والكرم والشجاعة ، والعدل والنصح .

وقال : ولا ريب من أن من لقي الله بالإيمان بجميع ما جاء به الرسول مجملاً مقراً بما بلغه من تفصيل الجملة غير جاحد لشيء من تفاصيلها أن يكون بذلك من المؤمنين ، إذ الإيمان بكل فرد من تفصيل ما أخبر به الرسول وأمر به غير مقدور للعباد ، إذ لا يوجد أحد إلا وقد خفي عليه بعض ما قاله الرسول ا هـ .

وقال : ضمن الله السعادة لمن أطاعه وأطاع رسوله وتوعد بالشقاء لمن لم يفعل ذلك ، فطاعة الرسول هي مناط السعادة وجوداً وعدماً ، وهي الفارقة بين أهل الجنة والنار ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس فدل الخلق بما بينه لهم .

وقال تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ فمن اجتهد بطاعة الله ورسوله بحسب الاستطاعة كان من أهل الجنة والله يرفع درجات المتقين المؤمنين بعضهم على بعض بحسب إيمانهم وتقواهم ، ا هـ .

أَلَا إنَّ السِّبَاقَ سِبَاقُ زُهْدٍ ... وما في غَيْرِ ذلكَ مِنْ سِبَاقِ
ويَفْنَى ما حَوَاهُ المُلْكُ أصلاً ... وَفِعْلُ الخَيْرِ عِنْدَ اللهِ بَاقِ
سَتَأْلَفُكَ النَّدامَةُ عَنْ قَرِيْبٍ ... وتَشْهَقُ حَسْرَةً يَوْمَ المَسَاقِ
أَتَدْرِي أَيَّ ذَاكَ اليَوْمِ فكِّرْ ... وَأَيقِنْ أنَّهُ يَوْمُ الفِرَاقِ

فِرَاقٌ لَيْسَ يُشْـــبِهُهُ فِـــرَاقٌ قَدْ انْقَطَعَ الرَّجـــاءُ عنِ التَّـــلاقِ
آخر : إنِّي أَبُثُّكَ مِنْ حَدِيْثي إنَّ الحَـــدِيْثَ لَهُ شُجُـــوْنْ
غَيَّـــرْتُ مَوْضِعَ نَوْمِـــيْ لَيْـــلًا فَفَارَقَنِـــي السُّكُـــوْنْ
قُلْ لِيْ فَأَوَّلُ لَيْلَـــــةٍ في القَبْرِ كَيْـــفَ ترى تَكُـــوْنْ

اللّهُمّ اجْعَلْ خَيْرَ أَعْمَالِنَا خَوَاتِمهَا وَخَيْرَ أَيَّامِنا يَوْمَ لِقَائِكَ ، اللهم ثَبّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثّابتِ وَأَيِّدْنَا بِنَصْرِكَ وَارْزُقْنَا مِنْ فَضْلِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ .

اللهم وَفِقنا لِمَا وَفقت إليه القوْم وايْقِظنا مِن سِنةِ الغفلةِ والنوم وأرزِقنا الاستعدادَ لذَلِكَ اليَوْم الذي يَرْبَحُ فيه المُتَّقُونَ ، اللهم وعامِلنَا بإحْسَانِكَ وَجُدْ علينا بِفَضْلِكَ وامْتِنَانِكَ واجعلنا مِن عِبادِكَ الذين لا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، اللهم ارحَمْ ذُلّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ واجعلْ رَغْبَتَنَا فِيما لَدَيْكَ ، ولا تَحرِمنا بِذُنوبنا ، ولا تَطْرُدْنَا بعُيوبنا ، واغفر لنا وَلِوالدِيْنَا وَلِجميع المُسْلمين الأَحياء مُنْهُم والمَيتين بَرحْمَتِكَ يَاأَرْحَم الرَّاحِمِيْن وَصَلّى اللّهُ عَلَى مُحمدٍ وآلِـهِ وصَحْبِهِ أجمعين .

(فَصْلٌ) : ٥ – الركن الخامس : الأيمان بالبعث :

البعث لغة التحريك والإثارة وشرعاً إعادة الأبدان وإدخال الأرواح فيها ، فيخرجون من الأَجْداث أحياء مهطعين إلى الداعي ، كما ذكر الله تعالى : ﴿خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر﴾ .

وقال : ﴿يوم يخرجون من الأَجْداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون ﴾ الآيتين .

وقال : ﴿فإنما هي زجرة واحدة ، فإذاهم بالساهرة ﴾ .

﴿وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أءنا لمبعثون خلقاً جديداً ، قل كونوا

حجارة أو حديداً ، أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة ﴾ .

وقال : ﴿أوَلاَ يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾ .

وقال : ﴿إن كل من في السمٰوات والأرض إلا آت الرحمن عبداً ﴾ .

وقال : ﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً ﴾

وقال : ﴿ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ﴾ الآيتين .

وقال : ﴿وأن الله يبعث من في القبور ﴾ ، وقال : ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ .

وقال : ﴿ ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾ .

وقال : ﴿ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ .

وقال : ﴿ فإنما هي زجرة واحدة ، فإذا هم ينظرون ﴾ .

وقال : ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ .

وقال : ﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا ﴾ .

٦ - الركن السادس : الإيمان بالقــدر :

الإيمان بالقدر : التصديق الجازم بأن كل خير وشر فهو بقضاء الله وقدره ، وأنه الفعال لما يريد لا يكون شيء إلا بإرادته ولا يخرج عن مشيئته .

وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره ، ولا محيد لأحد عن القدر المقدور ولا يتجاوز ما خط في اللوح المحفوظ ، وأن الله خالق أفعال العباد من الطاعات والمعاصي .

ومع ذلك فقد أمر العباد ونهاهم وجعلهم مختارين لأفعالهم غير مجبورين

عليها ، بل هي واقعة بحسب قدرتهم وإرادتهم يهدي من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بحكمته ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » وبهذا الركن تتم الأركان

أَفْعَالُنَــــا مَخْلُوقَــةٌ للهِ لَكِنَّهَــا كَسْبٌ لَنَــا يَا لَاهِــيْ
وكُلُّ مَــا يَفْعَلُه العِبَــادُ مِن طَاعَةٍ أو ضِدِّهَــا مُــرَادُ
لِرَبِّنَــا مِن غَيْرِ ما اضْطِــرارِ مِنْهُ لَنَــا فافْهَمْ وَلا تُمــارِي

(فائدة عظيمة النفع)

ما أَنْعَمَ اللهُ على عبدٍ نِعْمَةً أفْضَل مِن أنْ عَرَّفَهُ لا إلٰهَ إلَّا اللهُ، وفهَّمَهُ مَعْنَاها، وَوَفَّقَهُ لِلْعَمَلِ بمُقْتَضَاها والدَّعْوَةِ إلِيْهَا. قَال بَعْضُهُمْ:

شِعْرًا: فَقُــمْ وحَقِّقْ دِيْنَكَ القَويْمَــا بِفَهْــمِ مَعْنَاهَــا لِتَسْتَقيمْــا
وَهُوَ بِأَنْ تُثبِتَ مَا قَدْ أَثْبَتَتْ لِرَبنَا كَذَاك تَنْفِــيْ ما نَفَتْ

اللّٰهُمّ إلَيْكَ بِدُعَائِنَا تَوَجَّهْنَا وَبِفِنائِكَ أَنَخْنَا وَإيَّاكَ أَمَّلْنَا وَلِمَا عِنْدَكَ مِن الكَرَمِ وَالجُودِ وَالاحْسَانِ طَلَبْنَا وَمِنْ عَذَابِكَ أَشْفَقْنَا وَلِغُفَرانِكَ تَعَرَّضْنَا فاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمْينَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

الفصـــل الأول

في التوبة من المعاصي

اعْلَمْ وَفقَنَــا اللّٰهُ واياكَ وَجَميعَ المُسلمينَ ، أن الذنوبَ حجابٌ عن اللّٰهِ ، والانصرافُ عن كلِ ما يُبْعِدُ عنِ اللّٰهِ واجبٌ ، وانما يَتمُ ذلكَ بالعِلمِ والندمِ والعزمِ ، فانه مَتى لَمْ يَعْلَمْ أَنْ الذنوبَ أسْبابُ البُعْدِ عن اللّٰهِ لَمْ يَنْدَمِ على الذنوبِ ولم يَتَوجَّعْ بِسَبَبِ سُلُوكِهِ طَرِيْقَ البُعْدِ ، وإِذَا لَمْ يَتَوَجَّعْ لَمْ يَرْجِعْ ، والتَّوْبَةُ : الرجوعُ عَن المَعْصِيةِ إلى الطاعةِ وهِيَ واجبةٌ مِنْ كل

ذَنْبٍ ، فان كانت المعصيةُ بينَ العبدِ وبينَ ربهِ تَعالى لا تَتَعلَّقُ بِحَقِّ آدمِيٍ ، فلها ثَلاَثَةُ شُروطٍ :

الأولُ : الإقلاعُ عَنْ المَعْصِيةِ التي هُو مُتَلَبِّسٌ بها ، وَعَلاَمَتُهُ مُفَارَقَةُ الذنب فَوْراً .

الثاني : النَّدَمُ عَلَىَ فِعْلِهَا ، وَعَلاَمَتُهُ طُوْلُ الحُزْنِ على مَا فَاتَ وورد عن ابن مسعودٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ ، أنّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قال : « النَدمُ تَوبةُ » .

شِعْرَا: يَتُوبُ عَلَىَ يَدِي قومٍ عُصَاةٌ ... أَخَافَتْهُم مِن البارِي ذُنُوبُ
وقَلْبِي مُظْلِمٌ في طُوْلِ مَا قَدْ ... جَنَى فأَنا على يَدِ مَن أَتُوبُ
كَأَنِّي شَمْعَةٌ ما بَيْنَ قَوْمٍ ... تضِيْء لَهُمْ وَيُحْرِقُهَا اللَّهِيْبُ

آخر : ألاَ مَنْ لِقَلْبٍ في الهَوى غَيْرَ مُنْتَهٍ ... وَفِي الغَيِّ مِطْوَاعٌ وفي الرَشْدِ مُكْرَهِ
أشَاوِرُهُ في تَوْبَةٍ فَيَقُولُ لَا ... وإنْ قُلْتُ تَأتِي فِتْنَة قال أيْنَ هي

آخر : علامَةُ مَنْ يَخْشَى الإلٰهِ فؤادُهُ ... إذا صَدَرَتْ مِنْه المعاصِي تألْمَا
وأتْبَعَهَا حَالاً بِتوبَةِ صَادِقٍ ... عن الذَّنْبِ في عَزْمٍ لهُ مُتَنَدِّمَا

الغَفْلة عن ذِكر الله وما ولاَه أشد الأعداء ضَرراً على الإنسان فإيَّاك أن تغفل عن ذكر الله ولا لحظة .

الثالثُ : العَزْمُ أَنْ لا يَعُوْدَ إلى معْصِيَةٍ أبَدًا ، وَعَلاَمَتُهُ التَّدَارُكُ لِمَا فَاتَ وَاصْلاَحُ مَا يَأتي ، فانْ كَانَ المَاضِيْ تَفْرِيْطاً في عِبادةٍ قَضَاهَا ، أَوْ مَظْلَمةٍ أدَّاهَا ، أَوْ خَطِيْئَةٍ لاَ تُوْجِبُ غَرامَةً حَزِنَ اذْ تَعَاطَاهَا .

فإن فُقِدَ أَحَدُ الشُرُوْطِ الثَّلاَثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوْبَتُهُ . وانْ كَانَتْ المعصيَةُ تَتَعَلَّقُ بآدميٍ ، فَشُرُوْطُها أرْبَعَةُ ، الثلاثةُ الشُروطُ المذكورةُ والرابعُ : أن يَبْرأَ مِنْ حَقّ صَاحِبها ، فانْ كَانَتْ مالاً أو نحوَهُ رَدَّهُ إليهِ ، إنْ كانَ مَوْجُوداً

أَوْ رَدَّ بدَلَهُ عند تَلَفِهِ مِن قِيْمَةٍ أو مِثْلٍ ، وانْ كَانَتْ حَدَّ قذفٍ وَنَحْوَه مَكَّنَهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ ، وانْ كَانَتْ غِيْبَةً اسْتَحَلَّهُ منهَا انْ كَانَ عَاقلاً حَلِيْماً ، يَغْلِبُ عَلَىٰ الظَن أَنَّهُ اذا جَاءَهُ أَخُوُهُ الْمُسْلِمُ نادِماً تائباً عَفَا عَنْهُ وَسَامَحهُ ، وإلَا فَلْيَسْتَغْفِرْ لَهُ . لِمَا وَرَدَ عَن أنسٍ قَالَ : قَالَ رسولُ اللّه ﷺ : « إنْ مِنْ كَفَّارَةِ الغِيْبَةِ أَنْ تَستغفرَ لِمَن اغْتَبْتَهُ تَقُولُ : اللهم اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ » .

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مظلمةٌ لأخِيْهِ مِن عِرْضٍ أو مالٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ منهُ اليومَ قَبلَ أنْ لا يكونَ دِرْهَمٌ ولا دينارٌ ، إنْ كانَ له عملٌ صالحٌ أُخِذَ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وانْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِن سَيئاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَليه » .

وَقَدْ أَمَرَ اللّهُ سُبْحَانَه وَتعالَىٰ بالتَّوْبَة ، وَبَيَّنَ مَا لِلتَّائبينَ مِن الكَرَامَةِ والأَجْـرِ ، فقال : ﴿ **يا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا تُوبُوا إلى الله توبةً نصوحاً عَسى رَبُكم أَنْ يُكَفِرَ عَنْكُمْ سَيئآتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جناتٍ تَجري مِنْ تَحْتِهَا الأَنهار** ﴾ .

« فَائِدَةٌ عَظِيْمَةُ النَّفْعِ »

مِنْ أُصُوْلِ النِّعَم نِعَمةَ العِلْمِ فَهْيَ نِعْمَةٌ كُبْرَىٰ يَتوقَّفُ عَلَيْهَا رُقِيُّ الإنْسَانِ وَسَعَادَتُهُ فَتَحْصِيْلُهُ نِعْمَةٌ والانْتِفَاعُ بِهِ نِعْمَةٌ ، وَالنَّفْعُ بِهِ نِعْمَةٌ ، وتَخْلِيْدُهُ وَنَقْلُهُ لِلْأَجْيَال نِعْمَةٌ ، وَنَشْره لِلنَّاسِ نِعْمَةٌ ، والدَّعْوَةُ إِلَيْهِ نِعْمَةٌ ، وَهَكَذَا ... إلخ ، وَاللهُ أعلم وَصَلّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلم .

(**فَصْلٌ**) : قال ابنُ القَيّم رحمهُ الله : والنُّصْحُ في التوبةِ يَتَضَمَّنُ ثَلاثَةَ أَشْيَاء ، الأَولُ : تَعْمِيْمُ جَمِيْعَ الذُنُوبِ واستغْرَاقُهَا بها بِحَيْثُ لا تَدَعُ ذَنْباً إلا تَنَاوَلَتْهُ ، وَالثاني : اجماعُ العَزْمِ والصِّدْقِ بَكُلِّيَتِهِ عَلَيْهَا بحَيْثُ لا يَبْقَى تَرَدُدٌ ولا تَلَوُّمٌ ولا انْتِظَارٌ بَلْ يُجْمِعُ كلَّ إرَادَتِهِ وَعَزِيْمَتِهِ مُبادِراً بِهَا .

الثالثُ : تَخْلِيْصُهَا من الشَّوائِبِ والعِلَلِ القَادحَةِ في اخْلاَصِهَا ووُقُوْعِهَا لِمَحْضِ الخَوْفِ من خَشْيَةِ اللّهِ ، والرَّغْبَةِ فِيْهَا لَديْهِ ، والرَّهْبَةِ مِمَّا عِنْدَهُ ، لا كَمَنْ يَتُوبُ لِحِفْظِ جَاهِهِ وحِرْمَتِهِ ومَنْصِبِهِ ورِيَاسَتِهِ ، أو لِحِفْظِ حَالِهِ أو لِحِفْظِ قُوَّتِـهِ ومَالِهِ أو اسْتِدْعَاءِ حَمْدِ الناسِ أو لِهَرَبٍ مِن ذَمِّهِمْ أَوْ لِئَلاَّ يَتَسَلَّطْ عَلَيْهِ السُّفَهَاءُ أو لِقَضَاءِ نَهْمَتِهِ مِن الدنيا أو لإِفلاسِهِ وَعَجْزِهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِن العِلَلِ الَّتي تَقْدَحُ في صِحَّتِهَا وَخُلُوصِهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أهـ .

وأخْبَرَ أَنَّهُ غَفَّارٌ لِذُنُوبِ التَّائِبِيْنَ ، فقال عَزَّ شَأْنُه : ﴿ **والذينَ اذا فَعَلُوا فاحِشةً أو ظَلَمُوا أَنْفُسَهم ذَكَرُوْا اللّهِ فاستغفروا لِذُنُوبِهم وَمَن يَغفرُ الذنوبَ إِلاَّ اللّهُ ولَمْ يُصِرُّوا على مافعَلُوا وهُم يَعْلَمُون . أولئكَ جزاؤهُم مَغْفِرَةٌ مِن رَبِّهم وجَنَّات تَجْري مِنْ تَحتِهَا الأَنهار خالدينَ فِيها وَنِعْمَ أجرُ العاملين** ﴾ .

وقــال تعــالى : ﴿ **وتـوبـوا إلى اللّهِ جميعـاً أيُهـا المؤمنـونَ لَعَلَكم تُفْلِحُون** ﴾ وأخبرَ سبحانَه أنه يُحِبُ التوابينَ ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الله يُحِبُ التوابينَ** ﴾ .

وقال النبي ﷺ : « يا أيُها الناسُ تُوبُوا إلى اللّهِ واستَغْفِرُوْهُ فإني أَتُوبُ في اليوم مائةَ مَرة » رواه مسلم .

وقال ﷺ : « والله إني لاستغفرُ اللّهِ وأَتوبُ اليه في اليومِ أكثرَ مِنْ سَبْعِيْنَ مَرَّة » رواه البخاري .

شعــرا: لَيْسَ الظَّرِيفُ بكَامِلٍ في ظَرْفِهِ ... حَتَّى يَكُونَ عَن الحَرَام عَفِيْفَــا
فاذا تَورَّعَ عَنْ مَحَــارِمِ رَبِــهِ ... فَهُنَاكَ يُدْعَي في الأنــامِ ظَرِيْفَــا

وقال ﷺ : «اللَّهُ أَشَدُ فَرِحاً بتَوْبةِ عَبْدِهِ حِيْنَ يَتُوبُ إليه مِنْ أَحدِكُم كانَ على رَاحِلتِـه بأرضِ فلاةٍ فانفَلَتَتْ منـه وَعَليهَا طَعامُه وَشرَابُه فأَيسَ منها ، فأتى شَجرةً فاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا وَقَدْ أَيسَ مِن رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَمَا هُو كَذَلِكَ

إِذْ هُوَ بِهَا قائمةً عندهُ فأَخَذَ بِخطامِهَا ، ثُمَّ قَال مِن شِدَّةِ الفَرَحِ : اللهم أنْتَ عَبْدِي وأنا رَبُكَ ، أخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ » الحديث رواه مسلم .

وقال ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالى يَبْسُطُ يَدَه بالليل لِيَتُوْبَ مُسيءُ النهارِ ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنهارِ ليَتُوْبَ مُسِيءُ الليلِ حتَّى تَطْلُعَ الشمسُ مِن مَغْرِبِهَا » رواه مُسلم .

والأحاديثُ في هذا كَثِيْرةٌ ، والاجماعُ مُنْعَقِدٌ عَلى وُجُوْبِ التَّوبَةِ لأَمْرِ اللّهِ ورسولِهِ بها ، ولأن الذنوبَ مُهْلِكاتٌ مُبْعداتٌ عن اللّهِ فَيَجبُ الهَرَبُ مِنْها على الفَورِ ولْيَحْذَرْ الإنسانُ كُلَّ الحذرِ من الذنوب الكبَائِرِ والصَّغائِرِ . وُجُوبُ التوبةِ مِن الكبائرِ أَهَمُّ وآكدُ ، والاصْرارُ على الصغيرةِ أيضاً كبيرةٌ ، فلا صَغِيرةَ مع الإِصْرارِ ولا كَبيرةَ مَعَ التوبةِ والاْسْتِغْفارِ وَتواتُرُ الصَّغائِرِ عظيمُ التأْثيرِ في تسْويدِ القلبِ وهوَ كَتواتُرِ قَطَراتِ الماءِ على الحَجَرِ ، فإنهُ يُحْدِثُ فيهِ حُفْرَةً لا مَحَالةَ مَعَ لِيْنَ الماءِ وَصَلابَةِ الحجرِ فَعَلَى العاقِلِ أنَ يَسْتَرْصِدَ قَلبَهُ باسْتِمْرَارٍ ويُراقِبَ حركاتِهِ وَيُسجّلَ تصرُّفَاتِهِ ولا يَتَساهلَ ولا يقولَ إنها مِن التـوافِـهِ الصِغارِ وَصَدَقَ رسولُ اللّهِ ﷺ حيثُ يقولُ : « إياكُمْ وَمُحَقّراتِ الذُنُوب فإنهنَّ يجْتمعْنَ عَلَى الرَّجُل يُهْلكنَهْ » .

فوائد : إنبَسَطَ آدَمُ في أُكْلَةٍ وَاحِدَةٍ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فيهَا فَكَانَتْ سَبَبَ نُزُوْلِهِ مِنَ الجَنَّة وَنوح كَلِمَةٍ وَاحِدَةٌ عَلَىَ غَيْرَ وجْهِهَا نُوْدِي فَلَا تَسْأَلني مَا لَيْسَ لِكَ بِهِ عِلْم إنّي أَعِظِكَ – الآية ، وَخليْلَ الرَّحمٰنُ لَم يَكُن منه إلاَّ هَفْوةٌ وَاحِدَةٌ فكَم تضرع واسْتَغْفَر ، ثم يُونُسَ غَضْبَةٌ واحِدة فَسُجِنَ في بَطْنِ الحُوتْ . اهـ .

شِعْرًا : ولا تحتقر كيدَ الضعِيْف فربما ... تِموت الأفاعي من سُمُوم العَقَارِبِ
وقد هدَّ قدْمًا عَرشَ بِالقِيس هُدهُدٌ ... وَخرب حَفر الفأر سَدَّ مآرب

آخر : لا تَحْقِرَنَّ عَدُواً لَانَ جَانِبُـهُ ... ولَوْ يَكُوْنُ قَلِيْلَ البَطْشِ والجَلَدِ
فَلِذُبَابَةِ في الجُرْحِ المَدِيْدِ يَدٌ ... تَنَالُ ما قَصَّرَتْ عنه يَدُ الأَسَدِ

آخر: ولا تَحْقِرَنَّ عَدواً رَمَا ك وإنْ كان في سَاعِدَيْهِ قِصَرْ
فإنَّ السُيُوْفَ تَحُزُّ الرقَا بَ وَتَعْجَزُ عَمَّا تَنَالُ الإبَرْ

آخر: لا تَهَاوَنْ بِصَغيْرٍ من عِدَا فَقَدِيْماً كَسَرَ الرُّمْحَ القَلَمُ

آخر: لا تَحْقِرَنَّ صَغيرَاً في مُخَاصَمَةٍ إنّ البَعُوضَةَ تُدْمِي مُقْلَةَ الْأَسَدِ

وكما أنَّ خيرَ الأعمالِ الصالحةِ أدْوَمُها وإنْ قَلَّ ، وأيضاً الكبائرُ قَلَّما تَقَعُ مِن غيرِ سَوابقَ وَمُقَدِّماتٍ مِن الصَغائرِ ، فَمَثَلاً الزنا - والعِيَاذُ باللّهِ - قَلّما يَقَعُ فَجْأَةً بل تَتَقدَّمُ عليهِ مُراوَدَةٌ أو قُبْلَةٌ أو لَمْسٍ .

شعـــرا :

أأحُـورُ عنْ قَصْدِي وقد بَرِحَ الخَفا وَوَقَفْتُ مِنْ عُمري القَصيرِ على شفَا
وأرَى شُؤونَ العَيْنِ تُمْسِكُ ماءَها ولَقَبْلَ ماحَكَتِ السَّحابَ الوُكَّفَا
وأخَالُ ذاكَ لِعَبْرَةٍ عَرَضَتْ لَها من قَسْوَةٍ في القَلْبِ أشْبَهَتِ الصَّفَا
ولَقَلَّ لِيْ طُوْلُ البُكاءِ لِهَفْوَتي فَلَرُبّما شَفَعَ البُكاءُ لِمَنْ هَفَا
إنَّ المَعَاصِيَ لا تُقيمُ بِمَنْزِلٍ إلَّا لِتَجْعَلَ مِنْهُ قاعاً صَفْصَفا
وَلَوْ أنَني دَاوَيْتُ مَعْطَبَ دَائِها بِمَرَاهِمِ التَّقْوَى لوافَقَتِ الشِّفَا
ولَعِفْتُ مَوْرِدَها المَشُوبَ بِرَنْقِها وغَسَلْتُ رَيْنَ القَلْبِ في عَيْنِ الصَّفا
وهزَمْتُ جَحْفَلَ غَيِّها بِإنابَةٍ وسَلَلْتُ مِنْ نَدَمٍ عَلَيْها مُرْهَفَا
وهَجَرْتُ دُنْياً لَمْ تَزَلْ غَرَّارَةً بِمُؤَمِّلِيْها المُمْحِضِينَ لَها الوَفا
سَحَقَتْهُمُ ودِيارَهُمْ سَحْقَ الرَّحَا فَعَلَيْهِم وعَلى دِيارِهُمُ العَفَا
ولَقَدْ يُخافُ عليهِمُ مِن رَبِّهِمْ يَوْمَ الجَزاءِ النَّارَ إلَّا إنْ عَفَا
إنَّ الجَوَادَ إذا تَطَلَّبَ غَايَةً بَلَغَ الْمَدَى مِنها وَنَدَّ الْمُقْرِفَا
شَتَّانَ بَيْنَ مُشَمِّرٍ لِمَعادِهِ أَبَداً وآخَرَ لا يَزالُ مُسَوِّفَا
إنِّي دَعَوتُكَ مُلْحِفاً لِتُجِيْرَنِي مِمَّا أَخَافُ فَلا تَرُدَّ المُلْحِفَا

قال بَعضُ العُلَماءِ مِن عَجيْبِ ما نقَدْتُ مِن أحْوالِ الناسِ كَثْرَةَ ما

ناحُوا على خرَابِ الدِّيارِ ومَوتِ الأقارِب والأسلافِ والتَّحَسُّرِ على الأَرْزَاقِ بذم الزمانِ وأهلِه وذِكرِ نكدِ العَيْشِ فيه .

وقَدْ رَأوَا مِن انهدام الإسلامِ وشعَثِ الأَديانِ وموت السُنن وظهورِ البدع وارتكابِ المعاصِي وتقضِي العُمر في الفارغِ الذي لا يُجْدِي والقبيحِ الذي يُؤبق ويُؤذِي .

فلا أجدُ منهم مَن ناح على دِيْنِه ولا بَكى عَلى فارِطِ عُمرِه ولا آسَى على فائتِ دَهرِه .

ومـا أرَى لذَلك سَبَبًا إلا قِلةَ مُبَالاتِهم في الأديان وعظَمَ الدنيا في عُيونِهم ضِدَّ ما كان عليه السلفُ الصالحُ يَرْضَون بالبلاغِ ويَنُوحُونَ على الدين أهـ .

وكُـلُّ كَسْـرٍ فـإنْ اللّهِ يَجْـبُرُهُ وما لِكَسْـرِ قَنَـاةِ الـدِّينِ جُـبْرَانُ

آخـــر :

تُفَكّــرُ في نُقْصَـــانِ مَـالِـك دَائمـاً وتَغْفُل عن نُقْصَـانِ دِيْنكَ والعُمْـرِ

ويَثْنِيْكَ خَـوْفُ الفقْرِ عن كُلِّ طاعُةٍ وخِيْفَـةُ حَـالِ الفقْرِ شَرٌ مِن الفَقْرِ

اللّهُمَّ وَفِّقْنَا تَوفيقاً يَقِيْنَا عَنْ مَعَاصِيْكَ وَأَرْشِدْنَا لِي السَّعْي فِيْمَا يُرْضِيْكَ وأَجِرْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ خِزْيكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لأَوْلِيَائِكَ ، اللّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلَك التَّوبَةَ وَدَوامَها ، وَنَعُوذُ بِكَ مِن المَعْصِيَةِ وأَسْبَابِها ، اللّهمّ أَفِضِ علَيْنا مِن بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِك حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا على السَّلاَمَةِ مِن وَبَالِها وَارْأُفْ بِنَا رَأْفَةَ الحَبِيْبِ بِحَبِيْبِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَنُزُولِها ، وارْحَمْنا مِن هُمُومِ الدّنْيا وَغُمومِها بالرَّوْحِ والرّيْحانِ إِلى الجنةِ وَنَعِيمِها ، وَمَتِّعْنا بالنَّظَرِ إلى وَجْهكَ الكريم في جَنَّاتِ النَّعيمْ مَعَ الذين أَنْعَمْتَ عليهم من النبيينَ والصِّدّيقينَ والشُّهَدَاءِ والصّالِحين ، واغْفِرْ لَنا ولوالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعَ المُسْلِمينَ ، الأَحياءِ منهم والميتينَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ ، وَصَلّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وصحبِهِ أَجْمَعِينْ .

الفَصْلُ الثَّاني: قال ابنُ القَيمِ رَحِمهُ اللهُ: وللمَعَاصِي من الآثارِ المُضِرَّةِ بالقلبِ والبَدَن في الدنيا والآخرةِ ما لا يَعْلمُهُ إلا الله، فمنها أنها مَدَدٌ مِنَ الإنسانِ يَمُدُّ بِهِ عَدُوَّهُ عليهِ وَجَيْشٌ يُقَوِّيهِ بهِ على حَرْبِهِ ومِن عُقُوباتِها أَنَّهَا تَخُونُ العَبْدَ أَحْوَجَ ما يكون إلى نفْسِهِ. ومنها أنها تُجَرِّىءُ العبدَ على مَنْ لم يكُنْ يَجْترىءُ عَليهِ. وَمنها الطَبْعُ على القلب إذا تكاثَرَتْ حتى يَصيرَ صَاحبُ الذَنْب منَ الغافِلين، كما قال بعضُ السَلَفِ في قوله تَعَالى: ﴿**كلا بَلْ رانَ على قلوبِهِمْ ما كانوا يَكْسِبُون**﴾ هو الذَنْبُ بعدَ الذنْب، وقال: هو الذَنْبُ على الذنْبِ حتى يَعْمَى القلبُ. وأصْلُ هذا أنَّ القَلْبَ يَصْدأُ مِنَ المعصيةَ فإذا زادَتْ غَلَبَ الصدأُ حتى يَصيرَ رَاناً ثم يغلبُ حتى يَصِيرَ طَبْعاً وَقَفْلاً وَخَتْماً فَيَصِيرَ القلبُ في غِشَاوةٍ وَغِلافٍ.

ومنها إفْسادُ العقلِ فإنَّ العقلَ نُورٌ والمعصيةُ تُطْفىءُ نُورَ العقلِ.

ومنها أن العبدَ لا يَزالُ يَرْتَكِبُ الذُنوبَ حتى تَهونَ عليهِ وَتَصْغُرَ في قلبِهِ.

ومنها أنْ يَنْسَلِخَ مِنَ القلبِ ٱسْتِقْباحُها فتصيرَ لهُ عادةً.

ومنها أنَّ المعاصِيَ تزرَعُ أَمْثَالَها وَيُوَلِّدُ بعضُها بَعضاً.

ومنها ظُلْمَةٌ يَجِدُها في قلبِهِ يُحِسُّ بها كما يُحِسُّ بظُلْمَةِ الليلِ.

ومنها أَنَّ المعاصِيَ تُوهِنُ القلبَ والبَدَنَ أَمّا وَهَنُها لِلْقَلب فَأَمْرٌ ظاهِرٌ بل لا تَزَالُ تُوهِنُهُ حتى تُزيلَ حَيَاتَهُ بالكُلِّيةِ وأمَّا وَهَنُها للبَدَنِ فانّ المؤمنَ قُوتُهُ في قلبِهِ وكُلّما قَوِيَ قلبُهُ قَوِيَ بَدَنُه.

وَمنْها أَنَّ المعاصِيَ تَمْحَقُ بَرَكَةَ العُمْرَ إذْ أنَّ المَعاصِيَ كُلَّها شُرُورٌ.

وَمِنْهَا شَمَاتَةُ الأَعْداءِ فَإِنّ المَعَاصِيَ كُلَّها أَضْرارٌ في الدِّينِ والدُّنْيا وَهَذا مَا يُفَرِّحُ العَدُوَّ وَيُسِيءُ الصَّديقَ.

وَمِنْهَا تَعْسِيرُ أُمُورِهِ فَلاَ يَتَوَجَّهُ لأمْرٍ إلا يَجِدُهُ مغْلَقاً دُوْنَه أَوْ مُتَعَسِّراً عَلَيْه .

ومَنْهـا الْوَحْشَةُ الَّتِي تَحْصُلُ بَيْنَهُ وَبيْنَ النَّاسِ وَلاَ سِيَّمَا أَهلُ الخَيْرِ .
وَمِنْهـا حِرْمَـانُ دَعْـوَةِ الـرَّسُولِ ﷺ وَدَعُوَةِ المَلائِكَةِ لِلَذِيْنَ تابُوا وَمِنْهَا أَنَّ الذُنُوبَ تَدْخُلُ العَبْدَ تَحْتَ لَعْنَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

شِعْرًا: أَلا طُوْبَى لِمَنْ أَمْسَى وأَضْحَى ... خَفِيْفَ الظَّهْرِ مِنْ ثِقْلِ الذُنُوبِ
يَغِيْبُ عَنِ الأَباعِدِ والأَدَانِيْ ... لِخَلْوَتِـهِ بِعَـلَّامِ الغُيُـوْبِ

آخر: لا تَقْنَطَنْ مِن عِظَمِ الذُنُـوب ... فرب العبـاد رحِيْـمٌ رؤوف
ولا تَمْضِيَنَّ عَلَى غَيْـرِ زِادْ ... فإنَّ الطَّرِيْـقُ مَخَـوْفٌ مَخُـوف

وَمِنْهـا أَنَّها تُحْدِثُ في الأَرْضِ أَنـواعَـاً مِنَ الفَسَادِ في المِيَاهِ وَالْهَوَاءِ والزَّروعِ وَالثِّمارِ والمَسَاكِنِ .

وَمِنْهَا أَنَّها تُطْفِىءُ مِنَ الْقَلْبِ نارَ الغَيْرَةِ .

وَمِنْهَا ذَهَابُ الحَيَاءِ الذِي هُوَ مَادَّةُ حَيَاةِ القلبِ .

وَمِنْهَا أنَّها تُضْعِفُ في القلبِ تَعْظِيمَ الرَّبِّ وَتُضْعِفُ وَقَارهُ في قَلْبِ العَبْدِ .

وَمِنْهَا أنَّهَا تَسْتَدْعِي نِسْيَانَ اللّهِ لِعَبْدِهِ وَتَرْكِه . وَمِنْهَا أَنَّهَا تُخْرِجُ العَبْدَ مِنْ دائِرةِ الإِحْسَانِ وَتَمْنَعُهُ ثَوابَ المُحْسِنِين . وَمِنْهَا أَنّها تُضْعِفُ سَيْرَ القَلبِ إلى اللّهِ والدّارِ الآخِرَةِ . وَمِنْهَا أنّها تَصْرِفُ القلب عنْ صِحَّتِهِ واسْتِقَامَتِهِ .

وَمِنْهَا أَنَّها تُعْمِي بَصِيرَةَ القلبِ وَتَطْمِسُ نُورَهُ وَتَسدُّ طُرقَ العِلْمِ. وَمِنْهَا أَنَّها تُصَغِّرُ النَفسَ وَتَحْقِرُهَا وَتَقْمَعُهَا عن الخير.

وَمِنْهَا أنَّ العَاصِيَ في أَسْرِ شَيْطَانِهِ وَسِجْنِ شَهَواتِهِ.

وَمِنْهَا سُقُوطُ الجَاهِ والمَنْزِلَةِ والكَرَامَةِ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ. وَمِنْهَا أَنَّها

تُوجِبُ القَطيعَةَ بينَ العبْدِ وَبينَ رَبِّهِ. وَمِنْهَا أَنَّهَا تَسْلُبُ صَاحِبَها أَسْمَاءَ المَدْحِ والشرَفِ. وَمِنْهَا أَنَّها تَجْعَلُ صَاحِبَها من السَفَلةِ انتهى.

شِعْرًا: تَبِيْتُ على المَعَاصِي والمَسَاوِي فأنْتَ بِغَفْلَــــةٍ واللهُ بِتَّــــا
يُديـمُ عليكَ إحْسَاناً وفَضْلاً وأَنْتَ تُدِيـمُ لُؤْمـاً أيْـنَ كُنْتَـا
وبالعِصْيَـانِ تَخطُـرُ باخْتيــالٍ سَكِرْتَ مِنَ الغُرورِ وما صَحَوْتَا
أَفِــقْ مِنْ غَفْلَــةٍ وَأَنِبْ لِرَبٍّ تَنَـلْ منـهُ السَّمـاحَ إذَا أَنَبْتَــا
وتَظْفَـرُ بالقَبُــولِ وبالأمَــاني وفي الدّارَيْـن بالإسْعَادِ فُزْتَــا

آخر: أَلا أَيُّها المُسْتَطْرِفُ الذَّنْبَ جَاهِداً هُوَ اللهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ السَّرَائِرُ
فإنْ كُنْتَ لَمْ تَعْرِفْهُ حِيْنَ عَصَيْتَهُ فإنَّ الذِي لا يَعْرِفُ اللهَ كَافِرُ
وإنْ كُنْتَ عن عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ بهِ عَصَيْتَ فأنْتَ المُسْتَهِيْنُ المُجَاهِرُ
فَأَيَّةُ حَالَيْكَ اعْتَقَدْتَ فإنَّــهُ عَليْمٌ بِمَا تُطْوَى عَلَيْهِ الضَّمائِرُ

آخر: أَحذِرْكَ أَحْذِرْكَ لا أُحْذِرْكَ واحِـدةً عَنِ المَعَاصِي وخُصَّ الشِرْكَ باللهِ
فإنَّـهُ أَعْظَــمُ الآثامِ أَجْمَعِهَــا وَصَاحِبُ الشِّرْكِ أعْدَى الناسِ لِلَّهِ

ومِن عُقُوباتِ الذُنُوب: أنها تَصْرِفُ القَلْبَ عن صِحَّتِهِ واسْتِقَامَتِهِ إلى مَرَضِهِ وانْحِرافِهِ، فلا يَزالُ مَرِيضاً مَعْلُولاً لا يَنتفعُ بالأغذيةِ التي بها حَياتهُ وصَلاحهُ.

فإن تأثير الذنوب في القلب كتأثير الأمراض في الأبدانِ، بل الذنوب أمراضُ القلوب ودَاؤُها، ولا دَواءَ لَهَا إلا تَركُها.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوْكِ مَنَاهِجِ المُتَّقِيْنِ، وَخُصَّنَا بِالتَّوْفِيْقِ المُبِيْنِ، وَاجْعَلْنَا بِفَضْلِكَ مِنْ المقَرَّبِيْنَ الذِيْنَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ، وَاغْفَرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأحْيَاءِ مِنهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(**فَصْلٌ**): وقد أجمع السائرون إلى الله أنَّ القلوبَ لا تُعطي مُنَاهَا حتَّى تصل إلى

مَوْلاهَا، ولا تَصِلُ إِلَى مَوْلاَهَا حَتَّى تَكُونَ صَحِيْحَةً سَلِيْمَةً، ولا تكون صَحِيْحَةً سَلِيْمَةً حَتَّى يَنْقَلِبَ دُاؤُهَا فَيَصِيْرَ نَفْسَ دَوَائِهَا.

ولا يَصِحُ لَهَا ذَلِكَ إِلَّا بِمُخَالَفَةِ هَوَاهَا، فهواها مرضُها، وشفاها مخالفتهُ، فإن إستحكم المرض قتل أو كاد.

وكما أَنَّ مَن نَهَى نفسهَ عن الهوى كانت الجنة مأواه، كذلك يكون قلبه في هذه الدار في جنة عاجلة لا يشبه نعيم أهلها نَعيماً ألبتة.

بل التفاوتُ الذي بين النعيمين كالتفاوت الذي بين نَعِيْمِ الدنيا ونعيم الآخرة، وهذا أمر لا يصدق به إلا مَن باشَرَ قلبه هذا وهذا.

ولا تحسب أن قوله تعالى: ﴿**إن الأبرار لَفِي نَعِيم وإن الفجار لفي جَحِيْم**﴾ مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط، بل في دورهم الثلاثة كذلك.

أعني دار الدنيا ودار البرزخ، ودار القرار، فهؤلاء في نعيم، وهؤلاء في جحيم، وهل النعيم إلا نعيم القلب؟ وهل العذاب إلا عذاب القلب؟.

وأي عذابٍ أشَدُّ مَن الخوفِ والهمَ والحزنِ وضيقِ الصدرِ وإعراضِهِ عن الله والدار الآخرة وتَعَلُّقِهِ بغيرِ اللهِ وانقطاعِهِ عن اللهِ؟ بكل واد منه شعبة، وكل شيء تعلق به وأَحَبَّهُ مِن دونِ اللهِ فإنه يَسُومُه سُوءَ العذاب.

فَكُلُ مَن أَحَبَّ شيأً غيرَ اللهِ عُذِبَ به ثَلاثَ مَرَّات: في هذه الدار، فهو يعذب به قبل حصوله حتى يحصل، فإذا حَصَلَ عُذِّبَ به حالَ حُصولِهِ بالخوفِ مِن سَلْبِهِ وفواتِهِ والتنغيصِ والتنكيدِ عليه وأنواع المعارضات، فإذا سُلِبَهُ اشْتَدَّ عَذَابهُ عليه.

فهذه ثلاثةُ أنواعَ من العذاب في هذه الدار. وأما في البرزخ فعذاب يقارنه أَلَمُ الفراق الذي لا يرجى عوده، وألم فوات ما فاته مِن النعيم العظيم باشتغاله بضده. وألم الحِجَابِ عن الله. وألم الحسرةِ التي تقطع الأكباد.

فالهَمُ والغَمُ والحسرةُ والحزنُ تعمل في نفوسهم نظير ما تعمل الهوام والديدان في أبدانهم ، بل عَمَلُها في النفوس دائم مستمر حتى يردها الله إلى أجسادها ، فحينئذ ينتقل العذاب إلى نوع هو أدهى وأمر .

فأين هذا مِن نعيم مَنْ يرقص قلبه طرباً وفرحاً وأنساً بربه ، واشتياقاً وارتياحاً بحبه وطمأنينة بذكره ؟ حتى يقول بعضهم في حال نزعه : واطرباه . ويقول الآخر : إن كان أهل الجنة في مثل هذا الحال إنهم لَفي عَيْشٍ طيب .

وقال الآخر مَسَاكينُ أهل الدنيا خرجوا منها وماذاقوا لَذيذَ العيشِ فيها وماذاقوا أُطْيَبَ مافيها . ويقولُ الآخر : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف .

ويقول الآخر : إنَّ في الدنيا جنة مَن لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة . فيا مَن باع حظه الغالي بأبخس الثمن ، وغبُنَ كُلَّ الغبنِ في هذا العقد وهو يرى أنه قد غَبَنَ ، إذا لم تكن لك خبرة بقيمة السلعة فاسأل المقومين .

فياعجباً مِن بِضَاعَةٍ مَعَكَ اللهُ مُشْتَرِيها ، وثَمَنُهآ جَنَّةُ المأْوَىَ ، والسفيرُ الذي جرى على يده عقد التبايع وضمن الثمن عن المشتري هو الرسول ﷺ وقد بِعْتَهَا بغايةِ الهوان !! .

هَلَ الدُّنْيَا وما فيهَا جَمْيعاً سِوَى ظِلٍّ يَزُولُ مَعَ النَّهَارِ
تَفكَّر أَيْنَ أَصْحَابُ السَّرَايَا وَأَرْبَابُ الصَّوافِنِ والعِشَارِ
وَأَيْنَ الأَعْظَمُونَ يَداً وَبأْساً وَأَيْنَ السَّابِقُونَ لِذِي الفِخَارِ
وأَيْنَ القَرْنُ بَعْدِ القَرْنِ مِنهُمْ مِنَ الخُلَفَاءِ والشُمِ الكِبَارِ
كِأَنْ لَمْ يُخْلَقُوا أَوْ لَمْ يَكُونُوا وهَلْ أَحَدٌ يُصَانُ مِنَ البَوارِ

واللهَ أعلم وصلى الله على محمدٍ وآلِهِ وصحْبِهِ أجمعين .

(**فَصْلٌ**): ومن عقوباتها أنها تؤثر بالخاصة في نقصان العقل فلا تَجدُ عاقِلين أَحَدهما مُطِيعٌ والآخرُ عاصٍ إلاَّ وعَقْلُ المطيع منها أَوْفَرُ وأَكْمَلُ وفِكْرُهُ وَرَأْيُهُ أَسَدُّ والصوابُ قَرِينه.

ولِهَذا تَجِدُ خِطابَ القُرآن إنما هو مَعَ أُولى الألباب والعقول كقوله: ﴿**واتقون ياأولي الألباب**﴾ وقوله: ﴿**فاتقوا الله ياأولي الألباب**﴾ وقوله: ﴿**إنما يتذكر أولوا الألباب**﴾ ونظائر ذلك كثيرة.

وكيف يكون عاقلاً وَافِرَ العقل مَن يَعصِي مَن هو في قبضته وفي داره وهو يعلم أنه يراه ويشاهده فيعصيه، وهو بعينه غير متوار عنه ويستعين بنعمه على مَسَاخِطه ويَستدعِي كل وقت غَضَبَه عليه ولَعْنَتَهُ له وإبعادَهُ مِن قُرْبِهِ، وطَرْدهُ من بابه وإعراضَه عنه وخذلانَه له والتخليةَ بينه وبين نفسه وعدوه وحرمانه من رضاه وحبه، وقرة العين بقربه والفوز بجواره والنظر إلى وجهه في زمرة أوليائه إلى أضعاف ذلك مِن كرامة أهل الطاعة وأضعاف أضعاف ذلك مِن عقوبة أهل المعصية.

شِعْرًا: يَاذا الـذي حَمَّلَـهُ جَهْلُـهُ ... مِن الْمَعَاصِي فَوْقَ ما يَقْوَى
إلْـبَسْ مِنَ التَّوْبَـةِ دِيْبَاجَـةً ... مُعْلَمَـةً بالـنُسْكِ والتَقْـوَى
واعْلَـمْ بأَنْ لَسْتَ تُرَى نَاجِياً ... إنْ لَمْ تُطِعْ مَنْ يَعْلم السرَّ وَالنَّجْوى

آخر: قِفَا نَبْكِي مِن عُظْمِ الذُنُوبِ وَفتكِهَا ... وتَضْيِيْعِنا الأَوقات في غَيْرِ وَاجِبِ
ونَسْتَدْرِكُ الماضِي بِتَوبَةِ صَادِقٍ ... ونَسْتَقْبِلُ الآتِي بِجِدٍّ المُوَاضِبِ
ونَعْمَـلُ أعْمَـالاً حِسَاناً لَعَلَّهَـا ... تُكَفِّرُ عَنَّا مُفْضِعَاتِ المَعَائِبِ

آخر: إذَا المَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ لِبَاساً من التُقَى ... تَقَلَّبَ عُرْيَاناً وَإنْ كَانَ كَاسِيَا
وَخَيْرُ خِصَالِ المرءِ طَاعَـةُ رَبِـهِ ... ولا خَيْرَ في مَنْ كانَ لِلَّهِ عَاصِيَا

فأي عقل لمن آثر لذة ساعة أو يوم أو دهر ثم تنقضي كأنها حلم لم يكن على هذا النعيم المقيم والفوز العظيم؟ بل هو سعادة الدنيا والآخرة.

ولولا العقل الذي تَقُوم عليه به الحجة لكان بمنزلة المجانين، بل قد يكون

المجانين أحسن حالاً منه وأسلم عاقبة ، فهذا مِن هذا الوجه .

وأما تأثيرها في نقصان العقل المعيشي فلولا الاشتراك في هذا النقصان لَظَهَرَ لِمُطِيْعِنَا نُقْصَانُ عقلَ عاصينا ، ولكن الجائحة عامة ، والجنون فنون .

وياعجباً لو صَحَّتِ العُقُولُ لَعَلِمتَ أَنَّ الطريقَ الذي يحصل به اللذةُ والفرحةُ والسرورُ وطِيّبُ العيشِ إنما هو في رضاء مَن النعيمُ كُلُه في رِضَاهُ والألمُ والعذابُ كله في سَخَطِهِ وغَضَبِهِ .

ففي رضاه قرةُ العيون ، وسرورُ النفوس ، وحياةُ القلوب ، ولَذَّةُ الأرواح ، وطِيبُ الحياةِ ولذةُ العَيشِ وأَطْيَبُ النعيم ممَّا لَو وُزنَ منه مثقالُ ذَرةٍ بنعيمَ الدنيا لم تَفِ به ، بل إذا حَصَلَ لِلقلْبِ مِن ذلكَ أَيْسَرُ نَصِيْبٍ لم يَرْضَ بالدنيا وما فيها عَوضاً منه .

ومَعَ هذا فهو يَنْعَمُ بنَصِيْبِهِ أَعْظَمُ مِن تَنَعُّمَ المترفين فيها ، ولا يَشُوبُ تَنَعُّمهُ بذلك الحظِ اليسيرِ ما يشوبُ تَنَعُّمُ المترفين مِن الهموم الغمومَ والأحزانِ والمعارضاتِ ، بل قد حَصَلَ على النعيمين وهو ينتظر نعيمين آخرين أعظم منهما . انتهى .

لِلَّـهِ قَومٌ أَطَاعُـوا اللهَ خَالقَهُـمْ ... فآمَنُوا واستَقامُوْا مِثْلَ ما أُمِرُوا
والوَجْدُ والشوقُ والافْكـارُ قُوتُهمُـوا ... ولازَمْوا الجد والادْلَاجَ في البُكَرِ

آخر: إذا ما كَسَاكَ لله سِرْبَاك صِحَّةٍ ... وَلَمْ تَخْلُ مِنْ قُوْتٍ يَحِلُّ ويَعذُبُ
فلاَ تَغْبِطَـنَّ المُتْرَفِيْـنَ فَإِنَّهُـمْ ... بِمقْدَارِ مَا يُكْسُوْنَ في الوَقْتِ يُسْلَبُ

آخر: أفادَتْنـي القَنَاعَـةُ كُلَّ عِزٍ ... وَأَيُّ غِنـىً أعَزَ مِنَ القَنَاعَـةْ
فَصيِّرْهَـا لِنَـفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ ... وصَيِّرْ بَعْدَهَـا التَّقْـوى بضَاعَـةْ
تَحُزْ رِبْحَيْنِ تَغْنَـى عن بَخِيْـلٍ ... وتَنْعَمُ في الجِنَانِ بِصَبْرِ سَاعَـةْ

آخر: أَخَصُّ النـاس بالإِيمانِ عَبْـدٌ ... خَفِيْفُ الحَاذِ مَسْكَنُـهُ القِفَـارُ
لَهُ في اللَّيْـلِ حَظٌّ مِن صَلاةٍ ... ومِـن صَوْمٍ إذَا جَاءَ النَّهَـارُ

وقُوتُ النَفسِ يَأْتِي في كَفَافٍ　　وكَانَ لَهُ على ذَاكَ اصْطِبَارُ
وفيه عِفَّةُ وبِهِ خُمُولٌ　　إلَيْهِ بالأَصَابِعَ لَا يُشَارُ
وقَلَّ البَاكِيَاتُ عَلَيْه لَمَّا　　قضَى نَحْباً ولَيْسَ لَهُ يَسَارُ
فَذَالِكَ قَدْ نَجَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ　　وَلَمْ تَمْسَسْهُ يَوْمَ البَعْثِ نارُ

اللهم قَو إيمانَنا بكَ وبملائكتكَ وَبكُتُبكَ وبرُسُلِكَ وباليوم الآخر وبالقدر خيرِه وشرِّه اللهمّ نوِّرْ قُلُوبَنَا بطاعَتِكَ وَحُل بَيْنَنا وَبَيْنَ مَعْصيتكَ وألْهِمْنَا ذِكرَكَ وَشُكْرَكَ واجْعَلْنا هُدَاةً مُهْتَدين واغفر لَنَا وَلوالِدَينا ولجميع المسلمين برَحْمَتِكَ ياأرحَمَ الراحمين وصلَّى الله على نبينا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبه أجْمَعِينْ .

الفصل الثالث : قَالَ ابنُ القَيّم رَحِمَه اللّهُ تعالى : ممَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الذنوبَ والمَعَاصيَ تَضرُ ولا بُدَّ ، أَنَّ ضَرَرَهَا في القَلْب كَضَرر السُّمُوم في الأبدانِ على إختلافِ دَرجَاتِها في الضَرَر . وهَلْ في الدُنيا والآخِرَةِ شَرٌّ وداءٌ ، إلَّا بِسَبَبِ الذُنوبِ والمعاصِي ؟

إلَىَ أَنْ قالَ رحِمَهُ اللّهُ : فَما الذي أَخْرجَ الأَبوَيْن مِنَ الجنةِ والنَعيم واللَّذةِ والبَهْجَةِ والسُرور إلى دَارِ الآلاَمِ والأحْزانِ والمصائِب وما الذي أَخْرجَ إبْليسَ مِنْ مَلَكوتِ السَماءِ وَطَرَدَهُ وَلَعَنَهُ وَمَسَخَ ظاهِرَهُ وباطِنَهُ فَجَعَلَ صُوْرَتَهُ أَقْبَحَ صُوْرَة وأَشْنَعَهَا وباطِنَهُ أَقْبَحَ مِنْ صُورَتِهِ وَأَشْنَعَ وَبُدِّلَ بالقُرْب بُعْداً وبالرَّحْمَةِ لَعْنَةً وبالجَمالِ قُبْحَاً وبالجنةِ ناراً تلظَّى وبالأيْمانِ كُفْراً ، وَبِمُوالاةِ الوَلِيّ الحَميدِ عَدَاوَةً وَمُشَاقّةً وبزَجَلِ التَّسْبيْحِ والتَّقْديْس والتَّهْليل زَجَلَ الكُفْرِ والفُسوقِ والعِصْيَانِ ، فَهَانَ على اللّه تعالى غَايَةَ الهَوَانِ وسَقطَ مِنْ عَيْنِه غايَةَ السُقوط وحَلَّ عليْه غَضَبُ الربِّ تعالى فأهْوَاهُ ، وَمقَتَهُ أَكْبَرَ المَقْتِ فأرْدَاهُ ، فصَارَ قَوَّاداً لِكُلِّ فاسِقٍ ومُجْرِمٍ رَضِيَ لِنَفْسِه بالقِيادَةِ بَعْدَ تِلْكَ العِبَادَةِ والسِّيادَةِ .

فَعِياذاً بِكَ اللهُمَّ مِنْ مُخالفَةِ أَمْرِكَ وَٱرْتِكابِ نَهْيِك .

وَمَا الـذي أَغْرَقَ أَهْلَ الأَرْضِ كُلَّهِمْ حَتَّى عَلاَ ٱلْمَاءُ فَوقَ رُؤُوْسِ الجَبَال . وَمَا الذي سَلَّطَ الريحَ على قَومِ عادٍ حتى أَلْقَتْهم مَوْتَى على وَجْهِ الأَرْضِ كأنَّهم أعْجـازُ نَخْـلٍ خَاوِيَةٍ ودمَّـرتْ ما مَرّتْ عليه مِنْ دِيارِهِمْ وحُرُوْثِهِمْ وزُرُوْعِهِمْ وَدَوابِّهِمْ حتى صارُوا عِبْرةً للأُمَمِ إلى يومِ القِيامة .

وَمَـا الذي أَرْسل على قوم ثَمُودَ الصَيْحَةَ حتى قَطَعَتْ قُلوبَهم في أَجْوَافِهِمْ وماتُوا عن آخِرِهم ، وما الذي رَفَعَ قُرى اللُوطيّةِ حتى سَمِعتْ الملائكةُ نباحَ كِلابِهم ثم قَلَبَها عليهم فَجَعَلَ عالِيَها سافِلَها فأهلكهم جميعا ثم أَتْبَعَهم حجارةً مِنْ السماءِ أَمرَها عليهم فجمع عليهم مِنَ العُقوبَةِ ما لم يَجْمعْـه على أُمَّةٍ غيرِهم ، ولِاخْوانِهم أمثالُها قال تعالى : ﴿ **وَمَا هِيَ مِنَ الظالِمِينَ ببعيد** ﴾ .

وَمَا الذي أرسل عَلى قَومِ شُعَيْبٍ سَحابَ العذابِ كالظُّلَلِ فلَمَّا صَارَ فوقَ رؤوسِهِمْ أَمْطَرَ عليهم ناراً تلظَّى . وَمَا الذي أَغْرَقَ فرعونَ وقومَهُ في البحرِ ثم نُقِلَتْ أرْوَاحُهُم إلى جَهَنَّمَ ، فالأَجْسَادُ لِلْغَرَقِ والأَرواحُ لِلْحَرَقِ ، وَمَا الذي خَسَفَ بقارُوْنَ ودَارِهِ ومالِهِ وأهْلِهِ ، وَمَا الذي أهلَكَ القُرُوْنَ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ بأنواعِ العُقوباتِ ودَمَّرها تدميراً ، وَمَا الذي أهلكَ قومَ صاحِبِ يَس بالصيحةِ حتى خَمَدُوا عنْ آخِرِهم .

وَمَا الذي بعثَ على بني إسْرائيلَ قوماً أُولي بأسٍ شديدٍ فجاسُوا خِلال الدِّيارِ وقَتَلوا الرِجالَ وسَبَوُا الذُرّيةَ والنسَاءَ ، وأحْرقوا الديارَ ونَهبُوا الأموالَ ، ثم بَعَثَهُم عليهم مَرَّةً ثانِيَةً فأَهْلَكُوا ما قَدِرُوا عليه وتَبَّروا ما عَلَوْا تتْبيرا ، وَمَا الَّذِي سَلَّط عليهم أنواعَ العُقوباتِ مَرَّةً بالقتلِ والسَّبْى وخَرابِ البلادِ ومِرَّةً بِجَوْرِ الملوكِ ومَرَّةً بمَسْخِهِمْ قِرَدَةً وخنازيرَ وآخِرُ ذلك أقسم الربُّ تبارك وتعالى لَيَبْعَثَنَّ عليهم إلى يوم القيامة مَنْ يَسُوْمُهُمْ سُوءَ العذاب . اللَّهُمَّ أتْمِمْ عَلَيْنا نِعْمَتَكَ

الوَافِيَةَ وَأرْزُقْنَا الاخْلاص فِيْ أعْمَالِنَا وَالصِّدْق في أَقْوَالِنَا وَعُدْ عَلَيْنَا باصْلَاح قُلُوْبنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْع المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجمعين.

شِعْرًا:
دَعُونِيْ عَلَى نَفْسِيْ أَنُوْحُ وأَنْدُبُ ... بِدَمْعٍ غَزِيْرٍ وَاكِفٍ يَتَصَبَّبُ
دعُونِيْ على نَفْسِي أَنُوحُ فإنَّنِي ... أَخَافُ على نَفْسِي الضَّعِيْفَةِ تَعْطَبُ
وَإنِيْ حَقِيقٌ بالتَضرُّع والبُكَا ... إذا مَا هَذَا النُّوامُ واللَّيْلُ غَيْهَبُ
وَجَالَتْ دَوَاعِي الحُزنِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... وغارَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ وانْقضَّ كَوْكَبُ
كَفَى أَنَّ عَيْنِيْ بِالدُمُوعِ بَخِيْلَةٌ ... وأنِّي بآفَاتِ الذُنُوبِ مُعَذَّبُ
فَمَنْ لِيْ إذا نَادَى المُنَادِي بِمَنْ عَصَى ... إلَى أَيْنَ إلْجَائِي إلَى أَيْنَ أَهْرُبُ
وَقَدْ ظَهَرَتْ تِلْكَ الفَضَائِحُ كُلُهَا ... وَقَدْ قُرِّبَ المِيزانُ والنارُ تَلْهَبُ
فَيَا طُولَ حُزْنِي ثُمَّ يَا طُولَ حَسْرَتِيْ ... لَئِنْ كُنْتُ في قَعْرِ الجحِيْمِ أُعَذَّبُ
فَقَدْ فازَ بالمُلْكِ العَظِيمِ عِصَابَةٌ ... تَبِيتُ قِيَاماً في دُجَى اللَّيلِ تَرْهَبُ
إذا أَشْرَفَ الْجَبَّارُ مِنْ فَوْق عَرْشِهِ ... وقد زُيِنّتْ حُورُ الجِنانِ الكَوَاعِبُ
فَنَادَاهُمُ أَهْلًا وسَهْلاً ومَرْحَباً ... أَبَحْتُ لَكُمْ دَارِي وما شِئْتُمُ اطْلُبُوا

قال العلماءُ وتعظُمُ الصغيرةُ بأسبابٍ منها : أنْ يَسْتَصْغِرَها الإنسانُ ويَسْتَهِينَ بها فلا يَغْتمَّ بسبَبِها ولا يُبَالِي ، ولكنَّ المؤمنَ المُجلَّ للّهِ المُعَظِمَ له هو المستعظمُ لِذَنْبِهِ وإنْ صَغُر فإنَّ الذنْبَ كُلَما آستعظَمَهُ العَبْدُ صَغُرَ عِنْدَ اللّهِ تعالى وكُلَما استصغرَهُ كَبُرَ عِنْدَ اللّهِ تعالى فإنَّ استعظامَهُ يكونُ عَنْ نُفُورِ القلبِ مِنْهُ وكَراهيَتِهِ لَهُ .

قال ابنُ مسعودٍ : إنّ المؤمنَ يَرَى ذنْبَهُ كأنَّهُ في أصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عليهِ وإنّ الفاجِرَ يَرَى ذنْبَهُ كذُبابٍ وقَعَ على أنفِهِ فقال بهِ هَكَذَا ، أخْرَجاه في الصحيحين . وفي البُخاري مِنْ حَديثِ أنسٍ رضِيَ اللّهُ عنْهُ :

إنكُمْ لَتَعْمَلون أعْمالاً هِي أَدَقُّ في أعْينِكُم مِنْ الشَعْر كُنّا لَنعُدُّها على عَهدِ رسولِ اللّهِ ﷺ مِنْ المُوبِقاتِ .

وقَالَ بلالُ بنُ سعدٍ رضِيَ اللّهُ عنْهُ : لا تَنْظُرْ إلى صِغر الخَطِيئةِ ولكنْ انظُرْ إلى عَظَمَةِ مَنْ عَصَيْتَ . ومنها : السُرورُ بها والتَبجُّحُ بسَببها واعتِقادُ التَّمكُّنِ منها نِعْمةً حتى إنَّ المُذنبَ المُجاهرَ بالمَعاصِي لَيَفْتخرُ بها فيقولُ : ما رَأيتَني كيف شَتَمتُهُ وكَيْفَ مَزَّقْتُ عِرْضَه وكَيْفَ خَدعتُهُ في المُعَامَلةَ .

ومنها : أن يَتَهاونَ بسِتْرِ اللّهِ عَليهِ .

ومنها : أن يُجاهَرِ بالذنْبِ ويُظْهِرهُ ويَذْكُرَهُ بعدَ فعْلِهِ ، وقد قال ﷺ : « كلُ أُمتِّي مُعَافىً إلا المُجاهِرون » . ومِنها : أنْ تَصْدُرَ الصغيرةُ عنْ عالمٍ يُقْتَدَى بَهَ فَذَالِكَ عظيمٌ ، لأنه يَتْبَعُهُ عليها خَلْقٌ كثيرٌ ، ويَبْقى أثرُهَا بَعْدَهُ . والله أعلم . اللّهُمَّ أيْقظْنَا مِن نَوْم الغَفْلَةِ ونبِّهْنَا لِاغْتنامِ أُوقاتِ المُهْلَةِ وَوَفقّنَا لِمَصالِحنا واعْصِمنَا مِنْ قَبَائِحنا وذُنُوبنا ولا تُوآخِذْنَا بِمَا انطَوتْ عتليه ضَمَائِرُنَا وَأَكَنَّتْهُ سَرَائِرَنَا واغفرِ لَنَا وَلِوالِدَيْنَا وَجَمِيْع المُسْلِمِيْنَ برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصَحْبِهِ أجمعين .

(فَصْلٌ) : مِن نِصِيْحَةِ وَالدٍ لِوَالَدِهْ

إعْلَمْ أَنَّ مَن تفكرُ في الدنيا قبلَ أن يُوجَدَ رَأىَ مُدَّةً طَوْيلَةً ، فإذَا تَفَكَّرَ فيها بَعدَ أن يَخْرُجَ منها رأىِ مدةً طويلةً وعَلَمَ أن اللبُثَ في القبور طويل ، فإذَا تفكر في يوم القيامة عَلَم أنه خمسون ألف سنَةٍ .

فاذا تفكرَ في اللبثِ في الجنةِ أو النار عَلمَ أنه لا نهايَةَ لَهُ . فاذا عَاد إلى النظر في مِقدار بَقائِهِ في الدنيا فَرَضْنَا ستين سنة مثلاً فانه يَمضي منها ثلاثون سَنَة في النوم ، ونحو مِن خمسَ عَشرَ في الصِبى .

فاذا حسبَ الباقي كان أكثره في الشهواتِ والمطاعم والمكَاسِب فاذا خَلَصَ ما لِلْآخِرَة وَجَدَ فيه مِن الرياء والغَفْلةِ كَثيراً ، فبهاذا تَشتري الحياةَ الأبديةَ وإنما الثمنُ هذهِ الساعات ؟

فانتبه يابُنَي لنفسْك ، واندم على ما مضى من تفريطك واجتهد في لحاق الكاملين مادام في الوقت سعة . واسْقِ غُصْنَكَ ، مادامتْ فيه رُطوبة ، واذكر سَاعَتَكَ التي ضاعَتْ فكَفَى بها عِظَةٍ .

ذَهبتْ لَذةُ الكَسَلِ فيها وفاتَتْ مَراتبُ الفضائل .

وقد كان السلف الصالح رحمهم الله يُحِبونَ جَمْعَ كُلِ فَضيلة ويبكون على فواتِ واحدةٍ منها .

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : دَخلنَا على عابد مَريض ، وهو يَنظُر إلى رجليه ويبكي ، فقلنا : مَالكَ تَبكي ؟ فقال : ما أَغبَرتا في سبيل الله . وبكىَ آخرُ ، فقالوا : ما يبكيك ؟ فقال : عليّ يوم مضى ما صمْتُه وعلي ليلة ذَهَبتْ ما قمتها .

واعِلم يابُني أن الأيام تُبْسطُ ساعات ، والساعات تبسط أنفاسَاً ، وكُلُ نَفسٍ خِزَانَةٌ ، فاْحذَرْ أَن يَذهبَ نَفسٌ بغيرِ شيَء ، فَترَىَ في القيامة خِزَانَةً فَارِغةً فَتَندَمَ ولا ينفعكَ الندم .

آخر: وَالْوَقْتُ أنفسُ مَا عُنِيْتَ بحِفظه — وَاراهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيْكَ يَضيْعُ

آخر: يَاجَامِعَ المال الكثيـرِ لِغَيـرِهِ — إنَّ الصّغِيرَ مِن الذُنُوبِ كَبِيْرُ
هَل في يَدَيْكَ عَلَى الحَوادِثِ قوّةٌ — أَم هَلِ عَلَيْكَ مِنَ المنُونِ خَفيرُ
أَمْ مَا تَقولُ إذَا ضَعَنْتَ إلى البِلىَ — وإذَا خلا بك مُنكرٌ وَنكيْرُ

آخر: مَشيْبُ النَّوَاصِي لِلْمَنُونِ رَسُولُ — يُخَبّرُنـا أَنَّ الثَّـواءَ قَلِيـلُ
فَصِيْحٌ إذا نَادىَ وإِنْ كَانَ صَامِتاً — مُثيرُ المعَانِي لِلنُفـوسِ عَذُولُ
فَواعَجَباً مِن مُوقِـنٍ بِفَنَائِـهِ — وآمَالُه تَنْمُوُ ولَيسَ يَحُـولُ

أَمِن بَعْدِ ما جَاوَزْتَ سَبْعين حَجَّةً　وقد آنَ مِنِّي للقُبورِ رَحِيلُ
أُئَمِلُ آمَالاً وأَرْغَبُ في الغِنى　بِدارٍ غناهَا يَنْقَضِي ويَــزُولُ
وإِنَّ امْرَأً دُنْيَاهُ أَكْبَرُ هَمِّــهِ　ويُؤْثِرُهَا حُباً لَهَــا لَجَهُــولُ
فَكَمْ عَالِمٍ والجَهْلُ أَوْلَى بِعِلْمِهِ　لَهُ مقْوَلٌ عِندَ الخِطَابِ طَوِيْلُ
وكَمْ مِن قَصِيْرٍ في عُلُومٍ كَثيرةٍ　لَهُ مَخْبَرٌ لِلصَّالِحَـاتِ وَصُولُ
فَمَا العِلْم إِلَّا خَشْيَةُ الله والتُقى　فكلُ تَقِي في العُيونِ جَليلُ
فيارَبِ قَدْ عَلَّمْتَنِي سُبُلَ الهُدَى　فأَصْبَحْتُ لا يَخْفَى عَليّ سَبِيْلُ
ويَارَبِّ هَبْ لي مِنْكَ عَزماً على التُقى　فأَنْتَ الذي مَا لي سِوَاهُ يُنِيْلُ
آخر: المرءُ يجْمعُ والدُّنيا مُفرِّقَةٌ　والعُمْرُ يَذْهَبُ والأَيَّامُ تُخْتَلِسُ
ونَحْنُ نَخْبطُ في ظَلْمَاءَ لَيسَ بها　بَدْرٌ يُضِيءُ ولا نَجْمٌ ولا قَبَسُ
فَكَمْ نُرتِّقُ خَرْقاً لَيسَ مُرتَتِقاً　فِيها ونَحْرُسُ شَيْئاً لَيس يَنْحَرسُ
وكَمْ نَذِلُّ وفِينَا كلُّ ذِي أَنِفٍ　ونَسْتَكِينُ وفِينَا العِزُّ والشَّوَسُ
وكيفَ يَرْضىٰ لَبيبٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ　ثَوْبٌ نَقِيٌ وعِرْضٌ دُونَه دَنِسُ

اللهم أَلْهِمْنا القيامَ بحقِك، وباركْ لنا في الحلالِ مِنْ رِزقِك، ولا تفضحنا بين خلقك، يا خيرَ مَنْ دعاه داعٍ وأفضلَ مَنْ رجاه راجٍ يا قاضِيَ الحاجات ويا مجيبَ الدعواتِ هَبْ لنا ما سألناه وحَقّقْ رجاءَنا فيما تمنيناه وأَمّلْناه يا مَنْ يملكُ حوائجَ السائلينَ ويعلمُ ما في ضَمائر الصامتين، أذِقْنا بَرْدَ عفوك، وحلاوة مغْفِرتك، يا أرحمَ الراحمين.

اللهمَّ نَوِّرْ قُلْوبنَا واجْعَلِ الإِيمانَ لَنا سِراجاً ولا تَجْعَلَه لَنا اسْتِدْرَاجاً واجْعَلْهُ لَنَا سُلَّماً إِلى جَنَّتِكْ ولا تَجْعلهُ لنا مَكْراً مِنْ مَشيْئَتِكْ إِنَّك أَنْتَ الحليمُ الغفورُ الشَّكُورُ يا أرحَمَ الراحمينَ وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

الفَصــلُ الـرابــع

واعلمْ أنَّ التوبة إذا صحتْ بأَنِ اجْتمعتْ شروطُها وانْتفَتْ مَوانِعُها قُبلتْ بلا شكٍ إذا وقَعتْ قبلَ نزولِ الموتِ ، لو كانتْ عنِ أيِّ ذنْبٍ كانَ وقبلَ طُلوعِ الشمسِ مِنْ مغْربِها كما قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَأْتي بعضُ آياتِ ربكَ لا ينفعُ نفساً إيْمانُها لم تَكُنْ آمنتْ مِنْ قبلُ أو كسَبَتْ في إيمانِها خيراً** ﴾ .

وأخرجَ الأَمامُ أحمدُ والترمذيُّ عن ٱبنِ عُمَر أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « إنّ الله تعالَى يَقْبَلُ توبةَ العبْدِ ما لَمْ يُغَرْغِرْ أيْ ما لم تَبْلُغْ روحُهُ حُلْقومَهُ فيكونُ بمَنْزلةِ الشيْءِ الذي يَتَغرْغرُ بهِ الْمَريضُ ، والغَرْغَرةُ أنْ يُجْعلَ المَشْرُوْبُ في الفمِ ويُرَدَّدَ إلى أصْلِ الحَلْقِ ولا يُبْلَعَ ، فهذه الحالةُ حَالَةُ حُضورِ الموتِ وبعدَ حُضورِ الموتِ لا يُقْبَلُ مِن العاصِينَ توبةٌ ولا مِنَ الكَافرينَ رُجوعٌ كما قال تعالى عن فِرعونَ : ﴿ **فَلَمّا أَدْرَكَهُ الغرَقُ قال : آمنتُ أنَّهُ لا أَلهَ إلا الذي آمنَتْ بِهِ بَنُو إسرائيل** ﴾ .

ومِنَ الْمُعَوّقاتِ الضَّارَّةِ التَّسْويفُ بالتَّوْبَةِ فَمِنْ أَيْنَ يَعْلَمُ الأَنسانُ . أنه يَبْقَى إلى أنْ يَتوبَ فتَاركُ الْمُبادَرَةِ بالتوبة بَيْنَ خَطَرَيْن عَظِيْمين أحَدُهُما أَنْ تَتَرَاكَمَ الـظُلْمَـةُ على قَلْبِهِ مِنَ المَعَاصِي حتى تَصِيْرَ رَيْناً وَطَبْعاً وثانِيْهِما أنْ يُعَاجِلَهُ المَرَضُ فلا يَجدَ مُهْلةً للاشْتغالِ بِمَحْوِ ما وَقعَ مِنَ الظلمةِ في القَلْبِ فَيأتي رَبَّه بقلبٍ غيرِ سَليمٍ ولا يَنْجُو إلا مَنْ أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ .

ويَجبُ على الإنسانِ أنْ لا يَمْتَنِعَ مِنَ التوبةِ خشْيةَ الوُقُوعِ في ذَنْبٍ مَرّةً أُخْرَى فإنّ هذا ظنٌ يُدْخِلُهُ الشيطانُ في قلْبِهِ لِيُؤخِرَ التوبةَ ولَرُبَّمَا يَقُولُ في نَفْسِهِ سَأَسْتَمِرُّ في المعاصِي أيّامَ شَبَابي وصِحَّتي ثُمَّ أتوبُ بعدَ ذلك ، وهكذا يُسَـوِّفُ ويُؤخِّـرُ ، واذا بالمـوتِ أو المـرضِ يُفاجئُهُ فلا يَجدُ مُتَّسعًا للتوبةِ

والـرّجـوع إلى الله . نعوذُ باللّهِ مِنْ سوءِ الخاتِمَة . ولِذلِكَ كان السلَفُ الصالحُ تكَادُ تنخلعُ قلوبُهم في كل مَرْضةٍ يَمْرَضُونَها ، لاحْتِمالِ أنْ تكونَ تلك المَرْضَةُ إخراجاً لهم مِنَ الدُنيا قبلَ أن يَتَمكَنوا مِنْ تدارُكِ ما فاتَ مِنَ الهَفَواتِ بالتوبةِ النّصُوحِ وللاسْتِكْثارِ مِنَ الباقياتِ الصالحاتِ . ومَرِضَ مرةً بعضُ الصالحينَ فدخلَ عليهِ أصحابُهُ يَعُودُوْنَهُ فقالوا له كيفَ تجِدُكَ ؟ قال : مُوَقّراً بالذنوبِ فقالوا : هَلْ تَشْتَهي شياً ؟ قال : نعم ! أنْ يَمُنَّ عليَّ ربي بالتوبةِ عن كلِ ما يَكرَهُ قبلَ موتي .

وقد قال العلماءُ ما مِثالُ المُسَوِّفِ بالتوبةِ إلَّا مثال مَنْ احتاج إلى قلْعَ شجرةٍ فرآها قَويةً لا تنقلعُ إلا بمشقةٍ شديدةٍ فقال : أوْ أَخِّرُها سنة ثُم أعودُ إليها وهو يعلمُ أنّ الشجرة كُلما بَقِيتْ ازدادتْ قوةً لرُسُوخِها وكلما طال عُمُرُهُ ازْدَادَ ضَعْفُه فلا حَماقةَ في الدنيا أعظمُ مِن حَماقتِه إذْ عَجزَ معَ قُوَّتِهِ عن مُقاومةِ ضعيفٍ فأخَذَ يَنْتَظِرُ الغَلَبَةَ عليه إذا ضَعُفَ هو في نفسِهِ وقوِيَ الضعيفُ .

قال ابنُ القيمِ رحمه الله : إذا أرادَ اللهُ بعبدِهِ خَيْراً فَتَحَ لهُ أبوابَ التوبةِ والندَمِ والانكِسارِ والذُلِ والافتقارِ والاستِعانَةِ بِهِ وصِدْقَ اللجأ اليهِ ودوامَ التضرُّعِ والدعاءِ والتقربِ اليهِ بما أمكنَ مِنَ الحسناتِ ما تكونُ تلكَ السَّيئَـةُ بهِ سببَ رحمتِهِ حتى يقولَ عدُوُّ اللّهِ يا ليْتَني تركتُهُ ولمْ أُوقِعْهُ وهذا معنى قولِ بعضِ السلفِ إنّ العبدَ لَيَعْمَلُ الذنبَ يَدْخُلُ بهِ الجنةَ ويَعملُ الحسنةَ يدخلُ بها النارَ قالوا : كيفَ ؟ قال : يعملُ الذنبَ فلا يزالُ نُصْبَ عينيهِ خائفاً منهُ مُشْفِقاً وَجِلاً باكياً نادِماً مُسْتَحْيَاً مِنْ رَبّهِ تعالى ناكِسَ الرأسِ بَينَ يَدَيهِ مُنْكَسِرَ القَلْبِ له فيكونُ ذلك الذنبُ أنفعَ له مِنْ طاعاتٍ كثيرةٍ بما ترتَّبَ عليه مِنْ هذهِ الأمورِ التي بها سعادَةُ العبدِ وفلاحُهُ حتى يكونَ ذلك الذنبُ سببَ دخولِ الجنةِ .

ويَفْعَلُ الحَسَنةَ فلا يَزالُ يَمُنُّ بها على ربهِ ويَتَكَبَّرُ بها وَيَرَى نَفْسَهُ شيئاً

ويُعجَبُ بها ويَسْتَطِيلُ بها ويقولُ بها ويقولُ فَعَلْتُ وفَعَلْتُ ، فيُورِثُهُ مِنَ العُجْبِ والكِبْرِ والفَجْرِ والاسْتِطالَةِ ما يكونُ سببَ هلاكِهِ .

فاذا أرادَ اللّٰهُ تعالى بهذا المسكينِ خيْراً ابْتَلاهُ بأمرٍ يَكْسِرُهُ به ويُذِلُّ به عُنقَهُ ويُصَغِّرُ به نَفْسَهُ عندَه ، وإذا أراد بهِ غيرَ ذلك خَلاَّهُ وعُجْبَهُ وكِبْرَهُ وهذا هو الخِذْلانُ المُوْجِبُ لِهَلاكِهِ فإنَّ العارفينَ كلَّهمْ مُجْمعون على أن التوفيقَ هو أنْ لا يَكِلَكَ اللّٰهُ تعالى إلى نفسِكَ ، والذلَّ أنْ يَكِلَكَ اللّٰهُ إلى نفسِكَ . انتهى .

يا مَنْ يُغِيْثُ الوَرَى مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا
إرْحَمْ عِباداً أَكُفَّ الفَقْرِ قَدْ بَسَطُوا
عَوَّدْتَهُمْ بَسْطَ أرْزَاقٍ بِلاَ سَبَبٍ
سِوى جَمِيلِ رَجَاءٍ نَحْوَهُ انْبَسَطُوا
وَعَدْتَ بالفَضْلِ في وِرْدٍ وفي صَدَرٍ
بالجُودِ إنْ أَقْسَطُوا والحِلْمِ إنْ قَسَطُوا
عَوارِفُ ارْتَبَطَتْ شُمُّ الأُنُوفِ بها
وكُلُّ صَعْبٍ بقَيْدِ الجُوْدِ يَرْتَبِطُ
يا مَنْ تَعَرَّفَ بالمَعْرُوْفِ فاعْتَرَفَتْ
بجَمِّ إنْعامِهِ الأَطْرافُ والوَسَطُ
وعَالِماً بخَفِيَّات الأُمُور فلا
وَهْمٌ يَجُوزُ عليهِ لا ولا غَلَطُ
عَبْدٌ فَقِيرٌ بِبَابِ الجُوْدِ مُنْكَسِراً
مِنْ شأنِهِ أنْ يُوافي حِيْنَ يَنْضَغِطُ
مَهْمَا أَتَى لِيَمُدَّ الكَفَّ أخْجَلهُ
قَبائِحٌ وخَطَايَا أَمْرُها فَرَطُ

يا واسِعاً ضَاقَ خَطْوُ الخَلْقِ عنْ نِعَمٍ
مِنْهُ إذا خَطبُوا في شُكْرِها خَبَطُوا
وناشِراً بِيَدِ الإجْمالِ رَحْمَتَهُ
فلَيْسَ يَلْحَقُ منه مُسْرِفاً قَنَطُ
إرْحَمْ عِباداً بضَنْكِ العَيشِ ماهُمُوْا
غَيرُ الدُجْنّةِ لُحْفُ والثَّرى بُسُطُ
لَكِنَّهُمْ مِنْ ذُرَي عَلْياكَ في نَمَطُ
سَامٍ رفِيعِ الذُرَى ما فوقَه نَمَطُ
وَمَنْ يَكُنْ بالذِي يهْوَاهُ مُجْتَمِعاً
فما يُبالي أقَامَ الحَيُّ أمْ شَحَطُوا
نَحْنُ العَبِيْدُ وأَنْتَ المَلْكُ لَيْسَ سِوَى
وكُلُ شَيءٍ يُرَجّى بَعْدَ ذا شَطَطُ

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِصالحِ الأعْمَالَ ، ونَجِّنا من جميعِ الأهْوَالِ ، وأُمِّنّا مِنَ الفَوَعِ الأكْبَر يومَ الرَّجْفِ والزلزَلَالْ ، واغْفِرْ لَنا ولِوالِدَيْنا ، ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصلى اللّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبه أجمعين .

(**فَصْلٌ**) : كان سَلَفُنا الصالحُ حَرِيصينَ على الوقتِ وعلىَ حِفْظِ الكَلامِ فلا يَصرفونَ أوقاتَهم إلَّا للآخِرة ولا يَتَكَلَّمُونَ إلَّا لَهَا مُبْتَعِدِيْنَ عن النِفَاقِ والرِياءِ والكَلامِ الفَارِغِ .

فقد كان الفضيل رحمه الله جالساً وَحْدَهُ في المسجد الحرام فجاء إليه أَخٌ له فقال له : ما جَاءَ بكَ . قال المؤانَسَةِ ياأَبَا عَلي . فقال هِيَ والله بالمواحَشَةِ أَشْبَهْ . هَلْ تُرِيْدُ إلَّا أَنْ تَزَيَنَ لِيْ وأتَزَينُ لَكَ وتَكْذِبُ لِيْ وأكْذِبُ لَكَ فإمَّا أَنْ تَقُومَ عَني أو أقومَ عَنْكَ .

لِقَاءُ النـاسِ لَيْسَ يُفِيْـدُ شَيْئـاً   سِوَى الهَذَايانِ مِن قِيْلٍ وقَـالِ
فَاقْلِـلْ مِنْ لِقَـاءِ النـاسِ إِلَّا   لِأَخْذِ العِلْـمِ أَوْ إِصْلَاحِ حَالِ

وهكذا كان السلف لا يَتَلَاقَون إلا لله ويحترزون في جميع أعمالهم وأقوالهم حتى كيف أصبحتَ وكيفَ أمسيتَ وكيفَ حَالُكَ وفي الجواب عن ذلك.

فقد قال حاتمُ الأَصَمُ لِحَامِدِ اللَّفَافِ كَيفَ أَنْتَ في نَفْسِكَ فقال بسلامَةٍ وعَافِية فكَرِهَ حَاتمُ جَوابَهُ وقال يا حَامِدُ السلَّامةُ مِنَ وَرَاءِ الصِّرَاطِ والعافية في الجَنة.

وكان إذا قِيْلَ لِعيسىَ عليه السلام كَيفَ أصبحَت يَقُولُ أَصْبَحْتُ لا أَمْلِكُ تقدَيمَ ما أَرْجُو ولا استْطيعُ دَفْعَ ما أُحَاذِرُ وأَصْبَحتُ مُرْتَهناً بعَمَلِي والخَيرُ كله في يَدِ غيري ولا فقيرَ أفقَر مِني (أيْ إلى الله عَزَّ وَجَل صَاحبُ الخير والغِنى).

وكان الربيعُ بنُ خيثم إذا قِيْل لَهُ كَيفَ أصبحتَ قال ضَعِيفاً مُذْنباً أَسْتَوفي رِزْقِي وأنتظُر أَجَلِي وقِيْلَ لأُوَيْس القَرْنِي كَيْفَ أَصْبَحَتَ قال كَيفَ يُصبِحُ رَجُلٌ إذا أَمْسىَ لَا يدْرِيْ أنه يُصْبِحُ وَإِذَا أَصْبَحَ لا يَدْرِيْ أَنَّهُ يمُسِيْ.

وهكذا كانَ سَلَفُنا الصالحُ رضي الله عنهم ومع هذا فقد كانوا دائماً يَسْأَلُونَ اللهَ العَوْنَ والنَّصْرَ والرُشْدَ والتَّوفِيقَ لِمَا يُحُبهُ وَيَرضَاه.

شِعْرَا: إِذَا لَمْ يُعِنْكَ اللهُ فِيمَـا تُرِيْـدُهُ   فَلَيْسَ لِمَخْلُـوق إِلَيْـهِ سَبِيْــلُ
وَإِنْ هُوَ لم يَنْصُرْكَ لم تَلْقَ نَاصِراً   وإنْ عَزَّ أَنْصَارٌ وجَـلَّ قَبِيْــلُ
وإنْ هُو لَمْ يُرْشِدْكَ في كُلِّ مَسْلَكٍ   ضَلَلْتَ وَلَو أَنَّ السِّمَـاكَ دَلِيْـلُ

قال بَعْضُ العُلمَاء أَعْظَمُ المعاقَبةِ أَنْ لا يُحِسَّ المعاقَبُ بالعقوبة، وأشَدُّ مِن ذلك أَنْ يَقَعَ السرورُ بما هو عُقُوْبة، كالفَرَحِ بالمِالِ الحَرامِ، والتَّمكُنِ مِن الذُنُوب، ومَن هَذِهِ حَالُه لا يَفُوزُ بَطاعَةْ. وقال آخر: الغُمُومُ ثَلَاثَةْ: (١) غَمُّ الطَّاعَةْ أَنْ لَا تُقْبَلْ، (٢) غَمُّ المَعْصِيَةِ أنْ لَا تُغْفَر، (٣) غَمُّ المَعْرِفَة أَنْ تُسْلَبْ.

وقال آخِر: إذا عَصَيْتَ اللهَ في مَوْضعِ فلا تفارقَ الموضعَ حَتَّى تعمل فيه

طَاعة وَتقيم فيه عِبَادَة فكَما يشهد عَلَيْكَ إذَا اسْتُشْهِدْ يَشهد لك وكذَالِكَ ثوبك إنْ عَصَيْتَ اللهَ فِيه فكن كما ذكرته لك.

شِعْرَا: يانَاظِراً يَرْنو بِعَيْنَيَ راقِدِ ... ومُشاهِدِ لِلأَمْرِ غَيْرَ مُشاهِدِ
تَصِلُ الذُنوبَ إلىَ الذُنوبِ وترتَجِي ... فَوْزَ الجِنَانِ ونَيْل أَجْرِ العَابِدِ
ونَسِيْتَ أنَّ اللهَ أَخْرجَ أدَماً ... مِنْهَا إلىَ الدُنْيَا بِذَنْبٍ واحِدِ

وَقَال وَانِّي تَدَبَّرْتُ أَحْوالَ أَكْثَرِ العُلَماءِ المُتَزهِّدِيْن فرأَيْتُهمْ في عُقوباتٍ لا يحُسُّونَ بها، وَمُعْظَمُهَا مِن قِبَل طَلَبِهم لِلرِّيَاسَةِ. فالعَالِمُ مِنهم يَغْضَبُ أَنْ رُدَّ عليه خَطَؤُه، وَالوَاعظُ مُتَصَنِّعٌ بِوَعْظِهِ، والمُتَزَهِّدُ مُنَافِقٌ أَوْ مُراءٍ.

فأولُ عُقُوباتِهم، إعراضُهم عن الحَقِ شُغْلاً بالخَلقِ، ومن خفيِّ عُقوباتِهم سَلْبُ حَلاوةِ المناجاةِ، ولَذةِ التَّعَبُدِ.

إلا رجَالٌ مُؤمنونَ، ونساءٌ مؤمنات، يَحفظُ الله بهم الأرضَ، بَواطِنُهم كَظَوارِهِم بل أَحْلى، وسَرَائرهم كعَلانِيتِهمْ بل أحلى، وهِمَمُهُمْ عند الثُريَا أعلى.

إن عُرفوا تَنكَّرُوْا، وإن رُءِيُتْ لهم كرامةٌ انكرُوا. فالناسُ في غَفَلاتِهم، وهم في قَطْعِ فَلاتِهم تُحِبُهُم بِقَاعُ الأرضِ، وتَفْرَحُ بِهم أَمْلاكُ السماء. نسأل الله عز وجل التوفيقَ لاتباعهم، وأَن يَجْعَلَنَا مِن أتباعهم.

شِعْرَا: خُذْ مِنْ شبَابِكَ قَبْلَ الموتِ والهَرَم ... وَبَادِرِ التَّوْبَ قَبْلَ الفَوْتِ والنَّدَمِ
واعْلَمْ بأنكَ مَجْزِيٌّ ومُرْتَهَنٌ ... وَرَاقَب الله واحْذَرْ زلَّةَ القَدمِ
فَلَيْسَ بَعْدَ حُلُوْلِ المَوْتِ مَعْتَبَةٌ ... إلا الرُّجاءُ وعَفْوُ اللهِ ذِي الكَرَمَ

آخر: يَقولُون: أسْبَابُ الحَيَاةِ كَثِيْرةٌ ... فَقُلْتُ: وأَسْبَابُ المَنُونِ كَثِيْرُ
وما هَذِهِ الأَيَّامُ إلَّا مَصَائِدٌ ... وأَشْرَاكُ مَكْرُوهٍ لَنَا وغُرورُ:
يُسَارُ بِنا في كُلِّ يَومٍ ولَيْلَةٍ ... فكَمْ ذَا إلى ما لاَ نُرِيدُ نَسيرُ
وما الدَّهرُ إلَّا فَرْحَةٌ ثُمَّ تَرْحَةٌ ... وما النَّاسُ إلا مُطْلَقٌ وأَسِيْرُ

اللّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرِكَ وشُكْرَكَ وَوَفِقْنَا لِمَا وَفّقْتَ لَهُ الصّالحين من خَلْقِكَ

واغْفَرْ لَنَا ولِوالِدَيْنَا وجميع المسلمين بِرَحمتك ياأرْحَم الرَّاحمين وصلى الله على محمدٍ وآلهِ وصَحْبِهِ أجمعين.

(**فَصْلٌ**): قال أحد العلماء وأما زَمَانَنَا فقد قَيَّدَ الطَّمَعُ أَلْسُنَ العُلماء فَسَكَتُوا إِذْ لَمْ تُسَاعِدْ أَقْوَالَهُم أفْعَالُهُم ولو صَدَقُوا اللهَ لكانَ خيراً لهم.

فإذا نَظَرْنا إلى فَسَادِ الرَّعِيَّةِ وجَدْنا سَبَبَهُ فَسَادَ المُلُوْكِ.

وَإِذَا نَظَرْنَا إِلىَ فَسَادِ المُلوكِ وَجَدْنا سَبَبَهُ فَسَادَ العُلماء والصَّالِحين.

وإِذَا نَظَرْنَا إِلىَ فَسَادِ العُلماءِ والصَّالِحِينَ وَجَدْنَا سَبَبَهُ ما استولى عَلَيْهِم مِن حُبِّ المالِ والجاهِ وانْتِشَارِ الصِّيْتِ ونَفَاذِ الكَلِمةِ ومُداهَنَةِ المَخْلُوقِين وَفَسَادِ النِّياتِ في الأقْوال والأَعْمالِ.

فإذا أرَادَ وَاحِدٌ منهم أَنْ يُنكِرَ على وَاحِدٍ مِن الرَّعِيةِ لم يَسْتَطِعْ ذلك.

وقال وُهَيْبُ بنُ الوَرْدِ، لَو أَنَّ عُلماءَنا عَفَا الله عنا وعنهم نَصَحُوا لله في عِبَادِهِ، فَقَالُوا: يَاعِبَادَ الله اسْمَعُوا ما نُخْبِرُكُمْ عن نبيكم ﷺ وصالح سَلَفِكم مِن الزُهْدِ في الدنيا فاعْمَلُوا بِهِ. ولا تَنْظُروا إِلىَ أَعْمَالِنَا هَذِهِ الفَسْلَةِ، كانُوا قد نصَحُوا لِلَّهِ في عِبَادِهِ، ولَكِنَّهم يَأْبونَ إِلَّا أَنْ يَجُرُّوْا عِبادَ اللهِ إلى فِتنهم وما هُم فيه.

وقال بعضُ العُلماء: إعْلَمْ أنَّ لِلْعَالِمِ العَامِلِ بِعِلْمِهِ حَقِيْقَةً عَلَامـاتَ وَأَمَارَات تُفَرِّقُ بينه وبَيْنَ عُلماءِ اللِّسَانِ المُخَلِّطِينَ المُتبِعِين لِلْهَوى المؤثَرين للدنيا على الآخرة.

فَمِن عَلَاماتِ العَالِمِ الحَقِيْقِي المُمْتَاز أَنْ يَكُونَ مُتَواضِعاً خَائِفاً وَجَلًا مُشْفِقاً مِن خَشيَةِ اللهِ زَاهِد في الدنيا قَانِعاً باليَسِيْر مِنها هَمُّهُ وشُغْلُه فِيْمَا يُصْلحُ آخِرَتَه.

مُلْتَمِساً لِلْفُقَراءِ المُتَمَسكِيـنَ بِدِيْنِهـم الخَالِيـة بُيُوتُهـم مِن المَلاهِـي والمُنكراتِ الذِين لَيْسَ لَهم مَوَارِد ولا مَسَاكِن لِيُسْعِفَهم بِمَا يَقْدِرُ عليه مِن مال وَجَاه مُخْلِصاً لِلَّهِ في ذلك لا يُرْيدُ مِنه جَزَاءً ولا شكورا.

ناصِحاً لِعَبادِ اللهِ شَفَيقاً عليهم رَحْيِماً بِهِم، آمراً بالمعروف فاعِلاً لَهُ وناهياً عن المنكر، ومُجْتَنَباً لَهُ ومُسارعاً في الخَيرات ملازماً للعبادات ليلاً ونهاراً سِرًا وجهاراً وملازماً لذكر الله وحمده وشكره.

دالاً على الخير داعياً إلى الهدى، ذَا صَمْتٍ وتَوأدَة وَوَقار وسَكيْنَة محباً لأهل الطاعة سالكاً طريق أهل السنة والجماعة، حَسَنُ الأخلاق، واسِعَ الصَّدْر، لينِّ الجَانِب، مَخْفُوض الجَنَاح للمؤمنين، لا متكبرا، ولا مُتَجَبرًا، ولا طامعاً في الناس، ولا حريصاً على الدنيا، ولا مؤثراً لها على الآخرة.

ولا منهمكاً بجمع المال، ولا مانعاً عن حقه، ولا فظاً ولا غليظاً، ولا مُمَارياً، ولا مُخاصِماً بالباطل، ولا سَيىء الأخلاق، ولا ضَيِّقَ الصدر محباً لأولياء الله ومبغضا لأعدائه.

ولا مُدَاهَناً، ولا مُخَادعاً، ولا غشَّاشاً، ولا مُقَدّماً للأغنياء على الفقراء، ولا مُرائِيَا، ولا مُحباً للْولايات والرياسات.

وبالجملة فيكون مُتَّصفاً بجميع ما يحثُه عليه الكتاب والسنة مُؤْتِمَراً بما يأْمُرانِهِ به مِن الأخلاقِ المحمودةِ والأعمالِ الصالحةِ.

مُجانِباً لما يَنْتَهى عنه كتابُ الله وسنةُ رسول الله ﷺ مِن الأخلاقِ والأعمالِ المذمومةِ، وهذه صفاتٌ يَنْبَغِي أَنْ يَتَّصِفَ وَيَتَحَلَّى بها كُلُ مُؤمنٍ، إلاَّ أنَّ العالمَ وطَالبَ العِلم أوْلَى أن يتصفَ بها ويحافظ عليها ويدعوَ إليها لأنه قدوةٌ يُقْتَدَى به.

ويَنْبَغِي لِلْعَالِمَ أَنْ يَكُونَ حَدْيثهُ مَعَ العَامَّةِ في حَالِ مُخَالَطَتِهِ لَهمُ في بيان الواجباتِ والمحرماتِ ونوافلَ الطاعاتِ وذكرِ الثوابِ والعقابِ على الاحسانِ والإساءَة لِيَصُونَ وقْتَهُ وَوَقْتَهُم عَمَّا لاَ يَنْفعُ فيهَ، ويكونُ كلامهُ بعِبارةٍ يَعْرِفُونَها ويَفْهَمُونَها، ويُبَيِّنُ لهَمُ الأمُورَ التَّي هم مُلابسُونَ لها ولا يَنْبَغِي له أنْ يَسْكُتَ حتى يُسْأَل وهو يَعْلَمُ أَنّهمُ مُحتاجُوْنَ إليْهِ أَوْ مُضْطَرُّوْن.

إلَهي لا تُعَذبْني ، فَإنّي مُقِرٌّ بالذّي قَدْ كانَ مِنّي
وَمَا لِيْ حِيْلَةٌ ، إلّاَ رَجَائِي وَعَفُوكَ ، إنْ عَفَوْتَ ، وَحُسْنُ ظَني
فكَمْ مِنْ زَلّةٍ لِي في البَرَايَا ، وأَنْتَ عَليَّ ذُوْ فَضْلٍ ، وَمَنِّ
يَظُنُّ النّاسُ بي خَيْراً ، وَإِنِّيْ لَشَرُّ النّاسِ ، إنْ لم تَعْفُ عَنِي
أُجَنُّ بزَهْرَةِ الدّنْيَا جُنُوناً ، وَأُفْني العُمْرَ فيها بالتَّمَني
وَبَيْنَ يَدَيَّ مُحْتَبَسٌ ثَقِيلٌ ، كأنِّي قد دُعِيْتُ لَهُ ، كَأنِّي
وَلَوْ أَنِّي صَدَقْتُ الزُّهْدَ فيها ، قَلَبْتُ لِأَهْلِهَا ظَهْرَ المِجَنِّ

اللهم إنا نَسْأَلُكَ نَفساً مُطْمَئِنَّةً ، تُؤمِنُ بلقَائِكْ وتَرْضَى بقَضَائِكْ ، وتَقْنَعُ بعَطَائِكْ ، يا أرْأفَ الرائفين ، وأرحم الراحمين .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ التوفيق لما تُحِبُّه مِن الأعمال ، ونسأَلُكَ صِدْقَ التوكلِ عليكْ ، وحُسْنَ الظَنِّ بكَ يَارَبَّ العالمين .

اللهم اجعلنا مِن عِبادِكَ الْمُخْبتين ، الغُرِّ الْمُحَجَّلين الوَفْدِ الْمُتَقَبِّلين .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبةً ، ونَفْساً تَقِيَّةً ، وعِيْشَةً نَقِيَّةً ومِيْتَةً سَوِيَّةً ، ومَرَداً غَيْرَ مُخْزِي ولا فاضِحٍ .

اللهم اجْعَلْنا مِن أهلِ الصَّلاحِ والنَّجاحِ والفَلاحِ ، ومِن الْمُؤَيَّدِينَ بنَصْرِكَ وتأْيِيْدِكَ وَرِضاكَ .

اللهم افْتَحْ لِدُعَائِنا بابَ القَبُولِ والإِجَابةِ واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحيمن .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(**فَصْلٌ**) قال ابنُ رجب رحمه اللّهِ مِن لَطَائفِ البَلاَيَا وفوائِدِها تكفيرُ الخطايا بها والثواب على الصبر عليها ، وهل يثاب على البلاء نَفْسِهِ فيه اختلاف بين العلماء .

ومنها تذكير العبد بذنوبه فربما تاب ورجع منها إلى الله عز وجل .

ومنها زوالُ قسوة القلوب وحدوثُ رِقَّتِها . قال بعضُ السلف ان العبدَ

لِيُمرضُ فيذكرُ ذُنُوبَهَ فَيَخْرُجَ منه مثلُ رَأَسِ الذباب مِن خشيةِ اللَّهِ فيغفرُ له .

ومنهـا انْكِسارُهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَ وذِلَهُ وذلك أَحَبُ إلى اللَّهِ مِن كثيرٍ مِن طاعاتِ الطائعين .

ومنها أنها تُوجِبُ لِلعبدِ الرجُوعَ بقلبه إلى الله عز وجل والوقوفَ ببابه والتضرعَ لَهُ والاستكـانة وذلك مِن أعظمِ فوائدِ البَلاَءِ وقد ذَمَّ اللَّهُ مَن لا يَسْتكينُ لَهُ عند الشدائد .

قال تعـالى : ﴿ ولقـد أخـذنـاهُم بالعـذاب فما استكانوا لِربهم وما يتضرعون ﴾ المؤمنون ٧٧ وقال : ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم مِن قبلك فأخذناهم بالبأساءِ والضراءِ لعلهم يتضرعون ﴾ الانعام ٤٢ .

وفي بعضِ الكتبِ السابقةِ إن اللَّه لَيبتِلى العبدَ وهو يُحبُه لِيَسْمَعَ تَضَرُعَه .

وقال سعيدُ بنُ عبدالعزيز قال داودُ عليه السلام : سبحانَ مُستخرجِ الدعاء بالبَلاء وسبحانَ مُستخرجِ الشكرِ بالرَّخَاءِ .

ومَرَّ أبو جعفر محمدُ بنُ علي بمحمدِ بن المنكدر وهو مَغْمُـومٌ فسأل عن سبب غمه فقيل له الديْنُ قَد فَدحَه . فقال أَبو جعفر أفُتِحَ له في الدعاء قِيلَ نعم قال لقد بورك لعبد في حاجة أكثر منها مِن دعاء ربه كائنه ما كانت . وكان بعضهم في الدعاء عند الشدائد يحب تعجيل إجابته خشية أن يقُطع عما فتُح له .

وقال ثابت إذا دعا الله المؤمنُ بدعوة وكل الله جبريل بحاجته فيقول الله : لا تعجل بإجابته فإني أحب أن أسمعَ صوتَ عبدِي المؤمن .

وروى مرفوعاً من وجوه ضعيفة : رأى بعضُ السلف رب العزة في نومه فقال يا رب كم أدعوك ولا تجيبني . قال : إني أحب أن أسمع صوتك . ومنها أن البلاء يوصل إلى قلبه لذة الصبر عليه أو الرضا به وذلك مقام عَظِيم جداً . وقد تقدمت الإشارة إلى فَضْل ذلك وشرفه . ومنها أن البلاء يقطع قلب

المؤمن عن الإلتفات إلى المخلوق ويوجب له الإقبال على الخالق وحده .

وقد حكى الله عن المشركين إخلاص الدعاء له عند الشدائد فكيف بالمؤمنين .

شِعْـــرًا :

لَحَى اللهُ مَنْ لَا يَعْبُدُ اللهَ وَحْـــدَهُ   وَمَنْ حَبْلُهُ فِي الـــدِّينْ غَيرِ مَتِيْنِ
وَمَن هُـــو ذُوْ لَوْنَيْنِ شَرُ مُنَــافِقٍ   وَمَنْ هُـــو للأَسْرَارِ غير مَكِيْنِ

والبلاء يوجب للعبد تحقيق التوحيد بقلبه وذلك على أعلى المقامات وأشرف الدرجات .

وفي الإسرائيليات يقـول الله عز وجـل : البـلاء يجمع بيني وبينك والعافية تجمع بينك وبين نفسك .

وإذا اشتد الكرب وعظم الخطب كان ا لفرج حينئذ قريباً في الغالب .

قال تعـالى : ﴿ حتى إذا اسْتَيْأَسَ الرسـل وظنـوا أنهم قد كذبـوا جاءَهم نصرنا ﴾ يوسف ١١٠ .

وقال تعالى : ﴿ حتى يقول الرسل والذين آمنوا معه متى نصر الله الا إن نصر الله قريب ﴾ البقرة ٢١٤ .

وأخـبر عن يعقـوب عليه السلام أنه لم ييأس من لقاء يوسـف وقال لإخوته : (اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله) .

وقال : ﴿ عسى الله أن يأتينى بهم جميعاً ﴾ يوسف ٨٣ .

ومن لطائف أسرار اقـتران الفـرج باشتداد الكرب ، ان الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى وجُدِ الإياس من كشفه من جهة المخلوق ووقع التعلق بالخالق استجاب له وكشف عنه .

فإن التوكل هو قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين كما قال الإمام أحمد واستدل عليه بقول إبراهيم عليه ا لسلام لما عرض عليه جبريل في الهواء وقال له ألك حاجة ؟ فقال أما إليك فلا .

والتوكل من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج فإن الله يكفى من توكل عليه كما قال ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ الطلاق ٣ .

قال الفضيل والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئاً لأعطاك مولاك كما تريـد ، قال بعضهـــم :

قَالُوْا حُظُوضٌ وَأَقسَامٌ فقُلَتُ لَهُمْ نَعَمْ ولَكِنْ عَلَيْنَا السَّعْيُ والطَّلَبُ
ولِلْمَطَالِبِ أَسْبَـابٌ مُقَـدَّرةٌ وَبَذْلُ سَعِيْكَ في مَطْلُوبِكَ السَّبَبُ

آخر : عَلَامَ سُؤَالُ الناسِ والرِّزْقُ وَاسِعٌ وأَنْتَ صَحِيْحٌ لم تَخُنْكَ الأَصَابعُ
فكُنْ طَالِباً لِلرِّزْقِ من رَازِقِ الغِنَى وخَلِّ سُؤَالَ الناسِ فالله صَانِعُ

ومنهـا أن العبد إذا اشتد عليه الكرب فإنه يحتاج حينئذ إلى مجاهدة الشيطان لأنه يأتيه فيقنطه ويسخطه فيحتاج العبد إلى مجاهدته ودفعه فيكون في مجاهدة عدوه ودفعه دفع البلاء عنه .

ولهذا في الحديث الصحيح : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي فيدع الدعاء » .

ومنها أن المؤمن إذا استبطأ الفرج وأيس منه ولا سيما بعد كثرة دعائه وتضرعه ولم يظهر له أثر الإجابة رجع إلى نفسه باللائمة ويقول لها إنما أُتِيتُ من قِبلِك ولو كان فيك خير لأجبت .

وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه وتفريج الكرب ، فانه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله . على قدر الكسر يكون الخير .

قال وهب تعبد رجل زماناً ثم بدت له إلى الله حاجة فصام سبعين سبتاً يأكل في كل سبت أحد عشرة تمرة ثم سأل الله حاجته فلم يعطها فرجع إلى نفسه فقال منك أُتيت ، لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك .

فنـزل إليه عنـد ذلـك ملك فقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك .

أهـين لهم نفسـي لكي يكـرمونها ولـن تكـرم النـفس التى لا تهينهـا

فمن تحقق هذا وعرفه وشاهده بقلبه علم أن نعم الله على عبده المؤمن في البلاء أعظم من نعمه عليه في الرخاء .

وهذا تحقيق معنى الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : « لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له إن إصابته سرّاء شكر فكان خيراً وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك إلا للمؤمن » .

ومن ها هنا كان العارفون بالله لا يختارون إحدى الحالتين على الأخرى بل أيهما قدر الله رضوا به وقاموا بعبوديته اللائقة .

وفي المسنـد والترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « عرض على ربي بطحاءِ مكة ذهباً فقلت لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً فإن جعت تضرعت إليك وذكرتك وإن شبعت شكرتك وحمدتك » .

قال عمر ما أبالى أصبحت على ما أحب أو على ما أكره لإني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره . وقال عمر بن عبدالعزيز أصبحت ومالي سرور إلا في مواقع القضاء والقـــدر ،

وَكُن بالذي قد خُطَّ باللوح رَاضِيَا فلا مَهْرَبٌ مِمَّا قَضَـاهُ وخَطَّـهُ
وإنَّ مَعَ الرِزْقِ إشْتَرَاطُ التِمَاسِـهِ وقد يَتَعَدَّى إنْ تَعَدَّيْتَ شَـرْطَهُ
فلو شاء أَلْقَى في فَمِ الطُيْرِ قُوتَهُ ولكنَّهُ أَوْحَى إلى الطَّيْرِ لَقْطَـهُ

فائدة عظيمة النفع :

التَّوحِيْدُ مَفْزَعُ أَعْدَاءِ اللهِ وَأَوْلَيَائِهِ فَامَّا أَعْداؤُه فيُنجِيْهِم مِن كُرَبِ الدنيا .

قال تعالى : ﴿**فإذا ركبوا في الفلك دعو الله مخلصين له الدين فلما نجّاهُم إلَىَ البرَ إذا هم يشركون**﴾ وأَمَّا أَوْلِيَاؤُهُ فَيُنَجِيْهِمْ بِهِ مِن كُرَبِ الدنيا والآخرةِ وشدَائِدِها .

ولِذَلِكَ فَزِعَ إليه يُونُسُ فنجَّاه اللهُ مِن تِلكَ الظُلماتِ وفَزِعَ إِليْهِ أَتْبَاعُ الرُسُل فنجَوا به مِمَّا عَذَّبَ بِهِ المشركون في الدنيا وما أَعَدَّ لَهُمْ في الآخِرة.

ولما فَزِعَ إليه فِرْعون عندَ مُعَايَنة الهَلاك وإِدْرَاكِ الغَرقِ لَهُ لَمْ يَنْفَعْهُ.

لِأَنَّ الإِيمانَ عِنْدَ المعاينه لا يُقْبَل هذه سنة الله في عِبادِهِ.

فما دُفِعَتْ شَدَائِدُ الدنيا بِمِثْلِ التَّوْحِيْدْ.

ولذلِكَ كانَ دُعَاء الكَرْبِ التوحيد ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فَرَّج اللهُ كَرْبَهُ بالتوحيد.

فلا يُلْقِيْ في الكُرَبِ العَظائم إلا الشِرك.

ولا يُنْجِي منها إلا التوحيْد.

فهو مَفْزعُ الخَلِيْقَةِ ومَلْجَؤُهَا وحِصنُها وغِيَاثُها.

شِعْرًا: عَلَيْكَ بِتَوحِيْدِ الإِلٰـه فَأَنَّـهُ نَجاةٌ فَلَا تُهْمِلْ كَلَامي وَخُذْ بِهِ

شعـرا:

أذَلّ الحَـرْصُ والطّمَـعُ الرِّقـابـا ، وقَـد يَعفُـو الكَـريمُ ، إذا اسْـتَرَابَا
إذا اتَّضَحَ الصّـوابُ ، فلا تَدَعْهُ ، فـإنّـكَ قَـلّمَا ذُقـتَ الصَّـوابَـا
وَجَـدْتَ لَهُ على اللَّهَـواتِ بَـرْداً ، كَـبَرْدِ المـاءِ حِـينَ صَـفَا وطـابَـا
ولَيـس بحـاكـمٍ مَـنْ لا يُبَـالي ، أأخطَـأ فـي الحُكُـومَةِ أَمْ أصـابَا
وإنَ لِكُـلِّ تَلْخِيْـصٍ لَـوَجْهـاً ، وإنّ لِكُـلّ ذي عَمَـلٍ حِسَـابَـا
وإنَّ لِكُـلِّ مُطّـلَعٍ لَحَـداً ، وإنّ لِكُـلّ ذي أجَـلٍ كِتَـابَـا
وكُـلُّ سَـلامَـةٍ تَعِـدُ المَنَـايَـا ، وكُـلُّ عِمـارَةٍ تَعِـدُ الخَـرابَـا
وكُـلُّ مُمَـلَّكٍ سَيَصِـيرُ يَـوْمـاً ، ومـا مَلَكَـتْ يَـداهُ مَعـاً تُـرابَـا
أبَتْ طَـرَفَـاتُ كُـلِّ قَـريـرِ عَـين بَهـا ، إلّا اضْطِـرابـاً وانْقِـلابَـا
كَـأَنَّ مَحَاسِـنَ الدّنْيـا سَـرابٌ ، وأيُّ يَـدٍ تَنَـاوَلـتِ السـرَّابَـا
وإنْ يَـكُ مُنْيَـةٌ عَجِلَـتْ بشَـيءٍ تُسَـرُّ بـه ، فـإِنَّ لَهَا السـرَّابَـا
فَيا عَجَبَـا تَمُـوتُ ، وأَنـتَ تَبْـني ، وتَتَّخِـذ المَصـانِـعَ والقِبَـابَـا

أَرَاكَ ، وكُلَّمَا فَتَّحْتَ بَاباً مِنَ الدّنْيا ، فَتَحتَ عَلَيْكَ نَابَا
أَلَمْ تَرَ أنّ غُدْوَةَ كُلِّ يَوْمٍ ، تَزيْدُكَ ، مِن مَنِيَّتِك ، اقْتِرَابَا
وحُقّ لِمُوْقِنٍ بالمَوْتِ أَنْ لا يُسَوِّغَهُ الطّعامَ ، ولا الشّرَابَا
يُدَبِّرُ ما تَرَى مَلِكٌ عَزِيْزٌ ، بِهِ شَهِدَتْ حَوادِثُهُ وغَابَا
أَلَيْسَ اللّهُ في كُلٍ قَرِيْباً ؟ بَلَى ! مِن حَيثُ ما نُودِيْ أَجابَا
ولم تَرَ سَائِلاً لِلّهِ أَكْدَى ، ولَمْ تَرَ رَاجِياً لِلّهِ خَابَا
رَأَيتَ الرُّوحَ جَدْبَ العَيش لَمَّا عَرفتَ العَيشَ مَخْضاً ، واحْتِلابَا
ولَسْتَ بغَالِبِ الشَّهَوَاتِ ، حَتَّى تُعِدَّ لَهُنَّ صَبْراً واحْتِسَابَا
فكُلُّ مُصِيبَةٍ عَظُمَتْ وجَلّتْ تَخِفُّ ، إذا رَجوْتَ لَها ثَوابَاً
كَبِرْنَا أَيُّهَا الأَتْرَابُ ، حتى كأنا لم نكُنْ حِيْناً شَبَابَا
وكُنَّا كالغُصُونِ ، إذا تَثَنَّتْ مِنَ الرّيحانِ مُونِعَةً رِطَابَا
إلى كَمْ طُولُ صَبْوتِنا بِدارٍ ، رَأَيْت لَها اغْتِصاباً واسْتِلابَا

أَلَا ما لِلكُهُولِ ولِلتَّصَابِيْ ، إذا مَا اغْتَرَّ مُكْتَهِلٌ تَصَابَى
فَزِعْتُ إلى خِضَابِ الشّيبِ مِنّي وإنَّ نُصُولَهُ فَضَحَ الخِضَابَا

اللهم يا عظيم العفو ، يا واسع المغفرة ، يا قريب الرحمة ، يا ذا الجلال والاكرام ، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة .

اللهم يا حيُّ ويا قيوم فَرِّغْنَا لما خَلَقْتَنَا له ، ولا تُشْغِلْنَا بِما تَكَفَّلْتَ لنا به ، واجعلنا مِمَّن يُؤمِنُ بلقَائك ، ويَرْضَى بقَضَائك ، ويقنعُ بعطائك ، ويخشَاكَ حَقَّ خَشْيَتك . وأغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

حكم وفوائد

قال أحدُ العُلَمَاءِ: لا يَكُنْ همُّ أحدِكم في كثرةِ العَمَلَ ، ولكن ليكن هَمُّه في إحكامِهِ وإتقانِهِ ، وتحسينِهِ .

فإن العبدَ قد يُصَلي وهو يَعْصِي اللهِ في صلاتِهِ ، وقد يَصومُ وهو يَعْصِي اللهِ في صِيامِهِ .

وقِيل لآخر : كيفَ أصْبَحتَ فبكى ، وقال أُصْبَحتُ في غِفْلةٍ عن الموتِ مَعَ ذُنُوبٍ كثيرةٍ قد أحَاطَتْ بِي ، وأجلٍ يُسْرِعُ كُلَّ يومٍ في عُمُرِي ، ومَوئِل لَسْتُ أدْرِي علامَا أهْجِمُ ثم بَكَى .

وقال آخر : لا تَغْتَم إلاَّ مِن شيءٍ يَضُرُّكَ غَدَاً (أيْ في الآخرة) ولا تَفْرَحْ بشيءٍ لا يَسرُكَ غداً ، وأنفعُ الخوفِ ما حَجزَكَ عن المعاصي ، وأطالَ الحُزْنَ مِنْكَ على ما فاتَكَ مِن الطاعةِ ، والْزَمكَ الفِكْرَ في بَقيةِ عُمُرِكَ .

وقال آخر : عليكَ بصُحْبةِ مَن تُذَكِّرُكَ اللهَ عَزَّ وجَلَّ رُؤيَتُهُ ، وتَقَعُ هَيْبَتُه على باطِنِكَ ، ويَزيدُ في عَمَلِكَ مَنْطِقُه .

ويُزَهِدُكَ في الدنيا عَمَلهُ ، ولا تَعْصِي اللهِ مادُمْت في قُرْبِهِ يَعِظكَ بِلسانِ فِعْلِهِ ولا يَعِظُكَ بِلسانِ قَوْلِهِ .

قال إسرافيل : حَضَرتُ ذِي النون المِصري وهو في الحَبْسِ وقد دَخَلَ الشُرَطِيُ بِطَعامٍ لَهُ ، فقامَ ذُو النونِ فَنَفَضَ يَدَهُ (أيْ قَبضها عن الطعام) .

فقيل له : إن أخاك جَاءَ به ، فقال : إنه على يَدَيْ ظالم ، وقَالَ بعضُهم يُوبِّخُ نَفْسَهُ ويَعِظُها : يا نَفْسُ بادِرِي بالأوقاتِ قبلَ إنْصِرامها ، واجْتَهدي في حِرَاسَةِ لَيَالي الحَياةِ وأَيَّامِهَا .

فكأنَّكِ بالقُبورِ قد تَشَقَّقَتْ ، وبالأُمُور وقد تَحَقَّقَتْ ، وبوُجُوه المتقينَ وقد أشْرَقَتْ ، وبرُؤُوسِ العُصَاةِ وقَدَ أُطْرَقَتْ ، قال تعالى وتقدس : ﴿ **ولو تَرى إذ المَجرمُونَ ناكِسوُ رُؤُوسِهم عندَ ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنَّا موقنون** ﴾ يا نفس أمَّا الوُرِعُونَ فقد جَدُّوا ، وأما الواعظُونَ فقد نَصَحُوا . إنْتَهى .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآلِهِ وصحبِهِ وسلم .

(**فَصْــلٌ**) إعلَمْ أنَّ صَاحِبَ البصيرةِ إذا صَدَرَتْ منه الخَطِيئةُ فلهُ نَظَرٌ إلى أُمور : أَحَدُهَا أنْ ينظرَ إلى أمرِ اللّهِ وَنَهْيِهِ فيُحْدِثَ له ذلك الاعترافَ بكونِهَا خَطِيْئَةً ، والإِقْرَارَ على نفسِه بالذَنْب ، والثاني أنْ ينظرَ إلى الوعدِ والوعيدِ فيُحْدِثَ له ذلِكَ خوفاً وخشْيةً تحْمِلُهُ على التوبةِ ، والثالثُ أَنْ يَنْظُرَ إلى تَمْكِينِ اللهِ لَهُ مِنَها وتَخْلِيَتِهِ بَيْنَه وَبَيْنَها وَتَقْدِيرِها عليه وأنه لو شاء لَعَصَمَهُ منها فَيحْدثُ له ذلك أنواعاً مِنَ المعرفةِ باللهِ وأسمائِهِ وصِفاتِهِ وحِكْمَتِهِ ورَحْمَتِهِ وعَفوِهِ وحِلمِهِ وكرمِهِ ، وتوجبُ له هذه المعرفةُ عُبوديةً بهذه الأسماءِ لا تحصُلُ بدُونِ لَوازِمِها البَتَّةَ وَيَعْلَمُ ارتباطَ الخلق والأمرِ والجزاءِ والوعْدِ والوعيدِ بأسمائِهِ وصِفاتِهِ وأنَّ ذلك بموجبِ الأسماءِ والصفاتِ وأثرها في الوجودِ وأنَّ كلَ اسم وصِفةٍ مُقْتَضٍ لأثرِهِ وَمُوجِبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِهِ لا بُدَّ منه .

وَهَذا المَشْهَدُ يُطْلِعُهُ على رِياضٍ مُوْنِقَةً مِن المَعارِفِ والإيمانِ وأسْرَارِ القَدَرِ والحِكمَةِ يَضِيْقُ عن التعبيرِ عنها نِطــاقُ الكَلِمِ فَمِنْ بعضِهـا ما ذكره الشيخُ « يُرِيدُ صــاحِبَ المنازِلِ » : أنْ يَعْرِفَ العبــدُ عِزَّتَهُ في قَضَــائِهِ وَهُوَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ العَزِيْزُ الذي يَقْضِي بما يشاءُ وأنه لِكمالِ عزتِهِ حَكَمَ على العبدِ وقضى عليهِ بأنْ قلبَ قَلْبَهُ وصرَّفَ إرادَتَه على ما يَشَاءُ وحالَ بين العَبْدِ وقلبِهِ وَجَعَلَهُ مُـرِيْـداً شائِياً لِمَا شَاءَ مِنْه العَزِيزُ الحَكِيمُ وهذا مِنْ كَمالِ العِزَّةِ ، إذْ لا يَقْدِرُ على ذلِكَ إلَّا اللهُ وغايةُ المَخْلُوقِ أَنْ يَتَصَرَّفَ في بَدَنِكَ وظاهِرِكَ ، وأمَّا جَعْلُك مُرِيداً شائياً لمَا يَشَاؤُهُ مِنْكَ وَيُرِيْدُه فلا يَقدَرُ عليهِ إلا ذُوْ العِزَّةِ البَاهِرَةِ

فإذا عرف العبدُ عِزَّ سيدِهِ ولاحظَ بقلبِهِ وتمكَّنَ شهودُهُ مِنهُ كان الاشتغالُ بِهِ عن ذُلِّ المَعصيةِ أولى بِهِ وأنفعَ له لِأَنَّهُ يَصْيرُ مَعَ اللهِ لا مَعَ

نَفْسِهِ ، ومِنْ مَعْرِفةِ عِزتِهِ في قَضَائِهِ أنْ يَعْرِفَ أنه مُدَبَّر مَقْهُورٌ ناصيتُهُ بِيدِ غيرِهِ لا عِصْمَةَ لَه إلاَّ بِعِصْمَتِهِ ولا توفيقَ له إلاَّ بِمَعُوْنَتِهِ فهُوَ ذَليلٌ حقيرٌ في قبضةِ عَزيزٍ حميدٍ .

وَمِنْ شُهودِ عزَّتِهِ في قَضَائِهِ أنْ يَشْهَدَ أنَّ الكَمَالَ والحَمْدَ والغِنَى التامَّ والعزةَ كلهَا لِلهِ وأنَّ العَبْدَ نَفْسَهُ أوْلى بالتقصيرِ والذمِّ والعَيبِ والظُلمِ والحَاجةِ وكُلَّمَا ازدادَ شُهودُهُ لِذِلّهِ وَنقْصِهِ وَعَيْبِهِ وَفَقْرِهِ ازدادَ شهودُهُ لِعِزَّةِ اللهِ وَكَمالِهِ وَحَمْدِهِ وَغِنَاهُ وكذلك بالعكسِ فنقْصُ الذنْبِ وذِلتُهُ يُطْلعُهُ على مَشْهَدِ العِزّةِ .

ومنها أن العبدَ لا يُريدُ مَعْصِيَةَ مَوْلاَهُ مِنْ حَيثُ هِيَ مَعْصِيَةٌ فاذا شَهِدَ جَرَيَانَ الحُكْمِ وَجَعْلَهُ فَاعلاً لِمَا هُوَ مُختارٌ ، له مُريداً بإرَادتِهِ وَمَشيئتِهِ واختيارِهِ فكأنَهُ مُخْتَارٌ غَيْرُ مُخْتَارٍ مُرِيْدٌ شَاءٍ غيرُ شَاءٍ فهذا يَشْهَدُ عِزةَ اللهِ وعَظَمَتَهُ وكَمَالَ قُدْرَتِهِ .

شعــــرا :

أَحْسِنْ بَرَبِّكَ ظَنــــاً إنَّهُ أَبـــدَا ... يَكْفِي المُهِمَّ إذَا مَا عَزَّ أَوْ نَابَـــا
لا تَيَأسَـــنَّ لِبَابَ سُـــدَّ في طَلَبٍ ... فاللهُ يَفْتَحُ بَعْدَ البَـــابِ أَبْوَابَـــا

ومِنْ ذلـك أن يَعـرفَ بِـرَّهُ سبحانـه في سَتْرِهِ عليـهِ حالَ ارتكابِ المعصيةِ معَ كمالِ رؤيتِهِ لهُ ولو شآء لَفَضَحَهُ بينَ خَلْقِهِ فَحَذِرُوه وهذا مِن كمالِ بِرِهِ ومِنْ أسمائِه البَرُّ ،وهذا البرُ مِنْ سيدِهِ كانَعن كمالِ غِنَاهُ وَكمالِ فقْرِ العبدِ إليهِ فيشتغلُ بمطالعَةِ هذه المِنةَ وَمُشَاهَدَةِ هَذا البِّرِ والاحسانِ والكرم فيَذهَلُ عن ذِكرِ الخَطِيْئَةِ فَيَبْقَى مَعَ اللهِ سبحانه وذلك أَنْفَعُ لهُ مِن الاشتغالِ بجنايَتِهِ وَشُهُوْدِ ذُلِ الْمَعْصِيَةِ فـإنَّ الاشْتِغَالَ باللهِ والغَفْلَةَ عَمَّا سِوَاهُ هُوَ المَطْلَبُ الأعلى والمقصَد الأسْنَى .

ومنها شُهودُ حِلْمِ اللهِ سبحانه وتعالى في إمْهَالِ رَاكِبِ الخَطِيْئَةِ مُطْلقاً ولو شآءَ لَعاجَلَه بالعُقُوبَةِ ولكِنَهُ الحَلِيْمُ الذي لا يَعْجَلُ فَيُحْدِثُ له ذلك مَعْرِفَةَ رَبِهِ سبحانه بآسْمِهِ الحليمِ ومُشَاهَدَة صفةِ الحِلْمِ والتَّعَبُدِ بهذا الاسمِ . والحكمةُ والمصلحةُ الحاصلةُ من ذلك بتوسّطِ الذَنْبِ أحبُّ الى اللهِ وأصلحُ للعبدِ وأنفعُ من فَوْتِها ، ووجودُ الملزومِ بدونِ لازمِهِ مُمْتَنِعٌ

ومنها مَعْرِفَةُ العَبْدِ كَرَمَ رَبِهِ في قُبولِ العذرِ منه إذا اعتذرَ إليهِ بنحْوِ ما تقدم مِن الاعتذارِ لا بالقَدَرِ فإنه مخاصَمَتُه وَمُحَاجّة .

ومنها أنْ يَشهدَ فضلَهُ في مَغفرتِهِ فإن المَغْفِرَةَ فضْلٌ مِن اللهِ وإلا فَلَو أَخَذَ بمحْض حَقِهِ كان عادِلاً مَحْمُوْداً .

وإنَّمَا عَفْوُهُ بِفَضْلِهِ لا باسْتِحْقاقِكَ فَيُوجِبُ ذَلِكَ شُكراً وَمَحَبةً وإنابَةً إليه وفَرَحَاً وابْتِهاجاً بِهِ ومَعْرِفَةً لَهُ باسْمِهِ الغَفَّارِ وَمُشَاهَدَةً لِهَذِهِ الصِّفَةِ وَتَعَبُّداً بِمُقْضَاهَا وَذَلِكَ أَكْمَلُ في العُبُودِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالمَعْرِفَةِ.

وَمِنْهَا أَنْ يُكْمِلَ لِعَبدِهِ مَرْتَبَةَ الذُلِ والخُضُوعِ والإنكِسارِ بَينَ يَدَيْهِ والافتقارِ إليه .

إنَّ الشَّرَائِعَ أَلْقَتْ بَيْنَنَا حِكَماً وَأَوْرَثَتْنَا أَفَانِيْنَ المُوَدَّاتِ
وَهَلْ رَأيْتَ كَمِثْلِ الدِّيْنِ مَنْفَعَةً لِلْعَبْدِ تُوْصِلُهُ أَعْلَى الكَرَامَاتِ

اللَّهُمَّ أيْقظَ قُلُوبَنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الإِيْمَان وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا الْمَعْرِفَةَ بكَ عَنْ بَصِيْرَةٍ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِطَاعَتِكَ وَامْتِثَالِ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلَجِمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيّتَيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرّاحِمِيْنَ والله أعلم وصلى الله على محمدٍ وآلهِ وصحبه وسلم .

(**فَصْلٌ**) : ومنها أنَّ أَسْمَاءَ الربِ تَقْتَضِي آثارَها اقْتضاءَ الأَسْبَابِ التَّامَّةِ لِمُسبَّباتِها فاسمُ السميعِ البصيرِ يَقْتَضِي مُسْمُوعاً وَمُبْصَراً ، واسْمُ الرَّزَّاقِ

يَقْتَضِي مَرْزُوْقاً واسْمُ الرحيمِ يَقْتَضِي مَرْحُوْماً وكذلك أسماء «الغَفورِ والعَفُوِّ والتوابِ والحَليم» يَقْتَضِي مَنْ يَغْفِرُ لَهُ وَيَتُوْبُ عليه وَيَعْفو ويَحْلمُ وَيَسْتَحِيْلُ تَعْطِيْلُ هَذِهِ الأَسْمَاءِ والصفاتِ إذْ هِيَ أَسْمَاءٌ حُسْنَى وَصِفَاتُ كَمَالٍ وَنُعوتُ جَلالٍ وأَفعالُ حِكمةٍ وإحَسانٍ وَجُودٍ فلا بدّ مِن ظهورِ آثارِها في العالَم.

وإلى هذا أشار أعلمُ الخلقِ باللهِ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهِ حيثُ يَقولُ لو «لم تُذْنبوا لذهب الله بكمْ وَلَجاءَ بقوم يُذنِبُونَ ثم يَسْتَغْفِرُوْنَ فَيَغْفِرُ لهم» وأَنْتَ إذا فرضْتَ الحيوانَ بجُمْلَتِهِ مَعْدُوْماً فَمَنْ يَرْزُقُ الرزاقُ سبحانهُ وإذا فَرَضْتَ المَعْصِيَةَ والخَطِيْئَةَ مُنْتَفِيَةً عن العالَم فلِمَنْ يغفرُ؟ وعمَّنْ يَعْفُو؟ وعلى مَن يتوبُ وَيَحْلَم؟ وإذا فرضْتَ الفاقات كُلَها قد سُدَّتْ والعبيدَ أغنياءَ مُعَافَيْنَ فأَيْنَ السُؤآلُ والتَّضرُّع والابْتِهَالُ والإجَابةُ وَشُهودُ المنةِ والتخصيصُ بالانعام والاكرامِ فسُبْحانَ مَنْ تعرَّف إلى خَلقِهِ بجميعِ أنواعِ التعرّفاتِ وَدلّهم عليه بأنواعِ الدلالاتِ انتهى.

شعــــرا:

دَعِ المَعَاصِي عَنْكَ في مَعْــــزلٍ   وتُبْ إلى مَن هُو نِعْمَ الغِيَـــاثْ
فلَيْسَ يُحْظَ بِجَـــدِيْدِ الرِّضَـــا   عَبْـــدٌ عَلَيه حَسَنَاتُ رِثَـــاثْ
آخر: وذُقْتُ مَرارةَ الأَشْيَاطُراً   فما طَعْمٌ أَمَرُّ مِنَ المَعَــــاصِي

آخر: حَتَّى مَتَى تُسْقَى النُفـوسُ بكـأسِهـا
رَيْـبَ الـمَـنـونِ وأَنْـتَ لاهٍ تَـلْعَـبُ
عَـجَبـاً لأَمْـنِـكَ والـحَـيَـاةُ قَـصِـيْـرَةٌ
وَبِـفَـقْـدِ إِلْـفٍ لا تَـزَالُ تُـرَوَّعُ
أَفَقَدْ رَضِيْتَ بأَنْ تُعـلّلَ بالمُنَـى
وإلَى الْمنيَّـةِ كُلَّ يَومٍ تُـدْفَـعُ

لا تَخْـدعَنَّكَ بَعْـدَ طُـوْلِ تَجـارُبِ
دُنْيـاً تَغُـرُّ بوصْـلِهَـا وسَـتُقْطَـعُ
أَحْـلامُ نَـوْمٍ أَوْ كَظِـلٍّ زَايِـلٍ
إِنّ اللَّبِيـبَ بِمِثْلِـهـا لا يُخْـدَعُ
وَتَـزَوَّدَنَّ لِيَـومَ فَقْـرِكَ دَائِمـاً
أَلِغَيْـرِ نَفْسِـكَ لا أَبَـالَكَ تَجْمَـعُ

آخــر :

يَاعَبْدُ كَمْ لَكَ مِن ذَنْبٍ ومَعْصِيَةٍ   إِنْ كُنْتَ ناسِيَهَا فالله أَحْصَـاهـا
يا عَبْدُ لا بُدَّ مِنِ يومٍ تَقـوم لَهُ   وَوَقْفَةٍ لَكَ يُدْمِي الكَفَّ ذِكْرَاهـا
إِذَا عَرَضْتُ على نَفسي تَذَكُّرَهَـا   وَسَاءَ ظَنِّيَ قُلْتُ أَسْتَغْفِـرُ اللهَ

آخــر :

ما زُخْرُفُ الدُّنْيَا وزُبْرُجُ أَهلِهَا   إلا غُرُوْرٌ كُلُّـهُ وَحُطَـامُ
ولَرُبَّ أَقْـوَامٍ مَضَوْا لِسَبِيْلِهِـمْ   ولَتَمضِـيَنَّ كَمَا مَضَى الأقْـوَامُ
ولَرُبَّ ذِيْ فُرُشٍ مُمَهَّـدَة لَهُ   أَمْسَى عَلَيْـهِ مِن التُّـرَابِ رُكَـامُ
والموتُ يَعمـل والعُيـونُ قريرةٌ   تلهُـوا وتَلْعَـبُ بالمنـى وتَنَـامُ
كُلٌّ يَدُورُ على البَقَـاء مُؤَمـلاً   وعَلَـى الفَنَـاءِ تُديْـرُهُ الأيـامُ
والدَّائِـمُ الملكـوتِ رَبٌّ لم يَـزَلْ   مَلِكـاً تَقَطَّـعُ دُوْنَـهُ الأوهَـامُ
فالحمـدُ لله الـذي هُوَ دَائِـمٌ   أَبـداً ولَيْسَ لِمَـا سِـواهُ دَوَامُ

اللهم اعْتقْنَا مِن رقِّ الذُنُوبْ ، وخَلِّصْنَا مِن أُسْرِ النُّفوسْ ، وأَذْهِبْ عَنَّا وَحْشَةَ الإِسَاءَةْ ، وطَهِّرْنا مِن دَنَسِ الذُنُوبَ ، وباعِدْ بَيْننا وبَيْنَ الخَطَايَا وأَجِرْنا مِن الشيطان الرجيم .

آخر : أَقُولُ وطَرْفِيْ غَارِقٌ بِدُمُوعِهِ   لِمَا قَدْ جَرَى لِيْ في الذُنوبِ تَمادِي
فَهَلْ مِن تَلافي سَاعَةٍ أَشْتِفِيْ بِهَـا   أُجَدِّدُ فِيهَـا تَوْبَةَ بِسَـدَادِ
وأَسْأَلُ مَوْلَاي القَبُـولَ لِدَعْوتِي   فَغَـايَةُ سُؤْلي هَذِهِ وَمُـرَادِي

آخر : يا أيُهَا الزاهـــدُ بالزُهْدِ   عَرِّجْ مِن الهَزْلِ إلى الجِـــدِّ
فَبَعْدَ نُورِ الشَيْبِ لَا يُرْتَجـــى   لِلْمَـــرءِ إلاَّ ظُلْمَـــةُ اللّحْـــدِ
فاحْتَلْ مِن التَّوَبةِ في أجْـــرِهِ   إن شِئْتَ سُكْنى جَنّـــةِ الخُلْدِ

اللهم يا فالقَ الحب والنَّوى ، يا مُنْشِئَ الأجْسَـادِ بَعْدَ البلَى يا مُؤْيِ المَنْقَطِعِيْنَ إليْه ، يا كَافِي المُتَوَكِّلينَ عليه ، انْقَطَعَ الرَّجَاءُ إلا مِنْكَ ، وخابَتِ الظُنُونُ إلا فِيْكَ، وضَعُفَ الاعْتَمادُ إلاَّ عَلَيْكَ نسأَلُكَ أنْ تُمطَرَ مَحْلَ قُلوبِنَا مِن سَحائِبِ بِرِّكَ وإحْسَانِكْ وأَنْ تُوفِقَّنا لِمُوجباتِ رَحْمَتِكَ وعَزَائِمِ مَغفرتِكَ إنكَ جَوادٌ كريم رؤوفٌ غفور رحيم . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه .

(**فَصْـــلٌ**) وقالَ رَحِمَهُ اللهُ لِلتَوْبَةِ المَقْبولَةِ علامَاتٌ :

مِنْهَا أنْ يكونَ بعدَ التوبةِ خيراً مِمّا قبلَها ، ومنها أنَّه لا يزالُ الخوفُ مُصَاحِباً لهُ لا يأمنُ مكرَ اللهِ طرْفةَ عيْنٍ ، فخوفُهُ مُستَمِرٌّ إلى أنْ يَسْمَعَ قولَ الرُسُلِ لِقَبْضِ رُوْحِهِ (٤١) : ٣٠ ﴿ **أن لا تخافُوا ولا تَحْزَنُوا وأبْشِروا بالجنةِ التي كُنتُمْ توعَدون** ﴾ فهُنا يَزُوْلُ الخوفُ .

ومنها انْخِلَاعُ القَلْبِ وَتَقَطُّعُهُ نَدماً وَخوْفاً وهذا على قَدْرِ عِظَمِ الجِنَايةِ وَصِغَرِهَا . وهذا تأويلُ ابنُ عُيَيْنَةَ لقولِهِ تعالى (٩ : ١١٠) ﴿ **لا يزآلُ بُنْيَانُهُم الذي بَنَوْا ريبَةً في قُلُوبِهم إلاَّ أنْ تَقَطَّعَ قُلُوْبُهم** ﴾ . قال : تَقْطعُها بالتَّوْبَةِ . وَلَا رَيْبَ أنَّ الخَوفَ الشدِيْدَ مِنَ العُقوبةِ العَظيمَةِ يُوْجِبُ انْصِداعَ القَلْبِ وانْخِلاعَهُ .

وهذا هُوَ تَقَطُعُهُ وهذا حَقِيْقَةُ التَّوْبَةِ لأَنَهُ يَنْقَطِعُ قَلْبُهُ حَسْرَةً على ما فَرطَ منهُ وَخوْفاً مِنْ سُوءِ عاقبَتِهِ فمَنْ لمِ يَنْقَطِعْ قَلْبُهُ في الدنيا على مَافَرَّطَ حَسْرةً وخَوْفاً تَقَطَّعَ في الآخِرَةِ إذا حُقَّتِ الحَقَائِقُ وعايَنَ ثَوابَ المُطِيْعينَ وَعِقابَ العاصِينَ فلا بُدَّ مِنْ تَقَطّعِ القَلْبِ إما في الدُنيا وإما في الآخرة .

إذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بزَادٍ من التُقى   وأَبْصَرْتَ بَعْدَ المَوْتَ مَنْ قَدْ تَزَّوَدَا
نَدِمْتَ عَلَى أنْ لا تَكُونَ كَمِثْلِـــهِ   وَأَنَّكَ لَمْ تُرْصِدْ كَمَا كانَ أَرْصَـــدَا

آخر: وما أقبحَ التفْرِيْط في زَمَن الصّبَا فكيَفْ به والشّيْبُ في الرَّأس شَامِلُ
تَرَحَّلْ مِنَ الدُنْيَا بِزَادٍ مِنَ التّقُيَ فعُمْرَكَ أيَّامٌ تُعَدُّ قَلائِــــلُ
آخر : وَإِذَا رُزِقْتَ مِن الحَلالِ تِجَاةً فابْذِلَ لَهَا في مَرَاضي اللهِ مُجتَهِداً

ومِنْ مُوْجباتِ التوبةِ الصحيحةِ أيْضاً كَسْرَةٌ خاصَّةٌ تَحْصُلُ لِلْقَلْبِ لاَ يشْبِهُهَا شَيءٌ ، ولا تكونُ لِغَيْرِ المُذْنِبِ لا تَحْصُلُ بجُوعٍ ولا رِياضَةٍ ولا حُبٍ مُجرَّدٍ وإنَّمَا هِيَ أمْرٌ ، وَرَاءَ هذا كُلِهِ ، تُكَسِّرُ القَلْبَ بَيْنَ يَدَي الرَّبِ كَسْرَةً تامةً قد أحَاطَتْ بِهِ مِنْ جَمِيْعِ جِهَاتِهِ وألقَتْهُ بين يَدَي رَبهِ طَرِيْحاً ذَلِيْلاً خَاشِعاً كَحَالِ عَبْدٍ جَانٍ أبَقَ مِنْ سَيِّدِهِ فأخِذَ فأُحضِرَ بينَ يَدَيْهِ ولم يَجدْ مَنْ يُنجيْهِ مِن سَطْوتِهِ وَلَم يَجدْ منه بُداً ولا عنه غَناءً ولا مِنهُ مَهْرَباً وَعَلِمَ أنَّ حَيَاتَهُ وَسعادَتَه وفلاحَه ونجاحَه في رِضَاهُ عنهُ ، وقدْ عَلِمَ إحاطةَ سَيِّدِهِ بتَفَاصِيْلِ جِنَايَاتِهِ ، هذا مَعَ حُبهِ لِسَيِّدِهِ وشِدَّةِ حاجتِهِ إليهِ وعِلْمِهِ بِضَعْفِهِ وَعَجْزِهِ وَذُلهِ وَقُوَّةِ سيدِهِ وَعِزَّتِهِ . فَيَجْتَمِعُ في هَذِه الأَحْوَالِ كَسْرَةٌ وذُلٌ وَخُضُوعٌ ما أنفعَهَا لِلْعَبدِ وما أجْدَى عائِدَتُهَا عليهِ وما أعظمَ جبْرُهُ بها وما أقْرَبَهُ بها مِن سَيِّدِهِ فليْسَ شَيءٌ أحَبَّ إلى سَيِّدِهِ مِن هذِهِ الكَسْرةِ والخُضوعِ والتذللِ والإخْباتِ والانطِراحِ بَيْنَ يَدَيْهِ والاسْتِسْلامِ لَهُ .

فللهِ مَـا أحْلَى قَوْلَـهُ في هذِهِ الحَـالِ أسْألُـكَ بعِزّكَ وَذُلِي إلاَّ رَحِمْتَنِي . أسألك بقُوتِكَ وَضعْفِي ، وبِغِنَاكَ عَنّيْ وَفَقْرِي إليـكَ هذِهِ ناصِيَتِي الكاذبةُ الخاطئةُ بينَ يَدَيْكَ ، عَبِيْدُكَ سِوَايَ كثيرٌ وَليسَ لي سَيِّدٌ سِوَاكَ لا مَلجأً ولا مَنْجَى مِنْكَ إلا إليكَ ، أسْأَلُكَ مَسْألَةَ المِسكينِ ، وأبْتَهِلُ إليكَ ابْتِهَالَ الخَاضِعِ الذليل ، وأدعُوكَ دُعاءَ الخائِفِ الضّرِيْرِ ، سُؤالَ مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ ، وَرَغِمَ لَكَ أنفُه ، وفاضَتْ لَكَ عَيْنَاهُ ، وذَلَّ لَكَ قَلْبُهُ .

فَهَذا وأمثالُه مِنْ آثارِ التَوبةِ المَقْبُوْلَةِ فَمنْ لَمْ يَجدْ ذلِك في قَلْبِهِ

فَلْيَتَّهِمْ تَوْبَتَهِ وَلْيَرْجِعْ إلى تَصْحِيْحِها فَمَا أَصْعَبَ التَوبةَ الصَّحِيْحَةَ بالحَقِيْقَةِ وَمَا أَسْهَلَها باللسانِ والدَّعْوَى ، وَمَا عَالجَ الصَّادِقُ بِشيءٍ أَشَدَّ عَلَيهِ مِنَ التَّوْبَةِ الخالِصةِ الصَّادِقةِ ولا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَ باللهِ .

وَحَقائِقُ التَّوْبَةِ ثَلاثَةٌ : وَعَدَّ منها اتْهامَ التوبةِ قال : لأنها حقٌ عليهِ لا يَتَيَقَّنُ أنه أدَّى هذا الحقَ على الوجهِ المطلوبِ مِنْهُ الذي يَنْبَغِي لهُ أَنْ يُؤدِّيَهُ عليه ، فيَخافُ أنه ما وفَّاها حَقَها وأنها لم تُقبلْ منه وأنه لمْ يبذلْ جُهدَه في صِحَّتِها ، وأنها تَوْبَةُ عِلَّةٍ وهو لا يَشْعُرُ بها كَتَوْبةِ أَرْبَابِ الحَوَائِجِ والإفلاسِ والمُحَافِظِينَ على حَاجَاتِهِم وَمَنازِلِهِمْ بينَ الناسِ .

أَوْ أَنَّهُ تابَ مُحافَظَةً على حَالِهِ فَتَابَ لِلْحَالِ لاَ خَوْفاً مِنْ ذِي الجَلالِ ، أو أنه تَابَ طَلَباً لِلرَّاحَةِ مِنَ الكدِّ في تَحْصِيْلِ الذنْبِ أو اتِّقاءَ ما يَخافُهُ على عِرْضِهِ وَمَالِهِ وَمَنْصِبِهِ أو لِضَعْفِ داعِي المعصيةِ في قلبِهِ وَخُمُودِ نارِ شَهْوتِهِ أو لِمُنافاةِ المعصيَةِ لِمَا يَطْلِبُهُ من العلمِ والرزقِ وَنَحْوِ ذلك مِنَ العِلَلِ التي تَقْدَحُ في كونِ التَّوْبةِ خَوْفاً مِنَ اللهِ وتعظيماً لَهُ ولِحُرُمَاتِهِ وإجْلالاً لَهُ وَخَشْيَةً مِنْ سُقُوطِ المنْزِلةِ عندَهُ وعن البُعْدِ والطردِ عَنْهُ والحِجابِ عن رُؤْيةِ وَجْهِهِ في الدارِ الآخِرَةِ فَهَذِهِ التَوْبَةُ لَوْنٌ وَتَوْبَةُ أَصحابِ العِللِ لَوْن قال :

ومِنَ اتِّهامِ التَوْبةِ ضَعْفُ العَزِيْمَةِ والْتِفاتُ القَلْبِ إلى الذَنْبِ الفَيْنَةَ بعدَ الفينةِ وتذكُّرُ حَلاَوَةِ مُوَاقَعَتِهِ . ومِنَ اتِّهَامِ التَوْبَةِ طُمَأْنِينَتُهُ وَوُثوقُهُ مِنْ نفسِهِ بأنَهُ قدْ تابَ حتى كأنهُ قد أُعْطِيَ مَنْشُوراً بالأمانِ فهَذِهِ مِن عَلاماتِ التُهْمَةِ .

ومِنْ عَلاماتِها جُمُودُ العَيْنِ واسْتِمْرَارُ الغَفْلَةِ وأنْ لاَ يَسْتَحْدَثَ بَعْدَ التوبةِ أَعْمَالاً صَالِحةً لَمْ تَكُنْ له قَبْلَ الخَطِيئةِ .

شِعْرا: خُذْ مِن شَبَابِكَ قَبْلَ الموتِ والهَرَمِ   وَبَادِرِ التَّوبَ قَبْلَ الفَوْتِ وَالنَّدَمِ
واعْلَـمْ بأَنَّكَ مَجزِيٌّ ومُرْتَهَـنٌ   ورَاقِبِ اللهَ واحْذَرْ زَلَّةَ القَـدَمِ

فليسَ بَعْدَ حُلُوْلِ الموتِ مَعْتَبَةٌ إلاَّ الرَّجاءُ وعَفْو اللهِ ذِي الكَرَمِ
آخر: إحْفَظْ مَشيْبَكَ مِن عَيْبٍ يُدَنِسُهُ إنَّ البَيَاضَ سَرِيْعُ الحَمْلِ لِلدَّنَسِ
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

(فَصْلٌ) فِيْ وَصَايَا وَفَوَائِدَ وَمَواعِظَ وَآدَابْ

أَوْصَى بَعضُهم، فقال إذا عَصَيْتَ الله بِمَوضعٍ بأن حَصَلَ مِنكَ ذَنْبٌ فاعْمَلْ في ذَلِكَ الموضع طَاعةً كاسْتِغْفَارٍ وذِكْرٍ لِلَّهِ ونحوِ ذَلِكَ فكما يَشْهَدُ عَليكَ يَشهَدُ لَكَ.

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾. وَكُلَّما تَذَكَّرتَ ذَنْبًا صَدَرَ مِنْكَ فتُبْ عَقِبَ ذِكْركَ أيَّاهُ تَوبةً نصُوحًا وأَكْثِرْ مِنْ الاستغفار.

قال الله جل وعلا: ﴿إنَّ الحَسَناتِ يُذهِبْنَ السَّيِّئآتْ﴾.

وقال تعالى: ﴿والذين إذا فَعلوا فاحِشَةً أو ظلمُوا أنفسَهم ذكروا الله فاستغفَرُ لِذُنُوبِهم ومَن يَغْفِرُ الذُنُوبَ إلا الله ولَم يُصِرُّوا على ما فَعَلوا وهم يعلمون﴾. وقال تعالى: ﴿ومَن يعمل سُوءًا أو يظلم نفَسه ثم يَستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾.

إحْرَصْ على أن تَنْوِيَ فِعْلَ الخير، وإذا حَدَّثَتْكَ نفسُك بِشَرٍ فاعْزِمْ على تَرْكِهِ لِلَّهِ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال قال الله عز وجل ﴿ إذا تَحَدَّثَ عَبدى بأَنْ يَعمل حَسَنَةً فأنا أكتبُها له حَسَنَةً ما لم يعمل، فإذا عَمِلَهَا فأنا أكتبُها بعَشْرِ أَمْثالِها ﴾.

وإذا تَحَدَّثَ بأن يَعْمَلَ سَيئَةً فأنا أغْفِرُهَا لَهُ ما لم يَعْمَلْها فإذا عَمِلَهَا فأنا أكتُبَها له بمِثْلِهَا. ومما أوصَى به بعضُهم قال عَلَيكَ بذِكْرِ اللَّهِ قائمًا وقَاعِدًا وَعلى جَنْبِكَ في السر والعلانية وفي الملا.

قال الله جل وعلا ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى

جُنُوبِهِم ﴾ . وقال ﴿ والذاكرين الله والذاكرات أَعَدَّ اللَّهُ لهم مغفرةً وأجرًا عظيما ﴾ . وقال تعالى ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ .

وقال تعالى ﴿ واذكُروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ .

شعـــــرا :

عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ في كُلِّ سَاعَـــةٍ ... فمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَذْكُـــرُ

آخر : عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ دَوْماً فإِنَّهُ ... بِهِ يَطْمَئِنُّ القَلْبُ فالْزَمْهُ تَسْعَـــدِ

آخر: فلا تُبْق في يَوْمِ السلامَةِ لحَظَةً ... تفوتُكَ لم تذكُر به اللهَ وَحْدَهُ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، إِنْ ذَكرني في نفسه ذكرتته في نفسي ، وإن ذكرني في مَلَأ ، ذكْرته في مَلأ خير منهم ، وإن تَقرَّبَ إليَّ شِبْرًا ، تَقَرَّبْتُ إليه ذِرَاعًا ، وإن تَقرَّبَ إليَّ ذراعا تَقَرَّبْتُ إليه بَاعًا ، وإن أتَاني يَمْشِي أتَيْتُه هَرْوَلَةً » .

احْرَصْ على صِيَانَةِ الوَقْتِ وثابرْ على إتْيَانِ جَميعِ ما يُقَرِّبُكَ إلى الله مِن الأعمال وبالأخص الأكثار مِن كلمة الاخلاص وهي لا إلهَ إلا الله .

وأعلم أنها كلمـــة التـوحيد والتـوحيد لا يماثله شيء ، وهي كلمـة الإِسلام ، ومفتاح دار السلام ، وهي كلمة الحق ، ودعوة الحق .

وهي أعلا كلمة وأشرف كلمة وأحسن كلمة وأفضل كلمة وأنجى كلمة وما أنعم الله على عبد نعمةً أفضل من أن عرفه لا إله إلا الله وفَهَّمَهُ مَعْنـاهَـا وَوَفَّقَهُ لِلْعَمل بمُقْتَضَاهَا وعليكَ بالقِيام بما افْتَرضَ اللَّهُ عَلَيْكَ ومُلاَزَمَتِهِ على الوَجهِ الأكملِ الذي أمركَ اللَّهُ جَلَ وعَلاَ أن تقومَ فيه .

قال الله جل وعلا ﴿ فاستقم كما أُمرتَ ﴾ . وفي حديث سفيان بن عبدالله قال قلتُ يا رسول الله قل لي في الإِسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غَيْركَ قال « قل آمنتُ بالله ثم اسْتَقِمْ » رواه مسلم .

وفي حديث ثوبان عن النبي ﷺ قال « اسْتَقِيْمُوْا ولن تُحْصُوا وأعملوا

أنَّ خَيرَ أعْمَالِكم الصلاة ولا يُحَافَظ على الوضوء إلا مُؤمن » . وفي رواية للإمـام أحمد سَدِدُوا وقارِبُوا ولا يُحَافِظُ على الصلاة إلا مُؤمن » . وعليكَ بمراعاةِ أقوالِكَ كما تُرَاعِي أَعْمَالَك فإنَّ أَقوالَكَ مِن جملةِ أَعْمَالِكَ قال الله جل وعلا ﴿ وإنَّ عَليكم لحافظين كرامًا كاتبين يعلمون ما تفعلون » .

وقال تعالى : ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لَديهِ رقيب عَتيْد** ﴾ واحْذَرْ الإقامةَ بينَ أَظْهُرِ الكفار فإن في ذلك تشجيعاً للكفار وإهانةً لِدين الإسلام وإعلاءً لكَمةِ الكفر . نسأل اللَّهُ العافية فعَلى المسلم أنْ يَحْفَظَ أولادَهُ عن الذهاب إلى بلاد الكفار ويَنْصَحَ مَنْ يَقْبَلَ منه مِن قَرَابَتِهِ وأصْدِقائِهِ وجميع المسلمين .

قال النبي ﷺ « أنا بَريءٌ مِن كل مسلم يُقَيمُ بين أظهُر المشركين لا تَرآءى ناراهُما » رواه أبو داود والترمذي . وقال ﷺ «مَن جَامَعَ المشركَ وسَكَنَ مَعَهُ فإنه مثلُه» رواه أبو داود .

وعليك بتلاوة القرآن بِتَفَهُّم وتَدَبُّرٍ وتفكُرٍ ونَظَرٍ فيما تَتْلُوْهُ إلى ما حُمِدَ فيه مِن النُعُوتِ والصِفاتِ التي وَصَفَ اللَّهُ جَلَّ وعَلاَ بها مَن أَحَبَّهُ مِن عِبادِهِ فاتَّصِفْ بها .

وما ذَمَّهُ اللَّهُ في القرآن مِن الصفاتِ فاجْتَنِبْهَا فإنَّ الله جَلَ وَعَلاَ ما أنْزَلَهَا في كتابهِ وذَكَرَهَا لَكَ وعَرَّفَكَ بهَا إلا لِتَعْمَلَ بها .

فإذا قَرَأْتَ القُرآنَ فاجْمَعْ قَلْبَكَ وحَضِّرْهُ وفَكِّرْ فِيمَا تَتْلُوْ وما أشكلَ عَلَيْكَ فَطَالِعْ مَعْنَاهُ في التَّفْسِيْرِ إنْ كُنْتَ تُحْسِنُ ذَلِكَ وإلا فأسْألْ أهْل الذكر .

قال الله جَل وَعَلاَ وتقدَس ﴿ فأسْألُوا أهْلَ الذكر إنْ كنتمُ لا تعلمون ﴾ . ولا أفضلَ مِن تِلاوَةِ كلامِ اللَّهِ فأفْضَلُ الكلامِ كلامُ الملكِ العَلَّام جل وعلا وتقدس .

وكُلُ ذِكْرٍ وَرَدَ فَضْلُهُ في خَبرَ أَوْ أَثَرٍ فهو بعدَ كلام الله فالتَّسْبِيْحُ والتهليلُ والتكبيرُ والتحميدُ بَعْدَ التلاوةِ وَبعدَهُنَّ الصلاةُ على رَسول ﷺ .

وعليك بمُجَالَسَةِ مَن تَنْتَفِعُ بمُجَالَسَتِهِ في دِيْنِكَ مِن عِلْمٍ تَسْتَفِيْدُهُ أو عَمَل

يَكونُ فيه أوْ خُلُق حَسَن يكون عليه تَكَسبُهُ مِن صُحْبَتِه .

وعَلَيْكَ بالبَذاذَهة فإنها مِن الإيْمانِ وهيَ تَرْكُ الزِّيْنَةِ وعَدَمُ التّرَفُه ورَثاثَةُ الهَيْئَةِ والرضَا بالدُّوْنِ مِن الثِياب لِمَا وَرَدَ في الحَديث « إن البَذاذَةَ مِن الإيمان » وفي الحديث الآخر « إن الله عز وجل يُحِبُّ المُتَبَذِّلَ الذي لا يُبَالِي مَا لَبسَ » وفي الحديث الآخر « ومَن ترَكَ لُبْسَ ثَوْبِ جَمالٍ وهو يَقْدِرُ عليه أَحْسِبُهُ قال تواضعًا كَسَاهُ الله حلة الكرامة » رواه أبو داود .

شعـــرا :

وَمَن يَرْتَضِيْ أدْنَى اللِّباسِ تَوَاضُعاً ... سَيُكْسَى الثِّيَابَ العَبْقَرِيَّاتِ في غَـدِ

آخر : اطْلُبْ كَفَافاً فما في الأرض مِنْ أحَدٍ ... نَالَ الكَفَافَ عَلى تَقْوَى وإرْشَـادِ

مِنْ مَلْبَسٍ وَشَرَابٍ بَعْدَ مَطْعَمِـهِ ... في حَيْثُ خَيَّمَ في غَوْرٍ وإنْجَـادِ

إلَّا حَوَى الفَوْزَ في الدنيا وَآجِلِهَـا ... إذا أعِيْنَ بِنَفسٍ شِحُهَـا زَادِ

لا تَتْعَبَنَّ فإنَّ الرِّزْقَ عَنْ قَـدَرٍ ... يَأْتِيْكَ طَالِبُهُ مِن غير مِيْعَـادِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فـائـدة عظيمـة النفـع]

اعْلَمْ أنَّ مَن كان دَاؤُهُ المعصية ، فشِفَاؤُهُ الطاعة ، ومَن كان دَاؤهُ الغَفْلَةُ ، فشِفاؤه اليَقظة ، ومَن كان داؤهُ كثْرةُ الأشغال ، فشفاؤه في تفريغ البال .

فمن تَفـرَّغَ مِن هُموم الـدنيا قلبُـه ، قَلَّ تَعَبُـه ، وتَوَفَّر مِنَ العِبَادة نصيبه ، واتصل إلى الله مَسِيْرهُ ، وارتفع في الجنة مَصيره ، وتمكن مِن الذِكر والفِكر والورع والزهد والاحتراس من وساوس الشيطان ، وغوائل النفس .

ومن كثر في الدنيا هَمُّه ، أظلم طريْقه ، ونصَبَ بَدَنُه ، وضَاعَ وَقتُه ، وتَشَتَّتَ شملُه ، وطـاشَ عَقْلُه ، وانعقد لِسَانُه عن الذكر ، لِكَثْرة هُمومه

وغمُومه ، وصار مُقَيَّدَ الجوارح عن الطاعة ، مِن قلبهِ في كل وادٍ شُعْبَة ، ومِن عُمرهِ لِكلِ شغل حِصَّة .

فاستعذ بالله من فضول الأعمال والهموم فكل ما شغل العبد عن الرب فهو مشئوم ، ومن فاته رضى مَولاه فهو محروم ، كل العافية في الذكر والطاعة ، وكل البلاء في الغفلة والمخالفة ، وكل الشفاء في الإنابة والتوبة ، وانظر لو أن طبيباً نصرانياً نهاك عن شرب الماءِ البارد لأجل مَرضٍ في جَسَدِك لأطعتَه في ترك مانهاك عنه ، وأنتَ تعلم أن الطبيب قد يَصْدُق وقد يكذب وقد يُصْيبُ وقد يُخطيء وقد يَنصَحُ وقد يَغشُ ، فما بالك لا تترك ما نهاك عنه أنصحُ الناصحين وأصدق القائلين وأوفى الواعدين لِأَجْلِ مَرَضِ القلب الذي إذا لم تشفَ منه فأنتَ مِن أهْلَكِ الهالكين .

تَبْغِي الوُصُولَ بسَيْرَ فيه تَقْصِيْرُ ... لَا شَكَّ أَنَّكَ فِيْمَا رُمْتَ مَغْرُوْرُ
قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أَبْطَالٌ فَمَا وَصِلُواْ ... هَذا وفي سَيْرِهِمْ جِدٌ وَتَشْمِيْرُ
يا مُدَّعِي الحُبَّ في شَرْعِ الغرامِ وَقَدْ ... أَقَامَ بَيِّنَةً لَكِنَّهَا زُوْرُ
أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ في لَهْوٍ وفي لَعِبٍ ... هَذَا وَأَنْتَ بَعْيدُ الدَّارِ مَهْجُوْرُ
لَوْ كَانَ قَلْبُكَ حَياً ذُبْتَ مِنْ كَمَدٍ ... مَا لِلْجِرَاحِ بِجِسْمِ المَيْتِ تَأْثِيْرُ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ نَفْساً مُطْمَئنةً تُؤمِنُ بلِقَائِكَ وتَرضَى بقَضَائِك ، اللهم إنا نَسأَلُكَ باسْمِكَ الطاهِرِ الطَّيب المُبارَكِ الأحَبِّ إليك الذي إذا دُعيْتَ به أجَبْتَ ، وإذا سُئلتَ به أعْطَيْتَ ، وإذا اسْتُرْحِمْتَ به رَحِمْتَ ، وإذا استفرجْتَ به فَرَّجَتْ أنْ تَغفرَ سَيئاتنا وتُبدلها لنا بِحَسَنات يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصبحه أجمعين .

(١) موعظـــة

كَتَبَ عَليٌّ بنُ أبي طالبِ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ إلى وَلَدِهِ الحُسَينْ مِنْ عبدِ اللَّهِ

عَليٍّ أمـير المؤمنينَ الوَالِد الفَاني الذَّامِّ للدُّنْيا السأَّكِن مَسَاكِنَ المَوْتَى ، إلى الوَلَدِ المُؤَمِّلِ ما لا يُدْرَكُ السالِكِ سَبيْلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ ، عُرْضَةُ الأسْقامِ وَرَهينةُ الأيامِ وأَسِيْرُ المنايا وقرينُ الرَّزَايَا وَصَرِيْعُ الشَهَوَاتِ وَنُصُب الآفاتِ وَخَلِيْفَةُ الأمْواتِ .

يا بُنيَّ إنْ بَقِيْتُ أو فَنِيْتُ فإني أُوصِيْكَ بتَقْوى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِمَارَةِ قَلْبَك بذِكرِه ولاْعْتِصَام بِحَبْلِهِ فإنّ اللَّهِ يَقُولُ واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَميعاً ولا تَفَرَّقُوا واذكُرُوا نِعْمةَ اللَّهِ عليكم الآية وأيُّ سَبَبٍ يا بُنَيّ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبينَ الله عزَّ وجلّ .

أَحْيي قلبَكَ بالمَوْعِظَةِ وَنَوِّرْهُ بالحِكْمَةِ وَقَوِّه بالزُهْدِ وَذَلِّلْهُ بالمَوْتِ وَقرّرْهُ بالفَنَاءِ وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَهْرِ وَتَقَلُّبَ اللَيَالي .

واْعْرِضْ عليهِ أَخْبَارَ الماضِينَ وَسِرْ في دِيارِهِمْ وآثارِهِمْ فانظُرْ مَا فَعَلُوا وأيْنَ حَلُّوا فأنَكَ تَجِدُهُمْ قَدِ آنْتَقَلُوا مِنْ دارِ الغُرورِ وَنزَلُوا دارَ الغُرْبَةِ .

شِعْرَا: سَلِ الأَيَّامَ مَا فعَلَتْ بِكِسْرىٰ وقَـيْصَرَ والـقُصُورَ وَسَاكِنِيْهَــا
أمـا اسْتَدَعَتْهُـم لِلْمُـوتِ طُراً فَلَمْ تَدَعِ الحِلِيْمَ ولا السّفيْهَا

دَنَتْ نحَو الدَّني بسَهْمِ خطْبٍ فأصْمَتْهُ ولَـمْ تدَعِ الوَجِيْهَــا
أَمـا لَوْ بِيْـعَتِ الدُّنْيـا بِفِــلْسٍ أنِـفْتُ لِعَاقِــلٍ أَنْ يَشْتَرِيْهَــا

وكأَنكَ عنْ قَليلٍ يا بُنَي قد صِرْتَ كأحَدِهِمْ فبعْ دُنْيَاكَ بآخرَتكَ وَلاَ تَبـعْ آخِـرَتك بدُنياكَ وَدَعِ القَوْلَ فِيْما لا تَعْرِفُ والأمْرَ فِيْما لا تُكَلَّفُ وَمرْ بالمعروفِ بيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَكُنْ مِن أَهْلِهِ وأَنْكِرِ المُنْكَرَ بيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَبَاينْ مَنْ فَعَلَهُ .

وَخضْ الغَمَـرَاتِ إلى الحَقِّ وَلاَ تَأخُـذْكَ في اللَّهِ لَوْمَةُ لائِمَ واحْفَظْ

وَصِيَّتي فلا خَيْرَ في عِلْمٍ لا ينفَعُ وَاعْلَمْ أنه لا غِنَى بك عن حُسْن الارتِيَادِ مَعَ بَلاغِكَ مِنَ الزادِ .

فإنْ أَصبْتَ مِنْ أهلِ الفَاقَةِ مَنْ يَحْتَمِلُ عنْكَ زَادَكَ فيُوَافِيكَ بِهِ في مَعَادِكَ فاغْتَنِمْهُ فانَّ أمامَكَ عقبةً كَؤُوداً لا يُجاوزُها إلا أخفُّ الناسِ حِمْلاً .

وأَجْمِلْ في الطَلَبِ وأَحْسِنْ في المَكْسَبِ فَرُبَّ طَلَبٍ قدْ جَرَّ إلى حَرْبٍ وإنَّما المَحْروبُ مَنْ حُرِبَ دِينَهُ والمَسلوبُ مَنْ سُلِبَ يَقينَه واَعْلَمْ أَنهُ لا غِنَى يَعْدلُ الجَنةَ وَلاَ فقرَ يَعْدِلُ النارَ والسلام عليكَ ورحمةُ اللّه .

وَقال بَعْضُهم لا غِنَى يَعْدِل رِضَى الله ولا فَقْرَ يَعْدِلُ سَخْطَهُ . قال النّاظم :

وكُنْ بينَ خَوفٍ والرَّجَا عاملاً لِمَا ... تَخَافُ وَلَا تَقْنطْ وُثُوقاً بِمَوْعِدِ
تَذَكَّرْ ذُنوباً قَدْ مَضَيْن وَتُبْ لَهَا ... وَتُبْ مُطْلقاً مَعْ فَقْدِ عِلْمِ التَّعَمُّدِ
وبادِرْ مَتاباً قَبْلَ يُغْلَقُ بابُهُ ... وَتُطوى على الأعمالِ صُحْفُ التزَوُّدِ
فحِيْنَئِذٍ لا يَنْفَعُ المَرْءَ تَوْبَةٌ ... إذا عَايَنَ الأَمْلاكَ أَوْ غَرْغَرَ الصّدِي
ولا تَجْعَلِ الآمَالَ حِصْناً فإنَّها ... سَرَابٌ يَغُرُّ الغافلَ الجاهلَ الصَّدِي
فَبَيْنَا هُوْ مُغْتَراً يُفَاجِئُهُ الرَّدَى ... فَيُصْبِحُ نَدْمَاناً يَعَضُّ على اليَدِ
وَتَوْبَةُ حقِّ اللهِ يَسْتَغْفرُ الفَتَى ... وَيَندمُ يَنْوِي لا يَعودُ إلىَ الرَّدِي
وإنْ كانَ مِمَّا يُوْجِبُ الْحَدَّ ظاهِراً ... فَسِتْرُكَ أَوْلَى مِنْ مُقِرٍّ لِيُحْدَدِ
وإنْ تَابَ مِنْ غَصْبٍ فيُشرَطُ رَدُهُ ... وَمَعْ عَجْزِهِ يَنْوِي مَتَى وَاتَ يَرْدُدِ
وَمِنْ حَدِّ قَذْفٍ أَوْ قِصَاصٍ مَتَابُهُ ... بتَمْكِيْنِهِ مِنْ نَفْسِهِ مَعَ مَا أبْتَدِي
وَتَحْلِيْلُ مَظْلُومٍ مَتَابٌ لِنَادِمٍ ... تَدَارُكُ عُدْوَانِ اللِسَانِ أَوِ اليَدِ

لِلَّهِ دَرّ قومٍ بادُرَوْا الأَوقاتَ ، واستَدْرَكُوا الْهَفَوات ، فالعَينُ مَشْغُولَةٌ بالدَّمْع عن المحرَّمات ، واللسانُ مَحبوسٌ في سِجْن الصَّمْت عن الهَلَكَاتْ ، والكفُّ قد كُفَّتْ بالخوفِ عن الشهوات ، والقَدَم قد قُيِّدت بقَيدِ المحاسَبات .

والليلُ لدَيْهِمُ يَجأَرُوْنَ فيه بالأَصْوَاتْ، فإذا جَاءَ النهارُ قَطَعُوهُ بمُقَاطَعة اللَّذات، فكَمِ مِن شَهْوَةٍ مَا بَلَغُوهَا حَتَّى الممات.

فتيقَّظْ لِلِحَاقِهم مِن هَذِهِ الرَّقَدات، ولا تَطْمَعَنَّ في الخَلاص مَعَ عَدمِ الإخلاص في الطاعات، ولا تُؤَمّلنّ النجاة وأنت مقيمٌ على الموبقات. قال الله جل وعلا: ﴿**أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ**﴾ وقال: ﴿**أَفَنَجْعَلُ المسلمين كالمجرمين**﴾.

شِعْرًا:
أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ والذُنُوبُ تَزِيْدُ ... والكَاتِبُ المُحْصِي عَلَيْكَ شَهِيْدٌ
كَم قُلْتَ لَسْتُ بِعَائِدٍ في سَوْءَةٍ ... ونَــذَرْتَ فيها ثَمُ تَعُــوْدُ
حَتَّى مَتَى لا تَرْعَوِيْ عَنْ لَذَّةٍ ... وحِسَابُهَا يومَ الحِسَابِ شَدِيْدُ
وكَأَنَّنِـيْ بِكَ قَدْ أَتَتْكَ مَنِيَّــةٌ ... لا شَكَ أَنَّ سَبِيْلَهَــا مَوْرُوْدُ

شِعْرًا:
أَخِيْ قَدْ طَالَ لُبْثُكَ فِي الفَسَاد ... وبِئسَ الـزَّادُ زَادُكَ لِلْمَعَــادِ
صَبَا مِنْكَ الفُـؤَادُ فَلَـمْ تَزَعْـهُ ... وَجِـدْتَ إِلـىَ مُتَابَعَةِ الفُـــؤَادِ
وقادَتْكَ المَعَاصِي حَيْثُ شَاءَتْ ... وَأَلْفَتْكَ امْـرَءاً سَلِسَ القِيَـــادِ
لَقَـدْ نُودِيْتَ لِلتَّرْحَـالِ فاسْمَـعْ ... ولا تَتَصَامَمَـنَّ عن المُنَـــادِي
كَفَاكَ مَشِيبُ رأسِكَ مِنْ نَذِيرٍ ... وَغَــالَبَ لَونُــهُ لَوْنَ السَّوَادِ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الإِيْمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلى قَوْلِكَ الثَّابِتْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْياَ، وَفِي الآخِرةِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وَتوفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَالْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ إِيْمَاننا بِكَ عَمِيْقاً وسَهِّلْ لَنَا إِلىَ مَا يُرْضِيْكَ طَرِيْقاً وألطَفْ بِنَا يا مَوْلاَنَا وَوَفِقْنَا لِلْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ تَوْفِيْقاً واغفِرْ لَنَـا وَلِوَالِدَيْنَـا وجَمِيْـعِ الْمُسْلِمِيْنَ بِرَحمتكَ يَاأرحَمَ الرَّاحمين وصلى الله على محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ.

(فَصْلٌ) فِيْمَا يَنبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَيْه والتحذيْر مِن ارتِكَابِهِ

قال ابنُ الجوزي رحمه الله: المسلمون المُغترّون طبقاتٌ:

الـطبقةُ الأولى (طبقة العلماء) : وهُمْ قومٌ أحْكَمُوا العِلْمَ وَتركُوا العملَ بِهِ ظناً منهُم أنَّهُمْ قد حَفِظوا الشريْعَةَ فَلَهُم عندَ اللَّهِ قَدْرٌ ، ولو حَقَّقُوْا النَّظَرَ ، لعَلِمُوا أنّ العِلْمَ لا يُرادُ إلا لِلْعَمَلِ وكأنّهم يَزِيْدُوْنَ مِنَ الحُجّةِ عليهِم .

ومنهم قومٌ أحْكمـوا العِلْمِ والعَمَـلَ إلاَ أنَهُمْ لم يُصْلِحُوا الصِّفاتِ البَاطِنَةَ المَذمُوْمَةَ مِنَ الكِبْرِ والحَسَدِ والرِّياءِ ولَمْ يَدْرُوا أنَّ هَذِهِ شُغَلٌ تَعْمَلُ في بَيْتِ القَلبِ فَتُحْرِقُ بَوَاطِنَ المَعْرِفَةِ .

قُلْتُ وَهَؤلآءِ كَمَريضٍ ظَهَرَ بِهِ جُرُوْحٌ أَصْلُها في البَاطِنِ فأمَرَ الطبيبُ مَنْ بِهِ ذلـكَ أنْ يَغْسِـلَ الظَاهرَ بدَوَاءٍ وأمَرَهُ بشُرْبِ دَوَاءٍ آخَرَ لِمَا نَشأَ عنه الظاهرُ فاسْتَعْمَلَ ما لِلظَّاهِرِ وَتركَ ما لِلْبَاطِنِ فأزال مؤقّتاً ما بظاهِرِه وَأمَّا مَا في باطِنِهِ فَعَلَى حَالِهِ .

فَلَوْ شَرِبَ ما لِلْبَاطنِ مِنَ الدَّوَاءِ بَرِىءَ الظاهرُ إذا أَرادَ اللَّهُ واسْتراحَ ظاهِرُهُ وبَاطنُه فكذلك الذنوبُ والمعاصِي إذا اخْتَفَتْ في القلبِ ظهرَ أثرُها على جَوَارِحِ الإِنسانِ .

ومِن العُلَماءِ قومٌ سَلِمُوا مِنْ هذِهِ الآفاتِ ، لَكِنَّهم في خِدْمَةِ الهَوَى مِنْ حيثُ لا يعلمـون فهم يُصَنِّفـون وَيَتكَلَّمُـون ومُرادُهم ذِكْرُهم بذلكَ وَمَـدْحُهم وَكَثْرَةُ اتباعِهِم وهذِهِ الآفَةُ مِن خَبَايَا النفوسِ لا يَفْطِنُ لها إلا الأكياسُ مِن الناسِ .

الطبقة الثانية (طبقةُ العُبَّاد) : فمنهم مَن حَققوا التَّعبُّدَ إلا أنه يَرى نفسَهُ فهو مَغرورٌ بذلكَ ومنهم مَن تركَ كثيراً مِنَ الفَرائضِ شُغْلاً بالنَّوافِلِ فَمِنْهُمْ مِنْ يُدْرِكُهُ الوَسْواسُ في نِيَّةِ الصلاةِ ثم يَتْرُكُ قَلْبَه في باقِيها يَسْرَحُ في الغَفَلاتِ .

وَمنهم مَن يُكْثِرُ التِلاَوَةَ ولا يعملُ بما يَتْلو ، ومنهم مَنْ يصومُ ولا يتحفَّظُ

مِنْ غَيْبتِـهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يخرجُ إلى الحـجِّ ولا يخرجُ مِن المظالِمِ ، ولا يَنْظُرُ في نَفَقَتِـهِ ، ومنهم مَنْ يجاورُ بمكـةَ وَيَنْسى الحُرمَةَ ومنهم مَنْ يأمرُ بالمعروفِ وَيَنْسَى نفسَه . قلتُ وأهلَه وأولادَهُ .

ومنهم مَنْ يَزْهَـدُ في المالِ وهو راغبٌ في الرياسةِ بالزُهْد . ومنهم مَنْ يتخلقُ بأخـلاقِ الفقراء فِي صُوَرِ ثيابهِمْ وَمُرَقَّعَاتهِمْ وَيَتْرُكُ أخلاقَهُم الباطنَة ، فيشبعُ من الشهواتِ ، وينامُ الليلَ ولا يعرفُ واجباتِ الشرْع .

قلتُ وهؤلاءِ غرورُهم عظيمٌ كما قال بعضُ العلماءِ ، لأنهمْ يظنون أنهم يُحبون في اللَّهِ ورسولِه وما قَدروا على تحقيق دقائق الإخلاصِ إلا وهم مُخلِصون ، ولا وَقَفوا على خبايا النفس إلا وهم مُنَزهون ، وهم أَحَبُّ في الدنيا مِنْ كل أحد وَيُظهرون الزهدَ في الدنيا لِشِدةِ حرِصِهِم عليها وَقوةِ رغبتهمْ فيها . قال بعضهم فيمن يُظْهِرُ الزهدَ في الدنيا وهو حريصٌ عليها :

أَظْهَـرُوْا لِلنَّـاسِ زُهْـداً وعلى الدِّينَـــار دَارُوْا
وَلـه صَلَّـوا وصَامُـوا ولـــه حَجُـوْا وزَارُوْا
لوَ يُرَى فَوْقَ الثُرَيَّـــا وَلَهُـــمُ رِيْشٌ لَطَـارُوْا

يَحُثُّون على الاخـلاصِ وهُـمْ غيرُ مخلصـينَ وَيُظْهِـرونَ الدُعـاءَ إلى اللَّهِ وهُمْ منـه فـارُّونَ وَيُخَـوِّفونَ باللَّهِ وهُمْ آمِـنون . ويُذكِّـرون باللَّهِ وهُمْ له ناسُون ، ويحُثُون على التمسكِ بالسنةِ بالدقيقِ والجَليلِ وهم لها نابِذُون وَيَذمّون الصفاتِ المذمومةَ وهم بها مُتَّصِفونَ ، وكأنه لمْ يَطرُقْ أسْماعَهُمْ قولُهُ تعالى ﴿ أتأمرون الناسَ بالبِرِّ وَتنسَوْن أنفسَكُم وأنتم تَتْلون الكتابَ أفلا تعقلون ﴾ .

وقولُه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون ، كَبُرَ مقْتاً عندَ اللهِ أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ . وقولُهُ تعالى حكايةً عمَّا قال شُعيبُ

﴿ وما أُريدُ أنْ أُخالِفَكُم إلى ما أنْهاكُم عنه ﴾ وَوَرَدَ عن ابنِ عباسٍ أنه جاءه رجلٌ فقال : إني أُريد أن آمُرَ بالمعروفِ وأنهى عن المُنْكَر . قال أبَلَغْتَ ذلك ؟ قال : أرجو . قال : إنْ لَمْ تخشَ أن تَفْتَضِحَ بثلاثِ آياتٍ من كتابِ اللهِ فافْعَلْ يشيرُ ابنُ عباسٍ الى الآياتِ المتقدمةِ .

الطبقةُ الثالِثةُ : « أرْبابُ الأموالِ » فَمِنْهم قومٌ يَحْرِصونَ على بناءِ المساجدِ والمَدارسِ وَيَكْتُبونَ أسْمَاءَهُم عليها لِتَخْلِيْدِ ذِكْرِهِمْ وَمَنْ أرادَ وجهَ اللهِ لَمْ يُبالِ بِذكْرِ الخَلْقِ وهؤلآء قَال بعضُ العلماءِ : إنهم اغْتَرُّوا مِن وَجْهَيْن : أحَدُهُما أنَّهم اكْتَسَبوها مِنَ الظُّلْمِ والشُّبُهاتِ والرُّشَاءِ والجِهَاتِ المَحْظُورةِ فهؤلآءِ تَعَرَّضُوا لِسَخَطِ اللهِ في كَسْبِها فإذا عَصَوُا اللهَ في كَسْبِها فالواجِبُ عليهمْ التَوْبةُ وَرَدُّ الأموالِ إلى أربابها إنْ كَانُوا أحْيَاءً وإلى وَرَثَتِهِمْ إنْ كانُوا أمْوَاتاً ، وإنْ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ وَرَثَةٌ فالواجِبُ عليهمْ أنْ يَصْرِفُوها في أهمّ المَصَالِحِ وَرُبما يكُونُ الأهَمُّ تَفْرِقَتَها على المساكينِ .

والوجهُ الثاني : أنَّهمْ يَظُنُونَ بأنفُسِهِمْ الإخْلاصَ وَقَصْدَ الخَيرِ في الانفاقِ وعُلوّ الأبْنِيَة . ولو كُلِّفَ واحدٌ منهم أنْ يُنْفِقَ دِيناراً على مِسكينٍ لَم تَسْمَحْ نَفْسُهُ بذلك ، لأنّ حُبَّ المدْحِ والثناءِ مُسْتَكِنٌّ في باطِنِه .

ومنهُمْ قَومٌ يَتَصدَّقُونَ ولكنْ في المَحَافِلِ وَيُعطُونَ مَنْ عادتُهُ الشُكرُ وافشاءُ المعروفِ .

ومنهم مَنْ يُكْثِرُ الحَجَّ وَرُبما تركَ جِيرانَهُ جياعاً .

ومنهم قومٌ يَجْمَعُونَ المالَ وَيَبخَلونَ بإخراجِهِ ، ثم يَشْتَغِلُونَ بالعِباداتِ البَدَنيَّةِ التي لا تحتاجُ إلى نفقةٍ كالصِيامِ والصلاةِ ، ولا يَدْرونَ أنَّ جِهادَ النفسِ في البخلِ المُهلِكِ أوْلى .

شِعْرًا: لَقَدْ خَابَ مَنْ غَرَّتْهُ دُنْياً دَنِيَّةٌ   وما هِيَ أنْ غرَّتْ قُروناً باطَائِلِ

أَتَتْنَا عَلى زيِّ العَزيــزِ بِثَينَــةٍ وَزِيْنَتِهاَ فِي مِثْلِ تِلْكَ الشَّمَائِلِ
فَقُلْتُ لَهَا غُرِي سِوَايَ فإِنَّنِي عَزوفٌ عن الدُّنْيَا وَلَسْتُ بِجَاهِلِ
وَهَبْهـا أَتَتْنـا بالكُنـوزِ وَدُرِّهَــا وأَمْوَالِ قَارُوْنٍ وَمُلْكِ القَبائِـلِ
أَلَيْسَ جَمِيْعـاً لِلفَنَـاءِ مَصِيْرُهَـا وَيُطْلَبُ مِنْ خُزَّانِهـا بالطَّوائِـلِ
فَغُرِّيْ سِوايَ إِنَّنِيْ غَيْرُ رَاغِبٍ لِمَا فِيكِ مِنْ غِرٍ وَمُلْكٍ ونائِلِ
وَقَدْ قَنِعَتْ نَفْسِي بِمَا قد رُزِقْتُهُ فَشأْنِكِ يا دُنْيـا وأَهْـلَ الغَوائـلِ
فإِنِّـي أَخـافُ اللهُ يَوْمَ لِقَائِـــهِ وأَخْشَى عِقَاباً دَائِماً غَيْرَ زَائِلِ

اللَّهُمَّ نَجِّنا برحمتِكَ مِن النارِ وعافِنا من دار الخِزْيَ والبَوَار، وَأَدْخِلنا فَضْلِكَ الجنةَ دارَ القَرار وعامِلْنَا بكَرَمِكَ وَجودِكَ يا كَرِيْمُ يا غَفارُ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقوِّهَا وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُور الإِيمانِ واجعلنا هُدَاةً مُهْتَدِيْن وآتِنا في الدُّنيا حَسَنَةً وفي الآخِرةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النارِ واغْفِرْ لَنَا ولوالِدَنْا ولجميعَ المسلمينَ الأحياءِ منهمْ والميتين برحْمتِكَ ياأرحم الراحمينَ وصَلّى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجميعن.

(٢) موعظـــة : إعلم يا بُنَيَّ وَفَّقَكَ اللهُ لِلصَّواب أنه لم يتميز الآدميُ بالعقل إلا لِيَعْمَل بمُقتضاه، فاسْتَحْضِر عَقْلَكَ، وأعْمِلْ فِكْرَكَ، واخْل بِنَفْسِكَ تَعْلَم بالدليلَ أنكَ مَخْلُوق مُكَلَّف، وأنَّ عليكَ فرائض أنتَ مُطالبٌ بها.

وأن الملكَـين يُحْصِيَان أَلفاظَكَ وَنَظَرَاتِكَ، وأن أنفاسَ الحي خُطَاه إلى أَجَلِهِ، ومِقْدارُ اللُّبثِ في الدنيا قَلِيل، والحبسُ في القُبور طَوِيل، والعذابُ على مُوافَقَة الهَوى وبيل.

فأينَ لَذّةُ أَمْس ؟! رَحَلَتْ وأَبْقَتْ نَدَماً، وأينَ شَهْوةُ النفسِ ؟ كم نَكَّسَتْ رَأْساً، وزَلَّتْ قَدَماً، وما سَعِدَ مَن سَعِدَ إلا بخِلافِ هَواهُ، ولا شَقِيَ مَن شَقِيَ إلا بإِيثار دُنياه.

فاعتبرْ بِمَنْ مَضَى مَن المُلُوكِ والزُهَّادِ ، أَيْنَ لَذَّةُ هَولآءِ وأَيْنَ تَعَبُ أُولَئك ؟ بَقِيَ الثوابُ الجزيلُ ، والذِكرُ الجميلُ لِلصَّالِحِينَ ، والمقالةُ القَبِيْحَةُ والعقابُ الوبيلُ لِلعاصِين .

وكَأَنَّه ما جَاعَ مَن جَاعَ ولا شَبِعَ مَن شَبِعَ ، وأَعْلَمْ أَنَّ الكَسَلَ عن الفضائِلِ بِئسَ الرَّفِيْقِ ، وحب الراحة يورث من الندم ما يربو على كل لذة ، فانتبه راتعب لنفسك .

واعلم أَنَّ طَلَبَ الفضائِلَ نِهَايَةُ مُرَادِ المُجْتَهِدِين ، ثم الفضائِلُ تَتَفَاوتُ ، فَمِن الناسِ مَن يَرى الفضائلَ الزُهْدَ في الدنيا ، ومنهم مَن يَراهَا التَّشَاغُلَ بالتعبدِ ، وعلى الحقيقةِ فَليستَ الفضائلُ الكاملةُ إلاَّ الجمع بينَ العلم والعمل .

شِعْرَا: حَياةُ الفَتَى واللهِ بالعِلمِ والتّقُى   إذَا لَمْ يَكُونَا لا اعْتبارَ لِذَاتِهِ
وَمَنْ لَمْ يَذُقْ ذلَّ التَّعَلُّم ساعَة   تجَرَّع كَأْسَ الذُّلِ طُوْلَ حَيَاتِهِ

فوائدْ: مِنْ حِكَمِ أمير المؤمنين على كرم الله وجههِ: العلم خير من المال، العلمَ يَحرسك وأنت تَحرس المال، المال تنقصه النفقة والعلم يَزكُو على الإنفاق، بالعلم يَكِسُب الإنسانُ الطاعةَ في حياته، وجميل الأُحدوثة بعد وفاته، العلم حاكم والمال محكوم عليه

فاذا حصلا رفعا صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه وتعالى ، وحركاه إلى محبته وخشيته والشوق إليه ، فتلك الغاية المقصودة ، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم ، وليس كل ما يريد مراداً ولا كل طالب وَاجِدًا ، ولكن على العبد الاجتهاد وكل ميسر لما خلق له والله المستعان .

يَاخَالِقِي عبدُكَ الخاطِي الحَزينُ لَقَدْ   أتـاكَ مُنْكَسِراً فاجْـبُرْ لِمُنْكَسِـرِ
مُسْتَغْفِـراً مِن ذُنُـوبٍ لاَ عِـدَادَ لَهَـا   بِعَفْـوِكَ الجـمّ يا رَحْمَـنُ لا تَـذَرِ
فلاَ تَدَعْـنِي مَلِيْكَ العَـرْشِ مُطَّرحاً   بَـيْنَ النَّـوَائِب والأَسْـدَامِ والغِـيَرِ

حَسْبي لَدَى المُوبقاتِ الصُّمِ أَنْتَ فَلا نَرجُو سِـواكَ لِنَيْلِ السُؤْلِ والوَطَرِ
عَليكَ ياذا العَطَا والمن مُعْتَمَـدِي فِـي كُلِّ خَطبٍ أتَى بالغَيْرِ والضَّرَرِ
فاغْفِـرْ وأُكْرِمْ عُبَيْداً مـالَهُ عَمَـلٌ مِـن الصَّـوالحِ يا رَحْمٰنُ في العُمْرِ
لَكِنَّهُ تـائِبٌ مِمَّا جَنَاهُ فَقَـدْ أَتاكَ مُسْتغفراً يَخْشَى مِنَ السَّقَرِ
فـإِن رَحِمْتَ على مَن جَاء مُفْتَقِراً فـأنْتَ أهْلٌ بـه ياربِّ فاغْتَفِـرِ
وإِنْ تُعَـذِّبْ فإني أهْـلُ ذاكَ وذَا عَدْلٌ قَوِيـمٌ بـلا لَوْمٍ ولاَ نُكُـرِ
ثم الصـلاةُ على خَيرِ الخليقـةِ مَن كَفَـاهُ مُعْجِـزَةَ الشـقُّ فـي القَمَـرِ
وآلِـهِ الطيبِـينَ الطُهْـرِ قـاطِبَـةٍ وصَحبِهِ المُكْرَمِينَ السَّادَةِ الغُـرَرِ
ما هَبَّتِ الريـحُ واهْـتَزَ النبـاتُ بها وما تَغَنَّـتْ حَمَـامُ الأَيْكِ فِي السَّحَرِ

فائدة: قال أَحَدُ العُلَماءِ رَأَيْتُ كَثيراً مَا يُزَيِّنُ لِطَالِبِ العِلْمِ أَيَّامَ الْاخْتِبَارِ قِرَأَةُ مَا لَيْسَ مُطَالَباً بِهِ في الإِخْتِبَارِ، وهَذَا مِنْ مَرَضِ النَّفْسِ وَتَسوِيْلِ الشَّيطانِ تَضْعِيْفاً لِلْهِمَّةِ والنَّشاطْ، فإِنَّ العِلْمَ المُطَالِبَ بِهِ فِيه تَكْلِيْفٌ وَأَلْزامَ وَتحمُّلٌ وَأَدَاء، فَهْوَ ثقِيلَ عَلَى النَّفسِ الوَانِيَةِ، والعِلْمُ الذيْ لَمْ يُطَالَبْ بِهِ لَا تَكْلِيْفَ بِهِ فَهوَ خَفِيْفٌ عَلَى النَّفْسِ وَهَذَا مِن هَوَى النَّفْسِ وَسَرِقَةِ الشَّيْطَانِ لَهْ لأَنَّهُ إِنْحراف عن الصَّوابِ النافِعْ.

اللَّهُمَّ اعْطِنَا من الْخَيْرِ فَوقَ ما نَرْجُو اصْرِفْ عنَّا مِن السُّوءِ فَوقَ ما نَحْذَرُ. اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا بِرَجائِكَ واقْطَعْ رَجَاءَنا عَمَّنْ سِوَاكَ. اللَّهُمَّ أَنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوبَنَا فاستُرْهَا وتَعْلَمَ حَاجَاتِنا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وليًا وكَفى بِكَ نَصيرا يارَبَّ العالمينَ، اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الأَخيارِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوالِدَيْنَا ولِجَميْعِ المُسْلِمِينَ الأَحْياءِ منهم والمَيِّتِينَ بِرَحْمتكَ يارحمَ الرَّاحمينَ وصَلَّى اللهُ على مُحمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

الْفَصْلُ الثَّامِنُ: الطبقةُ الرابعةُ طبقةُ العَوامّ وغُرورُهُمْ مِنْ وُجوهٍ: فمنهم مَنْ يُصَلِّي كَيْفَمَا اتَّفَقَ ولا يَسْأَلُ عمَّا يُصْلِحُ الصلاةَ وما يُفسِدُهَا. ومنهم مَنْ

يَواظِبَ على النوافِلِ كالتروايحِ، ولا تكادُ تَجِدُهُ في صلاةِ الجَماعةِ، ومنهم مَنْ يلازِمُ مَجَالِسَ الوَعْظِ ولا يَعْمَلُ بما يَسْمَعُ ولا يَنْتَهي عنْ قَبيحٍ ما يَأتي، كأنَّ المقصودَ الحُضُورُ فقطْ. قُلْتُ: لأنّ مَجَالسَ الذِكْرِ والإرْشادِ إنّما تُفيدُ لِكوْنِهَا مُرَغِّبَةً في الخَيْرِ وباعِثةً في الغالِبِ عليه فإنَّ لَمْ يَنْشأْ عنها ذَلِكَ فلا خيرَ فيها وصِفةُ هؤلاءِ كما قال بعضُ العُلماءِ: كمِثْلِ مريض يَحْضُرُ مَجَالِسَ الأطباءِ وَيَسْمَعُ منهم ما يَصِفونَهُ مِن الأدويةِ ولا يَفْعَلُها وَلَا يَشْتَغِلُ بها فأيُّ فائِدةٍ يَحْصَلُ عليها.

فكُل وَعْظٍ لا يُغيّرُ مِنكَ صِفةً تَتَغَيَّرُ بها أفعالُك حتى تُقْبِلَ على اللهِ عزَّ وجَلَّ وَتُعْرِضُ عن الدنيا وَتُقْبلُ إقْبالاً قويّاً، فإنْ لَمْ تَفْعلْ فذلكَ كان زيادَةَ حُجةٍ عليكَ، وهذا غُرورٌ عظيمٌ.

ومنهم مَنْ يَتَنَفَّلُ بالعباداتِ وَيُهْمِلُ الفرائضَ.

ومنهم مَنْ يَتطَوَّعُ بالخيرِ وَيُكثرُ التسبيحَ مَعَ معامَلَتِهِ بالرِّبا واسْتِعْمَالِ الغِشِّ، وَرُبما صاحَ على وَالِدَيهِ وَأخذَ أعْراضَ الناسِ، وَجُمهورُ الناسِ قد اتَّكَلوا على العفْو والحلمِ فهُمْ مُصِرّون على ذُنوبٍ وخطايا فإذا ذَكَرْتَ لهمُ العُقوبَةَ قالُوا: هو كريمٌ ويَنْسَوْنَ أنه شَدِيْدُ العِقابِ، ومنهم أقوامٌ يَسْتَعْجِلُونَ المعصيةَ مُوَافقةً لِلْهَوَى وَيُضْمِرون أننا سَنَتُوبُ وَيُسَوِّفُونَ بالتوبةِ، ومِنَ العُصاةِ مَنْ يَغْتَرُّ بِفِعْلِ خيرٍ فربما تصَدّق أوْ سبَّحَ وَظَنّ أنّ هذا يُقاوِمُ ذُنوبَهُ.

وَيَنْسَىْ ما حَصلَ منه مِنَ الغِيْبةِ والكَذِبِ والرِّياءِ وغيرِ ذلكَ مِن المعاصِي التي تَقْضِي على الحَسَناتِ التي أمثالُ الجبالِ.

ومِنَ المغترّين مَنْ يغرُّهُ صلاحُ آبائِهِ وربما قال: أبِيْ يَشْفَعُ لي ولا يَدْري أنَّ أباه فُضِّلَ بالتقوَى وكان مَعَ التَقْوَى خائفاً؟ ومِنْ أينَ له أن يَشْفَعَ

لَهُ ، أوْ مَا سَمِعَ قوله تعالى : ﴿ ولا يَشْفعونَ إلا لِمَن ارتضى ﴾ .

وَلَمْ يعلمْ أنَّ نُوحاً عليهِ السلامُ أَرادَ أنْ يَحْمِلَ ابْنَهُ مَعَهُ في السفينةِ فَمُنِعَ منْ ذلكَ وأغرَقَ اللهُ ابنَهُ مَعَ المُغرَقِينَ .

وفي الحديث الصحيحِ أنّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « يا فاطمَةُ لا أُغْنِي عنكِ مِنَ اللهِ شيئاً » فالعاقلُ منْ عَمِلَ على الحِرْصِ وأَخَذٍ بالأَحْوَطِ فمنْ تأمَّلَ العِلمَ وَتَصَفَّحَهُ وشاوَرَ العقلَ دَلَّهُ على الحزْمِ فَسَلِمَ مِنَ الاغْترارِ ، واللَّهُ الموفِّقُ .

وطبقةٌ أخرى أَكَبُّوا على تِلاوةِ كتابِ اللَّهِ وتَركُوا تَدَبُّرَهُ والعملَ بهِ ، وَرُبما خَتموه في يَومٍ وليَلةٍ بأَلْسِنَتِهِمْ ، أما قلوبُهُمْ فهي في أوديةِ الدنيا تَردَّدُ ، ولا تَتَفكَّر في معاني القرآنِ لِتَنْزجرَ بزواجرِه وَتتعظَ بمواعِظِهِ وتقِفَ عندَ أوامِرِه ونَواهِيه وَتَعْتبرَ بمواضِعِ الاعْتبارِ . فَمَنْ قَرأَ كتاباً عِدَّة مراتٍ وتركَ العَمَلَ بهِ يُخْشى عَليهِ مِن العُقُوبَةِ .

وَطَبَقَةٌ اغْتَرُّوا وَأَكْثَرُوا الصِّيامَ وَهُمْ مَعَ ذَلكَ لا يَحْفَظُونَ أَلْسِنَتَهُمْ عن الغِيْبةِ والنميمةِ والكذِبِ والتمَلُّقِ عندَ الفُسَّاقِ وأعْداءِ الدِّينِ وَلاَ يَعْرِفُونَ الْوَلاءَ والبَراءَ ولا يَحْفَظُونَ بُطُونَهُمْ عن الْحَرامِ وَلا أَعْيُنَهم عن النَّظَرِ المُحَرَّمِ وَلا أَسْمَاعَهُم عنِ الملاهِي والمُنكَراتِ وَلاَ يَقُومُونَ عَلى أولادِهِمْ وَيَأْمُرُونهم .

وطبقةٌ أُخْرَى أَكثَرتْ مِن نَوافِلِ الحَجّ مِنْ غَيرِ خُرُوْجٍ مِنَ الْمَظَالِمِ وَقَضَاءِ الدُّيُونِ واسْتِرْضَاءِ الوَالِدَيْن وَلاَ طَلَبُوْا لِذلِكَ الزَّادَ الحَلاَلَ وَرُبَّمَا ضَيَّعُوا صَلاةَ الجَمَاعَةِ أو الصَّلاَةَ المكتُوبَةَ ، وَرُبَّمَا كـانُوا لا يُبالُونَ بالنَّجَاسَاتِ ، وَرُبَّمَا كان نَفَقَةُ أَحَدِهِمْ حَرَاماً كُلَّهُ هَوَ وَرُفَقَاؤُهُ ، وَرُبَّمَا كانَ

مُرائِياً في إنْفَاقِهِ فَيَعْصِي اللهَ في كَسْبِ الحرَام أولاً وفي إنفاقِهِ لِلرِّياءِ ثانياً نَعُوذُ باللهِ مِن الغُرورِ . وفِرقةٌ أخذَتْ في طَرِيْقِ الأَمرِ بالمَعْرُوفِ وارْشادِ الخَلْقِ وانكَرُوْا على الناسِ وتَركُوْا أَنْفُسَهُم وَأوْلادَهُم وَمَنْ يَخْشَوْنَهم أو يَرجُونهم . وَفِرْقَةٌ أُخرى غَلَبَ عليها البُخلُ فلا تَسْمَحُ نُفوسُهم بأداءِ الزكاةِ كَامِلةً مُكَمّلةً يُخْرِجُ مِقدارَ رُبعِهَا فقط وَيتأولُ الباقِي وَيَعِدُ أنه إذا وَجَدَ فقيراً أَعطاهُ وَيَرى أنَّ ما يدفَعهُ إذا تقدَّم فقيرٌ في بعضِ الأيامِ وأعطاهُ كافياً وربما كانتْ زكاتُهُ عدَدَ أيامِ السنةِ مئاتٍ مِنَ الريالاتِ نعوذُ باللهِ من الغُرورِ .

قُلْتُ ومنهم مَن يَدفعُ زكاتَه إلى مَن يَخْدِمه أَوْ يَخْدِمُ أَهْلَه وهذا خَطَأٌ فانْتبِهْ ونَبِّهْ فإنَّ هذا العَملَ وقَايَةٌ لِمَالِهِ وَلَيْسَ زَكَاةً ولا يَخْفَى إلاَّ عَلَى مَنْ عَمِيَتْ بَصِيْرتُهُ وَغَلَبَ عَلَيْهِ البُخْلُ والشُحُ .

اللّٰهُمَّ انظِمْنا في سِلكِ حِزبِكَ المَفلِحِين ، واجْعلنا مِنْ عبادِكَ المُخْلِصين وآمِنَّا يومَ الفَزَعِ الأكبرِ يومَ الدِين ، واحْشُرْنَا مَعَ الذين أنْعَمْتَ عليهم مِنَ النبيين والصِّدِّيقين والشُهداء والصالحِينِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوالِدَيْنَا ولِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِينَ الأَحياءِ منهمْ والميتينَ بِرَحمتِكَ يا أَرْحَمَ الراحمينَ ، وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعِين .

شِعْرَا : الموتُ في كُلِّ حِيْنٍ يَنشُرُ الْكَفَنَا ... ونَحْنُ في غَفْلَةٍ عما يُرَادُ بِنَا

لا تَطْمِئِنَّ إلى الدُّنْيَا وَبَهْجتِها ... وإنْ تَوَشَّحْتَ مِنْ أَثْوَابِهَا الحَسَنَا

أَيْنَ الأَحِبَّةُ والجيرانُ ما فَعلُوا ... أينَ الذين هُمُ كانُوا لَنا سَكَنَا

سَقَاهُم الموتُ كأساً غَيْرَ صَافِيَةٍ ... فَصَيَّرَتْهُمْ لأَطْباقِ الثَّرَى رُهُنَا

تَبْكِيْ المَنَازِلُ مِنْهُمْ كُلَّ مُنْسَجِمٍ ... بالمَكْرُمَاتِ وتَرْثِي البِرَّ والمِنَنَا

حَسْبُ الحِمَام لَوَ آبْقاهُمْ وأَمْهَلَهُمْ ... أَلَا يَظُنَّ عَلَى مَعْلُومِهِ حَسَنَا

اللّٰهُمَّ أظِلنا تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِكَ يَوْمَ لَا ظِلّ إلا ظِلُّكَ وَلَا بَاقٍ إلَّا وَجْهُكَ

وَأَسْقِنَا مِن حَوْضِ نَبيّك شرْبةَ هَنيْئةً لا نَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدَاً حَتَّى نَدْخُلَ الجَنَّةْ ، اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وَوَفِقْنَا لِمَا وَفّقْتَ لَهُ الصّالِحِينَ مِن خَلْقِكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوالِدَيْنَا وجميع المسلمين بِرَحْمتك ياأَرْحَمَ الرَّاحمين وصلى الله على محمدٍ وآلِهِ وصحْبِهِ أجمعين .

موعظـة : خطب عمرُ بنُ عبدِ العزيز آخرَ خطبةٍ خَطَبَهَا فَقَالَ فيهَا : أمَا بَعدُ : « إنكمْ لمْ تُخلقوا عَبَثاً ، ولَنْ تُتْرَكُوا سُدَى ، وإنَّ لَكُمْ مَعَاداً ينزلُ اللهُ فيهِ للفَصْلِ بينَ عبادِهِ ، فقدْ خابَ وخسِرَ مَنْ خَرَجَ مِنْ رحمةِ اللهِ التي وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ وَحُرِمَ جَنةً عرضُها السمواتُ والأرضُ ، أَلَا تَرَوْنَ أنكُمْ في أسلابِ الهالكين ، وَسَيَرِثُها بعدَكُمْ الباقون كذلكَ حتى تُرَدَّ إلى خيرِ الوَارِثين ، وفي كلِ يومٍ تُشَيِّعُون غادياً ورائحاً إلى اللهِ قَضَى نَحْبَه وانقَضى أجلُه فَتَدَعُونَه في صَدْعٍ من الأرضِ غيرَ مُوَسَّدٍ ولا مُمَهَّدٍ ، قَدْ خَلَعَ الأسبابَ ، وفارقَ الأحْبابَ ، وَسَكَنَ الترابَ ، وَوَاجَهَ الحِسابَ ، غَنِيَّاً عَمَّا خَلَّفَ ، فقيراً إلى مَا أسْلَفَ ، فاتقوا اللهَ قَبْلَ نُزولِ الموتِ وانقضاءِ مَوَاقِيتِهِ ،وإنّي لأقولُ لكُمْ هذهِ المقالةَ وما أعلمُ عندَ أحدٍ مِنَ الذنوبِ أكثرَ مِمَّا أعلمُ عندي ، ولكنْ استغفرُ اللهَ وأتوبُ إليهِ ، ثمَّ رفعَ طرْفَ رِدائِهِ وبكَى حتى شهَقَ ثم نزلَ ، فما عادَ إلى المنبرِ بعدَها حتى ماتَ رحْمةُ اللهِ عليه .

شِعْرَا: وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمْعَ مَالٍ وَلَكِنَّ التَّقِّيْ هُوَ السَّعِيْدُ
وتَقْوى اللهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْرَا وعِنْدَ اللهِ لِلْأَتْقَى مَزِيْدُ
ومَا لابُدَّ أَنْ يَأْتِي قَرِيْبٌ ولكِنَّ الذي يَمْضِيْ بَعِيْدُ

آخـر :
أتبكِيْ لِهَذَا الموتِ أمْ أنتَ عارِفُ بِمَنْزِلَةٍ تَبْقَى وَفيها المَتَالِفُ
كَأَنَّكَ قَدْ غُيِّبْتَ في اللَحْدِ والثَرى فَتَلْقَى كَمَا لَاقَى القُرونُ السَّوالِفُ
أَرَى المَوْتَ قَدْ أَفْنَى القُرونَ التي مَضَتْ فَلَمْ يَبْقَ ذُو أَلْفٍ ولم يَبْقَ آلِفُ

كَأَنَّ الفَتَى لم يَغْنَ في الناسِ سَاعَةً | إذا عُصِبَتْ يَوْماً عليه اللَّفائِفُ
وقَامَتْ عَلَيهِ عُصْبَةٌ يَنْدُبُونَهُ | فَمُسْتَعْبِرٌ يَبْكِي وآخَرُ هاتِفُ
وَغُودِرَ في لَحْدٍ كَرِيْهٍ حُلُولُهُ | وتُعْقَدُ مِنْ لِبْنٍ عَلَيْهِ السَّقَائِفُ
يَقِلُّ الغنَى عنْ صَاحِبِ اللَّحدِ والثرَى | بِمَا ذَرَفَتْ فيهِ العُيُونُ الذَّوَارِفُ
ومَا مَنْ يَخَافُ البَعْثَ والنارَ آمِنٌ | وَلَكِن حَزِينٌ مُوْجَعُ القلبِ خائِفُ
إذا عَنَّ ذِكْرُ الموتِ أَوْجَعَ قَلبَهُ | وَهيَّجَ أَحْزاناً ذُنُوبٌ سَوَالِفُ

اللَّهُمَّ يَا عَظِيْمَ العَفْوِ، يَا وَاسِعَ المَغْفِرَةِ، يَا قَرِيْبُ الرَّحْمَةِ، يَا ذا الجلالِ والإكرامِ، هَبْ لَنَا العَافيةَ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ. اللَّهُمَّ يَا حيُّ وَيَا قَيوُّم فرِّغْنَا لِمَا خَلَقْتَنَا لَهُ، ولا تُشْغِلْنَا بِمَا تَكَفَّلْتَ لنَا بِهِ، واجعلنا مِمَّن يُؤمِنُ بلقَائِكَ، ويَرْضَى بقَضَائِك، وَيقْنُعُ بِعَطَائِكْ، وَيَخشَاكَ حَقَّ خَشْيَتِكْ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَنا رَغَدًا، ولا تُشْمِتْ بِنَا أَحَدَ. اللَّهُمَّ آنظِمْنا في سِلكِ حِزبكَ المُفلِحِين، واجْعلنَا مِنْ عِبَادِكَ المُخْلِصين وآمِنَّا يومَ الفَزَعِ الأكبرِ يومَ الدِين، واحشُرْنَا معَ الذين أنعمْتَ عليهم مِنَ النبيين والصِّدِّيقينَ والشُهداء والصالحينِ واغْفِرْ لنَا ولوالدينا ولجميعِ المسلمينَ الأحياء منهمْ والميتينَ برحمتِكَ ياأرْحمَ الراحمينَ، وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعِين.

فصلٌ في العِلْمِ وفضْلِه

العِلْمُ صفةٌ يُمَيِّزُ المُتَّصِفُ بها تميزاً جازِمَاً مطابقاً، وقيلَ هو إدراكُ الشيءِ بِحَقيقتِهِ، والعِلمُ فضلُهُ أَشْهَرُ مِنْ أنْ يُذْكَرَ وهو أفضلُ مِنْ كلِ ما اكتَسَبَهُ الانسانُ وأشْرفُ مُنْتَسَبٍ وأنْفَسُ ذخيرةٍ تُقْتَنَى وأطيب ثمرةٍ تُجْتَنَىْ، بهِ يُتَوصَّلُ إلى الحقائِقِ وإذا عَمِلَ بِهِ الإنسانُ على وَفْقِ الشريعةِ أدْركَ رِضَا الخالِقِ.

والعِلمُ لا يُوصَلُ إلى مَعرفَةِ فَضْلِهِ وجلالَةِ قدْرِهِ إلاّ بالعِلْمِ وَلاَ

يَضِيعُ صاحبُ العِلمِ الدِيْنِيّ الصحيحِ الذي جاء عن النبيّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وَلاَ يَفْتَقِرُ كاسِبُ العِلمِ ولا يَخيبُ طالبُهُ وَلا تنْحطُّ مَرَاتبُهُ ما دامَ مُطَبّقاً لِعِلْمِهِ بالعَمَلِ وَلا يَجْهَلُ شرفَ العِلْمِ إلاّ الجاهلُ لِقُصُورِ فَهْمِهِ عن عَظِيمِ مَنافِعِهِ وكَرِيمِ مَواقِفِهِ ، وَحَامِلُهُ الصائنُ له عن الأدْناسِ عَزيزٌ عندَ الناسِ إنْ قَالَ فكلامُهُ مَرْموقٌ بعَينِ التَّقدِيرِ وَإنْ أَمَرَ فأمرُهُ مَسْمُوعٌ .

وَهُوَ وَسِيلةٌ لِلْفضائِلِ وهو نُورٌ زاهِرٌ لِمَنْ اسْتضاءَ بِهِ وَقُوتٌ هَنِيءٌ لِمَنْ تَقوَّتَ به تَرْتاحُ بِهِ الأَنفُسُ إِذْ هُوَ غِذاءُها وتَفرَحُ بِهِ الأَفئدةُ إذْ هُوَ قُواها

شعــــرا :

أَجَلُّ ما يُبْتَغى دَوْمــاً وَيُكْتَسبُ ... ويُقْتَنَى من حُلَى الدنيــا ويُنْتَخَبُ
عِلْمُ الشَّرِيْعَةِ عِلْمُ النَّفْعِ قد رُفِعَتْ ... لِمَنْ يُزَاوِلُــهُ بَيْنَ الوَرَى رُتَبُ
إنْ عَاشَ عَاشَ سَعِيْداً سَائِداً أَبَــداً ... لا يُسْتَظامُ ولا يُشْنَــا فَيُجْتَنَبُ
وإنْ يَمُتْ فَثَنَاءٌ سَــائِدٌ أَبَــدَا ... وبَعْدَهُ رَحْمَــةٌ ترجَى وتُرْتَقَبُ

وهو يدُلُّ على الخيرِ ، وعَوْنٌ على المُروْءةِ وهوَ الصاحبُ في الغُرْبَةِ والمُؤْنِسُ في الخَلْوَةِ ، والشرفُ في النَسَبِ ولِلْعِلْمِ آثارٌ جليلةُ القدْرِ كمْ جلَّ بهِ مِنْ حقيرٍ .

وكُلَّما كان الرجلُ أعْلَمَ كان جَليلاً عندنا . مضَى سلفُنَا الصالحُ العامِلون بعلمِهِمْ الوَرِعُونَ الذين لا تأخُذُهُم في اللهِ لومةُ لائمٍ الذين إذا ذُكِرُوا ، وَمَا قَامُوا بِهِ مِنْ نَصْرِ دِينِ اللهِ والدعوةِ اليهِ اسْتنارتْ المَجَالسُ وأسْفرتْ الوُجُوهُ وارتاحَتْ الأنفُسُ وَقويَتْ القلوبُ وَنَشِطَتْ الأبدانُ على الطاعاتِ والعِبَاداتِ وَوَدَّ المسْتمِعُونُ المُحبون للدّينِ وأهلهِ أَنْ يَزدادُوا مِنْ أَخبارِهِمْ وَسِيَرِهِم وذلك بما وَهَبَهُمُ اللهُ مِنَ العِلمِ الدِيني والتمّسكِ به

وآثارِهِ الجَليلةِ ، وكانوا خيرَ الناسِ بعدَ النبيينَ وكانوا أشجَعَ الناسِ لأَنَّهمْ عَلِمُوا أنَّ الأجَلَ لا يُطِيْلُه الجُبْنُ وكانوا أغْنَى العَالَمِ نفوساً وأقْواهم تَوَكُّلاً على اللطيفِ الخبيرِ لأَنَّهمْ رَضُوا بِقِسْمةِ مَوْلانا العليمِ الحكيمِ ، وكانُوا مَحطَّ رِحالِ الكَرَمِ والجُودِ لأنهم يعلمونَ أنَّ البُخلَ لا يُرضِي اللهَ ، وكانُوا في الحِلْمِ كالجبالِ الراسِياتِ لِأنهُم عَرَفوا ما لِلحِلْمِ مِن مَزايا دُنيا وأُخرى .

وكانُوا يَسْتَقْبلونَ البَلَايَا بالصبْرِ الجميلِ لِعِلْمِهِمْ أَنَّها بِتَقْدِيرِ وتَصْرِيْفِ الحكيمِ الخبيرِ وكانُوا دائِماً يَسْتَقْبِلون النِعَمَ بالشُكرِ والحَمدِ والثناءِ على اللَّه لِجَزْمِهِمْ أنها لَيْسَتْ منهُم ولا مِنْ سائرِ الْمَخلوقينَ بلْ مِنَ الكريم الدَائم الإِحْسانِ الذي عَمَّ إحسانُه الخَلايَقَ كُلَّهُمْ ، وكانُوا يُحبون الخَيرَ لِبَعْضِهِمْ كَمَحَبَّتِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ عملاً بقولِ الرسولِ الكريمِ « لا يؤمنُ أَحَدُكُمْ حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحبُ لنفسِهِ » ولِعِلْمِهِمْ أن كَرَاهَتَهُم لا تُحْدثُ أيَّ تَغيّرٍ وَقَدْ عَرَفُوا قولَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ لِابنِ عباسٍ يا غُلامُ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ الحَديث رواه الترمذي .

وكانوا لا يُحِبون الشرَّ وأَهْلَهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ . وكانوا يُرَاقِبونَ مَولاهُمْ دَائِماً وَيَعلمونَ أنهُ يَعْلمُ سِرَّهُمْ وَنَجواهُم وأنَه أحاط بكلِ شيءٍ علماً فلِهذا كانُوا إذا قالُوا أوْ فَعَلُوا تَحَرَّوْا ما يُرْضِيه جَلَّ وَعَلا فيما يَقُولونَه وَيفعَلُونَه وَهَكَذا كانوا إذا أرادُوا أنْ يَتَحَركُوا أو يَسْكنوا باسْتِشَارةِ ما وَهَبَهُمُ اللهُ مِنَ العِلمِ الديني يَتَحَرَّكُون وَيَسْكنون لِهذا كانوا لليومِ مَوْضِعَ إِعجابٍ وَنَالوا فوقَ هذا رِضَى رَبِّ العالمينَ هكذا كانوا بِبَركاتِ ما وَهَبَهُمْ مولاهُم مِنَ العلمِ الدِيني والتمسُّكِ بهِ تماماً .

وكانوا أزهَدَ الناسِ في الدُنيا لأَنَّهم يَعلمونَ حقارَتَها وَسُرْعَةَ زَوالِها

وَكَثْرَةَ هُمُومِها وَغُمومِها وإشْغالِها عَنْ طاعةِ اللهِ ولِذالكَ كانَ النـاسُ يُقَدِّرُونهم وَيضْرِبُونَ بِهِمُ الأمثالَ وأنتَ تَرَى أنه على قَدْرِ قَنَاعَةِ العُلَمَآءِ في الدُّنْيَا تَكُونُ مَكَانَتُهُم في نُفُوسِ الناسِ والتَفَافُهُم حَوْلَهم والاسْتِمَاعُ لِنَصائِحِهِمْ والانقيادُ لإرْشاداتِهِمْ والرُجوعُ إليهمْ فِيْمَا يُشْكِلُ عليهِمْ وعَلَى قدْرِ تَعَلّقِ العُلَمَاءِ بِالدُنْيَا وَتَوَجُّهِهِمْ إليها تكونُ زَهَادَةُ الناسِ في العُلماءِ وَعَدمُ الثِّقَةِ بِهِمْ واتِّهَامُهُم والنُفْرَةُ مِنهُم وأَكْلُ لُحُومِهِمْ وَعَدمُ قبولِ كلامِهِمْ وإرشادِهِمْ وَنَصائِحِهم فلا يَسْمعونَ لهمْ قَولاً ولا يُعَوّلُون عَليهِمْ في ما يَجْهَلُونَهُ وَيَحْرِصُونَ على البُعْدِ عنهُمْ وَيستثْقِلُونهم والسببُ الوحيدُ كما عَلمتَ أولاً هو التعلقُ بالدنيا ضِدَّ ما عليه السلفُ الصالحُ .

قال بعض العلماء : إعلم أيها الإِنسان أن الدنيا مَنْزلةٌ وليَستْ بدَار قَرارٍ والانِسان مُسافِر فأولُ مَنازلِه بَطنُ أمه وآخرُ منازلِه لحدُ قَبرهِ وإنما وَطَنُهُ وقَرارُهُ ومُكْثُه واسْتقرارُهُ بَعدَهَا في هذا .

واخْتُصِرَ أحَدُ العُبَّادِ فقال ما تأسُّفي على دَارِ الهُمُوم والأنكَادِ والأَحْزَانِ والخَطَايَا والذُنُوبِ وَإنَّما تأسُّفِي عَلىَ لَيْلَةٍ نمْتَها ويومٍ أفطَرتُه وَساعَةٍ غَفَلْتُ فيها عن ذِكْرِ الله ثَمَّ ماتَ رَحِمَهُ الله .

وَقال مُطَرِّفُ بْنُ الشِّخِيرِ : إنَّ هَذا الموتَ نَغَّصَ على النَّعِيمِ نعِيْمَهُمْ ، فأطْلُبُوْا نَعِيْماً لا مَوْتَ فيه ، فكَيْفَ وَوَرَاءَهُ يوم يُعَدُّ فيه الجَوَابُ وَتَدْهَشُ فيه الأَلْبَابُ ، وتَفْنَى في شَرْحِهِ الأَقْلامُ والكُتَّابُ .

وَقَال غَيْرُهُ : كُلُ سَنةٍ تَنْقَضِي مِن الإِنسان فكالمرحَلِةِ . وَكلُ شَهْرٍ يَنْقَضِي مِنْهُ فكَاسْتَراحَةِ المُسَافِرِ في طَرِيق وَكُلُ أُسْبُوعٍ فكَقَرية تَلقَاهُ . وكلُ يومٍ فكَفَرْسَخٍ يَقْطَعُهُ .

وكُـلُ نَفَسٍ كَخَـطوةٍ يخْطُوهَا . وبقدرِ كُلِّ نَفَسٍ يَتَنَفّسُهُ يَقْرُبُ مِنِ الآخرِةِ وَهذه الِدنيا قَنْطَرةٌ فَمَنْ عَمَرَ القنطَرةَ واسُتَعجَل بِعِمارتها فَنيَ فيها زَمَانه .

ونَسيَ المنزلةَ التي هِيَ مَصيْرُهُ ومَكَانُه . وكان جاهَلاً غَيْرَ عَاقِل .

وإنما العاقِلُ الذي لَا يَشْتَغِلُ في دُنْياهُ إلَّا لاسْتِعْدَادِهِ لِمعادِه وَيكْتَفِي منَها بقدَرِ الحاجةِ ومهما جَمعَهُ فَوقَ كِفَايتِهِ كان سُماً نَاقعاً ويتمنىَ أن تكُونَ جميعُ خَزَائِنِهِ وسَائِرُ ذَخَائِره رَمَاداً وتُراباً لا فِضَّةً ولا ذَهباً ولوَ جَمَعَ مَهْمَا جَمَعَ .

فإن نصِيبَهُ مَا يَأكلُه ويلْبُسهُ لا سِوَاهُ وجَميعُ ما يُخَلّفهُ يكونُ عليه حَسرْةً ونَدَامَةً وَيصْعُبُ عليهِ نَزْعُهُ عِندَ مَوْتِه فَحلاَلُها حِسابٌ . وحَرَامُها عَذَابٌ . إن كانَ قَدْ جَمعَ المالَ مِن حَلالِ طُلِبَ منه الحِسابَ .

وان كانَ قَدْ جَمعَ مِن حَرَامٍ وَجَبَ عَليهِ العذابُ . وكان أشَدَّ عَليه من حَسْرَتهِ ، حُلُولُ العَذاب في حُفْرَتهِ ومَعَ هذا جَميعُه إذا كان إيمانُه صَحيْحاً سَالماً لِحَضْرَةِ الدَّيانِ . فلا وَجْه ليأسهِ منِ الرحمةِ والرضوان . فإن اللّه جَواد كَريْمٌ غفورٌ رَحيم .

واعْلَمَ أنَّ رَاحَـةَ الـدُنيا أيامٌ وأكْثَـرُهَـا مُنَغصٌ بالتّعب مَشُـوبٌ بالنَّصبَ . وبسببها تفُوتُ رَاحَةَ الآخرةِ التي هِيَ الدائمةُ والمُلْكُ الذي لانهايَةَ لَه ولا فَناء . فَيسْهُلَ علَى العاقِلِ أن يَصْبِرَ في هذهِ الأيام القَلائلِ لينِالُ راحةً دائمةً بلا انقضاء .

شعرا : ومَن يَصْطُبِرْ لِلْعِلْمَ يَظْفَرْ بنَيْلِـهِ ... وَمَنْ يَخْطُبِ الحَسنَاءِ يَصْبِرْ على البَذْلِ
ومَنْ لا يُذِلُ النَفْسَ في طَلَبِ العُلَى ... يَسِيْراً يَعَشْ دَهْراً طَوِيْلاً أَخَـاذُلِ

قال ابنُ القيِّم رحمهُ اللّهُ :

كُلُّ مَنْ آثرَ الدنيا مِنْ أَهْلِ العِلمِ واسْتَحبَّها فلا بُدَّ أنْ يَقُوْلَ على اللهِ غيرَ الحقّ في فَتْواهُ وَحُكْمِهِ ، فِي خَبَرِهِ وإلزامِهِ لأنَّ أحكامَ الربِّ سبحانَه كَثيراً ما تأتِي على خِلافِ أغْراضِ الناسِ ، وَلَا سِيَّما أهلُ الرِّيَاسَةِ والذين يَتَّبِعون الشُبُهاتِ فإنَّهُمْ لاَ تَتِمُّ لَهُمْ أَغْرَاضُهم إلاّ بِمُخالَفَةِ الحقِّ وَدَفْعِهِ كَثِيْراً فإذا كان العالِمُ والحاكمُ مُحبْينَ لِلرِّياسةِ مُتَّبِعِينَ للشهَوَاتِ

لَمْ يَتِمَّ لَهُمَا ذَلكَ إلا بِدَفْعِ ما يُضادُّه مِنَ الحقِ ولاَ سِيَّما إذا قامَتْ لَهُ شُبْهَةٌ فَتَتَّفِقُ الشُبْهَةُ والشَّهْوَةُ وَيَثُورُ الهَوَى فَيَخْفَى الصَّـوابُ وَيَنْطَمِسُ وَجْـهُ الْحَقِّ ، وإذا كان ظاهراً لا خَفاءَ بِهِ وَلا شُبْهَةَ فيهِ أقدم على مُخالفَتِهِ وقال لِي مَخْرَجٌ بالتوبةِ وفي هؤلآءِ وأشباهِهِمْ قال تعالى : ﴿ فَخَلِفَ مِنْ بعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتابَ يأخذون عَرَضَ هذا الأدنى وَيقُولُون سَيُغْفَرُ لنا وإنْ يأتِهِمْ عَرَضٌ مثلُهُ يأخذوه ألَمْ يُؤخَذْ عليهِمْ مِيثاقُ الكتاب أنْ لا يقولوا على اللّه إلا الحَقّ وَدَرَسُوا ما فيهِ والدارُ الآخـرةُ خيرٌ للذين يَتقُـون أفلا تعقلون ﴾ .

فأخْبَرَ سُبحانَهُ أَنَّهُمْ أَخَذُوْا العَرَضَ الأدْنَى معَ عِلْمِهِمْ بِتَحْرِيمِهِ عليهِمْ وقالوا سَيُغْفَرُ لَنا وإنْ عَرَضَ لهم عَرَضٌ آخرُ أخذُوهُ فَهُمْ مُصِرُّونَ على ذلك وهو الحامِلُ لهمْ على أنْ يقولوا على اللهِ غيرَ الحقّ فيقولُونَ هذا حُكْمُهُ وَشَرْعُهُ ودِينُهُ وهُمْ يَعْلَمُونَ أنَّ دينَهُ وَشَرْعَهُ وَحُكْمَهُ يُخالِفُ ذلك أوْ لاَ يَعلَمُوا أنَّ ذلك دِينُه وشرعُه وحُكْمُه فَتارةً يقولون على اللهِ مالا يَعْلَمُونَ وتارةً يقولون عليهِ ما يَعْلَمُون بُطْلانَهُ : قال وهؤلآءِ لا بُدَّ أنْ يَبْتَدِعُوا في الدينِ مَعَ الفُجورِ في العَمَلِ فَيَجْتَمِعُ لَهُمْ الأَمْرَانِ فإنَّ اتباعَ الهَوَى يُعْمِي عَيْنَ القلبِ فلا يُميزِ بينَ السُنَّةِ والبِدْعَةِ أو يُنَكِّسُهُ فيرَى البِدْعةَ سُنَّةً والسُّنَّةَ بِدْعَةً فهذِهِ آفةُ العُلَمآءِ إذا آثرُوا الدُنيا وَآتبَعُوا الرِيَّاسَاتِ والشَهَواتِ وهَذهِ الآياتُ فيهِمْ إلى قولِهِ تعالى : ﴿ وآتْلُ عليهِمْ نَبَأَ الذِي آتيناهُ آياتِنَا فانسَلَغَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشيطانُ فكان مِنَ الغاوينَ وَلوْ شِئْنا لَرَفَعْنَاهُ بها وَلكِنَّهُ أخْلَدَ إلى الأرضِ واتَّبَعَ هواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكلبِ إنْ تَحْمِلْ عليهِ يَلْهَثْ أو تَتْرُكْه يلهثْ ﴾ . فهذا مَثَلُ عالِمِ السوءِ الذي يعملُ بِخِلافِ عِلْمِهِ .

وخِتاماً فإنَّ العَاقِلَ اللَّبِيْبَ يَتَأَسَّفُ على إهْمالِ كِتابِ اللهِ وَسُنةِ

رَسولِهِ صلى اللهُ عَليهِ وسلمَ وَكُتُبِ أَهْلِ العِلْمِ والإيمانِ يَبْنَى عليهما الغُبارُ ويُسْتبدلُ بِهِما قَتْلُ الوَقْتِ في ألُوْوَ كَمْ باع فلانٌ وكم شَرَى فلانٌ وأيْنَ قَضَّيْتَ العُطْلَةَ فيهِ وأيْنَ تقضِّي المُسْتَقْبَلَةَ وارْفَعْ الجَريدةَ وأعْطِنِي الأخرَى وأينَ المَجَلَّةُ الفُلانِيَّةُ وما الذِي ظَهَر في التلفزيونِ وماذا بالإذاعةِ الفلانيةِ هذا وأمثالهُ كثيرٌ مِنْ نَوَاحِي معلوماتِنا مَعْشَرَ هذا الجيل يَشِبُّ الواحدُ مِنَّا وَيَشِيْبُ وهو جاهلٌ بِسِيَرِ سَلَفِنَا وتَطْبيقِها والاقتِداءِ بِمَنْ أَمَرَنا سيدُنا ومولانا باتِباعِهِمْ مِن رُسُلِهِ الكِرامِ وَمَن اقتدَى بِهِمْ وَحَذَا حَذْوَهُمْ وَنَهجَ مَنْهَجَهُم مِمَّنْ تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عن المضاجعِ يَدْعُونَ رَبَّهُم خَوْفاً وطَمَعاً ومِمَّا رَزَقَهُم مَوْلاهم ينفقون ﴿ وعبادُ الرحمنِ الذين يمشون على الأرضِ هَوْناً وإذا خاطبهم الجاهلونَ قالوا سَلاماً ﴾ إلى آخر السورة .

اللَّهُمَّ إليكَ بدُعائِنا تَوَجَّهْنا وَبِفِنَائِكَ أنَخْنَا وإيَّاكَ أَمَّلْنَا وَلِمَا عِندَكَ مِنَ الجُودِ والإحسانِ طَلَبْنا وَلِرَحْمتِكَ رَجَوْنا وَمِنْ عَذَابِكَ أَشْفَقْنَا وَلِغُفْرانِك تَعَرَّضْنا . اللَّهُمَّ أَحْيِيْ قُلُوباً أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ يَاأَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنَّوَالِ وَجَادَ بِالإِفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَيْقِضْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ ، وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

هَذِه قَصِيْدَةُ تحتَوي عَلَى الحَثِّ عَلَى طَلَبِ العِلْمِ والزُّهْدِ في الدُّنْيَا والإِقْبَالَ عَلَى الآخِرَةْ .

تَـفُـتُّ فُـؤادَكَ الأَيَّـامُ فَـتَّـاً
وتَـنْـحَـتُ جِسْـمَـكَ السـاعـاتُ نَـحْتـاً

وَتْــدعُــوكَ الــمَــنُــونُ دُعَــاءَ صِــدْقٍ
أَلاَ يَــا صَــاحِ أنــتَ أُريــدَ أنْــتَــا
أَرَاكَ تُــحِــبُّ عِــرْسَــاً ذاتَ غَــدْرٍ
أبــتَّ طــلاقَــهــا الأكْــيَــاسُ بَــتَّــاً
تَــنَــامُ الــدَّهــرَ ، وَيحَــكَ ، في غَطِيْطٍ
بِــهَــا حَــتَّــى إذا مِــتَّ آنــتَــبَــهْــتَــا
فَــكَــمْ ذَا أَنْــتَ مَــخْــدُوْعٌ فَــحَــتَّــى
مَتَى لاَ تَــرْعَــوِي عنــهــا وَحَــتَّــى ؟!
أَبَــا بَــكْــرٍ دَعَــوْتُــك لَــوْ أَجــبــتَ
إلــى مــا فِــيــهِ حَــظُّكَ لــو عَــقِــلْتَــا
إلــى عِــلْــمٍ تــكــونُ بــهِ إمــامــاً
مُــطاعــاً ، إنْ نَــهَــيْــتَ وإنْ أَمَــرْتَــا
وَيَــجْلو مــا بِــعَــيْــنِــكَ مِنْ غِــشَــاءٍ
وَيَــهْــدِيْــكَ الــصِــراطَ إذا ضَــلَلْتَــا
وَتَــحْــمِــلُ مِنــهُ في نــادِيــكَ تَــاجــاً
وَيَــكْــسُــوكَ الــجَــمَــالَ إذا آغْــتَــرَبْــتَــا
يَــنَــالُــكَ نَفــعُــهُ مــا دُمْــتَ حــيَّــاً
وَيَــبْــقَــى ذِكْــرُهُ لَــكَ إنْ ذَهَــبْــتَــا
هُــوَ العَضْــبُ المُهــنَّــدُ لَــيْسَ يَــكْبُــو
تَــنَــالُ بِــهِ مَــقَــاتِــلَ مَــنْ ضَــرَبْــتَــا
وكَــنْــزٌ لا تــخَــافُ عــلــيــهِ لِــصَّــاً
خفيفُ الحَــمْــلِ يُــوجَــدُ حيثُ كُنْــتَــا
يَــزِيــدُ بِــكَــثْــرةِ الإنــفــاقِ مِــنْــهُ

وَيَـنْـقُصُ إنْ بِـهِ كـفّـاً شَـدَدْتَـا

فـلو قـدْ ذُقْتَ مِـنْ حَلْواهُ طَـعْـمَـاً

لآثَـرْتَ الـتَـعَـلُّمَ واجـتـهـدْتَـا

ولـم يَـشْـغَـلْكَ عـنـهُ هَـوَىً مُـطاعٌ

ولا دُنْـيَـا بِـزُخْـرُفِـهَـا فُـتِـنْـتَـا

وَلا يُـلْهِـيـكَ عَـنْـهُ أنـيـقُ رَوْضٍ

ولا خَـوْدٌ بـزيـنَـتِـهَـا كُـلِفْـتَـا

فَـقُـوْتُ الـرُّوحِ أرْواحُ الـمَـعَـالـي

وَلـيس بـأنْ طَعِـمْـتَ وأنْ شَـرِبْـتَـا

فَـوَاظِـبْـهُ ، وَخُـذْ بـالجِـدِّ فـيـهِ

فـإنْ أعـطاكَـهُ الـبـارِي أَخَـذْتَـا

وإنْ أُوتـيْـتَ فِـيـهِ بِـطُولِ بَـاعٍ

وقـال الـنـاسُ : إنـكَ قـدْ سَـبَـقْـتَـا

فـلا تـأْمَـنْ سُـؤالَ الـلهِ فـيـهِ

بـتَـوْبِـيْـخٍ ، عَـلِمْتَ فـهـلْ عَمِلْتَـا ؟!

فَـرَأسُ الـعِـلْمِ تَـقْـوَى الـلهِ حَـقّـاً

وَلَـيْسَ بـأن تَـعَـالَـى أوْ رَئِـسْـتَـا

وَضَـافِـي ثَـوْبِـكَ الإحـسـان لَا أنْ

تُـرَى ثـوبَ الإسـاءةِ قـد لَـبِـسْـتَـا

وإنْ أَلْـقَـاكَ فَـهْـمُـكَ فـي مَـهَـاوٍ

فَلَيْـتَـكَ ثـم لَـيْـتَـكَ مـا فَـهِـمْـتَـا

إذا مـا لـمْ يُـفِـدْكَ الـعـلمُ خَـيْـراً

فَـخيـرٌ مِـنْـهُ أنْ لَـوْ قَـدْ جَـهِـلْتَـا

سَـتَـجْـنِـي مِـنْ ثِـمـارِ الـلَّهْـوِ جَـهْـلاً

وَتَصْغُرُ في العُيُونِ إذا كَبِرْتَا
وَتُفْقَدُ إنْ جَهِلْتَ، وأنتَ باقٍ
وَتُوجَدُ إنْ عَلِمْتَ إذا فُقِدْتَا
سَتَذْكُرُ لِلنَّصِيْحَةِ بَعْدَ حِينٍ
وَتَطْلُبُها إذا عَنْهَا شُغِلْتَا
وَسَوْفَ تَعَضُّ مِنْ نَدَمٍ عليها
وَمَا تُغْنِي النَّدَامَةُ إنْ نَدِمْتَا
إذا أبْصَرْتَ صَحْبَكَ في سَمَاءٍ
وقَدْ رُفِعُوا عليكَ، وَقَدْ سُفِلْتَا
فراجعها وَدَعْ عنكَ الهُوَيْنا
فَمَا بالبُطْءِ تُدْرِكُ ما طَلَبْتَا
وَلاَ تَحْفِلْ بِمَالِكَ، وَالْهُ عنهُ
فَليسَ المَالُ إلا مَا عَلِمْتَا
وليسَ لِجَاهِلٍ في الناسِ مَغْنَىً
وَلَوْ مُلْكُ الأنَامِ لَهُ تَأتَّى
سَيَنْطِقُ عنْكَ مالُكَ في نَدِيٍّ
وَيَكْتُبُ عنكَ يَومَاً إنْ كَتَبْتَا
وما يُغْنِيْكَ تَشْيِيدُ الْمَبَانِي
إذا بالجَهْلِ دِينَكَ قد هَدَمْتَا
جَعَلْتَ المَالَ فوقَ العِلْمِ جَهْلاً
لَعَمْرُكَ في القَضِيَّةِ مَا عَدَلْتَا
وَبَيْنَهُمَا بِنَصِّ الوَحْيِ فَرْقٌ
سَتَعْلَمُهُ إذا «طَهَ» قَرأْتَا

لَئِنْ رَفَعَ الغَنِيُّ لِوَاءَ مَالٍ
فَأَنْتَ لِوَاءَ عِلمِكَ قَدْ رَفَعْتَا
وإنْ جَلَسَ الغَنِيُّ على الحَشَايَا
فأنتَ على الكواكِبِ قدْ جَلَسْتَا
وإنْ رَكِبَ الجِيادَ مُسَوَّماتٍ
فأنتَ مَنَاهِجَ التقْوى رَكِبْتَا
وَمَهْمَا افتَضَّ أبكَارَ الغَوَاني
فكَمْ بِكْرٍ مِنَ الحِكَمِ افْتَضَضْتَا
وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الإقْتَارُ شَيْئاً
إذا مَا أنْتَ رَبَّكَ قدْ عَرَفْتَا
فيَامَا عِنَدَهُ لكَ مِنْ جَزِيْلٍ
إذا بِفِنَاءِ طَاعَتِهِ أَنَخْتَا
فَقَابِلْ بالقَبُولِ صَحيْحَ نُصْحِي
وإنْ أعْرَضْتَ عنهُ فقَدْ خَسِرْتَا
وإنْ راعَيْتَهُ قَوْلاً وَفِعْلاً
وَعامَلْتَ الإلٰهَ بِهِ رَبِحْتَا
فَلَيْسَتْ هذه الدنيا بشيءٍ
تَسُوْؤكَ حُقْبَةً ، وَتَسُرُّ وَقْتَا
وَغَايَتُهَا إذا فَكَّرْتَ فِيها
كَفَيْئِكَ ، أوْ كَحُلْمِكَ إنْ رَقَدْتَا
سُجِنْتَ بِهَا وأنتَ لَهَا مُحِبٌّ ،
فكَيفَ تُحبُّ مَنْ فِيها سُجِنْتَا ؟!
وَتُطْعِمُكَ الطَّعَامَ وَعَنْ قَلِيْلٍ

سَتُـطْعَمُ مِنْـكَ مـا مِنْهَـا طَعِمْتَـا
وَتَـعْـرَى إنْ لَبِـسْـتَ بِـهَـا ثِـيـابـاً
وَتُـكْـسَـى إنْ مَـلاَبِـسَـهَـا خَـلَعْـتَـا
وَتَـشْـهَـدُ كُـلَ يَـوم ٍ دَفْـنَ خِـلٍّ
كـأنـك لا تُـرادُ بِـمَـا شَـهِـدْتَـا
ولـمْ تُـخْـلَقْ لِتَـعْـمُـرَهَـا ، وَلَـكِنْ
لِتَعْبُـرَهـا ، فَجِـدَّ لِـمَـا خُلِقْـتَـا
وإنْ هُـدِمَـتْ فَـزِدْهَـا أَنْـتَ هَـدْمـاً
وَحَـصِّنْ أَمْـرَ دِينِـكَ مَـا اسْتَـطَعْتَـا
ولا تَـحْـزَنْ لِمَـا قـدْ فـاتَ مِـنْـهـا
إذا مَـا أَنْـتَ فـي أُخْـرَاكَ فُـزْتَـا
فَـلَيسَ بِـنَـافِـعٍ مـا نِـلْتَ مـنـهـا
مِنَ الفـانِـي اذا البـاقـي حُـرِمْتَـا
وَلاَ تَـضْحَـكْ مَـعَ السُفـهـاءِ جَـهْـلاً
فـإنَّـكَ سَـوف تَـبْكِيْ إنْ ضَـحِـكْـتـا
وَكَـيـفَ بِـكَ الـسُـرورُ وأنـتَ رَهْـنٌ
ولا تَـدْرِي غَـداً أنْ لَـوْ غُـلِبْـتَـا ؟!
وسَـلْ مِـنْ رَبِّـكَ التـوفـيـقَ فـيـهـا
وأَخْـلِصْ فـي الـدُعـاءِ إذا سَـأَلْـتَـا
ونـادِ إذ سُـجِـنْـتَ بِـهِ اعْـتِـرافـاً
كَـمَـا نَـادَاهُ ذُو الـنُّـونِ بـنُ مَـتَّـى
ولازِمْ بـابَـهُ قَـرْعـاً عَـسَـاهُ
سَـيَـفْـتَـحُ بـابَـهُ لَـكَ إنْ قَـرَعْـتَـا

وأكْـثِـرْ ذِكْـرَهُ فـي الأرِضِ دَابَـاً
لِـتُـذْكَـرَ في الـسـمـاءِ إذَا ذَكَـرْتَـا
وَلاَ تَـقُـلِ الـصِّـبَـا فيـه امْـتِهـالٌ
وَفَـكِّـرْ، كَـمْ صَغِيْـرٍ قـدْ دَفَـنْـتَـا
وَقُـلْ لِيْ : يَـا نَصِيْحِيْ لأَنْـتَ أوْلَـى
بِـنُصْحِـكَ ، إذْ بِعَـقْلِكَ قَـدْ عُـرِفْتَـا
فَـتَـعْـذِلُـنـي عـن الـتَّـفْـرِيطِ يَـوْمـاً
وبـالـتـفـرِيْطِ دَهْـرَكَ قـد قَـطَعْـتَـا
وفـي صِـغَـرِيْ تُـخَـوِّفُـني الـمَـنَـايَـا
وَمَـا تَـجْـرِيْ بِبَـالِـكَ حِيْنَ شِـخْتَـا
وَكُـنْـتَ مَـعَ الـصِّـبَـا أهْـدَى سَـبيـلا
فَـمَـا لَـكَ بَعْـدَ شَيْبِـكَ قَـدْ نُكِسْـتَـا
وَهَـا أنَـا لَـمْ أخُضْ بَحْـرَ الـخَـطايـا
كمـا قـد خُـضْـتَـهُ حَـتَّـى غَـرِقْتَـا
وَلَـمْ أشْـرَبْ حُـمَـيَّـا امِّ دَفْـرٍ
وأنْـتَ شَـرِبْتَـهـا حَـتَّـى سَـكِـرْتَـا
ولـم أحْـلِلْ بِـوَادٍ فـيـهِ ظُـلْمٌ
وأنْـتَ حَللتَ فـيـهِ ، وانْـتَـهَـكْـتَـا
ولـمْ أنْـشَـأْ بـعَـصْـرٍ فـيـهِ نَـفْـعٌ
وأنـتَ نشَـأْتَ فيـه ، فمـا انْتَفـعْـتَـا
ونـاداكَ الـكِـتـابُ فـلمْ تُـجِـبْـهُ
وَنَـبَّـهَـكَ الـمَشيبُ فـمـا انـتبـهْتَـا
وقـد صـاحـبْـتَ أعْـلامـاً كَـثِـيْـراً

فلَمْ أرَكَ انْتَفَعْتَ بِمَنْ صَحِبْتَا
وَيَقْبُحُ بالفَتى فِعْلُ التَّصَابِي
وأقْبَحُ منه شَيْخٌ قدْ تَفَتَّى
فأنْتَ أحَقُّ بالتفنيدِ مِنّي
ولو سَكَتَ المُسِيءُ لَمَا نَطَقْتَا
فَنَفْسَكَ ذُمَّ، لا تَذْمُمْ سِوَاهَا
بِعَيْبٍ، فَهْيَ أجْدرُ إنْ ذَمَمْتَا
ولو بَكَتِ الدِّمَا عَيْنَاكِ خَوْفاً
لِذَنْبِكَ لمْ أقُلْ لَكَ قدْ أمِنْتَا
فَمَنْ لَكَ بالأمانِ وأنْتَ عبدٌ
أُمِرْتَ، فما ائتَمَرْتَ، ولا أطَعْتَا
فَسِرْتَ القَهْقَرى، وَخَبَطْتَ عَشْواً
لَعَمْرُكَ لَوْ وَصِلْتَ لَمَا رَجَعْتَا
ثَقُلْتَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَلَسْتَ تَخْشَى
لِجَهْلِكَ أنْ تَخِفَّ إذا وُزِنْتَا
وَلَوْ وَافَيْتَ رَبَّكَ دُونَ ذَنْبٍ
وناقَشَكَ الحِسابُ إذاً هَلَكْتَا
ولم يَظْلِمْكَ في عَمَلٍ، ولَكِنْ
عَسِيرٌ أنْ تَقُومَ بما حَمَلْتَا
تَوَجَّعُ لِلْمُصِرِّ على الخَطَايَا
وَتَرْحَمُهُ، وَنَفْسَكَ مَا رَحِمْتَا
ولو قد جِئْتَ يومَ الفصْلِ فَرْداً
وأبْصَرْتَ المَنازِلَ فيهِ شَتَّى

لأعظمت الندامة فيه لهفاً
على ما في حياتك قد أضعتا
تفر من الهجير وتتقيه
فهلاّ من جهنم قد فررتا !!
ولست تطيق أهونها عذاباً
ولو كنت الحديد بها لذبتا
ولا تكذب، فإن الأمر جد
وليس كما حسبت، وما ظننتا
أبا بكر، كشفت أقل عيبي
وما استعظمته منها سترتا
فقل ما شئت فيّ من المخازي
وضاعفها، فإنك قد صدقتا
ومهما عبتني فلفرط علمي
بباطنتي كأنك قد مدحتا
ولا ترضى المعائب فهي عار
عظيم، يورث الإنسان مقتا
وتهوي بالوجيه من الثريا
وتبدله مكان الفوق تحتا
كذا الطاعات تبلغك الدراري
وتجعلك القريب، وإن بعدتا
وتنشر عنك في الدنيا جميلاً
فتلقى البر فيها حيث شئتا
وتمسي في مساكنها عزيزاً

وَتَجْنِي الحَمْدَ مِمَّا قد غَرَسْتَا
وأَنْتَ اليومَ لَمْ تُعْرِفْ بِعَيْبٍ
وَلَا دَنَّسْتَ ثوبَك مُذْ نَشَأْتَا
ولا سَابَقْتَ في مَيْدانِ زُورٍ
ولا أوْضَعْتَ فيه ، ولا خَبَبْتَا
فإنْ لمْ تَنْأَ عنهُ نَشَبْتَ فيهِ
فَمَنْ لَكَ بالخَلاصِ إذا نَشَبْتَا ؟!
وَدُنِّسَ مِنْكَ ما طَهَّرْتَ حَتَّى
كَأَنَّكَ قَبْلَ ذلكَ ما طَهُرْتَا
وصِرْتَ أسِيرَ ذَنْبِكَ في وِثاقٍ
وكيْفَ لَكَ الفِكَاكُ وَقَدْ أُسِرْتَا ؟!
فَخَفْ أبْنَاءَ جِنْسِكَ ، واخْشَ مِنْهُمْ
كَمَا تَخْشَى الضَّراغِمَ والسَّبَنْتَا
فَخَالِطْهُم ، وَزَايِلْهُمْ حِذاراً
وكُنْ كالسّامِرِيّ إذَا لُمِسْتَا
وان جَهِلُوا عليكَ فقُلْ : سلامٌ
لَعَلَّكَ سَوْفَ تَسْلَمُ إنْ سَلِمْتَا
وَمَنْ لَكَ بالسَّلامَةِ في زَمَانٍ
يُزِلُّ العُصْمَ إلَّا إنْ عُصِمْتَا
ولا تَلْبَثْ بِحَيّ فيهِ ضَيْمٌ
يُمِيْتُ القَلْبَ إلَّا إنْ كُبِلْتَا
فَغَرِّبْ ، فالتَّغَرُّبُ فيه خَيْرٌ
وَشَرِّقْ إنْ بِرِيقِكَ قَدْ شَرِقْتَا

فَلَيسَ الزُهْدُ في الدنيا خُمُولاً
فأنْتَ بها الأميرُ إذا زَهِدْتَا
فَلَو فَوقَ الأمِيرِ يكُونُ عَالٍ
عُلُوّاً وارْتِفَاعاً كُنْتَ أنْتَا
فإنْ فارَقْتَهَا ، وَخَرجْتَ منها
إلى دارِ السَّلامِ ، فقد سَلِمْتَا
وإنْ أكْرمتَها ، وَنَظَرْتَ فيها
بإجْلالٍ ، فنفسَكَ قدْ أهَنْتَا
جَمَعْتُ لَكَ النَّصَائحَ فامتَثِلْها
حَيَاتَكَ ، فَهْيَ أفضلُ ما امتَثَلْتَا
وَطَوَّلْتُ العِتَابَ ، وَزِدْتُ فيهِ
لأنكَ في البَطَالةِ قدْ أطَلْتَا

فَلَا تَأْخُذْ بَتقصِيرِيْ وسَهْوي   وَخُذْ بِوَصِيَّتي لَكَ إنْ رُشِدْتَا
وَقَدْ أَرْفَقْتُهَا سِتَّاً حِسَاناً   فَكَانَا قَبْلَ ذَا مِأةً وَسِتَّا
وَصَلَّى اللهُ مَا أوْرَقْ نَضَارٌ   عَلَى المختارِ في شَجَرٍ وَحَنَّا

اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الإنْسَانَ في أَحْسَنِ تَقْوِيْمٍ وَبِقُدْرَتِهِ التِيْ لَا يُعْجِزُهَا شَيءٌ يُحْيِي العِظَامَ وَهْيَ رَمِيْمٌ نَسْأَلُكَ أنْ تَهْدِيْنَا إِلَىٰ صِرَاطِكَ المُسْتَقِيْمِ صِرَاطِ الَّذِيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

موعظة : عباد الله سَيَصْحُو السكرانُ من سُكْرِهْ ، حِيْنَ لا يُمْكِنهُ تَلافي أَمْرِهْ وسَيَنْدَمُ المضيع على تَضْيِيْعِهْ ، إذا قَابلَهُ أَمْر صَنيعهْ ، وسَيُقَصرُ الأَمَلَ من أمله وَقْتَ هجُومِ أَجَله ، وتعذر الزيادة في عَمَله ، والخروج من بين مالِه وأَهْلِهْ .

هُنَالِكَ يَستحَيْلُ حُلْوُ العيش مُرًا ويَنْقَلبُ عُرْفُ الأمر نُكْرَا ، ويَعْلم جَامعُ الحطام الذي أضاع بِهِ أوقاته أن الباقيات الصالحات أبْقَى ذِكرا وأنفعُ ذُخْرًا ، ليس في ظل الدنيا مقيل ولا على هَذه الحياة تَعْوِيْل .

كَيفَ يطمعُ عاقِلٌ في الاقامة بدار الرحيل ، كيف يَضحَك من هو محْفُوفٌ بمُوجبات البُكاء والعَويْل ، أسْمَعَنا الناصِحُ فتَصَامَمْنَا ، وأيْقَظَتْنَا الغيَرُ فتَنَاوَمْنَا ، ورضينا بالحياة الدنيا منِ الآخرِة ، واشْتَرَيْنَا ما يَفْنَى بما يَبْقَى فتلِكَ إذًا صفقَةٌ خَاسِرة .

أَيْنَ الآذَانُ الواعِية ، أَيْنَ الأَعْيُنُ الباكِية ، قَوْلٌ بلا فِعَال وأمْرٌ بلا امتثال، رُسُلُ مَلَكِ الموت في كُل نَفَس تَدْنُوا إلى أنفُسِنا وأجْسَادُ أَحِبَّتِنَا تحت أطباق الثرى هَامدة .

قد أوحَشَتْ منهم دِيارُهُمْ ، ودَرَسَت رُسُومُهَم وآثارُهم ، وتقطعت بالبلاء أوَصالُهم ، ومَحَتْ أَيْدِي الحَوادثِ والقُبور مَحَاسِنَ تِلكَ الصُوَر ، وأطْبَقُت عَليهم ضُلَماتُ تِلْكَ الحُفَر .

فلَا شَمس فيها ولا نُور ولا قَمر ، ونَحْنُ عَمَّا قَرِيْب إلى مَا صاروا إليه صائرون ، وبالكأس الذي شربوا منه شارِبُون ثم مع هذا اليقين إلى دار الغرور راكنون .

طُوبيَ لِمنْ في مَراضِي رَبِّه رَغبَا ... وعن مَصَارعِ أهل اللَّهْو قَدْ هَرَبَا
قَدْ وَطَّنَ النفسَ أنَّ اللَّهَ سَائلُهُ ... فَفَرَّ منه إليه مَهْيبا هَرَبَا
وللتُقَي مَرْكَبٌ يَنْجُوْ براكِبِه ... فيانَجَاةَ الذي مَعْ أهلِه رَكِبا
ولِلْهُدَى رُفْقَةٌ فاسْعَدْ بصُحْبتِهِمْ ... فياسَعَادَةَ مَن أهلَ الهدُى صَحبَا
للَّهِ دَرُّ عبَادٍ قُرْبَهُ طَلَبُوْا ... لم يَطْلُبُوْا فضَّةً منه وَلا ذَهَبَا
سارُوْا بَعزْمٍ وتشميْرٍ وما اتَّخذُوْا ... في سَيْرِ دُنْيَاهُمُوْا لَهْوًا ولا لَعِبَا

الصِّدْقُ مَرْكَبُهم والحَقُّ مَطْلَبُهُمْ   لَا زُوْرَ مَازَجَ دَعْواهُم ولا كَذِبَا

اللهمَّ علمْنَا ما ينفعُنَا وٱنفَعْنَا بما علَّمْتَنَا وبارِكْ لنا في علومِنَا وأعمالِنا وأعمارِنا وأَصْلِحْ نياتِنا وذُرِّياتِنا واغفِرْ لنا ولوالِدِينا ولجميع المسلمين برحْمَتِك ياأرحمَ الراحمينَ وصلى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجمعين .

(فصـــل)

ومما ورد في فضلِ العلمِ والحَثِّ على تَعلُّمِهِ وتعليمِهِ ما يلِي مِنَ الآحاديث :

١ ـ فعن مُعاوِيةَ رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خيْراً يُفقِّهْهُ في الدِّين » . رواهُ البخاريُّ ومسلمٌ .

٢ ـ وعَنْ عبدِ اللهِ يَعْني ابنَ مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إذَا أرادَ اللهُ بِعَبدٍ خَيْراً فَقَّهَهُ في الدينِ وأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ » . رواهُ البَزَّارُ والطَّبَرَانِي في الكبيرِ بإسْنادٍ لا بأسَ بِهِ .

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّم : « مَنْ نفَّسَ عن مُؤْمنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدنيا نَفَّسَ اللهُ عنهُ كُرْبةً مِنْ كُرَبِ يومِ القيامَةِ ومَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ في الدنيا والآخِرةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عليهِ في الدنيا والآخرةِ ، واللهُ في عوْنِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عَوْنِ أخيهِ ، ومن سَلَكَ طريقاً يَلْتَمِسُ فيه عِلْماً سهَّلَ اللهُ لهُ بِهِ طريقاً إلى الجنةِ ، وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بُيوتِ اللهِ يتْلون كتابَ اللهِ ويتدارسُونَهُ بينهمْ إلا حفَّتْهم الملائكةُ ونزلتْ عليهم السكِينةُ وَغشيَتْهُمُ الرحمةُ وذكَرَهُمُ اللهُ فيمَنْ عندَهُ ، وَمَنْ أَبْطَأَ بهِ عملُهُ لمْ يُسْرِعْ بهِ نَسَبُهُ » . رواهُ مسْلِمٌ وأبو داوودَ والتِّرْمُذِي والنَّسائي وابنُ ماجه وابنُ حِبَّـان في صحيحِهِ والحاكمُ وقال صحيحٌ على شَرْطِهِما .

٤ ـ وعن أبي الدرْداءِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ يقولُ : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يلتمِسُ فيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لهُ بهِ طريقاً إلى الجَنَّةِ وإنَّ الملائكة لتَضَعُ أجْنِحَتَها لِطَالِبِ العِلْمِ رِضاً بما يَصْنَعُ وإنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لهُ مَن في السموات وَمَن في الأرض حتى الحِيْتانِ في الماءِ . وفَضْلُ العالِمِ على العابِدِ كفضْلِ القَمَرِ على سائرِ الكواكِبِ . وإنَّ العُلَماءُ وَرَثةُ الأنبياءِ ، إنَّ الأنبياءَ لَمْ يُوَرِّثُوا ديناراً ولا دِرْهَماً ، إنَّما وَرَّثُوا العِلْمَ فمَنْ أخذَهُ أخذَ بحظٍّ وافرٍ » . رواهُ أبو داوودَ والترْمِذِي وابنُ ماجَه وابنُ حِبَّانَ في صحيحِهِ والبَيْهَقِي .

٥ ـ وعن صَفوانَ بنِ عَسَّالٍ المُرادِي رضي اللهُ عنهُ قالَ : أتيتُ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلّمَ وهو في المسجدِ مُتَّكِيءٌ على بُرْدٍ لَهُ أحْمَرُ ، فَقُلْتُ لَهُ يا رَسُولَ اللهِ إنِّي جئتُ أَطْلُبُ العِلمَ ، فقال : « مرْحَباً بطالِبِ العِلْمِ إنَّ طالبَ العلمِ تحُفُّه الملائكةُ بأجْنِحَتِها ، ثم يَرْكَبُ بعضُهم بعضاً حتى يَبْلُغُوا السَّماءَ الدُنيا مِنْ مَحَبَّتِهِم لِمَا يَطْلُبُ » . رواه أحمدُ والطبراني بإسنادٍ جيِّدٍ واللفظ لَهُ وابنُ حِبانَ في صحيحهِ والحاكمُ وقال صحيحُ الاسنادِ . وَرَوَى ابنُ ماجَه نحوَه باختِصارٍ ويأتي لفظُهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى .

تَرَفَّقْ بمَنْ يَأْتِيْكَ لِلْعلْـمِ طالبـاً ... وقُلْ مَرْحباً يا طَالِبَ العِلْمِ مَرْحَبا
فهذا الذي أَوْصَى بِهِ سَيِّدُ الوَرَى ... كَمَا قَدْ رَوَى الخُدْريُ عَنْهُ ورَحَّبَا
ومَنْ سَهَّـلَ اللهُ الطَّرِيـقَ لِجَنَّـةٍ ... لَهُ الجَدِيْـرُ بالتَّـرحُّـبِ والْحِبَـا

آخر : مُنَـايَ مِن النيـا عُلومٌ أَبُثُهَـــا ... وأَنْشُرُهَـا في كُلِّ بادٍ وحَـاضِرِ
دُعَاءٌ إلىَ القُرآنِ والسُّنَّةِ الَّتِـي ... تَنَاسَى رِجَالٌ ذِكْرَهَا في المَحَاضِرِ
وقـد أَبْدَلُوْهَـا بالجَرائِــدِ تَارَةً ... وَتِلْفَازِهِمِ رَأسُ الشُرُورِ المَنَاكِرِ
ومْذِياعِهِم أَيْضَا فلاَ تَنْسَ شَرَّهُ ... فَكَمْ ضَاعَ مِن وَقْتٍ بِهِ بالخَسَائِرِ

وروي عن أنسِ بنِ مالِكٍ رضي اللهُ عنه قالَ : قَالَ رسولُ اللهِ

صلى اللهُ عليهِ وسلم : « طَلَبُ العِلْمِ فَرِيْضَةٌ على كلِّ مسلمٍ وواضعُ العِلْمِ عندَ غيرِ أهلِهِ كمُقَلِّدِ الخَنَازِيرِ الجَوْهَرَ واللؤلؤَ والذهب » . رواه ابن ماجه وغيره .

ورُوِيَ عن ابن عباس رضي اللهُ عنهما قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « مَنْ جاءهُ أجَلُهُ وهو يَطْلُبُ العِلْمَ لَقِيَ اللهَ ولَمْ يكُنْ بينَهُ وبينَ النبيينَ إلَّا دَرَجَةُ النُّبُوَّةِ » . رواهُ الطبراني في الأوسط .

٦ ـ وَرُوِي عنْ سخبرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : مَرَّ رجلانِ على رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ وهو يذْكُرُ ، فقالَ اجْلِسَا فإنكما على خيرٍ ، فلمَّا قامَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وَتَفَرَّقَ عنه أصحابُهُ قاما فقالا يا رسولَ اللهِ : إنكَ قُلْتَ لَنا إجْلِسا فإنَكُما عَلَى خَيرٍ أَلَنا خاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ عامَّةً . فقالَ : « ما مِنْ عَبْدٍ يَطْلُبُ العِلْمِ إلا كان كَفَّارَةَ ما تقدَّمَ » . رواه التِرمُذِي مختصراً والـلبراني في الكبير واللفظ لَهُ .

مختصراً والطَبَراني في الكبير واللفظ لَهُ . قال بَعضُ العلماء مَن غَرسَ العلم إجْتَنَى النباهَةِ ، ومَن غَرسَ الزُهْدَ إجْتَنَى العِزَّة ، ومَن غَرسَ الاحسانَ إجْتَنَى المحبةَ ، ومَن غَرسَ الفكرة إجْتَنَى الحكْمَةَ ،ومَن غَرسَ الوَقَارَ إجْتَنَى المَهَابَة ، ومَن غَرسَ المداراة إجْتَنَى السَلَامة ، ومَن غَرسَ الكِبْرَ إجْتَنَى المقْتَ ، ومَن غَرسَ الحِرْصَ إجْتَنَى الذِّلَّةَ ، ومَن غَرسَ الطَمعَ إجتَنَى الخِزْيَ ، ومَن غَرسَ الحَسدَ إجْتَنَى الحُزْنَ والكَمَدَ .

٧ ـ وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما اكْتَسَبَ مُكْتَسِبٌ مِثْلَ فَضْلِ عِلْمٍ يَهْدِي صاحِبَهُ إلى هُدَى ، أَوْ يَرُدَّهُ عنْ رَدَى وَمَا استقامَ دِيْنُهُ حتى يَسْتَقِيْمَ عَمَلُه » . رواه الطبراني في الكبير واللفظُ والصغيرِ إلا أنه قَالَ فيهِ : حتى يَسْتَقِيْمَ عَقلُهُ . واسنادُهما متقارِبٌ .

٨ ـ وَرُوِي عن أبي ذَرّ ، وأبي هُريرةَ رضي اللهُ عنهُما أنهُما قالا :

لبابٌ يتعلمُهُ الرجلُ أحَبُّ إلى الله مِنْ ألفِ رَكْعةٍ تَطوُّعاً وقالا : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم : « إذا جاءَ الموتُ لِطَالِبِ العِلْمِ وَهُوَ على هَذِهِ الحالةِ ماتَ وهو شهيدٌ » . رواه البزارُ والطبرانيُّ في الأوسطِ إلا أنه قالَ : خيرٌ له مِنْ ألفِ رَكْعة .

٩ ـ وعنْ أبي ذَرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ : « يا أبا ذرٍّ لأنْ تَغْدُو فتعَلَّمَ آيةً مِنْ كِتابِ اللهِ خيرٌ لك مِنْ أنْ تُصَلِّيَ مائةَ ركعةٍ وَلأَنْ تَغْدُوَ فَتعلَّمَ باباً مِن العِلمِ عُمِلَ بهِ أوْ لمْ يُعْمَلْ بِهِ خيرٌ لكَ مِنْ أنْ تُصلِّيَ ألفَ رَكْعَةٍ » . رواه ابنُ ماجه بإسْنادٍ حَسَنٍ .

شِعْرًا: إذا ما شئِتَ أَنْ تَسْمُو وتُسْمَى ... وتُدْرِكَ رَاحَةً رُوْحاً وجِسْمَا
فَقُمْ لِطَرِيْقِ أَهْلِ العِلْمِ سَعْياً ... لِتَقْفُو مَعْهُمُوْا أَثَراً ورَسْماً
فإنْ حَصَّلْتَ مَطْلُوباً وَإلَّا ... ظَفِرْتَ بِأَكْبَرِ الشَّرَفَيْنِ قَسْمَا
فاكْرَمُ ما حَوَاهُ المَرْءُ عِلْمٌ ... بِهِ يُهْدَى ويَهْدِي مَنْ أَلَمَّا
ولَيْسَ يُفِيْدُ الْكَوْنَ عَبْداً ... إلَى العَلْيَاءِ يَسْرِيْ وَهْوَ أَعْمَى
فكَمْ أَبْدَى ضِيَاءُ العِلْمِ رُشْداً ... وَأَذْهَبَ ظُلْمَةً وأزَالَ غَمَّا
فَنَحْمَدُ رَبَّنَا إذْ مَنَّ لُطْفاً ... بِهِ في رُشْدِنَا وَأَزَالَ غمَّا

آخر : إذَا مِتُّ فانْعِيْنِي إلَى العِلْمِ والنُّهَى ... وَمَا حَبَّرتْ كَفِّيْ بِمَا في المَحَابِرِ
فَإنِّي مِنِ قَوْمٍ بِهِمْ يَضِحُ الهُدَىَ ... إذَا أَظْلَمَتْ بالقَوْمِ طُرْقُ الْبَصَائِرِ

١٠ ـ وعن أبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : سمعْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ يقولُ : « الدنيا مَلْعونةٌ ملعونٌ ما فِيها إلا ذِكرَ اللهِ وما والاهُ وعالِماً وَمُتَعَلِّماً » . رواهُ التِّرمُذِي وابنُ ماجَه والبَيْهَقِي وقالَ الترمذيُّ حديثٌ حَسَن .

١١ ـ وعن ابنِ مسعودٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ : « لا حَسَدَ إلا في اثنين : رجلٌ آتاهُ اللهُ مالاً فَسلَّطَهُ على هَلَكَتِهِ في الحقِّ

ورجلٌ آتاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فهو يَقْضِي بِها وَيُعَلِّمُهَا » . رواهُ البخارِي ومسلم .

١٢ ـ وعن أبي موسى رضي اللهُ عنهُ قال : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : « مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللهُ بهِ مِنَ الهُدَى والعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أصابَ أرضاً فكانتْ منها طائفةٌ طيبةٌ قَبِلَتْ الماءَ وأنْبَتَتْ الكلأ والعُشْبَ الكثيرَ وكانَ منها أجادِبُ أمْسَكتْ الماءَ فنفعَ اللهُ بها الناسَ فشَرِبُوا منها وَسَقَوْا وزرعُوا ، وأصابَ طائفةً أُخرَى منها إنّما هي قيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دينِ اللهِ تعالى ونفعَهُ ما بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلك رأساً ولَمْ يقبلْ هُدَى اللهِ الذي أُرسلتُ بِهِ » . رواهُ البخارِي ومسلم .

شعـــــرا :

إعْمَلْ بِعِلْمِكَ تُؤْتَ حِكْمَةً إنمَّـــا   جَدْوَى عُلُومِ المَرْءُ نِهْجَ الأَقْـــوَمِ
وإذَا الفَتَى قَدْ نَالَ عِلْماً ثُمَّ لَـــمْ   يَعْمَلْ بِهِ فَكَأَنَّـــهُ لَمْ يَعْلَـــمِ

آخـــر : وَاَعْـلمْ بـأنَّ الـعِـلمَ أرفـعُ رُتْـبَـةً
وأجَـلُّ مـكـتـسـبـاً وأسْـنَى مَـفْـخَـرِ
فـاَسْلُكْ سبيـلَ المُقْتفِـينَ لـهُ تَسُـدْ
إنَّ الـسـيـادَةَ تُـقْـتَـنَى بـالـدَّفْـتَرَ
والـعـالِمُ المـدعُـوُّو حَـبْـراً إنَّمـا
سَمَّـاه بـاسمِ الحَبْـرِ حَمْـلُ المَحْبَـرِ
تَسْمُـوا إلى ذِي العِلْمِ أبْصَـارُ الـوَرَى
وَتَغُضُّ عن ذِي الجَهْـلِ لاَ بَـلْ تَـزْدَرِي
وَمُـضَـمَّـرُ الأقـلامِ يَـبْـلغُ أهـلُهـا
مـا لـيسَ يُبْلغُ بـالـعِتَـاقِ الـضُّمَّـرِ
والـعِـلمُ لـيس بـنـافِـعٍ أرْبَـابَـهُ

مـا لمْ يُفِـدْ عَـمَـلاً وَحُسْـنَ تَبَصُّـرِ
فـاعْمَـلْ بعلْمِـكَ تُـوفِ نَفسَـكَ وَزْنَهَا
لا تَـرْضَى بـالتَّضْيِيْـعِ وَزْنَ المُخْسَـرِ

آخـــر :

وبَّخْتَ غَيْرَكَ بِالعَمَى فأَفَدْتَـهُ بَصَراً وَأَنْتَ مُحَسِّنٌ لعَمـاكَا
كَفَتِيْلَةِ المِصْبَاحِ تحْرِقُ نَفْسَهَا وتُضِيْءُ للأَعْشَى وأَنْتَ كَذاكَـا

آخـر :

جَزَى اللهُ أَصْحَابَ الحَدِيثِ مَثُوبَةً وبَوأَهُم في الخُلْدِ أَعْلَى المَنازِلِ
فلَوْلاَ اعْتِنَاهُم بالحَدِيثِ وحِفْظِهِ ونَفْيهُمُ عَنه ضُرُوبَ الأَبَاطِلَ
وانْفَاقِهِمْ أَعْمَارَهُم في طِلاَبِهِ وبَحْثِهُمُ عنه بِجِدٍ مُواصلَ
لَمَا كَانَ يَدْرِيْ مَنْ غَدَا مُتَفَقِّهاً صَحِيح حَدْيثٍ من سَقِيم وَبَاطِلَ
ولم يَسْتَبنْ ما كان في الذّكْرِ مُجْمَلاً ولم نَدَرْي فَرْضاً مِنْ عُمُوم النَّوافِلَ
لَقَدْ بَذَلُو فِيهِ نُفُوساً نَفِيْسَةً وَبَاعُوا بحَظٍّ آجلٍ كُلَّ عَاجِلَ
فحُبُهمُ فَرْضٌ على كُلِّ مُسْـلمٍ ولَيْسَ يُعَادْيهم سِوَى كُل جَاهلَ

اللَّهُمَّ وفقْنا لِمَعْرِفَتِكَ بأَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ وأَفْعَالِكَ وآرْزُقْنا الرِّضَا بِقضَائِكَ وَقَدَرِكَ وَالتَّوكُّلَ عَلَيْكَ في كُلِّ ضِيْقٍ وَسَعَةٍ وشِدَةٍ وَرَخاءٍ وكُلِّ ماتيسَّرَ، اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوْكِ صِرَاطِكَ المُسْتَقِيْمِ وَجَنِّبْنَا جَمِيْعَ مَا يُغْضِبُكَ يَا كَرِيْمُ وَأَعِذْنَا مِنْ عَذَابِ القَبْرِ وَالجَحِيْمِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(فصـــل ١١)

١٣ ـ عن أبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ : « إنَّ مِمّا يلحَقُ المؤمنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَناتِهِ بعدَ موتِهِ عِلْماً علَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدَاً صالِحاً تركَهُ ، أَوْ مصْحَفاً وَرَّثَهُ ، أو مسجداً بناه أو بيتاً لابنِ

السبيلِ بناهُ أو نهراً أجْرَاهُ أو صَدَقةً أخرجَها مِنْ مالِهِ في صِحّتِهِ وحَياتِهِ تلحقُهُ مِنْ بعدِ موتِهِ » . رواهُ ابنُ ماجَه باسنادٍ حسنٍ والبَيهَقيُّ .

١٤ ـ وعن أبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قَالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ : « إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عملُهُ إلاّ مِنْ ثَلَاثٍ : صدقةٌ جاريةٌ أو عِلمٌ ينتَفِعُ الناسُ بهِ ، أوْ ولدٌ صالحٌ يدعُو لَهُ » . رواهُ مسلمٌ وغيرُهُ .

١٥ ـ وعن أبي أُمامَةَ قالَ : ذُكِرَ لِرسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ رجلانِ : أحدُهُما عابِدٌ ، والآخرُ عالِمٌ ، فقالَ عليهِ أفضلُ الصلاةِ والسلامِ : « فضْلُ العالِمِ على العابِدِ كفَضْلي على أدْناكُمْ » ، ثمَّ قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ : « إنّ اللهَ وملائكتَهُ وأهلَ السمواتِ والأرضِ حتى النملة في جُحْرِهَا ، وحتى الحوتَ لَيُصَلّونَ على مُعَلِّمِ الناسِ الخيرَ » . رواه الترمذي وقالَ حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ . وَرَواهُ البَزّارُ مِنْ حديثِ عائشة مختَصَراً قال :معلمُ الخيرِ يستغفرُ لهُ كلُّ شيءٍ حتى الحيتانُ في البحرِ .

١٦ ـ وَرُوِيَ عن أبي هُريرةَ عن النبيّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ قالَ : « ما عُبِدَ اللهُ بشيءٍ أفضلَ من فقهٍ في دينٍ وفقيهٌ واحدٌ أشدُّ على الشيطانِ من ألفِ عابدٍ ولِكلِّ شيءٍ عِمادٌ ، وعِمادُ هذا الدين الفقهُ ، وقالَ : أبو هريرةَ لأنْ أجلسَ ساعةً فأفقَهَ أحبُّ إليّ مِنْ أَنْ أُحْيِيَ ليلةَ القدْرِ . رواهُ الدارَ قُطني والبيهقيُّ إلا أَنَّـهُ قال : أحبُّ إلي مِنْ أنْ أحيِيَ ليلةً إلى الصَّباح ، وقال . المحفوظُ هذا اللفظُ منْ قولِ الزُهْرِي .

شعْرا: تَعلّمْ يَافَتى والعُودُ رَطْبٌ ... وَطِيْنُكَ لَيِّنٌ والعُمْرُ قَابِلْ
وحَسْبُكَ يافَتى شَرَفاً وَفخْرَا ... سُكُوْتُ الْحَاضِرِيْنَ وأَنْتَ قَائِلْ

١٧ ـ وعنْ أبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ مرَّ بسوقِ المدينةِ فوقَفَ عليها ، فقالَ يا أهلَ السُوقِ ما أَعْجَزَكُمْ ؟ قالوا : وما ذاكَ يا أبا هريرةَ ؟

قالَ ذاكَ مِيْرَاثُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، يُقْسَمُ وأنتُم هَاهُنا ، ألا تذْهَبُونَ فتأخُذُون نَصِيْبَكُم مِنهُ . قالُوا وأينَ هُوَ؟ قال في المَسْجِدِ فَخَرَجُوا سِرَاعاً وَوَقفَ أَبُو هُريرةَ لهُمْ حَتَّى رَجَعُوا فقالَ لهُمْ : مالكُمْ ؟ فقالوا يا أبا هُريرةَ قد أتيْنَا المسجدَ فدخَلْنا فيهِ فلمْ نَرَ فيه شيئاً يُقسَمُ فقال لهم أبو هريرة : وما رأيْتُمْ في المسجدِ أحداً قالوا بلى رَأينا قوماً يُصَلُّون ، وَقوماً يَقرءون القُرْآنَ وقوماً يَتَذاكَرُون الحَلالَ والحرامَ ، فقال أبو هريرةَ : ويحكُمْ فذاكَ مِيراثُ محمدٍ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . رواهُ الطبرانيُّ في الأوسَطِ باسنادٍ حَسَنٍ .

١٨ ـ وعن جابرٍ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَم العِلْمُ عِلْمانِ : عِلْمُ في القَلْبِ فذاكَ العِلْمُ النافِعُ وعِلْمٌ على اللسانِ فذاك حُجَّةُ اللهِ على ابنِ آدمَ . رواه أبو بكرٍ الخطيبُ باسنادٍ حَسَن . ورواهُ ابنُ عبدِ البَرِّ النَمِري في كتابِ العلمِ عن الحَسَن مُرْسَلاً باسنادٍ صحيحٍ .

شِعْرَا: لا خَيْرَ في العِلْم إنْ لم يَرْقَ صَاحُبهُ … عَلَى أَسَاسٍ مِنَ الأَخْلَاقِ في الصِّغَرِ
كَمْ عَالِمٍ فَاسِدٌ ضَلَّتْ مَذَاهِبُهُ … وقَدْ غَدَا عِلمُهُ شراً عَلى البَشَرِ
إبْلِيْسُ أَعْلَمُ الفِسْقِ قَاطِبَـــةً … والناسُ تَلْعَنُهُ في البَدْوِ والحَضَرِ
العِلْمُ كَالْغَيْثِ والأَخْلَاقُ مَزْرَعَةٌ … إنْ تَخْبُثِ الأَرْضُ تَذْهَبْ نِعْمةُ الْمَطَرِ
والجهلُ أَفَضَلَ مِن عِلْمٍ يُدَنِسُّهُ … نُضْجُ الرَّذِيْلَةِ مِن أخْلَاقِ مُقْتَدِرِ

١٩ ـ وعن زِرِّ بن حُبَيْشٍ قالَ أَتَيْتُ صَفْوَانَ بنَ عَسَّالٍ المُرَادِيّ رضي اللهُ عَنْهُ قالَ : ما جاء بِكَ ؟ قُلْتُ : العِلْمُ . قال فإنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : ما مِنْ خارجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ في طَلَبِ العِلْمِ إلاّ وَضَعَتْ لهُ الملائكةُ أجْنحَتَهَا رِضاً بِمَا يَصْنَعُ . رَواهُ التِرمذيَّ وصَحَّحه وابنُ ماجَه واللفظُ لهُ ، وابنُ حِبّانَ في صحيحِهِ والحاكِمُ وقالَ صحيحُ الإسنادِ .

وَرَوَى عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ دخلَ المسجِدَ فإذا هُوَ بِمَجْلِسَيْنِ أحدُهُما يذْكرون اللهَ تعالى والآخرون يَتَفَقَّهُون ، فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ كِلا مَجْلسَين على خَيْرٍ وأَحَدُهما أحَبُّ إليّ مِنْ صاحِبِهِ أمَّا هؤلاءِ فَيَسْأَلُونَ اللهَ تعالى وَيَذْكُرُوْنَه فإنْ شاءَ أَعْطَاهُمْ وإنْ شاءَ مَنَعَهُمْ وأما المَجْلِسُ الآخَرُ فيَتَعَلَّمُون الفِقْهَ وَيُعَلِّمُونَ الجاهِلَ وإنما بُعِثْتُ مُعَلِّماً وَجلسَ إلى الفقهِ ورُوِيَ عن النبيِ صلى اللهُ عليه وسلمَ أنهُ قَالَ خِيَارُ أُمّتي عُلَماؤُها وَخِيارُ عُلمائِها فُقَهاؤُها .

يَمُوتُ قَوْمٌ ويُحْيِي العِلْم ذِكْرَهُمُ   والجَهْلُ يُلْحِقُ أحْيَاءً بأَمْوَاتِ

آخر : تَعَلَّمْ فإنَّ العِلْمَ زينٌ لأهْلِهِ
وَفَضْلٌ وَعنوانٌ لِكُلِّ المَحَامِدِ
وكُنْ مُستَفِيْداً كُلَّ يومٍ زِيَادَةً
من العِلْمِ واسْبَحْ في بُحُورِ الفَوَائِدِ
تَفَقَّهْ فإنَّ الفِقْهَ أفْضَلُ قائِدٍ
إلى البِرِّ والتقوَى وأعْدَلُ قاصِدِ
هُوَ العَلَمُ الهَادِي إلى سُنَنِ الهُدَى
هُوَ الحِصْنُ يُنْجِي مِنْ جَمِيعِ الشَّدائِدِ
فإنَّ فَقِيْهاً وَاحِداً مُتَورِّعاً
أَشَدُّ على الشَّيْطانِ مِن ألْفِ عَابِدِ

آخر :
وَعَابَ سَمَاعِي للْحَدِيْثِ بُعَيْدَمَا   كَبِرتُ أُنَاسٌ هُمْ إلى العَيْبِ أقْرَبُ
وقالُوا إمَامٌ في عُلُوْمٍ كثِيْرَةٍ   يَرُوْحُ ويَغْدُ سَامِعاً يَتَطَلَّبُ
فَقُلْتُ مجُيْباً عَن مَقَالَتِهِمْ وَقَدْ   غَدَوْتُ لِجَهْلٍ مِنْهُمُ أَتَعَجَّبُ
إذا استَدْرَكَ الإنْسَانُ ما فَاتَ مِنْ عُلا   فِلِلْحَزْمِ يُعْزَى لَا إلى الجَهْلِ يُنْسَبُ

آخر : يَلُومُوْنِي إنْ رُحْتُ في العِلْمِ دَائِبَاً   أَجْمَعُ مِنْ عندِ الرُّوَاةِ فُنُوْنَهُ

فَيَا عَاذِلِي دَعْنِيْ أغَـــالِيْ بقِيْمَتِيْ فَقِيْمَــــةُ كُلِّ النَـــاسِ مَا يُحْسِنُــــوْنَهُ

آخـــــر : ذَوُوْا العِـلْمِ فـي الـدنيـا نُجومُ هِدَايةٍ

إذا غـابَ نَجْـمٌ لاحَ بَعْـدُ جَـدِيدُ

بِهِـــمْ عَـزَّ دِينُ الـلَّهِ طُـرّاً وهُـــمْ لـهُ

مَعَـاقِـلُ مِـنْ أَعْـدَائِـهِ وَجُـنُـــودُ

آخـــــر :

وَمَا أَنَا بالغَيْرَان مِنْ دُوْنِ جارتي إذَا أنَا لم أُصْبِحْ غَيُوراً عَلى العِلْمِ

آخـــــر :

أَرىَ العلمَ أَعْلىَ رُتْبَةً في المَراتب ومِنْ دُونِهِ عِزُّ العُلَى في المَوَاكِبِ
فَذُوْ العِلمِ يَبْقى عِزُّهُ مُتَضَاعِفاً وذُو الجَهْلِ بَعدَ الموتِ تَحْتَ الترائب
فَهَيْهَاتَ لا يَرجوُ مَدَاهُ مَن ارْتَقَى رُقِيَّ وليِّ المُلْكِ وَالِي الكَتَائِبِ
سَأُمْلي عَلَيْكُمْ بَعضَ ما فيهِ فاسْمَعُوا فَبِي حَصَرٌ عن ذِكْرِ كُلِّ المَنَاقِبِ
هُوَ النورُ كُلُّ النُورِ يَهْدِي عن العَمَى وَذُو الجَهْلِ مَرَّ الدهرِ بينَ الغَيَاهِبِ ؛
هُوَ الذِّروةُ الشَّمّاءُ تَحْمِي مَن الْتجَا إليها ويَمْشِي آمِناً في النّوائِبِ
بهِ يَنْتَجِـي والنـاسُ في غَفَـلَاتِهِـمْ بـه يَرتَجِي والـرُوْحُ بينَ التَرائِبِ
بِـهِ يَشْفَعُ الأَنسانُ مَن رَاحَ عاصِيًا إلَى دَرَكِ النـيرانِ شَرِّ العَواقِبِ
فَمَـنْ رَامَـهُ رَام الْمَآرِبَ كُلَّـها ومَـن حَازَهُ قَـدْ حَـازَ كُـلَّ المَطَالِبِ
هُوَ المَنْصِبُ العَالِي فيا صَاحِبَ الحِجَا إذَا نِلْتَـهُ هَـوِّنْ بفوْتِ المَنَاصِبِ
فإِنْ فَـاتَتِ الـدُّنيـا وطِـيْبُ نَعِيْـمِها [فَغَمِّضْ] فإنَّ العلمَ خَيْرُ المواهِبِ

آخـــــر :

العِلْمُ إنْ لَمْ تَكْتَنِفْـــهُ شَمَـــائِلٌ تُعْلِيْهِ كَانَ مَطِيَّـــةَ الإخْفَـــاقِ
لا تَحْسَبَنَّ العِـــلْم يَنْفَعُ وَحْدَهُ ما لم يُتوجْ رَبُّــــهُ بِخَـــلَاقِ
كَمْ عَالِمٍ مَـــدَّ العُلُوْمَ حَبَائِلاً لِوَقِيْعَـــةٍ وَقَطِيْعَـــةٍ وَفِـــرَاقِ

وفَقِيْهِ قَومٍ ظَلَّ يَرْصُدُ فِقْهَـــهُ لِمَكِيْـــدَةٍ أوْ مُسْتَحِلَّ طَـــلَاقِ
يَمْشِيْ وَقَدْ نُصِبَتْ عليه عمَامَـــةٌ كَالْبُرْجِ لَكِنْ فَوْقَ تلٍّ نِفَـــاقِ
وطَبِيْبِ قَومٍ قَد أحَلّ لِطِبِّـــهِ ما لا تُخِلُ شَرِيْعَـــةُ الخَـــلَّاقِ
قَتَلَ الأجِنَّةَ في البُطُونِ وَتَـــارةً جَمَعَ الدَّرَاهِمَ مِن دَمٍ مِهـــرَاقِ

آخـــر :

مَا الفَخْرُ إلّا لأَهْلِ العِلْم إنّهُمُ عَلى الهُدَى لِمَـنِ اسْتَهْدَى أَدِلآءُ
وقِيْمَةُ المَرْءِ ما قَد كَانَ يُحْسِنُهُ وَالجَاهِلونَ لأَهْـلِ العِلْمِ أَعْدَاءُ
فَعِشْ بِعِلْمٍ تَفُزْ حَياً بِهِ أبَدَا النَّاسُ مَوْتَى وأهْلُ العِلْمِ أَحْيَاءُ

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصـــل ١٢) قال ابنُ القَيّمِ رَحِمَهُ اللهُ :

الأَصْلُ الأولُ في العِلْمِ وَفَضْلِهِ وشرَفِهِ وَبيانِ عُمُومِ الحاجَةِ إليهِ وَتوقُّفِ كَمالِ العبدِ ونجاتِهِ في معاشِهِ وَمَعادِهِ عليهِ .

قال اللهُ تعالى : ﴿ شهد اللهُ أنه لا إلهَ إلا هُوَ والملآئكةُ وَأُولوا العلمِ قائماً بالقسطِ لا إلهَ إلا هُوَ العزيزُ الحكيمُ ﴾ استشْهَدَ سبحانه بأولي العِلمِ على أَجَلِّ مشهودٍ عليهِ وهُوَ توحيدُهُ فقالَ ﴿ شهد اللهُ أنهُ لا إلهَ إلا هو والملآئكةُ وأولوا العِلْمِ قائماً بالقِسْطِ ﴾ وهذا يدلُّ على فضْلِ العِلْمِ وأهلِهِ مِنْ وُجوهٍ . أَحدُها استشهادُهُمْ دونَ غيرِهِمْ من البَشَر ، والثاني اقترانُ شهادَتِهِمْ بِشَهَادِتِهِ ، والثالثُ اقترَانُها بشهادَةِ ملائكتِهِ ، والرابعُ أنّ في ضِمْنِ هذا تزْكِيَتَهُم وَتَعْديلَهُمْ فإنّ اللهَ لا يستشْهِدُ من خلقِهِ إلا العُدولَ ومنْهُ الأثَرُ المَعْروفُ عنَ النَّبيّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ يَحْمِلُ هذا العلمَ مِنْ كلِّ خَلَفِهِ عُدُوله ينفُونَ عَنْهُ تَحريفَ الغالين وانْتِحَالَ المُبْطِلِينَ وَتَأويلَ الجاهلين .

والخَامسُ: أَنَّهُ وَصَفَهُمْ بكـونِهِمْ أُولى العِلْمِ وهـذا يـدُلُّ علَى اختِصاصِهِمْ بهِ وأَنهُمْ أَهْلُهُ وأَصْحابُهُ لَيْسَ بِمُسْتَعَارٍ لهُمْ .

السادسُ : أنه سبحانه اسْتشهد بنفسِهِ وهو أجلُّ شاهدٍ ثم بخيارِ خلقِهِ وهم ملائكتُهُ والعلماءُ مِنْ عبادِهِ ويكفيهِمْ بهذا فضلاً وَشَرَفاً .

السابعُ : أنهُ آستشهدَ بهِمْ على أجَلِّ مشهودٍ بِهِ وأعظمِهِ وأكبَرِهِ وهو شهادةُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ والعَظِيمُ القَدْرِ إنَّما يَسْتَشْهِدُ على الأمرِ العظيمِ أكابِرَ الخَلْقِ وساداتِهِمْ .

الثامنِ : أنه سُبحانَهُ جَعَلَ شَهَادَتَهُمْ حُجَّةً عَلى المنكِرِينَ فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ أدِلَّتِهِ وآياتِهِ وَبَرَاهِينِهِ الدالة على توحيدِهِ .

التاسع أنه سبحانه أفردَ الفعلَ المتضمنَ لِهذِهِ الشهادَةِ الصادرةِ منهُ ومِنْ ملائكتِهِ ومِنْهُمْ ولَمْ يعطِفْ شهادَتَهُمْ بِفِعْلٍ آخَرَ غيرَ شهادتِهِ .

وهذا يدلُ على شدةِ ارتباطِ شهادتِهِمْ بشهادتِهِ فكأنَّهُ سبحانَه شهِدَ لِنفْسِهِ بالتوحيدِ على ألسِنتِهِم وأنْطَقَهُم بهذِهِ الشهادةِ فكانَ هو الشاهدَ بها لنفسِهِ إقامَةً وإنْطاقاً وَتَعْلِيماً وهُمْ الشاهِدونَ بها لَهُ إقْراراً واعتِرَافاً وَتَصْديقاً وإيماناً .

العاشرُ : أنه سبحانَهُ جَعَلَهُمْ مؤدّينَ لحقِّهِ عندَ عبادِهِ بهذِهِ الشهادةِ فاذا أدَّوْهَا فقدْ أدَّوا الحقَّ المشهودَ به فثبتَ الحقُّ المشهودُ بِهِ فَوَجَبَ على الخَلْقِ الاقرارُ بِهِ وكانَ ذلك غايةَ سَعَادَتِهِمْ في مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ وكلُّ مَنْ نالهُ الهُدَى بشهادتِهِم وأقرَّ بهذا الحقِّ بسببِ شهادتِهِم فلهُمْ مِنَ الأجْرِ مثلُ أجْرِهِ أيضاً فهذِهِ عشرة أوجُهٍ في هذه الآيةِ .

الحادي عشر : في تفضيلِ العِلْمِ وأَهْلِهِ أنهُ سبحانه نَفَى التسْويَةَ بينَ أهْلِهِ وبينَ غَيرِهِمْ كما نفى التسويةَ بين أصحاب الجنة وأصحاب النار .

فقال تعالى ﴿ قُلْ هل يستوي الذينَ يعلمونَ والذينَ لا يعلمونَ ﴾ كما قال تعالى ﴿ لا يسْتوي أصحابُ النارِ وأصحابُ الجَنّةِ ﴾ وهذا يَدُلُّ على غايةِ فضْلِهِمْ وَشَرَفِهِمْ .

الوجهُ الثاني عَشَرَ: أنَّهُ سبحانَهُ جعَلَ أهلَ الجهلِ بمنزلةِ العُمْيانِ الذينَ لا يُبْصِرونَ فقالَ ﴿ أفَمَنْ يعلمُ أنَّما أُنزلَ إليكَ مِنْ رَبّكَ الحقُّ كمَنْ هو أعْمَى ﴾ فما ثَمَّ إلا عالِمٌ أو أعْمَى وَقَدْ وَصَفَ سُبْحانَهُ أهلَ الجَهْلِ بأنَّهمْ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ في غيرِ مَوْضِعٍ مِنْ كتابِهِ .

شعـــــرا :

ما أقْبَحَ الجَهْلَ يُبْدِي عَيْبَ صَاحِبِهِ لِلنَّاظِرين وعن عَيْنَيْــــهِ يُخْفِيْهِ
كَذَالِكَ الثُومُ لا يَشمُمْــــهُ آكِلُهُ والناسُ تَشْتَمُّ نَتَنَ الرِّيْحِ مِنْ فِيْـــهِ

الوجهِ الثالثَ عشَرَ : أنَهُ سُبْحانَهُ أخبَرَ عن أُولي العِلْمِ بأنَّهُمْ يرَوْن أنَّ مَا أُنزِلَ إليهِ مِنْ رَبّهِ حَقٌ وجعل هذا ثناءً عليهِمْ واستِشْهاداً بهِمْ . فقالَ تعالَى ﴿ وَيَرَى الذينَ أوتوا العلمَ الذي أُنزِلَ إليكَ مِنْ رَبّكَ هُوَ الحَقَّ ﴾ .

الوجهُ الرابعَ عَشَرَ : أنهُ سبحانَه أمَرَ بسُؤالِهِمْ والرجوعِ إلى أقوالِهِمْ وجعَلَ ذلكَ كالشهادةِ مِنْهُمْ . فقال ﴿ وما أرْسلْنا قَبْلَكَ إلاَّ رِجالاً نُوحِي إليهم فاسْئلوا أهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُون ﴾ وأهلُ الذِكْرِ هُمْ أهلُ العِلْم بِما أُنزِلَ على الأنبياءِ .

الوجهُ الخامسَ عَشَرَ : أنه سبحانه شَهِدَ لأهْلِ العلمِ شَهادةً في ضِمْنِها الاستِشْهادُ بهِمْ على صِحَّةِ ما أنزَلَ اللهُ على رَسولِهِ فقالَ تعالى ﴿ أفَغيْرَ اللهِ أبتغِي حَكَماً وهو الذي أَنزَلَ إليكمُ الكتابَ مُفصَّلاً والذين آتيناهُمُ الكِتابَ يَعْلَمونَ أنهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبّكَ بالحَقِّ فلا تكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِين ﴾ ،

الوجهُ السادسَ عَشَرَ: أنهُ سبحانه سَلَّى نَبيَّهُ بإيمانِ أهلِ العِلْمِ به. وأمَرَهُ أنْ لا يَعْبأَ بالجاهلين شيئاً . فقال تعالى : ﴿ وقُرآناً فَرَقْناهُ لِتقْرأهُ على الناس على مُكْثٍ وَنزَّلْناهُ تنزيلاً قُلْ آمنوا بهِ أو لا تؤمنوا إنَّ الذينَ أُوتوا العلمَ مِنْ قَبْلِهِ إذا يُتْلَى عليهِمْ يَخِرُّونَ للأذقانِ سُجَّداً ويقولونَ سُبْحانَ رَبّنا إنْ كانَ وعدُ رَبِّنا لمفعولاً ﴾ وهذا شَرَفٌ عظيمٌ لأهْلِ العلمِ وتحتَه أنَّ أهلَهُ العالمونَ قد عَرَفوهُ وآمَنُوا بهِ وَصَدَّقُوا فَسواءٌ آمنَ به غيرُهُم أوْ لا .

الوجُهُ السابعَ عَشَرَ : أنهُ سُبحانَهُ مَدَحَ أهلَ العِلْمِ وأثنَى عَليهِمْ وَشَرَّفَهُمْ بأنْ جَعَلَ كِتابَهُ آياتٍ بيناتٍ في صُدورِهِمْ وهذهِ خاصةٌ وَمَنْقَبَةٌ لَهُمْ دونَ غيرِهِمْ . فقال تعالى ﴿ وكذلك أنزلنا الكتابَ فالذين آتيناهُمُ الكتابَ يؤمِنُونَ بهِ ومِنْ هَؤلاءِ مَنْ يؤمِنُ بهِ وَمَا يَجْحَدُ بآياتِنَا إلا الكافِرون ﴾ .

وما كُنتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ولا تَخُطُّهُ بِيَمِيْنكَ إذاً لارتابَ المُبْطِلونَ بَلْ هُوَ آياتٌ بيِّناتٌ في صُدورِ الذين أوتوا العِلْمَ وما يجحدُ بآياتِنا إلا الظالمونَ ﴾ وَسَواءٌ كانَ المعنَى أنَّ القرآنَ مُسْتَقِرٌ في صُدورِ الذين أوتوا العِلْمَ ثابتٌ فِيهَا محفوظٌ وهو في نفسِهِ آياتٌ بَيناتٌ فيكونُ أخبَـرَ عنهُ بِخَبَرَيْنِ . أحدُهُما أنه آياتٌ بيناتٌ . الثاني أنهُ محفوظٌ مُسْتقرٌ ثابتٌ في صدورِ الذين أوتوا العلمَ . أو كان المعنى أنه آيات بينات في صدورهم أي كونُه آياتٍ بيناتٍ معلومٌ لهُمْ ثـابتٌ في صدورِهِمْ والقـوْلانِ مُتَلازِمـانِ لَيْسَا بمُخْتَلِفَيْنِ . وعلى التَّقْديرَيْنِ فهوَ مدْحٌ لَهُم وثَنَاءٌ عليهم في ضِمْنِهِ الاستشهادُ بِهِمْ فتأمَّلْهُ .

الوجهُ الثامنَ عَشَرَ : أنه سبحانه أمرَ نَبيَّهُ أنْ يَسْألَهُ مَزِيْدَ العِلْمِ فقال تعالى ﴿ فتعالَى اللهُ الملكُ الحقُّ ولا تعْجَلْ بالقرآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضَى إليكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبي زِدْني عِلْماً ﴾ وكفَى بهذَا شَرَفاً لِلْعِلْمِ أنْ أَمَرَ نبيَّهُ أنْ يَسْألَهُ

المزيدَ مِنْهُ . اللهم عَلِّمْنَا ما يَنْفعُنا وانْفعْنا وارْفعْنا بِمَا عَلَّمتَنا .

شعــــراً : العِلْمُ مُبْلِغُ قَوْمٍ ذُرْوَةَ الشَّرَفِ
وصَاحُب العِلْمِ مَحْفُوظٌ مِن التَّلَفِ
يَاصَاحِبَ العِلمِ مَهْلاً لا تُدَنِّسَهُ
بالمُوبقَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِن خَلَفِ
العِلْمُ يَرفَعُ بَيْتاً لا عِمَادَ لَهُ
والْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ العِزّ والشَّرَفِ

الوجهُ التاسِعَ عَشَرَ أنَّهُ سُبْحانَه أخبرَ عنْ رَفْعِهِ دَرَجاتِ أهلِ العلمِ والإيمانِ خاصَّةً . فقال تعالى ﴿ يا أيُها الذين آمنوا إذا قيلَ لكُمْ تفسَّحُوا في المجالِسِ فٱفسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لكمْ وإذا قِيلَ انشُزُوا فٱنشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الذين آمَنوا منكم والذين أُوتوا العِلْمَ درَجاتٍ واللهُ بما تَعملونَ خبير ﴾ .

قَصِيْدةٌ في الحَثِّ على طَلَبِ العِلْمِ :
يَـا تَـارِكـاً لِـمَـرَاضِـي اللهِ أوطَـانـاً
وسَـالِكـاً في طَـرِيقِ العِلمِ أحْـزَانَـا
كُنْ بـاذِلَ الجدِّ في عِلْمِ الحـديثِ تَنَـلْ
كَلَّ العُلومِ وَكُنْ بـالأصْـلِ مُشْتَـانَـا
فـالـعِـلْمُ أفْـضَـلُ مَـطْلُوبٍ وطَـالِـبُـهُ
مِن أكْمَلِ النـاسِ مِيـزانـاً وَرُجْحـانَـا
والعِلمُ نُـورٌ فكُنْ بـالـعلمِ مُعْتَـصِمـاً
إنْ رُمْتَ فَـوْزاً لَـدَى الـرحمنِ مَولانَـا
وهـو الـنَّـجَـاةُ وفـيـهِ الخَـيرُ أجْـعـمُـهُ
والجَـاهِـلُون أخَـفُّ النـاسِ مِـيزانَـا
والعِلمُ يَـرفَـعُ بَيتـاً كَـان مُنْخَـفِضـاً

وارفعُ النـاسِ أهـلُ العِلْمِ مَنْـزِلـةً
والجهـلُ يَخْفِضُـهُ لـو كـان مـا كـانَـا

وأوضعُ النَاسِ مَنْ قـد كـان حَيْـرانَـا
لا يَـهْتـدي لِـطَريقِ الحقِ مِنْ عَمَـهٍ

بـل كـانَ بالجهـلِ مِمَّن نـال خُسرانَـا
تلقـاهُ بينَ الـوَرَى بـالجَهـلِ مُنْكسِـراً

لا يَـدْرِ مَـازانَـهُ في النـاسِ أوشَـانَـا
والـعِلمُ يَـرْفَـعُـهُ فـوقَ الـوَرَى دَرَجـاً

والنـاسُ تَعْـرفُـهُ بـالـفَضْـلِ إذْعـانَـا
وطـالـبُ الـعِلمِ إنْ يَـظْفَـرْ بِبُغْيَتِـهِ

يَنـالُ بـالـعلمِ غُـفْـرانـاً وَرِضْـوانَـا
فـاطلبْـهُ مُجْتَهِـداً مـا عِشْتَ مُحْتَسِبـاً

لا تَبْـتغِي بَـدَلاً إنْ كُـنْـتَ يَـقْـظَانَـا
مَنْ نَـالَـهُ نـالَ في الـدَّارينِ مَنْـزِلـةً

أَوْ فَـاتَـهُ نَـالَ خُسـرانـاً وَنُقْصـانَـا
وبَـاذِلُ الجِـدِّ فـي تَحْصِـيْـلِهِ زَمَـنـاً

ولَمْ يَكنْ نـالَ بعـدَ الجِـدِّ عِـرْفـانَـا
فلَنْ يَضِيـعَ لـهُ سَعْـيٌ ولا عَـمَـلٌ

عِـنْـدَ الإلَـهِ ولا يُـولِيـهِ خُـسْـرانَـا
فـطالبُ العِلمِ إنْ أصْفَى سَـريـرَتَـهُ

يَنَـالُ مِـنْ رَبِّـنـا عَـفْـواً وَرِضْـوانَـا
فـالـعِلمُ يَـرْفَـعُـهُ في الـخُلْدِ مَـنْـزِلَـةً

والجَهَـلُ يُصْليـهِ يـومَ الحَشْـرِ نِيـرانَـا

والجَهَلُ في هذهِ الدُنيا يُنَقِّصُهُ
والعِلمُ يكْسُوْهُ تاجَ العِزِ إعْلانَا
وإنْ تُرِدْ نَهْجَ هذا العِلْمِ تَسْلُكُهُ
أو رُمْتَ يوماً لِمَا قَدْ قُلْتُ بُرْهانَا
فَألْقِ سَمْعاً لِمَا أُبْدِي وكُنْ يَقِظاً
ولا تَكُنْ غَافِلاً عن ذاكَ كَسْلانَا
قد أَلَّفَ الشيخُ في التوحيدِ مُخْتصَراً
يَكْفِي أَخَا اللُبِّ إيضَاحاً وَتِبْيانَا
فيهِ البيانُ لِتَوْحِيدِ الإلهِ بما
قد يَفعلُ العبدُ للطاعاتِ إيمانَا
حُبّاً وَخوفاً وَتَعْظِيماً لهُ وَرَجا
وَخَشْيةً منهُ لِلرَّحْمنِ إذْعانَا
كَذَاكَ نَذْراً وَذَبْحاً واسْتِغاثَتُنا
والاستعانةُ بالمعبودِ مَوْلانَا
وغيرُ ذلكَ ممَّا كان يَفْعَلُهُ
لِلهِ مِنْ طاعةٍ سِرّاً وإعْلانَا
وفيهِ تَوْحيدُنَا رَبَّ العِبادِ بما
قد يَفعلُ اللهُ أحْكاماً وإتْقانَا
خَلْقاً وَرِزْقاً وإحْياءً وَمَقْدُرةً
بالاخْتِرَاعِ لِمَا قد شاءَ أو كانَا
وَيَخْرُجُ الأمرُ عنْ طَوْقِ العَبادِ لهُ
وذاكَ مِنْ شأنِهِ أَعْظِمْ بهِ شانَا
وفيهِ توحيدُنا الرحمنَ أنَّ لَهُ

صِـفـاتِ مَجْـدٍ وأسْـمـاءً لِمَـوْلاَنـا
تِسْـعٌ وَتِسعُونَ إسْمـاً غيرَ مـا خَفِيَتْ
لا يَسْتَـطِيْـعُ لهـاَ الانسـانُ حُسْبـانَـا
مِمَّـا بِـهِ آسْتـأثَـرَ الـرحمنُ خـالقُنـا
أو كـان علَّمَـهُ الـرحْـمـنُ إنسـانَـا
نُـمِـرُّهـا كَيْـفَ جَـآءت لا نُـكَيِّـفهـا
بَـلْ لا نُـؤَوِّلـهَـا تـأوِيْـلَ مَـنْ مَـانَـا
وَفِـيـهِ تِبْـيـانُ إشْـراكٍ يُـنـاقُـضُـهُ
بـل مَـا يُنَـافِيـهِ مِن كُفْـرانِ مَنْ خـانَـا
أَوْ كَـانَ يَقْـدَحُ في التَّـوحْيْـدِ مِنْ بِـدَعٍ
شَنْعـاءَ أحْـدَثَهَـا مَنْ كـان فَتَّـانَـا
أوِ الـمَعَـاصِي الَّتِي تُـزْرِي بِفَـاعِـلِهـا
مـمَّـا يُنَـقِّصُ تَـوْحِـيْـداً وإيـمـانَـا
فَـسَـاقَ أنْـواعَ تَـوْحـيْـدِ الإلـهِ كَمَـا
قـد كـانَ يَعْـرِفُـهُ مَنْ كـانَ يَقْـظَانَـا
وَسَـاقَ فيـهِ الـذي قـد كـان يَنْقُضُـهُ
لِتَعْـرِفَ الـحقَّ بـالأضْـدَادِ إمْعَـانَـا
مُـضَـمِّنـاً كُـلَّ بـابٍ مِنْ تَـرَاجُـمِـهِ
مِـنَ الـنُّـصـوصِ آحَـادِيـثـاً وَقُـرآنَـا
فـالشيـخُ ضَمَّـنَـهُ مـا يَـطْمَئِنُّ لـهُ
قَلْبُ المُـوحِّـدِ إيْـضَـاحـاً وَتِبْـيـانَـا
فـاشْدُدْ يَـدَيْكَ بـهِ في الأصْـلِ مُعْتَصِماً
يُـورِثْـكَ فِيْمَـا سِـوَاهُ الـلهُ عِـرْفـانَـا

وانْظُرْ بِقَلْبِكَ في مَبْنَى تَراجُمِهِ
تَلقَى هُنالِكَ لِلتَّحْقِيْقِ عُنْوانَا
ولِلْمَسَائِلِ فانْظُرْ تَلْقَهَا حِكَماً
يَزْدَادُ مِنهنَّ أَهْلُ العِلْمِ إتْقانَا
وَقُلْ جَزَى اللهُ شِيخُ المُسلمينَ كَما
قَدْ شَادَ لِلْمِلَّةِ السَّمْحَاءِ أَرْكَانَا
فقامَ لِلهِ يَدْعُو النَاسَ مُجْتهِداً
حتى استجابُوا لَهُ مَثْنَى وَوُحْدانَا
وَوَحَّدُوْا اللهَ حَقّاً لا شَرِيْكَ لَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا انْهَمَكُوا في الكُفْرِ أَزْمَانَا
وأَصْبحَ الناسُ بعدَ الجهلِ قدْ عَلِمُوا
وطالَ ما هَدَمُوا لِلدِّين بُنْيانَا
وأَظْهَرَ اللهُ هَذا الدِينَ وانْتَشَرَتْ
أَحْكامُهُ في الوَرَى مِنْ بَعْدِ أَنْ كَانَا
بالْجَهْلِ والكُفْرِ قَدْ أَرْسَتْ مَعالِمُهُ
لا يَعْرِفُ الناسُ إلَّا الكُفْرَ أَزْمَانَا
يَدْعُونَ غيرَ الإلٰهِ الحقِّ مِنْ سَفَهٍ
وَيَطْلُبُوْنَ مِنَ الأَمْواتِ غُفْرانَا
وَيَنْسِكُونَ لِغَيْرِ اللهِ ما ذَبَحُوا
وَيَنْذِرونَ لِغَير اللهِ قُرْبَانَا
وَيَسْتغِيْثُونَ بالأَمْواتِ إنْ عَظُمَتْ
وأَعْضَلَتْ شِدَّةٌ مِنْ حادِثٍ كانَا
وَيَنْدِبُونَ لَهَا زيداً لِيَكْشِفَها

بَـلْ يَنْدِبُـونَ لَهَا تَـاجَـاً وَشُمْسَـانَـا

فَـزَالَ ثَمَّ بِهَـذَا الشيـخِ حِينَ دَعَـا

مَنْ صَـدَّ أَوْ نَـدَّ عَنْ تَـوْحِيْدِ مَـوْلانـا

فَـلَيْسَ مِـنْ أَحَـدٍ يَـدْعُـو وَلـيجَـتَـهُ

يـومـاً بـنـجْـدٍ ولا يَـدْعُـونَ أَوْثَـانـا

بَـلِ الـدُّعـا كـلُّهُ والـدِّيـنُ أجْـمـعُـهُ

لِـلـهِ لا لِـسِـوَى الـرَّحْـمـنِ إيْـمَـانـاً

فـاللهُ يُعْـلِيـهِ في الـفِـرْدَوسِ مَنْـزِلـةً

فَـضْـلاً وَجُـوداً وَتَكْـريـمـاً وإحْسَـانـا

والـلهُ يُـوْلِـيـهِ أَلْـطَافـاً وَمَـغْـفِـرَةً

ورحْـمـةً مِـنْـهُ إحْـسَـانـا وَرِضْـوَانَـا

ثم الصـلاةُ على المَعْصُـومِ سيِّـدِنـا

أَزْكَـى الـبـرِيـةِ إيـمـانـاً وعِـرْفـانـا

مـا نَـاضَ بَـرْقٌ وما هبَّ النَّسِيْمُ وَمَـا

مسَّ الـحَجِيْـجُ لِبَيْـتِ اللّٰهِ أَرْكَـانـا

أَوْ قَهْقَـهَ الـرَّعْـدُ في هَـدْبـاءَ مُـدْجِنَـةٍ

أَوْ نـاحَ طيـرٌ عَلى الأغصـانِ أَزْمـانـا

والآلِ والـصَّـحْـبِ ثُمَّ الـتـابعيـنَ لـهُـمْ

عـلى المَحَجَّـةِ إيْـمـانـاً وإحْسَـانـا

اللَّهُمَّ هبْ لَنَا ما وَهَبْتَهُ لِأَوليائِكَ وَتَوَفَّنا وأنت راضٍ عِنَّا وقد قَبلْتَ اليسيرَ مِنّا واجعلْنا يا مولانا من عبادِكَ الذين لا خوفٌ عليهم ولا هُمْ يحزنونَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ، اللَّهُمَّ احفظنَا بالإِسلامِ قَائِمِيْنَ واحْفَظْنَا بالإِسلامِ قَاعِدِينَ واحفظنَا بالإِسلامِ رَاقدينَ

ولا تُشمِتْ بنا الأَعْدَاءَ ولا الحَاسِدِينَ، اللَّهُمَّ وعافِنا مِن مِحَنِ الزّمانِ وعَوارضِ الفِتنِ فإنَا ضعَفاء، عن حَمْلها وإن كنّا مِن أهْلها فَعافيتُكَ أَوْسَعُ ياواسعُ ياعليمُ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(**فَصْلٌ ١٣**): وقدْ أَخْبَرَ سبحانَهُ في كتابِهِ برَفْعِ الدرجاتِ في أربعةِ مزاضِعَ، أحدُها هذا. والثاني قَولُهُ ﴿ إنّما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قلوبُهم واذا تُلِيَتْ عَلَيهم آياتُه زادتْهُم إيماناً وعلى رَبّهِمْ يَتوَكَّلُون، الذينَ يُقيمونَ الصَّلاةَ ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أولئك هُمُ المؤمنون حَقاً لهمْ درجاتٌ عندَ رَبّهِمْ ومَغْفِرَةٌ ورزقٌ كريمٌ ﴾. (والثالثُ) قولُه تعالى ﴿ ومَنْ يأْتِهِ مؤمناً قد عَمِلَ الصالحاتِ فأولئكَ لهُمُ الدرجاتُ العُلَى ﴾ (والرابعُ قولُه تعالى ﴿ وفَضَّلَ اللهُ المجاهدينَ على القاعدينَ أجْراً عظيماً درجاتٍ منهُ ومغفِرةً وَرَحْمَةً ﴾ فهذهِ أربعةُ مواضِعَ في ثلاثةٍ مِنْها الرِّفعةُ بالدرجاتِ لِأهْلِ الرِّفْعةِ بالجِهاتِ فعادَتْ رِفْعَةُ الدرجاتِ كلِّهَا إلى العِلْمِ والجهادِ اللذَيْنِ بهما قِوامُ الدِّيْنِ.

الوجهُ العشرون: أنه سُبْحانه ٱسْتَشْهَدَ بأهْلِ العِلْمِ والإيْمانِ يومَ القِيامَةِ على بُطْلانِ قَوْلِ الكُفَّارِ فقالَ تعالى ﴿ ويَوْمَ تقومُ الساعةُ يُقْسِمُ المُجْرِمونَ مَا لبِثُوا غيرَ ساعةٍ كذلكَ كانوا يُؤْفَكونَ وقال الذين أُوتوا العِلْمَ والإيْمانَ لقدْ لَبِثْتُمْ في كِتَابِ اللهِ إلى يَوْمِ البَعْثِ فهذا يومُ البَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كنتمْ لا تعلمونَ ﴾.

الوجهُ الحادِي والعشرونَ أَنَّهُ سُبْحانَه أخْبَرَ أنهُمْ أهْلُ خَشْيَتِهِ بلْ خَصَّهمْ مِنْ بينِ الناسِ بذلك. فقالَ تعالى ﴿ إنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العلماءُ إنَّ اللهَ عزيزٌ غفورٌ ﴾.

شعــــرا

لَايَنَــالُ العِلْــمَ شَخْصٌ وَقْتُــهُ
ضَائِعٌ عِنْدَ المَلَاهِــيْ والكُــرَهْ

والتَّلافِيْــــزِ وَمِذْيَــــاعِ الضَّرَرْ
وَكَذَا الفِدْيُــو فَحَــذِّرْ واحْذرَهْ

(فَصْلٌ) فِي قَولِهِ تَعالَى ﴿إنمَّا يَخْشَى اللهُ من عِبَادِهِ العُلَمَاء﴾

وهذا حَصْرٌ لِخَشْيَتِهِ في أُولي العِلْم. وقال تعالى ﴿ جزاؤُهُم عندَ رَبِّهِمْ جنات عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ خالدِينَ فِيها أبَداً رضِيَ اللهُ عنهُمْ وَرَضوا عنه ذلك لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ أَهلَ خَشْيَتِهِ هُمُ العُلَماءُ. فَدَلَّ على أنَّ هذا الجزاءَ المذكورَ للعلماءِ بمجموعِ النَّصَّيْنِ. وقالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ كَفَى بخشيةِ اللهِ عِلْماً وَكَفَى بالاغْتِرَارِ باللهِ جَهْلاً.

الوجهُ الثاني والعشرونُ: أَنَّهُ سبحانَه أخْبَرَ عنْ أمْثَالِهِ التي يضرُبها لِعبادِهِ يَدُلُّهم على صِحَّةِ ما أخبرَ بِهِ أنَّ أهلَ العلمِ هم المُنْتَفِعُونَ بها المختصُّونَ بعِلْمِهَا فقالَ تعالَى ﴿ وتلكَ الأمثالُ نضرِبُهَا للنّاسِ وما يَعْقِلُها إلا العَالِمونَ ﴾ وفي القرآنِ بِضْعةٌ وأربعونَ مَثَلاً وكان بعضُ السَّلَفِ إذا مَرَّ بِمَثَلٍ لا يفهَمُهُ يَبْكِي ويقولُ لَسْتَ مِنَ العالمِين.

الوجهُ الثالثُ والعشرون: أنَّهُ سُبْحانَهُ ذَكَرَ مُنَاظَرةَ إبراهيمَ لأبيهِ وَقَوْمِهِ وَغلَبتِهِ لَهُمْ بالحُجةِ وأخبَرَ عن تفضيلِهِ بذلكَ وَرَفْعِهِ دَرجَتَهُ بعلمِ الحُجَّةِ فقالَ تعالَى عُقَيْبَ مُنَاظَرتِهِ لِأَبيهِ وَقَومِهِ في سُورةِ الأنعام ﴿ وتلكَ حُجَّتُنَا آتَيْناها إبراهيمَ على قَومِهِ نَرفعُ درجاتٍ مَنْ نَشاءُ إنَّ رَبَّكَ حكيمٌ عليمٌ ﴾ قال زيدُ بنُ أَسْلَمَ رَضِيَ اللهُ عنهُ نرفعُ درجاتٍ مَنْ نشاءُ بعلمِ الحُجَّةِ.

الوجهُ الرابعُ والعشرونَ : أنّه سُبْحانَهُ أخبَرَ أنَّهُ خَلَقَ الخَلْقَ ووضَعَ بيتَهُ الحرامَ والشهرَ الحرامَ والهَدْيَ والقَلائدَ لِيُعْلِمَ عِبادَهُ أنهُ بكلِ شيءٍ عليمٌ وعلى كلِ شيءٍ قديرٌ فقالَ تعالَى ﴿ اللّهُ الذي خَلَقَ سَبْعَ سَمواتٍ وَمن الأرض مثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأمرُ بينَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ عَلَى كلِّ شَيءٍ قَدِير وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بكلِّ شيَءٍ علماً ﴾ فَدَلّ على أنّ علمَ العِبادِ بربِّهِمْ وَصِفاتِهِ وعبادَتِهِ وَحْدَهُ هو الغايةُ المطلوبةُ مِنْ الخَلْق والأمْرِ .

شعـــرا : العِلْمُ يَغْرِسُ كُلَّ فَضْلٍ فاجْتَهِدْ
أنْ لا يفوتَكَ فَضلُ ذاكَ المَغْرِسُ
واعلَمْ بأنَّ العِلْمَ ليس ينالُهُ
مَنْ هَمُّهُ في مَطْعَمٍ أو مَلْبَسِ
إلاَّ أَخُو العِلْمِ الذي يزهو به
في حالَتَيْهِ عارياً أوْ مُكْتَسِي
فاجْعلْ لنفسِكَ مِنْهُ حَظّاً وافِراً
واهجُرْ لَهُ طِيبَ الرُّقادِ وَعَبِّسِ
فَلَعلَّ يوماً إن حَضَرْتَ بِمَجْلِسٍ
كُنْتَ الرَّئِيسَ وَفَخْرَ ذاكَ المجْلِسِ

آخـــر :

شُغِلْنَا بِكَسْبِ العِلْمِ عن مَكْسَبِ الغِنَى ... كَشُغْلِهُمُ عن مَكْسَبِ العِلْمِ بالْوَفْرِ
فَصَارَ لهم حَظٌّ مِن الجَهْلِ والغِنَى ... وَصَارَ لَنَا حَظٌّ مِن العِلْمِ والفَقْرِ

آخـــر :

إذا مَا اْعتزَ ذُو عِلْمٍ بعِلمٍ ... فَعِلْمُ الفِقْهِ أَوْلَى باعْتِزَازِ
فكَم طِيْبٍ يَفُوحُ ولا كَمِسْكٍ ... وكَمْ طَيْرٍ يَطِيرُ ولا كَبَازِي

آخـــر :

لَيْسَ الحَياةُ بأنْفاسٍ تُردِّدُهَا ... إنَّ الحياةَ حَيَاةُ العِلْمِ والعَمَلِ

آخــــــر :

يا طالبَ العِلمِ لا تَرْكَنْ إلى الكَسَلِ ... واعْجَلْ فَقَد خُلِقَ الإنسانُ مِن عَجَلِ
واسْتَعْمِلِ الصَّبْرَ في كَسْبِ العُلوم وَقُلْ ... أعُوذُ باللهِ مِن عِلْمٍ بلا عَمَــــلِ

آخــــــر :

الفِقْهُ أنْفَسُ شيَءٍ أَنْتَ ذَاخِرُهُ ... مَن يَدْرُسِ العلم لَم تَدْرُسْ مَفَاخِرُهُ
فاكْسِبْ لِنفسِكْ مَا أَصْبَحْتَ تَجْهلُهُ ... فَــأوَّلُ العِـــلْمِ إقبَــالٌ وآخِـــرُهُ

آخـــر :

ومَنْ بَغَى نيل فِقْهٍ وَهْوَ في دَعَــةٍ ... كَمَنْ بَغَى مِنْ صَفَاةٍ دَرَّحَلَّابِ

آخــــــر :

العِلْمُ يَمْنَعُ أهْلَهُ أَنْ يُمْنَعَـــــا ... فاسْمَحْ به تَنَلْ المحَلَ الأرْفَعَـــــا
واجْعَلْهُ عِنْدَ المُسْتَحِقِ وَدِيْعَـــةً ... فَهْوَ الذِي مِن حَقِّهِ أَنْ يُوْدَعَـــا
والمُسْتَحِقُ هو الذي إنْ حَـــازَهُ ... يَعْمَلْ بِهِ أوْ إنْ تُلَقِنَـــــهُ وَعَـــا

آخــــــر :

إذا لم يَزِدْ عِلمُ الفَتى قَلبَه هُدىً ... وسِـيرَتَهُ عَـدْلاً وأَخَــلاقَـه حُسْـــنَا
فَبشِّــرْهُ أنَّ اللَّـهَ أولاهُ فِتْنَــةً ... تُغَشِّيهِ حِـرْمَـانـاً وتوْسِـعُه حُـزْنَا

آخــــــر :

بِقَدْرِ الجِدِّ تُكْتَسبُ المَعَـــالِي ... ومَن طَلَبَ العُلا سَهِــــرَ اللَّيَالِيْ
نَزومُ العِـــزَّ ثم تَنامُ عَنْـــهُ ... يَغوْصُ البَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللآلِيْ

آخــــر : عَــوِّدْ بنـيْـكَ عـلى الآدابِ فـي الـصِّـغَـرِ
كَيْمَــا تَقَــرَّ بِهِمْ عَيْنَـاكَ فـي الـكِـبَرِ
فـإنَّــمَــا مَثَــلُ الآداب تَجْمعُـــهـا
فِي عُنْفُـوَانِ الصِّبـا كالنَّقْشِ فِي الحَجَـرِ
هِـيَ الكُنـوزُ الَّـتِي تَنْمُـوْ ذَخَــائِـرُها
وَلَا يُخَــافُ عليهــا حــادِثُ الـغِـيَـرِ

إنَّ الأَدِيبَ إذا زَلَّتْ بهِ قَدَمٌ
يَهْوِي على فُرُشِ الدّيباجِ والسُرُرِ

آخر: حَاوِلْ جَسِيْمَاتِ الأُمُور ولا تَنِيْ إِنَّ المَحَامِدَ والعُلا أَرْزَاقُ
وأرْغَبْ بنفسِكَ أنْ تكُوْنَ مُقصراً عن غَايةٍ فيها الطُّلَابُ سِبَاقُ

لَوْ لَمْ يَكُنْ مِن فَضْلِ العِلْمِ إِلَّا أَنَّ الجُهَّالَ يَهَابُونكَ ويُجلُونَكَ وَأَنَّ العُلماءَ العَامِلُون بَعِلمِهِمْ البَعِيْدُوْنَ عن الرِيَاءِ وَحُبِّ الظُهُورِ يُحِبْوَنَكَ ويُكْرِمُونَكَ لَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا دَعِياً إلى وَجُوبِ طَلِبَه فَكَيْفَ بِسَائِرِ فَضَائِلِه في الدُنيا والآخِرَة.

وَلَوْ لَمْ يكن مِن نقصِ الجهلِ إلا صَاحِبَه يَحْسِدُ العُلماءَ ويُحْتَقَرُ عندَ الناسِ حتى عندَ أهلِهِ وأَقْرِبَائِهِ وجِيرَانِهِ فكيف بسائِرِ رَذَائِلِه ومَسَاوِيْهِ في الدُنيا والآخرة.

ولو لم يكن مِن فَضْلِ العِلمِ إلاّ أنّه يُقطَعُ المشتَغِلَ بهِ عن الوَسَاوِسِ المُضْنِيَةِ والأَفكارِ الرَّدِيئَةِ ومَطَارِحِ الآمالِ التي لا تفُيْد غيْرَ الهمِ والغَمِ لكَانَ ذلك أَعْظَمُ دَاعٍ فكيفَ ولَهُ مِنَ الفضائِلِ والمحاسِنِ ما يَطُول ذِكْرُهُ.

أَلَا رُبَّ مَنْ قَدْ أنْحَلَ الزُّهدُ جِسْمهُ كَثِيْرَ صَلاةٍ دَائِمُ الصومِ عَابِدُ
يَرُوم وِصَالاً وهو بالطُرْقِ جَاهِلٌ إذا جُهِلَ المَقْصُودُ قد خَابَ قاصِدُ
قليلٌ مِن الأَعمالِ بالعِلمِ نَافِعٌ كَثِيرٌ مِن الأَعمالِ بالجَهْلِ فاسِدُ

اللهمَّ أعفُ عنْ تَقْصِيرنَا في طَاعَتِكَ وشُكْرِكَ وأَدِمْ لَنَا لُزومَ الطَّريقِ إلى مَا يُقَرّبُنَا إليكْ وَهبْ لَنا نوراً نَهْتَدِيَ به إليكَ ويَسِّرْ لَنا ما يسَّرْتَهُ لأَهْلِ مَحَبّتِكَ وأَيْقِظَنا مِن غَفْلاتِنا وأَلهِمْنَا رُشْدَنا واسْتُرْنا في دُنْيَانَا وآخِرَتِنَا واحْشُرْنَا في زُمْرَةِ المتقِين وأَلْحِقْنَا بعِبَادِكَ الصالِحِينْ واغفرْ لنا ولوالِدِينا ولجميعِ المسلمِين الأحياءِ مَنهم والميتينَ برَحْمَتِكَ يا أرحم الراحمينَ وصلى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ.

(فصــل)

الوجهُ الخامِسُ والعشرونَ : أنه سُبْحانَهُ أَمَرَ أَهْلَ العِلْمِ بالفَرَحِ ، بما آتاهُمْ وأخبَرَ أنهُ خيرٌ مِمَّا يَجْمعونه الناسُ فقالَ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فبذلك فَلْيَفْرَحُوا هو خيرٌ مِمَّا يَجْمَعُون ﴾ وَفَسَّرَ اللهُ الفضْلَ بالإيمانِ وَرَحْمَتَهُ بالقرآنِ والإيمانُ والقرآنُ هما العلمُ النـافعُ والعمـلُ الصالحُ والهُدَى ودينُ الحقِ وهما أفضلُ عِلْمٍ وأفضلُ عَمَلٍ .

الوجهُ السادسُ والعشرون : أَنَّهُ سُبْحانَهُ شَهِدَ لِمَنْ آتاهُ العِلْمَ بأنهُ قد آتاهُ خيراً كثيراً فقال تعالى ﴿ يُؤْتِي الحِكْمَةَ من يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فقد أُوْتِيَ خيراً كثيراً ﴾ قال ابنُ قُتَيْبَةَ والجُمهورُ الحكمةُ إصابةُ الحقِ والعملُ بِهِ وهِيَ العِلْمُ النافعُ والعَمَلُ الصالحُ .

الوجهُ السابعُ والعشرونَ : أنه سُبحانَهُ عدَّدَ نِعَمَهُ وَفَضْلَهُ على رسولِهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وجعلَ مِنْ أجلِهَا أنْ آتاهُ الكِتابَ والحِكْمَةَ وَعلَّمَهُ ما لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ فقال تعالى ﴿ وأَنزلَ اللهُ عَليكَ الكتابَ والحِكْمةَ وَعلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تعلمُ وكَان فضْلُ اللهِ عَليكَ عظيماً ﴾ .

الوجه الثامِنُ والعشْرونَ : أَنَّهُ سُبْحانَهُ ذَكَرَ عِبادَهُ المؤمنينَ بِهَذِهِ النِّعْمةِ وأَمَرَهُمْ بِشُكْرِهَا وأنْ يَذْكُرُوهُ على إسْدائِها إليْهِمْ فَقَالَ تعَالَى ﴿ كَمَا أرْسَلْنَا فيكُمْ رسولاً منكُمْ يَتْلُو عليكُم آياتِنا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتابَ والحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تكونوا تَعْلمون . فاذْكُروني أذكُرْكُم واشْكروا لي ولا تَكْفُرُون ﴾ .

الوجهُ التاسعُ والعِشْرونَ : أَنَّهُ سُبْحانَه لمَّا أنْ عَرَّفَهُمْ فَضْلَ آدمَ بالعِلْمِ وَعَجْزَهُم عن مَعْرفَةِ ما عَلَّمَهُ قال لَهُمْ ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ أنِّي أعْلَمُ غَيْبَ السمواتِ والأرْضِ وأعْلَمُ ما تُبْدُونَ وما كنتُمْ تَكْتُمون ﴾ فعرَّفَهُمْ

سبحانه نَفْسَه بالعِلمِ وأنه أحاطَ عِلمُهُ بظاهِرِهِمْ وباطِنِهِمْ وَبِغيبِ السمواتِ والأرضِ فَتَعَرَّفَ إليْهِمْ بِصِفَةِ العِلْمِ وَعَرَّفَهُمْ فَضْلَ نَبِيِّهِ وَكليمِهِ بالعِلْمِ وَعَجْزَهُمْ عَمَّا آتاهُ آدمَ مِنَ العِلْمِ وَكَفَى بهذا شَرَفاً للعِلْمِ .

وَبيانُ فَضْلِ العِلْمِ مِنْ هذه القصةِ مِنْ وُجُوهٍ . أحدُها أنه سُبْحانَهُ جَعَلَ في آدَمَ مِنْ صِفاتِ الكَمالِ مَا كَانَ بِهِ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ المَخْلوقاتِ وأرادَ سُبحانَهُ أنْ يُظْهِرَ لِمَلائِكَتِهِ فَضْلَهُ وَشَرَفَهُ فَظَهَرَ لهُمْ أحْسَنُ ما فيهِ وَهُوَ عِلْمُهُ فَدَلَّ على أنَّ العِلْمَ أشْرَفُ مَا في الإنْسانِ وأنَّ فضْلَهُ وَشَرَفَهُ إنَّما هو بالعِلْمِ وَنَظِيرُ هذا ما فَعَلَهُ بِنَبِيِّهِ يُوسُفَ عليهِ السلامُ لَمّا أرادَ إظْهارَ فَضْلِهِ وَشَرَفِهِ على أهلِ زَمانِهِ كُلِّهِمْ أظهرَ للمَلِكِ وأهلِ مِصرَ مِنْ عِلْمِهِ بتأويلِ رؤ ياهُ مَا عَجزَ عنهُ علماءُ التعبيرِ فحينئذٍ قَدَّمَهُ وَمَكَّنَهُ وَسَلَّم إليهِ خزائنَ الأرْضِ وكانَ قَبلَ ذلك قَدْ حَبَسَهُ على ما رآهُ مِنْ حُسْنِ وجهِهِ وَجَمالِ صُورتِهِ ولَما ظَهَرَ لَهُ حُسْنُ صُورةِ علمِهِ وجمالُ مَعْرِفَتِهِ أطلقهُ مِنَ الحَبْسِ وَمَكَّنَهُ في الأرْضِ فَدَلَّ على أنَّ صُورةَ العِلْمِ عنْدَ بَني آدمَ أبْهَى وأحْسَنُ من الصورةِ الحِسِّيَّةِ ولو كانتْ أجملَ صُورَةٍ . وهذا وجهٌ مستقلٌ في تفضيلِ العِلْمِ مضافٌ إلى ما تقدَّمَ فَتمَّ بهِ ثلاثين وَجْهاً .

الوجهُ الحادي والثلاثون : أنه سُبْحانَهُ ذمَّ أهلَ الجَهْلِ في مواضعَ كثيرةٍ من كِتابِهِ .

الوجه الثاني والثلاثون أنّ العلمَ حَياةٌ وَنُورٌ ، والخيرُ كله سَبَبُهُ النورُ والحياةُ فإنّ النورَ يكشِفُ عن حقائِقِ الأشياءِ وَيُبَيّنُ مَراتِبهَا والحياةُ هي المُصَحِّحَةُ لصفاتِ الكمالِ الموجِبَةُ لِتَسْديدِ الأقوالِ والأعمالِ فَكُلّما تَصَرَّفَ مِنَ الحياةِ فَهُوَ خيرٌ كلُّهُ كالحَياءِ الذي سببُهُ كمالُ حياةِ القلبِ وَتَصَوُّرُهُ حقيقةَ القُبْحِ وَنُفرتُهُ منهُ وَضِدُّهُ الوَقاحةُ والفُحْشُ وسَبَبُهُ موتُ

القلبِ وعدمُ نُفْرتِهِ مِنَ القبيحِ وكالحَيَا الذي هو المطرُ الذي بِهِ حياةُ كلِّ شيءٍ قال تعالى ﴿ أو مَنْ كانَ مَيْتاً فأحْيَيْناهُ وجعلنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ في الناسِ كَمَنْ مَثَلُهُ في الظُلُماتِ ليس بخارجٍ منها ﴾ كان مَيْتاً بالجهلِ قَلبُهُ فأحياهُ بالعِلْمِ وَجَعَلَ لَهُ مِنَ الإيمانِ نُوراً يَمْشِي بِهِ في الناسِ .

الوجهُ الثالثُ والثلاثون : أن اللهَ سبحانَهُ جَعَلَ صَيْدَ الكلبِ الجاهِلِ مَيْتَةً يحرُمُ أكلُها وأباحَ صَيْدَ الكلبِ المُعَلَّمْ وهذا أيضاً مِنْ شَرَفِ العلمِ أنهُ لا يُباحُ إلا صَيْدُ الكلبِ العالِمِ وَأمَّا الكلبُ الجاهلُ فلَا يَحِلُّ أكلُ صَيْدِهِ فدلَّ على شَرَفِ العِلمِ وَفَضْلِهِ .

شِعْرًا: إذاَ مَا أُناسٌ فَاخَرُونَا بِمَالِهِمْ — فإنِّي بِمِيراثِ النَّبيين فَاخِـرٌ
أَلم تَرَ العِلْـمَ يُذْكَـرُ أَهلُـه — بِكُلِّ جَمِيلٍ فيه والعَظمُ نَاخِرْ
سَقَى الله أَجْدَاثاً أَجَنَّتْ مَعاشِراً — هُمُ أَبْحُرٌ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ زَوَاخِرُ

آخر: العِلْمُ بالتَّوحِيْدِ أَفْضَلُ مُكْتَسَبْ — ثُمَّ الحِدِيْث يَتْلُوْهُ فنِعْمَ الأَدَبْ
فاشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلَيْهِمَـا — فَلِحَبْلَيْهِمَـا أَقْـوى سَبَبْ
هذا هو الكنْـزُ الـذي — يَبْقَـى إذَا فَنِـي الـذَّهَبْ

وقـال رحمـه الله :
الله سبحـانـه وتعـالى خلق الخلق لعبـادتـه الجامعة لمحبته وإيثار مرضاته ، المسلتزمة لمعرفته ، ونصب للعباد علماً لا كمال لهم إلا به .
وهـو : أن تكون حركاتهم كلها موافقة على وفق مرضاته ومحبته ، ولذلك أرسل رسله وأنزل كتبه ، وشرع شرائعه .
فكمال العبد الذي لا كمال له إلا به ، أن تكون حركاته موافقة لما يحبه الله منه ويرضاه له . ولهذا جعل إتباع رسوله ﷺ دليلاً على محبته . قال تعـالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ .

فالمحب الصادق يرى خيانة منه لمحبوبه أنْ يتحرك بتحركة إختيارية في غير مرضاته ، وإذا فعل فعلاً مما أبيح له بموجب طبيعته وشهوته تاب منه كما يتوب من الذنوب ، ولا يزال هذا الأمر يقوى عنده حتى تنقلب بها مباحاته كلها طاعات .

فيحتسب نومه وفطره وراحته كما يحتسب قومته وصومه واجتهاده ، وهو دائماً بين سراء يشكر الله عليها ، وضراء يصبر عليها ، فهو سائر إلى الله تعالى دائماً في نومه ويقظته .

قال بعض العلماء : الأكياس عاداتهم عبادات الحمقى والحمقى عباداتهم عادات .

شعراً : لا يحقِرِ الرجُلُ العَظِيمُ دَقِيقَةً   فى السَّهْوَ فيها لِوَضِيْعٍ مَعَاذِرُ
فَكَبائِرِ الرجُلِ الصَّغيْرِ صَغَائِرٌ   وصَغَائِرُ الرجُلَ الكبيرِ كَبَائِرُ
آخـر :دعَ التَّعْلِيلَ والتَّسْوِيفَ واقْبلْ   على مَوْلَاك تَغْنَمْ نَيْلَ حَظٍّ
أدِمْ بالحَزْمَ إقْبَالاً عليْـه   عَسَى تَحْـظَى بتَوفِيـقٍ وحِفْظِ
ونَقِّ القَلْبَ مِن شُبُهـاتِ زَيْـغٍ   تَرَاهُ مَعْنَـوِيّاً ثـمَّ لَفْـظِي
ورِدْ حَوْضَ الشَّرِيعَةِ مَعْ صَفَاءٍ   وَجَانِبْ كُلَّ ذِيْ حَسَدٍ وَغَيْظِ
وَرَقِّ النَفسَ بالعِرْفَـانِ تَزْكُو   وتَظْفَـر بالمُنَى مِنْ كُلِّ وَعْظِ

وقال بعض السلف : حبذا نوم الأكياس وفطرهم يغبنون به سهر الحمقى وصومهم ، فالمحب الصادق إن نطق نطق لله وبالله ، وإن سكت سكت لله وإن تحرك فبأمر الله ، وإن سكن فسكونه إستعانة على مرضات الله فهو لله وبالله ومع الله .

ومعلوم أن صاحب هذا المقام ، أحوج خلق الله إلى العلم ، فإنه لا تتميز له الحركة المحبوبة لله من غيرها ولا السكون المحبوب لله من غيره إلا بالعلم . فليست حاجته إلى العلم كحاجة من طلب العلم لذاته .

ولأنه في نفسه صفة كمال ، بل حاجته إليه كحاجته إلى ما به قوام نفسه وذاته .

ولهذا إشتدت وصاة شيوخ العارفين لمريديهم بالعلم وطلبه ، وإنه من لم يطلب العلم لم يفلح ، حتى كانوا يعدون من لا علم له من السفلة .

قال ذو النون وقد سئل مَن السفلة فقال : من لم يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه .

وقـال أبـو يزيد : لو نظرتم إلى الرجل وقد أعطي من الكرامات حتى يتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود ومعرفة الشريعة .

وقال أبو حمزة البزازي : مَن عَلِمَ طريقَ الحق سُهِّلَ عليه سُلُوكُه ، ولا دليل على الطريقةِ إلا متابعةُ الرسولِ في أَقواله وأَفعاله وأَحواله .

وقال محمد بن الفضل الصوفي الزاهد : ذهاب الإسلام على يدي أربعة أصناف من الناس .

صِنْفٌ لا يَعْمَلُون بما يَعْلَمُونَ .
وصِنْفٌ يَعْمَلُون بما لا يَعْلَمُونَ .
وصِنْفٌ لا يَعْمَلُون ولا يَعْلَمُونَ .
وصِنْفٌ يمنَعُونَ الناسَ مِن التَّعَلم .

قلت : الصنف الأول : من له علم بلا عمل ، فهو أضر شيء على العامة ، فإنه حجة لهم في كل نقيصة ومخسة .

والصنف الثـاني : العابد الجاهل ، فإن الناس يحسنون الظن به لعبادته وصلاحه فيقتدون به على جهله .

وهذان الصنفان هما اللذان ذكرهما بعض السلف في قوله : إحذروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون .

فإن الناس إنما يقتدون بعلمائهم وعبادهم ، فإذا كان العلماء فجرة ، والعباد جهلة ، عمت المصيبة بهما ، وعظمت الفتنة على الخاصة والعامة .

والصنف الثالث : الذين لا علم لهم ولا عمل ، وانما هم كالأنعام السائمة .

والصنف الرابع : نواب إبليس في الأرض ، وهم الذين يثبطون الناس عن طلب العلم والتفقه في الدين ، فهؤلاء أضر عليهم من شياطين الجن ، فإنهم يحولون بين القلوب وبين هدى الله وطريقه .

فهؤلاء الأربعة الأصناف ، هم الذين ذكرهم هذا العارف رحمة الله عليه وهؤلآء كلهم على شفا جرف هار ، وعلى سبيل الهلكة .

ومَا يَلْقَى العَالِمُ الداعِي إلى الله ورسوله ما يَلُقَاهُ مِن الأَذَى والمحاربةِ إلاَّ عَلى أيَدْيِهم .

والله يَسْتَعْمِل مَن يشــاء في سَخَطِهِ ، كما يَسْتَعْمِلُ مَن يَشاء في مَرْضَاتِهِ إنه بعباده خبير بصير .

ولا ينكشفُ سِرُ هذه الطوائف وطريقتهم إلا بالعلم ، فعاد الخير بحذافيره في العلم وموجبه ، والشر بحذفيره إلى الجهل وموجبه .

شِعْرَا: مَعَ العِلْمِ فِاسْلُكْ حَيثما سَلَكَ العِلْمُ ... وعنه فكاشِفْ كُلَّ مَنْ عِنْدَهُ فَهْمُ
فَفِيْهِ جَلَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنَ العَمَى ... وعَوْنٌ على الدِين الذي أمْرُهُ حَتْمُ

آخر: لَوْ لَمْ يكُنْ في العِلْـم إلَّا أنَّـهُ ... يَذَرُ الضَّئِيْلَ مِن الرِجَالِ مَهِيْبَـا

آخر: ذَوُوْا العِلْم في النُيا نُجُومُ هِدَايَةٍ ... إذا غابَ نَجْمٌ لاحَ بَعْدُ جَدِيْدُ
بِهِمْ عَزَّ دِيْنُ الله طُراً وهُمْ لَهُ ... مَعَاقِـلُ مِن أَعْدَائِــهِ وجُنُــودُ
ولو لَمْ يَقُمْ أهلُ الحديثِ بِنَقْلِهِ ... فَمَنْ كان يُروي عِلْمَـهُ ويُفِيْـدُ
هُمُوا وَرِثُوا عِلْمَ النُّبوةِ واحْتووْا ... مِن الفضل ما عنه الأَنامُ رُقُوْدُ
وهُمْ كَمَصَابِيْحِ الدُّجَى يُهْتَدَى بِهِمْ ... وَمَا لَهُمُوْا بَعْدَ المَمَاتِ خُمُوْدُ

اللَّهُمَّ يسِّرْ لَنَا أَمْرَ الرِّزْقِ وَاعْصِمْنَا مِنْ الحِرْصِ وَالتَّعَبِ في طلبهِ وَمِنْ شَغْل

الْقَلْبِ وَتَعَلُّقِ الهَمِّ بِهِ، وَمِنْ الذُّلِّ لِلخَلْقِ بِسَبَبِهِ وَمِنْ التَّفكِيْرِ وَالتَّدْبِيْرِ فِي تَحْصِيْلِهِ، وَمِنْ الشُّحِّ وَالحِرْصِ عَلَيْهِ بَعْدَ حُصُولِهِ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(**فَصْلٌ**): قال ابنُ رجَب: فالعلماء بما أنزل الله على رسوله هم الأدلاء والذين يُهتَدى بهم في ظلمات الجهل والشبهِ والضلالِ فإذا فُقدوُا ضَلَّ السالكُ.

وقد شُبِّهَ العلماءُ بالنجوم ، والنجومُ فيها ثلاثُ فوائد : يُهْتَدى بها في الظلمات ، وهي زِينة للسماء ، ورجومٌ للشياطين الذين يسترقون السمع منها .

والعلماءُ في الأرض يجتمع فيهم هذِهِ الأوصافُ الثلاثةُ : بهم يُهْتَدى في الظلمات ، وهُم زينةٌ للأرض ، وهم رجومٌ للشياطين الذين يَخلطون الحق بالباطل ويُدْخِلونَ في الدين ما ليس منه مِن أهل الأَهواء .

وما دام العلم باقياً في الأرض فالناسُ في هُدَى . وبقاءُ العلمِ بقاءُ حَمَلَتِهِ فإذا ذَهَبَ حَمَلَتهُ ومَن يقوم به وقع الناسُ في الضلال كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ « إن الله لا يقبض العلمَ انتزاعاً يَنتزعُه مِن صدور الرجال ولكن يَذْهَبُ العلماءُ فاذا لم يَبْقَ عَالمٌ اتخذ الناسُ رؤساءَ جهالاً فسئلوا فأفْتوا بغير علم فَضَلُّوا وأَضَلُّوا » .

شعــــرا :

مَا أَكْثَرَ العِلْمَ ومـــا أَوْسَعَـــهْ ... مَنْ ذا الذي يَقْدُرُ مِنْ الخَلْقِ أَنْ يَجْمَعَهْ
إنْ كُنْتَ لابُدَّ لَـــهُ طَالِبَـــا ... فَجِـــدَّ فِيْهِ وَالتَمِسْ أَنْفَعَـــهْ

وخرج الترمذي من حديث جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال : كنا مع النبي ﷺ فقال « هذا أوانُ يُخْتَلَسُ العِلْمُ مِن الناس حتى لا يَقْدِروُا منه على شيء » .

فقال زيادُ بنُ لبيد يا رسول الله كيفَ يُخْتَلَسُ منا العِلم ، وقد قرأنا القرآن ؟ فوالله لَنَقْرأَنَّهُ ولَنُقْرِئَنَّهُ نِسائَنا وأَبنائَنا .

فقال « ثكلتك أُمُكَ يا زِياد ، إنْ كُنتُ لأعدُك مِن فُقهاء المدينة ، هذِهِ التوارةُ والانجيلُ عند اليهود والنصارى ، فماذا تُغْني عنهم ؟ » .

قال جبير بنُ نُفُيَر : فلقيتُ عُبَادَةَ بنَ الصامت فَقُلْتُ ألا تسمع مايقولُ أبو الدرداء ؟ فأخبرتهُ بالذي قال .

فقال صَدَقَ أَبُو الدرداء ، لو شِئْتُ لأخبرتِكَ بأول عِلْمٍ يُرفَعُ مِن الناس : الخشوع ، يُوشِكُ أن تدخلَ المسجدَ الجامعَ فلا ترَىَ فيه خَاشِعاً . وخرجه النسائي من حديث جبير بن نفير عن عوف بن مالك عن النبي ﷺ بنحوه .

وفي حديثه « فذكر ﷺ ضلالةَ اليهودِ والنصارى على ما في أيديهم مِن كتابِ الله » قال جبيرُ بنُ نُفيرَ : فلقيتُ شدادَ بنَ أوسٍ فَحدثْتهُ بحديثِ عوفِ بن مالك فقال : صَدَقَ ، ألا أخبركَ بأول ذلكَ ؟ يُرفَعُ الخشوعُ حتى لا تَرى خَاشِعاً .

وخرج الإمام أحمد من حديث زياد بن لبيد عن النبي ﷺ أنه ذَكَرَ شَيئاً فقال « ذاكَ عندَ أوانِ ذهابِ العلم » فذكر الحديث وقال فيه « أو ليس اليهود والنصارى يقرأون التوراةَ والانجيل لا يعملون بشيء مما فيهما ؟ » ولم يذكر ما بعدها .

ففي هذه الاحاديث ان ذهابَ العلم بذهابِ العمل وان الصحابةَ فَسروُا ذلكَ بذهاب العلْم الباطنِ مِن القلوبِ وهو الخشوعُ . كذا روى عن حديفةَ : أنَ أوَّل مَا يرُفَعُ من العلم الخشوع .

فإن العِلْمَ كما قال الحسنُ عَلْمان : عِلْمُ اللسانِ فذاك حَجُةُ اللَّهِ على ابنِ آدم ، وعلْمُ في القلبِ فذاكَ العِلْمُ النافِعُ . وروى عن الحسن مرسلاً عن النبي ﷺ .

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال « إن أقواماً يَقرأون القرآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهم ولكن إذا وَقَعَ في القلب ورَسَخَ فيه نَفَعَ » .

فالعلمُ النـافـعُ هو ما بَاشَرَ القلبَ فأوْقَـرَ فيه معرفَةَ اللَّهِ وعظمته وخَشيتهَ وإجـلالَـه وتَعظيمهُ ومحبته ، ومتى سكَنَتْ هذه الاشياءُ في القلبَ خَشَعَ فَخَشَعَتِ الجـوارحُ تَبعـاً لَهُ . وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « أعوذ بالله مِن عِلمٍ لا ينفع ومِن قلب لا يَخشع » .

وهذَا يدُلُ على أن العلْمَ الذي لا يوجِبُ الخشوعَ لِلْقَلْبِ فهو عِلْمٌ غيرُ نافعٍ . وروي عنه ﷺ أنه كان يَسألُ الله علماً نافعاً . وفي حديث آخر « سَلوُا الله علماً نافعاً وتَعوذُوا بالله مِن علمٍ لا ينفع » .

وأما العلمُ الذي على اللسان فهو حُجَّةُ اللَّهِ على ابنِ آدم كما قال ﷺ « والقرآنُ حُجُّةٌ الله لَكَ أو عليكَ » فاذا ذهبَ مِن الناسِ العلمُ الباطنُ بَقي الظاهرُ على الالسنةِ حُجَّةً .

ثم يَذهبُ العِلْمُ الذي هو حجةٌ بذَهَاب حَملته ولا يَبقىَ مِن الدِين الا اسْمُهُ ولا مِن القرآن الا رَسْمُه فَيَبقىَ القرآنُ في المصاحفِ ثم يُسْرى به في آخر الزمان فلا يَبقىَ منه في المصاحفِ ولا في القلوب شيء .

ومِن هنا قَسَّمَ منَ قَسَّم مِن العلماء العلم إلى باطنٍ وظاهر : فالباطن ما باشَرَ القلوبَ فأثمـرَ لها الخشيةَ والخشـوعَ والتعظيمَ والإجلالَ والمحبةَ والأنْسَ والشوقَ . والظاهرُ ما كان على اللسانِ فبه تَقُومُ حُجَّةُ الله على ابن آدم .

وكَتَبَ وَهْبُ بنُ مُنَبه إلى مكحول : انكَ امرؤٌ قد أصبْتَ بما ظَهَر مِن عِلْمِ الإسلام شَرفاً فاطْلُبْ بما بَطَنَ مِن علم الإسلام مَحَّبةً وزُلْفىَ . وفي رواية أنه كَتبَ إليه : انكَ قد بَلَغْتَ بظاهرِ عِلْمِكَ عندَ الناس مَنزلةً وشرفاً فاطْلُبْ بباطِنِ عِلمكَ عندَ الله منزلةً وزُلْفىَ . واعلم أنَّ إحْدىَ المنزلَتينِ تَمنعُ مِن الاخُرْىَ .

فاشارَ وَهْبَ بعلمِ الظاهرِ إلى علمِ الفَتَاوي والاحكامِ والحلالِ والحرام والقصصِ والوعظِ وهو ما يظهُر على اللسان ، وهذا العلمُ يوجَبُ لِصَاحِبِهِ مَحبةَ الناسِ لَهُ وتَقَدُمُه عندهم فَحَذَّرَهُ مِن الوقوفِ عندَ ذلكَ والركون إليهِ والالتفاتِ إلى تعظيمِ الناس ومَحبتهم فان مَن وَقفَ مَعَ ذلك فقد انقطعَ عنِ الله وانْحَجَبَ بنظرِهِ إلى الخلقِ عن الحق .

واشارَ بعلمِ الباطنِ إلى العلم الذي يُبَاشرُ القلوبَ فيحدِثُ لها الخشيةَ والاجلالَ والتعظيمَ ، وأَمَرهُ أَن يَطْلُبِ بهذا المحبةَ مِن الله والقربَ منه والزُلْفىَ لَديه .

وكان كثيرٌ مِن السلفِ كَسُفْيانِ الثوري وغيره يُقَسِّمُونَ العلماءَ ثلاثةَ أقسام : عالمٌ بالله وعالمٌ بأمرِ الله ويُشْيرُوُن بذلكَ إلى مَن جَمَعَ بينَ هَذين العلْمَين المشارُ إليهما الظاهر والباطنِ .

وهؤلآءُ أشرفُ العُلماء وهم المَمدُوْحُونَ في قوله تعالى ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ وقال ﴿ **إن الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً** ﴾ إلى قوله ﴿ **ويزيدهم خشوعاً** ﴾ .

وقال كثير من السلف : ليس العلم كثرةُ الرواية ولكن العلمُ الخشيةُ وقال بعضهم : كَفىَ بخَشَيةِ الله عِلماً وكفىَ بالاغترار بالله جَهلاً . ويَقُولُون أيضاً : عالمٌ بالله ليس عالمٌ بأمر الله وهُم أصْحَابُ العِلم الباطن الذين

يَخْشَونَ الله وليَس لَهم اتَّساعٌ في العلم الظاهر .

ويَقُولَونَ : عالمٌ بأمرِ الله ليسَ بعَالمٍ بالله ، وهم أصحابُ العلم الظاهرِ الذينَ لا نَفَاذَ لَهُمْ في العلمِ الباطِنِ وليس لَهم خَشْيَةٌ ولا خُشوُعٌ ، وهؤلاءِ مَذْمُومُونَ عِند السلَف . وكان بعضُهم يقول : هذا هو العالم الفَاجِرُ .

وهؤلاء الذينَ وَقَفُوا مَعَ ظاهرِ العِلمِ ولم يصل العلمُ النافعُ إلى قلوبهم ولا شَمُوا لَهُ رَائِحَتَهُ غَلَبَتْ عليهم الغفلَةُ والقَسوةُ والاعراضُ عن الآخرة والتنافُسُ في الدنيا ومحبةُ العُلوِ فيها والتقدم بينَ أَهلها .

وقد مُنعوا احسانَ الظن بمن وَصِلَ العلمُ النافعُ إلى قلوبهم فلا يُحبونهم ولا يُجالِسونهم وربما ذَمُّوُهُم وقالوا ليسوا بعلماء ، وهذا مِن خداع الشيطان وغرُوُره لِيَحْرِمَهم الوصولَ إلى العلم النافعِ الذي مدحه اللَّهُ ورسولهُ وسلفُ الأمة وأئمتُها .

ولهذا كانَ علماءُ الدنيا يُبغضُون علماءَ الآخرة ويَسْعَونَ في أذاهم جُهْدَهُم كما سَعَوا في أذىَ سَعيدِ بنِ المسيب والحسنِ وسفيان الثوري ومالك وأحمد وغيرهم مِن العلماء الربانيين .

وذلك لأن علماءَ الآخرةِ خلفاءُ الرسل وعلماءَ السوءِ فيهم شبهٌ مِن اليهود وهم أعداءُ الرسلِ وقتلة الأنبياء ومَن يأمر بالقسطِ من الناس ، وهم أشدُ الناس عَدَاوةً وحسدا للمؤمنين .

ولِشِدَّةِ مَحبتهم للدنيا لا يُعظمُون علماً ولا دِيْناً وإنما يُعَظِمُونَ المالَ والجاهَ والتقدمَ عند الملوكَ .

إذَا العِلْمُ لَمْ تَعْمَلْ به كان حُجَّةً ... عَلَيْكَ ولَمْ تُعْذَرْ بما أنْتَ حَامِلُ
فإنْ كُنْتَ قَدْ أبْصَرْتَ هَذا فإنَّما ... يُصَدِّقُ قَوْلَ المَرْءِ مَا هُوَ فاعِلُ

آخر : قَالُوا فُلَانٌ عَالِمٌ فاضِلٌ ... فأكْرِمُوْهُ مِثْلَ مَا يَرْتَضِيْ

فَقُلْتُ أَمَّا إِذَا لم يَكُنْ ذَا تُقَى   تَعَارَضَ المَانِعُ والمُقْتَضِـــــيْ

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوكِ مَنَاهِجِ المتقِين وَخصَّنَا بالتَّوْفيقِ المُبينْ واجْعَلْنَا بفَضْلِكَ مِن عِبَادِكَ المُخْلِصِينْ الذِيْنَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِم ولا هُمْ يَحْزَنُونَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِينْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينْ وَصَلَّى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

[فوائدُ نَافِعةٌ حَوْلَ الإِفْتَاءِ والإِسْتِفْتَاء]

إعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أن الفُتْيَا أمرها عظيم ، ولقـــد كان السلف رحمهم الله يأبـــون الفُتْيَا ، ويُشَـدِّدُونَ فيهـا ، ويَتَدافعُون عكس ما عليه علماء هذا العصر .

فعن عبدالرحمن بن أبي ليلي قال : أدركتُ عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ يُسْئَلُ أَحَدُهُم عن المسألة فَيَرُدُّهَا هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول .

وفي رواية ما منهم مَن يُحَدِّث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه ، ولا يُسْتَفْتَى عن شيء إلا وَدَّ أن أخاه كفاه الفُتيا ، وأنكر الامام أحمد وغيره على مَن يَهْجمُ على الجواب لخَبر أجْرَؤكم على الفُتْيَا أجرؤكم على النار .

وقال الامام أحمد : لا ينبغي أن يجيب في كل ما يُسْتَفْتَى فيه ، وقال : لا ينبغي للرجل أن يُعَرِّضَ نفسَه لِلْفُتْيَا حتى يكون في خمس خصال :

أحـدها : أنْ تكون له نية ، وهي أن يخلص لله تعالى ، ولا يقصد رياسَةً ولا نحوها ، فإن لم يكن له نية لم يكن عليه نور ، ولا على كلامه نور .

الثانية : أن يكون له حلم ووقار وسكينة ، وإلا لم يتمكن من فعل ما تَصَدَّى له مِن بيان الأحكام الشرعية .

الثالثة : أن يكون قَوياً على ما هو فيه وعلى معرفته ، وإلا فقد عَرَّضَ نَفْسَه لِخَطَرٍ عظيم .

الرابعة : الكفاية ، وإلا أبْغَضَهُ الناس ، لأنه إحتاج إلى الناس وإلى الأخذ مما في أيديهم ، فيتضررون منه .

الخامسة : معرفة الناس بأن يكون بصيرا بمكرهم وخداعهم ، ليكون حَذِراً منهم لِئَلاَّ يوقعوه في المكروه .

وإليك ما ورد في ذلك ، نقل الميموني عن الامام أحمد رضى الله عنه أنه سئل عن حديث ، فقال سلوا أصحاب الغريب فإني أخاف أن أتكلم في قول رسول الله ﷺ بالظن فأخطِي .

وقال أبو داود الطيالسي : سَمعْتُ شُعْبَةَ قال : سألتُ الأصمعي عن حديث النبي ﷺ إنه لَيُغَانُ على قلبي ، ما مَعْنَى يُغَان ؟

قال : فقال لي هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ، فَقُلْتُ نعم فقال : لو كان عن غير النبي ﷺ لَفَسَّرْتُ ذلك ولكن عن النبي ﷺ لا أَجْتَرِىءُ عليه .

وعن الأصمعي عن مُعْتَمِرُ بنُ سُليمان عن أبيه قال : كانوا يتقون حديث النبي ﷺ كما يتقون تفسير القرآن .

وكان الامام أحمد يجيء إلى أبي عبيد يسأله في الغريب روى ذلك الخلال .

وقال ابن عباس : إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله وقال كان رسول الله ﷺ إمام المسلمين وسيد العالمين يسأل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء .

وقال الشعبي : لا أدري نصف العلم .

وقـال أحمد في رواية المروذي : كان مالك يسْئَلَ عن الشيء فَيُقدِّم ويُؤخِّر يَتَثَبَّت وهؤلاء يقيسون على قوله ويقولون : قال مالك .

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : مِن عِلْم الرجل أن

يقول لما لا يَعْلَم الله أعْلم لأن الله عز وجل قال لرسوله ﷺ ﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين** ﴾ .

وصح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : العلم ثلاثة : كتابٌ ناطِقٌ وسنة ماضية ولا أدري .

وقال أحمد في رواية المروذي : ليس كل شيء ينبغي أن يُتَكلم فيه ، وذكر أحاديث النبي ﷺ كان يُسْأل فيقول لا أدري حتى أسأل جبريل .

وقال عبدالله : سَمِعْتُ أبي يقول : كان سفيان لا يكاد يفتي في الطلاق ويقول مَنْ يُحْسِنُ ذا من يُحْسِنُ ذا .

وقال في رواية الحارث : وَدِدْتُ أنه لا يَسْأَلُني أَحَدٌ عن مسألة أو ما شيء أشد علي من أن أسأل عن هذه المسائل البلاء يُخْرِجُه الرجلُ عن عُنُقِهِ ويُقَلِّدك .

وخاصَّة مَسائل الطلاق والفُروج ، ونقل الأثرم عنه أنه سأله عن شيء فَقُلْتُ كيفَ هو عندك فقال وما عندي أنا .

وسَمِعْتُه يقول إنما هو يعنى العِلْمَ ما جاء من فوق ، وقال سفيان : من فتنة الرجل إذا كان فقيهاً أن يكون الكلام أحَبَّ إليه من السكوت .

وقال المروذي : قُلْتُ لأبي عبدالله إن العَالِمَ يظنون عنده عِلْمُ كل شيء ، فقال : قال ابن مسعود رضي الله عنه إن الذي يُفْتي الناسَ في كل ما يسْتَفْتُونَه لمَجْنُون وأنكر عبدالله على مَن يَتَهَجَّم في المسائل والجوابات .

قال : وسَمِعْتُ أبا عبدالله يقول : لِيَتَّقِ الله عَبْدٌ ولينظر ما يقول وما يتكلم فإنه مسئول .

وقال : مَن أفتى الناس ليس يَنبغِي له أن يُحِيلَ الناسَ على مذهبه ، ويُشَدِّد عليهم .

وقال في رواية القاسم : إنما يَنْبَغِي أن يُؤمر الناسُ بالأمر البين الذي لاشك فيه ولَيْتَ الناس إذا أمِرُوا بالشيء الصحيح أن لا يجاوزوه .

ونقـل محمـد بن أبي طاهـر عنه أنه سئل عن مسألةٍ في الطلاق ، فقال : سَلْ غيري ليس لي أن أفتي بالطلاق بشيء .

وقـال في وراية ابن منصور : لا ينبغي أن يُجيْبَ في كل ما يُسْتَفْتَى وصح عن مالك أنه قال : ذِلٌ وإهَانَةٌ لِلْعَالِمِ أن تجيب كُلَّ مَن سَألَكَ .

وقال أيضاً : كلُ مَن أخْبَرَ الناسَ بكل مَا يَسْمَعُ فهُو مَجْنُون ، وقال أحمد في رواية أحمد بن علي الأبار وقال له رجل حَلَفْتُ بِيَمِينْ لا أدْري ايش هي ، قال : لَيْتَ أنك إذا دَرَيْتَ دَرَيْتُ أنَا .

وقال في رواية الأثرم : إذا هاب الرجل شيئا فلا ينبغي أن يحمل على أن يقول .

وقال في رواية المروذي : إن الذي يُفْتِى الناسَ يَتَقَلَّدُ أمْراً عظيما ، وقال يُقْدِمُ على أمرٍ عظيم يَنْبَغِي لَمَنْ أفْتَى أن يكون عالما بقول مَن تقدم وإلا فلا يُفْتِي .

وقال في رواية الميموني مَن تكلم في شيء ليس له فيه إمام أخاف عليه الخطأ .

وقال الثوري : لا نزال نتعلم ما وجدنا مَن يعلمنا ، وقال أحمد : نحن الساعة نتعلم ، وسأله إسحاق بن إبراهيم عن الحديث الذي جاء أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار ما معناه .

قال أبـو عبدالله : يُفتي بما لم يسمع ، وقال محمد بن أبى حرب : سمعت أبـا عبدالله وسُئِلَ عنَ الرجل يفتى بغير علم ، قال يروى عن أبي موسى قال : يمرق مِن دينه .

ونقل المروذي أن رجلا تكلم بكلام أنكره عليه أبو عبدالله قال : هذا من حبه الدنيا يُسْئَلُ عن الشيء الذي لا يحسن فيحمل نفسَه على الجواب .

ونحو هذا عن حماد وقال : كنت أسائل إبراهيم عن الشيء فيعرف في وجهي أني لم أفهم فيعيده حتى أفهم رَوى ذلك الخلال وغيره .

اللَّهُمَّ نَجِّنا برحمتك من النار وعافِنا من أُرِ الخِزْي والبَوَارِ وأدْخِلنا بفَضلك الجنةَ دارَ القرارِ وعامِلنا بكَرَمِكَ وجُودِكَ ياكريمُ ياغَفارُ واغْفِرْ لَنا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(**فَصْلٌ**) : قال ابن وهب عن يونس عن الزهري : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدث رجلا بحديث فاستَفْهَمَهُ الرجل فقال الصديق : هو كما حدَّثتُك أي أرْضٍ تُقِلُّني إذا قلتُ بما لا أعلم .

وروى نحوه من غير وجه عن أبي هريرة مرفوعا مَن أفْتي بفتيا غَيْر ثِبْتٍ فيها فإنما إثمه على الذي أفتاه ، وفي لفظ مَن أفتى بفتيا بغَير علم كان إثم ذلك على الذي أفتاه رواهما أحمد ، وروى الثاني أبو داود والأول ابن ماجه وهو حديث جيد له طرق مذكورة في حواشي المنتقى .

وقال الثوري عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال مَن أفتى النـاس في كل ما يستفتونه فهو مجنون ، وقال مالك : عن يحيى بن سعيد عن ابن عباس مثله .

وقال الزهري عن خالد بن أسلم قال : كنا مع ابن عمر فسأله أعرابي أتَرِثُ العمة ؟ فقال : لا أدري ، قال : أنتَ لا تدري ، قال : نعم إذهب إلَى العلماء فاسألهم ، فلما أدبر الرجل قَبَّلَ ابنُ عمر يدَهُ فقال : نِعْمَ ما قال أبو عبدالرحمن سئل عما لا يَدْرِي فقال : لا أَدْرِي .

وقال سفيان بن عيينة والثوري عن عطاء بن السائب عن عبدالرحمن بن أبي ليلي قال : أدركت عشرين ومائة من الانصار من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم من أحد يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه .

ولا يُسْتَفْتَى عن شيء إلا وَدَّ أن أخاه كفاه الفتوى هذا لفظ رواية الثوري ، ولفظ ابن عيينة إذا سئل أحدهم عن المسألة ردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول .

وقال أبو حُصَين عثمان بن عاصم التابعي : إن أحدكم يُفتى في المسألة ولو وَرَدَتْ على عمر لجمع لها أهْلَ بَدْرٍ .

وقال القاسم وابن سيرين لأن يَموُتَ الرجل جاهلا خير له مِن أن يقول ما لا يعلم ، وقال مالك عن القاسم بن محمد : إنَّ مِن إكرام المرء لنفسه أن لا يقول إلا ما أحاط به علمه .

وقال سعيد بن جبير : ويْلٌ لِمَنْ يَقولُ لِمَا لاَ يعْلَمُ إنِي أُعْلَم ، وقال مالك : مِن فقه العالم أَنْ يَقُولَ لا أعْلَم فإنه عَسَى أن يُهَيأ له الخير .

وقال أحمد بن حنبل : سَمِعْتُ الشافعي رضى الله عنهما سمعتُ مالكا سمعت محمد بن عجلان يقول : إذا تَركَ العَالِمُ لا أَدْرِي أصُيْبَتْ مَقَاتِلُه ،ورواه إسحاق بن راهوية عن ابن عيينة عن داود بن أبي الزُبَير الزبيري عن مالك بن عجلان قال قال ابن عباس فذكره وقد سبق .

وقال عبد الرازق عن عمر قال : سأل رجل عَمْرَو بنَ دينا عن مسألة فلم يجبه ، فقال الرجل : إن في نفسي منها شيئاً فأجِبْني .

فقال : إن يَكُنْ في نَفْسِكَ منها مثلُ أَبِي قُبَيْس أَحَبُّ إليَّ أن يَكُونَ في نَفْسِي منها مِثْلُ الشَّعْرةِ .

وقال ابن مهدي : سأل رجلٌ مالك بن أنس عن مسألة فطال ترداده إليه فيه ولَحَّ عليه فقال : ما شاءَ الله ياهذا إنِي لم أتكَلَّمْ إلا فِيما أَحْتَسَبُ فيه الخير ولَسْتُ أحْسِنُ مسْألَتَكَ هَذِه .

وقال ابنُ وهب : سَمِعْتُ مالكاً يقول العَجَلَة في الفَتْوَى نوعٌ مِن الجهل والخُرق .

وقال يحيى بن سعيد : كان سعيدُ بنُ المسيب لا يَكَادُ يُفْتِي فُتْيا ولا يقولُ شيئاً إلا قال : اللهم سَلِّمْنِي وسَلِّمْ مِنِّي . ذكره البيهقي وغيره .

ولا سيما أن كان مَن يُفْتي يَعْلمُ مِن نفسِهِ أنه لَيْسَ أَهْلاً لِلْفَتْوى لِفَواتِ شَرطٍ أَوْ وُجُودِ مَانِع ولا يَعْلَمُ الناسُ ذلك منه .

فإنه يحرم عليه إفتاءُ الناس في هذه الحال بلا إشكال فهو يُسَارِعُ إلى ما يَحْرمُ لا سِيَّما إن كان الحاملُ على ذلك عَرَضُ الدنيا .

وأما السلف فكانوا يتركون ذلك خوفاً ولَعَلَّ غَيرهُ يكْفِيه ، وقد يكون أَدْنَى لِوُجُودِ مَن هُوَ أَوْلَى منه .

قال ابن مُعَين : الذي يحدث بالبلدة وبها مَن هو أَوْلَى مِنه بالحديث فهو أحْمَق .

وقال مالك : ما أَفْتَيْتُ حَتى شَهِدَ لي سَبْعُونَ أَنِي أَهْلٌ لِذَلِكَ .

وقال ابنُ عُيَيْنَةَ وسُحْنُون أَجْسَرُ الناسِ على الفُتْيَا أَقَلُّهُم عِلْماً . وقال سُحْنُون : أشْقَى الناسِ مَن بَاعَ آخِرتَهُ بدنيا غَيْرِهِ .

وقال : فِتْنةُ الجَوابِ بالصوابِ أشدُ من فِتنة المال .

وقال سُفْيانُ أَدْرَكْتُ الفُقهاءَ وهُم يَكْرَهُوْنَ أَنْ يُجِيبوا في المسائل والفُتيا حتى لا يَجِدُوْا بُدَّاً مِن أَنْ يُفْتُوا . وقال : أَعْلَمُ الناسِ بالفُتيا أسْكَتُهُم عنها ، وأَجْهَلَهُم بها أَنطقُهُم فيها .

وبَكَى رَبْيعَةُ فقِيلَ ما يُبْكِيْكَ ؟ فقال : اسْتُفْتِي مَن لا عِلْمَ لَهُ وقال : ولَبَعْضُ مَن يُفْتي هَاهُنَا أحَقُّ بالسَّجْنِ مِن السُّراق .

وقال بعضُ العلماءِ لِبَعْضِ المفتين : إذا سُئِلْتَ عن مسألة فلا يكن هَمُّكَ تَخْلِيْصَ السائلَ ، ولكن ليكُنْ هُمُّكَ تخليصَ نفسِكَ .

وقال عمرو بن دينار : لما جَلَسَ قتادة للفتيا تدري في أي عملٍ وقَعْتَ ؟ وقعت ياقتادة بين الله وبين خلقه وقلت هذا يصلح وهذ لا يصلح .

وقال بعضهم : إن العالم داخل بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل بينهم .

وكان ابن سيرين إذا سئل عن الشيء من الحلال والحرام تَغَيَّرَ لَونُه وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان .

وكان النخعي يسأل فتظهر عليه الكراهة ويقول : ما وجدت أحداً تسأله غيري .

وقال آخر : إذا سئلت عن مسألة فتفكر فإن وجدت لنفسك مخرجا فتكلم وإلا فاسكت .

وعن مالك أنه كان إذا سئل عن المسألة كأنه واقف بين الجنة والنار .

وقال النخعي : قد تكلمتُ ولو وجَدْتُ بُداً ما تكلمت وإن زمانا أكون فيه فقيه أهل الكوفة لزمان سوء .

وقال ابن عيينة : ليس هذا الأمر لمن ود أن الناس إحتاجوا إليه إنما هذا الأمر لمنَ ود أنه وجد من يكفيه .

وسئل عمر بن عبدالعزيز عن مسألة فقال: ما أنا على الفتيا بِجَري .

اللَّهُمَّ أحْينا في الدنيا مؤمنينَ طائعينَ وتوفَّنا مسلمينَ تائبينَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(**فَصْلٌ**) : ذَكَرَ العُلمَاءُ ما رُوِيَ عن أبي هريرةَ عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : «مِن يُرِدِ اللهُ به خير يُفِقِّهْهُ في الدِّين» .

رويَ عن مجاهد أنه قال « الفقيهُ مَن يَخافُ الله عَزَّ وجَلَّ .

ورويَ عن عَلي بنِ أبي طالب رضي الله عنه أنه قال « ألا أخبركم بالفقيه مَن لم يُقَنِّطِ الناسَ مِن رحمةِ اللَّهِ ، ولم يُؤمِنْهُم مِن مَكْرِ الله ، ولم يُرَخِّصْ لهم في مَعَاصِي الله ، ولم يَدَعِ القرآن رَغْبةً إلى غيره » .

وقال ابُن مسعود « كفى بخشيةِ الله عِلْماً ، وكَفَى بالاغْتِرارِ به جَهْلاً » .

ورُويَ عن عُمَرَ أنه كَتَبَ إلى أبي موسى الأشعري « إنَّ الفِقْهَ ليسَ بكثرة السَّرْدِ ، وسَعَةِ الهَذر ، وكثرة الرواية ، وإنما الفِقْهُ خَشْيَةَ اللَّهِ عز وجل » .

وقال أحد العُلَماء إن كَمالَ عِلْمِ العَالِمِ ثلاثة ، تركُ طلب الدنيا بعِلْمِهِ ، ومَحَبَّتُه الانتفاع لِمن يَجْلِسُ إليه ، ورأفتُه بالناس .

وروي عن مَطَر الورَّاق قال سَألتُ الحسنَ عن مسألة فقال فيها فقُلْتُ يا أبا سَعيد يأبَىَ عليكَ الفُقَهاء فقال الحسنُ ثَكِلتْك أمُّكَ يامَطَر ، الفقيهُ الوَرِعُ الزاهدُ المقيمُ على سُنَّة رسول الله ﷺ الذي لا يَسْخَر بمَنْ أسْفَل منه ولا يَهْزَأ بمَنْ فوقَهُ ولا يأخذ على علْمٍ عَلَّمَهُ الله إيَّاهُ حُطَامًا .

عن الحسن قال الفقيهُ المُجْتَهدُ في العبادة الزاهدُ في الدنيا المقيمُ على سنةِ رسول الله ﷺ وعنه قال الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصيرُ في دِيْنه المجتهدُ في العبادة . وعن وهب بن منبه قال الفقيهُ العفيفُ المتمسكُ بالسنة أولئك أتباعُ الأنبياء .

وقال سُفيانُ الثوري الفقيهُ يَعُدُّ البلاءَ نِعْمَةٍ والرَّخَاءَ مُصِيْبَةٍ وأفقَهُ منه مَن لم يَجْتَرِئ على الله عز وجل في شيء لِعلَّةٍ به .

وقال غيرُه إن الفقيهَ كُلَّ الفَقِيْه مَن فَقُهَ في القرآن وعَرَفَ مَكْيَدَةَ الشيطان .

وقال الفضيلُ بنُ عيَاض « إنما الفقيهُ الذي أنطقَتْهُ الخَشْيَةُ وأسْكَتَتْهُ الخَشْيَةُ إن قَال قَال بالكتاب وإن سَكَتَ سَكَتَ بالكتاب وإن اشْتَبَهَ عليه شيءٌ وقَفَ عنده ورَدَّهُ إلى عَالِمه » .

وعن الحسن قال إنا لنُجَالِسُ الرَّجُلَ فنَرَى إن به عِيًّا وما بِهِ عِيٌّ وإنَّه لَفَقِيهٌ مُسْلِمٌ قال وكيعُ أسْكَتَتْهُ الخَشْيَةُ .

وقـال الشَّعْبي لَسْنَـا بعُلَماءٍ ولا فُقَهَاء ولَكِنَّنا قومٌ قد سِمَعْنَا حَدِيْثًا فنَحْنُ نحَدِثكم بما سِمَعْنَا إنما الفقيه مَن وَرِعَ عَن محَارِم اللَّهِ والعَالِمُ مَن خَافَ اللَّهَ عز وجل .

واسْتفْتَى رجـلٌ الشعبي فقـال أيها العالِمُ أَفْتِني فقال إنما العَالِم مَن يَخافُ الله .

وعن جابر أنه تلا قولَ الله تعالى ﴿ **وما يعقلها إلا العالمُون** ﴾ .

فقال العَالِمُ الذي عَقَلَ عن اللَّهِ أمْرَهُ فَعَمِلَ بطاعَةِ اللَّهِ واجْتَنَبَ سَخَطَهُ .

وسئل عبدُالله بنُ المُبَارَكِ هَلْ لِلْعُلَماءِ عَلامةٌ يُعْرفُونَ بها قال علامةُ العَالِمِ مَن عَمِلَ بعِلْمِهِ واسْتَقَلَّ كَثِيْرَ العِلْمِ والعَمَل مِن نَفْسِهِ .

وَرَغِبَ في عِلْم غَيْرِه وقبلَ الحَقَ مِن كلِ مَن أتاهُ بِهِ وأخَذَ العِلم حَيْثُ وجَدَهُ فَهذه عَلامَةَ العَالِم وصِفَتُه .

قال المروَذي فذكرتُ ذلك لِأبي عَبدِاللَّهِ فقال هَكذا هُو .

قِيل لابن المُبارَكِ كَيفَ يُعْرفُ العالِم الصادِقُ فقال الذي يَزْهَدُ في الدنيا ويَعْقِلُ أَمْرَ آخِرَتِه .

وقال الزهري لا نَثِقُ لِلنّاس بِعَمَلِ عَامِلٍ لا يَعْلم .

ولا نرضي لهم بعلْمِ عالِمٍ لا يَعْمَل .

وقال الحسن كان الرجل إذا طَلبَ بَاباً مِن العلم لم يَلْبَثْ أن يرى أثر ذلك في تَخَشُّعِهِ وبَصَرِه ولِسَانِهِ ويَدِه وزُهْدِهِ وصَلاتِهِ وبَدنِهِ وإن كان الرجل لَيَطْلُبُ البابَ مِن العلم فلَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مَن الدُنيَا وما فيها .

ورُوِيَ عن أحَدِ العلماء أنه قال أدركتُ الفُقَهَاءَ بالمدينة يَقُولُونَ لا يَجُوزُ أن يَنصبَ نَفْسَهُ لِلْفَتْوى ولا يَجُوزُ أن نَسْتَفتِيَ إلا الموثوق في عَفافِهِ وعَقلِهِ وصَلاحِهِ ودِيْنِهِ وَوَرَعِهِ وفِقْهِهِ وحِلْمِهِ ورِفقِهِ وعِلْمِهِ بأحْكَامِ القرآنِ والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ .

عالما بالسنة والآثار وبمن نقلها والمعمول به منها والمتروك .

عالما بوجوه الفقه التي فيها الأحكام عالما باختلاف الصحابة والتابعين .

فإنه لا يَسْتَقِيْم أَنْ يكُونَ صَاحِبَ رَأْيَ له علم بالكتاب والسنة والأحاديث والاختلاف ولا صاحب حديث ليس له علم بالفقه والاختلاف ووجوه الكلام فيه وليس يَسْتَقِيم واحدٌ منهما إلا بصاحِبه ومَن كان مِن أهلِ العلمِ والفقهِ والصلاحِ بهَذِهِ المنزلةِ إلا أنَّ طُعْمَتَهُ مِن الناسِ وحَاجاتَهُ مُنْزَلَةٌ بهم وهو محمولٌ عليهم فليسَ بموضِعِ الفَتْوَى ولا مَوْثُوق في فَتْوَاهُ ولا مأمُونٌ على الناس فيما اشْتَبَهَ عليهم .

نختم هذا الكلامَ بما قاله شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله فعَلى كل مُؤْمِنٍ أن لا يَتكَلَّمَ في شيءٍ مِن الدين إلا تَبعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرسولُ ﷺ ولا يَتَقَدَّم بينَ يَدَيهِ بل يَنظر مَا قَالَ فيكونُ قوله تَبعًا لِقَولِه وعَمَلُه تَبعًا لأمْرِهِ فهكذَا كانَ الصَّحَابَةُ ومَن سَلَكَ سَبيْلَهُم مِن التابِعِينَ لَهُم بإِحسانٍ وأَئِمَةِ المسلمين رَضِى اللَّهُ عنهم أجمعين .

العِلْـمُ قَالَ الله وقـال رَسُوْلُـهُ   قال الصَّحَابَةُ هُمْ أُولُوا العِرْفَانِ

اللَّهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بِكَ مِن الشَّكِ بَعْدَ اليَقِيْنِ، وَمِنْ الشَّيْطَانِ الرجيم، ومِن

شَدَائِدِ يَوْم الدِيْن، وَنسْألكَ رِضَاكَ والجَنَّةَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِن سَخطِكَ والنارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا إذا عَرِقُ الجَبِيْنُ واشْتَدَّ الكَرْبُ والأنِيْنُ، واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

شِعْرًا: دَعِ التَّشَاغُلَ بِالْغِزْلَانِ والغَزَلِ ... يَكْفِيكَ مَا ضَاعَ مِنْ أَيَّامِكَ الأُوَلِ
ضَيَّعْتَ عُمْرَكَ لا دُنْيَا ظَفِرْتَ بِهَا ... وَكُنْتَ عَنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ فِي شُغُلِ
تَرَكْتَ طُرْقَ الهُدَى كَالشمسِ وَاضِحَةً ... وَمِلْتَ عنها لِمُعْوَجٍّ مِنَ السُّبُلِ
ولم تكُنْ نَاظِراً في أَمْرِ عَاقِبَةٍ ... أأنْتَ في غَفْلَةٍ أَمْ أَنْتَ في خَبَلِ
يَا عَاجِزاً يَتَمَادَى في مُتَابَعَةِ النَّـ ... ـفْسِ اللَجُوجِ ويَرْجُو أكْرَمَ النُّزُلِ
هَلَّا تَشَبَّهْتَ بالأَكْيَاسِ إذْ فَطِنُوا ... فَقَدَّمُوا خَيْرَ مَا يُرْجَى مِنَ العَمَلِ
فَرَّطْتَ يَاصَاحِ فَاسْتَدْرِكْ عَلَى عَجَلٍ ... إِنَّ المَنِيَّةَ لا تَأْتِي عَلَى مَهَلِ
هَلْ أَنْذَرَتْكَ يَقِيناً وَقْتَ زَوْرَتِهَا ... أَوْ بَشَّرَتْكَ بِعُمْرٍ غَيْرِ مُنْفَصِلِ
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ مَا الدُّنْيَا بِبَاقِيَةٍ ... ولا الزَّمَانُ بِمَا أَمَّلْتَ فيه مَلِي
لا تَحْسَبَنَّ اللَّيَالِي سَالَمَتْ أَحَداً ... صَفْواً فَمَا سَالَمَتْ ألاَّ على دَخَلِ
ولا يَغُرَّنَّكَ مَا أُوْلِيتَ مِنْ نِعَمٍ ... فَهَلْ رَأَيْتَ نَعِيماً غَيْرَ مُنْتَقِلِ
كَمْ مِنْ فَتىً جَبَرَتْهُ بَعْدَ كَسْرَتِهِ ... فَقَابَلَتْهُ بِجُرْحٍ غَيْرِ مُنْدَمِلِ
إلَامَ تَرْفُلُ فِي ثَوْبِ الغُرُورِ على ... بِسَاطِ لَهْوِكَ بَيْنَ التِّيهِ والجَذَلِ
والشَّيْبُ وَافَاكَ مِنْهُ نَاصِحٌ حَذِرٌ ... فَمَا بِهِ كُنْتَ إلا غَيْرَ مُهْتَبِلِ
ولَمْ تُرَعْ مِنْهُ بَلْ أَصْبَحْتَ تَنْشُدُهُ ... إِنِّي أَتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ في عَذَلِ
وَسِرْتَ تَطْلُبُ حَظَّ النَّفْسِ مِنْ سَفَهٍ ... فَبَهْجَةُ العُمْرِ قَدْ وَلَّتْ ولَمْ تَصِلِ
وَمَالَ عَصْرُ التَّصَابِي مِنْكَ مُرْتَحِلاً ... وَحَالَةٌ عَنْ طَرِيقِ الغَيِّ لَمْ تَحُلِ
أَقْسَمْتُ بِاللهِ لَوْ أَنْصَفْتَ نَفْسَكَ مَا ... تَرَكْتَهَا بِاكْتِسَابِ الوِزْرِ فِي ثِقَلِ
أَمَا عَلِمْتَ بِأَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ ... على الضَّمَائِرِ والأَسْرَارِ والحِيَلِ

وكُلُّ خَيْرٍ وشَرٍّ أنْتَ فَاعِلُهُ … يُحْصَى ولو كُنْتَ في الأسْتَارِ والكِلَلِ
أمَا اعْتَبَرْتَ بتَرْدَادِ المَنُونِ إلى … هَذِي الخَلِيقَةِ في سَهْلٍ وفي جَبَلِ
وسَوْفَ تَأْتِي بلا شَكٍّ إليكَ فَمَا … أُخِّرْتَ عَمَّنْ مَضَى إلاَّ إلى أجَلِ
لكِنَّهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَدَيْكَ فَخُذْ … بالحَزْمِ وانْهَضْ بعَزْمٍ مِنْكَ مُكْتَمِلِ
دَعِ البَطَالَةَ والتَّفْرِيطَ وَابْكِ على … شَرْخِ الشَّبَابِ الذي وَلَّى ولَمْ يَطُلِ
ولَمْ تُحَصِّلْ بِهِ عِلْماً ولا عَمَلاً … يُنْجِيكَ مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الحَادِثِ الجَلَلِ
وابْخَلْ بدِينِكَ لا تَبْغِي به عِوَضاً … ولَوْ تَعَاظَمَ واحْذَرْ بَيْعَةَ السُّفَلِ
واتْلُ الكِتَابَ كِتَابَ اللهِ مُنْتَهِياً … عَمَّا نَهَى وتَدَبَّرْهُ بلاَ مَلَلِ
وكُلُّ مَا فِيهِ مِنْ أمْرٍ عَلَيْكَ بِهِ … فَهْوَ النَّجَاةُ لِتَالِيهِ مِنَ الظُّلَلِ
ولازِمِ السُّنَّةَ الغَرَّاءَ تَحْظَ بِهَا … وَعَدِّ عَنْ طُرُقِ الأهْوَاءِ واعْتَزِلِ

وَجَانِبِ الخَوْضَ فِيمَا لَسْتَ تَعْلَمُهُ … واحْفَظْ لِسَانَكَ واحْذَرْ فِتْنَةَ الجَدَلِ
وكُنْ حَرِيصاً على كَسْبِ الحَلاَلِ ولَوْ … حَمَّلْتَ نَفْسَكَ فيه غَيْرَ مُحْتَمَلِ
واقْنَعْ تَجِدْ غُنْيَةً عن كُلِّ مَسْألَةٍ … فَفِي القَنَاعَةِ عِزٌّ غَيْرُ مُرْتَحِلِ
واطْلُبْ مِنَ اللهِ واتْرُكْ مَنْ سِوَاهُ تَجِدْ … مَا تَبْتَغِيهِ بلاَ مَنٍّ ولا بَدَلِ
ولا تُدَاهِنْ فَتىً مِنْ أجْلِ نِعْمَتِهِ … يَوْماً ولَوْ نِلْتَ مِنْهُ غَايَةَ الأمَلِ
واعْمَلْ بعِلْمِكَ لا تَهْجُرْهُ تَشْقَ بِهِ … وانْشُرْهُ تَسْعَدْ بذِكْرٍ غَيْرِ مُنْخَذِلِ
ومَنْ أتَى لَكَ ذَنْباً فَاعْفُ عَنْهُ ولا … تَحْقِدْ عَلَيْهِ وفي عُتْبَاهُ لا تُطِلِ
عَسَاكَ بالعَفْوِ أنْ تُجْزَى إذَا نُشِرَتْ … صَحَائِفٌ لَكَ مِنْهَا صِرْتَ في خَجَلِ
ولا تَكُنْ مُضْمِراً مَا لَسْتَ تُظْهِرُهُ … فَذَاكَ يَقْبُحُ بَيْنَ النَّاسِ بالرَّجُلِ
ولا تَكُنْ آيِساً وارْجُ الكَرِيمَ لِمَا … أسْلَفْتَ مِنْ زَلَّةٍ لَكِنْ على وَجَلِ
وَقِفْ على بَابِهِ المَفْتُوحِ مُنْكَسِراً … تَجْزِمْ بتَسْكِينِ مَا في النَّفْسِ مِنْ عِلَلِ
وارْفَعْ لَهُ قِصَّةَ الشَّكْوَى وَسَلْهُ إذَا … جُنَّ الظَّلاَمُ بقَلْبٍ غَيْرِ مُشْتَغِلِ
ولازِمِ البَابَ واصْبِرْ لا تَكُنْ عَجِلاً … واخْضَعْ لَهُ وتَذَلَّلْ وادْعُ وابْتَهِلِ

وَنَادِ يَا مَالِكِي قَدْ جِئْتُ مُعْتَذِراً ... عَسَاكَ بِالعَفْوِ وَالغُفْرَانِ تَسْمَحُ لِي
فَإِنَّنِي عَبْدُ سَوْءٍ قَدْ جَنَى سَفَهاً ... وَضَيَّعَ العُمْرَ بَيْنَ النَّوْمِ وَالكَسَلِ
وَغَرَّهُ الحِلْمُ وَالإِمْهَالُ مِنْكَ لَهُ ... حَتَّى غَدَا فِي المَعَاصِي غَايَةَ المُثُلِ
وَلَيْسَ لِي غَيْرُ حُسْنِ الظَّنِّ فِيكَ فَإِنْ ... رَدَدْتَنِي فَشَقَاءٌ كَانَ فِي الأَزَلِ
حَاشَاكَ مِنْ رَدِّ مِثْلِي خَائِباً جَزِعاً ... وَالعَفْوُ أَوْسَعُ يَامَوْلَاي مِنْ زَلَلِي
وَلَمْ أَكُنْ بِكَ يَوْماً مُشْرِكاً وَإِلَى ... دِينٍ سِوَى دِينِكَ الإِسْلَامِ لَمْ أَمِلِ
وَكَانَ ذَلِكَ فَضْلاً مِنْكَ جُدْتَ بِهِ ... وَلَيْسَ ذَاكَ بِسَعْيٍ كَانَ مِنْ قِبَلِي

اللَّهُمَّ ظَلَمْنَا أنفسَنَا فأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَهَبْ لَنَا تَقواك وأهدِنا بِهُدَاكَ ولا تكِلْنَا إلى أحدٍ سِوَاكَ واجعلْ لَنَا مِن كُلِّ همٍّ فَرجًا ، وَمِن كُلِّ ضِيْقٍ مَخْرَجًا اللهم اعْذنَا بِمعافَاتِك مِنْ عُقوبَتِك وَبرضَاكَ مِنْ سَخْطِكَ واحْفَظ جَوارِحَنا مِن مُخَالَفَة أَمْرِك واغْفِر لنا وَلِوالِدَيْنا وَلجميع المسلمينَ الأَحياءِ منهم والمَيتين بِرَحْمَتِكَ ياأَرْحَمَ الرَّاحِمين وَصَلَّى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصَحبِهِ أجمعين .

(فصل ١٥)

ومِمَّا قالَهُ العُلماءُ والأُدَباءُ والحُكَماءُ في فَضْلِ العِلمِ والْحَثِّ عليهِ تَعَلُّماً وتعليماً قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ ، الناسُ أَبناءُ ما يُحْسِنُونَ وقالَ مُصْعَبُ بنُ الزُبَيْرِ تَعَلَّمْ العِلْمَ فإنْ لَمْ يكُنْ لكَ مالٌ كان العلمُ لك جمالاً وإنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مالٌ كان لكَ مَالاً وقال عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ لِبَنيهِ يا بَنِيَّ تعلَّموا العلمَ فإنْ كنْتُمْ سادةً فُقْتُمْ وإنْ كنتُمْ وَسَطاً سُدْتُمْ وإنْ كنتُمْ سُوقَةً عِشْتُمْ .

وقال بعضُ الحُكماءِ العلمُ شَرَفٌ لا قَدْرَ لَهُ والأَدَبُ مالٌ لا خَوْفَ عليهِ وقال بعضُ الأُدَباءِ العلمُ أفضَلُ خَلَفٍ والعملُ بِهِ أملُ شَرَفٍ وقال بعضُ البُلغاءِ تَعَلَّمْ العلمَ فإنَهُ يُقَوِّمُك وَيُسَدِّدُكَ صغيراً وَيُقَدِمُكَ وَيُسَوِّدُكَ كبيراً وَيُصْلِحُ زَيْفَكَ وفاسِدَكَ وَيُرْغِمُ عَدُوَّكَ وحاسِدَكَ وَيُقَوِّمُ عِوَجَكَ وَمَيْلَكَ وَيُصَحِّحُ هِمَّتَكَ وأَمَلَكَ .

قلت وهذا صحيحٌ في حَقِّ العاقِلِ اللبيبِ القابِلِ لِذَلِكَ دُونَ الأَحْمَقِ المُتَكّبِرِ الجاهِلِ جَهْلاً مُرَكَّباً قالَ بعُضُهْم :

شِعْرَا :كَالثَّوْر عَقْلًا وَمِثْلُ التَّيْسِ مَعْرِفَةً فلا يُفَرّقَ بَيْنَ الْحَقِّ والفَنَدِ
الجهل شَخْصٌ يُنَادِي فَوقَ هَامَتِهِ لَا تَسْأَلِ الرَّبْع مَا في الرَّبْع منْ أَحَدِ

العِلْمُ لِلرَّجُلِ اللَّبِيْب زِيادَةٌ
وَنَقِيْصَةٌ للأَحمقِ الطَّيَّاشِ
مِثْلُ النَّهَارِ يزِيْدُ أَبْصَارَ الوَرَى
شعرا : نُوراً وَيُعْشِي أعْيُنَ الخُفَّاشِ

ما الفَخْرُ إلّا لأَهْلِ العِلْمِ أنهُمُ
علَى الهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أدِلَّاءُ
وَقَدْرُ كلّ امرىءٍ ما كان يُحْسِنُهُ
وَالجاهلون لأَهْلِ العلم أعْداءُ
فَفُزْ بعِلمٍ تَعِشْ حيًّا بِهِ أبَدًا
النَاسُ مَوْتَى وأهلُ العِلْمِ أحْياءُ

آخر : تَعلَّمْ فلَيسَ المَرْءُ يُولَدُ عالِماً
ولَيسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جاهِلُ
وإِنَّ كَبِيْرَ القَوْمِ لا عِلْمَ عِنْدَهُ
صَغِيْرٌ إذا الْتَفَّتْ عليهِ المَحَافِلُ
وإنَّ صَغِيْرَ القَومِ إنْ كَانَ عَالِمَاً
كبَيْرٌ إذا رُدَّتْ إليْهِ المَسَائِلُ

آخر : يَقُوْلُ أَنَا الكبير فَبجلُوني ألَا هَبَلَتْكَ أُمُّكَ مِن كبير
إِذَا كَانَ الصَّغِيْرُ أَعَمَّ نَفعاً وأمضي في الحَوَائِجِ والأُمُورِ
وأَنْفَذَ في النوائب إن أَلَمَّتْ فمَا فَضْلُ الكَبِيرِ عَلى الصَغِيرِ

وقال بَعْضُهُمْ العالِمُ يَعْرِف الجاهِلَ لِأَنَّهُ كان جاهِلًا بالأول والجاهِلُ لَا يَعرفُ العالِمَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَالِماً وَرُبَّما ذَمَّ العَالِمَ وَعِلْمَهُ ، قال بعضُهُمْ :

أَتَانَا أنَّ سَهْلًا ذَمَّ جَهْلًا
عُلومَاً لَيْسَ يَعرِفُهُنَّ سَهْلُ
علوماً لَوْ قَرَاهَا مَا تَلاهَا
وَلكنَّ الرِضَا بالجهلِ سَهْلُ

آخر : دَعِ الجَاهِلَ المفتونَ لا تصحَبَنَّهُ ... وجانبه لا يغري بعقِلِكَ ضَيْرُهُ
فإِنَّ الذي أَمْسَى عَدُواً لِنَفْسِهِ ... دَلِيلٌ على أنْ لا يُصَادِقَ غَيْرَهُ

وَدَخلَ على الخَليلِ ابنٌ لَهُ مُتَجلِّفٌ وهو يُقَطِّعُ بَيْتَ شِعْرٍ فَخَرجَ وقال إنّ أبيَ قد جُنَّ فقالَ أَبُوهُ :

لَوْ كُنتَ تَعْلمُ ما أَقُولُ عَذَرْتَني
أَوْ كُنتَ تَفْهمُ ما أقولُ عَذَلْتُكَا
لكنْ جَهِلْتَ مَقَالَتي فَعَذَلْتَنِي
وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَرْتُكَا

وَكُلُّ ما وَرَدَ في ذَمّ الجَهْلِ فَهُوَ مَدْحٌ للعِلْمِ قَالَ اللهُ تَعالَى لِنَبِيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ ﴿ وأَعْرِضْ عنِ الجَاهِلين ﴾ وقالَ لِرَسُولِهِ نوحٍ عليهِ السلامُ ﴿ إِنِّي أعظُكَ أنْ تكونَ مِنَ الجاهِلِيْن ﴾ وقال مُوسَى عليهِ السلامُ ﴿ أعوذُ باللهِ أَنْ أكونَ مِنَ الجَاهِلين ﴾ وقالَ جَلَّ وَعَلا لِنَبِيِّهِ ﴿ فلا تكونَنَّ مِنَ الجاهِلِين ﴾ وقال تَعالى ﴿ وإذا سَمِعُوا اللغْوَ أعْرَضُوا عَنْهُ وقالُوا لَنا أعْمَالُنا ولكُمْ أعمالُكُمْ سلامٌ عليكُمْ لا نَبْتَغِي الجَاهِلِيْن ﴾ وقالَ تَعالَى ﴿ وإذا خَاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً ﴾ وقال صلى اللهُ عليهِ وسلمَ لِعُوَيْمِرٍ كيفَ أنتَ يا عُوَيْمرُ إذا قِيلَ لكَ يومَ القِيامةِ أَعَلِمْتَ أمْ جهِلْتَ فإنْ

قُلْتَ عَلِمْتُ قيلَ لكَ فما عَمِلْتَ فيما عَلِمْتَ وَإِنْ قُلْتَ جهلْتُ قيلَ لكَ فما كانَ عُذْرُك فيما جَهِلْتَ ألا تَعَلَّمْتَ رَوَاهُ ابنُ عَساكِرَ في تاريخِهِ عَنْ أبي الدَّرداء وَهَذا مِمَّا يَدُلُّ على شَناعَةِ الجَهْلِ وَقُبْحِهِ وَمَهَانَتِهِ وَرَذالَتِهِ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ خَلْقه. وقال آخَرُ إنَّ الجَهْلَ يَحُطُ أُوْلِي المَراتِب وَيُصَغِرُ ذَوِيْ المَنَاصِبِ.

شِعْرَا: مَنْ جادَ بِالعِلْمِ أَحْيَا العَالَمُوْنَ لَهُ بَدِيْعَ حَمْدٍ بِمَدْحِ الفِعْلِ مُتَّصِلِ

يَمُوتُ قومٌ فَيُحْيِي العِلْمُ ذِكْرَ هُمُوْا وَالجَهْلُ يُلْحِقُ أَمْوَاتاً بأَمْواتِ

شِعْرَا: إذا مَا الجهلُ خَيَّمَ في بِلادٍ رَأَيْتَ أُسُوْدَهَا مُسِخَتْ قُرُوْداَ

آخـر:

وفي الجهل قَبْلَ الموتِ مَوْتٌ لأَهْلِه

فأجْسَامُهُمْ قَبلَ القُبورِ قُبُورُ

وَإنَّ امرءاً لم يَحْيَى بالعلم مَيِّتٌ

فليس لهُ حتى النُشورِ نُشورُ

آخر: مَعَ العِلْمِ فاسْلُكْ حيثُ مَا سَلَكَ العِلْمُ

وَعَنْهُ فكاشِفْ كُلَّ مَنْ عِنْدَهُ فَهْمُ

فَفِيهِ جَلاءٌ لِلْقُلوبِ مِنَ العَمَى

وَعَوْنٌ على الدِّينِ الذي أَمْرُهُ حَتْمُ

فإني رأيتُ الْجَهْلَ يُزْرِي بأَهْلِهِ

وذو العِلْمِ في الأَقْوامِ يَرْفَعُهُ العِلْمُ

يُعَدُّ كَبيرَ القَوْمِ وهو صغيرُهُمْ

ويَنْفُذُ منهُ فيهِمُ القولُ والحُكْمُ

وأيُّ رَجاءٍ في امرئٍ شابَ رأسُهُ

وَأَفْنَى سِنِيهِ وَهُوَ مُسْتَعْجِمٌ فَدْمُ

يَـرُوْحُ وَيَغْـدُو الـدّهْـرَ صـاحِبُ بِطْنَـةٍ
تَـرَكَّبَ في أَحْضـانِهَـا اللّحْمُ والشَّحْـمُ
إذا سُئِـلَ المِسْكِيـنُ عَـنْ أمْـرِ دِيْنِـهِ
بَـدَتْ رُحَضَاءُ العِيِّ في وَجْهِـهِ تَسْمُـو
وَهْـلْ أبصَـرَتْ عَيْنَـاكَ أقْبَـحَ مَنْـظَراً
مِـنْ أشْيَبٍ لا عِلْمٌ لَـدَيْـهِ وَلَا حُكْـمُ
هِيَ السَّـوْأَةُ السَّوْءَاءُ فـاحذرْ شَمَـاتَها
فـأوَّلُـهَـا خِـزْيٌ وآخِـرُهَـا ذَمُّ
فَخَـالِطْ رُوَاةَ العِلْمِ وَاْصْحَبْ خِيـارَهُـمْ
فَصُحْبَتُهُـمْ زَيْـنٌ وَخِلْطَتُـهُـمْ غُـنْـمُ

ولا تَعْـدُ عَيْنَـاكَ عَنْهُـمْ فأنَّهُـمْ   نجومٌ إذا مَا غَابَ نَجْمٌ بَدَا نَجْمُ
فَوَاللهِ لَوْلَا العِلْمُ مَاتَّضَح الهُدَى   وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ الأمُوْرِ لَنَا رَسْمُ

اللّهُمَّ ياعالم الخفيات، ويارفيع الدرجات، وياغافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير.

نسألك أن تذيقنا بر عفوك، وحلاوة رحمتك، ياأرحم الراحمين، وأرأف الرائفين وَأكرم الاكرمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجميعن.

(فَصْلٌ): قالَ في مِنْهَاجِ اليَقِيْن وآعْلَمْ أنَّ كلَّ العُلومِ شريفَةٌ وَلِكُلِّ عِلْمٍ مِنْهَا فَضِيْلَةٌ والاحاطةُ بجميعِها مُحَالٌ لِعَجْز عُقُولِ الْبشرِ عنْ إحَاطَتِهَا أوْ لِعَدَمِ تَنَاهِي الأَعمار وإحَاطَةِ الغيرِ المُتَنَاهِي بالمُتَنَاهِي مُحَالٌ وقيلَ لِبَعْضِ الحُكَمَاءِ مَنْ يَعْرِفُ كلَّ العُلومِ؟ فقال كلُ النَّاسِ.

قُلْتُ: مَا يَعْلَمُ كُلَّ العُلومِ إلَّا اللهُ جَلَّ وَعلَا. قال تعالى: ﴿وما أوتيتمُ من العِلم إلا قليلا﴾ وَرُوِي عنِ النبيّ ﷺ أنهُ قالَ مَنْ ظَنَّ أن لِلْعلمِ غايةٍ فقد

بَخَسَهُ حقَّهُ وَوَضَعَهُ في غيرِ مَنْزِلَتِهِ التي وَصَفَهُ اللهُ بها حيثُ يقولُ: ﴿ويسألونَكَ عنِ الروحِ قُلِ الروحُ مِنْ أمْرِ رَبي وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ العِلْمِن إلَّا قَلِيْلا﴾ انتهى.

قالَ المُفَسِّرُونَ سألَ أهْلُ الكتابِ رسولَ اللهِ ﷺ عن الروحِ فأنزل اللهُ: ﴿ويسألونك عن الرُوحِ﴾ الآية. فقالوا تزعُمُ أنّا لَمْ نُؤْتَ مِنَ العِلْمِ إلا قليلاً وَقَدْ أُوتينا التَوْراةَ وهي الحِكْمَةُ ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ قالَ فَنَزَلَتْ ﴿وَلَوْ أنَّ ما في الأرضِ مِنْ شَجَرةٍ أقلامٌ، والبحرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبحُرٍ﴾ الآية.

قالَ ما أوتيتُمْ مِنْ عِلمٍ فَنَجَّاكُمُ اللهُ بِهِ مِنَ النارِ فهوَ كَثيرٌ طَيِّبٌ وهو في عِلْمِ اللهِ قليلٌ وقالَ بعضُ العُلمَاءِ لَوْ كُنَّا نَطْلبُ العِلمَ لِنبْلُغَ غايَتَهُ كُنا قَدْ بَدَأْنا بالنَقيصةِ ولكِننا نَطلبُهُ لِنُنَقصَ في كلِّ يومٍ مِنَ الجَهْلِ وَنَزْدادَ في كُلِّ يَوْمٍ مِنَ العِلْمِ.

شِعْرًا: العِلْمُ نُورٌ فلا تُهْمِلْ مَجَالِسَهُ ... واعْمَلْ جَمِيْلًا يُرَى فالفَضْلُ في العَمَلِ

لا تَرْقُدِ اللّيْلَ ما في النَّومَ فائِدةٌ ... لا تَكْسَلَنَّ ترى الحِرْمَان في الكَسَلِ

آخر: إذا لم تكُنْ حَافِظاً وَاعِياً ... فَجَمْعُكَ لِلْكُتبِ لا يَنْفَعُ

آخر: وَبَادِرِ اللَّيلَ بَدْرسِ العُلُوْم ... فإنمَّا اللَّيلُ نَهَارُ الأَرِيْبْ

آخر: إحْفَظِ العِلْمَ ما اسْتَطَعْتَ ... فإِنَّكَ إنْ كُنْتَ خامِلاً رفَعَكْ

واتْرِكِ الجَهْلَ ما اسْتَطَعْتَ ... فإِنّكَ إن كُنْتَ عَالِياً وضَعَكْ

آخر: ما حَوى العِلْمَ جَمِيْعاً أحُدٌ ... لَا ولَوْ حَاوَلَهُ أَلْفَ سَنَةْ

إنَّمَا العِلْمُ كَبَحْرٍ زَاجِرٍ ... فاتّخِذْ مِنْ كُلِّ شيءٍ أَحْسَنَهْ

وإذا لمْ يكُنْ إلى مَعرفةِ جميعِ العُلُومِ سبيلٌ وَجَبَ صَرْفُ الاهتمامِ إلى مَعْرِفَةِ أَهَمِّها والعنايةُ بأَوْلاها وأفضلِها وأوْلَى العُلومِ وأَفْضَلُهَا علمُ الدِّيْن المُبَيَّنِ بالكتابِ والسُنةِ والمُسْتَنْبَذِ منهُما لأنَّ الناسَ بمعرفَةِ علومِ الشرْحِ يَرْشُدُون وَيَهْتَدُونَ وَبِجَهْلِهِ يَضِلّونَ ولا تَصِحُّ العبادةُ مِمَّنْ لا يَعْرِفُ صِفَتَها ولا شروطَها

ولا أرْكانَهَا والذي يجبُ على المكلَّف تعلُّمُهُ مِنَ العلومِ الدينيةِ كلُّ ما يحتاجُهُ في عِباداتِهِ وَمُعَامَلاتِهِ وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنَ العُلومِ الشَّرْعِيَّةِ أوْ ما هُو وَسيلةٌ فمُسْتَحبٌّ. قال اللهُ تعالى ﴿فلو لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ منهم طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا في الدين وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذا رَجَعُوا إليهِمْ لعلَّهُمْ يَحْذَرُون﴾. وصلى اللهُ عَلَى محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

(**فَصْلٌ**): قال بعضُ العُلَمَاءِ المُحققينَ على قولِ اللهِ تَعالى ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُم﴾ وَلِيَجْعَلُوا غَرَضَهُمْ وَمَرْمَى هِمَّتِهِمْ في التَّفَقُّهِ إنْذَارَ قومِهِمْ وإرْشادَهُمْ والنصيحَةَ لهُمْ لا ما يُنْتِجُهُ بعضُ العلماءِ مِن الأغْرَاضِ الخَسيسةِ وَيؤُمُّونَهُ مِنَ المَقاصِدِ الرَّكِيْكَةِ مِن التَّصدُّرِ والتَّرؤُسِ والتَّبَسُّطِ في البلادِ والتشبُّهِ بالظَلَمَةِ في مَلابِسِهِم وَمَساكِنِهِمْ وَمَرَاكِبِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ وَمُنَافَسَةِ بعضِهِم بعضاً وَفُشُوِّ داءِ الضرائرِ بينهم وانقلابِ حَماليقِ أَحَدِهِمْ إذا لَمَحَ بِبَصَرِهِ مَدْرَسَةً لآخر أَوْ شِرْذِمَةً جَثَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ وتَهَالُكُهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ مُوَطَّأَ العَقِبِ دُوْنَ الناسِ كُلِّهِمْ فما أَبْعَد هَؤُلآءِ مِنْ قولِهِ عزَّ وجَلّ ﴿لا يُريدون عُلُوّاً في الأرضِ ولا فَسَاداً﴾.

آخر: وَصُنْ العُلومَ عن المَطَامِعِ كُلِها ... لتَرى بأَنّ العِزَّ عِزَّ اليْأْسِ
فَالْعِلْمُ ثَوْبٌ وَالصِّفَاتِ طِرَازهُ ... وَمَطَامِعُ الإِنْسانِ كَالأَدْنَاسِ

آخر: وإذا طَلَبْتَ العِلْمَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ ... حِمْلٌ ثَقِيْلٌ فَانْتَخِبْ مَا تَحْمِلُ
وإذا عَلِمْتَ بِأَنَّهُ مُتَفَاضِلٌ ... فاشْغِل فؤَادَكَ بِالذِي هُوَ أَفْضَلُ

آخر: كأنَّكَ لَمْ تَتْعَبْ مِنَ الدُّهرِ لَيْلَةً ... إِذَا أَنْتَ أَدْرَكْتَ الذِيْ أنْتَ تَطْلُبُ

شِعْرَا: اجْعَلَ العِلْمَ يا فَتى لَكَ قَيْدَا ... واتَّقِ اللهَ لا تَخُنْهُ رُزَيْدا
لا تكُنْ مِثْلَ مَعْشر فُقَهَا ... جَعَلُوا العِلْمَ لِلدَّراهِمِ صَيْدَا
طَلَبُوهُ فَصَيَّرُوْهُ مَعَاشاً ... ثم كادُوْا بِهِ البَرِيَّةَ كَيْدَا

آخر: يُقَالُ خِصَالُ العِلْمِ أَلْفٌ ... وَمَنْ جَمَعَ الخِصَالَ الأَلْفَ سَادَا
ويَجْمَعُهَا الصَّلاحُ فَمنْ تَعَدَّى ... مَذَاهِبَهُ فَقَدْ جَمَعَ الفَسَادَا

آخر:

يَقُولُونَ لِيّ فِيْكَ انْقِباضٌ وإنَّما ... رَأَوْا رجُلاً عن مَوْقِفِ الذُّلِّ أَحْجما
وما زِلْتُ مُنْحازاً بِعِرْضِيَ جانِباً ... عَنِ الذمِّ أعْتَدُّ الصِّيانَةَ مَغْنَمَا
أرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمُ هَانَ عِنْدَهُمْ ... وَمَنْ أكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِمَا
إذا قِيْلَ هذا مَوْرِدٌ قُلْتُ قَدْ أرَى ... ولكنَّ نفسَ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا
أُنَهْنِهُهَا عنْ بَعْضِ ما قد يَشِينُهَا ... مَخافَةَ أَقْوَالِ العِدا فِيمَ أو لِمَا
فَأُصْبِحُ عن عَيبِ اللئيمِ مُسَلَّماً ... وقَد رحْتُ في نَفْسِ الكريمِ مُعَظَّمـا
فإنْ قُلْت زَنْدَ العِلْمِ كَابٍ فإنَّمَا ... كَبَا حَيثُ لم تحْمَى حِمَاهُ وأظْلَمَا
وَلَوْ أنَّ أهلَ العِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ ... وَلَوْ عَظَّمُوهُ في النُّفُوسِ لَعُظِّما
وَلَكِن أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَّسُوا ... مُحَيَّاهُ بالأطماعِ حَتَّى تَجَهَّمَا
وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ العِلْمِ إنْ كانَ كُلَّمَا ... بَدَا طَمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِيَ سُلَّمَا
وكَمْ طَالَب رِقّي بنُعْمَاهُ لم يَصِلْ ... إليه وإنْ كانَ الرَّئِيسَ المُعَظَّمـاَ
وكَمْ نِعْمَةٍ كانَتْ على الحُر نِقْمَةً ... وكم مَغْنَمٍ يَعْتَدُّهُ الحرُ مَغْرَمـاَ
ولكن إذَا ما اضْطَرَني الضُرُّ لم أبِتْ ... أقَلِّبُ فِكْرِي مُنْجداً ثم مُتْهِماَ
إلى أن أرَى مَالا أغُصُّ بِذِكْرِهِ ... إذَا قُلْتُ قد أَسْدَى إليَّ وأنْعَمَا
وَلَمْ أبْتَذِل في خِدْمةِ العلم مُهْجتِي ... لأخدِمَ مَنْ لاقَيْتُ لَكِنْ لِأُخْدَمَا
أأشْقَى بِهِ غَرْساً وأجْنِيهِ ذِلَّةً ... إذاً فاتِّباعُ الجهلِ قَدْ كان أحْزَمَا

اللَّهُمَّ توفَّنا مسلمين، وألحقنا بعبادك الصالحين، واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(**فَصْلٌ**): ثم آعلمْ أنَّ مَنْ لَمْ يصُنْ نَفسَهُ بوِقايَتِهَا عنِ المُحَرَّماتِ وَمُخِلِّ المُرُوْاتِ لَمْ يَنْفَعْهُ علمُهُ لأنَّ العِلْمَ للعَمَلِ فكما لا ينفعُ السلاحُ للمجاهِدِ ما لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ ولا الكتُبُ النافِعَةُ المُستَمَدَّةُ من الكِتابِ ما لَمْ يُطَالِعها وَيَتَعَلَّمْ مِنها ولا الأطْعِمَةُ النَفِيسَةُ المُدَّخَرَةُ لِلْجائعِ ما لَمْ يأكُلْ مِنْها، فكذلكُ العِلْمُ وقديماً قيلَ:

يُحَاوِلُ نَيْلَ الْمَجْدِ والسَّيفُ مُغْمَدٌ   ويَأْمَلُ إدْرَاكَ العُلَى وهُوَ نَائِمُ

آخر: إِذَا كُنْتَ تَهْوَى أَنْ تَعِيْشَ بِذِلَّةٍ   فلا تَسْتَعِدَّنَّ الحُسامَ اليَمَانِيَا

وَلا تَسْتَطِيلَنَّ الرِّمَاحَ لِغَارَةٍ   وَلا تَسْتَجِيْدَنَّ العِتَاقَ المَذَاكِيَا

فصِيانةُ النفسِ أَصْلُ الفضائِلِ لأنَّ مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ ثِقَةً بِما مَنَحَهُ اللهُ مِنْ فَضيلةِ عِلْمِهِ وَتَوَكّلاً على ما يلزَمُ الناسَ مِنْ صِيانَتِهِ سَلَبُوهُ فضيلةَ عِلمِهِ وَوَسَمُوهُ بقبيحِ تَبَذُّلِهِ فلم يَفِ ما أُعْطِي مِنَ العِلْمِ بما سَلَبَهُ منهُ التبذُّلُ لأنّ القبيحَ أَشْيَعُ مِنَ الْجَميلِ والرذيلةَ مَشْهُوْرَةً تُنقَلُ وتُذَاعُ بسُرْعَةٍ لِمَا في طِباعِ الناس مِن الحسدِ والبُغْضِ والحِقْدِ ونِزاعِ المنافَسَةِ فَتَنْصَرِفُ عُيونُهُمْ عن المحاسِنِ إلى المَسَاوِي فلا يُنْصِفُونَ مُحْسِناً ولا يجاملون ولا يُسامحونَ مُسيئاً يَذكُرون المَسَاوِيَ كُلَّها غالِباً لا سِيَّما إذا كان المَرْموقُ عالماً فإنّ زَلّتَهُ عِندَهُم لا تُقالُ وَهَفْوَتَهُ لا تُعْذَرُ لأنَّ العيْبَ الصغيرَ يَعْظُمُ في حَقِّ أَهْلِ المُرْوَآتِ والعَيْبَ في الجاهلِ المغمورِ مَغْمورٌ ولهذا يَنْبَغِي للعالِمِ أنْ يُحَسِّنَ أخلاقَهُ وَخَلْقَهُ لِيُقْتَدَى بِهِ وَيَسْلَمَ عِرضُهُ مِن الطعنِ والاعتراضاتِ .

قال بعض العلماء :

أَيُّهَا العَالِمُ إِيَّاكَ الزَّلَلْ   واحْذَرِ الهَفْوَةَ والخَطْبَ الجَلَلْ

هَفْوَةُ العَالِمِ مُسْتَعْظَمَةٌ   إِذْ بها أَصْبَحَ في الخَلْقِ مَثَلْ

وعَلَى زَلَّتِهِ عُمْدَتُهُمْ   فَبِهَا يَحْتَجُّ مَن أَخْطأَ وزَلْ

لا تَقُلْ يَسْتُرُ عَلَيَّ العِلْمُ زَلَّتِي   بَلْ بِهَا يَحْصُلُ في العِلْمِ الخَلَلْ

إِنْ تَكُنْ عِنْدَكَ مُسْتَحْقَرَةً   فَهْيَ عِنْدَ اللهِ والناسِ جَبَلْ

لَيسَ مَنْ يَتْبَعُهُ العَالِمُ فِي   كُلِّ مَا دَقَّ مِن الأَمْرِ وَجَلْ

مِثْلُ مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ جَهْلُهُ   إِنْ أَتَى فاحشَةً قِيلَ قَدْ جَهِلْ

انْظُرِ الأَنْجُمَ مَهْمَا سَقَطَتْ   مَن رَآهَا وهْيَ تَهْوِي لَمْ يُبَلْ

فإذا الشمسُ بَدَتْ كاسِفَـــةً وجِلَ الخَلْقُ لَهَا كُلَّ الوَجَـلْ
وتَـرَاءَتْ نَحْوَهَـا أَبْصَارُهُـمْ في انْزعَاجٍ واضْطِـرابٍ وَوَجَـلْ
وسَرَى النَّقْصُ لَهُمْ مِن نَقْصِهَا فَغَـدَتْ مُظْلِمَـةً منْهَـا السُبُـلْ
وكـذا العَالِـمُ في زَلَّتِــهْ يَفْتِـنُ العَالَـمَ طَرّاً ويُضِلْ

آخر: أَرَى العِلْـمَ كالمِـرْآةِ يَصْدَأُ وَجْهُـهُ
وَلَيْسَ سِوَى حُسْنِ الخَلاْلِاق مِنْ جَالِي
ولَوْ وَازَنَ العِلْمُ الجِبَالَ ولم يَكُـنْ
لَهُ حُسْنُ خُلْقٍ لَمْ يَزِنْ وزْنَ مِثْقَالِ
وإنَّ المَسَاوِي زِهْيَ في خُلقِ عَالِمٍ
لَأَقْبَحُ مِنْهَا وِهْيَ في خُلْقِ جُهَّـالِ

آخر: والعِلْمُ إنْ لَمْ تَكْتَنِفْـهُ شَمَائِـلٌ تُعْلِيْـهِ كَان مَطِيَّــةَ الإخْفَــاقِ
لا تَحْسَبَـنَّ العِلْـمَ يَنْفَـعُ وَحْـدَهُ مَا لم يُتَــوَّجْ رَبُّــهُ بِخَــلَاقِ

ورُوِي عنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُ أنهُ قالَ تعلَّمُوا العلمَ وَعَلِّمُوهُ ولا تَكُونُوْا جَبَابِرَةَ العُلماءِ فلا يَقُوم جَهْلُكُم بِعِلْمِكُم وقال في مِنهَاجِ اليَقِين وينبغي لِمَنْ اسْتَدَلَّ بِفِطْرَتِهِ على اسْتِحْسَانِ الفضائِلِ واستِقْباحِ الرذائِلِ أنْ يَنْفِيَ عَنْ نَفْسِهِ رَذائِلَ الجَهْلِ بفضائِلِ العِلْمِ ويَنْفِيْ غَفْلَةَ الاهْمَالِ باسْتِيْقَاظِ المُعَانَاةِ وَيَرْغَب في العلم رَغْبَةَ مُتَحَقِّقٍ لِفَضائِلِهِ واثِقٍ بِمَنَافِعِهِ وَلَا يُلْهِيهِ عنْ طَلَبِهِ كَثْرةُ مالٍ وُجِد ولا نفوذُ أمرٍ وَعُلُوُّ مَنْزِلَةٍ فإنَّ مَنْ نفذَ أَمرُهُ فَهُوَ إلى العِلْمِ أحوجُ ليكونَ أَمرُهُ وَنَهيهُ على البَراهينِ الشَّرْعِيةِ وَمَنْ عَلَتْ مَنزلَتُهُ فهو بالعلم أَحَقُّ لِيُعْرَفَ فَضْلَهُ ونهيهُ على البراهينِ الشرْعِيَّةِ.

شِعْرًا: لَوْ كانَ هذَا العلْمُ يَحْصُلُ بالمُنَىَ ما كانَ يَبْقَى فَي البَرِيَّةِ جَاهِلُ
فاجْهَدْ ولا تَكْسَلْ ولاتَكُ غَافِلاً فَنَدَامَـةُ العُقْبَـى لِمَـنْ يَتَكَـاسَلُ

شعـــــرا :

يَقُولُونَ ذكْرُ المَرْءِ يَبْقى بِنَسْلِـــه وَلَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ إذا لَمِ يكُنْ نَسْلْ
فَقُلْتُ لَهُمْ نَسْلِيْ بَدَائِعُ حِكْمَتِي فمن سَرَّهُ نَسْلُ فإنا بِذا نَسْلُـــوْا

شــعراً :

تَفَّننْ وَخُـذْ منْ كُـلِّ عِلْمٍ فـإنـمـا
يفــوقُ امــرُوءٌ في كُــلِ فَـنٍ لــهُ علْمُ
فــأَنْـتَ عــدُوٌ لِلــذَي أَنْـتَ جــاهــلٌ
بِـهِ ولِــعـلْمٍ أَنْـتَ تُـتْـقِـنُـهُ سِـلْمُ

آخر :

الـعِـلم زَيْـنٌ وَتَـشْـريـفٌ لِصَاحِـبِـهِ
فـاِطْلُبْ هُـديت فُنـونَ العلمِ والأدَبـا
كَـمْ سَـيِّـدٍ بَـطَلٍ آبــاؤُهُ نُـجُـبُ
كَـانـوا الــرؤوسَ فأمْسَى بعــدَهُمْ ذَنَبـا
وَمُـقْـرِفٍ خـامِـلِ الآبـاءِ ذِي أَدبٍ
نــال الــمَـعَـالِـيَ بـالآدابِ والـرُتَـبـا
الــعِـلم زَيْـنٌ وذُخْـرٌ لا فَـنَـاءَ لَـهُ
نِعمَ القَـرينُ إذا مـا صـاحِبٌ صَحِبَـا
قـدْ يَجْمَـعُ المَــالَ شَخْصٌ ثُمَّ يُحْرَمُـهُ
عمَّـا قَليْـلٍ فَـيَلْقَـى الـذُّلَّ والحَـرَبَـا
وجـامـعُ الـعِـلمِ مَـغْـبُـوطٌ بِـهِ أبـداً
ولا يُحـاذِرُ منـه الفَـوْتَ والسَّـلَبَـا
يـا جـامِـعَ العلمِ نِعْمَ الـذخـرُ تَجْمَعُـهُ
لا تَـعْـدِلَـنَّ بِـهِ دُرّاً ولا ذَهَـبَـا

آخـــــر :

بَعْضُ الرجالِ له رَأيٌ ومَعْرِفـــةٌ يَدْري وَيَعْلمُ أن الوَقْتَ مِنْ ذَهَبِ
وهَمُّهُ في عُلومِ الدِّيْنِ يُتْقِنُهَـــا وهَمُ أقرَانِهِ في اللَّهْـــوِ اللَّعِبِ

آخـــر : ولا تَطْلُبَـــنَّ العِلْـــمَ لِلْمـــالِ والرِيَـــا
فإنَّ مِلاكَ الأَمِـــــرْ في حُسْنِ مَقْصَدِ
وكُـنْ عَامِـــلاً بالعِلْـــمِ فِيْمـــاَ اسْتَطَعْتَـــهُ
لِيُهـــدَى بِكَ المرءُ الـــذِيْ بِكَ يَقْتَـــدِي
حَرِيْصاً عَلى نَفْـــعِ الـــوَرَى وَهُدَاهُـــمُ
تَنَـــلُ كُلَّ خَيْـــرٍ في نَعِيمِ مُؤَبَّـــدِ

(**فَصْلٌ**) : وقال في منهاجِ اليَقينِ «وآعلمْ أنَّ لكلِّ مَطْلُوبٍ باعِثاً والباعثُ على المطلوبِ شيئآنِ رغبةٌ أو رَهْبَةٌ فليكنْ طالبُ العلمِ راغباً راهباً أما الرَغبةُ ففي ثوابِ اللهِ تعالى لطالبي مَرْضاتِهِ وحافِظِي مُفْتَرَضاتِهِ بإقامَتِها وتعليمِها مَنْ لا يَعْلَمُها والأمْرُ بالمَعْروفِ ، وأما الرَهْبَةُ فمِنْ عِقابِ اللهِ تعالى لِتارِكِي أوامِرِهِ وَمُهْمِلي زواجِرِهِ فإذا آجْتَمَعَتْ الرغبةُ والرهبةُ أدَّتا إلى كُنْهِ العلمِ وحقيقةِ الزُهدِ بإذنِ اللهِ لأنَّ الرغبةَ في الثوابِ أقوى الباعِثَيْنِ على العلمِ والباعثُ الآخرُ حُبُّ النَباهَةِ ونَحوِها والرَهبةُ مِنَ العِقابِ أقوى السَّبَبَيْنِ في الزُهْدِ وَقَدْ قَالتِ الحُكماءُ «أصْلُ العِلْمِ الرَغبةُ وَثَمَرَتُهُ السعادةُ وأصلُ الزُهْدِ الرَّهْبةُ وثَمرتُهُ العِبَادةُ» فإذا اقتَرَنَ العِلمُ والزُهدُ فقدْ تمَّتْ السعادةُ الدِّيْنِيةُ والدُنْيَوِيَّةُ وعمَّتْ الفَضِيْلةُ وقد رُوِيَ عن النبيِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ أنهُ قالَ مَنِ ازْدادَ في العِلْمِ رُشَداً ولمْ يزدَدْ في الدنيا زُهْداً لم يزدَدْ مِن اللهِ إلا بُعْداً وقال مالكُ بنُ دينارٍ مَنْ لم يُؤْتَ مِنَ العلمِ ما يَقْمَعُهُ فما أوتِي منهُ لا يَنفعُهُ وقال بعضُ الحُكماءِ الفقيهُ بغيرِ وَرَعٍ كالسِّراجِ يُضِيءُ البيتَ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ . وبالتالي فالعِلمُ فَضْلُهُ يَعْرِفُهُ كُلُّ مُنْصِفٍ

والناسُ يَحتاجُونَ إليهِ في كُلِّ وقتٍ قال حَرْبٌ سمعتُ أحمدَ بنَ حَنبلٍ يقولُ الناسُ مُحتَاجُونَ إلى العِلْمِ قبلَ الخُبْزِ والماءِ لأنَّ العلمَ يَحْتاجُ إليهِ الانسانُ في كلِّ ساعةٍ والخبزُ والماءُ في اليومِ مرةً أو مرَّتيْنِ .

وقال شيخُ الاسلامِ بنُ تيميةَ في قصيدةٍ له حلَّ بها لُغزاً لَفْظَةَ عِلْم :

والـعـلمُ بـالـرحـمنِ أَولُ صـاحِـبِ
وأهــمُّ فَــرْضِ اللهِ فــي مَــشْــرُوْعِــهِ
وأَخُــو الــدِّيَـانَــةِ طَـالِـبٌ لِـمَـزِيـدِهِ
أبَـداً ولَـمَّـا يُـنْـهِـهِ بِـقُـطُوْعِـهِ
والـمَـرْءُ حَـاجَـتُـهُ إلـيـهِ أشَـدُّ مِنْ
فَـقْـرِ الغِـذَاءِ لِعِلْمِ حُكْمِ صَنِيْعِـهِ
فــي كُــلِّ وَقْـتٍ والـطَّعَـامُ فـإنَّـمـا
يَـحْـتَـاجُـهُ في وَقْتِ شِـدَّةِ جُـوعِـهِ
وهــو السَبِيْــلُ إلى الـمَحَـاسِـنِ كلِّهَـا
والـصـالِـحـاتِ فَـسَـوْأةٌ لِـمُـضِـيْـعِـهِ

آخــر :

كَمْ مِن حَيَاءٍ وكَمْ عَجْزٍ وكَمْ نَدَمٍ ... جَمٍّ تَوَلَّدَ لِـلإنسانِ مِنْ كَسَلِ
[إيَّاكَ عن كَسَلٍ في البَحْثِ عن شُبُهٍ ... فماً عَلِمْتَ، وما قَدْ شَذَّ عَنْكَ سَلِ]
وإذا أرَدْتَ من العُلوم أُجَلَّهَـا ... نَفْعًا وأزْكَاهَـا وأعْلَى المَطْلَـبَ
فَعُلُومُ تَوحِيْـدِ الإلـهِ وَبَعْـدَهُ ... فِقْـهُ بِدِيْنٍ فَهْـوَ أَعْـلَى المكْسَبِ

آخــر

حَديث رِجَالِ العلم أهْوَى واشتِهِيْ ... كَمَا يَشتَهى الماءَ المُبَرَّد شَـارِبُهْ
وأفْرَحُ أنْ القَاهُمُوا في بُحُوْثِهِـمْ ... كَمَا يَفْرَحُ المرءُ الذِيْ آبَ غَائِبُـهْ

آخــر :

كُل العُلوم سِوَى القرآن مشغلـةٌ ... إلا الحديثَ وإلا الفقـهَ في الدِّيْنِ

العِلمُ مُتبعٌ مَا قِيْلَ حَــــدَّثَنَا   وَمَا سِوىَ ذاكَ وسْوَاسُ الشيَاطِيْنِ

واعْلم أنَّ الكَسَلَ مِن قِلَّةِ التأمُّلِ في مَناقِبِ العِلْمِ وفَضَائِلِهِ ، فَيَنْبَغِي أنْ يُتْعِبَ نفسُه على التَّحْصِيلِ والجِدّ والمُواظَبَةِ بالتأمُّلِ في فَضَائِل العِلم ، فإن العِلمَ يَبْقى [ببقاءِ المعلومات] والمالَ يَفْنَى ، كَمَا قَال أمِيرُ المؤمنين عليُ بنُ أبي طالب كرم الله وجهه :

رَضِيْنَا قِسْمَــــةَ الجَبَّــــارِ فِيْنَــــا   لَنَــــا عِلْــــمٌ ولِلجُهَّــــالِ مَــــالُ
فإنَ المَـــــالَ يَفْنَـــــى عن قَرِيْبٍ   وإنَّ العِلْـــــمَ يَبْقَـــــى لَا يَزَالُ

اخـــر :

فَتَعَلَّمُوا فالعِلْــمِ مُفْتَــاحُ العُــلَا   لَـمْ يُبْـقِ بَابـاً لِلسَّعَــادَةِ مُغْلَقَــا
ثم اسْتَمِــدُوا منــه كُلَّ قُوَاكُــمُ   إن القَــوِيَّ بكُــلِ أرْضٍ يُتَّقَــى

آخـــر :

إحْرَصْ على كُلّ عِلْم تَبْلُغ الأمَـلَا   ولا تُواصِلْ لِعِلْــمِ واحِــدٍ كَسَلَا
فالنَّحْلُ لَماً رَعَتْ مِن كُلّ فَاكِهَةٍ   أبْدَتْ لَنَا الجَوْهَرَيْنِ الشَّمْعَ والعَسَلَا
الشَّمْعُ باللَّيْـلِ نُورٌ يُسْتَطَــــاء بِهِ   والشَّهْدُ يُبْرِيْ بإذْنِ البَارِيءِ العِلَلَا

وَيُرْوَى عنْ مُعاذٍ رضِيَ اللهُ عنهُ تَعَلَّمُوا العِلْمَ فإنَّ تعلُّمَهُ لِلّهِ خَشْيَةٌ وَطَلبَهُ عِبَادَةٌ وِمُدَارَسَتَهُ تَسْبِيْحٌ والبَحْثَ عنهُ جِهَادٌ وَتَعْلِيْمَهُ مَنْ لَا يَعْلَمُ صَدَقَةٌ وَبَذْلَهُ لِأهْلِهِ قُرْبَةٌ وَهُوَ الأنِيْسُ في الوَحْدةِ والصاحِبُ في الخَلْوَةِ والدّلِيلُ على الدِّيْنِ والمُصَبِّرُ على السرَّاءِ والضَّرَّاءِ والوَزِيرُ عِندَ الأخِلاَّء والقَرِيْبُ عندَ الغُرَباءِ وَمَنارُ سَبِيلِ الجَنّةِ يَرْفَعُ اللهُ بِهِ أقْوَاماً فيجعلُهُمْ في الخَيْرِ قَادَةً سادةً هُدَاةً يُقْتَدَى بهم أدِلَّةً لِلْخَيرِ تُقْتَفى آثارُهُمْ وَتُرْمَقُ أفعالُهُمْ وَتَرْغَبُ الْمَلائكةُ في خُلَّتِهِمْ وبأجنِحَتِهَا تَمْسَحُهُمْ وَكُلُ رَطْبٍ ويابسٍ لَهُمْ يَسْتَغْفِرُ حَتّى حِيْتَانُ البَحْرِ وَهَوامُّهُ وَسِبَاعُ البَرِّ وَأنْعامُهُ والسَّماءُ وَنُجُومُها لِأنَّ العِلْمَ حَيَاةُ القُلُوبِ مِنَ العَمَى وَنُورُ الأبْصارِ مِنَ الظُلَمِ وَقُوَّةُ الأبْدانِ مِنَ

الضَّعْفِ يَبْلُغُ بِهِ العَبْدُ مَنازِلَ الأَبْرارِ والدَّرَجاتِ العُلى وَمُدارَسَتُهُ بالقيامِ . بِهِ يُطاعُ اللهُ عزَّ وجلَّ وَبِهِ يُعْبَدُ وبِهِ يُوَحَّدُ وَبِهِ يُمَجَّدُ وبِهِ يُتَورَّعُ وَبِهِ تُوْصَلُ الأَرْحامُ وَبِهِ يُعرفُ الحَلالُ والحرامُ وهو إمامٌ والعَمَلُ تابعُهُ يُلْهَمُهُ السُعداءُ وَيُحْرَمُهُ الأَشْقِيَاءُ .

وورِدَ عنْ خالدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي بَكْرَةَ عن أبيهِ عن النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ قال : « اغدُ عالِماً او متعلماً او مُسْتمِعاً او مُحِباً ولا تكنْ الخامسةَ فَتَهْلِكَ » .

وعن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «الدُنيا مَلْعُونَةٌ مَلْعُوْنٌ ما فِيها إلَّا ذِكرُ اللهِ وما وَالَاه أَوْ مُعَلِمٌ أَوْ مُتعلِّ

وعن عطاءِ بنِ السائبِ عن الحَسنِ قال : أُغْدُ عالِماً أو متعلِّماً أو مستمِعاً ولا تكُنْ رابعاً فَتَهْلِكَ .

وعن الحسن أنّ أبا الدرداءِ قالَ : كُنْ عَالِماً أَوْ مُتَعلِّماً أو مُحِباً أو مُتَّبِعاً ولا تكنْ الخامسَ فتهْلِكَ . قال قلتُ لِلْحَسَنِ وما الخامسُ ، قال : المُبْتَدِعُ .

شِعْرًا : كَفَى بالعِلم في الظُلُماتِ نُورٌ ... يُبَيِّنُ في الحَيَاةِ لَنَا الأُمُورَا
فكَمْ نَالَ الذَّليلُ بِهِ إعْتِزَازاً ... وَكَمْ لَبِسَ الحَزِيْنُ بِهِ سُرُوْرَا
تَزِيْدُ بِهِ العَقُول هُدَىً ورُشْداً ... وتَسْتَعْلى النُفُوسُ بِهِ شُعُوْرَا

اللَّهُمَّ أَيْقِظْ قُلُوبَنا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الإِيمانْ وَثَبِّتْ فَيْهَا مَحَبَّتَكَ ومَحَبَّةَ أَوْلِيائِكَ وعِبَادَكَ الصَّالِحِيْنَ وَأَرْزُقْنا المَعْرِفَةَ بِكَ على بَصِيْرَة وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاجْعَلْ آخِرَ كَلِمَةٍ نَتَكَلَّمُ بها كَلِمَةَ التَّوْحِيْدِ وَثَبِّتْنَا عَلى قَولِكَ الثَّابِتِ في الحَيَاةِ الدُّنيا وَفي الآخِرَة إِنَّك عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدْيْرٍ وبالإجابَةِ جَدِيْرٌ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

شِعْرًا : عَلى العِلْمِ نَبْلي إذْ قَدِ اندْرَسَ العِلْمُ ... أَوْ لَمْ يَبْقَ فِيْنَا مِنْهُ رُوْحٌ وَلَا جِسْمُ

ولكنْ بَقِيْ رَسْمٌ من العلمِ دارِسٌ
وعمَّا قليلٍ سوف يَنْطَمِسُ الرَسْمُ
فَآنَ لِعَيْنٍ أنْ تسِيْلَ دُموعُها
وآن لِقَلْبٍ أنْ يُصَدِّعَهُ الهَمُّ
فإنَّ بِفَقْدِ العِلْمِ شَراً وَفِتنةً
وَتَضْيِيْعَ دِينٍ أمرُهُ واجبٌ حَتْمُ
وما سَائِرُ الأعْمالِ إلا ضَلالةٌ
إذا لَمْ يكنْ للعَامِلينَ بها عِلْمُ
وما الناسُ دُونَ العلمِ إلاّ بِظُلْمَةٍ
مِن الجَهلِ لا مِصباحَ فيها ولا نَجْمُ
فَهل يُهْتَدَى إلَّا بنجْمِ سَمَائِهِ
إذا ما بَدَا مِنْ أُفْقِهِ ذَلِكَ النَّجْمُ
فَهَذَا أَوَانُ القبْضِ لِلْعِلْمِ فَلْيَنُحْ
عليه الذي في الحُبِّ كَانَ لَهُ سَهْمُ
فَلَيْسَ بِمُبْقِي العِلْمِ كَثْرةُ كُتْبِهِ
فماذا تفيدُ الكتْبُ إنْ فُقِدَ الفَهْمُ ؟
وما قَبْضُهُ إلا بِمَوْتِ وُعَاتِهِ
فقبضُهُمْ قبضٌ لَهُ وَبِهِمْ يَنْمُو
فَجِدَّ وأدِّ الجَهْدَ فيهِ فإنّه
لِصَاحِبِهِ فَخْرٌ وَذُخْرٌ به الغُنْمُ
فعارٌ على المَرْءِ الذي تَمَّ عَقْلُهُ
وقد أمَّلَتْ فيهِ المُرُوْءةُ والحَزْمُ
إذا قِيْلَ : ماذا أوْجَبَ اللهُ يا فتى ؟

أجابَ بلا أدْرِي وأنَّى لِيَ العِلْمُ
وأقْبَحُ مِنْ ذا لَوْ أجَابَ سُؤالَه
بِجَهْلٍ فإنَّ الجَهْلَ مَوْدِدٌ وخْمُ
أيَرْضَى بأنَّ الجَهْلَ مِنْ بَعْضِ وَصْفِهِ
ولو قِيلَ ياذا الجَهْلِ فارَقَهُ الحِلْمُ
فكَيفَ إذا ما الْبَحْثُ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ
جَرَى وهو بينَ القومِ لَيْسَ لهُ سَهْمُ
تَدُورُ بِهِمْ عَيْنَاهُ لَيْسَ بناطِقٍ
فغيرُ حَرِيٍّ أنْ يُرَى فاضِلاً فَدْمُ
وما العِلمُ إلا كالحَيَاةِ إذا سَرَتْ
بِجِسْمٍ حَيَا والمَيْتُ مَنْ فاتَهُ العِلْمُ
وكَمْ في كِتَابِ اللهِ مِنْ مِدْحَةٍ لهُ
يكادُ بها ذُو العِلْمِ فوقَ السُّهَى يَسْمُو
وكمْ خَبَرٍ في فَضْلِهِ صَحَّ مُسْنَداً
عن المصطَفَى فاسْألْ بهِ مَنْ لَهُ عِلْمُ
كَفَى شَرَفاً لِلعِلْمِ دَعْوَى الوَرَى لهُ
جَمِيعاً وَيَنْفِي الجَهْلَ مِن قُبْحِهِ الفَدْمُ
فلَسْتُ بِمُحْصٍ فَضْلَهُ إنْ ذكَرْتُهُ
فقدْ كَلَّ عنْ إحصائِهِ النثْرُ والنَّظْمُ
فيا رافِعَ الدُّنْيا على العِلْمِ غَفْلَةً
حَكَمْتَ فلم تُنْصِفْ وَلَمْ يُصِبِ الحُكْمُ
أترْفَعُ دُنيا لا تُساوي بِأسْرِهَا
جَنَاحَ بَعُوضٍ عندَ ذِي العَرْشِ يا فَدْمُ

وَتُؤْثِرُ أَصْنَافَ الحُطَامِ على الذي
بِهِ العِزُّ في الدارَيْن والمُلْكُ والحُكْمُ
وَتَرغَبُ عن إرْثِ النَّبِيِّيْنَ كُلِّهِمْ
وَتَرغَبُ في مِيْرَاثِ مَنْ شَأْنُهُ الظُّلْمُ
وَتَزْعُمُ جَهْلاً: أنَّ بَيْعَكَ رَابِحٌ
فَهَيْهاتَ لم تَرْبَحْ ولم يَصْدُقِ الزَّعْمُ
أَلَمْ تَعْتَبِرْ بالسابقينَ؟ فحالُهُمْ
دَلِيلٌ على أنَّ الأَجَلَّ هُوَ العِلْمُ
فَكَمْ قَدْ مَضَى مِنْ مُتْرَفٍ مُتَكَبِّرٍ
وَمِنْ مَلِكٍ دَانَتْ لَهُ العُرْبُ والعَجْمُ
فبادُوا فلمْ تَسمَعْ لَهُمْ قَطُّ ذاكِراً
وإنْ ذُكِرُوا يَوماً فَذِكْرُهُمُ الذَّمُّ
وكَمْ عالِمٍ ذِي فاقَةٍ وَرَثاثَةٍ
ولَكِنَّهُ قَدْ زَانَهُ الزُهْدُ والعِلْمُ
حَيا ما حَيَا في طِيْبِ عَيْشٍ وَمُذْ قَضَى
بَقِيْ ذِكْرُهْ في الناسِ إذْ فُقِدَ الجِسْمُ
فكُنْ طَالِباً لِلْعِلْمِ حَقَّ طِلابِهِ
مَدَى العُمْرِ لَا يُوْهِنْكَ عنْ ذلكَ السَّأْمُ
وهاجِرْ لَهُ في أيِّ أرضٍ وَلَوْ نأَتْ
عَلَيْكَ فإعْمَالُ المَطِيِّ لَهُ حَتْمُ
وأنْفِقْ جَمِيعَ العُمْرِ فيهِ فَمَنْ يَمُتْ
له طَالِباً نَالَ الشَّهَادَةَ لاهَظْمُ
فإنْ نِلْتَهُ فَلْيَهْنِكَ العِلْمُ إنَّهُ

هـو الغَـايـةُ العُـلْيَـاءُ واللَّـذَةُ الجِسْمُ
فـلِلّهِ كَمْ تَـفْـتَضُّ مِـنْ بِكْـرِ حِكْـمَـةٍ
وَكَمْ دُرَّةٍ تُحْـظَى بِـهَـا وَصْفُـهـا اليُتْمُ
وَكَمْ كـاعِبٍ حَسْنَـاءَ تكشِفُ خِـدْرَهَـا
فَيُسْـفِـرُ عَنْ وَجْـهٍ بِـهِ يَبْـرأُ السُّـقْـمُ
فتِلْكَ التي تَـهْـوَى ظَفِـرْتَ بِـوَصْلِهَـا
لقـد طـالَ مـا في حُبِّها نَحَـلَ الجِسْمُ
فعـانِقْ وَقَبِّـلْ وارْتَشِـفْ مِنْ رُضَـابِـهـا
فعَـدْلُك عن وَصْـلِ الحَبيْبِ هـو الظُّلْمُ
فجـالِسْ رُواةَ العِلْم واسْمَـعْ كـلامَـهُمْ
فـكَمْ كَـلِمٍ مِـنْـهُـمْ بـهِ يَبْـرأُ الـكَـلْمُ
وإنْ أَمَـرُوا فـاسْمَـعْ لهُمْ وأَطِـعْ فهُـمْ
أُولُـوا الأمْرِ لامَنْ شـأْنُـهُ الفَتْـكُ والظُّلْمُ
مَـجَـالِسُـهُمْ مِـثْـلُ الـرِّيَـاضِ أَنِـيْـقَـةٌ
لقـد طَابَ مِنها اللَّونُ والـرِّيـح والـطَّعْمُ
أتعْتَـاضُ عن تِلْكَ الـرِّيَـاضِ وَطِيْبِهَـا
مَجـالِسَ دُنيـا حَشْـوُهَـا الـزُّورُ والإثْمُ
فمـا هِيَ إلَّا كَـالـمَـزابـلِ مَـوْضِعـاً
لِـكُـلِّ أذىً لا يُـسْـتـطاعُ لـه شَمُّ
فَـدُرْحَـوْلَ قـالَ الـلهُ قـالَ رسـولُـهُ
وأصـحـابُـه أيضـاً فـهَـذا هـو العِلْمُ
ومـا العِلْمُ آراءُ الـرِّجـالِ وظَـنُّـهُـمْ
ألمْ تَـدرِ أنَّ الـظنَّ مِنْ بَعْضِـهِ الإثْمُ

وَكُنْ تـابِعَـاً خَيْـرَ القُـرُونِ مُمَسِّكـاً
بـآثـارِهِمْ في الـدِّينِ هـذا هُـوَ الحَزْمُ
وَصَـلِّ إلـهَ الـعـالَـمـيـنَ مُـسَـلِّمـاً
على مَنْ بِـهِ لِلأَنْبِيَـاءِ جَـرَى الـخَتْـمُ
كـذا الآلِ والأَصْحَابِ ما قـالَ قـائـلٌ
على العِلْمِ نَبْكِيْ إذْ قـدِ انْـدَرَسَ العِلْمُ

والله أعلَم وصلى اللَّهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجْمعين .

موعظة : عبادَ اللَّهِ انْتَهِزوُا فُرَصَ الزَّمَانْ ، قبل تعذر الامكان قَبْلَ أَنْ تُنْقَلَ مِنِ اسْمِ مَازالَ إلى خَبَرِكانْ ، فانتبهْ يا من نظنه صَاحٍ وإذا هو سكران .

فمـا كـلُ حْـينٍ مُمْكِـنُ الفوز بالْمُنَى   ولا كُلُ وَقْتٍ يُرْفَعُ الحُجْبُ لِلْعَبْدِ

عبادَ الله كيْفَ يَثِقُ بالحَيَاة مَن المنيةُ تَقْفوُ إثْرَهُ وتقِفُ لَهُ في دَرْبِهْ ، كَيْفَ يَرْجُو رَاحَةَ الدنيا من لا رَاحَةَ لَهُ دُوْنَ لقارِ رَبِه .

تالله لو كانت الدنيا صافية المشارب من كل شائبٍ مُيَسَّرَةَ المطالب لِكُـل طالب ، باقيةً علينـا لا يسلبها منا سالب ، لكان الزاهد فيها هو اللَّبيب الصائب ، لأنها تشغِلُ عن الله والنِعَمُ إذَا أشْغَلَتْ عن المنعم كانت مِن المصَائب .

أيا رَاضِعَ الدنيا انْفَطِمْ عن رَضَاعِها   فَقَدْ آنَ تَنْهَاكَ عنهـا الشَّـوائِـبُ
أَلاَ عَـامِـلٌ فيـها لِيُنْقِـذَ نفسَـه   أَلاَ مُـؤْمِـنٌ فيها سَيَخْلُد راغِبُ
أَلاَ آسِـفٌ ذُو لَوْعَـةٍ وتَحَـرُّقِ   أَلاَ نَائحٌ في مأْتَمِ الحُزْنِ نَـادِبُ
أَلَا مُـذْنِـبٌ مُسْتَغْفِـرٌ مِن ذُنُـوبِهِ   أَلا خـائفٌ مِن خَشْيَةِ اللَّهِ رَاهِـبُ
أَلا خَاشِـعٌ خَـوْفًا مِن اللَّه خاضِـعٌ   أَلَا ناحِـلٌ شَـوقا إلـى اللَّهِ ذَائِـبُ
سَتَلْقَـونَ ما قَدَّمْتُمـوا اليَومَ في غِـدٍ   وَكُلُ إمْـرِىءٍ يُجْـزَى بما هو كاسِـبُ

اللَّهُمَّ يا سامعَ كل صوت ، ويا بارىء النفوس بعد الموت ، يا مَن لا تشتبهُ عليه الأصوات ، يا عظيم الشأن ، ويا واضع البرهان ، يا مَن هو كل يوم في شأن ، اغفر لنا ذنوبنا إنكَ أنتَ الغفور الرحيم . اللَّهُمَّ أمنَنْ علينا بإصلاح عَيوبنا واجعل التقوى زادنا وفي دينكَ اجتهادنا وعليك توكلنا واعتمادُنا واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

الفَصْلُ التَّاسِعُ في الإِخْلاصِ والنيَّةِ

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُتَصَوَّرُ أنْ يَشُوبَهُ غيرُه فإِذَا صُفِّيَ عَنْ شَوْبِهِ وَخَلَصَ عنهُ سُمِّيَ خَالِصاً ، ويُسَمَّى الفِعلُ المُصَفَّى المُخْلَصَ إخْلاصاً . قال الله تعالى : ﴿مِنْ بينِ فَرْثٍ وَدَمٍ لبناً خالِصاً سَائِغاً للشَّارِبِيْن﴾ فَإِنَّما خُلُوصُ اللبَنِ أنْ لا يكونَ فيه شَوْبٌ من الدَّمِ والفَرْثِ ومِنْ كُلِّ ما يُمْكنُ أن يَمْتَزِجَ به . والإِخْلَاصُ يُضَادُّهُ الإِشْرَاكُ ، المُخْلِصُ الصادقُ هو الذِي لا يُبَالي لو خَرَجَ كلُّ قَدْرٍ له في قلوبِ الخَلْقِ مِنْ أجْلِ إصْلاحِ قَلْبِهِ ولا يُحِبُّ إطْلاعَ الناسِ على أعْمالِهِ .

وقال حُذَيفَةُ المَرْعَشِي رَحِمَهُ اللهُ : الإِخْلاصُ أَنْ تَسْتَوِيَ أَفْعَالُ العبدِ في الظاهر والباطِنِ وقالَ غيرُهُ : الإِخْلاصُ إفْرَادُ الحقِّ سُبْحانَهُ وتعالى بالطَّاعةِ بالقَصْدِ وهو أَنْ يُريدَ بطاعتِهِ التقرُّبَ إِلَى اللهِ تَعَالَى دونَ شَيْءٍ آخَرَ مِنْ تَصَنُّعٍ لِمَخْلُوقٍ أَوِ اكْتِسَابِ مَحْمَدَةٍ عندَ الناسِ أَوْ مَحَبَّةِ مَدْحٍ مِنَ الخَلْقِ أو مَعْنىً مِن المعاني سِوَى التقرُّبِ إلى اللهِ .

وقال آخر : نَظَرَ الاكياسُ في تفسيرِ الإِخْلاصِ فَلَمْ يَجِدُوا غَيْرَ هذا أَنْ تكونَ حَرَكَتُهُ وسكونُهُ في سِرّهِ وَعَلانِيَتِهِ للهِ تَعَالَى لا يُمازِجُهُ نفسٌ ولا هَوىً وَلَا دُنْيا . وقالَ بعضُهُمْ : الإِخْلاصُ التَّوَقِّي عنْ مَلاحَظَةِ الخَلْقِ ،

والصّدْقُ التنَقّي مِنْ مُطاوَعَةِ النفسِ فالمخلصُ لا رِياءَ لَهُ ، والصادِقُ لا إعْجابَ لَهُ .

وقال آخرُ : ثلاثٌ مِنْ علاماتِ الإخْلاص : إسْتَواءُ المَدْحِ والذَّمِّ مِنَ العامّة ، ونِسْيانُ رؤيةِ الأعمالِ في الأعمالِ ، واقتِضاءُ ثوابِ العملِ في الآخرةِ . وقد وَرَدَ في فَضْلِ الاخلاصِ آياتٌ وأحاديثُ ، قال اللهُ تعالى : ﴿ وما أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِيْنَ لهُ الدينَ ﴾ وقال : ﴿ ألا لِلهِ الدِّينُ الخالصُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إلّا الذينَ تابُوا وأصْلَحُوا واعتصموا باللهِ وأخلصوا دِيْنَهم للهِ ﴾ ، وقال : ﴿ فَمَنْ كانَ يَرْجُو لقاءَ رَبِّهِ فليعمَلْ عملاً صالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بعبادَةِ رَبِّهِ أحَداً ﴾ وقال : ﴿ لنْ ينالَ اللهَ لحومُها ولا دِماؤُها ولكنْ يَنالُهُ التقوى مِنْكُم ﴾ .

وأخبَرَ تعالَى عمَّا قالَهُ المُخْلِصونَ مِنْ عبادِهِ ﴿ إنَّما نُطْعِمُكُمْ لوجهِ اللهِ لا نُريدُ مِنكم جزاءً ولا شُكورا ﴾ وقال : ﴿ وما لِأحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إلا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأعلى ولسوف يرضى ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يخرجْ مِنْ بيتِهِ مُهاجِراً إلى اللهِ ورسولِهِ ثُم يدرِكْهُ الموتُ فقد وَقَعَ أجرُهُ على اللهِ ﴾ .

وعن أبي هُريرة رضيَ اللهَ عنهُ قال : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ « مَنْ خرجَ حاجّاً فماتَ كُتِبَ لهُ أجرُ الحاجِّ إلى يومِ القيامةِ .

وَمَنْ خرجَ مُعْتمِراً فماتَ كُتِبَ لَهُ أجرُ المُعْتَمِرِ إلى يومِ القيامةِ . وَمَنْ خرجَ غازِياً في سبيلِ اللهِ فماتَ كُتِبَ لَهُ أجْرُ الغازِي إلى يومِ القِيامةِ » .

وعنْ أنَسِ بْنِ مالكٍ رَضيَ اللهُ عنهُ عنْ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلّمَ قال : « مَنْ فارقَ الدنيا على الإخلاصِ للهِ وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأقامَ الصلاةَ وآتَى الزكاةَ فارقَها واللهُ عنهُ راضٍ » رواهُ ابنُ ماجه والحاكمُ وقال على شَرْطِ الشيخين .

وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيّ عنْ النبيِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، أنه قال : في حَجّةِ الوَدَاع : نضَّرَ اللهُ امرءاً سَمِعَ مقالتي فوَعَاها فرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ ليس بفقيهٍ ، ثلاثٌ لا يُغَلُّ عليهنَّ قلبُ امرىءٍ مؤمن : إخلاصُ العملِ للهِ والمناصَحَةُ للأئمَّةِ المسلمينَ ولُزومُ جَماعَتِهِمْ فإنَّ دعاءَهُمْ محيطٌ مِنْ وَرَائِهِمْ . رواه البزّارُ بإسنادٍ حَسَنٍ ورواهُ ابنُ حِبَّانٍ في صحيحِهِ منْ حديثِ زَيدِ بنِ ثابتٍ .

وعن مُصْعَبِ بنِ سعدٍ عن أبيهِ رضيَ اللهُ عنهُ أنهُ ظنَّ أنّ لهُ فضلاً على مَنْ دونَهُ مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم فقال النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ إنما يَنْصُرُ اللهُ هذه الأمةَ بضَعِيفِها بدعْوَتِهِمْ وصلاتِهِمْ واخلاصِهِمْ . رواه النسائي وغيرُه .

وما وردَ عن عُمَرَ بْنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : سمعْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ يقولُ : إنَّما الأعْمالُ بالنِّيَاتِ ، وإنَّما لِكُلِّ امرىءٍ ما نَوَى فمنْ كانتْ هجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ فهجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ ، ومنْ كانتْ هجرتُهُ لدنيا يُصيبُها أو امرأةٍ ينكِحُها فهجرتُهُ إلى ما هاجَرَ اليهِ ، متَّفَقٌ عليه .

شِعْرَا : إذَا شئِتَ أنْ تُدْعَى كَرِيْماً مُهَذَّبا ... تَقِياً سَرِياً مَاجداً فَطِناً حُرَّا
فكُنْ مُخْلِصاً للهِ جَلَّ جَلالُهُ ... وَكُنْ تَابعاً لِلْمُصْطَفَى تُحْرِزِ الأجْرَا
وإنْ مَا بَدَا مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ ... فَكُنْ أنْتَ مُحْتَالاً لِزَلَّتِهِ عُذْرَا

آخر : جُرُوْحُ المَعَاصي لِلْفُؤَادِ تُذِيْبُ ... وَلَيْس سَوى تَقْوَى الإِلٰهِ طَبِيْبُ
وحَسْبُكَ أنْ تُخْلِصْ لِمَنْ خَلَقَ الوَرَى ... وَتَسْألَهُ دَوْماً لَعَلَّ يُجِيْبُ

وعن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ كُنا معَ النّبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ في غزاةٍ فقال : إنّ بالمدينةِ لَرِجالاً ما سِرْتُمْ مَسيراً ولا قَطَعْتُمْ وادياً إلا كانوا معكم حَبَسَهم المرضُ وفي روايةٍ إلا شَرَكوكُمْ في الأجْر . رواهُ مسلمٌ وفي رِوايةٍ حَبَسَهُمْ العذرُ .

وعن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ « يغزو جيشٌ الكعبةَ فإذا كانوا ببيداءَ مِن الأرضِ خُسِفَ بأولِهِمْ وآخرهم قالتْ : قلتُ يا رسولَ اللهِ كيف يُخسَفُ بأولِهِمْ وآخِرِهِمْ وفيهِمْ أسْواقُهُم وَمَنْ ليس منهُمْ ، قال : يُخْسَفُ بأولِهِمْ وآخِرِهِمْ ثم يُبعثونَ على نِيَّاتِهِمْ . متفقٌ عليه .

وعن معنِ بنِ يزيدَ قالَ : كان أبي يزيدُ أخرَجَ دنانيرَ يتصدَّقُ بها فوضعها عندَ رجلٍ في المسجِدِ فجئتُ فأخذتها فأتيتُهُ بها فقال : واللهِ ما إياكَ أردتُ . فخاصَمتُهُ إلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ فقال : لكَ ما نَوَيْتَ يا يَـزيدُ ولكَ ما أخذْتَ يا مَعْنُ رواهُ البخاري .

وفي حديثِ سعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ ، أنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قال له : إنّك لن تُخلف فتعملَ عملاً تَبْتَغِي بِهِ وجهَ اللهَ إلا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً ورِفعةً الحديث . وعن أبي هُريرةَ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ : إنّ اللهَ لا يَنْظُرُ إلى أجْسامِكُم ولا إلى صُوَرِكُمْ ولكنْ يَنظُرُ إلى قُلوبِكُم . رواهُ مسلم .

وعن أبي موسى الأشعَرِي قال سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ عن الرجلِ يُقاتِلُ شَجاعَةً وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقاتِلُ رِيَـاءً أيُّ ذَلِكَ في سبيلِ اللهِ فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ : مَن قَاتَلَ لِتكونَ كلمةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ في سبيلِ اللهِ . متفق عليه ، وقال صلى اللهُ عليهِ وسلمَ إنَّ أولَ الناسِ يُقْضَى يومَ القيامةِ عليهِ رجلٌ اسْتُشْهِدَ فأُتِيَ بِهِ فعَرَّفَهُ نِعَمَـهُ فعَرَفَهـا قال : فَمـا عَمِلْتَ فيهـا ، قـال : قـاتلتُ فيـكَ حتى اسْتُشْهِدْتُ ، قال : كَذَبْتَ ولكنّك قاتلْتَ لِأنْ يقالَ : فلانٌ جَرِيء فقد قِيلَ ثم أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ على وجِهِهِ حتى أُلقِيَ في النار .

ورجلٌ تعَّلمَ العلمَ وعَلَّمَهُ وقرأ القُرآنَ فأُتِيَ بهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فعَرَفَها قال فما عَمِلْتَ فِيها قال تعلمتُ العلمَ وعمِلْتُ بهِ وقرأتُ فِيكَ القرآنَ . قال : كذبْتَ ولكنّكَ تعلّمْتَ لِيُقالَ عالمٌ وقرأتَ القرآنَ لِيُقالَ هو قارِىءٌ ، فقدْ قِيل ، ثم أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ على وجهِهِ حتى أُلقِيَ في النار . ورجلٌ وَسَّعَ اللهُ عليهِ وأعطاهُ مِنْ أصنافِ المال ، فأتى بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فعَرَفَها فقال : ما عَمِلتَ فيها قال : ما تَرَكْتُ مِنْ سَبيلٍ تُحِبّ أنْ يُنفَقَ فِيْهَا إلاَّ أنفقتُ فِيها لَكَ ، قال : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هو جَوادٌ فقدْ قِيلَ ثم أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ على وَجْهِهِ حَتى أُلقِيَ في النار .

وفي الصحيحينِ مِنْ حديثِ ابنِ عَبَّاسٍ عن النبّي صلى اللهُ عليهِ وسلمَ قال : مَنْ هَمَّ بحَسَنةٍ فلمْ يعملْها كُتبتْ له حَسَنة . وعن أبي كَبْشَةَ الأنصارِي قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم مَثلُ هذِهِ الأُمَةِ مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ رَجُلٍ أتاهُ اللهُ مالاً وعِلْماً فهو يَعْمَلُ بِهِ في مَالِهِ يُنْفِقُهُ في حَقّهِ ، وَرَجُلٍ أتاهُ اللهُ عِلماً ولم يُؤْتِهِ مالاً وَهو يَقُولُ : لَو كَانَ لِي مِثْلُ هَذا عَمِلْتُ فيهِ مِثْلَ الذي يَعْمَلُ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَهُمَا في الأَجْرِ سَوَاء ، وَرَجُلٍ آتاهُ اللهُ مالاً ولم يُؤْتِهِ عِلْمَاً فَهُوَ يَخْبِطُ فيهِ يُنْفِقُهُ في غيرِ حَقِّهِ ، وَرَجُلٍ لم يُؤْتِهِ مَالاً ولم يُؤْتِهِ عِلْماً فيقولُ : لَو كانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فيه مِثْلَ الذي يَعْمَلُ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَهُمَا في الوِزْرِ سَوَاء .

وقال عُمُرُ : رَضِيَ اللهُ عنه ، أَفْضَلُ الأَعْمَالِ أَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللهُ تَعالَى والوَرَعُ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى وَصِدْقُ النِّيَةِ ، وقال بعضُهم : دُلُونِي على عَمَلٍ لا أَزَالُ بِهِ عَامِلاً لِلهِ تَعالَى فَقِيْلَ لَهُ : أنو الخيرَ فإنكَ لا تَزَالُ عاملاً وإنْ لم تَعْمَلْ ، فالنيةُ الصالِحَةُ بِعَمَلٍ وان عُدِمَ العَمَلُ لِعُذْرٍ

شَرْعِي ، فإنَّ مَن نَوَى أن يُصَلِيَ مِن الليلِ فنامَ كُتِبَ لَهُ ثوابُ مَا نوى أن يَفْعَلَهُ وقد جاء في الحديث ، ما مِنْ رجلٍ يكونُ لهُ ساعةٌ من اللَّيلِ يَقُومُهَا فَيَنَامُ عنها إلا كُتِبَ له أَجْرُ صَلاتِهِ وكان نَومُهُ صَدَقَةً تُصُدِقَ بِهِ عليهِ فالمَرْءُ ما دَامَ قد أَسْلم وَجْهَهُ للهِ وأخلصَ نِيَّتَهُ لِلهِ فإنَّ حَركاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَنَوْمَاتِهِ وَيَقْظَاتِه تُحْسَبُ خَطَواتٍ إلى مَرْضَاةِ اللهِ .

قال بعضُ السلفِ : إنّي لأَسْتَحِبُ أن يَكونَ لِي في كُلِّ شيءٍ نيةٌ حَتَّى في أكلي وَشُرْبِي وَنَومِيْ وَدُخُولِ الخَلاءِ وفي كلِ ذَلِكَ مِمَّا يُمْكِنُ أن يُقْصَد بِهِ التَقربَ إلى اللهِ تَعَالى لأَنَّ كلَّ ما هُوَ سَبَبٌ لِبَقَاء البَدَنِ وَفَراغِ القلبِ مِنَ مُهِمَّاتِ الدِيْنِ فَمَنْ قَصَدَ مِن الأكِلِ التَّقَوِي على العبَادَة ومن النكاحِ العَفَافَ وَتَحصِيْنَ الدِيْن وَتَطْيِيْبِ قَلْبِ أهلِهِ وَالتَوصُلِ إلى وَلَدٍ يَعْبُدُ اللهَ بَعْدَهُ أُثِيبَ على ذلك .

ولا تَحْتَقِرْ شيئاً مِن حَرَكاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ فَصَلاحُ النيةِ واخلاصُ القلبِ لِرَبِ العالمينَ يَرْفعانِ مَنْزِلَةَ العَمَلِ الدُنْيَوي البَحْتِ فَيَجْعَلانه عِبادَةً مُتَقَبَّلَةً كما أنَ فَسَادَ النيةِ يَنزلُ بالطاعَات وَتَنْقَلِبُ مَعَه مَعَاصِي فلا يَنَالُ المرء بَعْدَ التَّعَب في أَدَائِهَا إِلَّا الفُشَلُ وَالخَسَارَة .

اللَّهُمَّ يا مُصْلِحَ الصَّالِحِينَ أَصْلِحْ فَسَادَ قُلُوبنَا واسْتُرْ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ عُيُوْبَنَا واغْفِرْ بعَفْوكَ ورحمتِكَ ذُنُوبَنَا وَهَبْ لَنَا مُوْبِقاتِ الجَرَائِرِ واسترْ علينا فاضِحَاتِ السَّرَائِر ولا تُخلِنَا في مَوْقِفِ القِيَامَةِ مِنْ بَرْدِ عَفْوِكَ وَغُفْرانِكَ ولا تَتْرُكْنَا مِن جَمِيْلِ صَفْحِكَ وأَحْسَانِكَ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِـهِ وَصَحْبِـهِ أَجْمَعِيْنَ .

(**فَصْلٌ**) : قال ابن القيم : رحمه اللهُ لا يَجْتَمِعُ الاخلاصُ في القلبِ وَمَحَبَّةُ المدحِ والثَناءِ والطَّمَعِ فيما عِندَ الناسِ إلا كَمَا يَجْتَمِع الماءُ والنارُ

والضبُ والحوتُ ، فاذا حَدَثَتْكَ نَفْسُكَ بطلَبِ الاخلاصِ فأقْبِلْ على الطَّمعِ أولاً فأذبَحْهُ بسِكِّيْنِ اليَأسِ ، واقبلْ على المدَحِ والثناءِ فازْهَدْ فِيْهِمَا زُهْدَ عُشَاقِ الدُّنْيا في الآخرةِ ، فاذا استقامَ لكَ ذَبحُ الطَّمعِ والزهدُ في الثناءِ والمدحِ سَهُلَ عليكَ الاخلاصُ فان قلتَ : وما الذي يُسَهلُ عَلَيَّ ذَبْحَ الطَّمَعِ والزُّهْدَ في الثناءِ والمدحِ قلتُ : أما ذَبْحَ الطَمعِ فَيُسَهِّلُهُ عَلَيْكَ يَقِيْناً أنه ليسَ شيءٌ يُطْمَعُ فيه إلا وَبيدِ اللهِ وَحدَهُ خِزَانَتُهُ لا يَمْلكُهَا غَيْرُهُ وَلَا يُؤْتَى العَبْدُ منها شَيْئاً سِوَاهُ وأما الزُهْدُ في الثناءِ والمدحِ فَيُسَهِّلهُ عليكَ عِلْمُكَ أنَّهُ ليسَ أَحدٌ يَنْفَعُ مَدْحُهُ وَيزِيْنُ ، وَيَضُرُّ ذمُهُ وَيَشِيْنُ إلا اللهُ وَحْدَهُ ، قال ذلكَ الاعرابيُ للنَبي صلى الله عليهِ وَسَلَّمَ : ان مَدْحِيْ زَيْنٌ وَذَمِي شَيْنٌ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ذلكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

فازهَدْ في مَدْحِ مَن لاَ يَزِيْنُك مَدْحُهُ وفي ذَمِ مَن لا يَشِيْنُكَ ذَمُّهُ ، وارْغَبْ في مَدْحِ مَن كُلِ الزَّيْنِ في مَدْحِهِ وَكلُ الشَيْنِ في ذَمِّهِ ، ولن يَقْدرْ على ذَلكَ إلا بالصَّبرِ واليَقينِ فَمَتَى فَقَدْتَ الصَّبْرَ واليقينَ كُنْتَ كَمَنْ أَرادَ سَفراً في البَحْرِ في غَيْرِ مَرْكَبٍ قال الله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَق ولاَ يَسْتَخفنك الذينَ لا يُوقِنون ﴾ . وقال : ﴿ وجَعَلناهُمْ أئِمة يهدونَ بِأمرِنَا لما صَبروا وكَانوا بِآياتِنا يُوقِنون ﴾ .

وقد يَعْجَزُ عن عمل الخيرِ الذي يَتَمَنَّى فِعْلَهُ لِضَعْفِ بَدَنِه أو قِلَّةَ مَالِهِ ولكن اللهُ المطلعُ على السَّرائِرِ اللطيفُ الخبيرُ يُثِيْبُ الحَرِيْصَ على فِعْلِ الخَيْرِ كما في الحَدِيْثِ اذا مَرِضَ العَبْدُ أو سَافَرَ كُتِبَ له ما كانَ يَعْمَلُ صَحِيْحاً مُقِيْماً .

وفي غزوةِ العُسْرَةِ تَقَدَّمَ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم رجالٌ يُرِيْدُون أنْ يُقَاتِلوا الكفارَ وأن يَجُودُوا بِأنفُسِهم في سبيلِ اللهِ فقالَ

لهم النبيُ صلى الله عليه وسلم : لا أَجِدُ مَا أحْمِلُكُمْ عليه فعادُوْا وفي حُلُوقِهِمْ غُصَّةٌ لِتَخَلُفِهم عن مَيْدَانِ القِتَالِ في سبيلِ اللهِ وفيهم نَزَلَ ﴿ ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدم حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ﴾ فَنَوَّهَ النبيُ صلى اللهُ عليهِ وسلم بإيمانِهِمْ واخلاصِهِم وقال لِلْجَيْشِ السّائِرِ مَعَه : (ان بالمدينةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُم مَسِيْراً ولا قَطعْتُمْ وادِياً إلّا كانُوْا مَعَكُم) الحديث وَتَقدم قريباً .

اللهمَّ اعْطنا مِن الخيرِ فوقَ مَا نَرْجوهُ وآصْرف عَنا مِن السوءِ فوقَ مَا نَحْذر فإنكَ تَمحُو مَا تَشَاء وَتُثْبت وعندك أُم الكِتاب .

اللَّهُمَّ وآجعلنَا ممَّن يأخُذ الكِتاب باليمين، وآجعلنَا يَوم الفزعِ الأَكْبَر آمِنيْنْ، وَأَوْصِلْنَا بِرَحْمَتِكَ وَكَرِمِكَ إِلىَ جَنَّاتِ النَّعِيْمْ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ الاسْتِقَامَةِ وَأَعِذْنَا مِنْ مُوْجِبَاتِ الحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ يَوْمَ القِيَامةِ وَخَفِّفْ عَنَّا ثُقْلَ الأَوْزَارِ، وَارْزُقنَا عِيْشَةَ الأَبْرَارِ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

الفصل العاشر

وقال ابن القيم رحمه الله : يَعْرِضُ لِلْعَامِلِ في عَمَلِهِ ثلاثُ آفاتٍ رؤيتُهُ وملاحظتُه وطلبُ العَوَضِ عليه ورضاهُ بهِ وَسكونُهُ إليه . ففي هذه الدرجةِ يَتَخَلَّصُ مِن هَذِهِ البَلِيَّةِ . فالذي يُخَلِّصُه مِن رُؤْيَةِ عَمَلِهِ مُشَاهَدَتُهُ لِمنَّةَ الله لا مشيئته هو ، كما قال تَعالى ﴿ وما تشاؤونَ إلا أن يشاء اللَّهِ ربِ العالمين ﴾ وأنَّهُ آلةٌ مَحْضَة وأنه لَو خُلي وَنَفْسَهُ لم يكنْ مِن فِعْلِهِ الصَّالِحِ شَيءٌ ، فانَّ النَّفْسَ جاهِلةٌ ظالِمةٌ طَبْعُهَا الكَسَلُ وايثارُ الشهواتِ والبطالةُ ، وهي مَنْبَعُ كُلِ شَرِ ومأوى كُلِ سُوْءٍ ، وما كانَ هَكَذَا لم يَصْدُرْ

مِنهُ خَيْرٌ وَلاَ هُو مِن شَأْنِهِ فَالخَيرُ الذي يَصْدُرُ مِنها إِنَّمَا هُوَ مِن اللهِ وبِهِ ، لا مِن العبد ولاَ بِهِ ، كما قال تعالى :

﴿ ولو لا فضل اللهِ عليكم وَرَحمته ما زكى مِنكم مِن أحدٍ أَبَدًا ولكن الله يُزَكِّيْ مَنْ يَشَاء ﴾ وقال أهلُ الجنة : ﴿ الحمدُ لله الذي هدانا لِهَذا ﴾ وقال تبارك وتعالى لرسوله : ﴿ ولولاَ أن ثبتنَاك لقد كِدْتَ تركنُ إليهم شيئاً قليلا ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولكن الله حبَب اليكمْ الإيمان وزَينه في قُلوبكم ﴾ الآية .

فكلُ خيرٍ في العبدِ فهو مُجَرَّدُ فضلِ اللهِ وَمِنَّتِهِ وإحسانِهِ ،هُوَ المَحْمُودُ عليهِ فرؤ يةُ العبدِ لأَعْمَالِهِ في الحقيقةِ كَرُؤْيتِهِ لِصفاتِهِ الخَلْقِيَّةِ مِن سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وإدْرَاكِهِ وَقُوَّتِهِ ، بَلْ مِن صِحّتِهِ وَسَلاَمَةِ أعضائِهِ ونحو ذلكَ ، فالكلُ مُجَرَّدُ عَطَاءِ اللهِ وَنعمتِهِ وَفَضْلِهِ فالذي يُخَلِّصُ العَبْدَ مِن هذِهِ الآفةِ مَعْرِفَةُ رَبِّهِ وَمَعْرِفَةُ نَفْسِهِ .

والذي يُخَلِّصُهُ مِن طلبِ العِوَضِ على العملِ عِلْمُهُ بأنه عَبْدٌ مَحْضٌ ، والعَبْدُ لا يَسْتَحقُ على خِدْمَتِهِ لِسَيّدَهِ عِوَضاً ولا أجْرَةَ ، اذْ هُو يَخْدِمُهُ بِمُقْتَضي عُبُودِيَتِهِ ، فَمَا يَنالَه مِن سَيِّدِهِ مِن الأجر ، والثوابِ تَفَضُّلٌ منه واحسانٌ إليهِ وانْعَامٌ عليهِ لاَ مُعَاوَضَةَ ، إذِ الأُجْرَةُ إنما يَسْتَحِقُّهَا الحُرُّ أو عَبْدُ الغَيْرِ فأمَّا عَبْدُ نَفْسَهُ فلا . والذي يُخلِصُه مِنَ رِضَاهُ بِعَمَلِهِ وَسُكُونِهِ إليهِ أَمْرَانِ : أَحدُهُمَا مطالعةُ عُيُوبِهِ وآفاتِهِ وَتقصيرِهِ فيه وما فيهِ مِن حَظِ النَّفْسِ والشيطانِ ، فَقلَّ عَمَلٌ مِن الأَعْمَالِ إلا وِللشَّيْطَانِ فيه نَصِيْب وإنْ قَلَّ وَلِلنَّفْسِ فيه حظ .

الثاني : عِلْمُهُ بما يَسْتَحِقُّهُ الربُ جَلَ جَلاَلُه مِن حُقُوقِ العُبوديةِ وآدابِهَا الظاهرةِ وَالباطنةِ وشروطِهَا وأَن العَبْدَ أضعفُ وأَعجزُ مِن أنْ يُوَفِيها

حَقاً وأن يَرْضَى بِهِ لِرَبِّهِ فالعَارِفُ لا يَرْضَى بِشَيءٍ مِن عَمَلِهِ لِرَبِّهِ ولا يَرْضَى نَفْسَهُ لِلِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَيَسْتَحِي مِن مُقابَلَةِ اللهِ بِعَمَلِهِ . وَكَان بَعْضُ السَلَفِ يُصَلِي في اليومِ واللَّيْلَةِ أَرْبَعْمائَةِ رَكْعَةٍ ، ثُمَّ يَقْبِضُ على لِحْيَتِهِ وَيَهُزُهَا وَيقولُ لِنَفْسِهِ : يَا مَأْوَى كُلِّ سُوْءٍ وهل رَضِيْتُكَ لِلِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ . وقال بَعْضُهُم : آفةُ العَبْدِ رِضَاهُ عن نَفْسِهِ وَمَن نَظَر إلى نَفْسِهِ باستحسان شيءٍ منها فَقَدْ أَهْلَكَهَا وَمَن لَمْ يَتَّهِمْ نَفْسَهُ على دَوَامِ الأوقاتِ فهو مَغْرُوْرٌ . انتهى .

وختاماً فَعَلَى المُسْلِم المخلصِ أن يَحْذَرَ كُلَّ الحَذَرِ أن يَمْتَزِجَ باخلاصِ عَمَلِهِ شيءٌ آخرُ مِن رِياءٍ أو غيرِهِ كَمَنْ يَصُومُ لِيَنْتَفِعَ بالحُمِيْةِ الحَاصِلةِ بالصومِ وَمَعَ قَصدِ التقربِ أو يُعْتِقَ رَقِيْقَهُ لِيَتَخَلَّصَ مِن مؤُنَتِهِ وَسُوْءِ خُلُقِهِ أو يَحُجَّ لِيَصِحَّ بَدَنُه بِحَرَكَةِ السَّفَرِ أو لِيَتَخَلَّصَ مِن شَرٍّ يَعْرُضُ له بِبَلَدِهِ أو يَغْزُو لِيَتَمَرَنَّ عَلَى الحَرْبِ وَيُمَارِسَها أو يَتَعَلم العِلْمَ لِيَسْهُلَ عليهِ طَلَبُ مَا يَكْفِيْهِ مِن المال أو لِيَكونَ عزيزاً بينَ أَبناءِ جِنْسِهِ وَعَشِيْرَتِهِ ، أو لِيَكونَ مَالُهُ مَحْرُوْسَا بعِزِ العِلْمِ عَن الاطمَاعِ ، أو عادَ مَرِيْضاً لِيُعَادَ إنْ مَرِضَ أو شَيَّعَ جَنَازَةَ لِيُشَيَّعَ جَنَائِزَ أهلِهِ ، أَوْ فَعَلَ شَيْئاً مِن ذلكَ لِيُعْرَفَ بالخيرِ وَيُذْكَرَ بهِ وَيُنْظَرَ إليه بِعَيْنِ الصَّلاحِ والوَقَارِ أو تصدقَ لِيُثْني عليهِ وَيُقَالَ أنه كَرِيْمٌ يَبْذُلُ المَالَ أو قَامَ بِمَشَارِيْعَ خَيْرِيَّةٍ لِيُثْنَى عَلَيهِ فكلُ هَذِهِ وَنَحْوَها مِن مُكَدِّرَاتِ صَفْوِ الاخلاصِ نَسأَل اللهُ العصمةَ لَنَا وَلاخواننا منها .

وكم مِن أَعْمَالِ يَتْعَبُ الشخصُ فيها وَيَظُنُّ أَنَّهَا خَالصةً لِوَجْهِ اللهِ ، ويكونُ فيها مَغْرُوْراً لأنه لا يَرَى وَجْهَ الآفةِ فيها ، فَدقائقُ الآفاتِ قَلَّمَا تَسْلَمُ الاعمالُ منها .

قال بعضُ السلفِ لاَ يَزَالُ العَبْدُ بِخَيرٍ ما عَلِمَ ما الذي يُفْسِدُ عليهِ

عَمَلهُ فلا غِنَى بالعَبدِ عن مَعْرفَةِ ما أمِرْنَا باتّقائِهِ مِن الرياءِ وَغَيرِهِ وَلا سِيَّما الرِّياءُ إذْ وُصِفَ بالخَفاءِ في الحديثِ أنه أخفَى مِن دَبيبِ النَملِ فما خفيَ لا يُعْرَفُ إلا بشِدَّةِ التَّفقُدِ وَنفَاذِ البصيرةِ بِمعرفَةٍ لَهُ حِيْنَ يَعْرُضُ وإلا لَم يَنْفَعِ التفقدُ لِمَا لاَ يُعْرَفُ .

فبالخوفِ والحذرِ يَتَفقَّدُ العَبْدُ الرِّيَاءَ، وَبِمَعْرِفتِهِ بِبَصَرِهِ حينَ يَعْرِضُ لَهُ .

ومَن فوائِد الاخلاصِ أنه يَمُدُ جَأْشَ صَاحِبه بِقُوَّةٍ فَلا يَتَباطَأُ أَنْ يَنْهَضَ لِلدّفاعِ عَن الحَق .

ومن فوائِدِهِ أنه يَشْرَحُ صَدْرَ صَاحِبِهِ للانْفاقِ في وُجُوهِ البرِ فَتجدُهُ يؤْثِرُهَا بِجَانِبٍ مِن مَالِهِ وان كانَ به خَصَاصَةٌ . وَمِنَ فوَائِدِهِ أنه يُعَلِّم صَاحِبَه الزُّهْدَ في عَرَضِ الدُنْيا ، فلا يُخْشَى مِنْهُ أَنْ يُنَاوِئَ الحَقَّ أو يُلْبِسَه بِشَيءٍ مِن البَاطِلِ ، ولو أُعْطِيَ الشَّيءَ الكثيرَ مِن المَال . وَمِنَ فوائِدِهِ أنه يَحْمِلُ القاضِي على تَحقِيْقِ النَّظَرِ في القَضَايَا فَلا يَتَسَرَّعْ في القَضِيَّة وَيفصِلُ فيها إلا بَعْدَ أَنْ يَتثَبَّتَ وَيتَبيَّنَ لَهُ الحقُ . وَمِن فوائِدِهِ أنه يَحْمِلُ المُعَلِّمَ أنْ يَبْذِلَ جُهْدَهُ في ايضاحِ ما خَفِيَ على التِّلْمِيْذِ وأن لا يَبْخَلَ عَلى الطلاَبِ بما تَسَعُه أفهامُهُم مِن المَباحِثِ المفيدَةِ . ومِن فَوَائِدِهِ أن الاسْتَاذَ يَحْرِصُ عَلَى ان يَسْلُك في طَرِيْقَةِ التَدرِيْسِ الأَسَالِيْبَ التي تُجدِّدُ نَشَاطَهُم وَتَحْفِزُهُم إلى التَعمُقِ في المَسَائِل .

وَمِن فَوَائِدِ الاخلاصِ أنه يَمْنَعُ التاجِرَ مِنَ الخِيَانَةِ فلا يَخُوْنُ الذي يأتمنُه في صِنْفٍ مِن أَصْنَافِ البِضَاعَةِ ، أَوْ قِيْمَتِها . وَمِن فَوائِدِ الاخلاصِ أنه يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلى إجَادَةِ العَمَلِ وأَنْ يكونَ مُحْسناً فِيه ومِن فوائِدِهِ أنه يَمْنَعُ الكاتبَ أن يَقْلِبَ بَعضَ الحقائِقِ أو يكسُوْهَا لوناً غَيْرَ لَوْنِهَا . وَمِن فوائدِ الاخلاصِ أنَه يَحْمِلُ صَاحِبَه عَلى تَجنُّبِ الغِشِ فَكُلُ غَشاشٍ فهو

ليسَ بِمُخْلِصٍ ، وَتَقدَمَ حديثُ مَن غَشَّنا فليسَ مِنّا ومِن فوائدِ الاخلاصِ أنَه يَحْمِلُ صَاحِبَهُ على الوَفَاءِ بالعهدِ والوعدِ ، وَمِن فوائدِ الاخلاصِ أنه يَحْمِلُ صَاحِبَه على أنْ يكوُنَ عَمَلُه لِلْقَرِيْبِ والبعيدِ سَوَاء .

ومِن فوائدِهِ أنه يَحْمِلُ صَاحِبَه على تَنظيمِ أعمَالِهِ . ومِن فوائِدِهِ أن المُتَّصِفَ به يكونُ مُقَدَّراً مَرْمُوقاً بعَينِ الاحْتِرَامِ والاجلالِ ، ومِن فوائدِهِ أنه يَحْمِلُ صَاحِبَه على الابتعادِ عن الرِشوَةِ ، وَمِن فوائدِهِ أنه يحملُ صَاحِبَه إذا كانَ مِن أهلِ الحَلِّ والعَقدْ وَزيراً أو رَئِيساً أو مِدِيراً أنْ يَتَحَرَّى لِلأَعْمَالِ الأتقى وَالأرضى ، الذي تُوْجَدَ فيهِ المؤهلاتُ حقيقةً ، وهيَ القوةُ والأمانةُ والحفظُ والعلمُ . عاملاً بقوله صلى اللهُ عليه وسلم : مَن اسْتَعْمَلَ رَجُلاً على عِصَابَةٍ وفيهم مَن هُوَ أرْضَى للهِ منه فَقَدْ خَانَ اللهَ ورسولَهُ والمؤمنينَ ، ومِن فوائِدِهِ أن العَمَل الخَالِصَ القَليْلَ منه يُجْزِي كما في حَدِيثِ معاذٍ أن النبي صلى الله عليه وسلَم قالَ لَهُ : أَخلِصْ العَمَلَ يُجْزِكَ مِنه القَلِيْلُ ، **قال بعضهم** :

أَنا الزَّعِيْمُ لِمَنْ يُخْلِصْ لِخَالِقِه ... وَيَعْمَلَ الصَّالِحَات أَنْ يُحْرِزَ الرَّشَدَا

آخر : وأحْسَنُ وَجْهٍ في الوَرَى وَجْهُ مُخْلِصٍ ... لِمَنْ خلقَ الأشْيَاءَ رَبِّ البَرِيَّةِ

وأيْمَنُ كَفٍ في الوَرَى كَفُ مُحْسِنٍ ... يُرِيْدُ رِضَى الخَلَّاقِ نِعْمَ الإِرَادَة

آخر : وَإِذا افْتَقَرْت إِلىَ الذَّخائِرِ لَمْ تَجِدْ ... ذُخْراً يَكُونُ كَصَالِحِ الأَعْمَالِ

آخر : واللهُ لاَ يَرْضَى بِكَثْرَةِ فِعْلِنَا ... لَكِنْ بِأَحْسَنِهِ مَعَ الايْمَانِ

فالعَارِفُونَ مُرَادُهُم أَحْسَانُهُ ... والجَاهِلُونَ عَمُوا عَن الإِحْسَانِ

ومِنْ فَوائِدِ الإِخلاصِ أَنَّ العَبْدَ لا يَتَخَلَّصُ مِن الشيطانِ إِلَّا بالإِخلاصِ، قال اللهِ إِخْبَاراً عَمَّا قالَهُ أَبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ : ﴿إِلَّا عِبَادَكَ منهم المُخْلَصِين﴾ ، وَمِن فَوائِدِ الإِخْلاصِ أنه يُمَيزُ العَمَلَ مِن العُيُوْبِ كَتَمْيِيْزِ نَفْسَهُ وَيُجِمُّهَا لِلْعَمَلِ لِيَتَقَوَى عَلَى العِبادة يكونُ نومُهُ عبَادَةً .

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بابَ القَبُولِ والإِجَابَةِ واغْفِرِ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**موعظة**»: عِبَادَ اللهِ أَخلِصُوا في أَعْمَالِكُم كُلِّها لَا فَرْقَ بَيْنَ عَمَلٍ وَعَمَلٍ سَواءٌ أَكُنْتُم تَعْمَلُونَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمْ كُنْتُم تَعْمَلُونَ لِخَلْقِ اللهِ وَسواءٌ أَكُنْتُم بَيْنَ الخَلْقِ وأنتمُ تَعْمَلونَ أَمْ كُنْتُمْ في مَحَلٍ خَفِيٍ لَا يَرَاكُم إِلَّا اللهُ والكرامُ الكاتبونَ وَسَواءٌ أكنتُم في سَرَّاءَ وَقْتِ العَمَلِ أَمْ فِي ضَرَّاءَ.

ذَلِكَ الإِخْلاصُ هو أَنْ تَعْمَلَ العَمَلَ الصالحَ لا تُرِيْدُ جَزَاءً عليهِ إِلَّا مِن اللهِ يكونُ ذَلِكَ قَصْدُكَ قبلَ العَمَلِ وحينَ مُبَاشَرَتِهِ وَبَعدَ الفَرَاغِ مِنهُ لَا تَذْكُرْهُ بِلسَانكَ إلا مِن بَابِ التَّحَدُثِ بِنِعَمِ اللهِ أَوْ لِيَقْتَدِي بكَ غَافِلٌ مُتَّبِعٌ لِهَوَاهُ، بِهَذا يَكُونُ العَمَلُ عِبَادَةً حَقاً وتكونُ أَنْتَ مِن العَابِدِينَ وبهذا يَثْمِرُ عَمَلُكَ القَبُولَ عندَ رَبِكَ وعندَ الناسِ، وبهذا تكونُ أَقْوَى الناسِ لِأَنَّ وَلِيَّكَ حِيْنَئِذٍ يكونُ مَوْلَاكَ القَوِيُ المَتِيْنُ وبهذا تكونُ مِنْ أَهْلِ الكَرَامَةِ في هَذه الدار وفي دَار الجَزَاء.

شِعْرًا: لِلَّـهِ دَرُّ نَُاسٍ أَخـلَصُوْا العَمَـلَا ... عَلى اليَقْيِن وَدَانُوا بالذي أُمِرُوْا
أَوْلا هُمُوْا نِعَماً فازْدَادَ شُكْرهُمُوْا ... ثُمَّ ابْتَلاهُم فأرضوْهُ بِمَا صَبَرُوْا
وَفُّوْا لَهُ ثُمَّ وَافَوْهُ بِمَـا عَمِلـوْا ... إذاً سَيُوْفِيْهُمُــوْا إِذَا نُشِرُوْا

آخر: عَلَيكَ بإخلاصِ العِبَـادَةِ لِلَـذِيْ ... لَهُ نِعَـمُ لا تَـنْحصِيْ وَفضَائِـلُ

آخر: إِذَا قِيْلَ أَيْ الناسِ خَيْرٌ فَقُلْ لَهُمْ ... عِبادٌ لِمَوْلَاهُمْ أَنَابُوهُ وَأَخْلَصُوْا

أَمَّا إذا عَمِلْتَ العَمَلَ الصَّالِحَ لِيُقبلَ عَلَيْكَ الناسُ وَيَقُوْلُوا إِنكَ مِن الصَّالِحينَ فأنتَ إذاً تكونُ مُرَائِياً لا تُخْلِص العَمَلَ بَلْ تَشْرِكُ مَعَه الناظرينَ فتكونُ في دَعْوَى تَمْحِيْصِ العملِ للهِ تعالى لَسْتَ بصَـادِقٍ بَلْ مِن الكاذبين .

وانْظُرْ كَيفَ تكونُ حَالُ مَن يَكْذِبُ على مَن لا تَخْفَى عليهِ خافيةٌ ،

لا في الأرضِ ولا في السماءِ ، إن المُرائِيَ مَهْمَا أخْفَى رِياءَهُ يُظْهِرُ اللهُ تعالى ما فِي قَلْبِهِ لِلْعَالَمين ، رَوَى الامامُ أحمدُ عن أبي سعيدٍ مَرفوعا « لو أنَّ أحَدَكُم يَعْمَلُ في صَخْرَةٍ ليسَ لَهَا بابٌ ولا مَنْفَذٌ لأَخْرَجَ اللهُ عَمَلَهُ لِلنَّاسِ كائناً مَا كان » .

ولذلكَ يكونُ لأعمالِ المُرائِي مِن السَّمَاجَةِ في نُفُوسِ الناسِ مالا يَحْكِيْهِ اللّسَانُ ولِهذا يكونُ مَرْذُوْلاً ثَقِيْلاً عندَ الناسِ ، ومِن هذا تَرَاه يَتَوَدَّدُ إلى الناسِ وَيَضْحَكُ إليهِمْ وَنُفُورُهُم عنه عِبْرَةٌ عند العقلاء ثم هو عندَ اللهِ أسوأُ حالاً خصوصاً في اليومِ الذي يَشِيْبُ فيه الاطفالُ فقد يُؤْمَرُ بهِ إلى النارِ وله مِن الأعمالِ أمثالُ الجبالِ لكنَّهَا لَمَّا لم يُرْد بِهَا وَجْهَ اللهِ خَالِصَةً صَارَتْ وبالاً عليه نعوذُ باللهِ مِن الرِّياءِ .

وَقَدِّمْ أَحَاديثَ الرسولِ وَنَصَّهُ ... على كلِ قولٍ قد أتَى بإزائِه
فإنْ جَاءَ رَأْيٌ لِلحديثِ مُعَارِضٌ ... فللرأيِ فاطْرَحْ ، واسترحْ مِن عَنائِه
فَهَلْ مَعْ وُجُودِ البَحْرِ يكْفِي تَيَممٌ ... لِمَنْ ليسَ مَعْذوراً لَدىَ فُقَهائِه ؟
وهَلْ يُوقِدُ الناسُ المصابيحَ للضيا ... إذا مَا أتَى رَدْأ الضُحَى بضيائِه
سَلامِي على أهلِ الحديثِ فإنهم ... مَصَابيحُ عِلْمٍ ، بل نُجُومَ سَمائِه
بهم يهتدي مَنَ يَقْتَدِي بعُلُومِهم ... وَيَرقَى بهم ذُو الداءِ عِلَّةَ دَائِه
ويُحيِيَ بهم مَن مَاتَ بالجهَلِ قلبُه ... فهُمْ كالحَيا تَحْيَا البقاعُ بمائِه
لَهمُ حُلَلٌ قد زَينَتْهُم مِن الهُدَى ... اذا مَا تَردَّى ذُو الرَّدى بردائِه
ومَن يَكُن الوَحْيُ المُطَهَّرُ عِلْمُه ... فلا رَيبَ في تَوفيقِه واهْتِدَائِه
وما يَستوِىَ تالِي الحديثِ ومَن تلا ... زَخَارفَ مِن أهوائِه وهُذائه
وكُنْ راغباً فِي الوَحْيِ لا عنه رَاغِباً ... كَخَابِطِ لَيلٍ تائِهٍ في دُجَائِه
إذا شَامَ بَرقًا في سَحابٍ مَشَى به ... وإلا بَقِي في شَكِّه وامترائِه
ومَن قال : ذا حِلٌّ ، وهذا مُحَرَّمٌ ... بغير دَليلٍ . فهو مَحْضُ افترائِه

وكُلُ فقيهٍ في الحَقِيْقَةِ مُدَّعٍ ... وَيثْبُتُ بالوحيين صِدْقُ ادْعائِهِ
هُمَا شَاهدا عَدْلٍ ، ولكن كِلاهُمَا ... لَدىَ الحُكْمِ قاضٍ عَادِلٍ في قَضَائِهِ
فَوَاحَرَّ قَلبْي مِن جَهُولٍ مُسَوَّدٍ ... بِهِ يُقْتَدى في جَهْلِهِ لِشَقَائِهِ
إذا قُلت: قَولَ المصطفى هو مَذْهَبي ... مَتَى صَحَّ عِنديِ لَمْ أَقُلْ بِسوَائِهِ
يَرىَ أنها دَعْوىَ اجْتهادٍ صَرِيْحَةٍ ... فَواعَجَباً مِن جَهْلِهِ وجَفائِهِ
فَسَلْهُ : أقول اللّه : ماذا أَجَبْتُمُ ؟ ... لِمَن هُوَ يَوَم الحشرِ عند نِدَائِهِ
أَيَسْألهُمُ : ماذا أَجَبْتُم مُلْوكَكُمْ ؟ ... وما عَظَّمَ الإنسانُ مِن رُؤَسَائِهِ
أم اللّهُ يَوَم الحشرِ يَمتَحِنُ الوَرَى ... بِماذا أجابُوا الرُسْلَ مِن أَنبيائِهِ
وهَلْ يُسْأَلُ الإنسانُ عن غيرِ أحمدٍ ... إذا مَا ثَوى في الرَّمْسِ تَحْتَ تُرَابِهِ
وهَلْ قولُهُ : يارب قَلّدتُ غَيْرَهُ ... لَدَى اللّهِ عُذرٌ يومَ فَصْلِ قضَائِهِ
فَهيْهاتَ لا يُغْني الفَتَى يومَ حَشْرِهِ ... « سِوى حُبّه رب الْورَىَ واتقَائِهِ »
« وحُبِّ رَسُولَ الله بل كل رُسْلِهِ ... ومَن يَقْتِفَيْ آثارَهُم باهْتِدائِهِ »

اللّهُمَّ نَوِّرْ قُلوبنَا واجْعَلِ الإيمانَ لَنَا سِراجاً ولا تَجْعَلَه لَنَا اسْتِدْرَاجاً واجْعَلْهُ لَنَا سُلَّماً إلى جَنَّتِكْ ولا تَجْعلهُ لَنَا مَكْراً مِنْ مَشيْئَتِكْ إنَّكَ أنْتَ الحليمُ. اللّهُمَّ يامَنْ لا تَضُرُّهُ المعصيةُ ولا تنفعُهُ الطاعَةُ أيقظْنَا مِنْ نَومِ الغَفْلَةِ وَنَبِّهْنا لاغتِنَامِ أوقاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصالِحِنَا واعْصِمْنا من قبائِحِنَا ولا تؤاخِذْنا بما انْطَوَتْ عليهِ ضَمائِرُنا وأَكَنَّتْهُ سَرائِرُنا مِنْ أنواعِ القَبَائِحِ وَالمعائِبِ التي تَعْلَمُها مِنا، وأمْنُنْ علينا ياَمولانا بِتَوْبَةٍ تمحو بها عنا كُلَ ذَنْبٍ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

الفصل الحادي عشر
في محاسبة النفس

اعلم وفقنا الله واياك وجميع المسلمين أنه يَجِبُ على الانسان أولاً

أن يَعلمَ أنه عبدٌ مَرْبُوبٌ لَا نَجاةَ لَهُ إلاَ بتقوى اللهِ ولا هلاكَ عليه بَعْدَهَا ثم يُفَكِّرُ (لأي شيءٍ خَلقَهُ اللهُ ولِمَا خَرجَ في هذِهِ الدارِ الفانيةِ فيَعْلَمَ أنه لم يُخْلَقْ عَبَثاً كما قال الله أفحسبتم أنمَا خَلقْنَا كَم عبثا) وقال ﴿ أيحسب الانسان أن يترك سدى ﴾ وانما وُضِعَ في هذِهِ الدارِ لِلْبَلْوَى والاختِبَارِ هَلْ يَطِيعُ رَبَّهُ فَيَنْتَقِلْ إلى دَارِ نَعِيْمٍ أَبَدِيْ سَرمَدِي أو يَعصِي رَبَّهُ فينتقل إلى عذابِ الأبدِ إلى جَهنَّمَ وَبئسَ المِهَاد .

اذا فَهِمَ ذَلكَ عَلمَ أنهُ لا نَجاةَ لهُ إلا بطَاعَةِ رَبِهِ وأن الدليلَ على طاعَةِ اللهِ العلمُ ثم العملُ بأمرِهِ وَنهيهِ في مَوَاضِعه وعِلَلِهِ وأسبابِهِ ولن يجدَ ذلكَ إلا في كتابِ اللهِ وسنةِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم لأنَّ الطَاعَةَ سَبيْل النجاةِ والعِلْمُ هُوَ الدليلُ على السبيلِ . قال الله تعالى : ﴿ فأعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾ .

ثم يَتَأَمَّلُ مَا أَمَامَهُ مِن الشَّدَائِدِ والْكُرَبَ والعَقَبَاتِ والأَهْوالِ التي أوْضَحها اللهُ في كِتابِهِ وَبَيَّنَها رسولُه صلى الله عليهِ وسلَم قال تعالى ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ وقوله ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ وقال ﴿ يوم يَبعثُهم اللّه جَميعاً فَيُنبِؤُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أحْصَاه اللَّهُ وَنسوهُ واللّه على كلِّ شيءٍ شَهيدٍ ﴾ وَقَال ﴿ يَومئذٍ يصْدُرُ النّاسُ أشْتَاتاً لِيُرَوا أعمَالهُم فمنْ يَعْمَلْ مِثقَالَ ذرَّةٍ خيراً يَرهُ ومنْ يَعملْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شراً يَره ﴾ وقال ﴿ يومَ تَجدُ كلُّ نفْسٍ مَا عملتْ من خَيرٍ مُحْضراً وَمَا عَملتْ من سُوءٍ تودُّ لوْ أنّ بينهَا وبينهُ أمداً بعيد ﴾ وقال ﴿ واعْلمُوا أنّ اللّهَ يعْلمُ ما في أنفُسكمْ فاحْذرُوه ﴾ .

ـ فاذا عَلِمَ أنّه مُنَاقَشٌ في الحِسَابِ عنْ مثاقِيلِ الذَّرِّ في يومٍ كان

مقّداره خَمسينَ ألْفَ سَنةٍ أحوج ما يَكونُ الى الحَسَناتِ وغُفْرانِ السّيئاتِ تَحقّقَ أنّه لا يُنجيْهِ مِنْ هذهِ الأخْطارِ إلاّ اعتمَادُه على اللّه وَمعونَتِهِ على مُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ وَمُرَاقَبَتِهَا وَمُطَالَبَتِهَا في الأنْفَاسِ والْحَركَاتِ وَمُحَاسَبَتِها في الخَطَرَاتِ واللّحَظَاتِ فَمَنْ حَاسَبَ قَبْلَ أنْ يُحَاسَبَ خَفَّ في القيامةِ حِسَابُه وَحَضَرَ عندَ السّؤال جوابُه وحَسُن مُنقَلبه وَمآبه .

قال ابنُ القيِّم : رَحمهُ اللّهُ هَلاكُ القَلْبِ من إهْمالِ محَاسبتِهَا ومنْ موافَقتِهَا واتّباع هَواهَا وفي الحديثِ قال رَسولُ اللّه صلّىٰ اللّه عَليهِ وسلّم : الكيِّسُ منْ دَانَ نَفْسَه وَعَمِلَ لما بعْدَ الموْتِ والعَاجِزُ منْ أتْبَعَ نَفْسه هَواهَا وَتَمنّى على اللهِ الأماني » دانَ نفسه أي حاسبها .

وذَكر الامامُ أحمدُ عنْ عُمَرَ بنِ الخَطّاب رَضِيَ اللّه عَنهُ أنّهُ قَال : حَاسبُوا أنفسَكمْ قبلَ أنْ تُحَاسبُوا وزنُوهَا قبل أنْ تُوزَنوا فَإنَه أهونُ عَليكُم في الحِسَابِ غَداً أنْ تُحاسبوا أنْفسَكمْ اليومَ وَتزَيَّنُوْا لِلْعَرضِ الأكبَرَ يَومئذٍ تُعرضونَ لاَ تَخْفى مِنكُم خافية » على اللهِ . وَذَكَرَ أيضاً عن الحَسَن لا تَلْقَى المُؤمِنَ إلا يُحَاسبُ نَفْسه ماذا أَرَدْتُ بكَلمتيْ ماذا أردُت بِشرْبَتِي ؟ والفَاجرُ يَمْضِي قُدُماً لا يُحاسبُ نَفسهُ . وقال قَتادةُ في قَوله تعالى : ﴿ وكان أمْرُه فُرُطا ﴾ ، أَضَاعَ نَفْسَهُ وَغُبِنَ مَعَ ذلك تَراهُ حَافظاً لِما له مُضيّعاً لِدِيْنِهِ .

وَقَال الحَسنُ : إنّ العَبْدَ لا يَزالُ بِخير مَا كَانَ لَهُ وَاعظٌ مِنْ نَفسِه وكانَتِ المُحاسبةُ مِن هِمّتِهِ وقال مَيمُونُ بن مُهرانِ : لا يَكونُ العَبْدُ تَقيّاً حتّى يكونُ لنفْسهِ أشَدَّ مُحَاسَبةٍ مِنَ الشّريْكِ ، ولهذَا قِيْلَ النّفْسُ كالشّريكِ الخوّانِ إنْ لَمْ تُحَاسبُه ذَهَبَ بِمالِكَ وقال مَيمُونُ أيضاً : إنّ التقيَّ أَشَدُّ مُحاسبةً لِنَفْسِهِ مِنْ سُلطانٍ قَاضٍ وَمِنْ شَريْكٍ شَحِيْحٍ .

وَذَكَرَ الامَامُ أَحْمدُ عنْ وَهْبٍ قَال مكْتُوبٌ في حِكْمَةِ داوُودِ ، حَقٌّ عَلى العَاقِلِ أنْ لاَ يَغْفلَ عنْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ سَاعةٍ يُناجِي فِيهَا رَبّه وَسَاعةٍ يُحَاسِبُ فيهَا نَفْسُهُ وَسَاعَةٍ يَخْلُو فِيْهَا مَعَ إِخْوانِه الّذينَ يُخْبِرُونَه بِعُيوبِهِ وَيصَدّقُونَه عَنْ نَفْسه ، وَسَاعةٍ يُخَليّ فيهَا بَيْنَ نَفسه وَبينَ لذّتِهَا فِيمَا يَحُلّ وَيَجْمُلُ ، فإِنَّ في هَذِهِ السّاعةِ عَوناً عَلى تِلكَ السّاعَاتِ وإجْمَامًا للقُلوبِ .

وَقَال الحَسَنُ : المؤمِنُ قوّامٌ عَلى نَفْسه للّهِ وإنّما يَخُفُّ الحِسَابُ يومَ القِيَامَةِ على قَومٍ حَاسَبُوا أنفَسَهم في الدّنيا وإنّما شَقّ الحسَابُ يومَ القِيَامَةِ على قَومٍ أَخَذُوا هَذا الأَمْرَ منْ غَيرِ مُحاسبةٍ .

إِنّ المُؤمنَ يَفْجَؤُهُ الشّيْءَ يُعْجبُه فيقولُ : واللهِ إنّي لأشْتَهيْكَ وإنَك لمَنْ حَاجتِي ولَكنْ واللهِ مَا مِنْ صِلَةٍ إِليْكَ هَيْهَاتَ حِيْلَ بَينِيْ وَبيْنِكَ ، ويَفْرطُ مِنْهُ الشّيءُ فَيرجعُ إلى نَفْسِهِ فيقُولُ : مَا أردْتَ إِلى هذا ما لِي وَلِهَذَا واللهِ لَا أعودُ إلَى هَذَا أبداً إنّ المؤْمِنينَ قَوْمٌ وَفَقَهُم القُرآنُ وَحَالَ بَيْنَهم وَبَيْنَ هَلَكتهِمْ إنّ المؤمنَ أَسيرٌ في الدُّنْيا يَسعِيَ في فكَاك رَقَبته لَا يَأمِنُ شَيْئاً حَتَّى يَلْقَى اللهَ لِيَعْلَم أَنَّه مَأخُوْذٌ عَلَيْهِ في سَمْعِهِ وَفي بَصَرِهِ وفي لِسَانِهِ وفي جَوارِحِهِ .

اللّهُمَّ أَيْقِظْ قُلُوبَنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الايْمَان وَثَبّتْ مَحَبَّتكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا الْمَعْرِفَةَ بِكَ عَنْ بَصِيْرَةٍ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفّقْنَا لِطَاعَتِكَ وَامْتِثَالِ أَمْرِكَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ) : قالَ ابنُ القيّمِ : رَحِمَهُ اللهُ عَلى قَوْلِ صَاحِبِ المَنازِل : المحَاسَبَةُ لَها ثَلاثةُ أرْكانٍ ، أحدُهَا أَنْ تُقايِس بَيْنَ نِعمتهِ وجِنَايَتكَ يَعْني تُقايس بَيْنَ ما مِن اللهِ وَمَا مِنْكَ فَحينَئذٍ يَظهرُ لَكَ التَفاوُتُ وَتَعلمُ أنّه ليسَ إلا عَفوهُ وَرَحمتُه أوْ الهَلاكُ والعَطَبُ وبِهَذِهِ المقَايسةِ تَعلمُ أنّ الربَّ رَبٌّ والعَبْدَ عَبْدٌ

وَيَتبيّنَ لكَ حَقيقةُ النّفسِ وصِفَاتُها وَعَظمةُ جَلالِ الرُّبُوبيّةِ وَتُفردُ الرّبَّ بالكَمَالِ والأفْضَالِ وأنّ كلَّ نِعمةٍ فَضْلٌ وكُلَّ نِقْمةٍ مِنهُ عَدلٌ وأنت قَبْلَ هذه المقَايَسةِ جَاهلٌ بِحقيقةِ وَبِرُبُوبيّةِ فَاطِرِهَا وَخالِقِها .

فإذَا قَايَستَ ظَهرَ لكَ أنّها مَنبعُ كلِّ شَرٍ وأسَاسُ كلِّ نَقصٍ وأنّ حَدَّهَا الجَاهلَةُ الظّالِمَةُ وأنّه لو لا فضلُ الله ورَحْمَتُه بِتَزْكِيَتِهِ لها مَا زَكَتْ أبداً وَلَوْلا هُداهُ ما اهْتَدتْ ولولا إرشَادهُ وَتوفِيقُهُ لما كانَ لها وُصُولٌ إلى خيرٍ البتّةَ وانّ حُصول ذَلك لها مِنْ بَارِئها وَفاطِرِهَا ، ثُمَّ تُقايس بينَ الحَسناتِ والسّيئاتِ فَتعلمُ بِهذهِ المُقَايسة أيُّهما أكثرُ وأرجَحُ قَدْراً وَصِفَة .

قال : وهذه المُقايسةُ تَشُقّ عَلى مَنْ لَيْسَ لهُ ثَلاثةُ أشْياءٍ ، نُورُ الحِكْمةِ وَسُوءُ الظّنِّ بالنّفسِ ، وَتَميِيزُ النِّعمةِ مِنْ الفِتْنةِ يَعني أنّ هَذِهِ المُقايسة والمُحَاسَبة تَتوقَفُ على نُورِ الحكْمةِ وهو النور الذي نَوَّرَ اللهُ بهِ قلوبَ أتْباعِ الرُسُلِ فبقدْرِهِ تَرَى التّفاوتَ وَتَتَمكّنَ مِن المُحاسبةِ نُورُ الحِكْمةِ هَهنا هُوَ العِلمُ الذي يُميّزُ بِهِ العَبْدُ بينَ الحَقِّ والباطِلِ والهُدىٰ والضّلالِ والضّارِّ والنّافعِ والكاملِ والنّاقِص والخَيرِ والشّرِ وَيُبْصِرُ بِهِ مَرَاتِبَ الأعْمالِ رَاجِحِها وَمَرْجُوحِها وَمقبُولَها وَمَرْدُودِهَا كلّما كان حَظّهُ مِن هذا النّورِ أقوىٰ كانَ حَظّهُ مِن المحاسبةِ أكملَ وَأتمَّ .

أما سُوءُ الظّنِّ بالنّفس فإنّما احتَاجَ اليْه لأنّ حُسنَ الظّنِ بالنّفسِ يَمنعُ منْ كَمالِ التّفتيشِ وَيُلَبّسُ عليه فيرى المُسَاوىء محاسنَ والعُيوبَ كَمالاً ولا يُسيءُ الظَّنَ بِنفسِهِ إلاّ مَنْ عرفهَا وَمَنْ أحْسنَ ظَنّه بِنفْسِهِ فَهْو مِنْ أجْهَلِ النّاسِ بِنَفْسِهِ . وأمّا تَمْييزُ النّعمَةِ مِنَ الفتْنةِ فَلْيفْرِقْ بين النّعمةِ الّتي يَرى بهَا الاحْسَانَ واللُّطفَ وَيُعانَ بهَا على تَحْصِيل سَعادتهِ الأبديّةِ وبين النّعمةِ الّتي يَرى بِها الاسْتدراجَ فكْم مِن مُستَدرَجٍ بالنِّعم وهو لا يَدْري

مفْتونٌ بِثناءِ الجُهّالِ عَليْهِ مغْرورٌ بِقَضاءِ اللّهِ حَوائِجه وَسترهِ عَليْهِ وأكْثرُ النّاسِ عنْدهُم أنّ هذِهِ الثّلاثَةَ عَلامةُ السّعادَةِ والنّجاحِ ، ذلك مَبلغُهم مِنْ العلمِ وَقَدْ مُثلتِ النّفسُ مع صَاحِبهَا في المَالِ ، وكَما أنّه لا يَتِمُّ مقْصُودُ الشّركَةِ من الرّبْحِ إلا بالمشَارَطَةِ علَى مَا يَفْعلُ الشّريكُ أولاً ثمّ بِمطالعَةِ مَا يَعمَلُ والإشرَافُ عَليْهِ وَمُراقَبتِهِ ثانياً ، ثُمّ بمحَاسَبتِهِ ثَالثاً ، ثمّ بِمنْعِهِ مِنَ الخِيَانَةِ أنْ اطّلعَ عَليْهَا رَابعاً ، فَكذلكَ النّفسُ يُشارِطُها أوّلاً على حِفظِ الجَوارِحِ السّبعَةِ الّتي حِفظُهَا هو رَأسُ المَال والرّبْحُ بَعدَ ذَلِكَ فَمَنْ لَيْسَ لهُ رأسُ مَالٍ كَيفَ يَطْمَعُ في الرّبحِ ؟ .

وَهَذِهِ الجَوارِحُ السّبْعَةُ هِيَ : العَينُ والأُذُنُ والفَمُ واللّسَانُ والفَرْجُ واليَدُ والرِّجْلُ هِيَ مَرْكَبُ العَطَبِ والنّجَاةِ فَمِنهَا عَطِبَ مَنْ عَطِبَ باهْمالِهَا وَعَدَمِ حِفْظِهَا وَنَجا مَنْ نَجا بِحِفْظِهَا وَمُراعَاتِها فَحَفِظُهَا أَسَاسُ كلِّ خيرٍ وَإهمَالُها أَسَاسُ كلِّ شَرٍ قال الله تعالى : ﴿ قُل للمُؤمنينَ يغضُّوا مِن أبصَارِهِم ويَحفظوا فُروجَهم ذَلكَ أزْكَى لَهُم ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إنَّ السّمْعَ والبَصَر والفُؤادَ كلُّ أولئكَ كانَ عنْهُ مسئُولا ﴾ فإذا شارطَهَا على حِفظِ هذِهِ الجَوارِحِ وانتَقل مِنْها إلى مُطَالَعتها والإشْرافِ عَليْهَا وَمُراقبَتِها فلا يُهْملها فإنّه إنْ أَهمَلهَا لَحْظَةً وَقَعتْ في الخِيَانةُ ولا بُدّ فإنْ تَمادَى على الإهْمَالِ تَمادَتْ في الخِيانَةِ حَتّى يَذهَبَ رَأسُ المَالِ كُلُّهِ فمتى أَحسَّ بالخُسْرانِ وَتَيَقّنهُ اسْتدْرَكَ منهَا ما يَستَدْرُكُه الشَّريكُ مِنْ شَرْيكِهِ مِن الرُّجُوعِ عَليْهِ بِمَا مَضَى والقِيَام بالحِفْظ والمرَاقَبةِ في المُستقْبَلِ ولا مَطْمَع لهُ في فَسْخِ هذِهِ الشركَةِ مَعَ هذا الخَائِنِ فَليَجْتهدْ في مُراقَبتهِ وَمُحَاسَبَتهِ وَلِيَحْذَرْ مِنْ اهْمَالِهِ ، وَيُعِيْنُهُ عَلى هَذه المراقَبةِ والمحَاسَبةِ مَعرفتُهُ أنه كُلّما اجْتَهَدَ فيها اليَومَ استَراحَ منْهَا غَداً اذا صَارَ الحِسَابُ إلى غَيْرِهِ وَكُلّما أَهمَلهَا اليَوْمَ اشْتَدّ عليهِ الحِسَابُ غَداً ،

وَيُعِيْنهُ عَليهَا أيضاً مَعْرفتُهُ أَنَّ رِبْحَ هذه التِّجَارَةِ سُكْنَىٰ الفِرْدَوسِ والنَّظر إلى وَجْهِ الرَّبِّ وَخَسَارتها دَخولُ النّار والحِجَابِ عَنْ الرّبِّ فإذا تَيَقنَ هذا هَانَ عَليْهِ الحِسَابُ اليَومَ .

فَحَقٌّ على الحازِمِ المُؤمِنِ بالله واليَومِ الآخِر أَنْ لاَ يَغْفُلَ عَنْ مُحَاسَبةِ نفسِهِ والتّضييقِ عليهَا في حَركَاتها وسَكناتِهَا وَخَطواتِهَا فَكلُّ نَفسٍ من أَنْفَاس العُمْرِ جوهَرةٌ نَفْيسةٌ لا خَطَر لَهَا يُمكنُ أن يَشترِي بهَا كُنْزاً مِن الكنوز لا يَتَنَاهَى نَعيمُهُ أبدُ الآبادِ .

فإضاعةُ هذه الآنفاسُ أو مُشترَى صَاحِبهَا بهَا ما يَجلبُ هَلاكَهُ خُسرانٌ عَظِيْمٌ لا يَسْمَحُ بِمْثِلِهِ إلا أجْهلُ الناسِ وأحمَقهُم وأقلُّهم عَقْلاً وانَما يَظْهَرُ لَهُمْ حَقيقةَ هَذَا الخُسرانِ يومَ التغابُن ﴿ يومَ تجدُ كلُّ نَفسٍ ما عَملتْ من خيرٍ مُحْضراً وما عملتْ مِنْ سُوءٍ تودُّ لو أَنّ بينَها وبينهُ أمداً بَعْيداً ﴾ ﴿ يَومَ تَبْلوُ كُلُّ نَفْسٍ ما أسْلَفَتْ ﴾ ﴿ يومَ تأتي كُلُ نَفْسٍ تجادِل عن نفسها ﴾ ﴿ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ﴾ .

عَلَيْكَ بِمَنْعَ نَفْسِكْ عَنْ هواها ... فَمَا شَيْءٌ أَلَذَّ مِنَ الصَّلاحَ
تَأَهَّبْ لِلْمنِيَّةِ حِيْنَ تَغْدُوْ ... كَأَنَّكَ لا تَعِيشُ إلىَ الرَّوَاحَ
فكَمْ مِنْ رَائحٍ فِينَا صَحِيْحٍ ... نَعَتْهُ نُعَاتُهُ قَبْلَ الصَّبَاحَ
وَبَادِرْ بالإنَابَة قَبْلَ مَوْتٍ ... علَى مَا فِيكَ مِنْ عِظَمَ الجُنَاحَ
ولَيْسَ أُخُوْ الرَّزانَةِ مَنْ تَجَافَى ... ولَكنْ مَنْ تَشَمَّرَ لِلْفَلاحَ

اللهم افْتَحْ لِدُعَائنا بابَ القَبُولِ والإجابةِ واغفرْ لَنَا ولِوَالِدينا وجميعَ المسلمين برحمتكَ يا أرْحَمَ الرَّاحمين وصَلى اللّهُ على محمدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِه أجْمعين .

(٣) « موعظة »

أيُّهَا المسْلمونَ لقد تَراكَمَتْ عليكُم الذنوبُ وأنتمْ في غَيِّكمْ ولهوَكِمْ

في دُنياكمْ مُشْتَغِلونَ أحاطَتْ بكم البَلايَا مِنْ كلّ جَانِبٍ ولَسْتمُ لإصْلاحِ أنفسِكمْ تَجنحوُنَ ، كُلمّا أوضَحَ لكمْ الواعظُ طَريقَ الهدَايةِ تعامَيْتمُ فلاَ أنتُم بالكُرْوبِ مُعتبِرونَ ولا مِن البَلايَا مُنْزجِرونَ أمَا سَمعْتمْ قولَ اللهِ جلّ وعَلاَ ﴿ سَنستدْرجُهمْ من حَيثُ لا يَعلمْونَ وأملِي لَهُمْ أنّ كَيدِيْ مَتينٌ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ذَرْهمُ يَأكلوُا وَيتمَتعوا وَيُلْهِهمُ الأَملُ فَسوفَ يَعلمُونَ ﴾ .

وقال : ﴿ أيحْسبوُنَ انّما نَمدِهُم بهِ مِن مَالٍ وبَنينَ نُسارِعُ لَهمُ في الخيْراتِ بلْ لا يَشعروُن ﴾ وقوله ﴿ فَلمّا نسوُا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتِحْنَا عَليْهم أبَوابَ كلِّ شَيءٍ حَتّى اذَا فرحوُا بِمَا أوتُوا أخَذْنَاهمْ بَغْتةً فإذَا هُمْ مُبْلسِونَ ﴾ أيُّها المُسلمُ أنظرْ في نَفْسِكَ هَلْ تجِدُها عَامِلةً بمقْتضَى الدّينِ هل أتيْتَ بِالصّلاة على الوَجْهِ الأكْملِ واجْتَنبُتَ المعَاصِيَ المَنافِيةَ لِلدِّينِ هل أدَّيتْ الزكّاةَ كامِلةً مُكَمَّلةً بيقيْنٍ فتّشْ هَلْ تَجدُ فِيْهاحياءً مِن اللهِ بيَقِيْنٍ هَلْ أنتَ سالمٌ مِن الكذبِ والخِيانَةِ والاحْتيَالِ هَلْ سَالمٌ مِنَ الرِّياءِ في أقْوَالِكَ وأعْمَالِكَ هَلْ أنْتَ سَالِمٌ مِن الرِّبَا في مُعَامَلاَتِكَ هَلْ أنْتَ سَالمٌ مِن المُداهَنَةِ والنِّفَاقِ هَلْ أنْتَ سَالِمٌ من الغِيْبَةِ والنَّمِيْمَةِ والبَهْتِ واللّعْنِ وسيءِ المَقالاتِ هَلْ أنْتَ سَالِمٌ مِن الغِشِ في بَيْعِكَ وشِرَائِكَ وسَائِرِ تَصَرُّفَاتِكَ هَلْ أنتَ صَائِنٌ لِسَانَكَ عن مَا يَضُرُكَ مِن الأقوال والأعمالِ هَلْ أنْتَ سَالِمٌ مِن الكِبْرِ والإعْجَابِ وقَطِيْعَةِ الرَّحمِ والعُقُوقِ هَلْ أنْتَ سَالِمٌ مِن أذِيّةِ الجَارِ هَلْ قَلبُكَ لَيِّنٌ رَحُومَ تَرْحَمُ المِسْكِينَ وتُكْرِمُ اليَتِيْمَ هَلْ أنَتْ تَقْضِي حُقُوقَ النّاسِ بدُوْنِ مِطالٍ ولِجَاجٍ هَلْ أنْتَ تُحِبُ في اللَّهِ وتُبْغِضُ في اللهِ هَلْ أنتَ سَالِمٌ مِن حَلْقِ اللِّحْيَةِ أوْ صَبْغِهَا أوِ الدُخانِ هَلْ أنْتَ سَالِمٌ مِن الخنَافِسِ والتَّواليتِ ونحوِ ذلِكَ مِن الأَخْلاقِ السَّافِلاتِ هَلْ بَيْتُكَ خَالٍ عن صُوَرِ ذَواتِ الأرواحِ وهَلْ هُوَ خَالٍ مِن المِذياعِ والتَّلفِزْيُونِ والسِّيْنَماتِ وهَلْ أنتَ سَالِمٌ مِن بَيْعِ هَذِهِ المُحَرَّمَاتِ هَلْ قُمْتَ عَلَى أوْلادِكَ لِلصَّلاةِ

والتَّوجِيْهِ إلى الأعمالِ الصالحةِ والأخلاقِ الحَمْيدةِ فَعلَيْكَ أنْ تَتفقَدَ لِنفْسِكَ بدِقَّةٍ كُلَّ يَوم وتُعَالِجْ مَا بِكَ مِن هذهِ الأَمْراضِ المُهْلِكَاتَ فإنَّهَا أشَدُ ضَرَراً وفتكاً مِن أمراضِ البَدَنِ التي لا نَصبُرُ عَليها إنْ لم نَجِدْ لَهَا عِلاجاً ذَهَبْنَا إلى الخَارِجِ رَجَاءَ بُرْئِهَا واللهُ أعلم وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ وسلم .

(فصــل)

قَالَ وَمُحَاسَبَةُ النَّفْسِ نَوْعَانِ أَمَّا الأَولُ فَيَقِفُ عندَ أَوَّلِ هِمَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ ولا يُبَادِرُ بالعملِ حَتَّى يَتَبيَّنَ لَهُ رُجْحَانُهُ على تركِهِ قال الحسنُ : رَحِمَ اللهُ عبداً وَقفَ عندَ هَمِّهِ فانْ كانَ لِلهِ مَضى وَانْ كَـانَ لغيرهِ تأَخَّرَ ، النَّوع الثاني مُحَاسَبَةٌ بَعْدَ العَمَلِ وهو ثلاثَةُ أنواعٍ : أحدُهَا مُحَاسَبَتُهَا على طاعةٍ قَصَّرَتْ فِيهَا مِن حَقِّ اللهِ فلم تُوْقِعْهَا عَلَى الوَجْهِ الذي يَنْبَغِي .

وَحَقُ اللهِ في الطاعاتِ بِمُرَاعاتِ سِتَّةِ أُمُورٍ وهِيَ الاخلاصُ في العمل والنصيحةُ للهِ فيه وَمُتَابَعَةُ الرسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلم فيه وشُهُودُهُ مَشْهَدَ الاحسانِ فيهِ وَشُهُوْدُ مِنّةِ اللهِ عليهِ فيه وَشُهُودُ تَقْصِيْرِهِ فيهِ بَعْدَ ذلكَ كُلِّهِ فَيُحَاسِبُ نَفْسَهُ هَلْ وَفَّي هَذهِ المَقَامَاتِ حَقَّهَا وَهَلْ أتى بِهَا في هَذِهِ الطَاعَاتِ ، الثاني أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ على عملٍ كَانَ تَرْكُهُ خيراً له مِن فعله ، الثالث أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ عَلَى أمْرٍ مباحٍ أو مُعتادٍ لِمَ فَعَلَهُ وَهَلْ أَرَادَ بِهِ اللهَ والدَارَ الآخِرةَ فيكونُ رَابِحاً فيهِ أَوْ أَرَادَ بِـهِ الدُنْيَا وَعَاجِلَتَهَا فَيَخْسَرُ ذَلِكَ الرِبْحَ وَيَفُوتُهُ الظفَرُ بِهِ قال : وَجِمَاعُ ذَلِكَ أن يُحَاسِبَ نَفْسَه أولاً على الفَرائِضِ فإذا تَذَكَّرَ فِيْهَا نَقْصاً تَدَارَكَهُ إما بِقَضَاءٍ أَوْ إصلاحٍ ثم يُحَاسِبُ عَلَى المَنَاهِيْ فانْ عَرَفَ أنه ارْتَكَبَ منها شيئاً تَدَارَكَهُ بالتوبةِ والاستغفارِ والحسناتِ الماحِيةِ ثُمَّ يُحَاسِبُ نفسَه على الغَفْلَةِ فإن كَانَ قَدْ غَفَلَ عَمَّا خُلِقَ لَهُ تَدارَكَهُ بالذِكْرِ والاقبالِ على الله

ثم يُحَاسِبُهَا بما تَكَلَّمَ به لِسَانُهُ أوْ مَشَتْ به رِجْلاهُ او بَطَشَتْهُ يَدَاهُ اوْ سَمِعَتْهُ أُذُنَاهُ ماذَا أَرَدْتُ بهذَا ولِمَ فَعَلْتُ وعَلى ايْ وَجْهٍ فَعَلْتُهُ ، ويَعْلَمُ أنَّه لا بُدَّ أنْ يُنْشَرَ لِكلِّ حَرَكةٍ وكَلِمَةٍ مِنه دِيوانٌ لِمَ فَعَلْتَهُ وَكَيْفَ فَعَلْتَهُ فالأَوَّلُ سُؤالٌ عَنْ الإخْلاصِ .

والثَّاني سُؤالٌ عَنْ المُتابَعَةِ : فَوَربِّك لَنَسْأَلَنَّهمْ أجْمعِينَ عَمَّا كانوا يَعْمَلونَ وقَالَ : فَلَنَسْألَنَّ الّذيْنَ أُرْسِلَ إليْهِمْ ولنسْألَنَّ المُرْسَلينَ فَلنقُصَّنَّ عليهِم بِعِلْمٍ ومَا كُنّا غائِبينَ وقَالَ : ﴿ لِيَسْألَ الصَّادِقينَ عن صِدْقِهِمْ ﴾ فَاذِا سُئِلَ الصَّادِقونَ وحُوسِبُوا على صِدْقِهِمْ فَمَا الظَّنُّ بالكاذِبينَ وقالَ : قَتَادُة كَلِمَتَانِ يُسئلُ عَنْهمَا الأَوَّلونَ والآخِرونَ ماذا كُنتمُ تَعبِدُونَ وماذا أجبْتمُ المُرسَلينَ فَيُسألونَ عن المعْبُودِ وعنِ العِبادَةِ وقال تَعالىٰ :﴿ثُمّ لَتسأَلنَّ يَومئِذٍ عن النَّعيمْ﴾ .

شعــــرا :

تَصَاوَنْ عنِ الأنْذَالِ ماعِشْتَ واكْتَسِبْ لِنَفْسِكَ كَسْباً مِن خِلالٍ تَصُوْنُهَا
وما لِلْفَتَى بِرٌّ كَمِثْلِ عَفَافِــــهِ إذَا نَفْسُهُ اخْتَارَتْ لَهَا ما يَزِيْنُهَــــا
إذا النَّفْسُ لم تَقْنعْ بِقَسْمِ مَلِيْكِهَا عَلَى مَا أَتَى مِنْهُ فما ثَمَّ دِيْنُهَــــا

قال مُحّمدُ بنُ جَريرٍ: يَقُولُ الله تَعالىٰ: «لِيَسْألَنَّكُم اللهُ عزَّ وجلَّ عن النَّعيمِ الّذي كُنتمْ فيهِ في الدُّنْيا ماذا عَمِلتمُ فيهِ ومِنْ أيْنَ وصَلتُم إليهِ وفِيمَ أَصَبْتُمُوهُ وَمَاذَا عملتم بِهِ» وقال قتادةُ: انَّ اللهَ سَائِلٌ كُلّ عَبدٍ عَمّا استودَعهُ مِنْ نِعمَتِهِ وَحَقِّهِ، والنَّعيمُ المَسْؤُولُ عَنه نَوعانِ نوعٌ أُخذ مِنْ حِلِّهِ وصُرِفَ في حَقِّهِ فُيسَأَل عن شُكْرِهِ وَنَوْعُ أُخذَ بِغيرِ حِلّه وَصُرِف في غَيْرَ حَقّه فُيسأَلُ عن مُستَخرَجه وعن مَصرَفِهِ وقد دلَّ على وُجوبِ المحَاسَبةِ قَولهُ تَعالىٰ: ﴿ يا أَيُّها الّذينَ آمَنو اتّقوا اللهَ ولْتنظر نَفُسٌ ما قَدَّمتْ لِغَدْ﴾ الآية.

(١) إعْلم أَيُّها الإنسان أن النفسَ الأمارةَ بالسُوء عَدُوّةٌ لَكَ مَعَ إبلِيْسَ لعَنهُ

الله، وإنما يَتقَوَّى عَلَيْكَ الشَّيطانُ بِهَوَى النَّفْسِ وَشَهَواتِهَا، فَهْيَ سِلاحُه الذِي يَصِيْدُ بِهِ وَهَل أَوْقَع إبْلِيْسَ في كِبْرِهِ وَمَعْصِيَتِهِ إِلَّا نَفْسُهُ، قال اللهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقدَّسَ ﴿إنَّ النفسَ لأمارةٌ بالسُوءِ﴾.

فلا تَغُرَنَّكَ نَفْسُكَ بالأَمَانِي والغُرُوْرِ، لِأَنَّ مِن طَبْعِ النَّفْسِ الأَمْنُ والغَفْلَة والرَّاحَةُ والفَتْرةُ والكَسَلُ والعَجْزُ فَدَعْواهَا بَاطِلٌ وَكُلُ شَيءٍ مِنْهَا غُرورٌ وإنْ رَضِيْتَ عنا واتَّبَعْتَ أَمْرَهَا هَلَكْتَ، وإنْ غَفَلْتَ عن مُحاسَبَتِها غَرِقْتَ، وإنْ عَجَزْتَ عن مُخَالَفتِهَا واتَّبعْتَ هَواهَا قَادَتْكَ إِلَى النَّارِ.

(**فَصْلٌ**): وفي مُحاسبةِ النفس عِدة مصالح، أولاً الإطلاعُ عَلى عُيوبها ومَنْ لَمْ يطّلعْ على عَيبِ نَفْسِهِ لمْ يُمْكنهُ إزَالتهُ ومِنْ ذلك أنّه لَوْلَا أَنَّ اللهَ وَفّقَ العَبدَ لِمُحَاسَبَتِهَا لَشقِيَ في القِيامَةِ ومِنْ ذَلِكَ أَنَّ المُحَاسَبَةَ لِلنَّفْسِ مِنْ الكَياسَةِ ومِنْ ذَلِكَ اسْتِراحَةُ المُحَاسِبِ مِن التَّعَبِ الطَّوْيل يَومَ القِيَامةِ ومنْ ذَلِكَ أنّهُ لا يَتحسّرُ المُحَاسِبُ في القيامةِ كالذينَ لمْ يُحاسِبُوا أَنْفُسَهم ومِن ذَلِكَ تَمْرِينُ النَّفسِ على العِبَادَةِ والمُدَاوَمَةِ على ذِكرِ اللهِ لَيْلاً ونَهاراً.

شِعْرًا: عَليكَ بِذِكْر الله في كُلِّ لَحْظِةٍ   فما خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمنِ يَذكُرُ

آخر: ثلاثَــةٌ يُجْهَــلُ مِقْدَارُهَـــا   الأمْــنُ والصِّحَــةُ والدِّيْــنِ
فلا تثِــقْ إلاَّ بِمَــنْ أمْــرُهُ   ما بَيْنَ كافٍ ونُـونٍ يَكُــونْ

ومِنْ ذلكَ أنّ المُحَاسبة تُضْعفُ الأعمالَ السّيئةَ وتُوقِّفُهَا ومِن ذلك أنّها تَحُضُّ الانسانَ على الأعمالِ الصَّالحةِ ومِن ذلك أنها تُخلِّصُ النّفسَ مِن العُجْب ورُؤْيَةِ العَملِ ومن ذلك أنَّ المُحاسبةَ تَفتحُ للإنسانِ بَابَ الذُّلِ والانكسَارِ والخُضُوعِ للّهِ ومِن ذلكَ أنّها تَدْعُو الانسانَ إلى أنْ يَنظُرَ في حَقِّ الله عليه.

ومِنْ ذَلك أنّها تُوجبُ للانسانِ أنْ يمقُتَ نفْسَهُ ويَعلَمَ أنَّ النَجْاةَ لا تَحْصُلُ إلاَّ بِعَفوِ اللهِ ورحْمَتِه.

وإذَا تَأملْتَ حَال أكْثَر النّاس وَجدتَهمْ بضِدْ ذَلكَ يَنظُرونَ في حَقِّهم على اللَّه ولا يَنظروُنَ في حَقِّ اللّهِ عَليْهم ومنْ هُنَا انقطعوُا عن اللّهِ وحُجبَتْ قلوُبهُم عن معْرفِتهِ ومحَبّتهِ والشّوقِ الى لِقائِه والتنَعْيم بذكْرهْ وهذا غايةُ جَهْل الإنسانِ بربّهِ وبنفسه فمُحَاسَبْةُ النّفس هِيَ نَظَرُ العَبْدِ في حقّ اللَّه عَليهِ أوّلاً ثُمّ نَظَرَهُ هَلْ قامَ به كما يَنبغِي ثَانياً .

ويَنْبغي للإنسان أنّه إذَا حاسَبَ نَفْسه فرآهَا قَدْ قَارفَتْ مَعْصيةً أنْ يتوبَ تَوبَةً نَصوُحاً ويُتْبعُ السّيئةَ بالحسناتِ التي تَمحوُهَا فقدْ ورَدَ عن النّبي صلّى اللَّهُ عليه وسلم أنّهِ قَال : (وأَتْبعْ السّيئَةَ الحَسَنةَ تَمْحُها) وإنْ توانى عن بَعْض الفَضَائِل أو فَاتَتهُ نِسْياناً فَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَدْرِكَ جَبْرَ ما نَقَصَ بالنوافِل فقد ورَدَ عن عُمَرَ بنِ الخَطّابِ رضَي الله عنه حِيْنَ فاتَتْهُ صَلاةَ العصْرِ في جَماعةٍ أنّه تَصَدّق بأرْض كانتَ لهُ قِيمتُهَا مِائتَا ألفِ دِرْهَم .

ورَوىَ عنه أنّه شَغَلَهُ أمرٌ عن المغْرب حتّى طَلعَ نجمَانِ فَلمّا صَلاّها أعْتقَ رَقبتينِ وفَاتَتْ ابنُ أبي رَبيْعةَ ركْعتَا الـفَجر فاعتَقَ رقبةً وورَدَ أنَّ ابنَ عُمرَ كانَ اذا فاتَتهُ صَلاةٌ في جَماعةٍ أحيَا تِلكَ اللّيْلَةِ وكانَ بَعْضُهُمْ يَجعِلُ على نَفْسهِ صَومُ سنَةٍ أوَ الحَجُّ ماشِياً أو التَّصدّقُ بالشِيءِ الكَثير كلُّ ذَلك مؤاخَذَةٌ لهَا بما فَيهِ نجاتُها . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(٤) موعظـــة

رُوِيَ عن عَليّ بن أبي طَالب أنّه قَالَ : لا تَكُنْ مِمّنْ يَرجوُ الآخرةَ بغيرِ عَمَلٍ ويؤخرُ التّوبةَ لِطوُلِ الأَملِ ويقَولُ في الدّنيا بِقوْلِ الزّاهدِينَ ويعملُ فيها عَمَلَ الراغِبينَ إنْ أُعْطِيَ مِنَ الدّنيا لم يَشْبَعْ وإن مُنْعَ منهَا لمْ يَقْنَعْ ويأْمرُ النّاسَ بمَا لا يَأتِيْهِ يُحِبُّ الصَّالِحِينَ ولا يَعملُ أعمالهمُ ويُبغِضُ المُسيئِينَ وهوَ مِنهمْ يَكرهُ الموْتَ لِكَثْرةِ ذُنوبه ويُقيْمُ علىَ ما يَكرهُ لَهُ المَوْتَ

إنْ سَقِمُ ظَلَّ نادماً وانْ صَحّ أمِنَ لاهِياً يَعجبُ مِن نَفْسِه إذَا عُوفِيَ ويَقنَطُ إذَا تَغلِبهُ نفْسُهُ على ما يَظُنُّ ولا يَغلِبُهَا على ما يَسْتقِينُ ولا يَثِقُ مِن الرِّزقِ بما ضُمِنَ لهُ ولا يَعْملُ مِن العَمَلِ بمافُرِضَ عَلَيْهِ إنْ اسْتغنَى بَطِرَ وانْ افتَقرِ قَنِطَ وحَزِنَ فهو منَ الذّنبِ في حَال النِّعمة والمِحْنة مُوقرٌ ، يَطلبُ الزيادة ولا يشكرُ ويتكلّفُ مِن الناس مالا يُؤمرُ ويضيّعُ الموتَ ولا يُبادرُ الفَوْتَ يَستكبرُ مِن مَعصيةِ غيرِهِ ما يَسهُلُ أكثرُه مِن نفْسه . مَزاهرُ اللهْوِ مع الأغْنياءِ أحبُّ إليهِ مِن الذِّكرِ مع الفُقراءِ يَحكمُ على غيرِهِ لِنفسِهِ ولا يَحكمُ عليها لِغَيرِهِ اللّهُمَّ يا حَيُّ يَاقَيُّومُ ياذَا الجلال والاكرام أَسْأَلُكَ بأسْمَائِكَ الحُسْنَى وصِفَاتِكَ العُلْيَاءِ أَنْ تُعِزَّ الإِسْلَامَ والمُسْلِمِيْنَ وَأَنْ تُذِلَ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِيْن وَأَنْ تُدمِّرَ أَعْدَاءَ الدِّيْنِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهْ.

شِعْرَا :

تَجهَّزِيْ بِجَهَازٍ تَبْلُغِيْنَ بِهِ ... يَا نَفْسُ قبلَ الرّدَى لَمْ تُخْلقَي عَبَثَا
وَسَابِقِي بَغْتَةَ الآجالِ وَانْكَمِشِي ... قَبْلَ اللّزَامِ فلَا مَلْجَا ولا غَوثا
ولا تَكُدِّي لِمَنْ يَبْقَى وتَفتقِري ... إنَّ الرّدَى وارِثُ البَاقِي ومَا وَرَثَا
وأخْشَيْ حَوادِثَ صَرْفِ الدّهر في مَهَلٍ ... واسْتَيَقِظِي لا تكوُني كالّذي بَحَثا
عنْ مُدْيَةٍ كانَ فيهَا قَطْعُ مُدَّتِهِ ... فَوافَتْ الْحَرْثَ مَحْرُوْثاً كَمَا حُرِثَا
مَنْ كانَ حِيْنَ تُصيْبُ الشّمسُ جَبْهَتَهُ ... أَوِ الغُبَارُ يَخَافُ الشَّيْنَ والشَّعَثَا
ويَأْلَفُ الظِّلَّ كَيْ تَبْقَى بَشاشَتُهُ ... فَسَوْفَ يَسْكُنُ يَوْماً رَاغِماً جَدَثَا
فِي قَعْرِ مُوْحِشَةٍ غَبْرَاءَ مُقْفِرَةٍ ... يُطِيلُ تَحْتَ الثَّرَا فِي جَوْفِهَا اللَّبَثَا

آخر : ونَفْسَكَ فَازْجُرْهَا عن الْغِيِ والْخَنَا ... ولا تَتْبَعْها فَهْيَ أُسُ المَفَاسِدِ
وحَاذِرْ هَواهَا ما أسْتطَعْتَ فإنَهُ ... يَصُدُ عن الطَّاعَاتِ غَيْرَ المُجاهِدِ
وَإنَّ جِهَادَ النَّفسْ حَتْمٌ عَلىٰ الفتَى ... وإنَّ التُقَى حَقاً لَخَيْرُ المَقَاصِدِ
فإنْ رُمْتَ أَنْ تُحْظَى بِنَيْلِ سَعَادَةٍ ... وَتُعْطَى مَقَامَ السالِكِينَ الأَمَاجِدِ
فَبَادِرْ بتَقْوىَ اللهِ واسْلُكْ سَبِيْلَها ... وَلَا تَتَّبعْ غَيَّ الرَّجِيْمِ المُعَانِدِ

وَإِيَّـاكَ دُنْيـاً لا يَدُوْمُ نَعِيْمُهَـــا وَإِنَّكَ صَاحِ لَسْتَ فِيهَا بِخَالِدِ
تَمَسَّكْ بِشَرْعِ اللهِ وَٱلْزَمْ كِتَابَهُ وبالعِلمِ فاعْمَلْ تَحْوِ كُلَّ الْمَحَامِدِ

اللَّهُمَّ أُمنُنْ علينَا باصْلاحِ عُيوبِنَا واجعلْ التقْوى زادَنا وفي دِيْنِكَ اجتهادَنا وعليكَ توكّلنا واعتمادُنَا واغْفِرْ لَنَا ولوالِدِيْنَا ولجميع المسلمينَ. اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارْزِقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنَا حُبُّهُ عِنْدَكَ. اللَّهُمَّ وَمَا رَزَقْتَنَا مِمَّا نُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لَنَا فِيْمَا تُحِبُّ. اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنَّا مِمَّا نُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغاً لَنَا فِيْمِا تُحِبُّ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

الفصل الثالث عشر

(٥) في مَوْعِظَةٍ جَلِيلْةٍ

قال بعضُ العلماءِ على قوله تعالى: ﴿ولا تَكونوا كالذين نَسوُا الله فأنساهُمْ أَنفسَهم أولئكَ همُ الفاسقونَ﴾ .

كَشفتْ لنا هذه الآيةُ الشريفةُ عن سُنةٍ من سُنن الله تعالى: وهي أنّ مَن غَفلَ عن تَذكرُّ الله فَنسِيَهُ والْهتهُ دُنياهُ عن العملِ للدّارِ الآخرةِ أنساهُ الله نفَسَه التي بينَ جنبيهِ فلا يَسعىَ لما فيه نَفعُها ولا يأخذُ في أسْبابِ سعادتِها وإصلاحِها وما يكمّلُها ولا السّعيُ في ازالةِ عِللِها وأمراضِها التي تؤولُ بها الى الفساد والدّمارِ والهلاكِ وهذا مِنْ أعظمِ العُقوُبةِ لِلْعامّةِ والخاصّةِ فأيُّ عُقُوبةٍ أعظمُ مِن عقُوبةِ مَن أهْملَ نفسَه وضيّعَها ونَسِيَ مَصَالِحَها ودَاءَها ودَوَاءَها وأسبابَ سَعادتِها وصَلاحِها وحَياتِها الأَبدِيَّة في النَّعِيْمِ المقِيْم .

ومَن تأملَ هذا المَوضِعَ تَبيْنَ لَهُ أنّ أَكْثر هَذَا الخَلْق قَدْ نَسُوا أَنْفُسَهُمَ وضَيَّعُوْهَا وأَضَاعُوا حَظَّها مِن اللهِ وباعُوها رَخيْصَةً بثَمن بَخْس بيعَ المغْبُوْنِ

ويَظْهَرُ ذلكَ عندَ الموتِ ويَتجلّى ذلكَ يَومَ التغابُن يوم لا يَنْفَعُ نفساً إيْمَانُها لَمَ تَكُنْ آمنَتْ مِن قبلُ أو كَسَبَتْ في إيمَانِها خَيْراً ، إنهَا لِحَسْرَةٌ على كلّ ذي غَفلةٍ دُونَها كلّ حَسْرَةٍ هؤلاء هِمُ الذينَ اشتروا الضلالةَ بالهدى فما رَبِحتْ تجارتُهم وما كانوا مُهتدينَ .

وأما الرَّابِحُون فهمُ الذينَ أنارَ اللّهُ قُلُوبَهم للْحَقِ فَعَرفُوا الدُنْيا وقِيْمَتها وقالُوا مَا مِقْدارُ هَذِهِ الدُّنيا من أوّلِهَا إلى آخِرِها حَتّى نَبْيعَ حَظّنا مِن اللهِ تَعالى والدّارِ الآخرة بها فكيفَ بِمَا يَنال العَبْدَ منها في هذا الزّمن القَصِيْرِ الذَي هُوَ في الحَقِيْقَةِ كَغفْوَةِ حُلْمٍ لا نِسْبة له إلى دَارِ القَرارِ البتّة

قال الله تعالى ﴿ ويَومَ يحشرُهُم كأنْ لم يَلْبَثُوا الا سَاعةً مِن النَهارِ يتعارفُون بينهم ﴾ وقال ﴿ كأنّهم يَـومَ يَرَوْنَهـا لَمْ يَلْبَثُوا إلّا عشيّـةٍ أو ضُحاهَا ﴾ هَؤُلاءِ هُمُ الكَيِّسونَ الذين عَلموْا حقيقَةَ الدّنيا كما عَلِمُوا قِلّةَ لُبثِهم فيها وأنّ لهم داراً غيرَ هذه الدارِ دَارَ الحَيوان وَدارُ البقاءِ اتّجَرُوا تِجارَة الأكْياسِ ولم يَغْتَرّوا بتجارة السُّفهاءِ مِن الناس فَظَهَر لهم يومَ التّغابنِ رَبْح تِجَارَتِهم وَمِقْدَار ما اشْتَرُوْا قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدُلكم على تجارةٍ تُنجيكمْ مِن عَذَابٍ أَلِيم تُؤْمِنونَ باللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِدون في سبيل اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُم خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُم تَعْلَمُون ﴾ .

وفي هذا المَعْنَى يَقُول عُمرُ : رضيَ الله عنه إنمَا الدنيا أملٌ مُخْتَرمٌ أي مُنْتَقض وبَلاغٌ الى دارٍ غيرها وسَيرٌ إلى المَوْتِ لَيْسَ فيه تَعْرِيْجٌ فَرحِمَ اللهُ امْرءاً أفكَرَ في أمَرِهِ ونَصَحَ لِنَفْسِهِ ورَاقبَ رَبّه واستقالَ ذَنْبَه وتابَ إلى رَبِّه إلى أن قال إيّاكم والبِطْنَةَ فانها مَكْسَلةٌ عن الصَّلاةِ ومَفْسَدَةٌ لِلْجِسْمِ ومُؤَدّيَةٌ لِلسُّقمِ وعَليكمُ بالقَصْدِ في قُوتِكمْ فهو أبعدُ عن السَّرفِ وأَصَحُ لِلْبَدَنَ وأقْوى على العِبَادَةِ إنَّ العَبْدَ لَنْ يَهْلَكَ حَتّى يُؤْثر شَهْوَتَهُ على دِيْنِهِ .

ومِن العَجَبِ العُجَاب أنّ العَبْدَ يَسْعَى بنَفْسِهِ في هَوانِ نفسِهِ وهو يَزعُمُ أنها لَها مُكْرِمٌ ويَجْتَهِدُ في حِرْمَانِهَا مِن حُظوظِها وشرفِها وهو يَزعمُ أنّه يَسْعَى في حِفظِهَا ويَبْذِلُ جُهدَهُ في تَحقْيِرهَا وتَصْغِيرهَا وتَدْنِيْسِهَا وهو يَزعِمُ أنّه يَسْعَى في صَلاحِها وكان بَعْضُ السَّلفِ يَقول في خُطبَتِهِ ألاَ رُبَّ مُهيْنٌ لِنَفسِهِ وهو يَزْعمُ أنَّهُ مُكْرِمٌ لَهَا ومُذَلٌّ لِنَفْسِهِ وهو يَزْعُمُ أنه مُراعٍ لحقِّها وكفىَ بالمَرءِ جَهْلاً أن يَكُونَ مَعَ عَدوهِ لِنَفْسِهِ يَبلغ منها بفِعلِهِ ما لا يَبْلغُهُ مِنها عَدوُّه .

شِعْرَا: لَعَمْرُكَ مَا الرَّزِيَّةُ فَقْــدُ مَالٍ   يَكُوْنُ بفَقْــدِهِ مَنْ مُعْدِمِيْنَــا
ولَكِـنَّ الرَّزِيَّــةَ فَقْــدُ دِيْــنٍ   يَكُوْنُ بِفَقْــدِهِ مِنْ كَافِرِيْنَــا
آخر: ما يَبْلُـغُ الأَعْدَاءُ مِن جَاهِــلٍ   ما يَبْلُــغُ الجَاهِــلُ مِن نَفْسِهِ

فالعاقلُ هو الذي يعملُ مُجِداً لآخِرَتِهِ ولا يُنسِيْهُ نَصيبهُ مِن الدنيا حَظّه مِن الآخِرة عَاملاً بقوله تعالى : ﴿ وابْتغِ فِيْمَا أَتاكَ الله الدارَ الآخرةَ ولا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِن الدُنيا ﴾ ولَو أنه تَأَمَّلَ قَليلاً لَوجدَ أنّ لَذائِذَ الدُّنياَ مُتولِّدةٌ مِنْ آلاَمِهَا فَمثلاً لَذةُ الطّعامِ لا تَتحققُ إلا بألمِ الجوَع ولذةُ الشّرابِ لا بدَّ أنْ يَسبِقَها حُرقَةُ العَطش ولذّةِ النَوّم لا يَجدُ الانْسانُ لها شَوقاً إلَّا بَعْدَ أنَ يُضنِيهِ التّعبُ الشّديدُ وَهُنَاكَ نوُع آخرُ مِنْ الحِكمةِ غَفلَ عنْهُ الكَثيرونَ مِنَ النّاسِ وهوَ أنّها بمثابةِ بَراطِيلَ تَحمْلُ الإنْسانَ على قَوامِه وبَقاءِ حَيَاتِه فَلذّةُ الطعّامِ تَدفعُه إلى ألاّ يُهمِلَ جِسْمهُ مِن الغِذَاء ولَولا ما جَعلَ اللّهِ مِن لَذّةِ النّكاح لا نقرضَ النّوعُ الإنْسانيُّ مِنَ الوُجُودِ ولما وَجدنَا دَابةً تَدُبُّ علَى وَجْه الأَرْضِ ولا طَائِراً يَطيرُ في السّماءِ وكذلكَ فَرْحَةُ الأُمِ بطِفْلِهَا تُنسِيْهَا آلامَ الحَمْلِ والوَحْم والوِلادةِ والتّعبِ والنَصَب والرَّضَاع والسّهرِ الطَويل في التّمريضَ ممَا يَقُضّ مَضْجعهَا ويُنسيَها نَفسَهَا فَسُبحانَ الحكيمِ العليمِ الذّي خَلَق كلَّ شَيءٍ فقدّرهُ تقْديراً ، انتهى

بتصرف يسير. وصَلَى الله على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(٦) مَوْعِظَة

كَتَبَ الحَسَنُ إلى عُمرَ بنِ عبدِالعزيز في ذَمِّ الدُّنْيا كِتاباً طَويلاً قال فيه: أمّا بعدُ فإنّ الدُّنيا دَارُ ظَعَنٍ لَيْسَتْ بدارِ مُقَامٍ وانّما أُنزلَ اليهَا آدمُ عُقوبةً فاحْذرْهَا يا أَميرَ المؤمنين فانَّ الزّادَ منهَا تَركُها والغِنَى فيها فقرُهَا تُذلّ من أعزّها وَتُفقرُ منْ جمعها كالسُّمِ يأكلهُ مَن لا يَعْرفُهُ وَهُوَ حَتْفهُ فاحْذرْ هَذِهِ الدّارَ الغرّارةَ الخَتّالةَ الخدّاعةَ وكُن أَسَرَّ ما تكونُ فِيْهَا أحذَرْ ما تكونُ لهَا، سُرورُهَا مشُوبٌ بالحُزنِ وَصفوُها مشُوبٌ بالكَدِرِ فلوْ كان الخَالقُ لم يُخبْره عنْها خَبرا وَلم يَضرِبْ لَهَا مَثلاً لَكُنْتُ قدْ أيقظْتُ النّائمَ ونبّهتُ الغَافلَ فكيفَ وَقَــدْ جَاء مِن اللّهِ عزّ وجلّ عنها زاجرٌ وفيها واعِظٌ فما لَها عندَ اللّه سبحانه قَدْرٌ ولا وَزْنٌ، ما نَظَرَ إليها مُنذُ خَلقهَا وَلَقَدْ عُرِضَتْ على نبيّنا صلى الله عليه وسلم مَفاتِيحُها وَخزائنُها لا يَنقصُ عند اللّه جَناحَ بَعُوضةٍ فأبى أنْ يَقبَلَهَا وَكَرِهَ أن يُحبَّ ما أبغضَهُ خَالقهُ أو يَرفَعَ ما وَضَعهُ مليكُه زَواها اللهُ عن الصّالحين اختياراً وَبَسطَهَا لِأعْدَائِه اغْتِرَاراً أَفَيظُنُّ المغْرورُ بها أنّه أُكْرِمَ بِهَا وَنَسِيَ ما صَنَعَ اللهُ بمحمدٍ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ حينَ شدَّ على بَطْنِهِ الحَجَرَ، واللّهِ ما أحدٌ مِن النَاسِ بُسِطَ له في الدُّنيا فَلمْ يَخفْ أنْ يَكُونَ مَكْراً إلا كانَ قَدْ نقَص عقْلُه وَعَجز رأيهُ وما أَمْسَكَ عن عَبدٍ فلم يَظُنّهُ خيراً لهُ فيهَا إلاَّ نَقَصَ عقْلُهُ وَعَجَزَ رأيهُ.

شِعْرًا: إلَى دُنْيَــاك أَنْظُــرْ باعْتَبَــارٍ ... تَجِدْهَــا دَارَ ذُلٍّ مَعْ فَنَــاءِ
إلَى كَمْ تَحْمِلُ الأَوْزارَ فيْهَــا ... مَعَ الشّهَـواتِ تَسْرِي يامُرَائِـي
أَمَا آنَ انْتِبَــاهكَ مِنْ غُرُوْرٍ ... بِهِ أَصْبَحْتَ بَيْــنَ الأغبيَــاءِ
تَيَقّـظْ وانْتَبِهْ واقْبِــلْ بقَــلْب ... على مَوْلَاكَ تَظْفَــرْ بِاهْتِــدَاءِ

وَقِفْ بالبابِ واطْلُبْ منهُ عَفْواً   عَسَى تَحْظَى بصُبْحٍ أوْ مَسَاءِ

اللَّهُمَّ يا حيُّ ويا قيوّم فرّغنا لما خلقتنا له، ولا تُشْغِلْنَا بما تَكَفَّلْتَ لنا بهِ، واجعلنا مِمَّن يُؤمِنُ بلقَائِك، ويَرْضَى بقَضَائِك، ويقنعُ بعطائِكَ وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(**فَصْلٌ**): وقال الشيْخُ الواسِطيُّ في بعض رَسائِلِهِ: إذا أرادَ الله بعبدٍ خيراً أقامَ في قلبِهِ شَاهِداً مِنْ ذكر الآخرة يُريدُ فَناءَ الدّنيا وَزَوَالَها وبقاءَ الآخرةِ ودوامها فَيزهّدهُ في الفَاني وَيُرَغّبُهُ في الباقي فَيبدأُ في السّير والسُلوكِ في طريقِ الآخرة وأوّلُ السيرِ فيهَا تَصحيحُ التّوبـةِ، والتّوبـةُ لا تتمُّ إلا بالمُحاسبةِ ورعَايةِ الجَوارح السّبعةِ، العينُ والأُذنُ واللّسانُ والبَطْنُ والفَرْجُ واليَدُ والرِّجلُ وكفِّها عن جميع المحَارم والمكَارِهِ والفضُول هذا أحدُ شَطْرَي الدّين وَيَبْقَى الشّطرُ الآخرُ وهو القيامُ بالأوامِرِ فَتَحْقِيْقُ الشّطرِ الأوّلِ وهو تَرْكُ المناهِي مِنْ قلبهِ وَقَالبهِ.

أما القَالَب فلا يَعصِي اللّهَ بجَارحةٍ مِن جَوارحهِ ومتَى زلَّ أو أخْطأَ تابَ وأما القلبُ فَتُنَقِّي منه المُوبقاتُ المُهلِكاتُ مثلُ الرِّياءِ والعجْب والكِبْر والحَسَد والبُغْض لِغَيرِ اللّهِ وَحُبُّ الدّنيا وردُّ الحقّ واستثقالِهِ والازْدِرَاءِ بالخَلْقِ وَمَقْتُهم وَغَيرُ ذلك مِن الكَبائِرِ القَلبيّةِ التي هِي في مُقَابَلَةِ الكَبائرِ القَالَبيَةِ مِن شُرْبِ الخَمْرِ والزّنا والقَذْفِ وغيرِ ذلك فهذِهِ كَبائِرُ ظاهِرَةٌ وَتِلْكَ كَبائرُ بَاطِنةٌ. وكلاهما ضرر.

قال: فَمَنْ انْطوى على شَيءٍ مِن الكبائرِ البَاطنيّة ولم يَتُبْ حَبِطَ عَمَلُه بدليل لا يدخل الجَنّةَ مَن كان في قلبِهِ مثالُ ذرةٍ مِن كِبَر وجاء إنّ الحسدَ يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطبَ وجاء بقول الله تعالى: ﴿ أنا أغْنى الشُّرَكاءِ عن الشركِ مَنْ عمِلَ عملاً فاشركَ مَعِيَ فيه غَيري تَركْتُه وشركَه ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَمن كان يرجو لقاءَ ربه فليعملْ عملاً صالحَاً ولا يشركْ بعبادةِ رَبِّـه أحداً ﴾.

شعـــــرا :

وإنَّ أحْسَن قَولٍ أنتَ قَـــائِلُهُ   قَوْلٌ تَضَمَّنَ تَوْحَيْدَ الذِي خَلَقَـــا

فمتَى تَنقَّى القلبُ مِن مثْلِ هذهِ الخبائثِ والرذَائِل طَهُرَ وَسَكَنتْ فيه الرَّحمةُ في مكان البُغضِ والتواضُع في مَقابلةِ الكِبْر والنَّصيحةُ في مُقابلَةِ الغِشِّ والاخلاصُ في مقابلةِ الرِّياءِ ورؤ يةُ المنَّةِ في مُقابَلةِ العُجْب ورؤ يةُ النفس فعندَ ذلكَ تَزْكوا الأعمَالُ وَتَصْعَدُ إلى اللهِ تعالى وَيَطْهُرُ القلبُ وَيَبْقَى مَحَلاً لِنَظَر الحَقِّ بِمَشيْئَةِ الله وَمَعُوْنَتِهِ فهذا أحَدُ شَطْريْ الدِين وهو رِعَايَةُ الجَوارحِ السَّبعةِ عن المآثم والمحَارم وانما تَصْلُح وَتَطْهُرُ بِرِعَايَةِ القلب وَطَهَارَتِهِ مِن المُوبِقَاتِ والجَرائِم وَمَعْنى المُوبقاتِ المهلكات أهـ .

آخـــــر :

خِصَالٌ إذَا لم يَحْوهَا المَرْءُ لم يَنَلْ   منا لا مِن الدَّاريْنِ يَكْسُبُ بِهِ حَمْدَا

يَكُوْنُ تَقِياً مُخْلِصاً وَمُتَابِعـــاً   لِصَفْوةِ خَلْقِ الله أعْنَي مُحَمَّـــدَا

وقال ابنُ القيم رحمه اللهُ : والقلوبُ ثلاثةٌ ، قَلبٌ خـالٍ مِن الإيمانِ وجَميْعِ الخَيرِ فذلِكَ قَلبٌ مُظلمٌ قد اسْترَاحَ الشيطانُ مِن إلقاءِ الوَسَاوسَ إليه لأنه قد اتّخذهُ بيْتاً وَوَطناًوَتَحكَّمفيهِ بما يُرِيْدُ وَتَمكّنَ منه غايةَ التّمكُنِ ، القلبُ الثاني : قلبٌ قد استَنَارَ بِنُوْرِ الايمان وأُوقَد فيه مِصبَاحُه لكن عليه ظُلْمَةُ الشّهواتِ وَعَواصِفُ الأهْويَةِ فِللشّيْطَانِ هُنَاكَ اقْبَالٌ وإدْبارٌ وَمَجالاتٌ وَمَطَالِعُ فالحَرْبُ دُوَلٌ وَسِجَال وَتَخْتَلِفُ أحْوَالُ هذا الصِّنفِ بالْقِلَّةِ والكَثْرَةِ فَمِنْهُم مَنْ أوقاتُ غَلَبَتِهِ لِعَدُوّهِ أكْثرُ وَمِنْهُم مَنْ أوقاتُ غَلَبَةِ عَدوّهِ أكْثرُ ومِنهم مَنْ هو تَارةً وَتَارة .

القلبُ الثّالثُ : قلبٌ محْشوٌ بالايمانِ قَـد اسْتَنَارَ بِنُـوْرِ الإيمانِ وانْقَشَعَتْ عَنه حُجُبُ الشّهواتِ وأقْلَعَتْ عنه الظُّلُمَاتُ فَلِنُورِهِ في صَدْرِهِ إشْرَاقٌ ولِذَلِكَ الإشراقُ إيقَادٌ لَوْدَنا منه الوَسْوَاسُ احْترقَ بِهِ فَهْوَ كالسّماءِ

الّتي حُرِسَتْ بالنّجوم فَلوْ دَنَا مِنْهَا الشّيطانُ يَتخطّاها رُجِمَ فَاحْترق .

وَلَيْستِ السّماءُ بأعظَمَ حُرْمةٍ من المؤْمن وحِراسَةُ اللّه تعالى لَهُ أَتمُّ مِنْ حراسَةِ السّماء والسّماءُ مُتعبّدُ الملائكةِ وَمُستَقَرُّ الوحي وفيها أنوارُ الطّاعاتِ وَقَلبُ المؤْمنِ مُستَقر التّوحِيْدِ والمحبّةِ والمعْرِفةِ والإيمَان وَفيهِ أنْوارُها فهوَ حَقيقٌ أَنْ يُحرَسَ وَيُحفَظَ مِن كَيْدِ العدوِّ فَلا يَنالُ منهُ إلا خَطْفةً تَحْصلُ له على غِرّةٍ وَغفْلةٍ مِن العَبْدِ إذْ هُو بَشَرٌ وأَحكَامُ البَشريّةِ جارِيَةٌ عَليْهِ مِن الغَفلةِ والسّهو والذّهُول وَغلبةِ الطّبع انتهى .

هذه قصيدة لِبَعْضِهِم فيها غُلُوٌّ صَلَّحْنَا مَا فِيْهَا مِن الغَلَطِ الاعْتِقَادِيْ وَجَعَلْنَا على ما فيه تُصْلِيح أَقْوَاساً :

تَيَقَّظْ لِنَفْسٍ عَنْ هُدَاهَا تَوَلتِ ... وَبَادِرْ فَفِي التَّأْخِيرِ أَعْظَمُ خَشْيَةِ
فَحَتَّامَ لا تَلْوى لِرُشْدٍ عِنَائَها ... وَقَدْ بَلَغَتْ مِنْ غَيِّهَا كُلَّ بُغْيَةِ
وَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ لَوَّامَةٌ لِمَنْ ... نَهَاهَا فَلَيْسَتْ لِلْهُدَى مُطْمَئِنَّةِ
إِذَا أَزْمَعَتْ أَمْراً فَلَيْسَ يَرُدُّهَا ... عَنِ الفِعْلِ إِخْوَانُ التُّقَى وَالْمَبَّرةِ
وَإِنْ مَرَّ فِعْلُ الخَيْرِ في بَالِهَا أَنْثَنَى ... أَبُو مُرَّةٍ يَثْنِيهِ في كُلِّ مَرَّةِ
وَلِيْ قَدَمٌ لَوْ قُدِّمَتْ لِظُلاَمَةٍ ... لَطَارَتْ وَلَوْ أَنِّي دُعِيْتُ لِقُرْبَةِ
لَكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ رِجْلٌ صَحِيْحَةٌ ... وَرِجْلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشُلَّتِ
وَقَائِلَةٍ لَمَّا رَأَتْ مَا أَصابَنِي ... ومَا أَنَا فِيهِ مِنْ لَهِيْبٍ وَزَفْرَتِي
رُوَيْدَكَ لا تَقْنُطْ وَإِنْ كَثُرَ الخَطَا ... ولا تَيْأَسَنْ مِنْ نَيْلِ رَوْحٍ ورَحْمَةِ
مَعَ العُسْرِ يُسْرٌ والتَّصَبُّرُ نُصْرَةٌ ... ولا فَرَجٌ إِلاَّ بِشِدَّةِ أَزْمَةِ
«وَكَمْ عَامِلٍ أَعْمَالَ أَهْلَ جَهَنَّمٍ ... فَلَمَّا دَعَى المَوْلى أُعْيْدَ لِجَنَّةِ»
فَقُلْتُ لَهَا جُوزِيْتِ خَيْراً على الذي ... مَنَحْتِ مِنَ البُشْرَى وَحُسْنِ النَّصِيْحَةِ
فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِلنَّجَاةِ مِنَ الرَّدَى ... وَمَا حِيْلَتِي في أَنْ تُفَرَّجَ كُرْبَتِي
«فَقَالَتْ فَطِبْ نَفْساً وَقُمْ مُتَوَجِّهاً ... لِربِّكَ تَسْلَمْ مِنْ بَوَارٍ وخَيْبَةِ»

«فكَمْ آيسٍ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ فالتَجا إليْه فَحُطَّتْ عَنْهُ كُلُّ خَطِيئَةِ»
«فَدَيْتُكَ فَاقْصِدْهُ بِذُلٍّ فإنه يُقِيلَ بَنِي الزَّلَّاتِ مِنْ كُلِّ عَثْرَةِ»
«إذا مَا أَتَوهُ تَائِبِيْنَ مِن الَّذِيْ جَنَوْهُ مِنِ الآثَامِ تَوْبَةَ مُخْبِتِ»
وصلِّ إلهِيْ كُلَّ يَوْمٍ وليْلَةٍ عَلَى أَحْمَدِ المختارِ أَزْكَى البَرِيَّةِ

اللَّهُمَّ اجْعلنَا مِن حِزْبِكَ المفْلِحِينَ وَعِبادِكَ الصّالحِينَ الذين أهّلتهم لِخدمَتِكَ. اللّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا، وارْزُقْنَا مَحَبَّةَ أَوْلِيَائِكَ وأَصْفِيَائِكَ واجْمَعْنَا وَإِيَّاهُمْ في دَارِ كَرَامَتِكَ، يَاأَكْرَمَ الأَكْرَمِيْنَ وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَى اللهُ عَلَى محمدٍ وعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعينَ.

كتاب الصلاة :

الصّلاةُ لغةً الدّعاءُ قال الله تعالى : ﴿ وصَلِّ عَليهم أَنّ صَلاتَك سَكَنٌ لهم ﴾ والصّلاةُ في الشّرع أقْولٌ وأَعْمالٌ مَخْصُوصَةٌ مُفْتَتَحةٌ بالتّكبير مُخْتتمة بالتّسليم وسُمّيت صَلاةٌ لاشْتمالها على الدّعاءِ وقِيلَ لأنها ثانيةُ الشّهادتين وقيل لأنها صِلةٌ بيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ رَبه .

وقيل لما تَتَضمّنُ من الدّعاءِ والخُشُوع والخَشْيَةِ ، وقيل لأَنَّ المُصَلِّي يَتْبعُ مَن تَقَدَمَهُ ، والصّلاةُ عِمادُ الدّين قال في مَراصد الصّلاة للقَسطلاني الحِكْمةُ في فَرْض الصّلاة وَتَخْصِيْصِهَا بالخَمْس ، أَحَدُهَا أنّ الأنْفُسَ البَشَريّةَ المُقْتَضيَةَ للشَّهوةِ والغفلةِ والسَّهو والنّسْيانِ والشّره في العَمَلِ والفَتْرةِ عَنْه فاقْتضتْ الحِكْمةُ أن تذكر نِسيَانَها وَتُوقظَ غَفلَتَهَا وَتُقْمَعَ شَهْوتَها بقَطعِهَا عن عاداتِها وَمُناجَاتِها الذي كَفلها بنعَمِه وغَذّاها بجُوده وكَرمه ولعلْمِهِ بضَعف قُواها لم يَجْعل هَذهِ العِبادَةَ إلاَّ في أَوْقاتٍ يَكْثُرُ الْفَرَاغُ فِيْهَا مِن اشْغَالِ العَادَاتِ وهذا هُوَ الحكمةُ في تَنْقيْصِهَا مِن الخَمْسِين إلى الخمس .

والوجه الثاني : أن العبدَ في هذِه الدارِ يَعْمَلُ لِنَجاتِهِ في الدارِ

الأُخْرَى وهِيَ مُشْتَمِلَةٌ على أهْوَالٍ وَمَشَاقٍ وَمتَاعِبَ وأمَامَ العبدِ دُوْنَهَا خَمْسُ عَقَبَاتٍ الأُوْلَى الدنيا وَشرُوْرُهَا وآفَاتُهَا وَمَحْذُوراتُها وَشَوَاغلُها وَعلائقُها القاطِعَةُ عن مَزِيْدِ السَّعَادَةِ ، الثانيةُ الموتُ وما يُخْشَى مِن فِتْنَتِهِ وشِدَّةِ سَكَرَاتِهِ وما يُشَاهَدُ عندَهُ مِن الأُمور العِظَامِ والآلامِ الجِسَامِ ، الثالثةُ القَبْرُ وَضيْقَتُهُ ووَحْشَتُهُ وَسُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيْرٍ وذلك صَعْبٌ خَطِيْرٌ ، الرابعةُ المَحْشَرُ وَهو لُهُ وما فِيه مِن الخَوفِ الشَّدِيْدِ والْفَزَعِ الأكِيْدِ ، الخامسةُ الحِسَابُ وما يُخْشَى فيه بَعْدَ العِتابِ مِن وُقُوعِ العقابِ فكان فِعْلُ الصِّلوَاتِ الخَمْسِ مُسَهِّلاً لِهَذِهِ العَقباتِ مُحَصِّلاً لِنَيْلِ المَسرَّاتِ في دَارِ الكَرامَاتِ وهِيَ أَجلُ مَبَانِيْ الإِسْلامِ بَعْدَ الشَّهَادتَيْنِ وَمَحَلُّهَا مِن الدِيْنِ مَحَلُّ الرأسِ مِن الجَسَدِ فَكَمَا أَنَّهُ لا حَيَاةَ لِمَنْ لا رَأْسَ لَهُ فَكَذَلِكَ لا دِيْنَ لِمَنْ لا صَلاةَ لَهُ .

وَهِيَ خَاتِمَةُ وَصِيَّةِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ آخِرِ عَهْدِهِ مِن الدُنيا فَعَن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه قال : كانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ حِيْنَ حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ وَهُوَ يُغَرْغِرُ بِنَفْسِهِ ﴿ الصلاةَ وما مَلَكَتْ أيمانُكُم ﴾ رواه أحمد وأبو داود .

وهِيَ أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَما وَرَدَ بِذَلِكَ الحديثُ عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال : سَمعتُ رَسُولَ الله صلى اللهُ عليه وسَلم يَقولُ : « إِنَّ أَوَّلَ ما يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يومَ القِيَامَةِ مِن عَمَلِهِ صَلاتُهُ فإن صَلَحَتْ فَقَد أَفْلَحَ وأَنْجَحَ وان فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وخَسِرَ » الحديث أخرجه الترمذي .

وهِيَ أَكْبَرُ عَوْنٍ لِلْعَبْدِ على مَصَالِحِ دِيْنِهِ وَدُنْيَاهُ قال تعـالى : ﴿ واسْتَعِينُوا بالصبرِ والصلاةِ وإنها لَكَبِيْرَةٌ إلا عَلى الخَاشِعِيْنَ ﴾ وقال : ﴿ يا أَيُّها الذينَ آمَنوا اسْتَعِينوا بالصبرِ والصلاةِ إنَ اللهَ مَعَ الصَّابِرينَ ﴾

فَبِمُدَاوَمَةِ العَبْدِ عَلى الصَّلاةِ تَقْوَى رَغْبَتُهُ في الخَيْرِ وَتَسهُلُ عليهِ الطاعاتُ وَتَهُونُ عَليهِ المشَاقُ وتَسْهُلُ عليهِ المصائِبُ وَيُيَسرُ اللهُ لَهُ أُمُوْرَهُ وَيُبَارِكُ لَهُ في مَالِهِ وأَعْمَالِهِ وَتَنْهَاهُ عن الفَحْشَاءِ والمُنْكرِ كَمَا قال تَعَالَى : ﴿ ان الصَّلاةَ تَنْهَىَ عن الفَحشَاءِ والمُنْكَرِ ﴾ الآية وفي الصحيح المتفق عليهِ مِن روايةِ أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه قال سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقولُ : « أرَأَيْتُم لَوْ أَنَّ نَهْراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِن دَرَنِهِ شَيءٌ قالُوا لا يَبْقَى مِن دَرَنِهِ شيءٌ قال فذلكَ مَثَلُ الصَّلواتِ الخَمْسِ يَمْحُوْ اللهُ بِهِنَّ الخطايا » وَوَرَدَ مِن حَديثِ ثوبانَ رضيَ اللهُ عنه قالَ : قَال رسولُ اللهِ صلى اللهُ علية وسلم : « اسْتَقِيْمُوا ولَنْ تُحْصُوْا واعْلَمُوا أنَّ خَيْرَ أعْمَالِكُم الصَّلاةُ » ولا يُحَافِظُ على الوضوءِ إلَّا مُؤْمِنٌ ، وعن عثمانَ بن عَفَّان رَضِيَ اللهُ عنه قال : سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : « مَا من أمْرِءٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةَ مَكْتُوبَةٌ فيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وخُشُوْعَهَا ورُكُوْعَهَا إلا كانَتْ كَفارَةً لِما قَبْلَهَا مِنَ الذُنُوبِ مَا لَم تُؤْتَ كَبِيْرَةٌ وذلكَ الدّهْرَ كُلَّهُ »

وفي البخاري ومسلم عن ابن مَسْعُودٍ رضِيَ اللهُ عنه قال : سَأَلْتُ رَسُوْلَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أيُّ العَمَلِ أَحَبُ إلى اللهِ تعالى ؟ فقال : الصلاةُ على وَقْتِهَا قُلْتُ ثُمَّ أيٌّ ؟ قال : بِرُ الوَالِدَيْنِ قُلْتُ ثُمَّ أيٌّ ؟ قال الجهادُ في سبيلِ الله ، قال : حَدَثِنِي بِهِنَّ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ ولو اَسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي وأَخْرَجَ الامامُ أحمدُ عن رجلٍ من أَصْحَابِ رَسُوْلِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قال : سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عليه وسلم أيُّ العَمَلِ أفْضَلُ ؟ قال : سَمِعْتُهُ قال أَفْضَلَ العَمَلِ الصلاةُ لِوَقْتِهَا وبِرُ الوَالِدَيْن والجِهَاد) ورواته محتج بهم في الصحيح .

اللَّهُمَّ ثبِّتْ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنا القِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَّاتِنَا وَذُرِّيَاتِنَا وَأَعِذْنَا مِنْ شَرِّ نُفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَأَعِذْنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانَا تَبَعاً لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ صَلى اللهُ عليه وسلَّم وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(فصـــل)

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ : إذَا وَقَفَ في الصَّلاةِ صَاحِبُ القَلْبِ العَامِرِ بِمَحَبَّةِ اللهِ وَخَشْيَتِهِ والرَّغْبةِ فِيه واجْلالِهِ وَتَعْظِيْمِهِ وَقَفَ بِقَلْبٍ مُخْبِتٍ خَاشِعٍ لَه قَرِيْب مِنهُ سلِيْمٍ مِن مُعَارَضَاتِ السُوءِ قَدْ امتلأَتْ أرْجَاؤُهُ بالهَيْبَةِ وَسَطَعَ فيهِ نُورُ الإيمانِ وَكُشِفَ عَنهُ حِجَابُ النَّفْسِ وَدُخَانُ الشَّهواتِ فَيَرْتَعُ في رِياضِ مَعَانِي القُرآنِ وخَالَطَ قَلْبَهُ بَشَاشَةُ الإيمانِ بِحَقَائِقِ الأسماءِ والصِّفاتِ وَعُلُوِهَا وَجَلالِهَا الأَعْظَمِ وَتفردِ الربِ سُبحَانَهُ بنُعُوتِ جَلالِهِ وصفاتِ كَمَالِهِ .

فاجْتَمَعَ هَمُّهُ على اللهِ وَقرَّتْ عَيْنُهُ بِهِ وأَحسَّ بقُرْبِهِ مِن اللهِ قُرْباً لَا نَظِيْرَ لَهُ فَفَرَّغَ قَلْبَهُ لَهُ وأَقْبَلَ عليهِ بِكُلِّيتِهِ وَهذا الاقبالُ مِنه بَيْنَ اقْبالَين مِن رَبِّهِ فانه سبحانَهُ أقبلَ عليهِ أَوَّلاً فانْجذَبَ قَلْبُهُ باقْبالِهِ فلمّا أَقْبَلَ على رَبّهِ حُظِيَ مِنْهُ إِقْبالاً آخرَ أَتَمَّ مِن الأَوَّلِ .

وهَا هُنا عَجِيْبَةٌ مِن عَجائِبِ الأسماءِ والصفاتِ تَحصُلُ لِمَنْ تَفقَّهَ قَلْبُه في مَعَانِي القُرآنِ وَخَالَطَ بَشَاشَةَ الايمانِ بها قَلْبُهُ بحَيْثُ يَرَ لِكُمْ اسْمٍ وصفةٍ مَوْضِعاً مِن صَلاتِهِ وَمَحَلاً مِنها فاذَا انْتَصَبَ قائماً بَيْنَ يَدَيْ الربِ تَبارَكَ وتعالَى شاهَدَ بِقَلْبِهِ قَيُّومِيَّتَهُ واذا قال الله أكْبَرُ شاهَدَ كِبْرِياءَهُ .

واذا قال : سبحانَكَ اللَّهُم وبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وتَعالَى جَدُّكَ

ولا إلهَ غيْرَكَ شاهد بِقلْبِهِ رَباً مُنزَّهاً عَن كُلِّ عَيْبٍ سَالِماً مِن كُلِّ نَقْصٍ مَحْمُوداً بِكُلِ حَمْدٍ فَحَمْدُهُ يَتَضَمَّنُ وَصْفَهُ بِكلِ كَمَالٍ وَذلك يَسْتَلزِمُ بَرَاءَتَهُ مِن كُلِّ نَقْصٍ تَبارَكَ اسْمُهُ فلا يُذكَرُ على قَلِيْلٍ إلا كَثَّرَهُ ولا على خَيْرٍ إلا أنْمَاهُ وَبارَكَ فيهِ ولا على آفةٍ إلا أذْهَبَهَا ولا على الشيطانِ إلاَّ طَرَدَهُ خاسِئاً دَاحِراً وكمالُ الإسمِ مِن كَمال مُسَمَّاهُ فاذا كانَ هذا شأنُ اسْمِهِ الذي لا يَضُرُّ مَعَهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ فَشَأْنُ المُسَمَّي أعْلاَ وأجَلُ وتعالى جَدُّهُ أيْ ارْتَفعتْ عَظَمَتُه وَجَلَّتْ فَوقَ كُلِّ عظمَةٍ وَعَلا شأنُهُ على كُل شأنٍ وَقَهَرَ سُلْطَانُه على كُلِّ سُلْطَانٍ فتَعَالَى جَدُّهُ أنْ يَكُونَ مَعَهُ شَرِيْكٌ في مُلْكِهِ وَرُبُوْبِيَّتِهِ أو في الهَيْئَتِهِ أو في صِفَاتِهِ كَمَا قَالَ مؤمِنُوا الجِن وأنَّهُ تعالى جدر بنا ما اتخذَ صَاحِبَةً ولا ولداً فكَمْ في هَذِهِ الكلمات مِن تَجلِّ لِحَقَائِقِ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ على قَلْبِ العارِفِ بِها غَيْرِ المُعَطِّلِ لِحَقَائِقِهَا وإذَا قَالَ أعُوْذُ باللهِ مِن الشيطانِ الرجيمِ فقد آوى إلى رُكْنِهِ الشَّدِيْدِ واعتصَمَ بحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ من عَدُوِّه الذي يُرِيْدُ أن يَقْطَعَهُ عن رَبِهِ وَيُبَاعِدَهُ عن قربِهِ لِيَكُونَ أسْوَأ حَالاً .

فإذَا قَالَ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ وَقَفَ هُنَيْهَةً يَسِيْرَةً يَنْتَظِرُ جَوابَ رَبِهِ لَهُ بِقولِهِ حَمِدَنِي عَبْدِي فاذا قال الرَّحْمنِ الرحِيْمِ انتظرَ الجَوابَ بِقولِهِ : اثْنَى عَلَيَّ عَبْدِيْ فاذا قال : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدين ﴾ انتظرَ جَوابَهُ بقولِهِ مَجَّدَنِيْ عَبْدِي .

فَيَا لَذَّةَ قَلْبِهِ وَقُرَّةَ عَيْنِهِ وَسُرُوْرِ نَفْسِهِ بِقَولِ رَبِّهِ : عَبْدِيْ ثلاثَ مَرَّاتٍ فَوَاللهِ لَولاَ مَا عَلَى القُلُوبِ مِنْ دُخَانِ الشَّهَواتِ وغَيْمِ النُّفُوسِ لاسْتُطِيْرتْ فَرَحاً وَسُرُوْراً بقولِ رَبِهَا وَفَاطِرِهَا وَمَعْبُودِهَا حَمِدَنِي عَبْدِيْ وأثْنَى عليَّ عَبْدِيْ وَمَجَّدَنِي عَبْدِيْ ثُمَّ يَكُونُ لِقَلْبِهِ مَجَالٌ مِن شُهُودِ هَذِهِ الأسماءِ الثلاثةِ

التي هِيَ أُصُوْلُ الأَسْماءِ الحُسْنَى وهي اللهُ والربُّ والرحمنُ فشَاهَدَ قَلْبُهُ من ذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ تَبارَكَ وَتَعَالَى إلـهاً مَعْبُوْداً مَوْجُوداً مَخُوْفاً لاَ يَسْتَحِقُ العِبَادَةَ غَيْرُهُ وَلاَ تَنْبَغِي إلاَ لَهُ قَدْ عَنَتْ له الوُجُوْهُ وَخَضَعَتْ لَهُ المَوْجُودَاتُ وَخَشَعَتْ لَهُ الأَصْوَاتِ تُسَبحُ لَهُ السمواتُ السبعُ والأَرضُ وَمَنْ فِيْهِنَّ وأنَّ مَن شَيءٍ إلا يُسَبّحُ بِحَمْدِهِ ﴿ ولَهُ مَن في السمواتِ والأَرضِ كلٌ له قانِتُونَ ﴾ .

وكذالكَ خَلْقُ السَّمواتِ والأَرضَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَخَلقَ الجِنَّ والانسَ والطيرَ والوحشَ والجنةَ والنارَ وكذلك أرسلَ وأُنْزَلَ الكتبَ وشَرَعَ الشرائعَ والْزَمَ العِبَادَ الأمرَ والنَّهْيَ .

وَشَاهَدَ مِن ذِكْرِ اسْمِهِ رَبَّ العالمين قَيُوْماً قَامَ بِنَفْسِهِ وقَامَ بِهِ كُلُ شَيءٍ فَهُوَ قائِمٌ عَلى كُلِ نَفْسٍ بِخَيْرِهَا وَشَرِّهَا قَدْ اسْتَوى على عَرْشِهِ وَتَفَرِدَ بِتَدْبِيْرِ مُلْكِهِ فالتدْبيْرُ كُلُّهُ بِيَدِهِ مَصِيْرُ الأُمُوْرِ كُلِّهَا إليهِ فَمَراسِيْمُ التَدْبِيرَاتِ نَازِلَةٌ مِن عِنْدِهِ عَلَى أَيْدِيْ مَلاَئِكتِهِ بالعَطَاءِ والمَنْعِ والخفْضِ والرَّفْعِ والإِحْيَاءِ والامَاتَةِ والتَّوْبَةِ والعزْلِ والقَبْضِ والبَسْطِ وكَشْفِ الكُرُوْب وإغاثَةِ المُلْهُوْفِ واجابةِ المُضْطَرّيْنَ ﴿ يَسألهُ مَن في السمواتِ والأرضِ كُلَّ يومٍ هو في شأن ﴾ لا مَانِعَ لِمَا أَعْطِي ولا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ ولا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ولا رَادَّ لِأَمْرِهِ ولا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ تَعْرُجُ الملائكةُ والرُوْحُ إليْهِ وَتُعْرَضُ الأَعْمَالِ أَوَّلَ النهارِ وآخِرَهُ عليهِ فَيُقَدَّرُ المقادِيْرِ وَيُوَقِّتُ المَواقِيْتَ ثُمَّ يَسُوقُ المقادِيْرَ إلى مَوَاقِيْتِهَا قَائِماً بِتَدْبِيْرِ ذَلِكَ كُلِهِ وَحِفْظِهِ وَمَصالِحِهِ .

ثم يَشْهَدُ عندَ ذِكْرِ اسْمِهِ الرَّحْمنِ جَلَّ جَلاَلُهُ رباً مُحْسِناً إِلَى خَلْقِهِ بِأَنواعِ الاحْسَانِ مُتَحَبِّباً إليهم بصُنُوفِ النِّعَمِ وَسَعَ كُلَّ شَيءٍ رَحْمَةً وعِلْماً وأَوْسَعَ كُلَّ مَخْلُوقٍ نِعْمَةً وَفَضْلاً فَوَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيءٍ وَوَسِعَتْ نِعْمَتُهُ

كُلَّ حَيٍ فَبَلَغتْ رَحْمَتُهُ حَيْثُ بَلَغَ عِلْمُهُ فاسْتَوى على عَرْشِهِ بِرَحْمَتِهِ وَخلقَ خَلْقَهُ بِرَحْمَتِهِ وأَنْزَلَ كُتُبَهُ بِرَحْمَتِهِ وأَرْسَلَ رُسُلَهُ بِرَحْمَتِهِ وَشَرَعَ شَرَائعَهُ بِرَحْمَتِهِ وَخَلَقَ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ والنارَ أيضاً بِرَحْمَتِهِ فإنها سَوْطُهُ الذي يَسُوْقُ بِهِ عِبَادَهُ المؤمنينَ إلى جَنَّتِهِ وَيُطَهِّرُ بِهَا أدْرَانَ المُوَحِّدِينَ مِنْ أهلِ مَعْصِيَتِهِ وَسِجْنُهُ الذي يَسْجِنُ فيهِ أعدَاءَهُ مِن خَلِيْقَتِه .

فَتَأَمَّلْ ما في أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَوَصَايَاهُ وَمَوَاعِظِهِ مِن الرَّحْمَةِ البَالِغَةِ والنِّعْمَةِ السَّابِغَةِ وَمَا في حَشْوِهَا مِن الرَحمةِ والنِّعْمَةِ فالرَّحْمَةُ هِيَ السَّبَبُ المُتَصِلُ مِنه بِعِبَادِهِ كَمَا أَنَّ العُبُوْدِيَّةَ هِيَ السَّبَبُ المُتَصِلُ مِنهم بِهِ فَمِنْهُم إِليهِ العُبُوبِيَّةُ وَمِنْهُ إليهم الرحمة .

ومِن أَخصِّ مَشاهَدِ الاسْمِ شُهُودُ المُصَلِّي نَصِيْبَهُ مِن الرحمةِ الذي أقامَهُ بِهَا بَيْنَ يَدَيْ رَبهِ وَأَهَّلَهُ لِعُبُودِيَتِهِ وَمُناجَاتِهِ وَأَعْطاهُ وَمَنَعَ غَيْرَهُ وَذَلِكَ مِن رَحْمَتِهِ بِهِ .

فاذا قال ﴿ مَالِكِ يَومِ الدِين ﴾ فَهُنَا شَهِدَ المَجْدَ الذي لا يَلِيْقُ بِسِوَى المَلكِ الحَقِ المبين فَشَهِدَ مَلِكاً قَاهِراً قَدْ دَانَتْ له الخَلِيْقَةُ وَعَنَتْ لَهُ الوُجُوْهُ وَذَلَّتْ لِعَظَمَتِهِ الجَبَابِرَةُ وَخَضَع لِعِزَّتِهِ كُلُّ عَزِيْزٍ فَيَشْهَدُ بِقَلْبِهِ مَلِكاً عَلى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيمِناً لِعِزَّتِهِ تَعْنُوْ الوُجُوهُ وَتَسْجُدُ وإِذا لَمْ تُعَطِّلْ صِفَةً حَقِيْقَيْةً صِفةَ المُلْكِ أَطْلَعَتْهُ على شُهُودِ حَقَائِقِ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ التي تَعطِيْلُهَا تَعْطِيْلٌ لِمُلْكِهِ وَجَحْدٌ لَهُ فَإِنَّ المَلكَ الحَقَّ التَّامَّ الحَقَّ لا يَكونُ إلا حَياً قَيُوْماً سَمِيْعاً بَصِيْراً مُدَبِّراً قَادِراً مُتَكَلِّماً آمِراً نَاهِياً مُسْتَوِياً على سَرِيْرِ مَمْلَكَتِهِ يُرْسِلُ إلى أقاصِيْ مَمْلَكَتِهِ بأوامِرِهِ فَيَرْضَى على مَنْ يَسْتَحِقُ الرِّضَا وَيُثِيْبُهُ وَيُكْرِمُهُ وَيُدْنِيْهِ وَيَغْضَبُ على مَنْ يَسْتَحِقُّ الغضَبَ وَيُعَاقِبُهُ وَيُهِيْنُهُ وَيُقْصِيْهِ وَيَقْصِيْ مَن يَشَاءُ ، لَهُ دَارُ عَذابٍ وَهِيَ النارُ وَلَهُ دَارُ سَعَادَةٍ وَهِيَ

الجَنَّةُ . فَيُعَذِبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَيُعْطِي مَن يَشَاءُ وَيُقَرِّبُ مَن يَشَاء .

فَمَنْ أَبْطَلَ شَيْئاً مِن ذَلك أَوْ جَحَدَهُ وأَنْكَرَ حَقِيْقَتَهُ فَقَدْ قَدَحَ في مُلْكِهِ سُبْحَانَهُ وتَعالى وَنَفى عَنْهُ كَما لَهُ وَتَمامَهُ .

وكذلكَ مَنْ أَنْكَرَ عُمُومَ قَضَائِه وَقَدرِهِ فَقَدْ أَنْكَرَ عُمُوْمَ مُلْكِهِ وَكَمَالِهِ فَيَشْهَدُ المُصَلِيْ مَجْدَ الربِ تَعَالَى في قَولِهِ ﴿ مَالِكِ يَومِ الدِين ﴾ فاذا قال : ﴿ ايَّاكَ نَعْبُدُ وايَّاكَ نَسْتَعِيْن ﴾ فَفِيْهَا سِرُّ الخَلْقِ والأَمْرِ والدُنْيا والآخِرَةِ وهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لأجلِّ الغَايَاتِ وأفضلِ الوَسَائِلِ .

فأجَلُّ الغَايَاتِ عُبُودِيَتُهُ وأَفْضَلُ الوَسائِلِ إعَانَتُهُ فلا مَعْبُودَ يَسْتَحِقُ العِبَادَةَ إلا هُوَ ولا مُعِيْنَ على عِبَادَتِهِ غَيْرُهُ فَعِبَادَتُهُ أَعْلى الغَايَاتِ واعانَتُهُ أَجَلُّ الوَسَائِلِ وَقَدْ أَنْزَلَ سُبْحَانَهُ وتعالى مائةَ كِتَابٍ وأَرْبَعَةَ كُتُبٍ جَمَعَ مَعَانِيْهَا في أَرْبَعَةٍ وهِيَ التَّوْرَاةُ والانجيلُ والقرآنُ والزَّبُورُ وجَمَعَ مَعَانِيَها في القُرآنِ وَجَمَعَ معانيْهِ في المُفَصَّلِ وَجمَعَ مَعَانِيَهِ في الفاتحةِ وجَمَعَ مَعَانِيْهَا في إيَّاكَ نَعْبُدُ وايَّاكَ نَسْتَعِيْن .

وقد اشْتَمَلَتْ هذِهِ الكلمةُ على نَوْعَيْ التَّوْحِيد وَهُمَا تَوْحِيْدُ الرُبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيْدُ الأُلُوهِيَّةِ وَتَضَمَّنَتْ التَعَبُدَ باسْمِ الربِ واسمِ اللهِ فَهوَ يُعْبَدُ بالأُلُوهيَّةِ وَيُسْتَعَانُ بِرُبُوبِيَتِهِ وَيَهْدِي إلى صِراطٍ مُسْتَقِيْمٍ بِرَحْمَتِهِ فكانَ أَوَّلُ السُوْرَةِ ذِكْرُ اسْمِ اللهِ والربِ والرحمنِ تَطَابَقا لأجلِ المَطالِبِ مِن عِبَادَتِهِ واعانَتِهِ وهِدَايَتِهِ وهو المُنْفرِدُ باعْطَاءِ ذَلِكَ كلِهِ لا يُعِيْنُ على عِبَادَتِهِ سِوَاهُ وَلاَ يَهْدِيْ سِوَاهُ ثُمَّ يَشْهَدُ الدَّاعِيْ بِقَولِهِ اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيم شِدَّةَ فَاقتِهِ وَضَرُوْرَتِهِ إلى هَذِهِ المسألةِ التي لَيْسَ هو إلى شـيءٍ أَشَدَّ فاقةً وَحاجَةً مِنه إليهَا البَتَةَ فانَه مُحْتَاجٌ إليه في كُلِ نَفسٍ وَطَرفَةِ عَيْنٍ وَهَذا المَطْلُوبُ مِن

الدُّعَاءِ لا يَتِمُّ إلا بالهِدايَةِ إلى الطَّرِيْقِ المُوْصِلُ إليْهِ سُبْحانَهُ والهِدايَةِ فيهِ أيْ هِدايَةِ التَفْصِيْلِ وَخَلْقِ القُدْرَةِ على الفِعْلِ وارادَتِهِ وَتَكويْنِهِ وَتوفِيْقِهِ لإيْقَاعِهِ عَلى الوَجْهِ المَرْضِي المَحْبُوْبِ لِلرَّبِ سُبْحَانَهُ وَتَعالى وَحِفْظِهِ عليهِ مِن مُفْسِدَاتِهِ حَالَ فِعْلِهِ وَبَعْدَ فِعْلِهِ .

وَلَمَّا كَانَ العَبْدُ مُفْتَقِراً في كُلِّ حَالٍ إلى هَذِهِ الهِدَايَةِ في جَمِيْعِ ما يأتِيْهِ وَيَذَرُهُ مِن أُمُورٍ قَدْ أَتَاهَا عَلى غَيرِ الهِدَايَةِ فهو يَحْتَاجُ إلى التَّوبَةِ منها .

وأُمورٍ هُدى إلى أَصْلِهَا دُوْنَ تَفْصِيْلِهَا أَوْ هُدِي إليهَا مِن وَجْهٍ دُوْنَ وَجْهٍ فَهُوَ يَحْتَاجُ إلى تَمَامِ الهِدَايَةِ فِيْهَا لِيَزْدَادَ هُدى .

وأُمُورٍ يَحْتَاجُ إلى أنْ يَحْصُلَ لَهُ مِن الهِدَايَةِ فِيهَا بالمُسْتَقْبَلِ مِثْلَ مَا حَصَلَ لَهُ في المَاضِيْ .

وأُمُوْرٍ هُوَ خَالٍ عَن اعْتِقَادٍ فِيهَا فَهُوَ يَحْتَاجُ إلى الهِدَايَةِ فِيْهَا .

وأُمُورٍ لم يَفْعَلْهَا فَهُوَ يَحْتَاجُ إلى فِعْلِهَا على وَجْهِ الهِدَايَةِ .

وأُمُورٍ قَدْ هُدِيْ إلى الإعْتِقَادِ الحَقّ والعَمَلِ والصوابِ فِيها فهو مُحْتَاجُ إلى الثَّبَاتِ عَلَيْهَا إلى غَيْرِ ذَلكَ مِن أنواعِ الهِدَايَةِ .

فَرَضَ اللهُ سبحانَهُ عليه أنْ يَسْأَلَ هَذِهِ الهِدَايَةِ في أَفْضَلِ أَحْوَالِهِ مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ في اليـومِ واللَّيْلَةِ ثم بَيَّنَ أَنَّ أَهْلَ هَـذِهِ الهِدَايَـةِ هم المُخْتَصُونَ بِنِعْمَتِهِ دُوْنَ المَغْضُوبِ عَلَيهم وهم الذين عَرَفُوا الحقَّ وَلَم يَتَّبِعُوْهُ وَدُوْنَ الظَّالِينَ وهم الذينَ عَبَدُوْا اللهَ بِغَيرِ عِلْمٍ فالطائفتانِ اشْتَرَكَتَا في القَوْلِ في خَلْقِهِ وأمْرِهِ وأسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ بغيرِ عِلْمٍ فَسَبِيْلُ المُنْعَم عَلَيهِم مُغَايِرَةٌ لِسَبِيلِ أَهْلِ الباطلِ كُلِّها عِلْماً وَعَمَلاً فَلَمَّا فَرَغَ مِن هَذا الثّناءِ والدُّعاءِ والتوحِيدِ شُرِعَ لَهُ أنْ يَطْبَعَ عَلى ذَلكَ بِطَابعٍ مِن التأمِيْنِ

يَكُونُ كالخاتِمِ لَهُ وَافقَ فيه مَلائِكَةَ السماءِ وهذا التأمِيْنُ مِن زِيْنَةِ الصلاةِ كَرَفْعِ اليَدِيْن الذي هُوَ زِيْنَةُ الصلاةِ واتِّباعاً لِلسُّنَّةِ وَتَعْظِيْمَ أمْرِ اللهِ وَعُبُوْدِيَةُ اليَدَيْنِ وَشِعَارُ الانتقالِ مِن رُكْنٍ إلى رُكْنٍ ثُمَّ يأْخُذُ في مُنَاجَاةِ رَبِّهِ بكلامِهِ واسْتِماعِهِ مِن الامام بالانصاتِ وَحُضُورِ القَلْبِ وَشُهُودِهِ .

وقال رحمه الله والقول الجامع في تفسير الصراط المستقيم أنه الطريق الذي نصبه الله لعباده على ألسنة رسله ، وجعله موصلا لعباده إليه ، ولا طريق لهم سواه ، وهو إفراده بالعبودية وإفراد رسله بالطاعة ، وهو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ونكتة ذلك وعقده أن تحبه بقلبك كله وترضيه بجهدك ، فلا يكون في قلبك موضع إلا معمور بحبه ، ولا تكون إرادة إلا متعلقة بمرضاته ، وهذا هو الهدى وهو معرفة الحق والعمل به وهو معرفة ما بعث الله به رسله والقيام به فقل ما شئت من العبارات التي هذا أحسنها .

وقال : والطريق إلى الله واحد لا تعدد فيه ، وهو صراطه المستقيم الذي نصبه موصلا لمن سلكه إلى الله فمن الناس من يكون سيد عمله وطريقه إلى ربه طريق العلم والتعليم قد وفر عليه زماناً مبتغياً به وجه الله فلا يزال عاكفاً على طريق العلم حتى يصل من تلك الطريق إلى الله ويفتح له الفتح الخاص ، أو يموت في طريق طلبه فيرجى له الوصول إلى مطلبه ، ومنهم من يكون سيد عمله الذكر ، ومنهم من يكون طريقه الإحسان والنفع المتعدى ، ومنهم من يكون طريقه الصوم ، ومنهم من يكون كثرة تلاوة القرآن ، ومنهم من يكون طريقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنهم من يكون طريقه الحج والاعتمار ، ومنهم من يكون طريقه قطع العلائق وتجريد الهمة ودوام المراقبة وحفظ الأوقات أن تذهب ضائعة ، ومنهم الجامع الفذ السالك إلى الله في كل واد الواصل إليه من كل طريق ،

فهو جعل وظائف عبودية قبلة قلبه ونصب عينيه وقد شارك أهل كل عمل وذلك فضل الله .

وقال رَحِمَهُ الله ولما كان طالبُ الصراط المستقيم طَالِبَ أمْرٍ أكْثَرُ النَاس ناكِبُونَ عنه ، مُرِيْدًا لِسُلُوكِ طَرِيْقٍ مُرَافِقُهُ فيها في غَايَةِ القِلَّةِ والعِزَّةِ ، والنُّفُوسُ مَجْبُولَةٌ على وحْشَةِ التَّفَرُدِ ، وعلى الأنس بالرفيق .

نَبَّهَ اللَّهُ سُبْحَانه على الرفيْقِ في هذه الطريق ، وأنَّهُم هم الذين « أنعم الله عليهم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولَئك رفيقاً » .

فأَضَافَ الصِّراطَ إلى الرفيْقِ السالكينَ لَهُ ، وهُم الذين أَنْعَم اللَّهُ عليهم ، لِيزَوُلَ عَن الطالِبِ لِلْهِدَايَةِ وسُلُوكِ الصِراطِ وحْشَةُ تَفردُّهِ عن أهلِ زَمَانِهِ وبَني جنسِهِ ، وَلِيَعْلم أن رَفِيْقَهُ في هَذا الصراط هم الذين أَنْعَم اللَّهُ عليهم .

فلا يَكْتَرِثْ بمُخَالَفَةِ النَّاكِبِيْنَ عنه لَهُ فإنهم هم الأقَلُونَ قَدْرًا وإن كانوا الأكْثَرِيْنَ عَدَدَا ، كما قَالَ بَعضُ السلفِ عليكَ بطريق الحق ولا تَسْتَوحِشْ لِقِلَّةِ السَّالِكين ، وإيَّاكَ وطَرِيْقَ الباطِل ولا تَغْتَرَّ بكَثْرة الهالِكِين .

وَكُلَّمَا اسْتَوحَشْتَ في تَفَرُّدِكَ فانْظُرْ إلى الرفيق السَّابق ، واحْرَصْ عَلَى اللّحَاقِ بِهِمْ ، وغُضِّ الطَّرْفَ عن مَنْ سِوَاهُمْ فإنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوْا عَنْكَ مِن اللَّهِ شَيْئًا ، وإذَا صَاحُوْا بكَ في طَرِيْقِ سَيْرِكَ فلا تَلْتَفِتْ إلَيْهِمْ .

قَالَ ولَمَّا كَانَ سُؤَالُ اللَّه الهِدَايَةِ إلى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيم أجَلَّ المَطالب ، وَنَيْلُهُ أشْرَفَ المَواهب عَلَّمَ اللَّهُ عِبَادَهُ كَيْفِيَّةَ سُؤَالِهِ ، وأمَرَهُمْ أنْ يُقَدِّمُوْا بَيْنَ يَدَيْه حَمْدَهُ والثَّنَاءَ عَلَيْهِ وتَمْجِيْدَهُ .

ثم ذَكَرَ عُبُوْدِيَتَهُمْ وتَوْحِيْدَهُم فَهاتَانِ وسِيْلَتَان إلَى مَطْلُوبهم تَوَسُّلٌ

إليه بأسْمائِه وصِفاتِه وتَوسُّلٌ إليه بِعُبُوْدِيَّتِه وهاتان الوَسِيْلَتان لاَ يكادُ يُرَدُّ مَعَهُمَا الدُعَاءُ .

ويُؤَيِّدُهُما الوَسِيْلَتانِ المذكُورتَانِ في حَدِيْثَيْ الاسْم الأعظم اللَّذَيْنِ رواهما ابن حِبَّان في صَحِيْحه والإمام أحمد والترمذي .

أحَدُهما حَدِيْثُ بُرَيْدَةَ عن أبيه قال سَمِعَ النبيُ ﷺ رَجُلاً يَدْعُو ، ويقول اللَّهُمَّ إِنِّي أسْأَلُكَ بأني أشْهَدُ أنَّكَ اللَّهُ الذي لَا إلهِ إلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الذِيْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ ولم يكن له كُفْوًا أحَد .

فقال وَالَّذِيْ نَفْسِي بيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ الله باسْمِهِ الأَعْظَم الذي إذا دُعِيَ به أَجَابَ وإذا سُئِلَ بِهِ أعْطَى قال الترمذيُ حَدِيثٌ صحيح .

فهذا تَوسُّلٌ إلى الله بتَوحِيْدِهِ ، وشَهَادَةِ الداعِي لَهُ بالوحْدَانِيَّةِ وثبوتِ صِفاتِهِ المدلُولِ عليها باسمِ الصَّمَدِ .

وهو كما قال ابن عباس العَالِمُ الذي كَمُلَ عِلْمُهُ القادِرُ الذي كَمُلَتْ قُدْرَتُهُ وفي رواية « هو السيدُ الذي قَدْ كَمُلَ فيه جَمِيْعُ أنواعِ السؤدَدِ ة .

وقال سعيد بن جبير هو الكاملُ في جَمِيعِ أَقوالِهِ وصِفاتِهِ وأفْعَالِهِ .

والثاني حَدِيْثُ أنِس أن رسول الله ﷺ سَمِعَ رَجُلاً يَدْعُو .

اللهم إني أَسألكَ بأن لك الحمد لا إله إلا أنْتَ المنان بَدِيْعَ السمٰوات والأرض ؛ ذا الجلال والأكرام ، يا حَيُّ يا قَيُّوم .

فقال لقد سأل الله باسمه الأعظم فهذا توسل إليه بأسمائِهِ وصفاته .

وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين وهما التوسل بالحمد والثناء عليه وتمجيده والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده .

ثم جاء سؤال أهم المطالب وأنجح الرغائب وهو الهداية بعد الوسيلتين فالداعي به حقيقٌ بالاجابة .

ونظير هذا دعاء النبي ﷺ الذي كان يدعو به إذا قام يصلى من الليل رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس .

« اللهم لك الحمد أنتَ نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنتَ قيوم السموات والأرض ومن فيهن » .

ولك الحمد أنتَ الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق ، والنبيون حق والساعة حق ومحمد حق .

اللهم لكَ أسلمتُ ، وبكَ آمَنْتُ ، وعليكَ تَوكَّلْتُ ، وإليك أَنَبْتُ ، وبكَ خاصَمْتُ ، وإليكَ حَاكَمْتُ .

فاغفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ ، وما أسررتُ وما أعلنت ، أنْتَ إلهي لا إله إلا أنْتَ ، فذكر التوسلَّ إليه بِحَمْدِهِ والثَّناء عليه ، وبِعُبُودِيَّتِهِ ثم سأله المغفرة .

اللَّهم يَا مَنْ خَلَقَ الإنسانَ في أَحْسَنِ تَقْوِيْم وَبِقُدْرَتِهِ التي لاَ يُعْجِزُها شيءٌ يُحْيي العِظَامَ وهي رَمِيْمٌ ، نسألك أَنْ تَهْدِينَا إلى صِراطِك المستقيم ، صِراط الذيْنَ أَنْعَمْتَ عَليهم مِن النَّبيينَ والصِّدِيْقِيْنَ والشُّهَداءِ والصَّالِحَينَ وأن تَغفرَ لنا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَميع المسلمين الأحياءِ منهم والميتين برحمتكَ يا أرحمَ الراحمين وصلى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبهِ أجْمعين .

(فصل)

عِبَادَ اللهِ إن الصلاةَ عِمَادُ الدِيْنِ وأَعْظَمُ أَرْكَانِ الإسلام بَعْدَ الشهادَتَيْن مَنْ حَافَظَ عَلَيهَا فَهُوَ السَّعِيْدُ وَمَن أَضَاعَهَا وأَهْمَلَهَا فهو الشَّقِيُّ العَنِيْدُ ، وقد أَمَرَ اللهُ بالمحافظةِ عَلَيْهَا وأَمَرَ باقامَتِها في آياتٍ كَثِيْرَةٍ قال

تعالى : ﴿ حافِظُوا على الصلواتِ والصَلواةِ الوُسْطى ﴾ وَقالَ : ﴿ والذينَ هُمْ عَلى صَلاَتهم يُحَافِظُوْنَ ﴾ وقالَ : ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيْهِمْ تِجَارَةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ﴾ .

وَقَالَ ﴿ وأقِيْمُوا الصَّلاَةَ وآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ أقِمِ الصَّلاةَ لدُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ الآية وَقَال : ﴿ والمقيمينَ الصَّلاةِ ﴾ وقالَ : ﴿ وأقِمْ الصَّلاةَ طَرَفي النَّهَارِ ﴾ الآية ، وقالَ : ﴿ الذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ ﴾ وقالَ ﴿ الذينَ يُؤْمِنُونَ بالغَيْبِ وَيُقِيْمُونَ الصَّلاةَ ﴾ قال : ابنُ عَبَّاسٍ يُقيْمونَ الصَّلاةَ بِفُروضِهَا وقال : الضَّحاكُ عَن ابنِ عباسٍ اقامةُ الصَّلاةِ اتمْامُ الرُّكُوعِ والسُّجود والتِلاوةِ والخُشوعِ والاقبالِ عليهِ فيهَا وقال قَتَادَةُ : اقامَةُ الصَّلاةِ المُحَافَظَةُ عَلى مَواقِيْتِهَا وَوُضُوئِهَا ورُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا .

وَقَالَ مُقَاتِلٌ : اقامَتُها المُحافظَةُ عَلى مَوَاقِيتِها واسْبَاغُ الطُّهُورِ فيْهَا واتْمَامُ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَتِلاَوَةِ القُرْآنِ فِيْهَا والتشَهّدُ والصَّلاةُ على النبي صَلى اللهُ عليهِ وسَلّمَ وَحَثَّ صَلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عَلى المُحافَظَةِ عَلَيْهَا في أحَاديْثَ كثيرةٍ مِنْهَا مَا وَرَدَ عَنْ أبي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ : « خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيْمَانٍ دَخَلَ الجَنَّـةَ مَنْ حَافَظَ على الصَّلواتِ الخَمْسِ عَلى وُضُـوئِهِنَ وَرُكُوعِهِنَّ وَمَواقِيْتِهِنَ وَصَامَ رَمَضَانَ وَحَجَّ البَيْتَ إنْ اسْتَطَاعَ إليهِ سَبِيْلاً وآتى الزَّكَاة طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ وأدّى الأمانة قيل يَا رَسُولَ اللهِ وَما أدَاءُ الأمانَةِ قَالَ الغُسْلُ مِنَ الجَنَابَةِ انَّ اللهَ لَمْ يأْمَنْ ابنَ آدمَ على شَيْءٍ مِنْ دِيْنِهِ غَيْـرَها » رواه الطبراني .

وعن عَائِشَةَ رَضِي اللهُ عَنهَا أنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّمَ قَالَ : ثلاثٌ أحْلِفُ عَليهن لا يَجْعَلُ اللهُ مَنْ لَهُ سَهْمٌ في الإِسلامِ كَمَنْ لا سَهْمَ لَهُ وأَسْهُمُ الإِسْلامِ ثلاثةُ الصَّلاةُ والصَّومُ والزَّكاةُ ولا يَتولَّى اللهُ عَبْداً

في الدُّنيا فيُوَليه غيرَهُ يومَ القِيَامَةِ ولا يُحِبُّ رجلٌ قوماً إلا جُعِلَ مَعَهُمْ ، الحديثَ رواهُ أحمدُ باسنادٍ جيدٍ ورواهُ الطَبَراني في الكَبِيرِ من حديثِ ابنِ مَسْعُودٍ .

وَعَنْ عمر بنِ مُرَّة الجُهَني قَالَ : جَاءَ رجلٌ الى النبيّ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ فقالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أرأيْتَ إنْ شَهدتُ أنْ لا إلهَ إلا اللهَ وأنكَ رَسُولُ اللهِ وَصَليتُ الصَّلواتِ الخَمْسِ وأدَّيْتُ الزَّكاةَ وَصُمْتُ رَمَضَانَ وَقُمْتُهُ فَمِنْ مَنْ أنَا ؟ قَالَ : من الصِّدِّيقينَ والشُّهَداءِ رواهُ البَزَّارُ وابنُ خزيمةَ وابنُ حِبَّانَ في صَحِيْحَهِمَا واللفظُ لابنِ حِبَّانَ ومن الأدِلَةِ الدّالةِ على وُجُوبِهَا مَعَ مَا تَقَدَّمَ مِن الكتَّابِ والسُّنَّةِ قَوْلُه تَعَالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إلاَ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ حُنَفَاءَ وَيُقِيْمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾ وأمَّا السُّنَّةُ فَعَنْ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِي صَلّى اللهُ عليهِ وسلَّم أنَّهُ قَالَ : « بُنِيَ الإسْلاَمُ عَلى خَمس شهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً رَسُولُ اللهِ واقام الصَّلاةِ وايْتاءِ الزكاةِ وصِيام رَمَضَانَ وَحَجِّ البَيتِ مَنْ اسْتَطَاعَ اليْهِ سَبِيلاً » .

وأجْمَعَتْ الأمةُ عَلى وُجُوبِ خَمْسِ صَلَواتٍ في اليَوْمِ واللَّيْلَةِ وَفُرضَتْ الصَّلاةُ لَيلةَ الإسْراءِ قَبْلَ هِجْرَتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ بنحْوِ خَمْسِ سِنينَ وَقِيْل قَبْلَ الهِجْرَةِ بِسَنَةٍ .

اللَّهُم وَفِقْنَا للاسْتِعْدَادِ ، واهْدِنَا الى سَبِيْل الرَّشَادِ ، وَوَفِقْنَا للعَمَلِ الصَّالِحِ ليوم المَعَادِ ، واغفرْ لنَا وَلوالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِينَ ، الأحياءِ مِنْهُمْ والميتِـيْنَ ، برحْمَتك يا أَرْحَمَ الراحِمِينَ وَصَلّى اللَّهُ على مُحَمدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

فصـــل : وَيحْرمُ تَأْخِيرُ الصَّــلاةِ عَنْ وَقْتِهَا عَلَى القَادِرِ على فِعْلِهَا

الـذَّاكِرِ لَهَا إِلَّا لِنَاوِي الجَمْعِ لِنَحْوِ سَفَرٍ أَوْ مَرَضٍ لأنه يَجبُ ايقاعُهَا في الوقتِ فإذا خَرَجَ وَقْتُهَا ولم يأتِ بِهَا كانَ تَارِكاً للواجِبِ مُخَالِفا للأَمْرِ وَلِئَلا تَفُوتَ فائدةُ التأقِيْتِ .

وأمَا الدَّليلُ على جَوازِه للعُذْرِ وَتَحْرِيمه لغيرِ العذْر فَحديُث أَبي قتادَةَ مرفوعاً لَيْس في النَّوْم تفريط إنمَا التفريط في اليَقَظَةِ أَنْ تُؤَخِر الصَّلاةَ إلى أَنْ يَدْخَلَ وَقْتَ أخْرَى وَقَدْ وَرَدَ في تَفسِيرِ قولِهِ تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ للمصَلِّين الذينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُوْنَ ﴾ عن بَعْضِ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ تأخِيرُها عَنْ وَقْتِهَا وَسَمَّاهُمْ مُصَلِّينَ لكنهم لما تَهَاوَنُوا بِهَا وأَخروهَا عَنْ وَقْتِهَا وَعَدَهُم بويل وَهُو شِدَّةُ العَذَابِ وقِيلَ هو وادٍ في جَهنَمَ لو سُيِّرتْ فِيه جِبَالُ الدّنيا لذابَتْ مِنْ حَرِّه وهو مَسْكن من يَتَهَاوَنُ بالصَّلاةِ وَيُؤخِرُهَا عَنْ وَقْتِها إلا أَنْ يَتُوبَ وَيَندَمَ وَيَعْزِمَ أَنْ لا يَعُودَ وَيَتُوبَ اللهُ عَليهِ وقال تَعالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَموالُكُمْ ولاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فأولَئِكَ هُمْ الخَاسِرُونَ ﴾ قَالَ المفسرونَ المُرادُ بِذِكْرِ اللهِ في هَذِه الآيةِ الصَّلواتُ الخَمْسُ فَمَنْ اشْتُغَلَ بِمَالِه في بَيْعِهِ وَشِرائِهِ وَمَعِيْشَتِهِ وَضيْعَتِهِ وَأَوْلادِهِ عَنْ الصَّلاةِ في وَقْتِهَا كَانَ مِنَ الخَاسِرينَ . وفي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ : « كَيْفَ أَنْتَ إذَا كَانَتْ عَليكَ أُمَرَاءُ يُمِيْتُونَ الصَّلاَةَ أَوْ قَال : يُؤَخِرونَهَا عَنْ وَقْتِهَا »

وَقَالَ تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوْا الصَّلاةَ ﴾ قال ابنُ مَسْعودٍ وابراهيمُ أَخَّرُوْهَا عَنْ وَقْتِها وَقَالَ سَعِيْدُ بنُ المسيبِ : هُوَ أنْ لاَ يُصَلِّي الظُّهرَ حتى يَأْتِيَ العَصْرُ وَلاَ العَصْرَ حَتى تَغْرُبَ الشَّمسُ وَجَاحِدُ الصَّلاةِ مَا يَخلو امَّا أَنْ يَكونَ مِمَّنْ لاَ يَجْهَلُ وُجُوْبَهَا كَمَنْ نَشأَ بِدَارِ الإِسْلام فَهَذَا يَكْفُرُ بِجَحْدِهِ لأَنَهُ مكذبٌ لِلهِ وَلِرَسُولِهِ واجماعِ الأُمَّةِ وَيَصِيْرُ مُرْتَداً

وأمّا أنْ يكُونَ مِمَنْ يَجْهَلُ وُجوبَها كَمَنْ نَشأَ بِبادِيَةٍ وَكَحَدِيثِ عَهْدٍ باسْلامٍ فَهَذا يُعَرَّفُ وُجُوبَهَا فانْ أَصَرَّ عَلى الجَحْدِ كَفَرَ .

فانْ تَرَكَهَا تَهاوُناً وَكَسَــلاً دَعَاهُ امامٌ أَوْ نَائِبُهُ الى فِعْلِهَا فإنْ أَبى حَتى تَضَايَقَ وَقْتُ الّتي بَعْدَها وَجَبَ قَتْلُه وَمُدَّةُ اسْتِتَابةِ الجَاحِدِ لوُجُوبِهَا وَتَارِكِهَا تَهاوُناً وَكَسَلاً ثَلاثَةُ أَيَّامٍ بِلَيَالِيها كَسَائِرِ المُرْتَدينَ ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِمَا وَيُدْعَيانِ كُلَّ وَقْتٍ صلاةٍ اليْهَا فانْ تَابا بِفعْلِهَا مَع إِقْرَارِ الجَاحِدِ لوُجُوبِهَا خُلّيَ سَبِيْلُهُمَا وإلا ضُرِبَتْ عُنُقُهُمَا .

وحيثُ كَفَر فانَّه يُقْتَلُ بَعدَ الاسْتِتَابَةِ ولا يُغَسَّلُ وَلاَ يُصَلَّى عَلَيهِ وَلاَ يُدْفَنُ في مَقَابِرِ المُسلِمينَ وَلاَ يُرقُّ ولا يُسْبَى لَهُ وَلَدٌ وَلاَ أَهْلٌ كَسَائِرِ المُرْتَدِين .

اللهمّ اعْصِمْنَا عَن المَعَاصِي والزَّلّات ووفّقْنَا للعَمَلِ بالبَاقِيَاتِ الصَالِحَاتِ واغفرْ لَنَا وَلِوَالدَينا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمين الأحياءِ مِنْهُم والميّتينَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ وَصَلىٰ اللهُ على محمدٍ وَعَلى آله وَصَحْبِه أَجْمَعِين .

(فصــل)
في الأَدِلَةِ عَلى كفْر تَارِكِ الصَّلاةِ

والدَّلِيْلُ عَلَى كُفْر تَارِكِ الصَّلاةِ قولُه تعالى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوْا الصَّلاةَ وآتَوْا الزَّكَاةَ فإخْوانُكم في الدِّين ﴾ وقَالَ : ﴿ فانْ تَابُوا وأَقامُوا الصَّلاةَ وآتوا الزَّكاةَ فَخَلُّوا سَبِيْلَهُمْ ﴾ ، وقال تَعَالى مُخْبِراً عَنْ أَصْحَابِ الجَحِيْمِ : ﴿ ما سَلَكَكُمْ في سَقَرَ قَالوا لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلّين ﴾ . . الآية .

وعَن جَابِر بنِ عَبْدِ اللّهِ قَالَ : قَالَ رسولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ

وَسلمَ : « بينَ الرَّجُل وَبيْنَ الكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ » . رواه الجماعة الا البُخاريُ والنَسَّائي .

وعن بُرَيْدَةَ قالَ سَمِعتُ رسولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ يقول (العَهْدُ الذي بَيْنَنا وَبيْنَهم الصَّلاةُ فَمَنْ تَركَهَا فَقَدْ كَفَرَ ﴾ . رواه الخَمْسَةُ وفي الحديث الآخر « مَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ مُتعمِّداً فَقدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ وَرَسُولِهِ » رواه أَحْمَدُ باسْنَادٍ عَنْ مَكْحُولٍ وَهو مرسَلٌ جيدٌ .

وعن عَبدِ اللهِ بنِ شَقِيْقٍ قَالَ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ لا يَرَوْنَ شَيئاً مِنَ الأعمالِ تَـرْكُهُ كُفْـرٌ غيرَالصَّـلاةِ رواهُ الترمِذِي .

وعنْ عَبدِ اللهِ بنِ عَمْرو بنِ العَاصِ أنَّه ذَكَر الصَّلاةَ يَوْماً فقالَ : من حَافَظَ عَليهَا كَانَتْ له نُوراً وَبُرْهاناً ونجاةً وَمَنْ لَمْ يُحافظ عَلَيْهَا لَمْ تَكُنْ لَه نُوراً ولا بُرهاناً ولا نجاةً وكانَ يومَ القِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَونَ وهَامَانَوأبي بن خَلَفٍ . رَواهُ أَحْمَدُ وقالَ عُمَرُ لَاحظَّ في الاسْلامِ لمنْ تَرَكَ الصَّلاةَ وقَالَ عَليٌ مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَهُو كَافِرٌ

وقالَ ابنُ حَزْمٍ وقدْ جَاءَ عنْ عُمَرَ وَعَبدِ الرحمَن بن عَوْفٍ ومعاذِ بنِ جَبَلٍ وأبي هُريرةَ وغيرهم مِنَالصحابةِ أن مَن تَرَكَ صَلاةَ فَرْضٍ واحدةٍ متعمِّداً حَتى يَخرجَ وَقتُها فَهُوَ كافِرٌ مُرْتَدٌ .

وَقَالَ الحافظُ عَبْدُ الحق الإشْبيلي في كِتَابهِ ذَهَبَ جُمْلَةٌ مِن الصَّحَابةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ الى تَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلاةِ مُتَعَمِداً لِتَرْكِهَا حَتَّى يخرجَ وَقْتُها مِنْهُم عُمَرُ بنُ الخَطاب ومعاذُ بنُ جَبَلٍ وعبدُ اللهِ بن مَسْعودٍ وابنُ عَبّاسٍ وَجَابِرٌ وأبو الدرداءِ وَكَذلِكَ رويَ عَنْ علي ، وَمِنْ بَعْدِهِمْ أحمدُ بنُ حنبلٍ واسْحَاق وعبدُ اللهِ ابنُ المبارَكِ وابراهيمُ النَّخعي والحَكَمُ بنُ

عيينةَ وأيوبُ السّختيانيُ ، كل هؤلاء ذَهبوا إلى تكْفيرِ تاركِ الصّلاةِ حتى يخرجَ وقتُها .

وحُكيَ عَنْه أنَّهُ قَالَ مَن تركَ الصَّلاةَ متعمداً مِنْ غيرِ علَّةٍ حَتى أَدْخل وَقْتاً في وقتٍ فهُو كافرٌ .

اللهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِعبَادِكَ الأَخيار وَانْظُمْنَا في سِلْكِ المُقَرَّبِيْنَ والأَبْرَار وآتِنا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذَابَ النَّار وَاغْفرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ولِجَمِيعِ المُسْلِمينَ برَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وصَلى اللَّهُ عَلى مُحمدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبه أَجْمَعِينَ .

(٨) موعظـــة

أيُهَا النَّاس إنَّ سُبُلَ العَافِيَةِ مُندَرِسَةٌ لقلةِ سُلاَّكِهَا وإنَّ عللَ القُلوبِ القَاسِيةِ مؤذنةٌ بِهلاكِهَا وإنَّ رُسُلَ المَنُونِ قانِصَةٌ لا تُفْلِتُ أَحداً من شِبَاكِهَا فمَا للعيونِ ناظرةٌ ولا تُبصِرُ وَمَا للقلوبِ قاسيةٌ ولا تُفكِّرُ وَمَا للعقولِ طَائِشَةٌ لاهِيَةٌ بِجَمْعِ الدُّنْيَا ولا تَشْعُرُ ، وَمَا لِلنفُوسِ قَاسِيَةٌ وَلاَ تَذكرُ أَغرَّهَا إنْظارُها وإمْهَالُهَا أَمْ بَشّر بالنجَاةِ صالحُ أَعْمَالِهَا أَمْ لَمْ يَتَحققْ عِندَهَا مَنَ الدّنيا زوالها .

شِعْرًا: أَمَدُ الحَياةِ كَمَا عِلِمْتَ قَصِيْرُ — وعَلَيْكَ نَقَّادٌ بِهَا وبَصِيْـــرُ
عَجَباً لِمُغْتَرٍّ بِدَارِ فَنَـــائِهِ — ولَهُ إلى دَار البَقَاءِ مَصِيْـــرُ

آخر: وَلَسْتُ أرى السَّعَادَةَ جَمْعَ مَالٍ — ولكِـــن التقـــيَّ هُو السَّعِيْـــدُ
وتَقوى الله خَيْرُ الزَّادِ ذُخْـراً — وعِنـــد الله للأتقـــى مَزِيْـــدُ
وَمَـــا لابُدَّ أَنْ يَأتِـــي قَرِيْبٌ — ولكِنَّ الـــذي يَمْضِيْ بَعِيْـــدُ

آخر: هَوِّنْ عليكَ فما الدُّنْيَا بِدَائِمَـةٍ — وإنَّمَا أَنْتَ مِثلُ النَّاسِ مَغْرُورُ
وَلَوْ تَصَوَّرَ أَهْلُ الدَّهْرِ صُوْرَتَهُ — لَمْ يُمْسِ مِنْهُمْ لَبِيبٌ وَهُوَ مَسْرُورُ

تاللهِ لَقَدْ شَمِلَتْ القُلُوبُ الغفلةُ فاسْتَحْكَم عَلى القُلُوبِ أَقْفَالُها ، فَكأنْ قَدْ كَشَفَ الموتُ لأَهْلِ الغَفْلَةِ قِناعَهُ وأَطْلَقَ عَلى صِحَاحِ الأَجْسَام

أَوْجَاعَهُ وَحَقَّقَ بِكلِ الأنَامِ إِيقَاعَهُ وَلَمْ يَمْلِكْ أَحَدُ من الخَلْقِ دِفَاعَهُ فَخفقَ من المنزولِ به فُؤادُهُ وَرَحِمَهُ أَعداؤُهُ وَحُسَّادُه وَقَرُبَ عَنْ أَهْلِهِ وَوطَنِهِ بِعَادُهُ والتَحقَ بِذُلِّ اليُتْم أوْلادُه فيالَهُ من وَاقِعٍ في كُرَبِ الحَشارِجِ الى أنْ أُدْرِجَ في تِلْكَ المَدَارِج وَقَدِمَ عَلى اللهِ ذِي المَعَارِج في مَنْزِلَ لا يَبْرَحُ مِنه مَنْ نَزَلَهُ حَتّى يَلْحَقَ آخِرُ الخلقِ أوَّلَهُ فانتَبِهُوا رَحِمَكُم اللهُ قَبلَ أَنْ يَصلَكُمْ الدَّوْرُ واستدْركوا مَا فَاتَكمْ ومَا قَصَّرْتمْ بِهِ مِن الأعْمَالِ الصَّالِحَةِ عَلى الفَوْرِ . أَفَيَظُنُّ ظَانٌّ أَنَّ اللّٰهَ خَلَقَ الخَلْقَ لِيُهْمِلَهُ .

كَلاّ وَاللّٰهِ لَيَبْعَثَنَّ الخَلْقَ بَعْدَ مَا أَمَاتَه وَلَيَسْألَنَّ عَنِ الرَّسُولِ وَمْن أَرْسَلَه وَلَيُوَفِينَّ كلَّ عَامِلٍ مَا عَمِلهُ .

اللَّهُمَّ يا مَنْ لا تَضرُّهُ المعصيةُ ولا تنفعُهُ الطاعةَ أيقظْنَا مِنْ نَومِ الغفلةِ وَنَبِّهْنا لاغتِنَامِ أوقاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا واعْصِمنْا من قبائِحِنَا ولا تؤاخِذْنَا بما انْطَوَتْ عليهِ ضَمائِرُنا واكَنَّتْهُ سَرائِرُنا مِنْ أنواعِ القَبَائِحِ والمعائِبِ التي تَعْلَمُها مِنا ، وامنُنْ علينا يا مولانا بتوبةٍ تمحو بها عنا كُلَّ ذَنْبٍ وااغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

تَبَيَّنَ ثَغْرُ الفَجْرِ لَمَّا تبَسَّمَا ... فسُبْحَانَ مَنْ في الذِّكْرِ بالْفَجْرِ أَقْسَمَا
فَضَلَّ عَلَى المَبْعُوثِ لِلْخلْقِ رَحْمَةً ... عَسَى شَمَلَتْنَا أَوْ لَعَلَّ وَرُبَّمَا
كَمَا شَمَلَتْ آلَ الرسُولِ وَصَحْبِهِ ... فأَكْرِمْ بهِمْ آلاً وَصَحْباً وأَعظِمَا
أَتَى بِالهُدَى نُوراً أَلَيْنَا وَنِعْمَةً ... وقَدْ كَانَ وَجهُ الكَوْنِ بِالشِّرْكِ مُظْلِمَا
فَجَلَّى بِأَنْوارِ الهُدَى كُلَّ ظُلْمَةٍ ... وأَطْلَعَ في الأفَاقِ لِلدِّيْنِ أَنْجُمَا
أَتَى بِكِتَابٍ أَعْجَزَ الخَلْقَ لَفْظُهُ ... فكُلُّ بَلِيْغٍ عُذْرُهُ صارَ أَبْكَمَا
تَحَدَّى به أَهلَ البَلاغَةِ كُلَّهُمْ ... فلمْ يَفْتَحُوا فِيمَا يُعَارِضُهُ فَمَا
حَوَىَ كُلَّ بُرْهَانٍ عَلَى كُلِ مَطْلَبٍ ... وَيَعْرِفُ هَذا كُلُّ مَنْ كَانَ أَفْهَمَا

وأَخْبَرَ فِيهِ عَنْ عَوَاقِبِ مَن عَصَى بأَنَّ لَهُ بَعْدَ المَمَاتِ جَهَنَّمَا
وعَنْ مَنْ أَطَاعَ اللهَ أَنَّ لَهُ غداً نَعِيماً بِهِ مَا تَشْتَهِي النَّفْسُ كُلَّمَا
مُحَمَّدٌ الْمَبْعُوْثُ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً فَصَلِّ عليهِ مَا حَيِيْتَ مُسَلِّمَا
وأَسْرَى به نَحْوَ السَّمَواتِ رَبُّه وَأَرْكَبَهُ ظَهْرَ البُرَاقِ وأَكْرَمَا
وَقَدْ فُتِحَتْ أَبْوابُهَا لِصُعُوْدِهِ فَمَازَالَ يَرْقَى مِن سَمَاءٍ اِلَى سَمَا
وَلَاقَى بِهَا قَوْماً مِن الرُّسْلِ كُلُّهُمْ يَقُولُ لَهُ يَامَرْحَباً حِيْنَ سَلَّمَا
وَكَانَ بِهِ فَرْضُ الصَّلَاةِ وَحَبَّذَا تَرَدُّدُهُ بَيْنَ الكَلِيْمِ مُكَلِّمَا
وَصَيَّرَهَا مِنْ بَعْدِ خَمْسِينَ خَمْسَةً فُرُوْضاً وَأَمْرُ اللهِ قَدْ كَانَ مُبْرَمَا
وعَادَ إِلَى بَيْتِ أُمِّ هَانِىءَ مُخْبِراً لَهَا بالَّذِيْ قَدْ كَانَ مِنْهُ وَمُعْلِمَا
فَخَافَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُكَذِّبَهُ الْمَلَا وَيَزْدَادُ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ عَمَى
فَجَاءَ إِلَى البيتِ العَتِيقِ فَأَخْبَرَ الْـ ـعِبادَ فَمِنْهُمْ مَنْ بِتَكْذِيْبِهِ رَمَى
وَكَان بِهِ الصِّدِّيقُ خَيرَ مُصدِّقٍ فَصَدَّقَ خَيْرَ الرُسْلِ فِي خَبَرِ السَّمَا
مُحَمَّداً المَبْعُوثَ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً فَصَلِّ عليهِ ما حَيِيتَ مُسَلِّمَا
وَقُمْ حَامِداً لِلَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ تَجِدْ حَمْدَهُ فِي يَوْمِ حَشْرِكَ مَغْنَمَا
وَصَلِّ عَلَى المَبْعوثِ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً مَحمَّدٍ المُخْتَارِ والْآلِ كُلَّمَا
سَرَى البَرْقُ مِنْ أَرْجَاءِ مَكَّةَ أَوْ سَرَى نَسِيْمٌ على زَهْرِ الرُّبَى مُتَبَسِّمَا
وَرَضِّيْ عَلَى الأَصْحَابِ أَصْحَابِ أَحْمَدٍ وَكُنْ لَهُمُ فِي كُلِّ حَيْنٍ مُعَظِّمَا

اللَّهُمّ انظِمْنَا في سِلْكِ عِبادِكَ المخلصينَ ووفِّقْنَا للقِيَامِ بأَرْكانِ دينكَ القَويمِ وَنَجنا مِن لَفَحاتِ الجَحِيْمِ وأَسْكِنَّا في جَناتِ النَّعيم واغفرْ لَنا ولِوالدِيْنَا ولِجَميع المُسْلمين الأَحْيَاءِ منهم والميتين بِرَحْمَتِك يا أَرْحَمَ الراحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعلى آله وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

إذا فَهِمْتَ ما تَقَدَّمَ مِنْ مَحَاسِنِ الصَّلاةِ وحِكَمِهَا وَحُكْمُ تأْخِيرِهَا

وَتَرْكِهَا فاعْلَمْ أَنَّ النَاسَ في الصَّلاةِ على مَراتِبَ خَمْسٍ ذكرها الامام المحقق ابن القيم رحمه الله فقال :

أَحدُهَا مَرْتبةُ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ المفَرِّطِ وهُوَ الذي انْتَقَصَ مِنْ وُضوئِها وَمواقِيْتِهَا وَحُدُودِها وأَرْكَانِها .

الثاني : مَنْ يُحَافِظُ على مَواقِيْتِها وَحُدودِهَا وأَرْكَانِهَا الظاهرةِ وَوُضوئِهالَكِنْ قَدْ ضَيَّعَ مُجاهَدَةَ نَفْسِهِ في الوَسْوَسَةِ فَذَهَبَ مَعَ الوَسَاوِسِ والأَفْكارِ .

الثالثُ : مَنْ حَافَظَ عَلى حُدُودِهَا وأَرْكَانِهَا وَجَاهَدَ نَفْسَهُ في دَفْعِ الوَسَاوسِ والأَفْكار فَهُوَ مَشغولٌ بِمُجَاهَدَةِ عَدُوِّهِ لِئَلَّا يَسْرِقَ صَلاَتَه فَهُوَ في صَلاَةٍ وَجِهَادٍ .

والرَّابعُ : مَنْ اذا قَامَ إلى الصَّلاةِ أَكْمَلَ حُقُوقَهَا وأَرْكانَهَا وَحُدُوْدَها واسْتَغرقَ قَلْبُه مُراعاةَ حُدُوْدِهَا وَحُقوقِهَا لِئَلاّ يَضِيعَ شَيءٌ مِنْهَا بَلْ هَمُّهُ كلّه مَصْرُوْفٌ إلى إقامَتِهَا كما يَنْبَغِي إكْمَالُها وإتْمَامُها قَدْ اسْتغْرقَ قلبُه شأْنَ الصلاةِ عُبُودِيَّةُ ربهِ تَبَارَكَ وَتَعالى فِيهَا .

الخامِسُ : مَنْ اذا قَامَ إلى الصَّلاةِ قَامَ اليْهَا كَذَلِكَ ولَكِنْ مَعَ هَذَا قَدْ أَخَذَ قَلْبَه وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَديْ رَبِهِ عَزَّ وَجَلَّ نَاظِراً بِقَلْبِهِ إليْهِ مُراقباً لَهُ مُمْتَلِئاً مِن مَحَبَّتِه وَعَظَمَتِهِ كأَنَّهُ يَراهُ وَيُشَاهِدهُ ، وَقَدْ اضْمَحَلَّتْ تِلكَ الوَسَاوِسُ والخَطَرَاتُ وارْتَفَعَتْ حُجُبُهَا بَيْنَهُ وَبينَ رَبِّهِ فَهَذا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ في الصَّلاةِ أَفْضَلُ وأَعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ وَهَذا في صَلاتِه مشغولٌ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَرِيرُ العين .

فَالقِسْمُ الأَوّلُ مُعَاقَبٌ والثاني مُحَاسَبٌ والثَّالثُ مُكَفَّرٌ عَنْهُ والرابعُ

مُثَابٌ والخَامِسُ مُقرَّبٌ مِن رَبّهِ لأنَّ لهُ نَصِيباً مِمَّنْ جُعلَتْ قُرّةُ عينهِ في الصَّلاةِ فَمَنْ قَرَّتْ عَيْنِهِ بِصَلاتِهِ في الدُّنْيَا قَرَّتْ عَيْنُهُ بِقُرْبِهِ من رَبّهِ عَزَّ وَجلَّ في الآخِرَةِ وَقَرَّتْ عَيْنُه بِهِ في الدُّنْيَا وَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُه باللهِ قَرَّتْ بهِكلُّ عَيْنٍ وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عينُه باللهِ تَعالَى تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلى الدُّنْيَا حَسَرَات .

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ العَبْدَ اذا قَامَ يُصَلِّي قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « ارْفَعُوا الحُجُبَ فإذا الْتفَتَ قَالَ أَرْخُوهَا وَقَدْ فُسِّرَ هَذا الالْتِفَاتُ بالْتِفَاتِ القَلْبِ عَن اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ إلى غَيْرِهِ فَإذَا الْتَفَتَ إلى غَيْرِهِ أُرْخِيَ الحِجَابُ بَيْنَه وَبَيْنَ العَبدِ فَدَخَلَ الشيطانُ وَعَرَضَ عَلَيْهِ أُمُور الدُّنْيَا وأَرَاهُ إيَّاهَا في صُورَةِ المرْآةِ واذَا أَقْبَل عَلى اللّهِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ لَمْ يَقْدِرْ الشَّيْطَان على أَنْ يَتَوسَّطَ بَيْنَ اللّهِ تَعالى وَبَيْنَ ذَلك القَلْبِ وانَّمَا يَدْخلُ الشَّيْطَانُ اذا وَقَعَ الحِجَابُ فإن فَرَّ إلى اللهِ تَعَالى وأَحْضَرَ قَلْبَه فَرَّ الشَّيْطانُ فإنْ التَفَت حَضَرَ الشَّيْطَانُ فَهُوَ هكذا شَأْنُه وَشَأْنُ عَدُوّهِ في الصَّلاةِ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ في قُلوبِنَا نُوراً نَهْتَدي بِهِ إلَيْكَ وَتَوَلَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتّى نَتَوَكلَ عَلَيكَ وارْزُقْنَا حَلاوَةَ التَّذلِل بينَ يَدَيكَ فَالعزِيزُ مَنْ لَاذَ بعزِّ ك والسَّعيدُ مَن الْتَجأَ إلى حِمَاكَ وَجُوْدِكَ والذليلُ مَنْ لَمْ تُؤَيِّدْهُ بعنايَتِكَ والشَّقِيُ مَن رَضِيَ بالإعْرَاضِ عنْ طَاعَتِكَ . اللّهُمَّ نَزِّهْ قُلوْبَنَا عنْ التَّعَلق بِمَنْ دُونَك واجْعَلْنَا مِنْ قوم تَحبُّهُمْ ويُحِبُونَكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ. اللَّهُمَّ اسْلك بِنَا مَسْلَكَ الصَّادِقِينَ الأبْرَارْ ، وَالْحِقْنَا بعبَادِك الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيارِ ، وَآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارْ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(فَصْــلٌ)

وَقَالَ رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالى عَلى قَوْلِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ في الحَدِيثِ وآمُرُكُمْ بالصَّلاةِ فَلاَ تَلْتَفِتُوا فإنَّ اللّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ في صَلاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ .

الالْتِفَاتُ المَنْهِيُّ عَنْهُ في الصَّلاة قِسْمَان :

أَحَدُهُمَا التِفَاتُ القَلْبِ عن اللّه عَزَّ وَجَلَّ إلى غَيْرِ اللّهِ تَعَالَى .

والثَّانِي : التفاتُ البَصَرِ وكِلاهُمَا مَنهِيٌّ عَنْهُ ولا يَزَالُ اللَّهُ مُقْبِلاً عَلَى عَبْدِهِ مَا دَامَ العَبْدُ مُقبِلاً على صَلاتِهِ فاذَا التَفَتَ بِقَلْبِهِ أَوْ بَصَرِهِ أَعْرَضَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ التِفَاتِ الرَّجُلِ في صَلاَتِهِ فَقَالَ اخْتِلاَسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاةِ العَبْدِ .

وفي أَثَرٍ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى إلى خَيْرٍ مِنِّي ومِثَالُ مَنْ يَلْتَفتُ في صَلاتِهِ بِبَصَرِهِ أَوْ بِقَلْبِهِ مَثَلُ رَجُلٍ قَدْ اسْتَدْعَاهُ السُّلْطَانُ فأَوقَفَهُ بَيْنَ يَدَيهِ وأَقْبَلَ يُنَادِيْهِ وَيُخَاطِبُهُ وَهُوَ في خِلاَلَ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ عَنْ السُّلطَانِ يَمِيْنًا وَشِمَالاً وَقَدْ انصَرَفَ قَلبُهُ عن السُّلطانِ فَلاَ يَفْهَمُ مَا يُخَاطِبُهُ بِهِ لأَنَ قَلْبَهُ لَيْسَ حاضِراً مَعَهُ فَمَا ظَنُّ هَذَا الرَّجلِ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ السُّلْطَانُ أَفَلَيْسَ أَقَلُّ المَرَاتِبِ في حَقِّهِ أَنْ يَنْصَرِفَ مِنْ بَينَ يَدَيْهِ مَمْقوتاً مُبْعداً قَدْ سَقَطَ مِنْ عَيْنَيْهِ .

فَهَذا المُصَلِّي لاَ يَسْتَوِي والحَاضِرُ القَلْبِ المُقْبِلُ عَلَى اللّهِ تَعَالى في صَلاَتِهِ الذي قَدْ أَشْعَرَ قَلْبَهُ عَظَمَةَ اللهِ الذي هُوَ واقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فامْتَلأَ قَلْبُهُ مِنْ هَيْبَتِهِ وَذَلَّتْ عُنُقُهُ لَهُ واسْتَحَى مِنْ رَبِّهِ تَعَالى أَنْ يُقْبِلَ على غَيرهِ أَوْ يَلْتَفِتَ عَنْهُ .

وَبَيْنَ صَلاتَيْهِمَا كَمَا قَالَ حَسَّانُ بنُ عَطِيَّةَ : إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيَكُوْنَانِ في الصَّلاَةِ الوَاحِدَةِ وإِنَّ مَا بَيْنَهُمَا في الفَضْلِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمَا مُقْبِلٌ بِقَلْبِهِ عَلى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ والآخَرُ سَاهٍ غَافِلٌ فإذا أَقْبَلَ العَبْدُ عَلَى مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ وَبَيْنَهُ وَبَينَهُ حِجَابٌ لَمْ يَكُنْ إِقْبَالاً ولا تَقْرِيْباً فَمَا الظَنُّ بالخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ وإذا أَقْبَلَ عَلى الخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَهُ وَبينهُ حِجَابُ الشَّهَوَاتِ والوَسَاوِسِ ، والنَّفْسُ مَشْغُوفَةٌ بِهَا مَلأى مِنْهَا فَكَيْفَ يَكُوْنُ ذلكَ

اقْبَالاً ، وَقَدْ أَلْهَتْهُ الوَسَاوِسُ والأَفْكارُ وَذَهَبَتْ بِهِ كلَّ مَذْهَبٍ بِهَا .

قِصَّةٌ تُنَاسِبُ المَوْضُوعَ أَلْقِ لها سَمْعَكَ وحَضِّرْ قَلْبَكَ ، قِيْلَ إنَّ السَّفَاحَ كَانَ يُحَدِّثُ أَبا بَكْرٍ الهُذَلِيْ يَوْماً ، فَعَصَفَتْ رِيْحٌ فأَسْقَطَتْ طَشْتاً مِن السَّطْحِ على المجْلِسِ ، فارْتَاعَ الحَاضِرُوْنَ وَلم يَتَحرَّكِ الهُذَلِيُّ ، ولم تَزَلْ عَيْنُه مُطَابِقَةً لِعَيْنِ السَّفاحِ ، ولم يَلْتَفِتْ فقال السَّفاحُ : مَا أَعْجَبَ شَأْنَكَ ياهُذَلي ، أيْ لمْ تَرْتَاعْ ولَمْ تَلْتَفِتْ . فقال : إنَّ اللهَ تَعَالى يقول ﴿**مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ وأنا لِي قَلْبٌ وَاحِدٌ فَلَمَّا شُغِلَ بِمُحَادَثَةِ أَمِيرِ المُؤمِنِيْن لَمْ يكن فيه لِمُحَادَثَةِ غَيرِهِ مَجَال فلو انْقَلَبَتِ الخَضْراءُ على الغَبْراء ما حَسَسْتُ بهَا ولا وَجَّهْتُ لها قَلْبِيْ ، فقال السَّفَاحُ : لِئِنْ بَقِيْتُ لأَرفَعَنَّ مَكَانَكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمَالٍ جَزِيْلٍ وصِلةً كَبِيْرة ، فانْظُر باللهِ عَلَيْكَ واعْتَبِرْ في اسْتغْرِاقِ قَلْبِ الهُذَلِيْ وانْغِمَّارِهُ بمُحَادَثةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ ، وَزِنْ حَالَهُ بِحَالِكَ في قُوْفِكَ في الصلاة بَيْنَ يَدَيْ اللهِ عز وجل ، وقد أَقْبَلَ عَليكَ بِوَجْهِهِ الكَرِيمِ ورَفَعَ مِن بَيْنِكَ وبَيْنِهِ الحُجُب ، فهل تجِدُ قَلْبَكَ إذا دَخَلْتَ في الصَلاة حَاضِراً ومُنْغَمِراً ومُسْتَغْرِقاً في تَعظِيمِ اللهِ الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البَصِيْر .

اللَّهُمَّ اغْمُرْ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ وشُكْرِكَ . وَوَفِّقْنَا لاِمتِثَال أَمْرِكَ وأَمِّنَا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ واجْعَلْنَا مِن أَوْلِيَائِكَ المُتَّقِيْنَ وَحِزْبِكَ المفلحِيْنَ واغْفِرْ لَنَا وَمَتّعْنا بالنَّظَرِ إلى وَجْهِكَ الكريم في جَنَّاتِ النَّعيمْ مَعَ الذين انعَمْت عليهم من النبييـنَ والصّدّيقينَ والشُّهَدَاءِ والصَّالحين ، واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(**فَصْلٌ**) : وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ : والعَبْدُ إذَا قَامَ في الصَّلَاةِ غَارَ الشَّيْطَانُ مِنْه فإنهُ قَدْ قَـامَ في أَعْظَمِ مقامٍ وأَقْرَبِهِ وأَغْيَظِهِ للشَّيْطَانِ وأَشَدِّهِ عَلَيْهِ . فَهُوَ يَحْرِصُ وَيجتَهِدُ كُلَّ الاجْتِهَادَاتِ أَنْ لا يُقِيْمَه فيه ، بَلْ لَا يَزَالُ بِهِ يَعِدُهُ

وَيُمَنِّيهِ وَيُنْسِيْهِ وَيَجلِبُ عَلَيْهِ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ حَتَّى يُهَوِّنَ عَلَيْهِ شَأْنَ الصَّلاةِ فَيتَهَاوَنُ بِهَا فَيَتْرُكُها . فانْ عَجزَ عَنْ ذَلِكَ مِنْهُ وَعَصَاهُ العَبْدُ وَقَامَ في ذَلكَ المَقَامِ أَقْبَل عَدُوُّ اللهِ حَتَّى يَخْطُر بَيْنَه وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَيَحُولَ بَيْنَه وَبَيْنَ قَلْبِهِ فَيُذَكِّرَه في الصَّلاةِ مَا لَمْ يَذكُرْ قَبْلَ دُخُولِهِ فِيْهَا حَتَّى رُبَّمَا كانَ قَدْ نَسِيَ الشَّيْءَ والحَاجَةَ وأَيِسَ مِنْهَا ، فَيُذْكِرَهُ إِيَّاهَا في الصَّلاَةِ لِيَشْغَلَ قَلْبَهُ بِهَا ، وَيَأْخُذَه عَن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيَقُومُ فِيْهَا بلا قَلْب فَلا يَنَالُ مِنَ إقبالِ اللهِ تعالَى عَلَيْهِ وكَرَامَتِهِ وقُربِهِ مَا يَنَالُه المقبلُ عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ الحاضِرُ القَلْب في صَلاَتِهِ فَيَنْصَرِفُ مِنْ صَلاَتِهِ مِثلَ مَا دَخَلَ فِيْهَا بِخَطَايَاهُ وَذُنُوبِهِ وأَثْقَالِهِ لَم تَخُفَّ عَنْهُ بالصَّلاةِ .

فالصَّلاةُ انَّمَا تُكَفِّرُ سَيئاتِ مَنْ أَدَّى حَقَّهَا وأَكْمَلَ خُشوعَهَا ، وَوَقَفَ بينَ يَدي اللهِ تَعالى بِقَلْبِهِ وَقَالَبِهِ ، فَهَذَا اذَا انْصَرَفَ منْهَا وَجَدَ خِفَّةً في نَفْسِهِ ، وأَحسَّ باثقَالٍ وُضِعَتْ عَنْهُ ، فَوَجَدَ نَشَاطاً وَراحَةً وَروحاً حَتَّى أَنَّهُ يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا لأَنَّها قُرَّةُ عَينِهِ وَنَعِيْمُ رُوحِهِ وَجَنَّةُ قَلْبِهِ وَمُسْتَرَاحُه في الدُّنْيَا فَلاَ يَزَالُ كَأَنَّه في سِجْنٍ وَضِيْقٍ حَتَّى يَدْخلَ فِيْهَا فَيَسْتَرِيْحُ بِها لا مِنْهَا .

اَلمُحِبُّونَ يَقولُونَ : نُصَلِّي فَنَسْتَريحُ بِصَلاتِنَا كَمَا قَالَ إمَامُهم وَقُدْوَتُهم وَنَبِيُّهُمْ صَلى اللهُ علَيهِ وسلمَ يَا بِلالُ أَرِحْنَا بالصَّلاةِ وَلَمْ يَقُلْ أَرِحْنَا مِنْهَا .

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاةِ فَمَن جُعِلَتْ قُرةُ عَيْنِهِ في الصَّلاةِ كَيْفَ تَقرُّ عَيْنُه بِدونِهَا وَكَيْفَ يُطِيْقُ الصَّبْرَ عَنْهَا فَصَلاةُ هَذا الحاضِرِ بِقَلْبِهِ الذي قُرَّةُ عَيْنِهِ في الصلاةِ هِيَ الَّتِي تَصْعَدُ وَلَها نُورٌ وَبُرْهَانٌ حَتَّى يُسْتَقْبَلَ بِهَا الرَّحْمَنُ فَتَقُولُ حَفِظَكَ اللهُ تَعالى كَمَا حَفِظْتَنِي وأَمَّا صَلاَةُ المُفرِّطِ المُضَيِّعِ لِحُقُوقِهَا وَحُدُودِهَا وَخُشُوعِهَا فإِنَّهَا

تُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الخَلِقُ وَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِها وَتَقُوْلُ ضَيَّعَكَ اللّهُ كَمَا ضَيَّعْتَني .

وَقَدْ رُوِيَ في حَدِيْثٍ مَرْفُوعٍ عَنْ ابن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَرْفَعُهُ أَنَّهُ قَال : مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يتِمُّ الوُضُوْءَ إلى أَمَاكِنِهِ ثُمَّ يَقُوْمُ إلى الصَّلاَةِ في وَقْتِهَا فَيُؤَدِّيْهَا لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَنْقُصْ مِنْ وَقْتِهَا وَرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَاوَمَعالِمِهَا شَيْئاً إلا رُفِعَتْ لَهُ إلى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَيْضَاءَ مُسْفِرةً يسْتَضِيءُ بِنُوْرِهَا مَا بَيْنَ الخَافِقيْن حَتّى يَنْتَهِي بها إلى الرَّحْمن عزوَجَلَّ .

وَمَنْ قَامَ إلى الصَّلاةِ فَلَمْ يُكْمِلْ وُضُوْءَهَا وأَخَّرَهَا عَنْ وَقتِهَا وَاسْتَرَقَ رُكُوْعَهَا وَسُجُوْدَهَا وَمَعَالِمِهَا رُفِعَتْ عَنْهُ سَوْداءَ مُظْلِمَةً ثُمَّ لا تُجَاوِزُ شَعَرَ رَأْسِهِ تَقُولُ ضَيَّعَكَ اللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي ولِلّهِ دَرُّ اسْماعِيْلَ المُقْرِي رَحِمَهُ اللّهُ حَيْثُ قَالَ :

تُصَلِّي بِلاَ قَلْبٍ صَلاَةً بِمِثْلِهَا
يَكُونُ الفَتَى مُسْتَوجِباً لِلْعُقُوبَةِ

تَظَلُّ وَقَدْ أَتْمَمْتَهَا غَيْرَ عَالِمٍ
تَزِيْدُ إحْتِيَاطاً رَكعةً بَعْدَ رَكْعَةِ

فَوَيْلَكَ تَدْرِي مَنْ تُنَاجِيْهِ مُعْرِضاً
وَبَيْنَ يَدَيْ مَنْ تَنْحَى غَيرَ مُخْبِتِ

تَخَاطِبُهُ إيَّاكَ نَعْبُدُ مُقْبِلاً
عَلَى غَيْرِهِ فِيْهَا لِغَيْرِ ضَرُورَةِ

وَلَوْ رَدَّ مَنْ نَاجَاكَ للغَيْرِ طَرْفَهُ
تَمَيَّزْت مِنْ غَيظٍ عَلَيْهِ وَغَيرةِ

أَمَا تَسْتَحِي مِنْ مَالِكِ الملكِ أَنْ يَرَى
صُدُودَك عَنْهِ يَا قَلِيلَ المُرُؤةِ

إلَهِيْ اهْـدِنا فِيْمَنْ هَـدَيْتَ وَخُـذْ بِنـا
إلى الحَقِّ نَهْجـاً في طَـرِيقِ السَّـوِيَّـةِ

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا في سِلْكِ عِبَادِكَ المُفْلِحِينَ واجْعَلْنَا من عِبَادِكَ المُخْلِصِينَ الذينَ لا خَوْفٌ عليهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوالِدَيْنَا. اللَّهُمَّ قَنِّعْنَا مِنْ الدُّنْيَا باليَسِيْرِ وَسَهِّلْ عَلَيْنَا كُلَّ أَمْرٍ عَسِيْرٍ وَوَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٍ وَأَسْكِنَّا دَار كَرَامَتِكَ يَا مَنْ هُوَ مَلْجَؤُنَا وَمَلاذُنَا وإِلَيْهِ المَصِيْرُ وَاجْعَلْ لَنَا مِن كُلِّ هَمٍّ فَرَجَا وَمِن كُلِّ ضِيْقٍ مَخْرَجَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ اخْوَانِنَا المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِـهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(فصـــل)
فـــائدةٌ جليـــلةٌ

قَالَ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في حَادِي الأَرْواحِ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سبحانَهُ لكلِّ مَطْلوبٍ مِفْتَاحاً يُفْتَحُ بِهِ فَجَعَلَ مِفْتَاحَ الصَّلاةِ الطُّهورِ وَمِفْتَاحَ الحَجِّ الإِحْرامُ ومفتاحَ البِرِ الصدقَةُ وَمِفْتَاحَ الجَنةِ التَّوحِيدُ ومِفتاحَ العِلم حُسْنُ السؤَالِ وَحُسْنَ الاصْغَاءِ وَمفتاحَ النَّصْرِ والظَفرِ الصَّبْرُ وَمفتاحَ المزيـدِ الشُّكْرُ وَمِفْتَاحَ الوِلاَيَةِ المَحَبَّةُ وَمِفْتَاحَ الرغْبَةِ في الآخِرةِ الزُّهْدَ في الدُّنيا.

ومفتاحَ الإيمانِ التفكرُ فيمَا دَعا اللَّهُ عِبَادَهُ الى التَّفَكُر فيهِ وَمِفْتَاحَ الدُّخولِ عَلى اللهِ اسلامَ القَلْبِ وَسَلاَمَتَهُ لَهُ والاخْلاَصَ لَهُ في الحُبِّ والبُغْضِ لَهُ والفعلَ والتَّرْكَ ومفتاحَ حياةِ القَلْبِ تدبَرَ القُرْآنِ والتَضَرُّعِ بالأَسْحَارِ وَتَرْكَ الذنوبِ وَمفتاحَ حُصُولِ الرحْمَةِ الاحسانُ في عِبادَةِ الخَالِقِ والسَّعْىَ في نَفْعِ عَبِيْدِهِ وَمِفْتَاحَ الرِّزْقِ السَّعيُ مَعَ الاسْتغفارِ والتَّقْوى وَمِفْتَاحَ العِزِّ طَاعَةُ اللهِ وَمِفْتَاحَ الاسْتعدَادِ للآخِرَةِ قَصْرُ الأَمَلِ وَمِفْتَاحَ كُلِّ

خَيْرٍ الرَّغْبَةُ في اللَّهِ والدَّارَ الآخِرَةَ وَمِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍ حُبُّ الدُّنْيَا وَطُولُ الأَمَلِ .

وَهَذَا بابٌ عظيمٌ مِن أَنْفَعِ أَبْوابِ العِلْمِ وَهُوَ مَعْرِفَةُ مَفَاتِيْحِ الخَيرِ والشَّرِ ولا يُوَفَّقُ لِمَعْرِفَتِهِ وَمُرَاعَاتِهِ إلا مَنْ عَظُمَ حَظُّهُ وَتوفيقه فإنَّ اللهَ سبحانَه وتَعَالى جَعَلَ لِكُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍ مِفْتاحاً وَباباً يُدْخَلُ مِنْه إليهِ كَمَا جَعَلَ الشِّرْكَ والكِبْرَ والإعْرَاضَ عَمَّا بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ والغَفْلَةَ عن ذِكْرِهِ والقِيَامِ بِحَقِهِ مِفْتاحاً لِلنَّارِ وَكَما جَعَلَ الخَمْرَ مِفْتاحَ كُلِّ إثْمٍ وَجَعَلَ الغِنَاءَ مُفْتَاحَ الزِّنَا وَجَعَلَ إطلاقَ النَّظَرِ في الصُّوَرِ مِفْتَاحَ الخَيْبَةِ والحِرْمَانِ وَجَعَلَ المَعَاصِيَ مِفْتَاحَ الكُفْرِ وَجَعَلَ الكَذِبَ مِفْتَاحَ النِّفَاقِ وَجَعَلَ الشُّحَ والحِرْصَ مِفْتَاحَ البُخْلِ وَقَطِيْعَةَ الرَّحِمِ وأَخْذَ المَالِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ وَجَعَلَ الاعْرَاضَ عَما جَاءَ بِهِ الرسولُ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ مِفْتَاحَ كُلِّ بِدْعَةٍ وَضَلَالٍ وَهَذِهِ أُمُورٌ لا يُصَدِّقُ بِهَا إلاَّ كلُّ مَن لَهُ بَصِيْرَةٌ صَحيحةٌ وَعَقْلٌ يَعْرِفُ بِهِ مَا في نَفْسِهِ انتهى .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعالى : عَلاَمَةُ تَعْظِيْمِ الأَوامِرِ والنَّواهِي رِعَايَةُ أَوْقَاتِها وَحُدُودِها والتَّفْتيشُ على أَرْكانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وَكَمَالُهاوالحِرْصُ على تَحَيُّنِها في أَوْقَاتِهَا والمُسَارَعَةُ إليْهَا عِنْدَ وُجُوبِهَا والحُزْنُ والكَآبَةُ والأَسَفُ عِنْدَ فَوَاتِ حَقٍّ مِنْ حُقوقِهَا كَمَنْ يَحْزَنُ على فَوَاتِ الجَمَاعَةِ وَيَعْلَمُ أَنَّهَا لَوْ تُقُبِلَتْ منهُ صلاتُهُ مُنْفَرِداً فإنَّهُ قَدْ فَاتَهُ سَبْعَةٌ وَعِشْرُوْنَ ضِعْفاً .

وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً يُعَانِي البَيْعَ والشِّرَاءَ يَفُوتُهُ في صَفْقَةٍ وَاحِدَةٍ في بَلَدِهِ مِنْ غيرِ سَفَرٍ وَلاَ مَشَقةٍ سَبْعَةٌ وَعِشْرُوْنَ دِينَاراً لأَكلَ يَديهِ نَدَماً وأَسَفاً فكيفَ وَكُلُّ ضِعْفٍ مِمَّا تُضَاعَفُ بِهِ صَلاةُ الجماعَةِ خَيرٌ مِن أَلْفٍ وأَلفِ أَلفٍ وما شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

فإذا فَوَّتَ العَبْدُ على نَفْسِهِ هَذا الربْح ، وَكَثيرٌ مِن العُلَماءِ يَقُولُ لا صَلاةَ لَهُ . وَهُوَ بارِدُ القَلْبِ فارِغٌ مِن هَذِهِ المُصِيْبَةِ غيرُ مُرْتاعٍ لَهَا فَهَذا مِنْ عَدَم تَعْظِيْمِ أَمْرِ اللهِ تَعَالى في قَلْبِهِ وَكَذلكَ إذا فَاته أَوَّلُ الوَقْتِ الذي هو رضوانُ اللهِ تَعَالى ، أَوْ فَاتَه الصَّفُ الذي يُصَلى اللهُ وَملائِكَتُه على مَيامِنِهِ ولَوْ يَعلمُ العَبْدُ فَضِيْلَتَهُ لَجَالَدَ عَليهِ وَلَكانَتْ قُرْعَةً .

وكذلكَ لَو فَوَّتَ الجَمْعَ الكثيرَ الَّذي تُضَاعَفُ الصَّلاةُ بِكَثْرَتِهِ وكُلَّمَا كَثُرَ الجَمْعُ كانَ أَحبَّ إلى اللَّهِ عَزَّ وَجلَّ وَكُلَّمَا بَعُدَتْ الخُطَا كَانَ كُلَ خُطْوَةٍ تَحُطُّ خَطِيئَةً وأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً وَكَذلِكَ لو فَوَّتَ الخُشُوْعَ في الصَّلاةِ وَحُضَورَ القلبِ فيْمَا بَيْنَ يَدَي الرّبِ وَتَعالى الذي هُوَ رُوحُ الصَّلاةِ وَلُبُّهَا فَصَلاةٌ بِلا خُشُوعٍ ولا خُضُوعٍ كَبَدَنٍ مَيِّتٍ لَا رُوْحَ فِيهِ أَفَلَا يَسْتَحِي العبد أَنْ يُهْدِيَ إلى مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ عَبْداً مَيْتاً أَوْ جَارِيَةً مَيْتَةً ، فما ظَنُّ هَذَا العَبْدِ أَنْ تَقَعَ الهِدِيَّةُ مِمَّنْ قَصَدَهُ بِهَا مِن مَلِكٍ او أَمِيرٍ أَوْ غَيرِهِ ، فَهَكَذَا سُوْءُ الصَّلاةِ الخَالِيَةِ مِن الخُشُــوعِ والحُضُورِ وَجَمْعِ الهِمَّةِ عَلى اللهِ تَعَالى فِيها بِمَنْزِلَةِ هَذِهِ الأَمَةِ أَو العَبْدِ المَيِّتِ الذي يُرِيْدُ إِهْدَاءَهُ إلى بَعْضِ المُلُوكِ .

وَلِهَذا لا يَقْبَلُهَا اللهُ تَعالى مِنه وإنْ اسقطتْ الفُرض في احكام الدنيا ولا يُثِيْبُه عَلَيْهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْعَبدِ مِن صَلَاتِهِ إلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا ، كَمَا في السُّنَنِ وَمسندِ الامامِ أحمدَ وَغَيْرِهِ عن النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلم أَنَّهُ قالَ : إن العَبْدَ لَيُصَلِّي الصَلَاةَ وما كتبَ لَهُ إلا نِصْفِها إلا ثُلُثَهَا إلا رُبُعَهَا إلا خُمُسَهَا حَتَّى بَلَغَ عُشْرَهَا . وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ سَائِرَ الأَعْمَالِ تَجْرِيْ هَذا المَجْرَى فَتَفَاضُلُ الأعمالِ عندَ اللهِ تعالى بِتَفاضُلِ ما في القُلُوبِ مِن الإيمانِ والإخلاصِ والمَحبَّةِ وتوابِعِهَا .

وتَفَاضُلِ الأَعْمَالِ يَتْبَعُ مَا يَقُو
مُ بِقَلْبِ صَاحِبِهَا مِن الإِيْمَانِ
حَتَّى يَكُونَ العَامِلاَنِ كِلاَهُمَا
فِي رُتْبَةٍ تَبْدُوْ لَنَا بِعِيَانِ
هَذَا وَبَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَا
وَالأَرْضِ فِي فَضْلٍ وفِي رُجْحَانِ
وَيَكُوْنُ بَيْنَ ثَوَابِ ذَا وَثَوَابِ ذَا
رُتَبٌ مُضَاعَفَةٌ بِلاَ حُسْبَانِ
هَذَا عَطَاءُ الرَّبِ جَلَّ جَلاَلُهُ
وَبِذَاكَ تُعْرَفُ حِكْمَةُ الرَّحْمنِ

فالمَدَارُ على أَعْمَالِ القُلُوبِ فإذا كانَ القَلْبُ حَاضِراً وَمُلْقٍ سَمْعَهُ لِما يَسْمَعْ وَلِمَا يَنْطِقُ هُوَ بِهِ مِن قِرَاءَةٍ وَتَكْبِيْرٍ وَتَسْبِيْحٍ وَقَوْلِ ربي اغفرْ لِيْ وَقول سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ وَمَعاني الفاتِحَةِ والتحياتِ ونحو ذلكَ مِن صَلاَتِهِ وأَمَّا الغافِلُ الذي لا يَتَدَبَّرُ ولا يَتَفَهَّمُ وَيَعْبَثُ ولاَ يَهْتَمُ لَهَا فَهَذا مَحْصُوْلُهُ ضَئِيلٌ جِدَاً أو معدوم .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرفِ المرسلين نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وصحبه أجميعن وَمَن تَبِعَهُم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

شِعْرًا :

لَكَ الحَمْدُ يَا ذَا الجُوْدِ والمَجْدِ والعُلاَ
تَبَارَكْتَ تُعْطِيْ مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
إِلَهِيْ وَخَلاَّقِيْ وَسُؤْلِيْ وَمَوْئِلِيْ
إِلَيْكَ لَدَى الاعْسَارِ والْيُسْرِ أَفْزَعُ

إِلـهِـيْ لَئِـنْ خَـيَّـبْـتَـنِـي وَطَـرَدْتَـنِـيْ
فَمَنْ ذَا الـذِيْ عَمَّـا أُحَـاذِرُ يَنْـفَـعُ
إِلـهِـيْ لَئِـنْ جَلَّتْ وَجَمَّتْ خَـطِيْئَتِيْ
فَـعَفْـوُكَ عَـن ذَنْـبِـيْ أَجَـلُّ وَأَوْسَـعُ
إِلـهِي لَئِـنْ أَعْـطَيْتُ نَـفْسِـي سُؤْلَـهَـا
فَهَـا أنـا في رَوْضِ النَّـدَامَـةِ أَرْتَـعُ
إِلـهِيْ تَـرَى حَـالِيْ وَفَقْـرِيْ وَفَـاقَتِيْ
وأَنْـتَ مُنَـاجَـاتِيْ الخَـفِيَّـةَ تَـسْمَـعُ
إِلـهِيْ فَـلا تَقْـطَعْ رَجَـائِي وَلَا تُـزِغْ
فُؤَادِيْ فَلِي فِي سَيْبِ جُوْدِكَ مَطْمَعُ
إِلـهِيْ أَجِرْنِـيْ مِـنْ عَذَابِـك إِنَّـنـي
أَسِـيْـرٌ ذَلِـيلٌ خائِـفٌ لَـك أخـضَـعُ
إِلـهِيْ فَـآنِـسْـنِـي بِـتَـلْقِـيْـنِ حُـجَّـتِـيْ
إِذا كَـانَ لِيْ في القَبْـرِ مَثْوىً وَمَضْجَـعُ
إِلـهِيْ لَئِـنْ عَـذَّبْـتَـنِـيْ أَلْـفَ حَجَّـةٍ
فَـحَبْـلُ رَجَـائِـيْ مِنْـكَ لا يَـتَقَـطَّعُ
إِلـهِي أَذِقْـنِيْ طَـعْمَ عَـفْـوِكَ يَـوْمَ لَا
بَـنُـوْنَ وَلا مَـالٌ هُـنَـالِـكَ يَـنْـفَـعُ
إِلـهِيْ لَئِـنْ لَم تَـرْعَنِيْ كُنْتُ ضَـائِعـاً
وإِنْ كُنْتَ تَـرْعَـانِـي فَلَسْـتُ أُضَيَّـعُ
إِلـهِيْ إِذَا لَمْ تَعْفُ عَن غَيْـرِ مُحْسِنٍ
فَـمَنْ لِـمُـسِـيءٍ بِـالْـهَـوَى يَـتَـمَـتَّـعُ
إِلـهِيْ لَئِنْ قَصَّـرْتُ فـي طَلَبِ الـتُّقَـى

فَلَسْتُ سِوَى أبْوَابِ فَضْلِكَ أَقْرَعُ

إلهِيْ اقِلْنِيْ عَثْرَتِيْ وَامْحُ زَلَّتِيْ
فَإنِّيْ مُقِرٌ خَائِفٌ مُتَضَرِّعُ

إلهِيْ لَئِنْ خَيَّبْتَنِي وَطَرَدْتَنِيْ
فَمَا حِيْلَتِيْ يَا رَبُّ أَمْ كَيْفَ أَصْنَعُ

إلهِيْ حلِيْفُ الحُبِّ بِاللَّيْلِ سَاهِرٌ
يُنَاجِيْ وَيَبْكِيْ والغَفُولُ يُهَجِّعُ

إلهِيْ لَئِنْ تَعْفُو فَعَفْوُكَ مُنْقِذِيْ
وإنِيْ يَا رَبَّ الوَرَى لَكَ أَخْضَعُ

اللَّهُمَّ يا مَنْ لا تَضُرُّهُ المعصيةَ ولا تنفعُهُ الطاعَة أيقظْنَا مِنْ نَوْمِ الغَفْلَةِ وَنَبِّهْنا لاغتِنَامِ أوقاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا واعْصِمْنا من قبائِحِنَا ولا تؤاخِذْنا بما انْطَوَتْ عليهِ ضَمائِرُنا وأكَنَّتْهُ سَرائِرُنا مِنْ أنواعِ القَبَائِحِ وَالمعائِبِ التي تَعْلَمُها مِنا، وأمنُنْ علينا يا مولانا بتَوْبَةٍ تمحو بها عنا كلَ ذَنْبٍ.

اللهم ارْحَمْ عِبَاداً غَرَّهُمْ طُوْلُ إمْهَالِكَ وأَطْمَعَهُمْ دَوَامُ إفْضَالِكَ وَمَدُّوْا أَيْدِيَهُمْ إلى كَرَمِ نَوَالِكَ وَتَيَقَنُوا أنَّ لا غِنَى لَهُم عَن سُؤَآلِكَ وَجُدْ عَلَيْنَا وَعَليهِمْ بِرَحْمَتِكَ الوَاسِعَةِ واغفر لنا وَلَهُم وَلِجَمِيْعِ المسلمينَ يا ربَّ العالمِينَ وصلى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجْمعين.

(٩) موعظـــة

عِبَادَ اللهِ تَغَيَّرَ الناسُ في أحْوَالِهِم الدِّيْنِيَّةِ تَغَيُّراً يُدْهِشُ الناظِرِيْنَ في زَمَنٍ قَلِيْلٍ، هَذِهِ الصَّلاةِ التي هِي آكَدُ أركَانِ الإسلام بَعْدَ الشهادَتَينِ وهِيَ عَمُودُ الإسلامِ قَدْ أعْرَضَ عنها الكثيرُ مِن الناسِ غَيْرَ مُبالِينَ بِذَلِكَ جَهِلُوا مَا هِيَ الصَّلاةَ وأيُ قِيْمَةٍ قِيْمَتُهَا وَمَا مَنْزِلَتُهَا بَيْنَ الطَاعاتِ، وما

علموا أنَّها الصِلةُ بَيْنَ العَبْدِ وَبيْنَ رَبِّهِ وَلِذَلِكَ هِيَ تُطَهِّرُ المُصَلِيْ مِن جَمِيْعِ ذُنُوْبِهِ إذا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ كَالزِّنَا واللِّواطِ وأَكْلِ الرِّبَا .

وَيَزِيْدُكَ مَعْرِفَةً بِهَا أنْ تَعْرِفَ مَالَهَا مِنْ مُتَعَلِّقَاتٍ . ذَلِكَ أنَّهُ إذا تَوَضَأَ لَهَا ذَهَبَتْ ذُنُوبُ أَعْضَاءِ وُضُوئِهِ مَعَ ذَهَابِ الماءِ فإذا تَشَهَّدَ بَعد الوُضُوءِ فُتِّحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ يَدْخلُ مِن أَيِّهَا شَاءَ فإذا مَشَى إلى المَسْجِدِ كَانَ لَهُ بِكُلِ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا تَحُطُّ عنه خَطيئَةً وَرُفِعَ لَهُ دَرَجَةً فإذا انْتَظَر الصلاةَ فإنهُ لا يَزَالُ في صلاةٍ .

وأما المُؤَذِّنُونَ فَهُمْ أَطْوَلُ الناسِ أَعْنَاقاً يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَشْهَدُ لَهُمْ كلُ مَا يَسْمَعُهُم حتَّى الأَشْجَارَ والأَحْجَارَ .

وَمَنْ قَالَ مِثْلَ مَا يَقُوْلُ المُؤَذِّنُ ثُمَّ دَعَا عَقِبَهُ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَةُ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلم وأَمَا قَمُّ المسجدِ وَتَنْظِيْفُهُ فَهُوَ مَهْرُ الحُورِ العَيْنِ في الجَنَاتِ وَمَن بَنى لِهِ مَسْجِداً وَلَو كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ بنى اللهُ له بَيْتاً في الجنةِ .

والخُلاَصَةُ أنَّ المُؤْمِنَ بِصَلاتِهِ أَبعَدَ الناسِ مِن المُحَرَّمَاتِ والفَوَاحِشِ والزِّنَا واللِّواطِ وَشُرْبِ الخَمْرِ والدخانِ والمَيْسِرِ وَقَوْلِ الزُوْرِ والسَّرِقَةِ والقَتْلِ والقَذْفِ وحَضُورِ آلاتِ اللَّهْوِ المذياعِ والتلفزيونِ والسِّيْنَمَاءِ والبَكَمَاتِ وأَبْعَدَ الناسِ عن الغِشِّ والرِّبَا والبَخْسِ والمَكْرِ والخِدَاعِ وَغَيرِهِمَا مِمَّا يُخِلُ بالدِّيْنِ أو يُنَقِّصُ المُروْءَةَ والشَّرَفَ ، إذْ مِن غَيْرِ المَعْقُولِ أنَّ مَنْ بَلَغَ بِهِ حُبُّهُ في الاستقامَةِ أنْ يَقِفَ أَمَامَ سَيِّدِه وَمَوْلاَهُ الذي رَبَّاهُ وَرَبَّى جَمِيْعَ العَالمين بِنِعَمِهِ وَيَسْتَهْدِيْهِ طَرِيْقَ الهِدَايَةِ وَقَدْ قَدَّرَ رَبَّهُ وَرَكَعَ لَهُ وَسَجَدَ وَحَمدَهُ وَأَثْنَى عليهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَشَكرَ لَهُ أن يُرى بَعْدَ ذَلِكَ جوَّالاً في طُرُقِ الغوَايَةِ والمآثِمِ الَّتِي يَنْتَابُهَا الفُسَاقُ الذِيْن مَرَدُوْا على الفُجُورِ وَتَفَنَّنُوا فِيهِ . . صَدَقَ اللهُ العظيم .

إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَن الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ : هَذِهِ مِن ثَمراتِ الصَّلاةِ .

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفّقنَا لِلْقِيَامِ بِحَقّكَ وَبارِكْ لَنَا في الحلال مِن رِزْقِكَ ولَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ راجٍ يا قاضِيَ الحَاجَاتِ ومُجِيبَ الدَّعواتِ هَبْ لَنَا ما سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوائِجَ السَّائِلين ويَعْلَمُ ما في ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ وصلى اللهُ على مُحمدٍ وآلِهِ أجمعِين .

فَصْلٌ : في ذِكْرِ بَعْضِ فَوَائِد صَلاةِ الجَمَاعَةِ وبَيانِ حُكْمِهَا وأَدلةِ وجُوُبِهَا وذِكْرِ طَرَفٍ مِن فَوَائِدِ صَلاةِ الرَّوَاتِبِ والنَّوافِل

إعلمْ وَفَّقَنَا اللهُ وإِيَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسلِمِيْنَ لِمَا يُحِبُّهُ ويَرْضَاهُ أَنَّهُ شُرِعَ لِهذِهِ الأُمَّةِ الاجْتِمَاعُ لِلْعِبَادَةِ في اوقاتٍ مَعْلُومَةٍ ، فمِنْهَا ما هُوَ في اليَومِ واللَّيْلَةِ لِلْمَكْتُوبَاتِ ومِنْهَا مَا هُوَ في الأُسْبُوعِ وهُوَ صَلاةُ الجُمُعَةِ ومنها ما هُوَ في السَّنَةِ مُتَكَرِّرٌ وهُوَ صَلاةُ العِيْدَيْنِ لِجَمَاعَةِ كُلِ بَلَدٍ ومنها ما هُوَ عَامٌ في السَّنَةِ وهُوَ الوُقُوفُ بعَرفَةَ ، وذلكَ لأَجْلِ التَّوَاصُلِ والتَّوَادُد والتَّعَاوُنِ والتَّآخِيْ والتَّآلُفِ والتَّعَارُفِ والتَّعَاطُفِ والتَّـراحُمِ ، وقُوَّةً لِلرَّابِطَةِ بَيْنَ المسلِمِينَ ، ومُضاعَفَةَ الأَجْرِ بالاجْتِمَاعِ ، وَكَثْرَةِ الخُطَى ، ولِتَعْلِيْمِ الجَاهِلِ لِأَحْكَامِ الصَّلاةِ .

فَصَلاةُ الجَمَاعَةِ هِيَ المتَكَرِّرُ يَوْمياً الاجْتِمَاعُ لَهَا في المَساجِدِ وهِيَ وَاجِبَةٌ وُجُوْبَ عَينٍ على الرجالِ القَادِرِيْنَ حَضَراً وسَفراً حتى في شِدَّةِ الخَوْفِ لِقَولِهِ تَعالى : ﴿ وإِذَا كُنْتَ فِيهم فأَقَمْتَ لَهُمُ الصلاةَ فلتقمْ طائفة منهم معكَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ فإن خِفْتُمْ فَرِجَالاً أو رُكْبَاناً ﴾ .

وعن أبي هُرَيْرَةَ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « اثقلُ الصلاةِ على المُنَافِقِينَ صَلاةُ العِشَاءِ وصَلاةُ الفَجْرِ ولو يَعْلَمُونَ ما

فِيهِمَا لأَتوهُمَا ولَو حَبْوَا . ولقد هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بالصلاةِ فَتُقَامَ ثم آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِيْ بالنَّاس ثُمَّ انْطَلِقَ مَعِيَ برجَالٍ مَعَهُم حِزَمٌ مِن حَطَبٍ إلى قَوْمٍ لا يَشْهَدُوْنَ الصلاةَ فأحَرِّقَ عليهِم بُيُوتَهمُ في النارِ » متفق عليه .

وعن أبي هريرة أَنَّ رَجُلاً أَعْمَى قال يا رسولَ اللهِ ليسَ لِيْ قَائِدٌ يَقُودُني إلى المسجدِ فسألَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أنْ يُرَخِص لَهُ فَيُصَلِيَ في بَيْتِهِ فَرَخصَ لَهُ فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فقال هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ قالَ : نَعَمْ قال : فَأَجِبْ . رواه مسلم والنسائي .

وروى أبو داود عن عَمْرِو ابن أُمِّ مَكْتُومٍ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم فقال : يا رَسولَ اللهِ إنَّ المدينةَ كَثِيْرةُ الهوَامِ والسِّبَاعِ وأنا ضَرِيرُ البَصَرِ شَاسِعُ الدَّارِ وَلِيْ قَائِدٌ لا يُلاَئِمُنِيْ فَهَلْ تَجد لي رخصةً أن أصلي في بيتي فقال النبي صلَّى الله عليهِ وسلم : هـل تَسْمَعُ النِّداءَ قال نَعَمْ قال فَأَجِبْ فإنِيْ لا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً فَهَذَا رَجُلٌ ضَرِيْرٌ شَكَا مَا يَجِدُ مِن المَشَقَّةِ في مَجِيئِهِ إلى المسجدِ وليسَ له قائِدٌ يَقُوْدُهُ إليهِ وَمَع هذا لَمَ يُرَخِصْ لَهُ النبيُ صلى اللهُ عليه وسلم في الصلاةِ في بَيْتِهِ فكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ صَحِيْحُ البَصَرِ مُتَوَفِرَةُ الأَنْوَارُ في طرِيْقِهِ وهُوَ آمِنٌ على نَفْسِهِ وأهلِهِ ومالِهِ .

ومَعَ ذلكَ لا يُجِيْبُ دَاعِيَ اللهِ الذي خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ وأَعْطَاهُ وأَقْنَاهُ وَوَعَدَهُ إنْ أطَاعَهُ بِجَمِيْعِ مَا تَطْلبُهُ نَفْسُهُ وتَمَنَّاهُ ، وَهَدَّدَ وتَوعَدَ مَن عَصَاهُ واتَّبَعَ هَوَاه .

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عنهما قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « مَن سَمِعَ النِّداءَ فلم يَأتِ فلا صَلاةَ لَهُ إلا مِن عُذْرٍ » . وأخرجَ الحاكمُ في مُسْتَدْرَكِهِ عَن ابنِ عباس رَضِيَ اللهُ عنهما قَالَ : قَالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « ثلاثةٌ لَعَنَهُم اللهُ ، مَن تَقَدَّمَ قَوْماً

وهُمْ لَه كارِهُونَ وامرأةٌ باتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ ورَجُلٌ سَمِعَ حَيَّ على الصَّلاةِ حَيَّ على الفَلَاحِ ثُمَّ لَمْ يُجِبْ » وحَدِيْثِ لا صَلاةَ لِجَارِ المَسْجِدِ إلا بالمسجدِ رُوِيَ مَرْفُوعاً وَمَوْقُوفاً .

عن ابن عباسٍ قال : قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : « مَنْ سَمِعَ النداء فلمْ يَمْنَعْهُ مِن اتِبَاعِهِ عُذْرٌ قالوُا ومَا العُذْرُ قال خوْفٌ أو مَرَضٌ لم تُقْبَلْ منه الصلاةُ التَّي صَلَّى » .

شعـــــرا :

وأَحسَنُ صَوْتٍ لَذَّ عِنْدِي سَمَاعُهُ سَمَاعُ أَذَانٍ مِن مَنَارَةِ مَسْجِـــدِ
يُنَادِي بتوحِيْدِ الذِيْ جَلَّ شَـــأْنُهُ فَيَا نَفْسُ صَلِّيَ لِلْمُهَيْمِنُ وَاعْبُـــدِيْ

آخـــــر :

وأَحْسَنُ صَوْتٍ فِي الوَرى صَوْتُ داعِياً إلى الله لِلْخَمْسِ الصَّلَوَاتِ تُشْهَدُ

وعن معاذِ بن أنسٍ عن رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أَنَّهُ قالَ : « الجَفاءُ كلُ الجفَاءِ والكُفْرُ والنِّفاقُ مَن سَمِعَ مُنَادِيَ اللهِ يُنَادِي إلىَ الصلاةِ فلا يُجِيْبُهُ » رواه أحمد والطبراني .

وعن أبِي الدرداءِ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « ما مِن ثَلاثَةٍ في قَرْيَةٍ ولا بَدْوٍ لا تُقَامُ فِيهم الصَّلاةُ إلا قد اسْتَحْوَذَ عليهم الشيطانُ فَعَلَيْكَ بالجَمَاعَةِ فإنمَّا يَأْكُلُ الذِئْبُ القاصَيَةَ » . رواه أحم د وأبو داود والنسائي .

وعن أمير المؤمنينَ عُمَرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنه قال : « ما بالُ أقْوامٍ يَتخَلَّفُونَ عن الصلاةِ فَيَتخَلَّفُ لِتخلُّفِهِم آخَرُوْنَ لأَنْ يَحْضُروا الصلاةَ أَوْ لأَبْعَثَنَّ عليهم مَن يُجَافِي رِقَابِهم . وقال ابنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنه : « مَن سَرَّهُ أنْ يَلْقَى اللهَ غَداً مُسْلِماً فلْيُحَافْظَ على هؤلاءِ الصلواتِ

الخَمْسِ حَيْثُ يُنادَي بِهنَّ فانَّ اللهَ تعالى شَرَعَ لِنَبِيكمُ سُنَنَ الهُدَى وإنهنَّ مِن سُنَنِ الهُدَى ولَو أَنَّكُم صَلَيْتُم في بُيُوتِكم كَما يُصَلي هذا المُتَخَلِّفُ في بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيكمُ وَلَو تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيكُم لَظَلَلْتُمْ وَلَقَدْ رَأَيْتُنا وما يَتَخَلَّفُ عَنها الا مُنافِقٌ مَعْلُومُ النِّفاقِ » .

وقال أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنه : « لأَنْ تَمْتَلِيءَ أُذُنُ ابنِ آدَمَ رَصاصاً مُذاباً خَيْرٌ لَهُ مِن أنْ يَسْمَعَ حَيَّ علىَ الصلاةِ حَيَّ على الفلاحِ ثُمَّ لَمْ يُجِبْ » وسُئِلَ ابنُ عَبَاسٍ رضيَ اللهُ عَنهُما عن رَجُلٍ يَقُومُ اللَّيْلَ ويَصُومُ النَّهَارَ وهُوَ لا يَشْهَدُ الجُمُعَةَ والجَماعَةَ فقال هُو في النارِ ولَمَّا كانَ عَتَّابُ بنُ أَسُيدٍ رَضِيَ اللهُ عنه وَالِياً للنَّبي صلى الله عليه وسلم عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَسَمِعَ برِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عن الصلاةِ في المَساجِدِ جَماعةً فقال يا أهلَ مَكَّة واللهِ لا أسْمَعُ بِرِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عن الصلاةِ في الجَماعَةِ في المَساجِد إلا ضَرَبْتُ أَعْنَاقهم فَعَلَم الصحابةُ رَضِيَ اللهُ عنهم بِذَلِكَ فَزادَهُ رِفْعَةً عِنْدَهُم وارْتَفَعَ قَدْرُهُ .

وصلاةُ العِشَاءِ والفَجْرِ في جَماعَةٍ أَشَدُّ تَأْكِيداً لِمَا وَرَدَ عن عثمانَ بنِ عفانَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقولُ مَن صَلىَّ العِشَاءَ في جَماعةٍ فكأنَّما قَامَ نِصْفَ اللَّيلِ وَمن صَلَى الصُبْحَ في جَماعَةٍ فكأنَّما صَلَّى الليلَ كُلَّهُ رواه مسلمَ .

وفي روايةِ الترمذي عن عثمانَ بنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عنه قال قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَن شَهِدَ العِشَاءَ في جَماعَةٍ كان لَهُ قِيَامُ نِصْفِ لَيْلَةٍ ومَن شَهِدَ العِشَاءَ والفَجْرَ في جَماعَةٍ كان لَهُ كَقِيَامِ لَيْلةٍ قال الترمذي حديث حسن صحيح .

وعن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ ولو يَعْلَمُونَ مَا في العَتَمَةِ والصُبْحِ لأَتَوْهُما ولَوْ حَبْوا متفق عليه . وعنه

قال قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ليسَ صَلاةٌ أثْقَلُ على المُنَافِقِينَ مِن صَلاةِ الفَجْرِ والعِشَاءِ ولو يَعْلَمُونَ ما فِيْهِمَا لأَتَوْهُمَا ولَو حَبْوَا متفق عليه .

وروى عن أَبِي أمامةَ رَضِي اللهُ عنه قال قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَن صَلَّى العِشَاءَ في جَمَاعَةٍ فَقدْ أَخَذَ بحَظِّهِ مِن لَيْلَةِ القَدْرِ . رواه الطبراني في الكبير .

وعن جُنْدُبِ القَسْرِي قال قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَنْ صَلى صَلاَةَ الصُبْحِ فَهُوَ في ذِمَّةِ اللهِ فلا يَطْلُبَنَّكم اللهُ مِن ذَمَّتِهِ بشيءٍ فإنَّهُ مَن يَطْلُبْهُ مِن ذِمَّتِهِ بِشَيءٍ يُدْرِكْهُ ثُمَّ يَكُبهُ على وَجْهِهِ في نارِ جَهَنَّمَ رواه مسلم .

فهذا نَهْيٌ مِنهُ صلى اللهُ عليه وسلم عن التَّعَرُضِ لِمَنْ هُوَ في ذِمَّةِ اللهِ بشيءٍ مِن السُوْءِ وقَدْ قِيْلَ إنَّ الحَجاجَ مَعَ جَوْرِهِ وظُلْمِهِ وتَعَدِيْهِ لِحُدُوْدِ اللهِ كانَ يَسْأَلُ كُلَّ مَنْ يُؤتَى بِهِ نَهاراً صَلَيْتَ الصُّبحَ في جَمَاعَةٍ فانْ قَالَ نَعم خَلَى سبيلَهُ مَخافَةَ أَنْ يطلبَهُ اللهُ بشيءٍ مِن ذِمتِهِ .

وعَن ابن عُمرَ رضيَ اللهُ عَنهُما قَال كُنا إذا فَقَدْنَا الرجلَ في الفَجْرِ والعِشَاءِ أساءنا بِهِ الظنَّ رواهُ الطبرانِي وابنُ خُزَيْمَةَ في صَحِيحِهِ .

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا في سِلْكِ عِبادِكَ المُفلحينَ واحْشُرنَا مَعَ الذينَ أُنعمتَ عليهم مِن النبيينَ والصديقينَ والشهَداءِ والصَّالِحينَ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْياءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرنَا وَأَنْ تَضَعَ وِزْرَنَا وَتُصلِحَ أَمْرَنَا وَتُطَهِّرَ قُلُوبَنَا وَتُنَوِّرَ قُبُورَنَا وَتَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(**فَصْلٌ**): وَصَلاةُ الجماعَةِ تفضلُ على صلاةِ الفذِّ بسبعٍ وعشرينَ درجةً

كمَا وردَ عَن ابنِ عمرَ عن النبي ﷺ قال: «صَلاةُ الجماعةِ تفضلُ صلاةَ الفذِ بسبعٍ وعشرينَ درجةً» متفقٌ عليهِ.

وَعن أبي هُريرةَ رضى اللهُ عنهُ قالَ: قال رسولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وسلمَ صَلاةُ الرجلِ في جَماعَةٍ تَضْعُفُ على صَلاتِه في بيتِهِ وفي سوقِ خَمساً وعشرينَ ضِعفاً وذلكَ أنهُ اذا تَوضَّأ فَأَحْسَنَ الوُضوءَ ثم خرجَ إلى المسجِدِ لا يُخرجُه إلا الصلاةَ لِم يَخْطُ خطوةً إلا رُفعَتْ له بها دَرجةٌ وحُطتْ عنه بها خَطيئَةٌ فاذا صَلى لم تَزلْ الملائكةُ تُصلِّي عَليهِ ما دَامَ في مُصَلاَّهُ مَا لم يُحْدِثْ، تَقولُ اللهم صَلِّ عَليهِ اللهم ارحَمْهُ، ولا يزالُ في صلاةٍ ما انتظرَ الصلاةَ» متفقٌ عليهِ.

وَوَردَ عنه صَلى اللهُ عليهِ وَسلمَ أنهُ قالَ من صَلى أربعينَ يوماً في جَماعَةٍ يُدرك التكبيرةَ الأوُلَى كُتِبَتْ له بَرَاءتَانِ مِن النَّارِ وَبَراءَةٌ من النِّفاقِ رَواهُ الترمِذي وَغيرُه من حديث أنسٍ وَهُوَ حديث حَسنٌ صَحَحَهُ الحاكمُ وغيرهُ.

وَقَدْ وَرَدَ في فَضْلِ الصَّفِ الأولِ واتْمَامِ الصُّفوف ما يَلي فعن جَابرِ بن سَمُرَةَ رَضْيَ اللهُ عَنهُمَا قالَ: خَرجَ عَلينَا رَسُولُ اللهِ صَلى الله عليه وسلم فقَالَ: «ألا تَصُفونَ كمَا تَصُفُّ الملائكةُ عِندَ رَبِّها فقُلنَا يا رسولَ اللهِ وكيفَ تصفُّ الملائكةُ عندَ رَبِّهَا قَال يُتمُّونَ الصُّفُوفَ الأوَل وَيتَراصُّون في الصَّفِّ» رواهُ مُسْلمٌ.

وَعن أَبي هُريرَةَ رَضْي اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ قالَ: «لَو يَعْلَمُ النَّاسُ مَا في النداءِ والصَّفِّ الأولِ ثُم لمْ يَجِدُوا إلَّا أَنْ يَسْتهِمُوا عليهِ لاسْتَهمُوا» مُتفقٌ عَليهِ.

وَعَن أبي مَسْعُودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: كانَ رسولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وسلمَ يَمْسَحُ مُناكِبنَا في الصَّلاةِ ويقولُ: «اسْتَووُا ولا تَخْتَلِفُوا

فَتَخْتَلِفَ قُلوبُكم لِيَلِنيْ مِنْكُم أولوُا الاحْلَام والنُّهَى ثُمّ الذين يَلُونهم ثم الذين يَلونهُم » رواهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنَ أنس رَضيَ اللهُ عنهُ قَالَ : قَالَ رسولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ : « سَووا صُفوفَكُم فانَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِ من تَمام الصَّلاةِ » مُتفقٌ عَليهِ .

وَعن البَراءِ بن عَازِبٍ رَضْي اللهُ عَنْهُما قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَم يتخَللُ الصَّفَّ من نَاحِيَةٍ إلى ناحِيَةٍ يَمْسَحُ صُدُوْرَنَا وَمَناكِبنَا ويقولُ لا تختلفُوا فتختَلِفُ قُلوبُكُمْ . وَكانَ يقولُ ان اللهَ وملائِكَته يُصلونَ على الصَّفِّ الأولِ . رواهُ أبو داودَ باسنادٍ حَسَنٍ .

وَعن ابن عُمَر رضي اللهُ عَنُهُما أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «أقيمُوا الصُّفوفَ وحاذُوا بينَ المناكب وسُدُّوا الخللَ ولينُوا بأيدِي اخوانِكُم ولا تذُروا فُرُجَات للشيطانِ ومن وَصَل صَفاً وصَلهُ اللهُ وَمن قَطعَ صَفاً قَطَعَهُ اللهُ» رواهُ أبو دَاودَ .

اللَّهُم رَغبْنَا فيما يبقى، وزهدنا فيما يَفنى، وهب لنا اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه، ولا يُعوَّلُ في الدين إلا عليه، وصَلَى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبهِ أجمعين .

(فَصْلٌ) : وَكَان صَلَى اللهُ عليهِ وسلمَ إذا كَبَّرَ للصلاةِ يَسْتَفْتِحُ . فَعنْ أبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ كانَ رسولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وسَلمَ إذا كَبَّرَ في الصلاةِ سَكَتَ هُنَيْهَةً قبلَ القِرَاءَةِ فقلتُ يا رسولَ اللهِ بأَبِيْ أنتَ وأُمي أَرَأيْتَ سُكُوتَكَ بينَ التكبيرِ والقِرَاءَةِ ما تَقُولُ ، قالَ أقولُ اللهمُ باعِدْ بَيْنِيْ وبينَ خطايَايَ كمَاباعدْتَ بينَ المشرِقِ والمغربِ اللهمَّ نَقِّنِيْ مِن خَطايَايَ كما يُنَقَّى الثوبُ الأبيضُ من الدَّنَسِ اللهم اغْسِلني مِن خَطَايَايَ بالماءِ والثلجِ والبردِ رواهُ الجَمَاعَةُ إلا الترمِذي .

وَعنْ عَائِشَةَ قالَتْ كَانَ النبيّ صَلى اللهُ عليهِ وسلمَ إذَا اسْتَفتحَ الصلاةَ قال سبحانكَ اللهمّ وبحمدِكَ وتبارَكَ اسْمُكَ وتَعالى جدُّك ولا إلهَ غيرُكَ ، رواهُ أبو دَاودَ والدَّارَقُطْنِيّ .

وَكَانَ يَتعَوَّذُ قبلَ القراءةِ في الرَّكعةِ الأُوْلَى بعدَ الاستفتاحِ فعَنْ أبِيْ سعيدٍ الخُدريّ عَنْ النبيّ صَلى اللهُ عليهِ وسَلمَ أنهُ كانَ إذا قامَ الى الصلاةِ استفتحَ ثم يَقوُل أعوذُ باللهِ السميعِ العَليمِ مِن الشيطانِ الرجيمِ مِن هَمْزِه وَنفْخِهِ ونَفْثِه رَواهُ أحمدُ والتِّرمِذيّ .

وقالَ ابنُ المُنْذِرِ جَاءَ عن النبيّ صَلى اللهُ عليهِ وسلمَ أنهُ كانَ يَقُولُ قَبْلَ القراءةِ أعوذُ باللهِ مِنْ الشيطانِ الرَّجيمِ .

وعَنْ أبي سَعيدٍ الخُدريّ أنَّ النبيّ صَلى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ كانَ يَقْرَأُ في صَلاةِ الظهر في الركعتينِ الأُوْلَيَيْنِ في كُل رَكْعَةٍ قَدْرَ ثلاثينَ آيةً وفي الأخريَيْنِ قَدْرَ خَمْسَةَ عَشَر آيةً ، أو قَالَ نِصْفَ ذَلِك ، وفي العَصْرِ في الركعتَينِ الأوْليينِ في كل رَكعةٍ قَدْرُ خمسَ عَشْرَة آيةً ، وفي الأُخْرَيَيْنِ قدرَ نِصْفِ ذلكَ رواهُ أحْمَدُ ومُسْلِمٌ .

وَعَنْ جُبير بن مُطْعِمٍ قالَ سمعتُ رسولَ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ يقرْأُ في المغربِ بالطُّوْرِ رواهُ الجماعةُ الا الترمِذيّ .

وَعَنْ ابنِ عباسٍ أنَّ أُمَّ الفَضْلِ بِنْتَ الحَارِثِ سَمِعَتْهُ وهُوَ يقرَأُ والمرسلاَتِ عُرفاً فقالَتْ يا بُنيَّ لقد ذَكَّرْتَنِي بقرائَتِكَ هذِهِ السُّورَةَ إنَّها لأَخِرُ ما سَمِعْتُ مِن رسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسَلمَ يقرأُ بهَا في المَغْرِبِ رواهُ الجَمَاعةُ الا ابنُ مَاجَه .

وَقالَ أبوُ بَرْزَةَ الأَسْلَمِيّ كانَ النبيُّ صَلى اللهُ عليهِ وسَلمَ يُصَلي

الصُّبْحَ فيَنْصَرِفُ الرجلُ فيَعْرِفُ جَليسَهُ ، وكان يَقرأُ في الركعتينِ أو أَحَدِهِمَا ما بَين الستينَ إلى المائةِ متفقٌ على صِحَّتِهِ .

وَفي صَحيح مُسْلِمٍ عن عبدِ اللهِ بن السائِبِ قالَ صَلى بنا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسَلمَ الصبحَ بمكةَ فاستفتح سُورَةَ المؤمنينَ حَتى إذا جَاءَ ذِكرُ موسَى وهارونَ أَوَ ذِكرُ عِيْسَى أخذَتْ النبيَ صَلى اللهُ عليهِ وسَلمَ سَعْلةٌ فَركَعَ .

وَرَوى النِسائِيّ من حَديثِ ابنِ مسعودٍ أَنَّ النبيّ صَلى اللهُ عَليهِ وسَلمَ قرأَ في المغربِ بالدُّخانِ .

وفي صَحيحِ مسلمٍ من حديثِ أبي سعيدٍ الخُدري قالَ كانَتْ صلاةُ الظهرِ تقامُ فينطلقُ أحدُنا إلى البقيعِ فيقضي حاجَتَهُ ثم يأتي أهلَهُ فيتوضَّأُ ثم يَرْجِعُ إلى المسجدِ ورسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ في الرَّكعةِ الأولى .

وقَالَ أَبُوْ سَعيدٍ الخُدري كُنَّا نَحْزِرُ قِيَامَ رسولِ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وسَلمَ في الظهرِ والعصرِ فَحَزَرْنا قيامَه فَي الركعتَيْنِ الأُوْلَيَيْنِ مِن الظُهْرِ قدرَ « آلم تنزيلُ السَّجْدِةِ » .

وَحرزنَا قيامَه في الأخريينِ قدرَ النصفِ من ذلكَ وحزرنَا قيامَه في الركعتينِ الاوْلَيَينِ من العَصْرِ على النصفِ مِنْ ذلك .

وفي روايةٍ بَدَلَ قولِه تنزيلُ السجدةِ قدرَ ثلاثينَ آيةً ، وفي الأُخْرَيَيْنِ قدرَ خمْسَةَ عَشَرَ آيةً وفي العَصْرِ في الركعتينِ الأُوْلَيَيْنِ في كُلِّ رَكْعةٍ قَدر خَمسةَ عَشرةَ وفي الأُخْرِيَينِ قَدر نِصفِ ذَلكَ .

وَفي سُنن النَسائي عَن البَراءِ قَالَ كَانَ رسولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلم يُصَلي بنا الظهرَ فنَسْمَعُ مِنهُ الآيَةَ مِن سُورةِ لُقمَانَ وَالذاريَاتِ وَقالَ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلم أنَّ طُولَ صَلاةِ الرَّجُلِ وَقِصرَ خُطبتِهِ مَئِنَّة مِن فِقْهِهِ فأطِيلُوا الصَّلاةَ واقْصرُوا الخطبة . وَعَنَ ابنِ مَسْعودٍ رَضيَ اللهُ عنهُ أنهُ قَالَ انكم في زَمَانٍ الصَّلاةُ فيهِ طَويْلَةٌ والخطبة فِيْهِ قَصِيرَةٌ وعُلمَاؤُه كثيرٌ وَخُطباؤُه قليلٌ وسَيأتِي عَلى النَّاسِ زمَانٌ الصلاةُ فيهِ قصيرةٌ والخُطبةُ فيه طويلةٌ .

وَأخرجَ البُخاري وَأبوُ دَاودَ والترمِذي مِن حَديثِ زَيدِ بنِ ثابتٍ أن النبي صَلى اللهُ عليهِ وَسلمَ قرأ في المغربِ بُطُوْلَى الطُوليَيْن .

زادَ أبو داودَ قلتُ ومَا طُوْلَى الطُوليين قَالَ الأَعْرَافُ قالَ الحَافظُ في الفتحِ إنهُ حَصلَ الاتفاقُ على تفسيرِ الطُّولَى بالاعرافِ .

وَعن سَعيدِ بن جُبيرٍ عن أنسٍ قالَ ما صَلَيتُ وَراءَ أحدٍ بعدَ رسولِ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلمَ أشْبَهَ صَلاَةً برسولِ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلم مِن هَذا الفَتَى يَعني عُمَرَ بن عَبْدِ العزيزِ ، قالَ فَحَزرنَا في رُكوعِهِ عَشْرَ تَسْبيحاتٍ ، وفي سُجُودِهِ عَشَرْ تسبيحَاتٍ رَوَاهُ أحْمَدُ وأبو داودَ والنَسائِي .

وَعَن ابنِ عَباسٍ عَن النبي صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلم كَانَ إذَا رَفَعَ رأسَه من الركوعِ قالَ اللهمَّ رَبنا لكَ الْحمدُ ملءَ السمواتِ وَملءَ الارضِ ، وَملءَ ما بينَهُما وملءَ ما شئتَ من شيءٍ بعدُ أهلَ الثناءِ والمجدِ ، لا مانعَ لما أعْطَيتَ ولا مُعْطيَ لِما مَنعْتَ ولا يَنْفَعُ ذَا الجدِ منكَ الجَدُّ ، رواهُ مُسلمٌ والنسَائِي .

وَرواهُ من حَديثِ ابنِ أبي أوفيَ وزادَ فيهِ بعدَ قولِهِ منْ شَيءٍ بَعْدُ

اللهمَ طَهرنِي بالثلج والبردِ والماءِ اللهمَ طهرني مِنْ الذنوبِ وَالخَطايا كمَا يُنقى الثَّوْبُ الأبيضُ مِن الدَّنس .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألكَ العافية في الدُّنيا والآخرَةِ ، اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ العَفو والعَافيةَ في دِينِنَا ودُنيانَا واخِرَتنا وَأَهلِنَا وَمَالِنَا ، اللَّهُمَّ اسْتُر عَوارتِنا وَأمنِ روعاتِنا واحْفَظنا مِن بين أيدينا ومنِ خَلفنا وَعن أيمانِنَا وعن شَمائِلنا ومن فَوقِنا ونَعُوذ بعَظمتِكَ أن نُغتَالَ من تَحتِنا واغْفِرْ لَنَا ذنوبنا واستر عُيُوبَنَا واكْشِفْ كُرُوْبَنَا وأصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وألِّفْ في طاعَتِكَ وطاعةِ رَسُولِكِ بَيْنَ قُلُوبنَا واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْـلٌ)

وَفي المسندِ من حديثِ أبي قَتادةَ قالَ قَالَ رسولُ الله صَلى اللهُ عليهِ وسَلم أسْوَأُ الناسِ سَرقةً الذي يَسْرِقُ مِن صَلاتِهِ قالوا يَا رسولَ اللهِ كيفَ يَسرِقُ صَلاتَه قال لا يُتمُّ رُكوعَها ولا سُجُودَها ، أو قَالَ لا يُقيمُ صُلْبَهُ في الركوعِ والسجودِ فصَرَّحَ بأنهُ أسْوأُ حَالاً مِن سَارِقِ الأمْوَالِ .

وَفي المُسْنَدِ من حَديثِ سالمٍ عـن أبي الجَعْدِ عن سَلمَانَ هُو الفَارِسِي قَال قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسَلم الصَّلاةُ مكيالٌ فمَن وَفىَّ وُفيَّ له وَمن طَفَّفَ فقدْ علمتُم مَا قالَ اللهُ في المُطَفِّفِينَ .

وقالَ ابنُ القيمِ رحمهُ اللهُ : والايجازُ هو الذي كانَ يَفعَلُهُ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلمَ لَا الإيجازُ الذي كان يَظَنتهُ مَنْ لَم يَقِفْ عَلى مِقْدارِ صَلاتِهِ فإنَّ الايجَازَ أَمرٌ نِسبِيٌ إضَافِي راجعٌ إلى السُّنَّةِ لا إلى شَهوةِ الامَامِ وَمَنْ خلفَهُ .

فلمَّا كانَ يقرأُ في الفَجرِ بالسِّتينَ إلى المَائِةِ كان هَذا الايجَازُ بِالنِّسْبَةِ

إلى سِتّمائةٍ إلى ألفٍ ولَمَّا قرأ في المغربِ بالأعْرَافِ كان هَذا الايجازُ بالنسبةِ إلى البَقرةِ .

وَيَدُلُّ على هَذا أنَّ أنساً نفسَه قالَ في الحديثِ الذي رَواهُ أبو داودَ والنسائِي مِن حديثِ عَبدِ اللهِ بن ابراهيمَ بن كَيْسَانَ حَدثني أبِيْ عَن وَهَبِ بن مَأنُوسٍ سَمعتُ سَعيدَ بِن جُبيرٍ يَقُولُ سَمِعتُ أنسَ بن مالكٍ يقولُ ما صَليتُ وراءَ أحدٍ بَعدَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسَلمَّ أشبهَ صلاةً برسولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيةِ وَسَلمَ من هَذَا الفتى يعني عُمرَ بنَ عَبدِ العَزيزِ فَحَزَرْنَا في رُكوعِه عشرَ تسبيحاتٍ وفي سُجودِهِ عَشرَ تَسبيحَاتٍ .

وأنسٌ أيضاً هوَ القائلُ في الحَديثِ المتفقِ عليهِ اني لا آلُو أن أُصَلى بكمُ كمَا كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عَليهِ وسلمَ يُصَلِّي بِنَا .

قالَ ثابتٌ : كانَ أَنسٌ يصنعُ شيئاً لا أراكُم تَصْنَعُونَهُ كَانَ إذا رفعَ رأسَه مِن الركوعِ انتصبَ قائماً حَتى يقولَ القائلُ قد نَسِيَ .

وإذَا رفَع رأسَه مِن السجدةِ مَكَثَ حتى يقولَ القائلُ قد نَسِيَ .

وَانسٌ هُوَ القائلُ هذَا وهُوَ القائلُ ما صليتُ وراءَ امامٍ أخفَّ صلاةً ولا أتمَّ صلاةً مِن النبي صَلى اللهُ عليهِ وسلمَ وحديثُه لا يُكَذِّبُ بعضُه بَعْضاً .

وَمِمَّا يُبينُ ما ذكَرنَاهُ ما رَواهُ أبو دَاودَ في سُننهِ من حَديثِ حَمادِ بن سَلمةَ أخبرَنا ثابتُ وحُميدُ عن أَنسِ بن مالكٍ قال ما صَليتُ خلفَ رجلٍ أوجز صَلاةً مِن رسولِ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ في تَمَامٍ .

وَكَانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسَلمَ إذا قَالَ سَمِعَ اللهُ لمن حَمِدَهُ ، قامَ حتى نقولَ قدْ أَوْهِمَ فجمعَ أنَسٌ رضْيَ اللهُ عنهُ في هَذا

الحَديثِ الصَّحيح بين الاخبارِ بايجازِه صَلى اللهُ عليهِ وَسَلمَ الصلاةَ واتْمَامِها وَبيَّنَ فِيهِ أن من اتمَامِهَا الذي أخبرَ به اطَالةُ الاعتدَالينِ حَتى يَظنُّ الظانُّ أنهُ قد أوْهَمَ أو نَسِيَ مِن شِدَّةِ الطُّولِ .

وَفي الصَّحِيْحَينِ عَن البراءِ بن عازبٍ قالَ رَمَقْتُ الصَّلاةَ مَعَ مُحمدٍ صَلى اللهُ عليهِ وسَلمَ فوَجَدْتُ قِيامَه فركْعتَه فاعْتِدَالَه بعدَ الركوعِ فسجدَتَه فجلسَتَه بين السَّجدتينِ ، فَسجدَتَهُ ، فجَلْسَتَهُ مَا بينَ التَسليمِ والانْصِرَافِ قريباً مِن السَّواءِ .

اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا إذا عَرِقَ الجَبينُ وكَثُرَ الانينُ وأَيِسَ مِنَّا القَريبُ والطبيبُ وَبكى عَلينَا الصديقُ والحبيبُ وَارحمنَا يامَولانَا إذا وَارانَا الترابُ ووَدَّعَنا الاحْبابُ وفارَقْنَا النعيمَ وانقطَعَ عنا النَّسْيِمْ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ. اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْنَا قَبْلَ أَنْ تَشْهَدَ عَلَيْنَا الجَوارِحُ وَنَبِّهْنَا مِنْ رَقَدَاتِ الغَفَلَاتِ وَسَامِحْنَا فَأَنْتَ الحَلِيْمُ المُسَامِحُ وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَعَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا فَمِنْكَ الفَضْلُ وَالمَنَائِحُ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(فَصْلٌ): وَقَالَ رحمهُ اللهُ بَعْدَ أن ذَكرَ المُسْرِعينَ فيها الذِيْنَ يَمُرُّونَ فِيْهَا مَرَّ السهمِ : وَهَذا كُله تلاعُبٌ بالصَّلاةِ ، وتَعْطِيْلٌ لها وخِدَاعٌ مِن الشيطانِ وخلافٌ لأمرِ اللهِ ورسولِه صلى اللهُ عليهِ وسَلم حَيثُ قالَ تعالىَ ﴿ أقِيْمُوا الصلاةَ ﴾ فأمَرَنَا باقامَتِهَا وهُوَ الاتيانُ بها قائِمَةً تامةَ القيامِ والركوعِ والسُّجودِ والاذكَارِ .

وَقدْ عَلَّقَ سُبحانَهُ الفَلاحَ بخُشُوعِ المصَلِّي في صَلاتِه فَمَنْ فَاتَهُ خُشُوعُ الصلاةِ لَمْ يَكُنْ من أهلِ الفلاحِ ويَسْتَحيلُ حُصُوْلُ الخُشوعِ مَعَ العَجلَةِ والنَّقرِ قَطْعاً بل لا يَحْصُلُ الخُشُوْعُ إلا مَعَ الطُّمَأنينةِ وَكُلَّما زادَتْ الطمأنينةُ ازدَاد خُشُوعاً وكُلمَا قلَّ خُشوعُه اشتدَتْ عَجلَتُه حَتى تَصيْرَ حَرَكةُ

يديهِ بمَنْزِلَةِ العَبَثِ الذي لا يَصْحَبُه خُشوعٌ ولا إقبالٌ على العُبُوديةِ ولا معرفةُ حَقيقةِ العبوديةِ .

وَاللهُ سُبحانَه قد قالَ ﴿ أقيمُوا الصلاةَ ﴾ وقَالَ ﴿ الذِيْنَ يُقيمونَ الصلاةَ ﴾ وقالَ ﴿ والمقيمِ الصلاةِ ﴾ وقالَ ابراهيمُ عليهِ السلامُ « ربِّ اجعلني مقيمَ الصلاةِ » ، وقالَ لِمُوسَى ﴿ فاعْبُدْني وأقِمْ الصلاةَ لِذكْرِي ﴾ فلنَ تُكادُ تَجدُ ذِكْرَ الصلاةِ في مَوْضُوعٍ مِنْ التنزيلِ الا مقروناً باقامَتِهَا .

فَالمُصَلُّونَ في الناسِ قَليلٌ ومُقيمُ الصلاةِ منهُمْ أقَلُّ القليلِ ، كَمَا قالَ عُمَرُ رضيَ اللهُ عنهُ الحاجُّ قليلٌ والرَّاكِبُ كَثيرٌ ، فالعَاملونَ يَعملونَ الأعمــالَ المأمُورِ بهَا على التَرويْجِ تَحِلّةَ القَسَمِ ويَقولونَ يكْفينا أدنَى ما يقعُ عليهِ الأسمُ ولَيْتَنَا نأتيْ به .

ولو عَلِمَ هَؤلاءِ أنّ الملائكةَ تَصْعدُ بصلاتهمْ فتَعرضُها على الرّبِّ جلّ وعلاَ بمنْزِلةِ الهَدايَا التّي يتقرّبُ بها النّاسُ إلى مُلوكِهِمْ وكُبرائِهم ، فليسَ مَنْ عَمِدَ إلى أفْضلِ ما يَقْدرُ عليهِ فيُزَيّنه ، ويُحسّنهُ ، ما استطاعَ ثم يَتَقَرَّبُ به إلى مَن يرجُوْهُ ، ويَخافُه ، كَمَنْ يَعْمِدُ إلى أسْقَطِ مَا عِندَهُ ، وَأهونِهِ عليهِ فَلْيَسْـتَريح مِنه ، وَيَبْعَثِه إلى مَن لا يَقَعُ عندَهُ بمَوْقِعٍ .

وليسَ مَن كانَتْ صلاَتُه رَبيْعاً لِقَلْبِهِ ، وَحَياةً لَهُ ، وَرَاحَةً وقُرَّةً لِعَيْنِهِ وجَلاَءً لِحُزْنِهِ وذَهاباً لِهَمّه ، وغَمِّهِ ومَفْزَعاً لَهُ في نوائبِهِ ، ونوازِلِه ، كَمَن هِيَ سِجْنٌ لِقَلْبِهِ ، وَقَيْدٌ لِجَوارِحِهِ ، وتَكْلِيْفٌ لَهُ ، وثقلٌ عَلَيه ، فهِيَ كَبِيْرَةٌ علىَ هَذَا وقُرَّةُ عينٍ ورَاحَةٌ لِذلِكَ .

وقال تعالى ﴿ واستَعِينُوا بالصبرِ والصلاةِ وإنهـا لكبيرةٌ إلاَّ على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون ﴾ فإنَّما كَبُرَتْ على غيرِ هؤلاءِ لِخُلُو قُلُوبِهِم مِن مَحَبَّةِ اللهِ تعالى وتَكْبِيْرِهِ وتَعْظيمِهِ

والخُشُوع لَهُ وقُلةِ رَغبَتِهِمْ فيه فانَّ حُضُوْرَ العَبْدِ في الصَلاَةِ وخُشُوْعَهُ فِيهَا وتَكْمِيْلُهُ لَهَا واستِفْرَاغُهُ وُسْعَهُ في إقَامَتِهَا واتْمَامِهَا عَلَى قَدْرِ رَغْبَتِهِ في اللَّهِ .

قال الامامُ أحمدُ في رواية مُهَنَّا بنِ يَحْيى ، إنَّمَا حَظُّهُمْ مِن الاسلامِ على قدرِ حظهم مِن الصلاةِ ورغبتِهم في الاسلامِ على قدر رغبتِهم في الصلاةِ فاعْرَفْ نَفْسَكَ يا عَبدَ اللهِ واحْذَرْ أنْ تَلْقَى اللهَ عزَّ وجلَّ ولا قَدْرَ لِلإسْلامِ عندَكَ فإن قَدْرَ الاسلامِ في قَلْبِكَ كَقَدْرِ الصلاةِ في قَلْبِكَ .

(فصـــل)

فأما صُورتُها الظاهرة فهي القيام والقراءةُ والركوعُ والسجودُ ونحو ذلك مِن وظائف الصلاة الظاهرة .

وأما حقيقتُها الباطنةُ فمِثْلُ الخشوع والإخباتِ وحُضُورِ القلبِ وكمال الإخلاصِ .

مَنْ لم يَكُنْ مُخْلِصاً لِلهِ في العَمَـلِ ... فَلَيْسَ يَنْفَعُهُ قَـوْلٌ وَلاَ عَمَـلُ

والتدبر والتفهم لمعاني القراءة ومعاني التسبيح ونحو ذلك من وظائف الصلاة الباطنة .

فظاهر الصلاة حفظ البدن والجوارح وباطن الصلاة حفظ القلب .

ومن المحافظة على الصلاة والإقامة لها كمال الطهارة والإحتياط في البدن والثوب والمكان .

قال عليه الصلاة والسلام « الطهور شطر الإيمان » وفي الحديث الآخر « الطهور مفتاح الصـــلاة وإسباغ الوضوء وتثليثه مِن غير وسوســـة ولا إســـراف » .

فإن الوَسْوَسَةَ في الطهارة والصلاة مِن عمل الشيطان يُلَبِّسُ بها على مَن ضَعُف عقلُه وقَلَّ علمه .

وقد وردت الأحاديث الصحيحة « أن مَن توضأ فأحْسَنَ الوضوء خرجَتْ خطاياه مِن أعضائه ودَخَلَ في الصلاة نقياً مِن الذنوب » .

ومِن المحافظة على الصلاة والإقَامَة لها المبادرة بها في أول مَوَاقِيتها وفي ذلك فضلٌ وأجر عظيم .

وهو دليل على محبة العبد لربه وعلى المسارعة في مرضاته ومحابه قال ﷺ « أول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله » .

وقبيح بالمؤمن العاقل أن يدخل عليه وقت الصلاة وهو على شغل من أشغال الدنيا فلا يتركه ويقوم إلى فريضة الله التي كتبها الله عليه فيؤديها .

وما يفعل ذلك إلا من عظمت غفلته وقلت معرفتُه بالله وعظمته وضعُفَتْ رَغبته فيما أعَدَّ الله لأوليائه في الدار الآخرة .

وأما تأخيرها عن وقْتها فلا يَجُوزُ وفيه إثم عظيم .

ومِن المحافظة على الصلاة والإقامة لها الخشوع وحُضور القلب وتدبرُ القِراءة وفهمُ مَعَانيها واسْتشعارُ الخُضُوعِ والتواضُعِ لله عند الركوع والسجود.

وامْتِلاَءُ القلب بتعظيم الله وإجلاله وتقديسه عند التكبير والتسبيح وجميع أجْزَاءِ الصلاة .

والحرص والاجتهاد في دفع الخواطر والهواجيس في شؤون الدنيا والإعراض عند حديث النفس في ذلك .

ويكون همه في الصلاة وحُسنُ تأدِيَتِها كما أمر الله . فإن الصلاة مع الغفلة وعدم الخشوع والحضور قليلة الجدْوَى .

فاجتهد في تَدَبُّرِ ما تقول من كلام ربك واحرص على الطمأنينة فيها .

فإن الذي لا يتم الركوع والسجود في الصلاة سارق لها كما ورد في الحديث وورد أن من حافظ عليها وأتمها تخرج بيضاء تقول حفظك الله كما حفظتني . والذي لا يتم الصلاة تخرج سَوْدَاءَ مُظْلِمة تقولُ ضَيَّعَكَ الله كما ضَيَّعْتَني ثم تُلَفُّ كما يُلَفُّ الثوبُ الخَلَق فيضربُ بها وجْهُهُ .

رأى رَجُلٌ حاتم الأصم واقفاً يَعِظُ الناسَ فقال : ياحاتِمُ أَرَاكَ تَعظُ الناسَ أفَتُحْسِنُ أنْ تُصَلي ؟ قال : نعم . قال : كيف تُصَلي ؟ قال : أقومُ بالأمرِ وأَمْشِي بالسَّكِينَة وأَدْخُل بالهَيْبَة وأُكبِّرُ بالعَظمَةِ وأقرأ بالترتيل واجْلِسُ للتشهد بالتمام وأسلم على السنة وأسَلِمُهَا إلى ربي وأحْفَظُها أيامَ حَياتي وأرْجِعُ باللَّومِ على نفسِي وأخَافُ أن لا تُقْبَلَ مني وأرجُو أن تُقْبَلَ مني وأنا بَيْنَ الرجَا والخَوف وأشكر مَن عَلَّمَني وَأعَلِّمُ مَن سَألني وأحمدُ رَبي إذ هَدَاني .

اللَّهُمَّ اكْتُبْ في قُلُوبِنَا الإيمانَ وأيِّدْنَا مِنْكَ يا نُوْرَ السمواتِ والأرضِ ، اللَّهُمَّ وافْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ والإجَابَةِ وأغْفِرْ لَنَا وارحمنا برحمتك ، اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيْلَ الأَبْرَارِ ، واجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ المُصْطَفَيْنَ الأخْيَارِ ، وأمْنُنْ عَلَيْنَا بِالعَفْوِ وَالعِتْقِ مِنْ النَّارِ ، واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(**فَصْلٌ**) : يُسَنُّ ذِكْرُ اللهِ والدُّعَاء والاسْتِغْفَارُ عَقبَ الصلاةِ المكتوبةِ كما وَرَدَ في الاخبار فيقولُ استغفرُ اللهَ ثلاثَ مراتٍ ويقول اللهم أَنْتَ السلامُ ومنكَ السلامُ تَبارَكْتَ ياذَا الجلالِ والاكرامِ كما وَرَدَ عن ثوبانَ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرفَ مِن صَلاتِهِ اسْتَغْفَر ثلاثاً وقال اللهم أَنْتَ السلامُ ومنكَ السلامُ تباركْتَ ياذَا الجلالِ والاكرامِ . رواه الجماعة الا البخاري .

ومِمَّا وَرَدَ مِن الذِّكْرِ : ما رُوِيَ عن عبدِ اللهِ بن الزُّبَيْرِ أنه كان يقول في دُبُرِ كلِ صلاةٍ حينَ يُسَلِّمُ لا إلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ . له المُلكُ وله الحَمدُ وهو على كل شيء قدير ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العلي العظيمِ ولا نَعبُدُ إلا اياهُ له النِعْمَةُ ولَهُ الفضلُ ولَهُ الثناءُ الحَسَنُ لا الهَ الا اللهُ مخلصينَ لَهُ الدينَ ولو كره الكافرون : قال وكان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كلِ صلاةٍ . رواه أحمد ومسلم .

ومِمَّا وَرَدَ مَا رَوَى المغيرةُ بنُ شُعْبَةَ أن النبي صلى الله عليه وسلم كَان يقولُ في دُبُرِ كُلِ صلاةٍ مَكْتُوب لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له لَهُ الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِ شيءٍ قَدِير :اللهم لا مانعَ لما أعطيتَ ولا مُعْطِيَ لما مَنَعْتَ ولا يَنْفَعُ ذا الجدِ منكَ الجَدُ مُتَّفَقٌ عليه .

ويُسَبِّحُ ثلاثاً وثَلاَثِيْنَ ، ويَحْمَدُ ثلاثاً وثلاثين ، ويُكَبِرُ ثلاثاً وثلاثينَ لما في الصحَيحينِ من رواية أبي صالح السَّمَّان عَن ابي هريرة مرفوعاً تُسَبِحُونَ وتَحْمَدُوْنَ وتكِبَرُوْنَ دُبُرَ كلِ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثينَ وتمامُ المائَةِ ـ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ . له الملكُ وَلَهُ الحَمْدُ وهو على كلِ شيءٍ قَدِيْر ، وَيَعْقِدُهُ ببدِهِ وَيَعْقِدُ الاستغفارَ بيدِه » أيَ يَضْبِطُ عَدَدهُ بأصَابِعِهِ .

وعن عبدِ الله بن عمرَ قال : قال رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم خَصْلَتانِ لا يُحْصِيْهمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إلا دَخلَ الجنةَ وهما يَسِيْرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَليلٌ يُسَبِحُ اللهَ في دُبُرِ كل صَلاةٍ عَشْراً ويُكَبِرُهُ عَشْراً ويَحْمَدُهُ عَشْراً قال فَرَأَيْتُ رَسُوَلَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم يَعْقِدُها بِيَدِهِ فَتِلْكَ خَمْسُوْنَ ومائَةٌ باللِّسَانِ وألفٌ وخَمْسُمائَةٍ في المِيْزانِ واذا آوَى إلى فِراشِهِ سَبَّحَ وحَمِدَ وَكَبَّرَ مائةَ مَرَّةٍ فتِلْكَ مِائةٌ باللّسَانِ وألفٌ بالمِيْزَانِ رواه الخمسة وصححه الترمذي .

وعن سعد بن أبي وقَّاصٍ أنه كان يُعَلِّمُ بَنِيْه هَؤلاء الكَلِمَاتِ ويقولُ إنَّ رَسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَم كان يَتَعَوَّذُ بِهنَّ دُبُرَ الصلاةِ اللهم إنِّي أعُوذُ بِكَ مِن البُخْلِ وأعُوذُ بِكَ مِن الجُبْنِ وأعَوْذُ بِكَ مِن عذاب القَبْرِ . روَاه البخاري والترمذي وصححه .

وعن أمِّ سَلمَةِ أن النبيَّ صَلى اللهَ عَليْهِ وسلم كَانَ يقولُ إذا صَلَّى

الصَبحَ حِينَ يُسَلِّمُ اللَّهم إنِي اسْألُكَ عِلْماً نَافِعاً ورزقاً طيباً وعَملاً مُتَقَبلا رواه أحمد وابنَ ماجه .

وعن أبي أُمَامَةَ قال قِيْلَ يا رسولَ اللهِ أيُ الدُعاء أسْمَعْ قال جَوفُ الليلِ الآخرِ ودُبُر الصلواتِ المكتوباتِ .

وعن عائشة قالَتْ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم لم يَقْعُدْ إلا مِقْدار مَا يقولُ اللهم أنتَ السلامُ ومنكَ السلامُ تباركتَ يا ذَا الجَلالِ والاكرامِ رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه .

وعن أبي هريرة عن رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال مَن سَبَّح دُبُرَ كل صَلاةٍ ثلاثا وثلاثين وحَمِدَ اللهَ ثلاثاً وثلاثينَ وكَبَّرَ اللهَ ثلاثاً وثلاثينَ فتلْكَ تَسْعةٌ وتِسْعُون وقال تَمَام المائةِ لا إله إلا اللهُ وحَدَهُ لا شريكَ لَهُ لَهُ المِلكُ وله الحمدُ وهو على كلِ شيءٍ قدير غُفِرَتْ خطاياهُ ولو كانَتْ مِثلَ زبدِ البحر رواه مسلم .

وفي رواية أخرى أن التكبيرَ أربعةٌ وثلاثون . .

وعن معاذِ بن جبلٍ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اوْصيْكَ يا معَاذُ لا تدعَنَّ دُبُرَ كُلِ صَلاةٍ أن تقولَ اللهم أعِنّيْ على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْن عبادَتِكَ رواه أحمد وأبو داود والنسائي بسند قوى .

وعن أبي أمامةَ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَن قَرأ آيَةَ الكُرْسي دُبُرَ كُلِ صلاةٍ مَكْتُوبةٍ لم يَمْنَعْهُ مِن دخولِ الجنةِ الا الموتُ . رواه النسائي وصححه ابن حبان وزاد فيـه الطبراني وقل هو الله أحد .

وعنه قال ما دَنُوتُ من رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في دُبُرِ مكتوبةٍ ولا تَطُوعٍ إلا سَمِعْتُهُ يقولُ اللهم اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وخَطايَايَ كُلُّها اللَّهم انْعشْنِي وَأَجْبُرْنِي واهدنِي لصالحِ الأعمال والاخلاقِ إنَّه لا يَهْدِي لِصَالِحَها ولا يصرفُ سيئَها إلا أنْتَ .

وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِي أنَّ النبيَ صلى اللهُ عليه وسلم كان اذا فَرَغَ مِن صَلاتِهِ لا أدْرِي قَبْلَ ان يُسَلِّمَ أوْ بَعْدَ أنْ يُسَلِم يقولُ سُبحانَ ربكَ رَبُّ العِزَّةِ عَما يَصِفوُنَ وَسَلامٌ على المرسلين والحمدُ للهِ ربِ العالمين .

وعن أنس قَال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقولُ إذَا انْصَرَفَ مِن الصلاةِ اللهم اجْعَلْ خَيْرَ عُمُرِي آخِرَهُ وخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ واجْعَلْ خَيْرَ أيَّامِي يَومَ ألقَاك .

وعن أبي بكرٍ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقولُ في دُبُرِ الصلاةِ اللهم إني أعوُذُ بِكَ مِن الكفرِ والفقرِ وعَذَابِ القَبْرِ ، وعن أنسِ بن مالكٍ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلمَ مَن صَلَّى الغداةَ في جَمَاعةٍ ثم قَعَدَ يَذكُرُ اللهَ حتَّى تَطْلعُ الشمسُ ثم صَلَّى رَكْعَتَيْن كانَتْ له كأجْرِ حَجَّةٍ وعَمْرَة ، قالَ قَالَ رَسولُ اللَّه صلَى الله عليه وسلَّم تَامْةً تَامَةً تامَّةً .

وعن أبي ذرٍّ رضْيَ الله عنهُ أنَّ رَسولَ الله صلَّى الله عليه وسلمَ قال مَنْ قال في دُبُرِ صَلاةِ الصُّبحِ وهوَ ثانٍ رْجليهِ قَبل أنْ يتكلَّمُ لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَه لهُ الملكُ ولهُ الحمْدُ يُحيِي ويمُيت وهوَ على كلِّ شيءٍ قَدير عَشْرَ مرّاتٍ كُتِبَ له عَشرُ حسناتٍ ومُحِيَ عنهُ عَشرُ سَيئاتٍ ورُفِعَ لهُ عَشْرُ دَرَجاتٍ وكانَ يَومه ذَلِـكَ في حِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوْهٍ وحُرِسَ مِنَ الشِّركَ بالله تَعالَى قالَ التِرمذيُّ هذا حديثٌ حَسَنٌ وفي بَعْضِ النُّسخ صَحيْحٌ .

وعن الحَارثِ بنِ مسلم التَّميميِّ رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ لي النَّبيُّ صلَّى الله عليهِ وسلمَ اذا صَلّيتَ الصُّبحَ فَقُلْ قَبْلَ أنْ تَتكلّمَ الّهُمَ اجرْني مِن النّارِ سَبْعَ مرَاتٍ فإنّكَ إنْ مُتَّ مِنْ يَوْمِكَ كَتَبَ اللهُ لكَ جِوَاراً مِن النَّارِ وإذا صَلّيتَ المغربَ فقُلْ قَبْلَ انْ تتكلَّمَ اللهُمّ أَجِرْنِي مِن النارِ سَبْعَ مرّاتٍ

فانّكَ ان مُتّ منْ ليلتكَ كَتَبَ الله لكَ جِوَاراً مِن النّارِ رواه النسائيُ وهذا لفظهُ وأبو دَاودَ .

وعن أبي أيّوبَ رَضِيَ اللهُ عنهُ أنّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلّم قالَ من قَالَ اذا أصبْحَ لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شريك لهُ لهُ الملكُ وله الحَمْدُ وهُوَ على كلّ شيءٍ قدير عَشْرَ مرّاتٍ كَتَبَ اللهَ لهُ بِهنَّ عَشْرَ حَسَناتٍ وَمَحَا بِهنَّ عَشرَ سيئآتٍ وَرَفَعَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرَ دَرَجاتٍ وَكُنَّ لَهُ عِدْلَ عِتَاقَةِ أربعِ رِقَابٍ وَكُنَّ له حَرَساً حتى يُمْسيْ وَمَن قالهُنَّ إذا صلّى المغربَ دُبْرَ صَلاتِهِ فَمِثْلُ ذلكَ حتّى يُصبحَ . رواه أحمدُ والنّسائيُ وابنُ حِبّانَ في صَحيحهِ وهذا لفْظهُ .

وعن أبي أُمَامَة رضيَ اللهُ عنه قَال قَال رسولُ اللّه صلّى اللّه عليه وسلمَ مَن قال دُبُرَ صَلاةِ الغَداةِ لا إله إلا اللهُ وحدهُ لا شَريكَ لهُ لَهُ الملكُ وَلَهُ الحمدُ يُحيي وَيُميتُ بيدهِ الخيرُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٍ مائة مرّةٍ قَبْلَ أن يَثْنى رِجْليهِ كانَ يومئذٍ مِن أفْضلِ أهْلِ الأرضِ عَملاً إلا مَنْ قالَ مِثْلَ ما قَال أو زَادَ عَلى مَا قَالَ رواه الطّبَرانيُ في الأوسطِ باسنادٍ جيّدٍ .

وَرُوِيَ عن معاذِ بنِ جَبلٍ رَضِيَ الله عنهُ قال سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليهِ وسلمَ يقولُ مَن قال بعدَ صَلاةِ الفَجْرِ ثَلاثَ مرّاتٍ وبعدَ العَصْرِ ثلاثَ مرّاتٍ استغفر اللّهَ الّذي لَا إلَهَ إلا هُوَ الحيُّ القيُّومُ وأتوبُ إليهِ كُفّرتْ عنه ذُنوبُه وإنْ كانتْ مِثْلَ زَبدِ البحْر . رواه ابنُ السُّني في كتابهِ وفي مُسندِ الامامِ احمد وَسُنَنِ بنِ ماجة وكِتابِ ابن السُّنيّ عن أمِّ سَلمةَ رَضِيَ اللهُ عنها قَالتْ كانَ رَسولُ اللهِ صلى اللّه عليهِ وسلّم إذا صَلّى الصُّبحَ ل اللهمَّ إني اسْألكَ عِلْماً نافِعاً وَعَمَلاً مُتقبَّلاً وَرِزْقاً طَيِّباً .

وعن صهيْبٍ رضيَ الله عنه أنَّ رسولَ اللّه صلّى اللّهَ عليْهِ وسلم كانَ يُحركُ شَفَتيهِ بعد صلاةِ الفَجْرِ بِشَيءٍ فقلتُ يا رَسولَ الله ما هَذا الذي

تَقولُ قالَ اللهُمَّ بِكَ أُحاوِلُ وَبِكَ أُصاوِلُ وَبِكَ أُقاتِلُ وَيُسْتَحَبُّ الجهرُ بالتسْبيحِ والتَّهْلِيْلِ والتَّحْمِيْدِ والتَّكبيرِ لِقَول ابنِ عبّاسٍ كُنْتُ أعْلمُ إذا انصَرفُوا بذلكَ إذا سَمِعْتُهُ وفي رِوَايةٍ كُنْتُ أعْرفُ انْقِضَاءَ صلاةِ النّبي صلّى اللهُ عليهِ وسلمَ بالتّكبير متفق عليه .

اللهمّ قَوِي إيْمانَنا بكَ وبملائِكتكَ وبرسُلكَ وباليومِ الآخرِ وبالقَدَر خيرِه وشرِّهِ اللهمّ الهمْنَا ذِكركَ وشُكرِكَ ووفقنَا لِطَاعَتِكَ وامتثالِ أمرِكَ واجعلنَا مِن عِبادكَ المفلحينَ الّذين لا خوفٌ عليهم ولا هُمْ يَحْزنونَ واغفْر لنا ولوالِدينَا ولجميعِ المسلمينَ برحْمتك يا أرحمَ الراحمين وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آله وصحبهِ أجمعينَ .

(فصــل)

ومِنْ تَمامِ المُحافَظَةِ على الصّلاةِ حُسْنُ المُحافظةِ على الرَّواتِبِ والنّوافِلِ وَهَذه المُطْلقةُ فيها فَوائدُ كَثيرةٌ منها تكفيرُ السّيئات وتكثيرُ الحَسَناتِ ورَفْعُ الدرجاتِ وَجَعلُ القُلوبِ مُتّصلةً باللّهِ مُعَظّمَةً لَه وأنها سَبَبٌ لِتقْوِيَةِ الحَيَاءِ مِن اللهِ ومنها التَلَذُذُ بالمَناجاةِ . . ومنها الحصولُ في منزلةِ المُبَاهَاةِ فِيمَنْ أقيْمَ مِن الملائكةِ في تلكَ الحالاتِ . ومنها الشكرُ والنعمُ المتجددةُ والمَواهبُ المُتَعَدّدَةُ وَعِمَارَة لِلْقُلُوبِ التي خُلقَتْ لِذكرِ الله تعالى . ومنها حِفْظُ الزَّمَنِ عن ضَيَاعِهِ في غَيرِ طَاعَةِ اللهِ .

ومنها تكميلُ ما نقصَ مِن الفرائضِ ، كما وَرَدَ في الحديث مِن رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : « ان أَوَّلَ ما يُحَاسَبُ به العبدُ يومَ القيامةِ مِن عملِهِ صَلاتُهُ فان صَلَحَتْ فقدْ أَفْلَحَ وأَنْجَحَ وان فَسَدَتْ فقد خَابَ وَخَسِرَ فانْ انْتَقَصَ مِن فَرِيضَتِهِ شَيْئاً فإن الربُّ عَزَ وَجَل يقول : ﴿ أنظُروا هَلَ لِعَبْدِي مِن تَطوُّعٍ فيُكَمِلُ بها ما نَقصَ مِن الفرِيْضَةِ ﴾ ثم يكون سَائرُ عَمَلِهِ على ذلكَ

أخرجه الترمذي : وَمَنها مَحَبَّةُ اللهِ لَهُ ، كما وَرَدَ في الحديث ولا يَزالُ عبدي يَتقَرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فاذا أَحْبَبْتُهُ كُنتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بها ولئِن سَألني لاعطِيَنَّهُ ولئِنْ استعاذَنِي لأُعيذَنَّهُ رواه البخاري .

ومنها أنها سَبَبٌ لِتَسْهِيْلِ عُسْرِ المَوْقِفِ في الحَشْرِ وَتَخْفِيْفِ الحِسَابِ في دَارِ المآبِ لأَنَّهُ يَكْثِرُ ثَوَابُهُ إذا وَفقَهُ اللهُ لِلتَّقَرُّبِ بالنوافِلِ ومنها نَضَارَةُ الوَجْهِ وَتَنْشِيْطِ الجَوارِحِ ومنها أَنَّهَا تُوْقِظُ الضَّمِيْرَ ومنها الاقْتِداءُ بالصالحينَ ومنهَا غَرْسُ الصِدْقِ والأمانَةِ في النُفُوسِ ومنهَا أَنَّ النَّوافِلَ تُقَوِّي شَجَرَةَ الإيمانِ وَتُنَمِّي الإيمانَ ومنها السُّمُوُ إلى دَرَجَةِ الكَمالِ ومنها أَنَّهُ إذا قَطَعه عنها مَرَضٌ أو سَفَرٌ كُتِبَتْ لَهُ كامِلةً كما في حديث أبي مُوسَى الأَشْعري رَضِيَ اللهُ عَنهُ اذا مَرِضَ العَبْدُ أو سَافَرَ كُتِبَ له ما كان يَعْمَلُ صَحِيْحاً مُقِيْماً رواه البخاري .

ومنها مَحَبَّةُ أَهْلِ السَّمَاء لِمَنْ أَحَبَّهُ الله كما في حديث أبي هريرة أن الله تعالى : إذا أَحَبَّ عَبْداً دعا جِبْرِيْلَ فقال : إني أُحِبُّ فلاناً فأَحِبَّه فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي في السَّمَاءِ فَيقولُ إنَّ اللهَ يُحِبُّ فلاناً فأحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أهلُ السماءِ ثُمَّ يُوْضَعُ لهُ القَبُولُ في الأَرضِ ومنها اسْتِعْمَالُ نِعْمَةِ المُنْعِمِ في طاعتِهِ وهذا في غَايَةِ الحُسْنِ ولا يَخْفَى على عاقلٍ أَنْصَفَ مِن عَقْلِهِ ومنها مُخَالَفَةُ المنافقين الذينَ إذا قاموا إلى صلاةِ الفريضةِ قاموا كسالى يُراؤ ون الناسَ ولا يذكرون اللهَ إلا قليلاً . ومنها القُرْبُ مِن اللهِ للحديث المتقدم ولِحَديثِ أَقْرَبُ ما يكون العَبْدُ مِن رَبِّهِ وهو سَاجِد . ومنها مُخَالَفَةُ المُشْرِكِينَ العَابِدِيْنَ لِمَنْ لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي شيئاً وأَنْتَ تعبدُ مَن يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ وَيَعْلَمُ وَيُحْيِي وَيُمِيتُ وهو حَيٌ لا يَمُوْتُ ومنها قِيامُ العبدِ بينَ يَدَيْ سَيِّدِه مَقَامَ المُتَضَرِعِ المتذَلِّلِ المسْكِين الضَّعِيْفِ واضعاً يَدَهُ

اليُمْنَى على اليُسْرَى مُظْهِراً العَجْزَ والضَّعْفَ وأنه لا حَوْلَ ولا قوةَ إلا باللهِ العلي العظيمِ .

اللَّهُمَّ إنَّكَ تَعْلَمُ صِدْقَنَا في رَجَاءِ رِفْدِكَ وَخَالِصِ وِدِّكَ يَامَنْ عَمَّ الخلائقَ كرمُه وجودُهُ ياأَوَّلُ بلا بِدَايَةٍ ويَاآخِرُ بلا نِهَايَةٍ، يَاوَاحِدٌ لا شريكَ له نسأَلكَ أن ترحمَ ضَعْفَنَا وَتَغْفِرَ ذَنْبَنَا وَتَرْأَفَ بِنَا يَارَؤُوْفٌ يَارَحِيْم ولا تَحْرِمْنَا لذَّةَ النظرِ إلى وَجْهِكَ الكريمِ في جناتِ النعيمِ. اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمَالَ، وَنَجِّنَا مِن جميعِ الأَهْوالِ، وأَمِّنَّا مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ يومَ الرَّجْفِ والزِلْزَالْ، واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(**فَصْلٌ**): وقال ابنُ القيمِ رحمه الله وأما فوائدُ الصلاةِ فكثيرةٌ أَوَّلاً إمتثالُ أَوَامِرِ اللهِ وَمُوَافَقَةُ اللهِ ملائِكَتِهِ وتكفيرُ السيئاتِ وزيادةُ الحسناتِ ورفعةُ الدرجاتِ.

ومنها أنها سَبَبٌ لإجَابَةِ الدُّعَاء وَلِشَفَاعَةِ النبي صلى الله عليه وسلم والقُربِ منهُ ولِكِفَايَةِ الهَمِّ والغَمْ وَقَضَاءِ الحَوَائِجِ وَسَبَبٌ لِصَلاةِ اللهِ على المُصَلِي وَصَلاةُ مَلاَئِكَتِهِ وَهِيَ زَكَاةٌ لِلْمُصَلِي وَطُهْرَةٌ لَهُ وَسَبَبٌ لِلْتَبْشِيْرِ بالجَنَّةِ والنَجاةِ مِن النارِ وَسَببٌ لِرَدِّ النَّبي صلى اللهُ عليه وسلم السلام وَلِتَذْكِيْرِ العَبْدِ ما نَسِيَهُ وَلِطِيْبِ المَجْلِسِ وأَنْ لاَ يَعُودَ عَلى أَهْلِهِ حَسْرَةً وَلِنَفْيِ الفَقْرِ والبُخْلِ وَللنَّجاةِ مِن نَتَنِ المَجْلِسِ الذي لا يُذْكَرُ اللهُ فيهِ وَلاَ رَسولُه ولِتَمَامِ الكلامِ وَبَرَكَتِهِ وَلِوُفُورِ نُورِ العَبْدِ على الصِراطِ وَلِلْخُرُوْجِ مِن الجفَاء ولإبْقَاءِ الثناءِ الحَسَنِ لِلْمُصَلى عليه بين السماء والأرض وَلِلْبَرَكَةِ في ذات المُصَلِي عُمَرِهِ وَعَمَلِهِ وأسبابِ مَصَالحه وَلِنَيلِ رَحْمَةِ اللهِ وَلِدَوَامِ مَحبتِهِ صلى الله عليه وسلمَ وَزِيادَتِهَا وَتَضاعُفِهَا وَلِمَحَبَّةِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم وسَبَبٌ لِحَيَاةِ القَلْبِ وَهِدَايَتِهِ وَسَببٌ عَرْضِ اسم

المُصَلِي على النبي صلى الله عليه وسلم وسببُ لِتَثْبِيْتِ القَدَمَ على الصِرَاطِ والجَوَاز عليه وَمُتَضَمِّنَةٌ لِذِكْرِ اللهِ وَشكرِهِ وَمَعْرِفَةِ إِنْعَامِ اللهِ على عَبِيْدِهِ بإرسالِهِ ولِأداءِ قليلٍ مِن حَقِّهِ . وهي دعاءٌ مِن العبدِ وسؤالُـهُ نوعَان :

أحدُهُما سؤال مَطَالِبِهِ وَمَا يَنْوِيْهْ .

والثاني : سؤالُهُ أنْ يُثنِيَ على حبيبِهِ وخليلهِ وَيَزيدَ في تَشْرِيفِهِ وتكريمِهِ ورفْعِه ذكرَهُ ولا رَيبَ أنّ اللهَ يُحِبُ ذلكَ وَرَسُوْلُهُ يُحِبُّهُ فالمُصَلّي قَدْ صَرَفَ سُؤآله لِما يُحِبُهُ اللهُ ورَسُوْلُهُ وآثر ذلكَ على طَلَبِ حَوائِجِهِ وَمَحابِّهِ هُو ، بَلْ كانَ هَذَا المَطْلُوبُ مِن أَحَبِّ الأُمُورِ إِلَيْهِ والجَزاءُ مِن جِنْسِ العَمَلِ فَمَنْ آثرَ اللهَ على غَيره آثرَهُ اللهُ عَلى غيرِهِ .

وَهَهُنَا نُكْتَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ عَلَّمَ أُمَّتُهُ دِيْنَهُ وَمَا جاءَ بِهِ وَدَعَاهُمْ إِليهِ وَصَبر على ذلِكَ وَهِيَ : أن النبيَّ صَلى الله عليه وسلم له مِن الأَجْرِ الزَّائِدِ على أَجْرِ أُمّتِهِ مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ فالداعِي إلى سُنَّتِهِ وَدِيْنِهِ والمُعَلِّمُ الخَيْرِ لِلأُمّةِ إذا قَصَدَ تَوْفِيرَ هذا الحَظ لِرَسولِ الله صلى الله عليه وسلم وَصَرفَهُ إليهِ وَكانَ مَقْفُصوْدَهُ بِدُعَاءِ الخلقِ إلى اللهِ التقرُّبَ إليهِ بارشادِ عبادِهِ وَتَوْفِير أُجُوْرِ المُطِيْعِنَ لَهُ على رسولِهِ مَعَ تَوْفِيَتِهِمِ أجُوْرَهُم كامِلة كان له مِن الأَجْرِ بدعوته وتَعْلِيْمهِ بحَسَب هذِه النيةِ وذلكَ فضلُ اللهِ يؤتيه مَن يشاء.

اللّهُم إرِنَا الحقَّ حَقاً وارْزُقْنَا اتّبَاعَه ، وارنا الباطل باطلاً وجَنِبْنَا اتّبَاعَه ، واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

شِعْرًا: إِلَى كَمْ تَمَادَى في غُرُوْرٍ وَغَفْلَةٍ ... وَكَمْ هَكذا نَوْمٌ إِلَى غيرِ يَقْظَةِ
لَقَدْ ضَاعَ عُمْرٌ سَاعَةٌ منه تُشْترى ... بِمِلءِ السَما والأَرضِ أَيَّةَ ضَيْعَةِ

أَتَرْضَى مِن العَيْشِ الرَّغِيْدِ وَعِيْشَةٍ   مَعْ الْمَلأ الأَعْلَى بِعيْشِ البَهِيْمَةِ
فَيَادُرَّةً بَيْنَ المَزَابِلِ أُلْقِيَتْ   وَجَوْهَرَةً بِيْعَتْ بِأَبْخَسِ قِيْمَةِ
أَفَانٍ بِبَاقٍ تَشْتَرِيْهِ سَفَاهَةً   وَسُخْطاً بِرِضْوَانٍ وَنَاراً بِجَنَّةِ
أَأَنْتَ صَدِيقٌ أَمْ عَدوٌّ لِنَفْسِهِ   فإنَّكَ تَرْمِيْهَا بِكُلِّ مُصِيْبَةِ
وَلَوْ فَعَلَ الأَعْدَا بِنَفْسِكَ بَعْضَ مَا   فَعَلْتَ لَمَسَّتْهُم لَهَا بَعْضُ رَحْمَةِ
لَقَدْ بِعْتَهَا هَوْناً عَلَيْكَ رَخِيْصَةً   وكَانَتْ بِهذَا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيْقَةِ
كَلِفْتَ بها دُنْيَا كَثِيْرٍ غُرُوْرُهَا   تُقَابِلُنَا في نُصْحِهَا في الخَدِيْعَةِ
عَلَيْكَ بما يُجْدِي عَلَيْكَ مِن التُقَى   فإنَّكَ في سَهْوٍ عَظِيمٍ وَغَفْلَةِ
تُصَلِّيْ بلا قَلْبٍ صَلاةً بِمِثْلِهَا   يكونُ الفَتَى مُسْتَوْجِباً لِلْعُقُوْبَةِ
تُخَاطِبُهُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ مُقْبِلاً   عَلَى غَيْرِهِ فِيْهَا لِغَيْرِ ضَرُوْرَةِ
وَلَوْ رَدَّ مَن نَاجَاكَ لِلْغَيْرِ طَرْفَهُ   تَمَيَّزْتَ مِن غَيْظٍ عليهِ وَغَيْرَةِ
فَوَيلَكَ تَدْرِي مَن تُنَاجِيْهِ مُعْرِضاً   وبَيْنَ يَدَي مَن تَنْحَنِي غَيْرَ مُخْبِتِ
أَيَّا عَامِلًا لِلنَّارِ جِسْمُكَ لَيِّنٌ   فَجَرِّبْهُ تَمْرِيْناً بِحَرِّ الظَّهِيْرَةِ
وَدَرِّبْهُ في لَسْعِ الزَّنَابِيرِ تَجْتَرِي   عَلَى نَهْشِ حَيَّاتٍ هُنَاكَ عَظِيْمَةِ
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَقْوَى فَوَيْلَكَ ما الذي   دَعَاكَ إِلَى اسْخَاطِ رَبِّ البَرِيَّةِ
تُبَارِزُهُ بالمُنْكَرَاتِ عَشِيَّةً   وَتُصْبِحُ في أَثْوَابِ نُسْكٍ وَعِفَةِ
نَسِيءُ به ظناً وَتُحْسِنُ تَارَةً   على حَسْبِ ما يَقْضِي الهوَى بالقَضِيَّةِ
فأَنْتَ عليهِ أَجْرَى منكَ عَلى الوَرَى   بِمَا فِيكَ مِن جَهْلٍ وَخُبْثِ طَوِيَّةِ
تَقُولُ مَعَ العِصْيَانِ رَبيَ غَافِرٌ   صَدَقْتَ وَلَكِنْ غَافِرٌ بالمَشِيْئَةِ
وَرَبُّكَ رَزَّاقٌ كَمَا هُوَ غَافِرٌ   فَلِمَ لَا تُصَدِّقْ فِيْهِمَا بالسَّوِيَّةِ
فَكَيْفَ تُرَجِّيْ العَفْوَ مِن غَيْرِ تَوْبَةٍ   وَلَسْتَ تُرَجِّي الرِّزْقَ إِلَّا بِحِيْلَةِ
على أَنَّه بالرِّزْق كَفَّلَ نَفْسَهُ   وَلَمْ يَتَكَفَّلْ لِلأَنَامِ بِجَنَّتِيْ
وما زِلْتَ تَسْعَى بالذي قَدْ كُفِيْتَهُ   وَتُهمِلَ ما كُلِفتَهُ مِن وَظِيْفَةِ
إِلٰهِي أَجِرْنَا مِنْ عَظِيْمِ ذُنُوبِنَا   ولا تُخْزِنَا وَانْظُرْ إِلَيْنَا بِرَحْمَةِ

وَخُـذْ بِنَواصِيْنَـا إِلَيكَ وَهَبْ لَنَـا — يَقِيْنَـاً يَقِيْنَاً كُلَّ شَكٍّ وَرِيْبَـةِ
إِلٰهي اهْدِنَا فِيْمَنْ هَدَيْتَ وَخُذْ بِنَا — إِلَى الحَقِّ نَهْجاً في سَواءِ الطَّرِيْقَـةِ
وَكُنْ شُغْلَنَا عَن كُلِ شُغْلٍ وَهَمَّنَا — وَبُغْيَتَنَـا عن كُلِّ هَمٍّ وَبُغْيَـةِ
وَصَلِّ صَلاةً لا تَنَاهىٰ عَلى الـذي — جَعَـلْتَ بِهِ مِسْكـاً خِتَـامَ النُّبُـوَّةِ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ المُفْلِحين وأَلْبِسْنَا خِلَعَ الايْمَانِ واليَقِيْن وَخُصَّنَا مِنْكَ بالتَّوْفِيْق المُبين وَوَفِّقْنَا لِقَوْلِ الحَقِ واتْبَاعِهِ وَخَلِّصنْا مِنَ البَاطِل وابْتِدَاعِهِ وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدَا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشاً رَغَدَا وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدوَّاً وَلَا حَاسِدَاً وارْزُقْنَا عِلْمَاً نافِعاً وَعَمَلاً مُتقَبَّلا وَفَهْماً ذَكِيّاً وَطَبْعاً صَفِيّا وَشِفَاً مِنْ كُلِّ دَاء واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

٣١ كتاب الزكاة

ويبحث في :

١ ـ الأموالِ التي تجب فيها الزكاة .
٢ ـ نِصابِ الزكاة .
٣ ـ مَصارفِ الزكاة .
٤ ـ تعريفِ أهلِ الزكاةِ وبيانِ مِقدارِ ما يعطاهُ كلُّ صِنْف .

١ ـ الأموال التي تجب فيها الزكاة :

إِعْلَمْ ـ رَحِمَكَ الله ـ أن اللهَ سبحانَهُ وتَعالَى أَوْجَبَ على المؤمنين أصحابِ الأموالِ الزَّكوِيَّةِ زكاةً لِمن ذَكَرَهُمْ اللهُ في كتابِهِ ، وقَسَّمها بَيْنَهُم وَرَتَّبَ الثوابَ عَلَى أدائِها ، والعِقابَ على مَنْعِها ، وَقَرَنَها بالصلاةِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيْرَةٍ من كِتَابِهِ ، تَعْظِيْماً لِشَأنِهَا ، وتَنْبِيْهَاً بِذِكْرِها ، وحَثَّاً على أَدائِها لِتَطْهِيْرِ النفسِ مِن دَرَنِ الشُّحِ وَالبُخْلِ ، ودفعِ النَّفْسِ إلى

الجُودِ ، والتَصَدُّقِ والانفاقِ في مَراضِي اللهِ تعالى : لِتَحْصِيلِ النَماءِ والزيادةِ والبَركةِ والفَلاحِ والطَّهارَةِ ، قال تعالى : ﴿ خُذْ مِن أموالِهِم صدقةً تُطَهِّرُهُم وتزكِيهم بها ﴾ .

فالزكاةُ تُطَهِّرُ المُزَكِّي مِن أنجاسِ الذُنُوبِ ، وَتُنَقِيْهِ مِن أوْسَاخِها وتُزَكِيْ أَخْلاَقَه بالتَّحَلِّيْ بالجُودِ والسَّخاءِ وتُمَرِّنُهُ على السَّخاءِ الذي يُحِبُه كلُّ بَرٍ وفاجرٍ وتُبْعِدُه عن الشُحِّ الذي هو مَذمُومٌ عندَ كلِّ أحدٍ وتُطَهِّرُ القَلْبَ عن حُبِّ الدنيا ببذلِ اليَسيرِ. فاليَسِيْرُ هُوَ الواجِبُ وهوَ بذلُ القليل مِن الكثيرِ قال تعالى : ﴿ ولاَ يَسْأَلْكُم أمْوالَكم . إنْ يَسْألْكُمُوها فيُحْفِكم تَبْخَلوا ويُخْرِجْ أضغانكم ﴾ وقال تعالى ﴿ وتُحِبونَ المالَ حُباً جَمّا ﴾ وقال ﴿ إنه لِحُبِّ الخيرِ لَشَدِيْد ﴾ .

فالشارِعُ الحكيمُ اللطيفُ بعبادِهِ أَوْجَبَ شَيئاً يَسيْراً بعدَ مُدَّةٍ طَوِيْلَةٍ اذا اعتادَ الإنسانُ إخراجَهُ مِن المالِ المحبوبِ طَبْعاً امتثالاً لِأَمْرِ اللهِ ورَسُولِهِ اسْتَفَادَ حُبَّ خالِقِهِ الذي رَزَقَهُ اياهُ وَوَعَدَهُ أن يَخْلِفَ عليهِ ما أنْفَقَهُ . قال تعالى : ﴿ وما أنفقتُم مِن شيءٍ فهو يُخْلِفُهُ وهو خيرُ الرازقين ﴾ وقال : ﴿ وانفِقُوا مِمَّا رَزَقناكُم مِن قبلِ أن يَأتِيَ أحدَكم الموتُ فيقولَ ربِّ لَولا أخرتني إلى أجلٍ قَرِيْبٍ فَأَصَّدَقَ وأَكُنْ مِنَ الصالحين ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَا مِنْ يَومٍ يُصْبِحُ العِبادُ فيه إلاّ وَمَلَكانِ يَنْزِلانِ فيقُولُ أحدُهُما اللّهم أعطِ مُنْفِقاً خَلَفَا وَيَقُولُ الآخرُ اللهمَ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً) وعنه أن رسول الله ﷺ قال : قال تعالى : ﴿ أَنْفِقْ يا بنَ آدمَ يُنْفَقْ عليكِ ﴾ متفقٌ عليه . والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فصـل : إذا فَهِمْتَ ذلكِ فاعلَمْ أنَّ الزكاةَ هِيَ أحدُ أركانِ الإسلامِ

ومَبَانِيْهِ العِظَامِ المُشَارُ إليها بقوله ﷺ « بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ » ذَكَر منها إِيتاءَ الزكاةِ . وَتَجِبُ الزكاة في خمسةِ أشياءَ :

١ ـ بهيمةِ الأنعامِ وهي الابلُ والبقرُ والغنمُ

٢ ـ **الخارجِ مِنْ الأرضِ وما في مَعْنَاهُ كالعَسَلِ الخَارِجِ مِن النحلِ .**

٣ ـ **عُرُوْضِ التجارةِ .**

٤ ـ **الأَثمان .**

٥ ـ **الثِّمَارِ**

ولا زكاةَ في شيءٍ مِن ذلكَ حَتَّى يَبْلَغَ نِصَاباً ، ولا زكاةَ في مالٍ حَتَّى يَحُولَ عليهِ الحولُ ، إلَّا في الخارجِ مِنَ الأرضِ لِقولِهِ تعالى : ﴿ وآتوا حَقَّه يومَ حَصَادِهِ ﴾ وإلَّا نِتَاجَ السَّائِمَةِ ، وَرِبْحَ التجارةِ فانَّ حَوْلَهُما حَوْلُ أَصْلِهِما إنْ كانَ نِصَاباً ، والا فابتدَاء الحولِ مِن حينِ كَمُلَ نِصَاباً .

وَمَنْ كَانَ عندَه مالٌ وعليه دَيْنٌ فإن كان بمقدار ما عنده فلا زكاةَ فيه ، فإن كان عندَه عشرةُ آلافٍ وعليه دينٌ عَشَرَةُ آلافٍ فأصْبَحَ مَا يَمْلِكُ شَيئاً وإنْ كَانَ عندَه عِشْرُوْنَ ألفاً وعليه عَشَرَةُ زَكّى عَشَرَةً وَانْ كَانَ عليهِ عِشْرُوْنَ وعندَه عَشَرةٌ فَلَيْسَ عليهِ شَيءٌ ولَه الأَخذُ مِن الزكاةِ لأَنَّه مِن الفُقَراءِ ولأنه غارِمٌ .

وَيُضَمُّ المُسْتَفَادُ إلى نِصَابٍ بيدِهِ مِن جِنسِهِ ، أو في حُكْمِهِ في وُجُوبِ الزكاةِ لا في الحَوْلِ ، فَيُزَكِي كلَّ واحدٍ إذا تَمَّ حَوْلُهُ .

وتجبُ الزكاةُ فيما زادَ على النصابِ بحسَابِهِ إلَّا في السائِمةِ فلا زكاةَ في وَقْصِهَا لما رَوى أبو عُبَيْدَةَ في غَرِيْبِهِ : (وليسَ في الأوقاصِ صدقةَ) ، وقال : « الوَقْصُ ما بَيْنَ الفَرْضَيْن » .

أمَّا عُرُوْضُ التِّجَارَةِ ، فهو كُلُّ ما أُعِدَّ لِلْبَيْعِ والشرَاءِ لأجْلِ الرِّبْحِ والتَّكَسُّبِ مِن جَمِيْعِ السِّلَعِ التِّجَارِيَّةِ : كالمُجَوْهَرَاتِ وَالأَطْعِمَةِ والأَقْمِشَةِ والسَّيَارَاتِ والمَكَائِنِ ، والثَّابِتَاتِ : كالعَقَاراتِ مِن أَرَاضٍ وبُيُوتٍ ونحوهَا ، إذا تَملَّكَهَا بِفِعْلِهِ بِنِيَّةِ التِّجارةِ وَبَلَغَتْ قِيْمَتُها نِصاباً ، لِمَا وَرَدَ عن سَمُرَةَ بن جُنْدَبٍ - رضي الله عنه - قال : إنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « أمَرَنَا نْ نُخْرِجَ الصَدَقَةَ مِمَّا نُعِدُّه لِلْبَيْعِ » رواه أبو داود .

فَتُقَوَّمُ العُرُوْضُ إذا حَالَ عَلَيها الحَوْلُ ، وَأَوَّلُهُ مِن حِيْنِ بُلُوغِ القِيْمَةِ نِصَاباً بالأَحَضِ لِلْفُقَراءِ مِن ذَهَبٍ أو فِضَّةٍ ، ولاَ يُعْتَبَرُ مَا اشْتُرِيَتْ بِهِ ، ويُخْرَجُ رُبُعُ عُشْرِ قِيْمَتِهَا . وَمَنْ استفادَ مالاً خارجاً عن ربحِ التجارَةِ كالأُجرةِ والرَاتِبِ ونحوهما ، فانه يَبْتَدِي حَوْلاً مِن حينِ الاسْتِفَادَةِ ان كان نِصاباً ، والا فَمِنْ كَمَالِهِ وَيُزَكِّيْهِ إذا تَمَّ حَوْلُه .

وأما الأثمانُ ، وهِيَ النُّقُودُ مِن ذَهَبٍ أو فِضَّةٍ ، أو مَا يَقُومُ مَقَامَها مِن فُلُوسٍ أو أوْراقٍ نَقْدِيَّةٍ ، وكذلكَ حُلِيُّ الذَّهَبِ والفضةِ إذا بَلَغَ نِصَاباً بِنَفْسِهِ ، أو بما يَضُم إليهِ من جِنْسِهِ أَوْ فِي حُكْمِهِ ولم يكن مُعَداً لِلاستعمالِ أو للإعَارَةِ ، فإن أُعِدَّ للإستِعمالِ أو للإعَارَةِ فلا زَكَاةَ فيه .

وأقلُّ نِصَابِ الذَّهَبِ عِشْرُوْنَ مِثْقَالاً ، وفيها نِصْفُ مِثْقَالٍ وهو رُبعَ العُشْرِ ، لِحديثِ عائشةَ وابنِ عُمرَ - رضيَ اللهُ تعالى عنهما - مرفوعا : « أنه كانَ يَأْخذُ مِنْ كُلِ عِشْرِينَ مِثْقالاً نِصفَ مِثْقَال » رواه ابنُ ماجَه .
والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

٢ - فصل : والنِّصَاب مِنَ الذّهب بالجنيهِ السُعُوديّ أَحَدَ عَشَرَ جُنَيْهاً وَنصفُ جُنَيهٍ تَقريباً ، وكذلكَ بالجُنيهِ الإفرَنْجي أَحَدَ عَشَرَ جُنَيْهاً وَنِصفُ جُنَيْهٍ تقريباً وَإقَلُّ نِصابُ الفِضّةِ مَائتَا دِرْهَمٍ ، وبالرِّيَالِ العَرَبي

سِتةٌ وَخَمْسُونَ رِيالاً تَقْرِيْباً ، وبالرِيالِ الفَرَنْسِيَ ثلاثةٌ وَعِشْرُوْنَ رِيالاً تَقْرِيْباً .

وأما الأَوْرَاقُ المَوجُوْدَةُ فإذا مَلَكَ منها ما يُقَابِلُ نِصَاباً مِن الفِضةِ وَحَالَ عليهِ الحولُ فإنّه يُخْرِجُ منها رُبُعَ العُشْرِ.

وَمَنْ كان عِندَهُ فِضَّةَ وأَرادَ أن يُخْرِجَ زكاتها مِن الأَوْرَاقِ المَوْجُوْدَةِ المُتَعَامَلِ فِيها نَظَرَ إلى قِيْمَةِ الفِضَةِ مِنَ الأَوْرَاقِ وأَخْرَجَ رُبُعَ عُشْرِ المُقَابِلِ لها فَمَثَلاً إذا كان عِنْدَهُ ألفُ ريالٍ مِن الفِضَّةِ يُسَاوِي ثَلاثة آلافٍ مِن الأَوْرَاقِ أَخْرَجَ عَن الفِضَّةِ خَمْسَةً وسَبْعِيْنَ رِيالاً هي مُقابِلُ زَكاةِ الأَلْفِ مِن الفضةِ وهي خَمْسٌ وعِشْرُون .

وإن كانَ عِنْدَهُ ذَهَبٌ ، وَأَرَادَ أن يُخْرِجَ زكاتَهُ مِن الأَوْرَاقِ المُتَعَامَلِ فِيها نَظَرَ إلى قيمةِ الذهَبِ مِن الأَوْرَاقِ وأَخْرَجَ رُبُعَ عُشْرِ المُقَابِلِ لَهَا فَمَثَلاً إذا كان عندَهُ مائةُ جُنَيْهٍ وكَانَ الجُنَيْهُ يُساوِي خَمْسِيْنَ رِيالاً (٥٠) فَتكون المائَة في خمسةِ آلآفِ رِيالٍ فزكَاتُها مِن الأَوْرَاقِ مائَة وخَمْسٌ وعِشْرُونَ رِيالاً هُوَ مُقَابِلُ زَكَاةِ مِائة الجُنَيْهِ وهو جُنَيْهَانِ ونِصْفُ جُنَيْهٍ مِن زَكَاةِ المائةِ وهو جُنَيْهَانِ ونِصْفٌ .

وتَجِبُ الزكاةُ في مالِ الصَّبِيِّ والمَجْنُوْنِ لِعُمُومِ حَدِيثِ مُعَاذٍ لَمَّا بَعَثَهُ صلى اللهُ عليه وسلم إِلَى اليَمَنِ ، ويُخْرِجُ عنهما وَلِيُّهُما في مالِهِما مِن مالِهِما .

اللَّهُمَّ إلهمنا ذكركَ ووفقنا لِلقيام بحقكَ، وخلّصنا مِن حقوقِ خلقكَ، وباركْ لنا في الحلالِ مِن رِزْقكَ، ولا تَفْضَحْنا بينَ خَلقكَ، يا خَيْرَ مَنْ دَعاهُ دَاعٍ وأَفْضَلَ مَن رجاهُ راجٍ يا قَاضِيَ الحَاجَاتِ، ومُجِيْبَ الدعواتِ، هَبْ لَنا ما سَأَلناهُ، وحقق رَجَاءَنا فيما تَمَنَيْناهُ، يا مَنْ يَملِكُ حَوَائِجَ السائِلينَ ويَعلمُ ما في صُدُورِ الصَّامِتِين أذقنا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلاوَةَ مَغْفِرَتِكَ يا حَيُّ يا قَيُّوْمُ يا بَدِيع

السَّمواتِ نَسْأَلُكَ أنْ تُوفِّقنا لِمَا فيهِ صَلَاحُ دِيْنِنَا وَدُنْيَانَا وأحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(فصل)

٣ ـ وأَمَّا زَكاةُ الخَارِجِ مِن الأَرضِ فَتَجِبُ في كُلِّ مَكِيْلٍ مُدَّخَرٍ مِن الحَبِّ كالقَمْحِ والشَّعِيْرِ والذُّرَةِ ومَن الثَمرِ كالتَمْرِ والزَّبيبِ قال الله تعالى ﴿ يا أَيها الذين آمنوا أنفقوا مِن طَيباتِ ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ﴾ وقولُهُ صلى الله عليه وسلم (فِيْمَا سَقَتِ السَمَاءُ والعُيُونُ أو كان عَثِرياً العُشْرُ وفيما سُقِيَ بالنَّضحِ نِصفُ العُشْرِ) رواه البخاري .

وإنما تَجِبُ فيه بِشَرْطَينِ الأولُ : أن يَبلُغَ نِصاباً وقَدْرُهُ بَعْدَ تَصْفِيَةِ الحبِ وجَفَافِ الثمرِ خَمْسَةُ أوسُقٍ والوَسَقُ سِتُوْنَ صاعاً نَبوياً فتكونُ خَمْسَةُ الأَوسُقِ (٣٠٠) ثَلَاثمائةِ صَاعٍ بالصَّاعِ النَبوِي وبالصَّاعِ الحَالِي مائَتَيْنِ وثَمَانِيَةٍ وعِشْرِيْنَ صاعاً وَوَزْنُ الصَّاعِ النبوي بالرِّيالِ الفَرَنْسِي ثمانُونَ رِيَالاً (٨٠) وَوَزْنُ الصَّاعِ الحَالِي بالرِّيالِ الفَرَنْسِي مائَةُ وَأَرْبَعَةٌ (١٠٤) فيكونُ زَائِداً على الصَّاعِ النَبوِي بخُمُسٍ وَخُمُسِ الخُمُسِ تَقْرِيْباً .

والشرط الثاني : أن يكون مالكاً لِلنِّصَابِ وَقْتَ وُجُوبِها فـوَقْتُ الوُجُوبِ في الحَبِّ اذا اشْتَد وفي الثَّمرِ إذا بَدَا صَلاحُها لأنه حِيْنَئِذٍ يُقْصَدُ لِلأَكْلِ والإقتِيَاتِ به فأشَبَهَ اليَابِسَ وعن عائشَةَ أنَّ النبيَ صلى اللهُ عليه وسلمَ كان يَبْعَثُ عَبْدَ اللهِ بنَ رَوَاحَةَ إلى يَهُودَ فَيَخْرِصُ عليهم النَّخْلَ حِينَ يَطِيْبُ قَبْلَ أن يُؤكَلَ منه . رَواه أبو داود .

ويَجبُ فيما سُقِيَ بلا مَؤنَةٍ العُشْرُ وفيما سُقِيَ بكُلْفَة نِصفُ العُشر

لِحَديثِ ابنِ عمرَ مَرفوعاً فيما سَقَت السَّماءُ العُشْرُ وفيما سُقِيَ بالنَّضْحِ نصفُ العُشْرِ رواه أَحمد والبخاري وللنسائي وأَبي داود وأبن ماجه فيما سَقَتِ السماءُ والأنهارُ والعيونُ أو كان بَعْلاَ العُشرُ وفيما سُقِيَ بالسَّوانِي والنُّضْحِ نصفُ العُشْرِ .

ويَجِبُ اخْرَاجُ زَكَاةِ الحَبِّ مُصَفًّى مِنْ قِشْرِهِ وَالثَّمَرِ يَابِسَاً لِمَا وَرَدَ عَن عَتَّابِ بنِ أُسَيْدٍ أَن النبي صلَّى اللهُ عليه وَسلم أَمَرَ أن يُخْرِصَ العنبُ زبيباً كما يُخْرَصُ التَّمْرُ ولا يُسَمَّى زَبِيْبَاً ولا تَمراً حَقِيقَةً إلا اليابسُ وقِيْسَ الباقِي عليهما . ولا يَستَقِرُ وُجُوبُها إلاَّ بجَعْلِهَا في الجَرِيْنِ أو في البَيْدَرِ أو في المِسْطَاحِ ونَحوِهِ .

فإن تَلِفَتِ الحُبُوبُ والثِمارُ التي تَجِبُ فِيها الزكاةُ قبلَ الوضعِ بالجَرين ونحوِهِ بِغَيْرِ تَعَدٍّ منه سَقَطَتْ خُرِصَتْ أو لم تُخْرَصْ وإنْ تَلِفَ البَعضُ مِنَ الزرعِ والثَّمَرَ قَبْلَ الاسْتِقْرَارِ زَكَّى الباقيَ ان كان نِصَاباً والا فلا زكاةَ فيه لقوله صَلى اللهُ عليه وسلم (لَيْسَ فيما دُوْنَ خَمسةِ أَوْسُقٍ صَدَقةٌ) .

ولا تَتَكَرَّرُ زَكَاةُ المُعَشَّر إِذَا لَم يَقْصُدْ بِهِ التِّجَارَةَ فإن كَانَتْ مُعَدَّةً للتِّجارَةِ كالذي يَشْتَرِي البُرَّ أو الأَرُزَّ أو الزَّيْتَ يَتَرَبَّصُ بِهِ أو يُقَطِّعُهُ فَهَذِهِ تُعْتَبَرُ عُرُوْضَاً إذا كانَتْ تَبْلُغُ نِصَاباً كُلَّمَا دَارَ عَلَيْهَا الحَوْلُ قَوَّمَهَا بالأنْفعِ لِلْفُقَراءِ مِن عَيْنٍ أَوْ وَرِقٍ ولا يُعْتَبَرُ ما اشْتُرِيَتْ بِهِ .

ويُسْتَحَبُّ لِلإِمَامِ بَعْثُ خَارِصٍ لِثَمَرِ النَّخْلِ والكَرْمِ إذا بَدَا صَلاَحُها . وشُرِطَ كَونهُ مُسْلَمَاً أَمِيْنَاً خَبِيْراً لِحَدِيثِ عائشة قالَتْ كان عليه الصلاةُ والسلامُ يَبْعَثُ عَبدَ اللهِ بنَ رَوَاحَةَ إِلَى اليهودِ يَخْرِصُ عليهم النَّخِيْلَ قَبْلَ أنْ يُؤْكَلَ متفق عليه .

وفي حديثِ عَتَّابِ بن أُسَيْدٍ أن النبيَ صلى اللهُ عليه وسلم كان يَبعثُ على الناسِ مَنْ يَخْرِصُ عليهم كُرُوْمَهُم وثِمَارَهُم رواه الترمذيُ وابنُ ماجةَ وصَحَّ عنه صلى اللهُ عليه وسلم أَنَّهُ خَرَصَ على امرأةٍ بِوَادِي القُرَى حَديْقَةً لَهَا وَحَدِيْثُها في مُسْنَدِ أحمدَ .

وَيَجِبُ أنْ يَترُكَ الخَارِصُ لِرَبِّ المال الثُّلثَ أو الرُبعَ فَيَجْتَهدُ السَّاعِي بحَسَبِ المَصْلَحَةِ لِحَدِيْثِ سَهلِ بنِ أبي حَثْمةُ قال قَال رسول الله ﷺ : «إذا أخرَصتم فَخُذُوْا وَدَعُوا الثُلُثَ فإن لم تَدعُوا الثُلثَ فَدَعُوا الربعَ» رواه الخمسة . والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم.

(١٠) موعظــــة

أَيُهَا الغَافِلُ رَاقِبْ مَن يَرَاكَ في كُلِّ حَالٍ ، وَطَهِّـرْ سِرَّكَ فَهْوَ عَلِيْمٌ بما يَخْطُرُ بالبَالِ ، إلى مَتَى تَمِيْلُ مَعَ الزَخَارِفَ وإلى كَمْ تَرَغَبْ لِسَمَاعِ المَلَاهِيْ والمعازِفِ والمُحَرَّمَاتِ أمَا آنَ لكَ أن تُجالِسَ صَاحِبَ الدِّين والصلاحِ العاكِفِ على عَمَلِهِ يَقْطَعُ لَيْلَهُ بالقِيام حَتَّى الصَّبَاحِ وَنَهارَهُ بالصِّيامِ لا يَمِلُّ ولا يَتَوَانَى رَجاءَ الفَوْزِ بالأَرْباحِ وأنتَ في غَمْرةٍ.هَوَاكَ مَفْتُوناً في الانْهمَاكِ بِدُنْيَاكَ وكأني بكَ وقد هَجَمَ عَليكَ مَا بَدَّدَ شَمْلَكَ وَأَوْهَنَ قُوَاكَ وَافْتَرَسَكَ مِن بَيْنِ أهْلِكَ وعَشِيرَتِكَ وأخِلَّائِكَ وَتَخَلَّى عَنْكَ خَلِيْلُكَ وأصْدِقَاؤُكَ لا يَسْتَطِيْعُونَ رَدَّ ما نَزَلَ بكَ ولا تَجِدُ له كاشِفاً فانتَبِهْ ما دَامَ جِسْمُكَ صَحِيحاً والعَمَلُ منكَ في إمكان .

اللهم وَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمالِ وَنَجِّنا مِن جميعِ الأهوالِ وأَمِّنَا مِن الفزعِ والرجفِ والزِلزال ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجميعن .

٣٣ ـ فصلٌ في بيانِ مصارف الزكاة :

ويُشْتَرَطُ لاخراجِهَا نِيَّةٌ مِن مُكَلَّفٍ ، لِحَديثِ : « إنَّمَا الأَعمالُ بالنياتِ وإنما لِكل امرِىءٍ ما نوَى » ، فَيَنْوِيْ الزكاةَ ، أو الصدقةَ الواجبةَ ، أَوْ صَدَقَةَ المالِ .

ويُسنُ أَنْ يُفرِقَ زَكَاتَهُ عَلى أقاربِهِ الذين لا تَلزَمُهُ مَؤُونَتُهُم لما وَرَدَ عن سلمانَ بنِ عامرٍ ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« الصدقةُ على المسكين صَدَقَةٌ ، وهي على ذِي الرحِمِ اثنتانِ : صدقةٌ وصلةٌ » رواه أحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه والدارمي .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ المُخْرِجُ : اللهم اجْعَلْهَا مَغْنَماً ، ولا تَجْعَلْهَا مَغْرَماً . ويَحْمَدُ اللهَ على تَوْفِيْقِهِ لِأَدَائِهَا ، لما رَوَى أبو هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قال : قَالَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أَعْطَيْتُمْ الزَكَاةَ فلا تَنْسَوْا ثَوابَهَا أنْ تَقُولُوا اللهم اجعلها مَغْنَماً ولا تَجْعَلْهَا مَغْرَمَاً . رواهُ ابن ماجه .

ويَقُولُ الآخِذُ وهو الفَقِيرُ أو المِسْكِيْنُ أو أَحَدُ الأَصْنَافِ آجَرَكَ اللهُ فيما أَعْطَيْتَ وبارِكَ لَكَ فِيْمَا أَبْقَيْتَ وَجَعَلَهُ لَكَ طَهُوراً .

قال الله تعالى : ﴿ خُذْ مِن أَمْوَالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيْهِم بها ، وصَلِّ عليهم ، ان صلاتك سكن لهم ﴾ أَيْ ادْعُ لَهُمْ ، كمَا روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن أبي أوفي ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أُتِيَ بصَدَقَةِ قومٍ صَلَّى عليهِم . فأتاه أَبِيْ بصَدَقَتِهِ ، فَقَالَ : « اللهم صَلِيَ عَلَى آلِ أبِي أوفَى » .

وللمُزَكِّي دفعُها الى الإمامِ وَإِلىَ السَّاعِي ، ويَبْرأُ بذَلِكَ ، ولا

يُجْزِي دَفْعَها إلى كافِرٍ غيرِ مؤلَّف ، ولا حَظَّ فِيها لِغَنِيّ وَلاَ لِقَوِيٍ مُكتَسب لما وَرَدَ عن عبدِ الله بن عَدِي رضي الله عنه أَنَّ رَجلَين أخْبَرَاهُ أنهما أَتَيَا النبيَّ صَلَّى الله عليه وسلم يَسْأَلانِهِ مِن الصَّدَقَةِ فَقَلَّبَ فِيهما البَصَرَ وَرَآهما جَلْدَيْن فقال لهمَا إن شِئتُمَا أعْطيتُكُمَا ولا حَظّ لِغَنِي ولا لِقَوي مُكْتَسِب فالواجبُ تأمُلُ حالِ السائلِ والتَّفَرُس فِيهِ كما فَعَل النبيُّ صلى الله عليه وسلم فكم مِن انسانٍ يَدّعي الفقرَ وَهو غَنِي .

وكَمْ مِن مُتَعَارِجٍ وما بِهِ عَرَجٌ ولكِنْ لأَمْرٍ مَّا تَعَارُجُهُ .

وكَمْ مِن حَامِلِ وَرَقَةٍ يَأكُلُ بها لا يَدْرِي مَا فِيْهَا ولَوْ بَرَّقْتَ وسَبَرْتَ بدقةٍ لَوَجَدْتَ العجَائِبَ ، لأنّ الوازعَ الدِيْنِيَ قدِ ضَعُفَ جِدّا واخْتَلطَ الحَابِلُ بالنَابِلِ فلا يُميِّزُ الفقيرُ والمُستَحِقَ لِلزَّكاةِ إلا إنْسَانٌ مُتبصِّرٌ بَعْدَ التَّأَمُلِ والبَحْثِ التامِ والحَرِيْصُ على ابْرَاءِ ذِمَّتِهِ وايْصَالِ زَكاتِهِ إلى المُسْتَحِقِ لَها يَعْرِفُ كَيفَ يَجِدُ موْضِعَها تَمامَا مِمَن لا يَسْأَلُونَ الناسَ إلحَافاً المحتاجِين المخْتَفِيْنَ الحَيِّيْنَ الأَرامِلَ ذَوِيْ العَوَائِلِ ورُوِيَ أنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنه سَمِعَ سَائِلاً يَسْأَلُ بَعْدَ المغربِ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِن قَوْمِهِ عَشِّ السَّائلَ فَعَشّاهُ ثم سَمِعَهُ ثَانِياً يسألُ فقَالَ أَلَمْ أقلْ لَكَ عَشِّ السَّائلَ قَال قَدْ عَشَيْتُهُ فَنَظَر عُمَرُ له فاذا تَحْتَ يَدِهِ مِخْلاةٌ مَمْلُوْءةٌ خُبْزاً فَقَالَ لَسْتَ سَائِلاً لكنَّكَ تَاجرٌ ثم أَخَذَ المِخْلاَةَ وَنثرَهَا بينَ يَدَيْ إِبلِ الصَّدَقَةِ وضَرَبَهُ بالدُرةِ وقال لاَ تَعُدْ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍ وَلا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍ » . رواه أحمدُ وأبو داود .

ولا يَدْفَعُ بالزكاةِ مَذَمَّةً ، ولا يَقِيْ بها مَالَهُ ، ولا يَسْتَخْدِمُ بها ، ويَلْزَمُ الانسانُ الذي يُرِيْدُ إِبْرَاءَ ذِمَّتِهِ صَحْيحاً أنْ يُفَتِّشَ على أهلِ العوائدِ

ويَسْألْ عنهم بدِقّةٍ مِن يَعْرِفُ حَالَهُم مِن جِيرانٍ وَأَقَارِبَ حَتَّى يَتَأكَّدَ هَلْ هُمْ أَغْنِيَاءُ فلا يَدْفَعُهَا إليهم لأَنَّ دَفْعَهَا لهم مَعَ الغنى وجُوْدُهُ كَعَدَمِه فلاَ تَبْرَأ ذِمّتُهُ وتَبْقَى الزَّكاةُ في ذِمَّتِهِ وَلا يَحْمِلُه الحَيَاءُ فَيُعْطِي صَاحِبَ الغِنَى قَبْلَ أنْ يَبْحَثَ عنه هَلْ هو على فَقْرِه .

لأنَّ كثيراً مِن الفُقَراء في وَقْتِنا انْفَتَحَ لهَم أبوابُ الرِزْقِ مِن أَوْلاَدٍ أو بَنَاتٍ أو عَقَارٍ أو شُؤُوْنٍ ولا يُبَالِي بغَضَبِ مَن مَنَعَهُ عَادَتَهُ مَعَ اسْتِغْنَائِهِ وَيَلْتَمِسُ رَضا اللهِ جلَّ وعَلاَ وَسَواء كانُوا أقْرِبَاءَ أو غَيْرَ أقربَاء .

ولا يَجُوزُ صَرْفُ الزَّكَاةِ لِغَيْرِ الأَصْنَافِ الثمانِيَةِ المَـذْكُوْرِيْنَ في الآية ، قال الله تعالى : ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكينِ ، والعاملينَ عليها والمؤلفةِ قلوبُهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ .

فلا يَجُوزُ صَرْفُها في بِنَاءِ المَدَارِسِ أو المَسَاجِدِ ، ولا وَقْفِ مَصَاحِفَ ، ولا كُتْبِ عِلمٍ . ولا تكفينِ مَوْتَى ، وَلا تَوقِيْفِ مَقَابِرَ ولا غيرِهَا مِن جِهَاتِ الخيرِ ، لأَنَّ اللهَ تعالى تَوَلَّى الحُكمَ فيها بنَفْسِهِ ، فقدْ وَرَدَ عن زِيادِ ابنِ الحارثِ الصُدّائِي ـ رضي الله عنه ـ قال : أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فَبايَعْتُهُ ، فذكرَ حديثاً طويلاً ، فأتاهُ رجلَ فقال : اعْطِنِي مِن الصَّدقَةِ ، فَقَال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن اللَّهَ لم يَرْضَ بحُكْمِ نَبِي ولا غَيْرِهِ في الصَّدَقاتِ ، حَتَّى حَكَم فيها فَجَزَأهَا ثمانيةَ أجزاءٍ ، فَان كَنتَ مِن تلكَ الأجزاءِ أعطيتُكَ » .

فيأخُذُ الفَقِيرُ وهو مَن لا يَجِدُ شَيئاً أو بَعْضَ الكَفايةِ مِن الزكاة تَمامَ كِفَايَتِهِ مَعَ عَائِلَتِهِ سَنَةً لِأنَّ وُجُوبَ الزكاةِ يَتَكَرَّرُ بتكرر الحَوْلِ .

ويأخذُ المِسْكِينُ وهو مَن يَجدُ الكِفَايَةَ أَوْ نِصْفَهَا تَمَامَ كِفَايَتِهِ مَعَ عَائِلتِهِ سَنةً لأنَّ وُجُوبَ الزكاةِ يَتكررُ بِتكرُرِ الحَولِ .

وَيُعْطَى مِن الزكاةِ العَامِلُ وَهُوَ كَجَابٍ وَحَافِظٍ . وَكَاتِبٍ وَقَاسِمٍ وَجَامِعِ المواشِي وَعَدَّدِها وَكَيَّالٍ ووزانٍ وَسَاعٍ وراعٍ وَحَمَّالٍ وَجَمالٍ قَدْرَ أجرتِهِ وانْ تَلَفَتْ في يَدِهِ بلا تفريْطٍ منه فَيُعْطَى أَجْرَتَهُ مِن بَيْتِ المالِ لأنَّ لِلإمَامِ رِزْقُهُ على عَمَلِه مِن بَيْتِ المالِ .

ويُعْطى مِن الزَّكَاةِ المُؤَلَّفُ وهوَ السَّيِدُ المُطَاعُ في عَشِيْرتِهِ ما يَحْصُلُ به التأليفُ لأنه المَقْصُودُ .

٥ ـ ويُعْطَى مِن الزكاةِ الرِّقابُ وهُم المكاتَبُونَ وفَاءَ دَينِ الكتابةِ وَيَجُوزُ أنْ يُفدِي مِن الزكاةِ أسيراً مُسْلِمَا في أيدِي الكفار .

٦ ـ ويُعْطَى الغَارِمُ مِن الزَّكَاةِ وهو مَنْ تَدَيَّنَ لإصْلاحِ ذاتِ بَيْنٍ أو تَحَمَّلَ بَسَبَبِ اتلافِ نَفْسٍ أو مَالٍ أَوْ نَهْباً أو مَالاً لِتَسْكِيْنِ فِتنةٍ وقَعَتْ بَيْنَ طائفَتَيْنِ ويَتوقَفُ صُلْحُهُمَا على مَن يَتحَمَّلُ ذلكَ أو تَدَيّنَ لِشَرَاءِ نَفْسِهِ مِن كُفَارٍ أو لِنَفْسِهِ في مُبَاحٍ وأعْسَرَ وَفَاءَ دَيْنِهِ كمُكاتَبٍ ، وَدَينُ اللهِ كَدَينِ الآدَمِي .

٧ - ويُعْـطَى الغَـازِي في سَبيلِ اللَّهِ ما يَحْتَاجُ لِغَزْوِهِ ذَهَاباً وإيابًا وإقامةً في أرضِ العَدُوِ ونحو ثَمَن سِلاحٍ ودِرْعٍ وفَرَسٍ لِفَارسٍ ويُعْطَى مِن الزَّكاةِ إبنُ السبيلِ وهو المُسَافِرُ المُنقَطِعُ به بغَيرِ بلدِهِ ما يُبَلِغُه بَلَدَهُ أو مُنْتَهَى قَصْدِهِ وعَوْدِهِ إليهَا إن لم يَكُنْ سَفَرُهُ مُحَرماً أو مَكْرُوْهَا والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم

(١١) موعظــــة

عبادَ الله إن وُجُودَ الموتِ بينَ الناسِ مَوْعِظَةٌ كُبْرَى لَو كَانُوا يعقلون

فانه بلِسَانِ الحَالِ يقولُ لِكُلِ واحدٍ مِنا : سَأنْزلُ بكَ يوماً أو لَيلةً كما تَرىَ النَاسَ بعَيْنِكَ يَمُوتُونَ وقد يَكُونُ لأحَـدِهِم مِن المالِ والجـاهِ والقوَّةِ والجَمالِ والعِلم والفَصاحَةِ والمَرْكَزِ الدُّنيوي ما يُدهشُ الناظرينَ لَهُ ، وقد يكونُ قَدْ طَالَ عُمْرُهُ وطالَ أمَلُهُ حتى مَلَّ ومُلَّ مِنْهُ . وبَيْنَ ما هو في حالٍ مِن النَّشَاطِ قويُّ مشْدُودُ أسْرُهُ ، ذُو هِمَّةٍ تَضِيقُ بها الدنيا ، قدْ أقْبَلَتْ عليهِ الدُنيا مِن كُلِّ جِهَةٍ ، وزَهَتْ لَهُ ، إذا تَرَاهُ جُثَّةً هَامِدَةً أشْبَهَ بأعْجازِ النَّخْلِ الخَاوِيةِ لا حِسَّ لَهُ ولا حَرَكَةَ ولا أقوالٌ وَلا أفعالٌ قَدْ ضَيَّقَ على مَن حَوْلَهُ وإذا لم يُسْرِعُوا بِهِ إلى الدَّفْنِ يَكُونُ جيفَةً مِن الجِيَفِ تُؤْذِي رَائِحتُهَا الكرِيهةُ كلَ مَن قَرُبَ منها ، هَذا كُلُّهُ يكونُ بعدَ ذلكَ النَّشَاطِ والقُوَى لِأنَّ هَادِمَ اللَّذاتِ نَزَلَ بِهِ .

وبَعْدَ نُزُولِه لا تَسْألْ كان لَهُ ما كَانَ ، وفي الحالِ تُصْبحُ زَوْجَتُه أرْمَلَةً ويُصبحُ أوْلَادُهُ أيْتَامَاً . وفي الحالِ تُقَسّم أمْوَالُهُ التي جَمَعَهَا وقَاسَى على جَمْعِهَا الشَّدَائِدَ . لِأنَّ المَوْتَ يُزيْلُ مُلْكَهُ وينْقلُهُ إلى مُلْكِ وَرَثَتِهِ نَقْلاً تَعْجَزُ عن نَقْضِهِ الأيامُ ، نَعَمْ إنَّهُ بالموت يزولُ مَالُه كُلُّه وهِيَ أكْبَرُ مُصِيبَةٍ مَالِيَّةٍ .

وأكْبَرُ مِنَها أنَّهُ يُسْألُ عنه كُلِّهِ دَاخِلاً وخَارجاً مِن حَلَالٍ أمْ مِن حَرَامٍ وبَعْدَ مُدَّةٍ يَسيْرَةٍ يُنْسَى هُو وَيُنْسَى مالُه وَيُنسَى جَاهُهُ ويُنْسَى مَرْكَزُهُ ومَكَانَتُهُ ولو كان مَلِكاً أوْ وَزِيراً ومَا كأنهُ رَأتْهُ العُيُونُ ولا سَمِعَتْ كَلامَهَ الآذانُ ، كما شِعْرا

لِمَنْ يا أيُّها المَغْرُوْرُ تَحْوِيْ ... مِنَ المالِ المُوَفَّـرِ وَالأثَـاثِ
سَتَمْضِي غَيْرَ مَحْمُـودٍ فَرِيَداً ... وَيَخْلو بَعْلُ عِرْسِكَ بالتُّـراثِ
وَيَخْذُلُكَ الوَصِيُّ بـلَا وَفاءٍ ... وَلا اصلاحِ أمْرٍ ذِي الْتِيَاثِ
لَقَدْ وفَّرْتَ وِزراً مَـرَّ حِيناً ... يَسُدُّ عَليكَ سُبْلَ الأنْبَعَـاثِ
فَمَا لَكَ غَيْرَ تَقوىٰ الله حِرْزٌ ... وَلا وَزَرٌ وما لَكَ مِن غيَاثِ

إن الناسَ يَرَوْنَ المَـوْتَ كلَ يَـومٍ بأعْيُنِهم في بُيُـوتِهِم أوْ في المُسْتَشْفَيَاتِ ، ويَرَوْنَ مَالَهُ مِن آثارٍ ومَعَ ذلكَ فإنهم بمُجَرَّدِ أنْ يَمُوْتَ بَيْنَهم مَيْتٌ يكونُ منهم مَعَ مَوْتِهِ هَذا مَا يُذْهِشُ الأفكارَ فَترى مِن أقاربَهِ مَن يَتَسابَقُونَ إلى البَحْثِ عَمَّا خَلَّفَ وانْتِهَابِ ما اتَّصَلَتْ إليه أيْدِيهِمِ مِن مالِهِ ، وربَّمَا شَبَّتْ بينَ وَرَثَتِهِ الحُرُوْبُ مِن أجْلِ أن يَتَميَّزَ كُلُ واحدٍ منهم في التَّرِكَةِ عَمَّن سِوَاهُ وقد تَشْتَدُّ بِهِم تِلكَ العَدَاوَةُ تَعْمَلُ عملَهَا ما بَقِيَتْ تِلكَ .

يَفْعَلُوْنَ هَذَا كُلَّهُ عقِبَ مَنْ يَمُوْتُ بَدَلَ أنْ يَعْتَبِرُوْا ويَتَّعِظُوْا بِهِ فَيُزَهِّدُهُمْ هَذَا التَّفْكِيْرُ والإعتِبَارُ فِيْ ذَلِكَ الْمالِ الفَانِيْ الذَّاهِبُ عَنْ أَيْدِيْهِمْ عَنْ قَرِيْبٍ كَمَا ذَهَبَ عَنْهُ مَنْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ طَرِيْقِهِ لَقَدْ سَبَقَ أَقْوَامٌ كَانُوْا يُؤْمِنُوْنَ بِالْمَوْتِ حَقَّ الإِيْمَانِ فَكَانُوا يُقَدِرُوْنَ الدُّنْيَا حَقَّ التَّقْدِيْرِ كَانُوا يَعْرِفُوْنَ أَنَّهَا فَانِيَةٌ وَأَنَّهَا غَرَّارَةٌ خَدَّاعَةٌ وَأَنَّهُمْ تارِكُوهَا يَوْماً رَغْمَ أَنُوْفِهِمْ لاَ رُجُوْعَ بَعْدَهُ لِقَلِيْلٍ مِنْهَا وَلا كَثِيرٍ قَرَؤُوا قَوْلَهُ تَعَالَى : كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ فَاسْتَعِدّوا واقْرؤُوْ قولَهُ تَعالى : مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَذُ وَمَا عِنْدَ اللّهِ بَاقٍ فَكَانُوْا إذَا حَصَلَ لَهُمْ شَيءٌ مِنَ الدُّنْيَا صَرَفُوْا ذَلِكَ لِمَا يَنْفَعُهُـمْ في الدَّارِ الآخِرَةِ . وَإذَا سَمِعْتَ أَنَّهُمْ كَانُوْا يَطْلُبُونَ الدُّنْيَا فلِمَا ذَكَرْنَا .

قَالَ ابْنُ مَسْعُوْدٍ لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ كُنَّا نُحَامِلُ عَلَى ظُهُوْرِنا فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيْرٍ فَقَالُوَا مُرَائِي وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصدَّقَ بِصَاعٍ فقَالُوْا إنَّ اللّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا فَنَزَلَتْ الآيةُ : ﴿الَّذِيْنَ يَلْمِزُوْنَ المُطَّوِّعِيْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِيَنَ لا يَجِدُوْنَ إلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيْمٌ .﴾

ومِنْ طَرِيْقٍ آخَرَ حَثَّ الرَّسُوْلُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّدَقَةِ

يَعْنِي فِي غَزْوَةِ تَبُوْكَ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ بِأَرْبَعَةِ آلافٍ فَقَالَ يَا رَسُوْلَ اللَّهِ مَالِي ثَمانِيَةُ آلافٍ جِئْتُكَ بِنِصْفِهَا وَأَمْسَكْتُ بِنِصْفِهَا فَقَالَ رَسُوْلُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيْمَا أَمْسَكْتَ وَفِيْمَا أَعْطَيْتَ وَجَاءَ أَبُوْ عَقِيْلٍ بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ فَقَالَ يَا رَسُوْلَ اللَّهِ أَصَبْتُ صَاعَيْنِ مِنْ تَمْرٍ صَاعٌ أَقْرَضْتُهُ لِرَبِّي وَصَاعٌ لِعَيَالِيْ قَالَ فَلَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ وَقَالُوا : مَا أَعْطَى ابْنُ عَوْفٍ إِلَّا رِيَاءً وَقَالُوا أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ وَرَسُوْلُهُ غَنِيَّيْنِ عَنْ صَاعٍ هَذَا وَهَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَجْعَلُوْنَ مَا نَالُوْا مِنَ الدُّنْيَا وَسِيْلَةً إِلَى الآخـــرة .

شعرا: أَلا إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَيْسَ يَفوتُ فَلا تُرَعَنْ إِنَّ القَلِيلَ يَقُوْتُ
رَضِيْتُ بقسْمِ اللهِ حَظاً لأَنَّهُ تَكَفَّلَ رِزْقِي مَنْ لَهُ المَلَكُوْتُ
سَأَقنعُ بالمَـــالِ القليلِ لأنني رَأَيْتُ أَخَا المالِ الكثِيرِ يمُوْتُ

آخر :
إِذا اكْتَسَـبَ الـمَــالَ الـفَتَـى مِن وُجُـوْهِـهِ
وَاحْـسَـنَ تَـدْبِـيـراً لَـهُ حِـيْـنَ يَـجْـمَـعُ
وَمَـيَّـزَ فـي إِنْـفَـاقِـهِ بَـيـنَ مُـصـلِحٍ
مَـعِـيْـشَـتَـهُ فِـيْـمَـا يَـضُـرُ وَيَـنْـفَـعُ
وأَرْضَـى بِـه أَهْـلَ الـحُـقُـوقِ ولـم يُـضِـعْ
بِـهِ الـذُخْـرَ زَاداً لِـلَّـتـي هِـيَ أَنْـفَـعُ
فَـذَاكَ الـفَـتَـى لا جَـامِـعَ الـمَـالِ ذاخِـراً
لأَولادِ سُـوءٍ حَـيْـثُ حَـلّوا وأَوْضَـعُـوْا

آخر: فكَّرْتُ في المالِ وفي جَمْعِــهِ فكانَ مَا يَبْقَى هُوَ الفَـــاني
وكانَ مَا أَنْفَقْتُ في أوجهِ الــ ـــبِرِّ بِمَعْرُوْفٍ وإِحْسَـــانِ
هو الذي يَبْقَى وأُجْـزَى بِهِ يَوْم يُجَازَى كلُّ إِنْسَـــانِ

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا في سِلْكِ الفَائِزِيْنَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ الْمُتَّقِيْنَ الذِيْنَ

أعْدَدْتَ لَهُمْ فَسِيْحَ جَنَاتِكَ، وأدْخِلْنَا بِرَحمَتِكَ في دَارِ أمَانِكَ وعافنا يا مَولَانَا في الدُّنْياَ والآخِرةِ مِن جَمِيْعِ البَلَايَا وأجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِب فَضْلِكَ وَهِبَاتِكَ وَمَتِّعْنَا بالنَّظَر إلى وَجْهِكَ الكَرِيْمِ مَعَ الذِيْنَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّيْنَ والصِّدِّيْقِيْنَ والشُّهَدَاءِ والصَّالِحِيْنَ، واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(فصل)

٣٤ - فِيْمَا وَرَدَ مِن الوَعِيْدِ الشَّدِيْدِ على تَرْكِ الزَّكَاةْ :

إذا فَهِمْتَ ما تَقَدَّمَ مِمَّا تَجِبُ فيهِ الزكاةُ وبيانِ نِصَابِ الزكاةِ ومَصْرفها وما يَنْبَغِيْ أنْ يَقولَ الدافِعُ والمدفوعُ إليهِ . فاعلَمْ أنَّها مَا خَالَطَتْ مَالاً إلا أفسدَتْهُ ومحقتْ بَرَكَتَهُ وأيُّ خَيرٍ ونَفْعٍ في مالٍ مَمْحُوقِ البَرَكةِ بَاقٍ شَرُّهُ وفِتْنَتُهُ وشُغْلُ البدنِ والقلبِ وإتْعَابُهُما ؟

والمَحْقُ : مِنْه ما هُوَ ظَاهِرٌ ، وهُوَ ذَهَابُ صُوْرَة المالِ ورُجُوْعُ الانسانِ بعدَ الاستغناءِ فَقِيْراً ، وقَدْ وَقَعَ ذلكَ لِخَلْقٍ كثيرٍ مِن المتساهِلِينَ بأمْرِ الزَّكاة .

ومِن المَحْق : مَحْقٌ بَاطِنٌ وهُوَ أنْ يَكُوْنَ المالُ في الصُوْرَةِ مَوْجُوْداً وكَثِيْراً ولكنْ لا يَنْتَفِعُ فيه صاحبُهُ لا في دِينهِ في وجُوْهِ البِرّ والمَشارِيْعِ الخَيْرِيَّةِ وبَذْلِ المعرُوْفِ ، ولاَ يَنْتَفِعُ فيه في نَفْسِهِ ومروءَتِهِ بالسَّتْرِ والصِيانَةِ ، ومَعَ ذلَكَ يَتَضَرَرُ بِهِ تضَرُرَا كثيراً بامْسَاكِهِ عن حَقِّهِ وَوَضْعِهِ في غَيرِ جِهَتِهِ إمَّا بانْفَاقِهِ بالمَعَاصِيْ والعِيَاذُ باللهِ . وإمَّا في الشَّهَواتِ البَهِيْمِيَّةِ التي لا نَفْعَ فيها ولا حَاصِل .

وقد وَرَدَ في مَنْعِ الزكاةِ عن اللهِ ورسُوْلِهِ تَشْدِيْدَاتٌ هَائِلةٌ وتَهْدِيْدَاتٌ

عظيمة ويُخْشى على مَانِع الزكاةِ مِن سُوْءِ الخَاتِمةِ والتَعرُّض لوَعِيْدِ اللهِ وغَضَبِهِ والخُروجِ مِن الدنيا على غَيرِ مِلَّةِ الاسلام ومِمَّا جَاء مِن الوَعِيْدِ في حَقِّ مَنْ بخِلَ بِهَا أوَ قَصَّرَ في إخراجِهَا قولُه تعالى : ﴿ولاَ يَحْسَبنَّ الذين يَبْخَلُونَ بما آتاهم اللهُ مِن فضله هو خيراً لهم بل هو شرٌ لهم سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلوُا به يومَ القيامة ، ولِلهِ ميراثُ السمواتِ والارض والله بما تعملون خبير﴾ .

شعرا : فإنْ تجمــع الآفـــاتُ فَالْكُفْــرُ شَرُّهَــا
وَشرٌ مَعَ الكُفْرِ النِفَّــاقُ مَعَ البُخْــلِ

شعرا: ثلاث مُهْلِكَاتٌ لَا مَحَالَــةْ غَوَى نَفْسٍ يَعُود إلى البَطَالَةْ
وشُحٌ لا يَزَالُ يُطاعُ دَأْبــاً وَعُجْبٌ ظاهِرٌ في كُلِّ حَــالَةْ

وقال تعالى : ﴿والذين يَكْنِزُوْنَ الذَّهَبَ والفِضَّــةَ ولا يُنْفِقُونَهَا في سَبِيْلِ اللهِ ، فَبَشِرْهُمْ بعَذَابٍ أَلِيمْ ، يوَمَ يُحْمَى عليها في نارِ جَهنم فَتُكْوَى بها جباهُهُم وجُنوبُهم وظُهُورهُم ، هذا ما كَنَزْتُم لأَنْفُسِكمُ فَذُوْقُوا ما كُنْتُم تَكْنِزُون﴾ .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما مِن صاحبِ ذهبٍ ولا فِضَّةٍ لا يُؤَدِيْ منها حَقَّهَا إلا إذا كانَ يَوْمُ القيامةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِن نارٍ فأُحْمِيَ عليها في نارِ جَهَنَّم، فَيُكْوَى بها جَنْبُهُ وجَبْيِنُهُ وظَهْرُهُ ، كلما بَرَدَت أعيدتْ له في يومٍ كان مقدارُه خمسينَ ألفَ سنة حتى يُقضَى بَينَ العِبادِ فيَرى سَبِيْلَهُ : إمَّا إلى الجَنةِ ، وإمَّا إلى النارِ .

قِيلَ : يا رسولَ الله فالابلُ ؟ قال : « ولا صاحبُ إبلٍ لا يُؤْدِيْ حَقَّها ـ ومِن حَقِّهَا حَلْبُهَا يَوْمَ وِرْدِها ـ إلا إذا كان يومُ الْقِيامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ

قَرْقَرٍ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيْلاً وَاحِدا : تَطؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بأفْواهِهَا ، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُوْلَاهَا رَدَّ عَلَيْهِ أخْرَاهَا في يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِيْنَ ألفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ فَيرَى سَبِيْلَهُ : إمَّا إلى الجَنَّةِ ، وإمّا إلىٰ النَّارِ .

قِيْلَ : يَا رَسُوْلَ اللَّهِ ، فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ ؟ قَالَ : « وَلا صَاحِبُ بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لا يُؤدِّيْ مِنْهَا حَقَّهَا إلَّا إذَا كانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِح لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئاً لَيْسَ فِيْهَا عَقْصَاءُ وَلَا جَلْحَاءُ وَلَا عَضْبَاءُ ، تَنْطَحُهُ بِقُرُوْنِهَا وَتَطؤُهُ بأظْلافِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوَّلُهَا رُدَّ عَلَيْهِ آخِرَهَا فِيْ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بينَ الْعِبادِ فيرى سَبِيْلَهُ : إمَّا إلى الْجَنَّةِ ، وإمَّا إلىٰ النَّارِ .

وَعَنْ جَابِرٍ ـ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال : سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُوْلُ : « مَا مِنْ صَاحِبِ إبلٍ لا يَفْعَلُ فِيْهَا حَقَّهَا إلَّا جاءَتْ يَوْمَ الْقِيامَةِ أكْثَرَ مَا كَانَتْ ، وَقَعَدَ لَها بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تَسْتَنُّ عَلَيْهِ بِقَوائِمِهَا وَأَخْفَافِهَا ، وَلَا صَاحِبَ بَقَرٍ لَا يَفْعَلُ فِيْهَا حَقَّهَا إلَّا جَاءَتَ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَر فَتَنْطَحُهُ بِقُرُوْنِهَا ، وَتَطؤُهُ بِأَظْلَافِهَا ، لَيْسَ فِيْهَا جَمَّاءُ وَلا مُنْكَسِرٌ قَرْنُهَا وَلَا صَاحِبِ كَنْزٍ لا يَفْعَلُ فِيْهِ حَقَّهُ إلَّا جَاءَ كَنْزُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجاعاً ، أَقْرَعَ يَتْبَعُهُ فَاتِحاً فَاهُ ، فإذَا أَتاهُ فَرَّ مِنْهُ ، فَيُنَادِيْهِ خُذْ كَنْزَكَ الَّذِي خَبَّأْتَهُ فَأَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ ، فَإذا رَأَى أَنْ لَا بُدّ مِنْهُ سَلَكَ يَدَهُ في فِيْهِ فَيَقْضِمُهَا قَضْمَ الفَحْلَ » .

وَفي رِوَايَةٍ للنَّسَائِي قال: قالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ لَا يُؤَدِي زَكاةَ مَالِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيامَةِ شُجَاع مِنْ نَارٍ فَتُكْوَى بِهَا جَبْهَتُهُ وَجَنْبُهُ وَظَهْرُهُ في يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِيْنَ ألفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ.

اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا ما وهَبتهُ لأوْلِيائكَ وتوفّنا وأنتَ رَاضٍ عنّا وقد قَبلْتَ اليَسيرَ

منّا واجْعلنَا يا مُولانا مِنْ عِبادِكَ الذينَ لا خَوف عَليهِمْ ولا هُمُ يَحزنُونَ واغْفِرَ لَنا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ ياأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(فَصْلٌ): وَعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَجلٌ يَارَسُوْلَ اللهِ، أَرَأَيْتَ أَنْ أَدَّى الرَّجُلُ زَكاةَ مَالِهِ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أدىّ زَكَاةَ مَالِهِ فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شَرُّهُ».

وَعَنْ الأَحْنفَ بْنِ قَيْس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى مَلأٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَجاءَ رَجُلٌ خَشِنُ الشَّعْرِ وَالثِّيَابِ والْهَيْئَةِ حَتَّى قَامَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: بشِّرْ الْكَانِزِيْنَ بِرَضْفٍ يُحْمَى عَلَيْهِ فِيْ نَارِ جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُوْضَعُ عَلَى حَلَمَةِ ثَدْيِ أَحَدِهِمْ حَتّى يَخْرُجَ مِنْ نَغض كَتِفِهِ وَيُوْضَعُ عَلَى نَغضِ كَتِفِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلَمَةِ ثَدْيِهِ فَيَتَزَلْزَلُ.

ثُمَّ وَلَّى، فَجَلَسَ إِلَى سَارِيَةٍ، وَتَبِعْتُهُ وَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، وَأَنَا لاَ أَدْرِي مَنْ هُوَ، فَقُلْتُ: لاَ أَرَىْ الْقَوْمَ إِلاَّ قَدْ كَرِهُوا الذِي قُلْتَ، قَالَ إِنَّهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً، قَالَ لِي خَلِيْلَي، قُلْتُ مَنْ خَلِيْلُك؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَم: أَتُبصِرُ أَحداً؟ قال: فَنَظَرْتُ إِلَىٰ الشَّمْسِ مَا بَقِي مِنْ النَّهَارِ وَأَنَا أَرَى أَنَّ رَسُوْلَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْسِلُنِيْ فِيْ حَاجَةٍ لَهُ قُلْتُ: نَعَمْ، قالَ: مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً أَنْفِقُهُ كُلَّهُ إِلاَّ ثَلاَثَةِ دَنَانِير، وَإِنَّ هَؤُلاَءِ لاَ يَعْقِلُوْنَ، إِنَّمَا يَجْمَعُوْنَ، لاَ وَاللهِ لاَ أَسْأَلُهُمْ دُنْيَاً وَلاَ اسْتَفْتِيْهِمْ عَنْ دِيْنٍ حَتَّى أَلْقَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَفِيْ رِوَايَةٍ لِمسْلمٍ، أَنَّهُ قَالَ: «بَشِّرْ الْكَانِزِيْنَ بَكَيٍّ فِي ظُهُوْرِهِمْ فَيَخْرُجُ مِنْ جُنُوْبِهِمْ، وَبكَيٍّ مِنْ قِبَلِ أَقْفَائِهِمْ حَتّى يَخْرُجَ مِنْ جِبَاهِهِمْ قَالَ: ثُمَّ تَنَحَّى فَقعَدَ، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَذَا قَالُوْا: هَذَا أَبُوْ ذَرٍّ، قَالَ:

فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : مَا شَيْءٌ سَمِعْتُكَ تَقُولُ قُبَيْلُ ؟ قَالَ : مَا قُلْتُ إِلَّا شَيْئاً قَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال قُلْتُ ما تقول في هذا العطاء قال خُذْهُ . فإنَّ فِيْهِ اليومَ مَعُوْنَةٌ فإذا كان ثمناً لِدِيْنِكَ فَدَعْهُ » .

وَروي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : سَمِعْتُ مِن عُمَرَ بنِ الخَطَابِ ـ رَضْيَ اللهُ عنه ـ حَدِيْثاً عن رسولِ اللهَ صلى الله عليه وسلم ، ما سَمِعْتُهُ مِنه ، وكُنْتُ أَكْثَرَهُم لُزُوْماً لِرَسُوْلِ الله صلى الله عليه وسلم ، قال عُمَرُ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تَلِفَ مَالٌ في بَرٍ ولا بَحْرٍ الا بحبسِ الزكاةِ » .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالتْ : قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « ما خَالَطَتِ الصَّدَقَةُ ـ أو قال الزكاةُ ـ مالاً إلا أفْسَدَتْهُ » .

وعن الحَسَنِ : أنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم قال : « حَصِنُوا أَمْوالكُم بالزَّكاةِ ، ودَاوُوْا مَرْضَاكُم بالصَّدَقَـةِ ، واسْتَقْبِلُوا أمْوَاجَ البَـلاءِ بالدُّعَاءِ والتَّضَرُعِ » .

فَتَأَمَّلْ يَا أَخِيْ الآياتِ الكَرِيْمَاتِ والأَحَادِيْثِ الشَّرِيْفَاتِ . .

وانْظُر كَيْفَ يُؤْتَى بالمالِ الذِي كان يُحِبُه مَانِعُ الزكاةِ حُباً شَدِيداً ويُعِزُّهُ العِزَّ الذي يَصِلُ بهِ إلى أنَ يُمْسِكُهُ ويَجْمَعَهُ ويُوعِيْهِ ولاَ يُفَرِّطُ في شَيءٍ مِنه ، حتَّى ما كَانَ مِنه حَقاً لِلْفُقَرَاءِ البُؤْسَاءِ المَسَاكِيْنِ يُؤتَى بِه بِعَيْنِهِ ويُجْعَلُ صَفَائِحَ وَمَعَ أن هَذِهِ الصَّفَائِحَ مِنَ نَارٍ يُحْمَى عَلَيْهَا في نَارِ جَهَنَّمَ لِتَشْتَدَّ حَرَارَاتُهَا وتَزْدَادَ لِيَكُونَ المُهَا الوَاقِعُ عَلَى بَدَنِ مَانِعِ الزكاةِ بالغاً النِّهَايَةَ في الشِّدَّةِ حِيْنَ يُكْوَى بها جَنْبُهُ وجَبِيْنُهُ وَظَهْرُهُ .

وَتَخْصِيْصُ هَذِهِ الأَعْضَاءِ الثَّلاثَةِ قال بعضُ العُلَمَاءِ لأنَّ المُعَذَّبَ

وَهو مانِعُ الزكاةِ اذا جاءَهُ الفَقِيْرُ يَسْأَلُهُ شَيْئاً مِن حَقِّهِ عَبَّسَ وَجْهَهُ وَعَقَدَ جَبِيْنَهُ عُبُوْساً وَتَعْقِيْداً يَدُلُّ على كَرَاهَتِهِ لِهذا السؤال .

فإذا أَلَحَّ الفقيرُ عليه زادَ في عُبُوسِهِ أنْ يَضُنَّ بمُوَاجَهَةِ ذَلِكَ الفَقيرِ فَيَنْتَقِلُ مِن المُواجَهَةِ إلى الانْحِرَافِ عَنْهُ ويَجْعَلُ جَنْبَهُ في وجْهِ المِسكينِ السَائِلِ مُبَالَغَةً في إظهارِ الكَرَاهِيَةِ لِسُؤَالِهِ .

شعـــــرا :

فُرِضَتْ عَليَّ زكاةُ مَا مَلكَتْ يَدِيْ وَزكَاةُ جَاهِي أنْ أُعِيْنَ فأَشْفَعَـــا
فإذَا مَلكْتَ فَجُدْ فإنْ لم تَستَطِـــعْ فاجْهَدْ بِوُسْعِكَ كُلِّهِ أنْ تَنْفَعَـــا

فإذا ازْدَادَ الفَقِيْرُ واشْتَدَّ في الطَّلَبِ والإلْحَاحِ بَالَغَ المَسْؤُولُ في الغَضَبِ فانْصَرَفَ عنهُ وَوَلاهُ ظَهْرَهُ ماشَياً مِن مَكَانِهِ وتَارِكاً له يَهْوِي في هُوَّاتِ احْتِيَاجِهِ بدُوْنِ أي اكتِرَاثٍ فلَمَّا كَانَ هَذَا حَالُ تِلْكَ الأَعْضَاءِ الثلاثَةِ في الدُنْيَا خُصَّتْ في الآخِرةِ بالكَيِّ بتِلْكَ الصَّفَائِحِ التي هِيَ مَالُه وبذلك يَعْرِفُ أَنهُ يُهانُ بالمالِ الذي كان يُعزهُ في دُنياه .

ولو كان يُهِيْنُهُ بالدُنيا بِمُفَارِقَةِ مَا كَانَ يَجِبُ عليه منه لَكَانَ سَبباً لإكْرَامِهِ في ذلك اليَومِ الرَّهِيْبِ المُفْزِعِ .

وانْظُرْ كَيفَ تَأتِي نِعَمُهُ إبلُهُ وَبقَرُهُ وغَنَمُهُ التي لم يُؤدِّ حَقَّ اللهِ فيها أَقْوَى ما كَانَتْ وَأَوْفَرَهْ فَتَطَؤُهُ الإبلُ بأخْفَافِهَا وتَعَضُّهُ بأنْيَابِهَا الحَادَّةِ وتَطَؤُهُ البَقَرُ والغَنَمُ باظلافِهَا وتَنْطَحُهُ بقُرُوْنِهَا السَّلِيْمَةِ لِيَكُونَ النَّطْحُ بهَا أَوْجَعَ وآلَمَ ولا تَجِيءُ بَقَرَةٌ ولا نَعْجَةٌ إلا وَلَها قَرْناها لَيْسَ بِهِمَا أيُّ مَانِعٍ يَمْنَعُ مِن تَوْجِيْهِهِمَا إليهِ وَطَعْنِ المانِعِ بِهِمَا الطَّعْنَ الأليمَ . وإنما كانَتْ أقْوَى مَا كَانَتْ لِيَكُوْنَ وطؤُها ونَطْحُهَا وعَضُّهَا بِمُنْتَهى القُوَّةِ . وإذَا كَانَ مَبطُوحاً لَهَا وهِيَ تَتَرَدَّدُ عَلَيهِ بالوَطْءِ كانَ أَمْكَنَ لَهَا في فِعْلِ ما تُعَذِّبُهُ بِهِ وهَذا العَذابُ لا يكونُ زَمَنُه قَلِيْلاً ولكنَّهُ يَدُوْمُ ما دَامَ المَوقِفُ .

ومِقْدَارُ المَوْقِفِ خَمْسونَ ألفَ سَنَةٍ ونَوعُ آخَرَ مِن الْعَذَابِ خَاصٌ بمانِعِ الزكاةِ وهو أنْ يُوْضَعَ حَجَرٌ مُحْمَى عليهِ وقَدْ زِيْدَ في حَرارَتِهِ فأُحْمِيَ عليهِ كذلك في نار جَهَنَّمَ فلا يَتَحمَّلُ اللَّحْمُ شِدَّةَ حَرارَتِهِ فَيَذُوْبُ ذَوباناً فَيَدْخُلُ الحَجَرُ الجِسْمَ واللَّحْمُ يَذوْبُ أمامَهُ حَتَى يَخرُجَ مِن القِطْعَةِ الرَّقِيْقَةِ التي في طَرَفِ الكتِفِ .

ثُمَّ يُوضَعُ عَلَى هَذِهِ الْقِطْعَةِ الرَّقِيْقَةِ وَقَدْ عَادَ الْجِسْمُ إلىَ مَا كَانَ عَلَيْهِ فيُفْعَلُ بِهِ كَمَا تَقَدَّمَ يَخْرُجُ مِنْ حَلَمَةِ ثَدْيِهِ وَيَزيْدُ في الألَمِ حَالَ التَّعْذيْبِ أَنَّ الحَجَرَ يَتَزَلْزَلُ لاَ يَمُرُّ فِيْ الْبَدَنِ مُسْتَقِيْماً وَقْتَ نُفُوْذِهِ .

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَامِلَنَا بِعَفْوِهِ وَجَمِيْعَ الْمُسْلِمِيْنَ وَقَدْ لاَ يَكُوْنُ هَذَا الْعَذَابُ كَافِياً فَيَكُونُ سَبِيْلَهُ إلىَ النَّارِ التَّيْ فِيْهَا أَلْوَانُ الْعَذَابِ الألِيْم مِنْ زَقُّوْم وَحَمِيْمٍ وَغَسَّاقٍ وَضَرِيْعٍ وَوَيْلٍ وَغِسْلِيْنٍ .

وَلِمَنْعِ الزَّكَاةِ شَكْلٌ آخرُ من الشُّؤْمِ الدُّنْيوي غَيْرُ مَا تَقَدَّمَ كَمَا فِيْ حَدِيْثِ مَا تَلِفِ مَالٌ فِيْ بَرٍ وَلاَ بَحْرٍ إلاّ بَحَبْس الزَّكَاةِ فَالْحَديْثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أيُّ مَالٍ يَضِيْعُ فِيَ أيِّ مَكَانٍ في بَرٍّ أوْ بَحْرٍ سَبَبُ تلفِهِ تَرْكُ الزَّكاةِ . وَهِيَ عُقُوبَةٌ تَعْكِسُ على الْمَانِعِ قَصْدَهَ ، إذْ هَوَ يَقْصِدُ بِمَنْعِهِ لَهَا تَكْثِيرُ الْمَالِ وَالْهُرُوْبِ من نَقْصِهِ باخْراجِ القَدْرِ الواجِبِ مِنهُ . ولَوَ أَخْرَجَ القدْرَ الواجَبَ وهُوَ قَلِيْلٌ مِن كَثِيْرٍ ، لَحُفِظَ مَاله بإذْنِ اللهِ ولكانَ لِهَ ثوابٌ عظيمٌ هوَ ثوابُ رُكْن مِنْ أَرْكَانِ الإسْلامَ ، ولكانَ لَهُ مِن الفضْلِ على المُعْطى مَا لا يَنْسَاهُ مُدَّةَ حَيَاتِهِ .

أَمَّا العُقُوبةُ الأخْرَوِيَّةُ فَالنارُ الَّتِيْ قال الله تعالى عنها : ﴿كَلَّا إنها لظى نَزَاعةٌ لِلشَّوَى تَدْعُو مَن أدبرَ وَتولىَ وَجمَعَ فأوْعَى﴾ .

فَعَلَيْكَ أيُّها العَاقِلُ ، أنْ تُحَاسِبَ نَفْسَكَ بِدِقَّةٍ وَتُقَوِّمَ ما أعْدَدْتَه لِلبَيْعِ والشِراءِ وأن تُبَرِىءَ ذِمَتَكَ بِيَقِيْنٍ ، بإخراجِ الزكاةِ كُلِّهَا إذَا تَمَّ الحَولُ ، وأَنْ لَا تَدْفَعَهَا إلا لِمَن تَعْلَمُ أنَّهُ مِمَّنْ يَسْتَحِقها يَقِيْناً أَوْ يَغْلِبُ عَلَى الظنِّ أنَّهُ مِن أهلِها .

شعــــرا :

أيَا جَامِعَ المَالِ الكَثِيْرِ بِجَهْلِـــهِ ستَجْنِيْ جَنَى الخُسْرَانِ مِن حَيْثُ تَرْبَحُ
ألم تَنْظُرِ الطَّاوُوْسِ مِنْ أجْلِ رِيْشِهِ لِمَا فِيهِ من شِبْهِ الدَّنانِيْرِ يُذْبَحُ

آخر: وَمَا المَال إلا حَسْرَةٌ إنْ تَرَكْتَهُ وَغُنْمٌ إذا قَدَمْتَهُ مُتَعَجِّـــلُ

آخر: وما في الأرض أشقَى من كفُوْرٍ عَصَى الرحمٰنَ واتَّبَعَ الملاهِيْ
تراهَ دَائِماً في جَمْعِ مَـــالٍ مَخَافَةَ فَقَـــرِهِ أَوْ لِلْتَبَاهِيْ

آخر: وما حَاجَتي في المال أبْغِي وُفُورُهُ إذا لم أقَدِّمْهُ لِيَوْمِ التَّغَـــابُنِ

واحْذَر كُلَّ الحَذَرِ مِنَ التَّهَاوُنِ بِتَرْكِ شَيءٍ مِنها أو التَّسْوِيْفِ بِها أوْ سُلُوكِ الطُرقِ المُلْتَوِيَةِ لِلتَّخَلُّصِ مِن أدَائِهَا أوِ التَّحَايُلِ على تَركِ شَيءٍ منها فَكُلُّ حِيلةٍ تُستَعْمَلُ لِتَضْيِيْعِ حَقٍ مِن حُقُوقَ اللهِ أو حُقُوقِ عبادِهِ أوْ تُبِيحُ ما حَرَّمَ اللهُ أو تَحَرِّمُ ما أحلَّ اللهُ فَهِيَ مِن الحِيلِ المُحَرَّمَةِ التي سَيُجَازَى عليها أشَدَّ الجَزاءِ وما رَبُّكَ بظلامٍ لِلْعَبيد .

وَيَجُوزُ تَعْجِيْلُ الزكاةِ لِحَولَين فَأقَلَّ إذا كَمُلَ النِصابُ لِمَا وَرَدَ عن علي عليه السلامُ أنَّ العَبَاسَ بنَ عبدِ المُطَّلِب سَأل النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم في تَعْجِيلِ صَدَقَتِهِ قَبْلَ أن تَحِلَّ فَرَخَّصَ له في ذلك رواه الخمسة الا النسائي .

وعن أبي هريرةَ قال بَعَثَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم عُمُرَ على الصدقةِ فَقِيْلَ مَنَعَ ابنُ جَميلٍ وخالدُ بنُ الوليدِ والعَبَاسُ فقال رسول اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ما يَنْقِمُ ابنُ جَمِيْلٍ إلَّا أنَّهُ كان فقيراً فأغناهُ اللهُ

ورسولهُ وَأما خالدُ فإنكم تظلمون خالداً وقد حَبَسَ أَدْراعَهُ وَأَعْتَادَهُ في سبيلِ اللهِ وأَمَا العَبَاسُ فَهِيَ حَقٌ عَلَيَّ وَمثلُها معَهَا ثُمَّ قَال يَا عُمَرُ أَمَا شَعِرْتَ أَنَّ عَمَّ الرجل صِنْوُ أبيهِ متفقٌ عليهِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا قَطَعَ قُلُوبَنَا عن ذِكرك واعفُ عن تَقْصِيرنا في طاعَتِكَ وشُكْرِكْ وأدمْ لَنَا لزُومَ الطريق إليكَ وهَبْ لَنَا نوراً نَهْتَدِي به إليكَ واسْلُكْ بنا سَبِيْلَ أَهْلِ مَرْضَاتِكَ واقْطعْ عَنَّا كُلَّ ما يُبعدُنا عَن سَبِيْلِكَ ويَسِّرْ لَنَا ما يَسَّرْتَهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وأَيْقِظْنَا مِن غَفَلاتِنَا وأَلْهِمْنَا رُشْدَنَا وَحَقِّقْ بكَرمِكَ قَصْدَنَا واسْتُرْنَا في دُنيانا وآخِرَتِنَا واحْشُرْنَا في زُمْرَةِ المُتَّقِيْنْ وألحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْن واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(فصل)

*** في بعض آداب الزكاة :**

قال في مِنهاجِ القاصِدين إعلم أن على مُريد الزكاةِ وظائفا :

الوَظِيفَةُ الأُوْلَى : أن يَفْهَمَ المرادَ مِنَ الزكاةِ ، وهو ثَلاَثَةُ أَشْيَاءَ : إبْتِلاَءُ مُدَّعِي مَحَبةِ اللهِ تعالى ، باخراجِ مَحْبُوبِهِ والتنزُهُ عن صفةِ البُخْلِ المُهْلِكِ ،وشُكرُ نعمةِ المال .

الوَظِيْفَةُ الثانيةُ : الأسْرَارُ باخْرَاجِهَا لقوله تعالى :﴿ إن تُبْدُوْا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وإن تُخْفُوها ، وتُؤتُوها الفُقَراء فهو خيرٌ لكم ﴾ وحديثِ السبعةِ وَعَدَّ مِنهم رَجُلاً تَصَدَّقَ بِصَدَقةٍ فأخْفَاهَا حتى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِيْنُهُ لِكَوْنِهِ أَبْعَدَ عن الرِّياءِ والسُّمْعَةِ ، وفي الإِظْهَارِ إِذْلاَلٌ لِلْفَقِيْرِ أَيْضَاً ، فإنْ خَافَ أنْ يُتَّهَمَ بِعَدَمِ الإِخْرَاجِ أعْطَى مَن لَا يُبَالِي مِنَ الفُقَراءِ بالأخْذِ بَيْنَ الجَمَاعَةِ عَلانِيَةً وأَعْطَى غَيْرَهُ سِراً .

الوظيفةُ الثالثةُ : أَنْ لا يُفْسِدَها بالمَنِّ والأذى . وذلك أنَّ الإنسانَ اذا رَأى نَفْسَهُ مُحْسِناً إلى الفَقِيرِ مُنْعِمَاً عليه بالاعطاءِ ، رُبَّمَا حَصَلَ منه ذلكَ ، ولو حَقَّقَ النظرَ لَرَأى الفقيرَ مُحْسِناً إليه ، بقَبُولِ حَقِ اللهِ الذي هُوَ طُهْرٌ له ، واذا اسْتَحْضَرَ مَعَ ذلكَ أنَّ إخراجَـهُ لِلزَكاةِ شُكْرٌ لِنِعْمَةِ المالِ ، فلا يَبْقَى بَيْنَهُ وبينَ الفقيرِ مُعَامَلَةٌ ، ولا يَنْبَغِي أنْ يَحْتَقِرَ الفقيرَ بِفَقْرِهِ لأَنَّ الفَضْلَ لَيْسَ بالمالِ ولا النقصَ بعدَمِهِ .

شِعْرَا: أَكْرِمْ يَدَيْكَ عَنِ السُّؤالِ فإنَّما ... قَدْرُ الحَيَاةِ أَقَلُّ مِنْ أنْ تَسْأَلا
آخر: وإذَا افْتَقَرْتَ فلا تَكُنْ مُتَخَشِّعَا ... تَرْجُوْ الفَضَائِل عَنْدَ غَيْرِ الله
آخر: يَقُولُ الناسُ لِيْ في الكَسْبِ عَارٌ ... فَقُلْتُ العَـارِ في ذُلِّ السُّؤالِ
آخر: إذا كَفَّكَ المَيْسُوْرُ والعِرْضُ وَافِرٌ ... فكل الذي فوق الكَفَاف فُضُوْلُ
آخر: وَمَا هِيَ إلَّا جَوْعَةٌ إنْ سَدَدْتَهَا ... فَكُلُ طَعَامٌ بَيْنَ جَنْبَيْكَ وَاحِدُ

الوظيفةُ الرابعةُ: أنْ يَسْتَصْغِرَ العَطِيَّة، فإنَّ المُسْتَعْظِمَ لِلْفِعْل مُعْجَبٌ بِهِ، وقَدْ قِيلَ: لَا يَتِمُّ المَعرُوْفُ إلا بثلاثٍ: بِتَصغيرِهِ وتعجيلِهِ وسَتْرِهِ.

الوظيفةُ الخامسةُ : أَن يَنتَقِي مِن مَالِهِ أحلَّهُ وأَجْوَدَهُ وأحَبَّهُ إليهِ ، أما الحِلُ فإنَّ اللهَ تعالى طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلا طَيِّباً . وأمَّا الأجْوَدُ فقَد قال الله تعالى: ﴿ ولا تَيَمَمُوا الخبيثَ منه تُنفقون ﴾ .

وعن عبد اللهِ بن عمر رضي الله عنهما قال : أصَابَ عُمَرُ أَرْضَا بِخَيْبَرَ ، فأتَى النبيَّ صلى الله عليه وسلم يَسْتَأْمِرُه فيها ، فقال : يا رسول الله إني أصَبْتُ أرضاً لم أُصِبْ مالاً قطُّ هُوَ أَنْفَسُ عِندي منه ، فما تأمرُني ؟ قال : ان شِئْتَ حَبَّسْتَ أصْلَها وتصَدَّقْتَ بها . قال : فتصدَّقَ بها عُمَرُ ، غيرَ أنَّهُ لا يُبَاعُ أَصْلُها ولا يُورَثُ ولا يُوهَبُ . قال : فَتَصَدقَ بها عُمَرُ في الفُقَراءِ وذَوِي القُربَى وفي الرِقابِ وفي سبيل اللهِ وابنِ السبيلِ

والضَّيفِ ، لا جُنَاحَ على مَن وَلِيَها أنْ يَأْكُلَ مِنها بالمَعْرُوفِ أو يُطْعِمَ صَديقا غيرَ مُتَمولٍ فيه ، وفي لفظ غَيْرَ مُتَأثِلٍ رواه الجماعة .

وعن أنس ـ رضي اللهُ عنه ـ قال : كان أبو طَلحةَ ـ رضي الله عنه ـ أكثرَ الأنصارِ بالمدينةِ مالاً مِن نَخلٍ ، وكان أحبَّ أمْوَالِهِ اليهِ بَيْرُحاء ، وكانَتْ مَسْتَقْبِلةَ المَسجدِ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَشْرَبُ مِن ماءٍ فِيها طيِّبٌ . قال أنسُ : فَلَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيةُ ﴿ لن تنالوا البِرَّ حتى تُنفقوا مِمَّا تُحبون ﴾ جَاء أبُو طلحةَ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقالَ : يَــا رســولَ اللهِ ، إن الله تعالى أنزلَ عليك ﴿ لن تَنالُوا البرَّ حتى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون ﴾ وإن أَحَبَّ مَالي إليَّ بَيْرُحَاء وأنها صَدقَةٌ للهِ تعالى أرْجُو بِرَّهَا وذُخرَهَا عِنْدَ اللهُ تعالى فَضَعْهَــا يا رَسولَ اللهِ حَيْثُ أمَرَكَ اللهُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَخٍ بَخٍ ذلك مالٌ رابحٌ ، وقد سَمِعْتُ ما قُلْتَ ، وإنِّي أرَى أن تَجْعَلها في الأَقْرَبِينَ ، فقال أبُو طَلْحَةَ : أفْعَلُ يا رَسُولَ اللهِ ، فَقَسَّمَهَا أبُو طَلْحَةَ في أقارِبِهِ وَبَني عَمِّهِ متفق عليه .

وَيَنْبَغِي أنْ يُلاَحِظَ في ذلك أمْرَيْن :

أَحدُهُمَا : حَقُّ اللهِ سبحانه وتعالى بالتَّعْظِيمِ لَهُ ، فَإنَّهُ أَحَقُّ مَن إخْتيرَ لَهُ ، ولو أن الإنسانَ قَدَّمَ إلى ضَيفِهِ طعاماً رَدِيئاً لأوغَرَ صَدْرَهُ .

والثاني : حَقُّ نفسِهِ فإن الذي يُقَدِّمُهُ هو الذي يَلْقَاهُ غداً في القيامَةِ فَيَنْبَغِي أنْ يَخْتَارَ الأجْوَدَ لِنَفْسِهِ ، وأمَّا أَحَبُّهُ إليهِ ، فَلقوله تعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ .

وكانَ ابن عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ اذا اشتدَّ حبُه لِشَيءٍ مِن مَالِهِ قَرَّبَهُ للّهِ عزَّ وجلَّ . وَرُوِيَ أنه نَزَلَ الجُحفَةَ وهُوَ شَاكٍ ، فقال : إنِّي لأشْتَهِي حِيْتَاناً فالتمَسُوا لَهُ فلَم يَجِدُوا لَهُ إلا حُوتاً فاخَذَتْهُ امرأتُهُ فَصنَعَتْهُ ،

ثم قَرَّبْتُهُ إليهِ فأتى مسكينٌ ، فقال ابنُ عُمَر - رضي اللهُ عنهما - خُذْهُ ، فقالَ لَهُ أهْلُهُ : سُبْحَانَ اللهِ قد عَنَّيتنا ومَعَنَا زَادٌ نُعْطِيهِ ، فقال : إن عبدَ الله يُحبُه .

وَرُوِيَ أن سَائلاً وَقَفَ بِبَابِ الربيعِ بنِ خَيْثَم رحمَه اللهُ تعالى ، فقال : أطْعِمُوهُ سُكَّراً ، فإن الربيعَ يُحِبُّ السُّكر .

الوظيفةَ السادِسَةُ : أن يَطْلُب لِصَدَقَتِهِ مَن تَزكُو بِهِ ، وهُم خُصُوصٌ مِن عُمُومِ الأصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ ، ولهم صِفاتٌ :

الأولى : التَّقْوى ، فَلْيَخُصَّ بصَدَقَتِهِ المتَّقِينَ فإنه يَرُدُّ بها هِمَمَهم إلى اللهِ تعالى ، وفي الحديث الذي رواه ابنَ حبانَ في صحيحِهِ عن أبي سعيدِ الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أطعِمُوا الأتْقِيَاءَ وأوْلُوا مَعْرُوفَكُم المؤمنين ، وقد كانَ عَامِرُ بنُ عبدِ اللهِ بنَ الزبير يَتَخَيَّرُ العُبَّادَ وهم سُجُودٌ فيأتيهم بالصُّرَّةِ فيها الدنانيرُ والدراهِمُ فَيَضَعُهَا عندَ نِعَالِهِم بحَيْثُ يُحِسونَ بها ولا يَشْعُرونَ بمَكَانِهِ ، فقيلَ لَهُ : ما يَمْنَعُكَ أن تُرْسِلَ بها إليهِم ؟ فيقُولُ أكرَهُ أن يَتمعَرَ وَجْهُ أحَدِهِم إذا نَظَرَ إلى رَسُولِيَ .

الصفةُ الثانيةُ : العِلمُ فإنَ إعطَاءَ العالِم إعانَةٌ على العِلْمِ ونَشْرِ الدينِ ، وذلك تَقْوِيَةٌ لِلشريعةِ .

الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ : أنْ يَكُوْنَ مِمَّنْ يَرَى الإنْعَام مِنَ اللهِ وحدَه ولا يَلْتَفِتُ إلَى الأسْبَابِ إلا بقَدْرِ ما نُدِبَ إليهِ مِن شُكْرِها ، فأمَّا الذي عَادتُهُ المَدْحُ عندَ العَطَاءِ فانَّهُ سَيذُمُّ عندَ المنع .

الصفةُ الرابعةُ : أنْ يكونَ صائناً لِفَقْرِهِ ، سَاتِراً لِحَاجَتِهِ ، كاتِماً لِلشَّكْوَى ، كما قال تعالى : ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ﴾ .

شعرا: كَمْ فاقَةٍ مَسْتُورَةٍ بِمُرُوْةٍ وَضَرُوْرَةٍ قَدْ غُطِّيَتْ بِتَجمُّلِ
ومِن ابتِسَامٍ تَحْتَهُ قَلْبٌ شَجٍ قَدْ خَامَرَتْهُ لَوْعَةٌ مـــا تَنْجَلِي

ومن آداب المُزَكِّي التي تَتأَكَّدُ عليه أَنْ يكُونَ طَيِّبَ النَّفس بإخْرَاجِهَا فَرِحاً مَسْرُوراً مُسْتَبْشِراً بقَبُولِ الفقيرِ المُسْتَحِق لِزَكَاتِهِ ، ولْيَحْذَرْ من أنْ يكُونَ كَارِهاً لإخْرَاجِهَا فإنّه من صِفَاتِ المَنافقين ، قال الله تعالى : ﴿ ولا يُنفِقونَ الا وهم كارهون ﴾ وأَخْبَرَ سُبحَانَهُ أن المنافِقَ يُصَلي ولكن لا يَأْتِيْهَا الا وَهُوُ كَسْلان وقَدْ يُزَكِي ولكن مَعَ الكَرَاهَةِ ، وقوله ﷺ : « مَن تشبّه بقَومٍ فهو مِنْهُم » وفي لفظ : « ليسَ منا مَن تَشَبَّهَ بغيْرنا » وهو حديث جيد والله أعلم

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الأيْمانِ وَثَبِّتْهَا عَلى قَوْلِكَ الثَّابتْ في الحَيَاة الدُّنْيَا وفَي الآخِرة وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وَتوفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَالْحِقْنَا بعبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِيْنَ . اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ رحمةً مِن عِنْدِكَ تَهْدِي بها قُلُوْبَنَا ، وتَجْمَعُ بِهَا شَمْلَنَا ، وتَلمُّ بِهَا شَعَثَنَا ، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدَنَا ، وتَحفَظُ بِهَا غَائِبَنَا ، وتُزَكِّي بِهَا أَعْمَالَنَا ، وَتُلْهِمُنَا بِهَا رُشْدَنَا ، وتَعْصِمَنَا بِهَا مِن كُلِّ سُوْءٍ يَا أَرْحَم الرَّاحِمين . اللَّهُمَّ يا هادِي المُضِلِّين ويارَاحِمَ المُذْنِبِيْن ، وَمُقِيلَ عَثَراتِ العاثِرين ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُلْحِقَنا بِعبَادِكَ الصَّالِحِين الذين أَنْعَمْتَ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين .

«**موعظة**» : عبادَ اللهِ إن كُنْتُم في سَعةٍ مِن العَيْشِ فاحْمَدُوْا اللهَ تَعَالَى أن **جَعَلَكُمْ مِن أَهْلِ الإيسَارِ وأديْمُوا شُكْرَهُ يُدِمْ عليكُم النِّعْمَةَ ويَزِدْها ، وهو الكريمُ الجوادُ . ومِن تَمَامِ النِعمَةِ أن تَنَسَّخُوْا مِنَ الزكاة بإخراجِها كاملةً إلى ذَوي الحَاجاتِ لعلكم أنْ تفُوزُوا بالخَلَفِ والثَّوابِ الجَزِيْلِ مِن فاطِرِ الأرضِ والسَّمواتِ ، أَحْسِنُوا إلى عِبَادِ الله كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إليكُمْ وَرَاعُوا عندَ الإحسانِ الأدَبَ فلا تَمُنُوا على الفَقِيْرِ ولا تُؤْذُوْهُ فإن ذلك مُحْبِطٌ لِلأعمَالِ واسْتُرُوْا عَطَاءَكُم مُخْلِصِينَ مُتَيَقِنِيْنَ أنَّ حَاجَتَكُمُ إلى الثَّوابِ وتكفيرِ الذُنُوبِ أَشَدُّ مِن حَاجَةِ الفقير إلى ما تُخْرِجُونَ . واعْلَمُوا أن إحْسَانَكُمْ إنَّما هو لِأَنْفُسِكُم وَاعْصُوا الشيطانَ فإنَّهُ يأمُرُ بالبُخْلِ وينْهى عن**

العَطْفِ على المَساكِين، يُخِيفُكُمْ إن تَصَدَّقْتُم أنْ يَذهَبَ مَالكُم وأنْتُم تَعْلَمُون أنَّ نَصِيْحَةَ العَدُوِّ مَهْلَكَةٌ، وقد أخبرَ اللهُ جَلَّ وعَلاَ أن الشيطَانَ للإنسانِ عَدُوٌّ مُبِيْن، وأَخْبَرَ صلى الله عليه وسلم أنهُ مَا مِن يَومٍ يَصبحُ العِبادُ إلا مَلَكَانِ ينزلانِ فَيَقُوْلُ أَحَدُهُما اللَّهم أَعْطِ مُنْفِقاً خَلفاً وَيقول الآخرُ اللَّهم أَعْطِ مُمْسِكاً تَلفا. رواه البخاري ومسلم.

اللهمَّ اعصِمْنَا عَنِ المخالفةِ والعصيانِ وألْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ يا كريمُ يا مَنّان واغفر لنا ولوالدَينا ولجميعِ المسلمينَ الأحياءِ منهم والميتينَ

اللَّهُمَّ اعصِمْنَا عَنِ المخالفةِ والعصيانِ وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ يا كريمُ يا مَنّان واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ. اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ المُفْلِحين وأَلْبِسْنَا خِلَعَ الإِيْمَانِ واليَقَيْن، وَخُصَّنَا مِنْكَ بالتَّوْفِيْقِ المُبين، وَوَفِّقْنَا لِقَوْلِ الحَقِ واتْبَاعِهِ وَخَلِّصْنَا مِنَ البَاطِل وابْتِدَاعِهِ، وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدا وَلَا تَجْعَل لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدَا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشاً رَغَدَا وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدوّاً وَلَا حَاسِداً، وارْزُقْنَا عِلْماً نافِعاً وَعَمَلاً مُتَقَبَّلا، وَفَهْماً ذَكِيّاً وَطَبْعاً صَفِيّا وَشِفَاً مِنْ كُلّ دَاء، واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(فَصْلٌ): فِيمَنْ تَحِلُّ لَهُ الصَّدقة: إِعْلَم وفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ وجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ أَنَّ مِمَّا يَتَعَيَّنُ على كُل مُؤْمِنٍ أَنْ يَصُوْنَ نَفْسَهُ عنه، مَسأَلَةَ الناسِ إِلَّا عِنْدَ الضَرُوْرَةِ أَوِ الحاجَةِ الشَّدِيدةِ الَّتي لَابُدَّ لَهُ منهَا ولا غِنَى لَهُ عَنها، وذَلِكَ لِمَا وَرَدَ عَن قَبِيْصَةَ بن مُخَارِقٍ الهِلَالِيَ قال: تَحَمَّلْتُ حَمَالةً، فأَتَيْتُ رسولَ الله ﷺ أَسْأَلُه فيها، فقال: «أَقِمْ حتى تَأتِيَنَا الصَّدَقَةُ فآمُرَ لَكَ بِهَا، ثُمَّ قال يَاقَبِيْصَةُ إنَّ المسأَلَةَ لا تَحِلُ إِلَّا لأَحَدِ ثلاثةٍ: رَجُل تحمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ المسأَلَةُ حَتَّى يُصيبَهَا ثم يُمْسِكُ، أَوْ رَجُلٌ أَصابَتْهُ جائحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ له المَسأَلَةُ حتى يُصيبَ قِواماً مِن عَيْشٍ، أَوْ قَالَ سَدَاداً مِن عَيْشٍ، وَرَجُلٌ

أَصَابَتهُ فَاقَةٌ حتى يَقُوْمَ ثلاثَة، مِن ذَوِي الحِجَا مِن قومِهِ يقولُون لَقَدْ أصَابَتْ فلاناً فاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ المسأَلَةُ حتى يُصِيْبَ قِواماً مِن عَيْشٍ أو قال: سَداداً مِن عَيْشٍ- فَمَا سِوَاهُنَّ مِن المسأَلةِ ياقَبِيْصَةُ سحتٌ يأكُلُها صَاحِبُها سُحتَا» والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم.

فَصْلٌ في التَّحْذِيرُ مِن أَخْذِ الصَّدَقَةِ لِمكن لا تَحِلُّ لَهُ

عن أبي هريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سأَلَ الناسَ أموالَهُم تَكَثُراً فإنَّما يَسألُ جَمْراً، فَلْيَسْتَقِلِ أو لِيَسْتَكثِرَ».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال، قَال رســول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يزالُ الرجلُ يَسْأَلُ حتى يأتيَ يومَ القيامةِ ليس في وجهه مُزْعَةُ لَحْمٍ».

وعن معاويةَ ـ رضي الله عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لا تُلْحِفُوا في المسألة. فَواللهِ لا يَسْأَلُنِي أحدٌ منكم شيئاً فَتخُرِجُ له مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيئاً أنا كارِهٌ له، فَيُبَارَكُ لهُ فيما أَعْطَيْتُه».

وعن الزبير بن العوام ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأنْ يأخُذَ أحدُكم حَبْلَه فيأتِي بحُزْمَةِ حَطَبٍ على ظهرِهِ فَيَبيْعَها ـ يَكُفَ اللهُ بِها وَجْهَهُ ـ خيرٌ له مِن أَنْ يَسأَلَ الناسَ: أَعْطَوْهُ أَو مَنَعُوْه». فالعاقل يعمل جهده ولا يميل إلى الكسل والملل وحُبِّ الرَّاحَةِ وقَدِيْماً قيل:

إنَّ التَّوانِـي زَوَّجٍ العَجْـزَ بِنْتَـهُ   وسَاق إليها حِيْنَ زَوجَهَا مَهْـرَا
فِراشاً وَطِيْئاً ثم قال لها إتكِـيْ   قُصَارَا كُمَا لابُدَّ أنْ تَلِدَا الفَقْرَا
آخر: كَمْ مِن حَيَاءٍ وكَم عَجْزٍ وكَمْ نَدَمٌ   جَمٌّ تَولَّـدَ للإنسانِ من كَسَلِ

آخر: دَعِيْ نَفْسِي التَّكَاسُلَ والتَّوانِ   وإلا فالبِسْي ثوابَ الهَوَانِ
فَلَمْ نَرَى للكُسَالى الحَظُ يَجْنِي   ثِمـاراً غَيْـرَ حِرْمانِ الأَمَانِـي

وعن سَمُرَةَ بنِ جُنْدَبٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّما المَسَائلُ كدُوْحٌ يَكْدَحُ بها الرجلُ وجهَه، فمَنْ شَاءَ أبقَى على وجْهِهِ، ومَن شَاءَ تَركَ، إلا أن يَسألَ الرجلُ ذا سُلطانٍ أو في أَمْرٍ لَا يَجِدُ منهُ بُد».

وعن عبدِ الله بن مسعودٍ ـ رَضِيَ اللهَ عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن سَألَ الناسَ وله ما يُغْنِيهِ: جَاءَ يومَ القيامةِ ومَسألَته خُموشٌ أوْ خُدوشٌ أو كُدُوحٌ»، قيلَ يا رسولَ اللهِ، وما يُغْنِيْه؟ قال: «خَمْسُونَ دِرهما أو قيمَتُها مِنَ الذَهبِ».

ولأبي داودَ عن سهلِ بن الحَنْظَلِيَّةِ، قيلَ: وما الغِنَى الذي لا يَنْبَغِي معه المسألة؟ قالَ صلى الله عليه وسلم: «قَدْرُ ما يُغَدِّيْهِ أو يُعَشِّيْهِ».

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً مِن الأنصارِ أَتَى النبيَّ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُهُ، فقال: «ما في بَيْتِكَ شَيءٌ. قال: بَلَى، حِلْسٌ نَلْبَسُ بعضَه ونَبْسُط بَعْضَه وقَعْب نَشْرَبُ فيه الماءَ، قال: ائْتِنِي بهما، فأتاه بهما، فأخذَهما رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيدِه وقال: مَن يَشْتَرِي هذين؟ قال رجلٌ:

أَنا أَخُذُهُما بدِرْهمٍ، قال صلى الله عليه وسلم مَن يَزيدُ على دِرْهَم، مَرَّتَيْنِ أو ثَلاثاً؟ قال رجلٌ: أنا أخذُهُمَا بدِرهَمين! فأعطاهُما إيَّاه، فأخَذَ الدِرْهَمَين وأَعْطَاهُما الأنصارِي وقال: اشْتَرْ بأحدِهما طَعَاماً فانْبِذهُ إلى أهْلِكِ، واشْتَرْ بالآخر قَدُوْماً فأتْنِي به، فَأتَى به فَشَدَّ فيه صلى الله عليه وسلم عوداً بيدَهِ، ثم قَال: اذْهَبْ فاحتَطِبْ، وبِعْ ولَا أَرينَّكَ

خَمْسَةَ عَشَر يوماً ، فَذَهَبَ الرجلُ يَحْتَطبُ ويَبيْعُ ، فجَاءَ وقدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِم فاشْتَرى بِبَعْضِها ثَوْباً وبِبَعْضِها طعاماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا خَيْرٌ لَكَ مِن أن تَجِيءَ المسألةُ نُكْتَةً في وَجْهِكَ يومَ القيامةِ ، ان المسألةَ لا تَصْلُحُ الا لِثَلاثَةِ : لِذي فَقرٍ مُدْقِعٍ ، أوْ لِذِي غُرْمٍ مُقْطِع ، أو لِذِي دَمٍ مَوْجِع » .

شعـــرا :

يا نَفْسُ جُدِّي تَذُوقِي لَذَّةَ العمل وَوَاظِبي لَذَّة الإِحْسَانِ في مَهَـــلِ
فكُلُ ذِيْ عَمَـــلٍ بَالخير مُغْتَبِطُ وفي بَلاءٍ ولُوْمٍ كل ذْى كَسَــــلِ

وللتّرمذي نَحْوُه عن حَبَشي بن جُنَادَة ، وفيه : « ومَن سَأَلَ الناسَ لِيُثْرِيَ به مالَهُ كَانَ خُمُوشاً في وجْهِهِ يومَ القيامةِ ، وَرَضْفاً يأكله في جَهَنَّمَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُقْلِلْ ، ومَن شَاءَ فَلْيُكْثِرْ » .

وعن ابن مَسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَن نَزَلَتْ فاقةٌ بهِ فأنْزَلَها بالناسِ لم تُسَدَّ فَاقَتُهُ ، ومَن نَزَلَتْ به فاقة فأَنْزَلَها بالله فَيُوشِكُ اللهُ لهُ برِزْقٍ عَاجِلٍ أو آجِلٍ » .

شعرا : لَمَّا افْتَقَرْتُ لِصَحْبِيْ مَاوَجَدْتُهُمْوا لجَـــأتُ لِلـــهِ لَبَّـــانِ وَأَغْنَـــانِيْ
وَاهاً عَلَى بَذْلِ وجْهِيْ لِلْوَرىَ سَفهاً وَلَـــوْ بَذَلْـــتُ إلـــىَ مَـــوْلاَيَ وَالانِـــيْ

آخر: ولَيْس الغِنَى وَالفَقْرُ مِنْ حِيْلَةِ الفَتَى ولاكِنّهَـا الأَرْزَاقُ يقسِمُها ربي

وعن أبي كَبْشَةَ عَمْروِ بن سَعْدٍ الأَنْمَارِي ـ رضي اللهُ عنه ـ أنه سَمِعَ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقولُ : ثلاثةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وأُحَدِثُكُم حَديثاً فاحْفَظُوه : ما نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِن صَدَقَةٍ ، ولاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيها إلا زَادَهُ اللهُ عِزا ، ولا فَتَحَ عَبدٌ بابَ مسألةٍ إلا فَتَحَ اللهُ عليه بابَ فَقْرٍ أَوْ كَلمةً نَحوْهَـــا .

شِعْرَا : صُنِ الوَجْهَ الذي إنْ لَمْ تَصُنْـــهُ بَقيْتَ وَأَنْتَ في الدُنْيا ذَلِيْـــلُ
وعِشْ حُراً ولا يَحْمِلْكَ ضُـــرٌّ عَلى مَرْعىً لَهُ غِبٌّ وَبِيْـــلُ

فَلَيْسَ الـــرَّأيُ إلاَّ الصَّبْرُ حَتَّى يُدِيْلُ الْيُسْرَ مَوْلاكَ الجَلِيــــلُ

وَعَنْ ثَوْبَانَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ : « مَنْ يَتَكَّفل لِيْ أَنْ لاَ يَسْأَل النَّاسَ شَيْئاً أَتَكَفَّلُ لَهُ الجَنَّةَ ؟ فَقُلْتُ : أَنَا ! فَكَانَ لا يَسْأَلُ أَحَداً شَيْئاً » .

وعَنْ حَكِيْم بْنِ حِزَامٍ ـ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُوْلَ اللهِ صَلى الله عَليه وسَلم فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ قَالَ « يَا حَكِيْمُ ، إِنَّ هَذَا المالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَن أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُوْرِكَ لَهُ فِيْهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِاشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيْهِ ، وَكَانَ كَالذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنْ اليَدِ السُّفْلَى ، قَالَ حَكِيْمُ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَالذِيْ بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أَرزأُ أَحداً بَعْدَكَ شَيْئاً حَتَّى أُفارِقَ الدُّنْيَا » .

شِعْرًا: وَلَيْسَ بِزَيْنٍ لامْرِيءٍ بَذْلُ وجْهِهِ إلى غَيرِ رَبِّ العَرْش بارِي البَرِيَّةِ

آخر: إنَّ الغَنِيَّ هُوَ الغَنِــيُّ بِرَبِــهِ وَلَوْ أَنَّــهُ عَارِي المنـاكِبِ حَافِي

آخر: وإذا طَلَبْتَ مِن الحَوائِج حَاجَةٍ فادْعُ الإِلٰـهَ وأَحْسِنِ الأَعْمَالَا

فَلَيُعْطِيَــنَّكَ ما أَرَادَ بِقُـــدْرَةٍ فَهُوَ اللَّطِيـفُ لِمَـا أَرادَ فِعَالَا

وَدَعِ العِبَادَ ولا تكُنْ بِطلابِهِم لَهِجاً تَضَعْضَعُ لِلْعِبَادِ سُؤَالاَ

إن العبـادَ وَشأْنَهُـم وأُمُوْرَهُـمْ بَيَدِ الإِلٰـهِ يُقَــلِّبُ الأَحْوَالاَ

آخر: أَيَا مَنْ لا يَخِيْبُ لَدَيْـهِ رَاجٍ ولم يُبْرِمْـهُ الْحَـاحُ المُنَاجِــيْ

وَيَا ثِقَتِيْ عَلى ظُلْمِي وجُرْمِـيْ وإِيْثَـارِيْ التَّمَـادِيْ فِي اللِجَـاج

أَقِلْنِـيْ عَثْرَتِـي وتَـلافَ أمْـرِيْ وَهَبْ لَيْ مِنْكَ عَفْواً واقْضِ حَاج

فَمَـا لِيْ غَيْـر إِقْـرَارِيْ بِذَنْبِـيْ لِنَفْسِي دُوْنَ عُذْرٍ واحْتِجَـاج

مَوْعظَةٌ : عبَادَ اللهِ مَا أَحْسَنَ أَنْ يَعِيْشَ المَرْءُ قَانِعاً بِمَا رَزَقَهُ اللهُ في هَذِهَ الحَيَاةِ فَلا يَمُدُّ بَصَرَهُ إلى مَا في أَيْدِي النَّاسِ وَلا تَتَطَلَّعُ نَفْسُهُ إلى سَلْبِ حُقُوق النَّاس أَوْ ظُلْمِهِمْ وَالاعْتِدَاءِ عَلَى مَا وَهَبَ اللهُ لَهُمْ مِنْ نِعَمٍ جِسَامٍ فَانَّ القَانِعَ يَشْعُرُ وَيُحِسُّ

بِسَكِيْنَةٍ وَطُمَأْنِيْنةٍ كَمَا يَشْعُرُ بِأَنَّهُ غَنِيٌّ عَن كُلِّ الخلق قال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ فِي الدُّنْيَا قَنُوعاً   فَأَنْتَ وَمَالِكُ الدُّنْيَا سَواءُ

آخر: وَإِنَّ إقْتِنَاعَ النَّفسِ مِن أَحْسَنِ الغِنَى   كَمَا أَنَّ سُوْءَ الحِرْصِ من أَعْظَمِ الفِقْرَ

وَذَلِكَ أَنَّ لَهُ نَفساً رَاضِيَةً بِمَا قَسَم الله آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً لَمْ يَتَسَرَّبْ إِلَيهَا الجَشَعُ وَالطَّمَعُ اللذان هُمَا مِنْ أَقْبَحِ القَبَائِحِ وَأَسْوَأِ الشَّمَائِلِ وَلَا يَزَالُ صَاحِبُ هَذَيْنَ أَوْ أَحَدُهُمَا إِلَّا وَهُوَ مَذْمُومٌ وَبِأَقْبَحِ الصِّفَاتِ مَوْسُومٌ لَا تَعْرُضُ لَهُ القَنَاعَةُ وَلَوْ كَانَتَ الدُّنْيَا بِإِسْرِهَا لَهُ. قَدْ مَلأَ حُبهَا قَلْبَهُ وَغَمَرَ مَحَبَّتُها وَالتَّفَانِيْ فِيْ طَلَبِاَ قَلْبَهُ وَصَارَ لَا يَرْضَى مِنْهَاَ باليَسِيرِ وَلَا يَقْنَعُ بِالكَثِيْرِ وَقلَّمَا تَجِدُ مُتَّصِفاً بِهَذَا الوَصْفِ إِلَّا وَهُوَ مُتشَتِّتُ الفِكْرِ قَلِيْلُ الرَّاحَةِ عِنْدَهُ مِنَ الحَسَدِ والهَلَعِ وَضَعْفِ التَّوَكُّلِ عَلى الله الشَّيْء الكَثِيْرَ الذِيْ يُخْشَى عَلَيْهِ مَعَ اسْتِدَامَتِهِ مَعَهُ مِنْ سُوْءِ الخَاتِمَةِ.

شِعْرَا: فإِنْ تكُنِ الدُّنْيَا تُعَدُّ نِفَيْسَةً   فإِنَّ ثوابَ اللهِ أَعْلَى وأَنْبَلُ

وَإِنْ تكُنِ الأَرزَاقُ حَظاً وَقِسْمَةً   فَقِلَّةُ حِرْصِ المرءِ في الكَسْب أَجْمَلُ

وَإِنْ تكُنِ الأموالُ لتَرْكٍ جَمْعُهَا   فما بَالُ مَتْرُوكٍ به المُرء يَبْخَلُ

آخر: دَعِ الضَّرَاعَةَ لِلْمُحْتَاجِ مِثْلكَ إِذْ   مَا فِي الخَلائِقِ طُراً غَيْرَ مُحْتَاجِ

واضْرَعْ إِلَى سَيِّدٍ تُغْنِيْ مَوَاهِبُهُ   عَنْ غيرِهِ وهْوَ كنْزُ القاصِدِ الرَاجي

وَكَيْفَ ترجَوْ سِوَى المَوْلَى وأَنْت تَرى   مَا فِي البَرِيَّةِ طُراً غَيْرَ مُحْتَاجِ

آخر: فإِطْلُبْ إِلَى مَلك المُلُوْك وَلَا تَكُنْ   بادِي الضَّراعَةِ طَالِباً مِن طَالِبِ

آخر: أَرَى اليأسَ مِنْ أَنْ تَسأَلِ النَّاس رَاحَةً   تمْيتُ بِهَا عُسْراً وَتُحْيِيْ بها يُسْرَا

أَمَّا القَانِعُ ذُوْ النَّفْسِ الأَبيَّةِ الرَّاضِيَةِ المُطْمَئِنَّةِ المُتَوَكِّلَةِ عَلَى الله فَيُرجَى لَهَا أَنْ تَنالَها الآيَة الكَرِيْمَةُ: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةِ ارْجِعِيْ إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً**﴾ الآية.

قَالَ ﷺ مَنْ أَصْبَحَ آمِناً في سِرْبِهِ مُعَافَى فِيْ بَدَنِهِ مَعَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ فكأَنَّمَا حِيْزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذافِيْرَهَا.

وقَالَ ابْنُ مَسْعُوْدٍ– رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– مَا مِنْ يَوْمٍ الاَّ يُنَادِي فِيْهِ مَلَكٌ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ يَا ابْنَ آدَمَ قَلِيْلٌ يَكْفِيْكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيْرٍ يُطْغِيْكَ.

شِعْرًا: لا تَجْزَعَنَّ لِعُسْرَةٍ مِنْ بَعْدِهَا ... يَسْرَانِ وَعْدٌ لَيْسَ فيه خِلافُ
كَمْ عُسْرَةٍ ضَاقَ الفَتَى بِنُزُوْلِهَا ... لِلَّهِ في أَعْقَابِهَا أَلْطَافُ

آخر: كَمْ كافِرٍ بِاللهِ أَمْوَالُهُ ... تَزْدَادُ أَضْعَافاً عَلى كُفْرِهِ
ومُؤمِنٌ لَيْسَ لَهُ دِرْهَمٌ ... يَزْدَادُ إِيْمَاناً عَلى فَقْرِهِ
لَا خَيْرَ فِيْمَنْ لَمْ يَكُنْ عَاقِلاً ... يَمُدُّ رِجْلَيْهِ عَلى قَدْرِهِ

وقَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ: أَطْيَبُ العَيْشِ القَنَاعَةُ وَأَنْكَدُ العَيْشِ الجَشَعُ وَمِنْ الاخْلَاقِ الذَّمِيْمَةِ التيْ تَجْعَلُ الإنْسَانَ بَخِيْلاً بِمَا فيْ يَدِهِ مُتَطَلِّعاً لِمَا في أَيْدِيْ النَّاسِ الحِرْصُ والَافْرَاطُ في حُبِّ الدُّنْيَا وَجَمْعِهَا وَلَوْ أَدَّى ذَلِكَ إلى اهْدَارِ الكَرَامَةِ وَارَاقَةِ مَاءِ الوَجْهِ فَالحَذرَ عِبَادَ اللهِ مِنْ الحْرِصِ عَلى الدُّنْيَا فَإِنَّ حُبَّهَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيْئَةٍ.

شِعْرًا: إِنْ رُمْتَ عِزاً على فَقْرٍ تُكَابِدُ ... فَاسْتَغْنِ عَنْ مَالِ أَهْلِ البَذْخِ والبَطَرِ
فَإِنَّمَا النَّفْسُ مَا لَمْ تَنْأَ عن طَمَعٍ ... فَرِيْسَةٌ بَيْنَ ذُلِّ النَّفْسِ والظُفُرِ

آخر: أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا مَطِيَّةُ رَاكِبٍ ... تَسِيرُ بِهِ في مَهْمَةٍ وسَبَاسِبِ
فإمَّا إِلَى خَيْرٍ يَسُرُّ نَوالُهُ ... وأمَّا إِلَى شرٍّ وسُوْءِ مَعَاطِبِ
فلوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ أفْضَلُ مَقْصَدٍ ... لَمَا كُنْتُ في طُولِ الحَيَاةِ بَراغِبِ
مُلازَمَةُ خَيْرِ اعْتِقَادٍ مُنزَّهاً ... عَنِ النَّقْصِ والتَّشْبِيهِ رَبَّ المَواهِبِ
ونَشْرُ عُلُومِ لِلشَّرِيْعَةِ نَاظِماً ... عُقُوْدَ مَعَانِيهَا لِتَفْهِيْمِ طَالِبِ
وصَوْنِيَ نَفْسِي عَن مُزاحَمَةٍ عَلَى ... دَنِيِّ حُطَامٍ أَوْ عَلِيِّ مَنَاصِبِ
فَفِي ذَاكَ عِزٌّ بالقُنُوعِ وَرَاحَةٌ ... مُعَجَّلَةٌ مِنْ خَوْفِ ضِدٍّ مُغَالِبِ
وحَسبُكَ في ذَا قَوْلُ عَالِمِ عَصْرِهِ ... مَقَالُ مُحِقٍّ صَادِقٍ غَيْرِ كَاذِبِ
كَمالُ الفَتَى بالعِلْم لا بالْمَناصِبِ ... وَرُتْبَةُ أَهْلِ العِلْم أسْنَى المَرَاتِبِ

آخر : إذا ما حَذِرْتَ الأَمْرَ فاجْعَلْ إزَاءَه رُجُوعاً إلَى رَبٍّ يَقِيكَ المَحَاذِرَا
ولا تَخْشَ أَمْراً أَنْتَ فِيهِ مُفَوِّضٌ إلَى الله غَايَاتٍ لَهُ ومَصَادِرَا
وَكُنْ لِلذِي يَقْضِي بِهِ اللهُ وَحْدَهُ وإنْ لَمْ تُوافِقْه الأَمَانِيُّ شَاكِرَا
ولا تَفْخَرَنْ إلَّا بثوبِ صِيَانَةٍ إذَا كُنْتَ يَوماً بالفَضِيْلَةِ فَاخِرَا
وإنِّي كَفِيلٌ بالنَّجاةِ مِن الأَذَى لِمنْ لَمْ يَبتْ يَدْعُو سِوى اللهِ نَاصِرَا

قال بَعْضُهم في مُنَاجَاتِه لِرَبِّهِ إلٰهِي وسَيِّدِي ومَوْلاي وعِزَتِكَ وَجَلَالِكَ مَا أَرَدْتُ بِمَعْصِيَتِكَ مُخَالَفَتَكَ، وما عَصَيْتُكَ إِذْ عَصَيْتُكَ وأنَا بِكَ جَاهِلٌ، ولا بِعُقُوبَتِكم مُسْتَخِفٌّ، ولَكِنْ سَوَّلَتْ لِيْ نَفْسِي، وغَلَبَتْ عَلَيَّ شِقْوَتِي، واغْتَرَرْتُ بِسِتْرِكَ المُرْخَي عَلَيَّ فَعَصَيْتُكَ بِجَهْلِي وخالَفْتُكَ بسَفَهِي واسَوْأَتاه مِن الوُقُوفِ بين يَدَيْكَ واخَجَلَاه من العَرْضِ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَتُوبُ وأَعُوْد، وأعَاهِدُ وانْقُضُ العُهُوْد.

آخر : وإني امْرُؤٌ بالطَّبعْ أَلْغِيْ مَطَامِعِيْ وأَزْجُرُ نَفْسِيْ طَابِعاً لا تَطَبُّعَا
وَعِنْدِيْ غِنَى نَفْسٍ وَفَضْلُ قَنَاعَةٍ
وَلَسْتُ كَمَنْ إنْ ضَاقَ ذَرْعاً تَضَرَّعَا
وَإنْ مَدَّ نَحْوَ الزَّادِ قَوْمٌ أَكُفَّهَا
تَأَخَّرْتُ بَاعاً إنْ دَنَا القَوْمُ أَصْبُعَا
وَمُذْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَدَيَّ دَنِيْئَةً
تَعَرَّضْتُ لِلْإعْرَاضِ عَنْهَا تَرَفُّعَا
وَذَاكَ لِعِلْمِيْ إنَّمَا اللَّهُ رَازِقٌ
فَمَنْ غَيْرُهُ أَرْجُو وَأَخْشَى وَأَجْزَعَا
فَلَا الضَّعْفُ يُقْصِي الرِّزْقَ انْ كَانَ دَانِياً
وَلَا الحَوْلُ يُدْنِيهِ إذَا مَا تَجَزَّعَا
فَلَا تَبْطِرَنْ إنْ نِلْتَ مِنْ دَهْرِكَ الغِنَى
وَكُنْ شَامِخاً بالأَنفِ إنْ كُنْتَ مُدْقِعاً

فَقَـدْرُ الفَتَـى مَـا حَـازَهُ وَأَفَـادَهُ
مِنْ العِلْمِ لاَ مَـالٌ حَـوَاهُ وَجَمَّعَـا
فَكُنْ عَـالِماً في النَّـاسِ أَوْ مُتَعَلِّمـاً
وَإِنْ فَـاتَكَ القِسْمَـانِ أَصْغِ لِتَسْمَعَـا
وَلاَ تَكُ لِلأَقْسَامِ مَا اسْتَطَعْتَ رَابِعًا
فَتُـدْرَأُ عَنْ وُرْدِ النَّجَـاةِ وَتُـدْفَعَـا

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا بَدِيْعَ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنا لِمَا فِيهِ صَلاَحُ دِيْنِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَنْيَا

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لاَ تَضُرُّهُ المعصيَةُ ولاَ تَنْفَعُه الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الغَفْلَةِ وَنَبِّهنْا لاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لمصَالِحِنَا واعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنا وذُنُوبنا ولا تُؤاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عليْهِ ضَمائِرُنا واكَنَّتْهُ سَرَائِرُنا مِنْ أَنْواعِ القَبَائِحِ والمَعَائِبِ التي تَعْلَمُها مِنّا واغفِرْ لَنا ولِوالِدِيْنَا ولجميعِ المُسْلِمين الاحياءِ مِنهمْ والميتِين برَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمعين .

فصـل : عَنْ عَوْف بْن مَالِكٍ الأَشْجَعِيُّ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ النَّبي ﷺ تِسْعَة أو ثَمَانية أو سَبْعَةً ، فَقَالَ : «ألا تُبَايعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟» وكُنَّا حَدِيْثِيْ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ ، فَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَارسُولَ اللَّه ! ثُمَّ قَالَ : ألا تُبَايعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : فَبَسَطْنَا أَيْدِيْنَا وَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَارَسُوْلَ اللَّهِ ، فَعَلاَمَ نُبَايِعُكَ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِه شَيْئاً ، والصَّلَوَاتُ الخَمْسُ ، وَتُطِيْعُوا اللَّهَ وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً ، وَلاَ تَسْأَلُونَ النَّاسَ شَيْئاً ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُوْلَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَما يَسْأَلُ أَحداً يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ .

شعرا: مَن اسْتَعَانَ بغير اللهِ في طِلَبٍ — فإِنَّ ناصِرَهُ وعَجْزٌ وخُذلانُ
آخر: مَنِ اسْتَعَان بِغير اللهِ في طلب — أَجَاب كُلَّ سؤال عن هَلٍ بِلَمِ

آخر : فَحَسِّنِ الوَعْدَ بِالإنْجَازِ تُتْبِعُهُ إذا مَواعِيدُ قَوْمٍ شانَهَا الخُلُفُ

إنيِّ لأُكْرِمُ وجْهِي أَنْ أُوَجِّهَهُ عِندَ السُؤالِ لِغَيْرِ الواحِدِ الصَّمَدِ
عِزُّ القَنَاعَةِ والإِيْمانُ يَمْنَعُني من التَّعَرُض لِلْمَنَانَةِ النَّكِدَ
رَضِيْتُ باللَّهِ في يَوْمِي وفي غَدِهِ واللَّهُ أكْرَمُ مَأْمُولٍ لبعْدِ غَدِ

آخر: إسْتَرْزِقِ الله فالأرْزَاقَ في يده ولا تَمُدُ إلى غَيْرِ الإلهِ يَــدَا
آخر: ما شِقْوَةُ المَرْء في فَقرٍ يَعِيْشُ به ولا سَعَادَتُهُ يَوْماً بإكثــار
إنَّ الشقيَّ الذي في النارِ مَنْزِلُهُ والفَوْزَ فَوْزُ الذي يَنْجو من النارِ

وعَنْ زَيْدِ بن أَسْلَمَ قَالَ : شَرِبَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لَبَناً فَأَعْجَبَهُ ، فَسَأَلَ الذي سَقَاهُ : مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ وَرَدَ على ماءٍ -قَدْ سَمَّاهُ- فإذَا نَعَمُ مِنْ نَعَم الصَّدقَةِ وَهُمْ يَسْقُوْنَ ، فَحَلَبُوا مِنْ أَلْبَانها فَجعَلْتُهُ في سِقَائِي فهو هذا فَأَدْخَلَ عُمَرُ يَدَهُ في فَمِهِ فَاسْتَقَاءَ . أي أخْرَجَهُ مِن جوْفِهِ .

وَعَنْ عُمَرَ بْن الخَطَّاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِيْني العَطَاءَ ، فأقُولُ أَعْطِهِ أَفْقَرَ مِنِّيْ ، فَقَالَ : **خُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ وَتَصدَّقْ بِهِ ، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا المَالِ وَأنتَ غَيْرَ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ ، فَخُذْهُ ، وَمَالَا فَلا تُتْبِعْهُ نَفسَكَ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .**

وَعَنْ ابْنِ السَّاعِدي قَالَ : اسْتَعْمَلَنِي عُمَرُ عَلى الصَّدَقَةِ ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْهَا وَأَدَّيْتُها الَيْهِ أَمَرَ لِي بِعَمَالَةٍ . فَقُلْتُ انَّما عَمِلْتُ لِلهِ ، قَالَ : خُذْ مَا أُعْطِيْتَ فانِّي قَدْ عَمِلْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فَعَمَّلَنِي ، فَقُلْتُ : مِثْلَ قَوْلِكَ . فَقَالَ لِيْ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلم : « إذَا أُعْطِيْتَ شَيْئاً مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْأَلَهُ فَكُلْ وَتَصدَّقْ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيْدٍ : أَنَّ أُنَاساً مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ

عَليهِ وَسَلم فَأَعْطَاهُم ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُم حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ : « مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ اللهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ ، وَمَا أُعْطِي أَحَدٌ عَطَاءً خَيراً وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ » رَوَاهُ الخَمْسَةُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ النَّبِي صَلى اللهُ عَليهِ وسَلم قالَ : « لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفسِ » رَوَاهُ البُخَارِي وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا .

وَقَدْ اشْتَمَل الحَدِيْثَانِ الأَخِيْرَانِ عَلى جُمَلٍ جَامِعَةٍ نَافِعَةٍ :

الأُوْلَى : قَوْلُهُ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ اللَّهُ » فَفِيْهَا الحَثُّ عَلى مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ عَلى انْصِرَافِهَا عَنْ التَّعَلّقِ بِالمَخْلُوقِيْنَ ، وَذَلِكَ بِالاسْتِعْفَافِ عَمَّا فِي أَيْدِيْهِمْ ،فَلا يَطْلُبُ مِنْهُم شَيْئاً لا بِلِسانِ الحالِ ولا بِلِسَانِ المَقَالِ بَلْ يَكونُ مُعْتمداً على الله وحْدَهُ .

شعرا : أحْسِنْ الظنَّ بربِّ عَوَّدك حَسَناً أمْسى وسوَّى أودَكْ
إنَّ رَباً يَكفيكَ الذي كَانَ بِالأمْسِ سَيكْفِيْكَ غَدَكْ

آخر : إذَا مَا شِئْتَ طِيبَ العَيْشِ فانْظُرْ إلى مَنْ بَاتَ أَسْوَأَ مِنْكَ حَالاَ
وأَخْفَضَ رُتْبَةً وَأَقَلَّ قَدْراً وأَنْكَدَ عِيْشَةً وَأَقَلَّ مَالاً

آخر : لا تَسْأَلَنَّ إلى صَديق حَاجَةً فَيحُوْلُ عَنْكَ كَما الزَّمَانُ يَحُوْلُ
واسْتَغْنِ بالشيءِ القَليلِ فَإنَّهُ ما صَانَ عِرضَكَ لا يُقَالُ قلِيْلُ
مَنْ عَفَّ خَفَّ على الصَّدِيْقِ لِقَاؤهُ وأَخُوْ الحَوائِجِ وجْهُهُ مَمْلُوْلُ
وأَخُوْكَ مَنْ وفَّرْتَ مَا في كَفِهِ وَمَتَى عَلِقْتَ بِهِ فَأنْتَ ثَقِيْلُ

آخر :
نَصَحْتُكَ لا تَأتِي لِمَخْلُوقٍ سَائِلاً وَتَتْرُكُ بابَ اللهِ ذي الفَضْلِ جَانباً

وَفي الجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ : وَهِيَ قَوْلُه صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَنْ

يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ » الحَثُّ عَلى الاسْتِغْنَاءِ بِاللَّهِ وَالثِّقَةِ بِهِ والاعْتِمَادِ عَلَيْهِ في الدَّقِيْقِ وَالجَلِيْلِ .

والثَّالِثَةُ : قَوْلُهُ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ : « وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ » فَفِيْهَا أَيْضاً الحَثُّ على مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ عَلَى الصَّبْرِ الذِي هُوَ حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى مَا تَكْرَهُ تَقَرُّباً إلى اللّهِ لأَنَّهُ يَحْتَاجُ إلى الصَّبْرِ عَلى طَاعَةِ اللهِ حَتَّى يُؤَدِّيْهَا وَعَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ حَتّى يَتْرُكَهَا لِلهِ ، وَإلى الصَّبْرِ عَلى أَقْدَارِ اللهِ المُؤْلِمةِ فَلا يَتَسَخَّطْ .
وَفي الحَدِيْثِ الآخَرِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : « لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ . . . الخ » بَيَانُ أَنَّ الغِنَي لَيْسَ بِسَعَةِ الثَّرْوَةِ وَوَفْرَةِ المالِ وَكَثْرَةِ المَتَاعِ ، وَلَكِنْ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ ، فَمَنِ اسْتَغْنَى بِمَا فِي يَدِه عَمَّا في أيْدِي النَّاسِ ، وَلَمْ تَشْرُفْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَلَمْ تَتَطَلَّعْ إلَيْهِ فَهُوَ الغَنِيُّ الجَدِيرُ بِلَقَبِ الغَنِيِّ ، وانْ كَانَ في المَالِ مُقِلاً ، إذْ رِضَاهُ بِمَا قَسَمَ اللهُ ، وَعِفَّتُهُ وَزُهْدهُ وَقَناعَتُهُ جَعَلَتْهُ في دَرجَةٍ مِنْ الغِنَى دُوْنَهَا بِطَبَقَاتٍ أَهْلُ الثَّرَاءِ الذِيْنَ حُرِمُوْا الزَّهَادَةَ وَالقَنَاعَةَ وَالرِّضَا بمَا كَتَبَ اللهُ لَهُمْ ، الذِيْنَ تَذْهَبُ أَنْفُسُهُمْ حَسْرَةً إذَا فَاتَتْهُم صَفْقَةٌ أَوْ ضَاعَتْ عَلَيْهِمْ فُرْصَةٌ . بَلْ مَا جَاءَهُ رَضِيَ بِهِ وَقَنِعَ بِخَلاَفِ مَنْ كَثُرَ مَالُهُ وَتَشَعَّبَتْ أَمْلاَكُهُ وَصَارَ قَلْبُهُ مُوَزَّعاً بَيْنَ ضَيْعَتِهِ وَعِمَارَاتِهِ وَذَهَبِهِ وَفِضَّتِه وَأَوْرَاقِهِ وَسَائِرِ أَمْوَالِهِ وَلَيْسَ لَهُ هَمّ إلا جَمْعَ المَالِ فَهُو مَعْشُوْقُهُ يَحْرِصُ عَلَيْهِ أَشَدَّ الحِرْصِ ، وأسمع إلى من يصرف المُبالغة في المدح إلى المخلوق وينسى الخالق .

مَنْ زَارَ بَابَكَ لم تَبْرحْ جَوَارِحُـــهُ　　تَرْوِيْ أَحاديث ما أوْلَيْتَ مِنْ مِنَنَ
فالقَلْبُ عَن جَابِرٍ والكَفُ عن صِلَةٍ　　والعَيْنُ عن قُرَّةٍ والسَّمْعُ عَن حَسَنِ
آخر : ومافي الأرض أشقى مِنْ جَهُوْلٍ　　عَصَى رَبَّ العِبَادِ مَدى الحَيَاةِ
يُضَيّعُ عُمْــرهُ في جَمْــع مـــالٍ　　مَخَافَــةَ فَقْــرِهِ أو لِلتَّبَـــاهِيْ

وَيَتَمَيَّزُ غَيْظاً إذَا فَاتَهُ مِنْهُ القَلِيْلُ وَبوُدِّه لَوْ ضَمَّ مَا في أَيْدِيْ النَّاسِ إلى مَا فِي يَدِهِ لَا يَتَلَذذُ بِمَأْكَلِ وَلَا بِمَشْرَبٍ وَلَا يَرْتَاحُ لِمَنادمَةِ جَلِيْسٍ لاشْتِغَالِ قَلْبِهِ بِهِ فَهَذَا هُوَ الفَقِيْرُ حَقّاً المَحْرُوْمْ صِدْقاً وَصَدَقَ مَنْ قَالَ :

آخر: وذي حِرْصٍ تَرَاهُ يَلُمُّ وَفْراً ... لِوَارِثِهِ ويَدْفعُ عن حَمِـــاهُ
كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُمْسِكُ وهُوَ طَاوٍ ... فَرِيْسَـــتَهُ لِيَأْكُلَهَا سِـــوَاهُ

آخر: أَصْبَحَت الدُنْيَا لَنَا عِبْرَةً ... وَالحمدُ للهِ عَلى ذالِكَـــا
قد أَجْمَعَ الناسَ على ذَمّهاَ ... وما أَرَى مِنْهُمْ لَهَا تَارِكَـــا

آخـــــر :
يُفْنِي البَخِيْلُ بجَمْعِ المالِ مُدَّتَهُ ... ولِلْحَوادِثِ والوُرَّاثِ مَا يَدَعُ
كَدُوْدَةِ القَزِّ ما تَبْنِيْهِ يَهْدِمُهَا ... وغَيْرُهَا بالذي تَبْنِيْهِ يَنْتَفِعُ

آخـــــر :
إِذَا زَادَكَ المَالُ إفْتِقاراً وحَاجَـــةً ... إِلَى جَامِعِيْهِ فالثَّراءُ هُـــوَ الفَقْـــرُ

آخـــــر :
وَمَنْ يُنْفِقْ السَّاعَاتِ في جَمعِ مَالِهِ ... مَخَافَة فَقْرٍ فَالذي فَعَلَ الفَقْرُ

اللَّهُمَّ يسِّرْ لَنَا أَمْرَ الرِّزْقِ وَاعْصِمْنَا مِنْ الحِرْصِ وَالتَّعبِ في طَلَبه وَمِنْ شَغْلِ القَلْبِ وَتَعَلُّقِ الهَمِّ بِهِ ، وَمِنْ الذُّلِّ للخَلْقِ بسَبَبِهِ وَمِنْ التَّفكيْرِ وَالتَّدْبيْرِ في تَحْصِيْلِهِ ، وَمِنْ الشُّحِّ وَالحِرْصِ عَلَيْهِ بَعْدَ حُصُولِهِ ، واغْفِرْ لنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الاحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

مَوْعِظَةٌ : عِبَادَ اللَّهِ أُوْصِيْكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوى اللَّهِ العَزِيزِ العَلَّامِ الحَيِّ القَيُّوْمِ الذِي لَا يَنَامُ وَأُوْصِيْكُم في مُعَامَلَتِهِ بِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ في الاقْدَامِ وَالاحْجَامِ وَالفَزَعِ اليْهِ عِنْدَ تَفَاقُمِ الشَّدَائِدِ وَاشْتِبَاهِ الاحْكَامِ ، والاعْتِمَادِ عَلَيْهِ في الدَّقِيْقِ وَالجَلِيْلِ ، والتَّسْلِيْمِ لَهُ في النَّقْضِ وَالابْرَامِ ، وَالرَّغْبَةِ فِيمَا لَدَيْهِ فَبِيَدَيْهِ

الخَيْرُ وَهُو الكَرِيْمُ الجَوَادُ، وَمَقَابَلَةِ قَضَائِه بحَقِيْقَةِ الرِّضى والاسْتِسْلاَم ، أَمَا شَرَّفكمُ وَفضَّلَكمُ بجَزيْلِ العُقُولِ وَالافْهَام ، أمَا أوضَحَ لَكُمْ الطَّرِيْقَ المُوصِلَ إلى دَارِ السَّلاَم ، أَمَا بَعَثَ إلَيْكُم مُحَمَّداً ﷺ لِتَبْلِيْغِ الشَّرَائعِ وَالاَحْكَام ، أَما أَنْـزَلَ عَلَيْه الـذِّكْـرَ لِيُبَـيِّنَ لِلنَّاس مَا أَوْدَعَهُ فِيْه مِنَ الأَحْكَام ، أَمَا دَعَاكُمْ إلى التَّوَكُّلِ عَلَيْـهِ وَالاعْتِصَام ، أَمَـا حَثَّكُم إلى العَمَلِ فِيْمَـا يُقَرِّبُ إلى دَارِ السَّلَام ، أَمَا حَذَّرَكُمْ عَوَاقِبَ مَعَاصِيْهِ وَنَهَاكُمْ عَنْ الآثام ، أمَا أنْذَرَكُم هَوْلَ يَوْمٍ أَطْوَلَ الأَيَّامِ ، اليَوْمُ الذي يَشِيْبُ فِيْهِ الوِلْدَانْ ، وَتَنفَطِرُ فِيهِ السَّمَاءُ ، وَتَنْكَدِرُ فِيْهِ النُّجُومِ ، وَتَظْهَرُ فِيْهِ أُمُورٌ عِظَامٌ ، أمَا خَوَّفَكمُ مَوارِدَ الحِمَامِ ، أمَا ذَكَّرَكُم مَصارِعَ مَن قَبْلَكُمْ مِنْ الاَنَامِ ، أمَا أَمَدَّكُم بالابْصَارِ وَالاسْمَاعِ وَصِحَّةِ الاجْسَامِ ، أمَا وَعَدَكُمْ بقَبُولِ تَوْبَةِ التائِبيْنَ رَحْمَةً مِنْهُ جَرَتْ بِهِ الاقْلاَمُ ، فَوَاللهِ لَحُقَّ لِهَذا الرَّبِ العَظِيْمِ أنْ يُطَاعَ فَلاَ يُعْصَى على الدَّوَامِ ، فَيَا أَيُّهَا الشُّيُوخُ بَادِرُوا فَمَا لِلْزرْعِ اذَا أحْصَدَ الاَّ الصِّرَامُ ، وَيَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ جُدُّوا في العَمَلِ فَرُبَّ امْرِىءٍ مَا بَلَغَ التَّمَامَ ، وَاحْذَرُوا عِقَابَ رَبِّكُم يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالاقْدَامِ ، يَوْمَ تُبَدَّلُ الاَرْضُ غَيْـرَ الاَرْضِ وَالسَّمواتِ وَبَرَزُوا لِلهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ ، يَوْمٌ مَا أَطْوَلَ الوُقُوْفَ فِيْهِ وَأثْقَلَهُ عَلى كُلِّ مُجْرِمٍ جَبَّارٍ يَوْمٌ المُنَاقَشَةُ فِيْهِ عَنْ الفَتِيْلِ وَالنَّقِيرِ وَالقِطمِيْرِ وَصَغَائِرَ الاعْمَالِ وَالكَبَائِرْ ، فَتَأَهَّبُوا لِذَلِكَ اليَوْمِ العَظِيْمِ وَاسْتَعِدوا لهُ أَتَمَّ اسْتِعْدَادٍ .

اللَّهُمَّ يَا عَظِيْمَ العَفْوِ يَا وَاسِعَ المَغْفِرَةِ يَا قَرِيْبَ الرَّحْمةِ يَا ذَا الجلالِ وَالاكْرَامِ فَرِّغْنَا لِمَا خَلَقْتَنَا لَهُ ، ولا تَشْغَلْنَا بِمَا تَكَفَّلْتَ لَنَا بِهِ ، وَهَبْ لَنَا العَافِيَةَ في الدُّنْيَا والآخِرةِ ، واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

لَكَ الحَمْدُ والنَّعْمَاءُ وَالْمُلْكُ رَبَّنَا ولا شَيْءَ أعْلَا مِنْكَ مَجْدًا وَأَمْجَدَا

مَلِيْكٌ عَلى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيْمِنٌ
لِعِزَّتِهِ تَعْنُوا الوُجُوْهُ وَتَسْجُدُ
فَسُبْحَانَ مَنْ لاَ يَقْدُرُ الخَلْقُ قَدْرَهُ
وَمَنْ هُوَ فَوْقَ العَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدُ
وَمَنْ لَمْ تُنَازِعْهُ الخَلاَئِقُ مُلْكَهُ
وَإِنْ لَمْ تُفَرِّدْهُ العِبَادُ فَمُفْرَدُ
مَلِيْكُ السَّمَوَاتِ الشِّدَادِ وَأَرْضِهَا
وَلَيْسَ بِشَيءٍ عَنْ قَضَاهُ تَأَوُّدُ
هُوَ اللّهُ بَارِي الخَلْقِ ، وَالخَلْقُ كُلُّهُمْ
إِمَاءٌ لَهُ طَوْعاً جَمِيْعاً وَأَعْبُدُ
وَأَنَّى يَكُوْنُ الخَلْقُ كَالخَالِقِ الذِيْ
يُمِيْتُ وَيُحْيِي دَائِباً لَيْسَ يَهْمِدُ
تُسَبِّحُهُ الطَّيْرُ الجَوانِحُ فِي الخَفَا
وَإِذْ هِيَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ تُصَعِّدُ
وَمِنْ خَوْفِ رَبِّي سَبَّحَ الرَّعْدُ فَوْقَنَا
وَسَبَّحَهُ الأَشْجَارُ وَالوَحْشُ أَبَّدُ
وَسَبَّحَهُ النِّيْنَانُ وَالبَحْرُ زَاخِراً
وَمَاطَمَّ مِنْ شَيءٍ وَمَا هُوَ مُقْلَدُ
أَلاَ أَيُّهَا القَلْبُ المُقِيْمُ عَلى الهَوَى
إِلى أَيِّ حِيْنٍ مِنْكَ هَذا التَّصَدُّدُ
عَنْ الحَقِّ كَالأَعْمَى المُمِيْطِ عَنْ الهُدَىٰ
وَلَيْسَ يَرُدُّ الحَقَّ الاَّ مُفَنَّدُ
وَحَالاَتُ دُنْياً لاَ تَدُوْمُ لِأَهْلِهَا

فَبَيْنَ الفَتَى فِيْهَا مَهِيْبٌ مُسَوَّدُ

إِذْ انْقَلَبَتْ عَنْهُ وَزَالَ نَعِيْمُهُا
وَأَصْبَحَ مِنْ تُرْبِ القُبُوْرِ يُوَسَّدُ

وَفَارَقَ رُوْحاً كَانَ بَيْنَ جِنَانِهِ
وَجَاوَرَ مَوْتَى مَا لَهُمْ مُتَرَدَّدُ

فَأَيُّ فَتَى قَبْلِيْ رَأَيْتَ مُخَلَّداً
لَهُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ مَا يَتَوَدَّدُ

فَلَمْ تَسْلَمْ الدُّنْيَا وَانْ ظَنَّ أَهْلُهَا
بِصِحَّتِهَا وَالدَّهْرُ قَدْ يَتَجَرَّدُ

أَلَسْتَ تَرَى فِيْمَا مَضَى لَكَ عِبْرَةً
فَمَهْ لَا تَكُنْ يَا قَلْبُ أَعْمَى يُلَدَّدُ

فَكُنْ خَائِفاً لِلْمَوْتِ وَالبَعْثِ بَعْدَهُ
وَلَا تَكُ مِمَّنْ غَرَّهُ اليَوْمُ أَوْ غَدُ

فَإِنَّكَ فِي دُنْيَا غَرُورٍ لِأَهْلِهَا
وَفِيْهَا عَدُوٌّ كَاشِحُ الصَّدْرِ يُوْقِدُ

اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوباً أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنَّوَالِ وَجَادَ بِالإِفْضَالِ، اللَّهُمَّ أَيْقِضْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكَ، وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

فَصْلٌ فِي صَدَقَةِ التَّطَوُّعْ

١ ـ مَا وَرَدَ مِنْ الآثَارِ الشَّرْعِيَّةِ فِي فَضْلِهَا.

٢ ـ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدٌ مِنْ مُقِلٍّ .

٣ ـ بَيَانُ عِظَمِ ثَوَابِ الصَّدَقَةِ في شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَفي الحَرَمَيْنِ .

٤ ـ الأَوْلَوِيَّةُ في الصَّدَقَةِ لِلْأَقْرِبَاءِ وَطُلَّابِ العِلْمِ .

١ ـ مَا وَرَدَ مِنَ الآثَارِ الشَّرْعِيَّةِ في فَضْلِهَا :

تُسَنُّ صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ في كُلِّ وَقْتٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَنْ ذَا الذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيْرَةً . . . الآية ﴾ ، وَعَنِ أبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِي اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : « مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إلَّا الطَّيِّبَ ، فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِيْنِهِ ، ثُمَّ يُرَبِّيها لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ : كُنَّا في صَدْرِ النَّهَارِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ قَوْمٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوْ العَبَاءِ ، مُتَقَلِّدِيْ السُّيُوفِ ، عَامَّتُهم مِنْ مُضَر بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَر . فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُوْلِ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَم لِمَا رَأى بِهِمْ مِنَ الفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرجَ فَأَمَرَ بِلَالاً فَأَذَّنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ، ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ : ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الذِي خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ـ إلى آخِرِ الآيةِ ـ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْبا﴾ والآيةُ التي في الحَشْرِ ﴿ اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ تَصَدَّقَ رجُلٌ مِن دِيْنَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ : وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجزُ عَنْهَا ، بَلْ قَدْ عَجزَتْ .

ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهِ

رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَهَلَّلُ كَأَنَهُ مِذْهَبَةٌ فقال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ « مَنْ سَنَّ في الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيءٌ ، وَمَنْ سَنَّ في الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُها وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَهَذَا الكَلَامُ البَلِيْغُ دَعْوَةٌ إلى التَّنَافُسِ في الخَيْرِ والتَّسَابُقِ في افْتِتَاحِ مَشْرُوْعَاتِهِ .

وَعَنْ أَبِي مَسْعُوْدٍ الأَنْصَارِيْ رَضِي اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُوْلِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ بِنَاقَةٍ مَخْطُوْمَةٍ . فَقَالَ : هَذِهِ في سَبِيْلِ اللهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ سَبْعُمَائَةِ نَاقَةٍ كُلُّها مَخْطُوْمَةٌ » .

وَعَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ مَرْفُوعَا : « إنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِىءُ غَضبَ الرَّبِّ ، وَتَدْفَعُ مِيْتَةَ السُّوْءِ » رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ .

وَكَمَا أَنَّهَا تُطْفِىءُ غَضبَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَهِيَ تُطْفِىءُ الذُّنُوبَ وَالخَطَايَا كَمَا يُطْفِىءُ الماءُ النَّارَ .

وَعَنْ مِرْثَد بنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ : حَدَّثَنِيْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يقُولُ : « إنَّ ظِلَّ المُؤمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ صَدَقَتُهُ » رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَصَدَقَةُ السِّرِّ أَفْضَلُ مِنْ صَدَقَةِ العَلانِيَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إنْ تُبْدُوْا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ، وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيرٌ لَكُمْ ﴾ .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِي صَلى اللهُ عليه وسلمَ أَنَّهُ قَالَ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُم اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ الا ظِلُّهُ » وَذَكَرَ مِنْهُم رَجُلًا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ

فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِيْنُهُ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَفِي التِّرمِذِي عَنْ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عليه وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْماً قَرِيْباً مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيْرُ فَقَالَ : أَلا أَدُلُّكَ عَلَى أَبوابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، والصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الخَطِيْئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ الماءُ النَّارَ ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ شِعَارُ الصَّالِحِينَ . ثُمَّ تَلاَ ﴿تَتَجَافَى جُنُوْبُهُمْ عَنْ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهم خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنْفِقُونَ﴾ وَفِي بَعْضِ الآثَارِ بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ البَلاَءَ لَا يَتَخَطَّاها .

وَفي حَدِيْثِ سَعِيْدِ بنِ المُسَيِّبِ عَنْ عَبدِ الرَّحْمنِ بنِ سَمُرَةَ بنِ جُنْدَبٍ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ يَوْماً وَكُنَّا فِي صُفَّةٍ بِالمَدِيْنَةِ فَقَامَ عَلَيْنا فَقالَ إِنِّي رَأَيْتُ البَارِحَةَ عَجَباً رَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي أَتَاهُ مَلَكُ المَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوْحَهُ فَجَاءَ بِرُّهُ بِوَالِدَيْهِ فَرَدَّ مَلَكَ المَوْتِ عَنْهُ ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَدْ بُسِطَ عَلَيْهِ عَذَابُ القَبْرِ فَجَاءَهُ وُضوؤُهُ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ الشَّيَاطِيْنُ فَجَاءَهُ ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وجلَّ وَطَرَدَ الشَّيَاطِيْنَ عَنْهُ وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ مَلاَئِكَةُ العَذَابِ فَجَاءَتْهُ صَلاَتُهُ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ أَيْدِيْهِمْ وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي يَلْتَهِبُ وَفِي رِوَايَةٍ يَلْهَثُ عَطَشاً كُلَّمَا دَنَا مِنْ حَوْضٍ مُنِعَ وَطُرِدَ فَجَاءَهُ صِيَامُ رَمَضَانَ فَسَقَاهُ وَأَرْوَاهُ وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي وَرَأَيْتُ النَّبِيِّيْنَ جُلُوْساً حِلَقاً حِلَقاً كُلَّمَا دَنَا إِلَى حَلْقَةٍ طُرِدَ فَجَاءَهُ غُسْلُهُ مِنْ الجَنَابَةِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَقْعَدَهُ إِلَى جَنْبِي ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ ظُلْمَةٌ وَمِنْ خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ وَعَنْ يَمِيْنِهِ ظُلْمَةٌ وَعَنْ يَسَارِهِ ظُلْمَةٌ وَمِنْ فَوْقِهِ ظُلْمَةٌ وَهُوَ مُتَحَيِّرٌ فِيْهَا فَجَاءَهُ حَجُّهُ وَعُمْرَتُهُ فَاسْتَخْرَجَاهُ مِنْ الظُّلْمَةِ وَأَدْخَلاَهُ فِي النُّورِ وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي يَتَّقِي بِوَجْهِهِ وَهَجَ النَّارِ وَشَرَرَه فَجَاءَتْهُ صَدَقَتُهُ فَصَارَتْ سُتْرَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ

وَظَلَّلَتْ عَلَى رَأْسِهِ وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي يُكَلِّمُ المُـؤمِنيـنَ . وَلاَ يُكلمُونَهُ فَجَاءَتْهُ صِلَتُهُ لِرحِمِهِ فَقَالَتْ يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ انهُ كَانَ وَصُولاً لِرحِمِهِ فَكَلِّمُوهُ فَكَلَّمَهُ المُؤْمِنُونَ وَصَافَحُوهُ وَصَافَحَهُمْ وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ الشَّيَاطِيْنُ فَجَاءَهُ أَمْرُهُ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُه عَنْ المُنْكَرِ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ أَيْدِيْهِمْ وَأَدْخَلَهُ فِي مَلاَئِكَةِ الرَّحْمَةِ وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي جَاثِياً عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حِجَابٌ فَجَاءَهُ حُسْنُ خُلُقِهِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَأَدْخَلَهُ عَلَى اللهِ .

وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَدْ ذَهَبَتْ صَحِيْفَتُهُ مِنْ قِبَلِ شِمَالِهِ فَجَاءَهُ خَوْفُهُ مِنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَخَذَ صَحِيْفَتَهُ فَوَضَعَهَا فِي يَمِيْنِهِ وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي خَفَّ مِيْزَانُهُ فَجَاءَهُ أَفْرَاطُهُ فَثَقَّلُوا مِيْزَانَهُ وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَائِماً عَلَى شَفِيْرِ جَهَنَّمَ فَجَاءَهُ رَجَاؤُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ وَمَضَى .

وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَدْ أَهْوَى فِي النَّارِ فَجَاءَتْهُ دَمْعَتُهُ الَّتِي بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ ذَلِكَ .

وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَائِماً عَلَى الصِّرَاطِ يَرْعُدُ كَمَا تَرْعُدُ السَّعْفَةُ فِي رِيْحٍ عَاصِفٍ فَجَاءَه حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَسَكَنَ رِعْدَتَهُ وَمَضَى ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي يَزْحَفُ عَلَى الصِّرَاطِ وَيَحْبُو أَحْيَاناً وَيَتَعَلَّقُ أَحْيَاناً فَجَاءَتْهُ صَلاَتُهُ فَأَقَامَتْهُ عَلَى قَدَمَيْهِ وَأَنْقَذَتْهُ وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي انْتَهَى إِلَى أَبْوَابِ الجَنَّةِ فَغُلِّقَتْ الأَبْوَابُ دُوْنَهُ فَجَاءَتْهُ شَهَادَةُ أَنْ لاَ الهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللهِ فَفُتِحَتْ لَهُ الأَبْوَابُ وأَدْخَلَتْهُ الجَنَّةَ رَوَاهُ الحَافِظُ أَبُو مُوْسَى المَدِيْنِي قَالَ ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ وَكَانَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابْنُ تَيمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوْحَهُ يُعَظِّمُ شَأْنَ هَذا الحَدِيثِ وَبَلَغَنِي عَنْهُ أَنهُ كَانَ يَقُولُ شَوَاهِدُ الصِّحَّةِ عَلَيْهِ انْتَهَى .

وبِمُنَاسَبَةِ سِيَاقِهِ هُنَا قَوْلُهُ فَجَاءَتْهُ صَدَقَتُهُ فَصَارَتْ سِتْرَاً بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ وَظَلَّلَتْ عَلى رَأْسِهِ : قَالَ: رَحِمَهُ اللهُ وَفِي تَمْثِيْلِ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ لِلصَّدَقَةِ بِمَنْ قُدِّمَ لِيُضْرَبَ عُنُقُهُ فَافْتَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِمَالِهِ كِفَايَةٌ فَإِنَّ الصَّدَقَةَ تَفْدِي العَبْدَ مِنْ عَذَابِ اللهِ تَعَالَى فَإِنَّ ذُنُوبَهُ وَخَطَايَاهُ تَقْتَضِي هَلاكَهُ فَتَجِيءُ الصَّدَقَةُ تَفْدِيْهِ مِنْ العَذَابِ وَتَفُكُّهُ مِنْهُ وَلِهَذَا قَالَ النَّبي صَلى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ في الحَدِيْثِ الصَّحِيْحِ لَمَّا خَطَبَ النِّسَاءَ يَوْمَ العِيْدِ : « يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ فإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ » وَكَأَنَّهُ حَضَّهُنَّ وَرَغَّبَهُنَّ عَلَى مَا يَفْدِيْنَ بِهِ أَنْفُسَهُنَّ مِنْ النَّارِ » .

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَباليَوْمِ الآخِرِ ، وَبِالقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِهِ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ ، اللَّهُمَّ وَاجْعَلْ قُلُوبَنَا مَمْلُوَّةً بِحُبِّكَ ، وَأَلْسِنَتَنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ ، ونُفُوسَنَا مُطِيعَةً لأَمْرِكَ ، وأَمِّنَّا مِن سَطوَتِكَ ومَكْرِكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ العَافِيَةَ في دِينِنا ودُنْيانَا وَأُخْرَانَا وَأَهْلِنَا وَمَالِنَا ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَأَمِّنْ رَوْعاتِنَا ، واحْفَظْنَا مِن بَيْنَ أَيْدِيْنَا ومِن خَلْفِنَا وعن أَيْمَانِنَا وعَنْ شَمَائِلِنَا ومِنْ فوقِنَا ، ونَعُوْذُ بعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِن تَحْتِنَا واغْفِرَ لَنا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(**فَصْلٌ**) : وَصَدَقَةُ التَّطَوُّع بِطِيْبِ نَفْسٍ أَفْضَلُ مِنْهَا بِدُوْنِهِ لِمَا في حَدِيْثِ مُعَاوِيَةَ الغَاضِرِي قال : قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ : « ثَلاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَ فَقَد ذَاقَ طَعْمَ الايْمَانِ : مَنْ عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ ، وَعَلِمَ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُه » رَوَاهُ أَبو دَاوُد .

وَالصَّدَقَةُ في الصِّحَّةِ أَفْضَلُ مِنْهَا في غَيْرِهَا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ـ رَضِي اللهُ عَنهُ ـ قال : جَاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْراً ؟ قَالَ : « أَنْ تَصدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيْحٌ شَحِيْحٌ تَخْشَى الفَقْرَ وَتَأْمَلُ الغِنَى ، وَلاَ تُهمِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومُ قُلتَ : لِفُلاَنٍ كَذا وَقَدْ كَانَ لِفُلانٍ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

فَالعَاقِلُ مَنْ يُسَابِقُ في مَيْدَانِ الخَيْرَاتِ بِمَا يُقَدِّمُهُ مِنَ الصِّلَةِ والاحْسَانِ لإِخْوَانِهِ الفقَرَاءِ الذِيْنَ أَنَاخَ الفَقْرُ عَلَيْهِمْ وَعَضَّهُمْ البُؤْسُ بِنَابِهِ وَأَوْجَعَهُمْ بِكِلاَبِهِ الذينَ لاَ مَوَارِدَ لَهُمْ لاَ قَلِيلٌ وَلاَ كَثِيْرٌ الذينَ لَوْ رَأَيْتَهُمْ لظَنَنْتَهُمْ مِنْ الأَغْنِيَاءِ وَأَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالمَالِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُقَاسُوْنَهُ مِنَ الدُّيُونِ لِمَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ الصِّغَارِ وَالكِبَارِ وَمَا يُقاسُوْنَ مِنْ أَلَمِ الجُوْعِ وَالفَقْرِ وَالشِّدَةِ وَالعُسْرِ لَكِنْ يَمْنَعُهُمْ الحَيَاءُ وَعِزَّةُ النَفْس أَنْ يَمُدُّوْا أَيْدِيهِمْ لِلسُّؤَالِ وَأَنْ يَطْلُبُوْا الرِّزْقَ الا مِنْ اللهِ الكَبِيْرِالمُتَعَالِى الرَّزَّاقِ وَهَؤُلاءِ هُمْ الذِيْنَ يَنْبَغِي الاعْتِنَاءُ بِهِمْ وَالبَحْثُ عَنْ أَحْوالِهِمْ وَذَلِكَ عَنْ طَرِيْقِ جِيْرَانِهِمْ وَأَقْرِبَائِهِمْ حَتى تَقَعَ الصَّدَقَةُ مَوْقِعَهَا وَقَدْ وَرَدَ في القُرآنِ وَصْفُهُمْ قَالَ تَعَالى : ﴿ يَحْسَبُهُمْ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنْ التَّعَفُّفِ ﴾ .

وَأَوْصَى بِهِمْ النَّبي صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلَمَ فَفِي الحَدِيْثِ الذيْ رَوَاهُ البُخَارِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلَمَ قَالَ: « لَيْسَ المِسْكِيْنُ الذي يَطُوفُ عَلى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ وَلَكِنْ المِسْكِيْنُ الذي لا يَجِدُ غِنىً يُغْنِيهِ وَلا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلاَ يَقُوْمُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ » .

وَلَمَّا كَانَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ حَرِيْصِيْنَ جِدًّا عَلى مَا يُقَرِّبُ إلى اللهِ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ سَأَلَ أَحَدُهُم النَّبي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ فَأَجَابَهُ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيْحٌ » أَيْ الجِسْمُ مُعَافاً في البَدَنِ تَتَمَتَّعُ بِقوَاكَ العَقْلِيَّةِ وَالجِسْمِيَّةِ شَحِيْحٌ تأْملُ الغِنَى أَيْ تَطْمَعُ فِيهِ لِقُدْرَتِكَ عَلَيْهِ عَنْ طَرِيْقِ المَكَاسِبِ وَالأَرْبَاحِ وَتَخْشَى الفَقْرَ « وإنما كَانَتْ الصَّدَقَةُ في هَذِهِ الحَالِ أَفْضَلُ لِمَا تَسْتَدْعِيْهِ مِنْ شِدَّةِ مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ عَلى إِخْرَاجِ المَالِ مَعَ قِيَامِ المَانِعِ وَهُوَ الشُّحُ فَإِخْرَاجُهُ حِيْنَئِذٍ دَلِيْلٌ وَاضِحٌ عَلَى قُوَّةِ الايمَانِ وَحُسْنِ النِّيَّةِ

وَصِحَّةِ القَصْدِ وَشِدَّةِ الرَّغْبَةِ فِيْمَا يُقرِّبُ إلى اللهِ وَلاَ تُهمِلْ حَتَّى إذَا بَلَغتِ الحُلْقُومُ » أي بَلَغتِ الرُّوْحُ مَجْرَى النَّفَسِ وَذَلِكَ عِنْدَ الغَرْغَرَةِ « قُلْتَ لِفُلانٍ كَذَا وَلِفُلانٍ كَذَا » وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنْ المُوصِي وَالمُوصَى لَهُ فَالحَدِيثُ يُرْشِدُنَا إلى أَنَّهُ لا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُؤَخِّرَ الصَّدَقَةَ إلى وَقْتِ مُعَايَنَةِ المَوْتِ وَالايْذَانِ بِالانْصِرَافِ عَنْ الدُّنْيَا وَمُفَارَقَةِ نَعِيْمِهَا وَقَدْ نَبَّهَنَا اللهُ جَلَّ وَعَلاَ عَلَى هَذَا حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إلى أَجَلٍ قَرِيْبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِيْنَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إذا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

شِعْرًا: فَعُقْبَى كُلِّ شَيءٍ نَحْنُ فيهِ ... مِن الجِمْعِ الكَثِيفِ إلَى شَتَاتِ
وَمَا حُزْنَاهُ مِن حِلٍّ وَحُرْمٍ ... يُوَزَّعُ في البَنِيْنِ وفي البَنَاتِ
وفِيْمَنْ لَمْ نُؤَهِّلْهُمْ بِفَلْسٍ ... وقِيْمَةِ حَبَّةٍ قَبْلَ المَمَاتِ
وتَنْسَانَا الأَحِبَّةُ بَعْدَ عَشْرٍ ... وَقَدْ صِرْنَا عِظَاماً بَالِيَاتِ
كَأَنَّا لَمْ نُعَاشِرْهُمْ بِوُدٍّ ... ولَمْ يَكُ فِيهِمُ خُلٌّ مُوَاتِ

آخر : وَمَا طَرِبْتُ لِمَشْرُوْبٍ أَلَذُّ بِهِ ... ولا لِعِشْقِ ظِبَاءِ العُجْمِ والعَرَبِ
لَكِنْ طَرِبْتُ إلى وَقْتٍ أَنَالُ بِهِ ... غِنىً فَأَبذِلُهُ في طَاعَةِ الصَّمَدِ

آخر : وَمَا ضَرَّنِيْ إِتْلاَفُ عُمْرِي كُلِّهِ ... إذَا كَانَ وَقْتِي في رِضَا خَالِقِيْ يَجْرِيْ

اللَّهُمَّ قَوِّي إيمَانَنَا بِكَ وَنَوِّر قُلُوبَنَا بِنُورِ الأيمَانِ واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنْ، اللَّهُمَّ يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا على دِينِكَ وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وأَمِّنَّا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ، اللهُمَّ انْظِمْنا في سِلكِ حِزبِكَ المُفلِحِين، واجْعَلْنَا مِنْ عِبادِكَ المُخْلِصين وآمِنَّا يومَ الفَزَعِ الأَكبرِ يومَ الدين، واحشُرْنَا مَعَ الذين أنعمتَ عليهم مِن النَبيين والصِّدقينَ والشُهداء والصالحِينِ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(فَصْلٌ)

رَوَى البُخَارِيْ من حَدِيْثِ ابْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ »؟ قَالوا يَا رَسُوْلَ اللهِ ، مَا مِنَّا أَحَدٌ الا وَمَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ . قَالَ : « فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ » .

وَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ـ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : « يَقُولُ العَبْدُ : مَالِي مَالِي ، وَإِنَّما مَالَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلاثٌ : مَا أَكَلَ فَأَفْنَى ، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى ، أَوْ أَعْطَى فَأَقْنَى ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِنَّاسِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٢ ـ وَأَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدٌ مِنْ مُقِل :

وَكَانَ السَّلَفُ يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَيُقَدِّمُونَ المَحَاوِيْجَ عَلَى حَاجَةِ أَنْفُسِهِمْ وَيَبْدَؤُنَ بِالنَّاسِ قَبْلَهُمْ في حَالِ احْتِيَاجِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ .

وَثَبَتَ في الصَّحِيْحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عليْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ المُقِلِّ » وَهَذَا المَقَامُ أَعْلَى مِنْ حَالِ الذِيْنَ وَصَفَهُمْ اللهُ بِقَوْلِهِ ﴿ وَيُطْعِمُوْنَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيْناً ﴾ وَقَوْلِهِ ﴿ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَصَدَّقُوا وَهُمْ يُحِبُّونَ مَا تَصَدَّقُوا بِهِ وَقَدْ لَا يَكُونَ لَهُمْ حَاجَةٌ إِلَيْهِ وَلَا ضَرُورَة وَهؤلاء آثَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَعَ خَصَاصَتِهِمْ وَحَاجَتِهِمْ إلى مَا أَنْفَقُوْهُ ، وَمَنْ هَذَا المَقَامِ تَصَدَّقَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ بِجَمِيْعِ مَالِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟ فَقَالَ : أَبْقَيْتُ لَهُم اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَهَكَذَا المَاءُ الذي عُرِضَ عَلى عِكْرِمَةَ وَأَصْحَابِهِ يَوْمَ اليَرْمُوكِ فَكُلٌّ مِنْهُمْ يَأْمُرُ بِدَفْعِهِ إِلى

صَاحِبِهِ وَهُوَ جَرِيْحٌ مُثْقَلٌ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ الى الماءِ فَرَدَّ الآخَرُ إلى الثَّالِثِ فَمَا وَصَلَ إلى الثَّالِثِ حَتَّى مَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ وَلَمْ يَشْرَبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ .

٣ ـ بَيَانُ عِظَمْ ثَوَابِ الصَّدَقَةِ في شَهْرِ رَمَضَانَ وَفي الحَرَمَيْنِ :

وَالصَّدَقَةُ فِي رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْهَا في غَيْرِهِ لِحَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ ـ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُوْنُ في رَمَضَانَ حِيْنَ يَلْقَاهُ جِبْرِيْلُ يَلْقَاهُ في كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِيْنَ يَلْقَاهُ جِبْرِيْلُ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيْحِ المُرْسَلَةِ » .

وَلِأَنَّ الصَّدَقَةَ في رَمَضَانَ إعَانَةٌ عَلى أَدَاءِ فَرِيْضَةِ الصَّوْمِ ، وَفي أَوْقَاتِ الحَاجَاتِ أَفْضَلُ مِنْها في غَيْرِها لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أو إِطْعَام في يَوْمٍ ذِيْ مَسْغَبَةٍ يَتِيْماً ذَا مَقْرَبَةٍ ، أَوْ مِسْكَيْناً ذا مَتْرَبَةٍ ﴾ .

وَالصَّدَقَةُ في كُلِّ زَمَانٍ فَاضِلٍ كَالعَشْرِ ، أَفْضَلُ مِنْهَا في غَيْرِها لِحَدِيْثِ ابنِ عَبَّاسٍ ـ رضي اللهُ عنهُ ـ : « مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ فِيْهِنَّ أَحَبُّ إلى اللهِ مِن هَذِهِ الأَيامِ ، يَعْنِي أَيَّامَ العَشْرِ ، قَالُوا يَا رَسُوْلَ اللهِ وَلاَ الجِهَادُ في سَبِيْلِ اللهِ ؟ قَالَ : وَلاَ الجِهَادُ في سَبِيْلِ اللهِ ، الَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ » .

وَالصَّدَقَةُ في الحَرَمَيْنِ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهِمَا لِتَضَاعُفِ الحَسَنَاتِ بالأَمْكِنَةِ الفَاضِلَةِ .

وَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَنْ النَّبي ﷺ قَالَ : « صَلاَةٌ في مَسْجِدِيْ هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلِف صَلَاةٍ فِيْمَا سِوَاهُ الا المَسْجِدَ الحَرَامَ » . وَزَادَ في

روَايَةٍ: «فَإِنِّيْ خَيْرُ الأَنْبِيَاءِ وانَّ مَسْجِدِيْ خَيْرُ المَسَاجِدِ». وَزَادَ: «صَلاةٌ في المَسْجِدِ الحَرامَ أَفْضَلُ مِنْ مائِةِ أَلِف صَلَاة فِيْمَا سِوَاه».

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِليه القَوْم وأَيْقِظْنَا مِن سِنَةِ الغَفْلَةِ والنَّومِ وأرْزُقْنَا الاسْتِعْدَادَ لِذَلِكَ اليَوْمِ الذي يَرْبَحُ فيه المُتَّقُونَ، اللَّهُمَّ وعَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ علينا بِفَضْلِكَ وامْتِنَانِكَ واجْعَلْنَا مِن عِبَادِكَ الذين لا خَوفٌ عليهم ولا هم يَحْزَنُونَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ واجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيْمَا لَدَيْكَ، ولا تَحْرِمْنَا بِذُنُوبِنَا، ولا تَطْرُدْنَا بعُيُوبِنَا، واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ» ٤ - الأَوْلَوِيَّةُ في الصَّدَقَةِ لِلأَقْرِبَاءِ وَالجَارِ وَطُلَّابِ العِلْمِ:

وَالصَّدَقَةُ عَلى ذِي الرَّحِمِ أَفْضَلُ مِنْهَا عَلَى غَيْرِهِ لَا سِيَّمَا مَعَ عَدَاوَةٍ، أَمَّا الدَّلِيْلُ عَلى أَفْضَلِيَّتِهَا في القَرَابَةِ فَلِحَدِيْثِ سَلْمَانَ المُتَقَدِّمَ «الصَّدَقَةُ عَلَى المِسْكِيْنِ صَدَقَةٌ، وَعَلى ذِيْ الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ».

وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِيْ طَلْحَةَ:

«وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا في الأَقْرَبِيْنَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَسَّمَهَا أَبُوْ طَلْحَةٍ في أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ.

وَأَمَّا الدَّلِيْلُ عَلَى التَّأَكُّدِ مَعَ العَدَاوَةِ فِلِمَا وَرَدَ عَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الكَاشِحْ رَوَاهُ الطَّبَرَانِي وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيْحِ.

وَعَنْ حَكِيْمِ بْنِ حِزَامٍ - رضي اللهُ عنه - قَالَ: إِنَّ رَجُلاً سَأَلَ

رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليه وَسَلَّمَ ، عَن الصَّدَقَاتِ أَيُّها أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « عَلَى ذِي الرَّحِمِ الكاشِحِ » .

ثُمَّ الصَّدَقَةُ عَلَى الجَارِ أَفْضَلُ لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ وَالجَارِ ذِيْ القُرْبَى وَالجَارِ الجُنُبِ ﴾ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ وَعَائِشَةَ ـ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالاَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا زَالَ جِبْرِيْلُ يُوْصِيْنِيْ بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ » .

وَعَنْ أَبِيْ شُرَيْحٍ الخُزَاعِيِ : أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إلى جَارِهِ » .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَخُصَّ بِالصَّدَقَةِ مَنْ اشْتَدَّتْ حاجَتَهُ لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ أَوْ مِسْكِيْناً ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ ، وَكَوْنُهَا عَلى عَالِمٍ أَفْضَلُ ، لأَنَّ في إعْطائِهِ اعَانَةٌ عَلى العِلْمِ وَنَشْرِ الدِّيْنِ وَذلِكَ لِتَقْوِيَةِ الشَّرِيْعَةِ ، وَكَوْنُها عَلى صَاحِبِ دَيْنٍ افضَلُ ، وَكَذَا عَلَى ذِيْ عَائِلَةٍ أَفْضَلُ مِمَّنْ لَيْسَ كَذلِكَ .

وَالمَنُّ بالصَّدَقَةِ كَبِيْرَةٌ ، وَيَبْطُلُ الثَّوَابُ بِهِ ، قَالَ تَعالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بالمَنِّ والأذى ﴾ .

وَمَنْ أَخْرَجَ شَيْئاً يَتَصَدَّقُ بِهِ ، أَوْ وَكَّل في ذَلِكَ ، ثُمَّ بَدَا لَهُ أَنْ لا يَتَصَدَّقَ بِهِ اسْتُحِبَّ أَنْ يُمْضِيَهُ ، وَلاَ يَجِبُ ، وَقَدْ صَحَّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرو بْنِ العَاصِ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ اذَا أَخْرَجَ طَعَاماً لِسَائِلٍ فَلَمْ يَجِدْهُ عَزَلَهُ حَتَّى يَجِيءَ آخَرُ . وَقَالَهُ الحَسَنُ : وَيَتَصَدَّقُ بِالجَيِّدِ وَلاَ يَقْصِدُ الخَبِيْثَ فَيَتَصَدَّقَ بِهِ لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيْثَ مِنْهُ تُنفِقُوْنَ ﴾

وَأَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ المُقِلِّ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ مَرْفُوعاً « قِيْلَ يا رَسُولَ اللهِ : أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : أَفْضَلُ الصَّدقَةِ جُهْدُ المِقِلِّ » .

لَيْسَ العَطَاءُ مِن الفُضُولِ سَمَاحَةً ... حَتَّى تَجُودَ وما لَدَيكَ قَلِيْلُ

آخر : إِنِي لَأُعْسِرُ أَحْيَاناً فَيُدْرِكُنِي ... بُشْرَى مِن اللهِ إِنَّ العُسْرَ قَدْ زَالَا

يَقُولُ خَيْرُ الوَرَى في سُنَّةٍ ثبتَتْ ... أَنْفِقْ ولا تَخْشَ مَنْ ذِي العَرْشِ إِقْلَالَا

مَوْعِظَةٌ اخْوَانِي إِنَّكُمْ في دَارٍ هِيَ مَحَلُّ العِبَرِ وَالآفَاتِ ، وَأَنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَالطَّرِيْقُ كَثِيْرَةُ المَخَافَاتِ ، فَتزَوَّدُوا مِنْ دُنْيَاكُمْ قَبْلَ المَمَاتِ ، وَتَدَارَكُوا هَفَوَاتِكُمْ قَبْلَ الفَواتِ ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ وَرَاقِبُوا اللهَ في الخَلَواتِ ، وَتَفكَّرُوا فِيْمَا أَرَاكُمْ مِنْ الآيَاتِ ، وَبَادِرُوْا بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَاسْتَكْثِرُوا في أَعْمَارِكُمْ القَصِيْرَةِ مِنْ الحَسَنَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُنَادِيْ بِكُمْ مُنَادِ الشَّتَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكُمْ هَادِمُ اللَّذَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يَتَصَاعَدَ مِنْكُمْ الأَنِيْنُ وَالزَّفَرَاتُ قَبْلَ أَنْ تَنْقَطِعَ قُلُوبُكُمْ عِنْدَ فِرَاقِكُمْ حَسَرَاتٍ ، قَبْلَ أَنْ يَغْشَاكُمْ مِنْ غَمِّ المَوْتِ الغَمَرَاتُ ، قَبْلَ أَنْ تُزْعَجُوا مِنْ القُصُوْرِ إِلى بُطُوْنِ الفَلَوَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ما تَشْتَهُونَ مِنْ هَذِهِ الحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ تَتَمنَّوا رُجُوعَكُمْ الى الدُّنْيَا وَهَيْهَاتَ .

شِعْرا :

أَيَا لَاهِياً في غَمْرَةِ الجَهْلِ وَالهَوَىٰ
صَرِيْعاً على فُرُشِ الرَّدَى يَتقَلَّبُ
تَأَمَّلْ هَدَاكَ اللّهُ مَا ثَمَّ وَانْتَبِهْ
فَهذَا شَرَابُ القَوْمِ حقًّا يُرَكَّبُ
وَتَرْكِيْبُهُ في هَذِهِ الدَّارِ انْ تَفُتْ

فَلَيْسَ لَـهُ بَعْـدَ المَنِيَّـةِ مَـطْلَبُ

فَيا عَجَباً مِنْ مُعْرِضٍ عَنْ حَيَاتِـهِ
وَعَن حَـظهِ العَالي وَيَلْهُـو وَيَلْعَبُ

ولَـو عَلِمَ المَحْرُوْمُ أيَّ بِضَـاعَـةٍ
أضَـاعَ لأمْسَـى قَـلْبُـهُ يَتَـلَهَّبُ

فَـإنْ كَـانَ لاَ يَـدْرِي فَتِلْكَ مُصِيْبَةٌ
وَانْ كَـانَ يَـدْرِي فَـالمُصِيْبَةُ أصْعَبُ

بَلى سَوْفَ يَدْرِي حِيْنَ يَنْكَشِفُ الغِطَا
وَيُصْبِـحُ مَسْلُوبـاً يَنُـوْحُ وَيَنْـدِبُ

وَتَعْجَبُ مِمَّنْ بَـاعَ شَيْئاً بِـدُوْنِ مَـا
يُسَـاوِي بِـلاَ عِلْمٍ وَأمْـرُكَ أعْجَبُ

لأنَّـكَ قَـدْ بِعْتَ الحَيَـاةَ وَطِيْبَهـا
بِـلَذَّةِ حُلْمٍ عَـنْ قَلِيْـلٍ سَيَـذْهَبُ

فَهلاَّ عَكَسْتَ الأمْرَا إنْ كُنْتَ حَازِماً
وَلكِنْ أضَعْتَ الحَزْمَ وَالحُكْمُ يَغْلِبُ

تَصُـدُّ وَتَنْـأى عَنْ حَبِيْـبِكَ دَائِمـاً
فَـأيْنَ عَنْ الأحْبَابِ وَيْحكَ تَـذْهَبُ

سَتَعْـلَمُ يَـوْمَ الحَشْـرِ أيَّ تِجَـارَةٍ
أضَعْتَ إذا تِلْكَ المـوَازِينُ تُـنْصَـبَ

اللّهُمَّ ياعالَم الخَفياتِ وَيَا سَامِعَ الأَصْواتِ ويَا بَاعِثَ الأَمْواتِ وَيَا مُجِيْبَ الدَعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الحَاجَاتِ يَا خَالَق الأَرْضِ والسَّمواتِ أَنْتَ اللهُ الاحدُ الصمدُ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحد الوَهَّابُ الذي لا يَبْخَلُ

والحَليمُ الذي لايَعْجَلُ لا رادَّ لامْرِكَ ولا مُعقِّبَ لِحُكَمِكَ نسْأَلُكَ أنْ تغفرَ ذونوبَنَا وتُنورَ قلوبنَا وَتُثَبِّتَ مَحبَّتَكَ في قُلوبِنَا وَتُسْكِنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إنكَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِير وَصَلَّى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ أُجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ»: في ذِكْرِ طَرَفٍ مِنْ الفَوَائِدِ المُتَرَتِّبَةِ عَلى أَدَاءِ الزَّكَاةِ وَبَذْلِ صَدَقَةِ التَّطوُّعِ وَالمَضَارُّ المُتَرَتِّبَةِ عَلَى مَنْعِ الزَّكَاةِ: ـ

أولاً: ١ ـ امْتِثَالُ أَمْرِ اللهِ وَرَسُوْلِهِ.

٢ ـ تَقْدِيْمُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ عَلى مَحَبَّةِ المَالِ.

٣ ـ أَنَّ الصَّدَقَةَ بُرْهَانٌ عَلى إيْمَانِ صَاحِبِهَا كَمَا في الحَدِيْثِ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ.

٤ ـ شُكْرُ نِعْمَةِ اللهِ المُتَفَضِّلِ عَلى المُخرِجِ بِمَا أَعْطَاهُ مِنْ المَالِ.

٥ ـ السَّلَامَةُ مِنْ وَبَالِ المَالِ في الآخِرَةِ.

٦ ـ تَنْمِيَةُ الأَخْلَاقِ الحَسَنَةِ والأَعْمَالِ الفَاضِلَةِ الصَّالِحَةِ.

٧ ـ التَّطْهِيْرُ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوْبِ وَالأَخْلَاقِ الرَّذِيْلَةِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيْهِمْ بِهَا ﴾.

٨ ـ اضْعَافُ مَادَّةِ الحَسَدِ وَالحِقْدِ وَالبُغْضِ أَوْ قَطْعِهَا كُلِّيًا.

٩ ـ تَحْصِيْنُ المَالِ وَحِفْظِهِ لِحَدِيْثِ حَصِّنُوا أَمْوَالَكُم بالزَّكَاةِ.

١٠ ـ انَّ الصَّدَقَةَ دَوَاءٌ مِنْ الأَمْرَاضِ لِحَدِيْثِ «دَاوُو مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ».

١١ ـ الاتِّصَافِ بِأَوْصَافِ الكُرَمَاءِ .

١٢ ـ إِنَّهَا سَبَبٌ لِدَفْعِ البَلَاءَ .

١٣ ـ التَّمَرُّنِ عَلى البَذْلِ وَالعَطَاءِ .

١٤ ـ أَنَّهَا سَبَبٌ لِدَفْعِ جَمِيْعِ الأَسْقَامِ لِحَدِيْثِ « بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ البَلَاءَ لا يَتَخَطَّاهَـا » .

١٥ ـ انَّهَا سَبَبٌ لِجَلْبِ المَوَدَّةِ لِأَنَّهَا احْسَانٌ ، وَالنُّفُوسُ مَجْبُوْلَةٌ على حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا .

١٦ ـ أَنَّهَا سَبَبٌ لِلدُّعَاءِ مِنْ القَابِضِ لِلدَّافِعِ وَتَقَدَّمَتْ الأَدِلَّةُ .

١٧ ـ أَنَّ مَنْعَ الزَّكَاةِ سَبَبٌ لِمَنْعِ القَطْرِ لِحَدِيْثِ « وَلَا مَنَعُوْا الزَّكَاةَ الا حُبِسَ عَنْهُمْ القَطْرُ » .

١٩ ـ الفَوْزُ بالمَطْلُوْبِ وَالنَّجاةِ مِنْ المَرْهُوْبِ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يُوْقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلئِكَ هُمْ المُفْلِحُوْنَ ﴾ وَقَدْ فُسِّرَ الفَلَاحَ بِأَنَّهُ الفَوْزُ بالمَطْلُوبِ وَالنَّجاةُ مِنْ المَرهُوبِ وَهَذَا مِنْ جَوَامِعِ الكَلِمْ .

٢٠ ـ أَنَّهَا تَدْفَعُ مِيْتَةَ السُّوءِ كَمَا في الحَدِيْثِ « انَّ الصَّدَقَةَ تُطْفِيءُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ مِيْتَةَ السُّوْءِ » .

٢١ ـ أَنَّ المُتَصَدِّقَ يَكُونُ في ظِلِّ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ كَمَا في الحَدِيْثِ « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُم اللهُ في ظِلِّهِ وَذَكَرَ مِنْهُمْ رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِيْنُهُ » الحَدِيْثِ وَتَقَدَّمَ وفي الحَدِيْثِ الآخرِ « وَانَّمَا يَسْتَظِلُّ المُؤْمِنُ يَوْمَ القِيَامَةِ في ظِلِّ صَدَقَتِهِ » .

٢٢ ـ الفَوْزُ بِالثَّنَاءِ مِنْ اللهِ لأنَّ اللهَ مَدَحَ المُنْفِقِيْنَ وَالمُتَصَدِّقِيْنَ .

٢٣، ٢٤، ٢٥ ـ الفَوْزُ بِالأَجْرِ مِنْ اللهِ وَالأَمْنِ مِمَّا يُخَافُ مِنْهُ وَنَفْي الحزَنَ عَنْهُم قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَالذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

٢٦ ـ أَنَّ أَدَاءَ الزَّكَاةِ سَبَبٌ لِنُزُوْلِ القَطْرِ كَمَّا أَنَّ مَنْعَهَا سَبَبٌ لِحَبْسِهِ .

٢٧ ـ أَنَّهَا سَبَبٌ لِمَحَبَّةِ اللهِ لأَنَّ المُتَصَدِّقَ مُحْسِنٌ عَلَى المُتَصَدَّقِ عَلَيْهِ واللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِيْنَ .

اللَّهُمَّ نجَنا برحمتِك مِن النارِ وعافِنا مِن دارِ الخِزْيِ والبَوَادِ وَأَدْخِلنا بِفَضْلِكَ الجنةَ دارَ القَرارِ وعامِلْنَا بكَرَمِكَ وَجُودِكَ ياكريمُ ياغفارُ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ ياأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(**فَصْلٌ**): ٢٨ – السَّلامَةُ مِنْ كُفْرِ نِعْمَةِ اللهِ.

٢٩ ـ الخُرُوْجُ مِنْ حُقُوقِ اللهِ وَحُقُوقِ الضُّعَفَاءِ .

٣٠، ٣١، ٣٢ ـ أَنَّهَا سَبَبٌ لِلرِّزْقِ وَالنَّصْرِ كَمَا في الحَدِيْثِ « وَكَثْرَةُ الصَّدَقَةِ في السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ تُرْزَقُوا وَتُنْصَرُوا وَتُجْبَرُوا » .

٣٣ ـ أَنَّها تُطْفِيءُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ القُبُورِ كَما في الحَدِيْثِ « إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِيءُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ القبُورِ » .

٣٤ ـ أَنَّها تَزِيْدُ في العُمْرِ كَمَا في الحَدِيْثِ « أَنَّ صَدَقَةَ المُسْلِمِ تَزِيْدُ في العُمْرِ » .

٣٥ ـ السَّلاَمَةُ مِنْ اللَّعْنِ الوَارِدِ في مَانِعِ الزَّكَاةِ لِمَا رَوَى الأَصْبِهَانِي عَنْ عَلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ

الرِّبَا وَمُوْكِلَهُ وَشَاهِدَهُ وَكَاتِبَهُ وَالوَاشِمَةَ والمُسْتَوْشِمَةَ وَمَانِعَ الصَّدَقَةِ وَالمُحَلِّلَ وَالمُحَلَّلَ لَهُ .

٣٦ ـ الفَوزُ بالقُرْبِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ قَالَ تَعالَى : ﴿ انَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيْبٌ مِنَ المُحْسِنِيْنَ ﴾ . وَقَالَ : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ فَسأَكْتُبها لِلذِيْنَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ الآيَةِ .

٣٧ ـ الوَعْدُ بِالخَلَفِ لِلْمُنْفِقِ لِحَدِيْثِ « اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً » .

٣٨ ـ الظَّفَرُ بِدُعَاءِ المَلاَئِكَةِ لِلْمُنْفِقِ .

٣٩ ـ أَنَّ في اخْرَاجِ الزَّكَاةِ حَلٌّ لِلأَزَمَاتِ الاَقْتِصَادِيَّةِ وَسُوْءِ الحَالَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ فَلو أَنَّ أَهْلَ الأَمْوالِ الزَّكَوِيَّةِ تَنَسَّخُوا مِنْهَا وَوَضَعُوهَا في مَوَاضِعِهَا لَقَامَتْ المَصَالِحُ الدِّيْنِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ وَزَالَتْ الضَّرورَاتِ وَانْدَفَعَتْ شُرُوْرُ الفُقَرَاءِ وَكَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ حَاجِزٍ وَسَدّ يَمْنَعُ عَبَثَ المُفْسِدِيْنَ، وَفي الحَدِيْثِ « وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَانَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم حَمَلَهُم عَلى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُم وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُم .

٤٠ ـ أَنَّ اللهَ يُعِيْنُ المُتَصَدِّقَ على الطَّاعَةِ وَيُهَيِءُ لَهُ طَرِيْقَ السَّدَادِ وَالرَّشَادِ وَيُذَلِّلُ لَهُ سُبُلَ السَّعَادَةِ قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ .

٤١ ـ أَنَّ مَنْعَ الزَّكَاةِ يُخَبِّثُ المَالَ الطَّيِّبَ لِحَدِيْثِ « مَنْ كَسَبَ طَيِّباً خَبَّثَهُ مَنْعُ الزَّكَاةِ ، وَمَنْ كَسَبَ خَبِيْثاً لَمْ تُطَيِّبْهُ الزَّكَاةُ » رَوَاهُ الطَّبَرَانِي في الكَبِيْرِ مَوْقُوْفاً بِاسْنَادٍ مُنْقَطِعٍ .

٤٢ ـ أَنَّ مَنْعَ الزَّكَاةِ سَبَبٌ لِتَلَفِ المَالِ لِحَدِيْثِ « مَا تَلِفَ مَالٌ في بَرٍّ

وَلاَ بَحْرٍ إلا بِحَبْسِ الزَّكَاةِ » رَوَاهُ الطَّبَرَانِي في الأَوْسَطِ وَهُوَ حَدِيْثٌ غَرِيْبٌ .

٤٣ ـ أَنَّ مَنْعَ الزَّكَاةِ سَبَبٌ لِلاْبْتِلاَءِ بِالسِّنِيْنَ لِمَا في الحَدِيْثِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إلَّا ابْتَلاهُم اللهُ بالسِّنِيْنَ رَوَاهُ الطَّبَراني في الأَوْسَطِ وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ .

٤٤ ـ أَنَّ مَنْ لَمْ يُؤَدِّي حَقَّ اللهِ في مَالِهِ أَنَّهُ أَحَدُ الثَّلاَثَةِ الذِيْنَ هُمْ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ لِحَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلاثَةٍ يَدْخُلُوْنَ الجَنَّةَ فَالشَّهِيْدُ وَعَبْدٌ مَمْلُوْكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَعَفِيْفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُوْ عِيَالٍ وَأَمَّا أَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُوْنَ النَّارَ فَأَمِيْرٌ مُسَلَّطٌ وَذُوْ ثَرْوَةٍ مِنْ مَالٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّ اللهِ في مَالِهِ وَفَقِيْرٌ فَخُورٌ رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ في صَحِيْحِهِ وَابْنُ حِبَّانَ مُفَرَّقاً في مَوْضِعَيْنِ .

٤٥، ٤٦ ـ أَنَّ الصَّدَقَةَ يُذْهِبُ اللهُ بِهَا الكِبْرَ وَالفَخْرَ لِحَدِيْثِ « إنَّ صَدَقَةَ المُسْلِمِ تَزِيْدُ في العُمْرِ وَتَمْنَعُ مَيْتَةَ السُّوْءِ وَيَذْهَبُ بِهَا الكِبْـرُ وَالفَخْرُ » رَوَاهُ الطَبرَانِيِّ .

٤٧ ـ السَّلامَةُ مِن التَّطْوِيقِ بالشُّجَاعِ الأَقْرَعِ كَمَا في الحَدِيْثِ : « مَا مِنْ أَحَدٍ لَا يُؤَدِّيْ زَكَاةَ مَالِهِ إلا مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعاً أَقْرَعَ يَطُوِّقُ بِهِ عُنُقَهُ » .

٤٨ ـ السَّلاَمَةُ مِنْ صِفَةِ المُنَافِقِيْنَ لمَا فِيْ الحَدِيْثِ « ظَهَرَتْ لَهُمْ الصَّلاَةُ فَقَبِلُوْهَا ، وَخَفِيَتْ لَهُم الزَّكَاةُ فَأَكَلُوْهَا أُوْلَئِكَ هُمْ المُنَافِقُونَ» رَوَاهُ البَزارُ .

٤٩، ٥٠ ـ إنَّ البَلاَءَ لَا يَتَخَطَّى الصَّدَقَةَ وَأَنَّهَا تَسُدُّ سَبْعِيْنَ بَاباً مِنْ

السُّوْءِ . رَوَاهُ الطبراني في الكَبِيْرِ ، وَعَنْ أَنَسٍ بن مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلَمَ بَاكِرُوا بالصَّدَقَةِ فإنَّ البَلاَءَ لاَ يَتخطَّاهَا رَوَاهُ البَيْهَقِي مَرْفُوعاً وَمَوْقُوفاً على أَنَسٍ وَلَعَلَّهُ أشْبَهُ .

٥١ ـ أَنَّ الصَّدَقَةَ حِجَابٌ مِنْ النَّارِ لِمَنْ احْتَسَبَهَا لِمَا رُوِيَ عَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ سَعْدٍ أَنَّها قَالَتْ يَا رَسولَ اللهِ أَفْتِنَا عَنْ الصَّدَقَةِ فَقَالَ إِنَّها حِجَابٌ مِنْ النَارِ لِمَنْ احْتَسَبَها يَبْتَغِيْ بِهَا وَجْهَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ . رَوَاهُ الطَّبَرَانِي .

٥٢ ـ أَنَّ اخْرَاجَ الصَّدَقَةِ يُؤْلِمُ سَبْعِيْنَ شَيْطَاناً لِمَا وَرَدَ عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ لاَ يُخْرِجُ شَيْئاً مِنْ الصَّدَقَةِ حَتَّى يَفُكَّ عَنْهَا لِحَيَيْ سَبْعِيْنَ شَيْطَاناً رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالبَزَّارُ وَالطَّبَرانِي وَابْنُ خُزَيْمَةَ في صَحِيْحِهِ .

٥٣ ـ انَّ اللهَ يُسَخِّرُ لِلْمُتَصَدِّقِ مَا يَكُونُ سَبَباً لِنُمُوِّ مَالِهِ كَبَرَكَةٍ في ظماءِ نَهْرٍ وَسَقْيٍ أَرْضٍ كَمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَا رَجُلٌ في فَلاَةٍ منْ الأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتاً في سَحَابَةٍ : اسْقِ حَدِيْقَةَ فُلانٍ فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحابُ فأفْرَغَ مَاءَهُ في حَرَّةٍ فَاذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ الماءَ فإذَا رَجُلٌ قَائِمٌ في حَدِيْقَةٍ يُحَوِّلُ المَاءَ بِمِسْحَاتِهِ فَقَال لَهُ يَا عَبْدَ اللهِ ما اسْمُكَ قال فلانٌ للإسْمِ الذي سَمِعَ في السَّحَابَةِ فقال لَهُ يَا عَبْدَاللهِ لِمَ سَأَلْتَنِيْ عَنْ اسْمِيْ قَال سَمِعْتُ في السَّحَابِ الذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ : اسْقِ حَدِيْقَةَ فُلاَنٍ لاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيْهَا قَالَ أَمَّا اذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إلى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثلثه وَأَرُدُّ فِيْهَا ثَلثَهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٥٤ ـ أَنَّ الصَّدَقَةَ لا تُنْقِصُ المَالَ خِلافاً لما يَظُنُّهُ بَعْضُ الجُهَّالِ لِحَدِيْثِ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنه أن رسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ قَالَ مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ الحَدِيْثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٥٥ ـ أَنَّ الصـدفه اذا كـانت من كسب طَيِّبٍ فإنَّ اللهَ يَقْبَلُهَـا بيمينِهِ ثُمَّ يَرُبُّها لِصَاحِبِهَا كَمَا وَرَدَ في حَدِيْثِ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ من كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ الا الطَّيبَ فَانَّ اللهَ يَقْبَلها بِيَمِيْنِهِ ثم يُرَبِّيها لِصَاحِبها كَما يُرَبِّي احَدُكم فُلُوَّه حَتَّى تكونَ مِثْلَ الجَبَلِ مُتفقٌ عَلَيْهِ .

٥٦ ـ أَنَّ الصَّدَقَةَ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ المَعِيَّةِ الخَاصَّةِ لأَنَّ المُتَصَدِّقَ مُحْسِنٌ وَقَدْ قَالَ اللهُ تعالى : ﴿ انَّ اللهَ مَعَ الذِيْنَ اتَّقَوْا والذِيْنَ هُم مُحْسِنُونَ ﴾ .

٥٧ ـ أَنَّ المصَّدِقِيْنَ يُضَاعِفُ اللهُ لَهم ثَوابَ أَعْمَالِهم الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إلى سَبْعِمائةِ ضِعْفٍ إلى حَيْثُ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ تَعالى : ﴿ إنَّ المُصَّدِّقِيْنَ والمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُ وَلَهُم أَجْرٌ كَرِيْمٌ ﴾ .

٥٨ ـ أَنَّ الصَّدَقَةَ لِتُطْفِيءُ غَضَبَ الربِّ وَتَدْفَعُ مِيْتَةَ السُّوْءِ » رَوَاهُ الترمذي وابنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ ، وَقَالَ التِّرمِذِي حَسَنٌ غَرِيْبٌ .

٥٩ ـ أَنَّ بِاخْرَاجِ الزَّكَاةِ كُلَّ سَنَةٍ يَرَى الفُقَرَاءُ أَنَّ الأغْنِيَاء لَهُمْ فَضلٌ عَلَيْهِمْ فَيُدَافِعُوْنَ عَنْهُمْ مَا اسْتَطَاعُوا أَمَّا كَفُّ اليَدِ عَنْهُمْ وَمَنْعُ مَعْرُوْفِهِمْ أَنْ يَصِلَ اليْهِمْ فَإِنَّهُ يُوْغِرُ صُدُوْرَهُمْ وَيَمْلَؤُهَا حِقْداً عَلَيْهِمْ وَيَجْتَهِدُونَ في سَلْبِ حَيَاتِهِمْ لِلْوُصُولِ إلى أَمْوَالِهِمْ المَخْزُوْنَةِ فَتَكُوْنُ الحَيَاةُ مُهَدَّدَةً وَالأَمْنُ مَفْقُوداً .

٦٠ ـ أنَّ مَنْعَ الصَّدقَاتِ يُزِيْلُ النِّعَمَ وَيُخَرِّبُ الدِّيَارَ العَامِرَةَ وَتأَمَّلْ قِصَّةَ أَصْحَابِ الجَنَّةِ المَذْكُوْرَةِ في سُوْرَةِ نُ وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُوْنَ قَالَ تَعَالَى ﴿ فَتَنَادَوا مُصْبِحِيْنَ أَنْ اغْدُوا عَلى حَرْثِكُمْ انْ كُنْتُم صَارِمِيْنَ فَإنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا اليَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِيْنٌ ﴾ الى قَوْلِهِ تَعَالى : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيْمِ ﴾ . وَتَأَمَّلْ قِصَّةَ ثَعْلَبَةَ في سُوْرَةِ التَّوْبَةِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمِنْهُم مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُوْنَنَّ مِنْ الصَّالِحِيْنَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَولَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُم نِفَاقاً في قُلُوبِهِمْ إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا اخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ . والله أعلم وصلى الله على محمد .

(١٣) مَوْعِظَـــةٌ

عِبَادَ اللهِ انَّ المُؤْمِنَ باللهِ حَقّاً يَبْتَعِدُ عَنْ المَعَاصِي كَمَا يَبْتَعِدُ عَنْ النَّارِ فَإذَا زَلَّ مَرَّةً مِنْ المَرَّاتِ اضْطَرَبَتْ أَعْصَابُهُ وَجَعَلَ قَلْبُهُ يَخْفِقُ وَأَصَابَهُ نَدَمٌ عَظِيْمٌ وَكُلَّمَا تَذَكَّرَ تِلْكَ الهَفْوَةِ احْمَرَّ وَجْهُهُ خَجلاً وَهَاجَتْ عَلَيْهِ أَحْزَانُهُ وَتَذَكَّرَ عِصْيَانَهُ لِسَيِّدِه وَمَوْلاَهُ وَلَا يَزَالُ مُوْجَعَ القَلْبِ مِنْكَسِرُهُ حَتَّى يُفَارِقَ الدُّنْيَا وَيُوَارَى في التُّرَابِ .

هَذَا هُوَ المَعْرُوفُ عَنْ المُؤْمِنِ ، وَلَا يُعْرَفُ سِوَاهُ في أَهْلِ الإيْمَانِ لِأَنَّهم يُدْرِكُونَ تَمَاماً أَنَّهُم إنْ عَصَوا خَالِقَهُم وَرَازِقَهُم أَنهُم سَيَنْدَمُونَ وَيُعَاقَبُونَ إنْ لَمْ يَتُوبُوا إلى مَوْلَاهُم ، هَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ وَمَنْ تَبِعَهُم ، وَانْظُرْ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ اليَوْمَ فِي هَذَا العَصْرِ المُظْلِمِ مِنْ الجُرْأَةِ عَلى انْتِهَاكِ مَحَارِمِ اللهِ تَتَمَثَّلُ أَمَامَكَ حَالُهُم بِحَالَةِ قَوْمِ لا يُؤْمِنُوْنَ بِثَوَابِ وَلَا عِقَابِ تَرَاهُمْ قَدْ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَأَصَرُّوا عَلى مَنْعِ الزَّكَاةِ إلا النَّوَادِرَ مِنْهُم تَرَاهُم يُطَارِدُونَ النِّسَاءَ في الأَسْوَاقِ وَيَشْرَبُونَ الدُّخَانَ عَلناً

وَيَحْلِقُونَ اللحا كَذَلِكَ وَيَغُشُّوْنَ فِي مُعَامَـلاَتِهِم تَرَاهُم أَمَـامَ المَلاهِي وَالمُنْكَرَاتِ لَيْلاً وَنَهارًا ، تَرَاهُم يُوَالُوْنَ أَعْدَاءَ اللهِ وَيُعَظِّمُونَهُم تَرَاهُمْ لَمْ يَكْتَفُوا بالمَعَاصِي في بِلاَدِهِم بل يَذْهَبُونَ إلى البِلاَدِ الأُخْرَى ، بِلاَدِ الفِسْقِ وَالفُجُورِ وَالحُرِّيَةِ وَيُنْفِقُوْنَ فِيْهَا الأَمْوَالَ الطَّائِلَةَ في مَا يُغْضِبُ اللهَ الذي أَغْنَى وَأَقْنَى وَلَكِنْ لِيَعْلَمْ هَؤُلاَءِ الفَسَقَةُ أَنَّ اللهَ لاَ يَغْفَلُ عَنْ أَعْمَالِهِم السَّيِّئَةِ وَسَوْفَ تَشْهَدُ عَلَيْهِم بِهَا الأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ ، وَلاَ تَبْكِي عَلَيْهِم لاَ هَذِهِ وَلاَ هَذِهِ يَوْمَ يَتَجَرَّعُوْنَ كَأسَ المَمَاتِ ، وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِم المَلَكَانِ كَاتِبُ الحَسَنَاتِ ، وَكَاتِبُ السَّيِّئَاتِ ، وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمْ الحَفَظَةُ الذِيْنَ يَتَعَاقَبُونَ عَلى حِفْظِهِمْ تَعَاقُبَ الحُرَّاسِ وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمْ جَوَارِحُهُمْ التِي بَاشَرَتْ فِعْلَ المَعَاصِيْ وَيَشْهَدُ بِهَا خَيْرُ شَاهِدٍ وَهُوَ مَوْلاَهُمْ جَلَّ وَعَلا الذي تَسْتَرِي الشَّهَادَةُ عِنْدَهُ وَالغُيُوْبُ ، وَيَشْهَدُ بِذَلِكَ عَلَيْهِم كُتُبُ أَعْمَالِهِم التِي كُلُّ مَا فَعَلُوا بِهَا مَكْتُوبٌ حَتَّى إِذَا رَأَوْهَا يَوْمَ القِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُم في حِسَابٍ فَزِعُوْا وَقَالُوْا يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيْرَةً وَلاَ كَبِيْرَة إلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوْا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحدا ، كُلُّ هَؤُلاَءِ يَشْهَدُوْنَ عَلى العَاصِيْنَ بالمَعَاصِيْ فَيُسَجِّلُونَ عَلَيْهِمْ مَا قَدَّمَتْـهُ أَيْدِيْهِمْ وَلَيْسَ لِذَلِكَ نَتِيْجَةٌ انْ لَمْ يَتُـوْبُوا إلا غَضَبُ الـرَّبِّ عَلَيْهِمْ ، وَالقَاؤُهُمْ في دَارِ المُجْرِمِيْنَ الجَانِيْنَ جَهَنَّمَ ، وَإِذَا كَانَ الأَمْرُ هَكَذَا فَلِمَاذَا يَفْرَحُ العُصَاةُ ، وَمِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ التِيْ لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ . التِي تَرْمِيْ بِشَرَرٍ كَالقَصْرِ كأنهُ جِمَالةٌ صُفْرٌ .

شِعْراً: وَلَمْ يَمْرُرْ بِهِ يَوْمٌ فَظِيْـعٌ   أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنْ يَوْمِ الحِمَـامِ
وَيَوْمُ الحَشْرِ أَفْظَعُ منهُ هَوْلاً   إِذَا وَقَفَ الخَلاَئِقُ بالمَقَـامِ
فَكَمْ مِنْ ظَالِمٍ يَبْقَى ذَلِيـلاً   وَمَظْلُومٍ تَشَمَّـرَ لِلْخِصَـامِ
وَشَخْصٍ كانَ في الدُّنْيَا فَقِيْراً   تَبَوَّأَ مَنْزِلَ النُّجْبِ الكِـرَامِ

وَعفْـوُ اللهِ أَوْسَـعُ كُلِّ شـيءٍ   تَعَـالَى اللهُ خَـلَّاقُ الأَنـامِ

آخـــــر :

وَكَيْفَ قَرَّتْ لِأَهْلِ العِلْمِ أَعْيُنُهُمْ   أَوْ اسْتَلَذوا لَذِيْذَ النَّوْمِ أَوْ هَجَعُوْا
وَالَموْتُ يُنْذِرُهُمْ جَهْراً عَلَانِيَةً   لَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ أَسْمَاعٌ لَقَدْ سَمِعُوا
والنَّارُ ضَاحِيَةٌ لَا بُدَّ مَوْرِدُهُمْ   وَلَيْسَ يَدْرُونَ مَنْ يَنْجُوْ وَمَنْ يَقعُ

آخَرُ :

وَكَـيْفَ يَـلَذُّ العَـيْشَ مَنْ كَـانَ مُـوْقِـنـاً
بِـأَنَّ الـمَـنَـايَـا بَـغْـتَـةً سَـتُـعَـاجِـلُهْ
وَكَـيْفَ يَـلَذُّ العَـيْشَ مَنْ كَـانَ مُـوْقِـنـاً
بِـأَنَّ إلَـهَ الـخَـلْقِ لَا بُـدَّ سَـائِـلُهْ

نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى النَّجاةَ مِنْهَا وَأَنْ يُوَفِّقَنَا لِلأَعْمَالِ المؤَهِّلَةِ لِدَارِ الخُلْدِ وَأنْ يُوفقَ وُلَاتَنا لِلقِيَامِ عَلى هَؤلَاءِ المجْرِمِينَ ، وَرَدْعِهِمْ والزامِهِمْ سُلُوْكَ طُرقِ الحَقِّ إنهُ القَادِرُ عَلى ذَلِكَ .

اللهُمَّ اجْعَلْ في قُلُوْبِنَا نُوْراً نَهْتَدِي بِهِ الَيْكَ وَتَوَلَّنا بِحُسْنِ رَعَايَتِكَ حَتَّى نَتوكَلَ عَلَيْكَ وَارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّذَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

الفَصْـلُ الأَوَّلُ
شَهْرُ رَمَضَانَ

١ ـ دَرْسُ اليَوْمِ الأَوَّلِ :

يَقُولُ اللهُ تَعَالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلكُمْ تتقُونَ ﴾ .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ :

يَقُوْلُ اللهُ تَعَالَى مُخَاطِباً المؤْمِنينَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ ، وَآمِراً لَهُمْ بِالصِّيَامِ وَهُوَ الإمْسَاكُ عَنْ الطَّعَامِ ، وَالشَّرَابِ ، والوِقَاعِ ، بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ للهِ عَزَّ وَجَلَّ ، لما فِيْهِ مِنْ زَكَاةِ النُّفُوسِ ، وَطَهَارَتِهَا وَتَنقِيَتِهَا مِنْ الأَخْلَاطِ الـرَّدِيْئَةِ ، وَالأَخْلَاقِ الرَّذِيْلَةِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَمَا أَوْجَبَهُ عَلَيْهِمْ فَقَدْ أَوْجَبَهُ عَلى مَنْ كَانَ قَبْلِهِمْ ، فَلَهُم فِيهِمْ أُسْوَةٌ ، وَلِيَجْتَهِدَ هَؤُلاءِ في أَدَاءِ هَذَا الفَرْضِ أَكْمَلَ مِمَّا فَعَلَهُ أُولئِكَ « انْتَهى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللهِ » .

وَقَدْ وَرَدَتْ في فَضْلِهِ ، وَمُضَاعَفَةِ أَجْرِهِ أَحَادِيْثُ كَثِيْرَةٌ :

رَوَى الامَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيْ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَليهِ وَسَلم ، يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِقُدومِ شَهْرِ رَمَضَانَ فَيَقولُ :

« جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ ، كَتَبَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ فِيْهِ تُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ ، وَتُغْلَقُ فِيْهِ أَبْوَابُ الجَحِيْمِ ، وَتُغَلُّ فِيْهِ الشَّيَاطِيْنُ ، وَفِيْهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ » .

وَقَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ : « هَذَا الحَدِيْثُ أَصْلٌ في تَهْنِئَةِ النَّاسِ بَعْضَهُمْ بَعْضاً بِشَهْرِ رَمَضَانَ » .

وَفي الحَدِيْثِ الآخَرِ :

« لو يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي رَمَضَانَ لَتَمَنَّتْ أُمَّتِي أَنْ يَكُوْنَ رَمَضَانُ السَّنَةَ كُلَّهَا » .

وَعَن عُبَادَةَ مَرْفُوْعاً :

« أَتَـاكُمْ رَمَضَـانُ شَهْـرُ بَرَكَةٍ ، يغْشَاكُمْ اللَّهُ فِيْه ، فَيُنْزِلُ الرَّحْمَةُ ، وَيَحُطُّ الخَطَايَا ، وَيَسْتَجِيْبُ فِيْهِ الدُّعاءَ ، يَنْظُرُ اللَّهُ إلى تَنافُسِكُمْ فِيْه ، وَيُبَاهِيْ بكُمْ مَلائِكَتَهُ ، فَأَرُوا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيراً ، فَإِنَّ الشَّقِي مَنْ حُرِمَ فِيْهِ رَحْمَةَ اللَّهِ » .

وَفي الصَّحِيْحَيْنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبي ﷺ قَالَ : إذَا دَخلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّماءِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِيْنُ .

وَلِمُسْلِم فُتِحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ وَفي الصَّحِيْحَيْنِ عَنْ النَّبي ﷺ قال : إنَّ في الجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ لا يَدْخُلُ مِنْهُ غَيْرُهُمْ وَفي رِوَايَةٍ فَاذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ البَابُ وَفي رِوَايَةٍ مَنْ دَخَلَ مِنْهُ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً .

وَلِمُسْلِم أَيْضاً : عَنْ أَبي هُرَيرَة - رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ - مَرْفُوعاً : « إذا جَاءَ رَمضانُ فُتِحَتْ أبوَابُ الجَنةِ ، وَأُغلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ ، وَصُفِّدَتْ الشَّياطِيْنُ » .

وعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اذا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمضَانَ صُفِّـدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الجِنِّ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوبُ النِّيْرَانِ ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ ، وَفُتِحَتُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقُ مِنْهَا بَابٌ ، وَيُنَادِيْ مُنَادٍ : يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا بَاغِيَ.الشَّرِّ أَقْصِرْ . وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ » .

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ ، والجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ مُكَفِّراتٌ مَا بَيْنَهُنَّ اذا اجْتُنِبَت الكَبَائِرُ » .

وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَالامَامُ العَادِلُ ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الغَمَامِ ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ » ، وَيَقُولُ : « وَعِزَّتِي وَجَلالِيْ لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِيْنٍ » . رَوَاه التِّرمِذِي وَحَسَّنَهُ وابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيْحِهِ .

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمَالِ ، ونَجِّنَا من جميع الأَهْوالِ ، وأَمِّنَّا مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ يومَ الرَّجْفِ والزلْزَالْ ، واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا ، وَلِجمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصَلى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعين .

(**فصــل**) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال : « أُعْطِيَتْ أُمَّتِيْ خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ لَمْ تُعْطَهَا أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ . خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيْحِ المِسْكِ ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمْ الحِيْتَانُ حَتَّى يُفْطِرُوْا ، وَيُزَيِّنُ اللَّهُ عَزّ وَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ ، ثُمَ يَقُولُ : يُوْشِكُ عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُم المُئونَةَ ، وَيَصِيْرُوا إِلَيْكِ ، وَتُصفَدُ فِيْهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِيْنَ فَلَا يَخْلُصُوا فِيْهِ إِلى مَا كَانُوا يَخْلصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ ، وَيُغْفَرُ لَهُم فِي آخِرِ لَيْلَةٍ » .

قِيْلَ : يَا رَسُولُ اللَّهِ أَهِيَ لَيْلَةُ القَدْرِ ؟

قال : « لَا ، وَلَكِنَّ العَامِلَ إِنَّمَا يُوَفِيَّ أَجْرُهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ » .

وَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ - أَنَّ النَّبِي ﷺ صَعِـدَ المِنْبَرَ ، فَقَالَ : « آمِيْنَ ، آمِيْنَ ، آمِيْنَ ، قِيْلَ يَا رَسُولُ اللَّهِ : إِنَّكَ صَعَدْتَ المِنْبَرَ فَقُلتَ : آمِيْنَ ، آمِيْنَ » فقال : « إِنَّ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَتَانِيْ فَقَالَ : مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ ، فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ قُلْ آمِيْنَ ، فَقُلْتُ آمِيْنَ الحَدِيْثِ » .

وَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أظللكُم شَهْرُكُم هَذا ، بِمَحْلُوفِ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلم مَا مَرَّ بِالمُسْلِمِيْنَ شَهْرٌ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْهُ ، وَلاَ مَرَّ بِالمُنَافِقِيْنَ شَهْرٌ شَرٌّ لَهُمْ مِنْهُ ، بِمَحْلُوْفِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّ اللهَ لَيَكْتُبُ أَجْرَهُ وَنَوافِلَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُ ، وَيَكْتُبُ اصْرَهُ وَشَقَاءَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ المُؤْمِنَ يُعِدُّ فِيْهِ القُوْتَ وَالنَّفَقَةَ لِلْعِبَادَةِ ، وَيَعُدُّ فِيْهِ المُنافِقُ اتبَاعَ غَفَلاتِ المؤْمِنِيْنَ واتبَاعَ عَوْرَاتِهِمْ ، فَغُنْمٌ يَغْنَمُهُ المُؤْمِنُ » .

وَقَالَ بنْدَارُ في حَدِيْثِهِ : « فَهُوَ غُنْمٌ لِلْمُؤْمِنِيْنَ يَغْتَنِمُهُ الفَاجِرُ » رَوَاهُ ابْنُ خزَيْمَةَ في صَحِيْحِهِ وَغَيْرِهِ .

وَعَنْ أَنسٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كَانَ يَدْعُو بِبُلُوغِ رَمَضَانَ ، فَكَانَ إذا دَخَلَ شَهْرُ رَجَبٍ قَالَ : « اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا في رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ » رَوَاهُ الطَّبَرَانِيْ وَغَيْرُهُ

وَقَالَ عَبْدُ العَزِيْزِ بْنِ مَرْوَانَ : « كَانَ المُسْلِمُوْنَ يَقُوْلُوْنَ عِنْدَ حُضُوْرِ شَهْرِ رَمَضَانَ اللهُمَّ قَدْ أَظَلَّنَا شَهْرُ رَمَضَانَ وَحضرَ فَسَلِّمْهُ لَنا وَسَلِّمْنَا لَهُ ، وَأَرْزُقْنَا صِيَامَهُ وَقِيَامَهُ ، وَأَرْزُقْنَا فِيْهِ الجِدَّ وَالاجْتِهَادَ وَالنَّشَاطَ ، وَأَعِذْنَا فِيْهِ مِن الفِتَنِ » .

وَقَالَ مُعَلَّى بْنِ الفَضْلِ : كَانُوا يَدْعُونَ اللهَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يُبَلِّغَهُم رَمضَانُ ثُمَّ يَدْعُونَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يَتَقَبَّلَهُ مِنْهُمْ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ كَانَ مِنْ دُعَائِهِمْ : «اللَّهُمَّ سَلِّمْنِي إلى رَمَضَان وَسَلِّمْ لِيْ رَمَضَانُ وَتَسَلَّمْهُ مِنّي مُتَقَبَّلاً» .

اللَّهُمَّ يا مَنْ فَتَحَ بَابَهُ للطَّالِبِيْنَ ، وَأَظْهَرَ غِنَاهُ لِلرَّاغِبِيْنَ نَسْأَلُكَ انْ تَسْلُكَ بنا سَبِيْلَ عِبَادِكَ الصَّادِقِيْنَ ، وأنْ تَلْحِقَنا بعبَادِكَ الصَّالِحِينَ ، اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوباً أَماتَهَا البُعْدُ عنْ بَابِكَ ، ولا تُعذِّبْهَا بأَلِيْمِ عِقَابِكَ ، يَا كَرِيْمُ يا مَنَّانُ ، يَا مَنْ جَادَ عَلَى

عِبَادِهِ بِالانْعَامِ وَالافضَالِ، اللَّهُمَّ أيقظْنَا مِنْ غَفَلَتِنَا بُلْطفِكَ واحْسَانِك وتجَاوَزْ عنْ جَرَائِمنا بعَفْوِكَ وغُفْرَانِكَ، وارْزقْنَا مَا رَزَقْتَ أَوْلِيَآءَك، مِنْ نَعِيْم قُرْبكِ، وَلَذَّةِ مُنَاجَاتِكَ، وصِدْقِ حُبِّكَ، واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

وَخُـذْ فِي بَيَـانِ الصَّـوْمِ غَيْرَ مُقَصِّـرِ
عِـبَـادَةِ سِرٍّ ضِـدَّ طِـبْـعٍ مُـعَـوَّدِ
وَصَبْـرٌ لِفَقْدِ الإلْفِ مِنْ حَـالَـةِ الصِّبَـا
وَفَـطْمٌ عَـنْ الـمَـحْـبُـوبِ والـمُـتَـعَـوَّدِ
فَثِقْ فِيْـهِ بِالـوَعْدِ القَـدِيْمِ مِنْ الـذي
لَـهُ الصَّـوْمُ يُجْـزِيْ غَيْـرَ مُخْلِفِ مَـوْعِـدِ
وَحَـافِظْ عَلى شَهْـرِ الصِّيَـامِ فَـإنَّـهُ
لَـخَـامِسُ أرْكَـانٍ لِـدِيْـنِ مُـحَـمَّـدِ
تُـغَلَّقُ أبْـوَابُ الـجَـحِـيْـمِ إذَا أَتَـى
وَتُـفْـتَـحُ أبْـوَابُ الـجِـنَـانِ لِـعُـبَّـدِ
تُـزَخْـرَفُ جَنَّـاتُ النَّعِيْـمِ وَحُـوْرُهَـا
لأَهْـلِ الـرِّضَـا فِيْـهِ وَأَهْـلِ التَّـعَـبُّـدِ
وَقَـدْ خَـصَّـهُ الـلهُ الـعَـظِـيْـمُ بِـلَـيْـلَةٍ
عَـلى أَلْفِ شَـهْـرٍ فُـضِّـلَتْ فَـلْتُـرَصَّـدِ
فَـارْغِمْ بِـأَنْفِ القَـاطِعِ الشَّهْـرِ غَـافِـلاً
وَأَعْـظِمْ بِـأَجْـرِ الـمُخْلِصِ المُـتَـعَـبِّـدِ
فَـقُـمْ لَـيْـلَهُ وَاطْـوِ نَـهَـارَكَ صَـائِـمـاً
وَصُنْ صَـوْمَـهُ عَنْ كُـلِّ مُـوْهٍ وَمُفْسِـدِ

اللَّهُمَّ أَهِلَّ شَهْرَنَا عَلَيْنَا بِالسَّلاَمَةِ وَالإِسْلاَمِ وَالأَمْنِ وَالإِيْمَانِ ، وَاغْفِرْ لَنَا كُلَّ قَبِيْحٍ سَلَفَ وَكَانَ ، وَأَعْتِقْنَا فِيْهِ مِنْ لَفَحَاتِ النِّيْرَانِ وَأَعِنَّا عَلَى الخَيْرِ يَا كَرِيْمُ يَا مَنَّانُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللهِ أَخْرَجَ البُخَارِيْ في صَحِيْحِهِ عَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ ، عِبَادَ اللهِ انَّ هَذَا الحَدِيْثُ عَلى ايْجَازِهِ لَيَحْتَوِي عَلى وَصِيَّةٍ ثَمِيْنَةٍ مِنْ أَبْلَغِ الوَصَايَا وَأَقْيَمِهَا وَأَجَلِّهَا وَأَنْفَعِهَا فَقَدْ اشْتَمَلَ عَلى الأَمْـرِ بِحِفْظِ عُضْوَيْنِ عَلَيْهِمَـا مَدَارٌ عَـظِيْمٌ حَقِيْقَيْنِ بِتَعَاهُدِهِمَا بالرِّعَايَةِ وَالاسْتِقَامَةِ وَالرِّقَابَةِ وَالصِّيَانَةِ أَلا وُهُمَا اللسَانُ وَالفَرْجُ وَلاَ شَكَّ أَنَّهُمَا إِنْ أُطْلِقَ سَرَاحُهُمَا في الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ وَطُرُقِ الغَيِّ وَالفَسَادِ كَانا أَصْلاً لِلْبَلاءِ وَالفِتْنَةِ وَالشَّرِّ والهَلاَكِ والدَّمار .

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَن وُقِيَ شَرَّ قَبْقَبِهِ وَذَبْذَبِهِ وَلَقْلَقِهِ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ الحَدِيْثِ أَخْرَجَهُ مَنْصُورُ الدَّيْلَمِي مِنْ حَدِيْثِ أَنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَالقَبْقَبُ البَطْنُ وَالذَّبْذَبُ الفَرْجُ وَاللقْلَقُ اللسَانُ .

فَهَذِهِ الشَّهَوَاتُ بِهَا يَهْلَكُ أَكْثَرُ الخَلْقِ وَسُئِلَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَايُدْخِلُ النَّارَ فَقَالَ الأَجْوَفَانِ الفَمُ والفَرْجُ .

فَالعَاقِلُ مَنْ يُبْصِرُ مَـوَاقِعَ الكَـلاَمِ وَيَحْفَظُ لِسَانَـهُ مِنَ الفُضُوْلِ والهَذَيَانِ وَلاَ يَتَعدَّى بِفَرْجِهِ زَوْجَتَهُ وَمَا مَلَكَتْ يَمِيْنَهُ .

شعـــرا :

إذا مَا أَرَدْتَ النُطقَ فانْطِقْ بحِكْمَةٍ   وَزِنْ قَبْلَ نُطْقَ مَا تَقُولُ وقَـوّمِ

فَمَنْ لَمْ يَزِنْ ما قال لا عَقْل عنْدهُ وَنُطْقٌ بِوَزْنٍ كالبِنَاءِ المُحَكَّمِ
فإنْ لم تَجِدْ طُرْقَ المقالِ حَمِيْدَةً تجمَّلْ بحُسْنِ الصَّمْتِ تحْمَد وتَسْلَمِ
فكمْ صَامِتاً يَلْقى المَحَامِدَ دائماً وكم ناطِقٍ يجني ثِمارَ التَّنَدُّمِ

وَقَالَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم « مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ » إذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ زَلَّاتِ اللسَانِ عَظِيْمَةٌ فَزَلَّةٌ مِنْ زَلَّاتِهِ قَدْ تُؤدِيْ بِالإنْسَانِ إلى الهَلاَكِ والعَطَبِ وَمُفَارَقَةِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَأَصْدِقَائِهِ وَجِيْرَانِهِ فَلْيَحْذَرْ الإنْسَانُ مِمَّا يَجْرِي بِهِ لِسَانُهُ .

قَالَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْتَقِيْمُ إيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيْمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيْمَ قَلْبُه حَتَّى يَسْتَقِيْمَ لِسَانُهُ الحَدِيْث .

وَعَنْ سَعِيْدِ بنِ جُبَيْرٍ مَرْفُوْعاً إلى رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « إذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ أَصْبَحَتْ الأَعْضَاءُ كُلُّهَا تُذَكِّرُ اللسَانَ أَيْ تَقُولُ اتَّقِ اللهِ فِيْنَا فَإِنَّكَ انْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَانْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَأى أَبَا بَكْرٍ الصِّديقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ يَمُدُّ لِسَانَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ لَهُ مَا تَصْنَعُ يَا خَلِيْفَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ قالَ : هَذَا أَوْرَدَنِي المَوَارِدَ إنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ قَالَ : لَيسَ شَيءٌ مِنْ الجَسَدِ إلا يَشْكُو إلى اللهِ اللسَانَ عَلَى حِدَّتِهِ .

وَعَنْ ابنِ مَسْعُودٍ أَنَّه كَانَ عَلى الصَّفَا يُلَبِّي وَيَقُولُ يَا لِسَانُ قُلْ خَيْراً تَغْنَمْ وَاسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمُ مِنْ قَبْلِ أنْ تَنْدَمَ فَقِيْلَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَهَذَا شَيءٌ تَقُولُه أو شَيءٌ سَمِعْتَهُ فَقَالَ لا بَلْ شَيءٌ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلَمَ يَقُوْلُ إنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَم في لِسَانِهِ .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ مَلَكَ غَضَبَهُ وَقَاهُ اللهُ عَذَابَهُ وَمَنْ اعْتَذَر إلى اللهِ قَبِلَ اللهُ عُذْرَهُ .

شعـــــرا :

وإذَا خَشيْتَ مَلَامةً مِنْ مَنْطِـــقٍ فاخْزنْ لِسَانَكَ في اللَّهَاةِ وأَطْــرِقِ
واحْفَظْ لِسَانَكَ أن تَقُولَ فَتُبْتَلَى إنَّ البَلاءَ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِـــــقِ

وَقَالَ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلَّمَ إخزنْ لِسَانَكَ إلاَّ مِنْ خَيْرٍ فَإنَّك بِذَلِكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ . وَقَال صَلى الله عليه وسلم إذاً رَأيْتُم المُؤْمِنَ صَمُوتاً وَقُوراً فادْنُوا مِنْهُ فَإنَّهُ يُلَقَّنُ الحِكْمَةَ .

وَأَخْرَجَهُ ابنُ مَاجه مِن حَدِيثِ خَلاَّدٍ بِلَفْظ إذَا رَأَيْتُم الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِى زُهْداً في الدُّنْيَا وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ فإنَّهُ يُلقَّى الحِكْمَةَ » .

وَلَا تَحْسَبَنَّ حِفْظَ اللِّسَانِ قَاصِراً عَلى الصَّمْتِ في مَوْضِعِهِ أو الكَلاَمَ بل يَتَعَدَّى إلى حِفْظِهِ مِنْ طَعَامٍ مَشْبُوهٍ أَوْ حَرَامٍ وَانَّ مِنْ المَعْلُومِ أَنَّ اللِّسَانَ هُو الوَسِيْلَةُ لِمَضْغِ مَا يَأْكُلُهُ المَرْءُ وَقَذْفِهِ في المَعِدَةِ بَيْتِ الطَّعَامِ وَمُسْتَقَرُّهُ وَلِيَصُنْهُ مِنْ الزَّلَلِ وَالحَرَامِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ في عَاقِبَةِ أَمْرِهِ .

وَأَمَّاحِفْظُ الفَرْجِ فَبِتَرْكِ التَّعَدِّي عَلى أَعْرَاضِ النَّاسِ وَحُرُمَاتِهِم وَوَضْعِهِ في الحَلاَلِ في الطُّرُقِ المَشْرُوعَةِ وَكفِّهِ عن الزِّنَا وَالحَرَامِ والزِّنَا آفَةٌ وَبَيْلَةٌ على المُجْتَمعِ الإنْسَانِي وَقَدْ بَيَّنَا مَضَارَّهُ في الجُزْءِ الثَّانِيْ وَاللهُ أَعْلَمُ .

شِعْرَا :

عَجِبْتُ لِذِي التَّجارِبِ كَيْفَ يَسْهُو وَيَتْلُو اللَّهو بَعْدَ الاحْتِبَـاكِ
ومُـرْتَهَنُ الفَضَائِحِ والخَطَـايَا يُقَصِّـــرُ باجْتِهادٍ لِلْفِكَـــاكِ
وَمُوْبِقُ نَفْسِـهِ كَسَـلاً وجَهْـلاً وَمُوْرِدُها مَخُـوفَاتِ الهَــلاكِ
بِتَجْـدِيْدِ المَــآثِمِ كُلَّ يَـوْمٍ وقَصْدٍ لِلْمُحَــرَّمِ بانْتِهَـــاكِ
سَيَعْلَمُ حِيْنَ تَفْجَـؤهُ المَنَــايَا ويَكْثُفُ حَـوْلهُ جَمْـعُ البَــواكِي

اللَّهُمَّ جُدْ علينا بكَرمِكَ ، وافضْ علينا مِن نِعَمِكْ ، وتَغَمَّدْنَا بِرَحْمَتِكَ ،

وعاملنا بَرأفتكْ، وَوَفّقْنا لِخدْمَتِكْ، واغفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ. اللَّهُمَّ مَكِّنْ حُبَّكَ فِي قُلوبِنَا وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ ووفّقْنا لامْتِثَالِ طَاعَتِكَ وأَمْرِكَ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(فصـــــل)

٥ ـ لَا يَصِحُّ صَوْمُ رَمَضَانَ وَلَا غَيْرُه مِنَ الصِّيَامِ الوَاجِبِ إلا بِنِيَّةٍ مِنَ اللَّيْلِ لِكُلِّ يَوْمٍ.

١ ـ حُكْمُ صَوْمِ رَمَضَانَ :

صَوْمُ رَمَضَانَ فَرِيْضَةٌ : وَالأَصْلُ فِي فَرِيْضَتِهِ : الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَالإِجْمَاعِ.

أَمَّا الدَّلِيْلُ مِنْ الكِتَابِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوْا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلى الذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ ﴾

وَأَمَّا السُّنَّةُ، فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلهَ إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيْتَاءِ الزَّكَـاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيْتِ ».

وَأَمَّا الإِجْمَاعُ، فَـأَجْمَعَ المُسْلِمُـوْنَ عَلى فَرِيْضَـةِ صَوْمِ شَهْـرِ رَمَضَانَ.

٢ ـ بَيَانُ مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ الصَّوْمُ :

وَيُفْتَرَضُ عَلى كُلِّ مُسْلِمٍ عَاقِلٍ بَالِغٍ قَادِرٍ أَدَاءً وَقَضَاءً، وَلَا يَجِبُ عَلى كافِرٍ ـ سَوَاءً كَانَ أَصْلِيًا أَوْ مُرْتَداً ـ لِأَنَّ الصَّوْمَ عِبَادَةٌ لا تَصِحُّ مِنْهُ فِي حَالِ كُفْرِهِ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ قَضَاءُهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿قُلْ لِلْذِيْنَ كَفَروا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَا قَدْ سَلَفَ ﴾.

وَلأنَّ في ايْجَابِ قَضَاءِ مَا فَاتَ في حَالِ كُفْرِهِ تَنْفِيْراً عَنْ الإِسْلاَمِ وَلَوْ أَسْلَمَ في أَثْنَائِهِ لَمْ يَلْزَمْهُ مَا مَضَى مِنَ الأَيَّامِ وَيَصُومُ مَا بَقِيَ مِن الشَّهْرِ .

وَلِحَدِيْثِ ابن مَاجَه في وَفْدِ ثَقِيْفٍ : قَدِمُوا عَلَيْهِ في رَمَضَانَ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُبَّةً بالمَسْجِدِ فَلَمَّا أَسْلَمُوا ، صَامُوا مَا بَقِيَ عَلَيْهِم مِنَ الشَّهْرِ ، اذْ أَنَّ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ عِبَادَةٌ مُفْرَدَةٌ .

وَلاَ يَجِبُ الصَّوْمُ عَلَى مَجْنُونٍ ، وَلاَ صَبِيٍّ حَتَّى يَبْلُغَ ، لِقَوْلِهِ صلى اللهُ عَليهِ وَسَلم : « رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثَلاَثَةٍ : عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ ، وَعَنْ المَجْنُونِ حَتَّى يَفِيْقَ ، وَعَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ » .

وَأَمَّا اشْتِرَاطُ القُدْرَةِ عَلى الصَّوْمِ فَلأَنَّ مَنْ لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ بِحَالٍ وَهُوَ الكَبِيْرُ وَالعَجُوزُ ـ اذَا كَانَ الصَّوْمُ يُجْهِدُهُمَا وَيَشُقُّ عَلَيْهِمَا مَشَقَّةً شَدِيْدَةً ـ فَلَهُمَا أَنْ يُفْطِرَا وَيُطْعِمَا لِكُلِّ يَوْمٍ مِسْكِيْناً ، لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا ـ في قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَعَلى الـذِيْنَ يُطِيْقـونَهُ فِـدْيَةٌ ﴾ : لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ في الشَّيْخِ الكَبِيْرِ ، وَالمَرْأَةِ الكَبِيْرَةِ اللذَيْنِ لاَ يَسْتَطِيْعَانِ الصَّوْمَ فَيُطْعِمَانِ مَكَانَ كلِّ يَوْمٍ مِسْكِيْناً .

وَرُوِيَ أَنَّ أَنَس بْن مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ـ ضَعُفَ عَنْ الصَّوْمِ فَصَنَعَ جَفْنَةً مِنْ ثرِيْدٍ ، فَدَعَا ثَلاثِيْنَ مِسْكِيْناً فَاطْعَمَهُم .

وَالمَرِيْضُ الذي لاَ يُرْجَى بُرْؤُهُ ، حُكْمُهُ حُكْمُ الشَّيْخِ الكَبِيْرِ ، يُطْعِمُ لِكلِّ يَوْمٍ مِسْكِيْناً . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصـــــل)

٣ ـ مَا يَثْبُتُ بِهِ الشَّهْرُ :

وَيَجِبُ صَوْمُ رَمَضَانَ بِرُؤْيَةِ هِلاَلِهِ ، أَوْ اكْمَالِ شَعْبَانَ ثَلاَثِيْنَ

يَوْماً وَتَثْبُتُ رُؤْيَةُ هِلالِ رَمَضَانَ بِخَبرِ مُسْلِمٍ مُكَلَّفٍ عَدْلٍ وَلَوْ عَبْدَا أَوْ أُنْثَى .

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ : « اذَا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا ، وإذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا ، فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُم فاقدُرُوا له » .

وَعَنْ ابنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ قَالَ : « تَرَآى النَّاسُ الهِلاَلَ فَأَخْبَرْتُ النَّبي صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ أَنِّي رَأَيْتُهُ ، فَصَامَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ » .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : إنَّ اعْرَابِيّاً جَاءَ الى النَّبِي صَلى الله عليه وسلم ، فَقَال : إني رَأَيْتُ الهِلاَلَ ، فقَالَ : « أَتَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ » قَالَ : نَعَم ، قالَ : « أتشهَدُ أَنَّ مُحَمداً رسُولُ اللهِ ؟ » قَالَ : نَعَم ، قَالَ : « فَأَذِّنِ في النَّاسِ يَا بِلَالُ أَنْ يَصُومُوا غداً » .

وَيُسْتَحَبُ إِذَا رَأَى الهِلاَلَ أَنْ يَقُولَ مَا وَرَدَ ، وَمِنْهُ حَدِيثُ ابنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عليه وسَلم إِذَا رَأَى الهِلاَلَ قَالَ : اللهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُم أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بالأَمْنِ والإِيْمَانِ والسَّلاَمَةِ والإِسْلاَمِ والتَّوْفِيْقِ لِمَا تُحِبُ وَتَرْضَى » .

وَمِنْهُ حَدِيثُ طَلْحَةَ بن عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ النبي صَلى اللهُ عليهِ وَسَلم كَانَ إذَا رَأَى الهِلاَلَ قَالَ : « اللهُمْ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ وَالإِيْمَانِ وَالسَّلاَمَةِ والإِسْلاَمِ ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ ، هِلاَلُ رُشْدٍ وَخَيْرٍ » .

وانْ حَالَ دُوْنَ مَطْلَعِ الهِلاَلِ لَيْلَةَ الثَّلاثِيْنَ مِنْ شَعْبَانَ غَيْمٌ أَوْ قَتَرٌ أَوْ غَيْرُهُمَا ، فَإِنَّهُ لا يَجِبُ صَوْمُه وَلاَ يُسْتَحَبُ ، بَلْ المَشْرُوْعُ فِطْرُه لِمَا وَرَدَ

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وسَلَم : « صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ . وَأَفطِرُوا لِرُؤْيتِهِ ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُم فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاثِيْنَ » .

وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « مَنْ صَامَ اليَوْمَ الذي يَشكُّ فِيْهِ فَقَدْ عَصَى أَبَا القَاسِمِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

وَعَنْ ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهما قَال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عليه وَسَلم : « صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ ، فَإِنْ حَالَ بَيْنَكُم وَبَيْنَهُ سَحَابٌ فَكَمِّلُوا العِدَّةَ ثَلاثِيْنَ وَلا تَسْتَقْبِلُوا الشَّهْرَ اسْتِقْبَالاً » .

وَيُسْتَثْنَى القَضَاءُ ، والنَّذْرُ وَالعَادَةُ ، فَيَجُوْزُ صَوْمُهَا فِيْهِ .

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « لَا تَقَدَّمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلا يَوْمَيْنِ إلا رَجُلٌ كانَ يَصُومُ صَوْماً فَلْيَصُمْهُ » . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصـــــــل)

٤ - فِيْمَا يَترتَّبُ على ثُبُوتِ رُؤْيَةِ الهِلَالِ :

وإِذَا ثَبَتَ رُؤْيَةُ هِلَالِ رَمَضَانَ ببَلَدٍ لَزمَ النَّاسَ كُلَّهُم الصَّوْمُ إِذَا اتَّفقَتْ المَطالِعُ لِمَا روَى « كُرَيْبٌ » قال : قَدِمْتُ الشَّامَ ، وَاسْتَهَلَّ عليّ رَمَضَانَ وَأَنَا بالشَّام ، فَرَأَيْتُ الهِلَالَ لَيْلَةَ الجُمُعَةَ ، ثُمَّ قَدِمْتُ المَدِيْنَة في آخرِ الشَّهْر فَسَأَلَني عَبْدُاللَّه بْنُ عَبَّاسٍ . ثُمَّ ذَكَرَ الهِلَالَ فَقَالَ : مَتى رَأَيْتُم الهِلَالَ ؟ قُلْتُ : رَأَيْنَاهُ لَيْلَةَ الجُمُعَةَ فَقَالَ : أَنْتَ رَأَيْتَهُ ؟ قُلْتُ نَعَمْ وَرآهُ النَّاسُ ، وَصَامُوا ، وَصَامَ مُعَاوِيَةُ ، فَقَالَ : لَكِنَّا رَأَيْنَاهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ فَلَا نَزَالُ نَصُوْمَ حَتَّى نَكْمِلَ ثَلاثِيْنَ أَوْ نَرَاهُ . فَقُلْتُ : أَفَلا تَكْتَفِي بِرُؤْيَةِ مُعَاوِيَةَ وَصِيَامِهِ ؟ فَقَالَ لَا ، هَكَذَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

وَمَنْ رَأَى وَحْدَهُ هِلَالَ رَمَضَانَ وَرُدَّ قَوْلُهُ لَزِمَهُ الصَّوْمُ وَجَمِيعُ أَحْكَامِ الشَّهْرِ مِنْ طَلَاقٍ وَعِتْقٍ ، وَغَيْرِهِمَا مُعَلَّقَيْنِ بِهِ ، لِعُمُومِ قَوْلِهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ ، وَلِأَنَّهُ تَيَقَّنَ أَنَّهُ مِنْ رَمَضَانَ فَلَزِمَهُ صَوْمُه وَأَحْكَامُهُ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنْ النَّاسِ ، وَمَنْ رَأَى وَحْدَهُ هِلَالَ شَوَّالَ لَمْ يُفْطِرْ لِحَدِيْثِ « الفِطْرُ يَوْمَ يُفطِرُ النَّاسُ ، وَالأَضْحَى يَوْمَ يُضَحِّي النَّاسُ » .

وَحَدِيْثِ : « الفِطْرُ يَوْمَ يُفْطِرُونَ ، والأَضْحَى يَوْمَ يُضَحُّونَ » .

وَرَوَى أَبُو رَجَاءٍ عَنْ أَبِي قَلَابَةَ :

أَنَّ رَجُلَيْنِ قَدِمَا المَدِيْنَةِ وَقَدْ رَأَيَا الهِلَالَ ، وَقَدْ أَصْبَحَ النَّاسُ صِيَاماً فَأَتَيَا عُمَرَ ، فَذَكَرَا ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا : أَصَائِمٌ أَنْتَ ؟ قَالَ : بَلْ مُفْطِرٌ . قَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلى هَذا ؟ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَصُومَ وَقَدْ رَأَيْتُ الهِلَالَ وَقَالَ لِلآخَرِ ، قَالَ : انِّي صَائِمٌ ، قَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلى هَذَا ؟ قَالَ : لَمْ أَكُنْ لِأُفطِرَ وَالنَّاسُ صِيَامٌ . فَقَالَ لِلذِيْ أَفْطَرَ : لَوْلَا مَكَانُ هَذَا لَأَوْجَعْتُ رَأْسَكَ ، ثُمَّ نُودِيَ فِي النَّاسِ أَنْ أَخْرُجُوا .

وإِنَّمَا أَرَادَ ضَرْبَهُ لِإفْطَارِهِ بِرُؤْيَتِهِ وَحْدَهُ ، وَدَفَعَ عَنْهُ الضَّرْبَ لِكَمَالِ الشَّهَادَةِ بِهِ ، وَلَوْ جَازَ لَهُ الفِطْرُ لَمَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ وَلَا تَوَعَّدَهُ ، وَانْ صَامَ النَّاسُ بِشَهَادَةِ اثْنَيْنِ : ثَلاثِيْنَ يَوْماً فَلَمْ يَرَوْا الهِلَالَ أَفْطَرُوا لِقَوْلِ النَّبِي صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلَمَ : « فَانْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلَاثِيْنَ ثُمَّ أَفْطِرُوا » .

وَإِذَا قَامَتْ البَيِّنَةُ أَثْنَاءَ النَّهَارِ لَزِمَ أَهْلَ وُجُوبِ الصَّوْمِ الإِمْسَاكُ وَلَو بَعْدَ أَكْلِهِمْ لِتَعَذُّرِ امْسَاكِ الجَمِيْعِ فَوَجَبَ أَنْ يَأْتُوا بِمَا يَقْدِرُوْنَ عَلَيْهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَاتَّقوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ وَحَدِيْثِ : « إِذَا أَمَرْتُكُم بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » .

٥ ـ لَا يَصِحُّ صِيَامُ رَمَضَانَ إلا بِنِيَّةٍ مِنَ اللَّيْلِ :

وَلاَ يَصِحُّ صَوْمَ رَمَضَانَ ، وَلاَ غَيْرُهُ مِنَ الصِّيَامِ الوَاجِبِ إلاَّ بِنِيَّةٍ مِن اللَّيْلِ لِكُلِّ يَوْمٍ ، رَوَتْ حَفْصَةُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ عَنِ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ لَمْ يُبَيِّتْ الصِّيَامَ قَبْلَ الفَجْرِ فَلاَ صِيَامَ لَهُ » .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مَرْفُوْعاً : « مَنْ لَمْ يُبَيِّتْ الصِّيَامَ قَبْلَ طُلُوْعِ الفَجْرِ فَلا صِيَامَ لَهُ » .

وَمَنْ نَوى الصَّوْمَ مِنْ اللَّيْلِ ثُمَّ أَتَى بَعْدَ النِّيَّةِ في اللَّيْلِ بِمَا يُبْطِلُ الصِّيَامَ كَالأَكْلِ لَمْ تَبْطُلْ النِّيَّةُ لِظَاهِرِ الخَبَرِ وَلأَنَّ اللهَ أَبَاحَ الأَكْلَ إلى آخِرِ اللَّيْـلِ فَلَوْ بَطَلَتْ بِهِ فَاتَ مَحَلُّهَا وَمَنْ خَطَرَ بِبَالِهِ أَنَّهُ صَائِمٌ غَداً فَقَدْ نَوى ، لأَنَّ النِّيةَ مَحَلُّهَا القَلْبُ ، وَالأَكْلُ وَالشُّرْبُ بِنِيَّةِ الصَّوْمِ نِيَّةٌ قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّيْنِ هُوَ حِيْنَ يَتَعَشّى عَشَاءَ مَنْ يُرِيْدُ الصَّوْمَ ، وَلَوْ نَوتْ حَائِضٌ أَوْ نُفَسَاءُ صَوْمَ غَدٍ وَقَدْ عَرَفَتْ أَنَّهَا تَطْهُرُ لَيْلاً صَحَّ لِمَشَقَّةِ المُقَارَنَةِ وَاللّهُ أَعْلَمُ .

يا ذا الذيْ مَا كَفَاهُ الذَّنْبُ في رَجَبٍ ... حَتَّى عَصَى رَبَّهُ في شَهْرِ شَعْبَانِ
لقدْ أَظَلَّكَ شَهْرُ الصَّومِ بَعْدهُمَا ... فلا تُصَيِّرهُ أَيْضاً شَهرَ عِصْيانِ
واتْلِ القُرآنَ وسَبِّحْ فِيهِ مُجْتَهِداً ... فإنَّـهُ شَهْـرُ تَسْبِيْـحٍ وقُـرْآنِ
كَمْ كُنْتَ تَعْرِفُ مِمَّنْ صَامَ في سَلَفٍ ... مِن بَيْنِ أَهْلٍ وجِيْرَانٍ وَإِخْوَانِ
أَفْنَاهُمُ المَوْتُ واسْتبقاكَ بَعْدهُمُ ... حَياً فَمَا أَقْرَبَ القَاصِي مِن الدَّانِ

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا في سِلْكِ الفَائِزِيْنَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ المُتَّقِيْنَ الذِيْنَ أَعْدَدْتَ لَهُمْ فَسِيْحَ جِنَانِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ في دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافِنَا يَا مَوْلاَنَا في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ جَمِيْعِ البَلاَيَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهِبَاتِكَ وَمَتِّعْنَا بالنَّظَرِ إلى وَجْهِكَ الكَرِيْمِ مَعَ الذِيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِيْنَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيْعِ

المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالميِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَم الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلى اللهُ عَلى مُحَمدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْـــلٌ)

وَيَبْحَثُ في :

١ ـ حُكم صَوْمِ التَّطَوّعِ بِنِيَّةٍ مِنَ النَّهَارِ .

٢ ـ فِيْمَنْ يُبَاحُ لَهُ الفِطْرُ وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ .

٣ ـ مَنْ عَرَضَ لَهُ جُنُوْنٌ أَوْ اغْمَاءٌ .

١ ـ حُكْمُ صَوْمِ التَّطَوّعِ بِنِيَّةٍ مِنَ النَّهَارِ :

وَيَصِحُّ صَوْمُ التَّطَوّعِ بِنِيَّةٍ مِنْ النَّهَارِ قَبْلَ الزَّوَالِ وَبَعْدَهُ لِمَا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ : دَخَلَ عَليَّ رَسُوْلُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلَمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ : « هَلْ عِنْدَكُمْ شَيءٌ فَقُلْنَا لاَ ، فَقَالَ : فَإِنِّي إِذَنْ صَائِمٌ » ، ثُمَّ أَتَانَا يَوْماً آخر ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ أُهْدِيَ لَنَا حَيْسٌ ، فَقَالَ : « أَرِنِيْهُ ، فَلَقَدْ أَصْبَحْتُ صَائِماً فَأَكَلَ » .

وَزَادَ النَّسَائِيُّ ، ثُمَّ قَال : « إِنَّمَا مَثَلُ صَوْمِ التَّطَوّعِ ، مَثَلُ الرَّجُلِ يُخْرِجُ مِنْ مَالِهِ الصَّدَقَةَ ، فَإِنْ شَاءَ أَمْضَاهَا وَانْ شَاءَ حَبَسَها » ، وَمِنْ لَفْظٍ لَهُ أَيْضاً قَالَ : « يَا عَائِشَةُ ، إِنَّمَا مَنْزِلَةُ مَنْ صَامَ في غَيْرِ رَمَضَان أَوْ في التَّطَوّعِ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ أَخرَجَ صَدَقَةَ مَالِهِ فَجَادَ مِنْهَا بِمَا شَاءَ فَأَمْضَاهُ ، وَبَخِلَ مِنْهَا بِمَا شَاءَ فَأَمْسَكَه »

شِعْرًا : وفي الناس مَنْ أَعْطَى الجَمِيْلَ بَدَيْهَةً   وَظَنَّ بِفِعْلِ الخَيْرِ لَمَّا تَفَكَّرَا
آخر : وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيْلِ بِفَاعِلٍ   وَمَا كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِمِ

قَالَ البُخَارِيّ ، وَقَالَتْ أُمُّ الدَّرْدَاءِ : كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُوْلُ : عِنْدَكُم طَعَامٌ ؟ فإِنْ قُلْنَا : لاَ ، قَالَ : فَإِنِّيْ صَائِمٌ يَوْمِيْ . قَالَ وَفَعَلَهُ أَبُو طَلْحَة

وَأَبُو هُرَيْرَةَ ، وَابْنُ عَبَّاسٍ ، وَحُذَيْفَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ .

وَيُحْكَمُ بِالصَّوْمِ المُثَابُ عَلَيْهِ ، مِنْ وَقْتِ النِّيَّةِ ، لِحَدِيْثِ : « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَى » ، وَمَا قَبْلَهُ لَمْ يُوْجَدْ فِيْهِ قَصْدُ القُرْبَةِ ، لَكِنْ يُشْتَرَطُ أَنْ لاَ يُوْجَدَ مُنَافٍ غَيْرَ نِيَّةِ الافْطَارِ ، اقْتِصَاراً عَلى مُقْتَضَى الدَّلِيْلِ ، وَنَظَراً إِلى أَنَّ الإِمْسَاكَ هُوَ المَقْصُودُ الأَعْظَمُ ، فَلاَ يُعْفَى عَنْهُ أَصْلاً ، فإِنْ فَعَلَ قَبْلَ النِّيةِ مَا يُفطِّرُهُ لَمْ يَجزْ الصِّيَامُ ، فَلاَ يَصِحُّ صَوْمُ مَنْ أَكَلَ ثُمَّ نَوَى بَقِيَّةَ يَوْمِهِ لِعَدَمِ حُصُولِ حِكْمَةِ الصَّوْمِ ، وَيَصِحُّ تَطَوُّعُ حَائِضٍ وَنُفَسَاءَ طَهُرَتْ في يَوْمٍ بِصَوْمٍ بَقِيَّتِهِ وَتَطَوُّعُ كَافِرٍ أَسْلَمَ في يَوْمٍ لَمْ يَأْتِيَا فِيْهِ بِمُفْسِدٍ مِنْ أَكْلٍ أَوْ شُرْبٍ وَنَحْوِهِمَا وإِنْ بَلَغَ صَبِيٌّ ، أَوْ أَسْلَمَ كَافِرٌ ، أَوْ أَفَاقَ مَجْنُونٌ في أَثْنَاءِ النَّهَارِ ، وَهُمْ مُفْطِرُوْنَ ، لَزِمَهُمْ الإِمْسَاكُ عَنْ مُفْسِدَاتِ الصَّوْمِ ، لِحُرْمَةِ الوَقْتِ وَلِزَوَالِ المُبِيْحِ ، وَانْ طَهُرَتْ حَائِضٌ أَوْ نُفَسَاءُ ، أَوْ قَدِمَ مُسَافِرٌ مُفْطِرٌ .

فَعَلَيْهِمْ الإِمْسَاكُ وَالقَضَاءُ وَلاَ خِلاَفَ في وُجُوْبِ القَضَاءِ عَلَيْهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ... فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَرِيْضاً ، أَوْ عَلى سَفَرٍ ، فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرُ ﴾ .

وَلِقَوْلِ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ كُنَّا نَحِيْضُ عَلى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ ، وَكَذَا الحُكْمُ في المَرِيْضِ إِذَا صَحَّ في أَثْنَاءِ النَّهَارِ ، وَكَانَ مُفْطِرًا .

وَيُسَنُّ الفِطْرُ لِمُسَافِرٍ يُبَاحُ لَهُ القَصْرُ ، وَلِمَرِيْضٍ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيْضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فِعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ ﴾ وَلِحَدِيْثِ « لَيْسَ مِنْ البِرِّ الصِّيَامُ في السَّفَرِ » .

وَفي رِوَايَةٍ أُخْرَى ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« ... عَلَيْكُمْ بِرُخْصَةِ اللهِ التِيْ رَخَّصَ لَكُمْ فَاقْبَلُوْهَا » وَإِنْ صَامَ أَجْزَأَهُ .

وَلِحَدِيْثِ : « هِيَ رُخْصَةٌ مِنَ اللهِ فَمَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُوْمَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ » .

وَعَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَمْرٍو الأَسْلَمِيْ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَصُوْمُ فِي السَّفَرِ؟ قال: «انْ شِئْتَ فَصُمْ، وَانْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ» والله أعلم، وصلى الله على مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ.

(فصـــــل)

٢ - فِيْمَنْ يُبَاحُ لَهُ الفِطْرُ وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ :

وَيُبَاحُ الفِطْرُ ، لحاضِرٍ سافر في أَثْنَاءِ النَّهار . لِحَدِيْثِ أَبِي بَصْرَةَ الغِفَارِيْ : أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِيْنَةٍ مِنْ الفُسْطَاطِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَدَفَعَ ، ثُمَّ قَرَّبَ غَدَاءَهُ ، فَلَمْ يُجَاوِزْ البُيُوتَ حَتَّى دَعَا بالسُّفْرَةِ ، ثُمَّ قَالَ : اقْتَرِبْ ! قِيْلَ : أَلَسْتَ تَرَى البُيُوت ؟ قَالَ أَتَرْغَبُ عَنْ سُنَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؟ فَأَكَلَ .

وَانْ صَامَ أَجْزَأَهُ ، لِحَدِيْثِ : « هِيَ رُخْصَةٌ مِنْ الله فَمَنُ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ » .

وَيُبَاحُ الفِطْرُ لِحَامِلٍ ، وَمُرْضِعٍ ، إِذَا خَافَتَا على أَنْفُسِهِمَا ، فَيُفْطِرَانُ وَيَقْضِيَانِ كَالمَرِيْضِ الخَائِفْ عَلَى نَفْسِهِ ، وانْ خَافَتَا عَلَى وَلَدَيْهِمَا أَفْطَرَتَا وَقَضَتَا ، وَلَزِمَ وَلِيُّ الوَلَدِ اطْعَامُ مِسْكِيْنٍ لِكُلِّ يَوْمٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَعَلى الذِيْنَ يُطِيْقُوْنَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِيْنٍ ﴾ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : « كَانَتْ رُخْصَةً لِلشَّيْخِ الكَبِيْرِ وَالمَرْأَةِ وَهُمَا يُطِيْقَانِ الصِّيَامَ أَنْ يُفْطِرَا وَيُطْعِمَا مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِيْناً وَالحُبْلَى وَالمُرْضِعُ إِذَا خَافَتَا عَلى أَوْلاَدِهِمَا أَفْطَرَتَا وَأَطْعَمَتَا » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ ابنُ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ وَلاَ مُخَالِفَ لَهُمْ مِنْ الصَّحَابَةِ وَلَيْسَ لِمَنْ جازَ لَهُ الفِطْرُ بِرَمَضَانَ أَنْ يَصُوْمَ غَيْرَهُ فِيْهِ لأَنَّهُ لاَ يَسَعُ غَيْرَ مَا فُرِضَ فِيْهِ وَلاَ يَصْلُحُ لِسِوَاهُ، وَيَجِبُ الفِطْرُ على مَنْ احْتَاجَهُ لإِنْقَاذِ مَعْصُوْمٍ مِنْ مَهْلَكَةٍ. كَغَرَقٍ لأَنَّهُ يُمْكِنُهُ تَدَارُكَ الصَّوْمِ بِالقَضَاءِ بِخِلاَفِ الغَرِيْقِ وَنَحْوِهِ، وَيَجِبُ الفِطْرُ على الحَائِضِ وَالنُّفَسَاءَ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

٣ ـ مَنْ عَرَضَ لَهُ جُنونٌ أَوْ اغْمَاءٌ:

وَمَنْ نَوَى الصَّوْمَ ثُمَّ جُنَّ أَوْ أُغْمِيَ عَلَيْهِ جَمِيْعَ النَّهارِ، وَلَمْ يُفِقْ جُزْءاً مِنْهُ لَمْ يَصِحَّ صَوْمُهُ لأَنَّ الصَّوْمَ: الإِمْسَاكُ مَعَ النِّيَّةِ لِحَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِيْ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِيْ . . . »، فَأَضافَ التَّرْكَ إِلَيْهِ، وَهُوَ لاَ يُضَافُ إلى المَجْنُونِ وَالمغْمَى عَلَيْهِ، فَلَمْ يَجُزْ والنِّيَّةُ وَحْدَهَا لاَ تُجْزِي، وَيَصِحُّ الصَّوْمُ مِمَّنْ أَفَاقَ جُزْءاً مِنْهُ حَيْثُ نَوَى لَيْلاً لِصِحَّةِ إِضَافَةِ التَّرْكِ إِلَيْهِ إِذاً، وَيُفَارِقُ الجُنُوْنُ الحَيْضَ بِأَنَّهُ لاَ يَمْنَعُ الوُجُوْبَ بَلْ يَمْنَعُ الصِّحَّةَ وَيَحْرُمُ فِعْلُهُ، وَيَصِحُّ صَوْمُ مَنْ نَامَ جَمِيْعَ النَّهار لأَنَّ النَّوْمَ عَادَةٌ لاَ يَزُولُ الاحْسَاسُ به بالكُلِّية لأَنَّه متَى نُبِّهَ انْتبَهَ. وَيَقْضِي مُغْمَى عَلَيْه زَمَنَ إغمائه لأَنَّهُ مُكَلَّفٌ، وَلأَنَّ مُدَّةَ الاغْماءِ لاَ تَطُوْلُ غَالباً، وَلاَ تَثْبُتُ الوِلاَيَةُ عَلَيْه، وَلاَ يَقْضِي مَجْنُونٌ زَمَنَ جُنُونه لِعَدَمِ تَكْلِيْفِه.

اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوباً أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ، وَلا تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنَّوَالِ وَجَادَ بِالإِفْضَالِ، اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكَ،

وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(١٤) مَوْعِظَـــةٌ

أَخْوَانِيْ إِنَّ الغَفْلَةَ عَنْ اللهِ مُصِيْبَةٌ عَظِيْمَةٌ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَكُوْنُوْا كَالذِيْنَ نَسَوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ فَمَنْ غَفَلَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَأَلْهَتْهُ الدُّنْيَا عَنْ العَمَلِ لِلدَّارِ الآخِرَةِ أَنْسَاهُ العَمَلَ لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ فَلَا يَسْعَى لَهَا بِمَا فِيْهِ نَفْعُهَا وَلَا يَأْخُذُ فِي أَسْبَابِ سَعَادَتِهَا وَاصْلَاحِهَا وَمَا يُكَمِّلُهَا وَيُنْسَى كَذَلِكَ أَمْرَاضَ نَفْسِهِ وَقَلْبِهِ وَآلَامَهُ فَلَا يَخْطُرْ بِبَالِهِ مُعَالَجَتُهَا وَلَا السَّعْيُ فِي إِزَالَةِ عِلَلِهَا وَأَمْرَاضِهَا التي تَؤُلُ إلى الهَلَاكِ وَالدَّمَارِ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ العُقُوْبَاتِ فَأَيُّ عُقُوْبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عُقُوْبَةِ مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ وَضَيَّعَهَا وَنَسِيَ مَصَالِحَهَا وَدَاءَهَا وَدَوَاءَهَا وَأَسْبَابَ سَعَادَتِهَا وَفَلَاحِهَا وَحَيَاتِهَا الأَبَدِيَّةِ فِي النَّعِيْمِ المُقِيْمِ وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا المَوْضِعَ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ كَثِيراً مِنَ الخَلْقِ قَدْ نَسُوْا أَنْفُسَهُم وَضَيَّعُوهَا وَأَضَاعُوا حَظَّهَا وَبَاعُوْهَا بِثَمَنٍ بَخْسٍ بَيْعَ المَغْبُوْنِ وَيَظْهَرُ ذَلِكَ عِنْدَ المَوْتِ وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ كُلُّهُ يَوْمَ التَّغَابُنِ «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُوْنَ» الآيةُ.

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَفساً إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إيْمَانِهَا خَيْراً ﴾ انَّهَا لَحَسْرَةٌ عَلى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ دُوْنَهَا كُلُّ حَسْرَةٍ، هَؤُلَاءِ هُمْ الذِيْنَ اشْتَرَوا الضَّلَالَةَ بِالهُدى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِيْنَ نَسْأَلُ اللهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ.

شِـعْرًا:

القَـلْبُ أَعْلَـمُ يا عَـذُوْلُ بِدَائـهِ ... مـا غيرُ دَاءِ الـذَّنْب مِن أَدْوَائِـهِ
والـذَّنْبُ أَوْلَى مَا بَكاهُ أَخُـوْ التُقَى ... وأَحَـقُّ مِنـكَ بِجَفْنِـهِ وبمـائِـهِ

فومَنْ أُحِبُّ لأَعْصِيَنَّ عَواذِلي ... قَسَماً به في أرْضِه وسَمائِه
من ذَا يَلُومُ أَخا الذُنُوبِ إذا بَكَىَ ... إنَّ المَلامةَ فِيه مِن أعْدَائِه
فَوَحقِّ مَن خَافَ الفُؤادُ وعِيْدَهُ ... ورَجَا مَثُوبَتَهُ وحُسْنَ جَزَائِه
ما كنتُ ممَّنْ يرتَضي حُسْنَ الثَّنَا ... ببَديعِ نَظْمِي في مَديحِ سِوَائِه
مَن ذَا الذي بَسَطَ البَسِيْطَةَ لِلْوَرَى ... فُرُشاً وتَوَّجَهَا بَسَقْفِ سَمائِه
مَن ذَا الذِي جَعَلَ النُجُومَ ثَواقِباً ... يَهْدِي بها السَّارِينَ فِي ظَلْمائِه
مَن ذَا أَتَى بالشمس في أُفُقِ السَّمَا ... تَجْرى بتَقْدِيرٍ على أَرْجَائِه
أَسِوَاهُ سَوَّاهَا ضِيَاءً نَافِعاً ... لا والذي رَفَعَ السَّمَا ببِنَائِه
مَن أطلَعَ القَمَرَ المُنِيرَ إذَا دَجَى ... لَيْلٌ فشَابَهَ صُبْحَهُ - بضِيائِه
مَن طَوَّلَ الأيَّامَ عندَ مَصِيفِهَا ... وأَتَتْ قِصَاراً عندَ فَصْلِ شِتَائِه
مَن ذَا الذي خَلَقَ الخَلائقَ كُلَّهَا ... وكَفَى الجَميعَ ببِرِّه وعَطَائِه
وأَدَرَّ للطِّفْلِ الرَّضِيْعِ مَعَاشَهُ ... مِن أمِّه يَمْتَصُّ طِيْبَ غِذَائِه
يا وَيْحَ مَن يَعْصِى الإلهَ وقَدْ رَأَى ... إحْسَانَهُ بنَوالِه ونَدائِه
ورأَى مَساكِنَ مَن عَصَى مِمَّنْ خَلاَ ... خلْواً تَصِيْحُ البُومُ في أَرْجَائِه
ودَعِ الجَبابِرَةَ الأَكَاسِرَةَ الأُلى ... وانْظُرْ لِمَنْ شَاهَدْتَ في عَلْوائِه
كَمْ شَاهَدَتْ عينَاكَ من مَلِكٍ غَدَا ... يَخْتَالُ بَيْنَ جيُوْشِه ولِوَائِه
مَلأَتْ لَهُ الدُنيا كُؤُوْساً حُلْوةً ... وَسَقَتْهُ مُرَّ السُّمِ في حَلْوائِه
ما طَلَّقَ الدُنْيَا إخْتِيَاراً إنَّما ... هِيَ طَلَّقَتْهُ ومَتَّعَتْهُ بِدَائِه
جَعَلتْ لَهُ الأَكْفَانَ كسْوةَ عُدَّةٍ ... واللَّحْدَ سُكْنَاهُ وبَيْتَ بَلاَئِه
ويَضُمُّهُ لا مُشْفقاً في ضَمِّهِ ... حَتَّى تَكُونَ حَشَاهُ فِي أَحْشَائِه
وهُنَاكَ يُغْلَقُ لَحْدُهُ عن أَهلِه ... بحِجَارَةٍ وبِطِيْنَةٍ وبِمَائِه
ويَزُوْرُهُ المَلَكَانِ قَصْدَ سُؤَالِه ... عن دِيْنِه لا عَنْ سُؤالِ سِوَائِه
فإذا أَجَابَ بـ «لَسْتُ» أَدْرِيْ أَقْبَلا ... ضَرْباً لَهُ في وَجْهِهِ وقَفَائِه
ويَرىَ مَنَازِلَهُ بقَعْرِ جَهَنَّمٍ ... ويُقيمُ في ضِيْقٍ لِطُول عَنَائِه

يـا ربِّ ثبِّتْنـا بقَــوْلٍ ثـابـتٍ عِنـدَ امْتِحَــانِ العَبـدِ تَحْتَ ثَرَائِـه
أَنـا مُـؤمـنٌ باللَّهِ ثُـمَّ برُسْـلِهِ وبكُتُبْــهِ وببَعْثِــهِ ولِقَــائِـهِ
ثـم الصــلاةُ على الرسـول محَمَّـدٍ والآلِ أهـل البيتِ أهـل كِسَائِـه

اللَّهُمَّ يامَنْ لاتَضُرُّهُ المعصيةُ ولا تنفعُهُ الطاعَةُ أيقظْنَا مِنْ نَومِ الغفلةِ وَنبِّهْنَا لاغتِنَام أوقاتِ المُهْلةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا واعْصِمْنَا من قبائِحِنَا ولاتؤاخِذنْا بما انْطَوَتْ عليهِ ضَمائِرُنَا وأكَنَّتْهُ سَرائِرُنَا مِنْ أنواع القَبَائِحِ والمعائِبِ التي تَعْلَمُها منا ، وامُنْ علينا يامولانا بتوبةٍ تموح بها عنا كُلَ ذَنْبٍ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ ياأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

مَوْعِظَة

إِخْوَاني أَيْنَ أَحْبَابُكُم الذين سَلَفُوا أَيْنَ أَتْرابُكم الذين رحَلُوا وانْصَرفوا ، أيْنَ أَصْحَابُ الأَموالِ وَمَا خَلَّفُوا .

ندموا والله على التفريط يا لَيْتهم عَرَفُوا هَوْلَ مَقَامٍ يَشِيْبُ منه الوليد ، إذا ﴿ وجاءَتْ سَكْرَةُ الموتِ بالحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ منه تَحيد ﴾ .

فَوَاعَجَباً لَكَ كُلَّمَا دُعِيْتَ إلى اللَّهِ تَوانَيْتْ ، وكُلَّما حَرَّكَتْكَ المواعظُ إلى الخيراتِ أَبيْتْ ، وعلى غَيِّكَ وجَهْلِكَ تَمادَيْتْ ، وكم حُذِّرت مَن المُنون فما التَفَتَ إلى قول الناصِحِ وتَركْتَهُ وما بالَيْتْ .

يا مَن جَسَدُهُ حَيٌ ولكِن قلبه مَيْت ، ستُعَاين عند قُدُوْمِ هَادِمِ اللَّذاتِ ما لا تَشْتَهِي وتُرِيْد ﴿ وجاءتْ سَكْرَةُ الموت بالحق ذلك ما كُنْتَ منه تحيد ﴾ .

كم أَزْعَجَ الموتُ نُفُوْساً من دِيَارِهَا ، وكم أتلَفَ البِلَى من أجسادٍ مُنَعَّمَةٍ لم يُدَارِهَا ، وكم أذَلَّ في التُراب وجوها ناعِمَةً بَعْدَ رِفْعَتِهَا واسْتِقْرارِها .

إنتبه يا أخي فالدنيا أَضْغَاثُ أحلام ، ودارُ فَنَاءٍ لَيْسَتْ بدَارِ مَقام ، سَتَعْرِفُ وتفهم نُصْحِي لَكَ بعدَ أيام .

وما غابَ عَنْكَ سَتَراه على التمام إذ اكُشفَ الغِطاء عَنْكَ وصَارَ بَصرُكَ حَديد ، وهناكَ تَنْدَمُ ولاتَ ساعَةَ ندم .

شعــــرا :

قُلْ للَّذي أَلِفَ الذُّنُـوبَ وَأَجْـرَمَا ... وغَـدَا عَلَى زَلاَّتِـهِ مُتَنـدِّمَـا

لا تيْأَسَنْ واطْلُبْ كَرِيماً دَائِمـًا ... يُوْلِي الجَمِيْل تَفَضُّـلاً وتكَـرُّمَا

يا مَعْشَـرَ العَاصِيْنَ جُوْدٌ وَاسِعٌ ... عند الإلـه لِمَـنْ يَتُـوبُ ويَنْـدَمَا

يا أَيُّهَا العَبْـدُ المُسِيْءُ إِلَى مَتَى ... تُفْنِي زَمَانَكَ في عسَـــى ولَرُبَّمَـا

بادِرْ إِلَى مَوْلَاك يا مَن عُمْرُهُ ... قَدْ ضَـاعَ في عِصْيَـانِهِ وتَصَـرَّمَا

واسْأَلْهُ عوفِيْقـاً وعَفْواً ثم قُلْ ... يَا رَبّ بَصرْني وزِلْ عَنّيْ العَمَـا

ثم الصلاةُ على النبي أَجَلِّ مَنْ ... قَدْ خُصَّ بالتَّقْرِيْبِ مِن رَب السَّما

وعلى صَحَابتِهِ الأفاضِـلِ كُلِّهِم ... ما سَبَّحَ الدّاعِي الإلٰـهَ وعَظَّمَـا

الهُمَّ انظمْنا في سِلكِ حِزبكَ المُفلِحين ، واجْعلنا مِنْ عبادِكَ المُخْلصيْنَ وآمِنَّا يومَ الفَزَعِ الأكبرِ يومَ الدِين ، واحشُرْنا معَ الذين أنعمتَ عليهم مَن النَبيين والصِّديقيْنَ والشُهداء والصالحيْنَ واغْفِرْ لنا ولوالِدِينا ولجميعِ المسلِمِيْنَ الأحياءِ منهم والميتينَ برحمتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحميْنَ ، وصلى اللَّهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين .

(**فصــــل**) يَحْرُمُ عَلى كُلِّ مُسْلِمٍ عَاقِلٍ تَنَاوُلُ مُفَطِّرٍ مِنْ غِيْرِ عُذْرٍ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – : أَنْ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ أَفْطَرَ يَوْماً مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُخْصَةٍ وَلَا مَرَضٍ ، لَمْ يَقْضِهِ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ وَإِنْ صَامَهُ » .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِي ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ

صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « بَيْنَما أَنَا نَائِمٌ أَتَانِي رَجُلاَنِ فَأَخَذَا بِضَبْعَيَّ فَأَتَيَا بِيْ جَبَلاً وَعْراً فَقَالاَ اصْعَدْ فَقُلْتُ إِنِّي لاَ أُطِيْقُهُ فَقَالاَ إِنَّا سَنُسَهِّلُهُ لَكَ فَصَعَدْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ في سَرَاةِ الجَبَلِ اذا بِأَصْوَاتٍ شَدِيْدَةٍ قُلْتُ مَا هَذه الأَصْوَاتُ قَالاَ هَذَا عُوَاءُ أهل النَّارِ ثُمَّ انْطُلِقَ بي فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِيْنَ بِعَرَاقِيْبِهِمْ مُشَقَّقَةً أَشْدَاقهم تَسِيْلُ أَشْدَاقُهم دَماً قالَ قلتُ مَنْ هَؤُلاءِ قَالَ الذِيْنَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ » الحَدِيْثِ رَوَاهُ ابنُ خُزَيْمَةَ وابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِمَا .

وَمِمَّا يَحْرُمَ على الصَّائِمِ الأَكْلُ وَالشُّرْبُ بَعَدَ تَبَيُّنِ الفَجْرِ الثَّانِي لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ... حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنْ الفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إلى اللَّيْلِ ﴾ .

فَمَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ مُخْتَاراً ذَاكِراً لِصَوْمِهِ أَبْطَلَهُ ، لِأَنَّهُ فَعَلَ مَا يُنَافي الصَّوْمَ لِغَيْرِ عُذْرٍ .

٢ ـ حُكْمُ مَا إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِياً :

وَلاَ يُفْطِرُ مَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِياً ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ ، فَانَّما أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ » .

وَرَوَى الحَاكِمُ قَوْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَفْطَرَ في رَمَضَانَ نَاسِياً فَلاَ قَضَاءَ عَلَيْهِ وَلاَ كَفَّارَةَ ، وَمَنْ اسْتَقَاءَ فَسَدَ صَوْمُهُ ، وَعَلَيْهِ قَضَاءٌ » .

وَمَنْ ذَرَعَهُ القَيْءُ فَلاَ شَيْءَ عَلَيْهِ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ ذَرَعَهُ القَيْءُ فَلاَ قَضَاءَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ اسْتَقَاءَ فَعَلَيْهِ القَضَاءُ » .

وَمِمَّا يُفَطِّرُ : الحِجَامَةُ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنْهُ ـ أَنَّ النَّبِي صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلَّمَ ، أَتَى عَلى رَجُلٍ بِالبَقِيْعِ وَهُوَ يَحْتَجِمُ في رَمَضَانَ ، فَقَالَ : أَفْطَرَ الحَاجِمُ والمَحْجُوْمُ » .

وَعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيْجٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ : « أَفْطَرَ الحَاجِمُ وَالمَحْجُوْمُ » .

وَمِمَّـا يَحْرُمُ عَلَى الصَّـائِمِ ، وَيُبْطِلُ صِيَـامَهُ الجِمَـاعُ في نَهَارِ رَمَضَانَ ، وَعَلَيْهِ القَضَاءُ وَالكفَّارَةُ ، وَهِيَ عِتْقُ رَقَبَةٍ فإِنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيْناً ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : بَيْنَما نَحْنُ جُلُوْسٌ عِنْدَ النَّبي صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلَمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : « هَلَكْتُ يَا رَسُوْلَ اللهِ ، قَالَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَمَا أَهْلَكَكَ ؟ قَالَ : وَقَعْتُ عَلى امْرَأَتِي في رَمَضَانَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ تجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً ؟ قَالَ : لاَ ، قَالَ : اجْلِسْ . وَمَكَثَ النَّبِي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَما نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أَتَى النَّبي صَلى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ بِعَرقٍ فِيْـهِ تَمْرٌ ، والعَـرُقُ المِكْتَلُ الضَّخْمُ ، قَالَ : أَيْنَ السَّائِلَ ؟ قَالَ أَنا قَالَ : خُذْ هَذَا فَتَصَدَّقْ بِهِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : أَعَلَى أفقرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللهِ ، فَوَاللهِ مَا بَيْنَ لاَ بَتَيْهَا ـ يُرِيْدُ الحَرَّتَيْنِ ـ أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِيْ ؟ فَضَحِكَ النَّبِي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَواجِذُهْ ، ثُم قَالَ « أَطعِمْهُ أَهْلَكَ » مُتفَقٌ عَلَيْهِ .

وَتَحْرُمُ المباشَرَةُ فِيْمَا دُوْنَ الفَرْجِ إِنْ ظَنَّ إِنْزالاَ ، فَإِنْ بَاشَرَ فِيْمَا دُوْنَ الفَرْجِ ، فَأَنْزَلَ مَنِيًا فَسَدَ صَوْمُهُ ، لأَنَّهُ إِنْزَالٌ عن مُبَاشَرَةٍ ، فَأَشْبَهَ الجِمَاعَ .

وَمِمَّا يُفَطِّرُ : (الرِّدَّةُ عَنْ الإِسْلاَمِ ـ أَعاذَنا اللهُ مِنْهَا) قَالَ اللهُ

تَعالَى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ، وَلَتَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ ﴾ الزُّمَر ٦٥ .

وَقَالَ تَعالَى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ في الآخِرَةِ مِنْ الخَاسِرِيْنَ ﴾ المائِدَة ٥ .

وَمِمَّا يُفَطِّرُ : إِيْصَالُ الأَغْذَيَةِ بالابْرَةِ إلى الجَوْفِ مِنْ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ لأَنَّهُ في مَعْنَى الأَكْلِ وَالشَّرْبِ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ وَأَمَّا الحُبُوبُ الغِذَائِيَّةِ وَالدَّوائِيَّةِ وَالمُشْتَرَكَةِ فَيُفْطِرُ مَنْ أَكَلَهَا . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

مَــوْعِظَــةٌ

عِبَادَ اللهِ إنَّ قَوَارِعَ الأَيَّامِ خَاطِبَةٌ ، فَهَلْ أُذُنٌ لِعِظَاتِهَا وَاعِيَةٌ ، وَإِنَّ فَجَائِعَ المَوْتِ صَائِبَةٌ فَهَلْ نَفْسٌ لأَمْرِ الآخِرَةِ مُرَاعِيَةٌ ، إِنَّ مَطَالِعَ الآمَالِ إلى المُسَارَعَةِ إلى الخَيْرَاتِ سَاعِيَةٌ أَلاَ فَانْظُرُوا بِثَوَاقِبِ الأَبْصَارِ وَالبَصَائِرِ في نَوَاحِيْ الجِهَاتِ وَالاقْطَارِ فَمَا تَرَوْنَ في حُشُوْدِكُمْ وَجُمُوعِكُمْ إلا الشَّتَاتَ وَلَا تَسْمَعُوا في رُبُوْعِكُم إلَّا فُلاَنٌ مَرِيْضٌ وَفُلاَنٌ مَاتَ أَيْنَ الآبَاءُ الأَكَابِرُ أَيْنَ العُلَمَاءُ العَامِلُونَ بِعِلْمِهِمْ الذِيْنَ لا تَأْخُذُهُمْ في اللهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ المُنَاصِحُوْنَ لِوُلاَتِهِمْ وَأَمَّتِهِم الزَّاهِدُونَ في حُطَامِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ أَيْنَ الكُرَمَاءُ الأَفَاضِلُ الذِيْنَ يَغَارُونَ إذَا انْتُهِكَتْ المَحَارِمُ أَيْنَ الهَاجِرُونَ المُصَارِمُونَ لِلفَاسِقِ وَالفَاجِرِ أَيْنَ المُنَاصِرُونَ لِلْقَائِمِ عَلى أَهْلِ المَعَاصِيْ وَالكَبَائِرِ أَيْنَ أَهْلُ الوَلاَءِ وَالبَرَاءِ المُحِبُّونَ في اللَّهِ المُبْغِضُونَ لأَعْدَائِهِ .

أَيْنَ المُتَقُّوْنَ لِمآكِلِهِمْ وَمَلاَبِسِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ عَنْ الحَرَامِ وَالمُشْتَبِهِ وَهُوَ مَا كَانَ القَلْبُ في الاقْدَامِ عَلَيْهِ وَالكَفِّ عَنْهُ حَائِرٌ .

أَيْنَ الذِيْنَ لاَ يَسْكُنُونَ إلا بِرِضَا صَاحِبِ المُلْكِ خَوْفاً مِن المُخَاطَرَةِ

مَا كَانَ القَلْبُ في الاقْدَام عَلَيْهِ وَالكَفّ عَنْهُ حَائِرٌ .

أَيْنَ الذِيْنَ لاَ يَسْكُنُونَ إلا بِرِضَا صَاحِبِ المُلْكِ خَوْفاً مِن المُخَاطَرَةِ في صَلاَتِهِمْ وَصِيَامِهِمْ وَنِكَاحِهِمْ ومُكْثِهِمْ في الامْلاَكِ المَسْكُوْنَةِ قَهْراً وَغَصْباً .

أَيْنَ المُتَفَقِّدُونَ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِيْنِ الذِينَ لَيْس لَهُم مَوَارِدٌ .

عَثَرَتْ وَاللهِ بِهِمْ العَوَاثِرُ وَأَبَادَتْهم السِّنِيْنُ الغَوَابِرُ وَبَتَرَتْ أَعْمَارُهُم الحَادِثَاتُ البَوَاتِرُ وَاخْتَطَفَهُمُ عَقَبَاتٌ كَوَاسِر . وَخَلَتْ مِنْهُمْ المشَاهِدُ وَالمَحَاضِرُ وَعُدِمَتْ مِنْ أَجسَادِهِمْ تِلْكَ الجَوَاهِرُ وَطَفِئَتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ الأَنْوَارُ الزَّوَاهِرُ وَابْتَلعَتْهُمْ الحُفَرُ والمَقَابِرُ إلى يَوم تُبْلى السَّرَائِرُ فَلَوْ كُشِفَتْ عَنْهُمْ أَغْطِيَةُ القُبُوْرِ بَعْدَ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاثِ لَيَالٍ لَرَأَيْتَ الأَحْدَاقَ عَلى الخُدُوْدِ سَائِلَةً وَالأَوْصَال بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مَائِلَةً وَدِيْدَانَ الأَرْضِ في نَوَاعِمِ تِلْكَ الأَبْدَانِ جَائِلَةً والرُّؤُسَ المُوَسَّدَةُ عَلَى الايْمَانِ زَائِلَةً يُنْكِرُهَا مَنْ كَانَ عَارِفاً بِهَا وَيَنْفُرُ عَنْهَا مَنْ لَمْ يَزَلْ آلِفاً بِهَا .

فَلاَ يُعْرَفُ السَّيدُ مِنْ المَسُوْدِ وَلاَ المَلِكُ مِنْ المَمْلُوكِ وَلاَ الذَّكِيُّ مِنْ البَلِيْدِ وَلاَ الغَنيُّ مِنْ الفَقِيْرِ فَرَحِمَ اللهُ عَبْداً بَادَرَ بالاقْلاعِ عَنْ السَّيِّئَاتِ وَوَاصَلَ الإسْرَاعَ وَالمبَادَرَةَ في الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ قَبْلَ انْقِطَاعِ مُدَدِ الأَوْقَاتِ وَطَيِّ صَحَائِفِ المُسْتَوْدَعَاتِ وَنَشْرِ فَضَائِحِ الاقْتِرَافَاتِ وَالجِنَايَاتِ فَلاَ تَغْتَرُّوا بِحَيَاةٍ تَقُوْدُ إلى المَمَاتِ فَوَربِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إنَّما تُوْعَدُوْنَ لآتٍ فَالبِدَارَ البِدَارَ قَبْلَ أَنْ تَتَمَنَّوا المُهْلَةَ وَهَيْهَاتَ .

اللَّهُمَّ أَرْزُقْنَا حِفْظَ جَوَارِحِنَا عَنْ المَعَاصِي مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنْ وَنَقِّ قُلُوبَنَا مِنْ الحِقْدِ والحَسَدْ وَالإحَنْ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخَيْبَةُ الرَّجَاءِ وَزَوَال النِّعْمَةِ. اللَّهُمَّ توفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَأَلْحِقْنَا بالصَّالِحِيْنَ غَيْرَ

خَزَايَا وَلَا مَفْتُوْنِيْنَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

شِعْرًا: نَمْضِي عَلَى سُبُلٍ كَانُوا لَهَا سَلَكُوا
أَسْلَافُنَا وَهُمُ لِلدِّيْنِ قَدْ شَادُوْا

لَنَا بِهِمْ أُسْوَةٌ إِذْ هُم أَئِمَّتُنَا
وَنَحْنُ لِلْقَوْمِ أَبْنَاءٌ وَأَحْفَادُ
وَالصَّبْرُ يَا نَفْسُ خَيْرٌ كُلُّهُ وَلَهُ
عَوَاقِبٌ كُلُّهَا نُجْحٌ وَإِمْدَادُ
فَاصْبِرْ هُدِيْتَ فَانَّ المَوْتَ مُشْتَرَكٌ
بَيْنَ الأَنَامِ وانْ طَاوَلْنَ آمَادُ
والنَّاسُ فِي غَفَلَاتٍ عَنْ مَصَارِعِهِمْ
كَأَنَّهُمْ وَهُمْ الأَيْقَاظُ رُقَّادُ
دُنْيَاً تَغُرُّ وَعَيْشٌ كُلُّهُ كَدَرٌ
لَوْلَا النُّفُوسُ الَّتِي لِلْوَهْمِ تَنْقَادُ
كُنَّا عَدَدْنَا لِهَذَا المَوْتِ عُدَّتَهُ
قَبْلَ الوَفَاةِ وَأَنْ تُحْفَرْنَ أَلْحَادُ
فَالدَّارُ مِنْ بَعْدِ هَذِي الدَّارِ آخِرَةٌ
تَبْقَى دَوَاماً بِهَا حَشْرٌ وَمِيْعَادُ
وَجَنَّةٌ أُزْلِفَتْ لِلْمُتَّقِيْنَ وَأَهْـ
ـلُ الحَقِّ وَالصَّبْرِ أَبْدَالٌ وَأَوْتَادُ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ قَبْلِ المَمَاتِ وَلَا
تَعْجَلْ وَتَكْسَلْ فَإِنَّ المَرْءَ جَهَّادُ

لَا يَنْفَعُ العَبْدَ إلا مَا يُقَدِّمُهُ
فَبَادِرِ الفَوْتَ وَاصْطَدْ قَبْلَ تصْطَادُ
وَالمَوْتُ لِلْمُؤْمِنِ الأَوَّابِ تُحْفَتُهُ
وَفِيْهِ كُلُّ الذِيْ يَبْغِيْ وَيَرْتَادُ
لِقَا الكَرِيْمِ تَعَالَى مَجْدُهُ وَسَمَا
مَعَ النَّعِيْمِ الذيْ مَا فِيْهِ أَنْكَادُ
فَضْلٌ مِنَ اللهِ إحْسَانٌ وَمَرْحَمَةٌ
فَالفَضْلُ لِلّٰهِ كَالآزَالِ آبَادُ
فَالظَّنُّ بِاللهِ مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا
ظَنٌّ جَمِيْلٌ مَعَ الأَنْفَاسِ يَزْدَادُ
نَرْجُوْهُ يَرْحَمُنَا نَرْجُوْهُ يَسْتُرُنَا
فَمِنْه لِلْكُلِّ إِمْدَادٌ وَإِيْجَادُ
نَدْعُوْهُ نَسْأَلُهُ عَفْواً وَمَغْفِرَةً
مَعْ حُسْنِ خَاتِمَةٍ فَالعُمْرُ نَفَّادُ
وَقَدْ رَضِيْنَا قَضَاءَ اللهِ كيفَ قَضَا
وَاللُّطْفَ نَرْجُو وَحُسْنُ الصَّبْرِ إرْشَادُ

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوْكِ مَنَاهِجِ المُتَّقِيْنِ ، وَخُصَّنَا بِالتَّوْفِيْقِ المُبِيْنِ ، وَاجْعَلْنَا بِفَضْلِكَ مِنْ المقَرَّبِيْنَ الذِيْنَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ، وَاغفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فصـل : ٣ - بَعْضُ فَوائِدِ الصِّيَام :

عِبَادَ اللهِ إنَّ لِشَهْرِ رَمَضَانَ شَرَّفَهُ اللهُ فَوَائِدُ عَظِيْمَةٌ وَمَنَافِعُ جَمَّةٌ وَآثَارٌ

حَسَنةٌ فَهُوَ يَضْبِطُ النَّفْسَ وَيُطْفِيءُ شَهْوَتَهَا فَانَّهَا إِذَا شَبِعَتْ تَمَرَّدَتْ فِي الغَالِبِ وَسَعَتْ فِي شَهَـوَاتِهَا ، وإِذَا جَاعَتْ سَكَنَتْ وَخَضَعَتْ وَامْتَنَعَتْ عَنْ مَا تَهْوَى ، فَفِي حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ : « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَانَّهُ لَهُ وِجَاءٌ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

ذَلِكَ أنه يَكسِر مِنْ شَهْوَةِ الشَّبَابِ حَتَّى لَا تَطْغَى عَلَيْهِ الشَّهْوَةُ ، فَكَانَ الصَّوْمُ وَسِيْلَةً إِلـى كَفِّ النَّفْسِ عَنْ المَعَاصِيْ ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ حَكِيْمٍ عَلِيْمٍ ، فَالصِّيَامُ يُرَبِّي فِي الإِنْسَانِ الفَضَائِلَ وَالإِخْلَاصَ والأَمَانَةَ وَالصَّبْرَ عِنْدَ الشَّدَائِدَ ، لِأَنَّهَا إِذَا انْقَادَتْ لِلامْتِنَاعِ عَنْ الحَـلَالِ مِنْ الغِذَاءِ الذِي لَا غِنَى لَهَا عَنْهُ طَلَباً لِمَرْضَاةِ اللهِ تَعَالَى وَخَوْفاً مِنْ أَلِيْمِ عِقَابِهِ .

فَالأَحْرَى بِهَا أَنْ تَتَمَرَّنَ عَلى الامْتِنَاعِ عَنْ الحَرَامِ الذي هِيَ غَنِيَّةٌ عَنْهُ وَتُبْعِدَ عَنْهُ كُلَّ البُعْدِ فَلَا يَغْدُرُ وَلَا يَخُوْنُ وَلَا يُخْلِفُ وَعْداً وَلَا يَكْذِبَ وَلَا يُرَائِي .

فَاذَا وَفَّقَهُ اللهُ لِصَوْنِ صِيَامِهِ عَنْ المُفْسِدَاتِ وَالمُنَقِّصَاتِ فَالصَّوْمُ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ سَبَبٌ فِي اتِّقَاءِ المَحَارِمِ وَقُوَّةِ العَزِيْمَةِ وَالتَّحَلي بالفَضَائِلِ وَالتَّخَلِّيْ عَنْ الرَّذَائِلِ ، وَالى هَذا أَشَارَ جَلَّ وَعَلَا بِقَوْلِهِ : ﴿ لَعَلَكُم تَتَّقُونَ ﴾ فَالصَّوْمُ يَدْعُو إِلى شُكْرِ نِعَمَةِ اللهِ ، إِذْ هُوَ كَفُّ النَّفْسِ عَنْ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ومُبَاشَرَةِ النِّسَاءِ ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ جَلَائِلِ نِعَمِ اللهِ عَلى خَلْقِهِ .

وَالامْتِنَاعِ عَنْ هَذِهِ النِّعَمِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى آخِرِهِ يُعَرِّفُ الإِنْسَانَ قَدْرَهَا ، إِذْ لَا يُعْرَفُ فَضْلُ النِّعْمَةِ إِلَّا بَعْدَ فَقْدِهَا فَيَبْعَثُه ذَلِكَ عَلى القِيَامِ بِشُكْرِهَا وَشُكْرُ النِّعْمَةِ وَاجِبٌ عَلى العِبَادِ ، والى هَذا

أَشَارَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُم تَشْكُرُونَ ﴾ .

وَأَيْضاً فَالصِّيَامُ يَبْعَثُ فِي الإِنْسَانِ فَضِيْلَةَ الرَّحْمَةِ بالفُقَرَاءِ وَالعَطْفِ عَلى البَائِسِيْنَ ، فَإِنَّ الإِنْسَانَ إذا ذاقَ أَلَمَ الجُوْعِ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ تَذَكَّرَ الفَقِيْرَ الجَائِعَ فِي جَمِيْعِ الأَوْقَاتِ فَيُسَارِعُ إلى رَحْمَتِهِ وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِ . قِيْلَ لِيُوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، وَكَانَ كَثِيرَ الجُوْعِ : لِمَ تَجُوعُ وَأَنْتَ عَلى خَزَائِنِ الأَرْضِ ؟ فَقَالَ : انِّيْ أَخَافُ أَنْ أَشْبَعَ فَأَنْسَى الجَائِعَ .

وَمِنْ فَوَائِدِ الصِّيَامِ مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّهُ يُنَقِّى الجِسْمَ مِنْ الفَضَلاتِ الرَّدِيْئَةِ وَرُطُوْبَاتِ الأَمْعَاءِ ، وَيَشْفِي كَثِيْراً مِنْ الأَمْرَاضِ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى ، وَفِيْهِ مِنْ المَزَايَا الصِّحِيَّةِ مَا شَهِدَ بِهِ العَدُوُّ قَبْلَ الصَّدِيْقِ ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ عَلِيْمٍ حَكِيْمٍ .

وَمِنْ فَوَائِدِ الصِّيَامِ أَنَّهُ يُقَوِّي النَّفْسَ عَلى البِرِّ وَالحِلْمِ وَهُمَا تَجَنُّبِ كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ اثَارَةُ الغَضَبِ لأَنَّ الصَّوْمَ نِصْفُ الصَّبْرِ ، وَالصَّبْرُ نِصْفُ الإِيْمَانِ كَمَا قَالَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلِمَا رَوَى النَّسَائِيْ عَنْ مُعَاذِ ابْنِ جَبَلَ فِي حَدِيْثِهِ الطَّوِيْلِ : أَنَّ النبي صَلى اللهُ عليهِ وَسَلم قَالَ لَهُ : (أَلاَ أَدلَكَ عَلى أَبْوَابِ الخَيْرِ ؟ قُلتُ : بَلى يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : الصَّوْمُ جُنَّةٌ فالصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنْ العَذَابِ وَمِنْ الاخْلاَقِ السَّيِّئَةِ) .

وَمَنْ يُلاَحِظْ حَالَ الصَّائِمِيْنَ المُوَفَّقِيْنَ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَحَرِّيْ الطَّاعَةِ وَتَحرِّي سُبُلَ الخَيْرَاتِ وَالابْتِعَادِ عَنْ المَعَاصِيْ وَالرَّغْبَةِ فِي الاحْسَانِ يُدْرِكُ أَنَّ الصَّوْمَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الهِدَايَةِ ، وَيُدْرِكُ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُم تَعْلَمُوْنَ ﴾ وَيُدْرِكُ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الصَّوْمُ جُنَّةٌ » وَيُدْرِكُ مَا فِيْهِ مِنْ تَهْذِيْبِ النَّفْسِ

وَتَطْهِيْرِهَا مِنْ الأَخْلَاقِ المَوْبُوْءَةِ وَتَرْوِيْضِهَا عَلى الطَّاعَاتِ وإِعْدَادِهَا لِلسَّعَادَتَيْنِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ ، وَحَسْبُكَ » في فَضْلِ الصِّيَامِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَخلوْفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيْحِ المِسْكِ » .

يَقُوْلُ اللهُ عَزَّ وَجلَّ يَذَرُ شهوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ لِأَجْلِيْ فَالصَّوْمُ لِيْ وَأَنَا أَجزِيْ بِهِ ، قَالَ ابْنُ القَيِّمُ رَحِمَهُ اللهُ وَقَدْ اخْتُلِفَ في وُجُوْدِ هَذِهِ الرَّائِحَةِ مِنْ الصَّائِمِ هَلْ هِيَ في الدُّنْيَا أو في الآخِرَةِ عَلَى قَوْلَيْنِ وَفَصْلُ النِّزَاعِ في المَسْأَلَةِ أَنْ يُقالَ حَيْثُ أَخْبَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ ذَلِكَ الطِّيْبَ يَكُوْنُ يَوْمَ القِيَامَةِ فلأَنَّهُ الوَقْتُ الذي يَظْهَرُ فِيْهِ ثَوَابُ الأَعْمَالِ وَمُوْجِبَاتُهَا مِنْ الخَيْرِ وَالشَّرِّ فَيَظْهَرُ لِلْخَلْقِ طِيْبُ ذَلِكَ الخُلُوفُ عَلى المِسْكِ كَمَا يَظْهَرُ فِيهِ دَمُ المَكْلُومِ في سَبِيْلِهِ كَرَائِحَةِ المِسْكِ وَكَمَا تَظْهَرُ في السَّرَائِرِ وَتَبْدُو عَلَى الوُجُوهِ وَتَصِيْرُ عَلاَنِيَةً وَيَظْهَرُ فِيْهِ قُبْحُ رَائِحَةِ الكفَّارِ وَسَوَادُ وُجُوْهِهِمْ وَحَيْثُ أَخْبَرَ بِأَنَّ ذَلِكَ حِيْنَ يَخْلُفُ وَحِيْنَ يُمْسُونَ فَلأَنَّهُ وَقْتُ ظُهُورِ أَثَرِ العِبَادَةِ وَيَكُوْنَ حِيْنَئِذٍ طِيْبُهَا عَلى رِيْحِ المِسْكِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى وَعِنْدَ مَلاَئِكَتِهِ وَانْ كَانَتْ تِلْكَ الرَّائِحَةُ كَرِيْهَةً لِلْعِبَادِ .

فَرُبَّ مَكْرُوْهٍ عِنْدَ النَّاسِ مَحْبُوبٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى وَبِالعَكْسِ فَإِنَّ النَّاسَ يَكْرَهُوْنَهُ لِمُنَافَرَتِهِ لِطِبَاعِهِمْ واللَّهُ تَعَالَى يَسْتَطِيْبُهُ وَيُحِبُّهُ لِمُوَافَقَتِهِ لِأَمْرِهِ وَرِضَاهُ وَمَحَبَّتِهِ فَيَكُوْنُ عِنْدَهُ أَطْيَبُ مِنْ رِيْحِ المِسْكِ عِنْدَنَا فَإِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ ظَهَرَ هَذا الطِّيْبُ لِلْعِبَادِ وَصَارَ عَلاَنِيَةً .

وَهَكَذَا سَائِرُ آثَارِ الأَعْمَالِ مِنْ الخَيْرِ وَالشَّرِّ وإِنَّمَا يَكْمُلُ ظُهُوْرُهَا وَيَصِيْرُ عَلاَنِيَةً في الآخِرَةِ .

شعـــرا :

لِلَّهِ قومٌ أَخْلَصُوْا في حُبِّهِ   فكَسَا وجُوهَهُمُ الوَسِيْمَةَ نُوْرَا

ذكَرُوْا النَّعِيْمَ فَطلَّقُوْا دُنْيَاهُمُوْا زُهْداً فَعوضَهُمْ بِذَاكَ أُجُوْرَا
قامُوْا يُنَاجُوْن الإِلٰهَ بأَدْمُعٍ تَجْرِي فَتَحْكِيْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً
سَتَرُوْا وَجُوهَهُمُوْا بأَسْتَارِ الدُّجَى لَيْلاً فأَضْحَتْ في النهارِ بُدُوْرَا
عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوْا وَجَادُوْا بالذي وَجَدُوا فأَصْبَحَ حَظهُم مَوْفُورَا
وإِذَا بَدَا لَيْلٌ سَمِعْتَ حَنِيْنَهُمْ وشَهِدْتَ وجْداً مِنْهُمُوْا وزَفِيْرَا
تَعِبُوْا قَلِيْلاً في رِضَا مَحْبُوبِهِمْ فأَراحَهُمْ يَوْمِ اللِّقَاءِ كَثِيْرَا
صَبَرُوا على بَلْوَاهُمُوا فَجَزَاهُمُوْا يَوْمَ القِيَامَةِ جَنَّةً وحَرِيْرا
يَا أَيُّهَا الغِرُّ الحَزِيْنُ إِلى مَتى تُفْنِي زَمَانَكَ بَاطِلاً وغُرُوْرَا
بَادِرْ زَمَانَكَ واغْتَنِمْ سَاعَاتِهِ واحْذَرْ تَوانَاكَيْ تَحُوزَ أُجُوْرَا
واضْرَعْ إلى المَوْلىَ الكَرِيمِ ونَادِهِ يَا وَاحِداً في مُلكِهِ وقَدِيْرَا
ما لِيْ سِوَاكَ وأَنْتَ غَايَةُ مَقْصَدِي وإِذَا رَضِيْتَ فَنِعْمَةً وسُرُوْرَا

اللَّهُمَّ اهْدِنَا بِهُدَاكَ أَلَى صِرَاطِكَ المُسْتَقِيم وَوَفِّقْنَا لِلقِيَامِ بِحَقِّكَ على الوَجْه المَطْلُوبِ يَا كَرِيْمُ وَاجْعَلْنَا يا مَوْلَانَا مِمَّنْ أَتَاكَ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ وَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ علَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(**فَصْلٌ**) يَجُوزُ لِمَنْ جَامَعَ بِاللَّيْل أَنْ لَا يَغْتَسِل حَتَّى يَطْلَعِ الفَجْرِ ، وَصَوْمُهُ صَحِيْحٌ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنها - أَنْ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، تُدْرِكُنِيْ الصَّلاةِ وَأَنَا جُنُبٌ أَفَأَصُوْمُ ؟ فَقَالَ رَسولُ اللهِ صَلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وأَنَا تُدْرِكُني الصَّلَاةُ وَأَنَا جُنُبٌ فَأَصُوْمُ » فَقَالَ : لَسْتَ مِثْلَنَا يَا رَسُولَ الله ، قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَقَالَ « وَاللهِ ، إِنِّي لأَرْجُوْ أَنْ أَكُوْنَ أَخْشَاكُمْ لَلَّهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي » .

وَعَنْ عَائِشَةَ ، وَأُمِّ سَلَمَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ النَّبِيَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كَانَ يُصْبِحُ جُنُباً مِنْ جِمَاعٍ غَيْرَ احْتِلَامٍ ، ثُمَّ يَصُومُ في رَمَضَانَ » .

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلم يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ جِمَاعٍ لَا حُلُمٍ ، ثُمَّ لَا يُفْطِرُ وَلَا يَقْضِي .

لَكِنْ يُسْتَحَبُّ لِمَنْ لَزِمَهُ الغُسْلُ لَيْلًا مِنْ جُنُبٍ وَحَائِضٍ ونُفَسَاءَ انْقَطَعَ دَمُهَا ، وَكَافِرٍ أَسْلَمَ ، أَنْ يَغْتَسِلَ قَبْلَ طُلُوعِ الفَجْرِ الثَّانِي .

وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَشْرَبَ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الصَّوْمُ في نَهَارِ رَمَضَانَ نَاسِياً أَوْ جَاهِلًا وَجَبَ عَلى مَن رَآهُ اعْلَامُهُ . لِأَنَّه مِنْ بَابِ الأَمْرِ بالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ وَمِنْ بَابِ النَّصِيْحَةِ لِلْمُسْلِمِ .

وَمَنْ أَكَلَ شَاكًّا في طُلُوعِ الفَجْرِ ، وَدَامَ شَكُّهُ ، فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ لِظَاهِرِ الآيَةِ ، وَانْ أَفْطَرَ يَظُنُّ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ غَابَتْ ، وَلَمْ تَغِبْ فَعَلَيْهِ القَضَاءُ ، لِمَا رَوَى هِشَام عَنْ عُرْوَةَ عَن فَاطِمَةَ امْرَأَتِهِ عَنْ أَسْمَاءَ ـ رَضِى اللهُ عنهَا ـ قَالَتْ : « أَفْطَرْنَا على عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلم في يَوْمِ غَيْمٍ ، ثُمَّ طَلَعَتْ الشَّمْسُ » قِيْلَ لِهِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ـ وَهُوَ رَاوِي الحَدِيْثِ ـ أُمِرُوا بِالقَضَاءِ ؟ قَالَ : لَا بُدَّ مِن قَضَاءٍ .

وَلَا يَفْسُدُ صَوْمُ مَنْ طَارَ الى حَلْقِهِ ذُبَابٌ ، أَوْ غُبَارٌ مِنْ طَرِيْقٍ ، أَوْ دَقِيْقٍ أَوْ دُخَانٍ ، لِعَدَمِ إمْكَانِ التَّحَرُّزِ مِنْهُ وَأَمَّا الدُّخَانُ الذي بُلِيَ بِهِ كَثِيْرٌ مِنْ النَّاسِ فَمُحَرَّمٌ وَيُفْطِرُ مَنْ شَرِبَهُ .

وَلَا يُفْطِرُ انْ فَكَّرَ فَأَنْزَلَ ، لِقَوْلِهِ صَلى اللهُ عَليه وَسَلم : « عُفِى لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَتَكَلَّمْ » .

وَلَا يُفطِرُ إنْ احْتَلَمَ ، لِإنَّ ذَلِكَ لَيْس بِسَبَبٍ مِنْ جِهَتِهِ .

وَمَنْ اغْتَسَلَ ، أَوْ تَمَضْمَضَ ، أَوْ اسْتَنْشَقَ فَدَخَلَ المَاءُ إلى حَلْقِهِ بِلَا

قَصْدٍ ، لَمْ يفْسُدْ صَوْمِهِ ، لِمَا وَرَدَ مِنْ أَنَّ عَائِشَةَ ، وَأُمَّ سَلَمَةٍ ـ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَتَا : « نَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ إنْ كَانَ لَيُصْبِحُ جُنُباً مِنْ غَيْرِ احْتِلَامٍ ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ ».

وَتُكْرَهُ المُبَالَغَةُ في المَضْمَضَةِ وَالإِسْتِنْشَاقِ لِلصَّائِمِ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ لَقِيطِ بْنِ صَبُرَةَ – رَضْيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ : « أَسْبِغْ الوُضُوءَ ، وَخَلِّلْ بَيْنَ الأَصَابِعْ ، وَبَالِغْ في الاسْتِنْشَاقِ إلا أَن تَكُونَ صائِماً » . واللهُ أَعلم .

اللَّهُمَّ اجْعَل قُلُوبنَا مَمْلوءَة بِحُبِّكَ وأَلْسِنَتِنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ وَنُفُوسَنَا مَطِيْعَةَ لِأَمْرِكَ وأَرْزَقْنَا الزُّهْدَ في الدُّنْيَا والإقبالَ على الاخرَةِ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« **فَصْلٌ** » : ٢ – ذِكْرُ أَشْيَاءَ تَحْرُمُ وَيَتَأَكَّدَ تَحْرِيْمُهَا في حَقِّ الصَّائِمِ :

يَجِبُ اجْتِنَابُ كُلِّ كَذِبٍ مُحَرَّمٍ ، أَمَّا الكَذِبُ لِتَخْلِيْصِ مَعْصُومٍ مِنْ قَتْـلٍ فَوَاجِبٌ ، قُلْتُ وَيَتَرَجَّحُ عِنْدي مِثْلُهُ أَيْضاً تَخْلِيْصُ مَالِهِ مِنْ ظَالِمٍ أَوْ قَاطِعِ طَرِيْقٍ أَوْ غاصِبٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ، وَالمالُ مُثْمَنٌ والأَحْسَنُ يَتَأَوَّلُ ، وَلا صْلَاحٍ بَيْنَ الـزَّوْجَيْنِ فَمُبَـاحٌ لِمَا وَرَدَ عَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَيْسَ الكَذَّابُ الذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْراً أَوْ يَنْمِي خَيْرا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

ثُمْ اعْلَمْ أَنَّ الدَّاعِي إلى الكَذِبِ مَحَبَّةُ النَّفْعِ الدُّنْيَوِيّ وَحُبُّ التُّرَاثِ **وَذَلِكَ أَنَّ المُخْبِرَ يَرَى أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلى المُخْبَرِ بِمَا عَلَّمَهُ فَهُوَ يَتَشَبَّهُ بِالعَالِمِ الفَاضِلِ فَيَظُنُّ أَنَّه يَجْلِبُ بِمَا يَقُوْلُهُ فَضْلاً وَمَسَرَّةً وَهُوَ يَجلِبُ بِه نَقْصاً وَفَضِيْحَةً فَالكذِبُ رَذِيْلَةٌ مَحْضَةٌ مِنْ أَرْذَلِ الرَّذَائِلِ يُنْبِىءُ عَنْ تَغَلْغُلِ الفَسَادِ في نَفْسِ صَاحِبِها وَعَنْ سُلُوكٍ يُنْشِىءُ الشَرَّ انْشَاءً فَالكَذِبُ يَتَصَدَّعُ**

بِهِ بُنْيَانُ المَجْتَمعِ وَبِهِ يَخْتَلُّ سَيْرُ الأمُوْرِ ، وَيُسْقِطُ صَاحِبَهُ مِنَ العُيُوْنِ وَلاَ يُوْثَقُ فِي قَولِهِ ، وَلاَ يُوْثَقُ بِهِ فِي عَمَلٍ ، وَلاَ يُرْغَبُ لَهُ مَجْلِسٌ ، وَأَحَادِيْثُهُ عِنْدَ النَّاسِ مَتْرُوْكَةٌ ، وَشَهَادَتُهُ مَرْدُوْدَةٌ وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليه وسَلم يُطْبَعُ المؤمِنُ عَلى الخِلاَلِ كُلِّهَا إلاَّ الخِيَانَةَ وَالكذِبَ رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ بَهْزِ بْنُ حَكِيْمٍ عَنْ أَبِيْهِ عَنْ جدِّهِ مَرْفُوْعاً وَيْلٌ لِلْذِي يُحَدِّثُ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ .

وَعَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ مَا كَانَ خُلُقٌ أَبْغَضَ إلى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ مِنَ الكَذِبْ وَلَقْد كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلم الكَذْبَةَ فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ أَحْدَثَ مِنْهَا تَوْبَةً رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَفِي الحَدِيْثِ الآخَرِ أَنهُ قِيْلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَم أَيَكُوْنُ المؤْمِنُ كذَّاباً قَالَ لاَ الحَدِيْثِ رَوَاهُ مَالِكٌ وَالبَيْهَقِي فِي شُعَبْ الايْمَانِ .

وَقَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ : إِيَّاكَ وَالكَذِبَ فَانَّهُ يُفْسِدُ عَلَيْكَ تَصَوُّرَ المعْلُومَاتِ عَلى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَيُفْسِدُ عَليْكَ تَصويْرَهَا وَتَعْلِيْمَهَا لِلنَّاسِ فَانَّ الكَاذِبَ يُصَوِّرُ المَعْدُومَ مَوْجُوْداً وَالمَوْجُوْدَ مَعْدُومَا وَالحَقَّ بَاطِلاَ وَالبَاطِلَ حَقًّا وَالخَيْرَ شَرًّا فَيُفْسَدُ عَلَيْهِ تَصَوُّرَهُ وَعِلْمَهُ عُقُوبَةً له ثُمَّ يُصَوِّرُ ذَلِكَ فِي نَفْسِ المُخَاطَبِ المُغْتَرِ بِهِ الرَّاكِنُ الَيْهِ فَيُفسِدُ عَلَيْهِ تَصَوُّرَهُ وَعِلْمَه وَنَفْسُ الكَاذِبِ مُعْرِضَة عَنْ الحَقِيْقَةِ المَوجُودَةِ تَوَّاعَةٌ إلى العَدَمِ مُؤْثِرَةٌ لِلْبَاطِلِ وَلِهَذَا كَانَ الكَذِبُ أَسَاسُ الفُجُوْرِ .

كَمَا قَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إنَّ الكَذبَ يَهْدِي إلى الفُجُوْرِ وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ ، وَأَولُ مَا يَسْرِي الكَذِبُ من النَّفس إلى اللِّسَانِ فَيُفْسِدُهُ ثُمَّ يَسْرِي إلى الجَوارِحِ فيُفْسِدُ عَلَيْهَا أَعْمَالَهَا كَمَا أفْسَدَ على اللسَانِ أَقْوَالَهُ فيَعُمُّ الكَذِبَ أقْوالَهُ وَأَعْمَالَهُ وَأَحْوالَهُ فَيَسْتَحْكِمُ عَلَيْهِ الفَسَادُ وَيَترامَى دَاؤهُ إلى الهُلَكَةِ انْ لَم يَتَدارَكْهُ اللهُ بِدَوَاءِ الصِّدْقِ بِقَلْعِ تِلْكَ المَادَّةِ مِنْ أَصْلِهَا .

وَلِهَذا كَانَ أَصْلُ أَعْمَالِ القُلُوبِ كُلِّهَا الصِّدْقَ وَأَضْدَادُهَا مِنْ الرِّيَاءِ وَالعُجْبِ وَالكِبْرِ وَالفَخْرِ وَالخُيَلاَءِ وَالبَطَرِ والأَشَر والعَجْزِ وَالكَسَلِ وَالجُبْنِ وَالمَهَانَةِ وَغَيْرِهَا أَصْلُهَا الكَذِبُ فَكُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ ظَاهِرٌ أَوْ بَاطِنٌ فَمَنْشَؤُهُ الصِّدْقُ وَكُلُّ عَمَلٍ فاسِدٍ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ فَمَنْشَؤُوهُ الكَذِبُ ، واللَّهُ تَعَالى يُعَاقِبُ الكَذَّابَ بِأَنْ يُقْعِدَهُ وَيُثَبِّطَهُ عَنْ مَصَالِحِهِ وَمَنافِعِهِ وَيُثِيْبُ الصَّادِقَ بِأَنْ يُوَفِّقَهُ لِلْقِيَامِ بِمَصَالِحِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ

وكان الصدق في صدر الإسلام أساساً في القول والعلم والمعاملة ، وخصوصاً فيما يتعلق بالدين وحفظ الحديث .

فقد وُرِثَتْ عن العُلماء الأوائل عُلومُ الدين مَضْبُوطة كامِلَةً كَما أُنزِلَت على رسولِ اللَّهِ ﷺ وحَدَّث عنها .

وكـان عُلماءُ الـدين وجـامِعُـوا أَحـاديثِ النبي ﷺ يَتَحرونَ صِدقَ المُحَدِّثِ بشَكْلٍ عَجِيْبٍ .

يَدْرُسُونَ حَيَاتَه ويَتَحقَّقونَ مِن أَقواله وأَعماله وأنه يأكل مِن كسْب يَدِهِ ولم يَدخل على سلطان في صُحْبَةٍ أو وظيفةٍ .

وأنه يُطَبِّقُ تَعَاليمَ الدِيْنِ كاملةً ولم تُعْهَدْ عليه كِذْبَة في حَيَاته . فعندها يُؤخَذُ عنه الحديث النبوي .

ومِثَالٌ على ما ذُكِرَ عن الامام أحمد رحمه الله أنه سَمِعَ بوُجُودِ حَدِيْثٍ عندَ عَالِمٍ بدمَشق فسافَر إليه مِن بغداد حتى وَصَل دمشق فمكث مُدَّةً يَسأل عن العالِم وعن أخلاقه ومُعَامَلته وكلامه .

حتى إذا وَثِقَ مِن صِدقه أتاه مُبكِّراً بعد أن اغتسل وتطيب ولبس أحسنَ ثيابه إجْلالاً لِلْحَدِيثِ ولمنْ يحمله .

ولما اقتربَ مِن بَيْته وَجَدَ العَالِمَ خارجاً مِن بَيته يَقودُ حِمارَهُ وقد كان حَمَّالاً يَكتَسِبُ رِزقَه .

فَرَفَضَ الحِمارُ أنْ يَسيْرَ مَعهَ فحاوَل أنْ يَجُره أو يَسُوقه بمُخْتَلَفِ الوَسَائِلِ ويأبَى الحِمار .

فَجمَعَ لَه طَرفَ جُبَّتِه وقَدَّمَهُ لِلْحِمار لِيُوهمه أَنَّ في الجُبَّةِ شَعِير أَو نحوه فَتَبعَه الحَمار .

فَنَظَر الإمام أحمد إلى الجبةِ فوجَدَهَا خَالِيَةً ما فيها شيء .

فَتَرَكَ أحمدُ العالم والأخْذَ عنه حَيثُ تَبيَّنَ له كَذبُه على الحِمار .

فلا يُؤتَمَن على الحديث الشريف أهـ .

سَلامِي على أَهْلِ الحَديثِ فإِنَّني	نَشَأْتُ على حُبِ الأَحَاديثِ مِن مَهْدي
هُمُوْا بَذَلُوا في حِفْظِ سُنَّة أَحْمَدٍ	وَتَنقِيْحِهَا مِن جُهْدِهِمْ غايَةَ الجُهْدِ
وأَعْني بِه أسْلافَ أُمَّةِ أَحمدٍ	أولَئكَ في بَيْتِ القَصيْدِ هُمُوْا قَصْدي
أُولَئكَ أَمْثَال البخارِي ومسلم	وأحمدَ أَهْلُ الجدِّ في العِلم والجَدِّ
بُحُورٌ وحَاشَاهُم عن الجَزْر إنَّما	لَهُم مَدَدٌ يأتِي مِن اللَّهِ بالمَدِّ
رَوَوْا وارْتَوَوْا مِن بَحْرِ عِلْمِ مُحمدٍ	ولَيْسَتْ لَهم تِلْكَ المَذاهب مِن وِرْدِ
كَفَاهُم كتابُ اللَّهِ والسُّنَّةُ التي	كَفتْ قَبْلَهم صَحْبَ الرَّسُول ذَوِي المَجْد
فمُقْتَدِيًا بالحق كُنْ لا مُقَلِّدًا	وخلِّ أخَا التَّقْليدِ في الأَسْرِ بالقِدِّ
فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ المقَلِّدِ في الهُدى	ومن يَقْتَدِي والضِدُّ يُعْرَفُ بالضِّدِّ

فَمَـنْ يَقْتَدِي أَضْحَى إِمَامَ مَعَارِفٍ وكانَ أُوَيْسًا فِي العِبَادَةِ وَالزُّهْـدِ

فَمَا اسْتُجْلِبَتْ مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ بِمِثْلِ الصِّدْقِ وَلاَ مَفَاسِدُهُمَا وَمَضَارُّهُمَا بِمِثْلِ الكَذِبْ قَالَ تَعَالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَكُوْنُوْا مَعَ الصَّادِقِيْنَ ﴾ وَقَالَ ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِيْنَ صِدْقُهُمْ ﴾ وَقَالَ ﴿ فاذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللّٰهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ﴾ .

شعـــرا :

عَلَيكَ بالصِّـــدِقِ وَلو أَنَّـــهُ أَحْرَقَكَ الصِّدْقُ بِنَارِ الوَعِـــيْدْ

واطلُبْ رِضَى المَوْلَى فأشقى الوَرَى مَنْ أَسْخَطَ المَوْلَى وأَرْضَى العَبِيْدْ

آخـــر :

عَوِّدْ لِسَانَـكَ قَوْلَ الصِّـدْقِ تَحْظَ بِهِ

إِنَّ الْـلِسَانَ لِمَـا عَـوَّدْتَ يَـعْـتَـادُ

مُـوَكَّـلٌ بِتَقَـاضِيْ مَـا سَنَنْتَ لَـهُ

فِي الصِّدْقِ وَالكِذْبِ فَانْظُرْ كَيْفَ يَرْتَادُ

اللّٰهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الايْمَانِ وَثَبِّتْهَا على قَوْلِكَ الثَّابِتْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وَتوفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَالْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِيْنَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ) فِي بَيَانِ أَنْوَاعِ الْكَذِبِ

وَيَتَنَوَّعُ الكَذِبُ الى أَنْـوَاعٍ ، فَمَا كَانَ مُتَعَلِّقاً بِـأَمْوَالِ النَّـاسِ وَأَعْرَاضِهِم وَأَنْفُسِهِم هُوَ مِنْ أَشَدِّ الكَبَائِرِ وَأَقْبَحِ الجَـرَائِمِ التِي تُضِرُّ بِالمُجْتَمعِ الانسَانِي ، وَتَقْضِي عَلى العَدْلِ ، فانَّ الذِي يَقُولُ الزُّوْرَ لِيَقْتَطِعَ حُقُوقَ عِبَادِ اللهِ أَوْ يَثْلِمَهُمْ فِي أَعْرَاضِهِمْ مِن كلِّ مَا يَضُرُّ الانْسَانِيَّةَ وَيُؤْلِمُهَا .

وَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِغَضَبِ اللهِ وَكَانَ سَبَباً في بَثِّ الفَوْضَى وإغْرَاءِ المُجْرِمِيْنَ عَلى اقْتِرَافِ الجَرَائِمْ فَيَنَالُوْنَ مِنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ وَأَمْوَالِهِمْ مَا يَشْتَهُوْنَ وَهُمْ آمِنُوْنَ مِنَ العُقُوْبَةِ لأَنَّهُمْ يَجِدُوْنَ شَاهِدَ الزُّوْرِ يُسَاعِدُهُمْ عَلى الافْلاَتِ مِنْهَا ، وَقَدْ أَكْبَرَ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَرَ قَوْلِ الزُّوْرِ وَأَعْظَمَ جُرْمَهُ كَمَا فِي الحَدِيْثِ قَالَ : « الاشْرَاكُ باللّهِ وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ ، وَكَانَ مُتَّكِئاً فَجَلَسَ ، فَقَالَ : أَلاَ وَقَوْلَ الزُّوْرِ ، فَمَا زَالَ يُكرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ » ، فَجُلُوسُهُ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ بَعْدَ اتِّكَائِهِ إهْتِمَاماً بِشَأْنِهِ ، وَصَدَّرَ قَوْلُه بِأَدَاةِ التَّنْبِيْهِ وَكَرَّرَ كَلِمَتَهُ حَتَّى شَقَّ عَلَى نَفْسِهِ وَبَدَا الغَضَبُ في وَجْهِهِ ، وَتَمَنَّى أَصْحَابُهُ لَوْ سَكَتَ .

وَقَوْلُ الزُّوْرِ يَشْمَلُ الشَّهَادَةَ بِالبَاطِلِ وَالحُكْمَ الجَائِرَ وَرَمْيَ الأَبْرِيَاءِ وَالقَوْلَ عَلَى اللهِ بِلاَ عِلْمٍ .

وَعَنْ خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ قَالَ صَلى رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وسَلم صَلاَةَ الصُّبْحِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَامَ قَائِماً فَقَالَ عَدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالإِشْرَاكِ باللهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَرَأَ : « فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّوْرِ حُنَفَاءَ لِلّهِ غَيْرَ مُشْرِكِيْنَ بِهِ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَابْنُ مَاجَهْ .

وَشَاهِدُ الزُّوْرِ يُسِيءُ الى نَفْسِهِ اذْ يَبِيْعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ، وَيُسِيءُ إلى مَنْ شَهِدَ لَهُ بإعَانَتِهِ عَلى ظُلْمِهِ ، وَيُسِيءُ إلى مَنْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ في إضَاعَةِ حَقِّهِ وَيُسِيءُ إلى القَاضِيْ الذي جَلَسَ لِيَتَحَرَّىٰ العَدْلَ لِيَحْكُمَ بِهِ وَيُنْصِفَ الضُّعَفَاءِ مِنْ الأَقْوِيَاءِ وَيَنْتَزِعَ حَقَّ المَظْلُومِ مِنْ الظَالِمَ بأَنَّهُ بِشَهَادَتِهِ بِالزُّوْرِ يُظَلِّلُه وَيَسُدُّ أَمَامَهُ طَرِيْقَ الحَقِّ وَيَفْتَحُ بَابَ البَاطِلِ .

وَبِهَذَا يَشُلُّ يَدَ العَدَالَةِ أَنْ تَقْتَصَّ لِلْمَظْلُوْمِ مِنْ الظَّالِمِ وَيُسِيءُ شَاهِدُ الزُّوْرِ إلى أَوْلادِهِ وَأُسْرَتِهِ لانَّه يُلَوِّثُها بِهَذِهِ السُّمْعَةِ السَّيِّئَةِ وَالفَائِهَةِ

القَبِيْحَةِ وَيَحْمِلُ النَّاسَ عَلى أَنْ يَقُوْلُوا لَهُمْ عَائِلَةُ المُزَوِّرِ ، وَأَعْظِمْ بِهَا مِنْ أَذِيَّةٍ لِلْمُسْتَقِيْمِيْنَ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «انَّ الصِّدْقَ يَهْدِيْ إلىٰ البِرِّ، وَالبِرُّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتَّ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيْقاً، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُوْرِ، وَإِنَّ الفُجُوْرَ يَهْدِيْ إلىٰ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفي الحَدِيث أَنَّ الكَذِبَ مِنْ صِفَاتِ النِّفَاقِ.

اللَّهُم إِنَّا نعُوذُ بِكَ مِنَ الشكِ بَعْدَ اليَقِيْنْ، وَمِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمْ، ومِن شَدَائِدِ يَوْم الدِيْن، وَنسْأَلُكَ رِضَاكَ والجَنَّةَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِن سَخَطِكَ والنَّارِ، اللَّهُمَّ أَتْمِمْ عَلَيْنَا نِعْمَتكَ الوَافِيَةَ وأرْزُقْنَا الإخْلَاصَ فِيْ أَعْمَالِنَا وَالصِّدْقَ في أَقْوالِنَا وَعُدْ عَلَيْنَا بإصْلَاحِ قُلُوبِنَا وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(فصْلٌ)

في التَّحْذِيْرِ مِنْ الغِيْبَةِ

وَيَجِبُ اجْتِنَابُ الغَيْبَةِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ أَيْ لَا يَتَنَاوَلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِظَهْرِ الغَيْبِ بِمَا يَسُوْؤُهُ ثُمَّ ضَرَبَ تَعَالَى لِلْغِيْبَةِ مَثَلًا فَقَالَ: « أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيْهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوْهُ » ، وَعَنْ البِرَاءِ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ عَن النبي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انهُ قَالَ ان أَرْبَى الرِّبَى اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيْهِ وَفي الحَدِيْثِ الآخرِ فَإِنَّ دِمَاءَكُم وَأَمْوَالكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً أَنَّ مِنَ الكَبَائِرِ اسْتِطَالَةُ المَرْءِ في عِرْضِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُقَلِّل كَلامَهُ إلا في ذكْرِ اللهِ وَمَا وَلَاهُ لِيَسْلَمُ ويَغْنَمْ.

أسْنَى كَلاَمِكَ ما أردْتَ بِفِعْلِهِ رُشْداً وَخيْر كَلاَمِك التَّسْبِيْحُ

شعرا: أَقْلِلْ كلاَمَكَ واسْتَعِذْ مِنْ شَرِه إنَّ البَلاءَ بِبَعْضِهِ مَقْرُوْنُ
واحْفَظْ لِسَانَكَ واحْتَفِظْ مِن غَيِّه حَتَّى يكون كَأنَّهُ مَسْجُوْنُ
وَكِّلْ فُؤآدَكَ باللِّسَانِ وَقُلْ لَهُ إنَّ الكَلاَمَ عَلَيْكُما مَوْزُونُ

آخر:

إنْ صُمْتَ عن مَأكل العَادِي ومَشْربِهِ فلا تُحَاوِلْ عَلى الأعْراضِ إفْطَارَا
يَغْدُ عَلى كَسْبِ دِيْنارٍ أخُوُ عَمَلَ لَوْ يُوْزَنُ الإثمُ فيهِ كأنَ قِنْطَارَا

وَعَنْ سَعِيْدِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ النَّبي صَلى اللهُ عليهِ وَسَلم قَالَ انَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبا الأَسْتِطَالة في عِرْضِ المُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

فَإنْ قِيْلَ مَا الغَيْبَةُ ؟ قِيْلَ قَدْ حَدَّهَا النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَدْ رَوَى أبُو هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُوْلِ اللّهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أتَدْرُونَ مَا الغِيْبَةُ ؟ قَالُوا : اللّهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ ، قَالَ (أحدهم) : أفرَأيْتَ انْ كَانَ في أخِي مَا أقُولُ ؟ قَالَ : إنْ كَانَ فِيْهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ ، وانْ لَمْ يَكُنْ فِيْهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ » أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

وَمِنْ الغِيْبَةِ التَّمْثِيْلِيَّاتِ لِلأشخَاصِ وَالهَيْئَاتِ وَمُحَاكَاتِهِمْ فِي اللِّبَاسِ عَلى وَجْهِ التَّنَقُّصِ وَالأسْتِهْتَارِ كَمَا يَفْعَلُهُ المُنْهَمِكُوْنَ في أكْلِ لُحُوْمِ الغَوَافِلِ . فَتَكُوْنُ الغِيْبَةُ بِالتَّعْرِيْضِ وَبِالكِنَايَةِ وَبِالحَرَكَةِ وَبِالرَّمْزِ وَالإشَارَةِ باليَدِ وَكُلُّ مَا يُفْهَمُ مِنْهُ المَقْصُودُ فَهُوَ دَاخِلٌ في الغِيْبَةِ وَهُوَ حَرَامٌ .

فَقَدْ وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ دَخلَتْ عَلَيْنَا امْرَأةٌ فَلَمَّا وَلَّتْ أوْمَأتُ بِيَدِي أيْ قَصِيْرَةٌ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ اغْتَبْتِهَا وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاودَ وَالترْمِذِي وَصَحَّحَهُ قَوْلُ عَائِشَةَ عَنْ صَفِيَّةَ أنَّها قَصِيْرَةٌ وَأنَّ النَّبي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ .

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بالنبي صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « وَنَظَرَ فِي البَابِ فَإِذَا قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الجِيَفْ ، قَالَ : « مَنْ هَؤُلآءِ يَا إِخِي يَا جِبْرِيْلُ » ؟ قَالَ : « الذِيْنَ يَأْكُلُونَ لُحُوْمَ النَّاس »

شِعْرًا : عَلامَ رَغِبْتَ بالأَوْزَار حَتّى ... رَغِبْتَ عن القِيامِ بَكُلِّ فَرْضٍ
بِضُرِّ النَّاسِ كَمْ تغْدُوْ وَلُوْعاً ... بأَنْيَابِ تُمَزِّقُ كُلَّ عِرْضٍ
فوَا عَجَباً لِمُغْتَابٍ زَنِيْم ... بِزُورِ القَوْلِ والبُهتانِ يِمْضِي
ولَمْ يَخْتَرْ سُلُوكاً غَيْرَ غَدْرٍ ... بهِ قَرَضَ الأَكَارِمَ شَرَّ قَرْضٍ
يَظَلُّ عَلى الفَسَادِ وَلَيْسَ يَدْرِي ... بِأَنَّ الله بَيْنَ الناسِ يَقْضِي

آخر: بَلاءٌ لَيْسَ يُشْبِهُهُ بَلاء ... عَدَاوةِ غير ذي حَسَبٍ ودين
يُبِيْحُكَ مِنْهُ عِرْضاً لم يَصُنْهُ ... ويَرْتَعُ مَنْكَ في عِرْض مَصُوْنِ

آخر: إذَا لَوْمَ الفَتَى لم يَخْشَ مِمَّا ... يُقَالُ وإنْ تَرادَفَهُ المَلامُ

آخر : وَذِيْ حَسَدٍ يَغْتَابُنِي حَيْثُ لا يَرَى ... مَكَانِي ويُثني صَالحاً حَيْثُ أَسْمَعُ
تَوَرَّعْتُ أَنْ أَغْتَابَهُ مِنْ وَرَائِهِ ... بِمَا لَيْسَ فيهِ وهْوَ لا يَتوَرَّعُ

وَقَالَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أُكْلَةً فَإِنَّ اللهَ يُطْعِمُهُ مِثْلَهَا فِي جَهَنَّمَ ، وَمَنْ كُسِيَ ثَوْباً بِرَجُلٍ مسلم فَإِنَّهُ يَكْسُوهُ مِثْلَهُ فِي جَهَنَّمَ وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ فَإِنَّ اللهَ يَقُوْمُ بِهِ مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ يَوْمَ القِيَامَةِ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

فَالغِيبَةُ عَادَةٌ مَرْذُوْلَةٌ ، كَثِيْراً مَا تَقْطَعُ الصِّلَةَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَتُثِيْرُ الأَحْقَادَ ، وَتُشَتِّتُ الشَّمْلَ ، ثُمَّ هِيَ مَعَ ذَلِكَ مَضْيعَةٌ لِلْوَقْتِ بالأشْتِغَالِ بِمَا يَضُرُّ الأنْسَانَ ، وَلاَ يَنْفَعُهُ . وَمِمَّا تَقَدَّمَ يَتَبَيَّنُ تَحْرِيْمُ الغِيْبَةِ وَخَطَرُهَا وَشَرُّهَا فَإِذاً يَجِبُ الأَنْكَارُ عَلَى المُغْتَابِ وَرَدْعُهُ .

وَقَدْ رَوَى جابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِي صَلى اللهُ عليه وسلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : مَا مِنْ امْرِىءٍ يَخْذُلُ امْرَءاً مُسْلِمَاً في مَوْطِنٍ تُنْتَهَكُ فِيْهِ حُرْمَتُهُ إلا خَذَلَهُ اللهُ في مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيْهِ نُصْرَتَهُ وَمَا مِنْ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ يَنْصُرُ امْرَءاً مُسْلِمَاً في مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيْهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيْهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إلا نَصَرَهُ اللهُ في مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيْهِ نُصْرَتَهُ .

وَفي حَدِيْثٍ آخَرَ عَنْ النَّبِي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أُذِلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نَصْرِهِ فَلَمْ يَنْصُرْهُ أَذَلَّهُ اللهُ عَلَى رُؤُوسِ الخَلاَئِقِ .

وَقَالَ عُمَرُ بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في خُطْبَتِهِ : لَا يُعْجِبَنْكُمْ مِنْ الرَّجُلِ طَفْطَفَتُهُ وَلَكِنْ مَنْ أَدَّى الأمَانَةَ وَكَفَّ عَنْ اعْرَاضِ النَّاسِ فَهُوَ الرَّجُلُ وَقَالَ أَيْضاً كَفَى بِالمَرْءِ عَيْبَاً أَنْ يَسْتَبِيْنَ لَهُ مِنْ النَّاسِ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَيَمْقَتُ النَّاسَ عَلَى مَا يَأْتِي .

قال بعضُ العُلماء إعْلَمْ أَنَّ الغِيْبَة مَعَ تَحْرِيْمِهَا شَرْعاً وعَقْلاً هِي عَيْنُ العَجْز ونَفْسُ اللؤْم ودَلِيْلُ النَّقْصَ تَأْبَاهَا العُقُولُ الكَامِلةُ والنُفُوسُ الفاضِلَةُ لِمَا فيها مِن انْحِطَاطِ الرُتْبَةِ وانْخِفَاضِ المنْزِلَةِ . قَالَ عَليُ بن الحُسَيْنَ : الغِيبَةُ إدَامُ كِلَابِ الناسِ

وَقَالَ الحَسَنُ يَا ابْنَ آدَمَ لَنْ تَنَالَ حَقِيْقَةَ الأيْمَانِ حَتَّى لَا تَعِيْبَ النَّاسَ بِعَيْبٍ هُوَ فِيْكَ وَتَبْدَأ بِذَلكَ العَيْبِ مِنْ نَفْسِكَ فَتُصْلِحهُ فَمَا تُصْلِحُ عَيْباً إلَّا تَرَى عَيْباً آخَرَ فَيكُونُ شُغْلُكَ في خَاصَّةِ نَفْسِكَ وَقِيْلَ لِرَّبِيْعِ بْنِ خَيْثَمْ مَا نَرَاكَ تَعِيْبُ أَحَداً ولاَ تَذُمُّهُ فَقَالَ مَا أَنَا عَلَى نَفْسِي بِرَاضٍ فَأَتَفَرَّغَ مِنْ عَيْبِهَا الى غَيْرِهَا وَلَقَدْ أَحْسَنَ القَائِلُ :

شَرُّ الوَرَى مَنْ بِعَيْبِ النَّاسِ مُشْتَغِلاً ... مُثْلُ الذُّبَابِ يُرَاعِي مَوْضِعْ العِلَلِ

آخر : وأُكْرِرُ نَفْسِي عن جَزَاءِ بِغِيْبَةٍ ... وكُلُ اغْتِيَابِ جُهْدُ مَ لَا لَهُ جُهْدُ

آخر : إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَعْرَاضَ الرِجالِ فإِنْ ... رَاقَتْ بِفِيْكَ فإِنَّ السُّمَ في الدَّسَم

آخر : إذا مَا ذَكَرْتَ النَّاسَ فَاتْرُكْ عُيُوبَهُمْ ... فَلا عَيْبَ إِلَّا دُوْنَ مَا مِنْكَ يُذْكَرُ

فإِنْ عِبْتَ قَوْمَاً بِالذي هُوَ فِيْهِمُ ... فَذَلِكَ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ مُنْكَرُ

آخر : يَمْنَعُنَيْ مِنْ عَيْبِ غَيْرِي الذي ... أعْرِفُـهُ عنـدي مِن العَـيْبِ

عَيْبِيْ لهمُ بالظـن مِنّـي بدا ... ولَسْتُ مِن عَيْبِـي في رَيْبِ

إِنْ كَانَ عَيْبِيْ غَاب عنهم فقد ... أَحْصَى عُيـوبي عالم الغَـيْبِ

وَبِالتَّالِي فَخَطَرُ اللُّسَانِ عَظِيْمٌ لَيس كَغَيْرِهِ مِنْ الأَعْضَاءِ فإِنَّ العَيْنَ لاَ تَصِلُ إلى غَيْرِ الأَلْوَانِ والصُّوَرِ وَالأُذُنُ لاَ تَصِلُ الى غَيْرِ الأَصْوَاتِ وَالْيَدُ لاَ تَصِلُ الى غَيْرِ الأَجْسَامِ واللُّسَانُ يَجُولُ في كُلِّ شَيْءٍ وَبِهِ يَبِيْنُ الأيْمَانُ مِنَ الكُفْــرِ .

لعُمْركَ مَا لِلْمَرْءِ كالرَّبِ حَـافظُ ... وَليسَ سِوَى القُرآن لِلْمَرء وَاعِظُ

لِسَانك لا يُلقِيْكَ في الغي لفَظُـهُ ... فإِنْكَ مَأْخوذٌ بِمَا أَنْتَ لافِـظُ

وَقَدْ رَوَى أَنَسُ بنُ مَالكٍ ـ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَن النَّبي صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهُ قَالَ لاَ يَسْتَقِيْمُ ايمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيْمَ قَلبُه ولاَ يَسْتَقِيْمَ قَلْبُه حَتَّى يَسْتَقِيْمَ لِسَـانُهُ .

قُلْ لِلّذِي لَسْتُ أدْرِيْ مِن تَلَوُّنِهِ ... أَنَاصِـحٌ أمْ عَلى غِشٌ يُداجِيني

إنّي لأَكْثِرُ مِمَّـا سُمتني عَجباً ... يَدٌ تَشُجُّ وأُخْرَى مِنْـكَ تَأسُوني

تَغْتَابُني عِنْدَ أقْـوامٍ وتَمْدَحُنِـي ... في آخرِيْنَ ، وكُلٌّ عَنْـكَ يَأتِيْني

هَذانِ أمْرانِ شَـتَّى البَوْنُ بَيْنَهُمَا ... فاكْفُفْ لِسَانَك عَنِ ذَمِّي وتَزيِيْنِي

لَوْ كُنْتُ أعْلَمُ مِنْكَ الودَّ هَانَ إذاً ... عَليَّ بَعْضُ الذِي أصْبَحْتَ تُوْلِيني

لاَ أسْأَلُ الناسَ عَمَّا في ضَمَـائِرهم ... مَا فِي ضَمِيرى لهمُ مِن ذَاكَ يَكْفِيني

أرْضَى عن المـرءِ مَا أصْفَى مَوَدَّتَهُ ... ولَيْسَ شَيءٌ مِن البَغْضَاءِ يُرْضِيني

واللهِ لَوْ كَرِهَتْ كَفِّي مُصاحَبَتِـي ... لَقُلْتُ إذْ كَرِهَتْ قُرْبى لَهَا بِينِـي

ثم انْثَنيْتُ على الأُخْرَى فَقُلْتُ لَهَا : أنْ تُسْنِدِينِي والاَّ مِثْلَهَا كُوْنِي
لَا أبْتَغِي وُدَّ مَن يَبْغِي مُقَاطَعتِي ولَا أَلِينُ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِينِي
إنّى كَذَاكَ إِذَا أَمْرٌ تَعَرَّضَ لِي خَشِيْتُ مِنْهُ عَلى دُنْيايَ أَوْ دِيْنِي
خَرَجْتُ مِنْهُ وَعِرْضِيْ مَا أَدَنّسُهُ وَلَمْ أَقُمْ غَرَضاً لِلنَّذْلِ يَرْمِيْنِي
رُبَّ امرِىءٍ أَجْنَبِيٌّ عَن مُلاطَفَتِي مَحْضِ المَوَدّةِ في البَلْوَى يُوَاسِيْنِي
ومُلْطِفٍ بِي مُدَارٍ ذِيْ مُكَاشَرَةٍ مُغْضٍ عَلَى وَغَر في الصَّدْرِ مَكْنُونِ
لَيْسَ الصَّدِيقُ الذي تُخْشَى بَوادِرَهُ ولا العَدُوُّ عَلَى حال بِمَأمُوْنِ
يَلُومنِي الناسُ فِيْمَا لَوْ أُخُبِرُهُم بالعُذْرِ مِنّيْ فيه لَمْ يَلُومُونِي

اللَّهُمَّ وَفِّقنا لِصَالِحِ الأَعْمالِ وأَكْفِنَا بِحَلالِكَ عن حَرَامِكَ وبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سَوَاكْ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْر وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلم.

«**فَصْلٌ**»: وَفِي الصَّحِيْحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنْ النبي ﷺ قَالَ: «انَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيْهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ» وَأَخْرَجَ الترمذِي وَلَفْظُهُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ الشَّرِّ مَا يَعْلَمُ مَبْلَغَهَا يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ» رَوَاهُ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ وَرَوَاهُ مَالِكُ وَالتِّرْمِذِي وَابْنُ مَاجه نَحْوَهُ.

فَالغِيْبَةُ مِن آفَاتِ اللسَانِ وَمِنْ الذُّنُوبِ التَّي قَلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنْهَا كَالكَذِبِ وَالرِّيَاءِ وَالرِّبَا وَالمدَاهَنَةِ.

وإذَا فَهِمْتَ مَا سَبَقَ فَاعْلَمْ أَنَّ الذُّنُوبَ المُتَعَلِّقَةَ بِحُقُوقِ العِبَادِ لا تُمْحَى إلا أَنْ عَفَوْا عَنْهَا أو رُدَّتْ لَهُمْ مَظَالِمَهُمْ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْ النَّبِي صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الدَّوَاوِيْنُ عِنْدَ اللهِ ثَلاثَةٌ: دِيْوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئاً، وَدِيْوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شَيْئاً، وَدِيْوَانٌ لَا يَغْفِرُهُ اللهُ، فَأَمَّا الدِّيْوَانُ الذِي لَا يَغْفِرُهُ اللهُ فَالشِّرْكُ بِاللهِ».

قَالَ تَعَالَى : ﴿ إنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ ﴾ الآيَةِ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ انَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةُ ﴾ .

وَأَمَّا الذِي لاَ يَعْبأُ اللهُ بِهِ شَيْئاً فَظُلمُ العَبْدِ نَفْسَهُ فِيْمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ مِنْ صَوْمِ يَوْمٍ تَرَكَهُ أَوْ صَلاةٍ ، فَإنَّهُ يَغْفِرُ ذَلِكَ وَيَتَجاوَزَ انْ شَاءَ وَأَمَّا الدِّيْوَانُ الذِي لاَ يَتْرُكُ مِنْهُ شَيْئاً فَظُلمُ العِبَادِ بَعْضَهُمْ بَعْضاً القِصَاصُ لاَ مَحالَةَ رَوَاهُ أَحْمَدَ فِي مُسْنَدِهِ وَالحَاكِمْ فِي مُسْتَدْرَكِهِ فَظُلْمُ العَبْدِ نَفْسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ هُوَ اخَفُّ الدَّوَاوِيْنِ وَأَسْرَعُهَا مَحْواً فانَّهُ يُمْحَى بِالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ وَالحَسَنَاتِ المَاحِيَةِ وَالمَصَائِبِ المُكَفِّرَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَلاَ رَيْبَ أَنَّ الغِيْبَةَ جِنَايَـةٌ عَلَى أَعْرَاضِ النَّـاسِ وَهُمْ غَافِلُوْنَ فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يَتَحَلَّـلَ مِمَّنْ اغْتَابَهُ وَيَطْلُبَ مِنْهُ العَفوْ انْ كَانَ لَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ وَيَتُوْبُ وَيَتَنَدَّمُ وَيَسْتَغْفِرُ لِمَنْ اغْتَابَهُ وَيَذْكُرُهُ بِمَا فِيْهِ مِنَ الخِصَالِ الحَسَنَةِ عِنْدَ مَنْ اغْتَابَهُ عِنْدَهُمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْحَمَهُ وَيَغْفِرَ لَهُ إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيْمٌ .

وَتَقَدَّمَ حَدِيْثُ أَنَسٍ وَقَوْلُهُ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إنَّ مِنْ كَفَّارَةِ الغِيْبَةِ أَنْ تَسْتَغفِرَ لِمَنْ اغْتَبْتَهُ تَقُوْلُ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ » .

واعْلَمْ أَنَّهُ إذَا تَرَتَّبَ عَلَى الغِيْبَةِ مَصْلَحَةٌ أَوْ دَرْءُ مَفْسَدَةٍ كَانَتْ لاَزِمَةً وَإذَا تَرَتَّبَ عَلَيْهَا أَمْرٌ جَائِزٌ فَجَائِزَةٌ ، وَيُمْكِنُ ضَبْطُ الأَوَّلُ فِي خَمْسَةِ أُمُورٍ أَوْ سِتَّةِ أُمُوْرٍ .

الأَوَّلُ : المَظْلُومُ الذِي يُرِيْدُ أَنْ يَشْكُوَ لِمَنْ يَرْفَعُ مَظْلَمَتَهُ ، فَلَهُ أَنْ يَذْكُرَ عَيْبَ ظَالِمِهِ الذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي بَيَانِ حَقِّهِ .

الثَّانِي : الأسْتِعَانَةُ عَلَى تَغْيِيرِ المُنْكَرِ لِمَنْ يَظُنُّ أَنَّ لَهُ قُدْرَةً عَلَى إِزَالَتِهِ ، فَإِنَّ لَهُ أَنْ يَقُوْلَ : إِنَّ فُلاناً ارْتَكَبَ كَذَا وَفَعَلَ كَذَا .

الثَّالِثُ : الأسْتِفْتَاءُ فَإِنَّهُ يَجُوْرُ لِلْمُسْتَفْتِي أَنْ يَقُوْلَ لِلْمُفْتَى : إِنَّ فُلاَناً ظَلَمَنِي في كَذَا وَكَذَا ، فَهَلْ يَجُوْزُ لَهُ ذَلِكَ مَثَلاً ؟

الرَّابِعُ : التَّحْذِيْرُ فَيُحَذِّرُ المُسْلِمِيْنَ مِنْ شَرِّ مَنْ يَتَصَدَّى لِلزَّعَامَةِ فِي أُمُوْرِهِمْ العَامَّةُ ، أَوْ مَنْ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ القَضَاءُ في مَصَالِحِهِمْ ؛ أَوْ مَنْ يَتَصَدَّى لإِفْتَائِهِمْ وَتَعْلِيْمِهِمْ ، كَالزُّعَمَاءِ في الشّؤون الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَـوِيَّةِ وَالشُّهُودِ وَالمُدَرِّسِينَ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّنْ يُشْتَرَطُ فِيْهِمْ الأَمَانَةُ والإِتِّصَافِ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ ، فَيَصِحُّ أَنْ يُبَيِّنَ مَا فِيْهِمْ مِنْ النَّقَائِصْ وَالعُيُوْبِ وَيَرْفَعَ بِأَمْرِهِمْ لَيَبْعَدُوا .

الخَامِسُ : أَنْ يَتَجَاهَرَ بِفِسْقِهِ ، وَقَدْ قَالَ صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلاَّ المُجَاهِرُونَ .

حَذارِ حَذارِ مِن شَيْطَـانِ إِنْسٍ ... به لَعِبَ الهَـوَى مَـع شَرِّ رَهْـطِ
يُرِيْكَ تَمَلُّقاً مَن غَيْرِ أَصْـلٍ ... ويُبْـدي لِلخِـداعِ لِسَانَ بَسْطِ
رُرُيْدَكَ لا تُغَـرَّ بِهِ وحَـاذِرْ ... وُقُوعَكَ فِي حَضِيْضِ هَوانِ سُخْطِ
فلا تَصْحَبْ سِوَى خِلٍّ تَحَلَّـى ... بِإِيْمَـانٍ قَوِيْـمٍ لَيْس يُخْطِـي
تَنَـلْ عِزّاً ومَجـداً واعْتِبَـاراً ... وَرَبُّكَ خَيْرَ فضْـلٍ منـه يُعْطِي

اللَّهُمَّ وفقنا لِصالِح الأعمال وأكفنا بِحَلالِكَ عن حَرامكَ وبِفضلكَ عَمَّنْ سِواك إنك على كل شيء قدير وَللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فصـــل)

وَأَسْبَابُ الغِيْبَةِ أَحَدَ عَشَرَ :

١ – تَشَفِّي الغَيْظِ بِذِكْرِ مَسَاوِي المَوْقُوْعِ فِي عِرْضِهِ بالغِيْبَةِ قَوْلاً أَوْ فِعْلاً .

مُوَافَقَةُ الأَقْرَانِ وَالزُّملاءِ وَمُساعَدَتُهُمْ وَيَرَى ذَلِكَ في حُسْنِ المُعَاشَرَةِ ، وأَنَّهُ لَوْ أنكر عليهم اسْتَثقَلوُه فيُسَاعِدُهم على ذلك .

٣ - أَنْ يَسْتَشْعِرَ مِنْ إنْسَانٍ أنّه سَيَقْصِدُهْ وَيُطَوِّلُ لِسانَهُ عَلَيْهِ أوْ يُقَبِّحَ حَالَهُ عِنْدَ مُحْتَشِمٍ فَيُبَادِرَهُ فَيَطْعَنُ فِيْهِ لِيُسْقِطَ شَهَادَتَهُ أو يَبْتَدِيء بذكر ما فيه صَادِقاً عَليه لِيَكْذِبَ عَليه بَعْدَه فَيُروجُ كذِبَهُ بالصِدْقِ الأول نَسأل اللّٰه العافية .

والْيَحْذَرِ الانسانُ مِن ذِي الوجْهَين الذي يَأتي هَؤُلَاء بوجْهْ وهؤلاء بوجـه قـال بعضهم .

يَسْعَى عليك كما يَسْعَى إلَيْكَ فَلا تَأْمَنْ غَوائِلَ ذِيْ وجْهَيَنُ كَذَّابِ

٤ ـ أَنْ يُنْسَبَ إلَيْهِ شَيءٌ فَيَذْكُرَ أَنَّ الذِي فَعَلَهُ فُلانٌ وَيَتَبَرَّأ مِنْهُ مَعَ أَنَّ التَّبَرُّأ يَحْصَلُ بِدُونِ أَنْ يَذْكُرَ الغَيْرَ بِشَخْصِهِ .

٥ ـ أَنْ يَنْطَوِي عَلَى عَدَاوَةِ شَخْصٍ وَيَحْسِدَهُ فَيَرْمِيْهِ بِمَسَاوِيءَ وَمَعائِبَ يَنْسِبُهَا إلَيْهِ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ عَنْهُ وَيُسْقِطَ مَهَابَتَهُ وَمَكَانَتَهُ مِنَ النُّفُوسِ وَيَقْصِدُ بِذَلِكَ اثْبَاتُ فَضْلِ نَفْسِهِ وَلَكِنَّ العَاقِلَ اللَّبِيْبَ يَعْرِفُ أنَّهُ ما أَضَرُّ عَلَى الأَعْدَاءِ وَلاَ أَشَدُّ مِنَ التَّمَسُّكِ بِالأَخْلَاقِ الفَاضِلَةِ وَالإِعْتِرَافِ بِالفَضْلِ لِأَهْلِهِ كَمَا قِيْلَ :

وَمَا عَبَّرَ الأَنسَانُ عَنْ فَضْـلِ نَفسِهِ بِمِثْلِ إعْتِقَادِ الفَضْلِ فِيْ كُلِّ فَاضِلِ
وَلَيْسَ مِنْ الأَنْصَـافِ أَنْ يَدْفَعَ الفَتَى يَدَ النَّقْصِ عَنْهُ بِانْتِقَاصِ الأَفاضِـلِ

آخــر :

أَرَى كُلَّ إنسانٍ يَرَى عِيْبَ غيْره وَيَعْمَى عن العيب الذِي هو فيه
وما خَيْرُ مَنْ تَخْفَى عليه عُيُوبُهُ وَيَبْدُوْ لَهُ العَيْبُ الذي بأخِيْهِ
وكَيْفَ أُرَى عَيْباً وعَيْبِي ظاهِرٌ وما يَعْرِفُ السَّوْآتِ غَيْرُ سَفِيْهِ

فإذا رأيت إنساناً مُبْتَلَى بِسَبِ الغَوافِلِ وأكْلُ لُحُومِهم يُريد بذلكَ رِفعةَ نَفْسِهِ وخَفْضِ الغَيْرِ كَأنْ يَقُولَ فلانٌ جاهلٌ أو فَهْمُهُ ضَعِيْف أو لا يُحْسِنْ التعلِيمَ أو عِبَارَتُه رَكِيْكَةٌ أو لا يُحْسِنُ الخطابةَ أو نحو ذلك مما تَتَدَرَّجُ به إلى اظهارِ فَضْلٍ لِنَفْسِهِ بِسَلَامتِهِ مِن تِلكَ العُيوبِ والنقائِصِ فقل له اتقِ الله هذا لا يَرفَعُكَ

ولا يزيلُ مافيكَ مِن النقائصِ اقْتَصِرْ على تأملِ عُيوبكَ فهو أولى بكَ يامَغْرُوْر .

٦ - أنْ يَقْدَحَ عِنْدَ من يُحِبُّ الشَّخْصَ حَسَدَاً لِأكرامِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ لَهُ .

٧ - أنْ يَقصِدَ اللَّعِبَ وَاهَزَلَ وَالمُزَاحَ وَالمُطَايَبَةِ وَيُضْحِكَ النَّاسِ .

٨ - السُّخْرِيَةُ وَالأَسْتَهْزَاءُ بِالشَّخْصِ اسْتِحقَاراً لَهُ وَهُوَ يَجْرِي في الحُضُورِ والغَيْبَةِ وَمَنْشَؤهُ التَّكَبُّرُ واستِصْغَارُ المستَهْزَأ بِهِ وَزْدِرَاءُهُ . وهذا غَالبٌ على كُلِّ مَنْ نزلَتْ هِمَّتُهُ ورَكَّتْ حالتُه وصَارَ يُضْحِكُ النَّاس .

شعـــــر :

إنْ صُمْتَ عن مأكْلِ العادي ومَشْرَبِهِ فلا تُحَاوِلْ على الأَعْرضَ إفطَارَا

٩ ـ أنْ يَتَعَجَّبَ مِنْ فِعْلِ الغَائِبِ لِلْمُنْكَرِ وَهَذَا مِنْ الدِّيْنِ لَكِنْ أدَّى إلى الغِيْبَةِ بِذِكْرِ اسْمِهِ فَصَارَ مُغْتَاباً مِنْ حَيْثُ لاَ يَدْرِيْ .

١٠ ـ أنْ يَغْتَمَّ لِسَبَبْ مَا يُبْتَلى بِهِ فَيَقُوْلُ مِسْكِيْنٌ فِلاَنٌ قَدْ غَمَّنِي أمْرُهُ وَمَا أبْتُلِي بِهِ مِنْ المَعْصِيَةِ وَغَمّهُ وَرَحْمَتهُ خَيْرٌ لَكِنْ سَاقَهُ إلى شَرٍّ وَهُوَ الغِيْبَةُ مِنْ حَيْثُ لا يَدْرِي أنَّهُ صَاغَهَا بِصِيْغَةِ التَّرَحُّمِ والتَّوَجُّعِ .

١١ ـ أظْهَارُ الغَضَبِ لِلَّهِ عَلَى مُنْكَرٍ قَارَفه إنْسَانٌ فَيَذْكُرُ الأنْسَانَ بِاسْمِهِ وَكَانَ الوَاجِبُ أنْ يُظْهِرَ غَضَبَهُ عَلَى فَاعِلِهِ وَلاَ يُظْهِرَ عَلَيْهِ غَيْرَهُ بَلْ يَسْتُرُ اسْمَهُ وَهَذِهِ الثَّلاثَةُ رُبَّمَا تَخْفَى عَلَى العُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ العِلْمِ فَضْلاً عَن العَوامِّ وَلِذَلِكَ تَسْمَعُ مِنْهُم كَثِيْراً مَا يَقُوْلُونَ فُلاَنٌ وَنِعْمَ لَوْلا أنَّه يَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا يُعَامِلُ بالرِّبَا مَثلا وَكَانَ الوَاجِبُ نُصْحُهُ بَدَلَ الغِيْبَةِ ولكِنْ يَا أخي بَشِرْ الموقوع في عِرْضِهِ بغِيْبَةٍ أو قَذْفٍ أوَ سَبٍّ أوْ نَمٍّ أو نحو ذلك بأنَّهُ سَيَفرحُ ويَسْتُرُ حِيْنَ مَا يأخُذُ حَسَنَاتٍ ما تعِبَ بها في لَيْلٍ ولا نَهَارٍ ولا صَيْفٍ ولا شِتَاءٍ وَهل أحْلَى وألَذَ مِن حسَنَاتٍ تأتيك ما تَعِبْتَ بِهَا .

شعـــــرا :

يُشَـارِكُـكَ المُغْتَـابُ في حَسَنَـاتِـهِ
وَيُعْـطِيْكَ أجْـرَىْ صَـوْمِـهِ وَصَـلاتِـهِ

وَيَحْمِلُ وِزْراً عَنْكَ ظَنٌّ بِحَمْلِهِ
عَنْ النُّجْبِ مِنْ أبْنَائِهِ وَبَنَاتِهِ
فَكَافِئْهِ بِالحُسْنَى وَقُلْ رَبِّ جَازِهِ
بِخَيْرٍ وَكَفِّرْ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ
فَيَا أيُّهَا المُغْتَابُ زِدْنِي فَإنْ بَقِيْ
ثَوَابُ صَلاةٍ أوْ زَكَاةٍ فَهَاتِهِ
فَغَيْرُ شَقِيٍّ مَنْ يَبِيْتُ عَدُوُّهُ
يُعَامِلُ عَنْهُ اللهَ في غَفَلاَتِهِ
فَلاَ تَعْجَبُوا مِنْ جَاهِلٍ ضَرَّ نَفْسَهُ
بِامْعَانِهِ في نَفْعِ بَعْضِ عُدَاتِهِ
وَأعْجَبُ مِنْهُ عَاقِلٌ بَاتَ سَاخِطاً
عَلى رَجُلٍ يُهْدِي لَهُ حَسَنَاتِهِ
وَيَحْمِلُ مِنْ أوْزَارِهِ وَذُنُوبِهِ
وَيَهْلَكُ في تَخْلِيْصِهِ وَنَجَاتِهِ
فَمَنْ يَحْتَمِلْ يَسْتَوْجِبِ الأجْرَ وَالثَّنَا
وَيُحْمَدُ في الدُّنْيَا وَبَعْدَ وَفَاتِهِ
وَمَنْ يَنْتَصِفْ يَنْفَخْ ضِرَاماً قَدْ انْطَفَى
وَيَجْمَعُ أسْبَابَ المَسَاوِيْ لِذَاتِهِ
فَلاَ صَالِحٌ يُجْزَي بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَلا حَسَنٌ يُثْنَى بِهِ في حَيَاتِهِ
يَظَلُّ أخُو الانْسَانِ يَأْكُلُ لَحْمَهُ
كَمَا في كِتَابِ اللهِ حَالَ مَمَاتِهِ
وَلاَ يَسْتَحِيْ مِمَّنْ يَرَاهُ وَيَدَّعِي

بـأنَّ صِفَـاتِ الكَلبِ دُوْنَ صِفَـاتِـهِ
وَقَـدْ أكَلاَ مِنْ لحْمِ مَيْتٍ كِـلاَهُمَـا
وَلَكِنْ دَعَى الكَلْبَ اضْـطِرَارُ اقْتِيَاتِـهِ
تَسَـاوَيْتُمَـا أكْـلاً فَـأشْقَـاكُمَـا بِـهِ
غَـداً مَنْ عَلَيْهِ الخَـوْفُ مِنْ تَبعُـاتِـهِ
وَمَـا لِكَـلامٍ مَـرَّ كَـالـرِّيْـحِ مَـوْقِـعُ
فَيَبْـقَى على الانْـسَـانْ بَـعْضُ سِمَـاتِـهِ

اللَّهُمَّ أرْزُقْنَا حِفْظَ جَوَارِحِنَا عَنْ المَعَاصِي مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنْ وَنَقِّ قُلُوبَنَا مِنْ الحَقْدِ وَالحَسَدْ وَالإِحَنْ. اللَّهُمَّ إنَّا نَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخَيْبَةُ الرَّجَاءِ وَزَوَال النِّعْمَةِ. اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَأَلْحِقْنَا بالصَّالِحِيْنَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُوْنِيْنَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعاهُ دَاعٍ وأفْضَلَ مَن رجاهُ راجٍ ياقَاضِيَ الحَاجَاتِ، ومُجيْبَ الدعواتِ، هَبْ لَنَا ما سَألناهُ، وحقق رَجَاءَنا فيما تَمَنَّيْنَاهُ، يا مَنْ يَملِكُ حَوَائِجَ السائِلينَ ويَعلمُ ما في صُدُورِ الصَّامِتينَ أذقنا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: ومِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ وَلَا يَتِمُّ الصِّيَامُ لِمَنْ لَمْ يَجْتَنِبْهُ النَّظَرُ إلى المَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ وَالرَّجُلِ الأَمْرَدِ لِغَيْرِ ضَرُوْرَةٍ أَوْ حَاجَةٍ شَرْعِيَّةٍ لِأَنَّ المَرْأَةَ كُلُّهَا عَوْرَةٌ لا يَصِحُّ أَنْ يَرَى مَنْ لَيْسَ مِنْ مَحَارِمِهَا شَيْئاً مِنْ جَسَدِهَا وَلَا شَعْرِهَا المُتَّصِلِ بِهَا وَمَا تَفْعَلُهُ بَعْضُ نِسَاءِ هَذَا الزَّمَانِ مِنْ التَّبَرُّجِ وَالتَّجَمُّلُ في الأَسْوَاقِ مَا هُوَ مُجَاهَرَةٌ بِالمَعَاصِيْ وَتَشَبُّهُ بِنِسَاءِ الأفرَنْجِ.

فَمِنْ أَعْظَمِ المُنْكَرَاتِ وَأَفْظَعِهَا خُرُوجُ المْرأَةِ كَاشِفَةً رَأْسِهَا أَوْ عُنُقَهَا أَوْ نَحرَهَا أَوْ ذِرَاعَيْهَا أَوْ سَاقَيْهَا أَوْ وَجْهِهَا أَوِ الجَمِيْعَ أَوْ الثِّيَابِ المُظْهِرَةِ

لِلْمَفَاتِنِ أَوْ اللِّبَاسِ الشَّفافِ الذي وُجودُهُ كَعَدَمِهِ لَا يَسْتُرُ مَا تَحْتَهُ فَهَذَا دَاخِلٌ في التَّبرجُ فَيجِبُ عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَمْنَعَ نِسَاءَهُ وَمَنْ لَهُ عَلَيْهِنَّ وِلَايَة وَيقْبَلْنَ مِنْهُ جَمِيْعَ مَا تَقدَّمَ وَيُلزِمُهُنَّ السَّتر وَالتَّحفُّظ وَيَنْصح إِخوانَهُ المُهْمِلِيْنَ لِلمُتَّصِفَاتِ بِذَلِكَ .

وَمِنْ الآدَابِ التِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِهَا نِسَاءَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلمَ مَعَ أَنهُنَّ القُدْوَةُ الحَسَنَة في العَفَافِ والتُقى وَالتَّسَتُّرِ والحَيَاءِ وَالايْمَانِ وَمَعَ حَياءِ النَّاسِ مِنْهُنَّ وَاحْتِرَامِهِمْ لَهُنَّ مَا ذَكَرَهُ تَعَالَى في سُوْرَةِ الأَحْزَابِ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَقَرْنَ في بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُوْلَى ﴾ .

قَالَ مُقَاتِلُ : التَبرُّجُ أَنَّهَا تُلْقِيْ الخِمَارَ عَلى رَأْسِهَا وَلَا تَشُدُّهُ فَيُوارِى قَلَائِدَهَا وَقُرْطَهَا وَعُنُقَهَا وَيَبْدُوُ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْهَا وَذَلِكَ التَّبَرُّجُ .

وَقَالَ تَعَالَى آمِراً لِعِبَادِهِ المُؤْمِنِيْنَ أَنْ يَغُضُّوْا مِنْ أَبْصَارِهِمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ فَلا يَنْظُرُوا إِلَّا لِمَا أَبَاحَ لَهُمْ النَّظَرُ إِلَيْهِ : « قُلْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ يَغُضُّوْا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوْجَهُمْ » .

قَالَ أَبُو حَيَّانٍ في تَفْسِيْرِهِ : قُدِّمَ غَضُّ البَصَرِ عَلَى حِفْظِ الفُرُوْجِ لأَنَّ النَّظَرَ بَرِيْدُ الزِنَا وَرَائِدُ الفُجُوْرِ وَالبَلْوَى فِيه أَشَدُّ وَاكْثَرُ لا يَكَادُ يَقْدِرُ على الاحْتِرَازِ مِنْهُ ، وَهُوَ البَابُ الأَكْبَرُ إِلىَ القَلْبِ وَأَعْمَرُ طُرُقِ الحَوَاسِّ إِلَيْهِ وَيَكْثُرُ السُّقُوْطُ مِنْ جِهَتِهِ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ والفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلَا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ ﴾ قَالَ البَغَوِي : أَيْ خِيَانَتُهَا ، وَهِيَ اسْتِرَاقُ النَّظَرِ إِلى مَالَا يَحِلُّ .

قَالَ مُجَاهِدُ: هُوَ نَظَرُ الأَعْيُنِ إِلى مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ .

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ـ أَنَّ النَّبي صَلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ

قال : « كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبُهُ مِنْ الزِّنَا ، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ ، العَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعِ ، وَاللِّسانُ زِنَاهُ الكَلَامُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

شعرا: تَخَيَّرْ مِنَ الطُّرْقِ أَوْسَاطَهَا　　وعَدِّ عن الجـــانب المُشْتَبِهْ
وسَمْعَكَ صُنْ عن سَمَاعِ القَبِيْحِ　　كَصَوْنِ اللِّسَانِ عن النُّطْقِ بِهْ
فإنَّكَ عِنْدَ اسْتِمَاعِ القَبِيْحِ　　شَرِيْكٌ لِقَائِلِهِ فانْتَبِـــهْ

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِي عَنْ ابْنِ مَسْعُوْدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ يَعْنِي عَنَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُوْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيْسَ مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَتِي أَبْدَلْتُهُ إِيْمَاناً يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِيْ قَلْبِهِ .

وَرَوَى الاصْبَهانيْ عَنْ أَبِيْ هُرَيرَة قَالَ : قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ كُلُّ عَيْنٍ بَاكِيَةٌ ، يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا عَيْناً غَضَّتْ عَنْ مَحارِمِ اللهِ وَعَيْناً سَهِرَتْ في سَبِيْلِ اللهِ وَعَيْناً خَرَجَ مِنْهَا مِثْلُ رَأْسِ الذُّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ . وَأَخْرَجَه الامَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ في حِيْحِهِ وَقَالَ صَحِيْحُ الإِسْنَادِ وَاعْتَرَضَهُ المُنْذِرِي .

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اضْمَنُوْا لي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لكمُ الجَنةَ اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُم وَأَوْفُوا اذَا وَعَدْتُم وَأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنْتُم واحْفَظُوْا فُرُوْجَكُم وغُضُّوْا أَبْصَارَكُم وَكُفُّوا أَيْدِيَكُم . وَقَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ والنَّظَرُ أَصْلُ عَامَّةِ الحَوادِثِ التي تُصِيْبُ الانْسَانَ فانَّ النَّظْرَةَ تُوَلِّدُ خَطْرَةً ثُمَّ تُوَلِّدُ الخَطْرَةُ فِكْرَةً ثم تُوَلِّدُ الفِكْرَةُ شَهْوَةً ثم تُولِدُ الشَّهْوَةُ إِرَادَةً ثم تَقْوَى فَتَصِيْرُ عَزِيْمَةً جَازِمَةً فَيَقَعُ الفِعْلُ وَلَا بُدَّ مَا لَمْ يَمْنَعْ مَانِعٌ .

وَفي هَذَا قِيْلَ: الصَّبْرُ عَلى غَضِّ النَّظَرِ مِنْ الصَّبْرِ عَلى أَلَمِ بَعْدَه .

كُلُ الحَوادِثِ مَبْدَاهَا مِن النظرِ ... ومُعْظَمُ النَّارِ من مُسْتَصْغَرِ الشررِ
والعَيْنُ أصْلُ عَناهَا فِتْنَةُ النَّظرِ ... والقَلْبُ كُلُ أَذاهُ الشُّغْلُ بالفِكَرِ
كَمْ نَظْرَةٍ نَقَشَتْ في القَلْبِ صُوْرَةَ من ... رَاحَ الفُؤَادُ بِهَا في الأسْرِ والحَذرِ
والمَرْءُ ما دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا ... في أعْيُنِ العِيْن مَوقُوفٌ على الخَطَر
يَسرُّ مُقْلَتَهُ ماضَرَّ مُهْجَتَهُ ... لا مَرْحَباً بِسُرُوْرٍ جَاءَ بالضَّررِ
فالقَلْبُ يَحْسُدُ نُوْرَ العَيْنِ إذْ نَظَرَتْ ... والعَيْنُ تَحْسُدُهُ حَقاً على الفِكَرِ
يَقُولُ قَلْبِي لِعَيْنِي كُلَّمَا نَظَرَتْ ... كَمْ تَنْظُرِيْنَ رَمَاكِ اللهُ بالسَّهَرِ
فالعَيْن تُورثُهُ هَماً فَتُشْغِلُهُ ... والقَلْبُ بالدمْعِ يَنْهَاهَا عن النَظَرِ
هَذَانِ خَصْمَانِ لا أَرضَىٰ بِحُكْمِهِمَا ... فاحْكُمْ فَدَيْتُكَ بَيْن القَلْبِ والبَصَرِ

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِليه القَوْم وأَيْقِظْنَا مِن سِنةِ الغَفْلَةِ والنَّوم وأرزِقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ اليَوْمِ الذي يَرْبَحُ فيه المُتَّقُونَ، اللَّهُمَّ وعامِلنَا بإحْسَانِكَ وَجُدْ علينا بِفَضْلِكَ وامْتِنَانِكَ واجعلنا مِن عِبادِكَ الذين لا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، اللَّهُمَّ ارحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ واجعلْ رَغْبَتَنَا فِيما لَدَيْكَ، ولا تَحْرِمنا بِذُنوبنا، ولا تَطْرُدْنَا بعُيوبنا، واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَلِيْ: «يا عَلي لا تُتْبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فإِنَّ لَكَ الأوْلَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ» رَوَاهُ أَحْمَدُ والتِّرْمِذِيُّ وَأَبُوْ دَاوُدَ وَالدَّارِمِيْ.

وَفي حَدِيْثِ جَرِيْرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُوْلَ اللهِ صَلى اللهُ عليه وَسَلَّمَ عَنْ نَظْرَةِ الفُجَاءَةِ فَقَالَ: اصْرِفْ بَصَرَكَ وَرَوى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيرةِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ انَّ المَرْأَةَ تُقْبِلُ في صُوْرَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبِرُ في صُوْرَةِ شَيْطَانٍ فَاذَا رَأَى أَحَدَكُمْ مِنْ امْرَأَةٍ

مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَانَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا في نَفْسِهِ .

وَعَنْ ابنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ المَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَاذَا خرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ .

وَعَنْ أَبِيْ سَعِيْدٍ الخُدْرِيْ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنْ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلمَ أنه قالَ : » إنَّ الدُّنيا حُلوَةٌ خَضرةٌ وإنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيْهَا فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنيا وَاتَّقُوْا النِّسَاءَ فَإن أَوَّل فِتْنَةِ بَنِيْ اسْرَائِيلَ في النِّسَاءِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنّ أبِيْ أُمَامَةَ عَنْ النَّبِي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَا مِن مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إلى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوَّل مَرَّةٍ ثُمَّ يَغُضُّ بَصَرَهُ إلاَّ أَحْدَثَ اللهُ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلاوَتَهَا » رَوَاهُ أَحْمَدُ .

شِعْراً :

لَا تَخْلُ بِامْرَأَةٍ لَدَيْكَ بِرِيْبَةٍ
لَوْ كُنْتَ فِيَ النُّسَّاكِ مِثْلَ بَنَانِ
وَاغْضُضْ جُفُونَكَ عَنْ مُلَاحَظَةِ النِّسَاء
وَمَحَاسِنِ الأَحْدَاثِ وَالصِّبْيَانِ
إنَّ الرِّجَالَ النَّاظِرِينَ الى النِّسَاء
مِثْلُ الكِلَابِ تَطُوْفُ بِاللُّحْمَانِ
إنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللُّحُومَ أُسُوْدُهَا
أُكِلَتْ بِلَا عِوَضٍ وَلَا أَثْمَانِ

آخــــر :

لَيْسَ الشجاعُ الذي يَحْمِي فَرِيْسَتَهُ عِندَ النِزالِ ونارُ الحَرْبِ تَشْتَعِلُ
لَكِنَّ مَنْ غَضَّ طَرْفًا أو ثَنَىَ قَدَماً عَنِ الحَرامِ فَـذَاكَ الدرِاعُ البَطَلُ

اللَّهُمَّ نَجّنا برحمتِكَ مِن النارِ وعافِنا مِن دارِ الخِزْيِ والبَوَارِ وأَدْخِلنا بِفَضْلِكَ الجَنَّةَ دارَ القَرار وعامِلْنا بكَرَمِكَ وَجُودِكَ يا كريمُ يا غفارُ واغْفِرْ لَنا يا خير مَنْ دَعاهُ دَاعٍ وأفضل مَن رجاهُ راجٍ يا قَاضِيَ الحَاجَاتِ، ومَجيْبَ الدعواتِ، هَبْ لَنا مَا سألناهُ، وحقق رَجاءَنا فيما تَمَنَيْنَاهُ، يا مَنْ يَملِكُ حَوَائِجَ السائِلينَ ويَعلمُ ما في صُدُورِ الصَّامِتينَ أذقنا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلاوَةَ مَغْفِرَتِكَ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« **فَصْلٌ** » : قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ : يُقَالُ انَّ غَضَّ البَصَرِ عَنْ الصُّوْرَةِ التِي يُنْهَى عَنْ النَّظَرِ إِلَيْهَا كَالمَرْأَةِ والأَمردِ الحَسَنِ يُوْرِثُ ثَلاثَ فَوائِدَ :

احْدَاهَا : حَلَاوَةُ الايْمَانِ ، وَلَذَّتُهُ التيْ هِيَ أَحْلَى وأَطْيَبُ مِمَّا تَرَكَهُ لِلهِ ، فَانَّ مَنْ تَرَكَ شَيْئاً لِله عَوَّضَهُ اللهُ خَيْراً مِنْهُ .

الفَائِدَةُ الثانِيَةُ : أَنَّ غَضَّ البَصَرِ يُوْرِثُ نُوْرَ القَلْبِ والفِرَاسَةِ .

الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ : قُوَّةُ القَلْبِ وَثَبَاتُهُ وَشَجَاعَتُهُ فَيَجْعَلُ اللهُ لَهُ سُلْطَانَ البَصِيْرَةِ مَعَ سُلْطَانِ الحُجَّةِ ، فَإِنَّ في الأَثَرِ « الذِيْ يُخَالِفُ هَوَاهُ يَفْرَقُ الشَّيْطَانُ مِنْ ظِلِّهِ » .

وَإِذَا كَانَ النَّظَرُ إلى مَنْ لَا يَحِلُّ النَّظَرُ الَيْهِ مُحَرَّماً فَالخَلْوَةُ بِمَنْ لَا تَحِلُّ مُحَرَّمَةٌ مِنْ بَابِ أَوْلَى وَأَحْرَىٰ لِأَنَّ الوَسَاوِسَ الشَّيْطَانِيَّةِ تَجِدُ لَهَا مَجَالاً في هَذِهِ الحَالَةِ وَثَوَرَانِ الشَّهْوَةِ يَجِدُ لَهُ مُبَرِّراً فَيَضْعُفُ العَقْلُ عِنْدَ هَذَا ، وَلَا يَكُوْنُ لَهُ تَأْثِيْرٌ عَلى زَجْرِ الشَّهْوَةِ فَتَسُوْقُهُ نَفْسُهُ الأَمَّارَةُ بِالسُّوْءِ إلى الفَاحِشَةِ ، لِهَذا نَهَى المُصْطَفَى صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلم عَنْ الخَلْوَةِ فَقَدْ رُوى عَنْ ابن عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم قَالَ : « لَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُم بامْرَأَةٍ الا مَعَ ذِيْ مَحْرَمٍ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِيَّاكُمْ وَالدخُولَ عَلى النِّسَاءِ ، فقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ : الحَمْوُ المَوْتُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَالحَمْوُ : قَرِيْبُ الزَّوْجِ كَأَخِيْهِ وَابْنِ أَخِيْهِ وَابْنِ عَمِّهِ .

وَعَنْ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلمَ قَالَ ألا لا يَخْلُو رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إلَّا كَانَ ثَالِثُهُمَا الشَّيْطَانُ رَوَاهُ الإمَامُ أَحْمَدُ في مُسْنَدِهِ وَالتِّرْمِذيّ في جَامِعِهِ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِي صَلى اللهُ عَليهِ وسَلم أَنَّهُ قَالَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلا يَخْلُوَنَّ بِامْرَأَةٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مَحْرَمٌ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيْ في الكَبِيرْ .

وَرَوَى الطَّبَرَانِي أَيْضاً عَنْ أَبِيْ أُمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهُ قالَ ايَّاكَ وَالخَلوَةُ بالنِّسَاءِ والذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَلَا رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ الَّا وَدَخَلَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمَا ولأنْ يَزْحَمَ الرَّجُلُ خِنزِيْراً مُتَلَطِّخاً بِطِيْنٍ أَوْ حَمَاةٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أن يَزْحَمَ مَنْكِبُهُ مَنْكِبَ امْرَأَةٍ لا تَحِلُّ لَهُ .

وَمِنْ أَخْطَرِ مَا يَكُوْنُ عَلَى النِّسَاءِ خِدْمَةُ الرِّجَالِ فِي البُيُوتِ إِذَا كَانَ هُنَاكَ أختِلاطٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُنَّ خُصُوصاً إِذَا كَانَ الرَّجُلُ المُسْتَخدَمُ مِنَ الشُّبَّانِ وَانْ كَانَ لَهُ وَسْمَةُ جَمَالٍ فَأَقْرَبُ الى الخَطَرِ وَقَدْ يَكونُ أشَبُّ مِن صَاحِبِ البَيْتِ وَأَجْمَل وَهُوَ مَلازِمٌ لِلبَيْتِ لَيْلَهُ وَنَهارَهُ وَهُوَ تَحْتَ أَمْرِ الزَّوْجَةِ أَوْ نَحْوِهَا وَفي إِمْكَانِهَا إِبْقَاؤُهُ أو طَرْدُهُ فَالخَطَرُ عَظِيْمٌ ، وَانْ كَانَتِ المَرْأَةُ ذَا شَرَفٍ وَمَكَانَةٍ وَتَأَمَّلْ قِصَّةَ امْرَأَةِ العَزِيْزِ مَعَ يُوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلامِ حِيْنَ رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَاذَ باللهِ مِنْ شَرِّهِنَّ وَكَيْدِهِنَّ فَعَصَمَهُ اللهُ عِصْمَةً عَظِيْمَةً وَحَمَاهُ فَامْتَنَع أَشَدَّ الإمتِنَاعِ عَنْهَا وَاخْتَار السِّجْنَ عَلى ذَلِكَ وَهَذَا في غَايَةِ

مَقَامَاتِ الكَمَالِ أَنَّهُ مَعَ شَبَابِهِ وَجَمَالِهِ وكَمالِهِ تَدْعُوهُ سَيِّدَتُهُ وَهِيَ امْرَأَةُ عَزِيْزِ مِصْرَ وَهِيَ مَعَ هَذا في غَايَةِ الجَمَالِ وَالمَالِ وَالرِّيَاسَةِ وَيَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ وَيخْتَارُ السِّجْنَ على ذَلِكَ خَوْفاً مِنْ اللَّهِ وَرَجَاءَ ثَوَابِهِ وَلِهَذَا ثَبَتَ في الصَّحِيْحَيْنِ أَنَّ مِنْ السَّبْعَةِ الذِيْنَ يُظِلُّهُمْ اللهُ في ظِلِّهِ رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فقَالَ إِنِّيْ أَخَافُ اللَّهَ . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

شِعْرًا: ما مِن جَمِيْلٍ مِنَ الدُّنْيَا وَلا حَسَنٍ إِلَّا وَمِن فَضْلِ رَبِّ العَرْشِ ذِيْ المِنَنِ
أَعْظِمْ بِها مِنَّةً لَكِنْ يُخَفِّفُهـا شُكْرِيْ لِرَبِّيْ فِي سِرِّيْ وَفِي عَلَنِ

اللَّهُمَّ يسر لَنَا سَبِيْلَ الأَعْمَالِ الصَّالِحاتِ وَهَيِّىءْ لَنَا مِن أَمْرِنا رَشَدَا واجْعَلْ مَعُونَتَكَ العُظْمَى لَنَا سَنَدَاً واحْشُرْنَا إذا تَوَفَّيْتَنا مَعَ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الذينَ لا خوفٌ عَلَيهم ولَا هم يَحْزَنُونَ ، اغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« **موعظة** » : عِبَادَ اللهِ نَحْنُ فِي زَمَنٍ كُلُّهُ عَجَائِبٌ يُعْجِبُ العَاقِلُ اللَّبِيْبُ وَمِنْ أَعْجَبِ مَا فِيْهِ أَنَّ الرِّجَالَ أَصْبَحُوْا لَا سُلْطَانَ لَهُمْ عَلى النساءِ إلا النَّادِرَ القَلِيْلَ ، نَعَمْ أَصْبَحْنَا في زَمَنٍ لِلنِّساءِ فِيْهِ جَبَرُوْتٌ أَمَامَهُ الرِّجَالُ في حَالٍ ضَئِيْلٍ انْعَكَسَ الأَمْرُ فَصَارَ القَوِيُّ ضَعِيْفاً وَالضَّعِيْفُ قَوِيّاً فَإِنْ كُنْتَ في شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ فَاخْرُجْ وانْظُر في الشَّوَارِعِ تَرَى النِّسَاءَ تَجُوْلُ فِي الشَّوَارِعِ ذَاهِبَاتٍ أَيِبَاتٍ وَيَتَثَنَّيْنَ في تَبَخْتُرِهِنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ الزِّيْنَةِ مَا يُرْغِمُ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهِنَّ كُلُّ مَنْ لَهُ عَيْنَانِ .

وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا يُحْدِثُهُ ذَلِكَ النَّظَرِ في نُفُوسِ الشُّبَّانِ وَأَشْبَاهِ الشُّبَّانِ تَرَاهُ إِذَا لَمَحها أَتْبَعَهَا نَظْرَهُ ثُمَّ جَرى وَرَاءَهَا لأَنَّهُ يَفْهَمُ مِنْ هَيْئَتِهَا وَتَثَنِّيهَا وَتَلَفُّتِهَا فَهْماً لَا يُقَالُ لَهُ إِنَّهُ فِيهِ غَلْطَانٌ ، إِنَّه يَفْهَمُ أَنَّهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ تُرِيْدُ مِنْهُ مَا تُرِيْدُ مَا عَرَضَتْ نَفْسَهَا فِيْ الشَّارِعِ بذَلِكَ التَّهَتُّكِ وَذَلِكَ الازْدِيانُ وَهِيَ فِي بَيْتِهَا أَمَامَ زَوْجِهَا الذي يَنبَغِي أَنْ تتجَمَّلَ لَهُ تَكُوْنُ بِحَالَةٍ تَشْمَئِزُّ مِنْ

رُؤْيَتِهَا نَفْسُ الانْسَانِ ، تَلْبَسُ لَهُ أَرْدَى المَلابِسَ وَلاَ تَمَسُّ طِيْباً وَلاَ تَعْتَنِي لَهُ ، فَاذَا أَرَادَتْ الخُرُوْجَ بَذَلَتْ مِنْ العِنَايَةِ في تَجْمِيْلِ نَفْسِهَا مَا يُلْهِبُ نَارَ الشَّوْقِ إِلَيْهَا في نُفُوسِ النَّاظِرِيْنَ .

وَهَذِهِ حَالَةٌ تَجْعَلُ العُيُونَ وَقْفاً عَلى النَّظَرِ إلى تِلْكَ الاَجْسَامِ وَتَشْغَلُ القُلُوْبَ شُغْلاً بهِ تَنْسَى كُلَّ شَيءٍ حَتَّى نَفْسَهَا وَرَبَّهَا وَمَا لَهُ عَلَيْهَا مِنْ وَاجِبَاتٍ ، وَتُوَجِّهُ الأَفْكَارَ إلى أُمُورٍ دَنِيْـئَةٍ يَقْصِدُهَا مِنْ أُوْلئِكَ النِّسَاءِ أَرْبَابُ النُّفُوسِ الدَّنِيْئَاتِ ، بَلْ وَتَدْفَعُ النُّفُوسَ دَفْعاً تَسْتَغِيْثُ مِنْهُ الفَضِيْلَةُ وَيَغْضَبُ لَهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ .

إنَّ الرِّجَالَ النَّاظِرِيْنَ إلى النِّسَا مِثْلُ الكِلابِ تَطُوْفُ باللُّحْمَانِ
إنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللُّحُوْمَ أُسُوْدُهَا أُكِلَتْ بِلَا عِوَضٍ وَلا أَثْمَانِ

إنَّ أُوْلَئِكَ النِّسَاءُ زَوْجَاتُ وَبَنَاتُ وَأَخَوَاتُ رِجَالٍ يَرَوْنَهُنَّ بِأَعْيُنِهِمْ في الشَّوَارِعِ بتِلِكَ الحَالِ يَرَوْنَهُنَّ وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ الغَيْرَةِ مَا يُفهِمُ أنهم مِنْ صِنْفِ الرِّجَالِ ، وَأَمَامَهُمْ يُجْرِيْنَ الـزِّيْنَةَ التِي يَخْـرُجْن بِهَا إلى تِلْكَ المَيَادِيْنَ المَلأَىٰ بِالأَنْذَالِ ، وَبَعْضُهُمْ يَسْتَصْحِبُ زَوْجَتَهُ مَعَهُ سَافِرَةً في الشَّوَارِعِ وَرُبَّمَا فَهِمَ بَعْضُ الفُسَّاقِ أَنَّهُ يَتَصَيَّدُ لَهَا وَذَلِكَ يَجْرِي عَلى ألسِنَةِ كَثِيْرٍ مِنْهُمْ .

أَيُّهَا الأَخُ عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ أَنْتَ أَقْوَى عَقْلاً وَأَقْوىَ دِيْناً مِنْ المَرْأَةِ لَا خِلافَ في ذَلِكَ إنْ لَم يَعْصِمْكَ اللهُ تَتَمَـنَّى أَنْ يَكُوْنَ مِنْكَ مَعَ المَرْأَةِ مَا يَكُوْنَ إذَا وَقَعَ نَظَرُكَ عَلَى مَا لَهَا مِنْ بَهَاءٍ وَجَمَالٍ فَتَأَكَّدْ كُلَّ التَّأَكُدِ أَنَّ تَمَنِّيْ المَرْأَةِ أَقْوى مِنْ تَمَنِّي الرَّجُلِ إذَا وَقَعَ نَظَرُهَا عَلى جَمِيْلٍ مِنْ الرِّجَالِ وَلاَ تَشُكُّ أنها بَعْدَ رُؤيتِهَا الجَمِيْلَ تَتَمَنَّى فِرَاقَكَ إلَيْهِ وَرُبَّمَا دَعَتْ عَلَيْكَ ، نَحْنُ في جَوٍّ مَوْبُوءٍ بِفَسَادِ الاَخْلاَقِ ، مَنْ تَعَرَّضَ

لهَ أصَابَهُ مِن ذلك الوَباء مَا يُضيِّعُهُ في دُنْيَاهُ وَفِيْ الدِّيْنِ .

فَصُنْ نِسَاءَكَ عَنْ الخُرُوْجِ الَيْهِ انْ أَرَدْتَ العَافِيَةَ وَالاَّ فَلاَ تَلُمْ الا نَفْسَك اذَا أَصْبَحْتَ في عِدَادِ الضَّائِعِيْنَ وَالضَّائِعَاتِ أَنْتَ تَرى كُلَّ يَوْمٍ مَا يَكُونُ في الطُّرُقِ لِنسَاءِ غَيْرِكَ فَلاَ تَشُكَّ أَنَّ نِسَاءَكَ يُلاقِينَ مِثْلَهُ وَأَشَدَّ مِنْهُ وَأيُّ رَجُلٍ يَرْضَى أَنْ تَخرُجَ نِسَاؤُهُ لِيَلْعَبَ بِعَفَافِهِنَّ وَشَرَفِهِنَّ مَنْ لاَ دِيْنَ لَهُ وَلاَ شَرَفَ وَلاَ أخلاَقَ ، إنَّ البَهِيْمَ يَغَارُ وَمَعَارِكُ ذُكُوْرِ البَهَائِمِ عَلى إنَاثِهَا مَعْرُوفَةٌ ، فَلا تَكُنْ أَقَلَّ غَيْرَةً مِنْ البَهِيْمِ ، وَلَوْلاَ أَنَّنا نرى بِأَعْيُنِنَا مَبْلَغ ضَعْفِ رِجَالِنَا أَمَامَ النِّسَاءِ مَا صَدَّقْنَا أَنْ يَسْتَصْحِبَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ سَافِرَةً رَاكِبَةً أَوْ غَيْرَ رَاكِبَةٍ تَقْدُمُهُ .

اللَّهُمَّ أَذِقْنَا عَفْوَكَ وَغُفْرَانَكَ وَأَسْلُكْ بِنَا طَرِيْقَ مَرْضَاتِكَ ، وَعَامِلْنَا بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكَ وَاقْطَعْ عَنَّا مَا يُبْعِدُ عَن طَاعَتِكَ ، اللَّهُمَّ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسَّرْتَهُ لأَوْلِيَائِكَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

«**فَصْلٌ**» : أَيَّهَا الأَخُ أَنْتَ الذِي تَلَقَّى المَشَاقَّ مِنْ حَرٍّ وَبَرْدٍ وَأَنْتَ مَشْغُولٌ بِالكَدِّ لأَجْلِ جَلْبِ الرِّزْقِ ، يَكُوْنُ مِنْكَ ذَلِكَ لِتُطْعِمَ المَرْأَةَ وَتَكْسُوْهَا وَتُنْعِمَ عَلَيْهَا فَفَضْلُكَ عَلَيْهَا كَبِيْرٌ كَمَا قَالَ تَعَالى : ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ على النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمُ**﴾ وَأَنْتَ أَرْجَحُ مِنْهَا عَقْلاً وَأَكْمَلُ دِيْناً ، فَمِنْ الغَلَطِ أَنْ تَكُونَ مَعَهَا كَالعَبْدِ المَمْلُوكِ يُصَرِّفُهُ مَوْلاَهُ كَيْفَ شَاءَ . وَإِذَا كُنْتَ كَمَا ذَكَرَ اللهُ قَوَّاماً عَلَيْهَا فَأَنْتَ مَسْئُولٌ عَنْهَا لِأَنَّكَ رَاعِيْهَا وَالرَّاعِيْ مَسْئُولٌ عنْ رَعِيَّتِهِ ، فَأَنْتَ مُثَابٌ إنْ وَجَّهْتَهَا إِلَى عَمَلِ الخَيْرِ وَآثِمٌ انْ سَكَتَّ عَنْهَا وَهِيَ تَعْمَلُ أَعْمَالاً لَيسَتْ مَرْضِيَّةً ، فَانْظُرْ مَاذا عَلَيْكَ مِنْ الإِثْمِ في خُرُوجِ زَوْجَتِكَ وَمَا يَتَرَتَّبُ عليْهِ مِنَ بَلاَيَا مَرْئِيَّةٍ وَغَيْرَ

مَرْئِيَّةٍ ، فَحُلْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا تَعْلَمُ أَنَّ فِيْهِ ضَرَرٌ عَلَيْهَا وَكُلُّ عَمَلٍ يُغْضِبُ رَبَّكَ ، وَإِلَّا فَأَنْتَ شَرِيْكَ لَهَا فِي كُلِّ مَا لَها مِنْ أَوْزَارٍ . أهـ .

كُلُّ هَذَا سَبَبُهُ مُخَالَطَةُ رَبَائِبِ الاسْتِعْمَارِ الذِيْنَ تَشَبَّهُوا بِهِ وَقَلَّدُوْهُ في الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ ، وَقَلَّدَهُمْ كَثِيْرٌ مِنْ نِسَائِنَا ، وَصَدَقَ المُصْطَفَى ﷺ حَيْثُ يَقُوْلُ : «لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِرَاعاً بِذَرَاعٍ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ حُجْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوْهُ وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ جَامَعَ امْرَأَتَهُ بِالطَّرِيْقِ لَفَعَلْتُمُوْهُ» ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيْمِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيْلِ أهـ .

كَفَى بالمَـرْءِ عاراً أَنْ تَرَاهُ ... مِن الشَّأْنِ الرَّفِيعِ إِلَى انْحِطَاطِ
على المَذْمُومِ مِن فِعْلٍ حَرِيْصاً ... على الخَيراتِ مُنْقَطِعَ النَّشَاطِ
يُشِيْرُ بكفِّـهِ أَمْـراً ونَهْيـاً ... إِلَى الخُدّامِ مِن صَدْرِ البساطِ
يَرَى أَنَّ الْمَعَازِفَ والمَلَاهِي ... مُسَبِّبَةَ الجَـوَازِ على الصِّراطِ
لقَدْ خَابَ الشَّقيُّ وضَلَّ عَجْزاً ... وزَالَ القَلْبُ منْهُ عنِ النِّيَاطِ

آخر : وعَاقِبَةُ الصَّبرِ الجَمِيْلِ حَمِيْدَةٌ ... وَأَفْضَلُ أَعْمَال الرجَال التَّدَيُنُ
ولا عَارَ إنْ زَالَتْ عَنِ المْرءِ نِعْمَةٌ ... وَلَكِنَّ عاراً أنْ يَزُوْلَ التَّدَيُنُ

اللَّهُمَّ اعْمُرْ قُلُوبَنا وَأَلْسِنَتنا بِذِكْرِك وَشُكْرِكَ وَوَفِّقْنَا لِلْإِمْتِثَالِ لِأَمْرِكَ وَامِّنا مِنْ سَطَوتِكَ وَمَكرِكَ واجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَائِكَ المُتَّقِيْنَ وَحِزْبِكَ المُفْلِحِيْنَ ، اللَّهُمَّ أَلْحِقْنا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ الأَبْرَارْ ، وآتِنَا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وفِي الآخِرةِ حَسنةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارْ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

«**فَصْلٌ**» : فِيْمَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُوْلَهُ أَوْ يَفْعَلَهُ :

يُسْتَحَبُّ أَنْ يَتَسَحَّرَ لِلصَّوْمِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال : «تَسَحَّروا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةٌ» .

وعَنْ عَمْرو بن العَاصِ قَال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : « إنَّ فَصْلَ مَا بيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الكِتَابِ أَكْلةُ السَّحَرِ » .

وعَنْ ابن عُمَرَ ـ رَضِي اللهُ عنهُمَا ـ أَنَّ النبيَّ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ قَال : « انَّ اللهَ وَملائِكَتَهُ يُصَلُّونَ على المُتَسَحِّرِيْنَ » .

وَعَنْ العِرْبَاضِ بن سَارِيَةَ قَالَ دَعَانِيْ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وسَلمَ الى السَّحُورِ في رَمَضانَ فَقَالَ : « هَلُمَّ إلى الغَدَاءِ المُبَارَكِ » .

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَال رَسُوْلُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلَم : « نِعْمَ سَحُورُ المُؤْمِنِ التَّمْرُ » .

وَيَنْبَغِيْ أَنْ يُخَفِّفَ عَشَاءَهُ في لَيَالِي رَمَضَانَ لِيَهْضِمَ طَعَامَهُ قَبْلَ السَّحُورِ وَلِأَنَّ الامْتِلاءَ مِنَ الطعَامِ رُبَّما يَكُونُ سَبَباً لِلتُّخَمْ .

وَعَنْ المِقْدَادِ بن مَعْدِ يكْرِبَ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ يَقُولُ : « مَا مَلأ ابنُ آدمَ وعاءاً شَرّاً مِنْ بَطْنِهِ بِحَسَبِ ابنِ آدَمَ أكلاتٍ يُقِمنَ صُلْبَهُ فإنْ كَانَ لَا مَحالَةَ فثُلثٌ طَعَامٌ وَثُلثٌ شَرَابٌ وثُلثٌ نَفسٌ » .

شعـــرا :

تَوَقَّ إذاً مَا اسطَعْتَ إدْخالَ مَطْعَمٍ — عَلى مَطْعَمٍ مِنْ قَبْلِ فِعْلِ الهَوَاضِمِ
وكُلُ طَعَامٍ يَعْجَزُ السِّنُّ مَضْغَـــهُ — فلا تَبْتَلِعْهُ فَهْوَ شَـــرُ المَطَاعِمِ

والشِّبَعُ مَذْمُومٌ لانَّهُ يُوجِبُ تَكَاسُلَ البَدَنِ وَكَثْرَةُ النَّوْمِ وَبَلَادَةِ الذِّهْنِ وَذَلِكَ يُكْثِرُ البُخَارُ في الرَّأسِ حَتَّى يُغَطِي مَوْضِعَ الذِّكْرِ والفِكْرِ ، والبِطْنَةُ تَذْهبُ الفِطْنَةَ وَتَجلِبُ أمراضاً عسِرةً ، وَمَقَامُ العَدْلِ انْ لَا يَأكُلَ حَتَّى تَصْدُقَ شَهْوَتُهُ وَأَنْ يَرْفَعَ يَدَهُ وَهُوَ يَشْتَهِي وَنِهَايَةُ مَقَامِ الحُسْنِ قَوْلُهُ تَعَالى : ﴿كُلُوا وَاشرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ وَقَوْلُهُ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلم : « ثُلُثٌ طَعَامٌ وَثُلُثٌ شَرَابٌ وَثُلُثٌ نَفَسٌ » .

والأكْلُ عَلَى مَقَامِ العَدْلِ يُصِحُ البَدَنَ وَيُبْعِدُ المَرَضَ باذْنِ اللهِ وَيُقَلِّلُ النَّوْمَ وَيُخففُ المَؤْنَةَ وَيرقُّقُ القَلْبَ وَيُصَفِّيْهِ فَتَحْسُنُ فِكْرَتُهُ وَتَسهُلُ الحَرَكَاتِ وَالتَّعْبِيْرَاتِ ، والشِّبَعُ يُمِيْتُ القَلْبَ وَمِنْهُ يَكُونُ الفَرَحُ وَالمرَحُ وَالضَّحِكُ .

وَيُسْتَحَبُ تَأْخِيْرُ السَّحُورِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ بن مَالِكٍ عَنْ زَيْدِ ابنْ ثَابِتٍ - رَضِى اللهُ عَنْهُ - قَالَ : تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلمَ ثُمَّ قَامَ الى الصَّلاَةِ قَالَ أَنَسٌ : قُلتُ لِزَيدٍ : كَمْ كَانَ بَيْنَ الأذَانِ وَالسَّحُورِ ؟ قَالَ : قَدْرُ خَمْسِينَ آيَةٍ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَلَما وَرَدَ فِي البُخَارِي عَنْ سَهْلِ بنْ سَعْدٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ أَتَسَحَّرُ في أَهْلي ثُمَّ تكُونُ سُرْعَتِي أنْ أُدْرِكَ السُّجُودَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلم .

وَعَنْ سَهْل بن سَعْد السَّاعِدِي - رَضِي اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلم قَال : « لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ وَأخَّرُوا السَّحُور » .

وعَن ابنِ عَطِيَّةَ قَالَ : دَخلْتُ أنا وَمَسْرُوقٌ عَلى عَائِشَةَ ، فَقُلنَا : يَا أمَّ المؤمِنين ، رَجُلانِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمد احدُهُما يُعَجِّلُ الافْطَارَ وَيُعَجِّلُ الصَّلاةَ وَالآخرُ يُؤخِرُ الافطَارَ وَيُؤَخِّرُ الصَّلاةَ ، قَالَتْ : أيُّهُمَا يُعَجِّل الافطَارَ وَيُعَجِّلَ الصَّلاةَ ؟ قُلْنَا: عَبْدُ اللهِ بن مَسْعُودٍ ، قَالَتْ: هَكَذَا صَنَعَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلم والآخرُ أبوُ مُوْسَى .

وَلأَنَّ السَّحُورَ يُرَادُ بِهِ التَّقَوِّى عَلى الصَّوم . فَكَانَ التَّأْخِيْرُ أَبْلَغَ في ذَلِكَ وَأَوْلَى ، وَيُسَنُّ تَعْجِيْلُ فِطْرٍ إذَا تَحقَّقَ الغُرُوبَ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَال : قَال رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ انَّ أَحَبَّ عِبَادِي إلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْرا » .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يَزَالُ الدِّيْنُ ظَاهِراً مَا عَجَّلَ النَّاسُ الفِطْرِ، لِأَنَّ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ» وَلِحَدِيْث سَهْل وَحَدِيْث أَبِي عَطِيَّةَ وَقَدْ تَقَدَّمَا قَرِيْبًا.

اللَّهُمَّ اسْلُك بِنَا سَبِيْل عِبَادِكَ الأَبْرَارِ واجْعَلْنَا مِن عِبَادِكَ المُصْطَفِيْنَ الأَخْيَارَ وامْنُنْ عَلَيْنَا بالعَفْوِ والعِتْقِ مِن النَّارِ واحْفَظْنَا مِن الْمَعَاصِي فِيْمَا بَقِيَ مِن الأَعْمَارِ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: وَيُسَنُّ أَنْ يَكُوْنَ فِطْرُهُ عَلَى رُطَبٍ، فَإِنْ عَدِمَ فَتَمْرٌ فَإِنْ عَدِمَ فَمَاءٌ لِمَا وَرَدَ عَن أَنَسٍ - رَضِي اللهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُفْطِرِ عَلى رُطَبَات قَبْلَ أَنْ يُصَلِّي فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَات فتَمراتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُن تَمَرَاتٍ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ، وَعَنْ سَلْمَانَ بن عَامِرٍ الضَّبِّيْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَفْطَر أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرِ عَلى تَمْرٍ، فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْراً فَالمَاءُ فَإِنَّهُ طَهُورٌ».

والفِطْرُ قَبْلَ صَلَاةِ المَغْرِبِ أَفْضَلُ، لِحَدِيْث أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فُيصَلِّي حَتَّى يُفْطِرَ، وَلَوْ شَرْبَةَ مَاءٍ».

إذا رُمْتَ أَنْ تَشْرَبْ فكُنْ قَاعِداً تَفُزْ بِسُنَّةِ خَيْرِ الخَلْقِ أَعْنِي مُحَمَّدَا
فَقَدْ صَحَّحُوْا شُرْباً لَهُ وَهْوَ قَائِمٌ ولِكـنْ بَيَانـاً لِلْجَـوازِ فَسَدِّدَا

وَيُسْتَحَبُّ قَوْلُ الصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ:

اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ، وَعَلى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ اللهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّيْ، انَّكَ أَنْتَ السَّمِيْعُ العَلِيْمُ. لِمَا وَرَدَ عَنْ مُعَاذِ بنِ زَهْرَةَ: أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ النَّبِي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اذَا أَفْطَرَ قَالَ: «ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتْ العُرُوقُ، وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ» وَثَبَتَ عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ لَا تَرَدُّ» وَلِحَدِيْثَي ابنْ

عَبَّاسٍ وَأَنَسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قالاَ : كَان النبي صَلى اللهُ عَليه وَسَلم اذَا أَفْطَرَ قَالَ : « اللهُمَّ لَكَ صُمْنَا ، وَعَلى رِزْقِكَ أَفطَرْنَا ، اللهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا إنكَ أَنْتَ السَّمِيْعُ العَلِيْمُ » .

وَعَنْ عَبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : أَفْطَرَ رَسُولُ الله صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلم عِنْدَ سَعْدِ بن مُعَاذٍ ، فَقَالَ : « أَفْطَرَ عِنْدَكُم الصَّائِمُونَ وَأَكَلَ طَعَامَكُم الأَبْرَارُ وَصَلتْ عَلَيْكُمْ المَلائِكَةُ » .

وَعَلى الانْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ أَنْ يَكُونَ فِطْرُهُ عَلى حَلاَلٍ ، وَأَنْ يَحْذَرَ أَنْ يَكُونَ على حَرَامٍ ، فَإِنَّ أَكْلَ الحَرَامِ مِنْ جُمْلَةِ مَوَانِعِ قَبُولِ الدُّعَاءِ ، فَقَدْ وَرَدَ عن أبي هُرَيْرَةَ ـ رَضْي اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ : « إنَّ اللهَ طَيِّبٌ وَلاَ يَقْبَلُ الاَّ طَيِّبًا ، وَان اللهَ أَمَرَ المُؤمِنينَ بِمَا أَمَرَ به المُرْسَلِيْنَ ، فَقَالَ : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِن الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ وَقَالَ : ﴿يَا أَيُّهَا الذين آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم﴾ ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيْلُ السَّفَرَ أَشْعثَ أغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّمَاء وَيقُوْلُ : يَا رَبُّ يَا رَبُّ ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ » .

فايَّاكَ إِيَّاكَ الرِّبَا فَلَدِرْهَمٌ ... أَشَدُّ عِقَاباً مِن زِنَاكَ بِنُهَّدِ
وَتُمْحَقُ أمْوالُ الرِّبَا وإنْ نَمتْ ... ويَرْبُو قَلِيْلُ الحِلِّ في صِدْقِ مَوْعِدِ

آخر: المَالُ يَذْهَبُ حِلُّهُ وحَرَامُهُ ... يَوماً وتَبْقَى في غَدٍ آثامُهُ
لَيْسَ التَّقِيُّ بُمِتَّقٍ لإِلٰهِهِ ... حَتَّى يَطِيْبَ شَرابُهُ وَطَعَامُهُ

وفي الحَدِيثِ ألاَ إنَّ أَوَّلَ مَا يُنْتِنُ مِنْ الانْسَانِ بَطْنُهُ فَمَنْ اسْتَطَاعَ ألا يَأكُلَ الا طَيِّباً فَلْيَفْعَلْ الحَدِيْثِ .

وَمِنْ آدَابِ الدُّعَاءِ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَمِيْمِ القَلْبِ فَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ـ رَضي اللهُ عَنه ـ قَالَ : قَال رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم : أُدْعُوا اللهَ

وَأَنْتُمْ مُوْقِنُـونَ بالاجَابَـةِ واعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَسْتَجِيْبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ وَأنَ يَكُونَ دُعَائُهُ في السَّرَّاءِ والضَرَّاءِ .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيْبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالكُرَبِ فَلْيُكْثِرْ الدُّعَاء في الرَّخَاءِ وَأَنْ يَكُونَ بِالتَّضَرُّعِ بالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، قَالَ اللهُ تَعَالى : ﴿ادْعُوا رَبكُم تَضَرُّعاً وَخُفيَةً﴾ وَقَالَ : ﴿إنهُم كَانُوا يُسَارِعُونَ في الخَيْراتِ وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِيْنَ﴾ وَقَالَ في حَقِّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلامُ : ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِحِينَ لَلَبِثَ في بَطْنِهِ الى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وَأَنْ يَفْتَتِحَ الدُّعَاءَ بِالثَّنَاءِ عَلى اللهِ وَالصَّلَاةِ عَلى نَبِيِّهِ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

رَوَى التِّرْمِذي وَغَيْرُهُ عَنْ فَضَالَةَ بنْ عُبَيْدٍ قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلمَ قَاعِدٌ إِذْ دَخَلَ رَجلٌ فَصلَّى فقَالَ اللهُمَّ اغْفِرْ لي وارْحَمْنِي فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ عَجِلْتَ أَيُّها المُصَلي إذا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ فَاحْمَدِ اللهِ بمَا هُوَ أَهْلُه وَصَلِّ عَليَّ ثُمَّ ادعُهُ قالَ ثُم صَلى رَجُلٌ آخَرُ بعْدَ ذلكَ فحَمِدَ اللهَ وصَلى عَلَى النبي صَلى اللهُ عليهِ وسَلم فقَال لَهُ النبي صَلى اللهُ عليْهِ وَسَلمَ أَيُّهَا المُصَلي أُدْعُ تُجَبْ .

وَعَنْ عُمَرَ قَال إِنَّ الدُّعَاءَ مَوقُوفٌ بينَ السَّماءِ والأَرضِ لَا يَصْعَدُ منهُ شَيءٌ حَتى تُصَلي عَلَى نَبِّيكَ صَلى اللهُ عليهِ وسَلمَ وأَنْ يُخْفي الدُّعَاءَ ، قَالَ الحَسَنُ بَين دَعوةِ السِّرِ وَدَعْوَةِ العَلانِيَةِ سَبْعُونَ ضِعْفاً وَانْ كَانَ الرَّجُلُ لَقَدْ جَمعَ القُرآنَ وَمَا يَشْعُرُ بهِ النَّاسُ وَان كَان الرَّجُلُ لقَد فَقِهَ الفِقْهَ الكثيرَ وَمَا يَشْعُرُ بِهِ النَّاسُ وإِنْ كانَ الرجُلُ لِيُصَلي الصَّلاةَ الطويلَةَ في بَيتِهِ وَعندَهُ الزُّوَّارُ مَا يَشْعُرونَ به وَلَقدْ أدرَكْنا أَقْواماً ما كَان عَلى الأَرضِ مِن عَمَلٍ يَقْدُرُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ في السرِ فَيَكُونُ عَلانيةً أَبداً وَلقَدْ كَانَ المُسْلِمُونَ

يَجْتهِدُونَ في الدعاءِ ومَا يُسْمَعُ صَوتٌ إنْ كَانَ الاَّ هَمْسَاً بينَهُم وبينَ رَبِّهِم وذَلِكَ أَنَّ اللهَ يَقُولُ : ﴿ ادعُو ربَّكمُ تَضرُّعاً وخُفيةً ﴾ وَذلكَ أنَّ اللهَ ذَكرَ عَبْداً صَالِحاً رَضِيَ فِعْلَهُ فقالَ ﴿ اذ نَادَى ربَّه نِداءً خَفِيّاً ﴾ .

شِعْرَاً :

الى مَتَى يَا عَيْنُ هَذَا الرُّقَادُ
أَمَا آنَ أنْ تَكْتَحِلِيْ بِالسُّهَادِ
تَنَبُّهِيْ مِنْ رَقْدَةٍ وَانْظُرِيْ
مَا فَاتَ مِنْ خَيرٍ عَلَى ذِي الرُّقَادِ
يَا أَيُّهَا الغَافِلُ في نَوْمِهِ
قُمْ لِتَرى لُطْفَ الكَرِيمِ الجَوَادِ
مَوْلاَكَ يَدْعُوكَ إلى بَابِهِ
وَأنتَ في النَّومِ شَبْيهُ الجَمَادِ
وَيَبْسُطُ الكَفَّينَ هَلْ تَائِبٌ
مِنْ ذَنْبِهِ هَلْ مَنْ لَهُ مِنْ مُرَادِ
وَأَنْتَ مِنْ جَنْبٍ إلى جَانِبِ
تَدُورُ فِي الفُرْشِ وَلِيْنِ المِهَادِ
يَدْعُوْكَ مَوْلاكَ إلى قُرْبِهِ
وَأنتَ تَختَارُ الجَفَا والبِعَادِ
كَمْ هَكَذا التَّسْوِيْفُ في غَفْلَةٍ
لَيْسَ عَلى العُمْرِ العَزِيْزِ اعْتِمَادِ
لَقَدْ مَضَى لَيْلُ الصِّبَا مُسْرِعاً
وَنَيِّرُ صُبحِ الشَّيْبِ فَوْقَ الفُؤَادِ
أَفِقْ فَإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ

رَحْمَتُهُ عَمَّتْ جَمِيْعَ العِبَادِ

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ، اللَّهُمَّ الْهمنا شُكْرَكَ آنالَأَ الليْلِ وَالنَّهَارِ، وثبِّتْنَا عَلى قَوْلِكَ الثّابتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ»: فِي أَحْكَامِ القَضَاءِ

وَيُسْتَحَبُّ قَضَاءُ رَمَضَانَ فَوْراً مَعَ سَعَةِ وَقْتٍ مُسَارَعَةً لِبَرَاءَةِ الذِّمَةِ وَيُسَنَّ التَّتَابُعْ فِي قَضَائِهِ لأنَّهُ أَشْبَهُ بالأَدَاءِ وَأَبْعَدُ عَنِ الخِلَافِ. وَيَجُوزُ تَفْرِيْقُهُ لِمَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النبي صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ قَالَ: «قَضَاءُ رَمَضَانَ إنْ شَاءَ فَرَّقَ وَإِنْ شَاءَ تَابَعَ».

وَرَوى الأَثْرَمُ بِاسْنَادِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ المُنْكَدِرِ أَنَّهُ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ النَبي صَلى اللهُ عليهِ وَسَلم سُئِلَ عَنْ تَقْطِيْعِ قَضَاءِ رَمَضَانَ، فَقَالَ: «لَوْ كَانَ عَلىٰ أَحَدَكُمْ دَيْنٌ فَقَضَاهُ مِن الدِّرْهَمِ وَالدِّرْهَمَيْنِ حَتَّى يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ، هَلْ كَانَ قَاضِياً دَيْنَهُ؟ قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ فَاللهُ أَحَقُّ بِالعَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ مِنْكُمْ».

قَالَ البُخَارِي: قَالَ ابْنُ عَبَّاس - رَضِي اللهُ عَنْهُمَا - لَا بَأْسَ أَنْ يُفَرِّقَ لِقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ مُتَتَابِعَاتٍ، فَسَقَطَتْ مُتَتَابِعَاتٍ.

وَلَا يَجُوزُ تَأْخِيرَ قَضَاءَ رَمَضَانَ إلَى رَمَضَانَ آخَرَ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ، لِمَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِي اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ عَلَيَّ الصَّوْمُ مِنْ رَمَضَانَ فَمَا أَسْتَطِيْعُ أَنْ أَقْضِيَ إلَّا فِي شَعْبَانَ.

وَفي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : إنْ كَانَتْ إحْدَانَا لَتُفْطِرُ في زَمَانِ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلم فَمَا تَقْدِرُ أَنْ تَقْضِيَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا فِي شَعْبَانَ . وَفي رِوَايَةٍ لِلتِّرْمِذِيِّ : قَالَتْ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ مَا كُنْتُ أَقْضِي مَا يَكُونُ عَلَّى مِنْ قَضَاءِ رَمَضَانَ إلَّا في شَعْبَانَ حَتَّى تُوفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَاذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ شَعْبَانَ لا قَدْرُ مَا عَلَيْهِ ، وَجَبَ القَضَاءُ فَوْراً مُتَابِعاً لِضِيْقِ الوَقْتِ ، كَأَدَاءِ رَمَضَانَ في حَقِّ مَنْ لَا عُذْرَ لَهُ .

وَلَا يُكْرَهُ القَضَاء في عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ ، فَإنْ أَخَّرَ القَضَاءَ لِغَيْرِ عُذْرٍ حَتَّى أَدْرَكَهُ رَمَضَانُ آخَرَ فَعَلَيْهِ مَعَ القَضَاءِ إطْعَامُ مِسْكِيْنٍ لِكُلِّ يَوْمٍ : وَيُرْوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِي اللهُ عَنْهُمَا ـ وَابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ وَأَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وَلَمْ يُرَوَ عَنْ غَيْرِهِمْ خِلَافُهُ . قَالَهُ فِي الشَّرْحِ .

وَمَنْ فَاتَهُ رَمَضَانُ قَضَا عَدَدَ أَيَّامِهِ تَامَّاً كَانَ أَوْ نَاقِصاً لأَنَّ القَضَاءَ يَجِبُ أَنْ يَكُوْنَ بِعَدَدِ مَا فَاتَهُ كالمَرِيْضِ وَالمُسَافِرِ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوِلِهِ تَعَالى : ﴿**فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ وَيَجُوزُ أَنْ يَقضِيَ يَوْمَ صَيْفٍ عَنْ يَوْمِ شِتَاءٍ وَأَنْ يَقْضِيَ يَوْم شِتَاءٍ عَنْ يَومِ صَيْفٍ والله أعلم وصلى الله على محمد.

« **فَصْلٌ** » : ثُم اعْلَمْ وَفقنا وَأَيَّاكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ أَنَّ لِلصِّيَامِ مَحَاسِنَ كَثِيْرَةً وَهِيَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ مَحَاسِنِ الدِّيْنِ الاسْلَامِي ثَبَّتَنَا اللهُ وَإيَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ عَلَيْهِ فَمِنْهَا أنَّ الانْسَانَ إذَا جَاعَ بَطْنُهُ انْدَفَعَ جُوْعُ كَثِيرٍ مِنْ حَوَاسِهِ فَاذَا شَبعَ بَطْنُهُ جَاعَ عَينُه ولِسَانُهُ وَيَدُهُ وَفرْجُهُ فكان تَشْبِيْعُ النَّفْسِ تَجْوِيْعاً لِهَذِهِ المذْكُورَاتِ وَفي تَجْوِيْعِ النَّفْسِ تَشْبِيْعُهَا فكَانَ هَذَا التَّجْوِيعُ أَوْلَى وَمِنْ ذَلكَ أنهُ إذَا جَاعَ عَلِمَ حَالَ الفُقَراءِ في جُوْعِهِمْ فَيَرْحَمُهُم

وَيُعْطِيْهِمْ مَا يَسُدُّ بِهِ جَوْعَهُمْ إذ لَيْسَ الخَبَرُ كالمُعَايَنةِ لاَ يَعْلَمُ الرَّاكِبُ مَشقَّةَ الرَّاجِلَ إلا إذا تَرَجَّلَ .

وَمِنْ محَاسِنِ الصِّيَامِ فِي فَرْضِهِ وَشَرْعِهِ أَنَّهُ لَمْ يُفْرَضْ فِي كُلِّ العُمْرِ مَعَ مَا فِيْهِ مِنَ الحُسْنِ بَلِ فُرِضَ شَهْراً مِن كُلِّ سَنَةٍ شَهْرَ رَمَضَانَ وَرُخِصَّ فِي الافْطَارِ عِنْدَمَا يَحْصُلُ لِمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ عُذْرٌ وَأَيْضاً أَمِرَ بِالصَّوْمِ فِي النَّهَارِ وَأَبِيْحَ فِيْ اللَّيْلِ الإفْطَارُ وَهَذَا مِنْ لُطْفِ اللهِ أَمَرَ عِبَادَهُ عَلى وَجْهِ يُمْكِنُ لَهُمْ فِيْهِ احْرَازُ الفَضِيْلَةِ واكْتِسَابُ الوَسِيْلَةِ ومِنْ ذَلكِ إنَّهُ خَصَّ الصِّيَامَ بِالنَّهَارِ لأنَّ الأَكَلَ فِيْهِ مُعْتَادٌ ، وَالنَّوْمُ في اللَّيْلِ مُعْتَادٌ وَمِنْ مَحَاسِن الصَّوْمِ اكْتِسَابِ مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ لِأَنَّ قِلةَ الأَكْلِ مِنْ مَحَاسِنِ الاخلاَقِ .

وَلِذلِكَ لَمْ يُحْمَدْ أَحَدٌ بِكَثْرَةِ الأَكْلِ وَيُحْمَدُ عَلى قِلَّةِ الأَكْلِ يَحْمَدُهُ كلُّ ذِي دِيْنٍ في كُلِّ حِيْنٍ وَلَمْ يُرَوَ عَنْ أَحدٍ مِن الأنْبِياءِ كَثْرَةُ الأَكْلِ وَمِنْ جُمْلَةِ المحَاسِنِ في الصِّيَامِ أَنَّ اللهَ مِنْ لُطْفِهِ بِعَبادِهِ لَمْ يَشْتَرِطْ في القَضَاءِ مَا في الأداءِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ فَلَمْ يَشْتَرِطْ في القَضَاء طُوْلَ اليَوْمِ بالَيْوْمِ وَلاَ حَرَارَتَهُ وَلاَ بُرُوْدَتَهُ فَإذَا أَفْطَرَ في أَطْوَلِ يَوْمٍ ثُمَّ قَضَاهُ في أَقْصَرِ يَوْمٍ أَجْزَاهُ وَكَفَاهُ .

وَمِنْ جُمْلَةِ المَحَاسِنِ في الصَّوْمِ أَنَّهُ لَمْ يُشْتَرَطْ فِيْهِ قِرَانُ النِّيَةِ عِنْدَ الشُّرُوعِ كَمَا في سَائِرِ العِبَادَاتِ لأَنَّ هَذَا الوَقْتِ وَقْتُ نَوْمٍ وَغفْلَةٍ قَلَّمَا يَقِفُ العَبْدُ عَلَيْهِ فَلوَ شُرِطَ لَضَاقَ الأمْرُ عَلَى النَّاسِ فَيَسَّرَ الأَمْرَ عَلى عِبَادِهِ حَتَّى أجَازَ الصَّوْمَ بِنِيَّةٍ مُتَقَدِّمَةٍ تَقَعُ بِجُزْءٍ مِن اللَّيْلِ وَإنْ طَرَأَ عَلَيْهِ الأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالرَّفُثُ لأَنَّ اللهَ أَبَاحَ الأكْلَ وَالشُّرْبَ إلى آخِرِ اللَّيْلِ فَلَوْ بَطَلَتْ بِهِ فَاتَ مَحَلُّهَا .

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيْلَ عِبَادِكَ الأَبْرَارِ، وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَأَسْكِنَّا الجَنَّةَ دَارَ القَرَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيْزِ إلى القُرَضِي أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ تَعِظُنِي وَتَذْكُرُ مَا هُوَ لِيْ حَظٌّ وَعَلَيْكَ حَقٌّ وَقَدْ أَصَبْتَ بِذَلِكَ أَفْضَلَ الأَجْرِ انَّ المَوْعِظَةَ كالصَّدَقَةِ بَلْ هِيَ أَعْظَمُ أَجْراً وَأَبْقَى نَفْعاً وَأَحْسَنُ ذُخْراً وَأَوْجَبُ عَلى المُؤْمِنِ حَقاً، لَكَلِمَةٌ يَعِظُ بِهَا الرَّجُلُ أَخَاهُ لِيَزْدَادَ بِهَا في هُدًى رَغْبَةً خَيْرٌ مِنْ مَالٍ يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْهِ وَانْ كَانَ بِهِ إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَلَما يُدْرِكُ أَخُوْكَ بِمَوْعِظَتِكَ مِنَ الهُدَىٰ خَيْرٌ مِمَّا يَنَالُ بِصَدَقَتِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَلأَنْ يَنْجُوَ رَجُلٌ بِمَوْعِظَتِكَ مِنْ هَلَكَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَنْجُوَ بِصَدَقَتِكَ مِنْ فَقْرٍ.

فَعِظْ مَنْ تَعِظْ لِقَضَاءِ حَقٍّ عَلَيْكَ وَاسْتَعْمِلْ كَذَلِكَ نَفْسَكَ حِيْنَ تَعِظْ وَكُنْ كَالطَّبِيْبِ المُجَرِّبِ العَالِمِ الذِيْ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ إِذَا وَضَعَ الدَّوَاءَ حَيْثُ لاَ يَنْبَغِي أَعْنَتَ نَفْسَهُ وَإِذَا أَمْسَكَ مِنْ حَيْثُ يَنْبَغِيْ جَهِلَ وَأَثِمَ وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُدَاوِيَ مَجْنُوناً لَمْ يُدَاوِهِ وَهُوَ مُرْسَلٌ حَتَّى يَسْتَوثِقَ مِنْهُ وَيُوَثَّقَ لَهُ خَشْيَةَ أَنْ لاَ يَبْلُغَ مِنْهُ مِنَ الخَيْرِ مَا يَتَّقِى مِنْهُ مِنَ الشَّرِ وَكَانَ طِبُّهُ وَتَجْرِبَتُهُ مِفْتَاحُ عَمَلِه وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يُجْعَلْ المِفْتَاحُ عَلى البَابِ لِكَيْمَا يُغْلَقُ فَلا يُفْتَحُ أَوْ لِيُفْتَحَ فَلاَ يُغْلَقُ وَلَكِنْ لِيُغْلَقَ في حِيْنِهِ وَيُفْتَحَ في حِيْنِهِ.

وَكُنْ نَاصِحاً لِلْمُسْلِمِيْنَ جَمِيْعِهِمْ
بِإِرْشَادِهِمْ لِلْحَقِّ عِنْدَ خَفَائِهِ

وَمُرْهُمْ بِمَعْرُوفِ الشَّرِيْعَةِ وَانْهَهُمْ
عَنْ السُّوْءِ وَازْجُرْ ذَا الخَنَا عَنْ خَنَائِهِ
وَعِظْهُمْ بِآيَاتِ الكِتَابِ بِحِكْمَةٍ
لَعَلَّكَ تُبْرِيْ دَاءَهُمْ بِدَوَائِهِ

فَإنْ يَهْدِ مَوْلَانَا بِوَعْظِكَ وَاحِداً
تَنَلْ مِنْهُ يَوْمَ الحَشْرِ خَيْرَ عَطَائِهِ
وإلاَّ فَقَدْ أدَّيْتَ مَا كَانَ وَاجِباً
عَلَيْكَ وَمَا مُلِّكْتَ أمْرَ اهْتِدَائِهِ

اللَّهُمَّ ألْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبارِكْ لَنَا في الحلال مِن رِزْقِكَ ولَا تَفْضَحْنَا بين خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ داعٍ وأفْضَلَ مَن رجاهُ راجٍ يا قاضِي الحاجاتِ ومُجِيبَ الدعواتِ هَبْ لَنَا ما سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوائِجَ السَّائِلين ويَعْلَمُ ما فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِين أذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ. اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الإنْسَان في أحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَبِقُدْرَتِهِ التِيْ لَا يُعْجِزُهَا شَيءٌ يُحْيِي العِظَامَ وَهْيَ رَمِيْمٌ نَسْأَلُكَ أنْ تَهْدِيَنَا إلَىٰ صِرَاطِكَ المُسْتَقِيمِ صِرَاطِ الذِيْنَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ وَأَنَّ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ الأحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ.

(فَصْلٌ)

في صَلَاةِ التَّرَاوِيْحِ

وَيَبْحَثُ في :

١ ـ مَشْرُوعِيَّةِ صَلَاةِ التَّرَاوِيْحِ .
٢ ـ صِفَةِ أو كَيْفِيَّةِ التَرَاوِيْحِ .
٣ ـ مَذَاهِبِ العُلَمَاءِ رَحِمَهُم الله في عَدَدِ رَكَعَاتِهَا .
٤ ـ مَا يُسْتَحَبُّ فِيْهَا .

١ ـ مَشْرُوْعِيَّةُ صَلَاةِ التَّرَاوِيْحِ :

التَّرَاوِيْحُ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ سَنَّهَا رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَعَن عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنهَا ـ أن النَّبي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى في المَسْجِدِ فَصَلَّى بِصَلاَتِهِ نَاسٌ ثم صَلى الثانية فَكَثُرَ النَاسُ ثم اجْتَمَعُوا مِن اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أو الرَّابعَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ رَأَيْتُ الذِي صَنَعْتُم فَلَمْ يَمْنَعنِي مِنَ الخُرُوجِ إِلَيْكُمْ الا أَنِّي خَشِيْتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُم وَذَلِكَ في رَمَضَانَ مُتفقٌ عَلَيهِ .

وَفي رِوَايَةٍ : قَالَتْ : « كَانَ النَّاسُ يُصَلُّونَ في المَسْجِدِ في رَمَضَانَ بالليْلِ أَوْزَاعاً مَعَ الرَّجُلِ الشَّيْءَ مِن القُرْآنِ ، فَيَكُونُ مَعَهُ النَّفَرُ الخَمْسَةُ ، أو السَّبْعَةُ ، أو أَقَلَّ من ذَلِكَ أَوْ أكثَرَ ، يُصَلُّونَ بِصَلاَتِهِ ، قَالَتْ : فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ أَنْ أَنْصِبَ لَـهُ حَصِيْرَاً عَلَى بَـابِ حُجْرَتِي ، فَفَعَلْتُ ، فَخَرَجَ إِليْهِ بَعْدَ أَنْ صَلَّى العِشَاءَ الآخِرَةِ فاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَنْ في المَسْجِد فَصَلَّى بِهِمْ . وَذَكَرَتْ القِصَّةَ بِمَعْنَى مَا تَقَدَّمَ ، غَيْرَ أَنَّ فِيهَا أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ في الليْلَةِ الثَّانِيَةِ » .

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ أَبِي ذَرـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يُصَلِّ بِنَا حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ مِن الشَّهْرِ فقَامَ بِنَا حَتى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيلِ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ، لَوْ نَفَّلْتَنَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ : فَقَالَ « مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كَتَبَ اللهُ لَهُ قِيَامَ لَيْلَةٍ » ، ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا حَتَّى بَقِيَ ثَلاَثٌ مِنَ الشَّهْرِ فَصَلَّى بِنَا في الثَّالِثَةِ ، وَدَعَا أَهْلَهُ وَنِسَاءَهُ حَتَّى تَخَوَّفْنَا الفَلاَحَ ، قُلْتُ لَهُ : وَمَا الفَلاَحُ ؟ قَالَ السُّحُوْرُ » .

وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ ـ رَضي اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَغِّبُ في قِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِعَزِيْمَةٍ » ،

فَيَقُوْلُ : « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيْمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن عَوْفٍ : أَنَّ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « انَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ صِيَامَ رَمَضَانٍ ، وَسَنَنْتُ قِيَامَهُ فَمَنْ صَامَهُ إِيْمَاناً وَاحْتِسَاباً خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

وَعَنْ زَيْدِ بن ثابِتٍ : « أَنَّ النبي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّخَذَ حُجْرَةً في حَصِيرٍ ، فَصَلَّى فِيْهَا لَيَالٍ اجْتَمَعَ عَلَيهِ نَاسٌ ، ثُمَّ فَقَدُوا صَوْتَهُ لَيْلَةً فَظَنُوا أَنَّهُ نَامَ ، فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَتَنَحْنَحُ لِيَخْرُجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : مَا زَالَ بِكُمْ الذي رَأَيْتُ مِن صَنِيْعِكُمْ حَتَّى خَشِيْتُ أن يُكْتَبَ عَلَيْكُم ، وَلَو كُتِبَ عَلَيْكُم ما قُمْتُمْ به ، فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ في بُيُوتِكُمْفَانَ أَفْضَلَ صَلاةِ المرء في بَيْتِهِ إلَّا الصَّلَاةَ المَكْتُوْبَةَ » .

٢ ـ صِفَةُ أو كَيْفِيَّةُ صَلَاةِ التَّرَاوِيْحِ :

صَلاةِ التَّرَاوِيْحِ بِجَمَاعَةٍ أَفْضَلُ ، قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ : « كَانَ عَلي وَجابِرٌ وَعَبْدُ اللهِ ـ رَضِي اللهُ عَنْهُم ـ يُصَلُّونَهَا جَمَاعَةً » ، وَرُوي عَنْ عَلي ـ رَضْي اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ كَانَ يَجْعَل لِلرِّجالِ اماماً ولِلنِّسَاءِ إِمَاماً » .

وَفي حَديْثِ أَبِي ذَرٍّ ـ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : « إِنَّ النَّبِي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ وَقالَ : انَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلِهِ » .

وَيَجْهَرُ الإِمَامُ بِالقِرَاءَةِ لِنَقْلِ الخَلَفِ عَن السَّلَفِ . وَيُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ ، وَوَقْتِهَا بَعْدَ صَلَاةِ العِشَاءِ ، قَبْلَ الوِتْرِ إِلَى طُلُوعِ الفَجْرِ ، وَفِعْلُهَا فِي المَسْجِدِ أَفْضَلُ ، لأَنَّ النَّبِي صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّاهَا ثَلَاثَ لَيَالٍ مُتَوَالِيَةً ، كَمَا رَوَتْ عَائِشَةُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ وَمَرَّةً ثَلَاثَ لَيَالٍ

مُتَفَرِّقَةٍ كَمَا رَوَى أَبُو ذَرٍّ ، قَالَ : « مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَفْعَلُونَهَا فِي المَسْجِدِ أَوْزَاعاً في جمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ في عَهْدِهِ .

شِعْرَا : وَمَا اللَّيلِ إِلَّا لِلْمُنِيبِ مَطِيَّةٌ وَمَيْدانُ سَبْقٍ لِلَّذِي يتَهَجَّدُ

آخر : يَهْوَى الدَّيَاجِيْ إِذَا المغْرُوْرُ أَغْفَلهَا كَأَنَّ شُهْبَ الدَّيَاجِيْ أَعْيُنٌ نُجُلُ

آخر : إِذَا شامَ الفَتَى بَرْقَ الْمَعَالِيْ فأَهْوَنُ فَائِتٍ طِيْبُ الرُّقَادِ

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ القَارِيء قَالَ : « خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ في رَمَضَانَ إِلى المَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلاَتِهِ الرَّهْطُ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلاَءِ عَلَى قَارِيءٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ . ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَي بْنِ كَعْبٍ ثم خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخرَى وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ قَارِئِهِمْ ، فَقَالَ عُمَرُ : « نِعْمَتْ البِدْعَةُ هَذِهِ ، وَالتِيْ يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِن التِي يَقُومُوْنَ » يَعْنِي آخِرَ الليلِ ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أولهُ . فَدَلَّتْ هَذِهِ الأَخْبَارُ وَغَيْرِهَا عَلَى أَنَّ فِعْلَ التَّراوِيْحِ جَمَاعَةً أَفْضَلُ مِن الإِنْفِرَادِ وَكَذَا اجْمَاعُ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ الأَمْصَارِ عَلَى ذَلِكَ .

وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُوْرِ العُلَمَاءِ ، وَتجُوزُ فُرادَى واخْتُلِفَ أَيَّتُهما أَفْضَلُ لِلقَارِيء ، قَالَ البَغَوِيّ وَغَيْرُهُ : الخِلاَفُ بِمَنْ يَحْفَظُ القُرآنَ ، وَلاَ يَخَافُ الكَسَلَ عَنْهَا لَوْ انْفَرَدَ ، وَلاَ تَخْتَلُّ الجَمَاعةُ بِتَخَلُّفِهِ ، فَإِنْ فُقِدَ أَحَدُ هَذِهِ الأُمُورِ فَالجَمَاعَةُ أفضلُ بِلا خِلاَفٍ وَأَمَّا عَدَدُ صَلاَةِ التَّراوِيْحِ ، فَقَالَ القَاضِي : لاَ خِلاَفَ أَنَّهُ لَيْسَ فِيْ ذَلِكَ حدٌّ لاَ يُزَادُ عَلَيْهِ وَلاَ يَنْقصُ مِنْهُ .

فَاخْتَارَ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَجُمْهُورُ العُلَمَاءِ عِشْرِيْنَ رَكْعَةً : لِمَا رَوَى مَالِكٌ في « المُوَطَّأ » عَنْ يَزِيْدِ بْنِ رُوْمَانَ قَالَ : كَانَ النَّاسُ فِيْ زَمَنِ عُمَرَ يَقُومُونَ في رَمَضَانَ بِثَلاثٍ وَعِشْرِينَ رَكْعَةً » .

وَقَال السَّائِبُ بن يَزِيدَ : لَمَّا جَمَعَ عُمَرَ النَّاسَ عَلَى أُبيٍّ بنْ كَعْبٍ ، وَكَانَ يُصَلِّي بِهِمْ عِشْرِيْنَ رَكْعَةً : وَرَوى أَبُو بَكْرِ بْنِ عَبْدِ العَزِيْزِ فِي كِتَابِهِ « الشَّافِي » عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ النبي صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ عِشْرِيْنَ رَكْعَةً .

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ : لَهُ أَنْ يُصَلِّيْهَا عِشْرِيْنَ كَمَا هُوَ المَشْهُورُ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ والشَّافِعِي ، وَلَهُ أَنْ يُصَلِّيْهَا سِتّاً وَثَلاثِيْنَ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ ، وَلَهُ أَنْ يُصَلي إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ وَكُلُّهُ حَسَنٌ ، فَيَكُونُ تَكْثِيْرُ الرَّكَعَاتِ أو تَقْلِيْلُهَا بِحَسَبِ طُوْلِ القِيَامِ وَقِصَرِهِ : وَقَالَ : الأَفْضَلُ ، يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ المُصَلِّيْنَ فَإِنْ كَانَ فِيهِمْ احْتِمَالٌ بِعَشْرِ رَكَعَاتٍ وَثَلاثٍ بَعْدَهَا ، كَمَا كَانَ النبي صَلى الله عَليه وسَلَّمَ يُصَلِّي لِنَفْسِهِ فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ فَهُوَ الأَفْضَلُ ، وانْ كَانُوا لَا يَحْتَمِلُونَه ، فَالقِيَامِ بِعِشْرِيْنَ هُوَ الأَفْضَلُ وَهُوَ الذي يَعْمَلُ بِهِ أَكْثَرُ المُسْلِمِيْنَ ، فَإِنَّهُ وَسَطٌ بَيْنَ العَشْرِ والأَرْبَعِيْنَ . وَانْ قَامَ بِأَرْبَعِيْنَ وَغَيْرِهَا جَازَ ، وَلا يُكْرَهُ شَيءٌ مِنْ ذَلِكَ . وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ قِيَامَ رَمَضَانَ فِيهِ عَدَدٌ مُؤَقَّتٌ لَا يُزَادُ فِيْهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ فَقَدْ أَخْطَأَ ، وَقَدْ يَنْشَطُ العَبْدُ فَيَكُونُ الأَفْضَلُ فِي حَقِّهِ تَخْفِيْفَهَا .

وَقَالَ: قِرَاءَةُ القُرْآنِ فِي التَّرَاوِيحِ سُنَّةٌ بِاتِّفَاقِ المُسْلِمِيْنَ، بَلْ مِنْ أَجَلِّ مَقْصُودِ التَّرَاوِيْحِ قِرَاءَةُ القرآنِ فِيْهَا لِيَسْمَعُوا كَلَامَ اللهِ، فَإِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ فِيهِ نَزَلَ القُرْآنِ– فِيْهِ كَانَ جِبْرِيْلُ يُدَارِسُ النَّبِيِّ ﷺ– انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللهُ. واللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ»: ٤ – مَا يُسْتَحَبُّ فِيْهَا:

وَعَلَى الإِمَامِ أَنْ يَتَّقِي اللهَ ، فَلَا يُسْرِعُ سُرْعَةً تَمْنَعُ المَأْمُومَ مِنْ الاتْيَانِ بِرُكْنٍ كالطُمَأْنِيْنَةِ ، أو وَاجِبٍ كَتَسْبِيْحِ رُكُوعٍ وَتَسْبِيْحُ سُجُودٍ ، أو

قَوْلِ : « رَبِّ اغْفِرْ لِيَ » وَمِنَ المُؤْسِفِ أَنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ ، أَثْقَلُ الأَئِمَةِ عِنْدَهُ مَنْ يُصَلِّي التَّرَاوِيْحَ بِخُشُوعٍ وَخُضوعٍ وَاطْمِئْنَانٍ ، وَلِذَا يَفِرُّونَ مِنْهُ وَيَذْهَبُونَ إلى مَنْ يُسْرِعُ بِهَا وَلاَ يُتِمُّها عَلَى الوَجْهِ المَشْرُوعِ ، وَلاَ يَطْمَئِنُّ بِهَا ، وَالطُّمَأْنِيْنَةُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلاَةِ ، وَقَدْ قَالَ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ لِلمُسِيءِ في صَلاَتِهِ لَمَا أَخَلَّ بِالطُّمَأْنِيْنَةِ : ارْجِعْ فَصَلِّ ، فإنَّك لم تُصَلِّ».

وَقَالَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِيْ أُصَلِّي » وَكَانَ السَّلَفُ يَعْتَمِدُونَ عَلَى العُصِيِّ مِنْ طُولِ القِيَامِ .

وَعَنْ الأَعْرَجِ قَالَ : مَا أَدْرَكْنَا النَّاسَ الا وَهُمْ يَلْعَنُونَ الكَفَرَةَ في رَمَضَانَ وَقَالَ : وَكَانَ القَارِىءُ يَقْرَأُ سُورَةَ البَقَرَةِ في ثَمانِ رَكَعَاتٍ ، وَاذَا قَامَ بِهَا في اثْنَتَى عَشْرَةَ رَكْعَةً رَأَى النَّاسُ أَنَّهُ قَدْ خَفَّفَ » .

وعَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ بَكْرٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : كُنَّا نَنْصَرِفُ في رَمَضَانَ مِنْ القِيَامِ فَنَسْتَعْجِلُ الخَدَمَ بالطَّعَامِ مَخَافَةَ فَوْتِ السَّحُوْرِ ، وَفي أُخرى : « مَخَافَةَ الفَجْرِ » .

وَعَنْ السَّائِبِ بن يَزِيدَ قَالَ : أَمَرَ عُمَرُ أُبيَّ بنَ كَعْبٍ ، وَتَمِيْماً الدَّارِي - رَضْيَ اللهُ عَنْهُم - أَنْ يَقُومَا للنَّاسِ في رَمَضَانَ بِإحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةٍ ، فَكَانَ القَارِىءُ يَقْرَأُ بِالمِئِيْنَ حَتَّى كُنَّا نَعْتَمِدُ عَلَى العُصيِّ مِنْ طُولِ القِيَامِ ، فَمَا كُنَّا نَنْصِرفُ إلا في فُرُوعِ الفَجْرِ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ بِسُورَةِ القَلَمِ في عِشَاءِ الآخِرَةِ مِن الليلةِ الأُولَى مِن رَمَضَانَ بَعْدَ الفَاتِحَةِ لأنَّها أولُ مَا نَزَلَ مِن القُرْآنِ . وَيُسْتَحبُّ أَنْ لاَ يَنْقُصَ عَنْ خَتْمَةٍ في التَّرَاوِيحِ لِيَسْمَعَ النَّاسُ جَمِيْعَ القُرآنِ . وَيَتَحَرَّى أَنْ يَخْتِمَ آخِرَ التَّرَاوِيْحِ قَبْلَ رُكُوْعِهِ وَيَدْعُوْ .

شِعْرًا: وَلَيْسَ فَتَى الفِتْيَانِ مَن كان هَمُّهُ جَرَائِدَ يَقْرَاهَا ومِذْيَاعَ يَسْمَعُ
وَلَكِنْ فَتَى الفِتْيَانِ مَن كانَ هَمُّهُ قِرَاءَةُ قُرْآنٍ فَيَتْلُـوْ وَيَسْمَـعُ

وَلِشَيْخِ الإِسْلَامِ فِي ذَلِكَ دُعَاءٌ جَامِعٌ شَامِلٌ . وَقَالَ : رُوِيَ أَنَّ عِنْدَ كُلِّ خَتْمَةٍ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً :

وقال العلماءُ يُستحبُ لِقَارِىءِ القَرآنِ إذا خَتَمَهُ أن يجمعَ أهلهَ فإنه روي عن أنس بن مالكٍ أنه كان يَجْمَعُ أَهْلَه عند خَتْمِ القُرآنِ وعنه أنه إذا أَشْفَى على خَتْمِ القُرآن بالليل بَقِيَ أَرْبَعُ سُورٍ أو خَمْس فإذا أَصْبَحَ جَمَعَ أَهْلَهُ فَخَتَمه ودعا ويُسْتَحَبُّ لِمَنْ عَلِمَ بالخَتْمِ أَنْ يَحْضُرَهُ .

ورُوِيَ عن قَتادةَ أَنَّ رَجُلاً كان يقرأ القرآن في مَسْجِدِ رسول الله ﷺ فكان ابنُ عباسٍ يجعلُ عليه رَقِيباً . فإذا أرادَ أن يختِمَ قال لجُلَسَائِهِ قُومُوا بنا حتى نَحْضُرَ الخاتمةَ وعن مُجاهد : كانوا يَجْتَمِعُونَ عند خَتْمِ القُرآن ويَقُولُون الرحمةُ تنزل .

وعن الحَكَمِ بن عُتَيْبَةَ قال : كان مُجَاهِدُ وعنده ابْنُ أَبِي لُبَابَةَ وأناسٌ يَعْرِضونَ القُرآنَ فإذا أرادُوْا أن يَخْتِمُوهُ أَرْسَلُوا إلينَا وقالُوا : أنا نَرِيْدُ أَنْ نَخْتِمَ فأحْبَبْنَا أَنْ تَشْهَدُونا فإنه يُقالُ : إذا خُتِمَ القُرآن نَزَلَتِ الرحمةُ عند خَتْمِهِ أو حَضَرَتِ الرحمةُ عند خَتْمِهِ .

وقال وُهَيْبُ بنُ الوَرْدِ قال لي عَطَاءٌ : بَلَغَني أَنَّ حُمَيْدَ الأعرجَ يُرِيدُ أَنْ يَخْتِمَ القُرآنَ فانْظُرْ إذا أَرادَ أن يَخْتِمَ فأخْبِرني حتى أَحْضُرَ الخَتْمَةَ .
وقال في المغنى .

«**فَصْلٌ**» : **فِي خَتْمِ القُرْآنِ**: قَالَ الفَضْلُ بنُ زِيادٍ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله فَقُلْتُ أَخْتِمُ القُرْآنَ أَجْعَلُهُ في الوِتْرِ أَوْ في التَّرَاوِيْحِ ، قَالَ أَجْعَلْهُ فِي التَّرَاوِيْحِ حَتَّى يَكُونَ لَنَا دُعَائَيْن. قُلْتُ : كَيْفَ أَصْنَعُ ، قَالَ : إِذَا فَرغْتَ مِنْ آخِرِ القُرْآنِ فارْفَعْ يَدَيْكَ قَبْلَ أَنْ ترْكَعَ وادْعُ بِنَا ونَحْنُ في الصَّلاةِ وأَطِلِ القِيَامَ. قُلْت : بِمَا أَدْعُوْ ،

قَالَ: بِمَا شئْتَ. قال فَفَعَلْتُ بِمَا أَمَرَنِي وهُوَ خَلْفِي يَدْعُو قَائِماً ويَرفَعُ يَديه. قَالَ حَنبلُ سَمِعْتُ أَحمَدَ يَقُولُ في خَتمِ القُرْآنِ إِذَا فَرَغْتَ مِن قِراءِة ﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾ فارفعْ يَدَيْكَ في الدُعَاء قَبلَ الرُكُوع قُلْتُ إِلَىٰ أَيِّ شيءٍ تَذْهَبُ في هذا. قَالَ رَأَيْتُ أَهْلَ مَكَّةَ يَفْعَلُونَهُ وكان سفيانُ بَنُ عُيَيْنَةَ يَفْعَلهُ مَعَهُم بمكةَ، قَالَ العباسُ بنُ عبدِ العظيم وكذلكَ أدركْنَا الناسَ بالبَصْرَةِ وبمَكةَ ويَرْوِي أَهْلُ المدينةِ في هذا شيئاً وذُكِرَ عَن عثمانَ بنِ عفان وقالَ في الشرح الكبير مِثْلَ ما قال في المُغْني وقال في الأذكار ويُسْتَحَبُّ حُضُوْرُ مجلِسِ الختمِ لِمنْ يقرأ ولِمَنْ لا يُحْسِنُ أَنْ يَقرأ فقد روينا في الصحيحين أن رسولَ الله ﷺ أَمَرَ الحُيضَ بالخروج يومَ العيدِ فلْيَشْهَدْنَ الخيرَ ودَعْوَةَ المسلمين. وَوَرَدَ لا يَجْتَمعُ مَلاءٌ فَيَدْعو بَعْضُهم ويُؤَمِّنُ بَعْضُهُمْ إلا أَجَابَهمُ الله (طب ك ق).

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الهُدَىٰ ... وَلَا تَكُ بِدْعِيًا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُنَنِ الَّتِيْ ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ
وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيْكِنَا ... بِذَلِكَ دَانَ الاتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوْا
وَقُلْ يَتَجَلَّى اللهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةٍ ... كَمَا البَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
وَلَيْس بِمَوْلُوْدٍ وَلَيْسَ بِوَالِدِ ... وَلَيْس لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى المُسَبَّحُ
وَقَدْ يُنْكِرُ الجهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا ... بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَحَّحُ
رَوَاهُ جَرِيْرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ ... فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ في ذَاكَ تَنْجَحُ
وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ أَيْضَاً يَمِيْنَهُ ... وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالفَوَاضِلِ تُفْتَحُ
وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ في كُلِّ لَيْلَةٍ ... بِلَا كَيْفٍ جَلَّ الوَاحِدُ المُتَمَدِّحُ
إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ ... فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
يَقُولُ أَلا مُسْتَغْفِراً يَلْقَ غَافِراً ... وَمُسْتَمْنِحاً خَيْراً وَرِزْقاً فَيُمْنَحُ
رَوَى ذَاكَ قَومٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُم ... أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُم وَقُبِّحُوا

وَقُلْ إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحمدٍ وَزِيرَاهُ قِدْماً ثُمَّ عُثْمَانَ الأَرْجَحُ
وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيْفُ الخَيْرِ بِالخَيْرِ مُمْنَحُ
وإنَّهُمُوا والرَّهطُ لاَ شَكَّ فِيْهِمْ عَلَى نُجبِ الفِرْدَوْسِ بِالخُلْدِ تَسْرَح
سَعِيْدُ وَسَعْدُ وابنُ عَوفٍ وطَلْحَةٌ وَعَامِرُ فِهْرٍ وَالزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ
وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَلاَ تَكُ طَعَّانَاً تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ
فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبِيْنُ بِفَضْلِهِمْ وَفِي الفَتْحِ آيٌ لِلصَّحَابَةِ تَمْدَحُ
وَبِالْقَدَرِ المَقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ دِعَامَةِ عَقْدِ الدِّيْنِ وَالدِّيْنُ أَفْيَحُ
وَلاَ تُنْكِرَنَ جَهْلاً نَكِيْراً وَمُنْكَراً وَلاَ الحَوْضَ والمِيْزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ
وَقُلْ يُخْرِجُ اللهُ العَظِيْمُ بِفَضْلِهِ مِنَ النَّارِ أَجْسَاداً مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ
عَلَى النَّهْرِ فِي الفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ كَحَبِّ حَمِيْلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ
وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ وَأَنَّ عَذَابَ القَبْرِ بِالحَقِّ مُوْضَحُ
وَلاَ تُكْفِرَنْ أَهْلَ الصَّلاَةِ وَانْ عَصَوا فَكُلُّهُمُ يَعْصِي وَذُو العَرْشِ يَصْفَحُ
وَلاَ تَعْتَقِدْ رَأْيَ الخَوَارِجْ إِنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِيْ وَيَفْضَحُ
وَلاَ تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوْباً بِدِيْنِهِ أَلاَ إِنَّمَا المُرْجِيْ بِالدِّينِ يَمْزَحُ
وَقُلْ إِنَّمَا الأيْمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِي مُصَرَّحُ
وَيَنْقُصُ طَوْراً بِالمَعَاصِيْ وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمَى وَفِي الوَزْنِ يَرْجَحُ
وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أَزْكَى وَأَرْجَحُ
وَلاَ تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهُّوا بِدِيْنِهِمْ فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الحَدِيْثِ وَتَقْدَحُ
إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيْتُ وَتُصْبِحُ

اللهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِعِبَادِكَ الاخْيَارِ وَانْظُمْنَا فِي سِلْكِ المُقَرَّبِيْنَ والابْرَارِ وآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا

وَلِوَالِدَيْنَا ولِجَميعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلى مُحمدٍ وعَلى آلِهِ وَصَحْبِه أجْمَعِيْنَ

مـوعظـــة

عباد الله : تَصَرَّمَت الأعوامُ عاماً بعدَ عام ، وأنتم في غَفْلَتِكمُ ساهون نيام . أما تُشَاهِدونَ مَواقِع المنايا ، وحلولَ الآفاتِ والرَّزَايَا . وكَيفَ فازَ وأفلحَ المتقون ، وكيفَ خَابَ وخَسرَ المبطلون المفرطون فياليتَ شِعِرْي على أي شيءٍ تُطْوَى صَحَائِفُ الأعمال أعَلَى أعْمالٍ صَالِحَةٍ وتوبةٍ نَصوُح تُمْحَى بها الآثامْ ، أم علىَ ضِدِهَا فَلْيَتُبِ الجاني إلى رَبه ، فالعملُ بالخِتام . فاتقوا الله عبادَ الله واستدِركُوا عُمُراً ضيعتمُ أوّلَهُ ، فإنَّ بَقيةَ عُمُرِ المُؤْمِنِ لا قيمة له . فرحِمَ اللهُ عبداً اغتنمَ أيامَ القُوةِ والشبابِ ، وأسرعَ بالتوبةِ والإنابةِ قَبلَ طي الكِتابْ ، وأخَذَ نَصيْباً مِن الباقياتِ الصالحات ، قَبْلَ أن يَتَمَنَّى سَاعةً واحدةً مِن سَاعاتِ الحياةِ . أَينَ مَنَ كان قَبْلَكُم في الأوقاتِ الماضيةِ ، أما وَافَتهمُ المنايا وقَضَتْ عليهم القَاضِيَةُ ، أين آباؤُنا وأينَ أمهَّاتنا أينَ أقارِبُنا ، وأينَ جيرانُنا ، أينَ مَعَارِفُنا وأينَ أصْدِقَاؤنُا . رَحَلوُا إلى القُبور وقلَّ واللهِ بَعدهَم بُقَاؤُنا . هَذِهِ دُورهُمْ فيها سِواهمُ ، هَذا صَدِيقُهم قدَ نِسيَهْم وجَفَاهمُ . أخبارهُم السَّالَفةُ تُزعجُ الأَلْبَابْ ، وادّكَارُهم يَصْدَعُ قُلُوبَ الأحباب . وأحْوالُهم عِبرةٌ لِلْمُعْتَبِرِينَ . فتأملوا أحْوال الراحِلين ، واتعظوُا بالأُمَمِ الماضِين ، لعل القلبَ القاسيَ يلينْ . وانْظُرُوا لأَنْفُسِكم ما دُمتمُ في زَمَنِ الإمهالِ ، واغْتَنِموُا في حَيَاتِكمُ صَالحَ الأعمالِ ، قَبلَ أن تقولَ نَفسٌ يا حَسْرَتَي على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ الله ، فيقالُ هَيهاتَ فَاتَ زَمَنُ الامِكانِ ، وَحَصلَ الإنسانُ على عَمَلِهِ مِن خَيْرٍ أو عِصْيَان . فنسألك اللهم يا كريم يا منان ، أن تختم أعمالنا بالعفو والغفران ، والرحمة والجود والامتنان ، وأن تجعل وقتنا مُباركاً حميداً ، وتَرْزُقَنَا فيه رِزْقاً واسِعاً وتَوفِيقاً وتَسْدِيداً . اللهم اخْتمُ بالصالحاتِ أعمالنا ، وأصلح لنا جميع أحوالنا .

أَفي كُلِّ يَوْمٍ لي مُنىً أسْتَجدُّها وأَسْبَابُ دُنياً بالغـرُورِ أَوَدُّهـا ؟

وَنَفْسٌ تزَيَّا لَيتَهَا في جَوَانحٍ لِذي قُوَّةٍ يَسْطِيْعُهَا فَيَرُدُّهَا
تَعَامَهُ عَمْداً وَهي جِدُّ بَصيرَةٍ كَمَا ضَلَّ عن عَشْوَاءَ باللّيل رُشْدُها
إذا قُلْتُ يوماً : قَدْ تَنَاهَىٰ جِمَاحُها تَجَانَفُ لي عَنْ مَنْهَجِ الحَقِّ بُعْدُها
وأحسَبُ مَولاهَا كَمَا يَنْبغي لَهَا وإنّي منْ فَرْطِ الإِطَاعَةِ عَبْدُها
وأَهْوَىٰ سَبيلاً لا أرَىٰ سَالِكاً بهَا كَأنّيَ أَقْلاهَا وغَيري يَوَدُّهَا
وأنسَىٰ ذُنُوباً لي أَتَتْ فَاتَ حَصْرُهَا حِسَابِيْ وربِّيَ لِلْجَزَاءِ يَعُدُّها
أُقرُّ بهَا رَغْمَاً ولَيْسَ بنَافعِي -وقدْ طُوِيَتْ صُحْفُ المَعَاذيرِ- جَحْدُها
ولَمْ أَرَ كالدُّنْيا تَصُدُّ عَنِ الذي يَوَدُّ مُحِبُّوها فَيَحْسُنُ صَدُّها
وتَسْقِيهُمُ منْها الأُجَاجَ مُصَرَّداً وكَيفَ بهَا لَو طَابَ لِلْقَومِ عِدُّها ؟
أَرَاهَا علَىٰ كُلِّ العُيُوب حَبِيبَةً فَيَا لِقُلُوبٍ قَدْ حَشَاهُنَّ وِدُّها
وحُبُّ بَنِي الدُّنيا الحياةَ مسيْئَةً بِهِمْ ثَلْمَةٌ بالنَّفْسِ أَعْوزَ سَدُّها
سَقَى الله قَلْباً لم يبِتْ في ضُلُوعِهِ هَواها ولم يَطْرُقْ نَواحِيهِ وجْدُها
تَخَفَّفَ مِن أَزْوادِهَا مِلْءَ طَوْقِهِ فَهانَ عَلَيهِ عِندَ ذَلك فَقدُها

اللّهُمَّ يا مَنْ عَمَّ البَرِيَّةَ جُوْدُهُ وإنْعَامُه نَسْأَلُكَ أَنْ تَتَفضَّلَ عَلَيْنا بعَفْوكَ وغُفْرَانك ، وَجَمِيعِ المُسْلمِينَ الأحْيَاء منْهُمْ وَالمَيِّتِينَ برَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَى اللَّهُ عَلَى مُحَمد وَعَلَى آله وَصَحْبه أَجْمَعِينَ .

فصل في مَشْرُوعِ صَلاَةِ الوتْرَ ، وَحُكْمُهَا .
ووَقْتِ صَلاَةِ الوتْرِ .
والقِرَاءَة المُسْتَحَبَّةِ فِيْهَا .
وعَدَدِ رَكَعَاتِهَا .
ودُعَاءِ القُنُوتِ في الوتْرِ .

١ - مَشْرُوعيَّةُ صَلاَةِ الوتْرِ ، وحُكْمُهَا :

الـوتْـر سُنَّـةٌ مُؤَكَّـدَةٌ لِمُدَاوَمَتِهِ ﷺ عليه في حَضَرِهِ وَفي سَفَرِ ، وَلِمَا وردَ عن

عَلِي – رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ – قَالَ : لَيْسَ الوِتْرُ بِحَتْمٍ كَهَيْئَةِ المَكْتُوبَةِ ، وَلَكِنْ سُنَّةٌ سَنَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ ، وَالنَّسَائِي وَحَسَّنَهُ ، والحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ ، وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ) وَلَفْظُهُ : انَّ الوِتْرَ لَيْسَ بِحَتْمٍ وَلاَ كَصَلاتِكُمْ ، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوْتَرَ ، فَقَالَ : « يَا أَهْلَ القُرْآنِ أَوْتِرُوا فانَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ » .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ ، ثُمَّ انْتَظَرُوهُ مِنَ القَابِلَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ وَقَالَ : « خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْكُم الوِتْرُ » . رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ .

وَعَنْ ابن عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم أَوْتَرَ على بَعِيرِهِ . رَوَاهُ الجَمَاعَةُ .

٢ ـ وَقْتُ صَلاةِ الوِتْرِ :

وَوَقْتُ الوِتْرِ بَعْدَ صَلاةِ العِشَاءِ وَسُنَّتِهَا لِمَا رَوَى خَاجَةُ بنُ حُذَافَةَ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ ذَاتَ غَدَاةٍ ، فَقَالَ : « لَقَدْ أَكرَمَكُمْ اللهُ بِصَلاةٍ هي خَيْرٌ لكُم مِنْ حُمُرِ النَّعَم ، قُلْنَا : وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : الوِتْرُ فِيمَا بَيْنَ صَلاَةِ العِشَاءِ الى طُلُوعِ الفَجْرِ » . رَوَاهُ الخَمْسَةُ الا النَّسَائِيْ .

وَرَوَى أَبو بَصْرَةَ : أَنَّ النبي صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلم قَال : « انَّ اللهَ زَادَكُم صَلاةً فَصَلُّوهَا مَا بينَ صَلاَةِ العِشَاءِ الى صَلاَةِ الصُّبْحِ ، الوِتْرُ » . رَوَاهُ الامَامُ أَحْمَدُ . وَلِحَدِيْثِ أَبي سَعِيْدٍ مَرْفُوعا : « أَوْتِرُوا قَبْلَ أَنْ تُصْبِحُوا » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَقَالَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَاذَا خَشِيْتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدةٍ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

والأَفْضَلُ فِعْلُهُ سَحراً ، لِقَوْلِ عَائِشَةَ : مِنْ كُلِّ الليلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ

اللهِ صَلى اللهُ عَليه وَسلم فَانْتَهى وِتْرُهُ الى السَّحَرِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَمَنْ كَانَ لَهُ تَهجُّدٌ جَعَلَ الوِتْرَ بَعْدَهُ ، وَمَنْ خَشِيَ أَنْ لاَ يَقُومَ ، أَوْتَرَ قَبْلَ أَنْ يَنامَ، لِمَا وَرَدَ عنْ جَابِرٍ ـ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم : « مَنْ خَافَ أَنْ لاَ يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَيْلِ فلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُوْمَ آخِرَهُ ، فَلْيُوتِرْ آخِرَهُ ، فَانَّ صَلاَةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ » ، وَذلِكَ أَفْضَلُ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ ـ رَضْيِ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ النَّبِيَّ صَلى اللـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وانْ أَحبَّ مَنْ لَهُ تَهجُّدٌ مُتَابَعَةَ الإِمَامِ فِي وُتْرِهِ قَامَ إِذَا سَلَّمَ الاَمَامُ وَأَتَى بِرَكْعَةٍ بَعْدَ الوِتْرِ شَفَعَ بِهَا رَكْعَـةَ الوِتْرِ . ثُمَّ إِذَا تَهجَّدَ أَوْتَرَ فَيَنَالُ فَضِيْلَةَ مُتَابَعَةِ الامَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ ، لِقَوْلِهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ : « مَن قامَ مَعَ الامَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ » . صَحَّحَهُ التِّرْمِذِي .

وَيَنَالُ فَضِيْلَةَ جَعْلِ وِتْرِهِ آخِرِ صَلاتِهِ لِحَـدِيْثِ : « اجْعَلُوا آخِرَ صَلاتِكُمْ بِاللَّيْل وِتْرا » . مُتفَّقٌ عَلَيْهِ ، وَيَقْضِيْهِ مَعَ شَفْعِهِ اذَا فَاتَ وَقْتُهُ لِحَدِيْثِ أَبِي سَعِيْدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ : « مَن نَامَ عَنِ الوِتْرِ أَوْ نَسْيَه فَلْيُصَلِّ اذا أَصْبَحَ أَو ذَكَرَهُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَلاَ يَصِحُّ الوِتْرُ قَبْلَ صَلاَةِ العِشَاءِ لِعَدَمِ دُخُولِ وَقْتِهِ ، وَأَقَلُّ الوِتْرِ رَكَعَةٌ ، وَلاَ يُكْرَهُ الاتْيَانُ بِهَا مُفْرَدَة وَلو بِلاَ عُذْرٍ مِنْ سَفَرٍ أَوْ مَرَضٍ وَنَحْوِهِمَا لِما وَرَدَ عَن ابن عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّهُمَا سَمِعَا النَّبي صَلى اللهُ عَليه وسَلمَ يَقولُ : « الوِتْرُ رَكْعَةٌ مِنْ آخِرِ اللَيْلِ » . رَوَاهُ أحمَدُ وَمُسْلِمُ .

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليه وَسَلم : « الوِتْرُ حَقٌّ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوْتِرَ بِخَمْسٍ فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوْتِرَ بِثَلاثٍ فَلْيَفْعَلْ » . رَوَاهُ الخَمْسَةُ الا التِّرْمِذِي .

وَثَبَتَ عَنْ عَشَرَةٍ مِنْ الصَّحَابَةِ أَنَّ الْوِتْرَ رَكْعَةٌ مِنْهُمْ : أَبُوْ بَكْرٍ ، وَعُمَرُ وَعَائِشَةُ رَضْيَ اللهُ عَنْهُم ـ وَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ أَهْلِ العِلْمِ مَالِكٍ والشَّافِعِي وَغَيْرِطهمْ ـ رَحِمَهُم اللهُ تَعَالى .

وَعَنْ عَائِشَةَ ـ رَضْيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَت : « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلم يُصَلِّي مَا بَيْنَ صَلاَةِ العِشَاءِ إلىَ الفَجْرِ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً يُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ ، ويُوْتِرُ بِوَاحِدَةٍ » .

وَفِي لَفْظٍ كَانَ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلم : يُصَلي بِاللَّيْلِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةٍ وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ . وَأَدْنَى الكَمَالِ فِي الوِتْرِ ثَلاثُ رَكَعَاتٍ بِسَلامَيْنِ ، لِما رَوَى عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَر ـ رَضِي اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبي صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ عَنْ الوِتْرِ فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « افْصِلْ بَيْنَ الوَاحِدَةِ والثِّنْتَيْنِ بِالتَّسْلِيْمِ » . رَوَاهُ الأَثْرَمُ .

وَعَنْ ابنِ عُمَرَ ـ رَضِـيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّهُ كَانَ يُسَلِّمُ بَيْنَ الرَّكْعَتَيْنِ وَالرَّكْعَةِ بالتَّسْلِيْمِ فِي الوِتْرِ ، حَتَّى أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِبَعْضِ حَاجَتِهِ . رَوَاهُ البُخَارِيْ .

وَيَجُوزُ سَرْدُ الثَّلاثِ بِسَلامٍ وَاحِدٍ ، فَلا يَجْلِسْ إلَّا فِي آخِرِهِنَّ ، وَتَجُوز كَمَغْرِبِ . وَمَن أَدْرَكَ مَعَ الامَامِ رَكْعَةً مِن الثَّلاثِ فَإِنْ كَانَ الامَامُ يَسَلِّمُ من كُلِّ اثْنَتَيْنِ أَجزَأَ لأَنَّ أَقَلَّ الوِتْرِ رَكْعَةٌ ، وانْ لَمْ يَكُنْ الامَامُ يُسَلِّم مِنْ كُلِّ اثْنتينِ قَضَى ، لِحَدِيْثِ : « ما أَدْرَكْتُمُوْهُ فَصَلُّوا ، وَمَا فَاتَكم فَاقضُوا » وَلأَنَ القَضَاءَ يَحْكِي الأَدَاءَ .

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِتَدبُر كِتَابك وإطَالِةِ التأمُلِ فيه وَجَمْعِ الفِكْرِ على مَعَانِي آياتِه. اللَّهُمَّ ثَبِّت قَوَاعِدَ الإِيمانِ في قُلُوبِنَا وَشَيِّدْ فيها بُنْيَانَهُ وَوَطِّدْ فِيها أرْكَانَهُ وَأَلْهِمنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرةِ حَسنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الأُوْلَى: ﴿**سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾، وَفِي الثَّانِيَةِ: ﴿**قُلْ يا أَيُّهَا الكافِرُونَ**﴾ وفي الثَّالِثَةِ: ﴿**قُلْ هُو اللهُ أَحَدَ**﴾ لِحَديثِ عَائِشَةَ: «كَانَ النبي ﷺ يُوْتِرُ بِثَلاثٍ لَا يَفصِلُ فِيْهِنَّ». رَوَاهُ أحمَدُ والنَّسائِي.

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ في الرَّكْعَةِ الأُولَى : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، وَفي الثَّانِيَةِ : ﴿قُلْ يا أَيُّهَا الكافِرُونَ﴾ وفي الثَّالِثَةِ : ﴿قُلْ هُو اللهُ أَحَدَ﴾ لِحَديثِ عَائِشَةَ : «كَانَ النبي صَلى اللهُ عَليه وَسلم يُوْتِرُ بِثَلاثٍ لَا يَفْصِلُ فِيْهِنَّ» . رَوَاهُ أحمَدُ والنَّسائِي .

وَعَنْ أُبَيٍّ بن كَعْبٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ ؟قَالَ : «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهِ عليه وسَلم يُوْتِرُ بِـ «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ ، وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . رَواهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسائِي ، وَزَادَ : **وَلَا يُسَلِّمُ الَّا في آخِرِهِنَّ** ، وَلأَبِي دَاوُدَ والتِّرمِذي عَنْ عَائِشَةَ نَحْوُهُ ، **وَفِيْهِ كُلُّ سُوْرَةٍ في رَكْعَةٍ ، وفي الأَخِيْرَةِ : ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ وَالمعَوِّذَتَينِ** .

والسُّنَةُ لِمَنْ أَوْتَر بِمَا زَاد عَلى رَكْعَةٍ أَنْ يُسَلِّمَ مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ لِمَا رَوَى ابْنُ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا ـ أَنَّ النَّبي صَلى اللهُ عَليه وَسَلم كَانَ يَفْصِلُ بَيْنَ الشَّفْعِ وَالوِترِ ، وَيُسنُّ فِعْلُ الرَّكْعَةِ عَقِبَ الشَّفْعِ بِلَا تَأخِيْرٍ لَهَا عَنْهُ ، وَإِنْ صَلَّى الاحْدَى عَشْرَةَ كُلَّها بِسَلامٍ وَاحِدٍ بِأَنْ سَرَدَ عَشْراً وَتَشهَّدَ

التَّشَهُّدَ الأَوَّلَ ، ثُمَّ قَامَ فَأَتَى بِالرَّكعَةِ حَـازَ ، أَوْ سَرَدَ الجَمِيْعَ وَلَمْ يَجْلِسْ إلاَّ في الأَخِيْرَةِ جَازَ لكِنْ الصِّفَةُ الأُوْلَى أوْلَى لأَنَّها فِعْلُهُ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلَمَ .

٤ ـ عَدَدُ رَكَعَاتِهَا :

يَجُوزُ الوِتْرُ بِخَمْسٍ وَبِسَبْعٍ وبِتِسْعٍ ، فانْ أَوْتَرَ بِتِسعٍ سَرَدَ تَماماً وَجَلَسَ وَتَشَهَّدَ التَّشَهُّدَ الأَوَّلَ وَلَمْ يُسَلِّم ، ثُمَّ اذا صَلَّى التَّاسِعَةَ وَتَشَهَّدَ سَلَّمَ ، لما وَرَدَ عَنْ سَعِيْدِ بن هِشَامٍ قَال انْطَلَقْتُ إلـى عَائِشَةَ فَقُلتُ : يَا أمَّ المؤمِنينَ ، أَنْبِئْنِيْ عَن خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلم ، فَقَالَتْ : أَلَسْتَ تَقْرأُ القُرآنَ ؟ قُلتُ : يَا أُمَّ المؤمِنينَ ، أَنْبئنِيْ عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم فَقَالَتْ : كُنَّا نُعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ فَيَبْعَثُهُ اللهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِن الليلِ ، فَيَبُولُ وَيَتوضَّأُ وَيُصَلِّى تِسْعَ رَكَعَاتٍ ، لاَ يَجْلِسُ فِيْهَا إلا في الثَّامِنَةِ فَيَذْكُرُ اللهَ وَيَحْمَدُهُ ، وَيَدْعُوهُ ، ثُمَّ يَنْهَضُ وَلاَ يُسَلِّمَ ، فَيُصَلِّي التَّاسِعَةَ ، ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَذْكُرُ اللّهَ ، وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ ، ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيْماً فَيُسْمِعُنَا ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ وَهُوَ قَاعِدٌ ، فَتِلْكَ إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يَا بُنَيَّ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَانْ أَوْتَرَ بِسَبْعٍ إوْ بِخَمْسٍ لَمْ يَجْلِسْ الاَّ فِي آخِرِهَا لِمَا وَرَدَ عن أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوْتِرُ بِسَبْعٍ وَبِخَمْسٍ لاَ يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ سَلامٌ ولاَ كَلامٌ . رَوَاهُ أَحْمَدُ والنَّسَائِيْ وَابنُ مَاجَهْ .

وَعَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ ﷺ يُصَلي مِنْ الليلِ ثَلاثَ عَشْرَةَ رَكْعَـة ، يُوْتِرُ مِنْ ذَلك بخَمْس وَلاَ يُجْلِسُ فِيْ شَيْءٍ إِلاَّ فِيْ آخرِهِنَّ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

فصل في دُعَاءُ القُنُوب في الوتْر :

وَيُسَتَحبُّ أنْ يقْنُتَ في الرَّكْعَةِ الأَخِيْرَةِ بَعْدَ الرُّكُوعِ لأَنَّهُ صَحَّ عَنْهُ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم . مِن رَوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَنَسٍ وابنِ عَبَّاسٍ وَعَنْ عَمْرو وَعَلي أَنَّهُمَا كَانَا يَقْنُتَانِ بَعْدَ الرُّكُوْعِ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالأَثْرَمُ ، وَلَوْ كَبَّر وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَنتَ قَبْلَ الرُّكُوْعِ جَازَ لحديث أَبي بنِ كَعْبٍ : أنَّ النَّبي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَم كَانَ يَقْنُتُ قَبْلَ الرُّكُوْعِ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَرَوَى الأَثْرَمُ عَنْ ابْنِ مَسْعُوْدٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْنُتُ في الوِتْرِ ، وَكَانَ اذَا فَرَغَ مِنْ القِرَاءَةِ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَنتَ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ابْنِ الخَطِيْبِ : وَالقُنُوتُ : الدُّعَاءُ وَهُوَ مَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ ـ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ قَنَتَ فَقَالَ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنُ الرَّحيم : اللَّهُمَّ انَّا نَسْتَعِيْنُكَ وَنَسْتَهْدِيْكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنتُوبُ إلَيْكَ ، وَنُؤْمِنُ بِكَ وَنَتَوكَّلُ عَلَيْكَ ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الخَيْرَ كُلَّهُ وَنَشْكُرُكَ ، وَلاَ نَكْفُرُكَ وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ . اللهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ وَالَيْـكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ ، نَـرْجُو رَحْمَتَكَ وَنَخْشَى عَذَابَكَ ، إنَّ عَذَابَكَ الجِدَّ بِالْكُفَّارِ مُلْحَقٌ .

وَرَوَى الحَسَنُ بْنُ عَلي ـ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ عَلَّمَنِي رَسُولَ الله صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَم كَلِمَاتٍ أَقُوْلُهُنَّ في قُنُوْتِ الوِتْرِ وَهُنَّ : « اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيْمَنْ هَدَيْتَ ، وعَافِنِيْ فِيْمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّنِي فِيْمَنْ تَوَلَّيْتَ ، وَبَارِكْ لِيْ فِيْمَا أَعْطَيْتَ ، وَقِنِيْ شَرَّ مَا قَضَيْتَ ، فَإنَّكَ تَقْضِي وَلا يُقْضَى عَلَيْكَ ، انَّهُ لَا تَـذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ ، وَلاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعالَيْتَ » .

وَعَنْ عَلي بنِ أَبِيْ طَالِبٍ ـ رَضْيِ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقولُ في وِتْرِهِ : « اللَّهُمَ إنِّي أَعُوْذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِعَفْوِكَ مِنْ عُقُوْبَتِكَ ، وَبِكَ مِنْكَ ، لَا نُحْصِيْ ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا

أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » . رَوَاهُ الخَمْسَةُ ثُمَّ يُصَلِي عَلَى النَّبي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِحَدِيْثِ الحَسَنِ بنِ عَلِي - رَضْيَ اللهُ عَنْهُ - وَفي آخِرِهِ « وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدَ » . رَوَاهُ النِّسَائِي .

وَعَنْ عُمَرَ : « الدُّعَاءُ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، لاَ يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّي عَلَى نبيِّكَ»رَوَاهُ التِّرمِذِي . ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بِيَدَيْهِ، هُنا وَخَارِجَ الصَّلاَةِ إِذَا دَعَا . لِعُمُومِ حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - كَانَ النبي صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ في الدُّعَاءِ ، لاَ يَحُطُّهُمَا حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ » . رَوَاهُ التِّرمِذِي .

وَلِقَولِهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حَدِيثِ ابنْ عَبَّاس « فَاذَا فَرَغْتَ فَامْسَحْ بِهِمَا وَجْهَكَ » . رَوَاهُ أَبـو دَاوُدَ وابْنُ مَاجَـه . وَيُؤَمِّنُ المُنْفَرِدُ الضَّمِيرَ ، وإِذَا سَلَّمَ مِن الوَتْرِ سُنَّ قَوْلُهُ : « سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ » - ثَلاَثَ مَرَّاتٍ - يَرْفَعُ صَوْتَهُ في الثَّالِثَةِ ، لِمَا رَوَى أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَلَّمَ في الوِتْرِ قَالَ : « سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُوسِ » . وَزَادَ ثَلاَثَ مَراتٍ يُطِيلُ في آخِرِهِنَّ .

وَفي رِوَايَةٍ لِلنَّسَائِي عَن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَبْزَىٰ عَنْ أَبِيْهِ قَالَ : كَانَ يَقُولُ إِذَا سَلَّم : « سُبْحَانَ الملكِ القُدُوسِ » ثَلاَثـاً ، وَيَرْفَـعُ صَوْتَـهُ بالثَّالِثَةِ .

وَصَلِّ بِشَهْرِ الصَّوْمِ عِشْرِيْنَ رَكْعَةً ... تَرَاوِيْـحَ في جَمْـعٍ وَبِالوِتْـرِ شَيِّـدِ
وَقُمْ بَعْدَهَا واشْفَعْ هُدِيْتَ بِرَكْعَةٍ ... لِتُوتِـرَ إِمَّا شِئْتَ بَعْدَ التَّهَجُّـدِ
وَأَفْضَلُ نَفْـلِ المَـرْءِ لَيْـلاً بِبَيْتِـهِ ... فَقُمْ تِلْوَ نِصْفٍ مِثْلِ دَاودَ فَاسْجُدِ
وَإِنْ شِئْتَ اجْهَرْ فِيْهِ مَا لَمْ تَخَفْ أَذَى ... لإِبعَاد شَيْطَـانٍ وَإِيْقَـاظِ رُقَّـدِ
وَخُذْ قَدْرَ طَوْقِ النَّفْسِ لا تَسْأَمَنَّهُ ... وَقِلْ تَسْتَعِنْ بِالنَّوْمِ عِنْدَ التَّهَجُّـدِ

فَإِنْ لَمْ تُصَلِّ فَاذْكُرِ اللهِ جَاهِدَاً ... وَتُبْ واسْتَقِلْ مِمَّا جَنَيْتَ وَسَدِّدِ
فَلَا خَيْرَ فِي عَبْدٍ نَؤُومٍ إلى الضُّحَى ... أَمَا يَسْتَحِي مَوْلاً رَقِيباً بِمَرْصَدِ
يُنَادِيهِ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَ سُؤْلَهُ ... وَمُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرْ لَهُ ويُؤَيَّدِ

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا توفيقاً يَقِيْنَا عَنْ مَعَاصِيْكَ وَأَرْشِدْنَا إلى السَّعْي فِيْمَا يُرْضِيْكَ وأَجِرْنَا يَامَوْلَانَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وأَحْبَابِكَ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ. اللَّهُمَّ انظِمْنا في سِلكِ حِزبِكَ المُفلِحِين، واجْعلنا مِنْ عِبَادِكَ المُخْلَصِيْنْ وَأَمِنَّا يومَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ يَوْمَ الدِينْ، واحْشُرْنا مَعَ الذين أَنْعَمْتَ عليهم مِنَ النَّبِيِّينَ ووالصِدِّيقينَ والشُهَدَاءِ والصَّالِحِيْنَ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**» : **وَيَبْحَثُ فِي** : ١ - مَا وَرَدَ مِن الحَثِّ عَلَىٰ الأجْتِهَادِ في العَشْرِ الأَخِيرِ مِنْ رَمَضَان، وَالحَثِّ عَلَى القِيَامِ عُمُوماً.

٢ ـ ما وَرَدَ في فضل هذا العَشْرِ الأَخِيْرِ، والحَثِّ على القيامِ عموماً.

٣ ـ مَا وَرَدَ في لَيْلَةِ القَدرِ مِنَ الفَضْلِ وَذِكْرِ عَلَامَتِهَا.

١ ـ مَا وَرَدَ مِن الحَثِّ عَلى الاجْتِهَادِ في العَشْرِ الأَخيرَةِ مِنْ رَمَضَانَ :

يُسْتَحَبُّ الاجْتِهَادُ والحِرْصُ على مُدَاوَمَةِ القِيَامِ في العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِن رَمَضَان وَإِحْيَاؤُهَا بِالعِبَادَةِ وَاعْتِزَالُ النِسَاءِ وَأَمْرُ الأَهْلِ بالاسْتِكْثَارِ مِنَ الطَّاعَةِ فِيْهَا، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ «أن النبيَّ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَمَ، كَانَ اذَا دَخَلَ العَشْرُ الأَواخِرُ أَحْيَا الليلَ، وَأَيقَظَ أَهْلَهُ، وَشَدَّ المِئْزَرَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْهَا قَالَتْ : « كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ في العَشْرِ الأَواخِرِ مِنْهُ مَالا يَجْتَهِدُ في غَيْرِهِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَأَخْرَجَ الطَّبَرانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - « أَنَّ النبيَ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُوقِظُ أَهْلَهُ في العَشْرِ الأَواخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يُطِيْقُ الصَّلاَةَ » .

وَفِي التِّرمِذِيِّ عَنْ امِ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « لَمْ يَكُن النبيْ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ . إذا بَقِيَ مِنْ رَمَضَانَ عَشَرَةُ أَيَّامٍ يَدَعُ أَحَدَاً مِنْ أَهْلِهِ يُطِيْقُ القِيَامَ إلا أَقامَهُ » .

٢ - مَا وَرَدَ في فَضلِ هَذَا العَشْرِ الأخيرِ :

عَنْ أَبي هُرَيرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَن قَامَ ليلةَ القدرِ ايمَاناً واحتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » . رَوَاهُ الجَمَاعَةُ إلا ابْن مَاجه .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنهَا - قَالَتْ ، قُلتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أرأيتَ ان عَلِمْتُ أيَّ لَيْلَةٍ لَيلةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيْهَا ؟ قَالَ : « قُوْلِيْ اللهُمَّ إنكَ عفوٌ تُحِبُّ العفْوَ فَاعْفُ عَنِّي » رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ .

قَالَ ابنُ جَرِيرِ : كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَغْتَسِلُ ، وَيَتَطَيَّبُ في اللَّيَالِيْ التي تَكُونُ أَرْجَى لِلَيْلَةِ القَدْرِ .

وَرُوِيَ عَنْ أَنَس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ إذَا كَانَ لَيْلَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِين اغْتَسَلَ وَتَطَيَّبَ وَلَبِسَ حُلَّةً وَازاراً وَرِدَاءً ، فَإذَا أَصْبَحَ طَوَاهُمَا فَلَمْ يَلْبَسْهُمَا إلى مِثْلِهَا مِنْ قَابِلَ .

وَقَالَ حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ : كَانَ ثَابِتُ وَحُمَيْدٌ يَلْبَسَانِ أَحْسَن ثِيَابِهِمَا

وَيَتَطَيَّبَانِ وَيُطَيِّبَانِ المَسْجِدَ بالنُّضُوحِ وَالدُّخْنَةِ في اللَّيْلَةِ التي تُرْجَى فِيْهَا لَيْلَةُ القَدْرِ فَيُسْتَحَبُّ في اللَيَالِي التِي تُرْجَىٰ فِيْهَا لَيْلَة القَـدْرِ التَّنَظُّفُ وَالتَّطَيُّبُ والتَّزَيُّنُ بِالغُسْلِ والطيِّبِ واللبَاسِ الحَسَن كَمَا شُرِعَ ذَلِكَ في الجُمَعِ والأَعْيَادِ ، وَكَذَلِكَ يُشْرَعُ أخذُ الزِّينَةِ مِن الثِّيَابِ في سَائِرِ الصَّلَواتِ ، قَال اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَا بَنِيْ آدَمَ خُذُواْ زِيْنَتَكُم عِنْـدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - : « اللهُ أَحَقُّ أَنْ يُتَزَيَّنَ لَهُ » .

وَرُوِيَ عَنْهُ مَرْفُوعَا عَنْ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلاَ يَكْمُلُ التَزَينُ الظَّاهِرُ إلا بِتَزْيِينِ البَاطِنِ بالتَّوْبَةِ والانَابَةِ الى اللهِ تَعَالى ، وَتَطْهِيْرِهِ مِن أَدْنَاسِ الذُنوبِ ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُم وَأَجْسَامِكُم ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وأَعْمَالِكُم .

شعـراً : إذَا صَدَرَتْ مِنْكَ الذُّنُـوْبُ فَدَاوِهَا ... بِرَفْـعِ يَدٍ في اللَّيْـلِ واللَّيْـلُ مُظْلِـمُ

ولا تَقْنَطَـنْ مِن رَحْمَـةِ الله إنمَّــا ... قُنُـوْطُكَ منها مِن خَطَايَـاكَ أَعْظَـمُ

فَرَحْمَتُــهُ لِلْمُحْسِنِيْــنَ كَرَامَــةٌ ... وَرَحْمَتُــهُ لِلْمُذْنِبِيْــنَ تَكَــرُّمُ

آخـر : عَلَـيْكَ بِإِخْـلاصِ الْعِبَـادَةِ لِلـذِيْ ... لَهُ نِعَـمٌ لا تُنْــحَصِي وَفَضَائِــلُ

فَمَنْ وَقَفَ بينَ يَدَيْهِ فَلْيُزَيِّنْ ظَاهِرَهُ باللِّبَـاسِ ، وَبَاطِنَـهُ بِلِبَاسِ التَّقْوَى ، وَقَال الله تَعالى : ﴿ يا بَنِيْ آدَمَ قد أنزلْنَا عليكُم لباساً يُوارِيْ سَوْآتِكم ورِيْشاً وَلِبَاسُ التَقوَى ذلكَ خَير ﴾ .

عِبَادَ اللهِ : إنَّ عَشْرَكُمْ هَذَا هُوَ العَشْرُ الأَخِيرُ ، وَفِيهِ الخَيراتُ والأُجورُ الكَثِيرَةُ تَكْمُلُ فِيْهِ الفَضَائلُ ، وَتَتِمُّ فيهِ المَفاخِرُ ، وَيَطَّلِعُ عَلى عِبَادِهِ الرَّبُّ العَظِيمُ الغَافِرُ وَيُنيلُهُم الثَّوابَ الجَزيلَ الوَافِرَ ، فِيهِ تَزكُـو الأَعمالُ ، وَتُنَالُ الآمَالُ ، وَقدذَكَرَ جلَّ وَعلا مِنْ مَحَاسِنِ أَهْلِ الإِيمَانِ ، أَنَّهم تَتَجَافي جُنُوبُهم عَن المَضَاجِعِ ، عَنْ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ عَن النبي صَلى

الله عليه وسلم في قَولِهِ تَعالَى : ﴿ تتجَافي جُنوبُهم عَنِ المضَاجِعِ ﴾ قَالَ : هِيَ قيامُ العَبْدِ أولَّ الليلِ .

وَرَوى الامامُ أَحْمَدُ عَن ابن مَسْعودٍ أنَّ النبيَّ صَلى اللهُ عليه وسلم قالَ : « عجِبَ رَبُّنا مِن رَجُلَين : رَجُلٌ ثَارَ مِن وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِن بَيْنِ حِبِّهِ وَأَهْلِهِ إلى صَلاَتِهِ رَغبَةً فِيمَا عِنْدِي وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي » الحَدِيْث .

وَقَالَ الحَسَنُ وَمُجَاهِدُ وَمَالِكٌ وَالأَوْزَاعِيُّ وَغَيرُهُم : « إنَّ المرَادَ بالتَّجَافي القيَامُ لِصَلاَةِ النَّوافِلِ باللَّيلِ » ، وَفي آيَةِ سُورَةِ الذَّارِيَاتِ . أَخْبَرَ جلَّ وَعَلاَ أَنَّهُم كَانُوا يَنامُونَ القَلِيْلَ مِنَ اللَّيل ، وَيَتَهجَّدونَ مُعْظَمَهُ قالَ تَعَالَى : ﴿ كَانُوا قَليلاً مِن الليلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ .

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ مَا تَأْتِي عَلَيْهِمْ لَيْلَةٌ يَنامُوا حَتَّى يُصْبِحُوا إلاَّ يُصَلُّونَ فِيْهَا شَيْئاً ، إمَّا مِن أَوَّلِهَا أَوْ مِنْ أَوْسَطِهَا . وَقَالَ الحَسَنُ : كابَدُوا قِيَامَ الليلِ فَلا يَنامُوا مِنَ اللَّيلِ إلا قَلِيْلَهُ .

شِعْرًا : خُضُوْعٌ وَخَوفٌ واحْتِشَامٌ وَذِلَّةٌ — وهَذا لِمَنْ يَرجُو النَّجـاةَ قَلِيْـلُ
فِهَلْ لِيْ مِن الاحْزَانِ حَظٌ مُوَفَّرٌ — وهَلْ لِي إلَى طُوْل البُكاءِ سَبِيْلُ
لَعَلِّيَّ أَنْ أُحْظَي بقُـرْبٍ وَلَـذَّةٍ — ويَحْصُلُ لِيْ بَعْدَ الفِرَاقِ وُصُوْلُ

آخر : يَا عَاشِقَ العَيْشِ في الدُّنْيا وَزُخْرُفِهَا — هَل أَخْلَدَ النَّاسَ مَا حَازَوْا وَمَا عَمَرُوْا
عَلَيْكَ باللَّيْلَ فِي الأذكارِ تعُمرهُ — وَدَعْ مَلذَّاتِهِ الأُخْرَى لِمَنْ كَفَرُوْا
لَغَمْسَة فِي جنَّانِ الخُلْدِ خَاطِفَةً — تَنْسِيْكَ مَا مَرَّ مِنْ بُؤْسٍ لَهُ خَطَرُ

آخر : وَأَهْوَى مِنَ الفِتْيَانِ كُلِّ مُوَحِّدٍ — يُلازِمَ ذِكْرَ اللهِ يَهـوى التعَبّـدا
نَفَى النَّومَ عن عَيْنَيْهِ نَفْسٌ تَقِيَّةٌ — لَهَا في ظَلامِ اللَّيلِ طُوْلُ تَهَجَّدِ

والله أعلم وصلى الله على مَحُمَّدٍ وآلِهِ وسلم.

فصـــل

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ النَّبِي صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلم أنهُ قَالَ : « عَلَيْكُمْ بِقيَامِ اللَّيلِ ، فَانَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُم ، وَهُوَ قُرْبُكُم مِنْ رَبِّكم وَمَغْفِرَةٌ لِلسَّيئَاتِ وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ .

وَقَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ : كَانَ الأَحْنَفُ بنُ قَيسٍ يَقُولُ : عَرَضْتُ عَمَلِي عَلَى عَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، فَإِذَا قَوْمٌ قَدْ بَايَنُونَا بَوْنَاً بَعِيْدَا ، وإذَا قَوْمٌ لاَ تُبْلَغُ أَعْمَالُهُمْ ، كَانُوا قَلِيْلاً مِنَ اللَّيلِ مَا يَهْجَعُونَ ، وَعَرضْتُ عَمَلي عَلى عَمِلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَاذا قَوْمٌ لاَ خَيْرَ فِيْهِم مُكَذِّبُونَ بِكِتَابِ اللهِ وَلرُسُلِ اللهِ مُكَذبُون بِالبَعْثِ بَعْدَ المَوتِ ، فَقَدْ وَجَدْتُ مِن خَيرِنَا مَنْزِلَةً قَومَاً خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخر سَيِّئاً .

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن زَيْدِ بن أَسْلَمَ قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ لِأَبِي : يَا أَبَا أُسَامَةَ صِفَة لاَ أَجِدُهَا فِيْنَا ، ذَكَرَ الله تَعالي قَوْماً فَقَالَ : ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ الليلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ وَنَحْنُ واللهِ قليلاً مَا نَقُومُ ، فَقَال لَهُ أَبِي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : طوُبَي لِمَنْ رَقَدَ إِذَا نَعَسَ ، وَاتَّقَى اللهَ إذا اسْتَيْقَظَ .

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنِ سلامٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم المدينَةَ انجفَلَ النَّاسُ عَنْهُ ، فَكُنْتُ فِيمَن انْجَفَلَ ، فَلَمَّا رَأيتُ وَجْهَهُ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيسَ بِوَجْهِ كَذّاب ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا سَمِعْتُ مِنه صَلَّى اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّم يَقُولُ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصِلُوا الأَرحَامَ وَأَفْشُوا السَّلاَمَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ » .

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبِيَنَةٌ كَانَتْ بَدِيْهَتُهُ تَأْتِيْكَ بِالْخَبَرِ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوْبَنَا بِنُورِ الإِيْمَانِ وَثَبِّتْ مَحبَّتَكَ فِيْهَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا حُبَّ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَّةَ وَفِي

الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

مَــوْعِظَةٌ

اخْوَانِي : إنَّ قِيامَ الليلِ كَمَا عَلِمْتُمْ فِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ وَثَوَابٌ جَزِيْلٌ لِمَن وَفَّقَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلاَ ، وَهُوَ مِنْ أَثقلِ شَيءٍ عَلى النَّفْسِ وَلاَ سِيَّمَا بَعْدَ أَنْ يَرْقُدَ الانسَانُ ، وانَّمَا يَكُونُ خَفِيفاً بالاعْتِيَادِ ، وَتَوطِينِ النَّفْسِ وَتَمْرِينِهَا عَلَيْهِ والمَدَاوَمَةِ والصَّبرِ عَلى المَشَقَّةِ والمُجَاهَدَةُ في الابْتِدَاءِ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْشَرِحُ وَيَنْفَتِحُ بَابُ الأُنسِ بِاللهِ وَتَلَذُّ لَهُ المَنَاجَاةُ وَالخَلْوَةُ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ لاَ يَشْبَع الانسَان مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَسْتَثقِلَهُ أَو يَكْسَلَ عَنْهُ كَمَا وَقَعَ لِكَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ . قَالَ بَعْضُهُم : أَهْلُ الليلِ في لَيْلِهم أَلَذُّ مِن أَهلِ اللهو في لَهْوِهِم وَيَا بُعْدَمَا بَيْنَ الحَالَتَينِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ وَفَقَ أَقْوَاماً فَتقرَّبُوا إِلَيْهِ بِالنَّوافِل ، وَأَبْعَدَ بِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ آخَرِين فَهُمْ عَنْ مَا يَنْفَعهم في حَاضِرِهم وَمَآلِهم غَافِلُونَ .

شِــعْراً :

ذُنُـوبُـكَ يَـا مَغْـرُورُ تُحصَىٰ وَتُحْسَبُ
وَتُـجْمَـعُ فـي لَـوْحٍ حَفِـيْظٍ وَتُكْـتَبُ
وَقَـلْبُـكَ في سَـهْـوٍ وَلَهْـوٍ وَغَـفْلَةٍ
وَأَنتَ عَلى الـدُّنْيَا حَـرِيصٌ مُعَذَّبُ
تُبَـاهِيْ بِجَمْـعِ المَـالِ مِنْ غَيْـرِ حِلِّهِ
وَتَسْعَى حَثِيْثاً في المَعَـاصِيْ وَتُـذْنِبُ
أَمَا تَذْكُـرُ المَوْتَ المُفَـاجِيْكَ في غَـدٍ
أَمَـا أَنْتَ مِن بَعْـد السَّلامَـةِ تَعْـطَبُ

أَمَـا تَـذْكُـرُ القَبْـرَ الـوَحِيْشَ وَلَحْـدَهُ
بِـهِ الجِسْمُ مِن بَعْـدِ العَمَـارَةِ يَخْـرُبُ
أَمَا تَـذْكُرُ اليَـوْمَ الطَّوِيْـلَ وَهُـو لَـهُ
وَمِيْــزانَ قِـسْطٍ لِلْـوَفَاءِ سَيُنْـصَبُ
تَـرُوْحُ وَتَغْـدُو فِي مَـرَاحِـكَ لَاهِيـاً
وَسَـوْفَ بِـأَشْـرَاكِ المَنِيَّـةِ تَنْشَبُ
تُعَـالِجُ نَـزْعَ الرُّوح مِنْ كُـلِّ مَفْصِـلٍ
فَـلا رَاحِـمٍ يُنْجِي وَلَا ثَـمَّ مَهْـرَبُ
وَغُمضَتِ العَيْنَـانِ بَعْـدَ خُـرُوجِهَـا
وَبُسِّـطَتْ الرِّجْـلَانِ وَالرَّأْسُ يُعْصَبُ
وَقَـامُوا سِـرَاعـاً فِي جَهَـازِكَ أَحْضَـرُوا
حَنُـوطاً وَأَكْفَـانـاً وَلِلْمَـاءِ قَـرَّبُـوا
وَغَـاسِلُكَ المَحْـزُونُ تَبْكِي عُيُـونُـهُ
بِـدَمْـعٍ غَـزِيْـرٍ وَاكِـفٍ يَتَـصَبَّـبُ
وَكُـلُّ حَـبِـيْـبٍ لُـبُّـهُ مُـتَـحَـرِّقٌ
يُـحَـرِّكُ كَـفَّـيْـهِ عَـلَيْـكَ وَيَـنْـدُبُ
وَقَـدْ نَشَـرُوا الأَكْفَـانَ مِنْ بَعْـدِ طَيِّهَـا
وَقَـدْ بَـخَّـرُوا مَنْشُـورَهُنَّ وَطَـيَّبُـوا
وَأَلْقَـوْكَ فِـيْـمَـا بَـيْـنَـهُـنَّ وَأَدْرَجُـوا
عَـلَيْـكَ مَثَـانِي طَـيِّـهُـنَّ وَعَـصَّـبُـوا
وَفِي حُفْـرَةٍ أَلْقَـوكَ حَيْـرانَ مُـفْـرَداً
تَضُـمُّـكَ بَيْـدَاءُ مِن الأَرْضِ سَبْسَبُ
إِذَا كَـانَ هَـذَا حَـالُنَـا بَعْـدَ مَوْتِنَـا
فَكَيْـفَ يَـطِيْـبُ اليَومَ أَكْـلٌ وَمَشْـرَبُ ؟!

وَكَيْفَ يَـطِيْبُ العَيْشُ وَالقَبْـرُ مَسْكَنٌ
بِـهِ ظُلُمَـاتٌ غَيْـهَبٌ ثُـمَّ غَيْـهَبُ
وَهَـوْلٌ وَدِيْـدَانٌ وَرَوْعٌ وَوَحْـشَـةٌ
وَكُـلُّ جَدِيـدٍ سَوْفَ يَبْلى وَيَـذْهَبُ
فَيَـا نَفْسُ خَافِي اللهَ وَارْجِي ثَـوابَهُ
فَهَـادِمُ لِـذَاتِ الفَتَى سَـوْفَ يَقْـرُبُ
وَقُـولِي إِلَـٰهِي أَوْلِنِي مِنْـكَ رَحْمَـةً
وَعَـفْـواً فَـانَّ اللهَ لِـلذَّنْـبِ يُـذْهِـبُ
وَلَا تُحْـرِقَنْ جِسْمِي بِنَـارِكَ سَيِّـدِيْ
فَجِسْمِيْ ضَعِيفٌ وَالـرَّجَا مِنْـكَ أَقْـرَبُ
فَمَـا لِيَ إِلَّا أَنْتَ يَا خَـالِقَ الـوَرَىٰ
عَلَيْـكَ إِتِّكَـالِيْ أَنْتَ لِلْخَلْقِ مَهْـرَبُ
وَصَلِّي إِلَـهِـيْ كُـلَّمَـا ذَرَّ شَـارِقٌ
عَلَى أَحْمَـدَ المُخْتَـارِ مَا لَاحَ كَـوْكَبُ

اللّٰهُم إنَّا نَعُوذُ بِكَ مِن الشَّكِ بَعْدَ اليَقِيْنِ، وَمِن الشَّيْطَانِ الرجيم، ومِن شَدَائِدِ يَوْم الدِيْن، وَنَسْأَلُكَ رِضَاكَ والجَنَّةَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِن سَخطِكَ وَالنَّارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا إِذَا عَرِقَ الجَبِيْنُ واشْتَدَّ الكَرْبُ والأَنِيْنُ، اللَّهُمَّ عَافِنَا مِنْ مَكْرِكَ وَزَيِّنَّا بِذِكْرِكَ وَاستَعْمِلْنَا بِأَمْرِكَ وَلَاتَهْتِكْ عَلَيْنَا جَمِيْلَ سِتْرِكَ وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِلُطْفِكَ وَبِرِّكَ وَأَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا مِنْ عَذَابِكَ وَآمِنَّا مِنْ عِقَابِكَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

لَيْلَةُ القَدْرِ
فَضَائِلُهَا وَعَلَامَاتُهَا

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ مُتَحَرِّيَاً فَلْيَتَحَرَّهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ـ أو قال ـ : تَحرَّوْهَا لَيلَةَ سَبْعٍ وَعِشرِين ، يَعني لَيْلَةَ القَدْرِ . رواه أحمد باسناد صحيح .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أَنَّ رَجُلاً أَتَى نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم فقال : « يا نَبِيَ اللهِ ، إني شَيْخٌ كَبِيرٌ عَلِيْلٌ يَشُقُّ عليَّ القيامُ فَأمُرْني بِلَيلةٍ لَعَلَّ اللهَ يُوَفِقُنِي فِيهَا لِلَيْلةِ القَدْرِ ، فقال : « عَلَيْكَ بالسابِعَةِ » رواه أحمد .

وعن زِرِّ بن حُبَيْشٍ قال : سَمِعْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ يَقُولُ : وقِيلَ لَه ان عَبد اللهِ بنَ مَسْعُودٍ ـ رَضِي الله عنه ـ يقولُ : مَن قَامَ السَّنَةَ أَصابَ ليلةَ القَدر ، فقال أُبَيٌّ : واللهِ الذي لا إلهَ إلا هُو إنَّهَا لَفِيْ رَمضَانَ يَحْلفُ مَا يَسْتَثْنِي ، والله إني لأَعْلَمُ أيَّ لَيْلَةٍ هِيَ ، هِيَ اللَّيْلَةُ التي أَمَرَنا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بِقِيَامِها هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشرِينَ ، وأمارَتُها أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ في صَبِيْحَةِ يَوْمِهَا لا شُعَاعَ لها . رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي وصححه .

وَرَوَى البُخَارِيُ عن أَبِي سَعِيْدٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ قال : اعتَكَفْنَا مَعَ النبيِ صلى اللهُ عليه وسلم العَشْرَ الأَوْسَطَ مِن رَمضانَ ، فَخَرَجَ صَبِيْحَةَ عِشرِيْنَ فَخطَبَنَا وَقَال : « إني رَأَيْتُ لَيْلَةَ القَدْرِ ثم أنسِيْتُهَا أَوْ نَسِيْتُهَا ، فالتَمسُوْهَا في العَشْرِ الأَوَاخِرِ في الوِتْرِ ، إني رَأَيْتُ أَنِّي أَسْجُدُ في مَاءٍ وَطِيْنٍ فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَليَرْجِعْ » فَرَجَعْنَا وما نَرَى في السَّماءِ قَزَعَةً ، فَجَاءَتْ سَحَابَةٌ فَمَطَرَتْ حتى سَالَ

سَقْفُ المَسْجِدِ ـ وكانَ مِن جَرِيْدِ النَّخْلِ ـ وأُقِيْمَتِ الصَّلاةُ فَرَأَيْتُ رَسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَسْجُدُ في المَاءِ والطِّيْنِ ، حَتى رَأيتُ أَثَرَ الطِيْنِ في جَبْهَتِهِ .

وعن عَبدِ اللهِ بن أُنَيْس : أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم قال : « رَأَيْتُ لَيْلَةَ القدرِ ثُم أُنْسِيْتُهَا وإذا بِيْ أَسْجُدُ صَبِيْحَتهَا في مَاءٍ وطِيْنٍ » . قال : فَمُطِرْنا في لَيْلَةِ ثلاثٍ وَعِشْرِيْنَ فصلى بنا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وانصرفَ ، وانَّ أَثَرَ الماءِ والطِّيْنِ عَلَى جَبْهَتِهِ وأَنْفِهِ . رواه أحمد ومسلم وزاد .

وعن أبي بكرةَ : أنه سَمِعَ رَسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُول : « التَمِسُوْهَا في تِسْعٍ بَقِيْنَ ، أو سَبْعٍ بَقِيْنَ ، أو خَمْسٍ بَقِيْنَ ، أو ثلاثٍ بَقِيْنَ أَوْ آخرَ ليلةٍ » . قال : وكان أَبو بَكْرَةَ يُصَلِي في العِشْرِيْنَ مِن رَمَضَانَ صَلاَتَهُ في سائِرِ السَّنَةِ فاذا دَخَلَ العَشْرُ اجْتَهد . رواه أحمد ، والترمذي وصححه .

وعن أبي نَضْرَةَ عن أبي سعيدٍ في حديث لَهُ : أَنَّ النبي صلى اللهُ عليه وسلم خَرَجَ على الناس فَقال : « يا أَيُّهَا الناسُ . إنها كانَتْ أُبِيْنَت لي ليلةُ القَدْرِ ، وَإني خَرَجْتُ لِأُخبِرَكُم بِهَا فَجاءَ رَجُلاَنِ يَحْتَقَّانِ مَعَهُمَا الشَّيْطَانُ فَنَسِيْتُهَا ، فالتَمِسُوْهَا في العشرِ الأواخِرِ مِن رَمَضَانَ ، التَمِسُوْهَا في التَّاسِعَةِ والخَامِسَةِ والسَابِعَةِ » . قال : قُلْتُ يَا أَبَا سَعِيْدٍ : إنكم أَعْلَمُ بِالعَدَدِ مِنَّا ، فقال : أَجَل ! نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنكم ، قالَ : قُلتُ : ما التاسعةُ والسابعةُ والخامسةُ ؟ قال : إذا مَضَتْ وَاحِدَةٌ وَعِشْرُوْنَ فالتي تَلِيْهَا اثْنَانِ وَعِشْرُوْنَ فَهِيَ التَّاسِعَةُ ، فإذا مَضَتْ ثَلاَثٌ وَعِشْرُوْنَ فالتي تَلِيْهَا السابعةُ ، فـاذا مَضَتْ خَمْسٌ وَعِشْرُوْنَ فـالَّتِي تَلِيْهَا الخـامسةُ . رواه أحمد ، ومسلم .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أَنَّ النبيَ صلى اللهُ عليهِ وسلم قال : « التَمِسُوْهَا في العَشْرِ الأَواخِرِ مِن رَمَضَانَ لَيْلةَ القَدْرِ في تاسِعَةٍ تَبْقَى ، في سَابِعَةٍ تَبْقَى ، في خَامِسَةٍ تَبْقَى » . رواه أحمد ، والبخاري ، وأبو داود .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هِيَ في العَشْرِ الأخِيرِ سَبْعٌ يَمْضِيْنَ أو تِسْعٌ يَبْقِيْنَ ، يَعْنِي لَيْلَةَ القَدرِ رواه البخاري .

وعن ابن عُمَرَ ـ رضي اللهُ عنهما ـ أنَّ رِجَالاً مِن أَصْحَابِ النبي صلى اللهُ عليه وسلم أُرُوْا لَيْلَةَ القَدْرِ في المنامِ في السَّبْعِ الأَواخِرِ ، فقال رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « أَرَى رُؤْيَاكمْ قَدْ تَواطَأَتْ في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ ، فَمَنْ كانَ مُتَحَرِّياً فَلْيَتَحَرَّهَا في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ » .

وَلِمُسْلِمٍ قال : أُرِيَ رَجُلٌ أَنَّ لَيْلَةَ القَدْرِ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِيْنَ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَرَى رُؤْيَاكُم قد تَوَاطَأَتْ في العَشْرِ الأَواخِرِ فاطْلُبُوهَا في الوِتْرِ مِنها » .

وعن عائشة ـ رضي اللهُ عنها ـ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم قال : « تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ في العَشْرِ الأَواخِرِ مِن رمضان » رواه مسلم والبخاري .

وعن عُبَادَةَ بْن الصَّامِتِ ـ رَضي اللهُ عنه ـ قال : خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم لِيُخْبِرَنَا بِلَيْلَةِ القَدْرِ فَتَلَاحَى رَجُلَانِ مِن المُسْلِمِيْنَ ، فقال : « خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ فَتَلَاحَى فلانٌ وَفلانٌ فَرُفِعَتْ وَعَسَى أَن يَكونَ خَيْراً لَكُم فالتَمِسُوْهَا في التَّاسِعَةِ والسَّابِعَةِ والخامِسَةِ » رواه البخاري .

وَعن عبدِ الله بن أُنَيْسٍ ـ رضي اللهُ عنه ـ قال : قُلْتُ يا رسولَ اللهِ ، إنَّ لِيْ بَاديةً أَكُونُ فيها وأنا أُصَلِي فيها بِحَمْدِ اللهِ ، فَمُرْنِي بِليلةٍ أَنْزِلُها إلى هَذَا المَسْجِدِ فقال : « انْزِلْ ثَلاثٍ وَعشرِين » رواه أبو داود .

قِيْلَ لابْنِهِ : كَيْفَ كَانَ أَبُوكَ يَصْنَعُ ؟ قال : كَانَ يَدْخُلُ المَسْجِدَ إذا صَلَّى العَصْرَ فلا يَخْرُجُ مِنْهُ إلاَّ لِحَاجَةٍ حَتَّى يُصَلِّي الصُبْحَ ، فإذا صَلَّى الصُّبْحَ ، وَجَدَ دَابَتَهُ على بِابِ المَسْجِدِ ، فَجَلَسَ عَليها وَلَحِقَ بِبَادِيَتِهِ .

قال البَغوِيُ : وفي الجُمْلَةِ أَبْهَمَ اللهُ هذِهِ اللَّيْلَةَ على هذِهِ الأُمَّةِ لِيَجْتَهِدُوا بِالعِبَادَة في لَيَالِي رَمَضَانَ طَمَعاً في إدْرَاكِهَا ، كَمَا أَخْفَى سَاعَةَ الإجَابَةِ في يَومِ الجُمُعَةِ ، وأَخْفَى الصَّلاةَ الوُسْطَى في الصلواتِ الخَمْسِ ، واسْمَهُ الأَعْظَمَ في الأَسْمَاءِ ، وَرِضَاهُ في الطاعاتِ لِيَرْغَبُوا في جَمِيْعِهَا وَسَخَطَهُ في المَعَاصِي لِيَنْتَهُوْا عن جَمِيْعِهَا ، وأَخْفَى قِيَامَ الساعةِ لِيَجْتَهِدُوا في الطاعاتِ حَذَراً مِن قِيامِهَا .

إذا تَقَرَّرَ هَذَا وَعَلِمْتَ مَا وَرَدَ مِن الحَثِ عَلَيْهَا ، فاعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِيْ لِكُلِّ مُوَفَّقٍ مُرِيْدٍ لِلْكَمَالِ والسَّعَادَةِ الأَبَدِيَّةِ أَنْ يَبْذِلَ وُسْعَهُ وَيَسْتَفْرِغَ جُهْدَهُ في إحْيَاءِ لَيَالِيْ العَشْرِ الأَخِيْرِ وَقِيَامِهَا لَعَلَّهُ أَنْ يُصَادِفَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ الجَليْلَةَ التي اخْتَصَّ اللهُ تعالى بِهَا هَذِه الأُمَّةَ ، وآتاهُمْ فِيها مِن الفَضْلِ ما لا يَحْصُرُهُ العَدَدُ .

فيا عِبَادَ اللهِ إنَّ هَذَا عَشْرُ . شَهْرٍ . مُبَارَكِ اللَّيالِي والأَيَّامِ وَهُوَ سَبَبٌ لِمَحْوِ الذُنُوبِ والآثامِ ، وفيه يَتوفَّرُ جَزِيْلُ الشُكْرِ والانْعَامِ ، فاعْتَذِرُوْا فيه إلى المَوْلَى الكَرِيْمِ ، وأَقْبِلُوا بِقُلُوْبِكُمْ إليهِ وَقِفُوا بالخُضُوعِ لَدَيْهِ ، وانْكَسِرُوا بَينَ يَدَيْهِ فإنه رَحِيْم كريم .

عِبَادَ اللهِ : إنَّكُمْ الآنَ في رَمَضَانَ ، وَهُوَ وَحْدَهُ عُمُرٌ طَوِيْلٌ لِمَنْ رَامَ الثوابَ الجَزيلَ ، فإن في لَيَالِيْهِ لَيْلَةً واحدةً خيراً من ألفِ شَهْرٍ ، قال الله تعالى : ﴿ لَيلةُ القَدْرِ خَيْـرٌ مِن ألفِ شَهْرٍ ﴾ فـاجْتَهِدُوا رَحِمَكُم اللهُ باخلاصِ الاعمالِ لِلّهِ جَلَّ وَعَلاَ وَبَادِرُوْا بالتوبَةِ والاستغفارِ والابتهالِ إلى ذِي الجلالِ والإكرامِ .

واعْلَمُوْا رَحِمَكُمِ اللهُ أَنَّ المَوْتَى في قُبُورِهِم يَتَحَسَّرُوْنَ على زِيَادَةٍ في أَعْمَالِهِم بِتَسْبِيْحَةٍ أو تَحْمِيْدَةٍ أَوْ رَكْعَةٍ ، رُئِيَ بَعْضُهُمْ في المنامِ فقال : ما عِنْدَنا أَكْثَرَ مِن الندامةِ ، وما عندكُم أَكْثَرَ مِن الغَفْلَةِ ، وَرُئِيَ بَعْضُهُم فقال : قَدِمْنَا على أَمْرٍ عَظِيْمٍ نَعْلَمْ وَلاَ نَعْمَل ، وأنتم تَعْلَمُونَ ولا تَعْمَلُون واللهِ لَتَسْبِيْحَةٌ أو تَسْبِيْحَتَانِ ، أَوْ رَكْعَةٌ أو رَكْعَتَانِ في صَحِيْفَةِ أَحَدِنا خَيْرٌ مِنَ الدنيا وما فِيها .

وفي الترمذي : مَا مِن مَيِّتٍ يَمُوْتُ إلَّا نَدِمَ ، إنْ كانَ مُحْسِناً نَدِمَ أن لا يكونَ ازْدَادَ ، وان كان مُسِيْئاً نَدِمَ أن لا يَكونَ اسْتَعْتَبَ .

يا أَيُّهـا العَبْدُ قُمْ لِلّهِ مُجْتَهِـداً
وانهَضْ كما نَهَضَتْ مِنْ قَبْلِك السُّعَدَا
هَذِيْ لَيَالِي الرِضَا وافَتْ وأَنْتَ عَلَى
فِعْلِ القَبِيْحِ مُصِراً ما جَلَوْتَ صَدَا
قُمْ فاغْتَنِمْ لَيْلَةً تَحْيَا النُفُوسُ بِهَا
ومَثْلُهَا لَمْ يكُنْ في فضْلِهَا أَبَدَا
طُوْبَى لِمَنْ مَرَّةً في العُمْرِ أَدْرَكَهَا
ونَالَ منها الذي يَبْغِيْـهِ مُجْتَهِـدَا

فَلَيْلَةُ القَدرِ خَيْـرٌ قال خَالِقُنَـــا
مِن أَلْف شَهْرٍ هَنِيْئـاً مَنْ لَهَـا شِهِدَا
ويَنْزِلُ الرُوْحُ فيهـا والملائِكُ مِنْ
عِنْدِ المُهَيْمِنِ لا نُحْصِي لَهُـم عَدَدَا
يا فَوْزَ عَبْدٍ حُظِي فيهـا فَوَفَّقَـهُ
رَبِّيْ قَبُولاً فعَاشَ عيشَـــةَ السُعَدَا
وفَـازَ بالأَمْنِ والغُفْـرانِ مُغْتَبطـاً
ونالَ ما يَرْتَجِى مِنْ رَبِّهِ أَبَـــدَا
فاطلبْ مِن الله إنْ وَافيْتَهَا سَحَـراً
جَنَّاتِ عَدْنٍ تكُنْ مِنْ جُمْـــلَة السُعَدَا
وأبكِ ونحْ وتَضَرعْ في الدُجَـا أَسَـفاً
على كَبَائِرَ لا تُحْصِي لهـــا عَدَدَا
ثم الصَّلاة على المُخْتَارِ ما طَلُعَتْ
شَمْسٌ وما سَارَ سَارٍ في الفَلا وَحَدَا

اللهم وَفِّقْنَا لَما وَفَّقْتَ إليه القَوْمَ وَأَيْقِضْنامن سِنةِ الغَفْلَةِ والنَّوم وارزقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ اليَوْمِ الذي يَرْبَحُ فيه المُتَّقُونَ اللهم وعامِلنَا بإحْسَانِكَ وَجُدْ علينابفضْلِكَ وامْتِنَانِكَ واجعلنا مِن عِبادِكَ الذين لا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزنون

اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُك التَّوبَةَ وَدوامَها، وَنَعُوذُ بِكَ مِن المَعْصِيَةِ وَأَسْبَابِهَا، اللَّهُمَّ أَفضْ عَلَيْنَا مِنْ بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِكَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى السَّلَامَةِ مِن وَبَالِهَا وَأَرْأفْ بِنَا رَأفَة الحَبِيبِ بِحَبِيْبِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَنَزُولِهَا، وارْحَمْنَا مِن هُمُوم الدُّنْيَا وَغُمُومِها بالرَّوْحِ والرّيْحانِ إِلَىٰ الجنَّةِ وَنَعِيْمِهَا، اللَّهُمَّ أرْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ واجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيْمَا لَدَيْكَ، ولا تَحْرِمْنَا بِذُنُوبِنَا، ولَاتَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا،

واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

موعظـــة

خَطَبَ أَحَدُ الصَّالِحِيْنَ فقال أَيُّهَا اللاَّهِي المَغْرُوْرِ بِنفْسِهِ كَأني بِكَ وقد أتاكَ رَسُولُ رَبّكَ لا يَقْرَعُ لكَ بَاباً ولا يَهَابُ صِحَاباً ولا يَقْبَلُ مِنْكَ بَديْلا ولاَ يأخُذُ مِنْكَ كَفِيْلا ولا يَرْحَمُ لَكَ صَغِيْراً ولا يُوقِّرُ فيكَ كَبِيْرَا حَتَّى يُؤَدِّيْكَ إلى قَبْرٍ مُظْلِمَةٍ أرْجَاؤُهُ كَفِعْلِهِ بالامُمَ الخالِيَةْ والقُرُونْ الماضِيَةِ .

أيْنَ مَن سَعَى واَجْتَهدَ وَجمعَ وَعَدَّدَ وبَنَى وَشَيَّد ، وزَخْرَفَ ونجَّد ، وبالقليل لَمْ يَقْنَعْ ، وبالكثير لَمْ يُمَتَّعْ .

أيْنَ مَنْ شَيَّدَ القُصُورَ ، ونَسْي القُبُورَ ، أيْنَ مَن قَادَ الجُنُوْدَ ونشر البُنُوْدَ ، أضْحَوْا رُفاتاً تحْتَ أطْبَاق الثرى وأنْتُم عن قرِيْبٍ بكأسِهِم شارِبُون ولِسبْيِلِهِم سَالِكُون .

يُحَوَّلُ عَنْ قَرِيب مِن قُصُورٍ ... مُزَخْرَفَةٍ إلَى بَيْتِ التُّرابِ
فُيسْلَمَ فيه مَهجُـوراً فَرِيْداً ... أَحَاطَ به شُحُوبُ الإغْتِرَابِ
وَهَوْلُ الحَشْرِ أفْظَـعُ كُلِّ أَمْرٍ ... إذا دُعِيَ ابنُ آدمَ لِلْحِسَـــابِ
والْفَى كُلَّ صَـالِحَةٍ أَتَاهَا ... وسَيِئَةٍ جَنَـاهَا فِي الكِتَـابِ
لَقَدْ آنَ التَّزَوُّدُ إنْ عَقَلْنَـا ... وأَخْذُ الحَظِّ مِنْ بَاقِي الشَّـبابَ

آخـــــر :

قَدْ نادَتِ الدُنْيَا عَلى نَفْسِهَـــا ... لَوْ كانَ في العَالَمِ مَنْ يَسْمَـــعُ
كَمْ واثِقٍ بالعُمْرِ أَفْنَيْتُـــهُ ... وَجَامِـــعٍ بَدَّدْتُ مـــا يَجْمَعُ

آخر : والعُمْـرُ أَنْفَـسُ مَـا الإنْسَـان مُنْفِقُـهُ ... فَاجْعَلْهُ في طَاعَةِ الرَّحمٰنِ مَصْرُوْفَا

قال ابن الجوزي رحمه الله :

ينبغي للإنسان أن يعرفَ شرفَ زمانِه ، وقدر وَقتِه ، فلا يضيع منه لحظةً في غير قربه .

ويُقَدّمُ الأفضلَ فالأفضلَ مِن القول والعمل . ولتكن نيتُهُ في الخير قائمةً مِن غير فُتور .

(وقد كان جماعة من السلف يُبَادِرون اللحظات) فَنُقل عَن عامر ابن عبد قيس : أَنَّ رَجُلاً قال له : « كَلّمْني » فقال له : « أَمسِكِ الشمسَ » .

ودخلوا على بعض السلفِ عند موتِه ، وهو يُصلي ، فقيل له ، فقال : « الآن تُطوىَ صَحِيفَتِي » . فاذا علم الإنسان أنه وإن بالغ في الجد بأن الموتَ يقطعه عن العمل ، عَمِلَ في حَيَاتِه ما يَدُومُ لَهُ أَجْرُهُ بعدَ مَوتِه .

فإن كان له شيء في الدنيا ، وقَّف وَقْفاً ، وغرسَ غرساً ، وأجرى نهراً ، ويَسْعَى في تحصيل ذُريةٍ تذكر الله بعدهَ ، فيكون لَهُ أَجـر ، أو أن يصنف كتاباً في العلم .

فإن تَصنيفُ العالم ولدُهُ المخلد وأن يكون عاملاً بالخير عالماً فيه فينقلُ مِن فِعْلِه ما يقتدي به الغيرُ فذلك الذي لم يمتْ . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

تَـذَكَّـرْ ولا تَنْسَ المَـعَـادَ وَلاَ تَكُـنْ
كَـأَنَّـكَ مُخْـلىً لِلْمَـلاعِـبِ مُمْـرَجُ
وَلاَ تَنْسَ إِذْ أَنْتَ المُـوَلْـوَلُ حَـوْلَـهُ
وَنَفْسُـكَ مِـن بَيْنِ الجَـوَانِـحِ تَخْـرُجُ
وَلاَ تَنْسَ إذ أَنْتَ المُسَـجَّـى بِثَـوْبِـه
وإِذْ أَنْـتَ في كَـرْبِ السِّيَاقِ تُحَشْـرِجُ

وَلَا تَنْسَ إِذْ أَنْتَ الْمُعَزَّى قَرِيبُهُ
وإِذْ أَنْتَ فِي بِيْضٍ مِن الرَّيْطِ مُدْرَجُ
ولا تَنْسَ إذْ يَهْدِيكَ قَوْمٌ إِلَى الثَّرَى
إذَا مَا هَدَوْكَاهُ انْثَنَوْا لَمْ يُعَرِّجُوْا
ولا تَنْسَ إذْ قَبْرٌ وإذْ مِن تُرَابِهِ
عَلَيْكَ بِهِ رَدْمٌ وَلِبْنٌ مُشَرَّجُ
ولا تَنْسَ إذْ تُكْسَى غَداً مِنْهُ وَحْشَةً
مَجَالِسُ فِيْهِنَّ الْعَنَاكِبُ تَنْسِجُ
ولا بُدَّ مِن بَيْتِ انقِطَاعٍ وَوَحْدَةٍ
وانْ سَرَّكَ البَيْتُ العَتِيْقُ المُدَبَّجُ
ألاَ رُبَّ ذِيْ طِمْرٍ غَداً في كَرَامَةٍ
وَمَلْكٍ بِتِيْجَانِ الهَوَانِ مُتَوَّجُ
لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِدَارِ إقَامَةٍ
وإنْ زَخْرَفَ الغَاوُوْنَ فِيْهَا وَزَبْرَجُوا

اللهم طَيِّبْنا لِلِقَائِكْ ، وأَهِّلْنَا لِوَلائِكْ وادْخِلْنَا مَعَ المَرْحُوْمِيْنَ مِن أَوْلِيَائِكْ ، وتَوفّنا مُسْلِمين والحقنَا بالصالحين .

اللهم أعِنَّا على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِكْ ، وتِلاوةِ كتابك ، واجْعَلْنَا من حِزْبِكَ المُفْلِحِينَ ، وأَيِّدْنَا بجُنْدِكِ المَنْصُورِين ، وارْزُقْنَا مُرافقة الذيْنَ أَنْعَمْتَ عليهم مِن النبينَ والصِّدِيقين والشهداء والصَّالحين .

اللَّهُمَّ يَا فالقَ الحب والنَّوى، يامُنْشِيءَ الأَجْسَادِ بَعْدَ البِلَى يامُؤْوِي المنْقَطِعِيْنَ إِلَيْهِ، ياكَافِي المُتَوَكِّلِينَ عَليه، انْقطَعَ الرِّجَاءُ إلَّا مِنْكْ، وَخَابَتِ الظُنُونُ إِلَّا فِيْكْ، وَضَعُفَ الاعْتِمَادُ إلَّا عَلَيْكْ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُمْطِرَ مَحْلَ قُلُوْبِنَا

مِن سَحائِبِ بِرِّكْ وَإِحْسَانِكَ وَأَنْ توفقنا لِمُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِم مَغْفِرَتِكَ إِنَّكَ جَوادٌ كريم رؤوفٌ رَحِيم. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحُمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

فصــل في ذكــر بعض الأدعية الواردة

عباد الله اغتنموا هذه الأوقات الشريفه وأكثروا فيها من الدعاء فإن الدعاء له أثر عظيم وموقع جسيم .

وهـو مخ العبـادة ولا سيما إذا كان بقلب حاضر وصـادفـا إخباتاً وخشوعا وانكساراً وتضرعاً ورقة وخشية واستقبل القبلة حال دعائه وكان على طهارة .

وجـدد توبـة وأكثر من الاستغفار وبدأ بحمد الله وتنزيهه وتمجيده وتقديسه والثناء عليه وشكره ثم صلى على النبي ﷺ بعد ذلك .

ودعا بدعاء مشروع باسم من أسماء الله الحسنى مناسب لمطلوبه .

فان كان يريد علماً قال يا عليم علمني .

وان كان يطلب رحمة قال يا رحمنٰ ارحمني .

وان كان يطلب رزقاً قال يا رزاق إرزقني ونحو ذلك .

ولم يمنع من الدعاء مانع كأكل الحرام وقطيعة رحم وعقوق ونحو ذلك .

وتَحَـرَّي أوقـات الإجـابـة وأتى بأسبابها وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره والانتهاء عن ما نهى عنه .

فالله أصدق القائلين وأوفى الواعدين قال تعالى ﴿ أدعوني استجب لكم ﴾ .

وقال عز من قال ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان ﴾ .

وقال جل وعلا ﴿ أدعوا ربكم تضرعاً وخفية ﴾ .

وقال تبارك وتعالى ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ﴾ .

وقال ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ .

ومن أوقات إجابة الدعاء إذا اجتمعت الشروط وانتفت الموانع ثلث الليل الأخير .

ويوم الجمعة عند صعود الامام المنبر أو في آخر ساعة من يومها .

وعند الآذان .

وبين الآذان والاقامة .

وعند نزول الغيث .

وعند فطر الصائم .

وعشية عرفة .

وفي حالة السجود .

وفي ليلة القدر .

وفي أدبار الصلوات .

وفي أدبار النوافل .

وعند ختم القرآن .

وعند البكاء والخشية من الله .

وفي جَوْفِ الليل .

وعِنْدَ دعاءِ المُسْلم لِأَخيْهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ .

وبَعْدَ زَوَالِ الشمسِ عَن كَبِدِ السَّمَاءِ .

قال بعضهم:

قالوا شُروطُ الدُعاءِ المُسْتَجابِ لَنا   عَشْرٌ بها بَشِّرِ الداعِي بأفْلَاحِ
طَهَارَةٌ وصَلَاةٌ مَعْهُمَا نَدَمٌ   وَقْتٌ خُشُوعٌ وحُسْنُ الظنِ يا صَاحِ
وحِلُّ قُوْتٍ ولا يُدْعَى بِمَعْصِيَةٍ   واسْمٌ يُنَاسِبُ مَقْرُوْنٌ بألْحَاكِ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعَيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: في الأَدِلَّةِ لِمَا تَقَدَّمَ عَن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال في ثلثِ الليلِ الأخير: «إنها ساعةٌ مَشهُوْدةٌ والدعـاءُ فيها مُسْتَجَاب» أخرجه الحاكمِ والترمذي.

(فصـــــل)

الأدلة لما تقدم عن ابنِ عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال في ثلثِ الليلِ الأخِير «إنها ساعةٌ مَشهُوْدةٌ والدعاءُ فيها مُسْتَجَاب» أخرجه الحاكمِ والترمذي.

وعن ابن عمر قال نادَى رَجُلٌ رسول اللَّهِ ﷺ أيُّ الليلِ أجْوَب دعوةً.

قال: جَوْف الليلِ الأخِيرِ أخرجه البزار والطبراني بسند صحيح.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ذَكَرَ يومَ الجمعةِ.

فقال: «فيه ساعةٌ لا يُوَافقُهَا عبد مسلمٌ وهو قَائمٌ يُصَلي يَسْأَلُ اللَّهَ شيئاً إلا أعطَاهُ» أخرجه الشيخان.

وعن عثمانَ بن أبي العاص الثَّقَفِي أن النبي ﷺ قال: «تُفْتَحُ أبوبُ السماء نصفَ الليل فينادِي مُنَادٍ، هَلْ منِ دَاعٍ فَيُسْتَجَابَ له، هَلْ منِ سائل فَيُعْطَى، هَلْ منِ مَكْرُوْب فَيُفَرَّجَ عنه فلا يَبْقَى مُسْلم فَيَدْعُو بدعْوَة إلا اسْتَجَابَ لَهُ إلا زَانيَةً تسعَى بفرجها أو عَشَّارًا» أخرجه الطبراني بسند صحيح.

وعن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ « ثلاثُ ساعات لِلْعَبدِ المُسْلِمِ ما دَعَا فيهن الإِ اسْتُجِيْبَ لَه ما لم يَسْأَلْ قَطِيْعَةَ رَحِمٍ أو مَأثَماً .

وعن أبي الدرداء أن رسولَ الله ﷺ كان يَقُول : « دَعْوَةُ المُسْلِمِ لأَخِيْه بِظهر الغَيْبَ مُسْتَجَابَةٌ عِند رَأْسِهِ مَلَكُ مُوكَّلٌ كُلَما دَعَى لِأَخِيْهِ بِخَيْرٍ قال الملكُ المُوكلُ به آمِيْن ولَكَ بِمِثْل » رواه مسلم .

حِينَ يؤَذِّنُ لِلصلاة حتى يسكت وحِينَ يَلْتَقِي الصَّفَان حتى يحكم اللَّهُ بينهما وحِينَ يَنزلُ المطرُ حتى يسكن أخرجه أبو نُعَيْم في الحلية .

وعن سهل بن سعد أن النبي ﷺ كان إذا مالت الشمس عن كبد السماء قَدْرَ شِرَاكٍ قامَ فَصَلَّى أربعَ ركعات قلتُ يا رسول الله ما هذه الصلاة .

قال « مَن صَلاهُنَّ فقد أحْيَا لَيْلَتَه هذه ساعة تُفْتَح فيها أبوابُ السماء ويُسْتَجابُ فِيْهَا الدعاء » أخرجه أبو نُعيم في الحلية .

وعن عبدالله بن أبي أوفى قال قال رسول الله ﷺ « إذا فاءَتِ الأَفْيَاءُ وهَبَّتِ الأَرواحُ فارْفَعُوا إلى الله حَوائِجَكُم فإنَّهَا ساعَةُ الأوَّابِين » أخرجه أبو نعيم في الحلية .

وعن عطاء قال « ثلاثُ خِلال تُفْتَحُ عِندهُنَّ أبوابُ السماء فَتَحَرَّوْا الدُعاءَ عندهن .

عنـد الأذانِ ، وعنـدَ نُزُوُل الغَيث ، وعندَ التقاءِ الزَّحْفَين » أخرجه سعيد بن منصور .

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال « لِلصَّائِم عند فِطْرِهِ دعوةٌ مُسْتجابَة » أخرجه النسائي .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ثلاثٌ حَقٌ على الله أن لا يَرُدَّ لهم دعـوة الصـائم حتى يُفْـطِر ، والمظلومُ حتى يَنْتَصِر ، والمسافر حتى يَرجع » أخرجه البزار .

وعن عبـدالمـطلب بن عبدالله بن حَنْطَب أن النبي ﷺ قال « مِن أفضل الدعاء الدعاء يوم عرفة » أخرجه سعيد بن منصور في سننه .

وعن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن في الليل لساعة لا يوافقها رَجُلٌ مسلم يسأل الله خَيْراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إيَّاه وذلك كلَّ ليلةٍ » أخرجه مسلم .

وعن سهل بن سعد مرفوعا قال « سَاعَتانِ تُفْتَح لهُما أبوابُ السماء وقَلَّ دَاعٍ تُردُّ دَعْوته .

حين يحضر النداء والصف في سبيل الله » أخرجه البخاري في الأدب .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال « اثْنَتَانِ لا تُرَدَّان الدعاء عند النِداء ، وحِـينَ البـأس حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُم بَعْضَا » أي يَنْشَب بَعْضُهم ببَعْضٍ فِي الحَرْب أخرجه الحاكم في المستدرك .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال « الدعاءُ مُسْتَجابٌ ما بَيْنَ النِدَاءِ والإقامَةِ » أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم .

وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال « إذا نادَى المنادى فُتِّحَت أبواب السماء واسْتُجيْبَ الدعاءُ فمَنْ نَزَلَ به كَرْبٌ أو شدةٌ فَلْيَتَحَرَّ المُنَادِي فيُجِبْهُ » .

ثم يقول اللَّهُمَ رَبَّ هذِه الدعوةِ التامة الصَادقةِ المستجابة المستجاب لها دعـوة الحق وكلمة التقوى أحْينَا وأمِتْنَا عليها واجْعَلْنَا مِن خِيَار أهلها أحياءً وأمواتا ثم يسأل الله حاجَتهَ أخرجه الحاكم .

عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال « لِلصَّائِمِ عند فِطْهرِهِ دعوةٌ مستجابة » أخرجه النسائي .

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال « إني نُهِيتُ أن أَقرأَ القرآن رَاكعاً وساجِدًا .

فأما الركوعُ فَعَظِّمُوا فِيه الربَّ وأما السجودُ فاجْتَهدُوا فيه مِن الدعاءِ فَقَمِنٌ أن يُسْتَجَابَ لكم » أخرجه مسلم .

وعن عبادة بن الصَّامِتِ أن رسول الله ﷺ قال يَومًا وحضرَ رَمَضَانُ . « أتاكم شهرُ بَركَةٍ فِيه تنزلُ الرحمةُ وتُحَطُّ الخَطَايَا ويُسْتَجَابُ الدُعَاء » .

وأخـرج في الأوسَطِ عن عمرَ بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ « ذاكرُ الله في رمضان مغفورٌ له وسَائلُ الله فيه لا يَخِيب » أخرجه الطبراني .

ورُوِي أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء .
ورُوِي مَن صلى فريضة فله دعوة مستجابة .
ومَن ختم القرآن فله دعوة مُستجابة .

وعن رَبِيْعَة بن وقاص أن رسول الله ﷺ قال « ثلاثُ مواطن لا تُردُ فيها دعوةُ عَبد ، رجلٌ يكون في بَريَّةٍ حَيْثُ لا يراه إلا اللَّهُ .
ورجلٌ يكون معه فِئَةٌ فيفر عنه أصحابُه فَيَثْبُتُ .
ورجلٌ يَقومُ مِن آخِر الليل » أخرجه أبو نعيم في أخبار الصحابة .

وعن عمر قال قال رسول الله ﷺ « إذا فُتِحَ على العبد الدُّعَاءُ فَلْيَدْعُ رَبَّهُ فإن الله تعالى يستجيب » أخرجه الترمذي .

وعن خالد الحذَّاء قال « كان عيسى عليه السلام يقول : إذا وجدتم قشَعْرِيْرَةً ودمعة فادعوا عند ذلك » أخرجه أحمد في الزهد .

وروى اغْتَنِمُوا الدعاء عند الرِّقَّةِ فإنها رَحْمَة .
وروى الدعاء بين الأذان والاقامة مستجاب .
وروى عند أذان المؤذن يستجاب الدعاء .
فإذا كان الإقامة لا ترد دعوته .

وعن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ « من كانت له إلى الله حاجة فليدع بها دُبُرَ صلاة مفروضة » أخرجه بن عساكر .

وعن أنس عن النبي ﷺ قال « مع كل ختمة دعوة مستجابة » .

وأخرجه من وجه آخر بلفظ آخر « عند ختم القرآن دعوة مستجابة وشجرة في الجنة » أخرجه البيهقي في شعب الايمان .

فعليكُم عِبَادَ اللهِ بالاجتهادِ بالدعاءِ ، وعليكُم بِجَوامِعِ الدُّعَاءِ التي تَجْمَعُ خيرَ الدنيا والآخرةِ ، وفي الصحيحين : « كان أكْثَرُ دُعَاءِ النبي صلى اللهُ عليه وسلم : اللهم آتِنَا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » .

ومِن دعائهِ صلى الله عليه وسلم إذا سَافَرَ : « أنه كانَ يَتَعَوَّذُ مِن وَعْثَاءِ السَّفرِ وكآبةِ المَنْظَرِ ، والحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ ، وَدَعْوَةِ المَظْلُومِ ، وَسَوءِ المَنْظرِ في الأَهْلِ والمال » رواه مسلم .

ومِن مَا وَرَدَ عن أبي بكرةَ ـ رضي اللهُ عنه ـ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم دَعَوَاتُ المَكْرُوْبِ « اللهم رَحْمَتَكَ أَرْجُو فلا تَكِلْنِيْ إلى نَفْسِي طرفةَ عَيْنٍ وأصلِحْ لِيْ شَأنِيْ كلَّهُ لا إلهَ إلاَّ أَنْتَ . رواه أبو داود

وعن أبي سَعِيد الخُدْري قال : قال رَجُلٌ لَزِمَتْنِيْ هُمُوْمٌ وَدُيُوْنٌ يا رسولَ اللهِ ، قال : أفلا أعَلِّمُكَ كَلاماً إذا قُلْتَهُ أذهَبَ اللهُ هَمَّكَ وَقَضى عَنْكَ دَيْنَكَ قال : قُلْتُ : بَلَى ، قَال : « قُلْ إذا أَصْبَحْتَ وإذا أَمْسَيْتَ اللَّهُم إني أَعُوْذُ بِكَ مِن الهَمِّ والحَزَنِ ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِن العَجْزِ والكَسَلِ ، وَأَعُوْذُ

بِكَ مِن البُخْلِ والجُبْنِ وأَعُوذُ بِكَ مِن غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ » قال : فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فأذهبَ هَمِّي وَقَضى عَنِّيْ دَيْنِيْ ، رواه أبو داود .

وَمِن دُعَائِهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « اللهم إني أسْأَلُكَ الهُدَى والتُّقَى والعَفَافَ والغِنَى ، اللهم اغفر لِي وارحمني واهـدني وعافني وارزقني ، اللهم إني أعوذُ بِكَ مِن زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عافِيَتِكَ وَفَجْاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ ، اللهم إني أَعُوذُ بِكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعْ ومِن قَلْبٍ لا يَخْشَعْ وَمِن نَفْسٍ لا تَشْبَعْ وَمِن دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَها » .

وقالت أُمُّ سَلَمَةَ ـ رضي اللهُ عنها ـ : « كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النبي صَلّى اللهُ عليهِ وَسَلّمْ يا مُقَلِّبَ القُلوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِيْنِكْ » .

وَمِنْ دُعَائِه صلى الله عليه وسلمْ : « اللّهُمّ إنّي أسْأَلُكَ الجَنّةَ وَمَا قَرّبَ اليْهَا مِنْ قولٍ وَعملْ ، وأعوذُ بكَ من النّارِ وَمَا قَرّبَ اليْهَا من قولٍ وَعملْ ، وأسْأَلُكَ من الخَيْرَ كُلّه عاجِلِهِ وآجِلِهِ ما عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَم أَعْلَمْ ، وأعوذُ بِكَ مِن الشّرّ كُلّهِ عاجِلِهِ وآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَم أَعْلَمْ » .

وَقَالَ صَلّى اللهُ عليهِ وسلمْ : « تَعَوّذُوا بِاللّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلاءِ وَدَرَكِ الشّقَاءِ وَسُوءِ القَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الأعداءِ » .

وَمِن دُعَائِهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلمْ : « اللّهُمّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وزَكِّها أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكّاهَا أَنْتَ وَلِيُّها وَمَوْلاَهَا » .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ ابْنُ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللهُ عليهِ وَسَلّم . كَانَ يَقُولْ : « اللّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكّلْتُ وإلِيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللّهُمْ إنّي أَعُوذُ بِعزّتِكَ لاَ إلَهَ إلاّ أنْت أنْ تُضِلّني أَنْتَ الحَيّ الّذي لا يَمُوتْ والجِنُّ والإنْسُ يمُوتُونْ » والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فصـــل : وَمِنْ دُعَائِه ﷺ : « اللَّهُمْ إِنِّي أَعْوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالقِلّةِ والذِّلّةِ ، وأَعُوذُ بِكَ مِن أَنْ أَظْلِمَ وْ أُظْلَمْ » .

وَعَنْ عُمـرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « كانَ رَسولُ اللّهِ صلَى اللهُ عليهِ وسلمْ يَتَعوّذُ مِنْ خَمْس : مِن الْجُبْن ، والْبُخْلِ ، وَسُوءِ العُمُرْ ، وَفِتْنَةِ الصّدْرِ وَعَذابِ الْقَبْرِ » رواهُ أبو داودَ والنّسَائِي .

وَعَنْ أبِي هُرَيْرَةِ - رَضِي اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رسولَ الله صلى اللّه عليهِ وسَلّم كانَ يقولُ : « اللّهُمّ إنّي أعوذُ بِكَ مِن الشّقاقِ والنِّفاقِ وَسُــوْءِ الأَخْلاَقِ » رواهُ أبو دَاودْ .

وَعَنْهُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللّه صلى اللّه عليهِ وَسَلّمَ كانَ يقولْ : « اللّهم إنيْ أَعُوذُ بِكَ مِنْ الجُوعِ فإِنّهُ بِئْسَ الضّجِيْع وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةْ » رَواهُ أبُو داودَ ، والنّسائِي وابْن مَاجَةَ .

وَعَن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنَّ رَسولَ الله صلى اللّه عليهِ وسّلَمَ كان يقولُ : « اللّهمّ إنّي أعُوْذُ بِكَ مِن الْبـرَصِ والْجُذَامِ والْجُنونِ ومِنَ سَيّءِ الأَسْقَامِ » رواهُ أبُو داودَ والنّسَائِي .

وَعَنْ قُطْبَةَ بْنُ مَالِكِ - رَضِيَ اللّهُ تَعالَى عَنْهُ - قالْ : كَانَ النّبِيُّ صلى اللهُ عليهِ وَسلمَ يَقُولْ : « اللّهمّ إنّي أعوذُ بِكَ مِن مُنْكَرَاتِ الأَخْلاَقِ والأَعْمَالِ والأَهواءِ والأدواء » رواه الترمذي .

وَعَنْ شُتَيْرِ بْنِ شكل بن حُمَيْدٍ عَن أبيهِ قالْ : قُلْتُ : يا نَبِيّ اللّهْ ، عَلّمْني تَعْوِيذاً أتَعَوّذُ بِهِ قَالْ : « قُلْ اللّهُمّ انّي أعوذُ بِكَ مِن شَرّ سَمْعِي وَشَرّ بَصَرِي وَشَرِّ لِسَانِي وَشَـرِّ قَلْبِي وَشَـرِّ عَيْنِي » رواهُ أبـو داودَ ، والترمذي ، والنّسائي .

وَعَنْ أبي اليُسْرِ أنّ رَسولَ اللّهِ صَلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ كَانَ يَدْعُو : « اللهمّ إنّي أعوذُ بكَ مِن الْهَدْمِ ، وأعوذُ بِكَ مِن التَّرَدِّيْ وَمِنَ الْغَرَقِ والْحَرَقِ والْهَرَمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن أنْ يَتخَبّطَنِي الشَّيْطانُ عِنْدَ الموتِ ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ أنْ أموتَ في سَبِيْلَك مُدْبِراً وأعوذُ بِكَ مِنْ أنْ أمُوتَ لِديْغا » رواهُ أبو داودَ والنَّسائِيْ .

وَمِنْ دُعائِهِ صَلّى اللهُ عليهِ وَسَلّمْ : « اللّهُمّ اغْفِرْ لي خَطِيْئتي وَجهْلِي واسْرَافِي في أمْرِي وَمَا أنْتَ أعْلَمُ بِهِ مِنّيْ ، اللهمّ اغْفِرْ لِي جِدّي وَهَزْلِي وَخطَئِي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي اللّهمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدّمْتُ وَمَا أخّرْتُ وما أسْرَرْتُ وَمَا أعْلَنْتُ وَمَا أنْتَ أعْلَمُ بِهِ مِنّي ، أنْتَ المُقدِّمُ وأنْتَ المْؤَخِّرُ وأنْتَ على كُلّ شيءٍ قديرٌ » مُتّفقٌ عليهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا عَلّمهُ صَلى اللّهُ عليهِ وَسَلّمَ الصّدِيْقَ قَالَ لَهْ : « قُلْ اللّهمّ إنّي ظَلَمْتُ نَفسِي ظُلْمَاً كثيراً وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاّ أنْتَ فاغفِرْ لِي مغفرةً منْ عِنْدِكَ وارْحَمني إنّكَ أنتَ الغفورُ الرحيمْ » متفق عليه .

وَعَنْ أنسٍ ـ رضي الله عَنْهُ ـ أنّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قَالْ : « إلْظوا بِيَاذَا الجلالِ والاكرامْ » أيْ الزَمُوا هذِهِ وَأَلِحُوا بِها وَدَاوِمُوا عَليْهَا .

وَعَنْ عائشةَ قالتْ : كَانَ النبيُّ صلىٰ اللهُ عليـهِ وَسَلَّمَ يقولُ : « اللّهُمَّ إنّي أعوذُ بِكَ مِن الكسلِ والهَرَمِ والمغْرَمِ والمأْثَمِ اللهمَّ إني أعوذُ بِكَ من عَذَابِ النارِ وَفِتْنَةِ النارِ وَفِتْنَةِ القَبْرِ وَعَذابِ القَبْرِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى وَمِنْ شَرِّ فِتنةِ الفقْرِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المسيحِ الدَّجَالِ اللهمَّ أغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ الثلجِ والْبَرَدِ وَنَقِّ قَلْبِي كَمَا يُنَقَّى الثوبُ الأَبيضُ مِن الدّنَسْ وباعِدْ بيْنِي وَبَينَ خَطَايَايَ كَمَا باعدتَ بينَ المشرقِ والمغربْ متفق عليهْ .

وَعَنْ عبدِ اللهِ بْن يَزِيدِ الخَطْمِي عَنْ رَسُولِ الله صلى اللهُ عليهِ

وسلم أنَهُ كان يَقولُ في دُعَائِه اللهمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِيْ حُبُّه عِنْدَكَ اللهمَّ ما رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فاجْعَلْهُ قُوةً لِيَ فِيما تُحِبّ اللهمَّ ما زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فاجْعَلْهُ فَرَاغاً فِيْمَا تُحِبُّ رَواهُ التِّرْمِذِي .

شعـــــرا :

إلَهُ الوَرَى حَتْمٌ على الناسِ حَمْـــدُهُ لِمَا جَادَ مِن فَضْلٍ عليهم بِلا مَنٍّ

آخـــــر :

فلو كان يَسْتَغْنِيْ عَنِ الشُكْرِ ماجِدٌ لِعِزَّةِ نَفْسٍ أَوْ عُلوٍ مَكَـــــانَ
لَمَا أَمَرَ الله العِبَادَ بِشُـــكْرِهِ فقالَ أشكرُوْا لِيْ أيْهَا الثقَـــلانِ

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قالْ : قَالَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلمْ كانَ مِنْ دُعَاءِ داودَ يَقولْ اللهمَّ إنِّي أسْأَلُكَ حُبَّكْ وَحُبَّ مَنْ يُحبُّكْ والعَمَلُ الذي يُبَلِّغْنِي حُبُّكَ اللهُّم اجْعَلْ حُبَّكَ أحَبَّ إليَّ مِنْ نَفْسِي وَمَالِي وأَهْلِي وَمِنَ الماءِ البارِدِ الحديثْ رواهُ الترمذي وعنْ أمِّ مَعْبَدٍ قالتْ سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقول : اللّهم طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفاقِ وَعَملِي مِن الرِّيَاءِ وَلِسَانِي مِنَ الكَذِبِ وَعَيْنِي مِن الخِيَانَةِ فَإنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعْينِ وَمَا تُخْفِي الصُّدورْ ﴾ رواه البَيْهَقِي في الدَّعواتِ الكبير .

وَعَنْ عبدِ اللهِ بْنِ عَمْرو قالْ : كانَ رسولُ اللهُ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلم يقولْ : (اللهمَّ إنِّي أَسْأَلُك الصِّحَةَ والْعِفَّةَ والأمانَةَ وَحُسْنَ الخُلقْ والرِّضَى بالقَدَرْ) رواهُ البيهقِي في الدَّعْواتِ الكبيرْ .

جاء عن معقـل بن يسار عن النبي ﷺ قال مَن قَال حينَ يُصبحُ ثلاثَ مراتٍ أَعُوذُ بالله السميع العليم مَن الشيطان الرجيم وقرأ ثلاثَ آياتٍ من آخرِ سورةِ الحشرِ وكَلَّ اللَّهُ بهِ سَبعَينَ الفَ مَلَكٍ يُصَلُون عليه حتى يُمسي وإن ماتَ في ذلك اليوم ماتَ شَهِيْدَاً ومَن قالها حَينَ يُمسيُ كان بتلكَ المنزلةِ حَسَّنَةُ وغربَه الترمذي .

اللهم اعذْنا بمَعافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخْطِكَ واحْفَظ جَوارِحَنا مِن مُخَالَفَة أَمْرِك واغْفِرْ لنَا وَلِوالِدَيْنا وَلِجَميع المسلمينَ الأَحياءِ منهم والمَيتين بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمين وَصَلَّى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصَحبِهِ أجمعين .

مَـوْعِظَـــة

عِبادَ الله إن النَّاسَ في هذا الزَّمَنْ لَمْ يَعْرِفُوا رَبَّهُمْ المَعْرِفَةَ التي تَليقُ بِجَلاَلِهِ وَعَظَمَته ولَو عَرَفُوه حَقَّ المَعْرفَةَ لَمْ يَكُونُوا بِهَذهِ الحَال لأَنّهُ من كَانْ باللَّهِ أَعْرَفْ كَانَ مِنْهُ أَخْوَفْ إنَّ العارفَ باللَّه يَخْشاهُ فَتَعْقِلُهُ هذه الخَشْيَةَ بإِذْن اللَّهِ عَمَّا لا يَنْبَغِي مِن الأقوالِ والأفعالِ قالَ اللَّهُ تَعَالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ﴾ .

العارِفُ بِاللَّهِ لَا يَجْرَؤُ أَنْ يُحَرِّكَ لِسَانَهُ بِكَلِمَةٍ مِنَ المُنْكَرَاتِ أَفْعَالٍ أَوْ أقوالٍ كالغيبةِ والنَّمِيمَةِ والكذبِ والقَذفِ والْفِسْقِ والسُّخْرِيَةِ والاسْتِهْزاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَلا يَسْتَعْمِلُ عُضواً مِنْ أعْضَائِهِ فِي عَمَلٍ لَيْسَ بِحَلالٍ بَلْ يَكُفُّ بَصَرَهُ وَسَمْعَهُ وَيَدَهُ وَرِجْلَهُ عَنِ المُحَرمَاتْ لأَنَّهُ يؤمِنُ حَقَّ الايمانِ بأنّ اللَّهَ جَلّ وَعَلا مَهْمَا تَخفَّى وَتسَتَّرَ العَبْدُ عَنْهُ فإنّهُ يَراهُ .

والعارِفُ باللّهِ لا يَنْطَوي عَلى رَذِيْلَةٍ كالْكِبْرِ والْحِقْدِ والْحَسَدِ وَسُوءِ الظَّنِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الرَّذَائِلِ المَمْقُوتاتِ لأَنَّهُ يُصَدِّقُ أَنّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيهِ شَيءٌ في الأَرْضِ وَلَا في السَّمَاءِ وأَنّهُ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّهُ الصّدورُ ، كَمَا يَعْلَمُ العلاَنِيَة ، فَلاَ يَسْتَريحُ العارِفُ حَتّى يكُونَ باطِنُهُ كَظاهِرِهِ مُطَهّراً مِنْ كُلِّ فَحْشَاءٍ وكذلك لا تَسْمَعُ مِنْ فَمِ العارِفِ عِنْدَ نُزُولِ المصَائِبِ والْبَلاَيَا وَالشّدَائِدِ إلاَّ الْحَسَنَ الجميلَ فَلاَ يَغْضَبُ لِمَوْتِ عزيزٍ أَوْ فَقْدِ مَالٍ أَو مَرَضٍ شَدِيْدٍ طَوِيْلٍ لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنْ غَضَبَهُ وَتَسَخُّطَهُ يُفَوِّتُ عَلَيهِ أَجْرَهُ وَلاَ يَرُدُّ مَا فَاتَ كَمَا قِيْلَ :

لا تَلْقَ وَقْتَكَ إلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ... مَا دَامَ يَصْحَبُ فيهِ رُوْحَكَ الْبَدَنُ
فَمَا يَدُومُ سُرُوْرٌ مَا سُرِرْتَ بِهِ ... وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الفَائِتَ الْحَزَنُ

وَلَا يَيْأَسُ العَارِفُ مِنْ زَوالِ شِدّةٍ مَهْمَا اسْتَحْكَمَتْ فَإِنَّ الْفَرَجَ بِيَدِ اللهِ الّذِي قَالَ وَقَوْلُهُ الحَق إِنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً وَلَا يَيْأَسُ مِن حُصُولِ خيرٍ مَهْمَا سَمَا وابْتَعَدَ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ الأَمْرَ بِيَدِ مَنْ إِذا أَرادَ شَيْئاً قالَ لَهُ كُنْ فكَانْ وإن بَدَا مُحَالًا في نَظَرِ الجُهَلَاءِ وَلا يَقْنَطُ الْعَارِفُ وَلَا يُقَنِّطُ مُؤْمِناً مِنْ رَحْمَةِ اللهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ وان كَانَتْ ذُنُوبُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ والرِّمالِ وَلَا يُؤَمِّنُ الْعارِفُ مُسْتَقِيماً مِنَ الْعَذَابِ مَهْمَا كَانَ العَمَلُ مِنَ الصّالِحاتْ لأَنَّهُ يَغْفِرُ الذّنُوب جَميعاً وأَنّهُ لَهُ الْحُجّةُ الْبَالَغَةُ وأَنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْن مِن أَصابعهِ جَلَّ وَعَلَا فَلَا تَغْفل عَنْ ذَلِكَ وانْ أَهْمَلَهُ الكثيرُ مِن النَّاسِ. قال أحَدُ العُلماء الغمومُ ثلاثةٌ غَمُّ الطاعةِ أن لا تُقْبل وغَمُّ المَعْصيَةِ أن لا تغْفَرْ وغَمُّ المَعْرفةِ أَنْ تُسْلبَ.

عَلَيْكَ من الأُمور بِمَا يُؤَدّي ... إلَى سَنَن السَّلامَةِ والخَلاصِ
وما تَرْجُو النَّجاةَ بِهِ وشيْكاً ... وفَوْزاً يَوْمَ يُؤخَذُ بالنَّواصِي
فَلَيْسَ تَنالُ عَفْوَ اللهِ إلَّا ... بتَطْهيرِ النُّفُوسِ مِنَ المَعَاصِي
وَبِرِّ المُؤْمنيْنَ بِكُلِّ رِفْقٍ ... ونُصْحٍ لِلأَدَانِي وَالأَقَاصِيْ
وإنْ تَشْدُدْ يَداً بالخَيْرِ تُفْلحْ ... وَإنْ تَعْدِلْ فَمَا لَكَ مِنْ مَناصِ

آخر: إغْتَنِمْ في الفَراغِ فَضْلَ رُكُوعٍ ... فَعَسى أَنْ يكُون مَوْتُكَ بَغْتَةْ
كَمْ صَحِيحٍ رَأيْتَ مِن غَيْرِ سُقْمٍ ... ذَهَبَتْ نَفْسُهُ العَزِيْزَةُ فَلْتَةْ

اللّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وأَرْزُقْنَا الاسْتَقَامَةَ طَوْعَ أَمْرِكْ وَتَفَضَّلْ عَلَيْنَا بِعَافِيْتَكَ وَجَزِيلِ عَفْوِكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ. اللّهُمَّ أَلْهِمْنَا القِيَامُ بِحَقّكْ، وَبَارِكْ لَنَا فِي الحلالِ مِنْ رِزْقِكْ، وَلَا تفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكْ، يَاخَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وأَفْضَلَ مَن رَجَاهُ رَاجٍ يَاقَاضِيَ الحاجاتِ ويَامُجِيْبَ الدَّعواتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقّقْ

رَجَاءَنَا فِيْمَا تَمَنَّيْنَاهُ وأَمَّلْناه يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ضمائِرِ الصَّامتين ، أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ ، وَحَلَاوَةَ مَغْفِرتكَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(فَصْـــلٌ)

١ ـ زكاةُ الفِطر ومَا وَرَدَ مِن الآثارِ في شَرْعِيَّتِهَا :

زكاةُ الفطِر واجبةٌ بالفِطْرِ مِن رَمَضَانَ ، لِمَا رَوَى ابنُ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ « أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فرضَ زكاةَ الفِطْرِ في رَمَضَانَ على الناسِ صاعاً مِن تَمْرٍ ، أو صاعاً مِن أَقِطٍ ، أو صَاعاً مِنْ شَعِيْرٍ عَلى كلِ حُرٍ وعَبْدٍ ذكَرٍ وأنثى مِن المسلمين » متفق عليه .

وعنهُ : « أنَّ رسولَ اللّه صلى اللهُ عليه وسلم أمَرَ بِزَكاةِ الفطرِ أنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُروجِ الناسِ إلى الصلاة » .

وعنْ أبي سعيدِ الخُدْرِيْ : كُنّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعاً مِنْ طَعام ، أو صَاعاً مِن تَمْرٍ ، أو صاعاً مِن أقِطٍ ، أو صاعاً مِن زَبِيبْ . متفق عليه .

قالَ سعيدُ بنُ المُسَيَّبْ ، وَعُمرُ بنُ عبدِ العزيز ـ رَحِمَهُمَا الله ـ في قولِه تعالى : ﴿ قد أفلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ هُوَ زكاةُ الْفِطْر .

وأُضِيفَتْ هذِه الزكاةُ إلى الفطرِ لِأَنَّها تَجِبُ بالفِطْرِ مِنْ رَمَضَان ، وهذِهِ يُرادُ بها الصدقةُ عن البدنِ والنفسِ ومَصْرَفُهَا كزكاةِ المالِ لِعُمُومْ : ﴿إنما الصدقاتُ للفقراء . . .﴾ الآية .

ولا يَمْنَعُ وُجُوبَهَا دَيْنٌ إلاَّ مَعَ طَلَبْ ، وهِيَ واجبةٌ على كُلِّ حُرٍّ وعبدٍ ذكرٍ وأنثى مِن المسلمين ، فَضُلَ لَهُ عَنْ قوتِهِ ، وَمَنْ تَلْزَمُهْ مؤُونَتُهْ يومَ

العيدِ وَلَيْلَتِهِ صاعُ لانَّ النفقةَ أَهَمُّ فَيَجِبُ البَدَاءَةُ بِها ، لقولِه صلى اللهُ عليه وسلم : « إبْدأ بِنَفْسِكْ » رَواهُ مُسلمْ .

وفي رِوَاية : (.... وابْدأ بِمَنْ تَعُولْ) رواه الترمذي .

ويُعْتَبَرُ كونُ ذلكَ الصاعُ فاضلاً عمَّا يَحْتَاجُهُ لِنَفْسِهْ ، وَمَنْ تَلْزَمُهُ مؤُونَتُهُ مِنْ مَسْكَنٍ وخَادِمٍ ودَابةٍ وثيابِ بِذْلة ونحوِهِ ، وكُتُبٍ يَحْتَاجُهَا لِنظرٍ لِأَنَّ هَذِهِ حَوائجُ أصليةٌ يَحْتَاجُ إليها كالنفقةِ ، وتَلْزَمُهُ عن نفسِهِ وعنْ من يَمُونُهُ مِن المسلمِينْ كزوجةٍ وعبدٍ وولدٍ ، لِعُمُومِ حديثِ ابنِ عُمرَ ـ رضي الله عَنْهُمَا ـ « أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقةِ الفطرِ عن الصغيرِ والكبيرِ مِمَّنْ تَمُونُون » رواه الدَّرَاقُطْني .

فانَ لَمْ يَجْدهُ لِجميعِهِمْ بدأ بِنَفْسِهْ ، فزَوَجَتِهِ ، فَرَقيْقِهِ ، فأمّهِ ، فأبِيْهِ . فوَلَدِهِ ، فأقْرَبَ في مِيْراثٍ ، وَيُقْرعُ مَعَ الاسْتواءِ .

أمَّا دَليلُ البدّاءةِ بالنفسِ فلِحدِيثْ « ابدْأ بنفسكَ ، ثمَّ بِمنْ تَعُولُ » .

وأمَّا الزوجةِ فلوُجُوْبِ نَفَقَتِهَا في حَالَهِ اليُسْرِ والعُسْرِ لأَنَّها على سَبِيْلِ المُعَاوَضَةِ .

وأما الرقيقِ فلوجُوْبِ نَفَقَتِهِ مَعَ الاعْسَارِ بخلافِ الأقارِبِ لأَنَّها صِلةٌ تَجبُ مَعَ اليَسَارِ دُوْنَ الإعسَارِ .

وأما الأُمّ فلقولِه صلى اللهُ عليهِ وسلم لِلأعرابِّي حِيَنَ قالَ لَهُ : « مَنْ أَبَرُّ ؟ قالَ أمُّكَ ، قَالَ ثُمَّ مَن آقالَ أمُّكَ ، قال ثمَّ مَنْ ؟ قال : أمكَ ، قالَ ثمَّ مَنْ ؟ قالَ : أبوكَ » ولِأنَّهَا ضَعيفَةٌ عن الكَسْبِ .

وأمَا الأَبُ فلمَا سَبقَ وَحديثُ : « أَنْتَ ومالُكَ لأَبِيْكَ » .

وأما الوَلدِ فَلِقُرْبِهِ وَوُجُوبِ نَفَقَتِهِ في الجُمْلَةِ .

وأما الأقربِ في المِيْرَاثِ فلأنهُ أوْلَى مِن غَيرهِ كالمِيراث .

وَتُسْتَحَبُّ عن الجَنين لِفِعْلِ عُثْمَانَ ـ رضِيَ اللهُ عنهُ ـ وَعَنْ أَبي قِلَابَةَ قالَ : « يُعْجِبُهُمْ أنْ يُعْطُوا زكاةَ الفطرِ عن الصغيرِ وَالكبيرِ حَتَّى عنْ الحَملِ فـي بَطْنِ أمِهِ » رواهُ أبو بَكْرَ .

وَلاَ تَجبُ ، قالَ ابنُ المُنْذِر : « كل من نَحْفَظُ عنهُ لا يُوْجِبُها عن الجنينْ ، وتَجبُ عَلَى اليتيم ، وَيُخْرِجَ عنهُ وليهُ مِنْ مَالِهَ » .

ولاَ يَلْزَمُ الزَوجَ فِطرةُ زَوْجَةٍ نَاشِزٍ وَقْتَ الوُجُوبِ ، وَلاَ تَلْزَمُ الزوجَ فِطرةَ مَنْ لا تَلْزمهُ نفقَتُها ، كَغيرِ المدْخُولِ بِهـا إذا لمْ تُسَلَّمْ اليهِ ، والصغيرةِ التي لا يُمْكِنُ الاسْتِمْتَاعُ بِهَا .

وَمَنْ لَزمَ غَيْرَهُ فِطْرتُهُ كالزَّوجَةِ ، فأخرجَ عن نَفسِهِ بغير إِذْنِ مَنْ وَجَبتْ عليه أجْزأَ . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

٢ ـ فصلُ في وقتِ وجوبِ صَدَقَةِ الفطرِ ، والأفضلُ مِنْه :

وَتَجِبُ زكاةُ الفِطرِ بغُرُوْبِ شَمْسِ لَيْلَةِ الفِطْرِ ، لِقَولِ ابنِ عباسٍ ـ رضي اللهُ عنهُمَا ـ « فرَضَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ صَدَقَةَ الفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائمِ مِن اللَّغْوِ والرَّفَثِ ، وَطُعْمَةً لِلْمسَاكِين » . رواه أبو داود ، والحاكم وقالَ على شرطِ البخاريِ فأضافَ الصدقةَ إلى الفطرِ فَكَانَتْ وَاجِبَةً بِهِ لِأَنَّ الإضَافَةَ تَقْتَضِي الاخْتِصَاصَ .

وأَوَّلُ فِطرٍ يقعُ مِنْ جَمِيْعِ رَمَضانَ بِمَغِيبِ الشمْسِ مِن لَيْلَةِ الفِطْرِ ، فَمَن أَسْلَمَ بَعد الغروْبْ ، أو تزوجَ بعدَ الغُروبِ ، فلا فِطرة وانْ وُجِدَ ذَلكَ قبلَ بأنْ أسلمَ أو تَزوَّجَ ، أو وُلِدَ له ولد ، أوْ مَلَكَ عبداً ، أوْ أيْسَر قبْلَ الغُروبِ وَجَبَتِ الفِطْرَةُ لوُجُودِ السَّبَبِ فالأعتِبَارُ بحَالِ الوُجُوْبِ .

وانْ مَاتَ قَبْلَ الغُروبِ هُوَ ، أوْ زَوْجَتِهِ ، أوْ رَقِيقُهُ ، أو قريبُه ونَحوُه ، أوْ أعْسَرَ ، أوْ أبانَ الزوجةَ ، أو أعتقَ العبدَ ، أوْ باعهُ أو وَهَبَهُ لم تَجِبِ الفِطْرَةُ لِمَا تَقَدَّمْ .

وَلَا تَسْقُطُ الْفِطْرَةُ بَعْد وُجُوبِها بموتٍ وَلَا غَيْرِه ، والأفضلُ إخْرَاجُهَا يومَ العيدِ قبْلَ الصلاةْ ، لِمَا في المتَّفَقِ عليهِ مِن حديث ابنِ عُمر ـ رضي اللهُ عنهما ـ مرفوعا ، وفي آخرِهْ : « وأَمَرَ بِهَا أنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُروْجِ الناسِ إلى الصَّلاةِ » .

وفي حديثِ ابن عباسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنهما ـ « مَنْ أدَّاهَا قَبْلَ الصلاةِ فَهِيَ زَكاةٌ مَقْبُوْلَةٌ ، ومَن أدَّاها بَعْدَ الصلاةِ فَهِيَ صَدقةٌ مِن الصَدَقاتِ » .

وتُكْرَهُ بَعْدَهَا خُرُوْجًا مِن الخِلافِ ، ولِقَولِهِ صلى اللهُ عليه وسلم :

« أغْنُوْهُم عَنِ الطلبِ في هذا اليومِ » . رواه سعيدُ بنُ منصور .

فإذا أخَّرَهَا بَعَدَ الصلاةِ لم يَحْصُلِ الاغْنَاءِ لَهُم في هَذَا اليومِ كُلِّهِ .

ويَحْرُمُ تأْخِيْرُهَا عَن يومِ العِيْدِ مَعَ القُدْرَةِ ، لِأَنَّهُ تَأْخِيْرٌ لِلْحَقِّ الوَاجِبِ عن وقْتِهِ ، وكان عليه الصَلاةُ والسَلاَمَ يَقْسِمُهَا بَيْنَ مُسْتَحِقِّيْهَا بَعدَ الصَّلاةِ . فَدَلَّ على أنَّ الأمْرَ بتَقْدِيْمِهَا على الصلاةِ لِلاسْتِحْبَابِ .

وَيقضِيهَا مَن أُخْرَهَا لِأَنَّه حَقٌّ مَالِيٌّ وَجَبَ ، فلا يَسْقُطُ بفَواتِ وَقْتِهِ كالدَّيْنِ ، وتُجْزِي قَبْلَ العِيْدِ بيَوْمٍ أَوْ بِيَوْمَيْنِ ، لِقَولِ ابنِ عُمَرَ ـ رضي اللهُ عنهما ـ : « كَانوا يُعْطُونَ قَبْلَ الفِطْرِ بِيَوْمٍ أو يَوْمَينِ » رواه البخاري .

وهذا إشَارَةٌ إلى جَمِيْعِهم فَيكُونُ إجْمَاعاً ، ولأَنَّ ذَلِكَ لا يُخِلُّ بالمَقْصُوْدِ ، إِذْ الظَّاهِرُ بَقَاؤُهَا أَوْ بَعْضُهَا ، إلى يوْمِ العِيْدِ .

وَمَنْ وَجَبَتْ عَلَيْه فِطْرَةُ غَيْره أخْرَجَها مَعَ فِطْرَته مَكانَ نَفْسه ، لأَنَّها طُهْرَةٌ لَهُ ، وفطْرَةُ مَنْ بَعْضُهُ حَرٌّ وبَعْضُهُ رَقيْقٌ ، وفطْرَةُ قِنٍّ مُشْتَرَكٍ ، وفطْرَةُ مَنْ لَهُ أَكْثَرُ من وارثٍ أَوْ مُلْحَقٌ بأَكْثَرَ منٍ واحد تُقَسَّطُ ، ومَن عَجَز منهم لَمْ يَلْزَمِ الآخرَ سِوَى قِسْطِهِ . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصــــــل)

٣ ـ الوَاجِبُ في الفِطْرَةِ :

الواجِبُ عَلى كُلِّ شَخصٍ صَاعُ بُرٍ ، أَوْ مِثْلُ مَكيْلِه مِن تَمْرٍ ، أَوْ زَبِيْبٍ ، أَوْ أقطٍ ، لِحَديثِ أَبِي سَعِيدٍ ـ رضي اللهُ عنه ـ « كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الْفِطْرِ ، إِذْ كَانَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاعاً مِنْ طَعَامٍ ، أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ ، أَوْ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ ، أَوْ صَاعاً مِنْ زَبِيبٍ ، أَوْ صاعاً مِنْ أقط » مُتفَقٌ عَلَيْهِ .

ويُجزي دَقِيقُ البُرِّ وَالشَّعِيرِ إِذَا كَانَ بِوَزْنِ الْحَبِّ ، نَصَّ عَليْهِ ، وَاحْتَجَّ بِزِيَادَةٍ تَفَرَّدَ بِهَا ابْنُ عُيَيْنَةَ : ان أَحَداً لَمْ يَذْكُرْهُ فِيهِ ، قَالَ : بَلْ هُوَ فِيهِ . رَوَاهُ الدَّرَاقُطْنِي .

قَالَ الْمَجْدُ : بَلْ هُوَ أَوْلَى بِالإجْزَاءِ لِأَنَّهُ كُفِيَ مُؤْونَتَهُ كَتمرٍ مَنْزُوعٍ نَوَاهُ وَيُخْرُجُ مَعَ عَدَمِ ذَلِكَ مَا يَقُومُ مَقَامَهُ مِنْ حَبٍّ يُقْتَاتِ كذُرَةٍ وَدُخنٍ وَبَاقِلاءَ لِأَنَّه أَشْبَهُ بِالْمنصُوْصِ عَلَيْه ، فَكَانَ أَوْلَى .

وَيَجوزُ أَنْ يُعْطِيَ الْجَمَاعَةُ فِطْرَهُمْ لِوَاحِدٍ ، وَأَنْ يُعْطِيَ الْوَاحِدُ فِطْرَتَهُ لِجَمَاعَةٍ .

وَلَا يجْزِي إِخْرَاجُ الْقِيمَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ .

وَيَحْرُمُ عَلى الشَّخْصِ شِرَاءُ زَكَاتِهِ وَصَدَقَتِهِ مِمَّنْ صَارَتْ إِلَيْهِ ، لِحَدِيثِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ « لَا تَشْتِره ، وَلَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ ؛ وَإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ ، فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالْعَائِدِ فِي قَيْئِهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَحَسْماً لِمادّة اسْتِرْجَاعِ شَيءٍ مِنْهَا حَيَاءً ، أَوْ طَمَعاً فِي مِثْلِهَا ، أَوْ خَوْفاً أَنْ لَا يُعْطِيَهُ بَعْدُ ، فَإِنْ عَادَتْ إِلَيْهِ بإرْثٍ أَوْ وَصِيَّةٍ أَوْ هِبَةٍ أَوْ أَخَذهَا مِنْ دَيْنِهِ مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَلَا مُوَاطَأَةٍ طَابَتْ بِلَا كَرَاهَةٍ لِعَدَمِ الْمَانِعِ . وَلِحَدِيثِ برِيْرَةَ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا ـ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ ، فَقَالَتْ : إِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَى أمِّي بِجَارِيَةٍ وَإِنَّهَا مَاتَتْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : « وَجَبَ أَجْرُكَ وردَّهَا عَلَيْكِ الْمِيرَاثُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْه . رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا الْبُخَارِي وَالنَّسَائِي .

ويُجْزِي إِخْرَاجُ صَاعٍ مَجْموعٍ مِنْ تَمْرٍ وَزَبِيبٍ وَبُرٍّ وَشَعِيرٍ وأقط كَمَا لَوْ كَانَ خالِصاً مِنْ أَحَدِهَا .

وَلا يُجْزِي مُخْتَلِطٌ بأكْثَرِ مِمّا لَا يُجْزِي .

وَلَا يُجْزِي اخْرَاجُ مَعِيبٍ كَمُسَوَّسٍ ، وَمَبْلُولٍ ، وَقَدِيمٍ تَغَيّر طَعْمُهُ .

والأَفْضَلُ تَمْرٌ ، لِفِعْلِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ نَافِعُ : وَكَان ابْنُ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ يُعْطِي التَّمْرَ إِلَّا عاماً واحداً أَعْوَزَ التَّمْرُ فَأَعْطَى شَعِيْراً رواهُ أحْمَدُ وَالْبُخَارِي .

وقَالَ لَهُ أبو مَجْلَز : انّ اللّهَ قَدْ أوْسَعْ . والْبُرُّ أَفْضلْ ، فَقَالَ إنَّ أصْحَابي سَلَكُوا طَرِيْقاً ، فأنَا أُحِبُّ أنْ اسْلُكَهُ رواهُ أحْمَدُ واحْتَجَّ بِهْ .

وظَاهِرُهُ أنّ جَمَاعَةَ الصّحَابَةِ كَانُوا يُخْرِجُونَ التّمْر ، وَلأنَّهُ قُوْتٌ ، وَاقْرَبُ تَنَاوُلا وأقلُّ كُلْفَةِ ، وَيَلِيهِ في الأفْضَلِيَّةِ الزّبِيبُ لأَنَّ فيه قُوتاً وَحلاَوَةً وقِلّةَ كُلْفَةٍ ، ثُمّ البُرُ ، لِأنَّ الْقِيَاسَ تَقْدِيمُهُ عَلى الْكُلْ ، لكِنْ تُرِكَ اقْتداءً بالصّحَابَةِ فِي التّمرِ وَمَا شارَكَهُ في الْمعنى وَهْوَ الزّبِيْبُ ، ثُم الأنْفَعُ في الاقتِيـاتِ وَدَفْعِ حـاجَةِ الْفَقِيْر ، ثُمَّ شَعِيره ، ثُمّ دَقِيْقُ شَعِيرْ ، ثُمّ سَوِيْقُهُمَا ، ثُمَّ اقِطْ والأفضَلُ أن لا يُنْقَصَ مُعْطىً مِنْ فِطْرةٍ عَنْ مُدُّبُرٍ أوْ نِصْفِ صَاعٍ مِن غَيْرِهِ لِيُغْنِيَهُ عَنِ السُّؤالِ في ذلِكَ الْيَوْمِ لِقَوْلِ النّبِيِّ صلّى اللهُ عَليهِ وسَلَّم :

« أَغْنُوهُمْ عَن السُّوآلِ في ذَلِكَ اليوم » وَيُسَنُّ التّكْبِيرُ المُطْلَقُ وَهْوَ الذي لم يُقَيَّدُ بِأَدْبَارِ الصّلَواتْ والجَهْرُ بِهِ في لَيْلَتَيْ الْعِيْدَيْنِ إلى فَراغِ الخُطْبَةِ لِقَولِه تعالى : ﴿وَلِتُكْمِلُوا العُدَّةَ ولِتُكَبِّروا اللّهَ على مَا هَدَاكُمْ﴾ وعَنْ عَليٍّ رضي اللهُ عَنْهُ أنّهُ كانَ يُكَبِّرُ حَتّى يُسْمِعَ أهَلَ الطّرِيْق وَصِفةُ التّكْبِيرِ ، اللّهُ أكْبَرُ ، اللّهُ أكْبَرُ ، لَا إلهَ إلا اللّهُ ، اللهُ أكْبَرُ ، اللّهُ أكبَرْ ولِلّهِ الحَمْدُ ، وفِي كُلِّ عَشْرِ ذِي الْحِجّةِ » .

قال البُخَارِيْ كَانَ ابْنُ عُمَرَ وأبُو هُرَيْرَةَ يَخْرُجَانِ إلى السُّوقِ في أيّامِ العَشرِ يُكَبّرانِ ويُكَبّرُ النّاسُ بِتَكْبِيرِهمَا والتّكْبِيرُ المُقَيّدُ في الأضْحَى عقِبَ كُلُّ فَرِيْضَةٍ . صلاَّهَا في جَمَاعَةِ مِن صَلاةِ الفَجْرِ يَوم عَرَفَة إلى عَصْرِ آخِرِ أيَّامِ التّشْريق لِحديثِ جَابِرٍ أنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم صَلّى الصُّبْحَ يومَ عَرَفَة ثم أقْبَلَ علينا فقالَ اللّهُ أكْبَرُ ومَدَّ التّكْبيرَ الى آخِرِ أيامِ التّشْريق رواهُ الدّارَقُطْنِي بِمَعْنَاهُ إلاَّ المُحْرِم فَيُكَبّرُ مِن صَلاةِ ظُهْرِ يومِ النّحرِ إلى آخرِ أيامِ التشريق .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأَبْرارِ وأَسْكِنَّا مَعَهمُ في دارِ القرارِ، اللَّهُمَّ وفقنا بِحُسْنِ الإقبالِ عَلَيْك والإصْغَاءِ إليك ووَفّقْنَا لِلتّعاوُنِ في طَاعَتِكَ والمُبَادَرَةِ إلى خِدْمَتِكَ وحُسْنِ الآدابِ في مُعَامَلَتِكَ والتّسليمِ لِأَمْرك والرِّضا بِقَضَائِكَ والصَّبْر عَلى بَلائِك والشّكْر لِنَعْمَائِكَ، واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ نَفْساً مُطْمَئِنةً تُؤمِنُ بلِقَائِكَ وتَرضَى بقَضَائك، اللَّهُمَّ إنَّا نسْأَلُكَ باسْمِكَ الطاهِرِ الطَّيبِ المُبَارَكِ الأَحَبِّ إليك الذي إذا دُعِيْتَ به أَجَبْتَ، وإذا سُئِلتَ بِهِ أَعْطَيْتَ، وإذا استُرْحِمْتَ به رَحِمْتَ، وإذا استفرجْتَ بِهِ فَرَّجَتْ أن تَغْفِرَ سَيئاتنا وتُبدلها لَنَا بِحَسَنات ياأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: الحَمْدُ لِلَّهِ غَافِرِ الذُّنُوْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ، شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِليهِ المصير، وأشْهَدُ أنّ محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ البشِيْرُ النَّذِيْرُ ﷺ أولي الجِدِّ في العبادَةِ والتشْميرِ.

عِبَادَ اللهِ، إنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى الرَّحِيْلِ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَحْسَنَ فَعَلَيْهِ بالتَّمَامِ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ فَرَّطَ فيه فَلْيَخْتِمْهُ بالْحُسْنَى، فالعمَلُ بِالْخِتَامِ، وَبَادِرُوا رَحِمَكُمْ اللهُ أوقاتَ شهْركُم الباقِيَةَ، وَاسْتَدْرِكُوا ما مَضَى منه بالحَسْرَةِ والنَّدَمِ، واختِمُوهُ بالتَّوْبَةِ النَّصُوْحِ والرُجُوعِ إلى صالِحِ العملْ.

عِبَادَ اللهُ، كَمْ أناسٍ صَلَّوا في هذا الشَّهْرِ صَلاةَ التَّرَاوِيْحِ وَأَوْقَدُوا في المساجِدِ طَلَباً لِلْأَجْرِ المَصَابِيْحِ، ونَسَخُوا بِإِحْسَانِهِمْ كُلَّ فِعْلٍ قَبِيْحٍ، وَقبلَ التَّمَامِ سَكَنُوا الضَّرِيْحَ، ولَمْ يَنْفَعْهُمْ المالُ والآمَالُ لَمَّا نُقِلُوا، رَحَلُوا عن الدُّنْيَا قِدْماً قِدْمَاً ونُقِضَ مَا بَنَوْهُ هَدْماً هَدْمَا، أَدَارَتْ عَلَيْهِمُ المنُونُ رَحَاهَا وَأَحَلَّتْ وُجُوهَهُمْ في الثَّرَى فَمَحَاهَا.

وهَذَا حَالُكَ عَنْ قَرِيْبٍ فَتيَقَّظْ يَاقَلِيْلَ الزَّادْ، وَحَادِي رَحِيْلِهِ قَدْ حَدَى تَأَهَّبْ لِلَّتلفِ وَتَهَيَّأْ لِلرَّدَى، ذَهَبَ عَنْكَ شَهْرُ الصيامِ وَوَدَّعَكَ، وَسَارَتْ فِيهِ قَوَافِلُ الصَّالِحِيْنَ، وَجَهْلُكَ مَنَعَكَ والتَّوْبِيْخُ مُتوَفِّرٌ، فَمَا أَرْجَعَكَ وَلَا أَزْعَجَكَ وَأَنْتَ تُؤَمِّلُ مَنَازِلَ العامِلِيْنَ بأفعالِ الغَافِلِيْنَ فما أَطْعَمَكَ.

يَا مَنْ اصْبَحَ ساعياً إلى مَا يَضُرُّهُ سَتَعْلَمُ مَنْ يأتِي غَدَاً حَزِيناً مُتَنَدِّمَاً، كَمْ مِنْ صَائِمٍ يَفْضَحُهُ الحِسَابُ والعَرْضِ، وَكَمْ مِنْ عاصٍ في هذا الشهْرِ تَسْتَغيْثُ مِنْهُ الأَرْضُ، فيا ليت شِعْرِي من المقبولُ مِنَّا فَنُهَنِّيهِ على توفيقِ اللهِ لهُ بِحُسْنِ عَمَلِهِ وَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنِ المَطْرُودُ فَنُعَزِّيْهِ بسوءِ عَمَلِهِ، فَيَا أيُّها المقبولُ هَنِيْئاً لَكَ بثَوابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ورِضْوَانِهِ وَرَحْمَتِهِ وَغُفْرَانِهِ وَقَبُولِهِ واحْسَانِهِ وَعَفْوِهِ وامْتِنَانِهِ.

وَيَا أيُّهَا المطْرُودُ بإصْرَارِهِ، وطُغْيَانِهِ وظُلْمِهِ وَغفْلَتِهِ وخُسْرَانِهِ وَتَمادِيْهِ في عِصْيَانِهِ، لَقَدْ عَظُمَتْ مُصِيْبَتُكَ وخَسِرْتَ تِجَارَتَكَ، وَطَالَتْ نَدَامَتُكَ، فَيَا لَهَا مِنْ خُسَارَةٍ لاَ تُشْبِهُهَا خَسَارَةٌ، لِلّهِ دَرُّ أَقْوامٍ حَرَسُوا بالتُّقَىٰ أَوْقَاتَهُمْ، وَتَدَرَّعُوا دُرُوْعَ المُرَاقَبَةِ في صَبْرِهِمْ وَجَمَعُوا بَيْنَ الصِّدقِ والاخلاص في ذِكْرِهِمْ، صَبَرُوا باليَقِيْنِ على ظَمَإِ الهَوَاجِرِ، وَبَسَطُوا أَقْدَامَهُمْ عَلَى بِسَاطِ الدَّيَاجِرِ وَعَمِلُوا لِيَوْمٍ فيهِ القُلُوْبُ لَدَى الحَنَاجِرِ.

أَقْبَلُوا على خِدْمَةِ رَبِّهِمْ إِقْبَالَ عَالِمْ، وَمَا سَلَكُوا إلاّ الطريقَ السَّالِمْ تَذَكَّرُوْا ذُنُوبَهُمْ القَدَائِمَ، فَجَدَّدُوا التَّوْبَةَ بِصِدْقِ العَزَائِمْ، وَعَدُّوْا التَّقْصِيرَ مِن العَظَائِمِ، وبَذَلُوا المُهَجَ الكِرَائِمَ، فإذا جَنَّ اللَّيْلُ فَسَاجِدٌ وَقَائِمٌ، وَلاَ يَخافُونَ في اللهِ لَوْمَةَ لاَئِم، أينَ أنْتَ وَهُمْ ؟ فَهَلْ تَرَى السَّاهِرَ كالنَّائِمْ ؟ كَلَّا، وَلاَ المُفْطِرَ كالصَّائِمْ.

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ مَنْ أرَادَ اللهُ بِهِ خَيراً فَتَحَ لَهُ بَابَ الذُّلِّ

والانْكِسَارِ وَدوامِ اللجُوءِ إلى اللهِ تعالى والافْتِقَارِ إليه وَرُؤْيَةِ عُيُوبِ نَفْسِهِ وَجَهْلِهَا وَعُدْوَانِهَا وَمُشَاهَدَةِ فَضْلِ رَبِّهِ واحْسَانِهِ وَرَحْمَتِهِ وَجُوْدِهِ وَبِرِّهِ وَغِنَاهُ وَحَمْدِهْ . فالعارِفُ : سَائِرٌ إلى اللهِ تعالى بَيْنَ هَذَيْنِ الجَنَاحَيْنِ لا يُمْكِنُهُ أنْ يَسِيرَ إلاَّ بِهِمَا فَمَتَى فَاتَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا فَهُوَ كالطيرِ الذي فُقِدَ أحدُ جَنَاحَيْهِ .

وقَالَ شَيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ الْعَارِفُ يَسِيرُ إلى اللهِ بينَ مُشَاهَدَةِ المِنَّةِ ومُطَالَعَةِ عَيْبِ النَّفْسِ والْعَمَلِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلُهُ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم في الحديثِ الصَّحِيْحِ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رَضي الله عَنْهُ سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أنْ يقولَ العبدُ اللهمَّ أنْتَ رَبِّي لاَ إلَهَ إلاَّ أنْتَ خَلَقْتَنِي وَأنَا عَبْدُكَ وأنا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما صَنَعْتُ أبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لي إنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أنْتَ فَجَمَعَ في قَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم أبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأبُوءُ بِذَنْبِي بَيْنَ مُشَاهَدَةِ المِنَّةِ وَمُطَالَعَةِ عَيْبِ النفسِ والعَمَلْ .

فَمُشَاهَدَةُ المِنَّةِ تُوجِبُ المَحَبَّةَ والحَمْدَ والشُّكْرَ لِوَلِيِّ النِّعَمِ والإحْسَانِ ومُطَالَعَة عَيْبِ النَّفْسِ والْعَمَلِ تُوجِبُ لَهُ الذُّلَّ والإنْكِسَارَ والإفْتِقَارَ والتَّوْبَةَ في كُلِّ وقت وَأنْ لَّا يَرَى نَفْسَهُ إلَّا مُفْلِساً وأقْرَبُ بَابٍ يَدْخُلُ منهُ العبْدُ على اللهِ تعالى هُوَ بَابُ الإفْلاسِ فَلا يَرَى لِنَفْسِهِ حَالاً وَلَا مَقَاماً وَلا سَبَباً يَتَعَلَّقُ بِهِ وَلَا وَسِيْلَة مِنْهُ يَمَنُ بِها .

بَلْ يَدْخُلُ على اللهِ من بَابِ الافْتِقَارِ الصِّرْفِ والافلاسِ المحضِ دُخُوْلَ مَنْ كَسَرَ الفَقْرُ والمَسْكَنَةُ قَلْبَهُ حَتَّى وَصَلَتْ تِلْكَ الكَسْرَةُ إلى سُوَيْدَائِهِ فانْصَدَعَ وَشَمَلَتْهُ الكَسْرَةُ مِنْ كُلِّ جِهَاتِهِ وَشَهِدَ ضَرُورَتَهُ إلى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وكَمَالَ فَاقَتِهِ وَفقرِهِ إلَيْهِ وأنَّ في كُلِّ ذَرَةٍ من ذَرَّاتِهِ الظَّاهِرَةِ فاقةً تَامةً وضَرُورَةً الى رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وأنَّهُ إن تَخَلَّى عَنهُ طَرْفَةَ عين هَلَكَ

وخَسِرَ خسارَةً لاَ تُجْبَرُ إلاَّ أنْ يَعُودَ إلى اللهِ تعالى ويَتَدارَكَهُ بِرَحْمَتِهِ انْتَهَى .

شعـــرا :

يارَبِّ عَفْوَكَ عَن ذِيْ تَّوْبةٍ وَجِلٍ كأنَّهُ مِنْ حذار النَّارِ مَجْنُـــونُ
قدْ كانَ قَدَّمَ أعْمَالاً مُقَـــارِفَةً أيَّام لَيْس لَهُ عَقْلٌ وَلا دِيْـــنُ

آخر: دَعِ البكَـاءَ عـلى الأطْـلاَلِ والـدَّارِ
واذْكُـرْ لِمَنْ بَـانَ مِنْ خِـلٍّ وَمِنْ جَـارِ
وَأَذرِ الـدُّمُوعَ نَحِيباً وابْـكِ مِن أسَفٍ
عــلى فِـرَاقِ لَـيَـالٍ ذَاتِ أنْـوَار
عَلَى لَيَالٍ لِشَهْرِ الصَّـوْمِ مَا جُعِلَتْ
إلاَّ لِـتَـمْـحِـيْـصِ آثَـامٍ وَأَوْزَارِ
يَـا لاَئِمي في البُكَـاءِ زِدْنِي بِـهِ كَلَفاً
وَاسْمَــعْ غَـرِيْبَ أحَـادِيثِي وَأَخْبَـارِي
مـا كَـانَ أحْسَنَنَـا والشَّـمْـلُ مُجْتَمِـعٌ
مِنَّـا المُصَلِّي وَمِنَّـا القـانِـتُ القَـارِي
وَفي التَّـرَاوِيْـحِ لِلرَّاحَـاتِ جَـامِعَـةٌ
فِيْهَا المَصَابِيْـحُ تَزْهُـوْ مِثْلَ أزْهَـارِي
فِي لَيْلِهِ لَيْلَةُ القَـدْرِ الَّتِي شَـرُفَتْ
حَقـاً عَلَى كُـلِّ شَهْـرٍ ذَاتِ أسْـرَارِ
تَتَنَـزَّلُ الـروحُ والأمْـلاَكُ قَـاطِبَـةً
بِـإذْنِ رَبٍّ غَـفُـوْرٍ خـالـقٍ بَـارِي
شَهْـرٌ بِـهِ يُعْتِقُ اللهُ العُـصَـاةَ وَقَـدْ
أشْفُـوا على جُرُفٍ مِن خُـطَّةِ النَّـارِ

نَـرْجُـوا الإلَـهَ مُحِبَ العِفْـوِ يُعْتِقُنَـا
وَيَـحْـفَظُ الـكُـلَّ مِن شَـرٍّ وَأَكْـدَارِ
وَيَشْمَـلُ العَفْـوُ والـرِّضْـوَانُ أَجْمَعَنـا
بِـفَضْـلِكَ الْجَـمُ لا تَهْـتِـكْ لأَسْـتَـارِ
فَابْكُوا عَلى مَا مَضى في الشَّهْرِ واغْتَنِمُوا
مَـا قَـدْ بَقِي فَهُـوَ حَقٌّ عَنْكُمْ جَارِي

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ والمُسْلِمِيْنَ وانْصُرْ الإِسْلَامَ والمُسْلِمِيْنَ، واجْعَلْ كَلِمَتِكَ هِيَ العُلْيَا إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ وَاخْذِلْ الكَفَرَةَ وَأَعْوَانَهُم وَالْمُلْحِدِيْـنَ والمُبْتَدِعِيْنَ وَأَصْلِحْ مَنْ في صَلَاحِهِ صَلَاحُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِيْنَ وَأَهْلِكْ مَنْ في هَلَاكِهِ صَلَاحٌ لِلإِسْلَامِ والمُسْلِمِيْنَ وَوَلِّ عَلَى المُسْلِمِيْنَ خِيَارَهُـمْ يَارَبَّ العَالَمِيْنَ وَلَمَّ شَعْثَهُم وَاجْمَعْ شَمْلَهُم وَوَحِّدْ كَلِمَتَهُم وَانْصُرْهُم عَلَى مَنْ مَن خَالَفَهُم وَاحْفَظْ بِلَادَنا مِنْ الفَسَقَةِ والمُجْرِمِيْنَ وَأَصْلِحْ أَوْلَادَنَا وَإِشْفِ مَفْرضَانا وَعَافِ مُبْتَلَانَا وَارْحَمْ موتانَا وَخُذْ بِأَيْدِيْنَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَاعْصِمْنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَاحْفَظْنَا مِنْ كُلِّ ضُرٍّ وَاغْفِرْ اللَّهُمَّ للمُؤْمِنِيْنَ والمُؤْمِنَاتِ والمُسْلِمِيْنَ والمسلمات الأَحيَاءِ منهم والأَمْوَاتِ إِنَّك قَرِيْبٌ مُجِيْبٍ، اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكبرَ هَمِّنَا ولا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا إِلَى النَّارِ مَصِيْرَنا ولا تُسَلِّطْ علينا بِذُنُوبِنَا من لا يَخَافُكَ فِيْنَا ولا يَرْحَمُنَا ولا تُؤَخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا وَلَا تَسْلِبْ نِعْمَتَكَ عَنَّا وَكُنْ مَعَنَا حَيْثُمَا كُنَّا يَا حَيُّ يَاقَيُّومُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: **وَيَبْحَثُ فِي**:

١ ـ ما وَرَدَ مِنَ الحَثِّ على قِرَاءَةِ القرآنِ الكريمْ.
٢ ـ مَا جَاءَ في فَضْلِ حَمْلِ القرآنِ وتِلَاوَتِهْ.
٣ ـ ما وَرَدَ في فَضْلِ تَدبُّرِ القرآن وَتَفَهُّمِهِ.
٤ ـ ما وَرَدَ في اسْتِحْبَابِ تَرْتِيْلِ القرآنِ الكريمْ.

٥ ـ ما ورَدَ في بيانِ عِظَمِ بَعْضِ السُّوَرْ .
٦ ـ اسْتِحْبَابُ تَحْسِيْنِ الصَّوتِ في التِّلَاوَةْ .
٧ ـ يَنْبَغِي الخُشُوعُ والخَشْيَةُ والبُكَاءُ عِنْدَ تِلَاوَةِ كِتَابِ الله تعالىٰ .
٨ ـ ما وَرَدَ في تَعاهُدِ القرآنِ والتَّرْهِيْبِ من نِسْيَانِهِ .

١ ـ ما وَرَدَ مِن الحَثِّ على القُرآنِ الكَرِيمْ :

يُسْتَحَبُّ حِفْظُ القرآنِ عَنْ ظَهْرِ قَلْب ، والإِكْثَارُ مِن تِلَاوَتِهِ كُلَّ وقْتْ لِأَنَّ تِلَاوَتَهُ مِن أَفْضَلِ العِبَادَاتِ وأعْظَمِ القُرُبَاتِ وأجَلِّ الطَّاعَاتِ وفيها أجرٌ عَظِيمٌ وَثَوابٌ جَسِيْمٌ مِنَ المَوْلَى الكريمْ ، ولاَ سِيَّمَا في شَهْرِ رَمَضَانْ قال اللهُ تعالى آمِراً رسولَهُ صلى اللهُ عليه وسلَّم بِتِلَاوَةِ كِتَابِهِ العزيزِ وابْلَاغِهِ إلى الناسِ : ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكْ ﴾ .

وأخبرَ تَعالَى عن عِبَادِهِ المؤمِنِينَ الذين يَتْلُوْنَ كِتَابَهُ ويؤمنونَ به ويَعْمَلون بِمَا فيهِ من إقَامِ الصَّلاةِ والانفاقِ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ تعالى في الأوقاتِ المشروعةِ لَيلاً وَنَهاراً سِرّاً وعَلَانِيَةً ، فقالْ : ﴿ انَّ الذينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وأقامُوا الصلاةَ وأنفقُوا مِمّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وعلانيةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبوْر لِيُوفِّيَهُمْ أُجورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِن فَضْلِهِ إنَّهُ غفورٌ شَكُور﴾ .

وَعَنْ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَن النَّبي صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم قـال : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُـرْآنَ وَعَلَّمَهْ » . رواهُ البخـاريُّ ، ومسلم .

٢ ـ ما جاءَ في فَضْلِ حَمْلِ القرآن :

وَعَنْ عائِشَةَ ـ رِضْيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ : قَالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « الذي يَقْرأُ القُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ ،

والذي يَقْرَأُ القرآنَ وَهْوَ يَتَتَعْتَعُ فِيه وَهْوَ عَلَيْهِ شاقٌ لهُ أجْرانِ » رواهُ البخاري .

وَعَنْ أبي أُمامَةَ الْبَاهِلِيُ ـ رَضْيَ اللهُ تعالى عَنْهُ ـ قَالْ : سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقولْ : « إقْرَؤُوا القرآنَ فإنَّهُ يأتِي يَوْمَ القيامَةِ شَفِيعاً لِأصْحَابِهِ » رواهُ مُسْلِمْ .

وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ ـ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ ـ قالْ : قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمْ : « تَعَلَّمُوا القرآنَ فاقْرَؤُهُ ، فَإنَّ مَثَلَ القُرْآنَ لِمَن تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ وَقَامَ بِهِ ، كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍ مِسْكَاً تَفُوحُ رِيْحُهُ في كُلِّ مكانٍ ، وَمَثَل مَنْ تَعَلَّمَهُ فَرَقَدَ وَهْوَ في جَوْفِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ أُوْكِيَ على مِسْكٍ » رواهُ الترمذي والنسائي وابنُ مَاجَهْ .

وَعَنْ أَبِي مُوسى الأشعَرِي ـ رضي اللهُ عَنْهُ ـ قَالْ : قَالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : « مَثَلُ المؤمن الذي يقرأُ القرآنَ مَثَلُ الأتْرُجَّةِ رِيْحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الذِي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ لَا رِيْحَ لها وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ حُلْوٌ ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الذِيْ يقرأ القرآن مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيْحُها طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ المُنَافِق الذي لا يقرأ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَها رِيْحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌ » . رواهُ البخاري ومسلم .

وَعَنْ ابن عُمْرَ ـ رَضْيَ اللهُ عَنْهُما ـ عن النبي صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالْ : « لَا حَسَدَ إلا في اثْنَتينِ : رجلٍ آتَاهُ اللهُ القرآنْ ، فَهْوَ بِهِ آنَاءَ الليل وآناءَ النهارِ ، وَرَجُلٍ تَعَلَّمَ عِلْمَاً فَهْوَ يُعَلِّمُ الناسَ مِنْهُ». رواهُ البخاريُ ومسلم .

وَعَن ابن عباس ـ رضي اللهُ عنهما ـ قالْ : قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « انَّ الذي لَيْسَ في جَوْفِهِ شَيءٌ مِن القرآنِ كالبَيْتِ الْخَرب » رواهُ الترمذي وقال : حديثٌ حَسَنْ .

وَعن أبي هريرةَ ـ رضي اللهُ عنه ـ أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ : « ما اجْتَمَعَ قومٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ يَتْلُوْنَ كتابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيْمَا بَيْنَهُمْ إلا نَزَلَتْ عليهمُ السَّكِيْنَةُ ، وَغشِيَتْهُم الرحمةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الملائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيْمَنْ عِنْدِهِ . أخرجَ البخاريُّ في صحيحهِ عن أُسَيْدِ بنِ حُضَير رِضي اللهُ عنه قالَ : بَيْنَما هُوَ يقرأُ سَورَةِ البقَرَةِ وَفرَسهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ إذْ جَالَتِ الفرسُ فَسَكت فَسَكَنَتْ فَقَرأَ فَجالَتِ الفَرسُ ، فَسَكَتَ وَسَكَنَتْ الفَرسُ ثُمَّ قَرأَ فَجالَتِ الفَرسُ فانْصَرَفَ .

وكان ابنُهُ يَحْيى قَرِيْباً مِنْها فاشْفَقَ أنْ تُصِيْبَهُ ، فَلَمَّا أخذَهُ رَفَعَ رأسَهُ إلى السَّمَاءِ حَتَّى يَرَاهَا فَلَمَّا أصْبَحَ حَدَّثَ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم فقال لَهُ : إقرأْ يا ابْنَ حُضَيرٍ إقْرَأْ يا ابْنَ حُضَيْرٍ قالَ فأشْفَقْتُ يا رسولَ اللهِ أن تَطَأَ يَحْيى وكانَ مِنْهَا قَرِيباً فَرَفَعْتُ رَأْسِي فانْصَرَفْتُ إليهِ فرفعتُ رأْسِي إلى السماء فإذَا مِثْلُ الظُّلَةِ فيها أمثالُ المصَابِيحِ فَخَرَجْتُ حَتَّى لا أرَاهَا قالَ : « وَتَدرُونَ ما ذاكَ قلتُ لا قالَ تِلْكَ الملائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ ولو قَرأْتَ لأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ الناسُ إلَيْهَا لاَ تَتَوارَى » .

فالْعَاقِلُ مِنْ يُكْثِرُ تِلاوتَهُ واسْتِذْكَارِهِ للاهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ والاسْتِرْشَادِ بَمواعِظِهِ والاعتبارِ بِقَصَصِهِ والالتِقَاطِ مِن دُرَرِهِ وَحِكَمِهِ والاسْتِضَاءةِ بِنُوْرِهِ كَيْفَ لاَ وهُوَ أسَاسُ الفَصَاحَةِ وَيَنْبُوعُ البلاغَةِ والبَراعَةِ فتجِدُ الخَطِيبَ المِصْقِعَ والشَّاعِرَ البَلِيْغَ يَقْتَبِسانِ مِن آياتِهِ وَيَسْتَمِدَّانِ مِن عُذُوبَةِ ألفاظِه ومَعانِيهِ ما يُزَيْنَانِ بِهِ كَلامَهُما ويُحَسِّنَانِ بِهِ مَقامَهُمَا .

شعـــرا :

سَا أَصْرِفُ وَقْتِي في قِرَاءةِ مَا أَتَى   عن اللهِ مَعْ ما جاءَنا مِنْ رَسُوله
فإنَّ الهُدَى وَالفَوْزَ والخيْرَ كُلَّهُ   بِمَا جاءَ عن رَبِ العبادِ وَرُسْلِـهِ

وَهْـوَ أسَـاسُ الشريعـةِ الإسْلامَيةِ ومِنهُ تُسْتَمَدَّ الأَحكامُ الشَّرْعيةُ والمسائلُ الفقْهيةُ والحقُ أنهُ عِمادُنَا في أَمْرِ دِينِنا ودُنْيانَا .

القُرآنُ أَصْلُ أُصُوْلِ الدينِ قاطِبَةً   فَكُنْ هُدِيْتَ به مُسْتَمْسِكاً وَثِقا

قال يحيى بن أكثم : كان للمـأمـون وهـو أمير إذْ ذَاكَ مجلس نظر فدخل في جملة الناس رجل يهودي حَسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة قال فتكلم فأحسن الكلام والعبارة .

فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فقال له : إسْرَائيْلِي ؟ قال : نعم . قال : أسْلِمْ حتى أفعل بك وأصنع ووعده فقال : ديني ودين آبَائِي وإنصرف .

قال : فلما كان بعد سنة جاء مُسْلِماً فتكلم على الفقه فأحْسَنَ الكلام فلما تقوض المجلس دعاه المأمون وقال : ألَسْتَ صَاحِبَنا بالأمس ؟ قال : بَلَى .

قال : فما كان سَبَبُ إسْلامِـكَ ؟ قال : انصَرفْتُ مِن حَضْرتِكَ فأحْبَبْتُ أن أمْتَحِنَ هذه الأديانَ وأنْتَ تراني حَسَنُ الخَط فَعَمَدْتُ إلى التوراة فكتبتُ ثلاثَ نُسَخ فِزَدْتُ فيها ونَقَصْتُ وأدْخَلْتُها الكَنِيْسَةَ فاشتريت مني . « المعنى مَا بَارَتْ تَصرَّفَت وطَافَت ما حُقِّقَ فيها ولا انتبه لتَحْرِيفْهَا » .

وعمـدت إلى الانجيل فكتبتُ ثلاثَ نسـخ فَزِدْتُ فيهـا ونَقَصْتُ وأدخلتُها البِيَعَةَ فاشتريت مني .

وعمـدت إلى القـرآن فَعَمِلْتُ ثلاثَ نسـخ وَزِدْتُ فيهـا ونَقَصْتُ وأدْخَلْتُهَا الوَرَّاقِيْنَ فَتصَفَّحُوْهَا .

فلما وَجَدُوا فيها الزِّيَادَةَ والنُقصانَ رَمَوْا بها فلم يَشتَرُوْهَا فَعَلِمْتُ أنَّ هذا كتابٌ مَحْفُوظ فكان هذا سَبَبُ إسلامي .

قال يحيى بنُ أكثم فَحَجبْتُ تلكَ السنـةَ فَلَقِيْتُ سُفيانَ بنَ عُيَيْنَةَ فذكـرتُ له الخَبرَ فقَال لي : مِصْدَاقُ هذا في كتاب الله قال قُلْتُ في أيِّ مَوْضعٍ ؟ قال : في قوله تعالى في التوراة والانجيل ﴿ بما استحفظوا مِن كتـابِ الله ﴾ فَجَعَلَ حِفْظَهُ إليهم فَضَاع وقال عز وجل ﴿ إنا نحن نَزَّلْنَا الذكر وإنا له لحَافِظون ﴾ فحفظه الله جل وعلا علينا فلم يَضْعِ .

شعــــرا :

عَلَيْكَ بِقَوْلِ اللهِ حِفْظاً فإنَّـــهُ هُوَ الذُخْرُ في يَومٍ تَشِيْبُ الذَّوَائِبْ
وقَولِ رســـول اللهِ أيضاً فإنَّه بِهِ مَعْ كِتَابِ اللهِ تَؤْتَى المَطَالِــبُ

وفَّقَنا اللَّهُ وجميعَ المسلمينَ لِلتَّمسُّكِ بكِتَابِهِ والمُسَارَعَةِ إلى امْتِثالِ أمْرِهِ واجْتِنَابِ نَهْيِهِ والوُقُوفِ عِنْدَ حَدِّهِ والتَّفكر في أمْثالِهِ ومُعْجزهْ والتَّبصُّرُ في نُورِ حِكمِهِ واغْفِرْ لَنَا ولوالِدَاينَا ولِجَميعِ المُسلمين برحمتك يا أرحمَ الراحمينَ وصلَّى اللَّهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين .

(فصل)

وعنْ عبدِ اللهِ بن عُمَرْ ـ رضيَ الله عنهُما ـ أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « إذَا قَرأَ ابنُ آدمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ ، اعْتَزَلَ الشيطانُ يَبْكِي ، ويَقولُ : يا وَيْلَهُ ! » .

وفي رِوَاية : « يا وَيْلي ! أُمِرَ ابنُ آدمَ بالسجودِ فَسَجَدْ فَلَهُ الجَنَّةُ ، وأمِرْتُ بالسجودِ فأبَيْتُ فِليَ النارُ » رواه مسلمُ وأبوُ داود .

وعن النَّوْاسِ بن سِمْعَانْ ـ رضي اللهُ عنه ـ قالْ : سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « يُؤْتَى بالقرآنِ يومَ القِيَامَةِ وأَهْلِهِ الذينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بهِ في الدنيا تَقْدُمُهُ سُوْرَةُ البقرةِ وآلِ عمرانَ » وضَرَبَ لَهُمَا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ثلاثةَ أمثالٍ ما نَسِيْتُهُنَّ بَعْدُ قال « كأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أو ظُلَّتَانِ سَوْدَوَانِ بَيْنَهُمَا شَرَقٌ ، أوْ كَأَنَّهُمَا فُرْقَانٌ مِن طَيْرٍ صَوافٍ يُحَاجَّانِ عن صَاحِبِهما » رواه مسلم .

وعن عبد اللهِ بن مسعودٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « مَن قَرأَ حَرْفاً من كِتابِ اللهِ تعالى ، فَـلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ والحَسَنَةُ بِعَشْرِ أمْثَالِهَا لا أَقُولُ : آلم حَرْفٌ ولكنْ ألِفٌ حَرْفٌ ولامٌ حَرْفٌ ومْيمٌ حَرْفٌ » رواه أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي .

وعن أبي ذرٍ ـ رضي اللهُ عنه ـ قال قُلْتُ يا رسولَ اللهِ ، أَوْصِنِي ، قال : « عَلَيْكَ بتقوَى اللهِ فإنَّهُ رَأسُ الأمْرِ كُلِّهِ » ، قُلْتُ : يا رسولَ الله زِدْنِي ، قال : « عَليكَ بِتلاوَةِ القُرآنِ فإنَّهُ نُورٌ لَكَ في الأرضِ وذُخْرٌ لكَ في السماء » رواه ابن حبان .

شِعْرًا: مَنْ يُرِدْ مُلْكَ الجِنَــانِ فَلْيَــدَعْ عَنْــهُ التَّوَانِــي
وَالْيَقُــمْ في ظُلمَــةِ الْــ لَيْــلِ إِلَــى نُورِ القُــرْآنِ
والْــيَصِلْ صَوْمــاً بِصَوْمٍ إنَّ هَذَا العَــيْشَ فَانِ
إِنَّمَــا العَــيْشُ جِوَرُ الْــ لَــهِ في دَارِ الأَمَانِ

آخر: إقْطَعْ زَمَانَكَ بالقُرآنِ تَفْهَمُهُ وما أتى عن رسول الله مِنْ كَلِمِ
واتْرُكْ مَجَالِسَ قَومٍ ليس عندهم سِوَى المَآثِمِ مِن فِعْلٍ ومن كَلِمِ

آخر: إذا شِئْتَ أنْ تُحْظَى بجَنَّةِ رَبِّنَا وتَفُوْزَ بالفَضْلِ العَظِيمِ الدَّائِمِ
فاعْمَلْ بما قال الإلهُ وقَوْلِ مَنْ خَتَمَ الإلهُ بِهِ النُّبوةَ فاعْلَمِ

وعن عبد الله بنِ عُمَرَ ـ رضيَ اللهُ عنهما ـ أنَّ رَسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال : « مَنْ قَرأَ القُرآنَ فَقَدْ اسْتَدْرَجَ النُبُوةَ بَيْنَ جَنْبَيْهِ غَيْرَ أنَّهُ لا يُوْحَى إليه ، لا يَنْبَغِيْ لِصَاحِبِ القُرآنِ أنْ يَجِدَ مَعَ مَنْ وَجَدَ ، ولاَ يَجْهَلَ مَعَ مَنْ جَهِلَ وفي جَوْفِهِ كَلامُ اللهِ » رواه الحاكم .

وروى عن علي بن أَبِي طالبٍ ـ رضِيَ اللهُ عنهما ـ قال : قال رسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « مَنْ قَرأَ القُرْآنَ فاسْتَظْهَرَهُ ، فأحَلَّ حَلاَلَهُ وحَرَّمَ حَرامَهُ أدخلَهُ اللهُ الجَنَّةَ وشَفَّعَهُ في عَشْرةٍ مِن أهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهم قَدْ وَجَبَتْ لَهُم النارُ » رواه ابن ماجه والترمذي .

وعن أَبِي ذَرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « يا أبا ذرٍ لأنْ تَغْدُوَ فتَتَعلَّمَ آيةً مِن كِتاب اللهِ خيرٌ لَكَ مِن أن

تُصَلِّي مِائَةَ رَكْعَةٍ ، وَلأَنْ تَغْدُوَ فَتَتَعَلَّمَ بَاباً مِن العِلمِ عُمِلَ بِهِ أوْ لَمْ يُعْمَل بِهِ خَيْرٌ مِن أن تُصَلِّيَ ألفَ رَكعةٍ » رواه ابن مَاجه .

اللهم اهْدِنَا إلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ، وَوَفِّقْنَا لِلْفِقْهِ في دِيْنِكَ القَوِيْمِ ، واجعلنا مِن العَامِلينَ بهِ قولاً ، وفِعْلاً الدَّاعيْنَ إليهِ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياءِ منهم والميتين برحمتك يا أرحمَ الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل)

مَا وَرَدَ في فَضْلِ القُرآنِ وتَفَهُّمِهِ

يُسْتَحَبُ التَّعَوُذَ لِمَنْ أَرَادَ الشُرُوْعَ في القِرَاءَةِ بأَن يَقُوْلَ « أَعُوذُ باللهِ مِن الشيطانِ الرجيمِ » لِقَولِهِ تعالى : ﴿ فإذَا قَرَأْتَ القُرآنَ فاسْتَعِذْ باللهِ مِن الشيطانِ الرجِيم ﴾ .

وكان جَمَاعَةٌ مِن السَّلفِ يَقُولُونَ : أعوذُ باللهِ السَّمِيْعِ العليمِ مِن الشيطانِ الرجيم ، فان قَطَعَ القِرَاءَة قَطْعَ تَرْكٍ على أنْ لا يَعُودَ قَريْباً إليْهَا أعَادَ التَّعوُذَ الأوَّلَ وَإنْ تَركَهُ قَبْلَ القِرَاءَةِ فيَتَوَجَّهُ أن يَأتِيَ بِهَا ثُمَّ يَقْرَأُ لأنَّ وَقْتَهَا قَبلَ القِرَاءَةِ لِلاسْتِحْبَابِ فلا يَسْقُطُ تَرْكُها إذاً وَلأَنَّ المَعْنَى يَقتَضِي ذلكَ .

فإذَا شَرَعَ في القِرَاءَةِ فَلْيَكُنْ سَأْنُهُ التَّدَبرَ واليَحْذَرْ أَنْ يَكُوْنَ مِثْلَ بَعضِ الهَمَجِ يَقرَأُ القُرآنَ وعُيُونُهُ تَجُولُ فِيْمَا حَوْلَهُ مِن المَخْلُوقاتِ يَتلاعَبُ بالقُرآنِ ولا يَهْتَمُ لَهُ ، قال تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبرُوْا آياتِهِ ﴾، وقال تعالى في مَعْرَضِ الانكارِ ﴿ أفَلا يَتَدبرُوْنَ القُرآنَ ، أمْ على قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ .

فالمؤمنُ العـاقلُ المحبُ لِلَّهِ ورسولِهِ تِلاوةُ القرآنِ وتَفَهُّمُهُ عنده ألَذُّ الأشياءِ وأنْفَعُهَا لِقَلْبِه .

ولا يَملُ من تِلاوته ولا يقنعُ بتلاوته دُونَ أن يَطْلُبَ فَهْمَ مَعَاني ما أرادَ الله عز وجل مِن تَعْظِيمِهِ وتَبْجِيْلِهِ وتَقْدِيْسِهِ ومَحَبَّتِهِ وَأمرِه ونَهْيِه وإرْشَادِهِ وآدابِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيْده .

ويَعْلم أنه لا ينال مَنَافعَ آخِرَتِه ولا الفوزَ بها والنجاةَ مِن هُلْكَتِهَا إلا باتباع القرآن الدَّال على كل نجاة والمُنجي له مِن كُلِّ هَلَكَةٍ .

قال الله جل وعلا « فَمن اتَّبعَ هُدَايَ فلا يضل ولا يشقى » الآية أَنْزَلَهُ اللَّهُ جَلَّ وعَلَا على عباده لِيُعَرِّفَهُم به نَفْسَه ويُذَكِّرهُمْ به أَيَادِيَهُ ويُنَبِّهَهم به مِن رَقَدَاتِ الغافِلين .

ويُحْيِيَ قُلُوبَهُم ويُنَوِّرَ أَبْصَارَهُم ويَشْفِي صُدُوْرَهُم ويُزِيْلَ جَهْلَهَا ويَنْفِي شُكُوكَهَا وَدَنَسَهَا وزَيْفَهَا ويُوضِحَ سَبِيْلَ الهُدَى ويَكْشِفَ به العَمَى والشُبُهَاتِ .

ويُزِيلَ نوازعَ الشيطانِ وَوَسَاوِسَ الصُّدُور ويُغْنِيَ بِهِ مَن فِهِمَهُ ويَنْعَم بِهِ مَن كَرَّرَ تِلَاوَتَه ويَرْضَى به عَمَّنْ إتَّبَعَهُ .

هُوَ صِرَاطُ اللَّهِ المستقيم الـذي مَن سَلَكَ ما دَلَّ عليه أَوْقَفَـهُ على الرغـائبِ وسَلَّمَـهُ مِن جَمِيعِ المَهَـالِـكِ وخَفَّفَ عنه أهوالَ يومِ العَرْضِ والنُشُور . وَأَوْرَدَهُ رِيَاضَ جناتِ النعيم .

هَو حَبْلُ اللَّهِ المتين الذي لا انقطاعَ لَهُ مَن تَمَسَّكَ به نَجا قال الله جل وعـلا وتقـدس لرسـوله ﷺ ﴿ فاسْتَمْسِكَ بالذي أُوْحِيَ إليكَ إنك على صراط مستقيم ﴾ .

ومَن أَعْرضَ عنه عَطِبَ قال جل وعلا ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له مَعيشةً ضَنْكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ .

ومَن ابتغى الهدى مِن غيره ضَل ، ومَن فَهِمَهُ نَطَقَ بالحكم ، وجَرَى على لسانه بحسنِ الموعظة ، وكانَ مِن العلماء بالله جل وعلا .

ومَن عَقل عن الله جَلَّ ذِكْرُه ما قال فقد اسْتَغْنَى به عن كل شيء ، وعَزَّ بِهِ مِن كلِ ذُل .

لا تَتَغـيَّر حَلاوَتُهُ ، ولا تُخْلِقُ جِدَّته في قلوب المؤمنين به على كثرة الترداد والتكرار لِتلاوته .

لأنـه كلام الحي القيوم ، وكـل كلام غير القـرآن والأحـاديث الصحيحة التي جاءت عن النبي ﷺ فإنها تُمَلُّ مِن كَثْرة تَرْدَادها .

أما القرآنُ وما صح عن النبي ﷺ فإنَّ المؤمن كُلَّ مَا كرره ازْدَادَ رغبةً ونشاطاً ومَحَبَّةً لِلكَلام ولِمَنْ تَكَلَّم به وهَذا مَوجُودٌ عندَنا في فِطَرنا فإنا نَسْمَعُ الكَلامَ مِمَّنْ نُحِبُّ مِن الخَلْقِ . ومَن نُعَظِّمُ قَدْرَهُ فَتَرْتَاحُ لِذَلِكَ قُلُوبُنَا .

فكيفَ بكـلام ربنا رب العالمين الذي خَلَقَنَا ورزَقَنَا وأعْطَانَا وآوانا وعافانا وهَدانا .

شعرا: جَمِيْعُ الكُتُبِ يُدْرِكُ مَنْ قَرَاهَا فُتُوْرٌ أَوْ كَلالٌ أَوْ سَآمَةْ
سِوَى القُرآن فَافْهَمْ واسْتَمِعْ لِيْ وَقَوْلِ المُصْطَفَى يَاذَا الشّهَامَةْ

وقد تكلم به حَقِيقة ، وأنزله على محمد ﷺ مع الأَمِينْ مِن ملائكته .

فالواجب علينا الاصغاءُ والتَّفَهُمُ لِمَا يُتْلَى مِن كلام ربنا جَلَّ وعَلا وتقدس .

وأنْتَ تعلم أنَّهُ إذا كان لِلَّذي يُحَدِّثُكَ عِنْدَكَ قدرٌ أَصْغَيْتَ إلى حَدِيْثِهِ باسْتِمَاعِ ما يَقُولُ وتَفهُم مَعَاني ما يَصِفُ .

ولو كان يَحْكِيهِ لَكَ عن حَاكِي لَفَعَلْتَ ذَلِكَ حُبًا مِنْكَ لِقَائِلِهِ وتَعْظِيماً لِلْمُتَكَلِّم بهِ .

ولو أطلعَهُ اللَّهُ على قَلْبِكَ وأنْتَ غافلٌ مُتشَاغِلٌ عنه لا تُلْقِي لَهُ بَالَكَ ولا تَفْهَمِ عَنه قَوْلَه .

لأبْغَضَكَ وعَلِمَ إنكَ مُسْتَهِينٌ به سَاهٍ عن حَدِيثِهِ ولا تَهْتَمَّ بِهِ وَلَمْ تَعْبأ بِفَهْمِ قوله لِقِلَّةِ قَدْرِهِ وقَدْرِ حَدِيثِهِ عندَكَ .

ولو كان لَهُ عِنْدَكَ قَدْرٌ لأَصْغَيْتَ لِحَدِيْثِهِ ولم تَلهَ عن تَفَهُّمِهِ وإنما لَهَوْتَ عن حديْثِ مَن حَدَّثَكَ مِن الخَلْقِ لِأَنَّهُ غابَ عنهم عِلْمُ ضَمِيْرِكَ .

ولو كان بادِيًا وظَاهِرًا لَهُم مَا فيه لَأَحْضَرْتَ عَقْلَكَ إليهم وإلى كَلَامِهِم وحَدِيثِهِم ، ولم تَرْضَ لَهُم بالاستماعِ دُوْنَ الفَهْمِ لَهُ ، ولا بالفَهْمِ له دُوْنَ تَحَبُّبِهِمْ على قَدْرِ حَدِيثِهِم .

لِتُعْلِمَهُم أَنَّكَ قد فِهِمْتَ عنهم ولم تَرْضَ لَهُم بالجَواب دُوْن أَنْ تُوَافِقَهم فَتُعَظِّمَ ما عَظَّمُوا وتَسْتَحْسِنَ ما اسْتَحْسَنُوْا وتَسْتَقْبِحَ ما اسْتَقْبَحُوْا .

هَذَا وَأَكْثَرُ حَدِيْثهم لَغْوٌ ولَهْوٌ وليس فيه مَنْفَعَةَ ولَا دُنْيَا ولا حَقَّ لهم يُؤكِدُوهُ عَلَيْكَ بقولهم ولا يَرْضَون عَنْكَ بفَهْمِهِ ولا تُحِبُّ لَهُمْ أَنْ يَسْخَطُوا عَلَيْكَ إنْ لم تَكُنْ تَفْهَمُه وتَقُومُ به .

فكيف بالرب العظيم الكريم الذي سَهَّلَ لَكَ مُنَاجَاته ، ولم يتكلم به لَغْو ولا قالَهُ لَهْوًا ولعبًا ولا عَبَثا ، ولا خاطب به سَهْوًا ولا تَفَكُّهَا تعالى الله عَزَّ وجل عن ذلك عُلُواً كبيرا .

وإنَّما تَكَلَّم بِهِ مُخَاطِبُهُ قَصْدًا وإرَادَةً وتوكيدًا لِلْحُجَّة عليكَ وعلى خَلْقِهِ إعْذَارًا إليهم وانْذارًا .

فَعَرَّفَنَا بِهِ أَنْ لاَ إِلهَ غَيْرُهُ وأَمَرَنَا بما يَرضَى بِهِ عَنَّا ويُقَرِّبُنَا مِنه ويُوجِبُ لنَا جِوارَهُ والقُرْبَ مِنه والنَّظرَ إليه .

ويُوجبُ لَنَا بِهِ إنْ رَكِبْنَا مَا يُسْخِطُهُ عَذَابَهُ الأَلِيْمَ في خُلُودَ الأَبَد الذي لا انقطاعَ لَهُ ولا زَوَالَ ولا رَاحَة .

ونَدَبَنَا فيه إلى الأَخْلاقِ الكَرِيمة والمنازِلِ الشرِيْفَةِ وقد قال أَصْدقُ القائلين وَأوفي الواعدين إنَّ ما أَنْزَلَه مِن كَلَامَه شِفَاءٌ لما في الصُدور وهُدًى ورحمةٍ للمؤمنين .

فما أحَقُّ مَن غَفَـل عن فَهْمِ كِتَـابِهِ أنْ يَسْتَحِي مِن رَبِّهِ عَزَّ وجَل ويأْسَفْ عَلَى مَا مَضَى مِن عُمُرِهِ ومَرَضِ قَلْبِهِ وهو لا يَزْدَادُ إلا سُقْمًا ومَرَضا وذلك لِقَلةِ مُبالاتِهِ .

تَرَكَ طَلبَ شِفَائِهِ بما قال الله وتدَبُّر ما تكلم به خَالِقُه ومَولاه وقَدْ رآه مَولاهُ وهو يَعْتَنِي بفَهم كِتاب مَخْلُوقٍ وحَدِيثِهِ .

ولَيْسَ في كِتَابِ هذا المخلوقِ وحَدِيْثِهِ إيَّاهُ خُلُودُ الأَبَدِ في النَّعِيم ولا النَّجاةُ مِن العَذابِ الأليم الذي لا يَنْقَطِعُ .

بل رُبَّما أن فيه ما الاشتغالُ به ضَرَرٌ عليه ، ومَسْخَطَةٌ لِرَبه عَزَّ وجَلّ ، أَوْ لَعَلَّ فيه ما الاسْتِغْنَاءُ بغَيرِهِ أولَى أو حَاجَة لا قَدْرَ لَهَا أو خبرٌ تافه .

أَوْ حَاجَةٌ بكُلْفَةٍ لا يأْمَلُ لَهَا مُكَافَأةً ولا يَحُثُه على القِيَام بها إلا خَوفُ عَذْلِهِ ولَوْمِهِ .

فكيفَ تكـونُ حَالُنـا عند ربنا تبارك وتعالى وقد عَلِم مِنَّا أَنَّنَا قَلِيْلُ تَعْظِيمُنَا لَهُ .

ونَحْن لانَعْبَأ بفَهْم كلامه وتَدَبُّر قوله فيما خاطب به كما نَعْبَأ بفهم كُتْب عَبيده وحَدِيثهم الذين لا يَملكونَ لَنَا ولا لأنفُسِهم ضرًا ولا نَفْعًا ولا مَوْتًا ولا حَياةً ولا نُشورًا .

فَتَبَارَكَ مَنْ يَمْلِكُ ذلك كُلَّهُ إلى أن قال رحمه الله فغدًا نَقْدَمُ على الله عز وجل فَنَلْقَاهُ ويُسَائِلُنَا عن كتابه الذي أنزل إلينا مُخَاطِبًا لنا به وكيفَ فِهمنا عنه وكيفَ عَمِلْنا به وهَلْ أجْلَلناهُ ورَهِبْنَاه وهل قُمنا بحَقِّهِ الذي أمَرَنَا بِهِ وجَانبنا ما نهانا عنه .

ألم تَسمع مَسَائِلَهُ الجن والإنس جميعاً يوم القِيامةِ بِمَا أَقَامَ عليهم به الحجة في الدنيا مِن تلاوة آياته عليهم من رُسُلِهِ وأنه قَطَعَ بذلك عُذْرَهُم وأدْحَضَ به حُجَّتَهُم .

فقال جَل وعلا يومَ العَرْضِ ﴿ يا مَعْشَرَ الجن والإنس ألم يأتكم رسلٌ منكم يَقُصُّونَ عليكم آياتي وينذرونكم لِقاء يوم هذا ﴾ وقال جل وعلا ﴿ ألم تكن آياتي تُتلى عليكم ﴾ وقال تعالى ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فَصَّلناهُ على علمٍ هُدًى ورحمةً لقوم يؤمنون ، هَلْ يَنْظرون إلا تأويله يومَ يأتي تأويلهُ يقول الذين نسوه مِن قبل قد جاءت رسلُ ربنا بالحق فهل لنا مِن شفعآء فيشفَعُوا لنا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الذي كُنَّا نعملُ قد خَسِرُوْا أنفسَهم وضَلَّ عنهم ما كانوا يَفْتَرُوْن ﴾ انتهى باختصار وتصرف يسير .

شعــــرا :

يَارَبِّ إنْ عَظُمَنْ ذُنُوبي كَثْـرةً ... فَلَقد عَلمتُ بأنَّ عَفْوَكَ أعْظَـمُ
إنْ كانَ لا يَرْجُوْكَ إلاَّ مُحْسِـنٌ ... فَمَنِ الذي يَرْجُوْ ويَدْعُو المُجْـرِمُ
أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أمَرْتَ تَضَرُّعاً ... فإذا رَدَدْتَ يَدِيْ فَمَنْ ذا يَرْحَمُ
مَالِيْ إليكَ وَسِيْلةٌ إلاَّ الرَّجَــا ... وَجَمِيْلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إنِّي مُسْـلِمُ

اللَّهُمَّ رَغِّبْنَا فِيْمَا يَبْقَى ، وزَهِّدْنَا فِيْمَا يَفْنَى ، وَهَبْ لَنَا اليَقِيْنَ الذِي لا تَسْكُنُ النُفُوسُ إلّا إلَيْه ، ولا يُعَوَّلُ في الدِّيْنِ إلّا عَلَيْهَ ، اللَّهُمَّ إنَّا نسألك بِعِزك الذي لا يُرَامْ ومُلْكِكَ الذِي لا يُضَامْ وبِنُوْرِكَ الذِي مَلأَ أرْكَانَ عَرْشِكَ أَنْ تَكْفِيَنَا شَرَّ مَا أَهَمَّنَا وَمَا لَا نَهْتَمُ بِهِ وأَنْ تُعِيْذَنَا مِن شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا ومِن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ،

اللَّهُمَّ ياعليمُ يَا حَلِيْمُ يا قَوِيُ يَا عَزِيْزُ ياذَا المنِ والعَطَا والعِزِ والكِبْرِيَا يَا مَن تَعْنُوْا لَهُ الوُجُوه وتَخْشَعُ لَهُ الأَصْوَاتْ ، وَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمَالِ وَأَكْفِنَا بِحَلاَلِكَ عَن حَرَامِكَ وبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكْ إِنَّك عَلَى كُلِ شيءٍ قَدِير وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فصــــل)

٤ - ما وَرَدَ في اسْتِحبَاب تَرْتِيْلِ القُرْآنِ الكَرِيْم :

ويُسْتَحَبُّ لِقَـارِئِ القُرْآنِ أنْ يُرَتِّلَ قِرَاءَتَهُ لِقَولِه تَعَالى : ﴿ وَرَتِلِ القُرْآنَ تَرْتِيْلاَ ﴾ .

وثَبَتَ عَن أمّ سَلَمَةَ - رَضيَ اللَّهُ عَنَها - أَنَّها تَنْعَتُ قِرَاءَةَ مُفَسَّرَةً حَرْفاً حَرْفاً . رواه أبو داود ، والنسائي ، والترمذي .

وعن عبدِالله بن عُمَرَ - رضي الله عنهما - قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرآنِ اقْرأْ ورَتِّلْ كَما كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُنْيا فإن مَنْزلَكَ عندَ آخِرِ آيةٍ تَقْرَؤُهُا » . رواه أحمد ، والترمذي وأبو داود والنسائي .

وعن قَتَادَةَ قال : سُئِلَ أَنَسٌ ،كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النبي صلى اللهُ عليه وسلم ؟ فقال : كانَتْ مَداً مَداً ، ثم قَرَأَ ﴿ بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ﴾ يَمُدُّ بـ ﴿ بسمِ اللهِ ﴾ وَيَمُدُّ بِـ ﴿ الرحمنِ ﴾ وَيَمُدُ بـ ﴿ الرحيمِ ﴾ رواه البخاري .

وعن مُعَاوِيَةَ بنِ قُرَّةَ عن عبدِ اللهِ بنِ مُغَفَّلٍ ، قال : رَأَيْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ يَقْرأُ سُوْرَةَ الفَتْحِ يُرَجِّعُ في قِرَاءتِهِ ، رواه البخاري ومسلم .

وقد رَوَى أبُو ذَرٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَامَ لَيْلَةً بآيَةٍ

يُرَدِّدُهَا : ﴿ إِنْ تُعَذِبْهُمْ فإنهُمْ عِبَادُكَ ﴾ وقَامَ تَمِيْمُ الدَارِي بآيةِ ﴿ أمْ حَسِبَ الذِينَ اجْتَرَحُوا السيئاتِ ﴾ وقال أبُو سُلَيْمانَ إِنيْ لأُقِيْمُ في الآيةِ أرْبعَ لَيالٍ أو خَمْسَ وقال ابنُ مَسْعُودٍ مَنْ خَتم القُرآنَ نهاراً غُفِرَ لهَ ذلكَ اليَومِ ومَن خَتَمه لَيْلاً غُفِرَ لهُ تِلكَ اللَّيلِ وعن طَلْحَةَ بنِ مُصَرِّفٍ قال : مَن خَتم القُرآنَ فِي أيّ ساعةٍ مِنَ النَّهَارِ كانَتَ صَلَّتْ عليه الملائكةُ حَتَّى يُمْسِي أوْ أي سَاعةٍ مِن لَيل كانَتْ صَلَّتْ عليه الملائكةُ حَتَّى يُصْبحُ .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بنُورِ الإيمانِ وَأَعِنَّا عَلَى أَنْفُسِنَا والشَّيْطَان وَأَيِّسْهُ مِنَّا كَمَا أَيَّسْتَهُ مِن رَحْمَتِكَ يارَحْمَان وَآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**مَوْعِظَةٌ**» : قال ابُن القَيْم رَحمهُ الله : عَشَرَةُ أَشْيَاء ضَائعةٌ لا يُنْتَفَعُ بها : عِلْمٌ لا يُعْمَلُ بهِ ، وعَمَلٌ لا إخْلَاصَ فِيه ولا اقْتِدَاءَ فيهِ بكتاب الله وسنةِ رسولِه ﷺ فإنَّه لا يُوَفَّقُ لَهُمَا إذا لَمْ يُخْلِصِ العَمَلَ ، ومَالٌ لا يُنْفَقُ مِنهَ فلا يَسْتَمْتِعُ بِهِ جَامِعُهُ في الدُّنْياَ وَلَا يُقَدِّمُهُ أَمَامَهُ لآخِرَتِهِ ، وَقَلْبٌ فارِغٌ مِن مَحَبَّةِ الله والشَّوْقِ إلى لِقائِهِ والأُنْسِ بِهِ ، وبَدَنٌ مُعَطَّلٌ مِن طَاعَةِ الله وخِدْمَتِهِ ، ومَحَبَّةٌ لا تَتَقَيَّدُ بِرِضَا الْمحبُوْب وامتثالِ أوامِرهِ.

وَوَقْتٌ مُعَطلٌ من اسْتِدْرَاكِ فَارِطٍ واغْتِنَامُ بر وقُرْبَةٍ ، وفِكْرٌ يَجُولُ فِيمَا لا يَنْفَعُ وخِدْمَةُ مَن لا يُقَرِّبُكَ خِدْمَتُهُ إلى الله ولا تَعُوْدُ عليكَ بصَلاحِ دُنْيَاكَ وخَوْفُكَ وَرَجَاؤكَ مِمَّنْ نَاصِيَتُهُ بيدِ الله وهو أَسيرٌ في قبضتِه ولا يَمْلِكُ لِنَفسهِ نَفْعاً ولا ضَراً ولا مَوْتاً ولا حَياةً ولا نُشُوْراً .

وأعظمُ هذِهِ الإِضَاعَات إضَاعَةُ القَلْب وإضَاعَةُ الوَقْتِ فإضَاعَةُ القَلْب عن الله مِن إيْثَار الدُنْيا عَلى الآخرة وإِضَاعَةُ الوَقْتِ مِن طُوْلِ

الأَملِ فاجْتَمَعَ الفَسادُ كَلُهُ في اتِّبَاعِ الهَوى وطُولِ الأملِ والصلاحُ كُلُهُ في اتِّباعِ الهُدَى والاسْتِعْدادِ لِلِّقاءِ اللَّهِ .

إلى أنْ قالِ ولِلِهِ على عَبْدِهِ أَمْرٌ أَمَرَهُ بِهِ وقَضَاءٌ يَقْضِيْهِ عليهِ ونِعَمٌ يُنْعَمُ بِهَا عليهِ فلا يَنْفَكُ مِن هذه الثلاثَةِ والقَضَاء نوعانِ إمَّا مَصَائِبُ وإما مَعَائِبُ ولَهُ عليهِ عُبُودِيَّةَ في هَذه المَراتِب كُلِّهَا فأَحَبُّ الخَلْق إليهِ مَن عرفَ عُبُودِيَتَهُ في هَذِهِ المَرَاتِبِ كُلِّهَا ووَفَّاهَا حَقَّهَا فهَذَا أقربُ الخَلْقِ إليهِ وأبْعَدُهُم مِنه مَن جَهِلَ عُبُودِيَتَهُ فَعَطلهَا عِلْماً وعَمَلاً .

اللَّهُم ثَبتنَا عَلى قَولِكَ الثابت في الحَيَاة وفي الآخِرَة وآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنة وفي الآخِرَةِ حَسَنة وَقنَا عَذَابِ النَّارِ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْع المُسْلِمِيْنَ، اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ والإِجَابَةِ وَوَفِّقْنَا لِلتَّوْبَة النَّصُوحِ وَالإِنابَةِ وَثبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوْبِنَا تثبيتَ الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ، وأَلْهِمْنا ذِكرَكَ وشُكْرَكَ آناءَ الليْل والنَّهَارِ، وثبِّتْنَا عَلى قَوْلِكَ الثَّابتِ في الحَياةِ الدُّنْيَا وَفي الآخِرَةِ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(فصـــــل)

٥ - ما وَرَدَ في عِظَمِ فَضْلِ بَعْضِ السُوَرِ :

وعن أبي الـدَّرْدَاء - رضي اللَّهُ عنـه قال - قال رسولُ اللَّه ﷺ : « أَيَعْجزُ أَحَدُكم أنْ يَقْرَأَ في لَيْلَةٍ ثُلُثَ القُرآنِ قالُوا وكَيْفَ يَقْرأُ ثُلُثَ القُرآنِ قال ﴿ قل هُوَ اللَّهُ أَحد ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرآن » رواه مسلم .

وعن عبدالله بن عُمَر - رضي الله عنه - أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لم

يَفْقَهْ مَن قَرَأَ القُرآنَ في أَقَلَّ مِنْ ثلاثٍ » رواه الترمذي وأبو داود والدرامي .

وَعَنْ عَبْدِالله بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ أَلْفَ آيَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ » قَالُوا وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْرَأَ أَلْفَ آيَةٍ في كُلِّ يَوْمٍ ؟ قَالَ : « أَمَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ أَلْهَاكُمُ التَكَاثُرْ » رَوَاهُ البَيْهَقِي .

وَقَالَتْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عنها - « ولا أَعْلَمُ نَبِيَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ القُرْآنَ في لَيْلَةٍ . . . » الحَدِيثَ رَوَاهُ مُسْلِمْ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قال « لا تَنْثِرُوهُ نَثْرَ الرَّمْلِ ولا تَهُذُّوهُ هَذَا الشِّعْرِ قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ وَلَا يَكُنْ هَمَّ أَحَدُكُمْ آخِرَ السُّورَةِ » رَوَاهُ الْبَغْوِي .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « لانْ أَقْرَأَ سُورَةَ أُرَتِّلُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ القُرْآنَ كُلَّه » وَقَدْ نُهِيَ عَنِ الْإِفْرَاطِ فِيْ الإسْرَاعِ وَيُسَمَّى « الْهَذْرَمَةَ » ، فَثَبَتَ عَن ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَ رَجُلاً قَالَ لَهُ : اقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودْ : كَهَذَا الشِّعْرِ ، إِنَّ قَوْماً يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيْهِمْ ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ نَفَعْ » رواهُ البخاري وَمُسْلِمْ .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمْ رَحِمَهُ الله : إِذَا أَردتَ الْانْتِفَاعَ بِالْقرآنِ فَاجْمَعْ قَلْبَكَ عِنْدَ تلاوته وَسَماعِه وَأَلْقِ سَمْعَكَ وَاحْضَرْ حُضُورَ مَنْ يُخَاطِبَهُ بِه مَنْ يَتَكَلَّم بِه مِنْهُ الَيْه ، فَإِنَّهُ خِطَابٌ مِنْهُ لَكَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِه قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لِذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ تَمَامَ التأْثِيرِ لَمَّا كَانَ مَوْقوفاً على مُؤثِّرٍ مُقْتضي ومحل قابلٍ وَشرطٍ لِحُصُولِ الأثر انْتِفَاءُ المانع الّذي يَمْنَعُ مِنه : تَضَمَّنَتِ الآيةُ بَيانِ ذلك كُلِّه بأوْجَزِ لَفْظِ وأبْيَنِه على المرادْ .

وقالَ شَيْخُ الإسْلَامْ : وَمِمّا يَنْبغي أنْ يُعْلَمَ أَنّ أَفْضَلَ الْقَراءَةِ والذِّكْر والدّعَاءِ والصّلاةِ وغيرِ ذلِكَ يختَلِفُ باختلافِ حَالِ الرجلِ فالقراءةُ بتَدَبُّر أَفْضَلُ مِنَ القِراءَةِ بِلَا تَدبّرٍ والصّلاَةُ بِخُشُوعٍ وحُضُورِ قَلْبِ أَفْضَلُ مِنَ الصّلاةِ بِدُونِ ذلِكْ .

٦ - اسْتِحْبَابُ تَحْسِينِ الصَّوْتِ في التِّلاوَةْ :

يُسْتَحَبّ لِقَارِىءِ القُرْآنِ أنْ يُحْسِّنَ صَوْتَهُ بالْقِراءَةِ ، لأَنَّ تَحْسِينَ الصّوتِ بالْقِرَاءَةِ مُعِينٌ عَلى حُضُورِ الْقَلْبِ وَخُشُوعِهِ وبَاعِثٌ على حُسْنِ الاسْتِمَاعِ والاصْغاءِ إلى القُرْآنِ .

وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ - رضِيَ اللّهُ عَنْهُ - قَالْ : قالَ رسولُ اللّه ﷺ : « لَيْسَ مِنّا مَنْ لَمْ يتغنَّ بالْقُرْآنِ » رَوَاهُ البخاري . وعَنْهُ قالْ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « ما أَذِنَ اللّهُ لِشَيْءٍ كما أَذِنَ لِنَبِيٍ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنّى بالقُرآنِ ويَجْهَرُ به » متفق عليه .

شِعْرا: ولَيْسَ فَتَى الفِتْيَانِ مَن كان هَمُّهُ جرائِد يَقْراها وَتِلْفاز يَنْظُرُ
وَلَكِنْ فَتَى الفِتْيَانِ مَن كان هَمّهُ قِرَاءةُ قُرْآنٍ وَلِلْقَلْبِ يُحْظِرُ
آخر: إصْرِفْ هُمُوْمَكَ لِلْقُرْآنِ تَفْهَمَهُ وَاعْمَلْ بِهِ كَيْ تَنَالَ الأَجْرَ والشَّرَفَا

قال جُمْهُورُ العُلَماءِ : مَعْنَى (لَمْ يَتغَنَّ) ، أَيْ لَمْ يُحَسِّنْ صَوْتَهُ . وَعَنِ البَراءِ بْنِ عَازِب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْه - أنَّ النّبيَ ﷺ قال : « زَيِّنُوا القُرْآنَ بأصْواتِكُمْ » رواهُ أحمدُ وأبُو دَاودَ وابْنُ ماجه والدّرامي .

وعنه أيضا قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ « حَسِّنُوا القرآن بأَصْوَاتِكُم فإنَّ الصَّوتَ الحَسَنَ يَزِيْدُ القرآنَ حُسْنًا » رواه الدرامي .

وَرَوَى مُسْلِمٌ في صَحْيحَهِ عن أَبي مُوسَى الأشعري - رَضِيَ الله تعَالى عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأبي موسىَ : « لَوْ رَأَيْتني وَأَنا أسْتَمِعُ لِقَراءَتك

الْبـارحَـةْ ، لَقَـدْ أُوْتِيْتَ مِزْمَاراً مِنْ مَزامِير آلِ داودْ » ، قالَ العلماءُ المُرَادُ بالمِزْمَار هُنَا الصَّوتُ الحَسَنُ .

اللَّهُمَّ قابِلْ سَيِّئاتِنَا بِإحْسَانِكَ، واسْتُر خَطِيْئتَنَا بغُفْرَانِكَ وَأَذْهِبْ ظُلَمةَ ظُلْمِنا بنُور رضْوَانِكْ، واقْهَر عَدُوَّنَا بعزِّ سُلْطَانِكْ، فَمَا تَعَوَّدْنَا مِنْك إِلَّا الْجَمِيلْ، اللَّهُمَّ اسْلكْ بِنَا مَسْلَكَ الصَّادِقِينَ الأَبْرَارْ، وَالْحِقْنَا بعبَادِكَ الْمُصْطَفينَ الأَخْيَار، وَآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

(فصـــــــــل)

٧ - يَنْبَغِي الخُشُوعُ والخَشْيةُ والبُكاءُ عِنْدَ تِلاوةِ كِتابِ اللّهِ تعالى :

وَيُسْتَحَبُّ البكاءُ عِنْدَ تلاوَةِ القرآنْ ، وَهُوَ صِفَةُ الْعَارِفِينْ وَشَعَارُ عبادِ الله الصالحين ، قَالَ الله تعالى في وَصفِ الخاشِعينَ مِنَ عَبادِه عِنْدَ تلاوةِ كتابه : ﴿ إنَّ الذينَ أوتوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ اذا يُتْلَى عليهمْ يَخِرُّونَ لِلاذْقانِ سُجَّدَا ، ويَقُولونَ سَبْحانَ ربِّنَا إنْ كانَ وعدُ ربنا لَمَفْعُوْلاَ ، وَيَخِرُّونَ للأَذْقَانِ يَبْكُون ، وَيَزِيْدَهُم خشُوعا ﴾ سورةَ الاِسْرَاء .

شعرا : وكُلُ تِلاَوَةٍ فَتُمَـــــلُّ إلَّا   كَلاَم اللهِ مَـعْ قَـولِ الرَّسُــولِ

وَلَمَّا ذَكَرَ تَعَالى الأَنْبِيَاءَ الْمُكَـرَمِيْنَ وَخَوَاصَّ المُـرْسَلِين ، وَذَكَرَ فَضَائِلَهُمْ ومَرَاتِبَهُمْ أخْبَرَ أَنَّهُمْ كانُوا إذا تُتْلَى عليهم آياتُ الرَّحمنِ (خَرُّوْا سُجَّداً وبُكيًّا) وقال اللهُ تعالى : ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَن الحديثِ كِتاباً مُتشابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جلودُ الذينَ يَخْشَون رَبَّهم ثم تَلِيْنُ جُلودُهُمْ وقُلُوبُهم إلى ذِكْرِ اللهِ ﴾ .

وقَدْ وَرَدَتْ فيهِ أَحَاديثُ كَثيْرَةٌ ، وآثارٌ لِلسَّلف ، فَمِنْ ذَلكَ ما وَرَدَ

عن النبيّ صلى اللهُ عليهِ وسلم أنهُ قالْ : « اقْرَأُوا القُرْآنَ وابْكُوا ، فإنْ لَمْ تبْكُوا فتَباكَوْا » وعنْ عبدِ اللّهِ بنِ مَسْعُودٍ ـ رضيَ اللهُ عنهْ ـ قالْ : قالَ لِي رسولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم : « اِقْرَأ عَليَّ » قُلْتُ : أأقْرأ عَليْكَ وعَليْكَ أنْزِلْ ؟! قالْ : « فَإنِي أُحِبُّ أنْ أَسْمَعَهُ مِن غَيْرِي » فقَرأْتُ مِن سورةِ النِّسَاءِ حتى أتَيْتُ إلى هذِه الآية : ﴿فكيفَ إذَا جِئْنَا مِنْ كلِّ أمةٍ بِشَهيدٍ ، وَجِئْـنَا بِكَ على هَؤلاءِ شَهيْدَا﴾ قـالْ : « حَسْبُكَ الآنَ » ، فالْتَفتُّ اليهِ فاذا عَيْنَاهُ تَذْرُفانِ . مُتّفق عليه .

وعنْ مُطرِفِ بنِ عَبْدُ اللهِ بنُ الشِّخِّيْرِ عَنْ أبيهِ قالْ : رَأيتُ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِي وفي صَدْرِهِ أزِيزٌ كَأزِيزِ المُرْجَلِ مِن البُكاءِ ، أخْرجهُ الخمسةُ إلا ابنَ ماجه وصَحَّحَهُ ابنُ حِبّانْ .

وَلمّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللّه صلى الله عليه وسلم وَجَعَهُ قِيْـلَ لَهُ الصَّلاةَ ، فقالَ : « مُرُوا أبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بالْناسِ » ، قالتْ عَائِشَةَ إنَّ أبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إذَا قَرأ غلبهُ البُكَاء ، قَالْ « مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ » رواهُ مسلِّم .

شِعْرا : وَأَهْوَى مِن الفِتْيَانِ كُلَّ مُحَافِظٍ ... عَلَى طَاعَةِ الرحْمٰن في كُلِّ سَاعَةِ
ويَتْلُو كِتابَ اللهِ سِراً وَجهْـرَةً ... وباللَّيلِ قَوَّامـاً بِسَجْـدٍ ورَكْعَـةِ
آخر : يُحْيِيْ اللَّيالِيْ إِذَا الْمُغرُوْرُ أَغْفَلَهَا ... كأنَّ شُهْبَ الدَّيَاجي أعْيُنٌ نُجُلُ
آخر : إِذَا شامَ الفَتَى بَرْقَ المَعَالِــي ... فَأَهْــوَنُ فائِتٍ طِيْبُ الرقَـــادِ
آخر : وَبَـادِرِ اللَّيْـلَ بِدَرْسِ العُلُـوم ... فإِنَّمَـــا اللَّيْــــلُ نهار الأَرِيْبْ

وَعَنْ عُمَرَ - رَضْيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ صَلَّى بالجَمَاعَةِ الصُّبْحَ، فَقَرأَ سُوْرَةَ يُوسُفَ فَبَكَى حَتَّى سَالَتْ دُمُوعُهُ، وفي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ كَانَ في صَلَاةِ العِشَاءِ، وفي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ بَكَى حَتَّى سَمِعُوْا بُكَاءَهُ مِنْ وَرَاءِ الصُّفُوفِ.

وَقرأ عُمَرَ بنُ عَبْدِالعَزيز بالنَّاسِ ذَاتَ لَيْلَةٍ واللَّيْلِ إِذَا يَغْشى فَلَمَّا بَلَغ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى خَنقَتْهُ العَبْرَةُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْفُذَهَا فَرجَعَ حَتَّى إِذَا بَلَغَهَا خَنقَتْهُ الْعَبْرَةُ فَلمْ يَستَطِع أَنْ يَنْفُذَهَا فقَرأَ غَيْرَهَا.

وَينْبَغي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حَالُ العُلَمَاءِ فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيْرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَغَيْرُهُمَا عن عَبْدِالأَعْلَى التَّيْمِيْ، أَنَّهُ قَالْ: إِنَّ مَنْ أُوْتِيَ مِنَ العِلْمِ مَا لَا يُبْكِيهِ لَخَلِيْقٌ أَنْ قَدْ أُوْتِيَ مِن العِلْمِ مَا لَا يَنْفَعُهُ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى نَعَتَ أَهلَ العِلْمِ فَقَالَ: ﴿وَيَخِرُّوْنَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُوْنَ﴾ وقَال ﷺ: «لَا يَلِجُ النَّارِ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ» الحديث رواه الترمذي. وقال ﷺ: «عَيْنَانِ لا تَمَسَّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحرِسُ فِي سَبِيْلِ اللهِ» رواه الترمذي.

وَيُسْتَحَبُّ إِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ أَنْ يَسْأَلَ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ عَذَابٍ أَنْ يَسْتَعِيْذَ بِاللهِ مِنْ الشَّرِّ أَوْ مِنَ العَذَابِ، أَوْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ» أَوْ يَقُولَ:: «أَسْأَلُكَ المُعَافَاةَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوْهٍ» أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ تَنْزِيْهٍ نَزَّهَ اللهَ تَعَالَى فَقَالْ: «سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى» أَوْ «تَبَارَكَ وَتَعَالَى» أَوْ «جَلَّتْ عَظَمَةُ رَبِّنَا»، فَقَدْ صَحَّ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّه قَالْ: صَلَّيْتُ مَعَ النبيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فافْتَتَح البَقَرَة، فَقلتُ يَرْكَعُ عِنْدَ المائةِ ثُمَّ مَضَى، فَقَلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضى، ثُمَّ افْتَتَحَ آلِ عِمْرَانِ فَقرأَهَا ثُمَّ افْتَتَحَ النّساءِ فَقرأَها، يَقْرأُ مُتَرَسِّلاً إِذَا مَرَّ فيها بِتَسْبِيحٍ سَبَّحْ، وإِذَا مَرَّ بسؤَالٍ سَأَلْ وإِذَا مَرَّ بِتَعُّوذِ تَعَوَّذْ ثَمَّ رَكَعْ. رواه مسلم. والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«**موعظة**»: عِبَادَ اللهِ إِنَّ مِنْ تَعْظِيمِ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلا تعْظِيمَ كُتُبِهِ وَرُسُلِه وَذَلِكَ مِنْ أُصُوْلِ الإِيْمانِ فَمَنِ اسْتَخَفَّ بكِتَابِ اللهِ أَوْ آيةٍ مِنْهُ أَوْ اسْتَخَفَّ بِرُسُلِهِ خَسِرَ كُلَّ الْخُسْرَانِ. عِبَادَ اللهِ أَيْنَ الْغَيْرَةُ الدِّينِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ نَجْدُ الكُتَبَ

الَّتِيْ تَحْتَوي عَلىَ التَّوْحِيْدِ وَعَلى الآياتِ مِن كِتَابِ اللهِ وعلى الأَحَادِيثِ الشريْفةِ مُلْقَاتٍ مَعَ القَمَائِمِ وفي الْحُفَرِ الْقَذِرَةِ تُدَاسُ بالنِّعالِ وَتُلَوَّثُ بالأَقذارِ تُلَوَّثُ تَلْوِيثاً تَسْتَغِيثُ مِنْهُ العَواطِفُ الإِيْمَانِيْةِ أَليْسَ هَذَا مِن المُنْكَرَاتِ لِمَاذَا لا تُصَانُ وتُرْفَعُ أَوْ تُقْبَرُ في مَحِّلٍ طَاهِرٍ.

قُوْلُوا لِمَنْ يُلْقِيْهَا وَلِمَنْ يَقْدِرُ على مَنْعِهِمْ مِن الْقَائِهَا اتَّقُوا اللَّهَ هَذِهِ حالةٌ واللهِ تُؤْلِمُ النفوسَ وتُشْمِتُ بِنَا الأعداءَ قُوْلُوا لَهُمْ كيفَ تسْمَح نُفُوسُكُمْ تُلْقُونَهَا هَذَا الالْقَاءِ الْحَقِيرَ وَكَذلِكَ كُتُبُ فِقْهٍ وانْ لَمْ يَكُنْ فِيْهَا آياتٌ وَلاَ أَحَادِيْثُ يَنْبَغِي احْتَرامُهَا وَرَفْعُها .

وكذلِكَ يَنْبَغِي التَّنْبِيْهِ على بَعْضَ الكُتُبِ التي جُمِعَ والْعِياذُ باللهِ بِهَا مَعَ الآياتِ الْقُرآنيةِ والأحاديثِ النبويةِ صُوَرُ ذَواتِ الأرواحِ وقد تكونُ فوقَ الآيةِ خُصُوصَاً إذا أطْبِقَ الكتابُ وَهَذا واللَّه اسْتِهَانَةٌ عَظِيْمَةٌ وَاسْتِخْفَافٌ بالآياتِ والآحاديثِ والكُتُبِ الدِّينيةِ لاَ يَجُوزُ السّكوتُ على هذهِ الحالةِ المُزْرِيَةِ .

ومِمّا يَنْبغِي التَّنْبيهُ عَلَيْهِ هُوَ عَدمُ وَضْع الآيـاتِ والأحَادِيْثِ في الجَرَائِدِ بَلْ يشارُ إلى مَحَلاَّتِها وأَرْقَامِها لأَنَّ الجَرائدَ صارَتْ قِسْمٌ كبيرٌ مِنْ قُمَامَةِ المَحلاَّتِ وَفِيهَا صُورُ ذواتِ الأرْوَاحِ وهذِهِ حَالةٌ مُخِيْفَة إنْ دَامَتْ مَعَ مَا انْتَشَرَ مِن المُنْكَراتِ والمَعاصِيَ الَّتِي مَلأتِ البرَّ والبَحْرَ يُخْشَى أنْ تُحِيْطَ بِهِمْ عُقُوبَتُهَا .

نسأَلُ اللّه أنْ يُنَجِّيْنَا مِنْ عُقوبَتِهَا وأنْ يُوْقِصَ وَلاَتَنَا وَيُنَبِّهَهَمْ لإِزَالَتِهَا وَتَطْهِيرِ الأرضِ مِنْهَا إنَّهُ القَادِرُ عَلى ذَلِكَ وَلاَ أَرَى مَخْلِصاً لِلانْسَانِ الذي قَدْ ابْتُلَى بِشِراءِ الجريدةِ حَمَّالَةِ الْكَذِبِ قتَّالةِ الوَقْتِ إلاّ أنَّهُ يُحرِقُهَا مِنَ حِينَ يَتَخَلصُ مِنْ قِرَاءتِها لِيَسْلَمَ مِن باقِي شُرُورِها وَأَوزَارِها .

وَسَوْفَ يُنَاقَشُ عَنْهَا يومَ القيامةِ عَنِ الوَقْتِ الَّذِي ضَيَّعَهُ فِيها والمالُ الذي أنفقهُ فِيها وَما حَصَل بِسَبَبِهِ على الآياتِ والأحاديثِ التَّي فِيهَا مَنْ الاسْتِهَانَة والامْتِهَانِ واخْرَاجِ الملائِكَةِ عن الْمَحلِّ التَّي وَضَعَهَا فِيه إذا كانَ فِيهَا صُوَرِ ذَواتِ الأرْوَاحِ حَيثُ أنَّ الملائِكَةَ لا تَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ صُورَةَ .

قَالَ بَعْضُهُمْ :

شِعْرا :

أَلا اِرْعِوَاءَ لِمَنْ كَانَتْ اِقَامَتُهُ
عِنْدَ الْمَذايِيْعِ والتَّلْفَازِ والطَّربِ
مُضَيِّعَاً فِيْهَا عُمْراً مَا لَهُ عِوَضٌ
إذا تَصرَّمَ وَقْتٌ مِنْهُ لَمْ يؤُبِ
أَيَحْسِبُ الْعُمْرَ مَرْدُوداً تَصَرّمُهُ
هَيْهَاتَ أنْ يَرْجِعَ الماضِي مِنَ الْحُقُبِ
أَمْ يَحْسَبُ العُمْرَ مَا وَلَّتْ أَوائِلُهُ
يُنَالُ بَعْدَ ذَهَابِ الْعُمْرِ بِالذَّهَبِ
فَبَادِرِ الْعُمْرَ قَبْلَ الفَوْتِ مُغْتَنِماً
مَا دُمْتَ حَيَّاً فإنَّ الموتَ في الطَّلَبِ
وَأحْرِصْ وبَادِرْ اِذَا مَا أُمكَنَتْ فُرَصٌ
في كَسْبِ مَا تُحْمَدَنْ عُقْبَاهُ عَنْ رَغَبِ
مِنْ نَفعِ ذِي فَاقَةٍ أوْ غَوْثِ ذِي لَهَفٍ
أوْ فِعْلِ بِرٍّ وإِصْلاحٍ لِذِي شَغَبِ
فَالْعُمْرُ مُنْصَرِمٌ والوَقتُ مُغْتَنَمٌ
والدَّهْرُ ذُو غِيَرَ فاجْهَدْ بِهِ تُصِبِ

فاعْمَلْ بِقَوْلِي وَلَا تَجْنَحْ إلى فَدَمٍ
مُخَادِعٍ مُدَّعٍ لِلْعِلْمِ والأَدَبِ
يَرَى السَّعادَةَ في كَسْبِ الحُطَامِ وَلَوْ
حَوَاهُ مَعَ نَصَبٍ مِنْ سُوءِ مُكْتَسَبِ
فَالرَّأيُ ما قُلْتُهُ فاعْمَلْ بهِ عَجِلاً
وَلَا تُصِخْ نَحْوَ فَدْمٍ غَيْرِ ذِي حَدَبِ
فَغَفْلَةُ الْمَرْءِ مَعَ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ
عَنْ واضحٍ بَيِّنٍ مِنْ أَعْجَب العَجَبِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا، وارْزُقْنَا مَحَبَّةَ أَوْلِيَائِكَ وأَصْفِيَائِكَ واجْمَعْنا وَإِيَّاهُمْ في دَارِ كَرَامَتِكَ، يَاأَكْرَمَ الأَكْرَمِيْنَ وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ، اللَّهُمَّ اجْعلنَا لِكِتَابِكَ مِن التَّالِينِ ولكَ بِهِ مِن العامِلينَ وبِمَا صَرَّفْتَ فيهِ مِن الآياتِ مُنْتَفعين، وإلى لذيذِ خِطَابه مُسْتَمِعينَ، ولِأَوَامِرِهِ ونَواهِيهِ خاضِعين وبالأعمالِ مَخلِصِين، واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: وقال مُحمدُ بنُ الحسين، يَنْبَغِي لِمَنْ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآن وفَضَّلَهُ عَلَى غَيرِهِ مِمّنْ لم يَحْمِلْهُ.

وأَحَبَّ أنْ يكونَ مِن أَهْلِ القُرآن وَأَهْلِ اللَّهِ وخَاصَّتِهِ.

ومِمَّنْ وَعَدَهُ اللَّهُ مِن الفَضْلِ العظيم.

ومِمَّن قال اللَّهُ عَزَّ وجَل ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾، قِيلَ يَعْمَلون به حَقَّ العَمَلِ ﴾.

وِمِمَّنْ قال النبي ﷺ « الذي يَقْرأ القُرآن وهو ماهِرٌ به مَعَ السَّفَرةِ الكرام

البَرَرَةِ والذي يَقْرَأُ القرآن وهو يَتَتَعْتَعُ فيه وهو عليه شاقٌ لَهُ أَجْرَان » رواه البخاري .

وقال بِشْرُ بنُ الحارث الزاهِدُ المعروف سَمِعْتُ عِيسَى بنَ يُونُسَ يَقُولُ إذا خَتَم العَبْدُ القرآنَ قَبَّلَ المَلَكُ بَيْنَ عَيْنَيْه .

فيَنْبَغِي للإنسان الموفق أنْ يَجْعَلَ القُرآنَ كَلاَمَ رَبِّ العِزَّةِ والجَلالِ رَبِيْعاً لِقَلْبِـهِ ، يَعْمُـرُ به ما خَرِبَ مِن قَلْبِـهِ ، يَحْرِصُ كُلَّ الحِرْصِ على تِلاَوَتِهِ وتَفَهُّمِهِ والعَمل به .

فيَتَأَدَّبُ بآدابِهِ ، ويَتَخَلَّقُ بأخْلاَق شَرِيْفَةٍ ، يَتَمَيَّزُ بها عن سَائِرِ الناس مِمَّنْ لا يَقْرؤُوْنَ القُرْآنَ .

فأوَّلُ ما يَنْبَغِي أن يَسْتَعْمِلَ تَقْوَى اللَّهِ في السِّرِ والعَلاَنِيَةِ باسْتِعْمَالِ الوَرَعَ في مَطْعَمِهِ ، ومَشْرَبِهِ ، ومَلْبَسِهِ ، ومَسْكَنِهِ ، ومُعَامَلتِهِ ، وبَيْعِهِ ، وشِرائِهِ .

وأَنْ يَكُونَ بَصِيْرًا بزَمَانِهِ وفَسَادِ أَهْلِهِ ، فَيحذَرهم على دِيْنِهِ ، مُقْبلاً على شأنِهِ مُهْتَمًا بإِصْلاَحِ ما فَسَدَ مِن أَمْرِهِ ، حَافِظًا لِلِسَانِهِ ، مُمَيِّزًا لِكَلامِه .

إنْ تكلَّمَ تكلَّمَ بِعِلْم إذا رَأى الكلامَ صَوَابًا يَخَافُ مِن لِسَانِهِ أَشَدَّ مِمَّا يَخَافُ مِن عَدُوِّهِ قال ﷺ « مَن يَضْمَنُ لي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وما بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنُ له الجنةِ » .

وقـال ﷺ « مَنْ وُقِيَ شَرَّ قَبْقَبِهِ وذَبْذَبِهِ ولَقْلَقِهِ فقد وجَبَتْ له الجنة » أخرجه الديلمي من حَديث أنس رضي الله عنه .

القَبْقَبُ البطن ، والذَّبذَبُ الفرج ، واللَّقْلَقُ اللِّسَان .

وأنْ يَكُـوْنَ قَلِيْلَ الضَّحِـك مما يَضْحَـكُ منـه النـاسُ لِسُـوءِ عاقِبَـةِ الضّحِكِ ، فَإِنْ سُرَّ بشَيءٍ مِمَّا يُوَافِقُ الحَق تَبَسَّم .

ويَتَجَنَّبُ كثرة المِزاح « لأنَّه في الغَالب لِلْعَدَاوَةِ مِفْتَاح » فإنَّ مَزَحَ قال « حَقًا ، باسِطَ الوَجْهِ طَيِّبَ الكلامِ لا يَمْدَحُ نَفْسَهِ بما فيه فكَيْفَ بما لَيْس فيه » .

وما حَسَنٌ أَنْ يَمْدَحَ المَرْءُ نَفْسَهُ ولَكِـنَّ أَخْـلاَقًـا تَـذُمُّ وتَمْـدَحُ

آخر : « ودَعْوَةُ المرءِ تُطْفِي نورَ بَهْجَتِهِ هذا بحَقٍ فَكَيْفَ المُدَّعِي زَلَلا »

وأنْ يَحْذَرَ نفسَهُ أنْ تَغْلِبَهُ على مَا تَهْوَى مما يُسْخِطُ مَوْلَاه .

ولا يَغْتَـابُ أَحَـداً ، ولا يَحْقِرُ أَحَدًا ، ولا يَسُبُّ أَحَدًا ، ولا يشمُتُ بمُصِيْبَةٍ ، ولا يَبْغِي على أَحَد ، ولا يَحْسِدُ أَحَدًا ، ولا يُسِيءُ الظَّنَّ إلا بِمَنْ يَسْتَحِقَ ذلك .

ويَجْعَل الكتاب والسُنَّةَ والفِقْهَ فيهما دَلِيْلَهُ إلى كُلَ خُلُقٍ حَسَن جَمِيْل ، وأنْ يَكُونَ حَافِظًا لجَوارِحِهِ عما نَهَى اللَّهُ عنه .

إنْ مَشَى بعِلْمٍ وإنْ قَعَدَ بِعِلْم حَافِظًا لِلِسَانِهُ وَيده عما لا يعْنِيْه ، ولا يَجْهَل فإن جُهل عليه حَلُم .

ولا يَظْلِمُ وإنْ ظُلمَ عَفَا عَمَلاً بقوله تعالى ﴿ والعافِين عن الناس ﴾ ولا يَبْغِيْ وإنْ بُغِي عليه صَبر ، يَكْظِم غَيْظَهُ لِيُرضِي رَبَّهُ عَزَّ وجل « ويَغِيْظَ عَدُّوَهُ الذي لا يألو جُهْدًا فى السعي في هلاكِهِ » .

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَاقَيُّومُ، يَابَدِيْعَ السَّمَواتِ والأَرْضِ، نَسأَلُكَ أنْ تَكْفِيْنَا مَاأَهَمَّنا ومَا لا نَهْتَمُّ بِهِ، وأنْ تَرْزُقَنَا الاسْتِعْدَادِ لِمَا أَمَامَنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأبْرارِ وأسْكِنَا مَعَهمُ في دَارِ القرارَ، اللَّهُمَّ وفقنا بِحُسْن الأقبالِ عَليك والإِصْغَاءِ إليك ووَفّقنْا لِلتّعاوُنِ في طَاعَتِكَ والمُبَادَرَةِ إلى خِدْمَتكَ وحُسْن الآداب في مُعَامَلَتِكَ والتّسليم لِأمْرك والرِّضا بِقضَائِكَ والصَّبْرُ عَلى بَلائِك والشّكْرَ لِنَعْمَائِكَ، اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الإِيْمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلى قَوْلِكَ الثَّابِتْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وَتَوفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَالْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ يَاأَكْرَمَ الأكْرَمِيْنَ وَيَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**» : وقال رَحمه اللهُ وأَنْ يَكُوْنَ «أَيْ مَن عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنِ وفَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِه مِمَّنَ لَمْ يَحْمِلْهُ» مُتَوَاضِعًا فِي نَفْسِهِ إِذَا قِيْلَ لَهُ الحَقَّ قَبِلَه مِن صَغِيْرٍ أَوْ كَبِيْرٍ يَطْلُبُ الرفْعَة مِن الله لا مِن المخلُوقين .

مَاقِتٌ لِلْكِبْرِ خَائف على نَفْسِهِ منه ، لا يَتَأكَّلُ بالقرْآن ولا يُحِبُّ أنْ يَقْضِي به الحَوائجَ .

ولا يَسْعَى إلى أَبْنَاءِ المُلُوكِ ، ولا يُجَالِسُ به الأَغْنِيَاءَ لِيُكْرِمُوه .

إنْ كَسَبَ الناسُ مِن الدنيا الكَثِيْرَ بلاَ فِقْهٍ ولا بَصِيْرَةٍ كَسَبَ هُو القَلِيْل بفِقْهٍ وعِلْمٍ .

إنْ لَبسَ الناسُ اللَّيِّنَ الفاخِرَ لَبس هُو مِن الحلالِ ما يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَه ، إنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ وَسَّعَ ، وإنْ أَمْسِكَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ .

يَقْنَعُ بالقَليلِ فيَكفيهِ ، ويَحْذَرُ على نَفْسِهِ مِن الدُنْيَا مَا يُطْغِيْه ، يَتْبَعُ واجبَاتَ القُرآنِ والسُّنَّة .

يأكُلُ الطَّعَامَ بِعِلْمٍ ، ويَشْرَبُ بِعِلْمٍ ، ويَلْبَسُ بِعِلْمٍ ، ويُجَامعُ أَهْلَهُ بِعِلْمٍ ، ويَصْطَحِبُ الإخوانَ بِعِلْمٍ ، ويَزُوْرُهُم بِعِلْمٍ ، ويَسْتَأذِنُ عليهم بِعِلْمٍ ، ويُسلِّمُ عليهم بِعِلْمٍ ، ويُجاوِرُ جارَهُ بِعلم .

يُلْزِمُ نَفْسَه بِرَّ وَالِدَيْه فيخَفْض لهُمَا جَنَاحَهُ ، ويَخْفَضُ لِصَوْتِهما صَوْتَه ، ويبْذِلُ لَهُمَا مالَهُ , وينْظُرُ إليْهِمَا بعَيْنَ الرَحْمَةِ وَالوَقَار ، يَدْعُو لهُمَا بالرحمةِ والبَقاءِ ويَشكرُ لهُمَا عندَ الكِبر ، ولا يَضجر منهما ، ولا يَحْقِرُهُمَا .

إن اسْتَعَانَا بِهِ عَلى مَعْصِيَةٍ لم يُطِعْهُمَا لِقَولِه ﷺ «لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ في مَعْصِيَةِ الخَالق» .

وإنْ اسْتَعَانا بِه على طاعَةِ اللَّهِ أَعَانَهُمَا ويَرْفُقُ بهِمَا في مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُما حَيْثُ لَم يُعِنهُمَا على المَعْصِيَةِ .

ويَكُوْنُ ذلك بحُسْنِ الأَدَبَ لِيَرْجِعَا عن قبيْحِ ما أَرادَ مما لا يَحْسُنُ بهما فِعْلُه .

ويَصِلُ رحمه ، ويكْرهُ القَطِيْعَة ، ومن قَطَعَهُ لَمْ يَقْطَعْهُ ، ومَن عَصَى اللَّهَ فيه أَطَاعَ اللَّهَ فيه ، يَصْحَبُ المؤمنِينَ بعلم ، ويُجالِسُهُم بعِلم ، ومَن صَحِبَهُ نَفَعَهُ .

حَسَنُ المُجَالَسَةِ لِمَنْ جالَسَ ، إنْ عَلَّمَ غَيْرَهُ رَفَقَ به ، ولا يُعَنِّفُ مَن أَخْطَأَ ولا يُخَجِّلُهُ .

رَفِيقٌ في أُمُوره صَبُورٌ على تَعْلِيم الخَيْر ، يَأْنَسُ بِهِ المُتَعَلِّمُ ، ويَفْرحُ به المُجَالِسُ ، مُجَالَسَتُهُ تُفِيْدُ خيرًا .

مُؤدِّبٌ لِمَنْ جَالَسَهُ بآدَابِ القُرآن والسُّنَّةِ إنْ أُصِيْبَ بمُصِيْبَةٍ ، فالقُرآنُ والسُنَّةُ مُؤدِّبَانِ لَهُ .

يَحْزَنُ بعِلْمٍ ويَبْكِي بِعِلْم ، ويَتصَدَّقُ بعِلم ، ويَصُومُ بِعلم ، ويحج بِعلمٍ ، ويُجَاهِدُ بِعلم .

ويكْتَسِبْ بعلم ، ويُنْفِقُ بِعلم ، ويَنبَسِطُ في الأَمُورِ بعِلم ، ويَنْقَبِضُ عنها بعِلم .

قد أَدبه القُرآن والسُّنَّةُ يَتصَفحُ القُرآنَ لِيُؤدبَ بِهِ نَفْسَهُ ، ولا يَرْضَى مِن نَفْسِهِ أن يؤديَ مَا فَرضَ اللَّهُ عليه بجَهْلٍ .

قد جَعَل العِلْمَ والفِقْهَ دَلِيْلَهُ إلى كل خيرٍ إذا دَرَسَ القُرآنَ فبِحُضُوْر فِهْمٍ وعَقْل .

هِمَّتُهُ إيقَاعُ الفَهْمِ لِمَا الْزَمَهُ اللَّهُ مِن اتّباع ما أَمَرَ والانْتِهَاءِ عَمَّا نَهى .

لَيْسَ هِمَّتُهُ مَتى أَخْتِمُ السُوْرَةَ ، هِمَّتُه مَتى أسْتَغْني بالله عن غَيرِهِ ، مَتى أكُونُ مِن المُتَّقِيْن .

مَتَى أكُوْنُ مِن المحسنين ، مَتى أكُونُ مِن المُتوَكِّلين ، مَتى أكونُ مِن الخاشِعين ، مَتى أكونُ مِن الصابرين .

مَتَى أكُونُ مِن الصَّادِقِين ، مَتَى أكُوْنُ من الخائفين ، مَتَى أكونُ مِن الراجين ، مَتَى أزْهَدُ في الدنيا ، مَتَى أرْغَبُ في الآخرة .

مَتَى أتُوبُ مِن الذُنُوب ، مَتَى أعْرِفُ النِّعَمَ المتواتِرَة ، مَتَى أشكرُ اللَّهَ عليها ، مَتَى أحْفَظُ لِسَاني .

مَتَى أسْتَحْي من اللَّهِ حق الحَيَاء ، مَتَى أشْتَغِلُ بِعَيْبِي ، مَتَى أُصْلِحُ مَا فَسَدَ من أمري ، مَتَى أحَاسِبُ نَفْسِي .

مَتَى أتزَوَّدُ لِيَوْم مَعَادِي ، مَتَى أكُونُ عن اللَّهِ رَاضِيَا ، مَتَى أكُونُ بلَقائِهِ واثقا ، مَتَى أكونُ بزَجْرِ القُرآنِ مُتَّعِضَا ، مَتَى أنصَحُ لِلَّهِ .

مَتَى أُخْلِصُ لَهُ عَمَلي ، مَتَى أُقَصِّرُ أَمَلِي ، مَتَى أَتَأَهَّبُ لِيَوم مَوْتِي وقد غُيِّبَ عَنِّي أَجَلِي .

مَتَى أَعْمُر قَبْرِي ، مَتَى أفكِّرُ في الموقفِ وشِدَّتِهِ ، مَتَى أُفَكِّرُ في خَلْوَتِي مَعَ ربي .

مَتَى أَحْذَر مِمَّا حَذَّرني منه ربي مِن نار حَرُّهَا شَدِيْدٌ وقَعْرُهَا بَعِيْد لا يَمُوْتُ أَهْلُها فَيَسْتَرِيحُوْا ولا تُقَال عَثْرتهم ، ولا تُرْحَمُ عَبْرتهم .

طَعَامُهُم الزقُومُ وشَرابُهم الحَميم ، قال تعالى ﴿ إن شَجَرةَ الزقُوم طعامُ الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم ﴾ وقال ﴿ كلما نضِجَتْ جُلُودهم بَدَّلْنَاهُم جُلُوْدًا غيرها ﴾ الآية .

نَدِمُوا حَيْثُ لا يَنفعُ النَّدَمُ وعَضُّوْا على الأيْدِي أسَفًا على تَقْصِيرهم في طَاعَةِ اللَّهِ ورُكُوْنِهم لِمَعَاصِي الله .

فقال قائلٌ منهم « يا لَيْتَني قَدَّمْتُ لِحَيَاتي » ، وقال قائل « رَبِّ أرْجِعُون لعَلي أعمل صالحاً فيما تركت » .

وقال قائل « يا لَيْتَنَا أطَعْنَا اللَّهَ وأطعنا الرسول » .

وقال قائل « يا وَيْلَتَنَا مال هذا الكتاب لا يُغادِرُ صغيرة ولا كبيرة إلاَّ أحصاها » .

وقال قائل « يا وَيْلَتي لَيْتَني لم أتَّخِذ فُلانًا خليلا » .

شـعرا :

أمَا سَمِعْتَ بأكْبَادٍ لَهُمْ صَعَدْتْ خَوْفًا مِن النار فانْحَطَّتْ إلى النَّار
أمَا سَمِعْتَ بِضِيْقٍ في مَكَانِهِمُوْا ولا فِـرَارَ لَهُمْ مِن صَـالِيَ النَّـارَ
أمَا سَمِعْتَ بحَيَّـاتٍ تَـدِبُّ بهَـا إلَيْهِمُوْا خُلِقَتْ مِـن مَـارِجِ النَّـار
فيا إلهي بأحْكـامٍ ومـا سَـبَقَتْ بـه قَـدِيمـاً مِـن الجنات والنَّـار
أدْعُوك أنْ تَحْمِي العَبْدَ الضَّعِيْفَ فما لِلْعَبْدِ مِن جَسَدٍ يَقْوَى على النَّـار
والشمسُ ما لي عَلَيْهَا قطُّ من جَلدٍ فكَيْفَ يَصْبِرُ ذُوْ ضَعْفٍ على النَّـار

اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ لِبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيْعِ الأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الغَرْقَى وَيَا مُنْجِيَ الهَلْكَى وَيَا دَائِمَ الإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَنِلْنَا مِنْ كَرَمِكَ وجُوْدِكَ مَا تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَتِكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِـهِ وَصَحْبِـهِ أَجْمَعِيْنَ .

«**فَصْلٌ**» : وقال رحمَهُ اللهُ تَعَالَى فَأَمَّا مَن قَرأَ القُرْآنِ لِلدُّنْيَا ، فإنَّ مِن أَخْلاقِهِ أَنْ يكُونَ حَافِظاً لِحُرْوف القُرآن مضَيِّعًا لِحُدُوْدِهِ ، مُتَعَظِّماً في نَفْسِهِ مُتكَبِّراً على غَيرِهِ .

قَد اتَّخَـذَ القُرآنَ بضَاعَةً يَتأَكَّلُ بِهِ الأَغْنيَاءَ ، ويَسْتَقضِي به الحَوائج ، يُعَظِّمُ أَبْنَاءَ الدُّنْيا ، ويَحْقِرُ الفُقْرَاء .

إنْ عَلَّمَ الغَنيّ رَفقَ به طَمَعًا في دُنْياه ، وإنْ عَلَّمَ الفَقِيْرَ زَجرَهُ وعَنَّفَهُ لأَنَّه لا دُنْيا لَهُ يَطْمَعُ فيها .

يسْتَخْـدُم به الفُقَراءَ ، ويَتِيْهُ بِهِ على الأغنيآء إنْ كانَ حَسَنَ الصَّوْتِ أَحَبَّ أنْ يَقْرَأَ لِلْمَلُوْكِ ويُصَلي بهم طَمِعًا في دُنْيَاهُم .

وإنْ سَأَلَهُ الفُقَراءُ الصلاَةَ بهم ثَقُلَ ذلك عليه لِقِلَّةِ الدنيا في أيديهم ، وإنَّما طَلَبُهُ الدنيا حَيْثُ كَانَتْ رَبَضَ عِنْدَهَا .

يَفْخَرَ على الناسِ بالقرآن ويَحْتَجُّ على مَن دُوْنَهُ في الحِفْظِ بِفَضْلِ ما مَعَهُ مِن القِرَاءآت .

فَتَراهُ تَائِهًا مُتَكَبِّرًا كَثِيْرَ الكلام يَعِيْبُ كُلِّ مَنْ لم يَحْفَظْ كحِفْظِهِ .

ومَنْ عَلِم أَنَّهُ يَحْفَظُ كَحِفْظِهِ طَلَبَ عَيْبَه ، مُتكَبِرًا في جَلْسَتِهِ ، مُتَعَاظِمًا في تَعْلِيمِهِ لِغَيْرِهِ ، لَيْسَ لِلْخُشُوعِ في قَلْبِهِ مَوضِعٌ ، كَثيرَ الضَّحِكِ والخَوض فيما لا يَعْنِيْه .

يَشْتَغِلُ عَمَّنْ يأخُذُ عليه بحَدِيْث مَن جَالَسَهُ .

هو إلى اسْتِماعِ حَدِيْثِ جَلِيْسِهِ أَصْغَى منه إلى اسْتِماعِ مَن يَجِبُ عليه أَنْ يَسْتَمعَ لَهُ .

يُوْرِيْ أَنَّه لم يَسْتَمِعْ حَافِظًا فَهُوَ إلى كلامِ الناسِ أشْهَى منه إلى كلام اللهِ عَزَّ وجَل .

لا يَخْشَعُ عند اسْتِماعِ القُرْآن ، ولا يَبْكِي ولا يَحْزَنْ ولا يأخُذُ نَفْسَه بالفِكر فيما يُتْلَى عَليه وقد نُدِبَ إلى ذلك .

رَاغِبُ في الدنيا وما قَرَّبَ مِنْها لَهَا يَغْضَبُ ويَرْضَى إنْ قصَّرَ رَجُلٌ في حَقِّه قال أهل القرآن لا يُقصِّرُ في حُقُوقِهِم وأهْل القرآن تُقْضَى حَوائِجُهُم .

يَسْتَقْضِي من الناسِ حَقَ نَفْسِهِ ولا يَسْتَقْضِي مِن نَفْسِهِ ما لِلَّهِ عَليها .

يَغْضَبُ على غَيْرِهِ ولا يَغْضَبُ على نَفْسِهِ لِلَّهِ .

لا يُبَالي من أيْنَ اكْتَسبَ مِن حَرَامٍ أوْ مِن حَلال قد عَظُمَتِ الدنيا في قلبه إن فاته شيءٌ منها لا يَحِلُ لَهُ أخْذُهُ حَزِنَ على فَوْتِهِ .

لا يَتَأَدَّبُ بآداب القُرآن ولا يَزْجُرُ نَفْسَهُ عن الوعْدِ وَالوَعِيد لاهٍ غافِل عَمَّا يَتْلُوْ أَوْ يُتْلَى عليه .

هِمَّتُهُ حِفْظُ الحُرُوْف إنْ أَخْطأَ في حَرْفٍ سَاءَهُ ذلك لِئلا يَنْقُصُ جَاهُهُ عِندَ المَخْلُوْقِيْنَ فَتَنْقُصُ رُتْبَتُهُ عندهم .

فَتَراهُ مَحْزُوْنًا مَغْمُومًا بذلك وما قد ضَيَّعَهُ فيما بَيْنَهُ وبَيْنَ الله مما أمَرَ اللَّهُ به في القُرآن أوْ نَهى عنه غَيرَ مُكترِثٍ به .

أخْلاَقُهُ في كثيرٍ من أُمْوره أخْلاَقُ الجُهَّالِ الذين لا يَعْلَمُون لاَ يأخُذُ نَفْسَهُ بالعَمل بما أوْجَبَ اللَّهُ عليه في القرآن إذا سَمِعَ اللَّهَ عَزَّ وجَل قال ﴿ وما آتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ .

فكان من الواجب عليه أنْ يُلْزِمَ نَفْسَهُ طَلَبَ العِلْم لِمَعْرفَةِ مَا نهى عنه النبي ﷺ فينتهي عنه إلى أن قال رحمه الله تعالى .

فأَمَّا العَاقِلُ إذَا تَلَى القُرآن اسْتَعْرَضَ القُرآنَ فكان كَالمِرْآهِ يَرَى بهَا مَا حَسُنَ مِن فِعْلِه وما قَبُحَ منه .

فَما حَذَّرَهُ مَوْلاهُ حَذِرَهُ وَمَا خوَّفَهُ بِهِ مِن عِقَابِهِ خَافَهُ ومَا رَغَّبَهُ فيه مَوْلاهُ رَغِبَ فيه ورَجَاهُ .

فَمنْ كانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ أَوْ مَا قَارَبَ هَذِهِ الصِّفَةِ فَقَدْ تَلاهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ ورَعَاهُ حَقَّ رِعَايتِهِ وكانَ لَهُ القُرآنُ شاهدًا وشَفِيْعًا وأَنِيْسا وحِرْزًا .

ومَنْ كانَ هَذا وصْفهُ نَفَعَ نَفْسَهُ ونَفَعَ أَهْلَهُ وعَاد على وَالِدَيْه وعَلى ولَـدِهِ كُلُ خَيْرٍ في الدنيا والآخرة انتهى كلامه باخْتِصَار وتصرُّف يسير .

فَطُوْبَى لِمَنْ أرْضَى الإلَهَ مُسَارِعًا ... إلِىَ سُبُلٍ تَهْدِيْه لِلرِّحْلَةِ الأُخْرَى
وقَامَ وصَلَّى في الدَّيَاجِي ودَمْعُهُ ... على خَدِّهِ تَجْرِي بِمُقْلَتِهِ العَبْرَا
وأَخْلَصَ لِلَّـهِ العَظِيـمِ قِيَامَـهُ ... وَرَاقَبَـهُ سِراً وَرَاقَبَـهُ جَهْـرَا
وأَحْيَـا لَيَالِـي عُمْـرِهِ بِقِيَامِـهِ ... إلِىَ رَبِّهِ فِي اللَّيْلِ وَامْتَثَلَ الأَمْرَا

فذاك بِحَمْدِ اللهِ في طِيْب عيشَةٍ يَفُوزُ بهَا صَوْماً ويُحْظَى بِهَا فِطْرا

اللَّهُمَّ قابلْ سَيْئاتِنَا بإِحْسَانِكَ ، واسْتُر خَطِيْئتِنا بغُفْرَانِكَ وأَذْهِبْ ظُلْمَةَ ظُلْمِنا بِنُور رِضْوَانِكْ ، واقْهَر عَدُوَّنا بعِزِّ سُلْطَانِكْ ، فَمَا تَعَوَّدَنَا مِنْك إِلَّا الْجَمِيلْ ، واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْع المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

«فَصْلٌ» : ٨- مَا وَرَدَ في تَعَاهُدِ القُرْآنِ الكريمْ ، والتَّرْهِيبِ مِنْ نِسْيَانِهِ ، والإِعْرَاضِ عِنْه :

يُسَنُّ خَتْمُهُ في كلِّ أسْبُوع لِقولِه صلى اللهُ عيهِ وسلمْ لِعبدِ اللَّه بن عَمْرو - رضي اللهُ عَنْهُمَا - : « واقْرَأْ في كلِّ سَبْعِ لَيالٍ ولا تَزد عَلى ذلك » متفق عليه .

قالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ أحْمَدَ بنُ حَنْبلٍ - رَحِمَهمَا الله - كَانَ أبي يَخْتِمُ القرآنَ في النَّهارِ في كلِ أُسْبُوْع ، يقرأُ كُلَّ يومٍ سُبْعاً لَا يكادُ يتْرَكَهُ نَظَراً لقولِه صلى الله عليهِ وسلم لِعَبدِ الله بن عَمْرو - رضي الله عَنْهُمَا - : « واقرَأْ في كِلِّ سَبْع » ، وانْ قَرَأ في ثِلاثٍ فَحَسَنْ ، لِمَا وَرَدَ عن عبدِ اللهِ بن عَمْرو - رضي الله عنهُمَا - قُلْتُ يا رسَولَ اللّهِ ، إنَّ لِي قُوَّةً ، قَالْ : « اقْرَأْ في كُلِّ ثَلَاثٍ » رواهُ أبُو داودْ ، وَلَا بَأسَ فِيْمَا دُونَها أحْياناً ، وفي الأوْقاتِ الفَاضِلِةِ كَرَمَضانَ ، خُصوصاً اللَّيَالِيَ التَّي تُطْلَبُ فِيها لَيْلَةُ القدر .

وَيَنْبَغي لِقَارِىءِ القُرْآنْ أنْ يَتَعَّهدَهُ بالْحِفْظِ والْمُداوَمَةِ عَلى تَلَاوتِهِ ، ولْيَحْذرْ كُلَّ الْحَذَرِ مِن هِجْرَانِه وتَرْكِ التَّعَهُّدِ لَهُ ، فَيَتَعَّرضَ بِذلك لِنِسْيَانِهِ وَتَرْكِ العَمَلِ بِهِ الّذي هُوَ مِن أعْظَمِ الذُّنوبِ .

قالَ ابنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ الله : هَجْرُ القُرْآنِ أنْوَاعْ :

أَحَدُهُمَا : هَجْرُ سَمَاعِهْ ، والايمانِ بهِ ، والإصْغاءِ إليْهِ .

والثَّاني : هَجْرُ العَمَلِ بِه والوُقوفِ عِندَ حَلالِهِ وحَرَامِهْ ، وإنْ قَرَأهُ وآمنَ بِهِ .

شعرا : لا شيَءَ مِثْلَ كَلامِ اللهِ تَحْفَظُهُ حِفْظاً قَوياً وتَعْمَلْ فيــهِ مُجْتَهِــــدَا

والثالثْ : هَجْرُ تَحْكيمِهِ والتَّحاكُمِ اليهِ في أُصولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ واعْتِقَادِ أنَّهُ لا يُفِيدُ اليَقينِ وأنَّ أدلَّتهُ لَفظِيةَ لا تُحصِّلُ العِلمَ .

والرَّابعْ : هَجْرُ الاسْتِشْفَاءِ والتَّداوِي بِهِ في جَمِيْعِ أَمْرَاضِ القُلوبِ وأدْوَائِها ، فَيَطْلُب شِفَاءَ دَائِه مِنْ غيْرِهِ وَيهجُرُ التَّدَاوي بهِ .

والخامِسُ : هَجْر تَدَبُّرِهِ وَتَفهُّمِهِ وَمَعْرِفَةِ مَا أَرَادَ المُتَكَلِّمِ مِنْهُ .

وَكُلُّ هَذَا دَاخِلُ في قَوْلِهِ تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إنَّ قَوْمِي اتخذوا هذا القرآنَ مهجورا ﴾ .

وروَى الامامُ أحمدْ ـ رضيَ اللهُ عَنْهُ ـ مِنْ حديثِ سَمُرَةْ : أنَّ النبيَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأى رَجُلاً مُسْتَلْقِياً عَلَى قَفَاهُ ، وَرَجُلاً قَائِمَاً بِيَدِهِ فِهْرٌ أوْ صَخْرَةٌ فَيَشْدَخُ بِهَا رَأْسَهُ : فَيَتَدَهْدَهْ ، فَاذَا ذَهَبَ لِيَأْخُذَهُ عَادَ رَأْسَهُ كَمَا كانَ فَيَصْنَعُ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَسَأَلَ عَنْهُ ، فقِيْلَ لَهُ : رَجُلُ أتَاهُ اللهُ القُرْآنَ فَنَامَ عَنه بالليْلِ وَلَمْ يَعْمَل بِهِ بِالنَّهَارْ ، فَهْوَ يَفْعَلُ بِهِ ذلِكَ إلى يومِ القيامَ .

وَفي حديثِ عَمْرو بن شُعَيْب مَرْفُوعاً : « يُمَثَّلُ الْقُرآنُ يومَ القِيامَةِ رَجُلاً فَيُؤْتَى بالرَّجُلِ قَدْ حَملَهُ فَخالَفَ أمْرَهُ فَيَتَمَثَّلُ لَهُ خَصْماً ، فَيَقُولُ : يا رَبْ ، حَمَّلْتَهُ إيَّايَ فَبِئْسَ حَامِلٌ تَعدَّى حُدُودِي ، وَضَيَّع فَرَائِضِي ، وَرَكِبَ مَعْصِيَتِي وَتَرَكَ طَاعَتِي ، فَمَا يَزَالُ يَقْذِفُ عليهِ بالحُجَجِ حَتَّى يقالُ

شَأنَكَ بِهِ فَيَأخُذُ بِيَدِهِ فَمَا يُرْسِلَهُ حَتَّى يُكِبَّهُ على مَنْخِرِهِ في النَّارِ» الحديث.

شِعْرًا: ثلاثَةُ أَسْفَارٍ هَنِيْئاً لِمَنْ لَهَا   يُلازِمُهَا حِفْظاً ودَرْساً ويَفْهَمُ
كِتَابُ إِلٰهِ الخَلْقِ جَلَّ جَلالُهُ   كَذَاكَ البُخَارِيْ ثم يَتْلُوهُ مُسْلِمُ

وَعَنْ سَعْدِ بنِ عُبادَةَ – رِضَي اللهُ عَنْهُ – قالْ: قالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ إِمْرِىءٍ يَقْرَأُ القرآنَ ثُمَّ يَنْساهُ إِلَّا لَقِيَ الله يَوْمَ القِيامَةِ أَجْذَمْ» رواهُ أبو داوُد.

وَعَنْ أبي مُوْسَى الأشْعَرِي – رِضْيَ اللهُ عَنْهُ – عَنْ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قَالْ: «تَعَاهَدُوا هَذَا القرآنْ – فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهْ – لَهْوَ أشَدَّ تَفَلّتاً من الإِبِلِ مِنْ عُقُلِهَا» رَواهُ البخاري ومسلمَ، وعن ابن عُمَر – رِضِيْ الله عنْهُما – أنَّ رسولَ الله ﷺ قالْ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ القُرآنِ كَمَثَلِ الإِبلِ المُعَلَّقَةْ إن عَاهَدَ عِلَيْها أمْسَكَهَا وإِنْ أطْلَقَها ذَهَبَتْ» متفق عليه.

قال ابنُ عباس – رضي اللهُ عَنْهُما – تَكَفَّلَ الله لِمَنْ قَرَأَ القُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فيه أنْ لَّا يَضِلَّ في الدُّنْيا وَلَا يَشْقَى في الآخِرَةِ، ثُمَّ قَرَأَ قَولَهُ تَعالى: ﴿فَإِمَّا يأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدَيٌّ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أعْرَضَ عَن ذِكري فَإِنَّ لَهُ مَعِيْشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القيامَةِ أعمى قالَ رَبِّ لِمَا حَشَرْتَنِي أعْمَى، وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرا قال كذَلِكَ أتَتْك آياتُنا فَنَسِيتَها وكذَلِكَ اليومَ تُنْسَى﴾ أهـ.

وَرَوَىٰ أنسٌ – رِضْيَ اللهُ عَنْهُ – أنَّ النبيَّ ﷺ قالْ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أجُورَ أمَّتي حَتَّى الْقِذاةَ يُخْرِجُها الرَّجُلُ مِنَ المسجدِ وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبَ أمتي فلمْ أرَ ذَنْباً أعْظَمَ مِنْ سُوْرَة مِن القرآنِ أَوْ آيَةٍ أوْتِيهَا الرَّجُلَ ثُمَّ نَسِيَها» ويا للأَسفِ اسْتَبْدَلُوا الخَبِيْثَ بالطَّيِّبِ أكَبُّوا على الجَرَائِدِ والمجَلّاتِ والكُتُبِ الخَلِيعَاتِ بَدَلَ تِلَاوَةِ كتابِ الله فَلا حَوْلَ ولا قُوةَ إِلَّا باللهِ العلي العظيم، وهو حَسْبُنَا ونِعْمَ الوكِيْل.

شِعْرًا: قَدْ بَلَــوتُ النَّــاسَ حَتَّـــى ... لَم أَجِـــدْ شخْصاً أَمِيْنَـــا
وانْتَـــهَتْ حَالي إِلـــــى أَنْ ... صِرْتُ في البَـيْتِ حَزِيْنَـــا
أَمْـــدَحُ الوَحْـــدَةَ حِيْنـــاً ... وَأَذُمُّ الجَمْـــعَ حِيْنَـــا
إِنَّمَـــا السَّالِـــمُ مَنْ لَمْ ... يَتَّخِـــذْ خَلْقـــاً قَرِيْنَـــا

وَفِي الحديثِ الذي رَوَاهُ الترمِذِيُ وَغَيْرُه عَنْ عَلِيْ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالْ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّها ستَكُونُ فِتَنٌ، قُلْتُ: فَمَا المُخْرِجُ مِنْهَا يارَسُولَ اللهِ؟ قالَ: كِتَابُ اللهِ فيْهِ نبأ ما قبلكم وَخَبَرُ ما بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ ما بَيْنَكُمْ، هُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بالهَزْلِ مِنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى في غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ المَتِيْنُ وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيْم وَهُوَ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْم، وَهُوَ الذِي لَا تَزِيْغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسُنُ، ولا تَنْقَضِيْ عَجَائِبُهُ ولا تَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَآءُ مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دَعَى إِلَيْهِ هُدِيَ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ». واللهُ أعلم وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ وسلم.

«**فَصْلٌ**»: إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فاعْلَمْ أَنَّ القرآنِ قَدْ بُيِّنَ فِيهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ العِبادَ مِن أُصُوْلِ الدِّيْنِ وفُروعِهِ وأحكام الدَّارَيْنِ حَتَّى أَنَّهُ تَعَالَى يُثَنِّيْ الأُمُورَ الكِبَارَ الَّتِي يَحْتَاجُ القَلْبُ لِمُرُورِهَا عليهِ كُلَّ وَقْتٍ وإِعَادَتِهَا في كلِّ سَاعَةٍ بألفاظٍ مُخْتَلِفَةٍ وأدلةٍ مُتَنَزِّعَةٍ لِتَسْتَقِرَّ في القلوبْ.

قَالَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿وأنْزَلنا إِلَيْكَ الذِّكْر لِتُبَيِّن لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وَقَالَ: ﴿وأنزلنا عليك الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ وقالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيْلاً﴾ فَفِيْهِ بَيَانٌ الحلالِ والحرامِ والثَّوابَ والعِقَابِ وَهُدىً مِن الضَّلَالَةِ رَحْمَةً لِمَنْ صَدَّقَ بِهِ وَعَمِلَ فِيهِ وَحَكَّمَهُ في الدَّقِيْقِ والْجَلِيْلِ والوَيْلُ لِمَنْ رَجَعَ إِلى القَوانِينِ وَتَرَكَهُ فكُلُّ حُكْمٍ سِوَى حُكْمِ اللهِ فَهُوَ باطِلٌ مَرْدُود وَكُلُّ حَاكِمٍ بِغَيْرِ حُكْمِهِ وَحُكْمِ رَسُوْلِهِ فَهُوَ طَاغُوْتٌ

كَافِرٍ باللهِ وَمَا أَكْثَرَهم في هذا الزمَنِ، المُحَكِّمِيْنَ لِلْقَوانِيْنَ الْوَضْعِيَّةِ والأَنْظِمَةِ الحَالِيَّةِ.

قال اللهُ تَعالَى: ﴿وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فأولئِكَ هُمُ الكافِرون﴾ وَهَذَا عامٌ شَامِلٌ فَمَا مِنْ قَضيَّةٍ إِلَّا وَلِلَّهِ فِيْهَا حُكْم، قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا في الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لكم دينَكُمْ وأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعمتي﴾، فَهَذِه الآيةُ الجَلِيْلَةُ القَدْرِ عَظِيْمَةُ الموقِعْ كَبِيْرَةُ الفَائِدَةِ حَسنَةُ المغْزَى اخْتارَهَا الرَّبُّ سبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِيَخْتِمَ بِهَا كِتَابَهُ الكَرِيْمَ وَوَحْيَهُ المعْجِزَ وأحكامَ شَرِيْعَتِهِ السَّمْحَةِ وَدِيْنَهُ الحَنِيْفْ.

وَمِنْ مَزَايَا هَذِهِ الآيةِ الكَرِيْمَةِ الَّتِي انْفَرَدَتْ بِهَا عَمَّا بَقِيَ مِنْ السُّوَرُ والآياتِ أَنَّ الله أَكْمَلَ بِهَا الدِّيْنَ بِمَعْرِفَةِ الأَحْكَامِ الشَّرعِيَةِ، مِن الفرائِضِ والسُّنَنِ والحُدودِ والأحكامِ وَالحلالِ والحرامِ وَلَمْ يَنْزِلُ بَعْدَهَا حلالٌ ولَا حَرَامٌ ولَا شَيْءٌ مِنَ الفَرائِض وأتمّ بِهَا النعمَةُ على عِبَادِهِ المؤمنينَ بهدايَتِهِم لِأَحكامِهِ وتَوْفِيْقِهِم لِمَعْرِفَةِ أمرِهِ ونَهْيِهِ وحلالِهِ وحَرَامِهِ وانجازِهِ سُبْحَانَهُ ما وَعَدَهُمْ بِهِ في قولِهِ: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُم﴾.

فَكَانَ مِنْ تَمامِ نِعْمَتِهِ أَنْ دَخلُوا مَكَّةَ آمِنِيْنَ مُطَمئِنِيْنَ لَمْ يُخَالِطْهُمْ أحدٌ مِن المشْرِكِيْنَ وأَنَّهُ سُبْحَانَهُ اخْتَارَ لِهَذِهِ الأُمَّةَ دِيْنَ الإسلام ومِلَّةَ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السلامُ عن الأَدْيَانِ كُلِّهَا بَياناً لِشَرَفِ هَذَا الدِّيْنِ واعْتِنَاءً بِأُمَّةِ مُحَمَّد ﷺ وَحَسْبُنا مِن ذَلِكَ قولُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِند اللهِ الإِسلامُ﴾ وَقَولُهُ تَعالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسلامِ ديناً فلن يُقْبَلِ مِنهُ وهْوَ فِي الآخِرَةِ من الخاسِرين﴾.

وَهَذَا ما دَعَا كعبُ الأحبارُ وذَلِكَ قَبْلَ أَنّ يُسْلِمَ وكانَ مَعَهُ نفرٌ مِن اليهودِ أن يقول لِخليفةِ المسلمينَ عُمَرَ بنِ الخطابِ رضي اللهُ عَنْهُ: يا أمير المؤمنينَ آيةٌ في كِتابكم تقْرؤنَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليهودِ نَزَلَتْ لاتَّخذْنَاها عِيْاً وأقمْنا لَها مُحْتَفَلاً في كل عامٍ نُجَدِّدُ ذِكراها ونَتَدَارَسُ فَضَائِلَهَا الكثيرةِ وذِكْرَيَاتِهَا العَطِرَةِ.

فَيَبْتَدِرُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رِضْيِ اللهُ عَنْهُ قَائلاً : أيُ آيةٍ هِي ، قَال كَعْبُ : ﴿ اليَوْمَ أكملتُ لكم دِينَكُم وأتْمَمْتُ عليْكُمْ نِعْمَتِي ورضِيْتُ لكُمُ الإسْلَامَ دينا ﴾ فيُجِيْبُهُ أميرُ المؤمنينَ بِكُلِّ تَؤُدَةٍ وَسَكِيْنَةٍ قائِلاً : قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ والمكانَ الذي نَزَلَت فيهِ على النبيّ ﷺ وَهْوَ قائمٌ بعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ ، وفي روايةِ اسحاقَ بنِ قبيصَة نَزَلَتْ يَوْمَ جُمُعَةٍ يَوْمَ عَرَفَةَ وكِلَاهُمَا بحَمْدِ اللهِ لَنَا عَيْدَاً . أهـ .

وَمِنَ الأدلَةِ على وُجُوبِ الرُّجوعِ إلى الكِتَابِ والسَّنةِ عِنْدَ التَّحَاكُمِ ما يلي :

قَالَ تَعَالى : ﴿وَنَزَّلنا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِ شَيْءٍ﴾ .

وقَالَ تَعَالى : ﴿فإنْ تَنَازَعْتُم في شيءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرسولِ إنْ كُنْتُمْ تُؤمِنُونَ باللهِ﴾ الآية .

وقَالَ تَعَالَى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فَيْمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية .

وقَالَ تَعَالى : ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إليكُمْ مِن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُوْنِهِ أوْلِيَاءَ﴾ الآية .

وقَالَ ﷺ : « تَركْتُكُمْ على الْمَحَجَّةِ البَيْضَاءِ لَيْلُها كَنَهارِهَا ، لَا يَزِيْغُ عَنْهَا بَعْدِيْ إِلَّا هَالكٌ » وقَال فِيْمَا صَحَّ عنه : « مَا بُعِثَ مِن نَبيَّ إلَّا كَانَ حقاً عَلَيْه أنْ يَدُلَّ أمَّتَهُ على خَيْرِ ما يَعْلَمَهُ لهُمْ وَيَنْهَاهُمْ عنْ شَرِّ مَا يَعْلَمَهُ لَهُمْ » وقال أبو ذَرْ : لَقَدْ تُوُفِّي رسولُ اللهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ في السَّماءِ إلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمَا .

ولا شَكَّ أنَّ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ كِتَابِ اللهِ وَسنَّةَ رَسُوْلِهِ وَاعْتَاضَ عَنْهُمَا بالقَوانِيْنِ الوضْعِيَّةِ أنَّهُ كافِرٌ كُفْرٌ نَاقِلٌ عَنِ المِلَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَكَذَا مَنِ اسْتَهْزَأَ بالقُرْآنِ أَوْ طَلَبَ تَنَاقُضَهُ أَوْ دَعْوَى أَنَّهُ مُخْتَلِفٌ أَوْ مَخْتَلِقٌ أَوْ أَثْبَتَ شَيْئاً نَفَاهُ القُرْآنُ أَوْ نَفَا ما أَثْبَتَهُ القُرْآنُ فَقَدْ كَفَرَ . قَالَ تَعَالَى : ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ على أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذا القُرْآنِ لا يأتُون بِمِثْلِهِ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَلَوْ كَانَ

مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فيهِ إِخْتِلَافاً كَثِيْراً﴾، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ في أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنَ القُرْآنِ سُوْرَةً أَوْ آيَةً أَوْ كَلِمَةً أَوْ حَرْفاً مُتَّفَقاً عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَقَالَ عَلِيٌّ: مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ.

وَكَذَا مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيْعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَمَا وسِعَ الخضْرُ الخروجُ عن شَرِيْعَةِ مُوسى، أَوْ زَعَمَ أنَّ هَدْيَ غيرِ مُحَمَّدٍ أفْضَلُ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ أَوْ أَحْسَنْ؛ أوْ زَعَمَ أَنَّهُ لا يَسَعُ النَّاسَ في مِثْلِ هَذِهِ العُصُورِ إِلَّا الخروجُ عن الشريعةِ، وأنَّها كانَتْ كافيةً في الزَّمَانِ الأوَّلِ فَقَطْ وأمَّا في هَذِهِ الأَزْمِنَةِ فَالشَّرِيْعَةُ لا تُسَايرُ الزَّمَنَ ولا بُدَّ مِن تَنْظِيْمِ قوانِيْنَ بِمَا يُنَاسِبُ الزَّمَنُ، فَلَا شَكَّ أنَّ هَذَا الأعْتِقَادِ إِذَا صَدَرَ مِنْ إِنْسَانٍ فإِنَّهُ قَدْ اسْتَهَانَ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةُ رسولِهِ ﷺ وتَنَقَّصَهُمَا، وَلَا شَكَّ في كُفرِهِ وخُروجِهِ مِن الدِّيْنَ الإسلامِي بالْكُلِّيَّة.

وكَذَلِكَ مَنْ زَعَمَ أنَّهُ مُحْتَاج لِلشَّرِيعَةِ في عِلْمِ الظَّاهِرِ دُوْنَ الْبَاطِنْ، أَوْ في عِلْمِ البَّاطِنِ فَقَطْ أَوْ في عِلْمِ الشَّرِيْعَةِ دُوْنَ عِلْمِ الْحَقِيْقَةِ أوْ أنَّ هَذِهِ الشَّرَائِعِ غَيْرَ مَنْسُوخَةٍ بِدِينِ مُحَمَّدٍ، أَوْ إِسْتَهَانَ بِدِينِ الإِسْلَامِ، أَوْ تَنَقَّصَهُ أوْ هَزَلِ بِهِ أوْ بِشَيْءٍ مِن شَرَائِعِهِ أوْ بِمَنْ جَاءَ بِهِ وَكَذَلِكَ الْحَق بَعْضُ العُلَمَاءِ الأسْتِهْانَةِ بِحَمَلَتِهِ لِأَجْلِ حَمْلِهِ فَهَذِهِ الأمورُ كُلُّهَا كُفْرٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُون، لَاتَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ﴾.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِليه القَوْم وأَيْقِظْنَا مِن سِنةِ الغَفْلَةِ والنَّوم وأرزقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ اليَوْمِ الذي يَرْبَحُ فيه المُتَّقونَ، اللَّهُمَّ وعامِلنا بإِحْسَانِكَ وَجُدْ علينا بِفَضْلِكَ وامْتِنَانِكَ واجْعَلْنَا مِن عِبادِكَ الذين لا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، اللَّهُمَّ أرحم ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ واجْعَلْ رَغْبَتَنَا فِيما لَدَيْكَ، وَلَا تَحْرمنا بذُنوبنا، ولا تَطْرُدْنَا بعُيوبِنا، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ

مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« فَصْلٌ »

وَقَالَ فِي تَحْذِيرِ أَهْلِ الأيمانِ عَنِ الحُكْمِ بِغيرِ مَا أَنْزَلَ الرحْمَنُ بَعْدَ سِيَاقِهِ لِقَولِ اللهِ تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلى الذينَ يَزْعُمُونَ أنهم آمنوا بما أُنْزِلَ إِليكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ الآيتين: ثُمَّ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي القرآنِ المَجيدِ فِي الزَّجْرِ عَنِ اتِّبَاعِ القَوانينِ البَشَرِيَّةِ غَيْرُ هَذِهِ الآيةِ الكَرِيْمَةِ لَكَفَتْ العَاقِلَ اللَّبِيْبَ الذي أُوتِيَ رُشْدَهُ وأَهَمَّهُ صَلاحُ قَلْبِهِ عَنْ تَطَلُّبِ غَيْرِهَا فَكَيْفَ والْقُرْآنِ كُلُّهُ يَدْعُوْ إلى تَحْكِيْمِ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَعَدَمِ تَحْكِيْمِ مَا عَدَاهُ إِمَّا تَصْرِيْحاً وإِمَّا تَلْوِيْحاً وَلَهُ جَاهَدَ وَيُجَاهِدُ مَنْ عِبَادِ اللهِ المُتَّقِيْنَ مِنْ لَدُنْ بُعِثَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وآلِهِ وسَلَّمَ إلى يومِ تَقُومُ السَّاعَةِ.

وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قالْ لَا تَزَالُ طَائِفَةُ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ على الحقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا خِلَافُ مَن خَالَفَهُمْ حتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وأنّهُ قالَ لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ، فَعَلِمْنَا بِذَلِكَ أَنَّ مِنَ المُمْتَنِعُ بِالسَّمْعِ أَنْ يَتَمَالأَ العَالَمُ كُلُّهُمْ شَرْقاً مِن أُمَّةِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ عَلى اتِّبَاعِ القَوانينَ البَشَرِيَّةِ وَعَدَمِ الْمُبَالَاةِ بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ بَلْ لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيْهِمْ وَلَو واحدٌ يُنْكِرُ عَلَى هَؤُلاءِ الْكُلِّ إِمَّا بِلِسَانِهِ انْ أَمْكَنَهُ ذَلِكَ وَلَمْ يَفْتِكُوا بِهِ وأَمَّا بِقَلْبِهِ وَظَنَّ الفَتْكَ بِهِ كَمَا قَدْ كَانَ أيامَ الأَسْتِبْدَادِ.

والْغَرَضُ بَيَانُ أَنَّ طَائِفَةً عَلَى الْحَقِّ لَا تَزَالُ تُقَاتِلُ وَتُجَاهِدُ عَلَى تَحْكِيمِ مَا أَنْزَلَ اللهُ باللسَّانِ والْبَيانِ والبَدَنِ والسِّنَانِ والمالِ وكلِّ مُمْكِنٍ لِنَوْعِ الإنسانِ وأَنَّ بِهِ يِتِمُّ نِظَامُ العَدْلِ والمُلْكِ والدِيْنِ والدُّنيا وبه يَسْتَقِيمُ أَمْرُ المَعاشِ والمَعَادِ وتَكْمُلُ لَهُمُ الرَّاحَةُ والأَمْنُ والحُرِّيَةُ التَّامةُ والسِّيَاسَةُ العَامةُ لِجَمِيعِ المِلَلِ والرَّعَايَا المُخْتَلِفَةِ الأَصْنَافِ والأَلْسِنةِ والأَمزِجَةِ.

وَمَنْ شَكَّ في هَذا فَلْيَنْظُرِ الفَرْقَ بَيْنَ حَالِ الإِسْلامِ في هذه القُرونِ المُتَأَخِّرَةِ الَّتِي عُطِّلَتْ فِيهَا حُدُودُ الشَّرِيْعَةِ وأَحْكامُهَا وحالِهِ في القُرُوْنِ المُتَقَدِّمَةَ الَّتِي مَا كَانَتْ عَلَى شَيءٍ أَحْفَظُ مِنْهَا عَلَى أَحْكامِ الشَّرِيعَةِ وأَرْعَى لهَا يَجِدِ الْفَرقَ كَمَا بَيْنَ الثَّرى والثُّرَيَّا وَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرضِ وَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرضِ وَكَمَا قالَ الشَّاعرُ:

نَزَلُوا بِمَكَّةَ في قَبَائِلِ هَاشِمٍ وَنَزَلْتُ بالْبَيْدَاءِ أَبْعَدَ مَنْزِلِ

أَلَا تَرَى أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللهُ عنهم بَعدَ وفاةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ فَتَحوا مَا فَتَحوا مِنْ أَقَالِيمِ البُلْدَانِ ونَشَرُوا الإِسْلامَ والايمان والقُرآنِ في مُدَّةِ نَحْوِ مِائةِ سَنَةٍ مَعَ قِلَّةِ عَدَدِ المُسْلِمين وَعُدَدِهِمْ وَضِيْقِ ذَاتِ يدِهِمْ وَنَحْنُ مَعَ كَثْرَةِ عُدَدِنَا وَوَفْرَةِ عَدَدِنَا وَهَائِلِ ثرْوَتِنَا وَطائِلِ قوَّتِنَا لَا نَزْدَادُ إِلَّا ضُعْفاً وَتقَهْقُراً إلى الوَرى وَذُلًّا وَحَقَارَةً في عيُونِ الأَعداءِ ذَلِكَ لِأَن مَنْ لا يَنْصُرُ دِينَ اللهِ لا يَنْصُرُهُ اللهُ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿**يا أَيُّها الذينَ آمَنوا إِنْ تَنْصُروا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامكم**﴾ فَرَتَّبَ نَصْرَهم على نَصْرِه بإِقامَةِ طَاعَتِهِ وَطاعَةِ رَسُوْلِهْ.

وَقالَ شَيْخُ الإِسْلامَ رَحِمَه اللهُ على قَولِه تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُم ثُمَّ لا يَجِدُوا في أَنْفُسِهِم حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيْماً**﴾.

فَمَنْ لَمْ يَلْتَزِمْ تَحْكِيمِ اللهِ وَرَسُولِهِ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهم فَقَدْ أَقْسَمَ سُبْحَانَه بِنَفْسِهِ أَنَّ لا يُؤْمِنُوا. وأَمَّا مَنْ كَانَ مُلْتَزِماً لِحُكْمِ اللهِ وَرَسُولِهِ ظاهِراً وباطناً لِكنْ عَصَى واتَّبع هَوَاهُ فَهذَا بِمَنْزِلةِ أَمْثالِهِ من العُصَاةْ فَمَنْ لَمْ يَلْتَزِمْ حُكْمَ اللهِ ورَسْولِه فَهُوَ كَافِرُ وهَذَا واجُبٌ على الأُمةِ في كلِّ مَا تَنازَعَا فيهِ مِن الأُمورِ الاعْتِقَادِيةِ والعَمَلِيّةِ.

فالأُمورُ المُشْتَرَكَةُ بَيْنَ الأمُةِ لَا يُحْكَمُ فِيْها إِلَّا بالكُتَابِ والسُّنة لَيسَ لأَحَدٍ

أنْ يُلْزِمَ النَّاسَ بِقَولِ عالِم ولَا أميرٍ ولا شَيْخٍ ولا مَلِكٍ وَحُكَّامُ المسلمينَ في الأمُورِ المُعَيَّنِةِ لا يَحْكُمونَ في الأمورِ الكُلِّيةِ وإذَا حكموا في المُعينَاتِ فعليهِمْ إنْ يَحْكمُوا بِمَا في كِتابِ اللهِ فإنْ لَمْ يكُنْ فَبِمَا في سُنَّةَ رسولِ اللهِ فإنْ لَمْ يَجدُوا اجْتَهَدَ الحاكمُ برأيه .. إنتهى.

لِأنَّهُ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذاً إلى اليمنِ قالَ بِمَ تَحْكُمْ، قالَ بكتابِ اللهِ فإنْ لَمْ تَجدْ قَالَ بسنةِ رسولِ اللهِ ﷺ قَالَ فإنْ لَمْ تَجدْ قَالَ أَجْتَهِدُ رَأْيِي. قالَ الحمدُ للهِ الذي وَفَّق رَسُولَ اللهِ ﷺ لِمَا يرْضِي رسولَ اللهِ ﷺ.

وفي كِتَابِ عُمْرَ بنُ عبدالعزيزِ إلى عُروَة كَتَبْتَ إليَّ تَسْأَلُنِي عن القضاءِ بين الناسِ وإنَّ رأسَ القْضَاءِ اتِّباعُ ما في كِتاب اللهِ ثم القْضَاءُ بسُنَّةِ رَسُولَ اللهِ ﷺ ثمَّ بِحُكمِ أَئِمَّة الهُدَى ثم اسْتِشَارَةِ ذَوِي العلمِ والرَّأي وَذُكِرَ عَنْ سُفْيانَ ابنُ عُيَيّنَة قالْ كانَ ابنُ شُبْرُمَةَ يقولَ:

ما في القْضَاءِ شَفَاعَةٌ لِمُخاصِمٍ   عِنْد اللِّبيبِ ولا الفَقْيهِ العالِمِ
هَونْ عَلَّي إِذَا قَضَيْتُ بِسُنَّـةٍ   أَوْ بِالكِتَابِ بِرَغْمِ أَنْفِ الرَّاغِمِ
وَقَضيْتُ فِيْمَا لَمْ أَجِدْ أَثَراً بِهِ   بِنَظَائِـرٍ مَعْرُوْفَـةٍ وَمَعَالِـمِ

وَعَنْ بنُ وَهْبِ قَالْ: قَالَ مالِكُ الحُكْمُ حُكْمَانْ حُكْمٌ جَاءَ بِهِ كِتَابِ اللهِ وحُكْمُ أَحْكَمَتَّهُ السُّنَّة قالَ وَمُجْتِهدٌ رَأْيَهُ فَلَعَلَّهُ يُوفقْ.

وقالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهْ: على قَولِهِ تَعالى ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ الآية:
فأقْسَمَ سُبْحَانه بِأَجلِّ مُقْسَم بِهِ وَهْوُ بَفْسُهُ عَزَّ وَجَلْ عَلَى أَنَّه لَا يَثْبُتُ لَهمُ إيْمَانَ وَلَا يَكونُونَ مِنْ أهْلِهِ حَتَّى يُحَكِّمِوا الرَّسُولَ ﷺ في جميعِ مَوارِدِ النزّاعِ في جميعِ أبْوابِ الدِّين فإنَّ لَفْظَةَ (مَا) مِنْ صيغِ العموم تَقْتَضي نَفْيَ الإيمَانِ أوْ يُوجَدَ تَحْكَيمُه في جميعِ مَا شَجَر بَيْنَهُمْ.

وَلَمْ يَقْتَصر على هَذا حَتَّى ضَمَّ إليهِ انْشَراحُ صُدُورِهم بِحُكْمِه حَيْثُ لا

يَجِدُونَ في أَنْفسِهِم حَرَجاً وَهْو الضِّيْقُ والحَصْرُ مِنْ حُكْمِهْ بَلْ يَقبلُوا حُكْمَهُ بالانْشِرَاحِ وَيُقَابِلُوهُ بالتَّسْلِيمِ لا أَنَّهُمْ يأخُذُونَهُ على إِغْمَاضٍ وَيَشْرَبُونَ على قَذَيٍّ فإنَّ هذا مُنَافٍ للإِيْمَان بَلْ لَابدُ أنْ يَكونَ أَخْذُهُ بِقَبولٍ ورِضَا وانْشِرَاحِ صُدُورٍ.

ومَتَى أرادَ العَبْدُ أن يَعْلَم هَذا فَلْيَنَظُر في حالِهِ وَيُطَالِعَهُ في قَلْبِهِ عِند وُرُودِ حُكْمِهِ عَلى خِلافِ هَواهُ وغَرضِهِ فَسُبْحَان اللهِ كَمْ مِنَ حَزَازَةٍ في نفُوسِ كَثيرٍ مِن الناسِ مِنْ كِثيرٍ منَ النَّصوصِ وَبِودِّهِمْ أن لَو لَمْ يَرِدْ وَكَمْ مِنْ حَرَارَةٍ في أَكْبَادِهِم مِنْها وَكَمْ مِن شَجَيٍّ في حُلُوقِهِم مِنْهَا ومِنْ مُوْرِدَها سَتَبْدُو لَهَمْ تِلْكَ السَّرائِرُ بالذي يَسُوءُ وَيخْزِي يَومَ تُبْلى السَّرائِر.

ثُمَّ لَمْ يَقْتَصِرُ سُبْحَانَهُ على ذَلِكَ حتَّى ضَمَّ إليهِ قَولَه تَعالى: ﴿**وَيُسَلِّموا تسليماً**﴾ فذكرَ الفِعْلَ مُؤَكَّداً بِمَصْدرِهِ القائِم مَقَامَ ذِكْرِهِ مَرَّتَين وَهُوَ الخُضُوعُ لَهُ والانقيادُ لِمَا حَكَمَ بِهِ طَوْعاً وَرِضَاً وتسليماً لا قَهْراً ومُصَابَرَةً كَمَا يُسَلِمُ المقهُوُرُ لِمنْ قَهَرَهُ كُرْهاً بَلْ تَسْلِيمَ عَبْدٍ مُطيعٍ لِمَوْلَاهُ وسَيِّدِهِ الذي هُو أَحَبُّ شيءِ إليهِ يَعلَمُ أنّ سَعادَتَهُ وَفلاحَهَ في تَسْلِيمِهِ إليه وَيْعلمُ بأنَّه أَوْلى بِهِ من نَفْسِهِ وأَبَّر بِهِ مِنْهَا وأرْحَمُ بِهِ مِنْها وأنْصَحَ لَهُ مِنَها وأَعْلَمَ بِمَصالِحِهِ منها وأقدَرَ على تَخلِيصِها.

وأَمَّلْ لهذَا المعني المذكُورِ في الآيَةِ بوجُوهٍ عَديدَةٍ من التَّأْكِيدِ أولها تصديرُها بالقسم يَتضَمَّن المُقْسَمَ عليه وهو قوله لا يظمنون، وثانيها: تأكيده بنفَسْ القسم، وثالثها: تأْكيده بالمُقْسَمِ بِهِ وَهو إقْسامهُ بِنَفَسِه لا بشيَءٍ مِن مَخْلُوقَاتِه، ورَابعاً: تأْكِيْدُه بانتِفاءِ الحَرَجِ وَهُوَ وُجُودُ التَّسْلِيْم، وخامُسُها: تَأْكِيْدُ الفِعْلِ بالْمصْدرِ ومَا هَذا إلا لِشِدَّة الحاجةِ إلى هذا الأَمْرِ العَظِيْمِ وأَنَّه مِمَّا يُعْتَنَى بِهِ وَيُقَرَّرُ في نُفُوسِ العِبَادِ. والله أعلم وصلى الله على محمد وآلِهِ وصحبه وسلم.

«فَصْــلٌ»

وقال رَحِمَهُ اللهُ: لَمَّا أعْرَض النَّـاسُ عَن تَحْكيـمِ الكِتَـابِ والسُّنـةِ والمُحَاكَمَةِ إلَيْهِمَا واعْتَقَدُوْا عَدمَ الاكْتِفاءِ بِهمَا وَعَدلوا إلى الآراءِ والقياسِ والاسْتِحسَانِ وأقوَالِ أهل الآراءِ عَرَضَ لهَمْ مِن ذَلِكَ فَسادٌ في فِطَرِهِمْ وظُلْمَة في قُلُوبِهم وكَدَرٍ في أفْهامِهِم وَمحْقٍ في عُقُولِهِم فَعَمَّتْهمُ هذهِ الأمُوُرُ وغَلَبَتْ عَليْهِمْ حَتَّى رَبَى فِيها الصَّغيرُ وَهَرِمَ عَليْها الكبيرُ فلمْ يَرَوْها مُنْكراً.

فَجَاءَتهمْ دَوْلَةٌ أُخْرَى أَقَامَتْ فِيها الْبِدَعَ مَقَامَ السُّنَنِ والْهَوى مَقَامَ الرُّشْدِ والضَّلَالَ مَقَامَ الهِدَايَةِ والمُنكرَ مَقَامَ المعْرُوفِ والجَهْلَ مَقَامَ العلْمِ والرِّياءَ مقامَ النَّصِيْحَةِ والظُلمَ مَقامَ العَدْلِ فَصَارَتْ الدَّولَةُ والْغَلَبَةُ لِهذِهِ الأُمور وأهْلُها هُمُ المُشارُ إليهم.

فإذَا رَأَيْتَ هَذِهِ الأُمُورَ قَدْ أقْبَلَت ورَاياتَها قَدْ نُصِبَتْ وجُيُوشَهَا قَدْ رّكِبَت فَبْطنُ الأَرض واللهِ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرها وَقُلل الجبالِ خَيْرٌ مِن السُّهولِ ومُخَالَطَة الوَحْش أسْلمُ مِنْ مُخَالَطَةِ النَّاسِ.

اقْشَعَرَّتِ الأَرضُ وأظْلَمَتِ ا لسَّماءُ وَظَهر الْفَسَادُ في البرِّ والبَحْرِ مْنِ ظُلم الفَجَرَةِ وَذَهَبَتْ البَرَكَاتُ وَقلّتِ الخيْراتَ وَهزلَتِ الْوحْشُ وتَكَدَّرْتِ الْحَيَاةُ مِنَ فِسْقِ الظَّلَمةِ وبَكَى ضَوءُ النَّهارِ وظُلْمَةَ الليَّل مِنْ الأعمَالِ الخَبيْثَةِ والأَفْعَالِ الفِظيْعةِ وشَكَا الكرامُ الكَتابُونَ وَالمُعَقّباتُ إلى رَبِّهمْ مِنْ كَثْرَةِ الفواحِشِ وَغَلَبَةِ المُنْكَراتِ والقَبَائِحْ.

وَهَذَا واللهِ مُنْذِرُ بِسَيْلِ عَذَابٍ قَدْ انْعَقَدَ غَمَامُهُ وَمُؤْذِنٌ بَليْلٍ قَدْ ادْلَهَمَّ ظَلامُهُ فَاعْزِلوا عَنْ طَرِيقِ هذا السَّيْلُ بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ مَادَامتِ التَّوبَةُ مُمْكِنَةٌ وبَابُها مَفْتوحاً وكَأَنَّكُمْ بِالْبَابِ وَقَدْ أُغْلِقْ وَبالرَّهْنِ وَقَدْ غَلِقَ وبَالِجَنَاحِ وَقَدْ عَلِقَ وَسَيَعْلَمُ الذين ظَلمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونْ.

وَقَالَ: واللهِ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا لَعَلَى سَبِيْلِ العَفْوِ والغُفْرَانِ
لَكِنَّمَا أَخْشَى انْسِلاخَ القَلْبِ مِنْ تَحْكِيْمِ هَذَا الْوَحْيِ والقُرْآنِ
وَرِضاً بِآرَاءِ الرِّجَالِ وخَرْصِهَا لَا كَانَ ذاكَ بِمِنَّةِ الْمَنَّانِ
فَبِأَيِّ وَجْهٍ أَلْتَقِيْ رَبِّي إذا أعْرَضْتُ عَنْ ذا الوَحْيِ طُولَ زَمَانِ
وَعَزَلْتُهُ عَمَّا أُرِيْدُ لِأَجْلِهِ عَزْلاً حَقِيْقِياً بلَا كِتْمَانِ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا في الحَلالِ مِن رِزْقِكَ ولَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وأَفْضَل مَن رَجَاهُ راجٍ يا قاضِي الحاجاتِ ومُجِيْبَ الدَّعواتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيْمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوائِجَ السَّائِلين ويَعْلَمُ ما فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحمدٍ وآلِهِ أجمعين.

«فصل في ذكر طرق مما حدث في بعض السنين من الأزبية والأمراض»

أَجْدَبَتِ الأرضُ في سنةِ ثماني عشرة فكانت الريحُ تسقِي تُراباً كالرماد فسُمِي عامَ الرمادة وجعلتِ الوحُوشُ تأْوِي إلى الإنس فآلَى عُمَرُ ألا يَذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيى الناسُ واستسقَى بالعباس فَسُقُوا.

وفيها كان طاعون عَموَاسٍ ماتَ فيه أبوُ عُبيدةَ ومُعَاذُ وأَنسُ وفي سنة أربع وستين وقع طاعون بالبصرة وماتَتْ أُمُ أمِيرِهِم فما وَجَدُوا مَن يحمِلَها.

وفي سنة ست وتسعين كان طاعون الجارِفُ هَلكَ في ثلاثةِ أيامٍ سَبْعُونَ ألْفاً وماتَ فيه لِأنَسٍ ثمَانُونَ ولَدَا وكانَ يموتُ أهلُ الدارِ فَيُطَيَّنُ البابُ عليهم.

وفي سنة إحدى وثلاثين ومائة ماتَ أول يوم في الطاعون سَبْعُون ألفاً وفي الثاني نَيِّفٌ وسبعون ألفا وفي الثالث خمد الناس.

وفي سنة أربع وثلاثين وثلاث مائةِ ذُبِحَ الأطفالُ وأُكِلَتِ الجِيَفُ وبيعَ العَقَارُ بِرُغْفَان واشْتَرى لِمُعِزِ الدَّوْلَة كُرٌّ بِعَشْرِينَ ألِفِ دَرهم.

وفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة أصابَ أهلَ البصرةِ حَرٌّ فكانوا يتساقطون مَوْتى في الطُرقَاتِ.

وفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة عَمَّ القُحْطُ فأكلتِ الميتةُ وبلغ المكوك من بزر البقلة سَبْعَ دَنانِير والسفرجَلَةُ والرمانةُ ديناراً والخيارةُ والليونفرةُ ديناراً وَوَرَدَ الخبرُ من مِصر بأن ثلاثةً مِن اللُّصُوص نَقَبُوا دَاراً فوُجِدُوا عندَ الصباح مَوْتَى أحَدُهم على بابِ النقبِ والثاني على رَأْسِ الَّدرَجَةِ والثالثُ على الثياب المُكَوَّرَةِ.

وفي السنة التي تليها وقعَ وَبَاءٌ فكان تحُفْرُ زِبْيةٍ لِعَشْرِيْنَ وثلاثينِ فيُلْقَونَ فِيها وتابَ الناسُ كُلُّهم وأَراقُوا الخمورَ ولزِمُوا المساجدَ.

وفي سنة ستٍ وخمسينَ وأرْبعِمائةٍ وَقَعَ الوَبَاءُ وَبَلغَ الرطلُ مِن التمرِ الهِندي أربعةَ دَنانير وفي سنة اثنتين وستين وأربعمائعة إشتد الجُوعُ والوَبَاءُ بمِصْرِ حتى أَكلَ الناسُ بَعضُهم بَعْضَا وبيع اللَّوزُ والسُكَّر بِوَزْنِ الدَّرَاهِم والبيضةُ بِعَشَرةِ قَراريط وخَرَجَ وَزِيرُ صَاحِب مِصر إليه فنزلَ عن بَغْلَتِهِ فأخَذَهَا ثلاثة فَأكَلُوهَا فصُلِبُوا فأَصْبَحَ الناسُ لا يَرَوْنَ إلا عِظَامَهُم تَحْتَ خَشَبِهِم وقد أُكِلُوا وفي سنة أربع وستين وأربعِمائة وقعَ الموتُ في الدوابِ حتى إنَّ رَاعِياً قامَ إلى الغنمِ وقْتَ الصباحِ لِيَسُوقَهَا فوجَدَوْهَا كُلَّها مَوْتَى. ذكر ذلك ابن الجوزي رحمه الله.

وفي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائةٍ وَقَعَ غَلاءٌ شَديِد ببغداد حتى أَكَلُوا الميتةَ والسنانيرَ والكلابَ وكان مِن الناس مَن يَسْرِقُ الأولادَ فَيَشْوِيْهِم ويأْكُلُهُم.

وكثُرَ الوَبَاءُ في الناس حتى كان لا يَدْفُنُ أحَدٌ أحَدَاً بَلْ يُتركُونَ على الطرق فيَأْكلُ كثيراً منهم الكلاب.

وبِيْعَةُ الدُور بالخُبْزِ وانْتَجع الناسُ إلى البَصْرة فكان منهم من ماتَ في الطريق.

وذَكَرَ رحمه الله أن في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة في جماد الأولى غَلَتِ الأسعارُ ببغداد جداً وكَثُرت الأمطارُ حتى تهدم البناء ومات كَثيرٌ مِن الناس تحتَ الهدم وتَعَطَّلَت أكثرُ المساجد مِن قلة الناس.

ونَقَصَتْ قيمةُ العَقار حتى بيع منه بالدرهم ما يُسَاوي الدينار وخَلَت الدُور وكان الدَّلالُون يُعْطُونَ مَن يَسْكنُها أجْرةً ليَحْفَظَها مِن الداخلين إليها ليُخَربُوْها.

وكَثُرَتِ الكَبْسَاتُ مِن اللُصُوص بالليل حتى كان الناس يَتَحَارسُون وكُثرتِ الفِتنُ مِن كُلِ جِهة ﴿**فإنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ أهـ.

وفي سنة ثلاثٍ وثلاثين وخمسمائة كانت زَلْزَلَةٌ عظيمةٌ بمدينةِ جَبْرَتْ فماتَ بِسَبَبِها مائتا ألف وثلاثون ألفا وصَار مكانها ماءً أسودَ عَشَرَةَ فَرَاسِخَ في مثلها.

وزُلْزِلَ أهلُ حَلَب في لَيْلَةٍ وَاحِدةٍ ثَمانِينَ مَرَّة فوضعَ السلطانُ مَحْمُودُ مُكُوساً كثيرةً عن الناس وكَثُرتِ الأدعيةُ لَهُ.

قال وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة كانت زلزلةٌ عظيمةٌ بالشام هَلَكَ بسببها خَلْقٌ كثير لا يَعلَمُهم إلا الله.

وتَهدَّمَ أكثرُ حَلَب وحَماة وشَيْزر وحِمص وكَفَر طَابَ وحِصْن الأكراد والمَعَرَّة وقَامِيَة واللاذقِيَّة وأنطاكية وطَرَابُلس.

قال: وقال ابنُ الجوزي: وأما قَامِية فَسَاخَت قَلْعَتُهَا وتل حران إنقسم قسمين فأبْدَى نَواوِيْسَ وبُيوت كثيرة في وسطه.

وتَهَدَّمَتْ أَسْوارُ أكثرِ مُدُنِ الشامِ حتى أن مَكْتَباً مِن مدينة حَماة إنْهدم على مَن فيهِ مِن الصغار فَهَلَكُوا عن آخِرهم.

وفي سنة أربع وعشرين ومأتين زلزلة فرغانة فمات فيها خمسة عشر ألفاً.

وفي السنة التي تليها رجَفَتِ الأهوازُ وتَصَدَّعَتِ الجبالُ وهَرَبَ أَهْلُ البلد إلى البحر والسفن ودامت ستة عشر يوماً.

وفي السنة التي تليها مطر أهل تيما مطراً وبرداً كالبيض فقتل به ٣٧٠ إنساناً. وسمع في ذلك صوت يقول: ارحم عبادك، اعف عن عبادك. ونظروا إلى أثرِ قَدَمٍ طولها ذراعٌ بلا أصابع وعَرْضُهَا شِبْرٌ وبين الخطوتين خمسة أذرع أو ستة. فاتبعوا الصوت فجعلوا يسمعون صوتاً ولا يرون شخصاً.

وفي سنة ٢٣٣ رجفت دمشق رجفة انقضت منها البيوت وسقطت على من فيها فمات خلق كثير. وأنكفات قرية في الغوطة على أهلها فلم ينج منهم إلا رجل واحد. وزلزلت أنطاكية فمات منها عشرون ألفا.

وفي السنة التي تليها هبت ريح شديدة لم يعهد مثلها فاتصلت نَيفاً وخمسين يوماً. وشملت بغداد والبصرة والكوفة وواسط وعبادان والأهواز، ثم ذهبت إلى همدان فأحرقت الزرع، ثم ذهبت إلى الموصل فمنعت الناس من السعي وتعطلت الأسواق، وزلزلت هراة فوقعت الدور.

وذكروا أشياء كثيرة غريبة عجيبة يطول ذكرها اقتصرنا منها على هذا الطرف اليسير الذي ربما يكون سَبَباً للاعتبار والتيقظ والرجوع إلى الله.

نسأل الله الحي القيوم العلي العظيم الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أن يوقظ قلوبنا ويستر عيوبنا ويغفر ذنوبنا ويثبتنا على قوله الثابت في الحياة الدنيا والآخرة إنه سميع قريب على كل شيء قدير.

شِعْرًا: صَرَفْتُ إلى رَبِّ الأَنَامِ مَطَالِبِي ... وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَهُ وَمَآرِبِي
إلَى المَلِكِ الأَعْلَى الذَي لَيْسَ فَوقَهُ ... مَلِيْكٌ يُرَجَّى سَيْبُهُ في الْمَتاعِبِ
إلَى الصَّمَدِ البَرِّ الذي فَاضَ جُوْدُهُ ... وعَمَّ الوَرَى طُراً بجَزْلِ المَوَاهِبِ
مُقِيْلُفِي إذَا زَلَّتْ بِيَ النَّعْلُ عَاثِراً ... وَأَسْمَحَ غَفَّارٍ وأَكْرمَ وَاهِبِ
فَمَا زَالَ يُوْلِيْني الجَمِيْلَ تَلَطُّفاً ... ويَدْفَعُ عَنِّي في صُدُورِ النَّوائِبِ
ويَرْزُقُني طِفْلاً وكَهْلاً وقَبْلَهَا ... جَنِيْناً ويحْمِيْني وَبِيَّ المكَاسِبِ

إذَا أغْلَقَ الأَمْلَاكُ دُوْنِي قُصُورَهُمْ   وَنَهْنَهَ عن غِشْيانِهِمْ زَخْرُ حَاجِبِ
فَزِعْتُ إلِىَ بَابِ المُهَيْمِنِ طَارِقاً   مُدِلاً أُنَادِي بِإِسْمِهِ غَيْرَ هَائِبِ
فَلَمْ أُلِف حُجَّاباً وَلَمْ أَخْشَ مِنْعَةً   وَلَوْ كَانَ سُؤْلِيْ فَوْقَ هَامِ الكَوَاكِبِ
كَرِيْمٌ يُلَبِي عَبْدَهُ كُلَّمَا دَعَا   نَهَاراً ولَيْلاً في الدُجَى وَالغَيَاهِبِ
سَأَسْأَلُهُ مَا شِئْتُ إنَّ يَمِيْنَهُ   تَسِحُّ دِفَاقاً باللُّهَى والرَّغَائِبِ
فَحَسْبِيَ رَبِيْ الهَرَّاهِزِ مَلْجَأً   وحِرْزاً إذا خِيْفَتْ سِهَامُ النَّوائِبِ

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَعَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا فَهَّمْتَنا، اللَّهُمَّ إنْ كُنَّا مُقَصرِّيْنَ في حِفْظ حَقِّكَ، وَالوَفَاءِ بِعَهْدِكَ، فأَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَنَا في رَجَاءِ رِفْدِكَ، وَخَالِص وُدِّكَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بنَا مِنَّا، فَبِكَمَالِ جُوْدِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ. اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إليه القَوْم وأَيْقِظْنَا مِن سِنةِ الغَفْلَةِ والنَّوم وأرزِقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ اليَوْمِ الذي يَرْبَحُ فيه المُتَّقُونَ. اللَّهُمَّ وعامِلنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ علينا بِفَضْلِكَ وامْتِنَانِكَ واجْعَلْنَا مِن عِبَادِكَ الذين لا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، اللَّهُمَّ ارحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعِلْ رَغْبَتَنَا فيمَا لَدَيْكَ، ولا تَحرمنا بِذُنوبنا، ولا تَطْرُدْنَا بعُيوبنا، اغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــلٌ»

وقَالَ الشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ إبْراهيمَ في رَدّه على مُحَكِّمي القوانينْ: انَّ مِنَ الكُفْر الأكْبَرِ المُسْتَبِينِ تَنْزِيلُ القانُونِ اللَّعِيْنِ مَنْزِلَةَ مَا نزلَ بِهِ الروحُ الأمينُ على قلبِ محمدٍ ﷺ لِيَكُونَ مِن المنذِرين بلسانٍ عربيٍ مبينٍ في الحُكْمِ بهِ بَيْن العالمينِ والرَّدِ إِليْهِ عند تَنَازُعِ المتنازِعين مَنَاقَضَةٍ ومُعَانَدَةً لِقَولِ اللهِ عَزَّ وجل ﴿فإِنَ تَنازَعْتم في شيءٍ فَرُدُوْهُ إلى اللهِ والرسولِ إنْ كُنْتُم تؤمنونَ باللهِ واليومِ الآخر ذَلِكَ خيرٌ وأحْسن تأويْلاً﴾.

وَقَدْ نفي اللهُ سُبْحَانه وتعالى الايمانَ عَنْ مَنْ لَمْ يُحَكِّمُ النَّبيَ ﷺ فِيمَا شَجَر بيْنَهِم نَفْياً مُؤكَّداً بتَكَرُّرِ أَدَاةَ النَّفْي وبالقَسَم، قالَ تعالى: ﴿فَلا وَرَبكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّموكَ فِيما شَجرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجدُوا في أَنفُسِهم حَرجاً مِمَّا قَضيْتَ ويُسَلمِّوا تَسْليماً﴾.

قَالَ وَتَأَمَّل ما في الآية الأولى وَهَي قَولُه تعالى: ﴿فإنْ تَنَازَعتُم في شيءٍ فَردُّوهُ إلى اللهِ والرسولِ﴾ الآية، كَيْفَ ذَكَرَ النَّكِرَةَ وَهِيَ قَوْلُه شَيءٍ في سِياق الشَّرطِ وَهْو قولُه جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿فإنْ تَنازَعْتُم﴾ المفيدُ العمُومِ فِيمَا يُتَصَوَّرُ التَّنازُع فِيه جِنْساً وَقَدْراً.

ثُمَّ تَأَمَّلْ كَيْفَ جَعَلَ ذَلِكَ شَرْطاً في حُصُولِ الايمانِ باللهِ واليومِ الآخر بقولِهِ: ﴿إنْ كَنُتْمُ تؤمنونَ باللهِ واليومِ الآخرِ﴾ ثُمَّ قال جَلَّ شَأْنه ذَلِكَ خيرٌ فَشَيءُ يُطْلِقُ اللهُ عليهِ أنهُ خيرٌ لا يَتطَرَّقُ إليهِ شرٌ أبَداً بَلْ هُو خيرٌ مَحْضٌ عاجِلاً وَآجِلاً.

ثُمَّ قَالْ: ﴿وأَحْسَنُ تأويلاً﴾ أيْ عَاقِبةً في الدُّنيا والآخرةِ فيُفِيدُ أنَّ الرَّدَ إلى غير الرَّسولِ ﷺ عِنْدَ التَّنازُع شَرٌّ مَحْضٌ وأسْوأ عَاقِبةً في الدُّنيا والآخرةِ عَكْسَ مَا يَقُولُهُ المنافِقُونَ ﴿إنْ أَرَدْنَا إلَّا إحْساناً وَتَوْفِيقاً﴾ وقَوْلِهم ﴿إنَّما نُحْنُ مُصْلحون﴾.

وَلِهَذا رَدَّ اللهُ عليهم قَائِلاً: ﴿ألا أنَّهم هُمُ المُفْسِدُون ولَكِنْ لا يَشْعُرون﴾ وعَكْسُ مَا يَقولُهُ القَانُونِيُّونَ مِنْ حُكْمِهم عَلَى القَانونِ بِحَاجَة العَالَم بَلْ ضَرُورَتِهم إلى التّحاكُمِ إليهِ وَهَذَا سُوءُ ظَن صِرْفٌ بِمَا جَاء بِهِ الرسول ﷺ ومَحْضُ استنقاصٍ لبيان الله ورَسوله والحكم عليه بعدم الكِفَايَةِ لِلنّاسِ عِنْد التَّنازُعُ وسَوْءِ العَاقِبَةِ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ إن هَذا لازِمٌ لهُمْ.

قالَ وقَدْ نَفَى اللهُ الايمانَ عَن مَنْ أَرادَ التحاكُم إلى غيرِ مَا جَاء بِهِ الرسولُ

ﷺ مِن المنافقينَ كَمَا قالَ تَعالى : ﴿أَلَمْ تَرى إلى الَّذينَ يَزْعُمُونَ أنَّهم آمنوا بِمَا أُنْزِلَ إليكَ وَمَا أُنزل من قَبْلِك يُريدُونَ أن يَتحاكَمُوا إلى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أمِروا أن يَكفُروا بِهِ ويريدُ الشَّيطانُ أن يَظِلَّهُمْ ظَلالاً بعيداً﴾.

فإنَّ قَوله «يَزْعُمُونَ تَكْذِيبٌ لَهُمْ فِيْمَا أَدَّعوهُ مِنَ الايْمَانِ» فإنَّه لَا يَجْتَمعُ التَّحاكُمِ إلى غَيْرِ ما جَاء بِهِ النبيُ ﷺ مَعَ الايمانِ في قَلْبِ عَبْدٍ أصْلاً بَلْ أحَدهُمَا يُنَافِي الآخَرَ والطَّاغُوتُ مُشْتَقٌ مِن الطُّغْيَانِ وَهْوَ مُجَاوَزَةُ الحَدِّ فَكُلُّ مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ الرسولُ ﷺ أوْ حَاكَمَ إلى غَيْرِ مَا جاءَ بِهِ النبيُ ﷺ فَقَدْ حَكَمَ بالطَّاغُوتِ وحَاكَمَ إليهِ وذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ حَقِّ كُلِّ أحدٍ أنْ يَكُونَ إلى خِلَافِه فَقَدْ طَغَى وَجَاوَزَ حَدَّهُ حُكْماً أوْ تَحْكِيْماً فَصَارَ بِذَلِكَ طَاغوتاً لِتَجَاوُزِهِ حَدّهْ.

قَالْ وَتَأَمَّلْ قَوْلَهَ عَزَّ وجَلَّ ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أنْ يَكْفُروا بِهِ﴾ تَعْرِفُ مِنْهُن مُعَانَدَةَ الْقَانُونِيِّينَ وإِرَادَتَهُم خِلَافَ مُرادِ الله مِنْهُم حَوْلَ هَذا الصَّدَدِ فالمُرَادُ مِنْهُم شَرْعاً والذِي تُعِبِّدُوا بِهِ هُوَ الْكُفْرُ بالطَّاغِوتِ لا تَحْكِيْمُهْ ﴿فَبَدَّلَ الذينَ ظَلموا قَوْلاً غيرَ الذي قِيلَ لَهُمْ﴾.

ثُمَّ تَأَمَّلْ قَوْلِهُ ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أنْ يُظِلَّهُمْ ظَلَالاً بَعْيداً﴾ كَيْفَ دَلَّ على أنَّ ذَلِكَ ضَلالٌ وهَؤلاءِ الْقَانُونِيُونِ يَروْنَه مِن الهُدى كَمَا دَلَّتِ الآيةُ على أنَّهُ مِن إِرَادَةِ الشَّيطَانِ عَكْسُ مَا يَتَصَوَّرَهُ الْقَانُونِيُّونَ فَتَكُونُ عَلى زَعمِهِم مُرادَاتُ الشَّيْطانِ هِي صَلاحُ الإِنْسَان وَمُرَادُ الرَّحْمَنِ وَمَا بَعَثَ بِهِ سَيِّدَ وَلَدِ عَدْنَانَ مَعْزولاً مِنْ هَذا الوصفِ وَمُنَحَّىً عنَ هذا الشَّأْن.

وَقَدْ قَالَ تَعالى مُنْكِراً عتلى هذا الضَّرْبِ مِنَ النَّاسِ وَمُقَرِّراً اِبْتِغَاءَهم أحْكَامَ الجَاهِلية ومُوَضِّحاً أنّهُ لَا حُكْمَ أحْسَنُ مِنْ حُكمِهِ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيةِ يَبْغونَ وَمَنْ أحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لقومٍ يُوقِنونْ﴾.

فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الآيَةُ الكريمَةْ وَكَيْفَ دَلَّتْ أن قِسْمَةَ الْحُكْمِ ثُنَائِيَّةْ وأنَّهُ لَيْسَ

بَعْدَ حَكْمِ اللهِ تَعالى إلَّا حُكْمَ الجاهِليةَ الْمُوضِّحُ أنَّ القانُونيّين في زُمْرَةِ أهلِ الجَاهليةَ شاؤُا أمْ أبَوا بَلْ هُمْ أسْوَأُ حالاً مِنْهُم وأكْذَبُ مِنْهُم مَقالاً ذَلِكَ أنَّ أهْلَ الجاهِليةِ لَا تَنافُسَ لَدَيْهم حولَ هَذَا الصَّدَدْ.

وأمَّا القَانُونيُّونَ فَمُتَنَاقِضُونَ حَيْثُ يَزْعُمُونَ الايْمَانَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرسولُ ﷺ وَيُنَاقِضُونَ وَيُرِيْدُونَ أنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيْلاً وَقَدْ قَالَ اللهُ في أمْثَالِ هَؤُلاءِ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الكافِرونَ حَقّاً واعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عذاباً مُهيناً﴾.

ثُمَّ انْظُر كَيْفَ رَدَّتْ هَذِهِ الآيةُ الكريمةُ على الْقَانُونيِّين مَا زَعَمُوهُ مِنْ حُسْنِ زُبَالَةِ أذْهانِهِمْ وَنُحَاتَةِ أفْكَارِهِمْ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلْ ﴿وَمَنْ أحْسَنُ مِن اللهِ حُكماً لقومٍ يُوقِنُونْ﴾.

قَالْ الحَافِظُ بنُ كَثيرٍ في تَفْسيرِ هَذِهِن الآيةْ: يُنْكِرُ تَعالى عَلى مَن خَرَجَ مِنْ حُكْمِ اللهِ المحْكَمِ المُشْتَمِلُ عَلى كُلِّ خَيْرٍ النَّاهِي عَنْ كُلِّ شَرٍ وَعَدَلَ إلى مَا سِوَاهُ في الآرَاءِ وَالأَهْوَاءِ ولْاصْطِلَاحَاتِ التي وَضَعَها الرِّجُالُ بلا مُسْتَنَدٍ مِنْ شَرِيْعَةِ اللهِ كَمَا كَانَ أهْلُ الجاهِلية يَحْكُمونَ بِهِ مِنَ الضَّلَالَاتِ والْجَهالَاتِ مِمَّا يَضَعُونَهُ بِآرَائِهِمْ وأهْوَائِهِمْ وَكَمَا يَحْكُمُ بِهِ التّتَارُ مِنَ السِّيَاسَاتِ الْملكِيّةِ التي يُقَدِّمُونَها عَلى الْحُكْمِ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّة رَسُولِهِ ﷺ.

فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهْو كَافِرٌ يَجِبُ قِتَالَهُ حَتَّى يَرْجَعُ إلى حُكْمِ اللهِ ورَسُولِهِ فَلا يُحَكِّمُ سِوَاهُ في قَلِيلٍ وَلا كثيرٍ قَالَ تَعالى ﴿أفحُكْمَ الجاهليةِ يَبْغُونَ﴾ وَعَنْ حَكْمِ اللهِ يَعْدِلون ﴿وَمَنْ أحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لقومٍ يُوقِنُونْ﴾ أيْ وَمَنَ أعْدَلُ مِن اللهِ في حُكْمِهِ لِمَنْ عَقَلَ مِنَ اللهِ شَرْعَهُ وآمَنَ بِهِ وأيْقَنَ وَعَلِمَ أنَّ اللهَ أحْكَمُ الحَاكِمينَ وأرْحَمُ مَن الوَالِدَةِ بوَلَدِهَا فإنَّه تَعالى الْعَالِمُ بِكُلِّ شيءٍ القَادِرُ عَلى كُلِّ شَيءٍ العادِلُ في كلِّ شَيْء.

وَقَالَ تَعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أنْزَلَ اﷲُ فأولَئِكَ هُمُ الكافرون﴾،

﴿وَمَنْ لم يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فأولَئِكَ هُمُ الظَّالِمون﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فأولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونْ﴾.

فانْظُرْ كَيْفَ سَجَّلَ تَعَالى عَلى الْحَاكِمِينَ بِغيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ بالْكُفْرِ والظُّلْمِ والفِسْقِ وَمِنَ المُمْتَنِعِ أَنْ يُسَمَّى اللهُ سُبْحَانهُ الحاكِمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ كافراً ولا يكوَنُ كافراً بَلْ هُوَ كافرٌ مُطْلَقاً إمّا كُفْرُ عَمَلٍ وإمَّا كُفْرُ اعتِقاد.

وَمَا جَاءَ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ في تَفْسِيرِ هذِه الآيةِ يَدُلُّ عَلى أنَّ الْحَاكِمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ كَافِرٌ إمَّا كُفْرُ اعْتِقَادٍ نَاقِلٍ عِنِ المِلَّةِ وامَّا كُفرُ عَمَلٍ لا يَنْقُلِ عَنِ المِلّةِ.

قَالَ وهَذِهِ الْمَحَاكِمُ الآن في كَثيرٍ من أَمْصَارِ الإسْلَامِ مُهَيَّأَةٌ مَفْتُوحَةُ الأبْوابِ والنَّاسُ إليها أسْرَابٍ إثْرَ أسْرَابٍ يَحْكُم حُكَّامُهَا بَيْنَهُم فِيْمَا يُخَالِف حُكْمَ الكِتابِ والسُّنةِ مِنْ أحْكَام ذلك القانُونِ وَتُلْزِمُهُمْ به وَتُحَتمِّهُ عليهم فأيُّ كُفْرٍ فوقَ هَذا الكُفرِ وأيُّ مُناقَضَةٍ لِلشَّهادَةِ بأنَّ مُحَمداً رسولُ الله بعدَ هَذِهِ المُناقَضَةِ نسْألُ الله الْعِصْمَةَ عِنْ جَميع الْمَعاصِي وأنْ يُثَبِّتَنا عَلى قَولِه الثَّابِتُ في الحياةِ الدُّنْيا وفي الآخِرَةِ. إهـ.

وَمِمَّا قِيْلَ في الحثِ على التَمَسكِ بالقرآنِ الكريمِ ما قَالَهُ الصَّنْعَاني:

وليْسَ اِغْترَابُ الدِّينِ الّا كَمَا تَرَى ... فَهَلْ بَعْدَ هَذا الاغْتِرَابُ اِيَابُ
وَلَمْ يَبْقَ لِلرَّاجِي سَلَامَةَ دَيْنِهِ ... سِوَى عُزْلةٍ فَيها الْجَليسُ كِتَابُ
كِتَابٌ حَوَى كُلَّ العلومِ وكُلَّمَا ... حَوَاهُ مِن العلمِ الشريفِ صَوابُ
فَإنْ رُمْتَ تَارِيْخاً رَأيْتَ عَجَائِباً ... تَرَى آدَماً إذْ كَانَ وَهُوْ تُرَابُ
وَلاقَيْتَ هَابِيلاً قَتِيْلَ شَقيْقِهِ ... يُوارِيْهِ لَمَّا أَنْ أراهُ غُرابُ
وَتَنْظُرُ نَوحاً وَهْوَ في الفُلْكِ قَدْ طَغَى ... على الأرضِ مِنْ مَاءِ السَّماءِ عُبَابُ
وانْ شِئْتَ كُلَّ الأنْبيَاءِ وَقَوْمَهُمْ ... وما قَالَ كُلُّ مِنْهُمُوا وَأَجَابُوا
وَجَنَّاتِ عَدْنٍ حُورَهَا وَنعِيْمَا ... وَنَاراً بِهَا لِلْمُشْرِكِينَ عَذَابُ

فَتَلْكَ لِأَرْبَابِ التُّقَاءِ وَهَـذِهِ ... لِكُلِّ شَقِـيٍ قَدْ حَوَاهُ عِقَـابُ
وإنْ تُرِدِ الوَعْظَ الّذِي إنْ عَقَلْتَهُ ... فإنَّ دُموعَ العَينِ عَنْهُ جَوَابُ
تَجِدْهُ وَمَا تَهْوَاهُ مِنْ كُلِّ مَشْرَبٍ ... ولِلرُّوحِ مِنْهُ مَطْعَمٌ وَشَرَابُ
وانْ رُمْتَ إبْرَازَ الأَدِلَّةِ في الذي ... تُرِيْدُ فَمَا تَدْعُوْ إِلَيْهِ تُجَابُ
تَدُلُّ على التَّوحِيدِ فيه قَوَاطِعٌ ... بِها قُطِّعَتْ لِلْمُلْحِدِينَ رِقَابُ
وَمَا مَطْلَبٌ إِلَّا وَفِيهِ دَلِيْلُهُ ... ولَيْسَ عَلَيْهِ لِلذَّكِي حِجَابُ
وَفِيهِ الدَّواءُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فَثِقْ بِهِ ... فَوَاللهِ ما عَنْهُ يَنُوبُ كِتَابُ
يُرِيْكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيْماً وغَيْرُه ... مَفَاوِزُ جَهْلٍ كُلُّهَا وَشِعَابُ
يَزِيْدُ عَلى مَرِّ الجَدِيْدَيْنِ جِدَّةً ... فأَلفَاظُهُ مَهْمَا تَلَوْتَ عِذَابُ
وَآياتُهُ في كُلِّ حِيْنٍ طَرِيَّةٌ ... وتَبْلُغُ أَقْصَى العُمْرِ وَهْيَ كِعَابُ
وَفِيْهِ هُدىً لِلْعَامِلِينَ وَرَحْمَةٌ ... وفِيهِ عُلومٌ جَمَّةٌ وَثَوَابُ

اللَّهُمَّ إجْعَلْنَا لِكِتَابِكَ مِن التَّالِينِ ولكَ بِهِ من العامِلِينَ وبِمَا صَرَّفْتَ فيهِ مِن الآياتِ مُنْتَفعين، وإلى لذيذِ خِطَابه مُستَمِعينَ، ولِأَوَامِرِهِ ونَواهِيهِ خاضِعِين والأعمالِ مُخْلِصِين، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ» في فَضَائِلِ ذِكْرِ اللهْ

يُسْتَحَبُّ الإكْثَارُ من ذِكْرِ اللهِ تعالى في كُلِّ وقتٍ، ولَا سِيَّمَا في رَمَضانْ. قَالَ اللهُ تعالى ﴿ولَذِكْرُ اللهِ أكْبَر﴾، وقال: ﴿فاذْكُروني أذكُرْكُمْ﴾، وقالْ: ﴿واذكُروا اللهَ كَثيراً لعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾، وقالْ: ﴿والذّاكِرِينَ اللهَ كَثيراً والذَّاكِرَات أعَدَّ اللهُ لهُمْ مَغْفِرةً وأجراً عَظِيْماً﴾، وقالْ: ﴿واذْكُرْ رَبِّكَ في نَفْسِكَ تَضَرُّعَاً وخفْيَةً﴾ الآية، وقالْ: ﴿يا أَيُّها الذينَ آمنوا اذْكُروا اللهَ﴾، وعن أبي هريرة- رضي اللهُ عَنْهُ- قالْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «كلمتَانِ

خَفِيْفَتَانِ عَلى اللِّسَانِ، ثَقِيْلَتَانِ في الميزانْ، حَبِيْبَتَانِ إلَىَ الرَّحمَنْ: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهُ العظِيم» متفق عليه.

شِعْرًا: اذْكُرْ إلـهٰ العَالَمِيْـنَ جَهْـرَا فإنْ خَشِيْتَ سُمْعَـةً فَسِرَّا
وَاخْتَرْ مِن الأَذْكَارِ مَا قَدْ أُثِرَا عن النَّبِي المُصْطَفَى واشْتَهَرَا
وادْعُ لَدَىَ الصبَّاحِ والـمَسَاءِ بِمَا دَعى المُخْتَارُ مِنْ دُعَاءِ
فَكُلُّ مأْثُـوْرٍ مِنَ الأَذْكَـارِ أَوْ مِنْ دُعَاءٍ صَحَّ في الأخبارِ
فاحْرِصْ عليه والْزمْ المُتَابَعَةْ فإنَّهـا مِنَ المَزَايَـا النَّافعَـةْ
وَسِرْ عَلى نَهْجِ النَّبِـي وسَيْرِهِ وَلا تُتَابِعْ مَنْ رَضِيْ بِغَيْـرِهِ

وعنهُ – رَضْي اللهُ عَنْهُ – قالْ: قالَ رسُول الله ﷺ: «لأَنْ أقُولُ سُبْحَانَ اللهِ والحمدُ للهِ، وَلا إِلَهَ إلَّا اللهْ، واللهُ أكبَرْ، أَحَبَّ إليّ مِمَّا طَلَعْت عليهِ الشَّمْسُ» رواهُ مُسْلم.

وَعَنْهُ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالْ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهْ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمْدُ، وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قديرٌ في كُلِّ يومٍ وليْلَةٍ مائةَ مَرَّةٍ كانَتْ لَهُ عَدْلُ عَشْرُ رِقابٍ وَكُتِبَ لَهُ مائةُ حسنةٍ ومُحَيَتْ عَنْهُ مائةُ سَيِّئةٍ، وكانَتْ لَهُ حِرْزاً مِن الشَّيطانِ يومَهُ ذَلِكَ حتَّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأْتِ أحَدٌ بَأُفضلَ مِمّا جَاءَ بِهِ إلا رَجُلٍ عَمِلَ أكثرَ مِنْهُ»، وقالْ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ في يومٍ مائةُ مَرَّةٍ حُطّتْ عنه خَطَايَاهُ، وإنْ كانَتْ مِثْلَ زَبدِ البَحْرِ» متفق عليه.

شِعْرَا: ما أَنْعَـمَ العِيْشَةَ لَوْ أَنَّ الفتَـى يُلْهَمُ تَسْبِيْحاً لِخَلَّاقِ الـوَرَى
وَقَـدْ تَحَلَّـى بَالسَّخَـاءِ والتَّقَـى لِيَقْتَدِيْ مَنْ قَصْدُهُ سُبْلُ الهُدى

وعَنْ أبي أيوبِ الأنْصَاري – رضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَنِ النبيَّ ﷺ أنهُ قالْ: «مَنْ قالَ: لا إِلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شرِيكَ لَهْ، لَهُ المُلْكُ، ولَهُ الحَمْد، وَهُوَ على كلِّ شَيءٍ قَدِيْر، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كانَ كَمَنْ أعْتَقَ أرْبَعة أنْفُسٍ مِنْ ولدِ إسْمَاعِيل» مُتَّفَقٌ عَلِيْهِ.

وَعَنْ أبي ذرٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قالَ، قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ألا أخْبِرُكَ بأحَبِّ الكلامِ إلى اللهْ» قُلْتُ: بَلَى يَارَسُولَ اللهِ أخْبِرْنِي بأحَبِّ الْكَلامِ إلى اللهْ، فَقَالَ: «إنَّ أحَبَّ الكلامِ إلى اللهِ سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ» رواه مسلم.

وعَنْ عُمَرُ بنُ شُعَيْبٍ عَنْ أبيهِ عنْ جَدِّهِ قالْ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ اللهَ مائةً بالْغَدَاةِ وَمائةً بالعَشِيِّ كَانَ كَمَنْ حَجَّ مِائةَ حَجَّةٍ، وَمَنْ حَمِدَ اللهَ مِائةً بالغَدَاةِ وَمائةً بالْعَشِيَّ كَانَ كَمَنْ حملَ عَلى مائةِ فَرَسٍ في سَبِيْلِ اللهِ، أوْ قال غَزَا مائةَ غَزوةٍ، ومَنْ هَلَّلَ اللهَ مِائةٍ بالْغِدَاةِ ومِائةً بالْعَشِيِّ كَانَ كَمَنْ أعْتَقَ مِائةَ رَقَبَةٍ مِن وَلَدِ إسماعِيلَ، وَمَنْ كَبَّرَ اللهَ مِائةً بالْغَدَاةِ وَمِائةٍ بالْعَشِيِّ لَمْ يَأْتِ في ذَلِكَ اليومِ أحَدٌ بأكْثَرَ مِمَّا أتَى بِهِ إلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أو زَادَ لَى مَا قَالَ» رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب.

وفي الصحيحين عن علي أنَّ فاطِمةَ أتَتِ النبيَّ ﷺ تشكُو إليه مَا تَلْقَى في يَدِهَا مِن الرَّحَى، وبلَغَهَا أنَّهُ جَاءَ رَقِيْقٌ فَلَمْ تُصَادِفْهُ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ فَذَهَبْنَا نَقُومُ فقال عَلي مَكَانِكُمَا فَجاءَ وَقَعَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ على بَطْنِي فَقال ألَّا أدُلُكُمَا عَلى خَيْرٍ مِمَّا سَألْتُمَا، إذا أخَذْتُمَا مَضْجِعَكُمَا فَسَبِّحَا ثلاثاً وثلاثينَ واحْمَدَا ثَلاثاً وثلاثِينَ وَكَبرَا أرْبعاً وثلاثينَ فَهُو خَيْرٌ لكُمَا مِن خَادِمٍ.

وَجَاءَ عَنِ مَعْقِلِ بنِ يَسَارٍ عن النبيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ قَالَ حِيْنَ يُصبِحُ ثلاثَ مَرَّاتٍ أعوذُ باللهِ السميعِ العليمِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرجيمِ وقَرأ ثلاثَ آياتٍ مِن آخِرِ سُوْرَةِ الحَشْرِ وَكُلَ اللهُ بِهِ سَبْعِيْنَ ألفَ مَلَكٍ يُصلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيْ وإنْ ماتِ في ذَلِكَ اليومِ ماتَ شَهِيْداً ومَن قالها حِيْنَ يُمْسِيْ كانَ بتِلْكَ المَنْزِلة» حَسَّنَهُ التِّرْمِذي وغرَّ بَهْ.

شِعْرَا: الذِّكْرُ بالمأثور نِعْمَ القُرْبَةَ وَرُتْبَهُ الذَّاكِرِ أعْلَى رُتْبَةْ
لِأنَّهُ مِنْ أعْظَمِ الرغائبِ كما علِمْتَ بَعْدَ فِعْلِ الواجِبِ

وأَفْضَلُ الذّكْــــر كَلامُ اللهِ كَمَــا أتانــا عَنْ رَسُولِ اللهِ
وبَعْـدُ هَذَا الذِكِــر بالمأثُــورِ عَن النَّبِـيّ المُصْطَفى البَشِيْرِ
كَالحَمْـدِ والتَّسْبيْحِ وَالتّكبيْــرِ كَمَا أَتَى فِي الخَبَر المَشْهُوْر
أمَّـا لدَى الإطْلاقِ فالتَّهْلِيــلُ أفْضَلُ ما قَدْ قُلْتَ أَوْ تقُــوْلُ
كذاكَ الاسْتِغْفَـار ثُمَّ الحَوْقلَـةْ كما رَوَتْـهُ السُّنَّــةُ المُفضَّلَــةْ
فاذْكُـرْ إِلٰـهَ العَالَمِيْــنَ دَائِمــاً وَدُمْ على أذْكارِهِ مُلَازِمــــاً

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم.

«فَصْــلٌ»

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يَسِيْرُ في طَرِيْقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ على جَبَلٍ يُقَالُ له (جُمْدَانُ) فقال: «سِيْرُوْا هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ المُفَرَّدُوْنَ» قالوا: وما المُفَرِّدُوْنَ يارَسولُ اللهِ؟ قال: «الذَّاكِرُوْنَ الله كَثِيْراً والذاكِرَات» رواه مسلم.

وعن أبي مُوْسَى قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ والذي لا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الحَيِّ والمَيّتِ» متفق عليه.

وعن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله: يقول الله أنا عِندَ ظَنِّ عَبْدِيْ بِي، وأنا مَعَهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِيْ في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِيْ، وإنْ ذَكَرَنِيْ في مَلأٍ ذَكَرتُهُ في مَلأٍ خَيْرٍ منهم» متفق عليه.

عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ في كُلِّ سَاعَةٍ تجد نَفْعَـهُ يوم الجزاءِ مُوَفَّــرَا

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ياعَبْدَ اللهِ بنَ قَيْسٍ، ألا أَدُلُكَ على كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ: لا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلا باللهِ» متفق عليه.

شِعْرَا: لَو قيلَ لِيْ مَا تَمنَّى قُلْتُ مُبْتَدِراً ... دَوَامَ ذِكْرٍ لِخَلَّاقِ السَّمٰوَاتِ
وَأنْ أُلازِمَ في الدُّنْيَا لِطَاعَتِهِ ... وَأَنْ أوَفَّقْ لإِتْقَانِ العِبَادَاتِ

آخر: وَعُدَّ مِن الرحمن فَضْلاً ونعْمَةً ... عَلَيْكَ إذَا مَا جُزْتَ عُمْرَ مُحَمَّدِ
وأَكْثِرْ مِنَ التَّهْلِيْلِ في كُلِّ سَاعَةٍ ... فإنَّكَ لا تَدْرِي مَتَّى العُمْرُ يَنْفَدُ

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «إن اللهَ تعالى يَقُولُ: أنا مَعَ عَبْدِي إذا ذكَرَنِي، وتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ» رواه البخاري.

وعن عبدِ اللهِ بنِ بُسْرٍ – رضي الله عنه – أنَّ رَجُلاً قال يارسولَ اللهِ إنَّ شَرائعَ الإسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فأخْبِرْنِي بِشَيءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَال: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِن ذِكْرِ اللهِ رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، وصححه ابن حبان والحاكم. وَرَوَى عُمَرُ بنُ الخطابِ رضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ذَاكِرُ الله في رَمَضَانَ مَغْفُورٌ لَهُ، وسائلُ الله فِيْهِ لا يَخِيْبُ» رواه الطبراني في (الأوسط) والبيهقي، والأصبهاني.

وعن أبي سَعِيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: لا إِلٰهَ إلَّا اللهُ، وسبحانُ اللهِ، واللهُ أَكْبَرُ، والحَمْدُ لِلَّهِ، ولا حَوَل ولَا قُوَّةَ إلا باللهِ» أخرجه النسائي، وصححه ابن حبان والحاكم.

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ – رضي اللهُ عَنْهُ – قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ألا أخبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وأزْكَاهَا عِندَ مَلِيْكِكُم وأَرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِن إنفاقِ الذَّهَبِ والوَرَقِ وخيرٌ لكم مِنْ أنْ تلْقَوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرُبُوا أعْنَاقَهُم وَيَضْرِبُوْا أعْنَاقَكُمْ؟ قَالوا بَلَى، قال: ذِكْرُ اللهِ».

وعَنْ عبدِ الله بنِ بُسْرٍ قال: «جاءَ أَعْرَابيٌّ إلى النبي ﷺ فقالَ: أَيُّ الناس خَيرٌ؟ فقال: طُوبَى لِمَنْ طَال عُمُرُهْ وَحَسُنَ عمَلُهُ، قال: يارسولَ اللهِ أَيُّ الأعمالِ أفضَلُ؟ قال: أَنْ تُفَارِقَ الدُّنْيَا ولِسَانُك رَطْباً مِن ذِكْرِ الله».

شِعْرَا: إِذَا أُلْهِمَ الإِنْسَان ذِكرا لِرَبّه وكانَ بأرْكانِ العَبادَاتِ آتِيَا
فَذَاكَ الفَتَى لَا مَنْ يَكونَ مُضَيِّعاً لِأَمْرِ الذِي فَوَقَ السَّمَواتَ عَالِيا

آخر: فَوَائِدُ فِي ذِكْرِ الإِلٰهَ كَثِيْرةٌ وإِنْ كانَ مَنْ يَعْبَا بِهِنَّ قَلِيْلُ
فَكُنْ يا أَخَا اللبُّ الْكَرْيمِ مُحَافِظاً عَلَيْهَا تَفُزْ بِالأَجْرِ وَهْوَ جَزِيْلُ

آخر: لا يَبْلُغُ المَجْدَ أقوامٌ وإِنْ كرمُوا حتى يُطِعْوا لخَلَّاق السَّمَواتِ
وَيَسْتَقيمُوا عَلَى ما يَرْتَضِيْهِ لَهُمْ ويُكْثِروْا ذِكْرَهُ فِي كُلِ أوقَاتِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«**فَصْلٌ**»: قال ابنُ الْقَيم رحِمه اللهُ قراءة القُرْآنِ أفضلُ مِن الذِكْرِ والذِكْرُ أَفْضَلُ مِن الدُعاءِ، هَذَا مِن حَيْثِ النَّظَرِ لِكُلٍّ مِنْهُمَا مُجَرَّداً وَقَدْ يَعْرُضُ لِلْمَفْضُولِ ما يَجْعَلَهُ أَوْلَى بَلْ يُعَيِّنُهُ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَعْدَلَ عنه إلى الفَاضِلِ وهذَا كَالتَّسْبِيْحِ في الرُّكُوعِ والسُّجُودِ فأنه أفضَل مِن قِراءَةِ القُرْآنِ فِيْهِمَا بَلْ مَنْهِيٌّ عنها نَهْيَ تَحْرِيْمٍ أو كَرَاهَةٍ.

لما وَرَد عن ابنِ عباسٍ – رضي اللهُ عنهما – قال: كَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السِتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ فقال: «يَا أَيُّها النَّاسُ إنه لم يَبْقَ مِن مُبَشِّرَاتِ النُبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَة يَرَاهَا المُسْلِمُ أو تُرَى لَهُ ألا وَإِنِي نُهِيْتُ أنْ أقرأَ القُرآنِ رَاكِعَاً أو سَاجِدَاً، أَمَّا الرُكُوعُ فَعَظِّمُوْا فِيه الرَّبَّ، وأما السُجُودُ فَأَجْتَهِدُوا في الدُعاءِ فَقَمِنٌ أنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ» رواه أحمد ومسلم والنسائي وأبو داوُد.

وكذا التسبيحُ والتحميدُ في مَحَلِهِمَا أَفْضَلُ مِن القِرَاءَةِ وكَذَا التشهدُ وكذلكَ ربِّ اغْفِرْ لِيْ وارْحَمْنِي واهْدِني وَعَافِنِي وأرْزُقْني بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ أفضَلُ مِن القراءَةِ وكذلك الذكُر عقِبَ السلام مِن الصلاةِ – ذِكْرُ التَّهْلِيلِ والتسبيحِ والتكبيرِ والتحميدِ أفضلُ من الاشتغالِ عنه بالقِراءَةِ.

وَكَذَلِكَ إجابَةُ المُؤَذِّنِ والقولُ كَمَا يَقُولُ أَفْضَلُ مِن القِراءَةِ وإنْ كان فَضْلُ القُرآنِ على كُلِ كلامٍ كَفَضْلِ اللهِ تعالى على خَلْقِهِ لكِن لِكُلِ مَقامٍ مَقَالٍ مَتَى فاتَ مَقَالَهُ فيه وعَدَلَ عنه إلى غيرِهِ اختلَّتْ الحَكِمةُ وفُقِدَتِ المَصْلَحَةُ مِنه.

عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ دَوْماً فإنَّـهُ ... به يَطْمَئِنُّ القَلْبُ فالْزَمْهُ تَسْعَدِ

آخر: جَمْعُ الكُتْبِ يُدْرِك مَنْ قَرَاهَا ... مِلَالٌ أَوْ فُتُـورٌ أَوْ سَآمَـةْ

سِوَى القُرآنِ فَافْهَمْ واسْتِمعْ لِيْ ... وقَولِ المُصْطَفَى ياذَا الشَّهامَةْ

وَهَكَذَا الأذكارُ المُقَيَّدَةُ بِمَحالٍ مَخْصُوْصَةٍ أَفْضَلُ مِن القِراءةِ المُطْلَقَةُ والقِرَاءَةُ المُطْلَقَةُ أَفْضَلُ مِن الأذكارِ المُقَيَّدَةِ بِمَحَالٍ مَخْصُوصَةٍ، والقِرَاءَةُ المُطْلَقَةُ أَفْضَلُ مِن الأذْكَارِ المُطْلَقَةِ، اللَّهُمَّ إلا أنْ يَعْرُضَ لِلْعَبْدِ مَا يَجْعَلَ الذِّكْرَ أو الدُعَاءِ أَنْفَعَ لَهُ مِنَ القُرْآنِ مِثَالُهُ أَنْ يَتَفكَّرَ في ذُنُوبِهِ فَيُحْدِثُ لَهُ تَوبَةً مِن استِغْفَارٍ أو يَعْرُضُ لَهُ مَا يَخَافُ أذاهُ مِنَ شَيَاطِين الإنْسِ والجِنِ فَيْعْدِلَ إلى الأذكارِ والدَّعَواتِ التي تُحَصِّنُهُ وتَحُوْطُه.

وكَذَلِكَ أَيْضاً قَدْ يَعْرِضُ لِلعَبْدِ حَاجَةٌ ضَرُوْرِيَّةٌ إذا اشْتَغَلَ عن سُؤالِها بِقِرَاءَةٍ وذِكْرٍ لم يَحْضُرْ قَلْبُهُ فِيْهَا وإذا أَقْبَلَ على سُؤَآلِهَا وَالدُعَاءِ إليها اجتَمَعَ قلبُهُ كُلُهُ على اللهِ تَعَالى وأَحْدَثَ له تَضَرُّعَاً وخُشُوعَاً وابْتِهَالاً فهذا قد يَكُونُ اشْتِغَالُـهُ بالدُعـاءِ والحَالَةُ هَذِهِ أَنْفعُ وانْ كَانَ كُلٌ مِن القِراءَةِ والذَكِرْ أَفْضَلُ وأَعْظَمُ أَجْرَاً.

شِعْرَا: ومن يُنِفقُ الساعاتِ في ذِكْر رَبِّهِ ... يَعِيْشُ حَمِيْداً وهو في الحَشْرِ مُكْرَمُ

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: إن لِلَّهِ مَلائكةٌ يَطُوفُونَ في الطُرُق يَلْتَمِسُونَ أَهْل الذِكْرِ فإذا وَجَدُوْا قَوْماً يَذْكُرُوْنَ اللهَ تَنَادَوا هَلِمُوا إلى حَاجَتِكُمْ».

قال فَيَحُفُونَهُم بأَجْنِحَتِهِم إلى السَّماءِ الدُّنْيَا فَيَسْأَلُهُم رَبُهُمْ وَهُوَ أعلمُ بِهِم ما يَقُولُ عِبَادِي، قال يَقُولونَ: يُسَبِّحُونَكَ ويكَبِرُونَكَ ويَحْمَدُونَكَ

ويُمَجِّدُونَكَ، قال فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْن، قال فَيَقُولُون: لا واللهِ ما رَأَوكَ، قَال فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوني.

قال فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كانُوا أشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وأشَدَّ لَكَ تَمْجِيْدَاً وأكثَرَ لَكَ تَسْبِيْحَاً. قال فَيَقُولُ: فَمَا يَسْألونَ، قالُوا: يُسْألُونَكَ الجَنَّةَ. قال فيقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا، فيقولونَ: لَا وَاللهِ يَاربُّ ما رَأَوْهَا. قال يَقُولُ: فكيفَ لو رَأَوْهَا.

قال يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصَاً وأَشَدَّ لَهَا طَلَبَاً وأَعظَمَ فِيها رَغْبَةً. قال: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُوْنَ، قال يَقُولُونَ: مِن النارِ. قال: فَهَلْ رَأَوْهَا، قال يَقُولُونَ: لا واللهِ يَاربُّ ما رَأَوْهَا. قَال يَقُول: فَكَيْفَ لو رَأَوْهَا، قال يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أشَدَّ فِرَاراً وأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً.

قال فَيَقُولُ: فأشْهِدُكُم أَنِي غَفَرْتُ لَهُم. قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِن المَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فلانٌ لَيْسَ مِنهم إنما جَاءَ لِحَاجَةٍ، قال: هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقى جَلِيْسُهُمْ، ولِذَلِكَ حَثَّ ﷺ على الجُلُوسِ في مَجَالِسِ الذِكْرِ وشَبَّهَهُ بِرَوْضَةِ الجَنَّةِ.

وَرَوَى الترمِذِيُ عن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فارْتَعُوا» قالُوا: وما رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قال: «حِلَقُ الذِكْرِ». وَرَوَى أبُو دَاوُدَ عن أبي هريرةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُوْمُوْنَ مِنْ مَجْلِسٍ لا يَذْكُرُ اللهُ فيه إلا قَامُوا عَن مِثْلِ جِيْفَةِ حِمَارٍ وكان عَلَيْهِمْ حَسْرَةً».

وروى مسلم عن حَنْظَلَةَ بنِ الرَّبِيْعِ الأَسَدِي قالَ: لَقِيْنِي أَبُو بَكْرٍ فقال كَيْفَ أَنْتَ يا حَنْظَلَةُ، قلتُ: نَافقَ حَنْظَلَةُ. قال: سُبْحَانَ اللهِ ما تقولُ، قُلْتُ: نَكُونُ عندَ رَسُولِ الله ﷺ يُذَكِّرُنَا بالنَّارِ والجَنَّةِ كَأَنَّا رَأيَ عَيْنٍ فإذا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ والضَّيْعَاتِ نَسِيْنَا كَثِيراً.

قال أبابُو بَكْرٍ إِنَّا لَنَلْقى مِثْلَ ذَلِكَ فانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخلْنَا على

رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يارَسولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ وَتُذَكِّرُنَا بالنَّارِ والجَنَّةِ كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ فإذَا خَرَجْنَا مِن عِنْدِكَ عَافَسْنَـا الأَزْوَاجَ والأَوْلَادَ والضَّيْعَاتِ نَسِيْنَا كَثِيْراً.

فقال رسولُ الله ﷺ والذي نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَوْ تَدُوْمُوْنَ على مَا تَكُونُونَ عِنْدِيْ وفي الذِكْرِ لَصَافَحَتْكُم المَلائِكَةُ على فُرُشِكُم وفي طُرُقِكُم ولكن يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

قال أَحَدُ العُلَمَاءِ إذَا حَصَلَ الأُنْسُ بِذِكْرِ الله انْقَطَعَ هَنْ ذِكْرِ مَا سِوَى الله ومَا سِوَى الله عَزَّ وجَلَّ هُوَ الذي يُفَارِقُ عِنْدَ الموتَ فَلَا يَبْقَى مَعَهُ في القَبْرِ أَهْلٌ ولا مَالٌ ولا وَلَدٌ ولا وِلَايَةٌ ولا يَبْقَى إِلَّا عَمَلُهُ الصالِحُ ذِكْرُ الله ومَا وَلَاهُ.

فَإِنْ كَانَ قَدْ أَنِسَ بِهِ تَمَتَّعَ بِهِ وَتَلَذَّذَ بِانْقِطَاعِ العَوَائِقِ الصَّارِفَةِ عَنْهُ إِذْ ضَرُوْرَاتُ الحَاجَاتِ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا تَصُدُّ عَن ذِكْرِ اللهِ وعن الأَعْمَالِ الصالِحَةِ ولا يَبْقَى بَعْدَ المَوتِ عائِقٌ فَكَأَنَّهُ جُلِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوْبِهِ فَعَظُمَتْ غِبْطَتُهُ وَتَخَلَّصَ مِن السِّجْنِ الذي كانَ مَمْنُوْعاً بِهِ عَمَّا أُنْسُهُ.

ولِذَلِكَ قال رسولُ الله ﷺ إِنَّ رُوْحَ القُدُسِ نَفَثَ في رَوْعِتي «أَحْبِبْ ما أَحْبَبْتَ فإِنَّكَ مُفَارِقُهُ» أَرادَ بِهِ كلَّ ما يَتَعَلَّقُ بالدُّنْيَا فإنَّ ذَلِكَ يَفْنَى بالموتِ في حَقِّهِ فَكُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُوْ الجَلَالِ والإِكْرَامِ. أهـ.

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا مَا أَلْهَمْتَ عِبَادَكَ الصَّالِحِيْنَ، وَأَيْقِظْنَا مِنْ رَقْدَةِ الغَافِلِيْنَ إِنَّكَ أَكْرَمُ مُنْعِمٍ وَأَعزُّ مُعْين وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ، اللَّهُم اجْعَلِ الإِيْمَانَ هادِماً لِلسيئآت، كَمَا جَعَلْتَ الكُفْرَ عَادِماً لِلْحسَنَاتِ، وَوَفِّقْنَا للأَعْمَالِ الصَّالِحاتِ، واجْعَلْنَا مِمَّنْ توكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفيْتَهُ، واسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ، ودَعَاكَ فأَجَبْتَهُ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« نصيحـة »

اسْمَعْ يَا مُضَيِّعَ الزَّمَانَ فيما يَنْقُصُ الإيمان، مُعْرضاً عن الأرباح ومُتَعَرِضٌ للخُسْران، لقد سُرَّ بفِعْلِكَ الشامِتْ.

يَا مَنْ يفرحُ بالعِيدِ لِتَحسيْنِ لِباسِه، ويُوْقِنُ بالموتِ وما اسْتَعدَّ لِبأسِه ويَغْتَر بإخوانِه وأقَرانِه وجُلَّاسِه، وكأنه قد أمِنَ سُرْعَةَ اخْتِلاسِهْ.

يا غَافِلًا قَدْ طُلِبْ، ويا مُخَاصِماً قد غُلِبْ، ويا واثقاً قد سُلِبْ، إيَّاكَ والدُّنْيَا فما الدُّنْيَا بدَائِمة، لَقَدْ أبانَتْ لِلنَّواظِرِ عُيُوْبَها، وكَشَفَتْ لِلْبَصَائِرِ غُيُوبَها، وعَدَّدَتْ على المَسَامِعِ ذُنُوبَها، وما مَرَّتْ حتى أمَرَّتْ مَشْرُوْبَهَا.

فلذاتُها مِثْلُ لمعَانِ البَرْقْ ومُصِيْبَتُها واسِعَةُ الخَرْقْ، سَوَّتْ عَوَاقِبُهَا بَيْنَ سُلطانِ الغرب والشرق، فما نجا منها ذو عَدَدْ، ولا سلم فيها صاحبُ عُدَدْ، مَزَّقَت الكُلَّ بكَفِّ البُدَدْ ثم وَلَّتْ فما الْوَتْ على أحَدْ.

قال ﷺ: « سبعة يُظِلُّهُم الله في ظِلِّه منهم رجل دَعَتْه امرأةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجمال فقال إنِّي أخافُ الله ».

اسْمَعْ يا مَنْ أجَابَ عَجُوزاً هَتْمَا عَمْيَا صَمَّا جَرْبَا سَوداءَ شَوْهَاء مُقْعَدة على مَزْبَلَة ولكن غَلَبَتْ عليكَ مَحَبَّتُهَا عُرضَتْ على النبي ﷺ بطحاء مكة ذَهَبَا فأبَى أن يَقْبَلَهَا.

مَا هذه الدنيـــا بدَارِ مَسَرةٍ ... فَتَخَوَّفي مَكْراً لهَا وخِدَاعَـا
بَيْنَا الفَتى فيْهَا يُسَرُّ بنفْسِهِ ... وبمالِـهِ يَسْتَمْتِـعُ اسْتِمْتَاعَـا
حَتَّى سَقَتْـهُ مِن المَنِيـةِ شَرْبـةً ... وحَمَتْهُ فيه بعدَ ذَاكَ رَضَاعَا
فَغَداً بِمَـا كسَبَتْ يَداهُ رَهِيْنَـةً ... لا يَسْتَطِيْعُ لِمَا عَـرَتْهُ دِفَاعَا
لو كان يَنْطِقُ قال مَنْ تحْتَ الثرى ... فلْيُحْسِنِ العمَلَ الفَتَى مَا اسْتَطَاعَا

اللَّهُم اجْعَلِ الإيْمَانَ هادِماً لِلسيئَـات، كَمَـا جَعَـلْتَ الكُفْـرَ هَادِمَاً

لِلْحَسنَاتِ، وَوَفِّقْنَا للأعْمَالِ الصَّالِحاتِ، واجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفيْتَهُ، واسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ، ودَعَاكَ فأجَبْتَهُ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فصل في فوائِدِ ذِكْرِ اللهِ تعالى»

قال ابنُ القيم- رحمه اللهُ-: وفي ذِكْرِ اللهِ أَكْثَرُ مِن مِائَةِ فائِدَةٍ يرْضِي الرَّحْمٰنَ ويَطْرُد الشَّيْطَانَ ويُزِيْلُ الهَمَّ ويَجْلِبُ الرزقَ ويَكْسِبُ المَهابَةَ والحَلَاوَةَ ويُوْرِثُ مَحَبَةَ اللهِ التي هِيَ رُوحُ الإِسْلَامِ.

وَيُوْرِثُ المَعْرِفَةَ والانَابَةَ والقُرْبَ وحَيَاةَ القَلْبِ وذِكْرُ اللهِ لِلْعَبْدِ هُوَ قُوْتُ القَلْبِ ورُوْحُهُ ويَجْلِي صَدَاهُ ويَحُطُ الخَطَايَا ويَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ ويُحْدِثُ الأُنْسَ ويُزِيْلُ الوَحْشَةَ.

ويُذَكِّرُ بِصَاحِبِهِ ويُنْجِي مِن عَذَابِ اللهِ ويُوْجِبُ تَنَزُّلَ السَّكِيْنَةَ وغَشَيَانَ الرحْمَةِ وحُفُوفَ الملائِكَةِ بالذاكِرِ وَيَشْغَلُ عن الكَلَامِ الضَّارِ ويُسْعِدُ الذاكِرَ ويُسْعِدُ بِهِ جَلْيْسَهُ مِنَ الحَسْرَةِ يَوْمِ القِيَامَةِ وهو مَعَ البُكَاءِ سَبَبُ لإظلالِ اللهِ العبدَ يَوْمَ الحَشْرِ الأَكْبَرِ في ظِلِ عَرْشِهِ.

وأنه سَبَبٌ لِعَطَاءِ اللهِ لِلذَّاكِرِ أَفْضَلَ ما يُعْطِي السَّائِلِينَ، وأنَّه أَيْسَرُ العِبَادَاتِ وهُوَ مِن أجلِّهَا، وأَفْضَلِهَا؛ وأنه غِرَاسُ الجَنَّةِ، وأَنَّ العَطَاءَ والفضل الذي رُتِّبَ عليه لم يُرَتَّبْ على غَيْرِهِ، وأن دَوامَ الذِكْرِ لِلرَّبِّ تَبَارَكَ وتَعَالى يُوجِبُ الأَمَانَ مِن نِسْيَانِهِ الذِي هو سَبَبُ شَقَاءِ العَبْدِ في مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ.

شِعْرًا: لا شَيْء مِثْلَ كَلَامِ اللهِ تَحْفَظُهُ حِفْظاً رَصِيْناً وتَعْمَلْ فيه مُجْتَهِدَا
شِعْرًا: لَوْ يَعْلم العَبْدُ ما فِي الذِّكْرِ مِنْ شَرَفٍ أَمْضَى الحَيَاةَ بِتَسْبِيْحٍ وَتَهْلِيْلِ
آخر: ما أَنْعَمَ العِيْشَةَ لَوْ أَنَّ الفَتَى يُلْهَمُ تَسْبِيْحاً لِخَلَّاقِ الوَرَى

وأن الذِكْرَ يُسَيِّرُ العَبْدَ وهُوَ في فِرَاشِهِ وفي سُوْقِهِ، وأن الذِكْرَ نُوْرُ الذَّكِرِ في الدُّنْيَا ونُورٌ له في قَبْرِهِ ونورٌ لَهُ في مَعَادِهِ وأن في القَلْبِ خَلَّةً وفاقَةً لا يَسُدُّها شَيْءٌ البَتَّةَ إلا ذِكْرُ اللهِ عزَّ وجَلَّ.

وأن الذِكْرَ يَجْمَعُ مَا تَفَرَّق عَلَى العَبْدِ مِنْ قَلْبِهِ وإرَادَتِهِ وهُمُوْمِهِ وعَزْمِهِ والذِكْرُ يُفَرِّقُ ما اجْتَمَعَ عليه مِن الهُمُومِ والغُمُوْمِ والأحزانِ والحَسَرَاتِ على مَوْتِ حُظُوظِهِ ومَطَالِبه ويُفَرِّقُ مَا اجْتَمَعَ على حَرْبِهِ مِن جُنْدِ الشَيْطَانِ.

وأن الذِكْرَ يُنَبِّهُ القَلْبَ مِن نَوْمِهِ ويُوقِظُهُ، والقَلْبُ إذا كَانَ نَائِماً فَاتَتْهُ الأَرْبَاحُ والمَتَاجِرُ، وأن الذِكْرَ شَجَرَةٌ تُثْمِرُ المَعَارِفَ والأَحْوالِ التي شَمَّرَ إليها السَّالِكُونَ، فلا سَبِيْلَ إلى نَيْلِ ثِمَارِهَا إلا مِن شَجَرَةِ الذِكْرِ.

وأنَّ الذَّاكِرَ قَرِيْبٌ مِن مَذْكُورِهِ ومَذْكورُهُ مَعَهُ وَهَذِهِ المَعِيَّةُ مَعِيَّةٌ خَاصَةٌ، وأنَّ الذكرَ يَعْدِلُ عِتْقَ الرِّقَابِ وَنَفَقَةَ الأموالِ والحَمْلَ على الخَيْلِ في سَبِيْلِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، وإنَّ الذِّكْرَ رأسُ الشُكْرِ، وأن أَكْرَمَ الخَلْقِ على اللهِ مِن المُتَّقِيْنَ مَن لَا يَزَالُ لِسَانُهُ رَطْباً مِن ذِكْرِ اللهِ.

وأن في القَلْبِ قَسْوَةً لا يُذِيبُهَا إلا ذِكْرُ اللهِ تعالى وإنّ الذِكْرَ شِفَاءُ القَلْبِ وَدَوَاؤُهُ والغَفْلَةَ مَرَضُهُ، وأن الذِكْرَ أَصْلُ مُوَلَاةِ اللهِ عزَّ وجَلَّ وأَنَّهُ مَا اسْتُجْلِبَتْ نِعمُ اللهِ واسْتُدْفِعَتْ نِقَمُهُ بِمِثْلِ ذِكرِ اللهِ.

شِعْرًا: عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ في كُلِّ لَحْظَةٍ ... فما خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَذْكُرُ

آخر: فجالِسْ رَجَالَ العِلْمَ واحْفَظْ حَدِيْثَهُمْ ... ولاتَكُ للجُهَّالِ يَوْماً مُوَاخِيَا

ولازم فَتىً في كُلِ وَقْتٍ مُلازِمٌ ... لِذِكْرِ الذِي فوقَ السَّمٰواتِ عَالِيَا

لَعَلَّكَ أَنْ تَعْتَادَ لِلذِّكْرِ مِثْلَهُ ... فَتُحْرِز غُفْراناً وأعْلَى الأَمَانِيَا

وأن الذِكْرَ يُوْجِبُ صَلَاةَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ومَلائِكَتِهِ على الذَاكِرِ وأَنَّ مَنَ شَاءَ أنْ يَسْكُنَ رِيَاضَ الجَنَّةِ في الدُّنْيا فَلْيَسْتَوْطِنْ مَجَالِسِ الذِكْرِ فإنها رِيَاضُ الجنةِ،

وأن مَجَالِسَ الذِكْرِ مَجَالِسُ الملائِكَة.

وأن اللهَ عَزَّ وجَلَّ يُبَاهِي بالذَّاكِرِيْنَ مَلائِكَتَهُ، وأَنَّ مُدْمِنَ الذِكْرِ يَدْخُلُ الجنةَ وهو يَضْحَكُ وأن جَمِيْعَ الأعْمَالِ إنما شُرِعَتْ إقَامَةً لِذِكْرِ الله تعالى، وأن أَفْضَلَ أَهْلِ كلِ عَمَلٍ أكثَرُهُم فيه ذِكراً لِلَّهِ عَزَّ وجَلَّ، فَأَفْضَلُ الصُّوَامِ أكثَرُهُمْ ذِكْرَاً لِلَّهِ عَزَّ وجَلَّ.

وأن ذِكْرَ اللهِ يُسَهِّلُ الصَّعْبَ ويُيَسِرُ العَسِيْرَ ويُخَفِّفَ المَشَاقَ، وأن ذِكْرَ اللهُ يَذْهَبُ عن القلبِ مَخَاوِفَهُ كُلَّهَا، ولَهُ تأثيرٌ عجيبٌ في حُصُوْلِ الأمْنِ، وأن في الأشتغالِ بالذِكْرِ اشْتِغَالاً عن الكلام الباطِلِ مِن الغِيْبَةِ والنَّمِيْمَةِ واللَّغْوِ، وأنَّ عُمَّالَ الآخِرَةِ كُلُهُم فِي مِضْمَارِ السِّبَاقِ والذَاكِرُونَ أَسْبَقُهُم في ذلك المِضْمَارِ ولكِن الفَتَرَةُ وَالغُبَارُ يَمْنَعَانِ مِن رُؤْيَةِ سَبْقِهِم.

فَإِذَا إنْجَلَى الْغُبَارُ وانْكَشَفَ، رآهُمْ النَّاسُ، وقَدْ حازُوا قَصَبَ السَّبْقِ، وأنّ الذّكْرَ سببٌ لِتَصْدِيقِ الرّبِّ عَزَّ وجَلَّ عَبْدَهُ. فإنَّهُ أخْبَرَ عن الله بأَوْصَافِ كَمَالِهِ ونُعُوتِ جَلالِهِ فَإِذَا أخْبَرَ بِهَا العَبْدُ صَدَّقَهُ رَبُّهُ وَمَنْ صَدَّقَهُ اللهُ لَمْ يُحْشَرَ مَعَ الكاذِبِيْنَ وَرُجِي لَهُ أنْ يُحْشَرَ مَعَ الصَّادِقِيْنَ.

شِعْرًا: وَدَاوِمْ وَلَازِمْ قَرْعَ بابٍ مُؤَمِّلاً فما خَيَّبَ المَوْلَى رَجَاءَ مُؤَمِّلِ
وصَابِرْ فَما نـالَ العُلَا غير صَابرٍ وقُلْ وَاعِظاً لِلنَّفْسِ عِنْدَ التَّمَلْمُلِ
مَعَ الصَّبْرِ إحْدَى الحُسْنَيَيْن مُناكِ أوْ مَنَايَـا كِرَامٍ فاصْبِـرِيْ وتَحَمَّـلِ
ودَاوِ لِسُقْمِ القَلْب واعْمُرْ خَرَابَهُ بِذِكْرِ الذي نَعْمَاهُ لِلْخَلْقِ تَشْمِلُ
آخر: لَوْ يَعْلم الناسُ مَا في الذِّكرِ من شَرَفٍ لَمْ يُلْهِهِمْ عَنْهُ تَجْمِيعُ الدَّنَانِيْـرِ
ولَـمْ يُبَالُـوا بأَوْرَاقٍ ولَا ذَهَبٍ وَلَـوْ تَحَصَّلَ آلافُ القَنَاطِيْـرِ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبارِكْ لَنَا في الحلال مِن رِزْقِكَ ولَا تَفْضَحْنَا بين خَلْقِكَ يا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ داعٍ وأفْضَلَ مَن رجَاهُ راجٍ يا قاضِي

الحاجاتِ ومُجيبَ الدعواتِ هَبْ لَنا ما سَأَلْناهُ وَحَقِّقْ رَجاءَنَا فِيْمَا تَمَنَّيْناهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوائِجَ السَّائِلين ويَعْلَمُ ما فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أذِقْنَا بَرْدَ عَفْوكَ وحَلاوَةَ مَغْفِرَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

فَصْلٌ وَمِنْ فَوائِد الذِّكْر أيْضاً ما ذَكَرَهُ ابنُ القَيِّم رَحِمَه اللهُ:

أَنَّ دُورَ الجَنَّةِ تُبْنَى بالذِّكْرِ، فإذا أمْسَكَ الذَّاكِرُ عَن الذّكْرِ أمْسَكت الملائِكَةُ عن البنَاءْ، وأنّ الذِكْرَ سَدٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وبَيْنَ جَهَنَّم فإذَا كانَتْ لَهُ إلى جَهَنَّمَ طريقُ عَمَلٍ مِن الأَعْمَال، كان الذِكْرُ سَدّاً في تِلْكَ الطريْقِ، وأنّ الملائِكَة تَسْتَغْفِر لِلذَّاكِر كَمَا تَسْتَغْفِرُ لِلتَّائِبِ، وأنَّ الجبَالَ والقِفَارَ تَتَباهَى وتَسْتَبْشِرُ بِمَنْ يَذْكُر اللهَ عزَّ وجَلَّ عليْهَا، وأنَّ كَثْرَةَ ذِكْرَ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أمانٌ مِن النِّفاقِ، فإنّ المُنافِقينَ قَلِيْلُوا الذِّكْرِ لِلَّهِ عَزَّ وجَلَّ.

قال تَبَارَكَ وتعالى في المُنَافِقين: ﴿ولا يَذْكُرونَ اللهَ إلَّا قليلاً﴾ وأنّ للذكْرَ مِن بَيْنِ الأعمَال لَذّةً لا يُشْبِهُهَا شَيءٌ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلعَبْدِ مِن ثَوَابِهِ إلا اللَذّةَ الحَاصِلَة لِلذَّاكِرَ، وأنه يَكْسُو الوجْه نَضْرَةً في الدُّنْيَا ونُوْراً في الآخِرَةِ، وأنْ في دَوَامَ الذّكْرِ في الطريقِ والبَيْتِ والحَضَرِ والسّفرِ والبِقَاعِ تَكْثِيْراً لِشُهُوْدِ العَبْدِ يوم الْقِيَامَةْ، فإنَّ البُقْعَةَ والدَّارَ والْجَبَل والأَرْضَ تَشْهَدُ للذَّاكِرِ يومَ القيامَةْ. وانّ الذِّكْرَ يُعْطِي الذّاكِرَ قُوةً حَتَّى أنّهُ ليفعَلُ مَعْ الذكْرِ مَا لَمْ يَظنَّ فِعْلَهُ بِدونِهِ، قالَ وقَدْ شَاهَدتُ مِن قُوَّةِ شَيْخِ الإسْلامِ ابنِ تَيْميَّةَ في سُنَنِه وكَلَامِهِ واقْدَامِهِ وكِتَابَتَه أمْراً عَجِيْباً، فكانَ يَكْتُبُ في اليومِ مِن التَّصْنِيف ما يَكْتُبُه النّاسِخُ في جُمْعَةٍ وأكْثَرْ.

ما دُمْتَ تَقْدِرْ فأكْثِرْ ذِكْرِ خَالِقِنَا   وَأدِّ وَاجِبَهُ نَحْوَ العِبَادَاتِ
فَسَوْفَ تَنْدمُ إن فَرطَّتَ في زمنٍ   ما فيه ذِكْرٌ لِخَلَّاقِ السَّمٰوَاتِ

وَقَدْ عَلَّمَ النَّبيُ ﷺ ابْنَتَهُ فاطمةَ وعلياً – رضِي الله عنهما – أن يُسَبِّحا كلّ

لَيْلَةِ إذَا أخذَ مَضَاجِعُهُما ثلاثاً وثلاثين، ويَحْمَدا ثلاثاً وثَلاثين، ويُكَبِرّا أَرْبَعاً وثلاثِين، لَمَّا سَأَلْتَهُ الخادِمَ، وشَكَتْ إليهَ ما تُقَاسِيهِ من الطَّحْنِ والسَّعْي والخِدْمَة، فعَلَّمَها ذَلِكَ، وقال: إنّه خَيرٌ لَكُمَا مِنْ خَادَم.

فَقِيلَ انَّ مَنْ دَاوَمَ على ذَلِكَ وجَد قُوةً في عَمَله مُغْنِيَةً عَنْ خادِمْ، قالَ وسَمِعْتُ شَيْخَ الإسْلامِ ابنُ تَيْمِيَّةِ - رَحِمِه الله تعالى - يَذْكُر أثراً في هَذَا البابِ، ويَقُول: انّ الملائكة لمَا أُمِروا بِحَمْلِ الْعَرْشْ، قالُوا يارَبَّنا كَيْفَ نَحْمِلُ عَرْشَكَ وعليهِ عَظَمَتُكَ وَجَلاَلَكْ، فقالْ: قُولُوا لا حوْلَ ولا قوة إلّا باللهْ.

فَلَّمَا قالُوا حَمَلُوهُ حَتَّى رَأَيْتُ ابْن أبي الدُّنْيَا قَدْ ذَكَر هَذَا الأَثَر بعَيْنه عن اللَّيثِ بن سَعْد عَنْ مُعَاوِيةِ بن صالحٍ قالَ حَدَّثَنَا مَشْيَخَتُنا أنّهُ بَلَغَهُم أنَّ أوَّل مَا خَلَقَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ حِيْن كانَ عَرْشُه على الماءِ حَمَلةَ العرشِ قالُوا: رَبَّنا لِمَ خَلَقْتَنَا؟ قَالْ: خَلقتُكُمْ لِحَمْلِ عَرْشي. قالوا: رَبَّنا وَمَنْ يَقْوَى على حَمْلِ عَرْشِكَ وعليهِ عظمتُكَ وجلالُك وَوَقارُكَ، قالْ: لِذَلِكَ خَلقْتكم، فأعادُوا عليهِ ذَلِكَ مِراراً، فقالْ: قُولوا لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا بالله فَحَمَلُوهْ.

قالْ: وهذِهِ الكَلِمَةُ لَهَا تأثيرٌ عَجِيْب في مُعَانَاةِ الأَشْغالِ الصَّعْبَةِ، وتَحَمُّلِ المشاقِّ والدُّخولِ على المُلوكِ ومَنْ يُخَافُ، ورُكُوب الأهْوَالِ، ولَهَا أيْضاً تأثِير في دَفْعِ الفَقْر، قالْ: ومَبْنَى الدِّينِ على قَاعِدَتَيْنَ: الذِكْرِ والشُّكْرِ.

إذَا رُمْتَ أَنْ تُحْظَى بِعِزٍّ ورِفْعَةٍ بِدُنْيَاكَ والأُخْرَى لِنَيْل السَّعَادَةِ
عَليْكَ بِذِكْرِ الله جَلَّ جَلالُهُ وإِيَّاكَ أَنْ تَغْفُلْ ولَوْ قَدْرَ لَحْظَةِ
آخر: إلَهُ الوَرَى حَتْمٌ عَلى الناسِ حَمْدُهُ لِمَا جَادَ مِن فَضْلٍ عَلَيْهِمْ بِلا مَنِ

ولَيْسَ المُرادُ بالذّكْرِ مُجَرّدَ ذِكْرِ اللسانِ بَلْ الذّكْرُ الْقَلْبِي واللّساني، وذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ مَعْرِفَتَه والإيمانَ بِهِ وبصفاتِ كَمَالِه ونُعُوتِ جَلالِهِ والثَناءِ عليهِ بأنواعِ المدْحِ وذَلِكَ لَا يَتِمُّ إلَّا بتَوحيدِهِ فذِكْرُه الحَقِيْقِي يَسْتَلْزِمُ ذِكْرَ نِعَمِهِ وآلائِهِ وإحْسَانِهِ إلَى خَلْقِهِ.

وأمَّا الشُّكْر فَهْو القيامُ بِطَاعَتِهْ، فَذِكْرُهُ مُسْتلْزِمٌ لِمَعْرِفَتِهِ وشُكْرُهُ مُتَضمّنٌ لِطاعَتِهِ وهُمَا الغايةُ التي خُلِقَ لأَجْلِهَا الجِنُّ والإِنْس.

«**فَائِدَةْ**»: قَالَ الشَّيْخُ تَقِي الدِّيْن: مَن أُبْتُلِيَ بِبَلاءٍ قَلْبٍ أَزْعَجَهُ فأعظَمُ دَواءٍ لَهُ قُوَّةُ الإلْتِجَاءِ إلى اللهِ وَدَوامُ التّضَرُّعِ والدّعاءِ فَأَنْ يَتَعلمّ الأَدْعِيَةَ المأْثُورَةَ وَيَتَوخّى الدّعاءِ في مَظَانِّ الإِجَابَةِ مِثْلُ آخِرَ اللّيْلِ وَأَوقاتِ الآذانِ والإِقَامَةِ وفي السُّجُودِ وإدبارِ الصّلَواتْ، ويَضُمُّ إلى ذَلِكَ الاسْتِغْفَارِ.

وَلَيَتخِّذُ وِرْداً مِن الأَذْكارِ طَرَفَي النَّهارِ وعِنْدَ النَّومِ، وَلْيَصْبِرُ على ما يَعْرِضُ لَهُ من الموانِعِ والصّوارِفِ، فإِنّهُ لا بدُ أنْ يُؤَيّدَهُ اللهُ بِرُوْحٍ مِنْهُ ويَكْتُبَ الإِيْمَانَ في قَلْبِه وليَحْرِصَ عَلى عَمُودُ الدِّيْنِ، ولَيَكُنْ هُجَيْرَاهُ لا حوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا باللهِ العَلِي العظيمْ.

فإنّهُ بِها يَحْمِلُ الأثْقَالَ ويُكَابِدُ الأَهْوَالَ، ويَنَالُ رَفِيْعَ الأَحْوالِ ولا يَسْأَمُ مِن الدُّعاءِ والطّلَبْ، فإِنَّ العَبْدَ يُسْتَجابُ لَهُ مَا لَمْ يَعْجَل ولْيَعْلَمَ أنَّ النّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وأنّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْب وانّ مَعَ العُسْرِ يُسْرَا، ولَمْ يَنَلْ أحَدٌ شَيْئاً مِن عَمِيْمِ الخَيْرِ إلا بالصَّبْرِ واللهُ الموفق.

شِعْرَا: لا تَقْصُدِ النَّـاسَ إِذَا أَدْبَـرَتْ ... دُنْيَاكَ وَاقْصُدْ مِنْ جَوَادٍ كَرِيْم
كيْفَ يُرَجَّى الرِّزْقُ مِنْ عِنْدِ مَنْ ... يَطْلُبُ الرزْقَ مِنْ الرَّبِ الرَّحِيْم

آخر: يا أَيُّهَـا الطَّـالِبُ مِن مِثْلِـهِ ... رِزْقاً لَهُ جُرْتَ عن الحِكْمَةِ
لا تَطْلُبَنَّ الـرِزْقَ مِنْ طَالِبٍ ... مِثْلُكَ مُحْتَاجُ إِلىَ الرَّحْمَـةِ
وارْغَبْ إِلَى اللهِ الذِي لَمْ يَزَلْ ... في يَدِهِ النّعْمَـةُ والنِّقْمَـةْ

شِعْرا: بِذِكْرِكَ يَامَوْلى الْوَرَى نَتَنَعَّمُ ... وقدْ خابَ قومٌ عن سَبِيْلِكَ قَدْ عَمُوا
شَهِدْنَا يَقِيْناً أَنَّ عِلْمَكُ وَاسِعٌ ... فَأَنْتَ تَرى ما في القُلوبِ وَتَعْلَمُ
إِلَهِي تَحَمَّلْنَا ذُنُوباً عَظِيْمَـةً ... أسَأْنا وقصّرْنا وجُودُكَ أعْظَمُ

وَحـقِّكَ ما فِيْنَـا مُسيءٌ يَسُرُّهُ   صُدُودُكَ عَنْهُ بَلْ يَخَافُ ويَنْدَمُ
سَكَتْنَا عَنِ الشَّكْوَى حَياءً وَهَيْبَةً   وَحَاجَاتُنَـا بالْمُقْـتَضَى تَتَكَلَّـــمُ
إِذَا كَانَ ذُلُّ العَبْدِ بالحَال نَاطِقاً   فَهَلْ يَسْتَطِيع الصَّبْرَ عَنْهُ وَيَكْتُمُ
إِلَهِي فَجُدْ واصْفحَ وأَصْلِحْ قلُوبَنا   فأنْتَ الذِيْ تُولِيْ الجَمِيلَ وَتُكْرِمُ
وأَنْتَ الذِي قَرَّبْتَ قَوْماً فَوَافَقُوا   وَوَفَّقْتَهُم حَتَّى أنابُـوا وأسَلَّمُـوْا
وَقُلْتَ اسْتَقَامُـوا مِنَّـةً وَتَكَرُّمـاً   فأنْتَ الـذِي قَوَّمْتَهُـم فَتَقَوَّمُـوا
لَهُمْ في الدُّجَى أُنْسٌ بِذِكْرِكَ دَائِماً   فهُمْ في اللّيَالِي ساجِدُونَ وقُوَّمُ
نَظَـرْتَ إِلَيْهِـمْ نَظْـرَةً بِتَعَطُّـفٍ   فَعاشُوا بِهَا والنّاسُ سَكْرَى وَنُوَّمُ
لكَ الحَمْدُ عَامِلْنَا بِمَا أنْتَ أَهْلُهُ   وَسَامِح وسَلِّمْنَا فأنْتَ الْمُسَلِّـمُ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرِكَ وشُكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالِحِيْنَ مِن خَلْقِكَ، اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوباً أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ، وَلَا تُعَذّبْنَا بِأَلِيمِ عِقابِك يَاأَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنَّوَالِ وَجَادَ بِالإِفْضَالِ، اللَّهُمَّ أَيْقَضْنَا مِنْ غَفْلِتِنَا بِلُطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ، وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: قالَ في حَادي الأَرْوَاحْ ولَمَّا عَلِمَ الْمُوَفّقُونَ ما خُلِقُوا لَهُ ومَا إِيْجَادُهُمْ لَهُ رَفعُوا رُؤُوْسَهُمْ فَإِذَا عَلَمُ الجَنَّةِ قَدْ رُفِعَ لَهُمْ شَمَّرُوا إِلَيْهِ وإِذَا صِرَاطُهَا الْمُسْتَقِيم قَدْ وَضَحَ لَهُمْ فأَسْتَقَامُوْا عليهِ ورَأَوْا مِنْ أَعْظَمِ الغَبْنِ بَيْعُ مَا لَا عَينٌ رَأَتْ ولا أذنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ عَلَى قَلبِ بشرٍ.

وفي أَبَدٍ لا يَزُول ولا يَنْفَذْ بِصُبَابهِ عَيْشٍ إنَّما هُو أضْغَاثُ أَحْلَامٍ أو كَطَيْفٍ زارَ في المَنامِ مَشُوبٍ بالنَّغَص مَمْزُوجٍ بالْغُصَصِ إِنْ أَضْحَكَ قَلِيْلاً أَبْكَى كثيراً وإِنْ سَرَّ يَوْماً أَحزَنَ شُهوراً آلامُهُ تزيدُ على لَذّاتِهِ وأحْزَانُهُ أضْعافُ مَسَّراتِهِ أَوّلُهُ مَخَاوِفُ وآخِرُهُ متألِف.

فَيَاعَجَباً مِنْ سَفِيهٍ في صُورةِ حَكيم ومَعْتُوهٍ في مِسْلاخ عاقِل آثَرَ الحَضَّ الفانِي الخَسِيْسَ على الحضّ الْبَاقي النَّفْيس باعَ جَنَّةٍ عَرْضُها الأَرْضُ والسَّمَواتُ بسِجْنٍ ضَيِّقٍ بَيْنَ أَرْبَابَ الْعَاهَاتِ والْبَلِّياتِ ومَسَاكِنَ طَيِّبَةً في جنّاتِ عَدْنٍ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأنْهار بأعْطانٍ ضَيّقَةٍ آخِرُها الْخَرابُ والبَوارُ.

وأبكاراً عُرْباً أتْراباً كأنَّهُنَّ الْياقُوتُ والْمَرْجَانُ بِقَذِرَاتٍ دَنِسَاتٍ سَيِّئاتِ الأَخْلاقِ مُسَافِحَاتٍ أوْ مُتّخِذَاتِ أخْذانٍ وحُوْراً مقْصُوراتاً في الخِيامِ بِخَبْيثَاتٍ مُسَيَّباتٍ بَيْن الأنام وأنْهَاراً مِنْ خَمْرٍ لَذّةٍ لَلشَّاربينَ بِشَرابٍ نَجَسٍ مُذْهَبٍ لِلْعَقْلِ مفْسِدٍ لِلدُّنْيَا والدِّين، ولَذّةَ النّظَرِ إلى وَجْهِ الْعَزِيْزِ الرّحيمِ بالتّمَتّعِ بِرُؤْيَةِ الْوَجْهِ القَبِيحْ الذّميم.

وسَمَاعَ الْخِطابِ مِن الرحمن بِسَماعَ الْمَعازِفِ والْغِنَاءِ ولأَلْحَانِ والجُلُوسِ على مَنابِرِ اللُّؤْلِؤ والياقُوتِ والمُرْجَانِ والزَّبَرْجَدِ ويَوْمَ المزيدِ بالجُلُوسِ في مَجَالِسِ الفُسوقِ مَعَ كُلِّ شيطانٍ مَرْيدٍ.

وإنَّما يَظْهَرُ الْغَبْنُ الفاحِشُ في هَذَا البيع يومَ الْقِيامَةِ ويَتَبيَّنَ سَفهُ بائِعِهِ يَوْمَ الْحَسْرَةِ والنّدَامَةِ إذَا حُشِرَ المتَّقونَ إلى الرَّحْمنِ وفْداً وسِيْقَ المُجْرِمُون إلى جَهَنَّم وِرْداً ونَادى المُنادِي على رؤوس الأشْهادِ لِيَعْلَمَنَّ أهْلُ المَوقف مَنْ أولى بالكَرَمِ مِن بَيْنِ العِبَادْ.

فَلَو تَوَهَّمَ المُتَخَلِّفُ عَنْ هَذِهِ الرِّفْقَةُ ومَاأُعِدَّ لَهُم مِنَ الاكْرَامِ وَادُّخِرَ لَهُمْ مِن الفَضْلِ والانْعَامِ ومَا أُخْفِي لَهُم مِنْ قُرَّةِ أعْينٍ لَمْ يَقَعُ على مِثلها بَصَرٌ ولا سَمِعَتْهُ أذنٌ ولا خَطَر على قَلْبِ بَشَرٍ عَلِمَ أيُّ بِضَاعَةٍ أضَاعْ وأنّهُ لا خَيْرَ لَهُ في حَياتِهِ وهُوَ مَعْدُودٌ مِن سَقَطِ الْمَتَاعْ.

وأنّ الْقَوْمَ قَدْ تَوَسَّطُوا مُلْكَاً كَبيراً لا تَعْتَريه الآفَاتُ ولَا يَلْحَقُه الزَّوالُ وفَازُوا بالنّعيمِ المقيمِ في جِوَارِ الرّبِ الكبيرِ المُتَعَالِ، فَهُمْ في رُوْضَاتِ الجَنَّاتِ

يَتَقَلَّبونَ وَعَلى أَسِرّتِها تَحْتَ الحِجَالِ يَجْلِسُونَ وعلى الفُرُشِ التي بَطائِنُها مِنِ اسْتَبْرَقٍ يتّكِئُونَ وبالحُورِ العينِ يَتَمتَّعُونْ.

وبأنواع الثِّمارِ يَتَفَكَّهونَ ﴿يَطُوفُ عليهم وِلْدَانٌ مُخَلَّدُون بأكْوابٍ وأباريقَ وكأسٍ من مَعينٍ لا يُصَدّعُونَ عَنْها ولا يُنْزِفُون وفاكِهَةً مِمَّا يَتَخَيَّرُوْنَ ولحم يَرٍ مِمَّا يَشْتهون وحُورٌ عِينٌ كأمْثالِ اللُّؤْلُؤ والمكنونِ جَزَاءاً بِمَا كانوا يَعْمَلونْ﴾ يُطَافُ عليهم بِصَحافٍ مِنْ ذَهبٍ وأكْوابٍ وفِيْها ﴿ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وتَلَذُّ الأَعْيُنَ وأَنْتُم فيها خالدون﴾ تا اللهِ لقَدْ نُودِي عليها في سُوقِ الْكَسادِ فَمَا قَلَّبَ ولا اسْتَامَ إلا أَفْرَادٌ مِن العِبَادِ وقال رحمه الله في النونية:

بِاللهِ ما عُذْرُ امْـرِءٍ هُو مُؤْمِـنٌ ... حَقّـاً بِهـذا لَيْسَ بالْيَقْظَـانِ
بَلْ قَلْبُهُ في رَقْـدَة فإذَا استَفـا ... ق فَلُبْسُهُ هُو حُلَّـةُ الْـكَسْلَانِ
تَا اللهِ لَوْ شاقَتْكَ جَنَّاتُ النَّعِـ ... ـمِ طَلَبْتَهـا بِنفـائِسِ الاثْمـانِ
وسَعَيْتَ جُهْدَكَ في وِصَالِ نَواعِمٍ ... وكَواعِبٍ بِيْضِ الوُجُـوْهِ حِسَانِ
جُلَيَتْ علـيكَ عَرائسٌ واللهِ لَوْ ... تُجْلَى على صَخْـرٍ مِنَ الصُّوَّانِ
رَقَّتْ حَواشِيْـهِ وعـادَ لِوْقْتِـهِ ... يَنْهَالُ مِثْلَ نَقَـىً مِن الكُثْبَـانِ
لَكِنَّ قَلْبَكَ في القَسَاوَةِ جَازَ حَدْ ... دَ الصَّخْرِ والْحَصْبَاءِ في أَشْجَانِ
لَوْ هَزَّكَ الشَّوْقُ المُقيمُ وكُنْتَ ذَا ... حِسٍّ لَمَـا اسْتَبْـدَلْتَ بالأَدْوَانِ
أَوْ صَادَقَتْ مِنْكَ الصِّفاتُ حَياةَ قَلْـ ... ـبٍ كُنْتَ ذَا طَلَبٍ بِهَذَا الشَّانِ
حُورٌ تُزَفُ إلى ضَرِيْـرٍ مُقْعَـدٍ ... يا مِحْنَـةِ الحَسْنَـاءِ بالْعُمْيَـانِ
شَمْسٌ لِعِنِّيـنٍ تَزَفُ إليـه مَا ... ذَا حِيلَـةُ الْعِنّيْـن في الْغَشَيَـانِ
يا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَسْتِ رَخِيْصَةً ... بل أنْتِ غاليـة على الْـكَسْلَانِ
يا سِلْعَةَ الـرحمن ليس يَنالُهَـا ... بالأَلْـفِ إلا واحِـدٌ لا اثْنَـانِ
يا سِلْعَةَ الـرحمن ماذا كَفُوْهَـا ... إلا أُولُوا التّقْـوَى مَعَ الإِيْمَـانِ
يا سِلْعَةَ الـرَّحمنِ سُوقُكِ كاسِدٌ ... بين الأَرَاذِلِ سَفْلَـةِ الْحَيَـوانِ

يا سِلْعَةَ الرحمن أيْنَ المَشتَرِي   فَلَقَــدْ عُرِضْتِ بأيْسرِ الأثْمــانِ
يا سِلْعَةَ الرحمنِ هَلْ مِنْ خَاطِبٍ   فَالْمَهْرُ قَبْلَ الموتِ ذُوْ إمْكَــانِ
يا سِلْعَةَ الرحمنِ كَيْفَ تَصبُّر الْـ   خُطّابُ عَنْكَ وَهْـمْ ذَوُوْ إيْمَـانِ
يا سِلْعَــةَ الــرحمنِ لَوْلَا أنَّهَــا   حُجِبَتْ بِكُلِّ مَكَــارِهِ الإنْسَانِ
ما كَانَ عَنْهَا قطُ مِن مُتَخلِّــفٍ   وتَعَطّــلتْ دَارُ الجَــزاءِ الثَّانِــي
لَكِنَّهَـا حُجِبَتْ بكُــلِّ كَرِيْهَــةٍ   لِيَصُدَّ عَنْهَا الْمُبْطِــلُ المُتَوانِــي
وتَنَالُهَا الْهِمَـمُ الَّتِي تسْمُوا إلى   رَبِّ الْـعُلى بِمَشِيْئَــةِ الــرَّحمنِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأبْرارِ وأَسْكِنَّا مَعَهمُ في دَارِ القرارَ، اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا بِحُسْنِ الإقْبَالِ عَلَيْك وَالإصْغَاءِ إلَيكَ وَوَفِّقْنَا لِلتّعاوُنِ في طَاعَتِكَ والمُبَادَرَةِ إلَى خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الآدابِ في مُعَامَلَتِكَ والتّسليم لِأَمْركْ والرِّضَا بِقَضَائِكَ والصَّبْرْ عَلى بَلائِكْ والشّكْرِ لِنَعْمَائِكَ، اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِن النِّفَاقِ وأَخْلِصْ عَمَلنَا مِن الرِّيَاء ومَكْسَبَنَا مِن الرِّبا وَنَوِّرْ قُلُوْبَنا بِنُورِ الإيْمَانِ وَثَبِّتْهَا على طَاعِتكَ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ» في فَضَائِلِ الاسْتِغْفَار

يُسْتَحَبُّ الإكْثَارُ مِن الاسْتِغْفَار في كُلِّ وَقْتٍ، ويَتَأَكَّدُ في الزمَّانِ الفَاضِلِ، والمكانِ الفاضِلْ، قال تَعالى: ﴿والمُسْتَغْفِرين بالأسْحَار﴾، وقال: ﴿أَفَلا يَتُوبُون إلَى اللهِ ويَستغفرونَهُ واللهُ غَفورٌ رَحيم﴾، وقال تعالى: ﴿ومَا كان اللهُ مُعذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغفِرون﴾؛ وقالَ تعالى، مُخْبِراً عن نوح: ﴿... فَقُلت استغفروا ربّكُمْ إنه كانَ غفّاراً يُرْسِلِ السّماءَ عليكم مِدراراً ويُمْدِدْكُمْ بأمْوالٍ وَبَنِيْنَ وَيْجَعل لَكُمْ جَنّاتْ﴾ الآيَة، وقَالَ تَعَالى: ﴿والَّذِيْنَ إذا فَعَلوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا انْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ، ومَنْ يَغْفِرُ الذّنُوب إلَّا اللهُ﴾،

وقالَ تَعالى: ﴿وَمنْ يَعْمَل سُوءاً ويَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ، يَجِدِ الله غَفُوراً رَحِيْما﴾.

وَعَنْ شَدّادٍ بْنُ أَوْسٍ – رَضْي اللهُ عَنْهُ – عَنِ النَّبيّ ﷺ قالْ: «سَيِّدُ الاسْتِغفَارُ أنْ يَقُولَ العَبْدُ: اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعَدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْت، أبوُءُ لَكَ بِنْعَمتِكَ عَلَيْ، وأَبُوُء بِذَنْبِي، فاغْفِرْ ي، إِنّهُ لَا يَغْفُر الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ».

وَعَنِ ابْنِ عُمَرْ – رَضْي اللهُ عَنْهُما – قَالْ: إنّا كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ الله ﷺ في المجْلِس يَقُولْ: «رَبّ إغْفِرْ لِي، وتَبْ عَلَيْ، إنّكَ أنْتَ التّوابُ الغَفُور» مِائَةَ مَرّةْ.

وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنُ بُسْرٍ – رَضْي اللهُ عَنْهُ – قالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ وُجِدَ في صَحِيْفَتِهِ: اسْتِغفَارٌ كَثِيرْ».

وعَنْ أبي هَرَيْرةَ – رَضْي اللهُ عَنْهُ – قَالْ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «انّ اللهَ عَزَّ وَجَلْ لَيَرْفَعُ الدّرَجَة لِلْعَبْدِ الصّالِحِ في الجَنّة فيَقُولُ: يَا رَبِّ، أنَّي لِي هَذِه؟ فَيَقُولُ: باسْتِغْفارِ وَلَدِكَ لَكْ».

شِعْرًا: ياذَا المعَارِجِ أنْتَ الله أَسْأَلـهُ — وأَنْتَ يَارَبِّ مَدْعـوٌ وَمَسْؤُلُ
أَدْعُوْكَ أَدْعُوكَ يَاقَيُومُ فِيْ ظُلَمَ — وَكُل دَعٍ بِحُلْوِ النَّومِ مَشْغُولُ
تُعْطِي لِمَنْ شِئْتَ مَنْ يَسْأَلُكَ مِنْ سَعَةٍ — والخَيْرُ مِنْكَ لِمَنْ نَادَاكَ مَبْذُولُ
تَغْفِرْ ذُنُوبْي وتَخْتُمُ لِيْ بِخَاتِمةٍ — تُرْضِيْكَ عَنِّي وظَنّي فِيْكَ مَأْمُوْلُ

وعَنْ ابْنُ عَبّاسٍ – رَضْي اللهُ عَنْهُما – قَالْ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجَا وَمِن كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجَا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسَب».

وَعَن الأَغَرَ المْزُنِي – رَضْيَ اللهُ عَنْهِ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّهُ لَيغُانُ على قَلْبِي، وَإنّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ في اليومِ مِائَةَ مَرَّةٌ».

وَقَالَ حُذَيْفَةْ: كُنْتُ ذَرِبَ اللّسَانِ عَلَى أهْلِي، فَقُلْتُ: يَارسولَ اللهْ، لَقَدْ خَشِيْتُ أنْ يُدْخِلنِي لِسَاني النَّارْ، فقَالَ النّبيُّ ﷺ: «فأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الاسْتِغْفَارْ، فَإِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ اللهَ في اليومِ مِائَةَ مَرّة» أخرْجَهُ النَّسَائِي.

وَعَنْ زَيْدٍ مَوْلَى رسولَ الله ﷺ، أنّهُ سَمِعَ النّبِيَّ ﷺ يَقُولْ: «مَنْ قَالْ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الذي لا إلٰهَ إلَّا هُو، الحَيّ القَيّومُ، وأَتُوبُ إليهِ غَفَرَ لَهُ، وإنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزّحْفِ» رواه أبو دَاوُدْ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الخُدْرِي – رَضْيَ اللهُ عَنْهُ – عَنِ النّبي ﷺ قال: «مَن قالَ حِينَ يأوِي إلى فِرَاشِهَ: أَسْتَغْفِرْ اللهَ الذي لا إلٰهَ إلَّا هُو، الحْيُّ القيومُ، وأتُوبُ إلِيْهِ – ثلاثَ مَرّاتْ – غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُه، وانْ كانَت عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ، وأنْ كانَتْ عَدَدَ أيامِ الدُّنْياَ» رواهُ الترمذي.

وَعَنْ أنَس – رَضْيَ اللهُ عَنْه – سَمِعّتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «قالَ اللهُ تَعَالى: يَاابْنَ آدْم إنّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلى مَا كانَ مِنْكَ ولا أُبَالي، يا ابْنَ آدم، لو بَلَغَتْ ذُنوبُكَ عَنِانَ السَّمَاءِ ثُمّ اسْتَغْفِرتَنِي غَفَرتُ لَكَ ولَا أبُالي، يا ابْنَ آدَمَ إنّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرابِ الأَرْض خَطَايَا ثُمّ لَقِيْتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرابِها مَغفَرةً» رواه التّرمذي. والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«**فصْلٌ**»: وَعَـنْ أبي سَعِيْدِ الخُدْري – رَضْي اللهُ عَنْه – عَن النَّبي ﷺ قَالْ: «قَالَ إبليْسُ: وَعِزَّتكَ لا أبْرَحُ أغْويْ عِبادَكَ ما دَامَتْ أَرَواحُهُمْ في أجْسَادِهُم، فَقالْ: وَعِزّتِي وَجَلَالِي لا أَزَالُ أغْفِرُ لَهُمْ ما اسْتَغْفَرُونِي».

وَعَنِ الزُبيْرِ – رَضْي اللهُ عَنه – أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «مَنْ أحبّ أنْ

تَسُرَّهُ صَحِيْفَتُهُ فَلْيُكْثر فِيها مِنَ الاسْتِغْفَارْ».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضْي اللهُ عَنْه – عَنِ الرِّسُولِ ﷺ قالْ: «إنّ العَبْدَ إذَا أخطأً خَطِيئةً نَكتَتْ في قَلْبِهِ نُكْتَةٌ، فإنْ هُوَ نَزَعَ واسْتَغْفَرَ صُقِلَتْ، فَإِنْ عَادْ زِيْدَ فِيْهَا حَتى تَعْلُو قَلْبَهُ، فذَلِكَ الرّانُ الذِي ذَكَرُ اللهُ تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ مَا كَنُوا يَكْسِبُونْ﴾.

وَرُوِيَ عَنْ أنَسْ – رَضْي اللهُ عَنه – أنّ رَسولُ الله ﷺ قَالْ: «إن لِلْقُلُوبِ صَداً كَصَدِأ النُّحَاسِ، وجَلاؤُهَا الاسْتِغْفَارُ».

وَرَوِي عَنْ أنس بْنُ مَالِكَ – رَضْيَ اللهُ عَنه – قَالْ: كَانَ رسُولُ الله ﷺ في مَسْيرَةٍ، فَقَالْ: «اسْتَغْفِرُوا الله» فاسْتَغْفَلرْنَا، فَقَالَ: «أَتِمُّوْهَا سَبْعَيْنَ مَرّةْ» فَأَتْمَمْنَاهَا، فَقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ وَلَا أمَةٍ يَسْتَغْفِرُ اللهَ في يَوْمٍ سَبْعِيْنَ مَرَّةٌ إلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ سَبْعُمِائَةَ ذَنْب، وَقَدْ خَابَ عَبْدُ أو أمَة عَمِلَ في يَومٍ ولَيْلَةٍ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِمائةِ ذَنْبٍ».

وَعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ – رَضْيَ اللهُ عَنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «والّذِي نَفْسِي بَيِدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ الله تَعالى بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيسْتَغْفِرُونَ الله تَعالى فَيَغْفِرُ لَهُمْ» رواهُ مُسْلَمِ.

وَفِي حَدْيث سَلْمَانْ: «فاسْتَكْثُروا فِيه مَنْ خَصلَتَيْنِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبّكمُ فَشهادَةُ أنّ لّا إلٰهَ إلّا اللهَ، والاسْتِغْفَارُ وَأَمَّا التِي لِا غِنَى بِكُمْ عَنْهُمَا فَتَسْأَلونَهُ الجَنّة وتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النّارْ».

فَهذِه الخِصَالُ الأَرْبَعُ المذكُورَةِ في الْحَدْيثِ كُلّ مِنْهَا سَبَبٌ لِلْمَغْفِرةِ والعْتقِ مِنَ النارِ، فأمّا كَلِمَةُ الإِخْلاصِ فإنّها تَهْدِمُ الذَّنُوبَ وتَمْحُوها مَحْواً، وَلَا تُبْقى ذَنْباً، وَلَا يَسْبِقُها عَمَلٌ، وَهْي تَعْدِلُ عِتْقُ الرِّقَاب الّذِي يُوجِبُ الْعِتْقَ من النَّارِ، وَمَنْ أتى بِهَا حِيْنَ يُصْبحُ وَحِيْنَ يُمْسِي أعْتَقَهُ اللهُ مِنَ النّارْ، وَمَنْ قَالها

خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ.

وَأَمَّا كَلِمَةُ الاسْتِغْفَارُ فَمِنْ أعْظَمِ أسْبَابِ الْمَغْفِرَةْ. فَإِنَّ الاسْتِغْفَارَ دُعَاءُ بالمَغْفِرَةْ، وَدُعَاءُ الصَّائِمِ إِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ الشُّرُوطُ وانْتَفَتْ المَوانِعْ مُسْتَجَابٌ حَالَ صِيَامِهِ وعِنْدَ فِطْرِهْ.

وَفِي حَدْيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «وَيَغْفِرُ اللهُ إِلَّا لِمَنْ أبى، قالُوا يا أَبَا هُرَيْرَةَ وَمَنْ يَأْبَىَ؟ قَالْ: يَأْبَى أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللهَ».

وَقَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ: يَا بُنَيَّ عَوِّدْ لِسَانَكَ الاسْتِغْفَارْ، فَإِنَّ لِلَّهِ سَاعَاتٍ لَّا يَرَدُّ فِيْهِ سَائِلَا، وَقَدْ جَمَعَ اللهُ بَيْنَ التَّوْحِيْدِ والاسْتِغْفَارِ، في قَوْلِهِ: ﴿فاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلَّا الله واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكْ﴾.

وَفِي بَعْضِ الآثَارْ: أَنَّ إِبْلِيْسَ قَالَ: أَهْلَكْتُ النَّاسَ بالذنُوبِ وأهْلَكُونِي بالْاسْتِغْفَارِ وَلَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهْ.

والاسْتِغْفَارُ خِتامُ الأعْمَال الصَّالِحَةِ كُلِّهَا فَيُخْتَمُ بِهِ الصَّلَاةُ والحَجُّ والْقِيامُ في اللَّيْلِ وَيُخْتَمُ بِهِ المَجَالِسُ، فإنْ كانَتْ ذِكْراً كانَ كالطَّابَع عَلَيْهَا وإِنِ كانَتْ لَغْواً كَانَ كَفَّارَةٌ لَهَا، فكَذَلِكَ يَنْبغي أَنْ يُخْتَتَم صِيَامُ رَمَضانَ بالاسْتِغْفَارِ يُرَقِّعُ مَا تَخَرَّقَ مِن الصِّيَامُ باللَّغْوِ والرَّفَثِ «وَيَجتَهِدُ في الاكْثَارِ مِنَ الأعْمالِ والتَّقَلُّلِ مِنْ شَواغِلِ الدُّنْيا والإقْبالِ على الآخِرَةِ ما دَامَ في قَيْدِ الْحَياةْ».

ومِن عِظَةِ الْحَسَنِ الْبَصْرِي لِعُمَرَ بْنُ عَبْدِالْعَزِيْزِ أَمَّا بَعْدُ فإنّ الدُّنْيَا دَارُ ظَعَنِ لَيْسَتْ بدارَ إقَامَةْ لَهَا في كُلِّ حِيْنٍ قَتِيْلٌ تُذِلُّ مَنْ أعزّهَا وَتُفْقِرُ مَن جَمَعَهَا هِيَ كالسُّمِّ يَأْكُله مَنْ لَا يَعرفُهُ وفيهِ حَتْفُهُ فَكُنْ فِيْها كالمُدَاوي جِرَاحُه يَحْتَمِي قَلِيْلًا مَخافَة مَا يَكْرَهُ طَوِيْلاً ويَصبْرُ على شِدَّةِ الدّاواءِ مَخَافَةَ طُولِ الدّاءِ، فأحْذَرْ هَذِهِ الدُّنْيَا الخَدَّاعةَ الغَدّارَةَ الخَتّالَةَ الّتِي قَدْ تَزَيَّنَتْ بِخِدَعِهَا وقَتَلَتْ بِغُرُورِهَا وتَحَلَّتْ بآمالِها وسَوّفَتْ بِخُطَّابِها.

فأصْبَحَتْ كالْعَرُوْسِ المَجْلِيَّةْ العُيُوْنُ إِلَيْهَا نَاظِرَةٌ والْقَلوبُ عَلَيْها وَالَهةٌ وَهْي لأَزْوَاجِها كُلُّهمْ قَالِيَة، فَلا الْباقِي بالْماضِي مُعْتَبِرٌ وَلَا الآخِرُ بالأَوّلِ مُزْدَجِرٌ، فَعَاشِقٌ لَهَا قَدْ ظَفِرَ مِنْها بِحَاجَتِهِ فاغْتَرَّ وَطَغَى ونَسِيَ المَعَادَ فَشغَلَ فِيْها لُبَّهُ حَتّى زَلّتْ بِهِ قَدَمُهُ فَعَظُمَتْ نَدَامَتُهُ وكَثُرَتْ حَسْرَتُهُ واجْتَمَعَتْ عليهِ سَكَراتُ الْموتِ وتأَلُّمهُ وحَسَرَاتُ الفَوْتِ بِغُصَّتِهِ وَراغِبٌ فِيها لَمْ يُدْرِك مِنْهَا مَا طَلَبْ وَلَمْ يُرِحْ نَفْسَهُ مِنَ التّعَبِ فَخَرَجَ بِغَيْر زَادٍ وقَدَمَ على غَيْرِ مِهادٍ.

فاحْذَرْهَا يا أميرَ المُؤْمِنينَ وَكُنْ أَسَرَّ مَا تَكُونُ فِيها أَحْذَرُ لَهَا فإِنَّ صَاحِبَ الدُّنْيَا كُلّما أطْمأَنّ فِيْها إلى سُرورٍ أشْخَصَتْه إلى مَكْرُوهٍ وضَارٍ وَقَدْ وصِلَ الرَّخاءُ مِنْها بالبَلاءِ وجُعِلَ البَقَاء إلى فَناءِ فَسُرُوْرُها مَشُوبٌ بالأحْزَانْ، أَمَانِيُّهَا كَاذِبَةٌ وآمَالُها باطِلَةٌ وَصَفْوهَا كَدَرٌ وعَيْشُها نَكَدٌ وبْنُ آدَمَ فِيْهَا عَلى خَطَرٍ، إهـ.

شِعْرًا: فَيَا أَيُّهـا النّـاسِي لِيَـومِ رَحِيْلِـهِ ... أَرَاكَ عن الموتِ المُفرِقِّ لَاهِيا

أَلا تَعْتَبِرُ بالرَّاحِلِيْـنَ إلى الْبِلَـى ... وتَرْكِهُمُ الدُّنْيَا جَمْيعاً كَمَا هِيَا

وَلَمْ يَخْرُجُوا إلّا بِقُطنٍ وخِرْقَةٍ ... وَمَا عَمَّرُوا مِنْ مَنْزِلٍ ظَلَّ خَالِيَا

وَأَنْتَ غَداً أوْ بَعْدهُ في جِوارِهِمْ ... وَحِيْداً فرِيداً في المَقَابـرِ ثَاوِيَـا

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمعصِيَةُ ولَا تَنْفَعُه الطَّاعَةُ أيْقِظْنَا مِنْ نَوْم الغَفْلَةِ وَنَبّهنْا لاغْتِنَام أوْقَاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمصَالِحِنَا واعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحنَا وذُنُوبنَا وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عليْهِ ضَمائِرُنَا وَأَكَنّتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْواعِ القَبَائِحِ وَالمعَائِب الَّتِي تَعْلَمُهَا مِنا، وامْنُنْ عَلَيْنَا يامَوْلاَنا بتَوبَةٍ تَمْحُوْ بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ، اللَّهُمَّ انْظُمْنَا في سِلْكِ الفَائِزِيْنَ بِرِضْوَانِكَ واجْعَلْنَا مِنْ المُتَّقِيْنَ الذِيْنَ أَعْدَدْتَ لَهُمْ فَسِيْحَ جَنَّاتِكَ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمتِكَ فِيْ دَارِ أَمَانِكْ، وَعَافِنَا يامَوْلانَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ جَمِيْعِ البَلَايَا، وَأَجْزِلْ لَنَا مِن مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهِبَاتِكَ وَمَتِّعْنَا بالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيْمِ مَعَ الذِيْن أَنْعَمتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِيْنَ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ

وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ» في أحْكَامِ الأعْتِكَافِ في المسْجِدْ

الإِعْتِكَافُ لُغَةً: لُزُوْمِ الشَّيء، وَحَبْسُ النَّفْسِ عَلَيْهِ بِرّاً كَانَ أَوْ غَيْرِهِ، وفي الشَّرْعِ: لُزُوْمُ مُسْلِمٍ لا غُسْلَ عَلَيْهِ، عَاقِلٍ وَلَوْ مُمَيّزاً، مَسْجِداً وَلَوْ سَاعَةً مِن لَيْلٍ أو نَهَارٍ لِطَاعَةِ اللهِ.

وَهُوَ سُنَّةٌ في كُلِّ وَقْتٍ، وَفي رَمَضَانَ آكَدَهُ، وآكَدُهُ عَشْرَهُ الأَخِيْرُ، لِمَا وَرَدَ عَنْ عائِشَةَ - رَضْيَ اللهُ عَنْها - قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانْ».

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضْيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: «كَانَ النَّبِيِّ ﷺ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانْ، فَلَمْ يَعْتَكِفْ عاماً فَلَمَّا كَانَ في الْعَامِ المُقْبِلِ إعْتَكَفَ عِشْرِيْنَ».

أَمَّا كَوْنُهُ لا يَصِحُّ مِنَ الكافِرْ، فَلأَنَّهُ مِنْ فُرُوعِ الإِيْمَانِ، وَلَا يَصِحّ مِنْهُ كالصَّوْمِ، وأَمَّا مِنْ زَالَ عَقْلُهُ كالمَجْنُونِ فَلأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ العِبَادَاتِ فَلَمْ يَصِحْ مِنْهُ.

أَمَّا كَوْنُهُ لا غُسْلَ عَلَيْهِ، فَلِقَوْلِهِ ﷺ في حَدِيْثِ عائِشَةَ - رَضْيَ اللهُ عنْها -: «إنّي لَا أُحِلُّ الْمَسْجِدَ لِحَائِضٍ ولَا جُنُبْ».

وأمّا كَوْنُهُ في مَسْجِدٍ، فَلِقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُوْنَ في المَسَاجِدِ﴾ وَلَا يَصِحُّ إِلَّا في مَسْجِدٍ تُقَامُ فِيهِ الْجَمَاعَةُ، لِأَنَّ الإِعْتِكَافَ في غَيْرِهِ يُفْضِي إمّا تَرْكِ الْجَمَاعَةِ، أو تكَرُّرِ الْخُرُوجِ إِلَيْهَا كَثِيراً مَعَ إِمْكَانِ التَّحَرُّزِ مِنه، وَهُوَ مُنَافٍ لِلإِعْتِكَافِ.

وَالْأعْتِكَافُ في مَسْجِدٍ تُقَامُ فِيهِ الْجَمُعَةَ أَفْضَلُ، لِئَلَّا يَحْتَاجَ إلى الخُروجِ إِلَيْهَا، وَلأَنَّ ثَوَابَ الجَمَاعَةِ في الجَامِعِ أَكْثَرُ، وَلِأَنَّهُ ﷺ اعْتَكَفَ في الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ.

وَيَجِبُ الإعْتِكَافُ بالنَّذْرِ، قَالَ ابْنُ المُنْذِرِ أَجْمَعَ أَهْلُ العِلْمِ على أَنَّ الإعْتِكَافَ لا يَجِبُ عَلَى النَّاسِ فَرْضاً إِلَّا أَنْ يُوجِبَ المرءُ عَلَى نَفْسِهِ الإعْتِكَافُ نَذْراً، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ الله فَلْيُطْعِهُ».

والأَفْضَلُ أنْ يَعْتَكِفَ بِصَوْمٍ، وَلِأَنَّ النَّبي ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ في شَهْر رَمَضَانَ، فَإِن اعْتَكَفَ بِغَيْرِ صَوْمٍ جَازَ، لِحَدِيْثِ عُمَرَ – رَضْيَ اللهُ عَنْهُ – قال: قُلتُ: يا رَسُولَ اللهْ، إِنِّي نَذَرْتُ في الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ اعْتَكِفَ لَيْلَةً في الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، قَالَ: «فَأَوْفِ بِنَذْرِكَ».

وَلَوْ كَانَ الصَّوْمُ شَرْطاً فِيهِ لَمَا صَحَّ اعْتِكَافُ اللَّيْلِ، وكَالصَّلَاةِ وسَائِرِ الْعِبَادَات.

وَلَا يَصِحُّ اعْتِكَافُ الْأَبْنِيَةِ، لِأَنَّهُ عِبَادَةُ مَحْضَةٌ، وَلِحَدِيْثِ: «إِنَّما الأَعْمَالِ بالنياتِ».

وَمَنْ نَذَرَ الإعْتِكَافَ أَوْ الصَلَاةَ في مَسْجِدٍ غَيْرِ الثَّلَاثَةْ، وَهِيَ: المَسْجِدُ الحَرَامُ، ومَسْجِدُ الْمَدِينَةِ، والْمَسْجِدُ الأَقْصَى: جَازَ لَهُ أَنْ يَعْتَكِفَ في غَيْرِهِ لِأَنَّهُ لَا مَزِيَّةَ لِبَعضِها عَلَى بَعْضٍ.

وَإِنْ نَذَرَ أَنْ يَعْتَكِفَ في الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لَزِمَهُ أَنْ يَعْتَكِفَ فِيْهِ لِمَا رُوِيَ عَنْ عُمَرْ – رَضْيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّهُ سَأَلَ النَّبي ﷺ، قَالَ: كُنْتُ نَذَرْتُ في الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ أعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، قَال: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ».

وَلِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ الْمَسَاجِدُ، وَلَا يَجُوزُ أنْ يُسْقِطَ فَرْضَهُ بِمَا دُوْنَهُ.

وَإِنْ نَذَرَ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي مَسْجِدِ الْمَدِيْنَةِ جَازَ لَهُ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، لِأَنَّهُ أَفْضَلَ مِنْهُ، وَلَمْ يَجُزْ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الأَقْصَى، لِأَنَّ مَسْجِدَ النَّبِيّ ﷺ أَفْضَلُ مِنْهُ.

وَإِنْ نَذَرَ أَنْ يَعْتَكِفَ فِى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى جَازَ لَهُ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي أَيِّ المَسْجِدَيْنِ أَحَبَّ لأَنَّهما أَفْضَلَ مِنْهُ. بِدَلِيْل قَوْلِهِ ﷺ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيْمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامِ».

وَلَا يَجُوزُ لِلْمُعْتَكِفِ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ لِغَيْرِ عُذْرٍ، لِمَا رَوَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيُدْخِلُ عَلَيَّ رَأْسَهُ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ فَأُرَجِّلُهُ، وكانَ لَا يَدْخُلَ البَيْتَ إِلَّا لِحَاجَةٍ إِذَا كَانَ مُعْتَكِفًا».

وَعَنْهَا - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «السُّنَّةُ عَلَى المُعْتَكِفِ أَنْ لَّا يَعُودَ مَرِيْضاً، وَلَا يَشْهَدَ جَنَازَةً، وَلَا يَمَسُّ إِمْرَأَةً وَلَا يُبَاشِرَهَا، وَلَا يَخْرُجَ لِحَاجَة إِنْسَانٍ إِلَّا مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ، وَلَا إِعْتِكَافَ إِلَّا بِصَوْمٍ، وَلَا اعْتِكَافُ إِلَّا فِي مَسْجِدٍ جَامِعٍ».

فَإِنْ خَرَجَ من غَيْرَ عُذْرٍ بَطُلَ إِعْتِكَافُهُ، لِإِنَّ الإِعْتِكَافَ: اللُّبْثُ فِي المَسْجِدِ، فَإِذَا خَرَجَ فَقَدْ فَعَلَ مَا يُنَافِيْهِ مِن غَيْرِ عُذْرٍ كَمَا لَو أَكَلَ فِي الصَّوْمِ ذَاكِراً.

وَيَجُوزُ أن يَخْرُجَ لِحَاجَةِ الإِنْسَانِ ولا يَبْطُلُ اعْتِكَافُهُ، وَكَذَا إِنْ خَرَجَ مِن المسجد نَاسِياً لَمْ يَبْطُل إِعْتِكَافُهُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «رُفِعَ عن أُمّتِي الخَطأُ والنسيانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عليهْ».

وَيُسْتَحَبُّ لِلْمُعْتَكِفِ التَّشَاغُلِ بفعل القُرَبِ كَقِرَاءَةِ القُرْآنِ، والْأَحَادِيْث الصَّحِيْحَةِ، والصَّلَاةِ وذِكْرُ اللهِ ونَحْوِ ذَلِكْ.

وَسُنَّ لَهُ اجْتِنَابُ مَا لَا يَعْنِيْهِ مِنْ جَدَلٍ وَمِرَاءٍ وكَثْرَةِ كَلامٍ لِمَا وَرَدَ عنْ أَبِي

هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المرءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ».

«**فائدة**»: قيل للقمان ما بَلَغَ مَا نَرى يُرِيدونَ الفَضْلَ، قال: صِدْق الحديثِ وأدَاءُ الأمانة وتركُ ما لا يَعْني.

شِعْرَا: على فِيكَ مِمَّا لَيْسَ يَعْنِيْكَ شَأْنُهُ   بِقُفْلٍ وَثِيْقٍ ما اسْتَطَعْتَ فاقْفِلِ

اللَّهُمَّ يا خالقَ الخَلْقِ يا قَيُّومُ نسألُكَ بأسْمائِكَ الحُسْنَى أنْ تنصُرَ الإِسْلَامَ والمسلمين وأنْ تُعْلِيَ بفضْلِكَ كَلِمَةَ الحقِّ والدِّيْنِ وأنْ تَشْمَلَ بعِنَايَتِكَ وَتَوْفِيقِكَ كُلَّ نَصَرَ الدِّين وأنْ تَمْلأَ قُلُوبَنا بِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ مَنْ يُحبُّكَ وأنْ تأخُذَ بنَوَاصِيْنَا إِلَى ما تَرْضَاهُ وأنْ تَرْزُقَنا الاسْتعدادَ لِمَا أَمَامَنَا وأنْ تُهَوِّنَ أَمْرَ الدُّنْيَا علينا وأن تَغفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ» في بِنَاءِ المساجِدِ وآدَابِهَا

وَيَبْحَثُ فِي:

١- مَا وَرَدَ فِي الحَثِّ على بِنَاءِ المساجِدِ وَثَوَابِهَا العظيم.

٢- ما وَرَدَ في صِيَانَةِ المَسَاجِدِ عن الأقْذَارِ وتَنْظِيْفِهَا.

٣- مَا وَرَد في تَجَنُّبِ آكِلِ البَصَلِ والثُّوْمِ الصَّلَاةَ في المساجِدِ، وإبْعَادِ الصغيرِ والمجنون.

٤- يَنْبَغِي تَجْنِيْبُ المساجِدِ البيعَ والشِّرَاءَ وَرَفْعَ الصَّوْتِ وَنُشْدَانَ الضَّالَةِ فِيْهَا.

٥- حُرْمَةُ المبالَغَةِ في زَخْرَفَةِ المساجِدِ.

٦- كَرَاهَةُ إِلْتِزَامُ مَوْضِعٍ مُعَيَنٍ مِن المسجِدِ لِلصَّلَاةِ لِغَيرِ الإِمَامْ.

١ - مَا وَرَدَ في الحَثِّ على بِناءِ المساجِدِ، وثَوَابِهَا العظيمْ:

بِناءُ المساجِدِ في الأَمْصَارِ والقُرَى والمَحَالِّ ونَحْوِهَا حَسَبَ الحَاجَةِ فُرْضُ كِفَايَةٍ وَيُسْتَحَبُّ إتِّخَاذُ المساجِدِ في الدُّورِ، وتَنْظِيفِها وتَطْيِيْبِهَا، قَالَ تَعالى: ﴿في بُيُوتٍ أذنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ ويُذْكر فِيْها اسْمُهُ..﴾ الآية، لِمَا رَوَتْ عَائِشَةَ - رَضْيَ اللهُ عَنْها - قَالَتْ: أمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ بِبِنَاءِ المساجِدِ في الدّوْرِ، وأنْ تُنَظَّفَ وتُطَيَّبْ.

شِعْرا: وَلَـمْ أَرَى لِلْخَلائِـقِ مِنْ مُرَبٍّ ... كَعِلْمِ الشَّرْعِ يُؤخَذُ عن ثِقَاتِ
بَيْـتِ الله مَدْرَسَةِ الأَوَائِـلِ ... لِمَـنْ يَهْـوَى العُلُـومَ الرَّاقِيَـاتِ

وعَنْ عُثْمَانَ بنُ عَفّانٍ - رَضْيَ اللهُ عَنْهُ - قَالْ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يُقولْ: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدَاً بَنَى الله لَهُ مِثْلَه في الْجَنَّةْ».

وَعَنْ ابْنُ عَباسٍ - رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا - عَن النّبي ﷺ قَالْ: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدَاً وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ بَنَى لَهُ بَيْتَاً في الجنة».

وَعَنْ عُمَرَ بْنُ الخَطَّابِ - رَضْيَ اللهُ عَنْهُ - قالْ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقُولْ: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدَاً يُذْكَرُ فِيهِ اللهُ، بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتَاً في الجنة».

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة - رَضْيَ اللهُ عَنْهُ - قالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ بَنَى بَيْتَاً يُعْبَدُ اللهُ فِيْهِ، مِن مَالٍ حَلَالٍ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتَاً في الجنة».

وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةِ - رَضْيَ اللهُ عَنْهَا - عَن النَّبي صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمْ قالْ: «مَنْ بَنَى مَسْجَدَاً لَا يُرِيْدُ رِياءً ولا سُمْعَةً بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتَاً في الجنة».

وَعَنْ أبِي هُرَيْرَة - رَضْيَ اللهُ عَنْهُ - قَالْ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنّ مِمّا يَلْحَقُ المُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وحَسنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمَاً عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ أوْ وَلداً صَالِحَاً تَرَكَه، أوْ مُصْحَفاً وَرّثَهُ، أوْ مَسْجِدَاً بَنَاهُ أو بَيْتَاً لابْنِ السَّبِيْلِ بَنَاهُ أغ أوْ نهْراً أجْرَاهُ، أو صَدَقَةً أخْرَجَها مِن مَالِهِ في صِحَّتِهِ وَحَياتِهِ، تَلْحَقُهُ بَعْدِ مَوْتِهِ».

وَأَحَبُّ البلادِ إلى اللهِ مَساجِدُها، وأبغَضُ البلادِ إلى اللهِ أسْوَاقُها، فَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ - رَضْيَ اللهُ عَنْهَ - عَنِ النَّبيّ ﷺ قَالْ: «أَحَبُّ البلادِ إلَى اللهِ مَساجِدُهَا وَأَبْغَضُ البِلَادِ إِلَى اللهِ أسْوَاقُهَا».

اللَّهُمَّ أَتْمِمْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ الوَافِيَةَ وَأَرْزُقْنَا الاخْلَاصَ فِيْ أَعْمَالِنَا وَالصِّدْقَ في أَقْوالِنَا وَعُدْ عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ قُلُوْبِنَا وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِـهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ»: ٢ - مَا وَرَدَ في صِيَانَةِ الْمَسَاجِدِ وتَنْظِيْفِهَا:

وَيُسَنُّ صِيَانَةُ المَسَاجِدِ عَنْ كُلِّ وَسَخٍ، وَقَذَرٍ، وَقَـذَاةٍ، ومُخَـاطٍ، وبُصَاقٍ، وتَقْلِيْمِ أظْفَارٍ، وقَصِّ شارِبٍ، وحَلْقِ رأسٍ، ونَتْفِ إِبْطٍ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أنَسْ - رَضْيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيْ أُجُورُ أعْمَالِ أُمَّتِي حَتَّى الْقَذَاةَ يُخْرِجُهَا الرَّجُل مِنَ المسجِدِ».

وَعَنْ أنسٍ - رَضْيَ اللهُ عَنْهُ - قالْ: قالَ رَسُولُ للهِ ﷺ: «الْبُصَاقُ في الْمَسْجِدِ خَطِيْئَة، وَكَفَّارَتُها دَفْنُهَا».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة - رَضْيَ الله عَنْهُ - أنّ إمرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ المَسْجِدَ فَفَقَدهَا رسولُ اللهِ ﷺ فَسأَلَ عَنْهَا بَعْدَ أيّامٍ، فَقِيْل لَهُ: إنَّهَا مَاتَتْ، فَقَالْ: «فَهَلَّا أَذَنْتُمُونِي»؟ فأتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا.

وعَنْ سَمْرَةَ بنُ جُنْدَبِ - رَضْيَ اللهُ عَنْهُ - قالْ: أَمَرَنَا رسولُ اللهِ ﷺ أنّ نَتْخِذَ الْمَسَاجِدِ في دِيَارِنَا، وأمَرَنَا أنْ نُنَظِّفُهَا.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: بَيْنَما رسولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ يَوْماً، إذْ رَأى نُخَامَةً في قِبْلَةِ المسجِدِ فَتَغَيّظَ على النّاس، ثُمّ حَكّها، - قال وأحْسِبُه قالْ -: فَدَعا بِزَعْفَران فَلَطَخَهُ بِهِ، وقالَ: «إنّ اللهَ عزَّ وجَلَّ قِبَلَ وَجْهِ

أَحَدِكُمْ إذَا صَلَّى، فلا يَبْصُقْ بيْنَ يَدَيه».

وَعَنْ حُذَيفَةَ- رَضْيَ اللهُ عَنْهُ- قالْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَفَلَ تِجَاهَ الْقِبْلَةِ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وتَفْلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ»، وَعَنْ أَبِي سَهْلَةَ السَّائِبِ بنِ خَلَّادٍ مِن أَصْحَابِ النبي ﷺ أنَّ رَجُلًا أَمَّ قَوْماً فَبصَقَ فِي القِبلَةِ وَرسُولُ اللهِ ﷺ يَنْظُرُ، فقال رسُولُ الله ﷺ حِيْنَ فَرَغَ: «لا يُصَلِي لَكُمْ هَذَا، فأَرَادَ بَعْدَ ذَلِكَ أن يُصَلي لَهُمْ فَمَنَعُوهُ وأَخبَرُوْهُ بقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ فَذَكَر ذَلِكَ لِرَسُولِ لله ﷺ فقال: نَعَمْ، وحَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: «إنَّكَ آذَيْتَ اللهَ وَرَسُوْلَه».

٣- ما وَرَد في تَجَنبِ آكِلِ البَصَلِ والثومِ الصَّلَاةَ في المَسَاجِدِ وابعادِ الصَّغيرِ والمجنونِ عنهما:

يُسَنُّ صِيَانَةُ المِساجِد عن رائحةٍ كريهةٍ مِنّ بَصلٍ وثُومٍ وكُرّاتٍ ونحوها، لِمَا وَرَدَ عن أنسٍ- رَضْيَ اللهُ عَنْهُ- قالْ: قَالَ النّبي ﷺ: «مِنْ أكل مِن هذِه الشّجَرَةِ فلا يَقْرَبَنَا وَلا يُصلّينّ مَعَنا».

وعَن ابْنُ عُمَرَ- رَضِيَ اللهُ عَنهما- أَنَّ النبيَ ﷺ قالْ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ- يَعْنِي الثُّومَ- فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا».

وعَنْ جابرٍ- رَضْيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ ثوماً أو بَصَلًا، فَلْيَعْتَزِلْنَا- أو، فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا».

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمْ: «مَنْ أَكَلَ البَصَلَ والثُّومَ والكُرّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فإنَّ الملائِكَةَ تَتَأَذّى مِمّا تَأَذّى مِنْه بَنُو آدَم».

وعَنْ عُمَر بنُ الخَطَّاب- رَضْيَ اللهُ عَنْهُ- أَنّهُ خَطَبَ يَوْمَ الجُمُعةْ، فقالَ في خُطْبَتِهِ: ثُمَّ انّكَمْ أَيُّهَا النّاسُ تَأْكُلونَ شَجَرتَيْنِ لَا أَرَاهُمَا إلّا خَبيْثَتَيْن، الْبَصَلُ والثّومُ، ولَقَدْ رأيتُ رسولَ اللهَ ﷺ إذَا وَجَد رِيْحَهُما مِنَ الرّجُل في الْمَسَجِدِ أَمَرَ بِهِ فأَخْرِجَ إلى البَقِيعِ، فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمتْهُما طَبْخا.

اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنْ الخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُوْ وَاصْرِفْ عَنَّا مِنْ السُّوْءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ. اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوْبَنَا بِرَجَائِكَ وَاقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوْبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمَ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيْرًا يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ، اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوْكِ سَبِيْلِ عِبَادِكَ الأَخْيَارِ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: يُسَنُّ أَنْ يُصَانَ الْمَسَجِدِ عنْ صَغِيرٍ لا يُمَيِّزُ لِغَيْرِ مَصْلَحَةٍ، وَأَنْ يُصَانَ عن مَجْنُونٍ حَالَ جُنُونِهْ، وعنْ لَغَطٍ، وخُصُوْمَةٍ وكَثْرَةِ حَدِيْثٍ لَاغٍ، وَرَفْعِ صَوْتٍ بِمَكْرُوهْ، وعَنْ رَفْعِ الصِّبْيانِ أَصْوَاتَهُمْ بِاللَّعِبِ وَغَيْرِهِ، ويُمْنَعُ فيهِ اخْتِلَاطُ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ، وإِيْذَاءُ المُصَلِّينَ وغَيرِهِمِ بِقَولٍ أَوْ فِعْلٍ، ويُمْنَعُ السَّكْرانُ من دُخُولِهْ، وعِنْ واثِلَةَ بنُ الأَسْقِع: أَنّ النبي ﷺ قالْ: «جَنِّبُوا مَسَاجِدَكَم صِبْيَانَكُم ومَجَانِيْنَكَمْ وَسَلَّ سُيُوفِكُمْ، واتَّخِذُوا عَلَى أَبْوابِهـا المَطَاهِرَ وجَمِّرُوهَا في الْجُمَعِ».

وعَنْ عَبْدِ اللهِ - يَعْنِي ابنُ مَسْعودٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ - قَال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَيَكُونُ في آخرُ الزّمَانِ قَوْمٌ يكونُ حَدِيْثُهُمْ في مَسَاجِدِهِم لَيْسَ لِلَّهِ فِيْهِم حَاجَةٌ».

رَآى أَبُو مُسْلِم الخَوْلَاني جَمَاعَةً في المَسْجِدِ، فَمَالَ إِلَيْهِمِ لِيَجْلِسَ مَعَهُمْ، وَظَنَّ أَنَّهُمْ فِيْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى فَوَجَدَهُم في ذِكْرِ الدُّنْيَا فَقَالَ أَنْتُمْ فِيْ سُوْقِ الدُّنْيَا، وحَسِبْتُ أنكُم في سُوْقِ الآخِرة وَأَعْرَض عَنْهُمْ.

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزام - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «لا تَقَامُ الحدودُ في الْمَسَاجِدِ، ولَا يُسْتَقَادُ فِيها».

وعَنْ الْحَسَنِ - رَحِمَهُ اللهُ - مُرْسَلًا قَالْ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يَأْتِي

على النّاسِ زَمانٌ يكونُ حَدِيْثُهُم في مَساَجِدِهم في أمْرِ دُنْياهُم فلا تُجَالِسُوهم فَلَيْس لِلَّهِ فِيْهم حاجَةْ».

وَعَنِ السائِب بنُ يَزيِدِ قالْ: «كُنْتُ نائِماً في الْمَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ فَنَظَرْتُ فِإذَا هُو عُمَرُ بنُ الْخَطّابْ، فقالَ: إذْهَبْ فأْتِني بِهَذَيْن، فَجِئتُهُ بهمَا، فقالْ: مِمَّنْ أنْتُما - أوْ مَنْ أيْنَ أنْتُما؟ قالَا: مِنْ أهْلِ الطّائِف، قالْ: لَوْ كُنتُما مِنْ أهْلِ المدِيْنةِ لاوْجَعْتُكُما، تَرْفَعَانِ أصْواتَكُما في مَسْجِدِ رسولِ الله ﷺ».

وعَنْ مالِك قَالْ: بَنِي عُمَرُ - رَضِي اللهُ عَنْهُ - رَحَبَةٍ في نَاحِيَةِ تُسَمَّى «البَطْحَا»، وقَالْ مَنْ كَانَ يُرِيدِ أنْ يَلْغَطَ أو يُنْشِدَ شِعْرا، أوْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ فَلْيَخْرُجْ إلى هَذِهِ الرَّحَبَةِ.

وعَنْ أبي هُرَيْرَة - رَضْي اللهُ عَنْهُ - قالْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إذَا اتَّخَذَ الفَيء دُوَلَا والأمانةُ مُغْنَمَا والزكاةُ مَغْرما، وتُعلّمَ لِغَيْرِ الدِّيْنِ، وأطاعَ الرَّجُلُ امْرَأتَهُ وعَقَّ أُمَّهْ، وأدْنَى صَديقهُ وأقْصَى أبَاهْ، وظَهرتِ الأصْواتُ في امْسَاجِدِ وسَادَ القبيلةَ فاسِقُهُمْ، وكانَ زَعِيْمُ القومِ أرْذَلَهُمْ، وأُكْرِمَ الرّجُلُ مَخَافَةِ شَرّه، وظَهرتِ القَيْنَاتُ والمعازفُ، وشُرِبَتِ الخمورُ، ولَعَنَ آخِرُ هذِه الأمّةُ أوْلَهَا، فارْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيْحا حَمْرَاءَ وزَلْزَلَةَ وخَسْفَا ومَسْخَا، وقَذْفَا وآياتِ تَتَابَع كَنِظَامِ قُطِعَ سلْكه فَتَتَابَعْ».

شِعْرَا: قِدّمْ لِنَفْسِكَ تَوّبَةً مَرْجُوَّةً قَبْلَ الْمَمَاتِ وقَبْلَ حَبَسْ الأَلْسُنِ
بادِرْ بِهَا غُلَقَ النُّفُوسِ فإنَّهَا ذُخْرٌ وغُنْمٌ لِلْمنِيْبِ المُحْسِنِ

٤ - يَنْبَغِي تَجْنِيبُ الْمَساجِدِ الْبَيْع والشرّاء، ورَفْع الصّوتِ ونَشْدَانْ الضّالةِ فَيْها. والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«**فَصْلٌ**»: وَيَحْرَمُ في الْمَسْجِد البيعُ والشّرَاءْ، فإنْ فَعَل فالبيعُ باطِلٌ لِحَديْثِ عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «نهى رسولُ اﷲ ﷺ عن

البيع والابتِياعِ وعَنْ تَنَاشُدِ الأشْعَار في المساجِدِ» رواهُ أحَمد وأبو داود، والنّسائي، والترمذي وحَسّنه.

وَيُسَنُّ أنْ يُقَالَ لِمَنْ بَاعَ أوْ اشتَرى في المسجد: لَا أرْبَحَ الله تِجَارَتَك، لِمَا وَرَدَ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ- رضِيَ الله عَنْهُ- قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إذا رَأيْتُم مَنْ يَبِيْعُ أوْ يَبْتَاعُ في المسجد فقُولوا: لا أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ وإذا رأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ ضَالَّةً فقُولُوا: لَا رَدّهَا اللهُ عليكَ» رواهُ الترمذي والدّرامي.

وَمِمَّا يَنْبَغِي التَّفَطُّنُ لَهُ، والتحذيرُ عَنْهُ وابعادُهُ عن المساجِدِ الكُتُبِ الّتِي فِيْهَا صُوَرُ ذواتِ الأرْواحِ، كالْهِجاءِ لِلسَّنَةِ الأولى الإبْتِدَائِيةِ، وكالمطالَعَةِ لِسائِرِ السّنَواتِ، وكالعلومِ، فإنَّ بَعْضَ التّلَامِيذِ يأتُونَ بِهَا إلى المساجِدِ لِيُطَالِعوا فِيْهَا، وإذا تَخَلّقَتْ وَضَعَها في المسجد، وَقَدْ وَرَدَ عَنْ ابنِ عُمَرَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قالْ: وَعَدَ رَسُولَ اللهِ جِبْرِيلُ أن يأْتِيَهُ فَرَاثَ عليهِ حتَّى اشْتَدَّ على رسول الله ﷺ، فخرَج فَلَقِيَه جِبْرِيلُ، فَشَكا إليه، فقالْ: «إنَّا لا نَدْخُلِ بَيْتاً فيهِ كلبٌ وَلَا سُورة» رواهُ البُخَاري.

وَيُسَنُّ صَوْنُ المسجد عن انْشَادِ شِعْر قَبِيْحٍ، وإنْشَادِ ضَالّة وَنُشْدَانِهَا، وَيُسَنُّ لِسَامِعِ نُشْدَنِ الضَّالة أنْ يَقُولْ: لَا رَدّها الله عَلَيْكَ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أبي هريرة- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قالْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يُنْشِدُ في المسجِدِ ضَالّةً فَلْيَقُلْ: لَا أدّاهَا الله إليكَ، فإنَّ المساجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا» رواهُ أحْمَدُ وَمُسْلِم وابْنُ مَاجَهْ.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ: أَنَّ رَجُلاً نَشَدَ في المسجِدِ فَقَالْ: مَنْ دَعَا إلى الجَمَلِ الأَحْمَرِ؟ فقالْ النّبِيُ ﷺ: «لا وَجدت، إنَّمَا بُنِيَتِ المساجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ» رواهُ أحْمَدُ ومسلمُ وابن ماجَهْ.

٥- حُرمَةِ المُبالَغةِ في زَخْرَفَةِ المَساجِدْ:

وَتحْرُمُ زَخْرَفَتُهَا بِنَقشٍ وَصِبْغٍ وَكِتَابَةٍ وغيرِ ذَلِكَ مِمَّا يُلْهِي المُصَلّي عَنْ صَلَاتِهِ غالباً، وإنْ فُعِلَ ذَلِكَ مِن مالِ الوقْفِ حَرُمَ فِعْلُهْ، وَوَجَبَ ضَمَانُ مالِ المُوْقَفِ الذي صُرِفَ فِيْهِ لا لِمَصْلَحةٍ فيه.

عَنِ ابْن عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ المساجِدِ» قالَ ابْنُ عَبّاس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- «لَتُزَخْرِفُنَّها كَمَا زَخْرَفَتِ اليهودُ والنّصارى» رواه أبو داود.

وَعَنْ أَنَسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبي ﷺ قالَ: «لا تقومُ السّاعَةُ حَتَّى يَتَباهَى النّاس في المساجد» رواهُ الخمسةُ إلا التّرمذي.

وقالَ البخاري- رَحِمَه اللهُ- قالَ أبو سَعيد: كَانَ سَقْفُ المسجِدِ مِنْ جَريدِ النّخلِ، وأمَرَ عُمَرُ بِبناءِ المسجِدِ، وقالَ: أَكِنَّ الناسَ مِن المطرِ وإيّاكَ أن تُحَمِّرَ أَوْ تُصَفِّرَ فَتَفْتِنَ النّاسَ. وَيَنْبَغِي أن لا يَستَعْمِلَ النَّاسُ حُصُرَ المسجِدِ وَقَنَادِيلَهُ وَسَجَاجِيدَهُ وَبُسطَهُ وَسَائِرَ ما وُقِفَ لِمَصَالِحِه في مَصَالِهِمْ، كالأعراسِ وَيَجِبُ صَرْفُ الوَقْفِ لِلْجِهَةِ الَّتِي عَيَّنَهَا الواقِفْ.

٦- كَراهةُ الْتِزَامِ مَوْضِعِ مُعَيَّنٍ مِنَ المسجِدِ لِلّصلاةِ لِغيرِ الإمامْ:

وَيَكْرَهُ لِغَيْرِ الإمامِ مُداومَةُ مَوضِعٍ مُعَيَّنٍ مِن المسجِدِ لَا يُصَلي إلَّا فِيه، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَبْدُ الرَّحمنِ بنِ شبل قالْ: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ: «نَقْرَةِ الغُرابْ، وَافْتِرَاشِ السَّبُعْ وأنْ يُوطِّنَ الرِّجلُ المكانَ في المسجد كَمَا يُوَطِّنُ البَعْيرُ» رواهُ أبو داود، والنِّسائي والدّرامي. فَإِنْ دَاوَمَ على الصلاة بموضعٍ فَلَيْسَ هو أَوْلَى مِنْ غَيرِهِ فإِذَا قَامَ مِنْه فلغيره الجُلُوسُ فِيهِ، لِحَدِيْثِ «مَنْ سَبَقَ إلى مباحٍ فَهُوَ لَهْ»، قالَ في الاختِيَارَاتِ الفقهيةِ وَإِذَا فَرَشَ مُصَلّى وَلَمْ يَجْلِس عليهِ لَيْسَ لَهُ ذَلِكَ وَلِغَيْرِهِ رَفْعُهُ في أَظْهَرِ قَوْلِي العُلماءْ قُلْتُ وَمِثْلُهُ وَضعُ خِرْقَة أوْ عَصَا أو نَعْل أوْ تَقْدِيم خَادِمٍ أوْ وَلَدٍ ثُمَّ إذَا حَضَرَ قامَ عَنْهُ وَجَلَسَ فيهِ فهذا لَا يَجوزُ واللهُ أعلم.

وَقَالَ في إغاثَةِ اللَّهفَانْ ولَمْ يُصَلِّ رَسُولُ اللهِ ﷺ على سُجّادَةٍ قَطْ وَلَا كَانَتْ السُّجّادَةُ تُفْرَشُ بَيْنَ يَدَيْهِ بَلْ كَانَ يُصَلّي على الأَرضْ وَرُبما سَجَدَ على الطِّينِ وكانَ يُصَلّي على الحَصِيرِ فَيُصَلي على ما اتَّفَقَ بَسْطُهُ فإن لَمْ يَكُنْ شَيءٌ صَلَّى على الأَرض.

قالَ النَّاظِمُ لاخْتِيَارَاتِ شَيْخِ الإسْلَام بْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ:

وَوَضْعُ المُصَلّي في المَسَاجِدِ بِدْعَةٌ ... وَلَيْسَ مِنَ الهَدْي الْقَويمِ المُحَمَّدِ
وَتَقْدِيْمُهُ في الصّفِ حَجْرٌ لِرَوْضةٍ ... وَغَصْبٌ لَهَا عَنْ دَاخِلٍ مُتَعَبِّدِ
وَيُشْبِهُهُ وَضْعُ العَصَاءِ وَحُكْمُها ... كَحُكْم المُصَلَّى في ابْتِدَاعِ التَّعَبُّدِ
بَلَى مُسْتَحَبٌّ أنّ يُماطَا وَيُرْفَعَا ... عَنِ الدّاخِلينَ الرَّاكِعينَ بِمَسْجِدِ
لَئِنّ لَمْ يَكُنْ هَذا بِنَص مُقَـرَّرٍ ... ولا فِعْلُ أَصْحَابِ النّبيِّ مُحَمَّدٍ
فَخَيْرُ الأمُورِ السّالِفَاتُ عَلى الْهُدَى ... وَشَرُّ الأمورِ المُحْدَثَـاتُ فَبَعّـدِ

اللَّهُمَّ أَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ الأَبْرَارْ، وآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسنةً، وَقِنَا عذاب النّارْ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ» في الأَيَّامِ الَّتِي يُسَنّ أَوْ يَكْرَهُ صِيَامُها

وَيَبْحثُ في:

١ – مَا وَرَد مِنَ الثّوابِ العظيمِ في صَوْم بَعْضِ الأَيامْ.

٢ – بَيَانُ الأَيّامِ الَّتِي يُكْرَهُ أَوْ يَحْرُمَ صِيَامُها، والنَّهي عَنِ التّشَبُّهِ بالغيرْ.

١ – مَا وَرَدَ مِنَ الثّوابِ العظيمِ في صَوْمِ بَعْضِ الأَيامْ:

يُسَنُّ صِيَامُ أيّامِ البيضْ، وَهِيَ الثَّالثُ عَشَرَ والرّابعُ عَشَرَ والخامِسُ عشر، لِمَا

وَرَدَ عن أبِي ذرٍّ – رضي اللهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا صُمْتَ مِنَ الشّهْرِ ثَلاثاً، فَصُمْ: ثلاثَ عَشرَةَ وَأَرْبعَ عَشرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ» رواهُ الترمِذيْ.

وَعَنْ قَتَادَةَ بْنِ مِلْحَانَ – رضي اللهُ عَنْهُ – قالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يأْمُرنا بِصِيَامِ أَيَّامِ البيضِ ثَلاثَ عَشرَةِ وأرْبعَ عَشرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ» رواه أبو داود.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – «أَوْصَانِي خَلِيْلِي ﷺ بِصيامِ ثَلاثةِ أَيّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتا الضّحُى، وأنْ أوْتَرَ قبْلَ أن أَنام» متفق عليه.

وَعَنْ أَبِي الدَرْدَاءِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: «أَوْصَانِيَ خَلِيِّلي ﷺ بِثَلاثٍ، لَنْ أَدَعَهُنّ مَا عِشْتُ: بِصِيامِ ثَلاثَةِ أَيّامٍ مِن كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلاةِ الضُّحَى وَبِأَنْ لَا أَنَامَ حَتَّى أوْتِرَ» رواهُ مُسْلِم.

وَيُسَنّ صِيامُ أيّامِ الاثنينِ والْخَميسِ، وَستٍّ مِنْ شَوَّالٍ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يومِ الإثْنَيْنِ فَقَالْ: «ذَلِكَ اليَوْمُ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيْهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ فِيْهِ، وأُنْزِلَ عَلَيّ فِيْه» رواهُ مُسْلِمْ.

وَعَنْ أبِي هُرَيْرَة – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ قالَ: «تُعْرَضُ الأعْمَالُ يَوْم الإِثْنَيْنِ، والْخَمِيْس فَأُحِبّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ» رواهُ التّرْمِذِي وَقالْ: حَدِيْثُ حَسَنٌ، وَرَواهُ مُسْلِمٌ بِغَيْرِ صَوْم.

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبِ الانْصَارِيّ – رَضِيَ الله عَنْهُ – أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالْ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانْ، ثُمّ أَتْبَعَهُ سِتّاً مِنْ شَوّالٍ كَانَ كَصِيامِ الدّهْرِ» رواهُ مُسْلِمْ.

واسْتَحَبَّ صِيَامُ سِتّةِ أيّامٍ مِنْ شَوّالِ أَكْثَرُ الْعُلَمَاء وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ ابْنُ عَبَّاسٍ وَطَاوُوسٍ والشّعْبِي، وَمَيْمُونِ بْنِ مَهْرَان، وَهُوَ قَوْل ابْنُ المُبارَكْ – رَحِمَهُمُ اللهْ – وأَكْثَرُ الْعُلَمَاء: عَلَى أَنّهُ يُسْتَحَبُّ صِيَامُها مُتَتَابعة أولُ الشّهْرِ ثَانِي الفُطْر، وَقَدْ رُوِيَ في ذَلِكَ حَدِيثٌ مَرْفُوعْ: «مَنْ صَامَ سِتّةَ أَيّامٍ بَعْدَ الْفِطْرُ مُتَتَابِعَة فكَأَنّمَا صَامَ السّنَةْ» أَخْرَجَهُ الطّبَراني وَغَيْرِه.

وَفِي حَدِيْثِ عِمْرَان بْنُ حُصَيْنٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَنِ النَّبي ﷺ أَنَّهُ قالَ لِرَجُل: «إذا أَفْطَرْتَ فَصُمْ» وإنَّما كَانَ صِيَامُ رَمَضَانَ واتْبَاعُهُ بِستٍّ مِنْ شَوّالَ يَعْدِلُ صِيَامَ الدَّهْرِ لِأَنَّ الحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا.

وَقَدْ جاءَ ذَلِكَ مُفسَّراً مِنْ حَدِيْثِ ثَوْبَانَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَن النَّبي ﷺ أَنَّهُ قَالْ: «صِيَامُ رَمَضَان بِعَشْرَةِ أَشْهُر، وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ بِشَهْرَيْن، فَذَلِكَ صِيَامُ السَّنَةِ، يَعْنِي صِيَام رَمَضَانَ وَسِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَهْ» أَخْرَجه: الإمامُ أحْمَدُ وَالنَّسائِي، وهَذَا لَفْظُهْ. وَخَرّجَهُ: ابْنُ حِبّانَ في صَحِيْحِهِ، صَحّحَهُ أَبُو حَاتِم الرّازِيْ.

وَيُسَنُّ صِيَامُ يومِ عَرَفَة لِغَيْرِ حَاجٍّ بِهَا، وَشَهْرُ المُحَرَّمِ وآكدُهُ العاشِرُ، ثُمّ التّاسع، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هَرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قالْ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أفضلُ الصّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانِ شَهْرُ اللهِ المُحَرّمُ، وأفضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الفريضَةِ صلاةُ اللّيل» رواهُ مُسْلِمْ.

وفي حديْثِ أبي قَتَادَةَ قَالْ: قالَ عُمَر – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – يارسول الله، كَيْفَ مَنْ يَصُومُ الدَهْرَ كلّهْ؟ قالْ: «لا صامَ ولا أفطَرْ» وقال: «لم يصم وَلَمْ يُفطِر» قالَ: كَيْف مَنْ يَصُومُ يَوْمَينِ وَيُفْطِرُ يَوْماً؟ قال: «ويطيق أحدٌ» قال: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوماً وَيَفْطِرُ يَوماً؟ قالَ: «ذَلِكَ صَومُ دَاود» قَالْ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوماً وَيَفْطرُ يَوْمَيْن؟ قَال: «وَدِدتُ أَنِّي طُوِّقْتُ ذَلِكَ» ثم قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مِن كُلِّ شَهْرٍ، وَرَمَضَانُ إلى رَمَضَانْ، فَهَذَا صِيامُ الدّهْرِ كُلِّهِ، صِيَامُ يَوْمَ عَرَفَةَ احْتَسِبُ على اللهِ أَنْ يُكَفّرَ السّنَةَ الَّتِي قَبْلهُ والسّنَةَ التي بَعْدَهُ، وصيامُ يومِ عاشُورَاء أَحْتَسِبُ على اللهِ أن يُكَفّرَ السَّنَة التي قَبْله» رواهُ مُسْلِمْ.

وَعَن ابْنُ عَبّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُما – أَنّ رسولَ ﷺ صَامَ يَوْمَن عَاشُورَاء وأَمَرَ بِصِيَامِهِ. متفق عليه.

وَعَنْهُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا –: «لِئنْ بَقِيْتُ إِلى قَابِلٍ، لأَصُوْمَنَّ التَّاسِعَ» متفق عليه.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ «نَهَى عن صَوْم يومِ عَرَفَة بِعَرَفَةَ» رواه أَبُو داود والنّسَائِي وابنُ خُزَيْمَةَ في صَحِيْحِهِ.

وَيُسَنُّ صِيامِ تَسْعُ ذي الحِجّةْ، لِمَا وَرَدَ عَنْ ابْنُ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قالْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ أيام العَمَلُ الصّالِحُ فِيها أَحَبُّ إلى اللهِ مِن هَذِهِ الأَيَّامْ» يَعْنِي أيامَ الْعَشْر، قَالُوا: يا رسولَ اللهِ، وَلَا الجِهادُ في سَبِيْلِ اللهِ، قالَ: «وَلَا الجِهادُ في سَبِيْلِ اللهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعُ مِن ذَلِكَ بِشَيْءٍ» رواهُ البُخاريْ.

شِعْرَا: تَكَلَّمْ بِمَا يَنْفَعْكَ في الدِيْنِ إِنَّمَا ... كَلامُكَ حَيٌّ والسكُوْتُ جَمَادُ
ودَاوِم على ذِكْرِ الإِلٰهِ فَإِنَّهُ ... شِفَاءُ لِقَلْبٍ قَدْ غَشَاهُ فَسَادُ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قالْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَيّامٍ أَحَبُّ إلى اللهِ أن يُتَعَبّدُ فِيها مِن أيامِ العَشْ، وإنّ صِيَامَ يومٍ فِيْها لِيَعْدِلُ صِيامَ سَنَةٍ، وَلَيلةٍ فِيْهَا بِلَيْلَةِ القَدْرِ» رواهُ ابن ماجه والتّرمِذيُ وقالَ حديثٌ غريب.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُك التَّوبَةَ وَدَوامَها، وَنَعُوذُ بِكَ مِن المَعْصِيَةِ وأَسْبَابِها، اللَّهُمَّ أَفِضِ علَيْنَا مِن بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِكَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا على السّلَامَةِ مِن وَبَالِهَا وَارْأُف بِنَا رَأْفَةَ الحَبِيْبِ بِحَبِيْبِهِ عِنْدَ الشّدَائِدِ وَنُزُولِها، وارْحَمْنَا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَغُمومِها بالرَّوْحِ والرّيْحانِ إلى الجَنَّةِ وَنَعِيْمِها، وَمَتَّعْنَا بالنّظَرِ إلى وَجْهِكَ الكريم في جَنَّاتِ النَّعِيمْ: مَعَ الذين أَنْعَمْتَ عليهم من النَّبِيِّيْنَ والصّديقينَ والشُّهَدَاءِ والصّالِحين، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ»: في بيانِ الأَيّامِ التي يُكْرَه أَوْ يُحْرَم صِيَامُها والنّهي عن التّشَبُّه بالغَيْرِ

وَيُكْرَهُ افْرَادُ رَجَبَ بِالصّوْمِ، والجُمُعَةِ والسّبْتِ، أمَّا رَجَبٌ: فَلما رَوي أحْمَدُ- رَحِمَهُ اللهُ- عَنْ خَرْشَةَ بْنِ الحُرِّ قالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ يَضْرِبُ أَكُفَّ المُتَرِّجبيْن حَتَّى يَضعُوها في الطَّعَامِ، وَيَقُولُ كُلُوا! فإنَّمَا هُوَ شَهْرٌ كانَتْ تُعَظِمُهُ الجاهِلِيّةُ.

وَبإسْنَادِهِ عَن ابْنِ عُمَرْ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنّهُ كَانَ إذَا رَأَى النّاس وَمَا يُعِدّونَهُ لِرَجَبْ كَرِهَه وقالْ: «صُومُوا مِنْه وأَفْطِرُوا».

وَأَمَّا الجُمُعَةْ، فَلِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَن النَّبِيِّ ﷺ قال: «لَا تُخُصُّوا لَيْلَةَ الجُمُعَةَ بِقِيَامٍ مِن بَيْن اللَّيَالِيْ، وَلَا تَخُضُّوا يَوْم الجُمُعَةِ بِصيامٍ من بَيْن الأَيّامِ إلَّا أنْ يَكُونَ في صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ» رواهُ مُسْلِمْ.

وَعَنّهْ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَصُومَنّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ إلَّا أنْ يصُومَ يوماً قَبْلَهُ أوْ يَوْماً بَعْدَه» مُتّفَقٌ عليه.

وَأَمّا السّبْتُ لَمَا رَوِيَ عَنْ عَبْدِاللهِ بُن بُسْر عَنْ أُخْتِهِ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قالْ: «لَا تَصُومُوا يَوْمَ السّبْتِ إلَّا فِيْمَا أفْتُرِضَ عَليْكُمْ، فإن لَمْ يَجِدْ أحَدُكُمْ إلّا لِحَاءَ عِنَبَةٍ، أو عودَ شَجَرةٍ فَلْيَمْضَغْهُ» رواهُ الخمسَةُ إلَّا النِّسائِي.

وَيُكْرَهُ تَقَدُّم رَمَضَانَ بِصَوِمِ يومٍ أو يَوْمِيْن، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قالْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا تَقَدِمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يومٍ ولَا يَوْمِيْنِ إلَّا رَجُلٌ كانَ يصومُ صوماً فَلْيَصُمْهُ» متفق عليه.

وَيُكْرَهُ صَوْمُ الدّهْرِ، لِحَدِيْهِ عَبْدِ اللهِ بنُ عُمَرَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قالْ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا صَامَ مَنْ صَامَ الأَبَدْ» مُتفق عليه.

وَلِمُسْلِمْ مِنْ حَديْثِ أَبِي قَتَادَةْ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بِلَفْظِ: «لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ».

وَيُكْرَهُ صَوْمِ النَّيْرُوزِ والْمَهْرَجَانِ وَكُلِّ عِيدٍ لِلْكُفَّارِ، أَوْ يَوْمٍ يُفْرِدُونَهُ بالتّعظِيْمِ، لِمَا فِيْهِ مِن مُوافَقَةِ الكفارِ في تَعْظِيْمِها، قال عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا –: مَنْ تَأَسَّى بِبِلادِ الأَعاجِمِ نَيْرُوزِهِمْ وَمِهْرَجَانِهِمْ وَتَشَبَّهَ بِهِم حَتَّى يَمُوتُ حُشرَ مَعَهُمْ.

قَالَ الشّيْخُ وَغَيره: مَا لَمْ يُوافِقْ عَادَةً أَوْ يَصُمْهُ عَنْ نَذْرٍ وَنَحْوِهْ، قال: وَكَذَلِكَ يَوْمُ الْخَمِيْس الذي يَكُونُ في آخِرِ صَوْمِهِمْ كَيَومِ (عِيدِ المائِدَةِ) وَيَوْمِ الأَحد الذي يُسَمّونَهُ (عِيْدَ الفُصْحِ) و (عيد النّورِ) و (العيدِ الكَبِيرِ) وَنَحْو ذَلِكَ، لَيْسَ لِلْمُسْلِمْ أَنْ يُشَابِهَهُمْ في أَصْلِهِ وَلَا فِي وَصْفِهِ.

وَقَالْ: لَا يَحِلّ لِلْمُسْلِمِيْنَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا في شَيءٍ مِمَّا يَخْتَصُ بأَعْيَادِهِم، لَا مِنْ طَعَامٍ، ولا مِنْ لِباسٍ، وَلَا اغْتِسَالٍ، وَلَا إِيْقَادِ نِيْرانٍ، وَلَا تَبْطِيْلِ عادَةٍ مِنْ مَعِيْشَةٍ أَوْ عِبَادَةٍ أو غَيْر ذَلِكَ، وَلَا تُمَكّنُ الصّبْيانِ وَنَحْوِهِمْ مِن اللّعِبَ الّتِي في الأَعْيَادِ، وَلَا إِظْهَارِ زِيْنَةٍ.

وَبِالْجُمْلَةِ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَخُصُّوا أَعْيَادَهُمْ بِشَيءٍ مِنْ شَعَائِرِهِمْ بَلْ يَكُونُ يَوْمَ عِيْدِهم عِنْدَ المُسْلِمِيْنَ كَسَائِر الأَيَّامِ، لَا يَخُصَّهُ المُسْلِمُونَ بِشيءٍ مِنْ خَصَائِصِهِمْ.

وَتَخْصِيْصُهُ بِمَا تَقَدَّمَ لَا نِزَاعَ فِيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءْ، بَلْ قَدْ ذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءَ إلى كُفْرِ مَنْ يَفْعَلُ هَذِهِ الأُمورَ: لِمَا فِيْهَا مِن تَعْظِيمِ شَعَائِرِ الْكُفْرِ لأنهم أعداءٌ للهِ والمسلمين ولا يألون جهداً فيما يَضُرُّ المُسْلِمِيْن.

شِعْرًا: تَوقَّ مُعَادَاتِ الإِلٰـهِ فإنَّهـا ... مُكَدِّرَةٌ لِلصَّفْوِ في كُلِّ مَشْرَبِ

آخر: إِذَا وَتَرْتَ أَمْرَاً فاحْذَرْ عَدَاوتَه ... مَنْ يَزْرَعِ الشَّوكَ لا يَحْصُدْ بِهِ عِنَبَا

إِنَّ العَـدُوَّ وَإِنْ أَبْـدَى مُسَالَمَـةً ... إِذَا رَآى مِنْكَ يَوْماً غِرَّةً وَثَبَـا

آخر: وما غُرْبَةُ الإِنْسانِ في شُقَّةِ النَّوى ... وَلكنَّهَـا واللهِ في بَلَـدِ الكُفْـر

وقَدْ اشْتَرَطَ عُمَرُ والصَّحَابَةُ وَسَائِرُ أَئِمَّةِ المُسْلِمِيْن أَن لا يُظْهِرُوا أَعْيَادَهُم في دِيَارِ المُسْلِمِيْن فكَيْف إِذَا أَظْهَرَهَا المُسْلِمُون؟ حَتَّى قالَ عُمَرُ بْن الخَطّاب: لَا تَتَعَلَّمُوا رِطَانَةَ الأَعَاجِمِ، وَلَا تَدْخُلُوا على المشركين في كَنَائِسِهِمْ يَوْمَ عِيْدِهِمْ، فَإِنَّ السُّخْطَةَ تَنْزِلُ عَلِيْهِمْ، وَإِذَا كَانَ كَذِلِكَ، فكَيْف بِمَنْ يَفْعَلُ مَا يُسْخِطُ الله بِهِ عَلَيْهِمْ مِمَّا هُوَ مِنْ شَعَائِرِهِمْ؟ وَقَالَ عُمَرُ: مَا تَعَلَّمَ رَجُلٌ الفارِسِيّةَ إِلَّا خَبَّ ولا خَبَّ إلا نَقَضَتْ مُرُوءَتُهْ.

وَقَدْ قَالَ غَيْرُ واحد مِن السَّلَفِ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿والّذِيْنَ لا يَشْهَدُوْنَ الزّورَ﴾ قال: أعْيَادُ الكُفّارِ، فإِذَا كَانَ هَذَا في شُهُودِهَا مِنْ غَيْرِ فِعْلٍ، فكَيْف بالأفْعالِ الَّتِي هِي مِنْ خَصَائِصِهَا؟!

وَقَدْ رُوِيَ عن النّبي ﷺ في المُسْنَدِ والسُّنَنِ أنّه قالَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بقومٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، وفي لفظ: «لَيْس مِنّا مَنْ تَشَبَّهَ بغَيْرِنَا» وَهُوَ حَدِيْثٌ جَيِّدٌ، فإذا كانَ هَذَا في التّشَبّهِ - وإن كانَ مِن العادَاتِ - فكَيْفَ التّشَبُّهِ بِهِمْ فِيْمَا هُوَ أبْلَغُ مِن ذَلِكَ؟

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامَ رَحِمَهُ اللهْ اعْتِيَادُ اللّغَةِ يُؤَثّر في الْعَقْلِ والخُلُقِ والدِّينِ تَأْثِيراً قَوياً بَيِّناً بِحَسَبِ تِلْكَ اللُّغَةِ وَقَالَ في اقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ المستقيم عن نافع عَنْ ابْنُ عُمَرَ قالْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «من يُحْسِنُ أنْ يَتَكَلّمَ بالْعَرَبِيّة فَلَا يَتَكَلّمُ بالْعُجْمَةِ فإِنَّهُ يُوَرِّثُ النِفَاق».

قال ابْنُ القيمِ - رَحِمَهُ اللهِ - عَلى حَدِيْث: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فهو مِنْهُمْ» أي بالانْدِمَاجِ وَتَلَاشَتْ شَخْصِيَّتُه فِيهِم فَمَا يَكونُ ذَلِكَ إلا عَنْ تَعْظِيمٍ وإِكْبَارٍ لَهُمْ، فَهُوَ لِذَلِكَ يُلْغِي شَخْصِيّتَهُ وَيَتَلَاشَى في شَخْصِيَّةِ الآخرين، فَمَنَ تَشَبَّهَ بالرّسُولِ ﷺ وأصْحَابه بالْغَاءِ شَخْصِيَّةِ الجاهليةِ السَّفِيْهَةِ، وَانْدَمَجِ في مَعْنَوِيّةِ الرسولِ ﷺ وأَصْحَابِهِ عِلْمَاً وَعَملاً واعْتِقاداً وأَدَباً، فَهُو بِلا شَكٍ مِنْهُمْ.

وَمَنْ تَشَبَّعَ بالإفْرِنْج في لِبَاسِهِم وأخْلاَقِهِم وَنُظُمِهِمْ وَمُعَامَلَتِهِمْ فَهُوَ بِلا شَكٍ افرنْجِيٌ غَيْرُ مُسْلِمٍ، وانْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَم أنهُ مُسْلِمْ، فَلِهَذَا التَّشَبُّهِ وَنَتَائِجِهِ الدِّينِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ نَرَى الْمُعَظِّمِيْنَ لِلنَّصَارَى، والْوَثَنِيِّينَ الحَرِيْصِيْنَ على التّشَبُّهِ بِهِم والانْدِمَاج فيهمْ يُعاوِنُونَهُمْ على الضَّرَرِ بِدِيْنِهم وَبِلادِهِمْ وأُمَمِهِم عَنْ قَصْد وَعَنْ غَيْرِ قَصْدٍ. أهـ.

وَيُكْرَهُ وصَالٌ إلّا مِنَ النّبي ﷺ، لِمَا وَرَد عن أبي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قالْ: نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عن الوصالِ، فقال رَجُلٌ مِن المُسْلِمِيْنَ: فإنّكَ تُواصِلُ يَارسولَ اللهِ فَقَالْ: «وَأَيُّكُمْ مِثْلِي إنّي أَبِيْتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِيْنِي» فَلَمَّا أَبوا أنْ يَنْتَهُوا عن الوِصَالِ واصَلَ بِهِم يَوْماً ثُمّ يوماً، ثُم رَأَوُا الْهِلالَ فَقَالْ: «لَوْ تَأَخّرَ الهِلَالُ لَزِدْتكُمْ» كالمُنَكِّلِ لَهُم حِيْنَ أبوا أنْ يَنْتَهُوا، مُتّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَلَا يَجُوزُ صَوْمُ الْعِيدَين عَنْ فَرْضٍ أَوْ تطَوُّعٍ، وَإِنْ قَصَدَ صِيَامَهَا كَانَ عَاصِياً، وَلَا يُجزِءُ عَن الْفَرضِ.

وَلَا يَجُوزُ صِيَامُ أَيَّام التَّشْرِيقِ إلَّا عَنْ دَمِ مُتْعَةٍ وَقِرَانٍ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِي- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ «أَنَّهُ نَهَى عَنْ صَوْمِ يَوْمَيْنِ: يَوْمِ الْفِطْرِ، وَيَوْمِ النَّحْرِ» مُتَفَقٌ عليه.

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدْ مَوْلَى أَزْهَرْ، قَالَ: شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَابِ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فَقَالَ: «هَذَانِ يَوْمَانِ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ صِيَامِهِمَا: يَوْمُ فِطرِكُمْ مِنْ صِيَامِكُمْ، وَالْيَوْمُ الآخَرُ تَأْكُلُونَ فِيه مِنْ نُسُكِكُمْ» مُتَفَقٌ عَلَيْهِ.

وأما أَيَّامُ التَّشْرِيْق، فَلِمَا رُوِيَ عَن نُبَيْشَةِ الهُذَلِي- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قَالَ رَسُوُل اللهِ ﷺ: «أيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» رَوَاهُ مُسْلِم.

وَعَنْ عَائِشَةَ وَابْن عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «نَهَى عَنْ صَوْمِ خَمْسَةِ أَيَّامٍ في السَّنَةِ: يَوْمِ الْفِطْرِ، وَيَوْمِ النَّحْر، وَثَلَاثَةِ أيام التَّشْرِيق» رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِي.

اللَّهُمَّ نَجّنا برحمتِكَ مِن النَّارِ وعافينا مِن دارِ الخِزْيِ والبَوَارِ وَادْخِلَنَا بِفَضْلِكَ الجَنَّةَ دارَ القَرارِ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يا غَفَّارُ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَوَائِدُ**»: مُجَالَسَةُ العَارِفِ الزاهِدِ تَدْعُو مِن سِتٍ إلى سِتْ:

مِنَ الشَّكِ إِلَى اليَقِيْنْ.

ومِن الرِيَاءِ إِلَى الإِخْلاصِ.

ومِن الغُفْلَةِ إِلَى الذِكْرِ.

ومِنَ الرَّغْبَةِ في الدُّنْيَا إِلَى الرَّغْبَةِ في الآخِرَةِ.

ومن الكِبْرِ إِلَى التَّواضُع.

ومِن سُوءِ الطَّوِيَّةِ إِلَى النَّصِيْحَةْ.

الأَفْضَلُ في أوقاتِ السَّحَرِ الاشْتِغَالُ بِقِرَاءَةِ القُرْآن والصَّلاةُ والاستغفار.

وفي وقت الأذان إجابة المؤذن والدعاء لأنه وقت إجابة.

وفي وقت الصلوات الخمس الاستعداد لها والجد والاجتهاد والحرص على طرد الأفكار الصادة عن تأمل معاني الآيات والتسبيح والتكبير.

والنصح في يقاعها على أكمل الوجوه، والمبادرة إلى تأديتها في أول وقتها والخروج إلى الجامع وأنْ بَعُدَ كان أفضل لكثرة الخُطَا.

والأفضلُ في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالمال أو الجاه أو البدن، الاشتغالُ بمساعدته وإغاثَتِهِ.

والأفضلُ في وقتِ قراءة القُرآن الحرص على تدبره وتفهمه حتى كأنَّ اللهَ

تعالى يخاطبه به، ويَعزِمُ على تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه.

والأفضلُ في عشر ذو الحجة الاجتهاد والحرص على الاكثار من الأعمال الصالحة والدعاء والتضرع والاكثار من قراءة القرآن وذكر الله.

والأفضلُ في الوقوف بعرفة الاجتهاد في الدعاء والتضرع والاكثار من قول لا إله إلا الله.

والأفضل في العشر الأخير من رمضان لزوم المساجد والخلوة والاعتكاف وتلاوة القرآن.

والاثكار من الباقيات الصالحات والحرص على إخراج الزكاة في هذا الشهر المبارك وإفطار الصوام.

والأفضلُ في وقت مرض أخيك المسلم أو موتِه عيادتهُ وحُضُورُ جنازته وتشييعُه وتقديُم ذلك على خلواتك وجَمْعِيَّتِكَ.

والأفضلُ في وقت نُزُل النوازلِ وأذاةِ الناس لَكَ أَداءُ واجبِ الصبر مع خلطتك بهم دون الهرب منهم.

فإن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهُم أفضلُ مِن الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه.

والأفضلُ خلطتهم في الخير فهي خَيرٌ مِن اعْتِزَالِهم فيه واعتزالهُم في الشر أفضل فإنْ علم أنه إذا خالطهم ازالهُ أو قلَّلَهُ فخلطتهم حينئذ أفضلُ مِن أعْتِزَالِهم.

شِعْرًا:

إنِّي أَرِقْتُ، وَذِكْرُ المَوتِ أرّقَنِي ... وَقُلتُ لِلدَّمْعِ: أَسْعِدْني، فأَسْعَدَني

يَا مَنْ يَمُوتُ، فَلَمْ يَحزَنْ لمِيْتَتِهِ ... وَمَنْ يَمُوتُ، فَما أوْلاهُ بالحزَنِ

تَبْغِي النّجاةَ مِنَ الأَحْدَاثِ مُحْتَرساً ... وَإنّما أنْتَ وَالعِلَّاتُ في قَرَنِ

يا صاحَب الرّوحِ ذِيْ الأنفَاس فِي الْبَدَنِ ... بَيْنَ النّهارِ، وَبَيْنَ اللّيلِ، مُرتَهَنِ

لَقَلّمَا يَتَخَطّاكَ اخْتِلافُهُمَا ... حَتّى يُفَرّق بَيْنَ الرُوْحِ والبَدَنِ

طِيْبُ الحَياةِ لِمَنْ خَفَّتْ مَؤونَتُهُ وَلَمْ تَطِبْ لِذَوِي الأَثقالِ وَالْمُؤَنِ
لَمْ يَبقَ مِمَّنْ مَضَى، إلَّا تَوَهُّمُهُ كَأَنَّ مَن قد قَضَى، بالأَمْسِ، لَمْ يكُنِ
وَإنّما المَرْءُ في الدُّنْيا بِساعَتِهِ سَائِلْ بِذَلِكَ أَهلَ العِلْمِ، وَالزّمَنِ
ما أَوْضَحَ الأَمْرَ لِلْمُلْقي بعِبْرتِهِ بَيْنَ التّفكّرِ، وَالتّجْرِيْبِ، وَالفِطَنِ
أَلَسْتَ، ياذا، تَرَى الدُّنْيا مُوَلِيَّةً فَمَا يَغُرُّكَ فِيْهَا مِنْ هَنٍ، وَهَنِ
لَأَعْجَبَنّ، وَأَنَّي يَنْقَضِيْ عَجَبي النّاسُ في غَفْلَةٍ، وَالمُوْتُ في سَنَنِ
وظَاعِنٍ، مِن بَياضِ الرَّيْط كَسْوَتُهِ مُطَيَّبٍ لِلْمَنَايَا، غَيْرَ مُدَّهَنِ
غادَرْتُهُ، بَعْدَ تَشْيِيْعِهِ، مُنْجَدِلًا في قُرْبِ دَارٍ، وفِي بُعْدٍ عَن الوَطَنَ
لا يَسْتَطِيْعُ انْتَقَاصًا في مَحَلّتِهِ مِن القَبِيْحِ ولا يَزْدادُ في الحَسَنِ
الحَمَدُ للهِ شُكْراً، ما أَرىَ سَكَناً يَلْوِي، بِبُحْبُوْحَة الْمِوتَى، على سَكَنِ
ما بالُ قَوْمٍ، وَقَدْ صَحّتْ عُقولُهم فِيْمَا ادّعَوْا يَشْتَرونَ الغَيَّ بالثّمَنِ
لَتَجْذبَنِّي يَدُ الدُّنْيَا، بقُوتِها إلىَ المَنايا، وَإِنْ نازَعْتُها رَسَني
وَأَيُّ يَوْمٍ لِمَنْ وَافَى مَنِيَّتَهُ يَوْمٌ تَبَيَّنُ فيه صُورَةُ الغبَنِ
للهِ دُنْيَا أُناسٍ دَائِبيْنَ لَهَا قَدْ أُرْتِعُوْا في راضِ الغَيِّ، وَالفتِنِ
كَسَائِماتٍ رَوَاعٍ تَبْتَغِي سِمَناً وَحتَفُها لَوْ دَرَتْ في ذَلِكَ السِّمَنِ

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا مَسْلَكَ الصَّادِقِينَ الأَبْرَارْ، والْحِقْنَا بِعبادِكَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَار، وَأَتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارْ. اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوباً أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ، وَلَا تُعَذّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنّوَالِ وَجَادَ بِالإِفْضَالِ، اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكَ، وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ» : فِي الْحَثِّ عَلَى تَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

عِبَادَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللهِ لِلأَوَّلِينَ وَالآخرينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِيْنَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللهَ﴾ فَمَا مِنْ خَيْرٍ عَاجِلٍ وَلَا آجِلٍ ظَاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ إِلَّا وَتَقْوَى اللهِ سَبِيْلٌ مُوصِلٌ إِلَيْهِ، وَوَسِيلَةٌ مُبْلِغَةٌ لَهُ، وَمَا مِنْ شَرٍّ عَاجِلٍ وَلَا آجِلٍ ظاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ إِلَّا وَتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حِرْزٌ مَتِينٌ وَحُصْنٌ حَصِينٌ لِلسَّلَامَةِ مِنْهُ وَالنَّجَاةِ مِنْ ضَرَرِهِ.

شِعْرًا: خِصَالٌ إِذَا لَمْ يَحْوِهَا المرء لَمْ يَنَلْ ... مَنَالاً مِنَ الأُخْرى يَكُوْنُ لَهُ ذُخْرَا
يكُوْنُ لَهُ تَقْوَى وَزُهْدٌ وَعِفَّة ... وإِكْثَارُ أَعْمَالٍ يَنَالُ بها أَجْرَا

آخر: لَيْسَ يَبْقَى على الجَدِيْدَيْنِ إِلَّا ... عَمَلٌ صَالِحٌ وَذِكْرٌ جَمِيْلُ

آخر: وما في النَّاس أَحْسَنُ مِن مُطِيْعٍ ... لِخَالِقِهِ إِذَا عُدَّ الرِّجَالُ

آخر: لَنِعْمَ فَتَى التَقْوى فتىً طاهر الخُطَا ... خمَيْصٌ مِنَ الدُّنْيَا تقيُّ المَسَالِكِ
فَتىً مَلَكَ الأَهْوَاءَ أَنْ يَعْتَبِدْنَهُ ... وَمَا كُلُّ ذِيْ لُبٍّ لهُنَّ بِمَالِكِ

وَكَم عَلَّقَ اللهُ العظيمُ في كِتَابِهِ العَزِيزِ على التَّقْوَى من خَيْرَاتٍ عَظْيمَةٍ وَسَعَادَاتٍ جَسِيْمَةٍ مِن ذَلِكَ المَعِيَّةُ الخاصَّةُ المُقْتَضِيَةُ للحفظ والعِنَايَةِ والنَّصْرِ والتَّأْيِيْدِ، قَالَ تَعَالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ وَمِن ذَلِكَ المَحَبَّةُ لِمِنَ اتَّقَى اللهَ، قال الله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

وَمِنْ ذَلِكَ التَّوْفِيقُ لِلْعِلْمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ وَمِن ذَلِكَ نَفْيُ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ عَن الْمُتَّقِي الْمُصْلِح قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿فَمَن اتّقى وَإِصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونْ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الفرقَانُ عِنْدَ الإِشْتِبَاهِ وَوُقُوعِ الاشْكَالِ وَالْكَفَّارَةِ لِلسَّيِّئَاتِ وَالْمَغْفِرَةِ لِلذُّنُوبِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا أَنْ تَتَّقُوا الله يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيْم﴾.

وَمِنْ ذَلِكَ النَّجاةُ مِنَ النَّارِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَانْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِياً ثُمَّ نُنَجِّي الْذِين اتْقَوْا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِيْنَ اتَّقُوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونْ﴾، وَمِنْ ذَلِكَ الْمَخْرَجُ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالرِّزْقِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

وَمِنْ ذَلِكَ الْيُسْرُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرَاً﴾، وَمِنْ ذَلِكَ عِظَمُ الأَجْرِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهِ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعَظِّمْ لَهُ أَجْراً﴾، وَمِنْ ذَلِكَ الْوَعْدُ مِنَ اللهِ بِالْجَنَّةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنِ الْتِي وَعَد الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ الآيَاتُ، إلى قَوْلِهِ ﴿مَنْ كَانَ تَقِيّاً﴾.

شِعْرَا: وَأَحْسَنُ وَجْهٍ فِي الوَرَى وَجْهُ مُتَّقِي ... وَأَقْبَحُ وَجْهٍ فيهِمُ وَجْهُ كافِرِ

آخر: ومِنْ أضْيَعِ الأشْيَاءِ مُهْجَةُ ذِي التُّقَى ... يَجُوْزُ على جَوْبَائها حُكْمُ جائِرِ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنهْرٍ فِي مَقعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرْ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمَتقِينَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

وَمِن ذَلِكَ الْكَرَامَةُ عِنَدَ اللهِ بِالتَّقْوَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾، إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ التَّقْوَى هِيَ امْتِثَالُ الأَوَامِرْ وَاجْتِنَابُ النَّوَاهِي، فَالْمُتَّقُونَ هُمُ الذِيْنَ يَرَاهُم اللهُ حَيْثُ أَمْرَهُم وَلا يُقْدِمُونَ على مَا نَهَاهُمْ عنه.

الْمُتَّقُونَ هُمُ الْذَيْنَ يَعْتَرِفُونَ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِمْ وَيَعْرِفُونَهُ وَيُؤَدُّونَهُ، وَيُنْكِرُونَ الْبَاطِلَ وَيَجْتَنِبُونَهُ وَيَخَافُونَ الرَّبَّ الْجَلِيْلَ الْذِي لَا تُخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، الْمُتَّقُونَ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللهِ فَيُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَهُ وَيُحِلُّونَ مَا أَحَلَّهُ.

وَلَا يَخُونُونَ فِي أَمَانَةٍ وَلَا يَرْضُونَ بِالذُّلِّ وَالإِهَانَةِ وَلَا يَعْقُونَ وَلَا يَقْطِعُونَ، وَلَا يُؤْذُونَ جِيرَانَهُمْ وَلَا يَضْرِبُونَ اخْوانَهُمْ، يَصِلُونَ مَنْ قَطَعَهُمْ، وَيُعْطُونَ مَنْ حَرَّمَهُمْ، وَيَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ الْخَيْرُ عِنْدَهُمْ مَأْمُوْلٌ، والشَّرُّ مِنْ جَانِبِهِمْ مَأْمُوْنٌ لَا يَغْتَابُونَ وَلَا يَكْذِبُونَ وَلَا يُنَافِقُونَ.

وَلَا يَنمُّونَ وَلَا يَحْسِدُونَ وَلَا يُرَاؤُنَ وَلَا يُرَابُونَ وَلَا يَقْذِفُونَ وَلَا يَأْمُرونَ بِمُنْكَرٍ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنْ مَعْرُوفْ، بَلْ يَأْمُرُوْنَ بالمعروفِ وَيَنْهَونَ عَنِ المُنْكَرْ، تِلْكَ صِفَاتُ المُتّقِيْنَ حَقاً الذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السّاعَةِ مُشْفِقُوْنْ.

اخْوانِي، لَوْ تَحَلَّى كُلٌّ مِنَّا بالتّقْوَى لَحَسُنَ عَمَلُهْ، وَخَلُصَتْ نِيَّتُهْ، واسْتَقَامَ على الهُدَى، وَابْتَعَد عَنِ المَعَاصِي والرّدَى، وكانَ يَوْمَ القيامةِ مِنَ النّاجِين.

شِعْرًا: لَحَى اللهُ قَلْباً بَاتَ خِلْواً مِنْ التّقُى ... وَعَيْناً عَلَى ذَنْبٍ مَضَى لَيْسَ تَذْرِفُ
وَإِنّيْ أُحِبُّ كُلَ مَنْ كَانَ ذَا تقُى ... وَيَزْدَادُ فِي عَيْنِي جَلَالاً وَيَشْرُفُ

شِعْرًا: يُرِيْدُ المرءُ أن يُؤْتَى مُنَاهُ ... وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا مَا أَرَادَا
يَقُولُ المَرْءُ فائِدَتي وَمَالِي ... وتَقْوَى اللهِ أَفْضَلُ ما اسْتَفَادَا

آخر: عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي كل حَالَةٍ ... تَجِدْ نَفْعَهَا يَوْمَ الحسابِ المُطَوَّلِ
أَلَا إنَّ تَقْوى اللهِ خَيْرُ بضاعَةٍ ... وأَفْضَلُ زَادِ الظاعِنِ المُتَحَمِّلِ
ولا خَيْرَ فِي طُوْلِ الحَيَاةِ وعَيْشِهَا ... إِذِ أَنْتَ منها بالتُّقَى لم تَزَوَّدِ

آخر: لَعَمْرُكَ مَا مَالُ الفَتَى بِذَخِيْرَةٍ ... وَلَكِنَّ تَقْوَى اللهِ خَيْرُ الذَّخَائِرِ
وأَنْفَعُ مَنْ صَافَيْتَ من كان مُخْلِصاً ... لِمَنْ لَمْ تَغِبْ عَنْهُ خَفَايَا الظَّمَائِرِ

آخر: وَمَا رَفَع النَّفْسَ الحَقِيْرَةَ كالتُّقَى ... ولا وَضَعَ النَّفْسَ الرَّفِيْعَةَ كالكُفْرِ

«فَصْلٌ» : وَصفُ المؤمنِ التَّقي لِلأَمامِ عَلَيَّ رَضيَ اللهُ عَنْهُ

اللْمُتَّقُونَ هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمْ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمْ الاقْتِصَادُ وَمَشْيُهُمْ التَّوَاضُعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوْا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ نَزَلَتْ أَنْفسهم مِنْهُمْ في الْبَلَاءِ كَمَا نَزَلَتْ في الرَّخَاءِ وَلَوْلَا الأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ في أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إلى الثَّوابِ وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ .

عَظُمَ الْخَالِقَ في أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ في أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيْهَا مُنْعِمُوْنَ وَهُمْ والنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيْهَا مُعَذَّبُون قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَإِجْسَادُهُمْ نَحِفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّامَاً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ راحَةٌ طَوِيلَةٌ وَتِجَارَةً مُرِيْحَةً يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ .

شِعْرًا : لَعَمْرِيَ مَا مَالُ الفَتَى بذَخِيْـرَةً ۞ وَلَكِنَّ تَقوى اللهِ خَيْرُ الذَّخَائِر

آخر : وما رَفَعَ النَّفْسَ الحَقِيْرَةَ كَالتُّقَى ۞ وَلَا وَضَعَ النَّفْسَ النَّفِيْسَة كَالكُفْرِ

أَرَادَتْهُم الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا أَمَّا اللَّيْـلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلاً يُحْزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَائِهِمْ .

فَإِذَا مَرُّو بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعَاً وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وَظَنُّوا أَنَّهَا نَصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيْهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَئِيرَ جَهَنَّم وَشَهِيْقَها في أُصُولِ آذَانِهم فَهُم حَانُونَ على أَوْساطِهم مَفْتَرِشُونَلِجِبَاهِهِمْ وأَكُفِّهِم ورُكَبِهِمْ وأَطْرَافِ أَقْدَامِهم يَطْلُبُونَ إلى اللهِ تعالى في فَكَاكِ رِقابِهم وأَمَّا النَّهارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارٌ أتقياءُ.

قَدْ بَرَاهم الخَوفُ بَرْيَ القِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيهِم الناظِرُ فَيَحْسَبُهُم مَرْضَى وَمَا

بالقَوْمِ مِن مَرَضٍ وَيقُولُ قَدْ خُولِطُوا وَلَقَدْ خَالَطَهُم أَمْرٌ عَظِيْمٌ؟ لاَ يَرْضَوْنَ مِن أَعْمَالِهِم القَلِيْلَ وَلاَ يَسْتَكْثِرُوْنَ الكثيرَ فَهُم لِأَنْفُسِهِم مُتّهَمُونَ وَمِن أَعْمَالِهِم مُشْفِقُونَ إِذَا زُكِيَ أَحَدُهُم خَافَ مِمَّا يُقَالُ فيقولُ أنا أَعْلَمُ بِنَفْسِيْ مِن غَيْرِيْ وَرَبي أَعْلَمُ بِي مِن نَفْسِي اللَّهُمَّ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لاَ يَعْلَمُوْنَ.

فَمِنْ عَلاَمَةِ أَحَدِهِم أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً في دِيْنٍ وَحَزْماً في لِيْنٍ وإِيْمَاناً في يَقِيْنٍ، وَحِرْصاً في عِلْمٍ، وَعِلْماً في حِلْمٍ وَقَصْداً في غِنَى وَخُشُوعَاً في عِبَادَةٍ وَتَحمُّلاً في فَاقَةٍ وَصَبْراً في شِدَّةٍ وَطَلَباً في حَلاَلٍ وَنَشاطاً في هُدَى وَتَحَرُّجاً عن طَمَعٍ.

شِعْرًا: وإذا بَحَثْتَ عنِ التَّقَى وجَدْتَهُ ... رَجُلاً يُصَدِّقُ قَوْلَهُ بِفِعَالِهِ
وإِذَا اتَّقَى اللهَ امْرُؤٌ وأَطَاعَهُ ... فَيَدَاهُ بَيْنَ مَكَارِمٍ وَمَعَالي
وَعَلَى التقيّ إذَا تَرسَخَ في التُّقَى ... تَاجَانِ تَاجُ سَكِيْنَةٍ وَجَمَالِ
وإذا تَنَاسَبَتِ الرجَالُ فَمَا أَرَى ... نَسَباً يَكُوْنِ كَصَالِحِ الأَعْمَالِ

آخر: تَجَمَّل بالتَّقَى إنْ رُمْتَ عِزاً ... فَتَقْوَى اللهِ أَشْرَفُ ما اقْتَنَيْتَا
وأَكْثِرْ ذِكْرَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ ... لِتَسْعَدَ في الْمَعَادِ إِذَا أَتَيْتَا

آخر: تزوَّدْ وَما زَادَ اللَّبِيْبِ سِوَى التَّقْوَى ... عَسَاكَ على الهَوْلِ العَظِيْم بَها تَقْوَى
فَمَنْ لَمْ يُعَمِّرْ بالتُّقَى جَدَثاً لَهُ ... فَمَنْزِلُهُ فِي خُلْدِهِ مَنْزِلٌ أَوْهَى

آخر وما لِبَسَ الإنسانُ أَبْهَى مِنَ التُّقَى ... وإنْ هُوَ غَالَي في حِسَانِ المَلابِسِ

آخر: يقولُون لي هَلْ للمكَارِمِ وَالعَلى ... قِوامٌ فَفِيْهِ لَوْ عَلِمْتَ دَوامُهَا
فَقُلتْ لَهُمْ والصدِّقُ خُلْقٌ أَلِفْتُهُ ... عَلَيْكُم بِتَقوى اللهِ فَهْيَ قِوامُهَا

«فَصْلٌ»

التَّقِيُ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِكْرُ يَبِيْتُ حَذِراً وَيُصْبِحُ فَرِحاً، حَذِراً لِمَا حَذِرَ مِن الغَفْلَةِ،

وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِن الفَضْلِ والرَّحْمَةِ، إنْ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيْمَا تَكْرَهُ، لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيْمَا تُحِبُّ.

قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيْمَا لا يَزُوْلُ، وَزَهَادَتُه فِيمَا لا يَبْقَى، يَمْزِجُ الحِلْم بالعِلْم، والقَولَ بالعَمَلِ، تَرَاهُ قَرِيْباً أَمَلُهُ، قَلِيْلًا زَلَلُهُ، خَاشِعاً قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُه، مَنْزُوْراً أَكْلُهُ سَهْلاً أَمْرُهُ، حَرِيْزاً دِيْنُهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُوماً غَيْظُهُ، الخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، والشَرُّ مِنْهُ مأمونٌ.

إنْ كَانَ في الغَافِلِيْنَ كُتِبَ في الذَّاكِرِيْنَ وإنْ كَانَ في الذَّاكِرِيْنَ لَمْ يُكْتَبْ مِن الغَافِلِينَ يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيُعْطِي مَن حَرَمَهُ وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، بَعِيْداً فُحْشُهُ، لَيِّناً قَوْلُهُ، غائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوْفُهُ، مُقْبلًا خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ، في الزَّلَازِلِ وَقُوْرٌ، وفي المَكَارِهِ صَبُوْرٌ وفي الرَّخَاءِ شَكُورٌ.

لَا يَحْيفُ عَلى مَنْ يُبْغِضُ، وَلَا يَأْثَمُ فِيْمَنْ يُحِبُ، يَعْتَرِفُ بِالحَقِّ قَبْلَ أن يُشْهَدَ عَلَيْهِ، لا يُضَيِّعُ ما اسْتُحْفِظَ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِرَ، وَلَا يُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ، وَلَا يُضَارُّ بالجَارِ، وَلَا يَشْمُتُ بالمُصَابِ، وَلَا يَدْخُلُ في البَاطِلِ، ولا يَخْرُجُ مِن الحَقِّ.

إنِ صَمَتَ لَمْ يَغُمُّه صَمْتُهُ، وانْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وإنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُو الذي يَنْتَقِنُ لَهُ، نَفْسُهُ مِنْهُ في عَنَاءٍ والنَّاسُ مِنْهُ في رَاحَةٍ، أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ، وأَرَاحَ الناسَ مِن نَفْسِهِ.

شِعْرًا: لا خَيْرَ فِيمَنْ لا يُرَاقِبُ رَبَّهُ ... عِنْدَ الهَوىَ وَيُحَاذِرُ النِسْيَانَا
إنَّ الذي يَبْغي الهَوَى ويُرِيْدُهُ ... كَمُوَاخِي شَيْطَانُهُ شَيْطَانَا
حَجَبَ التُقَى بابَ الهَوَى فأخِ التُقَى ... عَفُّ الخَلِيْقَةِ زَائِدٌ إيْمَانَا

آخر: عليك بِتَقْوى اللهِ أَسْنى الفَضَائِلِ ... تُعَدُ مِن القَومَ الكِرام الأَمَاثِلِ
فَمَا المرءُ إلَّا بالتُقَى يَرْتَقِي إلَى ... سَنَامِ المَعَالِي في مَقَامِ الأَفَاضِلِ

آخر: العِلْمُ والتَّقْوَى وَطَاعَة رَبِّنَـا تَكْسُ الرِّجَال مَهَابَةً وجَلَالَا
وَهْيَ الطَّرِيْقُ لِمَنْ أَرَادَ سَلامَةً وَهْيَ السِّلاحُ لِمَنْ أَرَادَ جِدَالَا

بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ وَنَزَاهَةً، ودُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِيْنٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُه بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيْعَةٍ.

قَالَ فَصَعِقَ هَمَّامُ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيْهَا. فَقَالَ أَمِيْرُ المُؤْمِنينَ عليهِ السلامُ أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ هَكَذَا تَصْنَعُ المَوَاعِظُ البَالِغَةُ بِأَهْلِهَا فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: فَمَا بَالُكَ ياأَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ فَقالَ وَيْحَكَ، إن لِكلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لَا يَعْدُوْهُ وسَبَباً لَا يَتَجَاوَزُه. أهـ.

شِعْرا:

عَلَيْكُم بِتَقْوَى اللهِ لَا تَتْرُكُوْنَهَا فإنَّ التُّقَى أَقْوَى وأَوْلَى وأَعْدَلُ
لِبَاسُ التُّقَى خَيْرُ الملابس كُلِّهَا وأَبْهَى لِبَاساً فِي الوُجُودِ وَأَجْمَلُ
فَمَا أَحْسَنَ التَّقْوَى وأَهْدَى سَبِيْلَهَا بِهَا يَنْفَعُ الإنسانَ مَا كَانَ يَعْمَلُ
فَيا أَيُّهَا الإنسانُ بادِر إلى التُقَى وَسَارِعْ إلى الخَيْرَاتِ مَادُمْتَ مُمْهَلُ
وَأَكْثِرْ مِن التَّقْوَى لِتَحْمِدَ غِبَّهَا بِدَارِ الجَزَاء دَارٍ بها سَوْف تَنْزِلُ
وَقَدِّمْ لِمَا تَقْدَمْ عَليهِ فإنَّمَا غَداً سَوْفَ تُجزَى بالَّذي سَوْف تَفْعَلُ
وأَحْسِنْ ولا تُهْمِلْ إذا كُنْتُ قادِراً فَأَنْتَ عن الدُّنْيَا قَرِيْباً سَتَرْحَلُ
وأَدِّ فُرُوْضَ الدِّيْنِ واتْقِنْ أَدَاءَهَا كَوَامِلَ فِي أَوْقَاتِهَا والتَّنَفلُ
وَسَارِعْ إلى الخَيْرَاتِ لا تَهْمِلَنَّهَا فإنَّكَ إنْ أَهْمَلْتَ مَا أَنْتَ مُهْمَلُ
وَلَكِنْ سَتُجْزَي بالذي أَنْتَ عَامِلٌ وعن ما مَضَى عن كُلِّ شَيْءٍ سَتُسْأَلُ
وَلَا تُلْهِكَ الدُّنْيَا فَرَبُّكَ ظَامِنٌ لِرزْقِ البَرَايَا ظَامِنٌ مُتَكَفِلُ
وَدُنْيَاكَ فاعْبُرْهَا وآخْرَاكَ زِدْ لَهَا عَمَاراً وإيْثَاراً إذا كُنْتَ تَعْقِلُ
فَمَنْ آثرَ الدُّنْيَا جَهُولٌ وَمَنْ يَبِعْ لِأُخْرَاهُ بالدُّنْيَا أَضَلُّ وأَجْهَلُ
وَلَذَّاتُهَا والجَاهُ والعِزُ والغِنَى بِأَضْدَادِهَا عَمَّا قَلِيْلٍ تَبَدَّلُ

فَمَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وإطَالَ عُمْرُهُ   فَلابُدَّ عَنْهَا رَاغِماً سَوْفَ يُنْقَلُ
وَيَنْزِلُ دَاراً لا أَنِـيْسَ لَهُ بِهَـا   لِكُـلِ الـوَرَى مِنهم مَعَادٌ وَمَوْئِـلُ
وَيَبْقَى رَهِيْنَاً بالتراب بِمَا جَنَى   إِلى بَعْثِهِ مِن أَرْضِهِ حِيْنَ يَنْسِلُ
يُهَالُ بِأَهْـوَالٍ يَشِيْبُ بِبَعْضِهَا   وَلَا هَوْلَ إلا بَعْدَهُ الهَوْلُ أَهْوَلُ
وفِي البَعْثِ بَعدَ المَوتِ نَشْرُ صَحَائِفٍ   وَمِيْزَانُ قِسْطٍ طَائِشٍ أَوْ مُثَقَّلُ
وَحَشْرٌ يَشِيْبُ الطفلُ مِنه لِهَوْلِهِ   وَمنه الجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ تَزَلْزَلُ
وَنَارٌ تَلَظَّى فِي لَظَاهَا سَلاسِلٌ   يُغَلُّ بِهَا الفُجَّارُ ثُمَّ يُسَلْسَلُ
شَرَابُ ذَوِيْ الإِجْرَامِ فِيهَا حَمِيْمُهَا   وَزَقُّوْمُهَا مَطْعُومُهُمْ حِيْنَ يُؤْكَلُ
حَمِيْمٌ وَغَسَّاقٌ وآخَرُ مِثْلُهُ   مِن المُهْلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ وَيَشْعَلُ
يَزِيْدُ هَوَاناً مِن هَوَاهَا ولَا يَزَلْ   إِلى قَعْرِهَا يَهْوِي دَوَاماً وَيَنْزِلُ
وَفِي نَارِهِ يَبْقَى دَوَاماً مُعَذَّبَاً   يَصِيْحُ ثُبُوراً وَيْحَهُ يَتَوَلْوَلُ
عَلَيْهَا صِرَاطٌ مَدْحَضٌ وَمَزَلَّةٌ   عَلَيْهِ البَرَايَا فِي القِيَامَةِ تُحْمَلُ
وفيهِ كَلَالِيْبٌ تَعَلَّقُ بالوَرَى   فَهَذَا نَجَا مِنها وَهَذا مُخَرْدَلُ
فَلا مُذْنِبٌ يَفْدِيْهِ مَا يَفْتَدِيْ بِهِ   وإِنْ يَعْتَذِرْ يوماً فَلَا العُذْرُ يُقْبَلُ
فَهَذَا جَزَاءُ المجرمينَ على الرَّدَى   وهذَا الذي يَومَ القِيَامَةِ يَحْصُلُ
أَعُوذُ بِرَبِي مِن لَظَى وَعَذَابِهَا   وَمِن حَالِ مَن يَهْوِيْ بِهَا يَتَجَلْجَلُ
ومِن حَالِ مَن فِي زَمْهَرِيْرٍ مُعَذَّبٍ   وَمَن كانَ فِي الأَغْلَالِ فِيْهَا مُكَبَّلُ
وَجَنَّاتُ عَدْنٍ زُخْرِفَتْ ثُمَّ أُزْلِفَتْ   لِقَوْمٍ على التَّقْوَى دَوَاماً تَبَتَّلُ
بِهَا كُلُ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ وَتَشْتَهِيْ   وَقُرَّةُ عَيْنٍ لَيْسَ عَنها تَرَحُّلُ
مَلَابِسُهُم فِيْهَا حَرِيْرٌ وَسُنْدُسٌ   وَإِسْتَبْرَقٌ لا يَعْتَرِيْهِ التَّحَلُّلُ
وَمَأْكُوْلُهم مِن كُلِّ مَا يَشْتَهُونَهُ   وَمِن سَلْسَبِيْلٍ شُرْبُهُم يَتَسَلْسَلُ
وَأَزْوَاجُهُم حُوْرٌ حِسَانٌ كَوَاعِبٌ   على مِثْلِ شَكْلِ الشَّمْسِ بل هُوَ أَشْكَلُ
يُطَافُ عَلَيْهِم بالذي يَشْتَهُونَهُ   إذا أَكَلُوا نَوْعاً بآخَرَ بُدِّلُوا

فَوَاكِهُهَا تَدْنُوا إلى مَنْ يُرِيْدُهَا   وَسُكَّانُهَا مَهْمَا تَمَنَّوْهُ يَحْصُلُ
وأَنْهَارُهَا الأَلْبَانُ تَجْرِي وأَعْسُلٌ   تَنَاوُلُهَا عِنْدَ الإِرَادَةِ يَسْهُلُ
بِهَا كُلُ أَنْوَاعِ الفَوَاكِهِ كُلُّهَا   وَخَمْرٌ وَمَاءٌ سَلْسَبِيْلٌ مُعَسَّلُ
يُقَالُ لَهُمْ طِبْتُمْ سَلِمْتُمْ مِن الأَذَى   سَلامٌ عَلَيْكُم بالسَّلامَةِ فأَدْخُلُوا
بأَسْبَابِ تَقْوَى اللهِ والعَمَلِ الذي   يُحِبُّ إلى جَنَّاتِ عَدْنٍ تَوَصَّلُوا
إذا كَانَ هَذَا والذي قَبْلَهُ الجَزَاء   فَحَقٌّ على العَيْنَيْنِ بالدَّمْعِ تُهْمِلُ
وَحَقٌّ على مَن كَانَ باللهِ مُؤْمِناً   يُقَدِّمْ لَهُ خَيْراً وَلَا يَتَعَلَّلُ
وأَنْ يَأْخُذَ الإنسانُ زَاداً التُقَى   ولا يَسْأَمِ التَّقْوَى وَلَا يَتَمَلْمَلُ
وإِنَّ أَمَامَ النَاسِ حَشْرٌ وَمَوْقِفٌ   وَيَومٌ طَوِيْلٌ أَلفُ عَامٍ وَأَطْوَلُ
يَالَكَ مِن يَوْمٍ عَلى كُلِّ مُبْطِلِ   فَضِيْعٍ وأَهْوَالُ القِيَامَةِ تُعْضِلُ
تَكُونُ به الأَطْوادُ كَالعِهْنِ أَوْ تَكُنْ   كَثِيباً مَهِيْلاً أَهْيَلًا يَتَهَلْهَلُ
به مِلَّةُ الإسلامِ تُقْبَلُ وَحْدَهَا   وَلَا غَيْرُهَا مِن أيِ فَيَبْطُلُ
بِهِ يُسْأَلُونَ النَاسُ ماذَا عَبَدْتُمَوا   وماذا أَجَبْتُم مَن دَعَا وَهُوَ مُرْسَلُ
حِسَابُ الذي يَنْقَادُ عَرْضٌ مُخَفَّفٌ   وَمَن لَيْسَ مُنْقَاداً حِسَابٌ مُثَقَّلُ
ومِنْ قَبْلِ ذَاكَ الموتُ يَأْتِيكَ بَغْتَةً   وَهَيْهَاتَ لاتَدْرِي مَتَى المَوتُ يَنْزِلُ
كُؤُسُ المَنَايَا سَوْفَ يَشْرَبُهَا الوَرَى   عَلى الرَّغْمِ شُبَّانٌ وَشِيْبٌ وَأَكْهُلُ
حَنَانَيْكَ بَادِرْهَا بِخَيْرٍ فَإِنَّمَا   على الآلةِ الحَدْبَا سَرِيْعاً سَتُحْمَلُ
إِذَا كُنْتَ قَدْ أَيْقَنْتَ بالمَوتِ والفَنَا   وبالبَعْثِ عَمَّا بَعْدَهُ تَغْفُلُ
أَيَصْلُحُ إِيْمَانُ المَعَادِ لِمُنْصِفٍ   ويَنْسَى مَقَامَ الحَشْرِ مَن كَانَ يَعْقِلُ
إذا أَنْتَ لَم تَرْحَلْ بِزَادٍ مِن التُقى   ابنْ لِي أَبِنْ يَومَ الجَزَا كَيْفَ تَفْعَلُ
أَتَرْضَى بأَنْ تَأْتِي القِيَامَةَ مُفْلِساً   على ظَهْرِكَ الأَوْزَارُ بالحَشْرِ تَحْمِلُ
إِلَهي لَكَ الفَضْلُ الذي عَمَّمَ الوَرَى   وَجُودٌ على كُلِ الخَلْقِيَةِ مُسْبَلُ
وَغَيْرُكَ لَوْ يَمْلِكْ خَزَائِنَكَ الَّتي   تَزِيْدُ مَعَ الانْفَاقِ لَابُدَّ يَبْخَلُ
وإِنِّي بِكَ اللَّهُمَّ رَبِي لَوَاثِقٌ   وما لِي بِبَابٍ غَيْرِ بَابِكَ مَدْخَلُ

وإنّي لَكَ اللَّهُمَّ بالدِيْنِ مُخْلِصاً ... وَهَمِّيْ وَحَاجَاتِي بِجُوْدِكَ أُنْزِلُ
أُعوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِن سُوْءِ صُنْعِنَا ... وَأَسْأَلُكَ التَّثْبِيْتَ أُخْرَى وَأَوَّلُ
إِلٰهي فَثَبِّتْنِيْ عَلى دِيْنِكَ الذي ... رَضِيْتَ بِهِ دِيْناً وإِيَّاهُ تَقبَلُ
وَهَبْ لِي مِن الفِلْرْدَوْسِ قَصْرًا مُشيَّداً ... وَمُنَّ بِخَيْرَاتٍ بِهَا أَتَعَجَّلُ
وَلِلَّهِ حَمْدٌ دَائِمٌ بِدَاوَمِهِ ... مَدَى الدهْرِ لا يَفْنَى ولا الحَمْدُ يَكْمُلُ
يَزِيْدُ على وَزْنِ الخَلائِقِ كُلِّهَا ... وأَرْجَحُ مِن وَزْنِ الجَمِيْعِ وأَثْقَلُ
وإِنّي بِحَمْدِ اللهِ في الحَمْدِ أَبْتَدِي ... وأُنْهِيْ بِحَمْدِ اللهِ قَوْلِيْ وَأَبْتَدِي
صَلاةً وَتَسْلِيْماً وَأَزْكَى تَحِيَّةً ... تَعُمُّ جَمِيْعَ المُرْسَلِيْنَ وَتَشْمَلُ
وأَزْكَى صَلاة اللهِ ثُمَّ سَلَامُهُ ... عَلَى المُصْطَفَى أَزْكى البَرِيَّةِ تَنْزِلُ

آخر: مطَالِبُ الناسِ في دُنْيَاكَ أَجْنَاسُ ... فاقصُدْ فَلَا مَطْلَبٌ يَبْقَي وَلا نَاسُ
وَارْضَى القَنَاعَةَ مَالاً والتُّقَى حَسَباً ... فَما عَلى ذِيْ تُقىً من دَهْرِه بَاسُ
وإِنْ عَلَتْكَ رُؤُوْسٌ وازْدَرَتْكَ فَفِيْ ... بطْنِ الثَّرى يَتَساوَى الرِجْلُ والرَّاسُ

آخر: عَلَيْكَ بتَقْوَى اللهِ واقتنَعْ برزْقِهِ ... فخَيْرُ عِبَادِ اللهِ مَنْ هُوَ قانِعُ
ولا تُلْهِكَ الدنيا ولا طمَعٌ لَهَا ... فَقَدْ يُهْلِكُ المَغْرُوْرَ فِيْهَا المَطَامِعُ
وصَبْراً عَلى نَوْبَاتِ مَا نَابَ وَاعْتَرِفْ ... فَمَا يَسْتوِي حُرٌّ صَبُوْرٌ وجَازِعُ
أَعَاذِلُ ما يُغْنِي الثَّراءُ عن الفَتَى ... إِذَا حَشْرَجَتْ بالنَّفْسِ مِنْهُ الأَضَالِعَ

آخر: لِلَّهِ قومٌ أَطَاعُوا اللهِ خَالِقَهُمْ ... فآمَنُوا واسْتَقامُوْا مِثْلَ ما أُمِرُوْا
وَالوَجْدُ والشَّوقُ والأَفْكَارُ قُوتُهُمُوْا ... ولازَمُوْا الجِدَّ والإِدْلَاجَ في البُكَرِ
وَبَادَرُوْا لِرِضَا مَوْلَاهُمُوْا وسَعَوْا ... قَصْدَ السَّبِيْلِ إِليهِ سَعْيَ مُؤْتَمِرِ
وَشَمَّرُوْا واسْتَعَدُّوْا وِفْقَ ما طُلِبُوا ... وَاسْتَغْرَقُوا وَقْتَهُمْ في الصَّوْمِ والسَّهَرِ
وَجَاهَدُوْا وانْتَهَوْا عَمَّا يُبَاعِدُهُمْ ... عَنْ بَابِهِ واسْتَلانُوا كُلَّ ذِي وَعَرِ
جَنَّاتُ عَدْنٍ لَهُمْ مَا يَشْتَهُوْنَ بِهَا ... في مَقْعَدِ الصِّدْقِ بَيْنَ الرَّوْضِ والزَّهَرِ
لَهُمْ مِنَ اللهِ مَالَا شَيْءَ يَعْدِلُهُ ... سَمَاعُ تَسْلِيمِهِ والفَوْزُ بالنَّظَرِ

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا توفيقاً يَقِيْنَا عَنْ مَعَاصِيْكَ وَأَرْشِدْنَا إلى السَّعْي فِيْمَا يُرْضِيْكَ، وأَجِرْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَاوَهَبْتَهُ لأَوْلِيَائِكَ وأَحْبَابِكَ، واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــلٌ»

قال اللهُ تَباركَ وتعالى وتَقَدَّس: ﴿إن الذين اتقوا إذا مَسَّهَم طائف من الشيطان تَذَكَّروْا فإذا هم مُبصرون﴾.

قال بعض أهل العلم في هذه الآية فوائد منها أنَّ أصْل أَمْرِ المتَّقِينْ السَّلامَةُ وَإِنْ عَرِضَ طَيْفٌ بَعْضِ الأَحْيَان.

ومنها إذَا مَسَّهم والمَسُّ مُلامَسَة مِن غيرِ تمكُنٍ كالكفار فإن الشيطان يَتجَرَّد عليهم ويَخْتَلس مِن قُلُوب المتَّقِينِ المؤمنين حِيْنَ تنامُ العُقُولُ الحَارِسَةِ لِلْقُلُوب.

فإذا استَيْقَظُوا انْبعَثَ مِن قلوبهم جُيُوْشُ الاسْتِغْفَار والذلَةِ إلى اللهِ تعالى والإِفتقار فاسْتَرجَعُوا مِن الشيطان ما اختلسَهُ وأخذوا منه ما أفَترِسَه.

ومنها أَنَّهُ أشارَ بالطيف إلى أَنَّهُ لا يُمْكِنُهُ أنْ يأتِي القلوبَ الدائمة المُسْتَيْقِظَةِ إنما يأتِي القُلُوبَ في حِيْنَ منامِها يَرْجُو غَفْلَتَهَا ومِن لا نوم لَهُ فلا طَيف يَردُ عليه.

ومنها أنَّ الطَيْفِ الذي في مَنَامِكَ فإذا اسْتَيْقَظْتَ فلا وُجُوْدَ لَهُ.

ومنها أنَّه قال تَذَكَّرُوْا ولم يَقلْ ذَكَرُوْا إشَارَةً إلى أنَّ الغَفْلَةَ لا يَطْرُدُهَا الذكر مِن غَفْلَةِ القلب إنَّما يَطْرُدُها التذكر والاعتبار لأَنَّ الذكر مَيْدانُه اللسان والتذكر مَيْدانُه القلب.

ومنها أنه قال تذكروا فحذف مُتَعَلَّقِةِ ولم يَقُلْ تذكَّرُوْا الجنةَ والنار والعقوبة لأن التذكر الماحِي لِطَيف الهَوى مِن قلوب المتقين على حساب مَرَاتِبِ المتقين.

ومَرْتَبَة التَّقوى يَدْخُلُ فيها الرسُل والأنبياء والصِدِّيْقُونَ والأوليآء والصالحون والمسلمون فتقوى كل أحد على حسب مقامه.

لذلك يُذْكَرُ كُلُ واحِدٍ على حَسَب مَقَامِهِ فلو ذكر قِسْمًا مِن أَقْسَام التَّذَكُرِ لم يدخُلْ فيه إلَّا أَهْلُ ذَلِكَ القِسْم.

شِعْرًا: أَعْلى الْمَمالِكِ مَا التَّقْوى لَهُ أُسُسٌ وطاعَةُ الله في سِرٍ وإِعْـــلَانِ
وَالعَدْلُ بَيْنَ عِبَادِ اللهِ كُلِّهِمُـوْا لَا فَرْقَ بَيْنَ شَرِيفٍ مِنْهُمْ أَوْ انِي

ومنها قولُه سُبْحَانَهُ فإذا هُم مُبْصِرُوْن كأَنَّهُ لم يَذْكُر أَعْلَى ذَلِكَ مَنًّا مِنْه سُبْحَانَه عليهم كأَنَّهُم لَمَّا اسْتَيْقَظُوْا ذهَبَتْ سَحَابةُ الغَفْلَةِ فأَشْرَقَتْ شمسُ البَصِيْرَة.

ومنها التَّوْسِيْعُ على المتقين لأنه لو قال إنَّ الذِيْنَ اتَّقَوْا لا يَمَسُّهُم طَيْفٌ مِن الشيطان خَرَجَ كل أحَدٍ إلَّا أَهْل العِصْمَةِ فأرادَ سُبْحَانَهُ أنْ يُوَسِّعَ دَائِرَة رَحْمَتِهِ. انتهى.

ثم أعلم وفقنا اللهُ وإيَّاكَ وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أَنَّ التقوى التي أعَدَّ اللهُ الجنة لأهلها قيلَ إنها امتثالُ الأوامر واجتنابُ النواهي.

وقِيل هَي اتقاءُ الشركِ فما دُوْنَهُ مِن ذَنْبٍ مِن كُل ما نهى الله عنه واتقاءَ تَضْيِيْعِ وَاجِبٍ مما افْتَرَضَ الله.

وهي وَصِيَّةُ للأوَّلين والآخِرِين، قالَ الله جل وعلا: ﴿ولقد وصينا الذين من قبلكم وإيَّاكم أَنِ اتَّقُوا الله﴾.

وقال جل وعلا: ﴿ألا أن أوليآء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾.

وقد روى في الحدين إن المنادي يُنَادِي يومَ القِيَامَة: ﴿ياعِبَادي لا خَوْفٌ عليكم اليومَ ولا أنتم تحزنون﴾ فَترفَعُ الخَلَائقُ رؤوْسَهم يَقُولُونَ نحنُ عِبَادُ الله عَزَّ وَجَلَّ.

ثم يُنَادِي الثانية: ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ فَيُنَكِسُ الكُفَارُ رؤُوْسَهُمِ، ويَبْقَى المُوحِدُوْن رَافِعِي رُؤُوْسَهُم.

ويَبْقَى أَهْلُ التَّقْوَى رَافِعِيْ رُؤُوْسَهُم قَدْ أَزَالَ عَنْهُم الرَّبُ الكَرِيمُ الخَوفَ والحَزَنَ كَمَا وَعَدهُمْ وهُو أَصْدَقُ القائِلين وَأَوْفَى الوَاعِدِين وأَكْرَمُ الأَكْرَمِيْن لا يَخْذُلُ وَلِيَّهُ ولا يُسْلمُهُ عند الهَلكَة.

شِعْرًا: لَوْ أَنَّنِي خُيِّرْتُ كُلَّ فَضِيْلَةٍ ... ما اخْتَرْتُ إِلَّا طَاعَةَ الرَّحمٰنِ

كُلُّ الأُمورِ تَزُوْل عَنْكَ وَتَنْقَضِيْ ... إِلَّا التُّقَى وَفَضَائِلُ الأَيْمَانِ

آخر: حَقُ التَّقِى وَإِنْ لَمْ يُدْنِهِ نَسَبٌ ... فَرْضٌ على كُلِّ مَن لِلدّينَ ينتسِبُ

«**مَوْعِظَة**»: عِبَادَ الله لَقَدْ ضَاعَتْ أَعْمَارَنَا في القِيْلِ وَالقَالِ، وَالغِيْبَةِ والنَّمِيْمَةِ، والمَدَاهَنَةِ، ووَالأنهَمَاكِ في الدُّنْيا، إلى أنْ استَلحَقَ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ جُزْءاً مِنْ الليلِ مُضَافَاً إِلَى النَّهَارِ، وَكَأَنَّنَا لَمْ نُخْلقْ إلا لِهَذِهِ الأَعْمَالِ، أَفَلَا نَسْتَيْقِظُ مِنْ غَفْلَتِنَا، وَنَحْفَظُ أَلْسِنَتِنَا عن نهشِ أَعْرَاضِ الغَوَافِلِ، وَالطَّعْنِ فِي الأَحْسَابِ والأَنْسَابِ، وَنَصْرِفَ جُلَّ الأَوْقَاتِ، إِلَى البَاقِيَاتِ الصَّالِحَات، التِي هِيَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّنَا ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَرَدًا، وَنَذْكُرَ مولَانَا الذِي فَضْلُهُ عَلَيْنَا مِدْرَارٌ، فَإِنَّ الذِّكْرَ عَاقِبَتُهُ الجَنَّةُ دَارُ الكَرَامَةِ والقَرَارِ، مَعَ رِضَى رَبِّنَا الذِي دُوْنُهُ كُلُّ ثَوَابٍ، تالله لو عَرَفْتُم قِيْمَةِ هَذه النَّصِيْحَةِ لَبَادَرْتُمْ إلى العَمَل بِهَا كلَّ البِدَارِ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ تَذْكُرُ الله أَفْضَلِ مِمَّنْ يُفَرِّقُ الذَهَبَ وَالفِضَّة وسَائِرَ الأَمْوَالِ،

وَأَفْضَلَ مِنْ أنْ تُجاهِدَ العَدُوْ فَيَضْرِبَ عُنُقَكَ، أو تَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتَكُون مِنْ الشُّهَدَاءِ الابْرَارِ، كَيْفَ لا وَالذِّكْرُ خَيْرِ الأعْمَالِ وَأزكاها، وَأَرْفَعَهَا لِلدَّرَجَاتِ عِنْدَ مَوْلَانَا الوَهَّابُ حَسْبُ الذَّاكِرِ: أَنْ تَحُفَّهُ المَلَائِكَةُ، وَتَنْزِلُ عَلَيْهِ السَّكِيْنَةُ، وَتَغْشَاهُ الرَّحماتُ، ومَنْ فِي الوُجُودِ مِثْلُ الذَّاكِرُ، وهُوَ وقتُ ذِكْرِهِ لِلَّهِ بَارِيُّ الكَائِنَاتِ، وَمَنْ مِثْلُهُ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ بالّذِكْرِ في حِصْنٍ، يَحْفَظَهُ من الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسَهِ الفَاتِنَاتِ، وَمَنْزِلَةُ الذاكر بَيْنَ الغَافِلِيْنَ كَمَنْزِلَةِ الحَيّ بَيْنَ المَيِّتِينَ، ذِكْرُ الله يُنِيْرُ القلبَ، ويُوْقِظَهُ ويُحْيِيهِ، ويُزِيْلُ رَانَه وَيَهْدِيْهِ إلَى الحَقّ، قَالَ تَعَالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُ القُلُوب﴾.

شِعْرًا: مَا مَاتَ مَنْ يَتْلُوا القُرَانَ دَوَامَهُ ... يَعْمَلْ بِمَا فِيهِ مِن الأَحْكَامِ
آخر: يَالَيْتَ أَلْفُ لِسَانٍ أَسْتَعِيْنُ بِهَا ... عَلَى قِراءةِ قُرْآنٍ وتهلِيْلِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

خَاتِمَةٌ، وَصِيَّةٌ، نَصِيْحَةٌ

إِعْلَمِ وَفَقَّنَا اللهُ وإِيَّاكَ وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ لِمَا يُحِبَّهُ الله ويَرْضَاهُ أَنَّ مِمَّا يَجِبُ الاعْتِنَاءُ بِهِ حِفْظاً وعَمَلاً كلام الله جَلَّ وَعَلَا وكَلام رسول الله ﷺ.

وأنه يَنْبَغي لِمَنْ وَفَّقَهُ الله تعالى أَنْ يَحُثَّ أَوْلَادَه على حِفْظ القُرآن وما تَيَسَّرَ مَن أَحَاديث النبي ﷺ المتفق على صحَّتِها عنه كالبُخَارِي ومُسْلم.

ومِن الفقه مختصرَ المقْنِع لِيَيسَّرَ لَهُ اسْتِخْراجُ المسائل ويَجْعَلُ لأَوْلادِهِ مَا يَحُثُّهُم على ذَلِك.

فَمَثَلاً يَجْعَلُ لَمتْ يَحْفَظُ القُرآنَ على صَدْرِهِ حِفْظاً صَحِيْحاً عَشَرَة آلافِ أَوْ أَزْيَد أَوْ أَلْ حَسَبَ حالِهِ في الغنَي.

ومِن الأحَادِيث عُقودَ اللُؤلؤ والمَرجَان فيما اتفق عَليْهِ الإِمَامَان البُخَارِي ومسلم، يَجْعَلُ لَمِنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّة آلاف.

فإِنْ عَجزوا عن حِفْظِهَا فالعُمدة في الحديث يَجْعَلُ لَمِنْ حَفِظها ثلاثة آلاف، أَوْ الأربعين النَّواوِيَّة ويَجْعَل لمن يَحْفَها ألْفاً.

ويَجْعَلُ لَمِنْ يَحْفَظُ مُخْتَصَرَ المقنع في الفقه أَلْفَينْ مِن الريالاتِ فالغَيبُ سَبَبٌ لِحِفِظِ المسائل وسَبَبٌ لِسُرعَةِ اسْتِخْرَاج ما أُرِيْدَ من ذَلِكَ وما أَشَكَلَ مَعْنَاه أوْ يُدَخِّلُهُم في مَدَارِسِ تَحْفِيْظِ القُرآن فَمَدَارِسُ تَعْلِيْمِ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ هِيَ مَدَارِسُ التَّعْلِيْم العَالِيْ المُمْتَازِ البَاقِي النافِعِ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ أَوْ يُدْخلهم في حَلَقَاتِ تَحْفِيْظِ القُرآن الكريم الموجودة في المَسَاجِد.

شِعْرًا: وَلَمْ أَرَى لِلْخَلائقِ مِنْ مُرَبٍ كَعِلْمِ الشَّرعِ يُؤخَذُ عن ثِقَاتِ
بِبَيْتِ اللهِ مَدْرسَةِ الأَوَالِيْ لِمَنْ يَهْوَى العُلُومَ الرَّاقِيَاتِ

فَمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِذَلِكَ وعَمِلَ أولادُهُ بِذَلِكَ كان سَبَباً لُحصُولِ الأَجر مِن الله وسبَباً لبْرهِم بِهِ ودُعَائِهم لَهُ إِذَا ذَكَرَوْا ذَلِكَ منه ولَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سَبَباً مُبَارَكاً يَعْملُ بِهِ أَوْلادُهُ مَعَ أولادهم فَيَزيْدُ الأَجْرُ لَهُ وَلهم، نَسأَل الله أَنْ يُوَفِّق الجميع لحُسْنِ النِّيَةْ.

«**فَائِدة**»: وَاعْلَمْ أَنَّ الأَوْلادَ يَتَفَاوَتُونَ في الذكَاءِ وَعُلوِ الهِمَّةِ، فيُعْطَى كُلِّ وَاحِدٍ مَنزِلَتَه، وَيَتبَيّنُ ذَلِكَ باخْتيَاراتِهِ لِنَفْسِهِ، فَإِنَّ الصِّبْيَانَ يَجْتمَعُونَ لِلَّعِبِ، فَيَقُولُ عَالِيْ الهِمَّةِ مَنْ يَكُوْنُ مَعِيْ وَيَقُولُ قَاصِر الهِمَّةِ مَنْ أَنَا مَعَهْ.

شِعْرًا:
العِلْمُ أَعْلَى وأَحْلَى مَالَهُ اسْتَمَعَتْ أُذْنٌ وأَعْرَبَ عَنه نَاطِقٌ بِفَمِ
العِلْمُ غَايَتُه القُصْوَى ورُتْبَتُهُ العُلْيَاءُ فَاسْعَوا إِلِيهِ يَاذَوِيْ الْهِمَمِ
لِعلْمُ أَشْرَفُ مَطْلُوبٍ وَطَالبُهُ لِلَّهِ أَكْرَمُ مَن يَمْشِيْ عَلَى قَدَمِ

العِلْـــمُ نُورٌ مُبيْـــنٌ يَسْتَضِيءُ بِهِ   أَهْلُ السَّعَادَةِ والجُهَالُ في الظُلَمِ

العِلْمُ أَعْلَى حَيَاةٍ لِلْعِبادِ كَمَـا   أَهْلُ الجَهالَةِ أَمْواتٌ بِجَهْلِهِـم

العِلْـمُ واللهِ ميراثُ النُبُـــوةِ لا   مِيْراثَ يُشْبِهُهُ طُوبَـى لِمُـتْسِمِ

لِأَنَّهُ إِرْثُ حَقٍ دائِـــمٍ أَبَـــداً   وما سواهُ إِلَى الإِفْنَاءِ والعَــدَمِ

العِلْمُ مِيزانُ شَرْعُ اللهِ حَيْثُ بِهِ   قِوامُهُ وبِدُونِ العِلْـمِ لَمْ يَقُـمِ

وسُلْطَةُ العِلمِ تَنْقَادُ القُلُوبُ لَهَا   إِلَى الهُدَى وإِلَى مَرْضَاةِ رَبِهِم

ويَذْهَبُ الدِينُ والدُّنْيا إذا ذَهَبَ العِـ   ـلْمُ الذي فِيه مَنْجَاةٌ لِمُعْتَصِمِ

العِلْمُ يَا صَاحِ يَسْتَغْفِرْ لِصَاحِبِـهِ   أَهْلُ السَّمواتِ والأَرْضِيْنَ مِن لَمَمِ

كَذَاكَ تَسْتَغْفِرُ الحِيتَانُ في لُجَجِ   مِن البِحارِ لَهُ في الضَّوءِ والظُلَمِ

وخارجَ في طِلابَ العِلمِ مُحْتَسِباً   مُجاهِدٌ في سبيلِ اللهِ أَيَّ كَمِي

وأَنَّ أَجْنِحَـةَ الأَمْلاكِ تَبْسُطُهـا   لِطَالِبِيْهِ رِضيً مِنهُـمْ بِصُنْعِهِـمُ

والسَّالِكُونَ طَرِيقَ العِلمِ يُسْلِكُهُمْ   إِلى الجِنَانِ طَرِيْقاً بَارِىءَ النَّسَمِ

والسامِعُ العِلْمَ والوَاعِيْ لِيَحْفَظَهُ   مُؤَدِيـا ناشِراً إِيَـاهُ فِي الأُمَـمِ

فَيَـا نَضَارَتَــهُ إِذْ كان متصفـاً   بِذا بِدَعْوَةِ خَيْرِ الخلقِ كُلِّهِـمُ

كَفَاكَ في فَضْلِ أَهْلِ العِلمِ أَنْ رُفِعُوا   مِنْ أَجْلِهِ دَرَجَاتٍ فَوقَ غَيْرِهِمُ

وكانَ فَضْلُ أَهْلِ أَبِيْنَا في القَدِيمِ عَلَى   الأَمْلاكِ بِالعِلمِ مِن تَعْلِيْمِ رَبِهِمُ

كَذالك يُوسُفُ لَمْ تَظْهَرْ فَضِيْلَتُهُ   لِلعالمينَ بِغَيْرِ العِلْـمِ والحِكَـمِ

وقَدَّمَ المُصْطَفَى بالعِلمِ حَامِلَهُ   أَعْظِمْ بِذَلِكَ تَقْـدِيماً لِذِي قَدَم

كَفَاهُمُوا أَنَ غَدَواْ لِلْوَحْيِ أَوْعِيَةً   واضْحَتِ الآيْ مِنهُ في صَدُوْرِهِم

وَأَنْ غَدَوْا وُكَلاءٌ في القِيَـامِ بِهِ   قولَا وفِعـلاً وَتَعْلِيمَـاً لِغيرِهِـم

وخصَّهُـم رَبُّنَـا قَصْرًا بِخَشْيَتِـهِ   وَعَقْـلِ أمثالِهِ فِي أَصْدَقِ الكَلِـمِ

وَمَعْ شَهَادَتِهِ جَاءَتْ شَهَادَتُهُمْ   حَيْثُ اسْتَجَابُوا وأَهْلُ الجَهْلِ في صَمَمِ

والعَالِمُونَ على العُبَّادِ فَضْلِهِمُ   كَالْبَدرِ فَضْلاً على الدُّرِي فاغْتَنِمِ

وبالمُهِمِّ المُهِمِّ ابْـدَأْ لِتَدْرِكَـهُ   وقَدِّمِ النَّصَ عَلَى الآرَاءِ فافْتَهِمِ

قَدِّمْ وُجُوباً عَلومَ الدِيـنِ إنّ رِهَـا … يَبْيِنُ نَهْجُ الهُدَى مِن مُوْجِبِ النِّقَمِ
وكُلُ كَسْرِ الفَتَى فالدِيْنُ جابُرهُ … والكَسْرُ فِي الدِينِ صَعْبٌ غَيْرُ مُلْتَئِمِ
ما العِلْـمِ إلَّا كِتَـابُ اللهِ أَوْ أَثَـرٌ … يَجْلُـوا بِنُـورِ هُداهُ كُلَّ مُنْبَهِـمِ
ما ثَمَّ عِلَمٌسِوَى الوَحْيِ المُبِيْنِ وَمَا … مِنْـهُ اسْتُمِـدَّ إلَّا طُوْبَـى لِمُغْتَنِـمِ
والكَتْمُ لِلعِلْـمِ فاحْـذَرْ إنَّ كَاتِمَـهُ … فِي لَعْنَـةِ اللهِ والأَقْـوامِ كُلِّهِـمِ
ومِـنْ عُقُوَبتِـهِ أنْ فِي المَعَـادِ لَهُ … مِن الجَحِيْمِ لِجَاماً لَيْسَ كَاللُّجُـمِ
وَكَاتِـمُ العِلْـمِ عَمَّـنْ لَيْس يَحْمِلُـهُ … ماذا بِكْتِمَـانْ بَلْ صَوْنٌ فَلَا تُلُـمِ
وإنَّمَـا الكَتْمُ مَنْـعُ العِلْـمِ طَالِبُـهُ … مِن مُسْتَحِقٍ لَهُ فافْهُـم ولَا تَهِـمِ
وَأَتْبِعِ العِلْـمِ بالأعْمَـالِ وادْعُ إِلَـى … سَبِيْـلِ رَبِّكَ بالتِّبْيَـانِ والحِكَـمِ
واصْبِرَه عَلَى لاحِقٍ مِن فِتْنَةٍ وَأَذى … فِيْهِ وفي الرُسْلِ ذِكْرَى فاقْتَدِهْ بِهِم
لَوَاحَـدٌ بِكَ يَهْدِيْـهِ الإِلَـهُ لِذَا … خَيْرٌ غَداً لَكَ مِن حُمْرٍ مِن النَّعَـمِ
واسْلُكْ سَواءَ الصِّراطِ المُسْتَقِيْمِ ولَا … تَعْدِلْ وقُلْ: رَبِّيَ الرَّحْمٰنُ واسْتَقِمِ
يا طالبَ العِلْمِ لا تَبْغِي بِهِ بَدَلاً … فقد ظَفْرت وربِّ اللوحِ والقلمِ
وقَدِّسِ العِلْمَ واعْرِفْ قَدْرَ حُرْمَتِـهِ … في القَوالِ والفِعل والآدابِ فالتَـزِمِ
واجْهَـدْ بِعَـزْمٍ قَوِيٍ لا انْثِنَـاءَ لَهُ … لَوْ يَعْلَمُ المرءُ قَدْرَ العِلْمِ لَمْ يَنَمِ
والنُّصْحَ فابذِلْهُ لِلطُّلَابِ مُحْتَسِباً … في السِّرِ والجَهْرِ والأُسْتَاذَ فاحْتَرِمِ
وَمَرْحَباً قُلْ لِمَنْ يَأْتِيْكَ يَطْلُبُهُ … وفِيْهِمْ احْفَظْ وَصَايَا المُصْطَفَى بِهِمِ
والنِّيَّةُ اجْعَلْ لِوجْنِ اللهِ خَالِصَةً … إنْ البِنَاءُ بِدُوْنِ الأَصْلِ لَمْ يَقُمِ
ومَنْ يَكُنْ لِيَقُولُ الناسُ يَطْلُبُهُ … أَخْسِرْ بِصَفْقَتِهِ في مَوْقِفِ النَّدُمِ
ومَنْ بِهِ يَبْتَغِي الدُّنْيَا فَلَيْسَ لَهُ … يَوْمَ القِيامَةِ مِن حَظ ولا قِسمِ
إيَّاكَ وَاحْذَرْ مماراتِ السَّفِيْهِ بِهِ … كَذَا مُباهَاتِ أَهْلِ العِلْمِ لا ترم
فإنَّ أبْغَضَ كُلِّ الخَلْقِ أَجْمَعُهُمْ … إلى الإلٰهِ أَلَدَّ الناسِ في الخِصَمِ
والعُجْبَ فاحْذَرْهُ إنَّ العُجْبَ مُجْتَرِفٌ … أَعْمَالَ صَاحِبِهِ في سُيْلِهِ العَرِمِ
آخر: ضَيَّعْتَ عُمْرِكَ يا مَغْرُوْرُ فِي غَفَلٍ … قُم لِلتَّلاقِي فأَنْتَ اليَوْمَ في مَهَلِ
واسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِمَّا فَاتَ مِنْ زَمَنٍ … وانْدُبْ بِتوبَةْ عَلَى أَيَّامِكَ الأُولِ
بادِرْ إلَى صَالِحِ الأَعْمالِ مُجْتَهِداً … فالنُّجْعُ في الجِدِّ والحِرْمَانُ فِي الكَسَلِ

كُنْ لا محالةَ في الدُّنْيَا كَمُغْتَرِبٍ ... عَلَى رَحِيْلٍ دَنَى أَوْ عَابِرِ السُّبُلِ
دَارُ الخُلُودِ مَقَاماً دَارُ آخِرَةٍ ... إنَّ الإقامةَ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَجَلِ
وَكُلُّ مِن حَلَّ فِي الدُّنْيَا فَمُرْتَحِلٌ ... يَوْماً لِمَنْزِلَةٍ فِي إِثْرِ مُرْتَحِلِ
هَلَّا اعْتَبَرْتُ فَكَمْ حَلُوْا وكَمْ رَحَلُوْا ... وإنَّمَا النَاسُ فِي حِلٍّ وَمُرْتَحِلِ
إِذَا تَجَهَّمُ أَمْرٌ لَا مَرَدْ لَهُ ... لَمْ يُغْنِ عَنْكَ اقْتِنَاءُ المِلِ والحُلَلِ
يَقُومُ عَنْكَ الأَطِبَّاء والصّدِيْقُ إِذَاً ... وَقَدْ طَوَوْا صُحُفَ التَّدْبِيْرِ والْحُيَلِ
فَيُدْرِجُوْنَكَ فِي الأَكْفَانِ مُنْتَزِعاً ... عَنْكَ الثِّيَابُ مِن الأَبْرَادِ والحُلَلِ
ويُوْدِعُونَكَ تَحْتَ الأَرْضِ مُنْفَرِداً ... وَيَتْرُكُونَكَ مَحْجُوباً مِن الْمُقَلِ
وقَائِلٌ مِنْهُمُ قَدْ كَانَ خَيْرَ أَبٍ ... وَقَائِلٌ مِنْهُمُ قَدْ كَانَ خَيْرُ وُلِيّ
فَبَعْدَ ذَلِكَ لَا يَدْرُوْنَ مَا فَقَدُوْا ... وَهَمُّهُمْ في اقْتِسَامِ الإِرْثِ بالجَدَلِ
وَبْعضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ فِي مُخَاصَمَةٍ ... وإِنَّهُمْ بَيْنَ مَنْصُوْرٍ ومُنْخَذِلِ
ويأْخُذُونَ قَرِيْباً فِي مَعَايشِهِمْ ... لَا يَذْكُرُونَكَ في خِلْوٍ ومُحْتَفَلِ
يَا أَيُّهَا الغِرُّ لَا تَغْرُرْكَ صُحْبَتُهُمْ ... خَيْرُ المُصَاحبِ عِنديْ صَالِحُ العَمَلِ
فِيْمَ التَّغَافُلُ والأَيَّامُ دَائِرَةٌ ... فِيْمَ التَّكَاسُلُ والأَحْوَالُ في حِوَلِ
فِيْمَ العَوِيْلُ لَدَى دَارٍ خَلَتْ وَعَفَتْ ... فِيْمَ البُكَاءُ على الآثار والطَّلَلِ
فِيْمَ التّصَابِي وأَيّامُ الصِبَا غَبَرَتْ ... فِيْمَ النَسِيْبُ ولا إِبَانُ لِلْغَزَلِ
فَكَيْفَ تَلْعَبُ والخَمْسُونَ قَدْ كَمُلَتْ ... وَكَيْفَ تَلْهُوْ ونَارُ الشَّيْبِ فِي شُعَلِ
دَعْ ذِكْرَ لَيْلَى ولُبْنَى وازْدِيَادِهِمَا ... ثم ارْتَحِالهمَا مِن هَذِهِ الحُلَلِ
تِلْكَ الغَوانِي وَإِنْ أَخْلَصْنَ خُلَّتَهَا ... واللهِ لَسْنَ بَرِيْئَاتٍ مِن الدَّخَلِ
طحُبُّ الأَحِبَّةِ حِرْمَانٌ وَمَنْدَمَةٌ ... فالغُوْلُ عَاقِبَةٌ لِلشَّارِبِ الثَّمِلِ
يَا رَبِّ صَلِّ وَسَلِّمْ دائماً أَبَداً ... عَلَى نَبِيِّكَ طَهَ سيِّدِ الرُّسُلِ

«فَصْلٌ»

قال أحد العلماء: لا يكن هم أحدكم في كثرة العمل، ولكن ليكن همه في إحكامه وإتقانه، وتحسينه. فإن العبد قد يُصَلي وهو يَعْصِي الله في صلاته، وقد يصوم وهو يَعْصي الله في صيامه.

وقيل لآخر: كيفَ أصْبَحْتَ فبكى، وقال أصبحتُ في غَفْلةٍ عَظِيمةٍ عن الموت مَعَ ذُنُوب كثيرة قد أحَاطَتْ بي، وأجلٌ يسرع كل يوم في عمري، ومَوْئِل لستُ أدري علامًا أهجم ثم بكى.

وقال آخر: لا تَغْتَم إلا مِن شيء يَضُرك غداً (أي في الآخرة) ولا تفرح بشيءٍ لا يَسُرك غداً، وأنفعُ الخوف ما حَجزَكَ عن المعاصي، وأطال الحُزْنَ مِنْكَ على ما فاتك من الطاعة، وألْزَمَكَ الفِكْرَ في بَقِيةِ عُمرك.

وقال آخر: عليك بصحبة مَن تُذَكِّرُك الله عز وجل رُؤيته، وتقع هَيْبَتُه على باطنك، ويَزيدُ في عَملك مَنْطِقُه، ويُزَهِدُكَ في الدُّنْيَا عَمله، ولا تعصي الله مادُمْتَ في قُربه، يَعِظكَ بلِسانِ فِعْلِهِ ولا يَعظُكَ بلِسانِ قَوْلِهِ.

قال إسرافيل: حضرتُ ذي النون المصري وهو في الحبس وقد دَخل الشُرطَي بطعام له، فقام ذُو النون فنفض يده (أي قبضها عن الطعام).

فقيل له: إن أخاك جَاءَ به، فقال: إنه على يَدَيْ ظالم، قال: وسمعتُ رجلاً سأله ما الذي أتعبَ العبادَ وأضْعَفَهُم؟

فقال: ذكر المقام وقلةُ الزاد، وخوفُ الحساب، ولم لا تذوبُ أبدانُ العمال وتذهلُ عُقولُهم، والعرضُ على الله جل وعلا أمامَهم، وقرالأة كتبهم بين أيديهم.

والملائكة وقوفٌ بي يدي الجبار يَنْتَظِرونَ أمْرَهُ في الأخيار والأشرار، ثم مثَّلوا هذا في نفوسهم وجَعَلُوه نُصْبَ أعْيُنِهِم.

وقال: سَقَمُ الجسد في الأوجاع، وسقم القلوب في الذنوب، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه، كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب.

وقال: مَن لم يعرف قدر النعم، سُلِبَها مِن حَيثُ لا يعلم.

ما خلع الله على عبد خلعة أحسنَ ولا أشرفَ مِن العقل ولا قلده قلادة أجمل من العلم ولا زينه بزينة أفضل من الحلم وكمال ذلك التقوى.

وقال آخر: أدركتُ أقواماً يَسْتَحْيُونَ مِن الله في سَوادِ الليل مِن طُول الهَجْعَةِ، إنَّمَا هو على الجنب فإذا تحَرَّكَ قال لنفسه: لَيْسَ لك قومي خُذِي حَظَّكِ مِن الآخِرَةِ.

وقال أبو هاشم الزاهد: إن الله عز وجل وسَمَ الدنيا بالوحشة، ليكن أنْسُ المريدين به دونها، وليُقْبل المطيعُونَ له بالاعراض عنها، وأهْلُ المعرفة بالله فيها مُسْتَوْحِشُون، إلى الآخرة مُشتَاقُون.

ونِظَر أبو هاشم إلى شَرِيْكِ القَاضِي يَخْرجُ مِن دَارِ يحيى بن خالد فبكى، وقال: أعوذ بالله مِن عِلْمٍ لا ينفع.

وقال أسود بن سالم: ركعتان أصليهما أحب إلي من الجنة بما فيها. فقيل له: هذا خطأ، فقال: دَعُونا مِن كلامكم، رَأَيْتُ الجَنَّةَ رضا نَفْسِي، وركعتين أصليهما رضا رَبي، ورضاء ربي أَحَبُّ إليَّ مِن رضا نفسِي، تأمل ياأخي دقَّةَ هذا الفهم لله دره.

وقال وهيب: الإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس بينهُما حَرُوْن، فإذا قادَ القائدُ ولم يَسُقِ السَائِقُ لم يُغن ذلك شيئاً.

وإذا سَاقَ السائقُ ولم يقد القائد لم يغن ذلك شيئاً، وإذا قادَ القَائِدُ وساقَ السائقُ اتَّبَعَتْهُ النفسُ طوعاً وكرهاً وطابَ العملَ.

قال بعضهم يوبخ نفسه ويعظها: يانَفْسُ بادري بالأوقاتِ قبل إنصرامها، واجتهِد في حراسة لَيَالي الحياة وأيامها، فكأنكِ بالقبور قد تشَقَّقَتْ، وبالأمور وقد تحَقَّقَت، وبوجوه المتقين وقد اشرقت، وبرؤوس العصاه وقد أطرقت، قال تعالى وتقدس: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنَّا موقنون﴾، يانفس أما الوَرعُونَ فقد

جَدُّوا، وأما الخائفون فقد استعدوا، وأما الصالحون فقد فرحوا وراحوا وأما الواعظون فقد نصحوا وصاحوا.

العلم لا يحصل إلا بالنصب والمال لا يجمع إلا بالتعب، أيها العبد الحريص على تخليص نفسه إن عزمت فبادر وإنْ هممت فثابر واعلم أنه لا يُدْرِكُ العز والمَفَاخِر من كان في الصف الآخر.

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الإِيْمَانِ وثَبِّتْهَا عَلى قَوْلِكَ الثَّابِتْ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وَتَوفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَالْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِيْنَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــلٌ»

قال إبن مُسعودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - الصراطُ المستقيمُ، تَرَكَنَا مُحمدٌ في أدْنَاهُ وطَرَفُه في الجَنَّةِ، وعن يمينه جَوَادٌ وثَمّ رجالٌ يدعونَ مَنَ مَرَّ بهِم، فمَن أخذَ في تلك الجَوادِ إنتهتْ به إلى النار، ومَن أخذ على الصِراطِ إنتهى به إلى الجنة. ثم قرأ: ﴿وأن هذا صِراطِي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ خرجه إبن جرير وغيره.

فالطريقُ الموصلُ إلى الله واحدٌ، وهو صراطُهِ المستقيمُ، وبقيةُ السبلِ كُلُّها سُبُلُ الشيطانِ، مَن سلكَها قَطَعَتْ بِهِ عن الله، وأوصَلَتْهُ دَارَ سَخَطِهِ وغَضَبِهِ وعِقابِه، فربما سَلكَ الإنسانُ في أولِ أمرِهِ على الصراطِ المستقيم ثم يَنْحَرِفُ عَنهَ آخِرَ عُمُرِه فيسلكُ بعضَ سُبُلَ الشيطانِ فيقطعُ عن الله فَيَهلكُ.

«إن أحدَكُم ليعملُ بعملِ أهل الجنةِ حتى ما يكونُ بينه وبيهَا إلا ذراعٌ إلا ذراعٌ أو باعٌ فيعمُل بعملِ أهل النار فيدخلُ النارَ» وربما سلكَ بالرجل أولاً بعض سُبُلِ الشيطَان ثم تُدركُه السعادةُ فيسلكُ الصراطَ المستقيمَ في آخرِ عُمُرِهِ فيصلُ به إلى الله.

والشأنُ كُلَّ الشأنِ في الاستقامةِ على الصراطِ المستقيمِ مِن أول السير إلى الله ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾، ﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾. ما أكثرَ مَن يرْجِعُ أثناءَ الطريق وينْقَطِعُ، فإن القلوبَ بينَ إصبعين من أصابعِ الرحمنِ ﴿يثبتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾.

شِعْرَا: خَلِيْلَيَّ قُطّاعُ الطّريقِ إلَى الحِمَا كَثِيرٌ وَأَمَّا الوَاصِلُونَ قَلِيلُ

وفي الحديث الصحيح الإلهي (القدسي) يقول الله عز وجل: «مَن تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ منهُ ذِراعاً، ومَن تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ منهُ بَاعاً ومَن أَتَانِي يَمْشِيْ أَتيتهُ هَرْوَلَة».

وفي المسند زيادة «والله أعلا وأجل والله أعلا وأجل» وفيه أيضاً: يقول الله: «إبنَ آدمَ قُمْ إليَّ وامْشِ إليَّ أُهْرِوِلْ إليْكَ».

«فَصْـــلٌ»

وقال رحمه الله: الوصولُ إلى الله نَوعان: أحَدُهما في الدنيا، والثاني في الآخِرَةِ. فأما الوصولُ الدنيويُ فالمُرَادُ به: أن القلوبَ تصلِ إلى مَعْرفَتِهِ، فإذا عَرَفَتْهُ أحبته، وأنِسَتْ بهِ، فوَجَدْتُه منها قريباً، ولِدُعَائِها مُجيباً، كَما في بعض الآثار: «إبنَ آدمَ أطلبني تجدني فإن وجَدتني وجدتُ كُلَّ شيءٍ، وإن فِتُّكَ فَاتكَ كُلّ شيءٍ».

الصراطُ المستقيمُ في الدنيا يشتملُ على ثلاثِ درجاتٍ: درجةِ الإسلامِ، ودرجةِ الإيمان، ودرجةِ الإحسان. فمن سَلَكَ دَرَجَةَ الإسلامِ إلى أن يَمُوتَ عليها مَنَّعتْهُ مِن الخلودِ في النارِ، ولم يَكُنْ له بُدٌّ مِن دُخولِ الجنة، وإن أصابَهُ قبلَ ذلكَ ما أصابَهُ.

ومَن سَلَكَ على دَرَجَةِ الإيمانِ إلى أن يموتَ عليها مَنَعَتْهُ مِن دخولِ النارِ بالكليةِ فإن الإيمانِ يُطِفىءُ لَهَبَ نارِ جهنم حتى تقولَ: يا مُؤْمَنُ جُزْ فَقَدْ أطفأَ نُورُكَ لَهبِي.

وفي المسند عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «لا يَبْقى بَرٌّ ولا فاجِرٌ إلا دَخَلَها فتكونُ على المؤمنِ بَرْداً وسَلَاماً كما كانَتْ على إبراهيم، حَتَّى إن لِلنّارِ ضَجِيْجاً مِن بَرْدِهِم، ذَا مِيْرَاثٌ ورِثَه المحبونه مِن حَالِ أبِيهم إبراهيم عليه السلام».

ومَن سلك على درجة إحسان إلى أن يموت عليها وَصِلَ بعدَ الموتِ إلى الله: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾. وفي الحديث الصحيح: «إذَا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ نادَى يا أهل الجنةِ إن لكم عندَ الله مَوعداً يُريدُ أن يُنْجِزَكُمُوهُ».

فيقولون ما هو؟ ألمَّ يبيض وجوهنا؟ ألم يثقل موازيننا؟ فوالله ما أعطاهُم الله شيئاً أَحَبَّ إليهم، ولا أقرّ لأعينهم من النظر إليه، وهو الزيادةُ ثم تلا: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾.

كُلُ أهلِ الجنةِ يَشتَرِكُونَ في الرُوايةِ ولكن يَتفَاوتُون في القرُبِ في حال الرؤيةِ. عُمُومُ أهلِ الجنةِ يرَوْنَ ربَّهم يومَ المزيدِ وهو يوم الجمعة، وخواصُهم يَنْظُرونَ إلى وجه اللهِ في كُلِ يَومٍ مَرتَين بكرةً وعَشِياً. العارفونَ لا يُسَلِّيْهِم عن مَحبوبِهم قَصْرٌ ولا يُرْويْهِم دونَه نهْرٌ.

شِعْرَا: ويَرونَـهُ سُبحانَـهُ مِن فَوقِهِـم ... نَظَر العِيـانِ كما يُرىَ القَمَـرانِ
هذا تَواتَـر عن رسولِ اللهِ لم ... يُنكِـرهُ إلا فَاسِدُ الإيمانِ
وأتى به القُرآنُ تَصرِيحا وتَعْـ ... ـريضاً هُمَا بِسِاقِـهِ نَوعـانِ
وهيَ الزيادةُ قَدْ أَتتْ في يُونُسٍ ... تفْسِيرَ مَن قَدْ جاءَ بالقـرآن
وهـي المزيـدُ كذاكَ فَسّرِهُ أبـو ... بَكرٍ هو الصديـقُ ذُو الإيمان

وعليه أصحابُ الرسول تَتَابَعُو　　هم بعدهـــم تَبَعِيّـــةَ الإحسان

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

«فَصْـــلٌ»

وفي المسند عن إبن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «أن أَدنَى أَهلِ الجنةِ مَنزلةً لَيَنْظُرُ في ملكه أَلفَي سنة يَرى أقصاه كما يرى أدناه، يَنظرُ إلى أزواجِهِ وخَدَمِهِ، وأن أفضَلهُم مَنزلةً لمن يَنْظُر إلى وجْهِ الله تبارَكَ وتَعالىَ كُلّ يَومٍ مَرَّتين» وخرجه الترمذي، ولفظه: «إن أدنى أهل الجنة منزلةً لمَنْ يَنظُر إلى أزواجِهِ ونعيمِهِ وخَدَمِهِ وسُرُرِهِ مَسْيَرة ألف سنة».

وأكرمُهم على الله من ينظرُ إلى وَجْهِهِ غُدْوَةً وعَشِيّاً ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ.. إلى. ربها ناظرة﴾ ولهذا المعنى قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح، حديث جرير بن عبدالله البَجَلي: «إنكم ستَرونَ رَبَّكُم يومَ القيامةِ كما تَرونَ القمرَ ليلةَ البدرِ لاتُضَامُونَ في رُؤْيَتِه﴾ قال: «فإن إستَطَعْتُم أَن لا تُغَلبُوا على صلاةٍ قَبلَ طَلوعِ الشمسِ وصلاةٍ قَبلَ غُروبِها فافعَلُوا﴾، ثم قرأ: ﴿فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾.

ولما كان هذانِ الوَقْتَانِ في الجنة وقتانِ للرؤية في خواصِ أهلِ الجنةِ، خَصَّ الرسول ﷺ على المحافظة على الصلاة في هذين الوقتين في الدنيا فَمَنْ حَافَظَ على آتين الصلاتين في الدنيا في هذين الوقتين وصلاهُما على أكْمَلِ وُجُوهِمَا وخُشُوعِهِمَا وحُضُورِهما وأدَبِهما فإنه يُرجَى له أن يكونَ مِمَّن يَرَى الله في هذين الوقتين في الجنة، لاسيما إن حافظ بعدَهُما على الذكر وأنواعِت العِبادات حتى تطلعَ الشمسُ أو تغربَ.

فإن وَصَلَ العبدُ ذَلِكَ بدُلجِةِ آخر الليلِ فَقَدْ إجتمعَ له السيرُ في الأوقات الثلاثة وهي: الدُلْجَةُ، والغَدوةُ، والرَوْحَةُ، فيوشكُ أن يَعْقِبَه الصِدقُ في هذا

السيرِ الوصول الأعظم إلى مايطلبه في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

مَن لَزِمَ الصِدق في طلبِهِ أداهُ الصِدْقُ إلى مَقْعِد الصِدْق. ﴿وبشر الذين آمنوا إن لهم قدَم صدقٍ عند ربهم﴾.

المحبُ لايَقْطَعُ السؤالَ عَمَّنْ يُحِبُ ويَتَحَسَّس الأخبارَ وينْسِمُ الرِياحَ ويَسْتَدِلُ بآثار السلوكِ على الطريق إلى محبوبه.

لقد كَبُرتْ هِمَّةٌ الله مُطلوبهُا وشرفَتْ نفسٌ الله مَحْبُوبُها ﴿ولا تطرد الذين يدعون بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾.

شِعْرًا: ما للمحبِ سوِي إرادة حِبه إنّ المحبَّ بكُـــلِ بَرٍ يُصْرَعُ

قيمةُ كلِ إمرىءٍ ما يَطْلُبُ، فَمَن كانَ يَطْلُبُ الله فلا قيمةَ له من طَلَبَ الله فَهُو أجَلّ مِن أن يُقَوَّمَ، ومَن طَلَب غَيْرَهُ فهو أخَسُّ مِن أن يكونَ لهُ قِيْمَة.

قال الشبلي: مَن ركن إلى الدُّنْيَا أحْرَقَتْهُ بنارِها فصارَ رماداً تَذْرُوْهُ الرياحُ، ومَن ركن إلى الآخرِة أحرقته بنورِها فصار سبيكةَ ذهبٍ ينتفعُ به، ومَن ركن إلى الله أحرقه نُورُ التوحيد فصارَ جوْهَراً لا قيمة لَهُ.

والله أعلم وصلى الله علىِ محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

«فَصْـــلٌ»

في قوله تعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ هذه الآية كانتَ تَشْتَدُ على الخائفين مِن العارفين، فإنها تَقتضِي أن من العباد مَن يَبْدُو له عندَ لِقاء الله ما لم يكن يحتسب، مثل أن يكون غافلا عما بين يديه مُعْرِضاً غير مُلتْفتٍ إليه ولا يَحتِسبُ له، ولهذا قال عمر رضي الله عنه: لو أن لِي مُلْكَ الأرض لافتديتُ به مِن هَوْلِ المطلع.

وفي الحديث: «لا تمنوا الموتَ فإن هولَ المطلعِ شديد، وإن مِن سعادةِ المرءِ أن يطَولَ عُمُره ويَرزقه الله الإنابة».

وقال بعضُ حكماء السلف: كم مَوقِف خِزيٍ يومَ القيامةِ لم يَخطُر على بالك قط. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا غطاءَك فبصرك اليوم حديد﴾.

وإشتملَ على ما هو أعم مِن ذلك وهو أن يكون له أعمالٌ يرجو بها الخيرَ فتصيرُ هَباءً منثوراً وتبدلُ سيآت. وقد قال تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾.

وقال: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾.

وقال الفضيلُ في هذه الآية: ﴿وَبَدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ قال: عملوا أعمالاً وحسبوا أنها حسنات فإذا هي سيئات. وقَرِيبٌ من هذا أن يعملَ الإنسانُ ذنباً يحتقِرُهُ ويَستَهوِنُ به فيكون هو سَبَبَ هلاكِهِ. كما قال تعالى: ﴿وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾.

وقال بعضُ الصحابةِ إنكم تعملون أعمالاً هي في أعينكم أدقُ مِن الشعر، كنا نعهدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات، وأصعبُ مِن هذا من زُيّنَ له سوءُ عمله فرآه حسناً. قال تعالى: ﴿قل هل نُنَبِئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضلّ سعُيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾.

قال إبن عيينة لَمَّا حَضَرَتْ مُحمدَ بنَ المنكدر الوفاةُ جَزِعَ فَدَعُوْا له أبا حازم فجاءَ فقال له إبن المنكدر: إن الله يقول: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ فأخاف أن يبدوَ لي من الله ما أكن أحتسب. فجعلا يبكيان جميعاً. خرجه إبن أبي حاتم، وزاد إبن أبي الدنيا. فقال له أهله: دعوناك لتخفف عليه فزدته فأخبرم بما قاب.

وقال الفضيلُ بنُ عياض أُخبرتُ عن سليمان التيمي أنه قِيلَ له: أنتَ أنتَ ومن مثُلك؟ فقال مه لا تقولوا هذا لا أدري ما يَبْدُو لي من الله. سمعتُ الله يقول: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾.

وكان سفيان الثوري يقول عند هذه الآية: وَيْلٌ لأهْلِ الرياء من هذه الآية، وهذا كما في حديث الثلاثة الذين هم أولُ مِن تَسْعَّرُ بهم النار، العالم والمتصدق والمجاهد. وكذلك من عَمِل أعمالاً صالحةً وكانت عليه مظالمِ فهو يظن أن أعماله تنجيه فيبدو له ما لم يكن يحتسب، فيقتسمُ الغرماءُ أعماله كلّها ثم يفضلُ لهم فضلٌ فيطرحُ مِن سيئاتهم عليه ثم يطرح في النار.

وقد يناقش الحساب فيطلب منه شكرُ النعم فتقوم أصغر النعم فتستوعب أعماله كلها وتبقى بقيةٌ فيطالب بشكرها فيعذب. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «مَن نوقش الحساب عذب أو هلك». وقد يكون له سيئات تحبط بعضَ أعماله أو أعمال جوارحه سوى التوحيد فيدخل النار.

وفي سنن إبن ماجة مِن رواية ثَوْبَانَ مَرْفُوعاً: «إنَّ مِن أُمَّتِي مَنْ يَجِيْءُ بأَعْمَالٍ أَمْثَال الجبَالْ فَيَجْعَلُهَا اللهُ هَبَاءًا مَنْثُوْراً» وفيه: «وَهُمِ قَومٌ مِنَ جِلْدَتِكُمْ وَيَتِكَلَّمُوْنَ بأَلسِنَتِكُمْ وَيَأْخُذُوْنَ مِن اللَّيلِ كَمَا تَأْخُذُوْنَ مِن اللَّيلِ ولكِنَّهُمْ قَومٌ إذَا خَلُوا بِمَحَارِمِ اللهِ إِنْتَهكُوْهَا».

وخَرَّجَ يَعَقَوبُ بنُ أَبِي شُعْبَةِ وإبنُ أَبِي الدُنْيَا في حَدِيْثِ سَالِمٍ مَوْلى أَبِي حُذَيْفَةَ مَرْفُوعاً: «ليَجَاءُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَقْوَامٍ مَعَهُمْ مِن الحَسَنَاتِ مِثْلُ جِبَالِ تِهَامَةَ، حَتَّى إذا جِيءَ بِهِم جَعَل اللهُ أَعْمَالَهُمَ هَبَاءً ثُمَّ أَكَبَّهُمْ فِي النارِ».

قال سَالِمٌ خَشِيْتُ أَنْ أَكُوْنَ مِنْهُمْ. فقال أَمَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَصُوْمونَ ويُصَلُونِ ويَأْخُذونَ هُنَيهةً من اللَّيلِ، ولَعَلَّهُم كَانُوا إِذَا عَرَضَ لَهُمْ شَيْءٌ سِرًا حَراماً أَخَذُوْهُ فأَدْحَض اللهُ أَعْمَالَهُمْ. وقَدْ يَحْبَطُ العَمَلُ بِآفةٍ مِن رِيَاءٍ خَفِّمي أَوْ عُجُبٍ بِهِ ونحوِ ذَلِك ولا يَشْعُرُ بهِ صَاحِبُهُ.

قال ضَيْغَمُ العابدُ: إن لم تأتِ الآخرةُ بالسرور لقد إجتمع عليه الأمران هَمُ الدنيا وَشَقَاءُ الآخرةِ. فقِيل له: كيفَ لا تأتيه الآخرة بالسرور وهو يتعبُ في دارْ الدنيا ويدَأب؟ قال: كيف بالقَبُول، كيف بالسلامة.

ثم قال: كم مِن رجل يَرى أنه قد أصلحَ عَمَلَهُ يُجمَعُ ذلك كلّه يومَ القيامة ثم يضربُ به وَجْهَهُ، ومِن هنا كان عامر بن عبد قيس وغيره يقلقون مِن هذه الآية: ﴿إنما يتقبلُ الله مِن المتقين﴾.

وقال إبنُ عَون: لا تثق بكثرةِ العملِ، فإنك لا تَدْرِي يُقبلُ منكَ أم لا، ولا تأمنْ ذُنوبَك فإنك لا تَدرِي هَلْ كفّرتْ عنكَ أم لا؟ لأن عَمَلَكَ عنكَ مُغَيَّب كُلُه لا تَدرِي ما الذي صَانِع به. وبكَى النخعيُ عندَ الموتِ وقال: أنتظرُ رَسُولَ رَبي ما أدري أيُبَشّرُني بالجنة أو النار؟

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الإِيْمَانِ وثَبِّتْهَا عَلى قَوْلِكَ الثَّابتْ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وَتَوفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَالْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ يا أَكْرَمَ الأَكْرَمِيْنَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــلٌ»

وعن أنس رضي الله عنه قال: دعا رجل فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاكرام يا حي يا قيوم.

فقا النبي ﷺ: «أتدرون بما دعا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: والذي نفسي بيده لقد دعا باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى» أخرجه أصحاب السُّنَن.

عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذْ

دَعَى وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له» رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد.

وعن معاوية بن أبي سُفيان قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن دَعَا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه: (لا إله إلا الله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله)» رواه الطبراني بإسناد حسن.

وعن معاذ بن جبل قال: سمع رسول الله ﷺ رجلا وهو يقول (ياذا الجلال والاكرام) فقال: «قد استُجِيْبَ لَكَ فَسَلْ» رواه الترمذي.

اللهم اجعلنا مُكْثِرِينَ لِذِكرِك مُؤَدِّيْنَ لحَقِّك حافظين لأمرك راجين لِوَعْدِكَ راضين في جميع حالاتنا عَنك، راغبين في كُلِّ أُمورنا إليكَ مُؤَمِّلينَ لِفَضْلِك شاكرين لِنِعَمِك، يامَن يحب العفو والإحسان، ويأمر بهما أعفُ عنا، وأحْسنْ إلينا، فإنكَ بالذي أنت له أهلٌ من عَفوك أحق منا بالذي نحن له أهل مِن عُقُوبتك.

اللهم ثَبِّتْ رَجَاءَكَ في قلوبنا، واقطعه عَمَّنْ سِوَاك، حتى لا نَرْجُوا غيرَكَ ولا نستعين إلا إياك، ياأرحم الراحمين، وياأكرم الأكرمين.

اللهم هب لنا اليقين والعافية، وإخلاص التوكل عليك، والاستغناء عن خلقك، واجعل خير أعمالنا ماقارب آجالنا.

اللهم أغننا بما وفقتنا له من العلم، وزينا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وجَمِّلْنَا بالعافية.

اللهم افتح مَسَامِعَ قلوبنا لِذِكرك وارزُقْنا طاعتَك وطاعةَ رسولك ووفقنا للعمل بكتابك وسنة رسولك.

اللهم إنا نسألك الهدى، والتُّقَى والعَافِيَةَ والغِنى، ونعوذ بكَ مِن دَرَكِ

الشقَاءِ، ومن جهْدِ البَلاء ومن سُوْءِ القَضَاء ومن شَماتَةِ الأعداء.

اللهم لك الحَمْدُ كُلَّه، ولك الملكَ كُلَّه، وبيَدِكَ الخير كلّه، وإليك يَرْجعُ الأمر كله عَلانيتُه وسِرُه، أهلُ الحمدِ والثناءِ أنْتَ، لا إله إلا أَنت سُبحانك إنك على كل شيء قدير.

اللهم اغفر لنا جميع ما سَلَفَ منا مِن الذنوب، واعْصَمْنَا فيما بَقى مِن أعمارنا، ووفقنا لِعَمَل صَالِح تَرضَى به عنا.

اللهم ياسامع كل صوت ويابارىء النفوس بعد الموت، يامَن لا تشتَبهُ عليه الأصوات، ياعظيم الشأن، ياواضح البرهان، يامَن هو كل يوم في شأن، اغفر لنا ذنوبنا إنكَ أنت الغفور الرحيم.

اللهم ياعظيم العفو، ياواسع المغفرة، ياقريب الرحمة، ياذا الجلال والاكرام، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة.

اللهم ياحيُّ وياقيوُّم فرِّغْنَا لِمَا خَلَقْتَنَا له، ولا تُشْغِلْنَا بِمَا تَكَفَّلْتَ لنا به، واجعلنا مِمَّن يُؤمِنُ بِلقَائِك، ويَرْضَى بقَضَائِك، ويقنعُ بعطائك، ويخشَاكَ حَقَّ خَشيْتِك.

اللهم اجْعَلْ رِزْقَنَا رَغَدَا، ولا تشمِتْ بِنَا أحَدَا.

اللهم رَغِّبْنَا فيما يبقى، وزهدنا فيما يَفَنَى، وهب لنا اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه، ولا يُعَوَّلُ في الدين إلا عليه.

اللهم إنا نسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفينا شر ما أهمنا وما لا نهتم به وأن تعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

اللهم ياعليم ياحليم ياقوي ياعزيز ياذَا المن والعطا والعز والكبرياء يامَن تَعْنُوْا له الوجُوه وتخشع له الأصوات، وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شيء قدير.

اللهم إنا نسألك رحمة مِن عندكَ تَهْدِي بها قُلُوْبَنَا، وتَجْمِعُ بها شَمْلَنَا، وتَلمُ بها شَعَثَنَا، وترفع بها شاهدنا، وتحَفَظُ بها غائِبَنَا، وتزكى بها أعمالنا، وتلهمنا بها رشدنا، وتعصمنا بها من كل سوء ياأرحم الراحمين.

اللهم ارزقنا من فضلك، وأكفنا شر خلقك، وأحفظ علينا دِيْنَنَا وصحةَ أبداننا.

اللهم ياهادِي المضلين ويا راحم المذنبين، ومُقِيْل عثراتِ العاثرين، نسألك أن تُلْحِقنا بعبادك الصالحين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين.

اللهم ياعالم الخفيات، ويارفيع الدرجات، وياغافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير، نسألك أن تذيقنا برد عفوك، وحلاوة رحمتك، ياأرحم الراحمين، وأرَأفَ الرائفين وأكرمَ الأكرمين.

اللهم اعْتِقْنَا مِن رِقِّ الذُنُوب، وخَلِّصْنَا مِن أشَرِ النُّفوسْ، وأذْهِبْ عَنَّا وَحْشَةَ الإسَاءَةْ، وطَهِّرْنا مِن دَنَسِ الذنوب، وباعِدْ بَيْنَنَا وبَيْنَ الخَطَايَا وأجِرْنا من الشيطان الرجيم.

اللهم طَيِّبْنَا لِلقَائِكْ، وأهِّلْنَا لِوَلائِكْ وأدْخِلْنَا مَعَ المَرْحُوْمِيْنَ مِن أوْلِيَائِكْ، وتوفَّنَا مُسْلِمين والحقنَا بالصالحين.

اللهم أعِنَّا على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِكْ، وتِلَاوَةِ كِتَابِكْ، واجْعَلْنَا من حِزْبِكَ المُفْلِحِين، وأَيِّدْنَا بجُنْدِكِ المنْصُورِين، وارْزُقْنَا مُرافقَةَ الذيْنَ أنْعَمْتَ عليهم مِن النبيينَ والصِّدِيقين والشهداء والصَّالحين.

اللهم يافالقَ الحب والنَّوَى، يامُنْشِيء الأجْسَادِ بَعْدَ البلىَ يامُؤْوِي المنْقَطِعِيْنَ إليهْ، يا كافِي المُتَوَكِّلينَ عليه، انقطَعَ الرَّجَاءُ إلا مِنْكْ، وخابَت الظُنُون إلا فِيْكْ، وضَعُفَ الاعْتِمِاد إلا عَلَيْكْ نسألُكَ أنْ تُمْطِرَ مَحْلَ قُلُوبِنَا مِن سَحَائِبِ بِرِّكْ واحْسَانِكْ وأن توفقنا لِموجِباتِ رحمتك وعَزائِم مغفرتك إنكَ جواد كريم رؤوف غفور رحيم.

اللهم إنَّا نسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وعملاً متقبلاً، ونسألك بركة الحياة وخير الحياة، ونعوذ بك من شر الحياة، وشر الوفاة.

اللَّهُمَّ إنا نَسْأَلُكَ باسْمِكَ الأَعْظَمَ الأَعَزِّ الأَجَلِّ الأَكرمِ الذي إذا دُعِيْتَ به أجَبْتَ وإذَا سُئِلْتَ بِهِ أَعْطَيْتَ.

ونَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الكَرِيْمِ أَكْرَمَ الوُجُوه، يامِن عَنَتْ لَهُ الوُجُوهُ، وخَضَعَتْ لَهُ الرقَابُ، وخَشَعَتْ لَهُ الأَصْوَاتُ، ياذَا الجَلالِ والأكرامِ.

ياحَيُّ ياقَيُّومُ، يامَالكَ الملكِ، يَامَن هُوَ على كُلِّ شيءٍ قَدِيْرٌ، وبكلِ شيءٍ عَلِيمٍ، لا إله إلا أنْتَ، بَرحْمَتِكَ نَسْتَغِثْ، ومِن عَذَابكَ نَسْتَجِير.

اللهم اجعلنا نَخْشَاكَ حَتَّى كأننا نَرَاكَ، وسْعِدْنَا بتقْواك، ولا تُشْقِنَا بِمَعْصيتَك.

اللهم إنك تسمعُ كلامَنَا، وتَرى مَكاننا، وتَعْلم سِرَّنَا، وعَلَانِيَتَنا لا يَخْفَى عليكَ شيءٌ مِن أَمْرِنا نحن البؤساءُ الفُقراءُ إليك، المُسْتِغِيْثُون المُسْتَجِيْرُوْنَ الْوجلُونَ المشفقُونَ المعترفُون بِذُنُوبنا، نَسْأَلُك مَسألةَ المسكين، ونَبْتَهِلُ إليك إبْتِهَالَ المُذْنبِ الذَّلِيْل، ونَدْعُوْكَ دُعَاءَ الخَائِف الضرير.

اللهم يامَن خَضَعَتْ لَهُ رقَابنَا، وفاضَتْ لَهُ عَبَارَاتُنَا، وذَلَّت له أجْسَامُنَا، ورَغِمَتْ لَهُ أُنُوْفُنَا لا تَجْعَلْنَا بِدُعَائِك أشقياء، وكن بنا رؤوفاً ياخَير المَسْؤُلِين.

اللهم إنا نَسْأَلُكَ نَفْساً مُطْمَئِنَّةً، تُؤمِنُ بِلقَائِكْ وتَرْضَى بِقَضائِك، وتَقْنَعُ بِعَطَائكْ، ياأرأف الرائفين، وأرحم الراحمين.

اللهم إنا نَسْأَلُكَ التوفيق لِمَا تُحِبُّه مِن الأعمال، ونسأَلُكَ صِدْقَ التوكلِ عليكْ، وحُسْنَ الظَنِّ بكَ يَارَبَّ العالمين.

اللهم اجعلنا مِن عِبادِكَ المُخْبِتِين، الغُرِّ المُحَجَّلِين الوَفْدِ المُتَقَبلِين.

اللهم إنا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبةً، ونَفْساً تَقِيَّة، وعِيْشَةٍ نَقِيَّة، ومِيْتَةً سَوِيَّة، ومَرَداً غَيْرَ مُخْزي ولا فاضح.

اللهم اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح، ومن المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك يارب العالمين.

«اللهم مالكَ الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تَشَاء وتُعِز مَن تشاء وتُذِلُ مَن تشاء بِيَدِكَ الخيرُ إنكَ على كل شيءٍ قدير».

ياوَدُوْدُ ياذَا العَرش المجيد يامُبْدِيءُ يامُعِيْد يافَعَالٌ لما تُرِيدِ نسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عَرشك وبقُدرتِكَ التي قدرت بها على جميع خلقكَ وبرحمتك التي وسِعَت كل شيء لا إله إلا أنت أن تغفر ذنوبَنا وسَيِّئاتِنَا وأنْ تبدلها لنا بحسنات إنك جوادٌ كريم رؤوفٌ رحيم.

اللهم افتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك ياأرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجميعن.

عبدالعزيز بن محمد بن سلمان

شِعْرا: تَزَوَّجَت البَطَالَةُ بالتَّوانِي ... فَأَوْلَدَهَا غُلاماً مَع غُلَامَهْ
فأَمَّا الابْنُ سَمَّوْهُ بِفَقْرٍ ... وأَمَّا البِنْتُ سَمَّوْهَا نَدامَةْ

آخر: أُقلِّبُ كُتُباً طَالَما قَدْ جَمَعْتُهَا ... وأَفْنَيْتُ فيها العَيْنَ والعَيْنَ وَالْيَدَا
وَأَصْبَحْتُ ذَا ظَنٍ بِهَا وتَمَسُّكٍ ... لِعِلْمِي بِمَا قَدْ صُغْتُ فِيْهَا مُنَضَّدَا
وَأَحْذَرُ جُهْدِيْ أَنْ تُنَالَ بِنَائِلٍ ... مَهِيْنٌ وَأَنْ يَغْتَالَهَا غَائِلُ الرَّدَى
وَأَعْلَمُ حَقاً أَنَّنِيْ لَسْتُ بَاقِياً ... فَيَالَيْتَ شِعْرِيْ مَنْ يُقَلِبُهَا غَدَا

آخر: نَصِيْبُكَ مِمَّا تَجْمَعَ الدَّهْرَ كُلَّهُ ... رِدَاءآنِ تُلْوَى فِيْمَا وَحَنُوْطُ

آخر: تَجَرَّدْ مِن الدُّنْيَا فإِنَّكَ إِنَّمَا ... خَرَجْتْ إِلَى الدُّنْيَا وأَنْتَ مُجَرَّدُ

آخر: فَمَا تَزَوَّدَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ ... سِوَى حَنُوطٍ غَداةَ البِيْنِ في خِرَقِ
وَغَيْرَ نَفْحَةِ أعوادٍ تُشَبُّ لَهُ ... وقَلَّ ذَلِكَ مِن زَادٍ لِمُنْطَلِقِ

ومن أراد طباعته ابتغاء وجه الله لا يريد به عرضاً من الدنيا فقد أُذِنَ له

وجزى الله خيراً من طبعه وقفاً أو أعان على طبعه أو تسبب لطبعه وتوزيعه على إخوانه من المسلمين فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» رواه مسلم، وورد عنه ﷺ أنه قال: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، منبله» الحديث رواه أبو دواد، وورد عنه ﷺ أنه قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» الحديث رواه مسلم.

الجزء الأول: تَمَّ هذَا الجُزْءُ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيْقِهِ وَنِسْأَلُ اللهُ الحَيَّ القَيُّوْمُ العَلِيُّ العَظِيْمَ ذَا الجَلَالِ والإِكْرَامِ الوَاحِد الفَرْدَ الصَّمَدَ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كفواً أَحَد أنْ يُعِزَّ الإِسْلَامَ والمُسْلِمِيْنَ وأنْ يَخْذُلَ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِيْنَ وَأَعْوَانَهُمْ وأنْ يُصْلِحَ من في صلاحه صَلَاحٌ للإِسْلَامِ والمُسْلِمِيْنَ وَيُهْلِكَ منْ في هَلَاكِهِ عز وصلاح للإِسْلَامِ والمُسْلِمِيْنَ وَأَنْ يَلُمَّ شَعَثَ المُسْلِمِيْنَ وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ ويُصْلِحَ أولادَهُمْ وَيَشْفِ مَرْضَاهُمْ وَيَعَافِي مُبْتَلَاهُمْ وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ بِأَيْدِيْنَا إلى كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا وإِيَّاهم مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظَنَا وإِيَّاهم مِن كُلِّ ضُرٍ وأنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

والله المسئول أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به نفعاً عاماً إنه سميع قريب مجيب على كل شيء قدير.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آلهِ وصحبه أجميعن. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

عبدالعزيز المحمد السلمان

شِعْرًا: مَثِّلْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا المَغْرُوْرُ … يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُوْرُ
قَدْ كُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وأُضْعِفَتْ … حَرّاً عَلَى رُؤُوسِ العِبَادِ تَفُوْرُ

وَإِذَا الجِبَالَ تَعَلّقَتْ بِأُصُوْلِهَا   فَرَأَيْتَهَا مِثْلَ السَّحَابِ تَسِيْرُ
وَإِذَا النُّجُومُ تَسَاقَطَتْ وَتَنَاثَرَتْ   وَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ الضِّيَاءِ كُدُوْرُ
وَإِذَا العِشَارُ تَعَطَّلَتْ عَنْ أَهْلِهَا   خَلَتِ الدِّيَارُ فَمَا بِهَا مَعْمُوْرُ
وَإِذَا الوُحُوْشَ لَدَى القِيَامَةِ أُحْضِرَت   وَتَقُوْلُ لِلأَمْلَاكِ أَيْنَ نَسِيْرُ
فَيُقَالُ سِيْرُوْا تَشْهَدُوْنَ فَضَائِحاً   وَعَجَائِباً قَدْ أُحْضِرَتْ وَأُمُوْرُ
وَإِذَا الجَنِيْنُ بِأُمِّهِ مُتَعَلِّقٌ   خَوْفَ الحِسَابِ وَقَلْبُهُ مَذْعُوْرُ
هَذَا بِلَا ذَنْبٍ يَخَافُ لِهَوْلِهِ   كَيْفَ المُقِيْمُ على الذُنُوبِ دُهُوْرُ

وخِتَاماً فَيَنْبَغِيْ لِلْعَاقِلِ اللَّبِيْبِ أَنْ لا يُضَيِّعَ أَيَّامَ صِحَّتِهِ وَفَرَاغَ وَقْتِهِ بِالتَّقْصِيْرِ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَأَنْ لَا يَثِق بِسَالِفِ عَمَلٍ وَيَجْعَلَ الاجْتِهَادَ غَنِيْمَةَ صِحَّتِهِ، وَيَجْعَلَ العَمَلَ فُرْصَةَ فَرَاغِهِ. فَلَيْسَ الزَّمَانُ كُلُّهُ مُسْتَعِدّاً وَلَا مَا فَاتَ مُسْتَدْرِكاً..

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وَصِيَّةٌ مُفِيْدَةٌ جدا.

مَنْ عَلِم قُرْبَ الرَّحِيْل اسْتَكْثَر من كَلِمةِ الإخلاص لا إلهَ إِلَّا اللهُ وَقِرَاءة القُرْآن، والاسْتِغْفَار، وَالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَات، سُبْحَانَ اللَّهِ، والحَمدُ لِلَّهِ، ولا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، خُصُوْصاً إِذَا كَانَ قَدْ جَاوَزَ خمْسِيْنَ سَنَة، لِأَنَّهُ قَدْ قارَبَ سَاحِلَ الأَجَلْ بِعُلُوّ سنّه، وكذالكَ يَنْبَغِيْ أَنْ يُبَادِرَ اللَّحظَاتِ، وَيَنْتَظِرَ الْهَاجِمَ بِمَا يَصْلَحُ لَهُ، فَقَدْ كان في قَوْسِ الأَجَلَ مَنْزَع زَمَانِ الشبَّاب، واسْتَرخى الْوَتَرُ بالمشيبْ عن سِيَّةَ القوس، فانْحَدَرَ إلى القَلْب، وَضَعُفَتِ القُوَى أَنْ يُوْتِر، وَما بقي إِلَّا الاسْتِسْلَامُ لِمُحَارِبِ التَّلَف، فالبِدارَ البدَارَ إلى التَّنظُف، وليَكُوَن القُدُوم عَلى طَهَارِةَ، فواأسَفاً لِمهُدَّدِ بالموتِ في كل لحظة كيْفِ يَغْفُلُ وَيُهْمِل وكَيْف يطِيْبُ عَيْشُهُ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمَال وآتِنا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفِيْ الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابِ النَّارِ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

فهرس الكتاب الجزء الأول

فهرس الكتاب الجزء الأول

فهرس الكتاب الجزء الأول

فهرس الكتاب الجزء الأول

فهرس الكتاب الجزء الأول

فهرس الكتاب الجزء الأول

فهرس الكتاب الجزء الأول

مطابع الخالد للأوفست
EL-KHALED OFFSET PRINTING PRESS
ص.ب ٣٠١٨ الرياض ١١٤٧١ تلفون ٤٧٩٣٥٦٩/٤٧٩١٠٩٦
P.O.Box3018 Riyadh11471 - Tel.4793569/4791096

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَن أرادَ طِباعَتِهِ إبْتِغاءَ وَجْه الله تَعَالىٰ لا يُريْدُ به عرضاً مِن الدنيا، فَقَدْ أُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَجَزَى الله خيراً مَن طَبَعَهُ وَقْفاً لله، أَوْ أعانَ على طبعِه، أَوْ تَسَبَّبَ لِطَبْعِهِ وتوزيعه على إخوانه المسلمين.

مَوارِدُ الظمآنْ لِدُرُوسِ الزَّمَانْ

خُطبٌ وَحِكَمٌ وَأَحْكَامٌ وَقَواعِدُ وَمَوَاعِظُ وَآدابٌ وأَخْلاقٌ حِسَانْ

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز المحمد السلمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء الثاني

الطبعة الثلاثون (٣٠)

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير

الموكل عنهم إبراهيم بن علي العودة

جزاهم الله كلهم خيراً

اللهم صلي على محمد وعلى آله وسلم

١٤٢٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقَفَ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوْا إِنَّا سَائِلُوكَ أَفَجُيْبُنَا أَنْتَ، قَالَ: سَلُوْا وَلَا تُكْثِرُوْا، فإِنَّ النَّهارَ لَنْ يَرْجِعَ والعُمُرَ لَنْ يَعُوْدَ، والطَّالِبَ حَثِيْثٌ في طَلَبِهِ، قالُوْا فأَوْصِنَا، قال تَزَوَّدُوْا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ فإِنَّ خَيْرَ الزَّاد ما أَبْلَغَ البُغْيَةَ، ثم قَالَ الأَيَّامُ صَحَائِفُ الأَعْمَارِ فَخَلِّدُوْهَا أَحْسَنَ الأَعْمال، فإِنَّ الفُرَصَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، والتَّوانِيْ مِنْ أَخْلَاقِ الكُسَالَى وَالخَوالِفِ، وَمَنِ اسْتَوْطَنَ مَرْكَبَ العَجْزِ عَثَرَ بِهِ، وتَزَوَّجَ التَّوانِيْ بالكَسَلِ فَوُلِدَ بَيْنَهما الخُسْرَان، أ. هـ. قال بعضهم:

تَزَوَجَتِ البَطَالَةُ بالتَّواني فأَوْلَدَهَا غُلَاماً مَعْ غُلَامَهْ
فأَمَّا الإِبْنُ سَمَّوْهُ بِفَقْرٍ وَأَمَّا البِنْتُ سَمَّوْهَا نَدَامَةَ

آخر: يا سَاكِنَ الدُنْيَا تَأَهَّبْ وَانْتَظِرْ يومَ الفِراقْ
وأَعِدَّ زاداً للرَّحِيْلْ فَسَوْفَ يُحْدَى بالرِّفَاقْ
وَابْكِ الذُّنُوْبَ بأَدْمُعٍ تَنْهَلُّ مِنْ سُحْبِ الْمآقْ
يا مَنْ أَضَاعَ زَمَانَهُ أَرَضِيْتَ مَا يَفْنَى بِبَاقْ

آخر: أُقَلِّبُ كُتُباً طَالَمَا قَدْ جَمَعْتُهَا وَأَفْنَيْتُ فِيْهَا العَيْنَ والعَيْنَ وَالْيَدَا
وأَصبَحْتُ ذَا ظَنٍّ بِهَا وتَمَسُّكٍ لِعِلْمِيْ بِمَا قَدْ صُغْتُ فِيْهَا مُنَضَّدَا
وَأَحْذَرُ جُهْدِيْ أَنْ تُنَالَ بِنَائِلٍ مَهِيْنٍ وَأَنْ يَغْتَالَهَا غَائِلُ الرَّدَى
وَأَعْلَم حَقاً أَنَّنِيْ لَسْتُ بَاقِياً فَيَالَيْتَ شِعْرِيْ مَنْ يُقَلِّبُهَا غَدَا

المراقبة في ثلاثة أشياء: مراقبة الله في طاعته بالعمل الذي يرضيه ومراقبة الله عند ورود المعصية بتركها ومراقبة الله في الهم والخواطر والسر والاعلان، قال تعالى: ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾، وقال النبي ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

(١)

اللّيلُ والنهارُ يَعْمَلان فِيْكَ فاعْمَلْ فيهما أَعْمَالاً صَالِحَةً تَرْبَحَ وتحمَدِ العَاقِبَةَ الحَمِيْدِة إن شاء الله تعالى .

شِعْرا : وَلَيْلُكَ شِطْرُ عُمرْكَ فاغْتَنِمْهُ وَلَا تَذْهَبْ بَشَطْرِ العُمْر نَوْمَا
آخر : يُحيِيْ اللَّيَالِيْ إِذَا الْمَغْرُوْرُ أَغْفَلَهَا كَأَنَّ شُهْبَ الدَّيَاجِيْ أَعْيُنٌ نُجلُ

(٢)

المَلائِكَةُ يَكْتُبَانِ مَا تَلفَّظُ به فاحْرَصْ عَلَى أنْ لا تَنْطِقَ إلّا بِمَا يَسرُّكَ يوم القِيَامَةْ . أَشْرَف الأَشْيَاءِ قَلْبُكَ ، وَوَقْتُكَ ، فإذَا أَهْمَلْتَ قَلْبَكَ وَضيَّعْتَ وَقْتَكَ فَمَاذا يَبْقَى مَعَكَ كُلُّ الفَوَائِدِ ذَهَبَتْ ، وَقْتُ الإنْسَانَ هُوَ عُمُرُهُ وَمَادَةُ حَيَاتِهِ الأَبَدِيَّةْ في النَّعِيْم المُقِيْمِ وَمَادَةُ المَعِيْشَةِ الضَّنْكِ في العَذابِ الأَلِيْم وَهُوَ يَمُرُّ مَرَّ السَّحَابْ .

(٣)

إعْلَم أَنَّ قِصَرَ الأمَلِ عَلَيْهِ مَدَارٌ عظيم وَحِصْنُ الأَمَلِ ذِكْرُ الموتِ وحِصْنُ حِصْنِهِ ذِكْرُ فَجْأَةِ الموتِ وَأَخْذُ الإِنسانِ على غِرَّةٍ وغَفْلةٍ وهُوَ في غُرُوْرٍ وفُتُورٍ عَنِ العَمَلِ لِلْآخِرَةِ . نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوْقِظَ قُلُوبَنَا إنَّهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيْر ، اللَّهُمَّ صَلِّى عَلَى مُحُمَّدٍ وَآلِهِ وسلم .

شِعْرا : إِذَا شامَ الفَتَى بَرْقَ الْمَعَالِي فَأَهْوَنُ فَائِتٍ طِيْبُ الرُّقَادِ
آخر : وَبَادِرِ اللَّيْلِ بِدَرْسِ العُلُومْ فَإِنَّمَا اللَّيلُ نَهَارُ الأَرِيْبْ

بسم الله الرحمن الرحيم

شِعْرًا : قَالَ بَعْضُهُم :

بَلَوْتُ الطَّيِّبَاتِ فَلَمْ أَجِدْهَا تفِي بِالْعُشْرِ مِنْ طِيْبِ العُلُومِ
وَنَادَمْتُ الصِّحَابَ وَنَادَمُوْنِي فَمَا بالكُتْبِ عِنْدِي من نَدِيْم
وَلَمْ أَرى فِيْ كُنُوزِ الناسِ ذُخْرَاً كَمِثْلَ مَوَدّةِ الْحُرِّ الكَرِيْمِ

مُلاحَظَةً : لا يسمح لأي إنسانٍ أَنْ يَخْتَصِرَهُ أَوْ يَتَعَرَّضَ لَهُ بِمَا يُسَمُّونَه تَحْقِيْقاً لأَنَّ الإختصارَ سَبَبٌ لِتَعْطِيْلِ الأَصْلِ والتَّحْقِيْقَ أَرَى أَنَّهُ إتِهَامٌ لِلْمُؤَلّف ، ولا يُطْبع إلَا وَقْفاً لِلَّهِ تعلى على من يَنْتَفِعُ بِهِ من المسلمين .

« فائدةٌ عَظِيْمَةُ النَّفعْ لِمَنْ وَفَّقَهُ الله »

ما أَنعْم الله على عَبْدٍ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أنْ عَرَّفَه لَا إِلٰهَ إلا الله ، وفهَّمَهُ مَعْنَاهَا ، وَوَفَّقَهُ لِلعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا ، والدَّعْوَةِ إِلَيْهَا .

شِعْرَا : الذِّكْرُ أَصْدَقُ قَوْلٍ فافْهَمِ الخَبَرَا لأَنَّهُ قَوْلُ مَنْ قَدْ أَنْشَأَ البَشَرَا
فَاعْمَلْ بِهِ إنْ تُرِدْ فَهْماً ومَعْرِفَةً يَا ذَا النُّهَى كَيْ تَنَالَ العِزَّ والفَخَرَا
وتَحْمدِ الله في يَوْمِ المَعَادِ إذَا جَاءَ الحِسَابُ وعَمَّ الخَوفُ وانْتَشَرَا
لله دَرُّ رِجَــالٍ عَامِلِيْــنَ بهِ فِيْمَا يَدِقُ وَمَا قَدْ جَلَّ واشْتَهَرَا

آخر : جَمِيْعُ الكُتْبِ يُدْرِكُ مَن قراها مِلالٌ أَوْ فُتُــورٌ أَوْ سَآمَــهْ
سِوَى القُرْآنِ فَافْهَمْ وَاستَمِعْ لِيْ وقَوْلِ المُصْطَفَى يَا ذَا الشَّهَامَـهْ

آخر : صافِي الكَرْيَمِ فَخَيْرُ مَنْ صَافَيْتَهُ مَنْ كَانَ ذَا دِايْنٍ وَكَانَ عَفِيْفَا

بسم الله الرحمن الرحيم

« فَصْــلٌ »

وَمَن أرادَ طِبَاعَتِهِ إبْتِغَاءَ وَجْه الله تَعَالىٰ لا يُرِيْدُ بِهِ عرضاً مِن الدُّنْيَا، فَقَد أُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَجَزَى اللهُ خيراً مَن طَبَعَهُ وَقْفاً لِلَّهِ، أو أعانَ على طبعِهِ، أو تَسَبَّبَ لِطَبْعِهِ وتوزيعه على إخوانه المسلمين، فَقَدْ وَرَدَ عنه ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ في السَّهْمِ الوَاحِدِ ثلاثة نَفَرٍ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ في صَنْعَتِهِ الخَيْرَ والرَّامِيْ بِهِ، ومُنْبِلَه» الحديث رواه أبو داود.

وورد عنه ﷺ أنه قال: «إِذَا مَاتَ الإنسانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صالِحٍ يَدْعُوْ له» الحديث رواه مسلم.

وَعَنْ زَيدْ بن خَالد رَضي اللهَ عَنْهُ أنّ رسُول الله ﷺ قال: «مَنْ جَهَزَ غَازياً في سَبِيْلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلف غازياً في أهله بِخَير فَقَدْ غَزَا» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِمَّا يلحَقُ الْمُؤْمِن مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوتِهِ عِلْمَاً عَلَّمَهُ وَنَشرهُ وَوَلداً صَالحاً تركَهُ، أَوْ مُصْحَفاً ورَّثهُ أَوْ مَسْجِداً بَنَاهُ أَوْ بَيْتاً لِابْن سَبِيْلِ بَنَاهُ أَوْ نَهْراً أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلْحَقُهُ مِن بَعْدِ مَوْتِهِ» رواه ابن ماجَهْ وابن خُزَيْمَة.

وَرَوَاهُ البَزَّارُ مِن حَدِيْث أنسٍ إِلَّا أَنَّهُ قال: «سَبْعٌ تَجْرِي لِلْعَبْدِ بَعْدَ مَوْتِهِ وهو في قبره مَنْ عَلَّمَ عِلْماً أَوْ كَرى نَهْراً أَوْ حَفَرَ بئراً أَوْ غَرسَ نَخْلاً أَوْ بَنَى مَسْجِداً أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفاً أَوْ تَرَكَ وَلَداً يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ».

اللَّهُمَّ يا حَيُّ يَا قَيوم يَا عَليُ يَا عَظِيم يَا ذَا الجَلال والإكرام يَا نُور السمواتِ والأرض، إنَّكَ تفضَّلْتَ عَلَيْنَا وأعْطَيْتَنَا الإسلام مِنْ غَيْر أنْ نَسْأَلَكْ فَلا تحرِمْنَا الجَنَّةَ وَنَحْنُ نَسْأَلُك، اللهم صلي على محمد وآله وصحبه وسلم.

«فَصْلٌ» في الوعظ والإرشاد

إعْلِمْ وَفَّقَنا اللهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ الدعوةَ إلى اللهِ عَمَلُ الأنبياءِ والمرسلين صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِم أجمعين، وأن العُلَمَاءَ نُوَّابٌ عن الأنبياء في هَذَا الأمْرِ الخَطِيْرِ فَهُم أُمَنَاءُ اللهِ عَلَى شَرْعِهِ والحَافِظُونَ لِدِيْنِهِ القَوِيْم والقائِمُونَ على حُدُوْدِ اللهِ والعَارِفُونَ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ مِن كَمَالٍ وَتَنْزِيْهٍ.

لِذَلِكَ كَانَ أَئِمَةُ المُسْلِمِيْنَ المُخْلِصُونَ في أَعْمَالِهِم الصَّادِقُونَ في أقوالِهم البَعِيْدُونَ عَن الرِيَاءِ وحُبِّ الشُهْرَةِ والمَدْحِ يَسِيْرُوْنَ بالخَلْقِ نَحوَ سَعَادَتِهم بِمَا يُعَلِّمُونَهُم مِن أُمُوْرِ دِيْنِهِم وَبِمَا يُرْشِدُوْنَهُم إليهِ مِن التَّحَلِّيْ بالفَضِيْلَةِ والتَّخَلِّيْ عن الرَّذِيْلَةِ واعْتَقَدَ الناسُ فِيْهِم ذَلِكَ وأَمَّلُوهُم لَهُ فأَحَلُّوهُمْ مِن أَنْفُسِهِم مَحَلًا لَمْ يَبْلُغْهُ سِوَاهم مِن البَشَرِ حَتَّى اكْتَسَبُوا في قُلُوبِهم مَكانَةً يُغْبَطُونَ عَلَيْهَا وَرَبِحُوا مَنْزِلَةً تَصْبُوْا إليْهَا نُفُوسُ ذَوِيْ الهِمَّةِ العَالِيَةِ والفَضْلِ.

وَنَاهِيْكَ بِقَومٍ إذا فَعَلُوا لَحَظَتْهُم العُيُونُ وإِذَا قَالُوا أَصْغَتْ الآذانُ وَوَعَتِ القلوبُ وَحَكَتِ الأَلْسُنُ فَهُم مَطْمَحُ الأَنْظَارِ وَمَوْضِعُ الثِّقَةِ والحُجَّةِ البَالِغَةِ والبُرْهَانِ القَاطِعِ والنُوْرِ السَّاطِعِ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَن أَحْسَنُ قولاً مِمَّنْ دَعَا إلى اللهِ وَعَمِلَ صالحاً وقال إِنَّني مِن المُسْلِمِيْنَ﴾.

شِعْرًا: مَحَاسِنُ أَصْنَاف الدُعَاةِ كَثِيْرَةٌ ... ومَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِأَحْمَدِ

آخر: لا يُدْرِكُ المَجْدَ إِلَّا مُخْلِصٌ وَرِعٌ ... كَثِيْرُ ذِكْرٍ لِخَلَّاقِ السَمَوَاتِ

مُتَابِعٌ لِرَسُولِ اللهِ دَيْدَنُهُ ... تِلَاوَةُ الذِكْرِ مَعْ حِفْظٍ لِأَوْقَاتِ

آخر: وَأَحْسَنُ مَقْرُوْنَيْن في لَفْظِ نَاطِقٍ ... ثناءٌ عَلى رَبِّ العِبَادِ وَشُكْره

المَعْنَى لَا أَحَدَ أَحْسَنَ كَلَاماً وَطَرِيْقَةً وَحَالَةً مِمَّنْ دَعَا الناسَ إلى طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ وَذَلِكَ بِتَعْلِيم جَاهِلِهم وَوَعْظِ غَافِلِهم وَنُصْحِ مُعْرِضِهِم وَمُجَادَلَةِ مُبْطِلِهِم بالأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللهِ بِجَمِيْعِ أنواعِها والحَثِّ عَلَيْهَا وَتَحْسِيْنِهَا وَتَحْبِيْبِهَا

مَهْمَا أَمْكَن والزَجْرِ عمَّا نَهى اللهُ وَرَسُولُه عَنْهُ وَتَقْبيحِهِ والتّحْذِيْرِ مِنْهُ بِكُلّ وَسِيْلَةٍ وَطَرْيقةٍ تُوجِبُ تَرْكَهُ.

وَكَانَ الْحَسَنْ إِذَا تَلا هَذِهِ الآيَةَ يَقُولُ هَذَا حَبِيبُ اللهِ، هَذَا وَلِيُّ اللهِ، هَذَا صَفْوَةُ اللهِ، هَذَا خِيْرَةُ اللهِ، هَذَا أَحَبُّ أَهْلِ الأَرْضِ إِلَى اللهِ، أَجَابَ اللهُ في دَعْوَتِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ فِيهِ مِنْ دَعْوتِهِ، وَعَمِلَ صَالِحاً في إِجَابَتِهِ.

وَقَالَ في هِدَايَةِ الْمُرْشِدِينَ إِنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ عَلَى الدَّاعِي الْعِلْمُ بِالْقُرْآنِ وَالْمُرَادُ بِالنَّظرِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى كَوْنِهِ هُدىً وَمَوْعِظَةً وَعِبْرَةً.

وَكَذَلِكَ السُّنَّةُ وَمَا صَحَّ مِنْ أَقْوَالِ الرَّسُولِ ﷺ وَسِيرَتِهِ وَسِيرَةِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ وَبِالْقَدْرِ الكَافي مِنْ الأَحْكَامِ وَأَسْرَارِ التَّشْرِيع مَعَ الصِّدْقِ في نَشْرِهَا فَإِنَّ مَرْتَبَةَ التَّبْلِيغ عَنِ اللهِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا لِمَنْ اتَصِفُ بِالْعِلْمِ مَعَ الصِّدْق.

وَالْمُرْشِدُ وَارِثٌ لِهَذِهِ الْمَرْتَبَةِ وَلْيَتَمَكَّنْ مِنْ تَعْلِيم ذَلِكَ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ فَلَا يَزِيغُ في عَقِيدَتِهِ وَلَا يَعْجَزُ عَنْ اقْنَاعِ النُّفُوسِ الْمُتطَلِعةِ إلى مَعْرِفَةِ أَسْرَارِ الأَحْكَامِ الشَّرعِيَّةِ فَيَكُونُ الإِذْعَانُ لَهُ أَتَمَّ والْقَبُولُ مِنْهُ أَكْمَلَ.

فَأَمَّا الْجَاهِلُ فَضَالٌّ مُضِلٌ وَضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ، وَمَا يُفْسِدُهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُهُ إِذْ لَا تَمِّيزَ لِجَاهِلٍ بَيْنَ الْحَقِ والْبَاطِلِ وَلَا مَعْرِفَةَ عِنْدَهُ تُرْشِدُ إِلى إِصْلاحِ الْقُلُوْبِ وَتَهْذِيْبِ النُّفُوس.

شِعْرا: رِيَاسَاتُ الرِّجَالِ بِغَيْرِ عِلْمٍ — ولا تَقْوىٰ الْإِلٰهِ هِيَ الخَسَاسَةْ
آخر: وَكُلُّ رِئَاسَةٍ في جَنْبِ جَهْلٍ — أَحَطُّ مِن الجُلُوسِ على الكُنَاسَةْ
وَأَشْرَفُ مَنْزِلٍ وأَعَزُّ عَزٍّ — وَخَيْرُ رِيَاسَةٍ تَرْكُ الرِيَّاسَةْ

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْري رَحِمَهُ اللهُ الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ، وَفِي الْحِكَمِ مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً بِغَيْرِ دَلِيلٍ ضَلَّ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِغَيْرِ أَصْلٍ زَلَّ.

وأَمَّا الْكَاذِبُ فَلَا خَيْرَ فِيهِ وَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِيْنَ على الله، لِهَذَا حَرَّمَ اللهُ الْقَوْلَ عَلَيْهِ بِلَا عِلْمٍ، وَجَعَلَهُ مِنْ أَفْحَشِ الْكَبَائِرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَواحِشَ مَا ظَهَر مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، والإِثْمَ، والْبَغْيَ بِغَيْرِ الحق، وأَنْ تُشْرِكُوا بالله ما لَمْ يُنَزِلْ بِهِ سُلْطَاناً، وأَنْ تَقُولُوا على اللهِ ما لا تَعْلَمُون﴾.

وَهَذَا يَعُمُّ القولَ على الله في أسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَذَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَفي دِيْنِهِ وَشَرْعِه، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ولا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُم الكَذِبَ هَذَا حَلال وَهَذَا حَرام لِتَفْتَروا عَلى اللهِ الكَذِبَ انَّ الذيْنَ يَفْتَرُون على اللهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُوْنْ﴾.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنّ يَتّصِفَ بِهِ الدّاعِيْ الْعَمَلُ بِعِلْمِهِ فَلَا يُكَذّبُ فِعْلُه قَوْلَهُ، ولا يُخَالِفُ ظَاهِرُهُ باطِنَه، فَلا يَأمُرُ بِشَيءٍ إِلَّا وَيَكُونُ أَوّلَ عَامِلٍ بِهْ، وَلَا يَنْهَى عَنْ شَيءٍ إِلَّا وَيَكُونُ أَوّلَ تَارِكٍ لَهْ، لِيُفِيْدَ وَعْظُهُ وإرشَادُهْ. فأمّا إنْ كانَ يَأْمُرُ بالْخَيْرِ وَلَا يَفْعَلُهُ وَيَنْهَى عَنْ الشَّرِّ وَهُوَ وَاقِع فِيْهِ، فَهُوَ بِحَالِه عَقَبةً في سَبِيْلِ الإِصْلَاحْ، وَهَيْهَاتَ أَنْ يُنتفعَ بِهْ، فإِنَّهُ فاقِد الرّشْدِ في نَفْسِهِ فَكَيْفَ يُرْشِدَ غَيْرَهُ.

شِعْرَا: العِلْم في شَرْطِهِ لِمَنْ حَصَّلَهْ ... أَنْ يَحْمَد اللهَ وَيَعْمَل بِهِ

آخر: يا آمِرَ الناس بالمعْرُوْف مُجْتَهِداً ... وإنْ رَأَى عَامِلاً بالمُنْكَرِ إنْتَهَرَهْ

إبْدَأْ بِنَفْسِكَ قَبْلَ الناسِ كُلِّهِمُ ... فأوْصِهَا وَاتْلُ مَا فِي سُوْرَةِ البَقَرةْ

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أتأْمُرُوْنَ الناسَ بالبِرِّ وتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وأنتُم تتلون الكتَابَ أفلا تعقلون﴾.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن التالِيْنَ لِكِتَابِكَ العَامِلين بِهَ المُحَلِّلِينَ حَلَالَهْ المُحرّمِين حَرَامَهُ المُمْتَثِلِيْنَ لِأَوَامِرِهِ الْمُجْتَنِبينَ نواهِيَهُ المُتّعِظِينَ بِمَواعِظِهِ الْمُنْزَجرِينَ بِزَواجِرِهِ الْمُتَفكِّرِيْنَ في مَعَانِيهِ الْمُتَدّبِرينَ لِأَلْفَاظِهِ الْبَاكِينَ المُقْشَعِرِّيْنَ عِنْدَ تِلَاوَتِه وَسَمَاعِه

وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« فَصْــلٌ »

قَالَ مَالِكُ بْنُ دِيْنَارٍ إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُه عَن القلوبِ كَمَا يَزِلُّ القَطْرُ عن الصَّفَا فانّ مَن حَثَّ على التَّحَلِي بِفَضِيْلَةٍ، وهو عَاطِلٌ مِنها، لا يُقْبَلُ قَوْلُه، كَمَنْ يَحُثَ النَّاسَ على الْحِلمِ والصَّبْرِ والكَرَم وَهُوَ بِضِدّ ذَلِكَ، قَالَ تَعَالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ الناسَ بالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وأَنْتُم تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُون﴾.

وِمِثْلُ ذَلِكَ مَن يَنْهى عن الأَخْلاقِ السَّاقِطَةِ والبِدَعِ والمَلَاهِي وَهُو مُتَلَوِّثُ بِهَا كَمَنْ يَنْهَي عن الدُّخَانِ أَبِي الخبائِثِ والخَمْرِ أَمْ الخَبَائِثُ وَهُوَ يَشْرَبُهُمَا، وَكَمْنَ يَأْمُرُ بالابتعَادِ عن التَّلفزِيُون والمِذياعِ والسِّيْنَمَاءِ والبَكَمَاتِ، وَهُوَ يَشْتَرِيْهَا أَوْ يَحْظُرُهَا.

وَكَمَنْ يَنْهَى عن حَلْقِ اللِّحْيَةِ والخَنَافِسِ والتَّشَبُهِ بالنساءِ والمُردِ والكُفارِ وهو مُتَلَبِسٌ بها، وَكَمَنْ يَنْهَى عن الكُورَةِ وهو يَحْظُرُهَا، أَوْ يَنْهَى عن بَيْعِ هَذِهِ المَلَاهِي وشرائِها وَتَصْلِيحِها وهو يَفْعَلُ ذَلِكَ، فهذا يُقابَلَ قَولُهُ بالرَّدِ، ولا يُعَامَلُ إِلَّا بالإِعْرَاضِ، والإِهْمَالِ، بل مَحَلُّ سُخْرِيَّةٍ، واستِهْزَاءٍ في نَظَرِ العُقَلَاءِ.

شِعْرًا: وأَخْسَرُ الناسِ سَعْياً مَنْ قَضَى عُمُراً ... في غَيْرِ طَاعَةِ مَنْ أَنْشَاهُ مِنْ عَدَم

آخر سَل الإِلٰـهَ إِذَا نَابَـتْكَ نائبَـةٌ ... فَهْوَ الَّذِيْ يُرْتَجَى مِنْ عِنْدِهِ الأَمَلُ

فَإِنْ مُنِحْتَ فَلا مَنٌّ ولا كَدَرٌ ... وَإِنْ رُدِدْتَ فَلا ذِلٌ وَلَا خَجَلُ

قَوْلٌ جَمِيْـلٌ وَأَفْعَـالٌ مُقَبَحَـةٌ ... يَا بُعْدَ مَا بَيْنَ ذَاكَ القَولِ والعَمَلِ

فإِنَّ مَنْ تَنَاوَلَ شَيْئاً فَأَكَلَهُ وَقَالَ لِلنَّاسِ لَا تَتَنَاوَلُوهُ، فإِنَّهُ سُمٌّ مُهْلِكٌ سَخِرَ

النَّاسُ مِنه، واسْتَهْزَؤُا بِه واتَّهَمُوهُ في دِيْنِهِ وعِلمِهِ وَوَرَعِهِ، وَكَأَنَّهُ بِزَجْرِهِ وَنَهْيِهِ حَرَّضَهُم عليه، فيقولُونَ لَوْلا أَنَّهُ لَذِيْذ مَا كَانَ يَسْتَأْثِرُ بِهِ.

كَذَلِكَ الدَّاعِي إِذَا خَالَفَ فِعْلُه قَوْلَهُ، أَمَّا الإئْتِمَارُ بِمَا سَيَأْمُرُهُم بِهِ أَوَّلاً وَالتَّخَلُّقُ بِمَا يَدْعُوهُم إليهِ فَهُوَ وَاقِعٌ في نُفُوسِ السَّامِعِينَ، وأَقْرَبُ إِلى اذْعَانِ الرَّاغِبِيْنَ.

فَمَنْ لَمْ يُكَابِدْ قِيَامَ اللَّيْلِ وَسَهرِهِ، فَكَيْفَ يُسْمَعُ مِنه فَضْلُ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَكَمَنْ يَحُثُ عَلى الصَدَقَةِ والمُشارَكَةِ في الأَعْمَالِ الخَيْرِيَّةِ والمَشَارِيْعِ الدِّيْنِيَّةِ، ولا يُسَاهِمْ فِيْهَا أَبَدَا، فَهَذَا لا يُقْبَلُ قَوْلُهُ، وَيَكونُ مِمَّنْ يُعِيْنُ عَلى سَبِّهِ، وَغِيْبَتِهِ، لِمَا عَرَفْتَ مِن أَنَّ الدَّعْوَة إلى صَالِحِ الأَعْمَالِ وَمَكارِمِ الأَخْلَاقِ تَرْبِيَة، والتَّرْبِيَةُ النَّافِعَةُ إِنَّمَا تَكُونُ بالعَمَلِ، لأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ على القدوَةِ الصَّالِحَةِ والأُسْوَةِ الحَسَنَةِ، لا بِمُجَرَّدِ القَوْلِ.

يَدُلُّكَ على ذَلِكَ مَا في قِصَّةِ الحُدَيْبِيَةِ عن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةِ، قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِن قَضِيَّةِ الكِتَابِ قَال رَسولُ الله ﷺ لِأَصْحَابِهِ قُوْمُوا فانْحَرُوْا ثُمَّ احْلِقُوا، فَوَاللهِ مَا قَامَ رَجُلٌ منهم حتَّى قال ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنهُم أَحَدٌ دَخَلَ على أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِن النَّاس.

فَقالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ يا نَبِيَّ اللهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ، أُخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحداً منهم بِكَلِمَةٍ حَتَّى تَنْحَرَ بُدنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحداً مِنهم، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ، نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعاَ حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَؤُا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوْا، وَجَعَل بَعْضُهُم يَحْلِقُ بَعْضاً، حَتَّى كادَ يَقْتُلُ بَعْضُهُم بعضا أَيْ إِزْدِحَاماً وَغَمّاً.

وفي حديث أبي سعيد قال أتَى رَسُولُ الله ﷺ على نَهْرٍ مِن مَاءِ السماءِ والناسُ صِيامٌ في يَوْمٍ صَائِفٍ مُشَاةٌ وَنبِيُ اللهِ ﷺ على بَغْلَةٍ لَهُ فَقال اشْرَبُوا أَيُّها النَّاسُ، قال فأَبْوا، قال إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُم إِنِي أَيْسَرُكُمْ إِني رَاكِبٌ فأَبوْا، فَثَنَى

رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فَخِذَهُ فَنَزَلَ فَشَرِبَ وَشَرِبَ الناسُ، وَمَا كانَ يُرِيْدُ أَنْ يَشْرَبَ .. رواه أحمد.

قال فإذَا لَمْ يَكُنْ الدَّاعِيْ إلا ذَا قَوْلٍ مُجَرَّدٍ مِن العَمَلِ لَمْ يَكُنْ نَصِيْبُ المَدْعُو مِنه إلا القَولَ، وأَيْضاً فَمَثَلُ المُرْشِدِ مِن المُسْتَرْشِدِ مِثْلُ العُوْدِ مِن الظِلِ، فكَمَا أَنَّه مُحَالٌ أَنْ يَعْوَجَّ العُوْدُ وَيَسْتَقِيْمَ الظِلُ كَذَلِكَ مُحَالٌ أَن يَعْوَجَّ المُرْشِدُ وَيَسْتَقِيْمَ المُسْتَرْشِدِ.

قال الغَزَالِي فِيْمَا كَتَبه إلى أَبِيْ حَامِدِ أَحْمَد بن سَلَامَةَ بالمَوْصِلِ أَمَّا الوَعْظُ فَلَسْتُ أَرَى نَفْسِيْ أَهْلاً لَهُ لِأَنَّ الوَاعِظَ زَكَاةُ نصابِهِ الاتِّعَاظُ فَمَنْ لَا نِصَابَ لَهُ كَيْفَ يُخْرِجُ الزكاةَ وَفَاقِدُ النُوْرِ كَيْفَ يَسْتَنِيْرُ بِهِ غَيْرُهُ وَمَتَّى يَسْتَقِيْمُ الظِلُّ والعُوْدُ أَعْوَجُ ولهذا قيل:

شِعْرَا: يا أَيُّهَا الرَّجُلُ المُعَلِّمُ غيرَهُ ... هَلاَّ لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيْمُ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السِّقَامِ مِن الضَّنَا ... كَيْمَا يَصِحُ بِهِ وأَنْتَ سَقِيْمُ
مَازِلْتَ تُلْقِحُ بالرَّشَادِ عُقُولَنَا ... عِظْتَ وأَنْتَ مِن الرَّشَادِ عَدِيْمُ
إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فانْهَهَا عن غَيِّهَا ... فإذا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيْمُ
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ ماتَقُولُ وَيُقْتَدَى ... بالرَّأْيِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيْمُ
لاتَنْهِ عَن خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيْمُ

آخر: وكُنْ ناصحاً لِلْمُسْلِمِيْنَ جَمِيعِهِم ... بارْشادِهِم لِلْحَقِ عِنْدَ خَفَائِهِ
وَمُرْهُمْ بِمَعْرُوفِ الشَّرِيْعَةِ وانْهَهُمْ ... عن السُوءِ وازْجُرْ ذَا الخَنَا عن خَنَائِهِ
وعِظْهُمْ بآياتِ الإِلَهِ بحِكْمَةٍ ... لَعَلَّكَ تُبْرِي دَاءَهُم بِدَوائِهِ
فإنْ يَهْدِ مَولانا بَوعْظِكَ وَاحِداً ... تَنَلْ مِنه يوم الحَشرِ خَيرَ عَطائِهِ
وإِلَّا فَقَدْ أَدَّيْتَ ما كان واجِباً ... عَلَيْكَ، وما مُلِكْتَ أَمْرَ اهْتِدائِهِ

قَالَ وقولُ الله تعالى: ﴿أَتَأْمرونَ الناسَ بِالبر وتَنْسَونَ أَنفسَكم وأنتُم تتلونَ

الكتاب أفلا تعقلون﴾ تَعْجِيبٌ لِلْعُقَلاءِ مِن هَذَا المَسْلكَ المَعِيْبِ، وَلِلتَّعَجُّبِ وُجُوهٌ مِنْهَا أَنَّ المَقْصُوْدَ مِن الأَمْرِ بالمَعْرُوْفِ والنَّهْيَ عن المُنْكَرِ إرْشَادُ الغَيْرِ إلى الخَيْرِ وَتَحْذِيْرُهُ مِنَ الشَّرِ وإرْشَادُ النَّفْسِ إليْهِ وَتَحْذِيْرُهَا مِنْهُ مُقَدَّمٌ بِشَوَاهِدِ العَقلِ والنقل.

أَمَّا العَقْلُ فَبَدِيْهِيٌ وأَمَّا النَّقْلُ فَكَثِيْرَةٌ مِنها قولُه تعالى حِكَايَةً عن نوح: ﴿ربِّ اغفر لِيْ وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً﴾ وعن خَليل اللهِ إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيْمَ الصلاةِ وَمِن ذُرِّيَتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِيْ وَلِوَالِدَيَّ﴾، فَمَنْ وَعَظَ غَيْرَهُ ولِم يَتَّعِظْ فكأَنَّه أَتَى بِمَا لا يَقْبَلُه العَقْلُ السَّلِيْم.

شِعْرًا: تَمَسَّكْ بِتَقْوَى اللهِ فالمَرءُ لَا يَبْقَى ... وكُلُ امرِىءٍ ما قَدَّمَتْ يَدُهُ يَلْقَى
ولا تَظْلِمَنَّ الناسَ في أَمْرِ دِيْنِهِم ... ولا تذكُرَنْ إِفكاً ولا تَحْسِدَنْ خَلْقاً
ولا تَقْرَبَنْ فِعْلَ الحَرَامِ فإِنَّهُ ... لَذَاذَتُه تَفْنَى وأَنْتَ بِهِ تَشْقَى
وعَاشِرْ إذا عَاشَرْتَ ذَا الدِّيْنِ تَنْتَفِعْ ... بِعِشْرَتِهِ واحْذَرْ مُعَاشَرَةَ الحَمْقَى
ودَارِ عَلى الاطلَاقِ كُلاً ولا تَكُنْ ... أَخا عَجَلٍ في الأَمْرِ واسْتَعْمِلِ الرِّفْقَا
وَخَالِفْ حُظُوظَ النَّفْسِ فِيْمَا تَرُوْمُهُ ... إذا رُمْتَ لِلْعَلْيَا أَخا اللُّبِّ أَنْ تَرْقَى
تَعَوَّدْ فِعَالَ الخَيْرِ جَمْعاً فَكُلَّمَا ... تَعَوَّدَهُ الإنسانُ صَارَ لَهُ خُلْقَا

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَخلّصنا مِن حقوقِ خلقكَ، وباركْ لَنَا في الحلال مِن رِزْقِكَ ولَا تَفْضَحْنَا بين خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ داع وأَفْضَلَ مَن رجَاهُ راجٍ ياقاضِي الحاجاتِ، ومُجِيْبَ الدعواتِ، هَبْ لَنَا ما سَأَلَنَاهُ، وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيْمَا تَمَنَّيْنَاهُ، يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوائِجَ السَّائِلين ويَعْلَمُ ما فِي صُدُورِ الصَّامِتِينَ أذِقْنَا بَرْدَ عَفْوكَ وحَلَاوَة مَغْفِرَتِكَ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« فَصْـــلٌ »

ومنها أن الواعِظَ الفاعلَ لِلْمُحرماتِ المُحَذِرَ عنها يكونُ سَبَبَاً لِلْمَعْصِيَةِ لأَنَّ الناسُ يَقُولُونَ لولا أَنَّ هَذا الواعِظَ مُطَلِّعُ على أنه لا أَصْلَ لِهَذِهِ التَّخْوِيْفاتِ لَمَا أَقْدَمَ على المَنَاهِي والمُنْكَرَاتِ فَيَكُونُ دَاعِياً إِلى التَّهَاوُنِ بالدِّيْنِ والجَراءَةِ على المَعَاصِي، وَهَذَا مُنَافٍ لِلْغَرَضِ مِن الوَعْظِ فَلَا يَلِيْقُ بِالعُقَلَاءِ.

وَمنها أَنَّ غَرَضَ الداعِي تَرْوِيْجُ كَلَامِهِ وَتَنْفِيْذُ أَمْرِهِ، فَلَو خَالَف إِلى مَا نَهَى عَنْهُ صَارَ كَلَامُهُ بِمَعْزِلٍ عن القَبُولِ وَهَذَا تَنَاقُضٌ لَا يَلِيْقُ بِالعُقَلَاءِ.

وفي مِثْلِ هَذا يَقُولُ ابنُ القيم رحمَه اللهُ عُلَمَاءُ السُوء جَلَسُوا على بابِ الجَنَّةِ يَدْعُونَ إِليها الناسَ بأَقْوَالِهم وَيَدْعُونَهُم إلى النارِ بِأَفعالِهم، فَكُلَّمَا قَالَتْ أَقوَالُهُم لِلنَّاسِ هَلمُوا قَالَتْ أَفْعَالُهم لا تَسْمَعُوا مِنهُم فَلَو كَانَ مَا دَعَوا إِلَيْهِ حَقاً كَانُوا أَوَّلَ المُسْتَجِيْبِيْنَ لَهُ، فَهُم في الصُوَرِ أَدِلَا وفي الحَقِيْقَةِ قُطَّاعُ طَرِيْقٍ، قلت وما أكثر هؤلاء في زمننا.

وَذَكَرَ بَعضُ العُلماءِ عن ابن مسعودٍ رضي اللهُ عَنْهُ أنه قال: سَيَأْتِي على الناسِ زمانٌ يَمْلُحُ فِيه عُذُوْبَةُ القلوبِ فلا يَنْتَفِعُ بالعِلْمِ يَوْمئذٍ عالِمُهُ ولا مُتَعَلِّمُهُ فَتكونُ قُلُوبُ عُلمَائِهم مِثْلَ السِّبَاخِ مِن ذواتِ المِلح يَنْزِلُ عَلَيْهَا قَطْرُ السَّمَاءِ فلا يُوْجَدُ لَهَا عُذُوْبَة.

وذَلِكَ إِذَا مَالَت قُلُوبُ العُلَمَاءِ إِلى حُبِّ الدُنْيَا وإيثَارِهَا على الآخِرَةِ فعِنْدَ ذَلِكَ يَسْلُبُهَا اللهُ تعالى يَنَابِيْعَ الحِكْمَةِ ويُطْفِيءُ مَصَابِيحَ الهُدَى مِن قُلُوبِهِم فَيُخْبِرُكَ عَالِمُهم حِيْنَ تَلْقَاهُ أَنَّهُ يَخْشَى اللهَ بِلِسَانِهِ والفُجُورُ ظاهِرٌ في عَمَلِهِ. قلتُ وَمَا أَكْثَرَ هَؤُلَآءِ في زَمَنِنَا فَتأَمَلِ ودَقِّق النَّظَرَ تُصَدِّق. ومِن العَجِيْب ما حَدَثَ في زَمَنِنَا تجَد بَعْضَهم يَحْمِل شَهادَةِ الكُتوراه أو الماجستير أو هما ويُعْطَى فيها شهادةً فِي الفقه الإسلامي.

وهو مايُحْسِنُ إلا ما كَتَبَ فيه بَحْثاً إما موضوع الربى أو السرقة أو الخمر مَثلاً، ولا يجيد غير هذا الموضوع الذي حَصَلَ على هذه الشهادة بسببه.

بَل الفرائض التي نصف العلم لا يجيدها فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فَمَا أَخْصَبَ الألْسُنَ يومَئِذٍ وَمَا أجْدَبَ القُلُوبَ، قَالَ: فَوَاللهِ الذي لا إلَه إلَّا هُوَ ماذَلِكَ إلا والله أعلم، كما قال بعضهم: لِأَنَّ المُعَلِّمِيْنَ عَلَّمُوا لِغَيْرِ اللهِ والمُتَعَلِّمِينَ تَعَلَّمُوا لِغَيْرِ الله

شِعْرًا: لَعَمْرُكَ ماالابْصَارُ تَنْفَعُ أَهْلَهَا   إذَا لَمْ يَكنْ لِلْمُبْصِرِين بَصَائِرُ

وبالحَقِيْقَةِ إذا نَظَرتَ إلى الأَكْثَرِيَّةِ السَّاحِقَةِ مِمَّنْ حَوْلَكَ مِن أَسَاتِذَةٍ وَمُدَرسي وَطُلَابٍ وَجَدْتَ هَيْبَةَ الإسْلام والعِلْمِ والعَمَلِ والشَّهَامةِ والرُّجُولَةِ الإِسلاميةِ قَدْ نُزِعَتْ مِنهم يَحْلِقونَ لِحَاهُم كاليَهُودِ والنَّصَارَى والمَجُوسِ.

وَيُوفرُوْنَ شَوارِبهم وَيَجْعَلُون تَوالَيْاتٍ وَرُبَّما خَنْفَسُوا وَتَجِدْهُم يُجَالِسُونَ الفَسقَةَ وَيَنْدَمجُونَ مَعَهُم وَبَعْضُهم تَجِدْهُ يَشْرَبُ أبا الخَبَائِثِ الدُخَانَ وَرُبَّما فَعَلَه أَمَامَ الطُلَابِ والعِيَاذُ باللهِ.

ولا تَجِدْهُ في الغَالِب يُصَلي مَعَ الجَماعَةِ وَيُعَامِلُ المُعَامَلَة التي لا تَلِيْقُ بِمَنْصِبه وَتجِدْهُ يَجْلِس أمامَ التَّلَفزيُون وعند المذْيَاعِ وأغانيهِ وعند السِّيْمَاءِ والفِدْيُو ونَحو ذَلِكَ مِن المُحَرَّمَات الَّتي قَتَلَتِ الأَخْلَاق.

وَيُحِبُ الشُّهْرَةَ والظُهُورَ رِياءً وَسُمْعَةً فَكَيْفَ يَخْطُر بالبالِ أَنَّ مِثْل هَؤُلآءِ يأمُرُوْنَ بِمَعْرُوفٍ أو يَنْهَونَ عن مُنكرٍ كَلَّا واللهِ إنَّهُم لا يُزِيْلُونَ المُنْكَرَ عن أَنْفُسِهِم وَلَا عَن بُيُوتِهم التي فيها من المنكرات ما يُدْهِشُ الأَسماعَ والأبصَارَ والعُقُول.

شِعْرًا: إِذَا لَمْ يُعِنْكَ اللهُ فِي طَلَبِ العُلَا فَسَعْيُكَ فِي جَمْعِ الْفَضَائِلِ ضَائِعُ
آخر: لَيْسَ الجمال بأثْوَابٍ تُزَيِّنُنَا إِنَّ الجَمَال جَمَالُ العِلْمِ والأَدَبِ

فَعِلْمُ هَؤُلآءِ العِلْمُ الذِي يَضُرَ ولا يَنْفَعُ وهو الذِي اسْتَعَاذَ منه النبي ﷺ بقولِهِ: اللَّهُمَّ إِنِي أعوذُ بِكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعْ وقلبٍ لا يَخْشَعْ، وَدُعَاءٍ لا يُسْمَعُ (فَأَبْعِدْ عَنْهُم وكُنْ على حَذَرٍ منهم أَيُّهَا المُعَافَى).

شِعْرًا: صَارَ الأَسَافِلُ بَعدَ الذُلِّ أَسْنِمَةً وَصَارَتِ الرُوْسُ بَعدَ العِزِ أَذْنَابَا
لَمْ تَبْقَ مَأثَرَةٌ يَعْتَدُهَا رَجُلٌ إِلَّا التَكَاثُرُ أَوْرَاقاً وَأَذْهَابَا
آخر: وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ العِلْمِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا بَدَا طَمعٌ صَيَّرْتُهُ لِيَ سُلَّمَا
ولم أَبْتَذِلْ فِي خِدْمَةِ العِلْمِ مُهْجَتِي لِأَخْدِمَ مَن لاقَيْتُ لَكِنْ لِأُخْدَمَا
أَأَشْقَى بِهِ غَرْساً وأَجْنِيْهِ ذِلَّةً إِذاً فاتِبَاعُ الجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمَا
فإِنْ قُلْتُ زَنْدَ العِلْمِ كَابٍ فإنَّهما كَبَا حِيْنَ لَمْ تُحْمَى حِمَاهُ وأَظْلَمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُم وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُفُوسِ لَعُظِّمَا
«وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَّسُوا مُحيّاهُ بالأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا»

وَنَعُودُ إِلى كَلَامِنَا السَّابِقِ حَوْلَ الآيَةِ الكَرِيْمَةِ: فالآيَةُ كَمَا تَرى نَاعِيَةٌ على كُلِّ مَن يَعِظُ غَيْرَهُ ولا يَتَّعِظْ بِسُوءِ صَنِيْعِهِ وَعَدَمِ تَأَثُرِهِ، وانَّ فِعْلَهُ فِعْلَ الجَاهِلِ بالشَّرْعِ أَو الأَحْمَقِ الذي لا عَقْلَ لَهُ فإِنَّ الآمر بالخَيْرِ مَعَ حِرْمَانِ النفسِ مِنه مِمَّا لا يَتَّفِقْ وَقَضِيَّةَ العَقِلِ وَالمُرادُ بِهَا حَثُّه على تَزْكِيَةِ النفسِ والإقبالِ عليها بالتكميلِ لِتَقُومَ بالحقِ فَتُكَمِّلَ غيرَهَا.

وقال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أن تقولوا ما لَا تَفْعَلون﴾ فهذا وَعِيدٌ شَدِيدٌ مِن اللهِ لِمَنْ يَأْمُرُ بالمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عن المنكرِ وهو في نَفْسِهِ مُقَصِرٌ كَمَنْ يَكْذِبُ فِي قولِهِ أَوْ يُخْلِفُ مَا وَعَدَ.

وَعَن أُسَامَة بن زَيدِ بنِ حارِثَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهما قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يُؤْتَى بالرجلِ يَوْمَ القِيامَةِ فيُلْقَى في النار فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كما يَدُورُ الحِمَارُ في الرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إليهِ أَهْلُ النارِ فَيَقُولُونَ يا فُلانُ مالكَ أَلَمْ تَكُنْ تأْمُرُ بالمَعْرُوْفِ وَتَنْهَى عن المُنْكرِ فيَقولُ بَلَى كُنْتُ آمُرُ بالمَعْرُوفِ ولا آتِيْهِ وأَنْهَى عن المنكرِ وآتِيْهِ» متفق عليه.

وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «رأيتُ ليلةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالاً تُقْرَضُ شِفَاهُمُ بِمَقارِيضَ مِن النارِ فَقُلْتُ مَن هَؤُلاءِ يا جِبْرِيْلُ فقَال الخُطَبَاءُ مِن أُمَّتِكَ الذينَ يَأْمُرُونَ الناسَ بِالبِرِ وَيَنْسَونَ أنفسَهُم وهُم يَتْلُونَ الكتابَ أفلا يعقلون» رواه ابن حَبان في صحيحه.

وإِنَّما يُضَاعَفُ عَذَابُ العَالِمِ في مَعْصِيَتِهِ لأَنَّهُ عَصَى عَن عِلْمٍ، قال اللهُ تَعالى: ﴿قل هَلْ يَسْتَوِي الذينَ يَعْلَمُون والذينَ لا يَعْلَمُون﴾ ولِأَنَّهُ قُدْوَةٌ فَيَزِلُ بِزَلَّتِهِ خَلْقٌ كَثِيْرُونَ، وَلِذَلِكَ قِيلَ زلةُ العَالِمِ زَلَّةُ العَالَمِ وقِيلَ هُوَ كالسَّفِيْنَةِ إِذَا غَرِقَتْ غَرِقَ مَعَهَا أُمَمٌ ما يُحْصِيْهِم إلا اللهُ.

وفي الخَبَرِ: «وَمَن سَنَّ سُنَّةً سَيئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِن بَعْدِهِ مِن غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أَوْزَارِهِم شَيْئاً»، وَذَلِكَ أَنَّ اتْبَاعَهُم اقْتَدَوا بِهِم في السُّوْءِ فَيَنَالُهم مِثْلُ عِقَابِ أَتْبَاعِهِم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أثقالَهم وأثقالاً مَعَ أثقَالِهِم وَليسئَلُنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يفْتَرُون﴾، وقال: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُم كاملةً يومَ القِيَامَةِ وَمِن أَوْزَارِ الذينَ يُضِلُونَهُم بِغَيرِ عِلْم﴾.

قال: وَجُمْلَةُ الأمرِ أَنَّ مَن فَتَحَ بَابَ الشَّرِ لِغَيْرِهِ وَسَهَّلَ لَهُ الدُخُولَ فِيْهِ فَقَدْ عَظُمَ عَذَابُهُ، وَكَذَلِكَ مَن دَعَا إِلى خَيْرٍ وَأَمَرَ بالمَعْرُوفِ وَسَهَّلَ لَهُ طَرِيْقَهُ فَقَدْ عَظُمَ قَدْرُهُ وَحَسَن جَزَؤُهُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، أَخْرَجَهُ مُسلم والترمذي، وقال صلواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيْهِ: «مَثَلُ الَّذِيْ يُعَلِّمُ الخَيْرَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ مِثْلُ الفَتِيْلَةِ تُضِيْءُ لِلنَّاسِ وَتُحْرِقُ نَفْسَهَا» رواه الطبراني في الكبير عن أبي برزةَ بسندٍ حَسَنٍ.

وقال أَبُو الدَّرْدَاء وَيْلٌ لِلْجَاهِلِ مَرَّةً وَوَيْلٌ لِلْعَالِمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وقال عليٌّ رضي اللهُ عَنْهُ قَصَمَ ظَهْرِي رَجُلانَ عَالِمٌ مُتَهَتِّكٌ وَجَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ ، فالجاهلُ يَغُرُّ النـاسَ بِنُسُكِهِ والعَالِمُ يَغُرُّهُم بِتَهَتُّكِهِ ، وقال حَكِيْمٌ أَفْسَدَ الناسَ جَاهِلٌ نَاسِكٌ وعَالِمٌ فاجِرٌ هَذا يَدْعُو الناسَ إلى جَهْلِهِ بِنُسُكِهِ وهذا يُنَفِرُ الناسَ عن عِلْمِهِ بِفِسْقِهِ .

ومنها التَّواضعُ ومُجَانَبَةُ العُجْبِ فَذَلِكَ بالدُعَاةِ والمُرْشِدِيْنَ أَلْيَقُ وَلَهُم أَلْزَمُ لِأَنَّ الناسَ بِهِم يَقْتَدُونَ ، وكَثِيْراً ما يُدَاخِلُهم العُجْبُ لِتَوَحُدِهم بفَضِيْلَةِ العِلْمِ وَلَوْ أَنَّهُم نَظَرُوْا حَقَّ النَّظَرِ وَعَمِلُوا بِمُوجَبِ العِلْمِ لَكَانَ التَّواضُعُ بِهِم أَوْلَى وَمُجَانَبَةُ العُجْبِ بِهِم أَحْرَى وَأَنْسَبُ ، لِأَنَّ العُجْبَ نَقْصٌ يُنافِي الفَضْلَ ، فلا يَفِيْ ما أَدْرَكُوهُ مِن فَضِيْلَةِ العِلْمِ بِمَا لَحِقَهُم مِن نَقْصِ العُجْبِ وَالْكِبْرِ .

شِعْرَا :

دَعِ الكِبْرَ واجْنَحْ لِلتَّواضُعِ تَشْتَمِلْ ... ووَدَادَ مَنِيْعِ الـوُدِّ صَعْبٌ مَرَاقُـهُ
وَدَاوِ بِليْـنٍ مَا جَرَحْتَ بِغِلْظَـةٍ ... فَطِيْبُ كَلامِ المَرْءِ طِبُّ كَلَامِهِ

آخر : جِيْءْ بالسَّماحِ إِذَا مَا جِئْتَ فِي غَرَضٍ ... فَفِي العُبُوسِ لَدَى الحَاجَاتِ تَصْعِيْبُ
سَمَاحَةُ المرءِ تُنْبِي عن فَضِيْلَتِهِ ... فَلا يَكُنْ لَكَ مَهْمَا اسْطَعْتَ تَقْطِيْبُ

وقَدْ رَوَى ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « قَلِيْلُ الفِقْهِ خَيْرٌ مِن كَثِيْرِ العِبَادَةِ وَكَفَى بالمَرْءِ جَهْلاً إِذَا أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ، وإِنَّمَا الناسُ رَجُلانِ مُؤْمِنٌ وَجَاهِلٌ فَلا تُؤْذِ المُؤْمِنَ ، ولا تحَاوِرِ الجَاهِلَ » ، وقال ﷺ لِأَبِي ثَعْلَبَةَ حِيْنَ ذَكَرَ آخِرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وما تَؤُلُ إليهِ مِن الحَوادِثِ : « إِذَا رَأَيْتَ شُحاً مُطَاعاً وَهَوىً مُتَّبَعاً ، واعْجَابَ كُلِّ ذِي رَيٍّ بِرَأْيِه ، فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ » رواه أبو داود .

وقالَ ﷺ : « ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوىً مُتَّبَعٌ ، واعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ » رواه الطبراني في الأوسط ، ويأتي إن شَاءَ اللهُ مَوْضُوعُ التَّواضِعُ ، وَافِياً بِأَدِلَتِهِ وعِلَّةُ اعْجَابِ المُعْجَبِ بِعِلْمِهِ ، نَظَرُهُ إلى كَثْرَةِ مَنْ دَوْنَهُ مِن الجُهَالِ وانْصِرَافِ نَظَرِهِ عن مَن فَوقَهُ مِن العُلَمَاءِ ، فإِنَّهُ مَا حَوَى العِلْمَ كُلَّه أَحَدَ مِن

الخَلْقِ، فَمَا مِن عَالِمٍ إِلَّا وَفَوْقَهُ مَن هُوَ أَعْلَمُ مِنه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفوقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيْم﴾، فاللهُ جَلَّ وَعَلَا هُوَ الذي يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وانَّ الله قَدْ أَحَاطَ بِكلِّ شَيْءٍ عِلْمَاً﴾، وقالَ: ﴿والله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْم﴾، وقالَ: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ﴾، وقال: ﴿وعندهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ والبَحْرِ وما تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ولَا حَبَّةٍ فِي ظُلماتِ الأَرْضِ ولا رَطْبٍ ولا يَابِسٍ إِلَّا في كِتابٍ مُبِيْن﴾.

وَقَلَّمَا تَجِدُ مُعجَباً بِعِلْمِهِ شَامِخاً بأَنْفِهِ إِلَّا وَهُوَ قَلِيْل العِلْمِ ضَعِيْف العَقْلِ لِأَنَّهُ يَجْهَلُ قَدْرَهُ وَيَحْسِبُ أَنَّه نَالَ مِنْه أَكْثَرَهُ، والله يَقُولَ: ﴿وَمَا أُوْتِيْتُم مِن العِلْم إِلَّا قَلِيْلاً﴾، قال: ومنها أَنْ لَا يَبْخَلَ بِتَعْلِيْم مَا يَحْسُن ولا يَمْتَنِعُ مِن إِفادَةِ مَا يَعْلَمُ فإِنَّ البُخْلَ بِهِ ظُلْمٌ وَلُؤمٌ والمَنْعَ منه إِثْمٌ.

شِعْرَا: إِذَا مَا مَاتَ ذُوْ عِلْمٍ وَتَقْوَى ... فَقَدْ ثَلْمَتْ مِنَ الإِسْلَامِ ثُلْمَهْ
وَمَوْتُ العَادِلِ الملكِ المُوَلَّى ... لِحُكْمِ الخَلْقِ مَنْقَصَةٌ وَقَصْمَهْ
وَمَوْتُ العَابِدَ المُرْضِيِّ نَقْصٌ ... فَفِي مَرْآهُ لِلأَسْرَارِ نَسْمَهْ
وَمَوْتُ الفَارِسِ الضِرْغَامِ هَدْمٌ ... فَكَمْ شهَدَتْ لَهُ بالنَّصْرِ عَزْمَهْ
ومَوْتُ فتى كَثِيْرُ الجُوْدِ نَقْصٌ ... لِأَنَّ بَقَاءَهُ فَضْلٌ ونِعْمَهْ
فَحَسْبُكَ خَمْسَةٌ يُبْكَى عَلَيْهِمْ ... ومَوْتُ الْغَيْرِ تَخْفِيْفٌ وَرَحْمَهْ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وإذ أَخَذَ الله مِيْثَاقَ الذِيْنَ أُوْتُوا الكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلناسِ ولا تكتمونه﴾، ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تَمْنَعُوا العِلْمَ أَهْلَهُ، فإِنَّ في ذَلِكَ فَسَاد دِيْنِكُم والْتِبَاسُ بَصَائِرِكُم» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ الذِيْنَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِن البَيِنَاتِ والهُدَى مِن بَعْدِ مَا بيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُوْلئكَ يَلْعَنُهُم الله وَيَلْعَنُهم اللَّاعِنُون إِلا الذِيْنَ تَابُوا وأَصْلَحُوا وبيَّنُوا فأُولَئِكَ أَتُوبُ عليهم وأنا التَّوابُ الرحيم﴾.

قال ابنُ كَثِيرْ على هَذِهِ الآيةِ هَذا وعِيْدٌ شَديْدٌ لِمَنْ كَتَم مَا جَاءَتْ بِهِ الرُسُلُ مِن الدَّلالاتِ الْبَيِّنَةِ عَلَى المَقاصِدِ الصَّحِيْحَةِ والهُدَى النَّافِعُ لِلْقُلُوبِ مِمَّا بَيَّنَهُ اللهُ تعالى لِعِبَادِهِ في كُتُبِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا على رُسُلِهِ، أهـ.

وَقَدْ وَرَدَ في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قالَ: «مَن سُئِلَ عن عِلْمٍ فكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِن نارٍ».

وفي الصحيح عن أبي هريرة أنَّه قالَ: لَوَلَا آيةُ في كِتَابِ الله ما حَدَّثْتُ أَحَداً شَيْئاً ﴿إِنَّ الذين يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلنا مِن البيناتِ والهُدَى﴾ الآية، ومِمَّا يَحْسُنُ بالدَّاعِي والمُرْشِدِ، أَنْ يَتَحَلَّى بالوَرَعِ باتقاءِ الشُبُهَاتِ، والبُعْدِ مِن مَوَاضِعِ الرِّيْبَةِ، وَمَسَالِكِ التُّهْمَةْ.

فإِنَّ ذَلِكَ أَبْرأُ لِدِيْنِهِ وأَسْلَمُ لِعِرْضِهِ، وأَدْعَى إلى الإِنْقِيَادِ لَهُ لِأَنَّ حَالَ الدَّاعِي يُؤَثِرُ في القُلُوبِ أَكْثَرَ مِن مَقَالِهِ، فإِذَا كَانَ وَرِعَاً تَقِياً مُتَجنباً مَا فِيهِ شُبهَةٌ اقْتَدَى به الناسُ، وأَحَبُّوْهُ وقَبِلُوا وَعْظَهُ، وأَرْشَادَهُ، وَهَكَذا كانَتْ صِفَةُ النبي ﷺ وأَصحابِهِ، والتابعينَ لَهُم.

واحْذَرْ يَا أَخي كُلَّ الحَذَرِ مِن احْتِكارِ الكُتُبِ الدِّيْنِيَّةِ المُحتَويَةِ عَلَى قال الله وقَالَ رَسُولُه وأَخذِ شَيءٍ مِن الدُّنْيَا باسْمِ تَحْقِيْقٍ أَو نَشْرٍ كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الناسِ، نَسأَلُ اللهَ العَافِيةَ مِمَّا ابتُلوُا بِهِ.

شِعْرا: لَوْلَا الشَّيَاطِين لَمْ تَسْمَعْ سِوَى لَهَجٍ ... بالذِكْرِ أَوْ مَا أَتَى عَن سَيِّدِ البَشَرِ
آخر: لَوَلَا الشَّيَاطين صَارَ الناسُ كُلُهُم ... على الحَنِيْفيَّةِ السَّمْحَاءِ عُبَّادُ

ففي صحيح البُخاري مِن حَدِيْثِ أَنسٍ قال: مَرَّ النبيُ ﷺ بِتَمْرَةٍ سَاقِطةٍ فقالَ: «لولا أنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقةِ لأَكَلْتُهَا»، وَقَدِمَ عَلَى عُمَرَ مِسْكٌ وَعَنْبَرٌ مِن البَحْرَيْنِ فقالَ: واللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً حَسْنَة الوَزْنِ تَزِنُ لِي هَذَا الطِّيْبَ حَتَّى أَقْسِمَه بَيْنَ المُسْلِمِينَ، فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ عَاتِكَةُ: أَنَا جَيِّدَةُ الوَزْنِ فأنا

أَزِنُ لَكَ، قال: لا. فَقَالَتْ: لِمَ، قَالَ: لِأَنِّي أَخْشَى أَنْ تَأْخُذِيْهِ، فَتَجْعَلِيْهِ هَكَذَا، وأَدْخَلَ أَصَابِعَهُ فِي صُدْغَيْهِ وَتَمْسَحِي بِهِ فِي عُنُقِكِ فأُصِيْبُ فَضْلاً مِن المُسْلِمِيْنَ.

وكانَ يُوْزَنُ بَيْنَ يَدَي عُمَرَ بن عَبْدِ العَزِيْزِ مَسْكٌ لِلْمُسْلِمِيْنَ فَسَدَّ أَنْفَهُ بِيَدِهِ، حَتَّى لا تُصِيْبُهُ الرَّائِحَةُ، وقالَ: وَهَلْ يُنْتَفَعُ مِنه إلا بِرِيْحِهِ، قال ذَلِكَ لَمَّا اسْتُبْعِدَ ذَلِكَ مِنه، وهذا مِن وَرَعِ المُتقِين.

قُلْتُ وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَتَصِفَ بِهِ أَيْضاً قَطْعُ العَلائِقِ حَتَّى لا يَكْثُرَ خَوفُهُ، وَيَقْطَعَ الطَمَعَ عن الخلائِقِ فلا يَكُونُ لَهُ عندَهُم حَاجَةٌ تُذِلُّهُ لَهُم، وَتَدْعُوْهُ إِلى المُدَاهَنَةِ، والاغْضَاءِ عن أَعْمَالِهِم القَبِيْحَة، وَهَذِه طَرِيْقَةُ الأَنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَا أَسأَلُكم عَلَيْهِ أَجراً إِن أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ العالمين﴾.

شِعْرًا: وفي النفسِ حَاجَاتٌ وفي المالِ قِلَّةٌ ... وَلَنْ يَقْضَى الحَاجَات إِلَّا المُهَيْمِنُ

آخر: إِن حَال دُوْنَ لِقَاءِكم بَوَّابُكُمْ ... فاللهُ لَيسَ لِبَابِـــــهِ بَوَّابُ

آخر: فاضْرَعْ إِلى الله لا تَضْرع إلى النَاسِ ... واقْنَعْ بِعِزٍّ فإِنَّ العِزَّ في الْيَاسِ

واسْتَغنْ عن كُلِ ذِيْ قُربى وَذِي رَحِمٍ ... إِنَّ الغِنَّى مِن اسْتَغْنَى عن الناسِ

وَرُوِيَ عن بَعْضِ الحُذَّاقِ أَنَّهُ كَانَ لَهُ كَلْبٌ وَلَهُ صَدِيْقٌ قَصَّاب يأْخُذُ مِنه لِكَلْبِهِ بَعْضَ السَّوَاقِطِ، فَرَأَى على القَصَّابِ مُنْكَراً يَتَعَاطَاهُ، وقال لَا بُدَّ أَنْ أُبرِيَ ذِمَّتِيْ وَأَنْصَحُهُ، ولكنْ أَبْدَأُ أَوَّلاً بِقَطعِ الطَّمَعِ فَدَخَلَ البُسْتَانَ وأَخْرَجَ الكَلْبَ وَطَرَدَهُ ثُمَّ جَاءَ واحْتَسَبَ على القَصَّابِ وَنَصَحَهُ وأَغْلَظَ عَلَيهِ، فَقَال لَهُ القصَّابُ سَوْفَ لَا أُعْطِيْكَ لِكَلْبكَ شَيْئاً أَبَداً، فَقَالَ أَنَا حَاسِبٌ لِهَذَا الكَلامِ ما أَتَيْتُكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ طَرَدْتَ الكَلْبَ عن بُسْتَانِي.

فَمَنْ لَمْ يَقْطَعَ الطَّمَعَ، وَيَسُدُ بابَهُ لم يَقْدِرْ عَلَى الحِسْبَةِ، قُلْتُ وَمِثْلُه

عِندي في الغَالِبِ مَن يُوَالِي العَطَاء على إنسانٍ فَيَبْعُدُ إِذَا رآهُ صَدَرَ مِنْه مَعْصِيَةٌ أو مَعَاصِيْ أَنَّه يَنْصَحُهُ أَوْ يُنْكِرْ عَلَيهِ لِأَنَّهُ يَرْجُوهُ وَيَخَافُهُ، يَرْجُو الصِّلَةَ وَيَخَافُ قَطْعُهَا، وَلَوْ فَرَضْنَا أَنَّهُ أَقْدَمَ على ذَلِكَ وأَنكَرَ عليه فَيَبْعُدُ أَيْضاً قَبُوْلُ صَاحِبِ الفَضْلِ لِلنَّصِيْحَةِ مِن ذَلِكَ الشَّخْصِ المُنْتَظِرْ لِمَا فِي يَدِهِ، نَسْأَلُ اللهَ العصمة.

وكَمْ ضَلَّ عن الطريقِ السَّوِي نَاسٌ مِن أَهل الإيْمَانِ بِسَبَبِ مُدَاهَنَةِ المُدَاهِنِ وَتَغْرِيْرِهِ لَهُم، هَذِهِ قِيْمَةُ النَّاصِحِ، والمُدَاهِنِ عِنْدَ المُؤْمِن الصادقِ الإيمانِ ولكن نَرَى الناسَ اليومَ عَكَسُوا الأَمرَ في هَذِهِ الأزمانِ، لا مُنْتَهى لِحُبِّهِم مَن وَافَقَهُم على مَا هُمْ عليه، ولو كانَ ذَنْباً عَظِيْماً، ولا غَايَةَ لِبُغْضِهِم مَن أَرْشَدَهُم إلى الحَقِّ والصَّوابِ وَرُبَّمَا هَجَرُوْهُ جَزَاءَ نُصْحِهِ وأَما المُدَاهِنُ والمُتَمَلِّقُ المُنَافِقُ ذُو الوَجْهَينِ فَبِكَلِمَةٍ مِن مُدَاهَنَاته، أَوْ وَشَايَاتِهِ أَوْ تَمَلُّقَاتِهِ أَوْ كَذَابَاتِهِ يَمْلِكُ قُلُوبَ الكَثِيْر مِن أَهْلِ هذا الزمانِ وَقَدْ يُرَفَّعُ وَيُقَدَّرْ مَن اتَّصَفَ بالصِّفاتِ الذَمِيْمَةِ كَما قِيل:

(مَتَى مَا تُدَاهِنْ أَوْ تَكُنْ ذَا تَمَلُّق ... وَنَمٍّ وَبَهْتٍ تَخْتَطِبْكِ المَرَاتِبُ)
(وانْ تَجْمَعِ الاخلاصَ والصِّدْقَ والوَفَا ... وَعِلْماً وَحِلْمَاً تَجْتَنِبْكَ المَنَاصِبُ)
آخر: لا تُنكرِيْ يَا عَزُّ إنْ ذَلَّ الفَتَى ... ذُو الأَصْلِ واسْتَولَى لِئَيْمُ المحْتَدِ
إِنَّ البُزَاةَ رُؤُسُهُنَّ عَوَاطِلٌ ... والتَّاجُ مَعْقُودٌ بِرأسِ الهُدْهُدِ
آخر: حُذِفْتُ وَغَيْرِيْ مُثْبَتٌ في مَكَانِهِ ... كَأَنَّني نُونُ الجَمْعِ حِيْنَ يُضَافُ
آخر: مَنْ أَهْمَلَ الدِّيْنَ لَا تَأْمَنْ عَقَارِبَهُ ... وَلَو تَسَمَّى بِإِخْلاصٍ بِنِيَّاتِ
لِآدَمٍ جَاءَ إِبْلِيْسٌ وَقَالَ لَهُ ... إِنِّي لكم نَاصِحٌ فاسْمَعْ مَقَالَاتِيْ
فأَقْسَمَ الخُبْثُ فَي رَبِّيْ ونَزَّلهُمْ ... مِنَ الجِنَانِ إلى دارِ الأَذِيَّاتِ

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسَبِيْلِ الطَّاعَةِ، وَثَبِّتْنَا عَلَى اتِّبَاعِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ عَرَفَ الحَقَّ وَأَضَاعَهُ، وَأَخْتِمْ لَنَا بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا كَرِيْمُ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا

وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**مَوْعظة**»: عِبَادَ اللهِ إِنَّ مِن أَخصِّ صِفَاةِ المُؤْمِن عَمَلُهُ بِقَولِ النبي ﷺ: «الدِّيْنُ النَّصِيْحَة وَمَحَبَّتُهُ لِلنَّاصِحِيْن»، وُكُلَّمَا اجْتَهَدَ المُسْلِمُ وبَالَغَ في النّصِيحة لإِخْوَانِهِ المُسْلِمِيْنَ قَوِيتَ مَحَبَّتُهُ فِي قُلُوبِ إخوانِهِ المُؤْمنين.

وأما المُدَاهِنُ والمُتَمَلِّقُ الذي يُحَسِّنُ لِكُلِّ إنسانٍ حَالَهُ، ولو كانَتْ حَالَةَ اجْرَامٍ وَفَسَادٍ، فَهَذا يَنْفُرُ منه المؤمنونَ، ولا يُحبُّونَهُ وَيَرَوْنَ صَداقَتَهُ مُصِيْبَةً وَبَلِيَّةً، فَلِذَا يَبْتَعِدُونَ عنه كُلَّ البُعْدِ.

لِأَنَّه إن صَحِبَ مُسْتَقِيْماً أَدْخَلَ عليه العُجْبَ في عَمَلِهِ، وَخَيَّلَ إِليهِ أَنَّه مِن صَفْوَةِ عِبَادِ اللهِ المتقين، فَيَغُرُّهُ بِنَفْسِهِ والمَرْءُ إِذا اغْتَرَّ هَوِىَ في هُوَّةِ الأَشْقِيَاءِ وإِذَا صَحِبَ المُدَاهِنُ المُتَمَلِّقُ مُعَوَّجاً زَادَ اعْوِجَاجَهُ حَيْثُ أَنَّهُ يُفْهِمُهُ بِمُدَاهَنَتِهِ أَنَّه مِن خِيَارِ الفُضَلاءِ ومِن الأَجلاءِ النُبَلَاءِ.

وَمَتَّى فَهِم ذَلِكَ عن نَفْسِهِ اسْتَمَرَّ وَتَمَادَى في اعْوِجَاجِهِ، وَقَوِيَتْ وَتَمَكَنَتْ مِنه الأَخْلَاقُ الفَاسِدَة، وَمَاتَ وَهُوَ على تِلْكَ الحَال الشَّنِيْعَةِ، وأما المؤمنُ الناصِحُ المُحِبُّ لأَخِيْهِ مايُحِبُ لِنَفْسِهِ فَيَفْهمُ المُهَذَبَ المُتَنَوِّرَ أنه مَهْمَا كَانَ كَمَالُهُ أَنَّهُ مُقصِّرٌ فِي شُكْرِ مَوْلَاهُ الذي جَعَله مِن بَنِيْ ادَمَ ولم يَجْعَلْه مِن سَائِرِ الحَيوانَاتِ، وَوَفَّقَهُ لِلإِيْمَانِ، وَتَفَضّل عَليه بالحَوَاسِ الخَمْسِ وَغَيْرِهَا وَوَهَبَهُ العَقْلَ، وَسَائِرَ النِّعَم التي لا تُعَدُّ، ولا تُحْصَى.

وَمَتى فَهِمَ أَنَّهُ مُقَصِّرٌ، حَمِدَ مَوْلَاهُ وَشَكَرَهُ على مَا أَوْلَاهُ، وَجَدَّ واجْتَهَدَ فِيْمَا به رُقِيُّهُ في دُنْيَاهُ وأُخْرَاهُ وإن رَأى مُعْوَجاً أَفْهَمَهُ مَا هُو عَلَيْهِ مِن نَقْصٍ وَوَضَّحَ لَهُ عُيُوبَهُ، وَما عِندَهُ مِن تَقْصِيْرٍ في دِيْنِهِ وَحَثَّهُ على الجِدِّ والاجْتِهَادِ والسَّعْي إلى مَعَالِي الأخلاقِ.

وَمَتَى عَرَفَ العَاقِلُ نَقْصَهُ، وأَنَّ الضَّرَرَ عَائِدٌ إِلَيْهِ، أَقْلَعَ عنه، وأَصْبَحَ مِن المُهَذَّبِيْنَ المُتَنَوِّرِيْنَ، الصَّاعِدِينَ إلى أَوْجِ الكَمَالِ، فكَم اهْتَدَى بإذْنِ الله بِسَبَبِ المُؤْمِن الناصِحِ مِن أُناسٍ قد تَاهُوا وَتَمادَوْا في الضَّلَالِ.

واسْمَعْ إلى قَوْلِ الإمَامِ ابنِ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ لَمَّا ذَكَرَ نُفَاةَ الصفاتِ أهلَ البِدَعِ وَحَيْرَتهُم وَشُبُهَاتِهِم وَشُكُوْكَهُم وأنه جَرَّبَ ذَلِكَ وأنه وَقَعَ في بَعْضِ تِلكَ الشِّبَاكِ والمصَايِد حَتَّى أَتَاحَ لَهُ المَولَى بِفَضْلِهِ مَن نَشَلَهُ وأَوْضَحَ لَهُ تِلْكَ الشُبَهِ وازاحَ عنه تِلْكَ الشُكُوكَ وهُوَ شَيْخُ الإِسْلامِ بنِ تَيْمِيَّةَ رحمهُ اللهُ فقال في النونية:

ياقَوْمُ بِاللهِ العظيمِ نَصِيْحَةٌ ... مِن مُشْفِقٍ وأَخٍ لَكُمْ مِعْوانِ
جَرَّبْتُ هَذا كُلَّهُ وَوَقَعْتُ في ... تِلْكَ الشِبَاكِ وكُنْتُ ذَا طَيْرانِ
حَتَّى أَتَاحَ لِيَ الإِلَهُ بِفَضْلِهِ ... مَنْ لَيْسَ تجزيْه يَدِيْ وَلِسَانِي
حَبْراً أَتَى مِن أَرْض حَرَّانٍ فَيا ... أَهْلاً بِمَن قَدْ جَاءَ مِن حَرَّانِ
فاللهُ يَجْزِيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ... مِن جَنَّةِ المَأْوَى مَعَ الرِّضْوانِ
أَخذَتْ يَدَاهُ يَدِيْ وَسَارَ فَلَمْ يَرِمْ ... حَتَّى أَرَانِي مَطْلَعِ الإِيْمَانِ
وَرَأَيْتُ أَعْلَامَ المَدِيْنَةِ حَوْلَهَا ... نَزَلَ الهُدى وعَسَاكِرُ القُرْآنِ
وَرَأَيْتُ آثاراً عَظِيْماً شَأْنُهَا ... مَحجُوبَةً عن زُمْرَةِ العُمْيَانِ
وَوَرَدْتُ رَأْسَ المَاءِ أَبْيَضَ صَافِياً ... حَصْبَاؤهُ كَلآلِيءِ التِّيْجَانِ
وَرَأَيْتُ أَكْوَاباً هُنَاكَ كَثِيْرَةً ... مِثْلَ النُّجُومِ لِوَارِدِ ظَمْآنِ
وَرَأَيْتُ حَوْضَ الكَوثَرِ الصَّافِي الذِي ... لَا زَالَ يَشْخَبُ فيه مِيْزَابَانِ
مِيْزَابُ سُنَّتِهِ وَقَوْلُ إِلَهِهِ ... وَهُمَا مَدَى الأَزْمَانِ لايَنِيَانِ
والناسُ لايَرِدُوْنَه إلا مِن الْـ ... آلافِ أَفْرَادٌ ذَوُوْا إِيْمَانِ

اللَّهُمَّ أرْزقنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَن يُحِبُّكَ وَحُبَّ العَملِ الذِي يُقَرِّبُنَا إِلى حُبِّكْ، اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبارِكْ لَنَا في الحلالِ مِن رِزْقِكَ وَلَا

تَفْضَحْنَا بين خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ داعٍ وأفْضَلَ مَن رجَاهُ راجٍ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن أهلِ الصلاحِ والنجاحِ والفلاحِ، ومِن المُؤَيَّدِيْنَ بِنَصْرِكَ وتأْيِيْدِكَ وَرِضَاكْ، اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفِقْنَا لِامْتِثَالِ أَمْرِكَ واجْتنابِ نَهْيِكَ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ»: في ذِكْرِ نَمَاذِجِ مِن صَبْرِ النبي ﷺ على الشدائِدِ والأَذَى في الدعوةِ إلى اللهِ

ومِن تَحَمُّلِهِ ﷺ للشَّدَائِدِ والأَذَى في الدعوة إلى الله مَا وَرَدَ عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ أُوْذِيْتُ في اللهِ وما يُؤْذَى أَحَدٌ، وأُخِفْتُ في اللهِ وما يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلاثُونَ مِن بَيْنَ يَومٍ وَلَيلةٍ، وَمَا لِي ولِبِلالٍ ما يَأْكُلُه ذُو كَبِدٍ إلا ما يُوَارِي إِبْطُ بلالٍ» أخرجه أحمد.

وعند البيهقي، أنَّ أبا طالبٍ قالَ لَهُ ﷺ: يا ابنَ أخِي إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاؤُنِي وقالُوا كَذَا وَكَذَا فأبْقِ عَلَيَّ وَعَلى نَفْسِكَ، وَلَا تُحَمِّلْنِي مِن الأَمْرِ ما لا أطِيْقُ أَنَا وَلَا أَنْتَ، فاكْفُفْ عن قومِكَ مَا يَكْرهُونَ مِن قَولِكَ، فَظَن رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ قَدْ بَدَا لِعَمِّهِ فيهِ، وأنهُ خَاذِلُهُ، وَمُسَلِّمُهُ، وَضَعُفَ عن القِيَامِ مَعَهُ.

فقال رسولُ اللهِ ﷺ: ياعَمُّ لَو وُضِعَتِ الشمسُ في يَمِيْنِي والقَمَرُ في يَسَارِي، ما تَرَكْتُ هَذا الأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ، أَوْ أَهْلِكَ في طَلَبِهِ، ثم اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَكَى، فَلَمَّا وَلَّي قال لَهُ حِيْنَ رَأَى مَا بَلَغَ الأَمْرُ برسولِ اللهِ ﷺ ياابْنَ أَخِيْ فَأَقْبَلَ عليهِ فقال امْضِ لِأَمْرِكَ وافْعَلْ ما أَحْبَبْتَ فواللهِ لا أَسَلِّمُكَ لِشَيءٍ أبَدًا.

وأَخْرَجَ البيهقُي عن عبدِالله بن جَعْفَر، قَالَ لَمَّا مَاتَ أَبُو طالبٍ عَرَضَ

لِرَسُولِ اللهِ ﷺ سَفِيْهٌ مِن سُفَهَاءِ قُرِيشٍ فألْقَى عَلَيهِ تُرَاباً، فَرَجَعَ إلى بَيْتِهِ فأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِن بَنَاتِهِ تَمْسَحُ عن وَجْهِهِ التُرابَ وَتَبْكِيْ، فَجَعَل يَقُولُ أَيْ بُنَيَّةْ لا تَبْكِيْنَ فإنَ اللهَ مَانِعٌ أَبَاكِ، ويقولُ مَا بَيْنَ ذَلِكَ مَا نَالتْ قُرِيشٌ شيئاً أَكْرَهُهُ حَتَّى مات أَبُو طَالبٍ ثُمَّ شَرَعُوا.

وأخرج أبُو نعيمٍ في الحِلْيَةِ عن أَبِي هريرة قال: لَمَّا مَاتَ أَبُو طالبٍ تَجَهَّمُوا بالنبي ﷺ، فقالَ ياعَمُّ مَا أَسْرَعَ ما وَجَدْتُ فَقْدَكَ، وأخرجَ الطبرانُي عن الحارث بنِ الحارثِ قُلْتُ لأَبِي ما هَذِهِ الجَمَاعَةُ، قال هَؤُلاءِ قومٌ اجْتَمَعُوا على صَابِيءٍ لَهُم فَنَزلْنَا فإذا رَسولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو الناسَ إلى تَوْحِيْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ والإيمانِ بِهِ وَهُم يَرُدُّونَ عليهِ وَيُؤْذُوْنَهُ حَتَّى إذا انْتَصَفَ النهارُ، وانْصَدَعَ الناسُ عنه أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ قد بَدَا نَحْرُهَا تَحْمِلُ قَدَحاً وَمِنْدِيْلاً فَتَنَاوَلَهُ مِنْهَا فَشَرِبَ، وَتَوَضَأَ، ثُمَ رَفَعَ رَأْسَه فقال يَا بُنَيَّةَ خَمِّرِيْ عَلَيكِ نَحْرَكِ ولا تَخافِيْنَ على أَبِيْكِ، قُلْنَا مَنْ هَذِهِ قالوا هَذِهِ زَيْنَبُ بِنْتُهُ رَضِيَ اللهُ عَنها، قال الهيثمي رِجاله ثقات.

وأخرج البخاريُ عن عروة بنِ الزبير عن عبدالله بنِ عَمْرو رضي اللهُ عنه قال قلْتُ لَهُ مَا أَكْثَرَ مَا رأَيتَ قَريشاً أصابَتْ مِن رسولِ اللهِ ﷺ فِيْمَا كانَتْ تُظْهِرُ مِن عَدَاوتِهِ، قال حَضرْتُهم وقد اجْتَمَعَ أَشْرَافُهم في الحِجْرِ.

فقالُوا ما رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عليه مِن هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ، سَفَّهَ أَحْلامَنَا، وَشَتَم آبَائنَا، وَعَابَ دِيْنَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَاتِنا، وَسَبَّ آلِهَتنا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنه على أَمرٍ عَظِيْمٍ، أَوْ كَمَا قالُوا.

قال فَبَيْنَمَا هُم في ذَلِكَ طَلَعَ عليهم رسولُ اللهِ ﷺ فأَقْبَلَ يَمْشِيْ حَتَّى اسْتَقْبَلَ الرُكْنَ ثم مَرَّ بِهِم طائفاً بالبيتِ، فَلمَّا مَرَّ بِهِم غَمَزُوْهُ: - أَي أَشَارُوْا إِلَيْهِ- بِبَعْضِ مَا يقولُ، قَالَ فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ.

ثم مَضَى فَلَمَّا مَرَّ بِهِم الثَّانِيَةَ بِمِثْلِهَا فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ثم مَضَى فَلَمَّا

مَرَّ بهم الثالثةَ فغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا فقالَ : أَتَسْمَعُونَ يا مَعْشَرَ قُرِيشٍ ، أَمَا وَالَّذِيْ نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُم بالذَّبْحِ ، فأَخَذَتِ القَوْمَ كَلِمَتُه ، حَتَّى مَا مِنهم رَجُل إِلَّا كَأَنَّ عَلى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقِعٌ حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُم فِيْهِ وَضَاءَةً قَبْلَ ذَلِكَ لَيَرْفَؤُهُ بأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِن القَولِ حَتَّى لَيَقُولُ انْصَرِفْ يا أَبَا القَاسِمِ ، انْصَرِفْ رَاشِدًا فَوَاللهِ مَا كُنْتَ جَهُوْلاً .

فَانْصَرَفَ رسولُ اللهِ ﷺ حَتَّى إذا كَانَ الغَدُ اجْتَمَعُوا في الحِجْرِ وأنا مَعَهُم فقال بَعْضُهُم لِبَعْضٍ: ذَكَرْتُم ما بَلَغَ منكُم وَما بَلَغكُم عَنْهُ حَتَّى إِذَا بَادَاكُم بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ ، فَبَيْنَمَا هُم في ذَلِكَ إِذَا طَلَعَ عَلَيْهِم رسولُ اللهِ ﷺ فَوَثَبُوا عَلَيْهِ وَثْبَةَ رَجُلٍ واحِدٍ فَأَطافوا بِهِ يقولُون أَنْت الذي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُم مِن عَيْبِ آلِهَتِهِمْ ودِيْنِهِمْ .

قال فيقولُ رسولُ اللهِ ﷺ نَعَمْ أَنَا الَّذِيْ أَقُولُ ذَلِكَ ، قال فَلَقَدْ رَأَيْتَ رَجُلاً مِنهم أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ ، وقَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دونَهُ يَقُولُ وهو يَبكِيْ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أن يقولَ رَبِّي اللهُ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا عنه فإنَّ ذَلِكَ لأشدُّ مَا رَأَيْتُ قُرَيْشاً بَلَغَتْ مِنْهُ قَطُّ .

وأخرجَ أَبُو يَعْلَى عن أنسِ ابنِ مالكٍ رضي اللهُ عَنْهُ قال لَقَدْ ضَرَبُوا رسولَ اللهِ ﷺ مَرةً حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ ، فقامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَجَعَلَ يُنَادِي وَيْلَكُم أَتَقتُلونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ ، فَقَالُوا مَنْ هذا فقالُوا أَبُو بَكْرٍ المَجْنُون .

وفي الحديث الذي أخرجه أبُو يعلى عن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ أَنَّ المُشرِكِينَ لَهوا بأَبي بَكْرٍ عن رَسُوْل اللهِ ﷺ وأَقْبَلُوا عليهِ قَالَتْ فَرَجَعَ إِلينَا أَبُو بَكْرٍ فَجَعَل لا يَمَسُّ شَيْئاً مِن غَدَائِرِهِ - أي جَدَائِله إِلَّا جَاءَ مَعَهُ ، وهُو يَقولُ تَبَارَكْتَ يا ذَا الجلالِ والاكرام .

وأَخْرَجَ البَزَارُ في مسندهِ عن محمد بن عَقِيْلٍ عن علي رضي اللهُ عنه أنه

خَطَبَهُم فقال: ياأَيُّهَا الناسُ مَنَ أَشَجَعُ الناسِ، فَقَالُوا أَنْتَ ياأَمِيرَ المُؤْمِنينَ، فقال أَمَّا أَنَا مَا بارَزَنِي أَحَدَ إِلَّا انْتَصَفْتُ منه، ولكِن هُوَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إنا جَعَلْنَا لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ عَرِيْشاً فَقُلْنَا مَن يَكُونُ مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ لِئلاَ يَهْوِي إليه أَحَدٌ مِن المُشْرِكين فَوَاللهِ مَا دَنَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عنه شَاهِرَاً بالسَّيْفِ على رَأْسِ رَسُولَ اللهُ ﷺ لا يَهْوِ إليه أَحَدٌ إِلَّا أَهْوَى إليهِ فَهَذا أَشْجَعُ الناسِ.

قالَ وَلَقَدْ رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ وأَخَذَتْهُ قُريشٌ فهذا يُحَادُّهُ وَهَذَا يُتَلْتِلُه ويَقُولُونَ أَنْتَ جَعَلْتَ الآلهةَ إلهاً وَاحِداً فَوَاللهِ مَا دَنَا مِنَّا أَحَدٌ إلا أَبُو بَكْرٍ يَضْرِبُ هَذَا ويُجَاهِدُ هَذا ويُتَلْتِلُ هَذا، وهُوَ يقولُ وَيْلَكُمُ أتقتُلونَ رجَلاً يقولُ ربي الله.

ثم رَفَعَ عَلى بُرْدَةٍ كَانَتْ عَلَيهِ فَبَكَى حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، ثم قَال أنشُدُكُم اللهَ أَمُؤْمِنُ آلِ فِرعَونَ خَيْرٌ أَمْ هُو، فَسكَتِ القومُ، فقالَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عنه، فَوَاللهِ لَسَاعَةٌ مِن أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِن مِلْءِ الأَرْضِ مِن مُؤْمِن آلِ فِرْعَونَ، ذَاكَ رَجُلٌ يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ، وَهَذا رَجُلٌ أَعْلَنَ إِيمانَه الحديث، وفيه يقول أَبُو مِحْجَنٍ الثقفي.

شِعْرًا:

وسُمِّيْتَ صِدِّيْقاً وكُنْتَ مُهَاجِراً   سِوَاكَ يُسَمَّى باسْمِهِ غَيْرُ مُنْكَرِ
وبالغارِ إِذْ سُمِّيْتَ بالغَارِ صَاحِباً   وكُنْتَ رَفِيقاً لِلنَّبِي المُطَهَّرِ
سَبَقْتَ إلى الإِسْلامِ واللهُ شاهِدٌ   وَكُنْتَ جَلِيْسَاً بالعَرِيْشِ المُشَهَّرِ

اللَّهُمَّ يسر لَنَا سَبِيْلَ الأَعْمَالِ الصالحاتِ وَهَيِّءْ لَنَا مِن أَمْرِنا رَشَدَا واجْعَلْ مَعُونَتَكَ العُظْمَى لَنَا سَنَدَا واحْشُرْنَا إذا تَوَفَّيْتَنَا مَعَ عِبَادِكَ الصالحينَ الذينَ لا خوفٌ عَلَيهم ولَا هم يَحْزَنُونَ، واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: أَخْرَجَ البُخَارِيُ عن عُرْوَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سَأَلْتُ ابنَ أَبِي

العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنه فقُلْتُ أخبِرْني بأَشَدِّ شَيءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِرَسولِ اللهِ ﷺ، قَالَ بَيْنَما النبيُّ ﷺ يُصَلِّي في حِجْر الكَعْبَةِ إذْ أَقْبَل عليه عُقْبَةُ ابنُ أبي مُعَيْطٍ فَوضَع ثَوْبَهُ على عُنَقِهِ فَخَنَقَهُ خَنْقاً شَدِيْداً.

فأقْبَلَ أبو بَكْرٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ حَتَّى أَخذَ بِمَنْكبِهِ، ودَفَعهُ عَن النبي ﷺ، وَقال أَتَقْتُلُون رَجُلاً أنْ يَقُولَ رَبِّي الله وقَدْ جاءكم بالبيْناتِ مِنْ رَبكُمْ.. الآية.

وَعِنْد ابْن أبي شَيَبة عَنْ عُرْوَةَ بنِ العاصِ رضيَ الله عنه قالْ: ما رأيتُ قُرَيْشاً أرَادُوا قَتْلَ النبيَّ ﷺ إلَّا يوماً ائْتَمَرُوا بِهِ وَهُمْ جلوسٌ في ظِلِ الكَعبةِ وَرَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ المقامْ، فَقَامَ إليهِ عُقْبَة بنُ أبي مُعَيطٍ فَجَعَل رِداءَهُ في عنُقِهِ ثُمَّ جَذَبَهُ حَتَّى وَجَبَ لِرُكبَتَّيْهِ سَاقِطاً، وَتَصايَح فَظَنُّوا أنه مَقتُول.

فأقْبَل أبُو بَكْرٍ رَضْي اللهُ عَنْهُ يَشْتَدْ حَتَّى أَخَذَ بضَبُعَيْ رَسول الله ﷺ مِن وَرَائِه وَهوَ يقول: «أَتُقْتُلونَ رجلاً أن يقولَ ربي اللهُ» الحديث.

وأخْرَجَ البَزَّاز والطَّبَراني عن عبدِ الله بنَ مَسْعودٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالْ بَيْنَما رَسُولُ الله ﷺ في المسجد وأبو جَهْل وشَيْبَةُ وعُتْبَةُ أَبْنَاءُ رَبِيعَةَ وعُقْبَةُ بنُ أبي مُعْيطِ وأمَيَّةُ ابنُ خَلفَ ورَجُلانِ آخرَانِ كانُوا سَبْعةً؛ وَهُمْ في الحِجْر ورَسُولُ الله ﷺ يُصَليِّ فلمَّا سَجَد أطالَ السُّجودَ.

فَقَالَ أبُو جَهْلٍ أيّكُمْ يَأْتِي جَزَورَ بني فُلان فَيأتِيْنا بِفَرْثها فَنَكْفئَهُ على مُحَمدٍ ﷺ، فانْطَلَق أشْقَاهُمْ عُقْبَةُ ابنُ أبي مُعْيطِ فأتى بِهِ فألقاهُ على كَتِفَيْهِ ﷺ وهُوَ ساجد قال ابنُ مَسْعودٍ وَأَنَا قَائِمٌ لا أَسْتَطِيعُ أنْ أتكلَّمْ، لَيْسَ عِنْدي مَنَعَةٌ تَمْنعُني، إذْ سَمِعَتْ فاطمةُ بنتُ رسولِ اللهُ ﷺ فأقبَلتْ حَتَّى ألقتْ ذلِكَ عَن عَاتِقِه.

ثم اسْتَقْبَلتْ قُرَيْشاً تَسبُّهم فَلَمْ يَرْجِعُوا إليها شَيْئاً، ورَفَعَ رسولُ الله ﷺ رَأسَه كَمَا كانَ يَرْفَعُ عِنْدَ تَمَامِ السُّجود، فَلَمَّا قَضَى رسولُ اللهِ ﷺ صلاتَهُ

قالْ : اللّهُمَّ عَليْكَ بِقُرَيْشٍ ثَلاثاً ، عَلَيْكَ بِعُتْبَةَ ، وعُقْبَةَ ، وأبيَ جَهْلٍ وَشَيْبَة .

ثُمَّ خَرَجَ مِن المسجدِ فَلَقِيَهُ أَبُو البَخْتَرِيُ بِسَوط يَتَخَصَّرُ بِهِ ، فَلَمَّا رأىَ النبيَّ ﷺ أنكَرَ وَجْهه فقالَ مَالَكَ ، فقالَ النبيُّ ﷺ خَلِّ عَنَّي قالَ عَلِمَ اللهُ لا أُخَلِّي عَنْكَ ، أوْ تُخْبِرْني مَا شَأْنُكَ ، فَلَقَدْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَّمَا عَلِمَ النَّبيُ ﷺ أنهُ غيرُ مُخَلٍ عَنْهُ أخْبَرَه .

فقالْ انَّ أبا جَهْلٍ أَمَرَ فَطُرِحَ عَليَّ الفَرْث ، فقَالَ أَبُو البُخْتِري هَلُمَّ إلى المسْجِد فأتىَ النبيُّ ﷺ وأَبُوْ البُخْتِري فَدَخلا المسجدَ .

ثُمَّ أقْبَل أبُو البَخْتَرِي إلى أَبي جَهْلٍ فقَالَ يا أَبا الْحَكَمْ أَنْتَ الذي أمَرْتَ بِمُحمدٍ فَطُرِحَ عليه الفَرْثَ ، قَالَ نعم ، قَال فَرَفَع السَّوطُ فَضَرَبَ به رأسَه قال فَثَارَ الرِّجالُ بَعْضُهم إلى بَعْضٍ قَالَ وصَاحَ أبو جَهْلٍ وَيْحَكُمْ هِيَ لَهُ إنَّما أرادَ مُحمدٌ ﷺ أن يُلْقِي بيْنَنَا العَدَاوةَ ، ويَنْجُو هَوَ وأصْحَابُه الحديث .

وأخْرَجَ الطَّبَراني عَنْ يَعْقُوبَ بنْ عُتْبَة بنِ الْمُغيرَة بنِ الأَخْنَسِ بن شَرِيق حليفِ بَنِي زُهْرة مُرْسَلا ، أَنَّ أَبَا جَهْلٍ اعْتَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بالصَّفَا فآذاهُ .

وَكَانَ حَمْزَةُ رَضْي اللهُ عَنْهُ صَاحِبَ قَنْصٍ ، وَصيْدٍ ، وَكَانَ يَوَمئِذٍ فِي قَنْصِهِ ، فَلَّمَا رَجَعَ قالت لهُ امْرَأَتُهُ وَكَانَتْ قَدْ رأَتْ ما صَنَعَ أَبُو جَهْل بِرَسولِ اللهِ ﷺ ، يا أبَا عِمَارَةَ لو رَأَيتَ مَاصَنَعَ تَعْني أبَا جَهْلٍ بابنِ أخِيكَ ، فَغضِبَ حَمْزَةُ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ وَمَضى كَمَا هُو قَبْلَ أنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ .

هَو مُعَلِّقٌ قَوْسَهُ في عُنُقِه حَتَّى دَخَلَ المسجدَ فَوَجد أَبَا جَهْلٍ في مَجْلسٍ مِن مَجَالسِ قُرِيشٍ فَلَمْ يُكَلِّمَهُ حَتَّى عَلاَ رأسَهُ بِقَوْسِهِ ، فَشَجَّهُ فقامَ رِجُال مِنْ قُرَيشٍ إلى حَمْزَةَ يُمْسِكُونَهُ عَنْهُ ، فقالَ حَمْزَةُ دِيني دِينُ مُحمدٍ ﷺ أَشْهَد أنَّهُ رَسُولَ اللهِ ، فَواللهِ لا أنْثَني عَنْ ذَلِكَ ، فامْنَعُوْني مِن ذَلِكَ إنْ كُنْتُم صَادِقِيْنَ .

فَلمَّا أسْلَمَ حَمْزَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَزَّ بِهِ رسَولُ اللهِ والمُسْلِمون ، وثَبَتَ

لَهُمْ بَعضُ أمْرِهمْ ، وهَابَتْ قُرَيْشُ وَعلِمُوا أنَّ حَمْزَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَيَمْنَعُهُ ، قال الْهَيْثَمِي وَرِجَاله ثِقَاتْ .

وأَخْرَجَ أبو نُعيم في دَلائِل النُّبوة عَنْ عُرْوَةَ بنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالْ ومَات أبُو طَالب وازَدادَ مِنْ الْبَلا عَلى رسول اللهِ ﷺ بشِدَّةٍ ، فَعَمِدَ إلى ثِقيْف يَرْجُو أنْ يُؤْوُوهُ ويَنْصرُوه ، فَوَجَدَ ثلاثةَ نَفَرٍ مِنْهمْ ، سَادَةُ ثِقيْف ، وهَمْ أخْوَةُ عَبْدُ يَالِيلِ بنِ عَمْرو ، وَحَبيْبُ ابْنُ عَمْرِو ، وَمَسْعُودُ بنُ عَمْرو ، فَعَرضَ عليْهِم نَفْسَهُ ، وشكا إلِيْهِم البلاءَ ، وَمَا انْتَهكَ قَوْمُهُ مِنْه .

فَقال أَحدُهُمْ أنَا أَسْرِقُ ثيابَ الكَعْبَةِ إن كَانَ اللهُ بَعَثَكَ بشَيءٍ قَطْ ، وقالَ آخرُ واللهِ لا أُكلِّمكَ بَعْدَ مَجْلِسِكَ هذا كِلْمَةً واحِدةً أَبَداً لِانْ كُنْتَ رَسُولاً لأنْتَ أعْظَمُ شَرَفاً وَحَقاً مِن أَنْ أُكلِمَكَ ، وقالَ الآخَرُ أَعَجزَ اللهُ أَنْ يُرسِلَ غَيْرَكَ .

وَأَفْشَوا ذَلِكَ في ثَقِيْفِ الذينَ قَالَ لَهُمْ : واجْتَمَعُوا يَسْتَهْزِؤُنَ بِرسول اللهِ ﷺ ، وَقَعَدُوا لَهُ صَفَّينَ على طَرِيقهِ ، فأخَذُوْا بِأيْدِيهم الحِجَارَة فَجَعَلَ لا يَرْفَعُ رِجْلَهُ وَلَا يَضَعُهَا إلَّا رَضَخُوهَا بالحِجَارَةِ وَهُمْ في ذَلِكَ يُستَهزِؤُنَ وَيسْخَرُونَ .

فَلَمَّا خَلصَ مِن صَفَّيْهم وَقَدَمَاهُ تَسِيْلَانِ بالدماء، عَمِدَ إلَى حَائِطٍ مِنْ كُرُومِهِمْ فأتَى حَبلةً مِن الْكَرْمِ فَجَلَسَ في أصْلِها مَكْرُوباً مُوْجَعاً تَسِيْلُ قَدَماهُ الدِّمَاء فإذَا في الْكَرْمِ عُتْبةُ بنُ ربيعة وشَيْبَةُ ابنُ رَبِيْعَةَ فَلمَّا أبْصرَهُمَا كَرِهَ أنْ يَأْتِيْهُمَا لِمَا عَلِمَ مِن عَدَاوَتِهِمَا لِلَّهِ ولِرَسُولِهِ وَبِهِ الذي بِهِ فأرْسَلَا إلِيْهِ غُلَامَهُمَا عَدَّاساً بِعِنَبٍ وَهْوَ نَصْرَانِي مِن أهْل نِيْنَوىَ ، فَلَّمَا أتاهُ وَضَعَ العِنَبَ بَيْنَ يَدَيهِ .

فقالَ رسولُ الله ﷺ بِسْمِ اللهِ فَعَجبَ عَدَّاسُ ، فَقَالَ لَهُ رسولُ الله ﷺ مِنْ أيْ أَرْضٍ أَنْتَ يا عَدَّاسُ قَالَ أَنَا مِنْ أهْلِ نَيْنَوى .

فقالَ النبيُّ ﷺ مِن أهْلِ مَدِيْنَةِ الرَّجُلِ الصَّالح يُونُس بنُ مَتَّى ، فَقَالَ لَهُ عدَّاسُ وَمَا يُدْرِيْكَ مَنْ يُونُسُ بنُ مَتّى ، فأخبرَهُ رسولُ الله مِن شأْنِ يُونُسُ مَا عَرَفْ .

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَحْقِرُ أَحَداً يُبَلِّغهُ رِسَالاتِ اللهِ تَعَالى ، قَالَ يَا رَسولَ اللهِ أَخْبِرْنِي خَبرَ يُونُسَ بن مَتَّى ، فَلَمَّا أخبرَهُ رسولُ اللهِ ﷺ مِن شأنِ يُونُس بنِ مَتَّى مَا أُوْحِيَ إليهِ مِن شأنِهِ خَرَّ ساجداً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، ثم جَعَل يُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وَهُمَا تَسِيْلَانِ الدِّماءَ . فَلمَّا أبْصَر عُتْبَةُ وأخوهُ شَيْبَةُ ما فَعَل غُلَامُهُمَا سَكَتَا ، فلمَّا أتاهُمَا قالَا لَهُ ما شَأْنُكَ سَجَدتْ لِمُحَمَّدٍ وقَبَّلْتَ قَدَميْهِ، ولَمْ نَرَكَ فَعَلْتَ هذَا بِأَحَدِنَا .

قالَ هذَا رجلٌ صَالِحٌ حَدَّثَنِي عَنْ أشْيَاءَ عَرَفْتُهَا مِن شَأْنِ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ تعالى إلَيْنَا يُدْعَى يُونُسُ بنُ مَتَّى فإخْبَرنِي أنهُ رسولُ اللهِ فَضَحِكَا وقالَا لا يَفْتِنُكَ عَنْ نَصْرَانِيَّتِكْ إنّه رَجُلٌ يَخْدَعْ ، ثُمَّ رَجَعَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى مَكَّة .. انتهى .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الإِيْمَانِ واجْعَلْنَا هُداةً مُهْتَدِيْنَ وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ ، اللَّهُمَّ انظِمْنَا في سِلكِ حِزبكَ المُفلِحِين ، واجْعلنَا مِنْ عبادِكَ المُخْلِصين وآمِنَّا يومَ الفزَعِ الأَكبَرِ يومَ الدِين ، واحشُرْنَا مَعَ الذين أنعمتْ عليهم مِنَ النَبيين والصِّديقين والشُهداء والصالحين واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« **فَصْلٌ** » : أخرَجَ ابنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ أبُو بَكْرٍ لَوْ رَأَيْتنِي وَرَسُولَ اللهِ ﷺ إذْ صَعَدَ الغَارْ فَأَمَّا قَدَمَا رَسولَ اللهِ ﷺ فَتَفطَّرَتَا ، وَأَمَّا قَدَمَاي فَعَادَتْ كأنَّهُمَا صَفْوَانٌ ، قالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَتَعَوَّدْ الْحُفْيَةْ .

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أنسٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النَّبي ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعَيَّتِهِ يَوْمَ أُحُدٍ وَشُجَّ في رَأْسِهِ فَجَعَلَ يَسْلِتُ الدَمِ عَنْ وَجْهِهِ ، وَيَقُول كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نبيَّهُمْ ، وَهْوَ يَدْعُوهُمْ إلى اللهِ ، فَنَزَلَ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِن الأمرِ شيءٌ﴾ الآية .

وَعِنْدَ الطَّبَرَانِي فِي الْكَبِير عَنْ أبِي سَعِيْدٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالْ أُصِيْبَ وَجْهُ النبيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ ، فاستَقْبَلَهُ مَالِكُ بنُ سِنَانٍ فَمَصَّ جُرْحَهُ ثُمَّ ازْدَرَدَهْ – أيْ ابْتَلَعَهُ – قَالَ ﷺ مَنْ أحَبَّ أنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْ خَالَطَ دَمُهُ دَمِيْ فَلْيَنْظُرْ إلى مَالِكِ بن سِنَانْ .

وأَخْرَجَ الطَّيالِسِي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالتْ كانَ أبُو بكر رَضْيَ اللهُ عَنْهُ إذا ذَكَرَ يَوْمَ أُحُدٍ قالْ ذَاكَ يومٌ كُلُّهُ لِطَلْحَةَ ثمَّ أَنْشَأَ يُحدِّث قَالَ كُنتُ أوَّلَ مَنْ فَاءَ يَوْمَ أحُدٍ فَرَأيْتُ رَجُلاً يُقَاتِلُ فِي سَبِيْلِ اللهِ دُونَهُ ، وأرَاهُ قال حَمِيَّةً ، قَالَ فَقُلْتُ كُنْ طَلْحَةَ حَيْثُ فَاتَنِي مَا فاتَنِي فقلتُ يكونُ رَجُلاً مِنْ قَوْمِي أحَبُّ إليَّ . وبَيْنِي وَبَيْنَ المُشْرِكِيْنَ رَجُلاً لا أعْرِفُهْ وأنَا أقْرَبُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهُ وَهْوَ يَخطِفُ الْمَشْيَ خَطْفَاً لَا أَخْطِفُهْ .

فإذَا هُوَ أبُو عُبَيْدَة بنُ الجَرَّاحِ رَضْيَ اللهُ عنه فانْتَهَيْنَا إلى رسولِ اللهِ ﷺ ، وَقَدْ كُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ ، وَشُجَّ فِي وَجْهِهْ ، وَقَدْ دَخَلَ فِي وَجْنَتِهِ حَلْقَتَا مِنْ حَلقِ الْمِغْفَرْ . قالَ رسولُ اللهِ ﷺ عَلَيْكُمَا صاحِبَكُمَا يُرِيدُ طَلْحَة ، وقَدْ نَزَفَ فَلَمْ نَلْتَفِتْ إلى قَوْلِهِ ، قَالَ وَذَهَبْتُ لِأَنْزِعَ ذَلِكَ مِنْ وَجْهِهِ فَقَالَ أَبُوْ عُبَيْدَةَ أُقْسِمُ عَلَيْكَ بِحَقِّي لَمَا تَرَكْتَنِي فَتَرَكْتُهُ . فكَرِهَ تَنَاوُلَها بِيَدِهِ فيُؤذِي رَسولَ اللهِ ﷺ فَأَزَمَّ عَلَيْهَا بِفِيهِ أيْ عَضَّ عليها ، فاسْتَخرَجَ احدى الحَلْقَتين وَوَقَعَتْ ثَنِيَّته مَعَ الحَلْقَة وَذَهَبْتُ لِأَصْنَعَ ما صَنَعَ فَقَالْ أقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِحَقِّي لمَا تَرَكْتَنِي قَالَ فَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي المَرَّةِ الأُوْلَى فَوَقَعَتْ ثَنِيَّته الأُخْرَى مَعَ الْحَلْقَةِ .

فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ مِن أحْسَنِ النّاسِ هَتْمَاً فأصْلَحْنَا مِن شَأْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ أَتَيْنَا طَلْحَةَ فِي بَعْضِ الجِفَارِ ، فَإذَا بِهِ بِضْعُ وَسَبْعُوْنَ طَعْنَةً وَرَمْيَةً وَضَرْبَةً وإذَا قَدْ قُطِعَتْ أُصْبُعِهِ فأصْلَحْنَا مِنْ شَأْنِهْ .

اللَّهُمَّ ثبتْ مَحبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا القِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَّاتِنَا وَذُرِّيَاتِنَا وَأَعِذْنَا مِنْ شَرِّ نُفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَأَعِذْنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانَا تَبَعاً لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ ﷺ وَاغْفِرِ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا

وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«مَوْعِظَـــةٌ»

عِبَادَ الله انَّ أخْتَارَ بَنِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ وَخصَّهُ بِمَزَايَا لَمْ تَكُنْ لأَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِيْنَ وَاخْتَارَ لَهُ أَصْحَاباً خِيْرَةَ النّاسِ مِنْ خَلْقِه، وَخَصَّهُمْ بِمَزَايَا لَمْ تَكنْ لِسُوَاهُمْ مِنْ النَّاسِ أَجمَعِين، حَاشَا الأنبياءَ والمرسَلِيْن، وأَثْنَى عليهم، سُبْحَانَهُ في غَيْرِ مَوْضِعٍ مِن القرآنِ الكَرِيْمِ تَنْبِيْهَاً عَلَى جَلاَلَةِ قَدْرِهِمْ، وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِم، وَعِظَمِ فَضْلِهِمْ، وَشَرَفِهِمْ. قَالَ تَعَالَى: ﴿والسَّابقونَ الأولَونَ مِن المهاجِرين، والأَنْصَارِ والذين اتبعوهم بإِحْسَانٍ رضي اللهُ عنهُمْ وَرَضُوا عنه﴾.

وقَالَ تَعَالَى يَصِفُهُمْ بِشِدَّةِ الرَّحْمَةِ ولِيْنَ الْجَانِبَ لِبَعْضِهِمْ بَعْضَاً وَشِدَّتِهِمْ عَلَى الكُفَّارِ المُعَانِدِيْنَ، مُحَمَّدُ رسولُ اللهِ والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءٌ على الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِن اللهِ ورِضْوَاناً سِيْمَاهُمْ في وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ.

وَقَالَ تَعَالَى يَصِفُ الْمُهَاجِرِيْنَ والأَنْصَارِ بأَفْضَلِ مَا يَصِف به إِنْسَانَاً: ﴿لِلْفُقَرَاءِ المهَاجِرِيْنَ الذينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وأَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِن اللهِ وَرِضْوَانَا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أولئك هُمُ الصَّادِقُون، والَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارِ والأيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ، وَلاَيَجِدُوْنَ في صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أوتُوا، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِم خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُوْلَئِك هُمُ المُفْلِحُوْنَ﴾.

وَقَالَ ﷺ خَيرُ القُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ، وَلَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ أَصْبَرُ النَّاسِ بعد الرُّسُلِ عَلَى الأَذَى في اللهِ فَلَقَدْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَق إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَصُبَّ عَلَيْهِمُ الأَذَى مِن كُلِّ صَوْب، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا

إيْمَاناً . قَالَ تَعَالى : ﴿الذينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُم إِيْمَاناً﴾ ، وقال : ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوكيلِ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِن اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسَهُمْ سُوء﴾ الآية .

وإذا كانَ الصَّحَابَةُ رَضيَ اللهُ عَنْهُم أرْفَعَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبيِّينَ والمُرْسَلِيْنَ دَرَجَةً وأعْلَاهُمْ مَكَاناً بِشَهَادةِ اللهِ وَرَسُولِهِ فَلَا عَجَبَ أنْ يُعْلِنَ المُصْطَفى ﷺ بِفَضْلِهِمْ وَيُحَذِّرُ مِنْ سَبِّهِمْ وَمَقْتِهِمْ، وَيَقُولُ فِيمَا رَوَى التِرْمِذِي : «اللهَ اللهَ في أصْحَابِي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضاً بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ يُوشِكُ أنْ يَأْخُذَهْ» .

ويقولُ ﷺ لا تَسُبُّوا أصْحَابِ فَوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أنَّ أحَدُكُمْ أنْفَقَ مِثْلَ أحِدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أحَدِهِمْ وَلَا نَصِيْفَهْ ، فَأَصْحَابُ النَّبيِّ ﷺ لَا يَشُكُّ عاقِلٌ أَنَّهُمْ هُمْ الَّذي حَازُوا قَصَبَاتِ السَّبْقِ، واسْتَوْلَوْا عَلَى مَعَالِي الأمور مِن الفَضْلِ والمعْرُوفِ والصِدقِ والعِفَة، والكرَمِ والإحْسَانِ، والقناعةِ، وعُلُوِّ الهِمَّةِ، والنَّزاهةِ، والشَجاعَةِ، والتُّقَى والتَّواضُعِ، ونَحْوِ ذَلِكَ .

فَالسَّعِيْدُ مَنِ أتَّبَعَ طَرِيقَهُمْ، واقْتَفَى مِنْهَجَهُمْ القويم، والشَّقِيُ مَنْ عَدَلَ عَنْ طَرِيْقِهِمْ، وَلَمْ يَتَحَقَّقْ بِتَحْقِيقِهِمْ، فأيُ خِطَّةٍ رُشْدِهِمْ لَمْ يَسْتَوْلُوا عَلَيْهَا، وأَيُ خَصْلَةِ خَيْرٍ لَمْ يَسْبِقُوا إليها، لَقَدْ وَرَدُوا يَنْبوعَ الحَيَاةِ عَذْباً صَافِياً زُلَالاً . وَوَطَّدُوا قواعِدَ الدّيْنِ، والمَعْرُوْف فَلَمْ يَدَعُوا لِأَحِدِ بَعْدَهُمْ مَقَالاً .

فَتَحُوا القلُوبَ بالقُرْآنْ، والذّكْرِ والإيمان، والقُرَى بالسَّيْفِ والسِّنَانْ . وَبَذَوُا النُّفُوسَ النَّفِيْسَةِ في مَرْضَاةِ رَبِّهِم، فَلَا مَعْرُوْفَ إلَّا مَا عُرِفَ عَنْهُم، وَلَا بُرْهَانَ إلَّا مَا بِعُلُومِهِمْ كُشِفْ، وَلَا سَبِيْلَ نَجاةٍ إلَّا مَا سَلَكُوهُ وَلَا خَيْر سَعَادَةٍ إلَّا مَا حَقَّقُوهُ وحَلَّوهُ فرِضْوَانُ اللهِ اللهِ عليهم، مَا تَحَلَّتْ المَجَالِسُ بِنَشْرِ ذِكْرِهِمْ، وَمَا تَنَمَّقَتِ الطُرُوفُس بِعَرْفِ مَدحِهِمْ وَشُكْرِهِمْ :

شِعْرًا: وَلَيْسَ في الأُمَّةِ كالصَّحابَةْ بِالْفَضْلِ والمَعْرُوفِ والإِصَابَةْ
فإِنَّهُمُ قَدْ شاهَدُوا المُخْتَارَ وعَايَنُوا الأَسْرَارَ والأَنْوَارَا
وَجاهَدُوا في اللهِ حَتَّى بَانَا دِيْنُ الهُدَى وَقَدْ سَمَا الأَدْيَانَا
وَقَدْ تُلِيْ في مُحْكَمِ التَّنْزِيْلِ مِنْ فَضْلِهِمْ مَا يَشْفِي مِنْ غَلِيْلِ
وفي الأَحاديثِ وفي الأَخْبَارِ وفي كَلامِ القَوْمِ والأَشْعَارِ
مَا قَدْرَ رَبَا مِنْ أَنْ يُحيطَ نَظْمِي بِبعْضِهِ فاسْمَعْ وَخُذْ مِنْ عِلْمي

آخر: قَوْمٌ لَهم عند رَبِّ العَرش مَنْزِلَةٌ وحُرْمَةٌ وبَشارَاتٌ وَإِكْرَامُ
فازُوْا بِصُحْبَةِ خَيْرِ الخَلْقِ واتَّصَفُوا بِوَصْفِهِ فَهُمُ لِلنَّاسِ أَعْلَامُ
فَفِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِيْقِ قَدْ وَرَدَتْ آثارُ فَضْلٍ لَهَا فِي الذِّكْرِ أَحْكَامُ
ويَعْدَهُ عُمَرَ الفارُوْقُ صاحِبُهُ بِهِ تَكَمَّلَ بالفارُوْقِ إِسْلَامُ
وهَكذا البَرُّ عُثمانُ الشَهِيْدُ لَهُ في اللَّيلِ وِرْدٌ وبالقُرْآن قَوَّامُ
وللإِمامِ عَلِيٍّ المُرتَضَي مِنَحٌ لَهُ احْتِرامٌ وَإِعْزَازٌ وإِكْرَامُ
هُمُ الصحابَةُ لِلمُخْتَارِ قَدْ وضَحُوا طُرُقَ الهُدى وعلى الطاعاتِ قَدْ دامُوا

«فَصْلٌ»: ذِكْرُ نَمَاذِجَ مِنْ صَبْرِ الصحابةِ على الأَذَى والشدائدِ في الدعوةِ إلى اللهِ فأَولُ ذلكَ في تَحمُّلِ أَبِي بكْرٍ

أخرج الحافظُ أَبُو الحَسَنِ الأطرابُلسي عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُا قالت لما اجْتَمَعَ أصحابُ النبي ﷺ - وكانوا ثَمَانِيَةً وَثَلَاثِينَ رَجُلًا أَلَحَّ أَبُو بَكْرٍ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ في الظُهُورِ فقال يا أبا بكرٍ إِنَّا قَلِيْلٌ فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُلِحُ حَتَّى ظَهَرَ رسولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ المسلمون في نَواحِي المسجدِ كُلُّ رَجُلٍ في عَشِيْرَتِه.

وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ في الناسِ خَطِيْباً ورسولُ اللهِ ﷺ جالسٌ فكانَ أَوَّل خَطِيْبٍ دَعَا إلى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ وثارَ المُشْرِكُونَ على أَبِي بَكْرٍ وعلى المسلمين فَضَرُبُوا في نَواحِي المسجِدِ ضَرْباً شَدِيْداً، وَوُطِيءَ أَبُو بَكْرٍ وَضُرِبَ ضَرْباً

شَدِيْداً وَدَنَا مِنْهُ الفَاسِقُ عُتْبَةُ بنُ رَبِيْعَةَ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِنَعْلَيْنِ مَخْصُوفَتَيْنِ، ويُحَرِّفُهُمَا لِوَجهِهِ وَنَزَا عَلَى بَطْنِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى مَا يُعْرَفُ وَجْهُهُ مِن أَنْفِهِ.

وجَاءَ بَنُو تَمِيْمٍ يَتَعَادَوْنَ فَأَجْلَتْ المُشْرِكِيْنَ عَن أَبِي بَكْرٍ وَحَمَلَتْ بَنُو تَمِيْمٍ أَبَا بَكْرٍ فِي ثَوْب حَتَّى أدخَلُوهُ مَنْزِلَهُ ولا يَشُكُّونَ فِي مَوْتِهِ، ثم رَجَعَتْ بَنُو تَمِيْمٍ فَدَخلُوا المسجِدِ وَقَالُوا واللهِ لَئِنْ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ لَنَقْتُلَنَّ عُتْبَةَ بنَ رَبِيْعَةِ فَرَجَعُوا إلى أبِي بَكْرٍ فَجَعَلَ أَبُو قُحَافَةَ وَبَنُوا تَمِيْمٍ يُكَلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أجَابَ فَتَكَلَّمَ آخِرَ النهارِ فَقَالَ مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَسُّوا مِنْه بِأَلْسِنَتِهِم وَعَذَلُوهُ ثم قامُوا وقالوا لِأمِّهِ أُمِّ الخَيْرِ انْظُرِي أنْ تُطْعِمِيْهِ شَيْئاً أو تَسْقِيْهِ إياه.

فَلَمَا خَلَتْ بِهِ أَلَحَتْ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يَقُولُ ما فَعَلَ رسولُ اللهِ ﷺ فقالت مَا لِي عِلْمٌ بِصَاحِبِكِ فقال إذْهَبِي إلى أُمّ جَمِيْل بِنْتِ الخَطّابِ، فاسأَلِيْهَا فخَرَجَتْ حَتَّى جاءتْ أُمَّ جَمِيْلٍ فَقَالَتْ إنَّ أبا بَكْرٍ يَسْأَلُكِ عن مُحَمّدِ بنِ عبدِ اللهِ.

فقالَتْ مَا أَعْرِفُ أَبَا بَكْرٍ ولا مُحَمَّدَ بنَ عبدِاللهِ، وإنْ كُنْتِ تُحِبينَ أنْ أَذْهَبَ مَعَكِ إلى ابنكِ قالَتْ نَعَمْ فَمَضَتْ مَعَهَا حَتَّى وَجَدَتْ أَبَا بَكْرٍ صَرِيْعَاً دَنِفَاً، فَدَنَتِ أُمُّ جمِيْلٍ وَأَعْلَنَتْ بالصِياحِ، وقالَتْ واللهِ إنَّ قَوماً نَالُوا هَذَا مِنْكَ لأَهْلُ فِسْقٍ وكُفْرٍ، وإنِّي لأَرْجُو أنْ يَنْتَقِمَ اللهُ لَكَ مِنهم.

قَالَ فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قالَتْ هذِهِ أُمُّكَ تَسْمَعُ قال فلا شيءَ عليكِ منها قالَتْ سَالِمٌ صالِحٌ.

قال أينَ هُوَ قَالَتْ فِي دَارِ ابن الأرقِمِ قال فإن لِلّهِ عَلَيَّ أنْ لا أَذُوْقَ طَعَامَاً ولا أَشْرَبَ شَرَاباً أَوْ آتِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فأمْهلَنَا حَتَّى إذا هَدَأَتِ الرِّجْلُ وَسَكَنَ الناسُ خرَجَنَا بِهِ يَتَكِيءُ عَلَيْهِمَا حَتَّى أَدْخَلنَاهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قالَ فأَكَبَّ عليهِ رسولُ اللهِ ﷺ فَقَبلَهُ وأَكَبَّ عليه المسلمونَ وَرَقَّ لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ رِقَةً شَدِيْدَةً.

فقال أَبُو بَكْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِي يَارَسولَ اللهِ، لَيْس بِي بَأْسٌ إِنَّ مَا نَالَ الفَاسِقُ مِن وَجْهِي، وَهَذِهِ أُمِّي بَرَّةً بِوَالِدِهَا وأَنْتَ مُبَارَكٌ فأَدْعُهَا إِلى اللهِ، وَادعُ اللهَ لَهَا عَسَى اللهُ أَنْ يَسْتَنْقِذَهَا بِكَ مِن النارِ، قالَ فَدَعَا لَهَا رسولُ اللهِ ﷺ، وَدَعَاهَا إِلى اللهِ فأَسْلَمَتْ وأقامُوا مَعَ رسولِ اللهِ في الدار شَهْرَاً وهُمْ تَسْعَةٌ وثلاثون رَجُلاً وَقَدْ كَانَ حَمْزَةُ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ أَسْلَمَ يَوْمَ ضُرِبَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ودَعَا رسولُ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ أَو لأَبِي جَهْلِ بنِ هِشامٍ فأَصبحَ عُمَرُ وكانَتْ الدَّعْوَةُ يومَ الاربعاءِ فأَسْلَمَ عُمَرُ يومَ الخمِيْس فكَبَّرَ رسولُ اللهِ وأهلُ البيتِ تكبيرةً سُمِعَتْ بِأَعْلَا مَكَّةَ.

وَخَرَجَ أَبُو الأَرْقم وهُوَ أَعْمَى كَافِرٌ وَهُو يَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِبَنِي عُبَيْدِ الأَرقمِ فإِنَّه كَفرَ فَقَامَ عُمَرُ فقال يارِسولَ اللهِ عَلَامَ تُخْفِي دِيْنَنَا وَنحن على الحَقِّ ويُظْهِرُوا دِيْنَهُم وهُم على البَاطِلِ قال يَاعُمَرُ إِنَا قَلِيْلٌ قد رَأَيْنَا مَا لَقِيْنَا.

فقال عُمَرُ فَوَالذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ لا يَبْقَى مَجْلِسٌ جَلَسْتُ فيه بالكُفْرِ إِلَّا أَظْهَرْتُ فِيه الإِيْمَانَ ثُم خَرَجَ وطافَ بالبَيْتِ.

ثم مَرَّ بِقُرَيْش وهِيَ تَنْتَظِرُهُ فقال أَبُو جَهْلِ بنُ هِشَامٍ يَزْعُمُ فلانٌ أنكَ صَبَوْتَ.

فقال عُمَرَ أَشهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ وأَنَّ محمداً عَبدُهُ ورَسُولُهُ فوَثَبَ المشركُونَ إِليهِ وَوَثبَ عَلَى عُتْبَةَ وبَرَكَ عَلَيهِ وجَعَلَ يَضْرِبُهُ فَجَعَلَ عُتْبَةُ يَصِيْحُ فَتَنَحَى الناسُ، فقامَ عُمَرُ حَتَّى أَعْجَزَ الناسَ واتَّبَعَ المَجَالِسَ التي كان يُجَالِسُ فِيها فيُظْهِرُ الإِيْمان.

ثم انْصَرَفَ إِلى النبي ﷺ وهُوَ ظَاهِرٌ عليهم، قال مَا عليكَ بِأَبِي وأُمِّي

واللهِ ما بَقِي مَجْلِسٌ كُنْتُ أَجْلِسُ فيه بالكفرِ إلا أظهرتُ فيه الإيمان غيرَ هَيَّابٍ ولا خَائِف.

فَخَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ وخَرَجَ عُمَرُ أَمَامَهُ وحَمْزَةُ ابْنُ عبدِالمطلبِ حَتَّى طَافَ بالبيتِ، وصلَّى الظُهْرَ مُؤَمَّناً، ثم انْصَرَفَ إلى دَارِ الأرقمِ وَمَعَهُ عُمَرُ، ثم انْصَرَفَ عُمَرُ وَحْدَهُ، ثم انْصَرَفَ النبيُ ﷺ.

وأَخْرَجَ البُخارِيُ عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتَ لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُ إِلَّا وَهُمَا يَدِيْنَانِ الدِّيْنَ ولَمَ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِيْنَا رسولُ اللهِ ﷺ طَرَفَي النهارِ بكرةً وَعشِيَّةً، فَلَمَا ابْتُلِي المسلمونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُهَاجِراً نَحْوَ أَرْضِ الحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الغمَادِ لَقِيَهُ ابنُ الدَّغِنَةِ وهُوَ سَيِّدُ القَارَةِ فَقَالَ أَيْنَ تُرِيْدَ يَا أَبَا بَكْرٍ، فقال أَبُو بَكْرٍ أَخرَجَنِي قَوْمِي فأُرِيْدُ أن أَسِيْحَ فِي الأَرْضِ وأعبُدَ رَبِّي. قال ابنُ الدَّغِنَةِ فإِنَّ مِثْلَكَ يا أَبَا بَكْرٍ لا يُخْرَجُ ولا يَخْرُجُ إنكَ تَكْسِبُ المَعْدُوْمَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ وتَحْمِلُ الكَلَّ وتَقْرِيْ الضَّيْفِ وتُعْينُ عَلَى نَوائِبِ الحَقِّ فأَنَا لَكَ جار، إِرْجِعْ وأعْبُدْ رَبَّكَ فِي بَلَدِكَ.

فَرَجَعَ وارتْحَلَ مَعَهُ ابنُ الدَّغِنَةِ فَطَافَ بنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أشْرَافِ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُم إن أبا بَكْرٍ لا يُخْرَجُ مِثْلُهُ، ولا يَخْرُجُ أَتخْرِجُوْنَ رَجُلًا يَكْسِبُ المَعْدُوْمَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحِمِلُ الكَلَّ، وَيَقْرِيْ الضَّيْفَ ويُعْينُ على نَوائِبِ الحَقِّ، فَلَم تَكْذِبْ قُرَيْشٌ بِجوارِ ابنِ الدَّغِنَةِ.

وقالُوا لِابْن الدَّغِنَةِ مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَلْيُصَلِ فِيْهَا ولِيَقْرَأْ مَا شَاءَ ولا يُؤْذِيْنَا بِذَلِكَ، ولا يَسْتَعْلِنْ بِهِ فإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا فقالَ ذَلِكَ ابنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ.

فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ ولا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ ولا يَقْرَأُ فِي غَيرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدا لأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَا مَسْجِداً بِفِنَاءِ دَارِهِ، وكَان يُصَلِي فِيهِ وَيقْرَأُ

القُرآنَ فيَتَقذَّفُ عَلَيهِ نِساءُ المشركينَ - أيْ يَزدَحِمُونَ عَليه - وأَبْناؤُهُم وهُم يَعْجَبُونَ مِنْهُ ويَنْظُرونَ أَلِيْهِ.

وكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلاً بَكَّاءً لا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ القُرآنَ، وأَفْزَعَ ذَلِكَ أشرافَ قُريشٍ مِن المشركينَ، فأرْسَلُوا إلى ابْنِ الدَّغِنَةِ، فَقَدَم عَلَيهِم فقالُوا إنا كُنَّا أَجَرْنَا أَبا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ على أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ في دَارِهِ فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ فابْتَنى مَسْجِداً بِفَنَاءِ دَارِهِ فأعْلَنَ بالصلاةِ والقِراءة فيه، وإنا قَدْ خَشِيْنَا أنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وأبْنَاءَنَا، فانهَهُ فإن أحبَّ أنْ يَقْتَصِرَ عَلى أن يَعْبُدَ رَبَّهُ في دَارِهِ فَعَل، وإن أَبَى إلا أنْ يُعْلِنَ ذَلِكَ فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إليكَ ذِمَّتَكَ، فإنا قَدْ كَرِهْنَا أنْ نَخْفِرَكَ، ولَسْنَا مُقِرِّيْنَ لأَبِي بَكْرٍ الاسْتِعْلانَ.

قالتَ عائِشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فأتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إلى أَبِي بَكْرٍ فقال قَدْ عَلِمْتَ الذي عاقَدْتُكَ عليه، فإمَّا أنْ تَقْتَصِرَ على ذَلِكَ وإمَّا أَنْ تُرَجِّعَ إلَيَّ ذِمَّتي.

فإني لا أحِبُّ أنْ تَسْمَعَ العَرَبُ أنِّي أُخفِرْتُ في رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّيْ أَرُدُ إِلِيْكَ جِوَارَكَ وأرْضَى بِجِوارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، هذا قليلٌ مِن كَثيرٍ مِن تَحَمُّلِ أبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عنه وأَرْضاه وجَعَلَ جَنَّةَ الفِرْدَوْسِ مَثْوَانا وَمَثْوَاهُ فَلَهُ مِن الفَضْلِ والسَّابِقَةِ ما لَيْسَ لِغَيْرِهِ ولَقَدْ قَدَّمَهُ المُصْطَفى ﷺ على جَمِيْعِ الصَّحَابَةِ قال في النُونِيَّةِ ما قال الرسول ﷺ لأَبِي بكر:

شِعْرًا:

ويَقُولُ في مَرَضِ الوَفَاةِ يَؤُمُكُمْ ... عَنِـيْ أبـوُ بَكْـرٍ بلا رَوَغَـانِ
ويَظَـلُّ يَمْنَـعُ مِن إمَامَـةِ غَيْـرِهِ ... حَتَّـى يُرَى في صُوْرَةٍ مَيَـلَانِ
ويَقولُ لَوْ كُنْتُ الْخَلِيْلَ لِوَاحِدٍ ... في الناسِ كانَ هُوَ الخَلِيْلُ الدَّانِ
لَكِنَّهُ الأَخُ والرَّفِيْقُ وصَاحِبِي ... ولَـهُ عَلَيْنَـا مِنَّـةُ الإحْسَانِ
ويَقَولُ لِلصِّدِّيْقِ يَوم الغَـار لا ... تَحْـزَنْ فَنَحْـنُ ثَلاثَـةٌ لا اثْنَـانِ
اللهُ ثَالِثُنَـا وَتِـلْكَ فَضِيْلَـةٌ ... مَا حَازَهَـا إِلَّا فَتَـىً عُثْمَـانِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن التالِيْنَ لِكِتَابِك العَامِلين بِهِ، المُحَلْلِينَ حَلاَلَهُ المُحرَّمِين حَرَامَهُ المُمْتَثِلِيْنَ لِأَوَامِرِهِ الْمُجْتَنبِيْنَ نَواهِيَهُ المُتَعظِيْنَ بِمَواعِظِهِ الْمُنْزَجِرِين بِزَواجِرِهِ الْمُتفكِّرِيْنَ فِي مَعَانِيهِ الْمُتَدِّبرِين لِأَلْفَاظِهِ الْبَاكِيْنَ المُقْشَعِرّيْنَ عِنْدَ تِلاوَتِهِ وَسَمَاعِهِ، اللَّهُمَّ أعفُ عَنْ تَقْصِيرِنَا فِي طَاعَتِكَ وشُكْرِكَ وأَدِمْ لَنَا لِزُوْمَ الطَّرِيقِ إِلَى مَايُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُوْراً نَهْتَدِيَ بِهِ أَلَيكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسَّرْتَهُ لِأَهْلِ مَحَبِّتكَ وأَيْقِظنَا مِن غَفَلاتِنَا وَأَلْهِمْنَا رُشْدَنَا واسْتُرْنا فِي دُنْيَانَا وآخِرِتَنَا واحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ المتقِين وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْن واجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ، واسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ، اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا مِن شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا الَّتِي هِي أَقْرَبُ أَعْدَائِنَا وأَعِذْنَا مِن عَدُوكَ واعْصِمْنَا مِن الهَوى ومِن فِتنةِ الدُّنْيا، وَمَكِّنْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وفَرِّجْ قُلُوبَنَا بالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الكَرِيم فِي جَنَّاتِ النعِيم وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــــلٌ»

أَخْرَجَ ابنُ اسحاقَ عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عنهما قال لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: أَيُّ قُرَيْشٍ أَنْقَلُ لِلْحَدِيْثِ فَقِيلَ لَهُ جَمِيْلُ بنُ مَعْمَرٍ فَغَدا عَلَيْهِ قال عبدُالله وغَدَوْتُ أَتْبَعُ أَثَرَهُ وأَنْظُرُ ما يَفْعَلُ وأنا غُلامٌ أَعْقِلُ كُلَّمَا رَأَيْتُ حَتَّى جَاءَهُ فقال أَعَلِمْتَ يا جَمِيْلُ أَنِّي أَسْلَمْتُ وَدَخَلْتُ فِي دِيْنِ مُحمدٍ ﷺ قال فَوَاللهِ مَا رَاجَعَهُ حَتَّى قَامَ يَجُرُ رِدَاءَهُ واتبَعهُ عُمَرُ واتَّبَعْتُهُ أنا حَتَّى قامَ على بابِ المسجدِ وصَرَخَ بأَعَلى صَوْتِهِ يا مَعْشَرَ قُرِيشٍ وهمُ أَنْدِيَتُهُم حَوْلَ الكَعبةِ ألا إِنَّ ابنَ الخَطَّابَ قَدْ صَبَأَ.

قال يقولُ عُمَرُ مِن خَلفِهِ: كَذَبَ ولِكِنّي قَدْ أَسْلَمْتُ وشَهِدتُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلّا اللهُ، وأن مُحَمداً رسولُ اللهِ، وثَارُوْا إِليهِ، فَمَا بَرِحَ يُقَاتِلُوْنَهُ حَتَّى قامَتِ الشَّمْسُ عَلى رُؤُسِهِمِ، قَال وَطَلَحَ: - أَيْ أعْيَا - فَقَعَد وقَامَوُا على رَأْسِهِ، وهُوَ

يَقولُ افْعَلُوا مَا بَدَا لَكُم فأحْلِفُ باللهِ أنْ لَوْ قَدْ كنَّا ثلاثَمائَةِ رَجُلٍ لَقَدْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا لَنَا.

قال فَبَيْنَما عَلَى ذَلِكَ إذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ مِن قُرَيْشٍ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَبرَةٌ وَقَمِيصٌ مُوَشَّى حَتَّى وَقَفَ عَليهِم، فقال مَا شَأْنُكُم فقالوا صَبَأَ عُمُرُ، قَالَ فَمَهْ، رَجُلٌ اخْتَارَ لِنَفسِهِ أَمْراً، فَمَاذا تُرِيْدُوْنَ أَتَروْنَ بَنِي عَدِي يُسْلِمُونَ لكُم صَاحِبَهُم هكذا، خَلُوا عن الرَّجُلِ.

قال فوَاللهِ لكانَّمَا كَانُوا ثَوْباً كُشِطَ - أَيْ كُشِفَ عنه، قال فَقُلْتُ لابي - بَعْدَ أَنْ هَاجَرُوا إلى المدينةِ، يَاأَبتِ مَن الرُّجُلُ الذي زَجَرَ القومَ عَنكَ بمَكَّةَ يومَ أَسْلَمْتَ وهمُ يُقاتِلُونَكَ، قال وذَاكَ أَيْ بُنَيَ العَاصُ بنُ وَائِلِ السَّهْمِي وهَذا إسِنادُهُ جَيدٌ قَوِيٌ.

أَخْرَج ابنُ سَعْيدٍ عن محمدِ بن إبراهيمَ التَّيْمِي، قال لَمَّا أَسْلَمَ عُثمانُ بن عَفانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَخذَهُ عَمُّهُ الحكمُ بنُ أبي العاصِ بنُ أَمَّيَة فأَوثَقَهُ رِبَاطاً، قال أَتَرْغَبُ عن مِلَّةِ آبائِكَ إلى دِيْنٍ مُحْدَثٍ، واللهِ لا أحُلُّكَ أَبَداً وَلا أُفَارِقُهُ، فَلَمَّا رَآى الحَكَمُ صَلَابَتَهُ في دِيْنِهِ تَرَكهُ.

وأخرج البُخاري في التاريخ عن مَسْعُودِ بنِ خِرَاشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال بَيْنَما نَحْنُ بَيْنَ الصَّفَا والمروةِ إذَا أُناسٌ كَثِيْرٌ يَتْبَعُونَ شَاباً مُوْثقاً بِيَدِهِ في عُنُقِهِ، قُلْتُ مَا شَأْنُهُ قالوا هذا طَلَحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - صَبَأَ وَامْرَأَةٌ وَرَاءَهُ تُدَمْدِمُ وتَسُبُّهُ قُلْتُ مَن هَذِهِ قالوا الصِّمَّةُ بِنْتُ الحَضْرَمِي أُمُّهُ.

وأخرج الحاكِم في المستدرك عن إبراهيمَ بنِ محمدٍ بن طلحةَ قال: قال لِيْ طَلحةُ بنُ عُبيدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَضَرْتُ سُوقَ بُصْرَي فإذا رَاهِبٌ في صَوْمَعَتِهِ يَقولُ سَلُوا أَهْلَ هَذا المَوْسِمِ أَفِيهِمْ وَاحِدٌ مِن أَهْلِ الحَرَمِ.

قال طلحةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نَعَمْ أَنَا فَقَال هَلْ ظَهَر أَحْمَدُ بَعْدُ قال قُلْتُ ومَن

أَحَمْدُ قال ابنُ عَبدِ اللهِ بنُ عبدِالمُطَّلِب هَذا شَهْرُهُ الذي يَخْرُجُ فيه وهُو آخِرُ الأَنْبياءِ مَخْرَجُهُ مِن الحَرَمِ، ومُهَاجَرُهُ إلى نَخْلٍ وحَرَّةٍ وَسِبَاخٍ، فإِيَّاكَ أَنْ تُسْبَقَ إليه.

قال طلحةُ فَوَقَع في قَلْبِي مَا قَالَ، فَخَرَجْتُ سَرِيْعاً حَتّى قَدِمْتُ مَكَّةَ فَقُلْتُ هَلْ كَانَ مِن حَدَثٍ قالُوا نَعَمْ، مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الله ﷺ الأمِينُ تَنبَأَ، وقَدْ تَبعَهُ بنُ أبي قُحَافَةَ قال فَخَرجْتُ حَتّى دَخَلْتُ عَلَى أَبي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقُلْتُ اتَّبَعْتَ هَذَا الرَّجُل قال نَعَمْ فانطَلِقْ فأَدْخُلْ عَليهِ فاتَّبعْهُ فإنَّهُ يَدْعُو إلى الحَقِّ فأَخْبَرَهُ طَلْحَةُ بِمَا قَال الرَّاهِبُ فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ بِطَلْحَةَ فَدَخَلَ بِهِ على رَسُولِ الله ﷺ فأَسْلَمَ طَلْحَةُ وأَخْبَر رَسُول الله ﷺ بِمَا قَالَ الرَّاهِبُ فَسُرَّ رسولُ الله ﷺ، فَلَمَّا أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ وطَلْحَةُ أَخَذَهُمَا نَوْفَلُ بنُ خُوَيْلِدِ بنِ العَدَوِّيةِ، فَشَدَّهُمَا في حَبْلٍ وَاحِدٍ ولم يَمْنَعْهُمَا بَنُو تَمِيْمٍ وكان نَوْفَلُ بنُ خُويلدٍ يُدْعَى «أَسَدَ قُرَيشٍ» فَلِذَلِكَ سُمِيَ أَبُو بَكْرٍ وَطَلْحَةُ القَرِيْنَيْنِ فَذَكَرَ الحديثَ وأَخرجه البيهقي وفي حديثه، وقال النبي ﷺ اللَّهُمَّ اكْفِنَا شَرَّ بنِ العَدَوِيَّةِ.

وأَخْرَجَ أَبُو نُعَيمٍ في الحِليةِ عن أبي الأَسودِ قال أسلم الزُبَيْرُ بنُ العَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو ابنُ ثمانِ سِنينِ، وهاجَرَ وهو ابنُ ثمانِ عشرَةَ سَنَةً وكانَ عَمُّ الزُبَيْرِ يُعَلِقُ الزُبَيْرَ في حَصيْرٍ ويُدَخِّنُ عَليهِ بالنارِ وهو يَقُولُ ارْجِعْ إلى الكُفْرَ فيقولُ الزُبيْرِ لا أَكْفُرُ أَبَدَا.

وأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ أَيْضاً عن حَفْصِ بنِ خَالِد قالَ حدثني شيخٌ قَدِمَ علينَا مِن الموصِلِ قال صَحِبْتُ الزُبَيْرَ بنَ العَوامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في بَعْضِ أَسْفارِهِ فأَصَابتْهُ جَنَابَةٌ بأَرْضٍ قَفْرٍ فقالَ استُرْنِي فسَتَرْتُهُ فحانَتْ مِني التِفاتَةٌ فَرَأَيْتُهُ مُجَدَّعاً بالسُيُوفِ قُلْتُ واللهِ لَقَدْ رَأَيتُ بِكَ آثاراً ما رَأيتُهَا بأَحَدٍ قَطُ.

قَالَ وقَدْ رَأَيْتَ ذَلِكَ قُلْتُ نَعَمْ قال أَما واللهِ مَا مِنها جِرَاحَةٌ إلا مَعَ رَسولِ

اللهِ ﷺ وفي سبيلِ اللهِ، وعِندَ أبي نَعَيْمٍ عن على بن زيْدٍ قال أَخْبَرَنِي مَن رَأى الزُبَيْرَ وإِنَّ في صَدْرَهُ لأَمْثَالُ العُيُونِ مِن الطَّعْنِ والرَّمْي.

أَخْرَجَ الإمامُ أَحْمَدُ وابنُ ماجَةَ عن ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال أولُ مَن أَظْهَرَ الإسلامَ سَبْعَةٌ رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بَكْرٍ وعَمَّارٌ وأُمُّهُ سُمَيَّةُ وصُهَيْبٌ وبِلاَلٌ والمِقْدَادُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

فأما رسولُ اللهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللهُ بَعمِّه، وأما أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُ بقَومِهِ، وأَما سَائِرُهُمُ فأَخَذَهُم المشرِكُونَ فَأَلْبَسَوهُمْ أَدْرُعَ الحديدِ وصَهَرُوْهُمْ في الشَّمسِ فَمَا مِنْهُمْ أَحدٌ إِلَّا وَقَدْ أَتَاهُمْ على مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلالْ فإِنهُ هَانَتْ عليهِ نَفسُهُ في اللهِ، وهَانَ على قومِهِ فأَخَذُوهُ فَأَعْطَوهُ الوِلْدَان فَجَعلوا يَطُوفُونَ بِهِ في شِعَابِ مَكة وهو يَقُول أَحَدٌ أَحَدٌ.

وأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمُ في الْحِلْيَةَ عَنْ هِشَامُ بنُ عُرْوَةَ عَنْ أبيهِ قَالْ كَانَ وَرَقَةُ بنُ نَوفَلَ يَمُرُّ بِبِلَالٍ وَهَو يُعَذَّبُ وَهْوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ فَيَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ، اللهُ يَا بِلالُ ثُمَّ يُقْبِلُ وَرَقَة بنُ نَوْفَلٍ عَلى أُمَيّةَ ابنْ خَلَفٍ وَهْوَ يَصنَعُ ذَلِكَ بِبَلال فيقولُ أَحْلِفُ باللهِ عَزَّ وَجلَّ لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ على هذِهِ لاتَّخِذَنَّهُ حَنَاناً.

حَتَّى مَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِيقِ يَوْماً وَهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ فَقالْ لِأُمَيَّة ألا تَتَقِي اللهَ في هَذا الْمَسكِينَ حَتَّى مَتَى قالَ أَنْتَ أَفْسَدْتَهُ فأنْقِذْهُ مِمَّا تَرَى فَقَالَ أبو بَكْرٍ أَفْعَلْ عِنْدِي غُلَامٌ أسود أَجْلَدُ مِنْهُ وأقوَىَ عَلى دِينِكَ أُعْطِيْكَهُ بِهِ قالَ قَدْ قَبِلْتُ قَال هُو لَكَ فأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ غُلَامَهُ ذَلِكَ وأَخَذَ بِلَالًا فأَعْتَقَهْ.

ثُمَّ أَعْتَقَ مَعَهُ على الإِسْلَام قَبْلِ أن يُهَاجِرَ مِنْ مَّكَةَ سِتَ رَقابْ بِلَالٌ سَابِعُهُم. وَذَكَر أَبُو نُعَيْمِ في الحِلْيَةِ عَنْ ابنِ اسْحَاقٍ كَانَ أُمَيَّةُ يُخْرِجُهُ إِذَا حمِيَتِ الشَّمْسُ فيطْرَحُهُ على ظَهْرِهِ في بَطْحَاءِ مَكَّةَ ثُمَّ يَأْمُرُ بالصَّخْرَةِ العظِيمَةِ فَتوضَعُ عَلى صَدْرِهِ ثُمَّ يَقُولُ لاتَزَالُ هَكَذا حَتَّى تَمُوتَ أو تَكْفُرَ بِمُحَمّدٍ وتَعْبُدَ اللاَّتَ والعُزَّى.

وَهُوَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ الْبَلاء أَحَدٌ أَحَدٌ قالَ عَمَّارُ بنُ يَاسِرَ وهُوَ يَذْكُرُ بِلالًا وأصْحَابَه وَمَا كانُوا فيهِ مِن البلاءِ واعْتَاقِ أبا بَكْرٍ إِيَّاهُ وكانَ اسمُ أَبِي بَكْرٍ عَتِيْقاً رَضِيَ اللهُ عَنْه.

جَزَى اللهُ خَيْراً عَنْ بِلَالٍ وصَحبهِ ... عَتِيْقاً وأَخْزَى فَاكِهاً وأَبَا جَهْلِ
عَشِيَّــةَ هَمَّـــا فِي بِلالٍ بسَوءةٍ ... ولم يَحذَرا ما يَحْذرُ المرءُ ذُو عَقْلِ
بَتَوْحِيــدِهِ رَبَّ الأنَــامِ وَقَوْلِــهِ ... وَلَمْ يَحْذَرَا مَا يَحْذُر المرءُ ذُو عَقْلِ
فَإِنّ يَقْتُلونِـي يَقتُلونِـي فَلَـمْ أَكُـنْ ... لِأُشْرِكَ بالرَّحْمَن مِنْ خِيْفَةِ القَتْـلِ
فَيَـارَبَّ إِبْراهِيــمَ والعَبْــدِ يُونُسٍ ... ومُوسَى وعِيْسى نَجِّنِي ثُمَّ لَا تُبْلِ
لِمَنْ ظَلَّ يَهْوَى الغَيَّ مِنْ آلِ غَالبٍ ... على ضرٍ برِكانَ مِنْــهُ وَلَا عَدْلِ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا واجْعَلِ الْأَيْمَانَ لَنَا سِراجاً ولا تَجْعَلَه لَنَا اسْتِدْرَاجاً واجْعَلْهُ لَنَا سُلَّمَا إِلَى جَنَّتِكْ ولا تَجعلهُ لَنَا مَكْراً مِنْ مَشيئَتِكْ إِنَّكَ أَنْتَ الحَلِيْمُ الغَفُور، اللَّهُمَّ أَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ الأَبْرَارْ، وَآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفِي الاخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارْ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: أَخْرَجَ الطَّبَرانِي والْحَاكِم والبيهقي وابنُ عَسَاكِرُ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِعَمَّارٍ وَأَهلِهِ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فَقَالَ: أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ وَآلَ يَاسِر فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الجَنَّةِ، قال الْهَيْثَمِي رجالُ الطَّبَرانِي رِجالُ الصَّحيح غَيْرَ إبراهيم بن عبدالعزز المقوم وَهُوَ ثِقَة.

وأَخْرَجَ أَبُو أَحْمَدُ الحاكِمُ عَنْ عَبْدِاللهِ بنُ جعفرِ رَضِي اللهُ عَنْهُمَا قالَ: مَرَّ رسُولُ اللهِ ﷺ بِيَاسِرٍ وَعَمَّارٍ وأُمِّ عَمَّارٍ وَهُمْ يُؤْذَوْنَ في اللهِ تَعَالى فَقالَ لَهُمْ: «صَبْرا آلَ يَاسِر صَبْراً آلَ ياسِرْ فإِنَّ مَوْعِدكُمُ الجنة» رواهُ ابنُ الكَلْبِي عَنْ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا نَحوهُ وَزَادَ وَعَبْدُاللهِ بنُ يَاسِرٍ وزادَ وَطَعَنَ أبو جَهْل سُمَيَّةَ في قَبلِهَا فَمَاتَتْ ومَاتَ ياسِر في العذابِ ورُمِي عبدُاللهِ فَسَقَط.

وَعِنْدَ أَحْمَد عَنْ مُجاهِدٌ قَالْ أَوَّلْ شَهِيْدٍ كَانَ في أَوَّلِ الإِسْلَامِ اسْتُشْهِد أُمُّ عَمَّارٍ سُمَيّةَ طَعَنَها أَبُو جَهْلٍ بِحَرْبَةٍ في قُبُلِهَا وَعَنْ عَمْرو بنِ مَيْمُونٍ قالْ: أَحْرَقَ المشْرِكُونَ عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ بالنَّارِ قَالْ فكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَمُرُّ بِهِ وَيُمِرُّ يَدَهُ عَلى رَأْسِهِ فَيَقُولْ: يانَارُ كُونِي بَرْداً وسَلَاماً على عَمَّار كَما كُنْتِ عَلى إبْرَاهِيم عليهِ السَّلام تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةْ. فَقَتَلَهُ أحدُ اللمُقَاتِلِيْنَ مَعَ مُعَاوِيَة.

شِعْرًا: وَلَا غُرْوَ بالأَشْرافِ إِنْ ظَفِرتْ بِهِم ... كِلَابُ الأَعَادِي مِن فَصِيْحٍ وَأَعْجَمِي

فَحَرْبَةُ وَحْشِي سَقَتْ حَمْزَةَ الرَّدَى ... وَمَوْتُ عَلّي مِنْ حُسَامِ ابْنِ مُلجِمِ

وَعِنْدَ الْحَاكِمُ في الْكُنَى وابنِ عَسَاكِرٍ عَنْ عُثْمانَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالْ بَيْنَما أَنَا أَمْشِي مَعَ رَسَولِ الله ﷺ بالبَطْحَاءِ إِذْ بِعَمَّارٍ وأَبيهِ وأُمِّهِ يُعَذِّبُونَ في الشَّمْسِ لِيَرْتَدُوا عَنِ الإِسْلَامَ، فَقَالَ أَبُو عَمَّارٍ يارَسُولَ اللهِ الدَّهْرُ هَكَذا، فقالَ: «صَبْراً يا آلَ يَاسِرْ، اللَّهُمَّ اغْفِر لآلِ يَاسِرٍ وَقَدْ فَعَلْتَ».

وأَخْرَجَ أبو نُعَيمٍ في الْحِلْيَةِ ج (١) ص (١٤٠) عَنْ أَبي عُبَيْدَةَ بن مُحَمّدٍ بن عَمّارٍ قال أَخَذَ المشْرِكُونَ عَمّاراً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ رَسولَ اللهِ ﷺ، وَذكَرَ آلِهَتَهُم بِخَيْرٍ، فَلمَّا أَتَى رسولَ الله ﷺ قالَ مَا وَرَاءَكَ قَالَ شَرٌّ يارَسُولَ اللهِ ما تُرِكْتَ حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ، وذَكَرْتُ آلِهَتَهمُ بِخَيْرٍ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: فَكَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ، قَالَ أجِدُ قَلْبِي مُطْمَئِنٌ بالإِيمانِ، قالَ: فإِنْ عَادُوا فَعُدْ، وأَخْرجَ ابنُ سَعْدٍ عن أَبي عُبَيْدَة نَحْوَهْ.

أَخْرَجَ ابنُ سَعْدٍ عَنْ الشَّعْبِي قَالْ دَخل خَبَّابُ بنُ الآرَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على عُمَرُ بنُ الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فأجْلَسَه على مُتَّكَئِهِ فَقَالْ: مَا عَلى الأَرْضِ أَحَدٌ أَحَقُّ بِهذَا المجْلِس مِنْ هَذَا إِلَّا رَجُلٍ وَاحِدٍ قالَ لَهُ خَبَّابُ مَنْ هُو ياأَميرَ المؤمنينَ، قالْ: بِلالٌ. فَقَالَ خَبَّابٌ ما هُو أَحَقُّ مِنِّي إنَّ بِلالًا كانَ لَهُ في المشْرِكِينَ مَنْ يَمْنَعُه اللهُ بِهْ، ولمَ يكُنْ لِي أَحَدٌ يَمْنَعُنِي فَلَقَدْ رَأَيْتني يَوْماً أَخَذُوْنِي فأَوْقَدُوا لِيْ ناراً، ثُمَّ سَلَقَوْنِي فِيْهَا ثُمَّ وَضَع رَجُلٌ رِجلَهُ على صَدْرِي

فَمَا اتَّقَيْتُ الأرضَ أوْ قَالَ بَرْدَ الأَرْضِ إلا بِظَهْرِي، ثُمَّ كَشَفَ عن ظهْرِه فإذا هُو قَدْ بَرِصِ، أيْ مِنْ أثرِ التَّعذِيبِ بالنَّارْ.

وأَخْرجَ أحْمَدُ عن خبَّاب رَضْي اللهُ عَنْهُ قَالْ كُنْتُ رَجُلًا قَيْناً وكَانَ لِي على العاص بْنُ وائِلِ دَيْنٌ فَأَتَيْته أتَقَاضَاهُ فَقالْ لا وَاللهِ لا أَقْضِينكَ حَتَّى تَكْفُرَ بمُحمَدٍ ﷺ فَقُلْتُ لَا واللهِ لا أكْفُرُ بمحمدِ ﷺ حَتَّى تَمُوتُ ثُمَّ تُبْعَثُ قال فإنِّي إذَا مِتُّ ثُمَّ جِئتَنِي وَلِي ثَمَّ مَالٌ وَوَلَدٌ فأُعْطِيْكْ.

فأنْزَلَ الله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الذي كَفَر بآياتِنا﴾ وقال: ﴿لا أوتَيَنَّ مالًا وولدًا﴾ إلى قوله: ﴿ويأتينا فَرْدا﴾، وَعِنْدَ أبِي نُعَيْمٍ في الْحِلْيَة عَنْ الشَّعْبِي قالَ سَأَلَ عُمَر رَضْيَ اللهُ عنهُ بلالاً عَمَّا لَقِي مِن الْمُشْرِكِيْنَ فقالَ خَبَّابُ ياأميرَ المؤمنينَ انْظِرْ إلى ظَهْرِي فَقَالَ عُمَرُ ما رأيت كاليومِ قالَ أوْقَدُوا لِي ناراً فَما أطْفَاءَها إلَّا وَدَكُ ظَهْرِي.

شِعْرَا: إنَّ الشَّدَائِدَ قَدْ تَغْشَى الكَرِيْمَ لِأَنْ ... تُبِيْنُ فَضْلَ سَجَيَاهُ وتُوْضِحُهُ
كَمُبْرَدِ القَيْنِ إذْ يَعْلُوْ الحَدِيْدَ بِهِ ... وَلَيْسَ يَأْكُلُهُ إلَّا لِيُصْلِحَهُ

قالَ عِيْسى بنُ مَريمَ عليهِ السَّلام أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُم مُجَالَسَةً قَالَوا بلى يارُوح اللهْ قال مَن تُذَكِّرُكُمْ بالله رُؤيَتُهَ وَيَزِيْدُكُمْ في عَمَلِكم مَنْطِقُه ويُشَوِّقُكُمْ إلى الجَنَّةِ عَمَله، وقالَ عِيْسَى عليهِ السلامُ لِلْحَوارِّيينَ وَيْلَكُمْ، ياعَبيدَ الدُّنْيا كَيْفَ تُخَالِفُ فُرُوعكُمْ أصُولَكُمْ وَأَهْوَاؤُكُمْ عُقُولَكُمْ قَوْلُكُمْ شِفَاءٌ يُبْرِؤُ الدَّاءَ وَفِعْلِكُمْ دَاءٌ لا يَقْبَلُ الدّوَاءَ لَسْتُمْ كَالْكَرْمَةِ الَّتِي حَسُنَ وَرَقُها وطَابَ ثَمَرُهَا وسَهُلَ مُرْتَقَاهَا ولكِنّكُمْ كالسّمُرَةَ الَّتِي قَلَّ وَرَقُها وكَثُرَ شَوْكُها وَصَعُبَ مُرْتَقاهَا.

وَيْلَكُمْ ياعَبِيدَ الدُّنْيَا جَعلْتُم الْعَمَلَ تَحْتَ أقْدَامِكُمْ مَنْ شَاءَ أَخَذَهُ وجَعَلْتُمُ الدُّنْيَا فَوْقَ رُؤُسِكُمْ لا يُمْكِنُ تَنَاوُلِها فَلَا أَنْتُم عبيْدٌ نُصَحَا ولا أحْرَارٌ كِرامٌ ويْلَكُمْ ياأَجَرَاءَ السوءِ الأجْرُ تَأْخُذون والْعَمَلَ تُفْسِدُونَ سَوْفَ تَلْقَوْنَ مَا

تَحْذُرُونَ إذَا نَظَر رَبُّ الْعَمَلِ في عَمَلِه الذي أفْسَدتُمْ وأَجْرُهَ الذي أَخَذْتُمْ.

وقَالَ عليهِ السَّلامُ إتَّخِذَوا المساجِدَ بُيوتاً والْبُيُوتَ مَنازِلَ وَكُلُوا بَقْلَ الْبَرِّيَّةِ واشْرَبُوا الماءَ الْقُرَاحَ وانْجُوا مِنَ الدُّنْيَا سَالِمين وقالَ عليهِ السَّلامُ لِلْحَوارِيِّينَ لَا تَنْظُروا في أعْمَالِ النَّاسِ كأَنَّكُمْ أرْبَابٌ وانْظُروا في أعْمَالِكمُ كأَنَّكُمْ عَبيْدٌ فإنَّمَا النَّاسُ رَجُلانِ مُبْتَلِيٌّ وَمَعَافِي فارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلا واحْمَدُوا اللهَ على الْعَافِيَة، وقَالْ: عَجَباً لكُمْ تَعْمَلُونَ لِلدُّنْيَا وأَنْتُم تَرْزَقونَ فِيْهَا بِلا عَمَلٍ ولَا تَعْمُلونَ للآخِرَةِ وأَنْتُم لا تُرْزَقُونَ فِيها بِلا عَمَلْ.

اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا مَنْ جَمِيع الآفاتْ وعَافِنَا مَنْ أسْبَابِ المِحَنِ والْبَلِيَّاتْ ووفِقْنَا لِلْعَمَل بالبَاقِياتِ الصَّالِحاتْ وارْفَعْ لَنَا في مَرْضَاتِكَ الدَّرَجَاتْ وَمتِّعْنَا بالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الكَرِيمِ في فَسِيْحِ الجَنَّاتْ وَاغْفِرْ لَنَا ولِوَالِديْنَا وجَمِيع المُسْلِمِيْنَ، اللَّهُمَّ يا مَنْ لا تَضُرُّهُ المَعْصِيةُ ولا تَنْفعُهُ الطاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَومِ الغَفْلَةِ وَنَبِّهْنَا لِاغْتِنَامِ أَوْقاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصالِحِنَا واعْصِمْنَا مِن قَبَائِحِنَا وَلا تُؤآخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمائِرُنَا وأَكَنَّتْهُ سَرائِرنَا مِنْ أنواعِت القَبَائِح والمعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا مِنَّا، وامْنُنْ عَلَيْنَا يا مَولانا بِتَوبةٍ تَمحُو بِهَا عَنا كُلَ ذَنْبٍ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْع المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

فَصْلٌ: أَخْرَجَ الْبُخَارِي عَنِ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا قالْ لَمَّا بَلَغ أبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ رسولِ اللهِ ﷺ قال لِأَخِيهِ ارْكَبْ إِلَىَ هَذَا الوَادِي فأَعْلَمْ عِلْمَ هذا الرَّجُل الذي يَزْعُمُ أنّه نَبيٌّ يَأْتِيهِ الخَبَرُ مِنَ السّماءِ واسْمع قَوْلَهُ ثُمَّ إئْتِنِي، فانْطَلَق الأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ وسَمِعَ من قَوْلِهِ، ثُمَّ رجع إلى أبي ذَرّ فقالَ لَهُ رَأَيْتُهُ، يأْمُرُ بِمَكارِمِ الأخلاقِ وكَلاماً ما هو بالشعرِ فقالَ شَفَيْتنِي مِمَّا أَرَدْتْ.

فَتَزَوَّدَ حِمْل شَنَّةٍ فيْهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةً فأتَى المَسْجِدِ فالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ ولا يَعْرِفُهْ وَكِرِهَ أنّ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيل اضْطَجَع فَرآهُ علي

رضي اللهُ عَنْهُ فَعَرف أنّهُ غَرِيْبُ فَلمَّا رَآهُ تَبِعَهُ فَلمْ يَسْأَلْ واحِدٌ مِنْهُمَا صَاحبَهُ عنْ شَيْءٍ حَتَّى أصْبَحْ.

ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وزَادَهُ إلى المَسْجِدِ وَظَلَّ ذَلِكَ اليومُ وَلَا يَراهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أمسيَ، فَعادَ إلى مَضْجَعِهْ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيْ فقَالْ أمَا آنَ لِلرّجُلِ أنْ يعْلَمَ مَنْزِلَهْ، فأقَامَهْ، فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ، لا يَسْأَلُ واحدُ مِنْهُمَا صَاحِبَه عَن شَيْءٍ، حَتَّى إذا كَانَ يومُ الثالثْ، فَعادَ عَليٌّ ذَلِكَ فأقَامَ مَعْهُ.

ثُمَّ قالَ ألَا تُحَدِّثْنِي ما الذي أقدَمَكْ قَالْ إنْ أعْطيْتَنِي عَهْداً وَمِيثاقاً لَتُرْشِدَنِي فَعَلْتُ فَفَعَلَ، فأخبَرَهُ قال فإنَّه حقٌ وهُوَ رَسُولِ الله ﷺ فَإذَا أصْبَحْتَ فاتّبَعْني فَإنّي إنْ رَأَيْتُ شَيْئاً أخافُ عليكَ قُمْتُ كأنّي أُرِيقُ الماءَ فإنْ مَضَيْتُ فاتَّبِعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي فَفَعَلْ، فانْطَلَقَ يَقْفُوهُ، حَتَّى دَخَلَ على النبي ﷺ وَدَخَلَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ قوْلِهِ وأسْلَمَ مَكانَهُ فقال لَهُ النبيُ ﷺ إرْجعْ إلى قومِكْ فأخبِرْهُمْ حَتَّى يَأتِيَكَ أمْرِي.

قَال والذي نَفْسِي بيدِهِ لَأصْرَخَنَّ بها بَيْنَ ظهُرانيْهم، فَخَرَجَ حَتَّى أتَى المسجَد فنادَى بأعْلَى صَوْتِه: أشْهَدُ أنَّ لا إلَهَ إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله، ثُمَّ قَامَ القومُ فَضَرَبُوه حَتَّى أضْجَعُوهْ، وأتَى العَبَّاسَ فأكَبَّ عليهِ فقال: وَيْلَكُم ألَسْتُم تَعْلَمونَ أنَّهُ مِنْ غِفَار وأنَّ طَرِيقَ تِجَارَتِكُم إلَى الشَّام فأنْقَذَهُ مِنْهُم.

ثُمَّ عادَ مِن الغد بِمْثِلِهَا، فَضَرَبُوهُ وثَارُوْا إلَيْهِ فأكَبَّ العَبَّاسُ عليه وعِنْدَ البُخاري أيْضَا مِن حديثِ ابْنِ عَبَّاس رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا فقالَ يَامَعْشَر قُرَيْشٍ، إنّي أشْهَد أنْ لَا إله إلَّا اللهُ وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه ورسُولُه فقالوا قُومُوا إلى هَذَا الصَّابِيءِ فَقامُوا فَضُرِبْتُ لِأمُوتَ.

فَأدْرَكَنِي العَبّاسُ فأكَبَّ عَليّ ثُمَّ أقْبَل عليهِمْ فَقَالَ وَيْلَكُمْ تَقْتُلونَ رَجُلًا مِنْ غِفَار ومَتْجَرُكم ومَمَرُّكمُ على غِفَار فَأقْلَعُوا عَنّي.

فَلُمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الْغَدَ رَجَعْتُ فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قلْتُ بالأَمْسَ، فَقَالُوا قُومُوا إلى هَذَا الصَّابِىء فصنُع بِيَ مِثْلَ ما صنُع بالأَمْسِ فَأَدْرَكَنِي العَبَّاسُ فأكَبَّ عَلَيَّ وقالَ مِثلَ مَقَالِتَهُ بالأَمْسِ.

شِعْرَا: طَالِعْ تَواريخَ مَن فَي الدهرِ قَدْ وُجِدُوا ... تَجِدْ خُطُوْباً تُسَلِّيْ عَنْكَ مَا تَجِدُ

تجِدْ أَكَابِرَهُمْ قَدْ جُرِّعُوا غُصَصًا ... مِنَ الرَّزَايا بِهَا قَدْ فُتِّتَتْ كُبُدُ

عَزْلٌ ونَهْبٌ وضَرْبٌ بالسِّياط يَلِيْ ... حَبْسٌ وَقَتْلٌ وَتَشْرِيْدٌ لِمَنْ زَهِدُوْا

وإنْ وُقِيْتَ بحَمْدِ اللهِ شِرَّتَهُمْ ... فَلْتَحْمَدِ اللهَ في العُقْبَى كَمَنْ حَمِدُوْا

آخر: ولا يَلْبَثُ الجُهَّالُ أَنْ يَتهَظَّمُوْا ... أَخَا الدِّيْنَ مَا لَمْ يَسْتَعِنْ بِسَفِيْهِ

آخر: ومَنْ يَحْلَمْ وَلَيْسَ لَهُ سَفِيهٌ ... يُلَاقِيْ المُعْضِلَاتِ مِنَ النُذُوْلِ

آخر: مَا إنْ نَفَى عَنْكَ قَوْماً قُرْبُهُمْ ضَرَرٌ ... كَمِثْلِ قَمْعِكَ جُهَّالاً بجُهَّالِ

آخر: تَعْدُ الذِّئَاب عَلَى مَنْ لا كِلابَ لَهُ ... وَتَتَّقِيْ مَرْبَضَ المُسْتَأْسِدِ الْحَامِي

وفي الحديثِ الذي أخرَجَهُ مُسْلِمَ يقولَ أَبُوْ ذرَ فرَمَانِي الناسَ حَتَّى كَأَنِّي نُصَبُ أَحْمَر فاخْتبَأْتُ بَيْنَ الكَعْبةِ واسْتَارِهَا ولَبَثْتُ فيها خَمْسَ عَشْرَةَ مِن يَوْمٍ ولَيْلَةٍ ما لِيْ طَعامٌ ولا شرابٌ إلَّا مَاءُ زَمْزَمَ.

قالَ وَلَقَيْنَا رسَولُ الله ﷺ، وأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقَدْ دَخَلا المَسْجِدَ فَواللهِ أَنِّي لَأَوَّلُ النّاسَ حَيَّاهُ بتَحِيَّةِ الإِسْلامِ فَقُلْتَ السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ الله فَقَال وَعَلَيْكَ السَلامُ ورَحْمَةُ اللهِ، مَنْ أَنْتَ فَقُلْتُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَار فَقالْ صَاحِبُه ائْذَنْ لِي يارَسُولَ اللهِ في ضِيَافةِ الليلةِ، فانْطَلَق بِي إِلَى دَارٍ فِي أَسْفلِ مَكَّةَ فَقَبَضِ لِي قَبْضَاتٍ مِنْ زَبِيْبْ، قَالْ فَقَدِمْتُ عَلى أخِي فَأَخْبَرْتَهُ أَنِّي أَسْلَمْتُ قال فإِنِّي على دِيْنِكْ، فانْطَلَقْنَا إِلَى أُمِّنَا فَقَالَتْ إِنِّيْ عَلى دِيْنِكُمَا، قَالْ وَأَتَيْتُ قَوْمِي فَدَعوتُهم فَتَبِعَنِي بَعْضُهُمْ.

وأَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِي وَأَبُو نُعْيم في الْحِلْيةِ مِنْ طَرِيقِ ابنِ عَبَّاس رَضْي اللهُ عَنْهُمَا عن أَبِي ذَرٍ رَضْي اللهُ عَنْهُ قالْ أَقَمْتُ مَعَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَكَّةَ فَعَلَّمَني

الإسْلامَ وقَرأْتُ مِنَ القُرآنِ شَيْئاً فَقُلْتُ يارسولَ اللهِ إنِّي أُرِيدُ أنْ أُظْهِرَ دِيْنِي فَقَالَ رسولُ الله ﷺ إنِّي أخافُ عليك أَنْ تُقْتَل قُلْتُ لابَدَّ منه وان قُتِلْتُ قال فَسَكَتَ عني فَجِئتُ وقُرَيشٌ حِلقاً يَتَحَّدثُونَ في المسجدِ فَقُلْتُ: أشْهدُ أن لا إِلٰهَ إلَّا اللهُ وأن محمداً رسولُ الله.

فانْتَفَضَتِ الْحِلَقُ فَقَامُوا فضَرِبوني حَتّى تَرَكُونِي كَأَنِّي نُصُبٌ أحْمَرْ، وكانُوا يَروْنَ أَنَّهم قَدْ قَتَلُونِي، فأَفَقْتُ فَجِئت إلى رسولِ الله ﷺ، فرَأى ما بِي مِنَ الحالْ، فقالَ أَلَمْ أنْهَكْ، فَقُلْتُ يارسولَ الله كانَتْ حَاجَة في نَفْسِي فَقَضَيْتُها، فأَقَمْتُ مَعَ رسولَ الله ﷺ، فقالَ الْحَق بِقَوْمِكَ فإذا بَلَغَكَ ظُهُوري فأْتِني.

وعَنْ أبي ذرٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَال أَتَيْتُ مَكَّةَ فَمَالَ عَليَّ أَهْلُ الوادي بكُلِ مَدَرَةٍ، وعَظْمٍ فَخَرَرْتُ مَغْشياً عَليَّ، فارْتَفَعْتُ حِيْنَ ارْتَفَعْتُ كأَنِّي نُصُبٌ أَحْمَرٌ.

شِعْرا: تَسْطُوا الكِلَابُ عَلىَ أُسْدِ الشرَّا سَفَهاً والبازُ الأشْهَبُ يَخْشى صَوْلَةَ الحَجَلِ
والقِرْدُ يَضْحَكُ مِن نِمْرٍ عَلَى هُزُءٍ والكَلْبُ يُوْعِدُ لَيْثَ الغِيْلِ بالغِيَل

آخر: وَإِنِّي لأَستَبْقي إمْرَأً السُوْء عَدَّةً لِعَدْوَةِ عرّيْضٍ مِن القَومِ جَانبِ
أَخافُ كِلَابَ الأَبْعَدِيْنَ وَهَرْشَهَا إذَا لَمْ تُهَارِشْهَا كِلَابُ الأَقَارِبِ

«**موعظة**»: عِبَادَ اللهِ تَزَوَّدُوا لِلرَّحِيْلِ، فَقَدْ دَنَتْ الآجَالُ واجْتَهِدُوا واسْتَعِدّوا لِلرَّحِيْل فَقَدْ قَرُبَ الارْتِحَالُ وَمَهّدُوا لأَنْفُسِكُمْ صَالِحَ الأَعْمَالِ، فإن الدُّنيا قد آذَنَتْ بالفِرَاقِ وإنّ الآخِرَةِ قَدْ أَشْرَفَتْ لِلتَّلَاقِ فَتَزَوّدُوا مَنَ دَارِ الانْتِقَالُ إلى دَارِ القَرَار.

واسْتَشْعِرُوا التَّقْوَى في الأَقْوالِ والأَفْعَالِ وأحْذَرُوا التَّفَاخُرَ والتكَاثُرَ في الدُّنْيَا بِجَمْعِ الحُطَامِ واكْتِسَابِ الآثَامِ وإِيَّاكُمْ والاغْتِرارَ بالآمَالِ فَورَاءَكُمْ المَقَابِرُ ذَاتُ الوَحْشَةِ والهُمُوْمُ والغُمُومِ والكُرُبَاتُ وتَضَايِقُ الأَنْفَاسِ والأهوالِ المُفْضِعَاتِ.

فَسَوْفَ تَرَوْنَ مَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ في حِسَابٍ إذَا نُودِيْتُمْ مِنْ الأَجْدَاثِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً مُهْطِعْينَ إلى الدّاعي وتَعَلَّقُ المَظْلومُون بالظَّالِمْينَ ووَقَفْتُمَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ العالَمِينَ وَحَلَّ بِكُمْ كَرْب المقَامِ واشْتَدَّ بالْخَلْقِ في ذَلِكَ الموقِفُ الزِّحَامُ وأُخِذَ المجرِمُوْن بالنَّواصِي والاقْدامِ وبَرَزَتْ جهَنَّم تُقَادُ بِسَبْعِيْنَ أَلْفِ زِمَام مَعَ كُلِّ زمامٍ سَبْعُونَ ألفَ مَلَكٍ يَجُهرونَها والخَزَنةُ حَوْلَهَا غِلَاظٌ شِدَادٌ.

وَيُنَادِي عِنْدَ ذَلِكَ العزيزُ الحَمِيدُ الجَبَّارُ فَيَقُولُ هَلْ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَزِيد هُنَالِكَ يَنْخَلِعُ قَلْبُكَ وتَتَذَكَّرُ مَا فَرَّطْتَ فِيْهِ مِن الأَوْقَات وَتَنَدَّمْ ولاتَ سَاعةً مَنْدِمٍ وَتَتَمَنَّى أَنْ لَوْ زِيدَ في الحَسَنَاتِ وخُفِّفَ مِن السَّيئآتِ وَلَكِنْ أَنَّى لَكَ بِهَذَا وَهَيْهَاتَ ﴿هُنالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إلى اللهِ مَوْلَاهُمْ الحَقُ وَضَلَّ عَنْهم ما كانُوا يَفْتَرُون﴾.

اللَّهُمَّ وفِّقْنَا لِلاسْتِعْدَارِ لِمَا أَمَامَنَا، اللَّهُمَّ وَقَوِّي إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وبِرُسُلِكَ وباليومِ الآخر والقَدر خَيْرِهِ وشَرهِ، اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وِاشْرَحْ صُدُورَنَا وَوَفَقّنْا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ وأَلْهِمْنَا ذِكْركَ وشُكْرِكَ، اللَّهُمَّ وَفّقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمَالَ، ونَجِّنَا من جميعِ الأهْوَالِ، وأَمَنَّا مِنَ الفَزَعِ الأكْبَرِ يَوْمَ الزَحْفِ والزِلْزَالْ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: مَا أَصَابَ سَعِيْدَ بنَ زَيدٍ وَزَوْجَتَهُ فَاطِمَةَ أُخْتَ عُمَرَ أَخْرَجَ ابنُ سَعْدٍ عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ خَرَجَ عُمَرُ مُتَقَلِّداً السَّيْفَ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ من بَنِي زُهْرَةَ قال أَيْنَ تَعْمِدُ ياعُمَرُ فقالَ إِرِيْدُ أَنْ أَقْتُلَ مُحَمَّداً قالَ وكَيْفَ تَأْمَنُ مِن بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي زُهْرَةَ إذا قَتَلْتَ مُحَمَّداً قالَ فقال لَهُ عُمَرُ ما أراكَ إلا قَدْ صَبَأْتَ وَتَرَكْتَ دِيْنَكَ الذي كُنْتَ عليه فَقَالَ أفَلا أَدُلُكَ عَلَى مَا هُوَ أَعْجَبُ مِن ذَلِكَ قَالَ وَمَا هُو قَالَ أُخْتُكَ وَخَتَنُكَ قَدْ صَبَوا وتَرَكَا دِيْنَك الذي أَنْتَ عليه.

قال فَمَشِيَ عُمَرُ ذَامِراً حَتَّى أَتَاهُمَا وعِنْدَهُمَا رَجُلٌ مِن المُهَاجِرِيْنَ يُقَالُ خَبَّابُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال فَسَمِعَ خَبابُ حِسَّ عُمَرَ فَتوارَى فَدَخَلَ عَلَيْهِمَا فقال ما هَذِهِ الهَيْمَنَةُ التي سَمِعْتُهَا عِنْدَكُم قال وكانُوا يَقْرؤنَ (طَه) فَقَالا مَا عَدَا حَدِيْثاً تَحَدَّثْنَاهُ بَيْنَنا قَالَ فَلَعَلَّكُما قَدْ صَبَوتُمَا.

قال فقال لَهُ خَتَنُهُ أَرَأَيْتَ ياعُمَرُ إِنْ كَانَ الحَقُّ في غَيْرِ دِيْنِكَ فَوَثَبَ عُمَرُ على خَتَنِهِ فَوَطأَهُ وَطأً شَدِيْدَاً فَجَاءَتْ أُخْتُهُ فَدَفَعَتْهُ عن زَوْجِهَا فَنَفَحَهَا بِيَدِهِ– أَيْ لَطَمَهَا– فَدَمَّى وَجْهَهَا فَقَالَت وهي غَضْبَى يَاعُمَرُ إِنْ كَانَ الحَقُّ في غَيْرِ دِيْنِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ أَلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَن مُحَمَّدَاً رَسُولُ اللهِ.

فَلَمَّا يَئِسَ عُمَرُ قال أَعْطُونِي الكِتَابَ هَذَا الذي عِنْدَكُم فأَقْرَأُهُ قال وَكَانَ عُمَرُ يَقْرَأُ الكُتُبَ فقالَتْ أُخْتُهُ: إنك رِجْسٌ ولا يَمَسُّهُ إِلَّا المُطَهَّرُوْنَ فاغْتَسِلْ وَتَوَضَأْ قالَ فَقَامَ وَتَوَضَّأَ ثُمَّ أَخَذَ الكتابَ فَقَرأَ طَه حَتَّى انْتِهَى إلى قولِهِ: ﴿انَّنِي أنا اللهُ لا إلهَ إلا أَنا فاعْبُدْنِي وأَقِمِ الصلاةَ لِذِكْرِي﴾ قال فقال عُمَرُ دُلُونِي على مُحَمَّدٍ فَلَمَا سَمِعَ خَبابُ قَوْلَ عُمَرَ خَرَجَ مِن البَيْتِ فَقَالَ أَبْشِرْ يَاعُمَرُ فإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ دَعْوَةُ رَسولِ اللهِ ﷺ لَكَ لَيْلَة الخميسِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإسلامَ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَابِ أَوْ بِعُمَرَ بنِ هِشَامٍ قَالَ ورسولُ اللهِ ﷺ في الدارِ التي في أصْلِ الصَّفَا فانطَلَقَ عُمَرَ حَتَّى أَتَى الدارَ.

قال وعلى بابِ الدارِ حَمْزَةُ وَطَلْحَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وأُنَاسٌ مِن أَصْحَابِ رسولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَى حَمْزَةُ وَجَلَ القَوْمِ مِن عُمَرَ قال حَمْزَةُ: نَعَمْ فَهَذَا عُمَرُ فإِنْ يُرِدِ اللهُ بِعُمَرَ خَيراً يُسْلِمْ وَيَتْبَعْ النبيَّ ﷺ وَإِنْ يُرِدْ اللهُ غَيْرَ ذَلِكَ يكن قَتْلُهُ علينا هَينَا.

قال ورسول الله ﷺ دَاخِلٌ يُوحيَ إِلَيْهِ قال فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى أَتَى عُمَرُ فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثَوْبِهِ وَحَمَائِلِ السَّيْفِ وقال مَا أَنْتَ بِمُنْتَهٍ يَاعُمَرٌ حَتَّى

يُنزِلُ اللهُ بكَ مِن الخزْي والنُكالِ ما أُنْزَلَ بالوَليْدِ بن المُغيْرةِ اللّهُمَّ هَذا عُمَرُ بنُ الخطابِ اللّهُمَّ أَعزَّ الدِيْنَ بِعُمَرَ بنِ الخطابِ قال فقالَ عُمَرُ أَشْهَدُ أنكَ رَسُولُ اللهِ فأسْلَمَ وقالَ اخْرُجْ يارسولَ اللهِ.

أخرج أبُو نُعَيْمٍ في الحِلْيَةِ عن عُثْمَانَ قال لَمَّا رَأَى ابنُ مُظْعُونٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما فيهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِن البلاءِ وهُو يَغْدُوْ ويَرُوحُ في أَمَانٍ من الوَليدِ بنِ المغيرةِ، قال واللهِ إنَّ غُدُوِّي وَرَوَاحِي آمِناً بِجِوَارِ رَجُلٍ مِن أهْلِ الشِرْكِ وأَصْحَابِي وأَهْلُ دِيْنِي يَلْقَوْنَ مِن الأَذَى والبَلَاءِ ما لا يُصيبُنِي لَنَقصٌ كَبيْرٌ في نَفْسِي.

فَمَشِيَ إلى الوَليدِ بنِ المغِيرَةِ فقال له يا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ وَفَتْ ذِمَّتُكَ قَدْ رَدَدْتُ إليكَ جِوَارَكَ قالَ لِمَ يا ابْنُ أَخِي لَعَلَّهُ آذاكَ أَحَد مِن قَوْمِي قَالَ لَا ولكِنِّي أَرْضَى بِجِوَارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ولا أُرِيْدُ أَنْ أسْتَجِيْرَ بغَيْرِهِ قال فانطلقْ إلى المَسجِدِ فارْدُدْ عَلَيَّ جِوَارِي عَلَانِيَةً كَمَا أَجَرْتُكَ عَلَانِيَةً.

قال فانْطَلَقَا ثُمَّ خَرَجَا حَتَّى أَتَيَا المسجِدَ فقال لَهُم الوليْدُ هذا عُثْمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدْ جَاءَ يَرُدُ عَلَيَّ جِوَارِي قَالَ لَهُم قَدْ صَدَقَ قَدْ وَجَدْتُهُ وَفِياً كَرِيْمَ الجِوَارِ ولكِنِّي أَحبَبْتُ أَنْ لا أَسْتَجِيْرَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ رَدَدْتُ عليهِ جِوَارَهُ.

ثُمَّ انْصَرَفَ عُثْمَانُ وَلَبِيْدُ بنُ رَبِيْعَةَ بنُ مَالِكٍ بنُ كِلَابِ القَيْسِي في المَجْلِسِ مِن قُرَيْش يُنْشِدُهُم فَجَلَسَ مَعَهُم عُثْمَانُ فَقَالَ لَبِيْدُ وَهُوَ يُنْشِدُهُم: الا كُلُّ شَيءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ.

فقال عُثْمَانُ صَدَقْتَ فَقَالَ: وكُلُ نَعِيْمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ، فقال عثمانُ كَذَبْتَ نَعِيْمُ الجَنَّةِ لا يَزُوْلُ قال لَبِيْدُ بنُ رَبِيْعَةَ يَامَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَاللهِ ما كَانَ يُؤْذَى جَلِيْسُكُم فَمَتَى حَدَثَ فِيْكُم هَذَا فَقَالَ رَجُلٌ مِن القَوْمِ إنَّ هَذَا سفِيْهٌ في سُفَهَاءِ مَعَهُ قَدْ فَارَقُوا دِيْنَنَا فَلَا تَجِدَنَّ في نَفْسِكَ مِن قَوْلِهِ فَرَدَّ عَلَيهِ عُثْمَانُ حَتَّى

سَرَى – أَيْ عَظُمَ أَمْرُهُمَا فَقَامَ إِليهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَلَطَمَ عَيْنَهُ فَخَضَّرَهَا والْوَلِيْدُ ابْن المُغِيْرَة قَرِيْبٌ يَرَى مَا بَلَغَ مِن عُثْمَانَ.

فَقَالَ أَمَا وَاللهِ يَا ابْنُ أَخِي إِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ عَمَّا أَصَابَهَا لَغَنِيَّةٌ لَقَدْ كُنْتَ فِي ذِمَّةٍ مَنِيْعَةٍ فَقَالَ عُثْمانُ بَلَى واللهِ إِن عَيْنِيْ الصَحِيْحَةُ لَفَقِيْرَةٌ إلى مَا أَصَابَ أُخْتَهَا فِي اللهِ وإِنِي لَفِيْ جِوَارِ مَنْ هُوَ أَعزُّ مِنْكَ وأَقْدَرُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ، وَقَالَ عُثْمانُ ابنُ مظعون فِيْمَا أُصِيْبَ مِن عَيْنِهِ:

شِعْرَا: فإنْ تَكُ عَيْنِي فِي رِضَى اللهِ نَالَهَا   يَدَا مُلْحِدٍ فِي الدِّيْنِ لَيْسَ بِمُهْتَدِ
فَقَدْ عَوَّضَ الرَّحْمَنُ مِنْهَا ثَوَابَهُ   وَمَن يُرْضِهِ الرحمنُ ياقَوْمُ يَسْعَدِ
فإنّـي وَقَـدْ قُلْتُـمْ غَوِيٌّ مُضَلَّـلٌ   سَفِيْهٌ على دِيْنِ الرَّسُولِ مُحَمَّدِ
أُرِيْدُ بذَاكَ الحَقَ والحَقُّ دِيْنُنَـا   على رَغمِ مَن يَبْغِي عَلَيْنَا وَيَعْتَدِي

اللَّهُمَّ إِنَّك تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وتَرَى مَكَانَنَا لَا يخْفَى عَلَيكَ شَيْءُ مِن أَمْرِنَا نَحْنُ البُؤَسَاءُ الفُقَراءُ إِليكَ المستغيثون المستجيرونَ بِكَ نَسْأَلك أَنْ تُقَيِّظَ لِدِيْنِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ ويُزِيلُ مَا حَدَثَ مِن البَدَع والمُنْكَرات ويُقِيْمُ عَلَمَ الجِهَادِ ويَقْمَع أَهْلَ الزَّيْغ والكُفْر والعِبَادِ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقّكَ وَبارِكْ لَنَا فِي الحلال مِن رِزْقِكَ ولَا تَفْضَحْنَا بين خَلْقِكَ يا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ داع وأفْضَلَ مَن رجَاهُ راجٍ يا قاضِي الحاجاتِ ومُجِيْبَ الدعواتِ هَبْ لَنَا ما سَأَلْناهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيْمَا تَمَنَّيْنَاهُ يا مَنْ يَمْلِكُ حَوائِجِ السَّائِلين ويَعْلَمُ ما فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أذِقْنَا بَرْدَ عَفْوكَ وحَلَاوَة مَغْفِرَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: أَخْرَجَ ابنُ سَعْدٍ عَن مُحَمَّدٍ العَبْدَرِي عن أَبِيْهِ قَالَ كَانَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ فتى مَكَّةَ شَبَاباً وَجَمَالاً وكانَ أَبَوَاهُ يُحِبَانِهِ وكانَتْ أُمَّهُ مَلِيْئَةً – أَيْ غَنِيَةً كَثِيْرَةَ المالِ – تَكْسُوهُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِن الثِيَابِ، وأَرَقهُ، وكَانَ اعْطَرَ أَهْلِ مَكَّـةَ، يَلْبَسُ الحَضْرَمِيَّ مِن النِعَالِ، فكَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَذْكُرُهُ

ويَقُولُ، ما رَأَيْتُ بِمَكَّةَ أَحْسَنَ لِمَّةً، وَلَا أَرَقَّ حُلَّةً، ولَا أنعَمَ نِعْمَةً مِن مُصْعَبِ ابنِ عُمَيْرٍ.

فَبَلَغَهُ أن رسولَ اللهِ ﷺ يَدْعُو إِلَى الإسْلامِ في دَارِ أَرْقَمَ، فَدَخَلَ عليه فأَسْلَمَ، وصَدَّقَ بِهِ، وَخَرَجَ فكَتَم إِسْلَامَهُ، خَوْفاً مِن أُمِّهِ وَقَوْمِهِ، فكَانَ يَخْتَلِفُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ سِراً، فَبصَرَ به عُثْمَانُ بنُ طَلْحَةَ يُصَلِّي فأخْبَرَ أمَّهُ وقَوْمَهُ، فَأَخَذُوْهُ فَحَبَسُوهُ فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوْساً، حَتَّى خَرَجَ إلى أَرْضِ الحَبَشَةِ في الهِجْرَةِ الأُوْلَى، ثُمَّ رَجَعَ مَعَ المُسْلِمِيْنَ حِيْنَ رَجَعُوا، فَرَجَعَ مُتَغَيِّرَ الحالِ قَدْ حَرِجَ فكَفَتْ أُمُّهُ عَنْهُ مِن العَذْلِ.

وأَخْرَجَ الطَّبراني والبَيْهَقِي عن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال نَظَرَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُقْبِلًا عَلَيْهِ إهابُ كَبْشٍ – أَيْ جِلْدِ كَبْشٍ – (قَدْ تَمَنْطَقَ به) – أَيْ شَدَّهُ فِي وَسَطِهِ، فقال «أَنْظُرُوا إلى هذا الذي نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بَيْنَ أَبَوَيْن يَغْذُوَانِهِ بِأَطْيَبِ الطَّعَامِ والشَّرابِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عليه حُلَّةً شَرَاهَا – أَوْ شُرِيَتْ – بِمَائَةِ دِرْهَمٍ فَدَعَاهُ حُبُّ اللهِ ورسولِهِ إلى ما تَرَوْنَ.

وأَخْرَجَ الترمذيُ وحَسَّنَهُ أَبُو يَعْلى وابنُ رَاهُوايهْ عن علي رضي اللهُ عَنْهُ، قال خَرَجْتُ في غَداةٍ شاتِيَةٍ مِن بَيْتِي جَائِعاً حَرِصاً قَدْ أَذْلَقَنِي البَرْدُ، فأخذْتُ إِهَاباً مَعْطُوناً كانَ عِندَنَا فَجَبَبْتُهُ.

ثُمَّ أَدْخَلْتُهُ في عُنُقِي ثم حَزَمْتُه على صَدْرِي أَسْتَدْفِيء بِهِ، فَوَاللهِ مَا فِي بَيْتِي شَيء آكُلُ منه، ولوَ كانَ في بَيْتِ النبي ﷺ لَبَلَغَنِي، فَخَرَجْتُ في بَعْضِ نَواحِيَ المدِيْنَةِ، فاطَّلَعْتُ إلى يَهُوْدِي في حَائِطٍ مِن ثَغْرَةِ جِدَارِهِ، فقالَ مَالَكَ ياأَعْرَابِي هَلْ لَكَ في كُلّ دَلْوٍ بِتَمْرَةٍ، فَقُلْتُ نَعَمْ فافْتَحْ الحَائِطَ فَفَتَحَ لِي فَدَخَلْتُ أَنْزِعُ دَلْواً وَيُعْطِيْنِي تَمْرَةً حَتَّى امْتلاءَتْ كَفِيْ، قلْتُ حَسْبِي مِنْكَ الآنَ.

ثُمَّ جِئْتُ إلى النبي ﷺ فَجَلَسْتُ إليهِ في المَسْجِدِ، وهو في عِصَابَةٍ مِن أَصْحَابِهِ فاطَّلَعَ عَلَيْنَا مِصْعَبُ ابنُ عُمَيْرٍ رَضَيَ اللهُ عَنْهُ في بُرْدَةٍ لَهُ مَرْقُوعَةٍ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَكَرَ مَا كَانَ فيهِ مِن النَّعِيْمِ ورَأَى حَالَهُ الذي هوُ عَليها فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَبَكَى ثُمَّ قالَ كَيفَ أَنْتُمْ إذا غَدَا أَحَدُكُمُ في حُلَّةٍ ورَاحَ في أُخْرَى، وسُتِرَتْ بُيوتِكم كَمَا تُسْتَرُ الكَعْبَةُ قلنا نَحْنُ يومَئِذٍ خَيْرٌ نُكْفَى المؤَنَةَ، وتَتَفَرَّغُ لِلْعِبَادَةِ، قال بل أَنْتُمُ اليومَ خَيْرٌ مِنكمُ يَوْمَئِذٍ والله أعلم.

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا في سِلْكِ الفَائِزِيْنَ بِرِضْوَانِكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ المُتَّقِيْنَ الذِيْنَ أَعْدَدْتَ لَهُمْ فَسِيْحَ جِنَاتِكَ، وأَدْخِلْنَا بِرحمَتِكَ في دَارِ أَمَانِكَ وعَافِنَا يا مَولاَنَا في الدُّنْيَا والآخِرَةِ مِن جَمِيْعِ البَلاَيَا وأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهِبَاتِكَ وَمَتِّعْنَا بالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الكَرِيْمِ مَعَ الذِيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِن النَّبِيِّيْنَ والصِّدِّيْقِيْنَ والشُّهَدَاءِ والصَّالِحِيْنَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: قِصَّةُ عَبْدِاللهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيْ مَعَ مَلِكِ الفُرْسِ مَشْهُورَةٌ وَذَلِكَ أَنَّهُ في السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الهِجْرَةِ حِيْنَ عَزَمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَبْعَثَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ بِكُتُبٍ إِلى مُلُوكِ الأَعَاجِمِ يَدْعُوهُم إِلَى الإسلامِ.

ولَقَدْ كانَ ﷺ يُقَدِّرُ خُطُوْرَةَ هَذِهِ المُهِمَّةَ فَهَؤُلَآءِ الرُسُلُ سَيَذهَبُوْنَ إِلَىَ بِلادٍ نَائِيَةٍ لاَعَهْدَ لَهَمُ بِهَا مِن قَبْلُ، يَجْهَلونَ لُغَاتِهِم ولا يَعْرِفُونَ شَيْئاً عَن أَخْلاَقِ مُلُوكِهِم، ثُمَّ إِنَّهُمْ سَيَدْعُوَنَ هَؤُلَآءِ إِلَىَ تَرْكِ مَا عَلَيه آبَاؤُهُمْ والدُخولِ في دِينِ الإِسلامِ الذي هو ضِدُ مَا هُمْ عليه مِن الإِلْحَادِ والكُفْرِ.

إِنَّهَا رِحْلَةٌ خَطِيْرَةٌ الذَاهِبُ إِلَيْهَا مَفْقُودٌ، والعَائِدُ مِنْهَا مَوْلُودٌ، لِذَلِكَ جَمَعَ المصطفى ﷺ أَصْحَابَهُ وقَامَ فِيْهِم خَطِيْباً، فَحَمَدَ اللهَ وأَثْنَى عليه، وتَشَهَّدَ ثم

قَالَ أَمَّا بَعْدُ فإني أُرِيْدُ أَنْ أَبْعَثَ بَعْضَكُم إِلَى مُلُوكِ الأَعَاجِم، فلا تَخْتَلِفُوا عَلَيَّ، كَمَا اخْتَلَفَتْ بَنُوا إسْرائِيلَ عَلى عِيْسَى بنِ مَرْيَمَ.

فقالَ أَصْحَابُ رَسولِ اللهِ ﷺ نَحْنُ يَارَسُولَ اللهِ نُؤَدِي عَنْكَ مَا تُرِيْدُ، فأَبْعثْنَا حَيْثُ شِئْتَ، انْتَدبَ ﷺ سِتَّةً مِن الصَّحَابَةِ لِيَحْمِلُوا كُتُبَهُ إِلَى مُلُوكَ العَرَبَ والعَجَم، وكان أَحَدُ هَؤُلآء السِّتةِ، عَبْدُاللهِ ابنُ حُذافةَ السَّهْمِي، اختارَهُ لِحَمْلِ رِسَالَتِه إِلَى كِسْرَى مَلِكِ الفُرْسِ.

فَجَهَّزَ عَبدُاللهِ رَاحِلَتَهُ وَوَدَّعَ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ، ومَضَى إِلَى غَايَتِهُ تَرْفَعُه النِّجَادُ وتَحُطُهُ الوِهَادِ، حَتَّى دِيَارَ فَارِسَ، فاسْتَأْذَنَ بالدُخُولِ عَلَى مَلِكَهَا، وأَخْطَرَ أَعْوَانَ المَلِكِ بالرِّسَالَةِ الَّتِيْ يَحْمِلُهَا بِإِنَّهَا ذَاتُ اهْتِمَامٍ.

عِندَ ذَلِكَ أَمَرَ كِسْرَى بِايْوَانِهِ فَزُيِّنَ، ودَعَا عُظَمَاءَ فَارِسَ لِحُضُورِ مَجْلِسِه، فَحَضَرُوا، ثم أَذِنَ لِعَبْدِاللهِ بنِ حُذَافَةَ بالدُخُولِ، فَدَخَلَ عَبدُاللهِ بنُ حُذَافَةَ عَلىَ سَيِّدِ فَارِسَ، مُشْتَمِلًا شَمْلَتَهُ، مُرْتَدِياً عباءَتَهُ الصَّفِيْقَةَ، عَليه بَسَاطَةُ الأَعْرَابِ.

لكِّنهَ عَالِي الهَامَةِ، مَشْدُوْدَ القَامَةِ، تَأَجَّجُ بَيْنَ جَوَانِحِهِ عِزَّةُ الإِسْلامِ فَلَمَّا رَآهُ كِسْرَى مُقْبلاً أَشَارَ إِلَى أَحَدِ رِجَالِه بأَنْ يأخُذَ منه الكتابَ.

فقال لَا: إِنَّما أَمَرنِي رَسُولُ الله ﷺ أَنْ أَدْفَعَهُ لَكَ يَداً بِيَدٍ، لَا أُخَالِفُ أَمْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ كِسْرَى لِرِجَالِهِ أُتْرُكُوهُ يَدْنُو مِنِّي، فَدَنَا مِن كِسْرَى، فَنَاوَلَهُ كِتَابَ رسُولِ الله ﷺ بيَدِهِ.

ثم دَعَا كِسْرَى كَاتِباً عَرَبِياً مِن أَهْلِ الحِيْرَة وأَمَرَهُ أَنْ يَفُضَّ الكتابَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنْ يَقْرَأَ عَلَيه، فإذا فِيه «بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم مِن مِحَمَّدٍ رسولِ اللهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيْمِ فَارِسَ، سَلَامٌ، على مَن اتَّبَعَ الهُدَى».

وَلَمَّا سَمِعَ كِسْرَى هَذَا المِقْدَارَ مِن الرِّسَالَةِ اشْتَعَلَ غَضَبُهُ في صَدْرِهِ

فاحْمَرَّ وَجهُهُ، وانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، لِأَنَّ النبيَ ﷺ بَدَأَ بِنفسِهِ، فَجَذَبَ الرِّسالَة من يدِ كَاتِبِهِ، وجَعَل يُمَزِّقُهَا، دُوْنَ أَنْ يَعْلَمَ ما فِيها، ويَقُولُ أَيَكْتُبُ لِيْ بِهَذا وهُوَ عَبْدِي.

ثم أَمَرَ بعَبْدِ اللهِ بنِ حُذَافَةَ أَنْ يُخْرَجَ مِن مَجْلِسِهِ، فأُخْرِجَ مِن المَجْلِسِ، وهُوَ لا يَدْرِي مَاذَا يَكُونُ بعدَ ذَلِكَ، لكنّهُ مَا لَبِثَ أَنْ قَالَ واللهِ مَا أُبَالِي عَلى أَيِّ حَالٍ أَكُوْن بَعْدَ أَنْ أَدَيْتُ كِتَابَ رسولِ اللهِ ﷺ، ورَكِبَ رَاحِلَتَهُ وانْطَلَق.

ولما سَكَتَ غَضَبُ كِسْرَى، أَمَرَ أَنْ يَرُدُوْهُ إليهِ، فالتَمَسُوْهُ فلم يَجدُوهُ، فارْسَلوُا في أَثَرِهِ، وطَلَبُوهُ في الطَّرِيقِ، فَلَمْ يَجدُوْهُ، فَلمَّا قَدِمَ عَلى رسول الله ﷺ أَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِن أَمْرِ كِسْرَى، وتَمْزِيْقِهِ الكتابَ، فمَا زَادَ عليه الصلاةُ والسلامُ على أَنْ قَالَ: «مَزَّقَ اللهُ مُلْكَهُ».

أَمَّا كِسْرَى فَكَتَبَ إِلَىَ باذَانَ نَائِبَهُ على اليمنِ، أَنْ أبْعَثْ إِلىَ هَذَا الرجُلِ الذي ظَهَرَ بالحِجَازِ رَجُلَينِ جَلْدَيْنِ مِن عِنْدَكَ، ومُرْهُمَا أَنْ يَأْتِيَانِ بِهِ، وحَمَّلَهُمَا رِسَالَةً لَهُ يَأْمُرُهُمَا بأَدَائِهَا لَهُ، ويَأْمُرهُ فِيها بِأَنْ يَنْصرِفَ مَعَهُمَا إِلىَ لِقَاءِ كِسْرَى دُوْنَ إِبْطَاءً.

وَطَلَبَ إِلىَ الرَّجُلَين أَنْ يَقِفَانِ على خَبَرِ النبي ﷺ أَنْ يَسْتَقْصِيَا أَمْرَهُ، وَأَنْ يَأْتِيَاهُ بِمَا يَقِفانِ عليه مِن أَمْرِهِ مِنْ مَعْلُوماتٍ.

فَخَرَجَ الرَّجُلانِ حَتَّى بَلَغَا الطَّائِفَ، فَوَجَدَا رِجَالاً تُجَّاراً مِن قُرَيْشٍ فَسَأَلاهُم عنِ مُحمد عليه السلامُ، فقالُوا هُوَ في يَثْرِبَ، ثُمَّ مَضى التُجَارُ إِلىَ مَكَّةَ فَرِحِيْنَ مُسْتَبْشِرِيْنَ، وجَعَلوُا يُهَنُونَ قُرَيْشاً، ويَقُولُونَ قُرُّوْا عَيْناً فإِنَّ كِسْرَى تَصَدَّى لِمُحَمَّدٍ وَكَفَاكُمْ شَرَّهُ.

أَمَّا الرَّجُلانِ فيَمَّمَا وَجْهَيْهِمَا شَطْرَ المَدِيْنَةِ، حَتَّى إِذَا وَصِلَا إِلَيْهَا، لَقِيا

النَّبيَ ﷺ ودَفَعَا إليه رِسَالَةَ بَاذَانَ، وقالَا لَهُ إن مَلِكَ المُلُوكِ كِسْرَى كَتَبَ إلى مَلِكِنَا بَاذَانَ أَنْ يَبْعَثَ إليكَ مَن يَأْتِيْهِ بِكَ.

وقَدْ أَتَيْنَاكَ لِتَنْطَلِقَ مَعَنَا فإنْ أَجَبْتَنَا كَلَّمْنَا كِسْرَى بِمَا يَنْفَعُكَ، ويَكُفَ أَذَاهُ عَنكَ، وإنْ أَبَيْتَ فَهُو مَن قَدْ عَلِمْتَ سَطْوَتَهُ، وبَطْشَهُ، وقُدْرَتَهُ عَلى إهْلَاكِكَ، واهْلاكِ قَوْمِكَ.

فَتَبَسَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ، وقال لَهُمَا إرْجِعَا إلَى رِحَالِكُمَا اليَوْمَ، وأْتِيَا غَداً، فَلَمَّا غَدَوَا عَلَى النبي ﷺ في اليَوْمِ التَالِي، أَخْبَرَهُمَا بِأَنَّ اللهَ قَتَلَ كِسْرَى حَيْثُ سَلَطَ عليه ابْنَهُ «شِيْرويْهِ» في لَيلَةِ كَذا مِن شَهرِ كَذَا.

فَحَدَّقَا في وَجْهِه وبَدَتْ الدَّهْشَةُ على وَجْهَيْهِمَا، وقَالَا أَتَدْرِيْ ما تَقُولُ أَنَكْتُبُ بذَلِكَ لِبَاذَانَ، قال نَعَمْ وقُولَا لَهُ إنَّ دِيْنِي سَيَبْلُغُ ما وَصِلَ إليه مُلْكُ كِسْرَى، وإنَّكَ إنْ أَسْلَمْتَ، أَعْطَيْتُكَ ما تَحْتَ يَدَيْكَ، وَمَلَكْتُكَ عَلى قَوْمِكَ وخَرَجَ الرَّجُلانِ مِن عَندِ الرسولِ صَلواتُ اللهِ وسلامه عَليهِ وقَدِمَا عَلى بَاذَانَ وأَخْبَرَاهُ الخَبَرَ.

فقال لئِنْ كَانَ مَا قَالَهُ مُحمدٌ حَقاً فَهُو نَبِيٌ وإنْ لَم يَكُنْ كَذلِكَ فَسَنَرَى فِيه رَأْياً فلَمْ يَلْبَثْ أنْ قَدِمَ عَلى بَاذَانَ كِتَابُ شِيْروِيْهِ.

وفيه يَقُولُ أَمَّا بَعْدَ فَقَدْ قَتَلْتُ كِسْرَى ولَمْ أَقْتُلْهُ إلَّا انْتِقَاماً لِقَومِنَا فَقَدْ اسْتَحَلَّ قَتْلَ أَشْرَافِهِم وسَبَي نِسَائِهَمُ وانْتَهَبَ أَمْوَالهَمْ فإذَا جَاءَكَ كِتابِي هَذا فخِذْ لِيْ الطاعةَ مِمَّنْ عِندَكَ.

فَلَمَّا قَرَأَ بَاذَانُ الكِتَابَ «كِتَابَ شِيْروِيهْ» طَرَحَهُ جَانِباً وَأَعْلنَ دُخُوْلَهُ في الإسلامِ وأَسْلَمَ منْ كانَ مَعَهُ مِن الفُرْس بالْيَمَنْ.. انْتَهَى.

اللّهُمَّ أَنْظُمْنَا في سِلْكِ الفَائِزِيْنَ بِرِضْوَانِكَ، واجْعَلْنَا مِنْ المُتَّقِيْنَ الذيْنَ أَعْدَدْتَ لَهُمْ فَسِيْحَ جِنَانِكَ، وأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ في دَارِ أَمَانِكَ، وَعَافِنَا يا مَوْلَانَا

في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ جَمِيْعِ البَلايَا وأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِب فَضْلِكَ وَهِبَاتِكَ وَمَتِّعْنَا بالنَّظَر إلى وَجْهِكَ الكَرِيْمِ مَعَ الذيْنَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّيْنَ والصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِيْنَ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــلٌ»

عَبْدُ اللهِ بْنُ حُذَافَةَ وَقِصَّتُهُ مَعَ مَلِكِ الرُّوْمِ

أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ عَسَاكِرَ عنْ أَبِيْ رَافِعٍ قَال وَجَّهَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَيْشاً إلى الرُّوْمِ وَفِيْهِمْ رَجُلٌ يُقال لَهُ عَبْدُاللهِ بْنُ حُذَافَةَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسَرَهُ الرُّوْمُ فَذَهَبُوا بِهِ إلى مَلِكِهِمْ فَقَالُوْا لَهُ إنَّ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمّدٍ ﷺ فَقَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ هَلْ لَكَ أَنْ تَنصَّرَ وأُشْرِكَكَ في مُلْكِيْ وَسُلْطَانِيْ.

فَقَالَ لَهُ عَبْدُاللهِ لَوْ أَعْطَيْتَنِيْ مَا تَمْلِكُ وَجَمِيْعَ مَا مَلَكَتْهُ الْعَرَبُ عَلَى أَنْ أَرْجِعَ عَنْ دِيْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ طَرْفَةَ عَيْنٍ مَا فَعَلْتُ، قَالَ إذاً أَقْتُلُكَ قَال أَنْتَ وَذاكَ، فَأَمَرَ بِهِ فَصُلِبَ، وَقَالَ لِلرُّمَاةِ أَرْمُوهُ قَرِيْباً مِنْ بَدَنِهِ قَرِيْباً مِن رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَأْبَى.

ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُنْزِلَ ثُمَّ دَعَا بِقِدرٍ فَصُبَّ فِيْهِ حَتَّى احْتَرَق، ثُمَّ دَعَا بِأَسِيْرَين مِنَ المُسْلِمِيْنِ فَأَمَرَ بِأَحَدِهِمَا فَأُلْقِيَ فِيْهَا، وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ، وَهُوَ يَأْبَى ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُلْقِي فِيْهَا، فَلَمَّا ذُهِبَ بِه بَكَى، فَقِيْلَ لَهُ إِنَّهُ قَدْ بَكى فَظَنَّ أَنَّهُ جَزِعَ، فَقَالَ رُدُّوْهُ فَعَرَضَ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ فَأَبَى فَقَالَ مَا أَبْكَاكَ إذاً.

قَالَ أَبْكَانِيْ أَنَّيْ قُلْتُ فِي نَفْسِيْ تُلقَى السَّاعَةَ فِي هَذَا الْقِدْرِ فَتَذْهَبَ فكُنْتُ أَشْتَهِيَ أنْ يَكُونَ بِعَدَدِ كُلِّ شَعْرَةٍ فِي جَسدِيْ نَفْسٌ تُلْقَى فِي اللهِ قَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ

هَلْ لَكَ أَنْ تُقَبِّلَ رَأْسِيْ وَأُخَلِيَّ مِنْكَ، قَالَ لَهُ عَبْدُاللهِ وَعَنْ جَمِيْعِ أُسَارَى الْمُسْلِمِيْنَ، قَالَ وعَنْ جَمِيْعِ أُسارَى الْمُسْلِمِيْنَ.

قَالَ عَبْدُاللهِ فَقُلْتُ فِيْ نَفْسِي عَدُوٌّ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ، أُقَبِّلُ رَأْسَهُ يُخَلِّي عَنّي وَعَنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِيْنَ، لا أُبالِيْ فَدَنَا مِنْهُ فقَبّلَ رَأْسَهُ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الأَسَارَى، فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَى عُمَرُ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ عُمَرُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِم أَنْ يُقَبِّلَ رَأْسَ عَبْدِاللهِ بْنُ حُذَافَةَ، وَأَنَا أَبْدَأُ فقَامَ عُمَرُ فَقَبَّلَ رَأْسَهْ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأَبْرارِ وأَسْكِنَّا مَعَهمُ في دَارِ القَرارَ، اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا بِحُسْنِ الإِقْبالِ عَلَيْكْ والإِصْغَاءِ إِلَيْكْ وَوَفِّقْنَا لِلتَّعاوُنِ في طَاعَتِكَ وَالمُبَادَرَةِ إِلَى خِدْمَتِكَ وحُسْنِ الآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ والتّسليمِ لأَمْرِكْ والرِّضَا بِقَضَائِكَ والصَّبْرْ عَلَى بَلائِكَ والشّكْرِ لِنَعْمَائِكَ وصلى الله على مُحَمَّدٍ وَعلَى آلِهِ وصحبهِ وسلم.

أَسِيْرُ الخطَايَا عِنْدَ بَابِكَ يَقْـرَعُ ... يَخَافُ وَيَرْجُو الفَضْلَ فَالْفَضْلُ أَوْسَعُ
مُقِرٌّ بِأَثْقَالِ الذُّنُـوْبِ وَمُكْثِـرٌ ... وَيَرْجُوكَ فِي غُفْرانِهَا فَهْوَ يَطْمَعُ
فَأَنَّكَ ذُوْ الإِحْسَانِ وَالْجُوْدِ وَالْعَطَا ... لَكَ الْمَجْدُ وَالإِفْضَالُ وَالْمَنُّ أَجْمَعُ
فَكُمْ مِنْ قَبِيْحٍ قَدْ سَتَرْتَ عَنَ الْوَرَى ... وَكَـمْ نِعَـمٌ تَتْرَى عَلَيْنَـا وَتَتْبَـعُ
وَمَنْ ذَا الذَّيْ يُرْجَىٰ سِواكَ وَيُتَقَّى ... وَأَنْتَ إِلٰهُ الْخَلْقِ مَا شِئْتَ تَصْنَعُ
فَيَا مَنْ هُوَ الْقُدُّوْسُ لَا رَبَّ غَيْرَهُ ... تَبَـارَكْتَ أَنْتَ اللهُ لِلْخَلْـقِ مَرْجِـعُ
وَيَا مَنْ عَلَى العَرْشِ اسْتَوى فَوْقَ خَلْقِهِ ... تَبارَكْتَ تُعْطِـى مَنْ تَشَاءُ وتَمْنَـعُ
بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى وَأَوْصَافِكَ الْعُلَى ... تَوَسَّلَ عَبْـــدٌ بَائِسٌ يَتَضَرَّعُ
أَعِنِّيْ على المَـوْتِ الْمَرِيْـرَةِ كَأْسُهُ ... إِذا الرُّوْحُ مِنْ بَيْنِ الْجَوانِحِ تُنْزَعُ
وَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا ... يُرَكِّـمُ مَنْ فَوْقِـيْ التُّرَابُ وَأُوْدَعُ
وَثَـبِّتْ جَنَانِـيْ لِسُؤَالِ وَحُجَّتِـي ... إِذَا قِيْلَ مَنْ رَبٌّ وَمَنْ كُنْتَ تَتْبَعُ
وَمِنْ هَوْلِ يَوْمِ الحَشْرِ وَالْكَرْبِ نَجِّنِي ... إِذَا الرُّسْلُ وَالأَمْلَاكُ وَالنَّاسُ خُشَّعُ
وَيَا سَيِّدِيْ لَا تُحزْنِيْ فِي صَحِيْفَتِي ... إِذَا الصَّحْفُ بَيْـنَ الْعَالَمِيْـنَ تُوَزَّعُ

وَهَبْ لِيْ كِتَابِي بِالْيَمِيْنِ وَثَقِّلَنْ لِمِيْزَانِ عَبْدٍ فِي رَجَائِكَ يَطْمَعُ
وَيَا رَبِّ خَلِّصْنِي مِنَ النَّارِ إِنَّهَا لَبِئْسَ مَقَرٌّ لِلْغُوَاةِ وَمَرْجِعُ
أَجِرْنِي أَجِرْنِيْ يَا إِلَهِيْ فَلَيْسَ لِيْ سِوَاكَ مَفَرٌّ أَوْ مَلَاذٌ وَمَفْزَعُ
وَهَبْ لِيْ شِفَاءً مِنْكَ رَبِّي وَسَيِّدِيْ فَمَنْ ذَا الذِيْ لِلضُّرِّ غَيْرُكَ يَدْفَعُ
فَأَنْتَ الَّذِيْ تُرْجَى لِكَشْفِ مُلِمَّةٍ وَتَسْمَعُ مُضْطَرًّا لِبَابِكَ يَقْرَعُ
فَقَدْ أَعْيَتِ الأَسْبَابُ وَانْقَطَعَ الرَّجَا سِوَى مِنْكَ يَا مَنْ لِلْخَلَائِقِ مَفْزَعُ
إِلَيْكَ إِلٰهِي قَدْ رَفَعْتُ شِكَايَتِيْ وَأَنْتَ بِمَا أَلْقَاهُ تَدْرِي وَتَسْمَعُ
فَفَرِّجْ لَنَا خَطْباً عَظِيْماً وَمُعْضِلاً وَكَرْباً يَكَادُ الْقَلْبُ مِنْهُ يُصَدَّعُ
وَمَاذَا عَلَى رَبِّي عَزِيْزٌ وَفَضْلُهُ عَلَيْنَا مَدَى الأَنْفَاسِ يَهْمِي وَيَهْمَعُ
فَكَمْ مِنَحٍ أَعْطَى وَكَمْ مِحَنٍ كَفَى لَهُ الْحَمْدُ والشُّكْرانُ وَالْمَنُّ اجْمَعُ
وَأَزْكَى صَلَاةِ اللهِ ثُمَّ سَلَامُهُ عَلَى الْمُصْطَفَى مَنْ فِي الْقِيَامَةِ يَشْفَعُ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ المُفْلِحين وأَلْبِسْنَا خِلَعَ الإِيْمَانِ واليَقِيْنِ، وَخُصَّنَا مِنْكَ بالتَّوْفِيق المُبين، وَوَفِّقْنَا لِقَوْلِ الحَق واتْبَاعِهِ وَخَلِّصْنَا مِنَ البَاطِل وابْتِدَاعِهِ، وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدا وَلَا تَجْعَل لِقَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدَا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشاً رَغَدَا وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدوًّاً وَلَا حَاسِداً، وَارْزُقْنَا عِلْمَاً نافِعاً وَعَمَلاً مُتقَبَّلاً، وَفَهْماً ذَكِيّاً وَطَبْعاً صَفِيّاً وَشِفَاً مِنْ كُلّ دَاء، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ»

«سَعِيْدُ بْنُ عَامِرٍ الْجُمَحِيُّ وخُبَيْبُ»

خُبَيْبُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ أَحَدُ الْمُعَذَّبِيْنَ فِي اللهِ الثَّابِتِيْنَ عَلَى الْأَيْمَانِ بِاللهِ ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَمِمَّنْ حَضَرَهُ يَوْمَ قَتْلِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَعِيْدُ بنُ عَامِرٍ الْجُمَحِيُّ خَرَجَ إِلَى التَّنْعِيْمِ فِيْ ظَاهِرَةِ مَكَّةَ بِدَعْوَةٍ مِنْ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ لِيَشْهَدَ

مَعَهُمْ مَصْرَعَ خُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ أَحَدِ صَحَابَةِ مُحَمَّدٍ بَعْدَ أَنْ ظَفِرَ بِهِ الأَعْدَاءُ الْمُشْرِكُونَ غَدْراً.

وَقَدْ أَقْدَرَهُ اللهُ أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ رُؤْيَةِ أَسِيْرِ قُرَيْشٍ مُكَبَّلاً بِقُيُودِهِ يُسَاقُ إِلَى الْمَوْتِ، فَوَقَفَ سَعِيْدُ يُطِلُّ عَلَى خُبَيْبٍ وَهُوَ يُقَدَّمُ إِلَى خَشَبَةِ الصَّلْبِ وَسَمِعَ صَوْتَ خُبَيْبٍ الثَّابِتُ الهَادِىءْ يَقُولُ إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَتْرُكُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ مَصْرَعِي فَافْعَلُوا.

ثُمَّ نَظَرَ سَعِيْدُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْن يَا لِحُسْنِهِمَا وَيَا لِتَمَامِهِمَا وَسَمِعَهُ وَهُوَ يَقُولُ لَوْلَا أَنْ تَظُنُّوا أَنِّي أَطَلْتُ الصَّلَاةَ جَزَعَاً مِنَ الْمَوْتِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الصَّلَاةِ.

ثُمَّ رَأَى الْمُشْرِكِيْنَ وَهُمْ يُمَثِّلُوْنَ بِخُبَيْبٍ حَيَّاً وَيُقْطَعُوْنَ مِنْهُ الْقِطْعَةَ تِلْوَ الْقِطْعَةِ وَيَقُولُوْنَ لَهُ أَتُحِبّ أَنْ يَكُوْنَ مُحَمَّدٌ مَكَانَكَ وَأَنْتَ نَاجٍ، فَيَقُوْلُ وَالدِّمَاءُ تَنْزِفُ مِنْهُ والرُّوْحُ تَتَسَلَّلُ مِنْ بَدَنِهِ، وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ أَكُوْنَ آمِنَاً وَادِعَا فِي أَهْلِي وَوَلِدِيْ وَأَنَّ مُحَمَّدَاً يُوخَزُ بِشَوْكَةٍ.

ولا غُرْوَ بالأَشْرَافِ إِنْ ظَفِرَتْ بِهِمْ كِلَابُ الأَعَادِي مِن فَصِيْحٍ وَأَعْجَمِ
فَحَرْبَةُ وَحْشِي سَقَتْ حَمْزَةَ الرَّدَى ومَوْتُ عَلِي مِن حُسَامِ ابنِ مُلْجِمِ

ثُمَّ أَبْصَرَ سَعِيْدُ بْنُ عَامِرَ خُبَيْبَاً وَهُوَ يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ فَوْقِ خَشَبَةِ الصَّلْبِ وَهُوَ يَقُوْلُ اللَّهُمَّ احْصِهِمْ عَدَدَاً وَاقْتُلْهُمْ بَدَدَاً وَلَا تُبْقِي مِنْهُمْ أَحَدَاً ثُمَّ خَرَجَ رُوْحُهُ الطَّيِّبَةُ وَبِهِ الشَّيْءُ الْكَثِيْرُ مِنْ ضَرَبَاتِ السُّيُوفِ وَطَعَنَاتِ الرِّمَاحِ.

ثُمَّ إِنَّ سَعِيْدَاً أَخَذَ دَرْسَاً، فَعلِمَ إِنَّ الْحَيَاةَ الْحَقَّةَ عَقِيْدَةٌ، وَجِهَادٌ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ حَتَّى الْمَوْتِ، وَعَلِمَ أَنَّ الأَيْمَانَ الثَّابِتَ لَا يُزَلْزِلُهُ شَيْءٌ البَتَّةَ.

وَعَلِمَ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِيْ تَبْلُغُ مَحَبَّتُهُ وَالذَّبُّ عَنْهُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ إِنَّمَا هُوَ رَسُولٌ مُؤَيَّدٌ مِنَ السَّمَاءِ، عِنْدَ ذَلِكَ شَرَحَ اللهُ صَدْرَ سَعِيْدِ بْنِ عَامِرٍ لِلْإِسْلَامِ،

فَقَامَ فِي مَجْمَعٍ مِنَ النَّاسِ وَأَعْلَنَ بَرَاءَتَهُ مِمَّا عَلَيْهِ الْمُشْرِكُوْنَ مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وَهَاجَرَ سَعِيْدُ ابْنُ عامِرٍ إِلَى الْمَدِيْنَةِ، وَلَزِمَ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ وَشَهِدَ مَعَهُ خَيْبَرَ، وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْغَزَوَاتِ.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ظَلَّ سَيْفاً، مَسْلُوْلاً فِيْ يَدَيْ خَلِيْفَتَيْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ أَبِيْ بَكْرٍ وَعُمَرَ وَكَانَا يَعْرِفَانِ لَهُ صِدْقَهُ وَتَقْوَاهُ.

وَلَمَّا آلَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَتَاهُ سَعِيْدُ فَقَالَ لَهُ، يَا عُمَرُ أُوْصِيْكَ أَنْ تَخْشَى اللهَ فِي النَّاسِ، وَلَا تَخْشى النَّاسَ فِيْ اللهِ، وَأَنْ لَا يُخَالِفَ قَوْلُكَ فِعْلَكَ، فَإِنَّ الْقَوْلِ مَا صَدَّقَهُ الْفِعْلُ.

يَا عُمَرُ أَقِمْ وَجْهَكَ لِمَنْ وَلَّاكَ اللهُ أَمْرَهُ مِنْ بَعِيْدِ الْمُسْلِمِيْنَ وَقَرِيْبِهِمْ وَأَحَبَّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ، وَأَكْرَهْ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ، وَخُضِ الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ وَلَا تَخَفْ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ.

فقالَ عمرُ، وَمَنْ يَسْتَطِيْعُ ذَلِكَ يا سَعِيْدُ، فقالَ يَسْتَطِيْعُهُ مِثْلُكَ مِمْنِ وَلَّاهُم اللهُ أَمْرَ أمةِ محمّدٍ، ولَيْسَ بينَهُ وبينَ اللهِ أحَدُ، عِنِدَ ذَلِكَ دَعَا عُمَرُ سَعِيداً إلى مُساعَدَتِهِ فقالَ لَهُ إنا مُوَلُوكَ حِمْصَ.

فقالَ يا عُمَرُ نَشَدْتُكَ اللهَ لَا تَفْتِنِيْ فَغَضِبَ عُمَرُ وقالَ وَيْحَكُمْ وَضَعْتُمْ هذا الأَمْرَ فِي عُنُقِي ثُمَّ تَخَلَّيْتُمْ عَنِي، واللهِ لا أدَعُكَ ثُمَّ أَلزَمَهُ بِحِمْص وقالَ أَلَا نَفْرِضُ لَكَ رِزقاً قالَ وما أَفْعَلُ بِهِ يا أميرَ المؤمنينَ فإن عَطائِي مِنْ بَيْتِ المالِ يَزِيْدُ عَنْ حَاجَتِي.

ثُمَّ مَضَى وَالِياً علَى حِمْص وما مَضَى إلا زَمَن يَسِيرٌ حَتَّى جاءَ بعضُ أهلِ حِمْص إلى عُمَرُ فقال اكتُبُوا أَسْماءَ الفُقَراءِ عِنْدَكُم بحِمْص حَتَّى أَسُدَّ حاجَتَهم، فَرفعوا لَهُ كِتَاباً فيه بعضُ الفقراءِ الموجودِين بِحِمْص ومن جملةِ الفقراءِ المكتُوبين، سَعِيْدٌ بنُ عامِرٍ الجُمَحِي.

فقالَ عُمَرُ مَنْ سَعِيْدُ بنُ عامِرٍ، فقالُوا أَمِيْرُنَا قالَ أَمِيرُكُم فَقِيرُ، قالوا نَعَمَ، واللهِ إنه لَيَمُرُ عَلَيْهِ الأَيَّامُ الطِّوَالُ، ولا يوقد في بيته نارٌ، فبكى عمر رضي الله عنه بكاءً شدياً، حَتَّى بَلَّتْ دُمُوْعُهُ لِحْيَتَهُ.

ثُمَّ عَمَدَ إلى أَلِفِ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا في صُرَّةٍ وقالَ اقرؤُا عليهِ السَلام وقُولُوا لَهُ يَسْتَعِيْنُ بِهَذَا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِ فَجَاؤُهُ بِهَا فلما نَظَرَ إلَيْهَا وأَخْبَرُوْهُ، جَعَلَ يُبْعِدُهَا عَنْهُ، ويَسْتَرْجِعُ.

فَجَاءَت زَوْجَتُهُ وقالَتْ لَهُ ما شأْنك، أَمَاتَ أميرُ المُؤمنينَ، قَالَ بلْ أَعظَمَ مِنْ ذَلِكَ، قَالتْ وماذَاكَ، قَالَ دَخَلتْ عليَّ الدُّنْيَا لِتُفْسِدَ آخِرَتِي وَحَلَّتِ الفِتْنَةُ في بَيْتِي، قَالَتْ تَخَلَّصْ مِنها، قال هَلْ تُعَينيْنِي على ذَلِكَ، قَالَتْ نَعَمْ فَوَزّعَهَا على فُقَرَاءِ المسلمينَ.

ثُمَّ لَمْ يَمْضِ إِلَّا مُدَّةً يَسِيْرَةً حَتَّى أَتَى عُمُرُ إلى حِمْص يَتَفَقَّدُهَا ويَسْأَلُ عن أميرِهِمْ وسِيرَتِهِ مَعَهُم، وهَلْ نَقِمُوْا عليه بَشَيء، فَذَكَرُوا أَرَّبَعُ:

أحَدُها: قالوا إِنَّهُ لا يَخْرجُ إلينا حَتَّى يَتَعَالَى النهارُ، فسأل عُمَرُ سعيداً لِمَاذا فَقَالَ إني أكرَهُ أن أقولَ ذَلِكَ، ولكن حَيْثُ أَنَّهُ لابُدَّ مِن تَوْضِيحِهِ، فإنَّهُ ليسَ لأهْلِي خادِمٌ فأقُومُ الصبحَ فأعْجِنُ لَهُم عَجِيْنَهُم، ثُمَّ أنتظِرُهُ يَخْتَمِرُ، ثُمَّ أَقُومُ فأخْبِزُهُ لهم، ثم أَتَوَضّأُ وأخرُجُ إليهم.

وأما الثانيةُ: فقالوا إنه لا يُجِيْبُ أَحَداً بالليل، فَسَأَلَهُ عُمُرُ عن ذَلِكَ فقال إني أَكْرَهْ أَنْ أذكُرَهُ، ولكن لِمَا أَنَّهُ لابُدَّ مِن ذَلِكَ فإني قد جَعَلْتُ النهارَ لهم، ولِرَبّي عَزَّ وجَلَّ الليلَ.

قال عمرُ وما هي **الثالثة**، قالوا إنه لا يَخْرُجُ يوماً مِن كُلِ شَهْرٍ، فسأله فقال إنهُ لَيْسَ لِي خادِمٌ، وليس عِندي ثِيَابٌ غَيْرَ الَّتِي عليَّ فَأَنا أَغْسِلُهَا في الشهر مَرَّةً، وأنتظِرُهَا حتى تَجِفَّ، ثم أخرجُ إليهم آخِرَ النهار.

وأما الرابعة: فقالوا إنه تُصِيبُهُ غَشْيَةٌ في بَعْضِ الأَوْقَاتِ فَيَغِيبُ عَمَّنْ في المجلسِ، فَسَأَلَهُ عمرُ عَنْهَا فقال إني حَضَرْتُ مَصْرَعَ خُبَيْبِ بن عَدِيَ، وأنا مُشْرِكٌ وَرَأَيْتُ قُرِيشاً تُقَطِعُ جَسَدَهُ وهيَ تَقُولُ أَتُحِبُ أن يكونَ مكانَكَ مُحَمَّداً، فقال واللهُ ما أُحِبُ أن أكونَ آمِناً وأهلي وَوَلَدِي وأنَّ مُحَمَّداً تَشُوْكُهُ شَوْكَةٌ.

فإذا ذَكَرتُ ذَلِكَ المَشْهَدَ وأني لَمْ أَنْصُرْهُ ظَنَنْتُ أنَّ اللهِ لا يَغْفِرُ لِي فَتُصِيبُنِيْ تِلْكَ الغَشْيَةُ، ثُمَّ بَعَثَ لَهُ عُمَرْ بألِف دِينارٍ يَسْتَعِيْنُ بها على حَوَائِجِه، فَلَمَّا عَلِمَتْ زَوْجَتُهُ قالَتْ الحمدُ لِلَّهِ الذي أغنانا عَن خِدْمَتِكَ أشْتَرْ لَنَا مَؤُنَةً واستأجِرْ لَنَا خَادِماً فقالَ لَهَا وَهَلْ لَكَ فِيْمَا هُوَ خَيْرٌ مِن ذَلِكَ قَالَتْ وَمَا ذَاكَ قال نَدْفَعُهَا إلى مَنْ يَأْتِيْنَا بِهَا وَنَحْنُ أُحوجَ مَا نَكُونُ إليهَا قالَتْ وَمَا ذَاكَ قال نُقْرِضُهَا اللهَ قَرْضاً حَسَناً قالَتْ نَعَمْ وَجُزِيْتَ خَيْراً فَمَا قَامَ مِن مَجْلِسِهِ حَتَّى وَزَّعَهَا عَلى الأَيْتَامِ والأَرَامِلِ والمَسَاكِينَ فَرَضِيَ اللهُ عَنه وأرضَاهُ لَقَدْ كَانَ مِن الذِينَ يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.. أهـ باختصار.

شِعْرًا: وما الناسُ إلَّا رَاحِلُونَ وَبَيْنَهُمْ ... رِجَالٌ ثَوَتْ آثارُهُـم كالمَعَالِـمِ

بِعِـزَّةِ بَأْسٍ وطِـلَاعِ بَصِيْـرَةٍ ... وَهَـزَّةِ نَفْسٍ وتَّسَاعِ مَرَاحِـمِ

حُظُوظُ كَمَالٍ أَظْهَرَتْ مِن عَجَائِبٍ ... بِمِرْآتِ شَخْصٍ مَا اخْتَفَى فِي العَوَالِمِ

وما يَسْتَطِيْعُ المَرءُ يَخْتَصُّ نَفْسَهُ ... أَلَا إِنَّمَا التَّخْصِيْصُ قِسْمَةُ رَاحِمِ

وَمَـنْ عَرَفَ الدُّنْيَا تَيَقَّـنَ أنَّهَـا ... مَطِيَّـةُ يَقْظَـانٍ وَطَيْفَـةُ حَالِـمِ

فلِلَّـهِ سَاعٍ في مَنَاهِـجِ طَاعَـةٍ ... لإيْلَافِ عَدْلٍ أَوْ. لإِئتِلَافِ ظَالِمِ

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِن النِّفَاقِ وأَخْلِصْ عَمَلِنَا مِن الرياء ومَكْسَبَنَا مِنَ الربَا ونَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الإيمانِ وَثَبِّتْهَا على طَاعَتِكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا، اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنْ الخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُوْ وَاصْرِفْ عَنَّا مِنْ السُّوْءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ. اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوْبَنَا بِرَجَائِكَ وَاقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنَ سِوَاكَ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوْبَنَا فَاسْتُرْهَا وتَعَلَمَ

حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيّاً وَكَفَى بِكَ نَصِيْرَاً يَارَبَّ العَالَمِيْنَ، اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوْكِ سَبِيْلِ عِبَادِكَ الأَخْيَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: لِلْبَرَاءَ بنُ مالك الأنصاري أَخُو أَنَسِ بنِ مالكٍ خادِمِ رسولِ اللهِ ﷺ كَانَ البَراءُ شُجَاعاً قَتَلَ مَائةً مِنَ المُشْرِكِيْنَ مُبارَزَةً وهو وَحْدَهُ غَيْرَ الذين قَتَلَهُمْ في غِمَارِ المَعَارِكَ مَعَ المُحَارِبين.

وَبَعْدَ أَنْ التَحَقَ النبيُ ﷺ بالرَّفِيقِ الأَعْلَى إِرْتَدّ قَبَائِلُ مِن العَرَبِ وخَرَجُوا مِن الإِسلامِ، ولَمْ يَبْقَ إِلَّا أَهْلُ مَكَّةَ والمَدِيْنَةَ، وجماعاتٍ مُتَفَرِّقَة هُنا وهُناكَ، مِمَّنْ ثَبَّتَ اللهُ قُلُوبَهُم عَلَى الإِيمان.

وَصَمَدَ الصِّدِّيْقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِهَذِهِ الفِتْنَةِ المُدَمِّرَةِ العَمْيَاءِ صُمُودَ الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ، وَجَهَّزَ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ والأَنْصَارِ أَحَدَ عَشَرَ جَيْشاً.

وَعَقَد لِقَادَةِ هذِهِ الجُيُوشِ أَحَدَ عَشَرَ لِوَاءَ، وَدَفَعَ بِهِمْ فِي أَرْجَاءِ جَزِيْرَةِ العَرَبِ لِيُعِيدُوْا المُرْتَدِيْنَ إِلَى سَبِيْلِ الهُدَى والحَقِّ.

وَكَانَ أَقوى المُرْتَدين بأْساً وَأَكْثَرُهُم عَدَداً بَنُوا حَنِيفَةَ، أَصحابُ مُسَيْلَمَةِ الكَذَّابِ فَقَدْ اجتَمَعَ مَعَ مُسَيْلَمَةِ مِن قَومِهِ وحُلَفَائِهِ أَربَعُونَ أَلفاً وكانَ أكثرُهُم قَدْ اتَّبَعُوا مُسَيْلَمَةَ عَصَبِيَةً لا إِيماناً بِهِ.

فَلِذَلِكَ صَرَّحَ بَعْضُهُم وقالَ أَشْهَدُ أَنَّ مُسَيْلَمَةَ كَذَّابٌ وَمُحَمَّداً صادِقٌ لكنْ كَذَّابَ رَبِيعَة أَحَبُّ إِلينا مِنَ صادِقِ مُضَرَ: قَدَّرَ اللهُ أَنَّ جَيْشَ مُسَيْلَمَةَ يَهْزِمُ أَوَّلَ جَيْشٍ خَرَجَ إِلَيْهِ مِنْ جُيُوشِ المُسْلِمِيْنَ بِقِيَادَةِ عِكرِمَةَ بنِ أَبِي جَهْلٍ.

فَأَرْسَلَ الصديقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَيْشاً ثانياً بِقِيَادَةِ خالِدِ ابنِ الوَلِيدِ حَشَدَ فيهِ وُجُوهَ الصَّحَابَةِ مِن المهاجِرينَ والأَنصار.

وكانَ في طَلِيْعَةِ هَؤُلآءِ البَرَاءُ بنِ مالِكٍ الأَنْصَارِي وَنَفَرٌ مِن كُمَاةِ المُسْلِمِيْنَ، والتقَى الجَيْشَانِ في أَرْضِ اليَمَامَةِ، فَمَا هُوَ إلَّا أَنْ رَجَحَتْ كِفَةُ مُسَيْلَمَةَ وأَصْحَابِهِ وَزُلْزِلَتِ الأَرْضُ تَحْتَ أَقْدَامِ المُسْلِمِيْنَ وَطَفِقُوا يَتَرَاجَعُونَ عن مَوَاقِفِهِمْ حَتَّى اقْتَحَمَ قَوْمُ مُسَيْلَمَةَ وَمَنْ مَعَهُمْ فُسْطَاطَ خالِدِ بنِ الوليدِ واقْتَلَعُوهْ مِنْ أُصُولِهِ.

عِندَ ذَلِكَ شَعُرَ المُسْلِمُونَ بالخَطَرِ الدَّاهِمِ وأَدْرَكُوا أَنَّهُمْ إنْ يُهْزَمُوْا أَمامَ مُسَيْلَمَةَ فَلَنْ تَقُومَ للإِسلامِ قائِمَةٌ، وهَبَّ خالِدٌ إلى جَيْشِهِ فَأَعَادَ تَنْظِيْمَهُ فَمَيَّزَ المهاجِرِيْنَ عن الأنصَارِ، وَمَيَّزَ أَبْنَاءِ البَوَادِي عَنْ هَؤُلآءِ وهؤُلآءِ، وَجَمَعَ أَبْنَاءَ كُلِّ أَبٍ تَحْتَ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ لِيَعْرِفَ بَلَاءَ كُلِّ فَرِيْقٍ مِنْهُمْ، وَلْيَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ أُتِيَ المُسْلِمُوْنَ.

ثُمَّ دَارَتْ رَحَى الحَرْبِ مَعْرَكَةٌ ضَرُوسٌ لَمْ يَعْرَفْ لَهَا نَظِيْرٌ، وَثَبَتَ قَوْمُ مُسَيْلَمَةَ في سَاحَاتِ الوَغَى ثُبُوتَ الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَلَمْ يُبَالُوا بِكَثْرَةِ مَا قُتِلَ مِنْهُمْ، وَأَبْدَى المُسْلِمُوْنَ مِنْ الشَّجَاعَةِ وَالبُطُولَةِ مَا لَوْ جُمِعَ لَكَانَ مَلْحَمَةً مِنْ رَوَائِعِ المَلَاحِمْ.

فَهَذَا ثَابِتٌ بنُ قَيْسٍ حَامِلُ لِوَاءِ الأَنْصَارِ يَتَحَنَّطُ وَيَتَكَفَّنُ وَيَحْفِرُ لِنفْسِهِ حُفْرَةً في الأَرضِ فَيَنْزِلُ فِيْهَا إلى نِصْفِ سَاقِهِ وَيَبْقَى ثَابِتاً يُجَالِدُ عَنْ رَايَةِ قَوْمِهِ حَتَّى خَرَّ صَرِيْعاً شَهِيْدَاً.

وَهَذَا زَيْدُ بنُ الخَطَّابِ أَخُو عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يُنَادِي في المُسْلِمِيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ عُضُّوا عَلَى أَضْرَاسِكُمْ واضْرِبُوْا في عَدُوِّكُمْ وَامْضُوا قُدُماً، أَيُّهَا النَّاسُ وَاللهِ لَا أَتكَلَّم بَعْدَ هَذِهِ الكَلِمَةِ أَبَدَاً حَتَّى يُهْزَمَ مُسَيْلَمَةُ أَوْ أَلْقَى اللهَ، فَأُدْلِيَ إِلَيْهِ بِحُجَّتِي، ثُمَّ كَرَّ عَلَى قَوْمِهِ فَمَا زَالَ يُقَاتِلُ حَتَّى قُتِلَ.

وَهَذَا سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ يَحْمِلُ رايَةَ المُهَاجِرِيْنَ فَيَخْشَى عَلَيْهِ قَوْمُه أَنْ

يَضْعُفَ أَوْ يَتَزَعْزَعْ فَقَالُوا لَهُ إِنَّا لَنَخْشَى أَنْ نُؤْتَى مِنْ قِبَلِكَ فَقَالَ إِنْ أُتِيتُمْ مِنْ قِبلي فَبِئْسَ حَامِلُ القُرآنِ أَكُوْنُ ، ثُمَّ كَرَّ عَلَى أَعْدَاءِ اللهِ كَرَّةً بَاسِلَةً حَتَّى أُصِيْبَ .

فَلَمَّا رَأَى خَالِدُ أَنَّ الوَطِيْسَ حَمِيَ وَاشْتَدَّ التَفَتَ إلى البَرَاءِ بنِ مَالِكٍ وَقَالَ إِلَيْهِمْ يَا فَتَى الأَنْصَارِ ، فالْتَفَتَ البَرَاءُ إلى قَوْمِهِ وَقَالَ يَاأَهْلَ المدِيْنَةِ لا يُفَكِّرَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِالرُّجُوْعِ إِلى يَثْرِبَ ، فَلَا مَدِيْنَةَ لَكُم بَعْدَ اليَوْمِ ، وَإِنَّمَا هُوَ اللهُ وَحْدَهُ ، ثُمَّ الجَنَّةُ .

ثُمَّ حَمَلَ عَلَى الأَعْدَاءِ وَحَمَلُوا مَعَهُ وَانْبَرَى يَشُقُّ الصُّفُوفَ ، وَيُعْمِلُ السَّيْفَ فِي رِقَابِ أَعْدَاءِ اللهِ حَتَّى زُلْزِلَتْ أَقْدَامُ مُسَيْلَمَةَ وَأَصْحَابِهِ ، فَلَجَؤُوا إلى الحَدِيْقَةِ المَعْرُوْفَةِ بِحَدِيْقَةِ المَوْتِ لِكَثْرَةِ مَنْ قُتِلَ فِيْهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَأَغْلَقَ مُسَيْلَمَةُ وَآلافٌ مَعَهُ مِنْ جُنْدِهِ الأَبْوابَ وَتَحَصَّنُوا بِعَالِي جُدْرَانِهَا وَجَعَلُوا يُمْطِرُوْنَ المُسْلِمِيْنَ بِنَبَالِهِمْ مَنْ دَاخِلِهَا فَتَتَسَاقَطُ عَلَيْهِمْ تَسَاقُطَ المَطَرِ .

عِنْدَ ذَلِكَ تَقَدَّمَ البَرَاءُ بنُ مَالِكٍ وقَالَ يَاقَوْمُ ضَعُونِي عَلَى تُرْسٍ وارْفَعُوا التُّرْسَ عَلَى الرِمَاحِ ثُمَّ اقْذِفُوْنِي بالحَدِيقَةِ قَرِيباً مِنْ بَابِهَا فإِمَّا أَنْ أُسْتَشْهَدَ وإِمَّا أَنْ أَفْتَحَ البابَ وفي زَمَنٍ يَسِيْرٍ جَلَسَ البَرَاءُ عَلَى التُرْسِ وَرَفَعَتْهُ الرِّماحُ وَأَلقَتْهُ في حَدِيقَةِ الموتِ قُرْبَ البابِ بَيْنَ الآلافِ المُؤَلَّفَةِ مِن جُنْدِ مُسَيْلَمَةَ .

فَنَزَلَ عَليهِم نُزُوْلَ الصَّاعِقَةِ فَجَالَدَهُمْ أَمَامَ بَابِ الحَدِيقَةِ حَتَّى قَتَلَ عَشْرَةً مِنْهُمْ وَفَتَحَ البابَ لِلْمُسْلِمِيْنَ وَبِهِ بِضْعٌ وثَمَانُونَ جُرَاحَةٌ فَتَدَفَّقَ المُسْلِمُوْنَ على الحَدِيقَةِ مِن حِيْطَانِهَا وَأَبْوَابِها وَاعْمَلُوا السُيُوفَ في رِقَابِ المُرتَدِينَ حَتَّى قَتَلُوا مِنهم قَرِيْباً مِن عِشْرِيْنَ أَلْفاً وَوَصَلُوا إِلَى مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابَ فَقَتَلُوْهُ .

ثُمَّ حَمَلُوا البَرَاءَ بنَ مالِكٍ إِلَى رَحْلِهِ لِيُدَاوَى فيهِ وَأَقَامَ عَلَيْهِ خَالِدُ ابنُ الوَلِيْدِ شَهْراً يُعَالِجَهُ حَتَّى أَذِنَ اللهُ لَهُ بالشِفَاءِ وَظَلَّ البَرَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَمَنَّى الشَّهَادَةَ الَّتِي فاتَتْهُ يَوْمَ الحَدِيْقَةِ حَتَّى فَتْحُ تَسْتُرَ مِن بلاد الفُرْسِ في إِحْدَى القِلَاعِ المُمَرَّدَةِ .

فَحَاصَرَهُمْ المُسْلِمُوْنَ وَأَحَاطُوا بِهِمْ فَلَمَّا طَالَ الحِصَار واشْتَدَّ البَلاءُ على الفُرْسِ جَعَلُوا يُدْلُوْنَ مِن فَوْقِ أَسْوَارِ القَلْعَةِ سَلَاسِلَ مِن حَدِيْدٍ عُلِقَتْ بها كَلَالِيبُ مِن فُولَاذٍ حُمِّيَت بالنار فكَانَتْ تَنْشَبُ في أَجْسَادَ المُسْلِمِيْنَ وَتَعْلَقُ بِهِمْ فَيَرْفعونَهُمْ إِلَيْهِمْ إِمَّا مَوْتَى وإِلَّا عَلَى وشَك المَوْتِ فَعَلِقَ كَلُوْب منها بأَنَسِ بن مالِكٍ أَخِي البَرَاءِ بنِ مالك.

فَوَثَبَ البَرَاءُ على جِدارِ الحِصْنِ وأَمْسَكَ السَّلْسِلَةَ الَّتِي مَسَكَتْ أَخَاهُ وَجَعَلَ يُعَالِجُ الكُلَّابَ لِيُخْرِجَه مِن جَسَدِ أَخِيْهِ وأَخَذَتِ يَدَاهُ تَحْتَرِقُ فَلَمْ يُبالِ إِلَى أَنْ خَلَّصَ أَخَاهُ وَهَبَطَ إِلَى الأَرْضِ بَعْدَ أَنْ صَارَتْ يَدُه عِظَاماً لَيْسَ عَلَيْهَا لَحْمٌ ثُمَّ دَعَا البَرَاءُ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَه الشهادَةَ فأَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ واسْتَشْهَدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأَرضاهُ.. أهـ، باختصار مِنْ صُوَر مِنْ حَيَاة الصحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

شِعْرًا: لَهَفِيْ عَلَى سُرُجِ الدُّنْيَا الَّتِي طَفِئتْ ... وَلَا يَزَالُ لَهَا فِي النَاسِ أَنْوَارُ
لَهَفِيْ عليهم رِجالًا طَالَمَا صَبَرُوْا ... وَهَكَذَا طَالِبُ العَلْيَاءِ صَبَّارُ
لَهَفِيْ عَلَيْهِم رَجَالًا طالَمَا عَدَلُوا ... بَيْنَ الأَنَامِ وما حَابَوْا ولا مَارُوا
مَالُوْا يَمِيْنَاً عن الدُّنْيَا وَزَهْرَتِها ... لِأَنَّهَا فِي عُيُونِ القَوْمِ أَقْذَارُ
وَصَاحَبُوْهَا بِأَجْسَادٍ قُلُوبُهُم ... طَيْرٌ لَهَا فِي ظِلَالِ العَرْشِ أَوْكَارُ

اللَّهُمَّ قَوِّ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَثَبِّتْنَا عَلَى قَولِكَ الثابِتِ فِي الحياةِ الدُّنْيَا وفي الآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هداةً مُهْتَدِيْنَ سِلْمَاً لأَوليائِكَ حرباً لأَعدائِكَ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلانِيَتَنَا وتَسْمَعُ كَلَامَنَا وتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِن أَمْرِنَا نَحْنُ البُؤَسَاءُ الفُقَرَاءُ إِليكَ المستغيثونَ المستجيرونَ بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِيْنِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ ويُزِيلُ مَا حَدَثَ مِن البِدَعِ والمُنْكَراتِ وَيُقِيْمُ عَلَمَ الجِهَادِ وَيَقْمَعُ أَهْلَ الزَّيْغِ والكُفْرِ والعِنادِ ونَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« قصـــة »

لأم سلَمَة وما حَصَلَ لَهَا مِنْ الأذَى

اسْمُهَا هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّة سَيِّدٌ مِن سادات مَخْزُوم المَرْمُوقِيْنَ وجَواداً يُقالُ لَهُ زَادُ الراكِبِ لأنَّه إذا سَافَرَ لا يَتْرك أحداً يُرافِقُهُ ومَعَهُ زَادٌ بل يَقُومُ بِرِفْقَتِهِ مِن الزَّادِ، وَزَوْجُ أمّ سَلَمَةَ عبدُالله بنُ عَبْدِالأسَدِ أحد العشرةِ السابقينَ إلى الإسلامِ لَمْ يُسْلِم قَبْلَهُ إلَّا أَبُو بَكْرٍ وَنَفَرٌ قليلٌ.

أَسْلَمَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مَعَ زَوْجِهَا فَكَانَتْ هِيَ الأُخْرَى مِن السابقاتِ إلى الإسلامِ، ولَمَّا شَاعَ خَبَرُ إسْلَامِهَا هَاجَتْ قُرَيْشٌ وَجَعَلَتْ تَصُبُّ عَلَيْهِمَا الأَذَى الشَّدِيْدُ، فلَمْ يُؤَثِّرْ بِهِمَا ولَمْ يُزَلْزِلْهُمَا ولَمْ يَتَرَدَّدَا.

وَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمَا الأَذَى وأذنَ النبيُ ﷺ لِأَصْحَابِهِ بالهِجْرَةِ إلى الحَبَشَةِ كَانَا فِي طَلِيعَةِ المُهَاجِرِيْنَ وَمَضَتْ أُمُ سَلَمَةَ وَزَوْجُهَا إلى دِيَارِ الغُرْبَةِ وَخَلَّفَتْ وَرَاءَهَا فِي مَكَّةَ بَيْتَها الفَسِيْحَ العَالِي، وَعِزَّها الشَّامِخَ، وأقْرِبَائِهَا وَمَالَها، مُحْتَسِبَةً الأَجْرَ مِن العَلِيِّ العَظِيم مُحْتَقِرَةً ما تَرَكَتَ في جَانِبِ مَرْضَاةِ اللهِ.

وبِالرَّغْمِ مِمَّا حَصَلَ لأُمِّ سَلَمَةَ وَمَن هَاجَرَ مَعَهَا مِن الحَفَاوَةِ والاكْرَامِ والتَقْدِيْرِ، فَقَدْ كانَ الشَّوْقُ يَحْدُوْهَا إلى مَهْبَطِ الوَحْيِ وإلى النبي الكريم.

ثُمَّ تَتَابَعَتِ الأَخْبَارُ عَلَى المُهَاجِرِيْنَ إلى أَرْضِ الحَبَشَةِ بِأَنَّ المُسْلِمِيْنَ في مَكَّةَ قَدْ كَثُرُوْا وَاقْتَوَوْا وَعَزّوا، وأَنَّ إسْلَامَ حَمْزَةَ وعُمَرَ بنَ الخطَابِ قَدْ شَدَّ أَزْرَهُمْ وَكَفْكَفَ شَيْئاً مِن أَذَى قُرَيْشٍ عن المسلمين.

فَعَزَمَ فَرِيْقٌ مِن المُهَاجِرِيْنَ عَلَى العَوْدَةِ إلى مَكَّةَ يَحْدُوْهُمْ الشَّوْقُ وَيَدْعُوْهُم الحَنِيْنُ، فَكَانَتْ أُمُ سَلَمَةٌ وَزَوْجُهَا مَعَ العَازِمِيْنَ على العَودَةِ.

لَكِنْ سَرَعَانَ مَا تَبَيَّنَ لِلْعَائِدَيْنَ أَنَّ مَا نُقِل لَهُمْ مِن الأَخْبَارِ أَنَّهُ كَانَ مُبَالَغَاً

فِيْهِ، وأنَّ المُشْرِكِيْنَ قَدْ قَابَلُوا زِيَادَةَ القُوَّةِ والعِزَّةَ بِالتَّهَوُرِ والتَّفَنُنِ في التَّعْذِيْبِ وَتَرْوِيْعِهِمْ وَازْعَاجِهِمْ وَأَذَاقُوْهُمْ العَذَابَ الأَلِيْمَ.

عِندَ ذَلِكَ أَذِنَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ بالهِجْرَةِ إلى المَدِيْنَةِ، فَعَزَمَت أُمُ سَلَمَةَ وَزَوْجُهَا، على الهِجْرَةِ إِلى المَدِيْنَةِ لَكِنْ هِجْرَتُهُمَا لَمْ تَكُنْ كَمَا ظَنَّا أَنَّهَا سَهْلَةٌ بَلْ كَانَتْ صَعْبَةً عَسْرَةً خَلَّفَتْ وَرَاءَها مأسَاةً تَهُوْنُ دُوْنَهَا كُلُ مَأْسَاةٍ.

قَالَتْ أُمُ سَلَمَةُ وَلَمَّا عَزمَ أَبُو سَلَمَة على الخُرُوجِ إلى المدَينَةِ أَعَدَّ لِي بَعِيراً، ثُمَّ حَمَلَنِي عليهِ وجعلَ طِفْلَنَا سَلَمَةَ في حَجْرِي، وَمَضَى يقودُ بِنَا البعِيرَ، وهو لا يلْوِيْ على شَيْءٍ، وقبلَ أن نَفْصِلُ عن مَكَّةَ رآنَا رِجَال مِن قَوْمِي مِنْ بَنِي مخْزُوم فَتَصَدُوا لنا.

وقالوا لِأبِي سَلَمَة إنْ كنتَ قَدْ غَلَبْتَنَا على نَفْسِكَ فَمَا بالُ امرأَتِكَ وَهِيَ بِنتُنا، فَعَلَام نَتْرُكُكَ تأخذها مِنّا وتَسِيْرُ بها ثُمَّ وَثَبُوا عليهِ وانْتَزَعُونِي، وَمَا إن رَآهُمْ قَوْمُ زَوْجِي بَنُو عَبْدِ الأَسَدِ يأخذونَنِي أنا وطفلي حَتَّى غَضِبُوا غَضَباً شَدِيدًا.

وقَالُوا لا واللهِ لانَتْرُكُ الوَلَدَ عِنْدَ صَاحِبتكُمْ بَعْدَ أَنْ انتَزعْتُمُوهَا مِن صَاحِبِنَا انْتِزَاعاً فهو ابْنُنَا ونَحْنُ أَوْلَى بِهِ، قالَتْ ثُمَّ طَفِقُوا يَتَجَاذَبُونَ الطِّفْلَ بَيْنَهُمْ حَتَّى ضَرُّوا يَدَهُ وأَخَذُوْهُ.

وَبَعْدَ لَحظَاتٍ وَجَدْتُ نَفْسِي مُمَزَّقَةَ الشَّمْلِ وحِيْدَةً فَرِيْدَةً فَزَوْجِي أَتَّجَهَ إلى المَدِيْنَةِ فَرَارَاً بِدِيْنِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِيَ اخْتَطَفَهُ بَنُو عَبْدِالأَسَدِ مِن بَيْنَ يَدَيَّ خَطْفَاً مُحَطَّمَاً مُهَيَّضَاً.

أَمَّا أَنَا فَقَدْ استَوْلَى عَلَيَّ بَنُو مَخْزُوْمٍ قَوْمِي وَجَعَلُونِي عِنْدَهُمْ فَفُرِّقَ بَيْنِيْ وَبَيْنَ ابْنِيْ في ساعةٍ قَالَتْ، ومِنْ ذَلِكَ جَعَلْتُ أَخْرُجُ كُلَّ غَدَاةٍ إلى الأَبْطَحِ

فأجْلِسُ فِي المَكَانِ الذي شَهِدَ مَأْسَاتِي، وأسْتَعِيْدُ فيها صُوْرَةَ اللَّحَظَاتِ الَّتِي حِيْلَ بَيْنِيْ وَبَيْنَ زَوْجِي وَوَلَدَيَ فيها.

وَأَظَلُّ أَبْكِي حَتَّى يُخَيِّمُ عَلَيَّ اللَّيْلُ وَبَقِيْتُ عَلَى ذَلِكَ قَرِيْبَاً مِن سَنَةٍ، قَالَتْ إِلَى أنْ مَرَّ بِيَ رَجُلٌ مِن بَنِي عَمِّيْ فَرَقَّ لِحَالِي وَرَحمنِيْ، قال لِبَنِيْ قَوْمِي أَلَا تُطْلِقُونَ هَذِهِ المِسْكِيْنَةَ فَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَوَلَدِهَا وَمَازَالَ بِهِم حَتَّى قَالُوا لِيْ الْحَقِيْ بِزَوْجِكِ إنْ شِئْتِ.

قَالَتْ أُمُ سَلَمَةَ، وَلَكِنْ كَيْفَ لِي أَنْ الْحَقَ بِزَوْجِي فِي المَدِينَةِ وأَتْرُكُ فَلْذَةَ كَبِدِيْ وَلَدِي فِي مَكَّةَ عِنْدَ بَنِيْ عَبْدِالأَسَدَ، قَالَتْ وَرَأى بعضُ الناسِ ما أُعَالِجُ مِن أُحْزَانٍ وأَشْجَانٍ فَرَقَّتْ قُلُوبُهُم لِحَالِي وكلمُوا بَنِي عَبدِالأَسَدِ فِي شأني وَاسْتَعْطَفُوهُم عليَّ فَرَدُوا لِيْ وَلِدِيْ سَلَمَةَ. قَالَتْ أُمُ سَلَمَةَ فَأَعددتُ بَعِيْرِي وَوَضَعْت ولِدي فِي حَجْرِي وخَرَجْتُ مُتَوَجِهَةً إلى المدينةِ أُرِيْدُ زَوْجِي وَمَا مَعِي أَحَدٌ مِن خلقِ الله.

قالَت وما وَصِلْتَ التَنْعِيم حَتَّى لَقِيتُ عُثْمَانَ بنَ طلحةَ فقال إلى أينَ يا بنتَ زادِ الراكبِ فقلتُ أريدُ زَوْجِي فِي الْمدِيْنَةِ قالَ أَمَا مَعَكَ أَحدٌ قُلْتُ لا واللهِ إلا الله ثم ابنِي هَذَا قالْ عثمانُ واللهِ لا اتركُكِ أبدَاً حَتَّى تَبْلغُي المدينةَ قالتْ أمُّ سَلَمَةَ ثُمَّ أخذَ بِخِطَامِ بَعِيْرِي وانطلق يَهْوِي بِي قالْت فواللهِ مَا رَأَيتَ أكرمَ مِنْهُ وَلَا أشْرَفَ وسارَ مَعِي حَتَّى بَلْغْنَا المدِيْنَةَ.

فَلَمَّا نَظَرَ إلى قَرْيَةٍ بِقُبَاءِ لِبنِي عَمْرِو بنِ عَوّفٍ قالَ زَوْجُكِ فِي هَذِهِ القَرْيَةِ فادْخُلِيها عَلَى بَرَكَةِ الله، ثُمَّ انصرفَ راجِعاً إلى مَكَّةَ وَنَزَلَتْ عَلَى زَوجها وقَرَّتْ عَيْنُهَا بِهِ وبوَلَدِهَا.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ شَهِدَ أَبُو سَلَمَةَ بَدْراً وَعَادَ مَعَ المُسْلِمِيْنَ، وَقَدْ انْتَصَروا نَصْراً مُؤَزَّراً، وشَهِد أُحُداً وأَبْلَى بلاءً حَسَناً، لكِنّه خرجَ منها وقَدْ جُرِحَ

جُرْحاً بَلِيْغاً، فَمَا زَال يُعَالِجُه حَتَّى تَوارَى لَهُ أَنَّهُ قَدْ انْدَمَلَ وَالْتأَمَ.

لكِنِ الجُرْحِ كانَ بِنَاؤُهُ عَلَى فَسَادٍ، فَمَا لَبثِ أَنْ نَفَرَ وأَلْزَمَ أَبَا سَلَمَة الفِرَاشَ.

وبَيْنَما أَبو سَلَمَة يُعالِجُ جَرْحَهُ قَالَ لِزَوجَتِهِ ياأُمَّ سَلَمَةَ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول لا يُصِيبُ أَحَداً مُصيبةٌ فَيَسْتَرجِعُ عِندَ ذَلِكَ وَيقُولَ اللَّهُمَّ عِندَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيْبَتِي هَذِهِ، اللَّهُمَّ أخلُفِنِي خيراً منها إلا أعطاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وظَلَ أَبُو سَلَمَةَ على فِرَاشِ مَرَضِهِ أَيَّاماً وفي ذَاتِ صَبَاحٍ أَقْبَلَ رسولُ اللهِ ﷺ على بَيْتِهِ لِيَعُودَهُ، فَلَمْ يَكَدْ يُجَاوِزُ بابَ الدارِ حَتَّى فارَق أَبُو سَلَمة الحَياةَ.

فأَغْمَضَ النبيُ ﷺ أَبا سَلَمَة وقالَ إن الرُّوحَ إذا قُبِضَ اتبعهُ البصرُ ورَفَع ﷺ طَرْفَهُ إلى السماءِ وقالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ وارْفَعْ دَرَجَته في المَهْدِيْنَ واخْلُفْهُ في عُقبِه وافَسَحْ لَهُ قَبْرَه ونَوِّرْ لَهُ فيه، ثُمَّ ما كادَتْ تَخْرُجُ مِنْ حِدادِ حَتَّى تَتَابع عَلَيها الخُطَّابُ فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ إليها يَخْطُبُها فأَبَتْ أَنْ تَسْتَجِيبَ لَهُ ثُمَّ تَقَدَّمَ عُمُرُ ابْنُ الخَطَّابِ فَرَدَّتْهُ كَمَا رَدَتْ صَاحِبَهُ.

ثُمَّ تَقَدَّمَ النبيُ ﷺ فقالتَ لَهُ يارسولَ اللهِ إن فيَّ خِلالًا ثلاثاً فأنا امْرَأَةٌ شَدِيْدَةُ الغَيْرةِ فأَخَافَ أن تَرى شيئاً مِنِّي يُغْضِبُكَ فَيُعَذِبُنِيْ اللهُ.

وأَنا امرأَةٌ قَدْ دَخَلْتُ في السِنِّ وأَنَا امْرَأَةٌ ذاتُ عِيالٍ.

فقال ﷺ أما مَا ذَكَرْتِ مِنْ غَيْرتِكَ فإنِيْ أَدْعَو اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أنْ يُذْهِبَهَا عَنْكِ.

وأَمَّا مَا ذَكَرْتِ في السِّن فقد أَصَابَنِي مِثْلُ الذِيْ أَصابَكِ وأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِن العِيال فإِنَّمَا عِيَالُكِ عِيالِي.

ثُمَّ تَزَوَّجَها رَسُولُ الله ﷺ فاستَجَابَ اللهُ دَعاءَها وأخلَفَها خيْراً مِن أَبِي سَلَمةَ.

ومُنْذُ ذَلِكَ اليومِ لَمْ تَكُنْ أمُّ سَلَمَةَ فَقَطْ بَلْ كانَتْ أمًّا للمُؤْمنينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وأرضَاها وجَعَل جَنَّةَ الفِرْدَوْسِ مَثْوانا ومَثْواها.. أهـ.

اللَّهُمَّ أنْظُمْنَا في سِلْكِ الفَائِزِيْنَ بِرِضْوَانِكَ، واجْعَلْنَا مِنْ المُتَّقِيْنَ الذيْنَ أعْدَدْتَ لَهُمْ فَسِيْحَ جَنَّاتِكَ، وأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ في دَارِ أَمَانِكَ، وَعَافِنَا يَا مَوْلاَنَا في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ جَمِيْعِ البَلايَا وأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهِبَاتِكَ وَمَتِّعْنَا بالنَّظَرِ إلى وَجْهِكَ الكَرِيْمِ مَعَ الذِيْنَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّيْنَ والصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِيْنَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

فَيَاوَيْحَ مَن شَبَّتْ على الزَّيْغِ نَفْسُهُ ... إلى أن دَهَاهَا الشَيْبُ وهو نَذِيْرُ
وماتَ ومَا لاقَى سِوَى الخِزْيِ والشَّقَا ... وَوَبخَـهُ بَيْـنَ القُبُـورِ نكيـرُ
ولَاقَى إِلٰهَ العَرْشِ فِي ثَوْبِ حَسْرَةٍ ... وَقَدْ كانَ في ثَوْبِ الغُرُورِ يَدُوْرُ
فقَالَ خُذُوهُ لِلْجَحِيْـمِ مُكَبَّـلًا ... وصَلُّـوهُ ناراً إنّـه لَكَفُـوْرُ
ويـا فَوْزَ مَن أَدَّى مَنَـاسِكَ دِيْنِـه ... وعاشَ سَلِيْمَ القَلْبِ وهْوَ طَهُوْرُ
وتَابَعَ دِيـنَ الحَقِ فِقْهـاً وحِكمةً ... ولبـىَ نِدَاءَ اللهِ وهْـوَ شَكُـوْرُ
فَهذا الذِي في الخُلْدِ يَنْعَمُ بالُـه ... وَتَحْظَوْا به بَيْـنَ الأَرَائِكِ حُوْرُ
فَلَا تُهْمِلُوا يَاقَوْمُ آدابَ دِينِكِمْ ... فَهَجْرُ طريقِ الأَنْبيَـاءِ فُجُـوْرُ
ومـا العَيْشُ إلا غَمْضَةٌ والتِفاتَـةٌ ... وحُلْـوُ أمانِـي فَوْتهُـنَّ مَرِيْـرُ
ومـا المَرْءُ إلَّا طائِرٌ وجَنَاحُـهُ ... مُرُووْ لَيَالِي العُمْرِ وهْوَ قَصِيْرُ
ومَـا المَوتَ إلَّا جَارِحٌ لا يَعُوقُهُ ... إذا انْـقَضَّ بُنْيَـانٌ عَلَا وقُصُوْرُ
ورَامِـيْ المَنَايَـا لا تُردُ سِهامُـه ... سَواءٌ لَدَيْهَـا حَاكِـمٌ وحَقِيْـرُ
وإنَّـا وإنْ عِشْنَـا زَمَانـا مُطـوَّلًا ... وطابَ لَدَيْنَا العَيْشَ وهْوَ نَظِيْرُ
فَبَطْنُ الثَرَى حَتْماً مَحَطُ رِحَالِنا ... وهَلْ ثَمَّ حَيٌّ مَا حَوَتْهُ قُبُـوْرُ

ويـا لَيْتَهـا كَانَتْ نِهَايَـةُ ضَعْنِنَـا ... ولكِـنَّ عُقْبَـى الظَّاعِنِيـنَ نُشُوْرُ
وحَشْرٌ مَهُوْلٌ وازْدِحَامٌ بِمَوْقِفٍ ... علىَ كُلِّ إِخْوانِ الضَيَاعِ عَسِيْرُ
ومَصْرَفُهُ سِجْنٌ لِمنْ عاشَ لاهِياً ... بِهِ لَهَبٌ يَشْوِي الحَشا وسَعِيْرُ
وخُضْرُ جِنَانٍ لِلَّذِي ماتَ تَائِباً ... وكان لهُ في الدَاجِيَاتِ زَفِيْرُ
فلا تُسْلِمُوْا لِلنَّارِ حَرَّ وُجُوهِكُمْ ... ولا تُغْضِبُوْا الرحمنَ فَهْوَ غَيُوْرُ
وتُوبُوا إليْهِ واسأَلُوه حَنَانَهُ ... فَواللهِ ربي إِنَّهُ لغَفُوْرُ
ولَا يَغْتَرِرْ ذُو الجَاهِ مِنْكُمْ بجاهِهِ ... فأَكْبَرُ عَاتٍ في المَعَادِ حَقِيْرُ
وعَن جاهِهِ والمال مَنْ مَاتَ خَارِجٌ ... وأَغْنَى غَنِيٍّ إذ يمُوتُ فَقِيْرُ
وَلَا تُلْهِكُم دُنْياً أَبادَتْ وأَهْلَكَتْ ... مُلُوكَ قُرُونٍ عَدُّهُنَّ كَثِيْرُ
وإِنَّا وإِنْ كَانَتْ أَسافِلُ قَوْمِنا ... تَسَاوَى لَدَيهِم مُؤْمِنٌ وكَفُوْرُ
وبَاعُوا بدُنْيَاهُم فَضَائلَ دِينِهِم ... وفَاسِقُهُمْ لِلْمَاكِرِينَ نَصِيْرٌ
فَقَدْ أَسْخُطُوا الرَّحْمنَ حَتَّى أَهَانَهُمْ ... ولَيْسَ لَهُمْ لِلإِنْتِقَامِ شُعُوْرُ
فَمِنَّا أُنَاسَ فِي الدَّيَاجِي نَواحُهُمْ ... تَبين لَهُمْ عِنْدَ البُكَاءِ صُخُوْرُ
يُنَادُونَ يَارَحْمَنُ لُطْفاً فَإِنَنا ... عَهِدْنَاكَ عَطْفاً لِلْمَلْهُوفِ تَجِيْرُ
فَيَا مَصْلِحَ الأَحْوَالِ جَمِّلْ شُؤُونَنَا ... فأَنْتَ لِاصْلَاحِ الشُؤُونِ جَدِيْرُ
وأَنْتَ إِلٰهُ العَالَمِينَ بأَسْرِهِمْ ... وأَنْتَ سَمِيْعٌ عَالِمٌ وبَصِيْرُ
فَلَا يَأْسَ إِذْ أَنْتَ القَدِيْرُ وكُلُّ مَنْ ... تَوَلَّاهُ يَأْسٌ مِنْكَ فَهْو كَفُورُ
وصَلِّ وسَلِّم يا إلٰهي تَفَضُّلًا ... عَلَى مَنْ بِذِكْرَاهُ القُلُوبُ تُنِيْرُ
مَحَمَّدُ قُطْبُ المُرْسَلِينَ ومَنْ رَحَى ... رسالتِهِمْ جَمْعاً عليهِ تَدُورُ

اللَّهُمَّ ياحيُ ياقيُّومُ طَهِّر قُلْوبَنَا من النِّفَاقِ وَعَمَلنا مِن الرِّيَاء وأَلْسُنَنا مِن الكَذِبِ وأَعْيُنَنا مِن الخِيانة إِنَّكَ تعلمُ خائِنةَ الأَعيُن وما تُخْفِي الصُدُور وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ ياأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

نَمَاذِجُ مِنْ سِيْرَةِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ الْمُخْلِصِيْنَ ونُصْحِهِمْ لِوُلَاةِ الأُمُوْرِ وَبُعْدِهِمْ عَنْ الطَّمَعِ والْجَشَعِ عَكْسُ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ عُلَمَاءِ هَذا الزَّمَانِ

عَنْ الأَوْزَاعِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِبْنِ عُمَرَ قَالَ بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُوْرُ أَمْيْرُ الْمؤمِنِيْنَ وَأَنَا بالسَاحَلِ فأَتَيْتُهُ، فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ وسَلّمْتُ عَلَيْهِ بالْخِلافَةِ، رَدَّ عَلَيَّ وَاسْتَجْلَسَنِيْ، ثُمَّ قَالَ لِيْ مَا الَّذِي أَبْطَأَ بِكَ عَنَّا يَا أَوْزَاعِيُّ.

قَالَ قُلْتُ ومَا الَّذِّي تُرِيْدُ يَاأَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ، قَالَ أُرِيْدُ الأَخْذَ عَنْكُمْ وَالإِقْتِبَاسَ مِنْكُمْ، قَالَ فَقُلْتُ فانْظُرْ يَاأَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنْ لَا تَجْهَلَ شَيْئاً مِمَّا أَقُولُ لَكَ، قَالَ كَيْفَ أَجْهَلُهُ وأَنَا أَسْأَلُكَ عَنْهُ وَفِيْهِ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ وَأَقْدَمْتُكَ لَهُ.

قَالَ قُلْتُ أَخَافُ أَنْ تَسْمَعَهُ، ثُمَّ لَا تَعْمَلُ بِهِ، قَالَ فَصَاحَ بَيْ الرَّبِيْعُ وَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى السَّيْفِ، فَانْتَهَرهُ الْمَنْصُورُ وقَالَ هَذَا مَجْلِسُ مَثُوبَةٍ لَا مَجْلِسُ عُقُوْبَةٍ فَطَابَتْ نَفْسِي، وَانْبَسَطْتُ فِيْ الْكَلَامِ.

فَقُلْتُ يَاأَميْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ حَدَّثَنِي مَكْحُوْلُ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ بِشْرٍ قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ، أَيُّمَا عَبْدٍ جَاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ من اللهِ فِي دِيْنِهِ، فأَنَّهَا نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ سِيْقَتْ إِلَيْهِ، فَإِنْ قَبلَهَا بِشُكْرٍ وإِلا كَانَتْ حُجَّةً مِنَ اللهِ عَلَيْهِ، لِيَزْدَادَ بِهَا إِثْماً وَيَزْدَادَ اللهُ بِهَا سُخْطاً عَلَيْهِ.

يَاأَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ حَدَّثَنِي مَكْحُوْلُ عَنُ عَطيَّة ابْنِ يَاسِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيّمَا والٍ مَاتَ غَاشاً لِرَعِيّتِهِ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».

يَاأَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ مِنْ كَرِهَ الْحَقَّ فَقَدْ كَرِهَ اللهَ، إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِيْنُ، إِنَّ الذّي لَيَّنَ قُلُوبَ أُمَّتِكِمْ لَكُمْ حِيْنَ وَلَّاكُمْ امُورَهُمْ لِقَرَابَتِكُم مِنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَقَدْ كَانَ بِهِمْ رَؤُوفاً رَحِيْماً مُوَاسِياً لَهُمْ بِنَفْسِهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ مَحْمُوداً عِنْدَ اللهِ وعِنْدَ النَّاسِ، فَحَقِيْقٌ بِكَ أَنْ تَقُومَ لَهُ فِيهِمْ بِالْحَقِّ، وَأَنْ تَكُوْنَ بِالْقَسْطِ لَهُ فِيْهِمْ قَائِماً، وَلِعَوْرَاتِهِمْ سَاتِراً لا تُغْلَقْ عَلَيْكَ دُوْنَهُمْ الْحِجَابَ، تَبْتَهِجُ بِالنَّعْمَةِ عِنْدَهُمْ وَتَبْتَئِسْ بِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ سُوْءٍ.

يا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِيْنَ قَدْ كُنْتَ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ مِنْ خاصَّةِ نَفْسِكَ عَنْ عَامَّةِ النَّاسِ الذِّيْنَ أَصْبَحْتَ تَمْلِكُهُمْ أَحْمَرِهِمْ وَأَسْوَدِهِمْ مُسْلِمِهِم وَكَافِرِهِمْ وَكُلٌّ لَهُ عَلَيْكَ نَصِيْبٌ مِن الْعَدْلِ، فَكَيْفَ بِكَ إِذَا انْبَعَثَ مِنْهُمْ فِئَامٌ، ولَيْسَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَشْكُو بَلِيَّةً أَدْخَلْتَهَا عَلَيْهِ أَوْ ظَلَامَةً سُقْتَهَا إِلَيْهِ.

يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيْنَ حَدَّثَنِي مَكْحُوْلُ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ قَالَ كَانَ بِيَدِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ جَرِيْدَةٌ يَسْتَاكُ بِهَا وَيُرَوِّعُ بِهَا الْمُنَافِقِينَ فَأَتَاهُ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ لَهُ يا مُحَمَّدُ مَا هَذِهَ الْجَرِيدَةُ الَّتِي كَسَرْتَ بِهَا قُلُوْبَ أُمَّتِكَ وَمَلأْتَ قُلُوبَهُمْ رُعْباً، فَكَيْفَ بِمَنْ شَقَّقَ أَسْتَارَهُمْ وَسَفَكَ دِمَاءَهُمْ وَخَرَّبَ دِيَارَهُمْ، وَأَجْلَاهُمْ عَنْ بِلَادِهُمْ وَغيَّبهُمْ الْخَوْفُ مِنْهُ.

يا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِيْنَ حَدَّثَنِي مَكْحُولُ عَنْ زِيَادَةَ عَنْ حَارِثَةَ عَنْ حَبِيْبِ ابْنِ مَسْلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَا إِلَى الْقِصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ فِي خَدْشٍ خَدَشه أَعْرَابِيٌّ لَمْ يَتَعَمَّدْهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ يا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْكَ جَبَّاراً وَلَا مُتَكَبِّراً، فَدَعا النَّبِيُّ ﷺ الأَعْرَابِيَّ فَقَالَ: «اقْتَصَّ مِنِّي» فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ قَدْ أَحْلَلْتُكَ بِأَبِي أَنْتَ وأُمِي، وَمَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ أبداً، وَلَوْ أَتَيْتَ عَلى نَفْسِيْ فَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ.

يا أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ رَضِّ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ، وَخُذْ لَهَا الآمَانِ مِنْ رَبِّكَ، وَارْغَبْ فِي جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمواتُ زالأَرْضُ، الَّتِي يَقُوْلُ فِيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَقَيْدُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ فِيْ الْجَنَّةِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيا وَمَا فِيْهَا.

يا أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ إِنَّ الْمُلْكَ لَوْ بَقِيَ لِمَنْ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ، وَكَذا لا يَبْقَى لَكَ كَمَا لَمْ يَبْقَ لِغَيْرِكَ.

يا أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ أَتَدْرِيْ مَا جَاءَ فِي تأْوِيْلِ هَذِهِ الآيَةِ عَنْ جَدِّكَ ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيْرَةً وَلَا كَبِيْرَةِ إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ قَالَ الصَّغِيْرَةُ التَّبَسُّمُ وَالْكَبِيْرَةُ

الضَّحِكُ، فَكَيْفَ بِمَا عَمِلَته الأَيْدِيْ وحَصَدَتْهُ الأَلْسُنُ.

يا أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ بَلَغَنِيْ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لَوْ مَاتَتْ سَخْلَةٌ عَلَى شَاطِيءِ الفُرَاتِ ضُيِّعَتْ لَخَشِيْتُ أَنْ أُسْأَلَ عَنْهَا، فَكَيْفَ مِمَّنْ حُرِمَ عَدْلَكَ وهُوَ عَلى بِسَاطِكَ.

يَا أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ أَتَدْرِيْ مَا جَاءَ فِيْ تَأْوِيْلِ هَذِهِ الآيَةِ عَنْ جَدِّكَ ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيْفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ﴾ قَالَ اللهُ تَعَالى فِي الزَّبُورِ يَا دَاوُدُ إِذَا قَعَدَ الخَصْمَانُ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَكَانَ لَكَ فِي أَحَدِهِمَا هَوَى، فَلَا تَتَمَنَّيَنَ فِيْ نَفْسِكَ أَنْ يَكُوْنَ الْحَقُّ لَهُ فَيُفلِحَ عَلَى صَاحِبِه، فَأَمْحُوكَ عَنْ نُبُوَّتِي ثُمَّ لَا تَكُونُ خَلِيْفَتِيْ، وَلَا كَرَامَةَ، يَا دَاوُدُ إِنَّما جَعَلْتُ رُسُلِيْ إِلى عِبَادِي رُعَاةً كَرُعَاةِ الإِبِلِ، لِعِلْمِهِمْ بِالرِّعَايَةِ وَرِفْقِهِمْ بِالسِّيَاسَةِ لِيَجْبُرُوا الْكَسِيْرَ وَيُدَلُّهُوا الْهَزِيْلَ عَلى الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ.

يَا أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ إِنكَ قَدْ بُلِيْتَ بِأَمْرٍ لَوْ عُرِضَ عَلى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ لأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهُ وَاشْفَقْنَ مِنْهُ.

يَا أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ حَدَّثَنِي يَزِيْدُ بْنُ جَابِرٍ عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرَةَ الانْصَارِي أنّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِي اللهُ عَنْهُ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الانْصَارِ عَلى الصَّدَقَةِ، فَرآه بَعْدَ أَيَّامٍ مُقِيْماً فَقَالَ لَهُ مَا مَنَعَكَ مِنَ الْخُرُوْجِ إِلى عَمَلِكَ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ لَكَ مِثْلَ أَجْرِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيْلِ اللهِ، قَالَ لَا ثُمَّ قَالَ وَكَيْفَ ذَلِكَ قَالَ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ مَا مِنَ وَالٍ يَلِيْ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ النَّاسِ إِلَّا أُتِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ مَغْلُولَةً يَدُهُ إِلى عُنُقِهِ، لَا يَفُكُّهَا إِلَّا عَدْلُهُ، فَيُوقَفُ عَلَى جِسْرٍ مِنَ النَّارِ يَنْتَفِضُ بِهِ ذَلِكَ الْجِسْرُ انْتِفَاضَةً تُزِيْلُ كُلَّ عُضْوٍ مِنْهُ عَنْ مَوْضِعِه، ثُمَّ يُعَادُ فَيُحَاسَبُ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِناً نَجَا بِإِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيْئاً انْحَرَفَ بِهِ ذَلِكَ الْجِسْرُ، فَيهْوَى بِهِ فِي النَّارِ سَبْعَيْنَ خَرِيْفاً، فَقَال عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِمَّنْ سَمِعْتَ قَالَ مِن أَبِيْ ذَرٍّ وَسَلْمَانُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا عُمَرُ فَسَأَلَهُمَا فقالا نَعَمْ سَمِعْنَا

مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ عُمَرُ واعُمَرَاهُ مَنْ يَتولَّاهَا بِمَا فِيْهَا فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَنْ سَلَتَ اللهُ أَنْفَهُ، وَأَلْصَقَ خَدَّهُ بالأَرْضِ قَالَ فَأَخَذَ الْمِنْدِيْلَ فَوَضَعَهُ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ بَكَى وَانْتَحَبَ حَتَّى أَبْكَانِي.

ثُمَّ قُلْتُ يَاأَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ قَدْ سَأَلَ الْعَبّاسُ النَّبِيَّ ﷺ إِمَارَةَ مَكَّةَ أَوْ الطّائِفَ أَوْ اليَمَنَ، فَقَالَ لَهُ النَّبيّ ﷺ يَاعَبَّاسُ يَاعَمَّ النَّبِيِّ نَفْسٌ تُحِيْيِهَا خَيْرٌ مِنْ أَمَارَةٍ لَا تُحْصِيَهَا، نَصِيْحَةٌ مِنْهُ لِعَمِّهِ وَشَفَقَةٌ عَلَيْهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَا يُغْنِي عَنْهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الأَقْرَبِيْنَ﴾، فَقَالَ يَاعَبَّاسُ ويَاصَفِيَّةُ ويَافَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ إِنِّي لَسْتُ أُغْنِي عَنْكُمْ مِن اللهِ شَيْئاً انّ لِي عَمَلِيْ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَا يَقْسِمُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيْفُ الْعَقْلِ أَرِيْبُ الْعَقْدِ، لَا يُطَّلَعُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ، لَا يُخَافُ مِنْهُ عَلى حُرَّةٍ، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وقَالَ الامُرَاءُ أَرْبَعَة فَأَمِيْرٌ قَوِيٌّ ظَلِف نَفْسَهُ وَعُمَالَهُ، فَذَلِكَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيْلِ اللهِ يَدُ اللهِ بَاسِطَةٌ عَلَيْهِ الرَّحْمَةِ، وَأَمِيْرٌ فِيْهِ ضَعْفٌ ظَلَفَ نَفْسَهُ وَأَرْتَع عُمَّالَهُ لِضَعْفِهِ، فَهُوَ عَلى شَفَاءِ هَلَاكٍ إِلّا أَنْ يَرْحَمَهُ اللهُ، وَأَمِيْرٌ ظَلَفَ عُمَّالَهُ لِضَعْفِهِ وَارْتَعَ نَفْسَهُ فَذَلِكَ الْحُطَمَةُ، الَّذِي قَالَ فِيْهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَرُ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ فَهُوَ الْهَالِكُ وَحْدَهُ، وأَمِيْرُ أَرْتَعَ نَفْسَهُ وعُمَّالَهُ فَهَلَكوا جَمِيْعاً.

وَقَدْ بَلَغَنِي يَاأَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنَّ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ أَتَيْتُكَ حِيْنَ أَمَرَ اللهُ بِمَنَافِخِ النَّارِ فَوُضِعَتْ عَلَى النَّارِ تُسَعَّرُ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فقَالَ لَهُ يَاجَبْرِيْلُ صِفْ لِيْ النَّارَ فَقَالَ إِنَّ اللهَ تَعَالى أَمَرَ بِهَا فأوقدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى احْمَرّتْ، ثُمَّ أَوْقَد عَلَيْهَا ألف عَامٍ حَتَّى اصْفَّرتْ، ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلفَ عَامٍ حَتَّى اسْودَتْ، فهي سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ، لا يُضِيءُ جَمْرُهَا، وَلَا يَطْفَأُ لَهَبُهَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّ ثَوْباً مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ النَّارِ أُظْهِرَ لِأَهْلِ الأَرْضِ لَمَاتُوا جَمِيْعاً وَلَوْ أَنَّ ذنُوباً مَنْ شَرابِهَا صُبَّ فِي مِيَاهِ الأَرْضِ جَمِيْعاً قَتَلَ مَنْ ذَاقَهُ، وَلَوْ

أَنَّ ذِرَاعاً مِنْ السِّلْسِلَةِ الَّتِيْ ذَكَرَ اللهُ وُضِعَ عَلَى جِبَالِ الأَرْضِ جَمِيْعاً لذَابَتْ وَمَا اسْتَقَلّتْ ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً أُدْخِلَ النَّارَ ثُمَّ أُخْرِجَ مِنْها لمَاتَ أَهْلُ الأَرْضِ مِن نَتَنِ رِيْحِهِ وَتَشْوِيْهِ خَلْقِهِ وَعِظامِهِ .

فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ وَبكَى جبْرِيْلُ عَليْهِ السَّلَامُ لِبُكَائِهِ فقالَ أَتَبْكِي يَا مُحَمَّدُ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدمَّ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَقالَ أَفَلَا أَكُوْنُ عَبْداً شَكُوْراً ، وَلِمَ بَكَيْتَ يَا جِبْرِيْلُ وأَنْتَ الرُّوْحُ الأَمِيْنُ أَمِيْنُ اللهِ عَلى وَحْيِهِ .

قَالَ أَخَافُ أَنْ أُبْتَلى بِمَا ابْتُلِيَ بِهِ هَارُوْتُ وَمَارُوْتُ ، فَهُوَ الَّذِي مَنَعَنِي مِنْ اتِّكَالِي عَلَى مَنْزَلَتِي عِنْدَ رَبِّي ، فَأَكُوْنُ قَدْ أَمِنْتُ مَكْرَهُ ، فَلَمْ يَزَالَا يَبْكِيَانِ حَتَّى نُودِيَا مِنَ السَّمَاءِ ، يَاجبْرِيْل ، وَيَا مُحَمَّدُ إِنَّ الله قَدْ أَمَّنَكُمَا أَنْ تَعْصِيَاهُ ، فَيُعَذِّبَكُمَا ، وَفَضْلُ مُحَمَّدٍ على سَائِرَ الأَنْبِيَاءِ كَفَضْلِ جِبْرِيْلُ عَلَى سَائِرِ المَلَائِكَةِ .

وَقَدْ بَلَغَنِي يَا أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُبَالِي إِذَا قَعَدَ الْخَصْمَانِ بَيْنَ يَدَيَّ عَلَى مَنْ مَالَ الْحَقُّ مِنْ قَرِيْبٍ أَوْ بَعِيْدٍ ، فَلَا تُمْهِلْنِيْ طَرْفَةَ عَيْنٍ .

يَا أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنَّ أَشَدَّ الشِّدَّةِ الْقِيَامُ لِلَّهِ بِحَقِّهِ ، وَانَّ أَكْرَمَ الْكَرَمِ عند الله التَّقْوَى ، وإِنَّهُ من طَلَبَ العِزَّ بطاعةِ اللهِ رَفَعَهُ اللهُ وَأَعَزَّهُ .

وَمَنْ طَلَبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ أَذَلَّهُ ، وَوَضَعَهُ ، فَهَذِهِ نَصِيْحَتِيْ إِلَيْكَ والسَّلَامُ عَلَيْكَ ، ثُمَّ نَهَضْتُ فَقَالَ لِي إِلَىَ أَيْنَ فَقُلْت إِلى الْوَلَد وَالْوَطَن ، بِإِذْنِ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ إِنْ شَاءَ اللهُ .

فَقَالَ قَدْ أَذِنْتُ لَكَ ، وَشَكَرْتُ لَكَ نَصِيْحَتكَ ، وَقَبلْتُهَا ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ لِلْخَيْرِ وَالْمُعِيْنُ عَلَيْهِ ، وَبِهِ أَسْتَعِيْنُ ، وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ ، وَهُوَ حَسْبِيْ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ فَلا تُخْلِنِيْ بِمُطَالَعَتِكَ ايّايَ ، بِمِثْلِ هَذَا فَإِنَّكَ الْمَقْبُولُ الْقَوْلَ غَيْرَ الْمُتَّهَم فِي النَّصِيْحَةِ ، قُلْتُ أَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللهُ واللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّم .

«فَصْــــلٌ»

وَلَمَّا اسْتَوْلَى الْمَلِكُ الصَّالِحُ عَلَى دِمَشْق اسْتَعَانَ بِالإفرنج، وَاصْطَلَحَ مَعَهُمْ عَلَى أَنْ يُسْعِفُوهُ ضِدَّ أَخِيْه، مَلِك مِصْرَ، وَيُعْطِيْهِم مُقَابِلَ مَعُوْنَتِهِمْ صَيْدَا وَقَلْعَةَ الشَّقِيْفِ، وَغَيْرَهَا مِنْ حُصُوْنِ الْمُسْلِمِيْنَ.

وَدَخَل الصَّلِيْبِيُّونَ دِمَشْق، لِشِرَاء الصَّلاح فَاسْتَفْظَعَ الشَّيْخُ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ لِذلِكَ، وَغُمَّ غَمًّا شَدِيْداً، فَأَفْتَى بِتَحْرِيْم بَيْعِ السِّلاحِ لِلإِفْرَنْجِ، وَتَرَكَ الدُّعَاءَ لِلسُّلْطَانِ فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ.

وَنَدَّدَ بِخَيَانَةِ السُّلْطَانِ لِلْمُسْلِمِيْنَ، وَكَانَ مِمَّا دَعَا بِهِ فِي خُطبةِ: «اللَّهُمَّ أَبْرِم لِهَذِهِ الأُمّةِ أَمْرَ رُشْدٍ تُعِزُّ فِيْهِ وَلِيَّكَ، وَتُذِلُّ بِهِ عَدُوَّكَ، وَيُعْمَلُ فِيْهِ بِطَاعَتِكَ، وَيُنْهَى فِيْهِ عَنْ مَعْصِيَتِكَ، وَالنَّاسُ يُؤَمِّنُونَ عَلَى دُعَائِهِ»، فَبِمِثْلِ لَمْحِ الْبَرْقِ بَلَّغَ الجَواسِيْسُ الْمَلِكَ مَا فَعَلَهُ قَاضِي الْقُضَاةِ.

وَمَا أَكْثَرَ الْمُبَلِّغِيْنَ وَالْمُتَوَدِّدِيْنَ وَالنَّمَّامِيْنَ فِيْ كُلِّ زَمانٍ، وَمَكَانٍ، فَغَضِبَ السُّلْطَانُ، وَعَزَلَ الشَّيْخَ عَنِ الْقَضَاءِ فَرَحَلَ الشَّيْخُ عَنْ دِمَشْق إِلَى مِصْرَ، وَبَيْنَمَا هُو فِي الطَّرِيْق أَرْسَلَ السُّلْطَانَ فِي أَثَرِهِ، فَأَدْرَكَتْهُ رُسُلُ الْمَلِكِ الصَّالِح. وَطَلَبُوا مِنْهُ الرُّجُوْعَ، وَقَالُوْا لَهُ أَنَّ السُّلْطَانَ عَفَا عَنْكَ وَسَيَرُدُّكَ إِلى مَنْصِبِكَ عَلَى أَنْ تَنْكَسِرَ لَهُ وَتَعْتَذِرَ، وَتُقَبِّلَ يَدَهُ.

فَقَالَ لَهُمْ الشَّيْخُ أَنَا مَا أَرْضَى أَنْ يُقَبِّلَ يَدِيْ، فَضْلًا عَنْ أَنْ أُقَبِّلَ يَدَهُ، يَاقَوْمُ أَنْتُمْ فِي وَادِي، وَأَنَا فِي وادِي، ثُمَّ مَضَى فِي طَرِيْقِهِ حَتَّى وَصَلَ مِصْرَ. هَكَذا العلماء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم.

اللَّهُمَّ قَوِّنَا بالْيَقِيْنِ وَامْنَحْنا التَّوْفِيْقَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: وَلَمَّا عَلِمَ مَنْذِرُ بْنُ سَعِيْدٍ قاضِي الجَمَاعَةِ بِقَرْطَبَة، أن أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ عَبْدُالرَّحْمَنِ النَّاصِرُ بَنَى مَدِيْنَةَ الزَّهْرَاءِ وَوَضَعَ فِيْهَا الصَّرْحَ الْمُمَرَّدَ، وَاتَّخَذَ لِقُبَّتِهِ قَرَامِيدَ مِن الذَّهَبِ والفِضَّةِ.

فَغضِبَ الشَّيْخُ لِذَلِكَ، وَتَأَلَّمَ لِهَذَا الْبَذْخِ في مَالِ الدَّوْلَةِ وَعَلِمَ أَنَّهُ الْمَسْؤُولُ الأَوَّلُ أَمَامَ بَدِيْعِ السَّمَواتِ والأَرْضِ، وَأَنَّهُ يُتَعَيَّنُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْهَى عَنْ هَذَا السَّرَفِ الْمُضِرِّ بِصَالِحِ الْمُسْلِمِيْنَ.

فَجَاءَ إِلَى النَّاصِرِ وَقَبَّحَ عَمَلَهُ هَذَا وَأَنَّبَهُ بِقَوْلِهِ مَا ظَنَنْتُ أَنَّ الشَّيْطَانَ أَخْزَاهُ اللهُ بَلَغَ بِكَ هَذَا الْمَبْلَغ، وَلَا أَنْ تُمَكِّنَهُ مِنْ قِيَادِكَ هَذَا التَّمْكِيْنَ حَتَّى أَنْزَلَكَ اللهُ مَنَازِلَ الْكَافِرِيْنَ مَعَ مَا آتاكَ اللهُ وَفَضَّلَكَ عَلى الْعَالَمِيْنَ.

فاقشَعَرَّ عَبْدُالرَّحْمَن النَاصِرِ مِنْ قَوْلِ الشَيْخِ وَقَالَ لَهُ أَنْظُرْ مَاذا تَقُولَ كَيْفَ أَنْزَلَنِي مَنَازِلَهُمْ قَالَ نَعَمْ أَلَيْسَ اللهُ تَعَالى يَقُول: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَاسُ أُمَّةً واحِدةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بالرَّحْمنِ لِبُيوتِهِم سُقُفاً مِن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ، وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُوْنَ وَزُخْرفاً، وإنْ كُلَ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا والآخِرَةُ عِنْدَ رَبِكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

فَسَكَتَ الناصِرُ وَنَكَّسَ رأْسَه سَاعةً، واغْرَورَقَتْ عَيْنَاهُ مِنَ البُكَاءِ وصارَتْ دُمُوعُهُ تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهِ وَلِحْيَتِهِ، خَوْفاً مِنَ اللهِ حَيْثُ وَصَلَتِ المَوعِظَةُ الخَالِصةُ إِلَى قَلْبِهِ، وَتَأَثَّراً عَظِيْماً لِأَنَّهَا مِن قَلْبٍ إلى قَلْبْ.

ثُمَّ قَالَ لِلشَّيْخِ جَزاكَ اللهُ عَنَّا وَعَن المُسْلِمِيْنَ خَيْراً، وأَكْثَرَ فِيْنَا مِن أَمْثَالِكَ، فالذي نَطَقَت بِهِ حَقٌّ واللهِ وقامَ مِنْ مَجْلِسهِ يَلْهَجُ بالاستغفارِ ثُمَّ أَمَرَ بَنَقْضِ سَقْفِ القُبَةِ، وَعَادَ قَرَامِيدَاهَا تُراباً.

فَتأَمّل ياأَخِي كَيْفَ أَنَّ سُلْطَانُ الدُّنْيَا والمَادَّةِ وَقَفَ خَاشَعاً أَمَامَ هَذَا العَالِمِ الذي لا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَومةُ لائِمٍ الذي أَدَّى وَاجِبَه على الوَجْهِ الأَكمَلِ مُعْتَمِداً

على فاطِرِ السمواتِ والأَرْضِ الذي ما مِن دَابَةٍ إِلَّا هُوَ آخِذُ بِنَاصِيَتِها وَلَو كَانَ مِن عُلَمَاءِ هَذا العَصْرِ المُظْلِمِ لَسَمِعْتَ غَيْرَ هَذَا فَلَا حَولَ وَلَا قُوَةَ إِلَّا باللهِ العلي العَظِيمِ وهو حَسْبُنَا ونِعمَ الوكيل.

اللَّهُمَّ أَحْيِي قُلُوباً أَمَاتَها الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ، ولا تُعذبنا باليمِ عِقابِكَ يَاأَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنَّوَالِ وَجَادَ بِالإِفْضَالِ، اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ، وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: وَذُكِرَ أَنَّهُ قَدِمَ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ المَنْصُوْرُ مَكَّةَ شَرَّفَهَا اللهُ حَاجَاً فكانَ يَخْرُجُ مِن دارِ النَّدْوَةِ إلى الطوافِ في آخِرِ الليل، يَطُوفُ وَيُصَلِّي وَلَا يُعْلمُ بِهِ، فإذا طَلَعَ الفَجْرُ، رَجَعَ إلى دَارِ النَّدْوَةِ، وَجَاءَ المُؤَذِّنونَ فَسَلَّمُوْا عَلَيه وأُقِيْمَتِ الصلاةُ فيصَلِي بالناس.

فَخَرَجَ ذاتَ لَيْلَةٍ حِيْنَ أَسْحَرَ فَبَيْنَمَا هُوَ يَطُوفُ إِذْ سَمِعَ رَجُلًا عِنْدَ المُلْتَزَمِ وَهُوَ يقولُ، اللَّهُمَّ إني أشكُو إليكَ ظُهُورَ البَغْيِ والفَسَادِ في الأَرْضِ، وما يَحُولُ بَيْنَ الحَقِ وَأَهْلِهِ مِن الظُلمِ، والطَّمَعِ، فأَسْرَعَ المَنْصُورُ في مَشْيِهِ، حَتَّى مَلَأ مَسَامِعَهُ مِن قولِهِ وَفَهِمَ قَولَهُ كُلَّهُ.

ثم خَرَجَ فَجَلَسَ نَاحِيَةً مِنَ المسجِدِ، وَأَرْسَلَ إليهِ فَدَعَاهُ، فَأَتَاهُ الرسولُ، وقال له أَجِبْ أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ، فَصَلَّى ركعتينِ واسْتَلَمَ الرُكْنَ وأَقْبَلَ مَعَ الرسولِ فَسَلَّمَ عليهِ فقال لَهُ المَنْصُوْرُ: مَا هَذَا الذي سَمِعْتُكَ تقولُ مِنْ ظُهورِ البَغْي والفَسادِ في الأَرْضِ وما يَحُولُ بَيْنَ الحَقِّ وأهلِهِ مِنْ الطَّمَعِ والظُلمِ، فواللهِ لَقَدْ حَشَوْتَ مَسَامِعِي ما أَمْرَضَنِي وَأَقْلَقَنِي.

فقالَ يَاأَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ إن أَمَّنْتَنِي على نَفْسِي أَنبأْتُكَ بالأُمُوْرِ مِن أُصُولِها

وإلا اقْتَصَرْتُ على نَفْسِي فَفِيهَا لي شُغُلٌ شَاغِلٌ، فَقَال لَهُ أَنْتَ امِنٌ عَلَى نِفْسِكَ فقال الذي دَخَلَهُ الطمعُ حَتَّى حَالَ بَينَهُ وَبَيْنَ الحَقِّ واصْلاحِ ما ظَهرَ مِن البَغْي والفَسادِ في الأَرْضِ أَنْتَ.

فَقَال وَيْحَكَ يَدْخُلِني الطمَعُ والصَّفْرَاءُ والبَيْضاءُ في يَدِي والحُلْوُ والحَامِضُ في قَبْضَتِي قالَ وَهَلْ دَخَلَ أَحَداً مِنَ الطَّمَعِ مَا دَخَلَكَ يا أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ إن اللهِ تَعَالى استَرعَاكَ أُمُورَ المُسْلِمِيْنَ وأَمْوَالَهُم فأَغْفَلْتَ أُمُورَهُم واهْتَمَمْتَ بِجَمعِ أَمْوَالِهِم.

وَجَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُم حِجَاباً مِن الجِصِّ، والآجُرِ وَأَبْوَاباً مِن الحَدِيْدِ وحَجَبَةً مَعَهم السِّلاحُ ثم سَجَنتَ نَفْسَكَ فِيها عَنْهُم وَبَعَثْتَ عُمّالَكَ في جَمْعِ الأموالِ وَجِبَايَتِها.

واتَّخَذْتَ وُزَرَاءَ وَأَعْواناً ظَلَمَةً إن نَسِيْتَ لَمْ يُذَكِّرُوكَ وإنْ ذَكَرْتَ لَمْ يُعِينُوكَ وَقَوّيتَهُم عَلَى ظُلْمِ الناسِ بالأَمْوَالِ والكُراع، والسِّلَاحِ وأَمَرْتَ بأَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيكَ مِن الناسِ إلَّا فُلَانٌ وفلانٌ سَمَّيتَهُم ولم تَأْمُر بإيصالِ المَظْلُوم والمَلْهُوْفِ ولا الجَائِعِ ولا العارِي ولا الضَّعِيْفِ ولا الفقيرِ ولا أَحَدٌ إلَّا ولَهُ في هذا المالِ حَقٌّ.

فَلَمَّا رَآكَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ الذينَ استَخْلَصْتَهُم لِنَفسِكَ وآثَرْتَهُم عَلَى رَعِيْتِكَ وأَمَرْتَهُم أنْ لَا يُحْجَبُوا عَنكَ تَجْبِي الأَمْوَال ولا تَقْسِمُهَا قالُوا هَذَا قَدْ خَانَ اللهَ فَمَا لَنَا لا نَخُونُه وقَدْ سُخِرَ لَنَا.

فائتَمَرُوا على أَنْ لَا يَصِلَ إليكَ مِن عِلْمِ أَخْبَار الناسِ إلَّا مَا أَرادُوا وانْ لَا يَخْرُجَ لَكَ عَامِلٌ فَيُخَالِفَ لَهُم أَمْراً إلَّا أَقْصَوهُ حَتَّى تَسْقطَ مَنْزِلَته وَيَصْغُرَ قَدْرُه.

فلمَّا انْتَشَرَ ذَلِكَ عَنْكَ وَعَنْهُم، أَعْظَمَهُم الناسُ– وَهَابُوهُم وكانَ أَوَّلُ مَن صَانَعهُم عُمَّالُكَ بِالهَدَايَا والأموالِ لِيَتَّقَوْا بِهِم على ظُلْمِ رَعِيَّتِكَ.

ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ذَوُوْ القُدْرَةِ والثَّرْوَةِ مِن رَعِيَّتِكَ لِيَنَالُوْا ظُلْمَ مَن دُوْنَهُم مِن الرعيةِ فامْتَلأَتْ بلادُ اللهِ بالطمعِ بَغْياً وَفَساداً وَصَارَ هَؤُلآءِ القومُ شُرَكَاءَكَ في سُلْطانِكَ وأَنْتَ غافلٌ.

فإن جَاء مُتظَلمٌ حِيْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدُخُولِ إِلَيْكَ وإِنْ أَرَادَ رَفْعَ صَوْتِهِ أَوْ قِصَّتِهِ إِليكَ عندَ ظُهُورِكَ وَجَدَكَ قَدْ نَهيْتَ عن ذَلِكَ، وَقَّفْتَ لِلنَاسِ رجلًا يَنْظُرُ في مَظَالِمِهم، فإِن جَاءَ ذَلِكَ الرجُلُ وبَلَّغَ بِطَانَتَكَ سَأَلُوا صَاحِبَ المَظَالِمِ أَنْ لَا يَرْفَعَ مَظْلَمَتَهُ وان كانَتْ لِلْمُتَظَلِّمِ بِهِ حُرْمَةٌ وإِجابَةٌ لَمْ يُمَكِنْهُ مِمَّا يُرِيْدُ خَوْفاً مِنْهم.

فَلَا يَزَالُ المظلومُ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ وَيَلُوْذُ بِهِ وَيَشْكُو، وَيَسْتَغِيْثُ وهو يدْفَعهُ وَيَعْتَلِي عليه، فإذا جُهِد، وأُخْرِجَ وَظَهَرْتَ صَرَخَ بَيْنَ يَدَيْكَ فَيُضْرَبُ ضَرباً مُبرِّحاً، لِيَكُونَ نَكَالاً لِغَيْرِهِ، وَأَنْتَ تَنْظُرُ، وَلَا تُنْكِرُ وَلَا تُغْنِي، فَمَا بَقَاءُ الإِسلامِ وأهلِهِ على هذا.

وَلَقَدْ كَانَ بَنُو أُمَيَّةَ وكانَتِ العَرَبُ لا يَنْتَهِيَ إِليهم المَظْلُومُ إلا رُفِعَتْ ظَلامَتُه إليهم، فَيُنْصَفُ وَلَقَدْ كانَ الرَجلُ يأتِي مِن أَقْصَى البِلادِ حَتَّى يَبْلُغَ بَابَ سُلْطَانِهم، فَيُنَادِي ياأَهْلَ الإِسلامِ فَيَبْتَدِرونَهُ مَالَكَ فَيَرفَعُونَ مَظْلَمَتَهُ إِلى سُلْطَانِهم فَيَنْصِفُ.

وَلَقَدْ كُنْتُ أُسَافِرُ إِلى أَرْضِ الصِيْنِ وبها مَلِكٌ فَقَدِمْتُها مَرَّةً وَقَدْ ذَهَبَ سَمْعُ مَلِكِهِم، فَجَعَلَ يَبْكِي فقال وُزَرَاؤُهُ مَا لَكَ تَبكِي لَا بَكَتْ عَيْنَاكَ.

فقال أَما إِنِي لَسْتُ أَبْكِي على المُصِيْبَةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِي، ولكن أَبْكِي لِمَظْلُومٍ يَصْرَخُ بالبابِ فلا أَسْمَعُ صَوْتَهُ.

ثُمَّ قَالَ أَمَا إِنْ كَانَ ذَهَبَ سَمْعِي فَإِنَّ بَصَرِيْ لَمْ يَذْهَبْ، نَادُوا في الناسِ أَلَا لَا يَلْبَسُ ثَوْباً أَحْمَرَ إلا مَظْلُوماً، فكان يَرْكَبُ الفِيْلَ وَيَطُوفُ طَرَفي النَّهَارِ هَلْ يَرَى مَظْلُوماً فَيُنْصِفَهُ.

هَذَا يَاأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُشْرِكٌ باللهِ، قَدْ غَلَبَتْ رَأْفَتُهُ بالمُشْرِكِيْنَ، وَرِقتهُ، على شُحِّ نَفْسِهِ فِي مُلْكِهِ وَأَنْتَ مُؤْمِنٌ باللهِ، وابنُ عَمِّ نَبِي اللهِ لا تَغْلِبُكَ رَأْفتك بالمُسْلِمِيْنَ، ورِقَّتُكَ على شُحِّ نَفْسِكَ؛ فَانَكَ لَا تَجْمَعُ الأَمْوَالَ إِلَّا لِوَاحِدٍ مِن ثَلاثةٍ.

إن قُلْتَ أَجْمَعُهَا لِوَلَدِي فَقَدْ أرَاكَ اللهُ عِبَراً في الطِّفْلِ الصَّغِيرِ يَسْقُط مِن بَطْنِ أُمِّهِ وَمَالَهُ على الأَرْضِ مَالٌ، وما مِن مالٍ إلا وَدُوْنَهُ يَدٌ شَحِيْحَةٌ تَحْوِيهِ، فَمَا يَزالُ اللهُ تعالى يُلْطُفُ بذَلِكَ الطِفْلِ حَتَّى تَعْظُمَ رغبَةَ النَاسِ إليهِ، وَلَسْتَ الذي تُعْطِي بَلِ اللهُ يُعْطِي مَن يَشاء.

وان قُلْتَ أَجْمَعُ لِأُشَيِّدَ سُلْطَانِي فَقَدْ أَرَاكَ اللهُ عِبَراً فِيمَنْ كان قبلكَ مَا أَغنَى عَنْهُم ما جَمعُوهُ مِنَ الذهّب والفضةِ، وما أَعدُّوا مِنَ الرجال والسِلاحِ والكُراعِ وَمَا ضرُّكَ وَوَلَدَ أَبيكَ ما كنتُم فيهِ من قِلةِ الجِدَةِ والضّعْفِ حينَ أرادَ اللهُ بِكمْ ما أراد.

وان قُلْتَ أَجْمَعُ لِطَلَبِ غَايَةٍ هِيَ أَجْسَم مِن الغَايَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيها فَواللهِ ما فَوقَ مَا أَنْتَ فِيه إلا مَنْزِلَةُ لا تُدْرَك إلا بالعمَلِ الصالح- يُرِيدُ الجَنَّةَ وَصدَقَ رَحِمَهُ اللهُ-.

ياأَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ هَلْ تُعاقِبَ مَن عَصاكَ مِن رَعِيّتِكَ بأَشَدَ مِنْ القَتْلِ قَالَ لَا قَالَ فكَيْفَ تَصنْعُ بِالمَلِكِ الذي خَوَّلَكَ، وَمَا أَنْتَ عليهِ مِن مُلْكِ الدُّنْيا.

وهو تعالى لَا يُعاقِبُ مَنْ عَصاهُ بالقَتْلِ، ولكنْ يُعَاقِبَ مَن عَصاهُ بالخُلُودِ في العَذابِ الأليمِ، وهو الذي يَرَى مِنكَ مَا عَقَدَ عليهِ قَلْبُكَ وَأَضْمَرَتْهُ جَوَارِحُكْ فَمَاذَا تَقُولُ إذا انْتَزَع الْمَلِكُ الحقُ المُبين مُلْكَ الدُّنْيا مِن يَدِكَ وَدَعَاكَ إلى الحِسَابِ هَلْ يُغْنِي عَنْكَ عِندَهُ شَيءٌ مِمَّا كُنْتَ فيهِ مِمَّا شَحَحتَ عليهِ مِن مُلْك الدُّنْيا.

فَبَكَى الْمَنْصُورُ بُكَاءٌ شَدِيْدَاً حَتَّى نَحَبَ وارْتَفَعَ صَوْتُهُ ثُمَّ قَالَ كَيْفَ احْتيالِي فِيْمَا خُوِّلْتُ فِيهِ ولَمْ أَرَ مِنَ الناسِ إِلَّا خائِناً، قَالَ يا أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلَيْكَ بالأئمةِ الأعْلَامِ المُرشَدِين قَالَ وَمَن هُم، قالَ العُلَمَاءُ قال قَدْ فَرُّوا مِنِّيْ، قَالَ هَرَبُوا مِنْكَ مَخَافَةَ أَن تَحْمِلَهُم على مَا ظَهَرَ مِن طَرِيْقَتِكَ مِن قِبَلِ عُمَّالِكَ.

ولكن افْتَحْ الأَبْوَابَ وَسَهِّل الحِجَابَ، وانْتَصِرْ لِلْمَظْلُومِ مِن الظَّالِمِ، وامْنعِ المَظَالِمَ وَخُذْ الشَّيءَ مِمَّا حَلَّ وَطَابَ واقْسِمْهُ بالحَقِ والعَدلِ، وأنا ضَامِنٌ عَلَى أَنَّ مَن هَرَبَ مِنْكَ أَنْ يَأْتِيْكَ، فَيُعَاوِنَكَ على صَلاحِ أَمْرِكَ، وَرَعِيَّتِكَ فقالَ الْمَنْصُورُ اللَّهُمَّ وَفِّقْنِي أَنْ أَعْمَلَ بما قالَ هذا الرجلُ وأُقِيْمَتِ الصلاةُ فخَرَجَ فَصَلَّى بِهِم .. إلخ.

شِعْرًا: مَا ضَرَّ مَنْ رَهِبَ المُلُوكَ لَو أَنَّهُ ... رَهِبَ الَّذِي جَعَلَ المُلُوكَ مُلُوكَا
وَإِذَا رَجَوْتَ لِنَعْمَةٍ أَوْ نِقْمَةٍ ... فارجُ المليكَ وحَاذِرِ المَمْلُوكَا
وإذا دَعَوتَ سِوَى الإِلَهِ فإِنَّمَا ... صَيَّرتَ لِلرَّحمٰن فِيكَ شَرِيكَا

آخر: واللهُ بالغَيبِ، والتَّقدِيرِ مُنْفَرِدٌ ... وما سِوىٰ حُكْمِهِ غَيٌّ وتَضْلِيلُ
فَلا مُعَجِّلِ لِلْمَقْضِيِّ آجِلُهُ ... وَلَيْسَ لِلعاجلِ المقْضِيِّ تَأْجِيلُ
ثِقْ بالعَلِيمِ الَّذِي يَقْضِي الأُمورَ، ولا ... يَغْرُوْكَ ما دونَهُ؛ فالكُلُّ تَعْلِيلُ

اللَّهُمَّ توفَنا مُسْلِمِيْنَ وأَلحقنَا بالصالِحِيْنَ غَير خَزايا ولا مَفتونين وَاغْفِرْ لَنَا. اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِلقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبارِكْ لَنَا في الحلال مِن رِزْقِكَ ولَا تَفْضَحْنَا بين خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ داعٍ وأَفْضَلَ مَن رجَاهُ راجٍ يا قاضِي الحاجاتِ ومُجِيْبَ الدعواتِ هَبْ لَنَا ما سَأَلْناهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيْمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوائِجَ السَّائِلِين ويَعْلَمُ ما فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أذِقْنَا بَرْدَ عَفْوكَ وحَلَاوَةَ مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

شِعْرًا: زِيادةُ المرءِ في دُنياهُ نقصانُ ... ورِبحُهُ غيرَ مَحْضِ الخيرِ خُسْرانُ
وكُلُّ وِجْدَانِ حَظٍ لا ثباتَ لَهُ ... فإن مَعْناهُ في التَّحْقِيقِ فِقْدَانُ

ياعامِراً لِخرابِ الدهرِ مُجْتَهِداً ... باللهِ هَلْ لِخَرِبِ الدهر عُمْرانُ
ويا حَرِيصاً على الأَمْوالِ تَجْمَعُهَا ... أَنَسَيْتَ أَنَّ سُرُوْرَ المالِ أَحْزَانُ
رَاعِي الفُؤادَ عن الدُّنْيَا وزُخْرُفِها ... فَصَفْوُهَا كَدَرٌ والوصلُ هُجْرانُ
وأَرعِ سَمْعَكَ أَمْثالاً أُفَصِلُّها ... كما يُفَصَّلُ ياقوتٌ ومَرْجَانُ
أَحْسِن إلى الناسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ ... فَطَالَ مَا إسْتَعْبَدَ الإنسانَ إحسانُ
يا خادمَ الجسمِ كم تَسْعَى لِخِدْمَتِهِ ... أَتَطْلُبُ الربحَ مما فيه خُسرانُ
أَقْبِلْ على النفسِ وإستكْمِلْ فَضَائِلَهَا ... فأَنْتَ بالنفسِ لا بالجسمِ إنسانُ
وإنْ أَسَاءَ مُسِيىء فَلْيَكُنْ لَكَ في ... عُروضِ زَلَّتِهِ عَفْوٌ وغُفرانُ
وكُنْ على الدهر مِعْوَاناً لِذي أَملٍ ... يَرجُوا نَدَاكَ فإن الحرَ مِعْوَانُ
وإشدُدْ يَدَيْكَ بحبلِ اللهِ مُعْتَصِماً ... فإنهُ الركنُ إنْ خانَتْكَ أركَانُ
مَن يَتقِ اللهَ يُحمَد في عَواقِبِهِ ... ويَكْفِهِ شَرَّ مَن عَزُوا ومَن هَانُوا
مَن إستعَانَ بغيرِ اللهِ في طَلَبٍ ... فإنَّ ناصِرَهُ عَجْزُ وخُذْلانُ
مَن كان لِلْخَيرِ مَنَّاعاً فليسَ لَهُ ... على الحقيقة إخوانُ وأَخْدَانُ
مَن جادَ بالمالِ مَالَ الناسُ قاطِبةً ... إليهِ والمالُ لِلإنسانِ فَتَّانُ
مَن سَالَم الناسَ يَسْلَم مِن غَوائِلِهِمْ ... وعاشَ وهو قَرِيْرُ العينِ خَذْلانَ
مَن كان لِلْعقلِ سُلطانٌ عليه غَدَا ... وما على نفسِهِ لِلْحِرْص سُلْطَانُ
مَن مَدَّ طَرفاً بفرطِ الجَهلِ نَحْوَ هَوًى ... أَغْضَى على الحقِ يوماً وهو خَزْيَانُ
مَن إستشارَ صُروفَ الدهرِ قَامَ لَهُ ... على حقيقةِ طبعِ الدهرِ بُرْهَانُ
مَن يزْرعِ الشرَ يَحْصُد في عواقِبِهِ ... نَدَامةً ولِحَصْدِ الزَّرْعِ إبَّانُ
مَن إستنام إلى الأشرارِ نَامَ وفي ... قَمْيصِهِ مِنْهُمُوا صِلٌ وثُعْبَانُ
كُنْ رَيِّقَ البِشرِ إنَّ الحرَّ هِمَّتُهُ ... صَحْيفَةٌ وعليها البشرُ عُنوانُ
ورافقِ الرفقَ في كُلِ الأمُور فَلَمْ ... يَنْدَمْ رِفيقٌ ولم يَذْمُمْهُ إنسانُ
ولا يَغُرنْكَ حَظٌ جَرَّهُ خَرَقٌ ... فالخَرْقُ هَدْمٌ ورِفْقُ المرالأ بُنْيَانُ
أَحْسِنْ إذا كَانَ إمكانٌ وَمَقْدِرَةٌ ... فلن يَدُوْمَ علىَ الإحسانِ إمكانُ

فالروضُ يزْدِانُ بالأَنوار فَاغِمُـهُ / والحُرُ بالعدلِ والإحسانِ يَزْدَانُ

دَعِ حُرَّ وَجْهِكَ لا تَهْتِكْ غَلاَلَتَهُ / فكُلُ حُرٍ لِحُرِّ الوَجْهِ صَوَّانُ

لا ضِلَّ لِلمَرْءِ يَعْرَى مِن نُهىً وَتُقَى / وإن أَظَلَّتْــهُ أوراقٌ وأَفْنَـــانُ

والناسُ أعوانُ مَن وَلَتْهُ دَوْلَتُـهُ / وهُـمْ عَليهِ إذا عَادَتْـهُ أَعْـوَانُ

سَحْبَانُ مِن غيرِ مالٍ بأَقِلٌ حَصِرٌ / وبأَقِلٌ في ثَرَاءِ المالِ سَحْبَـــانُ

ولا تُوْدِعِ السِرَّ وَشَّاءً بهِ مَذِلًا / فَمَا رَعَى غَنَماً في الدَّو سِرْحَانُ

لا تَحسَبِ الناسَ طبعاً واحداً فَلَهُمْ / غَرَائِزُ لستَ تُحْصِيْهِـنَّ أَلْـوَانُ

ما كُلُ مَاءٍ كَصَدَّاءٍ لِوارِدِهِ / نَعَمْ ولا كُلُ نَبْتٍ فهو سَعْدَانُ

لا تَخْدِشَنَّ بِمَطْلٍ وَجْهَ عَارِفَةٍ / فالبِرُّ يَخْـدِشُهُ مَطْـلٌ ولَيَّـــانُ

لا تَسْتَشِرْ غَيْرَ نَدْبٍ حَازِمٍ يَقِظٍ / قَدْ إسْتَوَى عِنـدَهُ سِرٌّ وإعْـلاَنُ

فَلتَدابِيـــرِ فُرسانٌ إذا رَكَضُوا / فيها أَبَـرُّوا كما لِلْحَـرْبِ فُرْسَانُ

ولِـلأُمُوْرِ مَوَاقِـيْتٌ مُقَـدَّرة / وكُـلُ أمـرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيْـزَانُ

فلا تكَنْ عَجِلًا في الأمر تَطْلُبُهُ / فليسَ يُحْمَدُ قَبْلَ النُّضْجِ بُحْرانُ

كَفَى مِن العيشِ ما قَدْ سَدَّ مِن عَوَزٍ / فَفِيْـهِ لِلْحُرِ قُنْيَــان وغُنْيَـــانُ

وذُوا القَنَاعةِ راضٍ مِن مَعْيشَتهِ / وصَاحِبُ الحِرْصِ إنْ أَثْرَى فَغَضْبَانُ

حَسْبُ الفَتَى عَقْلُه خِلًا يُعَاشِرُهُ / إذا تَحَامَـاهُ إِخْوانٌ وخِـــلانُ

هُمَا رَضِيْعَا لِبانٍ حَكْمَةٌ وتُقَى / وسَاكِنَـا وَطَـنٍ مَالٌ وطُغْيَـــانُ

إذا نَبَـا بِكريمٍ مَوْطِـنٌ فَلَــهُ / ورَاءَهُ في بَسِيْطِ الأَرْضِ أَوْطَانُ

يا ظالماً فِرحًـا بالعزِ سَاعَـــدَهُ / إنْ كُنْتَ في سِنَةٍ الدهُر يَقْظَانُ

ما إسْتَمْرأ الظُلْمَ لَوْ أنْصَفتَ آكلَهُ / وَهَلْ يَلَـذُّ مَذاقُ المرءِ خُطْبَـانُ

يا أَيُّهَـا العالِـمُ المرضُيُ سِيْرَتُــهُ / أَبْشِرْ فأَنْتَ بغيـرِ الماءِ رَيَّـــانُ

ويا أخا الجهلِ لو أَصْبحتَ في لُجَجٍ / فأَنْتَ ما بَيْنَهَا لا شَكٍّ ضَمْئآنُ

ولا تحسبنَّ سُرُوراً دائمـاً أبَـداً / مَن سَرَّهُ زَمَـن سَاءَتْـهُ أَزْمَـانُ

يا رَفِلًا في الشبابِ الوَجْفِ مُنْتَشِياً / مِن كأسِهِ هَلْ أَصابَ الرُّشْدَ نَشْوانُ

لا تَغْتَـرِرْ بِشَبَـابٍ زَائِـلٍ خَضِـلٍ ... فَكَمْ تَقَدَّمْ قِبْـلَ الشّيْبَ شُبَّـانُ
ويا أخا الشيبِ لو ناصَحْتَ نفسَكَ لَمْ ... يَكُنْ لِمثْلِكِ في الإسْرافِ إمْعَانُ
هَبِ الشيبـةَ تُبْلي عُذْرَ صَاحِبِها ... ما عُذْرُ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيطانُ
كُلُ الذُنُـوبِ فإِنَّ اللهِ يَغْفُرهَـا ... إنْ شَيَّـعَ المرءَ إخـلاصٌ وإيمانُ
وكُـلُ كَسْرٍ فإنَّ اللهَ يَجْبَــرُهُ ... وما لِكَسْرِ قَنَـاةِ الدِيـنِ جُبْـرنُ

نصيحةُ أَبِي حَازِمٍ التَّابِعِيْ لِسُلَيْمانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكْ

رُوِيَ أَنَّه لَمَّا حَجَّ سُلْيمانُ بنُ عبدِ الْمَلِكْ وَدَخَل المدينةَ زَائِراً لِقَبر رسولِ الله ﷺ، ومعه ابنُ شِهاب الزُّهري وَرجَاءُ بنُ حَيْوة، فأقامَ بها ثلاثةَ أيام، فَقال: أمَا هَاهُنا رَجُلُ ممَّن أدركَ أَصْحَابَ رسولِ الله ﷺ؟ فَقِيلَ لَهُ: بَلىَ. هَاهُنَا رَجُلُ يُقالُ لَهُ أبُو حازمٍ.

فَبَعَثَ إليه فَجَاءَهُ وَهُو أَقْوَرُ أَعْرَجُ، فَلَمَّا نَظَرَ إليه سُليمانُ إِزْدَرَتْهُ عَيْنُهُ، فقال له: يا أَبَا حَازِمٍ: ما هذا الجَفَاءُ الذي ظَهَرَ مِنكَ وأنتَ تُوصفُ بِرُؤيةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ فَضْلٍ ودِيْن تُذْكَرُ به.

فقال أَبُوْ حازِم: وَأَيُّ جَفَاءٍ رَأَيتَ مِنِّي يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيْنَ؟ فقال سُليمانُ: إِنَّهُ أَتَانِي وُجُوهُ أَهْلِ المدينة وعُلَمَاؤُهَا وَخِيارُهَا، وَأَنْتَ مَعْدُوْدٌ فيهم ولم تَأْتني. فقال أَبُو حَازِمٍ: أُعِيْذُكَ باللهِ أَن تَقُولَ ما لم يَكُنْ ما جَرى بَيني وبَينكَ مَعْرِفةٌ آتِيكَ عليها.

قال سُليمانَ: صَدَقَ الشيخُ، فقال: يا أبا حازمٍ ما لَنَا نَكْرَهُ الموتَ؟ فقال أبو حازم: لِأَنكَّمْ أَخْرَبْتُمْ آخَرَتكمْ، وعَمَرْتُم دُنيَاكُم، فأنتُم تَكْرَهُونَ النُّقْلَةَ مِن العُمرانِ إلى الخَرابِ!

قال سُليمانُ: صَدَقْتَ يا أَبا حازم؛ فكيفَ القُدُوْمُ على الآخِرةِ؟ قال: نَعْمْ: أَما المحسنُ فإنهُ يَقْدمُ على الآخرة كالغائبِ يَقْدمُ على أهلِهِ مِن سَفَرٍ بَعِيد.

وأما قُدُومُ المسيىءِ فكالعبدِ الآبقِ يؤخذُ فَيُشَدُّ كِتَافُهُ، فَيُؤْتَى بِهِ إلى سَيِّد فَظٍ غَلِيظٍ، فإن شَاءَ عَفَا وإن شاءَ عَذَّبَ! فَبكَى سُليمانُ بُكاءً شديداً، وَبَكَى مَن حَولَه.

ثُمَّ قال: لَيْتَ شِعْرِي مَا لَنَا عِندَ الله يَا أَبَا حَازِمٍ؟ فقال: إِعْرِضْ نفسَكَ على كِتابِ اللهِ، فإنكَ تَعْلَمُ ما لكَ عندَ الله. قال سليمانُ: يا أبا حازمٍ وأَيْنَ أُصيبُ تِلْكَ المعرفَة في كِتابِ الله؟ قال عندَ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾.

قال سليمانُ: يا أبَا حَازِمٍ: فأينَ رَحْمَةُ الله؟ قال: «إن رحمَةَ الله قَريبُ مِن المحسنين» قال سليمانُ: يا أَبَا حَازِمٍ: مَن أَعقلُ الناسِ؟ قال أبو حازمٍ: أعقلُ الناسِ مَن تَعَلَّمَ العِلمَ والحكمةَ وعَلَّمَهَا الناسِ.

قال سليمانُ: فَمَن أَحْمَقُ الناسِ؟ فقال: مَنْ حَطَّ في هَوَى رَجُلٍ وهو ظَالُم فباعَ آخرتَه بدُنيَا غَيْرِهُ! قال سُلَيْمَانُ: فما أَسْمَعَ الدُّعَاء؟ قال أَبُو حازمٍ: دُعَاءَ المُخْبِتِين الخائِفين.

فقال سليمانُ: فما أَزْكَى الصَّدقَة عِنْدَ اللهِ؟ قال: جُهْدُ الْمُقِل. قال: فما تَقُولُ فيما إبتُلِينا به؟ قال: إِعْفِنا عَن هذا وعن الكلامِ فيه أصْلَحَكَ الله. قال سليمانُ: نَصِيْحَةً تُلْقِيْهَا.

فقال: ما أقولُ في سُلْطانٍ إسْتَوْلَىَ عَنْوةً بلا مَشُوْرَةٍ مِن المُؤْمِنِيْنَ ولا إجتماعٍ مِن المُسْلِمِيْنَ، فَسُفَكَتِ فيه الدِماءُ الحرامُ، وقُطِعَتْ به الأرحامُ، وعُطِّلِتْ به الحدود، ونُكِثَتْ به العُهود، وكُلُ ذَلِكَ على تَنفيذِ الطِّينِة، والجمع وماذا يقالُ لَكُم!

فقال بعضُ جُلَسائِهِ: بئسَ ما قُلْتَ ياأَقْوَرُ!! أميرُ المؤمنين يُسْتَقْبلُ بهذا؟ فقال أبو حازمٍ: أسْكُتْ يا كَاذِبُ، فإنما أهلكَ فِرعونَ هامانُ. وهامانُ فرعونَ!

إن الله قد أخذَ على العلماء لَيُبَيِّنُنَّه للناسِ ولا يكتمونه، أي لا يَنْبذُونَهُ وراءَ ظهورهم.

قال سليمانُ: ياأَبا حازمٍ: كَيْفَ لَنَا أن نُصْلحَ مَا فَسَدَ مِنَّا؟ فقال: المأخذُ في ذَلِكَ قَرِيبٌ يَسِيْر ياأَميرَ المؤمنين. فاستوى سليمانُ جالساً من إتكائِهِ فقال: كَيْفَ ذَلِكَ؟ فقال: تَأخذُ المالَ مِن حِلّهِ، وتَضَعُهُ في أَهلِهِ، وتَكُفَ الأَكُفَّ عَمَّا نُهيَتْ عنه وتُمْضِيْهَا فيما أُمِرْتَ به.

قال سليمانُ: ومَن يُطِيقُ ذَلِكَ، فقال أبو حازم: مَن هَرَبَ مِن النارِ إلى الجنة، ونَبَذَ سُوءَ العادةِ إلى خَيْرَ العبادةِ، فقال سليمانُ: إصْحَبْنا ياأَبا حازمٍ، وتَوَجَّهْ مَعَنا تُصِبْ مِنَّا ونُصِبْ منكَ، قال أبو حازمٍ: أعوذُ بالله مِن ذَلِكَ!.

قال سليمانُ: ولِمَ يا أبا حازمٍ؟ قال: أخافُ أن أَرْكَنَ إلى الذينَ ظَلَمُوا فَيُذِيقَنِي الله ضِعْفَ الحياةِ وضِعْفَ المماتِ. فقال سُليمانُ: فَتَزُوْرنَا؟

قال أبو حازمٍ: إنا عَهِدْنا الملوكَ يأتونَ إلى العلماءِ، ولم يَكُن العلماءُ يأتونَ الملوكَ، فَصَارَ في ذَلِكَ صَلَاحُ الفَرِيقين، ثم صِرْنا الآنَ في زَمَانٍ العلماءُ يأتون الملوكَ، والملوكُ تَقْعُدُ عن العلماءِ، فصارَ ذَلِكَ فَسَادُ الفريقين جميعاً.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إليه القَوْم وايْقِظنا مِن سِنةِ الغَفْلَةِ والنَّوم وأرزِقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ اليَوْمِ الذي يَرْبَحُ فيه المُتَّقُونَ، اللَّهُمَّ وعامِلنا بإحْسَانِكَ وَجُدْ علينا بفَضْلِكَ وامْتِنَانِكَ واجْعَلْنَا مِن عِبادِكَ الدين لا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزنون وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: قال سُليمانُ: فأَوْصِنَا ياأَبا حَازمٍ وَأَوْجِزْ: قال إتَّقِ اللهَ أَنْ لا يَراكَ حَيْثُ نَهَاكَ، ولا يَفْقِدكَ حَيْثُ أَمَرَكَ. قال سُليمانُ: إدْعُ لَنَا بخَيْرٍ. فقال

أَبُو حَازِمْ: اللَّهُمَّ إنْ كانَ سُلَيمانُ وَلِيَّلَا فَبَشِّرْهُ بِخَيْرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وإنْ كان عَدُوَّكَ فَخُذْ إلى الخَيْرِ بناصِيتِهْ.

قال سُلَيمانُ: زِدْنِي. قال: قَدْ أَوْجَزْتُ، فإنْ كُنْتَ وَلِيَّهُ فَاغْتَبِطْ، وإنْ كُنْتَ عَدُوَّهُ فاتَّعِظْ، فإنَّ رَحْمَتَه في الدُّنْيَا مُبَاحَةٌ ولا يَكْتُبُهَا في الآخِرَةِ إلَّا لِمَن إتقَى في الدُّنْيَا؛ فلا نَفْعَ في قَوْس يُرْمَى بِلَا وَتَرٍ.

فقال سُلَيْمَانُ: هَاتِ ياغُلامُ أَلْفَ دِينارٍ. فأتاهُ بِهَا، فَقَالَ خُذْهَا ياأَبَا حَازِمٍ. فقال: لا حَاجَةَ لِيْ بِهَا، لِأَنِّي وغَيْرَي في هذا المَالِ سَوَاء، فإنْ سَوَّيْتَ بَيْنَنَا وَعدلْتَ، أَخذْتُ، وإِلَّا فَلاَ.

لِأَنِي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ ثَمَناً لِمَا سَمِعْتَ مِن كَلَامِي، وإنَّ مُوسَىَ بنَ عمران عليه السلام لَمَّا هَرَبَ مِنْ فِرعَونَ وَرَدَ ماءَ مدْينَ وَجَدَ عليه الجاريتين تَذُودانِ، فقال: ما لَكُما مُعْين؟ قَالَتَا: لَا، فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلّى إلى الظّلِ فقال: «ربِّ إني لِمَا أنزلتَ إلَيَّ من خَيرً فَقِير» ولم يَسأَلْ أجراً.

فلما أعْجَل بالجاريتين الانصِراف أنكرَ ذَلِكَ أبوهمَا، فقال لهُما: ما أعْجَلكُمَا اليومَ؟ قالتا: وجَدْنَا رَجُلًا صَالِحاً قَوياً سَقَى لَنَا. قال: ما سَمْعْتَماهُ يقولُ؟ قالتا: تَولّى إلى الظّلِ وهو يقولُ: «ربّ إني لما أنزلتَ إليَّ مِن خيرٍ فقير».

فقال: يَنْبَغِي لِهَذا أن يكونَ جَائِعاً. تَنْطلقْ إحْدَاكما له، فتقول له: إن أبي يدعوكَ لِيَجزيكَ أجْرَ ما سقيتَ لَنَا، فأَتَتْهُ إحداهما تمشي على إستحياءٍ قَالَتْ: إن أبي يدعوكَ ليجزيكَ أَجْرَ مَا سقيت لَنَاَ.

فَجزعُ مُوسى مِن ذَلِكَ وكان طريداً في الفَيافِي والصَّحارِي، فقال لها: قُوْلِي لِأبيكِ إن الذي سَقَى يقولُ لا أَقْبَلُ أَجراً على مَعْرُوفِ إصطَنَعْتُهُ.

فانْصَرَفتْ إلى أبيها فأَخْبَرَتْهُ، فقال إذهَبِي فَقُولِي له: أَنْتَ بالخِيار بين قَبُولِ

ما يَعْرِضُ عليكَ أبي وبَيْنَ تَرْكِهِ، فأقْبلْ فإنه يحُبُ أن يَراكَ ويَسْمَعَ مِنكَ. فأقبَلَ والجاريةُ بينَ يَدَيْهِ، فَهَبّتِ الرِّيْحُ، فَوَصفَتْهَا لَهُ وكَانتْ ذَات خلْقٍ كاملٍ: فقال لها كُوْني وَرَائي وأرْيني سَمْتَ الطريق.

فلما بَلَغَ البابَ قال: إسْتَاذني لَنَا. فَدَخلَتْ على أبيها، فقالَتْ: إنه مَعَ قُوَّتِه لَأمِينَ، فقال شُعَيْبُ: وبِمَ عَرَفْت ذَلِكَ؟ فأخْبرَتْهُ ما كانَ مِن قَولِهِ عِندَ هُبوُبِ الريح عليها.

فقال أدْخِليهِ، فدَخَل فإذا شُعَيْبُ قَدْ وضعَ الطعَام، فلما سَلَّمَ رَحّبَ به وقال: أصِبْ مِن طَعَامِنا يافَتَى. فقال مُوسَى: أعوذُ باللهِ. قال شُعَيْبُ: لِمَ؟ قال: لِأني من بيتٍ لا نَبيْعُ دِيننا بملءِ الأرِض ذَهَبا.

قال شُعَيْبُ: لا واللهِ ما طَعَامِي كما تَظُنُّ ولكنه عَادَتِي وعادة آبائي: نُقْري الضيفَ، ونُطْعِمُ الطعام؛ فَجَلَس موسى فأكَلَ. وهَذِهِ الدَّنانِيْرُ ياأميرَ المؤمنين إن كانتْ ثمناً لِمَا سِمِعْتَ مِن كلامي فَلَئِنَّ أكْلَ الميتةِ والدمِ في حالِ الضرورة أحَبُّ إليَّ مِن أنْ آخُذَهَا.

فأُعْجِبَ سليمانُ بأمْرِهِ عُجْباً شَدِيْداً. فقال بعض جَلِسائِهِ: ياأَمِيْرَ المؤمنين. إن الناسَ كُلّهُم مِثْلَهُ، قال: لا. قال الزهري: إنه لَجَارِي مُنْذُ ثلاثِينَ سَنَةَ ما كَلّمْتُه قَطُ.

فقال أبُو حازم: صَدَقْتَ لأنكَ نِسِيْتَ اللهَ فَنَسِيْتَنِي ولو ذَكَرْتَ اللهَ لَذَكَرْتَنِي. قال الزهريُ: أتَشْتُمُنِي؟ قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: بَلْ أنْتَ شَتَمْتَ نَفْسَكَ، أو ما عَلِمْتَ أن لِلجار عَلى الجارِ حَقاً؟

قال أبو حازمٍ إنَّ بَنِي إسرائيلَ لَما كَانُوا على الصواب كانت الأمراءُ تحتاجُ إلى العلماء، وكانتِ العلماءُ تفرُّ بِدينِها مِن الأمَراء.

فلمَا رَئى قَوم من اراذل الناس تعلموا العلم وَأتَوا به الأمِراءَ، إسْتَغْنَت

الأُمراءُ عن العلماءِ وإجتمعَ القومُ على المعصيةِ، فَسَقَطُوا وهَلكُوا.

ولو كان علماؤُنا هؤلآءِ يَصُونُونَ عِلْمَهُم لكَانَتِ الأمراءُ تَهَابُهم وتُعَظّمُهُم. فقال الزهري: كَأَنَّكَ إيَّايَ تُرِيدُ وبِيْ تُعَرِضُ؟ قال: هو ما تَسْمعُ.

قال سُلَيْمَانُ: يا أبا حازمٍ، عِظْنِي وَأَوْجِزْ: قَال: الدُّنْيَا حَلاَلُهَا حِسابٌ، وحرامُها عَذَابٌ، وإلى الله المآبُ؛ عَذَابَكَ أَوْدِعْ.

قال لَقَدْ أَوْجَزْتَ فأخبرني مَا مَالُكَ؟ قال الثقةُ بِعَدْلِهِ، والتوكلُ على كَرَمِهِ وحسْنُ الظّنّ بِهِ، والصبرُ إلى أَجَلِهِ، واليأسُ مما في أَيْدِي الناس.

قال: يا أبا حازمٍ: إرفِعْ إلينا حَوَائِجَكَ. قال: رَفَعْتُهَا إلى مَن لا تُخْذَلُ دُوْنَهُ، فَمَا أَعطانِي منها قَبلْتُ، وما أَمْسك عني رضيْتُ.

مَعَ أني قَدْ نظرتُ فَوَجَدْتُ أَمْرَ الدُّنْيَا يؤولُ إلى شَيْئَينِ، أَحَدِهما لي والآخر لِغيرِي؛ فأمَّا ما كَانَ لِي فَلَو إحْتَلْتُ عليه بِكُلّ حِيْلَةٍ ما وصَلْتُ إليهِ قَبل أوانِهِ وحِيْنهِ الذي قُدّر لِي.

وأما الذي لِغيري فذَلِكَ لا أطْمَعُ فيه، فكما مَنَعَني رزْقَ غَيرِي، كَذَلِكَ مَنَعَ غَيرِي رِزْقِي، فعلامَ أَقْتُلُ نَفْسِي في الإقبال والإدبار!

قال سُلَيْمَانُ: لا بُدَّ أن تَرْفَع إلينا حَاجَةَ نأمرُ بقَضَائِها. قال: فَتَقْضِيْهَا؟ قال: نَعَمْ. قال: فلا تُعْطِني شيئاً حَتَّى أَسْأَلَكه، ولا ترسلْ إليَّ حَتَّى أتِيكَ، وإن مرضتُ فلا تَعُدْني، وإن مِتَ فلا تَشْهَدْني. قال سُلَيْمَانُ: أَبَيْتَ يا أَبا حَازمٍ. قال: أتأذنُ لِي أصْلَحَكَ الله في القِيام، فإني شيخُ قد زَمِنْتُ.

قال سُلَيْمَانُ: يا أبا حازمٍ: مَسْأَلَة ما تَقُولُ فيها؟ قال: إن كان عِندي عِلْمُ أَخْبرتُكَ به، وإلا فهذا الذي عن يَسَارِكَ يزعُمُ أنه لَيْسَ شيءُ يُسْأَلُ عنه إلا وعندهُ عِلْمٌ (يريد الزهري) فقال لَهُ الزهري عَائِذاً بالله من شَرّكَ أَيّهُا المرء! قال أما مِن شَري فقد عُفيْتَ، وأما مِن لِساني فلا.

قال سُلَيْمَانُ: ما تقولُ في سلامِ الأئمةِ مِن صلاتِهم: أواحدةٌ أَم إثنتانِ؟ فإن العلماءَ لَدَينا قد إختلَفوا علينا في ذلك أَشَدَّ الاختلافِ. قال: على الخبيرِ سَقَطْتَ؛ أُرْسيْكَ في هذا بخَير شَافٍ.

حَدَّثَنِي عامِرُ بنُ سَعْدِ بن أبي وقاص عن أبيه سعدٍ أنه شَهِدَ رسولَ الله ﷺ يسلَم في الصلاة عن يمينهِ حَتَّى يُرَى بَياضُ خدِهِ الأيمن ثم يسلم عن يساره حَتَّى يُرَى بياضُ خدِه الأيسر، سلاماً يَجهر به. قال عامر: وكان أبي يَفْعَلُ ذَلِكَ.

وأخْبرني سهلُ بنُ سعدٍ الساعِدي أنه رَأَى عُمَرَ ابنَ الخطاب وابنَ عُمَرَ يُسَلّمَان من الصلاةِ كذَلِكَ. فقال الزهري: إعْلَم ما تُحَدّثُ به أَيّهُا الرَّجُلُ، فإنَ الحَديث عنَ رسولِ الله صَعْبٌ شَدِيْد إلا بالتثبيتِ واليقينِ.

قال أبو حازمٍ: قَدْ عَلِمْتُه ورَوَيْتُه قبلَ أن تَطْلَعَ أضْراسُكُ في رَأسِكَ. فالتَفَتَ الزُّهْرِيُ إلى سُلَيْمَانُ، قال: أَصلحك الله، إن هذا الحديثَ ما سمِعْتُ بِهِ مِن حدِيثِ رسولِ الله ﷺ قَطُّ، فَضَحَكَ أبُو حَازمٍ.

ثُمَّ قال: يازُهْري أَحَطْتَ بحَدِيثِ رسولَ الله ﷺ كُلِّهِ؟ قال لا. قال: فَثَلَاثَةُ أرباعِهِ؟ قال: لا. قالَ فَثُلُثُه؟ فقال أرانِي ذَلِكَ، قَدْ رَوَيْتُ وَبلَغنِي.

فقال أبو حازمٍ: فهذا مِن الثُلُثِ الذي لم يَبْلُغْكَ وبقى عليك إسماعُهُ. فقال سُلَيْمَانُ: ما ظَلَمَكَ من حَاجَّكَ. ثم قامَ مأذوناً لَهُ. فأتْبَعَهُ سُلَيْمَانُ بَصَرَهُ، ينْظُر إليهِ وَيُعْجَبُ به.

ثم إلتفتَ إلىَ جُلَسَائِهِ فقال: ما كُنْتُ أظنُّ أنه بَقِي في الدُّنْيَا مِثْلَ هذا. والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم..

نَصِيْحَةُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيْ لِهٰرُوْنَ الرَّشِيْد

مِن عَبْدِاللهِ هَارُوْنَ أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ، إلى أخيهِ في اللهِ سُفيانَ ابنِ سعيدٍ الثَّورِي.

أما بَعدُ يا أخي، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ آخَى بَيْنَ المُؤْمِنِيْنَ، وَقَدْ آخَيْتُكَ في اللهِ مُؤآخاةً لم أصْرِمْ فِيهَا حَبْلكَ، ولم أَقْطَعْ مِنْهَا ودِّكَ، وإني مُنْطوٍ لَكَ على أَفْضَلِ المَحَبَّةِ، وأَتَّمِ الإِرَادَةِ.

ولولَا هَذِهِ القِلَادَةِ الَّتِي قَلَّدنيْهَا اللهُ تعالى لأَتَيْتُكَ ولو حَبْواً، لما أجدُ لَكَ في قَلْبِي مِن المَحَبَّةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحدٌ مِن إخوانِي إِلَّا زَارَنِي وهَنأَنِي بِمَا صِرْتُ إليهِ.

وَقَدْ فَتَحْتُ بُيُوْتَ الأَمْوَالِ، وأَعْطَيْتُهُم مِن المَوَاهِبِ السَّنِيةِ، ما فَرحَتْ بِهِ نَفْسِي وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنِي وَقَدْ اسْتَبْطَأتُكَ، وقَدْ كَتَبْتُ كِتَاباً مِنَّي إليكَ أُعْلِمُكَ بالشوقِ الشَّدِيْدِ إليكَ.

وقَدْ عَلِمْتَ يا أَبا عَبدِاللهِ مَا جَاءَ في فَضْلِ زيارَةِ المؤمِنِ وَمُواصلَتِهِ فإذا وَرَدَ عَلَيْكَ كِتابِي هذا فالعَجَل العَجَلَ.

ثُمَّ أَعْطَى الكِتَابَ لِعَبَّادِ الطالِقاني وأَمَرَه بايْصَالِهِ أَلَيْهِ، وأَنْ يُحْصِى عليهِ بسَمْعِهِ وَقَلْبِهِ دَقِيْقَ أَمْرِهِ وَجَلِيْلَهُ لِيُخْبِرَهُ بِهِ. قال عَبّادُ: فانطلَقْتُ إلى الكُوفَةِ فَوَجَدْتُ سُفَيانَ في مَسْجِدِهِ، فَلَمَّا رآني على بُعْدٍ قَامَ وقالَ: أَعُوذُ باللهِ السَّمِيْعِ العَلِيمِ مِن الشيطَانِ الرجيم، وأعوذُ بكَ اللَّهُمَّ مِن طارِقٍ يَطْرُقُ إلا بخَيْرٍ.

قال: فَنَزَلتُ عن فَرَسِي ببابِ المسجدِ، فقامَ يُصَلي وَلَمْ يكُن وَقَتَ صَلاةٍ: فَدَخَلْتُ وَسَلَّمْتُ فَمَا رَفع أَحَدٌ مِن جُلَسَائِهِ رأَسَه إِليَّ، قالَ: فَبَقِيْتُ وَاقِفاً وَمَا مِنْهم أَحَدٌ يَعْرِضُ عَلَيَّ الجُلُوسَ، وَقَدْ عَلَتّني مِن هَيْبَتِهِم الرِّعْدَةُ، فَرَميتُ بالكِتَابِ إِليهِ.

فلمَّا رأَي الكِتَابَ رُتَعَدَ وَتبَاعَدَ مِنْه كأَنَّه حَيَّةٌ عَرَضَتْ لَهُ في مِحْرَابِهِ فَرَكَعَ وَسَجَدَ وَسَلَّمَ وأَدْخَلَ يَدَهُ في كُمِّهِ وأَخَذَهُ وَقَلَبَهُ بِيَدِهِ، ورماهُ إلى مَنْ كان خَلفَهُ، وقال: لِيَقْرَأْهُ بَعْضُكُم فإني أَسْتَغْفِرْ اللهَ أَنْ أَمسَ شَيْئاً مَسَّهُ ظَالِمٌ بيَدِهِ.

قال عَبَادُ: فَمَدّ بَعْضهم يَدَهُ إليهِ وَهُوَ يَرْتَعِدُ كَأَنَّهُ حَيَّةٌ تَنْهَشُهُ ثُمَّ قَرأَهُ فَجَعَل سُفْيَانُ يَبْتَسِمُ تَبَسُّمَ المُتَعَجِبِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِن قِرَاءَتِهِ، قال أَقْلِبُوْهُ وأَكْتُوْا لِلظَّالِمِ على ظَهْرِه، فَقِيلَ له ياأَبَا عَبْدِاللهِ إِنَّهُ خَلِيفَةٌ فَلَو كَتَبْتَ إِليهِ في بَياضٍ نَقَي لَكَانَ أَحْسَنَ.

فقال: اكتُبوا لِلظَّالِمِ في ظَهْرِ كِتَابِهِ، فإِنْ كَانَ اكْتَسبَه مِن حَلَالٍ فَسَوْفَ يُجْزَى بِهِ وإِن كانَ اكتسبَهُ مِن حَرَامٍ فَسَوْفَ يُصْلَى بِهِ ولا يَبْقَى شَيءٌ مَسَّهُ ظَالمٌ بِيَدِهِ عِنْدَنَا، فَيَفسِدُ عَلَيْنَا دِيْنَنَا، فَقِيل لَهُ ما نَكْتُب إِليهِ، قال: اكْتُبُوا لَهَ:

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنَ العَبْدِ المَيِّتِ سُفْيَانُ إلى العبدِ المَغْرُوْرِ بالآمالِ هارونِ الذي سلِبَ حلاوةَ الإيمانِ، وَلذّةِ قِراءةِ القرآن.

أَما بعدُ.. فإني كَتَبْتُ إِليكَ أُعْلِمُكَ أَني قَدْ صَرَمْتُ حَبْلَكَ، وَقَطَعْتَ وُدَّكَ، وأنكَ قَدْ جَعَلْتَنِيْ شَاهِداً بإِقْرَارِكَ عَلَى نَفْسِكَ في كتابِكَ بِمَا هَجَمْتَ عَلَى بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِيْنَ فَأَنْفَقتَهُ في غَيرِ حَقِّهِ، وأَنْفَذْتَهُ بِغَيْرِ حُكْمِهِ، ولَمَ تَرْضَ بِمَا فَعَلْتَ وَأَنْتَ نَاءٍ عني حَتَّى كَتَبْتَ إِلَيَّ تُشهِدُني على نَفْسِكَ.

فأَمَّا أنا فإِني قَدْ شَهِدْتُ عَلَيْكَ أَنا وَإِخْوَانُكَ الذينَ حَضَرَوْا قِرَاءَةَ كِتَابِكَ، وَسَنُؤدِي الشهادَةَ غَداً بَيْنَ يَدَي اللهِ الحَكَمِ العدلِ ياهارُوْنُ هَجَمْتَ على بَيْتِ مالِ المُسْلِمِيْنَ بِغيرِ رِضاهُم.

هَلْ رَضِيَ بِفِعْلِكَ المُؤَلَّفةُ قُلُوبُهم، والعَامِلُونَ عَلَيْهَا في أَرضِ اللهُ، والمُجَاهِدُوْنَ في سَبْيلِ الله وابنُ السبيلِ، أَمْ رَضِيَ بِذَلِكَ حَمَلَةُ القُرْآنِ وأَهْلُ

العِلْم يَعْنِي العَامِلِيْنَ، أَمْ رِضِيَ بِفِعْلِكَ الأَيْتَام والآرامل، أَم رَضِيَ بِذَلِكَ خَلْقٌ مِن رَعِيّتِكَ.

فَشُدَّ يَاهَارُوْنُ مِئزَرَكَ ،وَأَعِدَّ لِلْمَسْأَلَةِ جواباً وَللْبَلَاءِ جِلْبَاباً، واعْلَمْ أَنّكَ سَتَقِفُ بَيْنَ يَدَي الحَكمِ العدلِ فاتقِ اللهَ في نَفْسِكَ إِذْ سُلِبْتَ حَلَاوَةَ العِلْمَ والزُهْدِ وَلَذَّةِ قِراءةِ القُرْآنِ، ومُجَالَسةَ الأَخْيَارِ، وَرَضِيْتَ لِنَفْسِكَ أن تكونَ ظَالماً وَلِلْظَّالِمينَ إماماً.

ياهَارُوْنُ.. قَعَدْتَ على السَّرِيْرِ، وَلَبِسْتَ الحَرِيْرَ، وأَسْبَلْتَ سُتُوراً دُونَ بَابِكَ، وَتَشَبَّهْتَ بالحَجَبَةِ بِرَبِّ العالمينَ ثُمَّ أَقْعَدْتَ أَجْنَادَكَ دُوْنَ بَابكَ، وسِتْرِكَ يَظْلِمُونَ الناسَ، ولا يُنْصِفونَ، وَيَشْرَبُونَ الخَمْرَ ويَحُدُّونَ الشَّارِبَ، وَيَزْنُونَ وَيَحُدُّونَ الزانِيَ، وَيَسْرِقُون السَّارِقَ، وَيَقْتُلُوْنَ ويَحُدُّون القاتل.

أفلَا كَانَتْ هَذِهِ الأَحْكَامُ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِم قَبْلَ أَن يَحْكمُوا بِها على الناسِ.

فكيفَ بِكَ ياهَارُوْنُ غَدَاً إذا نَادَى المُنَادِي مِن قِبَلِ اللهِ أُحْشرُوْا الظّلَمَةَ وَأَعْوانَهُم، فَتَقَدّمتَ بَيْنَ يَدَي اللهِ ويَداكَ مَغلُولَتَانِ إِلَى عُنُقِكَ لَا يَفُكَهُمَا إِلا عَدْلُكُ وإنصَافُكَ، والظالِمُونَ حَوْلَكَ وَأَنْتَ لَهُمْ إِمَامٌ أو سَائِقٌ إلى النارِ.

وكَأَنِي بِكَ يَاهَارُوْنَ وَقَدْ أُخِذتَ بِضيقِ الخِنَاقِ، وَوَرَدْتَ المَسَاقَ وَأَنتَ تَرَى حَسَناتِكَ في مِيْزَانِ غيرِكَ، وَسَيّاتِ غَيرِكَ في مِيْزانِكَ على سَيئاتِكَ، بلاءٌ على بَلَاءٍ، وَظُلْمَةٌ فَوقَ ظُلْمَةٍ.

فاتّق اللهَ ياهارُوْنُ في رَعِّيتِكِ، واحْفَظْ مُحَمَّداً ﷺ في أمتِّهِ، واعْلمْ أَنَّ هَذَا الأَمْرِ لم يَصِرْ إِلَيْكَ إِلّا وَهُوَ صَائِرٌ إِلى غَيرِكَ، وَكَذَلِكَ الدُّنْيا تَفْعَلُ بِأَهْلِهَا وَاحِداً بَعْدَ واحِدٍ، فَمِنْهم مَن تَزَوَّدَ زَاداً نَفَعَهُ، وَمِنْهُم مَن خَسِرَ دُنْيَاهُ وآخِرَتَه، وإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَكْتُبَ إِليَّ بَعْدَ هَذا، فإِنّي لا أُجِيْبُكَ والسَّلام.

وَلَما وَلَى ابْنُ هُبَيْرَةَ حُكْمَ العراق جَمَعَ فُقَهَاءَهَا وَاسْتَشَارَهُمْ فِيْمَا يَفْعَلُ

إِذَا أَمَرَهُ أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ بِالَامْرِ وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ فِيْهِ ظُلْماً فَالآنَ لَهُ بَعْضُ العُلَمَاءِ الْقَوْلَ.

وأبىٰ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ إِلَّا أَن يَصْدَعَ بِالْحَقِّ وَيُنْقِذَ الشّعْبَ مِنْ ظُلْم ابن هُبَيْرَةَ وَيُنْقِذَ ابْنَ هُبَيْرَةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ انْ أَطَاعَهُ، فَقَالَ لَهُ إِنَّ حَقَّ الرَّعِيَّةِ لَازِمٌ لَكَ وَحَقُّ عَلَيْكَ أَنْ تَحُوطَهُمْ بِالنَّصِيْحَةِ وَقَدْ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيْهُ اللهُ رَعِيّةً يَمُوْتُ يَوْم يَمُوْتُ وَهُوَ غَاشّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللهَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ.

اعْلَمْ أَنَّ حَقَّ اللهِ أَلْزَم مِنْ حَقِّ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ يُطَاعَ وَلَا طَاعَةَ لِمَخْلوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ يَاابْنَ هُبَيْرَةَ اتَّقِ اللهَ فِإِنَّهُ يُوْشِكُ أَنْ يَأْتِيْكَ رَسُولٌ مِن رَبِّ الْعَالِمِيْنَ يُزِيْلُكَ عَنْ سَرِيْرِكَ وَيُخْرِجُكَ مِنْ سِعَةِ قَصْرِكَ إلى ضِيْقِ قَبْرِكَ فَتَدَعُ سُلْطَانَكَ وَدُنْيَاكَ خَلْفَ ظَهْرِكَ وَتَقْدَم عَلى رَبِّكَ وَتنزلُ على عَمَلَكَ.

يَاابْنَ هُبَيْرَةَ إِنَّ اللهِ لَيَمْنَعُكَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ وَلَا يَمْنَعُكَ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ مِنَ اللهِ وَإِنَّ أَمْرَ اللهِ فَوْقَ كلِّ أَمْرٍ وإِنِّي أُحَذِّرُكَ بَأسَهُ الَّذِيْ لا يُرَدُّ عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِيْنَ.

فَقَالَ لَهُ ابْنُ هُبَيْرَةَ إِرْبَعْ عَلَى ظَلْعِكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ وَأَعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ فِإِنَّ أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ صَاحِبُ الْعِلْمِ وَصَاحِبُ الحُكْم وَصَاحِبُ الفَضْلِ وَإِنَّمَا وَلَّاهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الأَمَّةِ لِعِلْمِهِ بِهِ وَمَا يَعْلَمُهُ مِنْ فَضْلِهِ وَنِيَّتِهِ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ يَاابْنُ هُبَيْرَةَ الْحِسابُ وَرَائَكَ سَوْط بِسَوْط وَغَضَبٌ بِغَضَبٍ وَاللهُ بِالْمِرْصَادِ إِنَّكَ إِنْ تَلْقَى مَنْ يَنْصَحُ لَكَ فِي دِيْنِكِ وَيَحْمِلُكَ عَلَى أَمْرِ آخِرَتِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَلْقى رَجُلًا يَغُرُّكَ وَيمنِّيك فَقَامَ ابنُ هُبَيْرَةَمِن المَجْلِسِ وَقَدْ اصْفَرَّ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَعَلَيْه الْكَآبَه وَقَامَ الحَسَنُ وَقَدْ أَدَّىَ مَا عَلَيْهِ وَأَرْضَى رَبَّهُ وَأَخْلَصَ لَهُ وَنَصَحَ لأُمَّتِهِ وَهكَذَا العُلَمَاءُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُوْنُوا.

شِعْرًا: لا شيءَ أَبْلغُ مِن ذُل يُجرِعُـهُ أَهْلَ الخَسِيْسَةِ أَهْلَ الدِيْنِ والحَسَبِ

القائِمِينَ بِمَا جَاءَ الرسُولُ بِهِ والمُبْغِضِيْنَ لِأَهْلِ الزَّيْغِ والرِيَبَ

آخر: ولا يَلْبَثُ الجُهَّالُ أَنْ يَتهضَمُوْا أَخَا الحِلْمِ مَا لَمْ يَسْتَعِنْ بِسَفِيْهِ

آخر: ما إِنْ نَفَى عَنْكَ قَوْماً أَنْتَ تَكْرَهُهُمْ كَمِثْلِ قمْعكَ جُهَّالاً بِجُهَّالِ

آخر: والعَاقِلُ النّحرِيْرُ مُحْتَاجٌ إِلىَ أَنْ يَسْتَعِيْنَ بِجَاهِلٍ مَعْتُوْهِ

آخر: ومَن يَحْلَمْ ولَيْس لَهُ سَفِيْهٌ يُلَاقِيْ المُعْضِلَاتِ مِن الرِّجَالِ

آخر: تَعْدُوْا الذِئَابُ عَلى مَنْ كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِيْ مَرْبَضَ المُسْتَنْفِرِ الحَامَي

حج أبو جعفر فَدَعَا ابنَ أَبِيْ ذِئْب فقال: نَشَدْتُكُ باللهِ أَلَسْتُ أَعْمَلُ بالحق أَلَسْتَ تَراني أَعْدِلُ.

فقال ابنُ أَبِيْ ذِئْبٍ أَمَّا إِذَا نَشَدْتَنِي باللهِ، فَأَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا أَرَاكَ تَعْدلُ، وَإِنَّكَ لَجَائِر، وإِنَّكَ لَتَستَعْمِلُ الظَّلَمةَ وَتَدَعُ أَهْلَ الْخَيْرِ.

قال محمدُ بنُ عُمَر فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ إِبْراهِيم بنُ يَحيى وَأُخبِرتُ عن عيسى بن عَلي قالُوا فَظَنَّنَا أَنَّ أَبا جَعْفَرٍ سَيُعَاجِلُهُ بالعُقُوبَةِ فَجَعَلْنَا نَلُفُ إِلَيْنَا ثِيَانَنا مَخَافَةَ أَنْ يُصِيْبَنَا مِن دَمِه.

فَجَزَعَ أَبُو جَعْفَر واغْتَمْ وقال لَهُ: قُمْ فاخْرُجْ.

تَأَمَّلْ يَاأَخِي هَلْ يُوجَد هَذَا الطِّرَاز مِمَّنْ لَا تأخذُهُم في اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ أَظُنُّه مَعْدُومٌ في هذا الوَقْت ما فِيه اليومَ مَن يَصْدَعُ بالْحَقِّ فلا حَوْلَ وَلا قُوَّةً إلا باللهِ العلِي العظِيم.

دَخَلَ عمرو بن عُبيد على المنصور فقال: إِنَّ اللهَ أَعْطَاكَ الدُّنيَا بِأَسْرِها فاشتَرْ منه نَفْسَكَ بِبَعْضِهَا وَإِنِّي لأُحَذِّرُكَ لَيلَةً تَتَمَخَّضُ صَبِيحَتَهَا عن يَوم القِيامة.

ثم قال له عن حَاشِيَتِهِ: إن هؤلَآءِ اتَّخَذُوْكَ سُلَّماً لِشَهَواتِهِم.
فأَنْتَ الآخِذُ بالقَرْنَيْنَ وَهُمْ يَحْلِبُون.

فاتَّقِ اللهَ فإنَّكَ مَيِّتٌ وحْدَكَ ومُحَاسَبٌ وحْدَكَ وَمَبْعُوثٌ وحْدَكَ وَلَنْ يُغْنُوا عَنكَ هؤلآءِ مِنْ رَبكَ شَيْئاً.

فقال له: أَعِنِّيْ بأَصْحَابِكَ فَأَسْتَعِيْنُ بِهِمْ دُوْنَ هَؤلآء فَرَدَّ عَلَيْهِ أَظْهِر الحَقِّ يَتْبَعُكَ أَهْلُه.

فقال لَهُ: أَلَكَ حَاجَةٌ قال: نَعَمْ. قَالَ: ما هِيْ؟ قَالَ: أَنْ لَا تَبْعَثَ إِلَيَّ حَتَّى آتِيْكَ. قال: إذاً لا نَلْتَقِي. قال: عن حَاجَتي سَأَلْتَ ثُمَّ ذَهَبَ.

قال الحَجَّاجُ لِيَحْيَى بْنِ يَعْمُر: ما تَقُولُ في وَاسِط (مَدِيْنَةَ بَنَاهَا الحجاجُ) فقال له: ما أَقُولُ فيها وَقَدْ بَنَيْتَهَا مِن غَيرِ مَالكِ وسَيَسْكُنُهَا غَيْرُ أَهْلِكَ.

فقال لَهُ الحجاجُ في غَيظٍ وغَضَبٍ: ما حَمَلكَ على مَا قُلْتَ. قال: ما أَخَذَ اللهُ تعالى على العُلماء مِن العَهْدِ أَلَّا يَكْتُموا الناسَ حَدِيْثَاً.

فقال لَهُ: أَلَمْ تَخْشَ سَيْفَ الْحجَاجِ؟

فقال: لقَدْ مَلأَتْني خَشْيَةُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا فَلَمْ تَدَعْ مَكاناً لخَشْيَةٍ سِواه.

وقيل إنَّ الحَجاج خَطَبَ يوماً فقال: أَيُّهَا الناسُ الصَّبْرُ عن مَحَارِمِ اللهِ أَيْسَرُ مِن الصبر على عَذَابِ الله فَقَامَ إِليهِ رَجُلٌ فَقَال لَهُ: وَيْحَكَ يا حَجَّاجُ ما أَصْفَقَ وَجْهَكَ وأَقَلَ حَيَاءَكَ تَفعَلُ ما تَفْعَلُ وتَقُولُ مِثْلَ هَذَا الكَلام خِبْتَ وَضَلَّ سَعْيُكَ.

فقال لِلْحَرسِ: خُذُوه، فَلَمَّا فَرَغَ مِن خُطْبَتِهِ قال لَهُ: ما الَّذِي جَرَّأَكَ عَلَيَّ؟ فقال: ويْحَكَ يا حَجَّاجُ أَنْتَ تَجْتَرِىءُ عَلَى اللهِ ولا أَجْتَرِىءُ عَلَيْكَ ومَنْ أَنْتَ حَتَّى لا اجْتَرِءُ عَلَيْكَ وأَنْتَ تَجتَرِءُ على رَبِّ العالمِين؟ فقال: خَلُّوا سَبِيْلَهُ فَأَطْلِق.

وَدَخَلَ العِزُ بنُ عبدِ السلامِ على السلطان فَوَعَظَهُ وشَدَّدَ في الموعظة فعَاتَبَهُ

وَلَدُه في ذَلِكَ فقال لَهُ: هذَا إجتماعٌ لِلَّهِ فَلَا أُكَدِّرُهُ بشيءٍ مِن عَرَضِ الدُّنْيَا.

يا بُنَيَّ لَقَدْ رَأَيتُ السُلْطَانَ في تِلْكَ العَظَمَة، فَأَرَدْتُ أَنْ أُهِيْنَهُ لِئَلا تَكبُر نفسُه عليه فَتُؤذِيه.

وَلَقَدْ استَحْضَرتُ هَيْبَةَ الله تعالى إِذْ أَخَاطِبُه، فصَارَ السلطانُ أَقَلَّ من القِطِّ عِنْدِيْ.

ولو كانَتْ بنَفسِي لَدَيه حَاجَة مِن حَاجَاتِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُهُ الدُّنْيَا كُلَّهَا.

وَأُجْبِرَ أَحَدُ العُلماءِ عَلَى أَنْ يَدخُلَ عَلَى مَلِكِ مِصْرَ وطَلَبَ منه أنْ يَلْبَسَ مَلابِسَ خَاصَّة فأَبَى وقال: كَيْفَ أَتَجَمَّلُ لَهُ بِلِبَاسٍ لَا أَتَجَمَّلُ بِهِ لِرَبِّي في الصلاة.

وَدَخَلَ عَبَّادُ الخَوَّاصُ على إبراهيم بن صالح وهو أمير فَلَسْطِين فقال له: يا شيخُ عِظْنِي. فقال: بِمَ أَعِظُكَ أَصْلَحَكَ الله بَلَغَنِي أَنَّ أَعْمَالَ الأَحْيَاءَ تُعْرضُ عَلَى أَقَارِبهم مِن الموتَى فانْظُر مَا يُعْرضُ على رسوله ﷺ مِن عَمَلِكَ فَبَكَى حَتَّى سَالَتْ دُمُوعُه عَلَى لِحيَتِهِ.

فقُلْتُ لَهُ: يا أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ إِنَّ مِن إِجْلالَ الله إِجْلَالَ ذِي الشيْبَةِ المُسْلِمْ فَقَامَ فَجَلس بَيْنَ يَدَيَّ، قال: فَقَالَ بَعْدَ مُدةٍ يا أَبا عبدِالله تَواضَعْنَا لِعِلْمِكَ فَانتفَعْنَا بِهِ، وتَواضَعَ لَنَا عِلمُ سُفيان بنُ عُيَيْنَة فَلَمْ نَنْتَفع بِهِ.

ورَوَى البَيْهَقي وغيره أنَّ المهدي لما قَدِمَ المدينَةَ حَاجَاً جَاءَهُ مَالِكُ فَسَلَّمَ عليه، فَأَمَرَ المَهْدِيُّ ابْنَيْهِ الهَادِي وهَارُوْن الرَّشيد أَنْ يَسْمَعَا منهُ فَطَلَبَاهُ إِلِيْهما فامْتَنَعَ، فَعَاتَبه المَهْدِيْ في ذَلِكَ فَقالَ: يَا أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ لِلْعِلم نَضَارَة، يُؤتَى أَهْلَه.

وفي رواية: العِلْمُ أَهْلٌ أَنْ يُوَقّرَ ويُوَقّرَ أَهْلُهُ فأمَرَهُمَا وَالدُهُما بالمَسِير إليه فَسَأَلَهُ مُؤَدِبُهُمَا أَنْ يقْرأَ عَلَيهِمَا، فقال: إِنَّ أهلَ هَذِهِ البَلْدَة يَقْرَءُوْنَ على العَالِمَ كَمَا يَقْرأُ الصِبْيَانُ عَلَى المُعلّمِ فإذا اخطَوا أَفتَاهُم فَرَجَعُوا إِلى الخَلِيفة فَعَاتَبَهُ

المهدي في ذَلِكَ فقال: يَا إِمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ سَمْعتُ ابنَ شِهَابَ يقُولُ سَمِعْنَا هَذا العِلْم مِن رِجال في الرَّوْضَةِ سَعيد بن المسيب وأبو سلمة وعروة والقاسم بن محمد وسالم بن عبدالله وعد آخرين كُلُ هؤلآء يُقْرأ عليهم ولا يقرؤون فقال المهدي في هؤلآء قُدْوَةٌ صِيْرُوا إليه فأقروُا عليه.

أراد الوليد أن يولي يزيد بن مرثد القضاء فبلغ ذلك يزيد فَلَبِسَ فَرْوَةً وقلبها فجعل الجلدَ على ظهره والصوفَ خارجاً وأخذ بيده رَغِيف (أي خُبْزَة) وعَرَقاً (أي عَظم عليه لحم) وخَرَجَ بِلا رداءٍ ولا قَلَنْسُوة (أي أَصْلَع الرَّأسْ) ولا نَعْلَ ولا خُفِ ويَمْشِي في الأسْوَاق وَيأُكل.

فَقِيلَ لِلْوَليد إنَّ يَزيْدَ قَدْ اخْتَلطَ (أَيْ خَرَّفَ) وأُخْبرَ بِمَا فَعَلَ فَتَركَهُ الوَليدُ.

قُلْتُ: وفِعْلُ يَزِيْدَ يَدُلُّ على وَرَعِهِ وخَوفِهِ مِن تَبُعَةِ القَضَاء لِأَنَّ القَضَاء فيه خَطَر عَظِيم ولهذا قال العلماء يحَرمُ على مَن لا يُحْسِنُه ولم تَجْتَمِع فيه شروطُه الدخول فيه.

وقال ﷺ: «القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار»، وقال ﷺ: «مَن وُلي القضاء فقد ذبح بغير سكين»، وقال ﷺ: «لَيأتين على القاضي العدل يوم القيامة سَاعة يَتَمَنَّى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة قط».

وفي لفظ: يُدعى القاضي العدل يوم القيامة فَيَلْقَى من شِدة الحِساب ما يتمنى أنه لم يَقْضِ بَيْنَ اثنين في عُمُره قط.

تَرَكَ خَلفُ البَزَّارُ الرواية عن الكِسائي فلم يَروى عنه مَعَ أَنَّهُ كانَ أَسْتَاذَه وهو بحاجة إليه في تَصنيفه كِتاب القِراءات ولما أنْ ضَايَقُوهِ لِمَ لَم يَرْو عنه.

قال: لَقَدْ سَمعْتُه يقول، قال لِيْ سَيِّدي الرشيد فَقْلْتُ: إن إنساناً مِقْدَارُ الدنيا عنده أنَ يُجلَّ أَهْلَهَا هذا الإجلال لَحَرِيٌ أن لا يُؤخذ عنه شيءٌ من العِلم.

قُلْتُ: لله دَرُّهُ حَيْثُ لم يَطْمَئِنَّ قلْبُهَ لِمَنْ يُعَظِّمُ الدُّنْيَا.

فانظر رحمك الله إلى شدة ورَعهم وتَرفُعِهم وتَنَزُهِهم عن مُخَالطَةِ الملوك وأهل الدُّنْيَا، وصِيانة العلم وإعزازه وبمثل هذه الأخلاق العَطِرَة والصفات الفاضلة عَظمَ الإسلامُ وأهله.

دخل رجل على المأمون كان يمشي في الناس فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر دُونَ أن يكونَ مأموراً مِن قبل الخليفة، فاسْتَدعَاه المأمونُ وقال لَهُ لِمَ تَأْمُرْ وتَنْهى وقَدْ جَعَل الله ذَلِكَ إلينا ونحنُ الذين قال الله فيهم: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾.

فقال الرجلُ صَدقْتَ ياأمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ أنْتَ كَمَا وَصَفْتَ نفسَكَ مِن السُلْطانِ والتَّمكنِ غَيْرَ أنَّا أوْلِيَاؤُكَ وأعْوَانُكَ فيه.

ولا يُنْكِرُ ذَلِكَ إلا مَن جَهِلَ كِتَابَ الله وسنة رسوله ﷺ، قال الله جل وعلا وتقدس: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضُهم أولياءُ بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾، وقال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضُه بَعْضَا»، فاعْجِبَ المأمونُ بكَلامِهِ وسُرَّ بِهِ وقالَ مِثْلكَ يَجُوزُ أنْ يأمُرُ بالمعروف فامْض على مَا كُنْتَ عليه بأمرنا وعن رَأينا وهكذا حِيْنَ أحْسَنَ الرجل الاحْتِجَاجَ بالقُرْآن والسنة انْقَطَعَتْ حُجَّةُ المأمون، ولم يَجَدْ بُداً مِن إقرار الرجل على طريقته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعكس هذا الرجل دخل واعظ على المأمون فوعظه وأغلظ عليه في القول. فقال له المأمون: يارجُل ارْفُقْ فإنَّ الله بَعَثَ مَن هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ إلى مَن هو شرٌ مِنِّي، وأمره بالرِّفْقِ.

بَعَثَ مُوْسَى وهارُونَ إلى فرعون، فأوْصَاهُمَا بقوله: ﴿فَقُوْلا له قَولًا لَيِّنَاً

لَعَلَّهُ يَتَذكَّرُ أو يَخْشى﴾ ، وهُنَا كانَ مَوْقِفُ المأمونُ هو الأقْوَى لأنَّ الدَّلِيْلَ مَعَه .

بعث الأمير طاهر بن عبدالله إلى محمد بن رافع بخمسة آلاف درهم على يد رسوله ، فدخل عليه بعد صلاة العصر وهو يأكل الخبز مع الفجل ، فوضع كيسَ الدراهم بينَ يَديه .

فقال : بَعَثَ الأميرُ طاهر بهذا المال إليكَ لِتُنْفِقَه على أهْلِكَ فقال خُذْهُ خُذْهُ لا أحْتَاجُ إليه فإنَّ الشمسَ قَدْ بَلَغَتْ رُؤوسَ الحِيْطَان وإنما تَغْربُ بَعدَ سَاعَة وأنا قَدْ جَاوَزْتُ الثمانينَ سَنَةَ إلى مَتَّى أعِيْشُ .

فَرَدَّ المالَ ولم يَقْبَل فأخَذَ الرسولُ المالَ وَذَهَبَ ودخل على الشيخ ابنه وقال : ياأَبَتِ ليس لنا الليلة خبز . قال فذهب بعضُ أصحابه خَلْفَ الرسول لِيرَدَّ المال إلى صاحبه خَوْفاً مِن أن يَذَهَبَ ابنُه خلفَ الرسول فيأخذ المال ، هذا من رقم واحد في الزهد .

وقال أحَدُ الزُّهادِ لِلْمَنْصُور : أذكُرْ ليلةً تَبيْتُ في القبر لم تَبِتْ لَيْلَةً مثلَها ، واذكر لَيلةً تَمَخَّضُ عن يوم القيامة لا ليلةَ بَعدَها .

فأفْحَم المنصورَ قَولُه فأمَرَ لَهُ بمَالٍ فَردَّهُ وقال : لو احْتَجْتُ إلى مالكَ ماوَعَظْتُكَ . (لِلَّهِ دَرُّهُ ما أَزْهَدَهُ بَالحُطَامِ الفانِي) .

وقال لابنه لما وَلَّاه العَهْدَ : إسْتَدِم النعمةَ بالشكر ، والقدرةَ بالعفو ، والنصر بالتواضع ، والتآلف بالطَاعة ، ولا تَنْسَ نصيبك من الدُّنْيا ، ونصيبك من رحمة الله ، وقال للربيع ويْحَكَ لَقَدْ رأيتُ مَناماً هالني رَأيتُ قائلاً وقَفَ في باب هذا القصر يقول :

كأني بهذا القصْرِ قد بَادَ أهلهُ   وأوحَشَ منهَ أَهلُه ومَنَازِلُه
وصَارَ رَئِيْسُ القصر من بَعْدِ بَهْجَةٍ   إلى جَدَثٍ يُبْنَى عليه جَنَادِلُهْ

وكان ابن أبي ذِئْبَ جالساً في المسجد النبوي الشريف في المدينة فدخل أمير المؤمنين المهدي فلم يَبْقَ أحَدٌ إلا قام.

فلما وَصِلَ إلى ابن أبي ذِئْبِ لم يَقُمْ.

قال المسيبُ بن زهير: قُمْ هذا أمير المؤمنين، فقال: إنما يقوم الناس لِرَبِّ العَالِمين.

فقال المهدي دَعْهُ فَلَقَدْ قامَتْ كُلُ شَعْرةٍ في رَأسِي.

فهكذا العُلماء المخلصون الذينَ يحفظ الله بهم الإسلام ويَرفع الله بهم المسلمين.

تأمَّل ياأخي هَلْ يُوجَدْ في زَمَنِنا مِثلَ هَؤلاء ما أظنُّ يُوجَد ولا رقم ثلاثة لا حول ولا قوة إلا بالله.

فإنْ قُلْتُ زَنْدَ العِلم كَابٍ فإنما كَبَى حَيْثُ لم تُحْمى حِمَاهُ وأظلما
ولَوْ أنَّ أهلَ العلم صَانُوهُ صَانَهُم ولو عَظَمُوهُ في النفوس لَعُظِّمَا
ولكن أهانُوه فهانُوا ودَنَّسُوا مُحَيَّاه بالأطْمَاع حَتَّى تَجَهَّمَا

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

عن جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي قال ما رأينا في القراء أحداً مثل عيسى بن يونس أرسلنا إليه فأتانا بالرقة فاعتل قبل أن يرجع فقلت ياأبا عمرو وقد أمر لك بعشرة آلاف فقال هي فقلت خمسون ألفا، قال: لا حاجة لي فيها، فقلت: لِمَ والله لأهَنِئنَكَهَا هِي والله مائة ألف.

قال: لا والله لا يَتَحَدَّث أهل العلم أني أكَلْتُ لِلسُّنَّةِ ثَمَنَا، ألا كَانَ هَذا قبل أن تُرسِلُوا إِليَّ، فأمَّا على الحديث فلا والله ولا شرْابَةَ مَاء ولا هليلجة.

وقال أبو بكر المرزوي سَمِعْتُ أحْمَد بنَ حَنبل وذَكَرَ ورع عيسى بن يونس، قال قَدِمَ فأُمِرَ له بمائة ألف أو قال بمال فلم يقبل، وتدري ابن كم كان عيسى أراد أنه كان حَدَث السنِ.

وقال محمدُ بنُ المنكَدِر حج الرشيد فدخل الكوفةِ فركب الأمين والمأمون إلى عيسى بن يونس فحدثهما فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم.

فأبى أن يقبلها فظَنَّ أنه استَقَلَّهَا، فأمر له بعشرين ألفاً، فقال عيسى لا والله ولا إهليلجة ولا شربة ماء على حديث رسول الله ﷺ، ولو ملأت لي هذا المسجد ذهباً إلى السقف. لله دَرُّه هذا من رقم (١) في الزهد.

طلب الخليفةُ هِشَامُ بنُ عبدالملك ذاتَ يومٍ أحَدَ العُلماء، فلما دَخَل عليه قال السلام عليك ياهِشَامُ ثُمَّ خَلَعَ نَعْلَيْهِ وجَلَسَ بِجَانِبِهِ.

فغَضِبَ هِشَامُ وَهَمَّ بِقَتْلِهِ ولَمَّا تَحَدَّثَ مَعَهُ وَجَدَهُ عَالماً كَبيْراً.

فلما انتهى الحديثُ عَاتَبَهُ بِقَولِهِ لَقَدْ سَمَّيْتَنِي باسْمِي ولم تُكَنِّني أوْ تَدْعُنِي بالخِلافَةِ وخَلَعْتَ نَعْلَيْكَ وجَلَسْتَ بِجَانِبِي فِلَمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ.

فقال لَهُ: لَمْ أدْعُكَ بالخِلافَةِ لأن الناسَ لم يَنْتَخِبُوكَ كُلُّهم.

وسَمَّيْتُكَ ولم أكِنَّكَ، لأن الله جَلَّ وعَلَا وتَقَدَس نادَى الأنبياء بأسمائهم، فقال ياعيسى، ياإبْراهِيْمُ، يامُوسى، يانُوح، ياداوُود.

وكَنَّى عَدُوَّهُ فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أبِي لَهَبٍ﴾.

وخَلعْتُ نَعْلي بِجَانِبِكَ وأنا أَخَلَعُهُمَا لَمَّا أَدْخُلُ بَيْتَ رَبِي.

وَجَلَسْتُ بجَانبِكَ لأَنِي سَمِعْتُ أن رسول الله ﷺ قالَ: «مَن سَرَّهُ أن يُمَثَلَ لَهُ الرجالُ قِيَاماً فَلْيَتَبَوَّءْ مَقْعَدَهُ من النار».

فكَرِهْتُ لَكَ النار فأمر له هشام بمال فلم يَقْبَلْهُ وانْصَرفَ.

تأمل ياأخي هذا الورع عن أخذ شيء من حطام الدُّنْيا على ما حَدَثَهُما به وقال لا يتحدث أهل العلم أني أكلتُ للسنة ثمناً.

فما ظَنُّكَ بِمَنْ يَأْكُل بالكُتب التي تحتوي على الآيات والأحاديث باسم تَحْقِيْق أو نشر ويحَتكرها نسأل الله العفو والعافيةَ في الدنيا والآخرة. نعوذ بالله

من عَمى البصيرة، قال الله تعالى: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حَسَنا﴾، وقال تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ وأكثر ياأخِي من قول الحمد لله الذي عافا مما ابتلاهم الله إيعافيهم ولا يبلانا.

ويروى عن أبي عمرو الزاهد صاحب أبي العباس أن بعض الوزراء أَرْسَلَ إليه يَسْأله مَبْلغَ ما يَحْتَاجُ إليهِ لِقُوْتِهِ وقُوْتِ عِيالِهِ في كُلِّ سَنَةٍ لِيُجْرِي عليه كِفَايَتَهُ فقال للرسول الذي أرسله أحَدُ الوُزَراء: قُلْ لِصَاحِبِكَ أنا في جِرَايَةِ الذي مَا مِن دَابَّةٍ إلَّا عليه رزقُها وإذا غَضِبَ عَليَّ لَمْ يَقْطَع عَنّي مَا يُجْرِيْهِ عَلَي «لله دَررُّه هذا من رقم (١) في العفاف والزهد».

اللَّهُمَّ اخْتِمْ بالأعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ لِبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ في جَمِيْعِ الأَحْوَالِ أعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الغَرْقَى وَيَا مُنْجِيَ الهَلْكَى وَيَا دَائِمَ الإِحْسَانِ اذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وأَنِلْنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرُّ به عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَتِكَ في جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

شِعْرًا: قل الحُمَاةُ وما في الحِيّ أَنْصَارُ ... ودَبَّرَ الأمْرَ أَحْدَاثٌ وَأَعْمَارُ
وَأَصْبَحَتْ دَارُنا تَبْكِي لِفُرقْتَهَا ... كُلَّ الْكِرَامِ الَّذِي بالْجِدِّ قَدْ سَارُوا
سَارُوا جمِيعاً فصاروا لِلْوَرَى سَمَراً ... يَتْلُوا لِذِكْرَاهُمُ فِي الْحَي سَمَّارُ
لَهْفِيْ عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّ الَّلهف يِنْفَعُنِي ... جَدَّدْتُ لَهْفي وَدَمْعُ العَيْنِ مِدْرَارُ
ما فَي الزَّمَانِ فَتًى نَرْجُوهُ في حَدَثٍ ... وَلَا رِجَالًا لَهُمْ في المجْدِ إِخْطَارُ
وَلَا مُعيناً عَلَى بَلْوَى يُدَافِعُهَا ... إذَا الْغَرِيبُ جَفَاهُ الصَّحْبُ وَالْجَارُ
سِوَى لِئَامٍ لَهُمْ بالْغِشّ سَرْبَلَةٌ ... وفي الْقُلُوبِ لَهُمْ بالضِّغْنِ إِعْصَارُ
والْحِقْدُ وَالغِلُّ والْبَغْضَاءُ بَيْنَهُمُ ... لا يُفْلِحُوا أَبَداً وَالْخَيْرُ يَنْهَارُ
وَيَحْسدُونَ عَلَى النَّعْمَاءِ صَاحِبَهَا ... وَيَشْمَتُونَ إِذَا مَا حَلَّ إِعْسَارُ
وَالَّلمْزُ فِيهِمْ وَكُلَّ الْقُبْح قَدْ جَمَعُوا ... وفي الْقُلُوبِ مِنَ الأَحْقَادِ أَوْغَارُ

لا خَيْرَ فِيهِمْ وَلَا نُصْحا نُؤَمِّلُهُ قَدْ فارَقُوا الرُّشْدَ إنْ حَلُّوا وَإنْ سَارُوا
وَإنْ بَدَا لَكَ أَمْرٌ بالْمُنَى خَلِعٌ أُوْلَئِكَ غَدْراً وَفِي أفْعَالِهِم جَارُوا
لا تقْرَبَنَّ لَهُمْ لا زِلْت مُدَّرِعاً ثَوْبَ العفَافِلِ وَحُطَّتْ عَنْكَ آصَارُ
وَأطْلُبْ جَلِيسَا كَرِيمَ النَّفْسِ مُلْتَمِساً حُسْنَ الطِّباعِ وَلَا تَعْرُوهُ أغْيَارُ
إنْ غِبْتَ حَاذَ وَلَا تُلْقِيهِ مُنْتَقِصاً لِلْعِرْضِ مِنْكَ ولِلزَّلَّاتِ غَفَّارُ
هذَا هُوَ الخِلُّ فالْزَمْ إنْ ظَفِرْتَ بِهِ وَمِثْلُ هَذَا لأهْلِ اللُّبِّ مُخْتَارُ
وَقَلَّ مِثْلا وما ظَنِّي تُحَصِّلُهُ قَدْ قَلَّ فِي النَّاسِ هَذَا الْيَوْمَ أَحْرَارُ
فأْنَسْ بِرَبِّكَ قعْرَ الْبَيْتِ مُلْتَزِماً إلَى المَماتِ فهذَا اليَوْمَ إبْرَارُ
وَلِلصَّلَاةِ فَلَا تُهْمِلْ جَمَاعَتَهَا مَعْ جُمْعَةِ فَرْضُهَا ما فيهِ إنْكَارُ
وَالصّدْق وَالْبِرَّ لا تَعْدُوهُمَا أَبَداً مَنْ نَالَ ذَا فَلَهُ فِي الْحَمدِ أَذْكارُ
وَأَلْزَمْ عفَافًا ولا تَتْبَعْ طرِيقَ هَوىً إنَّ الْهَوَى لِلْوَرَى يَا صَاحِ غَرَّارُ
وأذْكُرْ إلهاً في خَلْقِهِ مِنَنٌ تَجْرِى عَلَى النَّاسِ مِن جَدْوَاهُ أَنْهَارُ
وَأحْفَظْ لِسَانَكَ عن لَغْوٍ وعن رَفَثٍ ما نالَ فَضْلًا مدَى الأيَّامِ مِهْذَارُ
وَأرْحَمْ يَتيماً غَدَا باليُتْمِ مُتَّصِفاً وَأمْنَحْهُ لُطْفًا تُنَحَّى عَنْكَ أَوْزَارُ
وصِلْ قَرِيباً ولا تَقْطَعْ لَهُ رَحِمًا إنَّ الْقَرِيْبَ لَهُ بالْحَقِّ إيثَارُ
وَبِرَّ جَارًا ولا تَهْتِكْ مَحَارِمَهُ قَدْ جَاءَ فِيهِ مِنَ الآثَارِ إخْبَارُ
وَكُنْ حَلِيماً ولا تَغْضَبْ عَلَى أَحَدٍ فالْحلُم فِيهِ لأهْلِ الْحِلْمِ إسْرَارُ
وَتَمَّ نَظْمِي وَصلَّى خَالِقِي أَبَدًا عَلَى الْمُشَفَّعِ مَنْ بالرُّشْدِ أمَّارُ
وآلِهِ الْغُرِّ مَعْ صَحْبِ أُولِي كَرَمٍ ما هَبَّتِ الرِّيحُ أوْ مَا سَارَ سَيَّارُ

اللَّهُمَّ قنِّعْنَا مِنْ الدُّنْيَا باليَسِير وَسَهِّلْ عَلَيْنَا كُلَّ أَمْرٍ عَسِيرٍ وَوَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وتَرْضَاهُ إنَّكَ عَلى كلِّ شَيءٍ قَدِيْر وَأَسْكِنَّا دَار كَرَامَتِكَ يَامَنْ هُوَ مَلْجَؤُنَا وَمَلاذُنَا وَإلَيْهِ المصِيرُ وَاجْعَلْ لَنَا مِن كُلِّ هَمّ فَرَجا وَمِن كُلِّ ضِيْقٍ مَخْرَجا وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــلٌ»

وعن أبي قُدامة السرخسي قال: قام العمري للخليفة على الطريق فقال له: فَعْلتَ وفَعَلْتَ. فقال له: ماذا تريد؟ قال: تَعْمَلُ بكذا وتعمل بكذا. فقال له هارون: نَعَمْ ياعَمّ، نَعَمْ ياعَمّ.

وعن سعيد بن سليمان قال: كنت بمكة في زقاق الشطوى وإلى جنبي عبدالله بن عبدالعزيز اَلْعَمْرِيْ وقد حج هارون الرشيد.

فقال له إنسان: يا أبا عبدالرحمن هو ذا أمير المؤمنين يسعى قد أخلى له المسعى. قال العمري للرجل: لا جزاك الله عني خيراً، كلفتني أمراً كنتُ عنه غنياً. ثم تعلَّق نعليه (أي لبسهما).

وقام فتبعتُه وأقْبَلَ هارون الرشيد من المروة يريد الصفا فصاح به: ياهارون! فلما نظر إليه قال: لَبيّك ياعَمّ. قال: ارْقَ الصْفا. فلما رَقِيَه.

قال: ارْم بطَرْفِكَ إلى البيت. قال: قد فَعَلْتُ. قال: كم هُم؟ قال: ومن يُحصِيهم؟ قال: فكم في الناس مِثْلُهم؟ قال: خَلْقٌ لا يُحصيهم إلا الله.

قال: اعْلَمَ أيُها الرجلُ أنَّ كُلَّ واحدٍ منهم يُسْأَلُ عن خاصَّةِ نفسِهِ وأَنْتَ وَحْدَكَ تُسأَلُ عنهم كلّهم فانظر كيفَ تكون؟ قال: فبكى هارون وجَلَسَ وجَعَلُوا يُعطُونَه مِنديلًا مِنديلًا للدموع.

قال العُمري: وأخرى أقولها. قال: قُلْ يَاعَمّ. قال: والله إنَّ الرَّجُلَ لَيُسْرِفُ في مالِهِ فيستحقُّ الحَجْرَ عليه، فكيفَ بِمَنْ يُسْرِفُ في مالِ المسلمين؟ ثم مَضَى وهارون يَبْكِي.

قال محمد بن خلف: سمعت محمد بن عبدالرحمن يقول: بلغني أَنَّ هَارُوْنَ الرَّشِيد قال: إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ أَحُجَّ كُلَّ سَنَةٍ مَا يَمْنَعُنِي إِلَّا رَجُلٌ مِن وَلَدِ عُمَر ثُمَّ يُسمِعُنِي ما أَكْرَه.

وقد روى لنا من طريق آخر أنه لَقِيهُ في المسعى فأخذ بلجام دابتّه فأهْوت إليه الأجناد فكفّهم عنه الرشيد فكلمه فإذا دموع الرشيد تسيل على مَعَرفة دابتّه.

ثم انصرف. وأنه لقيه مرّةً فقال: ياهارون فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ. فَجعَلَ يَسمعُ منه وَيقول: مَقْبُولٌ منكَ ياعَمّ، على الرَّأْسِ والعَيْن.

فقال: ياأمير المؤمنين مِن حَالِ الناسِ كَيْتَ وكَيْتَ. فقال: عن غَيْرِ عِلْمِيْ وَأَمْرِي وَخَرَجَ العُمَرِيُ إِليَّ الرشِيْد مَرَّة لِيَعِظَهُ فَلَمَّا نَزلَ الكُوَفةَ زَحَفَ العَسْكَرَ حَتَّى لَوْ كَان نَزَلَ بِهم مِائة أَلف مِن العدوّ ما زادوا على هيبته. ثم رجع ولم يصِلْ إليه.

وعن أبي يحيى الزهري قال: قال عبدالله بن عبدالعزيز العُمري عند موته: بنعمة ربي أحدّث أني لم أصبح أملك إلا سبعةَ دراهم من لِحَاءِ شَجَرٍ فتلْتُه بيدي، وبنعمة ربي أحدّث: لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي ما يمنعني أخذها إلا أن أزيل قدمي عنها؛ ماأزلتها.

اسْتَسْقى مُوسى بنُ نُصَير في الناس في سنة ٩٣ حينَ أَقْحَطُوا بإفريقية فأمرهم بصِيام ثلاثة أيام ثم خرج بهم ومَيَّز أهل الذمة عن المسلمين وفَرَّقَ بينَ البَهائِم وأولادها ثم أمَرَ بالبُكاء وارْتِفَاعِ الضَّجِيْج وهو يَدْعُو الله تعالى حتَّى انتَصفَ النهار ثُمَّ نَزَل فقِيْل لَهُ ألا دَعَوت لأمير المؤمنين؟ فقال: هذا مَوْطِنٌ لايُذْكَر فيه إلا الله عَزَّ وجَلَّ فسَقَاهُم الله عَزَّ وَجَلَّ لما قال ذَلِكَ.

كتب زر بن حُبَيْش إلى عبدالملك بن مروان كتاباً يَعِظُهُ فيه فكان في آخره: ولايُطْمِعَكَ ياأمير المؤمنين في طُول الحياةِ ما يَظْهَرُ من صحة بدنك فأنتَ أعلم بنفسكَ واذكُرْ مَا تَكلَّم به الأولون.

شِعْرَا: إذَا الرجَالُ وَلَدَتْ أَوْلادُهَا   وبليت مِن كِبَرِ أجْسَادُهَا

وجَعَلَتْ أسْقَامُهَـــا تَعْتَادُهَـــا فَذِي زُوْعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا

فلما قرأ عبدالملك الكتبَ بَكَى حَتَّى بَلَّ طرفَ ثَوْبِهِ بدُمُوعِهِ ثم قال: صَدَقَ زِرٌ ولو كَتَبَ إلينا بغير هذا كان أرْفَق بنا.

شِعْرَا: يَا بَانِـــيَ الـــقَصْرِ الكَبِيْـــر بَيْـــنَ الدَّسَاكِـــرِ والـــقُصُوْرْ
وَمُجَـــرِّرِ الجِـــيْشِ الـــذي مَلأَ البَسِيْطَـــــةَ والصُدُوْرْ
ومُـــدَوِّخِ الأَرْضِ الَّتِـــي أَعْـــيَتْ عَلى مَرِّ الدُهُـــوْرْ
أَمَـــــا فَرَغْتَ فلا تَدَعْ بُيْنَـــانَ قَبْـــرِكَ في القُبُـــوْرْ
وانْظُـــرْ إليـــهِ تَرَاهُ كَيْـــ ـــفَ إلَيْكَ مُعْتَرِضاً يُشِيْـــرْ
وَاذْكُـــرْ رُقَـــادَكَ وَسْطَـــهُ تَحْتَ الجَنَـــادِلِ والصُخُـــوْرْ
قَدْ بُدِّدتْ تِلْكَ الجُيُـــوْ شُ وغُيِّـــرتْ تِلْكَ الأمُـــورْ
واعْتَضْتَ مِن لَيْـــنِ الحَرِيـــ ـــرِ خُشُوْنَـةَ الحَجَـــرِ الكَبَيْـــرْ
وتُـــرِكْتَ مُرْتَهنـــــاً بِهِ لَا مَالَ وَيْكَ ولا عَشِيْـــرْ
حَيْـــرَانَ تُعْلِـــنُ بالأسَى لَهْفَـــانَ تَدْعُـــوْ بِالثُبُـــوْرْ
ودُعِـــيْتَ باسْمِكَ بَعْدَمَـــا قَدْ كُنْتَ تُدْعـــى بالأَمِيْـــرْ
ولأَنْتَ أَهْـــوَنُ فيـــهِ مِنْ جُعْـــلٍ عَلَى نَتْنٍ يَـــدُوْرْ
إنْ لَمْ يَجُـــدْ بالعَفْـــوِ مَنْ يَعْفُـــوْ عن الـــذّنْبِ الكبيْـــرْ
هذا هُو الحَـــقُ اليَقـــيْـــ ـــنُ وكُـــلُ ذَاكَ هُوَ الغُـــرُوْرْ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الإِيْمَانِ وثَبِّتْهَا عَلى قَوْلِكَ الثَّابِتْ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وَتَوفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَالْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِيْنَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــلٌ»

وعن الفضل بن الربيع قال: حج أمير المؤمنين الرشيد فأتاني فخرجت

مسرعاً فقلت: ياأمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك. فقال: ويحك قَدْ حَاكَ في نفسي شيء فانظر لي رجلًا أسأله. فقلت: هاهنا سفيان بن عيينة.

فقال: امض بنا إليه. فأتيناه فقرعت الباب فقال من ذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين. فخرج مسرعاً فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك. فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله.

فحدثه ساعة ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم. فقال: أبا عباس اقض دينه فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً، انظر لي رجلا أسأله.

فقلت له: هاهنا عبدالرزاق بن همام. قال: امض بنا إليه فأتيناه فقرعت الباب فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين.

فخرج مسرعاً فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك. قال: خذ لما جئناك له.

فحادثه ساعة ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم. قال: أبا عباس اقض دينه. فلما خرجنا قال: ما أغنى صاحبك شيئاً انظر لي رجلًا أسأله.

قلت: هاهنا الفُضَيْلُ بن عياض. قال: امض بنا إليه. فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها. فقال: اقرع الباب. فقرعت الباب فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين. فقال: ما لي ولأمير المؤمنين؟ فقلت: سبحان الله أما عليك طاعة؟

أليس قد روى عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس للمؤمن أن يُذل نفسه» فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ المصباح ثم التجأ إلى زاوية من زاويا البيت.

فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كفُّ هارون قبلي إليه. فقال: يالها من كف ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل.

فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي. فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله.

فقال: إن عمر بن عبدالعزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبدالله، ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم: إني قد ابتُليت بهذا البلاء فأشيروا عليَّ. فعدَّ الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة.

فقال له سالم بن عبدالله: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فَصُم عن الدُّنْيا وليكن إفطارك من الموت.

وقال له محمد بن كعب القرظي: إن أردت النجاة من عذاب الله، فليكن كبير المسلمين عندك أباً وأوسطهم أخاً وأصغرهم عندك ولداً فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك.

وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل فأحِبَّ للمسلمين ما تُحبّ لنفسك واكَره لهم ما تكرَهُ لنفسك ثم مُت إذا شئت.

وإني أقول لك إني أخاف عليك أشدّ الخوف يوم تزل في الأقدام فهل معك رحِمك الله مَن يشير عليك بمثل هذا؟

فَبَكَى هارون بكاء شديداً حتى غُشي عليه فقلت له: أرفق بأمير المؤمنين. فقال: يابنْ أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفُق به أنا ثم أفاق فقال له: زدْني رحمك الله.

فقال: ياأمير المؤمنين بلغني أن عاملًا لعمر بن عبدالعزيز شكا إليه. فكتب إليه عمر: ياأخي أذكّرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد وإياك أن يُنصَرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء.

قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبدالعزي فقال

له: ما أقدمك؟ قال: خلعتَ قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله عز وجل.

قال: فبكى هارون بكاءً شديداً ثم قال له: زدني رحمك الله. فقال: ياأمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي فقال: يارسول الله أمّرني على إمارة فقال له النبي ﷺ: «إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل».

فبكى هارون بكاءً شديداً وقال له: زدني رحمك الله فقال: ياحَسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعلْ، وإياك أن تصبح وتُمسي وفي قلبك غشٌ لأحد من رعيتك فإن النبي ﷺ قال: «من أصبح لهم غاشاً لم يرحْ رائحة الجنة».

فبكى هارون وقال له: عليك دَيْن؟ قال: نعم دَين لربي يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني، والويل لي إن ناقشنيْ، والويل لي إن لم أُلْهَمَ حجّتي. قال: إنما أعني دَيْن العباد.

قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، أمر ربي أنْ أوحّده وأطيع أمره، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدُون، ما أريدُ منهم رزْقٍ وما أريد أن يُطعمونِ أن الله هو الرزّاق ذو القُوّة المَبينُ﴾.

فقال له: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتَقَوَّى على عبادتك. فقال: سبحان الله أنا أدُلُّكَ على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا؟ سلمك الله ووفقك.

ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قال هارون: أبا عباس إذا دَلَلْتَنِي على رجل فدُلّني على مِثْلِ هذا، هذا سيد المسلمين.

فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالَتْ: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به. فقال لها: مثَلي ومثَلكم كمثَل قَوْمٍ كان لهم بعير يأكلون من كسْبه فلما كبر نْحَروه فأكلُوا لحمه.

فلمَا سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت يا هذا قد أتعبت الشيخَ منذ الليلة فانصرف رحمكَ الله فانصرف. تأمل يا أخي هل يُوجَد في زَمَنِنِا مَن يَردُ حُطَامَ الدنيا إذا عُرِضَ عليه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. هذا الله أعلم أنه من رقم (١) في الزهد.

بَلِّغْ يا أخي مَن يَأْكِلونَ بالكتُبِ الدِيْنِيَّة باسْمِ تحيققٍ ونشرٍ وقُلْ لهم قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قِلِيلَ﴾ واذكر لهم طريقة الرسل وأنهم لَا يَسألون الناس أَجْرَا.

شِعْرَا: إعْلَمْ بأنَّ طَرِيْقَ الحَقِّ مُنْفَرِدٌ — والسَّالِكُونَ طَرِيْقَ الحَقِّ أفْرَادُ
لا يَطلبُونَ ولا تُطَلبْ مَساعِيهُم — فَهُمُ على مَهَلٍ يَمشُوْنَ قُصَّاد
والناسُ في غَفْلَةٍ عَمَّا لَهُ قَصَدُوْا — فجُلُّهُمْ عن طَرِيْقِ الحَقِّ رُقَّادُ

قيل إن هارون الرشيد خرج في نُزْهَةٍ ومعَه سُليمانُ بنُ جَعْفَر فقال له هارون قَدْ كانَتْ لَكَ جَارِية تُغَنِّي فتُحْسِنُ الغِنَا فأتِ بها فجاءَتْ فَغَنَّتْ فلم تُحْسِنْ الغِنَا فقال لَهَا مَا شَأْنكِ قالَتْ لَيْسَ هَذا عُوْدِي.

فَقَالَ لِلْخَادِمِ جِئْهَا بعُوْدِهَا قال فجَاءَ بالعُود فَوَافَقَ شَيْخاً يَلْقُطُ النَّوى فقال إبعِدْ عَنِ الطريق يا شيخ فرفع الشيخُ رَأْسَهُ فرَأى العُودَ فأخَذَهَ فَضَرَبَ بِهِ الأرْض.

فأخَذَهُ الخادِمُ وذهب به إلى صاحب الربع فقال احْتَفِظْ بهذا فإنه سَيَطلبه أمير المؤمنين فقال له صاحب الربع ليس بِبَغْدَاد أَعْبَدُ مِن هَذا فكَيْفَ يَطْلُبُهُ أمِيرُ المُؤْمِنِيْنَ.

فقال لَهُ اسْمَعْ مَا أقولُ لَكَ ثُمَّ دَخَل على هارونَ الرشيد فقال له إنّي مَرَرْتُ على شيخ يَلْقُطُ النَّوىَ فَقُلْتُ تَنَحَّ عن الطَّرِيْق يا شَيْخُ فَرفَعَ رَأْسَهُ فرآى العُوْدَ «أيْ عُودَ الغِنَا» فأَخذه وضَرَبَ بِهِ الأرض.

فَغَضب هارونُ واسْتَشَاطَ واحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ فقال سُليمانُ بنُ جَعْفَر ما هذا الغَضَبُ ياأمِيْرَ المؤمنين إبْعَثْ إلى صَاحِب الرَّبْع يَضْرِبُ عُنَقَهُ ويَرْمي به في دِجْلَة فقال لَا وَلَكِنْ نَبْعَثُ إليه فَنُنَاظِرُهُ أوْلًا.

قال فَبَعَثَ إليه فَجَاءَهُ الرسولُ فقال أجِبْ أمِيْرَ المؤمنين قال نَعمْ. قال: أرْكَبْ قَالَ لَا فَجَاءَ يَمْشِي حَتَّى أُوقِفَ على باب القَصْرِ فقيل لِهَارُوْنَ قَدْ جَاءَ الشَّيْخُ.

فقال لِنَدَامَاهُ أيُّ شيءٍ ترون نرفع مِن مَا قُدَّامنَا مِن المنكر حَتَّى يدخل الشيخ أو نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا نَقُومُ إلى مَجْلِسٍ آخَرَ لَيْسَ فيه مُنكر فقامُوْا صَغَرَةً إلى مجلسٍ لَيْسَ فِيه منكر.

ثم طلب الشيخ فأدْخِلَ وفي كمه الكيس الذي فيْه النَّوى (أي الفصم) فقال له الخادم أَخْرِجْ هذا وادْخُلْ عَلى أمير المؤمنين فقال مِن هَذَا عَشَائِي الليلة قال نَحْنُ نُعَشِّيْكَ قال لا حَاجَةَ لي في عَشَاكُم.

فقال له هارون أيُّ شيء تريد منه فقال في كمه نوى فقلتُ له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين فقال دَعْهُ لا تطرحه فدخل على هارون وجلس.

فقال هارون يا شيخ ما حملك على ما صَنَعْتَ قال وأيُّ شيءٍ صَنَعْتُه وجعل هارون يَسْتَحِي أنْ يَقُول كَسَرْتَ عُوْدَنَا.

فلما أكثر عليه فقال الشيخ لِهَارون إنّي سَمِعْتُ آبآءك وأجْدَادَكَ يقرؤن هذه الآية على المنبر: ﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاءِ ذي القربى ويَنْهَى عن الفَحْشَآء والمنكر والبغي﴾ ورَأيْتُ منكرٍ فَغَيَّرْتُهُ.

قال فَغَيِّرْهُ قال الراوى فوالله ما قال إِلَّا هَذا فلما خَرَج أعْطَي هَارُوْنُ رَجُلًا بَدْرَةً يعنى عشرة آلاف درهم فقال له اتبع الشيخ فإن رأيتَهُ يقول قُلْتُ لأمير المؤمنين وقال لي فلا تُعْطِهِ شيئاً وأتِني به وإن رَأَيتَهُ لا يكلم أحَدًا فاعْطِه البدرة.

فلما خَرَج من القَصْرِ تَبِعَهُ ولم يَرَهُ يُكلِّمُ أحَدًا فقال له يقول لك أمير المؤمنين خذ هذِهِ البدرة فقال قل لأمِيْرِ المؤمنين يَرُدَّهَا مِن حَيْث أخَذَهَا.

فانظر رحمك الله كيف حفظه الله جل وعلا من سطوتهم ورد عنه كيدهم ببركة الاخلاص والتقوى لرب العالمين وقال النبي ﷺ لابن عباس: «يا غلام احفظ الله يحفظك».

ولو كان هذا من الجهلة المرائين لخَرَجَ وهو يقول اتفق لي مع أمير المؤمنين كذا وكذا وقال لي وقُلْتُ له يَتَبَجَّحُ بذلك ولا يقنعُ بعِلْم الله جل وعلا واطلاعِهِ. هذا الله أعلم أنه من رقم (١) في الزهد.

فينبغي التفطن لمثل هذا فإنَّهُ دَلِيل على ما في القلب مِن الدَّاءِ الدَّفِيْن مِن الرِياء وطلبِ الجَاهِ والمنزلةِ في قلوب الخلق.

وقد روى النسائي وأبو داود أن النبي ﷺ قال: «إنَّ اللهَ لا يَقْبَلُ مِن العَمل إلا ما كان خالصاً ويَبْتَغِي به وجْهَهُ».

فإنْ قلتَ فما الذي يُمَيِّزُ لنا النيَّةَ الصالحةَ الخالصةَ من النية الفاسدة وما العلامةُ في ذلك والمعيار في صحته.

قُلْتُ مَحَلُ الاعتبار في ذلك أن يرى المُنْكِرُ نَفْسَهُ كالمكْره على هذا الفعل وكالمتكلف له والمتجشم المشقة فيه.

ويَوَدُّ لو تَصَدى لهذا الفعل غيره وكفاه الله به ويُحِبُ أنْ لا يَعْلَمَ بِه أحَدٌ مِن الناسِ اكْتِفَاءً بعلم الله جل وعلا وتقدس واطلاعه عليه.

ويختار الكلام مع ولي الأمر من سلطان أو غيره في الخلوة على الكلام معه لا على رؤوس الأشهاد.

بل يَوَدُّ لو كَلَّمه سِرًا وحْدَهُ ونَصَحَهُ خُفيةً من غير حضور ثالث لهما ويكره أن يقال عنه أوْ يُحْكَى ما اتفق له.

ويكره أن يشتهر بذلك بين العامة بل لَوْ أثِرَ كلامُهُ وغير المنكر بقوله ثم اشتهر عند الناس نِسْبَةُ ذَلِكَ إلى غيرِه لما شَقَّ عليه.

ذلك إذا علم الله بحقيقة الحال كفاية وهو المجازي كل أحد بعلمه.

ويكون قَصْدُهُ زَوَالُ المنكر على أيِّ وَجْهٍ كان ولو حصل له مع زواله ازْدِرَاءٌ وَتَنَقُّصٌ وسَبٌّ وتَغْلِيْظُ كَلامٍ وذَمٌّ بَيْنَ الناس أو إعْراضٌ وهَجْرُ مِمَّنْ عادَتُه المَوَدَّةُ له والاقبال عليه ونحو ذلك من الأحوال التي تكْرَهُهَا النُفوسُ وتَنْفُرُ منها الطباعُ.

فهذه كُلُّها مِن عَلامَاتِ الإخلاصِ وحْسْنِ القَصْدِ وابتغَاءِ وجْهِ اللهِ تعالى والدارِ الآخرة.

وأما غَيْرُ المُخْلِص فبضد ذلك فيرى عند نفسه نشاطاً إلى هذا الفِعل وإقبالًا عليه وسُرُوْرًا به ويُحبُّ أن يكُونَ جَهْرًا في مَلاءٍ مِن الناسِ لَا سِرًا ويُحِبُّ أنْ يُحْكَى عنه ذَلِكَ وَأَنْ يَشْتَهِرِ به وأن يُحْمَدَ عليه.

حتى إنَّه لَو نُسِبَ أَزَالَةُ المنكرِ إلى غَيرِه لَقَامَتْ قِيامَتُهُ بَل تَجِدُهُ يَنْقَضى عُمُرهُ وهو يَحْكِي ما اتَّفَقَ لَهُ وَمَا قَال ومَا قِيلَ لَهُ مُتَبَّجِحاً بذَلِكَ بينَ أقْرانه وزُمَلائِهِ وأبْناء جِنْسِهِ ورُبَّمَا زَادَ في القِصَّةِ ونَقَصَ.

ولو سَبَقَه غيَرُهُ إلى ما كان هو قَدْ عَزَم عليه مِن ذَلِكَ ورجَعَ السلطانُ إلى قوله لَثَقُلَ ذَلِكَ وشَقَّ عليه.

ورُبَّما يَقُولُ لِمَنْ يُطْلِعُهُ على نِيَّتِهِ كُنْتُ عَزَمْتُ على أنْ أَدْخُلَ على السُلطان فأقولُ لَهُ كَذا وكَذا ولكن سَبَقَنِي فلانٌ ولِكِنَّهُ لم يَتَكَلَّم كَمَا يَنْبَغِي ولو دَخَلْتُ عليه لَقُلْتُ كذَا وفَعَلْتُ كذَا فهذه علامات على فساد النية وسُوْء القصد وعدم الاخلاص.

هَذِهِ نَمَاذِجُ وَأَمْثِلَةٌ سُقْنَاهَا مِنْ سِيْرَة العُلَمَاءِ الْمُخْلِصِيْنَ الْعَامِلِيْنَ بِعِلْمِهِمْ الَّذِيْنَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمةُ لَائِمٍ واللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمْدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

سَأل المَهْدِيُ الإِمَامَ مالِكاً وقال له هَلْ لَكَ دَار؟ فقال: لا. فأَعْطَاهُ ثَلاثَةَ آلاف دَيْنار وقال له: اشتر لَكَ بها دَار، فأَخَذَ وأبْقَاها عِنْدَهُ.

فلما أرادَ الرشِيْدُ الرحِيْلَ إلى بغداد قال لِمالِك: يَنْبَغِي لَكَ أن تَخْرُجَ مَعَنَا فإني عَزَمْتُ أنْ أحْمِلَ النَّاسَ على المُوَطَّأ، كَمَا حَمَلَ عُثمانُ رضي الله عنه الناسَ على القرآن. فقال لَهُ مَالِكُ: أمَّا حَمْلُ الناسِ عَلى المُوَطَّأ فَلَيْسَ إلى ذَلِكَ سَبِيْل لِأَنَّ أصْحَابَ رسول الله ﷺ افْترقُوْا بَعْدَهُ في الأَمْصَار فَحَدَّثوا فعِنْدَ كُلِّ أهْلِ مِصْرٍ عِلْمٌ.

وقَدْ قَال رَسُولُ الله ﷺ اخْتِلافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ، وأما الخُرُوْجُ مَعَكَ فلا سَبِيْل إليه، قال رسول الله ﷺ المدينة خيرُ لَهُم لو كانوا يَعْلَمُون، وقال المدينةُ تَنْفِي خَبَثَهَا كَمَا يَنْفِي الكِيْرُ خَبثَ الحَدِيْد.

وهذه دَنانِيْركُمُ كَمَا هِيَ إنْ شِئْتُم فَخُذُوْهَا وإنْ شئتُم فَدَعُوهَا يَعْنِي أنكَ إنَّما كَلَفْتَنِي مُفَارَقَةَ المدِيْنَةِ بما اسْطَنَعْتَهُ لَدَيَّ مِن أخْذِ هَذِهِ الدنانير، فالآن خُذْهَا فإني لَا أُوْثِرُ الدُّنْيَا وما فيها على مُفَارَقَةِ المَدِيْنةِ.

هذا مِن رَقِم واحِد في العَفَافِ والزُهْدِ، لِلَّهِ دَرُّه هكذا العلماء العَامِلُون المخلصُون البعيدون عن الشهرة والظهور والرِّياء.

شِعْرًا: إذا رُمْتَ أن تَنْجُو مَن النارِ سَالِماً وتَنْجُوَ مِن يَوْمٍ مَهُوْلٍ عَصبْصَبِ
وتُحْظَى بجَنَّاتٍ وحُوْرٍ خَرائِدٍ وتَرْفُل في ثَوبٍ مَن المَجْدِ مُعْجِبِ
وفي هَذِهِ الدُّنْيَا تَعِيْشُ مُنَعَّماً عَزِيزاً حَمِيْداً نَائِلًا كُلَّ مَطْلَبِ
فَمِلَّةَ إبْرَاهِيْمَ فاسْلُكْ سَبِيْلَهَا هِيَ العُرْوَةُ الوُثْقَى لأهْلِ التَّقَرُّبِ
فَعادِ الذي عَادَى وَوَال الذي لَهُ يُوَالِيْ وأَبْغِضْ في الإلٰهَ وأحْبِبِ
فَمَنْ لَمْ يُعَادِي المُشْرِكِيْنَ ومَن لَهُمْ يُوَالِي ولم يُبْغِضْ وَلَم يتَجَنَّبِ
فَلَيْسَ على مِنْهَاجِ سُنَّةِ أحْمَدٍ ولَيْسَ على نَهْج قَوِيْمٍ مُقَرِّب
وأخْلِصْ لِمَوْلَاكَ العِبَادَةَ رَاغِباً إليه مُنِيْباً في العِبَادَةِ مُذْنِبِ
مُحَباً لأهْلِ الخَيْرِ لا مُتَكَرِّهاً ولا مُبْغِضاً أوْ سَالِكاً مَنْهَجاً وَبِ
وكُنْ سَلِساً سَهْلًا لَبِيْباً مُهَذَّباً كَرَيْماً طَلِيْقَ الوَجْهِ سَامِي التَّطَلُّبِ
إلى كُلِّ مَن يَدْنُو إلى مَنهَجِ التُّقَى فَخَيرِ الوَرَى أهْلُ التُّقَى والتَّقَرُّبِ
ومَنْهَجُهُمْ خَيْرُ المَنَاهِجِ كُلِّهَا ومَوْكَبُهُمْ يَوْمَ اللِّقَا خَيْرُ مَوْكَبِ
فَهَذا الذي يُرْضَى لِكلِ مُوحِدِ وهذا الذي يُنْجِي بِيَوْمٍ عَصَبْصَبِ
وذَلِكَ يَوْمٌ لَوْ عَلِمْتَ بِهَوْلِهِ لَبِتَّ لَعَمْرِي سَاهداً ذَا تَقَلُّبِ
وَلَمْ تَتَلَذَّذْ بالحَيَاةِ وَطِيْبِهَا وَأَصْبَحْتَ فيها خائِفاً ذَا تَرَقُّبِ

اللَّهُمَّ بارِكْ فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصارِنَا وَنَوِّرِ قُلُوبنَا وَأَصْلِح ذَاتَ بَيْنِنَا وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا واهدِنَا سُبُلَ السَّلامِ وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النور وَجَنِّبْنَا الفواحشَ ما ظهرَ مِنْها وَمَا بَطنَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ، اللَّهُم يَا حَي يَا قيوْمُ يَا بَدِيْعَ السَّمَواتِ وَالأرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنا لِمَا فِيهِ صَلَاحُ دِيْنِنا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ»: فِي الأَمْرِ بالمَعْرُوْفِ والنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

اعْلَم وَفَّقَكَ اللهُ أَنَّ الأَمْر بالْمَعْرُوْفِ والنَّهْيِ عَن الْمُنْكر يَجبَانِ وُجُوبَ كَفائِيٍّ يُخَاطَبُ بِهِ الْجَمِيْعُ، وَيَسْقُطُ بِمَنْ يَقُوْمُ بِهِ، وَان كَانَ الْعَالِمُ بِهِ وَاحِداً تَعَيَّنَ عَلَيْهِ، وَانْ كانُوا جَمَاعَةً لَكِنْ لَا يَحْصُلُ الْمَقْصُودُ إِلَّا بِهِمْ جَمِيْعاً تَعَيَّنَ عَلَيْهِمْ.

وَأَمَّا تَعْرِيْفِهُمَا، فالمَعْرُوْفُ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا عُرِفَ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَالتَّقَرُّبِ إِليْهِ وَالإِحْسَانِ إلى النَّاسِ. والمُنْكَرُ ضِدُّهُ وَعَرَّفَهُ بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ الْمُنْكَرُ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَنْهَى عَنْهُ وَالمَعْرُوْفُ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ مِنَ الإِيْمَانِ والْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَقَدْ حَبَّبَ اللهُ إِلَيْنَا الْخَيْرَ وَأَمَرَنَا أَنْ نَدْعُوَ إِلَيْهِ، وَكَرَّهَ إِلَيْنَا الْمُنْكَرُ وَنَهَانَا عَنْهُ، وَأَمَرَنَا بِمَنْعِ غَيْرِنَا مِنْهُ، كَمَا أَمَرَنَا بِالتّعَاون عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوى. فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوْا عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى، وَلَاتَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والْعُدْوَانِ، وَاتَّقُوْا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيْدُ العِقَابِ﴾.

وَالأَصْلُ فِي وجُوْبِهما: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةَ وَالإِجْمَاع قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُوْنَ إِلَى الْخَيْرِ، وَيَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُوْنَ﴾.

وَأَبَانَ جَلَّ وَعَلَا أَنَّنَا بِهِمَا خَيْرُ الأُمَمِ فَقَالَ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَر، وَتُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ﴾.

وَفِيْ الْمُسْنَدِ وَالسُّنَنِ مِنْ حَدِيْثِ عَمْرو بْنِ مُرَّةَ عَنْ سَالِم بْنِ أَبِيْ الْجَعْدِ عَنْ أَبِيْ عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدَ اللهِ بنْ مَسْعُوْدٍ عَنْ أَبِيْهِ قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَان إذا عَمِلَ الْعَامِلُ الْخَطِيئَةَ جَاءَهُ النَّاهِيْ تَعْذِيْراً فإِذَا كَانَ الْغَدُ جَالَسَهُ وَوَاكَلَهُ وَشَارَبَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَرَهُ عَلَى خَطِيْئَةٍ بالأَمْسِ فَلَمَّا رَأَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ

ذَلِكَ مِنْهُمْ ضَرَب بقُلُوْبِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ لَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ دَاوُدَ وَعِيْسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوْا يَعْتَدوْنَ.

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكرِ وَلِتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ السَّفِيْهِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أطْراً أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُم عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ لِيَلْعَنَكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ.

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِيْ الدُّنْيَا عَنْ إِبْرَاهِيْمَ بْنِ عَمْرو الصَّنْعَانِيِّ فَأَوْحَى اللهُ إِلَى يُوشَعَ بْنِ نُونٍ إِنِّي مُهْلِكَ مِنْ قَوْمِكَ أَرْبَعِيْنَ أَلْفاً مِنْ خِيَارِهِمْ وَسِتِيْنَ أَلْفاً مِنْ شِرَارهِمْ قَالَ يَارَبِّ هَؤُلَآءِ الْأَشْرَارُ فَمَا بَالُ الأَخْيَارِ قَالَ إِنَّهُمْ لَمْ يَغْضَبُوا لِغَضَبِيْ وَكَانُوا يُواكِلُونَهُمْ وَيُشَارِبُوْنَهُم.

وَذكَرَ أَبُوْ عُمَرَ بْن عَبْدِاللهِ عَنْ أَبِيْ عِمْرَانَ قَالَ بَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكَيْنِ إِلى قَرْيَةٍ أَنْ دَمِّرَاهَا بِمَنْ فِيْهَا فَوَجَدُوا فِيْهَا رَجُلاً قَائِماً يُصَلِّي في مَسْجِدٍ فَقَالَا يَارَبِّ إِنَّ فِيْهَا عَبْدَكَ فُلَاناً يُصَلِّيْ فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ دَمِّرَاهَا وَدَمِّرَاهُ مَعَهُمْ فَإِنَّهُ مَا تَمَعَّرَ وَجْهُهُ فِيَّ قَطُّ.

وَذَكَرَ الْحُمَيْدِيُّ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ حَدَّثَنِيْ سُفْيَانُ ابْنُ سَعِيْدٍ عَنْ مِسْعَرٍ أَنَّ مَلَكاً أُمِرَ إِنْ يَخْسِفَ بِقَرْيَةٍ فَقَالَ يَارَبِّ إِنَّ فِيْهَا فُلَاناً الْعابِدَ.

فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ أَنْ بِهِ فَابْدَأْ فَإِنَّهُ لَمْ يَتَمَعَّرَّ وَجْهُهُ فِيَّ سَاعَةً قط.

وَذكَرَ ابْنُ أَبِيْ الدُّنْيَا عَنْ وَهَبْ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ لَمَّا أَصَابَ دَاوُدُ الخَطِيْئَةَ قَالَ يَارَبِّ اغْفِرْ لِيْ قَالَ قَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَأَلْزَمْتُ عَارَهَا بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ قَالَ يَارَبِّ كَيْفَ وَأَنْتَ الحَكَمُ الْعَدْلُ لَا تَظْلِمُ أَحَداً أَنَا أَعْمَلُ الْخَطِيْئَةَ وَتُلْزِمُ عَارَهَا غَيْرِيْ.

فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ إِنَّكَ لَمَّا عَمِلْتَ الْخَطِيْئَة لَمْ يَعْجلُوا عَلَيْكَ بالإِنْكَارِ.

وَأَوْضَحَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الأَجْرَ بِهِمَا عَظِيْمٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿لَا خَيْرَ فِيْ كَثِيْرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ، أَوْ مَعْرُوْفٍ أَوْ أَصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيْهِ أَجْرَاً عَظِيْماً﴾.

وَوَصَفَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِأَنَّ بَعْضَهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَيَقِيْمُونَ الصَلَاةَ وَيُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ وَيُطِيْعُونَ اللهَ وَرَسُوْلَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ.

وَشَهِدَ اللهُ بِالصَّلَاحِ لِلْمُؤْمِنِيْنَ الَّذِيْنَ أَضَافُوْا إِلى إِيْمَانِهِمْ الْقِيَامَ بِهِمَا فَقَالَ تَعَالى: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ، يُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُسارِعُونَ فِيْ الخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِيْنَ﴾.

وَبَيَّنَ جَلَّ شَأْنُهُ أَنَّ قَوْماً مِنْ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ اسْتَحَقُّوْا اللَّعْنَ بِتَرْكِهِمَا فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيْسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوْا يَعْتَدُوْنَ، كَانُوْا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَر فَعَلُوْهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُوْنَ﴾.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَبَّخَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عُلَمَاءَهُمْ فِيْ تَرْكِهِمْ نَهْيَهُمْ فَقَالَ: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

قَالَ وَدَلَّتْ الآيَةُ عَلَى أَنَّ تَارِكَ الْمُنْكَرِ الَّذِيْ لَا يَنْهَى عَنْهُ كَمُرْتَكِبِهِ.

وَذَلِكَ أَنَّ الأُمَّةَ فِي عَهْدِ اسْتِقَامَتِهَا وَتَمَسُّكِهَا بالسُّنَنِ لَا تَتْرُكُ بَيْنَ أَظْهُرِهَا عَاصِياً وَلَا مَعْصِيَةً فَإِذَا رَأَتْ شَيْئَاً مِنْ ذَلِكَ ثَارَتْ ثَوْرَةَ الأُسُوْدِ وَلَمْ تَسْكُنْ حَتَّى تُذِيْقَهُ مَا يَسْتَحِقّ عَلَى مَعْصِيَتِهِ.

كُلّ ذَلِكَ غَيْرَةً عَلَى دِيْنِهَا وَطَلَباً لِمَرْضَاةِ رَبِّهَا. وَالْعُصَاةُ وَالْفَسَقَةُ يَرْتَدِعُونَ عِنْدَمَا يَرَوْنَ رَدْعَ اخْوَانِهِمْ.. انْتَهَى كَلَامُهُ.

شِعْرًا: وأَهْوى من الفِتْيَان كُلَّ مُوفَّقٍ لِطَاعَةِ رَبِّ الخَلْق بَاري البَرِيَّةِ
مُلَازِمُ بَيْتِ الله يَتْلـوا كِتَابَـهُ ويُكثِرُ ذِكْرَ الله فِي كَلِّ لَحْظَةِ
ويَأْمُرُ بالمَعْرُوف حَسْبَ اقْتِدارِهِ وعن مُنْكَرٍ يَنْهَى بِلُطْفٍ بِدَعْوَتِي

وَفِي سُوْرَةِ الاعْرَافِ يُخْبِرُنَا جَلَّ وعَلَا عَمَّا كَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيْلَ وَمَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ العَذَابِ فَيَقُوْلُ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنهُمْ لِمَ تَعظُوْنَ قَوْمَاً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيْداً قَالُوْا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. فَلَمَّا نَسُوْا مَاذُكِّرُوْا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِيْنَ يَنْهَوْنَ عَنْ السُّوء وَأَخَذْنَا الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا بِعَذَابٍ بَئِيْسٍ بِمَا كَانُوْا يَفْسُقُوْنَ فَلَمَّا عَتَوا عمَّا نُهُوْا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُوْنُوْا قِرَدَةً خَاسِئِيْنَ﴾، فأَفادَتْ هَذِهِ الآيَاتُ أَنَّ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ صَارُوْا إِلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ:

فِرْقَةٌ ارْتَكَبَتْ الْمَحْذُوْرَ وَاحْتَالُوْا عَلَى اصْطِيَادِ الأَسْمَاكِ يَوْمَ السَّبْتِ الْمُحْرَّمِ فِيْهِ الصَّيْدُ، وَفِرْقَةٌ نَهَتْ عَنْ ذَلِكَ واعْتَزِلَتْهُمْ، وَفِرْقَةٌ سَكَتَتْ فَلَمْ تَفعَلْ وَلَمْ تَنْه وَلَكِنَّهَا قَالَتْ لِلْمُنْكِرَةِ لِمَ تَعِظُوْنَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيْداً، أَيْ لِمَ تَنْهَوْنَ هَؤُلَاءِ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوْا وَاسْتَحَقُّوا الْعُقُوْبَةَ مِنَ اللهِ فَلَا فَائِدَةَ فِي نَهْيِكُمْ إِيَّاهُمْ.

قَالَتْ لَهُمْ الْمُنْكِرَةُ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ أَنْ فِيْمَا أُخِذَ عَلَيْنَا مِنْ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ أَيْ وَلَعَلَّ لِهَذَا الإِنْكَارِ يَتَّقُوْنَ مَاهُمْ فِيْهِ وَيَتْرُكُوْنَهُ وَيَرْجِعُوْنَ إِلَى اللهِ تَائِبِيْنَ فَإِذَا تَابُوا تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ.

فَلَمَّا نَسُوْا مَا ذُكِّرُوا بِهِ (أَيْ فَلَمَّا أَبَى الْفَاعِلُوْنَ قَبُوْلَ النَّصِيْحَةِ) أَنْجَيْنَا الَّذِيْنَ يَنْهَوْنَ عَنْ السُّوْءِ وَأَخَذْنَا الَّذِيْنَ ظَلَمُوا (أَيْ الَّذِيْنَ ارْتَكَبُوا الْمَعْصِيَةِ) بِعَذَابٍ بَئِيْسٍ، فَنَصَّتْ الآيَاتُ عَلَى نَجَاةِ النَّاهِيْنَ وَهَلاكِ الظَّالِمِيْن وَسَكَتَتْ عَنْ السَّاكِتِيْنَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كَانُوا ثَلَاثَةً ثُلُثٌ نَهَوْا وَثُلثٌ قَالُوا لِمَ تَعِظُوْنَ قَوماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيْداً وَثُلُثٌ أَصْحَابُ الْخَطِيْئَةِ فَمَا نَجَا إِلَّا الَّذِيْنَ نَهَوْا وَهَلَكَ سَائِرُهُمْ وَهَذَا اسْنَادُهُ جَيِّدٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَفِيْ الحَدِيْثِ الثَّابِتِ عَنْ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ خَطَبَ النَّاسَ عَلَى مِنْبَرِ رَسُوْل الله ﷺ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَكُمْ تَقْرءوُنَ هَذِهِ الآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا: «يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمِنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾».

وَإِنِّي سَمِعْتَ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوْهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقابٍ منه» وَفِيْ لَفْظٍ (مِنْ عِنْدِهِ) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيْ وَقَالَ حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ وابْنُ مَاجَةَ والنَّسَائِيُّ وَلَفْظُهُ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «إِنَّ الْقَوْمَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيروْهُ عَمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ».

وَفِيْ رِوَايَةٍ لِأَبِيْ دَاوُدَ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيْهِمْ بِالْمَعَاصِيْ ثُمَّ يَقْدِرُوْنَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوْا ثُمَّ لَا يُغَيِّرُوْا إِلَّا يُوشِكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ» وَفِيْ رِوَايَةٍ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُم اللهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ».

وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُاللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حُمَيْدٍ وَلَقَدْ وَصَلْنَا إِلَى حَدٍ مَاتَتْ فِيْهِ الْغَيْرَةُ الدِّيْنِيَّةُ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ مِمَّنْ يُرْجَى وَيُظَنُّ أَنَّهُمْ حُمَاةِ الإِسْلَامِ وَأَبْطالَ الدِّيْنِ مِمَّا جَعَل العُصَاةَ يَمْرَحُونَ فِي مَيَادِيْنِ شَهَواتِهِمْ وَيَفْتَخِرُوْنَ بِعِصْيَانِهِمْ بِدُوْنِ حَسِيْبٍ وَلَا رَقِيْبٍ.

شِعْرًا: قُلْ لِلَّذِيْ بِقِرَاعِ السَّيفِ هَدَّدَنَا ... لَا قَامَ قَائِمُ جَنْبِي حِيْنَ تَصْرَعُهُ
قَامَ الحَمَامُ إِلَى البَازِيْ يُهَدِّدُهُ ... واسْتَيْقَضَتْ لِأُسُودِ أَضْبُعُهُ

وَلَوْ شِئْتُ لَقُلْتُ وَلَا أُخْشَىٰ لَائِماً نَحْنُ فِيْ زَمَنٍ عَلَا فِيْهِ وَاعْتَزَّ أَرْبَابُ الرَّذائِلِ وَأَصْبَحَتْ الدَّوْلَةُ لَهُمْ وَأَهْلُ الْفَضِيْلَةِ الْمُتَمَسِّكُوْنَ بِأَهْدَابِ دِيْنِهِمْ عِنْدَمَا يُنْكِرُوْنَ عَلَى الْمُجْرِمِيْنَ إِجْرَامَهُمْ يَكُوْنُوْنَ كَالْمضغَةِ فِي الأَفْوَاهِ الْبَذِيْئَةِ تَرْمِيْهِمْ بِكُلِّ نَقِيْصَةٍ وَأَقَلُّ مَا يَقُوْلُوْنَ إِنَّهُمْ مُتَأَخِّرُوْنَ جَامِدُوْنَ فِي بَقَايَا قُرُوْنِ الْهَمَجِيَّةِ يَسْتَهْزِؤُنَ وَيُقَهْقِهُوْنَ وَيَغْمِزُونَ بالحَواجِبِ وَالعُيونِ وَيُخرِجُون أَلسنَتَهم سُخْرِيَة واستِهْزاءً بهم وَيَضْحَكُون مِن عُقولِهم لَمَّا راجَتْ الرَّذِيْلة هَذَا الرَّوَاجُ وما دَرَى هَؤلَآءِ أَنَّهم في غَايَةٍ مِن السُّقُوطِ والهَمَجِيَّةِ لِفَسَادِ عُقولِهم وَبُعْدِهم عن مَعْرِفَةِ أَوَامِرِ دِيْنِهِم.

وَنَاهِيْكَ لَوْ قَامَ كُلّ مِنّا بِمَا عَلَيهِ مِن الدَّعْوَةِ للإِسْلَامِ والأَمْرِ بالمَعْرُوفِ والنهي عن المنكر وارشَادِ النَّاسِ وَعِظتِهم وَتَذْكِيْرِهم بِمَا فِيْهِ صَلَاحُهم واسْتِقَامَهُم لاستَقَرَّ الخَيْرُ والمَعْرُوفِ فِيْنَا وَامْتَنَعَ فُشُوُّ الشَّرِ والْمُنْكَرِ بَيْنَنَا. أهـ. والله أعلَمُ وصلَّى اللهُ على مُحَمَّد.

قال بعضهم:

قُمْ يا مُحَمَّدُ واستَمِعْ لي يَا عُمَرْ ... واستَيقِظَا فالدينُ يَدْعُو لِلنَّصرْ
وغَدَا بنوُ الإسلامِ في زَيغٍ فمَا ... يَسْعَونَ إلا لِلْملاهِي والبَطَرْ
تركُوا هُدى الدِينِ الحَنيفِ المُعْتَبَرْ ... واستبدلُوا العَيْنَ الصحيحة بالعَوَرْ
ونَسوُا أُصُولَ الدِينِ مِنَ دهَشْ وَقَدْ ... أضْحَى نَصيْرُ الشَّرْعِ فيهم مُحْتَقَرْ
والدِينُ يَدْعُوهُم وهمُ في غَفْلَةٍ ... وقُلوُبُهم ضَّلَتْ وَقَدْ عَمْيَ البَصَرْ
حَتَّى تَشَتَّتْ شَمْلُهُ واصدَّعَتْ ... أَرْكَانُهُ وأساءَ مَثْواهُ الضَّرَرْ
فإلىٰ مَتى هَذَا السُكوُتُ وَقَدْ دَنَا ... وَقْتُ الجهَادِ وَمَا لَنَا عَنهُ مَفَرْ
عَارٌ وَأَيْمُ الله أَنْ نَلْهُو وَقَدْ ... كَادَتْ مَعَالِمُ دِيْنِنَا أَنْ تَنْدَثِرْ
فَكَفَاكُموا زيغاً وهَجْراً فامْدُدُوْا ... أَيْدِي الخَلاصِ وأَيّدُوا الدينَ الأَغَرْ
وذَرُوا جدالَ الملحدينَ فإنهم ... فَقَدُوا الرشادَ وكَانَ مَأْواهمُ سَقَرْ

وَتَكَاتَفُوْا فِي السَّعْيِ حَوْلَ نَجَاتِهِ ... لَا يَثْنِ هِمَّتَكُمْ خُمُولٌ أَوْ ضَجَرْ
فَاللهُ فِي عَوْنِ العِبَادِ إِذَا هُمُوْا ... نَصَرُوْا الحَنِيْفَ وَحَصَّنُوْهُ مِنَ الْغِيَرْ

اللَّهُمَّ وَفِقْنَا لِلزُوْمِ الطَّرِيْقِ الذِيْ يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُوْراً نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسَّرْتَهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيْقِظْنَا مِنْ غَفَلَاتِنَا وَأَلْهِمْنَا رُشْدَنَا واسْتُرْنَا فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ واحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ عِبَادِكَ المُتَّقِيْنَ والْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــــلٌ»

وقال الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله.. وبعد: فلا يخفى ما أصيبَ به الإسلامُ والمسلمون مِن الشرُور والفِتن والدواهي والمحن.. وأن الإسلام قد أدبر وآذنَ بالوداع. والنفاقَ قَدْ أشرف وأقبل باطلاع.. والإسلامَ بدأ يَرتحِلُ مِن عقر داره لِتقصير أهله إذ لم يشرحوا للناس مَحَاسِنَهُ وفَضَائِلَهُ وحِكَمَهُ وأسَرارَهُ. ولم يَقُوموا بالدعوة إليهِ بغَرْسِ مَحَبتِهِ في القلوبِ.. بِذِكر ما تقدم فإن الآيات القرآنية الدالة على الدعوة أكثر مِن آيات الصوم والحج الذين هُمَا رُكنانِ مِن أركانِ الإسلامِ الخمسة.

والاجتماع المأمور به في قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ تهدمت مَبَانيه والإئتلاف والتعاون ذهب وذهبت معانيه.. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

نرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو ركن من أركان الإسلام في قول طائفة من العلماء ضعف جانبه وكثر في الناس مجانبه وتنوعت مقاصد الخلق وتباينت آرائهم.

فالمنكر للمنكر في هذه الأزمنة.. يقول الناس فيه ما أكثر فضوله وما أسفه

رأيه وربما غمزوه بنقص في عقله .. ومن سكت وأخلد قيل ما أحسن عقله وما أقوى رأيه في معاشرته للناس ومخالطته لهم.

والله قد جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمنافقين .. فأخص أوصاف المؤمنين المميزة لهم من غيرهم هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورأس الأمر بالمعروف الدعوة إلى الإسلام وإرشاد الناس إلى ما خلقوا له وتبصيرهم بما دل عليه كتاب ربهم وسنة نبيهم وتحذيرهم من مخالفة ذلك.

قال الإمام الغزالي في قوله تعالى: ﴿المؤمنون بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾. وصف الله المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين .. إنتهى.

وفي قوله تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء﴾ ما يدل على أن الناجي هو الذي ينهى عن السوء دون الواقع فيه والمداهن عليه.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الأساس الأعظم للدين. والمهم الذي بعث الله لأجله النبيين ولو أهمل لاضمحلت الديانة وفشت الضلالة وعم الفساد وهلك العباد.

إن في النهي عن المنكر حفاظ الدين وسياج الأداب والكمالات. فإذا أهمل أو تسوهل فيه تجرأ الفساق على إظهار الفسوق والفجور بلا مبالاة ولا خجل.. ومتى صار العامة يرون المنكرات بأعينهم ويسمعونها بآذانهم زالت وحشتها وقبحها من نفوسهم ثم يتجرأ الكثيرون أو الأكثر على ارتكابها. ولكن يا للأسف استولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق حيث اندرس من هذا الباب عمله وعلمه وانمحى معظمه ورسمه واسترسل الناس في اتباع الأهواء والشهوات.

ولا شك أن الأمر بالمعروفف والنهي عن المنكر حفظ للشريعة وحماية لاحكامها تدل عليه بعد إجماع الأمة وإرشاد العقول السليمة إليه. الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مثل قوله تعالى: ﴿ليسوا سواءاً من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين﴾ فدلت الآية الكريمة على عدم صلاحهم بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حيث لم يشهد لهم بذلك إلا بعد أن أضاف إليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد ذم سبحانه وتعالى من لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقال تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ وهذا غاية التشديد ونهاية التهديد. فبين سبحانه وتعالى أن السبب للعنهم هو ترك التناهي عن المنكر. وبين أن ذلك بئس الفعل.

ولا شك أن من رأى أخاه على منكر ولم ينهه عنه فقد أعانه عليه بالتخلية بينه وبين ذلك المنكر وهو عدم الجد في أبعاد أخيه عن ارتكابه.

قال ابن عباس رضي الله عنه: لعنوا في كل لسان على عهد موسى في التوراة ولعنوا على عهد داود في الزبور. ولعنوا على عهد عيسى في الإنجيل. ولعنوا على عهد نبيكم محمد ﷺ في القرآن.

﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الآثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾.

قال القرطبي: وبخ سبحانه وتعالى علماءهم في تركهم نهيهم فقال: ﴿لبئس ما كانوا يصنعون﴾ كما وبخ من سارع في الإثم بقوله: ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾ قال ودلت الآية على أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر أه.. فإن الأمة في عهد استقامتها وتمسكها بالسنن لا تطيق أن ترى بين أظهرها

عاصياً ولا معصية فإذا رأت شيئاً من ذلك ثارت ثورة الأسد ولم تهدأ إلا إذا أذاقت المجرم ما يليق به وما يستحق على قدر جريمته تفعل ذلك غيرة على دينها وطلباً لمرضاة ربها. والمجرمون إذا رأوا ذلك كفوا عن إجرامهم وبالغوا في التستر إذا أرادوا تلويث أنفسهم بما يرتكبون. فإذا لم تسقهم الأئمة ولم تراع سنن دينها ضعفت غيرتها أو إنعدمت كلياً في نفوسها إذ لو شاهدت ما شاهدت من المعاصي.. إما أن يتحرك بعض أفرادها حركة ضعيفة لا يخاف معها العاصي ولا ينزجر عن معصيته. وأما أن يتفق الجميع على الإغماض عن ذلك العاصي فيفعل ما يشاء بدون خوف ولا خجل إذاً يرفع ذووا الإجرام رؤوسهم غير هيابين ولا خجلين من أحد.

ولقد وصلنا إلى حد ماتت فيه الغيرة الدينية عند كل أحد مِمَّنْ يرجى ويظن أنهم حماة الإسلام وأبطال الدين مما جعل العصاة يمرحون في ميادين شهواتهم ويفتخرون بعصيانهم بدون حسيب ولا رقيب. ولو شئت لقلت ولا أخشى لائماً نحن في زمن علا فيه وإعتز أرباب الرذائل. وأصبحت الدولة لهم. وأهل الفضيلة المتمسكون بأهداب دينهم عندما ينكرون على المجرمين إجرامهم يكونون كالمضغة في الأفواه البذيئة ترميهم بكل نقيصة وأقل ما يقولون أنهم متأخرون جامدون في بقايا قرون الهمجية يتبسمون ويقهقهون ويغمزون بالحواجب والعيون ويخرجون ألسنتهم سخرية وإستهزاء بهم ويضحكون من عقولهم. لما راجت الرذيلة في هذا العصر هذا الرواج.

وما درى هؤلاء المرذولون أنهم في غاية من السقوط والهمجية التي ليست دونها همجية لفساد عقولهم وبعدهم عن معرفة أوامر دينهم.

وناهيك لو قام كل منا بما عليه من الدعوة إلى الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد الناس وعظتهم وتذكيرم بما فيه صلاحهم واستقامتهم

لاستقر الخير والمعروف فينا وامتنع فشو السر والمنكر بيننا: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾.

وقد صرح العلماء رحمة الله عليهم بأنه يجب على الإمام أن يولي هذا المنصب الجليل والأمر الهام الذي هو في الحقيقة مقام الرسل. محتسباً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.. ويكون ذا رأي وصرامة، وقوة في الدين، وعلم بالمنكرات الظاهرة. كما قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾.

فدلت الآية الكريمة على أنه يجب على المسلمين أن تقوم منهم طائفة بوظيفة الدعوة إلى الخير وتوجيه الناس وعظتهم وتذكيرهم إلى ما فيه صلاحهم واستقامة دينهم وأن يكونوا على المنهج القويم. والصراط المستقيم. والمخاطب بهذا كافة المسلمين فهم المكلفون لا سيما الإمام الأعظم وأن يختاروا طائفة منهم تقوم بهذه الفريضة الهامة التي هي أحد أركان الإسلام في قول طَائِفَةٍ من العلماء.

قفا نبك على رسوم علوم الدين والإسلام الذي بدأ يرتحل من بلاده. ولكن يا للأسف على منام القلوب وقيام الألسنة بالتقول والتأويل على الإسلام بما لا حقيقة له.

لقد انطمس المعنى وذهب اللب وما بقي إلا قشور ورسوم واكتفى الكثيرون من الإسلام بمجرد الإنتساب إليه بدون أن يعملوا به ويقوموا بالدعوة إليه تحذيراً وإنذاراً وأمراً ونهياً وتبصيراً للناس بدينهم بذكر فضله وعظمته وإيضاح أسراره وحكمه وغرس العقيدة الحقة في قلوبهم. فهذا واجب المسلمين بعضهم لبعض كل على قدر استطاعته ومقدرته.

هذا وأسأل الله أن يوفق المسلمين وولاة أمورهم لما فيه صلاحهم وصلاح

دينهم وأن يجمع كلمتهم على الحق إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً إلى يوم الدين.

«فَصْـــلٌ»

وَعَن أَبِي سَعِيْد الخُدْري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهُ ﷺ يَقولُ: «مَنْ رَأى مِنْكُم مُنْكراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فإنْ لَمْ يَسْتَطع فَبِلِسَانِهِ فَإنْ لَم يَسْتَطع فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيْمَانِ» رَوَاهُ مُسْلِم.

وَعَنْ ابن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِن نبي بَعَثُه اللهُ في أمّةٍ قَبْلِي إلا كانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وأَصْحَابٌ يأخذُونَ بسُنّتِهِ، وَيَقْتَدُوْنَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ تَخَلَّفَ مِن بَعْدِهم خُلوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لا يُؤمَرُونَ، فَمَن جَاهَدَهُم بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَن جَاهَدَهُم بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُم بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، ليس وَرَاءَ ذَلِكَ مِن الإِيْمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ» رَوَاهُ مُسْلم.

وَعَنْ حُذَيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ قال: «والذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرونَّ بالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عن المُنْكَرِ أَوْ لَيُوْشِكَنَّ اللهُ أنْ يَبْعَثَ عَليكُم عِقَاباً مِنهُ ثُمَّ تَدْعُوْنَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ» رَوَاهُ التّرْمِذِيّ، وَقَالَ حَدِيْث حَسَنٌ.

وَرَوى الترمذيّ عن أبي هريرة أنّ رسولَ اللهِ ﷺ مَرَّ على صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَل يَدَه فيها فَنَالَتْ أَصَابِعُه بَللاً فقالَ: «مَا هَذَا يَاصَاحِبَ الطَّعَام؟ فقال: أَصَابَتْهُ السَّماءُ يَارَسول اللهِ. قال: أَفَلَا جَعَلْته فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ مَن غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا».

فَهَذَا نَهْيٌ منهُ ﷺ عَن مُنْكَرٍ، هُوَ غِشُّ الناسِ في طَعَامهم وأَجْمَعَتْ الأُمَّةُ على وُجُوبِ الأَمْرِ بالمَعْرُوفِ والنَّهي عن المُنْكَر.

وَأَخرَج الإِمَامُ أَحْمَد في المَسْنِدِ أَنَّ الوَليدَ بن عُقْبَةَ أَخَّرَ الصلاةَ مرّةً فقامَ

عبْدُ اللهِ بن مسعُودٍ فَثَوَّبَ بالصَّلَاةِ فَصلَّى بالنَّاسِ فَأَرْسَلَ إليهِ الوَلِيْدُ: مَا حَمَلكَ على مَا صَنَعْتَ أَجَاءَكَ مِن أَمير المؤمنين أَمْرٌ فِيْمَا فعَلْتَ أَمِ ابْتَدَعْتَ قالَ لَمْ يَأْتنِي أَمْرٌ مِن أَمِيْرِ المؤمِنينَ وَلم ابْتَدعُ وَلَكِنْ أَبى اللهُ وَرَسُولَهُ عَلَيْنا أَنْ نَنْتَظِرُكَ بِصَلاتِنا وَأَنْتَ في حَاجَتِكَ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: لَا بُدَّ مِن العِلْمِ بالمَعْرُوْفِ والمُنْكَرِ والتَّمْييْزِ بَيْنَهُمَا. الثَّاني أنه لا بُدَّ مِن العِلْمِ بِحَالِ المَأْمُورِ والنَّهْيِ، وَمِنَ الصَّلَاحِ أَنْ يَأتِيَ بالأَمْرِ والنَّهي بالصِّرَاطِ المُسْتقيمِ وهو أَقْرَبُ الطّرقِ إلى حُصُول المَقْصُودِ ولا بُدَّ مِن الرِّفقِ وَلا بُدَّ أنْ يَكونَ حَلِيْمَاً صَبُوراً على الأذى فإِنَّهُ لا بُدَّ أن يَحْصُل له أذىً فإِنْ لَم يَحْلَمْ وَيَصْبَرَ كانَ مايُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ فَلَا بُدَّ مِنَ العِلْمِ والرِّفْقِ والصَّبْرِ، والعِلْم قَبْلَ الأَمْرِ والنَّهي والرِّفْقِ مَعَهُ والصَّبْرُ بَعْدَهُ.

وقَالَ سُفيانُ لا يَأْمُرْ بالمَعْرُوفِ ولا يَنْهَى عن المُنْكَر إِلَّا مَنْ كَان فيهِ خِصَالٌ ثلاثٌ: رَفِيقٌ بِمَا يَأْمُرُ رَفِيقٌ بِمَا يَنْهَى، عَدْلٌ بِمَا يأْمُر عَدلٌ بِمَا يَنْهَى، عَالِمٌ بِمَا يَأْمُرُ عالِمٌ بِمَا يَنْهَى.

وَقال عبدُالملكِ بنِ عمرَ بنِ عبدِالعزيزِ لأَبيهِ يَا أَبَتِ مَا يَمْنَعُكَ أن تَمْضِي لِمَا تُرِيْدُ مِن العَدْلِ فوَاللهِ مَا كُنْتَ أُبَالِي لو غَلّتَ بي وبكَ القدورُ في ذَلِكَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي إِنَّمَا أُرَوِّضُ الناسَ رِياضَةَ الصَّعْبِ إني أُرِيْدُ أَنْ أُجِيءَ الأَمرَ مِن العَدْلِ فأُؤخِرُ ذَلِكَ حَتَّى أُخرِجَ مَعَهُ طَمعاً مِن طَمَعِ الدُّنْيَا فَيَنْفرُوْا مِن هَذَا وَيَسْكُنُوا لِهَذِهِ.

وَيُشْتَرَطُ في وُجُوبِ الإنكارِ أَنْ يَأْمَنَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، فإِنْ خَافَ السَّبَ أَوْ سَمَاعَ الكلامِ السَّيءِ لم يَسْقُطْ عنه والحَزْمُ أَنْ لَا يُبَالِي لِمَا وَرَدَ «أَفْضَلُ الجهادِ كَلِمَةُ حَقٍ عِنْدَ سُلْطانٍ جَائِرٍ» وَقَولُه: «لا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُم هَيْبَةُ النَّاسِ أن يَقُولَ بِحَقٍ إذا عَلِمَهُ».

وقال ابنُ القيم رحمه اللهُ: انكارُ المنكر له أربعُ درجاتٍ:

(الأولى) : أنْ يزولَ وَيَخلُفَهُ ضِدُهُ.

(الثانيةُ) : أن يَقِلَّ وانْ لَم يَزلْ مِن جُمْلَتِهِ.

(الثالثة) : أن يَخْلُفَهُ ما هُو مِثلُهُ.

(الرابعة) : أن يَخْلُفَهُ ما هُوَ شَر منه.

فالدرجتان الأُولَيانِ مَشْرُوْعَتَانِ، والثالثة مَوْضِعُ اجتهادٍ والرابعةُ مُحَرَّمَةٌ، وَلْيَحْذَرِ الآمرُ والناهِيُ مِن أنْ يُخَالِفَ قولَهُ أو أنْ يَأْمُرَ بِمَا لا يَأْتَمِرُ بِهِ.

شِعْرًا: رَأَيْنَاكَ تَنْهَى ولا تَنْتَهِيْ   وَتسْمِعُ وَعْظًا ولا تسَمَعُ
فَيَا حَجَر الشَّحْذِ حَتَّى مَتَى   تسَنُّ الحَدِيْدَ وَلا تَقْطَعُ

فَقَدْ وَرَدَ عن أَنسٍ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَرَرْتُ ليلةَ أُسْرِي بِي على قومٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُم بِمَقَارِيْضَ مِن نَارٍ: قال قُلْتُ مَنْ هَؤْلآءِ قَال خُطبَاءُ أُمَّتِكَ مِن أَهلِ الدُّنْيا مِمَّنْ كانُوا يأمُرُوْنَ الناسَ بالبرِ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُم وَهُمْ يَتْلُونَ الكتابَ أَفَلا يَعْقِلون». وَحَتَّى لَا يَتَعَرَّضَ لِسُخْرِيَّة الناسِ بِهِ واسْتِهْزَائِهِم به وحتى تكونَ دعوتُه مَقْبُولَةً.

شِعْرًا: يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ المُعَلِّمُ غَيْرَهُ   هَلَّا لِنَفْسِكَ كانَ ذَا التَّعْلِيْمُ
تَصِفُ الدَّواءَ لِذِي السِّقَامِ مِن الضَّنَى   كيمَا يَصِحُّ بِهِ وأَنْتَ سَقِيْمُ
إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَإِنْهَهَا عَن غَيِّهَا   فإذا انْتَهَتْ عنه فأنْتَ حَكيْمُ
فَهُنَاك يُقْبَلُ مَا تَقُولُ ويُقْتَدَى   بالرأي منْكَ ويَنْفَعُ التَّعْلِيْمُ

آخر: فَراكَ مِن الأيامِ نَابٌ ومِخْلَبُ   وخانَكَ لَونُ الرَّأْسِ والرَّأْسُ أشْيَبُ
فَحَتَّامَ لا تَنْفكُّ جَامِحَ هِمَّةٍ   بَعِيدَ مَرامِي النَّفْسِ والموتُ أَقْرَبُ
تُسَرُّ بعَيشٍ أَنْتَ فيهِ مُنغَّصٌ   وتَسْتَعْذِبُ الدنيا وأَنْتَ مُعذَّبُ
تُغَذِّيكَ والأَوقاتُ جسْمَك تَغْتَذِي   وتَسْقِيْكَ والساعاتُ رُوْحَكَ تَشْرَبُ
وتَعْجَبُ من آفاتها مُتَلَفِّتاً   إِلَيْهَا، لَعَمْرُ اللهِ فعْلُكَ أَعْجَبُ

وتَحْسبُها بالبِشرِ تُبْطِنُ خُلَّةً فيَظْهرْ منها غَيْرُ ما تَتَحَسَّبُ
إذا رَضِيَتْ أَعْمَتْكَ عن طُرُقِ الهُدَى فَمَا ظَنُّ ذِي لُبٍ بِهَا حِيْن تَغْضَبُ
وفي سَلْبِها ثَوبَ الشَّبابِ دَلاَلَةٌ عَلىَ أَنَّهَا تُعطِي خِدَاعاً وتَسْلِبُ
أَترضَى بأَنْ يَنهْاكَ شَيْبُكَ والحِجَا وأَنْتَ مَعَ الأَيَّامِ تَلْهُوْ وتَلْعَبُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«فَصْــلٌ»

قال شَيخُ الإسلامِ رحمه الله: مَن لَمْ يَكنْ في قَلْبِهِ بُغْضُ ما يُبْغِضُه اللهُ وَرَسُولُه مِن المنكرِ الذي حَرَّمَهُ مِن الكفر والفُسوقِ والعِصيانِ، لم يَكُنْ في قَلْبِهِ الإيمانُ الذي أَوْجَبَهُ اللهُ عليه فإنَّ مَن لم يَكنْ مُبْغِضاً لِشيَءٍ مِن المُحَرَّمَاتِ أَصْلًا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِيْمَان أَصْلًا.

والحَاصلُ أنَّ الإنسانَ يَأْتيْ مِن ذَلِكَ بِمَا يَسْتَطِيعُ ولا يُقَصِّرُ في نُصْرةِ دِين اللهِ ولا يَعْتَذِرْ في إسْقَاطِ ذَلِكَ بَالاعْذَارِ التي لا تَصِحُ وَلَا يَسْقُطُ بها ما أَوْجَبَ اللهُ عليهِ مِن أَمْرِ اللهِ، وَعَليهِ بالأخذِ بالرفقِ واللُّطْفِ واظهارِ الشَّفَقَةِ والرحمةِ فإنَّ ذَلِكَ عليهِ مَدُارٌ كَبيْرٌ عندَ الأمْرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المُنْكَرِ.

قال الله تعالى: ﴿أدعُ إلى سَبيل رَبك بالحِكمةِ والموعظَةِ الحسنةِ وَجَادلهم بالتّي هي أَحسن﴾ وَمِن الحكمةِ أَنْ يَدْعُوَ كُلَّ أحدٍ على حَسَبِ حالهِ وَفَهمهِ وَقَبُولِهِ وانقيادِهِ.

وَمِن الحِكْمَةِ الدَّعْوَةُ بالعلم والبَدَاءَةُ بالأَهَم، وبالأَقرب إلى الأَذهَانِ والفَهْمِ وَبِمَا يكونُ قَبُولُه أَتَمَّ، والرِّفْق واللّين، فإنْ انْقَادَ بالحِكْمَةِ وإلا فَيَنْتَقِلُ مَعَه إلى الدَّعْوَةِ بالموعِظَةِ الحَسَنَةِ، وَهُوَ الأَمْرُ والنَّهيُ المَقْرُوْنُ بالترغِيب والترهِيب.

وَلْيَحْذَرْ مِن المُدَاهَنَةِ في الدِيْن، وَمَعْنَاهُ أن يَسْكُتَ الإنسانُ عن الأَمر

بالمَعْرُوْفِ والنّهيِ عن المنكرِ وعن قولِ الحقِ وكلمةِ العدلِ: طَمِعاً في الناس وتوَقُّعاً لِمَا يَحْصُلُ منهم مِن جاهٍ أو مالٍ أو حُظُوظِ الدنيا.

وقال أَبُو عَبْدِ اللهِ لِعُمَرَ بن صَالِحٍ ياأَبا حَفْصٍ يَأتِيْ على الناس زمانٌ يكونُ المؤمنُ فيه بَينَهُمْ مِثل الجيْفَةِ ويكونُ المُنافِقُ يُشارَ إِليهِ بالأَصابع فَقُلْتُ ياأَبَا عبدالله وَكَيْفَ يُشَارَ إلى المُنَافِقُ بالاصَابعِ فقال ياأَبَا حَفْص صَيروا أمر الله فُضُولاً.

وَقَال المؤمِنُ إذا رَأَى أمْراً بالمعروف أو نَهْياً عن المُنكر لم يَصْبِرْ حَتَّى يَأْمُرَ وَيَنْهَى قالوا يعني هَذا فُضُولُ قال والمنافقُ كُلُّ شيءٍ يَرَاهُ قال بيَدِهِ على فمِهِ: «أَيْ صَمَتَ فلم يَنْهَ ولم يَأْمُرْ» فقالوا: «نِعْمَ الرَّجُلُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الفُضُولِ عَمَلٌ».

وَقَدْ رُوِيَ أن الجارَ يومَ القيامةِ يَتَعَلَّقُ بجارِهِ وَيَقولُ ظَلَمني فَيُرُدُّ عَليهِ بأنُهُ ماظلَمَهُ وَلَا خَانَهُ في أهلٍ ولا مَالٍ فَيَقُولُ الجَارُ صَدَقَ إِنَّهُ لم يَخُنِّي في أَهْلٍ وَلَامَالَ وَلَكِنَّهُ وَجَدَني أَعْصِي اللهَ فلم يَنْهَنِي هَذا الأَثَرُ بالمعنى وَرُوِيَ حَدِيْثٌ آخر وَيْلٌ للعَالِمِ مِنْ الجَاهِلِ حَيْثُ لَايُعَلِّمْهُ.

شِعْرَا: وَقَعْنَا في الخَطَايَا والبَلَايَا — وفي زَمَنِ انْتِقَاصٍ واشْتِبَاهِ
تَفَانَى الخَيْرُ والصُّلَحَاءُ ذَلُّوا — وَعَزَّ بِذُلِّهِمْ أَهْلُ السَّفَاهِ
وَبَاءَ الآمِرُوْنَ بِكُلِّ عُرْفٍ — فَمَا عَنْ مُنْكَرٍ في الناسِ نَاهِ
فَصَارَ الحُرُّ لِلْمَمْلُوكِ عَبْداً — فَمَا لِلْحُرِّ مِنْ قَدْرٍ وجَاهِ
فَهَذا شُغْلُهُ طَمَعٌ وَجَمْعٌ — وَهَذا غَافِلٌ سَكْرانُ لاهِ

اخر: إِذَا بالمَعْرُوفِ لم أُثْنِ صَادِقاً — وَلَمْ أَذْمُمِ الجُبْسَ اللَّئِيمْ المُذَمَّماً
فَفِيمْ عَرَفْتُ الخَيْرَ وَالشَّرَّ باسْمِهِ — وَشَقَّ لِيَ اللهُ المَسَامِعَ وَالْفَمَا

اخر: إِذَا أَنَا بالمَعْرُوفِ لم أُثْنِ صَادِقاً — وَلَمْ أَذْمُمِ الجُبْسَ اللَّئِيمْ المُذَمَّماً
فَفِيْمَ عَرَفْتُ الخَيْرَ وَالشَّرَّ باسْمِهِ — وَشَقَّ لِيَ اللهُ المَسَامِعَ وَالْفَمَا

آخر: أَرى الإحسَانَ عِنْدَ الحُرِ حَمْداً وعِنْـدَ النَّـذْلِ مَنْقَصَةً وَذَمَّـــاً
كقَطرٍ صَارَ في الأَصْدَافِ دُرَّاً وفَي نَابِ الأَفَاعِـيْ صَارَ سُمَّـا

آخر: إذَا سَبَّنِي نَذْلٌ تزَايَـدْتُ رِفْعَـةً وَمَا العَيْب إلَّا أنْ أكُوْنَ مُسَابُهْ
وَلَوْ لَمْ تكُنْ نَفْسِي عَليَّ عَزِيْزَةً لَمكَّنْتُهَا مِنْ كُلِّ نَذْل تُجَاوِبُـهْ

آخر: مَتـىً تَضَعِ الكرامَـةَ في لَئيْــمٍ فإنَّكَ قَدْ أَسأتَ إلـىَ الكَرَامَـةْ

اخر: لاتَلْطَفَــنَّ بِذي لوْمٍ فَتُطْغِيَــهُ أَغْلظْهُ يَأتِيْكَ مِطْوَاعاً ومِذْعَانَـا
إنَّ الحَدِيْدَ تُلِيْنُ النَّـارُ قسْوَتَـهُ وَلَوْ صَبَبْتَ عَلَيْهِ البَحْرَ مَا لَانَا

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«**فصْلٌ**»: عن عُبَادة بن الصَّامِتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ بَايَعْنَا رَسُولَ الله ﷺ على السَّمْع والطَّاعَةِ في العُسْرِ واليُسْرِ والمَنْشَطِ والمَكْرَه وعلى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَعَلى أَنْ لَا نُنَازِعَ الأمْرَ أهْلَهُ إلا أَنْ تَرَوا كُفْراً بُوَاحاً عِنْدَكُم مِنْ اللهِ تَعَالى فِيه بُرْهانٌ وعَلَى أَنْ نَقُولَ بالحَقِّ أَيْنَما كُنَّا لَا نَخَافُ في اللهِ لومَةَ لَائِمٍ رَوَاهُ البُخَارِيْ وَغَيْرُه.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وغيرُه مِن حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بن عَمْرُو بن العَاصِ إذَا رَأَيْتَ أُمّتِي تهَابُ الظالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ: إنّكَ ظَالِمٌ فَقَدْ تُودِّع مَنْهُم وَلَقَدْ كَانَ سَلَفُنا الصَّالِحُ الكرامُ لَهُم مَوَاقِفُ عَظِيْمَةٌ شَرِيْفَةٌ وَنَوادِرُ طَرِيفَةٌ وَقِصَصٌ غَرِيْبَةٌ وحِكَايَاتٌ عَجِيْبَةٌ دَالَّةٌ على صِدْقِ إيْمَانِهم وَقُوّةِ يَقِيْنِهِمْ وَشِدَّةِ وَرَعِهم فكانُوا لا يَخشونَ في اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ أَوْ كَلِمَةَ مُدَاهِنْ أَو فِرْيَةَ مُفْترٍ أو قُوَّةَ ظَالِمٍ بَلْ يُجَاهِرُونَ بالحَقِّ بِكُلِّ صَرَاحَةٍ وَيَنْطِقُوا بالصدْقِ وإنْ غَضِبَ الخَلقُ وَيَأْمُرُونَ بالمَعْرُوْفِ وَيَنْهَونَ عن المُنْكَرِ في أَشَدِّ المَوَاقِفِ وأَحْرَجِهَا.

وَإليكَ ما كَانَ مِن مَوْقِفِ الصَّحَابِّي الجَرِيْء أَبِي سَعِيدِ الخُدْرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَعَ مَرْوَانِ بن الحكمِ أَمير مِن قِبَلِ معاوية بن أبِي سُفيان فَمِن السنة

المأثورةِ والطريقةِ المعروفةِ مِن فِعْلِهِ ﷺ إذا خَرَجَ يَومَ الفِطرِ والأَضْحَى إلى المُصَلى فَأَوَّلُ شَيءٍ يَبْدَأُ بِهِ الصلاةَ.

ثُمَّ يَنْصرِفُ فَيَقُوْمُ مُقَابلَ الناسِ والناسُ جُلُوسٌ على صُفُوفِهِم فيَعِظُهُم وَيُوْصِيْهِم بتقْوى اللهِ ويَأْمُرهُم بحَلالِ اللهِ وَيَنْهَاهُم عن حَرَامِهِ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ، قال أبُو سَعِيْدٍ فَلَمْ يَزَلِ الناسُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى خَرَجتُ مَعَ مَرْوَانَ وَهُوَ أَمِيْرُ المدينةِ في عِيْدِ الأَضْحَى أَوْ الفِطرِ فَلَمَّا أَتَيْنَا المُصَلَّى إِذَا مِنْبَرٌ بَنَاهُ كَثِيرُ بنُ الصَّلْتِ التابِعي الكَبِيرِ والمَولُود في الزَّمَن النَّبَوي.

فإذا مرْوانُ يُرِيْدُ أنْ يَرْتَقِيَهِ قَبْلَ أَنْ يُصَلِي وفيه مُخَالَفَةٌ لِلسُّنَّةِ الصَّحِيْحَةِ والعَمَلِ المأثورِ عن النبي ﷺ فَجَذَبْتُ بِثَوْبِهِ لِيَبْدَأَ بالصلاةِ قَبْلَ الخُطْبَةِ فَجَذَبَنِي فارْتَفَعَ على المِنْبَرِ فَخَطَب قَبْلَ الصلاةِ.

فَقُلْتُ لَهُ ولِأَصْحَابِهِ غيَّرتُمْ واللهِ سُنةَ رسولِ اللهِ ﷺ وخلفائِهِ مِن بَعْدِهِ فأَنَّهُم كانُوا يُقَدِمُون الصلاة على الخُطْبَةِ في العِيْدَين فقال مَرْوَانُ ياأبا سَعيدٍ قَدْ ذَهَبَ مَا تَعْلَمُ مِن تَقْدِيم الصلاةِ على الخُطْبةِ في العِيْدَيْنِ فَقُلتُ مَا أَعلَمُ واللهِ خيرٌ مِمَّا لَا أعلمُ.

لِأَنَّ الذِي أَعْلمُ طَرِيْقُ رسولِ اللهِ ﷺ الذي أُمِرْنا باتِّباعِهِ والتأسِي به: ﴿لقد كَان لَكمْ في رَسول اللهِ أُسوةٌ حَسَنةٌ﴾ فقالَ مَرْوَانُ مُعْتَذِراً عن تَرْكِ السُنةِ: «إن الناسَ لَمْ يَكُونوا يَجْلِسُونَ لَنَا بَعْدَ الصلاةِ فَجَعَلْتُهَا قَبْلَ الصلاةِ».

فَتَأَمَلْ هَذَا المَوقِفَ المشرِفَ الذي وَقَفَه أبو سعيدِ الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكَيْفَ جَذبَ مَرْوَانَ بِثَوْبِهِ وقال لَهُ غَيرتُم واللهِ وَلم يَخَفْ صولةَ الإمارَةِ وجاهَ الحُكم وَجَاهَرَ بالحقِّ وأنكَرَ البدعةَ وأمرَ بالسنةِ على رُؤُسِ الأشهادِ مِنَ الناسِ فَحَفِظَهُ اللهُ ونصرَه وأيده وَأعزه وصدَق اللهُ حيثُ قال: ﴿وَلَيَنْصُرَّن اللهُ مَن يَنْصُرُه﴾، وقال جَلَّ وعَلَا: ﴿إنْ تَنصُرُوْا اللهَ يَنْصُرُكم﴾.

وَرُوِيَ أَنَّ ضَبَّةَ بنَ مِحْصَنٍ العَنَزي قال كَانَ عَلَيْنَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَري أميراً بالبصرةِ فكان إذا خَطَبَنا حَمِدَ اللهَ وأَثْنَى عليهِ وصلى على النبي ﷺ وأنشأ يَدْعُو لِعُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال فَغاظَنِي ذَلِكَ فَقُمْتُ إليهِ فقلتُ لَهُ أَيْنَ أَنْتَ مِن صَاحِبِهِ تُفَضِّلُهُ عَلَيْهْ فَصنَعَ ذَلِكَ جُمَعاً.

ثم كَتَبَ إلى عُمَرَ يَشْكُونِي يَقولُ إنَّ ضَبَّةَ بنَ مِحْصَنٍ العَنَزي يَتَعَرَّضُ لِيْ في خُطْبَتِي فَكَتَبَ إليهِ عُمُرُ: أَنْ أَشْخِصْهُ إِليَّ فأشخصَنِي إليهِ فَقَدِمتُ فَضَرَبْتُ عليهِ البابَ، فقال مَن أَنْتَ فَقُلتُ أَنا ضَبَّةُ فقال لا مَرْحَباً ولا أَهْلاً قُلْتُ أَمَّا المَرْحَبُ فَمِنَ اللهِ، وَأَمَّا الأهلُ فلا أَهْلَ لِي، ولا مَالَ فَبِمَا اسْتَحْلَلْتَ يا عُمُرُ إشْخاصِي مِنْ مِصْرِي بِلا ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ، ولا شيءٍ أَتَيْتُه، فقال مَا الذي شَجَرَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَامِلي، قال قُلْتُ الآن أُخْبِرُكَ بِهِ، إنه كانَ إذا خطبنا حَمِدَ اللهَ وأثنى عليهِ وَصَلَّى على النبي ﷺ، ثم أنشأ يَدْعُوْ لكَ فَغاظَني ذَلِكَ مِنه، فَقُمْتُ إليهِ فقلتُ لَهُ أينَ أنتَ مِن صَاحِبِه، تُفضِّلُهُ عليه، فَصنَعَ ذَلِكَ جُمَعاً.

ثُمَّ كَتَبَ إليكَ يَشْكُوني، قال فانْدَفَعَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَاكِياً، وهُوَ يَقُولُ أَنْتَ واللهِ أَوْفَقُ مِنْهُ وَأَرْشَدُ فَهَلْ أَنْتَ غَافِرٌ لِيْ ذَنْبِي يَغْفِرَ اللهُ لَكَ.

قال فَقُلْتُ غَفَرَ اللهُ لكَ قال ثُمَّ انْدَفَعَ بَاكِياً، وهو يَقُوْلُ واللهِ لليلةُ مِن أَبِي بَكرٍ، وَيَوْمٌ خيرٌ مِن عُمَرَ وآلِ عُمَرَ، وَبَعثَ الحَجَّاجُ الظالِمِ المَشهورُ إلى الحَسَن فَلَّما دَخَل عليهِ قال أَنْتَ الذي تقولُ قاتَلَهم اللهُ قَتَلوا عِبَادَ اللهِ عَلى الدِرْهَمِ والدِّيْنَارِ. قال نَعَمْ قال ما حَمَلَكَ على هَذَا قَالَ ما أَخَذ اللهُ على العُلَماءِ مِنَ المواثيقِ ﴿لَيُبَيِّنُنَّهُ للناسِ ولا يَكْتُمُونَه﴾ قال يا حَسَنُ أَمْسِكْ عَليكَ لِسَانَكَ وإيَّاكَ أن يَبْلَغَني عنكَ ما أَكْرَه فَأُفَرِّقَ بَينَ رأسِكَ وَجَسَدِكَ نَعُوذُ باللهِ مِن الظلمةِ وأعوانِ الظلمةِ من أمثال الحَجَّاج.

شِعْرًا: الظُلْمُ نارٌ فلا تَحْقِرْ صَغِيْرَتَهُ لَعَلَّ جَذْوَةَ نارٍ أَحْرَقَتْ بَلَدَا

ثُمَّ تَطَاوَل الزمنُ وَمَضَتْ فَتْرَةٌ مِنْهُ فاندَرَسَ هَذَا الوَاجِبُ وَعَفَتْ أثارُهُ

وامحَتْ مَعَالِمُهُ وانْطَوَتْ أَخْبَارُهُ وَداهَن النَاسُ بَعْضُهُم بَعْضاً وَجَبُنَ الناسُ عن المُصارَحة لِلْوُلَاتِ في المُخَالَفاتِ إلا نَوادِرُ مَرُوْا خِلالَ القُرُوْنِ الأُوْلَى أَمَّا نحنُ فَصَارَتْ شَجَاعَتُنَا وَصَلَابَتُنَا وإنكَارَاتُنا حَوْلَ ما يَتَعَلَّقُ بالدُّنْيَا أَمَّا مَا يَتعَلَقُ بالدينِ فَلَيْسَ عِنْدَنَا مِن الانكارِ إلا التَلَاوُم فِيمَا بَيْنَنَا إذا أَمِنَ بَعْضُنَا مِن بَعْضٍ فلا حَوْلَ ولا قُوَةَ إلَّا بالله العلي العليم العظيم.

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ الله:

قُلْ لِيْ مَتى سَلِمَ الرسولُ وَصَحْبُهُ ... والتابِعُونْ لهم علىَ الإِحْسَانِ
مِن جَاهِلٍ وَمُعَانِدٍ وَمُنَافِقٍ ... وَمُحَارِبٍ بَالبَغْي والطُغْيَانِ
وَتَظُنُّ أَنَّكَ وارِثاً لَهُمُ وَمَا ... نِلْتَ الأَذَى في نُصْرَةِ الرَّحْمَنِ
كَلَّا ولا جَاهَدْتَ حَقَّ جِهَادِهِ ... في الله لا بِيَدٍ ولا بِلِسَانِ
مَنَّتْكَ واللهِ المُحَالَ النَّفْسُ فَاسْتَحْدِثْ ... سِوَى ذا الرَّأْيِ والحُسْبَانِ
لَوْ كُنْتَ وَارِثَهُ لآذاكَ الأُولَى ... وَرِثُوا عِدَاهُ بِسَائِرِ الأَلْوَانِ

وَقَدْ قِيْلَ: إن المُنْكَرَاتِ أَشْبَه بِجَراثِيْم الأَمْراضِ في تَنَقُلِها وانتِشَارِهَا، والتأثر بها بإذْنِ اللهِ فإن وَجَدَتْ كِفاحاً يَحْجُرُ عليها في مَكَانِهَا حَتَّى يَقْتُلَها وَيُبِيْدَهَا سَلِمَ منها مَوْضِعُهَا، وَسَلَم منها ما وَرَاءَهُ، وإذا لَم تَجِدْ كِفاحاً وَتُرِكَتْ وَشَأْنَهَا اتَّسَعَتْ دائرتها، وَتَفَشَّتْ في جَمِيْعِ الأَرْجَاءِ وَقَضَتْ عَلَى عَنَاصِرِ الحَيَاةِ وَعَرَّضَتْهَا للفَنَاءِ والدَّمَارِ.

وَمِنْ هُنَا كَانَ أَثَرُ المنْكَرَاتِ غَيْرَ خَاصٍ بِمُرْتَكِبِيْهَا، وَكَانَ السَّاكتونَ عَلَيها عامِلين على نَشْرِها وإذاعَتِهَا، وَبِهَذا الموقِف السَّلْبي يَكُونُونَ أَهْلًا لِحُلُولِ العِقَابِ بِهِم وإصَابَتِهمْ بِمَا يُصَابُ بِهِ المباشِرُونَ لَهَا.

وَمِمَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا قَوله تَعَالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيْبَنَّ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدالله بنُ مُحَّمدِ بنِ حُمَيدٍ في آخِرِ رِسَالَةٍ له

تَتَضَمَّنُ الحَثَّ عَلَى الأَمْر بالمَعْرُوفِ والنهي عن المنكرِ: قِفا نَبْكِ عَلَى رُسُومِ عُلومِ الدّينِ والإسلامِ الذي بَدَأَ يَرْتَحِلُ مِن بِلَادِهِ وَلَكِنْ يالِلْأَسَفِ عَلَى مَنَامِ القُلُوبِ وَقِيامِ الألْسُنَةِ بالتَّقَولِ والتَّأْوِيْلِ عَلَى الإسلامِ بِمَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ.

لَقَدْ انْطَمَسَ المَعْنَى وَذَهَبَ اللبُ وما بَقِيَ إلا قُشُورٌ وَرُسُومٌ اكْتَفَى الكَثِيْرُونَ مِن الإسلامِ بِمُجَرَّدِ الانْتِسَابِ إِلَيْهِ بدون أَنْ يَعْلَمُوا بِهِ وَيَقُومُوا بالدَّعْوةِ إليهِ تَحْذيراً وإِنْذَاراً وَأَمْراً وَنَهْياً وَتَبْصِيْراً لِلنَّاسِ بِدِيْنِهِمْ بِذِكْرِ فَضْلِهِ وَعَظَمَتِهِ وإيْضَاحِ أَسْرَارِهِ وَحِكَمِهِ وَغَرْسِ العَقِيْدَةِ الحَقَّةِ في قُلوبِهِمْ فَهَذَا وَاجِبٌ المسلمينَ بَعْضِهِم لِبَعْضٍ كُلٌّ عَلَى قَدْرِ استِطَاعَتِهِ وَمَقْدِرَتِهِ أهـ.

وَقَولُهُ ﷺ في حَدِيثِ جابر «أَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إلى جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلامُ انْ أقلبْ مدِينةَ كَذَا وكَذَا بِأَهْلِهَا، قَالَ يَارب إِنَّ فِيْهِمْ فلاناً لَمْ يَعْصِكَ طَرْفَةَ عَيْن قَالَ: فقَال: أقْلِبْهَا عليهِ وَعَلَيْهِمْ، فانَّ وَجْهَهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ فِيَّ سَاعَةً قط».

وَذَكَرَ الإمامُ أَحْمَدُ عَنْ مالِكِ بنِ دينار قَالَ كَانَ حَبْرٌ مِن أَحْبَارِ بَنِي إسرائِيلَ يَغْشَى مَنْزِلَهُ الرِّجالُ والنِّساءُ فَيَعِظُهُمْ وَيُذَكِرُهُمْ بأيام اللهِ فَرأَى بَعْضَ بَنِيْهِ يَغْمِزُ النِّساءَ فِي يَوْمٍ فَقَالَ مَهْلاً يَابُنَيَّ فَسَقَطَ مِنْ سَرِيْرِه فَانْقَطَعَ نُخَاعُهُ واسْقَطَتْ امرأَتُه وَقُتِلَ بَنُوه.

فَأَوْحَى اللهُ إلى نَبِيِّهِمْ أَنْ أَخْبِر فلاناً الحَبْرَ أَنْي لا أُخْرِجُ مِنْ صُلْبِكَ صِدِّيقاً أَبَداً مَا كانَ غَضَبُكَ إِلَّا أَنْ قُلْتَ مَهْلًا يَابُنَيَّ.

إذا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الانْتِقَامَ إِذا وَقَعَ لَيْسَ هو أخذاً للبريء بِجَرِيْمَةِ المُذْنِبِ كَمَا يَظُنُّ البَعْضُ، وإنمَا هُوَ أخذاً للمذنب بجريمَةِ ذَنْبِهِ، فالذَّنْبُ ذَنْبانِ: ذَنبٌ يَصْدُرُ عَنْ شَخْصٍ، وَهُوَ الفِعْلُ نَفْسُهُ، وَذَنْبٌ يَصْدرُ عَن مَنْ يعْلَمُ هَذَا الذنبَ، وَهُو يَقْدِرُ عَلى مُكَافَحَتِهِ.

ثُمَّ هُو يُبْعِدُ نَفْسَهُ عَنْ مكافَحَةِ هَذَا الذَّنْبِ طَمَعاً في مَالٍ أَوْ مَكانَةٍ وَبِذَلِكَ يَكُونُ شريكاً في العَمَلِ على نَشْرِهِ.. أهـ.

وفي السُّنن أَنْ عَبْدَ اللهِ بن مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَكَمَ بِكُفْر أَهْلِ مَسْجِدٍ بالكوفةِ قَالَ وَاحدٌ إِنَّمَا مُسَيْلَمَةُ عَلَى حَقٍّ فِيْمَا قَالَ وَسَكَتَ البَاقُونَ فَأَفْتى بِكُفْرِهِمْ جَمِيعاً.. أهـ من الدرر السنيةِ.

قُلْتُ لأَنَّ الواجِبَ عَلَيْهِمْ أنْ يُكَذِّبُوهُ وَيَقُولوا لَهُ كَذَبْتَ بَلْ هُوَ عَلَى بَاطِلٍ فَالسَّاكِتُ شَرِيْكُ الفاعِلِ لقدرَتِهِ عَلَى الإِنْكارِ باللِّسَانِ.

وقَالَ سُفْيَانُ إِذَا أَمَرْتَ بالمَعْرُوفِ شَدَدْتَ ظَهْرَ المُؤْمِن وإِذَا نَهَيْتَ عن المُنْكَرِ أَرْغَمْتَ أَنْفَ المُنَافِقِ.

شِعْرًا: لا يُدْرِكُ المَجْدَ إِلَا مُخْلِصٌ وَرِعٌ   يُرَاقِبُ اللهَ في سِرٍّ وَإِعْـــلانِ
وَلَيْسَ تأخُذُه في الله لَائِمَـــةٌ   إِذَا رَأَى مُنْكراً في بَيْتِ إِنْسَانِ

اللَّهُمَّ اجْعَلَنَا مِنْ حِزْبِكَ المُفْلِحينَ، وَعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ الَّذِينَ أَهَّلْتَهُمَ لِخِدمَتِكَ وَجَعَلْتَهُمْ آمِرِيْنَ بالمَعْرُوفِ فَاعِلِينَ لَهُ، وَنَاهِيْنَ عَن المُنْكَرِ، وَمُجْتَنِبِيْنَ لَهُ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْـــلٌ»

وَكَتَبَ عُمَرُ بنُ عبدِالعَزيز إلى بعضِ عُمَّالِهِ، أَمَّا بَعْدُ فإِنَّهُ لَمْ يظهرْ المنكرُ في قومٍ قَطّ ثم لَمْ يَنْهَهم أَهْلُ الصَّلاحِ مِنْهُمْ إِلَّا أَصَابَهُمْ اللهُ بعذابٍ من عندهِ أَو بأَيْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَلَا يَزَالُ الناسُ مَعْصُومِينَ مِن العُقُوباتِ والنَّقَمَاتِ ما قُمِعَ أَهلُ الباطل واسْتُخْفِي فِيهم بالمَحَارِمِ.

فَلا يَظْهرُ مِن أَحدٍ مُحَرَّمٌ إلا انْتَقَموا مِمنْ فَعَلَه فإذَا ظَهَرتْ فيهم المَحَارِمُ فَلَمْ يَنْهَهم أَهْلُ الصَّلاحِ أُنْزِلَتِ العُقوباتُ مِن السماءِ إلى الأرضِ ولعلَّ أهلَ

الإِدْهَانِ أَنْ يَهْلِكوا مَعَهم وإِنْ كَانُوا مُخَالفين لَهُمْ، فانّي لم أسمعْ اللهَ تبارك وتَعالى فِيْمَا نَزّل مِن كِتابهِ عند مُثْلَةٍ أَهْلَكَ بها أَحَداً نَجَّى أَحَداً مِن أُولئِكَ، إِلَّا أَنْ يَكونُ الناهِين عن المنكرِ.

وَيُسَلِّطُ اللهُ عَلى أَهْلِ تِلْكَ المحارمِ إنْ هُوَ لم يُصِبْهُمْ بِعذابٍ مِن عندِهِ أَوْ بِأَيْدِي مَنْ يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ من الخوفِ والذُّلِّ والنِّقَمِ فإِنَّهُ رُبَّمَا انْتَقَمَ بالفاجِرِ مِن الفاجِرِ وبالظَالمِ مِنَ الظَالمِ ثُمَّ صارَ كِلا الفريقَيْنِ بِأَعْمَالِهمَا إِلى النَّارِ، فَنَعُوذُ باللهِ أَنْ يَجْعلنا ظالمينَ، أَوْ يَجعَلَنا مُدَاهِنِينَ لِلظَّالِمِيْنَ.

وَانَّهُ قَدْ بَلَغَني أَنَّه قَدْ كَثُرَ الفُجورُ فِيكُم وأمن الفُسَّاقُ في مدائِنِكُمْ وَجَاهَرُوا بالمَحَارِم بأَمْرٍ لا يُحِبُّ اللهُ من فَعَلَهُ ولا يَرْضَى المُدَاهَنَةَ عليه، كانَ لا يَظْهَر مِثْلُه في عَلانيةٍ قومٍ يَرْجُونَ للهِ وقاراً وَيَخافُونَ منه غُيَراً وَهُمْ الأَعزُّونَ الأَكْثَرون مِن أَهْلِ الفجورِ، أي أكثرُ مِنْ أَهْلِ الفُجُورِ وَأعزُّ منهم.

وَلَيْسَ بِذَلِكَ مَضَى أَمْرَ سَلَفِكُم ولا بِذَلِكَ تَمَّتْ نِعمةُ اللهِ عليهِمْ بَلْ كانُوا ﴿أَشِدَّاءُ عَلى الكُفّارِ رحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِيْنَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِيْنَ يُجَاهِدُونَ في سَبِيْلِ اللهِ وَلَا يَخُافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾.

وَلَعَمْرِي إِنَّ مِنَ الجِهَادِ الغِلظةُ على مَحارِمِ اللهِ بالأَيْدِي والأَلْسُنِ والمُجاهَدِةِ لهم فيه.

وإِنْ كانُوا الآباءَ والأَبْنَاءَ والعَشَائِرَ، وإِنَّمَا سبيلُ اللهِ طاعَتُهُ.

وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ بَطَّأَ بِكَثِيْرٍ مِنَ الناسِ عَنْ الأَمْرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر، إتّقَاءُ التلاوُمِ أَنْ يُقَالَ فلانٌ حَسَنُ الخُلْق، قليلُ التكلفِ، مُقبلٌ على نَفْسِهِ، وَمَا جَعَلَ اللهُ أُوْلئكَ أَحاسِنَكُمْ أَخْلاقاً بَلْ أولَئك أَسْوُكَمْ أَخلاقاً.

وَمَا أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ، بَلْ أَدْبَرَ عَنْهَا، وَلَا سَلِمَ مِن الكُلفةِ

لها، بَلْ وَقَعَ فِيْهَا، وإِذْ رَضِيَ لِنَفْسِهِ مِن الحالِ غيرَ ما أَمَرَهُ اللهُ بِهِ أَنْ يكونَ عليهِ، مِن الأمرِ بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وَقَدْ ذَلَّتْ أَلْسِنَةُ كَثِيْرٍ مِن الناسِ بآيةٍ وَضَعُوها غَيْرَ مَوْضِعِهَا، وَتَأَوَّلوا فِيْهَا قول اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا عليْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وَصَدَقَ اللهُ تباركَ وَتَعَالى، ولا يَضُرنا ضلالةُ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا يَنْفَعُنَا هَدْي مَنْ اهتَدى إذا ضَلَلْنَا ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ وإِنَّ مِمَّا عَلَى أَنْفُسِنَا وَأَنْفُسِ أُوْلئك مِمَّا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِن الأَمْرِ بالمَعرُوفِ والنهي عن المنكرِ، فلا يُظهِرُوَا للهِ مُحَرَّماً إلا انْتَقَمُوا مِمَنْ فَعَله مِنْهم، مَنْ كُنْتُم، وَمَنْ كانُوا، وَقَولُ مَنْ قالَ إِنَّ لَنَا في أَنْفُسِنَا شُغْلًا، وَلَسْنَا مِن الناسِ في شيءٍ.

وَلَوْ أَنَّ أهلَ طاعةِ اللهِ رجعَ رأيهُم إلى ذَلِكَ، ما عُمِلَ لِلَّهِ بطاعةٍ، ولا تَنَاهَوا له عن معصيةٍ، ولقَهَر المُبْطِلونَ المُحِقينَ، فصَارَ الناسُ كالأَنْعَامِ، أَوْ أَضلَّ سَبيلًا، فتَسلَّطُوْا عَلى الفُسَّاقِ من كُنْتُمْ وَمَنْ كَانُوا فادْفَعُوْا بِحَقِكمْ باطِلَهُم، وَبِبَصَرِكُمْ عَمَاهُمْ، فإن اللهَ جَعَلَ لِلأَبْرارِ على الفُجَارِ سُلْطاناً مُبِيْناً، وإِنْ لَمْ يَكُونُوا وُلَاةً ولا أَئِمَّةً.

مَن ضَعُفَ عَن ذَلِكَ فليرْفَعْهُ إِلى إِمَامِهِ، فإِنَّ ذَلِكَ مِن التعاونِ على البِرِّ والتَّقْوى، قَالَ الله لِأَهلِ المعاصِي: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِيْنَ مَكَرُوا السَّيِئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمْ الأَرْضَ أَو يَأْتِيهُمْ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ في تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هم بِمُعْجِزِيْنَ﴾.

وَلَينتَهِينَّ الفُجارُ أَوْ لَيُهِيْنَّهم الله بما قَالَ: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ الآية.

وَذَكَرَ ابنُ أَبِي الدُّنيا عَن أنس بنِ مالكٍ أَنَّهُ دَخَلَ على عَائِشَةَ هُوَ وَرَجُلٌ آخر فَقَالَ لَهَا الرَّجُل: يا أُمَّ المؤمنينَ حَدِّثينا عن الزَّلْزِلةِ، فقالتْ إِذَا اسْتَبَاحُوا الزِّنَا، وَشَرِبُوا الخُمُورِ، وَضَرَبُوا بالمَعازِفِ، غَارَ الله عَزَّ وَجَلَّ في سَمَائِهِ، فَقَالَ لِلأَرْضِ تَزَلْزَلِي بِهِمْ، فَإِنْ تَابُوا وَنَزَعُوْا وإلا هَدَمَها عَلَيْهِم.

قَالَ يَا أُمَّ المؤمنينَ أَعذاباً لَهُمْ؟ قَالتْ بَلْ مَوْعِظَةً وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَنَكَالًا وَعَذَاباً وَسُخْطاً على الكافِرينَ فَقال أَنسُ مَا سَمِعْتُ حديثاً بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أنا أَشَدُّ فَرَحاً بِهِ مِني بِهَذَا الحَديثِ.

وَذَكَرَ ابنُ أَبي الدُّنيا حديثاً مرسلًا أَنَّ الأرضَ تَزَلْزلتْ عَلَى عَهْدِ رَسولِ اللهِ ﷺ، فوضَعَ يَدَهُ عَلَيها ثُمَّ قَالَ اسْكُني فَإِنَّهُ لَم يأنِ لكِ بَعْدُ.

ثُمَّ التَفَتَ إلى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ إِنَّ رَبَّكم لَيَسْتَعْتِبكُمْ فَأَعِتِبُوهُ، ثُمَّ تَزَلْزَلَتْ بالنّاسِ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بنِ الخطابِ، فَقَالَ أَيُّها الناسُ مَا كانَتْ هَذِهِ الزَّلزَلَةُ إِلَّا عَلَى شَيءٍ أَحَدَثْتُمُوهُ، والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لِئِنْ عَادَتْ لا أُسَاكِنُكُمْ فِيهَا أَبداً.

وفي مَنَاقِبِ عُمَر لِابْنِ أَبِي الدُّنيا أَنَّ الأَرْضَ عَلَى عَهْد عُمَرَ تَزَلْزَلَتْ فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَيْهَا، وَقَالَ مالَكِ؟ أَمَا إِنها لَوْ كَانَتْ القِيَامَةُ حَدَّثَتِ أَخْبَارَكِ، سَمِعْتُ رَسولُ اللهِ ﷺ يَقولُ إِذا كانَ يَوْمُ القيامةِ فَلَيْسَ فِيها ذِرَاعٌ ولا شِبْرٌ إلا وهو يَنطقُ.

وَكَتَبَ عُمرُ بنُ عبدِالعزيز إلى الأَمْصار أَمَّا بعدُ فإِنَّ هَذَا الرَّجْفَ شَيءٌ يُعاقِبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَ بِهِ العبادَ، وَقَدْ كَتَبْتُ إلى الأَمْصار أَنْ يَخْرُجُوا في يوم كَذَا وكَذَا في شَهْر كَذَا وَكَذَا فَمَنْ كَانَ عِندَهُ شيءٌ فَلْيَتَصدَّق بهِ، فإِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَ يقولُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ وَقُولوْا كَما قَالَ آدمُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أنفسنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ﴾، وَقُولوا كما قَالَ يُونسُ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِن الظَّالِمِيْنَ﴾.

شِعْرا: إِلهَيْ لَكَ الحَمْدُ الذي أَنْتَ أَهْلُهُ ... على نِعَمٍ تَتْرَى عَلَيْنَا سَوَابِغُ
وَقَدْ عَجِزَتْ عن شُكْرِ فَضْلِكَ قُوَّتِيْ ... وَكُلُ الوَرَى عن شُكْرِ جُودِكَ عَاجِزُ

اللَّهُمَّ يا عالمَ الخفياتِ وَيَا سَامِعَ الأَصْواتِ ويَا بَاعِثَ الأَمْواتِ وَيَا مُجيْبَ الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الحَاجَاتِ يَا خَالقَ الأَرْضِ والسَّمواتِ أَنْتَ اللهُ الأَحدُ

الصمدُ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد الوَهَّابُ الذي لا يَبْخَلُ والحَليمُ الذي لا يَعْجَلُ لا رادَّ لامْرِكَ ولا مُعَقِّبَ لِحُكَمِكَ نَسْأَلكَ أنْ تغفرَ ذنوبَنَا وَتُنورَ قلوبنَا وَتُثَبِّتَ مَحبَّتَكَ في قُلوبِنَا وَتُسْكِنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إِنَّكَ عَلَى كُل شَيْءٍ قَدِير وَصَلَّى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«موعظـــة»

قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِيْنَ﴾، وَقَالَ: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتْ الذِّكْرَىٰ﴾، وَقَالَ تَعَالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيْدِ﴾ فيَاعِبَادِ اللهِ لَقَدْ خَاطَبَ اللهُ المؤمنينَ بقولِهِ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنّاسِ تَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ خَاطَبَهُمْ بِهَذَا الخِطَابِ الرّائِع وَوَصَفَهُمْ بِهَذَا الوَصْفِ العَظِيْمِ، بِأَنَّهُمْ خَيْرَ أُمّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاس، وأَنَّ مجتَمَعَهُمْ أَعْلا وَأَعَزُّ مُجتمعٍ في العالم حاضِره وَمَاضِيهِ لِمَا اتَّصفُوا بِهِ من الصِفاتِ الفاضِلةِ، والأَخلاقِ العالِيَةِ، والغَيْرةِ الصَّادِقَةِ، على حُدُودِهِ.

وَهَذَا الوَصْفُ وَقْتَ انْ كانُوا مُتَمَسِّكِينَ بتَعَالِيم دِيْنِهِمْ، وَكَانَ الإِسْلامُ وَبَهَاؤُهُ يَلُوحُ في أَعْمَالِهِمْ، وَمُعَامَلَاتِهِمْ، وَأَخَلَاقِهِمْ فَلَا غِشَّ وَلَا خِدَاعَ وَلاكَذِبَ، ولاخِيَانَةَ وَلَاغَدْراً، ولانَميمَةَ، وَلاغِيْبَةَ، وَلا قَطِيْعَةَ هَدَفَهُم القَضَاءُ عَلى المُنكرَاتِ وإماتتهَا، وإِعْزَازُ المَعْروفِ وَنَشْره بَيْنَ المسلمين، وَهَذا يَدُلُّ على قوةِ إيمانِهم، وَشِدَّةِ تَمسُكِهِمْ بِهِ وَرَغبةٍ في النَّجاةِ التَّي وَعَد اللهُ بِهَا النّاهِي عَنْ السُّوءِ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوْا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِيْنَ يَنْهَوْنَ عَنَ السُّوْءِ وَأَخَذْنَا الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا بِعَذابٍ بَئِيْسٍ بِمَا كَانُوْا يَفْسُقُوْنَ﴾.

فَيَاعِبَادِ اللهِ تَأَملوا حَالَتَنَا الحَاضِرَةِ، وَحَالَة سلفنا الكِرام الذينَ كانوا كلٌّ مِنْهم يحبُ لأَخِيهِ ما يُحبُّ لِنَفْسهِ، وَيَرْحَمُ كبيرُهم الصغيَر ويوقرُ الصغيرُ الكبيرَ، يَتآمَرونَ بالمَعروفِ، وَيَتنَاهَونَ عن المنكرِ، يُنْصِفُونَ حَتَّى الأَعْداءِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وأولادِهِمْ.

فَالقَويُّ عِنْدَهُمْ ضَعِيفٌ ، حَتَّى يُسْتَوْفَى مِنه الحقُّ ، والضَعِيْفُ عِنْدَهم قَويٌ حَتَّى يُؤْخَذَ حَقُّهُ ، إذا فَقَدُوا أَخَاهُم بَحَثُوا عنه فإنْ كانَ مَرِيضاً عادُوهُ وإذا مَاتَ شَيَّعُوهُ ، وانْ احتاجَ أَقْرَضُوهُ ، وَوَاسَوْه وإنْ نَزَلَ عليهم أَكْرَمُوه .

عامِلِيْنَ بِقولِهِ ﷺ : « مَثَلُ المؤْمِنِيْنَ في تَوَادِّهم وتراحُمِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعى له سَائِرُ الجَسَدِ بالسهر والحمى » ، وحديثِ : « المؤمنُ للمؤمِن كالبنيانِ يشد بعضُه بعضاً » .

أما نَحْنُ فحالتُنا حالةٌ مُخِيْفَةٌ جِداً لأَنَّنا على ضِدِ ما ذَكَرْنَا مِن حالةِ سَلَفِنَا ولا حَاجَةَ إلى تَكْرارٍ ، أَلْقِ سَمْعَكَ وَقَلِّبْ نَظَرَكَ ، وَأحضرْ قَلْبَكَ تَرَى ذَلِكَ بِعَيْنِ بَصيرتِكَ وَترى مَا يُخِيْفُكَ وَيُقْلِقُ رَاحَتَكَ وَيُقْضُّ مَضْجَعَكَ من المِنكراتِ في البيوتِ والأسواقِ والبر والبحر . ولا أدري هل بَيْتُكَ خالٍ من المنكراتِ التَّي سَأَذْكُرها فَهَنْيِئاً لك إنْ شالأ الله ولا أظنه خال منها .

فإنْ تَنْجُ منها تَنْجُ مِن ذِي عَظيمَةٍ   وإلَّا فإنِّي لَا إخالُكَ ناجِيَا

وإن شَكَكْتَ فَفَتِشْ على نَفْسِكَ تَجِدْ ذَلِكَ ، فالمُنْكَرُ نَرَاهُ بِأَعْيُنِنَا وَنَسْمَعُه بِآذَانِنَا بَلْ وفي بُيوتِنَا فهَلْ بيتكَ خالٍ مِن صُوَرٍ ذواتِ الأرواح ، هَلْ هُوَ خالٍ مِن المِذْيَاعِ ، هل هُوَ خالٍ مِن التِّلفزيون ، والسِّيْنَماء والبَكَمَاتِ وَمُسَجِّلاتِ الأغَانِي ، هَلْ هو خالٍ مِنْ شُرابِ المُسْكراتِ ، هَلْ مَا يَأْتِي لِبَيْتَكَ لِإ أُنَاسٌ طيبينَ طاهِري الأَخْلاقِ ، هَلْ هُوَ خالٍ من حَالقي اللِّحى هَلْ هُوَ خالٍ من المُخَنْفِسِيْنَ مطِيْلِي أَظفارهِمْ تَشَبُّهاً باليَهُود ، وهَل هُو خالٍ من المُتشبهينَ بالمَجُوسِ والمتشبِهِيْنَ بالإفْرَنَجِ ، هَلْ هو خالٍ مِمَّن لا يَشْهُدونَ صَلاةَ الجَمَاعةِ أو لا يَصلونَ أَبداً ، هَلْ هُو خَالٍ مِن النساء القاصَّاتِ لِرُؤسِهِنَّ المُطِيْلاتِ لِأَظْفَارِهِنّ ، هَلْ هو خالٍ مِن شُرَّابِ أَبِ الخَبَائِث الدُّخَانِ ، ونحوهِ مِن المنكرات وأمَا في الأسْواقِ فَحدِثْ عَن كثرةِ المُنْكَرَاتِ ولَا حَرَجَ على حَدَّ قولِ المتنبي :

شِعْرا : وَقَدْ وَجَدَتُ مكانَ القولِ ذا سَعةٍ   فإن وَجَدتَ لِسَاناً قَائلاً فَقُلِ

آخر: أَحْذِرْكَ أَحْذِرْكَ لا أَحْذِرْكَ واحِدَةَ عن المَذَايِيْعِ والتِّلْفَازِ والكُـــرَةِ
كَذا المَجَلَّاتِ مَعْ صُحُفٍ ونَحوِهما ما حَصَّلُوْا منها إلا الإِثْـمَ والعَنَتِ
كمِ عِنْدَهَا ضَاعَ مِنْ وَقْتٍ بِلَا ثَمَنٍ لَو كَانَ في البرِّ نِلْتَ الأَجْرَ وَالصِّلَةِ

وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا أَلْسِنَةٌ تَنْطِقُ ولا قُلُوبٌ تَتَمَعَّرُ إلا النَّوادِرَ، الموجودُ هو التلاومُ والقيلُ والقالُ، والمداهَنَةُ، والجُلوسُ مَعَ أَهْلِ المَعَاصِي، وَمُحَادَثَتُهْم وَمُبَاشَرَتُهْم وأَظْهَارُ البِشْرِ لَهُمْ وَتَعْظِيْمُهمْ وَتَقْلِيْدُهُمْ في الأقوالِ والأَفْعَالِ.

فَيَا عِبَادَ اللهِ اتقُوا اللهَ واسْلُكوا طريقَ سَلَفِكُمْ واصْدَعُوا بالحقِّ وَأْمُرُوا بالمَعْرُوفِ وانْهَوْا عن المُنْكَرِ، واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جمِيْعاً ولا تَفَرَّقُوا، وَكُونوا عِبَادَ اللهِ إخواناً، قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ مَا حَلَّ بِمَنْ قَبْلَكُمْ، وَتُضْرَبَ قُلوبُ بَعْضِكِم عَلَى بَعْضٍ، قَبْلَ فِتْنَةٍ لَا تُصِيْبَنَّ الذين ظَلمُوْا مِنْكُم خاصَّةً، قَبْلَ أنْ تُلْعَنُوا كَمَا لُعِنَ الذينَ مِنْ قَبلِكُم، بِسَبَبِ عَدَمِ تَنَاهِيْهِمْ عَنْ المُنْكَرِ.

قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿لُعِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ على لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيْسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوْا لَا يَتَنَاهُوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُوْنَ﴾.

فَيَا عبادَ اللهِ إنَّ الأمْرَ بالمعروف والنَّهْي عَنْ المنكرِ لَمِنْ أَعَظَمِ الشعَائِرِ الإِسْلامِيّةِ، وأقْوَى الأسُسِ التي يقومُ عليهَا بناءُ المجتمعات النزيهةِ الراقيةِ، فإذا لَمْ يَكنْ أمرٌ ولا نهيٌ أو كانَ ولكنْ كالمَعدومِ، فعلى الأَخلاقِ والمُثُلِ العُلْيَا السَّلامُ، وَيَلٌ يومئذٍ لِلْفَضِيْلَةِ مِن الرذيلةِ، ولِلْمُتَدَيِّنين مِن الفَاسِقِيْنَ والمنافقين.

فَيَا عبادَ اللهِ تَدَارَكُوا الأَمْرَ قَبْلَ أَنْ يَفوتَ الأَوَانُ وَتَعضُّوا على البَنَانِ فَقَدْ قَالَ لَكُم سيدُ ولدِ عَدْنان: « مَنْ رَأَى منكَم منكراً فليغيْره بيدِه، فإنْ لَمْ يَسْتَطِع فبِلِسَانِه، فإن لَمْ يَسْتَطِعْ فبقلبِهِ وذَلِكَ أضْعَفُ الإِيْمَانِ.

عبادَ اللهِ بالأَمْرِ بالمعروف والنّهْي عن المُنْكَرِ نأْمَنُ بإذنِ اللهِ على الدّينِ من

الاضْمْحلالِ والتَلاشيَ، ونَأْمَنُ بإذنِ اللهِ عَلى الأخلاقِ الفاضلةِ مِن الذهابِ والانْحِلَال، والحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ مُخَالَفَةِ القَولِ لِلفِعلِ، فتأثيرُ الدَّعْوةِ بالفِعل أَقوَى بكثيرٍ منْ الأقوالِ المجَّردَةِ مِن الأفْعَالِ.

وفي المُسْنَدِ وغيرِه منْ حَديثِ عروةَ عن عَائِشَةَ قالتْ دَخَلَ عَلَيَّ رسولُ اللهِ ﷺ، وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفسُ فَعَرَفْتُ في وجْهِهِ أنْ قَدْ حَفَزَهُ شَيءٌ، فمَا تَكَلّمُ حَتَّى تَوَضَّأَ وَخَرَجَ فلصِقْتُ بالحُجْرةِ، فصَعِدَ المِنْبَر فَحَمَدَ اللهَ وأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا الناسُ إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يقولُ لَكُمْ مُرُوا بالمَعْرُوفِ وانْهَوْا عَن المنكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُونِي فَلَا أُجيبكم، وتَسْتَنْصُرُونِي فَلَا أَنْصُرُكُم، وتَسألونِي فلا أُعْطِيكُمْ.

وقال العُمَري الزَّاهدُ إنَّ مِنْ غَفْلَتِكَ عنْ نَفْسِكَ وإعَراضِكَ عن اللهِ أنْ تَرَى مَا يُسْخِطُ اللهَ فَتَجَاوَزَهُ، ولا تَنْهَى عَنه، خَوفاً مِمَنْ لا يَمْلكُ لنفْسِهِ ضَراً ولا نَفْعَاً، قُلْتُ ومَا أكثرَ المدلْسِين السَّاكِتِينَ الذينَ يَمرّونَ بالجَالِسِين أَمَامَ التلفِزيُونْ وعندَ المذيَاع والكورةِ بلْ ولا يأمُرونَهم بالتّي هيَ أَحْسَن ويَمُرّونَ بأولادِهِمْ في فُرُشِهِم ولا يُوْقِظونَهم للصَّلاةِ وكَأَنَّ أَمْرَهُمْ أَمرٌ مُباحٌ إن شَاءَ أَنْكَرَ وإن شَاءَ تَرَكَ، وَقَالَ مَن تَرَكَ الأَمْرَ بالعَرْوف والنهيَ عن المنكر مَخَافَةً مِن المَخْلوقِينَ نُزِعَتْ منهُ الطَّاعةُ، ولو أَمَرَ وَلَدَهُ أو بَعْضَ مَواليهِ لا استَخَفَّ بِحَقِهِ.

وَذَكَر الامامُ أحمدُ عن عمرَ بن الخطابِ تُوشِكُ القُرَى أَنْ تَخْرُبَ وهي عامرةٌ قِيلَ وكَيْفَ تَخربُ وهِي عامِرةٌ، قَالَ إذا عَلَا فُجَّارُها أَبْرارَها وَسَادَ القبيلةَ مُنافِقُوها قلتُ وممَّا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ قوله تَعَالَى: ﴿وإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيْهَا فَفَسقُوا فِيْهَا﴾ الآية، وإليك هذَا نَظْم للأَسْبَابِ التَّي بِهَا حياةُ القلبِ فَأَلْقِ لَهَا سَمْعَكَ وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ تَأْتِيْكَ بَعْدَ الدُّعَاءْ.

اللّهُمَّ وَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِليه القَوْم وأَيْقِظْنَا مِن سِنةِ الغَفْلَةِ والنَّومِ وأرزِقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ اليَوْمِ الّذِي يَرْبَحُ فيه المُتَّقُونَ، اللّهُمَّ وعامِلنا بإِحْسَانِكَ وَجُدْ

علينا بِفَضْلِكَ وامْتِنَانِكَ واجْعلنا مِن عِبادِكَ الذين لا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، اللَّهُمَّ ارحَمْ ذُلَّنا بَيْنَ يَدَيْكَ واجعلْ رَغْبَتَنَا فِيما لَدَيْكَ، ولا تَحْرِمنا بِذُنوبنا، ولا تَطْرُدْنَا بعُيوبنا، وَاغفر لنا ولوالدينا، اللَّهُمَّ اجْعَل قلوبَنا مَمْلوءَةُ وأَلْسِنَتَنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ وَنُفُوسَنَا مُطِيْعَةً لِأَمْرِكَ وأرْزقنا الزُّهْدَ في الدُّنْيَا والاقبالَ على الآخرةِ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَميْع المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

شِعْرَا: حَمِدْتُ الذي أَغْنَى وأَقْنَى وَعَلّما ... وَصَيَّرَ شكْرَ العَبْدِ لِلْخَيْرِ سُلَّمَا
وَأَهْدِيْ صَلَاةً تستمِر عَلى الرِّضَا ... وَأَصْحَابِهِ وَالآلِ جَمْعاً مُسَلِّمَا
أَعَادَ لَنَا فِي الْوَحْي والسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَانَا بِهَا نَحْوَ الرَّشَادِ وعَلَّمَا
أَزَالَ بِهَا الأَغْلَاف عَنْ قَلْبِ حَائِرٍ ... وَفَتَّحَ آذانا أُصِمَّتْ وَأَحْكَمَا
فيا أَيُّهَا البَاغِي استنَارَةَ عَقْلِهِ ... تَدَبَّرْ كِلَا الوَحْيَينِ وانْقَدْ وَسَلِّمَا
فَعُنْوانُ اسْعَادِ الفَتَى فِي حَيَاتِهِ ... مَعَ اللهِ إقبالاً عليهِ مُعَظِّمَا
وَفَاقِدُ ذَا لا شَكَّ قَدْ مَاتَ قَلْبُهُ ... أَوْ اعْتَلَّ بالأَمْراضِ كالرَّينِ والعَمَا
وآيَةُ سُقْمٍ فِي الجَوَارِحِ مَنْعُهَا ... مَنَافِعَهَا أَو نَقْصُ ذَلِكَ مِثْلَمَا
وَصِحّتُهَا تَدري بِاتْيَان نَفْعِهَا ... كَنُطْقٍ وَبَطْشٍ وَالتَّصَرُّفِ والنَّمَا
وَعَيْنُ امْتِرِاضِ القَلْبِ فقدُ الذي لَهُ ... أُرِيْدَ مِن الأَخْلاصِ والحُبِّ فاعْلَمَا
وَمَعْرِفَةٌ والشَّوْقُ إليه انابَةً ... بايْثَارِه دُونَ المَحبَّاتِ فَاحْكمَا
وَمُوثِرُ مَحْبُوبٍ سِوَى اللهِ قَلْبُهُ ... مَرِيْضٌ على جُرْفٍ مِنَ المَوْتِ والعَمَا
وَأَعْظَمُ مَحْذُورٍ خَفَى مَوْتُ قَلْبِهِ ... عَلَيْهِ لِشُغْلٍ عَنْ دَوَاهُ بِصِدِمَا
وآيَةُ ذَا هُوْنُ القَبائحِ عِنْدَهُ ... وَلَوْلَاهُ أَضْحى نادِماً مُتَأَلِّمَا
فَجَامِعَ أَمْراضِ القلوبِ اتِّبَاعُهَا ... هَواهَا فخَالِفهَا تَصِحَّ وَتَسْلَمَا
وَمِن شُؤْمِهِ تَرْكُ إغْتِذَاءٍ بِنَافِعٍ ... وَتَرْكُ الدَّوا الشَافِي وَعَجْزٌ كِلَاهُمَا
إذا صَحّ قَلبُ العَبْدِ بَانَ ارتِحَالُهُ ... إلى دَارِهِ الأُخْرَى فَرَاحَ مُسَلّما
وَمِنْ ذاكَ إحْسَاسُ المُحِبِّ لِقَلْبِهِ ... بِضَرْبٍ وَتَحْرِيْكٍ إلى اللهِ دَائِمَا

إلى أنْ يُهَنَّا بالإنَابَةِ مُخْبِتاً فَيَسْكُنُ في ذَا مُطْمَئِناً مُنَعَّمَا
وَمِنْها دَوَامُ الذِكْرِ في كُلِّ حَالَةٍ يَرى الأُنسَ بالطّاعَات لِلَّهِ مَغْنَمَا
وَيَصْحَبُ حُـرًّا دَلَّه في طَرِيْقِـهِ وكان مُعِيْنَا ناصحاً مُتَيَمِّمَا
وَمنها إذَا مَا فَاتـه الـوِرْدُ مَرَّةً تَرَاهُ كَئِيْبـاً نَادِمـاً مُتَأَلِّمَا
وَمِنْهَا اشْتِياقُ القَلْبِ في وَقْت خِدْمَةٍ إلَيْهَا كَمُشْتَدٍّ بِه الجُوعُ والظَّمَا
وَمِنْهَا ذَهَابُ الهَمِّ وَقْتَ صَلَاتِهِ بِدُنْيَاهُ مُرتَاحَا بهـا مُتَنَعِّمَا
وَيَشْتَدُّ عَنْهَا بَعدَهُ لِخُرُوجِـهِ وَقَدْ زَالَ عنهُ الهَمُّ والغَمُّ فاسْتَمَا
فأَكْرِمْ بِهِ قَلْباً سَلِيْماً مُقَرَّباً إلى اللهِ قَدْ أَضْحَى مُحِبّاً مُتَيَّمَا
وَمِنْهَا اجْتِمَاعُ الهَمِّ منهُ بِرَبِّهِ بِمَرضَاتِهِ يَسْعَى سَرِيعاً مُعَظِّمَا
وَمِنْهَا اهْتِمَامٌ يُثْمِرُ الحِرْصَ رَغْبَةً بِتَصْحِيْحِ أَعْمَالٍ يَكُونُ مُتَمِّمَا
بإِخْلَاصِ قَصْدٍ وَالنَّصِيْحَة مُحْسِناً وَتَقْيِيْـدِهِ بالاتِّبَـاعِ مُلازِمـاً
وَيَشْهَدُ مَعْ ذا مِنَّةَ اللهِ عِنْدَهُ وَتَقْصِيْرَهُ في حَقِّ مَوْلَاهُ دَائِمَا
فستٌ بهَا القَلْبُ السَليمُ ارْتِدَاءهُ وَيَنْجُو بِهَا مِنْ آفَةِ الموتِ والعَمَا
فَيَارَبِّ وَفِّقْنَا إلى مَا نَقُولُـهُ فَمَازِلْتَ يَاذَ الطَّوْلِ بَرّاً ومُنْعِمَا
فَإِنِي وَإِنْ بَلَغْتُ قَولَ مُحَقِّقٍ أُقِرُّ بِتَقْصِيرِيْ وَجَهْلِي لَعَلَّمَا
وَلَما أَتَى مِثْلِي إلى الجَوِّ خَالِياً مِنَ العِلمِ أَضْحَى مُعْلِناً مُتَكَلِّمَا
كَغَابٍ خَلا مِنْ أُسْدِهِ فَتَواثَبَتْ ثَعَالِبُ مَا كَانَتْ تَطَافِي فِنَا الحِمَا
فيَا سَامِعَ النَّجْوَى وَيَا عَالِمَ الخَفَا سَأَلْتُكَ غُفْرَانَاً يكُونُ مَعَمِّمَا
فَأَجْـرَأَنِي إِلَّا اضْطِرَارٌ رَأَيْتُـهُ تَخَوُّفْتُ كَوْنِي إنْ تَوَقَّفْتُ كَاتِمَا
فَأَبْدَيْتُ مِن جُرَّاهُ مُزْجَي بِضاعَتِي وَأَمَّلْتُ عَفْواً مِن إلٰهِي وَمَرْحَمَا
فَمَا خَابَ عَبْدٌ يَسْتَجِيرُ بِرَبِّهِ أَلَحَّ وَأَمْسَى طَاهِرَ القَلْبِ مُسْلِمَا
وَصَلُّوا عَلَى خَيْرِ الآنَامِ مُحمدٍ كَذا الآلِ والأَصحابِ مَا دَامَتْ السَّمَا

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«فَصْــلٌ»

علَمْ وفقنَا اللهُ وايَّاكَ وجميعَ المسلمينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ وَجَعَلَنَا وإياكَ وإيَّاهُمْ مِن الْمُصَدِّقِينَ لِلَّهِ فِيْمَا أَخْبَرُوْا بِهِ وَحَيْثُ أَنَّهُ قَدْ كَثُرَ في زَمَنِنَا المُنْكِرونَ لِلْجِنِّ وَغَالِبُهُمْ يَسْتَنِدُونَ في إنكارِهم بِأَنَّ طَرِيْقَ مَعْرِفَةِ وُجودِهِم هِيَ النَّظَرُ أَوْ السَّمْعُ أَوْ اللَّمْسُ وَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا جِناً وَلَمْ يَسْمَعُوهُم وَلَم يَمَسّوْهُمْ.

وَلَكِنْ عَدَمُ النَّظَرِ أَوْ السَّمعِ أو اللَّمْسِ أَوْ عَدَمِ وُصُولِ أَحَدِ الحَوَاسِّ الخمسِ إلى وُجُودِ الجِنّ لا يَقُومُ دليلًا عَلَى عَدَمِ وُجُودِهم لا نَقْلًا ولا عَقْلًا أَمَا العقلُ فإنه يُجَوِّزُ وُجُودَ كائِنٍ حَيٍ غَيْرِ مَرْئِي بالْعَينِ بِدُوْنَ واسِطَةِ الْمَجْهَرِ المكتَشَفِ أَخِيراً فإنَّ المكروبَ كائنُ حَيٌّ خلقَهُ اللهُ وَهُوَ كَثِيْر في طَبَقَاتِ الجَوِّ ولا يُمكن رُؤْيَته بالعيْنِ.

وَمَنْ لم يُقرَّ وَيَعْتَقِدَ ما غَابَ عَنْ سَمْعِهِ وَلَمْسِهِ لَزِمَهُ إنكارُ الرُّوْحِ والآلامِ والعَقْلِ والجُوْعِ والظَّمَاء لأنهَا لَيْسَتْ مَرئيةً ولا مَسْمُوعَةً ولا مَلْمُوْسَةً وَلَا مَذُوْقَةً وَأَمَّا النَّقْلُ فَكَثِيْرٌ فَمِنَ الأدِلَةِ قولُه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وَقَالَ اللهُ تَعَالى آمراً رسولَه ﷺ أَنْ يُخْبِرَ قَوْمَهُ أَنَّ الجِنَّ اسْتَمَعُوا لِقراءَةِ القُرْآن فَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوا لِمَا قَالَ وَتَلا وانْقَادُوا لَهُ كَمَا في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ من الجِنِّ فَقَالوا إِنّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَبَا يَهْدِي إلى الرَّشْدِ فَآمَنّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا إِحَداً﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿وإذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِن الجِنّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِي وَلوا إلى قوْمِهِمْ مُنْذِرِيْنَ﴾.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّه يَرَاكُمْ هُوَ وَقبيْلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرُوْنَهُمْ﴾. وَهَذَا من حِكمَةِ اللهِ وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ البَشَرِ فَلَوْ كَشَفَ لَنَا عَنْ حَقِيْقَتِهِمْ وَسَلَّطَ نَظَرَنَا المَحْدُودَ على ذَوَاتِهِم لمَا أَمْكَنَ واللهُ أَعْلَمُ أَنْ يَعِيشَ الأنْسَانُ مَعَهُمْ وقال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِن الجِنِّ والأنْسِ﴾.

وَقَالَ: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتْ الإنس والجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾. وقال في مَنْ سخَّرَ لِسُلَيْمَان: ﴿وَمِنَ الجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الآيات، وقالَ تعالى: ﴿الَّذِيْنَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُوْمُونَ إلا كَمَا يَقُومُ الذي يَتَخَبَّطَهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمِسّ﴾. قَالَ ابنُ عَبَّاس «آكلُ الرِّبَا يُبْعَثُ، يومَ القِيَامَةِ مَجْنوناً يُخْنَقُ» رواه ابنُ أَبِي حَاتِم، قالَ وَرُوِيَ عَن عَوفِ بن مَالِكٍ وَسَعِيدِ ابنِ جُبَير والسُّدّي والرَّبيع بن أَنَسٍ وَقَتادَةَ وَمَقاتِلِ بن حَيانَ نَحوُ ذَلِكَ إلى غير ذلك من الآيات.

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ المُفلحين والبِسْنَا خِلَعَ الإِيْمَانِ واليَقَيْن، وَخُصَّنَا مِنْكَ بالتَّوْفِيْقِ المُبين، وَوَفِّقْنَا لِقَوْلِ الحَقِ واتْبَاعِهِ وَخلِّصنَا مِنَ البَاطِل وابْتِدَاعِهِ، وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدا وَلَا تجْعَل لِفَاجرٍ عَلَيْنَا يَدَا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشاً رَغَدَا وَلَا تُشْمِتْ بنَا عَدوًّاً وَلَا حَاسِداً، وارْزُقْنَا عِلْمَاً نافِعاً وَعَمَلًا مُتقَبَّلا، وَفَهْمَاً ذَكِيّاً وَطَبْعاً صَفِيّاً وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْـــلٌ»

أَمَّا السُّنَة فورَدَ عَن النبيّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ﴿ان عفريتاً مِن الجِنّ تَفلَّت عَلَيَّ البَارِحَةِ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةِ فأمكَنَني اللهُ مِنهُ فَأَرَدتُ أَنْ أَرْبطَهُ إِلى سَارية مِن سَوَارِي المَسْجِد حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُروا إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ قولَ أَخِي سُلَيْمَانَ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لأَحدٍ مِنْ بَعدِي﴾».

وَوَرَدَ أَنَّ صفيةَ زوجَ النبي ﷺ جَاءَتْ تَزُورُهُ وَهُوَ معتكفٌ فقام مَعَهَا مودّعاً حَتَّى بَلَغَتْ بَابَ المَسْجِدِ فرآهُ رَجُلانِ مِن الانْصَارِ فَسلَّمَا عليهِ فقالَ على رِسْلِكُما إنما هِي صَفِيَّةُ بنتُ حُيَى فقالَا سُبحانَ اللهِ يَارَسُولَ اللهِ وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ النبيُ ﷺ «إن الشَّيطان يَبْلغُ مِن الإنسانِ مَبْلَغَ الدم وإني خَشِيْتَ أن يَقْذِفَ في قُلوبكُمَا شَيْاً».

وَهَذَا صَرِيحٌ واضحٌ في أَنَّ الشَيْطَان يَخْتَرِقُ الجِسْمَ البَشَرِي وَيَسْرِي فيهِ كَمَا يَسْرِي الدَّمُ وَمَع خَفَائِهِ فَقَدْ التَزَمَ الشَيَطانُ لعنهُ اللهُ في عَدَاوَته سَبْعَةَ أُمور: أَرْبعةٌ في قَوله تَعَالى: ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الأنعامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَليغيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾ وثلاثة منهَا في قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ المُسْتَقِيْمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِنْ بينِ أَيْدِيْهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُم شَاكِرِيْنَ﴾.

وَهَذَا الإلتِزَامُ يُبينُ أَنَّهُ عَدوٌّ مُتَظَاهِرٌ بالعَدَاوَةِ وَلِذَلِكَ فَصَّلَ اللهُ عَداوتَهُ باشْتِمَالِها عَلى ثَلاثَةِ أَشْيَاءَ: (السُّوءُ) وَهُو مُتَنَازِلٌ جَمِيْعَ المَعَاصِي مِنَ القَلْبِ والجَوارِح، (والفَحْشاء) وهِيَ ما عظمَ جُرْمُهُ وَذَنْبُهُ كالكبَائِر التي بَلَغَت الغَايَةَ في الفُحْشِ وذَلِكَ كالزنَا واللِّواطِ. والقولِ عَلى اللهِ بِلا عِلْمٍ في أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَشَرْعِهِ.

وَرَوَى مُسلم أَنَّ فَتىً مِن الأَنْصَارِ قَتَل حَيَّةً في بَيْتِهِ فَمَاتَ في الحَال فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «إِنَّ في المَدِيْنَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا فإذا رَأَيْتُم مِنْهم شيئاً فآذِنُوهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فإنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلوهُ فإنما هُوَ شَيْطَانٌ».

وَهَكَذا تَكَرَّرُ الرِّوَايَاتُ الصحيحةُ أَنَّ الجِنَّ كانُوا بالمَدِيْنَةِ وقَدْ أَسْلَم بَعضُهُمْ وَرَوَى مسلمٌ في صحيحِهِ عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «مَا مِنْ مَولودٍ يُولَدُ إلا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ إلا ابنَ مَرْيمَ وَأُمَّهُ».

وَرَوى مُسْلم قَوْل النبي ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وكَّلَ اللهُ بِهِ قَرِيْنَهُ مِنَ الجنِّ»، فَرَأَى الصحابَةُ أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ عامٌ فقالُوا يارسول اللهِ وإِيَّاكَ، أَيْ حَتَّى أَنْتَ، فَقَالَ ﷺ: «وإِيَّايَ لكنَّ اللهَ قَدْ أَعَانَني عَلَيهِ فَأَسْلَم فَلَا يَأْمُرُني إلا بالخَيرِ».

وَرَوَى البُخاريُ في صحيحهِ عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ

بحِفْظ زَكاةِ رَمضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَل يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَفْتُهُ وَقُلْتُ لأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسُولِ الله ﷺ، قال دَعْنِي فإنّي مُحْتَاجٌ وَلِي عِيَالٌ وَبِي حَاجَةٌ شَدِيْدَةٌ.

قَالَ فَخَلّيتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فقالَ رسولُ اللهِ: «ياأَبَا هُريرةَ ما فَعَلَ أَسِيْرُك البَارِحة» قال قُلْتُ يارسولَ الله شَكَا حَاجةً شديدةً وعيالًا فَرحِمْتُهُ فَخَلّيْتُ سَبِيْلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ كَذَبَكَ وَسَيعودُ» فَرصَدْتُه فَجَاءَ يَحْثُو مِن الطعامِ فَعَلَ ذَلِكَ ثلاث لَيَالٍ كلَّ ذَلِكَ والرَّسولُ ﷺ يقولُ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وسَيَعُودُ».

فَلَمَا كان في الثالثةِ قُلْتُ لأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسُولِ الله ﷺ، وَهَذا آخر ثَلاث مَرّاتٍ تَزْعُمُ أَنَّكَ لاتَعُودُ، فَقَالَ دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كلمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا فقلتُ وَمَا هِي قَالَ إذا أَوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ فاقْرأْ آيةَ الكُرْسي: ﴿اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القيوم﴾ حَتّى خَتَمَ الآيةَ فإنه لَنْ يَزَالَ عليكَ مِن اللهِ حَافِظٌ ولا يَقْرَبُكَ شَيْطانٌ حَتّى تُصْبحَ. فقال النبي ﷺ: «أَمَا إنَّه صَدَقَكَ وهو كَذُوْبٌ تَعْلَمُ مَن تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيالٍ ياأَبَا هُرَيْرَةَ قُلْتُ لا. قال ذَلِكَ شَيْطَانٌ.

عن أَبِي السَّائِبِ أَنَّه دَخَلَ على أَبِي سَعِيدِ الخُدْرِي في بَيْتِهِ قال فَوَجَدْتُهُ يُصَلي فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتّى يَقْضِي صَلاتَهُ فَسَمِعْتُ تَحْرِيْكاً في عَرَاجِيْنٍ في نَاحِيَةِ البَيْتِ فالتَفتُ فإذا حَيَّةٌ فَوَثَبْتُ لأَقْتُلَهَا فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَجْلِسْ فَجَلَسْتُ فَلَمَّا انْصرفَ أَشَارَ إلى بَيْتٍ في الدَّارِ فقال أَتَرى هَذَا البَيْتَ فَقُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ كَانَ فِيه فَتىً مِنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرْسٍ قَالَ فَخَرجْنَا مَعَ رسول اللهِ ﷺ إلى الخَنْدَقِ فَكَانَ ذَلِكَ الفَتَى يَسْتَأْذِنُ رسولَ اللهِ ﷺ بأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرجِعَ إلى أَهْلِهِ.

فاسْتَأْذَنَه يَوْماً فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ فإني أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ فَأَخَذَ الرجلُ سِلَاحَهُ ثم رَجَعَ فإذَا امْرَأَتُه بَيْنَ البَابَينِ قَائِمةً فَأَهْوَى

إِلَيْهَا بالرُّمْحِ لِيَطْعُنَهَا بِهِ فَأَصَابَتْهُ، فَقَالَتْ اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وادْخُل البَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الذِيْ أَخْرَجَنِي فإذا بِحَيَّةٍ عَظِيْمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ على الفِرَاشِ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ في الدارِ فاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ فَمَا يُدْرَي أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتاً الحَيَّةُ أَمِ الفَتَى قَالَ فَجِئْنَا إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا ادْعُ اللهَ يُحْيِيْهِ لَنَا فقالَ اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ.

ثُمَّ قَال إِنَّ بالمَدِيْنَةِ جِنّاً قَدْ أَسْلَمُوا فإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئاً فَآذِنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فإِنْ بَدَا لَكُم بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ وفي روايةٍ عنه فقال رسول الله ﷺ إن لِهَذِهِ البُيُوتِ عَوَامِرَ فإذا رَأَيْتُم شَيْئاً مِنْهَا فَحَرِّجُوْا عَلَيْهَا ثَلاثةً فإِنْ ذَهَبَ وإلا فاقْتُلُوهُ فإِنَّه كَافِرٌ وقال لَهُم اذْهَبُوا فادْفُنُوا صَاحِبَكُم.

وعن أَبِي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إذا نُودِيَ بالصلاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لايَسْمَعَ التَّأْذِيْنَ فإذا قُضِيَ النِّداءُ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا ثوبَ بالصلاةِ أَدْبَرَ حَتَّى إذا قُضِيَ التَّثْوِيْبُ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ المَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ اذْكُرْ كَذَا واذْكُرْ كَذَا - لِمَا لَمْ يَذْكُرْ مِنْ قَبْلُ - حَتَّى يَظَلَّ الرَجُلُ مايَدْرِيْ كَمْ صَلَّى» متفق عليه «التثويب»: الإقامة يَخْطُر: يُوَسْوِسْ.

وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال ذُكِرَ عِنْدَ النبي ﷺ رَجُلٌ نامَ حَتَّى أَصْبَحَ قال: «يَعْقِدُ الشيطانُ على قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُم إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ على كُلِّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيْلٌ فَارْقُدْ فإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ تعالى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فإن صَلَّى انْحَلَّتِ عُقَدُهُ كُلُّهَا فاصبَحَ نَشِيْطاً طَيِّبَ النَّفْسِ وإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيْثَ النَّفْسِ كَسْلَانٌ» متفق عليه.

اللَّهُمَّ انظِمْنَا في سِلكِ حِزبِكَ المُفلِحِين، واجْعلنا مِنْ عبادِكَ المُخْلِصين وآمِنَّا يومَ الفَزَعِ الأكْبَرِ يومَ الدِين، واحشُرْنا مَعَ الذين أنعمتْ عليهم من النَبيين والصِّدِّيقينَ والشُهداء والصالحينِ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ

الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــلٌ»

وروى مسلمٌ عن ابنِ مَسْعُودٍ قَالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا تَسْتَنْجوا بالرَّوْثِ، ولا بالعِظَامِ، فإنه زَادُ اخْوانِكُم مِن الجن»، وَوَرَد في السنةِ الصَّحِيْحَةِ باللَّفْظِ الصَّرِيْحِ أَكْلُ الشَّيْطَانِ، وَشُرْبُهُ فَقَدْ وَرَدَ إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُم فَلْيَأْكُلْ بِيَمِيْنِهِ وَلْيَشْرَبْ بِيَمِيْنِهِ، فإِنَّ الشيطَان يَأْكُل بِشِمَالِه، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ، وَيَأْخُذُ بِشِمَالِهِ وَهَذَا لا يَحْتَاجُ إلى شَرْحٍ، ولا تَأْوِيلٍ لوضوحه.

وَحَدِيْثِ الوَادِي الذي نَامَ فِيهِ رسولُ اللهِ ﷺ، عن زَيْدِ بنِ أسلمَ قالَ عَرَّسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةً بِطَرِيْقِ مَكَّةَ، وَوَكَّلَ بِلالًا يُوْقِظُهُم لِلصَّلاةِ، فَرَقَدَ بِلَالٌ وَرَقَدُوا، حَتَّى اسْتَيْقَظُوا وَقَدْ طَلَعَتْ عَلَيْهِم الشَّمْسُ، فَاسْتَيْقَظَ القَومُ قَدْ فَزِعُوا، فَأَمَرَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ أن يَرْكَبُوا، حَتَّى يَخْرُجُوا مِن ذَلِكَ الوادِي.

وَقال هَذَا وَادٍ فِيْهِ الشيطانُ، فَرَكِبُوا حَتَّى خَرَجُوا مِن ذَلِكَ الوَادِي ثُمَّ أَمَرهم النبيُّ ﷺ أنْ يَنْزِلُوا، وأَنْ يَتَوَضَؤُا، وَأَمَرَ بِلالًا أنْ يُنَادِي بالصَّلاةِ، فصَلى رَسُولُ اللهِ ﷺ بالناسِ ثُمَّ انْصَرَفَ، وَقَدْ رَأى مِن فَزَعِهِم، فقال أَيُّها الناسُ إِنَّ اللهَ قَبَضَ أَرْوَاحَنَا وَلَو شَاءَ لَرَدَّهَا إِلَيْنَا في حِيْنٍ غَير هذا، فإذا رَقَدَ أَحَدُكُم عن الصلاةِ أَوْ نَسِيَهَا، ثم فَزِعَ أَلَيْهَا فَلْيُصَلِهَا كما كان يُصَلِيْهَا في وَقْتِهَا.

ثُمَّ التَفَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى أبي بَكْرٍ الصِّدِيْقِ فقال إِنَّ الشيطانَ أَتَى بلالًا وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِي فَأَجْمَعَهُ، ثُم لم يَزَلْ يُهدِيْهِ كَمَا يُهْدَى الصَّبِيُّ حَتَّى نَامَ، ثُمَّ دَعَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ بلالًا فَأَخْبَرَ بلالُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِثْلَ الذي أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ، فقال لَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، رواه مالك في الموطأ مرسلاً.

وعن ابن مُسْعُودٍ قال خَرَجَ رَجُلٌ مِن الأنْسِ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِن الجنّ فقال هَلْ لَكَ أَنْ تُصارِعَنِيْ، فإنْ صَرَعْتَنِيْ عَلَّمْتُكَ آيَةً إذا قَرَأْتَهَا حِيْنَ تَدْخُلُ بَيْتَكَ لَمْ يَدْخُلْهُ شَيْطَانٌ، فَصارَعَهُ فَصرَعَهُ، فقال إنِّي أَرَاكَ ضَئِيْلاً، كأنَّ ذِرَاعَيْكَ ذِرَعَا كَلْبٍ، أَهَكَذَا أَنْتُمْ أَيُّهَا الجنُ، أَمْ أَنْتَ مِن بَيْنِهِمْ، قال إنِّي فِيْهِم لَضَلِيْعٌ فَعَاوِدْنِي فَعَاوَدَهُ فَصرَعه الإنْسِيُ قَالَ تَقرأُ آيَةَ الكُرْسِي، فإنه لَا يَقْرَؤُهَا أَحَدٌ إذا دَخَل بَيْتَهُ إلا خَرَجَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ خِجيْجٌ كخَجِيْج الحِمَارِ فَقِيْل لابن مسعودٍ أَهُوَ عُمَرُ قال مَن عَسَى أَنْ يَكُونَ إلَّا عُمرُ رَضِي اللهُ عنه.

وَمِن ذَلِكَ مَا فِي مَجِيءِ الشَّيْطَانِ في صُوْرَةِ شَيْخ نَجْدِي في دَارِ النَّدْوَةِ.

ومِن قِصَّتِهَا أَنَّه اجْتَمَعَ قُرَيْشٌ لِلتَّشَاوُر في أَمْرِ رَسُولِ الله ﷺ، قال أهْل العلمِ بالأَخْبَارِ هَاجَرَ أَصْحَابُ النبي ﷺ مِثْلُ عُمَرَ بن الخَطَّابِ، وابنِهِ وَأَخِيهِ زَيْدِ بْنِ الخطاب، وعثمانَ بْنِ عَفَّانِ، وطَلْحةِ بنِ عُبَيْدِ اللهِ، وحمزةِ بنِ عبدِالمطلبِ، عَمِّ رسولِ الله ﷺ وزيدِ بنِ حَارِثَة وَغَيرِهِمْ.

وأَقَامَ رسولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ أَصْحَابِهِ يَنْتَظِرُ الأَذْنَ في الهِجْرَةِ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مَعَه بمَكَّةَ أَحَدٌ مِن المُهَاجِرِيْنَ، إلا مَنْ حُبِسَ، أَوْ فُتِنَ، إلا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْق، وَعَلي بنُ أَبِي طَالِبٍ وكانَ أَبُو بكْرٍ كَثِيراً ما يَسْتَأْذِنُ رسولَ الله ﷺ فيقولُ لَهُ لاتَعْجَلْ لَعَلَ اللهَ أنْ يَجْعَلَ لَكَ صَاحِباً، فَيَطْمَعُ أَبُو بَكْرٍ إنْ يَكُونَ هُوَ.

وَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ لِرَسُولِ الله ﷺ شِيْعَةً، وَأَصْحَاباً مِن غَيرِ بَلَدِهِم، وَرَاوْا خُرُوْجَ المُهَاجِرِيْنَ إِلَيْهِم، حَذِرُوْا خُرُوْجَ رَسُولِ الله ﷺ، وَعَلِمُوْا أَنَّهُ قَدْ أَجْمَعَ لِحَرْبِهِم فاجْتَمَعُوا في دَارِ النَّدْوَةِ، وهِيَ دَارُ قُصَيٍّ ابنِ كِلَابٍ، وكانَتْ قُرَيْشٌ لاتقضي أَمْراً إلَّا فِيْهَا يَتَشَاوَرُوْنَ فِيْمَا يَصْنَعُونَ، بِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِيْنَ خَافُوْهُ.

قال ابنُ عَبَاسٍ لَمَّا خَرَجُوا في اليوم الذي اتَّعَدُوْا لَهُ، كان ذَلِكَ اليَوْمُ

يُسَمَّى يَوْمَ الرَّحْمَةِ ، فاعْتَرَضَ إبليسُ في هَيْئَةِ شَيْخٍ جَلِيْلٍ ، عَلَيْهِ بَتْلَةٌ أَيْ كِسَاءٌ غَلِيْظٌ ، فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الدَّارِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا من الشَّيْخُ ، قال شَيْخٌ مِن أَهْلِ نَجْدٍ ، سَمِعَ بالذِي اتَّعَدْتُمْ لَهُ ، فَجَاءَ لِيَسْمَعَ ما تَقُولُونَ ، وعَسَى أَنْ لا يَعْدِكَمْ مِنه رَأْياً ، وَنُصْحاً ، قالُوا فأدْخُلْ .

وقَدْ اجْتَمَعَ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ بَعْضُهم لِبَعْضٍ إنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ كَانَ مِن أَمْرِهِ مَا قَدْ رَأَيْتُم ، وإنا وَاللهِ مَا نَأمَنُهُ عن الوُثُوبِ عَلَيْنَا ، فَأَجْمعُوا فِيه رَأْياً ، فَقَالَ قَائِلٌ احْبِسُوهُ في الحَدِيدِ وَأَغْلِقُوا عليه بَاباً ، ثُمَّ تَرَبَصُوا بِهِ مَا أَصَابَ أَمْثَالَهُ مِن الشُعَراءِ مِن الموتِ ، فقال الشَّيْخُ النَّجْدِيٌّ لا واللهِ مَا هَذَا لَكُم بِرَأْيٍ ، وَاللهِ لَئِنْ حَبَسْتُمُوْهُ كَمَا تَقُوْلُون لَيَخْرُجَنَّ أَمْرُهُ إلى أَصْحَابِهِ فَيِثِبُوْا عَلَيْكُم فَيَنْزِعُوْهُ مِنكم ، ما هَذَا لَكُم بِرَأْيٍ فانْظُرُوْا في غَيْرِهِ .

فَتَشَاوَرُوْا ، ثُمَّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُم نُخْرِجُهُ عن بِلَادِنَا ، ثُمَّ إذا خَرَج فَواللهِ لا نُبَالِي أَيْنَ ذَهَبَ ، فَقَال الشيخُ النَجْدي لَا واللهِ مَا هَذَا لَكُم بِرَأْيٍ أَلَمْ تَرَوْا حُسْنَ حَدِيْثِهِ ، وَحَلَاوَةَ مَنْطِقِهِ ، وَغَلَبَتَهُ على قلوبِ الرِجالِ بِمَا يَأتِي بِهِ ، وَاللهِ مَا هُوَ رَأْيٌ .

فَقَالَ : أَبُو جَهْلٍ واللهِ إنَّ لِيَ رَأْياً ، قَالُوا وَمَا هُوَ يا أَبَا الحَكَمِ قَالَ أَرَى أَنْ نَأْخُذَ مِن كُلِّ قَبِيْلَةٍ شَاباً ، ثُمَّ نُعْطِي كُلَّ فَتىً سَيْفاً ، ثُمَّ يَعْمِدُوْا إليهِ فَيَضْرِبُوهُ بِهَا ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَيَقْتُلُوْهُ فَتَسْتَرِيْحُوا مِنْه فإنَّهم إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَقَ دَمُهُ في القَبَائِلِ جَمِيْعاً ، فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عَلى حَرْبِ قَوْمِهِم جَمِيْعاً ، فَرَضُوا بالعَقْلِ فَعَقَلْنَا لَهُمْ .

فقال الشَّيْخُ النَّجْدِيْ هَذَا هُوَ الرَّأْيُ الذِي لا أَرَى غَيْرُهُ ، فَتَفَرَّقَ القومُ على ذَلِكَ ، فَأَتَى جِبْرِيْلُ النبيَّ ﷺ ، فقال لا تَبِيْتَ اللَّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِكَ ، فَلَمَّا كَانَ عَتَمَةٌ مِن اللَّيلِ ، اجْتَمَعُوا على بَابِهِ يَرْقُبُونَهُ حَتَّى يَنَامَ فَيَثِبُوْنَ عَلَيهِ .

فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَانَهُم قال لِعَلِيّ بن أَبِي طَالِبٍ نَمْ عَلى فِرَاشِيْ وَتَسَجَّ بِرِدَائِي الأَخْضَرَ، فإِنَّه لَنْ يَخْلُصَ إِليكَ شَيءٌ تَكْرَهُهُ مِنهم، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا على بَابِهِ قال أَبُو جَهْلٍ إن مُحَمَّداً يَزْعُمُ أنكُم إِنْ تَابَعْتُوهُ عَلَى أَمْرِهِ كُنْتُمْ مُلُوكَ العَرَبِ، والعَجَمِ ثُمَّ بُعِثْتُم مِن بَعْدِ مَوْتِكُم وَجُعِلَتْ لَكُم جَنَّاتٌ كَجَنَّاتِ الأَرْدُنِ، وإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ فِيكم ذَبْحٌ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ مِن بَعْدِ مَوْتِكُم، ثم جُعِلَتْ لكمُ نَارٌ تُحْرَقُونَ فِيها.

قال وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رسولُ اللهِ ﷺ فَأَخَذَ حَفْنَةً مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ نَعَمْ أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ أَنْتَ أَحَدُهُمْ فَأَخَذَ اللهُ على أَبْصَارِهِم عَنْهُ فَلَا يَرَوْنَهُ وَجَعَل يَنْثُرُ ذَلِكَ التُرابَ على رُؤوْسِهِم، وَهُوَ يَتْلُوا عَلَيْهِم ﴿يسٓ والقرآنِ الحَكِيْمِ﴾ إلى قَولِهِ: ﴿فأغْشَيْنَاهُم فَهُم لَا يُبْصِرُون﴾، ولم يُبْقِ مِنهم رَجُلاً إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلى رَأْسِهِ تُرَاباً.

ثُمَّ انْصَرَفَ فَأَتَاهُم آتٍ فَقَالَ ما تَنْتَظِرُوْنَ هَهُنَا، قالُوا مُحَمَّداً قال خَيَّبَكُم اللهُ، واللهِ خَرَجَ عَلَيكُم مُحَمَّدٌ ثُمَّ مَا تَرَكَ مِنكم رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلى رَأْسِهِ تُرَاباً، وانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ.

قال فَوَضَعَ كُلُ وَاحِدٍ مِنهم يَدَهُ عَلى رَأْسِهِ فإِذَا عَلَيْهِ تُرَابٌ، ثُمَّ جَعَلَوا يَتَطَلَّعُونَ، فَيَروْنَ عَلياً عَلى الفِرَاشِ مُسَجَّى بِبُرْد رسول الله ﷺ، فَيَقُولُونَ واللهِ إِنَّ هَذَا لَمُحَمَّدٌ نَائِماً فِي بُرْدِهِ، فلم يَبْرَحُوا كَذَالِكَ حَتَّى أَصْبَحُوا.

فَقَامَ عَليٌ عَن الفِرَاشِ فَقَالُوا وَاللهِ لَقَدْ صَدَقَنَا الذي كَانَ حَدَثَنَا وَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ: ﴿وإذ يَمْكُرُ بكَ الذينَ كَفَروا لِيُثبتُوكَ أَوْ يَقْتُلوكَ أَوْ يُخْرِجوكَ وَيَمْكُرُوْنَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الماكِرين﴾ والشاهدُ هُوَ مَجِيءُ الشيطانِ وَرُؤْيَتُهُ وَكَلامُهُ وهو أَبُو الجنِ لَعَنَهُ اللهُ.

ومِن ذَلِكَ صِيَاحُ ابْلِيْسَ يَوْمَ أُحُدٍ أَنَّ النبيَّ ﷺ قُتِلَ، فَلَمْ يُشَكَّ فِي ذَلِكَ، حَتَّى طَلَعَ رَسولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ السَّعْدَيْنِ، قال الرَّاوِيْ نَعْرِفُهُ بِكَتِفَيْهِ إِذا

مَشَى قال فَفَرِحْنا حَتَّى كَأَنَّهُ لم يُصِبْنَا مَا أَصَابَنَا، فاؤمَأَ نَحْوَنَا.. الحديث.

وَمن ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَن أبي هُريرةَ رضي اللهُ عَنه قال قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُم مِن منامِهِ فَلْيَتَوَضَأ وَلْيستَنْثِرْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ فإن الشَيْطَانَ يَبِيْتُ على خَيَاشِيْمِهِ» متفق عليه.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عن أبي سعيدٍ الخُدري أن رسولَ اللهِ ﷺ قامَ فَصَلى صَلاةَ الصُّبْحِ وهو خَلْفَهُ فَقَرَأ فالتُبسَتْ عَلَيْهِ القرَاءةُ فَلَمَّا فَرَغَ مِن صَلاتِهِ قَالَ لَوْ رَأَيْتُمُوني وإبْلِيسَ فَأَهْوَيْتُ بِيَدِي فَمَا زِلْتُ أَخْنِقُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لُعابِهِ بَيْنَ أَصْبُعَيَّ هَاتَيْنِ الإبْهَامِ وَالتي تَلِيْهَا وَلَوْلا دَعْوَةُ أَخِيْ سُلَيْمَان أصبَح مَرْبُوطاً بِسَارِيَةٍ مِن سَوَارِي المَسْجِد يَتَلاعَبُ بِهِ صِبْيَانُ المَدِيْنَة وصلى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجمعين.

«**فَصْلٌ**»: وقال شَيْخُ الإسلام والجِنُ يَتَصَوَرُّوْنَ في صُوَرِ الإِنْسِ، والبَهائِم فَيَتَصَوَّرُوْنَ في صُوَ الحَيَّاتِ، والعَقَارِبِ، وَغَيْرِهَا، وفي صُوَرِ الإبلِ، والبَقَر والغَنَمِ، والخَيْلِ، والبِغَالِ، والحَمِيْرِ، وَفي صُوَرِ الطَيْرِ، وفي صُوَرِ بَنِي آدَمَ، كَمَا أَتَى الشَّيْطَانُ قُرَيْشاً في صُوْرَةِ سُرَاقَة بْن مالكٍ بنِ قَشم، لَمَّا أَرَادُوْا الخُرُوْجَ إلى بَدْرٍ، قال تعالى: ﴿وإذْ زَيَّنَ لَهُم الشيطانُ أَعْمَالَهُم وقال لا غَالِبَ لَكُم اليَوْمَ مِن النَّاسِ وإني جَارٌ لَكُم﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿واللهُ شَدِيْدُ العِقَابِ﴾.

وَذَكَر ابنُ أَبِي الدُنْيَا في كِتَابِهِ مَكَائِدِ الشَّيْطانِ أَنَّ رَجُلًا مِن أَهْلِ الشامِ مِن أمَرَاءِ مُعَاوِيَةَ غَضِبَ ذَاتَ لَيْلَةٍ عَلى ابْنِهِ، فأَخْرَجَهُ مِن مَنْزِلِهِ فَخَرَجَ الغُلَامُ لا يَدْرِيْ أَيْنَ يَذْهَبُ، فَجَلَس وَرَاءَ البَابِ من خَارِجٍ، فَنَام سَاعةٍ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ، وَبَابُهُ يَخْمِشُهُ هِرٌ أَسْوَدٌ بَرِيٌ، فخَرَجَ إليه الهِرُ الَّذِيْ في مَنْزِلِهِمْ.

فقال لَهُ البرِيُ وَيْحَكَ افْتَحْ، فَقَالَ لا أَسْتَطِيْعُ فَقَالَ وَيْحَكَ ائْتِنِيْ بِشَيءٍ أَتَبَلَغُ بِهِ، فإني جَائِعٌ وَأَنَا تَعْبَانٌ، هَذَا أَوَانُ مَجِيْءِ مِن الكُوفَةِ وَقَدْ حَدَثَ اللَّيْلَةَ

حَدَثٌ عَظِيْمٌ، قُتِلَ عَلِيُ بنُ أَبِي طالب، قَالَ فَقَالَ لَهُ الهِرُ الأَهْلِي واللهِ إنه لَيْس شيءٌ هَاهُنَا، إِلَّا وَقَدْ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، غَيْرَ سَفُّوْدٍ كَانُوا يَشْوُوْنَ عَلَيهِ اللَّحْم.

فقال ائْتِنِيْ بِهِ فَجَاءَهُ فَجَعَل يَلْحَسُهُ حَتَّى أَخَذَ حَاجَتَهُ وانْصَرَفَ وَذَلِكَ بِمَرْأى مِن الغُلَامِ، وَسَمْعٍ، فقامَ إلى البَابِ فطَرَقَهُ، فَخَرَج إِليهِ أَبُوهُ، فَقَالَ مَنْ فَقَالَ افْتَحْ، فَقَال وَيْحَكَ مَالَكَ، فَقَالَ افْتَحْ فَفَتَحَ فَقَصَّ عَلَيهِ خَبَرَ مَا رأَى.

فَقَالَ وَيْحكَ أَمَنَامٌ هَذَا، قال لَا وَاللهِ قَالَ وَيْحكَ، فَأَصَابَكَ جُنُونٌ بَعْدِي، قال لَا وَاللهِ، وَلكِنْ الأَمْرُ كَمَا وَصَفْتُ لَكَ.

فاذْهَبْ إلى مُعَاوِيَةَ الآنَ فاتَّخِذْ عِنْدَهُ بِمَا قُلْتُ لَكَ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ فاسْتَأْذَنَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ مَا ذَكَرَ لَهُ وَلَدُهُ، فَأَرَّخُوْا ذَلِكَ عِنْدَهُم قَبْلَ مَجيْءِ البُرُدِ، وَلَمَّا جَاءَتْ البُرُدُ وَجَدُوْا مَا أَخْبَرهُم قَبْلَ مَجيْءِ البُرُدِ، وَلَمَّا جَاءَت البُرُدُ وَجَدُوْا مَا أَخْبَرُوْهُم بِهِ مُطَابقاً لِمَا كَان خَبَّرَ بِهِ الغُلامُ.

وَرُوِيَ أَنَّ سَعْدَ بنِ عُبَادَةَ بَالَ بِجُحْرٍ بالشام ثُمَّ اسْتَلْقَى مَيِّتاً فَسُمِعَ مِن بِئْرٍ بالمَدِيْنَةِ قَائلاً يَقُولُ نَحْنُ قَتَلْنَا سَيِّدَ الخَزْرجِ سَعْدَ بنَ عُبَادَة، رَمَيْنَاهُ بِسَهْمَيْنِ فَلَمْ نُخْطِي فُؤَادَهُ، فَحَفِظُوا ذَلِكَ اليومَ الذي ماتَ فيه سَعْدٌ فَوَجَدُوْه اليومَ الذي سُمِعَ فيه الخَبَرُ، والله أعلم.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِتَدبُر كِتَابكَ وإِطَالةِ التأمُلِ فيه وَجَمْعِ الفِكْرِ على مَعَانِي آياتِه. اللَّهُمَّ ثَبِّت قَوَاعِدَ الإِيْمانَ فِي قُلُوبنَا وَشَيِّدْ فيها بُنْيَانَهُ وَوَطِّدْ فِيها أَرْكَانَهُ وَأَلْهِمنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً، اللَّهُمَّ يَامَنْ لَاتَضُرُّهُ الْمعصيَةُ وَلَاتَنْفَعُه الطَّاعَةُ ايقظْنَا مَنْ نَوْمِ الغَفْلَةِ وَنَبِّهنَا لاغْتِنَام أَوْقَاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمصَالِحِنَا واعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحنا وذُنُوبِنَا ولاتُؤاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عليْهِ ضَمائِرنا وأَكَنَّتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْواعِ القَبَائِحِ والمَعَائِبِ التي تَعْلَمُها مِنّا وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْـــلٌ»

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمه اللهُ، ولا رَيْبَ أَنَّ الأوثانَ يَحْصُلُ عِندَهَا مِن الشياطينِ، وَخِطَابِهِم، وَتَصَرُّفِهِم ما هُوَ مِن أَسْبَابِ ضَلالِ بَنِي آدَمَ، وَجَعْلُ القُبُورِ أَوْثَاناً، هُو أَوَّلُ الشِّرْكِ، وَلِهَذَا يَحْصُلُ عِنْدَ القْبورِ لِبَعْضِ الناسِ مِن خِطابٍ يسْمَعُهُ، وَشَخْصٍ يَرَاهُ، وَتَصَرُّفٍ عَجِيْبٍ، مَا يَظُنُّ أَنَّهُ مِن المَيْتِ.

وَقَدْ يَكُونُ مِن الجِنِّ والشَّيَاطِيْنِ، مِثْلُ أَنْ يَرَى القَبْرَ قَدْ انْشَقَ، وَخَرَجَ مِنه المَيِّتُ، وَكَلَّمَهُ وَعانَقَهُ وَهَذَا يُرَى عِنْدَ قُبُورِ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِم وإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ فإِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَصَوَّرُ بِصُوَرِ الإِنْسِ، وَيَدَّعِي أَحَدُهُمْ أَنَّه النَّبِيُ فُلانٌ أَوْ الشَّيْخُ فُلانٌ وَيَكُونُ كاذِباً في ذَلِكَ.

وفِي هَذَا البَابِ مِن الوَقَائِع مَا يَضِيْقُ هَذَا المَوْضِعُ عَنْ ذِكْرِهِ وهِيَ كَثِيْرَةٌ جِدَّاً، والجَاهِلُ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ الذي رَآهُ قَدْ خَرَجَ مِن القَبْرِ وَعَانَقَهُ أَوْ كَلَّمَهُ هُوَ المَقْبُوْرُ أَوْ النَّبِيُ، أَوْ الصَّالِحُ، أَوْ غَيْرُهُمَا، والمُؤْمِنُ العَظِيْمُ يَعْلَمُ أَنَّهُ شَيْطَانٌ، وَيَتَبَيَّنُ ذَلِكَ بأُمورٍ:

أَحَدها أَنْ يَقْرَأَ آيَةَ الكُرْسِيْ بِصِدْقٍ، فإِذَا قَرَأَهَا تَغَيَّبَ ذَلِكَ الشَّخْصُ، أَوْ ساخَ فِي الأَرْضِ، أَوْ احْتَجَبَ، وَلَوْ كَان رَجُلًا صَالِحاً أَوْ مَلَكاً أَوْ جِنِّيَاً مُؤْمِناً لَمْ تَضُرَهُ آيةُ الكُرْسِيْ، وإِنَّمَا تَضرُّ الشَّيَاطِيْنَ كَمَا ثَبَتَ في الصَّحِيْحِ مِن حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ إِقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيْ إِذَا أَوَيْتَ فِراشَكَ، فإِنَّهُ لَا يَزالُ عَلَيْكَ مِن اللهِ حَافِظٌ ولا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبَح، فقال النَّبِيُ ﷺ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوْبٌ.

وَمِنْهَا أَنْ يَسْتَعِيْذَ باللهِ مِن الشَّيَاطِيْنِ.

وَمِنْهَا أَنْ يَسْتَعِيْذَ بالعُوْذَةِ الشَّرْعِيَّةِ، فإِنَّ الشيَاطِيْنَ كَانَتْ تَعْرِضُ لِلأَنْبِيَاءِ فِي حَيَاتِهِم، وَتُرِيْدُ أَنْ تُؤْذِيهِمْ، وَتُفْسِد عِبَادَتَهُم كَمَا جَاءَتِ الجِنُّ إلى النَّبي ﷺ بِشُعْلَةٍ مِن نَارٍ تُرِيْدُ أَنْ تَحْرِقَهُ، فَأَتَاهُ جبْرِيْلُ بالعُوْذَةِ المَعْرُوفَةِ، الَّتِي تَضَمَّنَها

الحَديثُ المَرْوِيُ عَن أَبي التَيَّاحِ أَنَّهُ قال سَأَلَ رَجُلٌ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ حُبَيْشٍ، وكان شَيْخاً كَبيراً قَدْ أَدْرَكَ النَّبيَ ﷺ كيفَ صَنَعَ رسولُ اللهِ ﷺ حِيْنَ كادَتْهُ الشَّيَاطِيْنُ، قال تَحَدَرَتْ عَلَيْهِ مِن الشِّعَابِ، والأَوْدِيَةِ، وفِيْهِم شَيْطَانٌ مَعَهُ شُعْلَةٌ مِن نَارٍ، يُرِيْدُ أَنْ يُحْرِقَ بها رسولَ اللهِ ﷺ.

قَالَ فَرُعِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَتَاهُ جبْرِيْلُ عليه السلام، فقال يا مُحَمَّدُ قُلْ مَا أَقولُ، قَالَ قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَا اللهِ التَّامَاتِ، الَّتِي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، مِن شَرِّ ما خَلَقَ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ وَمِن شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِن السَّمَاءِ، وَمِن شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيها، ومِن شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِن الأَرْضِ، ومِن شَرِّ مَا يَنْزِلُ فِيها، ومِن شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ، وَمِن شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ يَطْرُقُ إِلَّا طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يا رَحْمَن.

قال فَطَفِئَتْ نَارُهُم، وَهَزَمَهُم اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وفي صحيح مسلم عن أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ قَالَ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي، فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ أَعُوْذُ باللهِ مِنْكَ، ثم قَال أَلْعَنُكَ بلَعْنَةِ اللهِ ثلاثاً، وَبَسَطَ يَدَهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئاً، فَلَمَّا فَرَغَ مِن صَلاتِهِ، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ شَيْئاً في الصلاة لم نَسْمَعْكَ تَقُولُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ.

قَالَ إِنَّ عَدُوَ اللهِ إِبْلِيْسُ جَاءَ بِشِهَابٍ مِن نَارٍ، لِيَجْعَلَهُ في وَجْهِي، فَقُلْتُ أَعُوْذُ باللهِ مِنكَ ثلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ التَّامَّةِ فاسْتَأْخَرَ، ثُم أَرَدْتُ أَنْ آخُذَهُ، وَلَولَا دَعْوَةُ أَخِيْنَا سُلَيْمَانَ لاصْبَحَ مُوْثَقاً يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ المَدِيْنَةِ.

وَكَثِيْراً مِن العُبَّادِ يَرَى الكَعْبَةِ تَطُوفُ بِهِ وَيَرَى عَرْشاً عَظِيْماً، وَعَليهِ صُوْرَةٌ عَظِيْمَةٌ، وَيَرَى أَشْخَاصاً تَصْعَدُ، وَتَنْزِلُ فَيَظُنُّهَا المَلَائِكَةَ وَيَظُنُّ أَنْ تِلْكَ الصُوْرَةَ هِيَ اللهُ، تَعَالَى، وَتَقَدَّسَ، وَيَكُونُ ذَلِكَ شَيْطَاناً.

وَقَدْ جَرَت هَذِهِ القِصَّةُ لِغَيْرِ وَاحِدٍ مِن النَّاسِ، فَمِنْهُم مَن عَصَمَهُ اللهُ

وَعَرَفَ أَنَّه الشَّيْطَانُ، كالشَّيْخ عبدِالقادِرِ في حِكايَتِهِ المَشْهُوْرَةِ، حَيْثُ قَالَ كُنْتُ مَرَّةً في العِبَادَةِ فَرَأَيْتُ عَرْشاً عَظِيْماً، وَعَلَيهِ نُوْرٌ، فقال لِيْ يَا عَبْدَالقادِرِ، أَنَا رَبُّكَ، وَقَدْ حَلَّلْتُ لَكَ مَا حَرَّمْتُ على غَيرِكَ، قال فَقُلْتُ لَهُ أَنْتَ اللهُ لا إِله إِلَّا هُوَ، أَخْسأْ يَاعَدُوَ اللهِ، قال فَتَمَزَّقَ ذَلِكَ النُوْرُ، وَصَارَ ظُلْمَةً، وقال يا عَبْدَالقَادِرِ نَجَوْتَ مِنِّيْ بِفِقْهِكَ في دِيْنِكَ، وَعِلْمِكَ وَمُنَازَلَتِكَ، في أَحْوَالِكَ، لَقَدْ فَتَنْتُ بِهَذِهِ القِصَّةِ سَبْعِيْنَ رَجُلًا.

فَقِيْلَ لَهُ كَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّهُ الشَّيْطَانُ، قَالَ بِقَوْلِهِ لِيْ حَلَّلْتُ لَكَ مَا حَرَّمْتُ عَلَى غَيرِكَ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ شَرِيْعَةَ مُحَمَّدٍ لَاتُنْسَخُ وَلَا تُبَدَّلُ، وَلأَنَّهُ قَالَ أَنَا رَبُّكَ، ولم يَقْدِرْ أَنْ يَقُولَ أَنَا اللهُ الذي لا إِلهَ إِلا أَنَا، ومِن هَؤُلآء مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ المَرْئِي هُوَ اللهُ وصَارَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُم يَرَوْنَ اللهَ تَعَالى، في اليَقَظَةِ، وَمُسْتَنَدُهُم ما شَاهَدُوْهُ، وَهُمْ صَادِقُونَ فِيْمَا يُخْبِرُوْنَ بِهِ، وَلكِنَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الشَّيْطَانُ.

وَهَذَا قَدْ وَقَعَ كَثِيْراً لِطَوائِفَ مِن جُهَالِ العُبَّادِ يَظُنُّ أَحَدُهُم أَنَّهُ يَرَى اللهَ تَعَالى بِعَيْنِهِ في الدُّنْيَا لأَنَ كَثِيْراً مِنهم رَأَى مَا ظَنَّ أَنَّهُ اللهُ وإِنمَا هُوَ شَيْطَانٌ.

وَكَثِيْرٌ مِنْهُم مَن رأَى مَن ظَنَّ أَنَّهُ نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ صَالحٌ أَوْ الخضرْ وَكَانَ شَيْطَاناً قَالَ وَمِنْهُم مَن يَظُنُّ أَنَّهُ مَلَكٌ والمَلَكُ يَتَمَيَّزُ عن الجِنّي بِأُمُوْرٍ كَثِيْرَةٍ والجِنُّ فِيْهم الكُفَّارُ والفُسَّاقُ والجُهَالُ وفيهم المُؤْمِنُونَ المُتبِعُونَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ فَكَثِيْراً مِمَّنْ لَم يَعْرِف أَنَّ هَؤُلآء جِنّ وَشَيَاطِيْنُ يَعْتَقِدُهُمُ مَلَائِكَة وإِنَّمَا هُمْ مِن الْجِنُّ والشَّيَاطِين.

قال والشَّيَاطِيْنُ يُوَالُونَ مَن يَفْعَلُ مَا يُحِبُوْنَهُ مِن الشِرْكِ والفُسُوقِ والعِصْيَانِ فَتَارَةً يُخْبِرُوْنَهُ بِبَعْضِ الأُمورِ الغَائِبَةِ، لِيُكَاشِفَ بِهَا، وَتَارَةً يُؤْذُوْنَ مَنْ يُرِيْدُ أَذَاهُ، بِقَتْلٍ، أَو تَمْرِيْضٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَتَارَةً يَجْلِبُونَ لَهُ مَايُرِيْدُ، مِن الإِنْس وَتَارَةً يَسْرِقُون لَهُ مَايَسْرِقُونَهُ مِن

أَمْوَالِ الناسِ مِن نَقْدٍ وَطَعَامٍ، وَثِيَابٍ وَغَيرِ ذَلِكَ، فَيَعْتَقِدُ أنهُ مِن كَرَامَاتِ الأَوْلياءِ، وإِنَّمَا يَكُونُ مَسْرُوْقاً.

وَتَارَةً يَحْمِلُونَهُ فِي الهَوَاءِ فَيَذْهَبُوْنَ بِهِ إِلى مَكَانٍ بَعِيْدٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَذْهَبُونَ بِهِ إِلى مَكةَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، وَيَعُودُوْنَ بِهِ فَيَعْتَقِدُ هَذَا كَرَامَةً، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَحُجَّ حَجَّ المُسْلِمِيْنَ لا أَحْرَمَ ولا لَبى وَلَا طَافَ بِالبَيْتِ وَلا بَيْنَ الصَّفَا والمَرْوَةِ وَمع أَنَّ هَذَا مِن أَعْظَم الضَّلال انتهى باختصار.

اللَّهُمَّ أَنْظُمْنَا فِي سِلْكِ حِزبِكَ المُفلِحِين، واجْعلنا مِنْ عبادِك المخلصين وآمِنَّا يومَ الفَزَعِ الأكبرِ يومَ الدِين، واحشُرْنا مَعَ الذين أنعمْتَ عليهم مِنَ النَبيين والصِّدِّيقينَ والشُهداء والصالحين وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«مَوْعِظَـــة»

«في التَّحْذِيْر عَن الانْهِمَاكِ في الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا وَشَهَواتِهَا»

عِبَادَ اللهِ إن مَن نَظَر إلى الدُّنْيَا بِعَيْنِ البَصِيْرةِ أَيْقَنَ أَنَّ نَعِيْمَهَا ابْتِلاءٌ، وَحَيَاتَهَا عَنَاءٌ وَعَيْشَهَا نكدٌ، وَصفَوهَا كَدَرٌ وَأَهلَهَا مِنْهَا عَلَى وَجَلٍ إما بِنِعْمَةٍ زائلةٍ، أَوْ بَلِيَّةٍ نَازِلَةٍ أَوْ مَنِيَّةٍ قَاضِيَةٍ.

مِسْكِيْنٌ مَن اطْمَأَنَّ وَرَضِيَ بِدَارٍ حَلَالُهَا حِسابٌ، وَحَرامُهَا عِقَابٌ، إن أَخَذَهُ مِن حَلَالٍ حُوْسِبَ عَلَيْهِ، وَإِنْ أَخَذَهُ مِن حَرَامٍ عُذِّبَ بِهِ، مَنْ اسْتَغْنَى فِي الدُّنْيَا فُتِنَ، وَمَن افْتَقَرَ فِيها حَزِنَ، مَن أَحَبَهَا أَذَلَّتْهُ، ومَن التَفَتَ إِليها وَنَظَرَهَا أَعْمَتْهُ.

شِعْرًا: «لَوْ كُنْتَ رَائِدَ قَوْمٍ ظَاعِنِيْنَ إلى ... دُنْيَاكَ هَذِي لَمَا أُلْفِيْتَ كَذَّابَا»
«لَقُلْتَ تِلْكَ بَلَاءٌ نَبْتُهَـا سَقَـمٌ ... وماؤُهَا العَذْبُ سُمٌ لِلْفَتَى ذَابَا»

وَكَمْ كُشِفَ لِلسَّامِعِينَ عَن حَقِيْقَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ لَهُمْ قِصرَ مُدَّتِهَا وانْقِضَاءَ لَذَتِهَا بِمَا يُضْرَبُ مِن الأَمْثَالِ الحِسِّيَةِ، قَالَ تَعَالى: ﴿اعْلَمُوا إِنَّمَا الحياةُ الدُّنْيَا لعبٌ وَلَهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بَيْنَكُم وتكاثرٌ في الأَموالِ والأولادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَراهُ مُصْفَراً ثم يَكُونُ حُطَاماً وفي الآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيْدٌ وَمَغفرةٌ مِن اللهِ وَرِضْوانٌ وما الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا متاعُ الغُرُور﴾.

قال بعضهم:

مَيَّـزْتُ بَيْـنَ جَمَالِهَـا وفِعَالِهَـا ... فإِذَا المَلاحَةُ بالْقَبَاحَةِ لَا تَفِـيْ
حلَفَتْ لَنَا أَنْ لَا تَخُوْنَ عُهُوْدَنَا ... فَكَأَنَّهَـا لَنَـا أَنْ لَا تَفِـيْ

آخر: أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَـا غَضَـارَةٌ أَيْكَـةٍ ... إِذَا اخْضَرَّ منها جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
هيَ الدَّارُ مَا الآمالُ إِلَّا فجائعٌ ... عَلَيْهَا وَمَا اللَّذَاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
فَكَمْ سَخِنَتْ بالأَمْسِ عَيْنٌ قريْرَةٌ ... وَقَرَّتْ عُيُوْنٌ دَمْعُهَا الآنَ سَاكِبُ
فلا تكْتَحِلْ عَيْنَاكَ مْنَهـا بعبرةٍ ... عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فإِنَّكَ ذَاهِبُ

آخر: لِلْمَوْتِ فيْنَا سِهامٌ غيْرُ مُخْطِئةٍ ... مَنْ فاتَهُ اليَوْمَ سَهْمٌ لَمْ يَفُتْهُ غدَا
مَا ضَرّ مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا وَغَدرَتَها ... أَنْ لا يُنَـافِسَ فِيْهَـا أَهْلَهَـا أَبَـدَا

آخر: لَحَى اللهُ ذي الدُّنْيَا مَراداً وَمَنْزِلاً ... فما أَغْدَرَ المثْوى وما أَوْبَأَ المَرْعَى
تَدَلَّلُ كَالحسْنَاء في حُسْنٍ وَجْهِهَا ... ولَكِنَّهَا في قُبْحِ أَفْعَالِهَـا أَفْعَـى
نَرَى أَنَّنَـا نَسْعَى لِخَيْـرٍ نَنَالُـهُ ... وَقَدْ وطِئَتْ أَقْدَامُنَا حَيَّةً تَسْعَى

«فَصْـــلٌ»

شَرَحَ لَنَا العَلِيْمُ الحَكِيْمُ في هَذِهِ الآيةِ المتقدمة حَالَ الدُّنْيَا الَّتِيْ إفْتَتَنَ النَّاسُ بِهَا الذينَ قَصُرَ نَظَرُهُم وَبَيَّنَ أَنَّهَا مِن مُحَقَّرَاتِ الأُمُوْرِ التي لا يَرْكَنُ إِلَيْهَا العُقَلاء فَضْلًا عَن الافْتِنَانِ بِهَا والانْهِمَاكِ في طَلَبِها وَقَتْلِ الوَقْتِ في تَحْصِيْلِهَا بأَنَّهَا لَعِب لا ثَمَرَةَ فِيه سِوَى التَّعَبِ، وَلَهْوٌ تَشْغَلُ صَاحِبَهَا وَتُلْهِيْهِ عَمَّا يَنْفَعُهُ في آخِرَتِه،

وَزِيْنَةً لاتُفِيْدُ المَفْتُونَ بِهَا شَرَفاً ذَاتِياً كَالمَلَابِسِ الجَمِيْلَةِ والمَرَاكِبِ البَهِيَّةِ والمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ الواسِعَةِ، وَتَفَاخُرٌ بالأَنْسَابِ والعِظَامِ البَالِيَةِ وَمُبَاهَاتٌ بِكَثْرَةِ الأَمْوَالِ والأَوْلَادِ وعِظَمِ الجَاهِ.

ثُمَّ أَشَارَ جَلَّ شَأْنُهُ إِلى أَنَّهَا مَعَ ذَلِكَ سَرِيْعَةُ الزَّوَالِ، قَرِيْبَةُ الاضْمِحْلالِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ رَاقَ الزُّرَّاعَ نَبَاتُهُ الناشِيءُ بِهِ، ثُمَّ يَهِيْجُ وَيَتَحَرَكُ وَيَنْمُو إِلى أقْصَى ما قَدَّرَهُ اللهُ لَهُ فَسَرَعَانَ مَا تَرَاهُ مُصْفَرَاً مُتَغَيِّراً ذَابِلًا بَعَدَمَا رَأَيْتَهُ أَخْضَرَ نَاضِراً، ثُمَّ يَصِيْرُ مِن اليُبْسِ هَشِيْماً مُتَكَسِّراً، فَفِيْهِ تَشْبِيْهُ جَمِيْعِ مَا فِي الدُّنْيَا مِن السِنِينِ الكَثِيْرَةِ بِمُدَّةِ نَبَاتِ غَيثٍ وَاحِدٍ يَفْنَى وَيَضْمَحِل وَيَتَلَاشَى فِي أَقَلَّ مِن سَنَةٍ.

إِشَارَةٍ إِلى سُرْعَةِ زَوَالِهَا وَقُرْبِ فَنَائِهَا، وَبَعْدَ مَا بَيَّنَ جَلَّ وَعَلا حَقَارَةَ الدُّنْيَا وَسُرْعَةَ زَوَالِهَا تَزْهِيْدَاً فِيْهَا، وَتَنْفِيراً وَتَحْذِيْراً مِن الانْهِمَاكِ في طَلَبِهَا أَشَارَ إِلى فَخَامَةِ شَأْنِ الآخِرَةِ وَفظَاعَة مَا فِيْهَا مِن الآلام وَعِظَمِ مَا فِيْهَا مِن اللَّذَاتِ تَرْهِيْباً مِن عَذَابِهَا الأليمِ، وَتَرْغيْباً فِي تَحْصِيْلِ النَّعِيْمِ المُقِيْمِ والعَيْشِ السَّلِيْمِ مِمَّا لَاعَيْن رَأَتْ وَلَا أُذنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ.

والناسُ فِيْهَا قِسْمَانِ فُطَنَاءُ قَدْ وَفَّقَهُم اللهُ فَعَلِمُوا أَنَّهَا ظِلٌّ زَائِلٌ وَنَعِيْمٌ حَائِل وَأَضْغَاثُ أَحْلَامٍ، بَلْ فَهِمُوا أَنَّهَا نِعَمَ فِي طَيِّهَا نِقمُم، وَعَرَفُوا أَنَّهَا حَيَاةٌ فَانِيَةٌ، وَأَنَّهَا مَعْبَرٌ وَطَرِيْقٌ إِلى الحَيَاةِ البَاقِيةِ، فَرَضُوا مِنهَا باليَسِيْرِ، وَقَنِعُوا مِنها بالقَلِيْلِ، فاسْتَرَاحَتْ قُلُوبُهم مِن هَمِّهَا وَأَحْزَانِهَا وَاسْتَرَاحَتْ أَبْدَانُهُم مِن نَصَبِهَا، وَعَنائِهَا، وَسَلِمَ لَهُم دِيْنُهُم، وَكَانُوا عِندَ اللهِ هُم المَحْمُوْدِين، فَلَمْ تَشْغَلْهُم دُنْيَاهُمْ عن طاعَةِ مَوْلاهُم.

جَعَلُوا النَّفَسَ الأَخِيْرَ وَمَا وَرَاءَهُ نَصْبَ أَعْيُنِهِم، وَتَدَبَرُوْا مَاذَا يَكُونُ مَصِيْرهُم، وَفكَّرُوا كَيْفَ يَخْرُجُونَ مِن الدُّنْيَا، وإِيْمَانُهُم سَالِمٌ لَهُم وَمَا الذي يَبْقَى مَعَهُم مِنْهَا فِي قُبُورِهِم، وَمَا الذي يَتْرُكُونَهُ لِأَعْدَائِهِم فِي الدُّنْيَا، وَمَن لايُغْنِيْهِم مِن اللهِ شَيْئاً ﴿يَوْمَ لَايَنْفَعُ مَالٌ ولا بَنُونَ﴾، ﴿يَوْمَ لايُغْنِي مَوْلاً عَن

مَوْلاً شَيْئاً﴾، ﴿يَوْمَ يَفِرُ المَرْءُ مِن أَخِيْهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيْهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيْه﴾ وَيَبْقى عليهم وبَالَ مَا جَمَعُوا وَمَا عَمَرُوا في غيرِ طَاعةِ الله.

أَدْرَكُوْا كُلَّ هَذَا فَتَأَهَّبُوا لِلسَّفَرِ الطَّوِيْلِ وَأَعَدُّوا الجَوَابَ للْحِسَابِ، وَقَدَّمُوا الزَّادَ لِلْمَعَادِ وَخَيْرُ الزادِ التَّقْوَى، فَطُوبَى لَهُم خافُوا فَآمِنُوا وَأَحْسَنُوا فَفَازُوا وأَفْلَحُوا وقال بَعْضُ العُلماء يَذُمُّ الدُّنْيَا وَيُحَذِّرُ عَنْهَا.

شِعْرا: وَلَم يَطْلُبْ عُلُوَّ القَدْرِ فِيْهَا ... وعِزَّ النَّفْسِ إلَّا كُلَّ طَاغِ
وإِنْ نَالَ النُفُوسَ مِن المَعَالِي ... فَلَيْسَ لِنَيْلِهَا طِيْبُ المَسَاغِ
إذَا بَلَغَ المُرَادَ عُلًا وعِزّاً ... تَوَلَّى واضْمَحَلَّ مَعَ البَلاغِ
كَقَصْرٍ قَدْ تَهَدَّمَ حَافَتَاهُ ... إذا صَارَ البِنَاءُ إِلَى الفَرَاغِ
أَقُولُ وَقَدْ رأَيْتُ مُلُوكَ عَصْرِي ... الا لَا يَبْغِيَنَّ المُلْكَ بَاغِ

آخر: هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلءِ فيها ... حَذَارِ حَذَارِ مِن بَطْشِي وفَتْكِي
فلا يَغْرُرْ كُمُوْامِنِّي ابْتِسَامٌ ... فَقَوْلِيْ مُضْحِكٌ والفِعْلُ مُبْكِيٌّ

آخر: أفٍّ من الدُّنْيَا وأسْبَابِهَا ... كَأَنَّهَا لِلْحُزْن مَخْلُوقَةْ
هُمُومُهَا مَا تَنْقَضِيْ سَاعَةً ... عن مَلِكٍ فِيْهَا ولا سُوْقَةْ

آخر: زَهِدْتُ في الخِلقِ طُراً بَعْدَ تَجْرِبَةً ... وَمَا عَلَيَّ بِزُهْدِي فِيْهِمُ دَرَكُ
إِنِي لَا عْجَبُ مِنْ قَومٍ يَقُودُهُمُوْا ... حِرْصٌ إلى بُرَّةٍ مُلْكاً لِمَنْ مَلَكُوا
أَوْ أَنْ يذِلُوا لمَخْلُوقٍ على طَمَعٍ ... وفي خَزائن رَبِّ العِزَّة إشْتَرَكوا
أمَا وَرَبك لَوْ دَانُوا بِمَعْرِفَةٍ ... لَقَدْ أصابُوْا بِهَا المَرْغُوْبَ لَوْ سَلَكُوا
مَن ذا تُمَدُّ إِلَيْهِ الكَفُّ في طَلَبِ ... بِمَا عَلَيْهَا وأَنْتَ المَالِكُ الْمَلِكُ

آخر: عَجِبْتُ لِمَخْلُوقٍ يبَالِغُ في الثَّنَا ... على بعْضِ خَلْقِ الله يَرْجُ الدَّرَاهِمَا
وَيَنْسَى الذِي منْهُ الغِنَى ولَهُ الثَّنَا ... وَيَأْمُرُ مَنْ يُعْطِيْ ويَمْنَعُ مَنْ يَشَا

آخر: إنَّ لله عِبَاداً فُطَنَا ... طَلَّقُوا الدُّنْيَا وخَافُوا الفِتَنَا
نَظَرُوْا فيها فَلمَّا عَلمُوا ... أنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيّ سَكَنَا

جَعَلُوهَــا لُجَّــةً واتَّخَــذُوا صَالِحَ الأعْمَــالِ فيها سُفُنَــا

آخر: دَعِ الحِــرْصَ على الدُّنْيَــا وفي العَــيْشِ فلا تَطْمَــعْ
ولا تَجْمَــعْ مِن المَــالِ فلا تَدْرِي لِمَــنْ تَجْمَــعْ
فإنَّ الــــرزقَ مَقْسُومٌ وسُوءُ الظَّــنِ لا يَنْفِــعْ
فَقِيْــــرٌ كُلُ ذِي حِرْصٍ غَنَــيٌ كُلُ مَنْ يَقْنَــعْ

آخر: لَا تَبخَلَنَّ بدُنْيَا وهْيَ مُقْبلَةٌ فَلَا يَضُرُّ بهَا التَّبْذِيْرُ والسَّرَفُ
وإنْ تولَّتْ فَأَحْرىَ أَنْ تَجُوْدَ بِهَا فَالشُكْرُ مِنْهَا إذَا مَا أدْبَرتْ خَلَفُ

آخر: إذا كُنْتَ ذَا مَالٍ وَلَمْ تَكُ ذا نَدَى فأنْتَ إذاً والمُقْتِرِيْــنَ سَوَاءُ

آخر: وَأَخْسَرُ الناسِ سَعْياً مَن قضَى عُمُراً في غَيْرِ طَاعَة مَنْ أَنْشَاهُ مِنْ عَدَمِ

آخر: لا تَغْتَــربْ عن وَطَــنٍ تَزْدَادُ فِيْــهِ مِنْ تُقَــيِ
رَبٍّ جَوَدٍ مَاجِــــدٍ مَا لُهْ شَرِيْكٌ يَا فَتَــــى
أَكْثِــرْ هُدِيْتَ ذِكْــرَهُ تَنَــلْ بِهِ الأَجْرَ الجَسِيْــمْ
يَوْمَ الــحِسَابِ والجَــزَا تَحْظَــى بِجَنَّــاتِ النَّعِيْــمْ

اللَّهُمَّ أَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الأبْرَارِ وَأَسْكِنَّا الجَنَّةَ دَارَ القَرَارِ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: والقِسْمُ الثاني مِن الناسِ جُهَّالٌ عُمْيُ البَصَائِرِ لَمْ يَنْظُرُوْا في أَمْرِهَا وَلَمْ يَكْشِفُوا سُوءَ حَالِهَا وَمَآلِهَا، بَرَزَتْ لَهُم بزِيْنَتِهَا فَفَتَنَتْهُمْ، فإلَيْهَا أَخْلَدُوْا، وَبِهَا رَضُوا، وَلَهَا اطْمَأَنُوا، حَتَّى أَلْهَتْهُم عن اللّٰهِ تعالى، وَشَغَلَتْهُم عن ذِكْرِ اللّٰهِ، وَطَاعَتِهِ، ﴿نَسُوا اللّٰهَ فأنْسَاهُم أَنْفسَهم أولَئِكَ هُمُ الفَاسِقون﴾.

قال تعالى: ﴿إنَّ الذِيْنَ لا يَرْجُونَا لِقَاءَنَا وَرَضُوا بالحَيَاةِ واطمأنُوا بِهَا والذيْنَ هُمْ عَن آياتِنَا غَافِلُون، أُولَئِكَ مَأْوَاهُم النارُ بِمَا كَانُوا يكْسِبُوْن﴾.

نَعَمْ إِنَّهُم نَسُوا اللهَ وَأَهْمَلُوا حُقُوْقَهُ وَمَا قَدَرُوْهُ حَقَّ قَدْرِهِ، ولم يُرَاعُوا لإِنْهِمَاكِهِم في الدُّنْيَا وَتَهَالُكِم عَلَيْهَا مَوَاجِبَ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيْهِ حَقَّ رِعَايَتِهَا، فأنْسَاهُم أَنْفُسَهُم أَنْسَاهُم مَصَالِحَهُمْ وَأَغْفَلَهُم عَن مَنَافِعِهَا وَفَوائِدِهَا فَصَارَ أَمْرُهُمْ فُرُطًا فَرَجَعُوا بِخَسَارَةِ الدَّارَيْنِ، وَغُبِنُوا غَبْناً لا يُمْكِنُ تَدَارُكُهُ ولا يُجْبَرُ كَسْرُهُ، وَسَيَرَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِن الأَهْوَالِ ما يُنْسِيْهِم أَرْوَاحَهُمْ، وَيَجْعَلَهُم حَيَارَى ذَاهِلِيْنَ يَوْمَ تَذْهَل كُلُ مُرْضِعَةٍ عن ما أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وتَرَى الناسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ولكن عَذَابَ اللهِ شَدِيْد.

وفي مِثْلِ هَذَا يَقُولُ أَحَدُ العُلَمَاءِ اجْتِهَادُكَ فِيْمَا ضُمِنَ لَكَ مَعَ تَقْصِيْرِكَ فِيمَا طُلِبَ مِنْكَ دَلِيْلٌ عَلَى انْطِمَاسِ بَصِيْرَتِكَ، أَقَامُوْا الدُّنْيَا فَهَدَمَتْهُم، واغْتَرُوْا بِهَا مِن دُوْنِ اللهِ فَأَذَلَّتْهُم، أَكْثَرُوْا فِيها مِن الآمَالِ وَأَحَبُوْا طُوْلَ الآجَالِ وَنَسُوا الموتَ وَمَا بَعْدَهُ مِن الشَّدَائِدِ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، قَالَ تَعَالى: ﴿قُلْ إِنَّ الخَاسِرِيْنَ الذين خَسِرُوا أَنْفُسَهُم وأهلِيْهِم يَوْمَ القِيَامَةِ ألا ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبين﴾.

شِعْرًا: إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ المَعَاصِيْ ... وَلَمْ تَسْتَحِيْ فاصنَعَ مَا تَشَاءُ
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوْعٍ ... فأَنْتَ وَمَالِكَ الدُّنْيَا سَوَاءُ

وَرَوَى التِرمِذِي مِن حَدِيْثِ أَنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كانتِ الآخرةُ هَمُّهُ جَعَل اللهُ غِنَاهُ في قَلْبِهِ وَجَمَعَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَأَتتِ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ.

وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمُّهُ جَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ ولم يَأْتِهِ مِن الدُّنْيَا إلا مَا قُدِّرَ لَهُ، فلا يُمْسِي إلا فَقِيْراً ولا يُصْبِحُ إِلَّا فَقِيْراً.

وما أَقْبَلَ عَبْدُ على اللهِ إلا جَعَلَ اللهُ قُلُوبَ المُؤْمِنِيْنَ تَنْقَادُ إِليهِ بالوِدِ والرَّحْمَةِ، وكان اللهُ بِكُلِ خَيْرٍ إليه أَسْرَع .. أهـ.

وقال في عِدَةِ الصَّابِرِيْن، وَقَدْ أَخْبَرَ ﷺ أَنَّهَا لَوْ سَاوَتْ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ

بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِراً مِنها شَرْبَةَ مَاءٍ، وأنَّهَا أَهْونُ على اللهِ مِن السَّخْلَةِ المَيتَةِ عَلَى أَهْلِهَا.

شِعْرا: عَجَباً لِأَمْنِكَ والحَيَاةُ قصِيْرَةٌ   وبِفَقْدِ إِلْفٍ لَاتَزَالُ تُرَوَّعُ
أَحْلَامُ لَلَيْلٍ أَوْ كَظِلٍ زَائِلٍ   إِنَّ اللَّبِيْبَ بِمِثْلِهَا لَايُخْدَعُ
فَتَزَوَّدَنَّ لِيَوْمِ فَقْرِكَ دَائِباً   أَلِغَيْرِ نَفْسِكَ لا أبالكَ تَجْمَعُ

وَأنّ مَثَلَهَا في الآخِرَةِ كَمَثَلِ مَا يَعْلَقُ بِأَصْبُعِ مَن أَدْخَلَ أَصْبُعَهُ في البَحْرِ وَأَنَّهَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ ما فِيها إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَلَاهُ، وعَالِمٌ وَمُتَعلِّمٌ وَأَنَّهَا سِجْنُ المؤمِن وَجَنَّةُ الكافرين.

وأَمَرَ العَبْدَ أَنْ يَكُونَ فِيها كَأَنَّه غَرِيْبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيْل وَيَعُدُّ نَفْسَهُ مِن أَهْلِ القُبُورِ وإذا أَصْبَحَ فَلَا يَنْتَظِرِ المَسَاءَ وإذا أَمسَى فلا يَنْتَظِر الصَّبَاحَ.

وَنَهى عَن اتّخَاذِ مَايُرَغِبُ فِيْهَا، وَلَعَنَ عَبْدَ الدِينَارِ وَعَبْدَ الدِرْهَمِ وَدَعَا عَلَيْهِ بالتَعسِ والانْتِكَاسِ وَعَدَمِ إِقَالَةِ العَثْرَةِ بالانتقَاشِ.

شِعْرا: خَلِيْلَيَّ إن المَالَ لَيْسَ بِنَافِعٍ   إِذَا لَمْ يكُنْ في طَاعَةِ اللهِ يُنْفَقُ
وَمَا خَاب بَيْنَ اللهِ والناسِ عَامِلٌ   لَهُ في التُّقَى أَوْفَى الْمَحَامِدِ سُوْقُ
ولاضَاق فَضْلُ اللهِ عن مُتَعَفِّفٍ   وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تضْيقُ

وَأَخْبَرَ أَنَّهَا خَضرَةٌ حُلْوَةٌ أَي تَأْخُذُ العُيُونَ بِخُظْرَتِهَا والقُلُوبَ بِحَلَاوَتِهَا، وَأَمَرَ باتِّقَائِهَا والحَذَرِ مِنها كما يُتَّقَى النِسَاءُ وَيُحْذَرُ مِنْهُنَّ وأَخْبَرَ أَنَّ الحِرْصَ عَلَيْهَا، وعلى الرِّيَاسَةِ والشَّرَفِ يُفْسِدُ الدَيْنَ.

وَأَخْبَرَ أنّه في الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تحتَ شَجَرَةٍ في يوم صَائِفٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا، وَهَذَا في الحَقِيقَةِ حَالُ سُكانِ الدُّنْيَا كُلِّهِمْ، وَلَكِنْ هُوَ ﷺ شَهِدَ هَذِهِ الحَالَ، وَعُمِيَ عنها بنو الدُّنْيَا.

وَمَرَّ بِهِمْ وَهُمْ يُعَالِجُونَ خُصَّالَهُمْ قَدْ وَهِيَ، فَقَالَ ما أَرَى الأَمْرَ إلا أَعْجَلَ

مِن ذَلِكَ، وَأمر بِسترٍ على بابِهِ فَنُزِعَ وقالَ إنَّه يُذَكرني الدُّنْيَا، وأَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُ لَيْسَ لأَحَدٍ مِنْهم حقٌّ في سِوى بيتٍ يَسكنُه، وَثَوْبٍ يُوارِى عَوْرَتَهَ وَقوتٍ يُقِيمُ صلبَهُ.

وَأَخْبَرَ أَنَّ الميتَ يتبعُهُ أَهلُهُ، ومالُهُ، وعَمَلُهُ فيرجعُ أَهْلُهُ ومالُهُ ويبقَى عَمَلُه، وكانَ يقولُ: الزُّهْدُ في الدُّنْيَا يُرِيحُ القلبَ والبَدَنَ، والرغبةُ في الدُّنْيَا تُطِيْلُ الهُمُومَ، والحزَنَ، وكانَ يقولُ مَنْ جَعَلَ الهُمُومَ كُلَّهَا هَمَّاً واحداً، كفاهُ اللهُ سَائِرَ هُمومِهِ، وَمَنْ تَشعَّبَتْ بِهِ الهُمُومُ في أَوْالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبالِ اللهُ في أيِ أَودِيَتِها هَلَكَ.

وَأَخْبَرَ أَنَّ بَذْلَ العَبدِ ما فَضَلَ عن حاجتِهِ خَيْرٌ لَهُ، وامسَاكُهُ شَرٌّ لَهُ وأَنهُ لا يُلَامُ على الكَفَافِ، وأَخْبَرَ أَنَّ عِبَادَ اللهِ لَيْسُوا بالمتنَعمِّيْنَ فِيْهَا فإنَّ أَمَامَهُمْ دَارَ النعيمِ فهمْ لا يَرْضُونَ بنَعِيْمِهِم في الدُّنْيَا عِوَضاً مِنْ ذَلِكَ النَعِيمِ.

«**نصَيْحَةٌ**»: إذا استَغْنَى الناسُ بالدُّنَيا، فَاسْتَغْنِ أَنْتَ باللهِ، وَإِذَا فُرِحُوْا بالدُّنْيَا، فِأَفْرَحْ أَنْتَ باللهِ، وإذا أُنِسُوا بأحْبَابِهِمْ فأجْعَلْ أنسكَ باللهِ، وإِذَا تَعرفُوا إلى كُبَرائِهِم لينالُوا بِهِمْ العِّزةَ والكَرامَةَ فَتَعَرَّفْ أَنْتَ إِلَى اللهِ، وتَوَدَّدُ إليه تَنَلْ بِذَلِكَ غَايةَ الْعِزِّ والرِّفْعَةِ وَلْكرامَةْ.

وفِي حَدِيْثِ مناجاةِ مُوسَى: ولا تُعجبَنَّكُمَا زَينته ولا مَا مُتِّعَ به ولا تَمُدَّانِ إلى ذَلِكَ أَعْيُنَكُمَا، فإِنَّهَا زهرةُ الدُّنْيَا، وزينةُ المترَفِيْنَ وَإِنِّي لَوْ شِئْتُ أَنْ أُزَيِّنَكُمَا مِن الدُّنْيَا بزينةٍ يَعْلَمُ فرعونُ حِيْنَ يَنظُر إليهَا أَنَّ مَقْدِرَتَهُ تَعْجَزُ عن مِثْلِ ما أَوْتِيْتُمَا فَعَلْتُ.

ولكنْ أَرْغَبُ بِكُمَا عن نَعِيْمِها ذَلِكَ، وَأَزْوِيهِ عَنْكُمَا، وَكَذَلِكَ أَفْعَل بِأَوْلِيَائِي، وقديماً ما أَخَّرْتُ لَهُم فِي ذَلِكَ فإِنِّي لأَذُودُهُمْ عَنْ نَعِيْمِهَا وَرَخَائِهَا كَمَا يَذُودُ الرّاعِي الشَّفِيْقُ غَنَمَهُ عن مَرَاعِي الهَلَكَةِ وإِنِّي لأَجنِّبُهُمْ سَلوَتَهَا،

وَعَيْشَها كما يَذُودُ الراعي الشفيق إبله عن مَبَارِكِ العِزَّةِ.

وَمَا ذَلِكَ لِهَوَانِهِمْ عَلَيَّ، وَلَكِنْ لِيَسْتَكْمِلُوا نصيبَهُمْ مِن كَرَامَتِي سَالماً مُوَفَّراً لم تَكلِمْهُ الدُّنْيَا وَلَمْ يُطْغِهِ الهَوَى.

واعْلَمْ أَنَّه لَمْ يَتَزَيَّنْ لِيَ العِبَادُ بِزِيْنَةٍ هِيَ أَبْلَغُ مِن الزُّهد في الدُّنْيَا فإِنَّهَا زِيْنَةُ المُتَّقِينَ عَلَيْهِم مِنْهَا لِباسٌ يُعْرَفُونَ بِهِ مِن السَّكينةِ، والخُشُوع سِيْمَاهم في وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السَّجودِ.

أُولَئِكَ أَوْلِيَائِي حَقاً فَإِذَا لَقِيْتُهِمْ فاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَذَلِّلْ لَهُم قَلبُكَ، وَلِسَانكَ، وَقَالَ الحَوارِيُّونَ ياعِيْسَى مَنْ أَوْلَياءُ اللهِ الذينَ لا خَوْفٌ عليْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنونَ؟

قالَ الذينَ نَظَروا إلى بَاطِن الدُّنْيَا، حينَ نَظَر النافُس إلى عَاجِلهَا فَأَمَاتُوا مِنْهَا ما يَخْشَونَ أَنْ يُمِيْتَهُمْ، وَتَركُوا ما عَلِمُوا أَنْ سَيَترُكَهُمْ، فَصَارَ استِكْثَارُهُمْ مِنْهَا استِقْلالًا، وَذِكْرُهم إيّاهَا فَوَاتاً، وما عَارَضَهم مِن رِفْعَتِها بغير الحقِّ وَضَعُوْهُ.

خَلُقَتْ الدُّنْيَا عندَهُم فَلَيْسُوا يُجَدِّدُونَهَا، وَخَرِبَتْ بَيْنَهُمْ فَلَيْسُوا يَعْمِرُونهَا، وماتَتْ في صُدُوْرِهم، فَلَيْسُوا يُحْيُونَها، يَهْدِمُونَها فَيَبْنُون بِهَا آخِرَتَهُم، وَيَبِيْعُونَها، فَيَشْتَرُونَ بِهَا ما يَبْقَى لَهُمْ.

رَفَضُوهَا فكانُوا بِهَا هُمْ الفَرِحِيْنَ، وَنَظَرُوْا إلى أَهْلِهَا صَرْعى قَدْ حَلَّتْ بِهِمْ المَثُلاتُ، فَأَحْيَوا ذِكرَ الموتِ وأَمَاتُوْا ذِكْرَ الحياةِ.

يُحِبّونَ لله، وَيُحِبّونَ ذِكْرَهُ، وَيَسْتَضِيْئُونَ بِنُوْرِهِ، وَيُضِيْئُونَ به لَهُمْ خَبَرٌ عَجِيْبٌ وَعِنَدَهُم الخَبَرُ العَجِيْبُ، بِهِمْ قَامَ الكتابُ، وَبِهِ قامُوا وَبِهِمْ نطَقَ الكتابُ، وَبِهِ نَطَقُوا، وَبِهِمْ عُلِمَ الكتابُ، وبِهِ عمِلُوا لَيْسُوا يَرونَ نائلاً مع ما نَالُوا، ولا أَمَاناً دُونَ ما يَرْجُونَ، ولا خَوْفاً دُونَ ما يَحْذَرُوْنَ.

وَقَالَ يَا بَني إِسْرَائِيلَ، اجْعَلُوا بُيُوتَكُم كَمَنَازِلِ الأَضْيَافِ فَمَا لَكُمْ في العَالَمِ مِنْ مَنْزِلٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلا عَابِري سَبِيْلٍ.

وَقَالَ يَا مَعْشَرَ الحَوارِيينَ أَيُّكُمْ يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَبْنِي فَوقَ مَوجِ البحر دَاراً، قَالوا يَا رُوحَ اللهِ مَنْ يَقدِرُ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ إِيَّاكُمْ والدُّنْيَا فَلا تَتَّخِذوهَا قَرَاراً.

وَقَال حلاوةُ الدُّنْيَا مَرارةُ الآخِرَةِ، وَمَرارةُ الدُّنْيَا، حَلَاوةُ الآخِرَةِ.

وَقَالَ يَا بَني إِسْرَائِيْلَ تَهَاوَنُوا بالدُّنْيَا، تَهُنْ عَلَيْكُمْ، وَأَهِيْنُوا الدُّنْيَا تَكْرُم عَلَيكُمْ الآخِرَة، ولا تُكْرِمُوا الدُّنْيَا، تَهُنْ عَلَيْكُمْ الآخِرَةِ، فإِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بأَهْلٍ لِلْكَرَامَةِ، وَكُلُّ يَوْمٍ تَدْعُوا إِلى الفِتْنَةِ والخَسَارَةِ.

قَالُوا وَقَدْ تَوَاتَرَ عَنْ السَّلَفِ أَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا رَأْسُ الخَطَايَا، وَأَصْلُهَا وَقِيْلَ إِنَّ عِيْسَى بْنَ مَرْيَمَ عَليهِ السَّلامُ قَالَ رَأْسُ الخَطِيئةِ حُبُّ الدُّنْيَا، والنِّسَاء حُبَالَةُ الشَّيْطَانِ، والخَمْرُ جِمَاعُ كُلِّ شَرٍّ.

شِعْرا: النَّارُ آخِرُ دِيْنَارٍ نَطَقْتَ بِهِ ... والهَمُّ آخِرُ هَذَا الدِّرهَم الْجَارِيْ
وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ وَرِعاً ... مُعَذبُ القَلْبِ بَيْنَ الْهَمِّ وَالنَّارِ

شِعْرَا: قال الإمام الشافعي رحمه الله:

خَبَتْ نَارُ نَفْسِي باشْتِعَالِ مَفَارِقِي ... وَأَظْلَمَ لَيْلِي إِذْ أَضَاءَ شِهَابُهَا
أَيَا بُوْمَةً قَدْ عَشَّشَتْ فَوْقَ هَامَتي ... عَلَى الرَّغْمِ مِنّي حِيْنَ طَارَ غُرَابُهَا
رَأَيْتِ خَرَابَ العُمْرِ مِنّي فَزُرْتِنِي ... وَمَأْوَاكِ مِنْ كلِ الدِّيَارِ خَرَابُهَا
أَأَنْعَم عَيْشاً بَعْدَ مَا حَلَّ عَارِضِيْ ... طَلَائِعُ شَيْبٍ لَيْسَ يُغْنِي خِضَابُهَا
إِذَا اصْفَرَ لَوْنُ المَرْءِ وابْيَضَّ شَعْرُهُ ... تَنَغَّصَ مِنْ أَيَامِهِ مُسْتَطَابُهَا
وَعِزَةُ عُمْرِ المَرْءِ قَبْلَ مَشِيْبِهِ ... وَقَدْ فَنِيَتْ نَفسٌ تَوَلّى شَبَابُهَا
فَدَعْ عَنْكَ سَوْآتِ الأُمورِ فإِنَّهَا ... حَرَامٌ على نَفْسِ التَّقِي ارْتِكابُهَا
وَأَدِّ زَكَاةَ الجَاهِ واعْلَمْ بِأَنَّهَا ... كَمِثْلِ زَكَاةِ المَالِ تَمَّ نِصَابُهَا

وَأَحْسِنْ إلى الأحْرارِ تَمْلِكْ رِقابَهُمْ
فَخَيْرُ تِجَارَاتِ الرِّجَالِ اكْتِسَابُها

وَلَا تَمْشِيَن في مَنْكِبِ الأَرْضِ فَاخِراً
فَعَمَّا قَليلٍ يَحْتَوِيْكَ تُرَابُهَا

وَمَنْ يَذُقِ الدُّنْيَا فَإنّي طَعمتُهَا
وَسِيْقَ إِليْنَا عَذْبُهَا وَعَذَابُهَا

فَلم أَرَهَا إِلَّا غُرُوراً وَبَاطِلاً
كَمَا لَاحَ في ظَهْرِ الفَلاةِ سَرَابُهَا

وَمَا هِيَ إِلَّا جِيْفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ
عَلَيْهَا كِلَابٌ هَمُّهُنَّ اجْتِذَابُهَا

فإنْ تَجْتَنِبْها كُنْتَ سِلْمَاً لأَهْلِهَا
وإِنْ تَجْتَذِبْهَا نَازَعَتْكَ كِلَابُهَا

إذا انْسَدَ بابٌ عَنْكَ مِنْ دُونِ حَاجَةٍ
فَدَعْهَا لِأُخْرَى يَنْفَتِحْ لَكَ بَابُهَا

فإنَّ قُرَابَ البَطْنِ يَكْفِيْكَ مِلؤُهُ
وَيَكْفِيكَ سَوآتِ الأُمورِ اجْتِنَابُها

فَطُوبي لِنَفسٍ أَوْطَنَتْ قَعْرَ بَيْتِهَا
مُغلَقَةَ الأبوابِ مُرْخىً حِجَابُهَا

فَيَا رَبِّ هَبْ لِي تَوْبةً قَبْل مَهْلَكٍ
أُبادِرُهَا مِنْ قَبْلِ إِغْلاقِ بَابِهَا

فَمَا تَخْرَبُ الدُّنْيَا بِموتِ شِرَارِهَا
وَلَكِنْ بِمَوْتِ الأكْرمِيْنَ خَرَابُهَا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثّابِتِ في الحياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، اللَّهُمَّ وَأَيِّدْنَا بِنَصْرِكَ وَأَرْزِقْنَا مِن فَضلِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ، اللَّهُمَّ اسْلكْ بنَا مَسْلَكَ الصَّادِقِينَ الأَبْرَارْ، وَالْحِقْنَا بِعَبادِكَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَار، وَآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارْ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْـــلٌ»

وَعَنْ سُفْيانَ قَالَ كَانَ عِيسَى بْنُ مَرْيمَ يقولُ حُبُّ الدُّنْيَا أَصْلُ كُلِّ خَطيئةٍ والمالُ فيهِ داءٌ كثيرٌ، قَالُوا وَمَا دَاؤُهُ قَالَ لا يَسْلَمُ مِن الفَخْرِ والخُيَلاءِ، قالوا فَإِنْ سَلِمَ، قَالَ يَشْغَلُه إصْلاحُهُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالُوا وَذَلِكَ مَعْلُومٌ بالتَّجْرِبَةِ والمُشَاهَدَةِ، فإنَّ حُبَّهَا يَدْعُوا إلى خَطِيئةٍ ظَاهِرةٍ وبَاطِنَةٍ، ولا سِيَّمَا خَطيئةٌ يَتوقّفُ تَحْصِيْلُهَا عَلَيْها، فَيُسْكِرُ عَاشِقَهَا حُبُّهَا

عَن عِلْمِهِ بِتِلْكَ الخَطِيئةِ، وَقُبْحِهَا وعن كَرَاهَتِهَا واجْتِنَابِها.

وَحُبُّهَا يُوْقِعُ في الشُّبُهَاتِ، ثُمَّ في المَكْرُوهَاتِ، ثُمَّ في المُحَرَّمَاتِ، وَطَالَمَا أَوْقَعَ في الكُفْرِ، بَلْ جَمِيْعُ الأَمَمِ المُكَذِّبَةِ لأنبيائِهِمْ إنما حَمَلَهُمْ على كُفْرِهِمْ وَهَلاكِهِمْ حُبُ الدُّنْيَا، فإنَّ الرسل لِمَا نَهَوْهُمْ عَنْ الشِّرْكِ والمَعَاصِي التي كَانُوا يكْتَسِبُونَ بِهَا الدُّنْيَا، حَمَلَهُمْ حُبُّهَا عَلَى مُخَالَفَتِهِم وَتَكْذِيبِهِمْ.

فكلُّ خَطِيئَةٍ في العَالَمِ أَصْلُها حُبُّ الدُّنْيَا، ولا تَنْسَ خَطِيْئَةَ الأَبَوَيْنِ قَدِيْماً، فإنَّمَا كَانَ سَبَبُهَا حُبُّ الخُلُودِ في الدُّنْيَا، وَلَا تَنْسَ ذَنْبَ ابْلِيْسَ وَسَبَبُهُ حُبُّ الرِّيَاسَةِ، التي مَحَبَّتُهَا شَرٌّ مِنْ مَحبّةِ الدُّنْيَا.

وَبِسَبَبِهَا كَفَر فِرْعَونُ وَهَامَانُ وَجنودُهُمَا، وَأَبُو جَهْلٍ وَقَوْمُهُ، واليَهُودُ، فَحُبُّ الدُّنْيَا والرِّيَاسَةُ هو الذي عَمَرَ النَّارَ بِأَهْلِهَا.

والزُّهْدُ في الدُّنْيَا والزُّهْدُ في الرِّيَاسَةِ هُوَ الَّذِي عَمَر الجَنَّةَ بِأَهْلِهَا.

والسُّكْرُ بِحُبّ الدُّنْيَا أَعْظَمُ مِن السُّكْر بِشُرْبِ الخَمْرِ بِكَثِرٍ، وَصَاحِبُ هَذَا السُّكْر لَا يُفِيقُ مِنْهُ، إلا في ظُلْمَةِ اللَّحْدِ، وَلَوْ انكشَفَ عَنْهُ غِطاؤُهُ في الدُّنْيَا لَعِلَمَ مَا كَانَ فيهِ مِنَ السُّكْرِ، وأَنَّهُ أَشَدُّ مِن سُكْرِ الخَمْرِ والدُّنْيَا تَسْحَرُ العُقُولَ أَعْظَم سِحْرٍ.

قَالَ الامامُ أَحْمَدُ حدثنا سَيّارُ حَدثَنَا جَعْفَرٌ قالَ سَمِعْتُ مالَك ابنَ دِينارٍ يقولُ اتقوا السَّحَارَةَ، اتَّقُوا السَّحَارَةَ، فأَنَّهَا تَسْحَرُ قُلُوبَ العُلَمَاءِ.

شِعْرًا: أَهْلُ المناصِب في الدُّنْيَا وَرِفْعَتِهَا ... أَهْلِ الفَضَائِلِ مَرْذُوْلُوْنَ عِنْدَهُمُ
قَدْ أَنْزَلُونَ لِأَنَّا غَيْـرَ جِنْسِهِـمُ ... مَنَازِلَ الوَحْشِ في الإِهمالِ بَيْنَهُمُ
فما لَهُمْ في تَوَقِيْ ضُرِّنَـا نَظَـرٌ ... وَمَا لَهُمْ في تَرَقِّيْ قَدْرِنَا هِمَمُ
فلَيْتنَـا لَوْ قدِرْنَـا أَنْ نُعَرّفَهُــمْ ... مِقْدَارَهُمْ عِنْدَنا أَوْ لَوْ دَرَوْهُ هُمُوْا
لَهُمْ مُرِيْحَانِ مِنْ جَهْلٍ وفَرْطِ غِنَى ... وعِنْدَنَا النَّافِعَانِ العِلْـمُ والْهِمَـمُ

آخر: رَأَيْتُ النــاسُ قَدْ مَالُــوْا   إلــى مَنْ عِنْــدَهُ مَالُ
وَمَــنَ لا عِنْــدِهُ مَالُ   فَعَنْــهُ النــاسُ قَدْ مالُــوْا

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«**فَصْلٌ**»: وَأَقَلُّ مَا في حُبِّهَا أَنَّهُ يُلْهِي عن حُبِّ الله، وَذِكْرِهِ، وَمَنْ أَلْهَاهُ مَالُهُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ فَهُوَ مِن الخَاسِرِيْنَ، قَالُوا وإِنَّمَا كَانَ حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ الخَطَايَا وَمُفسِداً لِلدِّيْن مِنْ وُجُوهٍ، أَحَدُهَا: أَنَّهُ يَقْتَضِيْ تَعْظِيْمَهَا وهِيَ حَقِيرةٌ عِنْدَ الله.

وَمِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ تَعْظِيمُ مَا حَقَّرُهُ اللهُ، وَثَانِيْهَا: أَنَّ اللهَ لَعَنَهَا، وَمَقَتَها، وأَبغَضَهَا إِلَّا مَا كَانَ لَهُ فِيْها، وَمَنْ أَحَبَّ ما لَعَنَهُ اللهُ، وَمَقَتَهُ وَأَبْغَضَهُ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْفِتْنَةِ، وَمَقْتِهِ وَغَضَبِهِ.

وثالِثُهَا: أَنَّهُ إِذا أَحَبَّهَا صَيَّرَهَا غَايَتَهَ، وَتَوَسَّلَ إِليهَا بالأَعْمَالِ التي جَعَلَهَا اللهُ وَسَائِلَ أَلَيْهِ، وَإِلىَ الدَّارِ الآخِرَةِ، فَعَكَسَ الأَمْرَ وَقَلَبَ الحِكْمَةَ فَانْتَكَسَ قَلْبُهُ، وَانْعَكَسَ سَيْرُهُ إِلَى وَرَاءَ.

فَهَاهُنا أَمْرانِ: أَحَدُهُمَا جَعْلُ الوَسِيلةِ غَايَةً، والثّانِي التَّوَسَّل بأَعْمَالِ الآخِرَةِ إِلىَ الدُّنْيَا، وَهَذَا شَرٌّ مَعْكوسٌ مِن كُلِّ وَجْهٍ، وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ غايةَ الانتِكَاس.

وَهَذَا هُوَ الذِي يَنْطَبِقُ عليه حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ قَولُهُ تَعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيْدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِيْنَتِهَا نُوَفِّ إِلَيْهِم أَعْمَالَهُمْ فِيْهَا وَهُمْ فِيْهَا لَا يُبْخَسُونَ أُوْلَئِكَ الذِيْنَ لَيْسَ لَهُمْ في الآخِرَةِ إِلَّا النارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيْهَا وَبَاطِلٌ ما كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وَقَولُه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيْدُ العَاجِلةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهم جَهَنَّمَ يَصْلَاها مَذْمُوْماً مَدْحوراً﴾، وَقَولُه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ

الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ في حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ وَمَا لَهُ في الآخِرَةِ مِنْ نَصِيْبٍ﴾.

شِعْرًا: أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا لَنَا عِبْرَة ... فالحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ
قَدْ أَجْمَعَ النَاسُ عَلَى ذَمِّهَا ... وَمَا أَرَى مِنْهُمْ لَهَا تَارِكَا

آخر: وفي النَّفسِ حَاجَاتٌ وَفِي المالِ القِلَّةٌ ... ولَنْ يَقْضِيَ الحَاجَاتِ إِلَّا المُهَيْمنُ

فهذه ثلاثُ آياتٍ يُشبِهُ بعضُها بَعْضاً، وَتَدُلُّ عَلَى معنىً واحِدٍ، وَهُوَ أَنَّ مَن أَرَادَ بعَمَلِهِ الدُّنْيَا وَزِيْنَتَهَا دُونَ اللهِ والدّارِ الآخِرَةِ، فَحظُّهُ مَا أَرَادَ، وَهُوَ نَصِيْبُهُ، لَيْسَ لَهُ نَصِيْبٌ غَيْرُهُ.

وَالأَحَادِيْثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُطابِقَةٌ لِذَلِكَ مُفَسِّرَةٌ لَهُ، كَحَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الثَلاثَةِ الذينَ هُمْ أَوَّلُ مَن تُسعَرُ بِهِمْ النارُ، الغازِي والمتصدِّقُ، والقارِيءُ الذينَ أَرَادُوا بِذَلِكَ الدُّنْيَا والنّصِيْبَ وَهُوَ في صَحِيْحِ مُسْلِمٍ.

شِعْرًا: وَمَا تَحْسُنُ الدُّنْيَا إِذَا هِيَ لَمْ تُعِنْ ... بآخِرَةٍ حَسْنَاءَ يَبْقَى نَعِيْمُهَا

آخر: غَداً تُوفَّى النفُوسُ مَا كَسَبَت ... وَيَحْصُدُ الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوْا
إِنْ أَحْسَنُوا أَحْسَنُوْا لِأَنْفُسِهِمْ ... وإنْ أَسَاؤوا فَبِئس مَا صَنَعُوْا

فالعاقل من استعمل الدنيا في طاعة الله وجَعَلَهَا مَطِيَّةً لِلآخِرَةْ.

شِعْرًا: لِمَنْ تَطْلُبِ الدُّنْيَا لَمْ تُرِدْ بِهَا ... رِضَا المَلِكِ القُدوسِ رَبِّ البَرِيَّةِ

وفي سُنَنِ النَّسَائِي عن أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ رجُلٌ إلى النّبي ﷺ، فَقَالَ يَارَسُوْلَ الله: رجلٌ غزا يلتمس الأجر والذكر، ماله فقال رسول الله ﷺ لا شيء لَهُ: فَأَعَادَهَا ثَلاثَ مَراتٍ يَقُوْلُ لَهُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: لا شَيْءَ لَهُ ثمَّ قَالَ إِنَّ الله تَعَالَىٰ لَايَقْبَلُ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًّا وابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ.

فَهَذَا قَدْ بَطَلَ أَجْرُه وَحَبِطَ عَمَلُه مَعَ أَنَّه قَصَدَ حُصُولَ الأَجْرِ لَمَّا ضَمَّ إِلَيْهِ

قَصْدَ الذِكرِ بَيْنَ الناسِ فَلَمْ يُخْلِصَ عَمَلَهُ فَبَطلَ كُلُّهُ، قَالَ وَرَابِعُهَا: أَنَّ مَحَبَّتهَا تَعْتَرِضُ بَيْنَ العَبْدِ، وَبَيْنَ فِعْلِ مَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ فِي الآخِرَةِ، لاشْتِغَالِهِ عَنْهُ بِمَحْبُوبِهِ والنَاسُ هَاهُنَا مَرَاتِبٌ.

فمنهُمْ مَنْ يَشْغَلُهُ مَحْبُوبُه عن الإيمانِ، وَشَرَائِعِهِ.

ومِنْهُمْ مَن يَشْغَلُه عن الوَاجِبَاتِ التي تَجِبُ عَلَيه لِلَّهِ وَلِخَلْقِهِ فلايَقُومُ بِهَا ظَاهِراً ولا بَاطِناً.

ومِنْهُمْ مَن يَشْغَلُهُ حُبُهَا عَنْ كَثيرٍ مِن الوَاجِبَاتِ.

وَمِنْهُمْ مَن يَشْغَلُه عن وَاجِبٍ يُعَارِضُ تَحْصِيْلَهَا وإن قَامَ بِغَيْرِهِ.

وَمِنْهُمْ مَن يَشْغَلُهُ عن القيامِ بالواجِبِ في الوَقْتِ الذي يَنْبَغِي عَلَى الوَجْه الذي يَنْبَغِي فَيُفَرّطُ فِي وَقْتِهِ، وفي حُقُوقِهِ.

وَمِنْهُمْ مَن يَشْغَلُهُ عن عُبُودِيَّةِ قَلْبِهِ فِي الوَاجب، وَتَفْرِيْغِهِ لِلَّهِ عِنْدَ أَدَائِهِ، فَيُؤَدِّيْهِ ظَاهِرَاً لَا بَاطِنَاً، وَأَيْنَ هَذَا مِن عُشَّاقِ الدُّنّيَا وَمُحِبِّيْهَا هَذَا مِنْ أَنْدَرِهِمْ، وَأَقَلُّ دَرَجاتِ حُبّهَا أَنْ يُشْغِلَ عن سَعَادَةِ العِبْدِ وَهُوَ تفريغُ القَلْبِ لِحُبِّ اللهِ، وَلِسَانِهِ لِذِكْرِهِ وَجَمْعِ قَلْبِهِ على لِسَانِهِ وَجَمْعِ لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ عَلى رَبِّهِ، فَعِشْقُهَا وَمَحَبَّتُهَا تُضِرُّ بِالآخِرَةِ، وَلَابُدَّ، كَمَا أَنَ مَحَبَّةَ الآخِرَةِ تُضِرَّ بالدُّنْيَا.

وَخَامِسُهَا: أَنَّ مَحَبَّتَهَا تَجْعَلُهَا أَكْثَرَ هَم العَبْدِ.

وَسَادِسُهَا: أَنَّ مُحِبَّها أَشُدُّ الناسِ عذاباً بِهَا، وَهُوَ مُعَذَّبٌ فِي دُوْرِهِ الثلاثِ، يُعذَّبُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْصِيْلِهَا، وفي السَّعْيِ فِيْهَا وَمُنَازَعَةِ أَهْلِهَا وفي دَارِ البَرْزَخِ أَي فِي القَبْرِ بِفَوَاتِهَا، والحَسْرَةِ عَلَيْهَا، وَكَوْنِهِ قَدْ حِيْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوْبِهِ على وَجْهٍ لَايَرْجُو اجتماعَهُ بِهِ أَبَداً وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ هُنَاكَ محبوبٌ يُعَوّضُهُ عَنْهُ.

فَهَذَا أَشَدُّ الناسِ عَذَاباً في قَبْرِهِ، يَعْمَلُ الهمُّ، والغَمُّ، والحَزَنُ والحَسْرَةُ، في رُوْحِهِ ماتَعْمَلُ الدِيْدَانُ وَهَوَامُّ الأرضِ في جِسْمِهِ.

وَسَابِعُهَا: أَنَّ عَاشِقَهَا وَمُحِبَّهَا الَّذِي يُؤْثِرُهَا عَلى الآخِرَةِ مِن أَسْفَهِ الخَلقِ وَأَقِلِّهِمْ عَقْلًا، إذْ آثَرَ الخَيَالَ عَلَى الحَقِيْقَةِ، والمَنامَ على اليَقَظَةِ والظِلَّ الزائِلَ على النَّعِيْمِ الدَّائِمِ والدّارَ الفانِيَة على الدارِ الباقِيَةِ إنَّ اللَّبِيْبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ.

ثُمَّ عقَدَ فَصْلاً وَذَكَرَ فِيْهِ أَمْثِلَةً تُبَيِّنُ حقيقةَ الدُّنْيَا: المثالُ الأَوُلُ: للعبدِ ثَلَاثَةُ أَحْوالٍ، حَالَةٌ لَمْ يَكُنْ فِيْهَا شَيئاً، وَهِيَ مَا قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ، وحالةٌ أُخْرَى وهِيَ مِن سَاعة موتِهِ، إلى مَا لَا نِهَايَة لَهُ في البَقَاءِ السَّرْمَدِي فَلِنَفْسِهِ وجودٌ بَعدَ خُرُوجِهَا مِنَ البَدَنِ، إمَّا في الجَنَّةِ وإِمَّا في النَّارِ.

ثُمَّ تُعَاد إلى بَدَنِهِ، فَيُجازَىٰ بعَمَلِهِ، ويَسْكُنُ إِحْدَى الدَّارَيْن في خُلُودٍ دائِمٍ بَيْنَ هَاتَيْنِ الحَالَتَيْنِ وَهِيَ مَا بَعْدَ وجُودِهِ وَمَا قَبْلَ مَوْتِهِ حَالَةٌ مُتوسِّطَةٌ، وَهِيَ أَيَّامُ حَيَاتِهِ فَلْيَنْظُرْ إلى مِقْدَارِ زَمانِهَا، وَيَنْسِبه إلى الحَالَتَين، يَعْلَمُ أنه أَقَلُّ مِن طَرفَةِ عَيْنٍ في مِقْدَارِ عُمُرِ الدُّنْيَا.

وَمَنْ رَأَى الدُّنْيَا بِهَذِهِ العَيْنِ لَم يَرْكنْ إِلَيْهَا، وَلَمْ يُبَالِ كَيْفَ تَقَضَّتْ أَيَّامُهُ فِيْهَا في ضُرٍّ وَضِيْق أَوْ فِي سَعَةٍ وَرَفَاهِيَّةٍ وَلَهَذَا لَمْ يَضَعْ النَّبِيُ ﷺ لَبنَةً على لَبِنَةٍ ولا قَصَبَةً على قَصَبَةٍ، وقال مَا لِي وَلِلْدُّنْيَا، إنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ قَالَ في ظِلِّ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا.

وإلى هَذَا أَشَارَ المسيحُ بِقَوْلِهِ عليهِ السلامُ «الدُّنْيَا قَنطَرَةٌ فاعْبُرُوهَا ولا تَعْمِرُوهَا»، وَهَذَا مَثَلٌ صَحِيْحٌ فإِنَّ الحَيَاة مَعْبَرٌ إلى الآخِرَةِ، والمَهْدُ هُوَ الرُّكْنُ الأَوَّل، عَلَى أَوَّلِ القَنطَرةِ، واللَّحْدُ هو الرُّكْنُ الثانِي عَلَى آخِرِهَا.

وَمِنَ الناسِ من قَطَعَ نِصفَ القَنْطَرَةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَطَعَ ثُلُثَيْها، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَبْقَ لَهُ إِلَّا خُطْوةً واحدة، وهو

غافلٌ عنهَا وكيْفَمَا كانَ فلابُدَّ مِن العُبُورِ، فَمَنْ وَقَفَ يَبْنِي على القَنْطَرةِ، وَيُزَيّنُهَا بأَصْنافِ الزينَةِ، وَهُوَ يُسْتَحَثُّ على العُبُورِ فَهُوَ في غايةِ الجَهْلِ والحُمْقِ. المِثَالُ الثاني: شَهَوَاتُ الدُّنْيَا في القَلْبِ كَشَهَواتِ الأَطْعِمَةِ في المَعِدَةِ، وسوفَ يَجِدُ العبدُ عندَ الموتِ لِشَهَواتِ الدُّنْيَا في قَلْبِهِ مِن الكَرَاهَةِ والنَّتَنِ والقُبْحِ ما يَجِدُه لِلأَطْعِمَةِ اللَّذِيْذَةِ إِذَا انْتَهَتْ في المَعِدَةِ، غَايَتُها، وكمَا أَنَّ الأَطْعِمَةِ كُلَّمَا كانَتْ أَلَذَّ طَعْمَاً وأكْثَرَ دَسَماً وَأَكْثَرَ حلاوةً كانَ رجيْعُهَا أَقْذَرُ، فكذَلِكَ كُلُّ شهوةٍ كانَتْ في النَّفْسِ أَلَذُّ وَأَقْوَى فالتَّأَذِي بِهَا عندَ المَوْتِ أَشَدُّ، كَمَا أَنَّ تَفَجُّعَ الإنسانِ بِمَحْبُوبِهِ إِذَا فَقَدَهُ يَقْوَى بِقَدْرِ مَحَبَّةِ المَحْبُوبِ.

شِعْرا: طَالِبُ الدُّنْيَا بِحِرصٍ وَعَجْلِ إِنَّمَا الدُّنْيَا كَظِلٍّ مُنْتَقِلْ
نَحْنُ فِيْهَا مِثْلُ رَكْبٍ نَازِلٍ لِمَقِيْلٍ كُلَّمَا حَلَّ ارْتَحَلْ

شِعْراً: قال بعضُهُمْ يُخَاطِبُ نَفْسَهُ:

إِلَى مَ أَرَى ياقَلْبُ مِنْكَ التَّرَاخِيَا وَقَدْ حَلَّ وَخْطُ الشَّيْبِ بالرَّأْسِ ثَاوِيَا
وأَخْبَرَ عن قُرْبِ الرَّحِيلِ نَصِيْحَةً فَدونَكَ طَاعَاتٍ وَخَلِّ المَسَاوِيَا
وَعُضَّ عَلَى مَا فَاتَ مِنْكَ أَنَامِلًا وَفَجِّرْ مِنَ العَيْنِ الدُّمُوعَ الهَوَامِيَا
فَكَمْ مَرَّةٍ وَافَقْتَ نَفساً مَرِيْدَةً فَقَدْ حَمَّلَتْ شَراً عليكَ الرَّوَاسِيَا
وَكَمْ مَرةٍ أَحْدَثتَ بِدْعاً لِشَهْوَةٍ وَغَادَرْتَ هَدْياً مُسْتَقِيْماً تَوَانِيَا
وَكَمْ مَرَّةٍ أَمْرَ الإِلٰه نَبَذْتَهُ وَطَاوَعْتَ شَيْطَاناً عَدُوّاً مُدَاجِيَا
وَكَمْ مَرَّةٍ قَدْ خُضْتَ بَحْرَ غِوَايَةٍ وَأَسْخَطْتَ رَباً باكْتِسَابِ المَعَاصِيَا
وَكَمْ مَرَّةً بِرَّ الإِلٰهِ غَمَصْتَهُ وَقَدْ صِرْتَ فِي كُفْرانِهِ مُتمَادِيَا
وَلَازِلْتَ بالدُّنْيَا حَرِيْصاً وَمُوْلَعاً وَقَدْ كُنْتَ عن يَوْمِ القِيَامَةِ سَاهِيَا
فَمَا لَكَ فِي بَيْتِ البِلَا إِذْ نَزَلْتَهُ عَنِ الأَهْلِ والأَحْبَابِ والمَالِ نَائِيَا
فَتُسْأَلُ عن رَبٍّ وَدِيْنِ مُحَمَّدٍ فإِنْ قُلْتَ هَاهٍ فادْرِ أَنْ كُنْتَ هَاوِيَا
وَيَأْتِيْكَ مِن نارِ سَمُوم أَلِيْمَة وَتُبْصُرُ فِيْهَا عَقْرباً وَأَفَاعِيَا

ويالَيْتَ شِعْرِيْ كَيْفَ حَالُكَ إِذْ نُصِبْ صِرَاطٌ ومِيْزَانٌ يُبِينُ المَطَاوِيَا
فَمَنْ ناقشَ الرَّحْمَنُ نُوْقِشَ بَتَّةً وَأُلْقِيَ في نَارٍ وإِنْ كَانَ وَالِيَا
هُنَالِكَ لا تَجْزِيْهِ نَفْسٌ عن الرَدَى فَكُلُ امْرِىءٍ في غَمِّهِ كانَ جَاثِيَا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قلوبَنَا على دِيْنِكَ وأَلْهِمْنَا ذكرَكَ وشُكْرَكَ واخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ وَاغْفِرْ لَنَا ولوالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوبَةَ وَدوامَها، وَنَعُوذُ بِكَ مِن المَعْصِيَةِ وَأَسْبَابِهَا، اللَّهُمَّ أَفِضْ علينَا مِن بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِكَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا على السَّلامَةِ مِنْ وَبَالِهَا وَارْأُفْ بِنَا رَأْفَةَ الحَبِيْبِ بِحَبِيْبِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَنُزُولِها، وَارْحَمْنا مِن هُمُومِ الدُّنْيَا وَغُمومِها بالرَّوْحِ والرَّيْحانِ إِلى الجَنَّةِ وَنَعِيْمِها، وَمَتِّعْنَا بالنَّظَرِ إِلى وَجْهِكَ الكريمِ في جَنَّاتِ النَّعِيمِ مَعَ الذين أَنْعَمْتَ عليهم من النبيينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهَدَاءِ والصَّالِحِيْنَ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

المثالُ الثَّالثُ: لَهَا ولأَهْلِهَا في اشتِغالِهِمْ بنعِيْمِهَا عَن الآخِرَةِ وما يُعْقِبُهُمْ مِن الحَسَراتِ مَثَلُ أَهْلِ الدُّنْيَا في غَفْلَتِهِمْ مَثَلُ قَوْمٍ رَكِبُوا سَفِيْنَةً فَانْتَهَتْ بِهِمْ إِلى جَزِيْرَةٍ فَأَمَرَهُمْ الملاحُ بالخُروجِ لِقَضَاءِ الحَاجَةِ وَحَذَّرَهُمْ الابْطَاءَ، وَخَوَّفَهمْ مُرُوْرَ السَّفِيْنَةِ.

فَتَفرقُوا في نَواحِي الجَزيرةِ، فَقَضَى بعْضُهم حاجَتَه وَبَادَرَ إِلى السفينةِ فَصَادَفَ المكانَ خالياً، فَأَخَذَ أَوْسَعَ الأَمَاكِنِ وَأَلْيَنَهَا.

ووقَفَ بَعضُهم في الجَزيرةِ، يَنْظُرُ إِلى أَزْهَارِهَا وَأَنْوَارِهَا العَجِيْبَةِ وَيَسْمَعُ نَغَمَاتِ طُيُورِهَا، وَيُعْجِبُهُ حُسْنُ أَحْجَارِهَا، ثُمَّ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِفَواتِ السَّفِيْنَةِ، وَسُرْعَةِ مُرورِهَا، وَخَطَرِ ذَهَابِها فَلَمْ يُصَادِفْ إِلا مَكَاناً ضَيِّقاً فَجَلَسَ فِيْهِ.

وأكبَّ بَعْضُهم على تِلْكَ الحِجَارَةِ المُسْتَحْسَنَةِ، والأَزْهَارِ الفائِقَةِ فَحَمَلَ مَنُهَا حِمْلَهُ فَلَمَّا جَاءَ لَمْ يَجدْ في السَّفِيْنَةِ إلا مكاناً ضيقاً، وَزَادَهُ حِمْلُه ضِيْقاً، فصار مَحْمُوْلُه ثقْلًا عَلَيْهِ، وَوَبَالًا وَلَمْ يَقْدِر على نَبْذِه بَلْ لَمْ يَجدْ مِن حَمْلِهِ بُدَّاً وَلَمْ يَجِدْ لَهُ في السفينةِ مَوْضِعاً، فَحَمَلُه على عُنُقِهِ وَنَدِمَ على أَخْذِهِ، فَلَمْ تَنْفَعْهُ النَّدَامَةُ، ثم ذَبَلَتْ الأَزْهَارُ، وَتَغَيَّرَتْ أَرايِيْحِهَا وَآذَاهُ نَتنُهَا.

وتولَّجَ بَعْضُهم في تِلكَ الغِيَاضِ، وَنَسِيَ السَّفِينةَ، وَأَبْعدَ في نُزْهَتِهِ، حَتَّى إن المَلَّاحَ نادَى بالنَّاسِ، عِندَ دَفْعِ السَّفِيْنَةِ، فَلم يَبْلُغْهُ صَوْتُه، لاشْتِغَالِهِ بِمَلاهِيْهِ، فَهُوَ تارةً يَتَنَاوَلُ مِنَ الثَّمَرِ وتارةً يشُمُّ تِلْكَ الأَزْهارِ وتارَةً يُعْجَبُ مِن حُسْنِ الأَشْجَارِ.

وَهُوَ على ذَلِكَ خائفٌ مِن سَبُعٍ يَخْرُجُ عليهِ، غَيْرِ مُنْفَكٍّ مِن شَوْكٍ يَتَشَبّثُ في ثِيَابِهِ، وَيَدْخُلُ في قَدَمَيهِ أَوْ غُصْنٍ يَجْرَحُ بَدَنَهُ أَوْ عَوْسَجٍ يُخَرِّقُ ثِيابَهُ، وَيَهْتِكُ عَوْرَتَهُ، أَوْ صَوتٍ هائِلٍ يُفزِعُهُ.

ثُمَّ من هؤلآءِ مَن لَحِقَ بالسَّفِيْنَةِ، وَلَمْ يبْقَ فِيْهَا مَوْضِعٌ، فَمَاتَ على السَّاحِلِ، ومِنْهُم مَن شَغَلَهُ لَهْوُهُ، فافْتَرَستْهُ السبّاعُ وَنَهَشَتْهُ الحَيَّاتُ ومِنهْم مَن تَاهَ فَهَامَ على وَجْهِهِ حَتَّى هَلَكَ، فَهَذَا مِثَالُ أَهْلِ الدُّنْيَا في اشْتِغَالِهِمْ بِحُظُوظِهِم العَاجِلَةِ، وَنِسْيَانِهِمْ مَورِدَهُم وَعاقِبَةَ أَمْرِهِمْ، وما أَقْبَحَ بالعاقِلِ أَنْ تَغُرَّهُ أَحْجَارٌ، وَنَباتٌ يَصِيرُ هَشِيماً.

المثالُ الرابعُ: لاغتِرَارِ الناسِ بالدُّنْيَا، وضَعْفِ إِيْمَانِهِمْ بالآخِرَةِ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال لأصْحابِهِ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الدُّنْيا كَمَثَلِ قومٍ سَلَكُوا مَفَازَةً غَبْرَاءَ، حَتَّى إذا لَمْ يَدْرُوا ما سَلَكُوا مِنْها أَكْثَرَ أَمْ ما بَقِيَ، أَنْفَذُوا الزَّادَ، وَحَسرُوا الظَّهْرَ، وَبَقُوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْ المَفَازَةِ، لا زَادَ ولا حَمُولَةَ، فَأَيْقَنُوا بالهَلَكَةِ.

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ في حُلَّةٍ يقْطر رأْسُهُ، فَقَالُوا إِنَّ هَذَا قَرِيبُ عَهْدٍ بريْفٍ، وما جَاءَكُمْ هَذَا إِلا مِنْ قَرِيْبٍ، فلمَّا انتهَى إِليهِمْ، قالَ يا هَؤُلاءِ علامَ أَنْتُمْ، قالُوا على مَا تَرَى، قال أَرأَيْتُم إِنْ هَدَيْتُكم على ماءٍ رُوَاءٍ ورِيَاضٍ خُضْرٍ ما تَجْعَلُونَ لِي؟

قَالُوا لا نَعْصِيْكَ شَيْئاً، قالَ عُهُودَكُمْ، وَمَواثِيْقَكُمْ باللهِ، قالَ فَأَعْطَوهُ عُهْودَهُمْ، وَمواثِيْقَهُمْ باللهِ لا يعْصُونَهُ شيئاً قَالَ فَأَوْرَدهُم مَاءً وَرِياضاً خُضْراً قالَ فَمَكَثَ ما شَاءَ اللهُ.

ثُمَّ قالَ يا هَؤُلاءِ الرَّحِيْلَ، قالوا إِلى أَيْنَ، قَالَ إِلى ماءٍ لَيْسَ كَمَائِكُم ورياضٍ لَيْسَتْ كَرِياضِكُمْ، قالَ فقالَ جُلُّ القومِ، وَهُمْ أَكْثَرُهُمْ واللهِ ما وَجَدْنَا هَذَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَجِدهُ، وما نَصْنَعُ بِعَيْشٍ هُوَ خَيْرٌ مِنْ هذا؟

شِعْرًا: على الدُّنْيَا ومَنْ فِيْهَا السَّلَامُ   إذا مَلَكَتْ خَزَائِنَهَا اللِّئَامُ

قال وقالَتْ طائفةٌ وَهُمْ أَقَلُّهُمْ، أَلَمْ يُعْطُوا هَذَا الرَّجُلَ عُهُودَكُمْ، وَمواثِيْقَكم باللهِ، لا تَعْصُونَهُ شيئاً، وَقَدْ صَدَقَكُم في أَوَّلِ حَدِيْثِهِ، فَوَاللهِ لَيَصْدُقَنَّكُمْ في آخِرِه، فَرَاحَ بِمَن اتَّبَعَهُ، وتخَلَّفَ بَقِيَّتُهُمْ، فَبَادَرَهُمْ عَدُوُّهُمْ، فَأَصْبَحُوا بَيْنَ أَسِيْرٍ وَقَتِيْلٍ.

شِعْرًا: إِذَا عَاجَلَ الدُّنْيَا أَلَمْ بِمَفْرَحٍ   فَمِنْ خلفهُ فَجْعٌ سَيَتْلُوهُ آجِلُ
وَكَانَتْ حَيَاةُ الحَيِّ سَوْقاً إِلى الرَّدى   وَأَيَّامُهُ دُوْنَ المَمَاتِ مَرَاحِلُ
وما لُبْث مَنْ يَغْدُو وفي كُلِّ لَحْظَةٍ   لَهُ أجلٌ في مُدَّةِ العُمْرِ قَاتِلُ
وَلِلْمَرْءِ يومٌ لا مَحَالَةَ مَا لَهُ   غَدٌ وَسْطَ عَامٍ ما لَهُ الدَّهْرَ قَابِلُ
كَفَانا اعْتِرَافاً بالفَنَاءِ وَرُقْبَةً   لِمَكروهِهِ أَنْ لَيْسَ لِلْخُلْدِ آمِلُ

آخر: أَراني بحَمْدِ اللهِ في المَالِ زَاهِداً   وفي شَرَفِ الدُّنْيَا وَفي العِز أَزْهَدَا
تَخَلَّيْتُ عن دُنْيَايَ إِلا ثَلاثَةً   دَفَاتِرَ مِنْ عِلْمٍ وبَيْتاً وَمَسْجِدَا

غَنَيْتُ بِهَا عن كُلِ شيءٍ حَوَيْتُهُ وكُنْتُ بِهَا أَغنى وأَقْنَى وأسْعَدَا
وكمْ قَدْرَ أَيْنَا مِن عَزيز مُشرَفٍ يَبْيتُ مَقَراً بالضَّلَالَةِ مُجْهدَا
أَتَتْهُ الْمَنايَا وهْوَ في حِيْن غَفْلَةٍ فأضْحَى ذَلِيْلًا في التُرَاب مُوَسَّدَا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ محبَتَكَ في قُلوبنَا وَثَبِّتْ إيْمَانَنا وَنَوّرْ بَصَائِرَنَا واهدنا سُبُلَ السَّلَامِ وَجنِّبْنَا الفواحِش ما ظهرَ مِنْهَا وما بَطَنَ وأَلْهِمْنَا ذِكْرِكَ وشُكْرَكَ واعمُرْ أَوْقَاتَنَا بتِلَاوَةِ كِتَابِكَ وَأَرْزُقْنَا التَدَبُر لَهُ والعَمَل به في الدقِيْقِ والجليل وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْـــلٌ»

المثالُ الخامِسُ لِلدُّنْيَا وَأَهْلِهَا، مَا مَثَّلَها بِهِ ﷺ كَظِلِ شَجَرَةٍ، والمَرْءُ مُسَافِرٌ فِيها إلى اللهِ، فاسْتَظَلَّ في ظِلِ تلكَ الشجرةِ في يومٍ صَائِفٍ، ثم راحَ وَتَرَكَهَا.

فَتَأَمَّلْ حُسْنَ هذا المِثَال، ومُطَابَقَتَهُ لِلْوَاقِعِ سَوَاءً، فإنَّها في خُضْرَتِهَا كَشَجَرَةٍ، وفي سُرْعَةِ انقضائِهَا وَقَبْضِهَا شيئاً فَشَيْئاً كالظِّلِّ والعَبْدُ مُسَافِرٌ إلى رَبِّهِ، والمُسَافِرُ إذَا رَأَى شَجَرَةً في يومٍ صَائِفٍ لا يَحْسُنُ به أَنْ يَبْنِيَ تَحْتَهَا داراً، ولا يَتَّخِذَهَا قَراراً، بَلْ يَسْتَظِلُّ بِهَا بِقَدْرِ الحاجةِ، وَمَتى زَادَ على ذَلِكَ انْقَطَعَ عن الرِّفَاقِ.

المثالُ السادِسُ تَمْثِيْلُهُ لها ﷺ بِمُدْخِلِ أُصبُعِهِ في اليَمّ، فالذيْ يَرْجِعُ بِهِ أُصبُعُه مِن البَحْرِ هُوَ مَثَلُ الدُّنْيَا بالنِّسْبَةِ إلى الآخِرَةِ.

المِثالُ السابعُ ما مَثَّلَهَا بِهِ ﷺ في الحديثِ المتفَقِ على صِحَّتِهِ من حَدِيثِ أبي سَعِيْدِ الخُدْري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالَ إنَّ النبيَّ ﷺ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ، عَلَى المِنْبَرِ وَجَلسْنَا حَوْلَهُ، فقالَ إنَّ مِمَا أَخافُ عليكُم مِن بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عليكُمْ

مِن زَهْرَةِ الدُّنيَا، وَزِينَتِها فقالَ رجلٌ يارسولَ اللهِ: أَوَ يَأْتِي الخَيْر بالشَّرِ، فَصَمَتَ رسولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قالَ كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ يارَسُولَ اللهِ أَوَ يَأْتِي الخيرُ بالشَّرِ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ إنَّ الخيْرَ لا يَأْتِي إلا بالخَيْرِ، وإنَّ مِمَّا يُنْبتُ الرَّبيْعُ مايَقْتُلُ حَبطاً أَوْ يُلِمُّ، إلّا آكِلةَ الخَضِرِ، أَكلتْ حَتَّى إِذَا امْتلأتْ خَاصِرَتَاهَا، اسْتَقبلت الشَّمْسَ فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ، ثُمَّ اجْتَرَّتْ فعادَت فأَكَلَتْ.

فَمَنْ أَخذَ مالاً بِحقِّهِ بُورِكَ لَهُ فِيْهِ، ومَنْ أَخذَ مالاً بغير حَقٍّ، فَمَثَلُهُ كَمَثلِ الذي يَأْكُلُ ولا يَشْبَعُ، فَأَخْبرَ ﷺ أَنَّ مما يَخَافُ عليهِمْ الدُّنْيَا، وَسَمَّاهَا زَهْرَةً، فَشَبَّهَهَا بالزَّهَرِ، في طِيْبِ رائِحَتِهِ وَحُسْنِ مَنْظَرِهِ، وقِلَّةِ بَقَائِهِ.

فهذهِ الفِقْرَةُ اليَسيْرةُ، مِن جَوامِعِ كَلِمة ﷺ، حَوَتْ على إيْجَازِها بَشارةَ الصَحابَةِ الكرامِ بمَا سَيَكونُ عَلى أَيْدِيْهِمْ، مِن فَتْح البِلادِ، وإِخْضَاع العِبادِ، وَجَلْبِ الأَمْوالِ الطائِلةِ، والغَنَائِمِ الكَثيرةِ، وَتَحْذِيْرِهم مِنَ الغُرُورِ، والرُّكُون إلى هذهِ الأشياءِ الفانيَةِ، والأَعْراضِ الزَّائِلَةِ.

وَضرَب ﷺ مَثلَيْنِ حَكِيْمينِ أَحدَهُمَا مَثَلُ المفرِّط في جَمْعِ الدُّنْيَا، والآخرَ مَثلُ المقْتَصِدِ فِيْهَا، أَمَّا الأَوَّلُ، فَمَثَلُه مَثَلُ الرَّبيْع وذَلِكَ قولُه فإنَّ مِمَا يُنْبتُ الرَّبيْعُ مَا يَقْتُلُ حَبطَاً أو يُلِمَّ، بأَنْ يُقَارِبَ الهَلاكَ.

فهذا المطرُ ماءٌ ينزلهُ اللهُ لإغاثَةِ الخَلْقِ وَإِرْواءِ كلِّ ذي رُوحٍ فَرغْمَ فَوَائِدِهِ الكثيرةِ وَمَنَافِعِهِ الغزيْرةِ وما يَتَسبَّبُ عن ذَلِكَ مِنْ إِنْبَاتِ العُشْبِ والكَلاءِ، يَأْكُل منهُ الحيوانُ فَيُكْثِرُ فينتفخُ بَطْنُه، فَيْهلِكُ أو يقاربُ الهلاكَ، وكذَلِكَ الذي يُكْثِرُ من جَمْعِ المالِ، ويكونُ عندَهُ مِن الجَشَعِ والشَّرَهِ، والحِرْصِ، ما يتجاوزُ بِهِ الحَدَّ، ولا سِيَّما إِذَا جَمَعَ المالَ مِن غَيْرِ حِلّه، وَمَنَع ذا الحَقِ حَقَّهُ، فإِنْ لم يَقْتُلْهُ قارَبَ أَنْ يَقْتُلَه.

شِعْرًا: تَوَقَّ مَصارِعَ الغَفَلاتِ واحْذرْ ... فَلَيْسَتْ زِيْنَةُ الدُّنْيَا بِزِينَةْ

وقَصْرُكَ عن هواكَ فكُلُ نَفْسٍ ... غَدَاةَ غدٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةْ

هِيَ الدُّنْيَا تَمُوجُ كَمَا تَرَاهَا ... بِمَا فِيْهَا فَشَأْنَكَ والسَّفِيْنَةْ

آخر: إنَّمَا هَذِهِ الحَيَاةُ غُرُوْرٌ ... وَالجُهُوْلُ الجَهُوْلُ مَن يصْطَفِيْهَا

ما مَضَى فَاتَ والمؤَمَّلُ غَيْبٌ ... وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي فِيْهَا

آخر: ومَنْ لم يَعْشِق الدُّنْيَا قَدِيْماً ... ولكِنْ لاسَبْيلَ إلىَ الوُصُوْلِ

آخر: ومَنْ لحَظَ الدُّنْيَا بِعَيْنٍ حَقْيرةٍ ... فَقَدْ لحَظَ الدُّنْيَا بَعَيْنِ الحَقِيْقَةِ

وَلِذَلِكَ كَثِيْرٌ منْ أَهْلِ الأَمْوالِ قَتَلَتْهُم أموالُهم فإنَّهم شَرِهُوا في جَمْعِهَا، واحْتَاجَ إليهَا غَيرُهم، فلم يَصِلوا إلى ذَلِكَ إلَّا بِقَتْلِهم، أَوْ مَا يُقارِبُ ذَلِكَ مِن إذْلَالِهم وَقَهْرِهم والضَّغْطِ عَليهم.

وأمَّا المِثالُ الثاني: وهُوَ مثالُ المُقْتَصِد في جَمْعِ الدُّنْيَا، الطَّالِبِ لحِلِّهَا، فَقَدْ مَثَّلَ لَهُ ﷺ بقولِه «إلَّا آكِلَةَ الخُضَرِ»، فكأنهُ قالَ ألا انظرُوا آكِلَة الخَضْراءِ، واعتَبِرُوا بشأنِها «أَكَلَتْ حَتَّى إذَا امْتَدتْ خاصِرتَاهَا» وَعَظُمَ جَنْبَاهَا، أَقْلَعَتْ سَرِيعاً «اسْتَقْبَلَت عينَ الشَّمْسِ» تَسْتَمْرِىءُ بذَلِكَ ما أَكَلتْ وَتَجْتَرُّه «فَثَلَطَتْ» أَلَقَتْ ما في بَطْنِها مِن أَذَى سَهْلًا رَقِيْقاً.

وفي قوله «اسْتَقْبَلَتْ عينَ الشَّمسِ فَثَلَطَتْ وبالَتْ» ثلاثُ فوائِدَ أَحَدُها أَنَّها لَمَّا أَخَذَتْ حاجَتَها مِن المَرْعى تَرَكَتْهُ، وَبَركَتْ مُسْتَقْبلةً عينَ الشَّمْسِ، تَسْتَمْرِيءُ، الفائِدَة الثانيةُ أَنَّهَا أَعْرَضَتْ عَمَّا يَضُرُّها مِن الشَّرَهِ في المَرْعَى، وأَقْبَلَتْ على مَايَنْفَعُهَا، مِن استقبالِ الشَّمْسِ التي يَحْصُل لها بِحَرارَتِها انْضَاجُ ما أَكَلَتْهُ وإخراجُهُ.

الثالثةُ: أَنَّها استَفْرَغَتْ بالبَوْلِ والثَّلْطِ ما جَمَعَتْهُ مِن المَرْعَىٰ في بَطْنِهَا، فاسْتَرَاحَتْ بإِخْرَاجِه ولو بَقِيَ فِيها لَقَتَلَها، هَكذا جامعُ المالِ مَصلحتهُ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ كَمَا فَعَلَتْ هَذِهِ الشَّاة فَتَنَبَّهْ لِذَلِكَ أَيُّهَا المُغَفَّلُ الجَمُوْعُ المَنُوْع.

شِعْرَا: وإيَّاكَ والدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ إنَّهَا ... هِيَ السِّحْرُ في تَخْيِيْلِهِ وافْتِرَائِهِ

مَتَاعُ غُرُوْرٍ لَا يَدُوْمُ سُرورُهـا وَأَضْغـاثُ حُلْـمٍ خَادِعٍ ببَهَائِـهِ
فَمَن أَكْرَمَتْ يوماً أَهَانَتْ لَهُ غداً وَمَنْ أَضْحَكَتْ قَدْ آذنَتْ بِبُكَائِهِ
وَمَن تُسْقِهِ كَأْساً مِن الشهْدِ غُدْوَةً تُجَرِّعُهُ كَأْسَ الرَّدَى في مَسَائِهِ
وَمَن تَكْسُ تَاجَ المُلْكِ تَنْزَعُهُ عَاجِلاً بأَيْدِي المَنَايَا أَوْ بأَيْدِي عِدَائِهِ
أَلَا إِنَّها لِلْمَرْءِ مِنْ أَكبرِ العِـدَا وَيَحْسَبُهَا المَغْرُوْرُ مِن أَصْدِقَائِهِ
فَلَذَّاتُهـا مَسْمُومَـةٌ وَوَعُودُهــا سَرَابٌ فَمَا الظَّامِي رَوَى مِن عَنَائِهِ
وَكَمْ في كِتابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ ذَمِّهَا وَكَمْ ذَمَّهَا الأَخْيَارُ مِن أَصْفِيَائِهِ
فَدُوْنَكَ آياتِ الكتابِ تَجِدْ بِهَا مِن العِلْمِ مَا يَجْلُوا الصَّدَا بِجَلَائِهِ
وَمَن يَكُ جَمْعُ المالِ مَبْلَغَ عِلْمِهِ فَمَـا قَلْبُـه إِلَّا مَرِيْضاً بِدَائِــــهِ
فَدَعْهَا فإِنَّ الزُّهْدَ فِيْهَـا مُحَتَّـمٌ وإِنْ لَمْ يَقُمْ جُلُّ الوَرَى بأَدَائِهِ
وَمَن لَمْ يَذَرْهَا زَاهِداً في حَياتِهِ سَتَزْهَدُ فيـهِ النـاسُ بَعْدَ فَنَائِـهِ
فَتَتْرُكُـهُ يَوْمـاً صَرِيْعـاً بِقَبْــرِهِ رهِيْنـاً أَسِيْـراً آيِسَاً مِن وَرَائِـهِ
وَيَنْسَاهُ أَهْلُوْهُ المُفَـدَّى لَدَيْهِـمُ وَتَكْسُوهُ ثَوبَ الرُّخصِ بَعْدَ غَلَائِهِ
وَيَنْتَـهِبُ الـوُرَّاثُ أَمْوَالَـهُ الَّتِـي على جَمْعِهَا قاسَى عَظِيمَ شَقَائِهِ
وَتُسْكِنهُ بَعـدَ الشَّواهِقِ حُفْـرةً يَضِيـقُ بِهِ بَعْـدَ اتِّسَاعِ فَضَائِـهِ
يُقِيمُ بهَا طولَ الزمانِ وَمَـا لَهُ أنيسٌ سوى دُوْدٍ سَعَى في حَشَائِهِ
فَوَاهاً لَهَا مِن غُربـةٍ ثم كُرْبَـةٍ ومِن تُربَةٍ تَحْوِي الفَتَى لِبَلَائِـهِ
وَمِن بَعدِ ذا يَوْمُ الحِسَابِ وهَوْلُه فَيُجزَى بِهِ الإِنسانُ أَوْ في جَزائِهِ
وَلَا تَنْسَ ذِكرَ الموتِ فالموتُ غائبٌ ولا بُدَّ يَوْمـاً لِلْفَتـى مِن لِقَائِـهِ
قَضَى اللهُ مَوْلانا عَلى الخَلْقِ بالفَنَا ولا بدَّ فِيهم مِن نُفُـوذِ قَضَائِـهِ
فَخُذْ أُهْبَةً لِلْمَوتِ مِن عَمَلِ التُّقَى لِتَغْنَمَ وَقْتَ العُمْرِ قَبْلَ انْقِضَائِهِ
وإِيَّاكَ والآمالَ فالعُمْـرُ يَنْـقَضِي وَأَسْبَابُهـا مَمْـدُوْدَةٌ مِن وَرَائِـهِ
وَحَافِظْ على دينِ الهُدَى فَلعلَّهُ يَكونُ خِتامَ العُمْرِ عندَ انتِهَائِهِ
فَدَوْنَك مِنّي فاسْتَمعها نَصِيْحَةً تُضَارِعُ لونَ التِّبْرِ حَالَ صَفَائِهِ

وصَلّى على طُوْلِ الزمانِ مُسَلِّمَاً   سَلاماً يَفُوقُ المِسْكَ عَرْفُ شَذَائِهِ
عَلَى خاتَم الرسْلِ الكِرَامِ مُحَمَّدٍ   وأَصحابِـهِ والآلِ أَهـل كِسَائِـهِ
واتْبَاعِهِم في الدينِ ما اهْتَزَّ بالرُّبَا   ريـاضٌ سَقَاهَـا طَلُّهَـا بِنَدَائِــهِ

اللَّهُمَّ اجْعَل قلوبَنا مَمْلوءَةً بِحُبِّكَ وأَلْسِنَتَنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ وَنُفُوسَنَا مُطِيْعَةً لِأَمْرِكَ وأَرْزقنَا الزُّهْدَ في الدُّنْيَا والاقبالَ على الآخِرَةِ وَاغفرْ لَنَا، اللَّهُم وَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمَالَ ، ونَجِّنَا مِن جَمِيْعِ الأَهْوَالِ، وَأَمِنَّا مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزِلْزَالْ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**» : إِعْلَمْ وَفَّقَنَا اللهُ وإِيَّاكَ وجميعَ المُسْلِمِيْنَ لِمَا يُحِبُّه وَيَرْضَاهُ، أن الأُلْفَةَ ثمرةُ حُسْنِ الخُلُقِ، والتَّفرُّقَ ثمرةُ سوءِ الخلقِ، فَحُسْنُ الخُلُقِ يوجِبُ التَّحَابَ، والتآلفَ والتوافُقَ، وَسُوءُ الخلقِ يثمرُ التباغضَ، والتحَاسُدُ، والتَدَابُرَ.

ومهمَا كانَ المثمِرُ محموداً، كانَتْ الثمرةُ محمودةُ، وحُسْنُ الخلقِ لا تخفَى في الدِّينِ فَضيلتُه، وقالَ اللهُ تعالى لِنَبيه: ﴿وإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيْمٍ﴾، وقال ﷺ: «أَكْثَرُ ما يُدْخِلُ الجَنَّةَ تقوىً، وحُسْنَ الخُلُقِ»، وقال أُسَامةُ بنُ شَرِيكٍ قلنَا يارَسُولَ اللهِ ما خَيْرُ ما أُعْطِيَ الإِنْسَانُ؟ فقال: «حُسْنُ الخلقِ» وقالَ ﷺ: «بُعِثْتُ لأُتَمِمَ مكارمَ الأَخْلَاقِ».

وقالَ ﷺ: «أَثْقَلُ ما يُوضَعُ في المِيْزانِ خُلُقٌ حَسَنٌ»، وقالَ ﷺ: «المُؤْمِنُ إِلفٌ مَأْلوفٌ، ولا خَيْرَ فِيْمَنْ لا يَأْلَفُ ولا يُؤْلَفُ»، ولأَبِي عبدِالرحْمَنَ السُّلَمِي في آدَابِ الصُّحْبَةِ مِنْ حديثِ عَلِي: (مِنْ سَعادَةِ المرْءِ أَنْ يكونَ لَهُ إِخْوان صالحين).

وللإِخَاءِ أَربعَ خُصَالِ: الأَوْلَى العَقْلُ الموفُوْرُ الهَادِي إلى مَرَاشِدِ الأَمُورِ

بِإِذْنِ اللهِ فَإِنَّ الحُمْقَ لا تَثْبُتُ مَعَهُ مَوَدَةٌ ولا تَدُومُ معه صُحْبَةٌ، لِعَدَمِ مُراعاتِهِ حُقُوقَ الأَخَاءِ.

والخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ الدِّيْنَ الوَاقِفُ بِصَاحِبِهِ عَلَى الخَيْراتِ، فَإِنَّ تارِكَ الدِّيْن عَدوٌ لِنَفْسِهِ يُلقِيْهَا في المَهَالِكِ، فكَيْفَ يُرْجَى مِنْه نَفْعٌ وَمَوَدَّةٌ لِغَيْرِهِ.

وقالَ بعضُ الحُكَماءِ اصْطَحِبْ مِنَ الاخوانِ صَاحِبَ الدِّيْن، والحَسَبِ، والرَّأْيِ والأدَب، فإنه عَوْنٌ لَكَ عندَ حاجَتِكَ، لأنَّ دِيْنَه يُحتِّمُ عليه ذَلِكَ، لأنه مِنْ مُقْتَضَيَاتِهِ وَيَدٌ عندَ نائِبَتِكَ، وَذَلِكَ مِن مُوْجِبَاتِ رَأْيِهِ، وَحَسَبِهِ، وأُنسٌ عندَ وَحْشَتِكَ لأدَبِهِ.

وَمِنْ كلامِ بَعْضِ العارِفين: الأخُ الصَّالحُ خيرٌ مِن نَفْسِكَ، لأن النفسَ أَمَّارةُ بالسُّوءِ، والأخُ الصالحُ لا يَأمُرُ إِلَّا بالخيَر.

الثالثُة: أن يكونَ مَحْمُودَ الأخلاقِ، مَرْضِيَّ الأفعالِ، مُؤْثراً لِلْخَيْرِ، آمراً به لِخَلِيْلِهِ، كارهاً لِلشَّرِّ دِيَانَةً، وَخُلُقاً، ناهياً عن الشر مُرُوْءَةً وَحَسَباً، فإنَّ مَوَدَّةَ الشرِّيْرِ تَكْسِبُ الأعداءَ، وَتُفْسِدُ الأخلاقَ، ولا خَيْرَ في مَوَدَّةٍ تَجْلِبُ عَدَاوةً، وَتُوْرِثُ مَذَمَّةً وَمَلَامةً.

وَقَدْ ضَرَبَ النبيُّ ﷺ مَثَلَين لِلْجَلِيْسِ الصَّالح، والجَلِيْسِ السُّوءِ، فعنْ أبي مُوسى الأشعَري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَثَلُ الجَليسِ الصَّالحِ، والْجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الكِيْرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يَحْذِيكَ، وامَّا أَنْ تَبْتَاعَ منهُ، وأَمَا أَنْ تَجدَ منه ريحاً طيبةً، ونافخُ الكيرِ إما أَنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ، وإما أن تَجِدَ منه رِيْحَةً خَبِيْثَةً»، متفقٌ عليه.

هذا الحديثُ يُفِيْدُ انَّ الجَلِيْسَ الصَّالحَ جميعُ أحْوالِ صَدِيْقِهِ مَعَهُ خَيرٌ وَبَرَكَةٌ وَنَفعٌ وَمَغْنَمٌ مِثْلُ حَامِلِ المِسْكِ الذي تَنْتَفِعُ بِمَا معه منْه، إمّا بِهِبَةٍ، أو بِبَيْعٍ أَوْ أَقَلُّ شَيْءٍ مُدَّةَ الجُلوسِ مَعَهُ، وأنتَ قريرُ النَفسِ، مُنْشَرِحِ الصَّدرِ، بِرَائِحَةِ المِسْكِ.

وهذا تقريبٌ، وَتَشْبِيْهٌ لَهُ بِذَلِكَ وإلا فَمَا يَحْصُلُ مِنَ الخير الذي يُصيبه العبدُ من جَلِيْسِهِ الصَّالِحِ أبلغُ وَأَفْضَلُ من المِسْكِ الأَذْفَرِ، فإنه إِمَّا أنْ يُعلِّمَكَ أموراً تَنْفَعُكَ في دِينكَ، وإِمَّا أَنْ يُعَلِّمَكَ أُمُوراً تَنْفَعُكَ في دُنياكَ، أَو فِيْهِما جَمِيْعاً، أَوْ يُهْدِيْ لَكَ نَصِيْحَةً تنفعُكَ مُدّةَ حَياتِكَ، وَبَعْدَ وَفَاتِكَ أَو يَنْهَاكَ عَمَّا فِيْهِ مَضَرَةٌ لكَ.

شِعْرًا: عاشِرْ أَخَاالدِّيْنِ كَيْ تَحْظَى بِصُحْبَتِهِ ... فالطَّبْعُ مُكْتَسَبٌ مِنْ كُلِّ مَصْحُوبِ
كالرِّيحِ آخِذَةٌ مِمَّا تَمُرُّ بِهِ ... نَتْناً مِن النّتْنِ أَوْ طِيْباً مِن الطِّيْبِ

فَأَنْتَ مَعه دائماً في مَنْفَعةٍ، وَرِبْحُكَ مَضْمُونٌ بإذنِ اللهِ، فَتَجدهُ دَائِماً يَرى أَنَّكَ مُقَصِّرٌ في طاعةِ اللهِ، فَتَزْدَادُ هِمَّتُكَ في الطَّاعَةِ، وَيَجْتَهِدُ في الزِّيَادَةِ منها، وَتَرَاهُ يُبصِّرُكَ بِعُيُوبِكَ، وَيَدْعوكَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِها بقولِهِ وَفِعْلِهِ وَحَالِهِ.

فالإنسانُ مَجْبُولٌ على التقْلِيدِ، والاقتداءِ بِصَاحِبِه، وَجَليسهِ، والطِّباعُ والأَرواحُ جُنودٌ مُجَنَّدَةٌ، يَقُودُ بعضُها بَعْضًا إِلَى الخَيْرِ، أَوْ إِلَى الشَّرِ، وأقلُ نفعٍ يَحْصُلُ مِن الجَلِيسِ الصالحِ انكفافُ الإنسانِ بِسَبَبِهِ عن السيئاتِ، والمسَاوِي والمَعَاصِي، رِعايَةً لِلصُّحْبَةِ، وَمُنافَسَةً في الخَيرِ وَتَرَفُّعاً عن الشرِ واللهُ المُوَفِّقْ.

وَمِنْ ما فُيستفادُ مِن الجليسِ الصالحِ أَنَّه يَحْمِي عِرْضَك في مَغِيْبِكَ، وفي حَضْرِتِكَ، يُدافِعُ وَيَذُبُ عنكَ، ومِن ذَلِكَ أَنَّكَ تَنْتَفِعُ بِدُعَائِهِ لَكَ حَيَّاً أَوْ مَيِّتاً.

وأَمَّا مُصَاحَبَةُ الأَشرارِ فَهِيَ السُّمُ الناقِعُ، والبَلَاءُ الواقِعُ، فَتَجدهُمْ يُشَجِّعُونَ على فِعْلِ المعاصِي، والمنكراتِ، وَيَرْغبونَ فيهَا وَيَفْتَحُونَ لِمَنْ خَالَطَهُمْ، وجالَسَهُمْ أَبْوَابَ الشُرُوْرِ وَيُزَيِنُونَ لِمُجَالِسِيْهِمْ أنواعَ المَعَاصِي.

شِعْرًا: وَلا تَجْلِسْ إلى أَهْلِ الدَّنَايَا ... فإنَّ خَلَائِقَ السُّفَهَاءِ تُعْدِى

وَيَحُثُونَهم على أذيَّةِ الخَلْقِ، وَيُذَكِّرُونَهُمْ بأُمُورِ الفَسَادِ، الَّتِي لَمْ تَدرْ في

خَلَدِهِمْ، وإن هَمَّ بِتَوْبَةٍ وانْزِجَارٍ عن المَعَاصِي حَسَّنُوا عِندَهُ تأجيلَ ذَلِكَ، وطوْلَ الأَمَلِ، وأَنَّ ما أَنْتَ فيهِ أَهْوَنُ مِن غيرِهِ، وفي إمكانِكَ التّوبةُ، والإنابةُ إذا كَبُرْتَ في السِّن.

وما يُقلِّدُهُم بِهِ وَيَكْسَبُه مِن طِباعِهِم أَكْثَرُ مِن مَا ذَكَرْنَا، وكَمْ قادُوا أَصحابَهم إلى المَهَالِكِ واللهُ أعلمُ وصلى الله على محمدٍ وآله وسلم.

شِعْرًا: وَأَهْوَى مِن الشُبَّان كُلَّ مُجَنِّبٍ   عن اللهوِ مِقْدَاماً إلى كُلِّ طَاعَةِ
أَخُو عِفَّةٍ عن كُل شَيْءٍ مُحَرَّمٍ   وَذُو رَغْبَةٍ فِيْمَا يَقُوْدُ لجنّةِ
تَمَسَّكْ بِهِ إنْ تَلْقَهُ يَا أَخَا التُّقَى   تَمَسُّكَ ذِيْ بُخْلٍ بِتِبْرٍ وَفِضَّةِ
أُحِبُّ مِن الإخْوَان كُلَّ مُوَاتِي   وَكلَّ غضيض الطَّرْفِ عن هَفَوَاتِي
يُوَافِقُنِيْ فيما بِهِ اللهُ رَاضِياً   ويَحْفَظُنِي حَيَّاً وَبَعْدَ مَمَاتِي

آخر: ولا خَيْرَ في الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَزُرْ بِهَا   حَبِيْباً وَلَمْ يَطْرَبْ إِلَيْكَ حَبِيْبُ

اللَّهُمَّ امْنُنْ عَلَيْنَا يَا مَولانا بِتوبةٍ تَمحُوْ بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: وَكَمْ حَثَّ ﷺ على أَهْلِ الدِّينِ فعن أَبِي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: «الْمَرْءُ على دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ الْمَرْءُ مَنْ يُخَالِلْ» قالَ العُلَمَاءُ مَعْنَاهُ لا تُخَالِلْ إِلَّا مَنْ رَضِيْتَ دِينه وَأَمانَته فإنَّكَ إِذَا خَالَلْتَه قَادَكَ إِلَى دِيْنِهِ، وَمَذْهَبِهِ، ولا تُغَرِّرْ بدِيْنِكَ ولا تُخَاطِرْ بِنَفْسِكَ، فَتُخَالِلْ مَن لَيْسَ مَرْضياً في دِيْنِهِ ومَذْهَبِهِ.

وقالَ سفيانُ بنُ عيينةَ، وَقَدْ روي في تَفسير هَذَا الحديثِ انْظُرُوا إلى فِرْعَونَ مَعَهُ هامَان وانظُروا إلى الحجاجِ مَعَهُ يزيدُ بنُ أبي مُسلِم شَرٌّ مِنه قُلْتُ وانظروا إلى يزيدِ بنِ معاويةَ معه مُسْلِمُ ابنُ عقبةَ المُرِّي شرٌ منه انظروا إلى سليمان بنِ عبدالملكِ صحبَهُ رجاءُ بنُ حَيْوَةَ الكنْدِيُ أَحَدُ الأعلامِ الأفاضِلِ، فَقَوَّمَهُ وسَدَّدَهُ.

وعن أبي سعيدٍ الخدري عن النبي ﷺ قال: «تُصَاحِبْ إلا مُؤْمناً ولا يأكل طعَامَكَ إلا تَقِيٌّ» قَالَ العلماءُ مَعنى الحديثِ لا تَدْعُوا إلى مُواكَلَتِكَ إلَّا الأتقياءَ، لأنَّ المُؤَاكلةَ تَدْعو إلى الأُلْفَةِ، وتُوجِبُهَا، وَتَجْمَعُ بَيْنَ القلوبِ، يقول النبي ﷺ فَتوخَّ أنْ يكونَ خُلَطاؤُكَ وَذَوُوُ الاختصاص بك أَهْلُ التقوى.

وعن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها قَالَتْ قَالَ رسول الله ﷺ «لا تَلْزَمُوا مَجَالِسَ العَشَائِرَ فإنَّها تُميتُ القلبَ، ولا يُبَالِي الرجلُ بما تَكَلم، ناديهم، وتَفرقُوا في العَشَائِرِ فَإنَّهُ أَحْرَى أنْ تُحْفَظُوا في المَقَالَةِ».

وقال بَعضُهم: يَنْبَغِي لِلْمؤمن أنْ يُجَانِب طُلَّابَ الدُّنْيَا فإنَّهم يَدُلونَه عَلى طلبها وَمَنْعِهَا وذَلِكَ يُبْعده عن نجاتِهِ ويَقْضيهِ عنها ويَحْرِصُ ويَجْتهِدُ في عِشْرَةِ أَهْلِ الخَيْرِ وطُلابِ الآخرة:

شِعْرَا: إصْحَبْ مِن الإخوانِ من أَخلَصُوْا ... لِلَّـهِ في أَعْمَالِهِـم واتَّقَـوْا
وَمَـنْ إذَا تَكَاسَلَتَّ في طَاعَةٍ ... لِلَّـهِ لَامُـوْكَ ولا قَصَّرُوْا
آخر: لَجَلْسَتِيْ مَعْ فَقِيْهٍ مُخْلِصٍ وَرَعٍ ... أَنْفِيْ بِهَا الجَهْلِ أَوْ أَزْدَدْ بِهَا أَدَبَا
أَشْهَى إليَّ مِنَ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا ... وَمِلْئِهَا فِضَّةً أَوْ مِلْئِهَا ذَهَبَـاً
آخر: وَقَارِنْ إذَا قارَنْتَ حُرًّا أَخَاً تُقَى ... فإنَّ الفَتَى يُزْرِيْ بِهِ قُرَنَـاؤُهُ
آخر: ومَـنْ يَكُـنِ الغُراب لَهُ دَلِيْلاً ... يَمُرُّ بِهِ عَلَى جِيَفِ الكِلابِ
كُلُ مَن لا يؤاخِـيْكَ في اللهِ ... فلَا تَرْجُ أَنْ يَدُومَ إخَـاؤهُ
خَيْرُ خِلٍ أفَدْتَـهُ ذُوْ إخَـاءٍ ... كانَ لِلَّـهِ وُدُهُ وَصَفَـاؤهُ

وقال آخر: عَلَيْكَ بصُحْبَةِ أَهْلِ الخَيْرِ مِمَّنْ تَسْلَمُ منه في ظاهِرِكَ وتعِينُكَ رُؤيتُهُ على الخَيْرِ ويُذكرك الله.

قالَ العلماءُ قَدْ حَذَّرَ النبيُّ ﷺ مِن مُجَالَسَةِ مَنْ لا يَسْتَفيدُ المَرْءُ بِهِ فَضِيْلَةً، ولا يَكْتَسِبُ بِصُحْبَتِهِ عِلْماً وَأَدَباً.

وعن وَدِيْعَةَ الانْصَارِي قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عنه يقولُ وهو يَعِظُ رَجلاً لا تَتَكلمْ فيما لا يَعْنِيكَ، واعتزلْ عَدُوَّكَ، واحذرْ صَدِيْقَكَ، إلَّا الأمينَ ولا أَمِيْنَ إلا مَنْ يَخْشَىٰ اللهَ ويطيعُه، ولا تَمْشِ مَع الفَاجِرِ، فَيُعَلِّمَكَ مِن فُجُورِهِ، ولا تُطلعْه على سِرِّكَ ولا تُشاوِرْ في أمركَ إلا الذينَ يَخْشَونَ اللهَ سبحانَه.

وَوَعظَ بعضُهم ابنَهُ فقالَ لَهُ إيَّاكَ وإخوانَ السُوءِ، فإنَّهُمْ يَخُونونَ مَن رَافَقَهمْ، وَيُفسِدونَ مَن صَادَقَهم، وَقُرْبُهم أَعْدَى مِن الجَرَبِ، وَرَفْضُهم والبُعْدُ عَنْهُمْ مِن استكمالِ الأَدبِ والدِّين والْمرءُ يُعرَفُ بِقرينِهِ، قالَ والإخوانُ إثنانِ فَمُحَافِظٌ عليكَ عندَ البَلَاءِ، وَصَدِيْقٌ لكَ في الرَّخاءِ، فاحفظ صديقَ البَلِيَّة، وَتَجَنَّبْ صَدِيقَ العَافِيَةِ فإنَّهمْ أَعْدَى الأَعْدَاءِ وفي هَذَا المعنى يقولُ الشاعرُ:

«أَرَى الناسَ إخوانَ الرَّخاءِ وإنَّمَا ... أَخُوكَ الذي آخَاكَ عِندَ الشَّدائد»
«وكل خليل بالهوْينا ملاطِفٌ ... ولِكنَّما الإخوانِ عِندَ الشَّدائد»
آخر: إذا حَقَّقْتَ وِداً في صَدِيْق ... فَزُرْهُ ولا تَخَفْ مِنْهُ مِلالَا
وَكُنْ كالشَّمْسِ تَطْلُعُ كُلَّ يَوْمٍ ... ولا تَكُ في زِيَارِتِهِ هِلَالَا
آخر: فَمَا أَكْثَر الإخوانَ حِيْنَ تَعدُّهُمْ ... ولَكِنَّهُمْ في النَائِبتِ قَلِيْلُ
آخر: وَكُلُ مُقِلّ حِيْنَ يَغْدُوْ لِحَاجَةٍ ... إلى كُلّ يَلْقَى من الناسِ مُذْنِبُ
وكان بَنُوْا عَمِيّ يَقُولُونَ مَرْحَبَا ... فلما رَأَوْنِي مُعْدِماً مَاتَ مَرْحَبُ
الناسُ أعْوَانُ مَنْ دَامَتْ لَهُ نِعَمٌ ... وَالوَيْلُ للْمَرءِ إنْ زَلَّتْ بِهِ قدَمُ
لمَّا رَأَيْتُ أَخِلَائِي وَخَالِصَتِي ... وَالْكلُّ مُنْقَبِضٌ عَنّيْ ومُحْتَشِمُ
أَبْدَوْا صُدُوْداً وإعْرَاضاً فَقُلْتُ لَهُمْ ... أذنَبْتُ ذَنْباً فَقَالُوْا ذَنْبُكَ العَدَمُ
آخر: سَمِعْنَا بالصَّدِيق ولا نَراهُ ... عَلى التَّحقِيْقِ يُوجَدُ في الأنام
آخر: فريدٌ مِن الخلانِ في كُلِّ بلدةٍ ... إذا عَظُمَ المطلوبُ قَلَّ المُسَاعِدُ

آخر: وإنِّـي رَأيْتُ النـاسَ إلَّا أقلّهُـمْ ... خِفَافَ العُهُوْدِ يُكثِروْنَ التّنَقُّـلا
بَنِيْ أُمِّ ذِي المالِ الكَثِيْر يَرَوْنَهُ ... وإنْ كانَ عَبْداً سَيِّدَ القَوْمِ جَحْفَلا
وَهُـمْ لِمُقـلِّ المالِ أَوْلادُ عَلَّـةٍ ... وَإنْ كانَ مَحْضاً في العُمُومَةِ مُخْولَا
آخر: ولَيْسَ أخُوكَ الدائمُ العَهْدِ بالذِيْ ... يَسُوْءُكَ إنْ وَلِيَّ ويُـرْضَيْكَ مُقْبِـلا
ولكنَّـهُ النَّـائي إذَا كُنْتَ آمِنـاً ... وصَاحِبُكَ الأدْنَى إذا الأمْرُ أعْضَلا
آخر: دَعْوَى الإخَاءِ مَعَ الرَّخَاءِ كَثِيْرَةٌ ... وَمَعَ الشَّدَائِدِ تُعْـرَفُ الإخْـوَانُ

وعن شريكِ بن عبدِاللهِ كانَ يُقَالُ لا تسافرْ مع جَبَانٍ فإنَّهُ يَفِرُ مِن أبيهِ وأمِه، ولا تُسَافِر معَ أحْمَقَ، فإنْهُ يخذلِكَ أَحْوَجَ ما تكونُ إليهِ ولا تُسافِرْ مَعَ فاسِقٍ فإنه يَبِيْعُكَ بِأَكْلَةٍ وَشَرْبَةٍ.

وعن أبي مُوسَى الأشْعَري قال قالَ رسولُ الله ﷺ انَّ الله خلقَ آدمَ عليه السلامُ من قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِن جَمِيْعِ أَجْزَاءِ الأرْضِ فَجَاءَ بَنُوا آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأرْضِ، مِنْهُمْ الأَحمُر والأَسَودُ والأَبيضُ والسَّهْلَ والحَزَنُ.

قال العُلَماءُ في هَذَا الحديثِ بيانُ أَنَّ الناسَ أَصنافٌ، وطَبقاتٌ، وأنهمْ مُتَفَاوِتُونَ في الطِّبَاعِ، والأَخلاقِ، فمنُهْم الخَيِّرُ الفاضلُ، الذي يُنْتَفَع بِصُحْبَتِهِ، وصداقَته، وَمُجَاوَرَتِهِ، ومُشَاوَرَتِهِ وَمُقَارَنتهِ وَمُشارَكَتِهِ وَمُصَاهَرَتِهِ وَلا يَنْسَى مَا أسْدَيْتَ إليه من مَعْرُوف عندما كان محتاجا.

شِعْرَا: وإنَّ أَوْلَـى المَوالِـي أَنْ تُوالِيـهُ ... عِندَ السرُورِ الذي وَاسَاكَ في الحَزَنِ
إنَّ الكرامَ إذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَروْا ... مَنْ كانَ يَأْلَفُهُم في المَنْزِلِ الخَشِنِ
آخر: نَسِيْبُكَ مَنْ ناسَبْكَ في الدِيْنُ والتُّقَى ... وَجَارُك مَنْ أحْبَبْتَ في اللهِ قُرْبهُ
آخر: تِقيُّ الدّيـن يَجْتَنِبُ المَخَـازِيْ ... ويحْمِيْهِ عَن الغَـدْر الوَفَـاءُ
آخر: كُلُّ الأَنَامَ بَنُـوْ أَبٍ لكِنّمـا ... بالدّيْـنِ تُعَرْفُ قِيْمـةُ الإنْسَانِ
آخر: إذا أَرَدْتَ شَرِيْفَ الناسِ كُلِهِمُ ... فانظُرْ إلى مُخْلِصٍ لِلَّهِ فِيْ الدّيْن

ومنهُمْ الرَّدِيءُ الناقصُ العقلِ الذي يُتَضَرَّرُ بقُرْبِهِ، وعِشْرَتِهِ وَصداقَتِهِ وَجَمِيْعُ الاتصالاتِ به ضررٌ وشرٌ، ونكدٌ، وشبهُ ما لِهَذَا الدَّلْبُ المسمَّى الخُنَيْز، وَبَعضُهم يُسَمِيْه شَبَّابَ النارِ، فهذا النَّبْتُ يَمُصَّ الماءَ عن الشَّجر والزَّرْعِ وَيُضَيِّقُ عليهِ، وَيَضُرُّ مَن اتَّصَلَ بِهِ، قال ابنُ القيمُ رحمهُ اللهُ في وَصْفِ المنحرِفينَ مُشَبِّهاً لَهُمْ بِهِ وهو شَبَهٌ مُطَابِقٌ:

فَهُمُ لَدَى غَرْسِ الإلٰهِ كَمثْلِ غَرْ ... س الدَّلْبُ بَيْنَ مَغَارِسِ الرُّمانِ
يَمْتَصُّ مَاءَ الزَّرْعِ مَعْ تَضْيِيْقِهِ ... أَبداً عليهِ وليس ذَا قِنْـوانِ

آخر: الناسُ مِثْلُ ضُرُوْفِ حَشْوُهَا صَبِرٌ ... وفَوْقَ أَفْوَاهِهَا شيءٌ مِن العَسَلِ
تَغُرُّ ذائِقهَا حَتَّى إذا كُشِفَتْ ... لَهُ تبيَّنَ مَا تَحْويْهِ مِن دَخَلِ

ومنها السِّباخُ الخَبِيْثَةُ التي يَضِيْعُ بُذُورهَا، وَيَبِيْدُ زرْعُهَا وما بين ذَلِكَ على حَسَبِ ما يُشَاهَدُ منها وَيُوْجَدُ حساً.

وعن أَبِي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ الناسُ مَعَادنُ قال الخَطاي عَلى هَذا الحديثِ، وفي هذا القولِ أيضاً بيانُ أنَّ اختلاف الناسِ غرائزُ فيهِمْ، كَمَا أن المعادِنَ ودائعُ مَرْكُوزةٌ في الأَرْضِ فمنهَا الجَوهَرُ النفيسُ ومنها الفِلْزُ الخَسِيْسُ.

وكذَلِكَ جواهِرُ الناسِ، وطباعُهُمْ، منهَا الزكيُّ الرضيُّ ومنها الناقصُ الدَّنيءُ وإذا كانُوْا كذَلِكَ، وكانَ الأَمْرُ على العِيَانِ مِنْهم مُشْكِلًا واسْتِبْراءُ العَيْبِ فيهِمْ مُتَعذِّراً فالحَزْمُ إذاً الامْسَاكُ عنهُمْ، والتَّوَقُفُ عَن مُدَاخَلَتِهِمْ إلى أن تَكْشِفَ المِحْنةُ عن أَسْرارِهْم وَبَواطِنِ أَمْرِهِمْ فيكونُ عندَ ذَلِكَ إقدامٌ على خِبْرةٍ، أَو إِحْجَامٌ عنْ بَصِيْرَة.

شِعْرًا: وقَلَّ مَنْ ضَمِنَتْ خَيراً طِوّيَتُـهُ ... إلَّا وَفي وَجْهِـهِ للْخَيْـرَ عُنْـوان

وَلَعَلَّكَ أَسْعَدَكَ اللهُ إِذَا خَبَرْتَهم، وإذا عَرَفتَهم أَنكَرْتَهُمْ، إلَّا مَن يَخُصُّهُم

الثُّنَيَاءُ وَقَلِيْلٌ مَا هُمْ، وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ أَنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ جالساً ذاتَ يومٍ وَقُدَّامُه قَومٌ يَصْنَعُونَ شيئاً كَرِهَهُ مِن كَلَامٍ وَلَغَطٍ، فقيلَ يارسولَ اللهِ أَلَّا تَنْهَاهُمْ، فقالَ لو نَهَيْتُهم عن الحجُون، لأَوشَكَ بَعْضُهُم أَنْ يَأْتِيهُ، وَلَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ.

قال الخَطَّابي على هَذا الحديثِ قد أَنْبأَ النبيُ ﷺ بهذا القول أنَّ الشَّرَ طباعٌ في الناسِ، وأَنَّ الخِلافَ عادةٌ لَهُم، قُلْتُ وممَّا يَدُلُ على ذَلِكَ قِصَّةُ آدَمَ وَحَوَاءَ حِيْنَمَا نَهَاهُمَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عن الأكلِ مِن الشجرةِ أَكَلَا مِنها.

فَبَعْضُ الناسِ نَهْيُهُ عن الشيءِ كَأَنَّه إغراءٌ لَهُ فيهِ، فَإِذَا نَهَيْتَه عن شِدَةِ الإقبَالِ على الدُّنيا والإقلالِ مِن مَحَبَّتِهَا، ازْدَادَ وَفَطِنَ لأَشْيَاءَ قَدْ نَسِيها.

قال بعضهم:

وإِذَا زَجَرْتَ النَّفْسَ عن شَغَفٍ بها فكأنَّ زَجْرَ غويْهَا إِغْرَاؤُهَا

قال بَعْضُ الحُكَمَاءِ الشرُّ في طباعِ الناسِ، وحُبِّ الخِلافِ لَهُمْ عادةٌ، والجَورُ فيهم سُنَّةٌ.

وَلِذَلِكَ تَرَاهُمْ يُؤْذُونَ مَن لا يُؤْذِيهم، وَيَظْلِمونَ مَنْ لا يَظْلِمُهُمْ، وَيُخَالِفُونَ مَن يَنْصَحُهُم ولا يمنَعُهُمْ مِن الظُلم إِلَّا خَوفٌ أو رَجَاء.

وَقَدِيماً قِيْل:

والظُلْمُ مِن شِيمَ النُفُوْسِ فإنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظْلِمُ

قيلَ لِرَجُلٍ أَمَا تَسْتَحِي تُؤْذِي جيرانَك، قَالَ فَمَنْ أُوْذِي، أأُوذِي مَنْ لا أَعْرِفُ، نَعُوذُ باللهِ مِن هذهِ الحالِ هذا مَطْبُوعٌ على الشَرِّ والأَذِيَّةِ.

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«**فَصْلٌ**» : إذا فَهِمْتَ ذَلِكَ فاعْلَمْ أَنَّ الإِخَاءَ فِيْمَا مَضَى غالباً بَيْنَ الأَخَوَيْنِ كانَ أَحَدُهُمْ يَعْتَمِدُ على اللهِ ثُمَّ عَلَى أَخِيْهِ، وَيَطْمَئِنُ إليهِ، في مَهَامِّهِ كُلَّ الأَطْمِئْنَانِ، كَان أَحَدُهُم يُؤآخِي أخاهُ على الصَّفَاءِ بَيْنَهُم والحَنَانِ، كأَنَّ الأَخَ نَفْسُ أخيهِ، وربَّمَا زادَ عنه، في القيام بِشُئُونِهِ مرَّاتٍ، كان الأَخُ لا يُؤآخِي إِلَّا إِذَا أَحَبَّ لأَخِيهِ ما يحبُ لنفسِهِ.

وكانَ أَحَدُهُمْ يدخلُ بَيْتَ أَخيهِ بحَضْرَتِهِ وَيَأْخُذُ مِن خِزَانَتِه ما يُرِيْدُ، كانَ أحدُهم إذا سأَلَ أَخَاهَ ما هُو محتاجٌ إليه أَنَبَ نَفْسه إِذْ أَهْمَلَهُ حَتَّى أَفْصَحَ هو عَنْ حاجَاتِه، كانَ بعضُهم يُلَاحِظُ بعضاً فذا رَأى فُرْجَةً سَدَّها وَوَجْهُ أَخِيْهِ غَيْرُ مَبْذُولٍ.

كانَتِ الصُّحْبَةَ أَوَّلًا صَافِيةً وكانَ الحُبُ لِلَّهِ مَا فيهِ شائبةٌ، أَو طَمَعٌ مِن الأطماعِ، وَحَيْثُ أنَّ الصاحب هُو العَضُدَ الأَقْوى، والساعد الأَيْمَن لِلْمَرْءِ في حَيَاتِهِ وما يَنْتَابُهُ في مُلِمَّاتِهِ فَعَلَى العَاقِلِ أن يَخْتَارَ أَصحابَهُ وَيَنْتَقِيَ جُلَسَاءَهْ وَيَنْتَخِبَهُمْ مِن ذَوِي السِيْرةِ المَحْمُوْدَةِ والعقل الراجِحِ، والرَّأْيِ السَّدِيدِ، والدِّين المتين، ولْيَحْذَرْ مِنْ مؤآخاةِ مَن لا يَصْلَحُ للأخوةِ، ولا يُرَاعِي حقَّ الوِدَادِ وآدابِ المُجَالَسَةِ والمُحَادَثَةِ.

وأَوْصَى بَعْضُهُم ابنَهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفاةُ فقالَ يابُنِيَ إذا أَرْدَتَ صِحْبَة إنسانٍ فاصْحَبْ مَن إذا خَدَمْتَه صَانَكَ، وإن صَحِبْتَهُ زَانَكَ، اصحبْ مَنْ إذا مَدَدْتَ يَدَكَ للخَيْرِ مَدَّهَا، وان رَأَى منكَ حَسَنَةً عَدَّهَا، وان رَأَى منك سَيِّةً سَدَّهَا.

اصْحَب مَن إذا حَاوَلْتَ أَمْراً أعانَك، وَنَصَرَكَ، وان تَنَازَعْتُمَا في شيءٍ آثَرَكَ، فإن يَسَّرَ اللهُ لَكَ بصاحبٍ مِن هَذَا الطِّرازِ فاستَمْسِكْ بِغَرْزِه، قال الامامُ الشافعي رحمهُ اللهُ لولا القيامُ بالأسحار، وصُحْبَةُ الأخيار، ما أخْتَرتُ البَقاءَ في هذِهِ الدارِ، وقال بعضُ الأُدَبَاءِ أَفْضَلُ الذَّخائِرِ أَخٌ صاحبُ وفاءٍ.

وقال بعضُ الشعراء:

(هُمُومُ رِجَالٍ في أُمُوْرٍ كَثِيرَةٍ وَهَمِيْ مِن الدُّنْيَا صَدِيْقٌ مُسَاعِدُ)
(نَكُونُ كَرُوْحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ قُسِّمَتْ فَجِسْمَهُمَا جِسْمَانِ والرُّوْحُ وَاحِدُ)

آخر: عَلَيْكَ من الإخوانِ كُلَّ ثِقَاتِ حَمُوْلٍ لِعَبْءِ النَّائِبَاتِ مُوَاتِي
فذاكَ بِهِ فاشْدُدْ يَدَيكَ وَلَا تُرِدْ بِهِ بدلاً في عِيْشَةٍ وَمَمَاتِ
يَحُوْطُكَ في غَيْبٍ ويَرْعَاكَ شَاهِداً ويَسْتُر مَا أَبْدَيْتَ مِن عَثَراتِ
ومَنْ لِيْ بِهَذا لَيْتَ أَنِّي لَقِيْتُهُ فَقَاسَمْتُهُ مَالِي مِن الحَسَنَاتِ

آخر: ثَلاثُ خِصَالٍ للصَّدِيقِ جَعَلْتُهَا مُضَارِعَةً للصَّوْمِ والصَّلَواتِ
مُوَاسَاتُهُ والصَّفْحُ عن عَثَراتِهِ وتَرْكُ ابْتِذَالِ السِّرِ في الخَلَواتِ

آخر: ومَنْ لَمْ يُغَمِّضْ عَيْنَهُ عَن صَدِيقِهِ وَعَن بَعْضِ ما فِيْه يَمُتْ وهْوَ عَاتِبُ
ومَنْ يَتَتَبَّعْ جَاهِداً كُلّ عَثْرةٍ يَجِدْهَا وَلَا يَسْلَمْ لَهُ الدَهْرَ صَاحِبُ

آخر: هم الناس في الدُّنْيَا فلا بُدّ مِن قَذَى يُلِمُّ بِعَيْشٍ أَوْ يُكَدِر مَشْرَبا
ومِن قِلّةِ الإنصَافِ أَنَّكَ تَبْتَغِي المُهَذَابَ في الدُّنْيَا ولَسْتَ المُهَذَّبَا

آخر: وَكَمْ مِنْ أَخٍ لَمْ تَحْتَمِلْ مِنْهُ خَلَّةً قَطَعْتَ وَلَمْ يُمْكنْكَ مِنه بَدِيْلُ
ومَنْ لَمْ يُرِدْ إِلّا خَلِيْلًا مُهَذَّباً فَلَيْسَ لَهُ في العَالِمِيْنَ خَلِيْلُ

آخر: إِلْبَسْ عَلَى النَّقْصِ مَنْ تُصَاحِبُه يَدُمْ لَكَ الوُدُ عِنْدَهُ أَبَدَا
وقَارِبِ النَاسَ على عُقُولِهِمْ أَوْ لَا فَعِشْ في الأنَام مُنْفَرِدَا

آخر: ما صَاحِبُ المَرْءِ مَنْ إِنْ زَلَّ عَاقَبَهُ بَلْ صاحب المرءِ مَنْ يَعْفُوا إذا قَدِرَا
فإِنْ أَرَدْتَ وِصَالاً لا يكَدِّرُهُ هَجْرٌ فكُنْ صَافِياً لِلْخِلِ إنْ كَدِرَا

آخر: إذا ما كنت مُعْتقداً صَدِيْقاً فجربْهُ بأَحْوالٍ ثلاثِ
مُشاركةٌ إذا ما عَنّ خَطْبٌ وإسْعَافٌ بَعْينٍ أَوْ أَثَاثِ
وسِرُّكَ فأَتَمْنهُ عَلَيْهِ وَانْظُرْ أيَكْتُمُ أَمْ يُذِيْعُ بلا اكْتِرَاثِ
فإِنْ صادَفْتَ مَا تَرْضَى وإِلّا فإِنَّ المَرْءَ ذُا عُقَدِ رِثَاثِ

آخر: بِمَنْ يَثِقُ الأنسَانُ فِيما يَنُوْبُهُ ومِنْ أَيْنَ لِلْحُرّ الكَرِيْم صِحَابُ

وقَدْ صَار هَذا النَّاسُ إلا أَقَلُّهُمْ ذِئَاباً عَلَى أَجْسَادِهِنَّ ثِيَابُ
تَغَابَيْتُ عن قَوْم فَظَنُوْا غَبَاوَةً بِمَفْرق أغْبَانا حَصْى وَتُرابُ
إلى اللهِ أَشْكُوْ أَنَّنَا بِمَنَازِلٍ تَحَكَّمُ فيْ اسَادِهِنَّ كِلَابُ

آخر: لا تَغْتَر رْبِنَيْي الزَمانِ ولا تقُلْ عند الشَّدائِدِ لِيْ أَخٌ وحَمِيْمُ
جَرَّبْتُهُمْ فإذا المُعَاقِرُ عَاقِرٌ والآلُ آلٌ والحَمِيْمُ حَمِيْمُ

آخر: وَرُبَّ أخٍ لَمْ يُدْنِهِ مِنْكَ والِدٌ أبَرُّ مِن ابْنِ الأمِّ عِنْدَ النَّوائِبِ
ورُبَّ بَعِيْدٍ حَاضِرٌ لَكَ نَفْعُهُ ورُبَّ قَرِيْبٍ شاهِدٌ مِثْلَ غائِبِ

ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قَالَ: «عليكمْ بإخوانِ الصِدْقِ فإنهم زِينةٌ في الرَّخاءِ وعِصْمةٌ في البَلاءِ».

فإذا عَزَمَ الأنسانُ على اصْطِفَاءِ الإخوانِ سَبَرَ أَحْوالَهُم قبلَ إخَائِهِمْ وَكَشَفَ عن أَخْلاقِهم قَبْلَ اصطفائِهم قال بعضُهُمْ:

شِعْرا: كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُنْكِرُهُ مَادُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
مُتصَنِّعٌ لَكَ في مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بالتَّرْحِيْبِ وَالبِشْرِ
يُطْرِي الوَفَاءَ وَذَا الوَفَاء وَيَلْحَي الغَدْرَ مُجْتَهِداً وَذَا الغَدْرِ
فَارْفُضْ بإجْمَالِ مَوَدّة مَنْ يَقْلِيْ المُقِلَّ وَيَعْشَقُ المُثْرِيْ
وَعَلَيْكَ مَنْ حَالَاه وَاحِدَةٌ في العسْرِ مَا كُنْتَ وَباليُسْرِ

آخر: أَبْلِ الرِّجَالَ إِذَا أَرَدتَ إِخَاءَهُمِ وَتوسَّمَنَّ أُمُورَهُمْ وَتَفَقَّدِ
فإذا ظَفِرْتَ بِذِي الأَمَانَةِ والتُّقَى فبِهِ اليَدَينِ قَرِيْرَ عَيْنٍ فأشْدُدِ

آخر: غَايِضْ صَدِيْقَكَ تَكْشِفْ عن ضمائِرِهِ وتَهتْكِ السِتْرِ عن محْجُوبِ أسْرارِ
فالعُودُ يُنْبِيْكَ عن مَكْنُونِ بَاطِنِهِ دُخَانُهُ حِيْنَ تُلْقِيْهِ عَلَى النارِ

ولا تَبْعثُهُ الوَحدَةُ على الاقدامِ قبلَ الخِبْرَةِ، ولا حُسْنُ الظنِ على الاغترارِ بالتَّصنُع.

فإن التَّملق الذي هُو القَولُ الحَسَنُ مَعَ خُبْثِ القَلْبِ، مَصَائِدُ العُقولِ، والنِّفَاقُ تَدْلِيْسُ الفِطَنِ، والمَلْقُ والنِّفَاقُ سَجِيتَا المُتصنِّعِ، وليسَ فِيْمَنْ يَكونُ النِفَاقُ والمَلْقُ سَجَاياهُ خَيرٌ يُرْجَى، ولا صلاحٌ يؤمَّلْ بَلِ الشَّرّ والأذى فيهِ، فلْيَكُنْ اللَّبِيْبُ فَطِناً حاذِقاً، صاحبَ فِراسَةٍ لا يُحْسِنُ الظنَّ بكُلِّ أحدٍ.

شِعْرَا: فلا تُلْزِمَنَّ الناسَ غَيْرَ طَباعِهِـمْ ... فَتَتْعَبَ مِنْ طُوْلِ العِتَابِ وَيَتْعَبُوْا
فَتَارِكْهُـمُ مَا تَارَكُـوكُ فإنَّهُـــمْ ... إلى الشَّرِ مُذْ كانُوا عن الخَيْرِ أَقْرَبُ
ولا تغْتَررُ منهم بِحُسْنِ بَشَاشَةٍ ... فأَكْثَرُ إيْمَاضِ البَوارقِ خُلَّبُ

آخر: وصَاحِبٌ لِيْ كَدَاءِ البَطْنِ صُحْبَتُهُ ... يَوَدُّنِـي كوِدَادِ الـذِئْبِ للراعِـيْ
يُثْنِـيْ عَلـيَّ جَزَاهُ اللهُ صَالِحَـةً ... ثَنَاءَ هِنْدٍ على رَوْجِ ابْنِ زِنْبَـاعِ

شِعْرَا: إنِّي لأَعْرِفُ في الرِّجَالِ مُخَادِعاً ... يُبْـدِي الصَّفَـاءَ وَوِدُّهُ مَمْـذُوْق
مِثْلُ الغَدِيْـرِ يُرِيْك قُرْبَ قَرَارِهِ ... لِصَفَائِـهِ والقَعْـرُ مِنْـهُ عَمِيْـــقُ

آخر: رَعَى اللهُ إخْوانَ التَّمَلُّقِ إنَّهُـمْ ... كَفَونَا مُؤُناتِ البَقَاءِ على العَهْدِ
فَلَوْ وَفَوَا كُنَّا أُسَارَى حُقُوقِهِمْ ... تَرَاوحُ ما بَيْنَ النَّسِيْئَةِ والنَّقْـدِ

وقالتِ الحُكَماءُ إعْرِفْ الرجُلَ مِنْ فِعْلِهِ، لا مِنْ كَلَامِهِ، وأعْرِفْ مَحَبَّتَهُ مِن عَيْنَيْهِ، لا مِنْ لِسَانِهِ، وَعَلَيْكَ بمَنْ حَالَاهُ في العُسْرِ، واليُسْرِ واحِدَةٌ أَيْ يُحبُّكَ كلَّ حِيْنٍ، سَواءً كُنتَ غَنِياً أَوْ فَقِيْراً أَمَّا إخوانُ الرخاءِ فاترُكْهُمْ، قال بعضهم.

ولا خَيْرَ في وِدِّ امْرِيءٍ مُتَلَوِّنٍ ... إذا الرِّيْحُ مَالَتْ مَالَ حَيْثُ تَمِيْلُ
جَوَادٌ إذا اسْتَغْنَيْتَ عن أَخْذِ مَالِهِ ... وعِندَ احْتِمَالِ الفَقْرِ عنْكَ بخِيْلُ
فَمَا أَكْثَرُ الإخوانِ حِيْنَ تَعدُّهُمْ ... وَلَكِنَّهُـمْ في النَّائِبَــاتِ قَلِيْـــلُ

على أَنْ الإنْسَانَ مَوْسُومٌ بِسِمَاتِ مَن قارَبَ، وَمَنْسُوبٌ إليه أفاعِيلُ مَن صَاحَبَ، قال ﷺ: «المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». وقَالوا ما مِنْ شيءٍ أَدَلُّ على شيءٍ مِنَ الصاحبِ على صَاحِبِهِ وَقَدِيْمًا قيل:

عَنِ المَرْءِ لا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِيْنِهِ ... فَكُلُّ قَرِيْنٍ بالمُقَارِنِ يَقْتَدِي

آخر: إذَا كُنْتَ في قَومٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ ... ولاتَصْحَبِ الأَرْدَى فَتَردَى مَعَ الرَّدِي

آخر: إذَا بَخِلَ الصَّدِيْقُ عَلَيْكَ يوماً ... بشَيْءٍ أَنْتَ مُحْتَاجٌ إلَيْهِ

فَمثِّلْ قَبْرَهُ في الأَرْضَ شَخْصاً ... وَقُلْ قَدْ مَاتَ لَاأَسَفاً عَلَيْهِ

آخر: الناس شِبْهُ ظُرُوف حَشْوُهَا صَبِرٌ ... وَفَوقَ أَفْواهِهَا شَيْءٌ مِن العَسَلِ

تَحْلُو لِذَائِقِهَا حَتّى إِذَا انْكَشَفَتْ ... لَهُ تَبيَّنَ مَا تَحْوِيْهِ مِنَ دَخَلِ

آخر: وأكثر مَنْ شَاوَرتَهُ غيرُ حَازِمٍ ... وأَكْثَرُ مَنْ صَاحَبْتَ غَيْرُ مُوَافِقِ

إِذَا أَنْتَ فَتَشْتَ الرِّجَال وَجَدْتَّهُمْ ... قُلُوْبَ الأعَادِيْ في جُلُودِ الأَصَادِقِ

آخر: وَأَعْظم آفَاتِ الرِّجالِ نِفَاقُهَا ... وَأَهْوَنُ مَنْ عَادَيْتَهُ مَن يُدَاهِنُ

آخر: إذا قَرَّبَ السُلطانُ أَخْيارَ قَوْمِهِ ... واعْرَضَ عن أَشْرَارِهِمْ فَهُوَ صَالِحُ

وإنْ قَرَّبَ السُلطانُ أَشْرَارَ قَوْمِهِ ... واعْرَضَ عن أَخْيَارِهِم فَهُو طَالِحُ

وكُلُ امْرِىءٍ يُنبِيْكَ عنه قَرِيْنُهُ ... وَذَلِكَ أَمْرٌ في البَرِيَّةِ واضِحْ

آخر: وإذا أرَدْتَ تَرى فَضِيْلَة صَاحِبٍ ... فانْظُرْ بعَيْنِ البَحْثِ مَنْ نُدَمَاؤهُ

فالمرء مَطْوِيٌ على عَلَّاتِهِ ... طَيَّ الكتَابِ وصَحْبُهُ عُنْوانُه

آخر: تَحَرَّ إذا صَادَفْتَ مَن وِدُّهُ مَحْضُ ... يُصَانُ لَدَيْهِ الدِّيْنُ والمالُ والعِرْضُ

فكُلُ خَلِيْلٍ مُنْبِيءٌ عن خليْلِهِ ... كَمَا عن شُؤُوْنِ القَلْبِ قد أَنْبَأَ النَّبْضُ

وبالصِدق عَامِلْ مَنْ تُحِبُّ مِن الوَرَى ... وإلا فَذاكَ الحُبُّ آخِرُهُ البُغْضُ

آخر: تَجَنَّبْ صَدِيْقاً مِثَل مَا واحْذرَ الذِي ... يَكُونُ كعَمَرْوٍ بَيْنَ عُرْبٍ وأَعْجَمِي

فإنّ قَرِيْنَ السُوْءِ يُرْدي وشَاهِدِي ... كَمَا شرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِن الدَّمِ

آخر: عَلَيْكَ بأَرْبَابِ الصُدُوْرِ فَمَنْ غَدا ... مُضَافاً لِأَرْبَابِ الصُدُورِ تَصَدَّرَا

وإيَّاكَ أَنْ تَرضَى بِصُحْبَةِ نَاقِصٍ ... فَتَنْحَطَّ قَدْراًمِن عُلَاكَ وتُحْقَرا

فَرَفْعُ أَبُو مَنْ ثُمَّ خَفْضُ مُزَمَّلِ ... يُبَيِّنُ قَوْلِي مُغْرِياً ومُحَذِّرَا

والإِشارَةُ في قوله: «ثُمَّ خَفْضُ مُزمَّل» إلى قول امرىء القيس:

كَأَنَّ أَبَاناً في عَرَانِيْنِ وَبْلِهِ كَبِيْرُ أُنَاسٍ في بِجَادٍ مُزَمَّلِ

وَذَلِكَ أنَّ مُزَمَّلًا صِفَةُ لِكَبير، فكان حَقُّهُ الرَّفْعُ ولكن خُفِضَ لِمَجاوَرَتِهِ المَخْفُوض.

كان جُنْدُبُ بنُ عبدالله الأنصاري صديقاً لعبدالله بن عباس فقال لَهُ حَيْنَ ودَّعَه أوْصِنِي ياابنَ عباس فإني لا أدْري أنَجْتَمِعُ بَعْدَهَا أمْ لَا.

فقال أُوْصِيْكَ ياجُنْدْبُ ونَفْسِي بتوحيدِ اللهِ وإخلاص العمل لله وإقام الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ فإنَّ كلَّ خَيرٍ أتَيْتَ بعدَ هَذه الخصال مُقْبُولٌ وإلى الله مرفوع ومن لم يكمل هذه الأعمال رُدَّ عَلَيه ماسِواها.

وكن في الدنيا كالغريب المسافر واذكر الموتَ والْتَهُنِ الدنيا عليكَ فكأنَّكَ قَدْ فَارَقْتَهَا وصِرْتَ إلى غيرها واحْتَجْتَ إلى ماقَدَّمْتَ ولم تنتفع بشيءٍ مِمَّا خَلَّفْتَ ثُمَّ افْتَرَقَا.

كَتبَ عُمُر إلى ابنِهِ عبدالله أُوْصِيْكَ بِتَقْوَى الله فإنَّ مَن اتَّقَاه كَفَاهُ ومَن أَقْرَضَه جَزَاهُ ومَن شَكَرَهُ زَادَهُ فاجْعَلِ التقوى عِمَادَ بَصَرِكَ ونورَ قلْبِكَ.

وأعلم أنه لا عملَ لِمن لا نِيَّة لَهُ ولا جَدِيْدَ لمن لا خَلَقَ لَهُ ولا إيمانَ لمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ ولا مال لِمَنْ لا رفْق لَهُ ولا أجْرَ لِمَنْ لا حَسَنَةَ لَهُ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ في قُلوبِنَا نُوْر فنَهْتَدي بِهِ إِلَيْكَ وَتَوَلَّنا بِحُسْنِ رِعَايَتِك حَتّى نَتوكلَ عَلَيكَ وارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّذلِلِ بَيْنَ يَدَيكَ فَالعزيزُ مَنْ لَاذَ بعزِّك والسَّعيدُ مَن الْتَجَأَ إلى حِمَاكَ وَجُوْدِكَ والذليلُ مَنْ لَمْ تَؤيّدْهُ بعنايَتِكَ والشَّقِيْ مَن رَضِيَ بالإِعْرَاضِ عنْ طَاعَتِكَ، اللَّهُمَّ نَزِّهْ قُلوْبَنَا عنْ التَّعلق بِمَنْ دْونَكِ واجْعَلْنَا مِنْ قوم تحِبُّهُمْ ويُحِبُونَكَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« فَصْــــلٌ »

والمُؤآخاةُ في النَّاسِ عَلى وَجْهَيْنِ أحدُهُمَا أُخُوَّةٌ مُكْتَسَبَةٌ بالاتفاقِ الجارِي مَجْرَى الاضْطِرَارِ، والثانيةُ مُكْتَسبَةٌ بالقَصْدِ والاختِيَارِ، فأَمَّا المُكْتَسَبَةُ بالاتّفَاقِ فَهِيَ أَوْكَدُ حَالًا، لِأَنَّهَا تَنْعَقِدُ عَنْ أَسبابٍ مَوْجُودةٍ في المُتَآخيينِ، تَعُودُ المؤآخاةُ إلى تِلكَ الأَسْبابِ، وهي مَوْجُودَةٌ فِطْرَةً.

فالمؤآخاةُ ضَرُورِيَّةٌ لا يُمْكِنُ دَفْعُاَ، كَمَا لا يُمْكِنُ دفعُ الإيلام، والمُكْتَسَبَةُ بالقَصْدِ، تُعقَدُ لها أَسْبابٌ اختياريَّةٌ، تَنْقَادُ إليها، وَتَعْتَمِدُ عَليها بِحَسَبِ قُوَّتِهَا وَضَعْفِهَا، ورَبَّما تَكُون تكلُّفاً وَخَدِيْعَةً، فَتَصِيرُ المؤآخاةُ معاداة، وما كان جارياً بالطَّبْعِ فهو أَلْزَمُ، مِمَّا هُوَ حَادِثٌ بالقَصْدِ.

إنَّمَا كانَ كذَلِكَ لأَنَّ الإئتلافَ بالتشاكُلِ، والتَّوافُقِ، والتَّشاكُلُ بالتَّجَانُسِ فإذا عُدِمَ التجانُس مِن وَجْهٍ، انْتَفى التشاكُلُ مِن وَجْهٍ وَمَعَ انتفاءِ التشاكلِ يُعْدَمُ الائتلافُ فَثَبَتَ أَنَّ التَّجَانُسَ، وإنْ تَنَوَّعَ أَصْلُ الإخَاءِ وقاعِدَةُ الإئتلافِ.

وقد رُوِيَ عن عَائِشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالتْ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «الأَرْواحُ جنودٌ مجندةٌ فَمَا تَعَارفَ منها ائْتَلَف وما تَناكَرَ مِنَها اختَلَفَ» رواه البخاري، فالظواهرُ التي تَبْدُو لَنَا وَنَرَاها في الاجْتِمَاعاتِ العامَّةِ، مَيْلُ كُلِّ امرىءٍ إلى مَنْ يُشَاكِلُهُ وَيُنَاسِبُهُ، رُوْحاً وَخُلُقاً، أَوْ دِيْناً، وَأَدباً أَوْ مَبْدأً أَو مَذْهَباً أَوْ حِرْفَةً وَعَمَلًا.

قيل إن إياساً سافر إلى بلد فلما وصل وصادف بعض أهل البلد وجرى بينهم كلام قال إياس عَرَفنا خيارَكم مِن شرارِكم في يومين فقيل له كيف قال كان معنا خيارناً وشرارنا فلحق كل بشكله خيارنا لحقوا بخياركم وشرارنا لحقوا بشراركم فألِفَ كُلٌ شَكْلَه. أ. هـ.

شِعْرًا: والأَلْفُ يَنْزِعُ نَحْوَ الآلِفِيْنَ كما ... طَيْرَ السَّمَاءِ على أُلَّافِهَا تَقَعُ

آخر: إذَا بُلِـي اللّبيْبُ بِقُــرْبِ فَدْمٍ تجرَّعَ فِيْـهِ كَاسَاتِ الحُتُــوفِ
فَذُوْ الطَّبْعِ الكَثِيْف بغَيْر قَصْدٍ يَضُرُّ بصَاحِبِ الطَّبْعِ اللَّطِيْـفِ
وَذَلِكَ أَنَّ بَيْنَهُمَــا اخْتِلَافــاً كحَمُىّ الرّبْعِ في فَصْلِ الخَرِيْفِ

آخر: وإيَّـاكَ إيَّـاكَ المِــزَاحَ فإنَّــه يُطَمِّعُ فِيْكَ الطّفْلَ والرَّجُلَ النّذْلا
ويُذْهِبُ مَاءَ الوَجْهِ بَعْدَ بَهائِـهِ ويُوْرِثُ بَعْدَ العِزّ صَاحِبَـهُ ذُلَّا

آخر: تَوقَّ بَنِيْ الزّمَـانِ فكَـمْ خَلِيْـلٍ مِن الخِـلَّانِ مَذْمُوم الخِــلَالِ
وخَفّفْ ما اسْتُطَعْتَ فكُلّ نَذْلٍ يَرَى رَدَّ السَّلام مِن الثِقَــالْ
ولا تَنْظُرْ لِجسْم المَرْءِ وَانْظُرْ دِيَانَتَــهُ فإنَّ الــجِسْمَ آلْ
وإنْ عَايَـنْتَ ذَا فَسْقٍ وَكُفْــرِ فَخَفْـهُ فَذَاكَ أَخْتَـلُ من ذُؤَال

آخر: إذا أَنْتَ سَارَرْتَ في مَجْلِسٍ فإنَّكَ في أَهْلِــهِ مُتَّهَـــمْ
فَهَــذا يَقُــوْلُ قَدِ اغْتَابَنِــيْ وَذَا يَسْتَــرِيْبُ وَذَا يَأْثَـــمْ

آخر: وقَدْ تَعامَى رِجَالٌ لَوْ تَبِيْنُ لَهُمْ سَجِيَّةُ النَّاسِ خَافُوْا كُلَّ مَنْ أَمِنُوْا
ذَمَمْتَ وَقْتَكَ أَنْ نَابَتْكَ نَائِبَـةٌ بمِثْلِ ما تَشْتَكِيْهِ يُعْرفُ الزَّمَـنُ

خفْ مِن جَلِيْسِكَ وَاصْمُتْ إنْ بُلِيْتَ بِهِ فالعِيُّ أَفْضَلُ مِمَّا يَحْبِكُ اللَّسِنُ

آخر: كَانَ إجْتِمَاعُ النِاس فِيْمَا مَضَى يُوْرِثُ لِلْبَهْجَــةِ وَالسَّلْـــوَةْ
فانْقَـــــلَبَ الأَمْرُ إلى ضِدّهِ فَصَارَتِ السَّلْوَةُ في الخَلْــوَةْ

شِعْرًا: مُخَالِطُ الناسِ في الدُّنْيَا على خِطَرٍ وفي بَلَاءٍ وصَفْوٍ شِيْبَ بالكَدَرَ
كَرَاكِبِ البَحْرِ إنْ تَسْلَمْ حُشَاشَتُهُ فَلَيْسَ يَسْلَمُ مِن خَوْفٍ ومِن حَذَرِ

فَتَرى المُجْتَمِعِيْنَ بَعْدَ مُدَّةٍ وَجِيْزَةٍ مِن بَدْءِ الاجتماعِ، قَدْ انْقَسَمُوا جَمَاعاتٍ، تَتَحَدَّثُ كل جماعةٍ في شُؤُونها الخَاصةِ، وأُمُورِهَا المُشْتَرَكةِ، وَتَتَغَيَّرُ نُفُوسُها إذا رَأَتْ دَخِيْلًا بَيْنَ جَمَاعَاتِهَا لا تَرْبِطُهُ بِهِمْ صِلَةٌ، ولا تَجْمَعُهُم بِهِ جَامِعَةٌ، وَعِنْدَمَا تَرْكَبُ في قطارٍ، أَو سيارةٍ أَو سَفِيْنَةٍ أَو في مجلسٍ مِن المجالسِ، تَرى نَفْسَكَ مُنْجَذِبةٌ إلى بَعْضِ الحَاضِرِيْنَ مُشْمَئِزَةً ونافِرةً مِن الآخَرِيْن، وربُمَّا أَنَّهُ لم يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ ولَا تَعَارُفٌ، ولا تَعَادٍ وتَخَاصُمٌ.

فالسِّرُّ في هَذَا ما بَيَّنَهُ المصطَفى ﷺ بهذا الحديث فهُوا يَقُولُ: «إنَّ أَرْوَاحَ العِبَادِ وَنُفُوسَهُمْ جُنُودُ مُجْتَمِعَةٌ، وجُيُوشٌ مُجَيَّشَةٌ فالتي بينْهَا تعارفٌ وتَشاكلٌ وتوافُقٌ وَتَنَاسُبٌ، يَأْلُف بعضُها بعْضاً، ويُسَرُّ باجتماعِهِ، وَيَفْرَحُ لِلِقَائِهِ، لاتّفَاقٍ في المَبْدأ وَتَقَارُبٍ في الرُوْحِ».

رَوَى أبو يعلى في مُسندِهِ عن عَمْرَةَ بنتِ عبدِالرحمنِ قالَتْ كانَتْ امرأةٌ بمِكةَ مَزَّاحَةٌ، فَنَزَلَتْ على امرأَةٍ مِثْلِها في المدينةِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فقالتْ صَدَق حِبِّي سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «الأَرْواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تعارفَ منها ائتلفَ، وما تناكَرَ منها اختلف».

فالأَخْيارُ الأَبرارُ الأَتْقِيَاءُ الأَمْجَادُ الأَطهارُ، إذا وُجِدُوا في مُجْتَمَع جَذَبُوا أَشبَاهَهَمَ، أَوْ انْجَذَبُوا إِلَيْهِم، وَسَرَى بَيْنَهُم تَيَارُ مِن المحبةِ جَمَعَ قُلُوبَهم وَقَوَّى رَوَابِطَهَا وَثَبّتَ صِلَتَهَا.

قال بعضهم:

لَعَمْرُكَ إنَّ القَلْبَ نَحْوَكَ شَيِّقٌ ... وَأَنْتَ بِمَا الْقَى مِن الشَّوْقِ أَعْلَمُ
فَؤُدُّكَ عن وِدّيْ إِلَيْكَ مُبَلِّغٌ ... وَقَلْبُكَ عن قَلبي إليك يُتَرْجِمُ

وكَذَلِكَ الأَشْرَارُ والفُجَّارُ والفَسَقَةُ والظَلَمَةُ، إذا حَضَرُوْا بنادٍ بادَرَ إليهم الفَسَقَةُ، والمُجْرِمُونَ، والسُّفَلُ، وَاللُّؤَمَاءُ، وَجَذبَهُمْ قُرنَاؤُهُم، وَنَفَرُوْا مِمَنْ لَايَتَخَلّقُ بأَخلاقِهِمْ، ولايَسِيْرُ في رِكابِهِم.

قالَ ﷺ: «لو أَنَّ مؤمناً دَخَلَ إلى مَجْلسٍ فيهِ مِائَةُ مُنَافِقٍ، وَمُؤْمِنُ وَاحِدٌ، لَجَاءَ حَتَّى يَجْلِسَ إليه، وَلَوْ أَنَّ مُنَافقاً دَخَلَ إلى مجلسٍ فيهِ مَائةُ مُؤْمِنٍ، ومنافِقٌ واحدٌ، لَجَاء حَتَّى يَجْلِسَ إِليهِ».

وهذا يدلُّ على أَنَّ شِبْهَ الشيءِ مُنْجَذِبٌ إليه بالطبْعِ، وإن كانَ هُوَ لا يَشْعُرَ بهِ، وكانَ مالكٌ بنُ دينارٍ يقولُ: «لا يَتّفقُ إثنانِ في عِشْرةٍ إلّا وفي أَحَدِهِمَا

وَصْفٌ عن الآخَرِ ، وانّ أَجناسَ الناسِ كأجناسِ الطيرِ ولا يتفقُ نوعانِ مِن الطيرِ في الطيرانِ إلا وبينهُمَا مُناسَبَةٌ » .

قال فَرَأَى يوماً غراباً مَعَ حَمَامةٍ فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ فقالَ اتَّفَقَا وَلَيْسَا مِن شَكْلٍ واحِدٍ ، ثُمَّ طَارَا فإذا هُمَا أَعْرَجانِ فَقَالَ مِنْ هَهَاهُنا اتَّفَقَا ، وقَالَ بَعضُ الحكماءِ كلُّ إنسانٍ إلى شَكْلِهِ كَمَا أَنَّ كُلَّ طَيرٍ يَطِيْرُ مَعَ جِنْسِهِ قال بعضهم :

(لِكلِّ امرىءٍ شَكْلٌ يَقَرُّ بِعَينِهِ ... وقرةُ عينِ الفَسْلِ أَنْ يَصْحَبَ الفَسْلَا)

ويقول الآخر :

وَلَيْس أَخُوكَ الدائمُ العَهدِ بالذي ... يَذُمُّكَ إنْ وَلَّى ويُرْضِيْك مُقبْلَا
ولَكِنَّهُ النَّائِي إِذَا كُنْتَ آمِناً ... وصَاحِبُكَ الأدنَى إِذَا الأَمْرُ مُعْضِلَا

آخر : مَنْ خَصَّ بالشُكْرِ الصَّدِيقَ فإنَّنِي ... أَحْبُوْ بِخَالِص شُكْرِيَ الأَعْدَاءَ
نَكِرُوْا عَلَيَّ مَعَائِبِيْ فَحَذِرْتُهَا ... وَنَفَيْتُ عَنْ أَخْلَاقِي الأَقْذَاء
ولَرُبَّمَا انْتَفَعَ الفَتَى بعَدُوِّه ... وَالسُّمُ أَحْيَاناً يَكُون شِفَاءَ

آخر : وَكَمْ من عَدُوٍّ صَارَ بَعْدَ عَدَاوَةٍ ... صَدِيْقاً مُجلًا في المَجالِسِ مُعْظِمَا
وَلا غُرْوَ فالعُنْقُوْدُ مِنْ بَعْد كَرْمِهِ ... يُرَى عِنَباً مِن بَعْدِ مَا كان حِصْرِمَا

آخر : لَيْسَ الصَّدِيْقُ الذي يَلْقَاكَ مُبْتَسِماً ... ولا الذي بالتَّهانِي والسرُورِ يُرَى
إِنَّ الصديقُ الذي يُوْلِي نَصِيْحَتَهُ ... وإنْ عَرَتْ شِدَّةُ أَغْنَى بِمَا قَدِرَا

آخر : عاشِرْ مِن الناسِ مَن تَبْقَى مَزَدَّتُهُ ... فأَكْثَرُ الناسِ جَمْعٌ غَير مُؤْتَلِف
مِنْهُمْ صَدِيْقٌ بِلَا قَافٍ ومَعْرِفة ... بغَيْرِ فاءٍ وإخْوانٌ بلا أَلِـفِ

آخر : إِذِا المَرْءُ لم يُنْصِفْ أَخَاهُ ولم يَكُنْ ... لَهُ غَائِباً يوْماً كَمَا هُو شَاهَدُ
فلا خَيْرَ فيه فالتَمْس غَيْرَهُ أَخا ... كَرِيْماً على صِدْقِ الإخَاءِ يُسَاعِدُ

آخر : وقُلْتُ أَخِي قَالُوا أَخَ مِن قَرَابَةٍ ... فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الشُّكُولَ أَقَارِبُ
نَسِيْبِي في رَأْيٍ وعَزْمِي وَهِمَّتِي ... وإنْ فَرَّقَتْنَا في الأُصُوْلِ المَنَاسِبُ

وإذا عَرَفْتَ رِجَالاً بالبِرِّ والتُقَى والاسْتقامة ونَفَرتْ مِنْهُم نَفْسُكَ ونَبَأ عنهم

قلبُك، فاعْلَمْ أنكَ مَريضٌ، إمَّا مَرَضُ شُبْهَةٍ وإلا مَرَضُ شَهْوةٍ، وأنَّكَ نَاقِصٌ مَعيبٌ، دُوْنَهُمْ في الطهَارةِ، فَدَاوِ نفسَك مِن عُيوبِها، وَطَهِّرْهَا مِن أَوْزَارِهَا حَتَّى تَتَقَارَبَ الأَرْوَاحُ وَتَتَشَاكَلَ النُفوسُ، فَتَحُلَّ الأُلْفَةُ مَحَلَّ النُّفْرَةِ.

وإذا رَأَيْتَ نَفْسَكَ تَمِيْلُ إلى مَنْ تَعْرِفُهُمْ بالشَّر والفُجُورِ، والـفِسْق والخَلَاعَةِ والعُهْرِ فاتِهِمْ نَفْسَكَ واسْتَدْركْ عُمَرَكَ، قَبْلَ الفَوْتِ، وابْتَعِدْ عنهم كُلَّ البُعْدِ، وتُبْ إلى اللهِ واسأَلْهُ أَنْ يُعافِيَكَ، مِمَّا ابْتَلاهُمْ.

وإذا رَأَيْتَ نَفْسَكَ تُحَدِّثُكَ بأنَّكَ البَرُّ الأَمِيْنُ التَّقِيُّ المُخْلَصُ أو الإِنسانُ المُهَذَّبُ، فَكَذِّبْ نَفْسَكَ في الإِعْجَابِ، وفي هذا الوَهْم الكاذِبِ، وأعْتَقِدْ أنكَ غِرٌّ مَخْدُوعٌ، وأَبْلَهٌ مَفْتُونٌ، فَفَتِشْ في زَوَايَا قَلْبِكَ، تَجدْ لِلْبَاطِلِ رُكْناً، وَلِلْشَيْطانِ حَظاً، وَلِلْفَسَادِ جَوّاً وهذَا مَا جَذَبَ قَلْبَكَ إلى الأشْرَارِ.

وإذا رَأَيْتَكَ تَمِيْلُ إلى الأخيارِ، وَتُحِبُ مَجَالِسَهُمْ، وَتَنْجَذِبُ نَفْسُكَ إِلَيْهِمْ، مَعَ عِلْمِكَ بِسُوْءِ سِيْرَتِكَ واعْوجَاجِ طَرِيْقَتِكَ، فاعْلَمْ أَنَّ فِيْكَ بَقِيَّةَ خَيْرٍ، ولا يَزَالُ فِيْكَ أَملٌ فَرَبِّ هذهِ البَقيَّةَ وَقَوِّ هَذَا الأَمَلَ، حَتَّى يَرْحَلَ عنكَ الشَّرُّ، وَتَدْخُلَ في حِزْبِ الخيرِ.

وكذلكَ إذا رَأَيتَ في نَفسِكَ بَعْضَ المَيْلِ للمُجرمِيْنَ، وَأَنْتَ طَاهِرٌ تَقِيٌّ نَقِيٌّ، فاعْرِفْ أَنَّ الشَّيطانَ قَدْ نَفَثَ فِيْكَ نَفْثَةً، وَثَغَرَ في قَلْبِكَ ثَغْرَةً، فَتَدَارَكْ أَمْرَكَ وتَحصَّن منه واسْتَعِذْ باللهِ قال اللهُ تعالى لِنبيهِ ﷺ: ﴿وإمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فاستعِذْ باللهِ﴾ الآية، وقال: ﴿قُلْ أَعُوْذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ إلى آخر السورةِ.. أهـ من الأدَبِ النبوي.

وعن أَبِي ذَرٍّ أَنَّه قَالَ: الصَّاحِبُ، الْخَيِّرُ خَيْرٌ مِنَ الوَحدةِ والوَحْدَةُ خَيْرٌ مِن جَلِيس السُّوءِ وَمُمْلِي الخَيْرَ خَيْرٌ مِن الساكِتِ والسَّاكِتُ خَيْرٌ مِن مُمْلِي الشَّرِّ والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم.

« فَصْــــلٌ »

قال بعضُ الحُكَمَاءِ عَداوةُ العاقل أَقلُّ ضَرراً مِن مَودَّةِ الأحْمَقِ لأنَّ الأحْمَقِ رُبَّمَا ضَرَّ وهو يَقْدِرُ أَنْ يَنْفَعَ لِعَدَمِ تَمْيِيْزِهِ بَيْنَ النفعِ والضَّرِ فيَتَجَاوَزُ الحدَّ ، والعَاقِلُ لا يَتَجاوَزُ الحَدَّ في مَضرَّتِهِ فَمَضَرَّتُهُ لَهَا حَدٌ يَقِفُ عليهِ العَقْلُ إذا انْتَهَى إلى ذَلِكَ الحدِّ .

وَمَضرةُ الجَاهِلِ لَيْسَتْ بِذَاتِ حَدٍّ والمَحْدُوْدُ أَقلُّ ضَرَراً مِمَّا هُوَ غَيرُ مَحْدُوْدٍ قَالَ بعضهم :

ولأَ أَنْ يُعَادِيَ عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ ... مِن أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ
فارْغَبْ بِنَفْسِكَ أنْ تُصَادِقَ جَاهِلًا ... إنَّ الصَّدِيْقَ على الصَّدِيْقِ مُصَدَّقُ

وقال بعضُ الأُدَبَاءِ مَن أشارَ عليكَ بِمُصَاحِبَةِ جَاهِلٍ لَمْ يَخْلُ مِنْ أَمْرَيْن : إمَّا أَنْ يكونَ صَدِيقاً جاهلاً ، مَا يَعْرِفُ ولا يُمَيِّزُ بَيْنَ مَن يَصلحُ لِلصُحْبَةِ وَمَنْ لا يَصْلُحُ ، وإمَّا أَنْ يكونَ هذا المُشِيرُ عليكَ عدواً لكنَّهُ عاقلٌ لأنه يُشِيْرُ بِما يَضُرّكَ وَيَحْتَالُ عليكَ بالأشياءِ الْتِي تَضُرُّكَ ، وقديماً قيل :

ولا تَصْحَبِ الحَمْقَى فَذُو الجَهْلِ إن يَرُمْ ... صَلَاحاً لِأَمْرٍ يَاأَخَا الحَزْمِ يُفْسِدِ

ويقول الآخر :

فَعَدَاوَةٌ مِنْ عَاقِــلٍ مُتَجَمِّــلٍ ... أَوْلَى وأَسْلَمُ مِن صَدَاقَةِ أَحْمَقِ

وقال بعضُهمْ الأَصْدِقَاءُ ثلاثةٌ أَحدُّهم كالغذَاءِ لا بُدَّ مِنْهُ ، والثاني كالدَّواءِ يُحتاجُ إليهِ في وَقْتٍ دُوْنَ وَقْتٍ ، والثالثُ كالدَّاءِ لا يُحْتَاجُ إليهِ قَطّ ، وقَدْ قيْلَ مَثَلُ جُمْلَةِ الناسِ كَمَثَلِ الشَّجَرِ والنَّبَاتِ فمِنْها ما لَهُ ظلٌّ وَلَيْسَ لَهُ ثَمَرٌ وهو مِثْلُ الذي يُنْتَفعُ بِهِ في الدُّنْيا دُوْنَ الآخِرَةِ ، فإنَّ نَفْعَ الدُّنْيا كالظلِ السَّرِيعِ الزَّوَالِ ، وَمِنْهَا مَا لَهُ ثَمَرٌ وليْسَ لَهُ ظلٌّ .

وَمِنْهَا مَا لَيْسَ لَهُ وَاحدٌ منهُمَا كَأُمِّ غَيْلان تُمزِّقُ الثيابَ ولا طَعْمَ فيها ولا شَرَابٍ ومثلهُ مِنَ الحَيَوانِ الحيةُ والْعَقْرَبُ والفَأْرُ ومثلهُ في النَّباتِ الخُنَيْزُ فإنه يُضَيِّقُ على الزَّرْعِ وَيَضُر مَنْ لَمِسَهُ ولا يُؤْكَلُ ولا لَهُ ثَمَرٌ يؤكَلُ.

ويَشرَبُ مَاءَ الزَّرعْ ويُعوقُ نُمُوَّهُ ... إذاً فلابُدَّ مِن الإِخْتِيَار قَبْلَ المُعَامَلة

شِعْرَا: لاتَشكُرنَّ فَتًى حَتَّى تُعَامِلَهُ ... وتَسْتَبِيْنَ مِن الحَالِلَيْنِ إنْصَافَا

فَقَدْ تَرَى رَجُلًا بادِى الصَّلاحِ فإنْ ... عَامَلْتَهُ في حَقِيْرٍ غَشَّ أَوْ حَافَا

آخر: الناسُ شَتَّى إذَا مَا أَنْتَ ذُقْتَهُمُ ... لَا يَسْتَوُوْنَ كَمَا لَاتَسْتَوِيْ الشَّجَرُ

هَذَا لَهُ ثَمَرٌ حُلْوٌ مَذَاقَتُهُ ... وذَاكَ لَيْسَ لَهُ طَعْمٌ ولا ثَمَرُ

إذا فَهِمْتَ تفاوتَ النَّاسِ في العَقْلِ والدِّيْنِ فعليكَ قَبْلَ الصَّدَاقَةِ أَنْ تَفْحَصَ عَنْ مَنْ تُرِيْدُ صَدَاقَتَهُ وإِخَاءَه فَإِذَا حَصَلْتَ على مَنْ تَرْضَاهُ ديناً وَعَقْلًا وأَدَباً فالزَمْهُ، كَمَا قِيل:

أَبْلِ الرجَالَ إذا أَرَدْتَ إِخَاءَهُم ... وتَوَسَّمَنَّ أُمُوْرَهُم وتَفَقَّدِ

فإذا ظفرْتَ بِذِي الأَمانَةِ والتُقى ... فَبِهِ اليَدَيْنِ قَرِيْرَ عَيْنٍ فاشْدُدِ

آخر: لاتَمْدَحَنَّ امْرأً حَتَّى تُجَرِّبَهُ ... ولا تَذُمَنَّهُ مِن غَير تَجْرِيْبِ

فإنَّ حَمْدَكَ مَن لَمْ تَبْلُهُ سَرَفٌ ... وإنَّ ذَمَّكَ بَعْدَ الحَمْدِ تَكْذِيْبُ

آخر: جَامِلْ أَخَاكَ إذا استَرَبْتَ بِودِّهِ ... وانَظُرْ بِهِ عُقْبَى الزَّمانِ يُعَاوِدُ

فإنْ استَمَرَّ على الفَسَادَ فَخَلِّهِ ... فالعُضْوُ يُقْطَعُ لِلْفسَادِ الزائِدِ

وقال ابن القيم رحمه الله ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة، ويجعل الناس فيها أربعة أقسام: متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينهما دخل عليه الشر.

أحداها: من مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه في اليوم فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة، ثم إذا احتاج إليه خالطه هكذا على الدوام. وهذا الضرب أعز من

الكبريت الأحمر وهم العلماء بالله وأمره، ومكايد عدوه، وأمراض القلب وأدويتها الناصحون لله ولرسوله ولخلقه. فهذا الضرب في مخالطتهم الربح كل الربح.

القسم الثاني: من مخالطته كالدواء، يحتاج إليه عند المرض فمادمت صحيحاً فلا حاجة لك في خلطته، وهم من لا يستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش، وقيام ما أنت محتاج إليه من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة والعلاج للأدواء ونحوها فإذا قضت حاجتك من مخالطة هذا الضرب بقيت مخالطتهم مِنَ القسم الثالث: وهم من مخالطتهم كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه.

فمنهم من مخالطته كالداء العضال، والمرض المزمن، وهو من لا تربح عليه في دين ولا دنيا، ومع ذلك فلابد من أن تخسر عليه الدين والدنيا أو أحدهما، فهذا إذا تمكنت منك مخالطته واتصلت، فهي مرض الموت المخوف.

ومنهم من مخالطته كوجع الضرس، يشتد ضربه عليك، فإذا فارقك سكن الألم.

ومنهم من مخالطته حمى الروح، وهو الثقيل البغيض، الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك ولا يعرف نفسه فيضعها منزلتها، بل إن تكلم فكلامه كالعصى تنزل على قلوب السامعين، مع إعجابه بكلامه وفرحه به.

فهو يحدث من فيه كلما تحدث، ويظن أنه مسك يطيب به المجلس، وإن سكت فأثقل من نصف الرحا العظيمة التي لا يطاق حملها ولا جرها على الأرض ويذكر عن الشافعي رحمه الله أنه قال: ما جلس إلى جانبي ثَقِيل إلا وجدتُ الجانَب الذي يليه أنزلَ مِن الجانب الآخر.

قال بعضُهُم:

يَا مَن تَبَرَّمَتِ الدُّنْيَا بطَلْعَتِــهِ كَمَا تَبَرَّمَتِ الأَجْفَانُ بالسُّهُدِ
يَمْشِي على الأرضِ مُخْتَالًا فأحْسِبُه لثِقْل طلعتِهِ يَمْشِي على كَبِدِي

وقال ابن القيم:

ورَأَيْتُ يوماً عند شيخنا قدس الله روحه رجلًا مِن هذا الضرب، والشيخ يحمله، وقد ضعفت القوى عن حمله، فالتفت إليَّ وقال: مجالسة الثقيل حمى الربع، ثم قال: لكن قد أدمنت أرواحنا على الحمى، فصارت لها عادة أو كما قال:

قال بعضهم:

ما حِيْلتَي في ثِقَيْلٍ قَدْ بُلِيْتِ بِهِ مِن قُبْح طَلْعَتِهِ يُسْتَحْسَنُ الرَّمدُ
قد زَادَ في الثِقْـل حَتَّى مايُقَارِبُـه في ثِقْلِـهِ أَحـدٌ حَتَّـى ولاأُحُـدُ

ومرض الشعبي فعاده ثقيل فأطال الجلوس ثم قال للشعبي ماأَشدَّ مَامَرَّ بِكَ في مَرضِكَ قال قُعُوْدُكَ عندي.

ومَرَّ بِهِ صَدِيقٌ لَهُ وهُوَ بَيْنَ ثقيْلَين فقال له كيفَ الروح فقالَ في النَّزْع يعني في شدة عظيمة.

وبالجملة: فمخالطة كل مخالف حمى للروح، فعرضية ولازمة.

ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتلي بواحد من هذا الضرب، وليس له بُدٌّ من معاشرته ومخالطته فليعاشره بالمعروف، حتى يجعل الله له من أمره فرجاً ومخرجاً.

القسم الرابع: من مخالطته الهلك كله ومخالطته بمنزلة أكل السم، فإن اتفق لآكله ترياق، وإلا فأحسن الله فيه العزاء، وما أكثر هذا الضرب في الناس لا كثرهم الله.

وهم أهل البدع والضلالة، والصادون عن سنة رسول الله ﷺ الداعون إلى خلافها، الذي يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، فيجعلون البدعة سنة، والسنة بدعة، والمعروف منكراً والمنكر معروفاً.

إن جَرَّدْتَ التَّوْحِيْدَ بينهم قالوا: تَنَقَصْتَ جَنَابَ الأولياء والصالحين.

وإن جَرَّدْتَ المُتَابَعَةَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ قالوا: أَهْدَرْتَ الأَئِمَّةَ المتبوعين.

وإن وصفت الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير غلو ولا تقصير قالوا: أنت من المشبهين.

وإن أمرت بما أمر الله به ورسوله من المعروف ونهيت عما نهى الله عنه ورسوله من المنكر قالوا: أنت من المفتونين.

وإن اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا: أنت من أهل البدع المضلين.

وإن انقطعت إلى الله تعالى، وخليت بينهم وبين جيفة الدنيا قالوا: أنت من الملبسين.

وإن تركت ما أنت عليه واتبعت أهواءهم فأنت عند الله من الخاسرين وعندهم من المنافقين.

فالحزم كل الحزم: التماس مرضاة الله تعالى ورسوله بإغضابهم، وأن لا تشتغل باعتباهم، ولا باستعتابهم، ولا تبالي بذمهم ولا بغضهم فإنه عين كمالك كما قال:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني فاضل

وقال آخر:

وقد زادني حبّاً لنفسي أنني ... بَغيْضٌ إلى كُلِ امرِيءِ غيرِ طائِلِ

فمن أيقظ بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل الأربعة التي هي أصل بلاء العالم.

وهي: فضول النظر، والكلام، والطعام، والمخالطة واستعمل ماذكرناه من الأسباب التسعة التي تحرزه من الشيطان فقد أخذ بنصيبه من التوفيق. وسد عن نفسه أبواب جهنم، وفتح عليها أبواب الرحمة، وانغمر ظاهره وباطنه.

ويوشك أن يحمد عند الممات عاقبة هذا الدواء، فعند الممات يحمد القوم التقي. وفي الصباح يحمد القوم السري، والله الموفق لا رب غيره ولا إله سواه. أهـ.

اللَّهُمَّ ياعالمَ الخَفياتِ وَيَا سَامِعَ الأَصْوَاتِ ويَا بَاعِثَ الأَمْواتِ وَيَا مُجِيْبَ الدَعَواتِ وَيَا قَاضِيَ الحَاجَاتِ يَا خَالقَ الأرض والسَّمواتِ أَنْتَ اللهُ الاحدُ الصمدُ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد الوَهَّابُ الذي لا يَبْخَلُ والحَليمُ الذي لا يَعْجَلُ لا رادَّ لامْرِكَ ولا مُعَقِّبَ لِحُكَمِكَ نَسْأَلكَ أَنْ تغفرَ ذنوبَنَا وَتُنورَ قلوبَنَا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ في قُلوبِنَا وَتُسْكِنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إنك عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِير وَصَلَّى اللهُ على محمدٍ وآله وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«موعظـــة»

عِبَادَ اللهِ لا شَيء أَغْلى عَليكُمْ مِن أَعمارِكُمْ وَأَنْتُم تُضَيِّعُونَهَا فيما لا فَائِدَةَ فيه. وَلَا عَدُوَّ أعدَى لَكُمْ مِنْ إِبْلِيْسَ وَأَنْتُمْ تُطِيْعُونَهُ، ولا أَضَرَّ عَليكُمْ مِن مُوافَقَةِ النَّفْسِ الامَّارَةِ بالسُّوءِ وَأَنْتُم تُصَادِقُونَهَا، لَقَدْ مَضَى مِن أَعمارِكُمْ الاطَايِبُ، فما بَقِيَ بعد شَيْبِ الذوائِبِ.

ياحاضِرَ الجسم والقلبُ غائبُ، اجتماعُ العَيْبِ مَعَ الشَّيبِ مِن أَعظَم المَصَائِب، يَمْضِي زَمَنُ الصِّبَا في لَعِبٍ وسَهْوٍ وَغَفْلَةٍ، يا لَهَا مِن مَصَائِب، كَفَى زاجراً واعظاً تَشيُّبُ منه الذَوَائِب، ياغافلًا فاتـه الأَرْبَـاحُ وَأَفْضَلُ

المَنَاقِبِ ، أَيْنَ البُكاءُ والحَزَنُ والقلقُ لِخَوفِ العظيمِ الطالبِ أَيْنَ الزَّمَانُ الذي فَرَّطْتَ فيهِ ولمْ تخشَ العَواقِبَ ، أَيْنَ البُكَاء دَماً عَلى أَوقَات قُتِلَتْ عندَ التَّلَفزْيُون والمِذياع والكُرَةِ والسِيْنَماءِ والفيديُوْ والخَمْرِ والدُّخَانِ والمَلاعِبْ واللعب بالورق والقيل والقال .

كَمْ في يومِ الحَسْرةِ والنّدامَةِ مِن دَمْع سَاكِبْ على ذُنُوبٍ قَدْ حَوَاها كِتابُ الكَاتِبْ ، مَنْ لَكَ يَوْمَ يَنْكَشِفُ عَنْكَ غِطَاؤكَ في مَوقِفِ المُحَاسِبْ ، إذا قيلَ لَكَ مَا صَنَعْتَ في كُلِّ وَاجِبْ ، كَيْفَ تَرْجُو النجاةَ وأنت تَلْهُوْ بِأَسْرِ المَلَاعِبْ ، لَقَدْ ضَيَّعتكَ الأَمَاني بالظن الكاذِب ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الموتَ صَعْبٌ شَدِيْدُ المَشَارِبْ ، يُلْقِي شَرَّهُ بكأسِ صُدُوْرِ الكَتائِبْ ، وأَنَّهُ لا مَفَرَّ مِنْهُ لِهَارِبْ فانظرْ لِنَفْسِكَ واتَّقِ الله أَنْ تَبْقَى سَلِيْماً مِن النَّوائِبِ فَقَدْ بَنَيْتَ كَنَسجِ العنكبوتِ بَيْتَاً أَيْنَ الذينَ عَلَوا فوقَ السُّفنِ والمراكبِ أَينَ الذينَ عَلَوْ على مُتونِ النجائِبِ ، هَجَمت عليهِمْ المنايَا فأصبحوا تَحْتَ النصَائِبْ وأنتَ في أَثرِهِمْ عن قريبٍ عَاطِب ، فانظرْ وَتَفكَّرْ واعْتَبرْ وَتَدَبَّرْ قَبْلَ هُجُومِ مَنْ لَا يمنعُ عنه حَرَسٌ ولا بَابٌ ولا يَفُوْتُهُ هَرَبُ هَارِبْ .

اللَّهُمَّ يسر لَنَا سَبْيلَ الأَعْمَالِ الصَّالِحاتِ وهَيِّءْ لَنَا مِن أَمْرِنا رَشَدَا واجْعَلْ مَعُونَتَكَ العُظْمَى لَنَا سَنَدَاً واحْشُرْنَا إذا تَوَفَيْتَنَا مَعَ عِبَادِكَ الصالِحِيْنَ الذينَ لا خَوفٌ عَلَيهم ولَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِـهِ وَصَحْبِـهِ أَجْمَعِيْنَ .

شِعْرَا : وَكَيْفَ قَرَّتْ لِأَهْلِ العِلْمِ أَعْيُنُهُمْ ... أَوْ اسْتَلَذَوْا لَذيذَ النَومِ أَو هَجَعَوا
والموتُ يُنْذِرُهُم جَهْـراً علانيـةً ... لَوْ كانَ لِلقومِ أَسْمَاعٌ لَقَدْ سَمِعُوا
والنـارُ ضاحِيَـةٌ لا بُدَّ مَوْرِدُهُـمْ ... وليسَ يَدْرُونَ مَن يَنْجُو وَمَنْ يَقَعُ
قَدْ أَمْسَتْ الطيرُ والانعامُ آمِنةً ... والنّونُ في البَحرِ لا يُخْشَى لَهَا فَزَعُ

والآدَمِيُ بهذَا الكَسْبِ مُرْتَهَنٌ لَهُ رَقيبٌ على الأسْرارِ يَطَّلِعُ
حَتَّى يُرَى فِيه يومَ الجَمْعِ مُنْفَرِداً وَخَصْمُهُ الجِلْدُ والأَبْصَارُ والسَّمعُ
وإذْ يَقومُونَ والأشهادُ قائِمَةٌ والجنُّ والإنسُ والأملاكُ قَدْ خَشعُوا
وطارتْ الصُّحْفُ في الأَيْدِي مُنْشَرَةً فيها السَّرائرُ والأخْبارُ تُطَّلَعُ
فكيفَ بالنّاسِ والأنباءُ واقعَةٌ عَمَّا قَلِيلٍ وَمَا تَدْرِي بِمَا تَقَعُ
أَفِي الجِنَانِ وَفَوزٍ لاانقطاعَ لَهُ أم في الجَحِيمِ فلا تُبْقِي ولاتَدَعُ
تَهْوِيْ بُسُكَّانِهَا طَوْراً وَتَرْفَعُهُمْ إذا رَجَوْا مَخْرَجاً مِنْ غَمِّهَا قُمِعُوا
طَالَ البُكَاءُ فَلَم يَنْفَعْ تَضَرُّعُهُم هَيْهَات لارِقّةٌ تُغْنِي ولَاجَزَعُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُور الإيمانِ واجْعلنا هُدَاةً مُهْتَدِيْن وآتِنَا في الدُّنيا حَسَنةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنَا عذَابَ النارِ، اللَّهُمَّ أَنْظُمْنَا في سِلْكِ الفَائِزِيْنَ بِرِضْوَانِكَ، واجْعَلْنَا مِنْ المُتَّقِيْنَ الذيْنَ أعْدَدْتَ لَهُمْ فَسِيْحَ جِنَانِكَ، وأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ في دَارِ أَمَانِكَ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ جَمِيْعِ البَلايَا، وأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِب فَضْلِكَ وَهِبَاتِكَ وَمَتِّعْنَا بالنَّظَر إلى وَجْهِكَ الكَرِيْمِ مَعَ الذيْنَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّيْنَ والصِّدِّيقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِيْنَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْـــلٌ»

وقالَ ابنُ القَيّم أَصْلُ الخَيرِ والشَّرِ مِن قبلِ الفِكْرِ، فَإِنَّ الفكرَ مَبْدأُ الإرادَةِ والطَّلَبِ في الزُهْدِ، والتّرْكِ، والحُبِ والبُغضِ وَأَنْفَعُ الفِكْرِ في مَصَالِحِ المَعَادِ وفي طُرُقِ اجتلابِهَا، وفي دَفْعِ مَفَاسِدِ المعادِ وفي طُرُقِ اجْتِنَابِهَا، فَهذِهِ أربعةُ أفكارٍ، هِي أَجَلُّ الأَفكارِ، وَيَليها أربعةٌ، فِكرٌ في مَصَالِحِ الدّنيا وَطُرُقِ تَحصيلِهَا وفكْرٌ في مَفَاسِدِ الدنيا وطرق احْتِرَازِ منها فَعَلى هذِهِ الأقسامِ الثَّمانيةِ دارت أفكارُ العُقلاءِ.

وَرَأْسُ القِسْمِ الأولِ، الفِكْرُ في آلاءِ اللهِ وَنِعَمِهِ وأَمْرِه وَنَهْيِهِ وَطُرُق العِلْمِ بِهِ، وبأَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ مِن كتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبيِّهِ ﷺ وَمَا وَالاهُمَا، وَهَذَا الفِكْرُ يُثْمِرُ لِصَاحِبِهِ المَحَبَّةَ، والمَعْرِفَةَ، فإِذَا فَكَّرَ في الآخرةِ وشَرَفِهَا وَدَوَامِهَا وفي الدُّنْيَا وَخِسَّتِهَا وَفَنَائِهَا أَثْمَرَ لَهُ ذَلِكَ الرَّغْبَة في الآخِرَةِ والزهْدَ في الدُّنْيَا.

وكُلَّمَا فكَّرَ في قِصَرِ الأمَلِ، وضِيْقِ الوَقْتِ، أَوْرَثَه ذَلِكَ الجدَّ والاجْتِهَادَ، وَبَذْلَ الوُسْع في اغتنَامِ الوَقْتِ.

وهذه الأفكارُ تَعْلِي هِمتَه، وَتُحْيِيْهَا بَعْدَ مَوتِهَا وَسُفُولِهَا وَتَجْعَلَهُ في وادٍ والناسُ في وادٍ.

قال بعضهم:

فَكَّرْتُ في الجَنَّةِ العُلْيَا فَلَمْ أَرَهَا ... تُنَالُ إلَّا عَلَى جَسْرٍ مِنَ التَّعَبِ

آخر: إنَّ امْرَأً بَاعَ أُخْرَاهُ بِفَاحِشَةٍ ... مِن الفَواحِشِ يأتيهَا لَمَغْبُونُ

ومَن تَشَاغَلَ بالدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا ... عَن جَنَّةٍ ما لَهَا مِثْلٌ لَمَفْتُوْنُ

وَكُلُ مَن يَدَّعِي عَقْلًا وهِمَّتُهُ ... فِيْمَا يُبَعِّدُ عَنْ مَوْلاهُ مَجْنُونُ

آخر: يَامَنْ يُعَانِقُ دُنياً لا بَقَاءَ لَهَا ... يُمْسِي ويُصْبِحُ في دُنْيَاهُ سَفَّارَا

هَلَّا تركْتَ لدى الدُّنْيَا مُعَانَقَةً ... حَتَّى تُعَانِقَ في الفِرْدَوسِ أَبْكَارَا

إنْ كُنْتَ تَبْغِيْ جِنانَ الخُلْدِ تسْكُنُهَا ... فاطلُب رِضى خَالِقِ الجنَّات والنارَا

وَبإِزَاءِ هَذِهِ الأَفكارِ الرَّدِيئَةِ الَّتِي تَجُوْلُ في قُلُوبِ أَكْثَرِ هَذَا الخَلْقِ، كالفِكْرِ فِيْمَا يُكلِّفُ الفِكْرُ فِيه، ولا أُعْطِيَ الاحاطَةَ بِهِ مِن فُضُولِ العِلْمِ الذي لا يَنْفَعُ، كالفِكْرِ في كَيفيةِ ذاتِ اللهِ وصفاتِهِ مِمَّا لا سَبِيْلَ لِلْعُقولِ إلى إِدْرَاكِهِ بِهِ.

ومنها الفِكرُ في الصِّنَاعاتِ الدّقِيْقَةِ الَّتِي لا تَنْفَعُ بَلْ تَضرُّ، كالفِكْرِ في الشِّطْرَنْجِ والمُوْسِيْقَى وَأَنواع الأَشْكالِ، والتَّصَاوِيْرِ. قُلْتُ وَكل أَنواع المَلاهِي.

ومِنْهَا الفِكْرُ في العُلُومِ الَّتِي لَوْ كَانَتْ صَحِيْحَةً لَمْ يُعْطِي الفِكرُ فِيْهَا النَّفْسَ كَمَالاً ولا شَرَفاً كالفِكْرِ في دَقائِقِ المَنْطِق، والعِلْم الرِّياضِي، والطَّبِيْعِي، وأَكْثرِ

علوم الفلاسِفَةِ الَّتِي لَوْ بَلَغ الإنسانُ غايتَها لَمْ يَكْمُلْ بِذَلِكَ، ولَمْ يُزكِ نَفْسَهُ.

ومنها الفكر في الشَّهواتِ، واللّذاتِ وطُرُق تَحصيلها، وهَذا وإنْ كانَ للنَّفْسِ فيهِ لذةٌ لكِنْ لا عاقِبَة له ومضرَّتُه في عَاقِبةِ الدُّنْيا قَبْلَ الآخِرَةِ أَضْعَافُ مَسَرَّتِهِ.

ومنها الفِكْرُ فِيمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كانَ كَيْفَ كَانَ كالفِكْرِ فِيْمَا إذا صَارَ مَلِكاً أَوْ وَجَدَ كَنْزاً أو مَلَكَ ضَيْعَةً مَاذَا يَصْنَعُ وَكَيْفَ يَتَصرَّفُ، وَيَأْخذُ وَيُعْطِي وَيَنْتَقِمُ ونحوَ ذَلِكَ مِن أَفْكارِ السُّفَلِ.

ومنها الفِكْرُ في جُزْئياتِ أحوالِ الناسِ، وَمَجرِيَّاتِهِمْ، وَمَدَاخِلِهِمْ وَمَخارِجِهِمْ، وَتَوَابعِ ذَلِكَ مِن فكر النُّفُوسِ المُبْطِلَةِ الفَارِغَةِ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ والدَارِ الآخرةِ.

ومنها الفكرُ في دَقَائِقِ الحِيَلِ، والمَكْرِ، الَّتِي يَتَوصَّلَ بِهَا إلى أَغْرَاضِهِ وَهَوَاهُ مُبَاحَةً كانَتْ أَو مُحَرَّمةً.

وَمِنْهَا الفكْرُ في أَنواع الشِّعْرِ، وصُروفِهِ وَأَفَانِيْنِه في المدْح والهِجاءِ والغَزَلِ والمَراثِي وَنَحْوِهَا، فإنَّه يَشْغَلُ الإِنْسَانَ عن الفِكْرِ فِيْمَا فِيْهِ سَعَادَتُهُ وَحَيَاتهُ الدَّائِمَةُ.

ومنَها الفكرُ في المُقَدَّرَاتِ الذِّهْنِيَةِ الَّتِي لا وُجُودَ لَهَا في الخارِجِ ولا بالنّاسِ حاجةٌ إليها البتَةَ، وَذَلِكَ موجودٌ في كُلِّ علمٍ حَتَّى في عِلْمِ الفِقْهِ والأُصُولِ والطّبِّ، فكلُّ هذهِ الأفكارِ مَضَرَّتُها أَرْجَحُ مِن مَنْفَعَتِهَا وَيَكْفِي في مَضَرَّتِهَا شُغْلُها عن الفِكرِ فيما هُوَ أَوْلَى بِهِ، وأعودُ عَليهِ بالنفعِ عاجلًا وآجلاً. أهـ.

شِعْرًا: يَا غافلًا عنْ صُروفِ الوَقْتِ في سِنَةٍ ... الـوَقْتَ يُوقِظُ بالآياتِ والعِبَرِ
كَمْ ذَا تَنَامُ وَعَيْنُ الوَقْتِ سَاهِرَةٌ ... لَهُ حَوَادِثُ في الغُدْوَاتِ والبُكَرِ
لا تأْمن الوَقْتَ وأَحذَرْ مِن تَقَلُّبِهِ ... فَشِيْمَةُ الْوَقْتُ شَوْبُ الصَّفْوِ بالكَدَرِ

وارغَبْ بنَفْسِكَ عَمَّا سَوفَ تُدْرِكُه فِعْلَ اللبيبِ أخِي التَّحْقِيقِ والنَّظَرِ
ماذَا يَغرُّكَ مِن دارِ الفَنَاءِ ومِنْ عُمْرٍ يَمُرُّ كَمِثْلِ اللَّمْحِ بالبَصَرِ
فامْهَدْ لِنَفْسِكَ فالساعاتُ فَانِيَةٌ والعُمْرُ مُنْتَقِصٌ والمَوْتُ في الأَثَرِ

آخر: يَا مَنْ تَبَجَّحَ بالدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا كُنْ منْ صُرُوْفِ لَيَالِيهَا عَلى حَذَرِ
وَلا يَغُرَّنْكَ عَيْشٌ إنْ صَفَا وَعَفَا فالمَرْءُ مِنْ غُررِ الأَيَّامِ فِي غَرَرِ
إنَّ الزَّمَانَ كَمَا جرَّبْتَ خِلْقَتَهُ مُقَسَّمُ الأَمْرِ بيْنَ الصَّفْوِ والْكَدَرِ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفّقْنَا لِلقِيَامِ بِحَقِّكَ، وخلّصنا مِن حقوق خلقكَ، وَبارِكْ لَنَا في الحلالِ مِن رِزْقِكَ، ولَا تَفْضَحْنَا بين خَلْقِكَ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ داعٍ وأَفْضَلَ مَن رجَاهُ راجٍ يا قاضِي الحاجاتِ، ومُجيبَ الدعواتِ، هَبْ لَنَا ما سَأَلْنَاهُ، وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيْمَا تَمَنَّيْنَاهُ، يا مَنْ يَمْلِكُ حَوائِجَ السَّائِلين ويَعْلَمُ ما فِي صُدُورِ الصَّامِتِينَ أذِقْنَا بَرْدَ عَفوِكَ وحَلَاوَة مَغْفِرَتِكَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــــلٌ»

اعلم وفقنَا اللهُ وإياكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ أَنَّ الحُبَّ في اللهِ والبُغْضَ في اللهِ، أَصْلٌ عَظِيْمٌ مِن أُصُولِ الإِيْمَانِ يَجِبُ مُرَاعَاتُه ولهذَا جَاءَ في الحَدِيثِ: «أَوْثَقُ عُرَىٰ الإِيْمَانِ الحُبُّ في اللهِ والبُغْضُ في اللهِ»، وأَكْثَرَ اللهُ مِن ذِكْرِهِ في القرآنِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكَافِرِيْنَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُوْنِ المُؤْمِنِيْنَ﴾.

فالمعنَى أَنَّ لَكم أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ في مُوَالاتِ المُؤْمِنينَ مَنْدُوحَةً عن مُوالاتِ الكفَّارِ، فَلا تُؤْثِروهُمْ عليهِمْ، وقولُهُ: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيءٍ﴾ المعنى وَمَنْ يَتَوَلَّاهُمْ فَهو بَرِيءٌ مِن اللهِ واللهُ بَرِيءٌ منه كقولِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُم تُقَاةً﴾ أي إلا أَنْ تخَافُوا عَلَى أَنْفسِكُمْ في إبداءِ العدَاوةِ للكافِرينَ، فَلَكم في هَذِهِ الحال الرُّخْصةُ في المُسَالَمَةِ والمهَادَنَةِ، ولا في التَّولِّي الذي هُوَ مَحبَّةُ القَلْبِ الذي تَتْبَعُهُ النُّصْرةُ، بَلْ يكونُ القلبُ مُطْمَئِناً بالعَدَاوةِ، والبَغْضاءِ، يَنتظرُ زَوَالَ المَانِع.

وقال اللهُ تَعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُوْنِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتْ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الآياتِ إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ، هَا أَنْتُمْ أَوْلاءِ تُحِبّونَهُم وَلَا يُحِبّونَكُمْ وَتُؤْمِنونَ بالكتاب كله وإذا لَقوكم قالُوا آمنا، وإذا خَلَوا عَضُوا عليكم الأناملَ مِن الغَيظِ قلْ مُوتوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ بِذاتِ الصَّدورِ، إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ، وان تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ الآية.

ففي هذهِ الآياتِ تحذِيرٌ مِنَ اللهِ لِعبَادِهِ المؤمنينَ عَنْ وِلايةِ الكفَّارِ واتِّخاذِهِم بطانةً أَوْ خصِيْصةً وأَصدِقاءَ، يُسِرُّونَ إِليْهِمْ، وَيُفْضُونَ لهم بأَسْرارِ المؤمنينَ، أَوَّلًا أَنَّهُم لا يُقَصِّرُونَ في مَضَرَّةِ المؤمنين، وإِفْسادِ الأمرِ على المؤمنينَ مَا استطاعُوا إلى ذلك سبيلًا.

ثانياً: مَحَبَّتُهم ما شَقَّ عَلى المؤمنين، وَتَمَنِّيْهِمْ ضَرَرَ المؤمنينَ في دُنْيَاهُمْ وَدِيْنِهِمْ.

ثالثاً: أَنَّهم يُبْدونَ العَدَاوةَ والبَغْضَاءَ في كَلامِهِمْ وفي فَلَتَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ.

رابعاً: أَنَّ ما تُخْفِيْهِ صُدُورُهُمْ مِنَ البَغْضَاءِ والعَدَاوةِ أَكْبَرُ مِمَّا ظَهَرَ لكمُ مِنْ أَقْوالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، ثُمَّ ذَكَرَ نوعاً آخرَ مِن التَّحْذِيْرِ عن مُخَالَطِة الكافِرِينَ واتِّخاذِهِمْ بِطَانةً.

وفيهِ تَنبيهٌ على خَطَئِهِمْ في ذَلِكَ وَقَدْ ضَمَّنَهُ مُوراً ثلاثاً كلٌ منها يَسْتَدْعِي الكَفَّ عن مُخَالَطَةِ الكُفَّارِ، أَوَّلًا أنكُم تُحِبونَهم ولا يُحِبونَكم، ثانياً أَنَّكُمْ

تُؤمنونَ بالكِتَابِ كُلِّهِ مَا نَزَلَ عَلى نَبيِّكُم ومَا نَزَلَ على نَبيِّهِمْ، ثالثاً أنَّهم يُدَاهِنُونَكم وَيُنَافقوْنَكمْ فإذا لَقوكُمْ قالوا آمَنَا وإذا خَلَوْا مَعَ بَنِي جِنْسِهِمْ عَضّوا عليكُم الأنامِلَ مِن الغَيظِ والبُغْضِ.

وإنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ لِمَا رَأَوْا مِن ائتِلافِ المُسْلِمِيْنَ، واجْتماعِ كَلِمتِهِم وَصَلاحِ ذاتِ بَيْنِهِمْ، وَنَصْرِ اللهِ إِيَّاهُم، حَتَّى عَجِزَ أَعْداؤهُم أَنْ يَجِدوا إلى ذَلِكَ التَّشَفِّي سَبيلاً، فاضطُرّوا إلى مُدارَاتِهِم.

وقالَ تَعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنوا لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنّصَارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

وَالآياتُ هَذِهِ تُنادي بالنَّهْي المُطْلَقِ عن الوَلَاءِ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وعن الاسْتِنْصَارِ بِهِمْ، والرُّكُونِ إِلَيْهِم والثِّقةِ بِهِمْ، وَبِمَوَدَّتِهِم والاعْتِقَادِ في قُدْرَتِهِم على إيصَالِ خيرٍ لِلْمُسلِمِيْنَ، أَوْ دَفْعِ أَذَى بَلْ هُمْ على العَكْسِ لا يَأْلُونَ جُهْداً في دَفْعِ النَّفْعِ عَنِ المسلمينَ، وإِيْصَالِ الضَّرَرِ والأذَى لِلْمُسْلِمِيْنَ فانتبه يا أَخِيْ وَاحْذَرْهُمْ وَحَذِّرْ عَنْهُمْ. وإيَّاكَ ومداراتهم.

يَقُولُون لِيْ العِدَا تَنْجِ منهم	فَقُلْتُ مُدارَاتُ العِدَا لَيْسَ تَنْفَعُ
ولوْ أَنَّنِي دَارَيْتُ دَهْرِيَ حَيَّةً	إِذَا مُكِنَتْ يوماً مِنَ اللَّسْعِ تَلْسَعُ
آخر: إِذَا وَتَرْتَ امْرأً فاحْذَرْ عَدَوَاتَهُ	مَن يَزْرعِ الشَّوْكَ لا يَحْصُدْ بِهِ عِنَبَا
إِنَّ العَدُوَّ وإنْ أَبْدَى مُجامَلَةً	إِذَا رَآى مِنْكَ يوماً فُرْصَةً وَثَبَا

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ وَلِهَذَا كَانَ السَّلَفُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يَسْتَدِلُّونَ بِهَذِهِ الآياتِ عَلَى تَرْكِ الاسْتِعَانَةِ بِهِمْ فِي الوِلَايَاتِ، فَرَوَىٰ الإِمَامُ أَحْمَدَ بِأَسْنَادٍ صَحِيْحٍ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ قُلْتُ لِعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، إِنَّ لِيْ كَاتِباً نَصْرَانِياً، قَالَ مَالَكَ قَاتَلَكَ اللهُ، أَمَا سَمِعْتَ اللهَ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّها الَّذِيْنَ آمِنُوْا لَا تَتَّخِذُوْا اليَهُوْد والنَّصَارَىٰ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْض﴾ أَلا اتَّخَذْتَ حَنِيْفياً.

قَالَ قُلْتُ يَاأَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ لِي كِتَابَتُهُ وَلَهُ دِيْنُهُ، قَالَ لَا أُكْرِمُهُمْ إِذَا أَهَانَهُمْ اللهُ، وَلَاأُعِزُّهُمْ إِذا أَذَلَّهُمْ اللهُ، وَلَاأُدْنِيهِمْ إِذَا أَقْصَاهُمْ اللهُ «بَلِّغْ يَاأَخِيْ مَنْ وَالَاهُمْ وَوَلَّاهُمْ وَوَثِقَ بِهِمْ» وأحمد الله الذي عافاك مما ابتلاهم به.

وَلِمَا دَلَّ عَلَيْهِ مَعْنَى الْكِتَابُ وَجَاءَتْ بِهِ سُنَّةُ رَسولِ اللهِ ﷺ وَسُنَّةُ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، الَّتِي أَجْمَعَ الفُقَهَاءُ عَلَيْهَا بِمُخَالَفَتِهِمْ، وَتَرْكِ التَّشَبُّهِ بِهِمْ، فَفِي الصَحِيْحَيْنِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اليَهُودَ والنَصَارَىٰ لايَصْبَغُونَ، فَخَالِفُوهُم أَمْرٌ بِمُخَالَفَتِهِمْ قَال.

وَقَالَ تَعَالَى لِنَبيه عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: ﴿لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ وذَلِكَ يَقْتَضِي تبرّؤُهُ مِنْهُمْ فِي جَمِيْعِ الأَشْيَاءِ، وَإِذَا كَانَ اللهُ قَدْ بَرّأَ رَسُولَهُ ﷺ مِنْ جَمِيْعِ أُمُورِهِمْ، فَمَنْ كَانَ مُتَّبِعاً للرّسُولِ ﷺ حَقِيْقَةً كَانَ مُتَبَرِئاً مِنْهُمْ، كَتَبَرّئِهِ ﷺ مِنْهُم وَمَنْ كَانَ مُوافِقاً لَهُم كَانَ مُخَالِفاً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِقَدْر مُوافَقَتِهِ لَهُمْ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: إِنَ مُشَابَهَتَهُمْ فِي بَعْضِ أَعْيَادِهِمْ، تُوجِبُ سُرُورَ قُلوبِهِمْ بِمَا هُمْ عَلَيهِ مِنَ الْبَاطِلِ، خُصُوصاً إذَا كَانُوْا مَقْهُورِيْنَ، تَحْتَ ذُلِّ الجِزْيَةِ والصَّغَارِ، فَإِنَّهُمْ يَرُوْنَ المُسْلِمِيْنَ قَدْ صَارُوا فَرْعاً لَهُمْ فِي خَصائِصِ دِينِهِم، فإِنَّ ذَلِكَ يوجِبُ قَسْوَةَ قُلوبِهِمْ وَانْشِراح صُدُورِهِمْ وربَّمَا أَطْمَعَهم ذَلِكَ فِي انْتِهَازِ الفُرَصِ واسْتِذلالِ الضُّعَفَاءِ وَقَالَ رَحِمَهُ الله: وَكُلَّمَا كَانَتْ المُشَابَهَةُ أَكْثَرَ كان التَّفَاعُلُ فِي الأَخْلَاقِ والصِّفَاتِ أَتم حَتَّى يَؤُلَ الأَمْرُ إلى أَنْ لايُمَيَّزَ أَحَدُهُما عَنِ الآخرِ إلا بِالعَينَ فَقَطْ.

وَلَمَّا كَانَ بَيْنَ الإِنْسَانِ مُشَارَكَةٌ فِي الجِنْسِ الخَاصَ، كَانَ التَّفَاعُلُ فِيهِ أَشَدُّ، ثُمَّ بَيْنَهُ وبينَ سَائِرِ الحَيَوَانِ مُشَارَكَةُ فِي الجِنْسِ، المُتَوَسِّطِ، فَلَابُدَّ مِنْ نَوعِ تَفَاعُلٍ بِقَدْرِهِ.

ثُمَّ بَيْنَه وَبَيْنَ النَّبَاتِ مُشَارَكَةً فِي الجِنْسِ البَعِيْدِ مَثَلًا، فَلَا بُدّ مِنْ نَوْعٍ مَا مِنَ المُفَاعَلَةِ: قَالَ وَلأَجْلِ هَذَا الأَصْلِ وَقَعَ التَّأَثُّرُ وَالتّأثِيرُ فِي بَنِي آدَمَ، وَاكْتِسَابِ بَعْضِهِمْ أَخْلاقَ بَعْضٍ بالمُشَارَكَةِ، وَالمُعَاشَرَةِ، وَكَذَلِكَ الآدَمِيُّ إذا عَاشَرَ نَوْعاً مِنَ الحَيَوَانِ، اكْتَسَبَ مِنْ بَعْضِ أَخْلاقِهِ.

وَلِهَذَا صَارَتْ الخُيَلَاءُ وَالْفَخْر فِي أَهْلِ الإبِل، وَصَارت السَّكِيْنَةُ فِي أَهْلِ الغَنَمِ، وَصَارَ الجَمّالُونَ والبَغّالُونَ فِيْهِمْ أَخْلاقٌ مَذْمُومَةٌ، مِن أَخْلَاقِ الجِمَالِ والبِغَالِ، وَكَذَا الكَلّابُون.

قُلْتُ وَهَذا وَاضِحُ مُشاهَدٌ عِنْدَ الذِيْنَ يَتَأَمّلون بِدِقَّةٍ، فَالمعَاشِرُونَ لِلدَّجَاجَ والحَمَام، والأَرَانِبِ والحُمُرِ والبَقَر يَإخُذُونَ مِنْ أَخْلَاقِهَا.

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ وَصَار الحَيَوانُ الإنْسِي فِيهِ بَعْضُ أَخْلاق الإنْسِ مِنَ المُعَاشَرَةِ والْمُؤَآلَفةِ وَقِلَّةِ النُّفْرَة، فالمشَابَهَةُ والمُشَاكَلَةُ فِي الأُمُورِ الظَّاهِرَةِ تُوجِبُ مُشَابَهَةً وَمُشَاكَلَةً فِي الأُمُورِ البَاطِنَةِ عَلَى وَجْهِ المَسَارَقَةِ والتَّدَرِيْج الخَفِي.

قَالَ: وَقَدْ رَإيْنَا اليَهودَ الَّذِيْنَ عَاشَرَوا المُسْلِمِيْنَ، هُمْ أَقَلُّ كُفْراً مِنْ غيرهم، كَمَا رَأَيْنَا المُسْلِمِيْنَ الّذِينَ أَكْثَروا مِن مُعَاشَرَةِ اليَهُودِ والنَّصَارَى هُمْ أَقَلُّ إيماناً من غَيْرِهِمْ، والمُشَارَكَةُ فِي الهَدْى الظاهِر، تُوجِبُ أَيْضاً مُناسبةً وائتلافاً وإِنْ بَعُدَ المَكَانُ، والزَّمَانُ، فَهَذَا أَيْضاً أَمْرٌ مَحْسُوسٌ فَمُشَابَهَتُهُمْ فِي أَعْيَادِهِمْ وَلَوْ بالقَلِيلِ، هُوَ سَبَبٌ لِنَوْعٍ مَا مِن اكْتِسَابِ أَخْلَاقِهِمْ الَّتِي هِيَ مَلْعُونةٌ.

فَنَقُولُ مُشَابَهَتُهُمْ فِي الظاهِرِ سَبَبٌ وَمَظِنةٌ لمشابَهَتِهِمْ فِي عينِ الأخْلاق والأفعالِ المَذمُومَةِ، بَلْ فِي نَفْس الاعتقادِ، وتأثيرُ ذَلِكَ لَا يَظْهَرُ ولا يَنْضَبِطُ وَنَفْسُ الفَسَادِ الحَاصِلِ من المشابهةِ قد لا يَظْهِرُ ولا يَنْضَبِطُ وَقَدْ يَتَعَسَّرُ، أَوْ يَتَعَذَّرُ زَوالهُ، بَعْدَ حُصولِهِ لو تفطِن لَهُ.

وَكُلّ ما كان سبباً إلى مِثْل هَذا الفَسَادِ فإن الشَّارِعَ يُحَرِمُهُ كَمَا دَلتْ عليهِ الأُصُولُ المقررةُ.

وقَالَ إنَّ المُشَابَهَةَ فِي الظاهِرِ تُورثُ نَوْعَ مَوَدَّةٍ وَمَحَبَّةٍ وموالاةً فِي الباطن قالَ والمَحَبَّةُ والموالاةُ لَهُمْ تُنَافِي الإيْمَانَ، قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿ياأَيُّهَا الذين آمَنُوْا لا تَتخذوْا اليَهُودَ والنَّصَارَى أَولياء﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فأصبحوا خاسرين﴾ وقال تعالى فيما ذم به أهل الكتاب: ﴿لعن الذينَ كَفروا مِن بَني إسرائيْل على لِسَان داودَ وَعِيسى بِن مَريم﴾ الآيات إلى قولـه: ﴿ولكِـن كثيراً مِنهم فاسقون﴾.

فَبَيَّنَ تعالى أَنَّ الإيْمَانَ باللهِ والنبي وَمَا أَنْزَلَ مُسْتَلْزِمٌ لِعَدَمِ ولَايَتِهِمْ فَثُبُوتُ ولَايَتِهِمْ يُوجِبُ عَدَم الإيْمانِ، انتهى كلامه.

إذا فَهِمتَ ذَلِكَ، فاعْلَمْ أَنَ المقصُودَ مِن كُلّ ماذكَرْنا، هُوَ أَنَّكَ تَكُونُ مُتَيَقِظاً حافظاً لِمَنْ وَلَّاكَ اللهُ عَلَيْهِمْ حَسَبَ قُدْرَتِكَ وَاسْتِطَاعَتِكَ مُبْعِداً لَهُمْ كُلَّ البُعْدِ عَنْ الإتّصَالِ بالكُفَّارِ، والسَّفَر إلى بِلادِهِمْ، والإقامةِ عندَهُمْ، لِمَا وَضَّحْنَا لَكَ سَابِقاً فإن قَبِلْتَ ذَلِكَ فَهُو المطلوبُ، والحَمْد لِلّهِ عَلَى ذَلِكَ وإنْ أَبَيْتَ قُبُولَ هَذِهِ النَّصِيْحَةِ فَسَوفَ تَعْلَمُ إِذَا انْجَلَى الغُبَارُ، أَفَرسٌ تَحْتَكَ أَمْ حِمَارٌ، واللهُ المُسْتَعانُ وعليه التكلان.

أَلَا رُبَّ نُصْحٍ يُغْلَقُ البَابُ دُوْنَهُ ... وَغِشٍ إلى جَنبِ السَّرِيْرِ يُقَرَّبُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآلِهِ وسلم.

«فَصْــلٌ»

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَرَى كَثِيْراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الذِيْنَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُم أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عليْهِمْ، وَفِي العَذَاب هُمْ خَالدون﴾ الآيتين. وقال:

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النَّارُ وَمَا لكمْ مِن دونِ اللهِ مِن أَوْلياءَ﴾ الآية.

قال ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا تَمِيْلُوا وقَالَ عِكْرِمَةُ أَنْ تُطِيْعُوهُمْ أَوْ تَوَدُّوهُمْ، أَوْ تَصْطَنِعُوهُمْ، أَيْ تُوَلّوهُمْ الأعْمَالَ، كَمَنْ يُوَلِّي الفُسَّاقَ والفُجَّارَ.

وَقَالَ الثَّورِيُ وَمَنْ لَاقَ لَهُمْ دَوَاةً أَوْ بَرَى لَهُمْ قَلَمَا أَوْ نَاوَلَهُمْ قِرْطَاساً دَخَل في هذا، قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِيْن في الآيةِ فالنَّهْيُ مُتَنَاولٌ لِلانْحِطَاطِ في هَوَاهُمْ، والانقِطَاعِ إِلَيْهِمْ، وَمُصَاحَبَتِهِمْ، وَمُجَالَسَتِهِمْ، وَزِيَارَتِهِمْ وَمُدَاهَنَتِهِمْ والرِّضَا بِأَعْمَالِهِمْ والتَّشَبُهِ والتَّزَيي بزِيِّهِمْ، وَمَدِّ العَيْنِ إِلَى زَهْرَتِهِمْ، وَذِكْرِهم بِمَا فِيهِ تَعْظِيْماً لَهُمْ قُلتُ مَا أَكثر هذا في زَمَننا نسأل الله أنْ يَحْفَظَنَا عن ذَلِكَ.

وَقَالَ آخرُ: لا تَسْتَنِدُوا وَتَطْمَئِنُّوا إلى الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا وإلى الجَبَّارِيْنَ الطُّغَاةِ الظالِمِيْنَ، أَصْحابِ الجَوْرِ والظُلْم الذِيْنَ يَقْهَرونَ بِقُوتِهِمْ، وَيَظْلِمُونَ لا تَمِيلوْا إِلَيْهِمْ طَالِبينَ نُصْرَتَهمْ أَو حِمايَتَهُمْ مَهْمَا يَكُنْ في أَيْدِيهم مِنَ القوةِ والسُّلْطانِ والمالِ، فإنَّ رُكُونَكم إليهمْ عَلَى هَذَا النَّحْوِ يَقْدَحُ في اعْتِمَادِكُمْ عَلَى اللهِ، وفي إِخْلاصِكُمْ بالتوجُهِ إِلَيْهِ وَحدَهُ والاتكالِ عَلَيْهِ وَحْدَه والاعتزازِ به وَحْدَهُ.

والرُكُونُ إلى الظَّلمةِ المُتَسَلِّطِينَ سَواءٌ كانُوا أَفْرَدَاً أَوْ كانُوا دُوَلًا يَتَمَثّلُ في صُوَرٍ شَتّى، وَمِنْهُ التّعَاوُنُ مَعَ الطُّغَاةِ على الشُّعُوبِ، الذينَ لا يَحْكُمُونَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ، وَمِنْهُ مُعَاهَدَاتِ الحماية، وَمُعَاهَدَاتُ الدِّفاعِ المُشْتَرَك، وَمُعَاهَدَاتُ الصَّدَاقَةِ، والتَّحَالُفِ مَعَ الَّذِيْنَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِيْنَ في دِيَارِهِمْ، وَكُلُّ صُورَةٍ يَتَحَقَّقُ فِيهَا اعْتِمَادُ المُسْلِمينَ عَلَى أَهْل الظُلم أَفْراداً وَدُوُلًا والاسْتِنادُ إلى قُوَّتِهم، وَعَوْنِهم، وَمُساعَدَتِهِمْ.

وَقَالَ تَعَالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوّيْ وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بالمَوَدَّةِ﴾ صَدْرُ هَذِهِ السُّورَةِ نَزَلَ في حَاطِبِ بْن أَبِي بَلْتَعَةَ، لما

كَتَبَ إلى المُشْرِكِيْنَ، يُخْبِرُهُمْ بِمَسِيْرِ رَسُولِ الله ﷺ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ يُعَوِّلُ عَلَى الْكَفَرَةِ وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ وَيَتَّخِذُهُمْ أَوْلِيَاءَ نَسْأَلُ الله العِصْمَةَ إِنَّهُ القَادِرُ عَلَى ذَلِكَ.

فَيَجِبُ عَلَيْنَا مَعْشَرَ المُؤْمِنِيْنَ أَنْ نَتَبَاعَدَ عَنْهُمْ وَلَا نُقَارِبَهُمْ فِي المَنَازِلِ وَلَا نَذْهَبَ إِلَيْهِمْ، وَلَا نَكُونَ مَعَهُمْ، وَأَنْ نَنْصَحَ مَنْ كانَ مِنَ المُسْلِمِيْنَ فِي بلادِهِمْ، بِأَنْ يُهَاجِرَ عَنْهُمْ، وَأَنْ نُبَينَ لَهُ، قَالَ ﷺ «لا تَسْتَضِيْئُوا بِنَارِ المُشْرِكِيْنَ».

وَقَال «من جَامَعَ المشْرِكَ أَوْ سَكَن مَعَهُ فَهُوَ مِثْلُه» وَحَدَيْثُ «أَنَا بَرِيْءٌ مِنْ مُسْلِمٍ بَيْنَ أَظْهُرِ المُشْرِكِيْنَ لَا تَرَائَى نَارَاهما»، وَكَانَ ﷺ يَأْخُذُ عَلَى أَصْحَابِهِ عِنْدَ البَيْعَةِ يَأْخُذُ عَلَى يَدِ أَحَدِهِمْ «أَنْ لا تَرَى نَارُكَ نَارَ المُشْرِكينَ إِلَا أَنْ تَكُوْنَ حَرْباً لَهُمْ».

شِعْرا: شَرُّ البلادِ بلادٌ لا أَذَانَ بِهَا ... ولا يُقَامُ بِهَا فَرْضُ الصَّلَواتِ
وَلا زَكَاةٌ ولا صَوْمٌ يَكُونُ بِهِا ... ولا مَسَاجِدَ فيها لِلْعَبَادَاتِ
إِنِّي لأَعْجَبُ مِن شَخْصٍ يُقِيْمُ بِهَا ... عند الْمُعَادِي لِخَلَّاقِ السَّمَوَاتِ

آخر: إِرْحَلْ بِنَفْسِكَ مِن أَرضٍ تُضَامُ بِهَا ... وَلا تكنْ لِفِراقِ الأَهْلِ في حَرَقِ
مَنْ ذَلَّ بَيْنَ أَهَالِيْهِ بِبَلْدَتِهِ ... فالأغْتِرَابُ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ الخُلقِ
الكُحلُ نوعٌ من الأَحْجَارِ مُنْطَرِحاً ... في أَرْضِهِ كالثرى يُرى عَلى الطُرُقِ
لَمَّا تغرب نال العِزَّ أَجْمَعهُ ... وَصَارَ يُحْملُ بَيْنَ الجَفْنِ والحَدَقِ

آخر: إِذَا زِدْتَ في أَرْضٍ لِرَبِّكَ طَاعَةً ... فَلَا تَكْثِرَنْ مِنْهَا النُّزُوْعَ لِغَيْرِهَا
فَمَا هِيَ إِلَّا بلدَةٌ مِثْلُ بَلْدَةٍ ... وَخَيْرُهُمَا مَا كَانَ عَوْناً عَلَى التُّقى

آخر: إِذا اغْتَرَبْ الحُرُّ الكَرِيْمُ بَدَتْ لَهُ ... ثلاثُ خِلالٌ كُلُهُنَّ صِعَابُ
تَفَرُّقُ ألَّافُ وَبَذْلُ لِهيْبَةٍ ... وَإنْ حُمَّ لَمْ يَعْطِفْ عَلَيْهِ صِحَابُ

آخر: وكُنْ في بَلْدةٍ تَزدَادُ فيها ... لَدَى الخَلَّاقِ مَرْتَبَةً وقَدْرَا

فَخَيْرُ النَــاسِ مَنْ أَرْضَى إلهاً   تَفَــرَّدَ بالجَلَال وبالكمَـــالِ

وَفِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ مَرْفُوعاً «لايَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُسْلِمٍ عَمَلًا أَوْ يُفَارِقَ المُشْرِكِيْنَ»، أَخْرَجَهُ النَّسَائِي وَوَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ أَقْسَمَ لَا يُظِلّلهُ سَقْفٌ، هُوَ وَقَاطِعُ رَحِمٍ.

فانْتَبهْ يَا مَن زُينَ لهُ سُوء عَمِله فأتَى بكفارٍ خدامين أو سواقين أو خياطين أو طباخين وأمِنَهم على محارمه وهم أعداء الله ورسوله والمؤمنين هذا والعياذ بالله إجرام عظيم ومحاربة لله ورسوله والمؤمنين ونشر للفساد في البلاد الإسلامية.

فَكَيْفَ بِمَنْ يَذْهَبُ إلى بِلَادِ الكُفْرِ وَيَجْلِسُ مَعَهُمْ، وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَتَبَادَلُ مَعَهُمْ الْكَلَامَ بِلِيْنٍ وَبِشْرٍ وَيَنَامُ وَيَصْحُو، وَيَقُومُ وَيَقْعُدُ وَهُوَ بَيْنَهُمْ فِي تَقَلبّاتِهِ وَحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ.

وَلَقَدْ وَصَلَ الأَمْرُ فِي هَذَا الزَّمَن إلى أُناساً يَبْعَثُونَ أَمَاناتِهم أَفْلاذَ أَكْبَادِهِمْ إلى بِلادِ الكُفْرِ والشِّرْكِ والحُرِّيَّةِ والفَسَادِ يَتَعَلّمُونَ عِنْدَ أُولئكَ الكَفَرَةِ أَعداءِ الإسلام وَأَهْلِهِ الّذيْنَ تَجبُ الهِجْرَةُ مِنْ بِلَادِهِمْ وَرُبَّما كَانَ عِنْدَ الأَوْلَادِ المَبْعُوثِيْنَ لِلتَّعَلمِ عِنْدَ الكَفَرَةِ مَبَادِيءُ طَيِّبَةٌ وَأَخْلاقٌ فَاضِلَةٌ فإذَا ذَهَبُوْا إلى بِلَادِ الكُفْرِ والعِيَاذُ باللهِ ضَيَّعُوا دِيْنَهَمْ وَأَخْلَاقَهُمْ واعْتَاضُوا عَنْ قَصْدٍ وَعَنْ غَيْر قَصْدٍ شُرُوراً وَسُمُوماً يَحْمِلُونَهَا ثُمَّ يَأْتُونَ بِهَا فَيَنْفُثُونَهَا بَيْنَ المُسْلمينَ ثُمّ يُعْدُونَ أَقْرَانَهُمْ وَيُزَيِّنُونَ لَهُمْ طَرِيْقَتَهُمْ فَيَهْلِكُون وَيُهْلِكُونَ وَلَا أَدْرِيْ مَاذا عِنْدَ مُضَيِّعِ هَذِهِ الأَمَانَةِ مِنَ الجَوَابِ إِذَا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ الجَبَّارِ جَلَّ وَعَلَا وَسَأَلَهُ عَنْ هَذِهِ الأَمَانَةِ وَمَا أَعْقَبَتْ مِنْ شُرُورٍ وَفَسَادٍ.

هَلْ يَدَّعِي أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ أَنَّهَا بِلادُ كُفْر وَإِلْحادٍ فَيَكُونُ كاذِباً أَوْ يَقُولُ إِنَّهُ يَدْرِيْ وَلَكِنّه لايُبَالِي بِهَذِهِ الأَمَانَةِ قُولُوا لَهُ أَلَسْتَ تَقْرَأُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا

عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّموَاتِ وَالأَرْضِ والجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ الآية.

وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوْا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ هَذَا إِذَا كَانَ البَاعِثُ رَاضِياً بِذَلِكَ أَوْ آمِراً بِهِ.

فَهَلْ الكُفَّارُ أَهْلٌ لِوَضْعِ هَذِهِ الأَمَانَةِ عِنْدَهُمْ أَمَا تَخْشَىٰ اللهَ هَذَا وَاللهِ جُرْمٌ عَظِيْمٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ، فَإِنَّهَا لَا تَعْمَىٰ الأَبصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصَّدُورِ ﴿إِنَّ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لكُمْ فَاحْذَرُهُمْ﴾.

والشَّيءُ الَّذِي يُضْحِكُ الإِنْسَانَ مِنْ جِهَةٍ وَيُبْكِيْهِ مِنْ جِهَةٍ هُوَ أَنَّهُ رُبَّمَا يَكُوْنُ المُرْسِلُوْنَ مِنَ الّذِيْنَ يُعَدّونَ طَاهِرَةً قُلُوبُهُمْ وَلَكِنْ غَفَلُوا عَنْ هَذِهِ المَسْأَلَة فَلَمْ يَسْأَلُوا عَنْهَا هَلْ يَجُوزُ لَهُمْ أَمْ لَا، ثُمَّ الشَّيءُ الثَانِي يَأْتِي أُنَاسُ آخَرُونَ لَا يَعْرِفُونَ الوَلَاءِ والبَرَاءَ أَوْ يَعْرِفُوْنَهُ وَلَكِنْ يَتَسَاهَلُونَ فَيَأْخُذُونَ الذي جَاؤُا مِن بِلَادِ الكُفْرِ يَحْمِلُونَ شَهَادَاتِهِمْ بِالدَّوَائِرِ وَالْوَلَائِمِ وَهَذَا وَالْعِيَاذُ بِاللهِ تَشجِيْعاً عَلَى المَعَاصِي وَحَثاً عَلَيْهَا وإِغراءً بها نسأل اللهَ العافية.

لأَنَ الوَاجِبَ هَجْرُهُمْ والابْتِعَادُ عَنْهُمْ وَلَوْ كَانُوْا آباءَهم أَوْ أَبْنَاءَهُم أَوْ إِخوَانَهم كَمَا هُوَ المَعْهُود فِي الزَّمَنِ البَعِيْدِ وَالْقَرِيْبِ فِيْمَنْ جَاءَ مِن الْبِلَادِ التي مُسْتَعْمَرةٌ لِلْكَفَرَةِ يُهْجَرُ لَا يُكَلَّمُ وَلَا يُدْعَى وَلَا يُجَابُ دَعْوَتُهُ عِنْدَ المُتَمَسِّكِيْنَ بالدِيْنِ تَمَاماً الصَّدَّاعِيْنَ بِالحَقِ المُخْلِصِيْنَ لِلَّهِ النَّاصِحِيْنَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِوُلَاةِ المُسْلِمِيْنَ وَلَكِنْ يَا لِلأَسَفِ ذَهَبَ النَّاسُ وَبَقِيَ النَّسْنَاسُ الذِيْنَ لَا يَعْرِفُونَ الوَلَاءَ والْبَراءَ إِلَّا فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بِحُطَامِ الدُّنْيَا.

شِعْرا: فَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الذينَ عَهِدْتَهُمْ   وَلَا الدَّارُ بالدَّار الَّتِي كُنْتَ تَعْرِفُ

آخر: أَلا رُبَّ نُصْحٍ يُغْلَقُ البابُ دُوْنَه   وَغِشٍّ إِلَى جَنْبِ الشَّرِيْرِ يُقَرَّبُ

آخر: بَذَلْتُ لهم نُصْحِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوىَ   فَلَمْ يَسْتَبِيْنُوْا الرُّشدَ إِلَّا ضُحَى الغَدِ

وَيُذْكَرُ عَنْ عِيسَىٰ عَلَيهِ السَّلامُ أَنَّهُ قَالَ تَحَبَّبُوْا إِلَى اللهِ بِبُغْضِ أَهْلِ المَعَاصِي، وَتَقَرَّبُوا إِلى اللهِ بالبُعْدِ عنهم واطلبوا رِضَى اللهِ بِسخَطِهِم فإذا كان هذا مع أهلِ المَعَاصِي، فكَيْفَ بالكَفَرةِ والمُشْرِكَيْنَ والمُنَافِقِيْنَ أَعْدَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ وَالمُؤمِنينَ.

وَقَدْ أَجَابَ أَبْنَاءُ شَيْخِ الإِسْلامِ مُحَمدِ بن عبدالوهاب لَمَّا سُئِلُوا عَن السَّفَرِ إلى بلادِ المُشْرِكِيْنَ، لِلتِّجَارَةِ بِمَا حَاصِلُهُ أَنَّهُ يَحْرُمُ السَّفَرُ إلى بلَادِ المُشْرِكِيْنَ إِلَا إذا كانَ المُسْلِم قويّاً لَهُ مَنْعَةٌ يَقْدِرُ عَلَى إظْهار دِيْنِه وإِظْهَارُ الدِّيْن تَكْفِيْرهُمُ وَعَيْبُ دِيْنِهِمْ والطَّعْنُ عَلَيْهِمْ والبَرَاءَةُ مِنْهُمْ والتَّحفُظُ مِنْ مُوادَّتِهِمْ والرُّكُونُ إِلَيْهِمْ وَاعْتِزَالُهُمْ وَلَيْسَ فِعْلُ الصَّلَوَاتِ فَقَطْ لِلدِّيْنِ أهـ.

نَسْأَل اللهَ السَّلَامَةَ والعَافِيَةَ فَيَاأَيُّهَا المُعَافي احْمَدْ رَبَّكَ حَمْداً كَثِيْراً طَيِّباً مُبَارَكاً وأَكْثِرْ مِنْ قَولِ: رَبَّنَا لَاتُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ وَمِنْ قَوْلِ يَامُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِيْنِكَ وَيَامُصَرِّفَ القُلُوبِ اصْرِفْ قُلُوبَنَا إِلى طَاعَتِكَ.

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبنَا مِن النِفاق وعَمَلنا مِن الرِّياء وَأَلْسِنَتَنَا مِن الكَذِبِ وَأَعْيُنَنَا مِن الخِيانَةِ وَآذانَنَا عَن الاسْتِمَاعِ إلى مَا لا يُرْضِيْكَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمينَ، اللَّهُمَّ وَوَفِّقْنَا لِسُلُوْكِ مَنَاهِجِ المُتَّقِيْنِ، وَخُصَّنَا بِالتَّوْفِيْقِ المُبِيْنِ، وَاجْعَلْنَا بِفَضْلِكَ مِنْ الْمُقَرَّبِيْنَ الَّذِيْنَ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ، اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا مَا أَلْهَمْتَ عِبَادَكَ الصَّالِحِيْنَ، وَأَيْقِظْنَا مِنْ رَقْدَةِ الغَافِلِيْنَ إِنَّكَ أَكْرَمُ مُنْعِمٍ وَأَعزُّ مُعِيْنَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

شِــعْرًا:

أَلا قُل لِأَهْلِ الجَهْلِ منْ كُلِّ مَنْ طَغَى ... عَلَى قَلْبِهِ رَيْنٌ مِن الرَّيْبِ وَالعَمَـا
لَعَمْرِي لَقَدْ أَخْطَأْتُمُوا إِذْ سَلَكْتُـمُ ... طَرِيقَـةَ جَهْـلٍ غَيُّهَـا قَدْ تَجَهَّمَـا
أَيَحْسَبُ أَهْلُ الجَهْلِ لَمَّا تَعَسَّفُوا ... وجَاؤُوا مِن العُدوانِ أَمْراً مُحَرَّمَـا

بِأَنَّ حِمىَ التَّوْحِيدِ لَيْسَ بِرَبْعِهِ   ولا حِصْنِهِ مَنْ يَحْمِهِ أَنْ يُهَدَّمَا
وظَنُّوا سَفَاهاً أَنْ خَلَى فَتَوَاثَبَتْ   ثَعَالِبُ مَا كَانَتْ تَطَا فِي فِنَا الحِمَا
أَيَحْسَبُ أَعْمَى القَلْبِ أَنَّ حُمَاتَهُ   غُفَاةٌ فَمَا كَانُوا غُفَاةً وَنُوَّمَا
فإِن كَانَ فَدْمٌ جَاهِلٌ ذُو غَبَاوَةٍ   رَأَى سَفَهاً مِن رَأْيِهِ أَنْ تَكَلَّمَا
بِقَوْلٍ مِن الجَهْلِ المُرَكَّبِ خَالَهُ   صَوَاباً وَقَدْ قَالَ المَقَالَ المُذَمَّمَا
سَنَكْشِفُ بالبرهَانِ غَيْهَبَ جَهْلِهِ   وَيَعْلَمُ حَقاً أَنَّه قَدْ تَوَهَّمَا
ونُظْهِرُ مِن عَوْرَاتِهِ كُلَّ كَامِنٍ   لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ جَاءَ إِفْكاً ومَأْثَمَا
رُوَيْدًا فأَهْلُ الحَقِّ وَيْحَكَ فِي الحِمَى   وَقَدْ فَوَّقُوْا نَحْوَ المُعَادِيْنَ أَسْهُمَا
وتِلْكَ مِن الآياتِ والسُّنَنَ الَّتِي   هِيَ النُّوْرُ إِنَ جَنَّ الظَّلَامُ وأَجْهَمَا
فَيامَنْ رَأَىٰ نَهْجَ الضَّلَالَةِ نَيِّرا   ومَهْيَعَ أَهْلِ الحَقِّ والدِيْنِ مُظْلِمَا
لَعَمْرِي لَقَدْ أَخْطَأْتَ رُشْدَكَ فاتَّئِدْ   وَرَاجِعْ لِمَا قَدْ كَانَ أَقْوَىٰ وأَقْوَمَا
مِن المَنْهَجِ الأَسْنَى الذِي ضَاءَ نُوْرُهُ   ودَعْ طُرُقاً تُفْضِي إِلى الكُفْرِ والعَمَا
وملةَ إبراهيمَ فاسْلُكْ طَرِيْقَهَا   وعَادِ الَّذِي عَادَاهُ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمَا
وَوَالِ الذِي وَالىَ وإِيَّاكَ أَنْ تَكُنْ   سَفِيْهاً فَتُحْظَى بالهَوَانِ وَتَنْدَمَا
أَفِي الدِينِ يَاهَذَا مُسَاكَنَةُ العِدَا   بِدَارٍ بِهَا الكُفْرُ ادْلَهَمَّ وأَجْهَمَا
وأَنْتَ بِدَارِ الكُفْرِ لَسْتَ بِمُظْهِرٍ   لِدِيْنِكَ بَيْنَ النَاسِ جَهْرًا ومُعْلِمَا
بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِإِيَّةِ آيَةٍ   أَخَذْتَ عَلَى هَذَا دَلِيلًا مُسَلَّمَا
وإِنَّ الذِي لايُظْهِرُ الدِينَ جَهْرَةً   أَبَحْتَ لَهُ هَذَا المَقَامَ المُحَرَّمَا
إِذَا صَامَ أَوْ صَلَّى وَقَدْ كَانَ مُبْغِضاً   وبالقَلْبِ قَدْ عَادَىٰ ذَوِى الكُفْرِ والعَمَا
ثَكِلَتْكَ هَلْ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ مَرَّةً   بِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ أَوْ كُنْتَ مُعْدِمَا
فَفِي الترمِذِي انَّ النبيَ مُحَمَّداً   بَرِيءٌ مِن المَرْءِ الذِي كَانَ مُسْلِمَا
يُقِيْمُ بِدَارٍ أَظْهَرَ الكُفْرَ أَهْلُهَا   فَيَاوَيْحَ مَن قَدْ كَانَ أَعْمَى وأَبْكَمَا
أَمَا جَاءَ آيَاتٌ تَدُلُّ بِأَنَّهُ   إِذا لَمْ يُهَاجِرْ مُسْتَطِيْعٌ فإِنَّمَا
جَهَنَّمُ مَأْوَاهُ وسَاءَتْ مَصِيْرَهُ   سِوَىٰ عَاجِزٍ مُسْتَضْعَفٍ كَانَ مُعْدِمَا

فَهَلْ عِندَكُمْ عِلْمٌ وبُرهَانُ حُجَّةٍ ... فَحَياً هَلَّا هَاتُوا الجَوابَ المُحَتَّمَا
ولنَ تَستَطِيعُوا أَنْ تَجيئُوا بِحُجَّةٍ ... لِتَدْفَعَ نَصاً ثَابِتاً جَاءَ مُحْكَمَا
وَلكِنَّمَا الأَهواءُ تَهْوِى بِأَهْلِهَا ... فَوَيْلٌ لِمَنْ أَلْوَتْ بِهِ مَا تالمَا
أَلا فَأَفِيْقُوا وارْجِعُوا وتَنَدَّمُوا ... وفِيئُوا فإن الرُشْدَ أَوْلَى مِن العَمَا
وظَنِي بأَن الحُبَّ لِلَّهِ وَالْوَلا ... عَليهِ تَوَلَّى عَنْكُمُو بَلْ تَصَرَّمَا
وحُبَّكُم الدُّنْيَا وإيثَار جَمْعِهَا ... على الدين أَضْحَى أَمْرُهُ قَدْ تَحَكَّمَا
لِذَلِكَ دَاهَنْتُم وَوَالَيْتمُوا الذِي ... بأَوضَارِ أَهْلِ الكُفْرِ قَدْ صَارَ مُظْلِمَا
وَجَوَّزْتُمُوا مِن جَهْلِكُمْ لِمُسَافِرٍ ... إقَامتَه بَيْنَ الغُواةِ تَحَكُّمَا
بَغَيرِ دَليلٍ قَاطِعٍ بَلْ بِجَهْلِكُمْ ... وتَلْبِيْسِ أَفَّاكٍ أَرَادَ التَّهَكُّمَا
وَقَدْ قُلْتُموا في الشَّيخ مَن شَاعَ فَضْلُهُ ... وأَنْجدَ في كُلِّ الفُنُونِ وَاتْهَمَا
إمامِ الهُدَى عَبْدِ اللطيفِ أَخِي التُّقَى ... فَقُلْتُمْ مِن العُدْوانِ قَولًا مُحَرَّمَا
مَقَالَةَ فَدْمٍ جَاهِلٍ مُتَكَلِّفٍ ... يَرَىٰ إنَّهُ كُفْواً فَقال مِن العَمَا
يُنَفرُ بَلْ قَدْ قُلْتُمُوْا مِن غَبَائِكُمْ ... يُشَدِّدُ أَو قُلْتُمْ أَشَدَّ وأَعْظَمَا
ولَيْسَ يَضُرُّ السُحْبَ في الجَوِ نابِحٌ ... وهَلْ كَانَ إلا بالاغَاثَةِ قَدْ هَمَا
فَيدعُوْ لَهُ مَن كَانَ يَحْيَى بِصَوْبِهِ ... ويُنَجِهِ مَن كَانَ أَعْمَى وأَبْكَمَا
أَيُنْسَبُ لَلتنفِيْرِ وَهْوَ الذِي لَهُ ... رَسَائِل لم يَعْلَمْ بِهَا مَن تَوَهَّمَا
يُؤَنِّبُ فيها مَن رَأَىٰ منه غلْطَةً ... ويَأْمُرُ أَنْ يَدْعُوا بِلِيْنٍ ويَحْلُمَا
ويُنْسَبُ لِلتَّشْدِيدِ إذ كَانَ قَدْ حَمَا ... حِمَى المِلَّةِ السَّمْحَاءِ أَنْ لا تَهَدَّمَا
وغَارَ عَلَيْهَا مِن أُنَّاسٍ تَرَخَّصُوا ... وقَدْ جهِلُوا الأَمرَ الخَطِيْرَ المُحَرَّمَا
فَلَوْ كُنْتُمُوا أَعْلَى وأَفْضَلَ رُتْبَةً ... وأَزْكَى وأَتْقَى أَو أَجَلَّ وأَعْلَمَا
يُشَارُ إليكُم بالأَصابِعِ أَوْ لَكُمْ ... مِن العِلمِ ما فُقْتُمْ بِهِ مَن تَقَدَّمَا
لَكُنَّا عَذَرْنَاكُمْ وقُلْنَا أئمَّةً ... جَهَابِذَةً أَحرَىٰ وأَدْرَى وأَفْهَمَا
ولَكِنَّكُمْ مِن سَائِرِ النَاسِ مَالكُم ... مِن العِلم مَا فُقْتُم بِهِ مَنْ تَعَلَّمَا
ومِن أَصْغَرِ الطُلَابِ لِلْعِلْمِ بَلْ لَكُمْ ... مَزِّيةُ جَهْلٍ غَيُّهَا قَدْ تَجَهَّمَا

لِذَلِكَ أَقْدَمْتُمْ لِفَتْحِ وَسَائِلٍ وقَدْ سَدَّهَا مَن كَانَ باللهِ أَعْلَمَا
تَكِلْتُمُوا هَلْ حَدَّثَتْكُمْ نُفوسُكُمْ بِخَرقِ سِيَاجِ الدينِ عُدْواً وَمَأْثَمَا
وإِنَّ الحُمَاةَ الناصرِينَ لِرَبِّهِمْ ولِلدِين قَدْ مَاتُوا فَمَنْ شَاءَ أَقْدَمَا
على ما يَشَا مِن كُلِّ أَمْرٍ مُحرَّمٍ وَلَيْسَ لَهُ مِن وَازِعٍ أَنْ تَكَلَّمَا
وإن حِمَى التَّوْحِيْدِ أَقْفَرَ رَسْمُهُ فَقُلْتُم وَلَمْ تَخْشَوا عِتَاباً ومَنْقَمَا
فَنَحْنُ إِذًا والحَمْدُ لِلَّهِ لَمْ نَزَلْ عَلَى ثَغْرةِ المَرمَى قُعُوداً وجُثَّمَا
أَلا فاقْبَلُوا مِنَّا النَّصِيْحَةَ واحْذَرُوْا وفيئُوا إلى الأَمرِ الذِي كان أَسْلَمَا
وإِلا فإِنَّا لا نُوافِقُ مِنْ جَفَا وَيَسْعَى بأَنْ يُوْطَي الحِمَى أَوْ يُهَدَّمَا
كَمَا أَنَّنَا لا نَرتَضِي جَوْرَ مَن غَلَا وزَادَ على المشروعِ إِفكاً ومأْثَمَا
ويا مُوثِر الدُّنْيَا على الدينِ إِنَّمَا عَلَى قَلْبِكَ الرَّانُ الذِي قَدْ تَحَكَّمَا
وعَادَيْتَ بَلْ وَالَيْتَ فِيها ولَمْ تَخَفْ عَواقِبَ مَا تَجْنِي ومَا كَانَ أَعْظَمَا
أَغَرَّتْكَ دُنْيَاكَ الدَّنِيَّةَ رَاضِياً بزَهْرَتِهَا حَتَّى أَبَحْتَ المُحَرَّمَا
تَروُقُ لَكَ الدُّنْيَا ولذاتُ أَهْلِهَا كَأَن لَمْ تَصِرْ يَوْماً إلى القَبْرِ مُعْدِمَا
خَلِياً مِن المالِ الذِي قَدْ جَمَعْتَهُ وفارَقْتَ أَحْبَاباً وقَدْ صِرتْ أَعْظُمَا
ولَمَّا تُقَدِّمْ مَا يُنَجِيْكَ فِي غَدٍ مِن الدِين ما قَدْ كانَ أَهْدَىٰ وأَسْلَمَا
وذَلِكَ أَنْ تَأْتِي بدِينِ مُحَمَّدٍ ومِلَّةِ إِبراهيم إِن كُنْتَ مُسْلِمَا
تُوالِي على هَذَا وتَرْجُوْ بِحُبِّهِمْ رِضَى الملكِ العَلَّامِ إِذا كَانَ أَعْظَمَا
وتُبْغِضُ مَن عَادَىٰ وتَرجُوْ بِبُغْضِهِمْ من اللهِ إِحساناً وجُوداً ومَغْنَمَا
فهذا الذِي نَرضَى لِكُلِّ مُوَحِّدٍ ونَكْرَهُ أَسباباً تُرِدْهُ جَهَنَّمَا
وصل إِلهي ما تأَلَّقَ بَارِقٌ على المُصْطَفَىٰ مَن كَان باللهِ أَعْلَمَا
وآلٍ وأَصحابٍ ومَن كان تابعاً وتابعهم مَادَامتِ الأَرضُ والسَّمَا

« موعظة »

عِبَادَ اللهِ كُلُّنَّا يَعْلَمُ أَنَ النَاسَ قِسْمَانِ ، قِسْمٌ انْحازَ إلى اللهِ ، وَهَؤُلآءِ حِزْبُ

اللهِ، الذِيْنَ قَالَ اللهُ فِيْهِـمْ: ﴿أُوْلـئِكَ حِزْبُ الله أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾.

وَقِسْم انْحَازَ إِلَى عَدُوِّ اللهِ إِبْلِيْسَ لَعَنَهُ اللهُ وَهَؤُلَآءِ حِزْبُ الشَّيْطَانَ الذِيْنَ قَالَ اللهُ فِيْهِـمْ: ﴿أَوْلئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَـانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَـانِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ فَالأَوَّلُوْنَ الذِيْنَ هُمْ حِزْبُ اللهِ لَا تَرَاهُمْ يُطِيْعُونَ الشَّيْطَانَ أَبَداً وَلِذَلِكَ لاتَجِدُهُمْ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ، بَلْ هُمْ بَرَكَةٌ فِي هَذَا الوُجُودِ.

فَإِذَا رَأَيْتَ مَسْجِداً مَعْمُوراً فَهُمْ الذِيْنَ وَفَّقَهُمْ اللهُ لِبِنَائِهِ، وَإِنْ قِيلَ لَكَ إِنَّهُمْ لَا يَظْلِمُونَ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الظَّلْمِ والجَوْرِ فَصَدِّقْ، وَإِنْ رَأَيْتَ مُحْتَاجاً سُدّتْ حَاجَتُه، فَهُمْ الْذِيْنَ وَفَّقُهُمْ اللهُ لِلانْعاشِهِ، وَسَدِّهَا، وإِنْ رَأَيْتَ عَارِياً فَهُمْ الذِيْنَ وَفّقَهُمْ اللهُ لِكِسْوَتِهِ، وإِنْ قِيْلَ إِنَّ المُنْكَرَ الفُلَانِي أُزِيْلَ فَهُمْ الذيْنَ وَفَّقَهُمْ اللهُ لِلتَّسَبُّبِ فِي إِزَالَتِهِ، وإِنْ قِيْلُ لَكَ إِنْ إِصْلاحاً فِي الأَرْض كَانَ صَعْباً فَسُهِّلَ بِإِذنِ اللهِ، فَهُمْ الذِيْنَ وَفَّقَهُمْ اللهُ لإِزَالَتِهِ أَوْ تَسْهِيْلِهِ.

وَإِنْ قِيْلَ إِنَّ أُنَاساً يَدُورُونَ عَلَى البُيُوْتِ يَتَفَقَّدُونَ الفُقَرَاءَ الذِيْنَ لَيْسَ لَهُمْ مَوَارِدُ فَهُمْ الذِيْنَ وَفَّقَهُمْ اللهُ لِذَلِكَ، وإِنْ قِيْلَ إِنَّ أُنَاساً يَتَفَقدُونَ مَنْ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَيَتَسَبَّبُونَ لِوَفَائِهِ، فَهُمْ الذِيْنَ وَفَّقَهُمْ اللهُ لِذَلِكَ، وإِنْ قِيلَ إِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللهَ عِبَادَةَ مَنْ لا يَمَلُّ وَلَا يَفْتُرُ، فَصَدِّقْ بُمَجَرَّدِ مَا يُقَالُ لَكَ.

وإِنْ قِيَلَ إِنَّ بَعْضَ البُيُوتِ وَهِيَ القَلِيْلَةُ إِنَّكَ تَسْمَعُ فِيها باللَّيْلِ صَوْتَ بُكَاءٍ وَأَنِيْنٍ وَتَهَجُّداً واستغفاراً، فَهُم أُولَئِكَ الذينَ وَفقَهُم اللهُ وَجَعَّلَهُم حِزْبَهُ.

وإِنْ قِيْلَ لَكَ إِنَّ أُناساً عِنْدَهُم عَطْفٌ عَلَى الفُقَراءِ، وَرَحْمَةٌ وإِيثارٌ واحْسانٌ إلى الجارِ، وَمُوَاسَاتٌ الضُّعَفَآءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا يَكَادُ فِي زَمَنِنَا هَذَا أَنْ يَكُونَ نَادِراً فَهُم أُولَئكَ الذينَ وَفَقَهُم العَلِيمُ الخَبِيْرُ، وَهَؤلَآءِ هُم المُهَذَّبُونَ المُتَنَوِّرُوْنَ المُتَأَدِبُون.

أما الفَريْق الثاني عَصَمَنَا اللهُ وإيَّاكَ عن طَرِيق سُلُوكِهِم، فَهُم حِزْبُ الشيطان لا يحْصُلُ فَسَادٌ في الأَرْضِ إلَّا مِنْهُمْ، لأَنَّهُمْ حِزْبُ الشَّيْطانِ وإنْ قِيْلَ إنَّ مُؤْمِناً قُتِلَ فَهُم الذينَ قَتَلُوهُ، أَو تَسَبَّبُّوا لِقَتْلِهِ، لَا يَخْتَلِفُ في ذَلِكَ اثْنَانِ، وإنْ قِيْلَ لكَ إنَّ سَيَارَةً سُرِقَتْ فَهُمْ الذينَ سَرَقُوْهَا.

وإنْ قِيْلَ إنَّ مَنزِلًا هُوْجِمَ وَسُرِقَ فَقُلْ بِلَا تَرَدُّدٍ هُم الذينَ هَاجَمُوهُ، وَسَرَقُوهُ، وَهَلْ حِزْبُ الرحمن يَعْتَدُوْنَ مِثْلَ هَذَا العُدْوَانِ، وإن قِيْلَ إنَّ إنْسَاناً خُطِفَ وَغُيِّبَ ولا يُعْلَمُ أيْنَ كَانَ، فَقُلْ هُمُ الذينَ خَطَفُوهُ وَغَيَّبُوهُ، وإن قِيْلَ إنَّ مُسْلِمَاً ذَا ثَرْوَةٍ نُشِلَ وأُخِذَ منه آلافٌ، فَقُلْ وَهَلْ يَنشُلُ وَيَخْطِفُ وَيَعْبَثُ بِأَمْوالِ الناس إلا أولَئِكَ الأَشْرَارُ حِزْبُ الشيطانِ.

حِزْبُ اللهِ المُوفَّقُونَ الكُمَّلُ بَعِيْدُونَ عن المَعَاصِي جِداً، فَلَا تَرَى الوَاحِدَ مِنهم يَتَعَمَّدُ الجُلُوسَ في الطُرقِ، وَيُدَاوِمُ المُرُوْرَ فِيْهَا لِمُطَارَدَةِ النِساءِ، وَمُغَازَلَتِهِنَّ، ولا تَرَاهُ يُرْكِبُ النِسَاءَ بلا مَحْرَمٍ ولا يُدْخِلُها لِتَشْتَرِيْ أَوْ يُفَصِّلُ عَلَيْهَا، وَلَيْسَ مَعَهَا مَحْرَمٌ ولا تَجِدْهُ يَبِيْعُ صُوَرَ ذواتِ الأَرْوَاحِ، ولا يُصَوِّرُهَا، ولا يَبِيْعُ البِدَعَ المُنْكَرَاتِ، ولا يَجْلِسُ عِنْدَها، وهِيَ البِدَعُ المُحَرَّمَةُ، التي حَدَثَتْ في زَمَنِنَا مِثْلَ التِّلفْزِيُونَ والسِّيْنَماء والمِذْيَاعِ، والكُرةِ، والوَرَقِ، والبِكَم والدُّخَانِ والفِدْيُو ونحو هذه المنكراتِ التي قضَتْ على الغَيْرَةِ والمُروْءَةِ والشِّيْمةِ. نسأل الله العَافِية.

ولا يَغُشُّ المُسْلِمِيْنَ، ولا يَكُونُ ذَا وَجْهَينِ يَتَكَلَّمُ عِنْدَ هَؤُلآءِ بِوَجْهٍ وعندَ الآخِرِيْنَ بِوَجْهٍ، ولا يُنَافِقُ ولا يُوْقِعُ بَرِيْئاً في مَأزِقٍ ولا يَشْهَدُ بالزُوْرِ، ولا يَحْظُر عِندَ المُنكَراتِ، بَلْ تَرَاهُمْ في مَجَالِسِ الذِكْرِ يَدُوْرُوْنَ حَوْلَ مَا يُقَرِبُهُم إلى اللهِ.

وَلَا تَرَاهُمْ يَرْكَنُونَ إلى أعْدَاءِ اللهِ، ولا الفَسَقَةِ ولا يُعَظِّمُونَهُم ولا يَتَمَلقُونَ لَهُم، وَيَضْحَكُونَ مَعَهُم، كَمَا يَفْعَلُهُ السُّذَّجُ، الذِيْنَ لا يَعْرِففونَ الوَلآءَ والبَرَاءَ، ولا تَنْشَرِحُ صُدُوْرُهُم، ولا تَهْتَزُ عَوَاطِفُهُم ولا تَسْتَرِيْحُ قُلُوبُهُمْ، ولا يَهْدَؤُ

بَالُهم، ولا يَسْكُنُ قَلَقُهم، إلا إذا زَاحَمُوهُم وجَالَسُوهُمْ، وما زَحُوهُم وَعَظَّمُوهُم، مِمَّنَ نَسُوا اللهَ فأنْسَاهُم أَنْفُسَهُم والتَهوا عَمَّا هُم إليه صَائِرُوْنَ، فلَمْ يَحْسِبُوا لَهُ حِسَاباً، قَالَ تَعَالى: ﴿ولا تُطِعْ مَن أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عن ذِكْرِنَا واتَّبَعَ هَوَاهُ وكان أَمْرُهُ فُرطا﴾.

وقَالَ تَعَالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَمَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الحَيَاةَ الدُّنْيا، ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِن العِلْمِ﴾، وَقَالَ تَعَالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَن اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَواهُ وأَضَلَّهُ اللهُ عَلى عِلْمٍ﴾ الآية.

فالذي يَنْبَغِي أَنْ يُتَّبَعَ وَيُقْتَدَى بِهِ مَن تَمَسَّكَ بِكِتَابِ اللهِ، وامْتَلأَ قَلْبُهُ بِمَحَبَّةِ اللهِ، وَفَاضَ ذَلِكَ عَلى لِسَانِهِ، فَلَهَجَ بِذِكْرِ اللهِ، وَدَعَا إلى اللهِ واتَّبَعَ مَرَاضِيَهِ، فَقَدَّمَهَا على هَوَاهُ وَحَفِظَ وَقْتَهُ في طاعَةِ اللهِ بَعِيْدَاً عن أَذِيّةِ المُسْلِمِيْنَ لا يُقَابِلُ الإِسَاءَةَ بِمِثْلِهَا بَلْ يَدْفَعُ بالتِي هِيَ أَحْسَنُ وَهَذَا حَقاً هُوَ المَهَذَّبُ المُتَنَوِّرُ:

شِعْرًا: لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ ... أَرَحْتُ نَفْسِيَ مِن هَمِّ العَدَاوَاتِ
إنّي أُحَيِّيْ عَدُوِيْ عِنْدَ رُؤْيَتِه ... لِأَدْفَعَ الشَّرِ عَنِيْ بالتَّحِيَّاتِ
وأُحْسِنُ البْشَرَ لِلْإِنْسَانِ أُبْغِضُهُ ... كَأَنَّهُ قَدْ مَلَا قَلْبِي مَوَدَّاتِ
ولَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ ... فَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ المَوَدّاتِ

آخر: يَأْبى فُؤَادِي أَنْ يَمِيْلِ إِلَى الأَذَى ... حُبُ الأَذِيَّةِ مِن طِبَاعِ العَقْرَبِ
لِيْ إِنْ أَرَدْتُ مَسَاءَةً بِمَسَاءَةً ... لَوْ أَنَّنِيْ أَرْضَى بِبَرْقٍ خُلَّبِ
حَسْبُ المُسْيِءِ شُعُوْرُهُ وَمَقَالُهُ ... فِي سِرِّهِ يَالَيْتَنِي لَمْ أُذْنِبِ

اللَّهُمَّ خَفِّفْ عَنَّا الأَوْزَارَ وأَرْزُقْنَا عِيْشَةَ الأَبْرَارِ واصْرِفْ عَنَّا شَرَّ الأَشْرَارِ وأَعْتِقْ رِقَابَنا ورِقَابَ آبائِنَا وأُمَّهَاتِنَا مِن النَّارِ يَاعَزِيْزُ يَاغَفَّارُ، اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبارِكْ لَنَا في الحلال مِن رِزْقِكَ ولَا تَفْضَحْنَا بين خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ داع وأَفْضَلَ مَن رجَاهُ راجٍ يا قاضِي الحاجاتِ ومُجِيْبَ

الدعواتِ هَبْ لَنَا ما سَأَلناهُ وَحقِّقْ رَجاءَنَا فِيْمَا تَمَنَّيْنَاهُ يامَنْ يَمْلِكُ حَوائِجِ السَّائِلين ويَعْلَمُ ما فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ أذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وحَلاوَة مَغْفِرَتِكَ ياأَرْحَمَ الرَّاحِمينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: وَجَاءَ فِي تَفْسِيْرِ قَولِهِ تَعَالى: ﴿لاتَجِدُ قَوماً يُؤْمِنُونَ باللهِ واليومِ الآخِرِ يُوَادُّوْنَ مَن حَادَّ اللهَ ورسولَهُ ولو كانُوا آبَاءَهُم أَوْ أبناءَهُم أَوْ إِخْوانَهُم أو عَشِيْرَتَهُم أُوْلَئِكَ كَتَب فِي قُلُوبِهِم الإِيْمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوْحٍ منه﴾ الآية. أَنَّها نَزَلَتْ في أَبِي عُبَيْدَةَ.

وإِليكَ القِصَّةَ مَسُوْقَةً بأَكْمَلِهَا، أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كَانَ صَحَابياً جَلِيلًا وَبَطَلًا عَظِيْماً مِن أَبطال الإسلامِ مِن المُجَاهِدِيْنَ، حَرِصَ أَبُوهُ عبدُاللهِ على قَتْلِهِ فِي أَوَّلِ لِقَاءٍ، لأَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تَرَكَ دِيْنَ أَبِيْهِ، واعْتَنَقَ الإِسلامَ، وَتَخَلَّفَ عن قَافِلَةِ قُرَيْشٍ، والتَحَق بقافَلَةِ مُحَمدٍ بنِ عبدِاللهِ عليه الصلاةُ والسلامُ مُؤمناً بِدِيْنِهِ مُصَدِّقاً بِرِسَالَتِهِ.

تَصَدَّى عَبْدُ اللهِ لابْنِهِ مُحَاوِلًا قَتْلَهُ، فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، ولكنْ الابنُ أَبْعَدَ عَنه، وَحَوَّلَ سَيْفَهُ عن أَبِيْهِ وانْطَلَقَ إِلى فِئَةٍ أُخْرَى غَيْرَ الَّتِي فِيهَا أَبُوهُ، يُقَاتِلُهَا وَيُجَاهِدُهَا وافْتَرَقَ الرَّجُلانِ وَلَكِنْ الأَبُ بَحَثَ عن ابنِهِ حَتَّى التَّقَى بِهِ مرةً ثانِيَةً، وَرَفَعَ سَيْفَهُ عَلَيه وَوَجَّهَ إِليه ضَرْبَةً قَاضِيَةً اسْتَقْبَلَهَا أَبُو عُبَيْدَةَ بِحَرَكَةٍ خَفِيْفَةٍ، جَعَلتْهَا تَهْوِىْ فِى الفَضَاءِ.

ولَكِنْ الأَبُ مُصَمِّمٌ على أَنْ لا يُفْلِتَ الابنَ مَهْمَا كَلَّفَهُ ذَلِكَ مِن غَالِي الثَّمَنِ فَبَحَث عن ابنِهِ هُنَا وَهُنَاكَ، وَنَقَبَ عَنه في كُلِّ مكَانٍ حَتَّى التقَى بِهِ مَرَةً ثَالِثَةً، وَرَفَعَ الرَّجُلُ سَيْفَهُ لِيُوجِّهْ إِلى ابْنِهِ ضَرْبَةً قَاضِيَةً مُمِيَّتَةً يَشْفِي كُلُومَ قَلْبِهِ، وَتَهْدَؤُ بِهَا نَفْسُهُ الثائِرَةُ على ابنِهِ الصَّابِيء.

وَهُنَا نَظَر أَبُو عُبَيْدَةَ أَنْ أَبَاهُ يَعْتَرِضُ وَيَتَصَدَّى لَهُ وفي اعْتِرَاضِهِ هَذَا

اعْتِرَاضٌ لِلإِسْلامِ، فَمَا أَبُو عُبَيْدَةَ إلا جُنْدِيٌ مِن الجُنُودِ القَائِمِيـنَ بِنَصْرِ الإِسلامِ، وأَنَّ في تَصَدِيْهِ لَهُ سَداً بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِقَامَةِ دِيْنِ الرحمنِ، وانْتِشَارِ كَلِمَةِ اللهِ في الأَرضِ فَهَلْ يَصْمُتُ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى هَذَا، وَهَلْ يَسْكُتُ على مَنْ يَحُولُ بَيْنَ دَعْوَةِ اللهِ، أَنْ تَقُومَ في الأَرْضِ وأَنْ تُنْشَرُ بَيْنَ الناسِ كَلا لَقَدْ أَدَّى مَا عَلَيهِ نَحْوَ أَبِيْهِ وَأَعْرَضَ عنه مَرَّتَيْنَ.

وَلَكِنْ مَادَامَ أَبُوهُ يَحْرِصُ على هَذِهِ الصُوْرَةِ، فَلْيَكُنْ هُوَ أَسْبَقُ مِن أَبِيْهِ في حِرْصِهِ عَلَى قَتْلِهِ، كَذَلِكَ والتقى السَّيْفَانِ وتَقَابَل الرَّجُلانِ وَوَقَفَ الخَصْمَانِ، وفِي لَمْحَةٍ خَاطِفَةٍ رَفَع الرجُلانِ سَيْفَيْهِمَا كُلٌّ يَحْرِصْ عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ، والانْتِصَارِ لِدِيْنِهِ.

وَرَفَعَ أَبُو عُبَيْدَة يَدَهُ عَالِيَةً خَفَّاقَةً، وفِي سُرْعَةٍ وَمضَاءٍ أَهْوَى بِسَيْفِهِ البَتَّارِ عَلَى قَلْبِ وَالِدِهِ المُمْتَلِىءِ حِقْداً وغَضَباً، على الأَسلامِ وَدَعْوَةِ الإِسلامِ وَمَزَّقَ السَّيْفُ قَلْبَهُ، وانْفَجَرَ الدَّمُ منه بكَثْرَةٍ وكانَتْ هَذِه السَّاعَةُ مِن سَاعَاتِ التاريخ الفَاصِلَة.

هَذَا مِن آثَارِ الحُبِ في اللهِ، والبُغْضِ في اللهِ، وهَذَا الوَاجِبُ على كُلِّ مُسْلِمٍ أَن تَكُونَ أَعْمَالُهُ كُلُهَا مُنْطَبِقَةً على مَا تَأْمُرُ به الشرِيْعَةُ المُطَهَّرَةُ فَيُحِبُ مِن الناسِ مَن نَهَجَ الطَرِيْقَ المُسْتَقِيْمَ وَيَبْتَعِدُ عَن مَن حَادَ عَن الطَّرِيْقِ المُسْتَقِيْم، ولَوْ كانَ أَقْرَبَ قَرِيْب.

وَمَن اتَّبَعَ هَذِهِ الطَّرِيْقَةَ انْطَبَعَ في قَلْبِهِ حُبُّ الكَمَالِ والإِيمَانِ فيكُونُ عَدوُ اللهِ فِي نَظَرِهِ عَدُواً، وَحَيْنَئِذٍ يَرَى أَنَّ أَعْظَم الناسِ قِيْمَةً أَهْلُ الاخلاصِ والطاعةِ وَأَحَطهُم مَنْزِلَةً أَهْلُ المَعَاصِي والشَّنَاعَةِ والفَسَادِ في الأَرضِ.

وكَذَلِكَ كانَ شَأَنُ المُصْطَفَى ﷺ وشأْنُ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ يُحِبُونَ في اللهِ، وَيُبْغِضُونَ في اللهِ يُوَادُّوْنَ الطائِعينَ وإِنْ كَانُوا بُعَدَاءَ وَيُعَادُوْنَ

العَاصِين وانْ كانُوا أَقْرِبَاءَ فَرَابِطةُ التَّقْوَى عِنْدَهُم أَشَدُّ وَأَقْوَى مِن رَابِطَةِ النَّسَبِ والقَرَابَةِ.

وعن البَراءِ بنِ عَازِبٍ أَوْثَقُ عُرَى الإيمانِ الحُبُّ في اللهِ والبُغْضُ في اللهِ.

وفي حديث مَرْفُوعٍ اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عِنْدِيْ يَداً وَلَا نِعْمَةً فَيَوَدُّهُ قَلْبِي فإني وَجَدْتُ فِيْمَا أُوْحِيَ إلي ﴿لا تَجِدُ قوماً يُؤْمِنُونَ باللهِ واليومِ الآخرِ يُوَادُّوْنَ مَن حادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ رواه بن مردويه وغيره.

المَعْنَى الآيةُ بِلَفْظِ الخَبَرِ والمُرَادُ بِهَا الإنْشَاء أي لَا تَجِدُ قَوماً يَجْمَعُونَ بَيْنَ الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخرِ، والمحبةِ والمُوَالَاةِ لِأَعْدَاءِ اللهِ ورسولهِ.

فَلا يَكُونُ المؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ حَقِيْقَةً إذا كَانَ عَامِلًا عَلى مُقْتَضَى إيمانِهِ، وَلَوَازِمِهِ مِن مَحَبَّةِ مَن قَامَ بالإيمانِ وَبُغْضِ مَن لَمْ يَقُمْ بِهِ وَمُعَادَاتِهِ.

وَلَوْ كَان أَقْرَبَ الناسِ إليهِ، وَهَذَا هُوَ الإيمانُ عَلَى الحَقِيْقَةِ الذي وُجِدَتْ ثَمَرَتُهُ وَمَقْصُوْدُهُ فَمَنْ أَحَبَّ أَحَداً امْتَنَعَ أَنْ يُوَالِيْ عَدُوَّهُ.

وَلَقَدْ أَصَابَ المُسْلِمُونَ اليومَ مِن المُوالَاةِ لِأَعْداءِ اللهِ بَلَاءٌ شَدِيْدٌ فَتَجِد كَثيراً مِن الناسِ الذيْنَ يَدَّعُونَ الإيمانَ يُوَالُونَ أَعْدَاءَ الشَّرَائِعِ الدِّيْنِيَّةِ وَيُعَظِّمُونَهُم وَيُقَدِّرُوْنَهُم وَيَنْصُرُوْنَهُمْ على أَبْنَاءِ جِنْسِهِم وَلَوْ كَانَ في هذَا ذِلٌ لَهُم ولِأُمَّتِهِم ولِدِيْنِهِم فإنا للهِ وإنا إليه رَاجِعُونَ.

قال في النُونِيَّةِ:

أَتُحِبُ أَعْدَاءَ الحَبِيْبِ وَتَدَّعِي ... حُباً لَهُ مَاذاكَ في إمْكَانِ
وَكَذَا تُعَادِيْ جَاهِداً أَحْبَابَهُ ... أَيْنَ المَحَبَّةُ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ
لَيْسَ العِبَادَةُ غَيْرَ تَوْحِيْدِ المَحَبْـ ... ـبَةِ مَعَ خُضُوْعِ القَلْبِ والأَرْكَانِ

آخر: والحُبُّ نَفْسُ وِفَاقِهِ فِيْمَا يُحِبْ ... وَبُغْضُ مَالَا يَرْتَضِي بِجَنَانِ

آخر: وَكُلُ مَحَبَّةٍ في اللهِ تَبْقَى عَلَى الحَالَيْنِ في سَعَةٍ وَضِيْقِ
وَكُلُ مَحَبَّةٍ فيما سِوَاهُ فكَالْحَلْفَاءِ في لَهَبِ الحَرِيْقِ

آخر: إذِ أَنْتَ لَمْ تَعْمَلْ بشَرْعٍ ولم تُطِعْ أُولِى العِلْمِ من أَهْلِ التُّقَى والتّسَدُّد
وَلَمْ تَجْتَنِبْ أَعْدا الشَّرِيْعَة كُلَّهُمْ وتَدْفَعُ عَنْهَا بالـلِّسانِ وَبالْيَدِ
وتَحْمِهَا عن جُهَّالِهَا وَتَحُوطُهَا وتَقْمَعُ عَنْهَا نَخْوةَ المُتَهَدِّدِ
فَلَسْتَ وَلوْ عَلَّلْتَ نَفْسَكَ بالْمُنَى بِذِي سُؤْدَدٍ بادٍ وَلَا قُرْبَ سُؤْدِدِ

اللّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبنَا مِن النِفاق وعَمَلَنا مِن الرياء وأَلْسِنَتَنَا مِن الكَذِبِ وَأَعْيُنَنَا مِن الخِيانَةِ وآذانَنَا عَن الاستماعِ إلى مَا لا يُرْضِيْكَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِيْنَ، اللّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيْعَ السَّمواتِ والأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنا لِمَا فِيهِ صَلَاحُ دِيْنِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

﴿ **فَصْلٌ** ﴾: وعن أَبي ذَرٍ مَرْفُوعاً، «أَفضَلُ الأَعْمالِ الحُبُّ في اللهِ والبُغْضُ في الله» رواه أبو داود.

وفي الصحيحين «المَرْءُ مَعَ مَن أَحَبَّ» وعن علي مرفوعاً «لا يُحِبُ رَجُلٌ قوماً إِلَّا حُشِرَ مَعَهُم» رواه الطبراني بإسناد جيد.

وقد رَوَى الإِمامُ أحمدُ مَعْنَاهُ عن عائِشة بإسناد جيد أَيضاً عنها مرفوعاً «الشِرْكُ أَخْفَى مِن دَبِيْبِ الذَّرِ على الصَّفاءِ في اللَّيْلَةِ الظَّلْماءِ، وَأَدْنَاهُ أَنْ تُحِبَّ عَلى شَيءٍ مِن الجَوْرِ، أَوْ تُبْغِضَ على شيءٍ مِن العَدْلِ وَهَلِ الدِّيْنُ إلا الحُبُّ في اللهِ والبُغْضُ في اللهِ».

يَفْتَخِرْ بَعْضُ المُتَحَذْلِقِيْنَ أَنّه لَايَكْره أَيَّ إِنْسانٍ، ولا يُبْغِضُ أَحَداً، وأَنهُ يَسْلُكُ مَعَ الفَجَرَةِ والفَسَقَةِ، وَمَعَ أَهْلِ الدِّيْنِ والصَّلاحِ بَلْ وَمَعَ الكَفَرَةِ والمُنَافِقِيْنَ، وَيُلَقِبُ نَفْسَهُ وَمَن سَلَكَ مَذْهَبَهُ بأَنَّه دُبْلُمَاسِي، ويَظُنُّ هَذَا فَخْراً وَكَرماً في الأَخْلَاق وَنُبْلًا وَطِيْباً.

وَلَكِنْ مَنْ لَا يعْرف البُغْضَ، فَلَنْ يَعْرِفَ الحُبَّ وَمَن لَا يَكْرَهُ إِنساناً عَاصِياً هَيْهَاتَ أن يُحِبَّ عَبْداً مُطِيْعاً إِنْ تُحِبَّ مُؤْمِناً بِسَبَبِ اخْلَاصِهِ وَتَقْوَاهُ فَكَيْفَ لَا تُبْغِضُهُ إِذَا زَالَ عَنهُ سَبَبُ الحُبِّ فانْقَلَبَ فَاجِراً مُتَهَتِّكاً، تَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ ولَكِنْ مَا رَأْيُكَ فِيْمَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَظَلَمَ عِبَادَ اللهِ، مَا رَأْيُكَ فِي الزّناةِ هَاتِكِيْ الأَعْرَاضِ، وَمُدْمِنِي الخَمْرَ وَشَارِبِي الدُّخَان وحَالِقِي لِحَاهُم، وأَهْلِ الخَنَافِسِ والتَّشَبُّهِ بأَعْدَاءِ اللهِ أَعْدَاءِ الإِسلامِ وَمَن يَشْهَدُوْنَ الزُوْرَ ولا يَشْهَدُوْنَ صَلاةَ الجَمَاعَةِ، وَيَغْتَصِبُونَ الحُقُوق وَيُؤْذُوْنَ العِبَاد وَيَخُوْنُونَ الدِيْنَ والبِلَادَ هَلْ تُحِبُّهُمْ أَوْ تُبْغِضُهُم لِلَّه فتِشْ عَن قَلْبِكَ وَحَاسِبْ نَفْسَكَ هَلْ تُحِبُّهُمْ فَتُعِيْنُهُم على الظُلْمِ أَمْ تُبْغِضُهُم وَتَحْقِرُهُم وَتُنَابِذُهُم وَتَبْتَعِدُ عَنْهُمْ عَسَى أَنْ يَرْجَعُوا عن غيْهِم وَبَغْيِهِم لا مَفَرَّ مِن أَنْ يَكُونَ لَنَا أَعْدَاءٌ نُبْغِضُهُمْ فِي اللهِ كَمَا يَكُونُ لنا أَصْدِقَاءُ نُحِبُّهُم فِي اللهِ.

فَيا عِبَادَ اللهِ تَقَرَّبُوا إِلى اللهِ بِبُغْضِ أَهْلِ المَعَاصِيْ الظَّلَمَةِ والمُنَافِقِينَ كَمَا تَتَقَرَّبُونَ إِليهِ بِحُبِّ الصَّالِحِيْنَ، أَشْعِرُوْهُمْ بِمَقْتِكُم لِآثَامِهِم، وسَخَطِكُم عَلَى إِجْرَامِهِم، ولا تَتَسَامَحُوْا فِيْمَا يَمَسُّ الدِّيْنَ وَلَا تَصْفَحُونَ عَمَّنْ يُحَارِبُ رَبَّ العَالَمِيْنَ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيْبٍ.

قال اللهُ جَلَّ وَعَلَا لِأَشْرَفِ الخَلْقِ ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِم شَيْئاً قَلِيْلَا إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ﴾، أَيْ لَوْ مِلْتَ إِلَيْهِمْ لأَذْقَنَاكَ ضِعْفَ عَذَابِ الحياةِ وَضِعْفَ عَذَابِ المَمَات أَيْ ضَاعَفْنَا عَلَيْكَ العَذَابَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، لِأَنَّ الذَّنْبَ مِن العَظِيْم يَكُونَ عِقَابُهُ أَشَدَّ مِن غيرِهِ.

وَمِن ثَمَّ يكون عِقَابُ العُلَمَاءِ عَلَى زَلَّاتِهم أَشَدَّ مِن عِقَابِ غَيرِهِم مِن العَامَّةِ، لأَنَّهُم يَقْتَدُوْنَ بالعُلَماءِ، رُوِيَ عَن قَتَادَةَ أَنهُ قال لما نَزَلَ قولُه تعالى ﴿وإِنْ كَادُوْا لَيَفْتِنُونَكَ عن الذي أَوْحَيْنَا إِلِيْكَ﴾ .. إلخ، قال ﷺ «اللَّهُمَّ لا تَكِلْنِيْ إِلى نَفْسِيْ طَرْفَةَ عَيْنٍ».

فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِن أَنْ يَتَدَبَّرَ هَذِهِ الآيَةَ وَيَسْتَشْعِرَ الخَشْيَةَ وَيَسْأَلَ اللهَ أَنْ يُثَبِّتَهُ، وَيَسْتَمْسِكْ بِأَهْدَابِ دِيْنِهِ، وَيُكْثِرَ مِن قَولِ يامُقَلِّبَ القُلُوبَ ثَبِّتْ قَلْبِي على دِيْنِكَ وَيَقُولَ كَمَا قالَ ﷺ «اللَّهُمَّ لا تَكَلْنِي إِلى نَفْسِيْ طَرْفَةَ عَيْنٍ» فإذا كانَ هَذَا الخِطَابُ لِأَشْرَفِ الخَلْقِ فَكَيْفَ بِغَيْرِهِ.

وقال تعالى آمِراً رسولَهُ ﷺ بالإعْرَاضِ عَمَّنْ تَوَلَّى وَأَعْرَضَ عن الذِكْرِ الحَكِيْمِ والقُرآنِ العَظِيمِ ﴿فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عن ذِكْرِنَا ولَمْ يُرِدْ إِلَّا الحياةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِن العِلم﴾ وعلى العَكْسِ مَن أَقبلَ على كِتَابِ اللهِ وَوَقَّرَهُ وَقَدَّرَهُ وأَحَبَّهُ واتَّبعَهُ وَدَعَى إِليه نَسْأَلُ اللهَ العظيمَ أَنْ يَغْرِسَ مَحَبَّتَهُ في قُلُوبِنَا وَيَرْزُقَنَا تِلَاوَتَهُ والعَمَلَ بِهِ.

وقال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «مَنْ أَحَبَّ في اللهِ وعَادَى في اللهِ وَأَبْغَضَ في اللهِ وَوَالَى في اللهِ فإِنَّمَا تُنَال وِلَايَةُ اللهِ بِذَلِكَ» رواه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم.

وفي حديث رواه أبو نعيم وغيره عن ابن مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رسولُ الله ﷺ «أَوْحَى اللهُ إلى نَبِيٍ مِن الأَنْبِيَاءِ أَنْ قُلْ لِفُلَانٍ العَابِدَ أَمَّا زُهْدُكَ في الدُّنْيَا فَتَعَجَّلْتَ رَاحةَ نَفْسِكَ وأما انْقِطَاعُكَ إِليَّ فَتَعَزَّزْتَ بِهِ، فَمَا عَمِلْتَ لِيْ عَلَيْكَ، قَالَ يَارَبُّ وَمَالَكَ عَلَيَّ، قالَ هَلْ وَالَيْتَ لِيْ وَلِياً، أَوْ عَادَيْتَ لِيْ عَدُواً».

شِعْرًا: ولَيْسَ فَتَى الفِتْيَانِ مَنْ ضَاعَ وَقْتُهُ ... بِصُحُفٍ وتِلْفَازٍ وقِيْلَ وَقَالُوا
ولكِنْ فَتَى الفِتْيَانِ مَنْ طَاعَ رَبَّهُ ... وَصَارَ بِمَا يُرْضِيْ الإِلٰهَ مِثَالُ

آخر: لا تَحْسَبَنَّ المِوْتَ مَوْتَ البِلَا ... لَكِنَّما الموتُ هُوَ الكُفْرُ باللهْ
كِلَاهُمَا مَوْتٌ وَلَكِنَ ذَا ... أَشَدُّ مِنْ ذَاكَ لِجَحْدِهِ اللهْ

آخر: وحَسْبُكَ من ذُلٍ وَسُوْءِ صَنِيْعه ... رُكُوبُكَ مَا لَا يَرْتَضِي اللهُ فِعْلَهُ

«**فائدة**»: أَقَلُّ الناسِ عَقْلًا مَنْ فرّطَ في عُمُرِهِ فَصرَفه فيْ غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ، وَأَقَلُّ منه عَقْلًا مَنْ صَرَفَ وَقْتَهُ في مَعَاصِيْ اللهُ، نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةْ.

وقال تعالى ﴿والذينَ كَفروا بعضُهم أولياءُ بَعضٍ إلَّا تَفْعَلُوهُ تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير﴾ فَعَقَد تَعَالى المُوَالاةَ بَيْنَ المُؤْمِنِيْنَ، وَقَطَعَهُم مِن ولايَةِ الكَافِرِيْنَ وَأَخْبَرَ أَنَّ الكُفَّارَ بَعْضُهُم أَوْلِيآءُ بَعْض، وَإِنَّ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ وَقَعَ فِتْنَةٌ وَفَسَادٌ كَبِيْر، وكَذَا يَقَعُ فَهَلْ يَتِمُّ الدِّيْنُ أَوْ يُقَامُ عَلَمُ الجِهَادِ وعَلَمُ الأَمْرِ بالمَعْرُوفِ والنَّهْي عن المُنْكَرِ إلا بالحُبِ في اللهِ والبُغْضِ في اللهِ والمُعَادَاةِ في اللهِ والمُوَالَاةِ في الله.

ولو كَانَ الناسُ مُتَّفِقِيْنَ على طَرِيْقَةٍ وَاحِدةٍ وَمَحَبَّةٍ مِن غَيْرِ عَداوَةٍ ولا بَغْضَاءَ لَمْ يَكُنْ فَرْقٌ بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ ولا بَيْنَ المُؤْمِنِيْنَ والكُفَارِ ولا بَيْنَ أَوْلِيَآء الرحمنِ وَأَوْلِيآءِ الشيطانِ.

وَمِن مُوَالاةِ الأَعْدَاءِ وَمُصَادَقَتِهم ما يَفْعَلُه كَثِيْرٌ مِن ضُعَفَاءِ الإِيمانِ مِن الذهابِ إلى أَعْدَاءِ الله في أَيَّامِ أَعْيَادِهِم فَيَدْخُلُونَ في كَنَائِسِهم وَبُيُوتِهم وَأَنْدِيَتِهم وَيُهَنُّونَهُم بِأَعْيَادِهِم، والعِيَاذُ باللهِ.

وأعظم مِن ذلك وأَطَم الذين يَدْرُسُون على الكفار ويَجْلِسُونَ بين يَدَيْ الكافِرِ والعِيَاذُ بالله ويَأْتُون بشهادة مِن أعدالأ الله ورسوله والمؤمنين، قال الله جَلَّ وعَلَا: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾، وقال جل وعلا: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً﴾ فياأَيُهَا المُعَافَي أكثر من حمد الله وشكره وأسأله الثبات حتى الممات.

وقَد قِيْلَ في تَفْسِيْرِ قولِهِ تعالى: ﴿والذينَ لايَشْهَدُونَ الزُوْرَ﴾ أَنَّ المُرَادَ أَعْيَادُ المُشْرَكَيْنَ، وقال عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِيَّاكُمْ وَرَطَانَة الأَعَاجِمِ وأَنْ تَدْخُلُوا على المُشْرِكِين يَوْمَ عِيْدِهِم في كَنَائِسِهِم.

وقال رَضِيَ الله عَنْهُ اجْتَنِبُوا أَعْدَاءَ اللهِ في عِيْدِهِم، ومِن الأَعْيَادِ المُحْدَثَةِ التي لايَجُوْزُ لِلْمُسْلِم حُضُورُهَا لأَنَّهَا أَعْيَادٌ بَاطِلةٌ مايُسَمَّى بِعِيْدِ الاسْتِقْلَالِ،

وعِيْدِ الجَلَاءِ وَعِيْدَ الجُلُوسِ، وَعِيْدِ الثَّوْرَةِ، ونَحْوِ ذَلِكَ مِن أَعْيَادِ الكَفَرَةِ والمُنَافِقِين وَأَتْبَاعِهِم.

وقال الشيخُ حَمَدُ بنُ عَتِيْقٍ رَحِمَهُ اللهُ، ومِن أَعْظَمِ الوَاجِبَاتِ على المؤمِن مَحَبَّةُ اللهِ وَمَحَبَّةُ مَا يُحِبُّهُ مِنْ الأَقْوَالِ والأعمالِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ وكذا مَا يُحِبُّهُ مِن الأَشْخَاصِ كالملائكةِ، وصَالِحِ بَنِي آدَمَ، ومُوَالاتِهِمْ وَبُغْضِ مَا يُبْغِضُهُ اللهُ، مِن الأَقْوَالِ والأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ، وَبُغْضِ مَن فَعَلَ ذَلِكَ فإذا رَسَخَ هَذَا الأصلُ في قَلْبِ المُؤْمِنِ لم يَطْمَئِنَّ إلى عدُوِّ اللهِ، ولم يُجَالِسْهُ وَلَمْ يُسَاكِنْهُ وَسَاءَ نَظَرُهُ إليهِ.

فَلَمَّا ضَعُفَ هَذَا الأَصْلُ في قُلُوبِ كَثِيْرٍ مِن الناسِ واضْمَحَّلَ صَارَ كَثِيْرٌ مِنهم مَعَ أَوْلِيآءِ اللهِ كَحَالِهِ مَعَ أَعْدَاءِ اللهِ، يَلْقَى كُلًّا مِنْهُم بِوَجْهٍ طَلِقٍ، وَصَارَت بِلَادُ الحَرْبِ كَبِلَادِ الإِسلامِ، وَلَمْ يُخْشَ غَضَبُ اللهِ الذي لَا تُطِيْقُ غَضَبَهُ السَّمَواتُ والأَرْضُ والجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ قُلْتُ فَكَيْفَ لو رَأَى تدفقَ الكفرَة على المسلمين وتدفق الشبابِ على بلادِ الكُفْرِ.

وَلَمَّا عَظُمَتِ الفِتْنَةُ فِتْنَةُ الدُّنْيَا، وَصَارَتْ أَكْبَرَ هَمِّهِمْ، وَمَبْلَغَ عِلْمِهِم حَمَلَهُم ذَلِكَ عَلى التِمَاسِهَا وَطَلَبِهَا وَلَو بِمَا يُسْخِطُ اللهُ، فَسَافَرُوْا إلى أَعْدَاءِ اللهِ في بِلَادِهِم، وَخَالَطُوهُمْ في أَوْطَانِهِم وَلَبَّسَ عَلَيْهِم الشيطانُ أَمْرَ دِيْنِهِم فَنَسُوا عَهْدِ اللهِ وَمِيْثَاقَهُ الذي أَخَذَ عَلَيهم، في مِثْلِ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوْهُ، وَما نَهَاكُم عَنه فانْتَهُوْا﴾.

اللَّهُمَّ أَنْظُمْنَا في سِلْكِ حِزبِكَ المُفلِحِين، واجعلنا مِنْ عبادِك المُخْلِصين وآمِنَّا يوم الفَزَعِ الأَكبرِ يومَ الدِين، واحشُرْنا مَعَ الذين أنعمْتَ عليهم مِنَ النَبيين والصِّدِّيقينَ والشُهداء والصالحين وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فصلٌ**» : وَقالَ تَعَالى لمّا ذَكَرَ حَالَ المُنَافِقِيْن ﴿أُوْلئِكَ الذِيْنَ يَعْلَم اللهُ مَا فِيْ قُلُوبِهِم، فَأَعْرِضْ عَنْهُم وعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُم في أَنْفُسِهِم قولًا بَلِيْغاً﴾، قال بعضُ المُفسرِيْنَ، أَمَرَ اللهُ نبيَّهُ ﷺ بالإعْرَاضِ عَن المُنَافِقِيْنَ واغْلَاظِ القَولِ عَلَيْهِم وأَنْ لَا يَلْقَاهُم بوجْهِ طَلِقٍ، بَلْ يَكُونُ وَجْهُهُ مُكْفَهِراً عَابِساً مُتغَيِّراً مِن الغَيْظِ فإذا كَانَ هَذَا مَعَ المنافقين، الذينَ بَيْنَ أَظْهُرِ المُسْلِمِيْنَ، يُصَلُونَ مَعَهُم وَيُجاهِدُوْنَ مَعَهُم وَيَحُجُّونَ فكَيْفَ بِمَنْ يُسَافِرُ إلى المُشْرِكينَ وَأَقامَ بَيْنَ أَظهُرِهِمْ أَيَّاماً وَلَيالِياً واسْتَأْذَنَ عَلَيهِم في بُيُوتِهِم وَبَدَأَهُم بالسَّلامِ وَأَكْثَرَ لَهُم التَّحِيَّةَ وَأَلَانَ لَهُمْ الكَلامَ وَلَيْسَ لَهُ عُذْرٌ إلا طلبُ العَاجِلَةِ ولم يَجْعَلِ اللهُ الدُّنْيا عُذْراً لِمَن اعْتَذَرَ بِهَا قال تعالى : ﴿قل إنْ كَانَ آباؤُكُم﴾ الآية .

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه او :

شِعْرا : وَاللهُ حَرَّمَ مُكْثَ مَنْ هُوَ مُسْلِمٌ ... في كُلِّ أَرْضٍ حَلَّهَا الكُفَّارُ
ولَهُمْ بِهَا حُكْم الوِلايَةِ قاهرٌ ... فاربَأْ بِنَفْسِكَ فالْمَقَامُ شَنَارُ
وانْظُرْ حَدِيْثاً في البَرَاءَةِ قَدْ أَتَى ... نَقْلُ الثِّقَاةِ رُوَاتُهُ الأَخْيَارُ
فيه البَرَاءَةُ بالصَّرَاحَةِ قَدْ أَتَتْ ... مِن مُسْلِمٍ وكَذاكَ الآثارُ
قَدْ صَرَّحَتْ فِيْمَنْ أَقَامَ بِبَلْدَةٍ ... مُسْتَوْطناً وَوُلَاتُهَا الكُفَّارُ

وقال في آخِرِ كَلَامِهِ : فالوَاجِب على العاقل الناصح لِنفسهِ النَّظَرُ في أَمْرِهِ والفِكْرُ في ذُنُوبِهِ وَمُجاهَدَةُ نَفْسِهِ على التَّوبَةِ النَّصُوحِ، والنَّدَمُ على ما فَاتَ، والعَزِيْمَةُ عَلى أَن لا يَعُودَ، والتّبديلُ بالعَمَلِ الصَّالِحِ وَتَقْدِيمُ مَحَبَّةِ الله على جَمِيْعِ المَحَابِّ وإيثَارُ مَرْضَاتِهِ على حُظُوظِ النَّفْسِ، فَإِنَّ كُلَّ شَيءٍ ضَيَّعَهُ ابْنُ آدَمَ رُبَّمَا يَكُونُ لَهُ مِنه عَوَضٌ، فإن ضَيَّعَ حَظَّهُ مِنَ اللهِ لم يَكُنْ لَه عِوَضٌ، قُلْتُ وقد أَحْسَنَ مَن قَالَ :

«مِنْ كُلِّ شَيءٍ إذا ضَيَّعْتَهُ عَوضٌ ... وَمَا مِن اللهِ إنْ ضَيَّعْته عَوَضُ»
آخر : وَإِنَّمَا رَجُلُ الدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا ... مَنْ لَا يُعَوِّلُ عَلَى أَحْدٍ سِوى الله

وَقَدْ خَابَ مَن كَانَ حَظُّهُ مِن اللهِ دُنْيَا يَحْتَلِبُ دَرَّهَا، والخَاسِرُ مَن خَسِر دِيْنَهُ، وانْ أَفَادَ في دُنْيَاهُ نسأل الله بأَسْمائِه الحُسْنَى أَن يَأْخُذَ بنواصِيْنَا إليه وأن يُلْزِمَنا كَلِمَةَ التَّقْوَى وأَنْ يَجْعَلَنَا مِن أَهْلِهَا وصلى الله على محمدٍ.

شِعْرًا: بَكَيْتَ فَمَا تَبْكِي شَبَابَ صِبَاكَا ... كَفَاكَ نَذِيْرُ الشَّيْبِ فِيْكَ كَفَاكَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَيْبَ قَدْ قَامَ نَاعِياً ... مَكَانَ الشَّبَابِ الغَضِّ ثُمَّ نَعَاكَا
أَلَمْ تَرَ يَوْماً مَرَّ إِلا كَأَنَّهُ ... باهلاكه لِلْهَالِكِيْنَ عَنَاكَا
أَلَا أَيُّهَا الفَانِي وَقَدْ حَانَ حَيْنُهُ ... أَتَطْمَعُ أَنْ تَبْقَى فَلَسْتَ هُنَاكَا
سَتَمْضِي وَيَبْقَى مَا تَرَاهُ كَما تَرَى ... فَيَنْسَاكَ مَنْ خَلَّفْتَهُ هُوَ ذَاكَا
تَمُوتُ كَمَا مَات الَّذينَ نَسِيْتَهُمْ ... وَتنْسَى وَيَهْوى الحَيُ بَعْدَ هَوَاكَا
كَأَنَّكَ قَدْ أُقْصِيْتَ بَعْدَ تَقَرُّبٍ ... إِلَيْكَ وَإِنْ بَاكٍ عَلَيْكَ بَكَاكَا
كَأَنَّ الذيْ يَحْثُوْ عَلَيْكَ مِن الثَّرَى ... يُرِيْدُ بِمَا يَحْثُو عَلَيْكَ رِضَاكَا
كَأَنَّ خُطُوْبَ الدَّهْرِ لَمْ تَجْرِ سَاعَةً ... عَلَيْكَ إذا الخَطْبُ الجَلِيْلُ دَهَاكَا
تَرَى الأَرْضَ كَمْ فِيْهَا رُهُونٌ كَثِيْرَةٌ ... غَلِقْنَ فَلَمْ يَحْصُلْ لَهُنَّ فِكَاكَا

اللَّهُمَّ إنا نسألك التوفيقَ لِلْهدايةِ والبُعدَ عن أسبابِ الجهالةِ والغِوَايَةِ ونسألك الثباتَ على الإِسلامِ والسنةِ، وأن لا تزِيْغَ قُلُوبَنَا بَعدَ إذ هَدَيْتَنا، وَنَعُوذُ بكَ مِن مُضِلَاتِ الفِتَنِ، مَا ظَهَرَ منها ومَا بَطَنَ ونسألكَ أَنْ تَنْصُرَ دِيْنَكَ، وَكِتَابَكَ ورسولكَ وعبادَكَ المؤمنين وأن تُظْهِرَ دِيْنَك على الدين كلِهِ ولو كره الكافِرون والله أعلم وصلى الله على محمد.

«فَصْــــلٌ»

وقال ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالى

ومِن تمامِ مَحَبَّةِ اللهِ مَحَبَّةُ مَا يُحِبُّهُ، وَكَرَاهَةُ مَا يَكْرَهُهُ، فَمَنَ أَحَبَّ شَيْئاً مِمَّا كَرِهَهُ اللهُ، أَوْ كَرِهَ شَيْئاً مِمَّا يُحِبُهُ اللهُ، لم يَكْمُلْ تَوْحِيْدُهُ وصِدْقُهُ في قَولِهِ

لَا إِلهَ إِلا اللهُ، وكانَ فِيه مِن الشِرْكِ الخَفي بحَسَبِ مَا كَرِهَهُ مِمَّا أَحَبَّه اللهُ، وَمَا أَحَبَّه مِمَّا يَكْرَهُهُ الله.

قال اللهُ تعالى: ﴿ذَلِكَ بأنَّهم اتَّبعُوا ما أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فأحْبَطَ أَعْمَالَهُم﴾، وقال الحسنُ إعْلَمْ أنَّكَ لَنْ تُحِبَّ الله حَتَّى تُحِبَّ طَاعَتَهُ وقال بَعْضُهم كُلُّ مَن ادَّعَى مَحَبَّةَ اللهِ ولم يُوافِق اللهَ في أَمْرِهِ فَدَعْوَاهُ بَاطِلَةٌ.

وقال يَحْيَى بنُ مُعَاذٍ لَيْسَ بِصَادِقٍ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللهِ ولم يَحْفَظْ حُدُوْدَه، وقال رُوَيْمُ المَحَبَّةُ الموافقةُ في جَمِيْعِ الأحوالِ وأنشد يقول:

«وَلَوْ قُلْتَ لِيْ مُتْ مُتُّ سَمْعا وَطَاعَةً وَقُلْتُ لِدَاعِيْ المَوْتِ أَهْلًا وَمَرْحَبَا»

شِعْرًا: خَصائِصُ مَنْ تُشَاوِرُهُ ثلاثٌ فَخُذهَا مِن كَلامِيْ بالحَقِّيْقَةْ

وِدَادٌ خالِصٌ وَوُفُورُ عَقْلٍ وَمَعْرِفَةٌ بحَالِكَ بالْحَقِيقَةْ

فَمَنْ تَمَّتْ لَهُ هَذِي المَعَاني فَتَابِعْ رَأْيَهُ وِفْقَ الشَّرِيْعَةْ

وإنْ خَالَفَ كَلامَ اللهِ أَوْ كَلَام المُصْطَفَى فاحْذَرْ تُطِيْعَهْ

وَيَشْهَدُ لِهَذَا المَعْنَى قولُ تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُم تُحِبُونَ اللهَ فاتَّبِعُونِي يُحبِبْكُم اللهُ﴾، وقال الحَسَنُ قالَ أَصْحَابُ رسولِ اللهِ ﷺ: إنَّا نُحِبُّ رَبَّنَا شَدِيْداً، فَأَحَبَّ اللهُ أَنْ يَجْعَل لِحُبِّهِ عَلَامةً فَأَنْزَلَ هَذِهِ الآية.

ومِنْ هُنَا يُعْلَمُ أنَّه لا تَتِمُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ إِلَّا بِشَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللهِ، فإذا عُلِمَ أَنَّهُ لَا تَتِمُ مَحَبَّةُ اللهِ إلا بِمَحَبَّةِ ما يُحِبُّهُ وَكَرَاهَةِ مَا يَكْرَهُهُ، فَلَا طَرِيْقَ إلى مَعْرِفَةِ مَا يُحِبُّهُ وَيَكْرَهه إِلَّا باتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ واجْتِنَابِ ما نهى عَنْهُ، فَصَارَتْ مَحَبَّتُهُ مُسْتَلْزِمَةٌ لِمَحَبَّةِ رسُولِ اللهِ ﷺ وَتَصْدِيْقِهِ وَمُتَابَعَتِهِ.

شِعْرًا: أَخْلِصْ لِمنْ خَلقَ الأشْيَاء من عَدَمٍ واتْبَعْ رسُولَ الهُدَى فِيْمَا أَتَاكَ بِهِ

وَلِهَذَا قَرَنَ اللهُ مَحَبَّتَهُ وَمَحَبَّةَ رَسُولِهِ ﷺ في قوله تعالى ﴿قُلِ انْ كَانَ

آباؤُكم وأَبْناؤكم وإخوانُكم﴾ إلى قَوْلِهِ ﴿أَحبَّ إليْكُم مِن اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ كَمَا قَرَنَ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ في مَواضِعَ كَثِيْرَةٍ.

شِعْرَا: وإنَّما يَتسَامَى لِلْعُلَى رَجُلٌ   في طَاعةِ الله لا تُلْهِيْهِ أَمْوَالُ

وقال ﷺ «ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وَجَد بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ: إنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُه أَحَبَّ إليهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وأَنْ يُحِبَّ المرءَ لَايُحِبُّهُ إلا لِلَّهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَرْجِعَ إلى الكُفْرِ بَعْدَ إذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى في النارِ»، وَهَذِهِ حَالَةُ السَّحَرَةِ لَمَّا سَكَنَتْ المَحَبَّةُ في قُلُوبِهِم سَمَحُوا بِبَذْلِ نُفُوسِهِم، وقالُوا لِفَرْعَونَ اقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ.

شِعْرَا: ومَنْ تَكُنْ الفِرْدَوْسُ همَّةُ نَفْسِهِ   فكُلُ الذي يَلْقَاهُ فيها مُحَبَّبُ

وَمَتى تَمَكَّنَتِ المَحَبَّةُ مِن القَلْبِ لَمْ تَنْبعِثِ الجَوَارِحُ إلَّا إلى طاعةِ الربِ، وَهَذا مَعْنَى الحَدِيْثِ الإلهي «ولا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ التي يَمْشِيْ بها» وفي بَعْضِ الرِوَايَاتِ فَبِيْ يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ.

والمَعْنَى أَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ إذَا اسْتَغْرَقَ بِهَا القَلْبُ واسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ لَمْ تَنْبَعِث الجَوَارِحُ إلَّا إلى رِضَا الرَّبِ، وَصَارَتِ النَّفْسُ مُطْمَئِنَةً حِيْنَئِذٍ بإرادَةِ مَوْلَاهَا عَن مرادِهَا وَهَواهَا، وفي بعض الكتب السابقة مَن أَحَب الله لم يكن شيء عِنْدَهُ آثر من رضاه.

شِعْرَا: كَفَانِي فَخَرْاً أَنْ أَمُوْتَ مُجَاهِداً   وحُبُّ إِلٰهِيْ قائِدِي مُنْذُ نَشْأتِي

وقال: لا يَنْجُو غداً إلَّا مَن أَتَى اللهَ بقَلْبٍ سَلِيْم، لَيْسَ فِيْهِ سِواهُ، قال تعالى ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ ولا بَنُونَ إِلَّا مَن أَتَى اللهَ بقَلْبٍ سَلِيْم﴾ وهُوَ الطَّاهِرُ مِن أَدْنَاسِ المُخَالَفَاتِ.

فأمَّا المُتَلَطِّخُ بِشَيءٍ مِن المُكْرُوْهَاتِ، فَلَا يَصْلَحُ لِمُجَاوَرَةِ حَضْرَةِ القُدُّوْسِ إلَّا بَعْدَ أَنْ يُطَهَّرَ بِكِيْرِ العَذَابِ فإذَا أَزَالَ عَنْهُ الخَبَثَ صَلَحَ حِيْنَئِذٍ لِلْمُجَاوَرَةِ إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا، فأمَّا القُلُوبُ الطَّيبَةُ فتصْلُحُ لِلْمُجَاوَرَةِ مِن أَوَّلِ الأَمْرِ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكم بما صَبَرْتُم فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾، ﴿سلامٌ عَلَيْكُم فادْخُلُوْهَا خالدْين﴾، ﴿الذينَ تَتوفَاهُم الملائكةُ طَيِّبِيْنَ يقولون سَلام عليكم ادخُلُوا الجنةَ بما كنتم تعملون﴾.

مَنْ لَمْ يُحرِّقْ نَفْسَهُ اليومَ بِنَارِ الأَسَفِ عَلى مَا سَلَفَ أَوْ بِنَارِ الشَّوْقِ إلى لِقَاءِ الحَبِيْبِ، فَنَارُ جهَنَّم أَشَدُّ حَراً مَا يَحْتَاجُ إلى تَطْهِيرٍ بِنَارِ جَهَنَّمَ إلا مَنْ لَمْ يُكَمِّل التَّوْحِيْدَ والقِيَامَ بحُقُوبِهِ.

أَوَّلُ مَن تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ مِن المُوَحِّدِيْنَ المُرَاؤُوْنَ بأَعْمَالِهِم وَأَوَّلُهُم العَالِمُ والمُتَصَدِّقُ والمُجَاهِدُ لِلرِّيَاءِ، ولأَنَّ الرِيَاءَ شِرْكٌ ما تَظَاهَرَ المُرائِي إلى الخَلْقِ بعَمَلِهِ إلا لِجَهْلِهِ بِعَظَمةِ الخَالِقِ، المُرَائِي يُزَوِّرِ التَّوْقِيعَ عَلَى اسْمِ المَلِكِ لِيَأْخُذَ البَرَاطِيْلَ لِنَفْسِهِ، وَيُوْهِمُهُمْ أَنَّهُ مِن خَاصَّةِ المَلِكِ، وَهُوَ مَا يَعْرِفُ المَلِكَ بالكُلِّيَةِ، نَقَشَ المُرَائِي عَلى الدِّرْهَمِ الزَائِفِ اسْمَ المَلِكِ لِيُرَوِّجَ والبَهْرَجُ لا يَجُوْزُ إلَّا على غَيْرِ النَّاقِدِ.

وقال ابنُ القَيِم رَحِمَهُ اللهُ مَن أَحَبَّ شَيْئاً سِوَى اللهِ ولم تَكُنْ مَحَبَّتُهُ لَهُ لِلَّهِ ولا لِكَوْنِهِ مُعِيْناً لَهُ على طاعةِ اللهِ، عُذِّبَ بِهِ في الدُّنْيَا قَبْلَ اللِّقَا كما قِيْلَ:

شِعْرًا أَنْتَ القَتِيْلُ بِكُلِّ مَنْ أَحْبَبْتَهُ ... فاخْتَرْ لِنَفْسِكَ في الهَوى مَن تَصْطَفِي

فإذا كانَ يومُ القِيَامَةِ، وَلَّى الحَكَمُ العَدل سُبْحَانَهُ كُلَّ مُحِبٍّ ما كَانَ يُحِبُّهُ في الدُّنْيَا فَكَانَ مَعَهُ إمَّا مُنَعماً وإمَّا مُعَذَّباً، ولِهَذَا يُمَثَّلُ لِمُحِبِ المَالِ مَالُهُ شُجَاعاً أَقْرَعَ، يَأْخُذُ بِلِهْزَمَتَيْهِ، يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ وَيُصَفَّحُ لَهُ صَفَائِحَ مِن نَارٍ يُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ، وَجَبِيْنُهُ، وَظَهْرُهُ.

وكذا عَاشِقُ الصُوَرِ إِذَا اجْتَمَعَ هُوَ وَمَعْشُوْقُهُ عَلى غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ، جُمِعَ بَيْنَهُمَا في النارِ وَعُذِبَ كُل مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ، قال تعالى ﴿الأخلآءُ يومَئِذٍ بَعْضُهُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلا المُتقِيْنَ﴾، وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الذينَ تَوادُوْا في الدُّنْيَا عَلَى الشِرْكِ يَكْفُرُ بَعْضُهُم بِبعْضٍ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَلْعَنُ بَعْضُهُم بَعْضاً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَمَا لَهُمْ مِن نَاصِرِين.

فالمُحِبُّ مَعَ مَحْبُوْبِهِ دُنْيَا وأُخْرَى، وَلِهَذَا يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ لِلْخَلْقِ أَلَيْسَ عَدْلًا مِنِّي أَنْ أُوَلِيْ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا كَانَ يَتَوَلَّى فِي دَارِ الدُنْيا قال ﷺ: «المَرْءُ مَع من أَحَبَّ».

وقال تعالى ﴿ويومَ يَعَضُ الظَّالِمُ على يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيْلًا يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لم أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيْلَا لَقَدْ أضَلَّنِي عَنِ الذِكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وكان الشيطانُ لِلإنسانِ خذولا﴾.

وقال تعالى ﴿أُحْشُرُوْا الذينَ ظَلَمُوا وأَزْوَاجَهُم ومَا كَانُوا يَعْبُدونَ مِن دون الله﴾ إلى قوله ﴿ما لكم لا تناصرون﴾، قال عُمَرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَزْوَاجَهُم أَشْبَاهُمُ وَنُظَرَاؤُهُم، وقال تعالى ﴿وإذا النُفُوسُ زُوِّجَتْ﴾.

فَقُرِنَ كُلُّ شَكْلٍ إلى شَكْلِهِ، وَجُعِلَ مَعَه قَرِيْنَا وَزَوْجاً، البَرُّ مَعَ البَرِ والفَاجِرُ مَعَ الفَاجِرِ.

والمَقْصُودُ أَن مَنْ أَحَبَ شَيْئاً سِوَى اللهِ فالضَّرَرُ حَاصِلٌ لَهُ بِمَحْبُوبِهِ إِنْ وُجِدَ وَإِن فُقِدَ، فإِنَّهُ إنْ فَقَدَهُ عُذِبَ بِفَوَاتِهِ، وَتأَلَّمَ على قَدْرِ تَعَلُّقِ قَلْبِهِ بِهِ، وانْ وَجَدَهُ كَانَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِن الألمِ قَبْلَ حُصُولِهِ، ومِن النَّكَدِ في حَالِ حُصُوْلِهِ، وَمِن الحَسْرَةِ عليهِ بَعْدَ فَوَاتِهِ، أَضْعَافُ مَا فِي حُصُولِهِ لَهُ مِن اللَّذَةِ.

وَهَذَا الأَمْرُ مَعْلُومٌ بالاسْتِقْرَاءِ، والاعْتِبَارِ، والتَّجَارُبِ ولِهَذَا قَالَ النَّبيُ ﷺ في الحديثِ الذي رواه الترمذي وَغَيْرُهُ «الدُنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ ما فِيها إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالَاهُ».

فَذِكْرُهُ جَمِيْعُ أَنْوَاعِ طَاعَتِهِ فَكُلُ مَن كانَ في طَاعَتِهِ فَهُوَ فِي ذِكْرِهِ، وانْ لَمْ يَتَحَرَّكْ لِسَانُهُ بالذِكْرِ، وَكُلُّ مَن وَالاهُ فقد أَحَبَّهُ وَقَرَّبَهُ فاللَّعْنَةُ لا تَنالُ ذَلِكَ بِوَجْهٍ وَهِيَ نَائِلَةٌ كُلَّ مَا عَدَاه.

اللَّهُمَّ أرزِقْنَا العَافِيَةَ في أَبْدانِنَا والعِصْمَةَ في دِيْنِنَا وأحْسِنْ مُنْقَلَبنَا وَوَفِّقْنَا للْعَمَل بطاعَتِكَ أبَداً ما أَبْقَيْتَنَا وَاجْمَعْ لَنَا بَيْنَ خَيْرَيِ الدُنْيَا والآخِرَةِ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبّتِكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا القِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَّاتِنَا وَذُرِّيَاتِنَا وأَعِذْنَا مِنْ شَرِّ نُفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا وَأَعِذْنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانَا تَبَعاً لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُوْلُكَ ﷺ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــــلٌ»

عِبادَ اللهِ إن كَلِمَةَ التوحيدِ «لا إله إلَّا الله»، هِيَ العُروةُ الوُثْقَى وهي التي فَطَرَ اللهُ عليها جميعَ خَلقِهِ.

وَلَهَا أَرْكَان وشُرُوط، فأركانُها إثنان: نَفْيٌ وإثْبَات. وحَدُ النَّفْي مِن الإثبات «لا إلهَ»، أيْ نَافِياً جَمِيْعَ مايُعْبَدُ مِن دُوْنِ الله. والإثباتُ «إلا اللهُ» أيْ مُثْبتاً العَبادَةَ لِلَّهِ وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ في عِبَادَتِهِ كما أنه لا شَرِيْكَ لَهُ في مُلْكِهِ.

وأَمَّا شُرُوْطُهَا فَسَبْعةٌ لاتَصِحُ هَذِهِ الكَلِمَةُ ولاتَنْفَعُ قائِلَهَا إلا إذَا اسْتَجْمَعَتْ لَهُ الشُرُوط التي تَلِي:

الأولُ: العِلْمُ، بِمَعْنَاهَا نَفِياً وإثْبَاتاً، قال الله تعالى لِنَبِّيهِ ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا اللهُ﴾، وقال: ﴿إِلَا مَنِ شَهِدَ بالحِق وهم يَعلمون﴾، وقال ﷺ: «مَن مَاتَ وهَو يَعْلَمُ أن لا إِلَهَ إلا الله دَخَلَ الجنة».

الثاني: اليَقِيْنُ، أَيْ اسْتِيْقَانُ القَلْبِ بِهَا، قال الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يَرْتَابُوا﴾ إلى قوله: ﴿أولئك هم الصادقون﴾.

وقال ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لايلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة»، وقال ﷺ لأبي هريرة: «من لقيت وراء هذا

الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة» كلاهما في الصحيح.

الثالث: الإخلاص، قال الله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾، وقال: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾، وعن أبي هريرة قال: قلت يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة، فقال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت ياأبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه».

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» رواه مسلم.

الرابع: الصدق، قال الله تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾، عن ابن عباس قال من جاء بلا إله إلا الله، وقال: ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾.

وقال ﷺ: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صِدْقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار» متفق عليه. وتقدم قوله ﷺ: «يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه» الحديث رواه مسلم.

وقال ﷺ للأعرابي الذي علمه شرائع الإسلام: «أفلح إن صدق».

الخامس: المحبة، قال الله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾.

وقال ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله» الحديث متفق عليه.

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» متفق عليه.

السادس: الانقياد لها ظاهراً وباطناً، قال الله تعالى: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾، وقال تعالى: ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾، وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به».

السابع: القبول لها، وقد جمع بعضهم شروط «لا إله إلا الله» في بيت فقال:

عِلْمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصِدْقُكَ مَعْ   مَحبةٍ وانقيادٍ والقبولِ لَهَا

فلا يرد شيئاً من لوازمها ومقتضياتها، قال تعالى: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ إلى قوله: ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾.

وقال أيضاً في حق من لم يقبلها: ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون﴾.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» متفق عليه.

وقد شهد الله لنفسه بالوحدانية في قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا

هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾.

فقد تضمنت هذه الآية الكريمة حقيقة التوحيد والرد على جميع طوائف الضلال فقد تضمنت أجَلَّ شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها من أجل شاهد بأجل مشهود به.

وعبارات السلف في «شهد» تدور على الحكم والقضاء والاعلام والبيان والأخبار وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها.

فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه فلها أربع مراتب.

فأول مراتبها: علم ومعرفة واعتقاد لصحة المشهود به وثبوته.

وثانيها: تكلمه بذلك وإن لم يعلم به غيره بل يتكلم بها مع نفسه ويتذكرها وينطق بها أو يكتبها.

وثالثها: أن يعلم غيره بما يشهد به ويخبره به ويبينه له.

ورابعها: أن يلزمه بمضمونها ويأمره به. فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع علمه بذلك وتكلمه وإخباره لخلقه وأمرهم وإلزامهم به.

فأما مرتبة العلم، فإن الشهادة تتضمنها ضرورة وإلا كان الشاهد شاهداً بما لا علم له به، قال تعالى: ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾.

وقال ﷺ: «على مثلها فاشهد» وأشار إلى الشمس، وأما مرتبة التكلم والخبر فقال تعالى: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون﴾ فجعل ذلك منهم شهادة وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة ولم يؤدوها عند غيرهم.

وأما مرتبة الإعلام فنوعان: إعلام بالقول، وإعلام بالفعل، وهذا شأن كل معلم لغيره بأمر، تارة يعلمه به بقول وتارة بفعل.

ولهذا كان من جعل داره مسجداً وأبرزها وفتح طريقها وأذن للناس بالدخول والصلاة فيها معلماً أنها وقف وإن لم يتلفظ.

وكذا شهادة الرب عز وجل وبيانه وإعلامه يكون بقوله تارة وبفعله أخرى فالقول ما أرسل به رسله وأنزل به كتبه.

وأما بيانه وإعلامه بفعله كما قال ابن كيسان: شهد الله بتدبيره العجيب وأموره المحكمة عند خلقه أن لا إله إلا هو، وقال الآخر:

وفي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَـةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّـه الوَاحِـدُ

آخر: لَه كُلُّ ذَرَّاهِ الوجُـوُدِ شَوَاهِـدٌ ... عَلَى أَنَّهُ الباري الإِلَٰه الـمُصَوِّرُ

آخر: تَأَمَّلْ في نَبَـاتِ الأَرْضِ وانْظُـرْ ... إلـىَ آثـارِ مَا صَنَـع المَلِـيْكُ

عُيُـونٌ مِنْ لُجيْـنَ شَاخِصَاتٌ ... بأَحْدَاقٍ هِيَ الـذَّهِبُ السَّبيْكُ

عَلَى قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ ... بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيْكُ

وأَنَّ مُحَمَّـداً خَيْـرُ البَرَايَـا ... إلـىَ الثَّقَليْـنِ أَرْسَلَـهُ المَلِـيْكُ

آخر: تَأَمُّـلْ سُطُـورَ الكَائِنَـاتِ فإنَّهَـا ... مِن الملكِ الأعْلَى إليكَ رَسَائِلُ

وقد كَانَ فِيها لَوْ تَأَمَّلْتَ خَطُّهَا ... أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ

ومما يدل على أن الشهادة تكون بالفعل قوله تعالى: ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلونه.

وأما مرتبة الأمر بذلك والإلزام به فإن مجرد الشهادة لا يستلزمه لكن الشهادة في هذا الموضع تدل عليه وتتضمنه.

فإنه سبحانه شهد به شهادة من حكم به وقضى وأمر وألزم عباده كما قال

تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾، وقال: ﴿وما أُمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً﴾ والقرآن كله شاهد بذلك.

ووجه استلزام شهادته سبحانه لذلك أنه إذا شهد أنه لا إله إلا هو فقد أخبر ونبأ وأعلم وحكم وقضى أن ما سواه ليس بإله وأن ألوهية ما سواه باطلة.

فلا يستحق العبادة سواه كما لا تصلح الإلهية لغيره، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه وحده إلهاً والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهاً ولا إله إلا الله هي كلمة التوحيد التي اتفقتْ عليها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وما من رسول إلا جعلها مفتتح أمره وقطب رحاه كما قال نبينا ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل».

وحق هذه الكلمة هو فعل الواجبات وترك المحرمات.

وأما فائدتها وثمرتها فالسعادة في الدنيا والآخرة لمن قالها عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها وأما مجرد النطق فلا ينفع لا بُدَّ من عَمَل.

قال شيخ الإسلام: من اعتقد أنه بمجرد تلفظه بالشهادة يدخل الجنة ولا يدخل النار فهو ضال مخالف للكتاب والسنة والاجماع. أهـ.

اللَّهُمَّ يا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقظْنَا مِنْ نَوْمِ الغَفْلَةِ وَنَبِّهنْا لِاغْتِنَام أَوْقَاتِ المُهْلَةِ لِمَصَالِحِنَا واعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عليْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكَنَّتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْواعِ القَبَائِحِ والمَعَائِبِ الَّتِيْ تَعْلَمُها مِنَّا وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«مَوعظـــة»

عِبَادَ اللهِ إِنَّ لِكَلِمَةِ التَّوْحِيْدِ فَضَائِلُ عَظِيْمَةٌ لا يُمْكِنُ اسْتِقْصَاؤُهَا مِنْهَا أَنَّها

كَلِمَةُ الإسلامَ وأَنَّهَا مِفْتَاحُ دَارِ السَّلامِ فَيَاذَوِيْ العُقُولِ الصِّحَاحِ وَيَاذَوِيْ البَصَائِرِ والفَلَاحِ جَدِّدُوْا أَيْمَانَكُم في المَسَاءِ والصَّبَاحِ بِقولِ لَا إِلٰهَ إِلا اللهُ مِن أَعْمَاقِ قُلُوبِكُم مُتَأَمِلِّيْنَ لِمَعْنَاهَا عَامِلِيْنَ بِمُقْتَضَاهَا.

عِبَادَ اللهِ مَا قَامَتِ السَّمَواتُ والأَرْضُ ولا صَحَّتِ السُّنَّةُ والفَرْضُ ولا نَجَا أَحَدٌ يَوَمَ العَرْضِ إِلَّا بِلَا إِلَه إِلا اللهُ ولا جُرِّدَتْ سُيُوفُ الجِهَادِ، ولا أُرْسِلَتِ الرُسُلُ إِلى العِبَادِ، إِلا لِيُعَلِّمُوهم العَمَلَ بِلَا إِلَه إِلا اللهُ.

تَاللَّهِ إِنَّها كَلِمَةُ الحَقِ، وَدَعْوَةُ الحَقِّ وَأَنَّهَا بَرَاءَةٌ مِن الشِرْكِ وَنَجَاةُ هَذَا الأَمْرِ وَلأَجْلِهَا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، كَمَا قال تعالى: ﴿وما أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُوْن﴾، وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الملائِكَةَ بالرُوْحِ مِن أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوْا أَنَّهُ لَا إِلهَ إِلا أَنَا فاتَّقُوْنِ﴾.

قال ابنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللهُ ما أَنْعَمَ اللهُ على عبدٍ مِن العِبَادِ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِن أَنْ عَرَّفَهُ لَا إِلَه إِلا اللهُ، وَإِنَّ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ كَالمَاءِ البَارِدِ لِأَهْلِ الدُّنْيَا وَلِأَجْلِهَا أُعِدَّتْ دَارُ الثَّوَابِ، وَدَارُ العِقَابِ وَلِأَجْلِهَا أُمِرَتِ الرُسُلُ بالجِهَادِ.

فَمَنَ قَالَهَا عَصَمَ مَالَهُ وَدَمَهُ، وَمَن أَبَاهَا فَمَالُهُ وَدَمُهُ حَلَالٌ، وَبِهَا كَلَّمَ اللهُ مُوْسَى كِفَاحاً وَهِيَ أَحْسَنُ الحَسَنَاتِ كَمَا في المُسْنَدِ عن شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ، وَعُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنهما أَنَّ النَّبِيَ ﷺ قالَ لِأَصْحَابِهِ، ارْفَعُوا أَيْدِيَكُم وَقُولُوا لَا إِلهَ إِلا اللهُ، فَرَفَعْنَا أَيْدِينَا سَاعَةً فَوَضَعَ رسولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ وقَالَ الحَمْدُ لِلَّهِ اللَّهُمَّ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الكَلِمَةِ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا وَوَعَدْتَنِي الجَنَّةَ وإِنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيْعَاد.

ثُم قَالَ أَبْشِرُوْا، فإِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ وَهِيَ أَحْسَنُ الحَسَنَات، وَهِيَ تَمْحُو الذُنُوبَ والخَطَايَا.

وفي سنن ابنِ مَاجَةَ عَن أُمِّ هَانِيءٍ عن النبي ﷺ قال: «لَا إِلهَ إِلا اللهُ لا

تَتْرُكُ ذنْباً ولا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ » ، وَرُوِيَ بَعْضُ السَّلَفِ بَعْدَ مَوْتِهِ في المَنَامِ فَقَالَ مَا أَبْقَتْ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ شَيْئاً وَهِيَ تُجَدِّدُ مَا دَرَسَ مِن الإِيمانِ في القَلْبِ .

وإِنَّ أَصْدَقَ قَوْلٍ أَنْتَ قَائِلُــهُ   قَوْلٌ تَضَمَّنَ تَوْحِيْدَ الذي خَلَقَا

وفي المسندِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لِأَصْحَابِهِ جَدِّدُوْا إِيْمَانَكُم قَالُوا كَيْفَ نُجَدِّدُ إِيْمَانَنَا قَالَ قُوْلُوا لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ ، وهيَ الَّتِي لَا يَعْدِلُهَا شَيءٌ في الوَزْنِ ، فَلَو وُزِنَتْ بالسمواتِ والأَرْضِ لَرَجحتْ بِهِنَّ .

كَمَا في المسندِ عن عبدِاللهِ بنِ عمروٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أَنَّ نُوحاً عليهِ السلامُ قالَ لِابْنِهِ عندَ مَوْتِهِ آمُرُكَ بِلَا إِلهَ إِلَّا اللهُ فإِنَّ السمواتِ السبعَ والأَرضِينَ السَّبْعَ لَوَ وُضِعْنَ في كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلهَ إِلا اللهُ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ وَلَوْ أَنَّ السَّمواتِ السبعَ والأَرضِينَ كُنَّ في حَلَقَةٍ مُبْهَمَةٍ فَصَمَتْهُنَّ لا إِلهَ إِلا اللهُ .

وإِنَّهَا تَرْجَحُ بالسمواتِ والأَرْضِ كَمَا في حَدِيْثِ عبدِاللهِ بنِ عمروٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ أَنَّ مُوْسَى عليه السلامُ قالَ يَارَبُّ عَلِّمْنِيْ شَيْئاً أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوْكَ بِهِ ، قال يَامُوْسَى قُلْ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ قال مُوسى يارَبُّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا .

قال يَامُوسَى قُلْ لَا إِلهَ إِلا اللهُ قَالَ لا إِلهَ إِلا اللهُ إِنَّما أُرِيْدُ شيئاً تَخُصُّنِيْ بِهِ ، قَالَ يَامُوْسَى لَوْ أَنَّ السمواتِ السبعَ والأَرضِيْنَ السَّبْعَ وَعامِرَهُنَّ غَيْرِي في كِفَّةٍ ولا إِلَهَ إِلَّا اللهُ في كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ .

وكذلكَ تَرْجَح في صَحَائِفِ الذُنُوبِ ، كَمَا في حَدِيْثِ السِّجلاتِ ، والبِطَاقَةِ ، وفي حديثِ عبدِاللهِ بنِ عمروٍ فِيْمَا أخرجه أحمدُ والنسائِيُ والترمذيُ عن النبي ﷺ .

اللَّهُمَّ نَجّنا برحمتِكَ مِن النارِ وعافِنا من دار الخِزْيِ والبَوَارِ وأدْخِلنا بِفَضْلِكَ الجنةَ دارَ القَرَارِ وعامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ ياكريمُ ياغفارُ وَاغْفِرَ لَنَا

وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« فَصْــــلٌ »

وَهْيَ الَّتِي تَخْرِقُ الحُجُبَ حَتَّى تَصِلَ إِلى اللهِ عَزَّ وَجل وَإِنَّهَا لَيْس لَهَا دُوْنَ اللهِ حِجَاب، لِمَا تَقَدَّمَ وَلِمَا فِي التِرمِذِي عن عبدِاللهِ بنِ عَمْرٍو وعن النبي ﷺ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ لَيْسَ لَها دُوْنَ الله حِجَاب.

وَأَنَّهَا تُفْتَحُ لَهَا أَبْوابُ السَّمَاءِ كَمَا فِي حَدِيْثِ أَبِي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه عن النبي ﷺ أنه قَالَ: «مَا مِن عَبْدٍ قالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُخلِصاً إلا فُتِّحَتَ لَهَا أَبْوَابُ السماءِ حَتَّى تُفْضِيْ إِلى العَرْشِ».

وَيُرْوَى عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهما مَرْفُوْعَاً مَا مِنْ شَيْءٍ إلا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ، إِلهَ إِلا اللهُ كَمَا أَنَّ شَفتيْكَ لا تَحْجِبُهَا كذَلِكَ لا يَحْجِبُهَا شَيْءٌ حَتَّى تَنْتَهِيْ إِلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَوَرَدَ عن النبي ﷺ مَنْ قال لَا إِلٰهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ وَهو على كُلِّ شيءٍ قَدِيْر مُخْلِصاً بِهَا قَلْبُهُ يُصَدِّقُ بِهَا لِسَانُهُ إلا فَتَقَ اللهُ السَّمَاءَ فَتْقاً حَتَّى يَنْظُرَ إِلى قَائِلِهَا مِن أَهْلِ الأَرْضِ، وَحَقٌ لِعَبْدٍ نَظَرَ اللهُ إِليهِ أَنْ يُعْطِيهُ سُؤآلهُ، وهِيَ الكَلِمَةُ الَّتِي يُصَدِّقُ اللهُ قَائِلَهَا.

كَمَا فِي حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قالَ إذا قَالَ العبدُ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أَكبَرُ صَدَّقَهُ رَبُّهُ. وَقَال لَا إِلٰهَ إِلا أَنَا، وأَنا أَكْبَرُ، وإِذَا قال لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ قَالَ اللهُ لا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِيْ لَا شَرِيْكَ لِيْ، وَإِذا قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريك لَه، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، قال اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا لِيْ المُلْكُ وَلِيَ الحَمْدُ، وإِذَا قَالَ العَبْدُ لَا أَلٰهَ إِلَّا اللهُ ولَا

حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ قَالَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا ولا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِيْ وكَانَ يَقُولُ مَن قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَم تَطْعَمْهُ النارُ.

وهيَ أَفْضَلُ مَا قَالَهُ النَّبِيُون كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي دُعَاءِ عَرَفَةَ وهِيَ أَفْضَلُ الذِكْرِ كَمَا فِي حَدِيْثِ جَابِرٍ المَرْفُوعِ أَفْضَلُ الذِكْرِ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَحَبُّ كَلِمَةٍ إلى اللهِ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، لا يَقْبَلُ اللهُ عَمَلًا إلا بِهَا.

وهِيَ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ، وَأَكْثَرُهَا تَضْعِيْفَاً وَتَعْدِلُ عِتْقَ الرِّقَابِ وَتَكُونُ حِرْزاً مِن الشَّيْطَانِ، كما في الصَّحِيْحَيْنِ عن أَبِي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ مَن قال لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ فِي يَوْمٍ مَائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرُ رِقَابْ، وكُتِبَ لَهُ مائةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَ عَنه مائةُ سَيِّئَةٍ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا وَاحدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنَ ذَلِكَ.

وَوَرَدَ أَنَّ مَن قَالَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمْنَ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنَ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وفي الترمذي عن عُمَرَ مَرْفُوعاً مَن قَالَهَا إِذَا دَخَلَ السُوقَ وَزادَ فِيهَا يُحْيِي وَيُمِيْتُ وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوْتُ بِيَدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلَفَ أَلِفِ حَسَنَةٍ وَمَحَى عنه أَلْفَ أَلْفَ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلِفِ دَرَجَةٍ وفي روايةٍ يُبْنَى لَهُ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ.

وَمِن فَضَائِلِهَا أَنَّهَا أَمَانٌ مِن وَحْشَةِ القَبْرِ وَهَوْلِ المَحْشَرِ كَمَا فِي المُسْنَدِ وَغَيرِهِ عن النبي ﷺ لَيْسَ على أَهْلِ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْشَةٌ فِي قُبُوْرِهِم ولا فِي نُشُوْرِهِم، وَكَأَنِّي بأهلِ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ يَنْفُضُوْنَ التُرَابَ عن رُؤُوسِهِم وَيَقُوْلُونَ الحمدُ لِلَّهِ الذي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ.

وفي حديثٍ مُرْسَلٍ مَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ المَلِكُ الحَقُّ المُبِيْنُ كُلَّ يَوْمٍ مائةَ مَرَّةٍ كانَتْ أَمَاناً مِن الفَقْرِ، وَأُنْساً مِن وَحْشَةِ القَبْرِ، واسْتُجْلِبَ بِهِ الغِنَى، واسْتُقْرِعَ بِهِ بَابُ الجَنَّةِ وَهِيَ شِعَارُ المُؤْمِنِيْنَ إذا قَامُوْا مِن قُبُورِهِم.

وَمِن فَضَائِلِهَا أَنَّهَا تَفْتَحُ لِقَائِلِهَا أَبْوَابَ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةَ، يَدْخُلُ مِن أَيِّهَا شَاءَ وفي الصَّحِيْحَيْنِ عن عُبَادَةَ بنِ الصامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قالَ مَن شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيْسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ وَرُوْحٌ مِنْهُ، وأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، والنارَ حَقٌّ وأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فيها، وأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَن في القُبُورِ، فُتِّحَتْ لَهُ أَبْوابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةَ يَدْخُلُ مِن أَيِّهَا شَاءَ.

وفي حديثِ عبدِالرحمن بن سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ في قِصَّةِ مَنَامِهِ الطَّوِيْلِ، وفيه قال رَأَيْتُ رَجُلًا مِن أُمَّتِي انْتَهَى إلى أَبْوَابِ الجَنَّةِ فَأُغْلِقَتْ دُوْنَهُ، فَجَاءَتْهُ شَهادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَفَتَحَتْ لَهُ الأَبْوَابَ وأَدْخَلَتْهُ الجَنَّةَ.

وَمِن فَضَائِلِهَا أَنَّ أَهْلَهَا وانْ دَخَلُوا النَّارَ بِتَقْصِيْرِهِم في حُقُوقِهِم، فإِنَّهُم لَا بُدَّ أَنْ يَخْرُجُوا مِنها، وفي الصحيحينِ عن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَن النبي ﷺ يَقُولُ اللهُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لأُخرِجَنَّ مِنْهَا مَن قالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.. أهـ. واللهُ أعلمْ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وسلم.

«**فَصْلٌ**»: قال ابن القيم رحمه الله أصلُ الأعمال الدينية حُبُّ الله ورسولِه كما أن أصلَ الأقوال الدينية تَصْدِيق الله ورسوله، وكل إرادة تمنع كمال حب الله ورسوله وتزاحم هذه المحبة فإنها تمنع كمال التصديق.

فهي معارضة لأصل الإيمان أو مضعفة له. فإن قويت حتى عارضت أصل الحب والتصديق كانت كفراً أو شركاً أكبر وإنْ لم تعارضه قدحت في كماله وأثرت فيه ضعفاً وفتوراً في العزيمة والطلب، وهي تحجب الواصل وتقطع الطالب وتنكي الراغب.

فلا تصلح الموالاة إلا بالمعاداة كما قال تعالى عن إمام الحنفاء المحبين أنه قال لقومه «أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون و فإنهم عدو لي إلا رب العالمين» فَلَمْ تصلح لخليل الله هذه الموالاة والخلة إلا بتحقيق هذه المعاداة فإن

ولاية الله لا تصح إلا بالبراءة من كل معبود سواه.

قال تعالى ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله. كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾.

وقال تعالى ﴿وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبة لعلهم يرجعون﴾ أي جعل هذه الموالاة لله والبرالأءة من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبة يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض.

وهي كلمة: لا إلٰهَ إلا الله، وهي التي ورثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة.

وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة ونصبت القبلة، وجردت سيوف الجهاد.

وهي محض حق الله على جميع العباد.

وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار والمنجية من عذاب القبر وعَذَابِ النار، وهي المنشود الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به والحبل الذي لا يصل إلى الله من لم يتعلق بسببه.

وهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام، وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد ومقبول وطريد.

وبها انفصلت دار الكفر من دار السلام وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان.

وهي العمود الحامل للفرض والسنة «ومن كان آخر كلامه لا إلٰهَ إلَّا الله دَخل الجنة».

وروح هذه الكلمة وسرها إفراد الرب جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إلٰهَ غيره بالمحبة والاجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك، من التوكل والإنابة والرغبة والرهبة.

فلا يحب سواه، بل كل ما كان يحب غيره فإنما هو تبعاً لمحبته وكونه وسيلة

إلى زيادة محبته ولا يخاف سواه ولا يرجو سواه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرغب إلا إليه، ولا يرهب إلا منه.

ولا يحلف إلا باسمه، ولا ينذر إلا له، ولا يتاب إلا إليه، ولا يطاع إلا أمره، ولا يحتسب إلا به، ولا يستعان في الشدائد إلا به، ولا يلتجأ إلا إليه، ولا يسجد إلا له، ولا يذبح إلا له وباسمه. يجتمع ذلك في حرف واحد هو: أن لا يعبد بجميع أنواع العبادة إلا هو.

فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إِلٰهَ إلا الله، ولهذا حرم الله على النار أن تأكل من شهد أن لا إِلٰهَ إلا الله حقيقة الشهادة، ومحال أن يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها كما قال تعالى ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ فيكون قائماً بشهادته في باطنه وظاهره وفي قلبه وقالبه.

فإن من الناس من تكون شهادته ميتة.

ومنهم من تكون نائمة إذا نبهت انتبهت، ومنهم من تكون مضطجعة، ومنهم من تكون إلى القيام أقرب. وهي في القلب بمنزلة الروح في البدن.

فروح ميتة وروح مريضة إلى الموت أقرب.

وروح إلى الحياة أقرب، وروح صحيحة قائمة بمصالح البدن. وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجدت روحه لها روحاً».

فحياة هذه الروح بهذه الكلمة فكما أن حياة البدن بوجود الروح فيه وكما أن من مات على هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلب فيها.

فمن عاش على تحقيقها والقيام بها فروحه تتقلب في جنة المأوى وعيشها أطيب عيش، قال تعالى ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾.

فالجنة مأواه يوم اللقاء، وجنة المعرفة والمحبة والأنس بالله والشوق إلى لقائه والفرح به والرضى عنه وبه مأوى روحه في هذه الدار.

فمن كانت هذه الجنة مأواه ههنا كانت جنة الخلد مأواه يوم المعاد، ومن حرم هذه الجنة فهو لتلك الجنة أشد حرماناً.

والأبرار في نعيم وإن اشتد بهم العيش وضاقت بهم الدنيا، والفجار في جحيم وان اتسعت عليهم الدنيا، قال تعالى ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾.

وطيب الحياة جنة الحياة، قال تعالى ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ فأي نعيم أطيب من شرح الصدر، وأي عذاب أشد من ضيق الصدر.

وقال تعالى ﴿ألا إن أَوْلِيَآءَ الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذي آمنوا وكانوا يتقون. لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾.

فالمؤمن المخلص لله من أطيب الناس عيشاً وأنعمهم بالًا وأشرحهم صدراً وأسرهم قلباً؛ وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة. قال النبي ﷺ «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» قالوا وما رياض الجنة؟ قال «حلق الذكر».

ومن هذا قوله ﷺ «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» ومن هذا قوله، وقد سألوه عن وصاله في الصوم وقال «أني لست كهيئتكم إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني».

فأخبر ﷺ أن ما يحصل له من الغذاء عند ربه يقوم مقام الطعام والشراب الحسي، وأن ما يحصل له من ذلك أمر مختص به لا يشركه فيه غيره، فإذا أمسك عن الطعام والشراب فله عوض عنه يقوم مقامه وينوب منابه وَيغني عنه كما قيل:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها | عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به | ومن حديثك في أعقابها حادي
إذا اشتكت من كلال السير أوعدها | روح اللقاء فتحي عند ميعاد

وكلما كان وجود الشيء أنفع للعبد وهو إليه أحوج كان تألمه بفقده أشد، وكلما كان عدمه أنفع كان تألمه بوجوده أشد، ولا شيء على الاطلاق أنفع للعبد من إقباله على الله، واشتغاله بذكره وتنعمه بحبه، وإيثاره لمرضاته. بل لا حياة ولا نعيم ولا سرور ولا بهجة إلا بذلك.

فعدمه آلم شيء له وأشد عذاباً عليه، وإنما تغيب الروح عن شهود هذا الألم والعذاب لاشتغالها بغيره واستغراقها في ذلك الغير فتغيب به عن شهود ما هي فيه من ألم العقوبة بفراق أحب شيء إليها وأنفعه لها.

وهذا بمنزلة السكران المستغرق في سكره الذي احترقت داره وأمواله وأهله وأولاده وهو لاستغراقه في السكر لا يشعر بألم ذلك الفوات وحسرته.

حتى إذا صحا وكشف عنه غطاء السكر وانتبه من رقدة الخمر فهو أعلم بحاله حينئذ، وهكذا الحال سواء عند كشف الغطاء ومعاينة طلائع الآخرة والاشراف على مفارقة الدنيا والانتقال منها إلى الله.

بل الألم والحسرة والعذاب هناك أشد بأضعاف أضعاف ذلك، فإن المصاب في الدنيا يرجو جبر مصيبته في الدنيا بالعوض ويعلم أنه قد أصيب بشيء زائل لا بقاء له، فكيف بمن مصيبته بما لا عوض عنه ولا بدل منه ولا نسبة بينه وبين الدنيا جميعها.

فلو قضي الله سبحانه بالموت من هذه الحسرة والألم لكان العبد جديراً به وان الموت ليعد أكبر أمنيته وأكبر حسراته، هذا لو كان الألم على مجرد الفوات،

كيف وهناك من العذاب على الروح والبدن أمور أخرى مما لا يقدر قدره؟

فتبارك من حمل هذا الخلق الضعيف هذين الألمين العظيمين اللذين لا تحملهما الجبال الرواسي. فاعرض على نفسك الآن أعظم محبوب لك في الدنيا، بحيث لا تطيب لك الحياة إلا معه فأصبحت وقد أخذ منك وحيل بينك وبينه أحوج ما كنت إليه، كيف يكون حالك هذا ومنه كل عوض؟ فكيف بمن لا عوض عنه؟ كما قيل:

وما ضَرَّني إتْلافُ عُمرِيَ كُلِّهِ ... إذا لِمَرَاضِي اللهِ أصبَحْتُ حَائِزَا

وفي الأثر الآلهي «ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب، ابن آدم اطلبني تجدني فإن وجدتني وجدت كل شيء وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء» انتهى كلامه رحمه الله.

شِعْرًا: كُلٌ لَهُ مَطْلَبٌ يَسْعَى لِيُدْرِكَهُ ... مُسْتَحْسِناً لِلذي يرضَى ويَهْوَاه

وَذُوْ الدِّيَانَةِ يَسْعَى دَائماً أَبَداً ... فِيْمَا يَرى أَنَّهُ يَرْضَى بِهِ الله

اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَلا تَجْعَلْ عِلْمَنَا وَبَالًا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ قَوِي مَعْرِفَتَنَا بِكَ وَبِأَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ وَنَوِّرْ بَصَائِرَنَا وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا يَا رَبَّ العالمين وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله:

رَسَائِلُ إخوانِ الصَّفَا والتَّوَدُدِ ... إلى كل ذِيْ قَلْبٍ سَلِيْمٍ مُوَحِّدِ
وَمِن بَعْدِ حَمْدِ اللهِ والشُكْرِ والثَّنَا ... صَلاةً وَتَسْلِيْمًا عَلَى خَيْرِ مُرْشِدِ
وآلٍ وَصَحْبٍ والسلامُ عَلَيْكُمُ ... بِعَدِّ وَمِيْضِ البَرْقِ أَهْلَ التَّوَدُّدِ
وَبَعْدُ فَقَدْ طَمَّ البَلَاءُ وَعَمَّنَا ... مِن الجَهْلِ بالدِّيْنِ القَوِيْمِ المُحَمَّدِي

بِمَا لَيْسَ نَشْكُوْ كَشْفَهُ وَانْتِقَادَنَا   لِغَيْرِ الإِلٰـهِ الوَاحِـدِ المُتَفَـرِّدِ
ولم يَبْـقَ إِلَّا النَـزْرُ فِي كُلِّ بَلْـدَةٍ   يُعَادِيْهُـمُ مِن أَهْلِهَـا كُلُّ مُعْتَـدِ
فَهُبُّوْا عِبَـادَ اللهِ مِن نَوْمَـةِ الـرَّدَى   إِلى الفِقْهِ فِي أَصْلِ الهُدَى والتَّجَرُّدِ
وَقَدْ عَنَّ أَنْ نُهْدِيْ إِلى كُلِّ صَاحِبٍ   نَضِيْداً مِن الأَصْلِ الأَصِيْلِ المُوَطَّدِ
فَدُوْنَكَ مَا نُهْدِي فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ   لِذَلِكَ أَمْ قَدْ غِيْـنَ قَلْبُكَ بِالـدَّدِ
تَرُوْقُ لَكَ الدُّنْيَا وَلَـذَّاتُ أَهْلِهَـا   كَأَنْ لَمْ تَصِرْ يَوْماً إِلى قَبْرِ مَلْحَدِ
فإِن رمت أَنْ تَنْجُوْ مِن النارِ سَالِماً   وَتُحْظَى بِجَنَّـاتٍ وَخُلْدٍ مُؤَبَّـدِ
وَرَوْحٍ وَرَيْحَـانٍ وَأَرْفَـهِ حِبْـرَةٍ   وَحُـوْرٍ حِسَانٍ كَاليَوَاقِـيْتِ خُرَّدِ
فَحَقِّـقْ لِتَوْحِيْـدِ العِبَـادَةِ مُخْلِصاً   بِأَنْوَاعِهَـا لِلَّـهِ قصداً وَجَـرِّدِ
وَأَفْرِدْهُ بِالتَّعْظِيْمِ والخَوْفِ والرَّجَا   وبالحُبِّ والرُّغْبَى إِلَيْهِ وَجَـرِّدِ
وَبِالنَّذْرِ والذَّبْحِ الذي أَنْتَ نَاسِكٌ   ولا تَسْتَـغِثْ إِلَّا بِرَبِّكَ تَهْتَـدِ
وَلَا تَسْتَعِـنْ إِلَّا بِهِ وَبِحَوْلِـهِ   لَهُ خَاشِياً بَلْ خَاشِعاً فِي التَّعَبُّدِ
وَلَا تَسْتَعِـذْ إِلَّا بِهِ لَا بِغَيْـرِهِ   وَكُـنْ لَائِـذاً بِاللهِ فِي كُلِّ مَقْصَدِ
إِلَيْـهِ مُنِيْبـاً تَائِبـاً مُتَوَكِّـلاً   عَلَيْهِ وَثِقْ بِاللهِ ذِيْ العَرْشِ تُرْشَدِ
وَلَا تَدْعُ إِلَّا اللهَ لا شَيْءَ غَيْرَهُ   فَدَاعٍ لِغَيْـرِ اللهِ غَاوٍ وَمُعْتَـدِ
وفي صَرْفِهَا أَوْ بَعْضِهَا الشِّرْكُ قَدْ أَتَى   فَجَانِبْهُ وَاحْذَرْ أَنْ تَجِيءَ بِمُؤيِدِ
وَهَذَا الذي فِيْهِ الخصومة قَدْ جَرَتْ   عَلَى عَهْدِ نُوْحٍ والنَّبِي مُحَمَّدِ
وَوَحِّدْهُ فِي أَفْعَالِـهِ جَلَّ ذِكْـرُهُ   مُقِـراً بِأَنَّ اللهَ أَكْمَـلُ سَيِّـدِ
هُوَ الخَالِقُ المُحْيِي المُمِيْتُ مُدَبِّرٌ   هُوَ المَالِكُ الرَّزَّاقُ فَاسْأَلْهُ وَاجْتَدِ
إِلى غَيْـرِ ذَا مِن كُلِّ أَفْعَالِهِ التِي   أَقَرَّ وَلَمْ يَجْحَـدْ بِهَا كُلُّ مُلْحِدِ
وَوَحِّـدْهُ فِي أَسْمَائِـهِ وصِفَاتِـهِ   ولا تَتَأَوَّلْهَـا كَرَأْيِ المُفَنَّـدِ
فَلَيْسَ كَمِثْـلِ اللهِ شَيْءٌ وَلَا لَهُ   سَمِيٌّ وَقُلْ لَا كُفْوَ لِلهِ تَهْتَدِي
وَذَا كُلُّـهُ مَعْنَـى شَهَـادَةِ أَنَّـهُ   إِلٰـهَ الـوَرَى حَقـاً بِغَيْـرِ تَرَدُّدِ
فَحَقِّـقْ لَهَـا لَفْظاً وَمَعْنىً فَإِنَّهَا   لَنِعْـمَ الرَّجَا يَوْمَ اللقَا لِلْمُوَحِّـدِ

هِيَ العُرْوَةُ الوُثْقَى فكُنْ مُتَمَسِّكاً … بِهَا مُسْتَقِيْماً في الطَّرِيْقِ المُحَمَّدِي
فكُنْ وَاحِداً في وَاحِدٍ وَلِوَاحِدٍ … تَعَالَى ولا تُشْرِكْ بِهِ أَوْ تُنَدِّدِ
وَمَنْ لَمْ يُقَيِّدْهَا بِكُلِّ شُرُوْطِهَا … كَمَا قَالَهُ لأَعْلَامُ مِن كُلِّ مُهْتَدِ
فَلَيْسَ عَلَى نَهْجِ الشَّرِيْعَةِ سَالِكاً … وَلَكِنْ عَلَى آراءِ كُلِّ ملدّدِ
فَأَوَّلُهَا العِلْمُ المُنَافِي لِضِدِّهِ … مِن الجَهْلِ إِنَّ الجَهْلَ لَيْسَ بِمُسْعِدِ
فَلَوْ كَانَ ذَا عِلْمٍ كَثِيْرٍ وَجَاهِلٌ … بِمَدْلُوْلِهَا يَوماً فَبالجَهْلِ مُرْتَدِ
وَمِن شَرْطِهَا وَهُوَ القَبُولُ وَضِدُّهُ … هُوَ الرَّدُ فافْهَمْ ذَلِكَ القَيْدَ تَرْشُدِ
كَحَالِ قُرَيْشٍ حِيْنَ لَمْ يَقْبَلُوا الهُدَى … وَرَدُّوْهُ لَمَّا أَنْ عَتَوْا فِي التَّمَرُّدِ
وَقَدْ عَلِمُوْا منهَا المُرَادَ وَأَنَّهَا … تَدُلُ عَلَى تَوحِيْدِهِ وَالتَّفَرُّدِ
فَقَالُوا كَمَا قَدْ قَالَهُ اللهُ عَنْهُمُ … بِسُوْرَةِ (صٓ) فاعْلَمَنْ ذَاكَ تَهْتَدِ
فَصَارَتْ بِهِ أَمْوَالُهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ … حَلالًا وَأَغْنَاماً لِكُلِّ مُوَحِّدِ
وَثَالِثُهَا الإِخْلَاصُ فأَعْلَمْ وَضِدُّهُ … هُوَ الشِّرْكُ بالمَعْبُودِ مِن كُلِّ مُلْحِدِ
كَمَا أَمَرَ اللهُ الكَرِيْمُ نَبِيَّهُ … بِسُوْرَةِ تَنْزِيْلِ الكتابِ المُمَجَّدِ
ورَابِعُهَا شَرْطُ المَحَبَّةِ فَلتَكُنْ … مُحِباً لِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِن الهُدِ
واخْلاصُ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ كُلِّهَا … كَذَا النَّفْيُ لِلشِّرْكِ المُفَنَّدِ والدَّدِ
وَمَنْ كَانَ ذَا حُبٍ لِمَوْلَاهُ إِنَّمَا … يَتِمُّ بِحُبِّ الدِّيْنِ دِيـنِ مُحَمَّدِ
فَعَادِ الذِيْ عَادَى لِدِيْنِ مُحَمَّدٍ … وَوَالِ الذِي وَالَاهُ مِن كُلِّ مُهْتَدِ
وَأَحْبِبْ رَسُولَ اللهِ أَكْمَلَ مَن دَعَى … إلى اللهِ والتَّقْوَى وأَكْمَلَ مُرْشِدِ
أَحَبَّ مِن الأَوْلَادِ والنَّفْسِ بَلْ وَمِنْ … جَمِيْعِ الوَرَى والمَالِ مِن كُلِّ أَتْلَدِ
وَطَارِفِهِ والوَالِدَيْنِ كِلَيْهِمَا … بآبَائِنَا والأُمَّهَاتِ فَنَفْتَدِ
وأَحْبِبْ لِحُبِّ اللهِ مَن كَانَ مُؤْمِناً … وَأَبْغِضْ لِبُغْضِ اللهِ أَهْلَ التَّمَرُّدِ
وَما الدِّيْنُ إِلَّا الحُبُّ والبُغْضُ والوَلَا … كَذَاكَ البَرَا مِن كُلِّ غَاوٍ وَمُعْتَدِ
وَخَامِسُهَا فالإِنْقِيَادُ وضِدُّهُ … هُوَ التَّرْكُ لِلْمَأْمُورِ أَوْ فِعْلُ مُفْسِدِ
فتَنْقَادُ حَقاً بالحُقُوقِ جَمِيْعِهَا … وَتَعْمَلُ بالمَفْرُوْضِ حَتْماً وَتَقْتَدِ

وَتَتْــرُكَ مَا قَدْ حَرَّمَ اللهُ طَائِعــاً   وَمُسْتَسْلِماً لِلَّــهِ بالقَــلْبِ تَرْشُدِ
فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ بالقَلْبِ مُسْلِماً   وَلَـمْ يَكُ طَوْعـاً بالجَـوارِحِ يَنْقَـدِ
فَلَيْسَ عَلى نَهْجِ الشَّرِيْعَةِ سَالكـاً   وإنْ خَالَ رُشْداً مَا أَتَى مِن تَعَبُّدِ
وَسَادِسُهَا وَهُــوَ اليَقِيْــنُ وَضِدُّهُ   هُوَ الشَّكُّ في الدِيْنِ القَوِيْمِ المُحَمَّدِي
ومَنْ شَكَّ فَلْيَبْكِي عَلَى رَفْضِ دِيْنِهِ   ويَعْلَـمَ أَنْ قَدْ جَاءَ يَومـاً بِمَؤْيِـدِ
وَيَعْلَـمْ أَنَّ الشَّكَّ يَنْفِـي يَقِيْنَهَــا   فَلا بُدَّ فِيْهَــا باليَقِيْــنِ المُؤَكَّـدِ
بِهَا قَلْبُهُ مُسْتَيْقِنــاً جَاءَ ذِكْــرُهُ   عَنِ السَّيِدِ المَعْصُومِ أَكْمَلَ مُرْشِدِ
وَلَا تَنْفَعُ المَرْءَ الشَهـادَةُ فاعْلَمَـنْ   إذَا لَمْ يَكُـنْ مُسْتَقِيْناً ذَا تَجَــرُّدِ
وَسَابِعُهَا الصِّدْقُ المُنَافِي لِضِدِّهِ   مِن الكَذِبِ الدَّاعِي إِلَى كُلِّ مُفْسِدِ
وعَـارِفُ مَعْنَاهَا إذا كَانَ قَابِــلاً   لَهَا عامِلًا بالمُقْتَضَى فَهْوَ مُهْتَـدِ
وَطَابَــقَ فِيْهَــا قَلْبُــه لِلسَانِــهِ   وعـن وَاجِبَاتِ الدِيْـنِ لَمْ يَتَبَلَّـدِ
وَمَنْ لَمْ يَقُمْ هَذِهِ الشُرُوْطُ جَمِيْعُهَا   بِقَائِلِها يَوْمـاً فَلَيْسَ عَلَى الهُـدِي
إذا صَحَّ هَذَا واسْتَقَــرَّ فإنَّمَــا   حَقِيْقَتُــهُ الإسلامُ فاعْلَمْــهُ تَرْشُدِ
وإن لَهُ - فاحْذَرْ هُدِيْتَ - نَوَاقِضاً   فَمَــنْ جَاءَ مِنها نَاقِضاً فَلْيُجَــدِّدِ
فَقَدْ نَقَضَ الإسلامَ وارْتَدَّ واعْتَدَى   وزَاغَ عن السَّمْحَــاءِ فَلْيَتَشَهَّــدِ
فَمِنْ ذَاكَ شِرْكٌ في العِبَادَةِ نَاقِضٌ   وَذَبْحٌ لِغَيْــرِ الوَاحِــدِ المُتَفَــرِّدِ
كَمَنْ كَانَ يَغْدُوْ لِلقِبَابِ بِذَبْحِهِ   ولِلْجِنِ فِعْلَ المُشرِكِ المُتَمَــرِّدِ
وجَاعِلِ بَيْنَ اللهِ - بَغْياً - وَبَيْنَهُ   وَسَائِطَ يَدْعُوْهُـمْ فَلَيْسَ بِمُهْتَـدِ
وَيطْلُبُ مِنْهُم بالخضُوعِ شَفَاعَةً   إلى اللهِ والزُلْفَى لَدَيْـهِ وَيَجْتَـدِ
وَثَالِثُهَــا مَن لَمْ يُكَفِّــرْ لِكَافِــرٍ   وَمَـنْ كَانَ في تَكفِيْــرِهِ ذَا تَرَدُّدِ
وَصَحَّحَ عَمْداً مَذْهَبَ الكُفْرِ والرَّدَى   وذَا كُلُّهُ كُفْرٌ باجْمَاعِ مَن هُدِي
وَرابِعُهَــا فالاعْتِقَــادُ بأَنَّمَــا   سِوَى المُصْطَفَى الهَادِيْ وَأَكْمَلِ مُرْشِدِ
لأَحْسَنُ حُكْماً في الأُمُورِ جَمِيْعِهَا   وَأَكْمَـلُ مِنْ هَدْيِ النبي مُحَمَّـدِ
كَحَالَةِ كَعْبٍ وابنِ أَخْطَبَ والذِي   عَلَى هَدْيِهِم مِن كُلِّ غَاوٍ وَمُعْتَـدِ

وَخَامِسُهَا يَا صَاحِ مَنْ كَانَ مُبْغِضاً ... لِشَيْءٍ أَتَى مِن هَدْيِ أَكْمَلِ سَيِّدِ
فَقَدْ صَارَ مُرْتَداً وانْ كَانَ عَامِلاً ... بِمَا هُوَ ذَا بُغْضٍ لَهُ فَلْيُجَدِّدِ
وَذَلِكَ بالاجْمَاعِ مِن كُلِّ مُهْتَدٍ ... وقد جَاءَ نَصٌّ ذِكْرُهُ فِي (مُحَمَّدِ)
وَسَادِسُهَا مَن كَانَ بِالدِيْنِ هازِئاً ... ولو بعِقَابِ الوَاحِدِ المُتَفَرِّدِ
وَحُسْنُ ثَوَابِ اللهِ للعبد فَلْتَكُنْ ... عَلى حَذرٍ مِن ذَلِكَ القِيْلِ تَرْشُدِ
وَقَدْ جَاءَ نَصٌّ فِي (بَرَاءة) ذِكْرُهُ ... فَرَاجِعْهُ فِيها عِنَدَ ذِكْرِ التَّهَدُّدِ
وَسابِعُهَا مَنْ كَانَ لِلَسِّحْرِ فاعِلاً ... كَذَلِكَ رَاضٍ فِعْلَهُ لَم يُفَنِّدِ
وفي سُوْرَةِ (الزَّهْرَاءِ) نَصٌّ مُصَرِّحٌ ... بِتَكْفِيْرِهِ فاطْلُبْه مِن ذَاكَ تَهْتَدِ
وَمِنه لَعَمْرِي الصَّرْفُ والعَطْفُ فاعْلَمَنْ ... أَخِيْ حُكْمَ هَذَا المُعْتَدِي المُتَمَرِّدِ
وَثَامِنُهَا وهِيَ المُظَاهَرَةُ الَّتِي ... يُعَانُ بِهَا الكفارُ مِن كُلِّ ملحِدِ
على المُسْلِمِيْنَ الطائِعِيْنَ لِرَبِهِم ... عِياذاً بِكَ اللَّهُمَّ مِن كُلِّ مُفْسِدِ
وَمَن يَتولَّى كَافِراً فَهْوَ مِثْلُهُ ... وَمِنْهُ بلا شَكٍ بِه أَوْ تَرَدُّدِ
كَمَا قَالَهُ الرَّحْمَنَ جَلَّ جَلاَلُهُ ... وَجَاءَ عن الهادِي النبِي مُحَمَّدِ
وتاسِعُهَا وَهُوَ اعْتِقَادٌ مضَلِّلٌ ... وصاحِبُهُ لا شَكَ بالكُفْرِ مُرْتَدِ
كَمُعْتَقِدِ أَنْ لَيْسَ حقاً وَوَاجِباً ... عَلَيه اتِّبَاعُ المُصْطَفَى خَيْرِ مُرْشِدِ
فَمَنْ يَعْتَقِدْ هَذَا الضَّلاَلَ وأَنَّهُ ... يَسَعْهُ خُرُوْجٌ عَن شَرِيْعَةِ أَحْمَدِ
كَمَا كَانَ هَذَا فِي شَرِيْعَةِ مَن خَلا ... كَصَاحِبِ مُوْسَى حَيْثُ لَمْ يَتَقَيَّدِ
هُوَ الخَضِرُ المَقْصُوصُ فِي (الكهف) ذِكْرُهُ ... وَمُوْسَى كَلِيْمِ اللهِ فافْهَمْ لِمَقْصَدِ
وَهَذَا اعْتِقَادٌ لِلْمَلاحِدَةِ الأُولَى ... مَشَايِخِ أَهْلِ الإتِّحَادِ المُفَنَّدِ
كَنَحْوِ ابنِ سِيْنَا وابنِ سَبْعِيْنَ والذي ... يُسَمَّى ابْنَ رُشْدٍ والحَفِيْدِ المُلَدَّدِ
وَشَيْخٍ كَبِيْرٍ فِي الضَلاَلةِ صَاحِبُ الْـ ... ـفُصُوصِ وَمَن ضَاهَاهُمُ فِي التَّمَرُّدِ
وَعَاشِرُهَا الإعْرَاضُ عن دِيْنِ رَبِّنَا ... فَلاَ يَتَعَلَّمْهُ فَلَيْسَ بِمُهْتَدِ
وَمَن لَمْ يَكُنْ يوماً مِن الدَّهْرِ عَامِلاً ... بِهِ فَهُوَ فِي كُفْرَانِهِ ذُوْ تَعَمُّدِ
وَلَا فَرْقَ فِي هَذِي النَواقِضِ كُلِّهَا ... إِذا رُمْتَ أَنْ تَنْجُوْ وَلِلْحَقِّ تَهْتَدِ

هُنَالِكَ بَيْنَ الهَزْلِ والجِدِّ فاعْلَمَنْ ... ولا رَاهِبِ منهم لِخَوْفِ التَّهَـدُدِ
سِوَى المُكْرَهِ المَضْهُودِ أنْ كَانَ قَدْ أَتَى ... هُنَـالِكَ بالشَّرْطِ الأَصِيْدِ المُؤَكَّـدِ
وَحَاذِرْ، هَدَاكَ اللهُ، مِن كُلِّ نَاقِضٍ ... سِوَاهَـا، وَجَانِبْهَـا جَمِيْعَـاً لِتَهْتَـدِ
وَكُنْ بَاذِلًا لِلْجِدِّ والجُهْدِ طَالِباً ... وَسَلْ رَبَّكَ التَّثْبِيْتَ أَيَّ مُوَحِّـدِ
وإيَّاهُ فارْغَبْ في الهِدَايَـةِ لِلْهُـدَى ... لَعَلَّكَ أَنْ تَنْجُوْ مِن النـارِ في غَدِ
وَصَلِ إِلٰهِـي مَا تَأَلَّـقَ بَارِقٌ ... ومـا وَخَـدَتْ قُودٌ بِمَوْرٍ مُعَبَّـدِ
تَؤُمُّ إلى البَيْتِ العَتِيْـقِ وَمَـا سَرَى ... نَسِيْمُ الصَّبَا أَو شَاقَ صَوْتُ المُغَرِّدِ
وَمَا لَاحَ نَجْمٌ في دُجَى اللَّيْلِ طَافِحٌ ... وما انْهَلَّ صَوْبُ في عَوَالٍ وَوُهَّدِ
على السَّيِدِ المَعْصُومِ أَفْضَلَ مُرْسَلٍ ... وأَكْـرَمَ خَلْـقِ اللهِ طُراً وَأَجْـوَدِ
وآلٍ وَأَصْحَـابٍ وَمَـن كَانَ تَابِعـاً ... صَلاةً دَوَاماً في الرَّوَاحِ وفي الغَـدِ

اللَّهُمَّ أَحِيْ قُلُوباً أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنَّوَالِ وَجَادَ بِالإِفْضَالِ، اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ، وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«نبذة من زهده ﷺ»

كان رسول الله ﷺ أزهد الناس، ويكفيك في تعريف ذلك أن فقره ﷺ كان فقر اختياري لا فقر اضطراري.

لأنه ﷺ فُتِحَتْ عليه الفتوحُ وجُلِبَتْ إليه الأموالُ، ومات ودِرْعُهُ مَرهونةٌ عند يهودي في نفقة عياله، وهو يدعو: اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما شبعَ رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تِباعاً مِن

خُبزٍ حتى مَضى لِسَبِيْلِه، ولو شاء لأعطاهُ الله ما لا يخطر ببالٍ.

وعنها قالت: ما تركَ رسول الله ﷺ دِيناراً ولا شاة ولا درهماً ولا بعيراً ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذُو كبدٍ إلا شطر شعير في رَفٍّ لي.

وقال لي: إني عَرَضَ عَليَّ ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلتُ لا يارب أَجُوعُ يوماً وأشبعُ يوماً، فأما اليومُ الذي أجُوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبعُ فيه فأحْمدُكَ وأثْني عليك.

وعنها قالت: إن كُنَّا آلُ محمد لنمْكُثُ شهراً ما نَسْتَوقِدُ ناراً، إن هو إلا التمرُ والماء.

وعنها قالت: لم يمتل جَوفُ النبي ﷺ شِبَعاً قط، ولم يَبُث إلى أحدٍ شكوى.

وكانت الفاقة أحَبَّ إليه من الغِنَى، وإنْ كان لَيَظَلُ جائعاً يَلْتَوِى طُولَ لَيلته مِن الجوع، فلا يَمْنَعُه مِن صيام يوم ولو شاء لَسأَلَ ربه جميع كُنُوز الأرض وثِمارِهَا ورغد عيشها.

ولقد كنتُ أبكي له رحمةً مما أرى به وأمْسَحُ بيدي على بطنه مما به من الجوع، وأقول نفسي لك الفداء، لو تَبَلَّغْتَ مِن الدنيا بما يَقُوتُكَ.

فيقول ياعائشة مَا لي ولِلدُّنْيَا إخوانِي أولو العَزْمِ مِن الرسل صَبَرُوْا على مَا هُو أَشَدُّ من هذا فَمَضَوْا على حالهم فقَدِمُوا على ربهم وأكرمَ مآبهُم وأجْزَل ثوابَهم.

وأجدني أَسْتَحِيْ إن تَرَفَّهْتُ في مَعِيشَتي أن يُقَصِّرني غداً دُونَهم.

وما مِن شيءٍ أَحب إلي مِن اللحُوقِ بإخواني وأخلائي، قالت: فما أقام بعد إلا شهراً ثم توفى ﷺ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رفع رسول الله ﷺ قطُّ غَدَاءً لِعَشاءٍ ولا عَشاءَ قَطُّ لِغَداء.

ولا اتخذ من شيء زوجين لا قميصين ولا ردائين ولا إزارين، ومن النعال ولا رئي قط فارغاً في بيته إما يخصف نعلا لرجل مسكين أو يخيط ثوباً لأرملة.

وعن أنس بن مالك أن فاطمة عليها السلام جَاءَتْ بكِسرةٍ خُبْزٍ إلى النبي ﷺ، فقال: ما هذه الكسرة يا فاطمة؟

قالت: قرص خَبَزْته فلم تطب نفسي حتى أتيتُك بهذه الكسرة، فقال: أما إنه أوَّلُ طعامٍ دَخَل فَمَ أَبيْكِ مُنْذُ ثلاثة أيام.

وروى مسلم عن النعمان قال: ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ يظل يلتوي ما يجد من الدقل ما يَمْلأ بطنَه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن كان يمر بآل رسول الله ﷺ الأهِلَّة ما يُسْرَجُ في بيت أحد منهم سراج ولا يوقد فيه نار إن وجدوا زيتاً إدهنوا به وإن وجدوا ودكاً أكلوه رواه أبو يعلي ورواته ثقاة.

وعن عبدالله بن مسعود قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، قلنا يارسول الله لو اتخذنا لك وطاء.

فقال: ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب أستظل تحت شجرة ثم راح وتركها، رواه ابن ماجة والترمذي وحسنه.

قال عمر بن الخطاب: دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير فجلستُ فإذا عليه إزارُهُ وليس عليه غيره وإذا ا لحصيرُ قد أَثَّرَ في جَنْبِهِ.

وإذا أنا بقَبْضَةٍ مِن شعير نحو الصاع وقرظ في ناحية الغرفة، وإذا إهاب معلق (الإهَابُ: الجلد) فابتدرت عيناي.

فقال: ما يُبْكِكَ يا ابن الخطاب؟ فقلتُ: يا نبي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خِزَانَتُكَ لا أرى إلا ما أرى.

وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنتَ نبي الله وصفوتُه وهذه خزانتك.

قال: يابن الخطاب أمَا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا، رواه ابن ماجه بإسناد صحيح والْحَاكِمْ وقال على شرط مسلم.

روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت توفي رسول الله ﷺ وما في رَفِّي مِن شَيْءٍ يَأْكُلُهُ إلا شطرُ شعير في رَفٍ لِيْ فَأَكلتُ منه حَتَّى طالَ عَلَيَّ فكِلْتُهُ فَفَني.

عن ابن عباس أن النبيّ ﷺ كان يَبِيْتُ الليالي المتتابعة طاوياً، وأهله لا يجدون عشاءٍ، وكان عامَّة خبزهم الشعير.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يشدُّ صُلْبَه بالحجر من الغَرَث أي الجوع.

بينما عائشة، رضي الله عنها تُحَدِّثُ ذات يومٍ إذ بَكَتْ. قيل لها: ما يبيكيك يا أُمّ المؤمنين؟ قالت: ما ملأت بطني من طعام، فشئت أن أبكي إلا بكيت أذكر رسول الله ﷺ وما كان فيه من الجهد.

وعنها أيضاً أن رسول الله ﷺ كانت تأتي عليه أربعة أشهر ما يشبع من خبز بُرّ.

وعنها أيضاً: قالت: ما شبع آل محمد ثلاثاً من خُبْز بُرّ حتى قبِض، وما رُفِع عن مائدته كسرةٌ فضلًا، حتى قُبِضَ.

عن الحسن (البصري) قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «والله ما أَمْسَى في آل محمد صاعٌ من طعام»، وأنها لتسعة أبيات (بيوت زوجاته). والله ما قالها استقلالًا لرزق الله، ولكن أراد أن تتأسّى به أمّته.

عن ابن عباس قال: والله لقد كان يأتي على آل محمد ﷺ الليالي ما يجدون فيها عَشاءً.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبَع رسولُ الله ﷺ في يوم مرتين حتى لحق بالله، ولا رفعنا له فَضْلَ طعامٍ عن شبَعٍ حتى لحق بالله، إلّا أن نَرْفعه لغائبٍ. فقيل لها: ما كانت معيشتكم؟ قالت: الأسودان: الماء والتمر. وقالت: وكان لنا جيرانٌ من الأنصار لهم ربائب يسقوننا من لبنها، جزاهم الله خيراً.

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ لم يجمع له غداءً ولا عَشاءً من خبز ولحم إلّا على ضَفَفَ.

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُوْرِ الإِيْمَانِ وَأَعِنَّا على أَنْفُسِنَا والشَّيْطَان وَأَيِّسْهُ مِنّا كَمَا أَيَّسْتَهُ مِن رَحْمَتِكَ يَا رَحْمَان وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَة وفي الآخِرَةَ حَسَنَة وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْـــلٌ»

عن أَنَسِ بنِ مَالك قال شَهِدْتُ لِلنَّبِيّ ﷺ وَلِيْمَةً مَا فِيْهَا خُبْزٌ وَلَا لَحْم.

وعن أَنَسِ بن مالك قال: ما أَعْلَمُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ رَآى رَغِيْفاً مُرَقَّقاً بِعِيْنِهِ حَتَّى لَحِقَّ بِرَبِّهِ، ولا شَاةً سَمِيْطاً قَطْ.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما اجتمع في بطن النبيّ ﷺ طعامان في يومٍ قطّ، إن أكل لحماً لم يَزِدْ عليه، وإن كان تمراً لم يزد عليه، وإن أكل خبزاً لم يزد عليه. وكان رجلًا مِسقاماً، وكانت العرب تَنْعَتُ له فيتداوى بما تَنْعَتْ له العرب، وكانت العجم تنعت له فيتداوى.

عن أبي نضر قال: سمعتُ عائشة رضي الله عنها تقول: إنّي لجالسةٌ مع رسول الله ﷺ في البيت. فأهدى لنا أبو بكر رِجْلَ شاةٍ فإني لأقطعها مع

رسول الله ﷺ في ظلمة البيت. فقال لها قائل: أما كان لكم سراج؟ فقالت: لو كان لنا ما يُسْرَج به اكلناه.

عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خُبْزٍ وزيتٍ في يومٍ مرّتين.

عن عائشة قالت: بلغني أن الرجل منكم يأكل من ألوان الطعام حتى يلتمس لذلك دواءً يمرئه. فذكرتُ نبيّكم ﷺ فذاك الذي أبكاني: خرج من الدنيا ولم يملأ بطنه في يومٍ من طعامين: كان إذا شبع من التمر لم يشبع من الخبز، وإذا شبع من الخبز لم يشبع من التمر.

عن أنس بن مالك قال: ما يُرفع بين يدي رسول الله ﷺ شيءٌ قط، ولا حُمِلت معه طِنْفسة يجلس عليها.

أخبرني الأعرج عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يجوع. قلت لأبي هريرة: وكيف ذلك الجوع؟ قال: لكثرة مَنْ يغشاه وأضيافه، وقومٍ يلزمونه لذلك، فلا يأكل طعاماً أبداً إلّا ومعه أصحابه، وأهل الحاجة يتبعونه من المسجد. فلما فتح الله خيبر، اتّسع الناسُ بعض الاتّساع، وفي الأمْر بَعْدُ ضيقٌ والمعاش شديد. هي بلادٌ ظلفٌ لا زرع فيها، إنما طعامَ أهلها التمر، وعلى ذلك أقاموا.

ورُوِيَ عن جابر رضي الله عنه قال: حضرنا عرسَ علي وفاطمة فما كان عرساً كانَ أحسنَ منه حَشَوْنا الفِراش يعني من الليف.

وأوتينا بتمر وزيت فأكلنا وكان فراشها ليلة عرسها إهاب كبش، رواه البزار. (الإهاب: الجِلْد).

عن عامر الشعبي قال: قال علي رضي الله نه: لقد تزوجتُ فاطمة، وما لها ولي فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار، وما لي ولها خادم غيرها.

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما زوَّجَهُ فاطمة بَعَثَ معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف ورَحَيَيْن وسِقَاءٍ وجَرَّتَين.

فقال علي لفاطمة ذاتَ يومٍ: والله سَنَوْتُ حتى اشْتَكَيْتُ صَدري (المعنى تعبتُ من إخراج الماء مِن البئر) وقد جَاء الله بسَبْيٍ فاذْهَبِي فاسْتَخْدِمِيْهِ (أَيْ اطْلُبي منه خادِمًا).

فقالت: وأنا والله لقد طَحَنْتُ حتى مَجِلَتْ يَدِيَ من العمل فأتَتِ النبي ﷺ فقال: ما جاءَ بكِ ومَا حَاجَتَكِ أَيْ بُنَيَّة، قالت: جئتُ لأُسَلِّمَ عَليكَ واسْتَحْيَتْ أن تَسْأَلَهُ فَرَجَعَتْ.

فقال علي: ما فَعَلْتِ؟ قالت: اسْتَحْيَتُ أن أسأله، فأتياه جَمِيعًا فقال عليٌّ: يارسول الله والله لقد سَنَوتُ حتى اشتكيتُ صَدْرِيْ.

وقالت فاطمة: لقد طَحَنْتُ حتى مَجلَتْ يَداي، وقد جاءكَ الله عز وجل بسبي وسعة فأخْدِمْنَا.

فقال: والله لا أعْطِيْكُما وَأَدَعُ أهل الصُّفَّةِ تَطْوى بُطونُهم لا أجدُ مَا أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم.

فرجَعَا وأتاهما النبي ﷺ، وقد دخلا في قطيفتهما إذا غَطَيَا رُؤُسَهُمَا تكَشَّفَتْ أقدامُهما، وإذا غَطَيَا أقدامَهما تكَشَّفَتْ رُؤسُهما فثارا فقال: مَكَانكما.

ثم قال: ألا أخْبِرُكما بخَيرٍ مما سألتماني، قالا: بَلىَ. قال: كلمات عَلَّمَنِيْهُنَّ جِبْريل تُسبحانِ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ عَشْرًا، وتَحْمَدانِ عَشْرًا، وتُكَبِّرانِ عَشْرًا.

وإذَا أويتُما إلى فراشِكُما، فسبحا ثلاثا وثلاثين وأحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين، وقال: فوالله ما تَرَكْتُهُنَّ منذ عَلَمِنيْهُنَّ رسول الله ﷺ.

عن بريدة قال: سمع النبي ﷺ رجُلًا يقول: اللهم أني أسألك بأني أشهد أنكَ أنتَ الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى» أخرجه أبو داود والترمذي.

وعن أنس رضي الله عنه قال: دعا رجل فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاكرام يا حي يا قيوم.

فقال النبي ﷺ: أتدرون بما دعا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»، أخرجه أصحاب السُّنَنِ.

عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذِى النون إذْ دَعَى وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إني كنت من الظالمين».

فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له، رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد.

وعن معاوية بن أبي سُفيان قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول مَن دَعَا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه «لا إله إلا الله والله أكبر لا إله إلا وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله» رواه الطبراني بإسناد حسن.

وعن معاذ بن جبل قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً وهو يقول: (يا ذا الجلال والاكرام) فقال: «قد اسْتُجِيْبَ لَكَ فَسَلْ» رواه الترمذي.

قال أحد العلماء: (إن الذكر باعتباره وسِيْلَة القرب من الله هُوَ دَائِماً دُعَاء

وإنَّ الدُعَاءَ وهُو التضرعُ والخضوعُ لِلَّهِ تعالى هُوَ دَائِماً ذِكر).

وليس بينهما مِنْ فَرْقٍ إلَّا في اللونِ والشكلِ.

وقد وردتْ الآثارُ بما تقولُ: فقد وردَ في الأحاديثِ الشَّريفة أنَّ الله تعالى يقول: «مَن شغلهُ القرآنَ وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين».

وقد ورد في القرآن الكريم عن سيدنا يونس أنه حينما التقمه الحوتُ نجَّاه تسبيحهُ: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ في بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

وفي سورة «نون» يندمُ أصحاب الجنة – الحديقة – التي طافَ عَلَيْها طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كالصَّرِيمِ.. على أنهم لم يكونوا من المسبحين، وخاطبهم أوسطهم قائلاً: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُون﴾؟

والاستغفار؟.

إنه ذِكر لا يتضمن دعاء لفظياً ولكن الثمرات المترتبة عليه هائلة نفيسة. يقول تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارا﴾.

إنَّ الاستغفار ثمرته:

(١) المغفرة.

(٢) والغيث (المطر الذي يروي الأرض فينبت الزرع ويروي به الناس والأنعام ظمأهم).

(٣) وإمداد الله للمستغفر بالأموال.

(٤) وإمداده له بالبنين.

وأكثر من ذلك..

يقول الله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾، وَمِنْ ثِمَارِهِ إِذَنْ زِيَادَةُ الْقُوَّةْ.

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنا مِن النِفاق وعَمَلنا مِن الرِياء وَأَلْسِنَتَنَا مِن الكَذِبِ وَأَعْيُنَنَا مِن الخِيانَةِ وَآذانَنَا عَن الاستماعِ إلى مَا لَا يُرْضِيْكَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمينَ وَأَلْحِقْنَا بالصَّالِحِيْنَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــلٌ»

ولقد حدث في مصر أن أحد الأثرياء الصالحين لم يجد سبيلًا – في فترة من الفترات – لري أرضه، وكاد الزرع يصبح حطاماً، فجلس الرجل وسط مزرعته الفسيحة.. وقال: اللهمَّ إنك قلت.. وقولك الحق: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً﴾ وها أَنَا ذَا يارب أَستغفرك راجياً أن تفيض علينا من رحمتك.

ثم أخذ في الاستغفار.. ومضت ساعات وهو يتابع الاستغفار في همَّة وفي ثقة بموعود الله تعالى، وإذا بالسماء تتلبد بالغيوم.. وإذا بالمطر يَنْزِلُ فيَّاضاً مدراراً.

ومن المعروف أنَّ الصالحين حينما يصيبهم ضعف يلجؤون إلى الله بالاستغفار فيتحقق لهم وعده: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾.

وليست هذه فحسب ثمار الاستفغار.. وذلك أنه أيضاً يمنع أن يصيب العذاب الإنسان.

(٦) ﴿وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

(٧) ثم.. يقولُ رسولُ الله ﷺ:

«مَنْ لَزِمَ الاستغفارَ جعلَ الله لَهُ مِنْ كلِّ هَمٍّ فَرَجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مَخْرَجاً، وَرَزَقَهُ مِنْ حيثُ لا يحتسبُ».

وثمار الاستغفار أوسعُ من ذلك في الدنيا والآخرة.

وألم يقل رسول الله ﷺ: «أَفضل الدُّعاءِ: الحمد لله»؟ و «الحمد لله» أليست ذِكراً؟

وإذا كان من الذكر ما هو دعاء، أو إذا كان الذكر كله دعاء.. فإنَّ الدعاءَ أيضاً يكون بغير الدعاءِ اللفظي وبغير الذِّكرْ:

فالإكثار من التوبة دعاءٌ وذِكر، ويترتب على الإكثار منه ما يقوله الله تعالى: ﴿إنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابينَ﴾.

وإذا أَحبَّ الله عبداً من عبادِه بسبب الإكثار من التوبة فإنه يترتَّبُ على هذا الحبِّ آثاره:

«فَإذا أَحببْتُهُ كنتُ سمعَه الذي يسمعُ به، وبصرَه الذي يبصرُ به، ويدَهُ التي يبطشُ بها، ورِجلَهُ التي يمشي بها، وَإِنْ سألني لأُعطينَّهُ، وَإِنِ استعاذني لأعيذَنَّهُ».

وإذا كانت التوبةُ ذِكراً أو دعاءً فإنَّ التقوى دعاءٌ نفيس.

أَلا ترى ما يقوله الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾؟

إن الله سبحانهُ يجعل له مخرجاً من كلِّ همٍّ وضيقٍ وأزمةٍ بسبب تقواه ويرزقه الله مِن حيث يدري ولا يدري.

ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾.

يُيَسِّرُ سبحانه أُمورَه كلها.

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾.

(إنْتَهَى)

قصيدة فيها تَضَرُّعٌ إلى رَبَ العِزهِ والجَلالِ والكِبرِيَاء والعَظمة:

ياذَا الجَلالِ وياذا الجُودِ والكَرمِ ... قَدْ جِئْتُكَ خَائِفاً مِن زَلَّةِ القَدَمِ
ذَنْبِي عَظِيمٌ وَأَرْجُو مِنْكَ مَغْفِرةً ... يَاوَاسِعَ العَفْوِ والغُفْرانِ والكَرَمِ
دَعَوْتُ نَفْسِي إِلَى الخَيْرَاتِ فامْتَنَعَتْ ... وأعْرَضَتْ عن طَرِيْقِ الخَيْرِ والنِّعَمِ
خَسِرْتُ عُمْرِي وَقَدْ فَرَّطْتُ فِي زَمَنِي ... فِي غَيْرِ طَاعَةِ مَوْلَايَ فَيَانَدَمِي
حَمَلْتُ ثِقْلًا مِنَ الأوْزَارِ فِي صِغَرِيْ ... يَاخَجْلَتِي فِي غَدٍ مِن زَلَّةِ القَدَمِ
رَاحَ الشَّبَابُ وَوَلَّى العُمْرِ فِي لَعِبٍ ... وما تَحَصَّلْتُ مِن خَيْرٍ ولَمْ أَقُمِ
زَمَانَ عَزْمَي قَدْ ضَيَّعْتُهُ كَسَلًا ... والعُمْرُ مِنِّيْ انْقَضَى فِي غَفْلَةِ الحُلُمِ
قَدْ انْقَضَتْ عِيْشَتِيْ بالذُلِ وَاأَسَفِي ... إنْ لَمْ تَجِدْ خَالِقِيْ بالعَفْوِ والكَرَمِ
ذَيْ حَالَتِي وانْكِسَارِي لا تُخَيِّبُنِي ... إذَا وَقَعْتُ ذَلِيْلًا حَافِي القَدَمِ
أَتَيْتُ بالذُّلِ والتَّقْصِيْر والنَّدمِ ... أرْجُو الرِّضا مِنْكَ بالغُفْرانِ والْكرمِ
سَارَ المجُدُّوْنَ في الخَيْراتِ واجْتَهَدُوْا ... يافَوْزَهُم غَنِمُوْا الجَنَاتِ والنِّعَمِ
شِفَاءُ قَلْبِيَ ذِكْرُ اللهِ خَالِقِنَا ... يَافَوْزَ عَبْدٍ إلى الخَيْرَاتِ يَسْتَقِمِ
صَفَتْ لِأَهْلِ التُّقَى أوْقَاتُهُم سَعِدُوْا ... نَالُوا الهَنَا والمُنَى بالخَيْرِ والكَرَمِ
ضَيَّعْتُ عُمْرِي ولا قَدَّمْتُ لِيْ عَمَلًا ... أنْجُو بِهِ يَوْمَ هَوْلِ الخَوْفِ والزَّحَمِ
طُوْبَى لِعَبْدٍ أطَاعَ اللهَ خَالِقَهُ ... وقَامَ جَنْحَ الدُّجَى بالدَّمْعِ مُنْسَجِمِ
ظَهْرِيْ ثَقِيْلٌ بِذَنبي آهِ واأَسَفِيْ ... يومَ اللِّقَاءِ إذَ الأَقْدَامُ فِي زِحَمِ
أرْجُوكَ ياذَا العُلَا كَرْبِي تُفَرِّجُهُ ... واشْفِ بِفَضْلِكَ لِي لَلْوَايَ مَعْ سَقَمِيْ
غَفَلْتُ عن ذِكْرِ مَعْبُوْدِي وَطَاعَتِهِ ... وَقَدْ مَشَيْت إِلَى العَصْيَانِ فِي هَمِمِ
فاغْفِرْ ذُنُوبِي وكُنْ يَارَبِّ مُنْقِذَنَا ... مِن الشَّدَائِدِ والأَهْوَالِ والتُّهَمِ
قَدْ أثْقَلَتْنِي ذُنُوبٌ مَا لَهَا أحَدٌ ... سِوَاكَ يَاغَافِرَ الزَّلَّاتِ واللَّمَمِ

كُنْ مُنْجِدِيْ يَا إِلٰهي واعْفُ عن زَلَلِيْ وَتُبْ عَلَيَّ مِن الآثامِ واللَّمَمِ
لَاحَ المَشِيْبُ وَوَلَّى العُمْرُ في لَعِبٍ وصِرْتُ مِن كَثْرَةِ الأَوْزَارِ في نَدَمِ
مَضَى زَمَاني ومَا قَدَّمْتُ مِن عَمَلٍ يا خَجْلَتِي مِن إِلٰهي بارِيَ النَّسَمِ
نَامَتْ عُيُونِي وأَهْلُ الخَيْرِ قَدْ سَهِرُوْا أَجْفَانُهُمْ في ظَلَامِ اللَّيْلِ لَمْ تَنَمِ
قامُوا إلى ذِكْرِ مَوْلَاهُم فَقَرَّبَهُمْ وخَصَّهُم بالرِّضَا والفَضْلِ والكَرَمِ
ولَيْس لِي غَيْرَ الخَلْقِ مِنْ سَنَدٍ أَرْجُوْهُ يُوْلِيْنِي بالغُفْرانَ والكَرَمِ
لَا أَرْتَجي أَحَداً يَومَ الزِحَامِ سِوَى رَبِّ البَرِّيةِ مُوْلى الفَضْلِ والكَرِمِ
ثم الصلاةُ على المختارِ مِنْ مُضَرٍ مُحَمَّدٍ المُصْطَفى المَخْصُوصِ بالكَرَمِ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ المُفْلِحِين وأَلْبِسْنَا خِلَعَ الإِيْمَانِ واليَقِيْن، وَخُصَّنَا مِنْكَ بالتَّوفِيْقِ المُبين، وَوَفِّقْنَا لِقَوْلِ الحَقِ واتّباعِهِ وَخلِّصْنَا مِنَ البَاطِل وابْتِدَاعِهِ، وَكُنْ لَنَا مُؤَيَّداً وَلَا تَجْعَل لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدَا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشاً رَغَدا وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدوّاً وَلَا حَاسِداً، وَرْزُقْنَا عِلْماً نَافِعاً وَعَمَلًا مُتَقَبَّلا، وَفَهْماً ذَكِيّاً صَفِيّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاء، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعلنا مُكْثِرِينَ لِذِكرك مُؤَدِّيْنَ لحَقِّك حافظين لأمرك راجين لِوَعْدِكَ راضين في جميع حالاتنا عَنكَ، راغبين في كُلِّ أمُورنا إليكَ مُؤَمِّلينَ لِفَضْلِكَ شاكرين لِنِعَمِك، يَامَن يحب العفو والإِحسان، ويأمر بهما أعفُ عنا، وأحْسِنْ إلينا، فإنك بالذي أنت له أهلٌ من عَفوك أحق منا بالذي نحن له أهل من عُقُوبتك.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ رَجَاءَكَ في قلوبنا، واقطعه عَمَّنْ سِوَاك، حتى لا نَرْجُوا غيرَكَ ولا نستعين إلا إياكَ، ياأرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين.

اللَّهُمَّ احْيِنا في الدُّنْيَا مؤمنينَ طائعينَ وتوفَّنا مسلمينَ تائبينَ، اللَّهُمَّ أعِذْنا من الْهَمِّ والحَزَنِ والعَجْزِ والكَسَلِ والجُبْنِ والبُخْلِ وضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ

وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــلٌ»

إِعْلَمْ وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ السَلامَ تَحِيَّةُ المؤمنين، وشِعارُ المُوَحِّدِيْنَ، وَدَاعِيَةٌ لِلْإِخَاءِ والإِلْفَةِ والمَحَبَّةِ بَيْنَ إِخْوَانِهِم المُسْلِمِيْنَ، والسلامُ تَحِيَّةٌ مُبارَكَةٌ، وَصِفَةٌ طَيِّبَةٌ كَمَا ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الكَرِيْمِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فإِذَا دَخَلْتُم بيوتاً فَسَلِمُوا على أَنْفسِكم تَحِيَةً مِن عندِ اللهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً﴾.

وقال تعالى: ﴿ياأَيُّهَا الذينَ آمنوا لاتَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُم حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا على أَهْلِهَا﴾، والسلامُ كما أَخْبَرَ اللهُ تحية أَهْلِ الجنَّةِ في دارِ النَعيمِ، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُم فِيْهَا سَلَام﴾.

وابْتِدَاءُ السَّلامِ سُنَّةٌ مُسْتَحَبَّةٌ، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ، وَهُوَ سُنَّةٌ كِفَايَةٍ فإِنْ كَانَ المُسْلِّمُ جَمَاعَةً كَفَى عَنهم واحدٌ يُسَلِّمُ ولو سَلَّمُوا كُلُّهُم كَان أَفْضَلُ وَرَفْع الصَّوتِ بابْتِدَاءِ السَّلام سُنَّةٌ، لِيَسْمَعَهُ المُسَلَّمُ عَلَيهِم كُلُّهُم سَمَاعاً مُحَقَّقاً لِحَديْثِ افْشُوْا السَّلامَ بَينكُم.

وإِن سَلَّمَ عَلَى أَيْقَاظٍ وَنِيَامٍ أَوْ سَلَّمَ عَلَى مَنْ لَا يَعْلَمُ هَلْ هُمْ أَيْقَاظٌ أَوْ نِيَامٌ خَفَضَ صَوْتَهُ، بِحَيْثُ يُسْمِعُ الأَيْقَاظَ ولا يُوْقظُ النِّيَامَ، وَلَو سَلَّم عَلى إِنْسَانٍ ثُمَّ لَقِيَهُ عَلَى قُرْبٍ سُنَّ أَنْ يُسَلِّمَ عليه ثانياً وثَالثاً وأَكثر.

وَيُسَنُّ أَنْ يَبْدَأَ قَبْلَ الكَلامِ، لِحَدِيْثِ مِنْ بَدَأَ بالكلامِ قَبْلَ السلام فَلَا تُجِيْبُوْهُ. فَيَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا الأَخ أن تَنْصَح كُلَّ مَن ابْتَدَأَكَ بغير السلام وتعْلِمَهُ بالحديث خُصُوصًا المكلمين لكَ بالتلفون بقولهم أَلُ أَلُ ولا يَتْرُكِ السَّلامَ إِذَا كَانَ يَغْلِبُ على ظنِّهِ أَنَّهُ لا يَرُدُ عَلَيْهِ.

وإنْ دَخَلَ عَلَى جَماعَةٍ فِيْهِمِ عُلَمَآءُ سَلَّمَ أَوَّلًا عَلى الجَمِيْعِ، ثُمَّ سَلَّمَ على العُلَمَاءِ سَلاماً ثَانياً تَمْيِيْزاً لِمَرْتَبَتِهِمْ وَكَذَا لَوْ كَانَ فِيْهِمْ عَالِمٌ وَاحِدٌ، خَصَّه بالسلام ثانياً.

ولا يُسَلِّمُ عَلَى امْرَأَةٍ أَجْنَبِيَةٍ غَيْرِ زَوْجَةٍ لَهُ، أَوْ ذَاتِ مَحْرَمٍ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ عَجُوزاً غَيْرَ حَسْنَآء أَوْ تَكُونَ بَرِزَةً، والمُرَادُ أَنَّهَا لا تُشْتَهَى لِأَمْنِ الفِتْنَةِ وَيُكْرَهُ السَّلَامُ في الحَمَامِ وَيُكْرَهُ السَّلامُ عَلَى مَنْ يَأْكُلُ وَعَلى مَنْ يُقَاتِلُ لاشْتِغَالِهِ.

وَيُكْرَهُ السَّلامُ عَلَى مَنْ يَبْحَثُونَ فِي العِلْمِ، وَعَلى مَنْ يُؤَذِّنُ، وَعَلى مَنْ يُقِيْمُ وَمُحَدِّثٍ بِتَشْدِيْد الدَّالَ وَخَطِيْبٍ وَوَاعِظٍ وَمُسْتَمِعٍ.

وَيُكْرَهُ السلامُ عَلَى مُكَرِّرِ فِقْهٍ، وَمُدَرِّس في عِلْمٍ مَشْرُوْعٍ، أَوْ مُبَاحٍ وَيُكْرَهُ السلامُ على مَنْ يَبْحَثُونَ في العِلْمِ.

وَيُكْرَهُ السلامُ على مَنْ يَقْضِيْ حَاجَتَهُ، وَيُكْرَهُ على مَنْ يَتَمَتَّعُ بِأَهْلِهِ وَعَلى مُشْتَغِلٍ بالقَضَاءِ، وَنَحْوِهِمْ مِن كُلِّ مَنْ لَهُ شُغْلٌ عَن رَدِّ السَّلامِ وَيُكْرَهُ أَنْ يَخُصَّ بَعْضَ طَائِفَةٍ لَقِيَهُمْ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُمْ مِمَّنْ يَجِبُ هَجْرُهُ، أَوْ يُسْتَحَبُ.

وَإِنْ بَدَأَ بالسلامِ جَمِيْعاً، وَجَبَ عَلى كُلٍ مِنْهُمَا الرَّدُ، وَلَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِ مَنْ يُصَافِحُه، حَتَّى يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ، إِلَّا لِحَاجَةٍ كَحَيَائِهِ مِنْهُ وَنَحْوِهِ وَقَدْ نَظَمَ بَعْضُهُمْ المَوَاضِعَ التي يُكْرَهُ فِيهِ السَّلامُ فَقَالَ:

سَلَامُك مَكْرُوْهٌ عَلَى مَنْ سَتَسْمَعُ	وَمِنْ بَعْدِ مَا أُبْدِيْ يُسَنُّ وَيُشْرَعُ
مُصَلٍّ وَتَـالٍ ذَاكِـرٍ وَمُحَـدِّثٌ	خَطِيْبٌ وَمَن يُصْغِيْ إِلَيْهِم وَيَسْمَعُ
مكـررٌ فِقْــهٍ جَالِسٌ لِقَضَائــهِ	وَمَنْ بَحَثُوا في الفِقْهِ دَعْهُمْ لِيَنْفَعُوا
مُؤَذِّنٌ أَيْضاً مَعْ مُقِيْــمٍ مُدَرِّسٍ	كَذَا الأَجْنَبِيَّاتِ الفَتِيَّـاتُ أَمْنَـعُ
وَلَعَّابُ شِطْرَنجٍ وَشِبْهِ بِخَلْقِهِـمْ	وَمَـن هُوَ مَعْ أَهْـلٍ لَهُ يَتَمَتَّــعُ

وَدَعْ كَافِراً أَيْضاً وَكَاشِفَ عَوْرَةٍ وَمَنْ هُوَ في حَالِ التَّغَوُّطِ أَشْنَعُ
وَدَعْ آكِلاً إِلَّا إِذَا كُنْتَ جَائِعاً وَتَعْلَمُ مِنْهُ أَنَّهُ لَيْسَ يَمْنَعُ
كَذَلِكَ أُسْتَاذٌ مُغَنٍ مُطَيِّرٌ فَهَذَا خِتَامٌ والزِّيَادَةُ تَنْفَعُ
«وَزِدْتُ عَلَى هَذَا فَقُلْتُ مُتَمِّماً بِمَا هُوَ مِثْلٌ أَوْ أَشَدُّ فَيُتْبَعُ»
«وَمَنْ عِنْدَ تِلِفْزِيُوْنِهِمْ سِينَمَائِهِمْ وَمَنْ لِمُذِيعِ المُنْكَرَاتِ تَسَمَّعُوا»
مصوّرٍ ذِي رُوْحٍ وَحَالِق لِحْيَةٍ وَمَخْلُوْقِهَا مَعْ ذِي الخَنَافِسِ يَتْبَعُ
«وَشَارِبُ دُخَّانٍ وَشَارِبُ شِيْشَةٍ مُتَوِلِتُ رَاسٍ وَالمُجَاهِرُ أَفْظَعُ»
«وَشَارِبُ ذِي سُكْرٍ ولاعِبُ كُوْرَةٍ وَمُصْلِحُ الآتِ لِلْهوِ فَيُمْنَعُ»
«وَبائِعُ آلاتٍ لِلَهْوِ وَمُطْرِبٍ وَمنْ هُوَ في سَبِّ الغَوَافِلِ يُقْذِعُ»
«وَبَائِعُ مَا قَد سِيْقَ فِيْمَا سَطَرْتُهُ مُسَاعِدُهُمْ أَوْ مَن لِذَاكَ يُشَجِّعُ»

اللَّهُمَّ انَّ نَواصيْنَا بِيَدَيْكَ وَأُمُوْرُنَا تَرْجِعُ إِلَيْكَ وَأَحْوَالُنَا لَا تَخْفَي عَلَيْكَ، وأَنْتَ مَلْجَؤُنَا وَمَلاذُنا، وَإِلَيْكَ نَرْفَعُ بَثَّنَا وَحُزْنَنَا وَشِكَايَتَنَا، يَا مَنْ يَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنَا مِمَّنْ تَوكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ واسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَهَبْ لَنَا مِنْ فَضْلِكَ العَظِيْمِ وَجُدْ عَلَيْنَا بِإِحْسَانِكَ العَمِيْمِ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وأَفْضَلَ مَن رجَاهُ راجٍ ياقاضِي الحاجاتِ، ومُجِيْبَ الدعواتِ، هَبْ لَنَا ما سَأَلْنَاهُ، وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيْمَا تَمَنَّيْنَاهُ، يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلين ويَعْلَمُ ما فِي صُدُورِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوكَ وحَلَاوَة مَغْفِرَتِكَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ»

وَأَمَّا رَدُّ السَّلامِ، فَإِنْ كَانَ المُسَلَّمُ عَلَيْهِ وَاحِداً، تَعَيَّنَ عَلَيْهِ الرَّدُّ لِلسَّلامِ، وَإِنْ كَانُوْا جَمَاعَةً رَدُّ السَّلامِ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَيْهِم، فَإِنْ رَدَّ وَاحِدٌ مِنهم سَقَطَ

الفَرْضُ عَن البَاقِينَ، وَإنْ تَرَكُوْهُ كُلُّهُمْ أَثِمُوْا كُلُّهُمْ، وإنْ رَدَّ كُلُّهُم فَهُوَ النِّهَايَةُ فِي الكَمَالِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وإذا حُيِّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا﴾.

والسَّلامُ تَحِيَّةُ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا مِن الأَنْبِيَاءِ، وَأَتْبَاعِهِمْ المُؤْمِنِيْنَ وَتَحِيَّةُ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَضَيْفِهِ المُكْرَمِيْنَ، فِيْمَا قَصَّهُ اللهُ عَلَيْنَا فِي القُرآنِ الكريم، بقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيْثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيْمَ المُكْرَمِيْنَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوْا سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ قَومٌ مُنْكَرُوْن﴾.

وَمِنْ السُّنَّةِ المَحْبُوْبَةِ، البَدَاءَةُ بالسلامِ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِيْ أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «إنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ باللهِ، مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلاَمِ» رَوَاهُ أَبُوْ دَاوْد وَفِي الحَدِيْثِ الآخَرِ «وَخَيْرُهُمَا الَّذِيْ يَبْدَأُ بِالسَّلامِ»، فاحذر عافانا الله وإياكَ مِن أَلْ.

وَيُسْتَحَبُ أَنْ يُسلِّمَ عِنْدَ الانْصِرَافِ مِنَ المَجْلِسِ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «إِذَا انْتَهَىٰ أَحَدُكُمْ إلى المَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُوْمَ فَلْيُسلِّمْ فَلَيْسَتِ الأُوْلَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ».

وَيُسْتَحَبُ أَنْ يُسلِّمَ عَلَىٰ الصِبْيَان، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ «أَنَّه مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ»، وَقَالَ كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ يَفْعَلُهُ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

شِعْرًا: سَابِقِ النَّاسِ بالسلام فَفِي ذَا ... كَ إِذَا مَا اعْتَبَرْتَ خَمْسُ خِصَال
كاشِفُ الرَّيْبِ قاطِعُ العَيْبِ مُحْيي الـ ... ـودِ سِتْرُ الأَحْقَادِ وبَابُ الوِصَال

«**موعظة**»: إخوانِي لَيْسَ الأَسَفُ عَلَى دُنْيَا آخِرُهَا الفَوْتُ والخَرَابُ وَلَا عَلَى أَحْوَالٍ نِهَايَتُهَا التَّحَوُّلُ والإنْقِلاَبُ، وَلَا عَلَى حُطَامٍ حَلاَلُهُ حِسَابٌ وَحَرَامُهُ عِقَابٌ، وَلَا عَلَى أَعْمَارٍ يَتَمَنَّى المَرْءُ طُوْلَهَا فَإِذَا طَالَتْ مُلَّتْ، ولَا عَلَى أَمَاكِنَ كُلَّمَا امْتَلأَتْ بِأَهْلِهَا وَازْدَهَرَتْ بِهِمْ أَدْبَرَتْ عَنْهُم وَخَلَتْ مِنْهُمْ.

وإنَّمَا الأَسَفُ الذِي لَا يُرْجَى لَهُ خَلفٌ وَقْتٌ قُتِلَ عَلَى فِرَاشِ السَّهْوِ والغَفَلَاتِ، وَعَلَى لَيَالٍ وَأَيَّامٍ تَمْضَيْ في اتِّبَاعِ المَلَذَّاتِ الفَانَيِةِ والشَّهَوَاتِ وَعَلَى صُحُفٍ تُطْوَى ثُمَّ لَا تَرْجِعُ فَيُسْتَدْرَكُ مَا فَاتَ وَعَلَى نُفُوسٍ.

يُنَادِيْهَا لِسَانُ الشَّتَاتِ وَهِيَ لَا تُقْلِعُ عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الهَفَوَاتِ. وَعَلَى ذُنُوبٍ مُحْصىً صَغِيْرَهَا وَكَبِيْرُهَا لَا تُقَابَلُ بِالحَسَنَاتِ وَعَلَى قُلُوبٍ غَافِلَةٍ في الغَمَرَاتِ، وَعَلَى أَعْوَامٍ سَرِيْعٍ مُرُوْرُهَا كَلَمْعِ الجَمَرَاتِ وعلى أَلسِنَةٍ لا تَشْتَغِلُ وَتَتَلَذَذُ بِذِكْرِ فَاطِرِ السمواتِ.

أَلَا تَرَوْنَ شَهْرَكُمْ كَيْفَ يُسْرِعُ فيه البِدَارُ ثُمَّ يَعْقِبُهُ الامِّحَاقُ فَيَا خَيْبَةَ مَنْ ضَاعَتْ مِنه اللَّيَالِي والأَيَّامُ وَغُبِنَ في مَيْدَانِ السِّبَاقِ وَيَا خَيْبَةَ مَن ضَيَّعَ عُمْرَهُ بالقَبَائِحِ العِظَامِ وَيَا خَسَارَةَ مَنْ كَانَتْ تِجَارَتُهُ الذُّنُوبُ والمَعَاصِي والآثام.

شِعْرًا: بُكَائِي عَلى ما قَد مَضَى مِنْ شَيْبَتِي ... ولم أُحْتَفْظِ فيها عُلُومَ الشرِيْعَةِ
وَأَفْهَمُ ما قال الإِلهُ وَما أَتى ... عن المُصْطَفَى أَعْظِمْ بِهَا مِن مُصِيْبَتِي

قال بعضُ العُلماء:

الوَاجِبُ على العاقل أَخْذُ العُدةِ لِرَحِيلِهِ، فإِنه لا يَعْلَمُ مَتى يَفْجَؤُهُ أَمْرُ ربهِ، ولَا يَدْرِيْ مَتى يُسْتَدْعَى، واني رَأَيتُ خَلْقاً كَثيراً غَرَّهُم الشبابُ ونَسُوا فَقْدَ الأَقْرَانِ، وأَلْهَاهُم طُولُ الأمل. وَرُبَّمَا قال العالِمُ المُحضُ لِنَفْسِهِ: «أشتغلُ بالعِلم ثم أَعْمَلُ بِهِ» فَيَتَساهَلُ في الزُهْدِ بِحُجَّةِ الرَّاحَةِ، وَيُؤخِرُ الرَّجَاءَ لِتَحْقِيْقِ التَّوْبَةِ، ولا يَتَحَاشَى مِن غِيْبَةٍ أَوْ سَمَاعِهَا، ومِن كَسْبِ شُبْهَةٍ يأملُ أن يَمْحُوهَا بالوَرَعِ، وَيَنْسَى أَنَّ المَوْتَ قَدْ يَبْغَتُهُ.

فالعاقلُ مَن أَعْطَى كُلَّ لَحظَةٍ حَقَّها مِن الواجبِ عليه، فإن بَغَتَهُ الموتُ رُئِيَ مُسْتَعِداً، وان نَالَ الأملَ إِزْدادَ خَيْراً.

قال عمر بن عبدالعزيز في خُطْبَةٍ لَهُ: «إن الدنيا لَيْسَت بدارِ قَرَار، دَارٌ

كَتَبَ الله على أَهْلها منها الظَّعْنَ فكَمْ عَامِر مُوْثَقٍ عَمَّا قليْلٍ يَخْرَبُ، وكم مُقِيمٍ مُغْتَبِطٍ عَمَّا قَليلٍ يظْعَنُ، فأَحْسِنُوا رَحَمَكُم اللهُ منها الرِّحلةَ بأَحْسَنَ ما يحَظُرُكُمْ مِن النُقْلَة، وتَزودُا فإنَّ خَيْرَ الزادِ التَّقْوىَ، إنما الدُنيا كفَيءٍ ظِلَالٍ قَلَّصْ فَذَهَبَ، بَيْنَ ابن آدَمَ في الدُنْيَا يُنافِسُ وَبِها قرِيْرٌ عَيْنٍ إذ دَعَاهُ اللهُ بقدرِهِ وَرَمَاهُ بيوَمِ حَتْفِهِ فَسَلَبَهُ آثَارَهُ ودُنْيَاهُ وصيَّرَ لِقَوْمٍ آخرينَ مَصَانِعَهُ وَمَغْنَاهُ إنَّ الدُنْيَا لا تسرُّ بِقَدْرِ مَا تَضرُّ إنها تسُر قلِيْلًا وتَجُر حُزْناً طَوِيْلًا كما قيل: مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاْءَتْهُ أَزْمانٌ.

شِعْرَا: إذا كُنْتَ بالدنيا بَصِيْراً فإنَّمَا — بَلَاغُكَ منها مِثْلُ زادِ المسافِرِ
إذا أَبْقَتِ الدُّنْيَا على المرءِ دِيْنَهُ — فما فَاتَه منها فَلَيْسَ بِضَائِرِ
آخر يَرَى راحةً في كَثْرَةِ المال رَبُهُ — وكَثرةُ مَالِ المرءِ لِلْمَرْءِ مُتْعِبُ
إذا قَلَّ مَالُ المرءِ قَلَّتْ هُمُومُهُ — وتَشْعَبُهُ الأَموالُ حِيْنَ تَشَعَّبُ
آخر: وما أَجْمَعُ الأَمْولَ إلَّا غَنِيْمَةً — لِمنْ عَاشَ بَعدِي وَاتِّهَامٌ لِرَازِقِي
آخر: رَضِيْتُ مِنَ الدُنْيَا بِقُوْتٍ يُقِيْمُنِي — فَلَا أَبتَغِي مِن دُوْنِهِ أَبَداً فَضْلَا
وَلَسْتُ أَرُومُ القُوتَ إلَّا لِأَنَّهُ — يُعِيْنُ عَلى عِلْمٍ أَرُدُّ بِهِ جَهْلَا
آخر: يا جَامِعاً مانِعاً والموتُ يَتْبَعُهُ — مُقَدِّراً أَيَّ بَاب فِيْهِ يُغْلِقُهُ
المالُ عِنْدَكَ مَخْزُوْنٌ لِوَارِثِهِ — مَا المالُ مَالُكَ إلَّا يَوْمَ تُنْفِقُهُ
جَمَعْتَ مَالًا فَفَكِّرْ هَلْ جَمَعْتَ لَهُ — يا جَامِعَ المالِ أَيَّاماً تُفَرِّقُهُ
لِلَّهِ دَرُّ فتىً يَغْدُو على ثِقَةٍ — إنَّ الذي قَسَم الأَرْزَاقَ يَرْزُقُهُ
فالْعِرْضُ منه مَصُوْنٌ لا يُدَنِّسُهُ — وَالْوَجْهُ مِنْهُ جَدِيْدٌ لَيْسَ يُخْلِقُهُ
إنَّ القَنَاعَةَ مَنْ يَحْلُلْ بِسَاحَتِهَا — لَمْ يَلْقَى في ظِلِّهَا هَماً يُؤَرِّقُهُ
آخر: يَقُولُ الفَتَى ثَمَّرْتُ مَالِي وإنَّمَا — لِوَارِثِهِ مَا ثَمَّرَ المالَ كاسِبُهُ
يُحَاسِبُ فيه نَفْسَهُ بِحَيَاتِهِ — ويَتْرُكُهُ نَهْبَا لِمَنْ لا يُحَاسِبُهْ
شِعْرَا: أَيَا لِلْمَنَايَا وَيْحَهَا مَا أَجَدَّهَا — كَأَنَّكَ يَوْماً قَدْ تَوَرَدْتَ وِرْدَهَا

وَيَـا لِلْمَنَايَـا مَالَهَـا مِن إِقَالَـــةٍ إِذَا بَلَغَتْ مِن مُدَّةِ الحَي حَدَّهَا
أَلَا يَا أَخَانَا إِنَّ لِلْمَـوْتِ طَلْعَـةً وَإِنَّكَ مُذْ صُوِّرْتَ تَقْصُدُ قَصْدَهَا
وَلِلْمَرْءِ عِنْدَ المَوْتِ كَرْبٌ وَغُصَّةٌ إِذا مَرَّتِ السَّاعَاتُ قَرَبْنَ بُعْدَهَا
سَتُسْلِمُكَ السَّاعَاتُ فِي بَعْضِ مَرِّهَا إِلى سَاعَةٍ لا سَاعَةٌ لَكَ بَعْدَهَا
وَتَحْتَ الثَّرَى مِّنِي وَمِنْكَ وَدَائِعٌ قَرِيْبَةُ عَهْدٍ إِنْ تَذَكَّرْتَ عَهْدَهَا
مَدَدْتَ المُنَى طُوْلًا وَعَرْضاً وإِنَّهَا لِتَدْعُوكَ أَنْ تهدَا وَأَنْ لَا تَمُدَّهَا
وَمَالَتْ بِكَ الدُنْيَا إِلى اللَّهْوِ والصِّبَا وَمَنْ مَالَتِ الدُنْيَا بِهِ كَانَ عَبْدَهَا
إِذَا مَا صَدَقْتَ النَّفسَ أَكْثَرْتَ ذَمَّهَا وَأَكْثَرْتَ شَكْوَاهَا وَأَقْلَلْتَ حَمْدَهَا
بِنَفْسِكَ قَبْلَ النَّاسِ فَاعْنَ فَإِنَّهَا تَمُوتُ إِذَا مَاتَتْ وَتُبْعَثُ حَمْدَهَا
وَمَا كُلُ مَا خُوِّلْتَ إِلَّا وَدِيْعَةٌ وَلَنْ تَذْهَبِ الأَيَّامُ حَتَّى تَرُدَّهَا
إِذَا أَذْكَرَتْكَ النَّفْسُ دُنْيـاً دَنِيـةً فَلَا تَنْسَ رَوْضَاتِ الجِنَانِ وَخُلْدَهَا
أَلَسْتَ تَرَى الدُنْيَا وَتَنْغِيصَ عَيْشِهَا وَاتْعَابَهَـا لِلْمُكْثِرِيْـنَ وَكَدَّهَـــا
وَأَدْنَى بَنِيْ الدُنْيَا إِلى الغَيِّ والعَمَى لَمَنْ يَبْتَغِي مِنْهَا سَنَاهَا وَمَجْدَهَا
هَوَى النَّفسِ فِي الدُّنْيَا إِلى أَنْ تَغُوْلَهَا كَما غَالَتِ الدُنْيَا أَبَاهَا وَجَدَّهَا

اللَّهُمَّ وَفِقْنَا لِلزُوْمِ الطَّرِيْقِ الذِيْ يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُوْرَاً نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسَّرْتَهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيْقِظْنَا مِنْ غَفَلَاتِنَا وَأَلْهِمْنَا رُشْدَنَا واسْتُرْنَا فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ واحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ عِبَادِكَ المُتَّقِيْنَ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ داع وأَفْضَلَ مَن رجَاهُ راجٍ ياقاضِي الحاجاتِ، ومُجِيْبَ الدعواتِ، هَبْ لَنَا ما سَأَلْنَاهُ، وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيْمَا تَمَنَّيْنَاهُ، يا مَنْ يَمْلِكُ حَوائِجِ السَّائِلين ويَعْلَمُ ما فِي صُدُورِ الصَّامِتِينَ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وحَلَاوَة مَغْفِرَتِكَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« فَصْــلٌ »

والأَحَقُ بِالبَدَاءَةِ بِالسَّلامِ أَنْ يُسَلِّمَ الصَّغِيْرُ عَلَى الكَبِيْرِ والقَلِيْلُ عَلَى الكَثِيْرِ والرَّاكِبُ عَلَى المَاشِيْ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ: «لِيُسَلِمَ الصغيرُ عَلَى الكَبِيْرِ، والمَارُ علىَ القاعِدِ، والقَلِيْلُ عَلَى الكَثِيْرِ» مُتَّفَقٌ علَيْهِ وفي رِوَايَة لِمُسْلِم «والرَّاكِبُ عَلى المَاشِيْ».

وَقَدْ وَرَدَ في إِفْشَاءِ السَّلامِ وَفَضْلِهِ أَحَادِيْثٌ كَثِيْرَةٌ، مِنْهَا مَا رَوَاهُ البُخَارِيُ ومُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُد وابن ماجة عن عبدِاللهِ بنِ عمرو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الإسلام خَيْرٌ، قالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».

وأَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاودَ والترمذيُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُوا أَلا أَدُلُكُم عَلَى شَيءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَبَبْتُم أَفْشُوْا السَّلامَ بَيْنَكُم».

وَرَوَى ابنُ حِبَانَ في صَحِيْحِهِ عن البَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَفشُوْا السَّلامَ تَسْلَمُوا، وَأَخْرَجَ الترمذيُ وقالَ حسنٌ صحيحٌ عن أَبِي يُوْسُفَ عَبْدِاللهِ ابنِ سَلامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول: «يا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعامَ وَصَلُوا بالليلِ والناسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ».

وأَخْرَجَ الطبرانيُ بِإِسْنَادِ حسنٍ، عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، فَنُفَرِّقُ بَيْنَنَا شَجَرةٌ فإذا التَقَيْنَا يُسَلِّمُ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، وَأَخْرَجَ الطبرانيُ في الأوسط بإسنادٍ جَيِّدٍ، وقال لا يُرْوَى إلا بِهَذا الإسنادِ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَعْجَزُ الناسِ، مَنْ عَجَزَ في الدُعَاءِ وَأَبْخَلُ الناسِ مَن بَخِلَ بالسلامِ».

وَرُوِيَ أَيْضاً عن عَبْدِالله بنِ مَعْقِلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مَعَاجِمِهِ الثَّلاثَةِ بإِسْنَادٍ جَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «أَسْرَقُ النَّاسِ الذِيْ يَسْرِقُ صَلَاتَهُ» قِيْلَ يَارَسُوْلَ اللهِ وَكَيْفَ يَسْرِقُ صَلَاتَهُ. قَالَ: «لَايتِمُ رُكُوْعَهَا وَلَا سُجُودَهَا وَأَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بالسَّلامِ».

وَأَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ والبزارُ وإسنادُ الإمامِ أحمدَ لَا بَأْسَ بِهِ عن جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَن رَجُلًا أَتى النَّبيَ ﷺ فقال إِنَ لِفُلانٍ في حَائِطِيْ عِذْقاً، وإِنَّهُ قَدْ آذَانِيْ وَشَقَّ عَلَيَّ مَكَان عِذْقِهِ فأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ بِعْنِيْ عِذْفَكَ الذي في حَائِطِ فُلَانٍ، قَالَ: لَا. قَالَ فَهَبْهُ لِيْ، قَالَ: لَا. قالَ فَبِعْنِيْهِ بِعذْقٍ في الجَنَّةِ، قَالَ: لَا. فقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «مَا رَأَيْتَ الذي هُوَ أَبْخَلُ مِنْكَ إِلَّا الذِيْ يَبْخَلُ في السَّلامِ».

وعن أَبي الخَطَّابِ قَتادَةُ قَالَ قُلْتُ لِأَنسٍ أَكَانَتِ المُصَافَحَةُ في أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ نَعَمْ، مُتفق عليه وعن البَرَاءِ بن عازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا» رواه أبو داود.

وَعَن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَجُلٌ يارسولَ اللهِ الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ أَوْ صَدِيْقَهُ أَيَنْحَنِيْ لَهُ، قَالَ: لا. قَالَ أَفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ. قَالَ: لَا. قال فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ. قالَ: نعم. رواه الترمذي وقالَ حَدِيْثٌ حَسَن إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ لِلسَّلامِ فَوَائِدُ عَدِيْدَةٌ، مِنْهَا امْتِثَالُ سُنَّةِ المُصْطَفى ﷺ، وَقَدْ قَالَ مَنْ كَانَ مِن أُمَّتِي فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي.

وَمِنْهَا الخُرُوْجُ مِن الحُرْمَةِ عَلَى القَوْلِ بِوُجُوْبِ ابْتِدَائِهِ وإِنْ كَانَ المُعْتَمَدُ عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسْتَحَبٌ.

وَمِنْهَا الخُرُوْجُ مِنَ البُخْلِ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّه لَا يَدْخُلُ جَنَّةَ عَدْنٍ بَخِيْلٌ، وقال

ﷺ أيُ أَدْوَي دَاءٍ مِنَ البُخْلِ، والبَخِيْلُ بَغِيْضٌ إِلَى اللهِ، بَغِيْضٌ إلى الناسِ، بَعِيْدٌ مِن الجَنَّةِ حَبِيْبٌ إلى الشَّيْطَانِ، قَرِيْبٌ إلى النِّيْرَانِ.

وَمِنْهَا أَنَّ السَّلامَ يَكُونُ مِن الأَسْبَابِ التي تُدْخِلُ صَاحِبَهَا في الجَنّةِ كَمَا مَرَّ في حَدِيْثِ عَبْدِالله بنِ سَلَامٍ وَأَنَّهُ يُوْجِبُ دُخُوْلَهَا، كَمَا في حدِيثِ أَبِي سَرْحٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ يَارَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِشَيءٍ يُوْجِبُ الجَنَّةَ، قَالَ طِيْبُ الكَلَامِ، وَبَذْلُ السَّلامِ، وَاطعامُ الطعامِ، رواه الطبراني وابن حبان في حصحيه والحاكم وصححه.

وَمِنْهَا أن بَذْلَهُ مِن مُوْجِبَاتِ المَغْفِرَةِ فَقَدْ رَوَى الطبرانيُ عن أَبِي سَرْحٍ بإسنادٍ جَيدٍ قَالَ قُلْتُ يَارَسُولَ اللهِ دُلَّنِي على عَمَلٍ يَدخُلني الجَنَّةَ قَالَ إن مِن مُوْجِبَاتِ المَغْفِرَةِ بَذْلَ السَّلامِ وَحُسْنَ الكَلَامِ.

شِعْرًا: وَكُنْ بَشّاً كَرِيْماً ذَا انبساطٍ ... وفِيْمَنْ يَرْتَجِيكَ جَمِيلَ رَأْيِ
بَعِيْداً عن سَمَاعِ الشَّرِّ سَمْحَاً ... نَقِيَّ الكَفِّ عَنْ عَيْبٍ وَثَأْيِ
مُعِيْناً لِلأَرامِلِ واليَتَامَى ... أَمِيْنَ الجَيْبِ عَنْ قُرْبٍ ونَأْيِ
وَصُولًا غيرَ مُحْتَشِمٍ زَكِيّاً ... حَمِيْدَ السَّعْيِ في إنْجازِ وَأْيِ
تَلَقَّ مَوَاعِظِي بِقَبُولِ صِدْقٍ ... تَفُزْ بالأَمْنِ عِندَ حُلُولِ لَأْيِ

آخر: أَطِعْ مَوْلَاكَ وَاسْأَلْهُ رِضَاهُ ... وَطِبْ نَفْساً إذَا حَكَمِ القَضَاءُ
وَكُنْ رَجلًا عَلى الطَّاعَاتِ جَلْداً ... وَشِيْمَتُكَ السَّماحَةُ والسَّخَاءُ
يُغَطَّى بالدِّيَانَةِ كُلَّ عَيْبٍ ... وكَم عَيْبٍ يُغَطِّيْهِ السَّخَاءُ
وَرِزْقكَ لَيْسَ يَنْقُصُهُ التَّأَنِّي ... وَلَيْسَ يَزِيْدُ في الرِزْقَ العَنَاءُ
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ ... فأَنْتَ ومُثْرِيٌ فيها سَوَاءُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأَبْرارِ وأَسْكِنَّا مَعَهمُ في دارِ القرارَ، اللَّهُمَّ وفقنا بِحُسْنِ الاقبالِ عَليك والإِصْغَاءِ إليك ووَفِّقنا لِلتّعاوُنِ في طَاعَتِكَ والمُبَادَرَةِ إلى

خِدْمَتكَ وحُسْن الآداب في مُعَامَلَتِكَ والتّسليم لِأَمْرِكَ والرِّضا بِقَضَائِكَ والصَّبْرْ عَلى بَلَائِكَ والشّكْرِ لِنَعْمَائِكَ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــــلٌ»

وَمِنْ ذَلِكَ إِنَّ إِفْشَاءَ السَّلامِ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ يُوْجِبُ المَحَبَّةَ والإِلْفَةَ وَالعَطْفَ والمَحَبَّةُ شَأْنُهَا عَظِيْمٌ وَقَدْرُهَا جَسِيْمٌ.

وَمِنْ فَوائِدِ السَّلامِ أَدَاءُ حَقِ أَخِيْهِ المُسْلِمِ ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «حَقُ المُسْلِمِ على المُسْلِم سِتٌ»، قِيْلَ وَمَا هُنَّ يارسول اللهِ، قال: «إذا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ».. الحديث.

ومنها أَوْلَوِيَّتُهُ باللهِ، لِمَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ والترمذيُ أَنَّ أَوْلَى الناسِ باللهِ مَنْ بَدَأَهُم بالسَّلامِ.

ومنها حَوْزُ الفَضِيْلةِ لِمَا أَخْرَجَ البَزَّارُ وَابنُ حِبَانَ في صَحِيْحِهِ عن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يُسَلِّمُ الراكبُ على الماشِي، والماشِي علَى القَاعِدِ، والماشِيَانِ أَيُّهُمَا بَدَأَ فَهُوَ أَفْضَلُ».

وَأخرجَ البّراني في الكبيرِ والأَوسطِ وَأَحَدُ إسنادي الكبير مُحْتَجٌّ بِهِم في الصحيح، عن الأعَرّ أَغَرِّ مُزَيْنَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال كان رسولُ الله ﷺ أَمَرَ لِيْ بِجَرِيْبٍ مِن تَمْرٍ عِنْدَ رَجُلٍ مِن الأَنصارِ، فَمَطَلَنِيْ بِهِ، فَكَلَمْتُ فِيْهِ رَسُوْلَ الله ﷺ.

فقال أُغْدُ ياأَبَا بَكْرٍ فَخُذْ لَهُ مِن تَمْرِهِ، فَوَعَدَنِي أَبُو بَكْرٍ المَسْجِدَ إذا صَلَيْنَا الصُبْحَ فَوَجَدْتُهُ حَيْثُ وَعَدَنِي، فانطلَقْنَا فَكُلَّمَا رَأَى أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ مِن بَعِيْدٍ سَلَم عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَمَا تَرَى مَا يُصِيْبُ القومَ عَلَيْكَ

مِن الفَضْلِ، لَا يَسْبِقُكَ إلى السَّلامِ أَحَدٌ فكَانَ إِذَا طَلَعَ الرَّجُلُ مِن بَعِيْدٍ بَاكَرْنَاهُ بالسلامِ، قَبْلَ أَنْ يُسَلمَ عَلَيْنا.

وَمِنْهَا ادْرَاكُ الفَضِيْلَةِ في إِفْشَاءِ السَّلامِ، الذي هُوَ اسْم اللهِ، وَفَضْلُ الدَّرَجَةِ بنَشْرِهَا، لِمَا أَخْرَجَ البَزَارُ بِسَنَدٍ جَيدٍ قَوِي والطبراني عن ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ السلامُ اسْمٌ مِن أَسْمَاءِ الله تعالى، وَضَعَهُ في الأَرضِ فَأَفْشُوْهُ، بَيْنَكُم، فَإِنَّ الرَّجُلَ المُسْلِمَ إذا مَرَّ بِقَوْمٍ فَسَلَّمَ فَرَدُّوْا عَلَيْهِ كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ فَضْلُ دَرَجَةٍ بِتَذْكِيْرِهِ إِيَّاهُم السَّلَامَ فإِنْ لَمْ يَرِدُّوا عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُم.

وَمِنْ فَوَائِدِ السلام حُصُولُ الحَسَنَاتِ التي صَحَّتْ بِهَا الرِّوَايَاتُ. فَأَخْرَجَ أَبُوْ دَاوُدَ والترمذي وَحَسَّنَهُ والنسائيُ والبيهقيُ وَحَسَّنَهُ أَيضاً عن عِمرانَ بنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال جَاءَ رَجُلٌ إلى النبي ﷺ فقالَ السلامُ عَلَيْكُم فَرَدَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَلَسَ، فقال النبي ﷺ عَشْرٌ.

ثم جَاء آخَرُ فقال السلامُ عليكُم ورحمةُ الله، فرَدَّ فَجَلَس فقال عِشْرُوْنَ، ثم جَاء آخرُ فقال السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ فَجَلَسَ، فقال ثَلاثُونَ، وَرَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدَ عَنْ مُعَاذٍ مَرْفُوْعاً بِنَحْوِهِ، وَزَادَ ثُمَّ أَتَى آخَرُ فَقَالَ السلامُ عليكمُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ وَمَغْفِرَتُه، فقال أَرْبَعُونَ هَكَذَا تَكُونُ الفَضَائِلُ.

ومِن فَوَائِدِ السَّلامِ حُصُولُ السَّلامَةِ، كَما في حَدِيْثِ البَرَاءِ المُتَقَدِّمِ وَيَحْتَمِلُ قَوهُ ﷺ أَفْشُوْا السلامَ تَسْلَمُوا يَعْنِي في الدُنْيَا مِن الإِثْمِ، والبُخْلِ، أَوْ مِن أَعَمَّ مِن ذَلِكَ مِنْ نَكَبَاتِ الدُنْيَا وَمِن أَهْوَالِ الآخِرَةِ وَفَضْلُ اللهِ وَاسِعٌ.

ومنها تَصْفِيَتُه وِدّ أَخِيْكَ المُسْلِمِ، فَقَدْ رَوَى الطبرانُي في الأَوْسَطِ عَن شَيْبَةَ الحجَبي عن عَمِّهِ مَرْفُوْعاً ثَلاثٌ يُصفِّيْنَ لَكَ وِدَّ أَخِيْكَ، تُسَلِّمْ عَلَيْهِ إذا لَقِيْتَهُ وَتُوَسِّعْ لَهُ في المَجْلِسِ، وَتَدْعُوْهُ بِأَحَبِّ الأَسْمَاءِ إليهِ.

ومنها حُصُولُ فَضِيْلَةِ الإِسْلَام، وَخِيْرَتِهِ، كَمَا في حديث عبدِالله بنِ عَمْرو بن العاصِ المتقدمِ وَأيضاً مِن فوائِدِهِ إِحْيَاءُ سُنَّةِ أَبِيْنَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ رَوَى البُخَارِيُ وَمُسْلِم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قَالَ لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ، قَالَ اذْهَبْ فَسَلِمْ عَلَى أُولَئِكَ نَفَرٌ مِن المَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُحِيُّوْنَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ، وَتَحِيَةُ ذُرِيَّتِكَ، قَالَ السلام عليكُم، فقالُوا السلامُ عليكَ وَرَحْمَةُ اللهِ فَزَادُوْا وَرَحْمَةُ اللهِ.

وقال مُجَاهِدُ كَانَ عَبدُاللهِ بنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا يَأْخُذُ بِيَدِي فَيَخْرُجُ إلى السُوقِ يَقُولُ إِنِّي لأَخْرُجُ وَمَالِي حَاجَةٌ إِلَّا لأُسَلِّمَ وَيُسَلِّمَ عَلَيَّ فَأُعْطِي وَاحِدَةً وَاحِدةً وَآخُذُ عَشْراً، يَامُجَاهِدُ إِن السَّلَامَ مِن أَسْمَاءِ اللهِ تعالى، فَمَنْ أَكْثَرَ السَّلَامَ أَكْثَرَ ذِكْرَ الله، ومنها مُوافَقَةُ تَحِيَّةِ أَهْلِ الجَنِّةِ فإِنَّ تَحِيَّةَ أَهْلِ الجَنَّةِ فِيْهَا سلامٌ، كَمَا قالَ جَلَّ شَأْنُهُ ﴿تَحِيَّتُهُم فيها سلام﴾.

والسلامُ كما تَقَدَّمَ تَحِيَّةُ المُؤْمِنِيْنَ، وشِعَارُهُم، فَلَا نَبْدَأُ أَهْلَ الكِتَابِ أَوْ الذِّمَّةِ بِهِ فَفِي حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةِ رَضِيَ اللهُ عَنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال لا تَبْدَؤُوا اليَهُودَ ولا النصارَى بالسلامِ فإذا لَقِيْتُم أَحَدَهُم في طريقٍ فاضْطَرُوْهُ إلى أَضْيَقِهَا رواه أحمد ومسلم.

وَلِمَا رَوَى أَبُو نَصْرَةَ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَا غَادُوْنَ عَلَى يَهُوْدَ فَلَا تَبْدَؤُهُمْ بِالسَّلَامِ وانْ سَلَّمُوا عَلَيْكُم فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ»، وَيَحْرُمُ بَدَاءَتُهم بكَيْفَ أَصْبَحْتَ أَوْ كَيْفَ أَمْسَيْتَ أَوْ كَيْفَ أَنْتَ أَوْ كَيْفَ حَالُكَ أَوْ كَمَا يَفعَلُهُ ضِعَافُ العُقُولِ والدِيْنَ بِقولِهِم لَهُم صَبَاحَ النُوْر أَوْ مَسَاء الخَيْرِ مَعَ رَفْعِ أَيْدِيْهِم نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ أَوْ يَقُولُونَ لَهُم والعِيَاذُ باللهِ أَهْلًا وَمَرْحَباً.

وَلَوْ كَتَبَ إلى كَافِرٍ وَأَرَاد أَنْ يَكْتُبَ سَلَاماً كَتَبَ سَلَامٌ على مَنْ اتَّبَعَ الهُدَى لِمَا رَوَى البُخَارِيُ أَنَّهُ ﷺ قال ذَلِكَ في كِتَابِهِ إلى هرقل عَظِيْمِ الرُوْمِ ولأَنَّ ذَلِكَ مَعْنىً جامِعٌ وَإِنْ سَلَّم على مَن ظَنَّه مُسلِماً ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ ذِمِّيٌ

استُحِبَ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقُوْلَ لِلذِّمِي رُدَّ عَلَيَّ سَلاَمِي.

لِمَا رُوِيَ عن ابن عُمَرَ أَنَّه مَرَّ عَلَى رَجُل فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقِيْلَ إِنَّهُ كَافِرٌ فَقَالَ رُدَّ عَلَيَّ مَا سَلَّمْتُ عَلَيْكَ فَرَدَّ عَلَيْهِ فَقَالَ أَكْثَرَ اللهُ مَالَكَ وَوَلَدَكَ ثُمَّ التَفَتَ إلى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَكْثَرُ لِلْجزْيَةِ. وَإِنْ سَلَّمَ أَحَدُ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَزِمَ رَدُّهُ فَيُقَالُ وَعَلَيْكُم أَو يُقَالُ عَلَيْكُم بِلاَ وَاوٍ.

وفي الصحيحينَ عن عبدِالله بن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال إذا سَلَّمَ عَلَيْكُم اليَهُوْدُ فإِنَّمَا يَقُولُ أَحَدُهُم السَّامُ عَلَيْك، فَقُلْ لَهُ وَعَلَيْكَ هَكَذَا بالوَاوِ وفي لَفْظِ عَلَيْكَ بِلاَ وَاوٍ وَعن أنسٍ بن مالكٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ إذا سَلَّمَ عَلَيْكُم أَهْلُ الكِتَابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكُم، رواه أحمد وفي لَفْظِ لِلإمَامِ أحمدَ فَقُولُوا عَلَيْكُم بِلا وَاوٍ.

وعن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ دَخَلَ رَهْطٌ مِن اليَهُودِ على رسولِ الله ﷺ فقالُوا السَّامُ عَلَيْكُم فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ عَلَيْكُم السامُ واللَّعْنَةُ فقالَ رَسُولُ الله ﷺ مَهْلاً يا عائِشَةُ فإِنَّ الله يُحِبُّ الرِّفْقَ في الأَمْرِ كُلِّهِ فَقُلْتُ يارَسُولَ اللهُ أَوْ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكم.. متفق عليه وفي لفظِ قَدْ قُلْتُ عَلَيْكم لَمْ يَذْكُرْ مُسْلِمٌ الوَاوَ وعند الشيخ تَقِي الدِين يَرُدُّ مِثْلَ تَحِيَّتِهِ فَيَقُولُ وعَلَيْكَ مِثْل تَحِيَّتِكَ.. انتهى.

وَمِمَّا يَحْرُمُ وَيَجِبُ النَّهيُ عنه مايَفْعَلهُ كَثِيْرٌ مِن الناسِ من السلامِ عَلَيْهِم باليَدِ بالاشارَةِ وَجَعْلِهَا حِذاءَ الرأس أَوْ وَضعِهَا على صَدْرِهِ احْتِرَاماً لأَعْدَاءِ اللهِ وإشْعَاراً بأَنَّهُ يُحِبُّهُم نَسْأَلُ الله العافيةَ، قالَ أَبُو دَاوُدَ سَمِعْتُ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ سُئِلَ أَيُبْتَدَأُ الذِمِيُ بالسلامِ إذا كانَتْ لَهُ إِليه حَاجَةٌ قَالَ لا يُعْجِبُنِي.

قال ﷺ لَيْسَ مِنَّا مَن تَشَبَّهَ بغَيْرِنَا لاتَشَبَّهُوا باليَهُودِ وَلَا بالنَّصَارَى فإِنَّ تَسْلِيْمَ اليَهُودِ الاشارَةُ بالأَصَابعِ وَتَسْلِيْمَ النَّصارَى الاشَارَةُ بِالأَكُفِ.. رواه الترمذي عن عبدالله بنِ عَمْرو بنِ العاصِ وَرُوِيَ لَاتُسَلِّمُوا تَسْلِيْمَ اليَهُود

والنصارَى فإِنَّ تَسْلِيْمَهُمْ إِشَارَةً بالكُفُوْفِ والحَواجِب تأمَّلْ يا أَخِيْ سَلاَمَ كَثِيْرٍ مِنَ الناسِ تَجِدْهُ بالكفُوفِ والحوَاجِبِ فَقط.

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الإِيْمَانِ وثَبِّتْهَا عَلى قَوْلِكَ الثَّابِتْ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وَتوفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَالْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِيْنَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« **فَصْلٌ** » : وَيَجِبُ هَجْرُ مَنْ كَفَرَ أَوْ فَسَقَ بِبِدْعَةٍ ، أَوْ دَعَا إِلى بِدْعَةٍ مُضَلِّلَةٍ أَوْ مُفَسِّقَةٍ ، وَهَؤلآء هُمْ أَهْلُ الأَهْوَاءِ والبِدَع.

وَأَمَّا هِجْرَ مَن أَظْهَرَ المَعَاصِي وَأَعْلَنَهَا فَقِيْلَ يُسَنُّ وَقِيْلَ يَجِبُ. قال الامامُ أحمدُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا عَلِمَ أَنَّهُ مُقِيْمٌ على مَعْصِيَةٍ وهو يَعْلَمُ بِذَلِكَ لَم يَأْثَمْ إِنْ جَفَاهُ حَتَّى يَرْجِعَ ، وإِلا كَيْفَ يَتَبَيَّنُ لِلنَّاسِ مَا هُوَ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَرَ مُنْكَراً ولا جَفْوَةً مِن صَدِيْقٍ.

وَقَدْ هَجر ﷺ كَعْباً وَصَاحِبَيْهِ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِهجْرِهِمْ خَمْسِيْنَ يَوْماً وَهَجَرَ ﷺ زَوْجَاتِهِ شَهْراً.

وَهَجَرَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْهُا ابْنَ أُخْتِهَا عَبْدَالله بنَ الزُبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مُدَّةً وَهَجَرَ جَمَاعَةٌ مِن الصَّحَابَةِ ، وَمَاتُوا مُتَهَاجِرِيْنَ ، رِضْوَانُ اللهِ عليهم أجمعين.

قال أَبُو دَاوُدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا كَانَتِ الهِجْرَةُ لِلَّهِ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا يَعْنِي مِن أَحَادِيْثِ الوَعِيْدِ بالهِجْرَانِ بِشَيْءٍ.

فإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ هَجَرَ بَعْضَ نِسَائِهِ أَرْبَعِيْنَ يَوْماً وابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا هَجَر ابْناً لَهُ إِلى أَنْ مَاتَ.

والإِمامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هَجَرَ جَمَاعَةً ، مِمَّنْ أَجَابُوا في المِحْنَةِ ، مِثْلُ يَحْيَى بْنِ مَعِيْنٍ ، وَعَلِيِّ بْنِ المَدِيْنِي ، وَغَيْرِهِمَا ، مَعَ فَخَامَةِ شَأْنِهِمْ.

وَكَمْ إمامٍ هَجر صَدِيْقاً لَهُ كَانَ عَزِيْزاً عَلَيْهِ لَوْلَا انْتِهَاكَهُ لِمَحَارِمِ اللهِ فَصَارَ بِذَلِكَ كَالجَمَادِ، بَلْ أَدْنَى وَيَكْفِيْ مِن ذَلِكَ قِصَّةُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ كَعْبٍ وَصَاحِبَيْهِ، والله أعلم وصلى الله على محمد.

«موعظـــة»

عِبَادَ اللهِ لَقَدْ تَغَيَّرَ أَكْثَرُ أَهْلِ هَذَا الزَّمَنِ في أَحْوَالِهِم الدِّيْنِيَّةِ تَغَيُّراً يُدْهِشُ ذَوِيْ العُقُولِ تَغَيُّراً مَنْ أَمْعَنَ النَّظَرَ فِيْهِم ظَنَّ أَنَهُمْ لَيْسُوْا مِن فَرِيْقِ المُؤْمِنِيْنَ.

هَذِهِ الصَّلاةُ وهِيَ عَمُودُ الإِسْلَام آكَدُ أَرْكَانِهِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، أَعْرَضُوا عَنْهَا، وَلَمْ يُبَالُوا فِيْهَا جَهِلُوا مَا هِيَ الصَّلَاةُ، وَأَيُّ قِيْمَةٍ قِيمتُهَا وَمَا مَنْزِلَتُها بَيْنَ سَائِرِ الطَّاعَات.

أَمَا عَلِمُوا أَنَّهَا أَوَّلُ مَا يُنْظَرُ فِيْهِ مِن عَمَلِ العَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَنْ وُجِدَتْ تَامَّةً صَالِحَةً قُبِلَتْ مِنْهُ، وَسَائِرُ عَمَلِهِ، وانْ وُجِدَتْ نَاقِصَةً رُدَّتْ إِلَيْهِ وَسَائِرُ عَمَلِهِ، ثُمَّ تَكُونُ كالثَّوبِ الخَلَقِ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا.

عِبَادَ اللهِ إِنَّ الصَلَاةَ عِبَادَةٌ، وَمُنَاجَاةٌ، وَقُرْبَى، نِظَامُهَا الرُكُوعُ والسُجُودُ، مَعَ التَّذَلُلِ، والخُضُوعِ، وَأَقْوَالُهَا القِرَاءَةُ، والتَّسْبِيْحُ، والابْتِهَالُ إلى الله، وَتَحْرِيْمُهَا التَّكْبِيْرُ وَتَحْلِيْلُهَا التَّسْلِيْمُ وَرُوْحُهَا الإِخْلَاصُ لِلَّهِ، وَسِرُّهَا اظْهَارُ العُبُوْدِيَّةِ، والاسْتِكَانَةِ، لِعَظَمَةِ الرَّبِ جَلَّ وَعَلا.

إِنَّهَا خَمْسُ صَلَواتٍ في اليَومِ واللَّيْلَةِ، خَمْسُ وَقْفَاتٍ يَقِفُهَا العَبْدُ أَمَامَ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ، خَالِقِه، وَمُدَّبِرِ أَمْرِهِ، وَلَهَا عِنْدَ اللهِ ثَوابُ خَمْسِيْنَ صَلاة.

شُرِعَتْ لَهَا الجَماعَةُ، وَأُمِرَ بِبِنَاء المَسَاجِدِ لِأَجْلِهَا، وَشُرِعَ لَهَا الآذَانُ، لِيَنْتَبِهِ الغَافِلُ، وَيَتَذَكَرَ النَّاسِيْ، والجَاهِلُ، إِعْلَاماً لِوَقْتِهَا لِيَجْتَمِعَ المُسْلِمُوْنَ إِلَيْهَا، وَيُؤَدُّوْهَا في جوٍ يَسُوْدُهُ الإِخَاءُ والمَحَبَّةُ والإِلْفَةُ.

وَهِيَ خَيْرُ العِبَادَاتِ، وَكَانَتْ قُرَّةَ عَيْنِ النبي ﷺ، كَمَا في الحديثِ «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصلاةِ»، وَكَانَ ﷺ يَقُولُ «أَرِحْنَا يَا بِلَالُ بالصلاةِ».

عِبَادَ اللهِ إِنَّ الصَّلاةَ كَمَا عَلِمْتُم عِمَادُ الدِّيْنِ، وَنُوْرُ اليَقِيْنِ وَمَصْدَرُ البِرِّ، وَمَبْعَثُ الخَيْرِ العَمِيْمِ، وَعِصْمَةٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ عن الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ، وَنَجَاةٌ مِن خَزِيْ الدُنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ.

وقَدْ جاءَ في الحَدِيْثِ «الصلاةُ نُوْرٌ والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ والصَّبْرُ ضِيَاءٌ» وذَكَرَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يوماً فَقَالَ «مَن حَافظَ عَلَيها كانَتْ لَهُ نَوْراً وبُرْهاناً ونجاةً يَوْمَ القِيَامَةِ».

عِبَادَ اللهِ إِنَّ الصلاةَ مِن أَجَلِّ الشَّعَائِرِ الدِّيْنِيَّةَ وَأَعْظَمِ المَظَاهِرِ الإِسْلامِيَّةِ ومِن أَشْرَفِ العِبَادَاتِ وهِيَ خَيْرُ ما يَتَقَرَّبُ بِهِ العَبْدُ إِلى اللهِ وَقَدْ كَانَ ﷺ يُصَلِّي حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ.

عِبَادَ اللهِ إذا فَهِمْتُم مَا سَبَقَ مِن عِظَمِ شَأْنِ الصَّلاةِ فَمَا بَالُ قَوْمٍ يُهْمِلُونَهَا وَيَتَهَاوَنُونَ بِهَا وَيَتَكَاسَلُونَ عَنْهَا عندَ حُلُولِ وَقْتِهَا وَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يُؤَدُّوْنَهَا عَلَى عَجَلٍ وَعَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا ويَنْقُرُوْنَهَا نَقْرَ الغُرَابِ كأَنَّهُم مُكْرَهُونَ عَلَيْهَا وَيَنْسَوْنَ أَنَّهَا وَقْفَةٌ أمامَ بَدِيْعِ السمواتِ والأَرْضِ فَمِنَ الخَيْرِ أَنْ تَطُوْلَ هَذِهِ الوَقْفَةِ. قال ﷺ: «إِنَّ طُوْلَ صَلاةِ الرَّجلِ وقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مَن فِقْهِهِ فأطِيْلُوا الصلاة واقْصُرُوْا الخُطْبَةَ».

ومِن المُؤْسِفِ أَنَّ أَكْثَرَ الخُطَبَاءِ اليَوْمَ عَمِلُوْا بِخَلافِ ذَلِكَ فَأَطَالُوا الخُطْبَةِ وَقَصَّرُوْا الصلاة فلا حَوْلَ ولا قوةَ إلا باللهِ.

عِبَادَ اللهِ إِنْ بَعْضَ الناسِ يُؤَدِيْ الصلاةَ تَعُوْداً لا تَعَبُّداً وهَذَا مَا جَعَلَهَا لا تَنْهَاهُ عَن فَحْشَاءٍ ولا مُنْكَرٍ لِسَانُ حَالِهِمْ يَقُولَ يا إِمَامُ ارِحْنَا مِن الصلاةِ.

عِبَادَ اللهِ إن اللهَ جَلَّ وَعَلَّا أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِنِعَمٍ عَظِيْمَةٍ لا تَعُدُّ ولا تُحْصَى جَعَلَنَا

مِن بَنِيْ آدَمَ وَجَعَلَ لَنَا سَمْعَاً وأبْصَاراً وأفْئِدَةً وَمَنَحنَا النَّشَاطَ والقُوَّةَ وشَدَّ أسْرَنَا، وَوَهَبَنَا الصِّحَة والعَافِيَةَ والرِّزْقَ وسَهَّل عَلَيْنَا الحَرَكَةَ والسَّعْيَ.

هَذَا البَعْضُ اليَسِيْرُ مِن نِعَمِهِ كُلُّهُ كَرَماً مِنْهُ وَتَفَضُّلًا ولم يَطْلُبْ مِنَّا إلا دَقَائِقَ مِن يَوْمٍ طَوِيْلٍ نَشْكُرُهُ فِيْهَا وَنَحْمَدُهُ ونَسْأَلُهُ أن يَعْفُوا عَنَّا ويَرْزُقَنَا وَيَرْحَمنَا وَيَحْفَظَنَا وأوْلَادَنَا وأهَلَنَا وَهَذِهِ لا تَخْرُجُ عن كَوْنِهَا لِخَيْرِنَا في الدُنْيَا والآخِرَةِ.

فَمَا لَنَا لا نَقُومُ بِهَذِهِ الدَّقَائِقَ بِجِدٍّ واجْتِهَادٍ وإخلاصٍ ورَغْبَةٍ وَنَشَاطٍ ونَسْعَى إلى مُنَاجَاةِ مَوْلانا وسَيِّدِنا رَاغِبِينَ ونُحَافِظْ عَلَى أوْقَاتِ الصَّلاةِ ونُقِيْمُهَا على الوَجْهِ الأكْمَلِ لَا شَكَّ أَنَّ العَبْدَ عِنْدَمَا يُحَاسِبُ نَفْسَهُ يَخْجَلُ وَيَسْتَحِيْ جِدَاً وَيَتَذَكَّرُ أَنَّ الصلاةَ التي هِيَ صِلَةٌ بَيْنَه وبَيْنَ مَوْلَاهُ لا تَأْخُذُ مِن يَوْمِهِ إلا دَقَائِقَ بَيْنَمَا لَهُ بَاقِي اليَوْمِ كُلِّهِ.

اللَّهُمَّ أرْزُقْنَا المَعْرِفَةَ على بَصِيْرَةٍ بِكَ وبِأَسْمَائِكَ وصِفَاتِكَ وَوَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وتَرْضَاهُ مِن الأَعمَالِ وَجَنِّبْنَا مَا تَكْرَهُهُ ولا تَرْضَاهُ مِن الأقْوَالِ والأَعْمَالِ وآتِنَا في الدُنْيَا حَسَنَة وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ يا عَزِيْزُ ويا غَفَّارُ وَاغفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــــلٌ»

«فِيمَا وَرَدَ فِي الأُخُوَّةِ والألفةِ والصَّدَاقَةِ في الله»

عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسولِ الله ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيْمَانِ مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُه أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْداً لَا يُحِبُّهُ إلا لِلَّهِ».. الحديث رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

وفي روايةٍ: «ثلاثٌ مَن كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهنَّ حَلاوَةَ الايمانِ وَطَعْمَهُ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُوْلُه أَحَبَّ إِليهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ فِي اللهِ وَيُبْغِضَ فِي اللهِ».. الحديث رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تعالى يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ، أيْنَ المُتَحَابُونَ بِجَلالِي، اليَوْمَ أظِلهُم في ظِلِّيْ يَوْمَ لَا ظِلَّ إلا ظِلِّي» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلّهِ يَوْمَ لا ظلَّ إلا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وشَابٌ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللهِ، ورَجُلٌ مُعَلَّقٌ قَلْبُهُ في المَسَاجِدِ، ورَجُلانِ تَحَابَا في اللهِ اجْتَمَعَا عليهِ وتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْه امْرأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فقَال إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقةٍ فأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِيْنُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» رَواهُ البُخَارِي ومُسْلِمٌ وغَيْرُهُمَا.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْه عن النبي ﷺ: «أن رَجُلًا زَارَ أَخاً لَهُ في قَرْيَةٍ أخرَى، فارْصَدَ اللهُ على مَدْرَجته مَلكاً فَلَمَّا أتى عَلَيهِ، قال أيْنَ تُرِيْدُ: قال أخاً لِيْ في هَذِهِ القَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا. قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أُحِبُّهُ لِلَّهِ، قال: فإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ أَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيْهِ» رواه مسلم.

وعن أَبِيْ مُسْلِم قَالَ قُلْتُ لِمُعَاذٍ وَاللهِ إِنِّيْ لأُحُبُّكَ لِغَيرِ دُنْيَا أَرْجُوْ أن أصِيْبَهَا مِنْكَ ولا قَرَابَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، قالَ فَلإِيِّ شَيْءً. قُلْتُ لِلَّهِ. قال فَجَذَب حَبْوَتِي ثُمَّ قَالَ: أَبْشِرْ إِن كُنْتَ صَادقاً فَإِنِّيْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «المُتَحَابُوْنَ فِي اللهِ فِي ظِلِّ العَرْشِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ يَغْبطُهُمْ بِمَكَانِهِمْ النَّبِيُونْ والشُهَدَاءُ»، قالَ وَلَقِيْتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ فَحَدَّثْتُهُ بحَدِيْثِ مُعَاذٍ.

شعْرا: وَكَلُ مَحَبَّـةٍ في اللهِ تَبْقَـى   عَلَى الْحَالَيْن في سَعَةٍ وَضِيْقِ
وَكُـلُ مَحَبَّـةٍ فِيْمَـا سِوَاهُ   فَكَالْحَلَفَاءِ في لَهَب الحَرِيْـقِ

آخر: إذا اعْتَذَرَ الصَّدِيْقَ إليك يَوْماً   مِنَ التقصيْر عُذر فَتىً مُقِـرّ
فَصُنْهُ مِن عِتَابِكَ وَاعْـفُ عَنْـهُ   فإنْ العَفْـو شِيْمَـةُ كُلِّ حُرّ

آخر: لا تهْجُـرَنَّ أخَـاكَ إنْ أبْصَرْتَـهُ   لَكَ جَافياً وَلِمَا تُحِبُّ مُجَافِيَا
فالغُصْنُ يَذْبُلُ ثُمَّ يُصْبِحُ مُورِقاً   والْماء يَكْدُرُ ثُمَّ يُصبِحُ صَافِيَاً

فَقَالَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عن رَبِّهِ تبَارَكَ وتَعَالَى: «حَقَّتْ مَحَبَّتِيْ عَلَى الْمُتحابيْنَ فِيَّ، وَحقَّتْ مَحَبَّتِي على الْمُتَنَاصِحِيْنَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي على الْمُتَبَاذِلِيْنَ فِيَّ، هُمْ عَلَى مَنَابِرَ مِن نُوْرٍ، يغْبِطُهُمْ النَّبِيُونْ والشُهَدَاءُ، والصِّدِّيْقُوْنَ» رواه ابن حبان في صحيحه.

وعن عُبَادةَ بنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَأثِرُ عن رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: «حَقَّتْ مَحبّتِيْ لِلْمُتَحَابِيْنَ فِيَّ، وحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِيْنَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحبّتِي لِلْمُتَزَاوِرِيْنَ فِيَّ، وحَقَّتْ مَحَبَّتِيْ لِلْمُتَبَاذِلِيْنِ فِيَّ» رواه أحمد بإسناد صحيح.

وعن أبِي هُرَيْرَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِن مِن عِبَادِ اللهِ عِبَاداً لَيْسُوَا بِأَنْبِيَاءَ يَغْبِطُهُمْ الأَنْبِيَاءُ والشُهَدَاءُ» قِيْلَ مَن هُمْ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ، قَالَ: «هُمْ قومٌ تَحَابُّوْا بِنُوْرِ اللهِ، مِن غَيرِ أرْحَامٍ وَلَا أنْسَابِ، وَجُوْهُهُمْ نُوْرٌ عَلَى مَنَابِرَ مِن نُورٍ، لا يَخَافُونَ إذا خَافَ النَاسُ ولا يَحْزَنُونَ إذا حَزِنَ النَاسُ»، ثم قَرأَ: ﴿أَلا إنَّ أَوْلِيآءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُون﴾ رواه النسائي في صحيحه واللفظ له وهو أتم.

وعن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِن عِبَادِ اللهِ لأُنَاساً مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ ولا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمْ الأَنْبِيْاءُ والشُهَدَاءُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِمَكَانِهم مِن اللهِ»، قالوُا يارسولَ اللهِ فَخَبِرْنَا مَنْ هُمْ.

قَالَ: «هُمْ قَومٌ تَحَابُّوا بِرَوحِ اللهِ عَلَى غَيرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُم، ولا أَمْوَالٍ يَتَعاطَوْنَهَا، فَوَاللهِ أَنَّ وُجُوْهَهُمِ لَنُورٍ، وإِنَّهُمْ لَعَلى نُوْرٍ، ولا يَخافُونَ إذا خَافَ الناسُ، ولا يَحْزَنُونَ إذا حَزِنَ الناسُ»، وقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَآءَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ رواه أبو داود.

وعن عَمَّارِ بنِ يَاسِرٍ أَنَّ أَصْحَابَهُ كَانُوا يَنْتَظِرُوْنَهَ، فَلَمَّا خَرَجَ قالُوا مَا أَبْطَأَكَ عَنَّا، أَيُّهَا الأَمِيْرُ، قَال: أَمَا إِنِّي سَوْفَ أُحَدِثُكُم أنّ أخاً لَكُم مِمَّنَ كَانَ قَبْلَكُم وهُوَ مُوْسَى ﷺ قال يَارَبُّ حَدِثني بأَحَبِ الناسِ إِلَيْكَ، قَالَ: ولِمَ، قَالَ: لأُحِبَّهُ بِحُبِّكَ إِيَّاهُ.

قَالَ: «عَبْدٌ فِي أَقْصَى الأَرْضِ أَوْ طَرَفِ الأَرْضِ سَمِعَ بِهِ عَبْدٌ آخَرُ في أَقْصَى أَوْ طَرَفِ الأَرْضِ لا يَعْرِفُهُ فإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيْبَةٌ فكأَنَّمَا أصَابَتْهُ، وانْ شَاكَتْهُ شَوْكَةٌ فكَأَنَّمَا شَاكَتْهُ، لَا يُحِبُّهُ إِلا لِيْ فَذَلِكَ أَحَبُّ خَلْقِي إِلَيَّ».

قال: يَارَبُّ خَلَقْتَ خَلْقاً تُدْخِلُهُم النَّارَ أَوْ تُعَذِبُهُمْ، فأَوْحَى اللهُ إِليهِ «كُلُهُم خَلْقِي، ثُمَّ قَالَ ازْرَعْ زَرْعاً فَزَرَعَهُ، فقال اسْقِهِ فَسَقَاهُ، ثم قال قُمْ عَلَيْهِ، فَقَامَ عَلَيْهِ ما شَاءَ اللهُ مِن ذَلِكَ، فَحَصَدَهُ وَرَفَعَهُ.

فَقال: مَا فَعَل زَرْعُكَ يَا مُوْسَى، قَالَ فَرَغْتُ مِنْهُ، ورَفَعْتُهُ، قال مَا تَرَكْتَ مِنْه شَيْئاً، قَالَ مَا لَا خَيْرَ فِيْهِ، أَو مَا لَا حَاجَةَ لِيْ فيه، قَالَ فَكَذَلِكَ أَنَا لَا أُعِذّبُ إِلَّا مَن لَا خَيْرَ فِيْهِ».

قَالَ ولَوْ لَمْ يَكُنْ فِي مَحبَّةِ اللهِ إِلا أَنَّهَا تُنْجِي مُحِبَّهُ مِن عَذَابِهِ، لَكَانَ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ لَا يُتَعَوَّضَ عَنْهَا بِشَيْءٍ أَبَدَا، وسُئِلَ بَعْضُ العُلَمآءِ أَيْنَ تَجِدُ في القُرْآنِ أَنَّ الحَبِيْبِ لا يُعَذِّبُ حَبِيْبَهُ، فَقال في قولِهِ تَعالى: ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ والنصارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهُ وأَحِباؤُهُ قُلْ فِلمَ يُعَذبُكُمْ بِذُنُوبكُم﴾ الآية.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِتَدبُر كِتَابك وإطَالَةِ التأمُلِ فيه وَجَمْعِ الفِكْرِ على مَعَانِي آياتِه، اللَّهُمَّ ثَبِّتَ قَوَاعِدَ الإيمانِ في قُلُوبنَا وَشَيِّدْ فيها بُنْيَانَهُ وَوَطِّدْ فِيها أَرْكَانَهُ وَأَلْهِمنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**موعظة**»: عِبَادَ اللهِ لَقَدْ غَفَلَتِ الأَلْسِنَةُ اليَوْمَ عَن ذَكْرِ اللهِ، غَفْلَةً تَسُرُّ ابْلِيْس وَجَنُوْدَهُ، ولَمَّا غَفلَتِ الأَلَسْنَةُ غَفَلَتِ القُلُوبُ، عن مُرَاقَبَةِ اللهِ في السِّرِ والعَلاَنِيَةِ، ولَمَّا غَفَلَتِ القُلُوبُ والأَلْسِنَةُ عن ذِكْرِ اللهِ، انْدَفَعَتِ الجَوارِحُ في مَيْدَانِ المَعَاصي، انْدِفَاعاً لايُصَدِقُ بِهِ إلا مَنْ تَأَمَّلَ الناسَ في تَفَنُّنِهِمْ في الشُرُوْرِ، وتَسَابُقِهم إليْهَا.

مِنْ تَقْلِيْدِ للأَجَانِبِ، وشُرْبِ لِدُخَانٍ، ومُعَامَلاَتٍ لاتَجُوزُ، ونِفَاقٍ، وَغِشٍّ، ونَهْشٍ لإعْرَاضِ الغَافِلِيْنَ، وخِدَاعٍ، ومَكْرٍ، ورِيَاءٍ ورِباً وكِبْرٍ وحَسَدٍ وسَمَاعٍ لِلْمَلاهِي، وحُضَورٍ لَهَا، وعقوقٍ، وشَهَادَةِ زُوْرٍ ورُشَاء، ومُدَاهَناتٍ ونَمٍ وَكَذِبٍ ونَحوِ ذَلِكَ.

ولو تَحَركَتَ الأَلْسِنَةُ بِذِكْرِ اللهِ لا اسْتَيْقَظَتِ القُلُوبُ مِن غَفَلاَتِهَا القَاتِلاتِ، ولو اسْتَيْقَظَتْ القُلُوبُ والتَفَتَتْ إلى ذِكْرِ عَلامِ الغُيُوبِ ما رَأَيْتَ جَارِحَةً مِن الجَوارِحِ تَلْتَفِتُ لِشَيءٍ مِن المَحْظُورَاتِ، فَإِنَّ الغَفْلَةَ عن ذِكْرِ اللهِ هِيَ أَصْلَ الشُرُورِ واليَقظَةَ هِيَ أَصْلُ الْخَيرِ والسَّعَادَةِ في الدنيا والآخرةِ بإذنِ اللهِ تعالى.

وإليك نَمَاذِجُ مِن كُنُوزِ ذِكْرِ اللهِ، تَعَالَى أَوَّلُهَا كَلِمَةُ الاخلاصِ، لا إله إلَّا اللهُ، فَإنها تَرْجَحُ بِكُلّ مَا سِوَاهَا، حَتَّى على الأَرْضِ والسمواتِ وسُبْحَانَ اللهِ، والحَمْدُ لِلَّهِ، واللهُ أَكْبَرُ، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «لأَنْ أَقُوْلَ سُبْحَانَ اللهِ، والحَمْدُ لِلَّهِ، ولَا إِلَه إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَليه الشمسُ» رواه مسلم والترمذي.

شِعْرًا: وَمَنْ يُنفِقِ السَّاعَاتِ فِي الذّكْرِ رَابحٌ يَفُزْ يَوْمَ لَا ظِلٌّ سِوَى ظِلِّ رَبِّهِ
آخر: مَنْ لم يَكُنْ وَقْتُهُ ذِكْرٌ وقُرْآنُ فإِنَّ أَوْقَاتَـــهُ نَقْصٌ وَخُسْرانُ

وعن أُمِّ هَانِيءٍ قَالَتْ مَرَّ بِي رسولُ الله ﷺ ذات يومٍ، فَقُلْتُ يا رسولَ الله قَدْ كَبُرَتْ سِنِّيْ، وضَعُفْتُ أو كما قالَتْ فَمُرْنِي بعَمَلٍ أَعْمَلُهُ وأنا جَالِسَةٌ.

قال: سَبِّحِيْ اللهَ مِائَةَ مَرَةٍ، فإِنَّهَا تَعْدِل مِائَةَ رَقَبَةٍ، تُعْتِقِيْنَهَا مِن وَلَدِ اسْمَاعِيْلَ، واحْمَدِيْ اللهَ مِائَةَ تَحْمِيْدَةٍ، فإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ فَرَسٍ مُسْرَجَةً مُلْجَمَةً تَحْمِلِيْنَ عَلَيْهَا فِي سَبِيْلِ اللهِ، وكَبِّرِي اللهَ مِائَةَ تَكْبِيْرَةٍ فإنها تَعْدُلُ لَكِ مِائَةَ بَدَنَةٍ مُتَقَبَّلَةً وهَلِلِيْ اللهَ مِائَةَ تَهْلِيْلَةٍ.

قال أَبُو خَلَفٍ أَحْسبُهُ قَالَ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ ولا يُرْفَعُ يَوَمَئِذٍ لِإِحَدٍ عَمَلٌ أَفْضَلَ مِمَّا يُرْفَعُ لَكِ إلا أَنْ يَأتِي بِمْثلِ ما أَتَيْتِ، رواه أحمد بإسناد حسن واللفظ له والنسائي ولم يَقُلْ ولا يُرْفَعُ إلى آخِرِه، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ، دَوَاءٌ مِن تِسْعَةٍ وتِسْعِينَ دَاءٍ، أَيَسْرُهَا الْهَمُّ كَمَا في الحديثِ الذي رواه الطبراني.

ولا حَوْلَ ولا قوةَ إلا باللهِ كَنْزٌ مِن كُنُوزِ الجَنَّةِ، وقَوْلُ أَعُوذُ بكلماتِ اللهِ التاماتِ مِن شَرِّ ما خَلَقَ حِفْظٌ لِقَائِلِهَا مِن العَقْرَبِ، ونَحْوِهَا ومَن قَالَ رَضِيْتُ باللهِ رَباً وبالإِسلامِ دِيْنَاً وبِمُحَمَّدٍ رَسُوْلًا فَلْيَبْشِرْ بإِن النبي ﷺ زَعِيْمٌ لِمَنْ قَالَهَا إِذَا أَصْبَحَ أَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةِ.

وقُلْ إذا أَصْبَحْتَ اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِن نِعْمَةٍ أَوْ بأَحَدٍ مِن خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لا شَرِيْكَ لَكَ فَلَكَ الحَمْدُ ولكَ الشُكْرُز لِتُؤَدِيْ شُكْرَ يَوْمِكَ وَقُلْ مِثْلَهَا إذا أَمْسَيْتَ لِتُؤَدِّيْ شُكْرَ لَيْلَتِكْ.

شِعْرًا: إذا ما المرء أَخْطَـــأه ثلاثٌ فَبِعْهُ ولَوْ بِكَفٍ مِن رَمَـــادٍ
رِضَا الرحمنْ مَعْ صِدْقٍ وَزُهْدٍ فَخُذْهَا واحْفَظَنْهَا فِي الفُـؤادِ

شِعْرًا: وَلَوْلَا ثَلاثٍ هُنَّ مِنْ لَذَّةِ الفَتَى وَرَبِّكَ لَمْ أُحْفِلْ مَتَى قَامَ عُوَّدِي
سِيَاحَةُ قَلْبِي فِي رِيَاضٍ أَرِيْضَةً مِن العِلْمِ مُجْتَازاً عَلَى كُلِّ مَوْرِدِ
وتَسْبِيْحُنَا لِلَّـهِ جَلَّ جَلَالُـهُ عَشِياً وبالابْكَارِ فِي كُلِّ مَسْجِدِ
وَتَرْتِـلُ آيـاتِ الْكِتَابِ مُنَوِّراً بِهَا جَوْفَ لَيْلٍ فِي قِيَامِ التَّهَجُدِ

اللَّهُمَّ يَا حَيّ يَا قَيُّومُ يَامَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ مَكِّنْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وَأَعِنَّا على القِيَامِ بِطَاعَتِكَ وَالانْتِهَاءِ عَنْ مَعْصِيَتِكَ، اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ والاجَابَةِ فَإِنَّا نَدْعُوْكَ دُعَاءَ مَنْ كَثُرَتْ ذُنُوْبُهُ وَتَصَرَّمَتْ آمَالُه وَبَقِيَتْ آثامُهْ وَانْسَبَلَتْ دَمْعَتُهْ وَانْقَطَعَتْ مُدَّتُهُ دُعَاءَ مَنْ لا يَرْجُو لِذنبِهِ غَافِراً غَيْرَكَ وَلا لِمَا يُؤَمِّلُهُ مِن الخَيْرَاتِ مُعْطِياً سِوَاكَ يَارَبَّ العَالِمَيْنَ، وصلى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

«فَصْلٌ»: وعن أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِي رضِي اللهُ عنه عن رسولِ اللهُ ﷺ قال: «يَا أَيُّهَا الناسُ اسْمَعُوا وَاعْقِلوُا، واعلمُوا أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِباداً لَيْسُوا بأَنْبِيَاءَ، وَلا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُم النَّبِيُونَ، والشُهَداءُ على مَنَازِلِهِم وقُرْبِهم مِن الله».

فَجَثَى رَجُلٌ مِن الأَعْرَابِ، مِن قَاصِيَةِ الناسِ وأَلْوَى بِيَدِهِ، إِلى النبي ﷺ، فقالَ يَاترَسُولَ الله نَاسٌ مِن الناسِ لَيْسَوا بأَنْبِيَاءَ ولا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُم الأَنْبِيَاءُ والشُّهَداءُ، عَلَى مَجَالِسِهم وقُرْبِهِمْ مِن اللهِ انْعَتْهُم لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، يَعْنِي صِفْهُمْ لَنَا، فَسرَّ وَجْهُ النبي ﷺ بسُؤَالِ الأَعْرَابِي.

فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «هُمْ نَاسٌ مِن أَفْنَاءِ الناسِ، ونَوَازِعِ القَبَائِلِ، لم تَصِلْ بَيْنَهُم أَرْحَامٌ، مُتَقَارِبَةٌ تَحَابُوا فِي اللهِ، وتَصَافَوْا، يَضَعُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ مَنابرَ مِن نُورٍ، فَيَجْلِسُونَ عَلَيْهَا، فيْجعَلُ وجُوهَهُمْ وثِيَابَهُمْ نُوْراً يَفْزَعُ الناسُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا يَفْزَعُونَ، وهُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِم ولا هُمْ يَحْزَنُونَ» رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن والحاكم وقال صحيح الإسناد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجَنَّةِ لَعُمُدًا مِن يَاقُوْتٍ عَلَيْهَا غُرَفٌ مِن زَبَرْجَدٍ لَهَا أَبْوَابٌ مفتَّحةٌ تُضِيءُ كَمَا يُضِيءُ الكوكَبُ الدُرِيُ» قال: قُلْنَا يَارسولَ الله مَن يَسْكُنُهَا، قالَ: «المُتَحَابُونَ فِي الله، والمُتَبَاذِلُونَ فِي اللهِ، والمُتَلَاقُونَ فِي اللهِ» رواه البزار.

وعن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ في الجَنَّةِ غُرَفاً تُرَى ظَواهِرُهَا مِن بَوَاطِنِها، وبَوَاطِنُهَا مِن ظَوَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُتُحَابِيْنَ فِيهِ، والمُتَزَاوِرِيْنَ فِيهِ، والمُتَبَاذِلِيْنَ فِيه» رواه الطبراني في الأوسط.

وعن أنسٍ رضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَجُلًا سَأَلَ رسولَ اللهِ ﷺ مَتى السّاعَةْ، قَالَ: ومَا أعْدَدْتَ لَهَا، قالَ لاشيءَ إِلَّا أَنِي أُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ، قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، قال أنسُ فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بقَولِ النبي ﷺ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، قَالَ أنسُ فأنا أحِبُّ النبيَ ﷺ، وأَبَا بَكْرٍ، وعَمُرَ، وأَرْجُوا أَنْ أَكُونَ مَعَهُم، بحُبِّيْ إِيَّاهُمْ، رواه مسلم.

فَفِيْ هَذَا الحَدِيثِ بَشَارَةٌ عَظِيْمَةٌ سَارَّةٌ، لِمَنْ أَحَبَّ اللهَ وَرَسولَـه، وَأَصحَابَهُ، وَمَن اتَّبَعَهُمْ واقْتَدَى بِهِم، ولِهَذا فَرِحَ أَصْحَابُ رسول الله ﷺ بِهَذَا النَبَأَ الحَسَنِ، واغْتَبَطُوا لَهُ اغْتِبَاطاً، فَائِقاً وإِنَّمَا سُرُّوْا بِهِ وَفَرِحُوا لِأَنَّهم كانوا يَقِيْسُوْنَ أَنْفُسَهُم على شَخْصِ النبي ﷺ، في العِبَادَةِ، وكانَ ﷺ يأمُرُ بالقَصْدِ فِيها والرِفْقِ بأنْفُسِهِم.

فَفِي حديثِ البُخَارِي عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالَتْ كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا أَمَرَهُم، أَمَرَهُم مِن الأَعْمَالِ مَا يطِيْقُونَ، ويَقُولُونْ إنا لَسْنَا مِثْلَكَ يارسولَ اللهِ انَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لكَ ما تَقَدَمَ مِن ذَنْبِكَ ومَا تَأَخَّرَ، فَيَغْضَبَ حَتَّى يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ.

ثم يقولُ أَمَا وَاللهِ إنّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وأَتْقَاكُمْ لَهُ وكَأَنَّهُم يَقُولُونَ أنْتَ

مَغْفورٌ لَكَ، فلا تَحْتَاجُ إلى كَثْرَةِ أعْمَالٍ، بخِلَافِنَا فَرَدَّ عَلَيْهِم ﷺ بقولِهِ: «أنا أَوْلَاكُم بِذَلِكَ لأنِيّ أتْقَاكُمْ وأعلمكم بِاللهِ».

مَنْ كَانَ كَذَلِكَ يَكْثُرُ أَعْمَالُهُ، وتَعْظُمُ عِبَادَتُهُ لِشِدَّةِ خَوْفِهِ مِن رَبِّهِ وَتَمَام مَعْرِفَتِهِ بِمَا يَلِيْقُ بِجَلَالِ اللهِ وعَظَمَتِهِ، ولأَنَّ نِعَم اللهِ عليهِ أَكْثَرُ مِن غَيْرِهِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيْمَا﴾ ولهَذا سُرَّ الصَّحَابَةُ بِمَا قَالَهُ النبيُ ﷺ لِهذَا الرَّجُلِ السَّائِلِ.

وقالُوا فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بقَوْلِ النبي ﷺ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ لِمَا وَفَّقَكَ اللهُ لَهُ مِن حُسْنِ النِيَّةِ والقَصْدِ مِن غَيرِ إجْهَادٍ في العَمَلِ، وزِيَادَةٍ في العِبَادَةِ.

والحَقُ أَنَّهُ لا يَتِمُ ولا يَكْمُلُ إِيْمَانُ الإنسانِ إِلَّا بايْثَارِ النبي ﷺ بالمَحَبَّةِ والتَّعْظِيْمِ على سَائِرِ خَلْقِ اللهِ، ففي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ والذي نَفْسِي بيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى أَكُوْنَ أَحَبَّ إليهِ مِن وَالِدِهِ، ووَلَدِهِ، وفي رواية والناس أجمعين.

ومِن عَلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ إيثَارُ رِضَاهُ والعَمَلُ بِشَرِيْعَتِه ونَصْرُ سُنَّتِهِ، والتأسِيْ بِهِ في شَمَائِلِهِ وسِيْرَتِهِ الكَرِيْمَةِ، المُبارَكَةِ أَمَّا مَن ادَّعَى مَحَبَّتَهُ ولَمْ يُؤْثِرْ بالعَمَلِ شَرِيْعَتَهُ، فَتِلْكَ دَعْوَى باطِلةٌ، وتَبَجُّحُ كَاذِبٌ، لِأَنَّ صَاحِبَها لَمْ يُقِم حُجَّةً على صِحَّةِ دَعْوَاهُ، وأَحْقِيَّةِ مَا ادَّعَاهُ.

اللَّهُم وَفِّقْنَا لِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ رُسُلِكَ وَأَوْلِيَائِكَ وعِبَادِكَ الصالحين وَاغْفِرْ لَنَا، اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيْلَ الأَبْرارِ، واجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ، وأمْنُنْ عَلَيْنَا بِالعَفْوِ والعِتْقِ مِنْ النَّارِ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــلٌ»

عن الوليدِ بنِ أَبِي مُغِيْثٍ عن مُجاهِدٍ، قَالَ إذا التَقَى المُسْلِمَانِ فَتَصَافَحا غُفِرَ لهُمَا، قال قُلْتُ لِمُجَاهِدٍ بِمُصَافَحَةٍ لَهُمَا قَالَ مُجَاهِدٌ أَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيْعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِم، ولكنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ فَقَالَ الوَلِيْدَ لِمُجَاهِدٍ أَنْتَ أَعْلَمُ مِنِّي.

وعن سلمانَ الفَارسِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «إنَّ المُسْلِمَ إذَا لَقِيَ أخَاهُ المُسْلِمَ فَأَخَذ بيَدِهِ تَحَاتَتْ عَنْهُمَا ذُنُوْبُهمَا كَما تَحَاتُ الوَرَقُ عن الشَّجَرَةِ اليَابِسَةِ فِي يَوْمِ رِيْحٍ عَاصِفٍ وإلا غُفِرَ لَهُمَا ذُنُوبُهما ولو كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البِحَارِ».

وقال أَبُو عَمْرٍو الأَوْزَاعِي حَدَّثَنِي عَبْدَةُ بنُ لُبَابَةَ عن مجاهدٍ ولَقِيْتُهُ فَأَخَذَ بيَدِي فقال إذا التقَا المُتَحَابَانِ في اللهِ فأَخَذَ أَحَدُهُمَا بيَدِ صَاحِبه وضَحِكَ إليه تَحَاتَتْ خَطَايَاهُمَا كَمَا تَحَاتُ وَرَقُ الشَّجَرِ، قال عَبْدَةُ فَقَلْتُ لَهُ هَذَا يَسيرٌ فقال لا تَقُلْ ذَلِكَ فإنَّ اللهَ يقولُ لَوْ أَنْفَقْتَ ما في الأَرْضِ جَمِيْعاً ما أَلَفتَ بَيْنَ قُلُوبِهِم، قَال عَبْدَةُ فَعَرَفْتُ أنَّه أَفْقَهُ مِنِّيْ.

«مَوْعِظَةٌ مِن كلامِ ابنِ الجَوْزِيْ رَحِمَهُ اللهُ»

يا مَن يُرَجِّي الثَّوَابَ بِغَيرِ عَمَلٍ، ويُرَجِّى التَّوْبَةَ بطُوْلِ الأَمَلِ تَقُولُ في الدُنيا قَولَ الزَّاهِدِيْنَ، وتَعْملُ فيها عَمَلَ الرَّاغِبِيْنَ، لا بِقَلِيْلٍ منها تَقْنَعْ، ولا بِكَثِيْرٍ مِنها تَشْبَعُ، تَكْرَهُ الموت لِأَجْلِ ذُنُوبِكَ، وتُقِيْمُ على مَا تَكْرَهُ المَوْتَ لَهُ مِن عُيُوْبِكَ.

تَغْلِبُكَ نَفْسُكَ على مَا تَظُنُّ، ولا تَغْلِبُهَا عَلى مَا تَسْتَيْقِنْ، ما تَثِقُ مِن الرِّزْقِ بِمَا ضُمِنَ لكَ، ولا تَعْمَلُ مِن العَمَل ما فُرِضَ عَلَيْكَ، وتَسْتكْثِرُ مِن مَعْصِيَةِ غَيْرِكَ مَا تَحْتَقِرُهُ مِن نَفْسِكَ.

أَمَا تَعْلَم أَنَّ الدُنْيَا كَالحَيَّةِ لَيِّنُ مَسُّهَا والسُّم النَاقِعُ في جَوْفِهَا يَهْوِي أَلْبَهَا

الصَّبِيُ الجَاهِلُ ويَحْذَرُهَا اللَّبِيْبُ العاقِلُ كَيْفَ تَقَرُّعَيْنُ من عَرَفَهَا ومَا أَبْعَدَ أَنْ يُفْطَمَ عَنْها مَن الفهَا، فَتَفَكَّرُوْا إِخْوَانِي في أَهْلِ الصلاحِ، والفَسَادِ، ومَيِّزُوا بَيْنَ أَهْلِ الخُسْرانِ وأَهْلِ الأَرْبَاحِ، فيا سَرَعانَ عُمْرٍ يُفْنِيْهِ المَسَاءُ والصَّبَاحْ.

«شِعرٌ لِبَعْضِ الصَّالِحِيْنَ في مَدْحِ رَبِّ العِزَّةِ تبَارَكَ وَتَعالى»

يا فَاطِرَ الخَلْقِ البَدِيْعِ وكَافِلا ... رِزْقَ الجَمِيْعِ سَحَابُ جُوْدِكَ هَاطِلُ
يا مُسْبغَ البِرِّ الجَزِيْلِ ومُسْبِلَ السِّـ ... ـتْرِ الجَمِيْلِ عَمِيْمُ طَوْلِكَ طَائِلُ
يا عَالِمَ السِّرِ الخَفِيّ ومُنْجِزَ الْـ ... وَعْدِ الوَفِيِّ قَضَاءُ حُكْمِكَ عَادِلُ
عَظُمَتْ صِفَاتُكَ يَا عَظِيْمُ فَجَلَّ إِنَّ ... يُحْصِيْ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلُ
الذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ بِمَنِّكَ غَافِرٌ ... ولِتَوْبَةِ العَاصِيْ بِحِلْمِكَ قَابِلُ
رَبٌّ يُرَبِّيْ العَالَمِيْنَ بِبِرِّهِ ... وَنَوَالُهُ أَبَداً إِلَيْهِمْ وَاصِلُ
تَعْصِيْهِ وهْوَ يَسُوقُ نَحْوَكَ دَائِماً ... مَالا تَكُونُ لِبَعْضِهِ تَسْتَاهِلُ
مُتَفَضِّلٌ أَبَداً وأَنْتَ لِجُوْدِهِ ... بِقَبَائِحِ العِصْيَانِ مِنْكَ تُقَابِلُ
وإذَا دَجَى لَيْلُ الخُطُوبِ وَأَظْلَمَتْ ... سُبُلُ الخَلَاصِ وخَابَ فِيَا الآمِلُ
وأَيِسْتَ مِن وَجْهِ النَّجَاةِ فَمَالَهَا ... سَبَبٌ ولَا يَدْنُو لَهَا مُتَنَاوِلُ
يَأْتِيْكَ مِن أَلْطَافِهِ الفَرَجُ الذِيْ ... لَمْ تَحْتَسِبْهُ وأَنْتَ عَنْهُ غَافِلُ
يا مُوْجِدُ الأَشْيَاءِ مَن أَلْقَى إِلَى ... أَبْوَابِ غَيرِكَ فَهُو غِرٌّ جَاهِلُ
ومَن اسْتَرَاحَ بِغَيرِ ذِكْرِكَ أَوْ رَجَا ... أَحَداً سِوَاكَ فَذَاكَ ظِلٌّ زَائِلُ
عَمَلٌ أُرِيْدَ بِهِ سِوَاكَ فإِنَّهُ ... عَمَلٌ وإِنْ زَعَمَ المُرَائِيْ بَاطِلُ
وإذا رَضِيْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيِّنٌ ... وإِذَا حَصَلْتَ فكُلُّ شَيْءٍ حَاصِلُ
أَنَا عَبْدُ سُوءٍ آبِقٌ كَلٌّ عَلَى ... مَوْلَاهُ أَوْزَارُ الكَبَائِرِ حَامِلُ
قَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِيْ الذُنُوبُ وَسَوَّدَتْ ... صُحْفِي العُيُوبُ وسِتْرُ عَفْوِكَ شَامِلُ
هَا قَدْ أَتَيْتُ وَحُسْنُ ظَنِّي شَافِعِيْ ... وَوَسَائِلِيْ نَدَمٌ ودَمْعٌ سَائِلُ
فاغِفرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَارْزُقْهُ تَوْ ... فِيْقاً لِمَا تَرْضَى فَفَضْلُكَ كَامِلُ

وافْعَلْ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيْلِـــهِ   والظَنُّ كُلَ الظَّـــنِّ أَنَّكَ فَاعِـــلُ

اللَّهُمَّ إنا ظَلَمْنَا أَنْفسَنَا فاغفر لنَا ذُنُوبَنَا وهَبْ لَنَا تَقْوَاكْ واهدِنَا بهُدَاكْ، ولا تَكِلْنَا إلى أَحَدٍ سِوَاكْ، واجْعَلْ لَنَا مِن كُلِّ هَمٍ فَرَجَا، ومِن كُلّ ضِيْقٍ مَخْرَجَا، اللَّهُمَّ أَعِذْنَا بمُعَافَاتِكَ مِن عُقُوبَتِكْ، وبرضَاكَ مِن سَخَطِكْ، اللَّهُمَّ إنا نسألك التوفيقَ لِلْهدايةِ والبُعدَ عن أسبابِ الجهالةِ والغِوَايَةِ ونسألك الثباتَ على الإسلامِ والسنةِ، وأن لا تَزِيْغَ قُلُوبَنَا بَعدَ إذ هَدَيْتَنَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِن مُضِلَاتِ الفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنهَا ومَا بَطَنَ ونسألكَ أَنْ تَنْصُرَ دِيْنَكَ، وَكِتَابَكَ ورسولكَ وعبادَكَ المؤمنين وأن تُظْهِرَ دِيْنَكَ على الدين كلِهِ ولو كره الكافِرون والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم.

«**فَصْلٌ**»: قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللهُ:

لَذّةُ كُلِّ أَحَدٍ عَلَىٰ حَسَبِ قَدْرِهِ وَهِمَّتِهِ وَشَرَفِ نَفْسِهِ، فَأَشْرَفُ النَاسِ نَفْساً وَأَعْلاهُمْ هِمَّةً وَأَرْفَعُهُمْ قَدْراً، مَنْ لَذَّتُهُ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَحَبَّتِهِ وَالشَّوْقِ إلى لِقَائِهِ، وَالتَّوَدُدِ إليهِ بِمَا يُحِبُهُ وَيَرْضَاهُ، فَلذَتُهُ في إقْبَالِهِ عَلَيْهِ وَعُكُوْفِ هِمَّتِهِ عَلَيْهِ.

وَدُوْنَ ذَلِكَ مَرَاتِبُ لَا يُحْصِيْهَا إلَّا اللهُ، حَتَّى تَنْتَهِي إلى مَنْ لَذَّتُهُ في أَخَسِّ الأَشْيَاءِ، مِن القَاذُوْرَاتِ والفَوَاحِشِ، فِي كُلِّ شَيْءٍ مِن الكَلَامِ والأَفْعَالِ والأشْغالِ فلَوْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَا يَلْتَذُ بِهِ الأَوَّلُ لم تَسْمَحُ نَفْسُهُ بقَبُوْلِهِ وَلَا الألتِفَاتِ إليه، ورُبَّمَا تَأَلَمَتْ مِن ذِلَكِ كَمَا أَنَّ الأَوَّلَ إذا عُرِضَ عَلَيْهِ مَا يَلْتَذُ بِهِ هَذَا لَمْ تَسْمَحْ نَفْسُهُ بِهِ ولم تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، وَنَفَرَتْ نَفْسُهُ منه.

وَأَكْمَلُ الناسِ لَذَّةً مَن جُمِعَ لَهُ بَيْنَ لَذَةِ القَلْبِ والرُوْحِ وَلَذَّةِ البَدَنِ، فَهُوَ يَتَنَاوَلُ لَذَّاتِهِ المُبَاحَةِ عَلَى وَجْهٍ لا يُنَقِصُّ حَظَّهُ مِن الدَّارِ الآخِرَةِ، ولا يَقْطَعُ عَلَيْهِ لَذَّةَ المَعْرِفَةِ والمَحَبَّةِ والأنْسِ برَبِّهِ، فَهَذَا مِمَّنْ قَالَ تَعَالَى فِيه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِيْنَةَ اللهِ التي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ والطيباتِ مِن الرزق، قل هِيَ للذينَ آمَنُوا في الحَيَاةِ الدنيا خالِصَةً يومَ القِيَامَةِ﴾.

وَأَبْخَسَهُم حَظاً مِن اللَّذَةِ، مَنْ تَنَاوَلَهَا على وَجْهٍ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَذَاتِ الآخِرَةِ فيكونُ مِمَّنْ يُقَالَ لَهُمْ يَوْمَ اسْتِيْفَاءِ اللَّذَاتِ ﴿أَذْهَبْتُم طَيبَاتِكُمْ في حَيَاتِكم واسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾.

فَهَؤلَآءِ تَمَتَعُوا بِالطَيباتِ، وَأُولَئِكَ تَمَتعُوا وافْتَرَقُوا في وَجْهِ التَّمَتُع فأُولئِكَ تَمَتعُوا بها على الوَجْهِ الذي أُذِنَ فِيه فَجُمِعَ لَهُمْ بَيْنَ لَذَّةِ الدُنْيَا والآخِرَةِ.

وَهَؤلَآءِ تَمَتعُوا بِها على الوَجْهِ الذِيْ دَعَاهُمْ إليهِ الهَوَى والشَّهْوَةِ وَسَواءٌ أُذِنَ لَهُمْ فِيْهِ أَمْ لا فانْقطَعَت عَنْهُم لَذَّةُ الدُنْيَا وفَاتَهُم لَذَةُ الآخِرَةِ فَلَا لَذَةَ الدُنْيَا دَامَتْ ولا لَذَةُ الآخِرَةِ حَصَلَتْ لَهُمْ.

فَمَنْ أَحَبَّ اللَّذَةَ وَدَوَامَهَا والعَيْشَ الطَّيِّبَ فَلْيَجْعَلْ لَذَّةَ الدُّنْيَا مُوْصِلَةٌ إلى لَذَّةِ الآخِرَةِ بأن يَسْتَعِيْنَ على فَرَاغِ قَلْبِهِ لِلَّهِ إرَادَتِهِ وعِبَادَتِهِ فَيَتَنَاوَلُهَا بِحُكْمِ الاسْتِعَانَةِ والقوةِ عَلَى طَلَبِهِ لَا بِحُكْمِ مُجَرَّدِ الشَّهْوَةِ والهَوَى.

وَانْ كَانَ مِمَّنْ زُويَتْ عَنْهُ لَذَّاتُ الدُّنْيَا فَلْيَجْعَلْ ما نَقَصَ مِنْهَا زِيَادَةً في لَذَّةِ الآخِرَةِ. ويُجِمُّ نَفْسَهُ هَهُنَا. بالتَّرْكِ لِيَسْتَوْفِيَهَا كَامِلَةً هُنَاكَ.

فَطيِّبَاتُ الدُنْيَا ولَذَّاتُها نِعْمَ العَوْنُ لِمَنْ صَحَّ طَلَبُهُ لِلَّهِ والدَّارِ الآخِرَةِ وَكَانَتْ هِمَّتُهُ لِمَا هُنَاكَ، وبِئْسَ القَاطِعُ لِمَنْ كَانَتْ هِيَ مَقْصُوْدَهُ وَهِمَّتُهُ وَحَوْلَهَا يُدَنْدِنُ وَفَوَاتُهَا في الدُنْيَا نِعْمَ العَوْنُ لِطَالِبِ اللهِ والدارِ الآخِرَةِ وبِئْسَ القَاطِعُ النَازِعُ مِن اللهِ والدار الآخِرَةِ فَمَنْ أَخَذَ مَنَافِعَ الدُنْيَا على وَجْهٍ لا يَنْقُصُ حَظَّهُ مِن الآخِرَةِ ظَفِرَ بهِمَا جَمِيْعَاً وإلا خَسِرَهُمَا جَمِيْعَاً.

وقال رحمه الله:

سبحانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِيْن، لَوْ لَمْ يَكُنْ في تَرْكِ الذُنُوبِ والمَعَاصِيْ إلا إقَامَةُ المُرُوْءَةِ، وصَوْنُ العِرْضِ، وحِفْظُ الجَاهِ، وصِيَانَةُ المَالِ، الذِي جَعَلَهُ اللهُ قِواماً لِمَصَالِحِ الدُنْيَا والآخِرَةِ، ومَحَبَّةُ الخَلْقِ وَجَوَازُ القَوْلِ بَيْنَهُم.

وَصَلَاحِ المَعَاشِ وَرَاحَةُ البَدَنِ وَقُوَّةُ القَلْبِ وطِيْبُ النَّفْسِ ونَعِيْمُ القَلْبِ وانْشِرَاحُ الصَّدْرِ والأَمْنُ مِن مَخَاوِفِ الفُسَاقِ والفُجَّارِ، وَقِلَّةُ الهَمِّ والغمِّ والحَزَنِ وعِزُ النَّفْسِ عن احْتِمَالِ الذُلِ، وصَوْنُ نُوْرِ القَلْبِ أنْ تُطْفِئَهُ ظُلْمَةُ المَعْصِيَةِ، وحُصُولُ المَخْرَج لَهُ مِمَّا ضَاقَ على الفُسَاقِ والفُجَارِ.

وَتَيْسِيْرُ الرزْقِ عَلَيْهِ مِن حَيْثُ لايَحْتَسِبُ، وَتَيْسِيْرُ ما عَسُرَ على أربابِ الفُسُوقِ والمعاصِي، وتَسْهِيْلُ الطاعاتِ عَلَيْهِ، وتَيْسِيْرُ العِلْمِ والثَنَاءِ الحَسَنِ في الناسِ، وَكَثْرَةُ الدُعَاءِ لَهُ، والحَلَاوَةُ التِي يَكْتَسِبُهَا وَجْهُهُ، والمَهَابَةُ التي تُلْقَى لَهُ في قُلُوب الناسِ.

شِعْرَا: يشقَى رِجالٌ ويَشْقَى آخَرُوْنَ بِهِمْ ... وَيُسْعِدُ الله أَقْوَاماً بأَقْوَامِ
وَلَيْسَ رِزْقُ الفَتَى من حُسْن حِيْلَتِهِ ... لَكِنْ حُظُوظٌ من اللهِ لِأَقْوامِ
كالصَّيْدِ يُحْرِمُهُ الرامي المُجِيْدُ وقَدْ ... يُرْمَي فَيُرْزَقُهُ مَنْ لَيْسَ بالرامي

وَانْتِصَارُهُم لَهُ وَحَمِيَّتُهُم لَهُ إذَا أُوْذِي أَوْ ظُلِمَ وَذَبِّهِم عَنْ عِرْضِهِ إِذَا اغْتَابَه مُغْتَابٌ وَسُرْعَةُ إجَابَةِ دُعَائِهِ وَزَوَالُ الوَحْشَةِ التِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَقُرْبُ الملائكَةِ مِنه. وبُعْدُ شَيَاطِينِ الإنْسِ والجِنِ منه، وتَنَافُسُ الناسِ على خِدْمَتِهِ.

وَخِطْبَتُهُم لِمَوَدَّتِهِ وَصُحْبَتِهِ، وَعَدَمُ خَوْفِهِ مِن المَوتِ، بَلْ يَفْرَحْ بِهِ لِقُدُومِهِ عَلى رَبِّهِ، وَلِقَائِهِ لَهُ وَمَصِيْرِهِ إِليهِ، وصِغَرُ الدنيا في قَلْبِهِ وكِبَرُ الآخِرَةِ عِنْدَهُ وَحِرْصُه عَلَى المُلْكِ الكَبِيْرِ والفَوْزِ العَظِيْمِ فِيْها. وَذَوْقُ حَلَاوَةِ الطَّاعَةِ وَوِجْدُ حَلَاوَةِ الإيمانِ ودُعَاءُ حَمَلَةِ العَرْشِ وَمَن حَوْلَهُ مِن المَلَائِكَةِ لَهُ، وَفَرَحُ الكِرَامُ الكاتِبِيْنَ بِهِ، وَدُعَاءُهُم لَهُ كُلَّ وَقْتٍ، وَالزِّيَادَةُ في عَقْلِهِ وَفَهْمِهِ وإيمَانِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وحُصُولُ مَحَبَّةِ اللهِ لَهُ واقْبَالُهُ عَلَيْهِ وَفَرَحُهُ بِتَوْبَتِهِ.

فَهَذَا بَعْضُ آثارِ تَرْكِ المَعَاصِيْ في الدُنْيَا فإذَا مَاتَ تَلَقَتْهُ الملائِكَةُ بالبُشْرَى مِن رِبِّهِ بالجَنَّةِ وبأَنَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِ ولا حَزَنٌ وَيَنْتَقِلُ مِن سِجْنِ الدُنْيَا وضِيْقِهَا إلى رَوْضَةٍ مِن رِيَاضِ الجنةِ يَنْعَمُ فِيها إلى يوم القِيَامَةِ.

فَإِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ كَانَ الناسُ في الحَرِّ والعَرَقِ وهُوَ في ظِلِّ العَرْشِ فإذا انْصَرَفُوا بَيْنَ يَدَي اللهِ أَخَذَ بِهِ ذَاتَ اليَمِيْنِ مَعَ أولِيَائِهِ المتقين وحِزْبِهِ المُفْلِحِين وذلك فَضْلُ الله يُؤْتِيْهِ مَن يَشَاءُ واللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيْم، والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

«فَصْلٌ»: وقال رَحِمَهُ اللهُ: ومِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعَلَمَ: أَنَّ الرحمةَ صِفَةٌ تَقْتَضِي إِيْصَالَ المنافعِ والمصَالِحِ إلى العبدِ، وإنْ كَرِهَتْهَا نفسُه وشَقَّتْ عليها، فهذه هِيَ الرحْمَةُ الحقيقيةُ. فارْحَمُ الناسِ بِكَ مَن شَقَّ عَلَيكَ في إِيْصَالِ مَصَالِحِكَ، وَدَفعْ المضارِ عَنْكَ.

فَمِنْ رَحْمَةِ الأَبِ بولَدِهِ: أَنْ يُكْرِهَهُ على التأْدِيْبِ بالعِلمِ والعملِ، وَيُشقُّ عَليهِ في ذَلِكَ بالضَّرْبِ وغيرِهِ، وَيمْنَعُهُ شَهَواتِهِ الَّتي تَعُودُ بِضَرَرِهِ، وَمَتَى أَهْمَل ذَلِكَ مِن وَلَدِهِ كان لِقِلّةِ رَحْمَتِهِ بهِ، وإن ظَنَّ أَنَّهَ يرْحَمُه ويُرَفِّهُهُ وَيُرِيْحُهُ، فَهَذِهِ رَحْمةٌ مَقْرُوْنةٌ بِجَهْلٍ، كَرَحْمَةِ الأُمِ.

ولهذا كان مِن تمام رحمةِ أرحم الراحمين تَسْلِيْط أَنواع البَلاءِ على العَبدِ، فإنه أَعْلَمُ بمصلَحَتِهِ، فابتِلاؤُه لَهُ وامْتَحانُهُ وَمنعُهُ مِن أَغْرَاضِهِ وشهَواتِهِ: مِن رحمتِهِ بِهِ ولكَنَّ العبد لجهلِهِ وظِلمِهِ يتَّهِمُ رَبَّهُ بابْتلاءِهِ، ولَا يْعلمُ إِحْسَانَهُ إِليْهِ بابْتِلائِهِ وامْتِحَانِهِ.

وَقَدْ جَاءَ في الأَثرِ: إنَّ المُبْتَلي إذا دُعِيَ لَهُ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، يقُول اللهُ سُبْحَانَهُ: كَيْفَ أَرْحَمُهُ مِن شَيءٍ بِهِ أَرْحَمُهْ: وفي أثرَ أَخَرَ: إنَّ اللهَ تعالى إذا أَحَبَّ عَبْدَهُ حَمَاهُ الدُنْيا وَطَيِّباتِهَا وشهَواتِهَا كَمَا يَحْمِيْ أَحَدُكُم مَرِيْضَهْ.

فهذا مِن تمامِ رحمتِهِ بِهِ، لا مِن بُخْلِهِ عَليْهِ. كَيْفَ هوَ الجَوادُ الماجدُ، الذي لَهُ الجُودُ كُلُّه، وجُودُ الخلائقِ في جَنْبِ جُوْدِهِ أَقَلُّ مِن ذَرةٍ في جِبَالِ الدُنْيا ورمالها.

فمِن رَحْمَتِهِ سُبحانهَ بِعِبَادِهِ: إبْتِلاؤهم بالأوامر والنواهي رحمة وحمية، لا حَاجَةَ مِنه إِلَيْهِمْ بِمَا أَمَرَهُمْ بِه، فَهُوَ الغَنِي الحميد ولا بخلا منه عليهم بما نهاهم عنه، فهو الجواد الكريم.

ومِن رَحْمَتِهِ: أَنْ نَغَّصَ عَلَيْهِمْ الدُنْيَا وَكَدَّرَهَا لِئَلا يَسْكُنُوا إِلَيْهَا، ولا يَطْمَئِنُوا إِلَيْهَا، وَيَرْغَبُوا فِي النَّعِيمِ المُقِيْمِ في دَارِهِ وَجِوَارِهِ، فَسَاقَهُمْ إلى ذَلِكَ بسَيَاطِ الابْتِلَاءِ والامْتِحَانْ، فَمَنَعُهم لِيُعْطِيَهُمْ وابْتَلاهُمْ لِيُعَاقِبَهم، وَأَماتَهُمْ لِيُحِيْهِمْ.

ومِن رَحْمَتِهِ بِهِم: أَنْ حَذَّرَهُمْ نَفْسَهُ، لِئَلّا يَغْتَرُّوْا به، فَيُعَامِلُوْهُ بِمَا لا تَحْسُنُ مُعَامَلَتُه بِهِ كَما قال تعالى: ﴿ويُحذِّركُم اللهُ نَفْسَه والله رؤوف بالعباد﴾، قال غَيْرُ واحَدٍ مِن السَّلَف: مِن رَأْفتِهِ بِالعِبَادِ حَذَّرَهُمْ مِن نَفْسِهِ، لِئَلَّا يَغْتَرُوْا بِهِ.

اللَّهُمَّ قَابِلْ سَيئاتِنَا باحْسَانِك، واسْتُر خَطِيئَتِنَا بِغُفْرَانِكْ وأَذْهِبْ ظُلَمةَ ظُلْمِنا بنُور رضْوَانكْ، وَاقْهَرْ عَدُوَّنَا بعزِّ سُلْطَانكْ، فَمَا تَعَوَّذَهَا مِنْك إِلَّا الْجَمِيلْ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

شِعْرًا: أَتَأْمَلُ فِي الدُنْيَا تُجِدُ وَتَعْمُرُ ... وأَنْتَ غَداً فِيْهَا تَمُوتُ وتقْبَرُ
تُلَقِّحُ آمَالًا وتَرْجُوْ نِتَاجَهَا ... وَعُمْرُكَ مِمَّا قَدْ تُرَجِيْهِ أَقْصَرُ
تَحُومُ عَلَى إدْرَاكِ مَا قَدْ كُفِيْتَهُ ... وتُقْبِلُ فِي الآمَالِ فِيْهَا وتُدْبِرُ
وَهَذَا صَبَاحُ اليَومِ يَنْعَاكَ ضَوْءُهُ ... وَلَيْلَتُهُ تَنْعَاكَ إنْ كُنْتَ تَشْعُرُ
ورِزْقُكَ لا يَعْدُوْكَ إمَّا مُعَجَّلٌ ... على حَالَةٍ يَوماً وإمَّا مُؤَخَّرُ
فَلَا تَأْمَنَ الدُنْيَا وإنْ هِيَ أَقْبَلَتْ ... عَلَيْكَ فَمَا زَالَتْ تَخُونُ وَتَغْدِرُ
فَمَا تَمَّ فِيها الصَّفْوُ يَوْمَاً لِأَهْلِهِ ... ولا الرَّنْقُ إلَّا رَيْثَمَا يَتَغَيَّرُ

وَمَا لَاحَ نَجْمٌ لَا وَلَا ذَرَّ شَارِقٌ عَلَى الخَلْقِ إِلَّا حَبْلُ عُمْرِكَ يَقْصُرُ
تَطَهَّرْ وأَلْحِقْ ذَنْبَكَ اليَوْمَ تَوْبَةً لَعَلَّكَ مِنْهَا إِنْ تَطَهَّرْتَ تَطْهَرُ
وَشَمِّرْ فَقَدْ أَبْدَى لَكَ المَوْتُ وَجْهَهُ وَلَيْسَ يَنَالُ الفَوْزَ إِلَّا المُشَمِّرُ
فَهَذِيْ اللَّيَالِي مُؤْذِنَاتُكَ بِالبِلَى تَرُوْحُ وأَيَّـامٌ كَذَلِكَ تُبْكِـرُ
وأَخْلِصْ لِدِيْنِ اللهِ صَدْراً ونِيَّةً فإِنَّ الَّذِيْ تُخْفِيْهِ يَوْمَاً سَيَظْهَرُ
تَذَكَّرْ وَفَكِّرْ بِالَّذِي أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ غَداً إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يُفَكِّرُ
فَلَا بُدَّ يَوْمـاً أَنْ تَصِيْـرَ لِحُفْـرَةٍ بِأَثْنَائِهَـا تُطْـوَى إِلى يَومِ تُنْشَرُ

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيْلَ عِبَادِكَ الأَبْرَارِ، واجْعَلْنَا مِن عِبَادِكَ المُصْطَفِيْنَ الأَخْيَارَ وامْنُنْ عَلَيْنَا بالعَفْوِ والعِتْقِ مِن النارِ واحْفَظْنَا مِن المَعَاصِي فِيْمَا بَقِيَ مِن الأَعْمَارِ وَأَحْسِنْ بكرَمِكَ قصْدَنا، وَاحْشُرنَا في زُمْرَةِ عِبَادِكِ المتَّقِيْنَ وَأَلْحِقنا بعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــلٌ»

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللهُ وإِيَّاكَ وجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ لِمَا يُحِبُّهُ اللهُ ويَرْضَاهُ أَنَّ الصَّبْرَ مِن أَجَلِّ صِفَاتِ النَّفْسِ وأَعْلَاهَا قَدْراً، وهُوَ لُغَةً حَبْسُ النَّفْسِ عن الجزَعِ أَيْ مَنْعُهَا مِن الأَسْتِسْلَامِ لِلْجزعِ كَيْ لا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ فِعْلُ مَا لا يَنْبَغِي فِعْلُهُ وبِعِبَارَةٍ أُخْرَى الصَّبْرُ ثَبَاتُ القُوةِ المُضَادَّةِ لِلْشَّهْوَةِ في مُقَاوَمَتِها.

وأَمَّا شَرْعاً فَهُوَ أَعَمُّ مِن ذَلِكَ لِأَنَّهُ حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الجَزَعِ، وَمَنْعُهَا عَن مَحَارِمِ اللهِ، والزَامُهَا بأَدَاءِ فَرَائِضِ اللهِ، يَدُلُ عَلَيْهِ ما رُوِيَ عن ابنِ عَبَاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قَالَ الصَّبْرُ في القُرآنِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ صَبْرٌ عَلَى أَدَاءِ فَرَائِضِ اللهِ وصَبْرٌ عن مَحَارِمِ اللهِ، وصَبْرٌ عَلَى المُصِيْبَةِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُوْلَى.

شِعْرًا: وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الجميلِ حَمِيْدَةٌ وأفضل أَخْلَاقِ الرجال التَّدَيُنُ

ولا عَارَ إنْ زَالَتْ عن المَرءِ نِعْمَةٌ ولكنَّ عَاراً أنْ يَزُوْلَ التَّديُنُ
آخر: إذا قُدِّرْ عَلَيْكَ أُخيَّ أمْراً بِمَكْرُوْهٍ تَعَاظَمَ أَوْ بَلِيَّهْ
فلا تَعْجَلْ وَثِقْ باللهِ واصْبِرْ فَلِلرَّحْمٰنِ أَلْطَافٌ خَفِيَّهْ
وَإِيَّاكَ المَطَامِعَ والأَمَانِي فَكَمْ أُمْنِيَّةٍ جَلَبَتْ مَنِيَّهْ

وقال ابنُ القَيِّمِ الصَّبْرُ حَبْسُ النَّفْسِ عن التَّسَخُطِ بالمَقْدُوْرِ وحَبْسُ اللِّسَانِ عَن الشَّكْوَى، وَحَبْسُ الجَوَارِحِ عن المَعْصِيَةِ، فَمَدارُ الصَّبْرِ على هذه الأَرْكَانِ الثلاثةِ فإذَا قَامَ بِهَا العَبْدُ كَمَا يَنْبَغِي انْقَلَبَتِ المِحْنَةُ في حَقِّهِ مِنْحَةً، واسْتِحَالَةِ البَلِيَّةِ عَطِيَّةً، وصَارَ المَكْرُوْهُ مَحْبُوْباً.

فإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَبْتَلِهِ لِيُهْلِكَهُ، وإنَّمَا ابْتَلاهُ لِيَمْتَحِنَ صَبْرَهُ وَعُبُوْدِيَتَهُ، فَأَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى العَبْدِ عُبُوْدِيَّةً في الضَّرَّاءِ كَمَا لَهُ عَلَيْهِ عُبُوْدِيَّةٌ في السَّرَّاءِ، ولَهُ عُبُوْدِيَّةٌ عَلَيْهِ فِيْمَا يَكْرَهُ كَمَا لَهُ عَلَيْه عُبُوْدِيَّةٌ فِيْمَا يُحِبُّ، أهـ.

شِعْرا: إذا اشْتَدَّ عُسْرٌ فَارْجُ يُسْراً فإنَّهُ قَضَى اللهُ أَنَ العُسْرَ يَتْبَعُهُ اليُسْرُ

وعَرَّفَ الصَّبْرَ بَعْضُهُمْ بأنَّهُ بَاعِثُ الدِّيْنِ، أَمَام بَاعِثِ الهَوَى فأمَّا بَاعِثُ الدِّيْنِ فهُوَ قُدْرَةُ العَقْلِ عَلَى قَهْرِ الشَهْوَةِ والغَضَبِ، لأَنَّهُمَا بِطُغْيَانِهِمَا يَقُوْدَانِ المَرْءَ إلى مَا لا يُقِرُّهُ الدِّيْنُ، ولا يَرْضَاهُ العَقْلُ، فإذَا ثَبَتَ العَقْلُ أَمَامَ الشَّهْوَةِ والغَضَبِ وقامَ بوَظِيْفَتِهِ عَلَى الوَجْهِ المَطْلُوبِ فلا يَجْعَلُ لهُمَا عَلَيْهِ سُلْطَاناً.

ولا يَسْمَحُ لَهُمَا بالطُّغْيَان، فَيَنْقَادُ لَهُمَا صَاغِراً بَلْ يَكُونُ هُوَ الآمِرُ النَّاهِيْ فَيَسْلُكَ بِهِمَا سَبِيْلَ الاعْتِدَالِ، بلا افْرَاطٍ ولَا تَفْرِيْطٍ، فإنَّهُ بِذَلِكَ يَسْتَطِيْعُ بإذنِ اللهِ أَنْ يَظْفَرَ بالصَّبْرِ، عن ما حَرَّمَ اللهُ والصَّبرِ عَلَى طَاعَتِهِ، وأنْ يَحْبِسَ نَفْسَهُ عن الجَزَعِ عِنْدَ المُصِيْبَةِ، فلا يَسْتَفِزُّهُ الجَزَعُ إلى قَوْلٍ، أَوْ عَمَلٍ، مَا لا يَرْضَاهُ اللهُ مَهْمَا كَانَ لِنَفْسِهِ فِيه لَذَّةٌ.

ومِن ذَلِكَ الصَّبْرُ على إيْذَاءِ النَّاس إيَّاهُ، فإنَّهُ إذَا أَغْضَبَهُ أَحَدٌ بِقوَلٍ أَوْ

عَمَلٍ، فإنَّ غَضَبَهُ لا يطغى عليه، فيحمله على تعدي حدود الله، بل يَكْفِيْكَهُمْ غضبه حَتَّى يَجْرِيْ عَلَى سُنَنِ الدِّيْنِ مِن القِصَاصِ العَادِلِ، أَوْ العَفْوِ إنْ كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةَ.

وقِيْلَ في تَعْرِيْفِهِ هُوَ الثَّبَاتُ على الكِتَابِ والسُنَّةِ، والتَمَشِّيْ مَعَ ارْشَادَاتِهِما، لأَنَّ مَنْ ثَبَتَ عَلَيْهِمَا فَقَدْ صَبَرَ عَلى المَصَائِبِ، وعَلَى أدَاءِ العِبَادَاتِ، وعَلَى اجْتِنَابِ المُحَرَمَاتِ.

ثُمَّ إنَّ الصَّبْرَ يُسَمَّى بأَسْمَاءَ مُخْتَلِفَةٍ، فَمَثَلًا الصَّبْرُ عَنِ شَهْوَةِ الفَرْجِ والبَطْنِ أو المَالِ الحَرَامِ يُسَمَّى عِفَّةً وَوَرعَاً ومَنْعُهَا عَن الجزَعِ والفِرَارِ عِنْدَ لِقَاءِ العَدُوِّ يُسَمَّى شَجَاعَةً، ويُقَابِلُهُ الجُبْنُ، ومَنْعُهَا عن التَّعَدِيْ عَلى الغَيْرِ عِنْدَ ثَوْرَةِ الغَضَبِ يُسَمَّى حِلْماً، وشَجَاعَةً، ويُقَابِلُهُ التَّذَمُّرُ والطَّيْشُ.

وعَنِ إفْشَاءِ السِّرِ يُسَمَّى كِتْمَانَ السِّرِ، وعَنِ الاسْرَافِ في المآكِلِ وَالمشَارِبِ يُسَمَّى زُهْداً، وعَنِ الغُرُوْرِ بالثَّرْوَةِ والمَالِ يُسَمَّى ضَبْطَ النَّفْسِ، ويُقابِلُهُ البَطَرُ والخُلَاصَةُ أنَّ الصَّبْرَ فَضِيْلَةٌ يَحْتَاجُهَا المُسْلِمُ في دِيْنِهِ ودُنْيَاهُ.

فَيَجِبُ على الإنْسَانِ أَنْ يُوَطِنَ نَفْسَهُ على احْتِمَال الشَّدَائِدِ والمَكارِهِ دُوْنَ ضَجَرٍ وانْتِظَارُ النَّتَائِجِ مَهْمَا بَعُدَتْ فكُلُ مَا هُوَ آتٍ قَرِيْبٌ، وعَلَيْهِ أنْ يُوَطِنَهَا عَلَى مُوَاجَهَةِ الأَعْبَاءِ مَهْمَا ثَقُلَتْ بِقَلْبٍ لَمْ تَعْلُقْ بِهِ رِيْبَةٌ وَعَقْلٍ لا تَطِيْشُ بِهِ كُرْبَةٌ.

وَقَدْ أَكَّدَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ ابْتِلَاءَ النَّاسِ أَمْرٌ لَا مَحِيْصَ عَنْهُ حَتَّى يَأْخُذُوْا الأُهْبَةَ، والاسْتِعْدَادَ لِلنَّوازِلِ، فلا تُذْهِلُهُمْ المُفَاجَاءَةُ، قال اللهُ تَعَالى: ﴿ولنَبْلُونَّكُم حَتَّى نَعْلَمَ المجاهِدِينَ منكم والصابرينَ ونَبْلُو أَخْبَارَكُمَ﴾، وقال: ﴿ولَنَبْلُونَّكُم بِشَيْءٍ مِن الخَوْفِ والجُوْعِ ونَقْصٍ مِن الأَمْوَالِ والأنْفُسِ والثمراتِ وبَشِّرِ الصابِرِيْن﴾، وقال: ﴿ونَبْلُوكُم بالشَّرِ والخَيْرِ فِتْنَةً وإلَيْنا تُرْجَعُون﴾.

وقال تعالى إخْباراً عَمَّا قَالَهُ سُلَيْمَانُ عليهِ السَّلَامُ ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبي لِيَبْلُوني أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُر﴾، وقال تعالى: ﴿آلم أَحَسِبَ الناسُ أن يُتْرَكُوا أنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لايُفْتَنُون ولقد فَتَنَا الذينَ مِن قبلهم﴾ الآية.

شِعْرا: اصبِرْ عَلَى مِضَضِ الأدْلاجِ فِي السَّحَرِ ... وفي الرَّوَاحِ إلى الطَّاعَاتِ والبكَرِ
إنِّي رَأَيْتُ وفِي الأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ ... لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ الأَثَرِ
وقَلَّ مَن جَدَّ في أَمْرٍ تَطلَّبَهُ ... واستَصْحَبَ الصَّبْرَ إلا فَازَ بالظَّفَرِ

آخر: يَقُولُ لَكَ الإثْبات أَهْلُ التّجَارُبِ ... تَصَبَّرْ فَعُقْبَى الصَّبْرِ نَيْلُ المآرِبِ
ونَصُّ - كِتَابِ - الله - بالصبْرِ - آمِرٌ ... وقَدْ وَعَدَ الصُّبَّارَ حُسْنَ العَوَاقِبِ

ويَقُول الآخرُ:

والصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ ... لكنْ عَوَاقِبُه أَحْلَى مِن العَسَلِ

ويقول الآخرُ:

بَنَى اللهُ لِلأَخْيَارِ بَيْتاً سَمَاؤُهُ ... هُمُومٌ وَاحْزَانٌ وجُدْرَانُهُ الضرُّ
وأَدْخَلَهُم فِيهِ وأغْلَقَ بَابَهُ ... وقالَ لَهُمْ مِفْتَاحُ بَابِكُمْ الصَّبْرُ

آخر: فَكَّرْتُ في الجَنَّةِ العُلْيَا فَلَمْ أَرَهَا ... تُنال إلا عَلَى جَسْرٍ من التَّعَبِ
في الصَّالِحاتِ بإخلاصٍ لِخَالِقنَا ... اجْهَدْ زَمَانَكَ إنَّ الوَقْتَ من ذَهَبِ

آخر: أَيطْمَعُ في العَلْيَاءِ مَن كَانَ مُشْرِكاً ... وَلَنْ يَبْلُغَ العَلْيَاءَ إِلَّا الموحِّدُ

آخر: يُرِيْدُ المَعَالِيْ عَاطِلٌ مِنْ أَدَاتِهَا ... وَهَيْهَاتَ مِنَ مَقصُوصَةٍ طَيَرَانُهَا

آخر: ولَوْ خلالٌ سَنَّهَا الشَّرْعُ مَادَرَى ... بُغَاهُ العُلَى مِنْ أَيْنَ تُؤْتَي المَكَارِمُ

آخر: دَبُّوا إلى المَجْدِ والسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا ... جُهْدَ النّفُوسِ وشَدُّوا نَحْوَهُ الأُزُرَا
وسَاوَرُوْا المَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ ... وعانَقَ المَجْدَ مَن وَافَى ومَنْ صَبَرا
لا تَحْسبِ الْمَجدَ تَمراً أَنْتَ آكِلُهُ ... لَنْ تَبْلُغَ المَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبرا

آخر: مُسْتشعِرُ الصَّبْرِ مَقْرُوْنٌ بِهِ الفَرَجُ ... يُبْلَى ويَصْبِرُ والأَشْيَاء تُنْتَهَجُ

حَتَّى إذا بَلَغَتْ مَقْدُوْرَ غَايَتِهَا ... جَاءَتْكَ تَضْحَكُ عن ظَلمَائِهَا السُرُجُ

يُقدر اللهُ فَارجُ اللهَ وَارْضَ بِهِ ... فِفْي إِرَادَتِهِ الغَمَاءُ تَنْفَرِجُ

آخر: قُلِ اللهَ مِنْ يَطْلُبْ رِضَاهُ يَنَلْ أَجْرَا ... وَيَسْتَسْهِلُ الأَخْطَارَ والمركَبَ الوَعْرَا

وَيُرْخِصُ في إِدْرَاكِهِ كُلَّ ما غَلا ... وَيُنْفِقُ في أَدْنَى رَغائِبِهِ العُمْرَا

آخر: فَلَا تَيْأَس إذا مَا سُدَّ بابٌ ... فأَرْضُ اللهِ واسِعَةُ الـمْسَالِكْ

ولا تَجزَعْ إذَا مَا اعْتَاصَ أَمْرٌ ... لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ

آخر: بِقَدْرِ الجِدِّ تُكْتَسَبُ المَعَالِي ... وَمَنْ طَلَبَ العُلا سَهِرَ اللَّيَالِيْ

تَرُوْمُ العِزَّ ثُمَّ تَنَامُ عَنْهُ ... يَغُوْصُ البَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللآلِيْ

آخر: إنَّ الأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالكُهَا ... فالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنها كُلَّ مَارَتَجَا

لا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مَطَالِبُهُ ... إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أنْ ترى فَرَجَا

أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أنْ يُحْظَى بِحَاجتِهِ ... ومُدْ مِن القَرْعِ للأَبْوَابِ أنْ يَلِجَا

اللَّهُمَّ انظِمْنا في سِلكِ حِزبِكَ المُفلِحِين، واجْعلنا مِنْ عبادِكَ المُخْلِصين وآمِنَّا يومَ الفَزَعِ الأكبرِ يومَ الدِين، واحشُرْنا معَ الذين أنعمْتَ عليهم من النبيين والصِّدِّيقينَ والشهداء والصالِحِيْن، اللَّهُمَّ اعْطنا مِن الخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجوهُ واصْرِف عَنَّا مِن السُوءِ فَوقَ ما نَحْذر فَإِنَّكَ تَمحُو مَا تَشَاء وَتُثبت وعندكَ أمُ الكِتاب، اللَّهُمَّ واجعلنا ممَّن يأخُذ الكِتاب باليمين، واجعلنَا يَوم الفزعِ الأكبرِ آمنين، وأَوصلنَا بِرَحْمَتِكَ وَكَرَمِكَ إلى جَناتِ النعيم، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: وقَالَ تَعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ في أمْوالِكُم وأنْفُسِكُمْ ولَتَسْمَعُنَّ مِن الَّذِيْنَ أوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ومن الذين أشْرَاكُوا أذىً كَثيراً وانْ تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا فإنّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمورْ﴾، وقَالَ تَعَالى: ﴿أمْ حَسِبْتُم أن تَدْخُلوا الجَنَّةَ ولَمَّا يأتِكُم مَثَلُ الذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ والضَرَّاءُ وزُلْزِلوا

حَتَّى يقولَ الرَّسُول والذين مَعَهُ مَتى نَصرُ اللهِ ألا نَصرَ اللهِ قريب﴾.

فَمَن ابْتَلاهُ اللهُ بِنَقْصٍ في مالِهِ أَوْ مَنَعَهُ شَيْئاً مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا ولَذَّاتِها الْفَانيةِ وَعجزَ عن تَحْصِيْلِهِ بالْوسَائِل المشْرُوعةِ أَوْ قَبَضَ لَهُ نَفْساً أباً أَوْ أخاً أو مُّاً أَوْ وَلَداً أو نَحْوَ ذَلِكَ أو خَافَ مِن عَدُوٍ فإنَّهُ لا دَواءَ لَهُ إلا الصَّبْرُ على مَا أصَابَهُ.

فإذا صَبَرَ المُبْتَلَى وعَمِلَ بقولِ رَبّهِ عزَّ وجلْ، فَقَدْ هَانَتْ عليهِ البَلْوَى وضاعَ أثرُها فاسْتَرَاحَ مِن عَذَابِها في الدُّنْيَا وفازَ بالآخِرَةِ بالجَزاءِ الحَسَنْ، فالْفَقِيرُ الذي لايَذْهَبُ بِلُبِّهِ مَتَاعُ الحياةِ وزِيْنَتُهَا ولايُحْزِنُهُ ما لا يَسْتَطِيعُ الوصول إليهِ مِنْ المتاع الفَانِي سَائِرٌ على ضَوْءِ ارْشَادَاتِ القرآنِ الكريمْ، مِثْلُ قَوْلِهِ تعالى: «ولَا تَمُدُّنَّ عَيْنَيْكَ إلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُم زَهْرَةَ الحياةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهم فيهِ ورِزْقُ رَبِّكَ خيرٌ وأبْقَى».

وَقَوْله: ﴿قُلْ مَتاعُ الدُّنيَا قَلِيلٌ﴾ بَلْ مُطْمَئِنٌّ إلى ما قَدَّرَهُ اللهُ لَهُ في هَذِهِ الحياة مِنْ تَعَب ونَصَبٍ ويَرضَى بِمَا قَسَمَ لَهُ فلا يَسْخَطْ، وَلَا يَفْعَلُ مُحَرَّماً، فإنَّهُ لابُدَّ أنْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ أمْرِهِ فَرَجاً في حَيَاتِه الدُّنْيَا كَما قَالَ تَعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعلْ لَهُ مَخْرَجا ويَرزُقْهُ مِن حيثُ لايَحْتَسِبْ﴾.

وإذَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ شَيْئاً وَعَدَها بالخيرِ وصَبَّرَها ومَشَّى أُمُورَهُ على قَدْرِ حَالِهِ ولايُكَلِّفُ نَفْسَهُ بالدَّيْنِ والقَرْضِ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿إن مَعَ العُسْرِ يُسْراً إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرَا﴾، وقال بَعْضُهُمْ:

إذَا رُمْتَ إنْ تَسْتَقْرِضَ المالَ مُنْفِقاً ... على شَهَواتِ النَّفْسِ في زَمَنِ العُسْرِ
فَسَلْ نَفسَكَ الانْفَاقَ مِن كَنْزِ صَبْرِهَا ... عَلَيْكَ وَإِنْظَاراً إلى زَمَنِ اليُسْرِ
فَإنْ فَعَلْتَ كُنْتَ الغَنِيَّ وإنْ أَبَتْ ... فَكُلُّ مَنُوْعٍ بعدَهَا واسعُ العُذْرِ

آخر: أَفَادَتْنِي القَنَاعَةُ كُلَّ عِزٍ ... وأيُّ غِنىً أعَزُّ مِن القَنَاعَةِ

فَصَيِّرْهَا لِنَفْسِكَ رأسَ مَالٍ وصَيِّرْ بَعْدَهَا التَّقْوَى بِضَاعَةْ
تَحُزْرِ بْحَيْنِ تَغْنَى عَن بخِيْلٍ وتَنْعَمُ بالجنانِ بِصَبْرِ سَاعَةْ

آخر: عَزِيزُ النفسِ مَنْ رُزِقَ القَنَاعَة ولَمْ يَكْشِفْ لِمَخْلُوقٍ قِناعَةْ
وقد علموا بأني حِيْنَ شَدَّوُا عُرَى الأطماعِ فارقت الجَماعَة
إذَا مَا فاقَةٌ قرنت بِعِزٍ وكانت في التبذل لِي ضراعَةْ
نَفَضْتُ يَدَيَّ عِن طمِعي وحِرْصي وقُلْتُ لفاقتَي سَمْعاً وطاعةْ

آخر: أَلَا إنَّ رِزْقَ اللهِ لَيْسَ يَفُوتُ فَلَا تُرعَنْ إنَّ القَلِيْلَ يَفُوْتُ
رَضِيْتُ بِقَسِمِ اللهِ حَظاً لِأَنَّهُ تَكَفَّلَ رِزْقِي مَنْ لَهُ الملكُوْتُ
سَأَقْنَعُ بالمالِ القَلِيْلِ لِأَنَّنِي رَأيْتُ أَخَا المالِ الكَثِيْرِ يَمُوتُ

آخر: أَبَا مَالِكٍ لا تَسْأَل النَاسَ والتَمِسْ بِكَفْيكَ فَضْلَ اللهِ واللهُ مُوْسعُ
وَلَوْ سُئِلَ الناسُ التُرَابَ لأَوْشَكُوا إذا قِيْلَ هَاتُوا أَنْ يَملُّوْا وَيَمْنَعُوْا

آخر: لا تَقُولَنَّ إذَا مَا لَمْ تُرِدْ أَنْ تِتمّ الوَعِدُ في شيء نعَمْ
حَسَنٌ قولُ نعَمْ من بعْدَ لا وقبيحٌ قَوْلُ لَا بَعْدَ نَعَمْ
إنَّ لا بَعْدَ نَعَمْ فَاحِشَةٌ فَبِلا فَابْدَا إذَا خِفْتَ النَّدَمْ
وَإذَا قُلْتَ نَعَمْ فاصْبِرْ لَهَا بِنَجاحِ الوَعْدِ إنَّ الخُلْفَ ذَمْ

قنوعُ النَّفْس يَعْقُبهُ رَوَاح وحرص النفس لِلذُّل الهوان
وَلَيْسَ بزائد في الرزقِ حِرْصٌ وليس بناقِصٍ معهُ التَّوَانِ
إِذَا الرحمنُ سَبَّبَ رِزقَ عبدٍ أتَاهُ في التَّنَائِي والتَّدانِ

أمَّا الفَقِيرُ الَّذِي يُزَيِّنُ لَهُ الشَّيْطَانُ والْهَوى والنَّفْسُ الامَّارَةُ بالسُّوءِ ما في أَيْدِي النَّاس، فيُفْسِدُ عليه قَلْبَهُ بالوَسَاوِس الضَّارَةِ، والاماني الكَاذِبَةِ، والاحْلَامِ الباطِلَةْ، فيَحْسُدُ الناسَ على ما آتَاهُم اللهُ مِن فَضْلِهِ، مُبْعداً عن الصَّبْرِ على الحالةِ المُرْضِيَةِ لا يُبَالِي بأيّ وَسيْلَةٍ يَتَمَسّكُ بِها مِنَ الوَسائِلِ المُحَرَّمَةِ، في الوُصول إلى لَذّةٍ مُحَرَّمَةٍ لا تُغْني عَنْهُ شَيْئاً ولا تَسُدّ فَقْرَه فَهُو مِنْ أشْقَى خلقِ اللهِ لأَنَّهُ

بِعَمَلِهِ هَذا يَكُونُ قَدْ خَسِرَ دُنْيَاهُ وآخِرَتَهُ، وذَلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ المبينْ.

وكذَلِكَ الْغَنِيُّ يَحْتَاجُ إلى الصَّبْرِ على غِنَاهُ لأَنَّهُ مُكَلَّفٌ بِحُقوقٍ وَوَاجِبَاتٍ لا يَسْهُل على النَّفْسِ فِعْلُها مِنْ زَكَاةِ مالٍ وإنفَاقٍ على مَنْ يُمُونُه واغَاثَةِ مَلْهُوفٍ... إلخ.

ثُمَّ اعْلَمْ انَّ إظْهَارَ الْبَلْوى سَواءً كَانَتْ مَرَضاً أَوْ فَقْراً أَوْ غَيْرِهِما إمَّا أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ تعالى كَما قالَ أيّوبُ عليهِ السَّلام ﴿أنِّي مَسَّنِي الضُرُّ وأَنْتَ أرْحَمُ الرَّاحِمين﴾، وكَمَا قَالَ يَعْقُوبُ ﴿إنَّما أشْكُو بَثِّي وحُزْنِي إلى اللهِ﴾ فهذا لا يُنَافِي الصَّبْرِ.

وَامَّا أَنْ يَكُونَ لِغَيْر اللهْ فإنْ كَانَ لِحَاجَةٍ كَشَرْحِ الْعلَّةِ لِلطَّبيب أَوْ بَيَانِ الْمظَلَمَةِ لِمَنْ يَقْدِرُ على رَفْعِها فإنَّهُ لا يُنَافِي الصَّبْرِ أيْضاً ما دَامَ رَاضِياً بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهْ، فَلَا يَضْجَرُ ولَا يَتَبَرَّمُ مِمَّا يَنْزِلُ بِهِ مِن البَلَاءِ فَإنْ اشْتَكَى لِغَيْرِ اللهِ مِنْ دُونِ فَائِدَةٍ تَبَرُّماً وَتَضجُّراً لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّابِرِيْنْ، وَلَمْ يَسْتَفِدْ مِنْ مُصِيْبَتِهِ سِوى عَذاب الدُّنْيَا.

شِعْرا: ثلاثٌ يَغُورُ الصَّبْرُ عْند حُلُوْلِهَا ... وَيَذْهَلُ عَنْهَا عَقْلُ كُلِّ لَبِيْبَ
خرُوجُكَ قَهْراً مِنْ بِلَادٍ تَحُبُّهَا ... وفِرْقَةُ إِخْوانٍ وفَقْدُ حَبِيْبِ

قالَ تَعَالى: ﴿وما أَصَابَكُم مِن مُصِيْبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيْكُمْ﴾، وقوله: ﴿وما أَصَابَكَ من سَيِّئةٍ فَمنْ نَفْسِكْ﴾، وقوله: ﴿أَوْ لَمَّا اصَابَتْكُمْ مُصِيْبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها قُلْتُمْ أَنَّى هَذا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾.

وكُلُّ مُصِيْبَاتٍ أَتَتْنِيْ وَجَدْتُهَا ... سِوَى غَضَبِ الرحمنِ هَيِّنَةَ الخَطْبِ

فالْمَرَاتِبُ ثَلاثٌ أَخَسُّهَا أنْ تَشْكُو اللهَ إلى خَلْقِهِ وأعْلَاهَا أنْ تَشْكُوا نَفْسَك إليهِ وأَوْسَطُها أنْ تَشْكَو خَلْقَهُ إليهِ، انْتهى. قَالَ بَعْضُهُمْ:

وَيَمْنَعُني شَكْوَايَ لِلَّناسِ انَّني عَليلٌ ومَنْ أشْكُو إليهِ عَلِيلُ
وَيَمْنعُني شَكْوايَ لِلَّهِ إنَّهُ عَلِيمٌ بِمَا أشْكُوهُ قَبْل أَقُولُ

آخر: لا تَشكُونَّ إلى صَدِيْقٍ حَالَةً فَاتَتْكَ في السَّراءِ والضَّراءِ
فَلِرَحْمَةِ المَتوجِّعِيْنَ مَضاضَةٌ في القَلْبِ مثْلُ شَمَاتَهِ الأعدَاءِ

وَقَدْ أَمرَ اللهُ بالصَّبْرِ فَقَالَ جَلَّ وعَلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اسْتَعِيْنُوا بالصَّبْرِ والصَّلَاةِ﴾، وقالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اصْبُروا وصَابِرُوا﴾، وقالَ: ﴿واسْتَعِيْنُوا بالصَّبْرِ والصَّلَاة﴾ وأثْنى اللهُ على الصَّابِرينَ فَقَالْ: ﴿والصَّابِرينَ في البَأْسَاءَ والضَرَّاءِ وَحِيْنَ البأسْ، أُولئكَ الذين صَدَقُوا وأُوْلَئِكَ هُمُ المُتَّقونْ﴾.

وأخْبَرَ تَعَالى أنَّه مَعَ الصَّابرينَ فَقَالْ: ﴿واصْبِرُوا انَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِيْنَ﴾، وهذِهِ مَعِيَّةٌ خَاصةٌ تَقْتَضِي الحِفْظَ والنَّصْرَ والتَّأْيِيدْ، وأخْبرَ جَلَّ وعَلا أنَّ الصَّبْرَ خَيْرٌ لأَصْحَابِهْ، قَالَ تَعَالى: ﴿وانْ تَصْبِرُوا خَيرٌ لكم﴾، وقَالَ: ﴿ولَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهْوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرينْ﴾ وإيجابُ الجَزَاءِ لَهُم بأَحْسنِ أَعْمَالِهِمْ، فَقال: ﴿وَلَنَجْزِينَّ الذينَ صَبَروا أجْرهم بأحْسنِ ما كانوا يَعْمَلُون﴾، وأخْبَر جَلَّ وَعَلَا أنَّ جَزَاءُهُم بغيرِ حِسَابْ، فَقَالْ: ﴿إنَّما يُوَفى الصَّابِرُون أجْرهم بغير حسابْ﴾.

شِعْرَا: إصْبِرْاً أُخَيَّ إذَا نَابَتْكَ نَّائِبَةٌ وَلَا تَقُوْلَنَّ ذَرْعِيْ منْهَا قَدْ ضَاقَا
فبالنَّوئب مَعْ صَبْرٍ يَجِدْ شَرَفاً كَالبَدْرِ يَزْدَادُ في الظلماء إشْرَاقَا

فإن كان لِلتسلّي أو المواساة فلا بأس.

شِعْرَا: وأَبْثثتُ عَمْرا بَعْضَ مَا في جَوَانِحِي وجَرَّعْتُهُ مِنْ مُرِّ ما أَتَجَرَّعُ
ولا بُدَّ مِن شَكْوَى إِلَى ذِيْ حَفِيْظَةٍ يُوَاسِيْكَ أَوْ يُسْلِيْكَ أَوْ يَتَوَجَّعُ

وسَيُسْأَلُ عَنْ ضَجَرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُصوُصاً إِذَا كَانَتْ شَكْوَاهُ مَصْحُوبَةً بَبْعْضِ الْعِبَارَاتِ الَّتِي فِيْهَا جَرَاءَةٌ على اللهِ، لِأَنَّهُ يَشْكُو الإلَهَ القَادِرَ على المِسْكِينِ

الضعيفِ العاجزْ، الذّي لَا يُغْنِي عَنْهُ شيْئاً، كَمَا قِيْل:

«وإذَا شكَوتَ إلى ابْنِ آدمَ إنَّما تَشْكُو الرَّحِيْمَ إلى الذِّي لَا يَرْحَمُ»

فَتَجِدُ بَعْضَ النَّاسِ كَثِيرُ التَّشَكيِّ إلى النَّاسِ يَسْتَأْنِسُ بالشَّكوى ويَتَلذَّذُ بِهَا كَمَا قِيْل:

تَلَذُ لَهُ الشَّكْوى وإنْ لَمْ يَجِدْ بِهَا صَلَاحاً كَمَا يَلْتَذُّ بالْحَكِّ أجْرَبُ

فالْجَاهِلُ يَشْكُو اللهَ إلى الناسِ وهَذَا غَايةُ الجَهْلِ بالْمشْكُو والْمَشْكُو إليه فإنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبّهُ لما شَكَاهُ وَلَوْ عَرَفَ النَّاسَ لَمَا شَكَا إليهم لأنَّهُم مَسَاكِين عَاجِزُونْ. ورُبَّمَا كانُوا مِنِ المُتَشَمِتِّين الذِيْنَ يَفرحُونَ عليه ويَفْرَحُونَ بِمَوتِهِ.

ولا تَشَكَّ إلى خَلْقٍ لِتُشْمِتَهُ شَكْوىَ الجَرِيْحِ إلى الغِرْبَانِ والرَّخَمِ

آخر: كَمْ عائِد رَجُلا وَلَيْس يَعُوْدُهُ إلَّا لِيَنْظُرَ هَلْ يَراهُ يَمُوْتُ

وَرَأى بَعْضُ السَّلَفِ رَجُلًا يَشكُو إلى رَجُلٍ فَاقَتَهُ وضَرُورَتَهُ، فَقَالَ: يا هَذا واللهِ مازِدْتَ على أنْ شَكَوْتَ مَن يَرْحَمُكَ إلى مَنْ لا يَرْحَمُكْ، والعارِفُ إنَّما يشْكُو إلى الله وَحْدَهْ.

وَأعْرَفُ الْعَارِفِيْنَ مَنْ جَعَلَ شَكْوَاهُ إلى اللهِ مِنْ نَفْسِهْ، لَا مِنَ الناسِ فَهُوَ يَشْكُو مِنْ مُوجبَاتِ تَسْلِيط الناسِ عليه، فَهْوَ نَاظِرٌ إلى قَوْلِهِ، وَأخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا أنَّهُ ما يُلَقَّى الأَعْمَالَ الصَّالِحَة وجَزَاءَهَا والْحُظوظَ عَلَيها إلا الصّابرون، فقالَ عن ماقالَهُ أهلُ العلم والإيمان ﴿ويْلَكم ثوابُ اللهِ خيرٌ لِمَنْ آمنَ وعَمِلَ صالحاً ولا يُلَقّاهَا إلا الصَّابرون﴾.

وأخْبَرَ جَلَّ وعلا أنهُ ما يُلَقَّى الْخَصْلَةَ الطَّيبةَ التي هِيَ دَفْعُ السَّيِّئةِ بالحَسَنَة إلَّا الذينَ صَبَروا، فَقَالَ: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إلَّا الذينَ صَبَروا﴾، الآية.

والصَّبْرُ أنْواعٌ صَبْرٌ على طاعةِ الله، بالمُحَافَظَة عَلَيْهَا دَواماً وبرِعَايتِها

إخْلاصاً وَمِن الصَّبْرِ على طاعةِ اللهِ بِرُّ الوالِدِينِ مَادَامَا مَوْجُودَيْنِ وَعَدَمُ التَّضَجُّرِ والتَّأفُفِ مِنْهُمَا واحْتِمَال الأَذى من القَريبِ والجارِ والصَدِيْقِ والزمِيْلِ ومِنْهُ صَبْرُ الأساتذةِ على الطَّلَبةِ واحتَمالِ التَّعبِ في ذَلِكَ وكذَلِكَ الأَطِبّاءُ المُستَقِيْمِيْنَ المُخلِصِيْن في مُعَالَجَة المَرْضَى.

وَصَبْرُ الْغَني عَلى اخْرَاج زَكَاتِه بِدِقَّةٍ وَصَبْرُ المريضِ والمسافرِ على الصلاةِ والطهارةِ لها وصَبْرُ الْمُجَاهِدِ والمتَعَلِّمَ الصادقِ في طَلَبِهِ لِلْعِلِمِ والحاجِّ والسَّاعِي على الأرامِلِ والمساكِيْن.

ومِنْ مَشَقَّةِ السَّفرِ وَعَنَاءِ الطَّلَبِ ومُكَافَحَةِ الأعداءِ والصَّبْرُ على الأَمَر بالمعروفِ والنّهي عن المنكر وقول الحق وإن كانَ مُرّاً ومُسَاعَدةِ الضَّعِيفِ والعَاجِزِ والعَدْلِ في الحُكْم وحِفْظِ الأَمَانَةِ والانْصَافِ مِن النفَس والأقارِبِ ومُواصَلَةِ السَّعِي في ما يُرْضِي اللهَ عَزَّ وَجلّ وحُسْنِ الْخُلق وايْنَاس المُسْلِم الغَريب والصَّمْتِ عن الكلام إلا فِيْمَا يعودُ إليكَ نَفْعه ومُرَاقَبَةِ اللهِ فِيْمَا يَقُولُهُ ويَفْعَلُه.

ودَوامِ الشُّكْر للهِ وصَرْفِ نِعَمِهِ في طَاعَتِهْ، واحْتِرَامِ أَهْلِ الدين وتقدِيرِهِمْ والذَّبِّ عن أعْراضِهِمْ إذا انْتُهِكَتْ، والصَّبْرِ على الأولادِ والأهلِ وحَثّهِمْ عَلى الصَّلاةِ والزكاةِ وسائر الطاعاتْ. والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«فَصْــلٌ»

النَّوعُ الثَّاني: الصَّبْرُ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ خَوْفاً مِن اللهِ ورَجَاءَ ثَوابِه وحَيَاءً مِن الرَّبِّ جَلَّ وعَلا أن يُستَعانَ بِنِعْمِهِ عَلَى مَعَاصِيْهِ فَالصَّبْرُ عن المَعَاصِي لازِمٌ لِسَعَادَةِ الإنسانِ في دُنْيَاهُ وآخِرَتِهِ فإنَّ اللهَ نَهى عِبَادَهُ عن الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ لِيَعِيْشُوا في هَذِهِ الحياةِ الدُّنْيَا مُطْمَئِنين، لا يَنَالُ أحَدُهُمْ مِنْ عِرْضِ أخِيْهِ بالقَولِ والْفِعْلِ ولا يَعْتَدِي أحَدُهُمْ عَلَى غَيْرِه، في مالِهِ وَبَدَنِهِ، ولا تَغُرُّهُمْ الحياةُ الدُّنْيَا

وَزِيْنَتُها، فَيَسْعَوْنَ في الأَرْضِ فَسَاداً، مِن أَجْلِ الحُصُولِ على لَذَّاتِهَا المُضْمَحِلَّةِ الفانِيَةْ، وشَهَواتِها الخَدَّاعةِ الفاسِدَة.

فَمَنْ يَصْبِرْ عَلَى ضَبْطِ لِسَانِهِ عَن الكَلَامِ المُحَرَّمْ، فلا يَغْتَابُ ولا يَنِمُّ ولا يُنَافق بالقول، ولا يكذبُ، ولا يُساعِدُ بقَوْلِهِ ظَالِمَا، ولا يُجَادِلُ بالباطِلِ ولا يَسْخَرُ بالمسلمين، ولا يَحْلِفُ إلا باللهِ صادقاً، ولا يَقْذِفُ مُسْلِماً ولا يُخَاصِمُ لِيقْطَعَ حَقَّ مُسْلِم ولا يَشْهَدُ بالزُوْرِ ولا يُؤْذِي مُسْلِمَاً بالفُحْش والبَذَاءِ فإنهُ بِذَلِكَ يَتَّقِي آفاتِ لِسَانِهِ التي تُفْضِي بالمرءِ إلى الهَلَاكْ.

وَمَنْ يَصْبِرْ على حِفْظِ فَرْجِهِ فلا يَسْتَعْمِلُهُ إِلَّا فِيمَا أَحَلَّهُ اللهُ عَمَلًا بقولِهِ تعالى ﴿والذين هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إلَّا على أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فإنهم غيرُ ملومينَ﴾، فإنهُ بِذَلِكَ يَنْجُو من شَرِّ غوائِلِ الزِّنَا واللِّوَاطِ، وكان أميناً على سلامَةِ عِرْضِهِ، وحِفْظِهِ مِنَ الضَّيَاع.

وَمَنْ صَبَرَ وَرَبَطَ عَقْلَهُ عِنْدَ غَضَبِهِ فَلَا يَبْطِشُ بِيَدِهِ وَلَا يَحْقِدُ بِقَلْبِهِ وَقَدْ ضَبَطَ لِسَانَهُ فَقَدْ سَلِمَ مِنْ مَظَالِمِ خَلْقِ اللهِ، وكَانَ مُسْلِمَا حقاً كما قال ﷺ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُوْنَ مِن لِسَانِهِ وَيَدِهِ» قِصَّةَ يُوْسُفَ مَعَ امرأةِ العَزيز وهي تتعلق في الصَّبر.

ومَمْلُوكاً والمَمْلُوكُ أيضاً لَيْسَ وازِعَهُ كَوَازِعِ الحُرِّ والمرأةُ جَمِيلةٌ، وذاتُ مُنْصِبٍ وَهْيَ سَيِّدَتُهُ وَقَدْ غَابَ الرَّقِيْبُ، وهي الدَّاعِيَةُ إلى نَفْسِها، والْحَرِيْصَةُ على ذَلِكَ أَشَد الْحِرصِ وَمَعَ تَوَعَّدَتْهُ بالسِّجْنِ انْ لَمْ يَفْعَلْ، والصَّغَارِ وَمَعَ هَذِهِ الدَّوَاعِي كُلِّها صَبَرَ اخْتِيَاراً وإِيْثَاراً لِمَا عِنْدَ اللهِ، وأيْنَ هَذَا مِن صَبْرِهْ في الجُبِ على ما لَيْسَ مِنْ كَسْبِهْ، وكان يَقُولُ الصَّبْرُ على أدَاءِ الطَّاعَاتِ أَكْمَلُ مِن الصَّبْرِ على اجْتِنَابِ المُحَرَّماتِ، وأَفْضَلْ فإنَّ مَصْلَحَةَ فِعْلِ الطَّاعَةِ أَحَبُّ إلى الشَّارِعِ مِن مَصْلَحَةِ تَرْكِ المَعْصِيَةِ ومَفْسَدَةُ عَدَمِ الطاعَةِ أَبْغَضُ إليهِ وأَكْرَهُ مِنْ مَفْسَدَةِ وُجُودِ المَعْصِيَةِ.. إنتهى.

قال الإمام أحمد رحمه الله: ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعاً: إنتهى. وهي أنواع: منها تعليق الإمامة في الدين به وباليقين، قال الله تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾، فَبِالصَّبْرِ واليقين، تنال الإمامة في الدين. ومنها: ظفرهم بمعية الله سبحانه لهم، قال تعالى: ﴿إن الله مع الصابرين﴾.

قال أبو علي الدقاق: فاز الصابرون بِعِزِّ الدارين لأنهم نالوا من الله معيته، ومنها: أنه جمع للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم وهي الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم، قال تعالى: ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات مِن ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾.

وقال بعض السلف وقد عزي على مصيبة نالته فقال: ما لي لا أصبر وقد وعدني الله على الصبر ثلاث خصال، كل خصلة منها خير من الدنيا وما عليها، ومنها: أنه سبحانه أباح لهم أن يعاقبوا على ما عوقبوا به ثم أقسم قسماً مؤكداً غَايَةَ التأكيد أن صبرهم خير له فقال: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾.

فتأمل هذا التأكيد بالقسم المدلول عليه بالواو ثم باللام بعده ثم باللام التي في الجواب. ومنها: أنه سبحانه حكم بالخسران حكما عاماً على كل من لم يؤمن ولم يكن من أهل الحق والصبر، وهذا يدل على أنه لا رابح سواهم فقال تعالى: ﴿والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

ولهذا قال الشافعي: لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لوسعتهم وذلك أن العبد كما له في تكميل قوتيه، قوة العلم وقوة العمل وهما الإيمان والعمل الصالح وكما هو محتاج إلى تكميل نفسه فهو محتاج إلى تكميل غيره وهو التواصي

بالحق والتواصي بالصبر وأخِيَّة ذلك وقاعدته وساقه الذين يقوم عليه إنما هو الصبر.

ومنها: أنه سبحانه خص أهل الميمنة بأنهم أهل الصبر والمرحمة الذين قامت بهم هاتان الخلصتان ووصوا بها غيرهم فقال تعالى: ﴿ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة﴾.

وقال إن الإنسان لا يستغني عن الصبر فى حال من الأحوال، فإنه بين أمر يجب عليه امتثاله وتنفيذه، ونهي يَجِبُ عليه اجتنابه وتركه، وقد يجري عليه اتفاقاً، ونعمة يجب شكر المنعم عليها، وإذا كانت هذه الأحوال لا تفارقه، فالصبر لازم إلى الممات.

شِعْرا: كُلُ المَصَائِب قد تَمُرُّ عَلىَ الفَتى ... فَتَهُوْنُ غَيْرَ مُصِيْبَةٍ في الدِّيْن

آخر: هَوِّنْ عَلَيْكَ فكُلُ الأمْرِ يَنْقَطِعُ ... وخَلِّ عَنْكَ عِنَانَ الهَمِّ يَنْدَفِعُ

فَكُلُ هَمٍّ لَهُ مِن بَعْدِهِ فَرَجٌ ... وكلُ أَمْرٍ إذا ما ضَاقَ يَتَّسِعُ

إنَّ البَلَاءَ وإنْ طَالَ الزَّمانُ بِهِ ... فالمَوتُ يَقْطَعُهُ أَوْ سَوْفَ يَنْقَطِعُ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الإيْمَانِ وثَبِّتْهَا عَلى قَوْلِكَ الثَّابِتْ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وَتَوفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَالْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِيْنَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: وكُلُّ ما يَلْقَى العَبْدُ في هذه الدار لا يَخْلُو مِن نوعين: أَحَدُهُمَا: يوافق هَواه ومُرَاده، والآخرُ مُخالِفهُ، وهو مُحَتاجُ إلى الصبر في كُلٍ منهما، أما النوع الموافق لِغَرضِهِ: فكالصحةِ والسلامةِ والجاهِ والمالِ وأنواعِ الملاذِ المباحةِ، وهو أَحْوَجُ شيءٍ إلى الصبرِ فيها مِن وجوه:

أحدهما: أن لا يركن إليها ولا يغتر بها ولا تحمله على البطر والأشر والفرح المذموم الذي لا يحب الله أهله.

الثاني : أن لا ينهمك في نيلها ويبالغ في استقصائها فإنها تنقلب إلى أضدادها ، فمن بالغ في الأكل والشرب والجماع إنقلب ذلك إلى ضده ، وحرم الأكل والشرب والجماع .

الثالث : أن يصبر على أداء حق الله فيها ولا يضيعه فيسلبها .

الرابع : أن يصبر عن صرفها في الحرام فلا يمكن نفسه من كل ما تريده منها ، فإنها توقعه في الحرام ، فإن إحترز كل الإحتراز أوقعته في المكروه ، ولا يصبر على السراء إلا الصديقون ، وقال عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه : إبتلينا بالضراء فصبرنا ، وإبتلينا بالسرَّاء فلم نصبر .

ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والأزواج والأولاد فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ﴾ .

وليس المراد من هذه العدواة ما يفهمه كثير من الناس ، أنها عداوة البغضاء والمحادة بل إنما هي عداوة المحبة الصادة للآباء عن الهجرة والجهاد وتعلم العلم والصدقة وغير ذلك من أمور الدين وأعمال البر .

كما في جامع الترمذي ، من حديث إسرائيل حدثنا سماك عن عكرمة عن بن عباس وسأله رجل عن هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ﴾ قال : هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة فأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ .

فلما أتوا رسول الله ﷺ ورأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوهم ، فأنزل الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ﴾ الآية . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وما أكثر ما فات العبد من الكمال والفلاح بسبب زوجته وولده . وفي

الحديث: الولد مبخلة مجبنة. وقال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب قال حدثني زيد بن واقد قال حدثني عبدالله بن بريدة قال سمعت أبي يقول: كان رسول الله ﷺ يخطبنا فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال: «صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة»، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما. وهذا من كمال رحمته ﷺ ولطفه بالصغار وشفقته عليهم، وهو تعليم منه للأمة الرحمة والشفقة واللطف بالصغار.

وإنما كان الصبر على السراء شديد لأنه مقرون بالقدرة، والجائع عند غيبة الطعام، أقدر منه على الصبر عند حضوره، وكذلك الشبق عند غيبة المرأة، أصبر منه عند حضورها.

مشقة الصبر بحسب قوة الداعي إلى الفعل وسهولته على العبد، فإذا اجتمع في الفعل هذا الأمران كان الصبر عنه أشق شيء على الصابر، وإن فقدا معاً سهل الصبر عنه، وإن وجد أحدهما وفقد الآخر سهل الصبر من وجه وصعب من وجه، فمن لا داعي له إلى القتل والسرقة وشرب المسكر وأنواع الفواحش ولا هو مسهل.

فصبره عنه من أيسر شيء وأسهله، ومن اشتد داعيه إلى ذلك وسهل عليه فعله فصبره عنه أشق شيء عليه، ولهذا كان صبر السلطان عن الظلم، وصبر الشاب عن الفاحشة، وصبر الغني عن تناول الذات والشهوات عند الله بمكان.

وفي المسند وغيره عن النبي ﷺ: عجب ربك من شاب ليست له صبوة ولذلك استحق السبعة المذكورون في الحديث الذين يظلهم الله في ظل عرشه، لكمال صبره ومشقته، فإن صبر الإمام المتسلط على العدل في قسمه وحكمه

ورضاه وغضبه، وصبر الشاب على عبادة الله ومخالفة هواه.

وصبر الرَجل على ملازمة المسجد، وصبر المتصدق على اخفاء الصدقة حتى عن بعضه، وصبر المدعو إلى الفاحشة مع كمال جمال الداعي ومنصبه، وصبر المتحابين في الله على ذلك في حال اجتماعهما وافتراقهما، وصبر الباكي من خشية الله على كتمان ذلك واظهاره للناس من أشق الصبر.

شعْرَا: أَمَا وَالذي لا يَمْلُكُ الأَمْرَ غَيْرُهُ ... وَمَنْ هُوَ بالسِّرِّ الْمُكَتَّمِ أَعْلَمُ
لَئِنْ كَانَ كِتْمَانُ الْمَصَائِبِ مُؤْلماً ... لإِعْلاَنُهَا عِنْدِيْ أَشَدُّ وأَعْظَمُ
وَبِيْ كُلُّ مَا يُبْكِيْ العُيُوْنَ أَقَلُّهُ ... وَإِنْ كُنْت منْهُ دَائِماً أَتَبَسَّمُ

آخر: وقَدْ يَلْبَسُ المرءُ خَزَّ الثِيابْ ... وَمِنْ دُوْنِها حَالَةٌ مُضنِيَةْ
كَمَنْ يَكْتَسِيْ خَدُّهُ حُمْرَةٌ ... وعِلتُهَا وَرَمٌ في الرِّيَهْ

ولهذا كانت عقوبة الشيخ الزاني والملك الكذاب والفقير المحتال أشد العقوبات لسهولة الصبر عن هذه الأشياء المحرمات عليهم لضعف دواعيها في حقهم فكان تركهم الصبر عنها مع سهولته عليهم، دليلاً على تمردهم على الله وعتوهم عليه، ولهذا كان الصبر عن معاصي اللسان والفرج من أصعب أنواع الصبر لشدة الداعي إليهما وسهولتهما.

فإن معاصي اللسان، فاكهة الإنسان، كالنميمة والغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضاً وتصريحاً، وحكاية كلام الناس، والطعن على من يبغضه، ومدح من يحبه ونحو ذلك.

فتتفق قوة الداعي وتيسر حركة اللسان فيضعف الصبر، ولهذا قال ﷺ لمعاذ: «أمسك عليك لسانك» فقال: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، فقال: «وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم».

ولا سيما إذا صارت المعاصي اللسانية معتادة للعبد، فإنه يعز عليه الصبر

عنها، ولهذا تجد الرجل يقوم الليل ويصوم النهار، ويتورع من استناده إلى وسادة حرير لحظة واحدة، ويطلق لسانه في الغيبة والنميمة والتفكه في أعراض الخلق.

وربما خص أهل الصلاح والعلم بالله والدين والقول على الله ما لا يعلم، وكثير ممن تجده يتورع عن الدقائق من الحرام والقطرة من الخمر ومثل رأس الإبرة من النجاسة، ولا يبالي بارتكاب الفَرْجِ الحرام، والله أعلم وصَلى اللهَ عَلَى مُحَمد.

«**فَصْلٌ**»: وقال رَحِمَهُ الله: يَنْدَفِعُ شَرُّ الحاسدِ عن المحسودِ بعشرةِ أسباب: أَحَدُهُما: التعوذُ باللهِ مِن شرِهِ، والتحصنُ به واللَّجَأُ إليه، والله تعالى سميعٌ لإستعاذتِهِ، عليمٌ بما يَستعِيذُ منه، والسمعُ هنا المرادُ به، سمعُ الإجابة، لا السمعُ العامِ، فهو مِثلُ قوله: ﴿سَمِعَ اللهُ لمن حمده﴾، وقول الخليل ﷺ: «إن ربي لسمِيعُ الدعاءِ» ومرة يقرنه بالعلم، ومرة بالصبر، لإقتضاء حال المستعيذ ذلك.

فإنه يستعيذ به من عدو يعلم أن الله يراه، ويعلم كيده وشره، فأخبر الله تعالى هذا المستعيذ أنه سميع لإستعاذته، أي مجيب عليم بكيد عدوه، يراه ويبصره، ليبسط أمل المستعيذ، ويقبل بقلبه على الدعاء.

السبب الثاني: تقوى الله، وحفظه عند أمره ونهيه، فمن أتقى الله تولى الله حفظه، ولم يكله إلى غيره، قال تعالى: ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً﴾، وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس: «أحفظ الله يحفظك، واحفظ الله تجده تجاهك» فمن حفظ الله حفظه الله، ووجده أمامه أينما توجه، ومن كان الله حافظه وأمامه فممن يخاف ومن يحذر.

السبب الثالث: الصبر على عدوه، وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث

نفسه بأذاه أصلاً. فما نصر على حساده وعدوه بمثل الصبر عليه ولا يستطل تأخيره وبغيه. فإنه كلما بغى عليه كان بغيه جنداً وقوة للمبغي عليه المحسود يقاتل به الباغي نفسه، وهو لا يشعر، فبغيه سهام يرميها من نفسه إلى نفسه.

ولو رأى المبغي عليه ذلك لسره بغيه عليه، ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغي، دون آخره ومآله. وقد قال تعالى: ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله﴾ فإذا كان الله قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفى حقه أولاً.

فكيف بمن لم يستوف شيئاً من حقه، بل بغى عليه وهو صابر، وما من الذنوب ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم. وقد سبقت سنة الله: «أنه لو بغي جبل على جبل لجعل الباغي منهما دكا».

السبب الرابع: التوكل على الله، فمن يتوكل على الله فهو حسبه والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو أقوى الأسباب في ذلك فإن الله حسبه، أي كافيه.

ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذى لا بُدَّ منه، كالحر والبرد والجوع والعطش. وإما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبداً. وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء له وهو في الحقيقة إحسان إليه واضرار بنفسه، وبين الضرر الذي يتشفى به منه.

قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاء من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ ولم يقل نؤته كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له ربه مخرجاً من ذلك، وكفاه ونصره.

السبب الخامس: فراغ القلب من الإشتغال به والفكر فيه، وأن يقصد أن يمحوه من باله كلما خطر له، فلا يلتفت إليه، ولا يخافه ولا يملأ قلبه بالفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية، وأقوى الأسباب المعينة على إندفاع شره، فإن هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه.

فإذا لم يتعرض له ولا تماسك هو وإياه بل إنعزل عنه لم يقدر عليه. فإذا تماسكا وتعلق كل منهما بصاحبه حصل الشر، وهكذا الأرواح سواء. فإذا علق روحه وشبثها به وروح الحاسد الباغي متعلقة به يقظة ومناماً، لا يفتر عنه، وهو يتمنى أن تماسك الروحان ويتشبثا.

فإذا تعلقت روح كل منهما بالأخرى عدم القرار، ودام الشر، حتى يهلك أحدهما، فإذا جبذ روحه منه وصانها عن الفكر فيه والتعلق به، وأن لا يخطره بباله. فإذا خطر بباله بادر إلى محو ذلك الخاطر، والاشتغال بما هو أنفع له وأولى به، وبقي الحاسد الباغي يأكل بعضه بعضا.

فإن الحاسد كالنار، فإذا لم تجد ما تأكله أكل بعضها بعضا، وهذا باب عظيم النفع لا يلقاه إلا أصحاب النفوس الشريفة والهمم العلية، وبين الكيس والفطن وبينه حتى يذوق حلاوته وطيبه ونعيمه كأنه يرى من أعظم عذاب القلب والروح اشتغاله بعدوه، وتعلق روحه به، ولا يرى شيئاً آلم لروحه من ذلك.

ولا يصدق بهذا إلا النفوس المطمئنة الوادعة اللينة، التي رضيت بوكالة الله لها، وسكنت إليه، واطمأنت به، وعلمت أن ضمانه حق، ووعده صدق، وأنه لا أَوْفَى بعهده من الله، ولا أصدق منه قيلا، فعلمت أن نصره لها أقوى وأثبت وأدوم، وأعظم فائدة من نصرها هي لنفسها، أو نصر مخلوق مثلها لها، ولا يقوى على هذا السبب إلا بالسبب السادس.

وهو الإقبال على الله، والإخلاص له، وجعل محبته ورضاه والإنابة إليه في

محل خواطر نفسه، وأمانيها تدب فيها دبيب تلك الخواطر شيئاً فشيئاً، حتى يقهرها ويغمرها ويذهبها بالكلية.

فتبقى خواطره وهواجسه وأمانيه كلها في محاب الرب، والتقرب إليه وتمليقه وترضيه، واستعطافه وذكره، كما يذكر المحب التام المحبة محبوبه المحسن إليه الذي قد إمتلأت جوانحه من حبه، فلا يستطيع قلبه إنصرافاً عن ذكره، ولا روحه إنصرافاً عن محبته.

فإذا صار كذلك فكيف يرضى لنفسه أن يجعل بيت أفكاره وقلبه معموراً بالفكر في حاسده والباغي عليه، والطريق إلى الانتقام منه، والتدبير عليه، هذا مالا يتسع له إلا قلب خراب لم تسكن فيه محبة الله واجلاله وطلب مرضاته.

بل إذا مسه طيف من ذلك واجتاز ببابه من خارجه، ناداه حرس قلبه: إياك وحمى الملك، إذهب إلى بيوت الخانات التي كل من جاء حل فيها، ونزل بها، مالك ولبيت السلطان الذي أقام عليه اليزك وأدار عليه الحرس، وأحاطه بالسور.

قال تعالى حكاية عن عدوه إبليس، أنه قال: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾، فقال تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾، وقال: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾، وقال في حق الصديق يوسف ﷺ: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾.

فما أعظم سعادة من دخل هذا الحصن، وصار داخل اليزك، لقد آوى إلى حصن لا خوف على من تحصن به ولا ضيعة على من آوى إليه، ولا مطمع للعدو في الدنو إليه منه. ﴿وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾، والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

«**فَصْلٌ**» : السبب السابع : تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه ، فإن الله تعالى يقول : ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديك﴾ ، وقال لخير الخلق وهم أصحاب نبيه دونه ﷺ : ﴿أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾ .

فما سلط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه ، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها ، وما ينساه مما عمله أضعاف ما يذكره ، وفي الدعاء المشهور : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، واستغفرك مما لا أعلم .

فما يحتاج العبد إلى الإستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يعلمه ، فما سلط عليه مؤذ إلا بذنب ولقي بعض السلف رجل فأغلظ له ونال منه ، فقال له : قف حتى أدخل البيت ، ثم أخرج إليك ، ودخل فسجد لله وتضرع إليه وتاب وأناب إلى ربه .

ثم خرج إليه فقال له : ما صنعت فقال : تبت إلى الله من الذنب الذي سلطك به علي . فليس للعبد إذا بغى عليه وأوذي وتسلط عليه خصومه شيء أنفع له من التوبة النصوح .

وعلامة سعادته : أن يعكس فكره ونظره على نفسه وذنوبه وعيوبه ، فيشتغل بها وباصلاحها وبالتوبة منها ، فلا يبقى فيه فراغ لتدبر ما نزل به ، بل يتولى هو التوبة واصلاح عيوبه ، والله يتولى نصرته وحفظه والدفع عنه ولا بد .

فما أسعده من عبده ، وما أبركها من نازلَةٍ نُزلت به ، وما أحسن أثرها عليه ، ولكن التوفيق والرشد بيد الله ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع . فما كل أحد يوفق لهذا ، لا معرفة به ، ولا إرادة له ، ولا قدرة عليه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله وصَلى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبه أجمعين .

«**فَصْلٌ**» : السبب الثامن : الصدقة والإحسان ما أمكنه ، فإن لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء ، ودفع العين ، وشر الحاسد ، وَلَوْ لم يكن في هذا إلا بتجارب الأمم قديماً وحديثاً لكفى به . فما تكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق .

وإذا أصابه شيء من ذلك كان معاملا فيه باللطف والمعونة والتأييد وكانت له فيه العافية الحميدة . فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته ، عليه من الله جنة واقية ، وحصن حصين .

والجملة : فالشكر حارس النعمة من كل ما يكون سبباً لزوالها . ومن أقوى الأسباب : حسد الحاسد والعائن ، فإنه لا يفترو ولا يني ولا يبرد قلبه حتى تزول النعمة عن المحسود فحينئذ يبرد أنينه ، وتنطفيء ناره ، لا أطفأها الله .

فما حرس العبد نعمة الله عليه بمثل شكرها ، ولا عرضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي الله ، وهو كفران النعمة ، وهو باب إلى كفران المنعم .

فالمحسن المتصدق يستخدم جنداً وعسكراً يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه ، فمن لم يكن له جند ولا عسكر ، وله عدو ، فإنه يوشك أن يظفر به عدوه ، وإن تأخرت مدة الظفر ، والله المستعان .

السبب التاسع : وهو من أصعب الأسباب على النفس وشقها عليها ، ولا يوفق لها إلا من عظم حظه من الله وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه ، فكلما ازداد أذى وشراً وبغياً وحسداً ، ازددت إليه إحساناً ، وله نصيحة ، وعليه شفقة .

وما أظنك تصدق بأن هذا يكون ، فضلا عن أن تتعاطاه ، فاسمع الآن قوله عز وجل : ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ

عظيم، وإمّا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾.

قال: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون﴾ وتأمل حال النبي ﷺ إذ ضربه قومه حتى أدموه، فجعل يسلت الدم عنه ويقول: «اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»، كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان، قابل بها اساءتهم العظيمة إليه.

أحدها: عفوه عنهم، الثاني: استغفاره لهم، والثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لايعلمون، والرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه«اغفر لقومي»، كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به، هذا ولدي، هذا غلامي، هذا صاحبي، فهبه لي. واسمع الآن ما الذي يسهل هذا على النفس، ويطيبه إليها وينعمها به.

إعلم أن لك ذنوباً بينك وبين الله، تخاف عواقبها، وترجوه أن يعفو عنها ويغفرها لك ويهبها لك، ومع هذا لا يَقْتَصِر على مجرد العفو والمسامحة، حتى ينعم عليك ويكرمك، ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ماتؤمله.

فإذا كنت ترجو هذا من ربك، وتحب أن يقابل به إساءتك فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه، وتقابل به إساءتهم ليعاملك الله تلك المعاملة.

فإن الجزاء من حسن العمل فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل معك في ذنوبك واساءتك جزاءً وفاقاً، فانتقم بعد ذلك أو أعف، وأحسن أو أترك، فكما تدين تدان وكما تفعل معه يفعل معك.

فمن تصور هذا المعنى، وشغل به فكره، هان عليه الإحسان إلى من أساء إليه، وهذا مع مايحصل له بذلك من نصر الله ومعيته الخاصة، كما قال النبي ﷺ للذي شكى إليه قرابته، وأنه يحسن إليهم، وهم يسيئون إليه فقال: «لا يزال معك من الله ظهير مادمت على ذلك».

هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه ويصيرون كلهم معه على خصمه فإن كل من سمع إنه محسن إلى ذلك الغير، وهو مسيىء إليه وجد قلبه ودعاءه وهمته مع المحسن على المسيىء وذلك أمر فطري، فطر الله عليه عباده، فهو بذلك الإحسان قد استخدم عسكراً لا يعرفهم ولا يعرفونه ولا يريدون منه اقطاعاً ولا خَيْراً.

هذا مع أنه لا بد له من عدوه و حاسده من احدى حالتين: إما أن يملكه بإحسانه، فيستعبده وينقاد له ويذل له ويبقى الناس إليه، وإما أن يفتت كبده ويقطع دابره، وإن أقام على إساءته إليه، فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه.

ومن جرب هذا عرفه حق المعرفة، والله الموفق والمعين، بيده الخير كله، لا إله غيره، وهو المسؤول أن يستعملنا وإخواننا في ذلك بمنه وكرمه وفي الجملة ففي هذا المقام من الفوائد ما يزيد على مائة منفعة للعبد عاجلة وآجلة.

السبب العاشر: وهو الجامع لذلك كله، وعليه مدار هذه الأسباب وهو تجريد التوحيد، والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم، والعلم بأن هذه الآلات بمنزلة حركات الرياح وهي بيد محركها، وفاطرها وبارئها، ولا تضر ولا تنفع إلا بإذنه.

فهو الذي يحسن عبده بها، وهو الذي يصرفها عنه وحده لا أحد سواه، قال تعالى: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾.

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنه: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك.

فيرى أن إعماله فكره في أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص

توحيده، وإلا فلو جرد توحيده لكان له فيه شغل شاغل والله يتولى حفظه والدفع عنه، ولا بد وإن مزج له وإن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة.

كما قال بعض السلف: من أقبل على الله بكليته أقبل الله عليهِ جُمْلَةً ومَن أعرضَ عن الله بكليته أعرضَ الله عنه جُمْلَةً ومَن كان مَرةً ومرةً فالله مرة ومرة، فالتوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين.

قال بعض السلف: من خاف الله خافه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء.

هذه عشرة أسباب يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر، وليس له أنفع من التوجه إلى الله وإقباله عليه، وتوكله عليه، وثقته به، وأن لا يخاف معه غيره، بل يكون خوفه منه وحده، ولا يرجو سواه، بل يرجوه وحده.

فلا يعلق قلبه بغيره، ولا يستغيث بسواه، ولا يرجو إلا إياه، ومتى علق قلبه بغيره ورجاه وخافه وكل إليه وخذل من جهته، فمن خاف شيئاً غير الله سلط عليه ومن رجا شيئاً سوى الله خذل من جهته وحرم غيره، وهذه سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

شِعْرًا: وإذَا اعْتَمَدْتَ على الإِلٰهِ حَقِيْقَةً ... نَمْ فالمَخَاوُف كُلُّهُنَّ أَمَانُ

اللَّهُمَّ الهمْنا ذكركَ وشُكرِكَ وأرزقْنا الاستقامَة طوعَ أَمْرِكَ وَتَفضّلْ علينا بعافِيتكَ وجَزيلِ عَفوكَ واغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

شِعْرًا: أَرَى الصَّبْرَ مَحْمُوداً وَعَنْهُ مُذَاهِبٌ ... فكيف إذَا مَا لَم يكُنْ عَنْهُ مَذْهَبُ

هُنَاكَ يَحِقُّ الصَّبْرُ والصَّبْرُ واجبٌ ... وما كانَ مِنْهُ لِلضَّرُورَةِ أَوْجَبُ

هُوَ الْمَهْرَبُ الْمُنجِيْ لِمَنْ أَحْدَقَتْ به ... مَكَارِهُ دَهْرٍ لَيْسَ مِنْهُنَّ مَهْرَبُ

أَعُدُّ خِلَالًا فليهِ لَيْسَ لِعَاقِلٍ ... مِن الناس إنْ أُنْصِفْنَ عَنْهُنَّ مَرْغَب
لَبُوسُ جَمَالٍ جُنَّةٌ مِن شَمَاتَةٍ ... شِفَاءُ أسىً يُثْنَى بِهِ ويُثَوَّبُ
فَيَا عَجَباً لِلشَّيْءِ هَذِي خِلَالُهُ ... وَتَارِكُ ما فيهِ مِن الحَظِّ أَعْجَبُ

آخر: كُنْ حَليماً إذَا بُلِيْتَ بغَيْظٍ ... وَصَبُوراً إذَا أَتَتْكَ مُصِيْبَةْ
فاللَّيَالِي كَأَنَّهُنَّ حُبَالَى ... مُثْقَلاتٌ يَلِدْنَ كُلَّ عَجِيْبَةْ

آخر: اصْبِرْ فَفِي الصَّبْرِ خَيْرٌ لَوْ عَلِمْتَ بِهِ ... لَكُنْتَ بَارَكْتَ شُكْراً صَاحِبَ النِّعَمِ

آخر: إنِي رَأَيْتُ الصَّبرَ خَيْرَ مُعَوَّلٍ ... في النائِبَاتِ لِمَنْ أَرَادَ مُعَوَّلَا
فإذَا نَبَا بِي مَنْزِلٌ جَاوَزْتُهُ ... وَجَعَلْتُ مِنهُ غَيرَهُ لِي مَنْزِلَا
وإذَا غلا شَيءٌ عَلَيَّ تَرَكْتُهُ ... فَيَكُونُ أَرْخَصَ مَا يَكُونُ إذا غَلَا

آخر: صَبَرْتُ على بَعْضِ الأَذَىَ خَوفَ كُلِّه ... والْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فاسْتَقَرَّتِ
وَجَرَّعْتُهَا المَكْرُوهَ حَتَّى تَدَرَّبَتْ ... وَلَوْ حُمِّلَتْهُ جُمْلَةً لَاشْمَأَزَّتِ
فَيَارُبَّ عِزٍ جَرَّ لِلنَّفْسِ ذِلَّةً ... وَيَارُبَّ نَفْسٍ بالتَّذَلُّلِ عَزَّتِ
ومَا العِزُّ إلَّا خِيْفَةُ الله وَحْدَهُ ... وَمَنْ خَافَ مِنْهُ خَافَهُ مَا أَقَلَّتِ
وَما صِدْقَ نَفْسِي إنَّ في الصِّدْقِ حَاجَتِيْ ... فأَرْضَى بِدُنْيَايَ وَإنْ هِيَ قَلَّتِ
وأَهْجُرُ أَبْوَابَ المُلُوكِ فَإِنَّنِي ... أَرَى الحِرْصَ جَلَاباً لِكُلِّ مَذَلَّةِ
إذَا مَا مَدَدْتُ الكَفَّ التَمِسُ الغِنَى ... إلى غَيْرِ مَن قَالَ اسْأَلُونِيْ فَشُلَّتِ
إذَا طَرَقَتْنِيْ الحَادِثَاتُ بِنَكْبَةٍ ... تَذَكَّرْتُ مَا عُوْفِيْتُ مِنْهُ فقَلَّتِ
وَمَا نَكْبَةٌ إلَّا ولِلَّهِ مِنَّةٌ ... إِذَا قَابَلَتْهَا أَدْبَرَتْ واضْمَحَلَّتِ

اللَّهُمَّ باعِدْ بَيْنَنَا وبَيْنَ خَطَايَانَا كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ وَنَقِّنَا مِن الذُنُوبِ والخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِن الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ ظَلَمْنَا أَنْفسنَا فاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَهَبْ لَنَا تَقْوَاكَ وَاهْدِنَا بِهُدَاكَ وَلَا تَكِلْنَا إلى أَحدٍ سِواكَ واجْعَلْ لَنَا مِن كُلِّ هَمٍ فَرَجا، وَمِنْ كُلِّ ضِيْقٍ مَخْرَجا، اللَّهُمَّ اعِذْنَا بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخطِكَ واحْفَظْ جَوارِحَنَا مِنَ مُخَالَفَةِ أَمرِكْ وَاغْفِرَ لَنَا

وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْن بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــلٌ»

وَكَمَا وَرَدَ فِي مَدْحِ الصَّبْرِ والحَثِّ عَلَيْهِ آياتٌ، ذَكَرْنَا طَرَفاً مِنها فَكَذَلِكَ وَرَدَتْ أَحَادِيْثُ نَذْكُرُ إنشَاءَ اللهُ طَرَفاً مِنها مِن ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَن صُهَيْبِ بنِ سِنَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إن أَمْرَهُ كُلَّهُ خيرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إلا لِلمُؤْمِنِ إنْ أصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وانْ أصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فكَانَ خَيْرَاً لَهُ» رواه مسلم.

وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وما أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرَاً وأَوْسَعَ مِن الصَّبْرِ» متفق عليه.

وعن أبي مَالِكٍ الحَارِثِ بنِ عاصِمٍ الأَشْعَرِي قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «الطُّهُوْرُ شَطْرُ الإيمانِ، والحَمْدُ للهِ تَمْلَأ المِيْزَانَ وسُبْحَانَ اللهِ والحمْدُ للهِ تَمْلآنِ مَا بَيْنَ السمواتِ والأَرْضِ، والصلاةُ نُورٌ، والصدقةُ بُرْهَانٌ، والصبرُ ضِيَاءٌ، والقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ الناسِ يغدوُ فَبَائِعٌ نَفسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا» رواه مسلم.

وعن أبي هريرةَ وأبِي سعيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النبي ﷺ، قالَ: «مَايُصِيْبُ المُؤْمِنَ مِن نصبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍ ولا حَزَنٍ ولا أذى ولَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إلا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِن خَطَايَاهُ» متفق عليه.

وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا أرادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ في الدنيا وإذا أَرَادَ اللهُ بعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عنه بذَنْبِهِ حَتَّى يُوافِي بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»، وقالَ النبيُّ ﷺ: «إنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ وإن

اللّٰه إذا أحَبَّ قوْماً إبْتَلاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَن سَخِطَ فَلَهُ السَّخْطَ » رواه الترمذي وقال حديث حسن.

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قالَ : « لَيْسَ الشَّدِيْدُ بالصُّرَعَةِ ، إنَّمَا الشَّدِيْدُ الذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ » متفق عليه . وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رسولُ اللّٰهِ ﷺ : « ما يَزَالُ البَلَاءُ بالمؤمِن والمؤمنةِ في نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ ومالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللّٰهَ ومَا عَلَيه خَطِيْئَةٌ » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وعن مِصْعَبِ بنِ سَعْدٍ عن أبيهِ قَالَ قُلْتُ يارَسُولَ اللّٰهِ أَيُ الناسِ أَشَدُّ بَلَاءً ، قَالَ : « الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فالأَمْثَلُ يُبْتَلَى الرجلُ حَسَبَ دِيْنِهِ فإنْ كَانَ في دِيْنِهِ صَلْباً اشْتَدَّ بَلاؤُهُ ، وإنْ كَانَ في دِيْنِهِ رِقَّةٌ ابْتَلَاهُ اللّٰهُ عَلَى حَسَبِ دِيْنِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ في العَبْدِ حَتَّى يَمْشِيْ على الأَرْضِ ومَا عَلَيهِ خَطِيْئَةٌ » رَوَاهُ ابنُ مَاجة وابنُ أبِي الدنيَا والترمذيُ وقال حديثٌ حسنٌ صَحِيْح.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وفي ماله وفي ولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة » ، وقال أبو هريرة دخل أعرابي على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : « أخذتك أمُ مُلْدِم » قال : وما أمُ مُلْدِم . قال : « حَرٌ يكونُ بَيْنَ الجِلْدِ واللَّحم » قال : ما وجدت هذا قط . قال : « فهَلْ أخذك الصداع » قال : وما الصداع . قال : « عِرْقٌ يَضْرِبُ على الإنسان في رَاسِهِ » قال : ما وجدتُ هَذا قَط فَلَمَّا وَلَّي قال : « مَن أحَبَّ أن يَنْظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا » رواه أحمد.

وعن جابر قال أسْتَأذَنَتِ الحُمى على رسول الله ﷺ فقال : « مَن هَذِه » قالَتْ : أُمُ مَلْدَم فأَمَرَ بها إلى أهل قُبَاء فلَقُوا منها ما يعلم الله فأتوه فشكو ذلك إليه قال : « ما شِئْتُم إن شِئتُم أن أدعو الله لكم فَيَكْشِفُها عنكم وإنْ شِئْتُم أن تكونَ لكم طهُوْرَا » قالوا : يارسول الله أو يَفْعَل . قال : « نَعَمْ » قالوا : فدَعْهَا يارسول الله.

شِعْرا: تَطْرُقُ أهْلَ الفَضْلِ دون الوَرَى   مَصَائبُ الدنيا وآفاتُها
كَالطَّيْرِ لَايُسْجَنُ مِن بَيْنَهَا   إلا التِي تُطْرِبُ أصواتُها

ولابن حِبانَ في صَحِيْحِهِ مِن رِوايةِ العَلاءِ بنِ المُسَيَّبِ عن أَبيْهِ عن سَعْدٍ قال: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أيُّ الناس أَشَدُّ بَلاءً، قال: «الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فالأَمْثَلُ يُبْتَلَى الناسُ على حَسَبِ دِيْنِهِم، فَمَنْ ثَخُنَ دِيْنُهُ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، ومَنْ ضَعُفَ دِيْنُهُ ضَعَفَ بلاؤُهُ، وانَّ الرَّجُلَ لَيُصِيْبُهُ البَلاءُ حَتَّى يَمْشِيْ في الناسِ وما عَليهِ خَطِيْئَةٌ».

وعن أبي سعيدٍ أنَّه دَخَلَ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وهُوَ مَوْعُوكٌ عَلَيهِ قَطِيْفَةٌ فَوَضَعَ يَدَهُ فَوْقَ القَطِيْفَةِ، فَقَالَ ما أَشَدَّ حُمَّاكَ يارسولَ اللهِ، قال: «إِنَّا كَذَلِكَ يُشَدَّدُ عَلَيْنَا البَلَاءُ ويُضَاعَفُ لَنَا الأَجْرُ».

ثُم قَالَ يَارَسُولَ اللهِ مَنْ أَشَدُّ الناسِ بَلَاءً، قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ»، قَالَ ثُمَّ مَنْ، قَالَ: «العُلَمَآءُ»، قَال ثُمَّ مَنْ، قَالَ: «الصَّالِحُونَ كَانَ أَحَدُهُمُ يُبْتَلَى بالقَمْلِ حَتَّى يَقْتُلَهَ ويُبْتَلَى أَحَدُهُمْ بالفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ إِلَّا العَبَاءَةَ يَلْبَسُهَا، وَلا أَحَدَهُمُ كَانَ أَشَدُّ فَرَحاً بالبَلَاءِ مِن أَحَدَكُم بالعَطَاءِ» رواه ابن ماجة وبن أبي الدنيا والحاكم واللفظ له وقال صحيح على شرط مسلم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ الرجلَ لَيَكَونُ لَهُ عِنْدَ اللهِ المَنْزِلةُ فَمَا يَبْلُغُهَا بعَمَلٍ فَمَا يَزَالُ يَبْتَلِيَهُ بما يَكْرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ إياها» رواه أبو يعلى وابن حبان في صحيحه من طريقة وغيرهما.

وعن مُحَمَّدِ بنِ خالدٍ عن أبيهِ عن جَدِّهِ وكانْتَ لَهُ صُحْبَةٌ مِن رسولِ اللهِ ﷺ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إنَّ العَبْدَ إذَا سَبَقَتْ لَهُ مِن اللهِ مَنْزِلَةٌ فلَمْ يَبْلُغْهَا بعَمَلٍ ابْتَلَاهُ اللهُ في جَسَدِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يُبَلِّغَهُ المَنْزِلَةَ التي سَبَقَتْ لَهُ مِن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» رواه أحمد وأبو داود وأبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط.

ورُوِيَ فيه أَيْضاً عنه قالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِن اللهَ لِيُجَرِّبَ أَحَدَكُم بالبَلاءِ كَمَا يُجَرِبُ أَحَدُكُم ذَهَبَهُ بالنارِ، فَمِنْهُ مَا يَخْرُجُ كَالذَّهَبِ الإبْرِيز فَذاكَ الذِي حَمَاهُ اللهُ مِن الشُّبُهَاتِ ومنه مايَخْرُجُ دُوْنَ ذَلِكَ فَذَلِكَ الذِيْ يَشُكُّ بَعْضَ الشّكِ ومنه ما يَخْرُجُ كالذهَبِ الأَسْودِ فَذَلِكَ الذي افتُتِنَ»، وصَلّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

«موعظـــة»

عَبَادَ اللهِ كُلُّنَا وَلِلَّهِ الحَمْدُ قَدْ رَضِيَ باللهِ رَباً وبالإسلام دِيْناً، وبمُحَمَّدٍ نَبياً وَرَسولًا، وبالقُرآن إمَاماً، والكَعْبَةِ قِبْلَةً وبالمؤمنينَ إخواناً وتَبرأنَا مِن كُلِ دِيْنٍ يُخَالِفُ دِيْنَ الإِسلامِ، وآمَنَّا بكُلِ كِتَابٍ أَنْزَلُهُ اللهُ، وبكُلِ رسولٍ أَرْسَلَهُ اللهُ، وبملائكةِ اللهِ وبالقدرِ خَيْرِهِ وشرِهِ وباليَوْمِ الآخِرِ وبكلِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ عن اللهِ، عَلَى ذَلِكَ نَحْيَا، وعليه نَمُوتُ، وعليه نُبْعَثُ إِنْشَاءَ اللهُ مِن الآمِنِيْنَ الذينَ لا خوفٌ عليهم ولا هم يَحْزَنُونَ بفَضْلِهِ وكرمِهِ.

ثُمَّ اعْلَمُوا مَعَاشِرَ الإِخْوَانِ إِنَّه مَن رَضِيَ باللهِ رَباً لَزِمَه أَنْ يَرْضَى بتَدْبيْرِهِ، واخْتِيَارِهِ لَهُ، وبِمُرِّ قَضَائِهِ، وَأَنْ يَقْنَع بِمَا قَسَمَ لَهُ مِنَ الرِّزق، وأَنْ يُدَاوِمَ عَلَى طَاعَتِهِ، ويُحَافِظَ على فَرَائِضِهِ، ويَجْتَنِبْ مَحَارِمَهُ، ويَكوُنُ صَابِراً عِنْدَ بَلاَئِهِ، مُوَطِّناً نَفْسَهُ على ما يُصِيْبُهُ مِن الشَّدائِدِ، بَعِيْداً كُلَّ البُعْدِ عَن نارِ الجَزَعِ، التي تَتَأَجَّجُ فِي قَلْبِ كُلِ امْرِىءِ يَجْهَلُ بَارِئَهُ وَمَوْلاَهُ.

فإنَّ رَأَيْتَ نَفْسَكَ أَيُّهَا الأَخُ تُرِيْدُ أَنْ تَجْزَعَ عِندَ مُلِمَّةٍ، فَقِفْ أَمَامَهَا مَوْقِفَ النَّاصِحِ القَدِيْرِ، أَفْهِمْهَا أَنَّهَا هِيَ السَّبَبُ فِيْمَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن بَلاَءٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبْير.

وإنْ لَمْ تُصَدِّقْكَ فاقْرَأْ عَلَيْهَا قَولَ اللهِ تعالى: ﴿وما أَصَابَكُم مِن مُصِيْبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيديْكُمْ وَيعْفُو عن كَثِير﴾ فإنَّهَا إذا سَمِعَتْ ذَلِكَ وَجَّهَتِ اللَّومَ

إلى نَفْسِهَا على مَعَاصِيْهَا، وهَدأَتْ منها الثَّوْرَةُ الثَّقِيْلَةُ.

وأَفِهْمْهَا أَنْ لَيْسَ بَيْنَها ولا بَيْنَ رَبِهَا عَدَاوَةٌ، فإِنَّهُ بِعَبادِهِ الرَّءُوْفُ الرَّحِيْمُ، وأَفْهِمْاَ أَنَّ البَلايَا قَدْ تَلْزَمُ العَبْدَ حَتَّى يُصْبِحَ مَغْفُوْرَةً ذُنُوْبُه كُلُّها، صَغِيرُهَا، والكَبْير، وأَفِهْمْهَا أنْ نَتِيْجَةُ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ البَلايَا يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةُ في أَمْنِ مَوْلاهُ الكَرِيْم.

فَعَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنه» رواه البخاري، وفي حديث أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا أَرادَ اللهُ بِعَبْدِهَ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ في الدُنْيا».

وقال ﷺ: «أنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ وإنَّ الله إذَا أَحَبَّ قَوماً ابْتَلاهُمْ» الحديث.

وفي حديث أبي هريرةَ قال: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَا يَزَلُ البَلَاء بالمومِن والمُؤْمِنَةِ في نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ ومَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ تعالى وما عليه خَطِيْئَةٌ» رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح، أَفَهْمْ نَفْسَكَ كُلَّ ذَلِكَ فإِنَّهُ يُخَفِفْ عَنْهَا آلامَ البَلَايَا، وَرُبَّمَا جَعَلَهَا مِن المَحْبُوْبَاتِ.

وافْهِمْهَا أنَّ اللهَ وَعَد الصَّابِرِيْنَ أَنَّ يَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَاب وأَفْهِمْهَا أنَّ اللهَ حَكِيْمٌ في كُلِ تَصَرفَاتِهِ، وقُلْ لَهَا أَنَّ الجزَعَ لا يُرُدُّ مَا نَزَل مِن البَلاءِ أَبَدًا، بَلْ مَا دَبَّرَهُ الحَكِيْمُ العَلِيْمُ لَا بُدَّ مِن وُقُوْعِهِ فَلَا فائِدَة في الجَزَعِ والحُزْنِ، وقُلْ إنَّ عَاقِبَةَ الجَزَعِ والتَّسَخْطَ النَّارُ، وعاقِبَةُ الصَّبْرِ والرِّضَا بِمَا قَضَاهُ اللهُ الجَنَّةِ، وقلْ إن شَمَاتَةَ الأَعْدَاءِ في الجَزَعِ، وغَيْظُهُمْ في الصَّبْرِ، الذي يَتَأَكَدُ لُزُوْمُهُ عَلَى الرِّجَالِ والنِّسَاءِ.

وتَأَكَّدْ واطْمَئِنَّ أَنَّهَا إذا سَمِعَتْ مِنْكَ كُلَّ ذَلِكَ رَضِيَتْ بإذنِ الله كُلَّ الرِّضَا، ولَزِمَتِ الآدَابَ، فَتَعِيْشُ كُلَّ حَيَاتِهَا تَرُوْحُ وتَغْتَدِيْ في جَنَّةِ رِضَاهَا،

مَهْمَا بَرِحَتْ بِهَا البَلايَا والأَوْصَابُ، وبذَلِكَ مَعَ تَوْفِيْقِ اللهِ تعالى تَجْمَعُ بَيْنَ سَعَادَةِ الدُّنيا والآخِرَةِ وهكذا تكونُ عَوَاقِبُ الصَّابِرِيْنَ الأَبْطال.

شِعْرًا: وأَصْبَحْتُ فيما كنت أبغي من الغنا إلى الزُهْدِ في الدنيا الدنية أحْوَجَا
وحَبَّسْتُ نفسي بَيْن بَيْتِي ومَسْجِدِي وَقَدْ صِرْتُ مِثل النَّسْرِ أَهْوَى التعَرُجَا

آخر: ما أَحْسَنَ الصَّبْرَ في الدُنْيَا وأَجْمَلَهُ عِنْدَ الإِلٰهِ وأَنْجَاهُ مِن الجَزَعِ
مَنْ شَدَّ بالصَّبْر كَفاً عِنْدَ مُؤْلِمَةٍ أَلْوتْ يَدَاهُ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْقَطِعِ

اللَّهُمَّ نَوِّر قُلُوبَنَا واشْرَحْ صُدُوْرَنَا ويَسِّرْ أُمُوْرَنَا وأحْسِنْ مَنْقَلَبَنَا وأيّدْنَا بِرَوْحٍ مِنْكَ ووفقنا لِمَا تُحِبُهُ وترضَاهُ وثَبِّتْنَا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبنا واستر عُيُوبَنَا واكْشِفْ كُرُوْبَنَا وأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وأَلِّفْ في طاعَتِكَ وطاعةِ رَسُولِكِ بَيْنَ قُلُوبِنَا وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِـهِ وَصَحْبِـهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــلٌ»

ويَكْفِيْ فِي مَدْحِ الصَّبْر وشَرَفِهِ وَعُلوِّ مَكَانَتِهِ وأَنَّهُ لَا يَنَالُهُ إِلَّا مَنْ وَفقهُ اللهُ، أنَّ الصَّبْرَ طَرِيْقَةُ الرُسُلِ عليهم أَفْضَلُ الصلاةِ والسلام، فَقَد قال اللهُ تَعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ وصفوةِ خَلْقِهِ: ﴿ولَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوْا على مَا كَذِبُوْا وأُوْذُوا حَتَّى أتاهُم نَصرُنا ولا مُبَدِلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾، وَقَالَ: ﴿فاصْبِرْ إنَّ العاقبة لِلْمُتقين﴾.

فبَيَّنُ تعالى أنَّ كُلَّ رسولٍ أَرْسَلَهُ إلى أُمَّةٍ مِن الأُمَمِ لَاقَى أَذىً وأَلَماً مِن قَوْمِهِ وتَكْذِيْباً، وقال لِرسولَهِ ﷺ آمِراً ومُسَلِّياً ﴿فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْم مِن الرسل﴾ الآية.

أَلَا وإِنَّ مِن حِكْمَةِ اللهِ في تَعْرِيْضِ صَفْوَةِ خَلْقِه لِهَذِهِ المَكَارِهِ والأَذَايَا،

وفي أمْرِهِمْ بالصَّبْرِ عَلَيْهَا إِفْهَاماً لِخَلْقِهِ أنَّ الدُنْيَا دَارُ بَلاءٍ واخْتِبَارٍ، لَا دَارُ مَقامٍ ولَذّةٍ، واسْتِقْرَارٍ، وأَنَّهَا مَحْدُوْدَةَ الأَجلِ، مَقْصُوْدٌ مِنْهَا صَالِحُ العَمَلِ.

فانْظُر إلى آدَمَ عَليهِ السلامُ وما نَزلَ بِهِ من الآلام والأَحْزَانِ أَخْرَجَهِ اللهُ بِفْتَنةِ إِبْلِيْسَ مِن جَنَّتِهِ، وأَهْبطَهُ إلى الأَرْضِ لِيَعْمُرَهَا هُوَ وأَبْنَاؤُهُ، وهِيَ دَارُ العَنَاءِ والفَنَاءِ وذَاقَ ثُكْلَ وَلَدِهِ هَابِيْلَ باعْتداءِ أَخِيْهِ عَليهِ قَابِيْلَ.

وانْظُر أَوَّلَ رَسُولٍ أَرْسِلَ إلى أَهْلِ الأَرْضِ نُوحٍ عَلَيهِ وعلى نَبِيِّنَا أَفَضْلُ الصلاةِ والسلامِ وَقَدْ مَكَثَ يَدْعُو قَومَهُ ألفَ سَنَةٍ إلا خَمْسِيْنَ عَاماً (٩٥٠) وهم يَهْزَؤُنَ ويَسْخَرُوْنَ مِنْهُ يَدْعُوْهُم لَيْلًا ونهاراً سِراً وجِهَاراً ولم يَتوانَا ولَمْ يَضْجَرْ ولَمْ يَمَلَّ بَلْ واصَلَ الجُهُودَ النَبِيْلَةَ الخَالِصَةَ الكَرِيمَةَ بلا مَصْلَحةٍ لَهُ وَلا مَنْفَعةً مِنْهُمْ.

ويَحْتَمِلُ في سَبِيْلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الاسْتكبارَ والإِعْرَاضَ، هذَهَ المُدَّةَ الطَّوِيْلَةِ والمْسْتَجِيْبُونَ لا يَزِيْدُونَ، والمُعْرِضُونَ في زِيَادَةٍ، ولَمَّا أَيسَ مِن إِيّمانِهِم أُمِرَ أَنْ يَصْنَعِ الفُلْكَ فَكَانُوا إذا مَرُوْا عَليهِ ضَحِكُوا مِنْه وسَخِرُوْا وقَالُوا كانَ بالأَمْسِ نَبياً واليَوْمَ نَجاراً ولا يَزِيْدُ مِن جَوَابِهِ عَلى أنْ يَقُولَ ﴿إنْ تَسْخَرُوْا مِنَّا فإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُم كَما تَسْخَرُوْنَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأتِيْهِ عَذابٌ يُخْزِيْهِ ويَحِلُ عَلَيه عَذَابٌ مُقِيْمٌ﴾.

وزَادَ بَلَاؤُهُ أَنْ أُغْرِقَ ابْنُهُ وهُوَ يَنْظُرُ إليهِ ولا يَسْتَطِيْعُ لَهُ إِنْقَاذاً إِذْ قَدْ غَلَبَ عَلَى الابنِ الشَّقَاءُ فَنَاجَى رَبَّهُ نَوحٌ فقال لَه رَبُّهُ «يانُوْحُ إنه لَيْسَ مِن أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالحٍ».

ثم انْظُر إلى شَيْخِ المُرْسَلِين وَجَدِّ المُسْلِمِيْنَ خَلِيْلِ الرحمنِ عليه السلامُ ومَا تَجرَّعَ مِن الغُصَص والآلام فَقَدْ جَدَّ في دَعْوَةِ أَبِيْهِ إلى التَّوْحِيْدِ حَتَّى هَدَّدَهُ أَبُوْهُ بالرجْمِ والتَّعْذِيْبِ وقَوْمُهُ قالُوا اقْتُلُوهُ أوْ احَرِّقُوهُ ثُمَّ مَا جَرى عَليهِ حينَ أُمِرَ بِذَبْحِ ابْنِهِ فأَقْدَمَ عَلَى ذَلِكَ.

ثم انْظُر إلى مُوْسَى ومَا جَرَى عليه وما لاقَى فِي أَوَّل أَمْرِهِ وآخِرِهِ مَعَ فِرْعَونَ لَعَنَهُ اللهُ وقَوْمِهِ ثُمَّ انْظُرْ إلى عِيْسَى عليه السلامُ وما لَقِيَهُ مِن قَذْفِ أمِّهِ وَقَذْفِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا واضْطِهَادِ بَنِيْ إِسْرَائِيلَ قَوْمَهُ حَتَّى ائتمروْا عَلَى صَلْبِهِ.

ثُمَّ انْظُرْ إلى لُوْطٍ عَلَيهِ السَّلامُ وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ قَومِهِ المُنْحَرِفِيْنَ الشَّاذِيْن المُسْتَهْتِرِيْنَ بالنُذُرِ، قَالَ تعالى: ﴿فمَا كَانَ جَوابَ قومِهِ إلا أَنْ قَالُوا ائتِنا بعذَابِ اللهِ﴾ الآية، فَصَبَرَ إلى أن نَصرَهُ اللهُ وَأَرسْلَ عَلى قَومِهِ حاصِباً وجَعَل عَالِيَهَا سَافِلَها واللهُ على كلِ شَيْءٍ قَدِيْر وهو نِعْمَ المَوْلَى ونِعْمَ النّصِيْر.

شِعْرا: ثَمَانيَةٌ حَتْمٌ عَلَى سائِر الْوَرَى ... فكُلُّ إمْرِىءٍ لابُدَّهُ من ثَمَانِيَهْ
سُرُوْرٌ وَاجْتمَاعٌ وَفُرْقَةٌ ... وَعُسْرٌ وَيُسْرٌ ثم سُقْمٌ وَعَافِيَهْ

آخر: إنَّ الحَيَاةَ مَنَامٌ والمَآلُ بِنَا ... إلَى انْتِبَاهٍ وَآتٍ مِثْلُ مُنْعَدِمِ
وَنَحْنُ في سَفَرٍ نَمضِيْ إلَى حُفَرٍ ... فَكُلُّ آنٍ لَنَا قُرْبٌ مِنْ العَدَمِ
وَالمَوْتُ يَشمَلُنَا وَالحَشْرُ يَجْمَعُنَا ... وَبالتُّقَى الفَخْرُ لَا بالمَالِ وَالحَشَمِ
صُنْ بالتَّعَفُّفِ عِزَّ النَّفْسِ مُجْتَهِداً ... فالنَّفْسُ أَعْلَى مِنْ الدُّنْيَا لِذِي الهِمَمَ
وَاغْضُضْ عُيُونَكَ عَنْ عَيْبِ الأَنَامِ وَكُنْ ... بِعَيْبِ نَفْسِكَ مَشْغُولًا عَنْ الأُمَمِ
فَإنَّ عَيْبَكَ تَبْدُوْ فِيْكَ وَصْمَتُهُ ... وَأَنْتَ مِنْ عَيْبِهِمْ خَالٍ مِنْ الوَصَمِ
جَازِيْ المُسِيءَ بإِحْسَانٍ لِتَمْلِكَهُ ... وَكُنْ كَعُودٍ يَفُوحُ الطِّيْبُ في الضَّرَمِ
وَمَنْ تَطَلَّبَ خِلًّا غَيْرَ ذِيْ عِوَجٍ ... يَكُنْ كَطَالِبِ مَاءٍ مِنْ لَظَى الفَحَمِ
وَقَدْ سَمِعْنَا حِكَايَاتِ الصَّدِيْقِ وَلَمْ ... نَخُلْهُ إلَّا خَيَالًا كَانَ فِيْ الحُلُمِ
إنَّ الإقَامَةَ فِيْ أَرْضٍ تُظَامُ بِهَا ... وَالأَرْضُ وَاسِعَةٌ ذُلٌّ فَلَا تُقِمِ
وَلَا كَمَالَ بِدَارٍ لَا بَقَاءَ لَهَا ... فيَالَهَا قِسْمَةٌ مِنْ أَعْظَمِ القِسَمِ
دَارٌ حَلَاوَتُهَا لِلْجَاهِلِيْنَ بِهَا ... وَمُرُّهَا لِذَوِيْ الأَلْبَابِ وَالهِمَمِ
أَبْغِيْ الخَلَاصَ وَمَا أَخْلَصْتُ في عَمَلٍ ... أَرْجُو النَّجَاةَ وَمَا ناجَيْتُ فِيْ الظُّلَمِ
لَكِنَّ لِيْ أَمَلًا فِيْ اللهِ يُؤْنِسُنِيْ ... وَحُسْنُ ظَنٍّ بِهِ ذَا الجُوْدِ والْكَرَمِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوْبنَا وَقوِّهَا، اللَّهُمَّ الْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا مَحَبَّة أوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَهِجْرانهم وَالابْتِعَادِ عَنْهُمْ وَاغْفِرْ لَنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأبْرارِ وأَسْكِنَّا مَعَهمُ في دارِ القرارَ، اللَّهُمَّ وفقنا بِحُسْن الإقبالِ عَليك والإصْغَاءِ إليك ووَفِّقْنَا لِلتّعاوُنِ في طَاعَتِكَ والمُبَادَرَةِ إلى خِدْمَتِكَ وحُسْن الآداب في مُعَامَلَتِكَ والتّسليم لِأَمْرك والرِّضا بِقَضَائِكَ والصَّبْرْ عَلى بَلائِكَ والشّكْرِ لِنَعْمَائِكَ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْن بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« فَصْلٌ »

ثُمَّ انْظُرْ إلى خَطِيْبِ الأنْبِياءِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا لَاقَى مِنْ قَوْمِهِ المَتَمَرِّدِيْنَ عَلَى الحَقِّ والعَدْلِ، المفْسِدِيْنَ فِيْ الأَرْضِ، قُطَّاعِ الطُّرُقِ، والظَلَمَةُ الذِينَ يَفْتِنُوْنَ النَّاسَ عَنْ دِيْنِهِمْ، وَيَصُدُّوْنَهُم، المقَاتِلِيْنَ لِمَنْ يَدْعُوْهُمْ إِلَى الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ والأَخْلَاقِ الفَاضِلَةِ بِالقَسْوَةِ وَالغَلْظَةِ، حَيْثُ يَقُوْلُونَ ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالذِينَ آمَنُوا مَعَكَ﴾ الآيَةِ.

ثُمَّ انْظُرْ إلى صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِيْنَ دَعَا قَوْمَهُ، وَمَا قَابَلُوْهُ بِهِ حِيْنَ جَاءَ بِالبَيِّنَةِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِ، فَيَعْتَدُوْنَ عَلَيْهَا وَيَتَحَدَّوْنَهُ بِاسْتِعْجَالِ العَذَابِ.

ثُمَّ انْظُرْ إلى هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاتِّهَامِ قَوْمِهِ لَهُ بِالسَّفَاهَةِ والكَذِبِ بِلَا تَرَوٍّ مِنْهُمْ وَلَا تَدَبُّرٍ وَلَا دَلِيْلٍ، وَأخيراً يَتَحدَّونَهُ بِالعَذَابِ.

وَانْظُرْ إلى يُونُسَ، وَمَا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ، حَتَّى ضَاقَ صَدْرُهُ بِتَكْذِيْبِ قَوْمِهِ، فَأَنْذَرَهُمْ بِعَذَابٍ قَرِيْبٍ، وَغَادَرَهُمْ مُغْضَباً آبِقاً فَقَادَهُ الغَضَبُ إلى شَاطِئِ البَحْرِ، حَيْثُ رَكِبَ سَفِينَةً مَشْحُونَةً وَفِيْ وَسَطِ لُجَّةِ البَحْرِ نَاوَأَتْهَا الرِّيَاحُ وَالأمواجُ وَأشْرَفَتْ عَلَى الغَرَقِ، فَسَاهَمُوا عَلَى أن مَنْ تَقَعُ القرْعَةُ عَلَيْهِ يُلْقَى في

البَحْرِ لِتَخِف السَّفِيْنَةُ فَوَقَعَتْ القُرْعَةُ عَلَى يونُس نَبِيِّ اللهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ وَهُمْ يَبْخَلُوْنَ بِهِ أَنْ يُلْقَى مِنْ بَيْنِهِمْ.

فَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ لِيُلْقِيَ نَفْسَهُ وَهُمْ يَأْبَوْنَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَأَمَرَ تَعَالَى حُوْتاً مِنْ البَحْرِ الأخْضَرِ أَنْ يَشُقَّ البِحَارَ وَأَنْ يَلْتَقِمَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا يَهْشِمَ لَهُ لَحْمَا وَلَا يَكْسِرَ لَهُ عَظْمَاً فَجَاءَ ذَلِكَ الحُوْتُ وَالْقَى يُونُسُ نَفْسَهُ فَالْتَقَمَهُ الحُوْتُ وَذَهَبَ بِهِ.

وَلَمَا اسْتَقَرَّ يُونُسُ فِي بَطْنِ الحُوْتِ حَسِبَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، ثُمَّ حَرَّكَ رَأْسَهُ وَرِجْلَيْهِ، وَأَطْرَافَهُ، فَإِذَا هُوَ حَيٌّ فَقَامَ فَصَلَّى فِي بَطْنِ الحُوْتِ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ دُعَائِهِ يَارَبِّ اتَّخَذْتُ لَكَ مَسْجِداً فِي مَوْضِعٍ لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ النَّاسِ، فَهَذَا مِمَّا لَقِيَهُ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ذَكَرَ ذَلِكَ بَعْضُ العُلَمَاءِ رحمهم الله.

ثُمَّ إلى ما لَقِيَهُ صَفْوَةُ الخَلْقِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ قَوْمِهِ، مِنْ التَّكْذِيْبِ وَالأَسْتِهْزَاءِ، وَالإِيْذَاءِ فِي نَفْسِهِ، وَفِيْمَنْ يَتَّبِعُهُ مِنْ المُسْتَضْعَفِيْنَ، حَتَّى ائْتَمَرُوا عَلَى قَتلِهِ، فَهَاجَرَ إلى المدِينَةِ تَارِكَاً وَطَنَهُ وَعشِيْرَتَهُ، وَانْظُرْ مَا لَقِيَهُ فِي حُرُوبِهِمْ، وَقَدْ جَرَحُوْهُ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ حَتَّى سَالَ دَمُهُ.

إِذَا نَظَرْتَ إلى ذَلِكَ وإلى غَيْرِه عَلِمْتَ أَنَّ الدُّنْيَا مَشْحُونَةٌ بِالمَصَائِبِ وَالأَنْكادِ، وَأَنَّها دَارُ مَمَرٍ لَا دَارُ مَقَرٍّ، وَلَوْ كَانَتْ دَارَ مَقَرٍّ واطْمِئْنَانٍ، لَكَانَ أَوْلَى بِذَلِكَ رسُلُ اللهِ، وَأَنْبِيَاؤُهُ، وَأَصْفِيَاؤُهُ فَالعَاقِلُ مَنْ يَحْرِصُ عَلَى عَقِيْدَتِهِ الدِّينِيَّةِ، كَمَا يَحْرِصُ عَلَى زَوْجِهِ فَيُحصنْهَا مِنْ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ، وَيَقُومَ بِمَا فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ، وَيَتَجَنَّبَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ صَابِراً عَلَى مَا قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

«فَصْلٌ»

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللهُ وَإيَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، أَنَّ لِتَسْهِيْلِ

المَصَائِبِ والشَّدَائِدِ البَدَنية وَالمَالِيَةِ أَسْبَابٌ إذَا قَارَنَتْ حَزمَاً وَصَادَفَتْ عَزْماً هَانَ وَقْعُهَا، وَقَلَّ تأْثِيْرُهَا على الدِّيْنِ وَالقَلْبِ وَالبَدَنِ، بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى.

فَأَوَّلًا الآيَاتُ وَالأَحَادِيْثُ المُتَقَدِّمَةُ التِي فِيْهَا مَدْحُ الصَّابِرِيْنَ وَبِشَارَتُهم وَوَعْدُهم بالجَزَاءِ الحَسَنِ وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَ مَرَارَةَ الدُّنْيَا هِيَ بِعَيْنِهَا حَلاوَةٌ فِي الآخِرَةِ وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا هِيَ بِعَيْنِهَا مَرَارَةٌ فِي الآخِرَةِ، وَلأَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ مَرَارَةٍ مُنْقَطِعَةٍ إِلى حَلَاوةٍ دَائِمَةٍ خَيْرٌ مِنْ عَكْسِ ذَلِكَ.

وَقَالَ ﷺ: «حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكَارِهِ وَحُفَّتْ النَّارُ بالشَّهَوَاتِ»، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الصَّحِيْحِ: «يُؤْتَى يَوْمَ القِيَامَةَ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ يا ابْنُ آدَمَ هَل رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيْمٌ قَطُّ فَيَقُوْلُ لَا وَاللهِ يَارَبُّ، وَيُؤْتَي بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْساً فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيُصْبَغُ فِي الجَنَّةِ صَبْغَةً فَيُقَالُ لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّة قَطُّ فَيَقُولُ لَا وَاللهِ يَارَبُّ» الحَدِيْثُ.

وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِشْعَارُ النَّفْسِ بِمَا تَعْلَمُهُ مِنْ نُزُوْلِ الفَنَاءِ وَتَقَضُي المَسَارِّ، وَأَنَّ لها آجَالًا مُنْصَرِمَةٌ وَمُدَداً منْقضِيَةً، إِذْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا حَالٌ تَدُومُ ولا لِمَخْلُوقٍ عَلَيْهَا بَقَاءٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ﴾، وقال: ﴿إِنكَ مَيِّتٌ وإنَّهم مَيِّتون﴾.

شِعْرًا: بَنُوْ الوَقتِ مِنْ فَجْعَاتِهِ فِي تَمَزُقٍ فَكُلُهـم يَغْـدُوْ بِشِلْـوٍ مُقَـدَّدِ
وإِنِّي رَأَيْتُ الوَقْتِ جَمّاً خُطُوْبُهُ وإِنْ لَمْ يُرَوِّعْ حَادِثٌ فَكَأَنْ قَدِ

وَرَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبي ﷺ قَالَ: «مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَمَثَلِ رَاكِبٍ مَالَ إِلى ظِلِّ شَجرةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».

وَمِنْهَا أَنْ يَتَصَوَّرَ انْحِلَالَ الشَّدَائِدِ وَانْكِشَافَ الهُمُوْمِ وَأَنَّ اللهَ قَدَّرَهَا فِأَوْقَاتٍ لَا تَنْصَرِمُ قَبْلَهَا وَلَا تَسْتَدِيْمَ بَعْدَهَا فَلَا تَقْصُرُ تِلْكَ الأَوْقَاتِ بِجَزَعٍ

وَلا تَطُوْلُ بِصَبْرٍ ، وَأَنَّ كلَّ يَوْمٍ يَمُرُّ بِهَا يَذْهَبُ مِنْهَا بِشَطْرٍ وَيَأْخُذُ مِنْهَا بِنَصِيْبٍ حَتَّى تَنْجَلِي وَتَنْفَرِجَ وَيَزُولَ مَا كَانَ مِنَ المَكَارِهِ وَالخُطُوبِ .

وَقَدْ قَصَّ اللهُ عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ قِصَصاً تَتَضَمَّنُ وُقُوْعَ الفَرَجِ بَعْدَ الكَرْبِ والشَّدَّة كَمَا قَصَّ نَجَاةَ نُوْحٍ وَمَنْ مَعَهُ فِي الفلْكِ مِنَ الكَرْبِ العَظِيْمِ مَعَ اغرَاقِ سَائِرِ أَهْلِ الأَرْضِ .

وَكَمَا قَصَّ نَجَاةَ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النَّارِ حِيْنَ أَلْقَاهُ المُشْرِكُونَ فِي النَّارِ ، وَأَنَّهُ جَعَلَهَا عَلَيْهِ بَرْداً وَسَلاماً ، وَكَمَا قَصَّ قِصَّةَ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ وَلَدِهِ الذِي أُمِرَ بِذَبْحِهِ ، ثُمَّ فَدَاهُ اللهُ بِذبْحٍ عَظِيْمٍ .

وَكَمَا قَصَّ قِصَّةَ مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أُمِّهِ لَمَّا أَلْقَتْهُ فِي اليَمِّ حَتَّى الْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ ، وَقِصَّتَهُ مَعَ فِرْعَوْنَ لمَّا نَجَّى اللهُ سُبْحَانَهُ مُوْسَى وَأَغْرَقَ عَدُوَّهُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ .

وَكَمَا قَصَّ قِصَّةَ أَيُّوبَ وَيُوْنُسَ وَيَعْقُوبَ ، وَيُوْسُفَ عَلَيْهِمْ السَّلَامُ وَقِصَّة قَوْمِ يُوْنُسَ لما آمنُوا ، وَكَمَا قَصَّ قِصصَ مُحَمدٍ ﷺ وَنَصْرِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ بانْجَائِهِ مِنْهُم فِي عِدَّةِ مَوَاطِنَ ، مِثْلِ قِصَّتِهِ فِي الغَارِ ، وَقِصَّةِ يَوْمِ بَدْرٍ ، وَيَوْمِ أُحُدٍ ، وَيَوْمِ حُنَيْنٍ .

وَكَمَا قَصَّ اللهُ قِصَّةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا فِي حَدِيْثِ الافْكِ وَبَرَّأَهَا مِمَّا رُمِيَتْ بِهِ ، وَقِصَّةَ الثَّلَاثَةِ الذِيْنَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيهِم الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ، وَظَنُوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللهِ إِلا إِلَيْهِ ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا .

وَفِي السُّنَّةِ منْ هَذَا المَعْنَى شَيءٌ كَثِيْرٌ مِثْلُ قِصَّةِ الثَّلاثَةِ الذِيْنَ دَخَلُوا الغَارَ ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ الصَّخْرَةُ ، فَدَعَوا اللهَ بِأَعْمَالِهِمْ الصَّالِحَةِ ، فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُم ، وَمِثْلُ قِصَّةِ إِبْرَاهِيْمَ وَسَارة مَعَ الجَبَّارِ الذي طَلَبَهَا مِنْ إِبْرَاهِيْمَ وَرَدَّ اللهُ كَيْدَ الفَاجِرِ .

وَإِذَا اشْتَدَّ الكَرْبُ وَعَظُمَ الخَطْبُ كَانَ الفَرَجُ قَرِيْباً في الغَالِبِ بِإِذْنِ اللهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾، وَقَالَ تَعالى: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُول وَالذِيْنَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيْبٌ﴾.

وَأَخْبَرَ عَنْ يَعْقُوبَ أَنَّهُ لَمْ يَيْأَسْ مِنْ لِقَاءِ يُوْسُفَ وَقَالَ لِإخْوَاتِهِ اذهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيْهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَقَالَ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِيْ بِهِمْ جَمِيْعاً، وَمِنْ لَطَائِفِ اقْتِرَانِ الفَرَجِ باشْتِدَادِ الكُرَبِ، أَن الكَرْبَ إِذا اشْتَدَّ، وَعَظُمَ وَتَنَاهَى، وُجِدَ الإِيَاسُ مِنْ كَشْفِهِ مِنْ جِهَةِ المَخْلُوقِ، وَوَقَعَ التَّعَلُّقَ بالخَالِقِ.

كَمَا قَالَ الإِمَامَ أَحْمَدُ وَاستَدَلَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَا عَرَضَ لَهُ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في الهَوَاءِ، وَقَالَ أَلكَ حَاجَةٌ، فَقَالَ أَمَّا إِلَيْكَ فَلا وَأَمَّا إِلى اللهِ فَبَلَى والتَّوَكُّلُ مِنْ أَعْظَمِ الأَسْبَابِ التي تُطْلَبُ بِهَا الحَوَائِجَ.

فَإِنَّ اللهَ يَكْفِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتوكَّلْ عَلى اللهِ فَهُوَ حسْبُه﴾، وَمِنْهَا أَنَّ العَبْدَ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الكَرْبُ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ حِيْنَئِذٍ إِلى مُجَاهَدَةِ الشيْطَانِ لِإِنَّهُ يَأْتِيْهِ فَيُقْنِطُه وَيُسْخِطُهُ وَمِنْهَا أَنَّ المُؤْمِنَ إِذَا اسْتَبْطَأَ الفَرَجَ وَأَيِسَ مِنْهُ وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ كَثْرَةِ دُعَائِهِ وَتَضَرُّعِهِ وَلَمْ يَظْهَرْ لَه أَثَرُ الاجَابَةِ رَجَعَ عَلى نَفْسِهِ باللَّائِمَةِ وَيَقُوْلُ لَهَا إِنَّمَا أُتِيْتُ مِنْ قِبَلِكِ وَلَوْ كَانَ فِيْكِ خَيْراً لَأُجِبْتِ وَهَذا اللَّوْمُ أَحَبُّ إِلى اللهِ مِن كَثِيرٍ مِنْ الطَّاعَاتِ.. أهـ.

شِعْرًا: هَوِّنْ عَليكَ فكلُ الأمر تَنْقَطِعُ ... وَخَلِّ عَنْكَ عِنَانَ يَنْدَفِعُ
فكلِ هَمٍّ لَهُ مِن بَعْدِهِ فَرَجُ ... وكُلُ أَمْرٍ إِذَا ما ضَاقَ يَتَّسِعُ
إِنَّ البَلاءَ وإِنْ طَالَ الزَمَانُ بِهِ ... فالله يَفْرجُهُ وَسَوْفَ يَنْقَطِعُ

آخر: إذا اشْتَمَلَتْ عَلى اليَأْسِ القُلُوْبُ ... وَضَاقَ بِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيْبُ
وَأَوْطَأَتْ المَكَارِهُ واطْمَأَنَّتْ ... وَأَرْسَتْ في أَمَاكِنِهَا الخُطُوْبُ

وَلَمْ تَرَ لانْكِشَافِ الضُّرِّ وَجْهاً وَلَا أَغْنَى بِحِيْلَتِهِ الأَرِيْبُ
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ يَمُنُّ بِهِ اللطِيْفُ المُسْتَجِيْبُ
وَكُلُّ الحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ فَمَوْصُولٌ بِهَا فَرَجٌ قَرِيْبُ
آخر: إنَّ الأُمورَ إذا مَا الله يَسَّرَهَا أَتَتْكَ مِن حَيْثُ لا تَرْجُو وتَحْتسِبُ
وكُلُ مَا لَم يُقَدِّرْهُ الإِلٰهُ فَمَا يُفِيْدُ حِرْصُ الفَتَى فِيه ولا النَّصَبُ
ثِقْ بِالإِلٰهِ وَلَا تَرْكَنْ إِلَى أَحَدٍ فاللهُ أَكْرمُ مَنْ يُرْجَ ويُرْتَقَبُ
آخر: وَكَمْ لِلَّهِ مِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ يَدِقُّ خَفَاهُ عَنْ فَهْمِ الذَّكِيِّ
وَكَمْ يُسْرٍ أَتَى مِنْ بَعْدِ عُسْرٍ وَفَرَّجَ لَوْعَةَ القَلْبِ الشَّجِيِّ
وَكَمْ هَمٍّ تُسَاءُ بِهِ صَبَاحاً فَتَعْقُبُهُ المَسَرَّةُ بِالعَشِيِّ
إِذَا ضَاقَتْ بِكَ الأَسْبَابُ يَوْماً فَثِقْ بِالوَاحِدِ الأَحَدِ العَلِيِّ

وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

«فَصْلٌ»

وَمِنْهَا أَنْ يَتَسَلَّى بِذَوِيْ الغِيَرِ، وَيَتَسَلَّى بِأُوْلِي العِبَرِ، وَيَعْلَمَ أَنَّهُمْ الأَكْثَرُونَ عَدَداً وَالأَسْرَعُونَ مَدَداً فَيَسْتَجِدُّ مِنْ سَلْوَةِ الأَسَى وَحُسْنِ العَزَاءِ إلى مَا يُخَفِّفُ حُزْنَهُ وَيُقَلِّلُ هَلعَهُ وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْصَقُوْا بِذَوِي الغِيَرِ تَتَّسِعْ قُلُوْبُكُم أَيْ الذِيْنَ تَنْتَقِلُ أَحْوَالُهُمْ إِذْ يَتَسَلَّى مُرَقَّعُ الخُفِّ بِالذِيْ مُخَرَّقٌ خُفُّهُ وَيَتَسَلَّى مُخَرَّقُ الخُفِّ بِالحَاسِرِ الذِيْ لَيْسَ عَلَيْهِ شَيءٌ وَيَتَسَلَّى الذِيْ لَيْسَ عَلَيْهِ شَيءٌ بِالأَعْرَجِ، وَالأَعْرَجُ بِالأَقْطَعِ، وَهَكَذَا كُلٌّ يَتَسَلَّى بِمَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ فِي المصِيْبَةِ.

وَالدُّنْيَا إِذَا تَأَمَّلَهَا اللَّبِيْبُ وَجَدَهَا كُلَّهَا مَتَاعِبَ وَبَلَايَا وَمَصَائِبَ وَقَدْ أَحَاطَتْ بِالنَاسِ مِنْ رُؤُسِهِمْ إلى أَقْدَامِهِمْ، فَتَرَى هَذَا مُصَاباً بِالعِلَلِ وَالأَسْقَامِ كُلمَا بَرِىءَ مِنْ عِلةٍ أَصَابَتهُ عِلَّةٌ أُخْرَى، وَكُلَّمَا شَفَاهُ اللهُ مِنْ مَرَضٍ جَاءَهُ مَرَضٌ

آخرُ، وَتَجِدُ هَذَا مُصاباً بِعُقُوقِ الأَبْنَاءِ لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ وَسَلَكُوا طَرِيْقَ الشَّيْطانِ، وَتَجِدُ الآخَرَ مُصَاباً بِسُوْءِ خُلُقِ زَوْجَتِهِ فَهُوَ مَعَهَا دَائِماً فِي شِقَاقٍ وَعَنَاءٍ وَنشوُزٍ ولِجَاجٍ.

وَتَجِدُ مُصَاباً بِالفَقْرِ المُدْقِعِ وَهَذَا تَجِدُهُ مُصَاباً بالعُقْمِ، وَهَذَا تَجِدُهُ مُصَاباً بِكَسَادِ تِجَارَتِهِ، وَهَذَا مُصَاباً بِبَوَارِ زِرَاعَتِهِ، أَوْ صِنَاعَتِهِ، وَهَذَا مُصَاباً بِجِيْرَانِ سُوءٍ يُذِيْعُوْنَ مَا يَسُوءُ وَيَكْتُمُوْنَ الخَيْرَ، وَتَجِدُهُ مَعَهُم دَائِماً فِي لِجَاجٍ، وَهَذَا تَجِدُهُ مَعَ أَقْرِبَائِهِ فِي شِقَاقٍ وَقَطِيْعَةٍ، وَشَكَاوَى وَتَرَدُّدٍ بَيْنَ المَحَاكِمِ وَالمَنَاطِقِ، وَهَذَا تَجِدُهُ مَعَ شُرَكَائِهِ أَوْ مَعَ أَرْحَامِهِ كَذَلِكَ فِيْ نَكَدٍ.

وَتَرَى هَذَا لَا حَظَّ لَهُ فِي الحَيَاةِ يَجِدُّ وَيَجْتَهِدُ وَلَا يَنَالُ مُنَاهُ وَيَشْقَى وَيَتْعَبُ وَلَا يَحْصُلُ عَلى مُبْتَغَاهُ وَهَذَا تَجِدُهُ مُسلطِينَ عَلَيْهِ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدُهُمَا وَهَذَا تَجِدُهُ مَظْلُوماً وَهَذَا مَسْجُوْناً وَهَكَذَا إِلى نِهَايَةِ سِلْسِلَةِ الآلَامِ التِي لا تَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ وَلَا يُحْصِيْهَا عَدّ وَلَقَدْ صَدَقَ مَن قَالَ:

شِعْرًا: كُلُّ مَنْ لَاقَيْتُ يَشْكُو دَهْرَهُ ... لَيْتَ شِعْرِيْ هَذِهِ الدُّنْيَا لِمَنْ

آخر: أَلَحَّ عَلَيَّ السُّقْمُ حَتَّى أَلِفْتُهُ ... ومَلَّ طَبِيْبِي جَانِبِي والعَوائِدُ

آخر: تَعَوَّدْتُ مَسَّ الشَّرِّ حَتى أَلِفْتُهُ ... وأَسْلَمني طُولُ البَلاءِ إلى الصَّبْرِ

وَوَسَّعَ صَدْرِيْ لِلْأَذَى كَثْرَةُ الأذى ... وكان قَدِيْماً قَدْ يَضِيقُ به صَدْري

إذا أَنَا لَمْ أَقْبَلْ مِن الدَّهْرِ كُلَّمَا ... تَكَرَّهْتُهُ قَدْ طَالَ عُتْبِي عَلَى الدَّهْرِ

آخر: رُوِّعْتُ بالبَيْنِ حَتَّى مَا أُرَاعُ لَهُ ... وَبِالمَصَائِبِ فِي أَهْلِي وجِيْرانِ

آخر: تَعَزَّ بِحُسْنِ الصَّبْرِ عَنْ كُلِّ هَالِكٍ ... فَفِي الصَّبْرِ مَسْلَاةُ الهُمُوم اللَّوَازِمِ

إذا أَنْتَ لَمْ تَصْبِرْ عَزَاءً وَحِسْبَةً ... سَلَوْتَ كَمَا تَسْلُو قُلُوْبُ البَهَائِمِ

آخر: وَلَما رَأَيْتُ الوَقْتَ يُؤْذِنُ صَرْفُهُ ... بِتَفْرِيْقِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الحَبَائِبِ

رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِيْ فَوَطَّنْتُهَا عَلى ... رُكُوْب جَمِيْلِ الصَّبْرِ عِنْدَ النَّوَائِبِ

وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا عَلى سُوءِ فِعْلِهَا ... فَأَيَّامُهُ مَحْفُوفَةٌ بِالمَصَائِبِ

فَخُذْ خِلْسَةً مِنْ كُلِّ يَوْمٍ تَعِيْشُهُ   وَكُنْ حَذِراً مِنْ كَامِنَاتِ العَوَاقِبِ

آخر: وما خَيْرُ عَيْشٍ نِصْفُهُ سِنَةُ الكَرَى   وَنِصْفٌ بِهِ نَعْتَلُ أَوْ نَتَوَجَّعُ
مَعَ الوَقْتِ يَمْضِيْ بُؤْسُهُ وَنَعِيْمُهُ   كَأَنْ لَمْ يَكُنْ والوَقْتُ عُمْرُكَ أَجْمَعُ

آخر: طُبِعَتْ عَلى كَدَرٍ وَأَنْتَ تَرُوْمُهَا   صَفْواً مِن الأقْـذَارِ والأَكْدَارِ
وَمُكَلِّفُ الأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَـا   مُتَطَّلِبٌ في النَـارِ جَذْوَةَ نَارِ
وإذا رَجَوْتَ المُسْتَحِيْلَ فَإِنَّمَا   تَبْنِيْ الرِّجَاءَ عَلَى شَفِيْرٍ هَارِ

آخر: وما اسْتَغْرَبَتْ عَيْنَي فِرَاقاً رَأَيْتُهُ   ولا أَعْلَمَتْنِي غَيْرَ ما القَلْبُ عَالِمُه

آخر: وهَبْنِي مَلَكْتُ الأرضَ طُراً ونِلْتُ مَا   أُنِيْلَ ابْنُ دَاوُدٍ مِن المالِ والمُلْكِ
أَلَسْتُ أُخَلِّيْهِ وأُمْسِيْ مُسَلَّماً   برَغْمِي إلى الأهْوال في مَنْزِل ضَنْكِ

آخر: مَتَى تَسْتَزِدْ فَضْلًا مِنَ العُمْرِ تَغْتَرِفْ   بِسِجْلَيْكَ مِنْ أَرْيِ الخُطُوْب وصَابِهَا
يُسَرُّ بِعُمْرانِ الدِّيَـارِ مُظَلَّـلٌ   وعُمْرانُها يَدْنُوهُ بِهَا مِن خَرَابِهَا
ولم أَرتَضِ الدُّنْيَا أَوانَ مَجِيْئِهَـا   فَكَيْفَ ارْتِضَائِيْهَا أَوانَ ذَهَابِهَـا

آخر: لم يَبْقَ في العَيْشِ غَيْرُ البُؤسِ والنَّكَدِ   فاهْرَبْ إلى الموتِ مِن هَمٍ ومِن كَمَدِ
مَلأْتَ يَا دَهْرُ عَينِي مِن مَكَارِهِهَـا   يَا دَهْرُ حَسْبُكَ قَدْ أَسْرَفْتَ فاقْتَصِدِ

قال ابنُ الجَوْزِي وَلَوْلَا الدُنْيَا دَارُ ابْتِلَاءٍ لَمْ تَعْتَوِرْ فِيْهَا الأَمْرَاضُ والأَكْدَارُ وَلَمْ يَضِقْ العَيْشُ فِيها على الأَنْبِيَاءِ والأَخْيَارِ فَآدَمُ يُعَانِيْ المِحَنَ إلى أَنْ خَرَجَ مِن الدُنْيَا، وَنُوْحٌ بَكَى ثَلَاثَمِائَةِ عامٍ، وإبْرَاهِيْمُ يُكَابِدُ النَّارَ وَذَبْحَ الوَلَد، وَيَعْقُوبُ بَكَى حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهُ، وَمُوْسَى يُقَاسِيْ فِرْعَونَ وَيَلْقَى مِن قَوْمِهِ المِحَنَ.

وَعِيْسَى بْنُ مَرْيَمَ لَا مَأْوَى لَهُ أَلَّا البَرَارِي في العَيْشِ الضَّنْكِ وَمُحَمَّدٌ ﷺ يُصَابِرُ الفَقْرَ وَقَتْلَ عَمِّهِ حَمْزَةَ، وَهُوَ مِن أَحبِ أَقَارِبِهِ إليه، وَنُفُوْرَ قومِهِ عَنْهُ، وقَدْ قال ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ»، فإذا بَانَ بِأَنَّهَا دَارُ ابْتِلَاءٍ وَسِجْنٍ وَمحنٍ فلا يَنْبَغِي إنْكَارُ وقُوعِ المَصَائِبِ فِيها.

وقال رَأَيْتُ جُمْهُورَ الناسِ إذا طَرَقَهُم المَرَضُ أَوْ غَيْرُهُ مِن المَصَائِبِ

اشْتَغَلُوا تَارَةً بالجَزَعِ والشَّكْوَى، وَتَارَةً بالتَّدَاوِي، إِلى أَنْ يَشْتَدَّ عَلَيْهِمُ فَيَشْغَلَهُم اشْتِدَادُهُ عن الالتِفَاتِ إلى المَصَالِحِ، مِن وَصِيَّةٍ، أَوْ فِعْلِ خَيْرٍ أَوْ تَأَهُّبٍ لِلْمَوْتِ.

فَكَمْ مِمَّنْ لَهُ ذُنُوبٌ لَا يَتُوْبُ مِنْهَا أَوْ عِنْدَهُ وَدَائِعُ لا يَرُدُّهَا، أَوْ عَلَيْهِ دَيْنٌ أَوْ زَكَاةٌ، أَوْ في ذِمَّتِهِ ظَلَامَةٌ لا يَخْطُرُ لَهُ تَدَارُكُهَا وإِنَّمَا حَزَنُه على فِرَاقِ الدُّنْيَا إذا لَا هَمَّ لَهُ سِوَاهَا وَرُبَّمَا أَفَاقَ وَأَوْصَى بِجَوْرٍ.. إنتهى كلامه.

شِعْرًا: لَحَى اللهُ دُنْيَا لا تَكُونُ مَطِيَّةً ... إِلَى دَارِكَ الأُخرَى تَزُمّ وتركَبُ
عَجِبْتُ لِمَن يَرْجُو الرِّضا وهُو مُهْمِلٌ ... وتَسْوِيْفُنَا مَعْ ذَلِكَ العِلْمِ أَعْجَبُ
ومَا هذه الأَيَّامُ أَلّا مَرَاحِلٌ ... وَأَجْدَرْ بها تُقْضَي قَرِيْباً وتَنْضِبُ
إذا كانَا الأَنْفَاسُ لِلعُمْرِ كَالخُطَا ... فإِنَّ المَدَى أَدْنَى مَنَالًا وأَقْرَبُ

وقال بَعْضُهُم إن المَرْءَ إذا طَرَقَهُ عما يَتَحَيَّفُ صَبْرَهُ وَيُضَيِّقُ صَدْرَهُ يَعُودُ إلى عِلْمِهِ بالدنيا كَيْفَ نُصِبَتْ عَلَى النُقْلَةِ وَجُنِّبَتْ طُوْلَ المُهْلَةِ وابْتُدأَتْ لِلنَّفَاذِ وَشُفِعَ كَوْنُهَا لِلْخَرَابِ، وأَنَّ الثَّاوِيْ فِيها رَاحِلٌ، والأَيَّامُ فِيها مَرَاحِلُ مَوْهُوْبُهَا مَسْلُوبٌ وإن أُرْخِيَ إلى مَهَلٍ، وَمَمْنُوْحُهَا مَحْرُوْبٌ وإِنْ أُرخِيَ إلى أَجَلٍ وَلَوْ خُلِّدِ مَن سَبَقَ لمَا وَسِعَتِ الأَرْضُ وِلِذَلِكَ جُعِلَتِ الدُّنْيَا دَارَ قَلْعَةٍ وَمَحَلَّ نَجْعَة.

شِعْرًا: كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أُنَاسٍ هَلَكُوْا ... وَبَكَى أَحْبَابهم ثم بُكُوْا
تَرَكُوْا الدُنْيَا لِمَنْ جَاء بَعْدَهُمْ ... وُدَهُمْ لَوْ قَدَّمُوْا مَا تَرَكُوْا
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ مُلُوكٍ سَوَقَةَ ... وَرَأَيْنَا سُوَقَةً قَدْ مَلَكُوْا
هَذَا حُكْمٌ مِن حَكِيمٍ قادِرٍ ... سَلِّمِ الأَمْرَ لِمَنْ أَجْرَى الفَلَكْ
لَا تَكُنْ مِمَّنْ يُقَلِّدْ مُلْحِداً ... كَمْ جَهُولٍ باعْتِرَاضَاتٍ هَلَكْ

آخر: أَطِل جَفْوَةَ الدُّنْيَا وَدَعْ عَنْكَ شَأْنَهَا ... فَمَا الغَافِلُ المَغْرُوْرُ فِيها بِعَاقِلِ
وَلَيْسَ الأَمَانِي لِلْبَقَاءِ وإن جَرَتْ ... بِهَا عَادَةٌ إلا تَعَالِيْلُ بَاطِلِ
يُسَارُ بِنَا نَحْوَ المَنُونِ وَإِنَّنَا ... لَنُسْعَفُ في الدُنْيَا بطَي المَرَاحِلِ
غَفَلْنَا عَن الأَيَّامِ أَطْوَلَ غَفْلَةٍ ... ومَا حُوْبُهَا المَجْنِّي مِنَّا بِغَافِلِ

آخر: بُرُوحِي أُناساً قَبْلَنا قَدْ تَقدَّمُوا ... ونَادوا بِنَا لَوْ أنَّنا نَسْمَعُ النِّدَا
وَسَارَتْ بِهِم سَيْرَ المطِيّ نُعوشُهم ... وبَعْضُ أنِينِ القَادِمينَ لَهُم حُدَا
وأَمْسُوا عَلَى البَيْدَاءِ يَنْتَظِرُوْنَنَا ... إلى سَفَر يَقْضِي بأنْ نَتَزَوَّدَا
فَرِيدُونَ في أَجْدَاثِهِم بِفِعَالِهِم ... وكَمْ مِنْهُمُ مَن سَاقَ جُنْداً مُجَنَّدَا
تَساوَوْا عِدىً تَحتَ الثَرَى وأَحِبَةً ... فلا فَرقَ ما بَيْنَ الأَحِبَّةِ والعِدَى
سَلِ الدهرَ هَلْ أَعْفَى مِن الموتِ شَائِباً ... غَدَاةَ أَدارَ الكَأسَ أَمْ رَدَّ أَمْرداً

آخر: إِذَا مَا مَضى القَرنُ الذِي أَنْتَ فيهِمُ ... وخُلِّفْتَ في قَرنٍ فأنْتَ غَرِيْبُ
وإنْ امْرأً قَدْ سَار خَمْسِيْنَ حَجَّةً ... إلىَ مَنْهَلٍ من وِرْدِهِ لَقَرِيْبُ

آخر: وَإِذَا حَمَلْتَ إلى القُبُورِ جَنَازةً ... فاعْلَمْ بأَنَكَ بَعْدَهَا مَحْمُوْلُ

آخر: قِفْ بالمَقَابِرِ واذْكُرْ إنْ وَقفْتَ بِهَا ... لِلَّهِ دَرُّكَ مَاذَا تَسْتُرُ الحُفَرُ
فَفَيْهِمْ لَكَ يَامغْرُوْرُ مَوْعِظَةٌ ... وَفِيْهِمْ لَكَ يَامَغْرُوْرُ مُعْتَبَرُ
كَانُوْا مُلُوْكاً تُوَارِيْهِمْ قُصُوْرُهُم ... دَهْراً فَوارَتْهُمُ مِن بَعْدِهَا الحُفَرُ

اللّهُمَّ يا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمعصيَةُ ولَا تَنْفَعُه الطَّاعَةُ أَيْقظْنَا مَنْ نَوْمِ الغفْلَةِ وَنَبّهنْا لاغْتِنَام أَوْقَاتِ المُهْلَةِ وَوَفّقْنَا لِمصَالِحِنَا واعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحنا وذُنُوبِنَا ولا تؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عليْهِ ضَمائُرنا وأكَنَّتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْواعِ القَبَائِحِ والمَعَائِبِ التي تَعْلَمُها مِنّا وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ»

وَمِمَّا يُسَلِي وَيُسَهِلُ المَصَائِبَ أَنْ يَعْلَمَ العَبْدُ أَنَّهُ لَوْلَا مَا قَدَّرَهُ الحَكِيْمُ العَلِيْمُ على عِبَادِهِ مِن مِحَنِ الدُنْيَا وَمَصَائِبِهَا لأَصَابَ الإنسانَ مِن أَدْوَاءِ الكِبَرِ والعُجْبِ والفَرْعَنَةِ وَقَسْوَةِ القَلْبِ مَا هُوَ سَبَبُ هَلَاكِهِ عَاجِلًا وآجِلًا، فَمِنْ رَحْمَةِ أَرْحَمِ الراحِمين أنْ يَتَفَقَّدَهُ في الأَحْيَانِ بِأَنْوَاعٍ مِن أَدْوِيَةِ المَصَائِبِ تكونُ

حُمْيَةً لَهُ مِن هَذِهِ الأدْوَاءِ، وتكونُ حِفْظاً لِصِحَّةِ عُبُوْدِيَتِهِ، فَسُبْحَانَ مَن يَرْحَمُ بِبَلَائِهِ وَيَبْتَلِي بِنَعْمَائِهِ كَما قِيْل:

شِعْرَا: «قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بِالبَلْوَى وإنْ عَظُمَتْ | وَيَبْتَلِي اللهُ بَعْضَ القَومِ بالنِّعَمِ»

آخر: ارَى بَصَرِيْ قَدْ رابَنِي بَعْدَ حِدَّةٍ | وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وتَسْلَمَا
ولَنْ يَلْبَثِ الْعَصرُ ان يَوْمَا وَلَيْلَةً | إذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَا مَا تَيَمَّمَا

آخر: يَا سَائِلي عن حَالَتِـــي | خُذْ شَرحَهَـا مُلَـخَّصَا
قَدْ صِرتُ بَعْـــدَ قُوَّةٍ | تَقُصُّ أَصْلَادَ الـحَصَا
أَمْشِيْ عَلَـــى ثَلاثَـــةٍ | أَجْـوَدُ مَا فِيْهَـا الْـعَصَا

آخر: قَدْ أَمْشِي على ثِنْتَيْنِ مُعْتَـدِلًا | فَصِرْتُ أَمْشِيْ عَلَى أُخْرَى مِنَ الشَّجَرِ

آخر: إذا اشْتَدَّتِ البَلْوَى تُخَفَّفُ بالرِّضَا | عن اللهِ قَدْ فَازَ الرَّضِيُّ المُرَاقِبُ
وَكَـمْ نِعْمَـةٍ مَقْرُوْنَـةٍ بِبَلِيَّـةٍ | على الناسِ تَخْفَى والبَلَايَا مَوَاهِبُ

فَلَوْلَا أَنَّه سُبْحَانَه يُدَاوِي عِبَادَهُ بِأَدْوِيَةِ المِحَنِ والابْتِلَاءِ لَطَغُوْا وَبَغَوْا وَعَتَوْا وَتَجَبَّرُوا في الأرضِ. قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرزقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوا في الأرضِ﴾، فإنَّ مِن شِيَمِ النُّفُوسِ إذا حَصَلَ لَهَا صِحَّةٌ وَفَرَاغٌ وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ وَكَلِمَةٌ نافِذَةٌ مِنْ غَيْرِ زَاجِرٍ شَرْعِي يَزْجُرُهَا تَمَرَّدَتْ وَظَلَمَتْ وَسَعَتْ في الأَرْضِ فَسَاداً كَمَا قِيْلَ:

«والظُلْمُ مِن شِيَمِ النُفُوسِ فإنْ تَجدْ | ذَا عِفَّـةٍ فَلِعِلَّـةٍ لا يَظْلِـمُ»

وَمِمَّا يُسَلِّيْ وَيُسَهِّلُ المَصَائِبَ وَيَكُونُ سَبَباً لِلصَّبْرِ على المُصِيْبَةِ أَنْ يَعْلَم الإنسانُ أَنَّ الجَزَعَ لا يَرُدُ المُصِيْبَةَ، بَلْ يُضَاعِفُها، فَتَزِيْدُ المُصِيْبَةُ وأَن الجَزَعَ يُشْمِتُ العَدُوَ وَيَسُؤُ الصَّدِيْقَ، وَيُنْهِكُ الجِسْمَ، وَيَسُرُّ شَيْطَانَهُ وَيُضْعِفُ النَّفْسِ، وَقَدْ يُحْبِطُ العَمَلَ، وإذا صَبَرَ واحْتَسَبَ أَخْزَى الشيطانَ وَأَرْضَى الرَّبَّ، وَسَرَّ الصديقَ، وَسَاءَ العَدُوَ، وَهَذا مِن الثَّبَاتِ في الأَمْرِ الدِيْنِي.

وَمِمَّا يُسَلِّي وَيُسَهِّلُ المَصَائِبَ أَنْ يُوطِنَ الإنسانُ نَفْسَهُ أَنَّ كُلَّ مُصِيْبَةٍ تَأْتِيْهِ

هِيَ مِن عِندِ اللهِ وَأَنَّهَا بقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَأَنَّهُ سُبْحَانَه لَمْ يُقَدِّرْهَا عليهِ لِيُهْلِكَهُ بِهَا وَلا لِيُعَذِّبَهُ وإِنَّما ابْتَلاَهُ لِيَمْتَحِنَ صَبْرَهُ ورِضَاهُ وشَكْوَاهُ إِلِيْهِ وابْتِهَالَهُ ودُعاءهُ.

شِعْرًا: وَكُل مُصِيْبَات أَتَتْنِي فِإنَّهَا سِوَى غَضَبِ الرحمنِ هَيِّنَةُ الْخَطْبِ

فإن وُفِّقَ لِلرِّضَاءِ والشُكْرِ فَقَدْ أَفْلَحَ، وانْ تَسَخَّطَ وَلَمْ يَرْضَ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، قَالَ أَبُو الفَرَجِ بنُ الجَوْزِي عِلاجُ المَصَائِبِ بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ: الأَوّلُ أَنْ يَعْلَمَ بِأَنَّ الدُنْيَا دَارُ ابْتِلَاءٍ وَكَرْبٍ لَا يُرْجَى مِنْهُ رَاحَةٌ في الدُنْيَا مَهْمَا طَالَ العُمُرُ وَمَهْمَا اجْتَمَعَ لِلإِنْسَانِ فِيْهَا مِن أَسْبَابِ الغِنَى والثَّرْوَةِ وَسَواءٌ في ذَلِكَ الصَّعَالِيْكَ والمَمَالِيْكَ والْمُلُوكِ فَلَقَدْ أَوْدَعَ اللهُ في كُلِ نَفْسٍ ما شَغَلَهَا.

وَلَوْ أنّ الإِنْسانَ عَرَفَ قَدْرَ الدُنْيَا وَمَا طُبِعَتْ عَلَيهِ مِن الكَدَرِ والأَنكادِ والمَصَائِبِ والأَحْزَانِ وَعَرَفَ أَنَّ مَا فِيْهَا مَحْضُ خِدَاعٍ وَسَرَابٌ، بِقِيْعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيئاً واسْتَعَانَ بِمَا وَهَبَه اللهُ مِن نُوْرِ الدِيْنِ وَقَصَّرَ أَمَلَهُ لَمَا آثَّرَتْ فِيْهِ المَصَائِبُ بِإِذْنِ اللهِ لأَنَّ قُوَّةَ الإِيمانِ باللهِ وَقَضَائِهِ وَقَدرِهِ يُثْمِرَانِ الهُدَى والطُمَأْنِيْنَةَ والرِّضَى بِمَا قَسَمَ وَقَدَرَ.

الثاني أن يَعْلَمَ أَنَّ المُصِيْبَةَ ثَابِتَةٌ.

الثالثُ أَنْ يُقَدِرْ وُجُودَ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِن تِلْكَ المُصِيبَةِ.

الرابعُ النَّظَرُ في حَالِ من ابْتُلِي بِمِثْلِ هَذَا البَلَاءِ فإِنَّ التَّأَسِي رَاحَةٌ عَظِيْمَةٌ يُخَفِّفُ الحزن أو يزيله بالكُلية.

قالتِ الخَنْسَاءُ:

وَلَوْلا كَثْرَةُ البَاكِيْنَ حَوْلِي عَلى إِخْوَانِهِم لَقَتَلْتُ نَفْسِيْ
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِيْ وَلَكِنْ أُعَزِيْ النَّفْسَ عَنْهُ بالتَّأسِي

آخر: حَاسِبْ زَمَانَكَ في حَالِيْ تَصَرُّفِهِ تَجِدْهُ أَعْطَاكَ أَضْعَافَ الذِي سَلَبَا
نَفْسِيْ الَّتِي تَمْلِكُ الأَشْيَاءَ ذَاهِبَةً فَكَيْفَ أَبْكِيْ عَلَى شَيءٍ إِذَا ذَهَبَا

آخر: لا تَعْتِبِ الدَّهْرَ في خَطْبٍ رَمَاكَ بِهِ ... إذا اسْتَرَدَّ فَقِدْماً طَالَ مَا وَهَبَا
وَرَأْسُ مَالِكَ وَهِيَ الرُّوْحُ إِنْ سَلِمَتْ ... لَا تَأْسَفَنَّ لِشَيءٍ بَعَدَهَا ذَهَبَا

آخر: وَلَوْلَا الأَسَى مَا عِشْتُ في الناسِ سَاعَةً ... وَلَكِنْ مَتَى نَادَيْتُ جَاوَبَنِي مِثْلِي

الخَامِسُ مِمَّا يُهَوِّنُ المَصَائِبَ وَيُخَفِّفُهَا وَيَبْعَثُ الإنسانَ على حمدِ اللهِ وشكرِهِ وَيَنْفِيْ هُمُوْمَ الدُّنْيا وَغُمُوْمَها النَظَرُ والتَّفَكُرُ والاعْتِبَارُ فِيْمَنْ هُمْ أَعْظَمُ مُصِيْبَةً مِنْكَ وانْظُرْ حَالَتَكَ بَعْدَ زِيَارَتِكَ لِلْمَقْبَرَةِ، وَنَظَرِكَ فِيْمَنْ قُبِرَ وَمَنْ سَيُقْبَرُ وَحَالَتَكَ بَعْدَ مَا تَمُرُ بالسِّجْنِ وَتَرَى المُعَذَّبِيْنَ فيه بأَنْوَاعِ العَذَابِ كَمَا قَالَ بَعْضُهُم وَاصِفاً لِلسِّجْنِ بِبَغْدَاد:

مَحَلٌ بِهِ تَهْفُوْ القُلُوبُ مِن الأَسَى ... فإِنْ زُرْتَهُ فارْبُطْ عَلَى القَلْبِ باليَدِ

وانْظُر حَالَتَكَ إِذَا دَخَلْتَ المُسْتَشْفَيَاتَ وَرَأَيْتَ البَاكِيْنَ والذي يَئِنْ والذِيْ تَحْتَ العَمَلِيَّةِ لِقَطْعِ عُضْوٍ أَوْ نَحْوِهِ، وَسَائِرِ أَنْوَاعِ البَلَايَا تَجِدُكَ إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ وَفَّقَهُ اللهُ مُكْثِراً لِحَمْدِ اللهِ وشكرِهِ حَيْثُ عَافَاكَ مِمَّا تَرَى وَتَسْمَعُ.

وَكَمْ مِن إِنْسَانٍ أَتَى لِعِلَاجٍ بَسِيْمط فَلَمَّا رَأَىَ مَا في الاسْعَافِ، وَمَنْ تَحْتَ العَمَلِيَّاتِ وَمَن يَئِنُ وَمَنْ يُجَرُّ لِيُغَسَّلَ وَمَنْ قَدْ مَاتَ، وَمَنْ يُعْمَلُ لِكُسُوْرِهِ الجُبْصُ، خَرَجَ يَحْمَدُ اللهَ وَرَأَى أَنَّهُ مَا فِيْهِ شَيءٌ يُوْجِبُ العِلَاجَ.

السادِسُ رَجَاءَ الخَلَفِ إِنْ كَانَ مَن مَضَى يَصِحُّ عَنْهُ الخَلَفُ كالوَلَدِ والزَّوْجَةِ قِيْلَ لِلْقُمَانَ مَاتَتَ زَوْجَتُكَ قَالَ تَجَدَّدَ فِرَاشِيْ وقال الشاعر:

هَلْ وَصْلُ عَزَّةَ إِلَّا وَصْلُ غَانِيَةٍ ... في وَصْلِ غَانِيَةٍ مِن وَصْلِهَا خَلَفُ

آخر: قَدْ نَرْكَبُ الكُرْه أَحْيَانَاً فَيُفرِجُهُ ... رَبٌّ نُرَجِّيْهِ في الضَّرَّاء وَسَرَّائِي

السَّابِعُ طَلَبُ الأَجْرِ بالصَّبْرِ في فَضَائِلِهِ وَثَوَابِ الصَّابِرِيْنَ وَسُرُوْرُهُم في صَبْرِهِم فَإِنَّ تَرَقَّى إِلى مَقَامِ الرِّضَا فَهُو الغَايَةُ انتهى كلامه بتصرف.

وَمِمَّا يُسَلِّيْ وَيُسَهِّلُ المَصَائِبَ وَيَجْلِبُ الصَّبْرَ بِإِذْنِ اللهِ أَنْ يَعْلَم أَنَّ تَشْدِيْدَ

البَلاءِ يَخُصُّ الأخيارَ، وَلِهَذَا لَمَّا سُئِلَ رسولُ الله ﷺ، أيُّ الناس أشَدُّ بَلاءً، قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ ثم الأَمْثَلُ فالأَمْثَلُ يُبْتَلَى الناسُ على قدرِ دِيْنِهِم فَمَنْ تَخُنَ دِيْنُهُ اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، ومَن ضَعُفَ دِيْنُهُ ضَعَفُ بَلاؤُهُ، وإِنَّ الرَجُلَ لَيُصِيبُهُ البَلاءُ حَتَّى يَمْشِيْ عَلى الأَرْضِ مَا عَلَيهِ خَطِيْئَةٌ» رواه ابنُ حِبَّانَ، ومنها أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ مَمْلُوكٌ لِلَّهِ وَلَيْسَ لِلْملوْكِ في نَفْسِهِ شَيْءٌ، ومنها أَنْ يَعْلَم أَنَّ هَذَا الوَاقِعَ وَقَعَ بِرِضَى السَّيِدِ، فَيَرْضَى بِمَا رَضِيَ بِهِ سَيِّدُهُ وَمَوْلاهُ وَهُوَ اللهُ جَلَّ وَعَلا رَضِيْنَا بِهِ رَباً وبالإِسلامِ دِيْناً وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً.

قال بعضُهم:

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيْبَةٍ وَتَجَلَّدِ ... واعْلَمْ بِأَنَّ المَرْءَ غَيْرَ مُخَلَّدِ
فإِذَا ذَكَرْتَ مُصِيْبَةً تَسْلُو بِهَا ... فاذْكُرْ مُصَابَكَ بالنبي مُحَمَّدِ

آخر: لا تَيْأَسَنَّ إِذَا مَا الأَمْرُ ضِقْتَ به ... ذَرْعاً ونَمْ مُسْتَرِيحاً خَالِيَ الْبَالِ
مَا بَيْنَ رَقْدَةِ عَيْنٍ وانتبَاهَتِهَا ... يُقَلِّبُ الدَّهْرُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالِ

وَمِن فَوائِدِ المَصَائِبِ والصّبر على مَا أَجْرَاهُ اللهُ على الإِنسانِ مِمَّا يَكْرَهُهُ مَا يَعْتَاضُهُ مِن الارْتِيَاض بنوائِبِ عَصْرِهِ وَيَسْتَفِيْدُهُ من اسْتِحْكَامِ الرَّأْيِ والعَقْلِ بالتَّجَارُبِ بِبَلاءِ دَهْرِهِ فَيَقْوَى عَقْلُه وَيَحْصُفُ رأْيُهُ بِإِذْنِ اللهِ وَيَكْمُلُ بأَدْنَى شِدَّتِه وَرَخَائِهِ وَيَتَّعِظُ بحَالَتَيْ عَفْوِهِ وَبَلائِهِ.

شِعْرًا: إِنِّيْ أَقُولُ لِنَفْسِيْ وَهِيْ ضَيِّقَةٌ ... وَقَدْ أَنَاخَ عَلَيها الضُرُّ بالعَجَبِ
صَبْرًا عَلَى شَدَّةِ آلامِ إِنَّ لَهَا ... عُقْبَى وَمَا الصَّبْرُ إِلَّا عِنْدَ ذِيْ الحَسَبِ
سَيَفْتَحُ اللهُ عَنْ قُرْبٍ بِنَافِعَةٍ ... فِيْهَا لِمِثْلِك رَاحَاتٌ مِنَ التَّعَبِ

وَأَقَلُّ مَا يُؤْتَاهُ المُؤْمِنُ في المَصَائِبِ الصَّبْرُ الذي يُخَفِّفُ وَقْعَهَا عَلَى النَّفْسِ وَأَكْثَرُهُ رَحْمَةُ اللهِ التي بِهَا تَتَحَوَّلُ النِقْمَةُ إلى نِعْمَةٍ بِمَا يَستفِيْدُ مِنه الاختبارَ والتَّمْحِيْصَ وَكَمَال العِبْرَةِ والتَّهذِيْبِ.

وَقَدْ يَبْتَلِي اللهُ المُؤْمِنَ وَيَمْتَحِنَ صَبْرَهُ فَتُعطِيْهِ قُوَّةُ إِيْمَانِهِ مِن الرَّجَاءِ بِهِ مَا تُخَالِطُ حَلاوَتُهُ مَرَارَةَ المُصِيْبَةِ حَتَّى تَغْلِبَهَا وَقَدْ يَأْنَسُ بالمُصِيْبَةِ لِعِظَمِ رَجَائِهِ وَصَبْرِهِ وَذَا وَإِنْ كَان نَادِراً فَهُوَ وَاقِعٌ حَاصِلٌ.

قال بعضهم:

تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضُرِ حَتَّى أَلِفْتُهُ ... ومَلَّ طَبِيْبِي جَانِبِي والعَوائِدُ

آخر: وَوَسَّعَ صَدْرِي لِلأَذَىٰ كَثْرَةُ الأَذَىٰ ... وكان قدِيْمًا قَدْ يَضِيْقُ بِهِ صَدْرِي

وَمِنْهَا أَنْ يَخْتَبِرَ أُمُوْرَ زَمَانِهِ وَيَتَنَبَّهَ عَلى إِصْلاحِ شَأْنِهِ فَلَا يَغْتَرَّ بِرَخَاءٍ ولا يَطْمَعَ فِي اسْتِوَاءٍ ولا يُؤَمِّلَ بَقَاءَ الدُنْيَا على حَالَةٍ، فَإِنَّ مَن عَرَفَ الدُنْيَا وَخَبَرَ أَحْوَالَهَا هَانَ عَلَيْهِ بُؤْسُهَا وَنَعِيْمُهَا، ولولَا مَا قَدَّرَهُ اللهُ مِن الحَوادِثِ والنَّوائِبِ لم يُعْرَفْ صَبْرُ الكِرامِ ولا جَزَعُ للِّئَامِ.

فَإِذَا ظَفِرَ المُصَابُ بِأَحَدِ هَذِهِ الأَسْبَابِ تَخَفَّفَتْ بإِذنِ اللهِ عنه أَحْزَانُه، وَتَسَهَّلتْ عليهِ أَشْجَانُه فَصَارَ سَرِيْعَ النِسْيَانِ لِلْمصَائِبِ، قَلِيْلَ الجَزَعِ حَسَنَ الصَّبْرِ والتَّجَمُلِ عندَ المَصَائِبِ.

شعرا في ذم الدُنْيَا:

سَلامٌ عَلَى دَارِ الغُرُوْرِ فإِنَّهَا ... مُنَغَصَّةٌ لَذَّاتُهَا بالفَجَائِعِ

فإِنْ جَمَعَتْ بَيْنَ المُحِبيْنَ سَاعةً ... فَعَمَّا قَلِيْلٍ أَرْدَفَتْ بالمَوَانِعِ

آخر: وما الموتُ إِلَّا رِحْلَةٌ غَيْرَ أَنَّهَا ... مِن المَنْزِل الفَانِي إلى المَنْزِلِ الباقي

آخر: رَأَيْتُ بَنِي الدنيا كَوَفْدَيْنِ كُلَّمَا ... تَرَحَّلَ وَفْدٌ حَطَّ فِي إِثْرِه وَفْدُ

وَكُلٌّ يَحُث السَّيْرَ عنها ونَحوها ... فَيَمْضِي بِذَا نَعْشٌ وَيأْتِي بِذَا مَهْدُ

آخر: وَكُلِّ أَبٍ وابْنٍ وَإِنْ مُتِّعَا مَعَا ... مُقِيْمَيْنِ مَفْقُوْدٌ لِوَقْتٍ وَفَاقِدُ

آخر: فلا تَجزَ عَنْ لِلْبَيْنِ كُلُّ جَمَاعَةٍ ... وَرَبِّكَ مَكْتُوْبٌ عَلَيْهَا التَّفَرُّقُ

وَخُذْ بالتَّعَزِّيْ كُلَّ مَا أَنْتَ لَابِسُ   جَدِيْداً عَلَى الأَيَّامِ يَبْلَي وَيَخْلَقُ
فَصَبْرُ الفَتَى عَمَّـا تَوَلَّـى فَفَاتَـهُ   مِنْ الأَمْرِ أَوْلَى بالسَّدَادِ وَأَوْفَقُ
وَإِنَّكَ بالاشْفَاقِ لا تَدْفَعُ الرَّدَى   وَلَا الخَيْرُ مَجْلُوبٌ فَمَا لَكَ تُشْفِقُ
كَأَنْ لَمْ يَرُعْكَ الدَّهْرُ أَوْ أَنْتَ آمِنٌ   لِأَحْدَاثِهِ فِيْمَـا يُغَادِيْ وَيَطْـرُقُ

إِخْوَانِي أَيْنَ الأُمَمُ الماضِيَةِ، أَيْنَ القُرُوْنُ الخَالِيَةِ أَيْنَ مَنْ نُصِبَتْ على مَفَارِقِهِم التِّيْجَانُ، أَيْنَ الذينَ قَهَرُوا الأَبْطَالَ وَالشُّجْعَانِ، أَيْنَ الذين دَانَتْ لهم المَشَارِقُ والمَغَارِبُ، أَيْنَ الذين تَمَتَّعُوا باللذَاتِ مِن المَطَاعِمِ وَالمَشَارِبِ، أَيْنَ الذِيْنَ اغْتَرُّوا بالأَجْنَادِ والسُّلطَانِ.

أَيْنَ أَصْحَابُ السَّطْوَةِ والأعْوَانِ، أَيْنَ أَصْحَابُ الأَسِرَّةِ وَالوِلَايَاتِ، أَيْنَ الذين خَفَقَتْ عَلى رُؤُسِهِم الأَلْوِيَةُ وَالرَّايَاتِ، أَيْنَ الذين قَادُوا العَسَاكِرَ، أَيْنَ الذين عَمَرُوا القُصُوْرِ الشَّامِخَاتِ والقُللَ الفَسِيْحَاتِ، أَيْنَ الذينَ غَرَسُوْا النخِيْلَ والأشجَارَ المثمِرَات.

أَيْنَ الذين مَلَؤُوا مَا بَيْنَ الخَافِقَيْنِ فَخْراً وَعِزًّا، أَيْنَ الذين فَرَشُوْا القُصُوْرَ خَزًّا وَقَزّاً، أَفْنَاهُم واللهِ مُفْنِي الأُمَمِ، وَأَبَادَهُم مُبِيْدُ الرِّمَم، وَأَخْرَجَهُم مِن سَعَةِ المَسَاكِنِ، والقُصُورِ، وَأَسْكَنَهُم في ضِيْقِ اللُّحُودِ والقُبُورِ تَحْتَ الجَنَادِلِ وَالصخُوْرِ.

قَدْ خَلتْ مِن كَثْرَتِهم أَمَاكِنُهم ولم يَنْفَعْهُم مَا جَمَعُوا مِن الحُطَام، وَلَا أَغْنَى عَنْهُم مَا كَسَبُوا مِن حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ أَسْلَمَهُمْ الأَحِبَّةُ والأَوْلِيَاءُ، وَهَجَرَهُمْ الإِخْوَانُ والأَصْفِيَاءُ وَنَسِيَهُمْ الأَقْرِبَاءُ والبُعَدَاءُ.

شِعْرًا: مَنْ ذَا الذِيْ قَدْ نَالَ رَاحَةَ فِكْرِهِ   في عُسْرِهِ من عُمْـرِه أَوْ يُسْرِهِ
يَلْقَى الغَنِيُّ لِحفْظِهِ مَا قَدْ حَوَى   أَضْعَافَ مَا يَلْقَى الفَقِيْرُ لِفَقْرِهِ
فَيَظَـلُّ هَذَا سَاخِطـاً في قِلِّـهِ   وَيَظَـلُّ هَذَا تَاعِبـاً في كُثْـرِهِ
عَمَّ البَـلَاءُ لِكُـلِّ شَمْـلٍ فُرْقَـةٌ   يُرْمى بِهَا في يَوْمِـهِ أَوْ شَهْـرِهِ

وَالجِنُّ مِثْلُ الإِنْسِ يَجْرِيْ فِيْهِمُوْا حُكْمُ القَضَاءِ بِحُلْوِهِ وَبِمُرِّهِ
فَإِذَا المَرِيْدُ أَتَى لِيَخْطِفَ خَطْفَةً جَاءَ الشِّهَابُ بِحَرْقِهِ وَبِزَجْرِهِ
وَنَبِيُّ صِدْقٍ لَايَزَالُ مُكَذَّباً يُرْمَى بِبَاطِلِ قَوْلِهِمْ وَبِسِحْرِهِ
وَمُحَقِّقٌ فِي دِيْنِهِ لَمْ يَخْلُ مِنْ ضِدٍّ يُوَاجِهُهُ بِتُهْمَةِ كُفْرِهِ
والعَالِمُ المُفْتِي يَظَلُّ مُنَازَعاً بِالمُشْكِلَاتِ لَدَى مَجَالِسِ ذِكْرِهِ
وَالوَيْلُ إِنْ زَلَّ اللسَانُ فَلَا يَرَى أَحَداً يُسَاعِدُ فِي إِقَامَةِ عُذْرِهِ
وَأَخُو الدِّيَانَةِ دَهْرُهُ مُتَنَغِّصٌ يَبْغِي التَّخَلُّصَ مِنْ مَخَاوِفِ قَبْرِهِ
أَوْ مَا تَرَى المَلِكَ العَزِيْزَ بِجُنْدِهِ رَهْنَ الهُمُومِ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِ
فَيَسُرُّهُ خَبَرٌ وَفِي أَعْقَابِهِ هَمٌّ تَضِيْقُ بِهِ جَوَانِبُ قَصْرِهِ
وَأَخُو التِّجَارَةِ حَائِرٌ مُتَفِكِّرٌ مِمَّا يُلَاقِيْ مِنْ خَسَارَةِ سِعْرِهِ
وَأَبُو العِيَالِ أَبُو الهُمُومِ وَحَسْرَةُ الرَّ جُلِ العَقِيْمِ كَمِيْنَةٌ فِي صَدْرِهِ
وَتَرَى القَرِيْنِ مُضْمِراً لِقَرِيْنِهِ حَسَداً وَحِقْدَاً فِي غِنَاهُ وَفَقْرِهِ
وَلَرُبَّ طَالِبُ رَاحَةٍ فِي نَوْمِهِ جَاءَتْهُ أَحْلَامٌ فَهَامَ بِأَمْرِهِ
وَالطِّفْلُ مِنْ بَطْنْ أُمِّهِ يَخْرُجْ إِلى غُصَصِ الفِطَامِ تَرُوعُهُ فِي صِغْرِهِ
وَلَقَدْ حَسَدْتُ الطَّيْرَ فِي أَوْكَارِهَا فَوَجَدْتُ مِنْهَا مَا يُصَادُ بِوَكْرِهِ
وَالوَحْشُ يَأْتِيْهِ الرَّدَى فِي بَرِّهِ وَالحُوْتُ يَأْتِيْ حَتْفُهُ فِي بَحْرِهِ
وَلَرُبَّمَا تَأْتِيْ السِّبَاعُ لِمَيِّتٍ فَاسْتَخْرَجَتْهُ مِنْ قَرَارِهِ قَبْرِهِ
كَيْفَ الْتِذَاذُ أَخِيْ الحَيَاةِ بِعَيْشِهِ مَازَالَ وَهُوَ مُرَوَّعٌ فِي أَمْرِهِ
تَاللهِ لَوْ عَاشَ الفَتَى فِي أَهْلِهِ أَلْفاً مِن الأَعْوَامِ مَالِكَ أَمْرِهِ
مُتَلَذِّذاً مَعَهُم بِكُلِّ لَذِيْذَةٍ مُتَنَعِّماً بالعَيْشِ مُدَّةَ عُمْرِهِ
لَا يَعْتَرِيْهِ النَّقْصُ فِي أَحْوَالِهِ كَلَّا وَلَا تَجْرِي الهُمُومُ بِفِكْرِهِ
مَا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ مِمَّا يَفِيْ بِنُزُوْلِ أَوْلِ لَيْلَةٍ فِيْ قَبْرِهِ
كَيْفَ التَّخَلُّصُ يَاأَخِيْ مِمَّا تَرى صَبْراً على حُلْوِ القَضَاءِ وَمُرِّهِ

اللَّهُمَّ أَنْظُمْنَا في سِلْكِ حِزبِكَ المُفلِحِين، واجْعلنا مِنْ عبادِكَ المُخْلِصين وَآمِنَّا يومَ الفَزَعِ الأَكبرِ يومَ الدِين، واحشُرْنا مَعَ الذين أَنعمتْ عليهم مِنَ النَبيين والصِّديقينَ والشُهداء والصالحينِ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ» في هديه ﷺ في علاج حر المصيبة وحزنها

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ؛ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالوا إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ، وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

وفي المسند عنه ﷺ، أنه قال: «ما مِن أَحدٍ تصيبه مصيبةٌ فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم: أُجُرني في مُصيبتي، وأخلف لي خيراً منها، إلا آجَرَه الله في مصيبته، وأخلف له خيراً منها».

وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له في عاجلته وآجلته. فإنها تتضمن أصلين عظيمين- إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته- (أحدهما): أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقةً.

وقد جعله عند العبد عاريةً، فإذا أخذه منه، فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير، وأيضاً فإنه محفوف بعدمين: عدمٍ قبله، وعدمٍ بعده، وملكُ العبد له مُتعة مُعارة في زمن يسير. وأيضاً فإنه ليس هو الذي أوجده من عدمه، حتى يكون ملكه حقيقة؛ ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده، ولا يُبقى عليه وجوده.

فليس له فيه تأثير ولا ملكٌ حقيقي. وأيضاً فإنه متصرِّفَ العبد المأمور المنهيِّ، لا تصرُّف المُلاكِ. ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه، إلا ما وافق أمرَ مالكه الحقيقي.

وقال ابن سيرين: «ما كان ضحكٌ قط، إلا كان من بعده بكاءٌ».

وقالت هند بنت النعمان: «لقد رأيتُنا ونحن من أعزَّ الناس وأشدِّهم مُلكا، ثم لم تغب الشمسُ حتى رأيتُنا ونحن أقلُّ الناس، وإنه حقٌّ على الله أن لا يملأ داراً خَيْرةً، إلا ملأها عَبرةً».

وسألها رجل أن تحدثَه عن أمرها، فقالت: «أصبحنا ذات صباح وما في العرب أحدٌ إلا يرجونا، ثم أمسينا وما في العرب أحد إلا يرحمُنا».

وبكت أختُها حُرقَةُ بنت النعمان يوماً - وهي في عزها - فقيل لها: ما يبكيك؟ لعل أحد آذاكَ؟ قالت: «لا؛ ولكن رأيت غضارة في أهلي، وقلَّما امتلأت دار سروراً، إلا امتلأت حزناً».

قال إسحق بن طلحة: «دخلت عليها يوماً، فقلت لها: كيف رأيت عبرات الملوك؟ فقالت: ما نحن فيه اليَوم خيرٌ مما كنا فيه بالأمس؛ إنا نجد في الكتب أنه ليس من أهل بيت يعيشون في خيْرة، إلا سيُعقَبون بعدها عبرةً؛ وإن الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه، إلا بطن لهم بيوم يكرهونه»، ثم قالت:

فَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ: والأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ
فأُفٍّ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعيمُهَا تَقَلَّبُ تَارَاتٍ بِنَا، وَتَصَرَّفُ

ومن علاجها: أن يعلم أن الجزع لا يردها، بل يضاعفها، وهو في الحقيقة من تزايُد المرض.

ومن علاجها: أن يعلم أن فوت ثواب الصبر والتسليم - وهو من الصلاة والرحمة والهداية التي ضمِنَها الله على الصبر والاسترجاع - أعظمُ من المصيبة في الحقيقة.

ومن علاجها: أن يعلم أن الجزع يُشمت عدوه، ويُسيء صديقه،

ويُغضب ربه، ويَسر شيطانه، ويُحبط أجره، ويُضعف نفسه. وإذا صبرَ واحتسب: أقصىَ شيطانه، ورد خاسئاً، وأرضى ربه، وسر صديقه، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه، وعزَّاهم هو قبل أن يُعزوه. فهذا هو الثبات والكمال الأعظم؛ لا لطمُ الخدود، وشقُّ الجيوب والدعاء بالويل والثُّبور، والسخَطُ على المقدور.

ومن علاجها: أن يعلم أن ما يعقبه الصبر والاحتساب- من اللذة والمسرة- أضعافُ ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به، لو بقي عليه. ويكفيه من ذلك بيتُ الحمد الذي يُبنى له في الجنة، على حمده لربه واسترجاعه. فلينظرْ أيّ المصيبتين أعظمُ: مصيبةُ العاجلة؟ أو مصيبةُ فوات بيت الحمد في جنة الخلد؟

وفي الترمذي مرفوعاً: «يودُّ ناس يومَ القيامة أن جلودَهم كانت تُقرضُ بالمقاريض في الدنيا، لما يرون من ثواب أهل البلاء».

وقال بعض السلف: «لولا مصائبُ الدنيا، لورَدْنا القيامة مفاليس».

شِعْرَا: وَعُوِّضْتَ أَجْراً مِنْ فَقِيْدٍ فلا يَكُنْ فَقِيْدُكَ لَا يَأْتِيْ وأَجْرُكَ يَذْهَبُ

ومن علاجها: أن يُرَوِّح قلبه برَوْح رجاء الخلف من الله، فإنه من كل شيء عوض، إلا الله فما منه عوضٌ. كما قيل:

شِعْرَا: لَعَمْرِيْ مَا الرَّزِيَّةُ فَقْدُ قَصْرٍ فَسِيْحٍ مُنَيَةٌ للسَّاكِنِقْيْنَا
ولكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَقْدُ دِيْنٍ يَكُوْنُ بفَقْدِهِ مِن كَافِرِيْنَا

آخر: مِنْ كُلِّ- شَيْءٍ إِذَا ضَيَّعْتَهُ- عِوَضٌ وَمَا مِنَ اللهِ- إِنْ ضَيَّعْتَهُ- عِوَضُ

ومن علاجها: أن يعلم أن حظه من المصيبة ما تحدثه له؛ فمن رضي فله الرضا، ومن سخِط فله السَّخَط. فحظُّك منها ما أحدثته لك، فاختر إما خيرَ الحظوظ، أو شرَّها. فإن أحدثت له سخطاً وكفراً: كتب في ديوان

الهالكين، وإن أحدثت له جزعاً وتفريطاً في ترك واجب، أو في فعل محرم: كُتب في ديوان الهالكين، وإن أحدثْت له شكاية وعدم صبرٍ: كُتب في ديوان المغبونين.

وإن أحدثت له اعتراضاً على الله، وقدحاً في حِكْمَتِهِ: فقد قرع باب الزندقة أو ولجَه، وإن أحدثت له صبراً وثباتاً لله: كُتب في (ديوان الصابرين). وإن أحدثت له الرضا: كُتب في (ديوان الراضين). وإن أحدثت له الحمد والشكر: كُتب في (ديوان الشاكرين)، وكان تحت لواء الحمد مع الحمَّادين، وإن أحدثت له محبةً واشتياقاً إلى لقاء ربه: كتب في (ديوان المحبين المخلصين).

وفي مسند الإمام أحمد والترمذيِّ - من حديث محمود بن لَبيد يرفعه -: «إن الله إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضا، ومن سخِط فله السَّخَطُ»؛ زاد أحمد «ومن جزِع فله الجزعُ».

ومن علاجها: أن يعلم أنه وإن بلغ في الجزع غايتَه، فآخرُ أمره إلى صبر الاضطرار. وهو غير محمود ولا مُثاب.

قال بعض الحكماء: «العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة، ما يفعله الجاهل بعد أيام، ومَن لم يصبرْ صبرْ الكرام، سلا سلُوَّ البهائم». وفي الصحيح مرفوعاً: «الصبرُ عند الصَّدْمَة الأولى». وقال الأشعث بن قيس: «إنك إن صبرت إيماناً واحتساباً؛ وإلا سلوتَ سلُوَّ البهائم».

ومن علاجها: أن يعلم أن أنفع الأدوية له موافقة ربه وإلٰهه فيما أحبه ورضيه له، وأن خاصيَّة المحبة وسرَّها موافقة المحبوب، فمن ادعى محبة محبوب، ثم سخِط ما يُحبه وأحبَّ مايَسخطه: فقد شهد على نفسه بكذبه، وتمقَّت إلى محبوبه.

وقال أبو الدرداء: «إن الله إذا قضى قضاء، أَحَبَّ أن يُرضَى به»، وكان عمران ابن الحصين، يقول في علَّته: «أحبُّه إليَّ: أحبُّه إليه»، وكذلك قال أبو العالية.

وهذا دواء وعلاج لا يَعمل إلا مع المحبين، ولا يمكن كل أحد أن يتعالج به..

ومن علاجها: أن يوازِنَ بين أعظم اللذتين والتمتعين وأدْوَمهما: لذةِ تمتعِه بما أصيب به، ولذة تمتعه بثواب الله له فإن ظهر له الرجحان، فآثر الراجح: فليحمد الله على توفيقه، وإن آثر المرجوحَ من كل وجه: فليعلم أن مصيبته في عقله وقلبه ودينه، وأعظمُ من مصيبته التي أُصيب بها في دنياه.

شِعْرًا: وإذا تصِبْكَ مُصِيبة فاصْبِرْ لَهَا   عَظُمَتْ مُصِيْبَةُ مُبْتَلَى لا يَصْبِرُ

ومن علاجها: أن يعلم أن الذي ابتلاه بها: أحكمُ الحاكمين، وأرحمُ الراحمين؛ وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاءَ ليهلكه، ولا ليعذبه به، ولا ليَجْتَاحَه، وإنما افتقده به: ليمتحنَ صبرَه ورضاه عنه وإيمانه، وليسمع تضرعه وابتهالَه، وليراه طريحاً ببابه، لائذاً بجنابه، مكسور القلب بين يديه، رافعاً قصص الشكوى إليه.

قال الشيخ عبد القادر: «يا بني: إن المصيبةَ ما جاءت لتهلكَك، وإنما جاءت لتمتحنَ صبرك وإيمانك؛ يا بني: القدرُ سبعٌ، والسبعُ لا يأكل الميتةَ».

والمقصود: أن المصيبة كِيرُ العبد الذي يُسبكُ به حاصله، فإما أن يخرجَ ذهباً أحمرَ، وإما أن يخرجَ خَبَثاً كله. كما قيل:

سَبَكْنَاه: ونَحْسِبُـهُ لُجَيْنـاً؛   فأَبْدَى الْكِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ

فإن لم ينفعه هذا الكِيرُ في الدنيا: فبيْنَ يديه الكِيرُ الأعظم. فإذا علم العبد أن إدخاله كِيرَ الدنيا ومَسبكَها خيرٌ له من ذلك الكير والمسبك، وأنه لا بد من أحد الكيرَين فليعلم قدرَ نعمة الله عليه في الكير العاجل.

فلولا أَنَّهُ سبحانه يداوِي عباده بأدوية المحن والابتلاء، لَطَغوا وبغوا وعَتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً: سقاه دواءً– من الإبتلاء والامتحان – على قدر حاله، يستفرغ به من الأدواء المهلكه؛ حتى إذا هَذَّبَهُ وصفَّاه: أهَّله لأشرفِ مراتب الدنيا– وهي عبوديته– وأرفع ثواب الآخرة، وهو رؤيته وقربه.

ومن علاجها: أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة، يَقلِبُها الله سبحانه كذلك؛ وحلاوةَ الدنيا بعينها مرارةُ الآخرة. ولأنْ ينتقل من مرارة منقطعة، إلى حلاوة دائمة– خيرٌ له من عكس ذلك.

فإن خفيَ عليك هذا فانظر إلى قول الصادق المصدوق: «حُفَّتِ الجنةُ بالمَكَارِه، وحُفتِ النارُ بالشَّهواتِ».

وفي هذا المقام تفاوتت عقولُ الخلائق، وظهرت حقائق الرجال فأكثرُهم آثر الحلاوةَ المنقطعة، على الحلاوة الدائمة التي لا تزول، ولم يحتملْ مرارةَ ساعةٍ بحلاوة الأبد، ولا ذُلّ ساعةٍ لعزِّ الأبد، ولا محنةَ ساعةٍ لعافيةِ الأبد. فإن الحاضر عنده شهادةٌ، والمنتظر غيبٌ، والإيمانَ ضعيفٌ، وسلطان الشهوة حاكم. فتولَّدَ مع ذلك إيثارُ العاجلة، ورفضُ الآخرة.

وهذا حال النظر الواقع على ظواهر الأمور وأوائلها ومبادئها، وأما النظر الثاقب الذي يخرِق حُجُب العاجلة، ويُجاوزه إلى العواقب والغايات، فله شأنٌ آخر.

فادع نفسك إلى ما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته: من النعيم المقيم، والسعادة الأبدية، والفوز الأكبر، وما أعدَّ لأهل البَطالة والإضاعة: من الخزي والعقاب، والحسرات الدائمة، ثم أخترْ أيُّ القسمَيْن أليقُ بك. و (كلٌّ يَعْمَلُ على شَاكِلَتِهِ)، وكل أحد يصبُو إلى ما يناسبه وما هو الأولى به. ولا تستطلْ هذا العلاج: فشدةُ الحاجة إليه– من الطبيب العليل– دعت إلى بسطه. وبالله التوفيق.

شِعْرًا: نُعَلِّــلُ بالــدَّوَاءِ إذَا مَرِضْنَــا وهَلْ يَشْفِي مِنَ المَوتِ الدَّواءُ
وَنَخْتَارُ الطَّبِيْبَ وَهَلْ طَبِيْبٌ يُؤَخِّــرُ مَا يُقَدِّمُــهُ الــقَضَاءُ

آخر: إصْبِرْ على حُلْوِ القَضاءِ ومُرِّهِ واعْلَمْ بأنَّ اللهَ بالِــغُ أمْــرِهَ
فالصَّدرُ مَن يَلْقَى الخُطُوبَ بصَدْرِهِ وبِصَبْرِه وبِحَمْدِه وبِشُكْــرِه
الحُرُّ سَيْفٌ والذُّنُوبُ لِصَفْوِهِ صَدَأ وصَيْقَلُهُ نَوائِبُ دَهْــرِهِ
لَيْسَ الحَوادِثُ غيرَ أعْمَالِ امْرِىءٍ يُجْزَى بِهَا مِن خَيرِه أوْ شَرِّهَ
فإذا أصِبْتَ بِمَا أصِبْتَ فلا تَقُلْ أوذِيتُ مِن زَيْدِ الزَّمانِ وعَمْرِهِ
واثْبُتْ فكَمْ أمْرٍ أمَضَّكَ عُسْرُهُ لَيْلًا فبَشَّرَك الصبَّــاحُ بيُسْرِهِ
ولَكَمْ على نَاسٍ أتَى فَرَجُ الفَتى مِن سِرِّ غَيْبٍ لا يَمُرُّ بِفِكْرِهِ
فاضْرَعْ إلى اللهِ الكَرِيمِ ولا تَسِلْ بَشَراً فَلَيْسَ سِوَاهُ كَاشِفَ سِرِّهِ
واعْجَبْ لِنَظْمِيَ والهُمُومُ شَوَاغِلٌ يُلْهِينَ عَن نَظمِ الكَلامِ ونَثْرِهِ
لا تَخْشَ مِن غَمٍّ كَغَيْمٍ عَارِضٍ فَلَسَوْف يُسْفِرُ عن إضَاءَةِ بَدْرِهِ
إنْ تُمْسِ عن عَبَّاسٍ حَالِكَ رَاوِياً فكَأنَّنِي بكَ رَاوِياً عن بِشْرِهِ
وَلَقَدْ تَمُرُّ الحادِثَاتُ عَلَى الفتى وَتَزُولُ حَتَّى ما تَمُرُّ بِفِكْرِهِ
هَوِّنْ عَليكَ فرُبَّ أمْرٍ هَائِلٍ دُفِعَتْ قُواهُ بِدافِــعٍ لم تَدْرِهِ
ولَرُبَّ لَيلٍ بالهُمُوْمِ كَدُمَّلٍ صَابَرْتَهُ حتَى ظَفِرْتَ بِفَجْرِهِ
ثُمَّ الصَّلاةُ على النَّبِيِّ وَآلِــهِ مَعْ صَحْبِــهِ والتَّابِعِيْــنَ لأمْرِهِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأبْرارِ وأسْكِنَّا مَعَهمُ في دارِ القرارَ، اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا بحُسْنِ الإقْبَالِ عَليكَ والإصْغَاءِ إليكَ ووَفِّقْنَا لِلتَّعاوُنِ في طَاعَتِكَ، اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الإنسانَ في أحْسَنِ تقويم وبِقدَرَتِهِ التِيْ لَا يُعْجِزُهَا شَيءٌ يُحْيِي العِظَامَ وَهْيَ رَمِيْمٌ نَسْألُكَ أنْ تَهْدِيْنَا إلَى صِرَاطِكَ المُسْتَقِيْمِ صِرَاطِ الذيْنَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ وَأنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ في الخَـوْفِ»

اعْلَمْ وَفَّقْنَا وإيَّاكَ لِمَا يُحِبُّهِ وَيَرْضَاه أَنَّ الخَوْفَ عِبَارَةٌ عن تَأَلُّم القلْبِ واحْتِرَاقِهِ بِسَبَبِ تَوَقّعِ مَكْرُوهٍ في المُسْتَقْبَل وَقِيْلَ الخَوْفُ قُوَّةُ العِلْم بِمَجَارِي الأَحْكَامِ وَقِيْلَ هَرَبُ القَلْبِ من حُلُولِ المَكْرُوهِ عِنْدَ اسْتشْعَارِهِ.

فَالخَوفُ لِعَامَّةِ المؤمنينَ وَالخَشْيَة لِلعُلَمَاءِ العَارِفِيْنَ والهَيْبَةُ لِلمُحِبِّيْنَ والاجْلالُ لِلْمُقَرَّبِيْنَ، وَعَلى قَدْرِ العِلمِ باللهِ وَمَعْرِفَةِ العَبْدِ بِنَفْسِه يَكُونُ الخَوْفُ والخَشْيَةُ كَمَا قالَ النَّبيّ ﷺ: «إنّي لاعْلَمُكم باللهِ وَأَشَدُّكُم له خَشْيَةً» وفي رِوَايَةٍ «خَوْفاً».

وَإِذَا كَمُلَتْ المَعْرِفَةُ أَثَّرتْ الخَوْفَ فَفَاضَ أَثَرُهُ عَلَى القَلْبِ، ثُمَّ ظَهَرَ على الجَوَارِحِ، والصِّفَاتِ النُّحُولِ وَالاصْفِرَارِ وَالبُكاءِ وَالغُشِيْ، وَقَدْ يُفْضِيْ إلى الموتِ.

وَأَمَّا ظُهُورُ أَثَرِه على الجَوَارِح فَبِكَفِّها عن المَعَاصِي، وإلْزَامِهَا الطَّاعَاتِ تَلافِياً، واسْتِدْرَاكًا لِمَا فَرطَ، واسْتِعْدَاداً لِلمُسْتَقْبَلِ.

ومِنْ ثَمَراتِ الخَوْفِ أَنَّه يَقْمَعُ الشَّهَواتِ، وَيُكَدِّرُ اللَّذَّاتِ، فَتَصِيْرُ المَعَاصِيْ المَحْبُوبَةِ عِنْدَهُ مَكْرُوهَةً، كَمَا يَصِيْرُ العَسَلُ وَاللبَنُ مَكْرُوهاً إِذَا عَلِمَ أَنَّ فِيْهِ سُمّاً، فَتَحْتَرِقُ الشَّهَوَاتُ بالخَوْفِ، وتَتَأَدَّبُ الجَوَارِحُ، وَيَذِلُّ القَلْبُ، وَيَسْتَكِيْنُ وَيُفَارِقُهُ الكِبْرُ والحَسَدُ والحِقْدُ، وَيَصِيْرُ مُسْتَوْعِباً الهَمَّ لِخَوْفِهِ وَالنَّظَرِ في خَطرِ عَاقِبَتِه.

فَلَا يَتَفَرَّغُ لِغَيْـرِهِ، وَلَا يَكُـوْنُ له شُغْـلٌ إلا المُرَاقَبَـةَ، وَالمُحَاسَبَـةَ وَالمُجَاهَدَةَ، وَالبُخلَ في الأَنْفَاسِ، وَاللّحظاتِ، أَنْ يَصْرِفَهَا فِيْمَا لا فَائِدَةَ فِيْهِ، وَمُؤَاخَذَةَ النّفْسِ في الخَطَرَاتِ، والخَطَوَاتِ، والكَلِمَاتِ، وَقُوَّةُ الخَـوْفِ

بِحَسَبِ قوّةِ المَعْرِفَةِ بِجَلَالِ اللهِ تَعَالَى، وَصِفَاتِهِ وَبِعُيُوبِ النَّفْسِ، وَمَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ الاخْطَارِ وَالأَهْوَالِ.

وَمُقَدِّمَاتُ الخَوْفِ، أَرْبَعٌ: الأَوْلَى ذِكْرُ الذُّنُوبِ الكَثِيْرَةِ العَظِيْمَةِ التي سَلَفَتْ فِيْمَا مَضَى وَكَثْرَةِ ذكرِ الخُصُومِ الذين مَضَوا وَأَنْتَ مُرْتَهَنٌ لم يتَبَيَّنْ لكَ الخَلاصُ حَتَّى الآن، والثَّانِيَة ذِكْرُ شِدَّةِ العُقُوبَةِ، وَالثَّالِثَةِ ذِكْرُ قُدْرَةِ اللهِ عَلَيْكَ مَتَى شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ، وَالرَّابِعَةُ ذِكْرُ ضَعْفِكَ عَنْ احْتِمَالِ العُقُوْبَةِ.

شِعْرًا: حَقِيق بالتواضع مَنْ يَمُوتُ — ويكفي المرء مِن دُنْيَاهُ قوتُ
فَمَا للْمرءِ يُصْبِحَ ذَا هُمُوْمٍ — وحِرْصٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ النُعوتُ
فَيَا هَذَا سَتَرْحَلُ عَنْ قَرِيْبٍ — إلى قَوْمٍ كَلَامُهُمُ السُّكُوْتُ

آخر: النَّفسُ تَبْكِيْ عَلَى الدُنْيا وَقَدْ عَلِمَتْ — أنّ السَّلَامةَ مِنْهَا تَرْكُ مَا فِيْهَا
لَا دَارَ لِلْمَرءِ بَعْدَ الموتِ يَسْكُنُهَا — إِلَّا الّتِيْ كَانَ قَبْلَ الموتِ بَانِيْهَا
فَإِنْ بَنَاهَا بِخَيْرٍ طَابَ مَسْكَنُهُ — وَإِنْ بَنَاهَا بِشَرٍ خابَ بَانِيْهَا

آخر: ومَا مَنْ يَخَافُ المَوْتَ وَالنارَ آمِنُ — وَلكِنْ حَزِيْنٌ مُوْجَعُ القَلْبِ خَائِفُ
إِذَا عَنَّ ذِكْرُ الموتِ أَوْجَعَ قلبَهُ — وَهَيَّجَ أَحْزَاناً ذُنُوْبٌ سَوالِفُ

ثُمَّ اعْلَمْ أنَّ الخَوْفَ يَحُثّ على العِلْمِ، والعَمَل، قالَ أَبُو حَفْصٍ الخَوْفُ سَوْطُ اللهِ، يُقَوِّمُ به الشَّارِدِيْنَ عَنْ بَابِهِ، وَقَال الخَوْفُ سِرَاجٌ في القلْبِ، بِهِ يُبْصِرُ مَا فِيْهِ من الخَيْرِ والشَّرِ، وَكُلُّ أَحَدٍ إذا خِفتَهُ هَرَبْتَ مِنْهُ إلا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فإنَّكَ إذا خِفْتَهُ هَرَبْتَ إليْهِ فالخَائِفُ هَارِبٌ مِنْ رَبِّه إلى رَبِّه.

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: مَا فَارَقَ الخَوْفُ قَلْباً إلا خَرِبَ، وَقَالَ إِبْرَاهِيْمُ بْنُ سُفْيَانَ إِذَا سَكَنَ الخَوْفُ القُلُوبَ أَحْرَقَ مَوَاضِعَ الشَّهَواتِ مِنْهَا وَطَرَدَ الدُّنْيَا عَنْهَا، قَال في مُخْتَصَر مِنْهَاج القَاصِدِيْنَ وَالخَوْفُ لَهُ إِفْرَاطٌ وَلَهُ اعْتِدَالٌ، وَلَهُ قصُورٌ والمَحْمُودُ مِن ذَلِكَ الاعْتِدَالِ.

وَهُوَ بمَنْزِلَةِ السَّوْطِ لِلْبهيمة، فَإِنَّ الأَصْلَحَ للبَهِيْمَةِ أَنْ لا تَخْلُو عن سَوْطٍ، وَلَيْسَ المبَالغَةُ في الضَّرْبِ مَحْمُودَةٌ، ولا المتَقَاصِرُ عن الخوفِ أَيْضاً مَحْمُوداً، وَهُوَ كالذي يَخْطُرُ بالبَالِ عِنْدَ سَمَاعِ آيَةٍ، أَو سَبَبٍ هَائِلٍ فيُورِثُ البُكَاءَ، فإذا غَابَ ذَلِكَ السَّبَبُ عن الحِسِّ رَجَعَ القلبُ إلى الغَفلةِ، فهو خَوْفٌ قاصِرٌ قليلُ الجَدْوَى ضعيفُ النَّفْعِ، وهو كالقَضِيْبِ الضَّعِيْفِ، الذي يُضْرَبُ به دَابّةٌ قويّةٌ فلا يُؤلِمُهَا أَلَماً مُبَرِّحاً، فلا يَسُوقُهَا إلى المقصَدِ ولا يَصْلُحُ لِرِيَاضَتِهَا.

وَهَذا هُوَ الغَالِبُ على الناسِ كُلِّهم إِلَّا العَارِفِيْنَ والعُلَمَاءِ أعْنِي العُلَمَاءَ باللهِ وَبآيَاتِه وقد عَزَّ وُجُوْدُهُم، وَأَمَّا المُرتَسِمُوْنَ بُرسومِ العِلْمِ فَإِنَّهُم أَبْعَدُ النَّاسِ عن الخَوْفِ، وهل العلماء حَقَيْقَة يأخذون من الدنيا إلا بقدر البلاغ.

وَأَمَّا القِسْمُ الأَوَّلُ وهو الخَوْفُ المُفْرِطُ فهو كَالذِي يَقوَى وَيُجَاوِزُ حَدَّ الاعْتِدَالِ، حَتَّى يَخْرُجَ إلى اليأسِ والقُنُوطِ، فَهُوَ أَيْضاً مَذْمُومٌ لأَنَّهُ يَمْنَعُ مِن العَمَلِ، وَقَدْ يَخْرُجُ إلى المَرَضِ والوَلَهِ وَالمَوْتِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مَحْمُوداً.

وَكُلّ مَا يُرَادُ لِأَمْرٍ فالمَحْمُودُ مِنْهُ ما يُفْضِي إلى المُرادِ الْمقْصُودِ مِنْهُ، وَمَا يَقْصُرُ عَنه أَو يُجَاوِزُهُ فهُوَ مَذمُوم وَفَائِدَةُ الخَوْفِ الحَذَرُ والوَرَعُ والتَّقْوَى وَالمجَاهَدَة وَالفِكْرِ والذِّكْرِ والتَّعبُّدِ وَسَائِرِ الأَسْبَابِ التي تُوصِلُ إلى اللهِ تَعَالَى وَكُلُّ ذَلِكَ يَسْتَدْعِيْ الحَيَاةَ مَعَ صِحَّةِ البَدَنِ وَسَلَامَةِ العَقْلِ فَإِذَا قَدَحَ في ذَلِكَ شَيءٌ كَانَ مَذْمُوماً وصلى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبهِ أَجمعين.

«فَصْــــلٌ»

وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ: وَالقَدْرُ الوَاجِبُ مِنْ الخَوْفِ مَا حَمَلَ عَلى أَدَاءِ الفَرَائِضِ واجْتِنَابِ المَحَارِمِ فَإِن زَادَ على ذَلِكَ بِحَيْثُ صَارَ بَاعِثاً لِلنُّفُوسِ على التَّشْمِيْرِ في نَوَافِلِ الطَّاعَاتِ، والانْكِفَافِ عَنْ دَقَائِقِ المَكْرُوهَاتِ، والتَّبسُّطِ في فُضُوْلِ المُبَاحَاتِ، كَانَ ذَلِكَ فَضْلًا مَحْمُوداً.

شِعْرًا: خَفِ اللهَ وَارْجُوْهُ لِكُلِّ عَظِيْمَةٍ ولا تُطِعِ النَّفْسَ اللَّجوجَ فَتنْدَمَا
وكُنْ بَيْنَ هَاتَيْنِ مِن الخوفِ والرَّجَا وَأَبْشِرْ بِعَفْوِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مُسْلِما

فَإِنْ تَزَايَدَ عَلى ذَلِكَ بِأَنْ أَوْرَثَ مَرَضاً أَوْ مَوْتاً أَوْ هَمَّاً لَازِماً بِحَيْثُ يَقْطَعُ عن السَّعي في اكْتِسَابِ الفَضَائِلِ المَطْلُوبَةِ المَحْبُوبَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَحْمُوداً.

وَلِهَذَا كَانَ السَّلَفُ يَخافُوْنَ على عَطَاءِ السُّلَمِيِّ من شِدَّةِ خَوْفِهِ الذِي أَنْسَاهُ القُرْآنَ وَصَارَ صَاحِبَ فِرَاشٍ، وَهَذَا لِأَنَّ خَوْفَ العِقَابِ لَيْسَ مَقْصُوداً لِذَاتِهِ، إِنَّمَا هُوَ سَوْطٌ يُسَاقُ بِهِ المُتَوَانِي عَنْ الطَّاعَةِ إليها ومِنْ هُنا كانَتْ النَّارُ مِن جُمْلَةِ نِعَمِ اللهِ على عِبَادِهِ الذين خَافُوْهُ واتَّقَوْه.

وَلِهَذَا المَعْنَى عَدَّهَا اللهُ سُبْحَانَهُ مِن جُمْلَةِ آلائِهِ عَلى الثَّقَلَيْنِ في سُوْرَةِ الرَّحمَانِ، وَقَال سُفْيَانُ بن عُيَيْنَة: «خلَقَ اللهُ النَّارَ رَحْمَةً يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ لِيَنْتَهُوا» أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْم.

وَالمَقْصُودُ الأَصْلِيُّ هُوَ طَاعَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَفِعْلُ مَرَاضِيهِ وَمَحْبُوبَاتِهِ وَتَرْكُ مَناهِيْهِ وَمَكْرُوهَاتِهِ، وَلا نُنْكِرُ أَنَّ خَشْيَةَ اللهِ وَهَيْبَتَهُ وَعَظَمَتَهُ في الصُّدُورِ واجْلَالَهُ مَقْصُودٌ أَيْضاً، وَلَكِنْ القَدْرُ النَّافِعُ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ عَوْناً عَلى التَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ، بِفعْلِ مايُحِبُّهُ وَتَرْكِ مَا يَكْرَهُهُ.

وَمَتى صَارَ الخَوْفُ مَانِعَاً مِن ذَلِكَ وَقَاطِعاً عَنْهُ فَقَدْ انْعَكَسَ المَقْصُوْدُ مِنه، وَلكن إِذَا حَصَلَ ذَلِكَ عن غَلَبَةٍ كانَ صَاحِبُهُ مَعْذُوْراً، وَقَدْ كَان في السَّلَفِ مَن حَصَلَ لَهُ مِن خَوْفِ النَّارِ أَهْوَالٌ شَتَّى لِغَلَبَةِ حَالِ شَهَادَةِ قُلُوبِهِمْ لِلنَّارِ، فَمِنْهُمْ مَن كَانَ يُلَازِمُهُ القَلَقُ وَالبُكَاءُ وَرُبَّمَا اضْطَرَبَ أَوْ غُشِيَ عَلَيْهِ إِذَا سَمِعَ ذِكْرَ النَّارِ، مِثْلُ قولِهِ تعالى: ﴿وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وأَنَّى لَهُ الذكرى﴾.

شِعْرًا: لَوْ يَعْلَمُ الرَّاقِدُ مَا فَاتَهْ ... وَأَيَ مَجْدٍ هَدَّ أَبْيَاتَهُ
لَقَلَّلَ النَّوْمَ عَلى فُرْشِهِ ... وَسَدَّ بالخِدْمَةِ أَوْقَاتَهُ
وَأَرْسَلَ الدَّمْعَةَ مَمْزُوجَةً ... عَلَى مَبِيْتٍ طَالَ مَابَاتَهُ
ضَيَّعَ فِيْهَ الحَظَّ مِن قُرْبِهِ ... وَلَمْ يُبَالِ بالذِيْ فَاتَهْ

آخر: فَبَادِرْ إلى الخَيْرَاتِ قَبْلَ فَوَاتِهَا ... وَخَالِفْ مُرَادَ النَّفْسِ قَبْلَ مَمَاتِهَا
سَتَبْكِيْ نُفُوسٌ في القِيَامَةِ حَسْرَةً ... عَلى فَوْتِ أَوْقَاتٍ زَمَانَ حَيَاتِهَا
فَلَا تغْتَرِرْ بِالعِزِّ وَالمَالِ والمُنَى ... فكَم قَدْ بُلِيْنَا بانْقِلَابِ صِفَاتِهَا

آخر: تَزَوَّدْ من الدُنْيَا بِسَاعَتِكَ الَّتِي ... ظفرتَ بِهَا مَا لَمْ تَعُقْكِ العَوائِقُ
فَلَا يومُكَ المَاضِي عَلَيْكَ بِعَائِدٍ ... ولا يَومُكَ الآتِي بِهِ أَنْتَ وَاثِقٌ

«**فَصْلٌ**»: وَمِمَّا وَرَدَ في الخَوْفِ مِنْ الآيَاتِ والأَحَادِيْثِ مَا يَلِي: قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيْدٌ﴾، وَقَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيْمٌ شَدِيْدٌ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُوْدٌ. وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُوْدٍ. يَوْمَ يَأْتِي لَا تكلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذنِهِ فَمِنْهُم شَقِيٌّ وَسَعِيْدٌ. فَأَمَّا الذِيْنَ شَقُوا فَفِيْ النَّارِ لَهُم زَفِيْرٌ وَشَهِيْقٌ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِيْنَ أَعْمَالًا الذِيْنَ ضَلَّ سَعْيُهم فِي الحَيَاةِ الدُنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ انَّهُم يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بجهنم يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرى﴾، وَقَالَ: ﴿فَإِذَا جَاءتْ الطَامَّةُ الكُبْرَى يَوْمَ يَتذَكَّرُ الإِنْسَانُ مَا سَعَى. وَبُرِّزَتْ الجَحِيْمُ لِمَنْ يَرَى﴾ الآيات، وَقَالَ: ﴿أَفَحَسِبْتُم أَنَّمَا خَلَقْنَاكُم عَبَثاً وَأَنَّكُم إِلَيْنَا لا تُرْجَعُوْنَ﴾.

وَقَالَ: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدَى﴾، وَقَالَ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيْهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيْهِ وَصَاحِبَتِه وَبَنِيْهِ لِكُلِّ امْرِءٍ مِنْهُم يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيْه﴾،

وَقَالَ: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعةِ شَيءٌ عَظِيْمٌ يوم تَرَوْنَها تَذْهَلُ كل مُرْضِعَةٍ عما أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلكِنَّ عَذَابُ اللهِ شَدِيْد﴾.

وَقَالَ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيْماً وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيْماً يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالجِبَالُ وَكَانَتْ الجِبَالُ كَثِيْباً مَهِيْلاً﴾ الآياتِ، وَقَالَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤمِنُوْنَ﴾، وَقَالَ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِنْ اللهِ مَا لَمْ يَكُوْنُوا يَحْتَسِبُوْنَ﴾، وَقَالَ: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الذِيْنَ يَخَافُوْنَ أَنْ يُحْشَرُوا إلى رَبِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُوْنِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيْعٌ لَعَلَّهُم يَتَّقُوْنَ﴾.

وَقَالَ: ﴿وَقَدِمْنَا إلى مَا عَلِمُوْا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوْراً﴾، وَقَالَ: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ يَعْمَلْ سُوْءً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُوْنِ اللهِ وَلِيَّاً وَلَا نَصِيْراً﴾.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وانِّي لَغَفَّارٌ لِمَنَ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا هَذِهِ الآيَةُ لَكَانَتْ كَافِيَةً لِلتَّخْوِيْف، إِذْ شَرَطَ لِلمُبَالَغةِ في مَغْفِرَتِهِ أَرْبَعَةَ أُمُوْرٍ، يَعْجَزُ العَبْدُ عَنْ الوَاحِدِ مِنْهَا انْ لَمْ يُعِنْهُ اللهُ فَأَوَّلًا التَّوْبَةُ، والثَّانِيْ الإِيْمَانُ، وَالثَّالِثُ العَمَلُ الصَّالِحُ، وَالرَّابعُ سُلُوْكُ سَبِيْلِ المهْتَدِيْنَ.

شِعْرًا: يا ناظراً يَرْنُو بِعَيْنَيْ رَاقِدِ ... وَمُشَاهِدٌ لِلأَمْرِ غَيْرَ مُشَاهِدِ
مَنَّيتَ نَفْسَك ضِلَّةً وأَبَحْتَهَا ... طُرُقَ الرَّجاءِ وهُنَّ غَيْرُ قَواصِدِ
تَصِلُ الذُنُوبَ إلى الذُنُوبِ وتَرْتَجِيْ ... سُكْنَى الجِنَانِ بِها وَفَوْزَ العَابِدِ
ونَسِيْتَ أَنَّ اللهُ أَخْرَجَ آدَماً ... منها إلى الدُّنْيا بِذَنْبٍ وَاحِدِ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالحاً فَعَسَى أَنْ يَكُوْنَ مِنْ

المُفْلِحِيْنَ﴾، وَقَالَ: ﴿وَانْ مِنْكُمْ الا وَارِدُهَا كان عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ثُمَّ نُنَجِّيْ الذِيْنَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَالِمِيْنَ فِيْهَا جثيًّا﴾، وَقَالَ: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ الآية، وَمِنْ المُخَوِّفَاتِ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَالعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِيْ خُسْرٍ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ أَرْبَعَةَ شُرُوْطٍ بِهَا يَقَعُ الخَلَاصُ مِنْ الخُسْرَانِ.

وَهَذِهِ الآياتُ وَنَحْوُهَا هِيَ التِيْ أَقَضَّتْ مَضَاجِعَ السَّلَفِ، فَلَمْ يَهِنْئُوْا بِنَوْمٍ وَلَمْ يَسْتَلِذوا طَعَاماً وَأَنْحَلَتْ أَجْسَامَهُمْ، وَأَضَرَّتْ بِعُيُونِهم من كَثْرَةِ البُكَاءِ عَلى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوْبُهُم عَنْ المَضَاجِع يَدْعُوْنَ رَبَّهُم خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَ﴾، وَقَوْله: ﴿والذين يُؤْتُوْنَ مَا آتَوْا وَقُلُوْبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إلى رَبِهِمْ رَاجِعُوْنَ﴾.

شِعْرًا: إِذَا مَا اللَّيْـلُ أَظْلَـمَ كَابَـدُوْهُ ... فَيُسْفِـرُ عَنْهُمُـوْا وَهُمُـوْا رُكُـوْعُ
أَطَـارَ الخَـوْفُ نَوْمَهُمُـوْا فَقَامُـوْا ... وَأَهْـلُ الأَمْنِ فِي الدُّنْيَـا هُجُـوْعُ
لَهُـمْ تَحْتَ الظَّـلَامِ وَهُـمْ سُجُـوْدٌ ... أَنِيـنٌ مِنْـهُ تَنْفَـرِجُ الضُّلُـوْعُ
وَخُـرْسٌ فِي النَّهَـارِ لِطُـوْلِ صَمْتٍ ... عَلَيْهِـمْ مِنْ سَكِيْنَتِهِـمْ خُشُوْعُ

آخر: أَهْلُ الخُصُوص مِن الصُّوَّامِ صَوْمُهُمُوْا ... صَوْنُ اللسانِ عَن البُهتَانِ والكَذِبِ
وَالعارِفُونَ وَأَهْلِ الأُنسِ صَوْمِهمُوْا ... صَوْنُ القُلوبِ عن الأَغْيَارِ وَالحُجُبِ

آخر: لَوْ يَعْلَـمُ الراقِـدُون إذْ رَقَـدُوا ... مَا فَاتَهُمْ وَيْحَهُمْ وَمَا فَقَدُوا
مَا طَعَـمَتْ في الظَّـلام أَعْيُنهمْ ... غُمْضاً وَلَا في النَّهارِ مَا قَعَدُوا
وَلَا ثَنَـى عَزْمَهُـمْ إِذْ عَزَمُـوا ... أَهْلٌ وَلا صَاحِبٌ وَلا وَلَـدُ
وَلَـوْ دَرَوْا وَيْلَهُـم نَدَامَتَهُـمْ ... عَلَى زَمانٍ ضَياعَـهُ قَصَدُوا
إِلَّا إِنْصَدعَتْ حَسرَةً قُلُوْبُهُمُ ... وخَانَهُمْ عن ذَاكُمُ الْجُلَـدُ

آخر: يالَهْفَ نَفسْي على مالٍ أَجُودُ به ... على المُقِلِّيْنَ مِن أَهْلِ الدِّياناتِ
إِنَّ اعْتِذاري إِلَى مَنْ جَاءَ يسْأَلُنِي ... ما لَيس يُمْكِنُنِيْ إِحْدى المُصِيْبَاتِ

آخر: اجْعَل شِعَارَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ التُقى ... قَدْ فَازَ مَن جَعَل التُقى إِشْعَارَهُ

واسْلُكْ طَرِيقَ الحَقِّ مُصْطَحِباً بِهِ إِخْلاصَ قَلْبَكَ حَارِساً إِسْرَارَهُ
وَإِذَا أَرَدْتُ القُرْبَ مِن خَيْرِ الْوَرَى يومَ القِيَامَـــةِ فاتَّبِـــعْ آثَـــارَهُ

وَالآيَاتُ والأَحَاديث في بَابِ الخَوْفِ كَثِيْرَةٌ جِدّاً مِنْهَا مَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوْقُ «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِيْنَ يَوْماً نُطْفَةً ثُمَّ يَكُوْنُ عَلَقةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُوْنُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمّ يُرْسَلَ إِلَيْهِ المَلَكُ فَيُؤمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٍ أَوْ سَعِيْدٍ».

«فَوَالذِي لَا إِلَهَ غَيْرُه إِنَّ أَحَدَكُم لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَه وَبيْنَها إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَليهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلَها، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يكونُ بَينهُ وَبَيْنَها إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجنةِ فَيَدْخُلَها» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «يُؤْتَى يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفِ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُوْنَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرّونَها» رواه مُسْلِم وَعَن النعْمَانِ بن بشيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ يُوْضَعُ في أَخْمُصِ قَدمَيْهِ جَمْرَتانِ يَغْلِيْ مِنْهُما دِمَاغُهَ مَا يَرَىٰ أَنَّ أَحَداً أَشَدَّ مِنْهُ عَذَاباً وأَنَّهُ لَاهْوَنُهمْ عَذَاباً» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

شِعْرَا: امَا سَمِعْتَ بأَكْبَادٍ لَهُمْ صَعَدْتْ خَوْفاً مِن النارِ فانْحَطَّتْ إلى النَّارِ
أَمَا سَمِعْتَ بِضيْقٍ في مَكَانهِمُوْا ولا فِرَارَ لَهُمْ مِن صَالِيَ النَّارِ
أَمَا سَمِعْتَ بحيَّاتٍ تَدبُّ بهَا إِلَيْهِمُوْا خُلِقَتْ مِن مَارِجِ النَّارِ
فَيا إِلٰهِي بأحْكَامٍ وما سَبَقَتْ بِهِ قَدِيماً مِن الجناتِ والنَّــارِ
أَدْعُوكَ أنْ تَحْمِي العَبْدَ الضَّعِيْفَ فما لِلْعَبْدِ مِن جَسَدٍ يَقْوَى على النَّـارِ
والشمسُ ما لي عَلَيْهَا قطُّ مِن جَلدٍ فَكَيْفَ يَصبُر ذُوْ ضَعْفٍ على النَّارِ

« مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللهِ سَيَجِيْءُ يَوْمٌ يَتَغَيَّرُ فِيْهِ هَذَا العَالَمُ يَنْفَطِرُ فِيْهِ السَّمَاءُ وَيَنْتَثِرُ فِيْهِ الكَوَكِبُ وَتُطْوَىٰ السَّمَاءُ كَطَيِّ الصَّحِيْفَةِ يُزِيْلُهَا اللهُ وَيَطْوِيهَا جَلَّ وَعَلَا وَتُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَيُنْفَخُ فِي الصُّوْرِ فَيَقُوْمُ النَّاسُ مِنْ قُبُوْرِهِمْ أَحْيَاءٍ كَمَا كَانُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا.

وحِيْنَئِذٍ يُحْشَرُ الكَافِرُ أَعْمَى لَا يرى أَصَمَّ لَا يَسْمَعُ أَخْرَسَ لَا يَتَكَلَّمُ يَمْشِيْ عَلى وَجْهِهِ لِيَعْلَمَ من أَوَّلَ أَنَّهُ أَهْلٌ لِلإِهَانَةِ وَيَكُوْنُ أَسْوَدَ الوَجْهِ أَزْرَقَ العَيْنَيْنِ في مُنْتَهى العَطَشِ في يَوْمٍ مِقْدَارُهُ خَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَةٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ إِلَّا مِقْدَارُ مِيْلٍ إِذْ ذَاكَ يَقِفُ ذَاهِلَ العَقْلِ شَاخِصَ البَصَرِ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِ طَرْفَه وَفُؤَادُهُ هَوَاء وَيُعْطَى كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ فَيَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يُعْطَهُ.

ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ إِلى النَّارِ وَيُسْلَكُ في سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُوْنَ ذِرَاعاً وَبَعْدَ دُخُولِهَا لَا يَخْرُجُ أَبَداً وَلَا يَزِيْدُهُ إِلَّا عَذَاباً إِذَا اسْتَغَاثَ مِنْ العَطَشِ يُغَاثُ بِمَاءٍ كَالمُهْلِ يَشْوِيْ الوُجُوْهَ وَيُذِيْبُ الأَمْعَاءَ والجُلُودَ تُحِيْطُ بِهِ جَهَنَّمُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَكُلَّمَا نَضِجَ جِلْدُهُ بُدِّلَ غَيْرُهُ.

وَلَهُ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيْدٍ، كُلُّ هَذَا العَذَابِ يُعَانِيْهُ وَلَا يَمُوْتُ وَيَأْتِيْهِ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ومِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيْظٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لا يَمُوْتُ فِيْهَا وَلَا يَحْيَا﴾ وَسَوَاءٌ صَبَرَ أَوْ لَمْ يَصْبِرْ هُوَ خَالِدٌ في هَذَا العَذَابِ خُلُوْدَاً لا نِهَايَةَ لَهُ هَذَا أَقْصَى عَذَابٍ يُتَصَوَّرُ لأَنَّهُ جَزَاءُ أَقْصَى جَرِيْمَةٍ هِيَ الكُفْرُ باللهِ هَذَا عَذَابٌ مُجَرَّدُ تَصَوُّرِهِ يُطِيْشُ العُقُوْلَ وَيُذْهِلُ النُّفُوْسَ وَيُفَتِّتُ الأَكْبَادَ فَاسْتَعِذْ باللهِ مِنهُ أَيُّهَا المُؤْمِنُ وَأَسْأَلِ اللهَ التَّثْبِيْتَ عَلى الإِسْلَامِ وَحُسْنِ الاعْتِقَادِ.

شِعْرًا: إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْماً فَلا تَقُلْ ... خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيْبُ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفُلُ سَاعَةً ... وَلَا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيْبُ

لَهَوْنَا لَعَمْرُ اللهِ حَتَّى تَتَابَعَتْ ... ذُنُوْبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ ذُنُوْبُ
فَيَالَيْتَ أنَّ اللهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى ... وَيَأْذَنَ في تَوْبَاتِنَا فَنَتُوْبُ
أَقُوْلُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِيْ ... وَحَلَّ بِقَلْبِيْ لِلْهُمُومِ نُدُوْبُ
لِطُوْلِ جِنَايَاتِيْ وَعُظْمِ خَطِيْئَتِيْ ... هَلَكْتُ وَمَا لِيْ فِي المَتَابِ نَصِيْبُ
وَيُذْكِرُنِيْ عَفْوُ الكَرِيْمِ عَنْ الوَرَى ... فَأَحْيَا وَأَرْجُوْ عَفْوَهُ وَأُنِيْبُ

آخر: الحَمْدُ للهِ ثُمَّ الحَمْدُ للهِ ... كَمْ ذَاعَنِ الموتِ مِنْ سَاهٍ وِمن لَاهِ
يَاذَا الذيِيْ هُوَ فِي لَهْوٍ وفِي لِعبٍ ... طُوْبَى لِعَبْدٍ حَقِيْبِ القَلْبِ أَوَّاهِ
مَاذا تُعَايِنُ هَذي العَيْنُ من عَجَبٍ ... عِنْدَ الخُرُوجِ مِن الدُنْيَا إلى اللهِ
فَاخْضَعْ فِي قَوْلِيْ وَأَرْغَبُ سَائِلًا ... عَسَى كاشِفُ البَلْوَى عَلَيَّ يَتُوْبُ

اللَّهُمَّ انْظِمْنَا في سِلكِ حِزبِكَ المُفلِحِين، واجْعلنا مِنْ عبادِكَ المُخْلِصين وَآمِنَّا يومَ الفَزَعِ الأكبرِ يومَ الدِين، وَاحشُرْنَا مَعَ الذين أنعمْتَ عليهم مِنَ النَبيين والصِّدِّيقينَ والشُهداء والصالحين وَاغْفِرْ لنا ولوالدِينا ولجميعِ المسلمينَ، اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِصَالِحِ الأعْمَالِ وَالأخْلَاقِ لَا يَهْدِي لأحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّءَ الأعْمَالِ وَالأخْلَاقِ لَا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِئَهَا إِلَّا أَنْتَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــلٌ»

عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَعْرَقُ لنَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأَرْضِ سَبْعِيْنَ ذِرَاعاً وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُم» مُتَّفَق عليهِ. وَعَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُوْنَ مَا هَذَا» قُلْنَا اللهَ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ، قالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِيْنَ خَرِيْفاً فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ انْتَهى إلى قَعْرِهَا فَسَمِعْتُمْ وَجْبَتَهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» قُلْتُ يَارَسُوْلَ اللهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيْعاً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ، قَالَ: ﴿يَاعَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَهُمَّهُمْ ذَلِكَ﴾، وَقَدْ مَدَحَ اللهُ الخَائِفِيْنَ مِنْهُ وَاثْنَى عَلَيْهِم في كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿إنَّ الذِيْنَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ إلى قولِهِ: ﴿أُوْلَئِكَ يُسَارِعُوْنَ في الخَيْراتِ وهُمْ لَها سَابِقُوْنَ﴾.

شِعْرًا: مَا قِيمَةُ اللَّيلِ لَمْ تَذْكُرْ بِظُلْمَتِهِ ... بِوَحْشَةِ القَبْرِ يَامَنْ كَانَ يَعْتَبِرُ
اسْتَغْفِرِ اللهَ يَامَنْ قَدْ ظَفِرْتَ بِهَا ... في هَجْعَةِ النَّاسِ إِذْ يَغْشَا هُمُ السُّحُر
إذْ يَنْزِلُ اللهُ رَبُّ العَالِمِيْنَ إِلَى ... دُنْيَا السَّماءِ لِكَيْ يَدْعُوَنُه البَشَرُ

وَفي المُسْنَدِ والتِّرمِذِيْ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ قُلْتُ يَارَسُوْلَ اللهِ قَوْلُ اللهِ: ﴿وَالذِيْنَ يُؤْتُوْنَ مَا آتَوْا وقُلوْبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إلى رَبِّهِمْ رَاجِعُوْنَ﴾ أَهُوَ الذِي يَزْنِيْ وَيَشْرَبُ الخَمْرَ وَيَسْرِقُ، قَالَ: «لا يَابْنَةَ الصِّدِّيْقِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُوْمُ وَيُصلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَيَخَافُ أَنْ لا يُقْبَلُ مِنْهَ، قَالَ الحَسَنُ عَمِلُوْا وَاللهِ بالطَّاعَاتِ وَاجْتَهَدُوْا فِيْهَا وَخَافُوْا أنْ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ إنَّ المُؤْمِن جَمَعَ إِحْسَاناً وَخَشْيَةً والمَنَافِقَ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْناً».

وَمِمَّا وَرَدَ في فَضَائِلِ الخَوْفِ مَا في الصَّحِيْحَيْنِ عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ الإِمَامُ العَادِلُ وشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ورجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بالمسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا في اللهِ اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّيْ أَخَافُ اللهَ ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاتَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِيْنُه ورَجُلٌ ذَكَر اللهَ خَالياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

وَمِمَّا وَرَد في فَضِيْلَةِ الخَوْفِ مَا في الحَدِيْثِ الآخرِ عَنْ النَّبي ﷺ أنهُ قَالَ: «إِذَا اقْشَعَرَّ جِلْدُ العَبْدِ مِنْ مَخَافَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ تَحَاتُّ ذُنُوْبُهُ كَمَا يَتَحَاتُّ

عَنْ الشَّجَرَةِ اليَابسَةِ ورقُها» ، وَقالَ ﷺ : «لا يَلِجُ النَّار أَحَدٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُوْدَ اللبَنُ في الضَّرْعِ ولا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سبيْلِ اللهِ ودُخَانُ جَهَنم في مِنْخَرَيْ مُسْلِمٍ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ .

وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ وَالبَيْهَقِيّ في الشُّعَبِ من حَدِيْثِ أَبي هُرَيْرَة أن النبي ﷺ قالَ فِيْمَا يَرْوِيْهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ اللهُ سُبْحَانه وَتَعالى «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا اجْمَعُ عَلَى عَبْدِيْ خَوْفَيْنِ ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ انْ أَمِنَنِيْ في الدنْيا أَخُفْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَانْ خَافَنِيْ في الدُّنْيَا أَمَّنْتُه يَوْمَ القِيَامَةِ» .

وَمَقَامَاتُ الخَوْفِ تَخْتَلِفُ فَمِنْهُمْ مَنْ يَغْلِبُ عَلى قَلْبِهِ خَوْفُ المَوْتِ قَبْلَ التَّوبَةِ وَالخُرُوْجِ مِنْ المظَالِمْ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ خَوْفُ الاسْتِدْرَاجِ بالنِّعَمِ أَوْ خَوْفُ المَيْلِ عَنْ الاسْتِقَامَةِ على مَا يُرْضِيْ اللهَ ، وَقِسْمٌ يَغْلُبُ عَلَيْهِ خَوْفُ خَاتِمَةِ السُّوْءِ وَالعِيَاذُ باللهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَعْلَى مِنْ هَذَا خَوْفُ السَّابِقَةِ لأَنَّ الخَاتِمَة فَرْعُ السَّابِقَةِ ، وَقَدْ قَالَ هَؤلاءِ في الجَنَّةِ وَلَا أُبَالِيْ وَهَؤُلَاءِ في النَّارِ وَلا أُبَالِيْ .

وَمِنْ أَقْسَامِ الخَائِفِيْنَ مَنْ يَخَافُ سَكرَاتِ المَوْتِ ، وشِدَّتِهِ لَا سِيَّمَا إذَا كَانَ قَدْ عَايَنَ مَنْ يُعَانِي سَكرَاتِ المَوْتِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَخَافُ عَذَابَ القَبْرِ ، وسُؤَالَ مُنْكَرٍ وَنَكِيْرٍ ، وَمِنْهُمْ مِنْ يَخُافُ هَيْبَةَ الوُقُوْف بَيْنَ يَدَيْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالخَوْفُ مِنْ مُنَاقَشَةِ الحِسَابِ ، وَالعُبُوْرِ على الصِّرَاطِ وَالخَوْفِ مِنْ النَّارِ وَأَنْكَالِهَا وَأَهْوَالِهَا أَوْ حِرْمَانِ الجَنَّةِ أَوْ الحِجَابِ عَنْ اللهِ تَعَالى وهُوَ خَوْفُ العَارِفِيْنَ .

وما قَبْلَ ذَلِكَ هُوَ خَوْفُ الزَّاهِدِيْنَ والعَابِدِيْنَ ، وَخَوْفُ عُمُومِ الخلقِ يَحصُلُ بِأَصْلِ الإِيْمَانِ بالجَنَّةِ وَالنّارِ وَكَوْنِهِمَا دَارَيْ جَزَاءٍ عَلَى الطَّاعَةِ والمعْصِيَةِ وَضَعْفُ هَذَا الخَوْفِ بِسَبَبِ الغَفْلَةِ والرُّكُوْنِ إلى الدُّنْيَا ، والانْهِمَاكِ فِيْهَا ، وَضَعْفِ الإِيْمَانِ ، وَتزوْلُ تِلْكَ الغَفْلَةُ بِالتَّذَكرُّ وَالوَعْظِ وَالإِرْشَادِ وَمُلَازَمَةِ الفِكْرِ

في أَهْوَالِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَشَدَائِدِهَا، وَالعَذَابِ في الآخِرَةِ وَبالنَّظَرِ إلى الخَائِفِيْنَ وَمُجَالَستِهِمْ وَمُشَاهَدَةِ أَحْوَالِهِمْ فإِنْ فَاتَتْ المُشَاهَدَةُ فَالنَّظَرُ في سِيْرَةِ الصَّالِحِيْنَ الذِيْنَ غَلَبَ عَلَيْهِمْ الخَوْفُ، قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿الذِيْنَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجلَتْ قُلُوْبِهِمْ﴾.

وَقَالَ: ﴿اللهُ الذِي نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيْثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُوْدُ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهم ثم تَلِيْنُ جُلُوْدُهُم وَقُلُوْبُهم إلى ذِكْرِ اللهِ﴾، وَقَالَ: ﴿الذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بالغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ وَأَخْبَرَ عَمَّا يَقُولُونَهُ بَعْدَ دُخُوْلِهِمْ الجَنَّة ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِيْنَ﴾.

شِعْرًا: يَا نَفْسُ كُفِي فَطُولُ العُمرِ في قِصَرٍ ... وما أَرَى فِيكِ لِلتَّوبِيخِ مِن أَثَرِ
يانَفْسُ قَضَيْتُ عُمْرِي في الذُنُوبِ وقَدْ ... دَنَا المماتُ ولم أَقْضِ مِنْ الوَطَرِ
يا نَفْسُ غَرَّكِ مِن دُنْيَاكِ زُخْرُفُهَا ... ولم تَكُوني بهَوْلِ الموتِ تَعْتَبري
يَا نَفْسُ بالَغْتِ بالعِصيانِ غاوِيَةً ... ولَمْ تُبَالِي بتَحْذِيْرٍ ومُزْدَجَرِ

آخر: يَا مَنْ يُجِيْبُ دُعَا المُضْطَرِّ في الظُّلَمِ ... يَا كَاشِفَ الضُّرِّ وَالبَلْوَى مَعَ السِّقَمِ
قَدْ نَامَ وَفْدُكَ حَوْلَ البَيْتِ وَانْتَبَهُوا ... وَأَنْتَ عَيْنُكَ يَا قَيُّومُ لَمْ تَنَمِ
هَبْ لِي بِجُوْدِكَ فَضْلَ العَفْوِ عَنْ جُرَمِي ... يَا مَنْ إليه أشَارَ الخَلْقُ في الحَرَمِ
إِنْ كَانَ عَفْوُكَ لَا يُدْرِكُهُ ذُوْ سَرَفٍ ... فَمَنْ يَجُوْدُ عَلى العَاصِيْنَ بالكَرَمِ

اللَّهُمَّ قَوِّ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وثَبِّتْنَا عَلَى قَولِكَ الثابِتِ فِي الحياةِ الدُنْيَا وفي الآخِرَةِ واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ سِلْمَاً لأَوْلِيَائِكَ حَرْباً لِأَعْدَائِكَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا كِتَابَكَ وَارْزُقْنَا العَمَلَ بِمَا أَوْدَعْتَهُ فِيْهِ وَاجْعَلْهُ لِقلُوبِنَا ضِيَاءً وَلأَسْقَامِنَا دَوَاءً ولأَبْصَارِنَا جَلاءً وَلِذنُوْبِنَا مُمَحِّصاً وَعَنَ النَّارِ مُخَلِّصاً وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« فَصْــلٌ »

وَعَلى العَاقِلِ النَّاصِحِ لِنَفْسِهِ أنْ يَحْذَرَ مِنْ مُجَالَسَةِ الظَّلَمَةِ الأَطْغِيَاءِ وَالجَهَلَةِ مِمَّنْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ الأمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ حَتَّى كَأَنَّهم حُوْسِبُوا وَفُرِغَ مِنْهُم، فَلَمْ يَخْشَوْا بَطْشَ اللهِ، وَسَطْوَتَهُ وَلا نَارَ العَذابِ وَلَا بُعْدَ الحِجَابِ، قَالَ اللهُ تَعَالى ﴿وَلَا تَكُوْنُوا كَالذِيْنَ نَسُو اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُوْلئِكَ هُمْ الفَاسِقُوْنَ﴾.

وَقَالَ تَعَالى ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ فَهذا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ سَيِّدُ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ كَانَ أشَدَّ النَّاسِ خَوْفاً فَفِيْ الصَّحِيْحِ «أَنَا أَعلَمُكُم باللهِ وَأشَدُّكُم لَهُ خَشْيَةً».

وَفي صَحِيْحِ البُخَارِيْ عَنْ أُمِّ العَلَاءِ أمْرَأَةٌ مِنْ الانْصَارِ أَنَّهُمْ اقْتَسَمُوا المهَاجِرِيْنَ أَوَّلَ مَا قَدِمُوا عَلَيْهِمْ بِالقُرْعَةِ، قَالَتْ فَطَارَ لَنَا - أَيْ وَقَعَ - فِي سَهْمِنَا عُثْمَانُ بنُ مَظعُونٍ مِنْ أفْضَلِ المهَاجِرِيْنَ وَأَكَابِرِهِمْ، وَمُتَعَبِّدِيْهِمْ وَمِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً.

فَاشْتَكَى فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى إذَا تُوفِّي وَجَعَلْنَاهُ في ثِيَابِهِ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ أبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِيْ عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ تَعَالى، فَقَالَ لِيْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا يُدْرِيْكِ أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ فَقُلْتُ لا أَدْرِيْ بِأَبِيْ أَنْتَ وَأُمِّي يَارَسُوْلَ اللهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمَّا عُثْمَانُ فَقَدْ جَاءَهُ اليَقِيْنُ، وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُوْ لَهُ الخَيْرَ، أَيْ فَالإِنْكَارُ عَلَيْهَا مِنْ حَيْثُ جَزْمِهَا بِتِلْكَ الشَّهَادَةِ مِنْ غَيْرِ مُسْتَنَدٍ قَطْعِيّ، فَكَانَ اللائِقُ بِهَا أن تَأْتِي بِهَا في صِيْغَةِ الرَّجَاءِ لا الجَزْمِ كَمَا فَعَلَ ﷺ.

قُلْتُ وَكَثِيْراً مَا أَسْمَعُ وَأَرَى في الكُتُبِ قَوْلُ بَعْضِ النَّاسِ «المَرْحُوْمَ» أو «المَغْفُوْرُ لَهُ» وَلا أَدْرِيْ مَا هُو مُسْتَنَدُهُمْ بايْرَادِهَا بِصِيْغَةِ الجَزْمِ وَالأَوْلَى أنْ يُقَال المَرْجُو لَهُ الرَّحْمَةُ وَالغُفْرَانُ. أهـ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ مَا أَدْرِي، وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يَفْعَلُ بِيْ قَالَتْ فَوَاللهِ لا أُزَكِّيْ أَحَداً بَعْدَهُ، أَيْ عَلَى جِهَةِ الجَزْمِ وأَمَّا عَلى جِهَةِ الرَّجَاءِ وحُسْنِ الظَّنِّ باللهِ فَجَائِزٌ، قَالَتْ وَأَحْزَنَنِيْ ذَلِكَ فَنِمْتُ فَرَأَيْتُ لِعُثْمَانَ عَيْنًا تَجْرِي فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ «ذَلِكَ عَمَلُهُ».

ولَمَّا تُوْفِيَ عِثْمَانُ هَذَا قَبَّلَ النبي ﷺ خَدَّهُ، وبَكى حَتَّى سَالَتْ دُمُوْعُهُ الكَرِيْمَةُ عَلى خَدِّ عُثْمَانَ، وَبَكَى القَوْمُ فَقَال النبيُ ﷺ «اذْهبْ عَنْهَا أَي الدُنْيَا أَبَا السَّائِبِ لَقَدْ خَرَجْتَ عَنْهَا وَلَم تَلَبّسْ بِشَيءٍ» وَسَمَّاهُ ﷺ السَّلَفَ الصَّالِح، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قُبِرَ بالبَقِيْعِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

فتَأَمَّلْ زَجْرَهُ ﷺ عَنْ الجَزْمِ بالشَّهَادَةِ على عُثْمَانَ هَذا مَعَ كَوْنِه شَهِدَ بَدْرَاً وَما يُدْرِيْكَ لَعَلَّ اللهَ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ «اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»، وكَوْنِهِ قَبَّلَهُ وَبَكَى وَوَصْفِهُ لَهُ بأَعْظَم الأَوْصَافِ وَهُوَ أَنَّهُ لَمْ يَتَلَبَّسْ مِنَ الدُنْيَا بِشَيءٍ وبَأَنَّهُ السَّلِفُ الصَّالحُ، تَعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِيْ لِلْعَبْدِ وَإِنْ عَمِلَ مِن الطَّاعَاتِ مَا عَمِلَ أَنْ يَكُونَ عَلى حَيِّزِ الخَوْفِ والخَشْيَةِ مِن اللهِ تعالى.

شِعْرَا: يَارَبِّ هَيءْ لَنَا أَمْرنـــا رَشَدَا وَاجْعَلْ مَعُونَتكَ العُظْمَى لَنَا سَنَدَا
ولا تَكِلْنَـا إِلَـى تَدْبِيْـر أَنْفُسَنـا فَالعَبْدُ يَعْجَزُ عن اصْلاح ما فَسَدَا
أَنْتَ العليمُ وَقَدْ وَجَّهْتُ ياأَمَلِيْ إِلَى رَجَائِكَ وَجْهاً سَائِلا أَبَداً
وللِرَّجَـــاءِ ثَوَابٌ أَنْتَ تَعْلَمُــــه فاجْعَلْ ثَوابِي دَوامَ السِّتْـرِ لِيْ أَبَـدَ

وَرَوَى شَدَّادُ بنُ أَوْأسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الكَيِّسُ مَن دَانَ نَفْسَهُ وعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، والعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وتَمَنَّى عَلى اللهِ الأَمَانِي»

وَقَالَ عَلِيُ بنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَدْ سَلَّمَ مِن صَلاةِ الفَجْرِ وَقَدْ عَلَتْهُ كَآبَةٌ وهُوَ يُقَلِبُ يَدَهُ، لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَمْ أَرَى شَيْئاً يُشْبِهُمُ اليَوْمَ،

لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً صُفراً غُبْراً، بَيْنَ أَعْيُنِهِم أمْثال رُكبِ المِعْزَى، قَدْ بَاتُوا لِلَّهِ سَجَّداً، وقِياماً يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ يُرَاوِحُوْنَ بَيْنَ جِبَاهِهِم وأَقْدَامِهِمْ.

فَإذَا أَصْبَحُوْا ذَكَرُوْا اللهَ، فَمَا دُوْا كَمَا يَمِيْدُ الشَّجَرُ فِي يَوْمِ الرِّيْح وهَمَتْ أَعَيْنُهُمْ بالدُمُوْعِ حَتَّى تَبُلَّ ثِيَابهُم، واللهِ كأنِّيْ بالقَوْمِ غَافِلِيْنَ.

ثُم قَامَ فَمَا رُؤيَ بَعْدَ ذَلِكَ ضَاحِكًا حَتَّى مَاتَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ.

شِعْرَا: لِلَّهِ دَرَّ رِجالٍ وَاصلُوا السَّهَـرَا ... واستَعْذَبُوا الوجْد والتَّبريحَ والفِكَرَا
فَهُمْ نُجومُ الهُدى والليلُ يَعْرِفُهُم ... إِذَا نَظَرْتَهُمُـوْا هُمْ سَادَةٌ بُرَرا
كُلٌ غَدَا وَقْتُهُ بالذِكْرِ مُشْتَغِـلًا ... عَمَّا سِوَاهُ ولِلَّـذَاتِ قَدْ هَجَـرَا
يُمْسِي ويُصْبَحُ فِي وجْدٍ وفي قلَقٍ ... مِمَّا جَنَاهُ من العِصيانِ مُنْذَعِرَا
يَقُولُ يا سَيِّديْ قَدْ جِئْتُ مُعْتَرِفاً ... بالذَنْبِ فاغْفِرْهُ لِي يَا خَيْرَ مَنْ غَفرا
حَمَلْتُ ذَنْباً عَظِيْماً لا أطِيْقُ لَهُ ... ولَمْ أطِعْ سَيِّدِي فِي كُلِّ ما أمَرَا
عَصَيْتُهُ وهو يُرْخِيْ سِتْرَهُ كَرَماً ... يا طَالَمَا قَدْ عَفَا عَنِّي وَقَدْ سَتَرَا
وطَالَمَا كَان لِيْ فِي كُلِّ نائِبَـةٍ ... إذا استَغَثْتُ بِهِ مِن كُرْبَةٍ نَصَرَا
وإنَّنِي تَائِبٌ مِمَّا جَنَيْتُ وَقَـدْ ... وافَيْتُ بَابَكَ يَامَوْلَايَ مُعْتَـذِرا
لَعَـلَّ تَقْبَـلُ عُذْري ثم تَجْبُـرني ... يَوْمَ الحِسَابِ إذا قُدِّمْتُ مُنْكَسِرَا
وَقَدْ أَتَيْتُ بِذُلٍ رَاجِيـاً كَرَمـاً ... إِلَيْكَ يَاسَيِّدِي قَدْ جِئْتُ مُفْتَقِرَا
ثم الصلاة على المختـارِ سَيِّدِنَـا ... عِدادَ ما غَابَ مِن نَجْمٍ وما ظَهَرَا

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِضِرَارِ بْنِ حَمْزَةَ الصُدَائِيْ، صِفْ عَلِياً، قَالَ أَلَا تُعْفِيْنِيْ، قَالَ بَلْ صِفْهُ، قَالَ أَلَا تُعْفِيْنِي، قَالَ لَا أُعْفِيْكَ، قَالَ أَمَا إنه لَا بُدَّ، فَإِنَّهُ كَانَ بَعِيْدَ المَدَى، واسعَ العُلُومِ والمَعَارِفِ، لا تُدْرَكُ غَايَتُهُ فِيْهِمَا شَدِيْدُ القُوَى في ذَاتِ اللهِ، ونَصْرَةِ دِيْنِهِ، يَقُولُ فَضْلًا، ويحْكُمُ عَدْلًا، يَنْفَجِرُ العِلْمُ مِن جَوَانِبه، وتنْطِقُ الحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيْهِ، يَسْتَوْحِشُ مِن الدُنْيا، وزَهْرَتِهَا، ويَسْتَأْنِسُ باللَّيْلِ وظُلْمَته.

كَانَ وَاللهِ غَزِيْرَ الدَّمْعَةِ، طَوِيْلَ الفِكْرِ، يُقَلِّبُ كَفَّهُ، تأسفاً وَحَزناً، إذْ هذا فِعْلُ المُتَأسِفِ الحَزِيْنِ، ويُخَاطِبُ نَفْسَهُ، بالمُزْعِجَاتِ، والمَقْلِقَاتِ، يُعْجِبُهُ مِن اللِّبَاسِ مَا خَشُنَ، ومِن الطَّعَامِ مَا حَضَرَ.

كَانَ واللهِ كَأَحَدِنَا، إذَا سَأَلْنَاهُ، ويَأْتِيْنَا إذا دَعَوْنَاهُ، ونَحْنُ واللهِ مَعَ تَقَرُّبِهِ لَنَا وَقُرْبِهِ مِنَّا لا نُكَلِّمُهَ هَيْبَةً لَهُ، فإنْ تَبَسَّمَ فَعَنْ مِثْلِ اللُّؤْلُؤِ المَنْظُوْمِ، يُعَظِّمُ أَهْلَ الدِّيْنِ ويُحِبُ المَسَاكِيْنَ، ولَا يَطْمَعُ القَوِيُ في بَاطِلِهِ ولا ييْأَسُ الضَّعِيْفُ مِن عَدْلِهِ.

وَاشْهَدُ اللهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ في بَعْضِ مَواقِفِهِ، وَقَدْ أَرْخَى اللَّيْلُ سُتُوْرَهُ، وغَارَتْ نُجُوْمُهُ، وَقَدْ تَمَثَّلَ في مِحْرَابِهِ، قابصاً على لِحْيَتِهِ، يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ اللَّدِيْغِ، ويَبْكِيْ بُكَاءَ الحَزِيْنِ، وكَأنّي سَمِعْتُه يَقُولُ يَارَبَّنَا يَاربَّنا يَضْرَعُ إليهِ.

ثُمَّ يقُولُ يادُنْيَا يانُيا إلَيَّ تَعَرَّضْتِ أَمْ تَشَوَّقْتِيْ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ غُرِّيْ غَيْرِي، وَقَدْ بَتَتُّكِ ثَلَاثَاً لَا رَجْعَةَ لِيْ فِيْكِ فَعُمْرُكِ قَصِيرٌ، وَعَيْشُكِ حَقِيرٌ، وَخَطَرِكِ كَبِيْرٌ، آهٍ مِن قِلَّةِ الزَّادِ، وبُعْدِ السَّفَرِ، وَوَحْشَةِ الطَّرِيْقِ، فَذَرَفَتْ عَيْنُ مُعَاوِيَةَ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَمَا مَلَكَهَا وَهو يُنَشِفُهَا بِكُمِّهِ، وَقَدْ اخْتَنَقَ القَوْمُ بِالبُكَاءِ.

قال مُعَاوِيَةُ رَحِمَ اللهُ أَبَا الحَسَنِ كانَ واللهِ كَذَلِكَ، فَكَيْفَ حَزنُكَ عَلَيْهِ ياضِرَارُ قَال حُزْنُ مَن وَاحِدُهَا في حَجْرِهَا فلا تَرقا عَبْرَتُهَا ولا يَسْكُنُ حُزْنُها.

وقال أبُو ذَرٍ وَدِدْتُ لَوْ أَنِّيْ شَجَرَةٌ تُعْضَدُ وَكَذَا قَالَ طَلْحَةُ ابنُ عُبَيْدِ اللهِ أَحَدُ العَشَرَةِ.

وَقَالَ عِمْرانُ بنُ حُصَيْنٍ وَدِدْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَاداً تَنْسفُهُ الرِّياح.

وكان عليُ بنُ الحُسَيْنِ إذَا تَوَضأَ اصْفَرَّ لَوْنُهُ، فَيقُولُ لَهُ أَهْلُهُ مَا هَذَا الذيْ يَعْتَادُكَ عنْدَ الوُضُوءِ، فيقولُ أَتَدْرُوْنَ بَيْنَ يَدَيْ مَن أُرِيْدُ أَنْ أَقُومَ، وسُئِلَ ابنُ عَبَاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن الخَائِفِيْنَ، فَقَالَ قلُوبُهُم، بِالخَوْفِ قَرِحَةٌ، وأعيُنُهُم بَاكِيةٌ، يقولُون كَيْفَ نَفْرَحُ والموتُ مِن ورائنا، والقبرُ أَمَامنا والقِيامَةُ

موعدُنا، وعلى جهنَّمَ طَرِيْقُنا وَبَيْنَ يَدَي اللهِ مَوْقِفُنا، وَهَذَا مِنْهُ بَيَانٌ عَنْ الخَائِفِيْنَ بِحَسَبِ حَالِهِ رَحِمَهُ اللهُ.

شِعْرًا: وما مَن يَخافُ البَعْثَ والنارَ آمِنٌ ولكن حَزِينٌ مُوجَعُ القلب خائِفُ
إذا مَرَّ ذِكْرُ الموتِ أَوجَعَ قلْبَهُ وهَيَّجَ أَحْزَانًا ذُنُوبٌ سَوَالِفُ

وَمَرَّ الحسَنَ البَصْرِيُ رَحِمَهُ اللهُ بِشَابٍ وَهُوْ مُسْتَغْرِقٌ في ضِحْكِهِ جَالِسٌ مَعَ قومٍ، فَقَالَ لَهُ الحَسَنُ يافَتى هَلْ مَرَرتَ بالصِّرَاطِ، قَالَ لا، فقالَ فَهَلْ تَدْرِيْ إلى الجنةِ تَصِيْرُ أَمْ إلى النَّارِ، قال لا، قَالَ فَمَا هَذَا الضَّحِكُ، قَالَ فَمَا رُؤِيَ ذَلِكَ الفَتَىٰ بَعْدَهَا ضاحكاً.

وَرُوِيَ عَن مَيْسَرَةَ ابنِ أَبِيْ مَيْسَرَةَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَوَى إلى فِرَاشِهِ يقولُ يالَيْتَنِيْ لم تَلدنِي أُمِّي، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ حِيْنَ سَمِعَتْهُ يامَيْسَرَةُ إن اللهَ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ، هَدَاكَ لِلإِسْلَامِ، قَالَ أَجَلْ ولكنَّ اللهَ قَدْ بَيَّنَ لَنَا أنا وَارِدُوْنَ على النارِ، ولَمْ يُبَيِنْ لَنَا أنا صَادِرُوْنَ عَنْهَا أي لَا جَزمَ عِنْدَهُ أنه مِن المُتقِينَ النَاجِيْنَ فَلِذَا اشْتَدَّ خَوْفُهُ مِنْهَا.

وكانَ عَطَاءٌ السُلَمِي مِنَ الخَائِفِيْنَ، وقِيْلَ لَهُ في مَرَضِهِ أَلَا تَشْتَهِيْ شَيْئاً، فَقَالَ إِنْ خَوْفَ جَهَنَّمَ لَمْ يَدَعْ فِي قَلْبِي مَوْضِعاً لِلشَّهْوَةِ.

وقِيْلَ لِبَعْضِهِمْ لِمَاذَا إذَا وَعَظَ بَعْضُ الناسِ خَوَّفَ وأَبْكَى، وبَعْضُهُم يَتَكَلَّمُ وَيَبْكِيْ وَيُخَوِّفُ ولا يَبْكُوْنَ، فَقَالَ لَيْسَتِ النائِحَةُ الثُكْلَى كالنائِحَةِ المُسْتَأجَرَةِ.

وَحَكَى أَنَّ قَوْمَاً وَقَفُوْا بِعَابِدٍ وَهُوَ يَبْكِي فَقَالُوا مَا الذِي يُبْكِيْكَ يَرْحَمُكَ اللهُ قَالَ قَرْحَةُ يَجِدُهَا الخَائِفون في قُلُوبِهِم قالُوا وَمَا هِيَ، قَالَ رَوْعَةُ النِّدَاءِ بالعَرْضِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وقال مُعاذُ بنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إنَّ المُؤْمِنَ لا يَسْكُنُ رَوْعُهُ، حَتَّى يَتْرُكَ جِسْرَ جَهَنَّمَ وَرَاءَهُ، هَذِهِ نَمَاذِجُ مِن مَخَاوِفِ السَّلَفِ، ونحنُ أَجْدَرُ بالخَوْفِ مِنْهُم، لَكِنْ لَيْسَ بكَثْرَةِ الذُنُوبِ بل بِصَفَاءِ القُلُوبِ وَكَمَالِ المَعْرِفَةِ.

وإلَّا فَلَيْسَ أَمْنُنَا وَعَدَمُ خُشُوعِنَا لِقِلَّةِ ذُنُوبِنَا، وَكَثْرَةِ طَاعَاتِنَا، بَلْ قَادَتْنَا شَهَوَاتُنَا وَغَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وإنهُما كُنَا في الدُّنْيَا وزِيْنَتِها وَصَدَّتْنَا عَن مُلاحَظَةِ أحْوَالِنَا غَفْلَتُنَا وَقَسْوَتُنَا فَلا بِقُرْبِ الرَّحِيْلِ نَنْتَبِهْ، ولا بِكَثْرَةِ الذَنُوْبَ تَتَحَرَّكْ، ولا بِمُشَاهَدَةِ أحْوالِ الخائِفِيْنَ تَخَوَّفْنَا وَلَا بِخَطَرِ الخَاتِمَةِ انْزَعَجْنَا، فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَتَدَارَكَنَا بِلُطْفِهِ وإحْسَانِهِ وأَنْ يَجُودَ عَلَيْنَا بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ إنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْر

شِعْرَ: فَوَحَقِّ من سَمَكَ السَّماءَ بِقُدْرةٍ   والأرْضَ صَيَّـرَ للعِبَـادِ مِهَـادَا
إن المُطرَّ على الذّنُوبِ لَهَالِكٌ   صَدَّقْتَ قَولي أوْ أَرَدْتَ عِنَادَا

شِعْرا: أَجَلُ ذُنُوبِي عِنْدَ عَفْوِكَ سَيِّدِيْ   حَقِيْرٌ وإنْ كَانَتْ ذُنُوبِي عَظَائِمَا
وما زِلْتَ غَفَّاراً وَمَا زِلْتَ رَاحِمَا   وما زِلْتَ سَتَّاراً عَلَيَّ الجَرَائِمَا
لَئِنْ كُنْتُ قَدْ تَابَعْتُ جَهْلِيَ في الهَوَى   وَقَضَيْتُ أَوْطَارَ البَطَالَـةِ هَائِمَـا
فَهَا أَنَا قَدْ أَقْرَرْتُ يَا رَبُّ بالذِيْ   جَنَيْتُ وَقَدْ أَصْبَحْتُ حَيْرَانَ نَادِمَا

آخر: أَتَذْهَـلُ بَعْدَ إنْـذَارِ المَنَايَـا   وَقَبْلَ النَّزْعِ أَنْبَضَتِ الحنَايَا؟
رُوَيْدَكَ لا يَغُرُّك كَيْدُ دُنيا   هِيَ المِرْنَـانُ مُصْمِيَـةُ الرَّمَايَـا
أَتَرجُـو الخُلدَ في دَارِ التَّفانِـي   وَأَمْنَ السِّرْبِ في خُطَطِ البَلايَا؟
وتُغْلِـقُ دُوْنَ رَيْبِ الدَّهرِ بَابـاً   كَأَنَّكَ آمِـنٌ قَرْعَ الرَّزايَـا
وَأَنَّ الموتَ لازِمَـةٌ قِرَاهُ   لُزُومَ العَهْـدِ أَعْنَـاقَ لبَرَايـا
لَنَـا في كُلِّ يَومٍ مِنْـهُ غازِ   لَهُ المِرْبَـاعُ مِنَّـا والصَّفَايَـا

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمَال وآتِنا في الدُّنْيَا حَسَنةَ وفِيْ الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَاب النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بَرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْن، اللَّهُمَّ نَجّنا برحمتِكَ مِن النارِ وعافِنا من دارِ الخِزْيِ والبَوَارِ وأَدْخِلنا بفَضْلِكَ الجنةَ دارَ القَرَار وعامِلْنَا بكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَاكريمُ ياغفارُ وَاغْفِرْ لَنَا

وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ الأحياءِ مِنْهم والميتين برحْمَتِكَ ياأَرْحَمَ الراحمينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مَحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعين.

«فائدةٌ جليلةٌ مِن كلامِ ابنِ القيم وشيخ الإسلامِ رحمهما الله»

قَولُهُ تَعَالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوْا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ واللهُ يَعْلَمُ وأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ»، وقولُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَانْ كَرِهْتُموْهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوَا شَيْئاً وَيَجْعَل اللهُ فِيْهِ خَيْراً كَثِيْراً».

فالآية الأُوْلَى في الجِهَادِ الذيْ هُوَ كَمَالُ القُوَّةِ الغَضَبِيَّةِ، والثَّانِيَةُ في النِكاحِ الذي هُوَ كَمَالُ القُوَّةِ الشَّهْوَانِيَّةِ فالعَبْدُ يَكْرَهُ مُوَاجَهَةَ عَدُوِّهِ بِقُوَّتِهِ الغَضَبِيَّةِ خَشْيَةً عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُ، وَهَذَا المَكْرُوْهُ خَيْرٌ لَهُ في مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، ويُحِبُّ المُوَادَعَةَ والمُتَارَكَةَ وَهَذَا المَحْبُوبُ شَرٌّ لَهُ في مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ.

وَكَذَا يَكْرَهُ المَرْأَةَ لِوَصْفٍ مِن أَوْصَافِهَا وَلَهُ في إِمْسَاكِهَا خَيْرٌ كَثِيْرٌ لَا يَعْرِفُهُ وَيُحِبُّ المَرْأَةَ لِوَصْفٍ مِن أَوْصافِهَا وَلَهُ في أَمْساكِها شَرٌّ كَثِيْرٌ لا يَعْرِفُهُ فالإنسانُ كَمَا وَصَفَهُ بِهِ خَالِقُهُ ظَلُومٌ جَهُولٌ، قُلْتُ وَلَقَدْ أَجَادَ القَائِل:

شِعْرا: إِذَا كَانَ غَيْرُ اللهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً ... أَتَتْهُ الرَّزَايَا مِن وُجُوهِ المكَاسِبِ
وَقَدْ جَرَّتِ الحَنْفَاءُ حَتْفَ حُذَيْفَةٍ ... وَكَان يَراهَا عُدَّةً لِلشَّدَائِدِ
آخر: إذا لم يكنْ عَوْنٌ مِن اللهِ لِلْفَتَي ... فَأَكْثَرُ مَا يَجْني عليه إِجْتِهَادُهُ

فلا يَنْبَغِي أَنْ يُجْعَلَ المِعْيَارُ عَلَى مَا يَضُرُّهُ وَيَنْفَعُهُ مَيْلَهُ وَحُبَّهُ وَنُفْرَتُهُ وبُغْضُهُ، بَلِ المِعْيَارُ عَلَى ذَلِكَ مَا اختَارَهُ اللهُ لَهُ بأمرِهِ ونَهْيِهِ، فانْفَعُ الأَشْيَاءِ لَهُ عَلَى الاطلاقِ طَاعَةُ رَبِّهِ بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِه.

وأَضَرُّ الأَشْيَاءِ عَلَيْهِ عَلَى الإِطْلَاقِ مَعْصِيَتُهُ بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ فَإِذَا قَامَ بِطَاعَتِهِ

وَعُبُوْدِيَّتِهِ مُخْلِصاً لَهُ، فكُلُ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِمَّا يَكْرَهُهُ يَكُونُ خَيْرَاً لَهُ وإِذَا تَخَلَّى عَنْ طَاعَتِهِ وعُبُوْدِيَّتِهِ فكُلُّ مَا هُوَ فِيْهِ مَحْبُوبٌ هُوَ شَرٌّ لَهُ.

فَمَنْ صَحَّتْ لَهُ مَعْرِفَةُ رَبِّهِ والفِقْهِ فِي أَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ عَلِمَ يَقِيْنَاً أَنَّ المَكْرُوْهَاتِ التِي تُصِيْبُهُ والمِحَنَ التِيْ تَنْزِلُ بِهِ فِيْهَا ضُرُوْبٌ مِن المَصَالِحِ والمَنَافِعِ التِي لايُحْصِيْهَا عِلْمُهُ ولا فِكْرَتُهُ بَلْ مَصْلَحَةُ العَبْدِ فِيْمَا يَكْرَهُ أَعْظَمُ مِنْهَا فِيْمَا يُحِبُ.

فَعَامَّةُ مَصَالِحِ النُفُوْسِ فِي مَكْرُوْهَاتِهَا، كَمَا أَنَّ عِامَّةَ مَضَارِّهَا وَأَسْبَابَ هَلَكَتِهَا فِي مَحْبُوْبَاتِهَا، انْظُرْ إلى غَارِسِ جَنَّةٍ مِنَ الجَنَّاتِ خَبِيْرٍ بالفِلاحَةِ غَرَسَ جَنَّةً وَتَعَاهَدَهَا بِالسَّقْيِ والإِصْلَاحِ حَتَّى أَثْمَرَتْ أَشْجَارُهَا فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا يُفَصِّلُ أَوْصَالَهَا وَيَقْطَعُ أَغْصَانَهَا لِعِلْمِهِ أَنَّهَا لَوْ خُلِّيَتْ عَلَى حَالِهَا لَمْ تَطِبْ ثَمَرَتُها، فَيُطْعِمُهُاَ مِن شَجَرَةٍ طَيِّبَةِ الثَّمَرَةِ.

حَتَّى إِذَا التَحَمَتْ بِهَا واتَّحَدَتْ وَأَعْطَتْ ثَمَرَتَهَا، أَقْبَلَ يُقَلِّمُهَا وَيَقْطَعُ أَغْصَانَهَا الضَّعِيْفَةَ التِيْ تُذْهِبُ قُوَّتَهَا ويُذِيْقَهَا أَلَمَ القَطْعِ والحَدِيْدِ لِمَصْلَحَتِهَا وكَمَالِهَا، لِتَصْلَحَ ثَمَرَتُهَا أَنْ تَكُونَ بِحَضْرَةِ المُلُوكِ، ثُمَّ لايَدَعُهَا وَدَوَاعِيْ طَبْعِهَا مِن الشُرْبِ كُلَّ وَقْتٍ، بَلْ يُعَطِّشُهَا وَقْتاً وَيَسْقِيْهَا وَقْتاً، ولا يَتْرُكُ عَلَيْهَا دَائِماً وإِنْ كَانَ ذَلِكَ أَنْضَرُ لِوَرَقِهَا وأَسْرَعُ لِنَبَاتِهَا.

ثُمَّ يَعْدُ إلى تِلْكَ الزِيْنَةِ التِي تَحُوْلُ بَيْنَ ثَمَرَتِها وَبَيْنَ كَمَالِ نَضْجِهَا واسْتَوَائِهَا، كَمَا فِي شَجَرِ العِنبِ وَنَحْوِهِ، فَهُوَ يَقْطَعُ أَعْضَاءَهَا، بالحَدِيْدِ، ويُلْقِي عَنْهَا كَثِيْرَاً مِن زِيْنَتِهَا وَذَلِكَ عَيْنُ مَصْلَحَتِهَا فَلَوْ أَنَّهَا ذَاتَ تَمْيِيْزٍ وإِدْرَاكٍ كَالحَيَوَانِ لَتَوَهَّمَتْ أَنَّ ذَلِكَ إِفْسَادٌ لَهَا واضرَارٌ بِهَا، وإِنَّمَا هُوَ عَيْنُ مَصْلَحَتِها.

وَكَذِلكَ الأَبُ الشَّفِيْقُ عَلَى وَلَدِهِ العَالِمِ بِمَصْلَحَتِهِ، إِذَا رَأَى مَصْلَحَتَهُ في أَنْ يُمْسِكَ عَنْهُ العَطَاءَ لَمْ يُعْطِهِ وَلَمْ يُوسِعْ عَلَيْهِ، لِعِلْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ أَكْبَرُ الأَسْبَابِ إلى فَسَادِهِ وَهَلاكِهِ.

وَكَذَلِكَ يَمْنَعُهُ كَثِيْراً مِن شَهَوَاتِهِ حُمْيَةً لَهُ وَمَصْلِحَةً لا بُخْلًا عَلَيْهِ، فَأَحْكَمُ الحَاكِمِيْنَ وأَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ، وَأَعْلَمُ العَالَمِيْنَ الذِيْ هُوَ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْهُم بأَنْفُسِهِم ومِن آبَائِهِم وأُمَّهَاتِهِم، إذا أَنْزَلَ بِهِمْ مَا يَكْرَهُونَ كَانَ خَيْراً لَهُمْ مِن أَنْ لا يُنْزِلَهُ بِهِم، نَظَراً منه لَهُم واحْسَاناً إلَيْهِم ولُطْفاً بِهِم.

وَلَوْ مُكِنُوْا مِن الأَخْتِيَارِ لأَنْفُسِهِمْ لَعَجِزُوْا عَنِ القِيَامِ بِمَصَالِحِهِم عِلْماً وارَادَةً وَعَمَلًا، لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ تَوَلَّى تَدْبِيْرَ أُمُورِهِم بمُوجِبِ عِلْمِهِ وحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ أَحَبُّوْا أَمْ كَرِهُوْا، فَعَرَفَ ذَلِكَ المُوقِنُونَ بأَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ فَلَمْ يَتَّهِمُوْهُ فِي شَيْءٍ مِن أَحْكَامِهِ وَخَفِيَ ذَلِكَ عَلَى الجُهَالِ بِهِ وبِأَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ، فَنَازَعُوهُ تَدْبِيْرَهُ وَقَدْ حُوْا فِي حِكْمَتِهِ، وَلَمْ يَنْقَادُوْا لِحُكْمِهِ، وَعَارَضُوْا حُكْمَهُ بعُقُولِهِم الفَاسِدَةِ وآرَائِهِمْ البَاطِلَةِ وسِيَاسَاتِهِم الجَائِرَةِ فَلَا لِرَبِّهِمْ عَرَفُوْا وَلَا لِمَصَالِحِهِمْ حَصَّلُوا، واللهُ الموفق.

وقال الشيخُ تَقِيُ الدِيْنِ مِن تَمَامِ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ المُؤْمِنِيْنَ أَنْ يُنْزِلَ بِهِم مِن الضُرِّ والشِّدَّةِ ما يُلْجِئُهُمْ إلى تَوْحِيْدِهِ فَيَدْعُوْنَهُ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِيْنَ وَيَرْجُوْنَهُ ولا يَرْجُوْنَ أَحَداً سِوَاهُ فَتَتَعَلَّقُ قُلُوبُهُم بِهِ لا بِغَيْرِهِ فَيَحْصُلُ لَهُمْ مِن التَّوَكُلِ عَلَيْهِ والإِنَابَةِ وَحَلَاوَةِ الإِيْمَانِ وَذَوْقِ طَعْمِهِ.

والبَرَاءَةِ مِن الشِرْكِ مَا هُوَ أَعْظَمُ نِعْمَةً عَلَيْهِم مِن زَوَالِ المَرَضِ والخَوْفِ أَوْ الجُدْبِ والضُرِّ وَمَا يَحْصُلُ لأَهْلِ التَّوْحِيْدِ المُخْلِصِيْنَ لِلَّهِ فأَعْظَمُ مِن أَنْ يُعَبَّرَ عَنْهُ مَقَالٌ وَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِن ذَلِكَ نَصِيْبٌ بِقَدَرِ إِيْمَانِهِ ولِهَذَا قِيْلَ يَاابْنَ آدَمَ لَقَدْ بُوْرِكَ لَكَ فِي حَاجَةٍ أَكْثَرْتَ فِيْهَا مَن قَرْعِ بَابِ سَيِّدِكَ.

وَطَوْراً تَكُونُ المَصَائِبُ إنْتِقَاماً مِن اللهِ تَعَالَى لِمُخَالَفَةِ العَبْدِ أَمْرَ رَبِهِ كَمَعْصِيَةِ آدَمَ مِن أَكْلِ الشَّجَرَةِ التِي نَهَاهُ اللهُ عَن الأَكْلِ مِنها فأَكْلُهُ مِن الشَّجَرَةِ مَعْصِيَةٌ جَزَاءَ عِصْيَانِهِ كَمَا أَنَّهَا تكونُ لِمَحْوِ الذُنُوبِ وتَطْهِيْرِ القُلُوبِ مِن رِجْسِ المَعَاصِي.

وَقَدْ جَاءَ في الصَّحِيْحِ عن أبي هريرة أن رسولَ الله ﷺ قال: «ما يُصِيْبُ المؤمن مِن نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ولا أَذَىً ولا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إلا كَفَّرَ اللهُ تَعَالَى بِهَا مِن خَطَايَاهُ» أهـ.

والحكمةُ واللهُ أعلَمُ في ذَلِكَ أَنَّهَا مُرَبِيَة لِلنُّفُوس وُتُمَرِّنُهَا على احْتِمَال الشَّدَائِدِ والصَّبْرِ الجَمِيْلُ عَلَى الإناءَاتِ والرَّزَانَة والصَّبْرِ على المَكَارِهِ فَتَبْلُغُ بِصَاحِبِهَا إلى أَعْلَى دَرَجَاتِ الكمالِ وبُلُوغ الغايَاتِ لِذَلِكَ تَجِدُ الرِّجَالَ الأَمْجَادَ الذينَ هُمْ أُشَدُّ مُعَانَاةً لِلشَّدَائِدِ في حَيَاتِهِم وصَبَرُوا عَلَى المَصَائِبِ والآلامِ التي تَنَالُهُم عندَ قِيَامِهِم بِالدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ ذِكْرُهُم باق عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وأَجْرُهُم عِنْدَ اللهِ نَام.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا القِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَّاتِنَا وَذُرِّيَاتِنَا وَأَعِذْنَا مِنْ شَرِّ نُفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا وَأَعِذْنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانَا تَبَعاً لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ ﷺ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي مَنْ شَاء مِنْ عِبَادِهِ لِيُبَلِّغَهُ مَا قُدِّرَ لَهُ مِن المَنْزِلَةْ، قَالَ الله تَعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُم أَنْ تَدْخُلُوا الجنةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الذين خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ والضَّرَاءُ وزُلْزِلُوْا حَتَّى يَقُولَ الرسولُ والذينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَّى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيْب﴾.

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيْثُ مُطَمِنَةٌ لِقُلُوبِ المُؤْمِنِيْنَ، الذينَ تُصِيبُهُم المَصَائِبُ في الدُنْيَا مِن ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَن كَعْبِ بنِ مالكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ المؤمنِ كَمَثَلِ الخَامَةِ مِن الزَّرْعِ تَفْيئُهَا الرِّيْحُ مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أخرَى حَتَّى تَهِيْجَ وَمَثَلُ الكَافِرِ كَمَثَلِ الأَرْزَةِ المُجَذِّبَةَ على أصلِهَا لا يَفْيئُهَا شَيْءٌ يَكُونُ انْجَعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً».

وَعَن أبي هريرة رضي اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ» رَوَاهُ البُخَارِيّ، وَعَنْ أنسٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ لله ﷺ: «إذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ في الدُّنْيَا وإذَا أرادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ امْسَكَ عنهُ بِذنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيْهِ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ».

وَقَالَ النَّبي ﷺ: «انَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ وانَّ اللهَ تعالى إذَا أَحَبَّ قَوْمَاً ابْتَلَاهُم فَمَنْ رَضْيَ فلهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخْطُ» رَوَاهُ التِّرْمِذيّ وَقَالَ حدِيْثٌ حَسَنٌ.

وَعَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعَاً «يَوَدُّ نَاسٌ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَّ جُلُودَهُمْ كانَتْ تُقْرَضُ بالمَقَارِيْضِ في الدُّنْيَا لِمَا يرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ البَلَاءِ».

وَعَنْ سَعْدِ بنِ أبي وقّاصٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَارَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً، قَالَ: «الأَنْبيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَل مِنْ النَّاسِ يُبْتَلِيَ الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِيْنِهِ فَإِنْ كَانَ في دِيْنِهِ صَلَابَةٌ، زِيْدَ في بَلَائِهِ وإِنْ كَانَ في دِيْنِهِ رِقَةً خُفِّفَ عَنْهُ وَمَا يَزَالُ البَلاءُ بالعَبْدِ حَتَّى يَمْشِي عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ وَلَيْسَ عليه خَطِيْئَة».

وعن أبي هُرَيْرَة «يُبْتَلى المؤمنُ أو المُؤْمِنَةُ في جَسَدِهِ وفي مالِهِ وفي وَلَدِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيْئَةٌ» صَحَّحَهُما التِّرْمِذِيّ وَرَوَى الثَّانِي مَالِكٌ وَأَحْمَدُ.

وَوَرَدَ مَرْفُوعاً «إنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَصَابَهُ سقَمٌ ثُمَّ أَعْفَاهُ اللهُ مِنْهُ كَانَ كفَارَةً لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ وَمَوعَظَة لَهُ فِيْمَا يَسْتَقْبِلُ وَإِنَّ المُنَافِقَ إذا مَرِضَ ثُمَّ أُعْفِي كَانَ كَالبَعِيْرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ ثُمَّ أَرْسَلُوهُ فَلَمْ يَدْرِ لِمَ عَقَلُوهُ وَلِمَ أَرْسَلُوهُ» رَواهُ أبو دَاوُدَ.

ثم أعلم أن إبليس لَعَنَهُ اللهُ قَدْ يَعْرِضُ لِلْمَرِيضِ والمُحْتَضَرِ فيؤذِيه في دِيْنِهِ ودُنياهُ وقد روي عن النبي ﷺ أنه كان يدعو «اللهم إني أعوذ بك مِن الغرقِ والحَرَقِ والهَدْمِ وأعُوْذُ بكَ أن يَتَخَبَّطَنِي الشيطانُ عند الموتِ» أخرجه الطبراني.

وفي حديث آخر أن إبليس لا يكون في حالٍ أشدَّ منه على ابنِ آدم عندَ الموتِ يقول لِأعْوَانِهِ دُوْنكُمُوهُ فإنه إن فَاتكم اليومَ لم تَلْحَقُوه.

وَقَدْ يَسْتَولي على الإنسان حِيْنَئِذٍ فَيُضِلُّهُ في اعْتِقَادِهِ وَرُبَّمَا حَالَ بينه وبينَ التوبة وربما مَنَعَهُ مِن الخروج من مَظْلَمَةٍ أو أَيَّسَهُ مِن رحمةِ الله.

وَيَقُولُ لَهُ قَدْ أَقْبَلَتْ إلَيْكَ سَكَرَاتُ الموت التي لا تطيقها الجبال وَنَزْعُ الموت شديد وربما خَوَّفَه وأقلَقَهُ وأوقَعَهُ في الوَسَاوِسَ والاعتراضِ على القدرِ والعِياذُ بالله.

فينبغي لِلْمؤمن أن يعلم أن هذا الساعة ساعةَ خُروجِ الروحُ حِيْنَ يحمى الوطِيْس فَيَتَجَلَّد وَيَتَصَبَّر ويَسْتَعِيْنُ بالله الحي القيوم على هذا العدو المرصد ليرجع هذا العدو خائباً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قالَ: «إنَّ المؤمِنَ لَيُنْضِي شَيْطَانَهُ كَما يُنْضِي أحَدُكم بعيره في السفر».

ويعلم أن الجزع لا يفيد شيئاً وعن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله أنه قال ما أحب أن تُهَوَّنَ عليَّ سَكَرَاتُ الموت إنه آخر ما يكفر به عن المسلم.

وعن إبراهيم قال كانوا يَسْتَحِبُونَ لِلْمَرِيْض أن يَحْمَدَ اللهَ عَند الموت، وعن ابن عباس أنه قال آخِرُ شِدَّةٍ يَلْقَاهَا المؤمنُ الموت.

وأعلم أنَّ المرضَ يُذْهِبُ الخَطايا وكُلَمَّا اشتَدَّ المرضُ كان أَذْهَبَ لها، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال دَخلْتُ على النبي ﷺ فمَسَسْتُهُ فقُلْتُ يارسول الله إنك تُوعَكُ وعْكاً شَدِيْداً، فَقَالَ: «أَجَلْ إني أُوعَكُ كما يُوْعَكُ رَجُلانِ مِنكم»، قُلْتُ ذَلِكَ بأَنَّ لَكَ أجْرَين. قَالَ: «أَجَلْ مَا مِن مُسلِمٍ يُصِيبُه أذىً مِن مَرضٍ فما سِواهُ إلَّا حَطَّ اللهُ بِه سَيِئاَتِهِ كَما تَحُطُّ الشَجَرةُ ورَقَها» رواه البخاري ومسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما مِن مُصيبَةٍ تُصِيبُ المسلم إلا كفر اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشوكة يشاكها» رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَزَالُ البَلاءُ بالمومنِ والمومِنَةِ في جَسَدِه وفي ماله وفي ولده».

وعن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ «عَجِبْتُ مِن قَضاءِ اللهِ عَزَّ وَجَل للمؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك إلا للمؤمن إن أصابَتْهُ سَرَّاءُ فشكَرَ كان خَيْرًا وإن أصابته ضَرَّاءُ فَصَبَر كان خَيراً لَه» أخرجه مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري قال: دَخَلْتُ على النبي ﷺ وهو يُوْعَكُ فَوَضَعْتُ يَدِي عليه فوجَدتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ (فَوق اللحاف) فقلتُ يارسول الله ما أشدَّهَا عليكَ، قَالَ: «إنا كَذَلَكَ يُضَعَّفُ لنا البلاء ويُضَعَّفُ لنا الأَجْر».

قُلْتُ يارسول الله أيُّ الناسِ أشَدُ بَلاءُ، قَالَ: «الأنبياء» قُلْتُ ثمُ مَن، قَالَ: «الصَّالِحُونَ إن كانَ لَيُبْتَلي بالفقر حَتَّى ما يَجِدُ إلا العَبَاءَةَ يُحَوِّيْهَا وإن كان أحَدهم ليَفْرَحُ بالبَلاءُ كَما يَفْرَحُ أحَدُكم بالرَّخاء» رواه ابن ماجه.

وعن عبدالله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثنا وكيع عن أبي حيان عن أبيه قال دَخَلُوا على سُوَيْدِ بن شُعْبَةَ اليَربُوعي وقد صَارَ على فراشِهِ كأن فَرْخٌ وامرأته تُنَادِيْهِ ما نُطْعِمُكَ ما نسقِيْكَ، فأجابها بصَوتٍ خِفَي دَبرَتِ الحَرَاقِفُ وطَالَتِ الضَّجْعَةُ ومَا أحِبُّ أن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ نَقَصَنِي منه قُلَامَةَ ظُفرُ، وقالت عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ما رَأَيْتُ الوجَعَ على أَحَدٍ أَشَدَّ منه على رسول الله ﷺ.

وكان جماعة من السلف يجعلون مكان الأنين والتأوه من شدة المرض ذِكْرَ الله سبحانه والاستغفار والتعبد وذلك لأن الأنين ونحوه نوع شكوى فَمَتَى أمكن التصبر عنه فينبغي أن يصبر.

شِعْرا: وما هِيَ إِلَّا ساعةٌ ثُمَّ تَنْقَضِي   ويَـذْهَـبُ هَذَا كُلُّــهُ ويَــزُوْلُ

فإن غلب عليه المرض عذر، وقال الإمام أحمد لِابْنِهِ أقرأ عَلَيَّ حديث طاووس أنه كره الأنين في المرض فقرأ عليه فَمَا أَنَّ حَتَّى مات رحمه الله.

ولَمَّا احْتُضِرَ صَفوانُ بنُ سُلَيمٍ وحضره أخوه فجعل يَتَقَلَّبُ قالوا كان له حاجة. قال: نَعَم.

فَقَالت أبْنَتُهُ: مَا لَهُ مِن حَاجَةٍ إلا أنه يُرِيْدُ أنْ تَقُومُوا عنه فَيَقُومُ فَيُصَلِي، وماذَاكَ فيه.

فقامَ القَومُ عنه وقَامَ إلى مَسْجِدِه يُصَلي فصاحت ابنتُه بهم فدخلوا عليه فحملوه فمات.

ودخلوا على أحد السلف وهو يعاني سكرات الموت فجعل يكبر ويُهَلل ويذكر الله عز وجل وجعل الناس يدخلون عليه أرسالا يسلمون عليه فيرد عليهم ويخرجون.

فلما كثروا عليه أقبل على ولده فقال يابُنَيَّ أعْفِنِي رُدَّ السلامَ على هؤلاء لايشغلوني عن ربي عزَّ وجَلَّ.

وقال أبو محمد الحريري حَضَرْتُ عند الجُنَيْدِ قَبْلِ وَفَاتِه بِسَاعَتَيْنَ فَلَمْ يَزَلْ تَالِياً وسَاجِدًا فَقُلْتُ لَهُ يَاأَبا القاسم قد بلَغَ بِكَ ما أَرَى مِن الجُهْدِ، فَقال ياأَبَا محمد أَحْوَجُ ما كُنْتُ إليه هذه الساعة فلم يَزَلْ تَالِياً وسَاجِدًا حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيا وخرج منها عاريا كما دخلها عارياً.

وهكذا كلُ بني آدم يدخل الإنسان مُجَرَّدًا مِن اللباس ويَخْرُجُ منها عارِيًا إلا مِن كَفَنِهِ كما قِيْلُ

شِعْرَا: نِصِيْبُك مِمَّا تَجْمَعُ الدَّهرَ كُلَّهُ   رِدَاءآنِ تُلْوَى فِيْهِمَا وحَنُوْطُ

آخر: فما تَزَوَّدَ مِمَّا كان يَجْمَعُه   سِوَى حَنُوط غَداةَ البَيْنِ في خِرَقِ
وغَيْرَ نَفْحَةِ أَعْوادٍ تُشَبُّ لَهُ   وقَلَّ ذَلِكَ مِن زَادٍ لِمُنْطَلِقِ

أَوْجَدَهُ اللّهُ جَلَّ وعَلا لِيَتَعَلَّمَ ويَعْمل بطاعة الله ويَتَمَّتَعَ بِخَيْراتِ الدُّنْيا مُسْتَعِيْناً فِيْها على طاعةِ رَبِّهِ حَتَّى إذَا انقضى أَجَلُهُ أَخْرَجَهُ اللّهُ لِدَارِ الجَزَاء والمُحَاسَبةِ على عمَلِهِ.

فإنْ أَحْسَنَ التَّصَرُّفَ وأطاعَ رَبَّهُ أَدْخَلَهُ الجَنَّةَ لِيَسْعَد فيها لِلْأَبَد، وإن أساء التَّصَرُّف وعَصَى رَبَّهُ أَدْخلَهُ نارَ جَهَنَّم يَتَعَذَّبُ فيها لِلْأَبَد.

وكل ما في الدنيا من أَمْتِعَةٍ ولَذَائِذَ قليلة وضئيلة ومحدودة بالنسبة لِلذَائذ الجنة بل موضع السوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها.

قال الله جل وعلا وتقدس: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قُرة أَعْيُنٍ جزاء بما كانوا يعملون﴾.

والمكث في الدنيا قليل فهو سنوات تمر كالبرق الخاطف لا يشعر الإنسان إلا وقَدْ انْتَهَتْ كأنها ساعة مِن نهار حَيَاتُه كلها.

قال الله جل وعلا: ﴿وَيَوْمَ يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يَتَعَارَفُونَ بيْنَهُم﴾ ومِن الناس مَن رَآها دَارَ قَرَار، وقال لا دَارَ لِي سِوَاهَا واعْتَنَى بها وبزَخَارِفِها وغَرَّهُ إبْلِيسُ لَعَنَهُ اللّهُ وزَيَّنَها لَهُ فانْغَمَسَ فيها، وعَمِلَ لَهَا لَيْلَهُ ونَهارَهُ وتَعِبَ فِيْهَا مُسْتَمْتَعًا بخَيراتِها الفَانِيةِ ومُلَاقٍ بَلَاءَهَا وأنكادَهَا وأكدارَهَا، وبعَدَ قليل هَجَم عليه هادِمُ اللَّذاتِ وأَيْقَظَهُ من غَفْلَتِه بَعدَ فَواتِ الأَوَان فَنَدِمَ حَيْثُ لا يَنْفَعُ النَّدَمِ وعَرَفَ بَعْدَ الفَوْت أَنَّ الدُنيا دَار مَن لا دار لَهُ ولها يَجْمَعُ من لَا عَقْلَ لَهُ.

«**فَصْلٌ**»: وقِسْمٌ مِن الناس وَفَّقَهُم اللّهُ وهُوَ أعلم بالمهتدين فأسْعَدهم بالإسلام وَوَفَّقَهُمْ لِلْعَمِلِ بِما يُرْضِيه.

قَال جَل وعلا وتقدس: ﴿وابتغ فيما آتاكَ الله الدار الآخرة ولا تنس نَصِيْبَكَ من الدنيا﴾ وهؤلاء تَمَشَّوْا مع الكتاب والسنة أصْلَحُوا دُنْيَاهُم وجَدُّوا واجْتَهَدُوا وعَمِلُوا لِلآخِرَةِ.

فالدُنيا نِعْمَ المطيةُ لِلْمُؤْمِن يَسْتَعْمِلُهَا لِلْخَير ويَنْجُو عليها مِن الشر فاتَّخَذَهَا مَطِيَّةً فَعَمَرَهَا كَمَا أمرهُ خَالِقُهُ وَأَخَذَ منها ما يَلْزَمُهُ باعْتِدَال وتَوَازُنٍ ولم يُعْلق قَلْبَهُ بِها.

فأطَاعَ رَبَّهُ واستَعَدَّ لِآخرتِهِ فَلَما أتاهِ الموت وَجَدَهُ على أَتَمِّ الإسْتِعْدَادِ. ومن الناس من رآى الدنيا تافهة وأيامها قليلة وعلم ما في الآخرة مِن نَعِيم مُقِيم وعَيْشٍ سَلِيم وعلم أن الدنيا والآخرة ملك (لله الواحد القهار) ﴿الذي له المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم﴾.

فأحب ربه واشتغل بعبادته وبالتقرب إليه بالعلم وفعل الخير وترك الدنيا وزينتها وزهد فيها.

وهذا القسم نادر كندرة الماس والجوهر الثمين فسعدوا بطاعة الله والتقرب إليه وصرف الوقت فيما يرضيه. ومن الناس من جهل الدنيا والآخرة فعاش فيها عيش البهائم يعمل ليله ونهاره.

ويأكل كما تأكل الأنعام فلم يستفد من الدنيا ولم يستعد للآخرة وهؤلاء هم الأكثرية الساحقة. وأسوء الناس من شغل عمره في خدمة مخلوق وضيع وقته في القيل والقال والجلوس عند الملاهي والمنكرات.

وروي إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة عبد أذهب آخرته بدنيا غيره.

شِعْرًا: وأسوء النــاس تدبيراً لِعَافِيَــةٍ ... مَن أنفقَ العُمر فيما لَيْسَ يَنْفَعُهُ

أما الاعِتدال والتوسط بين الاستمتاع بالدنيا بلا إسراف ولا إضاعَةِ وَقْتٍ

ولا يَتَعَلَّقُ قَلْبُه بِهَا ويكونُ مُسْتَعِداً للآخِرَةِ فَهَذَا سِمَةُ العُقَلاء والسُّعَدَاء الذينَ يُحْسِنُونَ تَصْرِيفَ أَوْقَاتِهِم وأَعْمَارِهِم.

ولِيَعْلَم المؤمِنُ أن اللهَ جَلَّ وَعَلَا وتقدسَ يَحْمِي عَبْدَهُ المُؤمِنَ من الدنيا وهو يُحِبُّه كما يَحْمي المرِيضَ أَهْلُهُ مِن الطعامِ والشرابِ يَخَافُونَ عليه.

وعلى الإنسان العاقل أن يَفْهَمَ الدنيا على حَقِيقتها فَيَنْظُرَ أَوَّلًا كَيْفَ وُلِدَ يَجِدُ أنهُ وُلِدَ عَارِيًا مِن كُل شيءٍ حَتَّى من الثياب ثم رَزَقَهُ اللهُ الكِسْوَةَ مِن الملابِس والمتاعِ والسكنِ والمالِ على أنها عَارِيَّةٌ مُرَجَعَةٌ.

فإذا فَقَدْ منها شَيْئاً فلا يَحْزن لأنَّ مَن أعَارَهُ شَيْئاً اسْتَرَدَّهُ وَسَوْفَ يُؤْخَذُ مِنه كل ما أُعْطِي ويَخْرُجُ مِن الدنيا تارِكاً كُلَّ شيء.

شِعْرَا: وما المالُ والأهلُونَ إلا وَدَائِعٌ ... ولابُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الوَدَائِعُ

آخر: تَجَرَّدْ مِن الدنيا فإنك إنَّمَا ... خَرَجْتَ إلى الدنيا وَأَنْتَ مُجَرَّدُ

آخر: فما تَزَوَّدَ مما كان تَجْمَعُهُ ... سِوَى حَنُوطٍ غَدَاةَ البَيْنِ في خِرَقِ

وغَيْرَ نَفْحَةِ أَعْوَادٍ تُشَبُّ لَهُ ... وَقَلَّ ذَلِكَ من زَادٍ لِمُنْطَلَقِ

«حِكَم ومَوَاعِظُ وآدَاب»

قال بعضُهم يُوْصِي إبنه يابُنَيَّ لاتدخل في الدنيا دُخوْلًا يَضُر بِآخِرتك ولاتَتْرُكْهَا تَركاً تكونُ به كلًّا على الناس.

وقال أُتْرُكْ الدنيا قَبْلَ أنْ تَتْرُكَكَ، واسْتَرْض رَبَّكَ قبل لِقَائِه، واعْمُرْ بَيْتَكَ الذي سَوْفَ تَسْكُنُه قَبْلَ انْتِقَالِكَ إليه.

قالَ أحَدُ الصَّالِحِين لِمَنْ يَأْمُرْوْنَ الناسَ بالبرِ ويَنْسَوْنَ أنفُسَهُم كَيْفَ يَتْرُكُ الدُنْيَا مَنْ تَأْمُرْوْنَهُ بِتَرْكِ الدِينار والدِرهِم وهُم إنْ الْقَوهَا أَخَذْتُمُوهَا أَنْتم.

وقال آخر الوقت آلة الرِزْقِ إن اسْتُعْمِلَ، وآفَةُ الرِزقِ إذَا أُهْمِلْ.

لا تَسْتَغْرِبْ وُقُوعَ الأَكْدَارِ، ما دُمْتَ في هذه الدار، فإنها ما أَبْرَزَتْ إلا ما هُو مُسْتَحَقٌّ وَصْفِها وَوَاجِبُ نَعْتِهَا فاحْذرها.

شِعْرًا: طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأَنْتَ تَرُوْمُهَا صَفْوًا مِن الأَقْذَارِ والأَكْدَارِ

مَرَّ بَعْضُهم على مَزْبَلَةٍ بِجَانِبِ مَقْبَرَةْ، فقال هذه كَنْزُ الرِجال، وهَذِه كَنْزُ الأموال. خَلق الله جل وعلا الدنيا لتكون في خِدْمَتِكَ، فَتَحَوَّلْتَ إلى خِدْمَتِها، وأَرَادَكَ مَلِكًا لَهَا وأَرَدْتَ أن تكُونَ مَمْلُوكاً لها.

شِعْرَا: أَنْتَ الأَمِيْرُ على الدُنْيا بِزُهْدِكَ في حُطَامِهَا وطَرِيْقُ الحَق مَسْلُوْكُ
وأَنْتَ عبدٌ لها مادُمْتَ تَعْشِقُهَا إِنَّ المُحِبَ لِمَنْ يَهْوَاهُ مَمْلُوْكُ

الدنيا مَحْبُوبَةٌ للإنسان ولكن يَجِبُ عَلينا أن لا نَأْخُذَ منها شيئاً كَرِهَهُ اللهُ ولا نَمنَعَ منها شَيَئاً أَحَبَّهُ اللهُ وبذا لا يَضرُنا حُبُّنا لَهَا.

الدنيا بَحْرٌ والآخرةُ سَاحِل والمركبُ التَّقْوىَ والناسُ سُفر.

الذنب يضر فاعله وقد يضر غيره إن عَيَّرهُ ابتُلِي، وإن اغْتَابَهُ أثِم، وإن رَضِي به شاركه، قيل إن المسيح عليه السلام قال يارَبِّ مَن أشرفُ الناسِ، فأوحى الله إليه أشرفُ الناس مَن إذا خلا علم أني ثانيه فأَجَلَّ قَدْرِي عن أن يظهرني على معاصيه.

هجران المعاصي أفضل الهجرة والمحافظة على الفرائض أفضل الجهاد ولا يأتي أحد بشيء أَحَبَّ إلى الله مِن ذِكْرِهْ. قال الله جل وعلا وتقدس: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ لا تَستَبْطِيء إجَابَةَ الدعُاء وَقَدْ سَدَدتَ طُرُقَهَا بالمعاصي.

التَّمادِي بالمَعَاصِي يُوجِبُ الاصْرَارَ عَلَيْهَا والإصْرَارُ يُوجِبُ الغَفْلَةَ عن الله ومَن غَفَل عن الله تَجَرَّأَ عَليه فَهلكَ.

أَخْسَرُ الناسِ صَفْقَةً مَن بَاعَ الجَنَّةَ بِمَا فِيْهَا بشَهْوة سَاعة، سُئِل بَعضُهم هَل مِن عَلاَمَةٍ لِمَنْ قَبِلَه الله، فقال الله أعلم ولكن هنا قرائن ودلائل

ومرجحات منها إنك إذا رَأَيتَ الله جَلَّ وعَلَا قَدْ عَصَمَكَ من المعاصي وكَرَّهَهَا إليكَ ووَفَّقَكَ لِمَا يُحِبُه ويَرْضَاهُ مِن الطاعات التي أمركَ بها ترَجّح عِندكَ القَبُول لا تتهاون بالذنب الصغير وانظر إلى مَن عَصَيْتَ رَباً عظيماً السموات والأرض جميعاً قبضتُه يوم القيامة.

شِعْرًا: أفَقْ مِن غَفْلَةِ الآمَالِ تَسْلَـمْ وقُـمْ لِلّـهِ أَوَّابـاً مُطِيْعَـا
وخَالِـفْ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيْـدٍ وَنَـفْسكَ والهَـوَى ثُمَّ الرِّقِيْعَا
فنِعْـمَ العَبْدُ أَنْتَ بِغَيْـرِ شَكٍّ إِذَا أَصْبَحَتَ لِلْدَّاعِي سَمِيْعَـا
بَصيْـراً بالعَـوَاقِبِ في أُمُـورٍ بِهَا أَحْسَنْتَ مَا عِشْتَ الصَّنِيعَا
تَمَسَّكْ بالشَّرِيْعَـةِ واحْتَرِمْهَـا تَنَلْ مِن فَضْلِهَا الشَّرَفَ الرَّفِيْعَا

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«فَصْــلٌ»

إعلم وفقنا الله وإياك أنَّ آفةُ الكِبْر عَظيمةٌ وفيه يَهْلِكُ الخَوَّاصُ وقَلَّمَا يَنْفَكُ عنه العُبَّاد والزُهَادُ والعلماءُ وكيفَ لا تعظم آفتُهُ وقدْ أَخْبَرَ النبي ﷺ أنه لا يدخلُ الجنةَ مَن كان في قلبه مِثقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبر وإنما صَارَ حِجَاباً دُونَ الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين لأن صاحبه لا يقدر أنْ يُحِبَّ لِلْمُؤْمِنِيْنَ ما يُحِبُّ لِنَفسِهِ فلا يَقْدِرُ على التواضُع ولا على تَرْكِ الحِقْدِ والحَسَدِ والغَضَبِ ولا على كَظْمِ الغَيْظِ وقبُولِ النُصْحَ ولا يَسْلمْ مِن الأزْدِرَاءِ والاحْتِقارِ لِلنَّاس واغْتِيَابهم فما مِن خُلُقٍ شَيْءٍ ذمِيْمٍ إلَّا وهُو مُتَّصِف به ومُضْطَرٌ إليه وقد شرح رسول الله ﷺ الكبر فقال الكبر بَطَر الحق وغَمْطُ الناسِ وأعلم أنَّ العُجْبَ يَدْعُو إلى الكِبر تَتولَّدُ الآفاتُ الكثيرةُ وهذا مَعَ الخَلْقِ فَأَمَّا مَعَ الخَالِقِ فإنَّ العُجْبَ بالطَّاعَاتِ نَتيْجَةِ إسْتِعْظَامُها فكأَنَّهُ يَمُنُّ على الله تعالى بفِعْلِهَا ويَنْسَى فَضْلَ اللهِ ونِعْمَته عليه بتَوْفِيْقِهِ لَهَا ويَعْمَى عن آفاتِهَا المُفْسِدةِ لَهَا.

نَظَرَ أَحَدُ العلماء إلى والٍ ظالم استقبلهَ الناسُ بالتَّبْجيّل والتَّعْظِيم فقال لِمَن حَوْلَهُ انظروا إلى مَن جَمَعَ اللهُ لَهُ بَيْنَ سُرور الدُنْيَا وخِزْي الآخِرَةِ.

وقال آخر إنما هَلَكَ مَن كان قَبْلَنَا بِحَبْسِهِم الحَقَّ حتى يشترى منهم وبِبَسْطِهِم الظُلْم حَتى يفتدى منهم.

كان عُمر بن عبدالعزيز يجعل كل يوم من ماله دِرْهماً في طعام المسلمين الفقراء ويأكل معهم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ألا وإني نَزَّلْتُ نَفْسِي مِن مالِ اللهِ بِمَنْزِلَةِ كافِلِ اليتيم إنْ استَغْنَيْتُ استَعْفَفْتُ وإن افتقرت أكلت بالمعروف.

ودخل بعضهم على سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو والٍ على المدائن فوجَدَهُ يَعْمَل الخُوصَ بِيَدِه يُسَوِّي منه قُفَفًا لِيَبِيْعَهَا ويتَقَوَّتُ بها.

فقال له تعمل هذا وأنْتَ أَمِيْرٌ على المَدَائِن ويَجْرِيْ عَلَيْكَ الرِّزق.

فقال سلمان رضي الله عنه إني اشتري بدرهم خوصاً (سَعَفُ النخل) فأعمله قُفَفًا فأبيعه بثلاث.

أُنْفِقُ درهما عَلَيَّ وعَلَى عِيالي وأتصَدَّق بِدِرهمٍ وأعِيْدُ دِرْهماً فِيهِ والله إني أحِبُّ أَنْ آكَلِ مِن عَمَلِ يَدِي.

ورآه بعض الناس في الطريق وظنه من جملة الحَمَامِيل الفُقَراء فقال إحْمِلْ لِي هَذَا فَحَمَل لَهُ أمْتِعَتَهُ ومَشي مَعَهِ في السُوْق، وكُلَّمَا صَادَف إنْسَاناً سلم عليه وقال السلامُ عَليك أَيُّهَا الأمِيْر والمَقَاضِي على رَأْسِهِ فاستَغْرَبَ الرَّجُلَ ذَلِكَ وخَجِلَ منه وقال لِسَلْمانَ مَن الأَمِيْر، قال أنا فأخَذَ يَعْتَذِرُ ويَطْلُبه السَّمَاحَ ويَقُول أَعْطِني مَتَاعِي جَزَاكَ اللهُ خَيْراً.

قال لابُدَّ مِن حَمْلِهِ أنا خَادِمٌ لِلْمُسْلِمِيْنَ وَأَبَى إلا أَنْ يُوصِلَ الأَمْتِعَةَ إلى بَيْتِ صَاحِبِهَا.

قِيْلَ لِعُمَرَ بن عبدِالعزيز جَزَاكَ اللهُ عن المسلمين خَيْرَاً فقال بَلْ جزى المسلمين عَنِي خَيْرَاً.

وأَتَى إليه مَظْلُومٌ مِن اليَمَن فكَتَبَ لِعَامِلِهِ باليَمَنِ أَنْ يأْخُذَ لَهُ حَقَّهُ ويُنْصِفه مِمَّنْ ظَلَمَهُ، ثُمَّ قال للمَظَلوم كَم نَفقَتُكَ من اليمن إلى هنا وهَلْ بَلي من أثوابك شيء ثم دفعها إليه.

وأتَى إليه فِقْير وقال ياأَمِيْرَ المؤمنين اشْتَدَّتْ بِي الحاجَةُ وبَلَغَتْ بِي الفاقَةُ واللهُ سَائلك عن مَقَامِي هذا بين يديك، فبكَى عُمر حتى بَلَّ القَضِيْبَ الذي يَتكِيءُ عليه فقال كَمْ عِيَالُكَ قال خَمْسَةَ أنا وامرأتي وثَلاثةُ أولاد. فقال عُمَرُ فَرَضْنَا لكم عَشَرَةَ دَنانِير في الشهر ونأْمُر لكَ بِخَمْسمائة دِرْهَم مِائتين مِن مَالي وثلاثمائة مِن مال الله حَتَّى تَتَبَلَّغَ بها حتى يخرجَ عَطَاؤك.

وقُدِّمُ لَهُ هَدِيَّةً وقالُوا لَهُ أَقْبَلْهَا فإن رسول الله ﷺ كان يَقْبَلُ الهَدِيَّةَ، فقال كانتْ للنبي ﷺ هَدية وهي الآن لَنَا رِشْوَة وَرَفَضَهَا.

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«**فَصْلٌ**»: بعد الصُلح بينَ أبي عُبَيْدَةَ والرُوْم قَدَّمَ قائدٌ رُوْمَانِي طعاماً فاخِراً لأبي عُبيدةَ فقال أَبُو عُبَيْدَةَ أتُطْعِمونَ الجندَ مثل هذا. قَال: لا.

فقال أبُو عُبَيْدَةَ لا حَاجَة لَنا فيما يَقْتَصِرُ عَلَيْنَا بئس أبو عبيدة وقَدْ صَحِبَهُ جُنْدٌ مِن بِلادِهِم ليُهْرِقوا دِمَاءَهم أو لم يُهْرقوا فاستأثر بنفسه عليهم بشي لا نأكل إلا مِمَّا يأكلون.

ركَبَ الْوَزِيْرُ عَلِيُ بنُ عِيسى الظالم في مَوْكِبٍ عظيم فقال الناس مَن هَذَا مَن هذا فقالت امرأةٌ لِمَ تَقُولُونَ مَن هذا. هذا عبد غَرَّهُ الشيْطَانُ فَسقَط مِن عَين اللهِ تعالى فابتلاه الله بما تَرَوْنَ فَرجَعَ الوزِيْرُ إلى مكة تَائِباً مُجَاوِرًا.

كَتَبَ وَالٍ لِعُمَر بن عبدالعزيز إن قَوْماً اخْتَلَسُوا مَالَ الدولةِ فأذن لِيْ في

عِقَابِهِم فَكَتَبَ عُمَرُ إليه لا تَظُنَّ أَنَّ رِضَائِي عليكَ ومَشُورَتِي تنجيْكَ مِن عذاب الله، لِذا مِن أَقَرَّ منهم فجازه بِمَا يَسْتَحِق ومَن أنكر فاستحلفه وخلِّ سَبِيْلَهُ فلَعَمْرِي لأَنْ يلقَوُا اللهَ بِخِيَانَتِهِم أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ بِدِمَائِهِم.

وقال بعضهم إنما أهلك مَن كان قبلنا بحَبْسِهِم الحَقِّ حتى يشترى منهم وبِبَسْطِهِم الظلم حتى يُفْتَدَى منهم.

« موعظة »

عِبادَ اللهِ سُرُوْرَ المُؤْمِنِيْنَ يَوْمَ يَعْبرُوْن القَنَاطِرَ ويَأْمَنُونَ العَواثِرَ فَذَلِكَ يَوْمُ عِيدِهم ومَادامُوا في دَارِ الغُرُوْرِ فلاغِبْطَةَ ولا سُرُوْرَ.

وَأَيَّ سُرُوْرٍ لِمن الموتُ مَعْقُودٌ بناصيَتِهِ والذُنوبُ رَاسِخَةٌ في آنِيَتِهِ والنَّفْسُ تَقُودُهُ إلى هَوَاهَا والدُّنْيَا تَتَزَيَّنُ في عَيْنِهِ بِمُشْتَهَاهَا.

والشَّيْطَانُ مُسْتَبْطِنٌ فَقَارَ ظَهْرِهِ لايَفْتُر عن الوَسْوَسَةِ في صدره ونفسِهِ ومالِهِ بعَرْضِهِ لِلْحَوادث ولايَدْرِي في كل نَفَسٍ ما عَلَيه حَادِث.

قَالَ بَعْضُهُم:

إني بُلِيْتُ بأَرْبَعٍ مَا سُلِّطُـوْا　　إلَّا لأِجل شقَاوَتِي وَعَنَائِـي
إبْلِيْسَ والدُنْيَا ونَـفْسِي والهوى　　كَيْفَ الخَلاصُ وكُلُّهُمْ أَعْدَائِي

ومن وَرَائِهِ المُغِير ومَسْأَلة مُنْكَرٍ ونَكِيْر ويَتَوَسَّدُّ التُرابَ إلى يَومِ النشور ﴿يومَ يَقُومُ الناسُ لرب العالمين﴾ يَومٌ لايُبْلَغُ وصْفُ أَهْوَالِهِ ولا شَرْحُ أحواله ما لا يَسَعُ المؤمن به أنْ يَسْتَقِرَّ لَهُ قَرَارٌ ولا يَخْلُدُ إلى هَذِهِ الدار ولَا يكُوْنُ لَهُ هَمٌّ في هَذة الدنيا إِلَّا التَّقَرُّبُ بأَنْوَاعِ القُرَبِ واجْتِنَابُ الفَواحِش والريبَ وإقامة الدين الذي في إقامَتِهِ النجاةُ وفي تَضْيِيْعِهِ العَطَبَ العظيم.

شِعْرًا: يَومُ القِيَامَـةِ لَوْ عَلِـمْتَ بهَوْلِـهِ　　لَفَرَرْتَ مِن أَهْلٍ ومِـنْ أَوْطَـانِ

يَوْمٌ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لِهَوْلِهِ ... وتَشِيْبُ مِنْهُ مفارِقُ الوِلْدَانِ
يَوْمٌ عَبُوسٌ قَمَطَرِيْرٌ شَرُّهُ ... في الخلق مُنْتَشِرٌ عَظِيْمُ الشأنِ
يَوْمٌ يَجِيءُ المتَّقُونَ لِرَبِهِمْ ... وَفْدًا على نُجُبٍ مِن العِقْبَاتِ
ويَجِيءُ فيه المجرمُونَ إلى لَظَي ... يَتَلَمَّظُوْنَ تَلَمُّظَ العَطْشَانِ
والجَنَّةُ العُلْيا ونارُ جَهَنَّم ... دَارَانِ لِلْخَصْمَيْنَ دَائِمَتَانِ

«فوائد»

تَعَرَّفْ إلى الله بِمَا تَعَرَّف به إلَيْكَ بِمَا هُوَ أَهْلُه وتَعَرَّفْ ما فَرضَ عليكَ مَعْرِفَتَهُ مِن أحكامِ شَرْعِهِ.

ثانياً: طاعتهِ في فعل الواجبات وترك المحرمات.

ثالثاً: أنْ تَشْتَاقَ إلى ما شَوَّقَ إليه وتَخَافَ مَا خَوَّفَ منه لأن العَالِم بأسماء اللهِ وصِفاتِه وأحْكَامِهِ من أعْلم العَالِمين.

والعامِلُ بطَاعَتهِ فيما أمرهُ ونهاه مِن أعْمَلِ العَامِلين.

إن لم تقدر على الجَدِّ في العَمل فَقِفْ على باب الطَّلب وتَعَرَّضْ لِنَفْحَةٍ مِن نَفَحَاتِ الربِ ففِي لَحْظَةٍ أَفْلَحَ السَّحَرة.

إذا رُزِقْتَ يَقَظَةً فَصُنْهَا في بَيْتِ عُزْلةٍ فإنَّ أيْدِي المُعَاشرة نَهَّابَةٌ واحْذَرْ مُعَاشرة البَطَّالِيْن فإنَّ الطَّبْعَ لِصٌ ولا تُصَادِقَنَّ فَاسِقَاً ولا تَثِق إليه فإنَّ من خانَ أوَّل مُنْعِمٍ عليه لا يَفي لَكَ أبدَاً.

تَزَيَّنَتِ الجنةُ لِلْخُطَّاب فجدوا واجْتَهِدُوا في تحصيل المهور.

تَعَرَّفَ رَبُّ العِزَّةِ لِلْمُحِبِّين فَعمَلُوْا لِلقاء وأنْتَ مَشْغُولٌ بالجِيَف.

ما يُسَاوِي ربع دينار خجل الفضيحة فكيف بألِمَ القَطْعِ.

لَيْسَ لِلْعابدِين مُسْتَراح إلا تحْتَ شَجَرَة طُوْبى.

ولا لِلْمُحِبِّيْنَ قَرَارٌ إلا يَوْمَ المَزِيْد فَمَثِّلْ لِقَلْبِكَ الاستراحَة تَحْتَ شجرة طُوْبَى يَهُنْ عليك النصب والتعب.

واسْتَحْضِر يَومَ المزيد يَهُنْ عَلَيْكَ ما تَتَحَمَّلُ مِن أَجْلِهِ.

مَتى رَأَيْتَ العقلَ يُؤْثِرُ الفاني على البَاقِي فأعلم أَنَّهُ قَدْ مُسِخَ.

ومَتى رَأَيْتَ القلب قد ترحل عنه حب الله والاستعداد لِلقائه وحل فيه حب المخلوق والرضا بالحياة الدنيا والطُمَأْنِينةِ بها فاعلم أنه قد خُسِفَ به.

ومَتَى أَقْحَطَتِ العينُ مِن البكاء مِن خشيةِ اللهِ تعالى فاعلم أَنَّ قُحْطَهَا مِن قسْوَةِ القلب.

ومَتَى رأَيْتَ نفسَك تَهْرَبُ مِن الأُنْسِ باللهِ إلى الأنس بالمخلوق ومِن الخَلوة مَعَ اللهِ إلى الخلوة مَعَ المخلوق فاعلم أنها لا تصلح لله.

مَن رَكِبَ ظهر التفريط والتواني والكسل نَزَلَ بدارِ العُسْرَةِ والندامة.

مَن أدْلَجَ في غياهب الليل على نجائب الصبر صَبَّح منزل السرور.

ومَن نام على فِرَاشِ الكسَل أَصْبَحَ مُلْقًا بوادِي الأَسَف.

« **فائدة نفيسة** » : ينبغي لطالِب العلم أن يتأملها ويأخذ لمستقبله فِكرة، قال بَعْضُ العُلماءِ لَمْ أَزَلْ بُرْهَةً مِن عُمْرِي أَنظُرُ اخْتِلَافَ الأُمَّة والتمَسُ المنهاجَ الواضحَ والسَّبيل القاصِدَ وأطلبُ مِن العِلم والعَمَلِ واسْتَدِلُ على طَرِيْقِ الآخِرَةِ بإِرْشَادِ العُلماء.

وعَقَلْتُ كثيراً مِن كلام اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بتأْوِيْلِ الفُقَهاءِ وَتَدَبَّرْتُ أَحْوَالَ الأُمَّةِ وَنَظَرْتُ في مَذَاهِبِهَا وأَقَاوِيْلِهَا فعَقَلْتُ مِن ذَلِكَ ما قُدِّرَ لِي.

ورَأَيْتُ إخْتِلافَهُم بَحْرًا عَمِيْقاً غَرِقَ فيه ناسٌ كَثِيْر وسَلِمَ مِنهُ عِصَابَةٌ قليلة، ورَأَيْتُ كُلَّ صِنِفٍ منهم يَزْعُمُ أن النجَّاة لِمَنْ تبعَهُم وأن المهالك لِمَنْ خَالَفَهَمْ. ثُمَّ رَأَيْتُ الناسَ أَصْنَافاً فمنهم العالِمُ بأمْرِ الآخرة لِقَاؤُهُ عَسِيْر وَوُجُودُهُ عَزِيْز. وهُو مَن يُعِدُّ نَفْسَهُ في الدنيا لِثَواب الآخرة والقُرْبِ مِن العَزِيْزِ الحَكِيم.

ومنهم الجَاهِلُ فالبُعْد منه غَنِيْمَة.

ومنهم المُتَشَبهُ بالعُلماء مَشْغُوفٌ بِدُنْيَاه مُؤْثِرٌ لَهَا.

ومنهم حَامِلُ عِلْمٍ مَنْسُوْبٌ إلى الدِيْن مُلْتمسٌ بِعِلْمِهِ التَّعْظِيْمَ وَالعُلُوَّ، يَنَالُ بالدِّين من عَرَض الدُنْيَا.

ومنهم حَامِلُ عِلْمٍ لا يَعْلَمُ تَأْوِيْلَ ما حَمَلَ.

ومنهم المُتَشَبِّهُ بالنُّسَاكِ مُتَحَرٍّ لِلْخَيْرِ لَا غِنَاءَ عِنْدَهُ ولا نَفَاذَ لِعِلْمِهِ ولا مُعْتَمَدَ على رَأْيِهِ.

ومنهم المَنْسُوْبُ إلى العَقْلِ والدَّهَاءِ مَفْقُوْدُ الوَرَعِ والتُّقَى.

ومنهم شَيَاطِينُ الإنس عن الآخرة يَصُدُّونَ وعلى الدنيا يَتَكَالَبُون وإلى جَمْعِهَا يُهْرَعُون وفي الاسْتِكْثَارِ منها يَرْغَبُون.

فهم في الدنيا أحْيَاء وفي العُرْفِ مَوْتى.

فَتَفَقَّدْتُ في الأَصْنَافِ نَفْسِي وضِقْتُ بِذَلِكَ ذَرْعًا فَقَصَدْتُ إلى هُدَى المُهْتَدين بِطَلَبِ السَّدَادِ والهُدى واسْتَرْشَدْتُ العِلْم وأعْمَلْتُ الفِكْرَ وأَطَلْتُ النَّظَر.

فَتَبَيَّنَ لِي مِن كتاب اللهِ عَزَّ وَجَل وسُنَّةِ رسوله ﷺ وإجماع الأُمَّةِ أنَّ اتِّبَاعَ الهَوى يُعْمِي عن الرُّشْدِ ويُضِلُّ عن الحق ويُطِيْلُ المكثَ في العَمَى.

فَبَدَأْتُ أَوَّلًا بإسْقَاطِ الهَوى على قَلْبِي وَوَقَفْتُ عندَ اخْتِلاف الأُمَّةِ مُرْتَادًا لِطَلَبِ الفِرْقَةِ الناجِيَة.

حَذَرًا مِن الأَهْوَاءِ المُرْدِيَةِ والفِرقةِ الهَالِكَة مُتَحَرِّزًا مِن الاقْتِحام قَبلَ البَيَانِ والتَمِسُ سَبِيْل النجاةِ لِنَفْسِي.

ثم وَجَدْتُ باجْتِماع الأُمَّةِ في كتابِ اللهِ المُنَزَّل أَنَّ سَبِيْلِ النجاةِ في التَّمَسكِ بتقوى اللهِ وأدَاءِ فرائضِهِ، والورع في حَلَالِهِ وحَرَامِهِ وجميع حدوده. والإخلاص لله تعالى بِطَاعَتِهِ.

والتَّأسِي بِرَسُولِهِ ﷺ فَطَلَبْتُ مَعْرِفَةَ الفرائضِ والسُّنَنِ عِندَ العُلماءِ في الآثارِ فَرَأَيْتُ إجْتِمَاعًا واختلافاً وَوَجَدْتُ جَميعَهُم مُجْتَمِعِيْنَ على أنَّ عِلْمَ الفَرائِضِ والسُنَنِ عندَ العُلماءِ باللهِ وأمرِهَ الفُقَهاءِ عند اللهِ العَامِلين بِرِضْوانِهِ، الوَرِعِيْنَ عن مَحَارِمِهِ المُتَأَسِّيْنَ برسوله ﷺ والمُؤْثِرِيْنَ الآخِرَةَ على الدنيا أولَئكَ المُتَمَسِّكُونَ بأمْرِ اللهِ وسُنَنِ المُرسَلِين.

فالتَمَسْتُ مِن بَيْنَ الأُمَّةِ هَذا الصِّنْفَ المُجْتَمع عَليهم والمُوصُوفينَ بآثارهم واقْتَبَسْتُ مِن عِلْمِهِم فَرَأَيْتُهُم أَقَلَّ مِنَ القَلِيْلِ، ورأيْتُ عِلْمَهُم مُنْدَرِساً كما قال رسول الله ﷺ «بدأ الإسلام غريْبًا وسَيَعُوْدُ غريْباً كما بدأ» فطُوْبَى لِلْغُرَباءِ وهم المُتَفَرِدُونَ بِدِيْنِهِم.

فعَظُمَتْ مُصِيْبَتِي لِفَقْدِ الأَوْلِيَاءِ الأَتْقِيَاء الأبرار وخشيتُ بَغْتَةَ الموتِ أنْ يَفْجَأني عَلَى اضْطرابٍ من عُمُري لاختلافِ الأُمَّةِ، فانْكَمَشْتُ في طَالِب عِلمٍ لَم أجِدْ لِي مِن مَعْرفَتِهِ بُدًا ولم أُقَصِّرْ في الإحْتِيَاطِ.

فَقَيَّضَ لِي الرءُوفُ بِعبادِهِ قَوْماً وجَدْتُ فيهم دَلائِلَ التَّقْوَى وأعلامَ الوَرَعِ وإيْثارَ الآخِرَةِ على الدنيا. وَوَجَدْتُ إرْشَادَهُم وَوَصَايَاهُم مُوافِقةً لأفاعيل أئِمَّةِ الهُدَى.

وَوَجَدْتُهم مُجْتَمِعِينَ على نُصْحِ الأُمَّةِ لا يُرَجُّونَ أَبدًا في مَعْصِيَتِه ولا يُقَنِّطُونَ أبدًا مِن رَحْمَتِه.

يَرْضَونَ أَبداً بالصبر على البَأْسَآءِ والضَّرَّآءِ والرِضا والشكرِ على النعماء يُحَبِبُوْن اللهَ إلى العَبْدِ بِذِكرهم أيادِيه وإحْسَانِهِ ويَحُثُونَ العِبادَ على الإنابة إلى الله تَعَالى عُلَمَاءُ بِعَظَمَتِهِ تعالى عُلَمَاءُ بعَظِيمِ قدرَتِهِ وعُلماءُ بكتابهِ وسُنَّتِهِ فُقَهاءُ في دِيْنِهِ عُلَماءُ بِمَا يُحبُّ ويَكره وَرِعِين عن البِدع والأَهْوَاء تارِكِينَ لِلتَّعَمُّقِ والإغلاءِ مُبْغِضِيْنَ لِلْجِدَالِ والمِرَاءِ مُتَوَرعِيْنَ عن الاغْتِيَابِ والظُلم مُخالِفِيْنَ لِأَهْوَائِهِم مُحَاسِبِيْنَ لأنْفُسهم مالكين لجَوارِحِهِم وَرِعِيْنَ في مَطَاعِمِهِم

ومَلابِسِهِم وجَمِيْع أَحْوَالِهِم مُجَانِبِيْنَ لِلشُبُهَاتِ تارِكينَ لِلشهواتِ مُجْتَزِئِينَ بالبُلْغَةِ مِن الأَقْواتِ مُتقلِّلِيْنَ مِن المُبَاح مُشْفِقِين مِن الحِساب وجِلِيْنَ مِن المعادِ عُلماءُ بأمر الآخِرَةِ وأَقَاوِيْلِ القِيَامَةِ رَاجِينَ مِن الكريم المنانَ جَزِيْلِ الثواب وخائِفِين مِن أَلِيمِ العِقاب وذلك أَوْرَثَهُم الخَوْفَ الدَّائم والهَمَّ المُقِيم فَشُغِلُوا عن سُرُورِ الدُنيا ونعِيمها فَتَبَيَّنَ لِيْ فَضْلُهُمْ واتَّضَحَ لِيْ نُصْحُهُم وأيْقَنْتُ أنهم العَامِلُونَ بِطَرِيْقِ الآخِرة والمتأسُونَ بالمُرْسَلِين والمَصَابِيْح لِمَنْ اسْتَضَاء بِهم والهادُونَ لِمَنْ اسْتَرشَد.. أ. هـ.

قُلْتُ فَبِمِثْلِ هَؤلآءِ إنْ وُجِدُوْا فَلْيَقْتَدِ المقتدون.

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«**فَصْلٌ**»: قال ابنُ القيْم رحَمهُ الله لا يكون العَبدُ مُتَحقِقاً ﴿إِيَّاكَ نَعبُد﴾ إلا بأصلين عظيمين أحدهما الإخلاص لِلْمَعْبُودِ والثاني المتابعة للرسول ﷺ.

والناس منقسمون بحَسَبِ هذين الأصلينْ إلى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ أحَدُها أهلُ الإخلاصِ للمَعْبُود والمتابَعَةِ للرسول ﷺ وهُمْ أَهْلُ إِيَّاكَ نَعْبُد حَقيْقَةً.

فأعْمَالُهُم كُلُّها لِلَّهِ، وأقْوَالهُم لِلَّهِ، وحُبُّهم لِلَّهِ، وبُغْضُهُمْ لِلَّهِ.

فَمُعَامَلَتُهُم ظاهِراً وباطِناً لوجه الله وحده لا يريدون بذلك من الناس جَزَاءً ولا شُكُورًا.

ولا ابتغاءَ الجَاهِ عندهم ولا طلبَ المَحْمَدَة والمنزلة في قُلُوبهم ولا هَرَباً مِن ذَمِّهم، بل قد عَدُوا أنفسهم من أصحابِ القبُور لا يملكون لهم ضراً ولا نَفْعاً ولا يَملكون مَوْتاً ولا حَيَاةً ولا نُشُورًا.

فالعمل لأجل الناسِ وابتغاءِ الجاه والمنزلة عندهم ورَجَائِهم للضر والنفع منهم لا يكون مِن عَارِف بهم البتة، بَلْ مِن جاهِلٍ بِشَأْنِهم وجَاهِلٍ بِرِبِهَ فَمَنْ عَرَف الناس أنزلهم منازلهم، ومن عَرَف الله أَخْلَصَ لَهُ أَعْمَالَهُ وأقوالَه وعَطَاءَهُ

مَنْعَهُ وحُبَّهُ ويُغْضَهُ، ولا يعامِل أَحَدٌ الخَلْقَ دُون اللهِ إلا لجهلِه باللهِ وجَهْلِهِ بالخلقِ، وإلا فإذا عَرَفَ اللهَ وعَرَفَ الناسَ آثرَ مُعَامَلَةَ اللهِ على مُعَامَلتَهم.

القسم الثاني مَن لا إخْلاصَ لَهُ وَلَا مُتَابَعَة فَلَيْسَ عَمَلُه مُوَافِقاً لِلشَّرْعِ، وَلَيْسَ هُوَ خَالِصاً لِلْمَعْبُود كأعْمَالِ المُتَزيِّنِيْنَ للناس المُرَائين لَهُم بِمَا لَم يَشْرَعْهُ الله ورسوله، وهولآء شرار الخلق وأَمْقَتُهُم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ولَهُم أَوْفَر نَصِيْبٍ مِن قولِهِ تَعَالَى: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الذين يَفْرَحُونَ بِمَا أتوا ويُحِبُّون أنْ يُحْمَدُوا بما لم يَفْعَلُوا فلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِن العَذاب ولهم عذاب أليم﴾، يَفْرَحُونَ بما أَتوا مِن البِدْعَةِ، والضلالة، والشرك، ويُحِبُّونَ أن يُحْمَدُوا باتباع السُّنَّةِ والاخلاص.

وهذا القسم يَكْثُرُ فيْمَن انحْرَفَ مِن المُنْتسِبِيْنَ إلى العِلم والفَقْرِ والعِبَادَةِ عن الصراط المستقيم، فإنَّهُم يَرْتكِبُونَ البِدعَ والضَّلالَاتِ والرِّيَاءَ والسُّمْعَةَ ويُحِبُونَ أن يُحْمَدُوْا بما لم يَفْعَلُوه من الإتِبَّاع والإخْلاص والعِلمَ فَهُم أَهْلُ الغَضَبِ والضلال.

القسمُ الثالثُ مَن هُوَ مُخْلِصٌ في أعْمَالِهِ لَكِنَّها على غَيرِ مُتَابعَةِ الأمْر كجُهَّال العِبَاد والمُنْتَسِبِيْنَ إلى طَرِيْق الفَقْر والزُهْدِ، وكلّ مَن عَبدَ اللهِ بِغَيْرِ أَمْرِهِ واعْتَقدَ عِبادَتَه هَذِه قُرْبَةً إلى الله فهذا حَالُه، كَمَنْ يَظُنُ أنَّ سَمَاعَ المكاءِ والتَّصْدِيَةِ قُرْبَةً وأن الخلوة التي يَتْرُكُ فيها الجمعةَ والجماعةَ قُربة، وأنَّ مُواصَلَةَ صَوم النَّهارِ بالليل قُرْبَة وأن صِيَامَ يَوْمِ فِطْرِ الناسِ كُلِّهِم قُرْبَةً وأمثال ذَلِكَ.

الفِسمُ الرابع مَن أَعْمَالُه على مُتَابَعَةِ الأمْرِ لكنَّهَا لَغِيْرِ الله كَطَاعَةِ المُرائين وكالرَّجُل يُقَاتِلُ رِيَاءً وحَمِيَّةً وشجاعَةً ويَحُجُ لِيُقال، ويَقرَأ القُرآنَ لِيُقَال، فهولآء أعمالُهم ظاهِرُهَا أعْمَالٌ صَالحةً مأمورٌ بها لَكِنَّها غَيْرِ صَالِحةٍ فلا تُقْبَل، قَالَ الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا أمروا إلا لِيَعْبُدوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدين﴾ فكُلُ أحَدٍ لم يُؤمَرْ إلا بعِبادة اللهِ بِمَا أُمَرَ.. إنتهى كلامه رحمه الله.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَيَسِّرْنَا لِلْيُسْرَى وَجَنِّبْنَا العُسْرَى وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« **فَصْلٌ** » : قال بَعْضُهُم أعَزُ الأشيَاءِ في الدُّنْيَا الإخلاص قِيْلَ لِمَا صَارَ أعَز، قَالَ لأنه لَيْسَ لِلنّفْسِ فيه نصيب، وقال آخر أَعَزُ شَيْء في الدُّنْيَا الإخلاص وَكَم أجْتَهِدُ في إسقاط الرِياء عن قَلْبِي فكأَنَّهُ يَنْبُتُ فيه على لَونٍ آخَرَ.

فالإخلاصُ في غَايَةِ الصُّعُوْبَةِ فلِذَلِكَ نَجِدُ كَثِيْرًا مِن الناسِ يَشْرحُ أَعْمَالَهُ للناس يَذْكُر صَدَقاتِه وصِيَامَه صِيَام التطوع وكَم حَجَّ مِن سَنَة وكَم عُمْرةً اعْتَمَرْ وهُوَ ما سُئِل وأنه يُحْيي اللَّيلَ بالصلاة والتِلاوة.

ويَذْكُرُ الذِين يُسَاعِدهم بِجَاهِهِ ومَالِهِ يُرِيُد بذَلِكَ المنزلةَ في قُلُوب العِباد وأَنَّهُ مِن المحِسنِين وهذا غلَطٌ وضَرَرٌ عَلَيْكَ فمَا دُمْتَ تَعْمَلُ لِلَّهِ فما الدَّاعي إلىَ ذِكْرِهِ لِمَنْ لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِم ضَرًا ولا نَفْعاً ولا يَمْلِكُونَ مَوتاً ولا حَيَاةً ولا نُشُوْرَا، فالرِياء تَعَبٌ ونَصَبٌ ولُغُوب وخُسرانَ وذِل في الدُّنْيَا وخِزي وفَضِيْحَة وعذابٌ وندامةً في الآخرة.

فالعاقل يَعْمَلِ العَمَلَ خَالِصاً لِلَّهِ لَا لِأَجْلِ الخَلْقِ ولا لأَجْلِ النَّفْسِ وإلَّا دَخَلَ عَليه مُطَالبهُ العِوَضِ أو تَشَوُّقٌ إلى حَظٍ مِن حُظوظ الدُّنْيَا.

والمُهِمُّ أَنْ يَحْرِصَ على إخْفاءِ أَعْمَالِهِ لِأَنَّ الجَزَاءَ عِند مَن يَعلم السِّرَ وَأَخْفَى لا إِلٰهَ إِلَّا هُو، إلا إنْ تَرَجَّحَتْ مَصْلحَةُ الإِظْهَارِ على الإِخْفَاءِ كَأَنْ يُقْتَدَي بِهِ في الصَّدقَةِ أَوِ الزَّكَاة لإزَالَةِ التُّهْمَةِ عَنْهُ بعَدَمِ إِخْرَاجِهَا. قال الله جَلَّ وَعَلَا وَتقدس: ﴿إن تُبْدُوا الصدقاتِ فَنِعمَّا هِي وإنْ تُخْفُوها وتؤتوها الفقراء فهو خَيرٌ لَكم﴾.

عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مَن فَارَق الدُّنْيا على

الإخلاص لِلَّهِ وحْدَهُ لا شريْكَ لَهُ وأقامَ الصلاة وآتى الزكاةَ فارَقَها والله عنه رَاضٍ» رواه ابنُ ماجه والحاكم، وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم.

وعن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أنه قال حِيْنَ بُعِثَ إلى اليمن يا رسولَ الله أَوْصِنِي قَال: «أَخلِصْ دِيْنَكَ يَكْفِيْكَ العَمَلُ القَلِيْلُ» رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

وعن ثوبانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول «طُوْبَى لِلْمُخْلِصِيْنَ أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الهُدى تَنْجَلي عنهم كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلْمَاء».

شِعْرَا: لِكُلِّ شيءٍ زِيْنَةٌ في الـــوَرىَ ... وَزِيْنَةُ المَرْء تُقــىً مَعْ أَدَبْ

قَدْ يَشْرُفُ المَرْءُ بِإِخْـــلاصِهِ ... صِدْقاً وإنْ كان وَضِيْعَ النَّسَبْ

آخر: وذَكِّرْ بالتُّقَى نَفَراً غَفُـــوْلًا ... فَلَولَا السَّقْيُ ما نَمَتِ الزُّرُوْعُ

لعَمْرُكَ إِنَّ المْجدَ والفَخْرُ والعُلا ... ونَيْلَ الأَمَاني واكْتِسَاب الفَضَائِلِ

لِمَنْ يُخْلِصُ الأَعْمَالَ لِلَّهِ وَحْدَهُ ... ويُكْثِرُ مِن ذِكْرٍ لَهُ في المَنَازِلِ

وفي المَسَاجِدِ والأَسْوَاقِ يَذْكُرُهُ ... ويُشغِلُهُمْ في ذِكرِهِ في المَحَافِلِ

وعن زَيْدِ بنِ ثابتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «نَضَّرَ اللهُ أَمْرءاً سَمِعَ مِنَّا حَدِيْثاً فَبَلَّغَهُ غَيْرَهُ فَرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى مَن هُوَ أفقهُ منه وَرُبَّ حَامِلِ فقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيه، ثَلاثٌ لا يَغْلُ عَليهم قَلْبُ مُسْلِم إخْلاصُ العَمَلِ لِلَّهِ ومُنَاصَحَةُ وُلاةِ الأمر ولُزُوْمُ الجَماعَةِ فإِنَّ دَعْوَتَهُم تُحِيْطُ مِن وَرَائِهم، ومَن كانَتِ الدُّنْيا نِيَّتُهُ فَرَّقَ اللهُ عَليه أَمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ولم يَأتِيه مِن الدُّنْيا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، ومَن كانَتِ الآخِرةُ نِيَّتُهُ جَمَعَ اللهُ أَمْرَهُ وَجَعَل غِنَاهُ في قَلْبه وأَتَتْهُ الدُّنْيا وهِيَ رَاغِمَة» رواه ابن حبان ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وابنُ مَاجه.

وعن الضحاك بن قيس قال قال رسول الله ﷺ «إِنَّ الله تبارك وتعالى يقول أنا خَيْرُ شَرِيكٍ فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِي شَرِيْكاً فَهُو لِشَرِيْكِي، ياأَيُّهَا الناسُ

أَخْلِصُوْ أَعْمَالكم فإنَّ الله تبارك وتعالى لا يَقْبَلُ من الأَعْمَالِ إِلَّا مَا خَلَصَ لَهُ» أخرجه البزار بإسناد لا بأس به.

وورد عنه ﷺ أنه قال: «إن الله عز وجل لا يَقْبَلُ مِن العَمَلِ إلَّا ما كان خالِصًا وابتُغِي به وَجْهَهُ» رواه أبو داود والنسائي.

وعتن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ ما فيها إلا ما ابْتُغِي به وجْهَهُ» أخرجه الطبراني بإسنادٍ لا بأس به.

سُئِل الفضيلُ بنُ عِيَاض ما أَخْلَصُ العَمَلِ وما أَصْوَبُهُ، قَالَ: إن العَمَلِ إذا كان خالِصًا ولم يكن صَوابًا لم يُقْبَلْ وإذا كان صَوَابًا ولم يَكُنْ خالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حتى يكونَ خالِصاً صَواباً والخَالِصُ أن يكون لِلَّهِ والصَّوابُ أن يكون عَلى السُّنَّةِ.

شِعْرًا: هَمُّ الأَلِبَّاءِ إِخْلاصٌ لِخَالِقِهِمْ ... فِيْمَا أَمَرْهُمْ بِهِ فِي القَوْلِ والعَمَلِ
وَهَمُّ غَيرِهمُ فِي الصُّحْفِ يَقْرَؤُهَا ... أَوْ حَوْلَ مِذْيَاعِهِ يَا خَيْبَةَ الأَمَلِ
أَعْظِمْ بِهَا مِن نَدَامَاتٍ إِذَا اكُشِفَتْ ... يَوْمَ الجَزَاءِ لِأَهْلِ اللَّهْوِ وَالزَّلَلِ

آخر: لعَمْرِيَ إِنَّ الْمجدَ والفَخْرَ وَالعُلَا ... وَنَيْلَ الأَمَانِي وارْتفاع المنازِلِ
لِمَنْ يُخْلِصُ الأَعْمَالَ لِلَّهِ وَحْدَهُ ... وَيُكْثِرُ مِن ذِكْرٍ لَهُ فِي المَحَافِلِ

آخر: مَوَاهِبُ ذِي الجَلَالِ عَلَيْكَ تَتْرى ... بِإِحْسَانٍ وَأَنْتَ بِهَا كَنُودُ
يَزِيْدُكَ مِنْه فَضْلًا كُلَّ يَوْمٍ ... وأَنْتَ بِضِدِّهِ أَبَداً تَزِيدُ
تَغُرُّكَ أُمُّ دَفْرٍ بالأَمَانِي ... عنِ العُقْبَى لِتَغْفُلَ يَا بَعِيدُ
أَلَا فَانْهضْ إلى الوَهَّابِ واشْكُرْ ... لَهُ نِعَماً غِزاراً لا تَبِيْدُ

اللَّهُمَّ أَلْحِقنَا بعبادك الصالحين الأبرار، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حَسَنة، وقنا عذاب النار، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: قال ابنُ الجوز تَبَاعَد عن أهل السُوءِ وباعِدْ أوْلادَكَ عنهم لايَعَادُوْنَكَ بأَفْعَالِهم وأَقْوالِهم وطِباعِهم ولايَزَالُ يَقْسُو قَلْبُكَ حَتَّى يَسْتأنِسُ بِهِم فهُنَاكَ الهَلَاك، والسُوءُ يَتَفَاوَتُ فَمِنْ أَهْلِهِ أهلُ الفَواحِش ومنهم أهلُ اللَّهْوِ ومنهم أهلُ الغِيْبَةِ والنَّمِيْمَةِ ومنهم أهلُ الملاهي وآلات الطرب.

فإنهم يَسْبُوْنَ أَهْلَ العُقولِ عُقُوْلَهُم حتى يَنْحَلُّوا عن دِيْنِهِم ومُرُوْءَتِهم فَيَعْسُرُ عليهم الخلاصُ لِمَا يَجِدُوْنَهُ مِن لَذَّةِ النَّغَماتِ والأصْواتِ، حَتَّى يَكون عَادَةً وطَبْعاً فَرُبَّمَا يَجْلِس الرجُلُ إليهم وهُو كَارِهٌ لِسَمَاعِ لَغْوِهِم مُسْتَوْحِشٌ مِن نَفْسِهِ ثُمَّ لايَزَالُ على ذَلِكَ حَتَّى يَرَاهُ حَسَنَا.

من كيد الشيطان أن يورد ابن آدم الموارد التي يخيل إليه أن فيها منفعته ثم يصدره المصادر التي فيها عَطَبُه ويَتَخَلَّى عنه ويُسْلِمُه لِلْهَلاكَ ويَقِفُ يَتَشَمَّتُ به ويضحك منه، فيأمره بالسرقة والقتل واللواط والزنا ويدل عليه ويفضحه، قَاَل الله تعالى: ﴿كمثل الشيطان إذا قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إني بَرِيْءٌ منكَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وإذْ زَيَّنَ لهم الشيطان أعمالَهُم وقال لاغالبَ لكم اليوم من الناس وإني جَارٌ لكم فلما تَراءتِ الفِئتان نكصَ على عَقِبَيْهِ وقال إني بَرِيءٌ منكم إني أرى مالاترون إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾.

ثم أعلم أن إبْلِيْسَ لَعَنَهُ اللهُ طَلَّاعٌ رَصَّادٌ ومَا هُوَ بِشَيءٍ من فُخوخِهِ بِأَوْثَقَ لِصَيْدِهِ مِن النِّسَاءِ خَصوصاً المُسِنَّاةِ العَجَائـزِ الْمَاهِـراتِ بالحيـل والمكـرِ والخَدِيْعة، قَاَل بعضهم:

عَجُوْزُ النَّحْسِ إِبْلِيْسٌ يَرَاهَا ... تُعَلِّمُـهَ الخَدِيْعَةَ في السُكُوْتِ
تَقُوْدُ مِن السِّيَاسَةِ أَلْفَ بَغْلٍ ... إِذَا انْفَرَدَتْ بخَيْطِ العَنْكَبُوْتِ

والله أعلم وصلى الله وسلم على نَبِيِّنَا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسلم.

«**فَصْلٌ**» : ذكر ابن القيم رحمه الله الأسْبابَ التي يُعتَصَمُ بها مِن الشيطان الأول الإسْتِعاذَةُ باللهِ مِن الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿وإما ينزغنك مِن الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾، والمرادُ بالسمعِ هُنَا سَمَع الإجابة لا السمع العام.

الثاني قراءة المعوذتين فإنَّ لهما تأثيراً عَجيْبَاً في الإسْتِعَاذَةِ بالله مِن شر الشيطان ودَفْعِهِ، ولِهَذا قَال النبي ﷺ: «ما تَعَوَّذَ المُتَعَوِذُوْنَ بمثلِهما» وكان ﷺ يَتَعَوَّذُ بِهما كلَّ ليلة عند النوم، وأَمَرَ عُقْبَةَ بنَ عَامر أن يَتَعَوَّذُ بهما دُبُرَ كُلِ صَلاةٍ وَذَكَرَ ﷺ أنَّ مَن قَرَأهُمَا مَعَ سُوْرَةِ الإخلاصِ ثلاثاً حِيْنَ يُمْسِي وثلاثاً حِيْنَ يُصْبِح كَفَتَاهُ مِن كُلِ شر.

الثالثُ قراءةُ آيَةِ الكُرسِي.

الرابع قراءة سورة البقرة ففي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن البيتَ الذي تُقْرَأُ فِيْه سُورَة البَقرة لايَدخُلُه الشيطان».

الخامسُ خاتِمةُ سُورَةِ البَقرة فَقَدْ ثَبَتَ في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «مَن قَرأَ الآيتين مِن آخِرِ سُورة البَقرةِ في ليلَةٍ كَفَتَاهُ».

السادس أول سورة حَمٓ المؤمن إلى قوله ﴿إليه المصير﴾ ففي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «مَن قَرأ حَمٓ المؤمن إلى قوله ﴿إليه المصير﴾، وآيةَ الكُرسي حين يصبح حُفِظ بِهما حتى يُمْسِي، ومن قرأهما حين يُمْسِي حفظ بهما حتى يصبح».

السابع لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله ا لحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة.

ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: ﴿مَن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة،

كانت عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سَيئة وكان حرزًا له من الشيطان يَوْمَهُ ذَلِكَ حتى يمسي ولم يأْتِ أَحَدٌ بأفضل منه إلا رجلٌ عَمِلَ أكثر من ذَلِكَ﴾.

الثامِنُ وهو أنفعُ الحِروز من الشيطان كَثرةُ ذكرِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ وهذا بعَيْنِهِ هو الذي دَلَّتْ عليه سُوَرَةُ الناس، فإنَّه وَصَفَ الشيطان فيها بأنه الخَنَّاسَ الذي إذا ذَكَر العبدُ رَبَّهُ انْخَنَسَ فإذا غَفَل عن ذكر الله التَقَمَ القَلْبَ وألْقَى إليه الوَسَاوِسَ، فما أَحْرَزَ العبدُ نَفْسَهُ مِن الشيطانِ بمثِلِ ذِكرِ اللهِ عَزَّ وَجل.

الحرز التاسع الوضوء والصلاة وهذا من أعظم ما يحترز العبدُ به ولا سِيَّمَا عندَ الغضب والشهوة فإنها نارٌ تَصْلَى في قَلْبِ ابن آدم، كَما روى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قَالَ: «ألا وإن الغَضَبَ جَمرةٌ في قَلْبِ ابن آدَمَ فما أَطْفَأَ العبدُ جَمرةَ الغَضَب والشهوة بمِثْل الوضوءِ والصلاة»، فإن الصلاة إذا وَقَعَتْ بخِشُوُعِها والإقبال على اللهِ فيها أذْهَبَتْ أثرَ ذَلِكَ جُمْلَةً وهَذا أَمْرٌ تجربَتُهُ تُغْني عن إقامةِ الدليل عليه.

الحرز العاشِرُ إمْسَاكُ فُضُولِ الكلام فإنها تَفْتَحُ أَبْوَاباً من الشرِ كُلّها مَدَاخِل للشيطان فإمساك فُضولِ الكلام يَسُدُ عنكَ تلك الأبواب.

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

«فوائد ونصائح ومواعظ وحكم وآداب وَوَصَايا»

من أَخْلَاق المؤمن حُسْنُ الحديث، وحسنُ الاستماع إذا حُدِّث، وحُسْنُ البِشرِ إذا لَقِي، ووفاء الوَعْدِ إذا وَعَدَ ومِن حُسْنِ إسلام المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيْه.

سُوْءُ الخُلُق سَبَبُ النكَدِ في الحَيَاة والشرُور والآثام، فعلى العاقل اللَّبيب أَنْ يَعْرِفَ الأَخلاقَ السَّيِّئَةَ لِيَجْتَنِبَهَا، وهي كثيرةٌ ولا يَخْلُوا أَحَدٌ منها فَتَفَقَّدْ نفسَكَ وَأَزِلْ مافيها.

فَمِن ذَلِكَ المَكْرُ، والخَدِيْعَةُ والخِيَانَةُ والغِشُ، والكَذبُ، والغِيْبَةُ، والنميمةُ، والسَّعَايَةُ، والظُلْم والرياء والعُقوقُ، والقَطِيعةُ، والكِبرُ، والعُجْبُ، والزَّهُوُ، والأَنَفَةُ مِن المسْكَنةِ.

والنِّفَاقُ، والخيانةُ، والغَدرُ، والحَسَدُ، والغِلُ، والحِقْدُ، والشَّمَاتَهُ، والبَغْضَاءُ، وسُوءُ الظن، والتَّجَسُسُ على المسلمين.

وإضمارُ السُوء، والتَّربُصُ بالدَّاوئِر ومُسَاعَدَةُ الهَوى، ومُخالَفَةُ الحقُ والرِضَى بالهِوَى والحبُّ والبُغض بالهَوى، والجَفَاءُ.

والقَسْوَةُ، وقِلَّةُ الرحمة، والحِرصُ، والشرّهُ والطَّمعُ والطِيَرة، والطُغيان بالمال، والفَرَح بإقبال الدنيا، واسْتِقلال الرزق، واحْتقار النِعم، والاحتقار بمَصَائِب الدِين، واستعظامُ الدنيا، والحُزْنُ على ما فات منها.

والاسْتَهانَةُ بعِلم الله عز وجل عند فِعْلِكَ لِلذَّنْبِ والاسْتِهانَة بسَمَاعِهِ ما يَصْدُرُ منكَ مِن المَعَاصِي قولا وفِعلا، وقِلَّة الحَيَاءِ مِن إطلاعِ اللهِ عَليكَ ومِن اطلاعِ مَن عَن اليَمين وعن الشمالِ قَعِيْد، وأنْتَ لَوْ أطَّلَعَ عَليكَ مَخْلُوقٌ ضعِيْفٌ وأَنْتَ تعملُ مَعْصِيَةَ اللهِ لانْزَعَجْتَ.

فَتَنَبَّهْ لِذَلِكَ ورَاقِب اللهِ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ وكُنْ منه عَلى حَذَر.

شِعْرًا: وهُوَ الحليمُ فلَا يُعَاجِلُ عَبْدَهُ ... بَعقُوبَةٍ لِيَتُوبَ مِن عِصْيَانِ
لَكِنَّهُ يُلْقِي عَليه سِتْرَهُ ... فهو السَّتِيْرُ وصَاحِبُ الغُفْرانِ
وهُوَ العَفُوُّ فعَفْوُهُ وسِعَ الوَرَى ... لَوْلَاهُ غَارَ الأَرضُ بالسُّكانِ
وهُوَ الصَّبُورُ على أَذَى أعْدَائِهِ ... شَتَمُوهُ بَلْ نَسَبُوْهُ لِلْبُهْتَانِ
قالُوا لَهُ ولَدٌ ولَيْسَ يُعِيْدُنَا ... شَتْماً وتَكْذِيْباً مِن الإنسانِ
هَذَا وَذَاكَ بسَمْعِهِ وبِعِلْمِهِ ... لَوْ شَاءَ عَاجَلهُم بكُلِّ هَوَانِ
لَكِنْ يُعَافِيْهِمْ ويَرْزُقُهُم وهُمْ ... يُؤْذُوْنَهُ بالشِرْكِ والكُفْرانِ

«**فَصْلٌ**»: قَال بَعضُ العلماء إخواني إذا تَقَرَّبَ الناسُ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بأنواع البرِّ الظاهرَةِ مِثْلَ الجهادِ والحج والصومِ والزكاةِ والصدقةِ وتلاوةِ القرآنِ وغيرِ ذلك، فَنَافِسُوهُم فيها واجْعَلُوا أَعْظَمَ الرَّغْبَةِ في طَاعَةِ القُلُوبِ التي لا يَطَّلِعُ عليها الإنسُ ولا الملائكةُ ولا الجنُ، ولا يَعْلَمُهَا إلا عَلَّامُ الغُيُوب، فإنَّ القَلِيْلَ مِن أَعْمَالِ البرِ كَثِيْرٌ لِسلامَتِهِ مِن الرِّيَاءِ وجَمِيْعِ المُكَدِّراتِ.

ألا فَتَقَرَّبُوا إلى الله بطَاعَةِ القُلُوبِ فإن فيها المعرفَةَ بعَظَمَةِ اللهِ وكِبْرِيَائِهِ وجَلالِهِ وقُدْرَتِهِ وعَظِيمِ قَدْرِهِ سُبْحَانَهُ، وتَقَرَّبُوا إليه بِمَحَابهِ، وبُغْضِ مَكارِهِهِ، والرِّضَا والغضَبِ لَهُ وفيه، وتَقَرَّبُوا إليه بِشِدَّةِ الحُبِّ لَهُ، والحُبِّ فيه والبُغْضِ مِن أَجْلِهِ، وتَقَرَّبُوا إلى الله بالمعرِفَةِ بأيادِيْهِ الحَسْنَة ونعَمِهِ الظاهِرَةِ والبَاطِنَةِ، وأَفْعَالِهِ الجَمِيْلَةِ، ومِنَنِهِ المُتَوَاتِرَةِ على تَوَاتُرُ الإسَاءَةِ مِنَّا، وهُوَ جَلَّ وعَلَا وتَقَدَّسَ يَعُودُ بأَنْوَاعِ النِعَم عَلَيْنَا.

ألا فَتَقَرَّبُوا إليه بالخَوْفِ مِن زَوَال النِّعَم، وشِدَّةِ الحَيَاءِ من التَّقْصِير في الشكر، وتَقَرَّبُوا بالوَجَل مِن مَكْرِ الله تعالى والاشْفَاق على إيْمَانِكم، وتَقَرَّبُوا إلى اللهِ بِشِدَّةِ الخَوفِ منه، وحَقِيْقَةِ الرجَاءِ فيِهِ، والسُرُوْرِ بِذِكره، ومُنَاجَاتِهِ، والشَّوقِ إليه، والرَّغْبَةِ في جِوَارِهِ، وتَقَرَّبُوا إلى الله بِصِدْقِ اليَقِينِ والتَّوكُلِّ عليه والثِّقَةِ به والطُّمأنينةِ إليهِ والأُنْسِ به والانقطاع إليه.

وتَقَرَّبُوا إليه بالوَفَاءِ ولِيْنِ الجانِبِ والجَنَاح والتَّواضُعِ والخُشوع والخُضُوع، وتَقَرَّبُوا إليه بالحِلم والاحْتِمال وكَظْمِ الغَيْظِ وتَجَرُّعِ المَرَارَةِ، وتَقَرَّبُوا إليه بِسَلَامَةِ الصَّدْرِ وإرَادَةِ الخَيْر للأُمَّةِ وكَرَاهَةِ الشَّر لَهُم، وَتَقَرَّبُوا إلى اللهِ بالرأفة والرحمةِ والشَفَقَةِ والحَوْطَةِ على المسلمين، وَتَقَرَّبُوا إليهِ بالجُودِ والكَرَم والتَّفَضُلِ والإحسَانِ وصِدق الوَفاء.

وتَقَرَّبُوا إليه بالقَنَاعَةِ والعَفَافِ والكَفَافِ والرِضَى وبالبُلْغَةِ واليأسِ منْ نَائِلِ

الناس، وتَقَرَّبُوا إليه بالتُّدبُر لِكِتابِهِ وتفهُّمِهِ والعَمَل به والإخلاص، وَتَقَرَّبُوا إليه بمُجَاهَدِة إبليس لَعَنَهُ اللهُ ومُخَالَفةِ الهَوى والنفس الأَمَّارَةِ بالسُوء والتَّفَقُدِ لأَحْوَالِكم والتَّقْوىَ في كل أُمُورِكُمْ وتَقَربُوْا إلى الله بأَدَاءِ الأمانات، وتَقَرَّبُوا إليه بالإحسان إلى المُسِيء والإيثارِ على أَنْفُسِكُم وإن كان بكم خَصَاصَة، وارْغَبُوا في مَكَارِمِ الأَخلاق.

شِعْر: وَيَاسَائِلِي عن حِرْفَتِي قُلّتُ حِرْفَتِي صِيَانَةُ أَوْقَاتِي بِطَاعَةِ خَالِقِيْ
فَقَالَ لَقَدْ أَحْسَنْتَ تَصْرِيْفَ مُدَّةٍ لِعُمْرِكَ فَالْزَمْهَا تَفُزْ بِالسَّعَادَةِ

وتَقَرَّبُوا إلى الله بالتواضُعِ والابتعَادِ عَن التَّرفُعِ على عباد الله المؤمنين، وتَقَرَّبُوا إلى الله بالفَرَحِ بِمَصَائِبِ الدُّنْيا، والرضا بقضاء الله وقدره، وتَقَرَّبُوا إلى الله بالاستعداد للموت والبعث والنشور والحساب.

شِعْرًا: دعِ التَّعْلِيلَ والتَّسويفَ واقبِل عَلَى مَوْلَاكَ تَغْنَمْ نَيْلَ حَظٍّ
أدِمْ بالحَزْمِ إقْبَالًا عَلَيْهِ عَسَى تَحْظَى بِتَوفِيْقٍ وحِفْظِ
ونَقِّ القَلْبَ مِن شُبُهَاةِ زَيْغٍ تَرَاهُ مَعْنَوِيّاً ثُمَّ لَفْظِي
وردْ حَوْضَ الشَّرِيعَةِ مَعْ صَفَاءٍ وَجَانِبْ كُلَّ ذِيْ حَسَدٍ وَغَيْظِ
وَرَقِّ النفسَ بالعِرْفَانِ تَزْكُو وتَظْفَر بالمُنَى مِنْ كُلِّ وَعْظِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«فَصْـلٌ»

مِن أَنْفَعِ الحَيَاءِ أن تَستَحِي مِن الله أن تَسْأَلَهُ مَا تُحِب وتَأتِي مايكره. قال بَعْضُهم رُبَّمَا أصَلِي لله ركعتين فانصرف وأنا مِن الخجل بمَنْزِلَةِ مَنَ ينصَرِفُ عن السرقة حَيَاءً مِن الله عز وجل لأني لم أُوَفِّهَا حَقَّهَا.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الدنيا كلُّهَا غُموم فما كان منها من سُرور فهو رِبْح»، وقال الجُنيد رضي الله عنه لَسْتُ اسْتَبْشِعُ ما يَرِدُ عَلَيَّ لأَني قَدْ أَصَّلْتُ أَصْلًا وهُوَ أنَّ الدُنْيَا دَارُ همٍ وغمٍ وبلاءٍ وفِتْنَةٍ وإن العَالَم كُلَّهُ شَر.

ومن حُكْمه أَنْ يَتَلَقَّاني بكُلِّ مَا أُكْرَهُ فإنْ تلَقَاني بِمَا أُحِبُّ فَهُو فَضْلٌ وإلَّا فالأَصْلُ هُوَ الأولُ.

وقال بَعْضُهُم يَاأَيُّها الناس أَنْتُم تُحِبُون الروحَ والروحُ لِلَّهِ وتُحِبُونَ المالَ والمالُ لِلْوَرَثة وتَطْلُبُونَ اثْنَيْن ولاتجَدُونَهُما الراحَةَ والفَرَجِ وهما في الجنة، فالوَاجبُ على العَبْدِ أنْ لا يُوطِن نَفْسَهُ على الرَّاحَةِ في الدنيا ولا يَرْكَن فيها إلى ما يَقْتَضِي فَرحاً وأُنْساً وَأَنْ يَعْمَل عَلى قول النبي ﷺ فيما رَوى عنه أبو هريرة رضي الله عنه «الدنيا سِجْنُ المؤمن».

فَتَوْطِيْنُ العَبْد نَفْسَهُ على المِحَنِ يُهَوِّنُ عليه ما يلقاه ويَجِدُ السُلْونَ عِنْدَ مَا يَهْوَاهُ.

شِعْرًا:

يُمَثِّـلُ ذُو الـلُّبِ في لُبِّـهِ ... شَدَائِـدَهُ قَبْـلَ أن تَنْـزِلَا
فإنْ نَزَلَتْ بَغْتَـةً لم تَرُعْـهُ ... لِمَـا كان في نَفْسِهِ مَثَّـلَا
رَآى الأمـر يُفْضِيْ إلى آخِـرٍ ... فصَيَّـرَ آخِـرَهُ أَوَّلَا
وَذُوْ الجَهْـلِ يأمَـنُ أَيَامَـهُ ... ويَنْسَى مَصَارع مَن قَدْ خَلَا
فإنْ دَهَمَتْهُ صُرُوْفُ الزَّمَـان ... بِبَـعضِ مَصَائِبِـهِ أَعْـوَلَا
ولَـوْ قَدَّمَ الحَـزْمَ في نَفْسِهِ ... لَعَلَّمَـهُ الصَّبْـرَ عِنـدَ البَـلَا

فَعَلى الإنسان العاقل أَنْ يتلقى ما يرَدُ عليه مِن المَصَائِبِ والهُمومِ والغُمومِ والانكادِ بالصَّبْرِ والرِضا والاسْتِسْلامِ عند جَرَيَانِ القَضَاء.

فَعَن قريْبٍ إنْ شاءَ اللهُ تعالى يَنْجَلي الأَمْرُ ويَسْتوجِبْ مِن اللهِ جَلَّ وعَلَا جَزِيْلَ الأَجْرِ والثوابِ واللهُ وليُّ التوفيق، وقال أَحَدُ الزُهَّاد جُوْعٌ قَلِيل، وعُرْيٌ قَلِيل وذِلٌ قليل، وصبر قليل وقَدْ انْقَضَتْ عَنْكَ أَيَّامُ الدنيا، وقال آخر الصَّبْرُ جِماعُ كُلِّ فَضِيْلَةٍ ومِلَاكُ كُلِّ فائدةٍ جَزيْلَةٍ ومَكْرُمةٍ نَبِيْلَة.

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿وتَمَّتْ كلمةُ رَبكَ الحُسْنَى على بني إسرائيل

بِمَا صَبَرُوْا ﴾ ، وقال جل وعلا وتقدس ﴿ وجَعَلناهـم أَئِمَّـةً يَهْـدون بأمْرِنَـا لِمَّـا صَبَرُوْا ﴾ ، وقال جل وعلا وتقدس ﴿ إنما يوفى الصابرون أجْرَهُم بغَيرِ حِسَاب ﴾ .

مَن أنْزَل حَوَائِجَهُ بالله تعالى والْتَجأ إليه وتَوكَّل في أمْرِهِ كُلِّهِ عليه كَفَاهُ كُلَّ مؤُنَةٍ ، وقَرَّبَ عليه كُلَّ بَعِيْد ، ويَسَّرَ عليه كل عَسِيْرَ ، ومَن سَكَنَ إلى عِلم نَفْسِهِ وعَقْلِه ، واعْتَمَدَ على قُوَّتِهِ وحَوْلِهِ وكله الله إلى نفسه وخُذِلَ وحُرِمَ التوفيقَ فلم تنجح مَطَالِبُه ولم تَتَيَسَّرْ مَآربُه .

شِعْرًا : أَقَرَّ على حُكمِ الرَّدَى المُتَخَمِّطُ ... وقَـرَّ كأنْ لم يُصْرَعِ المُتَخَبِّـطُ
عَلَيْكَ سَبِيْلُ الخَيْرِ وانْظُرْ إلى الَّذِي ... تَأَبَّـطَ شَرًّا هَلْ نَجَـا المُتَأَبِّـطُ
وإيَّاكَ والتَّفْرِيطَ في البرِّ والتُّقى ... فَكَمْ قَرَعَ السِّنَّ الذَّهُولُ المُفَرِّطُ
وحَاوِلْ مِن الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ مَخْلَصاً ... وأَنَّي وأنتَ النَّـاشِبُ المَتَـوَرِّطُ
لَعَمْرُ أَبِيكَ الخيرَ ما عَزَّ قَاسِطٌ ... ولو مَلَكَ الدُّنْيَا ولا ذَلَّ مُقْسِطُ
تَبَرَّأَ غالٍ مِن مَسَاعِيهِ مُسْرِفٌ ... وأَحْمَدَ عُقْبَى أَمْرِهِ المُتَـوَسِّطُ
سَيَنْخَفِضُ الطَّمَّاحُ إثْماً وعِـزَّةً ... ويَنْقَبِضُ التِّلْعَابَـةُ المُتَـبَسِّطُ

آخر : سَهَوْنَـا عن مُسَاوَرَةِ المنايـا ... فيـا لِلَّـهِ من سَهْـوِ العِبَـادِ
وغَرَّتْنَـا مُسَاعَـدَةُ الأَماني ... فلم نَحْزَنْ على العُمْرِ المُبَـادِ
وكَـمْ نَادَتْ فأَسْمَعَتِ اللَّيَالِـي ... ولَكِـنْ لا مُصِيْخَ إلَـى مُنَـادِ
مُجَاهَـرَةً بنُكْـرٍ دُوْنَ عُرْفٍ ... وتَنْدِيـدٌ يُعَـادُ بكُـلِّ نادِ
يطُولُ تَعجُّبِي منّـا حَلَلْنَـا ... ولم نَخَفِ السُّيُـولَ بِبَطْـنِ وادِ
ولم أَرَ مِثْلَنَا سَفْـراً تَبَـارَوْا ... إلى الغايـات سَيْـراً دُونَ زادِ

اللَّهُمَّ وَفِّقْنا تَوفيقاً يَقِيْنا عَنْ مَعَاصِيْكَ وَأَرْشِدْنَا إلى السَّعْيِ فِيْمَا يُرْضِيْكَ وأَجِرْنَا يَامَوْلاَنَا مِن خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لأَوْلِيَائِكَ وَأَحْبَابِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

«**فصلٌ**» : **فَائِدة** – قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ : لِشَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ عِنْدَ المَوْتِ تأْثِيرٌ عَظِيْمٌ في تَكْفِيْرِ السَّيِّئَاتِ وَاحْبَاطِهَا لأَنَّهَا شَهَادَةٌ مِن عَبْدٍ مُوقِنٍ بِها عَارِفٍ بمَضْمُونِهَا قَدْ مَاتَتْ مِنْهُ الشَّهَوَاتِ ولاَنَتْ نَفْسُهُ المُتَمَرِّدَةِ وَانْقَادَتْ بَعْدَ إِبَائِهَا ، وَأَقْبَلَتْ بعدَ أَعْرَضِهَا ، وَذَلَّتْ بَعْدَ عِزِّهَا وَخَرَجَ منها حِرْصُهَا على الدُّنْيَا وَفُضُولُهَا وَاسْتَخْذتْ بَيْنَ يَديْ رَبِّهَا وَفَاطِرِهَا وَمَوْلاَهَا الحَقِّ أَذَلَّ مَا كَانَتْ لَهُ وَأَرْجَى ما كانَتْ لِعَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَتَجَرَّدَ مِنْهَا التَّوْحِيْدُ بانْقِطَاعِ أَسْبَابِ الشِّرْكِ وَتَحَقُّقِ بُطْلانِهِ .

فَزَالَتْ منها تِلْكَ المُنَازَعَاتِ التي كَانَتْ مَشْغُولَةً بِهَا ، واجْتَمَعَ هَمُهَا عَلى مَنْ أَيْقَنَتْ بالقُدومِ عَلَيْهِ وَالمَصِيْرِ إِلَيْهِ ، فَوَجَّهَ العَبْدُ وَجْهَهُ بكُلِّيته إليه ، وَأَقْبَلَ بقَلْبه وَرُوحِهِ وَهَمِّه عَلَيْه ، فَاسْتَسْلَمَ لِلَّهِ وَحْدَهُ ظَاهِراً وَبَاطِنا واسْتَوى سِرُّهُ وَعَلانِيتُهُ .

فَقَال لا إلٰهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصاً مِن قَلْبِهِ ، وَقَدْ تَخَلَّصَ مِنَ التَّعَلُّقِ بغَيْره والإِلْتِفَاتِ إِلى مَا سِوَاه ، قَدْ خَرَجَتْ الدُّنْيَا كُلُّهَا مِنْ قَلْبِهِ وَشَارَفَ القُدُومَ على رَبِّهِ ، وَخَمَدَتْ نِيْرانُ شَهْوَتِهِ ، وَامْتَلأَ قَلْبُهُ مِنْ الآخِرَةِ ، فَصَارَتْ نُصْبَ عَيْنَيْهِ ، وَصَارَتْ الدُّنْيَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ .

فَكَانَتْ تِلْكَ الشَّهَادَةُ الخَالِصَةُ خَاتِمَةَ عَمَلِهِ فَطَهَّرَتْهُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَأَدْخَلَتْهُ على رَبِّهِ لأَنَهُ لَقِيَ رَبَّهُ بِشَهَادَةٍ صَادِقَةٍ خَالِصَةٍ وَافَقَ ظَاهِرُهَا بَاطِنَهَا وَسِرُّهَا عَلاَنِيَتَها فَلَو حَصَلَتْ لَهُ الشَّهَادَةُ عَلَى هَذَا الوَجْهِ في أَيَّام الصِّحَّةِ لاسْتَوْحَشَ مِن الدُّنْيَا ، وَأَهْلِهَا وَفَرَّ إلى اللهِ مِنْ النَّاسِ وَأَنِسَ بِهِ دُوْنَ مَنْ سِوَاهُ ، لَكِنَّهُ شَهَدَ بِهَا بِقَلْبٍ مَشْحَونٍ بالشَّهَوَاتِ وحُبِّ الحَيَاةِ وَأَنْسٍ بها وَنَفْسٍ مَمْلُوءَةٍ بطَلَبِ الحُظُوظِ وَالإِلْتِفَاتِ إلى غَيْرِ اللهِ فَلَو تَجَرَّدَتْ كَتَجَرُّدِهَا عِنْدَ المَوْتِ لكانَ لَهَا نَبَأٌ آخَرُ وَعَيْشٌ آخَرُ سِوَى عَيْشِهَا البَهِيْمِّي وَاللهُ المُسْتَعَانُ .

شِعْرَا: إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَـــــا حَيَـــاةً حُلْـــوَةَ الْمَحْيَـــا
فَلِلْفُـــرُوْضِ لَاتُهْمِـــلْ وَذِكْـــــرُ اللهِ لَا تَنْسَى

شِعْرَا: أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَرْأَ يَحْبِسُ مَالَهُ وَوَارِثَــهُ فِيْــهِ غَداً يَتَمَتَّــعُ
كَأَنَّ الحُمَاةَ المُشْفِقْينَ عَلَيْكَ قَدْ غَدَوا بكَ أَوْ رَاحُوا رَوَاحاً فَأَسْرَعُوا
وما هُو إِلَّا النَّعْشُ لَوْ قَدْ أَتَوَ بِه تُقَـلَّ فتُلَقَى فوْقَهُ ثُمَّ تُرْفَــعُ
ومَا هُوَ إِلا حَادِثٌ بَعْدَ حَادِثٍ عَلَيْكَ فَمِنْ أَيِّ الحَوَادِثِ تَجْزِعُ
ومَا هُوَ إِلَّا المَوْتُ يَأْتِي لِوَقْتِهِ فمَالكَ فِي تَأْخِيْرِهِ عَنْكَ مَدْفَعُ
أَلَا وإذا وُدِّعْتَ تَوْدِيْعَ هَالِكٍ فَآخِـــرُ يَوْمٍ مِنْكَ يَوْمٌ تُوَدَّعُ
أَلَا وَكَمَا شَيَّعْتَ يَوْماً جَنَائِزاً فَأَنْتَ كَمَا شَيَّعْتَهُم سَتُشَيَّـعُ
رأَيْتُكَ فِي الدُّنْيَا عَلى ثِقَةٍ بِهَا وَإِنَّكَ فِي الدُّنْيَا لأَنْتَ المُرَوَّعُ
وَصَفْتَ التُّقَى وَصْفاً كَأَنَّكَ ذُوْ تُقَى وَرِيْحُ الخَطَايَا مِنْ ثِيَابِكَ تَسْطَعُ
وَلَم تُعْنَ بالأَمْرِ الذي هُوَ وَاقِعُ وَكُلُّ امْرِيءٍ يَعْنَى بِمَا يَتَوَقَّعُ
وَإِنَّكَ لَلْمَنْقُوْصِ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَكُلُّ بَنِيْ الدُّنْيَا عَلى النَّقْصِ يُطْبَعُ
وَمَا زِلْتُ أَرْمِي كُلَّ يَوْمٍ بِعِبْرَةٍ تَكادُ لهَا صُمُّ الجِبَالِ تَصَدَّعُ
فَمَا بَالُ عَيْنِيْ لَا تَجُوْدُ بِمَائِهَا وَمَا بَالُ قَلْبِيْ لَا يَرِقُّ وَيَخْشَعُ
تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ المُلْكَ غَيْرُهُ مَتَى تَنْقَضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ يَقْنَعُ
وأَيُّ امْرِءٍ فِي غَايَةٍ لَيْسَ نَفْسُهُ إلَى غَايَةٍ أُخْرَى سِوَاهَا تَطَلَّعُ
وَبَعْضُ بَنِي الدُّنْيَا لِبَعْضٍ ذَرِيْعَةٌ وَكُـلٌّ بِكُـلٍ قَلَّمَا يَتَمَتَّــعُ
يُحِبُّ السَّعِيْدُ العَدْلَ عِنْدَ احْتِجَاجِهِ وَيَبْغِيْ الشَّقِيُّ البَغْيَ والبَغْيُ يَصْرَعُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ الاسْتِقَامَةِ وَأَعِذنَا مِنْ مُوْجبَاتِ الحَسْرةِ وَالنَّدَامَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَخَفِّفْ عَنَّا ثُقْلَ الأَوْزَارِ، وَارْزُقْهَا عِيْشَةَ الأَبْرَارِ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« مَوْعِظَــة »

عِبَادَ اللهِ كُلُّنَا نَعْلَمُ أَنَّ حَيَاتَنَا مَهْمَا امْتَدَّتْ وَصَفَتْ لِلزَّوالِ ، وَكَذَلِكَ كُلّ وَاحِدٍ منّا يَعْلَمُ أنه أتَى للدُّنْيَا للاختِبَارِ بِمَا كُلِّفنا به مِن العِبَادَاتِ وَالمعَامَلاتِ ، وَسَيُصْبِحُ الوَاحِدُ مِنَّا عَمّا قَرِيْبٍ في حُفْرَةٍ وَحْيداً لَيْسَ مَعَهُ أَوْلَادٌ وَلَا أَمْوالٌ ، وَحِيْنئِذٍ تَكُوْنُ أَيُّهَا الأخُ كأنكَ مَارأَيْتَ الدُّنْيَا ولاهِيَ رَأَتْكَ لَحْظَة مِنَ اللّحظَاتِ .

وَيَالَيْتَكَ إذَا زَالَتْ الحَيَاةُ تَزُوْلُ دُوْنَ أَنْ يَتَرتَّبَ عَلَيْهَا آثَارٌ لَوْ كَانَ ذَلِكَ لأَحَبَّ بَعْضُنَا المَوْتَ ، لأنَّهُ يَكُونُ بَشِيْراً بانْتِهَاءِ الأَمْرَاضِ وَالمَصَائِبِ والآلامِ ، لكِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ يَعْقُبُ ذَلِكَ المَوْتَ أَهْوَالٌ ، وَأُمُورٌ مُزْعِجَاتٌ ، تُلَاقِي جَزاءَ مَا كَانَ مِنْكَ قَبْلَ المَوْتِ في الاخْتِبَار .

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَحْسَنْتَ ، رَأَيْتَ قَبْرَكَ رَوْضَةَ نَعِيمٍ ، وَانْ كُنْتَ مُسِيْئاً رَأَيْتَهُ نِيْرَاناً مُحْرِقَاتٍ .

عَن البَرَاءِ بن عَازِبٍ قَالَ كُنَّا في جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ الانْصَارِ وَمَعَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فانتَهينا إلى القَبْر ولم يُلْحَدْ ، وَوُضِعَتْ الجَنَازَةُ ، وَجَلَسَ رسولُ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ: «إِنَّ المؤمِنَ إذا احْتَضِرَ ، أتاه مَلَكُ الموتِ في أَحْسَنِ صُوْرَةٍ، وَأَطْيَبَ رِيْحاً ، فَجَلَسَ عِنْدَه ، لِقَبْضِ رُوْحِهِ ، وَأَتَاه مَلَكَانِ بحَنُوطٍ مِن الجَنَّةِ وَكَانَا منه على بَعِيْدٍ فَاسْتَخْرَجَ مَلَكُ المَوْتِ رُوْحَهُ مِن جَسَدِهِ رَشْحاً .

فَإِذَا صَارَتْ إلى مَلَكِ المَوْتِ ابْتَدَرَهَا الملكَانِ فَأَخَذَاهَا مِنْهُ فَحَنَّطَاهَا بحَنُوْطٍ من الجَنّةِ وكَفَّنَاهَا بكَفَنٍ من الجنة ثم عَرَجا بها إلى الجَنة ، فَتُفْتَحُ له أبْوابُ السَّمَاءِ، وتستَبْشِرُ الملائِكةُ بهَا وَيَقُولُونَ لمن هَذِه الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ التي فُتِحَتْ لها أَبْوَابُ السَّمَاءِ.

وَيُسَمَّى بأَحْسَنِ الأَسْمَاءِ التي كان يُسَمَّى بها في الدُّنيا ، فيُقَال هذه رُوْحُ

فلانٍ فإذا صَعَدَا بها إلى السَّماءِ شَيَّعَها مُقَرَّبُوا كُلِّ سَمَاءٍ، حَتَّى تُوْضَعَ بين يَديْ اللهِ عندَ العَرْشِ، فيُخْرَجُ عَمَلُهَا مِن عِلِّيِّينَ فيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ للمُقَرَّبين اشْهَدوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لصَاحِبِ هذا العَمَلِ، وَيُخْتَمُ كِتَابُه فيُرَدُّ في عِلِّيِّيْنَ.

فيَقُولَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رُدُّوا رُوْحَ عَبْدِي إلى الأَرْضِ، فَإِنِّي وَعَدْتُهُم أَنِّي أَرُدُّهُم فِيْهَا.

ثُمَّ قَرَأَ رسُولُ اللهِ ﷺ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُم وَفيها نُعِيْدُكم ومنهانُخْرِجُم تَارَةً أُخْرَى﴾ فإِذَا وُضِعَ المؤْمِنُ في لَحْدِهِ تَقُولُ لَهُ الأَرْضُ إِنْ كُنْتَ لَحَبِيْباً إِلَيَّ وَأَنْتَ عَلى ظَهْرِيْ، فكَيَفَ إِذْ صِرْتَ اليَوْمَ في بَطْنِيْ سَأُرِيْكَ مَا أَصْنَعُ بِكَ، فَيُفَسْحُ لَهُ في قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا وُضِعَ الكَافِرُ في قَبْرِهِ أَتَاهُ مُنْكَرٌ وَنَكِير فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ، فَيَقُولَ لاأَدْرِيْ فَيَقُولَانِ لَهُ لادَرَيْتَ، فَيَضْرِبَانِه ضَرْبَةً فَيَصِيْرُ رَمَاداً، ثُمَّ يُعادُ فَيَجْلَسُ فَيُقَالُ لَهُ مَا قَوْلُكَ في هَذا الرَّجُلِ، فَيَقُولُ أَيَّ رَجُلٍ فَيَقُولَانِ مُحَمَّدٌ ﷺ فَيَقُولُ قَالَ النَّاسُ إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَضْرِبَانَه ضَرْبَةً فَيَصِيْرُ رَمَاداً.

وَيَالَيْتَ الأَمْرُ يَنْتَهِي، وَيَقِفُ عند هَذَا الحَدِّ، فَتَبْقَى في قَبْرِكَ عَلى الدَّوَامِ، فَإِنَّهُ أَخَفُّ مِمَا بَعْدَهُ، فَتَكُونُ آلامُكَ فِيْهِ أخفُّ إِنْ كُنْتَ مِن أَهْلِ الشَّقَاءِ وَالآثامِ، وَلَكِن تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْبَرَ به اللهُ سَيَقَعُ، وَهُو القِيَامُ مِن القُبورِ، قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالمِيْنَ﴾.

وَحِيْنَئِذٍ تَسُوقُكَ نَتِيجَةُ اخْتِبَارِكَ إِمَّا إِلى الجَنَّةِ وإِمَّا إِلى السَّعِيْرِ، مَنْ كَان مكذبا بهَذا والعَيَاذُ باللهُ فلا كَلامَ لَنَا مَعَهُ، لِأَنَّ مَآلَهُ إِلى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المِهَادِ لأَنَّهُ مِن الكافِرينَ، وَإِنْ كَانَ مُؤْمِناً بِذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ وَرَسُولَهُ فهُوَ الذِي تُفِيْدُ فِيْهِ المَواعِظُ وَضَرْبِ الأَمْثَالِ وَيُقَالُ لِمَاذا نَرَاكَ مُتَّصِفاً بِمَا يُخَالُف قولك.

شِعْرًا: فأَكْثرُ مَن تَلْقى يَسُرُّكَ قَولُه   ولكن قَليلٌ مَن يَسُرُّكَ فِعْلُهُ

اللَّهُمَّ يا مَنْ لا تَضُرَّهُ المعصيةُ ولا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أيقظْنَا مِنْ نَومِ الغَفْلَةِ وَنَبِّهْنا لاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحنا وَاعْصِمْنَا مِن قَبَائِحِنَا ولا تُؤاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عليهِ ضَمائِرُنَا وأَكَنَّتْهُ سَرائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ القَبائِحِ وَالْمَعائِبِ الَّتِيْ تَعْلَمُها مِنَّا، وأمنُنْ عَلَيْنَا يا مَوْلانا بتَوْبَةٍ تَمْحُوْ بِهَا عَنَّا كُل ذَنْبٍ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

وخَتَّامَ لا تَصْحُوْ وَقَدْ قَرُبَ المَدَى   وَحتَّام لا يَنْجَابُ عَنْ قَلْبِكَ السُكْرُ
بَلَى سَوْفَ تَصْحُو حِيْنَ يَنكَشِفُ الغَطا   وتَذْكُرُ قَولِيْ حِيْنَ لا يَنْفَعِ الذِكْرُ

آخر: ومُنْتَظِرٍ لِلْمَوْتِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ   يَشِيْدُ وَيَبْنِي دَائِماً وَيُحَصِّنُ
لَهُ حِيْنَ تَبْلُوْهُ حَقِيْقَةُ مُوْقِنَ   وَأَفْعَالُهُ أَفْعَالُ مَنْ لَيْسَ يُوْقِنُ

«فَصْلٌ يَحْتَوِيْ عَلَى الإِنْكَارِ عَلَى المُنْحَرِفِيْنَ»

نَرَاكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ فِي مَا يُغْضِبُ مَوْلَاكَ فَلِسانُكَ فِي مَيْدَانِ الفُحْشِ، ومُنْكَرِ القَوْلِ جَوادٌ عَظِيْمٌ وَعَيْنُكَ فِي أَوْدِيَةِ النَّظَرَاتِ الخَائِبَةِ دَائِماً تَجُولُ وَتَهِيْمُ، وَفَرْجُكَ لا يَتَهَيَّبُ أَنْ يَتَجَاوَزَ أَرْضَهُ الطَيِّبَةَ إِلَى الأَرْضِ الوَبِيْئَةِ الخَبِيْثَةِ وَأَمَّا بَطْنُكَ فَلا يَعِفُّ عَنْ أَخْبَثِ الْمَأْكُولاتِ، وَأَمَّا أُذنُكَ فَمُصْغِيَةٌ وَسَامِعَةٌ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ مِن الكَلَامِ.

وَأَمَّا رِجْلُكَ فَسَاعِيَةٌ إِلَى المَعَاصِيْ وَالآثَامِ، وَأَمَّا يَدُكَ فَبَاطِشَةٌ بالضَّعِيْفِ دُوْنَ تَوَقُّعٍ، فَيَامِسْكِيْنُ إِنَّ المَعَاصِيْ عَدُوٌّ مُبِيْنٌ، يَعْلَمُ ذَلِكَ كُلُّ مُؤْمِنٍ عَاقِلٍ فَضْلًا عَنْ المُؤْمِنِ يُلْقِي نَفْسَهُ فِيْهَا، فَاتَّعِظْ وَتَنَبَّه أَيُّهَا الأَخُ وَبَرْهِنْ عَلَى أَنَّكَ تُمَيِّزُ بَيْنَ النَّافِعَ وَالضَّارِ.

شِعْرًا: إِنَّ فِي المَوْتِ وَالمَعَادِ لَشُغْلًا   وَادِّكَارًا لِذِيْ النُّهى وَبَلَاغَا

فاغْتَنِمْ خَصْلَتَيْنِ قَبْلَ الْمَنَايَا ... صِحَّةَ الجِسْمِ يَاأَخِيْ وَالفَرَاغَا

آخر: فَبَادِرْ مَتَاباً قَبْلَ يُغْلَقُ بَابُهُ ... وَتُطْوَى عَلَى الأَعْمَالِ صُحْفُ التَّزَوُّدِ

وَمَثِّلْ وُرُوْدَ القَبْرِ مَهْمَا رَأَيْتَهُ ... لِنَفْسِكَ نَفَاعاً فَقَدِّمْهُ تَسْعَدِ

آخر:

يَاطَالِباً رَاحَةً مِنْ دَهْرِهِ عَبَثاً ... أَقْصر فَمَا الوَقْتِ إِلَّا بالهُمُوْمِ مُلِيْ

كَمْ مَنْظَرٍ رَائِقٍ أَفْنَتْ جَمَالَتَهُ ... يَدُ المَنُوْنِ وَأَعْيَتْهُ عَنْ الحِيَلِ

وَكَمْ هُمَامٍ وَكَم قَرْمٍ وَكَمْ مَلِكٍ ... تَحْتَ التَرابِ وَكَمْ شَهْمٍ وَكَمْ بَطَلِ

وَكَمْ إِمَامٍ إِلَيْهِ تَنْتَهِي دُوَلٌ ... قَدْ صَارَ بالموتِ مَعْزُولًا عَنْ الدُّوَلِ

وَكَمْ عَزِيْزٍ أَذَلَّتْهُ المَنُونُ وَمَا ... أَنْ صَدَّهَا عَنْهُ مِنْ مَالٍ وَلَا خَوَلَ

يَاعَارِفاً دَهْرَهُ يَكْفِيكَ مَعْرِفَةً ... وَإِنْ جَهِلْتَ تَصَارِيْفَ الزَّمَانِ سَلِ

هَلْ فِي زَمَانِكَ أَوْ مَا قَبْلَهُ سَمَعتْ ... أُذْنَاكَ أَنَّ ابْنَ أُنْثَى غَيْرُ مُنْتَقِلِ

وَهَلْ رَأَيْتَ أُنَاساً قَدْ عَلوا وَغَلَوا ... فِي الفَضْلِ زَادُوا بِمَا نَالُوا عَنْ الأَجَلِ

أَوْ هَلْ نَسيْتَ «لِدُوْا لِلْمَوْتِ» أَوْ عَمِيَتْ ... عَيْنَاكَ عَنْ وَاضِعٍ نَعْشاً وَمُحْتَمِلِ

وَهَلْ رَعَى المَوْتُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ ... أَوْ هَلْ خَلا أَحَد دَهْراً بِلا خَلَلِ

المَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ ... لَكِنَّ ذا الفَضْلِ مَحْمُولٌ عَلى عَجَلِ

وَلَيْسَ فَقْدُ إِمَامٍ عَالِمٍ عَلَمٍ ... كَفَقْدِ مَنْ لَيْسَ ذا عِلْمٍ وَلَا عَمَلِ

وَلَيْسَ مَوْتُ الذِيْ مَاتَتْ لَهُ أُمَمٌ ... كَمَوْتُ شَخْصٍ مِنْ الأَوْغَادِ وَالسَّفَلِ

اللَّهُمَّ يبِّتْ وَقَوِّي إِيْمَانَنَا بِكَ وَمَلائِكَتَكَ وَكُتَبكَ وَرُسُلكَ وَاليَوْمِ الآخِرْ والقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لامتِثَالْ أَمْرِكَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ في الرَّجَاءِ»

الرَّجَاءُ قِيْلَ فِي تَعْرِيْفِه هُوَ ارْتِيَاحٌ لِانْتِظَارِ مَا هُوَ مَحْبُوبٌ عِنْدَ الإِنْسَانِ

وَلَكِنَّ ذَلِكَ المتَوَقَّع لَابُدَّ لَهُ مِن سَبَبٍ حَاصِلٍ، فإِنْ لَمْ يَكُنْ السَّبَبُ مَعْلُومَ الوُجُوْدِ وَلا مَعْلُوْمَ الانْتِفَاءِ سُمِّيَ تمنِّياً لأنه انْتِظَارٌ من غَيْرِ سَبَبٍ ولا يُطْلَقُ اسْمُ الرَّجَاءِ وَالخَوْفِ إِلَّا عَلَى مَا يُتَرَدَّدُ فِيْهِ.

فَأَمَّا مَا لا يُتَرَدَّدُ فِيْهِ وَيُقْطَعُ بِهِ فَلا إِذًا، لَا يُقَالُ أَرْجُوْ طُلُوْعَ الشَّمْسِ ولكن يُقَالُ أَرْجُو نُزُوْلَ الْمطَرِ، وَأَخَافُ انْقِطَاعَهُ وَضِدُّ الرَّجَاءِ اليَأْسِ وَهُو تَذَكّرُ فَوْتِ رَحْمَةِ اللهِ، وَقَطْعُ القَلْبِ عن ذَلِكَ، واليَأْسُ مَعْصِيَةٌ، قالَ تعَالَى إِخْبَاراً عَمَّا قَالَهُ يَعْقُوْبُ ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الكَافِرُوْنَ﴾.

شِعْرًا: لَا تَرْجُ غَيْـرَ اللهِ سُبْحَانَـهُ ... واقْطَعْ عُرَى الآمالِ مِن خَلْقِهِ
لاتَطْلُبِ الفَضْلَ مِن غَيْـرِهِ ... واضْنُنْ بِمَاءِ الوَجْهِ واسْتَبْقِهِ
فَالرِّزْقُ مَقْسُومٌ ومَا لامْرِيءٍ ... يَكُونُ طُوْلَ الدهرِ في رِقِّهِ

آخر: التَمِسِ الأَرْزَاقَ عند الـذي ... ما دُوْنَهُ إِنْ سُئِل من حَاجِبِ
وَمَـنْ إذا قَالَ جَرَى قوْلُـهُ ... بِغَيْـرِ تَوْقِيْـعٍ من الكـاتِبِ

وَمُقَدِّمَاتُ الرَّجَاءِ أَرْبَعٌ، الأُوْلَى: ذَكْرُ سَوَابِقِ فَضْلِ اللهِ إلى العَبْدِ، وَالثَّانِيَة: ذِكْرُ مَا وَعَدَ اللهُ مِن جَزِيْلِ ثَوَابِهِ وَعَظِيْمِ كَرَمِهِ وَجُوْدِه دُوْنَ اسْتِحْقَاقٍ أَوْ سُؤَالٍ، الثَّالِثَة: ذِكْرُ كَثْرَةِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْكِ في أَمْرِ دِيْنِكَ وَبَدَنِكَ وَدُنْيَاكَ في الحَالِ مَنْ أَنْوَاعِ الأَمْدَادِ والأَلْطَافِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ أَوْ سُؤَالٍ، وَالرَّابِعَةُ: ذِكْرُ سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَسَبْقِهَا غَضَبَهُ وَأَنَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيْمُ الغَنِيّ الكَرِيْمُ الرَّؤُفُ بِعَبَادِهِ المُؤْمِنِيْنَ، وَقُوَّةُ الرَّجَاءِ عَلى حَسَبِ قُوَّةِ المعْرِفَةِ باللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَغَلَبَةِ رَحْمَتِهِ غَضَبه.

قَالَ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ فَالرَّجَاءُ ضَرُوْرِيٌّ لِلْمُرِيْدِ السَّالِكِ والعَارِفِ لَوْ فَارَقَهُ لحْظَةً لَتَلِفَ أَوْ كَادَ فَإِنهُ دَائِرٌ بَيْنَ ذَنْبٍ يَرْجُو غُفْرَانَهُ وَعَيْبٍ يَرْجُو إِصْلَاحَهُ وَعَمَلٍ صَالِحٍ يَرْجُو قَبوْلَهُ وَاسْتِقَامَةٍ يَرْجُو حُصُوْلَهَا وَدَوَامَهَا.

وَقُرْبٍ مِن اللهِ وَمَنْزِلَةٍ عِنْدَهُ يرْجُو وُصُوْلَهُ إِلَيْهَا وَالرَّجَاءُ مِن الأَسْبَابِ التي يَنَالُ بِهَا العَبْدُ مَا يَرْجُوهُ مِن رَبِّهِ بل هُوَ مِن أَقْوَى لأَسْبَابِ .. أهـ.

وَقَالَ فِي مُخْتَصَرِ مِنْهَاجِ القَاصِدِيْنَ: وَقَدْ عَلِمَ أَرْبَابُ القُلُوْبِ أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الآخِرَةِ وَالقَلْبُ كالأَرْضِ وَالإِيْمَانُ كالْبَذْرِ فِيْهَا وَالطَّاعَاتُ جَارِيَةٌ مَجْرَى تَنْقِيَةِ الأَرْضِ وَتَطْهِيْرِهَا، وَمَجْرَى حَفْرِ الأَنْهَارِ وَسِيَاقَةِ الماءِ إليْهَا.

وأَنَّ القَلْبَ المُسْتَغْرِقَ بالدُّنْيَا كالأَرْضِ السَّبِخَةِ الَّتِي لَا يَنْمُو فِيْهَا البَذْرُ وَيَوْمَ القِيَامَةِ هُوَ يَوْمُ الحَصَادِ، وَلا يَحْصُدُ أَحَدٌ إِلَّا مَا زَرَعَ وَلَا يَنْمُو زَرْعٌ إِلَّا مَنْ بَذَرَ الإِيْمَانَ، وَقَلَّ أنْ يَنْفَعَ إِيْمَانٌ مَعَ خُبْثِ القَلْبِ وَسُوْءِ أَخْلَاقِهِ، كَمَا لا يَنْمُو البَذْرُ فِي الأَرْضِ السَّبِخَةِ.

فَيَنْبَغِي أَنْ يُقَاسَ رَجَاءُ العَبْدِ المغْفِرَةَ بِرَجَاءِ صَاحِبِ الزَّرْعِ، فَكُلُّ مَنْ طَلَبَ أَرْضاً طَيِّبَةً وَأَلْقَى فِيْهَا بُراً جَيِّداً غَيْرَ مُسَوِّسٍ وَعَفِنٍ، ثُمَّ سَاقَ إليها الماءَ فِي أَوْقَاتِ الحَاجَةِ ونَقَّى الأَرْضِ مِنْ الشَّوْكِ والحَشِيْشِ وَمَا يُفْسِدُ الزَّرْعَ.

ثُمَّ جَلَسَ يَنْتَظِرُ مِن فَضْلِ اللهِ تَعَالى دَفْعَ الصَّوَاعِقِ والآفَاتِ المُفْسِدَةِ إلى أَنْ يَتِمَّ الزَّرْعُ وَيَبْلُغَ غَايَتَهُ، فَهذا يُسَمَى انْتِظَارُه رجاءً، فأَمَّا إِنْ بَذَرَ فِي أَرْضٍ سَبِخَةٍ صَلْبَةٍ مُرْتَفِعَةٍ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا الماءُ وَلَمْ يَتَعَاهَدْهَا أَصْلًا ثُمَّ انْتَظَر الحَصَادَ فهذَا يُسَمَّى انْتِظَارُه حُمْقاً وَغُرُوْراً لَا رَجَاءً.

وَإِنْ بَثَّ البَذْرَ فِي أَرْضٍ طَيِّبَةٍ، وَلَكِنْ لا مَاءَ لَهَا وَأَخَذَ يَنْتَظِرُ مِيَاهَ الأَمْطَارِ سُمِّيَ انْتِظَارُهُ تَمَنِّياً لَا رَجَاءً، فإِنَّ اسْمَ الرَّجَاءِ إِنَّمَا يَصْدُقُ عَلَى انْتِظَارِ مَحْبُوبٍ، تَمَهَّدَتْ أَسْبَابُه الدَّاخِلةُ تَحْتَ اخْتِيَارِ العَبْدِ، ولَمْ يَبْقَ إلا مَا لَيْسَ إلى اخْتِيَارِهِ، وَهُوَ فَضْلُ اللهِ سُبْحَانَهُ بِصَرْفِ المَوانِعِ المُفْسِدَاتِ.

فَالعَبْدُ إِذَا بَثَّ بَذْرَ الإِيْمَانِ وَسَقَاهُ مَاءَ الطَّاعات، وَطَهَّرَ القُلُوْبَ مِن شَوْكِ الأَخْلَاقِ الرَّدِيْئَةِ وَانْتَظَرَ مِنْ فَضْلِ اللهِ تعالى ثَبَاتَهُ على ذَلِكَ إلى المَوْتِ، وَحُسْنَ

الخَاتِمَةِ المُفْضِيَةِ إلى المَغْفِرَةِ كَانَ انْتِظَارُهُ لِذَلِكَ رَجَاءُ مَحْمُوداً بَاعِثاً عَلى المُوَاظبَةِ عَلى الطَّاعَاتِ وَالقِيَامِ بِمُقْتَضَى الإِيْمَانِ إلى المَوْتِ.

شِعْرًا: تَرَى الدُّنْيَا وزِينَتَها، فَتَصْبُو وما يَخْلُو مِنَ الشَّهَواتِ قَلْبُ
فُصُولُ العَيشِ أَكْثَرُها هُمُومٌ وأَكْثَرُ ما يَضُرُّكَ ما تُحِبُّ
فَلا يَغْرُرْكَ زُخْرُفُ ما تَراهُ، وعَيشٌ لَيِّنُ الأَعْطَافِ رَطْبُ

وَإنْ قَطَعَ بَذْرَ الإِيْمَانِ عَنْ تَعَهُّدِهِ بِمَاءِ الطَّاعَات أَوْ تَرْكِ القَلْبِ مَشْحُوْناً بِرَذَائِلِ الأَخْلَاقِ وَانْهَمَكَ فِي طَلَبِ لَذَّاتِ الدُّنْيَا، ثُمَّ انْتَظَرَ المَغْفِرَةَ كَانَ ذَلِكَ حُمْقاً وَغُرُوْراً، قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهم خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ يَأْخُذُوْنَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُوْلُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا، وَإِنْ يَأْتِهِم عَرَضٌ مِثْلُه يَأْخُذُوْه﴾، وَذَمَّ القَائِلَ: ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلباً﴾.

شِعْرًا: أَفِي السَّبَخَاتِ يَامَغْبُونُ تبْني وَمَا أَبْقَى السِبَّاخُ عَلى الأَسَاسِ
ذُنُوبُكَ جَمّةٌ تَتْرَى عِظاماً وَدَمْعُكَ جَامِدٌ والقَلْبُ قاسي
وأيَّاماً عَصَيْتَ اللهَ فِيْهَا وقَدْ حُفِظَتْ عَلَيْكَ وأَنْتَ نَاسِي
فَكَيْفَ تُطِيْقُ يومَ الدِّين حَمْلًا لِأَوْزَارِ الكَبائِرِ كَالرَّواسِي
هُوَ اليَوْمُ الذِي لا وُدَّ فِيْهِ ولا نَسَبٌ ولا أَحَدٌ مُوَاسِي

اللَّهُمَّ يا عالمَ الخفيات، ويارفيعَ الدرجات، ياغافرَ الذنبِ وقابل التوب شديد العقاب، ذِي الطول لا إله إلا أنْتَ إليكَ المصير، نَسْأَلُكَ أنْ تُذِيْقَنا بَرْدَ عفوكَ، وحلاوةَ رحمتكَ، ياأرحمَ الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

«**موعظة**»: عِبَادَ الله يَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا وتَقَدَّسَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُون الذين هُمْ في صَلاتِهم خَاشِعُوْنَ﴾ عِبَادَ اللهِ انَّ الصَّلَاةَ عِمَادُ الدِّيْنِ وَأَعْظَمُ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، وَهِيَ قُرَّةُ عَيْنِ المُؤْمِنِ وَطُمَأْنِيْنَةُ قَلْبِهِ تَبْدُو

وَاضِحَةً في وُقُوْفِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ، وَخُشُوْعِه وَانكِسَارِهِ، عِنْدَمَا يَتَّجِهُ إلَيْهِ في عِبَادَتِهِ، وَيَقِفُ خَاضِعاً ذَلِيْلًا بَيْنَ يَدَيْ العَزِيْزِ الحَكِيْمِ.

عِبَادَ اللهِ مَنْ حَافَظَ عَلى الصَّلَاةِ فَهُوَ السَّعِيْدُ الرَّابِحُ، وَمَنْ أَضَاعَهَا فَهُوَ الشَّقِيُّ الخاسِرُ، وَإنَّ اللبِيْبَ العَاقِلَ مَنْ إذا حَضَرَ لِلصَّلَاةِ أَقْبَلَ بِقَلْبِهِ وَقَالِبِهِ، وطَرَحَ الدُّنْيَا وَشُؤُنَها وَمُتعَلَّقَاتِهَا جَانِباً وَتَدَبَّرَ مَايَتْلُوهُ إنْ كانَ وَحْدَهُ أَوْ إمَاماً. وَأَنْصَتَ وَأَحْضَرَ قَلْبَهُ إنْ كَانَ مَأْمُوماً وَتَفَهَّم مَا يَسْمَعُ وَابْتَهَلَ وَتَضَرَّعَ إلى مَوْلَاهُ.

«مَوْعِظَةٌ»: عِبَادَ اللهِ إنَّ الخُشُوْعَ في الصَّلَاةِ هُوَ رُوْحُهَا، وَالمِحْوَرَ الذِيْ تَدُوْرُ عَلَيْهِ سَائِرُ أَفْعَالِهَا، وَالخُشُوْعُ فِيْهَا مَعَ الإخْلَاصِ لِلَّهِ آيَةُ الإيْمَانِ وَسَبَبُ الفَلَاحِ وَأَمَانٌ مِن وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ. أَلَا وَأَنَّ الصَّلَاةِ بلا خُشُوْعٍ كَجَسَدٍ بلا رُوْحٍ، قَالَ ابْنُ عَباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا «لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إلَّا مَا عَقَلْتَ مِنْهَا».

وَفي المُسْنَدِ مَرْفُوعاً إنَّ العَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ وَلَمْ يُكْتَبْ لَهُ إلَّا نِصْفَهَا أَوْ ثُلُثَهَا أَوْ رُبْعَهَا، حَتَّى بَلَغَ عُشْرَهَا، وَقَدْ عَلَّقَ اللهُ فَلَاحَ المصَلِّيْنَ بالخُشُوْعِ في صَلَاتِهِم، فَدَلَّ عَلى أَنَّ مَنْ لَمْ يَخْشَعْ فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الفَلَاحِ وَلَوْ اعْتُدَّ لَهُ بِهَا ثَوَاباً لَكَانَ مِنْ المفْلِحِيْنَ هَكَذَا قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ.

قالُوا وَأَمَّا الاعْتِدَادُ بِهَا في أَحْكَامِ الدُّنْيَا وَسُقُوطِ القَضَاءِ فَإنَّ غَلَبَ الخُشُوْعُ وَتَعَقُّلُها اعْتُدَّ بِهَا اجْمَاعاً، وَكَانَتْ السُّنَنُ والاذْكَارُ عَقِبَهَا جَوَابِرَ وَمُكَمِّلاتٍ لِنَقْصِهَا، وَانْ غَلَبَ عَلَيْهِ عَدَمُ الخُشُوعِ فِيْهَا وَعُدِمَ تَعَقّلُها.

فَقَدْ اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ في وُجُوْبِ اعَادِتِهَا وَاحْتَجُّوا بِأَنَّهَا صَلَاةٌ لَا يُثَابُ عليها، ولم يُضْمَنْ لَهُ فيها الفَلاحُ فلم تَبْرَأْ ذِمَّتَهُ منها، ويَسْقُطُ القَضَاءُ عنهُ كصَلَاةِ المَرائِي قَالُوا وَلأَنَّ الخُشُوْعَ وَالعَقْلَ رُوْحُ الصَّلَاةِ، وَمَقْصُوْدُهَا وَلُبُّهَا،

فَكَيْفَ يُعْتَدُّ بصَلاةٍ فُقِدَتْ رُوْحَهَا، وَلُبُّهَا وَبَقِتْ صُوْرَتُهَا وَظَاهِرُهَا.

قَالُوا وَلَوْ تَرَكَ العَبْدُ وَاجباً من وَاجِبَاتِهَا عَمْداً لأَبْطَلَهَا تَرْكُهُ وَغَايَتُه أنْ يَكُوْنَ بَعْضاً مِنْ أَبْعَاضِهَا بِمَنْزِلَةِ فَواتِ عُضْوٍ من أَعْضَاءِ العَبْدِ المُعْتَقِ في الكَفَّارَةِ، فَكَيْفَ إِذَا عُدِمَتْ رُوْحُهَا وَمَقْصُوْدُهَا، وَصَارَتْ بمَنزلَةِ العَبْدِ المَيِّتِ فإِذَا لَمْ يُعْتَدّ بالعَبْدِ المَقْطُوْعِ اليَدِ يُعْتِقُه تَقَرُّباً إلى اللهِ تَعَالَى في كَفَّارَةٍ وَاجبَةٍ فَكَيْفَ يُعْتَدُّ بالعَبْدِ المَيِّتِ.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ الصَّلَاةُ كَجَارِيَةٍ تُهْدَى إلى مَلِكٍ مِن المُلُوْكِ فَمَا الظَّنُ بِمَنْ يُهْدِي إِلَيْهِ جَارِيَةً شَلّاءَ أَوْ عَوْرَاءَ أَوْ عَمْيَاءَ أَوْ مَقْطُوْعَةَ اليَدِ أَوْ الرِّجْلِ أَوْ مَرِيْضَةً أَوْ دَمِيْمَةً أَو قَبِيْحَةً حَتَّى يُهْدِي إليه جَارِيَةً مَيِّتَةً بلَا رُوْحٍ وَجَارِيَةً قَبِيْحَةً فَكَيْفَ بالصَّلاةِ التي يُهْدِيْهَا العَبْدُ وَيَتَقَرَّبُ بِهَا إلى رَبِّهِ تَعَالَى وَاللهُ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّباً وَلَيْسَ مِن العَمَلِ الطَّيِّبِ صَلَاةٌ لا رُوْحَ فِيْهَا كمَا أنه لَيْسَ مِن العِتْقِ الطَّيِّبِ عِتْقُ عَبْدٍ بلا رُوْحٍ.

قَالُوا وَتَعْطِيْلُ القَلْبِ عن عُبُوْدِيَّةِ الحُضُوْرِ وَالخُشُوْعِ تَعْطِيْلٌ لِمَلِكِ الأَعْضَاءِ عن عُبُودِيَّتِهِ وَعَزْلٌ لَهُ عَنْهَا فَمَاذَا تُغْنِيْ طَاعَةُ الرَّعِيَّةِ وَعُبُودِيَّتُهَا وَقَدْ عُزِلَ مَلِكُهَا وَتَعَطَّلَ.

قَالُوا وَالأَعْضَاءُ تَابِعَةٌ لِلْقَلْبِ تَصْلُحُ بِصلَاحِهِ وَتَفْسُدُ بفَسَادِهِ فإذا لم يكن قائِماً بعُبُودِيَّتِهِ فَالأَعْضَاءُ أَوْلَى أَنْ لا يُعْتَدَّ بعُبُودِيَّتِها وَإِذَا فَسَدَتْ عُبُودِيَّته بالغَفْلَةِ وَالوَسْوَاسِ فَأَنَّى تَصِحُّ عُبُودِيَّةُ رَعِيَّتِهِ وَجُنْدِهِ وَمَادَّتُهم مِنْهُ وَعَنْ أَمْرِهِ يَصْدُرُوْنَ وَبِهِ يَأْتَمِرُوْنَ.

قَالُوا وَلأَنَّ عُبُودِيَّةَ مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الغَفْلَةُ وَالسَّهْوُ في الغَالِبِ لَا تَكُوْنُ مُصَاحِبَةً للأَخْلَاصِ فَإِنَّ الإِخْلَاصَ قَصْدُ المَعْبُودِ وَحْدَهُ بِالتَّعَبُّدِ وَالغَافِلُ لَا قَصْدَ لَهُ فَلَا عُبُوْدِيَّةَ لَهُ.

قَالُوا وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّيْنَ الذِيْنَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُوْنَ﴾، وَلَيْسَ السَّهْوُ عَنْهَا تَرْكُهَا وَإِلَّا لَمْ يَكُونُوا مُصَلِّيْنَ وإِنَّمَا السَّهْوُ عَنْ وَاجبَها إِمَّا عَن الحُضُوْرِ أَوْ الخُشُوْعِ.

وَالصَّوَابُ أَنَّه يَعُمُّ النَّوْعَيْنِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَثْبَتَ لَهُم صَلَاةً وَوَصَفَهَا بالسَّهْوِ عَنْهَا، فَهُوَ السَّهْوُ عن وَقْتِهَا الوَاجِبِ أَوْ عَنْ اخْلَاصِهَا وَحُضُوْرِهَا الوَاجِبَ، وَلِذَلِكَ وَصَفَهُم بالرِّيَاءِ، ولو كَانَ السَّهْوُ سَهْوَ تَرْكٍ لما كَان هُنَاكَ رِيَاءً أهـ.

وَبالتَّالِي فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا مَرَّنَ نَفْسَهُ وَقَلْبَهُ عَلى التَّفَهُّمِ وَالتَّدَبُّر وَالخُشُوْعِ وَالخُضُوْعِ في الصَّلَاةِ انْغَرَسَتْ في قَلْبِهِ خَشْيَةُ اللهُ وَمَحَبَّتِه والرَّغْبَةُ فِيْمَا لَدَيْهِ، وَحَضَرَتْهُ هَيْبَةُ خَالِقِهِ في جَمِيْعِ أَحْوَالِهِ وفي جَمِيْعِ أَعْمَالِهِ.

فَإِذَا سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ أَمراً أَوْ زَيَّنَ الشَّيْطَانُ سُوْءاً تَبرَّأَ مِنْهُمَا قَائِلًا إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالمين فكُنْ في صَلَاتِكَ خَاشِعاً خَاضِعاً مُخْبِتاً.

فَإِذَا قُلْتَ اللهُ أَكْبَرُ فَاسْتَحْضِرْ عَظَمَةَ اللهِ وَأَنَّه لا شَيْءَ أَكْبَرَ مِنْهُ وَلَا شَيْءَ أَعْظَمَ مِنْه وَأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لأَنْ يُعظَّمَ وَيُجَلَّ وَيُقَدَّرْ وَأَنَّهُ لَيسَ أَحَدٌ يُسَاوِيْهِ أَوْ يُدَانِيْهِ في عَظَمَتِهِ.

وَإِذَا قُلْتَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالمين فاسْتَحْضِرْ أَنَّهُ المُسْتَحِقُّ لِلثَّنَاءِ وَأَنَّهُ المرَبِّي لِجَمِيْعِ الخَلْقِ التَّرْبِيَةَ العَامَّةَ والمُرَبِّي لِخَواصِّ خَلْقِهِ التَّرْبِيَةَ الخَاصَّةَ، وَهِيَ تَرْبِيَةُ القُلُوبِ على العَقَائِدِ النَّافِعَةِ، وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالأَخْلَاقِ الفَاضِلَة.

وَإِذَا قُلْتَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْم اسْتَحْضَرْتَ لِرَحْمتِهِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ رَاجِياً مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ كَتَبَهَا لَهُمْ فَإِذَا قُلْتُ مَلِكِ يَوْمِ الْدِّيْنِ مَجَّدْتَهُ وَاسْتَحْضَرْتَ لِوُقُوفِكَ بَيْنَ يَدَيْه وَهُوَ أَحْكَمُ الحَاكِمِيْنَ.

فَإِذَا قُلْتَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْن اسْتَحْضَرْتَ أَنَّكَ تَخُصُّهُ وَحْدَهُ بالعِبَادَةِ

والاسْتِعَانَةِ، المَعْنَى نَعْبُدكَ وَلا نَعْبُدُ غَيْرَكَ وَنَسْتَعِيْنُ بِكَ وَلَا نَسْتَعِيْنُ بِغَيْرِكَ.

فَإِذَا قُلْتَ اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيْمَ استَحْضَرْتَ أَنَّكَ تَتَضَرَّعُ إليه وَتَسْأَلُه أن يَدُلَّكَ وَيُرْشِدَكَ وَيُوَفِّقَكَ إلى سُلُوْكِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ وَأَنْ يُثَبِّتَكَ عليه فَهَذا الدُّعَاءُ مِن أَجْمَعِ الأدْعِيَةِ وَأَنْفَعِهَا لِلْعَبْدِ وَلِهَذَا وَجَبَ عَلى العَبْدِ أَنْ يَدْعُوَ به فِي كُلِّ رَكْعَةٍ من صَلَاتِهِ لِضَرُوْرَتِهِ إلى ذَلِكَ وَهَذا الصِّرَاطُ هُوَ صِرَاطُ المُنْعَمِ عَلَيْهِمْ مِن النَّبِيِّيْنَ.

وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيْقاً، وَافْعَل في بَاقِي صَلَاتِكَ كَمَا فَعَلْتَ في أَوَّلِهَا مِنْ التَّدَبُّرِ وَالتَّفَهُّمِ مُحْضِراً قَلْبَكَ لِمَعَانِي مَا تَقُولُهُ وَمَا تَسْمَعُهُ حَتَّى تُكْتَبْ لَكَ كَامِلَةً.

عِبَادَ الله إِنَّ مَنْ حَافَظ عَلى الصَّلَوَاتِ في أَوْقَاتِهَا وَوَاظَبَ عَلى الجُمُعَةِ وَالجَمَاعَاتِ وَأَدَّاهَا تَأْدِيَةً تَامَّةً بِخُشُوْعٍ وَخُضُوْعٍ، استَنَارَ قَلْبُهُ وَقَوِيَتْ الصِّلَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وتهَذَّبَتْ نَفْسُهُ وَحَسُنَتْ مَعَ اللهِ والنَّاسِ مُعَامَلَته، وَحِيْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المُحَرَّمَاتِ وَكَانَ على البُؤسَاءِ عَطُوْفاً وَبالضُّعَفَاءِ رَحِيْماً، وَأَفْلَحَ في دِيْنِهِ وَدُنْيَاهُ وَكَانَ مِنْ المحْبُوبِيْنَ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ.

عِبَادَ اللهِ النَّفسُ آمِرَةٌ بالسُّوْءِ، وَالشَّيْطَانُ يَأْمُرُ بالفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالسَّيْفُ القَاطِعُ والدَّوَاءُ النَّافِعُ الذِي جَعَلَهُ اللهُ وِقَايَةً لِلإِنْسَانِ مِن شَرِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ، إِنَّمَا هُوَ الصَّلَاةُ، قَالَ اللهُ تَعَالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنْ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَلَذِكرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾.

عِبَادَ اللهِ احْذَرُوا أن تَسْتَهِيْنُوا بالصَّلاةِ وأن لا تَهْتَمُّوْا لَهَا، فَإِنَّ هَذِهِ صِفَةُ الذِيْنَ خَلَتْ صَلَاتُهُم مِن التَّذَلُلِ وَالخُشُوْعِ كَمَا تَرَوْنَهُم يُسْرِعُوْنَ في أَدَائِهَا وَهُمْ عَنْهَا غَافِلُوْنَ لا يَعْرِفُوْنَ لَهَا مَعْنَى وَلَا يَعْقِلُونَ لَهَا سِراً وَلَمْ تَشْعُرْ قُلُوبهُم بحَلاوَتِهَا وَلَا بِلَذَّةِ المناجَاتِ قَدْ مَلَكَتْهُم الوَسَاوِسُ، وامْتَلأَتْ قُلُوبُهم بشَوَاغِلِ

الدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا، وَاسْتَحْوَذ عَلَيْهِم الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ.

قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِيْنٌ﴾ وَمِنْ النَّاسِ مَن عَمِيَتْ بَصَائِرُهم، وَتَحَجَّرَتْ ضَمَائِرُهُمْ، فَأَضَاعُوا الصَّلاَةَ واتَّبَعُوا الشَّهَواتِ، وَأَهْمَلُوا أَوَامِرَ بَدِيْعِ السَّمَوَاتِ وَغَفَلُوا عَنْ وَاجِبِ شُكْرِهِ وَلَمْ يَخَافُوا سَطْوَةَ جَبَرُوتِهِ وَبَطْشِهِ، وَلَا سُوْءَ الحِسَابِ، وَلَا نَارَ العَذَابِ ﴿نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُم أَنْفُسَهُمْ﴾، ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمْ الخَاسِرُوْنَ﴾.

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُم وَحَافِظُوا عَلى صَلاتِكُم وَقُومُوا لِلَّهِ خاضِعِيْن خَاشِعِيْن لِتَفُوزوا بِرِضْوَانِهِ وتكونُوا مِن المفلِحين.

شِعْرَا:
لِلَّـــــهِ دَرُّ السَّادَة العُبَّـــــادِ ... في كُلِّ كَهْفٍ قَدْ ثَوَوْا أَوْ وَادِيْ
أَلْوَانُهُـم تُنبيْكَ عَنْ أَحْوَالِهِـمْ ... ودُمُوعُهُـمْ عَن حُرْقَـةِ الأَكْبَادِ
كَتَمُوْا الضَّنَى حِفْظاً لَهُمْ وتَحَمَّلُوْا ... سُقْمَ الهَـوَى وَمَشَقَّـةَ الأَجْسَادِ
هَجَروْا المَرَاقِدَ في الظَّلامَ لِرَبِّهِمْ ... واسْتَبْدَلوا سَهَـراً بِطِيْبِ رُقَـادِ
لا يَفْتُرْونَ إذا الدُّجَى وَافَاهُمُوا ... من كَثْـرةِ الأَذْكَـــارِ والأَوْرَادِ
ورَأَوْا عَلَامَاتِ الرَّحِيْلِ فَبَادَرُوْا ... تَحْصِيْل ما الْتَمَسُوْا مِن الأَزْوَادِ
فإذا اسْتَمَالَ قُلُوْبَهُم دَاعِي الهَوَى ... ذَكَرُوا البِلَى في ظُلْمَةِ الأَلْحَادِ
نَظَـرُوا إلى الدُّنْيَـا تَغُـرُّ بأَهْلِهَـا ... بِوصَالِهَـــا وتَكِـــرُّ بالإِبْعَـــادِ
فَتَجَنَّبُوْهَــا عِفَّـــةً وتَزَهُّـــدًا ... وتَـزَوَّدُوْا مِن صَالِـــحِ الأَزْوَادِ
وَمَضَوْا عَلى مِنْهَاج صَحْب نَبِيِّهِمْ ... فَنَجَوْا غَداً مِنْ هَوْلِ يَوْمِ مَعَادِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

«**فَصْلٌ**»: رَوَى شَدَّادُ بنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الكَيِّسُ مَن دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعدَ المَوْتِ وَالعَاجِزُ مَن أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتمَنَّى عَلى اللهِ الأماني».

وَمِمَّا وَرَدَ في الحَثّ على الرَّجاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿قُلْ يَا عِبَادِيْ الذِيْنَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذّنُوبَ جَمِيْعاً انَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ﴾، وَقَالَ تَعَالى ﴿والمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُوْنَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُوْنَ لِمَنْ في الأَرْضِ﴾، وَقَالَ تَعَالى ﴿الذِيْنَ يَحْمِلُوْنَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُوْنَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُوْنَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُوْنَ للذِيْنَ آمَنُوْا﴾ الآية.

وَقَالَ ﴿ومَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ إِلَّا اللهُ﴾، وقَالَ ﴿وهُوَ الذي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عن عِبَادِهِ، وَيَعْفُو عَنْ السَّيِّئَاتِ﴾، وَقَالَ ﴿كَتَبَ رَبّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾.

شِعْرا : إذا شَدَّ زَنْدِيْ حُسْنُ ظَنِّي بِمَنْ عَلَي ... عَلَى خَلْقِهِ فَهْوَ الَّذي كُنْتُ أَطْلُبُ

آخر : وَإِنِّيْ لآتِي الذَّنْبَ أَعْرِفُ قدْرَهُ ... وأَعْلَمُ أَنَّ اللهَ يَعْفُو ويَغْفِرُ

لَئِنْ عَظَّمَ الناسُ الذُنُوبَ فإِنَّهَا ... وإنْ عَظُمَتْ في رَحْمَةِ اللهِ تَصْغُرُ

وَقَالَ ﴿انَّ اللهَ بالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيْمٌ﴾، وَقَالَ ﴿والذينَ لَا يَدْعُوْنَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ﴾ إلى قَوْلِهِ ﴿فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾، وَقَالَ ﴿وَرَحْمَتِيْ وَسِعَتْ كلَّ شَيءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلْذِيْنَ يَتَّقُوْن﴾.

وَقَالَ ﴿وَكَانَ بالمُؤْمِنِيْنَ رَحِيْما﴾، وَقَالَ ﴿ولا يَأْتَل أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولي القُرْبَى وَالمَسَاكِيْنَ وَالمُهَاجِرِيْنَ في سَبِيْلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا ألا تُحِبُّوْنَ أنْ يَغفر الله لكم واللهُ غَفُورٌ رَحِيْمٌ﴾ وَوَجْهُ الدَّلالَةِ مِنْهَا حَيْثُ أَوْصَى اللهُ بالاحْسَانِ إلى القَاذِفِ.

وَمِنْ جَانِبِ الرَّجَاءِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ السَّحَرَةِ المُبَارِزِيْنَ لِمُوْسَى عَلَيْهِ السَّلام فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ رَأَوْا آيَةَ مُوْسَى فَعَرفُوْا الحَقَّ وَوَقَعُوا سُجَّداً ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِيْنَ رَبِّ مُوْسَى وَهَارُونَ﴾ أَصْبَحُوا سَحرةً وَأَمْسَوا شُهَدَاءَ بَرَرَةً، فَهَذَا حَالُ مَنْ عَرَفَ اللهَ وَوَحَّدَهُ بَعْدَ كُلِّ ذَلِكَ السِّحْرِ وَالكُفْرِ وَالضَّلالِ وَالفَسَادِ فَكَيْفَ حَالُ مَنْ أَفْنَى عُمْرَهُ في تَوْحِيْدِ اللهِ.

وَكَذَا قِصَّةُ أَصْحَابِ الكَهْفِ إِذْ آمَنُوْا باللهِ كَيْفَ لَطُفَ بِهِمْ، وَأَكْرَمَهُم وَأَلْبَسَهُمْ المَهَابَةَ حَتَّى إِنَّ بَرَكَتَهُم شَمَلَتْ كَلْبَهُم فَأَصَابَهُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ النَّوْمِ عَلَى تِلْكَ الحَالةِ وَصَارَ لَهُ ذِكْرٌ وَشَأْنٌ وَخَبَرٌ يُتْلَى وَهَذِهِ فَائِدَةُ صُحْبَةِ الاخْيَارِ فَمَا ظَنُّكَ بِالمُؤْمِنِ الذي عَبَدَ اللهَ وَوَحَّدَهُ وَلَهَجَ بِذِكْرِه آناءَ الليل وآناءَ النهارِ، وَعَادى فِيْهِ وَوَالَى فيه سِنِيْنَ عَدِيْدَةَ وَبِوُدِّهِ لَوْ عُمِّرَ زِيَادَةً تَابَعَ فِيْهَا خِدْمَةَ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ جَلَّ وَعَلَا.

وَمِنْ جَانِبِ الرَّجَاءِ قَوْلُه تَعَالَى ﴿إِنَّ الذِيْنَ فَتَنُوا المُؤْمِنِيْنَ والمُؤْمِنَاتِ ثم لَمْ يَتُوبُوْا فلهُمْ عذابُ جَهَنَّمَ ولَهم عَذَابُ الحَرِيْقِ﴾.

شِعْرًا:

تَفِيْضُ عُيُوْنِي بالدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ ... وَمَالِيَ لا أبكِي عَلى خَيْرِ ذَاهِبِ
عَلى العُمْرِ إِذْ وَلَّى وَحَانَ انْقِضَاؤُهُ ... بِأَمَالِ مَغْرُوْرٍ وَأَعْمَالِ نَاكِبِ
عَلَى غُرَرِ الأَيَّامِ لَمَّا تَصَرَّمَتْ ... وَأَصْبَحْتُ مِنْهَا رَهْنَ شُؤْمِ المَكَاسِبِ
عَلى زَهَرَاتِ العَيْشِ لَمَّا تَسَاقَطَتْ ... بِرِيْحِ الأَمَانِيْ وَالظُّنُوْنِ الكَوَاذِبِ
عَلى أَشْرَفِ الأَوْقَاتِ لَمَّا غُبِنْتُهَا ... بِأَسْوَاقِ غَبْنٍ بَيْنَ لَاهٍ وَلَاعِبِ
عَلى أَنْفَسِ السَّاعَاتِ لَمَّا أَضَعْتُهَا ... وَقَضَّيْتُهَا فِي غَفْلَةٍ وَمَعَاطِبِ
عَلى صَرْفِيَ الأَيَّامَ في غَيْرِ طَائِلٍ ... وَلَا نَافِعٍ مِنْ فِعْلِ فَضْلٍ وَوَاجِبِ
عَلى مَا تَوَلَّى مِنْ زَمَانٍ قَضَيْتُهُ ... وَرَجَّيْتُهُ فِي غَيْرِ حَقٍّ وَصَائِبِ
عَلَى فُرَصٍ كَانَتْ لَوْ أَنِّيْ انْتَهَزْتُها ... لَقَدْ نِلْتُ فِيْهَا مِنْ شَرِيْفِ المَطَالِبِ
وَأَحْيَانَ آنَاءٍ مِنْ الدَّهْرِ قَدْ مَضَتْ ... ضَيَاعاً وَكَانَتْ مَوْسِماً لِلرَّغَائِبِ
عَلى صُحُفٍ مَشْحُوْنَةٍ بِمَآثِمٍ ... وَجُرْمٍ وَأَوْزَارٍ وَكَمْ مِنْ مَثَالِبِ
عَلى كَمْ ذُنُوبٍ كَمْ عُيُوْبٍ وَزَلَّةٍ ... وَسَيِّئَةٍ مَخْشِيَّةٍ فِيْ العَوَاقِبِ
عَلى شَهَوَاتٍ كَانَتْ النَّفْسُ أَقْدَمَتْ ... عَلَيْهَا بِطَبْعٍ مُسْتَحَثٍّ وَغَالِبِ
عَلى أَنَّنِي آثَرْتُ دُنْيَا دَنِيَّةً ... مُنَغَّصَةً مَشْحُوْنَةً بِالمَعَائِبِ

عَلى عَمَلٍ لِلْعِلْمِ غَيْرِ مُوافِقِ ... وَمَا فَضْلُ عِلْمٍ دُوْنَ فِعْلٍ مُناسِبِ

عَلى فِعْلِ طَاعَاتٍ بِسَهْوٍ وَغَفْلَةٍ ... وَمِنْ غَيْرِ إِحْضَارٍ وَقَلْبٍ مُرَاقِبِ

أُصَلِّي الصَّلَاةَ الخَمْسَ وَالقَلْبُ جَائِلٌ ... بِأَوْدِيَةِ الأَفْكَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

عَلى أَنَّنِيْ أَتْلُوْ القُرْآنَ كِتَابَهُ ... تَعَالَى بِقَلْبٍ ذَاهِلٍ غَيْرِ رَاهِبِ

عَلى طُوْلِ آمَالٍ كَثِيْرٍ غُرُورُهَا ... وَنِسْيَانِ مَوْتٍ وَهُوَ أَقْرَبُ غَائِبِ

عَلى أَنَّنِيْ قَدْ أَذْكُرُ اللهَ خَالِقِيْ ... بِغَيْرِ حُضُورٍ لَازِمٍ وَمُصَاحِبِ

عَلَى أَنَّنِيْ لَا أَذْكُرُ القَبْرَ وَالبِلَى ... كَثِيْراً وَسَفْراً ذَاهِباً غَيْرَ آيِبِ

عَلَى أَنَّنِيْ عَنْ يَوْمِ بَعْثِيْ وَمَحْشَرِيْ ... وَعَرْضِيْ وَمِيْزَانِيْ وَتِلْكَ المَصَاعِبِ

مَوَاقِفُ مِنْ أَهْوَالِهَا وَخُطُوْبِهَا ... يَشِيْبُ مِنَ الوِلْدَانِ شَعْرُ الذَّوَائِبِ

تَغَافَلْتُ حَتَّى صِرْتُ مِنْ فَرْطِ غَفلَتِيْ ... كَأَنِّي لا أَدْرِيْ بِتِلْكَ الْمَرَاهِبِ

عَلى النَّارِ أَنِّي مَا هَجَرْتُ سَبِيْلَهَا ... وَلَا خِفْتُ مِنْ حَيَّاتِهَا وَالعَقَارِبِ

عَلى السَّعْيِ لِلْجَنَّاتِ دَارِ النَّعِيْمِ وَالْـ ... ـكَرَامَةِ وَالزُّلفَى وَنَيْلِ المَآرِبِ

مِنْ العِزِّ وَالمُلْكِ المُخَلَّدِ وَالبَقَا ... وَمَا تَشْتَهِيْهُ النَّفْسُ مِنْ كُلِّ طَالِبِ

وَأَكْبَرُ مِنْ هَذا رِضَا الرَّبِّ عَنْهُم ... وَرُؤْيَتُهُمْ إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ حَاجِبِ

فَآهاً عَلى عَيْشِ الأَحِبَّةِ نَاعِماً ... هَنِيْئاً مُصَفًّى مِنْ جَمِيْعِ الشَّوَائِبِ

وَآهاً عَلَيْنَا فِيْ غُرُوْرٍ وَغَفْلَةٍ ... عَنْ المَلَاءِ الأَعْلَى وَقُرْبِ الحَبَائِبِ

وَآهاً عَلى مَا فَاتَ مِنْ هَدْيِ سَادَةٍ ... وَمِنْ سِيْرَةٍ مَحْمُوْدَةٍ وَمَذَاهِبِ

عَلَى مَا لَهُمْ مِنْ هِمَّةٍ وَعَزِيْمَةٍ ... وَجِدٍّ وَتَشْمِيْرٍ لِنَيْلِ المَرَاتِبِ

عَلى مَا لَهُمْ مِنْ عِفَّةٍ وَفُتُوَّةٍ ... وَزُهْدٍ وَتَجْرِيْدٍ وَقَطْعِ الجَوَاذِبِ

عَلى مَا لَهُمْ مِنْ صَوْمِ كُلِّ هَجِيْرَةٍ ... وَمِنْ خَلْوَةٍ بِاللهِ تَحْتَ الغَيَاهِبِ

عَلى الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ اللذَيْنِ تَحَقَّقَا ... وَصِدْقٍ وَاخْلَاصٍ وَكَمْ مِنْ مَنَاقِبِ

عَلى مَا صَفَا مِنْ قُرْبِهِمْ وَشُهُوْدِهِمْ ... وَمَا طَابَ مِنْ أَذْوَاقِهِمْ وَالمَشَارِبِ

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيْمَ جَلَالُهُ ... وَقُدْرَتُهُ فِي شَرْقِهَا وَالمَغَارِبِ

إلَيْهِ مَآبِيْ وَهُـوَ حَسْبِـيْ وَمَلْجَئـيْ وَلِيْ أَمَـلٌ في عَطفِـهِ غَيْـرُ خَائِـبِ
وَأَسْأَلُـهُ التَّوْفِيْـقَ فِيْمَـا بَقِـيْ لِمَـا يُحِبُّ وَيَرْضَى فَهُوَ أَسْنَى المَطَالِبِ
وَأَنْ يَتغَشَّانَـــا بعَفْـــوٍ وَرَحْمَـــةٍ وَفَضلٍ وَاحْسَانٍ وَسَتْرِ المَعَـائِبِ
وَأَنْ يَتوَلَّانَـــا بلُطْـــفٍ وَرَأْفَـــةٍ وَحِفْـظٍ يَقِيْنَـا شَرَّ كُلِّ المَعَـاطِبِ
وَأَنْ يَتوَفَّانَـــا عَلى خَيْـــرِ مِلَّـــةٍ عَلى مِلَّـةِ الإسْلَامِ خَيْـرِ المَـوَاهِبِ
مُقِيْمِيْـنَ لِلْقُـرْآنِ وَالسُّنَّـةِ التِـي أَتَانَا بِهَا عَالِي الـذُّرَى وَالمَـرَاتِبِ
مُحَمَّـدٌ الهَــادِي البشِيْـرُ نَبِيُّنَــا وَسَيِّدُنَـا بَحْرُ الهُـدَى وَالمَنَـاقِبِ
عَلَيــهِ صَلَاةُ اللهِ ثُمَّ سَلَامُـــهُ وَآلٍ وَأَصْحَـابٍ لَهُ كَالكَــوَاكِبِ

«**مَوْعِظَةٌ**» : عِبَادَ اللهِ لَا شَيْءَ أَفْسَدَ لِلقلْبِ مِنْ التَّعَلُّقِ بالدُّنْيَا وَالرُّكُوْنِ إليها فإنَّ مَتَاعَهَا قَلِيْلٌ وَلَا تَطْمَعُوا بالإقامَةِ فيها فَإنَّ البَقَاءَ فِيْهَا مُسْتَحِيْلٌ كَيْفَ لَا وَالمُنَادِيْ يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ يَا عِبَادَ اللهِ الرَّحِيْلَ، هُوَ الموتُ ما مِنْهُ فَوْتٌ وَلَا تَعْجِيْلٌ وَلا يَقْبَلُ الفِدَاءَ فَاسْتعِدُّوا لَهُ فإنهُ سَيَأْتِيْكُمْ عَنْ قَرِيْبٍ.

عِبَادَ اللهِ لا شَيْءَ أَفسَدَ لِلْقَلْبِ مِن التَّعَلُّقِ بالدُّنْيَا والرُّكُوْنِ إليها وَإِيْثَارِها على الآخِرَةِ فإنَّ هَذا الفَسَادُ يَقْعُدُ بالمُسْلِمِ عَن التَّطُّلعِ إلى الآخِرَةِ وَالعَمَلِ لها واتْعَابِ الجَسَدِ في سَبِيْلِ اللهِ والدَّعْوَةِ إليهِ وَهَيْهَاتَ لِقَلْبٍ فَاسِدٍ مَرِيْضٍ أَنْ يَقْوَى عَلى مَهَامِّ الدَّعْوَةِ إلى اللهِ، إنَّ الدُّنْيَا فِيْهَا قابلِيَّةُ الإغْرَاءِ لِلتَّعَلّقِ بِهَا وَحُبِّهَا.

وَلِهَذَا وَصَفَهَا النبي ﷺ بقَوْلِهِ «إن الدُّنْيَا حُلْـوَةٌ خَضِرَةٌ وَإن اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيْهَا فَيَنْظُر كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ» وَقَدْ حَذَّرَنَا ربُّنَا مِن الوُقُوعِ في شِبَاكِهَا وَالتَّعلُقِ بِهَا فَقالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الحَيَاةُ الدُّنْيَا ولا يَغُرَّنكم بِاللهِ الغَرُوْرُ﴾.

وَوَجْهُ الاغْتِرَارِ بالدُّنْيَا أَنَّ فِيْهَا مَبَاهِجٌ وَمَنَاظِرٌ وَمَلَذَّاتٌ لِلأَنْفُسِ وَالأَعْيُنِ وَالاسْمَاعِ تَهْوَاهَا نَفْسُه بَطِبِيْعَتِهَا وَتُؤْثِرُهَا عَلى مَا سِوَاهَا، قَالَ اللهُ تِعَالى ﴿بَلْ

تُؤْثِرُوْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ خَيرٌ وَأَبْقَى﴾، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّوْنَ العَاجِلَةَ وَتَذَرُوْنَ الآخِرَةَ﴾.

فَإِذَا تُرِكَتْ النَّفْسُ وَشَأْنَهَا زَادَ تَعَلُّقُهَا بِالدُّنْيَا وَزَادَ التِصَاقُهَا بِهَا حَتَّى تُصْبِحَ هِيَ كُلُّ غَايَتِهَا وَمُنْتَهَى أَمَلِهَا وَمَبْلَغَ عِلْمِهَا، قَالَ اللهُ جَلَ وَعَلَا ﴿فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلا الحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِنَ العِلْمِ﴾.

وَإِذَا مَا وَصَلَتْ النَّفْسُ إِلى هَذَا الحَدِّ فَقَدَتْ حَاسَّةَ القَبُوْلِ وَالاعْتِبَارِ وَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يُجْدِيْ مَعَهَا وَعْظٌ وَلَا تَذْكِيْرٌ مَهْمَا بَالَغْتَ فِيْهِ.

فَمَا هُوَ العِلَاجُ لِمَنْ وَصَلَ إِلى هذهِ الدَّرَجَة العِلَاجُ بِإِذْنِ اللهِ هُوَ تَخْلِيْصُ القَلْبِ مِنْ أَسْرَارِهَا وَتَعَلُقِهِ بَهَا وَذَلِكَ بِأَنْ يَجْعَلَ زَوَالَ الدُّنْيَا نُصْبَ عَيْنَيْهِ وَيَتيَقَّنَ لِقَاءَ الآخِرَةِ وَبَقاءَهَا وَما فِيْهَا مِنْ النَّعِيْمِ المُقِيْمِ.

وَيَتَدَبَّرَ الآيَاتِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيْدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيْهَا مَا نَشَاءُ لمنْ نُرِيْدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوْماً مَدْحُوْرَا وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَها وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَشْكُوْرَا﴾.

وَقَوْلِهِ تَعَالى ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيْلٌ والآخِرَةُ خَيْرٌ لمن اتَّقَى﴾، وَقَوْلِهِ ﴿فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنيَا في الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيْلٌ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ في حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ في الآخِرَةِ مِنْ نَصِيْبٍ﴾.

وَقَوْلِهِ ﴿إِنَّ الذِيْنَ لا يَرْجُوْنَ لِقَاءَنَا وَرَضُوْا بالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنْوا بِهَا وَالذِيْنَ هُمْ عَن آيَاتِنَا غَافِلُونَ أولئكَ مَأْوَاهُمْ النَّارُ﴾ الآيَةُ، وَيَتَدبَّرُ الاحَادِيْثَ مِثْل قَوْلِهِ ﷺ لِابْنِ عُمَرَ «كُنْ في الدُّنْيَا غَرِيْبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيْلٍ» الحَدِيْثُ، وَقَوْلُهُ «مَا لِي وَلِلدُّنيَا» وَنَحْو ذَلِكَ مِنْ الآيَاتِ وَالأَحَادِيْثِ التِيْ مَرَّتْ سَابِقاً حَوْلَ أَمْثِلَةِ الدُّنْيَا.

وَيُقَارِنُ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ فإن كان ذَا عَقْلٍ رَاجِحٍ آثَرَ الآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَأَيْضاً لَا بُدَّ مِنْ قَطْعِ التَّسْوِيْفِ وَطُوْلِ الأَمَلِ حَتَّى يُحِسَّ أَنَّهُ فِي غُرْبَةٍ وَأَنَّهُ مُسَافِرٌ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ وَأَنَّهُ سَيَرْحَلُ عَنْهَا فِيْ أَيَّةِ سَاعَةٍ رَغْمَ أَنْفِهِ شَاءَ أَمْ أَبى.

شِعْرَا: وَكُلُّ حَيٍّ وإن طَالَتَ سَلَامَتُهُ — يوماً على آلةٍ حَدْبَاء مَحْمُوْل

آخر: وكلُ حَي وانْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ — يوماً لَهُ مِن دَوَاعِي الموتِ تَثْوِيْبُ

وَإِنْ وَسْوَسَ لَهُ الشَّيْطَانُ وَأَلْقَى في رَوْعِهِ أَنَّكَ شَابٌّ قَوِيٌّ مَوْفُوْرَ الصِّحَّةِ مَشْدُوْدٌ أَسْرُكَ وَفي إِمْكَانِكَ الرُّجُوعُ إلى الطَّاعَةِ وَالإقْبَالِ إِلَى الآخِرَةِ فَلْيَطْرُدْ وَسَاوِسَهُ باسْتِحْضَارِ الذِيْنَ رَحَلُوا شُبَّاناً وَكُهُوْلاً وَهُمْ الآنَ تَحْتَ الثَّرَىٰ.

شِعْرَا: يُعَمَّرِ وَاحِدٌ فَيَغُرُ ألفاً — ويُنْسَى مَن يَموتُ مِن الشَّبَابِ

آخر: لا تَغْتَرِرْ بِشَبَابٍ نَاعِمٍ خَضِلٍ — فكم تَقَدَّم قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَّانُ

وَيَخْرُجُ إلى المَقَابِرَ وَيَتفكَّرُ فِيْمَنْ جَمَعُوا الأَمْوَالَ وَقَتَلُوا أَوْقَاتَهُمْ في طَلَبِهَا وَاتَعْبَوُا أَبْدَانهُم وَأَنَّهُم سَيُحَاسَبُون عَلَيْهَا، وَيُفَكِّرُ فِيْمَنْ تَعُودُ عَلَيهم بَعْدَهُ رُبَّمَا أَنَّهُمَ لَا يَذْكُرُوْنَهُ بِخَيْرٍ وَيَتَمَنَّونَ مَوْتَهُ فلِمَاذَا يُحْرِقُ نَفْسَه في جَمْعِهَا لهم.

شِعْرَا: وَقَدْ يُوْرِثُ المَالَ البَعِيدَ مُظَلَّلٌ — مِن الناس يأبَى وَضْعَه في القَرائِب

آخر: فما تَزَوَّدَ مَمَّا كان يجْمَعُه — سِوَى حَنُوطٍ غَدَاةَ البَيْنِ في خِرَقِ

وَغَيْرَ نَفْخَةِ أَعْوادٍ تُشَبُّ لَهُ — وقَلَّ ذَلِكَ مِن زَادٍ لِمنْطَلِقِ

آخر: شَقِيتُ بِمَا جَمَعْتُ فَلَيْتَ شِعْري — وَرَائِي مَن يَكون بِهِ سَعِيدَا؟!

أُعَايِنُ حَسْرَةً؛ أَهْلِي وَمالِي — إذا ما النَّفْسُ جَاوَزَتِ الوَرِيدَا

أُعِدُّ الزَّادَ مِنْ تَقوى فَإِنِّي — رأيتُ مَنِيَّتي السَّفَرَ البَعِيدَا

تَبَدَّل صَاحِبي في اللَّحدِ مِنِّي — وهالَ على مَناكِبي الصَّعِيْدَا

فَلَو أَبْصرتَنِي مِن بَعْدِ عشرٍ — رأَيْتَ مَحَاسِنِي قَدْ صِرْنَ دُودَا

وَحِيداً مُفرداً يارَبِّ [لُطفاً] — بعَبْدِكَ حِيْنَ ما يُتْرِكُ وَحِيدَا

فَإِذَا قَصرَّ أَمَلَهُ في الحَيَاةِ انْبَعَثَ إِلَى التَّجَهّز للآخِرَةِ بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ إِذْ لَا يَدْرِي مَتى يُنَادَى عَلَيه بالرَّحِيْلُ فَإِذَا تَخَلَّصَ مِنْ التَّعلُّقِ بالدُّنْيَا وَأَفْرَغ ما في قَلبِهِ مِن سُمُومِهَا وَأَقْبَلَ عَلى الآخِرَةِ أَحسَّ بغُرْبَةٍ شَدِيْدَةٍ في الدُّنْيَا ولكنْ مَعَ خِفَّةٍ في رُوحِهِ وإِقْبَالٍ شَدِيْدٍ عَلى مَرَاضِي اللهِ وَعَلى رَأْسِهَا الدَّعوَةُ إِليهِ وهِدَايَةِ الحَيَارَى مِنْ عِبَاد اللهِ.

لَا يَعُوقُه عَنْ ذَلِكَ عَائِقٌ مِنْ تَعَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَفَرٍ وَلَا سَهَرٍ وَلَا بَذْلٍ وَلا تَضْحِيَةٍ لِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ الزّادِ المُؤَكَّدِ نَفَعُهُ وَفَائِدتُهُ في سَفَرِهِ الطَّوِيلِ البَعِيْدِ إلى الآخِرَةِ بَلْ إِنَّهُ سَيَعْقُبُ تَعَبَهُ رَاحَةٌ وَأَلَمَهُ لَذَّة وفي بَذْلِهِ رِبْحاً وفي تَضْحِيَتِهِ عِوَضاً مَضْمُوْنا.

وَفي وَصيَّةِ الإِمَامِ عَليّ بن أَبي طَالِب لابْنِهِ الحَسَنِ أَحْيِ قَلْبَكَ بالمَوْعِظَةِ وَأَمِتْهُ بالزّهَادَة وَقوِّه باليَقِينِ وَنوِّرهُ بالحِكمَةِ وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ المَوْتِ وَقَرِّرْهُ بالفَنَاءِ وَبَصرّْهُ بفَجَائِعِ الدُّنْيَا وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدّهرِ وَفُحْشِ تَقلُّبِ الليـالي وَالأَيَّامِ وَاعْرِضْ عَليهِ أَخْبَارَ الماضِيْنَ وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِن الأَولِيْنَ وَسِرْ في دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِم وَانْظُرْ فِيْمَا فَعَلُوا وعمَّا انْتَقلُوا وَأَينَ حَلّوا وَنزلُوا فإِنَّكَ تَجِدْهُمْ قَدْ انتقِلُوا عَنْ الأَحِبَّةِ وَحَلُّوا في دَارِ غُرْبَةٍ وَكَأَنّكَ عَنْ قَلِيْلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ ولا تبع آخِرَتِكَ بدُنْياكَ إلى أَنْ قالَ – يَا بُنَيَّ ، أَكْثِرْ مِن ذِكْرِ المَوْتِ وَذِكْرِ مَا تَهْجمُ عَليه وَتُفْضِي بَعْدَ الموتِ إِلَيهِ حَتَّى يَأْتِيكَ وقَدْ أَخَذْتَ وشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ وَلا يَأْتِيْكَ بَغْتَة فَيَبْهُرَكَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرى مِن إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِليها وتَكَالُبُهُم عَليهَا فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ عَنها وَنَعَتَتْ لكَ نَفْسَها وَتَكَشَفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيْهَا فَإِنَّ أَهْلَها كِلَابٌ عَاوِيَةٌ وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ يُهِرُّ بَعْضُهَا بَعْضَا أَيْ يَنْبَحُ بَعْضُهَا عَلى بَعْضٍ وَيَأْكُلُ عَزِيْزُهَا ذَلِيْلَها وَيَقْهَرَ كَبِيْرُهَا صَغِيْرَهَا نَعَمٌ مُعَقَّلة وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتَ عُقُوْلَهَا وَرَكِبَتْ مَجْهُوْلَهَا سُرُوْحُ عَاهَةٍ لَيْسَ رَاعٍ يُقِيْمُهَا وَلا مُقِيْمٌ يَسِيْسُهَا سَلَكَتْ بِهْم الدُّنْيَا طَرِيْقَ العَمَى وَأَخذَتْ

بأبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الهُدَى فَتَاهُوا في خَيَرَاتِهَا وَغَرِقُوا في نِعْمَتِهَا وَاتَّخَذُوْهَا رَبّاً فَلعِبَتْ بهم وَلَعِبُوا بِهَا وَنَسُوا مَا وَرَاءَها ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانَ مَطِيَّتُهُ الليلُ والنَّهَارُ فَإِنَّهُ يَسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً وَيَقْطَعُ المسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيْمَا .

شِعْرَا :

يا جامعَ المالِ إنَّ العُمَــر مُنْصَرِمٌ   فابْخَلْ بِمَالِكَ مَهْمَا شِئْتَ أَوْ فَجُدِ
ويـا عَزِيْـزاً يَخيـطُ العُـجْبُ ناظِـرُهُ   أُذْكُرْ هَوَانَكَ تَحْتَ التُربِ واتَّئِـدِ
قَالُـوْا تَرقَـى فُلانُ اليـومَ مَنْزِلــةً   فَقُــلْتُ يُنزِلُــهُ عنها لِقَــاءُ غَدِ
كَمْ وَاثِـقٍ باللَّيَالِــي مَدَّ رَاحَتَــهُ   إِلَـى المَـرَامِ فَنَـادَاهُ الحِمَــامُ قَدِ
وبـاسِطٍ يَدَهُ حُكْمــاً وَمَقْــدِرَةً   وَوَارِدُ الموتِ أَدْنَـى مِن فَمٍ لِيَــدِ
كَمْ غَيَّرَ الدَّهْرُ مِن دَار وَسَاكِنِهـا   لَا عَنْ عَمِيْدٍ ثَنَى بَطْشاً ولا عُمَدِ
زَالَ الـذي كَانَ لِلْعَلْيـا بِهِ سَنَـدٌ   وزَالَت الـدَّارُ بالعَلْيَــاءِ فالسَّنَــدِ
تَبـارَكَ اللهُ كَمْ تَلْقَـى مَصَائِدَهَــا   هَذِي النُجُوم على الدَانِينَ والبُعَـدِ
تَجري النُجُومُ بِتَقْرِيبِ الحِمَامِ لَنَا   وهُـنَّ مِن قُرْبِــهِ منها على أَمَــدِ
لا بُدَّ أَنْ يَغْـمِسَ المِقْـدَارُ مُدْيَتَـهُ   في لَبَّةِ الجَدْيِ منها أَوْ حَشَى الأَسَدِ
عَجِبْتُ مِن آمِلٍ طُولَ البَقَاءِ وَقَدْ   أَخْنَى عليه الذي أَخْنَـى على لُبَـدِ
يَجُرّ خَيْطُ الدُجَى والفَجْرِ أَنْفُسنَا   لِلتُّرْبِ ما لا يَجُرُّ الحَبْلُ مِن مَسَدِ
هَذِي عَجَائِبُ تُثْنِي النفسَ حَائِرَةً   وَتُقعِدُ العَقْلَ مِن عِيٍّ عَلَى ضَمَدِ
ما لِيْ أُسَرُّ بِيَــوْمٍ نِلْتُ لَذَتَــهُ   وَقَدْ ذَوَى مَعَهُ جُزْءٌ مِن الْجَسَدِ
لأَتْرَكَـنَّ فَرِيْـداً فِي التُـرابِ غَداً   وَلَوْ تَكَثَّرَ مَا بَيْـنَ الـوَرى عَدَدِي
ما نافِعِي سَعَةٌ فِي العَيْشِ أَوْ حَرَجٌ   إِنْ لم تَسعْنِيَ رُحْمَى الوَاحِدِ الصَّمَدِ

اللَّهُمَّ قَنِّعْنَا مِنْ الدُّنْيَا باليَسِيْر وَسَهِّلْ عَلَيْنَا كُلَّ أَمْرٍ عَسِيْرٍ وَوَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ إِنَّكَ عَلى كلِّ شيءٍ قَدِيْر وَأَسْكِنَّا دَار كَرَامَتِكَ يَا مَنْ هُوَ مَلْجَؤُنَا وَمَلَاذُنَا وإِلَيْهِ المصِيْرُ وَاجْعَلْ لَنَا مِن كُلِّ هَمّ فَرَجا وَمِن كُلِّ شِيْقٍ مَخْرَجَا ،

اللَّهُمَّ أَحْيِيْ قُلُوباً أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ، وَلا تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنَّوَالِ وَجَادَ بِالإِفْضَالِ، اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكَ، وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ، وَاغْفِرِ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« فَصْـلٌ »

وَمِمَّا وَرَدَ فِيْ فَضِيْلَةِ الرَّجَاءِ مِنْ الأَحَادِيثِ مَا فِي الصَّحِيْحَيْنِ عَنِ أَبِي سَعِيْدٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ رجُلاً قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِيْنَ نَفْساً، ثُمَّ نَدِمَ وَسَأَلَ عَابِداً مِن عُبّادِ بني إِسرائيلَ هَلْ لَهُ مِن تَوْبَةٍ فقالَ لا فقتَلَهُ وأَكْمَلَ بِهِ مِائةً، ثُمَّ سَأَلَ عَالِماً مِن عُلَمائِهِم هَلْ لَهُ مِنْ تَوبَةٍ فقالَ وَمَنْ يَحُولُ بيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ.

ثُمَّ أَمَرَهُ بالذَّهابِ إلى قَرْيَةٍ يَعْبُدُ اللهَ فِيْهَا فَقَصَدَهَا فَأَتَاهُ الموتُ في أَثْنَاءِ الطَّرِيْقِ فاخْتَصَمَتْ فيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وَمَلائِكَةُ العَذَابِ، فَأَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقِيْسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ، فَإِلى أَيِّهِمَا كانَ أَقْرَبَ فَهُوَ مِنْهَا فوَجَدُوهُ أَقْرَبَ إلى الأَرضِ التي هَاجَرَ إليها بشِبْرٍ فَقَبضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وَذُكِرَ أنه نأىَ بصَدْرِهِ عِنْدَ الموتِ، وأَنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعَالى أَمَرَ البَلدةَ الخَيِّرةَ أَنْ تَقْتَرِبَ وَأَمَرَ تلكَ البَلَدَ أَنْ تَتباعَدَ، هَذَا مَعْنَى الحَدِيْثِ.

وَعَنْ عُبَادَةَ بْن الصَّامِتِ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَال: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، وأَنَّ محمداً عبدُه ورسُولُه، وأَنَّ عِيْسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه وكَلِمَتُه أَلقَاهَا إلى مَرْيَمَ وَرُوْحٌ مِنْهُ، وأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، والنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلى مَا كَانَ مِنْ العَمَلِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَفِي رِوَايةٍ لمسْلِمٍ «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهَ، وأن محَمَّداً رَسُوْلُ اللهِ حَرَّمَ اللهُ عليهِ النَّارَ».

وَعَنْ أَبِيْ ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ «مَنْ جَاءَ بالحَسنَةِ فَلَهُ عشرُ أمْثَالِهَا، أَوْ أَزِيْدُ ومَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرْ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِني شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً، وَمَنْ أَتَانِيْ يَمْشِيْ أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، ومَن لَقِيَنِيْ بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيْئَةً لا يُشْرِكُ بِي شَيْئاً لَقِيْتُه بمِثْلِهَا مَغْفِرَةً» رَوَاهُ مُسْلِم.

وَعَنْ جَابرٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ أَعْرَبِيّ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فقالَ يَارسولَ اللهِ مَا المُوجِبَتَانِ، قَالَ: «مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنةَ، ومَنْ مَاتَ يُشْرِكُ به شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفي حَدِيْثِ مُعَاذٍ «مَا من عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهِ وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلَهُ صِدْقاً مِن قلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ على النَّارِ».

وَفي حَدِيثِ أبي هُرَيْرَة وأبي سَعْيدٍ أَنَّ النَّبي ﷺ قَالَ: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا الله وأَنِّي رَسُوْلُ اللهِ لا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍ فَيُحْجَبُ عَنْ الجَنَّةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفي حَدِيْثِ عِتْبَانَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلٰهَ إِلَّا الله يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ» مَتَّفقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ بسَبْيٍ فإذا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْي تَسْعَى إِذْ وَجَدَتْ صَبِيّاً في السَّبْي أَخذَتْه فَالْزَقَتْهُ بِبطْنِهَا فَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَرَوْنَ هَذِهِ المَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا في النَّارِ» قُلْنَا لا وَاللهِ، فَقَالَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «قَالَ اللهُ يَاابْنُ ادَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِيْ، غَفَرْتُ لَكَ عَلى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِيْ، يَاابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغْتَ ذُنُوبَكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرتَنِيْ غَفَرْتُ لَكَ، يَاابْنَ آدَمَ

إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خطَايَا، ثُمَّ لَقِيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً، لاتَيْتُكَ بقُرابِهَا مَغْفِرَةٍ» رَوَاهُ التِّرْمِذي.

وَعَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «انَّ الكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنْ الدُّنْيَا، وَأَمّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقاً فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ».

وَفِي رِوَايَةٍ «انَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ وَأَمَّا الكافِرُ فيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ لِلَّهِ تَعَالى في الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلى الآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةً يُجْرَى بهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي حَدِيْثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَنْتُم في أهْلِ الشِّرْك إلا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ في جِلْدِ الثَّوْرِ الاسْوَدِ أَوْ كالشَعْرَةِ السَّوْدَاءِ في جِلْدَ الثَّوْرِ الأحْمَرِ» مُتَّفقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي حَدِيْثِ ابن عَبَّاس قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «ما مِنْ رجلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فيَقُومُ على جِنَازَتِهِ أَرْبَعُوْنَ رَجُلًا لا يُشْرِكونَ باللهِ شَيْئاً إِلَّا شَفَّعَهُم اللهُ فيهِ» رَوَاهُ مُسْلِم.

وَفِي حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اذْهَبْ فَمنْ لقيْتَ وَرَاءَ هَذَا الحائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِناً بِهَا قَلبُهُ فَبَشِّرْهُ بالجَنّةِ» رَوَاهُ مُسْلِم.

وَعَنَ أَبِي مُوْسَى رَضْيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبيّ ﷺ قَالَ: «انَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بالّليلِ لِيَتُوْبَ مُسِيءُ النَّهارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوْبَ مُسيءُ الليلِ حَتَّى تَطْلَعُ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» رَوَاهُ مُسْلِم.

شِعْرًا: تَتَبَّعْ مَرَاضِي اللهِ وادْعُ والجِفَا   لَعَلَّكَ يَوْماً أَنْ تُجَاب فَتَسْعَدَا
وحَافِظْ على فِعْلِ الفُروضِ بِوَقْتِهَا   ولا تَتَوانَى عِنْدَمَا تَسْمَعُ النِّدَا

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ فَيَقُوْلُ أَتْعَرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ رَبِّي أَعْرِفُ، فَالَ فَإِنِّيْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ فَيُعْطَى صَحِيْفَةَ حَسَنَاتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَيَنْبَغِي لِمَنْ قَرُبَتْ مُفَارَقَتُهُ الدُّنْيَا أَنْ يَكُوْنَ عَلَى بَالِهِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ آيَاتِ الرَّجَاءِ وَأَحادِيْثِ الرَّجَاءِ وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

شِعْرًا: نَادَتْ بِوَشْكِ رَحِيْلِكَ الأَيَّامُ ... أَفَلَسْتَ تَسْمَعُ أَمْ بِكَ اسْتِصْمَامُ
ومَضَى أَمَامَكَ مَنْ رَأَيْتَ وأَنْتَ لِلْـ ... بَاقِيْنَ حتَّى يَلْحَقُوكَ إِمَامُ
مَا لِيْ أَرَاكَ كأَنَّ عَيْنَكَ لَا تَرَى ... عِبَراً تَمُرُّ كأَنَّهُنَّ سِهَامُ
تَأْتِي الخُطُوبُ وَأَنْتَ مُنْتَبِهٌ لَهَا ... فَإِذَا مَضَتْ فكأَنَّها أَحْلَام
قَدْ وَدَّعَتْكَ مِن الصِّبَا نَزَوَاتُهُ ... فاجْهَدْ فمَالَكَ بَعدَهُنَّ مَقَامُ
وأَرْضَ المشيْبَ مِن الشَّبَابَ خَلِيْفَةً ... فكِلَاهُمَا لَكَ خِلْفَةٌ ونِظَامُ
وكِلاهُما حُجَجٌ عَلَيْكَ قَوِيَّةٌ ... وكِلَاهُمَا نِعَمٌ عَلَيْكَ جِسَامُ
ولَقَدْ غَنِيْتَ مِن الشَّبَابِ بِغِبْطَةٍ ... ولَقَدْ كَسَاكَ وَقَارُهُ الإِسْلَامُ
أَهْلًا وسَهْلًا بالمشِيْبِ مُؤَدِباً ... وعلَى الشَّبَابِ تَحِيَّةٌ وسَلَام
ما زُخْرُفُ الدُّنْيَا وزُبْرُجُ أَهْلِهَا ... إِلا غُرُوْرٌ كُلُّهُ وحُطَامُ
ولَرُبَّ ذِي فُرُشٍ مُمَهَّدَةٍ لَهُ ... أَمْسَى عليهِ مِن التُرابِ رُكَامُ
وَلَكَمْ رَأَيْتُ مَحَلَّةً أَقْوتْ وَكَمْ ... جَدَثٌ رأَيْتُ تَلُوحُ فِيه عِظَامُ
والموتُ يَعْمَلُ والعُيونُ قَرِيْرَةٌ ... تَلْهُو وتَعْبَثُ بالمُنَى وتَنَامُ
فالحمدُ للَّهِ الذي هُوَ دَائِمٌ ... أَبَداً وليسَ لِمَا سِوَاهُ دَوَامُ
والحمدُ للَّهِ الذي لِجلالِهِ ... وَلِحِلْمِهِ تَتَصَاغَرُ الأَحْلَامُ
والحمدُ للَّهِ الذي هو لَمْ يَزَلْ ... لا تَسْتَقِلُ بِعِلْمِهِ الأَوْهَامُ
سُبحانَهُ مَلِكٌ تعالَى جَدُّهُ ... ولِوَجْهِهِ الإِجْلَالُ والإِكْرَامُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأبْرارِ وأسْكِنَّا مَعَهمُ في دارِ القرارَ، اللَّهُمَّ وفِّقْنَا بِحُسْنِ الإقبالِ عَليك والإصْغَارِ إليك ووَفّقنْا لِلتّعاوُنِ في طَاعَتِكَ والمُبَادَرَةِ إى خِدْمَتكَ وحُسْن الآداب في مُعَامَلَتِكَ والتّسليم لِأمْرك والرِّضا بِقَضَائِكَ والصَّبْرَ عَلى بَلائِكَ والشّكرِ لِنَعْمَائِكَ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: إذَا فَهِمْتَ مَا تَقَدَّمَ، فَاعْلَمْ أَنَّ العَبْدَ الْمُؤْمِنَ لَا بُدَّ انْ يَجْمَعَ بَيْنَ الرَّجَاءِ والخوفِ، وَهَذا الطَّرِيْقُ هُوَ طَرِيْقُ الاعْتِدَالِ، لانَّهُ إِنْ غَلَبَ عَلَيْكَ الرَّجاءُ حَتَّى فَقَدْتَ الخَوْفَ البَتَّةَ وَقعْتَ في طَرِيْقِ الأمْنِ مِنْ مَكْرَ اللهِ، وَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الخَاسِرُوْنَ.

وَانْ غَلَبَ عَلَيْكَ الخَوْفُ حَتَّى فَقَدْتَ رَجَاءَ اللهِ وَقَعْتَ في طَرِيْقِ اليَأْس، وَلا يَيْأَسُ مِن رَوْح اللهِ إِلَّا القَوْمُ الكَافِرُوْنَ، وَلا يَقْنَطُ مِن رَحْمَةِ ربِّه إِلَّا الضَّالّون، وَإِنْ جَمَعْتَ بَيْنَ الخَوْفِ والرَّجاءِ فَهُو طَرِيْقُ أَوْلِيَآءِ الله وَأَصْفِيَآئِهِ.

قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ: وَجُمْلَةُ الأمْرِ أَنَّكَ إِذَا تَذَكَّرتَ سَعَةَ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالى التي سَبَقَتْ غَضَبَهُ وَوَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ ثُمَّ أَنْ كُنْتَ مِنْ هَذِه الأمةِ المَرْحُوْمَةِ الكَرِيْمَةِ على اللهِ تَعَالَى ثُمَّ غَايَةَ فَضْلِهِ العَظِيْم وَكَمالَ جُوْدِهِ الكَرِيمِ وَجَعْلَ عُنْوَانِ كِتَابِهِ إِلَيْكَ بسْم اللهِ الرَّحمن الرحيم ثُمَّ كَثْرَةَ أَيَادِيْه إِلَيْكَ وَنِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً مِن غَيْرِ شَفِيْعٍ أَوْ قِدَمِ سَابِقَةٍ لَكَ.

شِعْرَا: يارَبِّ إِنَّ ذُنُوبِي قَدْ أَحَطْتَ بها — عِلماً وبِي وبإعلاني وإسْرَارِي
أنا الموحِّدُ لكِنِّي المُقِرُّ بها — فَهَبْ ذُنُوبي لِتَوحِيدِي وإقْرَارِي

آخر: أَيا رَبِّ قَدْ أَحْسَنْتَ عَوْداً وبَدْأَةً — إليَّ فلم يَنْهَضْ بإحْسَانِكَ الشُكْرُ
فَمَنْ كانَ ذَا عُذْرٍ لَدَيْكَ وحُجَّةٍ — فَعُذرِي إِقْرَارِي بأنْ لَيْسَ لي عُذْرُ

وَتَذَكَّرْتَ مِن جَانِبٍ آخَرَ كَمَالَ جَلَالِهِ تَوعَظَمَتِه وَعِظَمَ سُلْطَانِهِ وَهَيْبَتِهِ

ثُمَّ شِدَّةَ غَضَبِهِ الذي لَا تَقُوْمُ لَهُ السَّمَواتُ والأَرْضُ، ثُمَّ غَايَةَ غَفلَتِكَ وَكَثْرَة ذُنُوْبِكَ وَجَفْوتِكَ مَعَ دِقَّةِ أَمْرِهِ، وَخَطَرِ مُعَامَلَتِه في إِحَاطَةِ عِلْمِهِ وَبَصَرِهِ بالعُيُوْبِ وَالغُيُوْبِ، ثُم حُسْنَ وَعْدِه وَثَوَابِهِ الذي لا يَبْلُغُ كُنْهَهُ الأَوْهَامُ وَشِدَّةَ وَعِيْدِه وَأَلِيْمَ عِقَابِهِ الذي لا يَحْتَمِلُ ذِكْرَهُ القُلُوْبُ.

تَارَةً تَنْظُرُ إلى عَذَابِهِ وَتَارَةً تَنْظُرُ إلى رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَتَارَةً تَنْظُرُ إلى نَفْسِكَ في جَفَوَاتِهَا وَجِنَايَاتِها فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ أَدَّى بِكَ جَمِيْعُ ذَلِكَ إِلى الخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَكُنْتَ قَدْ سَلَكْتَ سَبِيْلَ الشَّارِعِ القصْدَ وَعَدَلْتَ مِنْ الجَانِبَيْـنِ المُهْلِكَيْنِ، الأَمْنُ وَاليأسِ وَلا تَتِيْهُ فِيْهِما مَعَ التَّائِهِيْنَ، وَلَا تَهْلَكُ مَعَ الهَالِكِيْنَ وَشَرِبْتَ الشَّرَابَ المَمْزُوْجَ العَدْلَ فلَا تَهْلَكْ بِبُرُوْدَةِ الرَّجَاءِ الصِّرْفِ، وَلا بِحَرَارَةِ الخَوْفِ الصِّرْفِ.

وَكَأَنِّيْ بِكَ قَدْ وَصَلْتَ إلى المَقْصُوْدِ غانِماً وَشُفِيْتَ مِن العِلَّتَيْنِ سَالِماً وَوَجَدْتَ النَّفْسَ قَدْ انْبَعَثَتْ لِلطَّاعَةِ وَدَانَتْ في الخِدْمَةِ لَيْلًا وَنَهاراً مِنْ غَيْرِ فَتْرَةٍ وَلا غَفْلَةٍ، وَاجْتَنَبْتَ المَعْاصِيْ وَالمَخازِيْ وَهَجَرْنَهَا وَصِرْتَ حِيْنَئِذٍ مِنْ الأَصْفِيَاءِ الخَوَاصِّ العَابِدِيْنَ، الذِيْنَ وَصَفَهُمْ اللهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ «إِنَّهُم كَانُوا يُسَارِعُوْنَ في الخَيْرَاتِ وَيَدْعُوْنَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِيْنَ».

وَاللهُ سُبْحَانَهُ المَسْئُولُ أَنْ يُمِدَّكَ وَإِيَّانَا بحُسْنِ تَوْفِيْقِهِ وَتَسْدِيْدِه إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ وَأَجْوَدُ الأَجْوَدِيْنَ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيْمِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلك التَّوبَةَ وَدَوامَها، وَنَعُوذُ بِكَ مِن المَعْصِيَةِ وأَسْبَابها، اللَّهُـمَّ أَفِضِ علَيْنا مِن بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِكَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيا على السَّلَامَةِ مِن وَبَالِها وَارْأَفْ بنَا رَأْفَةَ الحَبِيْبِ بِحَبِيْبِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَنُزُولِها، وارْحَمْنا مِن هُمُومِ الدُّنْيا وَغُمومِها بالرَّوْحِ والرَّيْحانِ إلى الجنةِ وَنَعِيْمِها، وَمَتِّعْنا بالنَّظَرِ إلى وَجْهِكَ الكريمِ في جَنَّاتِ النَّعِيْمِ مَعَ الذين أَنْعَمْتَ عليهم من النبيين والصِّدِّيقِيـنَ والشُّهَـدَاءِ

والصّالِحِين ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: قَال ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ القَلْبُ فِي سَيْرِهِ إِلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ، فالمحَبَّةُ رَأْسُهُ وَالخَوفُ والرَّجَاءُ جَنَاحَاهُ فَمَتى سَلِمَ الرَّأسُ وَالجَنَاحَانِ فَالطَّائِرُ جَيِّدُ الطَّيَران وَمَتى قُطِعَ الرَّأْسُ مَاتَ الطَّائِرُ وَمَتَى فَقَدَ الجَنَاحَانِ فَهُوَ عُرْضَةٌ لِكُلِّ صَائِدٍ وَكَاسِرٍ.

وَقِيْلَ أَكْمَلُ الأَحْوَالِ الاعْتِدَالُ.. أهـ. قَالَ اللهُ تَعَالَى مُخْبِراً عَنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُوْنَ فِي الخَيْراتِ وَيَدْعُوْنَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِيْنَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى ﴿يَدْعُوْنَ رَبَّهُم خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنْفِقُون فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُوْنَ﴾.

وَقِيْلَ إِنْ كَانَ الغَالِبُ عَلى القَلْبِ الأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ فَالخَوْفُ أفضَلُ وَكَذَا انْ كَانَ الغَالِبُ على العَبْدِ المعْصِيَةِ، وَإِنْ كَانَ الغَالِبُ عَلَيْهِ اليَأْسُ وَالقُنُوْطُ فَالرَّجَاءُ أَفْضَلُ.

وَالذِيْ تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ النَّفْسُ سُلُوكُ الاعْتِدَالِ إِلَّا عِنْدَ فِرَاقِ الدُّنْيَا فَيَغَلِّبُ جَانِبَ الرَّجَاءِ.

لِمَا وَرَدَ عَنْ جَابِرٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيّ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ ﴿لا يَمُوْتَنَّ أَحَدُكُم إِلَّا وَهُوَ يُحَسِّنُ الظَّنَّ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾ رَوَاهُ مُسْلِم.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِيْ بِيْ وَأَنَا مَعَهْ حَيْثُ ذَكَرَنِيْ﴾ الحَدِيْثُ رَوَاُه البُخَارِيّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَة وَقَدْ رُئِيَ بَعْضُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِ فَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ فانشَدَ:

شِعْرًا: نُقِلْتُ إِلى رِمْسِ القُبُوْرِ وَضِيْقِهَا   وَخوفَي ذُنُوبِي أَنَّهَا بِي تَعْثُرُ

فَصَادَفْتُ رَحْمَاناً رَؤُفاً وَأَنْعُماً حَبَانِي بِهَا سَقْياً لِمَا كُنْتُ أَحْذَرُ
وَمَن كَانَ حُسْنُ الظَّنِّ فِي حَالِ مَوْتِهِ جَمِيْلًا بعِفْوِ اللهِ فَالعَفْوُ أَجْدَرُ

آخر: رَجَوْتُكَ يَارَحمٰنُ إِنَّكَ خَيْرُ مَنْ رَجَاهُ لِغُفْرَانِ الجَرَائِم مُرْتَجِي
فَرَحْمَتُكَ العُظْمَى التِيْ لَيْسَ بَابُهَا وَحَشَاكَ فِيْ وَجْهِ المُسِيءِ بِمُرْتَج

آخر: يَامَنْ إِلَيْهِ جَمِيْعُ الخَلْقِ يَبْتَهِلُوا وَكُلُّ حَيّ عَلى رُحْمَاهُ يَتَّكِلُ
يَا مَنْ نَأَى فَرَأَى مَا فِي القلوبُ ومَا تَحْتَ الثَّرَى وَحِجَابُ اللَّيْلِ مُنْسَدِلُ
يَا مَنْ دَنَا فَنَأَى عَنْ أَنْ يُحِيْطَ بِهِ الْـ أَفْكَارُ طُرّاً أَوْ الأَوْهَامُ وَالعِلَلُ
أَنْتَ المَلَاذُ إِذَا مَا أَزْمَةٌ شَمِلَتْ وَأَنْتَ مَلْجأُ مَنْ ضَاقَتْ بِهِ الحِيَلُ
أَنْتَ المُنَادَى بِهِ فِي كُلِّ حَادِيَةٍ أَنْتَ الإِلٰهُ وَأَنْتَ الذُّخْرُ وَالأَمَلُ
أَنْتَ الغِيَاثُ لِمَنْ سُدَّتْ مَذَاهِبُهُ أَنْت الدَّلِيْلُ لِمَنْ ضَلَّتْ بِهِ السُّبُلُ
إِنَّا قَصَدْنَاكَ وَالآمَالُ وَاقِعَةٌ عَلَيْكَ والكُلُّ مَلْهُوْفٌ وَمُبْتَهِلُ
فَإِنْ غَفَرْتَ فَعَنْ طَوْلٍ وَعَنْ كَرَمٍ وَانْ سَطَوْتَ فَأَنْتَ الحَاكِمُ الْعَدِلُ

وَأَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيْحِه وَالبَيْهَقِيّ عَنْ حَيَّانِ أَبِي النَّضرْ قالَ خَرَجْتُ عَائِداً لِيَزِيْدَ بنِ الأَسْوَدِ، فلقِيتُ وَاثِلَة بْنَ الاسْقَعِ وَهُوَ يُرِيْدُ عِيَادَتَهُ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى وَاثِلة بسَطَ يَدَهَ وَجَعَلَ يُشِيْرُ إِلَيْهِ، فَأَقْبَلَ وَاثِلةُ حَتَّى جَلَسَ فَأَخَذَ يَزِيْدُ بِكَفَّيْ وَاثِلَةَ فَجَعَلَهُما عَلى وَجْهِهِ، فقَالَ لَهُ وَاثِلَةُ كَيْفَ ظَنُّكَ باللهِ قَالَ ظَنِّي بِاللهِ حَسَنٌ. قَالَ فَأَبْشِرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِيْ بِي، إِنْ ظَنَّ خَيْراً فَلَهُ، وَانْ ظَنَّ شَرّاً فَلَهُ».

وَرَوَى الطَّبَرانِي عَنْ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ وَالذِيْ لَا إِلٰهَ غَيْرُهُ لايُحَسِّنُ عَبْدٌ باللهِ الظَّنَّ إلا أعْطَاهُ ظَنَّهُ، وَذَلِكَ بِأَنَّ الخَيْرَ فِي يَدِهِ.

وَرَوَى البَيْهَقِيّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضْيِ اللهُ عَنْهُ مَرْفُوْعَاً «أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ إِلى النّار فَلَمّا وَقَفَ على شَفَتِهَا الْتَفَتَ فَقَالَ أَمَا وَاللهِ يَارَبِّ انْ كَانَ ظَنِّي

بِكَ لَحَسَنٌ فقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رُدُّوْهُ أنَا عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِيْ بِيْ» .

وَلَمَّا حَضَرَتْ الإِمَامَ أَحْمَدَ الوَفَاةُ قَالَ لِوَلَدِهِ عِبْدِ اللهِ أُذْكُرْ لِيْ أحَادِيْثَ الرَّجَاءِ، وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ يُوَبِّخُ نَفْسَهُ :

شِعْرَا : أَرَانِيْ إِذَا حَدَّثْتُ نَفْسِيْ بِتَوْبَةٍ ... تَعَرَّضَ لِيْ مِنْ دُوْنِ ذَلِكَ عَائِقُ
تَقَضَّتْ حَيَاتِيْ فِي اشْتِغَالٍ وَغَفْلَةٍ ... وَأَعْمَالِ سُوْءٍ كُلُّهَا لَا تُوَافِقُ
طُرِدْتُ وَغَيْرِيْ بالصَّلاحِ مُقَرَّبٌ ... وَدُوْنَ بُلُوْغِيْ مَسْلَكٌ مُتَضَايِقُ
وَكَيْفَ وَزَلَّاتُ المُسِيْءِ كَثِيْرَةٌ ... أَيَقْرُبُ عَبْدٌ عَنْ مَوَالِيْهِ آبِقُ
إلى اللهِ أَشْكُو قَلْبَ سُوْءٍ قَدْ احْتَوى ... عَلَيْهِ الهَوَى وَاسْتَأْصَلَتْهُ العَلائِقُ
وَلِيْ حَزَنٌ يَزْدَادُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ... وَدَمْعُ جُفُونِيْ لِلْبُكَاءِ يُسَابِقُ
فَإِنْ يَغْفِرْ المَوْلَى الذي قَدْ أَتَيْتُه ... فَذَاكَ الرَّجَا وَالظَّنُّ حِيْناً يُوَافِقُ
«عَلَامةُ ما يُولِيْ مِن الفَضْلِ إنْ أَنَا ... هَجَرْتُ الدُنَا أَوْ قُلْتُ إِنَّكَ طَالِقُ»
«وَأَقْبَلْتُ فِي تَصْلِيْحِ أُخْرَايَ مُدْلِجاً ... أُحَاسِبُ نَفْسِيْ كُلَّ مَا ذَرَّ شَارِقُ»

«فَصْــلٌ»

قَال ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ وَلَا رَيْبَ أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ باللهِ إِنَّمَا يَكُوْنُ مَعَ الإِحْسَانِ فَإِنَّ المُحْسِنَ حَسَنُ الظَّنِّ بِرَبِّه أَنه يُجَازِيْهِ على إِحْسَانِه ولا يُخْلِفُ وَعْدَه وَيَقْبَلُ تَوْبَتَه وَأَمَّا المُسِيءُ المُصِرُّ على الكَبَائِرِ والظُّلْم وَالمُخَالَفَاتِ فَإِنَّ المَعَاصِي وَالظُّلْمِ وَالحَرَامِ تَمْنَعُه مِن حُسْنِ الظَّنِّ بِرَبِّهِ وَهَذا مَوْجُودٌ في الشَّاهِدِ فَإِنَّ العَبْدَ الآبِقَ المُسِيءَ الخَارِجَ عن طَاعَةِ سَيِّدِه لايُحَسِّنُ الظنَّ بِهِ، وَلَا يُجَامِعُ وَحْشَةَ الإِسَاءَةِ إِحْسَانُ الظَّنِّ أَبَداً، فَأَنَّ المُسِيءَ مُسْتَوْحِشٌ بَقَدْرِ إِسَاءَتِه، وَأَحْسَنُ النَّاسِ ظَنّاً بِرَبِّه أَطْوَعُهم لَهُ، كَمَا قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ : إِنَّ المؤمِن أحْسَنَ الظنَّ بِرَبِّهِ فَأَحْسَنَ العَمَل، وَإِنَّ الفَاجِرَ أَسَاءَ الظَّنِّ بَرَبِّهِ فَأَسَاءَ العَمَلَ .

وَكَيْفَ يَكُوْنُ مُحْسِنُ الظَّنِّ بِرَبِّهِ مَنْ هُوَ شَارِدٌ عَنْهُ، حَالٌّ مُرْتَحِلٌ فِي مَسَاخِطِه وَمَا يُغْضِبهُ، مُتَعَرِّضٌ لِلَعْنَتِهِ، قَدْ هَانَ حَقُّهُ وَأَمْرُهُ عَلَيْهِ فَأَضَاعَهُ، وَهَانَ نَهْيُهُ عَلَيْهِ فَارْتكَبَه وَأَصَرَّ عَلَيْهِ وَكَيْفَ يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ مَنْ بَارَزَهُ بِالمُحَارَبَةِ، وَعَادَى أَوْلِيَآءَهُ، وَوَالَى أَعْدَاءَهُ، وَجَحَدَ صِفَاتٍ لَهُ وَأَسَاءَ الظَّنَّ بِمَا وَصَفَ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ به رَسُولُه ﷺ وَظَنَّ بِجَهْلِهِ أَنَّ ظَاهِرَ ذَلِكَ ضَلالٌ وَكُفْرٌ.

وَكَيْفَ يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِمَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ لا يَتَكَلَّمُ وَلا يَأْمُرُ وَلا يَنْهَى وَلا يَرْضَى وَلا يَغْضَبُ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي حَقِّ مَنْ شَكَّ فِي تَعَلُّقِ سَمْعِهِ بِبَعْضِ الجُزْئِيَّاتِ، وَهُوَ السِّرُّ مِنْ القَوْلِ «٤١ : ٢٣» ﴿وَذلكم ظَنُّكُمُ الذِيْ ظَنَنتُم بِرَبِّكُم أَرْدَاكُم فَأَصْبَحْتُم مِنْ الخَاسِرِيْنَ﴾.

فهؤُلآءِ لما ظَنُّوْا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لا يَعْلَمُ كَثِيْراً مِمَّا يَعْمَلُوْنَ كَانَ هَذا إِسَاءَةً لِظَنِّهِمْ بِرَبِّهِم، فَأَرْدَاهُم ذَلِكَ الظنُّ. وَهَذا شَأْنُ كُلِّ مَنْ جَحَدَ صِفاتِ كَمَالِه وَنُعُوتَ جَلالِه، وَوَصَفَهُ بِمَا لا يَلِيْقُ بِهِ، إذا ظَنَّ هَذَا أَنَّهُ يُدْخِلُهُ الجَنَّةَ كَانَ هَذَا غُرُوراً وَخِدَاعاً مِنْ نِفْسِه، وَتَسْوِيْلاً مِنْ الشَّيْطَانِ، لا إِحْسَانُ ظَنٍّ بِرَبِّهِ.

فَتَأَمَّلْ هَذَا المَوْضِعَ، وَتَأَمَّلْ شِدَّةَ الحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ فِي قَلْبِ العَبْدِ تَيَقُّنُهُ بِأَنَّهُ مُلاقٍ اللهِ، وَأَنَّ اللهَ يَسْمَعُ كلامَهُ وَيَرى مَكانَهُ، وَيَعْلَمُ سِرَّهُ وَعَلانِيَتَهُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَنَّهُ مَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدِيْهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ كُلِّ مَا عَمِلَ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلى مَسَاخِطَهِ مُضَيِّعٌ لِأَوَامِرِهِ، مُعَطِّلٌ لِحُقُوقِهِ، وَهُوَ مَعَ هَذا يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِهِ.

وَهَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ خُدَعِ النُّفُوسِ وَغُرُوْرِ الأَمَانِيْ، وَقَدْ قَالَ أَبُو سَهْلُ ابْنُ حُنَيْفٍ «دَخلْتُ أَنَا وَعُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ عَلى عَائِشَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهَا فَقَالَتْ: لَوْ رَأَيْتُمَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي مَرَضٍ لَهُ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ سِتَّةُ دَنانِيْرَ، أَوْ سَبْعَةُ دَنَانِيْرَ، فَأَمَرنِيْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ أَنْ أُفَرِّقَهَا، فَشَغَلَنِي وَجَعُ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى عَافاهُ

اللهُ ثُمَّ سَألَنِيْ عَنْهَا فَقَالَ مَا فَعَلْتِ أَكُنْتِ فَرَّقْتِ السِّتَّةَ الدَّنَانِيْرَ ، فَقُلْتُ : لا وَاللهِ ، لَقَدْ كَانَ شَغَلَنِيْ وَجَعُكَ ، قَالَتْ : فَدَعَا بِهَا فَوَضَعَهَا في كَفِّهِ ، فقَالَ : مَا ظَنّ نبيّ اللهِ لَوْ لَقِيَ اللهَ وَهَذِه عِنْدَهُ » ، وفي لَفْظٍ : « مَا ظَنُّ مَحَمّدٍ بِرَبِّهِ لَوْ لَقِيَ اللهَ وَهَذِه عِنْدَه » .

فيَاللهِ مَا ظَنُّ أَصْحَابِ الكَبَائِرِ وَالظَّلَمَةِ باللهِ إِذَا لَقُوهُ وَمَظَالِمُ العِبَادِ عِنْدَهُم ، فإِنْ كَانَ يَنْفَعُهم قَوْلهُم : حَسَّنَّا ظُنُونَنَا بكَ إِنَّكَ لَمْ تُعَذبْ ظَالِماً وَلا فَاسِقاً ، فَلْيَصْنَعِ العَبْدُ مَا شَاءَ ، وَلْيَرْتَكِبْ كُلَّ مَا نَهَاهُ اللهُ عنه ، وَلْيُحَسِّنْ ظَنَّهُ باللهِ ، فإِنَّ النَّارَ لا تمَسُّهُ ، فسُبْحَانَ اللهِ ، مَا يَبْلُغُ الغُرورُ بالعَبْدِ ، وَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ لِقَومِه « ٣٧ : ٨٦ » ﴿أإفْكاً آلِهَةً دُوْنَ اللهِ تُرِيْدُوْنَ فَمَا ظَنكُم بِرَبِّ العَالَمِيْنَ﴾ أَيْ مَاظَنكُم بهِ أَنْ يَفْعَلَ بكم إِذَا لَقِيْتُمُوهُ وَقَدْ عَبَدْتُم غَيْرَهُ .

وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا المَوْضِعَ حَقَّ التَّأَمُّلِ عَلِمَ أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ باللهِ هُوَ حُسْنُ العَمَلِ نَفْسُهُ ، فإِنَّ العَبْدَ إِنَّمَا يَحْمِلُه عَلى حُسْنِ العَمَلِ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ أَنْ يُجَازِيْهِ عَلى أَعْمَالِهِ وَيُثِيْبَهُ عَلَيْهَا وَيَتَقَبّلَهَا مِنْهُ ، فالذِي حَمَلهُ على حُسْنِ العَمَلِ حُسْنُ الظَّنِّ ، فَكُلَّمَا حَسُنَ ظَنُّهُ بِرَبِّهِ حَسُن عَمَلُه .

وَإِلا فَحُسْنُ الظَّنِّ مَعَ اتِّبَاعِ الهَوَى عَجْزٌ ، كَمَا في التِّرْمِذِيّ وَالمُسْنَدِ من حَدِيْثِ شَدَّادِ ابنِ أَوْسٍ عن النبي ﷺ قال : « الكَيِّسُ من دَانَ نَفسَه وعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ ، والعَاجِزُ مَنِ أَتبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وتَمَّنى عَلى اللهِ الأَمَانِيْ » .

وَبالجُمْلَةِ فَحُسْنُ الظَّنِّ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ انْعِقَادِ أَسْبَابِ النَّجَاةِ وَأَمَّا مَعَ إِنْعِقَادِ أَسْبَابِ الهَلاكِ فَلا يَتَأَتَّى إِحْسَانُ الظَّنِّ .

فإِنْ قِيْلَ : بَلْ يَتَأَتَّى ذَلِكَ ، وَيَكُونُ مُسْتَنَدُ حُسْنِ الظَّنِّ على سَعَةِ مَغْفِرَةِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَعَفْوِهِ ، وَجُوْدِهِ ، وَأَنَّ رَحْمَتهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ ، وَأنهُ لا تَنْفَعُه العُقُوبَة ، وَلا يَضُرُّه العَفْوُ .

قِيْلَ: الأَمْرُ هكَذَا، وَاللهُ فَوْقَ ذَلِكَ وَأَجَلُّ وَأَكْرَمُ وَأَجْوَدُ وَأَرْحَمُ، وَلَكِنْ إِنَّمَا يَضَعُ ذَلِكَ فِي مَحَلِّهِ اللائِقِ بِهِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مَوْصُوفٌ بالحِكْمَةِ وَالعِزَّةِ وَالانْتِقَامِ وَشِدَّةِ البَطْشِ، وَعُقُوْبَةُ مَنْ يَسْتَحِقُّ العُقُوبَةَ، فلو كانَ مُعَوَّلُ حُسْنِ الظَنِّ عَلَى مُجَرَّدِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ لاشْتَرَكَ فِي ذَلِكَ البَرُّ وَالفاجِرُ، وَالمُؤْمِنُ وَالكافِرُ، وَوَلِيُّهُ وَعَدُوُّهُ.

فَمَا يَنْفَعُ المُجْرِمَ أَسْمَاؤُه وَصِفَاتُه وَقَدْ بَاءَ بِسَخَطِهِ وَغَضَبِهِ وَتَعَرَّضَ لِلَعْنَتِه، وَوَقَعَ فِي مَحَارِمِهِ وَانْتَهَكَ حُرُمَاتِه، بَلْ حُسْنُ الظَّنِّ يَنْفَعُ مَنْ تَابَ وَنَدِمَ وَأَقْلَعَ، وَبدَّلَ السَّيِّئَةَ بِالحَسَنَةِ، وَاسْتَقْبَلَ بَقِيَّةَ عُمْرِه بالخَيْرِ وَالطَّاعَةِ، ثُمَّ أَحْسَنَ الظَّنِّ بَعْدَها فَهَذا هُوَ حُسْنُ ظَنٍّ، وَالأَوَّلُ غُرُوْرٍ وَاللهُ المسْتَعَانُ.

يُفَرَّقُ بَيْنَ حُسْنِ الظَّنِّ باللهِ وَبَيْنَ الغُرُوْرِ بِهِ قَالَ اللهُ تَعَالَى «٢:٢١٨» ﴿انَّ الذِيْنَ آمَنُوا والذين هَاجَرُوا وجَاهَدُوا فِي سَبِيْلِ اللهِ أولئكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ﴾ فَجَعَلَ هَؤلآءِ أَهْلَ الرَّجَاءِ، لا البَطَّالِيْنَ وَالفَاسِقِيْنَ، وَقَالَ تَعَالَى «١٦:١١٩» ﴿ثم انَّ رَبَّكَ للذين هَاجَرُوا من بعد مَا فُتِنُوا ثم جَاهَدُوا وصَبَرُوا، إِنَّ رَبَّكَ من بَعْدِهَا لغَفُورٌ رَحِيْم﴾ فَأَخْبَر سُبْحَانَهُ أنه بَعْدَ هَذِه الأَشْيَاءِ غَفُورٌ رَحِيْمٌ لِمَنْ فَعَلها، فالعَالِمُ يَضَعُ الرَّجَاءَ مَوَاضِعَهُ، وَالجاهِلُ المغْتَرُّ يَضَعُهُ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهْ.

اللَّهُمَّ أحْيِنا فِي الدنيا مؤمنينَ طائعينَ وتوفَّنا مسلمينَ تائبينَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْلٌ فِي نَمَاذِجَ مِنْ أَخْلاقِ السَّلَفِ رَحِمهُم اللهُ»

مِنْ ذَلِكَ تَوْصِيَةُ بَعْضِهم بَعْضاً وَقبُولهم لَهَا وشُكْرُهُمْ لِلْواعِظِ لَهُم، وَمِنْ وَصِيَّةِ الإِمَامِ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِبٍ لابْنِهِ الحَسَن قَالَ فِيْهَا:

أَيْ بُنَيَّ .. إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِيْ قَدْ بَلَغْتُ سِناً، وَرَأَيْتُنِيْ أَزْدَادُ وهْناً، بَادَرْتُ بوَصِيَّتِيْ إِليكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قبلَ أَنْ يُعَجل بي أَجَلِيْ دُوْنَ أَنْ أُفْضِيَ إِليكَ بِمَا فِي نفسِي، وَأَنْ أَنْقُصَ فِي رَأيِي كَما نقصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِيْ إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فتكُونُ كَالصَّعْبِ النُّفُورِ.

وَإِنَّمَا قَلْبُ الحَدَثِ كَالأَرْضِ الخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيْهَا مِنْ شَيءٍ قَبِلَتْهُ، فَبَادَرْتُكَ بالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يقْسُوَ قَلْبُكَ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبِلَ بجدِّ رَأْيِكَ مِنَ الأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارُبَ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ، فَتكُونُ قَدْ كُفِيْتَ مؤُونَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيْتَ مِنْ عَلَاجِ التَّجْرُبَةِ، فَأَتَاكَ مِن ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيْهِ، وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ.

أَيْ بُنَيَّ .. إِنِّيْ وَانْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمْرَ مَنْ كَانَ قَبْلِيْ، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِم، وَفَكَّرْتُ فِي أَخبَارِهِم، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِم حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهم، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهي إِلَيَّ مِن أُمُورِهِم قَدْ عُمِّرتُ مَعَ أَوَّلِهِمِ إِلى آخِرِهِمْ، فَعَرفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدرِهِ، وَنَفْعه مِن ضَرَرِه.

فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيْلَهُ وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيْلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِن أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الوَالِدُ الشَّفِيْقُ، وَأَجْمَعْتُ عَليه مِنْ أَدبكَ أنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ العُمْرِ وَمُقْتَبِلِ الدَّهْرِ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيْمَةٍ وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ.

وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بتَعْلِيْمِ كِتَابِ اللهِ وَتَأْوِيْلِه، وَشَرَائِعِ الإِسْلَامِ وَأَحْكَامِه، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِه، لا أُجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إلى غَيْرِهِ، ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فيهِ مِن أَهْوَائِهِم وَآرَائِهِم مِثْلَ الذي التَبَسَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ احْكَامُ ذَلِكَ عَلى مَا كَرِهْتَ مِن تَنْبِيْهِكَ به الهَلكةَ، وَرَجَوْتُ أَنْ يَوَفِّقَكَ اللهُ فِيْهِ لِرُشْدِكَ، وأَنْ يَهْدِيكَ لِقَصْدِكَ، فَعهدت إِلَيْكَ وَصِيَّتِيْ هَذِهِ.

وَاعْلَمْ يَابُنَيَّ، إنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ به إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللهِ والاقْتصارِ عَلى مَا فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ، وَالأخْذِ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فإِنَّهُم لَمْ يَدَعُوا أنْ نَظَروا لأَنْفُسِهِم كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ.

وَفكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُم آخِرُ ذَلِكَ إلى الأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا، وَالإمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا، فَإِنْ أبَتْ نَفْسُكَ أنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا، فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعلُّمٍ، لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ وَعُلُوِّ الخُصُوْمَاتِ.

وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ بالاسْتِعَانَةِ بِإلَهِكَ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيْقِكَ، وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبْهَةٍ، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إلى ضَلالَةٍ، فَإِذَا أَيْقَنْتَ أنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعْ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمّاً وَاحِداً، فَانْظُرْ فِيْمَا فَسَّرْتُ لَكَ.

وَانْ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ، وَفَراغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ أَنّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ العَشْوَاءَ وَتَتَورَّطُ الظَّلْمَاءَ، وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّيْنِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ، وَالإمْسَاكُ عَن ذَلِكَ أَمْثَلُ.

فَتَفَهَّمْ يَابُنَيَّ وَصِيَتِيْ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الحَيَاةِ، وَأَنَّ الخَالِقَ هُوَ المُمِيْتُ، وَأَنَّ المُفْنِي هُوَ المعِيْدُ، وَأنَّ اللهَ هُوَ المعافِي، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إلا عَلى مَا جَعَلَهَا اللهُ عَليهِ مِنْ النَّعْمَاءِ والإبْتِلاءِ، وَالجَزَاءُ فِي المَعَادِ أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لا نَعْلَمُ.

فَإنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلى جَهَالَتِكَ بِهِ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ جَاهِلا ثُمَّ عَلِمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ من الأَمْرِ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيْهِ بَصَرُكَ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاعْتَصِمْ بالذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنَبِّىءْ عَنْ اللهِ كَما أَنْبأَ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ فَارْضَ بِهِ رَائِداً، وَإِلى النَّجَاةِ قَائِداً، فإنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيْحَةً وَانَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ – وَانْ اجْتَهَدْتَ – مَبْلَغَ نَظَرِيْ لَكْ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أنه لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرْيكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُهِ، وَلَرَأَيْتَ آثارَ مُلكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أفعالَهُ وصِفَاتَهُ، وَلكنَّه إِلٰهٌ وَاحِدٌ كَما وَصَفَ نَفْسَهُ، لا يُضَادّه في مُلْكِهِ أحَدٌ، وَلا يَزُولُ أَبَداً، وَلَمْ يَزَلْ أَوَّلٌ قَبْلَ الأَشْيَاءِ بلا أَوَّليَّة، وَآخِرٌ بَعْدَ الأَشْيَاءِ بلا نِهَايَةٍ، عَظُمَ عنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتَهُ باحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ، فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافعَلْ كَمَا يَنْبَغِيْ لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ في صِغَرِ خَطرِهِ، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، وَعَظِيْمِ حَاجَتِهِ إلى رَبِّهِ، في طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالرَّهْبَةِ من عُقُوبَتِهِ، والشَّفَقَةِ من سَخَطِهِ، فإنَّهُ لَمْ يَأْمُركَ إلا بِحسَنٍ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيْحٍ.

يَا بُنَيّ .. إنّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنْ الدُّنْيا وحَالِهَا وَزَوالِهَا وَانْتِقَالِها، وَأَنْبَأْتُكَ عن الآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لأَهْلِهَا فِيْهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيْهما الأَمْثَالَ لِتَعْتَبِرَ بِهَا وَتَحْذَو عَلَيْها.

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذ بك من الشكِ بَعْدَ اليَقِيْنِ، وَمِن الشيْطانِ الرجيم، ومِن شَدَائِدِ يَوْم الدِيْن، وَنَسْأَلكَ رِضَاكَ والجَنَّةَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِن سَخطِكَ وَالنَّارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا إذا عَرِقَ الجَبِيْنُ وَاشْتَدَّ الكَرْبُ وَالأَنِيْنُ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: إنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفرٍ نَبَا بهم مَنْزِلٌ جَدِيْبٌ فَأَمُّوا مَنْزِلًا خَصِيْباً وَجَنَاباً مُرِيْعاً فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيْقِ وَفِرَاقَ الصَّدِيْقِ، وَخُشُونَةِ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ المَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِم، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِم، فَلَيْسَ

يَجِدُوْنَ لِشَيءٍ مِن ذَلِكَ أَلماَ، وَلَا يَرَوْنَ فِي نَفَقةٍ مَغْرَمَا، ولا شَيءَ أحَبَّ إليهم مِمَّا قَرَّبَهُم مِنْ مَنْزِلِهِم، وَأَدْنَاهُم مِن مَحَلِّهِمْ.

وَمَثَلُ مَنْ أغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيْبٍ، فَنَبَا بهم إلى مَنْزِلٍ جَدِيْبٍ، فَلَيْسَ شَيء أَكْرَهَ إِلَيْهِم ولا أَفْظَعَ عِنْدَهُم مِن مُفَارَقَةِ مَا كَانُوْا فِيْهِ إلى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ وَيَصِيْرُونَ إِلَيْهِ.

يَا بُنَيَّ.. اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيْزَاناً فِيْمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَه لَهُ مَا تَكْرَهُ لها، وَلا تَظْلِمْ كَما لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَاحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنَ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنْ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لهُم مِنْ نَفْسِكَ، وَلا تَقُلْ مَا لا تَعْلَمُ وَانْ قَلَّ مَا تَعْلم، وَلا تقُلْ مَا لا تُحِبُّ أنْ يُقَالَ لَكْ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الاعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وآفَةُ الأَلْبَابِ، فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ وَلا تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ، وَإذا هُدِيْتَ لِقصْدِكَ، فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمامَكَ طَرِيْقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيْدَةٍ وَمَشَقَّةٍ شَدِيْدةٍ، وَأَنَّهُ لا غِنَى لكَ فِيْهِ عَن حُسْنِ الارْتِيَادِ، قدْرَ بَلاغِكَ مِنْ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فلا تَحْمِلَنَّ عَلى ظْهرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ فَيَكونُ ثِقَلُ ذَلِكَ وَبَالًا عَلَيْكَ.

وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ، فَيُوَافِيْكَ بِهِ غَدَاً حَيْثُ تَحْتَاجُ إليْهِ فَاغْتَنِمْهُ وحَمِّلْهُ إِيَّاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيْدِه وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُه فَلاَ تَجِدُهُ، وَاغتَنِم مَنْ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبةً كَؤُوداً، المُخِفُّ فِيْهَا أَحْسَنُ حَالًا مِن المُثْقِلِ، وَالمُبْطِيْ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا مِن المُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبَطَكَ بِهَا لَا مَحَالَةَ عَلى جَنَّةٍ أَوْ عَلى نَارٍ، فَارْتَدْ لِنفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، وَوَطِّىءْ المَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الموتِ مُسْتَعْتَبٌ، وَلا إلى الدنيا مُنْصَرَفٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الذِيّ بيَدِهِ خَزائِنُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ، قَدْ أَذِنَ لَكَ في الدُّعَاءِ، وَتَكفَّلَ لكَ بالإِجَابَةِ، وأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بيْنَكَ وَبَيْنَهَ مَن يَحْجُبُهُ عَنْكَ، وَلَمْ يُلْجِئكَ إلى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إنْ أَسَأْتَ مِنْ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يعَاجِلْكَ بالنقْمَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بالإِنَابَةِ وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الفَضِيْحَةُ بك أَوْلَى، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ في قَبُولِ الإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالجَرِيْمَةِ، وَلَمْ يُؤَيِسْكَ مِنْ الرَّحْمَةِ.

بَلْ جعَلَ نُزُوْعَكَ عَنْ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْرًا، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ المتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَءاك، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بحَاجَتِكَ، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعَنْتَهُ عَلى أُمورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِه مَا لا يَقْدِرُ عَلى إِعْطائِهِ غيْرُهُ من زِيادَةِ الأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الأَرْزاقِ.

ثُمَّ جَعَلَ في يَدَيْكَ مَفَاتِيْحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بالدّعَاءِ أبْوابَ نِعْمَتِه، وَاسْتَمْطَرْتَ شَآبِيْبَ رَحْمَتِه فَلا يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ اجَابَتِه، فإِنَّ العَطِيَّةَ عَلى قَدْرِ النِّيةِ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الإِجَابَةُ لِيَكُوْنَ ذَلِكَ أَعْظَمُ لأَجْرِ السَّائِلْ، وَأَجْزَلُ لِعَطَاءِ الآمِلْ.

وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيءَ فَلَا تُؤْتَاهُ وَأُوتِيْتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجلًا أَوْ آجلًا، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فلرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طلَبْتَهُ فِيْهِ هَلَاكُ دِيْنِكَ لَوْ أُوْتِيْتَهُ، فلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيْمَا يَبْقى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ. فَالمَالُ لا يَبْقَى لَكَ وَلا تَبْقَى لَهُ.

وَاعْلَم أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لَا للدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لا لِلبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لا للحَيَاةِ، وَأنكَ في مَنْزِلِ قَلْعَةٍ وَدَارِ بُلْغَةٍ، وَطَرِيْقٍ إلى الآخِرَةِ.

وَأنَّكَ طَرِيْدُ المَوْتِ الذيْ لا يَنْجوُ مِنْهُ هَارِبُه، وَلا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُه، فَكُنْ مِنْهُ عَلى حَذرٍ أنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بالتَّوْبَةِ، فَيَحُولُ بيْنَك وَبيْنَ ذَلِكَ، فَإذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

يَا بُنَيَّ، أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ المَوْتِ، وَذِكْرِ مَاتَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي بَعْدَ المَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيْكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ، وَلَا يَأتِيْكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ اخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا.

فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ عَنْها ونَعَتَتْ لَكَ نَفْسَهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيْها، فَإنَّ أَهْلَهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهِرُّ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَيَأْكُلُ عَزِيْزُهَا ذَلِيْلَها، وَيَقْهَرُ كَبْيرهَا صَغِيْرَهَا.

نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ، وَأُخْرى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَها، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَها، سُرُوحُ عَاهَةٍ بوادٍ وَعْثٍ. لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيْمُهَا، ولا مُقِيْمٌ يَسِيْمُهَا، سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيْقَ العَمَى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الهُدَى، فَتَاهُوا في حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا في نَعْمَتِهَا، وَاتَّخَذُوهَا رَبّاً، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا.

رُوَيْداً يُسْفِرُ الظَّلَامُ، كَأَنْ قَدْ وَرَدَتْ الأَظْعَانُ، يُوْشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلُ والنَّهَارُ، فَإنَّهُ يُسَارُ به وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً، وَيَقْطَعُ المَسَافَةَ وَانْ كَانَ مُقِيْماً وَادِعاً.

وَاعْلَمْ يَقِيْناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ في سَبِيْلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِض في الطَّلَب، وَأَجْمِلْ في المُكْتَسَبِ فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلى حَرْبٍ، فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بمَرْزُوْقٍ، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بمَحْرُومٍ، وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ، وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ

مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً، ولا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً، وَمَا خَيْرٌ، لا يُنَالُ إلا بِشَرٍّ، وَيُسْرٍ لا يُنَالُ إلا بِعُسْرٍ.

وَأَيَّاكَ أنْ تُوجِفْ بكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فتورِدُكَ مَنَاهِلَ الهَلَكَةِ، وَإِن اسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ ذَو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قَسْمَكَ، وَآخِذٌ سَهْمَكَ، وَانَّ اليَسِيْرَ مِنْ اللهِ سُبْحَانَهُ أعظمُ وأَكْرَمُ مِنَ الكَثِير مِنْ خَلقِه وَانْ كَانَ كُلٌّ منه.

كأنّكَ لم تَسْمَعْ بأَخْبار مَن مَضَى ... ولَمْ تَرَ في البَاقِينَ مَا يَصْنَعُ الدهرُ
فإنْ كُنتَ لا تَدري فتِلْكَ دِيَارُهُم ... عليها مَجَالُ الرِّيحِ بَعدكَ والقَطْرُ
وهَلْ أبْصَرَتْ عيناكَ حيّاً بِمْنزِلٍ ... على الأرضِ إلا بالفَناءِ لَهُ قَبْرُ
وأهْلُ الثَّرَى نَحْوَ المَقَابِرِ شُرَّعٌ ... ولَيسَ لهم إلا إلى ربِّهِمْ نَشْرُ
على ذَاكَ مَرُّوا أجْمَعُونَ وهكذا ... يَمُرُّونَ حَتّى يَسْتَرِدُّهُم الحَشْرُ
فلا تَحْسَبَنَّ الوَفْرَ مَالاً جَمَعْتَهُ ... ولكنّ مَا قَدَّمْتَ مِن صَالِحٍ وَفْرُ
وليسَ الذي يَبْقَى الذي أنتَ جامعٌ ... ولكنَّ ما أوْلَيْتَ مِنْهُ هَوَ الذُّخْرُ
قَضَى جَامِعُوا الأموَالِ لم يَتَزَوَّدُوا ... سوى الفَقْرِ يابُؤْساً لمنْ زَادُهُ الفقْرُ
بَلى سَوفَ تَصْحُو حِيْنَ يَنْكَشِفُ الغَطَا ... وتَذْكُرُ قَوْلي حِينَ لا يَنْفَعُ الذِّكْرُ
ومـا بيـنَ مِيلادِ الفَتى وَوَفاتِهِ ... إذا نَصَحَ الأقوامُ أنفسَهم عُمْرُ
لأنَّ الذي يَأتِي كَمِثْلِ الذِي مَضَى ... وما هُو إلا وَقْتُكَ الضَيِّقُ النَّزْرُ
فصَبْراً على الأُوقاتِ حَتَّى تَحُوْزَهَا ... فعمَّا قليلٍ بعدَها يَنْفَعُ الصَّبْرُ

اللَّهُمَّ اليْكَ بِدُعَائِنَا تَوَجَّهْنَا وَبِفِنائِكَ أَنَخْنَا وَإِيَّاكَ أَمَّلْنَا وَلِمَا عِنْدَكَ مِن الكَرَمِ وَالجُودِ وَالاحْسَانِ طَلَبْنَا وَمِنْ عَذَابِكَ أَشْفَقْنَا وَلِغُفرانِكَ تَعَرَّضْنَا فَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ ياأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«وَصِيَّةُ أَبِي حَازِمٍ الأَعْرَجِ لِلزُّهْرِيّ»

عَافَانَا اللهَ وَإِيَّاكَ أَبَا بَكْرٍ مِنْ الفِتَنِ، وَرَحِمَكَ مِنْ النَّارِ، فَقَدْ أَصْبَحْتَ بِحَالٍ يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَكَ بِهَا أَنْ يَرْحَمَكَ مِنْهَا، أَصْبَحْتَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ أَثْقَلَتْكَ نِعَمُ اللهِ عليك، بمَا أَصَحَّ مِن بَدَنِكَ، وَأَطَالَ مِن عُمْرِكَ، وَعَلِمْتَ حُجَجَ اللهِ تَعالى مِمَّا حَمَّلَكَ مِن كِتَابِه، وَفَقَّهَكَ فِيْهِ مِن دِيْنِهِ، وَفَهَّمَكَ مِن سُنَّةِ نَبِيَّكَ ﷺ، فرَمَى بِكَ في كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا عَلَيْكَ وَكُلِّ حُجَّةٍ يَحْتَجُّ بهَا عَليك. وقَدْ قَالَ تَعَالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُم لأَزِيْدَنَّكَم، وَلَئِنْ كَفَرْتُم إنَّ عَذَابِي لَشَدِيْدٌ﴾.

انْظُرْ.. أَيَّ رَجُلٍ تَكُوْنُ إذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَسَأَلَكَ عَنْ نِعَمِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ رَعَيْتَها، وَعَنْ حُجَجِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ قَضَيْتَهَا، وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ رَاضِياً مِنْكَ بالتَّغْرِيْرِ، ولا قَابِلًا مِنْكَ التَّقْصِيْرَ، هَيْهَاتَ لَيْسَ كذلِكَ.

أَخَذَ عَلى العُلَمَاءِ في كِتَابِه إذْ قال: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾.. الآية.

إِنَّكَ تَقُولُ إِنَّكَ جَدِلٌ، مَاهِرٌ عَالِمٌ، قَدْ جَادَلْتَ النَّاسَ فَجَدَلْتَهُم، وَخَاصَمْتَهُم فَخَصَمْتَهُم، إِدْلَالًا مِنْكَ بِفَهْمِكَ، وَاقْتِدَاراً مِنْكَ بِرَأْيِكَ، فَأَيْنَ تَذْهَبُ مِنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَآءِ جَادَلْتُم عَنْهُم في الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللهَ عَنْهُم يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.. الآية.

إِعْلَمْ أَنَّ أَدْنَى مَا ارْتَكَبْتَ، وَأَعْظَمَ مَا احْتَقَّيْتَ، أَنْ آنَسْتَ الظَّالِمَ، وَسَهَّلْتَ لَهُ طَرِيْقَ الغَيِّ بِدُنُوِّكَ حِيْنَ أُدْنِيْتَ، وَاجَابَتِكَ حِيْنَ دُعِيْتَ، فمَا أَخْلَقَكَ أَنْ تَبُوءَ بِاثْمِكَ غَداً مَعَ الجَمَعَةِ، وأَنْ تُسْأَلَ عَمَّا أَرَدْتَ بِاغْضَائِكَ عَنْ ظُلْمِ الظَّلَمَةِ.

إِنَّكَ أَخَذْتَ مَا لَيْسَ لِمَنْ أَعْطَاكَ، وَدَنَوْتَ مِمَّنْ لا يَرُدُّ عَلى أَحَدٍ حَقَّاً، وَلا تَرَكَ بَاطِلاً حِيْنَ أَدْنَاكَ، وَأَجَبْتَ مَنْ أَرَادَ التَّدْلِيْسَ بِدُعَائِهِ إِيَّاكَ حِيْنَ دَعَاكَ.

جَعَلُوكَ قُطْباً تَدُورُ رَحَى بَاطِلِهِم عَلَيْكَ، وَجَسْراً يَعْبُرُونَ بِكَ إِلى بَلَائِهِم،

وَسُلَّماً إلى ضَلَالَتِهِم، وَدَاعِياً إلى غَيِّهم، سَالِكاً سَبِيْلَهُم، يُدْخِلُونَ بِكَ الشَّكَّ على العُلَماءِ، وَيَقْتَادُونَ بِكَ قُلُوْبَ الجُهَّالِ إِلَيْهم، فَلَمْ تَبْلُغْ أَخَصُّ وزَرَائِهِمْ، وَلا أَقْوَى أَعْوَانِهِمْ لَهُمْ إِلَّا دُوْنَ مَا بَلَغْتَ مِنْ إصْلَاح فَسَادِهِمْ، واَخْتِلَافِ الخَاصَّةِ والعَامَّةِ إِلَيْهِم، فَمَا أَيْسَر مَا عَمَّرُوا لَكَ في جَنْبِ مَا خَرَّبُوا عَلَيْكَ، وَمَا أَقَلَّ مَا أَعْطَوْكَ في كَثِيْرِ مَا أَخَذُوا مِنْكَ، فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْظُرُ لَهَا غَيْرُكَ، وَحَاسِبْهَا حِسَابَ رَجُلٍ مَسْؤُولٍ.

وَانْظُرْ كَيْفَ شُكْرُكَ لِمَنْ غَذَاكَ بِنعمِهِ صَغِيْراً وَكَبِيْراً، وَانْظُرْ كَيْفَ إِعْظَامُكَ أَمْرَ مَنْ جَعَلَكَ بِدِيْنِهِ فِي النَّاس بَخِيْلاً، وَكَيْفَ صِيَانَتُكَ لِكِسْوَةِ مَنْ جَعَلَكَ لِكِسْوَتِهِ سَتِيْرًا، وَكَيْفَ قُرْبُكَ وَبُعْدُكَ مِمَّنْ أَمَرَكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُ قريْبًا.

مَا لَكَ لَا تَنْتَبِهُ مِنْ نَفْسِكَ، وَتَسْتَقِيْلُ مِنْ عَثْرَتِكَ، فَتَقُولُ: وَاللهِ مَا قُمْتُ لِلَّهِ مَقاماً وَاحِداً أُحْيِيْ لَهُ فيه دِيْناً، وَلا أُمِيْتُ لَهُ فِيْه بَاطِلًا، إِنَّمَا شُكْرُكَ لِمَنْ اسْتَحْمَلَكَ كِتَابَهُ، وَاسْتَوْدَعَكَ عِلْمَهُ.

مَا يُؤَمِّنْكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الذِيْنَ قَال اللهُ تَعَالَى فِيْهِم: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى..﴾ الآية.

انَّكَ لَسْتَ فِي دَارِ مُقَامٍ، قَدْ آذَنَتْ بِالرَّحِيْلِ، مَا بَقَاءُ المَرْءِ بَعْدَ أَقْرَانِه، طُوْبي لِمَنْ كَانَ مَعَ الدُّنْيَا عَلى وَجَلٍ، وَيَا بُؤْس مَنْ يَمُوْتُ وَتَبْقَى ذُنُوبُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

إِنَّكَ لَمْ تُؤْمَرْ بِالنَّظَرِ لِوَارِثِكَ عَلَى نَفْسِكَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَهْلًا أَنْ تُرْدِفَهُ عَلى ظَهْرِكَ. ذَهَبَتْ اللذَّةُ وَبَقِيتْ التَّبِعَةُ، مَا أَشْقَى مَنْ سَعُدَ بِكَسْبِهِ غَيْرُهُ، إِحْذَرْ فَقَدْ أُتِيتَ، وَتَخَلَّصْ فَقَدْ أُدْهِيْتَ إِنَّكَ تُعَامِلُ مَنْ لا يَجْهَلُ، وَالذِيْ يَحْفَظُ عَلَيْكَ لَا يَغْفَلُ.

تَجَهَّزْ، فَقَدْ دَنَا مِنْكَ سَفَرٌ، وَدَاوِ دَيْنَكَ فَقَدْ دَخَلَهُ سَقَمٌ شَدِيْدٌ، وَلَا

تَحْسَبَنَّ أنِّي أَرَدْتُ تَوْبِيْخَكَ أو تَعْيِيْركَ وَتَعْنِيْفَكَ، وَلكِنّي ارَدْتُ أَنْ تَنْبُشَ مَا فَاتَ مِن رَأْيِكَ، وَتَرُدَّ عَلَيْكَ مَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ حِلْمِكَ، وَذَكَرْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَذَكِّرْ فَانَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ المُؤْمِنِيْنَ﴾.

أَغَفَلْتَ ذِكْرَ مَنْ مَضَى مِنْ أَسْلافِكَ وَأَقْرَانِكَ، وَبَقِيْتَ بَعْدَهُم كَقَرْنٍ أَعْضَبٍ، فَانْظُرْ هَلْ ابْتُلوْا بِمِثْلِ مَا ابْتُلِيْتَ به، أو دَخَلوا في مِثلِ مَا دَخَلتَ فِيْهِ، وَهَل تَرَاهُ إدخَرَ لَكَ خَيْراً مُنِعُوْهُ أَوْ عَلَّمَكَ عِلْمَاً جَهِلُوْه، بَلْ جَهِلْتَ مَا ابْتُلِيْتَ بِهِ مِنْ حَالِكَ في صُدُوْرِ العَامَّةِ، وَكَلَّفَهُم بِكَ أَنْ صَارُوا يَقْتَدُوْنَ بِرَأْيِكَ وَيَعْمَلُوْنَ بِأَمْرِكَ، إنْ أَحْلَلْتَ أحَلُّوا، وَانْ حَرَّمْتَ حَرَّمُوَا، وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَكَ، وَلكِنْ إكْبَابُهم عَلَيْكَ، وَرَغْبَتُهم فِيْمَا في يَدَيْكَ، ذَهَابُ عَمَلِهم، وَغَلَبَةُ الجَهْلِ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِم، وَطَلَبُ حُبِّ الرِّيَاسَةِ وَطَلَبُ الدُّنْيَا مِنْكَ وَمِنْهُم.

أَمَا تَرَى مَا أَنْتَ فِيْهِ من الجَهْلِ والعِزَّةِ، ومَا النَّاسُ فيه من البَلاءِ والفِتْنَةِ، وَابْتَلَيْتَهُم بالشُّغْلِ عن مَكَاسِبِهم وَفَتَنْتَهُم، بما رَأَوْا مِنْ أَثَرِ العِلْمِ عَلَيْكَ، وتاقَتْ أَنْفُسُهُم إلى أَن يُدْرِكُوا بالعِلْمِ مَا أَدْرَكْتَ، وَيَبْلغُوا مِنْهُ مِثْلَ الذي بَلَغْتَ، فوَقَعُوَا بكَ في بَحْرٍ لا يُدْرَكُ قَعْرُه، وفي بَلاءٍ لا يُقْدَرُ قَدْرُه، فَاللهُ لنا وَلَكَ وَلهُم المسْتَعَانُ.

وَاعْلَم أنَّ الجَاهَ جَاهَان: جَاهٌ يُجْرِيْهِ اللهُ تَعَالى عَلى يَدَيْ أَوْلِيَائِهِ لأَوْلِيَائِه، الخَامِلِ ذِكْرُهم، الخافِيَةِ شُخُوْصُهم، ولقد جَاءَ نَعْتُهم على لِسَان رَسُولِ اللهِ ﷺ: «انَّ اللهَ يُحِبُّ الأَخْفِيَاءِ الأَتْقِيَاءِ الأَبْرِيَاءِ الذين إذا غَابُوا لم يُفْتَقَدُوا، وإذا شَهِدُوا لم يُعْرَفوا، قُلوبهُم مَصَابِيْحُ الهُدَى، يَخْرُجونُ مِن كُلِّ فِتْنَةٍ سَوْدَاءَ مُظْلِمَة».

فَهَؤُلآءَ أَوْلِيَاءِ اللهِ الذين قَالَ تَعَالى فيهم: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ، ألا إن حزبَ اللهِ هُمْ المُفْلِحُوْنَ﴾.

وَجَاهٌ يُجْرِيْهِ اللهُ تَعالى على يَدَيْ اعْدَائِهِ لِأَوْلَيَائِه، وَمِقَةٌ يَقْذِفُهَا اللهُ في قُلُوبِهِمْ لَهُم، فَيُعَظِّمُهُم النَّاسُ بتَعْظِيْمِ أُوْلَئِكَ لَهُم وَيَرْغَبُ النَّاسُ فِيْمَا في أَيْدِيهم لِرَغْبَةِ أولئكَ فيه إليهم ﴿أولَئِكَ حزْبُ الشَّيْطَانِ ألا إنّ حِزْبَ الشيطَانِ هُم الخَاسِرُونَ﴾.

وَمَا أَخْوَفَنِي أَنْ تَكُوْنَ مِمَّن يَنْظُرُ لِمَنْ عَاشَ مَسْتُوراً عَلَيْهِ في دِيْنِه، مَقْتُوراً عَلَيْهِ في رِزْقِهِ، مَعْزُولة عَنْهُ البَلايَا، مَصْرُوفَةٌ عَنه الفتَنُ في عُنْفُوانِ شَبابهِ وظُهُورِ جَلَدِه، وَكَمالِ شَهْوَتِهِ.

فَعُنَي بِذَلِكَ دَهْرَهُ، حَتَّى إذا كَبِرَ سِنُّهُ، وَرَقَّ عَظْمُهُ، وَضَعُفَتْ قُوَّتُهُ، وَانْقَطَعَتْ شَهْوَتُه وَلَذَّتُهُ، فُتِحَتْ عَليه الدُّنْيَا شَرَّ فُتُوحٍ فَلزمَتْهُ تَبِعَتُهْا وعَلِقَتْهُ فِتْنَتُها، وَأَعْشَتْ عَيْنَيْه زَهْرَتُها، وَصَفَتْ لِغَيْرِهِ مَنْفَعَتُها.

فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَبْيَنَ هَذَا الغَبْنَ، وَأَخسَرَ هَذا الأَمْرَ، فهَلّا إذَا عَرَضَتْ لَكَ فِتَنَتُها ذَكَرْتَ أَمِيْرَ المومِنيْنَ عُمَرُ رَضِيْ اللهُ عَنْهُ في كِتَابِهِ إلى سَعْدٍ.. حِيْنَ خَافَ عَلَيْهِ مِثْلَ الذي وَقَعْتَ فِيْهِ عِنْدَمَا فَتَحَ اللهُ عَلى سَعْدٍ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأَعْرِضْ عَنْ زَهْرَةِ مَا أَنْتَ فِيْهِ حَتَّى تَلْقَى المَاضِيْنَ الذِيْنَ دُفِنُوا في أَسْمَالِهِمْ، لَاصِقَةً بُطُونُهُمْ بِظُهُوْرِهِمْ، لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ، لَم تَفْتِنْهُم الدُّنْيَا وَلَمْ يُفْتَنُوا بِهَا، رَغِبُوا فَطَلَبُوا فَمَا لَبِثُوا أَنْ لَحِقُوا.

فَإِذَا كَانَتْ الدُّنْيَا تَبلُغُ مِنْ مِثْلِكَ هَذا في كِبَرِ سِنِّكَ، وَرُسُوخِ عِلْمِكَ، وَحُضُورِ أَجَلِكَ، فَمَنْ يَلُوْمُ الحَدَثَ في سِنِّهِ، وَالجَاهِلَ في عِلْمِهِ، وَالمَأْفُونَ في رَأْيِهِ المَدْخُولَ في عَقْلِهِ «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»، عَلَى مَنْ المُعَوَّلُ، وَعِنْدَ مَنْ المُسْتَعْتَبُ.

نَحْتَسِبُ عِنْدَ اللهِ مُصِيْبَتَنَا.. وَمَا نَرَى مِنْكَ، وَنَحْمَدُ اللهُ الذِيْ عَافَانا مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ. والسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ..

شِعْرًا: يَمْشُونَ نَحْوَ بُيُوتِ اللهِ إذا سَمِعُوا ... اللهُ أَكْبَـرُ فِي شَوْقٍ وفِي جَذَلِ
أَرْوَاحُهُم خَشَعَتْ لِلَّهِ فِي أَدَبٍ ... قُلُوبُهُم مِن جَلَالِ اللهِ فِي وَجَلِ
نَجْوَاهُـمُ رَبَّنَـا جِئْنَـاكَ طَائِعَـةً ... نُفُوسُنَا وعَصَيْنَا خَادعَ الأَمَلِ
إذا سَجَى اللَّيْلَ قَامُوهُ وأَعْيُنُهُمْ ... مِن خَشْيَةِ اللهِ مِثْلَ الجَائِدِ الهَطِلَ
هُمُ الرِجَـال فلا يُلْهِيْهِـمْ لَعِبٌ ... عَن الصلاةِ ولا أُكْذُوبَةُ الكَسَلِ

آخر: لا فِي النهار ولا فِي الليلِ لِي فَرَحٌ ... فَما أُبالِيْ أَطَالَ الليلُ أَمْ قَصُرَا
لأَنَّنِي طُولَ لَيْلِـي هَائِـمٌ دَنِـفٌ ... وبالنهارِ أُقَاسِي الهَمَّ والفِكَرَا

آخر: لَعَمْرِيْ لَقَدْ نُودِيْتَ لَوْ كُنْتَ تَسْمَعُ ... أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَوتَ مَا لَيْسَ يُدْفَعُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّاسَ فِي غَفَلَاتِهِـمْ ... وَأَنَّ المَنَايَا بَيْنَهُـمْ تَتَقَعْقَـعُ
أَلَمْ تَرَ لَذَّاتِ الجَدِيْدِ إلى البِلَىَ ... أَلَـمْ تَرَ أَسْبَـابَ الأُمُوْرِ تَقَطَّـعُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَوْتَ يَهْتَزُّ سَيْفُـهُ ... وَأَنَّ رِمَاحَ المَوْتِ نَحْوَكَ شُرَّعَ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الوَقتِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ ... لَهُ عَارِضٌ فِيْـهِ المَنِيَّـةُ تَلْمَـعُ
أَيَـا بَانِـيَ الدُّنْيَـا لِغَيْـرِكَ تَبْتَنِـيْ ... وَيَـا جَامِعَ الدُّنْيَا لِغَيْـرِكَ تَجْمَـعُ

وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٌ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِمحَمَّدِ بن سِيْرِيْنَ أَوْصِنِي فَقَالَ لا تَحْسُدْ أَحداً، فَإِنَّهُ إنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّار فَكَيْفَ تَحْسُدُهُ على دُنْيَا فَانِيَةٍ مَصِيْرُهُ بَعْدَهَا إلى النَّارِ وَأَنْ كَانَ مِن أَهْلِ الجَنَّةِ فَاتَّبِعْهُ فِي أَعْمَالِهَا وَاغْبِطْهُ عَلَيْهَا فإِنَّ ذَلِكَ أَوْلَى مِنْ حَسَدِكَ لَهُ عَلى الدُّنْيَا.

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ البَصْرِيّ أَوْصِنِي فَقَالَ لَا تُذْنِبْ فَتُلْقِيْ نَفْسَكَ فِي النّارِ مَعَ أَنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ أَحَدَاً يُلْقِي بُرْغُوثاً فِي النَّارِ لأنْكَرْتَ عليهِ، وَأَنْتَ تُلْقِيْ نَفْسَكَ فِي النَّارِ كلَّ يَوْمٍ مَرَّاتٍ، وَلا تُنْكِرُ عَلَيْهَا، وَمِنْ ذَلِكَ حُسْنُ أَدَبِهِمْ مَعَ الصَّغِيْرِ وَالكَبِيْرِ وَمَعَ البَعِيْدِ فَضْلًا عَن القَرِيْبِ.

وَالأَصْلُ فِي الأَدَبِ شُهُوْدُ النَّقْصِ فِي النَّفْسِ وَالكَمَالِ فِي الغَيْرِ عَكْسُ مَنْ

كانَ قَلِيْلَ أَدَبٍ مُتكَبِّرٍ، وَكَانَ مَيْمُونُ بنُ مِهْرَانَ إذا دُعِي إلى وَلِيْمَةٍ جَلَسَ مَعَ الصِّبْيَانِ وَالمَسَاكِيْنِ مِنْ الرِّجَالِ وَتَرَكَ الإغنِيَاءِ، وَكَانَ بَكْرُ ابن عَبْدِالله المُزَنِيّ يَقُولُ إِذَا رَأيْتَ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ فعَظِّمْهُ وَقُلْ انَّهُ سَبَقَنِيْ إلى الإسْلاَمِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ وَإِذا رَإِيْتَ مَنْ هُوَ أَصْغَرُ مِنْكَ فَعَظمْهُ وَقُلْ في نَفْسِكَ إِنِّي سَبَقْتُهُ إلى الذُّنُوبِ، وَإِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ فَقُلْ هَذا مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيَّ لا أَسْتَحِقّهُ وإِذَا أَهَانُوْكَ فَقُلْ هَذَا بِذَنْبٍ أَحْدَثْتُهُ.

وَمِنْ أَخْلاَقِهِم إِنْخِلاَعُ قُلُوبِهِمْ مِنْ خَوْفِ اللهِ مِنْ ذَلِكَ مَا ذُكِرَ أَنَّهُ لمّا حَضَرَتْ الوَفَاةُ سَلْمَانَ الفَارِسِي بَكى، وَقَالَ انَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ عَهِدَ أَلَيْنَا وقال: «لِيَكُنْ بُلْغَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ»، وَهَا أَنَا قَدْ جَمَعْتُ هَذِهِ الأَمْتِعَةَ وَأَشَارَ أَلَيْها وَهِيَ أَجانَة وَجَفْنَة وَمِطْهَرَةٌ فَلَمَّا مَاتَ قَوَّمُوهَا بِخَمْسَةَ عَشَرَ دِرْهَمَا.

شِعْرا: مَا ضَرَّ مَنْ كَانَتْ الفِرْدَوْسُ مَسْكَنَهُ ... مَاذا تَحَمَّلَ مِن بُؤْسٍ وَإِقْتَارِ
تَرَاهُ يَمْشِيْ كَئِيْباً خَائِفاً وَجلاً ... إِلَى المَسَاجِدِ يَسْعَى بَيْنَ أَطْمَارِ

وَمِمَّا يُنْسَبُ إلى الشَّافِعِيّ:

يَا لَهْفَ قَلْبِيْ عَلى شَيْئَيْنِ لَوْ جُمِعَا ... عِنْدِيْ لَكُنْتَ إِذًا مِنْ أَسْعَدِ البَشَرِ
كَفافِ عَيْشٍ يَقِيْنِيْ شَرَّ مَسْأَلَةٍ ... وَخِدْمَةِ العِلْمِ حَتَّى يَنْتَهِيْ عُمُرِيْ

آخر: قَطْعُ اللَّيَالِي مَعَ الأَيَّامِ فِي خَلِقٍ ... والنَّومُ تَحْتَ رِوَاقِ الهَمِّ وَالقَلَقِ
أَحْرى وَأَعْذَرُ لِيْ مِنْ أَنْ يُقَال غداً ... إِنِّي الْتَمَسْتُ الغِنَى من كَفِّ مُخْتَلِقِ
قالُوْا قَنِعْتَ بِذَا قُلْتُ القُنُوعُ غِنىَ ... لَيْسَ الغِنىَ كَثْرةُ الأَمْوَالِ وَالوَرِقِ

آخر: لا تَضْرَعَنَّ لِمَخْلُوْقٍ عَلَى طَمَعٍ ... فأَنَّ ذَلِكَ نَقْصٌ مِنْكَ فِي الدِّيْنِ
وَاسْتَرْزِقِ اللهَ مِمَّا فِي خَزائِنِهِ ... فإِنَّمَا الأَمْرُ بَيْنَ الكَافِ والنُّونِ

آخر: كَمْ فاقَةٍ مَسْتُورَةٍ بِمُرُوْءَةٍ ... وضَرورَةٍ قَدْ غُطِّيَتْ بِتَجَمُّلِ
ومِنِ ابْتِسَامٍ تَحْتَهُ قَلْبٌ شَجِي ... قَدْ خَامَرَتْهُ لَوْعَةٌ ما تَنْجَلِيْ

آخر: إنَّ الكَرِيْمَ إذَا نَالَتْهُ مَخْمَصَةٌ أبْدَى إلى الناسِ رِيًّا وَهْوَ ظَمْآنُ
يَطْوِيْ الضُلُوعَ عَلى مِثْلِ اللَّظَى حُرَقاً وَالوَجْهُ طلق بِهِ والبشْرُ رَيَّانُ

آخر: نَهَارٌ مُشْرِقٌ وظَلَامُ لَيْلٍ أَلَحَّا بِالبَيَاضِ والسَّوادِ
هُمَا هَدَمَا دَعَائِمَ عُمْرِ نُوْحٍ ولُقْمَانٍ وشَدَّادٍ وعَادِ
فيَا بَكْرَ بن حَمَّادٍ تعَجَّبْ لِقَومٍ سَافَرُوْا مِنْ غَيْرِ زَادِ
تَبِيْتُ على فِرَاشِكَ مُطْمَئِناً كأنَّكَ قَدْ أمِنْتَ مِنَ المَعَادِ
فَيَا سُبْحَانَ مَنْ أرْسَى الرَّوَاسِيْ وَأوْفَدَهَا عَلَى السَّبْعُ الشِدَادِ

آخر: مَنْ رَاقَبَ المَوْتَ لم تكْثُرْ أمَانِيْهِ ولَمْ يَكُنْ طَالباً مَا لَيْسَ يَغْنِيْهِ

آخر: رُبَّ بَاتَ يُمَنِّي نَفْسَهُ حَالَ مِن دُوْنِ مُنَاهُ أَجَلُهْ

آخر: إذا أمْسَيْتَ فابْتَدِرِ الصَّبَاحَا ولا تُمْهِلْهُ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَا
وتُبْ مما جَنَيْتَ فكَمْ أناسٍ قَضَوْا نحْباً وَقَدْ نَامُوا صحَاحَا

آخر: ولا تُرْجِ فِعْلَ الصالحاتِ إلى غدٍ لَعَلَّ غداً يأتِي وأنْتَ فقِيْدُ

احتضر بَعضُ العباد فقال ما تأسفي على دار الهموم والأحزان والأنكاد والخطايا والذنوب، وإنما تأسفي على ليلة نِمتُهَا ويوم أفطرته وساعة غفلتُ فيها عن ذكر الله، وقال إبراهيم بن أدهم فَرِّغْ قلبك من ذكر الدنيا يُفرغْ عليك الرضاء إفراغا، خَطَبَ الحجاج فقال إن الله أمرنا نطلب الآخرة وكفانا مؤنةَ الدنيا فليتَه كفانا مؤونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا فقال الحسن البَصْرِي ضَالة المؤمن عند فاسق فليأخذها.

وقال أنس رضي الله عنه إن الله جعل الدنيا دار بلوى والآخرة دار عُقْبَى فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً وثواب الآخرة من بلوى الدُّنيا عوضاً فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي.

وقال بعضهم إن إمْرَأً ذَهَبَتْ سَاعة مِن عمره في غير ما خلق له لحَرِيٌّ أن يطول عليها حُزْنُهُ.

وقال آخر: ما ابتلى أحد بشيء أشد من الغفلة والقسوة إنما كره المؤمن الموت لانقطاع الأعمال الصالحة وخوف الذنوب، ومن شغله طلب الدنيا عن الآخرة ذل إما في الدنيا وإما في الآخرة وإما بهما جميعا.

من نظر في سيرة السلف عرف تقصيره وتخلفه عن دَرجات الكمال، تعرف نفسَك في ثلاثة مواضع: إذا عملتَ فانظر نظر الله إليك وإذا تكلمتَ فاذكر سمع الله إليك وإذا سكت فاذْكر علم الله فيك، تهاون بالدنيا حتى لا يعظم بعينك أهلها ومن يملكها.

قال بَعْضُ العلماء كان الرجل في أهل العلم يزداد بعلمه بُغْضاً للدنيا وتركا لها واليوم يزداد الرجل بعلمه حبا للدنيا وطلباً لها وكان الرجل ينفق ماله على علمه واليوم يكسب الرجل بعلمه مالًا وكان يرى على طالب العلم زيادة في باطنه وظاهره واليوم يرى على كثير من أهل العلم فساد في الظاهر والباطن.

شِعْرَا: يا عامر الدنيا على شيبَتِهْ فيكَ أعاجِيْبُ لِمَنْ يَعْجَبُ
ما عُذْرُ مَنْ يَعْمُر بُنْيَانَهُ وعُمْرُهُ مُسْتَهْدَمٌ يَخْرَبُ

آخر: عَجِبْتُ لِتَغْرِيْسِي نوى النَّخْلِ بَعدَمَا طلَعْتُ على السِتِيْنَ أَوْ كِدْتُ أَفْعَلُ
وأَدْرَكْتُ مِلأَ الأرضِ نَاساً فأصْبَحُوا كَأَهْلِ دِيَارٍ أَدْلَجُوا فَتَحَمَّلُوا
وما الناسُ إلَّا رُفْقَةٌ قَدْ تَحَمَّلَت وأُخْرَى تُقَضِّيْ حَاجَهَا ثُمَّ تَرْحَلُ

وَلَمَّا حَضَرَتْ إِبْرَاهِيْمَ النَّخعَي الوَفَاةُ بَكَى فَقِيْلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: إنِّيْ أَنْتَظِرُ رَسُولًا يَأْتِيْنِي مِنْ رَبِّيْ لَا أَدْرِيْ هَلْ يُبَشِّرُنِيْ بالجَنَّةِ أَوْ بالنَّارِ، وَلَمَّا حَضَرَتْ عُمَرَ بنَ عبدِالعزيز الوَفَاةُ، قالَ اللَّهُمَّ إنِّيْ أَذْنَبْتُ فَإِنْ غَفَرْتَ لِيْ فَقَدْ مَنَنْتَ وَإِنْ عَذَّبْتَنِيْ فَقَدْ عَدَلْتَ، ومَا ظَلَمْتَ لكِنْ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ.

وَكَانَ يَتَمَثَّلُ بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ:

تَراهُ مَكِيْنَاً وَهُوَ لِلَّهْوِ مَاقِتٌ ... بِهِ عَنْ حَدِيثِ القَومِ مَا هُوَ شَاغِلُهْ
وأَزْعَجَهُ عِلْمٌ عَنْ الجَهْلِ كُلِّهِ ... وَمَا عَالِمٌ شَيْئاً كَمَنْ هُوَ جَاهِلُهْ
عَبُوسٌ عَنْ الجُهَّالِ حِيْنَ يَرَاهُمُوْا ... فَلَيْسَ لَهُ مِنْهُم خَدِيْنٌ يُهَازِلُهْ
تَذَكَّرَ مَا يَلْقَى مِنْ العَيْشِ آجِلاً ... فاشْغَلَهُ عَنْ عَاجِلِ العَيْشِ آجِلُهْ

وَلَمَّا حَضَرَتْ عَامِرَ بْنَ قَيْسٍ الوَفَاةُ بَكَى وَقَالَ إِنِّي لَمْ أَبْكِ جَزَعاً مِنْ المَوْتِ وَلَا حِرْصاً عَلَى الدُّنْيا، وَلَكِنْ عَلى عَدَمِ قَضَاءِ وَطَرِيْ مِنْ طَاعَةِ رَبِّي وَقِيَامِ اللَّيْلِ فِي أَيَّامِ الشِّتَاءِ.

وكَانُوا يَبْكُونَ إذا فَاتَتْهُمْ تكبيرةُ الاحرام مَعَ الجَماعَةِ، وكان المُحَدِّثُ الثِّقة بِشْر بن الحسن يُقَالُ لَهُ الصَّفِّي لِأَنَّهُ كَانَ يَلْزَمُ الصَّفَ الأَوَلَ في مَسْجِدَ البصرة خمسينَ سَنَة.

مثلُه إبراهيمُ بن مَيمون المَرْوَزِيْ أَحَدُ الدُعَاة المُحَدِّثِيْن الثِقَاة مِن أَصْحَاب عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاح وَكانت مِهْنَتُه الصِّيَاغَةُ وطَرْقُ الذهب والفِضةِ قالُوا كان فقيهاً فاضِلًا مِن الأَمَّارِيْنَ بالمعروف وقال ابنُ مَعِيْن كانَ إذا رَفَعَ المِطْرَقَة فَسَمِعَ النِدَاءَ لم يَرُدَّهَا.

وقيل لِكَثير بن عُبَيْدِ الحِمُصِي عن سَبَبِ عَدَمِ سَهْوِهِ في الصلاة وقَدْ أَمَّ أَهْل حِمْصٍ سِتِّينَ سَنَة كامِلة فقال مَا دَخَلْتُ مِن بَابِ المَسْجِدَ قَطُّ وفي نَفْسِي غَيْر اللهِ.

وقال سُليمانُ بنُ حَمْزةَ المقدسِي وهو من ذرية بن قُدَامة صاحب كتاب المغني «لم أُصَلِّ الفَرِيْضَةَ قط مُنْفَرِداً إِلَّا مَرَّتَيْن، وَكَأَنِّيْ لم أصلِّهِمَا قَطُّ مَعَ أَنَّهُ قارَبَ التِسْعِين».

وذكر عن الأَعمشِ أنه قال لَم تفُتْنِي صَلاةُ الجَمَاعَةِ مَا يَقْرُبُ مِن أَربعين سَنَة إِلَّا مَرَّة واحدة حين ماتت والدتهُ اشتغل بتجهيزها.

وذكر عن بعضهم أنه لم تفته تكبيرة الاحرام أربعين سَنَةْ وكان بَعْضُهُم يُصِيبُهُ مَرَضٌ إذا فاتَتْهُ صَلاةُ الجَمَاعة.

ونَحنُ بالعكس رُبَّما يُصِيبُنَا مَرضٌ أو جُنُون إذا فَاتَنَا شَيءٌ مِنْ حُطَامِ الدُّنيا والسببُ الوحيد أن الدنيا ما تَهُمُّهُم وأما الآخِرَة فهي نَصْبَ أعينِهِم في كل ساعة يَسْتَعِدُونَ لَهَا والدُنيا جَعَلُوهَا مَطِيَّةً إلى الآخرة.

نسأل الله الحي القيوم العلي العظيم القوي العزيز أن يُوقِظَ قُلُوبَنَا مِن هَذِهِ الرَّقْدَةِ اللهم صلى على محمد.

شِعْرًا: أَفَلَسْتَ تَدْرِيْ أَنَّ يومَكَ قَدْ دَنَا ... أَولسْتَ تدْرِيْ أَنَّ عُمْرَكَ يَنْفَدُ
فَعَلامَ تضحَكُ والمنيةُ قَدْ دَنَتْ ... وعَلامَ تَرْقُدُ والثَّرَى لَكَ مَرْقَدُ

آخر: الوقت سَاوَمَنِي عُمْرِي فَقُلْتُ لَهُ ... لا بِعْتُ عُمْرِيَ بالدنيا وما فيها
ثم اشتراهُ تَفَارِيْقاً بلا ثَمَنٍ ... تَبَّتْ يَدَا صَفقَةٍ قَدْ خَابَ شَارِيْهَا

آخر: وَمَا فرْشُهُمْ إلا أَيَامِنُ أُزْرِهِمْ ... وَمَا وُسْدُهم إِلَّا مِلاءٌ وَأَذْرُعٌ
وَمَا لَيْلُهم فِيْهِنَّ إلا تَخَوُّفٌ ... وَمَا نَوْمُهُم إِلَّا عِشَاشٌ مُرَوَّعُ
وَأَلْوانُهُم صُفْرٌ كَأَنَّ وُجُوْهَهُمْ ... عَلَيْهَا جِسَاماً مَا بِهِ الوَرْسُ مُشْبَعُ
نَوَاحِلُ قَدْ أَزْرَى بهَا الجُهْدُ والسُّرَى ... إلى اللهِ في الظَّلْمَاءِ والنَّاسُ هُجَّعُ
وَيَبْكُونَ أَحْيَاناً كأَنَّ عَجِيْجَهُمْ ... إِذَا نَوَّمَ النَّاسُ الحَنِيْنُ المُرَجَّعُ
وَمَجْلِسِ ذِكْرٍ فِيْهِم قَدْ شَهِدْتُهُ ... وَأَعْيُنُهُمْ مِنْ رَهْبَةِ اللهِ تَدْمَعُ

آخر: وَمَا النَّاسُ إِلَّا رَاحِلُوْنَ وَبَيْنَهُمْ ... رِجَالٌ ثَوَتْ آثارُهُمْ كَالمَعَالِمِ
بِعِزَّةِ بَأْسٍ وَاطِّلاعِ بَصِيْرَةٍ ... وَهَزَّةِ نَفْسٍ واتِّسَاعِ مَرَاحِمِ
حُظُوْظُ كَمَالٍ أَظْهَرَتْ مِنْ عَجَائِبٍ ... بِمِرْآةِ شَخْصٍ مَا اخْتَفَى في العَوَالِمِ
وَمَا يَسْتَطِيْعُ الْمَرْءُ يَخْتَصُّ نَفْسَهُ ... أَلَا إِنَّمَا التَّخْصِيْصُ قِسْمَةُ رَاحِمِ
وَقَدْ يُفْسِدُ الحُرَّ الكَرِيْمَ جَلِيْسُهُ ... وَتَضْعُفُ بالإِيْهَامِ قُوَّةُ حَازِمِ
وَلَيْسَ بِحَيٍّ سَالِكٌ في خَسَائِسٍ ... وَلَيْسَ بِمَيْتٍ هَالِكٌ فِيْ مَكَارِمِ

إِذَا لَجَّ لُؤْمٌ مِنْ سَفِيْهٍ لِرَاشِدٍ ... تَوَهَّمَ رَشْداً في سَفَاهَـهِ لَائِـمِ
عَجِبْتُ مِنْ الإِنْسَانِ يَعْجَبُ وَهُوَ فِيْ ... نَقَائِصَ أَحْوَالٍ قَسِيْـمَ السَّوَائِـمِ
يَرْى جَوْهَرَ النَّفْسِ الطَّلِيْقَ فَيَزْدَهِيْ ... ويَذْهَلُ عَنْ أَعْرَاضِ جِسْمٍ لَوَازِمِ
دُيُونُ اضْطِرَارٍ تُقْتَضِي كُلَّ سَاعَةٍ ... فَتُقْتَرَضُ الأَعْمَارُ بَيْـنَ المَغَـارِمِ
وَكُـلٌّ فَمَغْـرُوْرٌ بِحُبِّ حَيَاتِــهُ ... وَيُغْرِيْهِ بالأَدْنَى خَفَـاءُ الخَوَاتِـمِ
وَجَمَّاعُ مَالٍ لَا انْتِفَـاعَ لَهُ بِهِ ... كَمَا مَصَّ مَشْرُوْطَاً زُجَاجَ الْمَحَاجِمِ
وَمَـنْ عَرَفَ الدُّنْيَـا تَيَقَّـنَ أَنَّهَـا ... مَطِيَّـةُ يَقْظَـانٍ وطَيْفَـةُ حَالِــمِ
فَلِلَّـهِ سَاعٍ فِي مَنَاهِجِ طَاعَــةٍ ... لإِيْلَافِ عَدْلٍ أَوْ لإِتْلَافِ ظَالِمِ

وَلَمَّا حَضَرَتْ عَبْدَاللهِ بْنِ المُبَارَكِ الوَفَاةُ قَالَ لِغُلَامِهِ اجْعَلْ رَأْسِيْ عَلَى الأَرْضِ فَبَكَى غُلَامُهُ قَالَ مَا يُبْكِيْكَ قَالَ ذَكَرْتُ مَا كُنْتَ فِيْهِ مِن النَّعِيْمِ وَأَنْتَ هُوَ ذَا تَمُوْتُ عَلى هَذِهِ الحَالِ فَقَالَ إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّيْ أَنْ أَمُوْتَ عَلى هَذِهِ الحَالِ.

ثُمَّ قَالَ لَقِنِّيْ يَا أَخِيْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا الحَالُ تَغَيَّرَ، وَلَا تُعِدْ عَلَيَّ إلا إِنْ تَكَلَمْتُ بَعْدُ بِكَلَامٍ، وَدَخَلَ الحَسَنُ البَصْرِيْ عَلَى رَجُلٍ وَهُوَ فِيْ سِيَاقِ المَوْتِ يَجُوْدُ بنَفْسِهِ فَقَالَ إِنَّ أَمْراً هَذا آخِرُهُ لَحَقِيْقٌ أَن يُزْهَدَ فِي أَوَّلِهِ وَلَمَّا حَضَرَتْ أَبَا ذَرٍّ الوَفَاةُ قَالَ: يَا مَوْتُ اخْنُقْ وَعَجِّلْ فَإِنِّيْ أُحِبُّ لِقَاءَ اللهِ.

وَدَخَلَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى رَجُلٍ مُحْتَضَرٍ يَجُوْدُ بِنَفْسِهِ فَوَجَدَهُ يَقُوْلُ: الحَمْدُ لِلَّهِ فَقَالَ لَهُ أَصَبْتَ يَا أَخِيْ أَنَّ اللهَ إِذَا قَضَى أَمْراً أَحَبَّ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَحْمَدَهُ عَلَيْهِ وَدَخَلَ سُفْيَانُ الثَّورِيْ عَلَى وَلَدٍ يَجُوْدُ بِنَفْسِهِ وَأَبَوَاهُ يَبْكِيَانِ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُمَا لَا تَبْكِيَا فَإِنِّي قَادِمٌ عَلى مَنْ هُوَ أَرْحَمُ بِي مِنْكُمَا.

وَلَمَّا حَضَرَتْ أَبَا هُرَيْرَةَ الوَفَاةُ بَكَى، قَالُوا مَا يُبْكِيْكَ قَالَ بُعْدُ السَّفَرِ وَقِلَّةُ الزَّادِ وَضَعْفُ اليَقِيْنِ وَخَوْفُ الوُقُوْعِ مِنْ الصِّرَاطِ فِي النَّارِ، وَرُوِيَ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا حَضَرَتهُ الوَفَاةُ قَالَ أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ لَيْلَةٍ صَبَاحُهَا إِلَى النَّارِ.

شِعْرا: لَعَمْرِيَ ما الرّزِيَّةُ فَقْد قَصرٍ فسيْحٍ مُنيَةٍ لِلسَّاكِتِيْنَا
وَلكِنَّ الرَّزِيةَ فَقْدُ دِيْنٍ يَكُونُ بفَقْدِهِ مِن كَافِرِيْنَا

ثُمَّ قَالَ مَرْحَباً بالمَوْتِ زَائِرٌ مُغِيْبٌ وَحَبِيْبٌ جَاءَ عَلى فَاقَةٍ، اللَّهُمَّ إِنِّيْ كُنْتُ أَخَافُكَ وَأَنَا اليَوْمَ أَرْجُوْكَ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ إِنِّي لَمْ أَكُنْ أُحِبُّ الدُّنْيا وَطُوْلَ البَقَاءِ فِيْهَا لِكَرْيِ الأَنْهَارِ وَلَا لِغَرْسِ الأَشْجَارِ وَلَكِنْ لِطُوْلِ ظَمَأ الهَوَاجِرِ وَقِيَامِ لَيْلِ الشِّتَاءِ وَمُكَابَدَةِ السَّاعَاتِ وَمُزَاحَمَةِ العُلَمَاءِ بالرُّكبِ عِنْدَ حِلَقِ الذِّكْرِ.

وَلَمَّا حَضرَتْ أَبَا الدَّرْدَاءِ الوَفَاةُ وَجَعَلَ يَجُوْدُ بِنَفْسِهِ وَيَقُولُ أَلَا رَجُلٌ يَعْمَلُ لِمِثْلِ مَصْرَعِيْ هَذَا أَلَا رَجُلٌ يَعْمَلُ لِمِثْلِ يَوْمِيْ هَذَا أَلَا رَجُلٌ يَعْمَلُ لِمِثْلِ سَاعَتِيْ هَذِهِ ثُمَّ قُبِضَ رَحِمَهُ اللهُ.

فَيَا أَيُّهَا الغافِلُ المُهْمِلُ وَكُلُّنَا كَذَلِكَ انْتَبِهْ وَاغْتَنِمْ أَوْقَاتَ الصِّحَّةِ وَالسَّلامَةِ وَامْلأْ أَوْقَاتَكَ بِالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكَ هَاذِمُ اللّذَّاتِ وَيُحَالُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَتَنْدَمَ وَلَاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ.

شِعْرا: تَغَنَّمْ سُكُوْنَ الحَادِثَاتِ فَإِنهَا وَإِنْ سَكَنَتْ عَمَّا قَلِيْلٌ تَحَرَّكُ
وَبَادِرْ بِأَيَّامِ السَّلَامَةِ إِنَّهَا رِهَانٌ وَهَلْ لِلرَّهْنِ عِنْدَكَ مَتْرَكُ
آخر: نَهارُكَ بَطَّالٌ ولَيلُكَ نَائِمٌ وَعَيْشُكَ يا مِسْكِينُ عَيْشَ البَهائِمِ
آخر: وَعَظَتْكَ أَجْدَاثٌ وَهُنَّ صُمُوْتُ وَسُكَّانُهَا تَحْتَ التُرَابِ خُفُوْتُ
أَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِغَيْرِ بَلَاغِهِ لِمَنْ تَجْمَعِ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوْتُ

وَرَوَى المُزَنِّي قَالَ دَخَلْتُ عَلى الشَّافِعِيّ فِي مَرَضِهِ الذِيْ مَاتَ فِيْهِ فَقُلتُ لَهُ كيفَ أَصْبَحْتَ فَقَالَ أَصْبَحتُ مِنْ الدُّنيا رَاحِلًا وللإِخْوانِ مُفَارِقاً وَلِسُوْءِ عَمَلِي مُلَاقِياً وَلِكَأْسِ المَنِيَّةِ شَارِباً وَعَلى اللهِ وَارِداً فَلا أَدْرِيْ أَرُوْحِيْ تَصِيْرُ إلى الجَنَّةِ فَأُهَنِّؤُها أَو إِلَى النَّارِ فَأُعَزِّيْها ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُوْلُ:

وَلَمَّا قَسَى قَلْبِيْ وَضَاقَتْ مَذَاهِبِيْ جَعَلْتُ الرَّجا مِنِّيْ لِعَفْوِكَ سُلَّمَا

تَعاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا
وَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ تَجُوْدُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكَرُّمَا

آخر: أَجَاعَتْهُمُ الدُّنْيَا فَخَافُوا وَلَمْ يَزَل كَذَلِكَ ذُو التَّقْوَى عَنِ العَيْشِ مُلْجَمَا
أَخُو طَيءٍ دَاوُدُ مِنْهُمْ وَمِسْعَرٌ وَمِنْهُم وهَيْبٌ وَالْعَرِيْبُ بْنُ أَدْهَمَا
وَفِي ابْنِ سَعِيْدٍ قُدْوَةُ البِرِّ وَالنُّهَى وفي الوَارِثِ الفَارُوْقِ صِدْقاً مُقَدَّمَا
وَحَسْبُكَ مِنْهُمْ بالفُضَيْلِ مَعَ ابْنِهِ وَيُوسُفَ إنْ لَمْ يَأْلُ أَنْ يَتَسَلَّمَا
أُوْلَئِكَ أَصْحَابِي وَأَهْلُ مَوَدَّتِي فَصَلَّى عَلَيْهِم ذُو الجَلَالِ وَسَلَّمَا
فَمَا ضَرَّ ذَا التَّقْوَى نِصَالُ أَسِنَّةٍ وَمَا زَالَ ذُو التَّقْوَى أَعَزَّ وَأَكْرَمَا
وما زَالَتِ التَّقْوى تُرِيْكَ عَلى الفَتَى إذا مَحَّضَ التَّقْوى من العِزِّ مِيْسَمَا

آخر: عَلَيْكَ بَتَقْوَى الله واقنَعْ بِرِزْقِهِ فَخَيْرُ عِبَادِ الله مَنْ هُوَ قانِعُ
ولا تُلْهِكَ الدُّنْيَا ولا طَمَعٌ بِهَا فقد تُهْلِكُ المغْرُوْرَ فيها المَطامِعُ
فَصَبْراً على ما نَابَ مِن تَبْعَاتِهَا فما يَسْتَوِيْ عَبْدٌ صَبُوْرٌ وجَازِعُ
أَعَاذِلُ ما يُغْنِي الثراء عن الفتى إذا حَشْرَجَتْ في النَّفْسِ منه الأضالِعُ

آخر: امْنَعْ جُفونَكَ طُوْلَ اللَّيْلِ رَقْدَتَهَا وامْنَعْ حَشَاكَ لَذِيْذَ الرَّيِ والشِّبَعَا
واسْتَشْعِرِ البِرَّ والتَّقْوَى ودُمْ بِهِمَا حَتَّى تَنَالَ بِهِنَّ الفَوْزَ والرِّفَعَا

آخر: فَخُضْ غَمَراتِ المَوتِ واسْمُ إلى العُلَا لِتَحْظَى بِعِزٍّ في حَيَاتِكَ دَائِمِ
فَلا خَيْرَ فِي مَنْ لا يَخَافُ إلهَهُ ولا هِمَّةٍ تَصْبُو لِنَيْلِ المَآثِمِ

آخر: وَرَبِّكَ لَوْ أَبْصَرْتَ يَوْماً تَتَابَعَتْ عَزَائِمُهُمْ حَتَّى لقَدْ بَلَغُوا الجَهْدَا
لأَبْصَرْتَ قَوْماً جَانَبُوا النَّوْمَ وَارْتَدَوْا بأرْدِيَةِ التَّسْهَادِ واسْتَقْرَبُوا البُعْدَا
وَصَامُوا نَهَاراً دَائِماً ثُمَّ أَفْطَرُوا عَلَى بُلَغِ الأَقْوَاتِ وَاسْتَعْمَلُوا الكَدَّا
أُوْلَئِكَ قَوْمٌ حَسَّنَ اللهُ فِعْلَهُمْ وَأَوْرَثَهُم مِنْ حُسْنِ فِعْلِهِمُ الْخُلْدَا

آخر: صَفَوْا فلا غَرْوَ أَنْ تَصْفُوا مَشَارِبُهُمْ وفِي المُصَافَتِ لِلأَحْبَابِ أَسْرَارُ
يَرْوِيْ عَلِيْلُ الصِّبَا صَحِيْحَ هَوَى مِنَ الشَّذَا فَهْوَ نَقَّالٌ ومِعْطَارُ
هُمُ الرجَالُ فإنْ تَسْلُكْ طَرِيْقَهُمُوا نِلْتَ المُنَى لَيْسَ بَعْدَ العَيْنِ آثَارُ

سَلْهَمْ وسَلْ عَنْهُمُوْا من كَان يَعْرِفُهُمْ ... فَعِنْدهُم لِمُقِيْمِي الدِّيْنِ أَقْدَارُ
أَنْعَمْ إذَا كُنْتَ تَهْوَاهُم بِقُرْبِهِمُوا ... واصَحَبْهُمُوا إنْ نأتِ يَوماً بكَ الدَّارُ
واحْلُلْ بِسَاحتِهِمْ تَسْعَدْ بِجَيْرَتِهِمْ ... يَحْمُوْا النَّزِيْلَ ولا يُؤْذَى لَهُمْ جَارُ

آخر: اعتزلْ ذكرَ الغواني والغَزَلْ ... وقُلِ الفصلَ وجانبْ من هَزَلْ
وَدَعِ الذِّكرى لأيامِ الصِّبَا ... فَلأيامِ الصِّبَا نجمٌ أَفَلْ
إنّ أهْنَا عِيشَةٍ قَضَّيْتَها ... ذهَبتْ لذَّاتُها والإِثْمُ حَلّ
واتْرُكِ الغادَةَ لا تحفل بِها ... تُمْس في عِزّ رفيعٍ وتُجلّ
وافْتكرْ في مُنتهى حُسْنِ الّذي ... أَنْتَ تهواهُ تَجِدْ أَمْراً جللْ
وَاهجُر الخمرةَ إنْ كنْتَ فتىً ... كيفَ يسعَى في جُنونٍ من عَقَلْ
واتَّقِ اللهَ فتقوى اللهِ مَا ... باشَرَتْ قلْبَ امرِىءٍ إلّا وَصَلْ
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرْقاً بَطَلًا ... إنمَا مَن يتَّقِي اللهَ بَطلْ
صَدِّقِ الشرْعَ ولا تَركَنْ إلى ... رَجُلٍ يَرْصُدُ في الليلِ زُحَلْ
حارَتِ الأفكارُ في قُدرة مَن ... قد هدانا سُبْلَنا عزّ وجلّ
أَيْنَ نُمرودُ وكَنعانُ ومَن ... مَلَكَ الأرضَ وولّى وعَزَلْ
أَيْنَ عادٌ أينَ فِرعوْنُ وَمَنْ ... رَفعَ الأهرامَ مَن يَسمعْ يَخَلْ
أينَ مَن سادُوا وشادُوا وبنوْا ... هَلَكَ الكلُّ فلمْ تُغْنِ الْقُلَلْ
أينَ أربابُ الحِجَى أهْلُ النُّهَى ... أينَ أهْلُ العلمِ والقومُ الأُوَلْ
سيُعيدُ اللهُ كلًّا منهمُ ... وسيَجْزي فاعِلًا ما قَدْ فَعلْ
يابُنيّ اسمَعْ وصايا جَمَعتْ ... حِكَماً خُصّتْ بها خيرُ المِلَلْ
اطْلبِ العلمَ ولا تكسَلْ فَمَا ... أبْعدَ الخَيْرَ عَلَى أهْلِ الكَسَلْ
واحتَفِلْ لِلْفِقْه في الدّينِ وَلَا ... تَشْتَغِلْ عَنْه بمالٍ وخوْلْ
واهْجُرِ النومَ وَحصِّلْه فَمَنْ ... يَعرفِ المطلوبَ يحقِرْ ما بَذَلْ
لاتقلْ قَدْ ذَهَبَت أربابُه ... كلُّ منْ سارَ على الدَّربِ وَصَلْ
في ازديادِ العلمِ إرغامُ العِدَى ... وَجمالُ العلمِ إصلاحُ العملْ

جَمِّلِ المنطِقَ بالنَّحوِ فَمَن ... حُرِمَ الإعرابَ بالنُّطق اخْتَبلْ
أُنظمِ الشِّعرَ ولازمْ مَذهَبِي ... في اطِّراح الرِّفد لا تَبغِ النِّحَلْ
فَهْوَ عُنوانٌ على الفَضْلِ وَمَا ... أحْسنَ الشِّعْرَ إذَا لَمْ يُبْتَذَلْ
ماتَ أهلُ الجود لم يبْقَ سوى ... مُقْرِفٌ أو مَن على الأصل اتَّكلْ
أنا لا أختارُ تقبيلَ يدٍ ... قَطعُها أجْملُ من تلك القُبَلْ
إنْ جَزَتْنِي عنْ مَديحي صِرْتُ فِي ... رقِّها أو لا، فيكفيني الخَجَلْ
مُلْكُ كسرى عنه تُغْني كِسْرَةٌ ... وعنِ البحرِ اكْتفاءٌ بالوَشَلْ
أعذبُ الألفاظِ قَوْلي لَكَ: خُذْ ... وأمرُّ اللّفظِ نُطقي بِلَعَلّ
ليس ما يَحْوي الفتى من عزْمِهِ ... لا ولا ما فات يوماً بالكَسَلْ
اطْرحِ الدنيا فَمِنْ عاداتِها ... تخفِضُ العاليَ وتُعلِي من سَفُلْ
عيشةُ الرّاغب في تحصيلها ... عِيشَةُ الزّاهد فيها أو أَقلّ
كَمْ جهولٍ وهْوَ مُثْرٍ مُكثِرٌ ... وعليمٍ ماتَ منها بالعِلَلْ
كم شجاعٍ لم ينلْ منها الْمُنى ... وجَبانٍ نالَ غاياتِ الأملْ
فاتْركِ الحِيلَةَ فيها واتَّئِدْ ... إنَّما الحيلةُ فِي تْركِ الحِيَلْ
أَيُّ كفٍّ لم تنلْ مما تُفِدْ ... فَرماها اللهُ مِنْهُ بالشَّلَلْ
لا تُقلْ أصْلي وفصْلي أبَداً ... إنَّما أصلُ الفَتَى ما قَدْ حَصَلْ
قَدْ يَسودُ المرءُ مِن غيرِ أَبٍ ... وبِحُسْنِ السَّبكِ قَدْ يُنْفى الزَّغَلْ
وكَذا الوَردُ مِنَ الشوْكِ وَمَا ... يَطلَعُ النَّرجسُ إلا مِنْ بَصَلْ
مَعَ أَنِّي أحْمدُ الله عَلى ... نَسبِي إذْ بِأَبِي بَكْرٍ اتَّصلْ
قيمةُ الإنسانِ ما يُحْسِنُهُ ... أَكْثَرَ الإنسانُ منه أو أَقَلّ
أُكْتُمِ الأمْرَيْن فَقراً وغِنىً ... واكْسَبِ الفِلْسَ وَحاسِبْ مَنْ مَطَلْ
وادَّرِعْ جدّاً وكَدّاً واجْتَنِبْ ... صُحبةَ الحَمْقى وأربابَ الدُّوَلْ
بَيْن تبذيرٍ وبُخْلٍ رتْبةٌ ... وكِلَا هذَيْنِ إنْ زادَ قَتلْ

لا تخُضْ في حقِّ ساداتٍ مضوْا إنَّهـم ليسوا بأهـلٍ للزَّلَـلْ
وتغافَـلْ عن أُمـورٍ إنـهُ لم يَفُـز بالحَمْـدِ إلَّا مَنْ غفـلْ
ليس يَخلُو المرءُ مِن ضِدٍّ وَلَوْ حاوَلَ العُزْلَـةَ في رأْسِ جَبَـلْ
مِلْ عنِ النَّمَّامِ وَازْجُرْه فَمَا بَلَّـغَ المكْـروهَ إلَّا مَنْ نَقَـلْ
دارِ جارَ السوْءِ بالصَّبْـرِ فإن لم تَجدْ صَبْراً فما أحلى النُّقَـلْ
جانِبِ السُّلْطَانَ واحْـذَرْ بَطْشَهُ لا تُعانِـدْ مَنْ إذا قالَ فَعَـلْ
لا تَلِي الحُكْمَ وإن هُمْ سَألُوا رغبـةً فيكَ وخَالِـفْ مَن عَذَلْ
إنَّ نصفَ النـاسِ أعداءٌ لِمَنْ ولِـيَ الأَحْكـامَ هذا إنْ عَدَلْ
فهْـو كالمحبـوسِ عنْ لَذَّاتِـهِ وكِلَا كَفَّيْه فِي الحَشْرِ تُغَلّ
إن للنَّـقصِ والاسْتِثْقـالِ فِي لَفْظَـةِ القـاضِي لَوَعظاً ومَثَل
لا توازي لذةُ الحكـمِ بمـا ذاقَه الشخصُ إذا الشخصُ انْعزلْ
فالوِلاياتُ وإن طابَتْ لِمَـن ذَاقَهـا فالسُّمّ في ذاكَ الـعَسَلْ
نَصَبُ المنْصِبِ أوْهـى جَلَـدِي وَعَنَـائِي مِنْ مُداراةِ السّفَـلْ
قصرِّ الآمالَ في الدُّنْيـا تَفُـزْ فَدليـلُ العَقْـلِ تَقْصيرُ الأمـلْ
إنَّ مَنْ يَطْلُبُـهُ الموْتُ عَلى غِرَّةٍ مِنـهُ جَديـرٌ بالوَجَـلْ
غِبْ وَزُرْ غِبّاً تَزِدْ حُبّاً فمَن أكثَـرَ التّـردادَ أقصاهُ المَلَـلْ
خُذْ بنصلِ السيفِ واتْرك غِمْدَهُ واعتبر فضْلَ الفَتى دونَ الحُلَلْ
لا يضُرُّ الـفضلَ إقلالٌ كَمَـا لا يضرُّ الشمسَ إطَباقُ الطَّفَلْ
حبُّكَ الأوطـانَ عجزٌ ظاهِـرٌ فاغْتَـرِبْ تَلْقَ عَنِ الأَهْلِ بَدَلْ
فَبِمُـكثِ الماءِ يبقـى آسنـاً وسُرَى البدْرِ بِهِ البدرُ اكْتَمـلْ
أَيُّهـا العَـائِبُ قَوْلِـي عَبَثـاً إنَّ طِيبَ الـوردِ مُؤْذٍ لِلْعُجَـلْ
عَدِّ عنْ اسهُمِ قَوْلِي واسْتَتِرْ لا يُصيبَنَّكَ سَهْمٌ من ثُعَـلْ
لا يغُـرَّنَّكَ لِيـنٌ من فتـىً إنَّ للحيَّـاتِ لينـاً يُعْتـزلْ
أَنـا مِثلُ الماءِ سهـلٌ سائِـغٌ وَمتـى سُخِّـنَ آذى وَقَتـلْ

أنا كالْخَيْـــزورِ صَعبٌ كَسْرُهُ ... وَهْو لَدْنٌ كيف ما شئْتَ انْفَتلْ
غيرَ أنّي في زَمانٍ مَنْ يَكُـنْ ... فيـه ذَا مالٍ هُو المْوْلى الأجلّ
واجبٌ عنـدَ الـورى إكرامُــهُ ... وقليــلُ المالِ فِيهم يُسْتَقَــــلّ
كلُّ أهـلِ العصْرِ غمْرٌ وأنـا ... منهمُ فاتـركْ تَفاصِيـل الجُمَـلْ
وَصلاةً وسلامــــاً أبــــداً ... للنبيِّ المصطفى خيرِ الـدُّولْ
وَعلى الآل الكِـــرامِ السُّعَــدا ... وَعلى الأصحابِ والقومِ الأُوَلْ
مَا ثَوَى الــرَّكْبُ بِعُشَّاقٍ إلى ... أيمنِ الْحيِّ وَما غَنَّـى رَمَــلْ

«مَوْعِظَةٌ»

اخْوانِي : إنَّ الليلِ كَمَا عَلِمْتُمْ فِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ وَثَوَابٌ جَزِيْلٌ لِمَن وَفَّقَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا ، وَهُوَ مِنْ أَثقَل شَيءٍ عَلى النَّفْسِ وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ أَنْ يَرْقُدَ الإِنسَانُ ، وإِنَّمَا يَكُونُ خَفِيفاً بالاعْتِيَادِ ، وَتَوطِينِ النَّفْسِ وَتَمْرِينِهَا عَلَيْهِ والمَدَاوَمَةِ والصَّبرِ عَلى المَشَقَّةِ والمُجَاهَدَةُ في الابْتِدَاءِ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْشرِحُ وَيَنْفَتِحُ بَابُ الأُنْسِ باللهِ وَتَلَذُّ لَهُ المَنَاجَاةُ وَالخَلْوَةُ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَشْبَع الإنسَان مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَسْتَثْقِلَهُ أَو يَكْسَلَ عَنْهُ كَمَا وَقَعَ لِكَثِيْرٍ مِنَ السَّلَفِ . قَالَ بَعْضُهُم : أَهْلُ الليلِ في لَيْلِهم أَلَذُّ مِن أَهلِ اللهو في لَهْوِهِم وَيَا بُعْدَهَا بَيْنَ الحَالَتَينِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ وَفَقَ أَقْوَاماً فَتقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالنَّوافِلِ ، وَأَبْعَدَ بِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ آخَرِيَن فَهُمْ عَنْ مَا يَنْفَعهم في حَاضِرِهم وَمَآلِهِم غَافِلُونَ .

شِعْرا : ولا خَيْرَ في مَنْ لا يُوَطِّنُ نَفْسَهُ ... عَلَى طَاعَةِ الْمَولَى بِمَا في كَتابِهِ

اللَّهُمَّ ثَبتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنا وقَوِّها وَأَلْهِمْنَا ذِكْرِكَ وشُكْرَكْ ووفِّقْنا لِلْقِيَامِ بِأَمْركْ واعِذْنا من عَدُونا وَعَدوِّكْ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيْع المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

«فَصْــلٌ»

إعلم يا أخِي أَنَّـهُ يَنْبَغِـي للإنسان أنْ يُكْثِـرَ مِن سُؤَال الله ويَتَحَـرَّى أوْقَـاتَ الإجابة لَعَلَّ الله جَلَّ وَعَلا أن يَسْتَجيْبَ لَهُ ، قَالَ الله تبارك وتعَـالى وهـو أصْدَقُ القائِلين : ﴿وإذا سَألَكَ عِبَادي عَنِي فإني قريب أُجِيْبُ دَعْوةَ الدَّاعي إذا دعان﴾ ، وقال تَبَارَكَ وتعالى وهو أوفى الواعدين : ﴿وقال رَبُكم أدْعُونِي أسْتجب لكم﴾ ، وقال تعالى : ﴿أُدْعُوا رَبَّكُم تَضرعاً وخُفْيَةً﴾ ، وقال تعالى : ﴿ويَدْعُونَنَـا رَغَبـاً ورهباً﴾ ، وقال تعالى : ﴿فلولا أنه كان من المُسَبِّحِين لَلَبث في بَطْنِـهِ إلَـى يَوم يُبْعَثُون﴾ وأن يَفَتِحَ الدُعَاءَ بالثناء على الله والصلاة عَلَى رسوله ﷺ .

شِعْرًا :

وأقْـوَمُ خَلْـقِ الله لِلَّـهِ بالَّـذي ... يُحِبُّ ويَـرْضَاهُ النَّبِـيُ المُبَجَّـلُ
فَتَى جَمَعَتْ فيه المكارمُ شَمْلَهَا ... فما فَاتَـهُ مِنْهـا أخِيْــرٌ وأوَّلُ
عِنَايَتُـهُ بالدِّيْـنِ تَشْهَــدُ أَنَّــهُ ... نَبِيٌّ مِن الرَّحْمٰنِ قَدْ جَاء مُرْسَلُ
لَهُ مِنَّةٌ عُظْمَى عَلى كُلِ مُسْلِمٍ ... وَطَاعَتُـهُ فَرْضٌ مِن الله مُنْـزِلُ
دَعَانا إلى الإسلامِ بَعْدَا انْدِرَاسِهِ ... وقَامَ بأمْـرِ اللهِ والأمْـرُ مُهْمَـلُ
وأَصْلَحَ بَيْـنَ المُسْلِمِيْـنَ بِيُمْنِـهِ ... وَأَطْفَأ نِيْرَاناً على الدِيْنِ تُشْعَـلُ
يُعَـاقِبُ تَأدِيْبـاً ويَعْفُـو تَطَـوُّلاً ... ويَجْزِيْ على الحُسْنَى ويُعْطي فَيُجْزِلُ
ولا يُتْبعُ المَعْرُوْفَ مَناً وَلا أَذَى ... ولا البُخْلُ مِنْ عَادَاتِهِ حِيْنَ يُسْأَلُ
رَعَاهُ الذي اسْتَرْعَاهُ أمْر عَبَادِهِ ... وكَافَاهُ عَنَّـا المُنْعِـمُ المُتَـفِضِّلُ

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الإيْمانَ هادِماً لِلسيئَات ، كَمَا جَعَلْتَ الكُفْرَ عَادِمَاً لِلْحَسَنَاتِ وَوَفقنا للأعْمَالِ الصالِحاتِ ، واجْعلنا مِمَّنْ توكَّلَ عَليكَ فَكَفَيْتَهُ ، واسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فأَجَبْتَهُ ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

«فَصْــلٌ»

وَقال النَّبيُّ ﷺ: و«لَنْ يَنْفعَ حذَرٌ مِنْ قَدَرٍ؛ وَلكِنَّ الدُّعاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُم بالدُّعاءِ عِبَادَ اللهِ». رَواهُ أحمدُ وَالطَّبراني عنْ مُعاذٍ رَضِيَ الله عنه.

قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ تَعَالى حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحيي إذا رَفَعَ الرَّجُلُ إليْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صُفْراً خائِبتَينِ». رَواهُ أَحمَدُ وَأَبو داود والتِّرمذي وابن ماجه والحاكمُ عن سَلمَانَ رَضِي الله عنه.

وَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنونَ بالإجابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لا يَسْتَجيبُ مِنْ قَلْبٍ غافِلٍ لاهٍ». رَواهُ التّرمذي وَالْحَاكم عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو بِدْعاءٍ إلّا اسْتُجيبَ لَهُ؛ فإمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ في الدُّنْيا، وَإِمَّا أَنْ يُؤَخَّرَ لَهُ في الآخِرَةِ، وإمَّا أنْ يُكَفَّرَ عَنهُ مِنْ ذُنوبهِ بِقَدْرِ مَادَعا، مَا لَمْ يَدْعُ بإِثمٍ أَوْ قَطيعَةِ رَحِمٍ، أَوْ يَسْتَعْجِلُ يقولُ: دَعَوْتُ رَبِّي فَمَا اسْتَجابَ لي». رَواهُ التّرمذي عن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ عِنْـدَ الشَّدائِـدِ وَالْكُـرَبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعاءَ في الرَّخاءِ». رَواهُ التّرمذي وَالحاكمُ عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَلَقَدْ عَلَّمَ النَّبيُّ ﷺ أُمَّتَهُ كَيفَ تَدْعو فَقَالَ ﷺ: «إِذ صَلَّى أَحَدُكُم فلْيَبْدَأْ بِتَحْميدِ اللهِ تعالى وَالثَّناءِ عَليهِ ثُمَّ لْيُصَلِّ على النَّبيِّ ﷺ ثُمَّ لْيَدْعُ بِمَا شَاءَ». رَواهُ أبو داود والتّرمذي وابنُ حبَّانَ والحاكمُ والْبيهقيُّ عنْ فُضالَةَ بنِ عُبَيدٍ رَضِيَ الله عَنْهُ.

وَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إذا دَعا أَحَدُكُم فَلْيُؤَمِّنْ عَلَى دُعاءِ نَفْسهِ». رَواهُ ابنُ عَدِي عنْ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعُ مَلَأٌ فَيَدْعُوا بَعْضُهُمْ وَيُؤَمِّنُ بَعْضُهُمْ إِلّا أَجابَهُمُ الله». رَواهُ الطَّبرانيُّ والحاكِمُ وَالْبَيهقِّي عن حَبيبِ بنِ سَلَمَةَ الْفِهْرِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «سَلُوا اللهَ ببطُونِ أَكُفِّكم وَلَا تَسْأَلوهُ بظُهورِها فإذا فَرَغْتُمْ فَامْسَحوا بها وَجُوهَكم». رَواهُ أَبو داودَ والبَيهقِّي عنِ ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «لَا تَدْعوا على أَنفُسِكُم إِلّا بخَيرٍ، فَإِنَّ المَلائكَةَ يُؤَمِّنونَ على ما تَقولونَ». رَواهُ أَحمَدُ وَمُسلم وأَبو دَوادَ عنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «لا تَدعُوا على أَنفُسِكم وَلَا تَدْعوا على أَوْلادكُم وَلَا تَدْعوا على خَدَمِكُم وَلَا تَدْعوا على امْوالِكُم لا تُوافِقُ مِنَ اللهِ سَاعَةً نيلَ فيها عَطاءٌ فَيُسْتَجَابُ لَكُم». رَواهُ أَبو دَاودَ عنْ جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «تُفْتَحُ أَبوابُ السَّماءِ وَيُسْتَجَابُ الدُّعاءُ في أَرْبعَةِ مَواطِنَ: عنْدَ الْتقاءِ الصُّفوفِ في سَبيْلِ اللهِ، وَعنْدُ نُزولِ الْغَيْثِ، وَعنْدَ إِقامَةِ الصلاةِ، وَعِنْدَ رُؤْيَةِ الْكَعبَةِ». رَواهُ الطَّبراني عن أَبي أُمامَةَ رَضِيَ اللهِ عَنْهُ.

وَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ كانَتْ لَهُ إلى اللهِ حاجَةٌ فَلْيَدْعُ بِها دُبُرَ كلِّ صَلاةٍ مَفْروضَةٍ». رَواهُ ابن عساكِر عن أَبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «ثَلاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعوَتُهُمْ: الإمامُ الْعادلُ، وَالصَّائمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوةُ الْمَظْلومِ يَرْفَعُهَا الله فَوْقَ الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيقولُ الرَّب تَبارَكَ وتَعَالى: وَعِزَّتي لأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حينٍ». رَواهُ أَحمَدُ والتِّرمذي وابن ماجَه عن أَبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «دُعاءُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ مُسْتَجابٌ لِأَخيهِ بظَهْرِ الْغَيْبِ، عنْدَ رَأْسه مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بهِ، كلَّما دعَا لِأَخيه بخَيرٍ قالَ المَلكُ: آمينَ وَلَكَ مِثْل

ذَلِكَ». رَواهُ أَحمَدُ ومُسلم وابنُ ماجَه عن أَبي الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «سَلُوا اللهَ حَوائجَكُم حَتّى المِلْحَ». رَواهُ البَيهقيُّ عن بَكْر بن عبد الله الْمُزني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُرسَلًا.

وَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبارَكَ وَتَعالى كُلَّ لَيْلَة إلى السَّماءِ الدُّنيا حينَ يَبْقى ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرِ فَيَقولُ: مَنْ يَدْعوني فأَسْتَجيبُ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُني فَأُعْطيه، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُني فَأَغْفِرُ لَهُ». رَواهُ أَحمَدُ والبُخاريُّ ومُسلم وَأَبو دواد والتّرمذيُّ وابنُ مَاجه عن أَبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ في جَوْفِ اللَّيلِ الآخِرِ، فإنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ في تِلْكَ السَّاعةِ فَكُنْ». رَواهُ التّرمذيُّ والنسّائيُّ والحاكمُ عن عَمْرو بن عنبَسَةَ رَضيَ اللهُ عنهُ.

وَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «يدْعو اللهُ بالمُؤمِنِ يَوْمَ الْقيامَةِ حَتّى يُوقِفَه بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيقولُ: عَبْدي، إنّي أَمَرْتُكَ أَنْ تَدْعُوَني وَوَعَدْتُكَ أَنْ أَسْتَجيبَ لَكَ؛ فَهَل كُنتَ تَدْعوني؟ فيقولُ: نعَمْ يَارَبِّ. فيَقولُ: أَمَا إنَّكَ لَمْ تَدْعُني بدَعْوَةٍ إلَّا اسْتُجيبَ لَكَ؛ أَلَيْسَ دَعَوْتَني يَوْمَ كَذا وَكذا لِغَمٍّ نَزَل بِكَ أَنْ أُفَرِّجَ عَنْكَ فَفَرَّجْتُ عنْكَ؟ فيَقولُ: نعَمْ يَارَبِّ. فيَقولُ: إني عَجَّلْتُها لَكَ في الدُّنْيا. وَدَعَوْتَني يَوْم كَذا وَكَذا لِغَمٍّ نَزَلَ بِكَ أَنْ أُفَرِّجَ عَنكَ فلَمْ تَرَ فَرَجاً؟ قالَ: نعَمْ يَارَبِّ. فيَقولُ: إني ادَّخَرْتُ لَكَ بها في الْجَنَّةِ كَذا وَكَذا. وَدَعَوْتَني في حاجَةٍ أَقْضيها لَك في يَوْمِ كَذَا وَكذا فَقَضَيْتُها؟ فيَقول: نعَمْ يَارَبِّ. فيَقول: إني عَجّلْتُها لَكَ في الدُّنْيا. وَدَعَوْتَني يَوْمَ كَذا وَكَذا في حاجَةٍ أَقْضيهَا لَكَ فَلَمْ تَرَ قَضَاءَهَا. فيَقولُ: نعَمْ يَارَبِّ. فيقولُ: ادَّخَرْتُهَا لَكَ في الجَنَّةِ كَذا وَكَذا».

قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَلا يَدَعُ اللهُ دَعْوَةً دَعا بها عَبدُهُ الْمُؤمِنُ إلّا بَيَّنَ لَهُ؛ إمّا أَنْ يَكُونَ عَجَّلَ لَهُ في الدُّنْيا؛ وَإمّا أَنْ يَكُونَ ادَّخَرَ لَهُ في الآخِرَةِ. قالَ:

فَيقولُ المُؤمنُ في ذَلِكَ المَقامِ: يَالَيتَهُ لمْ يَكُنْ عَجَّلَ لَهُ شَيْئاً مِنْ دُعائِهِ». رَواهُ الحاكمُ عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الله طَيِّبٌ لايَقبَلُ إِلّا طَيِّباً. وَإِنَّ الله أَمَرَ المُؤْمِنينَ بمَا أَمَرَ به المُرْسَلينَ فَقالَ: ﴿يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا صَالحاً إِنِّي بما تَعْمَلونَ عَليمٌ﴾، وَقالَ الله تَعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُم﴾، ثُمَّ ذَكَرَ: الرَّجلُ يُطيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْه إلى السَّماءِ: يَارَبِّ يَارَبِّ وَمَطعَمُهُ حَرامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرامٌ وَغُذِّيَ بالْحرامِ فَأَنَّى يُسْتَجابُ لِذَلِكَ». رَواهُ أَحمَدُ وَمُسْلِم والترمذيُّ عن أبي هِرَيرة رَضِيَ اللهُ. عَنْهُ فَمَنْ أرادَ أَنْ تُجابَ دَعْوَتُهُ فَلْيُطِبْ مَطْعَمَهُ.

«فَصْــلٌ»

فَيَاأَيُّهَا الغَافِلُ المُهْمِلُ المُفرِّطُ وَكُلُنا كَذَلِكَ انْتَبِهْ وَتَصوَّرْ صَرْعَةَ الموتِ لِنَفْسِكَ وتَصَوَّرْ نَزْعَهُ لِرُوْحِكَ وتَصوَّر كُرَبَهُ وسَكَراتِهِ وغُصَصَهُ وغَمَّهُ وقَلَقَهُ.

وَتَصَوَّرْ بُدُوَّ الملكَ لِجَذْبِ رُوحِكَ مِن قَدَمَيْكَ ثُمَّ الاستِمرار لِجَذبِ الرُوح مِن جميع بَدَنِكَ فَنُشِطَتْ مِن أَسْفَلِكَ مُتصَاعِدةً إلى أَعلاكَ حَتَّى إذا بَلَغَ منكَ الكربُ والوجعُ والألمُ مُنتهاهُ وعَمَّتِ الآلامُ جميعَ بَدَنِكَ وقَلبُكَ وَجل مَحْزُون مُنْتظرٌ إما البُشْرى مِن الله بالرضا وإما بالغضب.

فبينما أنتَ في كربكَ وغمُوْمِكَ وشِدةِ حُزنكَ لارْتَقا بِكَ إحْدَى البُشْرَيَيْن إذ سَمِعْتَ صَوتَهُ إمَّا بما يَسُركَ وإِمَّا بما يَغُمُكَ فَيَلْزَمُ حِيْنئِذٍ غَايةُ الهَمِ والحَزَن أو الفرح والأنس والسرور قَلْبَكَ حِيْنَ انقضَتْ مِن الدُّنْيَا مُدَّتُكَ وانقطعَ منها أَثَرُكَ وحُمِلْتَ إلى دارِ مَن سَلف مِن الأمم قَبْلَكَ.

وتَصَوَّرْ نَفْسَكَ حين اسْتطار قَلبُكَ فرحَاً وسُرُوْراً أو مُلِيءَ رُعْباً وحُزْناً وعَبْرةً وبزيارة القبرِ وهَولِ مَطْلعِهِ وَرَوْعَةِ الملكين منكر ونكير وسؤالهما لكَ في

القبر عن ثلاثة أسئلة ما فيها تخيير، الأول مَن رَبُّكَ والثاني ما دينُكَ والثالث من نَبيُّكَ.

فَتصور أصْوَاتَهُمَا عِندَ ندائهما لكَ لِتَجْلِسَ لِسُؤالهما لكَ فيه فتَصَوَّرْ جَلسَتك في ضِيقِ قَبْرِكَ وقد سَقَط كَفَنُكَ عن حَقْوَيْكَ والقُطِنُ مِن عَيْنَيْكَ.

ثُمَّ تصورْ شُخُوصَكَ بِبَصَرِكَ إليهما وتأمُلَكَ لِصُوْرَتَيهِمَا فإنْ رأيتَهما بأحْسَن صُورة أَيْقَنَ قَلبُكَ بالفوز والنجاة والسرور وإنْ رأيتَهما بأقبح صُورة أيقَنْتَ بالعَطَب والهلاك.

شِعْرًا: ولِلْمَرْءِ يَومٌ يَنْقَضِي فيه عُمْرُهُ ومَوْتٌ وقَبْرٌ ضَيِّقٌ فيه يُوْلَجُ
ويَلْقَى نَكِيْراً في السُؤالِ ومُنْكَراً يَسُومَانِ بِالتَّنكِيْلِ مَنْ يَتَلَجْلَجُ

آخر: تَفَكَّرْ في مَشِيْبِكَ والمَــآب ودَفْنِكَ بَعْدَ عِزِّكَ في التـرُابِ
إذا وَافيتَ قَبْـراً أَنْتَ فِيــهِ تُقِيْمُ بِهِ إلَى يَومِ الـحِسَابِ
وفي أَوْصَالِ جِسْمِكَ حِيْنَ تَبْقَى مُقَطَّعَـةً مُمَزَّقَــةَ الإهَـــابِ
فَلَوْلَا القَبْرُ صَارَ عَليكَ سِتْراً لَأَنْتَنَتِ الأَبَاطِــحُ وَالرَّوَابِــي
خُلِقْتَ مِن التُرابِ فَصِرْتَ حَياً وعُلِّمْتَ الفَصِيْحَ مِن الخِطَابِ
فطَلِّــقْ هَذِهِ الدُّنْيَــا ثَلَاثــاً وَبَادرْ قَبلَ مَوْتكَ بالْمَتَــابِ
نَصَحْتُكَ فَاسْتِمَعْ قَوْلِي وَنُصْحِي فِمِثْلُكَ قَدْ يُدلُّ عَلَى الصَّوابِ
خُلِقْنـا لِلْمَماتِ ولـو تُركْنَـا لَضَاق بِنَا الفِسْيحُ مِن الرِحَابِ
يُنَادِي في صَبِيْحَــةِ كُلِّ يَوْمٍ لِدُوْا لِلْمـوْتِ وابْنُـوْ لِلْخَـرَابِ

ثُمَّ تَصَوَّرْ كَيْفَ يَكُون شُعُورُكَ إنْ ثَبَّتَكَ الله جَل وعلا ونَظَرتَ إلى ما أعَدَّ الله لك وقولهما لَكَ هذا منزلكَ ومَصيرك فَتَصَوَّرْ فَرحَكَ وسُرُوْرَكَ بِمَا تُعايِنُه مِن النعيم وبَهْجَةِ المُلْكِ وإيْقَانِكَ بالسلامةِ مِمَّا يَسُوْؤكَ.

وإن كانت الأخرى فَتَصَوَّرْ ضِدَّ ذَلِكَ مِن إنتهارِكَ ومُعَايَنَتِكَ جهَنَّمَ

وقولهما لك هذا مَنزلُكَ وَمَصِيْرُكَ فَيَالَهَا مِن حَسْرةٍ ويا لهَا مِن نَدَامَةٍ وَيَا لهَا مِن عَثْرَةٍ لا تُقَال.

ثُمَّ بعدَ ذَلِكَ الفَنَاءُ والبلاءُ حَتَّى تَنْقَطِعَ الأوصالُ وتَتَفَتَّتِ العِظامُ ويَبْلى جَسَدُكَ ويَسْتَمِر حُزْنُكَ فيا حَسْرةَ رُوحِكَ وغُمومِها وهُمومِها، حَتَّى إذا تكامَلَتْ عِدَّةُ الأموات وقد بَقي الجَبَّارُ الأعلى مُنْفَرداً بعَظمَتِهِ وَجَلالِهِ وكِبريائه ثم لم يَفْجَأكَ إلا نِداء المنادِي لِلْخَلائِقِ لِلْعَرضِ على الله جل وعلا.

قَالَ تعالى: ﴿واستمع يَوْمَ يُنَادى المنادِ مِن مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذَلِكَ يومُ الخُروج﴾ يأمر الله ملكاً يُنَادي على صخرة بيتِ المقدس أيَّتُهَا العِظامُ البالية والأوصالُ المُتَقَطِّعَة واللحومُ المُتَمَزِّقَة والشُعُور المُتَفَرِقَة إن الله يأمركن أن تجتمعنَ لِفَصْلِ القضَاء.

فتَصَوَّرْ وقُوع الصَّوتِ في سَمْعِكَ ودُعَائِكَ إلى العَرْضِ على مَالِكِ المُلْكِ فَيطيْرُ فُؤادُكَ ويَشِيْبُ رَأسُكَ لِلنداءِ لأنها صَيْحَةٌ واحِدة لِلْعَرْض على الرب جل وعلا، قَالَ تعالى: ﴿فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة﴾.

فبينما أنْتَ في فَزَع مِن الصوتِ إذ سَمِعْتَ بانشقاق الأرض فخرجْتَ مُغْبَراً مِن غبارِ قَبركَ قائماً على قَدمَيْكَ شَاخِصاً ببَصَرِكَ نَحو النداء، قَالَ تعالى: ﴿يَومَ تشقق الأرض عنهم سِراعاً﴾، وقال: ﴿خُشَّعاً أبصارَهم يخرجون من الأجداث﴾.

فتصور تَعَرِّيَكَ ومَذَلَّتكَ وانْفِرَادَكَ بخَوفِكَ وأَحْزانِكَ وهُمُومِكَ وغُمومِكَ في زَحْمَةِ الخلائق خاشعة أبصارهمُ وأصْوَاتُهم تَرهَقُهم الذِلَّةُ، قَال تعَالى: ﴿وخَشَعَتِ الأصواتُ للرحمن فلا تسمع إلا همساً﴾، وقال تعالى: ﴿خُشَّعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جرادٌ مُنْتَشِر مهطعين إلى الداعي﴾.

اللَّهُمَّ ثَبتنَا عَلى قَولِكَ الثابت في الحَيَاة وفي الآخِرَةِ وآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنة

وفي الآخِرَةِ حَسَنة وَقِنَا عَذَاب النَّارِ وَاغْفِرْ لَنا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ. اللَّهُمَّ خَفِّفْ عَنَّا الأَوْزَارَ وأَرْزُقْنَا عِيْشَةَ الأَبْرَارِ واصْرِفْ عَنَّا شَرَّ الأَشْرَارِ وأَعْتِقْ رِقَابَنا ورِقَابَ آبائِنَا مِن النَّارِ ياعَزِيْزُ ياغَفَّارُ ويا كَرِيْمُ ويَاستَّارُ ويا حَلِيْمُ ويا جَبَّارُ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: ثُمَّ تَصَوَّرْ إِقْبَالَ الوُحُوش مِن البَراري مُنَكِسَةً رُؤُوْسَها لِهَولِ يَوْمِ القِيَامَةِ فبعدَ تَوحُشَها وانْفِرَادِهَا مِن الخلائقِ ذلّتْ لِيوَمِ النُّشُور، قَالَ تَعَالى ﴿وإذا الوُحُوشُ حُشرَتْ﴾.

وَتَصَوَّرْ تَكْوِيرَ الشمس وتَنَاثُر النجُوم وانْشِقَاقَ السماء مِن فوق الخلائق مَعَ كَثَافَةِ سَمْكِهَا فياهَولَ صَوْتِ ذَلِكَ الانشقاق.

والملائكةُ على حَافَاتِ مايَتَفَطَر مِن السماء، قال تعالى: ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها﴾، وقال تعالى: ﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدِّهَان﴾، وقال تعالى: ﴿إذا السماء انشقت﴾.

قِيْلَ تَذُوبُ كَما تَذُوبُ الفِضَّةُ في السَّبْكِ وَتَتَلَوَّنُ كَمَا تَتَلَوَّنُ الأَصْباغ التي يُدْهَنُ بها فتارة حَمْرَاء وتارة صَفْرَاء وزَرْقاء وخَضْراء وذلك مِن شدة الأمر وهول يوم القيامة، وقال تعالى: ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ قيل كالفضة المذابة أو الرصاص المذاب، وقال تعالى: ﴿يوماً يجعل الولدان شِيْبًا﴾.

فتصور وقوفك مفرداً عرياناً حافياً وقَدْ أدنِيَتِ الشمسُ مِن رُؤوسِ الخلائق ولا ظل لأحد إلا ظل عرش رب العالمين، فبينما أنتَ على تلْكَ الحَالِ المزعجة اشْتَدَّ الكربُ والوَهَج من حَرِ الشمسِ ثم ازدحمت الأممُ وتدافَعَتْ وتضايقَتْ واختلفَتِ الأقدامُ وانقطَعتِ الأعناقُ من شَدّةِ العطشِ والخوفِ العظيم.

وانْضَافَ إلى حَرِ الشمّسِ كثرة الأنفاسِ وازدحامُ الأجسام والعطشُ تضَاعَفَ ولا نومَ ولا راحة وفاضَ عَرقُهم على الأرض حتى اسْتَنْقَعَ ثُمَّ ارتفعَ على الأبدان على قَدْر مَراتِبِهم ومَنَازِلهم عند ربهم بالسعادة والشقاوة.

ثم تصور مجيء جهنم تقاد ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، قال تعالى: ﴿وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾.

فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا لركبته يقول يارب نفسي نفسي فتصور ذلك الموقف المهيل المفزع الذي قد ملأ القلوبَ رُعباً وخوفاً وقلقاً وذُعْرًا ياله من موقف ومنظر مزعج.

وأنت لا محالة أحدهم فتوهم نفسك لكربك وقد علاك العرق والفزع والرعب الشديد والناس معك منتظرون لفصْلِ القضاء إلى دار السعادة أو إلى دار الشقاء، قال تعالى: ﴿وتُنْذِر يَوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير﴾.

فتصور أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم منفرد كل واحد بنفسه ينادي نَفْسِي نَفْسِي، قال الله تعالى: ﴿يوم تأتي كلُ نَفْسٍ تجادل عن نفسِهَا﴾، وقال تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه﴾ الآيَة.

فتصور نفسَكَ وحالتَكَ عندما يَتَبَرأُ منكَ الولدُ والوالدُ والأَخُ والصاحبُ لما في ذلك اليوم من المزعجات والقلاقل والأهوال التي مَلأتِ القلوبَ من الخوفِ والفزعِ والرعبِ والذُعرِ.

ولولا عظم هول ذلك اليوم ما كان من الكرم والمروأة والحفاظ أن تفر من أمِّك وأبيكَ وأخيكَ وبَنيك ولكن عظم الخطر وشدة الكرب والهول اضطرك إلى ذلك فلا تلام على فرارك منهم ولا لوم عليهم إذا فروا منك، قال الله تعالى:

﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾، وقال تعالى: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سُكَارَى وما هم بسكارى ولكن عذابَ الله شديد﴾.

فبينما أنْتَ في تلك الحالة مَمْلُوْءٌ رُعْباً قدْ بَلَغَتِ القلوبُ الحَنَاجِرَ مِن شِدةِ الأهَوْال والمُزْعِجَات والخوفِ العظيم إذا ارْتفعَ عَنَقٌ مِن النار يَلْتَقِطُ مَن أمِرَ بأخذِهِ فَينطَوِي عليهم ويُلْقِيْهِم في النَّارِ فَتَبْتَلِعُهُمْ ثم تَصَوَّرْ المِيزانَ وعَظمَتَه وَقَدْ نُصِبَ لِوَزْنِ الأعمالِ وتَصَوَّرْ الكُتُبَ المتطايِرَةَ في الأيْمَانِ وَالشمائِلِ وقلبُكَ واجِفٌ مَمْلُوءاً خوفاً مُتَوَقِّعُ أينَ يَقَعُ كتابُكَ في يَمينِكَ أو في شِمالكَ أو مِن وراء ظهركَ.

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ المُفْلِحِيْنَ وأَلْبِسْنَا خِلَعَ الإِيْمَانِ واليَقِيْن، وَخُصَّنَا مِنْكَ بالتَّوْفِيْقِ المُبين، وَوَفِّقْنَا لِقَوْلِ الحَقِ واتْبَاعِهِ وَخلِّصْنَا مِنَ البَاطِلِ وابْتِدَاعِهِ، وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدا وَلَا تَجْعَل لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشاً رَغَداً وَلاتُشْمِتْ بِنَا عَدوَّاً وَلَا حَاسِداً، وارْزُقْنَا عِلْمَاً نافِعاً وَعَمَلاً مُتقَبَّلَا، وَفَهْماً ذَكِيّاً وَطَبْعاً صَفِيّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاء، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ ياأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: فالأَتقِياءُ يُعْطَون كُتُبَهُم بأَيْمانِهِمْ والأَشْقِيَاءُ بالشِّمَال أَوْ مِن وَرَاءِ الظَّهْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فأما من أوتى كتابه بيمنه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً﴾، وقال: ﴿وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورًا ويصلى سعيرًا﴾.

وقال تعالى: ﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابه﴾ الآيات، وقال: ﴿وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه﴾ الآيات.

فيالَهَا مِن مَواقِف ويالَهَا مِن أهوال ويالَهَا مِن خُطُوب مُجَرَّدُ تَصَوُّرُهَا يُبْكِي المؤمنَ بها حقاً.

عن الحسن أن رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر عائشة فَنَعَسَ فَتذكَّرتِ الآخرة فبكَتْ فسالتْ دُموعُها على خدّ النبي ﷺ فاستيقظ بدُمُوعها فرفعَ رَأسَه فَقَالَ «ما يُبْكيْكِ»، فقالت يارسول الله ذَكَرْتُ الآخرةَ هَلْ تَذْكرُونَ أهْلِيكُم يومَ القيامة.

قال: «والذي نفسي بيده في ثلاثةِ مَوَاطِنَ فإنَّ أحَداً لا يَذكُرُ إلّا نَفْسَه: إذا وضعتِ الموازينُ وَوُزِنَتِ الأعمالُ حتى يَنْظُرَ ابنُ آدَمَ أيَخِفُّ مِيْزَانُه أم يثقل وعند الصحف حتى ينظر أبيمينِهِ أم بشماله وعند الصراط».

وعن أنس بن مالك قال: يُؤتِي بابن آدم يوم القيامة حتى يُوْقَفَ بين كفتي الميزان ويوكل به مَلَك فإن ثَقُلَ مِيزانُه نادَى الملكُ بصوتٍ يُسْمِعُ الخلائقَ سَعِدَ فلانُ بنُ فلان سَعَادةً لا يَشْقَى بعدَها أبداً.

وإن خَفّ مِيْزَانُه نادى بصوت فُيسْمِعُ الخلائق شَقِيَ فُلانُ بنُ فُلان شقاوةً لا يسعد بعدها أبداً.

وتَصَوَّرْ بَيْنَما أنْتَ واقفٌ مع الخلائق الذين لا يعلم عددهم إلا الله جل وعلا وتقدس إذ نودي باسمك على رؤوس الخلائق من الأولين والآخرين أين فلان بن فلان هلم إلى العرض على الله عز وجل.

فقمتَ أنتَ لا يقومُ غَيركَ لما لزم قلبك من العلم من أنك المطلوب فقمتَ تَرتَعِدُ فَرائصُكَ وتضطربُ رِجْلاكَ وجَميعُ جَوارحكَ وقلبك من شدة الخوف والذهول في أشد الخفقان مرتفعاً إلى الحنجرة.

قال الله جل وعلا وتقدس: ﴿وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾.

فَتَصَوَّرْ خَوفَكَ وذُلّكَ وضَعْفَكَ وانهِيَار أعْصَابِكَ وقُواكَ مُتَغَيّراً لونُكَ مَرْعُوباً مَذْعُوراً مُرْتَكضاً مُزْعَجاً قَدْ حَلّ بِكَ الغَم والهمُ والاضطراب والقلق والذُهول لِمَا أصَابكَ ورأيْتَ مِن الشدائدِ والكروبِ والمُحْزِنَاتَ ما الله به عليم.

قال الله جل وعلا وتقدس: ﴿وترى الناس سُكَارَى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾، فيا له من يوم، قال جل وعلا وتقدس: ﴿فكيف تتقون إن كَفَرْتُم يَوماً يجعل الولدان شِيْبًا﴾ والآية بعدها.

وتَصَوَّرْ وقُوفَكَ بَيْنَ يَدَيْ بَديعِ السمواتِ والأرضِ الذي الأرض جميعاً قبضتُه يومَ القيامة والسمواتُ مَطْوِيّاتٌ بيَمِيْنِهِ القوي العزيز وقَلبُكَ خائفٌ مَمْلُوءٌ مِن الرُعْبِ مَحْزُونٌ وجلٌ وطرفك خائف خفي خاشعٌ ذليل.

وجَوارحكَ مرتَعِدة بيدكَ صحيفة مُحْصاً فيها الدقيق والجليل لا تُغادِر صَغِيرةً ولا كبيرةً فقرأتها بلسان كليل وقلب مُنْكِسر ودَاخَلكَ مِن الخجل والجُبْن والحَيَاء مِن الله الذي لم يَزَلْ إليكَ مُحْسِنًا وعَليكَ سَاتِراً.

فبأي لِسانٍ تُجِيْبُهُ حِينَ يَسْألُكَ عن قبيحِ فِعْلكَ وعَظيمِ جُرْمِكَ وبأي قَدَمٍ تَقِفُ غداً بينَ يَدَيْهِ وبأي طَرْفٍ تنظرُ إليه وبأي قَلْبٍ تحتمل كلامَه العَظيم الجليل ومُسَاءَلَتَهُ وتوبِيْخَهُ.

وتَصَوَّرْ نَفْسَكَ بصغر جسمك بين يدي من السموات السبع والأرض كخردلة في كفه الكبير المتعالي شَدِيْدُ المِحَال الذي ما من دابة إلا هو آخِذٌ بناصيتها وقلوب العباد بين أصبعين من أصابعه لا إله إلا هو القوي العزيز.

وتصور نفسك بهذه الهيئة والأهوال مُحَدّقَةٌ بكَ مِن جَوَانِبكَ ومِن خَلْفِكَ فكم مِن كَبِيْرَةٍ قَدْ نَسِيْتَهَا أثبَتَهَا عليكَ المَلَكُ وكم مِن بَلِيَّةٍ أحْدَثْتَها فَذكَرْتَها وكم مِن سَرِيْرَةٍ قَدْ كُنْتَ كَتَمْتَهَا قَدْ ظَهَرتْ وبَدَتْ.

وكم مِن عَمَلٍ قَدْ كُنْتَ تظنُ أنه قد خَلَصَ لَكَ وَسَلم فإذا هو بالرياء قَدْ حَبِطَ بَعْدَ ما كانَ أَمَلُكَ فيه عَظِيمًا فيا حَسْرَةَ قلْبِكَ وتأسفك على ما فَرَّطْت في طَاعَةِ رَبِّكَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿أنْ تَقُولَ نَفسٌ يا حَسْرَتَا على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ الله وإنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرين﴾ ، وقال تعالى : ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضي الأمر وهم في غَفْلَةٍ وهم لا يؤمنون﴾ .

حتى إذا كُرِرَ عليك السؤال بذكر البَلايَا ونُشِرَتْ مخبآتُكَ التي طالما أخفيْتَهَا وسَترتها عن مَخْلُوقٍ مِثْلكَ لا يَملكُ لِنفسِهِ ولا لغَيره ضَراً ولا نَفْعَاً وقد ظَهَرتْ قلةُ هَيْبَتِكَ لله وقِلّة حَيائكَ منه وظَهَرتْ مُبَارزتكَ له بفعل ما نهاك عنه .

فما ظَنُّكَ بسُؤال مَن قَدْ امتلأ سَمْعُكَ مِن عَظَمَتِهِ وجَلالِه وكِبْرِيائِهِ وسائر صفات كماله وكيف بِكَ إنْ ذَكّرَكَ مُخَالفَتَك لَهُ وَرُكُوبَكَ مَعَاصِيه وقِلّةَ اهْتِمامكَ بنَهْيِهِ ونظره إليك وقلّةَ اكترَاثكَ في الدنيا بطاعته .

وماذا تقول إن قالَ لكَ يا عَبْدِي ما أَجْلَلْتني أما استَحْيَيْتَ مِنّي أمَا رَاقبْتَنِي استَخْفَفْتَ بِنظري إليكَ أَلَمْ أُحْسِنْ إليكَ أَلَمْ أُنْعِم عليكَ ما غَرَّكَ مِني .

شَبَابُكَ فيما أبليتَه وعُمُرك فيما أفْنَيْتَه ومالُك مِن أَيْنَ اكْتسَبْتَهُ وفِيْمَ أَنْفَقْتَه وعِلْمُكَ مَاذا عَمِلتَ فيه .

وورد عن النبي ﷺ أنه قال : « ليقِفَنَّ أحدكم بين يدي الله تبارك وتعالى ليس بينه وبينه حجاب يحْجِبُه ولا بينه وبينه ترجمان يترجم عنه فيقول أَلَمْ أُنْعِمْ ، أَلَمْ اتِكَ مالاً فيقول بلى . فيقول أَلَمْ أرسل إليك رسولاً فيقول بلى . ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتق أحدكم النار ولو بشق تَمْرَةْ فَإِنْ لَمْ يجد فبكلمة طيبة » رواه البخاري .

فأعْظِمْ بِهِ مَوْقِفاً وَأَعْظِمْ بِهِ مِن سَائِلٍ لا تَخْفَى عليه خَافِيَةٌ وأعْظِمْ بِمَا يُدَاخِلُكَ مِن الخَجَلِ والغَمِّ والحُزْنِ والأسف الشديد على ما فَرَّطْتَ في طَاعَتِه

وعلى ركوبك مَعْصِيَتَهْ وعلى أوقات ضاعت عند الملاهي والمنكرات، قال الله تعالى عن حال المجرمين المفرطين: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رُؤوسِهِمْ عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعْنَا نعمل صالحاً إنا موقنون﴾، وقال تعالى: ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾ الآية.

وكيف تَثْبُتُ رِجْلاكَ عند الوقوف بين يديه وكيف يقدر على الكلامِ لِسَانُكَ عندما يسألك الحي القيوم إلا أن يثبتك جل وعلا ويقدرك على ذلك فإذا تَبَالغَ فيكَ الجُهْدُ من الغم والحزن والحياء والخجل بدا لك منه أَحَد أمرين إمَّا الغضب أو الرضا عنك.

فإما أن يقول ياعبدي أنَا سترتها عليك في الدنيا وأنا اغفرها لك اليوم فقد غفرتُ لَكَ كَبير جُرْمِكَ وكَثيرَ سَيِّئاتكَ وتَقَبَّلْت منكَ يَسيرَ إحسانِكَ فَيَسْتَطِيرُ قَلْبُكَ بالبهجة والفرح والسرور فيُشرِق ويَسْتَنِيرُ لِذَلِكَ وَجْهُكَ.

فتصَوَّرْ نفسَكَ حِيْنَ مَا يقال لَكَ وتَهْدَأُ نَفْسُكَ ويَطْمَئِنُ قَلْبُكَ ويُنَوِّرُ وَجْهُكَ بَعْدَ كآبَتِهِ وتكَسُفِهِ مِن الحَيَاءِ مِن السُؤَال.

وتَّصَوَّرْ رضاهُ عَنْكَ حِينَما تَسْمَعُه منه فثار في قلبكَ فامتلأ سُرُوراً وكِدْت أن تموتَ مِن الفرح فأيُ سُرورٍ أعظمُ مِن السُرور والفَرَح بِرضا الله عَزَّ وجَل.

اللَّهُمَّ اغفر لنا ما قَطَعَ قُلُوبَنا عن ذِكرك واعفُ عن تَقْصِيرنا في طاعَتِكَ وشكْرِكْ وأدِمْ لَنَا لزُومَ الطريق إليكَ وهَبْ لنا نوراً نَهْتَدِي به إليكَ واسْلُكْ بِنَا سَبِيْلِ أهْلِ مَرْضَاتِكَ واقْطعْ عَنَّا كُلَّ ما يُبعدُنا عَن سَبِيْلِكَ ويَسِّرْ لنا ما يَسَّرْتَهُ لأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وأيقَظْنَا مِن غَفَلاتِنَا وألهِمْنَا رُشْدَنا وحَقِّقْ بِكَرمِكَ قَصْدَنَا واسْتُرْنَا في دُنيانا وآخِرَتِنَا واحْشُرْنَا في زُمْرَةِ المتقين وألحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْن، اللَّهُمَّ عَلمْنَا ما يَنْفَعُنَا وانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ولا تَجْعَلْ عِلْمَنَا وَبَالاً عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ قَوى مَعْرفَتَنَا بكَ وَبأَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ وَنَوِّرْ بَصائِرَنا وَمَتِّعْنا بأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارنا

وَقواتِنا يَارَبّ العالمين وَاغْفِر لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــــلٌ»

وتَصَوَّرْ نفسَكَ وقَدَ بَدَا لَكَ منه الرضا والرحمةُ والمغفرةُ فتكادُ رُوحُكَ أن تَطِيْرَ مِن بَدَنِكَ فرحاً فكَيفَ لو سَمِعتَ مِن اللهِ عَزَّ وجَلَّ الرِضَا عَنكَ والمغفرةَ لَكَ فأَمِنَ خَوفُكَ وسَكَنَ حَذَرُكَ وتَحقَّقَ أَمَلُكَ وَرَجَاؤُكَ بخُلودِ الأبدِ وأيقَنْتَ بفوزِكَ ونَعِيْمِكَ أبدا لا يَفْنَى ولا يَبِيْد وطار قلبك فرحاً وابْيَضَّ وَجْهُكَ وأشرقَ وَأنارَ.

ثم خَرَجْتَ إلى الخلائقِ مُستَنِيْرَ الوَجْهِ قَدْ حَلَّ بكَ أَكْمَلُ الجمالِ والحُسْن كِتابُكَ بيَمْينكَ وقد شَخَصَتْ أبصَارُ الخلائَق إليكَ غِبْطةً لَكَ وَتأسُفاً على أن ينَالُوا مِن الله عز وجل مِثلَ مَا نِلْتَ.

وتَصَوَّرْ نَفْسكَ إن لم يَعْفُ عَنْكَ رَبُكَ وأيْقَنْتَ بالهَلاك وذُهِبَ بكَ إلى جَهَنّم مُسْوَدَّ الوجْه تتخطَى الخلائَق بسَوَاد وجْهِكَ وكتابُكَ في شِمالِكَ أَوْ مِن وَرَاء ظَهْرِكَ تُنادِيْ بالْوَيلِ والثُبُور والمَلَكُ آخِذٌ بعَضُدِكَ ينادي هذا فلانُ بْنُ فُلان قد شَقِيَ شَقَاءً لايَسْعَدُ بَعْدَهُ أَبَدَا.

وتصَوَّرْ الصِراطَ وهُو الجَسْرُ المنصوبُ على مَتْنِ جَهَنَّمَ قُدَّامَكَ وتَصَوَّرْ ما يَحِلُّ بِكَ مِن الوَجَلِ والخَوفِ الشدِّيْدِ حِيْنَ رَفَعْتَ طَرْفَكَ فَنظَرْتَ إليه بدِقّتِهِ ودُحُوضِهِ وجَهَنَّمُ تَضْطَرِبُ وتَتَغَيَّض وتَخْفِقُ بأمْوَاجَهَا مِن تَحْتِهِ.

فَيَالَهُ مِن مِنْظَرٍ ما أَفْظَعَهُ وأَهْوَلَهُ وسَمَاعُكَ شَهِيْقَهَا وتَغَيُّضَهَا وقصْفَ أمْوَاجِهَا وجَلَبَةَ ثَورَانِها مِن أسْفَلِهَا وقد اضْطُرِرْتَ على المَشْيِ عليه وقَدْ مَرَّتْ عَليكَ صِفتُهُ.

ثم قِيلَ لَكَ وأنتَ تنظرُ إلى الجَسْر بفَظَاظتِهِ وفَظَاعَتِهِ وقِيلَ للخلق مَعَكَ اركَبُوا الجَسْرَ الذي هو الصراط فَتَصَوَّرْ حَالتَكَ وخفقَانَ قَلْبِكَ وَرَجَفَان جِسْمَكَ مِمَّا عَانَيْتَ مِن المزعجات والكُروب والشَدائِدِ والأهْوالِ وعَظَائِم الأمُور وقِلَّةِ المأكل والمَشْرب والرَّاحَةِ.

ولمَا قيل اركب طار عقلك رُعْباً وخوفاً ثم إذا رَفَعْتَ رِجْلَكَ وأنْتَ تَنْتَفِض لِتركَب الجَسْرَ فَوَقَعَ قدمُكَ على حِدَّتِهِ ودِقتِه فازْدَادَ فزعُك وازداد رَجَفانُ قَلْبِكَ ورَفَعْتَ رجلك الأخرى وأنْتَ مَضْطَرِبٌ تَمَرْوَج مِن شدة الخوف العظيم وقد اثْقَلَتْكَ الأوزارُ وأنْتَ حَامِلُهَا عَلىَ ظِهرك وأنْتَ تَنْظُرَ إلى الناسِ يَتَهافَتُونَ مِن بَيْن يَدَيْكَ ومِن وَرَائِكَ.

فَتَصَوَّرْ مُرُوْرَكَ عَليه بضَعْفِكَ وثِقلكَ وَأَوْزَارِكَ وقِلَّة حِيْلَتِكَ وأنتَ مُنَدهِشٌ مِمَّا تحتَكَ وأمَامَكَ مِمَّنْ يَئِنُونَ ويَزِلُونَ وقد تَنكَسَتْ هاماتُهم وأرتفعَتْ أرْجُلُهم وآخرون يُخْتَطُفونَ بالكلالِيْب وتَسْمَعُ العَوِيْلَ والبكاءَ والأصواتَ المزعجاتِ المناديات بالويل والثبور.

فيالَهُ مِن مَنْظِرٍ فَظِيْع ومُر تقىً مَا أصْعَبه ومَجاز ما أضيقَه ومَكان ما أهْوَلَهُ ومَوْقِفٍ ما أشقّهُ وكأني بكَ مَمْلوءاً مِن الذُعْرِ والرعْبِ والقَلَق مُلْتَفِتاً يميناً وشمالاً إلى مَن حَولك من الخلق وهم يَتهافتون قُدَّامكَ في جهنم وأنْتَ تَخْشَى أن تتبعَهُم إلى قعر جهنم.

فتصور هذا بعقلك مادُمْتَ في قَيْدِ الحَياة قبل أن يُحَالَ بَيْنَك وبينه فلا يفيدك التفكير لَعَلّك أنْ تتلافى تفريطَكَ وتُحَاسبْ نفسَكَ قَبْلَ أن يَفُوت الآوان فتبوْأ بالفَشَل والخَيْبَةِ والحِرمان.

وتَصَوَّرْ حَالتَكَ إنْ بُؤتَ بالخُسْرَان وزَلّتْ رجلُكَ عن الصراط وَوَقَعْتَ فيما كُنْتَ تُحَاذِرُ وتَخاف وطَارَ عَقلُكَ ثم زَلّتْ رِجْلُكَ الأخْرى فَنكسْتَ على هَامَتِكَ وعَلَتْ رِجْلاك فلم تَشعُرْ إلّا والكَلّوبُ قد دَخل في جِلْدِكَ ولحمكَ.

فَجُذِبْتَ به وبَادَرَتْ إليكَ النارُ ثائرة غَضْبَانَةً لِغَضَبِ مولاها وقد غلبَ على قلبِكَ الندمُ والتأسفُ على أوقات ضَيَّعْتَهَا فيما يُسْخِطُ الله.

وتَصَوَّرْ سَمَاعَكَ لِنِدَاء النار بقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هل امتلأت﴾ وسَمِعْتَ إجَابتَها ﴿هَلْ مِن مَزيْد﴾ وهي تلتهب في بَدَنِك لَهَا قَصِيْفٌ في جَسَدكَ ثم لم تَلْبَثْ أنْ تفَطَّرَ جسْمُكَ وتسَاقَطَ لحْمُكَ وبقيَتْ عظامُكَ.

مُحْتَرِقٍ تَطْلُبُ مِنْهُم مَاءً أو نحوَهُ فأجَابُوكَ بالرَّدِ والخَيْبَةِ فتقطع قلبُكَ حَسْرَةً وأسَفاً.

قال الله جل وعلا وتقدس: ﴿ونادَى أصْحَابُ النارِ أصْحَابَ الجنة أنْ أفِيْضُوا علينا مِن الماءِ أو مما رَزَقكم الله قالوا إنّ الله حَرَّمَهُمَا على الكافرين﴾ فَيا خَيْبَةَ مَن هَذا حَالُه وهَذا مآله.

لقد تَقَطَّعَ قلبُكَ حُزْناً إذ خَيَّبُوا أمَلَكَ فيهم وبما رَأيتَ مِن غَضَبِهم عليكَ لِغَضَبِ رَبّكَ عَزَّ وَجَلَّ فَفزعْتَ إلى الله بالنَداء بطَلَب الخُروج مِنها فَبَعْدَ مُدْةٍ الله أعلم بها جَاءَ الجوابَ ﴿إخْسَؤُا فيها ولا تكلمون﴾.

فلما سَمِعْتَ النِداءَ بالتّخْسِئِةِ لَكَ ولأمثالك بَقي نَفَسُكَ مِن شِدة الضّيْقِ والألم والحَسْرة مُتردّداً في جَوْفِكَ لا مَخْرجَ لَهُ فَضَاقتْ نَفْسكُ ضِيْقاً شديداً لا يَعْلَمُ مَدَاهُ إلا الله.

وبَقِيْتَ قَلِقاً تَزْفُر ولا تُطِيْقُ ثم أتَاكَ زِيَادَةُ حَسْرة وندامَةٍ حَيْثُ أُطْبِقَ أبْوَابُ النارِ عَلَيْكَ وعلى أعدائِه فيها فانْقَطَع الأمل كُلّياً.

فَيَا إيَاسَكَ ويَا أيَاسَ سُكانِ جَهَنّمَ حين سمعوا وقع أبْوَابها تطبقُ عَليهم، قال الله جل وعلا وتقدس: ﴿إنها عليهم مُؤصَدَةٌ في عمد ممددة﴾.

فعلموا عند ذلك أن لا فرجَ أبداً ولا مَخرجَ ولا محيصَ لَهُم من عذاب الله خلودٌ فلا موتَ وعذابٌ لا زَوَالَ له عن أبدانهم ودَوَامُ حَرَق قلوبهم.

أحْزَانٌ لا تنقضي وهُموم وغمُوم لا تَنْفَدُ وسُقْمٌ لا يَبْرَأ وقُيُودٌ لا تُحَلّ وأغْلَالُ لَا تُفَكُّ، قال تعالى: ﴿إذا الأغلال في أعْنَاقِهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون﴾.

وقال تعالى: ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثيابٌ من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يُصْهَرُ به ما في بُطُونِهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يَخْرُجُوا منهَا مِن غمٍ أعيدوا فيها وذُوْقوا عَذَابَ الحريق﴾.

ثُمَّ اطَّلعَتِ النارُ على ما في جَوْفِكَ فأكَلَتْ ما فيه وأنْتَ تُنَادِي وتستَغِيْث فلا تُرحَم حتى إذا طَالَ فيها مُكثكَ واشتَدَّ بكَ العَطَشُ.

فَذَكَرْتَ الشَّرابَ في الدُّنْيَا فَزِعْتَ إلى الجحيم فتَنَاولْتَ الآناءَ مِن يَدِ الخازن الموكل بعذابك فلما تناولته تمَزَّعَتْ كَفُكَ مِن تحته واحْترقَتْ مِن حَرارتِهِ ثم قربته إلى فمك والألَمُ بَالِغٌ مِنكَ كلّ مَبْلَغ فَشَوَى وجْهَكَ وَتَساقطَ لَحْمُهُ.

ثم تَجَرَّعْتَهُ فَسَلَخَ حَلْقَكَ ثم وَصِلَ إلى جَوفِكَ فَقَطّعَ أمعاءك، قال الله جل وعلا: ﴿وسُقوا ماءً حميماً فقَطّعَ أمْعَاءَهُم﴾، وقال جَلَّ وَعَلَا وتقدَّسَ: ﴿ويسقى من ماء صِدَيد يَتجرعُه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت ومن ورائه عذاب غليظ﴾.

ثم ذكرتَ شراب الدنيا وبَرْدَهُ ولَذَتَه فبادَرْتَ إلى الحَميم لِتَبرد به كَبدَكَ كما تعَوَّدَتَ في الدنيا فسُقِيْتَ فقطّعَ أمعاءَكَ والحميم شراب كالنحاس المذاب يُقَطِّعُ الأحشاءَ والأمعاءَ ثم بادَرْتَ إلى النار رَجَاءَ أنْ تَكُونَ أهونَ منه ثم اشتَدَّ عليكَ حَرِيْقُ النار فرجَعْتَ إلى الحميم، قال تعالى: ﴿يطوفون بينها وبَيْنَ حَميم آن﴾، وقال في الآية الأخرى: ﴿إذا الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسُحْبوُنَ في الحميم ثم في النار يسجرون﴾.

فقدِّرْ نفسَكَ مَعَ الضَّائِعِيْنَ والخَاسِرِيْـنَ لَعَـلّكَ أن تَلْحَـق بالأبْـرارِ

والمُقَرَّبين وتَصوَّرْ حالَتَكَ لَمَّا اشْتَدَّ بِكَ الكَرْبُ والعَطشُ وبَلَغَ منكَ كُلّ مَبْلَغ وذكرتَ الجنانَ وما فيها مِن النَّعيم المقيم والعَيْش السَّلِيم.

وهَاجَتْ الأَحْزَانُ وهَاجَتْ غُصَّةٌ في فؤُادكَ إلى حَلْقكَ أسفاً على ما فَاتَ مِن رضَى الله عَزَّ وجَلَّ وحُزْناً على نعيم الجنة.

ثم ذكرتَ شَرابَها وبَرْدَ مائِها وذكرتَ أن فيها بعضَ القرابةِ مِن أبٍ أَو أمٍ أَو ابْن أَو أخ أَو غيرهم مِن القرابة أَوِ الأصْدِقاءِ في الدنيا فنادَيْتَهُمْ بِقَلْبٍ محَزُوْن لا يُرْحَمُ بُكَاؤُهُم ولا يجاب دعاؤهم ولا يغاثون عند تضرعهم ولا تقبل توبتُهم ولا تُقَال عَثْرَتُهم غَضِبُ الله عَزُّ وجَل عَليهم فلا يَرضَى عنهم أبداً فَمَثّل نَفْسَكَ بهَذَا الوَصْف إنْ لم يَعْفُ عنكَ رَبُكَ لعلّكَ أن تَسْتَيْقِظ فتستَدْرِكَ.

فلوْ رَأيت المُعَذِّبيْنَ وقد أكلَتِ النارُ لُحومَهُم ومَحَتْ مَحَاسِنَ وُجُوهِهِم واندرَسَ تَخْطِيْطُهُم فبَقِيَت العِظامُ مُحْتَرَقَةً مُسْوَدَّةً وقَدْ قَلِقُوا مِن شِدَّة تكررِ العَذَاب الأليم، قال تعالى: ﴿وأنّ عَذَابِي هُوَ العذابُ الأليم﴾.

وهُم يُنَادُون بالويل والثُبور ويصرخون بالبكاء والعَويِلِ، قَالَ الله جَلَّ وعَلَا وتقدَّس: ﴿وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾، وقال: ﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً لا تدعوا اليومَ ثُبُورَا واحداً وادْعُوا ثبوراً كثيراً﴾.

فلَوْ رَأيتَهُم لَذَابَ قَلْبُكَ فَزعاً ورُعْباً مِن سُوء خَلْقِهِم ولخَرَجَتْ رُوْحُكَ مِن نَتَن رَائحتِهِم فكيفَ لو نَظَرْتَ نفسَكَ وأنتَ فِيهم وقَدْ زَالَ مِن قَلْبِكَ الأَملُ والرَجَاء ولَزِمَكَ القُنوطُ والإِيَاسُ فمثِّلْ نفسَكَ لَعَلّكَ أن تَتَأثَّر فَتَستَعِدَّ لِلِقاء الله.

ونَظَرْتَ إلى النار وهي تَشْتَعِلُ في أجْزَاءِ بَدَنِكَ فتدخل أذنَيْكَ وعَيَنَيْكَ ولا تقدر على إبعادها عنك لمِلَازَمَتِهَا لكَ، قال الله تعالى: ﴿إن عذابها كان غراماً إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ فهناك يَغلبُ على قلبك التأسُّفُ والحسراتُ

والندامة، قال جل وعلا وتقدس: ﴿وأنْذِرْهُمْ يوم الحَسْرَة﴾ الآية.

فَتصَوَّرْ تِلْكَ الأهوالَ والعَظائِم بعقل فارغ وعزيمة صادقة وراجع نَفسَكَ مادُمْتَ في قَيْدِ الحَيَاة وتُبْ إلى الله توبةً نصُوْحاً عن ما يكره مَوْلَاكَ وتضَرَّعْ إليه وابْكِ مِن خَشْيَتِهِ لَعَلّهُ يَرْحَمُكَ ويُقِيْلُ عَثرتَك فإن الخطرَ عَظيم والبدنَ ضعيف والموتَ منكَ قرِيْب، انتهى بتصريف من كلام المحاسبي رحمه الله.

شِعْرًا: مَثِّلْ وُقُوفَكَ يَوْمَ الحَشْرِ عَريانا ... مُسْتَعْطِفاً قَلِقَ الأحْشَاءِ حَيْرانَـا
النَارُ تَزْفُر مِنْ غَيْظٍ ومِن حَنَقٍ ... عَلَى العُصَاةِ وتَلْقَ الرَّبَّ غَضبَانَا
إقْرَأ كِتَابَكَ ياعَبْدِيْ عَلَى مَهَلٍ ... وَانْظُرْ أَلَيْهِ تَرَى هَلْ كَانَ مَا كَانَا
لَمَّا قَرَأْتُ كِتَاباً لا يُغَـادُرُ لِيْ ... حَرْفاً وما كان في سِرٍّ وَأَعْلَانَا
قَالَ الجَلْيِلُ خُذُوْهُ يَامَلائِكتـي ... مُرُوْا بعَبْدِي إِلَى النِيْرَانِ عَطْشَانَا
يَارَبِّ لا تُخْزِنَا يَوْمَ الحِسَابِ وَلا ... تَجْعَلْ لِنَارِكَ فِيْنَا اليَوْمَ سُلْطَانَا

اللَّهُمَّ يامَنْ لاتَضُرُّهُ المعصيةُ ولاتنفعُهُ الطاعَةُ أيقظْنَا مِنْ نَومِ الغفلةِ وَنَبِّهْنا لاغتِنَامِ أوقاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقْنا لِمَصَالِحِنَا واعْصِمنْا من قبائِحِنَا ولاتؤاخِذْنَا بما انْطَوَتْ عليهِ ضَمائِرُنا واكَنَّتْهُ سَرائِرُنا مِنْ أنواعِ القَبَائِحِ والمعائِبِ التي تَعْلَمُها مِنا، وامنُنْ علينا يامولانا بتوبةٍ تمحو بها عنا كُلَ ذَنْبٍ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**مَوْعِظَةٌ**»: لِلَّهِ دَرُّ أقوامٍ تَركُوْا الدُّنْيَا فَأَصَابُوْا، وسَمِعُوْا مُنَادِيَ الله فَأَجَابُوا، وحَضَرُوْا مَشَاهِدَ التُّقَى فما غَابُوا، واعْتَذَرُوا مَعَ التَّحقِيْقِ ثم تَابُوا وأنابُوا، وقَصَدُوْا بابَ مَوْلَاهُم فما رُدُّوا وَلَا خَابُوا.

قال عَمْرُوا بنُ ذَرٍ لَمَّا رَأَى العَابِدُوْنَ الليلَ قد هَجَم عَليهم، ونَظَرُوا إِلَى أَهْلِ الغَفْلَةِ قَدْ سَكَنُوا إِلَى فُرشِهِمْ وَرَجَعُوا إِلَى مَلَاذِهِم.

قامُوْا إلى اللهِ سُبْحَانَهُ وتعالى فَرِحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ بِمَا قَدْ وَهَبَ اللهُ لَهُمْ مِن السَّهَرِ وطُوْلِ التَّهَجُّدِ.

فأستَقْبَلُوا الليلَ بأبْدانِهِم، وبَاشَرُوا ظُلْمَتَهُ بصِفَاحِ وُجُوهِهم، فانْقَضَى عنهم اللَّيلُ، ومانقَضَتْ لذَّتهُم مِن التِلاوةِ، ولا مَلَّتْ أبْدَانُهُم مِن طُولِ العِبَادَة، فأصْبَحَ الفَرِيْقَانِ وَقَدْ وَلَّى الليلُ بِرِبْحٍ وغَبْن.

فاعْمَلوا في هذا الليل وَسَوادِه، فإن المغبُون مَن غبنَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وكَمْ من قائمٍ لله تعالى في هَذَا الليلِ قَدْ اغْتبطَ بقِيامِهِ في ظلمة حُفْرَته.

اللَّهُمَّ إنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وعَلاَنِيَتَنَا وتَسْمَعُ كلامَنَا وتَرَى مَكَانَنَا لَا يخْفَى عَليكَ شَيْءُ مِن أَمْرِنَا نَحْنُ البُؤَسَاءُ الفُقَراءُ إليكَ المستغيثونَ المستجيرونَ بِكَ نَسْأَلكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِيْنَكَ مَنْ يَنْصُرُهُ ويُزِيلُ مَا حَدَثَ مِن البَدَعِ والمُنْكَراتِ ويُقِيْمُ عَلَم الجِهَادِ ويَقْمَعُ أَهْلَ الزَّيْغِ والكُفْرِ والعِنَادِ ونَسْأَلُكَ أنْ تَغْفِرَ لَنَا ولِوَالِدِيْنَا وجميعِ المسلمين برحْمَتِكَ ياأرحم الرحمين وصلى الله على محمد وآله.

«**فَصْلٌ**»: ويقابل دارَ الأشقياءِ التي تقدمت قريباً دَارُ أُخرى دَار قَرَارٍ ونَعِيْمٍ وسُرُور وحُبُور وأمْنٍ وصِحَّةٍ وحَيَاةٍ أبديَّةٍ فيها ماتشتهيه الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ ممَّا لا عين رَأَتْ ولا أذنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَر على قلب بَشَر.

دَارٌ جعلها الكريمُ جل وعلا دارَ ضِيَافَةٍ، يُكرم فيها عِبَادَهُ الأخْيَار الذين وفَّقَهم لِخِدْمَتِهِ والعَمَلِ بطاعَتِهِ.

ولا تظن هذه الضيافة محدودة، ولا أن الكرامة فيها تَنْتَهِي بَلْ كُلُ ما تحُبه وتَتَمَناه أَمَامَكَ إنْ كُنْتَ مِن أَهْلِ الغَفْو والتَّجاوُز فتوهم إن تَفَضَّلَ اللهُ عليكَ بالعفوِ والتجاوزِ (أي تصور مَمَرَّكَ على الصراط).

ونُورُكَ يَسْعَى بينَ يَدَيكَ وعن يَمِيْنِكَ، وكتابُكَ بيمينكَ مُبَيَّضَ الوَجْهِ.

قال الله جل وعلا: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجُوه﴾، وقد أيْقَنْتَ برضاه عنك وأنْتَ على الصِّراط مَعَ زمرةِ العَابِدين ووفودِ المتقين.

والملائكةُ تُنادِي: سَلِّمْ سَلِّمْ، والوجَلُ مَعَ ذَلِكَ لا يفارق قلبك ولا قلوبَ المؤمنين، تُنادِي ويُنَادُون: ﴿ربنا أتْمِمْ لَنَا نُورَنَا واغْفِرْ لَنْا إنَّكَ على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فتدبر حين رأوا المنافقين طَفِيءَ نُورُهُم، وهاجَ الوجَلُ في قُلوبهم، فَدَعَوا بتَمام النُور والمغفرة.

فَتوهّمْ أيْ تَصَوَّرْ وتَخَيَّل وتَمَثَّلْ نَفْسَكَ، وَأنْتَ تَمُرُ خَفِيفاً مَعَ الوَجَل وتَصَوَّرْ مَمرَّكَ على قَدْرِ خِفَّةِ أوْزَارِكَ وثِقَلِهَا وقَدْ انْتَهَيْت إلى آخِره.

فَغَلَبَ على قلبك النجَاةُ، وقد عاينتَ نَعِيمَ الجنان وأنتَ على الصراط، فَحَنَّ قَلْبُكَ على جِوَارِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، واشتاقَ إلى رضا الله، حتى إذا صِرْتَ إلى آخره خَطَوت بأحَدِ رجليك إلى العَرْصَةِ (أي عَرْصَةِ القِيامة) التي بين آخرِ الجسر وبين باب الجنة، فَوَضَعْتَها على العَرْصَةِ التي بعد الصراط، وبَقِيَتِ القَدَمُ الأُخرى، على الصراط، والخوفُ والرجاءُ قَدْ اعْتَليَا في قلبك وغلبا عليك.

ثم ثَنَيتَ بالأخرى، فَجُزْتَ الصراطَ كُلّه واستَقَرَّتْ قَدَمَاكَ على تِلك العَرْصةِ، وزِلْت عن الجسَرْ ببدنِكَ، وخَلَّفْتَهُ وراءَ ظَهْرِكَ، وجَهَنَّمُ تَضْطَرِبُ مِن تَحتِ مَن يَمُر عليها، وتَثِبُ على مَن زَلَّ عنه مُغْتَاظَةً تَزْفُرُ عليه وتَشْهَقُ إليه.

ثم التفتَ إلى الجسر فَنَظرتَ إليه باضطرابه، ونظرت إلى الخلائق مِن فَوقِهِ، وإلى جَهَنَّم مِن تَحتِهِ تَثَبُ وتَزْفرُ على الذين زُلْزِلُوا عن الطَراط، لهَا في رُؤُوسِهِم وأنْحَائِهِمْ قَصِيْفٌ، فَطَار قَلْبكَ فَرَحاً إذْ نَجوْتَ بضَعْفِكَ مِن النار وَخَلَّفْتَ النارَ وجَسْرَهَا مِن وَرَاءِ ظَهْرِكَ، مُتوجهاً إلى جوارِ رَبكَ.

ثم خَطَوْتَ أمِناً إلى باب الجنةِ أمتَلأَ قلبُكَ سُروراً وفَرحاً، فلا تَزَالُ في مَمَرِّكَ بالفَرح والسُرُور حتى تُوافي أبْوابَهَا، فإذا وافيْتَ بَابهَا اسْتَقْبلكَ بِحُسْنِهِ،

فَنَظرتَ إلى حُسْنِهِ ونُورِهِ وحُسنِ صُورةِ الجنة وجُدْرَانِها، وقَلبُكَ مُسْتَطيرٌ فَرِحٌ مَسْرُورٌ مُتَعلقٌ بِدُخُولِ الجنةِ حين وافَيتَ بابها أنت وأولياءُ الرحمن.

فَتوهَّمْ أي تَخَيَّل وتَصَوَّرْ نَفسَكَ في ذلك الموكِبِ، وهُمْ أهلُ كرامةِ الله ورضوانِهِ، مُبْيَضَّةً وُجُوهُهُـمْ، مُشْرِقَـةً بِرضَا الله، مَسْرُورونَ فَرِحُــونَ مُسْتَبْشِرُونَ، وقد وَافَيْتَ بابَ الجَنَّةِ بِغُبارِ قَبْرِكَ، وحَرِّ المَقامِ ووَهَجِ مَا مَرَّ بِكَ.

فَنَظَرتَ إلى العَين التي أعَدَّهَا الله لأوليائِه وإلى حُسْن مائِها، فانْغَمَسْتَ فيها مَسْرُوراً، لَمَا وَجَدْتَ مِن بَرْد مَائِهَا وطِيْبِهِ، فَوَجَدْتَ لَهَ بَرْداً وَطِيبَا فَذَهَبَ عَنْكَ بِحُزْن المِقَام، وطَهرَّكَ مِنِ كُلِ دَنَسٍ وغُبار، وأنتَ مَسرورٌ لما وَجَدتَ مِن طِيب مائِها لمّا باشَرتَهُ، وقد أفْلتَّ مِن وَهَجِ الصراطِ وحَرِّهِ، لأنَّه قَدْ يُوَافِي بَابَها مَنْ أحرقَتِ النارُ بعض جَسَدِهِ بِلفْحِهَا وقد بَلَغَتْ منهَ.

فما ظَنُكَ وقد انْفَلَتَّ مِن حَر المقامِ وَوَهَجِ أنْفَاس الخلائق، ومِن شِدة تَوَهُّج حَرِّ الصراطِ فوافَيْتَ بابَ الجنة بذَلِكَ، فَلما نظرت إلى العين قَذَفْتَ بَنَفْسِكَ فيها، فَتوهَّمْ (أي تَصَوَّرْ وتَخَيَّل) فَرْحَةَ فُؤادِكَ لما بَاشَر بَرْدَ مائِها بَدَنُكَ بعْدَ حَر الصراطِ، وَوَهَجِ القِيامَةِ، وأنتَ فَرِحٌ لمعرفَتِكَ أنكَ إنما تَغْتَسلُ لِتتطَهَّر لدُخُولِ الجنةِ والخلودِ فيها.

فأنت تَغْتَسِلُ منها دَائِباً، ولَونُكَ مُتَغِيرٌ حُسْناً، وجَسَدُكَ يَزْدَادُ نَضْرَةً وبَهْجَةً ونَعْيماً، ثم تَخْرُجُ منها في أحْسَنِ الصُوَرِ وأتمِ النُور.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحبَّتَكَ في قُلُوْبنَا وَقَوِّهَا، اللَّهُمَّ الْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا مَحَبَّة أوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَهِجْرانهْم وَالابْتِعَادِ عَنْهُمْ وَاغْفِرْ لَنا، اللَّهُمَّ أنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وعَلَانِيَتَنَا وتَسْمَعُ كَلَامَنَا وتَرَى مَكَانَنَا لَا يخْفَى عَلَيْكَ شيْءُ مِن أمْرنَا نَحْنُ البُؤسَاءُ إليكَ المستغيثون المستجيرونَ بِكَ نَسْأَلُك أنْ تُقَيِّضَ لِدِيْنِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزيلُ مَا حَدَثَ مِن البِدع والمُنْكَراتِ وتُقِيْمَ عَلَمَ الجِهَادِ وتَقْمَعَ أهْلَ

الزَّيْغ والكُفْرِ والعِنَادِ ونَسْأَلُكَ أنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِـهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فصْلٌ**»: فَتوهَّمْ (أي تَصَوَّرْ وتَخَيَّلَ) فَرَحَ قَلْبكَ حين خَرَجْتَ منها فَنظَرتَ إلى كمال جَمَالكَ، ونَضَارَةِ وَجْهكَ وحُسْنِهِ، وأنْتَ عَالِمٌ مُوقِنٌ بأنك تَتَنَظَّفُ لِلدُّخول إلى جوارِ ربِّكَ، ثُم تَقْصُدُ إلى العَين الأُخْرَى، فَتتناولُ من بعض آنِيتها، فَتَوَهَّمْ نَظَرَكَ إلى حُسْنِ الإِناء، وإلى حُسْنِ الشَراب، وأنْتَ مَسْرُورٌ بمعرفتكَ أنكَ إنَمَّا تشربُ هذا الشرابَ لِتُطَهِّرَ جَوْفَكَ مِن كُلِّ غِلٍ، وجَسَدُكَ نَاعِمٌ أبداً.

حتى إذا وضَعْتَ الإِناءَ على فِيكَ ثم شَرِبْتَهُ، وجَدْتَ طَعَم شَراب لم تَذُقْ مثله، ولم تَعَوَّدْ شُرْبَهُ، فَيَسْلسُ من فيْكَ إلى جوفِكُ، فَطَارَ قَلبُكَ سُروراً لما وَجَدْتَ مِن لَذَّتِهِ، ثم نقي جَوْفَكَ مِن كُلِّ آفَةٍ، فَوَجَدْتَ لَذةَ طَهارةِ صَدْرِكَ مِن كُلِّ طَبْعٍ كان فيه يُنَازِعُه إلى الغُموم والهُمومِ والحِرصِ والشِدةِ والغَضَبِ والغِلِّ، فيا بَرْدَ طَهارَةِ صَدْرِكَ، ويَارَوْحَ ذَلِكَ على فُؤآدِكَ.

حَتَّى إذا اسْتَكْمَلتْ طَهَارةُ القلبِ والبَدَنِ، واسْتكْمَلَ أحباءُ الله ذلكَ مَعَك، والله مُطَّلِعٌ يَراكَ ويَرَاهُم، أمَرَ مَولاكَ الجوادُ المُتَحِّنِنُ خزانَ الجنةِ من الملائكة، الذين لم يزالُوا مُطِيْعِين خَائفينَ مِنه مُشْفِقِينَ وَجِلينَ مِن عِقَابِهِ إعظَاماً له وإجَلالًا، وهَيْبةً لَهُ، وحَذَراً مِن نِقَمِهِ، وأمرهُم أن يفتَحُوا بابَ جَنَّتِهِ لأوليائِهِ، فانْحَدَرُوا مِن دَارها، وبَادَرُوا مِن سَاحَاتِها، وأتَوا بابَ الجنةِ فمدُوا أيديهم لِيَفْتَحُوا أبوابَها.

وأيْقَنْتَ بذلك، فطارَ قَلبُكَ سُروراً، وامْتَلأتَ فَرَحاً، وسَمِعْتَ حُسْنَ صَرِيْر أبوابِها، فَعَلَاكَ السُرورُ، وغَلَبَ على فُؤادِكَ، فيا سُرورَ قُلوبَ المفتوح لهم بَابَ جَنةِ ربِ العالمين.

فلما فَتَحَ لهم بَابُهَا، هاجَ نسيمُ طِيبِ الجنانَ، وطِيْبِ جَرْى مَائهَا، فَنَفَحَ وَجْهَكَ، وجَمِيْعَ بَدَنِكَ، وثَارَتْ أَرَايِيْحِ الجنةِ العِبَقَةِ الطَّيبة، وهاجَ رِيحُ مِسْكِهَا الأذْفَر، وزَعْفَرانِها المُوْنِع، وكافُورِها الأصفر، وعَنْبرِها الأشْهَبِ، وأرياحُ طِيبِ ثَمارِها وأشَجارها، وما فيها مِنَ نَسِيمِهَا.

فَتَدَاخَلتْ تلكَ الأَرَايِيْحِ في مَشَامِّكُ حتى وصَلَتْ إلى دِماغِك، وصَارَ طِيبُها في قَلبكَ، وفاضَ مِن جَمِيعِ جَوارِحكَ، ونَظَرْتَ بِعَينكَ إلى حُسْنَ قُصُورِها، وتأسِيْس بُنْيانِها مِن طَرائِقِ الجَنْدَلِ الأخْضَرَ مِن الزُمُردِ، والياقوتِ الأحْمَرِ، والدُر الأبيضَ، قد سَطَعَ منه نُوره وبَهاؤُه وصَفَاؤُه.

فقد أكمَلَه الله في الصَّفاءِ والنُور، ومازَجَهُ نُورُ ما في الجنان، ونَظَرتَ إلى حُجُبِ الله، وفَرحَ فُؤادُكَ لمعْرفَتِكَ أنكَ إذا دَخَلْتَهَا فإنَّ لَكَ فيها الزيادات، والنظرُ إلى وجهِ ربكَ، فاجتمعَ طِيبُ أرايِيْح الجنةِ وحسنُ بَهجَةِ مَنْظرها، وطيبُ نَسِيْمِهَا، وبَردُ جَوها.

فتصور نفسَكَ إن تفضل الله عليكَ بهذه الهيئةَ، فلو مُتَّ فرحاً لكانِ ذلك يَحقُ لَكَ، حتى إذا فَتَحُوا بابهَا، أقْبَلُوا عليكَ ضَاحِكينَ في وَجْهكَ وَوُجُوهِ أولياءِ الله مَعَكَ، ونادوكم ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ فتوهم حسن نغماتهم، وطيب كلامهم، وحسن تسليمهم، في كمال صورهم، وشدة نورهم.

ثم أتبعوا السلام بقولهم: ﴿طِبْتُمْ فادْخُلُوهَا خَالدِينَ﴾، فأثْنَوْا عليهم بالطِّيب والتّهْذِيب مِن كل دَنَسٍ، ودَرَنٍ وغِلٍ وغِشٍ، وكل آفةٍ في دِين أو دُنيا، ثم أذنُوا لهُم على الله بالدُخُول في جِوارِهِ، ثم أخْبَروهُم أنهم باقُون فيها أبداً، فقالوا: ﴿طبتم فادخلوها خالدين﴾، فلما سَمِعَتِ الأذنُ وأُولِياءُ الله مَعَكَ، بادَرْتم البابَ بالدخول، فكَضَّتِ الأبوابُ من الزحام.

فَتَصوَّرْ نفسَكَ إنْ عفا الله عنكَ في تِلكَ الزحمة مُبَادِراً مَعَ مُبَادِرين،

مَسْرُوْراً مع مَسْرُورين، بأبدانٍ قد طَهَرَتْ، وَوُجُوهٍ قد أشرَقَتْ وأنارَتْ فهي كالبدر، قد سَطَع مِن أعراضِهِم كَشُعاعِ الشمس.

فلما جاوزتَ بَابَها، وَضَعْتَ قَدَمَيْكَ على تُربتِهَا، وهي مِسْكٌ أذفَرُ، ونَبْتُ الزعفران المونِع، والمسكُ مَصْبُوبٌ على أرْضٍ من فضةٍ، والزعفَرانُ نَابتٌ حَولهَا، فلذلك أولُ خَطْوَةٍ خَطَوتَها في أرض البقاءِ بالأَمْن مِن العذابِ والموتِ، فأنتَ تَتَخَطَّى في تُرابِ المِسكِ، ورِيَاضِ الزعفَران، وعَيْنَاكَ تَرْمُقَانِ حُسنَ بَهْجَةِ الدُرِ، مِن حُسْنِ أشْجَارِها، وزينةِ تَصْويرِها.

فبينما أنْتَ تَتَخَطَى في عَرَصات الجنان، في رياضِ الزعفران، وكُثْبَانِ المِسك، إذ نُودِي في أزَواجِكَ وَوْلَدَانِكَ وخُدَّامِكَ وغلمانِكَ وقَهارمتِكَ، أن فلاناً قد أقبل، فأجَابُوا، واسْتَبْشَرُوا لِقُدُوْمِكَ، كمَا يُبَشَّرُ أهلُ الغائب في الدنيا بقُدُومِهِ.

ثناءٌ عَلَى اللهِ وتَضَرُّعٌ إليهِ جَلَّ جَلاَلُهُ

إلٰهِيْ وَخَلَّاقِي وحِرْزِيْ ومَوْئِلِيْ … إلَيْكَ لَدَى الإعْسَارِ واليُسْرِ أفْزَعُ
إلٰهِيْ لَئِنْ أبْعَدْتَنِي أَوْ طَرَدْتَنِيْ … فَمَنْ ذَا الذِي أرْجُوْ ومَنْ أتَشَفَّعُ
إلٰهِيْ لَئِنْ جَلَّتْ وَجمَّتْ خَطِيئَتِي … فَعَفْوُكَ عَنْ ذَنْبِيْ أَجَلُّ وَأَوْسَعُ
إلٰهِيْ لَئِنْ أَعْطَيتُ نَفْسِيَ سُؤْلَهَا … فَهَا أنَا في رَوْضِ النَّدامَةِ أرْتَعُ
إلٰهِيْ فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي ولا تُزِغْ … فُؤَادِيْ فإنِّيْ خَائِفٌ مُتَضَرِّعُ
إلٰهِيْ فآنِسْنِي بِتَلْقِيْنِ حُجَّتِيْ … إذَا كَانَ لِيْ في القَبرِ مَثْوىً وَمَضْجَعُ
إلٰهِيْ اذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ يَوْمَ لَا … بَنُونَ ولَا مَالٌ هُنالِكَ يَشْفَعُ
ولا تَحْرِمَنِّيْ مِن شَفَاعَةِ أَحْمَدٍ … وَصُحْبَةِ أَخْيَارِ هُنَالِكَ خُضَّعُ
وَصَلِّ عَلَيْهِ مَا دَعَاكَ مُوَحِّدٌ … وَنَاجَاكَ أقْوَامٌ بِبَابِكَ خُشَّعُ

« فَصْــلٌ »

فبينما أنت تنظرُ إلى قصوركَ، إذ سَمِعْتَ جَلَبَتَهُم وتَبْشِيْشَهُم، فاسْتَطَرْتَ لذلكَ فَرَحا، فبينما أنت فَرِحٌ مُسْرُوْرٌ بِغِبطتِهم لِقُدومِكَ لمَّا سَمِعْتَ إجلابَهَمُ فرحاً بك، إذْ ابْتَدَرَتِ القَهارِمَةُ إليك وقامتِ الولدان صُفوفاً لِقُدومك، فبينما أتَت القَهارِمَةُ مُقبلةً إليك، إذ اسْتَخَفَّ أزْوَاجك لِلْعَجلَةِ، فَبَعَثَتَ كُلُ واحدةٍ منهن بعضَ خُدَّامِها لينظرَ إليكَ مُقْبِلًا، ويُسْرِعَ بالرجُوع إليها يُخْبُرهَا بِقُدومِكَ، لِتَطْمَئِنَّ إليه فَرحاً، وتَسْكُنَ إلى ذَلِكَ سُروراً، فَنَظَر إليكَ الخَدَمُ قبلَ أنْ تَلْقَاكَ قَهارُمَتكَ.

ثم بادَرَ رَسُولُ كُل واحدةٍ مِنْهُنَّ إليها فلما أخْبَرِهَا بقُدومِكَ، قَالتْ كُلُ واحِدةٍ لرسُولها: أنْتَ رَأيتَهُ، مِن شِدةِ فَرَحها بذلكَ، ثم أرْسَلَت كُلُ واحدة مِنهنَّ رَسُولًا آخر، فلما جَاءتِ البَشَارَاتُ بقُدومِكَ إليهن، لم يَتمالَكْنَ فَرَحاً، فأَرَدْنَ الخُروجَ إليك مُبادِرَاتٍ إلى لِقَائِكَ لولا أن الله كَتَبَ القَصْرَ لهنَّ في الخيام إلى قُدُومِكَ، كما قال مَلِيكك: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ في الخيَامِ﴾.

فَوضعهن أيديهن على عَضَائِدِ أبوابهن، وأذْرُعهنَّ برؤُوسِهنَّ، يَنْظُرن متى تبدو لهن صَفْحَةُ وَجْهِكَ؛ فَيسَكُنُ طولُ حَنِينِهن، وشدةُ شَوقهن إليكَ، وينظرونَ إلى قَرير أعْيُنِهنَّ، ومَعْدِن رَاحَتِهن، وأُنْسَهَّن إلى وَلِي رَبهِنَّ وحَبيْب مَوْلاهُنَ.

فتوهم ما عَايَنْتَ، حين فتحت أبوابَ قُصُورِكَ، ورُفِعَت سُتُورُهُ، مِن حُسْنِ بَهجةِ مَقَاصيره، وزينةِ أشَجارِهِ، وحُسْنِ رياضِه، وتَلألُؤ صَحْنِهِ، ونُور سَاحَاته.

فبينما أنت تَنظر إلى ذلك، إذ بادَرَتِ البُشرى مِن خُدَّامِكَ يُنَادُوْنَ أزْوَاجَكَ هَذا فُلانُ بنُ فلان قد دَخَلَ من باب قَصْرِهِ، فلما سَمِعْنَ نِداءَ البُشَراء بقُدومِكَ ودُخُولِكَ، توثَّبْنَ مِن الفُرش على الأسرةِ في الحجال.

وعَينُكَ نَاظِرةٌ إليهن في جَوفِ الخيام والقِباب، فَنظرتَ إلى وُثُوبِهنَّ مُسْتَعْجِلات، قد اسْتَخَفَهُنَّ الفَرحُ، والشَوقُ إلى رُؤْيَتِكَ.

فَتخيَّل تِلكَ الأَبدان الرَّخِيْمَةَ الرُعْبُوبَةَ الخَرِيدةَ الناعِمةَ، يَتوثبن بالتهادِي والتَّبَخْتُر.

فتصور كُلَّ واحدةٍ منهن، حِينَ وَثَبَتْ في حُسْنِ حُلَلِهَا وحِلْيَتِها بِصَبَاحَةِ وَجْهِهَا، وَتَثَنِّي بَدَنِها بنعِمَتِه.

فتوهم انحِدارَهَا مُسْرِعَةً بِكمالَ بَدَنِها، نَازِلَةً عن سَرِيْرِهَا إلى صَحْن قُبَّتِها، وقَرَارِ خَيْمَتِهَا، فَوثَبْنَ حَتى أَتَيْنَ أبوابَ خِيَامِهِنَّ وقِبَابِهِنَّ.

ثم أَخَذْنَ بأيدِيَهُنَّ عَضَائِدَ أبوابِ خِيامِهِن لِلْقَصرِ، الذي ضُرِبَ عَلَيْهِنَّ إلى قدومكَ، فَقُمْنَ آخِذَاتٍ بعَضَائِدِ أبوابهن.

ثم خَرَجْنَ برؤوسِهِنَّ وَوُجُوهِهنَّ، يَنْحَدِرنَ مِن أبوبِ قِبابهِن، مُتطَلِّعَاتٍ، يَنْظُرنَ إليكَ، مُقْبِلات قَد مُلِئْنَ مِنكَ فَرَحَاً وسُرُوراً.

وتَخَيَّل نفسَكَ بسُرور قلبكَ وفَرحِهِ، وقد رَمَقْتهُنَّ على حُسْنِ وُجُوهِهِن، وغَنَجِ أعْيُنُهِنَّ.

فَلَمَا قَابَلْتَ وُجُوهَهُنَّ حَارَ طَرفُكَ، وهَاجَ قَلبُكَ بالسُرور، فَبقِيْتَ كالمبهُوتِ الذاهِلِ مِن عَظِيمِ ما هَاجَ في قَلْبِكَ مِن سُرور ما رأت عَينَاكَ، وسَكَنَتْ إليه نَفْسُكَ.

فبينما أنتَ تَرفُلُ إليهن، إذْ دَنَوتَ مِن أبواب الخيام، فأسْرَعْنَ مُبادِرَاتٍ قد اسْتَخَفَهُنَّ العِشْقُ، مُسرِعَاتٍ يَتَثَنَيْنَ مِن نعِيم الأبدانِ، ويَتَهادَيْنَ مِن كَمالِ الأجسام.

ثم نَادَتْكَ كُلُّ واحدةٍ مِنْهُنَّ: يا حَبيْبي ما أَبْطَأَكَ عَلينا؟ فأَجْبَتَها بأن قُلْتَ:

يا حَبْيَبةُ ما زَالَ الله عَزَّ وَجَل يُوقفني على ذَنْبٍ كَذا وكَذا حتى خَشِيْتُ أنْ لا أصلَ إليكُن، فَمشيْنَ نَحْوَكَ في السُنْدسِ والحرير، يُثْرِنَ المِسْكَ، وشَوقاً وعِشْقاً لكَ.

فأول مَن تَقَّدمَتْ منهُنَّ مَدَّتْ إليْكَ بَنانَها ومِعْصَمَها وخَاتَمَهَا وَضَمَّتْكَ إلى نَحْرِهَا فانْثَنَيْت عليها بكَفِكَ وسَاعِدِكَ حتى وضَعْتَهُ على قَلائِدِهَا مِن حَلْقِها، ثم ضَمَمْتُهَا إليكَ وضَمَّتْكَ إليها.

فتوهم نعِيم بَدَنها لمَّا ضَمَّتْكَ إليها كَادَ أن يُدَاخِلَ بَدَنُكَ بَدَنَهَا مِن لِينهِ ونعِيمِهِ.

فتوهم ما بَاشَرَ صَدْرَكَ مِن حُسْن نُهُودِهَا، ولَذَّةِ مُعَانَقِتها، ثم شَمَمْتَ طِيبَ عَوارِضِها، فَذَهَبَ قَلْبُكَ مِن كُلِّ شيءٍ سَواهَا حتى غَرِقَ في السُرورِ، وامْتَلأَ فَرحاً، لما وصَلَ إلى رُوْحِكَ مِن طِيب مَسَيْسِها، ولَذةِ رَوائح عَوارِضها.

فلما اسْتَمْكَنَتْ خَفَّة السرُور من قلبك، وعَمَّتْ لَذَّةُ الفَرَحِ جَميعَ بَدَنِكَ، ومَوْعِد الله عَزَّ وَجَلَّ في سُرُوركَ، فناديتَ بالحمد لله الذي صَدَقَكَ الوَعْدَ، وأنْجَزَ لك الموعد، ثم ذَكَرْتَ طَلَبَكَ إلى ربك إيَّاهُنَّ بالدُؤوبِ والتَّشْمِير.

فأينَ أنت في عاقبةِ ذلكَ العملِ الذي استَقْبَلتَهُ وأنْتَ تلتثمُهُنَّ وتَشَمُّ عَوارِضَهُنَّ ﴿لِمثْل هذَا فَلْيَعْمَل العَامِلُونَ﴾.

اللَّهُمَّ إنا نَسْأَلُكَ حَياةً طَيِّبةً، ونَفْساً تَقِيَّة، وعِيْشَةٍ نَقِيَّة، ومِيْتَةً سَوِيَّة، ومَراداً غَيْرَ مُخْزي ولا فاضح. اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل الصلاح والنجلاح والفلاح، ومن المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك يارب العالمين. اللَّهُمَّ مالكَ الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تَشَاء وتُعِز من تشاء وتُذِلُ مَن تشاء بيَدِكَ الخيرُ إنكَ على كل شيءٍ قدير. ياوَدُوْدُ يَاذَا العَرش المجيد يامُبْدِىءُ يامُعِيْد يافَعَالٌ لما تُريد نسألك بنور وجهك الذي ملأ أركانَ عَرشك وبقُدرتِكَ التي

قدرتَ بها على جميع خلقكَ وبرحمتك التي وسِعَت كل شيء لا إله إلا أنت أن تغفر ذنوبَنا وسَيئاتِنا وأنْ تبدلها لنا بحسنات إنك جوادٌ كريم رؤوفُ رحيم. اللَّهُمَّ افتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك ياأرحم ا لراحمين.

«**فَصْلٌ**»: فَتوهم صُعودَهَا على السرير بِعظيم بدنهِا ونعِيمه، حتى استوتْ عليه جالسةً، ثم ارتقيتَ على السرير، فاستويَت عليه مَعَهَا، فقابَلَتْكَ وأنتَ مُقَابلُهَا، فيا حُسْنَ مَنظِركَ إليها جالسةً في حَالها وحُليها بصَبَاحَة وَجْهِهَا ونَعيم جِسْمِها! الأسَاورُ في مَعَاصِمِهَا، والخواتمُ في أكُفِهَا، والخلاخِيلُ في أسْواقِها، والقلائد في عُنُقِهَا، والأكاليل من الدر والياقوت على قصتها وجبينها، والتاج من فوق ذلك على رأسها، والذوائب من تحت التاج، قد حل من مناكبها، وبلغ أردافها، تَرى وَجْهَكَ في نَحرها، وهي تنظر إلى وجهها في نحرك.

وقد تدلت الأشجار بثمارها مِن جَوانِبِ حَجَلتِكَ، واطردتِ الأنهارُ حَولَ قصرك، واسْتَعْلى الجداول على خيمتك بالخمر والعسل واللبن والسلسبيل.

وقد كمل حُسْنُكَ وحُسْنُها، وأنتَ لابِسُ الحَريرِ والسُنْدُسِ، وأسَاوِرِ الذهب واللؤلؤ على كل مَفْصِلٍ مِنَ مَفاصِلِكَ، وتَاجُ الدُرِ والياقوتِ مُنْتَصِفُ فوقَ رأسِكَ، وأكاليلُ الدُرِ مُفَصَّصَةً بالنُور على جَبِيْنِكَ.

وقد أضَاءتِ الجنةُ وجَميعُ قُصورِكَ مِن إشراقِ بَدَنِكَ ونُورِ وَجْهِكَ، وأَنْتَ تُعَاينُ مِن صَفَاء قُصُورِكَ جميع أزواجكَ وخُدَّمِكَ وجميع أبنية مَقَاصِيركَ.

وقد تَدَلَّتْ عليك ثِمارُ أشْجارِكَ، واطَّرَدَتْ أنهارُكَ مِن الخَمرِ واللَّبَنِ مِن تَحتِكَ، والماءُ والعَسَلُ مِن فَوقِكَ، وأنتَ جَالسٌ معَ زَوْجَتِكَ على أرِيكَتِكَ، وقَدْ فُتِحَتْ مَصَاريعُ أبوابكَ، وأرْخَيت عليك حِجَالُ خَيْمَتِكَ، وحَفَّفِ الخُدامُ والولدانُ بقُبَّتِكَ، وسَمِعْتَ زَجلَهمُ بالتَّقْدِيْس لِرَبكَ عَزَّ وجَل.

وأنْتَ وزَوجُكَ بأكْمَلَ الهَيئةِ وأتمِ النِعمةِ، وقد حَارَ فيها طرفُكَ تَنْظُر إليها مُتَعَجباً مِن جَمَالِهَا وكَمالهَا، طَربٌ قلبُكَ بملاحَتِهَا، وأنِسٌ قَلْبُكَ بها مِن حُسْنِهَا، فَهي مُنَادمةٌ لك على أرِيْكَتِكَ، تُنَازعُكَ وتُعَاطِيْكَ الخَمْرَ والسَّلْسَبِيلَ والتَّسنِيْم في كَأساتِ الدُر وأكاويْبِ قَوارير الفِضَّةِ.

فتوهم الكأسَ مِن الياقوتِ والدُرِ في بَنَانها، وقد قَرُبَتْ إليكَ ضَاحِكَةً بحُسْن ثَغْرهَا، فَسَطع نُورُ بَنَانِهَا في الشرابِ، مع نُور وَجْهِهَا ونَحرهَا، ونُورِ الجنانِ، ونُورِ وجْهكَ وأنتَ مُقَابِلُهَا، واجْتَمعَ في الكَأسِ الذي في بَنَانِهَا نُورٌ الكأس، ونُورُ الشرَاب، ونُورُ وَجْههَا، ونُورُ نَحْرِهَا، ونُورُ ثَغْرِهَا، إنتهى بتصرف.

وقال ابن القيم:

فَاسْمَعْ صِفَاتِ عَرَائِسِ الجنَّات ثُمْ ... مَ اخْتَرْلِنَفْسِكَ يَاأَخَا العِرْفَانِ
حُورٌ حسانٌ قَدْ كَمَلْنَ خلائِقاً ... وَمَحَاسِناً مِن أجْمَلِ النِّسْوَانِ
حَتَّى يَحَارُ الطَّرْفُ في الحُسْنِ الذي ... قَدْ ألبِسَتْ فالطَّرْفُ كالحَيْرَانِ
وَيَقولُ لَمَّا أنْ يُشَاهِدَ حُسْنَهَا ... سُبْحَانَ مُعْطِي الحُسْن والإحْسَانِ
والطَّرفُ يَشْرَبُ مِن كؤوس جَمَالِهَا ... فَتَراهُ مِثْلَ الشارب النّشْوانِ
كَمُلَتْ خَلائِقُهَا وأكْمِلَ حُسْنُهَا ... كالبَدْرِ لَيلَ السِّتِ بَعْدَ ثَمَانِ
والشَّمْسُ تَجْرِيْ في مَحَاسِنِ وَجهِهَا ... والليلُ تَحتَ ذوائِبِ الأغْصَانِ
فَتَراهُ يَعْجَبُ وَهُوَ مَوْضِعُ ذَاكَ مِن ... لَيلِ وَشَمْسٍ كَيفَ يَجْتَمِعَانِ
فَيَقُولُ سُبْحَانَ الذِيْ ذَا صُنْعَه ... سُبْحَانَ مُتْقِنِ صَنْعَةَ الإنسانِ
وَكِلاهُمَا مِرْآةُ صَاحِبِهِ إذا ... ما شَاءَ يُبْصِرِ وَجْهَهُ يَرَيَانِ
فَتَرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ في وَجْهِهَا ... وَيَرَى مَحَاسِنَهَا به بعَيْنَانِ
حُمْر الخُدُوْدِ ثُغُورُهُنَّ لآلِيءٌ ... سُودُ العُيُونِ فَوَاتِرُ الأجْفَانِ
والبَدْرُ يَبْدُو حينَ يَبْسُمُ ثَغْرُهَا ... فَيُضِيءُ سَقْفُ القَصْر بالجدْرَان
وَلَقَدْ رَوَيْنَا أنَّ بَرْقاً ساطِعَاً ... يَبْدُوْ فَيَسْأَلُ عنه مَن بِجِنَانِ

فَيُقَالُ هَذَا ضَوْءُ ثَغْــرٍ ضَاحِكٍ ... في الجنةِ العُلْيَـا كَمـا تريَـانِ
لِلَّـهِ لاثِــمُ ذَلِكَ الثَّغْــرِ الــذي ... في لَثْمِـــهِ إدْرَاكُ كُلِ أمَـــانِ
رَيَانَـةُ الأعْطَافِ مِن مَاءِ الشَّبَـا ... ب فَغُصْنهَـا بالماءِ ذُو جَرَيَـانِ
لما جَرَى مَاءُ الشباب بغُصْنِهَـا ... حَمَلَ الثِمَارَ كَثِيْـرَة الألْـوَانِ
فالــوَرْدُ والتُّفَــاحُ والرُّمَــانُ في ... غُصْنٍ تَعَــالى غارِسُ البُسْتَـانِ
والقَـدُّ منها كالقَضِيبِ اللَّدْنِ في ... حُسْنِ القـوام كأوْسَطِ القُضبـان

إلى أن قال رحمه الله:

وإذَا بَدَتْ في حُلَّةٍ مِنْ لُبْسِهَـا ... وَتَمَايَـلَتْ كَتَمَايُـلِ النَّشْوَانِ
تَهْتَـزُّ كَالغُصْنِ الرَّطِيْبِ وحَمْلُه ... وِرْدٌ وتَفَــاحٌ على رُمَـــانِ
وَتَبَخْتَـرَتْ في مَشْيِها ويَحِــقُ ذَا ... كَ لِمِثْلِهَــا في جَنَّـةِ الحَيَـوانِ
وَوَصَائِـفٌ مِن خَلْفِها وأمَامِهـا ... وعلى شَمَائِلِهَـا وَعَــن أيْمَـانِ
كالبَـدْرِ لَيلَـة تِمِّــهِ قَدْ حُفَّ في ... غَسَقِ الدُّجَى بكَواكِبِ المِيْزَانِ
فَلِسَانُـهُ وَفُــوآدُهُ والطَّــرفُ في ... دَهَشٍ وإعْجَـابٍ وفي سُبْحَـانِ
فَالقَـلبُ قَبلَ زِفَافِهَــا في عُرْسِهِ ... والعُرْسُ إثْــرَ العُــرْسِ مُتَّصِلانِ
حَتَّــى إذَا مَا وَاجَهَتْـهُ تَقَابَــلا ... أرأيْتَ إذْ يَتَقَابَــلُ القَمَــرَانِ
فَسَلِ المُتيَّمَ أيـن خَلَّـفَ صَبْـرَهُ ... في أي وَادٍ أمْ بأي مكَـــانِ
وَسَلِ المُتَيَّـم كَيْـفَ حَالتُـه وَقَـدْ ... مُلِـئَتْ له الأذُنَـانِ والعَيْنَـانِ
مِن مَنْطِقٍ رَقَّتْ حَوَاشِيْـهِ وَوَجْـ ... ـه كَمْ بِهِ لِلشمْسِ مِن جَرَيَـانِ
وَسَلِ المُتيَّم كَيْـفَ عِيشَتُـهُ إذاً ... وَهُمَـا على فُرَشَيْهِمَـا خَلَـوَانِ
يَتَسَاقَطَـانِ لَئِآلِئــا مَنْثُــورةً ... مِن بَيْـنِ مَنْظُومٍ كَنَظْمِ جُمـانِ
وَسَل المُتيَّمَ كَيفَ مَجْلِسُه مع الْـ ... ـمَحْبُوْب في رَوْحٍ وفي رَيْحَـانِ
وَتَـدورُ كاسَاتُ الرَحِيْقِ عَلَيْهِمَا ... بأكُــفِ أقمـارٍ من الوِلْـدَانِ
يَتَنَازَعَــانِ الكَــأسَ هَذَا مَرَّةَ ... والخُــودُ أخْـرَى ثُمَّ يَتَكِئَـانِ

فَيضُمُّهَا وَتَضُمُّـهُ أَرَأَيْتَ مَعْــ ... ـشُوقَيْنِ بَعـدَ البُعْـدِ يَلْتقِيـانِ
غابَ الرَّقِيْبُ وغَـاب كُلُّ مُنَكِّـدٍ ... وَهُمَـا بثَـوْبِ الـوَصْلِ مُشْتَمِـلانِ
أَتَرَاهُمَا ضَجِرَيْن مِن ذَا العَيْشِ لا ... وَحَياةِ ربكَ مَا هُمَـا ضَجِـرَانِ
وَيَزِيْـدُ كُلٌّ مِنْهُمَـا حُبـاً لِصَا ... حِبِه جَدِيْـداً سَائِـرَ الأَزْمَـانِ
وَوِصَالُـهُ يَكْسُوهُ حُبـاً بَعْـدَهُ ... مُتَسَلْسِلًا لا يَنْتَهِـي بِزَمَـانِ
فالـوَصْلُ مَحْفُوْفٌ بِحُبٍ سَابِقٍ ... وَبِلاحِـقٍ وَكِلاهُمَـا صِنْـوَانِ
فَرْقٌ لَطِيْـفٌ بَيْـنَ ذَاكَ وَبَيْـنَ ذَا ... يَدْرِيْهِ ذُوْ شُغْـلٍ بِهَـذَا الشَّانِ
وَمَزِيْدُهُـم في كُلِّ وَقْتٍ حَاصِلٌ ... سُبْحانَ ذِي المَلَكُوتِ والسُّلْطَانِ
يا غَافِلًا عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِـهْ ... جَدَّ الرَّحِيْـلُ وَلَستَ باليَقْظَـانِ
سَارَ الرفَـاقُ وَخَلفُوكَ مَعَ الأولى ... قَنِعُوا بِذَا الحَظِ الـخَسِيْسِ الفَانِ
وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفَـاً ... فَتَبِعْتَهُـم فَرَضِيْتَ بالحِرْمَـانِ
لَكِنْ أَتَيْتَ بِخُطَّتَيْ عَجْزٍ وَجَهْـ ... ـلٍ بَعْدَ ذا وَصحِبْتَ كُلَّ أَمَانِ
مَنَّتْكَ نَفْسُكَ بالحُوقِ مَعَ القُعُـود ... دِ عَن المَسِيْرِ وَرَاحَةِ الأَبْـدَانِ
وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِيْنَ يَنْكَشِفُ الغِطَا ... مَاذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا إِمْكَـانِ

وقال ابن القيم رحمه الله:

فَيَا سَاهِياً في غَمْرَةِ الجَهْلِ والهَوى ... صَرِيْعَ الأَمَانِـيْ عَنْ قَرِيْبٍ سَتَنْـدَمُ
أَفِقْ قَدْ دَنَى الوَقْتُ الذِيْ لَيْسَ بَعْدَهُ ... سِوَى جَنَّـةٍ أَوْ حَرِّ نَارٍ تَضَرَّمُ
وبِالسُّنَّـةِ الغَـرَّاءِ كُنْ مُتَمَسِّكـاً ... هِيَ العُرْوَةُ الوُثْقَى التي لَيْس تُفْصَمُ
تَمَسَّكْ بِهَـا مَسْكَ البَخِيْـلِ بِمالِـهِ ... وَعَضَّ عَلَيْهَـا بالنَّواجِـذِ تَسْلَـمِ
وَدِعْ عَنْكَ مَا قَدْ أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَهَا ... فَمَرْتَـعُ هَاتِيْكَ الحَـوادِثِ أَوْخَـمُ
وَهَيِّءْ جَوَاباً عِنْدَمَا تَسْمَـعُ النِّـدَا ... مِنَ اللهِ يَوْمَ العَرْض مَاذَا أَجَبْتُـم
بِهِ رُسُلِي لَمَّا أَتَوْكُـم فَمَـنْ يَكُـنْ ... أَجَابَ سِوَاهُمْ سَوْفَ يُخْزَى وَيَنْدَمُ
وَخُذْ مِنَ تُقَى الرَّحمنِ أَعْظَمَ جُنَّةٍ ... لِيَـوْمٍ بِهِ تَبْـدُوْ عِيَانـاً جَهَنَّـمُ

وَيُنْصَبُ ذَاكَ الجَسْرُ مِنْ فَوْق مَتْنِهَا ... فَهَاوٍ وَمَخْدُوْشٌ وناجٍ مُسَلَّمُ
وَيأتِيْ إِلٰـهُ العَالَمِيْـنَ لِوَعْـدِهِ ... فَيَفْصِلُ مَا بَيْنَ العِبَادِ وَيَحْكُمُ
وَيَأخُـذُ لِلْمَظْلُـومِ رَبُكَ حَقَّـهُ ... فَيَابُؤْسَ عَبْدٍ لِلْخَلائِقِ يَظْلِمُ
وَيُنْشَرُ دِيْوَانُ الحِسَابِ وتُوْضَعُ الْـ ... ـمَوَازِيْنُ بالقِسْطِ الذي لَيْسَ يَظْلِمُ
فَلا مُجْرِمٌ يَخْشَى ظَلَامَـةَ ذَرَّةٍ ... ولا مُحْسِنٌ مِن أجْرِهِ ذَاكَ يُهْضَمُ
وَيَشْهَدُ أعْضَاءُ المُسِيءِ بِمَا جَنَى ... كذَاكَ على فِيْهِ المُهَيْمِنُ يَخْتُمُ
فَيَالَيْتَ شِعْرِيْ كَيْفَ حَالُكَ عِنْدَمَا ... تَطَايَرُ كُتْبُ العَالِمِيْنَ وتُقْسَمُ
أتَاخُذُ باليُمْنَى كِتَابَكَ أمْ تَكُنْ ... بالأُخْرى وَرَاءَ الظَّهْرِ مِنْكَ تَسَلَّمُ
وَتَقْرَأ فِيْهَا كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْتَهُ ... فَيُشْرِقُ مِنْكَ الوَجْهُ أوْ هُوَ يُظْلِمُ
تَقُوْلُ كِتَابِي فاقْرَؤُهُ فإنَّهُ ... يُبَشِّرُ بالفَوْزِ العَظِيْمِ وَيُعْلِمُ
وإن تكُن الأخْرَى فإنَّكَ قَائِلٌ ... ألا لَيْتَنِيْ لَمْ أُوْتَهُ فَهُوَ مَغْرَمُ
فَبَادِرْ إذاً مَادَامَ فِي العُمْرِ فُسْحَةٌ ... وعَدْلُكَ مَقْبُوْلٌ وَصَرْفُكَ قَيِّمُ
وَجُدَّ وَسَارِعْ واغْتَنِمْ زَمَنَ الصِّبَا ... ففِي زَمْنِ الأمْكَانِ تَسْعَى وَتَغْنَمُ
وَسِرْ مُسْرِعاً فالمَوتُ خَلْفَكِ مُسْرِعاً ... وَهَيْهَاتَ مَا مِنْهُ مَفَرٌّ وَمَهْزَمُ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا الْقِيَامِ بِحَقِّكَ، وَبارِكْ لَنَا في الحلال مِن رِزْقِكَ، ولَا تَفْضَحْنَا بين خَلْقِكَ، يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ داعٍ وأفْضَلَ مَن رجَاهُ راجٍ، يا قاضِي الحاجاتِ ومُجِيْبَ الدعواتِ هَبْ لَنَا ما سَأَلْناهُ وَحَقِّقْ رَجاءَنَا فِيْمَا تَمَنَّيْنَاهُ وأَمَّلْناه يا مَنْ يَمْلِكُ حَوائِجَ السَّائِلين ويَعْلَمُ ما فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتِينَ، أذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ، وحَلَاوَة مَغْفِرَتِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«خَاتِمَةٌ، وَصِيَّةٌ، نَصِيْحَةٌ»

إعْلَمِ وَفَقَّنَا اللهُ وَإيَّاكَ وجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ لِمَا يُحِبَّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ مِمَّا يَجبُ الاعْتِنَاءُ بِهِ حِفْظًا وعَمَلًا كلام الله جَلَّ وعَلَا وكلام رسوله ﷺ.

وأنه يَنْبَغِي لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تعالى أَنْ يَحُثَّ أَوْلَادَه على حِفْظ القُرآن وما تَيسَّرَ مِن أَحَاديث النبي ﷺ المتفق على صحَّتِها عنه كالبُخَارِي ومُسْلم.

ومن الفقه مختصر المُقْنِعْ لِيَتَيَسَّرَ لَهُ اسْتِخْراجُ المسائل ويَجْعَلُ لأَوْلادِهِ مَا يَحُثُّهُم على ذَلِكَ.

فَمَثَلًا يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ القُرآنَ على صَدْرِه حِفْظاً صَحِيْحاً عَشَرَةَ آلافِ أَوْ أَزْيَد أَوْ أَقل حَسَبَ حالِهِ في الغِنى.

ومِن الأحَادِيث عُقودَ اللُّؤلؤ والمَرجَان فيما اتفق عَلَيْهِ الإمَامَانِ البُخَارِي ومسلم، يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّةَ آلاف.

فإنْ عَجزوا عن حِفْظِهَا فالعُمدة في الحديث يَجْعَلُ لِمَنْ حَفِظها ثلاثة آلاف، أَوْ الأربعين النَّواوِيَّة ويَجْعَل لمن يَحْفَظها أَلْفاً.

ويَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ مُخْتَصرَ المقنع في الفقه أَلْفَيْن مِن الريالاتِ فالغَيبُ سَبَبٌ لحِفظِ المسائل وسَبَبٌ لسُرعَةِ اسْتِخْرَاج ما أُرِيْدَ مِن ذَلِكَ وما أَشْكَلَ مَعْنَاه أَوْ يُدَخِّلُهم في مَدَارِسِ تَحْفِيْظِ القُرآن فَمَدَارِسُ تَعْلِيْمِ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ هِيَ مَدَارِسُ التَّعْلِيْم العَالِيْ المُمْتَازِ البَاقِي في الدُّنْيَا والآخِرَةِ أَوْ يُدْخلهم في حَلَقَاتِ تَحْفِيْظِ القُرآنِ الكَرِيم الموجودة في المَسَاجِد.

وَلَمْ أَرَى لِلْخَلائقِ مِنْ مُرَبٍ كَعَلْمِ الشَّرع يُؤخَذُ عن ثِقَاتِ
بِبَيْتِ الله مَدْرَسَةِ الأَوَالِي لِمَنْ يَهْوَى العُلُوم الرَّاقِيَاتِ

فَمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِذَلِكَ وعَمِلَ أولادُهُ بِذَلِكَ كان سَبَباً لِحُصُولِ الأجر مِن اللهِ وسبَباً لِبرّهِم بهِ ودُعَائِهم لَهُ إِذَ ذَكَرُوْا ذَلِكَ منه ولَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سَبَباً مُبَارَكاً يَعْمَلُ بهِ أَوْلَادُهُ مَعَ أَولادِهم فَيَزيْدُ الأَجْرُ لَهُ ولَهُم نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوفِّقَ الجَميعَ لِحُسْنِ النِّيَةِ إِنَّهُ القادِرُ عَلَى ذَلِكَ وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

تمَّ هذَا الجُزْءُ الثاني بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيْقِهِ ونسْأَلُ الله الحَي القَيُّوْمُ العَلِيُّ

العَظِيْمَ ذا الجَلَالِ والإِكْرَامِ الوَاحِدَ الأَحَدَ الفَرْدَ الصَّمَدَ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كفواً أَحَد أَنْ يُعِزَّ الإِسْلَامَ والمُسْلِمِيْنَ وأَنْ يَخْذُلَ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِيْنَ وَأَعْوَانَهُمْ وأَنْ يُصْلِحَ من في صلاحه صَلاحٌ للإِسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَيُهْلِكَ منْ في هَلاكِهِ عز وصلاح للإِسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَأَنْ يَلُمَّ شَعَثَ المُسْلِمِيْنَ وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ وَيُصْلِحَ أَولادَهُمْ وَيَشْفِ مَرْضَاهُمْ وَيُعَافِي مُبْتَلَاهُمْ وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ بِأَيْدِيْنَا إلى كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا وإِيَّاهم مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظنا وإِيَّاهم مِن كُلِّ ضُرٍ وأَنْ يَغْفِرَ لَنَا ولوالدينا وجميع المسلمين بِرَحْمَتِهِ إِنَّه أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلى الله على محمد وعلى آله وَصَحْبِهِ أجمعين.

«مَوْعِظَة»

فَيَا أَيُّهَا المُهْمِلُونَ الغَافِلُونَ تَيَقَّظُوا فَإِلَيْكُم يُوجَّهُ الخِطَابُ ويَا أَيُّهَا النَّائِمُونَ انْتَبِهُوا قَبْلَ أَنْ تُنَاخَ لِلرَّحِيْلِ الرِكَابْ قَبْلَ هُجُومِ هَادِمِ اللذَّاتِ ومُفَرِق الجَمَاعَاتِ ومُذِلِّ الرِّقَابِ، وَمُشَيِّتِ الأَحْبَابِ، فَيَالَهُ مِنْ زَائِرٍ لا يَعُوقُهُ عَائِقٌ ولا يُضْرَبُ دُوْنَهُ حِجَابْ، وَيَالَهُ من نَازِلٍ لا يَسْتَأْذِنُ على المُلُوكِ ولا يَلِجُ مِنَ الأَبْوَابِ، ولا يَرْحَمُ صَغِيْراً ولا يُوَقِّرُ كَبِيْراً ولا يَخَافُ عَظِيْماً ولا يَهَابُ أَلَا وإِنَّ بَعْدُهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنَ السُّؤَالِ والْجَوَابِ، وَوَرَاءَهُ هَوْلُ البَعْثِ والحَشْرِ وَأَحْوَالِهِ الصِّعَاب مِنْ طُوْلِ المَقَامِ والإِزْدِحَامِ في الأَجْسَامِ والمِيْزانِ والصِّرَاطِ والحِسَابِ وَالجَنَّةِ أَو النَّارْ.

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمعصِيَةُ ولَا تَنْفَعُه الطَّاعَةُ أَيْقظْنَا مَنْ نَوْم الغَفْلَةِ وَنَبِّهنا لاغْتِنَام أَوْقَاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا واعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحنا وذُنُوبنا ولا تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عليْهِ ضَمَائِرُنا وأَكَنَّتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ القَبَائِحِ والمَعَائِبِ التي تَعْلَمُها مِنّا وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ

وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« موعظة »

عِبَادِ اللهِ تَزَوَّدُوا لِلرَّحِيْلِ فَقَدْ دَنَتْ الآجَالُ واجْتَهِدُوا واسْتَعِدّوا لِلرَّحِيْلِ فَقَدْ قَرُبَ الارْتَحَالُ وَمَهِّدُوا لأَنْفُسِكُمْ صَالِحَ الأَعْمَالِ فإن الدُّنيا قد آذَنَتْ بالفِرَاقِ وإنّ الآخِرَةِ قَدْ أشْرَفَتْ لِلتَّلَاقِ فَتَزَوّدُوا مَنَ دَارِ الانْتِقَالُ إلى دَارِ القَرَار.

واسْتَشْعِرُوا التَّقْوَى في الأَقْوالِ والأَفْعَالِ وأَحْذَرُوا التَّفَاخُرَ والتكَاثُرَ في الدُّنْيَا بِجَمْعِ الحُطَامِ واكْتِسَابِ الآثَامِ وإيّاكُمْ والاغْتِرارَ بالآمَالِ فورَاءَكُمْ المَقَابِرُ ذَاتُ الوَحْشَةِ والهُمُوْمِ والغُمُومِ والكُرُبَاتُ وتَضَايِقُ الأنْفَاسِ والأهوالِ المُفْظِعَاتِ.

فَسَوْفَ تَرَوْنَ مَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ في حِسَابِ إذَا نُودِيْتُمْ مِنْ الأَجْدَاثِ حُفَاةً عُرَاةً عُزلًا مُهْطِعِيْنَ إلى الدّاعي وَتَعَلَّقُ المَظْلُومُون بالظَّالِمِيْنَ ووَقَفْتُمَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ العالَمِيْنَ وَحَلَّ بِكُمْ كَرْب المَقَامِ واشْتَدَّ بالْخَلْقِ في ذَلِكَ الموقِفُ الزِّحَامُ وأُخِذَ المجرِمُوْن بالنَّواصِي والأَقْدَامِ وبَرَزَتْ جَهَنَّم تُقَادُ بِسَبْعِيْنَ أَلْفِ زِمَام مَعَ كُلِّ زمامٍ سَبْعُونَ ألف مَلَكٍ يَجُرونَهَا والخَزَنَةُ حَوْلَهَا غِلَاظٌ شِدَادٌ.

وَيُنادِي عِنْدَ ذَلِكَ العزيزُ الحَمِيدُ الجَبَّارُ فَيَقُولُ هَلْ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيد هُنالِكَ يَنْخَلِع قَلْبُكَ وَتَتَذَكَّرُ مافَرَّطَتَ فيه مِن الأَوقَاتِ وَتَتَنَدَمُ ولاتَ ساعةَ مَنْدِمٍ وَتَتَمَنَّى أنْ لو زِيدَ في الحَسَنَاتِ وخُفِّفَ مِن السَّيِّئآتِ ولكن أنَّى لَكَ بِهَذَا وَهَيْهَاتَ ﴿هُنالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ ما أسْلَفَتْ وَرُدُّوا إلى اللهِ مَوْلَاهُمْ الحَقُ وَضَلَّ عَنْهم ما كَانُوا يَفْتَرُون﴾.

شِعْرًا: لِمَن وَرْقَاءُ بالوَادِي المَرِيْعِ   تَشُبُّ بِهِ تَبَارِيْحَ الضُلُوع
على فَيْنَانَةٍ خَضْرَاءَ يَصْفُوْ   على أَعْطَافِهَا وَشْيُ الرَّبِيْعِ

تُرَدِدُ صَوْتَ باكِيَـــةٍ عَلَيْهَــــا رَمَاهَـا الموتُ بالأَهْلِ الجَمِيْـعِ
فَشَتَّتَ شَمْلَهَــــا وأَدَالَ مِنــــهِ غَراماً عَاثَ في قَلْبٍ صَرِيْـــعِ
عَجِبْتُ لَهَا تَكَلَّمُ وهْيَ خَرْسَا وتَبْكِي وهْـيَ جَامِـدَةُ الدُّمُوْعِ
فَهِمْتُ حَدِيْثَهَا وفَهِـمْتُ أَنِّـي مِن الـخُسْرانِ في أَمْرٍ شَنِيْـعِ
أَتَبْكِي تِلْكَ أَنْ فَقَـدَتْ أَنِـيْساً وتَشْرَبُ منه بالكَـأْسِ الفَظِيْـعِ
وَهَا أَنَا لَسْتُ أَبكِيْ فَقْدَ نَفْسِيْ وتَضْيِيْعِ الحَيَـاةِ مَعَ المُضِيْعِ
ولَوْ أَنِّي عَقَـلْتُ اليَـوْمَ أَمْـرِيْ لأَرْسَلْتُ المَدامِــعَ بالنَّجِيْـــعِ
أَلا يَاصَاحِ والشَّكْوَى ضُرُوْبٌ وذِكْرُ المَوتِ يَذْهَبُ بالهُجُوْعِ
لَعَـلَّكَ أَنْ تُعِيْـرَ أَخَـاكَ دَمْعاً فَمَـا فِي مُقْلَتَيْـهِ مِن الدُمُــوْعِ

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا في سِلْكِ الفَائِزِيْنَ بِرِضْوَانِكَ، واجْعَلْنَا مِنْ المُتَّقِيْنَ الذيْنَ أَعْدَدْتَ لَهُمْ فَسِيْحَ جِنَانِكَ، وأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ في دَارِ أَمَانِكَ، وَعَافِنَا يَامَوْلَانَا في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ جَمِيْعِ البَلايَا وأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِب فَضْلِكَ وَهِبَاتِكَ وَمَتِّعْنَا بالنَّظَر إلى وَجْهِكَ الكَرِيْمِ مَعَ الذيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّيْنَ والصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِيْنَ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْـــلٌ»

إعلم وفقنا الله وإيَّاكَ وجميعَ المسلمين وأيْقَظَ قُلُوْبَنَا وقُلُوبَكُم مِن الغَفْلَةِ وَرَزَقَنَا وإيَّاكُم الإسْتِعْدَادَ لِلنُّقْلَةِ مِن الدار الفَانِيَةِ إلى الدارِ الباقيةِ أنَّ مِن أضرِّ مَا على الإنسانِ طُولُ الأمل.

ومَعْنَى ذَلِكَ اسْتِشعَارُ طُوْلِ البَقَاءِ في الدُّنْيَا حَتَّى يَغْلِبَ على القَلْبِ ويَنْسَى أَنَّه مُهَدَّدٌ بالموتِ في كُلِ لَحْظَةٍ ولابُدَّ منه وَكُلُ مَا هُوَ آتٍ قريْب فتأهَّبْ لِسَاعَةِ ودَاعِكَ مِن الدُّنْيَا وخُرُوجِكَ مِنْها.

وَكُنْ ياأخِي على حَذَر مِن مُفَاجأة الأجَل فإنك عَرَضٌ للآفاتِ وهَدَفٌ مَنْصُوْبٌ لِسِهامِ المنايَا وإنما رأْسُ مالك الذي يُمْكنِكَ أنْ وَفَّقَكَ اللهُ أنْ تَشْتَري بِهِ سَعَادَةَ الأبدَ هذا العمر.

قال الله جل وعلا: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مايَتَذَكَّرُ فيه مَن تَذكَّر﴾ الآية، فإيَّاكَ أنْ تُنْفِقَ أوْقَاتَ عُمُرِكَ وأيَّامَهُ وسَاعَاتِهِ وأنْفَاسَهُ فيما لا خَيْرَ فيه ولا مَنْفَعَة فيَطُوْل حُزْنُكَ ونَدَامَتُكَ وتَحَسُّرُكَ بَعْدَ مَوْتك.

واجْعَل مايَلِي من الآياتِ نَصْبَ عَيْنَيْكَ دَائِماً لِتَحُثُكَ على الاستِعْدَادِ لِيَوْمِ المَعَادِ.

قال الله جلا وعلا: ﴿أنْ تقول نَفْسٌ ياحَسْرَتَا على ما فرطَتُ في جَنب الله﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تجد كل نفسٍ ماعَمِلتْ مِن خير مُحْضراً وماعَملَتْ مِن سُوء تودُ لو أنَّ بَيْنَهَا وبَيْنَه أمَداً بَعِيْدَا﴾.

وقوله: ﴿يَومَ ينظر المرء ما قدَّمْت يداه﴾.

وقوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نَفْسٌ ماقَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وأنْفِقُوا مما رزقناكم مِن قبل أن يأتِي أحدكم الموت فيقول رَبِي لولا أخَّرْتَنِي إلى أجل قريب فأصَّدَقَ وأكن من الصالحين﴾ الآية.

وقال تعالى: ﴿وأنْذرهم يومَ الحَسْرَةِ﴾.

وقال تعالى: ﴿واتقوا يوماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عن نَفْسٍ شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تَنْفَعُهَا شفاعَةٌ ولا هم ينصرون﴾.

وثاب جَلَّ وعلا: ﴿وأنْذِرْهُم يَومَ الآزِفَةِ إذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجر كاظِمين﴾.

ونحو هذه الآيات التي مَرَّتْ عَلَيْكَ فإنْ كُنْتَ مؤمناً حقيقةً فاشْعِرْ قَلْبَكَ

تِلْكَ المَخَاوف والأخْطَار وَأَكْثَرْ فيها التَّفكُرَ والإعْتِبَار لِتَسْلِبَ عن قَلْبكَ الرَّاحَةَ والقَرارَ فِي هَذِهِ الدار فَتَشْتَغِل بالجدِّ والاجْتِهادِ والتَّشمِيرِ لِلْعَـرْضِ على الجَبَّارِ.

وتَفكَّر أوْلاً فيما يَقْرَعُ سَمْعَ سُكَانِ القَبور مِن شِدَّةِ نَفْخِ الصُوْر، فإنها صَيَحة واحِدة تَنْفَرجُ بها القُبُور عن رُؤس الموتى، فَيثورُوْنَ دُفْعَةً واحَدة.

قال الله جل جلاله: ﴿فإنما هي زجرة واحِدة فإذا هم بالساهرة﴾، وقال جَلَّ وعلا: ﴿ثم نُفخ فيه أُخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾.

فَتَصَوَّر نَفْسَكَ إنْتَبه ياأخِي لِهذا اليومِ العَظِيمِ الذِي لَيْسَ عِظمُه مما يُوْصَف، ولا هَوْلُه مِمَّا يُكيَّف، ولايَجْرِي على مِقْدَارٍ مِمَّا يُعْلَمُ فِي الدُّنْيَا ويُعْرَف بَـلْ لايَعْلم مِقدَارَ عِظَمِهِ ولا هوله إلا الله تبارك وتعالى وما ظَنُكَ بِيَومٍ عَبَّرَ الله تبارك وتعالى عن بعض مايكون فيه بشيء عظيم، قال الله عَزَّ وجَل: ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم إنَّ زَلْزَلَةَ الساعة شيء عظيم يومَ تَرَوْنَها تَذْهَل كل مُرْضِعَةٍ عما أرْضَعَت، وتضع كل ذَاتِ حَمْلٍ حملها وترى الناس سكَارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾، وماذا عسى أنْ يقول القائل فيه وماذا عَسَى أنْ يَصِفَهُ الوَاصِفُ به الأمْرُ أَعْظَمُ والخَطْبُ أكبر والهول أشنع كما قال القائل:

وما عَسَى أنْ أقُولَ أوْ أقُومُ بِهِ ... الأمْرُ أعظَمُ مِمَّا قِيْلَ أو وُصِفَا

وقال آخر:

يَضْحَكُ المرءُ والبُكَـاءُ أمَامَـهْ ... ويَـرُوْمُ البَقَـاءَ والموتُ رَامَـهْ
ويَمْشِي الحَدِيْثُ في كُلِّ لَغْوٍ ... ويُخْلَى حَدِيْثُ يومِ القِيَامَـهْ
ولأمْرٌ بَـكَـاهُ كُلُّ لَبِـيْبٍ ... وَنَفَى في الظَّلامِ عَنْهُ مَنَامَهْ
صَاحِ حَدِّثْ حَدِيْثَهُ واخْتَصِرْهُ ... فَمُحَالٌ بأنْ تُطِيْقَ تَمَامَـهْ
عَجِزَ الْوَصِفُوْنَ عَنْهُ فَقَالُوْا ... لَمْ نَجِىءْ مِن بحَارِهِ بِكِضَامَهْ

فلْتُحَدِّثْـهُ جُمْلَـةً وَشَتَاتـاً   ودَعِ الآن شَرْحَـهُ ونِظَامَـهْ

فَتَصَوَّرْ نَفْسَكَ وقد خَرجْتَ مِن قَبْرِكَ مُتَغَيِّراً وَجْهُكَ مُغْبَراً بَدَنَكَ مِن تُراب قَبْرِكَ مَبْهُوْتاً مِن شِدَة الصَّعْقَة، قال تعالى: ﴿خَشعاً أَبْصَارُهُم يخرجون من الأجداث كأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِر مُهْطِعين إلى الداعي﴾.

وقال جل وعلا وتقدس: ﴿يومَئِذٍ يَتبِعُون الداعيَ لا عوجَ لَهُ وخشعت الأصْوَاتُ للرحمن﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿واسْتمع يوم يُناد المنادي من مكان قريب يوم يَسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج﴾.

وقال جلا وعلا: ﴿ونفخ في الصُور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم يَنْسِلُون﴾.

وقال تعالى: ﴿فإذا نُقِرَ في الناقور فذالك يومَئِذٍ يوم عسير على الكافرين غير يسير﴾ فَتَفَكَّر في الخلائق ورُعْبهِم وذُلِّهم واسْتِكانتهم عند الانْبِعَاث خَوفاً مِن هَذِهِ الصَّعْقَةِ وانْتِظَاراً لما يُقْضَى عليهم مِن سَعَادَةٍ أَوْ شَقَاوَةٍ.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُوْنَ من الأجْداث سِرَاعاً كأنهم إلى نُصْب يُوفِضُون خَاشِعَةً أبْصَارهم تَرهقهم ذِلَّةٌ ذَلِكَ اليوم الذي كانوا يوعدون﴾.

وقال تعالى: ﴿وجيء يومئذٍ بِجَهنَّم يَوْمَئِذٍ يَتذكَر الإنسان وأنَّى له الذكرى يَقُولُ يالَيْتني قَدَّمْتُ لحياتي﴾.

شِعْرًا: مَن كان يُوْحِشُهُ تَبْدِيـل مَنْزلـهِ   وأنْ يُبَدَّل مِنْهَـا مَنْـزِلًا حَسَنَـا
ماذا يَقُولُ إذَا ضَمَّتْ جوَانِبَها   عَلَيه واجْتَمَعَتْ مِن هَاهُنَا وهُنَا
ماذا يَقُـولُ إذَا أمْسَى بِحُفْرَتِـهِ   فَرْداً وقَدْ فَارَقَ الأهْلِيْنَ والسَّكَنَا
يَا غَفْلَـةً ورِمَـاحُ الموتِ شَارِعـةٌ   والشَّيْبُ أَلْقَى برأسِي نَحْوَهُ الرَّسَنَا
وَلَـمْ أُعِـدَّ مَكَانـاً لِلِّنزَالِ وَلَا   أعْدَدْتُ زَاداً ولَكنْ غِـرَّةً ومُنَـا
إنْ لَمْ يَجُدْ مَنْ تَوالَى جُوْدُهُ أبَدَا   ويَعْفُ مَنْ عَفْوُهُ مِن طالِبِيْهِ دنا

فَيَا إِلٰهِيْ ومُـزْنُ الجُـوْدِ وَاكِفَـةٌ سَحّاً فَتُمْطِرُنَا الإِفْضَالَ والمِنَنَا
آنِسْ هُنَالِكَ يارَحْمٰنُ وحْشَتَنَا وأَلْطَفْ بِنَا وتَرَفَّقْ عِنْدَ ذاكَ بِنَا
نَحْنُ العصَاةُ وأَنْتَ اللهُ مَلْجَؤُنَا وأَنْتَ مَقْصَدُنَا الأَسْنَى ومَطْلَبُنَا
فكُنْ لَنَا عِنْدَ بأْسَاهَا وشِدَّتِهَـا أَوْلَى فَمَنْ ذَا الذِي فيها يَكُونُ لَنَا

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ المُفْلِحين وأَلْبِسْنَا خِلَعَ الإِيْمَانِ واليَقِيْن، وَخصَّنَا مِنْكَ بالتَّوْفِيْقِ المُبين، وَوَفِّقْنَا لِقَوْلِ الحَق واتْبَاعِهِ وَخلِّصْنَا مِنَ البَاطِلِ وابْتِدَاعِهِ، وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّداً وَلَا تَجْعَل لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَداً وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشاً رَغَدَا وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدوّاً وَلَا حَاسِداً، وارْزُقْنَا عِلْمَا نافِعاً وَعَمَلًا مُتَقَبَّلَا، وَفَهْمَاً ذَكِيّاً وَطَبْعاً صَفِيّا وَشِفَاً مِنْ كُلِّ دَاء، اغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــلٌ»

وقال رحمه الله: إعِلم وَفَّقَنَا اللهُ وإِيَّاكَ وَجمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ لِمَا يُحِبُّهُ ويَرْضَاهُ أَنَّ كَثْرَةَ ذِكْرِ الموتِ تَرْدَعُ عن المعاصي وَتُلَيِّنُ القَلْبَ القَاسي، وتُذْهِبُ الفَرَحَ بالدُّنْيَا وزِيْنَتِهَا وَزَخَارِفِها ولَذَّاتها.

وَتَحُثُكَ على الجد والاجتهادِ في الطاعاتِ وإصلاحِ أَحْوَالِكَ وشئُونِكَ والتَّنَسُخ مِن حُقُوقِ اللهِ وحقوقُ خَلْقِهِ، وتَنْفِيذِ الوَصَايَا وَأَدَاءِ الآمانـات والدِيُون.

قال بَعْضُهم: فَضَحَ الدُّنْيَا واللهِ هذا الموتُ فلم يَترِكْ فيها لِذِي عَقْلٍ فَرَحاً.
وقال آخَرُ: مَارَأَيْتُ عاقِلًا قَطُّ إلا وجَدْتُهُ حَذِراً مِن الموتِ حَزِيْناً مِن أَجْلِهِ.
وقال آخَرُ: مَن ذَكَرَ الموتَ هَانت عليه مَصَائِبُ الدنيا.
وقال آخَرُ: مَن لم يَخَفْهُ في هذه الدار رُبَّمَا تَمَنَّاهُ في الآخِرَةِ فلا يُؤتَاه.

وقال آخَرُ يُوْصِيْ أخَاً له: ياأخي إحْذِرِ الموتَ في هذه الدِار مِن قَبْلِ أَنْ تَصِيْرَ إلىَ دارٍ تَتَمَنَّى بها الموتَ فلا يُوْجَد.

وقال آخر: وأَمَا ذِكْرُ الموتِ والتَّفَكُرُ فيه، فإنَّهُ وإنْ كان أَمْراً مُقَدَّراً مَفْرُوْغاً منه، فإنه يكْسُبَك بتَوْفيْقِ اللهِ التَّجَافِي عن دَارِ الغُرُوْرِ، والاسْتِعْدَادِ والإنَابَةِ إلى دَارِ الخلودِ، والتَفَكُر والنَّظَرُ فيما تَقْدَمُ عَليه وَفيما يَصِيْرُ أَمْرَكَ إليه.

ويُهَوِّنُ عَليْكَ مَصَائِبَ الدُّنْيَا ويُصَغِرُ عَندك نَوائِبَها، فإن كانَ سَبَبُ مَوْتِكَ سَهْلًا وأَمْرُهُ قَرِيْباً فَهو ذَاكَ، وإن كانَتِ الأُخْرى كُنْتَ مأجُوراً مَعَ النيةِ الصالِحَةِ فيما تُقَاسِيْهِ، مُثَّاباً على ماتَتَحَمَّلُه مِنْ المَشَاقِّ.

واعلم أنَّ ذِكْرِ الموتِ وَغيَرِهِ مِن الأذْكَارِ إنما يَكُوْنُ بالقَلْب وإقْبالِكَ على مَا تَذكرهُ. قال الله جلا جلاله وتَقَدَّسَتْ أسْمَاؤه: ﴿إن في ذلك لذكرى لِمَنْ كان له قلبٌ أوْ أَلْقَى السمع وهو شهيد﴾ فأيُ فائِدةٍ لَكَ رَحمك اللّهُ في تَحْرِيْكَ لِسَانِكَ إذا لم يَخْطُر بقَلْبكَ.

وإنما مَثَل الذِكْرِ الذِي يَعْقِبُ التنبيه، ويكون مَعَهُ النفعُ والإيْقَاظِ مِن الغَفْلةِ والنومِ أنْ تُحْضِرَ المذكورَ قَلْبَكَ وتَجْمَعَ لَهُ ذِهْنَكَ وتَجْعَلَهُ نَصْبَ عَيْنَيْكَ ومِثَالًا حَاضِراً بَيْنَ يَدَيْكَ، وأنْ تنظر إلى كل ما تحبهُ مِن الدُّنْيَا مِن وَلَدٍ أَوْ أهْلٍ أو مالٍ أو غير ذلك، فَتَعْلَم عِلْماً لا يَشُوْبُهُ شَكٌ أَنَّكَ مُفارِقُهُ في الحَيَاةِ أَوْ في المَمَاتِ، وهِذه سُنَّةُ اللهِ الجَارِيَةُ في خَلقِهِ وحُكْمُهُ المُطَّرِدْ.

وتُشعِْر هذا قَلْبَكَ وتُفَرِّغُ لَهُ نَفْسَكَ فَتَمَنَعُهَا بِذَلِكَ عن الميل إلى ذَلك المحبوب والتَّعَلُقِ بِهِ والهلكَةِ بِسَبَبِهِ.

شِعْرًا: فَعُقْبَى كُلِّ شيءٍ نَحْنُ فيـــهِ   مِن الجَمْع الكثيف إلَى شَتَاتِ
وَمَـا حُزْنَـاهُ مِن حِلٍّ وَحُـــرْمٍ   يُوَزَّعُ في البَنِيْـنِ وفي البَنَـــاتِ
وفِيْمَـنْ لَمِ نُؤَهِّلْهُـــمْ بِفَـــلسٍ   وقِيْمَـةِ حَبّةٍ قَبْـــلَ المَمَـــاتِ

وتَنْسَانا الأَحِبَّةُ بَعْدَ عَشْرٍ وَقَدْ صِرْنَا عِظاماً بَالِيَاتِ
كَأنَّا لَمْ نُعَاشِرْهُمْ بِوُدٍّ ولَمْ يَكُ فيهِمُ خِلٌّ مُؤَاتِ

واعْلَمْ رَحِمكَ اللهُ أنَّ مّما يُعِيْنُكَ على الفِكْرَةِ في الموت وَيُفَرِّغُكَ لَهُ ويُكْثِرُ اشْتِغَالُ فِكركَ بِهِ تَذَكُرُ مَن مَضَى مِنْ إخْوَانَكَ وخِلاَنِكَ وأصْحَابِكَ وأَقْرانِكَ وزُمَلائِكَ وأسَاتِذَتِكَ وَمَشايِخَتِكَ الذين مَضَوْا قبلك وتَقَدَّمُوا أَمَامَك.

كانُوا يَحْرِصُونَ حِرْصَكَ ويَسْعَوْنَ سَعْيَكَ، ويَأمَلُونَ أَمَلَكَ، ويَعْملُونَ في هذه الدنيا عَمَلَكَ وَقَصَتِ المُنوْنُ أعْنَاقَهُم وقَصَمَتْ ظُهُورَهُم وأَصْلاَبَهُم، وفَجَعَتْ فِيْهِمْ أَهْلِيْهِمْ وأَحِبَّاءَهُم وأَقْرِباءَهم وجيرانَهُم فأصْبَحُوا آيةً لِلْمُتَوسِّمِيْن وعِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرين.

ويَتَذَكَر أيْضاً ما كانوا عليه مِن الاعْتِنَاءِ بالملابِسِ ونَظَافَتِها ونَضَرة بَشَرَتِهِمْ، وما كانوا يَسْحَبُونَه مِن أرْدَيِة الشَّبَاب وأَنَّهُم كانُوا في نَعِيْم يَتَقَلَّبُون، وعلى الأَسِرَةِ يَتَّكِئُون، وبِمَا شَاؤُا مِن مَحَابِهِم يَتَنَعَمُّوْن.

وفي أمَانِيِّهِم يَقُومُون ويَقْعُدُون، لا يُفكِّرُوْنَ بالزَّوَالِ، ولا يَهُمُّونَ بانتقالَ، ولا يَخْطُرُ الموتُ لَهُمْ على بال، قَدْ خَدَعَتْهُمْ الدُّنْيَا بِزَخَارِفها، وخَلَبَتْهُمْ وخدَعَتْهُمْ بِرَوْنَقِهَا، وحَدَثَتْهُم بأحَادِيثها الكاذِبَة، وَوَعَدَتْهُمْ بمواعِيْدِهَا المُخْلِفَة الغَرارةِ.

فَلَمْ تَزَل تُقَرِّبُ لَهُمْ بَعِيْدَهَا، وتَرْفَعُ لَهُم مَشيْدَهَا، وتُلْبِسُهُمْ غَضَّهَا وجَدِيْدَهَا، حتى إذا تَمكنَتْ مِنْهُمْ علائِقُهَا، وتَحَكَّمَتْ فيهم رَوَاشِقُهَا، وتَكَشَّفَتْ لهم حَقَائِقُهَا، ورَمَقَتْهُمْ مِن المَنِيَّةِ رَوَامِقُهَا.

فَوَثَبَتْ عليهم وثْبَةَ الحَنِقِ وأَغَصَتَّهُمْ غُصَّةَ الشَّرِق، وقَتَلَتْهُمْ قَتْلَةَ المُخْتَنِقْ، فَكَمْ عَليهم مِن عُيُون بَاكِيَةٍ، ودُمُوعٍ جَارِيَةٍ، وخُدُوْدٍ دَامِيَةٍ، وقُلُوبٍ مِن الفَرح والسُرُوْرِ لِفقْدِهم خَالِيَة، وأنْشَدُوا في هذا المَعْنَى:

وريَّانَ مِن مَاء الشَّبَابِ إذا مَشَى يَمِيْدُ عَلَى حُكْم الصِّبَا ويَمِيْدُ
تعَلَّقَ مِن دُنْيَاهُ إذْ عَرَضَتْ لَهُ خَلُوباً لِألْبابِ الرجال تَصِيْدُ
فأصْبَحَ منها في حَصِيْدٍ وقائِم ولِلْمَرْء منها قائمٌ وحَصِيْدُ
خَلَا بالأماني واستَطَابَ حَدِيْثَها فَيَنْقُصُ مِن أطْماعِهِ ويَزِيْدُ
وأدْنَتْ لَهُ الأشيَاءُ وَهْيَ بَعَيْدةٌ وتَفْعَلُ تُدْنِي الشيءَ وهْوَ بَعيْدُ
أُتِيْحَتْ لَهُ مِن جَانِبِ الموتِ رَمْيَةٌ فَرَاحَ بها المَغْرُوْرُ وهْوَ حَصِيْدُ
وصَارَ هَشِيْماً بَعدَمَا كانَ يانِعاً وعَادَ حَدِيْثاً يَنْقَضِيْ وَيَبِيْدُ
كأَنْ لَمْ يَنَلْ يَوْماً مَن الدَّهْرِ لَذَّةً ولا طَلَعَتْ فيه عَلَيْه سُعُوْدُ
تَبَارَكَ مَن يُجْرِيْ عَلى الخَلْقِ حُكْمَهُ فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ عنه مَحِيْدُ

«**فَصْلٌ**»: ويُرْوَى أن إبراهيمَ الخليل عَليه السلامُ لمَّا ماتَ قال الله جل جلالهُ لَهِ كَيْفَ وجَدْتَ الموتَ قال كَسَفُّودٍ جُعلَ في النار ثم أُدْخِلَ في صُوْف رَطْبٍ ثم جُذِبَ فقال الله تعالى أمَا إنَّا لَقَدْ هَوَّنَاهُ عَلَيْكَ يا إبْراهِيم.

ويُرْوَى عن مُوسَى عليه السلام أنَّه لَمَّا صارتْ رُوْحُهُ إلى الله تعالى قال له يا مُوْسَى كَيْفَ وجَدْتَ المَوْتَ فقال: وجَدْتُ نَفْسِي كالعُصْفُورِ حِيْنَ يُلْقَى في المَقْلَى لا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيح ولا يَنْجُو فَيَطِيْر.

ويُروَى عنه أنَّهُ قال وجَدْتُ نَفْسِي كَشَاةٍ حَيَّةٍ بِيَدِ القَصَّابِ تُسْلَخُ.

ويُرْوَى أنَّ عُمَرَ قال لكعب الأحبار حَدِثْنَا عن الموت فقال نعم يا أَمِيْرَ المؤمنين كغُصْن كَثِيرِ الشوكِ أُدْخِلَ في جَوْفِ رَجُلٍ فأخَذَتْ كُلُّ شَوْكَةٍ بِعِرْقٍ ثم جَذَبَهُ رَجُلٌ شَدِيْدُ الجَذْبِ فأخَذَ ما أخَذَ وأبْقَى ما أبْقى.

وقال القُرطبي لِتَشْدِيْد الموتِ على الأنبِيَاءِ فائدتان أحَدُهُمَا تَكْمِيْل فضائِلِهم ورَفْعُ دَرَجَاتِهم ولَيْسَ ذَلِكَ نقصاً ولا عَذَاباً بَلْ هُوَ كَما جَاءَ أنَّ أَشَدَّ الناسِ بَلاءً الأنْبِيَاء ثم الأمثل فالأمثل.

والثانيةُ تَعْرِفَ الخَلْقُ مِقْدَارَ أَلَمِ الموت وأنَّه بَاطِنٌ وقَدْ يَطَّلِعُ الإِنْسانُ على بَعْضِ المَوْتَى فلا يَرى عليه حَرَكَةً ولا قَلَقاً ويَرى سُهُوْلَةَ خُروجِ رُوحِهِ فيظن سُهُوْلَةَ أَمْرِ الموت ولا يَعْرِفُ مَا المَيِّتُ فيه.

فَلما ذَكَر الأَنْبِيَاءُ الصادقون في خَبرِهم شِدَّةَ أَلمِهِ مَعَ كَرَامَتِهم على الله تعالى قَطَعَ الخلقُ بِشدَّةِ الموتِ الذي يُقاسِيهِ مُطْلَقًا لإِخْبَار الصادِقِينَ عنه ما خَلا الشهيد في سبيل الله انتهى.

أَخرَجَ الطَبَراني عن قتادة أن رسول الله ﷺ قال: «الشهيد لا يَجِدُ أَلَم القَتْلِ إلا كَمَا يَجدُ أَحَدُكُم أَلَمَ مَسِّ القَرْصَة».

أخرج ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات وابنُ مَنِيْع في مسنده من حديث أبي هريرة مَرفوعاً «يَا أبَا هُريرة ألا أُخْبِرُكَ بأمرِ حَقَّ مَن تَكَلَّم به في أوَّلِ مَضْجَعِهِ مِن مَرَضهِ نَجَّاهُ اللهُ مِن النَار»، قُلْتُ بَلَى: قال: «لا إله إلا الله يُحْيي ويُمِيْتُ وهو حيٌّ لا يَمُوت وسُبْحَانَ الله ربِ العبادِ والبلاد والحمدُ لِلَّهِ كثيراً طيباً مُبَاركاً فيه على كل حال والله أكبر كبيراً كِبْرياؤُه وجلالُه وقُدْرَتُهُ بكُلِ مَكان. اللهم إن كُنْتَ أَمرضْتَنِي لِتَقْبضَ رُوْحي في مَرضي هذا فاجْعَل رُوحي في ارْوَاحِ مَن سَبقتْ لَهُم منك الحُسْنَى وأعِذْني من النار كما أَعَذْتَ أُولَئِكَ الذين سَبَقَتْ لَهُمُ منكَ الحُسْنَى».

فإنْ مُتَّ في مَرضِكَ ذَلِكَ فإلى رضوان الله والجنة، وإنْ كُنْتَ قد اقْتَرفْتَ ذُنُوباً تابَ اللهُ عَليكَ.

وأَخرَجَ الطبراني عن أبي هريرة وأبي سَعِيْدٍ الخُدْري مرفوعاً «مَنْ قال عند مَوتِهِ لا إله إلَّا الله والله أكبر ولا حولَ ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لا تَطْعَمُه النار».

وأخرجَ الحاكم عن سعيد بن أبي وقَّاص أن النبي ﷺ قال: «هل أَدُلكم

على اسم الله الأعظم دُعَا يونس ﴿لا إله إلا أنْتَ سُبْحَانَكَ إنِي كنتُ مِن الظالمين﴾، فأيُّما مُسْلم دَعَا بها في مرض مَوته أرْبعينَ مَرة فماتَ في مَرضِه ذَلِكَ أُعْطِيَ أَجْرَ شهيد وإن بَرِىءَ بَرِىءَ مَغْفُوراً لَهُ».

شِعْرَا:

بِمَا قَدَّمَتْ أيْدِي الوَرَى سَتُعَذَّبُ فَنَـاجٍ بِخَـدْشٍ والكَثِيْرُ يُكَبْكَبُ
أَمَا يَسْتَحِيْ مَن كَانَ يَلْهُو ويَلْعَبُ (ذُنُوبُكَ يَامَغْرُورُ تُحصَى وتُحْسَبُ)
(وتُجمع في لَوحٍ حَفِيْظٍ وتُكْتَبُ)

وأَنْتَ بِمَـا لَا يُرْتَضَى كُلَ لَيْلَـةٍ أَمَا تَتَّقِي مَوْلَاكَ فِي كُلِّ فِعْلَـةِ
تَبِيْتُ بِلَذَّاتٍ وتَلْعَـابِ طِفْلَـةٍ (وَقَلْبُكَ فِي سَهْوٍ ولَهْوٍ وغَفْلَةٍ)
(وأَنْتَ عَلَى الدُنيا حَرْيصٌ مُعَذَّبُ)

فَلَوْ تَسْتَطِعْ أخْذَ التَّقِي وَرَحْلِهِ أَخَذْتَ ولَـوْ فِي بَيْتِهِ ومَحَلِـهِ
وأنْتَ عَلَـى كَنْزِ القَلِيـلِ وجِلِّـهِ (تُبَاهِي بِجَمْعِ المالِ مِن غَيْرِ حِلِّهِ)
(وتَسْعَى حَثِيْثاً في المَعَاصِي وتُذْنِبُ)

وتُعْرِضُ عَن فِعْلِ المَراضِي وتَرْتَضِي فِعَالًا تُنَافِي فِعْلَـةَ الدِّيِّنِ الـرَّضِي
أَمَا تَرْعَوِي يَامَن عَلَى لَهْوِهِ رَضِي (أَمَا العُمْرُ يَفْنَى والشبيبةَ تَنْقَضِي)
(أَمَا العُمْـرُ آتٍ والمَنِيَّـةَ تُطْـلَبُ)

فلا تَغْتَرِرُ واحْذَرْ فَدُنْيَاكَ يَاالغَدِي إذَا أَضْحَكَتكَ اليومَ أبْكَتْكَ في الغَـدِي
أَتَلْهُـو بِدَارٍ لا تَدُوْمُ لِمَرْغَـدِي (أَمَا تَذْكُر القَبْرَ الوَحِيْشَ ولَحْدَهَ)
(بِهِ الجِسْمُ مِن بَعْدِ العَمَارَةِ يَخْرَبُ)

وتَقْتَتِـلُ الدِيْـدَانُ لا شَكَّ حَوْلَـهُ ومَـا أَحَـدٌ يَنْعِـي ولا يَعِ عَوْلَـهُ
أَمَا آنَ أَنْ تَخْشَى العَزِيْزَ وَطولَـهُ (أَمَا تَذْكُر اليُومَ الطَّوِيـلَ وَهَوْلَـهُ)
(ومْيـزَانَ قِسْطٍ لِلْوفَـاءِ سَيُنْصَبُ)

فَتُوزَنُ أعْمَـالٌ فَتُخْـزَى رِجَالُـهُ وكُـلٌ يُجَـازَي مَا جَنَتُـهُ فِعَالُـهُ
وَوَيْلٌ لِمَـنْ ضَاقَتْ عَليـه مَجَالُـهُ (أَمَـا جَاءَ أَنَّ اللهَ جَلَّ جَلَالُـهُ)

(إذَا هَتَكَ العَبدُ المَحارمَ يَغْضَبُ)

فَيَهتِكُ سِتْرَ الظَّالِمِيْنَ بِغِرَّةٍ وكُلُّهُمُوْا عَضَّ الأَكُفِّ بِحَسْرَةٍ

ولاتَ مَنَاصٍ حِيْنَ جَادُوْا بِعَبْرةٍ (أَمَا الوَاحِدُ الدّيانُ جَلَّ بِقُدْرةٍ)

(يُنَاقِشُ عن كُلِّ الذُنُوبِ ويَحْسِبُ)

فَيُنصِفُ لِلْمَظْلُومِ مِمَّنْ لَهُ افْتَرَى وَيَقْصِمُهُ قَصْماً فَيَبْقَى مُقَحْطَرَا

أمَا زَاجِرٌ يَزْجُرْكَ يَامَنْ تَبَخْتَرى (أَمَا تَذْكُرُ المِيزَانَ وَيْحَكَ مَا تَرَى)

(إذَا كُنْتَ في قَعْرِ الجَحِيمِ مُكَبْكَبُ)

أمَا تَمْشِيَنْ بَيْنَ الوَرَى مُتَوَاضِعاً أَمَا تَتَّقِي رَباً أَلاتَكُ خَاضِعاً

أَحَاطَكَ ظَهْراً ثُمَّ بَطْناً وَرَاضِعاً (كَأَنَّكَ مَا تَلْقَى عَلَى الأَرْضِ مَوْضِعَا)

(وَمِنْ بَعْدُ تَلْهُو بالشَّبَابِ وتَلْعَبُ)

رَأَيْتَ ولَمْ تَشْعُرْ نَذِيْراً ونَاهِياً وَكُنْتَ بِدُنْيَاكَ الدَّنِيَّةِ سَاهِيَا

سَهِرْتَ وآثَرْتَ الغِنَى ومَلَاهِياً (تَرُوْحُ وَتَغْدُو فِي مُرَاحِكَ لَاهِياً)

(وسَوفَ بأَشْرَاكِ المَنيةِ تَنْشبُ)

أَتَحْسَبُ أنَّ الله أَنْشَى الوَرَى سُدَى سَيَأْتِيْكَ مَا مِنْهُ تَكُونُ مُكَسَّدَا

وتُنْزَعُ رَوْحٌ تَبْقَى مُجَسَّدَا (وتَبقَى صَرِيْعاً في التُرابِ مُوَسَّدَا)

(وجِسْمُكَ مِن حَرٍ بِهِ يَتَلَهَّبُ)

وَمَالَكَ عَن دَفْعِ الأَذِيَةِ صَوْلَةٌ ومَالَكَ مُذْ جَاءَ المُقَدَّرُ حِيْلَةٌ

تَنُوحُ وتَبْكِي بِالدُمُوعِ أَهيْلَةَ (وحَوْلَكَ أَطْفَالٌ صِغَارٌ وعَوْلَةٌ)

(بِهِم بَعْدَ مَغْذَاكَ البَنُونُ تَشعَّبُ)

أَيادِيْ سَبَا خَلْفاً ويَمْنَى ويَسْرَةً وكُنْتَ رَهِيْناً لِلْمَنَايَا وقَسْرةً

وجَاءَكَ مَا أَوْدَى البَهَا وَمَسَرَّةً (وقَدْ ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ بالدَّمْعِ حَسْرَةً)

(وخَلَّفْتَ لِلْوُارِّثِ مَا كُنْتَ تَكْسِبُ)

وتَسْعَى لَهُ مِن تَالِدٍ ومُحَصَّلٍ وتَسْهَرُ لَو فِي سَدِّ يأْجُوجَ تُوْصِلُ

وبِتَّ ولَمْ تَسْمَعْ وِصَاةً لِمُوصِلٍ (تُعَالُجَ نَزْعَ الرُوْحِ مِنْ كُلِ مَفْصِلِ)

(فلا رَاحِمٌ يُنْجِي ولا ثَم مَهْرَبُ)

وضَاقَتْ عَلَيْكَ الرُوْحُ بَعْدَ مُرُوْجِهَا   وأنْزِلْتَ عِنْدَ الباب بَعْدَ بُرُوْجِهَا
وقُرَّبتِ الأَكْفانُ بَعْدَ عُرُوْجِهَا   (وغُمِّضَتِ العَيْنَان بَعْدَ خُرُوْجِهَا)

(وبُسِّطَتِ الرِجْلان والرَّأْسُ يُعْصَبُ)

وقَامَ سِرَاعُ الناسِ لِلنَّعِشْ يُحْضِرُوا   وحَفَّارُ قَبْرٍ في المَقَابِرِ يَحْفُرُ
وجَدَّ الذِي في حَوْلِ نَادِيْكَ حُضَّرٌ   (وقَامُوا سِرَاعاً في جَهَازِكَ أَحْضَرُوْا)

(حَنُوطاً وَأَكْفَاناً ولِلْمَاءِ قَرَّبُوا)

وصَبُّوا عَلَيْكَ المَاءَ وَأَنَّ سُمُوعَهُ   وحَنَّ قَرِيْبٌ بالبُكَا ورُبُوعُهُ
وكُلُ شَقِيْقٍ جَاءَ جَدَّ زُمُوعُهُ   (وغَاسِكُكَ المحُزوْنُ تَبْكِي دُمُوعُهُ)

(بِدَمْعٍ غَزِيْرٍ وَاكِفٍ يَتَصَبَّبُ)

كَصَيِّبِ مُزْنٍ وذُقُهُ مُتفَّرِقٌ   حَزِينٌ ومِن مَا دَمْعِهِ مُتَفَرَّقٌ
وكُلُ رَحِيْمٍ قَلْبُهُ مَتَحَّرِقٌ   (وكُلُ حَبِيْبٍ لُبُّهُ مُتَحرِقٌ)

(يُحَرِكُ كَفيَّهِ عَلَيْكَ ويَنْدُبُ)

وجَاؤُوا بِأَثْوَابٍ وَطِيْبٍ بِطَيِّهَا   (وقَدْ نَشَرُوا الأَكْفَانَ مِن بَعْدِ طَيِهَا)

(وقَدْ بَخَّرُوْا مَنْشُوْرَهُنَّ وَطيَّبُوْا)

وخَاطُوا الذِي يَحْتَاجُ وَأَخْرَجُوا   طَرَأيِدَ لِلَّتحْزِيْمِ مِنْهَا وَأَدْلَجُوْا
جَمِيْعاً بِتَجْهَازٍ وَجِسْمَكَ أَدْرَجُوْا   (والقَوكَ فِيْهَا بَيْنَهُنَّ وَأَدْرَجُوْا)

(عَلَيْكَ مَثَانِيْ طَيِّهُنَّ وَعَصَّبُوْا)

وشَالُوكَ مِن بَيْنِ الأَخِلا مُجَرَّداً   ومَالَكَ خَلْفاً قَدْ تركْتَ وَخُرَّدَا
وصَلَّوْا وُقُوْفاً ثم زَقُّوْكَ وُرَّداً   (وفي حُفْرةٍ أَلْقَوكَ حَيْرَانَ مُفْرَدَا)

(تَضُمُّكَ بَيْدَاءٌ مِن الأَرْضِ سَبْسَبُ)

بَعْيدٌ عَلَى قُرْبِ المَدَى يَعْلَمُونَهُ   وسَائِلُكَ المُجْهَادُ لا يَسْمعُوْنَهُ
وقَبْرَكَ قَامُوْا بَعْدَ ذَا يَسِمُوْنَهُ   (ورَاحُوا لِمَّا خَلَّفْتَ يَقْتَسَمُوْنَهُ)

(كَأَنَّكَ لَمْ تَشْقَى عَليهِ وَتَتْعَبُ)

وتَسْهَرُ حَتَّى كَادَ ظَهْرُكَ يَنْهَصِرْ (وجِسْمُكَ مَهْزُوْلٌ بِسَعْيِكَ مُنْعَصِرْ)
وخَلَّفْتَهُ طُراً ومَالَكَ مُنْتَصِرْ (فيا أَيُّهَا المَغْرُوْرُ حَسْبُكَ فاقْتَصِرْ)
(وخَفْ مِن جَحِيْمٍ حَرُّهَا يَتَلَهَّبُ)

ولا تَمْشِ مِن بَيْنَ البَرِّيةِ مُسْبِلَا وكُنْ صَالِحاً بَراً تَقِياً مُحَسْبَلَا
وتُبْ عَن ذُنُوبٍ لا تَكُن مُتَكَرْبِلَا (وجَانِبْ لِما يُرْدِيْكَ فِي حُفْرةِ البِلَا)
(فكُلٌّ يُجازَى بالذِي كَانَ يَكْسِبُ)

مآكِلُ مَا نَحْتَاجُ مِنْهَا لِقُوتِنَا شَبِيْهُ حَرَامٍ والسَّمِيْعُ لِصَوْتِنَا
يُجَازِي بِعَدْلٍ لا مَفَرَّ لِفَوْتِنَا (إذًا كَانَ هَذَا حَالُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا)
(فكَيْفَ يَطِيْبُ اليومَ أَكْلٌ ومَشْرَبُ)

وقُدَّامُنَا قَبْرٌ بِهِ الْمَرْءُ أَلْكَنُ ولَوْ أَنَّهُ سَحْبَانُ مَأْثَمَّ أَلْسَنُ
وَكَيْفَ رَبَتْ مِنَّا لُحُومٌ وَأَعْكُنُ (وكَيْفَ يَطِيْبُ العَيشُ والقَبْرَ مَسْكَنُ)
(به ظُلُمَاتٌ غَيْهَبٌ ثُمَّ غَيْهَبُ)

وخَوْفٌ بِهِ حُزْنٌ طَوِيْلٌ وَرَعْشَةٌ ولَيْتَكَ تَسْلَمْ لَا يُصِيْبُكَ نَهْشَةٌ
ومُنْكَرُ إِذْ يَسْأَلْ يَهُلْكْ وَدَهْشَةٌ (وهَولٌ ودِيْدَانٌ ورَوْعٌ وَوَحْشَةٌ)
(وَكُلُ جدِيْدٍ سَوْفَ يَبْلَى وَيَذْهَبُ)

ومِنْ بَعْدِ ذَا يَوْمٌ وإنَّ حِسَابَهُ أَلِيْمٌ مَهُوْلٌ مُفْزِعٌ وعِقَابُهُ
عَظِيمٌ لِعَاصٍ مَا أَشَدَّ عَذَابَهُ (فَيَا نَفْسُ خَافِي اللهَ وَارْجِي ثَوَابَهُ)
(فَهَادِمُ لَذَّاتِ الفَتَى سَوْفَ يَقْرُبُ)

فيَأْخُذُ أَطْفَالاً ويَأْخُذُ رِمَّةً وَيَأْخُذُ شُبَّاباً وَيَهْدِمُ نِعْمَةً
فَخَلِي بُنَيَّاتِ الطَّرِيْقِ وَعَسْمَةً (وقُولي إلٰهي أَوْلنِيْ مِنْكَ رَحْمَةً)
(وعَفْواً فإنَّ اللهُ لِلذَّنْبِ يُذْهِبُ)

وخُذْ بِيَدِيْ نَحْوَ الطَّرِيْقِ المُحَمَّدِي وكُنْ بِي رَحِيْماً واسْتَقِمْ بِي عَلى الهُدَى
ولا تُخْزِنِي في الحَشْرِ واطْلِقْ مُقَيَّدِي (ولا تُحْرِقَنْ جِسْمِي بِنَارِكَ سَيِّدِي)
(فجِسْمِي ضَعِيْفٌ والرَّجا مِنْكَ أَقْرَبُ)

وجُوْدُكَ مَنَّانِي ولَـوْ كُنْتَ أَحْقَـرَا وعَفْوَكَ رَجَّـا مَنْ هَفَـا وتَقَحْطَـرَا
وإنِّي وأنْ كُنْتَ البَعِيْد ومِنْ وَرَى (فَمَا لِي إِلَّا أَنْتَ يَا خَالِقَ الوَرَى)
(عَلَيْكَ اتِّكَالِي أَنْتَ لِلْخَلْقِ مَهْرَبُ)

وَأَنْتَ مَلاذٌ لِلْوَرَى فِي رُجُوْعِهَـا مُجِيْبٌ لِمَنْ يَدْعُو بِهَامِيْ دُمُوعِهَا
فَتَرْجُوكَ تَسْمَعْ مِن صَمِيْمِ سَمِيْعِهَا (ونَدْعُوا بِغُفْرَانِ الذُنُوبِ جَمِيْعِهَا)
(وخَاتِمَةِ العُمْرِ الَّتِي هِيَ أَطْـلُبُ)

وأُسأْلُ طُوْلُ الدَّهْرِ مَا نَآءَ طَارِقُ (وصَلِ إِلٰهِي كُلَّ مَا نَاضَ بَارِقُ)
(ومَا طَلَعَتْ شَمْسٌ ومَا لَاحَ كَوْكَبُ)

وَما حَنَّ رَعْـدٌ فِي دَيَاجِـي لَيَالِـهِ ومَا انْهَلَّ سَارٍ مُغْدِقٍ مِن خِلَالِـهِ
وَمَـا أَمَّ بَيْتَ اللهِ مِن كُلِّ وَإِلَــهِ (عَلَى أَحْمَدِ الطُّهْرِ النَّذِيْـرِ وَآلِـهِ)
(فَهُوْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ طُراً وَأَطْيَبُ)

وَأَكْمُلَ مَن حَلَّ الصَّفَا والمُحَصَّبَا وَأَحْلَاهُمُوْا خَلْقاً وخُلْقـاً وَمَنْصِبَـا
وَأَصْحَابِهِ ما اخْضَرَّ عُوْدٌ وَأَخْصبَا (كَذَاكَ سَلامُ اللهِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا)
(وهَبَّتْ شَمالٌ مَعْ جَنُوبٍ وهَيْدَبُ)

آخـر :

إِلَـى كَمْ تَمَـادَى فِي غُرُوْرٍ وَغَفلَـةٍ وَكَمْ هَكـذا نومٌ إِلَـى غير يَقظةِ
لَقَدْ شَاعَ عُمْرٌ سَاعَةٌ منه تُشْتَرى بِمِلءِ السَمـا والأرضِ أَيَّـةَ ضَيْعَـةِ
أَيُنْفَـقُ هَذَا فِي هَوَى هَذِهِ الَّتِــي أَبَى اللهُ أَنْ تُسْوَى جَنَاحَ بعوضَةِ
أَتَرْضَى مِن العَيْشِ الرَّغِيْدِ وَعِيْشَةٍ مَعْ الملأ الأَعْلَـى بِعَيْشِ البَهِيْمَــةِ
فيـادُرَّةً بَيْــنَ المَزَابِــلِ أُلْقِــيَتْ وَجَوْهَـرَةً بِيْعَتْ بِأَبْخَسِ قِيْمَــةِ
أَفَــقِ بِبَــاقٍ تَشْتَرِيْــهِ سَفَاهَــةً وَسُخْطاً بِرضْوَانٍ ونـــاراً بجنــةِ
أَأَنْتَ صَدِيــقُ أَمْ عَدوٌ لِنَــفْسِهِ فإِنَّكَ تَرْمِيْهَــا بِكُــلِّ مُصِيْبَــةِ
ولو فَعَلَ الأَعْدَا بِنَفْسِكَ بَعْضَ مَا فَعَلْتَ لَمَسَّتْهُم لَهَا بَعْضُ رَحْمَـةِ

لَقَدْ بِعْتَها هَوْناً عَلَيْكَ رَخيصَةً   وكانَتْ بِهَذا مِنْكَ غَيْر حَقِيْقَةِ
أَلَا فاسْتَفِقْ لا تَفْضَحَنْهَا بِمَشْهَدٍ   مِن الخَلْقِ إنْ كُنْتَ ابْنَ أُمٍّ كَرِيْمَةِ
فَبَيْنَ يَدَيْهَا مَشْهَدٌ وَفَضِيْحَةٌ   يُعَدُّ عَلَيْهَا كُلُّ مِثْقَالِ ذَرَّةِ
فُتِنْتَ بِهَا دُنْيا كَثِيْرٍ غُرُوْرُهَا   تُعَامِلُ فِي لَذَّتِهَا بالْخَدِيْعَةِ
إذَا أَقْبَلَتْ بَذَّتْ وَإنْ هي أَحْسَنَتْ   أَسَاءَتْ وإن ضَاقَتْ فَثِقْ بالكُدوْرَةِ
وإنْ نِلْتَ مِنْهَا مالَ قارُوْنَ لَمْ تَنَلْ   سِوَى لُقْمَةٍ فِي فِيْكَ مِنْهَا وخِرْقَةِ
وهَيْهَاتَ تُحْظى بالأماني ولَمْ تَكُنْ   لِتَنْزِعَهَا من فِيْكَ أيْدِي المَنِيَّةِ
فَدَعْهَا وأَهْلِيْهَا لِتَغْبِطَهُمْ وخُذْ   لِنَفْسِكَ عنها فهو كُلُّ غَنِيْمَةِ
وَلَا تَغْتَبِطْ مِنْهَا بِفَرَحَةِ سَاعَةٍ   تَعُوْدُ بأَحْزَان عَلَيْكَ طَوِيْلَةِ
فَعَيْشُكَ فِيْهَا أَلْفُ عَامٍ وتَنْقَضِي   كَعَيشِكَ فِيْهَا بَعْضُ يوم وَلَيْلَةِ

قال بَعضُهم يُوَبِّخُ نَفسَهُ تَويعِظُهَا: يانَفْسُ بَادِري بالأَوقاتِ قَبْلَ إنْصِرامِهَا، واجْتَهِدي في حِرَاسَةِ لَيَالِي الحَيَاةْ وأَيامِهَا، فَكَأَنَّك بالقُبُور قَدْ تَشَقَّقَتْ، وَبالأُمُور وقَدْ تَحَقَّقَت، وبِوُجُوهِ المُتقِيْنَ وقَدْ أَشْرَقَتْ، وبِرُؤُوسِ العُصَاةِ وقَدْ أَطْرَقَتْ، قَالَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ: ﴿ولو تَرى إذِ المُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِم عندَ رَبِهِم رَبَّنَا أَبْصَرنَا وَسَمِعْنَا فارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إنَّا موقِنون﴾، يَا نَفْسُ أَمَّا الوَرِعُونَ فَقَدْ جَدُّوا، وأَمَّا الخَائِفُونَ فَقَدْ اسْتَعَدُّوا، وأما الصَّالِحُونَ فَقَدْ فَرِحُوا وَرَاحُوا وأَمَّا الوَاعِظُونَ فَقَدْ نَصَحُوا.

اللَّهُمَّ قوِّي إيْمَانَنَا بِكَ ونَوِّر قُلُوبَنَا بِنَوِّر الإيْمَانِ واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنْ، اللَّهُمَّ يامُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِيْنِكَ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وَأَمِّنَّا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« فَصْــلٌ »

عن أنس رضي الله عنه قال: دعا رجل فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاكرام ياحي ياقيوم.

فقال النبي ﷺ: «أتدرون بِمَا دعا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»، أخرجه أصحاب السُّنَن.

عن سعيد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذْ دَعَى وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له»، رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد.

وعن معاوية بن أبي سُفيان قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن دَعَا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه (لا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إل إلا الله ولا حول ولا قوة إلا با)» رواه الطبراني بإسناد حسن.

وعن معاذ بن جبل قال: سمع رسول الله ﷺ رجلا وهو يقول: (ياذا الجلال والاكرام) فقال: «قد استُجِيْبَ لَكَ فَسَلْ» رواه الترمذي.

اللهم اجعلنا مُكْثِرِينَ لِذِكرِكَ مُؤَدِّيْنَ لحَقِّك حَافظين لأمرك راجين لِوَعْدِكَ راضين في جميع حالَاتنا عَنك، راغبين في كُلِّ أُمُورنا إليكَ مُؤَمِّلينَ لِفَضْلِكَ شاكرين لِنِعَمِكَ.

يامَن يحب العفو والإحسان، وبأمر بهما أعفُ عنا، وأحْسِنْ إلينا، فإنكَ بالذي أنت له أَهْلٌ من عَفوك أحق منا بالذي نحن له أهل مِن عُقُوبتك.

اللهم ثَبّتْ رَجَاءَكَ في قلوبنا، واقطعه عَمَّنْ سِوَاك، حتى لا نَرْجُوا غيرَكَ ولا نستعين إلا إياك، ياأرحم الراحمين، وياأكرم الأكرمين.

اللهم هب لنا اليقين والعافية، وإخلاص التوكل عليك، والاستغناء عن خلقك، واجعل خير أعمالنا ماقارب آجالنا.

اللهم أغننا بما وفقتنا له من العلم، وزينا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وجَمِّلْنَا بالعافية.

اللهم افتح مَسَامِعَ قلوبنا لِذِكرك وارزُقنا طاعتَك وطاعةَ رسولك ووفقنا للعمل بكتابك وسنة رسولك.

اللهم إنا نسألك الهدى، والتُّقَى والعَافِيَةَ والغِنى، ونعوذ بكَ مِن دَرَكِ الشقَاءِ، ومن جهْدِ البَلاءِ ومن سُوْءِ القَضَاء ومن شَماتَةِ الأعداء.

اللهم لكَ الحَمْدُ كُلُّه، ولكَ الملكَ كُلّه، وبيَدِكَ الخير كلّه، وإليك يَرْجعُ الأمر كله عَلانِيتُه وسِرُه، أهلُ الحمدِ والثناءِ أنْتَ، لا إله إلا أنت سُبحانك إنك على كل شيء قدير.

اللهم اغفر لنا جميع ما سَلَفَ منا مِن الذنوب، واعْصَمْنَا فيما بَقى مِن أعمارنا، ووفقنا لِعَمَلٍ صَالِحٍ تَرضَى به عنا.

اللهم ياسامع كل صوت، وياباريء النفوس بعد الموت، يامَن لا تشتَبهُ عليه الأَصوات، ياعظيم الشأن، ياواضح البرهان، يامَن هو كل يوم في شأن، اغفر لنا ذنوبنا إنكَ أنت الغفور الرحيم.

اللهم ياعظيم العفو، ياواسع المغفرة، ياقريب الرحمة، ياذا الجلال والاكرام، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة.

اللهم ياحيُّ وياقيُّوم فرِّغْنَا لِمَا خَلَقْتَنَا له، ولا تُشْغِلْنَا بِمَا تَكَفَّلْتَ لنا به،

واجعلنا مِمَّن يُؤمِنُ بِلقَائِك، ويَرْضَى بقَضَائِك، ويقنعُ بعطائك، ويخشَاكَ حَقَّ خَشْيَتِك.

اللهم اجْعَلْ رِزْقَنَا رَغَدًا، ولا تشمِتْ بِنَا أحَدًا.

اللهم رَغِّبْنَا فيما يبقى، وزهدنا فيما يَفَنَى، وهب لنا اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه، ولا يُعَوَّلُ في الدين إلا عليه.

اللهم إنا نسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفينا شر ما أهمنا وما لا نهتم به وأن تعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

اللهم ياعليم يا حليم ياقوي ياعزيز ياذَا المن والعطا والعز والكبرياء يامَن تَعْنُوْا له الوجُوه وتخشع له الأصوات، وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شيء قدير.

اللهم إنا نسألك رحمة مِن عندكَ تَهْدِي بها قُلُوْبَنَا، وتَجْمِعُ بها شَمْلَنَا، وتَلمُ بها شَعَثَنَا، وترفع بها شاهدنا، وتحَفَظُ بها غائِبَنَا، وتزكى بها أعمالنا، وتلهمنا بها رشدنا، وتعصمنا بها من كل سوء ياأرحم الراحمين.

اللهم ارزقنا من فضلك، وأكفنا شر خلقك، وأحفظ علينا دِيْنَنَا وصحة أبداننا.

اللهم يا هادِي المضلين ويا راحم المذنبين، ومُقِيْل عثراتِ العاثرين، نسألك أن تُلْحِقنا بعبادك الصالحين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين.

اللهم ياعالم الخفيات، ويارفيع الدرجات، وياغافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير، نسألك أن تذيقنا برد عفوك، وحلاوة رحمتك، ياأرحم الراحمين، وأرَأْف الرائِفين وأكرمَ الأكرمين.

اللهم اعْتِقْنَا مِن رِقِّ الذُنُوب، وخَلِّصْنَا مِن أشَرِ النُّفوسْ، وأذْهِبْ عَنَّا وَحْشَةَ الإِسَاءَةْ، وطَهِّرْنا مِن دَنَسِ الذنوب، وباعِدْ بَيْنَنَا وبَيْنَ الخَطَايَا وأجِرْنا من الشيطان الرجيم.

اللهم طَيِّبْنَا لِلَقَائِكْ، وأهِّلْنَا لِوَلائِكْ وأدْخِلْنَا مَعَ المَرْحُومِيْنَ مِن أوْلِيَائِكْ، وتوفَّنَا مُسْلِمين والحقنَا بالصالحين.

اللهم أعِنَّا على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتِكْ، وتِلَاوَةِ كِتَابِكْ، واجْعَلْنَا من حِزْبِكَ المُفْلِحِين، وأيِّدْنَا بجُنْدِكِ المَنْصُورِين، وارْزُقْنَا مُرافقَةَ الذيْنَ أَنْعَمْتَ عليهم مِن النبيينَ والصِّدِيقِين والشهداء والصَّالحين.

اللهم يافالقَ الحب والنَّوَى، يامُنْشِيء الأجْسَادِ بَعْدَ البلىَ يامُؤْوِيْ المُنْقَطِعِيْنَ إليهْ، يا كافِي المُتَوَكِّلِينَ عليه، انقطَعَ الرَّجَاءُ إلا مِنْكْ، وخابَت الظُنُون إلا فِيْكْ، وضَعُفَ الاعْتِمَاد إلا عَلَيْكْ نسألُكَ أنْ تُمْطِرَ مَحْلَ قُلُوبِنَا مِن سَحَائِبِ بِرِّكْ واحْسَانِكْ وأن توفقنا لِموجِباتِ رحمتك وعَزائِم مغفرتك إنكَ جواد كريم رؤوف غفور رحيم.

اللهم إنَّا نسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وعملاً متقبلاً، ونسألك بركة الحياة وخير الحياة، ونعوذ بك من شر الحياة، وشر الوفاة.

اللَّهُمَّ إنا نَسْأَلُكَ باسْمِكَ الاعْظَمَ الأَعَز الأَجَلَّ الأكرمِ الذي إذا دُعِيْتَ به أجَبْتَ وإذَا سُئِلْتَ بِهِ أعْطَيْتَ، ونَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الكَرِيْمِ أكْرَمَ الوُجُوه، يامِن عَنَتْ لَهُ الوُجُوهُ، وخَضَعَتْ لهُ الرِقَابُ، وخَشَعَتْ لَهُ الأصْوَاتُ، ياذَا الجَلالِ والأكرامِ، ياحَيُّ ياقَيُّومُ، يامَالكَ الملكِ، يَامَن هُوَ على كُلِّ شيءٍ قَدِيْرٌ، وبكلِ شيءٍ عَلِيمٍ، لا إله إلا أنْتَ، بَرحْمَتِكَ نَسْتَغِثْ، ومِن عَذَابِكَ نَسْتَجِير.

اللهم اجعلنا نَخْشَاكَ حَتَّى كأننا نَرَاكَ، واسْعِدْنَا بتقْواك، ولاتُشْقِنَا بِمَعْصِيَتِك.

اللهم إنك تسمعُ كلامَنَا، وتَرى مَكانَنا، وتَعْلم سِرَّنَا، وعَلَانِيَتَنا لا يَخْفَى عليكَ شيءٌ مِن أمْرِنا نحن البؤساءُ الفُقراءُ إليك، المُسْتِغِيْثُون المُسْتَجِيْرُوْنَ الْوجلُونَ المشفقُونَ المعترفُون بِذُنُوبنا، نَسْأَلُك مَسألةَ المسكين، ونَبْتَهِلُ إليك إبْتِهَالَ المُذْنبِ الذَّلِيْل، ونَدْعُوْكَ دُعَاءَ الخَائِف الضرير.

اللهم يا مَن خَضَعَتْ لَهُ رقَابنَا، وفاضَتْ لَهُ عَبَارَاتُنَا، وذَلَّت له أجْسَامُنَا، ورَغِمَتْ لَهُ أُنُوْفُنَا لا تَجْعَلْنَا بِدُعَائِك أشقياء، وكن بنا رؤوفاً يا خَير المَسْؤُلِين.

اللهم إنا نَسْأَلُكَ نَفْساً مُطْمَئِنَّةً، تُؤمِنُ بِلقَائِكْ وتَرْضَى بِقَضائِك، وتَقْنَعُ بِعَطَائكْ، يا أَرأف الرائفين، وأرحم الراحمين.

اللهم إنا نَسْأَلُكَ التوفيق لِمَا تُحِبُّه مِن الأعمال، ونسأَلُكَ صِدْقَ التوكلِ عليكْ، وحُسْنَ الظَنِّ بِكَ يَا رَبَّ العالمين.

اللهم اجعلنا مِن عِبادِكَ المُخْبِتِيَن، الغُرِّ المُحَجَّلِين الوَفْدِ المُتَقَبلِين.

اللهم إنا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبةً، ونَفْساً تَقِيَّة، وعِيْشَةٍ نَقِيَّة، ومِيْتَةً سَوِيَّة، ومَرَداً غَيْرَ مُخْزِي ولا فاضح.

اللهم اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح، ومن المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك يارب العالمين.

«اللهم مالكَ الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تَشَاء وتُعِز مَن تشاء وتُذِلُ مَن تشاء بِيَدِكَ الخيرُ إنكَ على كل شيءٍ قدير»، ياوَدُوْدُ يَا ذَا العَرش المجيد يامُبْدِيءُ يامُعِيْد يافَعَالٌ لما تُرِيد نسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عَرشك وبقُدرتِكَ التي قدرت بها على جميع خلقكَ وبرحمتك التي وسِعَت كل شيء لا إله إلا أنت أن تغفر ذنوبَنا وسَيّئاتِنَا وأنْ تبدلها لنا بحسنات إنك جوادٌ كريم رؤوفٌ رحيم.

اللهم افتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا وجميع

المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجميعن.

«فوائد عَظِيمَة النفع»

وَاعَجَباً مِنْكَ يَضِيْعُ مِنْكَ الشّيْءُ القَلِيْلُ وتَتَكَدَّر، وَتَتَأَسَّفْ، وَقَدْ ضَاعَ أَشرَفُ الأَشْيَاءِ عِندَكَ وَهُوَ عُمُرُكَ الذي لا عِوَضَ لَهُ، وَأَنْتَ عِنْدَ قَتَّالاتِ الأَوْقَات، الكُورة والتِّلْفاز والمِذْيَاع وَنَحْوِهَا مَن قُطَّاعِ الطَّرِيْقِ عَنِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَة، وَلكِنْ سَتَنْدَم «يَوْمَ يُنَادِ المُنَادِي مِن مَكَانٍ قَرِيْب، يَوْمَ يَسْمَعُوْنَ الصَّيْحَةَ بالحق ذلك يوم الخروج».

وقال آخر: مَنْ تَفكَّر في قِصَرِ العُمُرِ المعْمُولِ فيه، وفكَّرَ في امْتِدَادِ زَمَانِ الجَزَاءِ الَّذِيْ بَعْدَ البَعْثِ اخْتَطَفَ اللَّحْظَةَ مِن عُمُرِهِ وانْتَهَبَهَا، وَعَبَّاهَا في البَاقِيَاتِ الصَّالِحَات وَزَاحَمَ كلَّ فَضِيْلَةٍ فَإنهَّا إِذَا فَاتَتْ فَلا تُدْرَك أَبَدًا، وَلِلَّهِ أَقْوامٍ مَا رَضُوْا مِنْ الفَضَائِلِ إِلَّا بتحْصِيْلِهَا كَامِلَة، فهُمْ يُبَالغونَ في كُلِّ عِلْمٍ، وَيُثابِرُوْنَ عَلى كُلِّ فَضِيْلَةٍ، فإِذَا ضَعُفَتْ أَبْدَانُهُمْ عَن بَعْضِ ذَلِكَ قَامَتِ النِّيات نَائِبَةً عَنْهَا.

شِعْرًا: الْجَدُّ بالْجِدِّ والحِرْمَانُ في الكَسَلَ ... فانْصَبْ تُصِبْ عَن قَرِيْبٍ غَايَةَ الأَمَلِ

ويقول الآخر:

فَكَابِدْ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ النَّفْسُ عُذْوَهَا ... وَكُنْ في اقْتِبَاسِ العِلْمِ طَلَّاعَ أَنْجُدِ
ولا يَذْهَبَنَّ العُمْرُ مِنْكَ سَبَهْلَلا ... ولا تُغْبَنَنْ بالنِّعْمَتَيْنِ بَلْ اجْهِدِ
فَمَنْ هَجَر اللذَّاتِ نَالَ المُنى ومَنْ ... أَكَبَّ عَلَى اللَّذَاتِ عَضَّ عَلىَ اليَدِ

آخر: فَشَمِّرْ وَلُذْ باللهِ واحْفَظْ كِتَابَه ... ففيهِ الهُدَى حَقا ولِلخَيْر جَامِعُ
هو الذُخْرُ لِلْمَلْهُوف والكَنْزُ والرَّجَا ... ومنه بلا شَكٍ تُنَالَ المنافِعُ
بِهِ يَهْتَدِي مَن تاهَ مَهْمَهِ الهَوَى ... به يَتَسَلَّى مَن دَهَتْهُ الفَجَائِعُ

آخر: يَا عَاشِقَ العَيْشِ في الدُّنْيا وَزُخْرُفِهَا ... هَلْ أَخْلَدَ الناسَ مَا حَازُوْا ومَا عَمَرُوْا
عَلَيْكَ باللَّيْل في الأَذْكَارِ تَعْمُرُهُ ... وَدَع مَلَذَّتِهِ الأُخْرَى لِمَن كَفَرُوْا
لَغَمْسَةٌ في جنَانِ الْخُلْدِ خَاطِفَةٌ ... تُنْسِيْكَ مَا مَرَّ مِنْ بُؤْسٍ لَهُ خَطَرُ

« فَائِدَةٌ عَظِيْمَةُ النَّفْعِ »

قَالَ أَحَدُ العُلَماءِ رَحِمَهُ اللهُ تعالى عَلَيْكَ يَا أَخِي بِمُحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ، وقَهْرِهِ، وذَلِكَ لِخَصْلَتَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبين، لا مَطْمَعَ فِيهِ بِمُصَالَحَة وَاتِّقَاءِ شَرّه أَبَدَا، لِأَنَّهُ لَا يُرْضِيْهِ وَيُقْنِعُهُ إِلَّا هَلَاكُكَ أَصْلًا، فَلَا وَجْهَ إِذاً لِلأَمْنِ مِنْ هَذَا الْعَدُوْ وَالْغَفْلَةِ عَنْه، قَالَ اللهُ جَلَّ وعَلَا: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوْا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبيْن﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوْهُ عَدُوّاً﴾، وَالخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّهُ مَجْبُولٌ عَلَى عَدَاوَاتِكَ، ومُنْتَصِبٌ لِمُحَارَبَتِكَ، فِي اللَّيْلِ والنَّهارِ يَرْمِيْكَ بسِهَامِهِ، وَأَنْتَ غَافِلٌ عَنْهُ، ثُمَّ هُوَ لَهُ مَعَ جَمِيْعِ المؤمِنِيْنَ عَدَاوَةٌ عَامَةٌ، وَمَعَ المُجْتَهِدِ في العِبَادَة وَالعِلْم عَدَاوَةٌ خَاصَةٌ، ومَعَهُ عَلَيْكَ أعْوَانُ نَفسُكَ الأَمَّارَةِ بالسُّوْء، والهَوَى، والدُّنْيَا، وَهُوَ فارِغٌ وَأَنْتَ مَشْغُوْل، وَهُوَ يَرَاكَ وَأَنْتَ لَا تَرَاه، وأَنْتَ تَنْسَاهُ وَهَوَ لَا يَنْسَاكَ، فَإِذاً لَا بُدَّ مِن مُحَارَبَتِهِ، وَقَهْرِهِ، وَإِلَّا فَلَا تَأْمَنِ الفَسَادَ وَالهَلاكَ والدَّمَار، وَمُحَارَبَتُهُ بالاسْتِعَاذَةِ باللهِ وَالإِكثارِ من ذِكْرِهِ.

شِعْرًا:

اهْجُرْ فِرَاشَكَ جَوْفَ الليلِ وَارْمِ بِهِ ... فَفِي القُبُوْرِ إِذَا وَافَيْتَهَا فُرُشُ
مَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَهَا فُرشًا مُرَّقَشة ... أَوْ رَمْضَةً فَوْقَهَا الْمَسْمُوْمَةُ الرُّقُش
هَذَا عَلَيهِ قَرِيْرُ العَيْنِ نَائِمُهَا ... وَذَا عليهِ سَخِيْنَ العَيْنِ يُنْتَهَشُ
شَتَّانَ بَيْهُمَا وَبَيْنَ حَالِهِمَا ... هَلْ يَسْتَوى الرِّيُّ فِي الأَحْشَاءِ والعَطَشُ
فَبَادِرِ الصُّبْحَ أَنْ تَغْشَى طَلَائِعُه ... وَيَلْتَقِي الأَحِيَانِ الرُّوْمُ وَالْحَبُش
كَمْ فازَ دُونَكَ باللَّذَّاتِ مِنْ رَجُلٍ ... وَافَى بِهِ دُلَجَ الأَسْحَارِ والغَبَشُ
قَامُوْا ونِمْنَا وَكُلٌّ فِي تَقَلُّبِهِ ... لِنَفْسِهِ جَاهِداً يسْعَى وَيَجتَوِشُ
زَكُّوا نُفُوسَهُمْ بكُلِّ صَالِحَةٍ ... وَطَيَّبُوهَا فَلَا عَيْبٌ وَلا وَقَشُ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« فَصْلٌ في فوائد منوعة »

قال ابنُ القيم واعلم أَنَّ الصبر على الشهوة أَسْهَلُ مِن الصبر على ما تُوجِبُه الشَّهْوَةُ.

فإنَّ الشهوةَ إما أنْ تكون تُوجِبُ ألماً وعُقوبةً.

وإمَّا أَنْ تَقْطَع لَذَةً أكملَ مِنها.

وإمَّا أَنْ تُضيِّعْ وَقْتاً إضَاعَتُهُ حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ.

وإمَّا أَنْ تَثْلِمَ عِرْضاً تَوْفِيْرُهُ أَنْفعُ لِلعبدِ مِن ثَلْمِهِ.

وإمَّا أَنْ تُذْهبَ مَالاً بَقَاؤهُ خيرٌ مِن ذَهابِهِ.

وإمَّا أَنْ تَسْلِبَ نِعْمَةً بَقاؤهَا أَلَذَّ وَأَطَيبُ مِن قَضَاءِ الشَّهْوَةْ.

وإمَّا أَنْ تُطرّقَ لِوَضيْعٍ إليكَ طَرِيْقاً لَمْ يَكُنْ يَجدُها قبلَ ذَلِكَ.

وإمَّا أَنْ تَجلْبَ هَماً وَغَماً وحُزْناً لا يُقَارِبُ لَذَّةَ الشهوة.

وإمَّا أنْ تُنْسِيَ عِلْماً ذِكْرهُ أَلَذَّ مِن نَيْلِ الشهوة.

وإمَّا أَنْ تُشمِّتَ عَدُواً وتُحْزِنَ وَلِياً.

وإمَّا أَنْ تُحْدِثَ عَيْباً يَبْقَى صِفَةً لا تَزُوْلُ، فإنَّ الأعمال تُورثُ الصِّفاتِ والأخلاق.. أهـ.

وقال إبراهيم بنُ بَشَّار: ما رأيتُ في جميع مَن لَقِيْتُه مِن العُبَّادْ والعُلماء والصالحين والزُّهادِ أَحداً يُبْغِضُ الدُنْيَا ولا ينظر إليها مِثْلَ إبراهيم بن أدهم، وربما مَرَرْنَا على قومٍ قَدْ أقامُوا حَائِطاً أو دَاراً أو حَانُوتاً فيُحَوّلُ وَجْهَهُ ولا يَمْلأُ عينيه مِن النظر إليه فعَاتَبْتُه على ذَلِكَ، فَقَالَ يا بَشَّار اقرأ ما قال الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكم أيكم أحسنُ عملاً﴾ ولم يَقُل أيكم أحْسَنُ عِمارَةً لِلدنيا وأَكْثَرَ حُبّاً وذُخْراً وجمالاً، ثم بَكَى وقال صَدَقَ الله عَزّ اسمه فيما يَقُول: ﴿ومَا خلقت الجن والإنس إلا ليَعْبُدون﴾ ولم يَقُل إلا ليَعْمروا الدنيا ويَجْمَعُوا الأموالَ ويَبْنُوا الدورَ ويُشَيّدُوا القُصُورَ ويتَلَذَّذُوا ويتَفَكَّهُوا، وجَعَلَ يومَه كُلَّه يُرَدّدُ ذلكَ ويَقول: « فَبِهُدَاهُم اقْتَدِهْ ».

شِعْرا: صَرَفْتَ إلى رِبِّ الأَنامِ مَطالِبِي ... وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَهُ وَمَآرِبِي
إلى المَلِكِ الأَعْلَى الذَّي لَيْسَ فوقَهُ ... مَلِيْكٌ يُرَجَّى سَيْبُهُ في الْمَتاعِبِ
إلَى الصَّمَدِ البَرِّ الذي فَاضَ جُوْدُهُ ... وعَمَّ الوَرَى طُراً بِجَزْلِ المَوَاهِبِ
مُقِيْلِي إذَا زَلَّتْ بِيَ النَّعْلُ عَاثِراً ... وَأَسْمَحَ غَفَّارٍ وأَكْرَمَ وَاهِبِ
فَمَا زَالَ يُوْلِيْنِي الجَمِيْلَ تَلَطُّفاً ... ويَدْفَعُ عَنِّي في صُدُورِ النَّوائِبِ
ويَرْزُقُني طِفْلاً وكَهْلاً وقَبْلَهَا ... جَنِيْناً ويحْمِيْنِي وَبِيَّ المكَاسِبِ
إذَا أغلَقَ الأَمْلاكُ دُوْنِي قُصُورَهُمْ ... ونَهْنَهَ عن غِشْيانِهِمْ زَجْرُ حَاجِبِ
فَزِعْتُ إلى بَابِ المُهَيْمِنِ طَارِقاً ... مُدِلًّا أُنَادِي بِإسْمِهِ غَيْرَ هَائِبِ
فَلَمْ أُلْفِ حُجَّاباً وَلم أَخْشَ مِنْعَةً ... وَلَوْ كَان سُؤْلِيْ فَوْقَ هَامِ الكَواكِبِ
كَرِيْمٌ يُلَبِيْ عَبْدَهُ كُلَّمَا دَعَا ... نَهَاراً ولَيْلًا في الدُجَى وَالغَيَاهِبِ
سَأَسْأَلُهُ مَا شِئْتُ إنَّ يَمِيْنَهُ ... تَسِحُّ دِفَاقاً باللُّهَى والرَّغَائِبِ
فَحَسْبِيَ رَبِيْ في الْهَزَاهِزِ مَلْجَأً ... وحِرْزاً إذا خِيْفَتْ سِهَامُ النَّوائِبِ

وَنسْأَلُ اللهُ الحَيَّ القَيُّوْمُ العَلِيُّ العَظِيْمَ ذَا الجَلَالِ والإِكْرَامِ الوَاحِد الفَرْدَ الصَّمَدَ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كفواً أَحد أنْ يُعِزَّ الإِسْلَامَ والمُسْلِمِيْنَ وأنْ يَخْذُلَ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِيْنَ وَأَعْوَانَهُمْ وأنْ يُصْلِحَ من في صلاحه صَلاحٌ للإِسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَيُهْلِكَ مَنْ في هَلاكِهِ عز وصلاح للإِسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَأَنْ يَلُمَّ شَعَثَ المُسْلِمِيْنَ وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ ويُصْلِحَ أولادَهُمْ وَيَشْفِ مَرْضَاهُمْ وَيَعَافِي مُبْتَلَاهُمْ وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ بِأَيْدِيْنَا إلى كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا وإِيَّاهم مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظَنَا وإِيَّاهم مِن كُلِّ ضُرٍ وأنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

فهرس الجزء الثاني من موارد الظمآن

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَن أرادَ طِباعَتِهِ إبْتِغاءَ وَجْه الله تَعالىٰ لا يُريْدُ به عرضاً مِن الدنيا، فَقَدْ أُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَجَزى الله خيراً مَن طَبَعَهُ وَقْفاً لله، أوْ أعانَ على طبعِه، أوْ تَسَبَّبَ لِطَبْعِهِ وتوزيعه على إخوانه المسلمين.

مَوارِدُ الظمآنْ لِدُرُوسِ الزَّمانْ

خُطَبٌ وَحِكَمٌ وَأَحْكَامٌ وَقَواعِدُ وَمَواعِظُ وَآدابٌ وأَخْلَاقٌ حِسَانٌ

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز المحمد السلمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء الثالث

الطبعة الثلاثون (٣٠)

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير

الموكل عنهم إبراهيم بن علي العودة

جزاهم الله كلهم خيراً

اللهم صلي على محمد وعلى آله وسلم

١٤٢٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقَفَ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوْا إِنَّا سَائِلُوكَ أَفَمُجِيْبُنَا أَنْتَ ، قَالَ : سَلُوْا وَلَا تُكْثِرُوْا ، فإِنَّ النَّهارَ لَنْ يَعُوْدَ ، والطَّالِبَ حَثِيْثٌ في طَلَبِهِ ، قالُوْا فأَوْصِنَا ، قال تَزَوَّدُوْا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ فإِنَّ خَيْرَ الزَّاد ما أَبْلَغَ البُغْيَةَ ، ثم قَالَ الأَيَّامُ صَحَائِفُ الأَعْمَارِ فَخَلِّدُوْهَا أَحْسَنَ الأَعْمال ، فإِنَّ الفُرَصَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، والتَّوانِيْ مِنْ أَخْلَاقِ الكُسَالَى وَالخَوالِفِ ، وَمَنِ اسْتَوْطَنَ مَرْكَبَ العَجْزِ عَثَرَ بِهِ ، وتَزَوَّجَ التَّوانِيْ بالكَسَلِ فَوُلِدَ بَيْنَهما الخُسْرَان ، أ. هـ . قال بعضهم :

شِعْرًا تَزَوَجَتِ البَطَالَةُ بالتَّواني ... فأَوْلَدَهَا غُلَاماً مَعْ غُلَامَهْ
فأَمَّا الإِبْنُ سَمَّوْهُ بِفَقْرٍ ... وَأَمَّا البِنْتُ سَمَّوْهَا نَدَامَةَ

آخر : خِصَالٌ إذا لم يَحْوِهَا المرء لَمْ يَنَلْ ... مَنالاً مِنَ الأُخْرى يَكُوْنُ لَهُ ذُخْرَا
يكُوْنُ لَهُ تَقْوَى وَزُهْدٌ وَعِفَّة ... وإِكْثَارُ أَعْمَال يَنَالُ بها أَجْرَا

آخر : لَيْسَ يَبْقَى على الجَدِيْدَيْنِ إِلَّا ... عَمَلٌ صَالِحٌ وَذِكْرٌ جَمِيْلُ

آخر : وما في النَّاسِ أَحْسَنُ مِن مُطِيْعٍ ... لِخَالِقِهِ إِذَا عُدَّ الرِّجَالُ

آخر : سَأُنْفِقُ رَيْعَانَ الشَّبِيْبَةِ دَائباً ... عَلى طَلَبِ العَلْيَاءِ مَعْ طَلَبِ الأَجْرِ
أَلَيْسَ مِنْ الخُسْرَانِ أَنَّ لَيَالِياً ... تَمُرُّ بِلَا نَفْعٍ وتُحْسَبُ مِن عُمْرِيْ

قَالَ بَعْضُهم أَيُّهَا الناسُ إِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارِكُمْ، ولا مَحَلِّ إِقَامَتِكُمْ ، دَارٌ كَتَبَ اللهُ على أَهْلِهَا الفَنَاءَ وَأَوْجَبَ مِنْهَا عَلَى أَهْلِهَا الرَّحِيْلَ فَكَمْ مِنْ عَامِرٍ مُؤَنِّقٍ وَمُحَسِّنْ ، عَمَّا قَلِيْلٍ سَتَخْرَبُ عِمَارَتُه ، وَكَمْ مِنْ مُقِيْمٍ مُغْتَبِطٍ سَيَرحَلُ إِلَى المَقْبَرةْ فَأَحْسِنُوا رَحِمكُم اللهُ مِنْهَا الرِّحْلَةَ وَاحْمِلُوا خَيْرَ مَا يَحْضُرُكُمْ لِلنُّقْلَةِ وتَزَوَّدُوْا فإِنَّ خَيْرَ الزَادِ التَّقوى.

(١)

اللّيلُ والنهارُ يَعْمَلان فِيْكَ فاعْمَلْ فيهما أَعْمَالاً صَالِحَةً تَرْبَحَ وتحمَدِ العَاقِبَةَ الحَمِيْدِة إن شاء الله تعالى .

شِعْرًا : إِذَا كانَ رَأْسُ المالِ عُمْرُكَ فَاحْتَرِزْ عَليه من الإِنْفَاقِ فَي غَيْرِ وَاجِب
آخر : إِذَا شامَ الفَتَى بَرْقَ الْمَعَالِـيْ فأَهْـوَنُ فَائِتٍ طِيْبُ الرُّقَـادِ

(٢)

الملَائِكَةُ يَكْتُبَانِ مَا تَلفَّظُ به فاحْرَصْ عَلَى أنْ لا تَنْطِقَ إلّا بِمَا يَسُرُّكَ يوم القِيَامَةْ . أَشْرَف الأَشْيَاءِ قَلْبُكَ ، وَوَقْتُكَ ، فإِذَا أَهْمَلْتَ قَلْبَكَ وَضَيَّعْتَ وَقْتَكَ ، فَمَاذا يَبْقَى مَعَكَ ، كُلُّ الفَوَائِدِ ذَهَبَتْ .

شِعْرًا : أَمَّا بُيُوْتُكَ فِي الدُّنْيَا فواسِعَـةٌ فَلَيْتَ قَبْرَكَ بَعْدَ المَوْتِ يَتَّسِعُ
آخر : وَبَـادِرِ اللَّيْـلَ بِدَرْسِ العُلُـومْ فَإِنَّمَـا اللَّيْـلُ نَهَـارُ الأَرِيْبْ

(٣)

إعْلَم أَنَّ قِصرَ الأَمَلِ عَلَيْهِ مَدَارٌ عظيم، وَحِصْنُ الأَمَلِ ذِكْرُ الموتِ، وحِصْنُ حِصْنِهِ ذِكْرُ فَجْأَةِ الموتِ وَأَخْذُ الإِنسانِ على غِرَّةٍ وغَفْلةٍ، وهُوَ في غُرُوُرٍ وفُتُورٍ عَنِ العَمَلِ لِلآخِرَةِ. نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوْقِظَ قُلُوبَنَا إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيْر ، اللَّهُمَّ صَلِّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وسلم .

شِعْرًا : يحْيِيْ اللَّيَالِيْ إِذَا المغرورُ أَغْفَلَهَا كَأَنَّ شُهْبَ الدَّيَاجِيْ أَعْيُنٌ نُجُلُ
آخر : ومَن يُنْفِق السَّاعَاتِ في غَيْرِ طَاعَةٍ لِخَالِقِهِ فَهْوَ الذِيْ خَسِرَ العُمْرَا
آخر : أَمَـا واللهِ لَوْ عَلِـمَ الأَنامُ لِمَا خُلقُوا لَمَا غَفَلُوا ونَامُوا

لَقَدْ خُلقُوا لِمَا لَوْ أبصَرَتْه   عُيونُ قُلُوبِهم تاهُوا وهَامُوا
مَمَاتٌ ثُمَّ قَبْرٌ ثُمَّ حَشْرٌ   وتَوْبِيْخٌ وأَهْوالٌ عِظَامُ

مُلَاحَظَةٌ: لا يُسْمَحُ لِأَيِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَخْتَصِرَهُ أَوْ يَتَعَرَّضَ لَهُ بِمَا يُسَمُّونَهُ تَحْقِيْقاً لِأَنَّ الإِخْتِصَارَ سَبَبٌ لِتَعْطِيْلِ الأَصْلِ والتَّحْقِيْقَ أَرَى أَنَّهُ إِتِهَامٌ لِلْمُؤَلِّف، ولَا يُطْبع إلَا وَقْفاً لِلَّهِ تعلى على من يَنْتَفعُ بِهِ من المسلمين.

شِعْرَا: الدِّيْنُ فِيْهِ العِزُّ والكَمَالُ   وَالْكُفْرُ فِيْهِ الذُّلُ وَالهَوَانُ

«فائدةٌ عَظِيْمَةُ النَّفَعْ لِمَنْ وَفَّقَهُ الله»

ما أَنْعم الله على عَبْدٍ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أنْ عَرَّفَه لَا إِلٰهَ إلا الله، وفَهَّمَهُ مَعْنَاهَا، وَوَفَّقَهُ لِلعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا، والدَّعْوَةِ إِلَيْهَا.

شِعْرَا: إِذَا تَمَّ دِيْنُ المَرْءِ تَمَّتْ أُمُوْرُهُ   وَتَمَّتْ أَمَانِيْهِ وَتَمَّ بِنَاؤُهُ

آخر: الذِّكْرُ أَصْدَقُ قَوْلٍ فافْهَمِ الخَبَرَا   لِأَنَّهُ قَوْلُ مَنْ قَدْ أَنْشَأَ البَشَرَا
فَاعَمْلْ بِهِ تُرِدْ فَهْماً ومَعْرِفَةً   يَا ذَا النُّهَى كَيْ تَنَال العِزَّ والفَخَرَا
وتَحْمدِ الله فِي يَوْمِ المَعَادِ إِذَا   جَاءَ الحِسَابُ وعَمَّ الخَوفُ وانْتَشَرَا
لِلَّهِ دَرُّ رَجَالٍ عَامِلِيْنَ بِهِ   فِيْمَا يَدِقُّ وَمَا قَدْ جَلَّ واشْتَهَرَا

آخر: جَمِيْعُ الكُتْبِ يُدْرِك مَنْ قَرَاهَا   مِلَالٌ أَوْ فُتُورُ أَوْ سَآمَهْ
سِوَى القُرْآنِ فافْهَمْ وَاسْتَمِعْ لِيْ   وقَوْلِ المُصْطَفَى يَا ذَا الشَّهَامَهْ

آخر: أُقَلِّبُ كُتُباً طَالَمَا قَدْ جَمَعْتُهَا   وَأَفْنَيْتُ فِيْهَا العَيْنَ والعَيْنَ وَلْيَدَا
وَأَصْبَحْتُ ذَا ظَنٍّ بِهَا وَتَمَسُّكٍ   لِعِلْمِي بِمَا قَدْ صُغْتُ فِيْهَا مُنَضَّدَا
وَأَحْذَرُ جُهْدِيْ أَنْ تُنَالَ بِنَائِلٍ   مَهِيْنٌ وَأَنْ يَغْتَالِهَا غَائِلُ الرَّدَى
وَأَعْلَمُ حَقاً أَنَّنِي لَسْتُ بَاقِياً   فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ يُقَلِبُهَا غَدَا

آخر: لَصِيْقُ فُؤَادِيْ مُنْذُ عِشْرِيْنَ حَجَّةً   وَصَيْقَلُ ذِهْنِيْ والْمَفرّ عَنْ هَمِّيْ

عَزِيْزٌ عَلَى مَثْلِي إِعَارَةُ مِثْلِهِ لِمَا فِيْهِ مِنْ عِلْمٍ لَطِيْفٍ وِمِنْ نَظْمٍ
جَمُوْعٌ لِأَصْنَافِ العُلُومِ بِأَسْرِهَا فَأَخْلِقْ بِهِ أَنْ لَا يُفَارِقَهُ كُمِّـي

«فَصْـــلٌ»

في نَمَاذِجَ مِنْ وَصَايَا السَّلَفِ وَثَبَاتِهِمْ عِنْدَ الْمَوْتِ رحمة اللهِ على تِلكَ الأرواح

الأولَى: وَصِيّةُ أَبي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

عن أبي المليح أن أبا بكر رضي الله عنه لما حضرته الوفاة أرسل إلى عُمَرَ بن الخَطَّاب رضي الله عنه فقال: إني أُوصيك بوصيّة، إنْ أنتَ قبلتها عنّي: إنَّ لِلَّهِ عَزَّ وجلّ حقّاً بالليل لا يقبلُه بالنّهار، وإن لِلَّهِ عزَّ وجلّ حقاً بالنهار لا يقبله بالليل، وإنّه عزَّ وجلّ لا يقبل النَّافِلَةَ حتى تُؤدَّى الفريضةُ، ألمْ تَرَ إنَّمَا ثَقُلت موازينُ من ثقلت موازينه في الآخرة بإتِّباعهم الحقّ في الدُّنْيا، وثَقُل ذلك عليهم، وحق لميزانٍ لا يوضع فيه إلّا حقّاً، أن يثقُل، ألم ترَ إنَّمَا خَفَّت موازين من خَفَّتْ موازينه في الآخرة باتّباعهم الباطل في الدنيا، وَخَفَّ ذَلِكَ عليهم، وحق لميزان لا يوضعُ فيه إلّا باطلاً، أن يخفّ، أَلَمْ «ترَ» أنَّ الله عزَّ وجلّ أنزل آية الرجاء عند آية الشدّة، وآية الشدّة عند آية الرجاء، لكي يكون العبد راغِباً راهَباً، لا يُلقي بيده إلى التَهْلُكَة، لا يتمنّى على الله عزّ وجلّ غير الحقّ، فإن أنتَ حَفظت وصيتي فلا يكوننَّ غائبٌ أحبَّ إليك من الموت، ولا بدّ لك منه، وإن أنت ضيّعت وصيّتي هذه فلا يكوننّ غائبُ أبغضَ إليك من الموت، والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم.

وَصِيّةُ عُمَرَ رضي الله عَنْهُ:

عن الشعبي قال: لمّا طُعن عمر رضي الله عنه جَاء ابنُ عباس فقال: يا أمير المؤمنين! أَسْلَمْتَ حينَ كَفَر النَّاسُ، وجاهدْتَ مَعَ رسولِ الله ﷺ حين خَذَلَهَ الناس، وقُتِلْتَ شهيداً ولم يَختلِف عليكِ اثنان، وتوفى رسول الله ﷺ

وهو عنك راضٍ، فقال له: أعِدْ عَليَّ مَقَالَتكَ، فأعادَ عليه فقال: المَغْرُورُ مَنْ غَرَّرْتُمُوْهُ، والله لو أنّ لي ما طَلَعتْ عليه الشّمسُ أَوْ غَربَتْ لَافْتَديتُ به مِن هَوْلِ المَطْلعِ، والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم.

وصيّةُ عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وعن العلاء بن الفضل عن أبيه قال: لَمَّا قُتل عثمانُ بنُ عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فتشوا خَزَائِنَهُ فوجَدُوا فيها صُندوقاً مُقفلاً، فَفَتَحُوه فَوجَدوا فيه حُقّةً فيها ورقةً مكتوبٌ فيها: هذِهِ وصيّةُ عثمانَ بن عفّان:

بسم الله الرحمن الرحيم، عثمانُ بنُ عفّان يَشهدُ أن لا إلٰه إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ﷺ وأنّ الجنّة حق، وأنّ النار حقٌّ، وأنّ الله يبعثُ مَنْ في القبورِ ليومٍ لا ريبَ فيهِ، إنّ الله لا يُخلف المِيْعادِ، عليها يَحْيا، وعليها يَمُوْتُ، وعليها يُبعث، إنّ شاء الله عز وجل. وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

وَصيّةُ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وعن الشعبي لَمَّا ضُرِبَ عَليُ بن أَبِيْ طَالب رضي الله عنه، تِلكَ الضربة قال: ما فَعَلَ ضاربي؟ قالوا: قد أخذْناه، قال: أُطْعِمْوهِ من طعامي، واسقُوهِ مِن شَرابِي، فإن أنا عِشْتُ رأيتُ فيه رَأْيِي، وإنْ أنا متُ فاضرِبُوه ضربةً واحدةً لا تَزيدوه عليها.

ثم أَوْصَى الحسنَ رضي الله عنه أَنْ يغْسِله ولا يُغَالي في الكفن، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا تَغْلوا في الكفن فإنّه يُسْلَبُ سَلْباً سريعاً»، وامشُوا بي بين المِشْيَتين، لا تُسرعوا بي، ولا تُبْطئوا، فإنْ كان خيراً عجّلتموني إليه، وإنْ كان شرّاً ألقيْتموني عن أكتافِكم.

شِعْرًا: نُراعُ لِذِكْرِ الموتِ سَاعَةَ ذِكْرِهِ   وَتَعْتَرِضُ الدُّنْيَا فَنَلْهُوْا ونَلْعَبُ

وَنَحْنُ بَنُوْا الدُّنْيَا خُلِقْنَا لِغَيْرِهَا   وَمَا كان فِيْهَا فَهْوَ شَيْءٌ مُحَبَّبُ
آخر: أَبَا المُغِيْرَةِ والدُّنْيَا مُغِيّرَةٌ   وَإِنَّ مَنْ غُرَّ بالدُّنْيَا لَمَغْرُوْرُ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

وَصِيَّةُ معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

ولما أصيب أبو عبيدة (بن الجراح) في طاعون عَمَواصَ استَخْلَفَ معاذ بن جبل واشتد الوجع، فقال الناس لمعاذ: ادع الله يرفع عنا هذا الرجز، قال: إنه ليس برجز ولكنه: دعوة نبيكم ﷺ وموت الصالحين قبلكم وشهادة يختص (بها) الله من يشاء منكم أيها الناس: أربعُ خِلال مَن استطاع أن لا يُدركَه شيءٌ مِنهن، فلا يُدْرِكَه، قالوا: وما هي؟ قال: يأتي زمانٌ يظهرُ فيه الباطلُ، ويصبحُ الرجلُ على دِيْنٍ ويُمْسِي على آخَرَ، ويقول الرجلُ: والله ما أَدْري على مَا أَنَا. لا يَعِيْشُ على بَصِيرة، ولا يَمُوتُ على بَصِيرة، ويُعْطَي الرجلُ المالَ مِن مَال اللهِ على أَنْ يَتَكَلَّمَ الذي يُسْخِطُ اللهَ، اللهم آت آلَ مُعَاذٍ نَصِيْبَهُم الأَوْفَى مِن هذِهِ الرحمةِ، فطُعِنَ ابْنَاهُ فقال: كَيْفَ تَجِدَانِكُمَا؟ قال: يَا أَبَانَا ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِيْنَ﴾ قال: سَتَجِدَانِي إنْ شَاءَ اللهُ مِن الصابرين.. ثم طُعَنَتْ امْرَأَتاهُ، فَهَلكتَا، وطُعِنَ هُوَ في إِبْهَامِهِ، فَجَعَلَ يَمَسُّهَا بفِيه يَقُولُ: اللَّهُمَّ إنها صَغِيْرَةٌ، فَبارِكْ فِيْهَا، فإنكَ تباركُ في الصغيرِ حَتَّى هَلَكَ رحمة الله عليه، وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

وَصِيَّةُ عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وعن الشعبي قال لما حَضَرَ عبدَالله بنَ مَسعود الموتُ دَعَا ابْنَهُ فقال: يا عبدَالرَّحمن بنَ عبدالله بن مسعود! إني أُوصيكَ بخمس خِصالٍ فاحْفَظْهُنَّ عَني: أظهرِ اليأْسَ لِلناس، فإن ذلكَ غنيً فاضِلٌ، ودَعْ مَطْلَبَ الحَاجَاتِ إلى النَّاس، فإن (ذَلِكَ) فَقْرٌ حَاضِرٌ، ودَعْ ما تَعتذرُ منه مِن الأُمور، ولا تَعْمَلْ بِهِ،

وإن اسْتَطَعْتَ أَنْ لا يأتِيَ عليكَ يومٌ إِلَّا وأَنْتَ خَيْرٌ مِنكَ بالأَمسِ فافعلْ، فإذا صلّيتَ صَلاةً فَصَلِّ مُوَدِّعٍ كَأَنَّكَ لا تُصَلِّي بَعْدَهَا. قال بَعْضُهُمْ:

شِعْرًا: أَلَا لَيْتَ انِي أَنِّي يَوْمَ تَدْنُو مَنِيَّتِيْ   أُلازِمُ ذِكْرَ اللهِ في كُلِّ لَحْظَةِ
وَآخِرُ رَمْقٍ مِن حَيَاتِيْ خِتَامُهُ   بكِلْمَةِ إِخْلَاصٍ لِبَارِيْ البَرِيَّةِ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

وَصِيّةُ أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

ولما حَضَرَتْ أبا موسى الوفاةُ دَعَا فِتيانَه فقال: اذهبُوا فاحفرُوا لي وأَعْمِقُوا فإنّه كان يُستحَبُ العُمقَ، قال: فجاء الحَفَرَةُ فقالوا: قَدْ حَفْرنا. فقال: اجلسوا بي فوالذي نفسي بيده إنها لإحْدَى الْمَنزلتين، إمّا لَيُوسَعَنّ قبري حَتَّى تكونَ كُلُّ زاويةٍ أربعين ذراعاً، وَلَيُفَتَحَنَّ لي باب مِن أبواب الجنّة فلانظرنَّ إلى مَنزلي فيها وإلى أَزواجي، وما أعدَّ الله عزَّ وجلَّ لِي فيها من النعيم، ثم لأَنا أَهدى إلى مَنزلي في الجنة منِي اليومَ إلى أهلي، وَلَيُصِيْبَنِيِّ مِن رَوْحها ورَيحانها حتى أُبْعَث. وإن كانت الأُخْرى فَلَيُضَيَقَنَّ عَلَيَّ قبري حتى تختلف فيه أضلاعي حتى يكون أضيقَ مِن كذا وكذا، وَلَيُفْتَحَنّ لِي بابٌ مِن أَبوابُ جهنم، فلأَنظُرَنّ إلى مَقْعَدِي وإلى ما أعدّ الله عَزَّ وجلّ لِي فيها مِن السَلاسل والأَغلال والقُرناء، ثم لأَنا إلى مَعْقَدِي مِن (جهنم) لأهدى مِني اليوم إلى مَنزلي، ثم لَيُصِيْبَنِيِّ من سَمُومها وحَمِيمِها حتى أُبعث. واللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلَه وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

وَصِيّةُ أبي عقيل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

ولما كان يومُ اليمامة واصْطَفَّ الناسُ لِلقتالِ كان أول مَن جُرِحَ أبو عقيل رُمي بسهم بين منكبه وفؤآده فأخرَجَ السَّهْمَ فَوَهَنَ لَهُ شِقُّهُ الأَيْسَرُ وجُرَّ إلى الرَّحْلِ فَلَمَّا حَمِيَ القِتَالُ سَمِعَ مَعْنَ بنَ عَدِي يصِيْحُ يا آلَ الأنصارِ اللهَ اللهَ

والكرةَ على عَدُوِكُم قال عبداُلله بنُ عُمَر فَنَهضَ أَبُو عَقِيْل فَقُلْتُ ماتُرِيْدُ، قَال: قَدْ فَوَّهَ المُنَادِي باسْمِيْ، فَقُلْتُ مايَعْنِي الجَرْحَى. فقال: أنَا مِن الأَنْصَارِ، وأنا أُجِيْبُهُ ولَوْ حَبْواً. فَتَحَزَّمَ وأَخَذَ السَّيْفَ ثُمَّ جَعَل يُنَادِي: ياآل الأنصار كَرَّةً كَيَوْمِ حُنَيْنٍ، قال ابنُ عُمَرَ: فاخْتَلَفَتْ السُيُوفُ بَيْنَهُمْ فَقُطِعَتْ يَدُهِ المَجْرُوْحَةُ مِن المَنْكِبِ فَقُلْتُ: أَبَا عَقِيْل، فقال: لَبَيْكَ، بلِسَانٍ مُلْتَاثٍ، لِمَن الدَّبْرَةُ؟ فَقُلْتُ: أَبْشِرْ قَدْ قُتِلَ عدُو اللهِ. فَرفعَ رَأْسَهُ أَوْ أُصْبَعَهُ إلى السَمَاءِ يَحْمَدُ الله ومَاتَ رَحِمَهُ اللهُ. قال ابنُ عُمَر: فأَخْبَرْتُ عُمَرَ فقال: رَحِمَهُ الله مازَال يَسْأَلُ الشَّهادَةَ ويَطْلُبُهَا. وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

وَصِيّةُ عبدالله بن رواحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

ولما تَجَهَّز الناس وتَهَيَؤُا لِلْخُروج إلى مُوْتَةَ مضوا حتى نزلوا أرض الشام، فبلغهم أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضمت إليه المستعربة (من لخم، وجذام، وبلقين، وبهرا، وبلى)، في مائة ألف، فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب لرسول الله ﷺ فنخبره (بعدد عدونا). قال: (فشجع عبدالله بن رواحة الناس، ثم قال: والله ياقوم، إن الذي تكرهون لَلَذِي خرجتمُ له، تَطلبُون الشهادةَ وما نقاتلُ العَدو بعُدَّةٍ، ولا كَثْرةٍ، ما نُقَاتِلُهُمْ إلا بِهَذا الدين الذي أَكْرَمَنا اللهُ تعالى به، فانْطَلِقُوْا فإنما هِي إحْدَى الحُسْنَيَيْنِ، إمَا ظُهُورٌ وإما شهادةٌ. قال: فقالَ الناسُ: قد واللهَ صَدَقَ ابنُ رَوَاحَةَ فَمَضَوْا.

ولَمَّا قَدمَ أَبُو عَون مِصْرَ واسْتَولى على البَلَد أرسلَ إلى حَيْوةَ بن شريح فجاء فقال: إنا مَعْشَرَ المُلُوكِ لانُعْصَىٰ فمنَ عَصَانَا قَتَلْنَاهُ قَدْ وَلَيْتُكَ القضَاة، قال أُوَامِرُ أهْلِي قال اذْهَبْ فَجَاءَ إلى أَهْلِهِ فَغَسَلَ رَأسَه ولْحِيَتَهُ ونالَ شَيئاً مِن الطيبِ ولبسَ أَنْظَفَ ما قَدَرَ عليه مِن الثيابِ ثم جَاءَ فَدَخل عليه فقال مَنْ جَعَلَ السَّحرةَ

أَوْلَى بِمَا قالُوا مِنَّا فاقْضِ ما أَنْتَ قَاضٍ، فَلَسْتُ أَتَولَّى لَكَ شَيْئاً، قال: فأذنَ لَهُ فَرَجَعَ.

عن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال لَمَّا حَضَرَتْ أبي الوفاةُ جلستُ عنده وبيدي الخرقة لأشدَّ بها لَحْيَيْهِ فَجَعَل يَعْرَقُ، ثُمَّ يَفْتَحُ عَيْنَيهِ، ويَقولُ بيدِه هكذا: لا بَعدْ. فَفَعَلَ هذا مَرةً وثانيةً، فلما كان في ا لثالثة، قُلْتُ له: ياأَبة أَيُّ شيءٍ هذا قد لَهَجْتَ به في هذا الوقتِ تَعْرَقُ حَتَّى نَقُولُ قَدْ قُبِضْتَ، ثم تَعُودُ فَتَقُولُ لَا لَا بَعَدْ فقال لي: يا بُنَيَّ ما تدْرُي؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: إبليسُ لَعَنه الله قَائِمٌ حِذَائِي عاضٌ عَلى أنامله يَقُول لِيْ أَحْمَد فُتَّنِيْ، فَأَقُولُ لَهُ: لَا بَعَدْ حَتَّى أَموتُ .. أه. والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

آخر: وصية دَاوُدَ بن أَبِي هِند رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ماأَوْصي به دَاوُدُ بنُ أَبِي هِنْد «أَوْصَي بتقوى الله عزَّ وَجَلَّ ولُزومِ طاعتِهِ، وطاعةِ رسوله، والرِضى بقضائِهِ، والتّسليمِ لِأَمرِهِ، وأوصاهم بما أوصَى به يَعقوبُ بَنِيه» ﴿يابنيّ إن الله اصطفى لكُم الدِّين فلا تَمُوتُنَّ إلا وأنتم مُسلمون﴾ [البقرة: ١٣٢]. وداودُ يشهد بما شهد الله عزّ وجلّ عليه وملائكتُه: أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورسوله ﷺ وبالجنّة والنار وبالقدَر كلِّه، على ذلك يحيا، وعلى ذلك يموت.

اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ لِبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيْعِ الأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يامُنْقِذَ الغَرْقَى وَيامُنْجِيَ الهَلْكَى وَيادَائِمَ الإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوكَ وَأَنِلْنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ ماتَقَرُّ به عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَتِكَ في جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ ياأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

وَصِيّةُ الأَوْزَاعيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وسئل الأَوْزَاعيّ كَيْفَ يكْتُبُ الرجل وصيته؟ قال: يَكْتُب بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما شَهِدَ به فلانٌ بنُ فُلان يَشهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ مُحَمدًا عبدُه ورسولُه، وأَنَّ الجنةَ حَقٌّ، وأن النارَ حقٌّ، وأَنَّ الساعةَ (آتيةٌ) لا رَيْبَ فيها، وأنّ اللهَ يَبْعَثُ مَن في القبُور، على ذلك يَحْيَا، وعَليه يُبْعث إن شَاءَ الله، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

وَصِيّةُ فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُا بِنتُ مُحَمَّد ﷺ:

عن عبد بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي المدني قال لَمَّا حَضَرَتْ فَاطِمةُ رضي الله عنها الوَفاةَ دَعَتْ بِمَاءٍ فَاغْتَسلَتْ ثُمَّ دَعَتْ بحَنُوط فتَحَنَّطَتْ، ثُمَّ دَعَتْه بثِيابِ أكْفَانِها فَلَبِسَتْ ثم قالت إذا أنا مِتُّ فَلَا تُحَرِّ كِوُني فَقُلْتُ هَل بلَغَكَ أَنَّ أَحَدًا فعَل ذَلِكَ قبْلَهَا قال نَعَمْ كثير بن عباس.

وكتب في طرف أكفانه كثير بن عباس يشهد أنْ لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

وعن أسماء بنت عميس أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أوْصَتْ أنْ يُغسِّلَها زوجها عَليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه فغَسَّلَهَا هو وأسْمَاء بِنْتُ عُمَيْس، وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

وَصِيّةُ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

عن الزُهْرِي أَنَّ سَعَدَ بنَ أبي وقَّاصٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ دَعَا بِخَلَقِ جُبَّةٍ لَهُ مِن صُوْف فقال كَفِنُوني فيها فإني لِقَيْتُ المشركينَ فيها يَوْمَ بَدْرٍ وإِنَّمَا كُنْتُ أُخَبئُهَا لِهَذا اليوم، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

وَصِيّةُ حُمَيْدِ بنِ عبدالرحمن الحِمْيَرِي رحمه الله:

عن حمادِ بن سَلَمَةَ قال قَرأْتُ في وصية حُميد بن عبدالرحمن الحميري أوصى أنَّهُ يَشْهَدُ أن لا إلِهِ إلَّا الله وحْدَهُ لا شرَيْكَ لَهُ وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا رَيْبَ فيها وأن اللهَ يَبْعَثُ مَنْ في القبور وَأَوْصَى أَهْلَهُ من بعده أن يتقوا الله ويصلحوا ذاتَ بَيْنِهِم وأنْ لا يموتوا إلا وهم مسلمون.

وَصِيّةُ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

عن الصنابُحِي قال دَخَلْتُ على عبادة بن الصامت وهو في الموت فبَكَيْتُ فقال مَهْلاً لم تَبكي فوالله لِئَنِ اسْتُشهدتُ لأشهدَنَّ لكَ ولئن شُفِّعْتُ لأشفَعَنَّ لكَ ولِئِنْ أسْتَطَعْتُ لأنفعَنَّكَ.

ثم قال والله ما حَدِيْث سَمِعْتُهُ مِن رسُول الله ﷺ لكم فيه خَير إلا قد حَدَّثتكُموه إلا حَدِيثاً واحِداً سَوفَ أحَدِّثكُموه اليوم وقد أحيط بنفسي.

سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُول: «مَن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسولُ الله حرم على النار» انفرد باخراجه مسلم.. أهـ.

وصية: أَوْصَى بَعْضُهُم أخاً لَهُ في اللهِ فقال أَلْهَمَكَ اللهُ ياأَخِي ذِكْرَهُ وَأَوْزَعَكَ شُكْرَهُ ورَضَّاكَ بقَدَرِهِ ولا أَخْلَاكَ مِن تَوفِيْقِهِ ومَعْرفتِهِ.

ولا وَكَلَكَ إلى نَفْسِكَ ولا إلى أحَدٍ من خَلْقِهِ وكتبك عنده مِمَّنْ أَرَادَ الله عَزَّ وجَلَّ تَقْرِيْبَه وجَدَّ في الطلب بالصِدقِ والأدب.

وأَرَادَ رَسُولَ الله ﷺ بالمتابَعَةِ والتَّصْدِيق.

وَأَرَادَ الدار الآخرة بالأعمال الصالحةِ واحْتِمالِ الأَذَى وتَرْكِ الأَذَى، وجَعَلكَ مِن المكثرين لِذكر الله وحَمْدِهِ وَشكرِهِ الوَجِلين مِن خَشْيَتِهِ تعالى.

المُخْلِصِين لِلَّهِ عَزَّ وجل المُوحَّدين لِلَّهِ عَزَّ وجَلَّ المُصَدِّقِيْنَ لِلَّهِ تعالى المُؤْثِرِينَ لِلَّهِ على أنفسهم المُقَدِّمِيْنَ حَقَّهُ على حُقُوقِهم.

الذين خَلَتْ بَواطِنُهم مِن الحِقد والحَسدِ والعُجْبِ والكِبر وسُوْءِ الظن.

الذين لا يَسْتَأثِرُوْنَ ولا يُزَاحِمُونَ وعلى غير طاعة ربهم لا يَحْزَنُون.

الذين هم على جميع أمةِ محمد يشفقون وبهم يَرفُقُون الذين يَنْصَحُونَ المُسْلمين ولا يَفْتُرون، ويُعَرِّفُون بالله وشَرْعِهِ ولا يُعَنِفُونَ ولا يَسْخَرُوْن بالناس ولا يَسْتِهْزؤُن.

وعن عَيْبِ مَن فيه العَيبُ يُغَمِّضُون ويَسْتُرون وَلِعَوْرَاتِ المؤمنين لا يَتَتَبَّعُون، الذينَ هُمْ لِلَّهِ في جميعِ حَركاتِهِم وسَكَنَاتِهم مُرَاقِبُون.

الذينَ يَكُونُ غَضَبُهُمْ لِلَّهِ لَا لأَنْفُسِهِم ولا يَتَمَنَّون السُوْء ولا يَعْتَدُوْن ويكونُ رِضَاهُم لِلَّهِ، الذين لا يأمرون إلا بما تَأْمُرُ به الشَّرِيْعَةُ المُطَهَّرةُ ولا يُنْكِرُون إلا ما أَنْكَرَتْهُ الشَّرِيْعَةُ على حَسَبِ طاقَتهم.

الذين لا تأخُذُهُم في اللهِ لَوْمَةُ لائم ويُبْغِضُونَ الظُلْم مِن الظالم ويَمْقُتُون الظَّالِمَ ولا يُعَظمُونَه، ويَسألونَ الله تعالى أنْ يَمْنَعَ الظَّلَمَةَ مِن الظُلم حَتَّى لا يَظْلِمُوْا ويَتُوبُ الله عليهم حَتَّى يَتُوبُوا.

الذين بما أنْزَلَ اللهُ تعالى على رَسُوله يَحْكُمُون الزَّاهِدِين في الدنيا المُقْبِلِيْنَ بِكُلِّيتِهِم على الله عَزَّ وجَلَّ.

وجعلك الله يا أخي مِن الموحدين المخلصين الذين لا شِرْكَ عِندهم المنزهِيْن الذين لا تُهْمَةَ عندهم المصدقِين الذي لا شَكَّ عندهم.

الطالِبِيْن الذين لا فُتُورَ عندهم في الأعمالِ الصالحاتِ المتبعين الذين لا ابتداع عندهم القانعين الذين لا طمع عندهم ولا ميل إلى السوء عندهم لِلْمُسْلِمِيْنَ.

الذين لا مُنَازَعَةَ عندهم الراضين الذين لا سخط عندهم المحافظين على طاعة الله الذين لا يرضيهم إلا مولاهم ولا يرتضون نفوسهم إلا إذا استقامَت على ما يحبه الله ويرضاه.

الذين يقتفون أثر الشارع وبه يقتدون وعلى جميع الصحابة يترحمون ولِقَرابَةِ نبيهم يُوادون وبفضل السلف يعترفون.

الذين لا تعجبهم زينة الدنيا الذين يحثون عباد الله على طاعته ويُحَبِبُونَ الله عز وجل إلى خلقه ويذكرونهم نِعَمَهُ.

الذين أيديهم مقبوضة عن أموال الناس وجوارحهم مكفوفة عن أذاهم وعن أعراضهم، الناسُ منهم في راحة وهم مِن شُرُورِ أنفسِهم في تَعَبٍ ونَصَب ورياضة.

الذين لا يقابلون عملَ السوءِ إلا عَفْوَاً وصَفْحَا ولا قولَ السوءِ إلَّا إعراضاً عَمَلاً بقول الله تعالى: ﴿إدفع بالتي هي أحْسَن﴾، وقوله: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾، وقوله: ﴿وإذا مَرُّوا باللغو مَرُّوا كِراماً﴾، وقوله: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾.

شِعْرًا: قالوا سَكَتَّ وقد خُوصِمْتَ قُلْتُ لهم ... إن الجوابَ لِباب الشر مِفْتَاحُ
فالصَّمْتُ عن جاهلٍ أَوْ أَحمقٍ شَرَفٌ ... أَيْضاً وفيه لِصَوْنِ العِرْضَ إِصْلَاحُ
أَمَا تَرَى الأُسْدَ تُخْشَى وهي صامِتَةٌ ... والكَلْبِ يخْشَىَ لَعَمْرِي وهْو نَبَّاحُ

آخر: وإنِّي أَلْقَى المَرءَ أَعْلَمُ أَنَّهُ ... عَدُوٌّ وفي أَحْشائه الضِّغْنُ كامِنُ
فأَمْنَحُهُ بِشْرًا فَيَرْجِعُ قَلْبُهُ ... سَلِيْماً وَقَدْ مَاتَتْ لَدَيْهِ الضَّغَائِنُ

آخر: رَجَعْتُ على السَّفِيْهِ بِفَضْلِ حِلْمي ... فكانَ الحِلْمُ عَنْهُ لَهُ لِجَامَا
وَظَنَّ بِي السَّفَاهَ فَلَمْ يَجِدْنِي ... أَسَافِهُهُ وَقُلْتُ لَهُ سَلامَا
فَقَام يَجُرُّ رِجْلَيْهِ ذَلِيْلَا ... وَقَدْ كَسَبَ المَذَلَّةَ والمَلَامَا

والله أعلم وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«بسم الله الرحمن الرحيم»

وقال بعضهم مُوْصِياً أَوْلادَهُ بِوَصِيَّةٍ نافِعةٍ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا.

وبعد، فإني لمّا عَلاني المَشِيْبُ بغُمّته، وقادني الكِبَرَ في رُمَّته، وأدّكرتُ الشباب بعد أُمّته؛ أسِفتُ لِمَا أَضَعْت، ونَدِمت بعد الفِطام على مارَضِعْت؛ وتأكّد وُجوب نُصْحي لِمَنْ لَزِمَني رَعْيُهُ، وتعلَّق بسَعْيي سَعْيُه، وأمَّلت أن تَتَعَدَّى إليّ ثمراتُ استقامته، وأنا رهين فَوات، وفي برزخ أموات؛ ويأمنَ العثور في الطريق التي اقتضت عِثاري، إن سلك- وعسى ألّا يكون ذلك- على آثاري: فقلت أخاطب الثلاثة الوَلَد، وثمرات الخَلَد؛ بعد الضراعة إلى الله في توفيقهم، وإيضاح طريقهم، وجمع تفريقهم؛ وأن يَمُنَّ عليّ فيهم بحسن الخَلَف، والتلافي من قبْل التَّلَف، وأن يرزق خَلَفهم التمسك بهَدْي السَّلَف؛ فهو وليّ ذلك، والهادي إلى خير المسالك.

اعلموا هداكم مَنْ بأنواره يَهتدي الضُّلّال، وبرضاهُ تُرفع الأغـلال، وبالْتماس قربه يحصل الكمال، إذا ذهب المال، وأُخلفت الآمال، وتبرأت مِن يمينها الشِّمال؛ أني مُودَعِكم وإنْ سَالَمَني الردَىٰ، ومُفارقكم وإن طال المدَى، وما عدا مما بدا؛ فكيفَ وأدَواتُ السفر تُجمع، ومُنادِي الرحيل يُسْمَع؛ ولا أقلَّ لِلْحَبِيب المُودِّع مِن وصيةٍ مُحتَضَرٍ، وعُجَالَةِ مُقْتَصِرٍ؛ ونصَيحةٍ تكونُ نَشيدَةَ وَاعٍ ومُبْصِرٍ؛ تَتَكفَّلُ لكم بحُسْنِ العَواقِب مِن بعدي، وتُوضّح لكم في الشفقة والحُنُوّ قَصْدي، حسْبَما تَضَمَّنَ وعْدُ الله مِن قبلِ وعْدِي؛ فِهيَ أَرْبُكم الذي لا يَتَغيّر وَقْفُهُ، ولا يَنالُكُم المكرُوْهُ مارَفّ عليكم سَقْفُه؛ وكأني بشبَابكم قد شَاخَ، وبرَاحِلِكُم قد أَنَاخ؛ وبِنَشَاطِكم قد كَسِل، واسْتَبْدَل الصابَ مِن العَسَل، ونُصول الشيب تُروع بأسَل، لا بَل [السَّامُ] مِن كلِ حَدَبٍ قَدْ نَسَل، والمَعادُ اللَّحْدُ ولا تسَلْ؛ فبالأمسِ كُنْتُم فِراخَ حَجْر، واليومَ آباء عَسْكَر مَجْر، وغَداً شُيوخَ مَضْيَعة وهَجْر؛ والقُبور فاغَرة، والنفوسُ عن المألوفات

صَاغرة؛ والدنيا بأهلها سَاخرة، والأولى تَعقبُها آخِرة؛ والحازِمُ مَن لم يُتَّعظ به في أمر، وقال: بيدِي لا بيدِ عَمرْو؛ فَاقتنُوها مِن وصيّة، ومَرام في النصح قَصِيَّة؛ وخُصُّوا بها أولَادَكُم إذا عَقَلُوا، لِيَجِدُوا زَادَهَا إذا انْتَقَلُوا؛ وحَسبي وحسبُكم الله الذي لم يَخْلُقِ الخلق هَمَلًا، ولكن لِيبلُوَهم أيُّهم أحسنُ عملاً؛ ولا رضِي الدنيَا مْنزلاً، ولا لطَف بمَنَ أصْبَحَ عن فئةِ الخير مُنْعَزِلاً؛ ولْتُلَقنوا تلقيناً، وتَعْلموا علَماً يقيناً؛ أنكم لن تجدوا بعد أن أنفردَ بذنبي، ويفترش الترابَ جنبي، ويُسح انسكابي، وتهرول عن المصلَّى ركابي، أحرصَ مني على سعادة إليكم تُجلب، أو غاية كمال بِسَبَبكُمْ تُرتاد وتطلب؛ حتى لا يكون في الدين والدنيا أوْرَفَ منكم ظِلًّا، ولا أشرف مَحلًّا، ولا أغبط نَهلا وعَلّا؛ وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تُصيخوا إلى قولي الآذان، وتتلمحوا صُبْح نصحي فقد بان، وسأعيد عليكم وصيّة لقمان:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.

وأعيد وصيّة خليل الله وإسرائيله، حسبما تضمنّه محكم تنزيله: ﴿يا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، والدين الذي ارتضاه واصطفاه، وأكمله ووفّاه، وقرّره مصطفاه، من قبل أن يتوفّاه، فالله واحد أحَد، فرد صَمَد، ليس له والد ولا ولد.

سبَقَ وجُودُهُ الأكوان؛ ﴿هو الأوَّلُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ وهو بكلِ شيءٍ عَليم﴾ خالق الخلق وما يعملون، والذي لا يسأل عَمَّا يَفْعَل وهم يُسْألون؛

الحي العليم المدبّر القدير، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير؛ أرسل الرسل رحمة لتدعو العباد إلى النجاة من الشقاء وتُوَجَّهَ الحجة في مصيرهم إلى دار البقاء، مؤيَّدَة بالمعجزات التي لاتتصف أنوارها بالاختفاء، ولايجوز على تواترها دعوى الانتفاء؛ ثم ختم ديوانَهم بنبيّ مِلَّتنا المُرْعية للهَمَل، الشاهدة على المِلَل، فتلخّصت الطاعة، وتبينت له الإمرة المطاعة، ولم يبق بعده إلا ارتقاب الساعة؛ ثم إن الله قبضه إذ كان بشراً، وترك دينه يضم من الأمة نَشَرا؛ فمن اتبعه لحِق به، ومن حاد عنه تورّط في مُنْتَسَبِهِ، وكانت نجاته على قدر سببه.

روي عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، فَعَضُّوا عَلَيْهِمَا بِالنَّوَاجِذِ».

فاعملوا يا بَنِيَّ بوصيةٍ مِنْ ناصح جاهد، ومُشْفِق شفقة والد؛ واستشعِروا حبه الذي توفرت دواعيه، وعُوا مَراشد هديه فيافَوْز واعيه؛ وصِلُوا السبب بسببه، وآمنوا بكل ما جاء به مجملاً أو مفصلاً على حَسَبه، وأوجبوا التجلّة لصحبه؛ الذين اختارهم الله لصحبته، واجعلوا محبتكم إياهم من توابع محبته؛ واشملوهم بالتوقير، وَفَضِّلُوا منهم أولي الفضل الشهير؛ وتبرؤُوا من العصبية التي لم يدعكم إليها داع، ولاتعِ التشاجرَ بينهم أُذُنٌ واع، فهو عنوان السداد، وعلامة سلامة الاعتقاد؛ ثم اسحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء الملة، وأئمتها الجِلّة؛ فهم صَقَلَة نصولهم، وفروعٌ ناشئة عن أصولهم، وورثتهم وورثة رسولهم؛ واعلموا أني قطعت في البحث زماني، وجعلت النظر شاني، منذ براني الله وأنشاني، مع نبل يعترف به الشاني، وإدراك يُسَلِّمُهُ العقل الإنساني؛ فلم أجد خابط وَرق، ولامصيب عَرَق؛ ولانازع خِطام، ولامتكلف فِطام، ولامقتحم بحر طَام؛ إلا وغايته التي يقصدها قد فَضَلتها الشريعة وسبقتها، وفَرَعت ثنيتها وارتقتها؛ فعليكم بالتزام جادَّتها السابلة، ومصاحبة رُفقتها

الكافلة، والاهتداء بأقمارها غير الآفلة؛ والله يقول وهو أصدق القائلين: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَل مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةَ مِنَ الخَاسِرِين﴾؛ وقد علت شرائعُه، وراع الشكوكَ رائعُه؛ فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين، وابذلوا دونه النفوس فِعل المهتدين، فلن ينفع مَتاعٌ بعد الخلود في النار أبد الآبدين، ولا يضرّ مفقود مع الفوز بالسعادة والله أصدق الواعدين، ومتاع الحياة الدنيا أخسّ ماورث الأولاد عن الوالِدين، اللهم قد بلّغت، فأنت خير الشاهدين.

فاحذروا المعاطب التي توجب في الشقاء الخلود، وتستدعي شَوْه الوجوه ونُضْج الجلود؛ واستعيذوا برضا الله من سُخْطه، واربئوا بنفوسكم عن غمطه؛ وارفعوا آمالكم عن القنوع بغرور قد خدع أسلافكم، ولا تَحْمَدوا على جِيفة العَرَض الزائل ائتلافكم؛ واقنعوا منه بما تَيسّر، ولا تأسَوْا على ما فات وتعذّر؛ فإنما هي دُجنة يَنسخها الصباح، وصَفقة يتعقّبها الخسار والرباح؛ ودونكم عقيدةَ الإيمان، فشدّوا بالنواجذ عليها، وكفكفوا الشُّبَه أن تدنو إليها؛ واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك خَرْق لا يرفؤه عمل، وكل ما سوى الراعي هَمَل، وما بعد الرأس في صلاح الجسم أَمَل؛ وتمسكوا بكتاب الله حفظاً وتلاوة، واجعلوا حمله على حمل التكليف عِلاوة؛ وتفكروا في آياته ومعانيه، وامتثلوا أوامره وانتهوا عن مناهيه، ولا تتأوّلوه ولا تَغْلُوا فيه؛ وأُشْرِبوا قلوبكم حب من أُنزل على قلبه، وأكثروا من بواعث حبه؛ وصونوا شعائر الله صَوْن المحترِم، واحفظوا القواعد التي ينبني عليها الإسلام حتى لا ينخرِم.

اللهَ اللهَ في الصلاة ذريعة التجلّة، وخاصة الملّة، وحاقنة الدم، وغنى المستأجَر المستخدَم؛ وأم العبادة، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة؛ والناهية عن الفحشاء والمنكر مهما عرض الشيطان عرضهما، ووطّاً للنفس الأمارة سماءهما وأرضهما؛ والوسيلة إلى بَلّ الجوانح ببَرود الذكر، وإيصال تحفة

الله إلى مريض الفكر؛ وضابطة حسن العشرة من الجار، وداعية المسالمة من الفُجّار؛ والواسمة بسِمَة السلامة، والشاهدة للعقد برفع الملامة؛ فاصبِروا النفس على وظائفها بين إبداء وإعادة، فالخير عادة؛ ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنية، [وتُؤْثِروا على العَلِية الدنيَّة]؛ فإن أوقاتها المعينة بالانفلات تَنْبِس والفلك بها من أجلكم لا يحبس؛ وإذا قرنت بالشواغل فلها الجاه الأصيل، والحكم الذي لا يغيره الغدو ولا الأصيل؛ والوظائف بعد أدائها لا تفوت، وأين حق من يموت، من حق الحي الذي لا يموت؟ وأَحكموا أَوضاعها إذا أقمتموها؛ وأتبعوها بالنوافل ما أَطقتموها؛ فبالإتقان تفاضلت الأعمال، وبالمراعاة استُحِقّ الكمال، ولا شكر مع الإهمال، ولا ربح مع إضاعة رأس المال؛ وثابروا عليها في الجماعات، وبيوت الطاعات؛ فهو أرفع للملام، وأظهر لشرائع الإسلام؛ وأبرّ بإقامة الفَرْض، وأَدْعى إلى مساعدة البعضِ البعض.

والطهارة التي هي في تحصيلها سبب موصِّل، وشرط لمشروطها محصِّل؛ فاستوفوها، والأعضاءَ نظفوها، ومياهها بغير أوصافها الحميدة فلا تصفوها؛ والحُجول والغُرر فأطيلوها، والنيات في كل ذلك فلا تهملوها؛ فالبناءُ بأساسه، والسيف برِئاسه، واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطُهور، وذكر مجهور وغير مجهور؛ تستغرق الأوقات، وتنازع شتى الخواطر المفترقات؛ فلا يضبطها إلا من ضبط نفسه بعِقال، وكان في درجة الرجولة ذا انتقال، واستعاض صَدأه بصِقال؛ وإن تراخى تقهقر الباع، وسرقته الطباع، وكان لما سواها أضيع فَشَمَل الضياع.

والزكاة أختها الحبيبة، ولِدَتُها القريبة؛ مِفتاح السماحة بالعَرَض الزائل، وشُكْران المسئول على الضد من درجة السائل؛ وحق الله في مال من أغناه، لمن أجهده في المعاش وعنَّاه؛ من غير استحقاق مِلْءِ يده وإخلاء يد أخيه، ولا عِلَّة القدر الذِي يخفيه، وما لم ينله حظ الله فلا خير فيه، فاسمحوا بتفرقتها للحاضر

لإخراجها، واختيار عرضها ونتاجها؛ واستحيُوا من الله أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل ، وخالفوا الشيطان كلما عذل؛ واذكروا خروجكم إلى الوجود لا تَمْلِكون، ولا تدرون أين تسلُكون؛ فوهَب وأَقْدَر، وأورد بفضله وأصدر؛ ليرتب بكرمه الوسائل، ويقيم الحجج والدلائل، فابتغوا إليه الوسيلة بماله، واغتنموا رضاه ببعض نواله.

وصيام رمضان عبادة السر المقرِّبة إلى الله زُلْفى، الممحوضة لمن يعلم السر وأخفى؛ مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام، والقيام ببر القيام؛ والاجتهاد، وإيثار السهاد على المهاد؛ وإن وَسِع الاعتكافُ فهو من سننه المرعيه، ولواحقه الشرعية؛ فبذلك تَحْسُن الوجوه، وتحصل النفوس من الرقة على ماترجوه؛ وتهذَّب الطباع، ويمتد في ميدان الوسائل إلى الله الباع.

والحج مع الاستطاعة الركن الواجب، والفرض على العين لا يحجبه الحاجب؛ وقد بين رسول الله ﷺ قدره فيما فرض عن ربه وسَنّه، وقال: «لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدَ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةَ».

ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله إن كانت لكم قوة عليه، وغنى لديه؛ فكونوا ممن يسمع نفيرَه ويُطيعه، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه.

هذه عُمُد الإسلام وفروضه، ونقود مَهره وعُروضه؛ فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين، وعلى من يُناوئكم ظاهرين، وتلْقَوُا الله لا مبدِّلين ولا مغيرين، ولا تضيّعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين.

واعلموا أنّ بالعلم تُستكمَلُ وظائف هذه الألقاب، وتُجْلى محاسنها من بعد الانتقاب؛ فعليكم بالعلم النافع، دليلاً بين يدي الشافع؛ فالعلم مفتاح هذا الباب، والموصِّل إلى اللُّباب؛ والله عز وجل يقول: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾. والعلم وسيلة النفوس الشريفة، إلى المطالب المُنِيفة، وشرطه الخشية لله والخِيفَة، وخاصة الملأِ

الأعلى، وصفة الله في كتبه التي تُتْلى؛ والسبيل في الآخرة إلى السعادة، وفي الدنيا إلى التَّجِلّة عادة؛ والذُّخر الذي قليله يشفع وينفع، وكثيره يُعْلِي ويرفع؛ لا يغصبه الغاصب، ولا يسلبه العدو المناصب؛ ولا يبتزه الدهر إذا مال، ولا يستأثر به البحر إذا هال؛ من لم ينله فهو ذليل وإن كثرت آماله، وقليل وإن جَمّ ماله؛ وإن كان وقته قد فات اكتسابَكم، وتخطَّى حسابكم، فالتمسوه لبنيكم، واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم؛ واحْملوهم على جمعه ودرسه، واجعلوا طباعهم ثَرىً لغرسه؛ واستسهلوا ما ينالهم من تعب من جرّاه، وسهر يهجرُ له الجفن كراه؛ تَعْقِدوا لهم ولاية عِزّ لا تُعزل، وتُحِلّوهم مَثابةَ رفعة لا يُحط فارعها ولا يستنزل؛ واختاروا من العلوم التي يُنْفِقها الوقت، ما لا يناله في غيره المقت؛ وخير العلوم علوم الشريعة، وما نجم بمنابتها المَريعة؛ من علوم لسان لا تستغرق الأعمارَ فصولُها، ولا يضايق ثمرات المعاد محصولها؛ فإنما هي آلات لغير، وأسباب إلى خير منها وخير؛ فمن كان قابلاً منها لازدياد، وألفى فهمَه ذا انقياد؛ فليخص تجويد القرآن بتقديمه، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه؛ ثم الشروع في أصول الفقه، فهو العلم العظيم المِنّة، المُهْدِي كنوز الكتاب والسُّنَّة؛ ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجلة، والتدرب في طرق النظر وتصحيح الأدلّة، وهذه هي الغاية القصوى في الملّة؛ ومن قصَّر إدراكُه عن هذا المرمَى، وتقاعد عن التي هي أسمى؛ فليرْوِ الحديث بعد تجويد الكتاب وإحكامه.

وأْمروا بالمعروف أمراً رفيقاً، وانهَوْا عن المنكر نهياً حَرِياً بالاعتدال حَقْيقاً، واغْبُطُوا مَن كان مِن سنَةِ الغَفَلات مُفْيقاً، واجْتَنِبُوا ما تُنهَوْن عنه حتى لا تسلُكُوا منه طَرِيقاً؛ وأطيعوا أمْرَ مَن ولّاهُ الله مِن أُمورِكم أمْراً، ولا تقرّبوا مِن الفتنة جَمْراً، ولا تُدَاخِلُوا في الخِلافِ زيداً ولا عمْراً.

وعليكم بالصدق فهو شِعارُ المؤمنين، وأهَمُ ما أضْرَى عليه الآباءُ ألْسنةَ

البَنِين؛ وأكْرَمُ مَنسُوبٍ إلى مَذْهَبِهِ، ومَن أكْثَرَ مِن شَيء عُرِفَ به. وإيَّاكُم والكذبَ فهو العَورة التي لا تُوارى، والسَّوْءةُ التي لا يُرْتابُ في عارِها ولا يُتَمارَى؛ وأَقَلُ عُقُوباتِ الكذاب، بَيْنَ يَدَي ما أَعدَّ الله له مِن العذاب، ألّا يُقبل صِدْقُه إذا صَدَق، ولا يُعَوَّلُ عليه إن كان بالحقِ قد نَطَق.

وعليكم بالأمانة فالخيانةُ لُوم، وفي وَجْه الديانة كُلُوم؛ ومِن الشريعة التي لا يُعذَر بجهلها؛ أداءُ الأماناتِ إلى أهْلِها؛ وحافظوا على الحِشمةِ والصيانة، ولا تَجْزُوْا مَن أقْرضَكمُ دَينَ الخِيانةِ؛ ولا تُوجِدُوا لِلْغَدرِ قَبُولاً، ولا تَقَرّوَا عليه طَبْعاً مَجْبُولاً؛ وأوفُوا بالعهد إن العهدَ كان مَسئُولاً؛ ولا تَستأثِروا بكَنزٍ ولا خَزْن، ولا تَذْهَبُوا لِغَير مُنَاصَحَةِ المُسْلِمِيْنَ في سَهْل ولا حَزنْ، ولا تَبْخَسوا الناسَ أشياءهَمُ في كَيل أَوْ وَزْنٍ؛ وَاللهَ اللهَ أَنْ تُعِينُوا في سَفْك الدماءَ ولو بالإشارة أو بالكَلام، أو مَا يَرجعُ إلى وظِيفةِ الأقلام، واعْلَمُوا أنَّ الإنسانَ في فُسْحَةٍ مُمْتَدّةٍ، وسبَيْلِ الله غَيرُ مُنْسَدّة؛ ما لم يَنْبِذ إلى الله بأمانِه، ويَغْمِسْ في الدَّمِ الحَرامِ بيَدِه أَوْ لِسانِه، قال الله تعالى في كتابه الذي هَدىَ به سَنَناً قويماً، وجَلّى مِن الجهلِ والضلالِ ليلًا بَهِيمَا: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ الله عليه وَلَعَنَهُ وَأعَدَّ لَه عَذَاباً عَظِيماً﴾ .

واجتنابُ الزِنا وما تَعَلّقَ به مِن أخْلاق دَلِيْلٌ على مَن كَرُمَتْ طِباعُه، وامْتَدّ في سبيل السعادة باعُه؛ ومن غلبت عليه غرائز جهله، فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُحبُ أنْ يُزنَى بأهْلِهِ؟! والله قد أعَدَّ لِلزَانِي عَذاباً وَبِيْلاً، وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيْلًا﴾.

والخَمْرُ أُمُ الخَبَائِثِ ومِفتَاحُ الجَرائِم والجَرائِر؛ واللهو لَمْ يَجْعَلْهُ الله في الحَيَاةِ شَرْطاً، والمُحرّم قَدْ أغْنىَ عنهُ بالحلال الذي سَوَّغَ وأعْطَى؛ وقد تَركَها في الجاهِلية أقوامٌ لَمْ يَرضَوا لِعُقولِهم بالفَسَاد، ولا لِنُفُوسِهم بالمَضَرّة في مَرْضاة الأجساد، والله قد جعلها رِجْساً مُحَرَّماً على العِباد، وقَرَنها بالأنصاب والأزلامِ في مُبَايَنَة السَّداد.

ولا تقربوا الرّبا فإنه مِن مَنَاهِي الدِين، والله تعالى يقول: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾، وقال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ في الكتاب المبين، ولا تأكلوا مَالَ أحَد بغيرِ حَقٍ يُبِيحُهُ، وانْزِعُوا الطمعَ عن ذلك حتى تذهبَ ريحُه؛ والتمسُوا الحلالَ يَسْعَى فِيه أحَدكُم على قَدَمِهِ، ولا يَكِلِ اختياره إلا لِلثقةِ مِن خَدَمِه، ولا تَلْجَؤوا إلى المُتَشَابه إلا عند عَدَمِه؛ فهو في السلوك إلى الله أصل مشروط، والمحافظُ عَليهَ مغبوط.

وإيّاكُم والظلمَ، فالظالمُ مَمْقُوت بكل لِسان، مُجَاهر لله بصرَيح العصيان، والظلمُ ظُلماتَ يومَ القِيامة كَمَا وَرَدَ في الصِّحاح والحِسَان؛ والنّمِيْمَة فسَادَ وشتَات، لا يَبْقَى عليه مُتَات، وفي الحديث: «لا يَدْخُلُ الجنة قَتَّات»، واطرحُوا الحسدَ والبُخْلَ فمارُئِي البخيلُ وهو مَوْدُوْدُ؛ وإيّاكُم وما يُعتذَر مُنه، فَمَواقِفُ الخِزْي لا تُستَقَالُ عَثراتُها، ومَظنّات الفَضَائح لا تُؤْمَنُ غَمَراتُهَا؛ وَتَفقَّدُوا أنفسَكم مَعَ الساعاتِ، وأفْشُوا السلامَ في الطُرقِ والجَمَاعاتِ، ورِقُّوا عَلَىَ ذَوِي الزَّماناتِ والعَاهات، وتاجرُوْا مَعَ الله بالصّدَقَةِ يُرْبِحُكُم في البضَاعَات؛ وعَوِّلوا عليه وحْدَهُ في الشّدايد، واذكُروا المَسَاكينَ إذا نَصبتُمُ المَوَائدَ؛ وَتَقرّبوا إليه باليسير مِن مالِهِ، واعلَمُوا أنّ الخلقَ عِيالُ الله وأحَبّ الخَلْق إليه المُحْتَاطُ لِعِيالِهِ؛ وارْعَوْا حُقُوقَ الجَارِ، واذكُروا مَا وَرَدَ في ذَلِكَ من الآثار؛ وتعاهدوا أولي الأرحام، والوشائجَ البادية الالتحام؛ واحذروا شهادَةَ الزُور فإنها تَقْطَع الظَّهْرَ، وتُفْسدُ السّرَ والجَهْرَ؛ والرّشَا فإنّها تَحُطّ الأَقْدارَ، وتَسْتَدْعِي المَذَلّةَ والصَّغَارَ؛ ولا تَسامحوا في لُعْبَةِ قَمْر، ولا تُشَارِكُوا أولِي البَطَالةِ في أمْر؛ وحُقُوقَ الله مِن الأزْدراء والاستِخْفَاف، ولا تلهَجُوا بالآمالِ العِجَاف، ولا تَكَلّفُوا بالكَهَانَةِ والإرجَافِ؛ واجْعَلُوا العُمْرَ بَيْنَ مَعَاشٍ ومَعَاد، وخُصوصيَّةٍ وابْتِعَاد، واعلَمُوا أنَّ الله بمِرصَاد، وأن الخَلْقَ بَيْنَ زَرْع وحَصَاد، وأقِلُّوا بغَيرِ الحَالَةِ البَاقِيةِ الهُمُومَ، واحْذَرُوْا القَواطعَ عن السَعادَة كَمَا

تُحذَرُ السُّمُومُ، واعْلَمُوا أنَّ الخَيْرَ أوِ الشَّرَ في الدنيا مُحَال أنْ يَدُوم؛ وقابلُوا بالصبر أذِيّةَ المُؤْذِيْن، ولا تَقَارَضَوْا مَقَالاتِ ا لظالِمين، فالله لِمَنْ بُغي عَلَيه خَيْرُ الناصِرين؛ ولا تَسْتَعْظِمُوا حَوَادِثَ الأيامِ كُلَّما نَزَلَت، ولا تَضِجُّوا لِلْأَمْراضِ إذا أعْضَلَتْ؛ فَكُلُ مُنْقَرِضٍ حَقِير، وكُلُ مُنْقَض وإن طَالَ فَقصِير؛ وانْتظِرُوْا الفَرَج، وانْشقُوا مِن جنابِ الله الأَرَجْ؛ وأوَسعُوا بالرجَاء الجَوانحَ، واجنحُوا إلى الخَوفِ مِن الله تعالى فطُوبَى لِعَبدٍ إليه جَانَح، وتَضرَّعُوا إلى الله بالدُعَاء، والجَؤوا إليه في البأسَاءِ والضّراء؛ وقابلُوا نِعمَ الله بالشُكر الذي يقَيِّدُ منها الشارِدَ، ويُعذِبُ الموارد؛ وأسْهِمُوا منها لِلْمَسَاكِين، وأفْضلُوا عَلَيهم، وعينوا الحظوظ منها لديهم؛ فمِنَ الآثار: «يَاعَائِشَةُ أحْسِنِي جِوَارَ نِعَمِ الله، فَإنَّهَا قَلَّمَا زَالَتْ عَنْ قَوْم فَعَادَت إلَيْهِمْ»، ولا تُطْغكُم النِعَمُ فتَقصِرُوا في شُكْرها، وتَلَفُّكُم الجَهَالةُ بسُكْرِها؛ وتَتَوهَّمُوا أنَّ سَعْيكُم جَلَبهَا، وجدَّكم حَلَبَهَا؛ فالله خَيرُ الرازقين، والعاقبَة لِلْمُتقين، ولا فَعَلَ إلا الله إذا نَظَر بعَين اليقين. والله الله لا تنسوُا الفضلَ بَيْنكُم، ولا تُذْهِبُوا بذَهَابِهِ زَيْنكم؛ ولْيَلْتَزِمْ كُلَ منكُمِ لِأَخيهِ، ما يشْتَدُّ بِهِ تَواخِيه؛ بِمَا أمكَنه مِن إخلاصٍ وبر، ومُراعاةٍ في عَلانِيةٍ وسِرٍ، ولِلإنسانِ مَزية لا تُجْهَل، وحَق لا يُهْمَلْ؛ وأظهِرُوا التعاضدَ والتناصر، وصِلُوا التعاهدَ والتزاورَ؛ تُرْغِموا بذلك الأعْدَاء، وتَستَكْثِرُوا الأوِدّاءَ؛ ولا تَنافَسوا في الحظوظ السخيفة، ولا تَهارَشُوا تَهَارُشَ السِباع على الجِيْفَة؛ واعلموا أن المعروفَ يُكَدَّرُ بالامتنان، وطاعةَ النساء وشَرَ ما أفَسْدَ بيْنَ الإخوان؛ فإذا أسدَيتمُ مَعْرُوفاً فلا تَذْكُروه، وإذا بَرَزَ قَبِيح فاسْتُروه، وإذا أعْظَمَ النِساءُ أمْراً فاحْتَقِرهُ «إلَّا أن يَكُونَ تعظيماً للدين فساعدوهن وانصروه» والله الله لا تَنْسَوا مُقَارَضَةَ سَجْلِيَ، وبَرُّوا أهْلَ مَودّتي مِن أجْلي، ومَن رُزِق منكم مَالاً بهذا الوطن القَلِق المِهاد، الذي لا يَصْلَحُ لِغيرِ الجِهاد؛ فلا يَسْتَهْلكِهُ أجْمَعَ في العَقار، فَيُصْبِحُ عُرْضَةً لِلمذلةِ والاحتقار، وساعياً لِنفسِهِ إن تَغلَّب العدُوّ على بَلَدهِ في الافتضاحِ والافتقار؛ ومُعوَّقاً عن الانتقالِ، أمامَ النُّوَب الثقال؛ وإذا كان رِزق

العبدِ على المَولَى ، فالإجمال في الطلب أَوْلَىَ ؛ وازْهدوا جُهْدكم في مُصاحَبة أهل الدنيا ، فَخَيرُهَا لا يقُومُ بِشرها ، ونَفْعُها لا يَفي بضرُها ؛ وأعْقابُ مَن تَقَدّم شَاهِدَة ، والتواريخُ لِهَذِهِ الدّعْوى عاضِدَة ؛ ومَن بُلي مِنكم بها فَليَسْتَظْهر بسعَة الاحتمال ، والتَّقلُّل مِن المَالِ ، ويَحْذَرْ مُعادَاة الرجال ، ومَزَلّاتِ الإِذْلَالِ ، وفَسَاد الخَيَال ، ومُداخَلة العَيال ؛ وإفشاءَ الأسرار ، وسُكْرَ الاغِترار ؛ ولَيصُنْ الدِيانَة ، ويُؤْثِر الصَمْتَ وَيَلْزم الأَمَانة ، ويَسْرِ مِن رِضَا الله على أضْحَ الطُرق ، ومَهْمَا اشْتَبَه عليه أمران قَصَدَ أقربَهُمَا إلىَ الحَق ؛ ولْيقَف في التِمَاسِ أسْبَاب الجَلالِ ، وسُمُوا القَدْر ورفْعة الحَال دُونَ الكَمال ، فما بَعْدَ الكمال غَيْرُ النُقْصان ، والزّعَازعُ تُسَالِم اللُّدْن اللَّطِيفَ من الأغْصَان . وإيَّاكُم وطَلَب الوِلايَاتِ رَغْبَةً واستجْلاباً ، واسْتظهاراً على الحُظُوظ وغِلاباً ؛ فذلِكَ ضَرر بالمُروءات والأقْدارَ ، دَاع إلى الفَضْح والعَار ؛ ومَن امتُحِنَ مِنكم بها اخْتَياراً ، أَوْ جُبِر عليها إكراهاً وإيثاراً ؛ فلْيتلقَّ وَظَائِفَها بسَعَةِ صَدرْه ، ولْيبذلْ مِن الخَيرِ فِيها ما يَشْهَدُ أنّ قَدْرَها دُونَ قَدْره ؛ فالولايات فِتنة ومِحْنة ، وأسْر وإحنَة ؛ وهي بينَ إخْطَاءِ سَعَادَة ، وإخلال بعَادَة ؛ وتَوقّع عَزْل ، وإدَالَة رَخَاء بأزْل ، وبَيع جِدّ مِن الدنيا بهزْل ؛ ومَزلَّة قدَمٍ ، واستْتبْاع نَدَمٍ ؛ ومال العُمْرِ كُلِه قَوْت ومَعَاد ، واقترابُ مِن الله وابْتعَاد ؛ جَعَلكُم الله مُمِنَّ نَفَعَةُ بالتبْصِيرِ والتنبيه ، ومِمّنْ لا يَنْقَطعُ بسَبَه عَمَلُ أبيه .

هذِه أسعدَكم الله وصِيتي التي أصْدَرْتُها ، وتِجَارتي التي لِربْحِكُم أدَرْتُها ؛ فتلَقَوْهَا بالقَبُولِ لِنصحْها ، والاهْتداء بضوء صُبْحِها ؛ وبقَدْرِ ما أَمْضَيتُم مِن فُرُوعِها ، واسْتَغْشَيتمُ مِن دُرُوعها ؛ اقْتَنَيْتمُ مِن المَنَاقِب الفاخِرةِ ، وحَصلتُم على سَعَادَة الدُنيا والآخرة ؛ وبقَدْر ما أضَعْتمُ مِن لآلِيّها النفيسة القيَم ، استَكثَرتُم مِن بَواعث النَّدم ؛ ومَهمَا سَئمْتُم إطالَتَهَا ، واسْتغزرتم مقالتها ؛ فاعْلَمُوا أنّ تَقْوى الله فَذْلَكَةُ الحسَاب ، وضابطُ هذا الباب ؛ كانَ الله خليفتي عليكم في كُلّ حال ،

فالدُنْيا مُناخُ ارْتِحَال، وتأميلُ الإقامة فَرضٌ مُحال؛ فالمَوعْد للالتقاء، دَارُ البَقَاء؛ جَعَلهَا اللهُ مِن وَرَاء خُطِة النّجاة، ونَفَّق بضَائِعهَا المُزْجاةَ، بلَطَائفه المُرْتَجَاة؛ والسلام عليكم مِن حَبيبكم المُودِّع، والله يَلأُمُهُ حَيثُ شاءَ مِن شَمْلٍ مُتصَدِّع وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهْ .. إنتهى.

اللَّهُمَّ طَيِّبْنا لِلِقَائِكْ، وَأَهِّلْنا لِوَلائِكْ وأدْخِلْنَا مَع المَرْحُومين مِن أَوْلِيائِكْ، وتَوفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَأَلْحِقْنَا بالصَّالِحِيْنَ.

شِعْرًا: رَجَعْتُ على السَّفِيْهِ بِفضْلِ حِلمي ... فكَانَ الحِلْمُ عَنْهُ لهُ لِجَامَا
وَظنَّ بِي السَّفَاهَ فَلَمْ يَجدْنِيْ ... أُسَافِهُهُ وَقُلْتُ لَهُ سَلَامَا
فَقَامن يَجُرُّ رِجْلَيْهِ ذَلِيْلا ... وقَدْ كَسَبَ المَذَلَّةَ والمَلَامَا
وَفَضْلُ الحِلْمِ أَبْلَغُ في سَفِيْهٍ ... وأحْرَى أَنْ يُنَالَ بِهِ انْتِقَامَا

كان عمر بن الخطاب رحمه الله يَتَمَثَّلُ بِمَا يَلِي مِن الأَبيات:

لَا شَيءَ مِمَّا تَرى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ ... يَبْقى الإِلٰهُ ويُودِي المالُ والوَلَدُ
لَمْ تُغْنِي عن هُرْمُزٍ يَوماً خَزَائِنُهُ ... والخُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوْا
ولا سُلَيْمَانُ إذْ تَجْرِ الرِّيَاحُ لَهُ ... والإنْسُ والجِنُّ فِيْمَا بَيْنَهَا تَرِدُ
أَيْنَ المُلُوْكُ التِي كَانَتْ لِعِزَّتِهَا ... مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا وَافِدٌ يَفِدُ
حَوْضٌ هُنَالِكَ مَوْرُوْدٌ بِلَا كَذِبٍ ... لَا بُدَّ مِنْ وِرْدِهِ يَوْماً كَمَا وَرَدُوْا
مَنْ كان حِيْنَ تُصِيْبُ الشمس جَبْهَتَهُ ... أَو الغُبَارَ يَخَافُ الشَّيْنَ والشَّعَثَا
وَيَأْلَفُ الظِّلَّ كَيْ تَبقَى بَشَاشَتُهُ ... فَسَوْفَ يَسْكُنُ يَوماً رَاغِماً جَدَثَا
في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ غَبْرَاءَ مُوْحِشَةٍ ... يُطِيْلُ فِيْهَا ولا يَخْتَارُهَا اللَّبَثَا
تَجَهَّزِي بِجَهَازٍ تَبْلُغِيْنَ بِهِ ... يَا نَفْسُ قَبْلَ الرَّدَى لَمْ تُخْلَقِي عَبَثَا

آخر: رَكَنُوْا إِلَى الدُّنْيَا الدَّنِيَّةْ ... وَتَبَوَّأُوا الرُّتَبَ العَلِيَّةْ
حَتَّى إذا اغْتَرُوْا بِهَا ... صَرَعَتْهُمُوْا أَيْدِيْ المَنِيَّةْ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مَحُمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْــــلٌ»

فائدةٌ عَظِيمةُ النفعِ في دَفْعِ فُضُولِ الغَمِ والهَمِ الغم يكون للماضي والهَمُّ يكونُ لِلْمُستَقْبلِ، فَمَنْ اغْتَمَّ لِمَا مَضَى مِن ذُنُوبِهِ نَفَعَهُ غَمُّهُ على تَفْرِيْطِهِ، لأَنَّهُ يُثابُ عَلَيهِ.

ومَن اهْتَمَّ بعَملِ خَيْرٍ نَفَعَتْهُ هِمَّتُهُ، قال الله جل وعلا: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله فقد وَقَعَ أجره على الله﴾ فأما إذا اغْتَمَّ لمفقود من الدنيا، فالمفقودُ لا يَرْجِعُ والغَمُّ يُؤْذِي، فكأنَّه أضَافَ إلى الأَذَى أذى.

ويَنْبَغِي لِلْحَازِمِ أن يَحْترزَ مِمَّا يَجْلِبُ الغَمَّ، وجَالِبُهُ فَقْدُ مَحْبُوبٍ فَمِنْ كَثُرَتْ مَحْبُوبَاتُهُ كَثُرَ غَمُّهُ ومَن قَلَّلَهَا قَلَّ غَمُّه.

ثم إنَّ الإنْسَانَ كُلمَّا طَالَ إِلْفُهُ لِمَا يُحبُّهُ واسْتِمْتَاعُهُ به تمكَّنَ مِن قَلْبِهِ، فإذا فَقَدَهُ أَحَسَّ من مُرِّ التَّأَلُمِ في لَحْظَةٍ لِفَقْدِهِ بِمَا يَزيْدُ على لَذَّاتِ دَهْرِهِ المُتَقَدِّمِ.

وهذا لان المَحْبُوبَ مُلائم فإنْ اضْطَرَّ إلى جَوَالِبِ الغَمِ فأثمرتِ الغَمَّ فعِلاجُهُ الإيمانُ بالقَضَاءِ والقَدَرِ وَأَنَّهُ لا بُدَّ مِمَّا قُضِي بقَضَاءِ اللهِ قَدَرِهِ وأنَّهُ الفعَّالُ لِمَا يُريْد لا يَكُونُ شيءٌ إِلَّا عن تَدْبيرِهِ ولا مَحِيْدَ لأَحدٍ عن القَدَرِ المقدور ولا يتجَاوَزُ ما خُطَّ في اللوحِ المَسْطُوْرِ ثُمَّ يَعلم أن الدُنْيَا مَوْضُوْعَةٌ على الكَدَرِ فالبِنَاءُ إلى النَّقْضِ والجَمْعُ إلى التَّفَرُق ومَن رَامَ بَقَاء ما لا يَبْقَى كَمَنْ رَامَ وجُوْدَ مَا لا يُوْجَدُ فلا يَنْبَغِي أن يَطْلُبَ مِن الدنيا مَا لَمْ تُوْضَعْ عَليه، قال الشاعر:

طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأَنْتَ تُرِيْدُهَا   صَفْواً مِن الأَقْذَاءِ والأَكْدَارِ
ومُكَلِّفُ الأيام ضِدَّ طِبَاعِهَا   مُتَطَلِّبٌ في الماء جَذْوَةَ نَارِ

ثم يتَصَوَّر ما نَزَلَ به مُضَاعَفاً فيهونُ عليه حِيْنَئِذٍ ما هُو فيه ومِن عَادَةِ الحَمَالِ الحازِمِ أنْ يَضَعَ فَوْقَ حِمْلِهِ شيئاً ثَقِيْلَا ثم يَمْشي به خَطَوَاتٍ ثم يُنَزِّلُهُ فيَخِفُّ الحِمْلُ عَلَيه.

وإذا نَزَلَتْ به مُصِيْبَةٌ تَصَوَّرَ أَعْظَمَ منها فَمثَلًا إذا ذَهَبَتْ إحْدى عَينيه تَصَوَّرَ أنْ يَعْمَى، وإذا أُخِذَ بَعْضُ مَالِهِ تَصَوَّرَ أخْذَهُ كُلّه وهَكَذَا يُقَدِّر أعظم مما حَدَثَ بِهِ فيهونُ عليه الأمْرُ.

شِعْرًا: يُمَثِّـــلُ ذُو الـــلُّبِ في نَفْسِهِ — مَصَائِبَــهُ قَبْــلِ أنْ تَنْـــزِلا
فإنْ نَزَلَتْ بَغْتَــةً لم تَرُعْـــهُ — لِمَــا كَانَ في نَفْسِهِ مَثَّـــلَا
وذُوْ الجَهْــلِ يَأْمَــنُ أَيَّامَـــهُ — ويَنْسَى مَصَارِعَ مَنْ قد خَلَا
فإذا دَهَتْــهُ صُرُوْفُ الزَّمــانِ — ببَــعْضِ مَصَائِبِــهِ أعْــوَلَا
ولَـوْ قَدَّمَ الحَــزْمَ في أمْــرِهِ — لَعَلَّمَهُ الصَّبْــرُ حُسْنَ البَــلَا

وقال رحمه الله الحازمُ مَن أعَدَّ لِلْخَوْفِ عُدَّتَهُ قبلَ وُقُوعِهِ ونَفَى فُضُولَ الخَوفِ مِمَّا لابُدَّ منه إذْ لا يَنْفَعُهُ خَوْفُهُ مِنْهُ.

وقد اشْتَدَّ الخَوْفُ مِن اللهِ بِكثير من الصالحين حتى سألُوا اللهَ تَقْلِيْلَ ذلك والسَّبَبُ في سُؤاهم أن الخَوْفَ كالسوط للدَّابَةِ فإذَا أَلَحَّ بالسَّوْط على الناقةِ «أي يَضْرِبُها» قَلِقَتْ.

قال سُفيان الثوري لِشَاب يُجَالِسُهُ أتُحِبُّ أنْ تَخْشَى اللهَ حَقَّ خَشْيَتِهِ قال نَعْمَ. قال أنْتَ أحْمَق لَوْ خَشِيْتَهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ ماأدَّيْتَ الفَرائِضَ.

قال ولا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أنْ يَشْتَدَّ خَوْفُهُ مِن نُزُوْلِ المرض فإنَّهُ نازِلٌ لابُدَّ وخَوفُ ما لابُدَّ منه زيَادَةُ أذَى.

شِعْرًا: يا مَنْ سَيَنْــآى عَن بَنِيْــهْ — كَمَــا نآى عَنْــهُ أبُــوْهُ
مَثِّــلْ لِنَــفْسِكَ قَوْلَهُــمُ — جَاءَ اليَقِيْــنُ فَوَجِّهُــوْهْ
وَتَحَلَّلُــوْا مِن ظُلْمِــهِ — قِبْــلَ المَمــاتِ وَحَلِّلُــوْهْ
آخر: أسْلَمُــوهُ مَقبُــوْراً مشيِّعُــوْهْ — وانصَرفُــوا عَنْــهُ وَخلَّفُــوْهْ
سَاعَــةِ سَوَّوْا تُرَابَــهُ عَلَيْــهْ — وَلَّــواوَ لَمْ يَلْتَفِتُــوْا إليْــهْ

فأمَّا الخَوفُ مِن الموتِ والفكرُ فيه فإنَّه لا سَبِيْلَ إلى دَفْعِهِ عن النَّفْسِ وإنما يُخَفِّفُ الأَمْرَ العِلْمُ بأنَّهُ لا بُدَّ منه فلا يُفِيْدُ الحَذِرُ إلَّا زِيادَةً على المَحْذُوْر.

وكُلَّما تَصَوَّرْتَ شِدَّتَهُ كَانَتْ كُل تَصْوِيْرَةٍ مَوْتاً لَلْيَصْرِف الإِنْسَان فِكْرَهُ عن تَصَوُّر الموتِ لِيَكُون مَيِّتاً مَرَّةً لا مَرَّاتٍ ويَكُونُ صَرْفُ الفِكْرِ رِبْحاً.

وليعَلْمَ أنَّ اللهَ جَلَّ وعَلَا قَادِرٌ على تَهْوِيْنِهِ إذا شاء ولِيُوْقِنَ أنَّ ما بَعْدَهُ أخْوَفَ منه، لأنَّ المَوْتَ قَنْطَرَةٌ إلى مَنْزِلِ إقَامَةٍ، وإنَّمَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أنْ يُكْثِرَ ذِكْرَ الموتِ لِيَحُثَّهُ على الإِكثارِ مِن الأعمالِ الصَّالِحَة لَا لِنَفْسِ تَصْوِيْرِهِ وتَمْثِيْلِهِ.

فإنْ خَطَرَ على القَلْبِ الحُزْنُ على فِراقِ الدُّنْيا فالْعِلَاجُ أنْ يَعْلَمَ أنَّ الدنيا لَيْسَتْ بِدَارِ لَذَّةٍ وفَرَحٍ وسُرُورْ، وإنَّما لذتُّها راحَةٌ مِن مُؤْلِمٍ ومِثْلُ هذَا لا يُنَافَسُ فيه، فأمَّا الحَزَنُ على فَراقِ الدنيا لِفَوْتِ العَمَلِ الصَّالِح فَقَدْ كَانَ السَّلَفُ يَحْزَنُونَ لِذَلِكَ.

قال مُعَاذُ بْن جَبَلٍ عندَ مَوْتِهِ اللهم إنَّكَ تَعْلَمُ أنِّي لم أكُنْ أُحِبُّ الدنيا وطُوْلَ البَقَاءِ فيها لا لِكَرْي الأنْهَارِ ولا لِغَرسِ الأشجارِ، ولكن لِظَمأ الهَواجِرِ ومكَابَدَةِ الساعاتِ ومُزاحَمَة العُلَماءِ بِالرُّكَبِ عند حِلقَ الذِكْر.

واحْتُضِرَ أحَدُ العُبَّادِ فقال ما تأسُفِي على دار الهمود والأحْزان والخطايا والذنوب وإنما تأسُفي على لَيْلَةٍ لِمْتُهَا وساعِةٍ غَفلتُ فيها عن ذِكِرِ الله.

شِعْرًا: عَليكَ بِذِكْر الله في كُلِ سَاعَةٍ ... فما خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَذْكُرُ

آخر: وَإذَا افتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ... ذُخْرَاً يَكُوْنُ كَصَالِحِ الأَعْمَالِ

آخر: ما مَاتَ مَنْ يَتْلُوْ القُرآن زَمَانَهُ ... بِتَفَهُّمٍ وَتَدبُرٍ لمَعَانِي

آخر: الدِّيْنُ فيه العِزُّ والْجَمَالُ ... وَالْكُفْرُ فِيْهِ الذُّل وَالْهَوَانُ

آخر: ولَيْسَ بِعَامِرٍ بُنْيَانُ قَومٍ ... إذَا لَمْ يُخْلِصُوْا لِلَّهِ دِيْنَا

آخر: وَإذَا رُزِقْتَ مِن الحَلالِ تجارَةً ... فَابْذِلْ لَهَا في مَرَاضِي اللهِ مُجْتَهِدَا

هَكَذَا كانَتْ طَرِيْقَةُ كَثِيْرٍ مِن السَّلِف كَانُوا يَحْرِصِوُنَ علَىَ أَنْ لَا تَمُرَّ سَاعةٌ مِن الزَّمان أَنْ يَتَزَوَّدُوْا فيها بِعِلْمٍ نَافعٍ أَوْ عَمَلٍ صالحٍ مِن صَدَقةٍ أَوْ ذِكْرٍ أَوْ مُجَاهَدَةٍ نَفْسٍ أَوْ إسْداءِ نَفْعٍ لِمُسْلِمٍ، حَتَّى لا تَذْهَبَ الأَعْمَارُ سَبَهْلَلاً دُوْنَ فائِدَة.

فكُـنْ في حَالـةٍ تَزْدَادُ فِيْهَـا لَدَى الخَـلَّاقِ مَرْتَبَـةً وقَـدْرَا

وَكَانُوا يَقُولُوَن مِن عَلَامَاتِ المَقْتِ إضَاعَةُ الوَقْتْ، وَيَقُولُونَ الوَقْتُ سَيْفٌ إنْ قَطَعتَهُ وإلا قَطَعَكَ.

وَكَانُوا يُحَاوِلُون دَائماً التَّرَقِي مِن حَالٍ إلى حَالٍ أحْسَن منها بِحَيْثُ يكونُ اليَوْمُ أَحْسَنَ مِن أَمْسٍ، ويَقُولُون مَن كان يَومُه كأمْسِهِ فهو مغبون، ومَن كان يَومُه أحْسَنُ مِن أمْسِهِ فَهُو غير مغبون، ومَن كَان يَومُه أَحْسَنُ مِن أمْسِهِ فَهُو رَابِحٌ، ومَنْ كَانَ يَومُهُ أَسْوَأ مِن أمْسِهِ فهو خَسْران.

وقال حَكيم مَن أَمْضَى يَوماً مِن عُمُرِهِ في غَيْرِ حَقٍ قَضَاهُ أَوْ فَرْضٍ أَدَّاهُ أَوْ مَجْدٍ أَثَّلَهُ أَوْ حَمْدٍ حَصَّلَهُ أَوْ خَيْرٍ أَسَّسَهُ أَوْ عِلْمٍ إقْتَبَسَهُ فقد عَقَّ يَوْمَهُ وظَلَمَ نَفْسَهُ.

وأَسْوَأ أَيَّامِ الفَتَى يَومٌ لَا يُرَى لَهُ فيهِ أَعْمَالٌ تَسُرُّ لَدَى الحَشْر

وقال آخَرُ أَشْرَفُ الأشْيَاءِ قَلْبُكَ وَوَقْتُكَ، فإذا أَهْمَلْتَ قَلْبَكَ وَضَيَّعْتَ وَقْتَكَ فَمَاذَا يَبْقَى مَعَكَ كُلُ الفَوائِدِ ذَهَبَت.

قال الحسن عَجِبْتُ لِأَقْوامٍ أمِرُوا بالزادِ ونُوْدِيَ فيهم بالرَّحِيْلِ جَلَسَ أَوَّلُهُم مَعَ آخِرِهم وهُم يَلْعَبُون.

وقال أَبُو حَازِم إنَّ بِضَاعَةَ الآخِرَةِ كاسِدَةٌ فاسْتكْثِرُوْا مِنَها في وَقْتِ كَسَادِهَا فإِنَّه لَوْ جَاءَ وَقْتُ نَفاقَهَا لَمْ تَصِلُوا فيها إلَى قَلِيلٍ ولَا كَثِيْر.

وقال آخر لَوْ سَقَطَ مِن أَحَدِهم دِرهَمٌ لَظَلَّ يَوْمَهُ يَقُولُ إِنَّا لِلَّهِ ذَهَبَ دِرْهَمِي، وعُمُرهُ يَذْهَبُ ولا يَقُولُ ذَهَبَ عُمْرِي، وكَانَ لِلَّهِ أَقْوَامٌ يُبَادِرُوْنَ الأَوقاتَ ويَحْفَظُوْنَ السَّاعَاتِ ويُلَازِمُونَهَا بالطَّاعَاتِ.

ويَقُولُ آخَرُ لِلَّهِ دَرُّ أَقْوَامٍ يُحَافِظُونَ عَلَى أَوْقَاتِهِم أَكْثَرَ مِن مُحَافَظَتِكم على دَرَاهِمِكُم.

ويَقُولُ ابنُ مَسْعُود رضي الله عنه ما نَدِمْتُ على شَيءٍ نَدَمِيْ على يَوْمٍ غَرَبَتْ شَمْسُهُ نَقَصَ فيه أَجَلِي ولَمْ يَزِدْ فيه عَمَلِي.

وقال آخَرُ كُلُ يَومٍ يَمُر بي لا أَزْدَادُ فيه عِلْماً يُقَرِّبُني من الله عَزَّ وَجَلَّ فلا بُوْرك لي في طلوع شمسه.

وهكذا كَانَ السلف يَنْصحُونَ إخوانهُمْ وَيَحْفظون أَوْقَاتَهـُم فعليكَ بالاقتداء بِهم.

شِعْرا: فَقُـلْ لِمُرَجيْ مَعَالِي الأمُـوْر ... بِغَيْرِ إجْتِهَاد رَجَوْتَ المُحَـالَا

آخر: يا نَائِمـاً وَالمنُـونُ يَقْضَى ... وَغَالبـاً والحِمَـامُ أَوْفـى

جَاءَكَ أمْـرٌ وَأَيُّ أَمْـرٍ ... طَمَّ عَلَـى غَيْـرِهِ وعَفَّـى

هَلْ بَعْـدَ هَذَا المَشِيْبِ شيءٌ ... غَيْـرَ تُرابٍ عَلَـيْكَ يُحْثَى

فَلَـيْسَ هَذَا الأَمْرَ سَهْـلًا ... ولا بِشَيءٍ عَلَـيْكَ يَخْفَـى

من بَعْـدِ مَا الْمَـرْءُ في بَرَاحٍ ... يَهْتَـزُّ تِيْهـاً بِهِ وَظَرْفَـا

سَاكِـنُ نَفْسٍ قَرِيْـر عَيْـنٍ ... يَرْشُفُ ثَغْرَ النَّعِيْـم رَشْفَـا

إذْ عَصَفَتْ في دَارِهِ رِيْـحٌ ... تَقْصِفُ كُلَّ الظُهُوْرَ قَصْفَـا

فَبَـاتَ في أَهْلِـه حَصِيْـداً ... قَدْ جَعَفَتْـهُ المَنُـونُ جَعْفَـا

فَعَـادَ ذَاكَ النَّعِيْـمُ بُؤْسَا ... وصَارَ ذَاكَ السُكُـوْنُ رَجْفَـا

وسِيْـقَ سَوْقـاً إِلَـى ضَرِيْـحٍ ... يُرْصَفُ بالرَّغْـمِ فِيْـهِ رَصْفَـا

وبَاتَ لِلدُّوْدِ فِيْهِ طَعْماً	وللْهَوامِّ العِطَاشِ رَشْفَا
ولَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ رَهِيْناً	بِكُلِّ مَا قَدْ هَفاً وأَهْفَا

اللَّهُمَّ أنَّا نَسْأَلُك التَّوبَةَ وَدوامَها، وَنَعُوذُ بكَ مِن المَعْصِيَةِ وأسْبَابها، اللَّهُمَّ أفِضِ عَلَيْنا مِن بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِكَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا على السّلامَةِ مِن وَبَالِها وَارْأفْ بنَا رَأفَةَ الحَبِيْبِ بِحَبِيْبِهِ عِنْدَ الشّدَائِدِ وَنُزُولِها، وارْحَمْنا مِن هُمُومِ الدُّنْيَا وَغُمومِها بالرَّوْحِ والرّيْحانِ إلى الجنةِ وَنَعِيْمِها، وَمَتِّعْنا بالنّظَرِ إلى وَجْهِكَ الكريم في جَنَّاتِ النَّعِيْم مَعَ الذي أنْعَمْتَ عليهم من النبيين والصّديقينَ والشُّهَداءِ والصّالِحين، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: إعْلَمْ وَفَّقَنَا الله وإيَّاكَ وجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ وثبتَنا وإيَّاكَ وإيَّاهُم على قولِهِ الثابتِ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفي الآخِرَةِ إنَّ عَلى مَنْ نَزَلَ بِهِ الموتُ أنْ يَعْلَمَ أنَّهَا سَاعَةٌ تَحْتَاج إلَى مُعَانَاةٍ صَعْبَةٍ جِدًّاً لأنَّ صُوْرَتَهَا أَلَمٌ مَحْضٌ وفِرَاقٌ لِجَمِيْعِ المَحْبُوْبَاتِ.

ثُمَّ يَنْضَمُّ إلَى ذَلِكَ هَوْلُ سَكَراتِ الموتِ وشَدَائِدُهُ والخَوْفُ مِن المَآلِ، وَيَأْتِي الشَّيْطَانُ يُحَاوِلُ أنْ يُسْخِطَ العَبْدَ عَلَى رَبِّهِ، ويَقُوْلُ لَهُ أنْظُرْ في إيِّ شَيءٍ أَلْقَاكَ، وَما الذِي قَضَى عَلَيْكَ وَكَيْفَ يُؤْلِمُكَ.

وها أَنْتَ تُفَارِقُ وَلَدَكَ، وَزَوْجَتَكَ، وَأَهْلَكَ، وتُلْقَى بَيْنَ أطْبَاقِ الثَّرى، ورُبَّما أَسْخَطَهُ على رَبِّهِ، فَكَرِهَ قَضَاءِ لِلَّهِ تَعَالى ولِقَاءَهُ، ورُبَّمَا حَسَّنَ إلِيْهِ الجَوْرَ في الوَصِيَّةِ، وَرُبَّمَا حَابَا بَعْضَ الوَرَثَةِ وخَصَّه بِشَيءٍ دُوْنَهُم، أوْ يُعَوِّقُه إصلاحِ شَأنِهِ، والخُروجِ مِن مَظْلَمَةِ تكُونُ قِبَلَهُ، أَوْ يُؤَيسُه مِن رَحْمَةِ الله، أوْ يَحُوْلُ بَيْنَه وبَيْنَ التَّوْبَةِ.

أَخْرَجَ أبو دَاوُد مِن حَدِيْثِ أبِي اليُسْرِ عن النبي ﷺ أنَّه كانَ يَقُولُ: «أَعُوْذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبطَّنِي الشيطانُ عند الموت».

وفي تِلْكَ السَّاعَةِ يقُولُ الشيطانُ لِأَعْوَانِهِ إنْ فَاتكُمُ الآنَ لَم تَقْدِرُوا عليه أبَداً.

وقال رَحِمهُ اللهُ وأمَّا العِلاجُ لِتِلْكَ الشَّدَائِدِ فَيَنْبَغِي أنْ نَذْكُر قَبْلَه مُقَدِّمَةً، وهُوَ أن مَن حَفِظَ اللهَ في صِحَّتِهِ حَفِظَه اللهُ في مَرَضِهِ ومَنْ رَاقَبَ اللهِ في خطَرَاتِهِ حَرَسَهُ اللهُ عند حَرَكَات جَوَارِحِهِ.

ففي حَدِيْثِ ابنِ عَباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظكَ إحْفَظِ اللهَ تَجدْهُ أمَامَكَ تَعَرَّفْ إلى اللهِ في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ» أخرجه الترمذي وأحمد والبَيْهَقِي.

ثُمَّ إنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ قِصَّةَ يُونُس عليه السَّلام لَمَّا وفَّقَهُ اللهُ لأعمال صالِحَةٌ مُتَقَدِّمَةٌ أنْقَذهُ اللهُ بِسَبَبِهَا، قال اللهُ جَلَّ وَعَلَا وتقدس: ﴿فلولا أنَّهُ كَانَ مِن المُسَبِحِيْنَ لَلَبِث في بَطْنِهِ إلى يوم يُبْعَثون﴾.

ولَمَّا لَمْ يَكُنْ لِفِرْعَونَ عَمَلُ خَيْرٍ لم يَجِدْ وقْتَ الشَدَّةِ مُتَعَلَّقاً، فقيل له: ﴿الآنَ وقد عَصَيْتَ قَبْلُ وكُنْتَ مِن المُفْسِدِين﴾ وكانَ عَبْدُالصمد الزاهد يقول عند الموت سَيِّدِي لِهَذِهِ الساعةِ خَبَأْتُكَ.

فأمَّا مَن ضَيَّعَ وأهْمَلَ في حَالِ الصِّحَةِ فإنه يُضَيَّعُ في مَرَضِهِ فالجزَاء مِن جِنْسِ العمل.

قال اللهُ جَلَّ وعَلَا: ﴿مَن عَمَل صالح من ذكر أوْ أنْثَى وهو مُؤْمن فَلَنُحْيِيَنه حَيَاة طَيِّبَةً ولَنَجْزِيَنَّهُم أجرهم بأحْسنِ مَا كَانُوا يعملون﴾.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إنا لا نُضِيْعُ أجْرَ مَنْ أحْسَنَ عَملاً﴾، وقال عَزَّ مِن قائل: ﴿إن الذين قالوا رَبُنا اللهُ ثم اسْتَقَامُوا تَتَنزل عليهم الملائكة ألا تَخافوا ولا تَحْزَنوا

وابْشِروْا بالجَنَّةِ الَّتِي كُنتُم تُوعَدُوْن نَحُن أولْيَآؤكم في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفي الآخِرَةِ ﴾ .

« **فائِدَةٌ** » : قال أحَدُ العُلماء : إنِّي رَأيتُ جُمهَور الناسِ إذَا طرقهَم المرضُ اشتغَلُوا بالشكوى والتداوي عن الالتفات إلى المصَالِح مِن وصية أو فعل خير فكم لَهُ مِن ذُنُوب لا يَتُوبُ منها أو عندهُ وَدَائعَ أو عَليه دَيْن أوْ زَكَاة أوْ مَظْلمة لا يخطر ببالهِ تَدَارُكُها ، والسَبَبُ والله أعلم ضُعْفُ الإيْمانِ فَيَنْبَغِي لِلمُتَيَقِّظِ أنْ يَتَأَهَّبَ في حَالِ صَّحِتِهِ قبل هُجُومِ المرضِ أَوْ الموت فَرِبَّمَا ضَاقَ الوقتُ عن عَمَلٍ واسْتِدرَاكِ فَارِطٍ أَوْ وَصِيَّةْ وَرُبَّمَا مَاتَ فَجْاءَةْ والله أعلم .

شِعْرَا : أبْغِى فَتَى لَمْ تَذَرُ الشمسَ طَالِعَةً ... يَوْمًا مِنَ الوقْتِ إِلَّا صَلَّى أوْ ذكرا

آخر : لِلَّـهِ قومٌ أَخْـلَصُوْا في حُبّـِهِ ... فكَسَا وجُوهَهُمْ الوَسِيْمَـةَ نُوْرَا

ذَكَرُوْا النَّعِيْمَ فَطَلَّقُوْا دُنْيَاهُمُـوْا ... زُهْـدًا فَعَوَّضَهُـمْ بِذَاكَ أُجُـوْرَا

قامُـوْا يُنَاجُـوْنَ الإلٰـهَ بأَدْمُــعٍ ... تَجْري فَتَحْكِـيْ لُؤلُـؤاً مَنْثُوراً

سَتَرَوْا وُجُوهَهُمُوْا بِأَسْتَارِ الدُّجَى ... لَيْلًا فأضْحَتْ في النِهَارِ بُدُوْرا

عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوْا وَجَادُوْا بالذي ... وَجَدُوا فأصْبَحَ حَظِهُم مَوْفُورَا

وإذَا بَدَا لَيْلٌ سَمِـعْتَ حَنِيْنَهُـمْ ... وشَهِدَتْ وجْدًا مِنْهُمُوْا وزَفِيْرَا

تَعِبُوْا قَلِيْلًا في رِضَا مَحْبُوبِهِـمْ ... فأَراحَهُـمْ يَوْم اللِّقَــاءِ كَثِيْــرَا

صَبَرُوا عَلَى بَلْوَاهُمُوا فَجَزاهُمُوْا ... يَوْمَ القِيَامَـةِ جَنَّــةً وحَرِيْــرَا

يَا أَيُّهَـا الغِـرُّ الحَزِيْـنُ إلى مَتَـى ... تُفْنِـي زَمَـانَكَ بَاطِـلًا وغُـرُوْرَا

بَادِرْ زَمَـانَكَ واغْتَنِـمْ سَاعَاتِـهِ ... واحْذَرْ تَوانَاكَيْ تَحوُزَ أُجُـوْرَا

واضْرعْ إلى المَولى الكَرِيمِ ونَادِهِ ... يَاوَاحِـدًا في مُلكِــهِ وقَدِيْــرَا

ما لِيْ سِوَاكَ وأنْتَ غَايةُ مَقْصَدِي ... وإذَا رَضِيْتَ فَنِعْمَــةٌ وسُرُوْرَا

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأَبْرارِ وأَسْكِنَّا مَعَهمُ في دَارِ القرارَ ، اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا بِحُسْن الاقْبَالِ عَلَيْكَ والإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفِّقْنَا لِلتّعَاوُن في طَاعَتِكَ والمُبَادَرَةِ إلى خِدْمَتِكَ وحُسْن الآدابِ في مُعَامَلَتِكَ والتّسليم لِأَمْرِكَ والرِّضا بِقَضَائِكَ والصَّبْرِ

عَلَى بَلائِكَ والشّكْرِ لِنَعْمَائِكَ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« فَصْـــلٌ »

إعْلَمْ وفَّقْنَا الله وإيَّاكَ وجَميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أنَّ مَن أَرَادِ لِحَاقَ القوم المجتهدين المشمرين عن ساق لِلآخرةِ مِمَّنْ تَقَدَّمَ ذِكرهُم، أنَّ عليه أنْ يَنْبُذَ الكَسَلَ والعَجْزَ والتَّواني والتّهَالُكَ في طَلَبِ الدُّنْيَا وَيُجِدُّ ويَجْتَهد سَالِكاً طَرِيْقَ المجتهَدينَ العَارِفينَ قِيمةَ الوقْتِ والعُمُر.

شِعْرًا: كأنَّكَ لم تُسْبَقْ من الدَّهر لَيْلَةً ... إذَا أَنْتَ أدْرَكْتَ الَّذِيْ أَنْتَ تَطْلُبُ

آخر: أسْرِعْ أخَا العِلْـــمِ في ثَلاثْ ... الْأَكْلِ والْـــمشْيْ وَالكِتَابَـــةْ

آخر: وَسَاهِرَ اللَّيلِ في الحاجَاتِ نائِمُهُ ... وَوَاهِبُ المالِ عِند المجدِ كَاسِبُهُ

وَذكَرَ أَحدُ العلَماء عِلاجَ الكَسَلِ وهو سَهلِ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ فقال: هَوَ تَحْرِيْكُ الهِمَّةِ بِخَوفِ فواتِ القَصْدِ، وبالوقُوع في اللَّوم، أوْ التَّأسُّفِ، فإنَّ أسَفَ المُفرِطِ إذَا عَايَنَ أجْرَ المُجْتَهِدِ أعْظَمُ مِن كُلِّ عِقَابٍ، وليفكِّرِ العاقِلُ في سُوءِ مَغَبَّةِ الكَسَل والعَجز، والاشتغال بالدنيا عَنِ الآخرة فَرُبَّ رَاحَةٍ أوْجَبَت حَسَراتٍ ونَدَماً، فَمَنْ رَأى زَمِيْلَهُ اجْتَهَدَ وثابَرَ عَلَى دُرُوْسِهِ ونَجَحَ زَادَتْ حَسْرَتُه وأسَفُهُ، ومَنْ رَأى جَارَهُ قد سَافَرَ ورَجَعَ بالارْباحِ والفوائِد زَادَتْ حَسْرةُ أسَفِهِ ونَدَامَتُه على لَذَّةِ كَسَلِهِ وَعَجْزِه.

قال وقد أجْمَعَ الحكماءُ عَلَى أنَّ الحِكْمَةَ لا تُدْرَكُ بالرَّاحَةَ فَمَنْ تَلَمَّحَ ثَمَرةَ الكَسَلِ إجْتَنَبَهُ ومَنْ مَدَّ فِطْنَتَهُ إلى ثَمَراتِ الجِدِّ والاجْتِهَادِ نَسَى مَشَاقَّ الطَّرِيْقِ، ثُمَّ أنَّ اللَّبِيْبِ الذَّكِي يَعْلَم أنَّه لَمْ يُخْلَقْ عَبَثاً وإنَّما هُوَ في الدُنْيَا كالأَجِيْرِ أوْ كالتَّاجِر، ثُمَّ أنَّ زَمَانَ العَمَلِ بالإضَافَةِ إلَى مُدَّةِ البَقَاءِ في القبر كَلَحْظَةٍ، ثم إن إضافَةَ ذَلِكَ إلى البقاء السَّرْمَدِي إمَّا في الجَنَّةِ وإمَّا في النَّارِ لَيْسَ بِشَيْءٍ

ومِن أنْفَعِ العلاج النظر في سِيَرِ المجتهِدين الذين يَعْرِفُونَ قِيْمَةَ العِلْمِ النافِعِ والعَمَل الصالح والوَقْتِ والعجب مِنْ مُؤْثِرِ البَطَالَةِ في مَوْسِمِ الأَرْبَاحِ.

والمهم أنَّه بالجِدِّ والإجتهادِ تُدْرَكُ غَايَةُ المُرادِ، وَبالعَزَمَاتِ الصِّحَاحِ يُشْرِق صَبَاحُ الفَلاحِ، وماحَصَلَتْ الأمانِيُ بالتَّوانِي ولا ظَفِرَ بالأمل مَن اسْتَوْطَنَ الكَسَلَ.

شِعْرًا: مَا هَذِيْ الحيـــاةُ رَخـــيصَةٌ فَصُنْهَا عن التَّضيِيْعِ في غِيْرِ وَاجِبِ
وأَكْثِرْ بِهَا ذِكرَ الإلهِ وَحَمْدَهُ وَشُكْراً لَهُ تُحْظَى بِأَسْنَى المراتِبِ
آخر: وَلَيْسَ كَمَا قَدْ شِئْتُهُ وَاشْتَهَيْتُه وَلكِنْ كَما شَاءَ الإِلٰـهُ يَكُـوْنُ
إِذَا لَمْ أجِدْ شَيْئاً نِفيْساً أُرِيْدُهُ رَجَوْتُ إِلَهَ الخَلقِ أنْ سَيَكُوْنُ

وقد قيل الكَسلُ مَزْلَقَةُ الرِّبْحِ، وآفَةُ الصَّنَائِعِ، وأرْضَةُ البَضَائع، وإذَا رَقَدَتِ النفسُ في فِرَاشِ الكَسَلِ اسْتَغْرقَهَا نَومُ الغَفْلَةِ عن صالح العمل.

الجَدَّ بالجِدِّ والحِرْمَانُ في الكَسل فانْصَبْ تُصِب عن قَرِيْبٍ غَايَةَ الأمَل

ثُمَّ اعْلَم أنَّ المُوْجِبَ لِلْكَسَلِ حُبَّ الراحة وإيثار البطَالة وصُعُوبة المشاق.

وفي الصَّحِيْحَين من حديث أنس بن مالك أنَّ النبي ﷺ كان يُكْثِرُ أنْ يَقُول: «اللهم إني أعُوذُ بِكَ مِن الهَمِّ والحزن والعجز والكسل» متفق عليه.

وفي أفْرَادِ مُسْلِم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنَّه قال: «المؤمنُ القوي خَيْرٌ وأحَبُّ إلى الله مِن المؤمنِ الضَّعِيْف وفي كُلٍّ خير إحْرَصْ على مَا يَنْفَعُكَ واسْتَعنْ باللهِ ولا تَعْجز فإنْ أصَابَكَ شيءٌ فلا تَقُلْ لَوْ أنِّي فَعَلْتُ كَذا كَانَ كَذَا ولَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلْ فإنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشيطان»، وقال ابن مسعود «إني لا بْغِضُ الرجُل أراه فارِغَا لَيْسَ في شيءً مِن عَمَل الدنيا ولا عَمَلِ الآخِرَةِ» أخرجه أبو نعيم في الحلية، وقال: «يكون في آخر الزمان أقْوَامٌ أفْضَلُ أعْمَالِهِمْ التَّلاوُمَ بَيْنَهُم يُسَمَّوْنَ الأنْتَان»، وقال ابن عباس تَزَوَّجَ التَّوانِي

بالكسل فولد بَيْنَهُمَا الفقر. وقال آخَرُ مضى القوم على خَيْلٍ بُلْقٍ عِتَاقٍ وبقينا على حُمْرٍ دَبرة فقيل له إنْ كُنَّا على الطريق المستقيم فما أَسْرَعَنَا بالوصُول.

تضرع إلى رَبِّ العِزَّةِ جَلَّ جلالُهُ وتَقَدسَتْ أسماؤُه.

شِعْرا: لَا عُدْتُ أَرْكبُ ما قَدْ كُنْتُ أَرْكَبُهُ ... جُهْدِي فَخُذْ بِيَدِيْ يا خَيْرَ مَنْ رَحِمَا
هذا مَقَامٌ ظلوُمٍ خَائِفٍ وَجِلٍ ... لم يَظْلِم الناسُ لَكِنْ نَفْسَهُ ظَلَمَا
فاصفح بِفَضْلِكَ عَمَّنْ جَاءَ مُعْتَذِراً ... بِزَلَةٍ سَبَقَتْ مِنْهُ وقَدْ نَدَمَا
ما لي سِوَاكَ ولا عِلْمٌ وَلَا عَمَلٌ ... فامْنُنْ بِعَفْوِكَ يَا مَنْ عَفْوُهُ عَظُمَا

اللَّهُمَّ أنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وعَلَانِيَتَنَا وتَسْمَعُ كَلَامَنَا وتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى عَليكَ شَيْءٌ مِن أَمْرِنَا نَحْنُ البُؤسَاءُ الفُقَراءُ إليكَ المستغيثونَ المستجيرونَ بِكَ نَسْأَلك أنْ تُقَيِّضَ لِدِيْنِكَ مَنْ يِنْصُرُهُ ويَزِيل مَا حَدَث مِن البِدَعِ والمُنْكَرَاتِ ويُقِيْمُ عَلَم الجِهَادِ وقَمْعُ أَهْلَ الزَّيغِ والكُفْرِ والعِنَادِ ونَسْأَلُكَ أنْ تَغْفِر لَنَا ولِوَالِدِيْنَا وجميعِ المُسْلِمِيْنَ برحْمَتِكَ يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

قَصِيْدَة تَحْتَوِي على نَصَائِحَ وَوَصَايَا ومَوَاعِظَ وَآدَابٍ وأَخْلاقٍ فَحَضِّرْ قَلْبَكَ وَأَلْقِ سَمْعَكَ

الحمدُ لِلَّهِ القَوِيِّ الماجدِ ... ذِي الطَّوْلِ والإنْعَامِ والمَحَامِدِ
حَمْداً يَفُوقُ حَمْدَ كُلِّ الخَلْقِ ... ومـا أُطِيقُ شُكْرَ بَعْضِ الحَقِّ
ثم الصلاةُ بَعْدُ والسلامُ ... على نَبِيٍّ دِينُهُ الإسلامُ
سألتَنِي الإفصاحَ عن هذِي الحِكَمْ ... ونُزْهَةَ الألبابِ، خُذْهَا كالعَلَمْ
خُذْ يا بُنَيَّ هَذِهِ النَّصَائِحَا ... واسْتَعْمِلَنْهَا غَادِياً وَرائِحَا
لِتَقْتَنِيْ مَنْفَعَةً وحِكْمَةً ... واتَّقِينِّيْ عن مِنَنٍ ونِعْمَةٍ
فَحِفْظُها يَهدِي إلى دَارِ البَقَا ... وحُبُهَا يَهْزِمُ أَجْنَادَ الشَّقَا

إذا ابْتَدأْتَ الأَمْرَ سَمِّ اللّهْ ... واحْمدُهُ واشكرُهُ إذا تَناهَا
وكُلَّمَا رَأَيْتَ مَصنُوعَاتِهِ ... والمُبْدَعَاتِ مِن عُلَا آياتِهِ
فاذْكُرْهُ سِراً سَرْمَداً وجَهْرَا ... لِتَشْهَدْنَ يومَ الجَزاءِ أَجْرَا
هَذَا وإنْ تَعَارَضَ الأَمْرَانِ ... فابْدَأْ بِحَقِ المَلِكِ الدَّيَّانِ
واعْمَلْ بِهِ تَنَلْهُمَا جَمِيْعَا ... ولا تَقُلْ سَوْفَ تَكُنْ مُضِيْعَا
وإنْ أَتَاكَ مُسْتَشِيْرٌ فاذْكُرَنْ ... قَوْلَ النبي: المُسْتَشَارُ مُؤتَمَنْ
شاور لَبِيباً في الأُمورِ تَنْجَحُ ... مَنْ يَخَفِ الرَّحْمٰنَ فِيها يَرْبَحُ
وأَخْلِصِ النياتِ في الحَالَاتِ ... فإنَّمَا الأعْمَالَ بالنِّيَّاتِ
واسْتَخِرِ اللهَ تَعَالَى واجْتَهِدْ ... ثم ارْضَ بالمَقْضِيِّ فيه واعْتَمِدْ
مَنِ اسْتَخَارَ رَكِبَ الصَّوابَا ... أَوْ اسْتَشَارَ أَمِنَ العقابَا
مَنِ اسْتَخَارَ لَمْ يَفُتْهُ حَزْمُ ... أَوْ اسْتَشَارَ لَمْ يَرُمْهُ خَصْمُ
مَازَالَتِ الأيامُ تأتِي بالعِبَرْ ... أَفِق وسَلِّمْ لِلْقَضَاءِ والقَدَرْ
كَمْ آيةٍ مَرَّتْ بِنَا وَآيَةْ ... في بَعْضِهَا لِمَنْ وَعَى كِفَايَةْ
ونَحْنُ في ذَا كُلِّهِ لا نَعْتبِرْ ... ولا نَخَافُ غَيْبَهَا فَنَزْدَجِرْ
أَلَيْسَ هذا كُلُّهُ تَأْدِيْبَا؟ ... فما لَنَا لا نَتَّقِي الذُنُوبَا
لَكِنْ قَسَى قَلْبٌ وجَفَّتْ أَدْمُعُ ... إنَّا إلَى اللهِ إليه المَرْجِعُ
فَنَسْأَلُ الرحمنَ سِتْرَ مَا بَقِي ... وعَفْوَهُ واللُّطْفَ فِيْمَا نَتَّقِي
فكَمْ وَكَمْ قَدْ أَظْهَرَ الجَمِيْلَا ... وسَتَرَ القَبِيْحَ جِيْلًا جِيْلَا
حَتَّى مَتَى لا تَرْعَوِيْ بالوَعْظِ ... وأَنْتَ تَنْبُوْ كالغَلِيظِ الفَظِّ
سِرْ سَيْرَ مَن غَايَتُهُ السَّلَامَةْ ... وعُدْ على نَفْسِكَ بالمَلَامَةْ
بادِرْ بِخَيرٍ إنْ نَوَيْتَ واجْتَهِدْ ... وإنْ نَوَيْتَ الشَّرَّ فازْجُرْ واقْتَصِدْ
خُذْ في عتابِ نَفْسِكَ الأمَّارَةِ ... فإنَّها غَدَّارَةٌ غَرَّارَةْ
خَالِفْ هَوَاكَ تَنْجَحْ مِنه حَقَّا ... والنفسَ والشيطانَ كَيْ لا تَشْقَى
نَفْسِيَ عَمَّا سَرَّنِي تُدَفِعُ ... وهْيَ إلَى مَا ضَرَّني تُسَارِعُ

قد أَسَرَتْهَا شَهْوَةٌ وَغَفْلَةْ   تُنْكِرُ شَيْئاً ثُمَّ تَأْتِي مِثْلَهْ
فَمَنْ حَبَى حِسَانَها فقد ظَفِرْ   ومَن حَبَاها غفلةً فَقَدْ خَسِرْ
قَدِّمْ لِيَوْمِ العَرْضِ زَادَ المجتَهِدْ   ثُمَّ الجوبُ لِلسُؤآلِ فاسْتَعِدْ
تَطْوِيْ اللَّيالِي العُمْرَ طَيّاً طَيّا   وأَنْتَ لا تَزْدَادُ إلَّا غَيَّا
فلا تَبِتْ إلَّا عَلَى وَصِيِّةْ   فإنها عَاقِبَةٌ مَرْضِيَّةْ
هَيْهَاتَ لَابُدَّ مِن النُّزُوْحِ   حَقاً وَلَوْ عُمِّرتَ عُمْرَ نُوْحِ
فَنَسْأَلُ اللهَ لَنَا السلاَمَةْ   في هَذِهِ الدنيا وفي القِيَامَةْ
أَعْدِدْ لِجَيْشِ السَّيئاتِ تَوْبَةْ   فإنَّها تَهْزِمُ كُلَّ حَوْبَةْ
وارْجِعْ إلَى رَبِّكِ فاسْأَلَنَّه   ولا تَحِدْ طَرْفَةَ عَيْنٍ عَنَّهْ
أَفْضَلُ زَادِ المرءِ تَقْوَى اللهِ   سُبْحَانَهُ جَلَّ عن التَّناهِي
عَلَيْكَ بالتَّقْوىَ وكُلِّ واجِبِ   وتَرْكِ ما يُخْشَى وشُكْرِ الواهِبِ
وكُنْ لِأَسْبَابِ التُّقَى أَلِيْفَا   واعْصِ هَوَاكَ واحْذَرِ التَّعْنِيْفَا
فالخوفُ أَوْلَى ما امْتَطَى أخو الحذَرْ   فاعْتَمِدِ الصَّمْتَ ودَعْ عن الهَذَرْ
لَوْ أنَّ ما اسْتَمْلاهُ كَاتِبَاكَا   بأُجْرَةٍ مِنْكَ خَتَمْتَ فاكَا
صَمْتٌ يُؤَدِيْكَ إلى السَّلَامَةْ   أَفضَلُ مِن نُطْقٍ جَنَى النَّدامَةْ
العِلْمُ والحِلْمُ قَرِيْنَا خَيْرٍ   فالْزَمْهُمَا وُقِيْتَ كُلَّ ضَيْرِ
فالعِلْمُ عِزٌّ لا يَكَادُ يُبْلَى   والحِلْمُ كَنزٌ لا يَكَادُ يُفْنَى
العِلمُ لَا يُحْصَى فَخُذ مَحَاسِنَهْ   ونَبِّهِ القَلْبَ الصَّدِيْ مِن السِّنَةْ
أَجْمَلُ شَيءٍ لِلْفَتَى مِن نَسَبِهْ   إكْثَارُهُ مِن عِلْمِهِ وأَدَبِهْ
إنْ كُنْتَ مُحْتاجاً إليهِ مَا نَكَا   أَوْ غَيْرِ مُحْتَاجٍ إلَيْهِ زَنَكَا
لا خَيْرَ فِي عِلْمٍ بِغَيْرِ فَهْمِ   ولا عِبَادَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمِ
لا تَطْلُبَنَّ العِلْمَ إلَّا لِلْعَمَلْ   فاعْمَلْ بما عَلَّمْتَه قَبْلَ الأَجَلْ
فإنَّ فِيْهِ غَايَةَ السَّلَامَةْ   هذا إذا كَانَ بِلَا سَآمَةْ
نُصْحُ الوَرَى مِن أَفْضَلِ الأَعْمَالِ   والبِرُّ والرفقُ بلا اعْتِلَالِ

إيَّاكَ إيَّاكَ الريَاء ياصَاحِ فتَرْكُهُ أقْرَبُ لِلْفَلاحِ
فالعُمْرُ ما كان قَرِيْنَ الطَّاعَةْ هذا ولَوْ قُدِّرَ بَعْضُ سَاعَةْ
حُثَّ كُنُوزَ الدَّمْعِ في الحَنادس بَيْنَ يَدَيْ رَبِّكَ غَيْرَ آيِسِ
عَلَى سَوادِ خَالِ خَدِّ الصُبْحِ تَتْلُو المَثانِي رَغباً في الرِبْحِ
وقُلْ بِمَا جَاءَ بِه خَيْرُ البَشَرْ هَبْ لِي الرِضَاءَ بالقَضَاءِ والقَدَرْ
واجْعَلْ لَنَا مِن كُل هَمٍّ فَرَجَا فَضْلًا، ومِن غَمٍ وضَيْقٍ مَخْرَجَا
العَدْلُ أقْوى عَسْكَرِ المُلُوكِ والأَمْنُ أَهْنَى عِيْشَةَ المُلُوْكِ
سُسُ يَاأَخِي نَفْسَكَ قَبْلَ الجُنْدِ واقْهَرْ هَواكَ تَنْجَحْ قَبْلَ القَصْدَ
واجْعَلْ قِوامِ العَدْلِ حِصْنَ دَلْتِكْ والشُكْرَ أيضًا حَارِساً لِنِعْمَتكْ
فالحَقُّ أنْ تَعْدِلَ بالسَّوِيِّةْ ما بَيْنَ نَوْعَيْنِ مِن البَرِيَّةْ
فَكُلُّكُمْ وكُلُنَا مَسئُوْلُ عَمَّا رَعَيْنَاهُ وَمَا نَقُوْلُ
مَنْ لَمْ يَجِدْ طَوْلًا إلى السِّيَاسَةْ أخَرَّهُ العَجْزُ عن الرِيَاسَةْ
أَحْسِنْ إلى العَالَمِ يَحمَدُوْكَا وعُمَّهُمْ بالعَدْلِ يَنْصَحُوكَا
فَعَدْلُ سُلْطَانِ الوَرَى يَقِيْهِ أعْظَمَ ما يَخْشَى ويَتَقِيْهِ
لا تَسْتَعِنْ بأَصْغَرِ العُمَّالِ عَلَى تَرَقِّي أكْبَرِ الأعْمَالِ
فَمَنْ عَدا وزِيرُهُ فما عَدَلْ ومَنْ طَغَى مُشيرُهُ فَقَدْ جَهِلْ
شَرُّ الأنامِ نَاصِرُ الظَّلُومِ وشَرٌّ مِنْهُ خَاذِلُ المَظْلُومِ
الظُلْمُ حَقاً سَالِبٌ لِلنَّعَمِ والبَغْيُ أَيْضًا جَالِبٌ لِلنِّقَمِ
ظُلْمُ الضَّعِيفِ يابنَي لؤمْ وصُحْبَةُ الجاهِلِ أيضاً شُؤْمُ
وقِيْلَ إنَّ صُحْبَةَ الأشْرَارِ تُوْرِثُ سُوْءَ الظَّنِ بالأخْيَارِ
يَجْنِي الرَّدَى مَنْ يَغْرِسَ العِدْوَانَا وصَارَ كُلُّ رِبْحِهِ خُسرَانَا
أقْرَبُ شَيْءٍ صَرْعَةُ الظَّلُومِ وأنْفَذُ النَّبْلِ دُعَا المَظْلُومِ
نِعْمَ شَفِيعُ المُذْنبِ اعْتِذَارُهُ وبِئْسَ مَا عَوَّضَهُ إصْرَارُهُ
خُذْ الأمُورَ كُلَّها بالجِدِّ فالأمْرُ جِدٌّ لا هَوَاكَ المُرْدِي

خَيْرُ دَلْيلِ الْمَرْءِ الأَمَانَةْ ... بَيْنَ الوَرَى وَتَرْكُهُ الخِيَانَةْ
مَنِ امْتَطَى أَمْراً بِلا تَدْبِيْرِ ... صَيَّرَهُ الجَهْلُ إلى تَدْمِيْرِ
مَنْ صَانَ أُخْرَاهُ بدُنْيَاهُ سَلِمْ ... ومَن وَقَى دُنْيَاهُ بالدِيْنِ نَدِمْ
مَنْ أَخَّرَ الطَّعَامَ والمَنَامَا ... لَذَّ وطَابَ سَالِمَا ما دَامَا
مَنْ أَكْثَرَ المِزَاحَ قَلَّتْ هَيْبَتُهْ ... ومَنْ جَنَى الوَقَارَ عَزَّتْ قِيْمَتُهْ
مَن سَالَم النَّاسَ جَنَى السَّلامَةْ ... ومَن تَعدَّى أحْرَزَ النَّدامَةْ
مَنْ نَامَ عَن نُصْرَةِ أَوْلِيَائِهْ ... نَبَّهَهُ العُدْوَانُ مِن أَعْدَائِهْ
مَنْ اهْتَدَى بالحقِ حَيْثُما ذَهَبْ ... مَالَ إليهِ الخَلْقُ طُرًّا وَغَلَبْ
مَنْ رَفَضَ الدُنْيَا أَتَتْهُ الآخِرَةْ ... في حُلَّةٍ مِن الأَمَانِ فَاخِرَةْ
وقيلَ مَن قَلَّتْ لَهُ فَضَائِلُهْ ... فَقَدْ ضَعُفَتْ بَيْنَ الوَرَى وسَائِلُهْ
ومَن تَراهُ أحْكَمَ التَّجارُبَا ... فَازَ بِهَا وَحَمِدَ العَوَاقِبَا
مَنْ عَاشَرَ النَّاسَ بِنَوْعِ الْمَكْرِ ... كافَاهُ كُلُّ مِنْهُمُ بالغَدْرِ
مَن لا تُطِيْقُ حَرْبَهُ فَسَالِمِ ... تَعِشْ قَرِيرَ العَينِ غَيْرَ نادِمِ
مَنْ لَمْ يُبَالِ كَانَتْ الدُنْيَا لِمَنْ ... فَهْوَ عَظِيمُ القَدْرِ سِراً وعَلَنْ
مَنْ بَانَ عنه فَرْعُهُ وأصْلُه ... أوْشَكَ أنْ يَنْعَاهُ حَقاً أهْلُهُ
مَنْ غَلَبَ الشَّهْوةَ فَهْوَ عَاقِلٌ ... ومَن دَعَتْه فأَجَابَ جَاهِلُ
مَنْ ظَلَّ يَوْماً كَاتِماً لِسِرِّهِ ... أَصْبَحَ مِنْهُ حَامِداً لِأَمْرِهِ
خيرُ زَمَانِكَ الذِي سَلِمْتَا ... مِن شَرِهِ لُطْفاً وما اقْتَرَفْتَا
خَيْرُ النَّدَى وأَفْضَلُ المعْرُوْفِ ... فِيمَا يُرَى إغَاثُهُ المَلْهُوْفِ
لا تَثْبُتُ النَّعْمَاءُ بالجُحُوْدِ ... والشُكْرُ حَقاً ثَمَنُ المزِيْدِ
مَنْ غَلَبَتْهُ شَهْوَةُ الطَّعَامِ ... سُلَّ عَلَيْهِ صَارِمُ الأَسْقَامِ
تَعْصِي الإِلٰهَ وتُطِيعُ الشَّهْوةَ ... هَذا دَليلٌ قاطِعٌ بالقَسْوةْ
مِنْ هَمُّهُ أمْعَاؤُهُ وفَرْجُهْ ... وتَاهَ في شَهْوتِهِ لا تَرْجُهْ
أَجْمَلُ شَيءٍ بالغِنَى القَنَاعَةْ ... فَعُدَّها مِن أَشْرَفِ البِضَاعَةْ

وهْيَ تَسُوقُ قَاصِدِيْهَا لِلْوَرَعْ ... فاعْمَلْ بِمَا عَلِمْتَهُ ولا تَدَعْ
واليأسُ مِمَّا في يَدِي الأنَامِ ... مَنْزِلَةُ الأخْيَارِ والكِرَامِ
واعْلَمْ بأنَّ عَمَلَ الأبْطَالِ ... كَسْبُ الحَلالِ لِذَوي العِيَالِ
فإنكَ المسؤُلُ عَنهُمْ فاجْتَهِدْ ... ولَيْسَ يُغْنِي عَنْكَ مِنْهُمُ أَحَدْ
مِن عَادَةِ الكِرامِ بَذْلُ الجُودِ ... وسُنَّةُ اللِئَامِ في الجُحُوْدِ
لا تَدْنُ مِمَّنْ يَدْنُ بالخِلابَةْ ... ولا تَبِنْ كِبْراً وسُدَّ بَابَهْ
لا رَأْيَ لِلْمُعْجَبِ تِيْهاً فاعْلَمِ ... ولا لِذِي كِبْرٍ صَدِيقٌ فافْهَمِ
المَطْلُ بُخْلٌ أَقَبحُ المُطْلَيْنِ ... واليأسُ منه أحَدُ النُّجْحَيْنِ
والبُخْلُ دَاءٌ ودَاؤُهُ السَّخَا ... فافْهَمْ فَفيْهِ العزُّ حَقاً والعُلا
والحِرْصُ دَاعِي الخَلْقِ لِلْحِرْمَانِ ... ثُمَّ يَؤُوْلُ بِجَنَى الخُسْرَانِ
مارُثٌ الأنباءُ خَيْراً مِن أَدَبْ ... فإنَّهُ يَهْدِي إلَى اسْنى الرُّتَبْ
لا سِيَّمَا إنْ كَانَ بان في الصِغَرِ ... كما رَوَيْنَاهُ كَنَقْشٍ في الحَجَرِ
مَنْ امْتَطَى جَوَادَ رَيْعَانِ العَجَلْ ... أدْرَكَهُ كَمِيْنُ آفَاتِ الزَّلَلْ
من كان ذا عجزٍ عن الإحسانِ ... اثقلُ ما كان على الإنسان
مَنْ رَكِبَ الجَهْلَ كَتَبْ مَطِيَّتُهْ ... وضَلَّ أيْضَا ثم دَامَتْ حَسْرَتُهْ
وصَارَ أيْضَا عِبْرَةً لِلْعَاقِلِ ... لأنَّهُ مِن أقْبَحِ الرَّذَائِلِ
إنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَرْتَجِي الجِنَانَا ... لا تُطْلقَنَّ الطَّرْفَ واللِّسَانَا
أَوْ رُمْتَ تَجْنِي زَهْرَ خَيْرَيْ أمْرِكَا ... لَا تأْتِ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَا
أَوْ كُنْتَ مِمَّنْ يَرْتَجِي السَّلامَةْ ... في هَذِهِ الدُنيا وفي القِيَامَةْ
فلا تَقُلْ هُجْراً وإنْ غَضِبْتَا ... والكِبْرَ والشُّحَ فَبُتَّ بَتّا
إنْ فَوَّقَتْ مَصَائِبُ نِبَالَهَا ... فاشْكُرْ مُثَاباً مَنْ كَفَى أَمْثَالَهَا
وإنْ أَرَدْتَ أنْ تَصُونَ عِرضَا ... فلا تَقُلْ سُوْءاً يَعُوْدُ قَرْضَا
إنْ كُنْتَ تَخْتَارُ الجِنَان داراً ... لا تنظُرنَّ للورى استصغارا
زكُنْ أخَا لِلْكَهْلِ مِنْهُمْ وأبَا ... لِذَوْيِهِ في السِّنِ شَاءَ أوْ أبَى

وابناً لِشَيْخٍ قَدْ تَغَشَّاه الكِبَرَا ... وفاقَ بالنُفُوسِ عن قَوْس العِدَا
آوِي اليتمَ وارْحَمِ الضَّعِيْفَا ... وارْفُقْ بمَمْلُوكِنَ أنْ تَحِيفَا
والنِسَاءِ هُنَّ كالغَوَانِي ... فاجْنَحْ إلى الخَيراتِ غَيْرَ وَانِي
واعْمَلْ بما يُ سُوْرةِ الإسْرَاءِ ... مِن الوَصَايَا الغُرِّ بحمد رَاءِ
وصِلْ ذَواتِ الرَّحِمِ ا لسَّائِلَةْ ... عن قَطْعِهَا يَوْمَ القُلُوبِ ذاهِلَةْ
والجَارَ أكْرِمْهُ فَقَدْ وَصَّانَا ... بِهِ النبيُ المُصْطَفَى مَوْلانَا
واحْذَرْ بُنَّى غِيْبَةَ الأنَامِ ... لَفْضاً وتَعْرِيْضاً مَدَى الأيَّامِ
والهَمْزَ واللَّمْزَ مَعَ النَّمِيْمَةْ ... فإنَّها ذَخَائِرُ ذَمِيْمَةْ
شَرُّ الأُمُورِ العُجْبُ فاجْتَنْبهُ ... والبُخْلَ مَا حَيِيْتَ صُدَّ عَنْهُ
فالكِبْرُ دَاءٌ قَاتِلُ الرِّجَالِ ... دَوَاؤُهُ تَوَاضعُ الأبْطَالِ
لَا دَاءَ أدْوَىَ مَرَضاً مِن الحُمُقْ ... ولا دَوَاءَ مِثْلَ تَحْسَيْنِ الخُلُقْ
والحقدُ دَاءٌ لِلْقُلُوبِ، والحَسَدْ ... رَأْسُ العُيُوبِ فاجْتَنِبْهُ واقْتَصِدْ
والبَغْيُ صَاحِ يَصْرَعُ الرجَالَا ... ويُقْصِرُ الأعْمَارَ والآجَالَا
والمَنُّ أيْضاً يَهِدْمُ الصَّنِيْعَهْ ... مَطِيَّةُ الطَّغَامِ والرَّعَاعِ
ربَّ غَرامٍ جَلَبْتَهُ لَحْظَهْ ... وَرُبَّ حَرْبٍ أجَّجَتّهُ لَفْظَهْ
وَرُبَّ مَأْمُوْلٍ تَرَى مُنْهُ الضَّرَرْ ... وَرُبَّ مَحْذُوْرٍ يَسُرُّ مِن حَذَرْ
وقِيْلَ أيْضَا إنَّ خُلْفَ الوَعْدِ ... في أَكْثَرِ الأمْثَالِ خُلْبقُ الوَغْدِ
لا حَذَر مِنْ قَدَرٍ بِدَافِعِ ... ولا أسىً مِن فَائِتٍ بِنَافِعِ
وقِيْلَ مَا أضْمَرْتَ بالجَنَانِ ... يَظْهَرُ فِي الوَجْهِ وفي اللِّسَانِ
لاتُطِلِ الشَّكْوَى فِفيْهِ التَّلَفُ ... والشُكْرُ لِلَّهِ الغَنِيِّ شَرَفُ
لايُفَسِدُ دِيْنَ الوَرَى إِلَّا الطَّمَعْ ... حَقاً ولايُصْلِحُهُ إِلَّا الوَرَعْ
لاتَحْمِلَنْكَ كَثْرَةُ الإنْعَامِ ... عَلَى ارْتِكَابِ سَيِّءِ الآثَامِ
ولا تَقُلْ سُوْءًا تَزِلُ القَدَمَا ... وتُوْرِثُ الطَّعْنَ وتُبْدِيْ النَّدَمَا
لاتَقَرَبَّنْ مِن وَدَائِعِ البَرِيّهْ ... ولا الوَكَالاتِ ولا الوَصِيَّهْ

فإنَّهُنَّ سَبَبُ البَلَايَا ... ومَعْدِنُ الآفَاتِ والرَّزَايَا
لا تَشْتَغِلْ إذا حُبِيْتَ النِعَمَا ... بِسُكْرِهَا عن شُكْرِهَا فَتَنْدَمَا
لا تَتَبَّعْ مَسَاوِىءَ الإِخْوَانِ ... رَعْيَ الذُبَابِ فَاسِدَ الأَبْدَانِ
لا خَيْرَ فِيْمَنْ يَحْقِرُ الضَعِيْفَا ... كِبْراً ولا مَنْ يَحْسُدُ الشَّرِيْفَا
لا تَسْتَقِلَّ الخَيْرَ فالحِرْمَانُ ... أَقَلُّ مِنْهُ أَيُّهَا الإِنَسانُ
لا تَجْزِعَنْ فَقَدْ حَىَ المَقْدُوْرُ ... بِكُلِّ ما جَاءَتْ بِهِ الدُهُوْرُ
لا تَتَخَطَّى فُرَصَ الزَّمَانِ ... إِنَّ التَّوَانِي سَبَبُ الحِرْمَانِ
أَنْفَاسُكُمْ خُطَاكُمُ إِلىَ الأَجَلْ ... وخَادِعُ الأَعْمَالِ تَقْدِيْمُ الأَمَلْ
أَمْرُكَ بالمَعْرُوْفِ مِن أَعْلَى الرُّتَبِ ... ونَهْيُكَ المُنْكَرَ مِن أَقْوَى السَّبَبِ
الوَلَدُ البَرُّ يَزِيدُ في الشَّرَفِ ... والوَلَدُ السُوْءُ يَشِيْنُ بالسَّلَفِ
الرِفْقُ يُدْنِي المرءَ لِلصَّلاحِ ... وهْوَ لِقَاحُ سُرْعَةِ النَّجَاحِ
إِسَاءَةُ المُحْسِنِ مَنْعُ البِرِّ ... وتُحْفَةُ المسُيءِ كَفُّ الشَّرِ
تَنَاسَى مِن إِخْوانِكَ المَسَاوِيَا ... يَدُمْ لَكَ الوِدَادُ مِنْهُمْ صَافِيَا
وأَوْلِهِمْ مِن فِعْلِكَ الجَمِيْلَا ... وَدَعْ مُثَاباً قِيْلَهُمْ والقِيْلَا
وكُلُّ مَنْ أَبْدَى إِليكَ الفَاقَهْ ... صُنْ عَن مُحَيَّاهُ الذِي أَرَاقَهْ
بَسْطُ الوُجُوهِ أَحَدُ البَذْلَيْنِ ... وأَعْظَمُ الهَمَّيْنِ هَمُّ الدَّيْنِ
وإِنْ خَفَضتَ الصَّوْتَ ما اسْتَطَعْتَا ... ثم غُضَتْتَ الطَّرْفَ أَنْتَ أَنْتَا
لِلَّهِ فِي كُلِّ بَلاءٍ نِعْمَهْ ... لا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَذُمَّهْ
تَمْحِيْصُ ذَنْبٍ وَثَوابٌ إِنْ صَبَرْ ... وَيَقَظَةٌ مِن غَفْلَةٍ لِمَنْ نَظَرْ
وَتَوْبَةٌ يُحْدِثُهَا وصَدَقَهْ ... وَوَعْظُهُ هَدِيَّةٌ مُوَفَّقَهْ
وَفي قَضَاءِ اللهِ ثُمَّ في القَدَرِ ... مِن بَعْدَ هَذا عِبْرةٌ لِلْمُعْتَبِرِ
أَعْمَارُكُم صَحَائِفُ الآجَالِ ... فَجَلِّدُوْهَا أَنْفَسَ الأَعْمَالِ
عَلَيْكَ بالصِّدْقِ ولَوْ أضَرَّكَا ... ولا تُعَيِّرْ هَالِكَاً فَتَهْلِكَا
صَبْرُ الفَتَى عَلى أَلِيْمِ كَسْبِهِ ... أَسْهَلُ مِن حَاجَتِهِ لِصَحْبِهِ

فالصَّبْرُ سَيْفٌ لا يَكَادُ يَنْبُوْ ... والقَنْعُ نجمٌ لا تَرَاهُ يَخْبُوْ
جَرْحُ اليَدِيْن عِنْدَ أهْلِ الهِمَمِ ... أهْوَنُ مِن جُرْحِ اللِّسَانِ فافْهَمِ
خَيْرُ قَرِيْنِ المرءِ حُسْنُ الخُلُقِ ... يُدْنِي الفَتَى مِن كُلِّ أمْرٍ صَائِبِ
الحُرُ عبدٌ ما تَرَاهُ طَامِعَا ... والعَبْدُ حُرٌّ ما تَرَاهُ قَانِعَا
أغْنَى الغِنَى لِلْمَرءِ حُسْنُ العقلِ ... والفَقْرُ كُلَّ ذُلِّ الجَهْلِ
إيَّاكَ أنْ تَخْدَعَكَ الأمَانِي ... فإنَّهَا قَاتِلَةُ الإنْسانِ
واحْذَرْ لُزُومَ سَوْفَ مَا اسْتَطَعْتَا ... فإنَّهُ سَيْفٌ عَسَى وَحَتَّى
سَارِعْ إلى الخَيرِ تُلَاقِ رَشَدَا ... وكُنْ مِن الشَّرِّ أشَدَّ بُعْدَا
وإن صَحِبْتَ المَلِكَ المُعَظَّمَا ... فاحْذَرْ رُجُوعَ الشَّهْدِ منه عَلْقَمَا
وانْصَحْهُ والوَرَى مَعاً بالرِفْقِ ... والْبَسْ لَهُمْ دُرْعَيْ تُقىً وصِدْقِ
آخِ الذي يَسُدُ مِنْكَ الخَلَّةْ ... ويَسْتُرُ الزَّلَّةَ بَعْدَ الزَّلَّةْ
ومَنْ أقَالَ عَثْرةً ومَنْ رَفَقْ ... وكَظَمَ الغَيْظَ إذَا اشْتَدَّ الحُنُقْ
فَهْوَ الذي قَدْ تَمَّ عَقْلًا وكَمُلْ ... ومَن إذا قَالَ مَقَالًا قَدْ فَعَلْ
فاشْدُدْ يَدَيْكَ يا بُنَيّ ... تُحْظَ بِعِزٍّ دَائِمٍ سَنِيّْ
إيَّاكَ إنْ تُهْمِلَ طَرَفَ الطَّرْفِ ... فإنَّه يِسْمُوْ لِكُلِّ حَتْفِ
إذا تُسِيءِ إلَى أخِيْكَ فاعْتَذِرْ ... وإنْ أسَاءَ يَا بُنَيَّ فاغْتَفِرْ
فالعُذْرُ يَقْضِي بِكَمَالِ العَقْلِ ... والعَفْوُ بُرْهَانٌ لِكُلِّ فَضْلِ
وجَانِب الخَلْقَ بِغَيْرِ مَقْتِ ... والْبَسْ لَهُم ياصَاحِ دِرْعَ الصَّمْتِ
إذَا الْتَوَبْ مَكَارِهٌ فَنَمْ لَهَا ... وقُلْ عَسَاهَا تَنْجَلِي وعَلَّهَا
عَسَى الذِي أصْبَحْتُ فيه مِن حَرَجْ ... يُعْقِبُهُ اللهُ تَعَالَى بالفَرَجْ
هَذَا الذي جَادَتْ بِهِ القَرِيْحَةُ ... فاحْذُ عَلَيهِ واقْبَلِ النَّصِيْحَةْ
وإنْ رَأَتْ عَيْنَاكَ عَيْباً صُنْهُ ... فتَفَضُلًا مِنْكَ وصُدَّ عَنْهُ
فَتَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى عَفْواً ... يُتْبِعُهُ في كُلِّ عُسْرٍ يُسْرَا
وصَلِّ يَارَبِّ عَلَى خَيْرِ الوَرَى ... مَا صَدَّحَتْ قَمْرِيَّةٌ عَلَى الذُرَا

والآلِ والأزْوَاجِ والأصْحَـــــابِ والتَابِعِيْــنِ مِن أُوْلِـي الألْبَــابِ

« إنْتَهى »

آخــر :

عَلَـــيْكَ مِن الأُمُورِ بِمَــــا يُؤَدي إلـىَ سُنَـنِ السَّلامَـةِ والخَــــلاصِ
ومَـا تَرْجُـو النَّجـاةَ بِهِ وشيْكَــــاً وفـــوْزاً يَوْمَ يُؤخَــذُ بالنَّـــوَاصِي
فَلَـــيْسَ تَنَـــالُ عَفْــــوَ الله إلَّا بتَطْهِيْـرِ النُّفُـوسِ مِنَ المَعَــــاصِي
وَبِـــرِّ المُؤْمنيــنَ بِكُـــلِّ رِفْـــقٍ ونُصْحٍ لِلأدَانِـــي والأقَــــاصِي
وإنْ تَشْدُدْ يَداً بالخَيْــرِ تُفْلَـــحْ وَإنْ تَعْـدِلْ فَمَـا لَكَ مِنْ مَنَـاصِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقَوي إيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وبالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، اللَّهُمَّ عَامِلْنَا بِعَفْوكَ وغُفْرانكَ وامْنُنَّ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَاحْسَانِكْ ونَجِّنا مِن النارِ وَعافِنَا مِن دَارِ الخِزْيْ والبَوَارِ وادخلنا بفضلكَ وكرمكَ وجودكَ الجنةَ دارَ القرار واجعلنا مَعَ عبادِك الذين أنْعَمْتَ عليهم مِن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في دَارِ رِضْوانِكَ وصَلَّى اللهُ عَلَى مَحُمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: أخرج أبو الشيخ بن حبان في كتاب الوصيا والحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل وأبو نعيم كلاهما عن عطاء الخرساني.

قال حَدَّثْتنِي إبنةُ ثَابتِ بنِ قيسِ بن شَمَّاس إن ثابتاً قُتِل يومَ اليَمَامَةِ وعليه دِرْعٌ لَهُ نَفِيْسَةٌ فَمَرَّ به رَجُلُ مِن المسلمين فأَخَذَهَا، فَبَيْنَما رَجُلٌ مِن المُسْلِمِيْنَ نائِمٌ إذ أَتَاهُ ثَابتٌ في مَنَامه فقال أُوْصِيْكَ بوصِيَّةٍ فإيَّاكَ أَنْ تَقُولَ هذا حُلْمٌ فَتُضَيِّعَه.

إني لَمَّا قُتِلْتُ أمْسِ مَرَّ بي رَجُلٌ مِن المسلمين فأَخَذَ دِرْعَي ومَنْزِلهُ في أقْصَى الناسِ وعِنْدَ خِبَائِهِ فَرَسُنْ يَسْتَنُ في طِوَلِهِ، وقَدَ كَفَأَ على الدِّرْعِ بُرْمَةً وفَوْقَ البُرْمَةِ رَحْلٌ فأتِ خالدَ بنَ الوليد فَمُرْهُ أَنْ يَبْعَثَ إلى دِرْعي فيأخذهَا.

وإذا قدمت المدينةَ على خَليفَةِ رسول الله ﷺ يَعْنِي أبا بكر الصديق رضي الله عنه فَقُلْ لَهُ إنْ عَليَّ مِن الدَّيْنِ كَذَا وفُلَانٌ مِن رَقيْقي عَتِيْق وفلان، فَأَتَى الرجل خالِداً فَأَخْبَرهُ فبعَثَ إلى الدرع فأُتي بهَا وحَدَّثَ أبا بكْرٍ بِرُؤْيَاهُ فأجازَ وَصيَّتَهُ، قال ولا نعلم أحَدًا أجيْزتْ وصيَّته بَعدَ مَوتِهِ غَيْرَ ثابِتِ بنِ قيس.. إنتهى.

شِعْرا: تَبَارَكَ ذُو العُلَا والكِبْرِيَاءِ ... تَفَرَّدَ بالجَلالِ وبالبَقَاءِ
وسوَّى المَوْتَ بينَ الخَلْقِ طُرّاً ... وكُلُّهُمُ رَهَائِنُ لِلْفَنَاءِ
وَدُنْيَانَا - وَإنْ مِلْنَا إلَيْهَا ... وطَالَ بِهَا المَتَاعُ - إلى انْقِضَاءِ
أَلَا إنَّ الرُّكُونَ عَلى غُرُورٍ ... إلَى دَارِ الفَنَاءِ مِنَ الفَنَاءِ
وقَاطِنُها سَرِيْعُ الظَّعْنِ عَنْهَا ... وَإن كَانَ الحَرِيصَ عَلى الثَّوَاءِ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِلْقِيَامِ لامْتِثَال أَمْرَكَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«وَصيَّة عظيمة نافعة لمن عمل بها»

وَصيَّة الإمامِ الغَزَالي لِبَعْضِ إخْوَانِهِ، فقال: وإني أوصي هذا الأخ أن يصرف إلى الآخرة هِمَّته وأن يحاسِبَ نَفْسَهُ قَبْلَ أنْ يُحَاسَب ويُرَاقِبَ سَرِيْرَتَهُ وعَلانِيتَهُ وقَصْدَه، وهِمَّته، وأفعاله، وأقواله، وإصْداره، وإيراده، أهِيَ مَقْصُورةٌ على ما يقرِّبه إلى الله تعالى ويوصله إلى سَعَادةِ الأبد، أو منصرفة إلى ما يعمر دنياه ويصلِحها له إصلاحاً مُنَغَّصاً، مَشُوباً بالْكُدورات، مشحوناً بالغُموم والهُموم، ثم يختِمُها بالشَّقاوة والعِياذ بالله؟

فليفْتَحْ عَيْنَ بَصيرته ولتنظُر نَفسٌ ما قدَّمَتْ لِغَد، ولْيَعْلم أنّه لا ناظِرَ لنَفْسِهِ ولا مُشْفِق سِواه.

وليتَدَبَّرْ ما كان بِصَدَدِهِ؛ فإنْ كانَ مشغولاً بعِمارة ضَيْعة فَلْيَنْظُر: كَمْ مِنْ قَرية أهْلكَها الله تعالى وهي ظالمة، فهي خاوية على عروشها بَعد إعمالها؟

وإن كان مُقْبِلًا على استخراج ماء، وعِمارة نهرٍ؛ فَلْيَنْظُر: كَمْ مِن بئرٍ مُعَطَّلةٍ وقصرٍ مَشِيدَ بعتد عمارتهما؟

وإن كان مهتمّاً بتأسِيس بِناء؛ فليتأمل: كم مِن قصُور مُشيَّدة البُنْيانِ محكَمَة القواعد والأركان، أظلمتْ بعد سكّانها؟

وإن كان مهتمّاً بعمارة الحدائق والسباتين ز فليعتبر: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ [٤٤ سورة الدخان، الآيات: ٢٥-٢٧]، وليقرأ: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ [٢٦ سورة الشعراء، الآيات: ٢٠٥-٢٠٧].

وإنْ كان مشغوفاً- والعِياذُ بالله- بخدمة سلطان، فليتذَكّر ما ورد في الخبر أنّه يُنَادِي مُنادٍ يومَ القِيَامَة: أيْنَ الظَّلَمَةُ وأعوانُهُم؟ فلا يبقى أحدُ مَدَّ لَهُم دواةً أو بَرَى لهم قَلَماً فما فوق ذلك إلّا حَضَرَ، فَيُجْمَعونَ في تابوتٍ من نار، فَيلْقَوْنَ في جهنم.

وعلى الجملة، فالناس كلُّهم إلّا من عَصَمَ الله نَسُوا الله فَنسِيَهم، وأعرضوا عن التَّزَوُّد للآخرة، وأقبلوا على طلب أمريْن: الجاه والمال، فإن كان هو في طَلَب جاه ورِيَاسةٍ، فَلْيَتَذَكَّر ما ورد به الخبر: أنَّ الأمراءَ والرُّؤساء يُحشَرَوْنَ يوم القيامة في صُورَة الذَّرِّ تحت أقدام الناس يَطَؤونَهم بأقدامهم، ولْيَقْرَأْ ما قال تعالى في كل مُتَكَبِّر جَبَّار.

وقد قال ﷺ: «يُكْتَبُ الرَّجُلُ جَبَّاراً ومَا يَمْلِكُ إلّا أهْلَ بَيْتِهِ» أي: إذا طلب الرياسةَ بينهم، وتكبَّر عليهم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «مَا ذِئْبَانِ

ضَارِيان أُرْسِلَا في زَرِيبَةِ غَنَمٍ بأَكْثَرَ فَسَاداً من حُبِّ الشرفِ في دين الرَّجُلِ الْمُسْلِم » .

وإن كان في طلب المال وجَمْعِهِ فليتأمَّل قَوْل عيسى عليه السلام: يا معشر الْحَوارِيِّين، الغِنَى مَسَرَّة في الدنيا، مَضَرَّة في الآخرة، بِحَقٍّ أقول لكم: لا يدخل الأغنياء مَلَكوت السَّماء.

وقَدْ قال نبيُّنا ﷺ: يُحْشَرُ الأَغْنِيَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَرْبَعَ فِرَقٍ: رَجُلٌ جَمَعَ مَالاً مِنْ حَرَامٍ، وَأَنْفَقَهُ في حَرَامٍ، فَيُقَالُ: اذْهَبُوا بِهِ إلى النَّارِ، ورَجُلٌ جَمَعَ مَالاً مِنْ حَرَامٍ، وَأَنْفَقَهُ في حَلَالٍ فَيُقَالُ: اذْهَبُوا بِهِ إلى النَّارِ، وَرَجُلٌ جَمَعَ مَالاً مِنْ حَلَالٍ، وَانْفَقَهُ في حَرَامٍ، فَيُقَالُ: اذْهَبُوا بِهِ إلى النَّارِ، وَرَجُلٌ جَمَعَ مَالاً مِنْ حَلَال، وَأَنْفَقَهُ في حَلالٍ، فَيُقَالُ: قِفُوا هَذا، وَاسْأَلُوه؛ لَعَلَّهُ ضَيَّعَ بِسَبَبِ غِنَاهُ فِيما فَرَضْنَا عَلَيْه، أَوْ قَصَّرَ في الصَّلَاةِ أَوْ في وُضُوئِهَا، أَوْ رُكُوعِهَا، أَوْ سُجُودِهَا، أَوْ خُشُوعِهَا، أَوْ ضَيَّعَ شَيْئاً مِنْ فُرُوضِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ.

فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ بَاهَيْتَ، واخْتَلْتَ في شَيْءٍ مِنْ ثِيَابِكَ؟

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! مَا بَاهَيْتُ وَلا اخْتَلْتُ في ثِيَابِي.

فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ فَرَّطْتَ فِيما أَمَرْنَاكَ بِهِ مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ، وَحَقِّ الْجِيرَانِ وَالْمَسَاكِينِ، وَقَصَّرْتَ في التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِير، والتَّفْصِيلِ وَالتَّعْدِيل؟

وَيُحِيطُ هَؤلاء بِهِ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَغْنَيْتَهُ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَأَحْوَجْتَنَا إِلَيْهِ، فَقَصَّرَ في حَقِّنَا.

شِعْرًا: فإِنْ يَكُنِ الرَّحْمٰنُ أَعطَاكَ ثَرْوَةً ... فَأَصْبَحْتَ ذَا يُسْرٍ وقَدْ كُنْتَ ذَا عُسْرِ
فَتَابِعْ لَهُ حَمْداً وَشُكْراً مَعَ الثَّنَا ... يَزِدْكَ وَتَأْمَنْ يَا أُخَيَّ مِن الفَقْرِ
وأَخْرِجْ لِحَقِّ اللهِ مِنْهَا مُبَادِراً ... لِمَنْ كانَ ذَا فَقْرٍ قَرِيْبٍ وَذِي عُسْرِ
آخر: ذَهَابُ المالِ في حَمْدٍ وَأَجْرٍ ... ذَهَابٌ لا يُقَالُ لَهُ ذَهَابُ

فإنْ ظَهَرَ تَقْصيرٌ ذُهِبَ بِهِ إلى النَّارِ ، وَإِلَّا قِيلَ لَهُ : قِفْ ! هَاتِ الآنَ شُكْرَ كُلِّ لُقْمَةٍ ، وَكُلِّ شُرْبَةٍ ، وَكُلّ أَكْلَةٍ ، وَكُلّ لَذَّةٍ ؛ فَلا يَزالُ يُسْأل .

فَهذا حَالُ الأغْنِياءُ الصالحين المصلحين القائمين بحقوق الله تعالى ، أنْ يَطُولَ وُقُوفُهُم في العَرَصَات ، فَكَيْفَ حال الْمُمفَرِّطين الْمُنهمِكِين في الْحَرَام والشُّبُهاتِ ، الْمُتَكاثِرينَ بِهِ ، الْمُتَنَعِّمِين بشهواتهم ، الذين قيل فيهم : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [١٠٢ سورة التكاثر ، الآية : ١] .

فهذه المطالبُ الفاسدُة هي اِلَّتي استولَتْ على قلوب الخلق ، فسخَّرتها للشيطان ، وجعلتها ضُحَكَةً له ، فعليْه وعلى كل مُسْتَمِرّ في عداوة نَفْسِهِ أن يتعلّم علاجَ هذا المرض الذي حلَّ بالقلوب .

فعلاج مرضِ القلوب أهمُّ من علاج مرضِ الأبْدان ، ولا ينجُو إلَّا من أتَى الله بقَلْبٍ سليم . وله دواءان :

أحدُهما : ملازمةُ ذكْر الموت وطول التأمّل فيه ، مع الاعتبار بخاتمة الملوك وأرباب الدنيا ، كيف أنّهم جمعوا كثيراً ، وبَنُوا قصوراً ، وفرحوا بالدنيا بَطَراً أو غُرْوراً فصارت قصورُهم قبوراً ، وأصبح جَمْعُهُم هباءً منثوراً : ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدَوراً﴾ [٢٣ سورة الأحزاب ، الآية : ٣٨] ، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِن القُرُوْنِ يَمْشُونَ في مَسَاكِنِهِم .. ﴾ الآية [٣٢ سورة السجدة ، الآية : ٢٦] .

فَقُصُورُهُم وأمْلاكُهم ومساكِنُهم صوامتُ ناطقة ، تشهد بلسان حالها على غُرور عُمّالها ، فانظر الآن في جميعهم : ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعَ لَهُمْ رِكْزاً﴾ [١٩ سورة مريم ، الآية : ٩٨] .

شِعْرا : إنَّ الذِيْنَ بَنَوا فَطَالَ بِنَاؤُهُمْ وَاستَمْتَعُوْا بالْمَالِ وَالْأَوْلادِ
جَرَتِ الرِّيَاحُ عَلَى مَحَل دِيَارِهم فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِيْعَادِ

قال بَعْضُهُمْ:

حَتَّى مَتَى وَإلى مَتَى نَتوانَا   وَأظُـنُّ هَذَا كُلَّـهُ نِسْيَانَـا
والموتُ يَطْلُبُنَا حَثِيْثاً مُسْرِعاً   إنْ لَمْ يَزُرْنَا بُكْـرةً مَسَّانَـا
إنَّا لَنُوعَظُ بُكْـرَةً وَعَشِيَّـةً   وَكَأنَّمَا يُعْنَـى بِذَاكَ سِوَانَـا
غَلبَ اليَقِيْنُ عَلى التَّشَكُّكِ في الرَّدَى   حَتَّى كَانَـا قَدْ نَرَاهُ عِيانَـا
يَا مَن يَصِيْرُ غَداً إلى دَارِ البِلىٰ   ويُفَارِقُ الإخْـوَانَ والخِلَّانَـا
إنَّ الأماكِـنَ في المَعَادِ عَزِيْزَةٌ   فاخْتَرْ لِنَفْسِكَ إنْ عَقَلْتَ مكَانَا

الدواء الثاني: تدبُّر كتابِ الله، ففيه شفاءُ ورحمةٌ للمؤمنين.

وقد أوْصَى رسولُ الله ﷺ بمُلَازَمَةِ هذَيْن الواعِظَيْن بقوله: «فقد تَرَكْتُ فيكُمْ وَاعِظَيْنِ: صَامِتاً وناطقاً؛ الصَّامِتُ الْمَوتُ، وَالنَّاطِقُ القُرْآن».

وقد أصبح أكثرُ الناس أمواتاً عن كتاب الله تعالى، وإن كانوا أحياء في مَعَايشهِم، وبُكْماً عن كتاب الله، وإن كانوا يَتْلُونه بألسنتهم؛ وصُمّاً عن سماعه، وإن كانوا يسمعونه بآذانِهم؛ وعُمْياً عن عَجائِبه، وإنْ كانوا ينظرزن إليه في صحائفهم؛ وأُمِّيِّين في أسراره، ومعانيه، وإن كانوا يشرحونه في تفاسيرهم.

فإحذَرْ أن تكون منهم، وتدبّر أمرك، مَنْ لم يتدبَّر كيف يقوم ويحشر؟

وانظر في أمرك وأمر من لم ينظُر في نفسه، كيف خاب عند الموت وخسر؟ واتَّعِظْ بآيةٍ واحدة من كتاب الله تعالى، ففيها مَقْنَع وبَلاغ لكل ذي بصيرة؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله ...﴾ الآية [٩ سورة المنافقين، الآية: ٦٣] إلى آخرها. وَإيَّاكَ ثم إيَّاكَ، أن تَشْتغل بِجَمْعِ المال فإنّ فَرَحَكَ به ينسيْكَ عن ذكر الآخرة ويَنزعُ حَلاوةَ الإيمان مِن قلبك.

شِعْرا: أَتطمَعُ أَنْ تُخَلَدَ لَا أَبـالَكْ   أَمِنْتَ مِن المَنِيَّةِ أَنْ تَنـالَكْ

فَكُـنْ مُتَوَقِّعـاً لِهُجُـــوْمِ مَوْتٍ   يُشَتِّتُ بَعْـد جَمْعِهُـم عِيَـــالَكْ
كَأَنِّـي بالتُّـرابِ عَلَـيْكَ يُحْثَـى   وبالْباكِيْـــنَ يقتَسَمـــُوْنَ مَالَكْ
آخر: ألا لَيْتَ الشَّبَـابَ يَعُـوْدُ يَوْمـاً   فأخْبـرَهُ بِمَـــا فَعَـــلَ المشِيْبُ

قال عيسى عليه وعلى نبينا صلواتُ الله وسلامُه لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإنّ بَريْقَ أموالهم يَذْهَبُ بحَلاوةِ إيمانِكم وهذا ثمرتُه بمجرد النظر فكيف عاقبة الجَمْعِ والطُغيانِ والبطر إنتهت الوصية.

شِعْرا: إذْكُرِيْ الموتَ لَدَى النَّـومِ ولَا   تَغْفُلِي عن ذِكْرِهِ عِنَدَ الهُبُـوْبْ
وَاذْكُرِيْ الوَحْشَةَ في القَبْرِ فَلَا   مُؤنِسٌ فِيْهَا سِوَى تَقْوَى القُلُوبْ
قَدِّمِـيْ الخَيْـرَ إحْتِسَابـاً فَكَفَـي   بَعْضُ مَا قَدَّمْتِ مِنْ تِلْكَ الذُنُوبْ
رَاعَنِـي فَقْـــدُ شَبَابِـــيْ وَأَنَـــا   لَا أَرَاعُ اليَومَ مِنْ فَقْدِ المَشِيْبْ
جَنَّ جَنْبَـايَ إلـىَ بُرْدِ الثَّـرَى   حَيْثُ أُنْسَى مِنْ عَدُوٍّ وصَدِيْق
آخر: وَكَمْ ذِيْ مَعَاصِي نَالَ منهُنَّ لِذَّةً   وَمَاتَ وخَلاها وَذَاقَ الدَّواهِيَـا
تَصَرَّمُ لَذَّاتُ المَعَاصِيْ وَتْنقَضِي   وَتَبْقَى تِبَاعَات المَعَاصِيْ كَمَا هِيَا
فَواسَأَتَـــا والله رَاءٍ وسامِـــعٌ   لِعَبدٍ بِعَيْنِ الله يَغشى المَعَاصِيَـا

والله أعلم وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وسلم.

«**فَصْلٌ**»: وَلَمَّا نَزَلَ المَوْتُ بِالحَسَنِ بْنِ عَلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ أَخْرِجُوْا فِرَاشِيْ إلِىَ صَحْنِ الدَّارِ فَأُخْرِجَ فَقالَ اللَّهُمَّ إِنِّي احْتَسِبُ نَفْسِيْ عِنْدَكَ فإِنِّي لَمْ أُصَبْ بِمِثْلِهَا؛ وَمِنْ أَخْلَاقِهْمْ قِلَّةُ الضَّحِكِ وَعَدَمُ الفَرَح بِشَيءٍ مِنْ الدُّنْيَا بَلْ كَانُوا يَنْقَبِضُوْنَ بِكُلِّ شَيْءٍ حَصَلَ لَهُمْ مِن مَلَابِسِهَا وَمَرَاكِبِهَا وَمَنَاكِحِهَا وَمَنَاصِبِهَا عَكْسُ مَا عَلَيْهِ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا العَاشِقُوْنَ لَهَا كُلُّ ذَلِكَ خَوْفاً أَنْ يَكُوْنُوا مِمَّنْ عُجِّلَ لَهُم الطَّيِّبَاتُ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَيْفَ يَفْرَحُ بِشَيءٍ سِوَى فَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ مَنْ هُوَ في السِّجْنِ مَحْبُوسٌ عَنْ لِقَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

شِعْرًا: لَعَمْـرِي ما الرَّزِيَّةُ فَقْدُ قَصْرٍ فَسِيْـحٍ مُنْيَـةٍ لِلسَّاكِنِيْنَـا
وَلَكِـنَّ الرَّزِيَّـةَ فَقْـدُ دِيْـنٍ يَكُـونُ بِفَقْـدِهِ مِن كَافِرِيْنَـا

وَفِي الحَدِيْثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «ووَالَذِي نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَوْ تَعْلَمُوْنَ مَا أَعلمُ لَضَحِكْتُم قَلِيْلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيْراً وَلَمَا تَلَذذْتُم بِالنِّساءِ عَلى الفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصَّعْدَاتِ تَجْأَرُوْنَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ عَجِبْتُ مِنْ ضَاحِكٍ وَمِنْ وَرَائِهِ النَّارُ وَمِنْ مَسْرُوْرٍ وَمِنْ وَرَائِهِ المَوْتُ.

وَرَوَى شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيْمَ قَالَ أُتِى عَبْدُالرَّحْمٰن ابْن عَوْفٍ بِعَشَائِهِ وَهُوَ صَائِمٌ فَقَرأَ ﴿إِنَّ لَدَيْنَا انْكالًا وَجَحِيْماً وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيْمَا﴾ فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِيْ حَتَّى رُفِعَ طَعَامُهُ وَمَا تَعَشَّى وَإِنَّهُ لصَائِمٌ خَرَّجَهُ الجَوْزجَانِّي. وقال الحسنُ ما ظَنُكَ باقوام قاموا لله على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشاً واحترقت أجوافهم جوعاً صرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد آنَ حَرُهَا واشتد نضجها.

شِعْرًا: وما عِظْم المُصَابِ فِرَاقُ أَهْلٍ ولَا وَلَـدٍ وَلَا جَارٍ شَفِيْـقِ
ولا مَوْتِ الغَـرِيْبِ بَعِيْـدُ دَارٍ عن الأوطانِ في البَلدِ السَّحِيْقِ
ولَكِـنَّ المُصِيْبَـةَ فَقْدُ دِيْـنٍ يَنَـالُ بِفَقْـدِهِ سُكْنَـى الحَرِيْـقِ

وَرُوِيَ أَنَّ الحَسَنَ أَمْسَى صَائِماً فَأُتِي بِعَشَاه فَعَرَضَتْ لَهُ هَذِهِ الآيَةُ ﴿إِنَّ لَدَيْنَا إِنْكَالًا وَجَحِيْماً وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيْماً﴾ فقَلَصَتْ يَدُهُ وَقَالَ ارْفَعُوهُ فَأَصْبَحَ صَائِماً.

فَلَمَّا أَمْسَى أُتِيَ بافطَارِهِ عَرَضَتْ لَهُ الآيَةُ فَقَالَ ارْفَعُوْهُ فَقُلْنَا يا أَبَا سَعِيْدٍ تَهْلِكُ وَتَضْعُفُ فَأَصْبَحَ اليَوْمَ الثَّالِث صَائِماً فَذَهَبَ ابْنُهُ إلى يَحْيَى البَكّاءِ وَثَابِتِ

البُنَانِي وَيَزِيْدِ الضَّبِّيْ، فَقَالَ أَدْرِكُوا أَبِيْ فَأَنَّهُ هَالِكٌ فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى سَقَوْهُ شَرْبَةَ مَاءٍ مِنْ سَوِيْق، وَكَانَ كَثِيْرٌ مِنْ السَّلَف مِثْلُ هَؤلآءِ يُنَغِّصُ عَلَيْهِمْ ذِكْرُ طَعَامِ أَهْلِ النَّارِ وَشَرَابِهِمْ طَعَامَ الدُّنْيَا فَيَمْتَنِعُوْا مِنْ تَنَاوُلِهِ أَحْيَاناً لِذَلِكَ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ حَدَّثَنِيْ مَنْ شَهِدَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِالعَزِيْزِ وَهُوَ أَمِيْرُ المَدِيْنَةِ وَقَرَأَ عِنْدَهُ رَجُلٌ ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِيْنَ دَعَوا هُنَالِكَ ثُبُوْرا﴾ فَبَكَى عُمَرُ حَتَّى غَلَبَهُ البُكَاءُ وَعَلا نَشِيْجُهُ فقَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَدَخَلَ بَيْتَهُ وَتَفَرّقَ النَّاسُ.

وَقَالَ سِرَارُ أَبُوْ عَبْدِاللهِ: عَاتَبْتُ عَطَاءَ السُّلَمِيْ فِي كَثْرَةِ بُكَائِهِ فقَالَ لِيْ يَاسِرَارُ كَيْفَ تُعَاتِبُنِيْ فِي شَيءٍ لَيْسَ هُوَ إِلَيَّ إِنِيْ إِذَا ذَكَرْتُ أَهْلَ النَّارِ وَمَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنْ عَذَاب اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِقَابِهِ تَمَثَّلَتْ لِيْ نَفْسِي بِهِمْ فَكَيْفَ لِنَفسٍ تُغَلُّ يَدَاهَا إِلى عُنُقِهَا وَتُسْحَبُ إلى النَّارِ أَنْ لَا تَبْكِيْ وَلَا تَصِيْحُ وَكَيْفَ لِنَفْسٍ تُعَذَّبُ أَنْ لَا تَبْكِيْ.

وَقَالَ العَلَاء بْنُ زِيَادٍ كَانَ إِخْوَانُ مُطَرِّفٍ عِنْدَهُ فَخَاضُوْا فِي ذِكْرِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ فقَالَ مُطَرِّفُ لَا أَدْرِيْ مَا تَقُولُونَ حَالَ ذِكْرُ النَّارِ بَيْنِيْ وَبَيْنَ الجَنَّةِ.

وَقَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ أَبِيْ الهُذَيْلِ لَقَدْ شَغَلَتَ النَّارُ مَنْ يَعْقِلُ عَنْ ذِكْرِ الجَنَّةِ وَعُوْتِبَ يَزِيْدُ الرَّقَاشِي عَلى كَثْرَةِ بُكَائِهِ وَقِيْلَ لَهُ لَوْ كَانَتْ النَّارُ خْلِقَتْ لَكَ مَازِدْتَ عَلَى هَذَا، فَقَالَ وَهَلْ خُلِقَتْه إِلَّا لِيْ وَلأَصْحَابِيْ وَلإِخْوَانِنَا مِنْ الجِنِّ وَالإِنْسِ.

أَمَا تَقْرَأُ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾، أَمَا تقْرَأُ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْهِمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فلاتَنْتَصِرَانِ﴾، فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ ﴿يطُوْفُوْنَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيْمٍ آنٍ﴾ وَجَعَلَ يَجُولُ فِي الدَّارِ وَيَبْكِيْ حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ.

شِعْرا: يَارَبِّ جُدْ لِيْ إِذَا مَا ضَمَّنِي جَدَثِيْ   بِرَحْمَةٍ مِنْكَ تُنْجِيْنِي مِن النَّـارِ

أَحسِنْ جِوارِيْ إذَا أَمْسَيْتُ جارَكَ في   لَحْدٍ فَإنَّكَ قَدْ أَوْصَيْتَ بِالْجَارِ

اللَّهُمَّ ثبِّتْ وَقَوِّ مَحَبَّتَكَ فِي قُلوبِنا واشْرَحْ صُدُوْرَنا وَنوِّرْها بِنُورِ الإيْمانِ واجْعَلنا هُداةً مُهْتَدين وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ واجْعَلنا مِمَّنْ يفُوزُ بالنَّظَر إلى وَجْهِكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيْمِ ياحَلِيمُ وَياكَرِيمُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ ياأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَضْلٌ**»: وَمِنْ أَخْلاَقِهِمْ مَقْتُ أَنْفُسِهِمْ ومُحَاسَبَتُهَا عَلَى الدَّقِيْقِ والْجَلِيْلِ، قَالَ مُطَرِّفُ بِدُعَائِهِ فِي عَرَفَةَ اللَّهُمَّ لَا تَرُدَّهُمْ لِأَجْلِيْ، وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِاللهِ المُزنيّ لَمَّا نَظَرْتُ إلى أَهْلِ عَرَفَاتٍ ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَدْ غُفِرَ لَهُمْ لَوْلا أَنِّيْ كُنْتُ فِيهِمْ، وَقَالَ أَيُّوْبُ السِّحيتَاني إذَا ذُكِرَ الصَّالِحُوْنَ كُنْتُ عَنْهُمْ بِمَعْزِلٍ. وقالت أَمْرَأَةٌ لِمَالِكِ بْنِ دِيْنَار يامُرَائِي، فَقَالَ ياهَذِه وَجَدْتِي إسْمِيْ الذي أَظَلَّهُ أَهْلُ البَصْرَة، وقال لَوْ قِيْلَ لِيَخْرجَ شَرُّ مَن فِي المَسْجِد مَا سَبَقَنِي إلى البَابِ أَحَدْ.

وكَان سُفيان الثَّورِي مَا يَنَام إلَّا أَوَّلَ اللَّيل ثُمَّ يَنْتَفِضُ فَزِعاً مَرْعُوباً يُناتدِي النارَ النارَ شَغَلِنَي ذِكْرُ النارِ عن النومِ والشهواتِ ثُمَّ يَتَوَضأَ ويَقُولُ على أثر وَضُوئِهِ اللَّهُمَّ إنكَ عَالِمٌ بِحَاجَتِي غَيْرَ مُعَلَّم وما أَطْلُبُ إلَّا فِكَاكَ رَقَبَتِي مِن النار.

وَلَمَّا احْتُضِرَ سُفْيَانُ الثَّوْري دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو الأَشْهَبِ وَحَمَّادُ ابْنُ سَلَمَة فَقَالَ لَهُ ياأَبَا عَبْدِاللهِ أَلَيْسَ قَدْ أَمِنْتَ مِمَّنْ كُنْتَ تَخَافُهُ وَتَقْدُمُ عَلَى مَنْ تَرْجُوْه وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ، فَقَالَ ياأَبَا سَلَمَةَ أَيُطْمَعُ لِمِثْلِيْ أَنْ يَنْجُوَ مِنْ النَّارِ، فَقالَ أَيْ وَاللهِ إنِّيْ لأَرْجُوْ ذَلِكَ.

وَكَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيّ بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ كَثِيْراً مايَتَمَثَّلُ:

أَظَرِيْفُ إِنَّ العَيْشَ كَدَّرَ صَفْوَهُ ذِكْرُ المَنِيَّةِ وَالقُبُورِ الهُـوَّلِ
دُنْيـاً تَدَاوَلَهَـا العِبَـادُ ذَمِيْمَـةً شِيْبَتْ بِأَكْرَهَ مِنْ نَقِيْعِ الحَنْظَلِ
وَبَنَـاتُ دَهْـرٍ لَاتَزَالُ مُلِمَّـةً وَلَهَا فَجَائِعُ مِثْلُ وَقْعِ الجَنْدَلِ

وَجَاعَ مَرَّةً جُوْعاً شَدِيْدَاً فَمَرَّ بِدَارٍ فِيْهَا عُرْسٌ فَدَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ فَلَمْ يُطَوِعْهَا وَمَضَى إِلى بَيْتِهِ وَقَدَّمَتْ لَهُ بِنْتُهُ قُرْصاً فَأَكَلَهُ وَشَرِبَ مَاءً فَتَجَشَّى ثُمَّ قَالَ:

سَيَكْفِيْكَ مِمَّا أُغْلِقَ البَابُ دُوْنَهُ وَظَنَّ بِهِ الأَقْوامُ مِلْحٌ بِجُرْدُقِ
وَتَشْرَبُ مِن مَاءٍ فُرَاتٍ وَتغْتَذِيْ تُعَارِضُ أَصْحَابَ الثرِيْدِ الملَبَّقِ
تَجَتَّنِي إِذَا مَا هُمْ تَجشَوْا كَأَنَّمَا ظَلَلْتَ بَأَنْواعِ الخَبِيْصِ المُفَتَّقِ

آخر: إِذَا مَا أَصبْنَـا كُلَّ يَوْمٍ مُذَيْقَـةً وَخَمْسَ تُمَيراتٍ صِغَارٍ كَوَانِـزِ
فَنحْنُ مُلوُكُ الأَرْضِ خصْباً وَنَعْمَةً وَنَحْنُ أُسُوْدُ الْغَابِ عِنْدَ الهَزَائِزِ
وَكَـمْ مُتَمَـنَّ عَيْشَنَـا لَا يَنَالُـهُ وَلَوْ نَالَهُ أَضْحَى بِهِ حَقَّ فَائِـزِ

آخر: خُمْصُ البُطُوْنِ مِنَ الطَّوَى وَأَعِفَّةٌ عَن شُبْهَـةٍ لَايَعْرِفُـونَ حَرَامَـا

وَقَالَ يُوْنُسُ بنُ عُبَيْدٍ إِنِّي لأَجِدُ مائَةِ خَصْلَةٍ منْ خِصَالَ الخَيْرِ مَا أَعْلَمُ أَنَّ في نَفْسِيْ مِنْهَا وَاحِدَةً، وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ وَاسِعٍ لَوْ كَانَ لِلذُّنُوبِ رِيْحٌ مَاقَدِرَ أَحَدٌ أَنْ يَجْلِسَ إِلَيَّ.

وَذُكِرَ دَاوُدُ الطَّائِيّ عِنْدَ بَعْضِ الأُمَرَاءِ فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ فَقَالَ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ بَعْضَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مَا ذَلَّ لَنَا لِسَانٌ بِذِكْرِ خَيْرٍ أَبَدَا.

وَقَالَ أَبُوْ حَفْصٍ مَنْ لَمْ يَتَّهِمْ نَفْسَهُ عَلى دَوَامِ الأَوْقَاتِ وَلَمْ يُخَالِفْهَا في جَمِيْعِ الأَحْوَالِ وَلَمْ يَجُرَّها إِلَى مَكْرُوْهِهَا في سَائِرِ أَوْقَاتِهِ كَانَ مَغْرُوْراً وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا بِاسْتِحْسَانِ شَيْءٍ مِنْهَا فَقَدْ أَهْلَكَهَا.

وَلَمَّا سُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ

الذِيْنَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية، قَالَتْ: يَا بَنِيَّ هَؤُلَآءِ في الجَنَّةِ أَمَّا السَّابِقُ بالخَيْرَاتِ فَمَنْ مَضَى على عَهْدِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ شَهِدَ لَهُمْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ بالجَنَّةِ وَالرِّزْقِ وَأَمَّا المُقْتَصِدُ فَمَنْ تَبِعَ أَثَرَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ حَتَّى لَحِقَ بِهِ وَأَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ فَمِثْلِيْ وَمِثْلُكُمْ فَجَعَلَتْ نَفْسَهَا مَعَهُمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

شِعْرًا: قَوْمٌ مَضَوْا كَانَتِ الدُّنْيَا بهم نُزَهاً ... والدَّهْرُ كالعِيدِ وَالأَوْقَاتُ أَوْقَاتُ
عَدْلٌ وَأَمْنٌ وإحْسَانٌ وَبَذْلُ نَدَى ... وَخَفْضُ عَيْشٍ نُقَضِّيْهِ وَأَوْقَاتُ
مَاتُوا وَعِشْنَا فهُم عَاشُوا بِمَوْتِهِمُ ... وَنَحْنُ في صُوَرِ الأَحْيَاءِ أَمْوَاتُ
لِلَّهِ دَرُّ زَمَانٍ نَحْنُ فِيْهِ فَقَدْ ... أَوْدَى بِنَا وَعَرَتْنَا فِيْهِ نَكْبَاتُ
جُوْرٌ وَخَوْفٌ وَذُلٌّ مَا لَهُ أَمَدٌ ... وَعِيْشَةٌ كُلُّهَا هَمٌّ وَآفَاتُ
وَقَدْ بُلِيْنَا بِقَوْمٍ لا اخَلَاقَ لَهُمْ ... إِلَى مُدَارَاتِهِم تَدْعُو الضَّرُوْرَاتُ
مَا فِيْهِمُ مِنْ كَرِيْمٍ يُرْتَجَى لِنَدىً ... كَلَّا وَلا لَهُم ذِكْرٌ إِذَا مَاتُوا
لا الدِّيْنُ يُوْجَدُ فِيْهِم لَا وَلَا لَهُمُوْا ... مِن المُرُوْءَةِ مَا تَسْمُوْ بِهِ الذَّاتُ
وَالصَّبْرُ قَدْ عَزَّ وَالآمَالُ تُطْمِعُنَا ... وَالعُمْرُ يَمْضِيْ فَتَارَاتٌ وَتَارَاتُ
وَالمَوْتُ أَهْوَنُ مِمَّا نَحْنُ فِيْهِ فقدْ ... زَالَتْ مِنْ النَّاسِ وَاللهِ المُرُوآتُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأبْرارِ وأَسْكِنَّا مَعهمُ في دارِ القرارَ، اللَّهُمَّ وفِّقْنَا بِحُسْنِ الإِقْبَالِ عَلَيْك والإِصْغَاءِ إليك وَوَفِّقْنَا لِلتّعاوُنِ في طَاعَتِكَ والمُبَادَرَةِ إلى خِدْمَتِكَ وحُسْنِ الآدابِ في مُعَامَلَتِكَ والتّسليمِ لأَمْرِك والرِّضا بِقَضَائِكَ والصَّبْرِ عَلى بَلائِكَ والشّكْرِ لِنَعْمَائِكَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينا ولجميع المسلمين. اللَّهُمَّ اشْفِ قُلُوْبَنَا مِنْ أَمْرَاضِ المَعَاصِيْ وَالآثَامِ وَامْلأْهَا مِنْ خَشْيَتِكَ وَأَقْبِلْ بِهَا إلى طَاعَتِكَ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« فَصْـــلٌ »

وَمِنْ أَخْلاَقِهِم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم كَثْرَةُ الحُزْنِ وَالهَمِّ كُلَّما تَذَكَّرُوا المَوْتَ وَسَكَرَاتِهِ وَخَوْفُ سُوْءِ الخَاتِمَةِ الذي من أَسْبَابِهِ اسْتِيْلاَءُ حُبِّ الدُّنْيَا على القَلْبِ وَضَعْفِ الإِيْمَانِ وَالإِنْهِمَاكِ في المَعَاصِيْ.

لأَنَّهُ مَتى ضَعُفَ الإِيْمَانُ ضَعُفَ حُبُّ اللهِ تَعَالَى وَقَوِيَ حُبُّ الدُّنْيَا حَتَّى لاَ يَبْقَى في القلْبِ مَوْضِعٌ لِحُبِّ اللهِ إِلا مِنْ حَيْثِ حَدِيْثِ النّفْسِ وَلا أَثَرَ لَهُ في كَفِهَا عَنْ السَّيِّئَاتِ.

وَذَلِكَ يُوْرِثُ الإِكْثَارَ مِنْ المَعَاصِيْ وَالاسْتِمْرَارَ فِيْهَا حَتَّى يُظْلِمُ القَلْبُ وَتَرَاكَمَ عَلَيْهِ ظُلمَاتُ الذُنوب فَلا تَزَالُ تُطْفِىءُ مَا فيهِ مِنْ نُوْرِ الإِيْمَانِ عَلى ضَعْفِهِ حَتَّى تَصِيْرَ طَبْعاً وَرَيْنَا.

فَإِذَا جَاءَتْ سَكَرَاتُ المَوْتِ ازدَادَ ضَعْفُ حُبِّهِ لِلَّهِ لِشُعُوْرِهِ بِفِرَاقِ الدُّنْيَا إِذْ هِيَ المَحْبُوبُ الغَالِبُ عَلى القلْبِ فَيَتأَلَّمُ باسْتِشعَارِ فِرَاقِها وَيَرى ذَلِكَ مِنْ اللهِ فَيَخْتَلِجُ ضَمِيرُه بانْكَارِ مَا قُدِّرَ عليهِ مِن الموتِ وَكَراهِيَتِه مِن حَيْثِ أَنهُ مِنْ اللهِ فَيُخْشَى أَنْ يَفْرُطَ مِنْ لِسَانِهِ أَوْ يَثُورَ مِنْ قَلبِهِ شَيءٌ يُسْخِطُ اللهَ عَلَيْهِ.

وَالذِي يُفْضِيْ إلى مِثْلِ هَذِهِ الخَاتِمَةِ غَلَبَةُ حُبِّ الدُّنْيا وَالرُّكُونُ إِلَيْهَا وَالفَرحِ بأَسْبَابِهَا مَعَ ضَعْفِ الإِيْمَانِ المُوْجِبُ لِضَعْفِ حُبِّ اللهِ تَعَالى أَمَا مَنْ كَانَ حُبُّ اللهِ تَعَالى أَغْلَبُ على قَلْبِهِ مِنْ حُبِّ المالِ والدُّنْيَا فَهُو أَبْعَدُ عَنْ هَذَا الخَطَرِ العَظِيْمِ فَحُبُّ الدُّنْيَا رَأْسِ كُلِّ خَطِيْئَةٍ وَهُوَ الدَّاءُ العُضَالُ.

وَلِهَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم أَجْمَعِيْنَ مُتَأَثِّرِيْنَ بِأَخْلاقِ النَّبي ﷺ لا تَزِنُ عِنْدَهُمْ الدنْيَا شَيْئاً وَلاَ يَعْبَؤنَ بِهَا وإذا حَصَلَ لهُمْ شَيءٌ مِنْهَا خَرَجَ فَوْراً وَمِنْ أَخْلاَقِهِم القَنَاعَةُ وَحُسْنُ الإِلتِجَاءِ إِلى اللهِ وَالثقَةِ بهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ في الدَّقِيْقِ وَالجَلِيْلِ قَالَ بَعْضُهُم:

يَامَنْ لَهُ الفَضْلُ مَحْضاً فِي بَرِيَّتِهِ ... وَهُوَ المُؤَمَّلُ فِي الضَّرَّاءِ وَالبَاسِ
عَوَّدْتَنِي عَادَةً أَنْتَ الكَفِيْلُ بِهَا ... فَلَا تَكِلِنيْ إلى خَلْقٍ مِنَ النَّاسِ
وَلَا تُذِلَّ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ عِزَّتِهِ ... وَجْهِي المَصُوْنَ وَلَا تَخْفِضْ لَهُم رَاسِيْ
وَابْعَثْ عَلَى يَدِ مَنْ تَرْضَاهُ مِنْ بَشَرٍ ... رِزْقِي وَصُنْهُ عَمَّنْ قَلْبُهُ قَاسِيْ
فَإِنَّ حَبْلَ رَجَائِي فِيْكَ مُتَّصِلٌ ... بِحُسْنِ صُنْعِكَ مَقْطُوْعاً عَنْ النَّاسِ

آخـــر:

إِنَّ القَنَاعَةَ كَنْزٌ لَيسَ بالفَانِيْ ... فَاغْنَمْ أُخَيَّ هُدِيْتَ عَيْشَهَا الفَانِ
وَعِشْ قَنُوعاً بلا حِرْصٍ وَلَا طَمَعٍ ... تَعِشْ حَمِيْداً رَفِيْعَ القَدْرِ وَالشَّانِ
لَيْسَ الغَنِيُّ كَثِيْرَ المَالِ يَخْزُنُهُ ... لِحَادِثِ الدَّهْرِ أَوْ لِلْوَارِثِ الشَّانِيْ
يُجَمِّعُ المَالَ مِنْ حِلٍّ وَمِنْ شُبَهٍ ... وَلَيْسَ يُنْفِقُ فِي بِرٍّ وَإِحْسَانٍ
يَشْقَى بِأَمْوَالِهِ قَبْلَ المَمَاتِ كَمَا ... يَشْقَى بِهَا بَعْدَه فِي عُمْرِهِ الثَّانِيْ
إِنَّ الغَنِّيَ غَنِيُّ النَّفْسِ قَانِعُهَا ... مُوَفَّرُ الحَظِّ مِنْ زُهْدٍ وَإِيْمَانِ
بَرٌّ كَرِيْمٌ سَخِيُّ النَّفْسِ يُنْفِقُ مَا ... حَوَتْ يَدَاهُ مِن الدُّنْيَا بِإِيْقَانِ
مُنَوَّرُ القَلْبِ يَخْشَى اللهَ يَعْبُدُهُ ... وَيَتَّقِيْهِ بِإِسْرَارٍ وَاعْلَانِ
مُوَفَّقٌ رَاسِخٌ فِي العِلْمِ مُتَّبِعٌ ... إِثْرَ الرَّسُوْلِ بِإِخْلَاصٍ وَإِحْسَانِ

آخر: إِنْ كُنْتَ تَرْجُوْ اللهَ فَاقْنَعْ بِهِ ... فَعِنَدَهُ الفَضْلُ الكَثِيْرُ الغَزِيْرْ
مَنْ ذا الَّذِي تَلْزَمُهُ فاقَةٌ ... وذُخْرُهُ اللهُ الغَنِيُّ الكَبِيْرْ

«**فَصْلٌ**»: قال ابنُ القَيم رحمه اللهُ مِن فوائِدِ مُحَاسَبَةِ النفسِ أنه يَعْرِفُ بِذَلِكَ حَقَّ اللهِ تعالى، ومَن لَمْ يَعْرِفْ حَقَّ اللهِ تعالى عليه فإِنَّ عبادتَهُ لَا تكَادُ تُجدِي عليه، وهي قليلة المنفعة جداً.

وقد قال الامام أحمد: حدثنا حجاج حدثنا جرير بن حازم عن وهب قال: بلغني أن نبي الله موسى عليه السلام مَرَّ برجلٍ يَدعُو ويتضرّع فقال:

يارب ارحمه، فإني قد رحمته، فأوحى الله تعالى إليه: «لو دعاني حتى تنقطع قواه ما استجبت له حتى ينظر في حقي عليه».

فمن أنفع ما للقلب النظر في حق الله على العباد، فإن ذلك يورثه مَقْتَ نفسه، والازراء عليها، ويخلصه مِن العجب ورُؤْيةِ العمل ويفتحُ له بِابَ الخضوع والذُّلِ والانكسار بين يديْ ربه، واليأس من نفسه.

وإن النجاة لا تحصلُ له إلا بعفو اللهِ ومغفرته ورحمتهِ، فإن مِن حَقِّهِ ان يُطَاعَ ولا يُعصى، وأَنْ يُذكَرَ فلا يُنْسَى، وأَنْ يُشكَرَ فلا يُكفر.

فمَنْ نظر في هذا الحق الذي لِرَبهِ عليه، علِمَ عِلْمَ اليقينِ أنه غير مُؤَدٍ له كما يَنْبغِي وانه لا يَسَعُهُ إلا العفوُ والمغفرة، وأن إن أحِيْلَ على عَمَلِهِ هَلَك.

فِهذا مَحَلُ أهلَ المعرفةِ بالله تعالى وبِنُفوسِهم، وهذا الذي أَيْأَسَهُم مِن أنفسِهم وعَلَّقَ رَجَاءَهم كلَّهُ بعفو الله ورحمته.

وإذا تأَمَّلْتَ حَالَ اكثرِ الناس وجَدْتَهُم بضِدِ ذَلِكَ، يَنْظُرونَ في حَقِهم على اللهِ ولا يَنْظُرونَ في حِق الله عليهم.

ومِن ههنا انقطعوا عن الله وحُجِبَتْ قُلوبهُم عَن مَعْرفِتِهِ والشوقِ إلى لِقائِهِ، والتنعمِ بذِكرِهِ، وهذا غايةُ جَهْلِ الإنسانِ بربه وبنفسه.

شِعْرًا: ما أَنعَمَ العِيْشَةُ لَوْ أَنَّ الفَتَى ... يُلْهَمُ تَسْبِيْحاً لِخَلَّاقَ الوَرَى
وقد تَحَلَّى بالسَّخَاءِ والتُّقَى ... لِيَقْتَدِي مَنْ قَصْدُهُ سُبُلَ الهُدَى

فمحاسبة النفس هو نظر العبد في حق الله أَوَّلا، ثم نظره هَلْ قَامَ به كما يَنْبَغِي ثانياً.

وأَفْضَلُ الفِكْرِ الْفِكْرُ في ذَلِكَ، فإنَّهُ يُسَيِّرُ القَلْبَ إلى اللهِ وَيَطْرحُه بَيْنَ يَدَيْه ذَلِيْلًا خَاضِعاً مُنكَسِراً كَسْرًا فيه جَبْرُهُ، ومُفَتْقِراً فقْراً فِيْهِ غِنَاهُ، وذَلِيلًا ذلاً فيه عِزُّهُ،

وَلَوْ عَمِلَ مِن الأَعْمَالِ ما عَسَاهُ أَنْ يَعْمَلَّ فإنَّهُ إذا فَاتَهُ هذا فالذي فاتَه مِن البِرَ أَفْضَلُ مِن الذي أَتى، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: وقال رحمه الله تعالى: فائدة قَبُولُ الْمَحَلِّ لِمَا يُوضَعُ فيه مَشْرُوْطٌ بِتَفْرِيْغِهِ مِن ضِدِه، وهذا كَما أَنَّهُ في الذَّواتِ وَالأَعْيَانِ، فكذَلِكَ هو في الاعْتِقَادَاتِ وَالإِرَادَاتْ.

فإذا كان القلب مُمْتَلِئاً بالباطل باعتقاده ومحبته لم يبق فيه لاعتقاد الحق ومحبته موضع كما أن اللسان إذَا اشتغل بالتكلم بما لا ينفع لم يتمكن صاحبه من النطق بما ينفعه إلا إذا فرغ لسانهُ من النطق بالباطل.

وكذلك الجوارح إذا اشتغلت بغير الطاعة لم يمكن شغلها بالطاعة إلا إذا فرغها من ضدها. فكذلك المشغول بمحبة غير الله وارادته والشوق إليه والأنسِ به لا يمكن شغله بمحبة الله وارادته وحبه والشوق إلى لقائه إلا بتفريغه بغيره.

ولا حركة اللسان بذكره والجوارح بخدمته إلا إذا فرغها من ذكر غيره وخدمته. فإذا امتلأ القلب بالشغل بالمخلوق والعلوم التي لاتَنْفع لم يبق فيها موضع للشغل بالله ومعرفة اسمائه وصفاتِهِ، واحكامه.

وسر ذلك في اصغاءِ القلب كإصغاءِ الأذن، فإذا أصغى إلى غير حديث الله لم يبق فيه اصغاء وفهم لحديثه، كما إذا مال إلى غير محبة الله لم يبق فيه ميل إلى محبته. فإذا نطق القلب بغير ذكره لم يبق فيه محل للنطق بذكره كاللسان.

ولهذا في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال: «لأن يمتلىء جوف أَحدكم قيحاً حتى يريهِ خيرٌ له من أن يمتلىء شعراً» رواه مسلم وغيره.

فبين ان الجوف يمتلىء بالشعر، فكذلك يمتلىء بالشبُه والشكوك والخيالات، والتقديرات التي لا وجود لها، والعلوم التي لا تنفع، والمفاكهات والمضحكات والحكايات ونحوها.

وإذا امتلأ القلب بذلك جاءَته حقائق القرآن والعلم الذي به كماله وسَعَادَتُه فلم تَجدْ فيه فَراغاً لهَا ولا قَبُولًا وجاوزته إلى محل سواه.

كما إذا بَذَلْتَ النصيْحَةَ لقلبٍ مَلْآنٍ من ضدها لا منفذ لها فيه فإنه لا يقبلها وتَلِجُ فيه لكن تَمُرُّ مُجْتَازة لا مُسْتَوْطِنَة.

وقال بعضهم الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما، ولقي حكيم حكيماً فقال له لا رأك الله عندما نهاك ولا فقدك حيث أمرك، وقال بشر بن الحارث بي داء ما لم أعالج نفسي لا أتفرغ لغيري فإذا عالجت نفسي تفرغت لِغيري.

وقال أنا أكره الموتَ ولا يكره الموتَ إلا مُرِيب وسأله بعضهم موعظة فقال: ما تقول فيمن القبر مسكنه والصراط جوازه والقيامة موقفه والله مُسَائِله فلا يعلم إلى جنة يصير فَيُهَنَّي أو إلى نار فيعزى فَوَا طُولَ حُزْنَاهُ وَاعُظْمَ مُصِيْبَتَاهُ زَادَ البُكَادُ فلا عَزَاء واشتد الخوف فلا أَمْنٌ.

شِعْرًا: تَعَافُ القَذا في الماءِ لا تَسْتَطِيْعُهُ ... وتكرعُ في حَوضِ الذُنُوب فتشْرَبُ
وتُؤْثِرُ في أَكْلِ الطَّعَامِ أَلَذَّهُ ... ولا تَذْكُرُ المُخْتَارَ من أيْنَ تَكْسَبُ
وتَرْقُدُ يا مِسْكِينَ فَوْقَ نَمارِقٍ ... وفي حَشْوِهَا نارٌ عَليكَ تَلَهَّبُ
فَحَتَّى مَتَى لا تَسْتَفِيْقُ جَهالَةٍ ... وأنْتَ ابنُ سَبْعِيْنٍ بِدِيْنِكَ تَلْعَبُ

ولقد كان بعضُ الصَحابة يُؤَدِي ما عليه مِن العبادة ولَم يكن يكثر من الاستغفار في حياة النبي ﷺ ثم لما لحق الرسول ﷺ بالرفيْق الأعلا أكثر الصحابي مِن الأستغفار، فسأله الصحابة في ذلك فقال لقد كُنْتُ آمناً مِن العذاب في حياة الرسول ﷺ فلما تُوفِّي لم يبق إلا الأمان الثاني وهو الاستغفار.

يقول الله تبارك وتعالى ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾.

وقال عامر بن عبدالله بن قيس: لو أن الدنيا كانت لي بحذافيرها ثم أمرني

الله تعالى بإخراجها كلها لأخرجتها بطيب نفس، وكان يقول كم من شيء كنت أحسنه أود الآن أني لا أحسنه وما يغني ما أحسن من الخير إذا لم أعمل به.

وكان يقول «من جهل العبد أن يخاف على الناس من ذنوبهم ويأمن هو على ذنوب نفسه».

ويقول بعضهم طوبى لمن كان صمته تفكراً وكلامه ذكراً ومَشْيُهُ تدبراً وكان سفيان الثوري يقول: إذا فسد العلماء فمن بقي في الدنيا يصلحهم ثم ينشد:

يامَعْشرُ العُلَماءِ يامِلْحَ البَلَدْ   ما يُصْلِحُ المِلْحَ إذا المِلحُ فَسَدْ

آخر: ورَاعِ الشاة يَحِمْي الذئب عنها   فكَيْفَ إذ الذِئابُ لَهَا رُعَاةُ

بالمِلْحِ يَصْلَحُ ما يُخْشَى تَغَيُّرُهْ   فكَيْفَ بِالمِلْحِ إنْ حَلَّتْ بِهِ الْغِيَرُ

والله أعْلَمْ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: وقال بَعْضُ العُلَماءِ إِخْوَانِي إعْلَمُوا أَنَّ صَلاحَ الأُمَّة وفَسَادُهَا بِصَلاحِ العُلَمَاء وفَسَادهمْ وأن من العلماء رحمة على الناس يسعد من إقتدى بهم وأن من العلماء فتنة على الأمة يهلك من تأسى بهم.

فالعالم إذا كان عاملا برضوان الله مؤثِراً للآخرة على الدنيا فأولئك خلفاء الرسل عليهم السلام والنصحاء للعباد والدعاة إلى الله فيسعد من أجابهم ويفوز من اقتدى بهم ولهم مثل أجر المتأسين بهم.

وتلى بعض أهل العلم قول الله تعالى ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعى إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾.

فقال هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الأرض إلى الله أَجَابَ اللهَ في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحاً في إجابته وقال انني من المسلمين إنه خليفة الله.

يا قوم فبمثل هذا العَالِم اقتدوا به وتأسوا تسعدوا ألا أن صِنْفاً من العلماء رضوا بالدنيا عوضاً عن الآخرة فآثروها على جوار الله تعالى ورغبوا في الاستكثار منها وأحبوا العلو فيها.

فتأسَى بهم عالم من الناس وافتتن بهم خلق كثير أولئكَ أسوء فتنة على الأمة، تركوا النصح للناس كيلا يفتضحوا عندهم، لقد خسروا وبئسما اتجروا واحتملوا أوزارهم مع أوزار المتأسين بهم فهلكوا وأهلَكوْا أولئك خلفاء الشيطان ودعاة إبليس أقل الله في البرية أمثالهم.

وقال بعض العلماء من إزداد بالله علماً فإزداد للدنيا حباً ازداد من الله بعداً وقال إذا كان العالم مفتوناً بالدنيا راغباً فيها حريصاً عليها فإن في مجالسته لفتنة تزيد الجاهل جهلاً وبفتن العالم يزيد الفاجر فجوراً ويفسد قلبُ المؤمن.

شِعْرًا: أُوْصِيْكُمُ يا مَعْشَرَ الإِخْوَانِ ... عَلَيْكُمُ بِطَاعَةِ الدَّيَانِ
إِيَّاكُمُ أَنْ تُهْمِلُوا أُوقاتَكُم ... فَتَنْدَمُوا يَوماً على مَا فَاتَكُمْ
وإنما غَنِيْمَةُ الإنسانِ ... شَبَابُهُ والخُسْرُ في التَّوانِي
ما أَحْسَنَ الطَّاعَةَ لِلشُّبَّانِ ... فأَسْعَوْا لِتَقْوَى اللهِ يَا إِخْوانِي
وأَعْمِرُوْا أَوْقَاتَكم بالطَّاعَةَ ... والذِّكْر كُلَّ لَحظَةٍ وسَاعَةْ
ومَنْ تَفُتْهُ سَاعَة في عُمْرِهِ ... تَكُنْ عَلَيهِ حَسْرَةٌ في قَبْرِهِ
ومَنْ يَكُنْ فَرَّطَ في شَبَابِهِ ... حَتَّى مَضَى عَجِبْتُ مِن تَبَابِهِ
ويا سَعَادَةَ امْرِيءٍ قَضاهُ ... في عَمَلٍ يَرضَى به مَوْلَاهُ
أَحَبَّ رَبِي طاعَةِ الشَّبَابِ ... يا فَوْزَهُمْ بَجَنَّةِ الرِّضْوانِ
فَتُبْ إلى مَولاكَ يا إِنْسَانُ ... من قَبْلِ أَنْ يَفُوتكَ الأَوَانُ
ومَن يَقُلْ إِنِّي صَغِيْرٌ اَصْبِرُ ... ثُمَّ أُطِيْعُ اللهَ حِينَ أَكْبُرَ
فَإِنْ ذَاكَ غَرَّهُ إِبْلِيْسُ ... وقَلْبُهُ مُغَلَّقٌ مَطمُوْسُ
لا خَيْرَ فِيْمَنْ لَم يَتُبْ صَغِيْرَا ... ولَمْ يَكُنْ بِعَيْبِهِ بَصِيْرَا

مُجانِباً لِلإِثْمِ والعِصْيَانِ ... مُخالِفاً لِلنَّفْسِ والشَّيْطَانِ

مُلازِماً تِلاوَةَ القُرْآنِ ... مُسْتَعْصِماً بالذِكْرِ مِن نِسْيَانِ

مُراقِباً لِلَّهِ في الشُّؤونِ ... مُحاذِراً مِن سَائِرِ الفُتُونِ

مُجَانِباً رَذَائِلَ الأَخْلَاقِ ... مُجافِياً كُلَّا عَدَا الخَلَّاقِ

مُحَارِباً لِنُزْعَةِ الضَّلالِ ... وَصَوْلَةِ الأَهْوَاء وسُوْءِ الحالِ

فإنْ أَرَدْتَ الفُوزَ بالنَّجَاةِ ... فاسْلُكْ سَبِيْل الحقِ والهُداةِ

يَا مَنْ يَرُومُ الفَوزَ في الجناتِ ... بالمُشْتَهَى وَسَائِر اللَّذَات

انْهَضْ إلى السَّجْدَاتِ في الأَسْحَارِ ... واحْرَصْ على الأَوْرَادِ والأَذْكَار

واحذَرْ رِياءَ الناسِ في الطاعات ... في سَائِر الأَحْوَالِ والأَوْقاتِ

واخْتَرْ من الأَصْحَابِ كُلَّ مُرْشِدِ ... إنَّ القَرِيْنَ بالقَرِيْنَ يَقْتَدِي

وصُحْبَةُ الأَشْرَارِ دَاءٌ وعَمَى ... تَزِيْدُ في القَلْبِ السَّقِيْمَ السقَمَا

فإن تَبِعْتْ سُنَّةَ النبي ... فاحْذَرْ قرين السوء والدَّنِيّ

واخْتَرْ مِن الزَّوجَاتِ ذَات الدَيْنِ ... وكُنْ شُجَاعاً في حِمَى العَرِيْنِ

وزَوِّدْ الأَوْلادَ بالآدابِ ... تَحْفَظْ قُلُوبَهُم مِن الأَوْصَابِ

وهَذِّبِ النُفُوسَ بالقرآنِ ... ولا تَدَعْهَا نُهْبَةَ الشَّيطَانِ

واخرصَ علىَ مَا سُنَّةُ الرَّسُولُ ... فهو الهُدى والحق اذْا أَقُولُ

دَعْ عَنْكَ ما يَقولُه الضُّلَّالُ ... فَفِيْهِ كُلُّ الخُسْرِ والوَبَالُ

وأَصْدَقُ الحَدِيث قَولُ رَبِنَا ... وخَيْرُ هَدْي اللهِ عن نَبِيِّنَا

يا أيها الغَفْلَانُ عن مَوْلَاهُ ... انْظُرْ بأيِ سَيِّءٍ تَلْقَاهُ

أما عَلِمْتَ الموتَ يأتِي مُسْرِعاً ... ولَيْسَ لِلإِنْسَانِ إلا مَا سَعَى

ولَيْسَ للإِنْسَانِ مِن بَعدِ الأَجَلْ ... إلا الذي قَدَّمَهُ مِن العَمَلْ

فبادِرِ التوبة في إمكانها ... مِن قَبلِ أَن تُصَدَّ عن إتيَانِهَا

يا أيُّها المَغرورُ ما هذا العَمَلْ ... إلى مَتَى هَذا التَّراخِي والكَسَلْ

لَوْ يَعْلَمِ الإِنسانُ قَدْرَ مَوْتِهِ ... مَا ذَاقَ طُولَ الدَّهْرِ طَعْمَ قُوتِهِ

ما لي أرَاكَ لَم تُفِدْ فِيكَ العِبَرْ وَيْحَكَ هذا القَلْبُ أقْسَى مِن حَجَرْ
وأَفْلَسُ النـاسِ طَوْيـلُ الأمَــلِ مُضَيِّـعُ العُمْـرِ كَثِيْـرُ الخَطَــلِ
نَهَـارُهُ مُمْضِيـهِ في البَطَالَــةْ ولَيْلَـهُ في النَـوْمِ بِئْسَ الحَالَــةْ
ادْعُ لَنَـا يا سَامِعـا وَصيِّتــي بالعَفْـو والصَّفْـح مَعَ العَطِيَّــةِ
والسِتْـرِ فَضْلًا مِنـه للعُيُــوبِ والمحو في الكِتَــابِ لِلذُنُــوبِ
يَارَبَّ جُدْ بالفَضْلِ والاحسانِ والـروحِ والريْحَـانِ والجِنــانِ
ولا تؤَاخِذْنَــا عَلى النَّسيَــانِ ولا على الإخْطَاءِ ولا العِصْيَانِ
يا رَبِّ واحْفَظْنَا مِن الفَتَّــانِ ولا تُذِقْنَــا حُرْقَــةَ النِيْــرَانِ
يا رَبِّ وانْصُرْنَـا على الأعْـدَاءِ واحْمِ الحِمَى مِن هِيْشَةِ الغَوْغَائِي
ودِينَكَ احْفَظْـهُ مَعَ الأمَــانِ لِلأَهْلَ في الأقطَارِ والأوطَــانِ
والحَمــد لله على الختــامِ والشكــر لله علَــى الأنعــامِ
ما أَعظَـم الأنعـامَ مِن مَولانـا وأجْــزَلَ الإفضالُ إذْ هَدَانَــا
لِنِعْمَــــةِ الإيمانِ والإسلامِ والاقتــداءِ بسَيِّــد الأنــام
ثم صلاةُ الله والسلامُ ما نَاحَ طَيْـرُ الايكِ والحَمَـامِ
على النبي المصطَفى الـبشير الهاشِمــي المجتَبَــي النَذِيــرِ
وآلِـهِ ما انبلــجَ الصَّبَــاحُ وصَحْبَــهِ ما هَبَّتِ الرِّيَــاحُ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَاذَا الجَلَالِ والأَكْرَامِ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوْبِنَا وقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا يَامَوْلَانَا ذِكْرَكَ وَشُكرك وآمِنَّا مِن عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ، اللَّهُمَّ يَاعالِمَ الخفيات وَيَا سَامِعَ الأصْواتِ ويَا بَاعِث الأمْواتِ ويَامُجِيْبَ الدَعَوَاتِ وَيَاقَاضِيَ الحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الأرضِ والسَّمواتِ أَنْتَ اللهُ الأحدُ الصمدُ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كفواً أحَد الوَهَّابُ الذي لا يَبْخَلُ والحَليمُ الذي لا يَعْجَلُ لا رادَّ لامْركَ ولا مُعَقِّبَ لِحُكَمِك نَسْأَلكَ أنْ تغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« فَصْـــلٌ »

وَحَسْبُكَ مِنْ آثَارِ تَرْبِيَةِ النبي ﷺ لِأَصْحَابِهِ على قوَّةِ الثقةِ باللهِ وَحُسْنِ الظن بِهِ والتَّوَكلِ عَلَيْهِ وَالزُّهْدِ في الدُّنْيَا مَا يَتَجَلَّى بأكْمَلِ مَعَانِيْهِ في أَبِيْ بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وعَليٍّ وغَيْرِهِمْ مِنْ الصَّحَابَةِ. أَمَّا أبو بَكْرٍ فجَاءَ بمَالِهِ كُلِّهِ يَكادُ أنْ يُخْفِيَهُ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى دَفَعَهُ إلى النبي ﷺ فقال له: مَا خَلّفْتَ وَرَاءَكَ لِأَهْلِكَ يا أَبَا بَكْرٍ.

فَقَالَ عِدَةَ اللهِ وَعِدَةَ رَسُولِهِ فَبَكَى عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأمّيْ يا أَبَا بَكْرٍ وَاللهِ مَا اسْتَبَقْنَا إلى بَابِ خَيْرٍ إلا كُنْتَ سَابقاً، وَجَاءَ عُمَرُ بِنِصْفِ مَالِهِ حَتَّى دَفَعَهُ إلى الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلامُ فقَالَ: ما خَلَّفْتَ وَرَاءَكَ لِأَهْلِكَ يا عُمَرُ.

قَالَ: خَلَّفْتُ نِصْفَ مَالِي لَهُمْ رَوَاهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ منْ حَدِيْثِ عَامِرِ الشَّعْبِيّ وَعَنْ عَبْدِ الرحمن بن خَبَّابٍ قال: شَهِدْتُ النبي ﷺ وَهُوَ يَحُثُّ على جَيْشِ العُسْرَةِ.

فَقَالَ عُثْمَانُ بن عَفَّان يا رَسُوْلَ اللهِ: عَلَيَّ مائَةُ بَعِيْرٍ بأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا في سَبِيْلِ اللهِ ثُمَّ حَضَّ على الجَيْشِ فَقَالَ عُثمَانُ عَلَيّ ثَلاثُمائةِ بَعِيْرٍ بأَحْلاسِهَا وَأَقْتَابِهَا في سَبِيْلِ اللهِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُوْلُ مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذَا أَخْرَجَه التّرْمِذِيّ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ قَال: كُنْتُ مَعَ أَبِي ذَرّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَخَرَجَ عَطَاؤُه وَمَعَهُ جَارِيَة له قال: فجَعَلَتْ تقضِيْ حَوَائِجَهُ فَفَضَلَ مَعَهَا سَبْعَةٌ فأَمَرَهَا أَن تَشْتَرِيَ بِهَا فُلُوساً قال قُلْتُ لَوْ أَخَّرْتَهُ لِلحَاجَةِ تَنُوبُكَ أَوْ لِلضَّيْفِ يَنْزِلُ بِكَ قَالَ إِنَّ خَلِيْلِيْ عَهِدَ لِيْ أَنَّ أَيَّمَا ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ أُوْكِيَ عَلَيْهِ فَهُوَ جَمْرٌ على صَاحِبِهِ حَتَّى يُفرِغَهُ في سَبِيْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيْحِ.

وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ إني لَالِجُ هذه الغُرْفَةَ مَا أَلِجُهَا إلا خَشْيَة أَنْ يَكُوْنَ فِيْهَا مَالٌ فأتوفى وَلَمْ أُنْفِقْهُ رَوَاهُ الطَبَرَانِي فِي الكَبِيْرِ.

وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَرْسَلَ إلى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ بِعَطَائِهَا فقالتْ مَا هَذَا قالوا أَرْسَلَ إِليكِ عُمَرُ بنُ الخَطابِ قَالَتْ غَفَرَ اللهُ لَهُ ثم سَلَّتْ سِتْراً لهَا فَقَطَعَتْهُ وَجَعَلَتْ العَطَاءَ صُرَراً وَقَسَّمَتْهُ في أَهْلِ بَيْتِهَا وَرَحِمِهَا وَأَيْتَامِهَا ثم رَفَعَتْ يَدَيْهَا وَقَالَتْ اللَّهُمَّ لا يُدْرِكْنِي عَطَاءُ عُمَرَ بَعْدَ عَامِي هَذَا فكَانَتْ أَوَّلَ نِسَاءِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ لُحُوقاً بهِ.

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الحِلْيَةِ عن سَعِيْدِ بن عَبْدِالعَزِيْزِ قَالَ كَان لِلزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ رَضِيَ الله عَنْهُ أَلفَ مَمْلُوكٍ يُؤدُّوْنَ إِلَيْهِ الخَرَاجَ فَكَانَ يَقْسِمُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ ثُمَّ يَقُوْمُ إلى مَنْزِلِهِ وَلَيْسَ مَعَهُ شَيءٌ.

وَأَخْرَجَ الحَاكِمُ عَنْ أُمِّ بَكْرٍ بنْتِ المِسْوَرِ أَنّ عَبْدَ الرَّحْمَن بن عَوْف رَضِيَ الله عنه بَاعَ أَرْضاً له بأربَعِيْنَ ألفَ دِيْنَارٍ فَقَسَّمَهَا في بَنِيْ زُهْرَةَ وَفُقَرَاءِ المسلمين والمهاجرين وَأَزْوَاجِ النبي ﷺ فَبَعَثَ إلى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِمَالٍ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ مَنْ بَعَثَ هَذَا المالَ قلتُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ.

قَالَ وَقَصَّ القِصَّةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : لا يَحْنُو عَلَيْكُنَّ مِنْ بَعْدِي إلا الصَّابِرُوْنَ سَقَى اللهُ ابنَ عَوْفٍ مِن سَلْسَبِيْلِ الجَنّةِ قالَ الحَاكِم هَذا حَدِيْثٌ صَحيحُ الإِسْنَادِ وَلم يُخرِجَاه.

وَعَنْ نَافِعٍ أنّ مُعَاوِيةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعَثَ إلى ابنِ عُمَرَ مائَةَ أَلْفٍ فَمَا حَالَ الحَوْلُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا شَيءٌ وَعَنْ أَيّوْبِ بن وَائِلِ الرَّاسِبِيّ قال قَدِمْتُ المدينَةَ فأخبَرَنِيْ رَجُلٌ جَارٌ لابن عُمَرَ أنه أَتَى ابْنَ عُمَرَ أَرْبَعَةُ آلَافٍ مِن قِبَلِ مُعَاوية وأَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنْ قِبَلِ إنْسَانٍ آخَرَ وَأَلْفَانِ مِنْ قِبَلِ آخَرَ وَقَطِيْفَةٌ.

فَجَاءَ إلى السُّوْقِ يريد عَلَفاً لِرَاحِلَتِهِ بِدِرْهَمٍ نَسِيْئَةً فَقَدْ عَرَفْتُ الذي جَاءَه فأتَيتُ سُرِّيَّتَهُ فقلْتُ إني أريْدُ أَنْ أَسْأَلَكِ عَنْ شَيءٍ وَأُحِبُّ أَنْ تَصْدُقِيْنِيْ قُلْتُ أَلَيْس قَدْ أَتى عَبْدِالرَّحْمَنِ أَرْبَعَةُ آلافٍ مِنْ قِبَلِ مُعَاوِيَة وَأَرْبَعَةُ آلافٍ مِنْ قِبَلِ إِنْسَانٍ آخَرَ وَأَلْفَانِ مِنْ آخَرَ وَقَطِيْفَة.

قَالَتْ بَلَى قُلْتُ فَإِنِّي رَأَيْتُهُ يَطْلُبُ عَلَفاً بِدِرْهَمٍ نَسِيْئَةً قَالَتْ مَا بَاتَ حَتَّى فَرَّقَهَا فَأَخذ القَطِيْفَةَ فَأَلْقَاهَا عَلى ظَهْرِهِ ثم ذَهَبَ فَوَجَّهَهَا ثُمَّ جَاءَ فَقُلْتُ يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ مَا تَصْنَعُونَ بالدُّنْيَا وَابْنُ عُمَرَ أَتَتْهُ البَارِحَةَ عَشْرَةُ آلافِ دِرْهَمٍ وُضَحٌ فَأَصْبَحَ اليَوْمَ يَطْلُبُ لِرَاحِلَتِهِ عَلَفاً نَسِيْئَةً بِدِرْهَم.

وَكَانَتْ زَوْجَاتُهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم زَوْجَاتٌ صَالِحَاتٌ تُعِيْنُهُمْ عَلَى تَنْفِيْذِ المَشَارِيْعِ الخَيْرِيَةِ فَهَذَا أَبو الدَحْداح لَمَّا نَزلَ قَوْلُهُ تعالى ﴿مَنْ ذَا الذِيْ يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فيضَاعِفَهُ لَهُ﴾.

قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ الأنصارِيّ يَارَسُولَ اللهِ وإنَّ اللهَ لَيُرِيْدُ مِنَّا القَرْضَ قالَ نَعَمْ يَاأَبَا الدَّحْدَاحِ قَالَ أَرِنِيْ يَدَكَ يَارَسُولَ اللهِ فَنَاوَلَهُ ﷺ يدهُ الكَرِيْمَةَ فقالَ إِشْهَدْ يَارَسُولَ اللهِ أَنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطي أَيْ البُسْتَان وَكَانَ لَهُ بُسْتَانٌ فيه سِتّمائَةِ نَخْلَةٍ وفِي البُسْتَانِ زَوْجَتُهُ أُمُّ الدَّحْدَاحِ وَأَوْلَادُهُ يَسْكُنُونَهُ.

ثُمَّ جَاءَ إِلى البُسْتَانِ فَنَادَى زَوْجَتَهُ يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ قَالَتْ لَبَّيْكَ قَالَ اخْرُجِيْ أَنْتِ وَأَوْلَادُكِ فَقَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ حَائطي فَشَجَّعَتْهُ وَنَشَّطَتْهُ وقالتْ رَبِحَ بَيْعُكَ ثُمَّ نَقَلَتْ مَتَاعَهَا وَأَوْلَادَهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. فَتَأَمَّلْ قُوَّةَ اليَقِيْنِ فِيْمَا عِنْدَ اللهِ كَيْفَ تَعْمَلُ وتَأَمَّلْ مَوْقِفَ زَوْجَتِهِ مِنْ عَمَلِهِ هَذَا.

وَلَوْ كانتْ مِن نِسَاءِ هَذا الزمَان لَقَالَتْ أَنْتَ مَجْنُوْنٌ وَأَقْلَقَتْ رَاحَتَهُ وَأَلَّبتْ عَلَيه أَوْلَادَهُ وَأُمَّهُ وَأَباهُ وَقَالَتْ خُذُوا عَلى يَدَيْهِ. نسأل اللهَ العافية.

وَهَذَا عثمَانُ بْنُ عَفَّان تَرِدُ عَليهِ عِيْرٌ لَهُ مِنْ الشَّامِ في وَقْتٍ نَزَلَ فيهِ البُرَحُ

بالمُسْلِمِيْنَ مِن الجَدْبِ والقَحْطِ فَإِذَا هِيَ أَلْفُ بَعِيْرٍ مَسُوقَةً تَحْمِلُ بُرّاً وَزيْتاً وَزَبِيْباً .

فجَاءَهُ التُّجَارُ وَقالُوا بِعْنَا مِن هَذَا الذي وَصَلَ إليك فإِنَّك تَعْلَمُ ضَرُوْرَةَ الناسِ فَيَقُولُ حُبّاً وَكَرامَةً كَمْ تُرْبِحُونِي عَلَى شِرَائِيْ فَيُجِيْبُون قَائِلينَ الدِّرْهَمَ دِرْهَمَين فيَقُولُ أُعْطِيْتُ أكثرَ مِنْ هَذَا فَيَقُولُونَ يا أَبَا عُمَرْ ، وَمَا بقى في المَدِيْنَةِ تُجَّارٌ غَيْرُنَا وَمَا سَبَقَنا إليكَ أَحَدٌ فَمَنْ الذي أَعْطَاكَ .

فَيُجِيْبُ إِنَّ اللهَ أَعْطَانِي بِكُلِّ دِرْهَمٍ عَشَرَةٌ أَعِنْدَكُم زِيَادَةٌ فَيَقُولُونَ لا ، فَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى أَنَّ هَذِه وَمَا حَمَلَتْ صَدقَةٌ لِلَّهِ على المَسَاكِيْن وَالفُقَرَاءِ مِنْ المُسْلِمِيْنَ ، فَيَا لَيْتَ أَغْنِيَاءَ هَذا الزَّمَنِ تَنَسَّخُوا مِنْ الزَّكاةِ فَقَطْ وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَتَغَلَّبُوْا عَلَى النَّفْسِ وَالشَّيْطَان والدنيا والهوى .

اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ لِبَلوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيْعِ الأَحْوَالِ أعْمالَنَا يا مُنْقِذَ الغَرْقَى وَيا مُنْجِيَ الهَلْكَى وَيا دَائِمَ الإِحْسَانِ أذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَنِلْنَا مِنْ كَرمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرُّ به عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَتِكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْــلٌ »

وَهَذَا أَمِيْرُ المؤمِنينَ عُمَرُ بنُ الخطابِ لَمَّا أَصَابَ أَرْضاً بِخَيْبَرَ أَتَى النبي ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فيها فَقَالَ يا رَسُولَ الله إني أَصَبْتُ أَرْضاً بخَيْبَر لم أُصِبْ مَالاً قَطُّ هُوَ أنفسُ عِنْدِيْ منه فمَا تأمُرنِي قَالَ انْ شِئْتَ حَبَّسْتَ أَصْلَها وَتَصَدَّقْتَ بهَا .

قالَ فَتَصَدّقَ بهَا عُمَرُ غيرَ أنّهُ لا يُبَاعُ أَصْلُها وَلا يُوْرَثُ وَلا يُوهَبُ قَالَ فَتَصَدّقَ بِهَا عُمَرُ فِي الفُقَرَاءِ وفي القُرْبَى وفي الرِّقَابِ وَفي سَبِيْلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيْلِ

وَلضَيْفٍ لا جُناحَ على مَنْ وَلِيَهَا أنْ يَأكلَ مِنهَا بالمعْرُوفِ أو يُطْعِمَ صَدِيْقاً غير مُتَمَوِّلٍ فيه مُتَّفقٌ عَلَيْهِ.

وَهَذَا أبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانَ لَهُ يَوْمَ أَسْلَمَ أرْبَعُونَ ألْفِ دِرْهَم مُدَّخَرَةٍ من رِبْحِ تِجارَته وَقَدْ رَبحَ الكثِيْرَ مِن التِّجَارَةِ بَعْدَ الإسْلامِ فَلمَّا هَاجَرَ مَعَ النَّبي ﷺ لَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِيَ لَهُ مِنْ كُلِّ مُدَّخرهِ سِوَى خَمْسَةِ آلافِ دِرْهَمٍ.

لَقَدْ أَنْفَقَ مَالَهُ المدْخَرَ في افْتِدَاءِ الضُّعفاءِ مِن المَوَالي المُسْلِمِيْنَ الذِيْنَ كَانُوا يَذُوقُونَ العَذابَ ألْوَاناً مِنْ سَادَاتِهم الكُفَّارِ كَمَا أَنْفَقَهُ في بِرِّ الفقَراءِ وَالمعوزِيْنَ، فلْيَعْتَبِرْ بِذَلِكَ مَعْشَرَ الحُرَّاسِ لِلأَمْوَالِ.

وَقَدْ حَدَثَ أنْ جَاءَ عَامِلُ عُمَرُ بالبَحْرَيْنِ أبو هُريرةَ بمَالٍ كَثِيْروَرِوَايَتُه: قَدِمَتُ مِن البَحْرَين بخَمْسِمائةِ ألْفِ دِرْهَم فَأَتَيْتُ عُمَرَ بنَ الخطابِ مَسَاءً فَقُلْتُ يا أَميرَ المؤمنينَ اقْبِضْ هَذَا المالَ قَالَ وَكَمْ هُوَ قُلتُ خَمْسُمائةِ ألْفِ دِرْهَمٍ قالَ وَتَدْرِيْ كَمْ خَمْسُمائةِ ألِف دِرْهَم قلتُ نَعَمْ مائةُ ألِفِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قالَ أنْتَ نَاعِسٌ اذْهَبْ اللَّيْلَةَ فَبِتْ حَتَّى تُصْبحَ.

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتَيْته فَقُلْتُ اقبِضْ مِنِّيْ هَذَا المالِ قَالَ وَكَمْ هُوَ قُلْتُ خَمْسُمائَةِ ألِف دِرْهَمٍ قَال أَمِنْ طَيِّبٍ هُوَ قُلْتُ لا أَعْلَمُ إلَّا ذَاكَ فقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيُّهَا النَّاسُ إنَّهُ قَدْ جَاءَنَا مَالٌ كَثِيْرٌ فَإنْ شِئْتُم أنْ نَكِيْلَ لكُمْ كِلْنَا وَإنْ شِئْتُم أَنْ نَعُدَّ لكُم عَدَدْنَا وَإنْ شِئْتُم أَنْ نَزِنَ لَكُمْ وَزَنَّا.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ القَوْمِ يَا أَمِيْرَ المئمنين دَوِّنْ الدَّوَايْنَ يُعْطَوْنَ عليها فَاشْتَهى عُمَرُ ذَلِكَ وَوَزَّعَها عَلى المُسْلِمِيْنَ كُلَّهَا.

وَذَكَرَ بَعْضُ المَفسِّرينَ أَنَّ سُليمانَ عَليهِ السَّلامُ غَزَا أَهْلَ دِمَشْقَ وَنصيبَيْن فَأَصَابَ مِنْهُم ألفَ فَرَسٍ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَقَعَدَ على كُرْسِيِّهِ وهي تُعْرَضُ عليه فعُرِضَ عليهِ مِنْهَا تِسْعُمائَةٍ فَرَسٍ فَتَنَبَّهَ لِصَلَاةِ العَصْرِ فإذَا الشَمْسُ قَدْ غَرَبَتْ

وَفَاتَ وَقْتُ الصَّلاةِ وَلَمْ يُخْبِرُوهُ بِذَلِكَ هَيْبَةً لَهُ فَاغْتَمَّ لِذَلِكَ وَقَالَ رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَأَقْبَلَ عليها فَضَرَبَ سُوقَها وَأَعْنَاقَهَا بالسَّيْفِ تَقَرُّباً إلى اللهِ وَطَلَباً لِمَرضَاتِه حَيْثُ اشْتَغَلَ بِهَا عَنْ طَاعَةِ اللهِ.

وَكَانَ ذَلِكَ مُبَاحاً لَهُ وَبَقِي مِنْهَا مَائَةُ فَرَسٍ فلمَّا عَقَرَهَا لِلَّهِ تَعالى أَبْدَلَهُ اللهُ تَعالى خَيراً مِنها وَأَسْرَعَ وَهِيَ الرِّيْحُ تَجْرِيْ بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ تَجْرِيْ بأَمْرِهِ كَيْفَ شَاءَ وَإِلَيْهِ يُشِيْرُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيهِ بالعَشِيِّ الصَّافِنَات الجِياد، فقالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بالحِجَابِ، رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بالسُّوقِ وَالاعْنَاقِ﴾.

شِعْرًا: لا أَجْعَلُ المالَ لِيْ رَباً يُصرِفُني ... لَا بَلْ أَكُوْنُ لَهُ مَوْلًا أصرِّفُهُ
مَالِيْ مِن المالِ إِلَّا مَا تَقَدَّمَنِيْ ... فَذَاكَ لِيْ وَلِغَيْرِيْ مَا أُخَلِّفُهُ

آخر:
وما الفَرْقُ بَيْنَ المالِ لَوْلَا امْتِهَانُهُ ... وبَيْنَ الْحَصَى المَجْمُوعِ أَوْ كُثُبِ الرَّمْلِ

آخر: تَمَتَّعْ بِمَالك قبلَ الْمَمَاتْ ... وَإِلَّا فَمَا النَّفْعُ إِنْ أَنْتَ مُتَّا
شَقِيْتَ بِهِ ثُمَّ خَلَّفْتَهُ ... لِغَيْرِكَ بَعْدَك فسُحْقاً وَمَقْتَا

آخر: فإنَّ مَسِيْرِيْ فِي البلادِ ومَنْزِلِيْ ... هُوَ الْمَنزِلُ الأَقْصَى إِذَا لَمْ أُقَرَّبِ
ولَسْتُ وَإِنْ أُدْنِيتُ يَوْماً بِبَائِعٍ ... خَلَاقِيْ وَلا دِيْنِي إبْتغَاءِ الرَّغَائِبِ

وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرُ أَرْسَلَ مَعَ غُلَامِهِ بِأَرْبَعمائهة دِيْنَارٍ إلى أَبِيْ عُبَيْدَة بنِ الجَرَّاحِ وَأَمَرَ الغُلَامَ بالتَأَنِّي لِيَرَى مَا يَصْنَعُ فِيْهَا فَذَهَبَ بِهَا الغُلَامُ إليهِ وَأَعْطَاهَا لَهُ وَتأَنَّى يَسِيْراً فَفَرَّقَهَا أَبُو عُبَيْدَةُ كُلَّها فَرَجعَ الغُلامُ لِعُمَرَ فَخَبَّره فَوَجَدَهُ قد اعَدَّ مِثْلَهَا لِمَعَاذِ ابنِ جَبَل فَأَرْسَلها مَعه إليهِ وَأَمَرهُ بالتَّأَني كَذَلِكَ فَفَعَل فَفَرَّقَهَا فاطَّلَعَتْ زَوْجَتُه وَقَالَتْ: نَحْنُ وَاللهِ مَسَاكِين فَأَعْطِنَا فَلَمْ يُبْقِ فِي الخِرْقَةِ إلا دِيْنَارَان فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهَا فَرَجعَ الغُلامُ لِعُمَرَ وَأَخْبَرَه فسُرَّ بذَلِكَ وَقَال إخوةٌ بَعْضُهم مِن بَعْضٍ.

وَرُوِيَ أَنَّ زَوْجَةَ طَلْحَةَ بنَ عُبَيْدِ اللهِ رَأَتْ مِنْهُ ثِقْلًا فَقَالَتْ لَهُ مَالَك لَعَلَّهُ رَابَكَ مِنَّا شَيءٌ فَنُعْتِبُكَ قال لا وَلَنِعْمَ الحَلِيْلَةُ لِلمُسْلِمِ أَنْتِ وَلَكِنْ اجْتَمَعَ عِنْدِيْ مَالِي وَلَا أَدْرِي كَيْفَ أَصْنَعُ قَالَتْ وَمَا يَغُمُّكَ مِنْهُ أُدْعُ قَوْمَكَ فَاقْسِمْهُ بَيْنَهم فقَالَ يَاغُلَامُ عَلَيّ بقومِي فكان جُمْلَةُ مَا قَسَمَ أَرْبَعُمائةِ أَلِفٍ ٤٠٠٠٠٠ .

وَبَاعَ أَرْضاً من عُثْمَانَ بِسَبْعُمائةٍ فَحَمَلَها إليه فَلَمَّا جَاءَ بِهَا قَالَ انَّ رجُلا يَبِيْتُ عِنْدهُ هذِهِ في بَيْته لا يَدْرِي مَا يَطْرُقُه مِن أَمْرِ اللهِ فَبَاتَ وَرُسُلهُ تَخْتَلِفُ في السِّكَكِ سِكَكِ المَدِيْنَةِ حَتَّى أَسْحَرُوا مَا عِنْدَهُ مِنْهَا دِرْهَمٌ فرقوها على الفُقرآءِ والمَسَاكِين .

الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَ جَمَعُوا كرماً وشجاعة وخِصالاً حَمِيْدَة إقرأ آخر سورة الفتح وما ينطبق عليهم رضي الله عنهم مايَلِيْ :

شِعْرا: فَهُمْ جَمَعُوْا العَلْيَاءَ عِلْماً وَعِفَّةً ... وَزُهْداً وَجُوْداً لَا يَضِيْقُ فُوَاقَا
كما جَمعَ التُّفَّاحُ حُسْناً ونَظرةً ... وَرَائِحَةً مَحْبُوْبَةً وَمَذَاقَا

آخر: لَهُمْ سَحَائِبُ جُوْدٍ في أَنَامِلِهِم ... أَمْطَارُهَا الفِضَّةُ البَيْضَاءُ والذَهبُ
في العُسْر قالوا إذَا أَيْسَرْنَ ثَانِيةٍ ... قَصَّرْنَ عن بَعْضِ ما نُعْطِي وَمَا نَهَبُ
حَتَّى إذا عَادَ أَيَّامُ اليَسَار لَهُمْ ... رَأَيْتَ أَمْوَالَهُم في النَاس تُنْتَهَبُ

آخر: هُمُ القَومُ إنْ قَالُوا أَصَابوُا وَإِنْ دُعُوْا ... أَجَابُوْا وَإِنْ أَعْطَوْا أَطَابُوْا وَأَجْزَلُ
ومَا يُدْرِكُونَ التَّابعُوْنَ فِعَالَهُمْ ... وَإِنْ أَحْسَنُوا في النَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوْا

آخر: وَلَيْسَ في الأُمَّةِ كَالصَّحَابَةْ ... بالفَضْلِ والمَعْرُوْفِ والإِصَابة

آخر: ومِنْ عَجَبٍ أَنَّ السُيُوفَ لَدَيْهِمُ ... تَحِيْضُ دِمَاءً والسُيُوفُ ذُكُوْرُ
وأَعْجَبُ مِنْهَا أَنَّهَا في أَكُفِّهِمْ ... تَأَجَّجُ نَاراً والأَكُفُ بُحُوْرُ

وَبَعَثَ عَبْدُ اللهِ بن الزُّبَيْرِ إلى أُمِّ المؤمنينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِمَالٍ في غرارَتَيْن ثَمَانون أَلفَ وَمائِة أَلِفِ دِرْهَم وَهِيَ صَائِمَة فَجَعَلتْ تَقْسِمُ بَيْنَ النَّاسِ فَأَمْسَت وَما

عِنْدَهَا مِن ذَلِكَ دِرْهَم فَقَالَتْ لِجَارِيَتِها هَلُمِّي فَطُورِي فَجَاءَتْ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ فَقَالَتْ لَهَا الجَارِيَة فمَا اسْتَطَعْتِ فِيْمَا قسَمْتِ في هَذا اليوم أن تَشْتَرِيْ لَنَا لَحْماً بِدِرْهَم قَالَتْ لَا تُعَنِّفِيْنِي لو كُنْتِ ذَكَّرْتِني لَفَعَلْتُ . هَكَذا يُؤَثِّرُ الإِيْمَانُ العَمِيْق بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولِهِ .

كان سهل بن عبدالله بن يُونس التَّسْتُرِي يُنْفِقُ مَالَه في طاعةِ اللهِ فجاءَتْ أُمه وإخْوَتُه إلى عبدالله بن المبارك رضي الله عنه يَشْكُوْنَهُ فقالوا هذا لا يُمْسِكُ شَيْئاً ونَخْشَى عليه الفَقْرَ فأراد عبدالله أنْ يُعِيْنَهُم عَلَيهِ .

فقَالَ لَهُ سَهْلٌ يا عبدَالله أَرَأَيْتَ أنّ رَجُلًا مِن أَهْل المدِيْنِةَ اشترىَ ضَيْعَةً بِرُسْتَاق « أرض السواد » وهُو يُرِيْدُ أن يَنْتَقِلَ إِلَيْهَا أَكَانَ يَتْرُكُ بالمدينة شَيْئاً وهُوَ يَسْكُنُ الرَّسْتَاقَ .

فقال عبدُالله بنُ المُبَارَكَ خَصَمَكُمْ يَعْنِي أَنَّه إذَا أَرَادَ أنْ يَتَحَوَّلَ إلى الرُّسْتاق لا يَتْرُكُ بالمدينة شَيْئاً فالذي يُرِيْدُ أن يتحول إلى الآخرة كَيْفَ يَتْرُكُ في الدُّنْيَا شَيئاً .

شِعْرًا : بَهَا لِيْلُ في الإسلام سَادُوا ولم يَكُنْ ... كأَوَّلِهِـم في الجاهليـة أَوَّلُ
هُمُ القوم إن قالُوا أَصابُوا وَإِنْ دُعُوا ... أَجابُوا وإنْ أَعْطَوا أَطَابُوا وأَجْزَلُوا

ومِنْ الشِعْرِ الذي لا يَنْطَبِقُ إِلَّا عَلَى الصَّحَابَةِ رَضْيَ اللهُ عَنْهُم ما يلي :

مَنْ تَلْقَ مِنْهُم تَقُلْ لاقِيْتُ سَيِّدَهُم ... مِثْلَ النُجُومِ التي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
لا يَنْطِقُونَ عن الفَحْشَاءِ إنْ نَطَقُوا ... ولا يُمَارُونَ إنْ مارَوْا بإِكْثَارِ
إنْ يُسْأَلُوا الخَيْرَ يُعْطُوْهُ وَإنْ خُبِرُوا ... في الجُهْدِ أَدْركَ مِنْهُم طِيْبَ أَخْبَارِ
وإنْ تَودَّدْتَهُمْ لَانُوا وإنْ شُهِمُوْا ... كَشفَتَ إِذْ مَار حَرْبٍ غَيْرَ إغْمَارِ
هَيْنُونَ لَيْنُوْنَ أَيْسَارٌ ذَوُوْ حَسَبٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةً أَبْنَاءُ أَيْسَارِ
آخر : بَهَا لِيلُ لَوْ عَايَنْتَ فَيْضَ أَكُفِهَم ... لأَيْقَنْتَ أَنَّ الرِّزْقَ في الأَرْضِ واسِعُ

فائدة سَبَبُ البُخْلِ سِتَةُ أَشْيَاء غَلبةُ الشهوات (١) وطُولُ الأمل (٢) وَرَحْمَةُ الولد (٣) وخَوفُ الفَقْرِ (٤) وَقَلَّةُ الثِّقَةِ بِمَجيءِ الرِزق (٥) وعِشْقُ المالِ لِذَاتِهِ (٦) . فالبَخِيلُ يُتْعِبُ نَفسَه ويَحرِمُها ويَنْفَعُ غَيْرُهُ كما قيل :

شِعْرا : يُفْني البَخِيلُ بِجَمْعِ المالِ مُدَّتَهُ ... ولِلْحَوادِثِ والوُرَّاثِ ما يَدَعُ
كَدُوْدَةِ القَزِّ ما تَبْنِيْهِ يَهْدِمُهَا ... وغَيرُها بالذي تَبْنِيْهِ يَنْتَفِعُ

آخر : إذا كُنْتَ جماعاً لِمَالِكَ مُمْسِكاً ... فأنْتَ عَلَيْهِ خَازِنٌ وَأَمِيْنُ
تُؤَدِيْهِ مَذْمُوماً إلى غَيْرِ حَامِدٍ ... فَيَأْكُلُهُ عَفْواً وَأَنْتَ دَفِيْنُ

آخر : وذي حِرْص تَرَاهُ يَلُمُّ وَفْراً ... لِوَارِثِه ويَدْفعُ عن حِمَاهُ
كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُمْسِكُ وهو طاوٍ ... فِرَيْسَتَهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ

آخر : يا لَهْفَ قَلْبِيْ عَلَى مَالٍ أُفَرِّقُهُ ... عَلَى المُقِلِّيْنَ مِن أَهْلِ المُرُوْآت
إنَّ اعْتِذَارِي إِلَى مَن جَاء يَطْلُبُنِيْ ... مَالَيْسَ عِنْدِيْ لِمَنْ إِحْدَى المُصِيْبَاتِ

آخر : قُلْ لِيْ بِرَبِّكَ مَاذَا يَنْفَعُ المَالُ ... إنْ لَمْ يُزَيِّنْهُ إحْسَانٌ وَإِفْضَالُ
المَالُ كَالمَاءِ إِنْ تُحْبَسْ سَوَاقِيَهُ ... يَأْسَنْ وإنْ يَجْرِ يَعْذُبْ مِنْهُ سِلْسَالُ
تَحْيَا على الْمَاءِ أَغْرَاسُ الرِّيَاضِ كَمَا ... تَحْيَا على المَالِ أَرْوَاحٌ وَآمالُ
إنَّ الثَّرَاءَ إِذَا حِيْلَتْ مَوَارِدُهُ ... دُوْنَ الفَقِيْر فَخَيرٌ منهُ إِقْلالُ
اللهُ أَعْطَاكَ فَابْذُلْ من عَطِيَّتِهِ ... فَالمَالُ عَارِيَةٌ وَالعُمْرُ رَحَّالُ

آخر : لَقَدْ دَرَجَ الأَسْلَافُ مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ ... وَهِمَّتُهم نَيْلُ الْمُكَارِمِ والفَضْلِ
وَقَدْ رَفَضُوا الدُّنْيَا الغَرُورَ وَمَا سَعَوْا ... لَهَا وَالذِيْ يَأْتِي يُبَادِرُ بِالبَذْلِ
فَقِيْرُهُمْ حُرٌّ وَذُوْ المَالِ مُنْفِقٌ ... رَجَاءَ ثَوَابِ اللهِ في صَالِحِ السُّبْلِ
لِبَاسُهُم التَّقْوَى وَسِيْمَاهُم الحَيَا ... وَقَصْدُهُمُ الرَّحْمَنُ فِي القَوْلِ وَالفِعْلِ
مَقَالُهُم صِدْقٌ وَأَفْعَالُهُم هُدىً ... وَأَسْرَارُهُم مَنْزُوعَةُ الغِشِّ وَالغِلِّ
خُضُوْعٌ لِمَوْلَاهُمْ مُثُوْلٌ لِوَجْهِهِ ... قُنُوتٌ لَهُ سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنْ مِثْلِ

آخر : أَيَا نَفْسُ لِلْمَغْنَى الأَجَلِّ تَطَلَّبِيْ ... وَكُفِي عَنِ الدَّارِ الَّتِي قَدْ تَقَضَّتِ
فَكَمْ أَبْعَدتْ إِلْفاً وَكَمْ كَدَّرتْ صَفاً ... وكَمْ جدَّدَتْ مِن تَرْحَةٍ بَعْدَ فَرْحَتِ
فَلَوْ جُعِلَتْ صَفْواً شُغِلْتُ بحُبها ... وَلَمْ يَكُ فَرْقٌ بَيْنَ دُنْيَا وَجَنَّةِ
لَعُمْرُكَ مَا الدنيا بِدَارِ أَخِي حِجَا ... فَيَلْهُوْ بِهَا عَنْ دَارِ فَوْزٍ وَجَنَّةِ
عَنِ المَوْطِنِ الأَسْنَى عَنِ القُرْبِ واللِّقا ... عن العَيْشِ كُلِّ العَيْشِ عند الأَحِبَّةِ

فوَاللهِ لَوْلَا ظُلْمةُ الذّنْبِ لَمْ يَطِبْ   لكَ العَيْشُ حَتَّى تَلْتَحقْ بالْأَجِنَّةِ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ المُفْلِحِين وألْبِسْنَا خِلَعَ الإِيْمَانِ واليَقِيْن، وَخُصَّنَا مِنْكَ بالتَّوفِيْقِ المُبِيْنْ، وَوَفِّقْنَا لِقَوْلِ الْحَق وإتّبَاعِهْ وَخَلِّصْنَا مِنَ البَاطِـل وابْتِدَاعِهِ، وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدَا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشاً رَغداً وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدوّاً وَلَا حَاسِداً، وَارْزُقْنَا عِلْمَا نَافِعاً وَعَمَلاً مُتقَبَّلا، وَفَهْمَا ذَكِيّاً صَفِيًّا وشِفَاً مِنْ كُلِّ دَاءٍ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: وَمِنْ أَخْلَاقِهِم تَوْصِيَةُ بَعْضِهِم بَعْضاً بِمَا يُحِبُّه اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنْ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: وَدَّعَ ابْنُ عَوْنٍ رَجُلًا فَقَالَ لَهُ: عَلَيْكَ بِتَقْوى اللهِ فإنَّ المتَّقِي لَيْسَتْ عَليهِ وَحْشَةٌ.

وَقَالَ زَيْدُ بنُ أَسْلَمَ: كَانَ يُقَالُ مَنْ اتَّقَى اللهَ أَحَبَّهُ النَّاسُ وَإِنْ كَرِهُوا وَقَالَ الثَّوْرِيّ لابن أَبِي ذِئْبٍ إنْ اتَّقَيْتَ اللهَ كَفَاكَ النَّاسَ وَإِن اتَّقَيْتَ النَّاسَ لَنْ يُغْنُوا عنك مِنْ اللهِ شَيْئاً.

وكَانَتْ أَعْمَالُهم بَعِيْدَةً عن الرِّيَاءِ عَمَلا بقَوله تَعَالى في الصَّدَقَاتِ ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الفقرَاءَ فَهُو خَيْرٌ لكم﴾، وَقَولُه ﷺ: «وَرَجُلٌ تَصدَّقَ بِصدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاتَعْلَمَ شِمَالُه مَا تُنْفِقُ يَمِيْنُه»، كَانَ الرَّبِيْعُ بنُ خَيْثَمٍ لا يَطَّلِعُ على عَمَلِهِ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِه وَدَخَلَ عليهِ رَجُلٌ وَهُوَ يَقْرَأُ في المصْحَفِ فَغَطَّاهُ بِكُمِّهِ.

شِعْرًا: إِذَا وَاتَــاكَ مِن مَوْلَاكَ خَمْسٌ   فَلَا تَأْسَفْ عَلَى شَيءٍ يَفُـوْتُ
حِجىً وسَلَامةٌ وَلِبَـاسُ تَقْـوى   وَدِيْـنٌ غَيْـرُ مَدْخُـوْلٍ وَقُــوْتُ
آخر: جَمَالُ أَخِي النُّهَي كَرَمٌ وتَقْوَى   وَلَـيْسَ جَمَالُـهُ عَرْضاً وَطُـوْلَا

وَكَانَ مَيْمُونُ بنُ مِهْرَانَ يَقُوْلُ لِأَصْحَابِهِ قُوْلُوا مَا أَكْرَهُ في وَجْهِي فَإِنَّ

الرَّجُل لَا يَنْصحُ أَخَاهُ حَتَّى يَقُوْلَ لَهُ فِي وَجْهِهِ مَا يَكْرَهُ وَكَانَ يَقُولُ يَاأَهْلَ القُرْآنِ لا تَتَّخِذُوا القُرْآنِ بضَاعَةً تَلْتَمِسُوْنَ بِهِ الرِّبْحَ فِي الدُّنْيَا اطْلُبُوا الدُّنْيَا بالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ بالآخِرَةِ.

وَبالتّالِيْ فَإِنَّ الانْهِمَاكَ فِي الدُّنْيَا قَدْ شَمَلَ أَصْنَافَ الخَلْقِ لِقِلَّةِ مَعْرِفَتِهِم باللهِ تَعَالى إذْ لَا يُحِبُّ اللهَ إلا مَنْ عَرَفَهُ فَكُلَّمَا ازدَادَتْ مَعْرِفةُ العَبْدِ بِرَبِّهِ ازْدَادَ حُبُّه لَهُ، وَكُلَّمَا فكَّرَ فِي نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ قوىَ حُبُّهُ لِرَبِّهِ، لِأَنَّ النُّفُوْسَ مَجْبُولَةٌ عَلى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا.

وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿قُلْ انْ كَانَ آبَاؤكُم وَأَبْنَاؤُكُم وَاخْوَانكم وَأَزْوَاجُكم وَعَشِيْرَتُكم وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَونَ كسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيْلِهِ فَتَربَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِيْنَ﴾ أيْ إنْ كَانَتْ رِعَايَةُ هَذِهِ المَصَالِحِ الدُّنْيَوِيّةِ عِنْدَكُم أَوْلى مِن طَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَمِن المُجَاهَدَةِ لأعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ فَانْتَظِرُوا مَاذَا يَحِلُّ بكُم مِنْ عِقَابِهِ وَنَكَالِهِ.

وَلِهَذَا قَالَ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَهَذَا وَعِيْدٌ شَدِيْدٌ وَتَهْدِيْدٌ شَنِيْعٌ لِلْمُنْهَمِكِيْنَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا المُؤْثِرِيْنَ لَهَا وَلأَهْلِهِم وَقَرَابَتِهِم وَعَشِيْرَتِهِم عَلى اللهِ وَرَسُولِه وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ أَفَلا يَعْتَبِرُ اللَّبِيْبُ وَيَنْظُرَ كَمْ خَرَمَتْ أَيْدِي المَنْوْنِ مِن قُرُونٍ بَعْدَ قُرُونٍ وَكَمْ غَيّرتِ الأَرْضُ بِبلائِهَا وَكم غَيَّبَتْ فِي تُرَابِهَا مِمَّنْ عَاشَرْتَ مِنْ صُنُوفِ المخْلُوقِيْنَ.

وَمَا أَكْثَرَ مَنْ أَخَذَتْ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ وَقَالَبِهِ وَصَارَ عَبْداً لَهَا فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ ضَاعَتْ أَوْقَاتُهُ النَّفِيْسَةُ فِي الرَّكضِ خَلْفَها يَجْمَعُهَا لِمَنْ يَخْلُفه عَلَيْهَا وَصَارَ هُوَ بالحَقِيْقَةِ حَارساً خادِماً مُحَامِياً بجَازتِهِ وَكِسْوَتِهِ وَسُكْنَاهُ فقَطْ وَلا شُكْرَ وَلَا ثَنَاءَ ولا مُرُوْأة وتأَمَّلْه وَصْفاً مُطَابِقاً لِأَغْنِيَاءِ أَهلِ هَذا الزَّمَنِ تَكُونُ بِذَلِكَ مُصَدِّقاً مُتَعَجِّباً وَانْ كُنْتَ مُوَفَّقاً قُلْتَ الحَمْدَ لِلَّهِ الذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلاهُم، اللَّهُمَّ عَافِهِم

وَلا تَبْتَلِيْنَا وَاستَعْمَلْتَ مَا عِنْدَكَ فِيْمَا يُقَرِّبُ إلى اللهِ وَالدّارَ الآخِرَة وَسَأَلْتُ اللهُ أنْ يُثَبِّتَكَ على الإِيْمَانِ وَأَنْ لا يُزِيْغَ قَلْبَكَ بَعْدَ إذ هَدَاكَ وَأَنْ يَهَبَ لَكَ مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً وَأَنْ يُهَيِّىءَ لَكَ مِنْ أَمْرِكَ رَشَدا.

شِعْرا: ولا خَيْرَ في الدُّنْيَا لِمَنْ يَكُنْ لَهُ ... مِن اللهِ في دَارِ المُقَامِ نَصِيْبُ
فَإِنْ تُعْجِبُ الدُّنْيَا رِجَالاً فإنَّهَا ... مَتَاعٌ قَلِيْلٌ والزَّوَال قَرِيْبُ

آخر: يُحْصِيْ الْفَتَى مَا كَانَ مِنْ نَفَقَاتِهِ ... وَيُضَيْعُ مِنْ أَنْفَاسِهِ مَا أَنْفَقَا
وَكَأنَّمَا دُنْيَا ابْنِ آدَمَ عِرْسُهُ ... أَخَذَتْ جَمِيْعَ تُرَاثِهِ إذْ طَلَّقَا

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَاقَيُّوْمُ يَاذَا الجَلَالِ والأَكْرَامِ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوْبنَا وَقوِّهَا وَأَلْهِمْنَا يَامَوْلَانَا ذِكْرَكَ وَشُكْرك وآمِنَّا مِن عَذَابكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عبادَكَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**مَوْعِظَةٌ**»: عِبَادَ اللهِ نَحْنُ في زَمَنٍ لا نُسِيءُ إذا عَدَدْنَا أَهْلَهُ من ضُعَفَاءِ المُتَدَيِّنِيْنَ الذي غَلَبَتْ عليهم المَدَاهَنَةُ، والتَّمَلُّقُ، وَالكَذِبُ، رَاجِعْ حَالَ السَّلَفِ المؤمنين حَقّاً وَانْظُرُ حَالنَا اليَوْمَ، تَعْجَبُ مِن الفَرْقِ المُبِيْنِ.

كانَ هَذا المالُ بِأَيْدِيْهِمْ بِكَثْرَةٍ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَدُورُ عَلَيْهِ الحَوْلُ، لأَنَّهُم نَصْبَ أَعْيُنِهِم قَولهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأتِي أَحَدَكُم الموتُ فَيَقُول رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِيْ إلى أَجَلٍ قَرِيْبٍ فَأَصَّدَّق وَاكُنْ من الصَّالِحين﴾، وقولُه تَعَالى: ﴿الذِيْنَ يُنْفِقُونَ أَموالهم بالليلِ والنَّهارِ سِرّاً وَعَلانيةً فلهم أَجْرُهُم عند رَبِّهم وَلا خَوْفٌ عليهم ولا هُم يَحْزَنُونَ﴾.

مُطْمَئِنِّينَ إلى قولِهُ تَعَالى: ﴿وَمَا أنفَقْتُم مِن شَيءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَ﴾ كَانُوا إِذَا وَصَلَ إِليهم المالُ يُصِيْبُهم قَلَقٌ حَتَّى يَتَصَدَّقُوا به عَلى حَدّ.

شِعْرا: لأَشكُرَنَّكَ مَعْرُوفاً هَمَمْتَ بِهِ ... إنَّ اهْتِمامَكَ بالمِعْرُوْفِ مَعْرُوْف
وَلا أذُمُّكَ إنْ لَمْ يُمْضِهِ قَدَرٌ ... فالرَّزْقُ بالقَدَرِ المَحْتُوم مَصْرُوْف

آخر: لا تَيْأسَنَّ إذَا مَا ضِقْتَ مِنْ فَرَجٍ يَأتي بِهِ اللهُ في الرَّوْحَاتِ والدُّلَجِ
وَإنْ تَضَايَقَ بَابٌ عَنْكَ مُرْتَتِجٌ فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ بَاباً غَيْرَ مُرْتَتِجِ
فَمَا تَجَرَّعَ كَأْسَ الصَّبْرِ مُعْتَصِمٌ باللهِ إلَّا أَتَاهُ اللهُ بالْفَرَجِ
آخر: قَالَتْ طُرَيْفَةُ لَا تَبْقَى دَرَاهِمُنَا وَمَا بِنَا صَلَفٌ فِيْهَا وَلَا خَرَقُ
لَكِنْ إذَا اجْتَمَعَتْ يَوْماً دَرَاهِمُنَا ظَلَّتْ إلىٰ طُرُقِ المَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ
لَا يَأْلَفُ الدِّرْهَمُ المَضْرُوبُ صُرَّتَنَا لكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ
آخر: أَلَمْ تَرَى أَنَّ المالَ يُهْلِكُ أَهْلَهُ إذَا جَمَّ آتِيْهِ وَسُدَّتْ طَرِيْقُهُ
ومَنْ جَاوَزَ الماءَ الغَزِيْرَ مَسِيْلُهُ وسُدَّتْ مَجَارِي المَاءِ فَهوَ غَرِيْقُهُ

وجاء الإسلام ودارُ الندوةِ بيد حَكيمِ بن حِزام فباعَها من معاوية بمائة ألف درهم فقال له عبدُالله بنُ الزبير بِعْتَ مَكْرُمَةَ قُرَيشٍ، قال: ذَهَبَتِ المكارم إلا مِن التَّقْوَى يا ابْنَ أخِي إني اشْتَرَيْتُ بها دَاراً بالجنةِ أشْهِدُكَ أني جَعَلْتُ ثمَنَهَا في سبيل الله، تأمَّلْ يا أخي سِيْرَةَ الرجَالَ الذين عرفوا الدنيا حقيقةً لعلك تقتديَ بهم فتربح الدنيا والآخرة.

وَكَانُوا إذَا عَرَضَ لَهُمْ أَحَدٌ وَأَبْدى لَهُم احْتِيَاجَهُ يَرَوْنَ غَفْلَتُهم عَنْهُ مِنْ النَّقَائِصِ وَالعُيُوبِ الفَاحِشَاتِ على حد قول الشاعر:

وتَرْكيْ مُوَاسَاة الأَخِلَّاءِ بالذي تَنَالُ يَدِي ظُلْمٌ لَهُم وعُقُوقُ
وَإنِّي لَأَسْتَحْيِي مَن اللهِ أَنْ أُرى بِحَالِ اتِّسَاعٍ والصَّدِيُقُ مُضَيَّقُ
آخر: خَلِيلٌ أَتَانِيْ نَفْعُهُ وَقْتَ حَاجَتِي إلَيْهِ وَمَا كُلُ الأَخِلَّاءِ يَنْفَعُ
آخر: يَرَى المرءُ أَحْيَاناً إذَا قَلَّ مالُهُ مِن الخَيْرِ أَبْواباً فَلا يَسْتَطِيْعُهَا
وَمَا إنْ بِهِ بُخْلٌ وَلَكِنَّ مَالَهُ يُقَصِّرُ عَنْهَا وَالبَخِيْلُ يُضِيعُهَا

أَيْنَ هَذَا وَأَيْنَ حَالُنَا اليَوْمَ وَقَدْ بَخِلْنَا بِحَقِّ المَالِ الزَّكَاة وَهِي حَقُّ الفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِيْنِ ... إلخ.

وَكَانُوا إِذَا فاتتْهُم تَكْبِيْرَةُ الاحْرَامِ مَعَ الْأَمَامِ رُبَّمَا غُشِيَ عَلَيْهِم مِنْ أَلَمِ هَذَا المصَابِ العَظِيْمِ وَكَانُوا يُعَزُّوْنَ مَنْ فَاتَتْهُ تَكْبِيْرَةِ الاحْرَامِ وَمِنْ بَابِ أَوْلَى وَأَحْرَى مَنْ فَاتَتْهُ الجَمَاعَةُ أَوِ الجُمُعَةُ.

أَيْنَ هَذَا من حَالِب مُجْتَمَعِنَا اليَوْمَ الذي تَرَى الكَثِيْرَ مِنْهُم يُجَافِي عَلَيْهِ البَابَ وَيَشْرَبُ الشَّايَ والدُّخَانَ أَبَا الخَبَائِثِ وَالنَّاسُ يُصَلوْنَ.

وَكَثِيْرٌ مِنْ الذِيْنَ يُصَلُّوْنَ مَعَ الجَمَاعَةِ تَجِدُهُم يَحْرِصُوْنَ على الاتْيَانِ إذا ظَنُّوا أَنها أُقِيْمَتِ الصَّلَاةُ وَيَقْصِدُوْنَ النَّقَّارِيْنَ الذين لا يَتركَدُونَ في الصَّلَاةِ ولا يَطْمَئِنُّونَ فيها ولا يَتَمَكَّنُ المَأْمُومُ مِن قِرَاءَةِ الفَاتِحَةِ التي لا صَلَاةَ لِمَنْ لَم يَقْرَأْ بِهَا وَلا يَتمَكَّنُ مِنْ الاتيَانِ بالتَّشَهُّدِ كَامِلا.

فَإِنْ دَلَّ هَذَا عَلى شَيءٍ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلى أَنَّهُم لا يَفْهَمُونَ الصَّلَاةَ وَلَا الْمقصُودَ مِنْهَا وَلَو فَهِمُوهَا تمَاما لصَارَتْ قُرَّةَ أَعْيُنِهم وَلا اسْتَراحُوا بهَا وَاسْتَعَانُوا بهَا عَلى الدِّيْنِ وَالدُّنْيَا.

وَكَانُوا أَيْ السَّلَف مِمَّنْ يَحِنّ إلى بَيْتِ اللهِ يَتَمَتَّعُونَ به في كُلِّ عَامٍ، وَلِذَلِكَ تُعَدُّ لِأَحَدِهِم أَرْبَعِيْنَ حِجَّةً، وَأَزِيدُ، أَيْنَ هَذا مِمن يُسَافِرُونَ إلى بِلادِ الكَفَرةِ بلادِ الحُرِّيَّةِ مُحَكِّمَةِ القَوانِيْنِ أَعْدَاءُ الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ، ويُوَالُونهِم بَل ويَدْرُسُونَ عليهم والنبي ﷺ قد تَبرأَ مِن المقيم بَيْنَ أَظهرِ المشركين إذَا كَانَ يَقْدِرُ على الخُروج مِن بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ولكن نسأل الله العافية ﴿فإنها لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ ولكن تَعْمَى القُلوب الَّتِي في الصدور﴾.

وَمَعَ ذَلِكَ يُبَعْثِرُونَ الفُلُوسَ العَظِيْمَةَ، التي سَيُنَاقَشُوْنَ عَنْهَا دَاخِلة وَخارجَة ضِدَّ مَا عَلَيْهِ أَبَاؤُهُم من هجرَان مَنْ جَاءَ مِنْ بلادِ الكُفْر غَيْرَ مُهَاجِرٍ قَال ﷺ أَنَا بَرِيءٌ مِن مُسْلِم بَيْنَ أَظْهُرِ المُشْرِكين وَقَال مَن جَامَع المشرِكين وَسَكَن مَعَهُم فَإِنَّهُ مِثْلُهم. بَلِّغْ يَا أَخي مَنْ يَدْرُسُونَ على الكفار والعياذ بالله.

وَكَانَ السَّلَفُ يَشْتَاقُونَ إلى الصِّيَامِ، وَبَعْضُهُم يَصُومُونَ سِتَّةَ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّال، وَثَلاثَةً مِن كُلِّ شَهْرٍ، وَيَوْمَ الإِثْنَيْنِ والخَمِيْسِ، وَبَعْضُهم يَصُوْمُ كَصِيَامِ دَاوُدَ عَليهِ السَّلامُ، يَوْمٌ يَصُوْمُ وَيَوْمٌ يُفْطِرُ.

أَمَّا نَحْنُ فَيَا لَيْتَهُ يَسْلَمُ لَنا رَمَضَانُ من المُفْسِدَاتِ وَالمنقصَاتِ وَهَيْهَاتِ، وكانت المساكن لا تهمهم يسكنون فيما تيسر.

عن مالك بن دينار أَنَّهُ حضر رجلاً يَبْنِيْ داراً وهو يُعطِي العُمَّالَ الأجرة فمد يَدَهُ فأعطاه دِرْهماً فَطَرَح الدِرهَمِ في الطَين فَتَعَجَّبَ الرجلُ وقال كيفَ تطرحُ الدرهم في الطين.

فقال أعْجَبُ مِني أنْتَ لِأَنَّكَ طَرَحْتَ كلَّ دَرَاهِمَكَ في الطين يعني ضَيَّعْتَها في البناء، وَمَرَّ عَلي بن أبي طالب رضي الله عنه بالعَلا بنِ زِيَادٍ فرآى سَعَةُ دَارِه فقال له ما كُنْتَ تصْنَعُ بسُعةِ هذِهِ الدار في الدنيا وأنت إليها في الآخرة كنتَ أحوج.

وكان نوح عليه السلام في بَيْتٍ مِنْ شعر أَلف سنة فقِيل لَه يا رسولُ اللهِ لو اتخذتَ بَيْتاً مِن طِين تأوى إليه قال أَنَا مَيِّتُ فلم يَزل فيه حتى فَارَق الدنيا وقيل إنه قال بَيْتٌ العَنْكَبُوتِ كَثِيْرٌ مَن يَمُوت.

شِعْرًا: أَرَى الزُهَّـادَ في رَوْحٍ وَرَاحَـةْ قُلُوبُهُـمُ عن الدُنْيَـا مُزَاحَـةْ
إذا أبْصَرْتُهُـمْ أبصَرْتَ قَوْمـاً مُلُوْكُ الأرضِ سِيْمَتُهُم سَمَاحَةْ

وقال أبو هريرة بِئْسَ بيْتُ الرجلِ المُسْلِمِ بَيْتُ العَرُوْسِ يُذَكِّرِ الدُّنْيَا ويُنْسِيْ الآخرةَ، وكان لِشقيق البلخي خُصٌ يَكَوْنُ هُوَ وَدَابَّتُهُ فيه فإذا غَزَا هَدَمَهُ وإذا رَجَعَ بَنَاهِ. بَلِّغْ يَا أَخِي أَهْل الفُلِلَ والعَمَائِرِ وقُلْ عَن قَرِيْبٍ سَتَسْكُنُونَ في مَسْكَن ثَلاثِ أَذْرُعٍ فَقَطْ ويُسَدُ عليكم فيه.

شِعْرًا: تَبْنِـي المَنْـازِلَ أَعْمَـارٌ مُهَدَّمَـةٌ مِن الزمـانِ بأَنْفَـاسٍ وسَاعَاتِـي

آخر: أَمَّا بُيوتُكَ في الدنيا فَواسِعَةٌ   فَلَيْتَ قَبْرَكَ بَعْدَ الموتِ يَتَّسِعُ

السَّلَفُ كَانُوا إذَا سَمِعُوا المَوْعِظَةَ، أَوْ مَرُّوا بحَدَّادٍ يُوقِدُ ناراً، صَعِقُوا وَرُبَّما مَكَثُوا بِلاَ وَعْي، أيَّامَاً، أَوْ أَشْهُراً مُتَتَالِيَاتٍ، وَقَدْ سَمِعْتَ بأُنَاسٍ قَتَلَتْهُم المَوَاعِظُ أَمَّا نَحْنُ فَتُتْلَى عَلَيْنَا الآيَاتُ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَلا كَأَنَّهَا مَرَّتْ قُلُوبَنَا مِنْ الانْهِمَاكِ بالدُّنْيَا وَالغَفْلَةِ أَصْبَحَتْ لا تُؤَثِّرُ فِيْهَا العِظَاتُ.

كَانُوا يَتَعَاوَنُونَ على الأَمْرِ بالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ المُنْكَرِ وَيَلْتَفُّونَ كُتْلَةً وَاحِدةً وَيَأْخُذُوا عَلَى يَدِ السَّفِيْهِ أَمَّا نَحنُ فَنُثَبِّطُ وَنَقُولُ لِمَنْ يُرِيْدُ المسَاعَدَة مَا أَنْتَ بِمُلزَمٍ أَتْرَكهم.

السَّلَفُ كَانُوا يَنْصَحُونَ أَهْلَ المَعَاصِيْ، وَيَهْجُرُونَهم، إذَا أَصَرُّوا عَلى المَعَاصِيْ وَلَو كانُوا مِمَّنْ لهَمِ مَنْزِلةٌ وَمَكانةٌ في قُلُوبِ كَثِيْرٍ مِن أَهْلِ الدُّنْيَا وَكَانُوا لا تأْخُذُهُم في الله لَوْمَةُ لائِم وَهِمَمُهم عالِيَةٌ وَأَنْفُسهم رَفِيْعَةٌ لا يَخْشَوْنَ إلَّا اللهَ لا يَتَمَلَّقُونَ وَلا يُداهنُونَ وَلَا يَخْضَعُونَ إلَّا لله، قَالَ بَعْضُهُمْ:

شِعْرًا: يَا مَنْ خَلَا بِمَعَاصِيْ اللهِ في الظُّلَمِ   في اللَّوحِ يُكْتَبُ فِعْلَ السَّوءِ بِالقَلَمِ
بِهَا خَلَوْتَ وعَيْنُ اللهِ نَاظِرَةٌ   وأَنْتَ بالإِثْمِ مِنهُ غَيْرُ مُكْتَتِمِ
يَا مَنْ عَصَى اللهَ بَعْدَ الشَّيْبِ والْهَرَمِ   فَهَلْ أَمِنْتَ مِن الْمَولَى عُقُوْبَتَهُ

آخر:

وَمَا لَهُمْ هِمَّةٌ تَسْمُوْا وَلَا وَرَعُ   قَالُوا نَرَى نَقَراً عِنْدَ المُلُوكِ سَمَوْا
فَلِمْ ظَمِئْتَ وَهُم في الجَاهِ قَدْ كَرَعُوْا   وَأَنْتَ ذُو هِمَّةٍ في الفَضْلِ عَالِيَةٍ
وَصُنْتُ نَفْسِي فَلَمْ أَخْضَعْ كَمَا خَضَعُوْا   فَقُلْتُ بَاعُوا نُفُوساً وَاشْتَرَوا ثَمَناً
وَقَدْ يُهَانُ لِفَرْطِ النَّخْوَةِ السَّبُعُ   قَدْ يُكْرَمُ القِرْدُ إِعْجَاباً بِخِسَّتِهِ

هَذَا الذِيْ كَانَ مِنْ سَلَفِنَا الكِرَامِ نَحْوَ أَهْلِ المَعَاصِيْ وَالْمُنكَرَاتِ.

أَمَّا نَحْنُ فَنَتْرُكُهُم وَنَقُوْلُ ذُنُوْبُهُمْ عَلى جُنُوْبِهِمْ، وَرُبَّمَا جَالَسْنَاهُمْ،

وَواكلْنَاهُمْ ، وَعَظَّمْنَاهُم ، كَمَا يَسْمَعُ الكَثِيْرَ يَقُوْلُوْنَ لِلْمُجَاهِرِ بالمَعَاصِيْ كَشَارِبِ الدُّخَانِ ، وَحَالِقِ اللِّحْيَةِ ، وَمُسْتَعْمِلِ آلاتِ اللَّهْوِ ، يَا مُعَلِّمُ يَاأُسْتاذُ يَا سَيِّدُ وَالواجِبُ هَجْرُهُ لِيَرتَدعَ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ .

شِعْرَا: عُرى الأَعْمارِ يَعْلُوهـا انْـفِصَامُ ... وَأَمْرُ اللهِ ما مِنــه اعْــتِصَامُ
سَواءٌ في الثَّرَى مَلِكٌ وعَبْــدٌ ... ثَوى النَّعمانُ حَيثُ ثَوى عِصَامُ
أَعِدَّ لِمَوقِفِ العَرْضِ احْتِجَاجاً ... لَعلَّكَ لَيْسَ يَقْطَعُكَ الـخِصَامُ
ولا يَعْظُمْ سِوَى التَّفرِيطِ خَطْبٌ ... عَليكَ فإِنَّـهُ الخَـطْبُ العُظَامُ
ابـنْ لِيْ هَلْ تُبَارِزُ أَمْ تُوَلِّـي ... إِذا شَرِكَتْ بِكَ الحَرْبُ العُقامُ
ولم تَعْرَفْ وَقَدْ فَجِيءَ انْتِقَالٌ ... أَغَفْــرٌ لِلذُّنُــوبِ أَمِ انْتِقَــامُ
تَوقَّ مِن السِّفَار على اغْتِـرَارٍ ... فَلَيْسَ لِساكِنـي الدُّنْيَا مُقَامُ
وإِنّ الموتَ لِلأَتْقَــى شِفَــاءٌ ... كَمَـا أَنّ الحَيَـاةَ لَهُ سَقَــامُ
حَذارِ حَذَارِ إِنكَ في بِحَـــارٍ ... مِن الدُّنْيَا طَمَتْ فَلَهَا التِطَامُ
وتَعْلَــمُ أَنَّهَــا تُرْدِي يَقِينــاً ... ومِنَّــا في غَوَارِبِهــا اقْتِحَــامُ
وإِنَّ مِن العَجَائِبِ أنْ أَمَرَّتْ ... مَوارِدُهَا وإِنْ كَثُــرَ الزِّحَــامُ

آخر: هو الزَّمانُ فَلا عَيشٌ يَطِيبُ بهِ ... ولا سُرُورٌ ولا صَفْوٌ بِلا كَدَرِ
يَجْنِي الفَتَىٰ فَإِذا لِيمَتْ جِنَايَتُه ... أَحَال مِنْ ذَنْبِهِ ظُلْماً على القَدَرِ
وكُـلُّ يَومٍ مِنَ الأَيَّامِ يُعْجِبُنَــا ... فَإِنَّمَـا هُو نُقْصَانٌ مِنَ العُمُــرِ

واللهُ أعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وسَلَّمَ .

« **فَصْلٌ** » : وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَغْلُبُ عَلَى قَلْبِهِ عِنْدَ المَوْتِ حُبُّ شَهْوَةٍ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا فَيَكُوْنُ اسْتِغْرَاقُ قَلْبِهِ صَارِفاً وَجْهَهُ إِلى الدُّنْيَا .

فَإِنْ اتَّفَقَ قَبْضُ الرُّوْحِ حَالَةَ غَلَبَةِ الدُّنْيَا فَالأَمْرُ خَطِيْرٌ لِأَنَّ المَرْءَ يَمُوْتُ عَلى مَا عَاشَ عَلَيْهِ كَمَا أَنَّهُ يُبْعَثُ عَلى مَا عَاشَ عَلَيْهِ وَلَا يُمْكِنُ اكْتِسَابُ صِفَةٍ أُخْرَى لِلْقَلْبِ تُضادُّ الصِّفَةَ التِيْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ لِأَنَّ ذَلِكَ بالأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَقَدْ انْقَطَعَ

بالمَوْتِ وَلَا أَمَلَ بِالرُّجُوْعِ إِلى الدُّنْيَا لِيَتَدَارَكَ ذَلِكَ وَعِنْدَ ذَلِكَ تَعْظُمُ الحَسْرَةُ.

وَيَشْتَدُّ النَّدَمُ وَكَمْ غَرَّتْ الدُّنْيَا مِنْ مُخْلِدٍ إِلَيْهَا وَصَرَعَتْ مِنْ مُكِبٍّ عَلَيْهَا فَلَمْ تُنْعِشْهُ مِنْ عَثْرَتِهِ وَلَمْ تُنْقِذْهُ مِنْ صَرْعَتِهِ وَلَمْ تَشْفِهِ مِنْ أَلَمِهِ وَلَمْ تُبْرِئْهُ مِنْ سَقَمِهِ.

شِعْرًا: بَلَى أَوْرَدَتْهُ بَعْدَ عِزٍّ ومَنْعَةٍ ... مَوَارِدَ سُوْءٍ مَا لَهُنَّ مَصَادِرُ
فَلَمَّا رَأَى أَنْ لا نَجَاةَ وَأَنَّهُ ... هُوَ الموتُ لا يُنْجِيْهِ مِنْهُ التَّحَاذُرُ
تَنَدَّمَ إِذْ لَمْ تُغْنِ عَنْهُ نَدَامَةٌ ... عَلَيْهِ وَأَبْكَتْهُ الذُّنُوبُ الكَبَائِرُ

آخر: في التَّحْذِيْر عن الدُّنْيَا:

أُمُّ دَفْرٍ في غُرُوْرٍ تَتَجَلي ... كَعَرُوْسٍ زَيَّنَتْهَا مُسْرِفَاتْ
تَخْدَعِ الغِرَّ وعَنْهَا يَرْعَوِي ... عَارِفٌ يَسْمُو بِإِشْرَاقِ الصِّفَاتْ
ابْتَعِدْ مَا عِشْتَ عن زِيْنَاتِهَا ... والْزَمِ التَّقْوى إلى يَوْمِ الوَفَاةْ

آخر: يسرُّ الفَتَى بالعَيْشِ وهو مُبِيْدُهُ ... ويغْتَرُّ بالدنيا ومَا هِيَ دَارُهُ
وفي عِبرِ الأَيامِ لِلْمَرءِ واعِظٌ ... إذَا صَحَّ فيها فِكْرُهُ واعْتِبارُهُ
فلا تَحْسَبَنْ ياغافلُ الدَّهْرَ صَامِتاً ... فأفْصَحُ شَيءٍ لَيْلُه ونهارُهُ
أَصِخْ لِمُنَاجَاةِ الزمانِ فَإِنَّهُ ... سَيُغْنِيْكَ عن جَهْرِ المقالِ سِرَارُهُ
أَدَارَ على الماضِينَ كَأْساً فكُلُّهُمْ ... أُبِيْحَتْ مَغَانِيْهِ وأَقْوَتْ دِيَارُهُ
وَلَمْ يَحْمِهِم مِن أَنْ يُسقَّوْا بكَأْسِهِمْ ... تَنَاوُشُ أَطْرَافِ القَنَا واشْتِجَارُهُ

آخر: أَحَاطَتْ بِهِ أَحْزَانُهُ وَهُمُوْمُهُ ... وَأَبْلَسَ لَمَّا أَعْجَزَتْهُ المَقَادِرُ
فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ المَوْتِ فَارِجٌ ... وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا يُحَاذِرُ نَاصِرُ
وَقَدْ جَشَأَتْ خَوْفَ المَنِيَّةِ نَفْسُهُ ... تُرَدِّدُهَا مِنْهُ اللَّهَا وَالحَنَاجِرُ

وَلِهَذَا سَبَبَانِ أَحَدُهُمَا كَثْرَةُ المَعَاصِيْ وَالآخَرُ ضَعْفُ الإِيْمَانِ وَذَلِكَ أَنَّ مُقَارَفَةَ المَعَاصِيْ مِنْ غَلَبَةِ الشَّهَوَاتِ وَرُسُوْخِهَا فِيْ اللُّبِ بِكَثْرَةِ الإِلْفِ وَالعَادَةِ، وَكُلُّ مَا أَلِفَهُ الإِنْسَانُ في عُمْرِهِ يَعُودُ ذِكْرُهُ إلى قَلْبِهِ غَالِباً عِنْدَ المَوْتِ.

فَعَلَيكَ بالإكْثار مِن ذِكْر اللهِ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ، والاسْتِغْفَارِ مِن الذُنوبُ، ولَا حَوْلَ ولا قَوةَ إلَّا باللهِ العَلي العَظَيم القوي العزيز.

شِعْرا: لَو يَعْلَم العَبْدُ ما في الذِكْرِ مِنْ شَرَفٍ — أَمضَى الحَيَاةَ بَتَسْبِيْحٍ وَتَهْلِيْل

آخر: ومَنْ عَرَفَ الأيَّامَ مَعْرِفتي بهَا — وَبالنَّاسِ أَمْضَى وَقْتَهُ في العِبَادَةِ

وَأَعْرَضَ عَنْ قِيْل وَقَالٍ وجَلْسَةٍ — مَعَ المُشْغِلي أَوْقَاتِهِمْ في المَضَرَّةِ

وأَكْثَرَ مِن ذِكْرِ الإلٰه وَحَمْدِه — وشُكْرٍ لَهُ وَقْتَ الهَنَا وَالْمَسَاءَةِ

فَإِنْ كَانَ مَيْلُهُ إلى الطَّاعَاتِ أَكْثَرَ كَانَ أَكْثَرَ مَا يَحْضُرُهُ غَالباً ذِكْرُ اللهِ وَطَاعَتُه وَإِنْ كَانَ إلى المَعَاصِيْ أَكْثَرَ غَلَبَ ذِكْرُهَا عَلَى قَلْبِهِ عندَ الموتِ فَرُبَّمَا تَفِيْضُ رُوْحُهُ عِنْدَ غَلَبَةِ مَعْصِيَةٍ مِنْ المَعَاصِيْ فَيَتَقَيَّدُ بِهَا قَلْبُهُ وَيَذْهَلُ عَن اللهِ وَحُسْنِ الظنِّ بِهِ لِاشْتِغَالِهِ بِمَا تَقَيَّدَ بِهِ نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

فَالذِيْ غَلَبَتْ طَاعَتُهُ عَلى مَعَاصِيْهِ بَعِيْدٌ عَنْ هَذَا الخَطَرِ بِإِذْنِ اللهِ، وَالذِيْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ المَعَاصِيْ وَكَانَ قَلْبُهُ بِهَا أَفْرَحَ مِنْ الطَّاعَاتِ يُخْشَى عَلَيْهِ وَخَطَرُهُ عَظِيْمٌ جِدّاً.

وَمَنْ أَرَادَ السَّلَامَةَ مِنْ ذَلِكَ فلا سَبِيْلَ لَهُ إلَّا المُجَاهَدَةُ والصَّبْرُ طُوْلَ العُمْرِ في فِطَامِ نَفْسِهِ عَنْ الشَّهَوَاتِ مُحَافَظَةً عَلَى القَلْبِ مِنْهَا وَيَكُوْنُ طُوْلَ عُمْرِهِ مُوَاظِباً عَلَى الأعْمَالِ الصَّالِحَةِ مُكْثِراً لِذِكْرِ اللهِ قَائِماً وَقَاعِداً وَمُضْطَجِعاً وَمَاشِياً وان كان يَحْفَظُ القرآنَ وشيئاً مِنه فليُداومْ عليه بِتَدَبرٍ وتَفَهُمٍ لِيَسْتَفِيْدَ حِفْظاً وفَهْماً وأجْراً.

وَتَخْلِيَةُ الفِكْرِ عَنْ الشَّرِّ عُدَّةٌ وَذَخِيْرَةٌ لِحَالَةِ سَكَرَاتِ المَوْتِ وَشَدَائِدِهِ فَإِنَّ المَرْءَ يَمُوْتُ عَلى مَا عَاش عَلَيْهِ وَيُحْشَرُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ.

وَيُعْرَفُ ذَلِكَ أَيْ أَنَّ مَا أَلِفَهُ طُوْلَ عُمْرِهِ يَعُوْدُ ذِكْرُهُ عِنْدَ المَوْتِ بِمِثَالٍ، وَهُوَ أَنَّ الإِنْسَانَ لا شَكَّ أَنَّه يَرَى فِي مَنَامِهِ مِنْ الأَحْوَالِ التي أَلِفَها طُوْلَ عُمْرِهِ

فَالذِي قَضَى عُمْرَهُ في طَلَبِ العِلْمِ يَرَى مِنْ الأَحْوَالِ المتَعَلَقَةِ بالعِلْمِ وَالعُلَمَاء وَرُؤيَةِ بَعْضِهِم وَبَعْضِ كتُبِ العِلْمِ وَالذِيْ قَضَى عُمْرَهُ في النِّجَارَةِ يَرَى مِنْ الأَحْوَالِ المتَعَلقَةِ بِهَا.

وَالذِيْ قَضَى عُمْرَه في الخِيَاطَةِ يَرَى مِنْ الأَحْوَالِ المُتَعَلِّقَةِ بالخِيَاطَةِ وَالخَياط وَالذِي قَضَى حَيَاتَهُ في الفِلَاحَةِ يَرَى الأَحْوَالَ المتَعَلِّقَةِ بالفِلَاحَةِ وَالفَلّاحِيْنَ.

وَالذي قَضَى عُمْرَه في الفَسَادِ والفُجُورِ يَرَى في مَنَامِهِ الأَحْوَالَ المتعَلّقَة بالفُجُوْرِ وَيرَى الفَسَقَةَ مِثْلَهُ وَأَعْمَالَهُمْ مِنْ لِوَاطٍ أَوْ زِنَا أَوْ سَرِقَةٍ أَوْ مُسْكِرٍ أَوْ دُخَانٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنْ المحَرَّمَاتِ وَقِسْ عَلَى ذَلِكَ بَاقِيْ الأَعْمَالِ.

وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَظْهَرُ في حَالَةِ النَّوْمِ مَا حَصَلَ لَهُ مُنَاسَبَةٌ مَعَ القَلْبِ بِطُوْلِ الإِلْفِ أَو بِسَبَبِ آخر مِنْ الأَسْبَابِ وَاللهُ أَعْلَمُ وَالمَوْتُ شَبِيْهٌ بالنَّوْمِ وَلَكِنَّهُ فَوْقَهُ وَلَكِنْ سَكَرَاتُ المَوْتِ وَمَا يَتَقَدَّمُهُ مِن الغَشْيَةِ قَرِيْبٌ مِنْ النَّوْمِ فَرُبَّمَا اقْتَضَى ذَلِكَ تَذَكُّرُ مَأْلُوفِهِ وَعَوْدُه إلى القَلْبِ وَأَحَدُ الأَسْبَابِ المُرَجِّحَةِ لذَلِكَ أَيْ ذِكْرُهُ في القَلْبِ طُوْلُ الأَلْفِ لِذَلِكَ.

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاحْذَرْ كُلَّ الحَذَرِ أَنْ تَكُوْنَ مِمَّنْ قَتَلُوا أَوْقَاتَهُم في مُقَابَلةِ التّلَفِزْيُوْنِ وَالسِّيْنَمَا وَالمِذْيَاعِ وَالبَكَمَاتِ وَالصُّوَرِ وَنَحْو المُنْكَرَاتِ المحَرَّمَاتِ وَاحْذَرْ تَعَاطِيْهَا بَيْعاً أَوْ شِرَاءً فَتَخْسَرْ وَقْتَكَ وَما لَكَ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ مِنْهَا وَمِنْ جَمِيْعِ المحَرَّمَاتِ.

وَلِذَا نُقِلَ عَنْ بَقَّالٍ أَنَّهُ كَانَ يُلَقَّنُ عِنْدَ المَوْتِ كَلِمَتَيْ الشَّهَادَةِ فَيَقُوْلُ خَمْسَةٌ سِتّةْ أَرْبَعَةْ فكَانَ مَشْغُوْلاً بالحِسَابِ الذِيْ طَالَ إِلْفُهُ لَهُ فَغَلَبَ عَلى لِسَانِهِ وَلَمْ يُوَفَّقْ لِلشَّهَادَتِيْنَ وَيُخْشَى عَلَى صَاحِبِ المَعَاصِيْ وَالمُنْكَرَاتِ وَمُتَّخِذِيْ آلَاتِ اللَّهْوِ مِنْ شِطْرَنْجٍ وَأَعْوَادٍ وَأَوْرَاقِ لَعِبٍ وَبَكَمَاتٍ وَاصْطُوَاناتٍ وَكُرةٍ

وَمِذْيَاعٍ وَتِلِفِزْيُوْن وَسِيْنَمَا وَصُوَرٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ أَنْ يَكُوْنَ مَشْغُولاً بِهَا فِي آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ فَيَكُوْنُ خِتَامُ صَحِيْفَةِ مَا نَطَقَ بِهِ لِسَانُهُ مِمَّا يَأْتِي فِيْهَا مِنْ أَغَانِيْ وَتَمْثِيْلِيَّاتٍ وَصُوَرٍ وَفِدْيُو ونحوهِ مِنَ المُنْكَرَاتِ والمُحَرَّمَاتِ نَعُوْذُ باللهِ مِنْ سُوْءِ الخَاتِمَة.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنا للاسْتِعْدَادِ لِمَا أَمَامَنَا، اللَّهُمَّ وَقَوِّي أَيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وبِرُسُلِكَ واليومِ الآخر وبالقَدر خَيْرِهِ وشَرِهْ، اللَّهُمَّ نوِّر قُلُوبَنَا واشْرَحْ صُدُورَنَا وَوَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وأَعِذْنَا مِن عَدُوِّك وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

شِعْرًا: قد آنَ بعد ظلامِ الجهلِ إبصارِي ... الشيبُ صُبْحٌ يُناجِينِي بإسْفَارِ
لَيلُ الشبابِ قَصِيرٌ فاسْرِ مُبْتدراً ... إنّ الصَّباحَ قُصَارَى المُدْلِجَ الساري
كَم اغْترارِيَ بالدنيا وزُخْرُفِها ... أَبْنِي بِنَاها على جُرْفٍ لَهَا هَارِي
وَوَعْدِ زُورٍ وعَهْدٍ لَا وَفَاءَ لَهُ ... تَعلَّمَ الغَدْرَ مِنْهَا كُلُّ غَدَّارِ
دارٌ مآثِمُهَا تَبْقَى ولَذتُها ... تَفْنىَ أَلَا قُبِّحَتْ هَاتِيْكَ مِن دارِ
فَلَيتَ إذ صَفِرَت مما كَسَبْتُ يَدِي ... لم تَعْتَلِقْ مِن خَطَايَاهَا بأَوْزَارِ
لَيْسَ السعِيدُ الذي دُنياه تُسْعِدُهُ ... إنَّ السَّعِيدَ الذي يَنْجُوَ مِن النارِ

واللهُ أعلم، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَم.

«**مَوْعِظَةٌ**»: عِبَادَ اللهِ كَانَ سَلَفُنَا يَزورُ بَعْضُهُم بَعْضاً لِلْمُذَاكَرَةِ لِلْعِلْمِ وَتذَكُّرِ المُلِمَّاتِ والمُهِمَّات يَتَسَاءلُونَ عَنْ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مَعْنَاهُ مِنْ كَلَامِ اللهِ وَكَلامِ رَسُوْلِهِ ﷺ، وَعَنْ أَوْرَادِهِمْ وَمِقْدَارِهَا فِي الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالأَذْكَارِ وَالصَّدَقَاتِ وَعَنْ الكُتُبِ النَّافِعَةِ لِيَقْتَنُوْهَا وَالكُتُبِ الضَّارَّةِ لِيَجْتَنِبُوْهَا.

هَذَا مَدَارُ مَجَالِسِهِمْ لَا يُخطِؤنَهُ وَلا يَدُوْرُ لَهُمْ غَيْرُهُ عَلَى بَالٍ أَيْنَ هَذَا مِنْ

مَجالِسِنا وَهِيَ مَوارِدُ غَضَب وَمَقْتٍ وَغِيْبَةٍ وَنَمِيْمَةٍ وَبُهْتٍ وَمُدَاهَنَةٍ وَمُصَانعةٍ وَقَذْفٍ وَتَساؤلٍ كَمْ مُرَتَّبُ فُلَانٍ، وَفي إيِّ مَرْتَبَةٍ زَيْدٌ، وَكَمْ فَلَّةٌ وَعِمَارَةٌ لِعُمَر، وَكَمْ دُكَّانٍ لِبَكْرٍ وَبِكَمْ بَاعَ فُلانٌ بَيْتَهُ، وَمَا الذِيْ أُذِيْعَ في المَلَاهِيْ، وَانْكِبَابٍ عَلى المَجَلَّاتِ وَالجَرَائِدِ حَمَّالَاتِ الكَذِبَ قَتّلَاتِ الأَوْقاتِ في اللهْوِ وَمَا لا فَائِدَة فِيْهِ وَأَيْنَ قَضَيْتَ العُطْلَةِ في لُبْنَانَ أَوْ في أَوْرُبا أَوْ في مِصْرَ.

كَانَتْ أَسْفَارُ السَّلَف لِلقَاءِ أَحْبَارِ الأمَّةِ أَوْعِيَةِ العِلْم مَهْمَا كَانُوا بَعِيْدِيْنَ يَتَلَقَّوْنَ عَنْهم عِلْمَ الكِتَابِ والسُّنةِ وَيَتَفَقَّهُوْنَ عَلَيْهِم في الدِّيْنِ أَلَيْسَ مِنْ المُؤسِف أَنْ يَكُوْنَ أُولَئِكَ النَّاسُ سَلفَنا وَبَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ هَذا الانْفِصَالُ.

كَانَ حُبّ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ وَتَوَادُدِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ فَوْقَ مَا يُتَصَوَّرُ كانَ يَمُرُّ المَارُّ في بُيُوتِهِمْ فَلَا يَسْمَعُ إلا دَوِيَّ أَصْوَاتِهِمْ بِذِكْرِ اللهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ.

والآنَ مَا تَسْمَعُ مِنْ بُيُوْتِنَا إِلَّا مَا يُحَرِّضُ عَلى الفِسْقِ والفُجُوْرِ وَالعِصْيَانِ والنشوز وَالمخَاصَمَاتِ وَالطَّلَاقِ وَالتَّفرُّق وَالقَطِيْعَةِ وَالعُقُوْق مِنْ اغَانٍ وَأَلْحَانٍ مِنْ مِذْيَاعٍ وَتِلْفِزْيُون وَفِدْيُو وَنَحوهِ مِنْ آلاتِ اللَّهْوِ التيْ عَمَّتْ وَطَمَّتْ وابْتُلى بِهَا الخَلْقُ وَحطَّمَتْ الأدْيَانَ وَالأخْلاقَ وَقَضَتْ عَلى الغَيْرَةِ الدِّيْنِيَّةِ.

تَنْبيه: إِنْتَبِهْ يا مَن زُيِّنَ لَهُ سُوْءُ عَمَلِهِ فأتَى بِكُفَّار خَدَّامِين أَو سَائقين أو مُرَبِّين أَو خياطِين أو طباخِين وأمنهم على أهلِه وأولادِهِ ومحارمِهِ أما تَعْلَمْ أَنَّهُم أَعداءٌ لِلَّهِ ورسولِهِ والمؤمنين حَذِّر يا أَخي عَن بَثِّهُمْ بين المسلمين وَقُلْ لَهُ عَمَلُكَ هَذا والعِيَاذُ بالله ذَنْبٌ عظيم نَشْرٌ للفساد بينَ المسلمين وجنَايَةٌ عَظيمةٌ على مَن هُم أمانةٌ عندكَ ومُصَادَمَة لِقَول النبي ﷺ «مَن جَامَعَ المشْرِك وسَكَنَ مَعَه فهو مِثْله»، هذا ما نقدر عليه من النصح وانكار المنكر، نسأل الله العِصْمَةَ وستَظهَر ثمرةُ مُخَالَطَةُ الأجَانب واستِخْدَامُهُم بَعدَ ثمان أو عَشر سنوات، الله أعلم فيما أظن وسَيَنْدَمُ المستخْدِمُونَ ونحوهم نَدَامَةً عَظيمةً عندَما يَتَخَلَّقُ أولَادُهم وأهليهم

بأخلاق الكَفَرَة والفَسَقَة ويَشِبُّونَ عَليهَا ويألَفُونَهُم ولُغتَهُمْ. ولَكن لا يَنْفَعُ الندمُ حِيْنَما يَفُوتُ الآوانُ ويَتَذكَّرونَ نصحَ الناصِح وإهمالَهم لَهُ.

اللَّهُمَّ أَنْظُمْنَا في سِلْكِ الفَائِزِيْنَ بِرِضْوَانِكَ، واجْعَلْنَا مِنْ المُتَّقِيْنَ الذيْنَ أعْدَدْتَ لَهُمْ فَسِيْحَ جِنَانِكَ، وأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ جَمِيْعِ البَلايَا، وأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِب فَضْلِكَ وَهِبَاتِكَ وَمَتَّعْنَا بالنَّظَر إلى وَجْهِكَ الكَرِيْمِ مَعَ الذيْنَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّيْنَ والصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِيْنَ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللهُ:

وَالِيْ أُوْلِي العِرْفَانِ مِنْ أَهْلِ الحديْـ ـثِ خُلَاصَةُ الإِنْسَانِ وَالأَكْوَانِ
قَوْمٌ أَقَامَهُمُوْا الإِلَه لِحِفْـظِ هَـ ـذا الدِّيْنَ مِنْ ذِيْ بِدْعَةٍ شَيْطَانِ
وَأَقَامَهُـمْ حَرَساً مِنْ التَّبْدِيْلِ وَالتَّـ ـحْرِيْـفِ والتتْمِيـمِ وَالنُّـقْصَانِ
يَزَكٌ عَلى الإِسْلامِ بَلْ حِصْنٌ لَهُ يَأْوِي إِلَيْـهِ عَسَاكِـرُ الفُرْقَـــانِ
فَهُمُ المحَكُّ فَمَنْ يُرَى مُتَنَقِصاً لَهُمُـوْا فَزِنْدِيْـقٌ خَبِيْثُ جَنَـانِ
قَوْمٌ هُمُـــوْا بِاللهِ ثُمَّ رَسُولِـــهِ أَوْلَـى وَأَقْـرَبُ مِنْكَ لِلإِيْمَـــانِ
شَتَّـانَ بَيْـنَ التَّارِكِيْـنَ نُصَوْصَهُ حَقّـاً لِأَجْلِ زُبَالَــةِ الأَذْهَـــانِ
وَالتَّارِكِيْـنَ لأَجْلِهَـــا آرَاءَ مَنْ آرَاؤُهُـمْ ضَرْبٌ مِنْ الهَذَيَـــانِ
لَمّـا فَسَا الشَّيْطَـانُ فِي آذَانِهِـمْ ثَقُـلَتْ رُؤُسُهُمُـوْا عَنْ القُـرْآنِ
فَلِذَاكَ نَامُوْا عَنْهُ حَتَّى أَصْبَحُوْا يَتَلَاعَبُــوْنَ تَلَاعُبَ الصِّبْيَـــانِ
والرَّكْبُ قَدْ وَصَلُوا العُلَا وَتَيَمَّمُوْا مِنْ أَرْضِ طَيْبَةَ مَطْلَعِ الايْمَـانِ
وَأَتَـوا إلى رَوْضَاتِهَـا وَتَيَمَّمُـوْا مِنْ أَرْضِ مَكَّةَ مَطْلَعِ القُـرْآنِ
قَوْمٌ إِذَا مَا نَاجِـذُ الـــنَّصِّ بَدَا طَارُوْا لَهُ بِالجَمْـعِ وَالوِجْـدَانِ

وَإِذَا هُمُوْا سَمِعُوا بِمُبْتَدِعٍ هَذَى ... صَاحُوا بِهِ طُرّاً بِكُلِّ مَكَانِ
وَرِثُوْا رَسُولَ اللهِ لَكِنْ غَيْرُهُمْ ... قَدْ رَاحَ بِالنُّقْصَانِ وَالحِرْمَانِ
وَإِذَا اسْتَهَانَ سِوَاهُمُ بِالنَّصِّ لَمْ ... يَرْفَعْ بِهِ رَأْساً مِنْ الخُسْرَانِ
عَضُّوْا عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِذِ رَغْبَةً ... فِيْهِ وَلَيْسَ لَدَيْهِمُ بِمُهَانِ
لَيْسُوْا كَمَنْ نَبَذَ الكِتَابَ حَقِيْقَةً ... وَتِلَاوَةً قَصْداً لِتَرْكِ فُلَانِ
عَزَلُوْهُ فِي المَعْنَى وَوَلَّوْا غَيْرَهُ ... كَأَبِيْ الرَّبِيْعِ خَلِيْفَةِ السُّلْطَانِ
ذَكَرُوْهُ فَوْقَ مَنَابِرٍ وَبِسِكَّةٍ ... رَقَمُوْا اسْمَهُ فِي ظَاهِرِ الأَثْمَانِ
وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ المطَاعُ لِغَيْرِهِ ... وَلِمُهْتَدٍ ضُرِبَتْ بِذَا مَثَلَانِ
يَا لَلْعُقُوْلِ أَيَسْتَوِيْ مَنْ قَالَ بِالـ ... ـقُرْآنِ وَالآثَارِ وَالبُرْهَانِ
وَمُخَالِفٌ هَذَا وَفِطْرَةَ رَبِّهِ ... اللهُ أَكْبَرُ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ
بَلْ فِطْرَةُ اللهِ التِيْ فُطِروا عَلى ... مَضْمُونِهَا وَالعَقْلُ مَقْبُوْلَانِ
وَالوَحْيُ جَاءَ مُصَدِّقاً لَهُمَا فَلَا ... تَلْقَى العَدَاوَةَ مَا هُمَا حَرْبَانِ
سِلْمَانِ عِنْدَ مُوَفَّقٍ وَمُصَدِّقٍ ... وَاللهُ يَشْهَدُ إِنْ هُمَا سِلْمَانِ
فَإِذَا تَعَارَضَ نَصُّ لَفْظٍ وَارِدٍ ... وَالعَقْلُ حَتَّى لَيْسَ يَلْتَقِيَانِ
فَالعَقْلُ إِمَّا فَاسِدٌ وَيَظُنُّهُ الر ... رَأْيُ صَحِيْحَاً وَهُوَ ذُوْ بُطْلَانِ
أَوْ أَنَّ ذَاكَ النّصُّ لَيْسَ بِثَابِتٍ ... مَا قَالَهُ المَعْصُوْمُ بِالبُرْهَانِ
وَنُصُوْصُهُ لَيْسَتْ يُعَارِضُ بَعْضُهَا ... بَعْضاً فَسَلْ عَنْهَا عَلِيْمَ زَمَانِ
وَإِذَا ظَنَنْتَ تَعَارُضاً فِيْهَا فَذَا ... مِنْ آفَةِ الأَفْهَامِ وَالأَذْهَانِ
أَوْ أَنْ يَكُوْنَ البَعْضُ لَيْسَ بِثَابِتٍ ... مَا قَالَهُ المَبْعُوْثُ بِالقُرْآنِ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارْزِقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنَا حُبُّهُ عِنْدَك، اللَّهُمَّ وَمَا رَزَقْتَنَا مِمَّا نُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لَنَا فِيْمَا تُحِبُّ، اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنَّا مِمَّا نُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغاً لَنَا فِيْمَا تُحِبُّ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اقْبَلْ تَوْبَتَنَا وَاغْسِلْ حَوْبَتَنَا وَأجِبْ دَعْوَتَنَا وَثَبِّتْ حُجَّتَنا وَاهْدِ قلُوبنَا

وَسَدِّدْ أَلْسِنَتَنَا وَاسْلُلْ سَخِيْمَةَ قُلُوْبِنَا وَاجْعَلنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« **موعظة** » : عِبَادَ اللهِ طَاعَةُ اللهِ صَلَاحٌ فِي الأَرْضِ لِهَذَا أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالطَّاعَاتِ وَهَذِهِ الطَّاعَاتُ تُرْضِيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَنَّهُ شَكُوْرٌ غَفُوْرٌ وَهَذِهِ الطَّاعَاتُ هِيَ السَّبَبُ الذِيْ بِهِ يَكُوْنُ يُسْرُ العِبَادِ فَيَكُونُونَ فِي حَيَاتِهِم هَذِهِ فِي سَعَادَاتٍ وَهِيَ التِيْ إِذَا بُعِثُوا أَدْخَلَهُم بِهَا اللهُ الجَنَّاتِ ، فَالنَّاسُ إِذَا لَزِمُوا طَاعَةَ اللهِ نَالُوا الخَيْرَ وَالسَّعَادَةَ بَعْدَ المَمَاتِ وَخَيْرُ مَا تَزَوَّدَهُ المَرْءُ تَقْوَى اللهِ.

عَنْ أَبِيْ ذَرٍّ الغِفَارِيْ وَمُعَاذِ بن جَبَل رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَن رَسولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « اتَّقِ اللهَ حِيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعْ ا لسَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » رَوَاهُ التِّرْمِذِي.

هَذَا حَدِيْثٌ عَظِيْمٌ خَاطَبَ فِيْهِ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ الصَحَابِيّ الجَلِيْلَ أَبَا ذَرٍّ أَحَدَ السَّابِقِيْنَ فِي الإِسْلَامِ وَتَلْبِيَةِ دَعْوَةِ النَّبِيّ ﷺ لَمَّا أَسْلَمَ وَالنبي ﷺ بِمَكة وَرَأَى مِنْ حِرْصِهِ عَلَى المَقَامِ مَعَهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ قَالَ لَهُ هَذِهِ المَقَالَةَ.

وَاشْتَمَلَتْ هَذِهِ المَقَالَةُ عَلَى أُمُوْرٍ ثَلَاثَةٍ جَمَعَ فِيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ حَقِّ اللهِ وَحُقُوْقِ العِبَادِ فَحَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَتَّقُوهُ حَقَّ تُقَاتِهِ وَالتَّقْوَى كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِلْفَضَائِلِ وَالكَمَالَاتِ مَانِعَةٌ مِنْ النَّقَائِضِ وَالرَّذَالَاتِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى هِيَ امْتِثَالُ الأَمْرِ وَاجْتِنَابُ النَّهْيِ وَالوُقُوْفُ عِنْدَ الحَدِّ الشَّرْعِيّ الذِيْ حَدَّهُ اللهُ وَرَسُوْلُهُ.

وَهَذِهِ الوَصِيَّةُ هِيَ وَصِيَّةُ اللهِ لِلأَوَّلِيْنَ وَالآخرِيْنَ وَوَصِيَّةُ كُلِّ رَسُولٍ لِقَوْمِهِ أَنْ يَقُولُوا اعْبُدُوْا اللهَ وَاتَّقُوْهُ وَيَجِبُ أَنَّ تَعْلَمَ أَنَّ التَّقْوَى فِي الدَّارَيْن بَابٌ وَاسِعٌ لِلْمُتَّقِي المُلَازِمِ لِلأَدَبِ يَنْفُذُ مِنْهُ ان نَزَلَتْ بِالنَّاسِ شَدَائِدُ أَوْ نَزَلَ بِهِ شِدَّة لا مَفَرَّ

مِنْهَا وَإِنْ شِئْتَ فَاقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبْ﴾.

إِنَّ رَبَّنَا الذِيْ بِيَدِهِ أَزِمَّةُ الأُمُوْرِ: بِيَدِهِ الأَمْرُ كُلُّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ هُوَ الذِيْ يَقُولُ ذَلِكَ لا زَيْدٌ وَلا عَمْرو وَلَا خَالِدٌ وَلَا بَكْرٌ والتَّقْوَى جَمَالٌ لِلمَرْءِ لا يُمَاثِلُهُ جَمَالٌ فِي نَظَرِ الأَفَاضِلِ المتَقِيْنَ وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

فَعَلَيْكَ تَقْوَى للهِ فَالْزَمْهَا تَفُزْ ... إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ البَهِيُّ الأَهْيَبُ
وَاعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَنَلْ مِنْهُ الرِّضَا ... إِنَّ المُطِيْعَ لَهُ لَدَيْهِ مُقَرَّبُ
آخر: إِنَّ التَّقِيَّ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدمٌ ... يَهْوِيْ عَلَى فُرُشِ الدِّيْبَاجِ وَالسُّرُرُ
آخر: يُرِيْدُ المَرْءُ أَنْ يُعْطَى مُنَاهُ ... وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا مَا أَرَادَا
يَقُولُ المَرْءُ فائِدتَي وَمَالي ... وَتَقْوَى اللهِ أَعْظَمُ ما اسْتَفَادَا
آخر: أَطْيَبُ الطَّيِباتِ فِعْلُ الفَرائِضْ ... وَالجهادُ في سَبِيْلِ اللهِ لِقَتْلِ الأَعَادِيْ
وَرسُولٌ يُهْدِيْ إليكَ نَصِيْحَةً ... تَنْتَفِعْ فِيْهَا أُخَيَّ فِي المَعَادَ
آخر: أَطَعِ الإلٰه ولا تُطِعْ لِهَواكَا ... إِنَّ الإلٰهَ إذَا أطِعْتَ هَدَاكَا
واعْلَمْ بَأَنَّكَ لا تَسُوْدُ ولَنْ تَرى ... سُبْلَ الرَّشَادِ إِذَا عَصَيْتَ اللهَ
آخر: ولا عَيْشَ إِلَّا مَعْ رِجَالٍ قُلُوبُهُم ... تَحُنُّ إلى التَّقْوىَ وتَرْتَاحُ لِلذِّكْرِ

وَقَوْلُهُ ﷺ لأبي ذَرٍّ اتّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ أَيْ بِأَيْ زَمَانٍ وُجِدْتِ وَأَيِّ مَكَانٍ أَقَمْتَ فَإِنَّ التَّقْوَى لَا تَتَقَيَّدُ بزَمَانٍ وَلا مَكَانٍ وَإِنَّمَا هِيَ عِبَادَةٌ وَأَخْلَاصٌ لِلرَّحْمَنِ وَكَفٌّ عَنْ مَحَارِمه وَمُكَافَحَةٍ لِهَوى النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ.

وَمَوْضِعُهَا القَلْبُ مِن كُلِّ إِنْسَانٍ عَلى حَد قولِهِ ﷺ: «التَّقْوَى هَا هُنَا وَيشِيْرُ إلى صَدْرِهِ» وَتَظْهَرُ آثارُهَا على الجَوَارِحِ بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ وَالانْكِفَافِ عَنْ المُحَرَّمَاتِ.

وَقَال ﷺ: «أَنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إلى أَجْسَادِكُمْ ولا إلى صُورِكُم ولكن يَنْظُرُ

إلى قلوبكُم » ، فَعَلى الإنْسَانِ أن يَبْذُلَ جِدَّهُ وَاجْتِهَادَهُ في تَحْسِيْنِ مَوْضِعِ نَظَرِ اللهِ منه لِيَكُون نَقِيّاً طَاهِراً خَالِياً مِنْ الغِشِّ وَالحَسَدِ وَالحِقْدِ وَالظُّنُونِ السَّيِّئَةِ بالمُسْلِمِين خَالياً مِن جَمِيْعِ الأمْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ وَالخُلُقِيَّةِ فَلَعَلَّ اللهَ يَنْظُرُ لَهُ نَظْرَةَ قَبُولٍ وَرَحْمَةٍ وَعَطْفٍ وَاحْسَانٍ وَامْتِنانٍ .

يَا أَبَا ذَرّ أَمَرْتُكَ بِالتَّقْوى المُشْتَمِلَةُ عَلى امْتِثَالِ أَمْرِ اللهِ وَالابْتِعَادِ عَنْ مَحَارِمِه .

وَكَتَبَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى أَمِيْرِ جَيْشِهِ سَعْدِ بْنِ أَبِيْ وَقَّاصٍ يَحُضُّهُ فِيْهِ عَلى تَقْوَى اللهِ وَيُحَذِّرُهُ المُعَاصِي فَقَالَ وَبَعْدُ فَأَنِّي آمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنْ الأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللهِ عَلى كلِّ حَالٍ فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ أفضَلُ العُدَّةِ عَلى العَدُوِّ وَأَقْوَى المَكِيْدَةِ في الحَرْبِ وَآمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاساً مِن المَعَاصِي منكم مِن عَدُوِّكُم فإِنَّ ذُنُوبَ الجَيْشِ أَخْوَفُ عَلَيْهِم مِنْ عَدُوِّهِم وإِنَّمَا يُنْصَرُ المُسْلِمُونَ بمَعْصِيَةِ عَدُوِّهِمْ لِلَّهِ .

وَلَوْلَا ذَاكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ لأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِم وَلا عُدَّتُنا كَعُدَّتِهِم فَإِنْ اسْتَوَيْنَا في المَعْصِيَةِ كَانَ لَهُم الفَضْلُ عَلَيْنَا في القُوَّةِ وَإِلَّا نُنْصَرْ عَلَيْهِم بِفَضْلِنَا لم نَغْلِبْهُم بِقُوَّتِنَا فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُم في سَيْرِكُمْ حَفظَةً مِن اللهِ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُم وَلَا تَعْملوا بِمَعَاصِيْ اللهِ وَأَنْتُم في سَبِيْلِ اللهِ .

وَلَا تَقولُوا أَنَّ عَدُوَّنَا شَرٌّ مِنَّا فَلَنْ يُسَلَّطَ عَلَيْنَا فَرُبَّ قَوْمٍ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ شَرٌّ مِنْهُم كَمَا سُلِّط عَلى بَنِي اسْرَائِيْلَ لَمَّا عَمِلُوا بِالمَعَاصِيْ كُفَّارُ المَجُوسِ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدُ اللهِ مَفْعُولاً .. وَاسْأَلُوا اللهَ العَوْنَ عَلى أَنْفُسِكُم كَمَا تَسْأَلُوْنَهُ النَّصْرَ على عَدُوِّكُم أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى ذَلِكَ لِيْ وَلكُم .. أهـ .

فَتَأَمَّلْ مَا كَتَبَهُ أَمِيْرُ المؤمِنِيْنَ إلى قَائِدِ جَيْشِهِ يَأْمُره بالتَّقْوَى وَيُحَذِّره من المَعَاصِي بأشَدِّ المَوَاقِفِ وَأَحْرَجِهَا عِنْدَ مُقَابَلَةِ المُسْلِمِيْنَ لِجَيْشِ العَدُوْ مِنْ

الكَفَرَةِ المعَانِدين لِعِلْمِهِ أنَّ تَقْوَى اللهِ أَفْضَلُ العُدَّةِ وَالذَّخِيْرَةِ وَأَقْوَى عَامِلٍ لِنُصْرَةِ المُسْلِمِيْنَ عَلى أَعْدَائِهم وَالغَلَبَةِ عليهم وَالظَّفرِ بِهِم.

فَتَمَسَّكَ المُسْلِمُونَ بِوَصِيَّةِ عُمَرَ وَكَانُوا كَمَا وَصَفَ رَجُلٌ مِنْ الرُّوْمِ المُسْلِمِيْنَ لِرَجُلٍ مِنْ الرُّوْمِ أَمِيْرٌ فَقَالَ جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ رِجَالٍ دِقَاقٍ يَرْكَبُونَ خُيُولًا عِتَاقاً أَمَّا الليْلُ فَرُهْبَانٌ وَأَمَّا النَّهارُ فَفُرْسَانٌ لَوْ حَدَّثْتَ جَلِيْسَكَ حَدِيْثاً مَا فَهِمَهُ عَنْكَ لِمَا عَلا مِن أَصْوَاتِهِم بالقُرْآنِ وَالذِّكْرِ فَالْتَفَتَ إلى أَصْحَابِهِ وَقَالَ أَتَاكُمْ مِنْهُم مَا لا طَاقة لكُمْ بِهِ.

شِعْرًا: هُمُ الرِّجَالُ وَغَبْنٌ أَنْ يُقالَ لِمَنْ   لَم يَتَّصِفْ بِمَعَالِي وَصْفِهِم رَجلُ

وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الحَسنَةَ تَمْحُهَا» لما كَانَ العَبْدُ لابُدَّ أَنْ يَحْصُلَ منه تَقْصِيْرٌ في التَّقْوَى وَلَوَازِمِهَا أَمَرهُ ﷺ بِمَا يَدْفَعُ ذَلِكَ وَيَمْحُوهُ فكأَنَّهُ عَلَيْهِ الصلاةُ وَالسَّلامُ قَالَ:

وَحَيْثُ أَنَّ المرءَ لَا يَأْمَنُ على نَفْسِهِ من الزَّلَلِ وَالخطَا، فَإِذَا مَا وَقَعَتْ مِنْكَ زَلَّةٌ أَو خَطِيْئَةٌ فاتْبِعْهَا بالحَسَنَةِ فَهِيَ مَاحِيَةٌ لَهَا مُخَلِّصَةً لَكَ مِنْ شَرِّها واثمِها نَظِير قَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الحسناتِ يُذْهِبْن السَّيِّئَاتِ﴾ وَمَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ فَقَابلْهُ بالإِحْسَانِ عَلى حَدِّ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ادْفَعْ بالتِيْ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الذِيْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيْمٌ﴾.

شِعْرًا: أَصْدُقْ صَدِيْقَكَ إِنْ صَدَقْتَ صَدَاقَةً   وادْفَعْ عَدُوَّكَ بالَّتِيْ فإِذَا الَّذِيْ

وَهَذَا مِنْ أَكْرَمِ أَخْلَاقِ المَرْءِ وَأَجَلِّ صِفَاتِهِ فَإِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ مُسِيءٌ مِنْ الخَلْقِ خُصُوصاً مَنْ لَهُ حَق عَلَيْكَ كَالأَقارِبِ وَالأَصْحَابِ وَنَحْوِهِم فَقَابِلْ اسَاءَتَهُ بالاحْسَانِ وَسَوَاءٌ كَانَتْ إِسَاءَةً قَوْلِيَّةً أَوْ فِعْلِيّة فَإِنْ قَطَعَكَ فَصِلْهُ وَإِنْ ظَلَمَكَ فَاعْفُ عَنْهُ وَإِنْ تَكَلَّمَ فِيْكَ غائِباً أَوْ حَاضِراً فَلا تُقَابِلْهُ بالاساءَةِ بَلْ اعْفُ عَنْهُ وَعَامِلْهُ بالقَوْلِ اللَّيِّنِ وَإِنْ هَجَرَكَ وَتَرَكَ خِطَابَكَ فَطَيِّبْ لَهُ الكَلامَ وَابْذُلْ لَهُ السَّلامَ كَمَا قِيْلَ:

شِعْرًا: وَأنّ أَساهَ مُسيٍّ فَلْيَكُنْ لَكَ في عُرُوْضِ زَلَّتِهِ عَفْوٌ غُفْرانُ
آخر: فإنْ جَارَيْتَ ذَا جُرْمٍ بِجُرْمٍ فَمَا فَضْلُ المَصُوْنِ عَلى الْمُذَالِ
آخر: إذا سفه السفيه عليك فاجعل سُكُوْتَكَ عندمِنْ شَرَفِ الخِصَالِ

فَإِذَا قَابَلْتَ الاسَاءَةَ بالإِحْسَانِ حَصَل فَائِدَةٌ عَظِيْمَةٌ ﴿فَإِذَا الذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيْمٌ﴾، كَأَنَّهُ قَرِيْبٌ شَقِيْقٌ وَهَذا فِيْمَا إِذَا كانَ المتَعَدِّي مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَأَهْلًا لِلْعَفْو وَالمسَامَحَةِ وَالمقَابَلةِ بالتِيْ هِيَ أَحْسَنُ والحذَرَ مِنَ الكِبْرِ وَالعُجْبِ.

شِعْرًا: كَمْ جَاهِلٍ مُتَوَاضِعٍ سَتَرَ التَوَاضُعُ جَهْلَهُ
ومُميِّزٍ في عِلْمِهِ هَدَمَ التَّكَبُّرُ فَضْلَهُ
فَدَعِ التَّكَبُّرَ مَا حَيِيْتَ ولا تُصَاحِبْ أَهْلَهُ
فالكِبْرُ عَيْبٌ لِلْفَتَى أَبَداً يُقَبِّحُ فِعْلَهُ

وَأَمَّا انْ كانَ مِنْ المتَغَطْرِسِيْنَ المُتَكَبِّرِيْنَ الذِيْنَ يَزِيْدُهُمْ العَفْو عُتُوّاً وَطُغْيَاناً وَتَمَادِياً في ظُلْمِهم وَشَرِّهم وَبَغْيهم فاسْتِعْمَالُ الشِّدَّةِ وَالحَزْمِ وَالقَسْوَةِ أَوْلَى لِيَرْتَدِعُوْا لِأَنَّ اللَّئِيْمَ إِذا أَكْرَمْتَهُ تَمَرَّدَ وَإِذَا أَهَنْتَهُ رُبَّمَا تَأَدَّبَ وَاعْتَدَلَ. وَقَدِيْماً قِيْلَ:

إِنَّ الصَّنِيْعَةَ لِلأَنْذَالِ تُفْسِدُهُم كَمَا تُضِرُّ رِيَاحُ الوَرْدَ بالجَعَلِ
آخر: إِنَّ الْعَبِيْدَ إِذَا أَذْلَلتَهُمْ صَلَحُوا عَلَى الهَوَانِ وَإِنْ أَكْرَمْتَهُمْ فَسَدُوْا
آخر: إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيْمَ مَلَكْتَهُ وَإِن أَنْتَ أكرمْتَ اللَّئيم تمردَا
فَوَضعُ النَّدا في مَوْضِعِ السَّيفِ بالعُلَا مُضِرٌ كَوضْعِ السَّيْفِ في مَوْضِعِ النَّدَا
إِنَّ الحَدِيْدَ تُلِيْنُ النَارُ قَسْوَتَهُ وَلَوْصَبَبْتَ عَلَيْه البَحْرَ مَالَانَا

قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿والذِيْنَ إِذَا أَصَابَهم البَغْيُ هُم يَنْتَصِرُونَ﴾، مَدَحَهُم جَلَّ وَعَلا لِانْتِصَارِهم لِأَنْفُسِهم مِمَّنْ بَغَى عَليهم وَأَرْدَفَ جَلَّ وَعَلا ذَلِكَ بِمَا يَدُلُّ على أَنَّ الانْتِصَارَ مُقيَّدٌ بالمِثْلِ لِأَنَّ النُّقْصَانَ حَيْفٌ وَالزِّيَادَةُ ظُلْمٌ وَالتَّسَاوِيْ هُوَ العَدْلُ الذي قَامَتْ بِهِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ فَقَالَ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئة مِثْلُها﴾.

وَنَعُودُ إِلى الكَلامِ عَلى آخِرِ جُمْلَةٍ في الحَدِيْثِ وَهِيَ قَوْلُه ﷺ: «وَخَالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَن» أَيْ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ، وَالخُلُقُ صُوْرَةُ الإِنْسَانِ البَاطِنَةِ. وَالخُلُقُ الحَسَنُ في الأَفْرَادِ وَالجَمَاعَاتِ وَالشُّعُوبِ وَالأُمَمِ هُوَ أُسُّ الفَضَائِلِ وَيَنْبُوعُ المَكَارِمِ وَعَيْنُ الكَمَالِ.

وَفي حَدِيْثِ مُسْلم عَنْهُ عليهِ السَّلامُ قَالَ: «البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ» المَعْنَى أَنَّ خَيْرَ خِصَالِ البِرِّ وَأَعْظَمَهَا حُسْنُ الخُلُقِ نَظِيْرَ قَوْلِهِ عَليهِ السَّلامُ «الحَجُّ عَرَفه» وَنَاهِيْكَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ امْتَدَحَ مُحَمَّداً ﷺ بهِ لِبَيَانِ فَضْلِهِ وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ وَشَرفِهِ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَانَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيْمٍ﴾.

وَالنَّبيّ ﷺ يَذْكُرُ مُهِمَّتَهُ التي لِأَجْلِهَا بُعِثَ وَبِهَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى فَيَقُولُ إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ، وَقَالَ تَعَالى: ﴿وعِبَادُ الرَّحْمنِ الذِيْن يمشون على الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُم الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ إلى آخر مَا جَاءَ في هَذِهِ الآيَاتِ وَمَا شَاكَلَها مِنْ الآيَاتِ وَلَنَا الأُسْوَةُ الحَسَنَةِ في قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَقَدْ ذَكَرْنَا نَمَاذِجَ مِنْ حِلْمِهِ ﷺ.

وَقَدْ وَرَدَ في الحَثِّ عَلى حُسْنِ الخُلُقِ أَحَادِيْثُ كَثِيْرَةٌ وَمِنْ حُسْنِ الخُلُقِ لِيْنُ الجَانِبِ وَالتَّوَاضُعُ وَعَدَمُ الغَضَبِ وَكَفُّ الأَذَىٰ عَنْهُم وَالعَفْوُ عَنْ مَسَاوِيْهِم وَأَذِيَّتِهِم وَمُعَامَلَتِهِم بالاحْسَانِ القَوْلِيّ وَالاحْسَانِ الفِعْلِيّ وَبَشَاشَةِ الوَجْهِ وَلُطْفِ الكَلَامِ وَالقَوْلِ الجَمِيْلِ المُؤْنِسِ لِلْجَلِيْسِ المُدْخِلِ عَلَيْهِ السُّرُورَ المُزِيْلِ عنه الوَحْشَةَ.

وَمِنْ الخُلُقِ الحَسَنِ أَنْ تُعَامِلَ كُلَّ أَحَدٍ بِمَا يَلِيْقُ بِهِ وَيُنَاسِبُ حَالَهُ وَمِمَّا يُثْمِرُهُ حُسْنُ الخُلُقِ تَيْسِيْرُ الأُمُورِ لِصَاحِبِهِ وَحُبُّ الخَلْقِ لَهُ وَمَعُونَتُهم وَالابْتِعَادُ عَنْ أَذاه وَقِلّةُ مَشَاكِلِه في الحَيَاةِ مَعَ النَّاسِ وَالمُجَالِسِيْنَ لَهُ وَاطْمِئْنَانُ نَفْسِهِ وَطِيْبُ عَيْشِهِ وَرِضَاؤُهُ بِهِ.

وَمِنْ مَحَاسِنِ الأَخْلَاقِ الصِّدْقُ وَالوَفَاءُ وَالشَّهَامَةُ وَالنَّجْدَةُ وَعِزَّةُ النَّفْسِ

وَالتَّوَاضُعُ وَعُلُوُّ الهِمَّةِ والتَّثَبُّتُ وَالعَفْوُ وَالبِشْرُ وَالرَّحْمَةُ وَالشَّجَاعَةُ وَالوقارُ وَالوَرَعُ والصِّيَانَةُ وَالصَّبْرُ وَالحَيَاءُ وَالسَّخَاءُ وَالنَّزَاهَةُ والقَنَاعَةُ وَحِفْظُ السِّرِّ وَالعِفَّةُ وَالإِيْثَارُ.

اللَّهُمَّ يا مَنْ لا تَضُرُّهُ المعصيةُ ولا تنفعُهُ الطاعَةُ أيقظْنَا مِنْ نَومِ الغفلةِ وَنَبِّهْنَا لاغْتِنَام أوقاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا واعْصِمْنَا مِن قبائِحِنَا ولا تؤاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عليهِ ضَمائِرُنَا وَأَكَنَّتْهُ سَرائِرُنَا مِنْ أَنْواعِ القَبَائِحِ والمعَائِبِ التي تَعْلَمُهَا مِنَا، وامنُنْ علينَا يا مولانَا بتوبةٍ تمحو بها عنا كُلَ ذَنْبٍ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

شِعْرًا: أَسْعَدُنَا مَنْ وَفَّقَ اللهُ … لِكُلِّ فِعْلٍ مِنْهُ يَرْضَاهُ
وَمَنْ رَضِيَ مِن رِزْقِهِ بالذي … قَدَّرَهُ اللهُ وأَعْطَاهُ
واطَّرَحَ الحِرْصَ وأَطْمَاعَهُ … في نَيْلِ مَا لَمْ يُعْطِهِ مَوْلَاهُ
طُوبَى لِمَنْ فكَّرَ في بَعْثِهِ … مِن قَبْلِ أَنْ يَدْعُوَ بِهِ اللهْ
واسْتَدْرَكَ الفَارِطَ فِيْمَا مَضَى … ومَا نَسِيَ فاللهُ أَحْصَاهْ
فالموتُ حَتْمٌ في جَمِيعِ الوَرَى … طُوْبَى لِمَنْ تُحْمَدُ عُقْبَاهْ
وكُلُ مَن عَاشَ إِلَى غَايَةٍ … في العُمْرِ فالموتُ قُصَارَاهْ
يَعْلَمُهُ حَقاً يَقِيْناً بِلَا … شَكٍ ولَكِنْ يَتَنَاسَاهْ
كَأَنَّمَا خُصَّ بِهِ غَيْرُنَا … أَوْ هُوَ خَطْبٌ نَتَوَقَّاهْ
وإِنْ جَرَى ذِكْرٌ لَهُ بَيْنَنَا … قُلْنَا جَمِيْعاً قَدْ عَلِمْنَاهْ
ولَيْسَ فِيْنَا وَاحِدٌ عَامِلٌ … لِغَيْرِ مَا يُصْلِحُ دُنْيَاهْ
كَمْ آمِنٍ في سِرْ بِهِ غَافِلٍ … في أَعْظَمِ العِزِّ وَأَوْفَاهْ
أَمْوَالُهُ لا تُحْصِيَ كَثْرَةً … والخَلْقُ تَرْجُوْهُ وَتَخْشَاهْ
ومِن عَظِيْمِ الذِكْرِ في نِعْمَةٍ … يُرْجَى ويُخْشَى ولَهُ جَاهْ

قَدْ بَاتَ في خَفْضٍ وفي غِبْطَةٍ　　في أطْيَبِ العَيْشِ وَأَهْنَاهْ
أصْبَحَ قَدْ فَارَقَ ذَا كُلَّهُ　　قَهْراً وصَارَ القَبْرُ مَثْواهْ
فَزَالَتِ النِّعْمَةُ في لَحْظَةٍ　　واسْتُرْجِعَتْ منه عَطَايَاهْ
سِيْقَ إلىَ دَارِ البِلَى مُكْرَهاً　　لَمْ يُغْنِ عَنْهُ المالُ والجَاهْ
وكُلُّ مَنْ كَانَ وَدُوْداً لَهُ　　تَحْتَ تُرَابِ الأَرْضِ وَارَاهْ
حَتَّى إذَا مَا غَابَ عَنْ عَيْنِهِ　　عَادَ إِلَى الدُّنْيَا وَخَلَّاهْ
مُقَاطَعاً مُطَّرَحاً مُهْمَلاً　　مِن غَيْرِ ذَنْبٍ يَتَجافَاهْ
كَأَنَّهُ لَمْ يَرَهُ سَاعَةً　　وَلِمْ يَكُنْ في الدَّهْرِ لَاقَاهْ
لِيْ أَجَلٌ قَدَّرَهُ خَالقِيْ　　نِعَمٌ وَرِزْقٌ أَتَوَفَّاهْ

اللَّهُمَّ أَنْظُمْنَا في سِلْكِ الفَائِزِيْنَ بِرِضْوَانِكَ، واجْعَلْنَا مِنْ المُتَّقِيْنَ الذيْنَ أَعْدَدْتَ لَهُمْ فَسِيْحَ جِنَانِكَ، وأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ في دَارِ أَمَانِكَ، وَعَافِنَا يَامَوْلَانَا في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ جَمِيْعِ البَلايَا، وأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِب فَضْلِكَ وَهِبَاتِكَ وَمَتِّعْنَا بالنَّظَر إلى وَجْهِكَ الكَرِيْمِ مَعَ الذيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّيْنَ والصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِيْنَ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« **فَصْلٌ** »: قال ابن القيم رحمه الله الدين كله يرجع إلى هذه القواعد الثلاث: فعل المأمور، وترك المحظور، والصبر على المقدور.

وهذه الثلاثة هي التي أوصى بها لقمان لابنه في قوله: يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأصبر على ما أصابك.

فأمره بالمعروف: يتناول فعله بنفسه وأمر غيره به، وكذلك نهيه عن المنكر.

أما من حيث إطلاق اللفظ، فتدخل نفسه وغيره فيه، وأما من حيث اللزوم الشرعي، فإن الآمر الناهي لا يستقيم له أمره ونهيه، حتى يكون أول مأمور ومنهي.

وذكر سبحانه هذه الأصول الثلاثة في قوله: ﴿إنما يتذكر أولو الألباب، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب، والذين صبروا إبتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾.

فجمع لهم مقامات الإسلام والإيمان في هذه الأوصاف، فوصفهم بالوفاء بعهده الذي عاهدهم عليه، وذلك يعم أمره ونهيه الذي عهده إليهم، بينهم وبينه، وبينهم وبين خلقه. ثم أخبر عن استمرارهم بالوفاء به بأنهم لا يقع منهم نقضه.

شِعْرًا: إِذَا أَنْتَ لَمْ تُصْلِحْ لِنَفْسِكَ لَمْ تَجِدْ   لَهَا أَحَدًا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ يُصْلِحُ

آخر: نِعَمُ الإِلـهِ على العِبَادِ كَثِيْرةٌ   وَأَجَلُّهُنَّ فِنَعْمَةُ الإِيْمَانِ

آخر: مَا أَنْعَم الله على العَبْدِ من نِعْمةٍ   أوفَى على العَبْدِ من طَاعَتِهْ

وَكُلَ مَنْ عُوفِي فِي دِيْنِهِ   فإنَّهُ في عِيْشَةٍ رَاضِيْةْ

ثم وصفهم بأنهم يعملون ما أمر الله به أن يوصل، ويدخل في هذا ظاهر الدين وباطنه، وحق الله، وحق خلقه، فيصلون ما بينهم وبين ربهم بعبوديته وحده لا شريك له، والقيام بطاعته.

والإنابة إليه والتوكل عليه، وحبه وخوفه ورجائه، والتوبة والإستكانة له، والخضوع والذلة له، والإعتراف له بنعمته، وشكره عليها، والإقرار بالخطيئة، والإستغفار منها.

فهذه هي الصلة بين الرب والعبد، وقد أمر الله بهذه الأسباب التي بينه وبين عبده أن توصل، وأمر أن يوصل ما بيننا وبين رسوله ﷺ بالإيمان به، وتصديقه وتحكيمه في كل شي، والرضا لحكمه، والتسليم له.

وتقديم محبته على محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين صلوات الله وسلامه عليه، فدخل في ذلك القيام بحقه وحق رسوله.

وأمر أن نصل ما بيننا وبين الوالدين والأقربين بالبر والصلة، فإنه أمر ببر الوالدين وصلة الأرحام وذلك مما أمر به أن يوصل وأمر أن نصل ما بيننا وبين الزوجات بالقيام بحقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف.

وأمر أن نصل ما بيننا وبين الأرقاء بأن نطعمهم مما نأكل، ونكسوهم مما نكتسي، ولا نكلفهم فوق طاقتهم، وأن نصل ما بيننا وبين الجار القريب والبعيد بمرعاة حقه، وحفظه في نفسه وماله وأهله بما نحفظ به نفوسنا وأهلينا وأموالنا وأن نصل ما بيننا وبين الرفيق في السفر والحضر.

وأن نصل ما بيننا وبين الحفظة الكرام الكاتبين بأن نكرمهم ونستحي منهم كما يستحي الرجل من جليسه ومن هو معه ممن يجله ويكرمه فهذا كله مما أمر الله به أن يوصل.

ثم وصفهم بالحامل لهم على هذه الصلة، هو خشيته وخوف سوء الحساب يوم المآب ولايمكن أحداً قط أن يصل ما أمر الله بوصله إلا بخشيته، ومتى ترحلت الخشية من القلب إنقطعت هذه الوصل.

ثم جمع لهم سبحانه ذلك كله في أصل واحد وهو آخية ذلك وقاعدته ومداره الذي يدور عليه وهو الصبر فقال: ﴿والذين صبروا إبتغاء وجه ربهم﴾ فلم يكتف منهم بمجرد الصبر حتى يكون خالصاً لوجه. ثم ذكر لهم ما يعينهم على الصبر وهو الصلاة فقال: ﴿وأقاموا الصلاة﴾.

وهذان هما العونان على مصالح الدنيا والآخرة وهما الصبر والصلاة فقال تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾، وقال: ﴿ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾.

ثم ذكر سبحانه إحسانهم إلى غيرهم بالإنفاق سراً وعلانية فأحسنوا إلى أنفسهم بالصبر والصلاة، وإلى غيرهم بالإنفاق عليهم.

ثم ذكر حالهم إذا جهل عليهم وأوذو أنهم لا يقابلون ذلك بمثله بل يدرأون بالحسنة السيئة، فيحسنون إلى من يسيء إليهم فقال: ﴿ويدرأون بالحسنة السيئة﴾.

وقد فسر هذا الدرء بأنهم يدفعون بالذنب الحسنة بعده كما قال تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئآت﴾، وقال ﷺ: «اتبع السيئة الحسنة بعدها تمحها».

والتحقيق: أن الآية تعم النوعين والمقصود: أن هذه الآيات، تناولت مقامات الإسلام والإيمان كلها، واشتملت على فعل المأمور، وترك المحظور، والصبر على المقدور.

وقد ذكر تعالى هذه الأصول الثلاثة في قوله: ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا﴾، وقوله: ﴿إنه من يتق ويصبر﴾، وقوله: ﴿ياأيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾.

فكل موضع قرن فيه التقوى بالصبر، اشتمل على الأمور الثلاثة، فإن حقيقة التقوى: فعل المأمور، وترك المحظور.

شِعْرًا:

اكْدَحْ لِفسِكَ قبلَ المَوتَ في مَهلٍ ... ولا تكنْ جاهلًا في الحقِ مُرْتاباً
إنّ المنيَّـــةَ مَورُودٌ مَنَاهِلُهَـــا ... لَابُدَّ مِنْهَا ولو عُمِّرتَ أحْقَابَا

وفي اللَّيَالِي وفي الأيام تَجْربةٌ … يَزْدادُ فيها أُولُو الألباب أَلْبَابَا
بَعْدَ الشباب يَصِير الصُّلْبُ مُنْحَنِياً … والشَّعْرُ بعدَ سَوادٍ كانَ قد شَابَا
يُفْنِي النفوسَ ولَا يُبْقِي على أَحدٍ … لَيلٌ سَرِيعٌ وشَمْسٌ كَرُّها دَابَا
لِمُستقرٍّ وميقَاتٍ مُقَدَّرةٍ … حَتَّى يَعُودَ شُهودُ الناسِ غُيَّابَا
ومَن تُعَاقِرهُ الأيامُ تَبْدلُهُ … بالجارِ جاراً وبالأصحابَ أَصحَابَا
خَلَّوا بُروجاً وأَوطاناً مُشَدَّةً … ومُؤْنِسِينَ وأَصْهَاراً وأَنْسَابَا
فَيَا لَهُ سَفَراً بُعْداً ومُغْتَرباً … كُسِيْتَ مِنه لِطُولِ النَّأْيِ أَثْوَابَا
بِمُوحِشٍ ضَيِّقٍ نَاءٍ مَحَلَّتُهُ … ولَيْسَ مَن حَلَّهُ مِن غَيْبَةٍ آبَا
كَمْ مِن مَهِيْبٍ عَظِيْم المُلْكِ مُتَّخِذٍ … دُونَ السُّرادِقِ حُرَّاساً وَحُجَّابَا
أَضْحَى ذَلِيلًا صَغِيْرَ الشأنِ مُنْفرِداً … وما يُرَى عندَهُ في القَبْرِ بَوَّابَا
وقَبْلَكَ الناسُ قَد عَاشُوا وقد هَلَكُوا … فأَضْرَبَ الحيُّ عن ذي النَّأْيِ إضرابَا
ياأَيُّهَا الرَّاحِلُ الناسِي لِمَصرَعِهِ … أَصْبَحْتَ مِمَّا ستَلْقَى النفسُ هَرَّابَا
إكْدَحْ لِنَفْسِكَ مِن دار تُزَايِلُهَا … ولا تَكُنْ لِلذي يُؤْذِيكَ طَلَّابَا

واللهُ أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

«فَصْلٌ فِي ذَمِّ طُوْلِ الأَمَلِ وَالحَثِّ عَلَى تَقْصِيْرِهِ»

اعْلَمُوا مَعْشَرَ الاخْوَانِ وَفَّقَنا اللهُ وَإِيَّاكُمْ وَأَيْقظَ قُلُوْبَنَا وَقُلُوبَكُم مِنْ الغَفْلَةِ وَرَزَقَنَا وَإِيَّاكُمْ الاسْتِعْدَادَ لِلنُّقْلَةِ مِنْ الدَّارِ الفَانِيَةِ إلى الدَّار البَاقِيَةِ أَنَّ مِنْ أَضَرِّ الأَشْيَاءِ على الإِنْسَانِ طُوْلُ الأَمَلِ وَمَعْنَى ذَلِكَ اسْتِشْعَارُ طُوْلِ البَقَاءِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَغْلِبَ عَلَى القَلْب فَيَأْخُذُ فِي العَمَلِ بِمُقْتَضَاه.

شِعْرًا: تَأَهَّبْ لِلَّذِيْ لَابُدَّ مِنهُ … فإنَّ الموتَ مِيْعَادُ العِبَادِ
يَسُرُّكَ أَنْ تَكُون رَفِيْقَ قَومٍ … لَهُم زَادٌ وأَنْتَ بِغَيْرِ زَادِ
آخر: فما تَزَوَّدَ مَمَّا كان يجْمَعُه … سِوَى حَنُوطٍ غَدَاةَ البَيْنِ في خِرَقِ

وغَيْـرَ نَفْخَـةِ أعْـوادٍ تُشَبُّ لَهُ   وقـلّ ذَلِكَ مِن زَادٍ لِمنْطَلِــقِ

وَيَنْسَى أَنَّهُ مُهَدَّدٌ بالمَوْتِ في كُلِّ لَحْظَةِ وَلَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ، كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيْبٍ، فَتَأَهَّبْ لِسَاعَةِ وَدَاعِكَ مِن الدُّنْيَا وَخُرُوجِكَ مِنْهَا.

شِعْرًا: «أُؤمِّلُ أَنْ أَحْيَا وَفي كُلِّ سَاعَةٍ   تَمُرُّ بِيَ المَوْتَى تَهُزُّ نُعُوشُهَـا»
«وهَلْ أَنا إِلَّا مِثْلَهم غَيْرَ أَنَّ لِيْ   بَقَايَا لَيَالٍ في الزمَانِ أَعِيْشُهَـا»

آخر: ياأَيُّهَـا البَانِـيَ النـاسِي مَنِيَّتَــهُ   لا تأمنَـنَّ فإنَّ الموتَ مَكتُـوبُ
على الخلائِقَ إن سُرُّوْا وإن حَزنُوا   فالموتُ حَتْفٌ لِذِي الآمالِ مَنْصُوبُ
لا تَبْنِيَنَّ ديـاراً لَسْتَ تَسْكنُهـا   ورَاجِعِ النُسْكَ كَيْمَا يُغْفَر الحُوبُ

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ مَنْ طَالَ أَمَلُهُ سَاءَ عَمَلُه وَذَلِكَ أَنَّ طُوْلَ الأَمَلِ يَحْمِلُ الإِنْسَانَ عَلى الحِرْصِ عَلى الدُّنْيَا وَالتَّشْمِيْرِ لَهَا لِعِمَارَتِهَا وَطَلَبِهَا حَتَّى يَقْطَعَ وَقْتَهُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ في التَّفكِيْرِ في جَمْعِهَا وَإِصْلَاحِهَا وَالسَّعْي لَهَا مَرَّةً بِقَلْبِهِ وَمَرَّةً بالعَمَلِ فَيَصِيْرُ قَلْبُه وَجِسْمُه مُسْتَغْرِقَيْنِ في طَلَبِهَا.

وَحِيْنَئِذٍ يَنْسَى نَفْسَهُ والسَّعْيَ لَهَا بِمَا يَعُودُ إلى صَلَاحِهَا وَكَانَ يَنْبَغِي لَهُ المُبَادَرَةُ وَالاجْتِهَادُ والتَّشْمِيْرُ في طَلَبِهِ الآخِرَةَ التي هِيَ دَارُ الإِقَامَةِ وَالبَقَاءِ وَأَمَّا الدنيا فهي دَارُ الزَّوَالِ والانْتِقالِ وَعَنْ قَرِيْبٍ يَرْتَحِلُ مِنْهَا إلى الآخِرَةِ وَيُخَلِّفُ الدُّنْيَا وَرَاءَهُ. فَهَلْ منَ العَقْلِ أنْ يَعْتَنِي الإِنْسَانُ بالمنزل الذي سَيَنْتَقِلُ منهُ قَرِيْباً ويُهْمِلَ المنزلَ الذي سَيَرْتَحل إليهِ قريباً وَيَمْكثُ فيه طَوِيْلًا.

شِعْرًا: المرءُ بَعْدَ المَــوْتِ أُحْدُوْثَــةٌ   يَفْنَـى وَيَبْقَــى مِنْــهُ آثَــارُهُ
فأَحْسَنُ الحَالَاتِ حَالُ امْـرِئٍ   تَطِيْبُ بَعْدَ الْمَوتِ أَخْبَــارُهُ

آخر: ومـا العمرُ والأيـامُ وَسَائطــاً   جُعِلْنَ لِمَا يرضِي الإِلَهَ وَسَائِلا

آخر: وتَأْكُلُنـا أَيَّامُنَــا فكَأَنَّمَــا   تمرُّ بِنَا السَّاعَاتُ وَهْيِ أُسُوْدُ

آخر: أَتَبْنِي بِنَـاءَ الخَالِديـن وإِنَّمَــا   مَقَامُكَ فيها لَوْ عَرَفْتَ قَلِيْــلُ

لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الأَرَاكِ كِفَايَةٌ   لِمَنْ كَانَ يَوْماً يَقْتَفِيْهِ رَحِيْلُ

اللَّهُمَّ يامَنْ لا تَضُرُّهُ المَعْصيةُ ولا تَنْفعُهُ الطَّاعَةُ أيقِظْنَا مِنْ نَومِ الْغَفْلةِ وَنَبِّهْنَا لاِغْتِنَام أَوْقَاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا واعْصِمْنَا مِن قبائِحِنَا ولاتُؤآخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأكَنَّتْهُ سَرائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ القَبَائِحِ والمَعَائِبِ الَّتِيْ تَعْلَمُهَا مِنا، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يامَوْلانَا بِتوبَةٍ تَمحُو بِهَا عَنا كُلَّ ذَنْبٍ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: وَقَدْ ذَكَرَ العُلَمَاءُ أَنَّ طُوْلَ الأَمَلِ لَهُ سَبَبَانِ أَحَدُهُمَا الجَهْلُ وَالآخَرُ حُبُّ الدُّنْيَا، أَمَّا حُبُّ الدُّنْيَا فَهُوَ إِنَّهُ إِذَا أَنِسَ بِهَا وَبِشَهَوَاتِهَا وَعَلائِقِهَا ثَقُلَ على قَلْبِهِ مُفارَقَتُها فَامْتَنَع قَلْبُهُ مِنْ الفِكْرِ في المَوْتِ الذِي هُوَ سَبَبٌ مُفارَقتِها وَكُلُّ مَن كَرِهَ شَيْئاً دَفعَه عن نَفْسِهِ وَالإِنْسَانُ مَشْغُولٌ بالامَانيّ البَاطِلةِ الَّتِيْ تُوافِقُ مُرادَهُ.

شِعْرًا: والمرءُ يُبْلِيْهِ في الدنيا ويُخْلِقُهُ   حِرصٌ طَوِيْلٌ وعُمْرٌ فيهِ تَقْصِيْرُ
يُطَوِّقُ النحرَ بالآمالِ كَاذِبَةً   وَلَهْذَمُ الموتِ دُوْنَ الطَّوْق مَطْرُورُ
جَذْلَانَ يَبْسِمُ في أَشْراكِ مِيْتَتِهِ   إن أَفْلَتَ النَّابُ أَرْدَتْهُ الأَظَافِيْرُ

وَإِنَّمَا يُوَافِقُ مُرَادَهُ البَقَاءُ فِي الدُّنْيَا فَلَا يَزَالُ يَتَوَهَّمُهُ وَيُقَدِّرُهُ فِي نَفْسِهِ وَيُقَدِّرُ تَوَابعَهُ وَمَا يَحْتَاجُ إليهِ من مَالٍ وَأَهْلٍ وَدَارٍ وَأَصْدِقَاء وَدَوابٍّ وَمَرْكُوبٍ وَسَائِرِ أَسْبَابِ الدُّنْيَا فَيَصِيْرُ قَلْبُه عَاكِفاً على هَذَا الفِكْرِ فَيَلْهُو عن ذِكْر هاذِمِ اللذاتِ المَوْتِ.

شِعْرًا: إِذْا طَالِ عُمْرُ المَرْءِ في غَيْرِ طَاعَةً   لِخَالِقِهِ فَهْوَ الذِيْ مَا لَهُ عَقْلُ

آخر: وَمَنْ عَرَفَ الأَيَّامَ مَعَرِفَتِي بِهَا   وَبالْوَقْتِ أَمْضَى وَقْتَهُ فِي العِبَادَةِ
وَأَكْثَرَ من ذِكرِ الإلٰه حَقِيْقَةً   وَشُكْرٍ لَهُ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةِ

آخر: إِنَّ العِبَادَةَ للإِلٰه حَقِيْقَةً   تَكْسُو الرِّجالَ مَهابَةً وَجَمَالَا

وَهْيَ السَّبِيْلُ لِمَنْ أَرادَ نجاتَـهُ　　يَوْمَ الحِسَابِ إِذَ رآى الأَهْوَلَا

آخر: كَيْفَ أرجُو مِن المَنَايَا خَلاصاً　　وَأَرَى كُلَّ مَنْ صَحبتُ دَفَنْنَا
فَأَرَى النَّـاسَ يُنْقَلُـونَ سِرَاعــاً　　كُل يَوْمٍ إِلَيْهِــم مَرَّدَ فِيْنَــا
قَدْ أَصَابَتْهُـم سِهَــامُ المَنَايَــا　　وَسَتَرْمِـي السِّهَـامُ لابُدَّ فِيْنَــا

آخر: سِتٌّ بُلِيْتُ بِهَا والمُسْتَعَـاذُ بِهِ　　مِن شَرِّهَا مِنْ إليهِ الخَلْقُ تَبْتَهِلُ
نَفْسِي وإبليسُ والدُّنْيَا التي فَتَنَتْ　　مَنْ قَبْلَنَا وَالهَوَى والحِرْصُ والأَمَلُ
إِنْ لم تَكُنْ لَكَ يامَوْلَايَ واقِيَةٌ　　مِن شَرِّهَا فَلَقَدْ أَعْيَتْ بِنَا الحِيَلُ

فَإِنْ خَطرَ فِي بَعْضِ الأَحْوَالِ ذِكْرُ المَوْتِ وَالضَّرُوْرَةِ إلى الاسْتِعْدَادِ وَالتَّهَيُّؤ لَهُ سَوَّفَ وَوَعَدَ نَفْسَهُ وَقَالَ مَا مَضَى إِلَّا القَلِيْلُ إلى أَنْ تَكْبُرَ ثُمَّ تَتُوبُ وَتُقْبِلُ على الطَّاعَةِ فَلا يَزَالُ يُمَنِّي وَيُسَوِّفُ مِن الشَّبَابِ إلى الكُهولَةِ إلى الشَّيْخُوْخَةِ أَوْ إلى رُجُوعٍ مِن السَّفَرِ أَو إلى فَرَاغِهِ من تَدْبِيْرِ شُؤُنِهِ أَوْ شُئُونِ أَوْلَادِهِ أَوْ بَنَاتِه أَو زَواجِهم أو انْتِهَاءِ شُغْلِهِ في عِمَارَاتِهِ أَو فِلَلِهِ أَو دَكَاكِيْنِهِ أَوْ بُسْتَانِه أَوْ تَكْمِيْل دِرَاسَتِه أَوْ نَحْو ذَلِكَ مِنْ الامَانِيّ البَاطِلَةِ التِي يَتَلذذُ بِذِكْرِهَا وَلَا تُجْدِيْ شَيْئاً لكِنَّهُ يَرْتاحُ لهَا.

فَلا يَزَالُ يُمَنِّي نَفْسَهُ بِمَا يُوَافِقُ هَوَاهَا وَلَا يَزَالُ يُغَالِطُ نَفْسَهُ فِي الحَقَائِقِ وَيَتَوَهَّمُ البَقَاءَ فِي الدُّنْيَا إلى أَنْ يَتقَرَّرَ ذَلِكَ عِنْدَهُ وَيَظنُّ أَنَّ الحياةَ قَدْ صَفَتْ لَهُ وَيَنْسَى قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّى أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَها وازَّيَنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُم قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيْداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بالأَمْسِ﴾.

شِعْرًا: أُفٍّ مِن الدُّنْيَــا وأَسْبَابِهَــا　　كأنَّهَــا لِلْحُـزْنِ مَخْلُوقَــهْ
هُمُومُهَـا ما تَنْـقَضِيْ سَاعَــةً　　عن مَلِكٍ فيها وَلا سُوْقَــهْ

آخر: إِنَّمَــا الدُّنْيَــا بلاءٌ　　لَيْسَ في الدُّنْيَــا ثُبُــوت
إِنَّمَــا الدُّنْيَــا كَبَــيْتْ　　نَسَجَتْــهُ العَنْكَبُــوْتْ

كُلَّ مَنْ فِيْهَا لعَمْرِيْ عَنْ قَرِيْبٍ سَيَمُوتْ
إِنَّمَا يَكفيْكَ مِنْهَا أَيُّهَا الراغبُ قُوْتْ

آخر: لا تُعْطِ عَيْنَكَ إِلَّا غَفوةَ الحَذرِ وَاسْهَرْ لِنيلِ عُلُوْم الدَيْنِ تَغْتَنِمِ
ولا تكُنْ في طِلَابِ العِلْمِ مُعتمداً إِلَّا على مُوْجِدِ الأشْيَاء مِن العَدَمِ

آخر: تَصْفُو الحَيَاةُ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ عما مَضَى مَنها ومَا يُتَوقَّعُ
وَلِمَنْ يُغَالِطُ فِي الحَقَائِقِ نَفْسَهُ وَيَسُومُهَا طَلَبُ المُحَالِ فَتَطْمَعُ

آخر: ضَيَّعْتَ وَقْتَكَ فانْقَضَى في غَفْلَةٍ وطَوَيْتَ في طَلَبِ الخَوادِعِ أَدْهُرَا
أَفهمْتَ عن الزمانِ جَوَابَه فَلَقَدْ أَبَانَ لَكَ العِظَاتِ وكَرَّرَا
عايَنْتَ مَا مَلَأَ الصُدُورَ مَخَافَةً وكَفَاكَ مَا عايَنْتَهُ مَن أَخْبَرَا

وَأَصْلُ هَذِهِ الأَمَانِيّ كُلِّها حُبُّ الدُّنْيَا وَالأُنْسُ بِهَا وَالغَفْلَةُ عَنْ الآخِرَةِ الثَّاني الجَهْلُ حَيْثُ يَسْتَبْعِدُ المَوْتَ مَعَ الصحّة وَالشَّبَابِ وَلَا يَدْرِي المِسْكِيْنُ أنَّ الشُّيُوخَ فِي البُلْدَانِ أَقَلّ بِكَثِيْرٍ مِنْ الشَّبَاب وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِكَثْرَةِ المَوْتِ فِي الشُّبَّانِ والصِّبْيَانِ أكثر وَلَوْ سَأَلْتَ أحَدَ الشُّيُوخِ الطَّاعِنِينَ في السِّنِّ عَنْ مَنْ مَاتَ مِنْ الشُّبَّانِ الذين يَعْرِفُهُم لَعَدَّ لَكَ مِئَاتٍ.

شِعْرَا: لَيْسَ بالسِّنِ تَسْتَحِقُّ المَنَايا كَمْ نَجَا بازَلٌ وعُوْجِلَ بكْرُ
وعَوانٌ حَازَتْ حُلِّيَّ كِعَاب فَاجَأتْهَا مِن الحوادِثِ بِكْرُ

آخر: لَا تَغْتَرَّ بِشَبَابٍ نَاعِمٍ خَطِلٍ فكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَيْب شُبَّانُ

آخر: وَلَقَدْ سَلَوْتُ عن الشَّبَابِ كَمَا سَلَا غيرِيْ وَلَكن لِلْحَبِيْبِ تَذَكُّرُ

آخر: يُعَمَّرُ وَاحِدٌ فَيَغُرُّ أَلْفَاً ويُنْسَى مَن يَمُوتُ مِن الشَّبَابِ

وَأَيْضَاً لَا يَدْرِي أَنَّ المَوْتَ وإِنْ لَمْ يَكُنْ يَأْتِيْ فَجَأَةً غَالِبَاً لَكِنْ المَرَضُ لا يُسْتَبْعَدُ إِتْيَانُهُ فَجْأَةً لأَنَّ الْوَهْمَ لا يَعْرِفُ إِلَّا مَا يَأْلَفُه فَإلانْسَانُ أَلِفَ مَوْتَ غَيْرِهِ وَلَمْ يَرَى مَوْتَ نفسِهِ أصْلًا فَلِذَلِكَ يَسْتَبْعِدُ إِلا أَنَّ العَاقِلَ يَعْرِفُ أَنَّ الأَجَلَ مَحْدُودٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ وَالإِنْسَانُ يَسِيْرُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ كَمَا قِيْلَ:

شِعْرا: نَسِيْرُ إلى الآجَالِ في كُلِّ لَحظَةٍ وَأَيَّامُنَا تُطْوَى وَهُنَّ مَرَاحِلُ
تَبْنِيْ المَنَازِلَ أَعْمَارٌ مُهَدَّمَة مِن الزَّمَانِ بأَنْفَاسٍ وَسَاعَاتِ
وَمَا نَفَسٌ إِلَّا يُبَاعِدُ مَوْلِداً وَيُدْنِيْ المَنَايَا لِلنُّفُوسِ فَتَقْرُبُ

«**فَصْلٌ**»: إذا عرَفْتَ ذَلِكَ فَعِلَاجُ الجَهْلِ الفِكْرُ الصَّافِيْ مِنْ القَلْبِ الحَاضِرِ وَسَمَاعُ الحِكْمَةِ البَالِغَةِ مِن الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالقُلُوبُ الطَّاهِرَةُ وَأَمَّا حُبُّ الدُّنْيَا فالعِلَاجُ في إخْرَاجِهِ مِن القَلْبِ شَدِيْدٌ في غَايَةِالصُّعُوْبَةِ وَالمَشَقَّةِ وَهَذَا هُوَ الدَّاءُ العُضَالُ الذِي أَعْجَزَ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ.

وَلِهَذَا مِنْ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ إلى قَلْبِ ابْنِ آدم حُبُّ التَّزيْينِ من الأَثَاثِ والثيابِ وَالمَسْكَن وَالمَرْكُوبِ فإن الشَيْطَانَ إذا رأى ذَلِكَ الذي هُوَ بالحَقِيْقَةِ حُبُّ الدُّنْيَا غَالباً عَلَى قَلْبِ الإنْسَان بَاضَ فيه وَفَرَّخَ فَلا يَزَالُ الخَبِيْثُ يُزَيِّنُ لَهُ وَيَدْعُوْهُ إلى عِمَارَةِ المَسْكَنِ وَتَزْوِيْقِهِ وَتوسِيْعِهِ وَتَنْظِيْمِهِ وَيَدْعُوْهُ إلى التَّزْيينِ بالثِّيَابِ وَالمَرْكُوبِ وَيَسْتَسْخِرُهُ وَيَسْتَعْمِرُهُ طُوْلَ عُمْرِهِ فإذا أَوْقَعَهُ وَوَرَّطَهُ في ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَغْنَى أَنْ يَعُودَ إليهِ.

ثَانياً: أَنَّ بَعْضَ ذَلِكَ يَجُرُّهُ إلى البَعْضِ الآخرِ بالقُوَّةِ فَلا يَزَالُ يؤَدِّيهِ مِن شَيءٍ إلى آخَرَ بالتَّدْرِيْجِ إلى أنْ يَذْهَبَ عُمْرُهُ فُرُطَا وَيُسَاقَ إلى أجَلِهِ فَيَمُوتُ وهُوَ في سَبِيْلِ الشَّيطَانِ وَاتِّبَاعِ الهَوَى وَالنَّفْسِ الأَمَّارَةِ بالسُّوءِ وَيُخْشَى مِن سُوءِ العَاقِبَةِ بِالكفرِ نَعُوذُ باللهِ مِنْ ذَلِكَ.

شِعْرا: القَلْبُ مُحْتَرِقٌ والدَّمْعُ مُسْتَبِقٌ والكَرْبُ مُجْتَمِعٌ والصَّبْرُ مُفْتَرِقُ
كَيْفَ الفَرارُ عَلَى مَنْ لا فِرارَ لَهُ مِمَّا جَنَاهُ الهوَى والشَّوْقُ والقَلَقُ
يا ربِّ إنْ كان شَيءٌ لِيْ بِهِ فَرَحٌ فامْنُنْ عَليَّ بِهِ مَادَامَ بِيْ رَمَقُ
آخر: يَا خَاطِبَ الدُّنيا على نَفْسِهَا إنَّ لَهَا في كُلِّ يَومٍ خَلِيْلُ
مَا اقْتَلَ الدُّنْيَا لِخُطَّابِهَا تَقْتُلُهمْ قِدْماً قَتِيْلاً قَتِيلُ

تَسْتَنْكِـحُ البْعَـلَ وقَـدْ وَطِئَتْ ... في مَوْضِعٍ آخَـرَ منـهُ بَدِيـــلُ
إنِّـي لَمُغْتَـرٌّ وإنَّ البَـلَا يَعْمَـلُ ... في جِسْمِــيْ قِلَيْـــلاً قَلِيـــلُ
تَزَوَّدُوا لِلْمُـــوتِ زَاداً فَقَـــدْ ... نَادَى مُنَادِيـهِ الرَّحِيـلَ الرَّحِيـلُ

آخر: إني بُلِيتُ بأرْبـعٍ مَا سُلِّطُــوْا ... إلَّا لَأجْـلِ شقَـاوَتي وَعَنَائِــي
إبْلِيْس والدُّنْيَا ونَفْسِي وَالهَوَى ... كيفَ الخَلاصُ وكُلُّهُم أعْدَائِي
إبْلِيْس يَسْلُلُك في طَرِيقِ مَهَالِكي ... والنَّـفْسُ تَأْمُـرُني بِكُـلِّ بَلائِـي
وأرَى الهَوَى تَدْعو إليه خَوَاطِري ... في ظُلْمَـةَ الشُبُهَـاتِ وَالآرائِـي
وزَخَارِفُ الدُّنْيَا تَقُولُ أَمَا تَرَى ... حُسْنِيْ وفَخْرَ ملَابِسِي وَبَهَائِي

آخر: أَلا أَيُّهَا اللَّاهِيْ وَقَدْ شَابَ رَأْسُهُ ... أَلمَّا يَزعْكَ الشَّيْبُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ
أَتَصبُ وَقَدْ نَاهَزْتَ خَمْسِيْنَ حِجَّةً ... كأنَّكَ غِرٌ أَوْ كَأنَّكَ يَافِـــعُ
حَذَارِ مِن الأيَّـام لا تَأْمَنَنَّهَـــا ... فَتَخْدَعُكَ الأيَّامُ وهْـيَ خَوَادِعُ
أَتَأْمَـنُ خَيْـــلاً لَا تَزَالُ مُغِيْـــرَةً ... لَهَا كُلِّ يَوْمٍ في أُنَـاسٍ وَقَائِـعُ
وَتَأْمَلُ طُوْلُ العُمْرِ عِنْدَ نَفَـاذِهِ ... وَبالـرَّأْس وسْمٌ لِلْمَنِيَّـةِ لَامِــعُ
يُرَجِّيْ الْفَتَى وَالموتُ دُوْنَ رَجَائِهَ ... وَيَسْرِيْ لَهُ سَارِيْ الرَّدَى وَهُوَ هَاجِعُ
تَرَحَّلْ مِنْ الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنْ التقْى ... فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِمَا أَنْتَ صَانِـعُ

ولَا عِلَاجَ لِحُبِّ الدُّنْيَا إلَّا الإيْمَانُ باللهِ واليَوْمِ الآخِر وَبِمَا فِيْهِ مِن عَظِيْمِ العِقَابِ وَجزِيلِ الثَّوَابِ وَمَهْمَا حَصَلَ لَهُ اليَقِيْنُ بِذَلِكَ ارْتَحَلَ عَن قلْبه حُبُّ الدُّنْيَا فَرأَى حَقارَتها وَنَفَاسَةَ الآخِرَةِ وَرَأَى أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِأَهْلٍ أَنْ يُلْتَفَتَ إِلَيْهَا أَو تُرْمَق بِعَيْنِ المَحبَةِ خِلافاً لِلسَّوَادِ الأَعْظَمِ المُنْهَمِكِيْنَ فِيْهَا.

شِعْرًا: إذا مُوْجِدُ الأشْيَاءِ يَسَّرَ لِلْفَتَـى ... ثَمَـانَ خِصَالٍ قَلَّمَــا تَتَـيَسَّرُ
كَفافٌ يَصُونُ الحُرَّ عن بَذْلِ وَجْهِهِ ... فيُضْحِي ويُمْسِيْ وهو حُرٌ مُوَقَّرُ
وَمَكْتَبَـةٌ تَحْـوِيْ تَعَالِيْـمَ دِيْنِنَـا ... ومَسْجِدُ طِيْـنٍ بالقَدِيْـمِ يُذَكِّـرُ
ومَفْرُوْشُهُ الحَصْبَا كَمَا كَان أَولاً ... أَوِ الرَّمْلِ لا فُرْشٌ بِهَا نَتَفَكَّـرُ

ورابِعُهَــا في كُلِّ يَوْمٍ ولَيْلَــةٍ   يُنَادِيْ لِخَمْسٍ في المَسَاجِدِ يَجْهَـرُ
وخامِسُها عَزَّتْ وقَلَّ وجُوْدُهَا   صَدِيقٌ على الأَيَّــام لا يَتَغَيَّــرُ
وبَيْتٌ خَلِيٌّ مِن شُرُوْرٍ تَنَوَّعَتْ   لَهَا عِنْدَ أَصْحَابِ الرَّذِيْلَةِ مَظْهَرُ
وجِيْرَانُهُ أَصْحَابُ دِيْـنٍ وغَيْـرَةٍ   إذَا سْتُنْصِرُوْا لِلدِّينِ هَبُّوْا وَشَمَّرُوْا
مَجَالِسُهُمْ فيما يَحُثُ عَلَى التُّقى   ورُؤْيَتُهُــمْ بالتَّابعِيــنَ تُذَكِّــرُ
وثَامِنُهَـا قَوَّامَـةُ اللَّيـلِ دَأْبُهَــا   تُصَلِّيْ وتَتْلُـو لِلْكِتَـابِ وتذْكَـرُ
تُسَلِّيْ عَنِ الدُّنْيَا وَمَنْ وُلِّعُوْا بِهَا   وتَخْدِمُهُ طُوْلَ النَّهـارِ وَتَشْكُـرُ
فهذا الذي قَدْ نَال ملْكاً بِلَا أَذَى   ولَمْ يَعْدُهُ عِزٌ ومَجْـدٌ ومَفْخَـرُ

فَعَنْ الحَارِثْ بنِ مَالِكٍ الأنصَارِي أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَ لَهُ كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ قَالَ أَصْبَحْتُ مُؤْمِناً حَقّاً، قَالَ: «انْظُرْ مَا تَقُولُ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيءٍ حَقِيْقَةً فَمَا حَقِيْقَةُ إِيْمَانِكَ فَقَالَ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنْ الدُّنْيَا فأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نِهَارِيْ وَكَأَنِّي انْظُرُ إلى عَرْشِ رَبِّيْ بَارِزاً وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إلى أهْلِ الجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيْهَا وَكَأَنِّيْ أنظُرُ إلى أهْلِ النارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيْهَا، فقَالَ (يَا حَارِثُ عَرفْتَ فَالْزَمْ) ثَلَاثاً».

نَسْأَلُ اللهِ أَنْ يُرِيْنَا الدُّنْيَا كَمَا أَرَاهَا الصَّالِحِيْنَ، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ   لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيْـقِ

آخر: يَا خَاطِبَ الدُّنْيَــا إِلَــى نَفْسِهِ   تَنَــحَّ عَنْ خِطْبَتِهَــا تَسْلَــمِ
إِنَّ الَّتِــي تخْــطُبُ غَدَّارَةٌ   قَرِيْبَــةُ العِــرْسِ مِنَ المَأْتَــمَ

آخر: ما أَحْسَنَ الدُّنْيَــا وإِقْبَالَهَــا   إذا أَطَــاعَ اللهَ مَن نَالَهَــا
مَن لم يُطِيْـعِ اللهَ في صَرْفِهَــا   عَرَّضَ للإِدْبَــارِ إِقْبَالَهَــا

آخر: يُسِيءُ امْرُءٌ مِنَّا فَيُبْغَضُ دَائِمَاً   وَدُنْيَاكَ مَازَالَتْ تُسِيءُ وَتُوْمَـقُ
أَسَرَّ هَوَاهَا الشَّيْخُ وَالكَهْلُ وَالفَتى   بِجَهْلٍ فَمِنْ كُلِّ النَّوَاظِرِ تُرْمُقُ
وَمَا هِيَ أَهْلٌ أَنْ يُؤَهَّلَ مِثْلُهَا   لِوُدٍّ وَلَكِـنَّ ابْـنَ آدَمَ أَحْمَــقُ

قال بعضُهم العجبُ مِمَّنْ يَغتَرُ بالدنيا وإنما هي عُقوبةُ ذَنْبٍ.

قال الأصمعي سمعتُ أبا عمرو بن العلاء يقول كنتُ أدور في ضَيْعَةٍ لي فسمعت من يقول:

وإنَّ امـــرْأً دُنْيـاه أكْبَـــرُ همهِ لَمُسْتَمْسِكَ منها بحَبْلِ غُرورِ

فجعلته نقش خاتمي.

وقال علي بن أبي طالب الدنيا والآخرة كالمشرق والمغْرب إذَا قَرُبْتَ مِن أَحَدِهِمَا بَعَدْتُ عَن الآخر.

قيل لزاهد أيُ خلقِ الله أصغر قال الدنيا لأنها لا تَعْدِل عند الله جناحَ بَعُوضة فقال السائل ومَن عَظَّمَ هذا الجناحَ كان أصْغَرَ منه.

وقال بعضهُم كان السلف يحرصون على حِفظ أوقاتِهم أشَدَّ مِن حِرص أهل الدنيا على دنياهم. قال بعضهم:

والوَقْتَ أَنْفَسُ مَا عُنِيْتَ بِحفْظِهِ وَأَراه أَسْهَلُ مَا عَلَيْكَ يَضيْعُ

وقال عليُ بن الحسين السجاد الدنيا سُبَات والآخرةِ يقظة.

وقال آخر: ما آثَرَ الدنيا على الآخِرة حَكِيم ولا عَصَى الله كَرِيم.

شِعْرَا: فَيَارَبِّ ذَنْبِيْ قَدْ تَعَاظم جُرْمُـهُ وأنْتَ بما أَشْكُوْهُ يَارَبِّ عَالِـمُ

وأنْتَ رَؤُوْفٌ بِالعِبَـادِ مُهَيْمِـنٌ حَليْمٌ كَرِيْمٌ وَاسِعُ العَفْوِ رَاحِمُ

وقال آخر: اتخذوا الدنيا مرضعا والآخرة أُماً أَلَمْ تَروا إلى الصبي إذا ترعرع وعقل رَمَى بنفسه على أمه.

وقال آخر: أيامك ثلاثة: يومك الذي ولدت فيه ويوم نزولَكَ قبرك ويوم خروجك إلى ربك، فَيَا لَهُ مِن يَوم قَصير خُبِيءَ لَهُ يَوَمَانِ طَوِيَلان.

شِعْرًا: حَيَاتُكَ رَأسُ المَالِ والدِيْنُ رِبْحُهُ   وأخْلاقُ أشْرَافٍ بِهِنَّ تصَدَّرُ
وَمَوْسِمُكَ الأيام فَلْتَكُ حَازِماً   وإلا فَذُو التَّفْرِيْطِ لَا شَكَّ يَخْسَرُ
وَمَنْ ضَيَّعَ التَّوحِيْدَ ضَاعَتْ حَيَاتُه   وعاشَ بِجَهْلٍ غارِقٍ لَيْسَ يُعْذَرُ

اللَّهُمَّ أرْحَمْ غُرْبَتَنَا فِي القُبُورِ وَآمِنَّا يَوْمَ البَعْثِ وَالنُّشُورِ وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«**فَصْلٌ**»: أعلمْ وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيْعَ المسلمينَ لِطَاعَتِهِ... أَنَّ النَّاسَ مُتَفَاوِتُوْنَ فِي طُوْلِ الأَمَلِ تَفَاوُتَاً كَثِيْرَاً فَمِنْهُم مَنْ يَأْمَلُ البَقَاءَ إِلى زَمَانِ الهَرَمِ وَمِنْهُم مَن لايَنْقَطِعُ أَمَلهُ بِحَالٍ ومنهم مَن هُو قَصِيرُ الأَمَلِ وكُلَّمَا قَصُرَ الأَمَلُ جَادَ العَمَلُ لِأَنَّهُ يُقَدِّرُ قُرْبَ الموتِ فَيَسْتَعِدُّ اسْتِعْدَادَ مَيِّتٍ فَرُوِيَ عن عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنهُ قَالَ إِنَّمَا يُهْلِكُ اثنَتَانِ الهَوَى وَطولُ الأَمَلِ فأَمَّا الهَوَى فَيَصُدُّ عن الحَقِّ.

وإِمَّا طُوْلُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةِ وَرُوِيَ عَنْهُ أَيْضاً أَنَّهُ قَالَ مَن ارْتَقَبَ الْموتَ سَارَعَ إلى الخَيْرَتِ وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللهُ فَلَوْ أَنَّ غَائِبَيْن عَنْكَ تَعْتَقِدُ أَنَّ أَحَدَهُمَا لِمَجِيْئِهِ احْتِمَالٌ قَوِيٌّ فِيْ لَيْلَتِكَ أو فِي يَوْمَكَ والآخِرُ يَتَأَخَّرُ بَعْدَهُ بِشَهْرٍ أَوْ بِشَهْرَيْنِ إِسْتَعْدَدتَ لِلَّذِي تَخْشَى أنْ يُفَاجِئَكَ قُدُومُه سَرِيعاً ولا سِيَّما إِنْ كَانَ قَدْ أَوْصَاكَ بِوَصِيَّةٍ نَفَذْتُها قَبْلَ أَنْ يَصِلَ فَيَلْحَقُكَ مَلَامَةٌ أَوْ عُقُوبَةٌ وَتُهَيِّءْ لَهُ مَعَ ذَلِكَ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِن تُحَفٍ وَمَا تَرَى أَنَّهُ يُنَاسِبُ وَيَهْوَاهُ.

شِعْرًا: تَأَهَّبْ للـــذّ ولابُدَّ منـــه   فإنّ الموتَ مِيْعَـــادُ العِبَـــادِ
يَسُرُّكَ أَنْ تكوُن رفيـقَ قومٍ   لهم زَادُ وأنتَ بِغَيْـــرِ زَادِ

«**فَصْلٌ**»: إعلم وفَّقَنَا اللهُ وإيَّاكَ وجميع المسلمين أَنَّ تَقصِيْرَ الأَمَلِ دليل عَلى كَمال العقل فَسَبِيْلُ العَاقِلِ تَقْصِيْرُ آمَالِهِ في الدنْيَا والتَّقَربُ إِلَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا بِصَالحِ الأَعْمَالِ.

قَصِّرْ الآمال في الدنيــا تَفَــزْ   فَدليـل العَقـلِ تَقْصِيْرُ الأَمَــلْ

ومَعْنَى تقصير الأَمَل اسْتِشْعَار قُرْبِ الموتِ ولهذا قال بعضهم قِصَر الأمل سَبَبٌ لِلزُّهْدِ لأَنَّ مَنْ قَصَّرَ أَمَلَهُ زَهِدَ، وَيَتَوَلَّدُ مِن طُوْلِ الأمل الكَسَلُ عن الطَاعة والتَّسْوِيْف بالتَّوبةِ والرغبةُ في الدنيا والنِّسْيانُ للآخِرَةِ والتَّساهُل بتأخِيْر قَضَاءِ الدُيُونِ وَالقَسْوَةُ في القَلْبِ.

شِعْرَا: تُخَبِّـرُني الآمالُ أَنِّــي مُعَمَّــرٌ   وأَنَّ الذي أَخْشَاهُ عَنِّيْ مُؤَخَّـرُ

فكَيْـفَ وَمَـرُ الأَرْبَعِيْـنَ قَضِيَّـةَ   عَلـيَّ بِحُكْـمٍ قَاطِـعٍ لَا يُغَيَّــرُ

إِذَا المَـرْءُ جَازَ الأَرْبَعِيْـنَ فَإِنَّـهُ   أَسِيْـرٌ لِأَسْبَـابِ الْمَنايَـا وَمَعْبَـرُ

وقِيْلَ مَن قَصَّرَ أَمَلَهُ قَلَّ هَمُّهُ وتَنَوَّر قَلْبُه، لِأَنَّه إذا استَحْضَرَ الموتَ اجْتَهَدَ في الطاعةِ وَرَضِيَ بالقَلِيل وقال ابنُ الجوزي الأَمَلُ مَذْمُومٌ إِلَّا لِلْعُلَماء فلولَا مَا جَعَلَ اللهُ فِيهِم مِن الأَمَلِ لَمَا أَلَّفُوا ولا صَنَّفُوا.

وفي الأَمَلِ سِرٌ لَطِيف جعَلَه الله لَوْلَاهُ لَمَا تَهَنَّأَ أَحَدٌ بِعَيْش ولا طابَتْ نَفْسُهُ أَنْ يَشْرَعَ بِعَمَل مِن أَعْمَالِ الدُّنْيَا. قال ﷺ: «إِنَّمَا الأملُ رَحْمَةٌ مِن الله لِأُمَّتِي وَلَوْلَا الأَملُ ما أَرْضَعَتْ أُمٌ ولدَهَا ولا غَرَسَ غَارِسٌ شَجَراً» رواه الخطيب.

عن أنس رضي الله عنه والمَذْمُوْمُ مِن الأمل الاسْتِرسَالُ فيه وعَدَمِ الاسْتِعْدَارِ لِأَمْرِ الآخِرةُ فمن سَلِمَ مِن ذَلِكَ لم يُكَلَّفْ بإِزَالِتِهِ.

وَوَرَدَ في ذَمّ الاسْترسَالِ في الأمل حَدِيْثُ أَنس رَفَعَهَ «أَرْبَعَة مِن الشَّقَاء جُمُود العَينِ وقَسْوَةُ القَلْبِ وطُوْلُ الأَمَلِ والحِرْصُ على الدنيا» رواه البزار.

وروى على بن أَبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «أخوف ما أخاف عليكم إثنان طول الأمل واتباع الهوى فإنَّ طُولَ الأملِ يُنْسِي الآخِرَةِ واتِّبَاعَ الهَوَى يَصُدُّ عن الحق».

وروى عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «صَلاحُ هذه الأمة بالزُهْد واليقيْن، وهَلاكُ آخِرِها بالبُخْلِ وطُولِ الأملِ»، وقِيلَ إِنَّ طُول الأَمَلِ حِجَابٌ على القلب يَمْنَعُهُ مِن رُؤْيَةِ قُرْبِ المَوْتِ ومُشاهَدَتِهِ وَوَقْرٌ في الأُذنِ يَمْنَعُ مِن سَمَاعِ وجْبَتِهِ ودَويِّ وَقْعَتِهِ وبِقَدْرِ مَا يُرْفعُ لَكَ مِن الحِجَابِ تَرَى وبقَدْرِ ما تُخَفَّفُ عن أُذُنَيْكَ مِن الوَقْرِ تَسْتَمع.

فانْظُرْ رَحِمكَ اللهُ نَظَر مَن رُفِعَ الحِجَابُ وفُتِحَ لَهُ الباب واسْتمِعْ سَمَاعَ مَن أُزِيْل وَقْرُهُ وخُوطِبَ سِرُّه وبادِرْ قَبْلَ أَنْ يُبَادَرَ بِكَ ويُنْزَلَ عَلَيْكَ وَيِنْفُذُ حُكْمُ اللهِ فِيْكَ فَتُطْوىَ صَحِيْفَةُ عَمَلِكَ ويُخْتَمُ عَلَى ما فِي يَدَيْكَ.

ويقال لَكَ اجْنِ مَا غَرَسْتَ واحْصُدْ ما زَرَعْتَ وَاقْرأْ كِتَابَكَ الذي كَتَبْتَ كَفَى بنَفْسِكَ اليوم عَلَيْكَ حَسِيْبًا وبِرَبِّكَ تبارك وتعالى رقيبا، وعلم أَنَّ الأَملَ يُكَسِّلُ عن العمل ويُوْرِث التَّراخِي والتَّواني، ويَعْقِبُه التَشاغُلُ والتَّقاعُسُ، ويُخْلِدُ إلى الأرض ويَمِيلُ إلى الهوى.

وذا أمْرٌ قَدْ شُوهِدَ بالعِيَانِ فلا يَحْتَاجُ إلى بَيَان، ولا يُطَالَبُ صَاحِبُهُ بِبُرْهان، كما أن قصرَ الأَمَلِ يَبْعَثُ على الجِدِّ والاجْتهادِ في العَمَلِ، ويَحْمِل على المُبَادَرَةِ، ويَحُثُ على المُسَابَقة قال:

وسَأَضْرِبُ لَكَ في ذَلِكَ مَثلاً، مِثْلُ مَلِكٍ مِن المُلوكِ كَتَبَ إلى رَجُل يقُولُ لَهُ إفْعَلْ كذا وكذا، وانْظُر في كذا وكذا، وأصْلِحْ كَذا وكذا، وانْتَظِرْ رسُولي فُلاناً فإنِّي سَأَبْعَثُهُ إليْكَ لِيَأْتِيْني بِكَ.

وإِيَّاكَ ثم إِيَّاكَ أن يَأْتِيَكَ إلَّا وقَدْ فَرَغْتَ مِن أَشْغَالِكَ وتَخَلَّصْتَ مِن أَعْمَالِكَ، ونَظَرْتَ في زَادِكَ، وأخَذْتَ مَا تَحتَاج إليه في سَفَرِكَ.

وإلا أَحْلَلْتُ بِكَ عِقَابي وأنْزَلْتُ عَلَيْكَ سَخَطِي، وأمَرْتُه يَأْتِني بِكَ مَغْلُولَةً يَدَاكَ مُقَيَّدةً بِجْلاكَ، مُشَمِّتاً بِكَ أعْدَاكَ، مَسْحُوباً على وَجْهِكَ إلى دَارِ خِزْيِ وهَوَان وما أَعْدَدْتُهُ لِمَنْ عَصَاني.

وَإِنْ وَجَدَكَ قَدْ فَرَغْتَ مِن أَعْمَالِكَ وقَضَيْتَ جَمِيْعَ أَشْغَالِكَ أَتَى بِكَ مُكْرَماً مُرَفَّعاً مُرَفَّهاً إلى دَارِ رِضْوَانِي وكَرَامَتِي وما أَعْدَدْتُهُ لِمَنْ امْتَثَل أمْرِي وعَمِلَ بطَاعَتي.

واحْذَرْ أَنْ يَخْدَعَك فُلانٌ أَوْ فُلاَنَةُ عن امْتِثَالِ أمْرِي والاشْتِغَالِ بَعَمَلِي وَكَتَبَ إلى رجل آخر بمثل ذلِكَ الكتاب.

فأما الرجُلُ الأَوَّلُ فقال هذا كِتابُ المِلكَ يأمُرُني فيه بِكَذَا وكَذَا، وذكَرَ لِيْ أَنَّ رَسُولَهُ يَأتِيْنِي لِيَحْمِلْنِي إلِيْهِ وأَنا لَا أَمْضِي إليه حَتَّى يأتِيْنِيْ رَسُوْلُهُ، ولَعَلَّ رَسُوْلَهُ لَا يأتِيْنِيْ إِلَّا إِلىَ خَمْسِيْنَ سَنَة أَوْ أَكْثَرَ فَأنَا عَلَى مُهْلَةٍ.

وسَأنْظُر فِيْمَا أمَرَنِي بِهِ، ولم يَقَعِ الكِتَابُ مِنه بذَلِكَ الموقِع، ولم يُنْزِلْهُ مِن نَفْسِهِ بتِلْكَ المنزلَةِ، وقال والله لَقَدْ أتَىَ كِتَابُهُ إلى خَلْقٍ كَثِيْرٍ بِمِثْلِ ما أَتَانِي، ولم يَأتِهِمْ رسُولُهُ إِلَّا بَعْدَ السنِيْنَ الكَثِيرة، والمُدَدِ الطَّوِيْلَة، وأَنَا واحِدُ منهم.

ولَعَلَّ رَسُولَهُ يَتَأَخَّرُ عَنِّي كَما تَأَخَّر عنهم، وجَعَل الغَالِبَ عَلى ظَنِّهِ أنَّ الرسُوْلَ لا يأْتِيْهِ إِلَّا إلِى خَمْسِيْنَ سَنَة كَمَا ظَنَّ، أَوْ أَكْثَرَ أَوْ إلى المُدَّةِ التي جَعَل لِنَفْسِهِ بزَعْمِهِ.

ثم أقْبَلَ على اشْغَال نَفْسِهِ مِمَّا لا يَحْتَاجُ إليه ومما كان غَنِياً عنه وتَرَكَ أَوَامِرَ المِلِكِ والشُغْل الذي كَلَّفَهُ النَّظَرَ فيها والاشتغال بِهِ.

فكلما دَخلَت عليه سَنَة قال أنا مَشْغُولٌ في هذه السَّنَةِ وسَأَنْظُرُ في السنة المُقْبِلَةِ والمسَافَةُ أَمَامِي طَوِيْلَةٌ والمُهْلُ بَعِيْد.

وهَكذا كُلَّمَا دَخلَتْ عليه سَنَة قال أَنَا مَشْغُولٌ، وَسَأَنْظُرُ في الأخرى أوْ سَأَنْظُرُ في أَمرِي فَبَيْنَما هُو على ذَلِكَ مِن تَسْوِيْفِهِ، واغْتِرَارِهِ، إذ جَاءَهُ رَسُوْلُ المَلِكَ فكَسَرَ بَابَهُ وهَتَكَ حِجَابَهُ وحَصَل مَعَهُ في قَعْرِ بَيْتِهِ.

وقال لَهُ أَجِبِ المَلِكَ فقال والله لَقَدْ جَاءَنِي كِتَابُهُ يَأمُرُني فيه بِأَعْمَال

أَعْمَلُهَا وأَشْغَالٌ أَنْظُرُ لَهُ فيها، وما قَضَيْتُ منها شُغْلا، ولا عَمِلْتُ فيها حتى الآن شَيْئاً.

فقال الرسُولُ لَهُ وَيْلَكَ وما الذي أَبْطَأَكَ عنها وما الذي حَبَسَكَ عن الاشتغال بها والنظر فيها. فقال لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّكَ تَأْتِيَنِيْ في هذا الوَقْتِ.

فقال له: ويْلَكَ ومِن أيْنَ كان لَكَ هَذا ا لظَّنُ ومَن أخْبَرَكَ بِهِ ومَن أَعْلَمَكَ بأنِّي لا آتِيْكَ إِلَّا في الوَقْتِ الذي تَظُنُّ. قال ظَنَنْتُ وطَمِعْتُ وسَوَّلَتْ لِي نَفْسِي وخدَعَنِي الشَّيْطَانُ وغَرَّنِي.

فقال لَـهُ أَلَمْ يُحَذِّرِكَ الملِكُ في كِتَابِهِ مِنْهُمَا وَأَمَرَكَ أَلا تَسْمَعَ لَهُمَا، قال: بَلَى واللهِ لَقَدْ فَعَلَ ولَقَدْ جَاءنِيْ هَذَا في كِتَابِهِ وَلكِنَّنِي خُدِعْتُ فانْخَدَعْتُ وفُتِنْتُ فافْتَتَنْتُ وارْتَبْتُ في وَقْتِ مَجْيئِكَ فَتَرَبَّصْتُ.

فقال لَهُ: وَيْلَكَ غَرَّكَ الغَرُوْرُ وخَدَعَكَ المُخَادِعُ أَجِب المَلِكَ لَا أَمَّ لَكَ، قال أَنْشُدُكَ إِلَّا تَرَكْتَنِي حَتَّى أَنْظُرَ فِيْمَا أَمَرنِي بِهِ، أَوْ فِي بَعْضِهِ أَوْ فِيْمَا تَيَسَّرَ منه حَتَّى لَا أَقْدَمُ عليه في جُمْلَةِ المُفَرِّطين وعِصَابَةِ المُقَصِّرين.

وهذا مال قد كُنْتُ جَمَعْتُهُ لِنَفْسِي، وأَعْدَدْتُهُ لمِؤُونةِ زماني، فاتْرُكْنِي حتى آخُذَ منه زاداً أَتزوَّدُهُ ودَابَةً أَرْكَبُهَا، فإنَّ الطرِيقَ شَاقَّةٌ، والمفازةُ صَعْبَةٌ، والعَقَبَةُ كَؤُوْد، والمَنْزِلُ لَيْسَ فيه ماء.

قال أتْرُكُكَ حَتَّى أَكُوْنَ عاصِياً مِثْلَكَ ثم دَفَعَهُ دفْعَةً أَلْقَاهُ على وجْهِهِ ثم جَمَعَ يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ وانْطَلَقَ به يَجُرهُ مِن خَلْفِهِ خَزْيَانَ نَدْمَان جَوْعَانُ عَطْشَانِ، وهو يُنْشد بِلِسَان الحال:

لا كَحُـزني إِذَا لَقِـيْتُ حَزِيْنَـا   جَلَّ خَطْبِي فَدَيْتُكم أَنْ يَهُوْنـا
ضَاقَ صَدْرِي عن بَعْضِهِ واحْتِمَالِي   فاسْلُكُوا بِيْ حَيْثُ أَلْقَى المَنُونَا

ما تُرِيْدُ العُدَاةُ مِنِّي وإنِّـي — لَبِحَـالٍ يرقُ لِيْ المَبْغِضُوْنَـا
زَفَراتٌ هَتَكْـنَ حُجْبَ فؤآدِي — وهُمُـومٌ قَطَعْـنَ مِنِّي الوَتِيْنَـا
خُنْتُ عَهْدَ المَلِيْكِ قَوْلاً وفِعْلا — واتَّخَذْتُ الخِلافَ شَرعاً ودِيْنَا
غَرَسَت في الحَيَـاةِ كَفِـي شَراً — فاجْتَنَيْتُ العِقَـابَ مِنْـهُ فُنُوْنَـا
لَيْتَنِـي لَمْ أكُـنْ وأَيْـنَ لِمِـثْلِي — ظَالِـمٌ نَفْسهُ بأَنْ لا يَكُوْنَـا
ياخَلِيْلِـي ولا خَلِيْـلَ لِيْ اليَـوْ — مَ سِوَى حَسْرةٍ تُدِيْـمُ الأَنِيْنَا
رَبِحَ الرابحُوْنَ وانـقضَتِ السُوْ — قُ وخَلَـى بِغَبْنِـهِ المَغْبُوْنَـا
فابْكِنِيْ إنْ يَكُنْ بُكَـاكَ مُفِيْـداً — أَوْ فَدَعْنِـي وعُصْبَـةً يَبْكُوْنَـا

اللَّهُمَّ يامَنْ لا تَضرُّهُ المَعْصيةُ ولا تِنْفعُهُ الطَّاعَةُ أيقِظْنَا مِنْ نَومِ الْغَفْلةِ وَنَبِّهْنَا لِاغْتِنَام أوْقَـاتِ المُهْلَـةِ وَوَفِّقْنَـا لِمَصَالِحِنَـا واعْصِمْنَـا مِن قبائِحِنَـا ولاتُؤآخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكَنَّتْهُ سَرائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ القَبَائِحِ والمعَائِبِ الَّتِيْ تَعْلَمُهَا مِنَا، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يامَوْلانا بِتوبَةٍ تَمحُو بِهَا عَنَا كُلَّ ذَنْبٍ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأبْرارِ وأَسْكِنَّا مَعَهمُ في دارِ القرارَ، اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا بِحُسْنَ الَأقبالِ عَليك والإصْغَاءِ إليك ووَفّقنا لِلتّعاوُنِ في طَاعَتِكَ والمُبَادَرَةِ إلى خِدْمَتكَ وحُسْن الآداب في مُعَامَلَتِكَ والتّسليم لِأَمْرك والرِّضا بِقَضَائِكَ والصَّبْر عَلى بَلائِكَ والشّكْرِ لِنَعْمَائِكَ، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ ياأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

«فَصْـلٌ»

وأَمَّا الآخَرُ الذي كَتَبَ إليه الْمَلِكُ بِمِثْلِ مَا كَتَبَ به إلى هذا فإنه أَخَذَ كِتَابَ الْمَلِكِ وقَبلَهن وقَرأَهُ وتَصفَّحَهُ وتَدَبّرَهُ، وقال أَرَى الملكَ قد كَتَبَ إليَّ بِأَنْ أَعْمَلَ لَهُ كَذا وَكَذا، وأَقْضِي لَهُ كَذَا وكَذا، وأَنْظُرُ لَهُ في كَذَا وكَذَا.

ومِن أَيْنَ سَبَقَتْ لِي هَذِهِ السابقةُ عِند المَلِكَ، ومَن الذي عَنَى بِي عِنْدَهُ، ومَن الذي أَنْزَلَنِي مِنه هَذِهِ المَنْزِلَةَ، حَتَّى جَعَلني مِن بَعْضِ خُدَّامِهِ، والقَائِمِينَ بأمْرِه.

واللهِ إِنَّ هَذِهِ لَسَعَادَةٌ وَاللهِ إنها لَعِنايَةٌ الحَمْدُ لِلَّهِ ربِّ العالمين، ثَمُ نَظَرَ في الكتاب وقال أَسْمَع المَلِك وقَدْ قال لِي في كتابهِ، وانْتَظِرْ رَسُولي فإني سَأَبْعَثَهُ إليك لِيَأْتِيْنِي بِكَ وَأَرَهُ لم يَحُدَّ لِي الوقْتَ الذي يَبْعَثُ فيه الرسول إليَّ ولا سَمَّاهُ لي.

ولَعَلِّي لَا أَفَرَغُ مِن قِرَاءَةِ كِتابهِ إِلَّا وَرَسُوْلُه قَدْ أَتاني ونَزَل عَليَّ، واللهِ لا قَدَّمْتُ شُغْلاً على شُغْلِ المَلِكِ ولا نَظَرْتُ في شيءٍ إِلَّا بَعْدَ فَراغِي مِمَّا أَمَرنِي بِه المِلكُ، وإعْدَادَي زَاداً أَتَزَوَّدُ بِهِ، ومَرْكُوباً أَرْكَبُه إذَا جَاءنِي رسُولُه وحَمَلنِي إليه.

فَتَعَّرضَ لَهُ رَجُلٌ وقال لَهُ لِمَ هَذِهِ المسارعة كُلُّها وفِيْمَ هَذِهِ المُبَادَرَةُ كُلُهَا.

فقال لَهُ وَيْحَكَ أَمَا تَرى كِتَابَ الملكِ بِمَا جَاءَنِي، أَمَا تَسْمَعُ ما فيه أما تُصَدِّقهُ، أَمَا تؤْمُنُ بِهِ، قال لِي سَمَعْتُ وامَنْتُ وصَدَّقَتُ، ولكِنْ لم يَقُلْ لَكَ فيه إِنَّ رَسُولَهُ يأْتِيْكَ اليوم ولا غداً ولا وَقْتاً مَعْلُوماً.

ولكنَّه سَيَأَتيكَ وقد جاء كِتابُه إلى فُلانٍ بِهذا الذي قد جَاءَكَ أَنْتَ بِهِ، وقد بَقِي مُنْتَظَراً لِرَسُوله أَكْثَرَ مِن سَبْعِين سَنَة، وإلى الآن مَا أَتاهَ.

وبَعْدَ زَمَان طَويْلٍ مَا جَاءَهُ، وفُلانُ أَتَاهُ بَعْدَ ثمانين سَنة، وفلانٌ أَتَاه بَعْدَ مائَةِ سَنَة، وأَنْتَ واحِدٌ مِن المُرْسَلِ إليهم، فَلِمَ هَذِهِ العَجَلَةُ، وفِيْمَ هَذا الإِسْرَاع.

فقال ويْحَكَ أَمَا تَرى أَنْتَ فُلاناً قد جَاءَهُ كِتَابُ المِلكِ بهذا الذي جَاءَنِي وَجَاءَهُ الرسُولُ في إِثْرِ مَجِيْءِ الكِتاب، وفُلَانٌ كَذَلِكَ، وفُلانٌ قد جَاءهُ بعد سَنَة.

فقال بَلَى ولكن لا تَنْظُرُ إِلَى هَؤُلآءِ خَاصَّةً وانْظُرْ إلى الذين قُلْتُ لَكَ مِمَّنْ تأخَّر عَنه المَجِيء فقال لَه دَعنِي يا هذا فقد شَغَلْتَنِي والله وإني لأخَافُ أنْ يأتِيَنِيْ الرسولُ وأَنَا أُكَلِّمُكَ.

ثم أقْبَلَ عَلى مَا أَمَرَهُ بِهِ الملكُ فامْتَثَلَهُ، ونَظَر فيما حَدَّ لَهُ، واشْتَغَلَ بِمَا يَجِبُ عليه أنْ يَشتَغِلَ بِهِ، وأخَذَ الزادَ لِسَفَرِهِ، وأخَذَ الأُهْبَةَ بِطَرِيْقِهِ وجَعَلَ يَنْتَظِرُ الرسول أن يأتيه وَأَقْبَلَ يَلْتَفِتُ يَمِيْناً وشمالاً يَنْظُر مِن أَيْنَ يَأْتيه ومِن أَيْنَ يُقْبِلُ عليه.

فَبَيْنَما هُو كذَلِكَ وإذا برسُولِ الملِك قَدْ أتاه فَقَالَ أَجِبِ المَلِكَ قال نَعَمْ قالَ السَّاعَةَ، قال الساعَة، قال وفَرَغْتَ مِمَّا أمَرَكَ بِهِ، وعَمِلْتَ ما حَدَّ لَكَ أنْ تَعْمَلهُ، قال نَعَمْ، قال فانْطَلِق.

قَالَ بسْمِ اللهِ فَخَلعَ عَليه خِلْعَةَ الأَوْلِيَاءِ وَكَسَاهُ كِسْوَةَ الأَصْفِيَاءِ وأَعْطَاهُ مَرْكُوباً يليْقُ بِهِ ويَجْمُلُ بِمثلِهِ وانْطَلَق بِهِ في حبُورٍ وسُرور.

فَبَانَ لك بِهذا المَثلِ وبِغيْرِهِ فَضِيْلَةُ قِصَرِ الأملِ، وفَضِيْلَةُ المُبَادَرَةِ إلى العَمَلِ، والاستعْدَادِ لِلْمُوتِ قبل نُزُوْلِهِ، والأنْتِظَار لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ.

وقد كَثُرَ الحَضُّ على هَذا وكَثُرَتِ الأقَاويْلُ فيه، ولم يَزَلِ المُذَكِّرُوْنَ يُذَكِّرُوْنَ والمُنَبِّهُوْنَ يُنَبِّهُوْن لَوْ يَجِدُوْنَ سَمْعاً وَوَعْياً وقلباً حافِظاً ومَحَلاً قَابلاً فَلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله العلي العظيم.. انْتَهى.

شِعْرا: مَنْ شَامَ بَرْقَ الشَّيْبَ أَيْقَنَ إِنَّمَا ... وَبْلُ المَنِيَّةِ عَقْبَهُ يَتَدَفَّقُ
فأَعِدَّ زَاداً لِلرَّحِيْلِ مُبَادِراً ... أَجَلاً يُفَاجِؤُ ضَحْوَةً أَوْ يَطْرُقُ

اللَّهُمَّ إنْ كُنَّا مُقَصِّرِيْنَ في حِفْظِ حَقِّكَ، والوفاء بعَهْدِكَ، فأنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَنَا في رَجَاءِ رِفْدِكَ، وخالِص وُدِّكَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بنا مِنَّا، فَبِكَمالِ جُوْدِكَ تَجاوَزْ عَنَّا، وَاغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ

يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

شِعْرًا: دَوَامُ حَالٍ مِن قَضَايَا المُحَالْ ... واللُّطْفُ مَوْجُودٌ عَلَى كُلِّ حَال
والنصرُ بالصبرِ مُحَلَّى الظُّبى ... والجَدُ بالحَدِ مَرِيشَ النِّبَالْ
وعَادةُ الأيامِ مَعْهُودَةٌ ... حَرْبٌ وسَلْمٌ واللَّيالِي سِجَالْ
وما على الدهرِ انْتِقَادٌ على ... حالٍ فإنَّ الحَالَ ذَاتُ انْتِقَالْ
مَن لِلّيالِي بائتِلافٍ وكَمْ ... مِن اعْتِبَارٍ باخْتِلافِ اللّيَالْ
أَخْذٌ عَطَاءٌ، مِحْنَةٌ مِنْحَةٌ ... تَفَرُّقٌ جَمْعٌ، جَلالٌ جَمَالْ
حَالُ انْتِظَام وانْتِشَارٍ مَعاً ... كَأَنَّمَا هٰذِي اللَّيالِي لآلْ
وهَلْ سَنا الصبحِ وجُنْحُ الدُّجَى ... لِخِلْقَةِ الأَضْدَادِ إِلَّا مِثَالْ
والظُّلَمُ الحُلْكُ على نُوْرِهَا ... تَدُلُّ والعُسْرُ بِيُسْرٍ يُدَالْ
والسَّيْفُ قَدْ يَصْدَأُ في غِمْدِهِ ... ثُمَّ يُجَلِّي صَفْحَتَيْهِ الصِّقَالْ
والشمسُ بَعْدَ الغيمِ تُجْلَى كَمَا ... لِلْغَيْثِ مِنْ بَعْدِ القُنُوطِ انْهِمَالْ
والفَرَجُ المَوْهُوبُ تَجْرِي بِهِ ... لطَائِفٌ لَمْ تَجْرِ يَوْماً بِبَالْ
فَصَابِرِ الدَّهْرَ بحَالَيْهِ مِن ... حُلْوٍ ومُرٍّ واعْتِدَا واعْتِدالْ
فَمَا لَهُ صَبْرٌ عَلَى حَالَةٍ ... وإنَّمَا الصَّبْرُ حُلِيُّ الرِجَالْ
ولا يَضِيقُ صَدْرُكَ مِن أَزْمَةٍ ... ضَاقَتْ فَصُنْعُ اللهِ رَحْبُ المَجَال
وانْظُر بِلُطِفِ العقلِ كَمْ كُرْبةٍ ... فَرَّجَهَا لُطْفٌ كَحَلِّ العِقَالْ
وكِلْ إليْهِ كُلَّ حَاجٍ فَمَا ... لِذِي حجىً إِلَّا عَلَيْهِ اتِّكَالْ
وكل بَدْءٍ فله غاية ... وغاية الخَطْب الشديدِ انحلالْ
وكل عَوْدٍ فله آية ... وآية العَقْل اعتبار المآل
وفي مآل الصَّبْر عُقْبىٰ الرِّضَا ... من فَرَج يُدني وأَجْر يُنَال
عجبت للعبد الضعيف القُوَى ... يُغَرُّ بالرب الشديد المِحال
يَهْوِي مع الآمال مُسْتَرْسِلاً ... طلوع الهوى حيث أمالته مال

تخدعــه النــفس بتخييلهـــا — وهل خيـال النفس إلا خَبـال
يخال أن الأمـــر جارٍ عَلَـــى — تدبيره.. هيهاتَ مما يَخَـــالْ
والخَلْـق والأمـــر لمن لم يزل — في مُلْكه المَلْك ومـا إن يَزَالَ
والفعـل والتـرك لُيــل عَلَـى — مراده والكـلُّ طوعُ انفُعــال
يعطِـي فلا مَنْـع ويـقضِي فلا — دَفْع ويُمضِي حكمـه لا يُبـال
يُدَبِّـــر الأمـــر فعـــن أمـــره — تقدير ما في الكون سُفْلٍ وعال
يُضِل يَهْـدي حكمـه أنْفـذت — فضلاً وعدلاً في هُدىً أو ضَلال
وحكمـه البـارىءِ في حكمـه — ما لمجال العقــــل فيها مجال
والـــرب لا يُسألُ عن فعلـــه — قَدْ قُضِيَ الأمر ففيم السؤال؟!
فيـا أخـا الفكـر اشتغـــالاً بما — في غيره للفكـر حَقَّ اشتغـال
سلِّم، ففي التسليم من كل ما — ينفـــذ تسليم وتنـــعيم بال
وارْضَ بما فاتك أو نلتَـــــه — فعـــكسه ما لك فيـــه مجال
وفـــوِّض الأمـــر إلى الحق لا — تركنْ من الدنيـا لحال مُحـال
فذو الحِجى فيما اتقى وارتجَى — بالعدْل حالٍ ومن العَذْل خال
يرضىٰ بقسْم الرب كل الرضا — في كل حالٍ ما عن العهد حال
يرى خلال الشكر والصبر في — ما سرَّ أو ساءَ أبـــرَّ الخلالْ
فهْـو على الحالَيْـن قد نال من — مُنـاه في الداريـن أقصى مَنـال
ما أقصر الدنيـــا على مَرِّهـــا — كالظـل ما أقصر مَدّ الظـلال!
فافطَـن لها حزمـاً ففـي ظلهـا — ما قال يومـاً حازم حيث قال
ما يَقَظـات العـــيش إلا كَرىً — ولا مَرَائـيَ العـين إلا خيـــال
يا ليت شعـري والمُنـى عِبرة — والشعر قول قد ينـافي الفِعـال
والشيّب هل يوقظني صبحُـه — فالنّوم في ليلٍ من اللهـو طَال
وكِسرتي من عُسْرتي هل تقي — وعَثْـرتي من عبرتي هل تُقَـال
هذا زمـــــاني في تولٍّ وفي — عزمـي توانٍ والهوىٰ في توال

حالُ من احتــل بدار البَــلا ... ولم يحدِّث نفسه بارتحال
يا رَبِّ ما المَخلصُ من زَلَّتـي ... لا عملٌ لا حجـةٌ لا احتيـال
يا رَبِّ ما يلقـــاك مثلي به ... عن طاعـة لم ألقهـا بامتثـــال
يا رَبِّ لا أَحملُ حَرَّ الصَّبـــا ... فكيـف بالنـار لضعفـي احتمال
أَمْ كَيْفَ عُذْرِي وقَدْ اعْذرْتَ لِي ... بأَخْذِ حُذْري مِن دَواعِي النَّكَالْ
رَحْمَتَكَ اللَّهُــمَّ فَهيَ الَّتِــيْ ... لَهَا عَلَى العَاصِينَ مِثْلِي انْثِيَالْ
ولا تُعامِلْنَـــا بأَعْمَالنَـــا ... لَكِـنْ رَجـا آمالِنَـا صِلْ وَوَالْ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ صُدُوْرَنَا وَاسْتُرْ عُيُوْبَنَا وَإِمِّنْ خَوْفَنَا وَاخْتِمْ بالصَّالِحَاتِ أَعْمَالنَا وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ وَحِزْبكَ المُفْلِحِيْنَ الذِيْنَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

« **فَصْلٌ** » : ثُمَّ اعْلَمْ إِنَّ قِصرَ الأَمَلِ دَيْدَنُ العُلَمَاءِ العَامِلُونَ المَتَّقُونَ الوَرِعُوْنَ المبْعِدُوْنَ عَنْ التَّكَالُبِ عَلَى الدُّنْيَا الزَّاهِدُوْنَ في حُطَامِهَا الفَانِيْ وَكَـذَلِكَ أَرْبَـابُ القُلُوب الوَاعِيَةِ وانْ لَمْ يَكُونُوا عُلَمَاءَ يُقَصِّرُوْنَ أَمَلَهُم وَيَحْتَقِرُوْن الدُّنْيَا وَيَعْلَمُوْنَ أَنَّهَا زَائِلَةٌ عَكْسُ مَا عَليهِ أَكْثَرُ أَهْلِ هَذَا الزَّمانِ عَبِيْدُ الدُّنْيَا لِلْبُطُونِ والفُرُوْجِ.

شِعْرَا: لا تَحْسِدَنَّ غَنِيـاً في تَنَعُمِــهِ ... قَدْ يَكثُرُ المالُ مَقْرُوْناً بِهِ الْكَدَرُ
تَصْفُوْ العُيُوْنُ إِذَا قَلَّتْ مَوارِدُهَا ... وَالمَاءُ عِنْدَ ازْدِيَادِ النِّيْلِ يَعْتَكِرُ

آخر: تَحَـرَّزْ مِنَ الدُّنْيـا فَإِنَّ فِنَاءَهَـا ... مَحَـلُّ فَنَـاءٍ لا مَحَـلُّ بَقَـاءِ
فَصَفْوُتهَـا مَمْزُوْجَـةٌ بِكُـدوْرَةٍ ... وَرَاحَتُهَــا مَقْرونَــةٌ بِعَنَـــاءِ

آخر: دَعِ الفُؤآد عَن الدُّنْيَا وزُخْرِفِهَا ... فَصَفْوُهَا كَدر والوَصْلُ هُجْرَانُ

آخر: عِيْشَةُ الـراغِب فِي تَحْصِيْلِهَـــا ... عِيْشَةُ القَانِـع فِيْهَــا أَوْ أَقَــلْ
كَمْ جهُوْلٍ بَاتَ فِيْهَا مُكْثِـراً ... وَعَلِيْـمٌ باتَ مِنْهَـا في عِلَـلْ

آخر: يُحَبُّ الفَتَى طُوْلَ البَقَاءِ كَأَنَّـهُ ... عَلَـى ثِقَـةٍ إِنَّ البَقَــاءَ بَقَــاءُ
إِذَا مَا طَوَى يَوْماً طَوِيَ اليَوْمُ بَعْضَهُ ... وَيَطْوِيْهِ إِنْ جَنَّ المَسَاءُ مَسَاءُ

زِيَادَتُـهُ فِـي الجِسْـمِ نَقْصُ حَيَاتِـهِ
وَأَنِّـيْ عَلَى نَقْصِ الحَيَـاةِ نَمَـاءُ

قَالَ ﷺ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُم أُصْبُعَه في اليمّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعْ رَوَاهُ مُسْلِم .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنهما قالَ أخذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ كُنْ فِي الدُّنْيَا كأَنَّكَ غَرِيْبٌ أو عَابرُ سَبِيْل وكَانَ ابنُ عُمَرَ رضيَ اللَّهُ عنهما يَقُولُ إذَا أمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرْ المَسَاءَ وَخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ رَوَاهُ البُخَارِيّ .

ولبعضهم على هذا الحـديث :

أيَاً صَاحِ كُنْ فِي شَأنِ دُنْيَاكَ هَذِهِ غَرِيْباً كَئِباً عَابِراً لِسَـبِيْلِ
وعُدَّ مِن أَهْلِ القبرِ نَفْسَـكَ إنمَّا بَقَـاؤُك فِيْهَا مِنْ أَقَلِّ قَلَيْـلِ

قَالُوا فِي شَرْحِ هَذَا الحَدِيْثِ مَعْنَاهُ لاَ تَرْكَنْ إلى الدُّنْيَا وَلاَ تَتَّخِذْهَا وَطَناً وَلاَ تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِطُوْلِ البَقَاءِ فيها ولا تَشْتَغِلْ فِيْهَا إلاَّ بِمَا يَشْتَغِلُ به الغَرِيْبُ فَقَطْ الَذِيْ يُرِيْدُ الذَّهَابَ إلَى أَهْلِهِ وَأَحْوَالُ الإِنْسَانِ ثَلاَثُ حَالٌ لَمْ يَكُنْ فِيْهَا شَيْئاً وهِيَ قَبْلَ أَنْ يُوْجَدْ .

وحَالٌ أُخْرَى وَهِيَ مِنْ سَاعَةِ مَوْتِهِ إلى مَا لا نِهَايَةَ لَهُ في البَقَاءِ السَّرْمَدِيّ فَأَنَّ لِنَفْسَكَ وُجُوْدٌ بَعْدَ خُرُوْجِ الرُّوْحِ مِن البَدَنِ إمَّا فِي الجَنَّةِ وَإمَّا في النَّارِ وَهُوَ الخُلُودُ الدّائِمُ وبين هاتَيْنِ الحَالَتين حَالَةُ مُتَوَسِّطَة وَهِيَ أيَّامُ حَيَاتِهِ في الدُّنْيَا فَانْظَرْ إلى مِقْدَارِ ذَلِكَ بالنِّسْبَةِ إلى الحَالَتَيْنِ يَتَبَيَّنَّ لَكَ أَنَّهُ أقَلُّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ فِي مِقْدَارِ عُمْرِ الدُّنْيَا .

وَمَنْ رَأَى الدُّنْيا بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَبِهَذا التَّفْكِيْرِ السَّلِيْمِ لَمْ يَلْتَفِتْ إليها وَلَمْ

يُبَالِيْ كَيْفَ انْقَضَتْ أَيَّامُهُ بِهَا فِي ضَرَرٍ وضِيْقٍ أو سَعَةٍ وَرَخَاءٍ وَرَفَاهِيَةٍ ولِهَذَا لَمْ يَضَعِ النبي ﷺ لَبِنَةً على لَبِنَةٍ ولا قَصَبَةٍ عَلَى قَصَبَةٍ .

وَقَالَ عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلامُ الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَاعْبُرُوهَا ولا تَعْمُرُوهَا هَذَا مَثَلٌ وَاضِحٌ فَإِنَّ الدنيا مَعْبَرٌ إلى الآخِرَةِ وَالْمَهْد هُوَ الرُّكْنُ الأَوَّلُ على أَوَّل الْقَنْطَرَةِ وَاللَّحْدُ هُوَ الرُّكْنُ الثَّانِيْ عَلَى آخِرِ الْقَنْطَرَةِ .

شعـــــراً :

وَمَا هَذه الأيامُ إلا مَرَاحِـــلٌ ... وَمَا النَّاسُ إلاَّ رَاحِـــلٌ فَمُقَوِّضُ
كأنَّ الفَتَى يَبْنِي أوانَ شَــبابِهِ ... ويَهْدِمُ في حَالِ المشِيْبِ ويَنْقُــضُ

آخــــر :

يا غَافِلَ القَلبَ عن ذكر المَنِيَّاتِ ... عَـمَّا قَـلِيْل سَتُلقَى بَيْنَ أَمْـوَاتِ
فاذْكُرْ مَحَلَّكَ مِن قَبْل الحُلُول به ... وتُبْ إلى اللَّهِ من لَهْوٍ ولَذَّاتِ
إنَّ الحِمَامَ لَهُ وقْتٌ إلَى أجَلٍ ... فاذْكُرْ مَصَائبَ أَيَّامٍ وساعاتِ
لا تَطْمَئِنَّ إلَى الدنيا وزِيَنَتِهَا ... قَدْ آنَ لِلْمَوْتِ ياذَ اللَّبِّ أَنْ يأتِي

وصلى الله على محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجْمعين .

(فَصْــــلٌ)

وَمِنْ النَّـاسِ مَنْ قَطَعَ نِصْفَ القَنْـطَرَةِ وَمِنْهُم مَنْ قَطَعَ ثُلُثَهَـا وَمِن النَّاسِ مَن قَطَعَ الثُّلُثَيْنْ ومنهم مَن قَطَعَ ثَلاثَةَ أرْبَاعِ المَسَافَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَبْقَ له إلاَّ ثُمُنُ المَسَافَةِ ومنهم مَنْ لَمْ يَبْقَ لَهُ إلَّا خُطْوَةٌ وَاحِدة وَهُوَ غَافِلٌ عَنْهَا وَكَيْفَ مَا كَانَ فَلاَ بُدَّ مِن العُبُوْرِ فَمَنْ وَقَفَ يَبْنِي على القَنْطَرَةِ وَيُزَيِّنُها وَهُوَ يُسْتَحَثُّ عَلَى العُبُورِ عَلَيْهَا فَهُوَ في غَايَةِ الجَهْلِ والحُمْقِ والسَّفَه .

وَرُوِيَ عَنْ الحَسَن قَالَ بَلَغَنِيْ عَنْ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ أنهُ قالَ إنَّمَا مَثَلِيْ وَمَثَلُكُم وَمَثَلُ الدّنيا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَلَكُوا مَفَازَةً غَبْرَاءَ حَتَّى إذَا لَمْ يَدْرُوا مَا سَلَكُوا

مِنْهَا أَكْثَرُ أَوْ مَا بَقِيَ أَنْفَذُوا الزَّادَ وَخَسِرُوا الظَّهْرَ وبَقُوا بَينَ ظَهْرَانَيْ المَفَازَةِ لا زادَ وَلا حُمولَةَ فَأَيْقَنُوا بالهَلَكَةِ .

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ في حُلَّةٍ يَقْطُرُ رَأْسُهُ فقَالُوا انَّ هَذا قَرِيْبُ عَهْدٍ بريْفٍ وَمَا جَاءَ هَذَا إِلاَّ مِنْ قَرِيْبٍ فَلَمَّا انْتَهى إِلَيْهِمْ قَالَ يَا هَؤُلاَءِ عَلامَ أَنْتُم قَالُوا عَلَى مَا تَرى قَالَ أَرَأَيْتَكُم إِنْ هَدَيْتُكُم إلى مَاءٍ رُوَاءٍ وَرِيَاضٍ خُضْرٍ مَا تَعمَلُوا قَالُوا لا نَعْصِيْكَ شَيْئاً .

قَالَ عُهُوْدَكُم وَمَوَاثِقَكُمْ باللَّهِ فَأَعْطُوْهُ عُهُوْدَهُمْ وَمَوَاثِيْقَهُمْ باللَّهِ لا يَعْصُوْنَهُ شَيْئاً قَالَ فَأَوْرَدَهُم مَاءً وَرِيَاضاً خَضْرَاء فَمَكَثَ فيهم مَا شَاءَ اللَّهُ ثم قَالَ يَا هَؤُلاَءِ الرَّحِيْلَ قَالوا إلى أَيْنَ قال إلى مَاءٍ لَيْسَ كَمَائِكُم وإلى رِيَاضٍ لَيْسَتْ كَرِيَاضِكُمْ فَقَالَ أَكْثَرُ القَوْمِ واللَّهِ مَا وَجَدْنَا هَذا حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَجِدَهُ وَمَا نَصْنَعُ بعَيْشٍ خَيْرٍ مِنْ هَذا .

وقالت طائفةٌ أَلم تُعطُوا هذا الرجلَ عُهودَكُم ومَواثِيقَكُم باللَّه لا تَعْصُوْهُ وَقَدْ صَدَقَكُم في أَوَّل حَدِيثِهِ فَوَاللَّهِ لَيَصْدُقَنَّكُم في آخِرِهِ قَالَ فَرَاحَ فِيْمَنْ اتَّبَعَهُ وَتَخَلَّفَ بقِيَّتُهُم فَنزَلَ بِهِمْ عَدُوٌّ فَأَصْبَحُوا مِنْ بَيْنِ أَسِيْرٍ وَقَتِيْلٍ .

وَعَنْ ابن عُمَرَ أَنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قَال مَا حَقُّ امْرِءٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوْصِي فِيْهِ يَبِيْتُ لَيْلَتَين إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ متفق عليه .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خطَّ النَّبي ﷺ خَطّاً مُرَبَّعاً وخَطَّ خَطّاً في الوسَطِ خَارِجاً مِنْهُ وَخَطَّ خُطَطاً صِغَاراً إلى هَذَا الذِي في الوَسَطِ مِن جَانِبِهِ فَقَالَ هَذَا الإِنْسَانُ وَهَذَا أَجلُهُ مُحِيْطٌ به - أو قَدْ أَحاطَ به . وَهَذَا الذي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَار الأَعْرَاض فَأَنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَانْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا رَوَاهُ البُخَارِيّ .

شعرا : القَلْبُ مُحْتَرِقٌ والدَّمْعُ مُسْتَبِقٌ وَالكَرْبُ مُجْتَمِعٌ والصَّبْر مُفْتَـرِقُ
كَيْفَ الفِرَارُ عَلَى مَنْ لاَ فَـرارَ لَـهُ مِمَّا جَنَاهُ الهَوَى والشَّوْقُ وَالقَلَـقُ

يا رَبُّ إنْ كانَ شَيْءٌ لي به فــرحُ فامْنُــنْ عَليَّ بِهِ ما دَامَ بِيْ رمَـــقُ

آخر: والمَرْءُ يُبْلِيه في الدنيا ويُخْلِقُهُ حِرْصٌ طَويْلٌ وعُمْرٌ فيه تَقْصِيْرُ
يُطَوِّقُ النَّحْرَ بالآمالِ كاذِبَةً ولَهْذَمُ الموتِ دُوْنَ الطَّوْقِ مَطْرُوْرُ
جَذْلانَ يَبْسِمُ في أَشْرَاكِ مِيْتَتِه إنْ أَفْلَتَ النَّابُ أرْدَتْهُ الأَظَافِيْرُ

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ ماءٍ رَوَاهُ الترمذي وقالَ حَدِيثُ حَسَنٌ صَحِيْحٌ .

وَقَالَ ﷺ مَالِيْ وَللدُّنْيَا أنَّمَا مَثَلِيْ وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ قَالَ في ظِلِّ شَجَرَةٍ في يومٍ صَائِفٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا وفي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ مِن حَدِيْثِ المُسْتَوْرِدِ بن شَدَّادٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أحدكُم أَصْبُعَهُ في ألْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعْ وَأَشَارَ بالسَّبَّابَةِ .

وَفي التِّرْمذيّ مِن حَدِيْثِهِ قَالَ كُنْتُ مَعَ الرَّكْبِ الذِيْنَ وَقَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّخْلَةِ المَيِّتَةِ فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أترَوْنَ هَذِهِ هَانَتْ عَلَى أهْلِهَا حَتَّى أَلْقَوْهَا قَالوا وَمِنْ هَوانِهَا أَلْقَوْهَا يا رَسُولَ اللَّهِ قَال فَالدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى أهْلِهَا وَفي التِّرْمِذِي أيْضاً مِنْ حَدِيْثِ أبي هُرَيْرَةَ قَالَ قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدُّنْيَا مَلْعُونَة مَلْعُونٌ مَا فِيْها إلاَّ ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا وَالاهُ وَعالِماً وَمُتَعَلِّماً .

هــي الــدنــيــا إذا عُشِــقَـتْ أذَلَّــتْ
وتُــكْــرِمُ مَــن يــكــونُ لهـا مُهِــيْنَــا
كَظِــلِّكَ إنْ تَــرُمْــهُ تجِــدْهُ صَعْــبــاً
وتَــتركُــهُ فَيَتْــبَــعُ مُسْـــتَــكِــيْناً

آخــــر:
هـــي الــدنــيــا تقــول بِمِـلءِ فِيْهَــا
حِــذَار حِــذَار مِــن بَطْشِــي وَفَـتْـكِـي

فلا يَغْـرُرْكُمْ حُسْنُ ابتسـامي

فَقَـولي مُضْحِـكٌ والفِعْـلُ مُبْـكي

آخَرُ: دَلَّتْ على عَيبِهَا وَصَدَّقَهَـا لِعْبٌ وَلَهْوٌ وفَخْـرٌ في مَطَاوِيْهَـا

آخر: فَبَيْنَا نَسُوسُ الناسَ والأَمْرُ أَمْـرُنَا إِذَا نَحْنُ فيها سَوْقَـةٌ لَيْسَ نُنْصَـفُ

فَأُفٍّ لِدُنْيَـاً لَا يَـدُوْمُ نَعِيْمُهَـا تَقَلَّبُ تَارَاتٍ بِنَا وتَصَـرَّفُ

آخر: وما المَرْءُ في دُنْيَاهُ إلا كهَاجِعٍ تَراءَتْ لهُ الأَحلَامُ وهي خَـوادِعُ

يُنَعِّمُهُ طَيْفٌ مِن اللَّهْوِ بَاطِـلٌ ويُوقِظُه يَوْمٌ بِهِ الموتُ فَاجِـعُ

وَلَيْسَ العَجَبُ مِنْ انْهِمَاكِ الكَفَـرَةِ في حُبِّ الـدُّنْيَا وَالمَالِ فَأَنَّ الدنيا جَنَّتُهُم وإِنَّمَا العَجَبُ أن يَكُونَ المُسْلِمُوْنَ يَصِلُ حُبُّ المَالِ وَالدّنْيَا في قُلُوبِهِمْ إلى حَدٍّ أَنْ تَذْهَلَ عُقُوْلُهُم وَأَنْ تَكُونَ الدُّنْيَا هِيَ شُغْلُهُم الشَّاغِلُ لَيْلاً وَنَهَاراً وَهُمْ يَعْرِفُوْنَ قَدْرَ الدُّنْيَا من كتَاب رَبِّهِمْ وَسُنَّة نَبِيِّهِمْ ﷺ أَلَيْسَ كِتَابُ الله هُوَ الذي فِيْهِ « مَنْ كانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ له في حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِه مِنْهَا وَمَالَهُ في الآخرَةِ مِنْ نَصِيْب » .

وَيَقُـوْلُ ﴿ مَنْ كَانَ يريدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيْهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيْدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوْراً وَمَنْ أَرادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فأولَئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ﴾ .

وَتَقَدَّمَتْ الأَحَادِيْثُ عَنْ النَّبي ﷺ المُبَيِّنَة لِحَقَارَةِ الدنيا وَلَيْسَ المَعْنَىٰ أَنْ نَتْرُكَ الدنيا وَنَبْقَى جِيَاعاً عَارِيْنَ مُحْتَاجِيْنَ بَلْ مَعْنَاهُ أن لا نَجْعَلَهَا مَقْصَداً كَمَا جَعَلَهَا الكُفَّارُ بَلْ نَجْعَل الدُّنْيَا وَمَا فيهَا وَسِيْلَةً إلى تِلْكَ الحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ فَنَكُونُ مِن الفَرِيْقِ الذي يُحِبُّ المالَ لأجلِ الآخِرَةِ .

وَقَدْ كَانَ عَلى هَذَا المَبْدَءِ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ وَكَذَلِكَ التَّابِعُوْنَ لَهُمْ اتَّخَذُوا الدُّنْيَا مَطِيَّةً لِلآخِرَةِ فَسَادُوا بِهَا أَهْلَ الدُّنْيَا وَلَمَّا تَخَلَّفْنَا عَنْهُم في هَذَا المَبْدَءِ وَجَعَلْنَا المالَ هُوَ المَقْصَدُ سَكَنَّا إلى الدُّنْيَا وَأَحْبَبْنَا الحَيَاةَ وَلَذَائِذَهَا وَالدَّاهِيَةُ العَظِيْمَةُ هِيَ أَنَّا ضُرِبْنَا بالذّلِّ .

وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبي ﷺ « انَّ أَكثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لكُم مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ » رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلِم وَقَالَ ﷺ فوَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى أَن تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُم فَتَنَافَسُوْهَا كَمَا تَنَافَسُوْهَا فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

كَمْ رَأَيْنَا مِن أناسٍ هَلكـوُا ... فَبَكَى أحبَابهُم ثم بُكـوْا
تَرَكُوا الدُنيا لِمَنْ بَعْدَهُمُوْا ... وُدُّهُمْ لَوْ قَدَّمُوْا مَا تَرَكُـوا

آخر: إنّي وإنْ كانَ جَمْعُ المالِ يُعْجِبُني ... فَلَيْسَ يَعْدِلُ عِنْدِي صِحَّةَ الجَسَدِ
فِي المَالِ زَيْنٌ وَفي الأَولادِ مَكْرُمَةٌ ... وَالسُّقْمُ يُنْسِيْكَ ذِكْرَ المالِ والوَلِدِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

موعظة: عن الزهري : سمعتُ علي بن الحُسَين يُحاسِبُ نَفْسَه ويُنَاجى رَبَّهُ

يَانَفْسُ حتَّامَ إلى الدُنْيَا سُكونك ، وإلى عِمارَتِها رُكُونكِ ، أما اعْتَبَرْتَ بمنَ مَضى مِن أسْلافِكِ ، ومَن وَارَتْهُ الأرضُ مِن ألافك ، ومَن فُجِعْت به مِن إخْوَانكِ . ونُقِلَ إلى الثرى مِن أقْرَابكِ ، فهم في بُطُونِ الأرضِ بَعدَ ظهورها محاسنهم فيها بَوَالٍ دواثر .

خَلَتْ دُوْرُهم منهم وأقْوَتْ عراصُهُم ... وسَاقَهُم نَحْوَ المنَايَا المَقَادِرُ
وخَلَّوْا عن الدنيا وما جَمَعُوْا لَهَا ... وضمَّتْهُمُ تحت التراب الحَفَائِرُ

كم خَرَّبتْ أيْدِى المَنُون مِن قُرونٍ بَعْدَ قُرون وكم غَبَّرَت الأرض وغيَّبَتْ في تُرابها مِمَّنْ عاشَرْتَ من صُنوف وَشيَّعتهُم إلى المَهَالِك ثم رَجَعتَ عنهم إلى أهْلِ الافلاس .

وأنْتَ على الدنيا مُكِبٌّ مُنَافِسٌ ... لخُطَّابها فيها حَرِيْصٌ مُكَاثِرُ
على خَطَرٍ تَمْشي وتُصْبِحُ لاهِياً ... أتـدْري بِمَاذَا لَوْ عَقَلْتَ تُخَاطِرُ
وإنَّ امْرءاً يسْعَى لِدُنْيَاهُ دَائباً ... ويَذْهَلُ عن أُخْرَاهُ لا شَكَ خَاسِرُ

فحَتَّامَ على الدنيا إقبَالُكَ وبشهواتها اشتغالك وقد وخَطَكَ الشيبُ

وأتاك النذير وأنْتَ عما يرادُ بكَ سَاهٍ وبلذة يَومكَ وغَدِكَ لاهٍ وقد رَأيْتَ انقلابَ أهْلِ الشَهوات وعايَنْتَ ما حَلَّ بهم مِن المُصِيْبَات .

أبعد اقْتَرَابِ الأربَعِينَ تَربصٌ وشيب قَذَالٍ مُنْذِر للأكَابـر
كأنَّـكَ مَعْـنِيٌ بمـا هُو ضَـائرٌ لِنفسِكَ عَمْداً أو عن الرشدِ حائر

أنْظُرْ إلى الأمم الماضية والملوك الفانية كَيْفَ اخْتَطِفَتْهُمْ عُقبَانُ الأيام وَوَافاهم الحِمَامُ فَانْمَحَتْ مِن الدنيا آثارُهُم وبَقِيَتْ فيها أخبَارُهم وأضحَوا رِمَماً في التراب إلى يومِ الحشر والمآب والحساب .

فأمْسَوْا رَمِيْماً في التراب وعُطِّلَتْ مَجَالسهُم منهم وأخْلى المَقَاصِرُ
وحَلُوا بِدَارٍ لا تـزاور بَيْنَهُـمْ وأنَّـى لِسُكَّانِ القُبُـور التَّـزَاوُرُ
فما أن تَرى إلا قُبُوراً ثَوَوْا بهَا مُسَطَّحَةً تسْفِي عليها الأعَـاصِرُ

كم مِن ذِى مِنْعَةٍ وسُلْطَانٍ وجُنُود وأعْوَان تمكنَ من دُنياه ونال فيها ما تمناه ، وبنى فيها القُصُورَ والدَّسَاكِرُ ، وجمع فيها الأموال والذخائر ، ومُلَحَ السَّرارِي والحَرَائِر .

فما صَرَفَتْ عنه المَنِيَّةَ إذا أتَتْ مُبَـادَرَة تهـوى إليهـا الذَخَـائِرُ
ولا دَفَعَتْ عنه الحُصُونُ التي بَنَى وحَـفَّ بهـا أنهـارُهُ والدَّسَـاكِرُ
ولا قـارَعَتْ عنـه المَنِيَّـةَ حِيْلَـةٌ ولا طَمِعَتْ في الذَّبِ عنه العَسَاكِرُ

أتَاهُ من الله مَالا يُرَدّ ونَزَلَ به مِن قَضَائِه مَا لا يُصَدّ فتعالى الله الملك الجبار المتكبر العزيز القهار قاصِم الجبارين ومُبِيْد المتكبرين الذي ذلَّ لِعِزِه كلُ سلطان وأبادَ بقُوتهِ كُلَّ دَيَّان .

مَلِيْكٌ عَزِيْزٌ لا يُرَدُّ قَضَاؤُهُ حكيمٌ عليمٌ نافِذُ الأمْرِ قاهِرُ
عَنَى كلُ ذِي عِزٍ لِعِزة وجْهه فَكَمْ مِن عَزِيْزٍ لِلْمُهَيْمِنِ صَاغِرُ

لَقَدْ خَضَعَتْ واسْتَسْلَمَتْ وتضَاءلَتْ لِعزة ذِى العرشِ الملوكُ الجَبَابرُ

فالبدارَ البدارَ والحِذارَ الحِذارَ مِن الدنيا ومَكائدها ، وما نَصَبَتْ لَكَ من مَصَائِدها ، وتَحَلَّتْ لكَ مِن زِينتِهَا ، وأَبْرَزَتْ لَكَ مِن شَهواتِها وأَخْفَتْ عَنْكَ مِن قَواتِلِها وهَلَكَاتِها .

وفي دُوْن مَا عَايَنْت من فَجعَاتِها إلى دَفْعهَا دَاعٍ وبالزُهْدِ آمِرُ
فَجُدَّ ولا تَغْفُلْ وكن مُتيَقِظاً فعَمَّا قليلٍ يَتركُ الدارَ عَامِرُ
فَشمِّرْ ولا تفْتُرْ فَعُمْركَ زَائِلٌ وأنْتَ إلى دار الإقامةِ صائِرُ
ولا تَطْلُبَ الدنيا فإنَّ نعيْمَهَا وإنْ نِلْتَ منه غِبُّهُ لَكَ ضَائرُ

فهل يَحْرِصُ على الدنيا لَبِيْب ، أو يُسَرُّ بها أريْب ، وهو على ثِقَةٍ مِن فَنَائِها ، وغَيرُ طامعٍ في بَقَائِها أم كيفَ تَنَامُ عَيْنُ مَن يَخْشَى البَيَات وكيفَ تَسْكُنُ نَفْسُ مَن تَوَقَّعَ في جميع أموره المَمات .

ألا لا ولكِنَّا نَغُرُّ نُفوسَنَا وتَشْغَلُنَا اللَّذَاتُ عَمَّا نُحَاذِرُ
وكيف يَلَذُّ العَيْشَ مَن هُو مُوقِنٌ بمَوْقِف عَرْضٍ يومَ تُبْلى السَّرائرُ
كأنا نَرَى أنْ لا نُشُورَ وأننا سُدًّى ما لنا بَعْدِ المَمات مَصَادرُ

ومـا عَسَى أنْ يَنـالَ صَاحِبُ الـدنيا لذتها ويَتمتعَ به مِن بَهْجَتِها مَعَ صُنُـوفِ عَجَائِبها وقَوارعِ فَجَائِعِها وكَثْرة عَذَابِهِ في مَصَائِبِهَا وفي طَلَبِهَا وما يُكابِدُ مِن أسْقَامِهَا وأوصابها وآلامَها .

أمَا قَدْ نرى في كُلِّ يوم ولَيْلَةٍ يَرُوْحُ علينا صَرْفُها ويُبَاكرُ
تُعَـاوِرُنَا آفـاتُهَا وهُمُومُهـا وكم قَدْ نَرى يَبْقى لَهَا المُتَعَـاوِرُ
فَلا هُوَ مَغْبُوطٌ بدُنْيـاهُ آمِنٌ ولا هُوَ مِن تطْلاَ بها النَفْسَ قاصِرُ

كم غَرَّتِ الـدنيا من مُخْلِدٍ إليها ، وصَرَعَتْ مِن مُكِبٍ عَلَيها ، فلم

تَنْعَشْهُ مِن عَثْرَته ، ولم تُنْقِذْهُ من صَرْعَتِه ، ولم تشفهِ مِن ألمِهِ ، ولم تُبْرِهِ مِن سَقَمِهِ ، ولم تُخَلِّصْهُ مِن وصَمِه .

بَلَى أوْرَدَتْهُ بَعدَ عزٍ ومِنْعَةٍ مَوَارِدَ سُوْءٍ مالهُنَّ مَصَادرُ
فلما رأى أنْ لا نَجاةَ وأنَّهُ هُوَ الموتُ لا يُنْجِيْه مِنهُ التَّحاذُرُ
تَنَدَّمَ إذ لم تُغْنِ عنه نَدامَةٌ عليه وأبكَتْهُ الذُّنُوبُ الكَبَائِرُ

إذا بكى على ما سَلَفَ مِنْ خَطَاياه ، وتَحسَّرَ على ما خَلَّفَ مِن دُنْيَاه ، واستغفر حتى لا يَنْفَعُهُ الاستغفار ، ولا يُنجيه الاعتذار ، عند هَوْل المنية ونُزُوْل البلِيَّة .

أحَاطَتْ به أحْزَانُهُ وهُمُومُه وأبْلَسَ لَمَّا أعْجَزَتْه المَقَادِرُ
فليسَ له مِن كُرْبَةِ الموتِ فارجٌ وليسَ لَهُ مِمَّا يُحَاذِرُ ناصِرُ
وقد جَشَأتْ خَوفَ المنِيَّةِ نفْسُه تُرَدِّدُهَا مِنْهُ اللُّهَا والحَنَاجِرُ

هُنَالِكَ خَلَّفَ عُوَّادَهُ وأسْلَمَهُ أهلُه وأولاده وإرْتَفَعَتْ البَرِيَّةُ بالعويل وقد أيسُوا مِن العَليلِ فَغَمَّضُوا بأيْدِيْهم عَيْنَيه ومَدَّ عند خُروجِ رُوْحِهِ رِجْليْه وتخلىَ عنه الصَّدِيق والصاحب الشفيق .

فَكَمْ مُوْجَعٌ يَبْكِي عليه مُفَجَّعٌ ومُسْتَنْجِدٌ صَبْراً ومَا هُوَ صَابِرُ
ومُسْتَرْجِعٌ دَاعٍ له الله مُخْلِصاً يُعَدِّدُ منه كُلَّ ما هو ذَاكِرُ
وكم شامِتٌ مُسْتَبْشِرٌ بوَفَاتِهِ وعما قَليل لِلَّذِي صَارَ صَائِرُ

فشقَّتْ جُيُوبَها نِسَاؤه ، ولَطَمَتْ خُدُوْدَهَا إمَاؤه ، وأعْوَلَ لِفَقْدِهِ جيْرانُه ، وتوجَّعَ لِرَزيَّتِهِ إخْوَانه ، ثم أقبَلُوا على جهازه وشمروا لإبرازه كأن لم يَكُنْ بينهم العَزيز المُفَدَّى ولا الحبيب المُبَدَّى .

وحَلَّ أحَبُّ القوم كانَ بَقُرْبه يَحُثُ على تَجْهيْزه ويُبَادِرُ
وشَمَّرَ مَن قَدْ أحْضَرُوهُ لِغَسْلِهِ وَوجِّه لَمَّا فَاضَ لِلْقَبْر حَافِرُ

وكُفِّنَ في ثَوبَيْنِ واجتَمَعُوا لَهُ مُشَيِّعُهُ إخْـوَانُهُ والعَشـائِرُ

فلو رأيْتَ الأصْغَرَ من أولاده ، وقد غلب الحُزْنُ على فؤادِه ، ويُخْشَى من الجزع عليه وقد خَضَبَتِ الدموع عَيْنَيْه وهو يَنْدُبُ أباه ويقول : ياويلاه واحَرْبَاه .

لَعَايَنْتَ مِن قُبْحِ المنيةِ مَنْظراً يُهَالُ لِمَـرْآهُ وَيرْتَـاعُ نَاظِـرُ
أكابِرُ أوْلادٍ يَهِيج اكتئـابهم إذا ما تَنَاسَاهُ البَنُونُ الأصـاغِرُ
ورَنَّةُ نسـوان عليـه جوازع مَدَامِعُهُم فَوقَ الخدود غـوازِرُ

ثم أخْرجَ من سَعَة قصره ، إلى مَضيق قبره ، فلما اسْتَقَرَّ في اللحد ، وهيء عليه اللَّبن احْتَوشَتْهُ أعْمَالُه وأحَاطت به خطايَاه وأوزاره ، وضَاقَ ذَرْعاً بمَا رَآه ، ثم حَثَوا بأيديهم عليه التراب ، وأكْثَرُوْا عليه البُكاء والانْتِحَابَ ، ثم وقَفُوا سَاعة عليه وأيسُوا مِن النظر إليه ، وتركُوهُ رَهْناً بما كَسَبَ وطَلَبَ .

فَوَلَّوا عليه مُعْـوِلِينَ وكُلُّهُـم لِمِثْل الذي لاقَى أخُوْهُ مُحَـاذِرُ
كَشَـاءٍ رِعَـاءٍ آمِنِيْنَ بَدَاهَا بِمُدْيَتِهِ بادِى الذِّرَاعَين حَاسِـرُ
فَرِيْعَتْ ولم تَرْعَى قَلِيْلاً واجْفَلَتْ فَلَمَّا نأى عنها الذي هو جـازِرُ

عادَتْ إلى مرْعَاها ، ونسِيَتْ ما في أخْتِهَا دَهَاهَا ، أفابأفْعَالِ الأنعام اقْتَدَيْنَا أمْ على عادَاتِها جَرَيْنَا ، عُدْ إلى ذِكْرِ المنقُول إلى دار البِلَى ، واعْتَبِرْ بموضِعِه تَحْتَ الثَّرى ، المدفُوع إلى هول ما ترى .

ثوى مُفْرَداً في لَحْدِهِ وتَوزَّعَـتْ مَوَارِيْثَـهُ أولادُهُ والأصَـاهِرُ
وأحْنَوا على أمْوَالِـهِ يَقْسِمُونَهَـا فلا حَامِدٌ منهم عليها وشـاكِرُ
فيا عامِرَ الدنيا ويَا ساعياً لها ويا آمناً مِن أن تدُورَ الـدَّوَائِرُ

كيف أمِنْتَ هذه الحالة ، وأنْتَ صائر إليها لا محالة ، أمْ كيف ضَيَّعْتَ حَيَاتَـكَ ، وهى مَطِيَّتُـكَ إلى مَمَاتك ، أمْ كيفَ تشبع مِن طَعَامِك ، وأنْتَ

مُنْتَظِرَ حِمَامَكْ ، أم كيف تَهْنَأُ بالشهوات ، وهى مَطيَّة الآفات .

ولم تتزَوَّدْ لِلرَّحِيْل وَقَدْ دنــا وأنْتَ على حَالٍ وشِيْكُ مُسَافِــرُ
فَيَالَهْفَ قلبي كم أســوِّفُ توبتي وعُمْرِيَ فــانٍ والرَّدَى لِيَ ناظِرُ
وكل الذي اسْلفْتُ في الصُحْف مُثْبَتٌ يجَازى عليه عادِلُ الحكمِ قادِرُ

فكم تُرْتِـعْ بآخِـرتِكَ دُنْياك ، وتَرْكَبْ غيَّكَ وهوَاكَ ، أرَاكَ ضَعِيْفَ اليقين ، يامُؤثِرَ الدنيا على الدين ، أبهذا أمَرَكَ الرحمن أمْ على هذا نَزَل القُرآن أمَا تذكرُ مَا أمَامَكَ مِن شِدّةِ الحساب وشَر المآب ، أما تذكرُ حَالَ مَن جَمَعَ وثَمَّر ، ورَفعَ البِنَاءَ وزَخْرَفَ وعَمَّرْ ، أمَا صَارجَمْعُهُم بُوْرَا ومَسَاكِنُهم قُبورا .

تُخَرِّبُ ما يَبْقَى وتَعْمُرُ فَانِيَــا فلا ذَاكَ مَوْفُورٌ ولا ذَاكَ عَـامِرُ
وهَلْ لَكَ إنْ وَافَاكَ حَتْفُكَ بَغْتَةً ولم تَكْتَسِبْ خَيْراً لَدَى الله عَاذِرُ
أتَرْضَى بأنْ تَفْنَى الحَيَاةُ وتَنْقَضِي ودِيْنُكَ مَنْقُوصٌ ومَالُكَ وافِرُ أهـ

ينبغي لن عُمَّرِ سِتين سنة أن يحاسب نفسه ويَتَخَلَّى للعبادة قبل هجوم هادم اللذات .

وفّيْتَ سِتِّيْنَ واسْتَكْمَلتَ عِدَّتَهَا فَمَا بَقَاؤُكَ إذْ وَفَّيْتَ سِتِّيْنَا
فاعْمَلْ لِنَفْسِكَ يامِسْكِينُ في مَهَلٍ فَكُلُ يوم ٍ ترى ناسًا يَمُوْتُونَا

آخــر :

أَسِــيْرُ الخَـطَايَا عِنْـدَ بَـابِــك وَاقِفُ
بِـهِ وَجَـلٌ مِمَّـا بِـهِ أَنْـتَ عَــارِفُ
يَخَـافُ ذُنُـوبَــاً لَمْ يَغِـبْ عَنْـكَ غَيْبُهَــا
وَيَرْجُـوْكَ فِيْهَــا فَهْــوَ رَاجٍ وَخَـائِـفُ
فَمَـنْ ذَا الــذِيْ يُرْجَـى سِوَاكَ وَيُتَّـقَـىٰ
وَمَـا لَكَ في فَصْـلِ الـقَـضَـاءِ مُخَـالِـفُ

فَيَا سَيِّدِيْ لا تُخْزِنِيْ فِي صَحِيفَتِي

إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الحِسَابِ الصَّحَائِفُ

وَكُنْ مُؤْنِسِيْ فِي ظُلْمَةِ القَبْرِ عِنْدَمَا

يُصَدِّدُ ذُو القُرْبَى وَيَجْفُوا المُؤَآلِفُ

لَئِنْ ضَاقَ عَنِّيْ عَفْوُكَ الوَاسِعُ الذِي

أُرَجِّي لأَسْرَافِيْ فَإِنِّي لَتَالِفُ

آخر :

غفلتُ وليس الموتُ في غفلةٍ عنّي

وما أَحَدٌ يَجْنِي عَلَيَّ كما أَجْنِيْ

أُشَيِّدُ بُنْيَانِي وأَعْلَمُ أَنَّنِي

أَزُولُ ، لِمَنْ شيّدتُه ولِمَنْ أبْنِي

كَفَانِيَ بالموتِ المُنغِّص وَاعِظاً

بما أَبْصَرَتْ عَيني وما سَمِعتْ أُذْنِي

وكم للمنايا مِن فُنُونٍ كثيرة

تُميتُ وقد وطَّنْتُ نَفْسِي عَلَى فَنِّ

ولو طرقَتْ ما اسْتأذَنَتْ مَن يُحبني

كما أَفْقَدَتْنِي مَن أُحِبُّ بلا إِذْنِ

وقد كُنْتُ أفدي نَاظِريه مِن القذَى

فَغَطَّيْتُ ما قد كُنْتُ أفديهِ بالعَيْنِ

سَتَسْجُنِي يا ربِّ في القبرِ بُرْهَةً

فلا تَجعلِ النيرانِ مِن بَعدِهِ سِجْنِي

وَلي عندَ رَبي سَيئاتٌ كَثيرةٌ

ولكنني عَبدٌ به حَسَنُ الظَّنِّ

عَصَمَنَا اللّهُ وإيَّاكُمْ مِنْ الزَّلَلِ وَوَفَّقَنَا لِصَالِحِ العَمَلِ وَهَدَانَا بِفَضْلِهِ سَبِيْلَ الرَّشَادِ وَطَرِيْقَ السَّدَادِ إنَّهُ جَلَّ شَأنُهُ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيْرِ وَصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(فَصْــــلٌ)

وَقَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ لا يَتِمُّ الرَّغْبَةُ في الآخِرَةِ إلَّا بالزُّهْدِ في الدُّنْيَا وَلَا يَسْتَقِيْمُ الزُّهْدُ في الدنيا إلَّا بَعْدَ نَظَرَيْنِ صَحِيْحَيْنِ : نَظَرٌ في الدُّنْيَا وَسُرْعَةِ زَوَالِهَا وَفَنَائِهَا وَاضْمِحْلَالِهَا وَنَقْصِهَا وَخِسَّتِهَا وَأَلَمِ المُزَاحَمَةَ عَلَيْهَا وَالحِرْصِ عَلَيْهَا وَمَا في ذَلِكَ مِنْ الغُصَصِ وَالنَّغَصِ وَالأنْكَادِ .

وَآخِر ذَلِكَ الزَّوَالُ وَالأنْقِطَاعِ مَعَ مَا يُعْقِبُ ذَلِكَ مِن الحَسْرَةِ وَالأَسَفِ فَطَالِبُهَا لَا يَنْفَكُّ مِنْ هَمٍّ قَبْلَ حُصُوْلِهَا وَهَمٍّ في حَالِ الظَّفَرِ بِهَا وَغَمٍّ بَعْدَ فَوَاتِهَا فَهَذَا أحَدُ النَّظَرَيْنِ .

(النَّظَرُ الثَّانِيْ) النَّظَرُ في الآخِرَةِ وَإقْبَالِهَا وَمَجِيْئِهَا وَلَا بُدَّ وَدَوَامِهَا وَبَقَائِهَا وَشَرَفِ مَا فِيْهَا مِن الخَيْرَاتِ وَالمَسَرَّاتِ وَالتَّفَاوتِ الذي بَيْنَهُ وَبينَ مَا هَهُنَا فَهِي كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ فَهِي خَيْرَاتٌ كَامِلَةٌ دَائِمَةٌ ، وَهَذِهِ خَيَالَاتٌ نَاقِصَةٌ ، مُنْقَطِعَةٌ مُضْمَحِلَّةٌ .

فَإذَا تَمَّ لَهُ هَذَانِ النَّظَرَانِ آثَرَ مَا يَقْتَضِي العَقْلُ إيْثَارهُ وَزَهِدَ فِيْمَا يَقْتَضِي الزُّهْدَ فِيْهِ فَكُلُّ أَحَدٍ مَطْبُوْعٌ على أَنْ لَا يَتْرُكَ النَّفْعَ العَاجِلَ وَاللذةِ الحَاضِرَةِ إلى النَّفْعِ الآجِلِ وَاللَّذَّةِ الغَائِبَةِ المُنْتَظَرَةِ إلَّا إذَا تَبَيَّنَ لَهُ فَضْلُ الآجِلِ عَلَى العَاجِلِ وَقَوِيَتْ رَغْبَتُهُ في الأَعْلَى الأفضل فإذا آثَرَ الفَانِيَ النَاقِصَ ، كان ذلك إما لِعَدَمِ تَبَيُّنِ الفضلِ لَهُ وإمَّا لِعَدَمِهِ رَغْبَتِهِ في الأفْضَلِ .

وَكُـلُّ وَاحِـدٍ مِنْ الأَمْـرَيْن يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الأَيْمَانِ وَضَعْفِ العَقْـلِ وَالبَصِيْرَةِ فَأنَّ الرَّاغِبَ فِي الدُّنْيَا الحَرِيْصَ عَلَيْهَا المُؤْثِرَ لَهَا إمَّا أنْ يُصَدِّقَ أَنَّ مَا هُنَاكَ أشْرَفُ وَأفْضَلُ وَأبْقَى وَأمَّا أنْ لا يُصَدِّقَ فإنْ لَمْ يُصَدِّقْ بِذَلِكَ وَلَمْ يُؤْثِرْهُ كَانَ فَاسِدَ العَقْلِ سَيِّءَ الأخْتِيَارِ لِنَفْسِهِ .

وَهَـذَا تَقْسِيْمٌ حَـاصِـرٌ ضَرُوْرِيٌّ لَا يَنْفَكُّ العَبْدَ مِن أَحَـدِ القِسْمَيْنِ مِنْهُ فَإيْثَارُ الدُّنْيَـا عَلَى الآخِـرَةِ إمَّا مِنْ فَسَـادٍ فِي الأَيْمَانِ وَإمَّا مِن فَسَادٍ فِي العَقْلِ وَمَا أَكْـثَرَ مَا يَكُونُ مِنْهُمَا وَلِهَذَا نَبَـذَها رَسُـولُ اللَّهِ صَلى اللَّهُ عليه وسلَّم وَرَاءَ ظَهْرِهِ هُوَ وَأصْحَابُهُ ، وَصَرَفُوا عَنْهَـا قُلُوْبَهُم وَاطَّرَحُـوْهَا وَلَمْ يَـأْلَفُوْهَـا وَهَجَرُوْهَا وَلَمْ يَمِيْلُوا إليها وَعَدُّوْهَا سِجْنَاً لا جَنَّةً فَزَهِدُوا فيها حَقِيْقَةَ الزُّهْدِ وَلو أَرَادُوْهَا لَنَالُوا مِنْهَا كُلَّ مَحْبُوبٍ وَلَوَصَلُوا مِنْهَا إلى كُلِّ مَرْغُوبٍ .

فَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ مَفَاتِيْحُ كُنُوزِهَا فَرَدَّهَا وَفَاضَتْ عَلَى أَصْحَابِهِ فَآثَرُوا بِهَا وَلَم يَبِيْعُوا بِهَـا حَظَّهُم مِن الآخِـرَةِ بِهَا وَعَلِمُـوا أَنَّهَا مَعْبَـرٌ وَمَمَرٌّ لَا دَارُ مَقَامٍ وَمُسْتَقَرٍّ وأَنَّهَا دَارُ عُبُورٍ لَا دَارُ سُرُوْرٍ وَأنها سَحَابَةُ صَيْفٍ تَنْقَشِعُ عن قليلٍ وَخَيَالُ طَيْفٍ مَا اسْتَتَمَّ الزِّيَارَةَ حتى آذَنَ بالرَّحِيْلِ .

قَالَ النبي صَلى اللهُ عليه وسلم « مَا لِي وَللدُّنْيَا إنَّمَا أَنَا كَرَاكِبٍ مَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ثم رَاحَ وَتَرَكَهَا » وقال « ما الدنيا في الآخرةِ إلا كَمَا يُدخل أحدُكم أُصْبُعَهُ في أَلْيَمِّ فَلْيَنْظُر بِمَ تَرْجِع » .

وقَالَ خَالِقُهَا سُبحانه« إنَّما مَثَلُ الحَيَاةِ الدنيا كَماءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِن السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأرضِ مِمَّا يأْكُلُ النَّاسُ وَالأنْعَامُ حَتَّى إذا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرفَها وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُم قَادِرُوْنَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيْدَاً كَأنْ لَمْ تَغْنَ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَتفَكَّرُوْنَ *وَاللَّهُ يَدْعُو إلى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِيْ مَنْ يَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ ».

شِعْرًا : إذَا مَا أَصَبْنَا كُلَّ يَوْمٍ مُذَيقَـــةً وَسَبْعَ تُمَيْرَاتٍ صِغَـــارٍ هَوَامِـــزِ
فَنَحْنُ مُلُوكُ الأرضِ خِصْباً وَنِعمَـــةً وَنَحْنُ أُسُوْدُ الْغَابِ وَقْتَ الْهَزَاهِـــزِ

آخَرُ : لا خَيْرَ في طَمَعٍ يُدْنِيْ لِمَنْقَصَةٍ وحَفْنَةٌ مِنْ كَفَافِ العَيْشِ تَكْفِينِيْ

آخَرُ : لَعَمْرِيَ مَنْ أَوْلَيتَهُ مِنْكَ نِعْمَةً وَمَدَّ لَهَا كَفاً فَأَنْتَ أَمِيْرَهُ

ومَنْ كُنْتَ مُحْتَاجاً إلَيْهِ فإنَّهُ أَمِيرُكَ في الدُنْيَا وَأنْتَ أسْيرُهُ

ومَنْ كُنْتَ عَنْهُ ذَا غِنَى وهُوَ مَالِكُ أَزِمَّةَ أَمْوَالٍ فأَنْتَ نَظِيْرُهُ

آخر : لَعَمْرُكَ ما الدُنيا بِدارِ إقَامَةٍ ولا الحيُّ في دَارِ السَّلامَةِ آمِنُ

تُحَارِبُنا أيامُنَا ولنَا رِضىً بِذَلكَ لَوْ أَنَّ المَنَايَا تُهَادِنُ

أَرَى الحِيرةَ البَيْضَاءَ عَادَتْ قُصُورُهَا خَلاءً ولَمْ تَثْبُتْ لِكِسْرى المَدَائِنُ

رَكِبْنَا مِنَ الآمالِ في الدَّهرِ لُجَّةً فَمَا صَبَرَتْ لِلْمَوْجِ تلكَ السَفَائِنُ

فَأَخْبَرَ عَن خِسَّةِ الدنيا وَزَهَّدَ فيها وأخبرَ عن دَارِ السَّلامِ وَدَعَا إليها وقَال تعالى ﴿ وَاضْرِبْ لهم مَثَلُ الحَيَاةِ الدنيا كَماءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِن السَّماءِ فاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأرضِ فأَصْبَحَ هَشِيْماً تَذْرُوْهُ الرياحُ وَكانَ اللهُ على كُلِّ شَيءٍ مُقْتَدراً• المالُ والبنُونَ زِيْنَةُ الحَيَاةِ الدنيا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخيْرٌ أَملا ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إعْلَمُوا أنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِيْنَةٌ وَتَفَاخُر بَيْنَكُم وَتَكَاثُر في الأمْوَالِ وَالأوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أعجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثم يَكُونُ حُطَاماً وفي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ اللهِ ورِضْوَانٌ ومَا الحَيَاةُ الدنْيَا إلاَّ مَتَاعُ الغُرُوْرِ﴾ .

وَقَالَ ﴿ زِيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَهَوَاتِ مِن النِّسَاءِ وَالبَنِيْنَ وَالقَنَاطِير المقَنْطَرَةِ مِن الذهبِ والفِضَّةِ والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ والأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذلِكَ مَتَاعُ الحَيَاة الدنيا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المآبِ ﴿قُل أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذِلِكُمْ لِلَّذِيْنَ اتَّقَوا عِنْدَ رَبِّهِم جَنَّاتٌ تَجْرِيَ مَنْ تَحْتِهَا الأنْهَار خَالِدِيْنَ فِيْهَا وَازْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ وَاللهُ بِصِيْرٌ بِالعِبَادِ ﴾

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَفَرِحُوا بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إلاّ مَتَاعٌ ﴾ وَقَدَ تَوَعَّدَ سُبْحَانَهُ أَعْظَمَ الوَعِيْدِ لِمَنُ رَضِيَ بالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّ

بِهَا وَغَفَلَ عَنْ آيَاتِهِ وَلَمْ يَرْجُ لِقَاءَهُ فَقَالَ ﴿ إِنَّ الذِيْنَ لا يَرْجُوْنَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا ـ وَالذِيْنَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ • أُولئِكَ مَأْوَاهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ وَعَيَّرَ سُبْحَانَهُ مَنْ رَضِيَ بِالدُّنْيَا مِن المؤمِنِينَ فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا مَالَكُمْ إِذَا قِيْلَ لَكُم انْفِرُوا فِي سَبِيْلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إلى الأرْضِ ، أَرَضِيْتُم بِالحَيَاةِ الدّنْيَا مِنْ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدّنْيَا في الآخِرَةِ إلاَّ قَلِيْل ﴾ .

شعــــرا :

وَفَّيْتَ سِتّيْنَ وَاسْتكْملتَ عِدَّتَهَــا   فِمَا بَقَاؤُكَ إذْ وَفَّيْتَ سِتِّيْنَــا
فاعْمَلْ لِنَفْسِكَ يَامِسْكين في مَهَلٍ   فَكُلُّ يَوْمٍ تَرى نَاســاً يَمُوْتُونا

وَعَلَى قَدْرِ رَغْبَةِ العَبْدِ في الدُّنْيَا وَرِضَاهُ بِهَا يكونُ تَثَاقُلُهُ عَنْ طَاعَةِ اللّهِ وَطَلَبِ الآخِرَةِ وَيَكْفِي في الزُّهْدِ في الدُّنْيَا قولُهُ تعَالى ﴿ أَفرَأَيْت إِنْ مَتَّعْنَاهُم سِنِيْنَ ثُمَّ جَاءَهُم مَا كانوا يُوْعَدُوْنَ   مَا أَغْنَى عَنْهُم مَا كَانُوا يُمَتَّعُوْنَ ﴾ وَقَوْلُهُ .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُم كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ سَاعَةً مِنْ النَّهَارِ يَتَعَارَفُوْنَ بَيْنَهُمْ ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوْعَدُوْنَ لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ سَاعَة مِن نَهَارٍ بَلاَغٌ فَهَل يُهْلَكُ إلاَّ القَوْمُ الفَاسِقُوْنَ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ يَسْأَلُوْنَكَ عَن السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاها • فِيْمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا • إلى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا • إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا • كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إلاّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاها ﴾ .

وَقَوْلُهُ ﴿ وَيَوْمَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمُوْنَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ وَقَوْلُه ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُم فِي الأرْضِ عَدَدَ سِنِيْنَ • قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمَاً أَوبَعْضَ يَوم فَاسْأَلِ العَادّيْنَ • قَالَ إِنْ لَبِثْتُم إلاَّ قَليلاً لَوْ أَنَّكُم كُنْتُم تَعْلَمُون ﴾ وَقَولَهُ ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ في الصّورِ وَنَحشُرُ المُجْرِمِيْنَ يَوْمَئِذٍ زُرْقَا • يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُم إلاَّ عَشْرا • نَحْنُ أَعْلَمُ بَمَا يَقولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُم طَرِيْقَة إِنْ لَبِثْتُم إلاَّ يَوْمَاً ﴾ وَاللّهُ أَعْلَمُ وَصَلى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

خُلِقْنَا لَأَحْدَاثِ الليالي فَرائساً
تَزَفُّ إلى الأجداثِ مِنَّا عَرائِساَ
تُجَهِّز مِنَّا لِلْقُبور عَسَاكِراً
وتُرْدِفُ أعوادُ المنايا فوارِساَ
إذا أمَلٌ أرْخَى لَنَا مِن عِنَانه
غَدَا أجَلٌ عَمَّا نُحاوِلُ حَابِساَ
أَرَى الغُصْنَ لَمَّا اجْتُثَّ وهو بمائِه
رَطيباً وما إنْ أَصْبَحَ الغُصْن يابساَ

نَشِيدُ قُصُوراً لِلْخُلودِ سَفَاهَةً ... ونَصبرُ ما شِئنا قُبُوراً دَوَارِساَ
وقد نَعَتِ الدُنيا إلينَا نُفُوسَنا ... بِمَنْ مَاتَ مِنَّا لو أصَابَتْ أكَايِساَ
لَقَدْ ضَرَبتْ كِسْرَى المُلُوكِ وتُبَّعا ... وقَيْصَرَ أمْيَالاً فلم نَرَ قَائِساَ
نَرَى مَا نَرى مِنْهَا جهَارا وقد غَدَا ... هَوَاهَا عَلَى نُور البَصِيرةِ طَامِساَ
وقد فَضَح الدنيا لَنَا الموتُ وَاعِظَاً ... وهَيْهَاتَ مَا نَزْدَادُ إلا تَقَاعُساَ

آخر: كَمْ سَالِمٍ أسْلَمَتْهُ لِلرَّدَى فَقَضَى ... حَتْفاً ولَمْ يَقْضِ مِن لَذَّاتِهَا وَاطرا
وَمُتْرَفٍ قَلَبَتْ ظَهْرَ المِجَنَّ لَهُ ... فَعَادَ بَعْدَ عُلُوِّ القَدْرِ مُحْتَقَرا
فأبْعِدَنْهَا ولا تَحْفَلْ بِزُخْرفِهَا ... وغُضَّ طَرْفَكَ عنه قَلَّ أو كَثُرا
فَكُلُّ شَيْءٍ تَرَاهُ العَيْنُ من حَسَنٍ ... كَرُ الأهِلَّةِ لا يُبْقى لَهُ أثَرا
واصْحَبْ وصَلّ وَوَاصِلْ كُلَّ أونَةٍ ... عَلَى النبي سَلاماً طيّباً عَطِرَا
وصَحْبِهِ ومَن اسْتَهْدَى بِهَدْيِهِمُوْا ... فَهُمْ أَئِمَّةُ مَنْ صَلَّى وَمَنْ ذَكَرا

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا بَدِيعَ السَّموات وَالأَرْض نَسْأَلُك أَنْ تُوفِّقَنا لِمَا فِيهِ صَلاحُ دِيْنِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيع المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ : عِبَادَ اللَّهِ انَّ النَّاس في هَذِهِ الحَيَاة انْقَسَمُوا قِسْمَيْنِ قِسْمٌ

جعَلُوا غَايَتَهُم الأكْـلُ والشُّرْبُ وَالتَّمَتـع بِملاذِّ الدنيَا مِنْ مَسَاكِنَ وَمَلابسَ وَقَضَاءِ وَطَر وَلَيْس وراء هَذِهِ الغَايَةِ عِنْدَهُمْ غَايَةٌ أُخْرَى فَهُمْ يَقْضُونَ أوْقَاتَهمْ يَصْرِمُوْنَ أَعْمَارَهُمْ لِيَتَمَتَّعُوا مَا وَسِعَهُم التَّمَتّعُ فَمَا بَعْدَ نَظَرِهِمْ الكَلِيْلِ الحَسِيْرِ وَقُلُوبِهِم المَيِّتَةِ إلاّ العَدَمَ وَالفَنَاءُ .

وَهؤُلاءِ هُمْ جُنْدُ الشَّيْطَانِ شَرُّ خَلْقِ اللّهِ وَأَشْقَاهُمْ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَذَرْنِي وَالمكَـذبِـيْنَ أُوْلِيْ النَّعْمَـةِ ومَهِّلْهُم قَلِيْلا ﴾ وَقَـالَ ﴿ وَالذيْنَ كَفَرُوا يَتمتَّعُونَ وَيَأكُلُوْنَ كَمَا تَأكُلُ الأنعامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ ﴾ فَهُمْ صَارُوا كَالأنْعَام لا يَخْتَلِفُوْنَ عَنْهَا إلاَّ في الصُّورَةِ وَالشَّكل وَإلاَّ في دُخُولِهِم النَّارَ وَلِذَلِكَ قَالَ اللّهُ جلَّ وَعَلا ﴿ إنْ هُمْ إلاَ كالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيْلاَ ﴾ .

تِلْكَ هِيَ غَايَةُ هَذَا الصِّنْفِ أمَّا مَرْكَزُهُم بَيْنَ النَّاس فَهُوَ مَرْكَزُ الأفْسَادِ والأضْلال وَمآلُهُمْ جَمِيْعَاً دُخُوْلُ النَّار ، قَالَ تَعَالَى ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الذيْنَ كَفَرُوا في البلاَدِ مَتَاعٌ قَلِيْلٌ ثُمَّ مأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المِهَادِ ﴾ وَقَالَ ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإنَّ مَصِيْرَكُمْ إلى النَّارِ ﴾ .

الصِّنْفُ الثَّانِيْ الذِينَ عَرَفُوا الحَقِيْقَةَ وَالغَايَةَ التِيْ خُلِقُوا لَهَا عَرَفُوا أَنَّ اللَّه خَلَقَهُم لِعبَـادَتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والأنْسَ الاَّ لِيَعْبُدُوْن ﴾ أَيْقَنُوا بِقَوْلِهِ تَعالى ﴿ يَا أَيُّها الأنْسَانُ إنَّكَ كَادِحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيْهِ ﴾ فَغَايَتُهم كَمَا تَقَدَّمَ عِبَادَةُ اللَّهِ .

وَمِنْهَا الجِهَادُ في سَبِيْلِ اللَّهِ وَالدَّعْوَةُ إلَيْهِ وَعِمَارَةُ الأرْض بِفِعْلِ الخَيْرِ وَهِـدَايَةُ الحَيَارَى إلى الحَقِّ وَقِيَادَتُهمْ في دُرُوْبِ الحَيَاةِ الـدنيَا وَوَراءَهَا الغَايَةُ العُظْمَى وَالعُليا وَهِيَ ابْتِغَاءُ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَحْدَهُ جَلَّ جَلالُهُ .

قَالَ اللَّهُ تَعَـالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا ارْكَوُا وَاسْجُدُوْا واعبُدُوا رَبكم وَافْعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُم تُفْلِحُوْنَ . وَجَاهِدُوْا في اللَّهِ حقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُم وَمَا

جَعَلَ عَلَيْكُمْ في الدِّيْن مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبيْكُمْ إبْرَاهِيْم هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِيْنَ من قبلُ وفي هَذَا ليَكُونَ الرَّسُوْلُ شَهِيْداً عَلَيْكُم وَتَكُونوا شُهَدَاءَ على الناس فَأَقِيْمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا باللَّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيْر ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُم على تجَارَةٍ تُنْجِيْكُم مِن عَذَابٍ أَلِيْم ، تُؤْمِنُـوْنَ باللَّهِ وَرَسُـولِـه وَتجَـاهِـدُوْنَ في سبيل الله بِأَمْـوَالِكُم وأَنْفُسِكُم ذلِـكَ خَيْرٌ لكُم ان كُنتُم تَعْلَمُونَ ، يَغْفِرْ لكُم ذُنُوبكُم ويُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تجْرِي من تحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنُ طَيِّبَةٍ في جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الفَوْز العَظِيْم ﴾ .

هَذِهِ مُهِمَّةُ الْمُسْلِم وَغَايَتُهُ فيها عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ وَجِهَادُهُ في سَبيلِهِ يجَاهِدُ نَفْسَهُ حَتَّى يَحْمِلَهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَيُبْعِدَهَا عَنْ الْمَعْصِيَةِ جُهْدَهُ وَيُجَاهِدُ بقَلَمِهِ وَلِسَانِهِ وَمَالِهِ وَيَدِهِ في سَبِيْلِ اللَّهِ حَتَّى تَعْلُو كَلِمَةُ اللَّهِ ويَسْتَنِيْرَ البَشَرُ بِنُوْرِ الإِسْلاَم .

وقَدْ اخْتَارَ اللَّهُ الْمُسْلِمِيْنَ لِهَذِهِ الْمُهِمَّةِ الخَطِيرةِ مُهِمَّة دَلاَلَةِ الناس وَقِيَادَتِهم وَإِخْرَاجِهم مِنْ الظُّلُمَاتِ إلى النُّور فَلاَ مجَالَ لِلتَّخَلِّيْ عَنْ هَذِهِ الْمُهِمَّةِ الشَّرِيْفَةِ هَذِهِ طَرِيْقَةُ الرُّسُلِ عَلَيْهِم أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلاَم قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُم في رَسُوْلِ اللَّهِ أسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ .

وَقَالَ صَلى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ الْمُسْلِمِيْنَ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ حَالِهِ وَلاَ يُعْذَرُ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُم أمةً وَسَطاً لِتكُونوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيكُوْنَ الرَّسُوْلُ شَهِيْداً عَلَيْكُم ﴾ .

فَالذِي يَقُولُ إنَّهُ مُسْلِمٌ عليه أَنْ يُبَلِّغَ وَيَدْعُو وَيُؤَدِّي هَذِهِ الشَّهَادَةِ لِهَذَا الـدِّيْن شَهَادَةً تُؤَيِّدُ حَقَّ هَذَا الدِّيْنِ في البَقَاءِ وَيُؤَيِّدُ الخَيْرَ الذِي يَحْمِلَهَ هذا الدِّيْنُ لِلْبَشَر .

وَهُوَ لا يُؤَيِّد هَذِهِ الشَّهَادَة تَمَاماً حَتَّى يَجْعَلَ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ خُلُقِهِ وَمِنْ سُلُوْكِهِ وَمِنْ حَيَاتِهِ صُوْرَةً لِهَذَا الدِّيْن صُوْرَةً يراهَا النَّاسُ فَيَرَوْنَ فِيهَا مَثَلاً رَفِيْعاً يَشْهَدُ لِهَذَا الدِّيْنِ الأَسْلَامِيّ بالأحَقِيَّةِ في الوُجُودِ بالخَيْرِيَّة وَبالأَفْضَلِيَّةِ عَلَى سَائِرِ مَا فِيْ الأَرْضِ .

فَالشَّهَادَةُ في النَّفْسِ أَوَّلاً بِمُجَاهَدَتِهَا حَتَّى تَكُونَ تَرْجَمَةً لَهُ تَرْجَمَةً حَيَّةً في شُعُورِهَا وَسُلُوكِهَا حَتَّى صُوْرَةُ الأيْمَانِ في هَذِهِ النَّفْسِ فَيَقُولُوْا ما أَطْيَبَ هَذَا الأيْمَانِ وَماَ أَحْسَنُهُ وَمَا أَزْكَاهُ .

وَهُوَ يَصُوْغُ أَصْحَابَهُ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ مِن الخُلُقِ وَالكَمَالِ فَتَكُونُ هَذِهِ شَهَادَةٌ لِهَذَا الدِّيْنِ في النَّفْسِ يَتَأَثَّرُ بِها الآخَرُوْنَ وَالشَّهَادَةُ لَهُ بِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ وَبَيَانِ فَضْلِهِ وَمَحَاسِنِهِ وَمَزِيَّتِهِ بَعْدَ تَمَثُّلِ هَذَا الفَضْلِ .

وَهَذِهِ المَزِيَّةُ في نَفْسِ الدَّاعِيَةِ فَمَا يَكْفِي أَنْ يُؤَدِّيَ المُؤْمِنَ الشَّهَادَةَ لِلايْمَانِ في ذَاتِ نَفْسِهِ إِذَا هُوَ لَمْ يَدْعُ إِلَيْهَا النَّاسَ وَمَا يَكُوْنُ قَد أَدَّى الدَّعْوَةَ والتَّبْلِيْغَ وَالبَيَانَ قَال تعالى ﴿ ادْعُ الى سَبِيلِ رَبِّكَ بالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بالتِيْ هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وَقَال ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيْلِيْ أَدْعُو إِلى اللهِ عَلَى بَصِيْرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِيْ ﴾ الآية .

ثُمَّ الشَّهَادَةُ لِهَذَا الدِّيْنِ بِمُحَاوَلَةِ إِقْرَارِهِ في الأَرْضِ مَنْهَجاً لِلْجَمَاعَةِ المُؤْمِنَةِ وَمَنْهَجاً لِلْبَشَرِيَّةِ جَمِيْعًا والمُحَاوَلَةِ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ الفَرْدُ مِنْ وَسِيْلَةٍ وَبِكُلِّ مَا تَمْلِكُ الجَمَاعَةُ مِنْ وَسِيْلَةٍ .

فَإِقْرَارُ هَذَا المَنْهَجِ في حَيَاةِ البَشَرِ هُوَ كُبْرَى الأَمَانَاتِ بَعْدَ الأيْمَانِ الذَّاتِيّ وَلَا يُعْفَى مِنْ هَذِهِ الأَمَانَةِ الأَخِيْرَةِ فَرْدٌ وَلَا جَماعةٌ وَمِنْ ثَمَّ فَالجِهَادُ مَاضٍ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ أ هـ .

شِعْراً :

لَقَــدْ عَفَتْ مِنْ دِيَــارِ العِلْمِ آثَــارُ
فَــأَصْبَــحَ العِـلْمُ لا أَهْــلٌ وَلاَ دَارُ
يَــا زَائِـرِيْنَ دِيَــارَ العِلْمِ لاَ تَفِـدُوا
فَمَــا بِــذَاكَ الحِمَى وَالــدَّارِ دَيَّــارُ
تَـرَحَّـلَ القَــوْمُ عَنْهَـا وَاسْتَمَــرَّ بِهِم
مُـشَمِّــرٌ مِـنْ حُــدَاةِ البَـيْنِ سَـيَّــارُ
قَدْ أَوْرَدَ القَوْمَ حَادِيْهِم حِيَاضَ رَدَى
فَمَـا لَهُم بَعْـدَ ذَاكَ الــوِرْدِ اصْـدَارُ
لَهَفِيْ عَلَى سُرُجِ الدّنْيَا التِي طَفِئَتْ
وَلاَ يَــزَالُ لَهَــا فِي النَّــاسِ أَنْــوَارُ
لَهَفِيْ عَلَيْهِمْ رِجَـالاً طَـالَمَـا صَبَـرُوا
وَهَـكَــذَا طَــالِبُ الـعَلْيَــاءِ صَبَّــارْ
لَهَفِيْ عَلَيْهِم رِجَـالاً طَـالَمـا عَـدَلُـوا
بَيْنَ الأَنَـامِ وَمَـا حَـابُـوْا وَلاَ جَـارُوْا
مَـالُـوا يَمِيْنـاً عَنْ الـدُّنْيَـا وَزَهْـرَتِهَــا
لِأَنَّهَـــا فِي عُـيُــوْنِ القَــوْمِ أَقْــذَارُ
وَصَــاحَبُــوْهَــا بِــأَجْسَــادٍ قُلُوْبُهُــم
طَيْرٌ لَهَا فِي ظِـلاَلِ العَرْشِ أَوْكَـارُ
هُم الــذِيْنَ رَعَـوا لِلْعِلْمِ حُــرْمَتَــهُ
لِـلعِـلْمِ بَـيْـنَـهُـم شَــأْنٌ ومِــقْــدَارُ
صَــانُـوْهُ طَــاقَتَهُم عَنْ مَـا يُــدَنِّسُــهُ
كَمَــا يَصُـونُ نَفِيْسَ المَــالِ تُجَّــارُ

وَأحْسَنُـوا فيـه تَصْـرِيْفـاً لِأنَّهُمْ
لَـهُمْ مِـن اللهِ تَـوْفِـيْـقٌ وإقْـدَارُ
رَأوْهُ كـالنَّجْمِ بُعْـداً لَيْسَ يُـدْرِكُـهُ
بَـاعٌ قَصِيْـرٌ وفَـهْم فيْـهِ إقْصَـارُ
فَـدَوَّنُـوْهَـا فُـرُوْعـاً منـهُ دَانِيَـةً
لِكُـلِ جَـانٍ تَـدَلَّتْ مِنْـهُ أثْمَـارُ
يَا صَاحِ فَالْزَمْ طَرِيْقَ القَوْمِ مُتَّبِعاً
فَـرِيْقَهُم لَيْسَ بعدَ اليَـوْمِ إنْـظَارُ
وَوَاجِبٌ قَصْرُكَ المَمْـدُوْدَ مِن أمَـلٍ
مَسَـافَةُ العُمْـرِ في دُنْيَـاكَ أشْبَـارُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتِكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا القِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَّاتِنَا وَذُرِّيَاتِنَا وَأعِذْنَا مِنْ شَرِّ نُفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أعْمَالِنَا وَأعِذْنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانَا تَبَعاً لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ صَلى اللهُ عليه وسلَّم وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وَقَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في التَّحْذِيْرِ مِن ابْلِيْسَ وَجُنُودِهِ وَبَيَانِ شَيءٍ مِنْ حِيَلِهِ ومَكْرِهِ وَكَيْدِهِ لِبَنِيْ آدَمَ وَوَصَايَاهُ لِجُنُودِهِ كَيْفَ يُوقِعُونَ بَنِي آدَمَ في المَعَاصِي مِنْ حَيْثُ يَشْعُرُوْنَ وَمِن حَيْثُ لا يَشْعُرُوْنَ وتَوْجِيْهِ جُنُودِهِ إلى المَدَاخِلِ إلى قُلُوْبِ بَنِيْ آدَمَ لِيُدَمِّرَهُم وَيُهْلِكَهم وَيَزُجَّهم مَعَهُ في السَّعِيْرِ ، وَقَالَ رَحِمَةُ اللهُ .

وَلَمَّا عَلِمَ سُبْحَانَهُ أَنَّ آدَمَ ، وَبَنِيْهِ قَدْ بُلُوا بِهَذَا العَدُوّ ، وَأَنَّهُ قَدْ سُلِّطَ عَلَيْهِم أَمَدَّهُم بِعَسَاكِر ، وَجُنْدٍ يَلْقَوْنَهُ بِهَا ، وَأَمدَّ عَدُوَّهُم أيضاً بِجُنْدٍ وَعَسَاكِرَ يَلْقَاهُم بِهَا وأقَامَ سُوقَ الجِهَادِ في هِذِهِ الدَّارِ في مُدَّةِ العُمْرِ التِيْ هِيَ بالأضافة إلى الآخِرَةِ كَنَفَسٍ وَاحِدٍ مِن أنفَاسِها .

وَاشْتَرَى مِن المؤْمِنِيْنَ أنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُم بِأَنَّ لَهُمْ الجَنَّةَ يُقَاتِلُوْنَ في سَبِيْلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَأَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ وَعْدٌ مُؤَكَّدٌ في أشْرَفِ كُتُبِهِ وَهِيَ التَّوْرَاةُ ، والأنْجِيْلُ ، وَالقُرْآنُ ، وَأخْبَرَ أنهُ لا أوْفَى بِعَهدِهِ منه سُبْحَانَهُ .

ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَبْشِرُوْا بِهَذِهِ الصَّفْقَةِ التِيْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِف قَدْرَهَا فَلْيَنْظُرْ إلى المُشْتَرِيْ مَنْ هُوَ ، وَإلى الثَّمَنِ المَبْذُوْلِ فِيْ هَذِهِ السِّلْعَةِ ، وَإلَى مَنْ جَرَى عَلَى يَدَيْهِ هَذَا العَقْدِ ، فَأيُّ فَوْزٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا ، وَأَيّ تِجَارَةٍ أَرْبَحُ مِنْهُ .

ثُمَّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ هَذَا بِقَوْلِهِ ﴿ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيْمٍ ، تُؤْمِنُوْنَ باللّهِ وَرَسُوْلِهِ وَتُجَاهِدُوْنَ في سَبِيْلِ اللّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنُ طَيِّبَةٍ في جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيْمُ ﴾

وَلَمْ يُسَلِّط هَذَا العَدُوَّ عَلَى عَبْدِهِ المُؤْمِنَ الذِيْ هُوَ أَحَبُّ أَنْوَاعِ المَخْلُوْقَاتِ إلَيْهِ ، إلاَّ لِأنَّ الجِهَادَ أَحَبُّ شَيْءٍ إلَيْهِ ، وَأَهْلُهُ أَرْفَعُ الخَلْقِ عِنْدَهُ دَرَجَاتٍ وَأَقْرَبُهُمْ إلَيْهِ وَسِيْلَةً .

فَعقَدَ سُبْحَانَهُ لِوَاءَ هَذَا الحَرْبِ لِخُلاصَةِ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَهُوَ القَلْبُ الذِي هُوَ مَحَلُّ مَعْرِفَتِهِ ، وَمَحَبَّتِهِ ، وَعُبُوْدِيَّتِهِ ، وَالأخْلاَص لَهُ والتَّوكُّلِ عَلَيْهِ ، وَالأنَابَةِ إلَيْهِ ، فَوَلاَّهُ أمْرَ هَذَا الحَرْبِ .

وَأَيَّدَهُ بِجُنْدِهِ مِنْ المَلاَئِكَةِ لاَ يُفَارِقُوْنَهُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُوْنَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ يُثَبِّتُونَهُ وَيَحْفَظُونَهُ ، وَيَأْمُرُونَهُ بِالخَيْرِ ، وَيَحُضُّوْنَهُ عَلَيْهِ ، وَيَعِدُوْنَهُ بِكَرَامَةِ اللَّهِ ، وَيُصَبِّرُونَهُ ، وَيَقُوْلُوْنَ إنَّمَا هُوَ صَبْرُ سَاعَةٍ وَقَدَ اسْتَرَحْتُ رَاحَةَ الأبَدِ .

ثُمَّ أَمَدَّهُ بِجُنْدٍ آخَرَ مِنْ وَحْيِهِ ، وَكَلاَمِهِ ، فَأَرْسَلَ إلَيْهِ رَسُوْلَهُ صلى اللهُ عليه وسلَّم ، وَأَنْزَلَ إلَيْهِ كِتَابَهُ ، فَازْدَادَ قُوَّةً إلى قُوَّتِهِ ، وَمَدَداً إلى مَدَدِهِ وَعُدَّةً إلَى عُدَّتِهِ .

وأَيَّدَهُ مَعَ ذَلِكَ بِالعَقْلِ وَزِيْرَاً لَهُ وَمُدَبِّراً ، وَبِالمَعْرِفَةِ مُشِيْرَةً عَلَيْهِ وَنَاصِحَةً لَهُ ، وَبِالإيمَانِ مُثَبِّتَاً لَهُ ، وَمُؤَيِّداً ، وَنَاصِراً ، وَبِاليَقِيْنِ كَاشِفَاً لَهُ عَنْ حَقِيْقَةِ الأَمْرِ كَأَنَّهُ يُعَايِنُ مَا وَعَدَ اللهُ تَعَالَى بِهِ أَوْلَيَاءَهُ وَحِزْبَهُ عَلَى جِهَادِ أَعْدَائِهِ .

فَالعَقْلُ يُدَبِّرُ أَمْرَ جَيْشِهِ ، وَالمَعْرِفَةُ تَصْنَعُ لَهُ أُمُوْرَ الحَرْبِ وَأَسْبَابَهَا وَمَوَاضِعَهَا اللاحِقَةِ بِهَا ، وَالأيْمَانُ يثَبِّتُهُ وَيُقَوِّيهِ وَيُصَبِّرُهُ ، وَاليَقِيْنُ يُقَدِمُ بِهِ وَيَحْمِلُ بِهِ الحَمَلاَتِ الصَّادِقَةِ .

ثُمَّ أَمَدَّ سُبْحَانَهُ القَائِمَ بِهَذِهِ الحَرْبِ بِالقُوَى الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ ، فَجَعَلَ العَيْنَ طَلَيْعَتَه وَالأُذُنَ صَاحِبَ خَبَرِهِ ، وَاللسَانَ تَرْجُمَان ، وَاليَدَيْن وَالرِّجْلَيْنِ أَعْوَانَهُ .

وَأَقَامَ مَلائِكَتَهُ وَحَمَلَةَ عَرْشِهُ يَسْتَغْفِرُوْنَ لَهُ ، وَيَسْأَلُوْنَ لَهُ أَنْ يَقِيْهِ السَّيِّآتِ ، وَيُدْخِلَهُ الجَنَّاتِ ، وتَوَلَّى سُبْحَانَهُ الدَّفْعَ عَنْهُ والدِّفَاعَ عَنْهُ بِنَفْسِهِ

وَقَالَ هَؤُلآءِ حِزْبِيْ وحِزْبُ اللّهِ المُفْلِحُوْن،قَالَ تَعَالَى ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللّهِ أَلَا إِنَّ حِزبَ اللهِ هُمْ المُفْلِحون﴾ وَهَؤُلَاءِ جُنْـدِيْ وَجُنْدُ اللهِ هُمْ الغَالِبُوْنَ .

وَعَلَّمَ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ كَيْفَ هَذَا الحَرْبُ والجِهَادُ فَجَمَعَهَا لَهُمْ في أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، فَقَال ، ﴿ يَا أَيُّها الذِيْنَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ، واتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

وَلَا يَتِمُّ أَمْرُ هَذَا الجِهَادِ إلا بِهَذِهِ الأُمُورِ الأَرْبَعَةِ ، فَلَا يَتِمُّ لَهُ الصَّبْرُ إلا بِمُصَابَرَةِ العَدُوِّ ، وَهِيَ مُقَاوَمَتُهُ ، وَمُنَازَلَتُهُ ، فَإِذا صَابَرَ عَدُوَّهُ احْتَاجَ إلى أَمْرٍ آخَرَ وَهُوَ المُرَابِطَةُ وَهِيَ لُزُوْمُ ثَغْرِ القَلْبِ وَحِرَاسَتِهِ لِئَلَّا يَدْخُلَ مَعَهُ العَدُوّ وَلُزُوْمُ ثَغْرِ العَيْنِ ، والأُذُنِ وَاللِّسَانِ ، وَالبَطْنِ ،وَاليَدِ ، وَالرِّجْلِ .

فَهَذِهِ الثُغورُ مِنْهَا يَدْخُلُ العَدُوُّ ، فَيَجُوْسُ خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَيُفْسِدُ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ ، فَالمُرَابَطَةِ لزُوْمُ هَذِهِ الثُّغورِ ، ولاَ يُخْلَى مَكانَها فَيُصَادِفُ العَدُوّ الثَّغْرَ خالِيَاً فَيَدْخُلُ مِنْهُ .

فَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، خَيْرُ الخَلْقِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِيْنَ ، وَأَعْظَمُهُم حِمَايَةً ، وَحِرَاسَةً مِنْ الشَّيْطَانِ ، وَقَدْ أَخْلَوْا المَكَانَ الذي أُمِرُوْا بِلُزُوْمِهِ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَدَخَلَ مِنْهُ العَدُوّ فَكَانَ مَا كَانَ .

وَجَمَاعُ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ وَعَمُوْدُهَا الذِي تَقُوْمُ بِهِ هُوَ تَقْوَى اللّهِ تَعَالَى فَلَا يَنْفَعُ الصَّبْرُ وَلَا المُصَابَرَةُ ، وَلَا المُرَابَطَةُ ، إلَّا بالتَّقْوَى وَلَا تَقُوْمُ التَّقْوَى الا

عَلَى سَاقِ الصَّبْرِ ، فَانْظُرْ الآن فِيْكَ إلى التِقَاءِ الجَيْشَيْنِ وَاصْطِدَامِ العَسْكَرِيِّيْنَ ، وَكَيْفَ تُدَالُ مَرَّةً ، وَيُدَالُ عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى .

أَقْبَلَ مَلِكُ الكَفَرَةِ بِجُنُودِهِ وَعَسَاكِرِهِ ، فَوَجَدَ القَلْبَ في حِصْنِهِ جَالِسَاً عَلَى كُرْسِيِّ مَمْلَكَتِهِ ، أَمْرُه نَافِذٌ في أَعْوَانِهِ ، وَجُنْدِهِ قَدْ حَفّوا بِهِ يُقَاتِلُون عَنْهُ ، وَيُدَافِعُوْنَ عَنْ حَوْزَتِهِ ، فَلَمْ يُمْكِنْهُ الهُجُومُ عَلَيْهِ إلا بِمُخَامَرَةِ بَعْضِ أمَرَائِهِ وَجُنْدِهِ عَلَيْهِ .

فَسَأَلَ عَنْ أَخَصِّ الجُنْدِ بِهِ ، وَأَقْرَبِهِمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً ، فَقِيْلَ لَهُ هِيَ النَّفْسُ ، فَقَالَ لِأَعْوَانِهِ أَدْخُلُوا عَلَيْهَا مِنْ مُرَادِها ، وَانْظُرُوْا مَوَاقِعَ مَحَبَّتِها ، وَمَا هُوَ مَحْبُوبُهَا ، فَعِدُوْهَا بِهِ ، وَمَنُّوْهَا ايَّاهُ ، وانْقُشُوْا صُوْرَةَ المَحْبُوْبِ فِيْهَا في يَقْظَتِهَا وَمَنَامِهَا .

فَإذَا اطْمَأَنَّتْ إلَيْهِ وَسَكَنَتْ عِنْدَهُ فَاطْرَحُوا عَلَيْها كَلالِيْبَ الشَّهْوَةِ وَخَطَاطِيْفَهَا ، ثُمَّ جُرُّوْهَا بِهَا إِلَيْكُمْ .

فَإذا خَامَرَتْ عَلَى القَلْبِ وَصَارَتْ مَعَكُمْ عَلَيْهِ مَلَكْتُم ثُغُوْرَ العَيْنِ ، وَالأُذُنِ واللّسانِ ، وَالفَمِ وَاليَدِ ، وَالرِّجْلِ ، فَرَابِطُوْا عَلَى هَذِهِ الثُّغُوْرِ كُلَّ المُرَابَطَةِ فَمَتَى دَخَلْتُمْ مِنْهَا إلى القَلْبِ فَهُوَ قَتِيْلٌ أَوْ أَسِيْرٌ أو جَرِيْحٌ مُثْخَنُ الجِرَاحَاتِ .

وَلَا تُخْلُوا هَذِهِ الثُّغُوْرَ ، وَلَا تُمَكِّنُوا سَرِيَّةً تَدْخُلُ فِيْهِ إلى القَبْبِ فَتُخْرِجَكُمْ مِنْهَا ، وَانْ غُلِبْتِمْ فَاجْتَهِدُوْا في اضْعَافِ السَّرِيَّةِ وَوَهَنِهَا ، حَتَّى لَا تَصِلَ إلى القَلْبِ وَإنْ وَصَلَتْ ضَعِيْفَةً لا تُغْنِي عَنْهُ شَيْئاً .

فإذَا اسْتَوْلَيْتُم عَلى هَذِهِ الثُّغُورِ ، فَامْنَعُوا ثَغْرَ العَيْنِ أَنْ يَكُوْنَ نَظَرَهُ

اعْتِبَاراً بَلْ اجْعَلُوا نَظَرُهُ تَفرُّجاً ، وَاسْتِحْسَاناً ، وَتلهِّيا ، فانْ اسْتَرَقَ نَظَرُهُ عِبْرَةً ، فَافسِدُوْهَا عَلَيْهِ بِنَظْرَةِ الغَفْلَةِ ، وَالأَسْتِحْسَانِ وَالشَّهْوَةِ ، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ ، وَأَعْلَقُ بِنَفْسِهِ ، وَأَخفُّ عَلَيْهِ .

وَدُوْنَكُمْ ثَغرُ العَيْنِ فَإِنَّ مِنْهُ تَنَالُوْنَ بُغْيَتَكُمْ ، فَإِنِّي مَا أَفْسَدْتُ بَنِي آدَمَ بِشَيْءٍ مِثْلَ النَّظَرِ ، فَإِنِّيْ أَبْذُرُ بِهِ فِي القَلْبِ بَذْرَ الشَّهْوَةِ ، ثُمَّ اسْقِيْهِ بِمَاءِ الأَمْنِيَةِ ، ثُمَّ لا أَزَالُ أَعِدُهُ وَأُمَنِّيهِ حَتَّى أُقَوِّيْ عَزِيْمَتَهُ وَأقُودُهُ بِزِمَامِ الشَّهْوَةِ ، إلى الإنْخِلاَعِ مِنْ العِصْمَةِ .

فَلاَ تُهْمِلُوا أَمْرَ هَذَا الثَّغْرِ وَأَفْسِدُوْهُ بِحَسَبِ اسْتطَاعَتِكُمْ وَهَوِّنُوا عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَقُوْلُوا لَهُ مِقْدَارَ نَظْرَةٍ تَدْعُوْكَ إلى تَسْبِيْحِ الخالق وَالتَّأَمُّلِ لِبَدِيْعِ صُنْعِهِ وَحُسْنِ هَذِهِ الصُّورَةِ التِيْ إنَّمَا خُلِقَتْ لِيَسْتَدَلَّ بِهَا النَّاظِرُ عَلَيْهِ وَمَا خَلَقَ اللهُ لَكَ العَيْنَيْنَ سُدَىً وَمَا خَلَقَ هَذِهِ الصُّوْرَةَ لِيَحْجِبَهَا عَنْ النَّظَرِ .

ثُمَّ امْنَعُوْا ثَغْرَ الأُذُنِ أَنْ يَدْخُلَ مِنْهُ مَا يُفْسِدُ عَلَيْكُمْ الأَمْرَ فَاجْتَهِدُوْا أَنْ لَا تُدْخِلُوا مِنْهُ إلا البَاطِلَ فَإِنَّهُ خَفِيْفٌ عَلَى النَّفْسِ تَسْتَحْلِيْهِ وَتَسْتَحْسِنُهُ وَتَخَيَّرُوا لَهُ أَعْذَبَ الأَلْفَاظِ وَأَسْحَرَهَا لِلأَلْبَابِ وَامْزُجُوْهُ بِمَا تَهْوى النَّفْسُ مَزْجاً وَأَلْقُوا الكَلِمَةَ فَانْ رَأَيْتُم مِنْهُ إِصْغَاءً إِلَيْهَا فَزُجُوْهُ بِأَخَوَاتِهَا وَكُلَّمَا صَادَفْتُمْ مِنْهُ اسْتِحْسَانَ شَيءٍ فَالْهَجُوْا لَهُ بِذِكْرِهِ.

وَإِيَّاكُمْ أَنْ يَدْخُلَ هَذَا الثَّغْرَ شَيءٌ مِنْ كَلاَمِ اللَّهِ أَوْ كَلَامِ رَسُوْلِهِ صَلى اللهُ عليه وسلَّم أَوْ كَلاَمَ النُّصَحَاءِ فَإِنْ غُلِبْتُمْ عَلَى ذَلِكَ وَدَخَلَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَحُوْلُوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَهْمِهِ وَتَدَبُّرِهِ والتَّفَكُّرِ فِيْهِ وَالعِظَةِ بِهِ إِمَّا بِإِدْخَالِ ضِدِّهِ عَلَيْهِ وَامَّا بِتَهْوِيْلِ ذَلِكَ وَتَعْظِيْمِهِ وَانَّ هَذَا الأَمْرَ قَدْ حِيْلَ بَيْنَ النُّفُوْس وَبَيْنَهُ فَلاَ سَبِيْلَ لَهَا أَلَيْهِ وَهُوَ حِمْلٌ يَثْقُلُ عَلَيْهَا لا تَسْتَقِلُّ بِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَأمَّا بارْخَاصِهِ عَلَى النُّفُوسِ وَأَنَّ الاشتِغَالَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُوْنَ بِمَا هُوَ أعْلَى عِنْـدَ النَّاسِ وَأَعَزُّ عَلَيْهِمْ وَأَغْرَبُ عِنْدَهُمْ وَالقابِلُونَ لَهُ أَكْثَرُ وَأَمَّا الحَقُّ فَهُوَ مَهْجُوْرٌ وَقَائِلُهُ مُعَرِّضٌ نَفْسَهُ لِلْعَدَاوَةِ . وَالرَّائِجُ بَيْنَ النَّاسِ أَوْلَى بالأَيْثَارِ وَنَحْوَ ذَلِكَ فَيُدْخِلُوْنَ البَاطِلَ عَلَيْهِ فِي كِلِّ قَالَبٍ يَقْبَلُهُ وَيَخِفُّ عليه وَتُخْرِجُوْنَ لَهُ فِي قَالَبٍ يَكْرَهُهُ وَيَثْقُلُ عَلَيْهِ .

وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ انْظُرْ إلى اخْوَانِهِمْ مِنْ شَيَاطِيْنِ الأَنْسِ كَيْفَ يُخْرِجُـوْنَ الأمْـرَ بِالمَعْرُوْفِ وَالنَّهْيَ عَنْ المُنْكَرِ فِي قَالَبِ كَثْرَةِ الفُضُوْلِ وَتَتَبُّعِ عَثَرَاتِ النَّاسِ وَالتَّعَرُّضِ مِنْ البَلاَ لِمَا لاَ يُطِيْقُ وَإِلقاءِ الفِتَنِ بَيْنَ النَّاسِ وَنَحْوِ ذلِكَ .

وَالمَقْصُوْدُ أَنَّ الشَيْطَانَ لَزِمَ ثَغْرَ الأُذُنِ أَنْ يدْخل فِيْهَا مَا يَضُرُّ العَبْدَ وَلاَ يَنْفَعُهُ وَيَمْنَعُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَيْهَا مَا يَنْفَعُهُ وَإِنْ دَخَلَ بِغَيْرِ اخْتِيَارٍ أَفْسَدَهُ عَلَيْهِ .

ثُمَّ يَقُولُ : قُوْمُوا عَلَى ثَغْرِ اللِّسَانِ ، فَإِنَّهُ الثَّغْرُ الأعْظَمُ ، وَهَوَ قُبَالَةُ المَلِكِ ، فَأَجْرُوْا عليهِ من الكَلاَمِ مَا يَضُرُّهُ ولا يَنْفَعُهُ وامْنَعُوْهُ أن يَجْرِيْ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَنفَعُهُ ، مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَاسْتِغْفَارِهِ ، وَتِلاَوَةِ كِتَابِهِ وَنَصِيْحَةِ عِبَادِهِ ، والتَّكَلُّمِ بالعِلْمِ النَّافِعِ ، وَيكُونُ فِي هَذَا الثَّغْرِ أَمْرَانِ عَظِيْمَانِ ، لاَ تُبَالُوْنَ بِأَيِّهِمَا ظَفِرْتُمْ .

أَحَدُهُمَا : التَّكَلُّمُ بالبَاطِلِ ، فَإِنَّ المُتَكَلمَ بالبَاطِل أَخٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ وَمِنْ أَكْبَرِ جُنْدِكُمْ وَأَعْوَانِكُمْ .

وَالثَّـانِيْ : السُّكُوْتُ عَنْ الحَقِّ ، فَإِنَّ السَّـاكِتَ عَنْ الحَقِّ أَخٌ لَكُم أَخْرَسٌ ، كَمَا أَنَّ الأَوَّلَ أَخٌ ناطِقٌ ، وَرُبَّمَا كَانَ الأخُ الثَّانِيْ أَنْفَعَ أَخَوَيْكُمْ لَكُمْ ،

أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ النَّاصِحِ « المُتَكَلِّمُ بِالبَاطِلِ شَيْطَانٌ نَاطِقٌ ، وَالسَّاكِتُ عَنْ الحَقِّ شَيْطَانٌ أخْرَسٌ » .

فَالرِّبَاطُ عَلَى هَذَا الثَّغرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِحَقٍّ أَوْ يُمْسِكَ عَنْ بَاطِلٍ وَزَيِّنُوا لَهُ التَّكَلُّمَ بِالبَاطِلِ بِكُلِّ طَرِيْقٍ ، وَخَوِّفُوْهُ مِنْ التَّكَلُّمِ بِالحَقِّ بِكُلِّ طَرِيْقٍ . وَاعْلَمُوا يا بَنِيَّ أَنَّ ثَغْرَ اللِّسَانِ هُوَ الذي أُهْلِكُ مِنْهُ بَنِيْ آدَمَ وَأَكُبُّهُمْ مِنْهُ عَلَى مَنَاخِرِهِمِ فِي النَّارِ فَكَمْ لِيْ مِنْ قَتِيْلٍ وَأَسِيْرٍ وَجَرِيْحٍ أَخَذْتُهُ مِنْ هَذَا الثغرِ .

وَأُوْصِيْكُمْ بِوَصِيَّةٍ فاحْفَظُوْهَا ، لِيَنْطِقْ أَحَدُكُمْ على لِسَانِ أَخِيْهِ مِنْ الانْسِ بالكَلِمَةِ ، ويكُونُ الآخَرُ على لِسَانِ السَّامِعِ ، فَيَنْطِقُ باسْتِحْسَانِهَا وَتَعْظِيْمِهَا وَالتَّعجُّبِ مِنْهَا ، وَيَطْلُبُ مِنْ أَخِيْهِ إِعَادَتَهَا ، وكُوْنُوْا أَعْوَاناً على الإِنْسِ بِكلِّ طَرِيْقٍ ، وادْخُلُوا عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ .

أَمَا سَمِعْتُمْ قَسَمِي الذِيْ أَقْسَمْتُ بِهِ لِرَبِّهِمْ حَيْثُ قُلْتُ ﴿ ٧ : ١٦ - ١٧ فَبِمَا أَغْوِيْتَنِيْ لأقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ المُسْتَقِيْم ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيْهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ، وَلاَ تَجِدُ أَكْثرَهُمْ شَاكِرِيْنَ ﴾ أَوَ مَا تَرَوْنِي قَدْ قَعَدْتُ لابْنِ آدَمَ بِطرُقِهِ كلِّهَا ، فَلا يَفُوْتُنِيْ مِنْ طَرِيقٍ إلَّا قَعَدْتُ لَهُ بِطَرِيْقٍ غَيرِهِ ، حَتَّى أُصِيْبَ مِنْهُ حَاجَتِيْ أَوْ بَعْضَهَا .

وَقَدْ حَذَّرَهُمْ ذَلِكَ رَسُولُهُمْ ﷺ وَقَالَ لَهُمْ « انَّ الشَّيْطَانَ قَدْ قَعَدَ لابْنِ آدَمَ بِطرُقِهِ كُلِّهَا ، وَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيْقِ الإِسْلاَمِ » ، فَقَالَ أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِيْنَكَ وَدِيْنَ آبَائِكَ ، فَخَالَفَهُ وَأَسْلَمَ .

فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيْقِ الهِجْرَةِ ، فَقَالَ : أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ ، فَخَالَفَهُ وَهَاجَر ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيْقِ الجِهَادِ ، فَقَالَ : أَتُجَاهِدُ فَتُقْتَلُ فَيُقْسَمُ المالُ وَتُنْكَحُ الزَّوْجَةُ .

فَهَكَذَا فَاقْعُدُوا لَهُمْ بِكُلِّ طُرُق الخَيْر ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَتَصَدَّقَ فَاقْعُدُوا لَهُ عَلى طَرِيْق الصَّدَقَة ، وَقُوْلُوا لَهُ فِي نَفْسِهِ : أَتُخْرِجُ المَالَ فَتَبْقَى مِثْلَ هَذَا السَّائِل ، وَتَصِيْرُ بِمَنْزِلَتِهِ أَنْتَ وَهُوَ سَوَاءُ .

أَوَمَا سَمِعْتُمْ مَا أَلْقَيْتُ عَلَى لِسَانِ رَجُلٍ سَأَلَهُ آخَرُ أَنْ يَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : هِيَ أَمْوَالُنَا إِنْ أَعْطَيْنَاكُمُوْهَا صِرْنَا مِثْلَكُم .

وَاقْعُدُوا لَهُ بِطَرِيْق الحَجِّ ، فَقُولُوا : طَرِيْقَةُ مَخُوْفَةُ مُشِقَّةٌ ، يَتَعَرَّضُ سَالِكُهَا لِتَلفِ النَّفَسِ وَالمَالِ ، وَهَكَذَا فَاقْعُدُوا عَلَى سَائِرِ طُرِقِ الخَيْرِ بِالتَّنْفِيْرِ عَنْهَا وَذِكْرِ صُعُوْبَتِهَا وَآفَاتِهَا .

ثُمَّ اقْعُدُوا لَهُمْ عَلى طُرُق المَعَاصِيْ فَحَسِّنُوهَا فِي أَعْيُنِ بَنِيْ آدَمَ ، وَزَيِّنُوهَا فِي قُلُوبِهِمْ ، وَاجْعَلوا أَكْثَرَ أَعْوَانِكُمْ عَلى ذَلِكَ النِّسَاءُ ، فَمِنْ أَبْوَابِهِنَّ فَادْخلُوا عَلَيْهِمْ فَنِعْمَ العَوْنُ هُنَّ لَكُمْ .

ثُمَّ الزَمُوْا ثَغْرَ اليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ ، فَامْنَعُوهَا أَنْ تَبْطِش بِمَا يَضرُكُمْ وَتَمْشِيْ فِيْهِ .

اللّهُمَّ أَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الأَبْرَارْ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وفي الآخِرَة حَسنةً ، وَقِنَا عذابَ النَّارْ ، واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا ، وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُم والمَيْتِين ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمين ، وَصَلَّى اللَّهُ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين .

(فَصْلٌ)

وقال رَحِمَهُ الله فيما يَحْكِيْه في التحذير عن إِبْلِيْس وجُنُودِهِ :

وَاعْلَمُوا أَنَّ أَكْبَرَ أَعْوَانِكُمْ على لُزُوْمِ الثُّغُورِ مُصَالَحَةُ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ

فَأَعِيْنُوهَا وَاسْتَعِيْنُوا بِهَا ، وَأَمِدُّوْهَا وَاسْتَمِدُّوْا مِنْهَا ، وَكُوْنُوا مَعَهَا عَلَى حَرْبِ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةُ فَاجْتَهِدوا فِيْ كَسْرِهَا وَابْطَالِ قُوَاهَا وَلاَ سَبِيْلَ إلى ذَلِكَ إلاَّ بِقَطْعِ مَوادِّهَا عَنْهَا .

فَإِذَا انْقَطَعَتْ مَوادُّهَا وَقَوِيَتْ مَوَادُّ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ ، وَانْطَاعَتْ لَكُمْ أَعْوَانُهَا فَاسْتَنْزِلُوا القَلْبَ مِنْ حِصْنِهِ ، وَاعْزِلُوهُ عَنْ مَمْلَكَتِهِ ، وَوَلُّوْا مَكَانَهُ النَّفْسَ الأَمَّارَةَ ، فَإِنَّهَا لاَ تَأْمُرُ إلاَّ بِمَا تَرَوْنَهُ وَتُحِبُّوْنَهُ ، وَلاَ تَجِيْئُكُمْ بِمَا تَكْرَهُوْنَهُ البَتَّةَ ، مَعَ أَنَّهَا لاَ تُخَالِفُكُم في شَيءٍ تُشِيْرُوْنَ بِهِ عَلَيْهَا ، بَلْ إذَا أَشَرْتُمْ عَلَيْهَا بِشَيءٍ بَادَرتْ إلى فِعْلِهِ .

فَانْ أَحْسَسْتُمْ مِنْ القَلْبِ مُنَازَعَةً إلَى مَمْلَكَتِهِ ، وَأَرَدْتُمْ الأَمْنَ مِنْ ذَلِكَ فَاعْقِدُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّفْسِ عَقْدَ النِّكَاحِ ، فَزَيِّنُوهَا وَجَمِّلُوهَا وَأَرُوْهَا إِيَّاهُ في أَحْسَنِ صُوْرَةِ عَرُوْسٍ تُوْجَدُ ، وَقُوْلُوا لَهُ : ذُقْ طَعْمَ هَذَا الوِصَالِ وَتَمَتَّعْ بِهَذِهِ العَرُوْسِ ، كَمَا ذُقْتَ طَعْمَ الحَرْبِ وَبَاشَرْتَ مَرَارَةَ الطعْنِ وَالضَّرْبِ .

ثُمَّ وَازِنْ بَيْنَ لَذَّةِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ وَمَرَارَةِ تِلْكَ المُحَارَبَةِ ، فَدَعْ الحَرْبَ تَضَعُ أَوْزَارَهَا ، فَلَيْسَتْ بِيَوْمٍ وَتَنْقَضِي ، وَإِنَّمَا هُوَ حَرْبٌ مُتَّصِلٌ بِالمَوْتِ ، وَقُوَاكَ تَضْعُفُ عَنْ حَرْبٍ دَائِمٍ .

وَاسْتَعِيْنُوا يَا بَنِيَّ بِجُنْدَيْنِ عَظِيْمَيْنِ لَنْ تُغْلَبُوْا مَعَهُمَا :

أَحدُهُمَا : جُنْدُ الغَفْلَةِ ، فَأَغْفِلُوا قُلُوْبَ بَنِيْ آدَمَ عَن اللَّهِ تَعَالَى وَالدَّارِ الآخِرَةِ بِكُلِّ طَرِيْقٍ ، فَلَيْسَ لَكُمْ شَيءٌ أَبْلَغُ في تَحْصِيْلِ غَرَضِكُمْ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ القَلْبَ إذَا غَفَلَ عَن اللَّهِ تَعَالَى تَمَكَّنْتُمْ مِنْهُ وَمِنْ إِغْوَائِهِ .

وَالثَّانِيْ : جُنْدُ الشَّهَوَاتِ ، فَزَيِّنُوْهَا في قُلُوْبِهِمْ ، وَحَسِّنُوْهَا في أَعْيُنِهِمْ وَصُوْلُوْا عَلَيْهِمْ بِهَذَيْنِ العَسْكَرَيْنِ ، فَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ بَنِيْ آدَمَ أَبْلَغَ مِنْهُمَا ، وَاسْتَعِيْنُوا عَلى الغَفْلَةِ بالشَّهَوَاتِ ، وَعَلَى الشَّهَوَاتِ بالغَفْلَةِ ، وَاقْرِنُوْا بَيْنَ الغَافِلِيْنَ .

ثُمَّ اسْتَعِيْنُوا بِهِمَا عَلى الذَّاكِرِ، وَلا يَغْلِبُ وَاحِدٌ خَمْسَةً، فإِنَّ مَعْ كل واحد من الغَافِلِينَ شَيْطَانَيْنِ صَارُوا أَرْبَعَةً ، وَشَيْطَانُ الذَّاكِرِ مَعَهُمْ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ جَمَاعَةً مُجْتَمِعِيْنَ عَلَى مَا يَضُرُّكُمْ - مِنْ ذِكْرِ اللهِ أَوْ مُذَاكَرَةِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَدِيْنِهِ ، وَلَمْ تَقْدِرُوْا عَلَى تَفْرِيْقِهِمْ - فَاسْتَعِيْنُوا عَلَيْهِمْ بِبَنِيْ جِنْسِهِمْ مِنَ الانْسِ البَطَّالِيْنَ ، فَقَرِّبُوهُمْ مِنْهُمْ ، وَشَوِّشُوْا عَلَيْهِمْ بِهِمْ .

وَبالجُمْلَةِ فَأَعِدُّوا لِلأُمُورِ أَقْرَانَهَا ، وَادْخُلوا عَلى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ بَنِيْ آدَمَ مِنْ بَابِ إِرَادَتِهِ وَشَهْوَتِهِ ، فَسَاعِدُوْهُ عَلَيْهَا، وَكُوْنُوا أَعْوَانا لَهُ عَلى تَحْصِيْلِهَا ، وَإِذَا كَانَ اللهُ قَدْ أَمَرَهُمْ أَنْ يَصْبِرُوْا لَكُمْ وَيُصَابِرُوْكُمْ وَيُرَابِطُوْا عَلَيْكُمْ الثُّغُورَ فَاصْبِرُوا أَنْتُمْ وَصَابِرُوا وَرَابِطُوْا عَلَيْهِمْ بالثغُوْرِ ، وَانْتَهِزُوا فُرَصَكُمْ فِيْهِمْ عِنْدَ الشَّهْوَةِ وَالغَضَبِ ، فَلاَ تَصْطَادُونَ بَنِيْ آدَمَ في أَعْظَمَ مِنْ هَذَيْنِ المَوْطِنَيْنِ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْهُم مَنْ يَكُوْنُ سُلْطَانُ الشَّهْوَةِ عَلَيْهِ أَغْلَبُ وَسُلْطَانُ غَضَبِهِ ضَعِيْفٌ مَقْهُورٌ ، فَخُذُوا عَلَيْهِ طَرِيْقَ الشَّهْوَةِ ، وَدَعُوا طَرِيْقَ الغَضَبِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ سُلْطَانُ الغَضَبِ عَلَيْهِ أَغْلَبُ ، فَلاَ تُخْلُوا طَرِيْقَ الشَّهْوَةِ قَلْبَهُ ، وَلاَ تُعَطِّلُوا ثَغرَهَا ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ فَإِنَّهُ بِالحَرِيّ أَنْ لاَ يَمْلِكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهْوَةِ ، فَزَوِّجُوا بَيْنَ غَضَبِهِ وَشَهْوَتِهِ وَامْزِجُوا أَحَدَهُمَا بِالآخَرِ ، وَادْعُوْهُ إِلى الشَّهْوَةِ مِنْ بَابِ الغَضَبِ ، والى الغَضَبِ مِنْ طَرِيْقِ الشَّهْوَةِ .

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيسَ لَكُمْ في بَنِيْ آدَمَ سِلاَحُ أَبْلَغَ مِنْ هَذَيْنِ السِّلاَحَيْنِ وَإِنَّمَا أَخْرَجْتُ أَبَوَيْهِمْ مِنَ الجنَّةِ بالشَّهْوَةِ وَإِنَّمَا القَيْتُ العَدَاوَةَ بَيْنَ أَوْلاَدِهِمْ بالغَضَبِ فبِهِ قُطِّعَتْ أَرْحَامُهُمْ وَسُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَبِهِ قَتَلَ أَحَدُ ابْنَيْ آدَمَ أخَاهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ الغضَبَ جَمْرَةٌ في قَلْبِ ابْنِ آدَمَ وَالشَّهْوَةُ نَارٌ تَثُوْرُ مِنْ قَلْبِهِ وَإِنَّما تُطْفَأُ النَّارُ بِالمَاءِ وَالصَّلاَةُ وَالذِّكْرُ وَالتَّكْبِيْرُ .

فَإِيَّاكُمْ أَنْ تُمَكِّنُوا ابْنَ آدَمَ عِنْدَ غَضَبِهِ وَشَهْوَتِهِ مِنْ قُرْبَانِ الوُضُوْءِ وَالصَّلاَةِ فَانَّ ذَلِكَ يُطْفِيءُ عَنْهُمْ نَارُ الغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ وَقَدْ أَمَرَهُمْ نَبِيُّهُمْ بِذَلِكَ فَقَالَ إِنَّ الغَضَبَ جَمْرَةٌ في قَلْبِ ابْنِ آدَمَ أَمَا رَأَيْتُمْ مِنْ احْمِرَارِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ فَمَنْ أَحَسَّ بِذَلِكَ فَلْيَتَوَضَّأْ وَقَالَ لَهُمْ إِنَّما تُطْفَأُ النَّارُ بالمَاءِ وَقَدْ أَوْصَاهُمْ أَنْ يَسْتَعِيْنُوا عَلَيْكُمْ بالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ .

فَحُوْلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ وَأَنْسُوْهُمْ إِيَّاهُ وَاسْتَعِيْنُوا عَلَيْهِمْ بالشَّهْوَةِ وَالغَضَبِ وَأَبْلَغُ أَسْلِحَتِكُمْ فِيْهِمْ وَأَنْكَاهَا الغَفْلَةُ وَاتِّبَاعُ الهَوَى وَأَعْظَمُ أَسْلِحَتِهِمْ فِيْكُمْ وَأَمْنَعُ حُصُوْنِهِمْ ذِكْرُ اللَّهِ وَمُخَالَفَةِ الهَوَى فَإِذَا رَأَيْتُم الرَّجُلَ مُخَالِفاً لِهَوَاهُ فاهْرَبُوْا مِن ظِلِّهِ وَلا تَدْنُوْا مِنْهُ .

وَالمَقْصُوْدُ أَنَّ الذُّنُوْبَ وَالمَعَاصِيْ سِلاَحٌ وَمَدَدٌ يُمِدُّ بِها العَبْدُ أَعْدَاءَهُ وَيُعِيْنُهُمْ بِهَا على نَفْسِهِ فَيُقَاتِلُونَهُ بِسِلاَحِهِ وَيَكُوْنُ مَعَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ وَهَذَا غَايَةُ الجَهْلِ .

مَا يَبْلُغُ الأعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ
مَا يَبْلُغُ الجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

انْتَهى كَلاَمُهُ رَحِمَهُ اللّهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيْرٍ .

وَقالَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَصِفُ الدُّنْيا :

لَـكِـنَّ ذَا الايْـمَـانِ يَـعْـلَمُ أَنَّ ها
ذَا كـالـضَّـلالِ وَكُـلُّ هَـذا فَـانِ
كَـخَيَـالِ طَيْفٍ مَـا اسْتَتَمَّ زِيَـارَةً
إلَّا وَصُـبْـحُ رَحِـيْـلِهِ بِـأَذَانِ
وَسَحَـابَـةٍ طَلَعَتْ بِيَـوْمِ صَـائِفٍ
فَـالـظِّلُّ مَنْسُـوخٌ بِـقُـرْبِ زَمَـانِ
وَكَـزَهْـرَةٍ وَافَى الـرَّبِيْـعُ بِحُسْنِهَـا
أَوْ لَامِـعَـاً فَـكِـلَاهُـمَـا أَخَـوَانِ
أَوْ كَـالـسَّـرَابِ يَلُوحُ لِـلظَّمْـآنِ فِي
وَسْطَ الهَجِيْـرِ بِمُسْتَـوَى القِيْعَـانِ
أَوْ كَـالأَمَـانِيْ طَـابَ مِنْهَا ذِكْـرُهَـا
بِـالـقَـوْلِ وَاسْتِـحْضَـارُهَـا بِـجَنَـانِ
وَهِيَ الغَـرُوْرُ رُؤُسُ أَمْـوَالِ الـمَفَـا
لِيْسِ الأُولَى اتَّـجَـرُوا بِـلَا أَثْـمَـانِ
أَوْ كَـالـطَّعَـامِ يَلَذُّ عِنْـدَ مَسَـاغِـهِ
لَـكِـنَّ عُـقْـبَـاهُ كَـمَـا تَـجِـدَانِ
هَـذَا هُوَ المَثَـلُ الذِيْ ضَـرَبَ الـرَّسُـو
لُ لَـهَـا وَذَا فِـي غَـايَـةِ الـتِّبْـيَـانِ
وَإِذَا أَرَدْتَ تَـرَى حَـقِيْـقَتَهَـا فَـخُـذْ
مِـنْـهُ مِـثَـالاً وَاحِـدَاً ذَا شَـانِ
أَدْخِـلْ بِجَـهْـدِكَ أَصْبُعَـاً فِيْ الْيَمِّ وانْـ
ـظُرْ مَـا تَعَـلَّقَـهُ إِذَا بِعَـيَـانِ

هَذَا هُوَ الدُّنْيَا كَذَا قَالَ الرَّسو
لُ مُمَثِّلاً والحَقّ ذُوْ تِبْيَانِ
وكَذَاكَ مَثَّلَهَا بِظِلِّ الدَّوْحِ في
وَقْتِ الحَرُوْرِ لِقَائِلِ الرُّكْبَانِ
هَذا ولَوْ عَدَلَتْ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
عِنْدَ الإلَهِ الحَقِّ في المِيْزَانِ
لَمْ يَسْقِ مِنْهَا كَافِراً مِنْ شَرْبَةٍ
مَاءً وكَانَ الحَقُّ بالحِرْمَانِ
تَا للّهِ مَا عَقَل امْرُؤٌ قَدْ بَاعَ مَا
يَبْقَى بِمَا هُوَ مُضْمَحِلٌّ فَانِ
هَذَا وَيُفْتِى ثُمَّ يَقْضِي حَاكِماً
بالحَجْرِ مِنْ سَفَهٍ لِذَا الإنْسَان
إِذْ بَاعَ شَيْئاً قَدْرُهُ فَوْقَ الذِيْ
يُعْتَاضُهُ مِنْ هَذِهِ الأثْمَانِ
فَمَنِ السَّفِيْهُ حَقِيْقَةً إِنْ كُنْتَ ذَا
عَقْلٍ وأَيْنَ العَقْلَ لِسَّكْرَانِ
وَاللّهِ لَوْ أَنَّ القُلُوْبَ شَهِدْنَ مِنْ مـ
ـنَا كَانَ شَأْنٌ غَيْرَ هَذَا الشَّانِ
نَفَسٌ مِنْ الأنْفَاسِ هَذَا العَيْش إِنْ
قِسْنَاهُ بالعَيْشَ الطَّوِيْل الثَّانِيْ
يَا خِسَّةَ الشُّرَكَاءِ مَعْ عَدَمِ الوَفَا
ءِ وَطُوْلَ جَفْوَتِهَا مِنْ الهِجْرَانِ
هَلْ فِيْكِ مُعْتَبَرٌ فَيَسْلُو عَاشِقٌ
بِمَصَارِعِ العُشَّاقِ كُلَّ زَمَانِ

لَكِنْ عَلى تِلْكَ العُيُونِ غِشَاوَةٌ
وَعَلى القُلُوْبِ أَكِنَّةُ النِّسْيَانِ

وَأَخُوْ البَصَائِرِ حَاضِرٌ مُتَيَقِّظٌ
مُتَفَرِّدٌ عَنْ زُمْرَةِ العُمْيَانِ

يَسْمُوا إلى ذَاكَ الرَّفِيْقِ الأرْفَعِ الْ
أَعْلَى وَخَلَّى اللِّعْبَ لِلْصِّبْيَانِ

وَالنَّاسُ كُلُّهُم فَصِبْيَانٌ وَانْ
بَلَغُوا سِوَى الافْرَادِ وَالوِحْدَانِ

وَإِذَا رَأَى مَا يَشْتَهِيْهُ يَقُولُ مَوْ
عِدُكِ الجِنَانُ وَجَدَّ في الأَثْمَانِ

وإِذَا أَبَتْ إلَّا الجِمَاحَ أَعَاضَهَا
بالعِلْمِ بَعْدَ حَقَائِقِ الإِيْمَانِ

ويَرَى مِن الخُسرانِ بَيْعَ الدَّائمِ الْـ
بَاقِي بِهِ يَا ذِلَّةَ الخُسْرَانِ

وَيَرَى مَصَارِعَ أَهْلِهَا مِنْ حَوْلِهِ
وَقُلُوْبُهُمْ كَمَراجِلِ النِّيْرَانِ

حَسَرَاتُهَا هُنَّ الوُقُوْدُ فَإِنْ خَبَتْ
زَادَتْ سَعِيْراً بِالوُقُوْدِ الثَّانِيْ

جَاؤُا فُرَادَى مِثْلَ مَا خُلِقُوْا بِلاَ
مَالٍ وَلاَ أَهْلٍ وَلاَ إِخْوَانِ

مَا مَعْهُمُوْا شَيءٌ سِوَى الأَعْمَالِ فَهْـ
يَ مَتَاجِرٌ لِلنَّارِ أَوْ لِجِنَانِ

تَسْعَى بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ شَوْقاً إلى الدَّ
دَارَيْنِ سَوْقَ الخَيْلِ بِالرُّكْبَانِ

صَبَــرُوا قَلِيْــلاً فَــاسْتَــرَاحُــوا دَائِمــاً
يَــا عِــزَّةَ الــتَّــوْفِيْــقِ لِــلانْــسَــانِ
حَمَدُوا التُّقَى عِنْدَ المَمَاتِ كَذَا السُّرَى
عِنْــدَ الصَّبَــاحِ فَحَبَّــذَا الحَمْــدانِ
وَخَــدَتْ بِهِمْ عَــزَمَــاتُهُمْ نَحْــوَ العُلَى
وَسَــرَوْا فَمَــا نَــزَلُــوا إلَى نُــعْمَــانِ
بَاعُوا الــذِيْ يَفْنَى مِنْ الخَزَفِ الخَسِيْـ
ـسِ بِــدَائِمٍ مِنْ خَــالِصِ العِقْــيَــانِ
رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْــرِ أَعْــلامُ السَّعَــا
دَةِ وَالــهُــدَى يَــا زَلَّــةَ الــحَــيْــرَانِ
فَتَسَــابَقَ الأَقْــوَامُ وَابْــتَــدَرُوْا لَــهَــا
كَــتَسَــابُقِ الــفُــرْسَــانِ يَــوْمَ رِهَــانِ
وَأَخُــوْ الهُــوَيْنَــا فِيْ الــدِّيَــارِ مُخَلَّفٌ
مَــعْ شَــكْلِهِ يَــا خَيْبَــةَ الــكَسْــلاَنِ

« مَــوْعِظَــةٌ »

وعن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال : الدُّنيا دار عَمَل ، فمن صَحِبَها بالبُغْضِ لَهَا ، والزَّهادَةِ فيها ، والهَضْم لَهَا ، سَعِدَ بها ، ونَفَعَتْهُ صُحْبَتُها .

ومَنْ صَحِبها بالرَّغبة فيها ، والمحبَّةِ لها ، شَقِيَ بها ، وأجحَفَتْ بحظِّهِ مِنَ الله تعالى ، ثم أَسْلَمَتْهُ إلى ما لا صَبْرَ له عليه من عذابِ الله وسَخَطِه .

فأمرُهـا صَغـير ، ومتاعُها قليل ، والفَناءُ عليها مكتوب ، والله وَلِيُّ

ميراثِها ، وأَهْلُها يَتحَوَّلُونَ إلى مَنازِلَ لا تَبْلَى ، ولا يُغَيِّرُها طُولُ الزَّمن ، ولا العُمُر فيها يَفْنى فَيَمُوتُون ، ولا إنِ طَالَ الثَّواءُ فيها يُخرَجُون - ولاَ حَولَ ولا قوَّة إلا بالله - ذلك الموطِن ، وأكثِروا ذِكرَ ذلك المُنقلَب .

نَظَرَ ابنُ مُطيع إلى داره فأعجَبَه حُسنُها ثم بَكَى ، ثم قال : والله لولا الموتُ لكنتُ بكِ مسروراً ، ولولا ما نصيرُ إليه مِنْ ضِيق القبور ، لقَرَّت بالدُّنيا أعيُننا ، ثُمَّ بكى حتى ارتفع صوته .

قال أبو زيد الرقي : قال أبو محمد الفضيل بن عياض رضي الله عنه يا أبا يزيد اشْتَرَيتَ داراً ؟ قلت : نعم . قال : وأَشْهَدْتَ شهوداً ؟ قلت : نعم . قال : فإنَّه والله يأتيكَ منْ لا ينظُرُ في كتابِكَ ، ولا يسأَلُ عن بيِّنَتِك ، فيُخْرِجُكَ منها عُرياناً مُجَرَّداً .

فانظرْ أنْ لا تكونَ اشتريْتَ هذه الدَّار مِنْ غير مالِك ، ووَزَنتَ فيها مالاً مِنْ غير حِلِّةٍ ، فإذا أنتَ قدْ خَسِرْتَ الدنيا والآخِرَة .

شعراً :

خُلِقْنا لِلْحيَاةِ ولِلْمَمَاتِ
وفي هَذَيْنِ كُلُ الحَادِثَاتِ
ومَنْ يُوْلَدْ يَعِشْ ويَمُتْ كأنْ لَمْ
يَمُرَّ خَيَالُهُ بالكَائِنَاتِ
ومَهْدُ المرءِ في أيدي الرَّواقي
كَنَعْشِ المرءِ بَينَ النائِحَاتِ
وما سَلِمَ الوليدُ من اشتِكاءٍ
فهل يَخلُ المُعَمَّرُ مِن أذاتِ

هِيَ الدُنيا قِتَالُ نَحنُ فيها
مَقاصدُ لِلْحِسَانِ ولِلْقَنَاتِ

آخر :

لَعَمْرُكَ مَا حَيٌّ وإنْ طَالَ سَيْرُهُ
يُعَدُّ طَلِيْقاً والمَنُونُ لَهُ أَسْرُ
ولا تَحْسَبَنَّ المَرْءَ فيهَا بخَالِدٍ
ولكِنَّهُ يَسْعَى وغايتُهُ القَبْرُ

آخر :

قِفْ بالقُبُوْر ونادِ المُسْتِقرَّ بهَا
مِنْ أعْظُمٍ بَلِيَتْ فيها وأجْسَادِ
قَومٌ تَقَطَّعَتِ الأسْبَابُ بَيْنَهُوْا
بَعْدَ الوصَالِ فَصَارُوْا تَحْتَ ألْحَادُ
واللَّهِ لَوْ بُعْثَرُوا يَوْماً ولَوْ نُشِرُوْا
قَالُوا بأَنَ التُّقَى مِنْ أعْظِمِ الزَّادِ

آخر :

نُراعُ لِذِكْرِ الموتِ سَاعَةَ ذِكْرِه
وتَعْتَرِضُ الدُّنْيَا فَنَلهُوا ونَلْعَبُ
يَقِيْنٌ كأنَّ الشَّكَ غَالِبُ أمرِهِ
عَلَيهِ وعِرْفَانُ إلَى الجَهْلِ يُنْسَبُ

آخر :

ودُنْيَاكَ الَّتي غَرَّتْكَ مِنْهَا زَخَارِفُهَا تَصِيْرُ إلى انْجِذاذِ
تَزَحْزَحْ عَنْ مَهَالِكِهَا بجُهْدٍ فَمَا أصْغَى إلَيْهَا ذُو نَفَاذِ

لَقَدْ مُزِجَتْ حَلَاوتُهَا بسُمٍّ فَمَا كالحِذْرِ مِنْهَا مِن مَلاذِ
عَجِبْتُ لمُعْجَبٍ بنَعِيْم دُنْيا ومَغْبُونٍ بأَيَّامٍ لِذَاذِ
ومُؤْثِرِ المُقَامَ بأرْضِ قَفْرٍ عَلَى بَلَدٍ خَصِيْبٍ ذِي رَذَاذِ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الايْمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلى قَوْلِكَ الثَّابِتْ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفي الآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وَتوفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَالْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ يَا أَكْرَمَ الأكْرَمِيْنَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فوائد ومواعظ ونصائح

قال أحد العلماء إعلم أنه لا يسلم إنسان من النقص إلا منَ عصمه الله كالرسل قال الله جل وعلا عن الإنسان ﴿ إنه كان ظلوما جَهُوْلا ﴾ .

وقال ﷺ « كل بَني آدمَ خطَّا وخير الخطائين التوابون » فَمَّنْ خَفِيَتْ عليه عُيُوبُهُ فَقَدْ سَقَط .

وصَارَ من السَّخَفِ والرذَالَة والخِسَّة وضَعْفِ التَّمْييز والعَقِل وقِلَّةِ الفَهْمِ بحَيْثُ لا يَتخَلَّفْ عنه مُتَخَلِّفٌ مِن الرَّذَائِل .

وعليه أن يَتدَارَكَ نفسَه بالبَحْثِ عن عُيُوبهُ والسُؤالِ عنها بدِقَةٍ وأكثرُ مَن يَفْهَمُ عُيُوبَ الإِنسان أعْدَاؤهُ لأنهم دائماً يُنَقِبُونَ عنها .

وكذلكَ الأصْدقَاءُ الناصحين الصَّادقين المنصِفين يَفْهَمُونها غالباً .

فالعَاقِل يشْتَغِلُ بالبَحْثِ عنها والسَّعْي في إزالتها ولا يَتعَرَّض لِعُيُوبِ الناسِ التي لا تضره لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا من باب النصيحة .

كما لو رآى إنسانا مُعْجَبًا بنَفْسِهِ فَيُبْدِي له النُصْحَ وجهاً لِوَجْهٍ لا خَلْفَ ظَهْرِهِ .

واحْـذرْ أن تقـارن بَيْنَـكِ وبينَ مَن هو أكثرَ منْكَ عُيوبًا فتسْتَسْهِلْ الرَّذَائِلَ وتهَاوَنُ بعُيُوبكَ .

لكن قارنْ بينَ نَفْسِـكَ ومَن هُو أفضـلُ مِنـكَ لِتسْلَم مِن عُجْبكَ بَنفْسِـكَ وتفُيْقَ مِن دَاءِ الكِـبرِ والعُجْبِ الـذي يُوَلِّـدُ عليكِ الاسْتِحْقارَ والاسْتِخْفَافَ بالناسِ معَ العِلم بأن فيهم مِن هُو خَيْرٌ مِنك .

فإذا اسْتَخْفَفْتَ بهِمْ بغَيرِ حَقٍ اسْتَخَفُّوا بك بحقَ لأن اللَّهِ جل وعلا وتقدس يقول ﴿ وجَزاءُ سَيئَةٍ سَيئَةٌ مثلها ﴾ .

فَتُسَبِبْ على نفسِكَ أن تكون أهْلاً للإِسْتِخْفافِ بكَ مَعَ ما تَجْنِيْهِ مِن الذنوب وطَمْس ما فيكَ مِن فضيلة .

فإنْ كُنْتَ مُعْجَبًا بعَقْلِكَ فَفَكِّرْ وتأمل في كُلِّ فكْرَةِ سُوْءٍ تَحِلُ بخَاطِرِكَ وفي أضَالِيلِ الأمَاني الطائفةِ بكَ فإنكَ تَعْلم نقصَ عَقْلِكَ حِيْنَئِذٍ .

وإنْ أعْجبْتَ بآرَائِكَ فَتَأَمَّلْ وفكِّرْ في غلطَاتِكَ وسَقَطَاتِكَ واحْفَظْهَا وتَذكَّرهَا وَلا تَنْسَهَا .

وفي رَأْيٍ كُنْتَ تراهُ صَوابًا فَتَبَيَّنَ لَكَ خَطَؤُكَ وصَوَابُ غَيرِكَ والغالِبُ أن خَطَأَكِ أكْثَرُ مَن الصَّوَاب .

وهكذا تَرَىَ الناسَ غيرَ الرُسُلِ والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وإنْ أعْجبْتَ بعَمَلِكَ فتفكر في مَعَاصيْكَ هل بَيْتُكِ خال من الملاهي والمنكرات مثل الصور والتلفاز والمذياع وأغانيه والمجلات والجرائد التي فيها صور ذوات الأرواح .

وهَلْ هُو خالٍ مَن الأولاد الذي لا يَشهدون الجماعة وهَلْ أنت سَالمٌ مِن الغِيْبَةِ وإخلاف الوعد والكَذب والحَسَد والكِبرِ والرياء .

والعُقُـوق وقـطيعـةِ الرحم والظُلم والرباء والدُخان وحَلْق اللِحْيَةِ

والغِش وقول الزور وسُوءِ الظن بالمسلمين والتجَسس عليهم والاحتقارِ لهم ونحو ذلك .

فأنْتَ إذا تَفقَدْتَ نَفْسَكَ وبيْتَكَ وأولادَكَ وجَدْتَ عندك مِن الشُرور والآثام ما بَعْضهُ يَغْلِبُ على ما أعجِبْتَ به من عَمَلِكَ الذي لا تدرى هل هو مقبول أو مردود .

وان أعْجبْتَ بعِلْمِكَ أوْ عَمَلِكَ فأعلم أنه موهبة مِن العزيز العليم وهبك إيَّاها فلا تُقَابِلْهَا بما يسخطه علَيك . قال تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تَعلمون شَيْئاً ﴾ .

قال الله جل وعلا ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ .

وأسأل الله أن يزيد منه ، وأن يجعله حجة لِك لا عليك ، قال تبارك وتعالى ﴿ وقل رب زدني علما ﴾ .

وتفكر فيما تحمله من العلم هل أنتَ عَامِل به أم لا واجْعَلْ مَكانَ عُجْبِكَ بنَفْسِكَ اسْتِنْقاصاً لها واستقصاراً فهو أولى بك .

وتفكر فيمن كان أعلم منك تجدهم كثيراً ، ثم اعلم أن العلم الذي تفتخر فيه ربما يكون وبالاً عليك .

فيكون الجاهل أَحْسَنَ حَالاً ومآلاً وأعذرَ مِنْكَ فبذلكَ التفكير يَزُوْلُ العُجْبُ والكبرُ عنك وتهون نفسُكَ عِنْدَكَ حِيْنَئِذٍ .

وإن أعْجبْتَ بشجَاعَتِكَ وقُوتِكَ فتفكر فِيْمَنْ هو أشْجعُ وأَقْوَى مِنكَ ثم أنْظُرْ في تلكَ النَّجْدَة التي مَنَحكَ اللَّهُ تعالى فِيْمَ صرَفْتَها .

فإن كُنْتَ صرَفْتَهـا في مَعْصِيَةِ اللَّهِ فأَنْتَ جَاهِـل آثِم لأنكَ بَذَلْتَ نفسَكَ فيما لَيْسَ ثمنًا لَهَا .

وإن كُنْتَ صرَفْتَهَا في طاعةٍ فقد أفْسَدْتَهَا بإعْجَابك بعَملِكَ .

ثم تفكر في زوالها عَنْكَ وقْتَ الكِبَر عندما تَنْحَل قُوَّتُكَ ويَضْعُفُ جِسْمُكَ وتَدْفَعُ الأرضَ عِنْدَ قِيَامِكَ وقُعُودِكَ ومَرَدُّكَ إليها .

تَساقَطُ أَسْنَانٌ ويَضْعُفُ نَاضِرُ وتَقْصُرُ خُطْوَاتٌ ويَثْقُل مَسْمَعُ

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ الله الذي خلقكم مِن ضَعْفٍ ثم جَعَل من بعد ضَعْفٍ قُوَّةً ثم جَعَل مِن قُوَّةٍ ضَعْفًا وشَيْبَة يَخْلُقُ مَا يَشاءُ وهو العليم القدير ﴾ .

وقال وصاحب التَّعَبُدِ المُطْلَقِ ليسَ لَهُ غَرضٌ في تَعَبُّدٍ بعَيْنِهِ يُؤثِرُهُ على غيره .

بل غَرضُه تَتَبُّعُ مَرْضَاةِ اللَّهِ تعالى أَيْنَمَا كانَتْ فَمَدَارُ تَعَبُّدِهِ عليها فلا يَزَالُ مُتَنَقِّلاً في مَنَازِلِ العُبُودِيَّةِ كلما رُفِعَتْ له منْزِلَةٌ عَمِلَ على سَيْرِهِ إليها واشتَغَل بها .

حتى تَلُوح له مَنزلةٌ أخرى فهذا دَأْبُهُ في السير حتى يَنْتَهِي سَيْرُهُ .
فإنْ رَأَيْتَ العُلَماءَ رَأيته مَعَهُمْ .
وإنْ رَأَيْتَ المُتَصدِّقينَ المحسنينَ رَأيْتَهُ مَعَهُمْ .
وإنْ رَأيْتَ العُبَّادَ رَأيْتَهُ مَعَهُمْ .
وإنْ رَأيْتَ المجاهِدِيْنَ رَأيته مَعَهُمْ .
وإنْ رأيْتَ الذاكرين رَأيتَهُ مَعَهُمْ .
وإنْ رَأيْتَ أَرْبَابَ الجَمْعِيَّةِ وعُكُوف القلب على اللَّه رَأيْتَهُ مَعَهُمْ .
فهذا هو العَبْدُ المُطْلَقُ الذي لم تَمْلِكْهُ الرُسُومُ ولم تُقَيِّدْهُ القُيُود .
ولم يَكُن عَمَلُه عَلى مرَادِ نَفْسه ومَا فيه لَذَّتُهَا ورَاحَتُها من العبادات .
بل هو على مُرَادِ رَبِّهِ ولو كانَتْ لَذَّةُ نَفْسِهِ ورَاحَتُهَا في سِوَاه .

فهذا هو المُتَحقِّقِ ب ﴿ إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نستعين ﴾ حَقًّا القائم بهما صِدْقًا .

مَلْبَسُهُ ما تَهَيَّا ، ومأكلهُ ما تَيسَّر ، واشْتِغَالُهُ بما أمر الله به في كل وقْتٍ بِوَقْتِهِ ومَجْلِسُه حَيْثُ انتهى به المكانُ ووَجَدَهُ خَالِيًا .

لا تَمْلِكُهُ إشَارَةٌ ولا يَتَعَبَّدُهُ قَيْدٌ ولا يَسْتَولي عليه رَسْمٌ حُرٌ مُجَرَّد دَائِرٌ مَعَ الأمر حَيْثُما دَار .

يَدِيْنُ بِدِينِ الآمِرِ أنَّى تَوجَّهَتْ رَكائِبُه ويَدُوْرُ مَعَهُ حَيْثُ اسْتَقَلَّتْ مَضَارِبُه .

يَأنَسُ به كُلُ مُحِقٍّ ويَسْتَوحِشُ منه كُلُ مُبْطِل كالغيث حَيْثُ وقَعَ نَفَع وكالنَّخْلَةِ لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وكُلُها مَنْفَعَةٌ حتى شوكها وهو مَوْضِعُ الغِلْظَةِ منه على المخالفين لِأمْرِ الله والغَضَبِ إذا انتُهِكَتْ مَحَارِمِه فهو لله وبالله ومع الله .

فَواهًا لَهُ ما أَغْرَبَهُ بينَ الناس وما أشدَّ وحْشَتَهُ منهم وما أعْظَمَ أُنْسَهُ بالله وفَرَحَهُ به وطُمَأْنِيْنَتَهُ وسُكونَه إليه والله المستعان وعليه التُكلان .

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسَلَّمْ .

« فوائد ومواعظ »

من علامات موت القلب عدم الحزن على مافاتك من الطاعات وترك الندم على ما فعلته من الذنوب والزلات .

وقد جاء في الخبر من سَرَّتْهُ حَسَنَتُه وسَاءَتْهُ سَيئَتُهُ فهو مؤمن .

فإذا لم يكن العبدُ بهذا الوصفِ فَهُوَ مَيِّتُ القلبِ .

وإنما كان ذَلِكَ مِن قبل أن أعمالَ العبدِ الحَسَنَةِ عَلامةٌ على وُجُودِ رِضَى اللَّه عنه .

وأنَّ أعماله السيئة عَلامةٌ على وجُودِ سَخَطِ اللَّهِ عليه .

فإذا وفَّقَ اللَّهُ عَبْدَهُ لِلأعمالِ الصالحة سَرَّهُ ذَلَك لأنه علامةٌ على رضاهُ عنه وغلب حينئذٍ رَجَاؤه .

وإذا خَذَلَهُ ولم يَعْصِمْه فَعَمِل بالمَعَاصِي سَاءَهُ ذلكَ وَأَحْزَنَه لأَنَّهُ عَلامَةٌ على سَخَطِهِ عليه وغَلَبَ عليه حِيْنَئِذٍ خَوْفُهُ .

والرجاء يَبْعَثُ على الجِدِ والاجتهادِ في الطاعات غالبا .

والخوف يَبْعَثُ على المُبَالَغَةِ في اجْتِنَابِ المَعَاصِيْ والسَّيئَاتِ .

وفي حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أتاه آتٍ .

فلما حاذانا ورَأَىَ جَمَاعَتَنَا أناخ رَاحِلَتَهُ ثم مَشى إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أوْضَعْتُ رَاحِلتِيَ مِن مِسَيرةِ تِسْعٍ فَسَيَّرْتُها إليكَ ستاً .

وأَسْهَرْتُ لَيْلِي وأظْمَأْتُ نهارِي وانْضَيْتُ راحِلَتِيْ لأَسْأَلَكَ عن اثنتين أَسْهَرَتَاني .

فقال له النبي ﷺ مَنْ أَنْتَ قال زَيْدُ الخيل قال بل أنْتَ زيد الخَير .

سَلْ فَرُبَّ مُعْضَلَةٍ قَدْ سَأَلْتَ عنها .

قال جِئْتُ أَسْأَلُكَ عن علامةِ الله فيمن يريد وعلامتِهِ فيمن لا يُرِيْد .

فقال النبي ﷺ بَخٍ بَخٍ كيف أَصْبَحْتَ يا زَيْدُ .

قال أَصْبَحْتُ أُحِبُّ الخَيْرَ وأهْلَهُ وأحِبُّ أن يُعْمَل به .

وإذا فاتَنِيْ حَنّيْتُ إليهِ وإذا عَمِلْتُ عَمَلاً أَيْقَنْتُ بِثوابِهِ .

قال هِيْ بعَيْنِهَا يا زَيْد .

ولَوْ أَرَادَكَ اللَّهُ لِلأخْرَى هَيَّاكَ لها ثم لا يُبَالي في أَيِّ وادٍ هَلكْتَ .

قال زيد حَسْبِيْ حَسْبِيْ ثم ارْتَحَل فَلَمْ يَلْبَثْ .
من علامات التوفيق دُخُولُ أعمالِ البر عَليكَ مِن غيرِ قَصْدٍ لَهَا .
وصَرْفُ المعاصي عنكَ مع السعي إليها .
وفَتْحُ اللَّجاءِ والافتقار إلى الله تعالى في كل الأحوال .
واتباعُ السيئةِ بالحسنة .
وعِظَمُ الذنب في قَلْبِكَ وإن كان مِن صغائر الذُنوب .
والإكثار من ذكر الله وحمده وشكره وتنزيهه والثناء عليه .
والاستغفار وشهود التقصير في الاخلاص والغفلة في الأذكار والنقصان في الصدق والفتور في المجاهدة وقلة المراعات في الفقر .
فتكون جميع أحواله عنده ناقصة على الدوام ويَزْدَاد فَقْرًا والتجاءً إلى الله في قصده وسيره .
ومن علامات الخذلان تَعَسُّرُ الطاعات عَلَيْكَ مَعَ السَّعي فيها ودُخُولُ المعاصي عليكَ مَعَ هَرَبِكَ مِنها .
وغلْقُ باب الإلتجاءِ إلى الله وتَركُ التضرع له وتَركُ الدعاء واتباعُ الحسنةِ السيئآت واحتقارُك لِذُنُوبكَ وعَدَمُ الاهتمامِ بِهَا وإهْمَالُ التوبة والاستغفار ونِسْيَانُك لِربِّكَ .
وقتلُ الوقت عند الملاهي والمنكرات ونسيانُ القرآن والاستبدال بقِرَاءتِهِ قراءةُ الكتب الضارة والجَرائِدِ والمجلات والجُلوسُ عند التلفاز والسِينما والمِذْياع ويُخْشَى على أهلِ هَذِهِ المنكراتِ من سُوْءِ الخَاتِمَةِ وَأَنْ يكونَ آخرُ كلامِهم مِن الدنيا التَّحَدُّثُ بها نسأل اللَّهَ العافية .
فَيَنْبغي لِمَن مَنَّ الله عليه وعَافَاهَ مِن هَذِهِ البَلايَا والمنكرات والشرُور أنْ

يَحمِدِ اللَّهَ دائماً ويَشكره ويُكثِرُ من ذكره ويَسألَه الثَّبَاتَ حتى الممات ، وإذَا رَأَيْتَ مَن ابْتُلِيْ بِشَيء مِنْ هَذِهِ المُحْدَثات التي عَمَّتْ وطَمَّتْ وأفْسِدَتِ الأَخلَاق فابْذُلْ لَهُ النُّصْح جُهْدَكَ فِيما بَيْنَكَ وبَيْنَهُ واحْذرْ من نُصْحِهِ عَلَناً بيْنَ النَّاس قال بَعْضُهُمْ :

تَعمَّدَنِي بنُصْحِ في انْفِـرَادِ ... وجَنِّبْـنِي النّصيحَةَ في الجَماعَةْ
فإنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ ضَرْبٌ ... مِن التوبِيْخِ لا أَرْضَى اسْتَماعَهْ
فإنْ خَالَفْتَنِي وعَصَيْتَ أمـري ... فلا تَغْضَبْ إذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَةْ

آخـر :

فَيَاوْيحَ أَهْـلِ الظُّلْمِ واللَّهو والغِنَا ... إذا أقْبَـلَتْ يَـومَ الحِسَـاب جَهَنَّـمُ
وراعَـهُمُ مِنْـهَا تَغيُّـظُ مُحْنَـقٍ ... لِخَـوْفْ عَـذَابِ في لَظَـاهَا يُحَـطِّمُ
إذَا مَـا رَآهـا المُجْـرِمُونَ وأَيْقَـنُوا ... بـأَنَّ لَهُـمْ فيـهَا شَـرابٌ ومَطْـعَمُ
ضَـريْـعٌ وزَقُّـومٌ ويَتْـلُوه مَشْـرَبٌ ... حَمِيْمٌ لأَمْعَـاءِ الشَّقِيِّنَ يَهْـذِمُ
ومِـنْ قَطِـرَانٍ كِسْـوَة قـد تَسَـرْبَلُوْا ... وسِـيْقُوْا لِمـا فِيـه العَـذابُ المُخِيْمُ

آخـــر :

قُلْ لِلْمُؤَمِّلِ إنَّ الموتَ في أَثَـرِكْ ... ولِيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ الموتُ في نَظَرِكْ
فِيْمَنْ مَضَى لَك إنْ فَكَّرْتَ مُعْتَبَرٌ ... وَمَنْ يَمُتْ كلَّ يوم فَهْو مِنْ نَذُرِكْ
دَارٌ تُسَافِرُ عَنْهَا في غَـدٍ سَفَـراً ... وَلَا تَؤُبُ إذَا سَافَرْتَ من سَفَرِكْ
تُضْحِي غداً سَمَراً لِلذَّكِرِيْنَ كَمَا ... كَانَ الذين مَضَوْا بالأمسِ من سَمَرِكْ

اللهم أمنُنْ علينا باصْلاحِ عُيوبِنَا واجعلْ التقْوى زادَنا وفي دِيْنِكَ اجتهادَنا وعليك توكّلنا واعتمادُنا واغفرْ لنا ولوالديْنا ولجميع المسلمينَ الأحياءِ منهم والميتينَ برحمتك يا أرحم الراحمينَ وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبهِ أجمعين .

(فصـــل)

ثم أعلم أيها الأخ أَنَّه مَا مِن سَاعَةٍ تَمُرُّ على العَبدِ لا يَذْكُر اللَّهَ فيها إلَّا تَأَسَّفَ وتَحَسَّر على فَواتِها بغَيرِ ذكرِ اللَّهِ ولِذَلك يَنْبَغِي للعاقل أَن يَجْعَل مَعَه شيئاً يُذَكِرُهُ لِذِكر الله كلما غَفَلَ عنه .

ويُقَـال إنَّ العبـدَ تُعْرَضُ عليه سَاعَاتُ عُمُرِهِ في اليوم والليلة فيرَاها خَزَائنَ مَصْفُوفَةً أَرْبَعَ وعِشرينَ خِزَانَةً فيرَى في كلِّ خِزَانَةٍ أَمْضَاهَا في طَاعَة اللَّه ما يَسُرُّهُ . فإذا مَرَّتْ به الساعاتُ التي غَفَلَ فيها عن ذِكر اللَّهِ رَآهَا فَارِغَةً سَاءَهُ ذلكَ وتَنَدَّمَ حِينَ لا يُفِيْدُه النَّدَمُ .

وأمـا السـاعاتُ التي كانَ يَذكُر اللَّهَ فيها فلا تسأل عن سُرُوْرِهِ فيها وفرحِه بها حتى يكاد أن يقتله الفرح والسرور . قال بعَضُهم أوقاتُ الإنسانِ أَرْبَعَةٌ لا خَامِسَ لها النعمَةُ ، والبليةُ ، والطاعة ، والمعصيةُ .

ولِلَّهِ عَلَيْكَ في كُلِ وقْتٍ منها سَهْمٌ مِن العُبُودِيَّةِ .

فَمَنْ كانَ وَقْتُه الطَاعة لِلَّهِ فَسَبيلُه شُهُوْدُ المِنَّةِ مِن اللَّهِ عليه أَنْ هَدَاهُ وَوَفَّقَهُ لِلْقِيَام بها .

ومَن كَان وَقْتُه المَعْصِية فَعَلَيهِ بالتَّوبَةِ والنَّدَم والاسْتِغْفَار .

ومن كان وَقْتُه النَّعْمَة فَسَبيلُه الشكرُ والحمدُ لِلَّهِ والثناءُ عليه .

ومن كَانَ وَقْتُـه البَلِيَّة فَسَبيْلُه الـرضـا بالقَضَاء والصّبرُ والرِضا رِضَى النَّفْسِ عن الله ، والصَّبْرُ ثباتُ القلب بَيْنَ يَدَي الرب . أهـ .

العُمُـرُ إذا مَضَى لا عِوَضَ ومـا حَصَل لَكَ منه لا قِيْمَةَ لَهُ . فعُمُر الإنسان هو مَيْدانُهُ لِلأعمالِ الصالحة المُقَرِّبَةِ مِن اللَّهِ تعالى والموجِبَةِ لَهُ جَزِيْلَ الثوّاب في الآخرة . ولَكْنِ ما يَعْرِفُ قَدْرَ العُمُرِ إلَّا نَوادُر العُلَماء .

قال الله جل وعلاَ وتقدس ﴿ أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ وقال تبـارك وتعـالى ﴿ كلوا واشربـوا هنيْئًا بما أَسْلَفْتُم في الأيامِ الخالية ﴾ وقال ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴾ الآيات .

وهذه هي السعادَةُ التي يَكْدَح العبد ويسعى من أجلها وليس له منها إلا ما سعى كما قال جل وعلا وتقدس ﴿ وأن ليس لِلْإنسان إلا ما سعى ﴾ .

فَكُلُّ جُزْءٍ يَفُوتُه مِن العُمر خاليًا من عمل صالح .

يَفُوتُه مِن السَّعَادة بقَدْره ولا عِوَض له منه .

فالوَقْتُ لا يُسْتَدْرَك ولَيْسَ شيَءٌ أَعَزَّ منه وكل جزء يحصل له مِن العمر غير خال مِن العمل الصالح يَتوَصَّل به إلى مُلْكٍ كبيْر لا يَفْني ولا قِيْمَةَ لِما يُوصِلُ إلى ذلك لأنه في غايةِ الشَّرفِ والنَّفَاسَةِ .

ولأَجْـلِ هَذا عَظُمَتْ مُرَاعَـاةُ السَّلَفِ الصَّـالِحِ رضي اللَّهُ عنهم لأَنْفَاسِهم ولحَظَاتِهم وبَادَرُوا إلى اغْتِنَام سَاعَاتِهم وَأوْقَاتِهم ولم يُضَيِّعُوا أَعْمَارَهُم في البَـطَالَـةِ والتَّقْصِيْر ولم يَقْنَعُوا لأَنْفُسِهم إلاَّ بالجِدِّ والتَّشْمِير فلِلَّهِ درهم ما أبصرهم بتصريْف أَوْقَاتِهم .

تَبْغِي الوُصُولَ بسَيْرٍ فيه تَقْصِيْرُ لَا شَكَّ أنَّكَ فِيْمَا رُمْتَ مَغْرُوْرُ
قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أَبْطالٌ فَما وَصلُوا هَذا وفي سَيْرهم جدٌّ وتشْمِيْرُ

قال بعضُهم أدْرَكْتُ أَقْـوَمًـا كانـوا على ساعـاتِهم أَشْفَقَ منكم على دَنَانِيركم ودَرَاهمكم فَكَما لا يُخْرِجُ أحَدُكُم دِنْيَارًا ولا دِرْهَمًا إلاَّ فيما يَعُوْدُ نَفْعُه عليه فكذالك السلف لا يُحِبُون أن تَخْرجَ سَاعَةٌ بَلْ وَلا دَقِيْقَةٌ مِن أعمارهم إلا فيما يَعُوْدُ نَفْعُه عليهم ضد ما عليه أهل هذا الزمان من قتل الوقت عند المنكرات .

بَقِيَّةُ العُمر عندِي ما لِه ثمنٌ وإنْ غَدَا غيرَ مَحْسُوبٍ من الزمَنِ
يَسْتدرِكُ المرءُ فيها كلَّ فائتِةٍ مِن الزمانِ ويَمْحُو السُّوءَ بالحَسَنِ

آخــر :

لا يَحْقِر الرَّجُلُ الرَّفِيْعُ دَقِيْقَةً في السَّهْو فيها لِلْوَضِيْعِ مَعَاذِرُ
فَكَبَائِرُ الرَّجُلِ الصَّغِير صَغِيْرَةٌ وصَغَائِرُ الرجُلِ الكَبير كَبَائِرُ

رَآى أَحَدُ الزهاد إنسانًا يأكل فَطُوْرَهُ وهو يَحْتَاجُ إلى مَضْغٍ فقال هذا

يَسْتَغْرِقُ وقتاً طويلا فلما أخْرَجَ فطُوْرَهُ وإذا هُوَ مَا يَسْتَغرق إلا وَقْتًا يَسِيرا .

فقال له ما حَمَلَكَ على هذا فقال إني حَسَبْتُ مَا بَيْنَ المَضْغِ والسَّفِّ سَبعِيْنَ تسْبِيْحَة .

لله دره على هذه الملاحظة ولقد بَلَغَنا أن أحَدَ عُلماءِ السلف كان يأكلُ باليُمْنَى والكراسُ باليُسْرى .

وإذَا دَخَلَ الخَلا أَمَرَ القارِيَء أن يَرْفَعَ صَوْته كُلُ هَذا مُحَافَظَةً على الوَقْتِ .

بَلِّغْ يَا أخِي قَتَّالَةَ الأوقات عند الملاهي والمنكرات مِن تِلْفَاز ومِذياعٍ وكُوْرَاتٍ وجَرائدَ ومجلاتٍ وقيلٍ وَقَالٍ ونحو ذلك .

وَيَا أخِي إنْ كُنْتَ مِمَّنْ عَصَمَهُم اللَّهُ مِن هذه الشرور والبلايا والمنكرات فَكَثِّر من حَمْدِ اللَّهِ وشُكرِهِ وذِكره وأسأله الثبات حتى المَمات .

وانصح إخوانك المسلمين واجتذبهم عن ضياع الأوقات فلَعَلَّكَ أن تكُونَ سَبَبًا لِهِدَايَتِهم .

ولا يَذْهَبَنَّ العُمْرُ منكَ سَبَهْلَلاَ ... ولا تُغْبَنَنْ بالنَّعْمتينَ بل اجْهدِ
فَمَنْ هَجَر اللذَّاتِ نَالَ المُنَى ومَنْ ... أكَبَّ على اللَّذاتِ عَضَّ عَلى اليَدِ
فَفِي قَمْعِ أهْوَاءِ النُفُوسِ اعْتِزَازُهَا ... وفي نَيْلِها ما تشتهِي ذلُ سَرْمَدِ

ثم أعلم أيها الأخ إنَّ الوَقْتَ لَيسَ من ذَهَبٍ كما يَقُول الناس فإنه أغلَى مِن الذهب والفضة مهما بَلَغا كثرةً إنه الحياة مِن ساعةِ المِيلاد إلى ساعة الوفاة فَتَنَبَّهْ لِذلِكَ وحَافِظْ عليه واقْتَدْ بالسلف الصالح الذين عَرفُوا قيمةَ الوقت .

قال بنُ مسعود رضي الله عنه ما نَدِمْتُ على شيء نَدَمِي على يَومٍ غَرَبَتْ شمَسُه نَقَصَ فيه عُمْري ولم يَزدْ فيه عَمَلي .

وقال آخرُ كُلُ يَومٍ يَمُرُّ بي لا أزادَادُ فيه عِلْمًا يُقربُني مِن اللَّهِ عَزَّ وجَل فلا بُوْرِكَ لي في طُلُوعِ شَمسِهِ .

شعـــــرا :

لا تُعْطِ عَيْنَكَ إلاَّ غفوةَ الحَـــذر   واسْهَرْ لِنَيْلِ عُلومِ الدين تَغْتَنِــمِ
ولا تكنْ في طِلابِ العِلْمِ مُعْتَمِداً   إلاَّ مُوْجِدِ الأشيَاء مِن العَـــدَمَ

وقالَ آخرُ مَن أَمْضَىَ يَومًا مِن عُمُرِهِ في غيرِ حَقٍّ قَضَاه أو فرضٍ أَدَّاهُ أَوْ مَجْدٍ أَثَّلَهُ أو حَمْدٍ حَصَّلَهُ أو خَيْرٍ أَسَّسَهُ أَو عِلْمٍ اقْتَبَسَهُ فَقَدَ عَقَّ يَوْمَهُ وظَلَم نفسَه . ولاتَسْأَلْ عن نَدَمِهِ يَوْمَ يَنْظُرِ المرءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاه .

وإذا كان هذا حِرْصُ السلف على الـوقت والمحـافظة عليه وتقديره عندهم فإن مما يُحْزِنُ المُسْلِمَ ويَجْرحه ويدمي القلب ويُمَزِقُ الكبد أسًى وأسَفًا ما نُشَـاهُده عند كثيرين مِن المؤمنين مِن إضَاعَةٍ لِلْوقتِ تَعَدَّتْ حَدَّ التَّبْذِيرِ والاسْرَاف والتَّبْدِيْد .

وبالحقيقة أنَّ السفيهَ هُو مُضِيّعُ الوقت لأَن المالَ لَهُ عَوَض أمَّا الوقْتُ فلا عِوَضَ لَهُ .

فالعاقل مَن حَفِظَ وَقْتَهُ وتَجَنَّبَ ما يُضَيِّعُه عليه كالجلوس عند الملاهي والمنكـرات ومـطالعـة في الكتب الهـدَّمات إنَّ مِن أخْسرِ الناس أعمارا مَن شغلتهم شهواتهم عن أمور دِينهم ومَصَالِح أمورهم قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ ولا تطع مَن أغْفَلْنَا قَلْبَهُ عن ذِكرِنا واتَّبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ وقال عز من قائل ﴿ أَفمن زين له سُوْءُ عمله فرآهُ حَسَنًا ﴾ .

شعرا :

ما أسْرَعَ الأيامَ في طَيِّنَـــا   تَمْضِي عَلَينَا ثم تَمضِي بِنَـــا
فِي كُلِّ يومٍ أملٌ قَـــد نَأى   مَرَامُهُ عن أجَل قَـــدْ دَنَا
أَنْذَرنَا الله ومـــا نَرْعَـــوِي   فَلَيْتَ إنْـــذَارَهُ أَثَّرْ بنَـــا
تَعَاشِياً والمـــوتُ في جِـــدِّهِ   مَا أَوْضَحَ الأَمْرَ ومَا أَبْيَنَـــا
والناسُ كَالأَجْمَالِ قَدْ قُرِبَتْ   تَنْتَظِرُ الحَيَّ لأنْ يَظْعَنَـــا
تَدْنُو إلى العُشْبِ ومِنْ خَلْفِهَا   مُقَامِرٌ يَطْرُدُهَـــا بِالقَنَـــا

أيْنَ الأولى شادُوا مَبانِيْهِمُ تَهدّمُوا قَبْلَ انْهِدَامِ البِنَا
لَا مُعْدِمٌ يَحْمِيْهِ إعْدَامُهُ ولا يَقِي نَفْسَ الغَنِيِّ الغِنَى
كَيْفَ دِفاعُ المَرْءِ أحْدَاثَهَا فَرْداً واقرانُ اللَّيَالِي ثُنَى
حَطَّ رِجالٌ وَرَكِبْنا الذُّرَى وعُقْبَةُ السَّيْرِ لِمَنْ بَعْدَنَا
والحَازِمُ الرَّأيِ الذِي يَغْتَدِي مُسْتَقْلِعاً يُنْذِرُ مُسْتَوْطِنَا
لا يَأمنُ الموتَ على غِرَّةٍ وعَزَّ لَيْثُ الغابِ أنْ يُؤْمَنَا
كَمْ غارِسٍ أمّلَ في غَرْسِهِ فأعْجَلَ المِقْدَارُ أنْ يُجْتَنَى

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيْلَ الأبْرَارِ ، واجْعَلْنَا مِنْ عِبادِكَ المُصْطَفَيْنَ الأخْيَارِ ، وَمُنُنْ عَلَيْنَا بِالعَفْوِ والعِتْقِ مِنْ النَّارِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

فَوائِدُ ومَواعِظُ وحِكَمٌ ونَصَائِحُ وآدابٌ بَيْنَ السَّابِقِ واللَّاحِقِ

ثلاثة يُثْبِتْنَ الودَّ في قَلْبِ أخِيْكَ المُسْلِم أن تَبْدَأَهُ بالسلام وتُوَسِّعَ لَهُ في المجلس وتدعوه بأحب الأسماء إليه .

صحبة الأَشْرار تُوجبُ سُوءَ الظن بالأَخْيَار .

البِرُّ شَيءٌ هَيِّنٌ وَجْهٌ طَلِقٌ ولِسَانٌ لَيِّنٌ .

الصديق الكامِل مَفْقُود لِذا قد يَجِدِ الإنسانُ في مَجْمُوعِ الأَصْدِقاءِ الكمالَ المَنْشُوْدَ قال ﷺ إن الله يحب السَّهل الطَّلق » .

لا يَغْلِبَنَّ عليكَ سُوءُ الظن فإنَّهُ لا يَتْرُكْ بَيْنَك وبَيْنَ حَبيْبٍ صُلْحًا .

سوءُ الظن بُرْهانٌ على سُوْءِ أَفْعَالِ صَاحِبِهِ .

إذا سَاءَ فِعْلُ المَرْءِ سَاءَتْ ظُنُوْنُهُ وصَدَّقَ ما يَعْتَادُهُ مِن تَوَهُّمِ

وعَادَى مُحِبيْهِ بقَوْلِ عُدَاتِهِ وأَصْبَحَ في لَيْلٍ مِن الشَّكْ مُظْلِمِ

قال أَحَدُهُم صَحِبْتُ المَرْوَزي في سَفَرٍ فقال لي لا بُدَّ في السفر من أمِير أتُحِبُّ أن تكونَ الأَمِيْر أو أنا فَقُلْتُ بل أنْتَ فأخَذَ مِخْلاةً عَبَّاهَا زَادًا وحَمَلَهَا على عَاتِقِه .

فَقُلْتُ أنا أَحْمِلهَا قال لا أنَا الأمِير وعليك الطاعة وسِرْنَا حتى المساء ولَمَّا أَرَدْنَا النوم غَطَّاني بكسائِهِ وسَهِرَ يَدْفَعُ عَني المَطَر وكانَتْ اللَّيْلَةُ ماطِرةً .

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قُلْتُ في نَفْسِي لَيْتَني لَم أقُلْ لَهُ أنْتَ الأمير لأَني كُلَّمَا طَلَبْتُ منه أَنْ أحْمِلَ رَفَضَ وقال أنا الأَمِيْر وهكذا أَمَّا هُو فَقَالَ لِيْ إذا صَحِبْتَ أَحَدًا في سفر فَكُنْ هَكَذَا .

من أمثلة الاخلاص لله عز وجل في الأعمال أن جيشا مُسْلِمًا حَاصَرَ مَدِيْنَةً ذاتَ سُوْرٍ مَنِيْعٍ يَسْتَدْعي شُهُورًا طَوِيْلَةً .

وفي احدى الليالي جَاءَ إلى القائِدِ أحَدُ الجُنود يَقُولُ لَهُ لَقَدْ نَقَبْتُ في السُور نَقْبًا يُمْكِنُنَا أَنْ ندخلَ منه لِدَاخِلِ المدينةِ ونَفْتَحُ بَابَ السُور فأَرْسِلْ مَعِي مَن يَدْخُلُ النَّقْبَ فإذا فَتَحْنَا البابَ أدْخِل الجيشَ .

فأَرْسَلَ مَعَه رجَالاً دَخلُوا مَعَ النَّقْبِ وفَتَحوا البَابَ فدخلهُ القائِدُ واسْتَوْلَوْا على المدينةِ لَيْلاً .

وفي اليوم الثاني نادَى المُنَادي صاحبَ النَّقْبِ ليُعْطَى جَائزَتَه على عَمَلِهِ وطَلَبَهُ القَائِدُ فلم يأتِهِ أحَدٌ .

وفي الثاني والثالث نَادَى المُنَادِي يَطْلُب حُضُور صاحِبِ النَّقْبِ فلم يَأته أَحَدُ .

وفي اليوم الرابع أتى الجُنْدِيُّ صَاحِبُ النَّقْبِ إلى القائِدِ فقال لَهُ أنا أَدُلُّكَ على صَاحِب النَّقْبِ .

فقال أَيْنَ هُو قال بثلاثة شروط .
الشرط الأول أنْ لا تُكَافئَهُ على عَمَلِهِ .
والشرط الثاني أَنْ لَا تَدُلَّ أَحَدًا عَليه .
والثالث أَنْ لا تَطْلُبَهُ ثانية .
فقال وافَقْنَا على ذلك فقال الجُنْدِيُّ أنا صاحِبُ النقبِ نَقَبْتُهُ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ الله .
ثم ذَهَبَ فَتَعَجَّبَ القائِدُ وكان إذا صَلَّى رُبَّمَا دَعَا اللَّهَ أن يَجْعَلَهُ مع صاحب النَّقْبِ .
شعرا :

يا رَبّ مَا لِيْ غَيْرَ لُطْفِكَ مَلْجأً ... ولَعَلّنِيْ عن بابِهِ لا أُطْرَدُ
يا رَبِّ هَبْ لِيْ تَوْبَةً أَقْضِي بِهَا ... دَيْنًا عَليَّ بِهِ جَلالُكَ يَشْهَدُ
أَنْتَ الخَبِيْرُ بحَالِ عَبْدِكَ إِنَّهُ ... بِسَلاسِلِ الوِزْرِ الثَّقِيْلِ مُقَيَّدُ
أَسَفًا على عُمْرِي الذي ضَيَّعْتُهُ ... تَحْتَ الذُنُوبِ وأَنْتَ فَوقي تَرْصُدُ
يا رَبّ قد ثَقُلَتْ عَليَّ كَبَائِرٌ ... بإِزَاءِ عَيْني لَمْ تَزَلْ تَتَرَدَّدُ
يا رَبّ إِنْ أَبْعَدتُ عَنْكَ فإِنْ لِيَ ... طَمعًا بِرَحْمَتِكَ الَّتي لا تُبْعِدُ
أَنْتَ الْمُجِيْبُ لِكُلّ دَاعٍ يَلْتَجِيْ ... أَنْتَ الْمُجِيْرُ لِكُلّ مَنْ يَسْتَنْجِدُ
مِنْ أَيِّ بَحْرٍ غَيْرَ بَحْرِكَ نَسْتَقِي ... ولأَيِّ بَابٍ غَيْرَ بابِكَ نَقْصُدُ

جمع أَحَدُ العلماء بَعْضَ عَلاماتِ حُسْنِ الخُلُق فقَالَ أَنْ يكونَ كَثِيرَ الحَيَاء ، قليلَ الأذى ، كَثِيْرَ الصلاحِ ، وقُوْرًا صَدُوْقَ اللسان ، قليلَ الكلام إلا في ذكر الله وما ولاه .
كَثير العمل للآخرة أَوْ مَا هُوَ وَسِيْلَةٌ إليها ، قَليلَ الفُضُول ، بَرًا ، وَصُوْلاً صَبُورًا ، رَضِيًا شكوراً ، حليمًا ، رفِيْقًا ، لَيْنًا ، عَفِيفًا شفيقًا .

لا لَعَان ولا سباب ، ولا نَمَّام ، ولا مُغْتَاب ، ولا جَاسُوس ، ولا عَجُول ، ولا حَقُود ، ولا حَسُود ، ولا بَخِيْل ولا غَضُوب .

هَشَّاشًا بَشاشًا ، لطيفا ، ورؤوفًا ، وعَطُوْفًا على المؤمنين يُحِبُّ في الله ويُبْغِضُ في الله .

حُكِيَ عن بَعْضِ الزُهَادِ في صفة المؤمن والمنافق وفيه تنبيه على حُسْنِ الخُلُقِ وسُوْءِ الخُلُق .

فقال المؤمن مَشْغُولٌ بالذِكْرِ والعَمل ، والمنافِقُ مَشغولٌ بالحِرْصِ والأمل .

والمؤمنُ آيسٌ من كُلِّ أَحَدٍ إلاَّ مِن اللَّهِ ، والمنافق خائفٌ مِن كُلِ أَحَدٍ إلاَّ مِن الله .

والمؤمن يُقَدِّمُ مَالَهُ دُوْنَ دِيْنِهِ والمنافق يُقَدِّمُ دِينَهُ دُوْن مَالِهِ ، والمؤمن يُحْسُن عَمَلَهُ وَيبْكِي والمنافقُ يُسِيءُ ويَضحَك .

والمؤمِنُ يُحِبُ الوحدة إذا لم تَرْجَح مَصْلَحَةُ الخُلْطَةِ عَليها والمنافق يُحِبُ الخُلطة والملاء .

والمؤمِنُ يَزْرَع ويَخْشَى الفسادَ والمنافق يَقْلَع ويَرْجُو الحَصَاد ، والمؤمنُ يأمرُ بالمعروف ويَنْهَى عن المنكر فَيُصْلح والمنافقُ يأمُرُ ويَنْهى للرئاسَةِ فَيُفْسِد .

وأَحْسَنُ ما يُمْتَحَنُ به حُسْنُ الخُلُقِ الصَّبْرِ على الأذى واحْتِمالُ الجَفَاء .

ولقد كانَ النبي ﷺ في غايَةِ الإِحْتِمال لِكُلِ أَذَى والصبر لله وقَد شَرَحَ اللَّهُ له صَدْرَهُ . وأَسَّاهُ بمَنْ قَبْلَهُ مِن الأَنبياء بقوله جل وعلا ﴿ فاصْبِرْ كما صَبر أُولُو العَزْمِ مِن الرسل ﴾ وقال جل وعلا ﴿ واصْبِرْ لِحُكم رَبِّكَ فإنك بأَعيُنِنا ﴾

شعرا : فِعَالِيْ قَبِيْحٌ وَظَنِّي حَسَنُ ... وَرَبِّي غَفُوْرٌ كَثِيْرُ المِنَنْ

تُبَارِزُ مَوْلاَكَ يَا مَنْ عَصَى ... وَتَخْشَى مِن الجَارِ لَمَّا فَطِنْ

رَكِبْتُ الْمَعَاصِيْ وَشَيْبِيّ مَعِيْ ... فَوَ اللهِ يَا نَفْسُ مَا ذَا حَسَنْ

فقُومِيْ الدَّياجِـــيْ لَهُ وارْغَبِـــى وَقُوْلِيْ لَهُ يَا عَظِيْـــمَ المِنَـــنْ
وقُوْلِيْ لَهُ يا عَظِيْمَ الرَّجَـــــا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْفُ عَنِّيْ فَمَـــنْ

اللَّهُمَّ اسْلكْ بِنَا مَسْلَكَ الصَّادِقِينَ الأَبْرَارْ ، وَالْحِقْنَا بِعَبادِكَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَار ، وَأتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارْ .

(فصـــــل)

جَاءَ ثلاثةٌ إلى الحسين بن على واشتكى الأول قِلَّةَ المَطَرِ والغَيثِ فقال له أَكْثِرْ مِن الاستغفار .

واشتكى الثاني العُقُم فقال له أَكْثِرْ الأَسْتَغفار .

واشتكى الثالث جُدْبَ الأَرْض وقِلَّةَ النباتِ فقال له أَكْثِرْ مِن الاستغفار .

فقال له أَحَدُ جُلَسَائه يا ابْنَ رسُولِ اللّهِ كُل الثلاثةِ مُخْتَلِفُ الشِكايَة وأَنْتَ وحَّدْتَ الجَواب بَيْنَهُمْ .

فقال رضي الله عنه أَمَا قَرَأْتُم قول الله جل وعلا ﴿ اسْتَغفروا ربكم إنه كان غَفَّاراً يرسـل السماء عليكم مِدْرَارًا ويُمدكم بأموال وبَنِينْ وَيَجْعَل لكم جَنَّاتٍ ويجعل لكم أنهارا ﴾ .

خَطَبَ عبدُالملك يومًا خُطْبَةً بَلِيْغَةً ثم قَطَعَهَا وبكى ثم قال يا رب إنَّ ذُنُوبي عظيمةٌ وإنَّ قليلَ عَفْوكَ أَعْظَمُ منها .

اللهم فاصفَحْ بقَلِيل عَفوكَ عَظيمَ ذُنُوبي ، فبلغَ ذلك الحسنَ البَصري فَبَكى ، وقال لو كان كلامٌ يُكْتَبُ بالذهب لَكُتُبَ هذا الكلام .

قيلَ لِخالد بن يَزيْد وكان رَجُلَ زُهْدٍ وصلاح فيما يظهر ما أقرب الأَشياء قال الأجل ، قيل فما أبعد الأشياء قال الأمل قِيلَ فما أَوْحَشُ الأَشياءِ قال الميت .

قال أَحَدَ العُلماء أزهدُ الناس في الدنيا وإن كان عليها حَريْصَا مَن لم يَرْضَ منها إلا بالكسب الحلال الطيِّبِ مَعَ حِفْظِ الأمانات .

وأَرْغَبُ الناسِ فيها وإن كان عنها مُعْرِضًا مَن لم يُبَالِ مِن أَيْنَ ما كَسَبَهُ منها حَلالًا كان أَوْ حَرَامًا .

وإنَّ أَجْوَدَ الناس بالدنيا مَن جَادَ بحُقوق اللّهِ عز وجل وحُقُوق خَلْقِهِ وإِنَّ رَآهُ الناسُ بَخِيْلًا فيما سِوَى ذلك .

وإنَّ أبْخل الناس مَن بَخِلَ بحُقُوقِ الله عز وجل وما عليه مِن حُقُوقِ الخَلْقِ وإنْ رَآهُ الناسُ كَرِيمًا جَوادًا فيما سِوَى ذلك .

وقال بَعضُهم إنَّ إمْرَ أذهبتْ سَاعَةٌ مِن عُمُرِهِ في غيرِ ما خُلِقَ لَـهُ لَحَرِيٌّ أن تَطُوْلَ عَلَيْهَا حَسْرَتُه إلى يوم القيامة .

وقال آخر إذا سألتَ رَجُلًا كريمًا حاجةً فأَمْهِلْهُ يُفَكِّر فإِنَّهُ في الغالب لا يُفكِّرُ إلا بِخَيْر .

وإذا سَألتَ لَئيمًا حَاجَة فلا تُمْهِلْهُ لأَنَّهُ إلى الرَّدَى أَقْرَب وطبعُهُ إلى المنعِ أَحْرى .

مَن كَثُرَتْ نِعَمُ اللّهِ عَنده كَثُرتْ حَوائجُ الناس إليه .

فإنْ قَامَ بشكرِ اللّهِ وَأَدَّى ما يجِبُ لِلّهِ فيها عليه عَرَّضَهَا للبقاء وإن لم يَقُمْ بذلك عَرَّضَهَا للزوال وعَرَّضَ نَفْسَهُ لِلذَّم .

قال بعضُهم مُوْصيًا إبْنَهُ يا بُنَيَّ إذا مَرَّ بكَ يومٌ وليلةٌ قد سَلِمَ فيهما دِيْنُكَ وجسْمُكَ ومالُكَ فأكْثِرْ مِن الشكر لله تعالى .

فكم مِن مَسْلُوبٍ دِيْنَهُ ومَنْزُوْعٍ مُلْكَهُ ومَهْتُوكٍ سِتْرُهُ ومَقْصُومٍ ظَهْرُهُ في ذلك اليوم وأنتَ في عَافية .

قيل لبعضهم أي الكُنُوز أَعْظَم قَدْرًا قَال العِلْم الذي خَفَّ مَحْمَلُه فَثَقُلَتْ مُفَارَقَتُه وكَثُرتْ مُرَافقَتُه وخَفِيَ مَكَانُه وأمِنَ عليه من السَّرِقَةِ .

فهو في الملاء جَمَالٌ وفي الوحْدَةِ أنِيْسٌ ويَرْأَسُ به الخسِيْسُ ولا يَقْدِرُ حَاسِدُكَ نَقْلُه عَنْكَ .

قيل فالمالُ قال لَيْس كذلك مَحْمَلُه ثِقَيْلٌ والهَمُ به طَويل إنْ كُنْتَ في مَلاءٍ شَغَلَكَ الفِكْرُ فيه وإن كُنْتَ في خَلْوَةٍ أتْعَبَتْكَ حِرَاسَتُه .

قِيْلَ لِبَعْضِهِم مَن أَضْعَفُ الناسِ قال مَن ضعف عن كتمان سِره ، قيل فمن أقواهم ، قال مَن قَوِيَ على غَضَبِهِ ، قيل فَمَنْ أصْبَرهُمْ قال مَن سَتَرَ فاقته ، قيلَ فَمَنْ أغْنَاهُم قال مَن قَنِعَ بما يَسَّرَهُ اللَّهُ لَهْ .

وقال آخرُ مِن تَوفِيق اللَّهِ لِلْقَاضِي أن يكونَ فيه خمسُ خِصَالٍ الحِلمْ والنَّزَاهَـةُ عن الطَّمَعِ ، وجَودةُ العَقْلِ ، والاقْتِدَاءُ بالعُلمـاء المُتبعِين للكتاب والسنة ، ومُشَاوَرَةُ أهلِ الرأي مِن ذَوى العُقُول الراجحة .

والله أعلم وصلى على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصـــــل)

قال بعض العلماء : إعلم أنَّ بَني آدَمَ طائفتان طائفة نَظُروا إلى شاهد خَيالِ الدنيا وتمَسَّكُوا بتأمِيل العُمُر الطويل ولم يَتَفكّرُوْا في النّفَسِ الأخِير .

وطائفةٌ عُقَلاء جَعَلُوا النَّفَسَ الأخِيرَ نَصْبَ أَعْيُنِهم لِيَنْظُرُوا ماذَا يكونُ مَصِيْرَهُم وكيفَ يَخرُجُون مِن الدنيا ويُفَارِقُوْنَهَا سَالِمٌ إيمانهم .

وما الذي يَنْزِلُ مَعَهُم مِن الدنيا في قُبُورهم وما الذي يَترُكُوْنَه لِأعْدَائِهم ويَبْقَى عَليهم وبَالُه ونَكَالُهُ .

وهـذه الفكـرةُ واجبَةٌ على كافةِ الخلق وهي على المُلُوكِ وأَهْلِ الدنيا أَوْجب لأنَّهُمْ كثيراً مَا ازْعَجُوْا قُلُوْبَ الخَلْق وأَدْخَلُوا في قُلوبهم الرُعبَ .

فانَّ لِلَّهِ مَلَكًا يُعْرَفُ بمَلَكِ المَوْتِ لا مَهْرَبَ لأحَدٍ مِن مُطَالَبَتِهِ .

وكُلُّ مُوَكَّلِي مُلُوكِ الدُنيا يأخُذُونَ جُعْلَهُمْ ذَهَبا وفِضَّةً وطَعَامًا .

ومَلَكُ الموتِ لا يأخُذُ سِوَى الرُوْح .

وسَائِر مُوكلي السلاطين تنفع عندهم الشفاعة وهذا إذا جاءِ لِقَبْض الروح لا تَنْفَعُ عندَه الشفاعة .

وكثيرٌ مِن المُوكَّلِين يُمْهِلوُن مَن يُوكَلُون به اليومَ والساعة .

وهذا الموكل لا يُهْمِل ولا نَفَسًا واحدًا قال الله جل جلاله وتقدست أسماؤه ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يَستأخِرون ساعةً ولا يَسْتَقْدمون ﴾ .

ويروي أنه كان مَلِكٌ كثيرُ المال قد جمع مالا عظيما وأحتشد مِن كل نَوع خلقه اللَّهُ تعالى مِن الدنيا لِيُرَفِّهَ نفسَه ويَتفرغَ لأكل ما جَمَعَهُ ، فجمعَ نِعَماً طائلة وبَنَى قصْرا عَاليا مُرتفعاً ساميا يَصَّلَحُ لِلْمُلوكَ والأُمَراءِ والأكابر والعظماءِ وركَّبُ عليه بابين مُحْكَمين .

وأقـامَ عليه الغِلْمانِ والحَرَاسَةَ والأَجناد والبَوابين كما أرادَ وأَمَرَ بَعَضَ الأَنام أن يَصْطَنِعَ لَهُ مِن أطيب الطعام وجَمَعَ أَهْلَه وحَشَمَهُ وأَصْحابَهُ وخَدَمَه لِيأكُلوا عِندُه ويَنالَوا رِفْدَه .

وجَلَسَ على سِرَير مَمْلَكَتِهِ واتَّكأَ على وَسَادَتِهِ وقال يَا نَفْسُ قد جَمَعْتُ أَنْعُمَ الـدنيا بأَسْرِهَـا فالآنَ افْـرغِى لِذلـك وكُـلي هذِهِ النِعم مُهَنأةً بالعُمْرِ الطَّويل ، والحظِ الجَزيل .

فلم يَفْرَغ مِمَّا حَدَّث به نَفْسَهُ حتى أَتَىَ رَجُلٌ مِن ظَاهِرِ القَصْرِ عليه ثِيابُ خَلِقةٌ ومِخْلاتُه في عُنُقِهِ مُعَلَّقَة على هيئة سائِلٍ يَسـأل الطعامَ فَجَاءَ وَطَرقَ حَلْقَةَ الباب طَرْقَة عَظيْمةً هَائِلَةً بحَيث تَزلْزَلَ القَصْرُ وتَزعْزَعَ السَّرِيْر .

وخافَ الغِلمانُ وَوَثَبُوا إلى الباب وصَاحُوا بالطَّارِق وقالوا يا ضَيْفُ ما هَذا الحرصُ وسُوءُ الأَدب إصْبرْ إلى أَنْ نأكلَ ونُعْطَيك مِمَّا يَفْضُل .

فقـال لَهُمْ قُولُوا لِصَاحِبكُم لِيَخْرُجْ إِلَيَّ فلي إليه شُغْلٌ مُهِم وأَمَرُ مُلِم فقالُوا لَهُ تَنحَّ أَيُها الضّيفُ مَن أَنْتَ حتى نأْمُرَ صَاحِبَنَا بالخُروج إليك .

فقال : أَنْتُم عَرّفُوه ما ذَكَرتُ لكُم فَلَما عَرَّفُوه قَال هلاَّ نَهَرْتُمُوهَ وَجَرَّدْتم عَليهِ وزَجَرتُمُوه .

ثم طَرَق حَلْقَـة البـاب أعظم مِن طَرْقَتِهِ الأُوَلَى فَنَهَضُوْا من أماكِنهم بالعِصِى والسِّلاح وقَصَدُوهُ لِيُحاربُوه فَصَاح بهم صَيْحَة .

وقال : الزَمُوا أَماكِنَكُمْ فأنا مَلكُ الموتِ فَطَاشت حُلُومُهم وارتعدتْ فَرَائِصُمُ وبَطَلَتْ عن الحَرَكة جَوارِحُهُم .

فقـال الملِكُ قولوا لَه لِيأخذْ بدلاً مِنّى وعَوضًا عَنّي فقالَ مَا آخُذُ إلا رُوْحَك ولا أَتَيْتُ إلا لأَجْلِكَ لِأفرقَ بَيْنَك وَبينَ النَعِمِ التي جَمَعْتَها والأَمْوَالِ التي حَوَيْتَهَا وخزنتها .

فتنفس الصُعَداءَ وقال لَعنَ اللَّهُ هَذا المال الذي غَرني وأَبْعَدني وَمَنَعَني مِن عِبادة رَبي وكُنْتُ أَظنُّ أَنَّه يَنْفَعُنِي فاليومَ صَـارَ حَسْرَتي وبَلائِي وخَرَجْتُ صِفْرَ اليدين منه وبَقِيَ لِأَعْدائِي .

فأَنْطَقَ اللَّهُ تعالى المالَ حتى قال لِأَيّ سَبَبٍ تَلْعَنيُ إلْعَنْ نَفْسَكَ فإن الله تَعالى خَلَقَني وإيَّاكَ مِن تُراب وجَعَلِني في يَدكَ لِتتزود بِي إلىَ آخِرَتِكَ وتَتَصَدَّقَ بِي على الفُقَراءِ وتُزَكِي بي على الضُعَفاء .

ولِتَعْمُرَ بي الرُبط والمَساجِدَ والجُسُورَ والقناطرَ لِأكُونَ عونا لك في اليوم الآخرِ فَجمَعْتَني وخَزَنْتَني وفي هَوَاكَ أَنْفَقْتَني ولمْ تَشْكُرْ الله في حَقِّي بَلْ كَفرتنيَ فالآنَ تركتني لِأَعْدَائِكَ وأَنْتَ بحَسْرَتِكَ وبَلائِكِ .

فأيُ ذَنْبٍ لِي فَتَسبُني وتَلْعَنُني ثم إنَّ مَلَكَ الموتِ قَبضَ رُوْحَهُ قَبلَ أَكْلِ الطَّعامِ فَسَقَطَ عنْ سَرِيْره صَرِيْعَ الحِمَام ..

وقـال يَزِيْدُ الـرَّقَاشِي كانَ في بَني إسرائيلَ جَبَار مِن الجَبابرة وكان في بَعْضِ الأيام جَالِسًا على سَرِيْرِ مَمْلَكَتِهِ فَرآى رَجُلاً قد دَخلَ مِن بَابِ الدارِ ذَا صُوْرَةٍ مُنْكَرةٍ وهَيْئَةٍ فاشْتَدَّ خَوفُه مِن هُجُوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وقُدُومِهِ فوثَبَ في وَجْههِ وقال : مَن أَنْتَ أَيُها الرَجُل ومَن أَذِنَ لكَ في الدُخول إلى دَاري .

فقالَ أَذِنَ لِي صَاحِبُ الدَّار وأنا الذِي لا يَحْجُبني حَاجِبٌ ولا أَحتاجُ في دُخُولي على الملوكِ إلى إذْنٍ ولا أَرْهَبُ سياسَة السُلْطَانِ ولا يُفزِعُني جَبارٌ ولا لِأحَدٍ مِن قَبْضَتِي فِرَارٌ فلَمَّا سَمِعَ هذا الكلامَ خَرَّ عَلى وَجْهِهِ ووَقَعَتِ الرِّعْدَةُ في جَسَدِهِ .

وقال : أَنْتَ مَلَكُ الموتِ قال : نَعَمْ قال أُقْسِمُ عليكَ باللَّهِ إلاَّ أَمْهَلْتَنِيَ يومًا وَاحِدًا لأَتُوبَ مِن ذَنْبِي وأَطْلُبَ العُذْرَ مِن رَبِي وَأَرُدَّ الأَموالَ التِي أَوْدَعْتَهَا خَزَائِنِي إلى أَرْبَابِهَا ولا أَتَحَمَّل مَشَقَّة عَذَابِها .

فقـال كَيْفِ أُمْهِلكَ وأيَّامُ عُمُـرِكَ مَحْسُوبَةٌ وأَوْقَاتُها مُثْبَتَةٌ مكْتُوبَةٌ فقال أَمْهِلنِي سَاعَـةِ ، فقـال إنَّ السَـاعِـاتِ في الحِساب وقَدْ عَبَرَتْ وأَنْتَ غَافِلٌ وانْقَصَتْ وأَنْتَ ذَاهِلٌ وقَدْ اسْتَوفَيْتَ أَنْفَاسَكَ ولم يَبْقَ لَكَ نَفَسٌ واحدٌ .

فقال مَن يَكُوْنُ عِندي إذا نَقَلْتَنِي إلى لَحْدِي فقال لا يكونُ عِندكَ سِوَى عَمَلِكَ فقال مَا لِيُ عَمَلٌ ؟ فقال لاِ جَرَمَ يكون مَقِيلُكَ في النارِ ومصِيْرُكَ إلى غَضبِ الجُبَارِ .

وقَبضَ رُوْحَهُ فَخَرَّ عن سَرِيْرِهِ وعلاَ الضَّجِيْجُ مِن أَهَلِ مَمْلَكتِهِ وارْتَفَع ولو عَلِمُوا مَا يَصِيْرُ إليه مِن سَخطِ ربه لكانَ بُكاؤُهُم عليه أَكْثَر وعَوِيْلُهُم أَوْفَر .

مَا لِنَفْسِي عن مَعادِي غَفَلَتْ ... أَتُرَاهَا نَسِيَتَ مَـا فَعَلَـتْ
أَيُّهَا المغرورُ في لَهْوِ الهَـوَى ... كلُّ نَفْسٍ سَتَرى مَـا عَمِلَتْ
أفٍّ لِلدُنْيَا فكَمْ تَخْدَعُنَـا ... كَمْ عزيزٍ في هَواهَـا خَذَلَتْ
رُبَّ رِيحٍ بأُنَاسٍ عَصَفَـتْ ... ثُمَّ ما إن لَبِثتْ أنْ سَـكَنَتْ
أينَ مَنْ أصبَحَ في غِفْلَتِـهِ ... في سُرُوْرٍ ومُرَادَاتٍ خَـلَتْ
أصبَحَتْ آمالُه قد خَسِـرَتْ ... ودِيارُ لَهْوِه قـد خَـرِبَتْ
فَغَدَتْ أمْوَالُه قَدْ فُرِّقَـتْ ... وكَأَنَّ دارَهُ مَـا سُكِنَـتْ
جُزْ على الدارِ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ ... ثُمَّ قُل يَادارُ مَاذَا فَعَلَـتْ
أَوْجهٌ كانَتْ بُدُوْراً طُلَّعَـا ... وشُمُوساً طَالَمَا قَدْ أَشْرَقَتْ
قالتِ الدارُ : تَفَانَوا فَمَضَـوا ... وكَذَا كُلُّ مُقِيمٍ إنْ ثَبَـتْ
عايِنُوا أفْعَالَهُم في تُرْبِهِـم ... فاسْأَلِ الأَجْدَاثَ عَمَّا اسْتُودِعَتْ

اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوباً أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، وَلاَ تُعَذِّبْنَا بِأَلِيم عِقَابكَ يَا أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنَّوَالِ وَجَادَ بِالإِفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ

وَاحْسَانِكَ ، وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بعفْوكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصـــــــل)

قال بعض العُلَماء لَيْسَ في العَالَمِ مُنْذُ كانَ إلى يَتَنَاهى أحَدٌ يَسْتَحْسِنُ الهَمَّ ولا يُرِيْدُ إلا طرحَهُ عن نفْسِهِ .

فلما اسْتَقَرَّ في نَفْسِي هذا العِلْمُ الرَّفِيعُ وانْكشَفَ لِيْ هذا السِرُّ العَجِيْب وأنارَ اللَّهُ تعالى لِفِكْري هذا الكنز العظيم .

بَحَثْتُ عن سَبيْلٍ مُوْصِلَةٍ على الحَقِيْقَةِ إلى طَرْد الهَمّ الذي هُو المطلوبُ النَّفِيْس الذي اتفقَ جَمْيْعُ أنواع الإنسان الجاهلِ منهم والعَالِم والصالح والطالحِ على السَّعْي لَهُ فلم أجِدْ إلّاَ التَّوجُهَ إلى الله عَزَّ وجَلَّ بالعَمَل للآخِرَةِ .

وإلّاَ فإنَّما طَلَبَ المال طُلَّابُهَ ليَطْرُدُوا به هَمَّ الفَقْرِ عن أَنْفُسِهِم .

وإنما طَلَبَ الصِّيْتَ مَن طَلَبَهُ لِيَطْرُدَ به عن نَفْسِهِ هَمَّ الاسْتِعْلاءِ عليها .

وإنما طلَبَ العِلْمَ مَن طَلَبَهُ لِيَطْرُدَ به عن نَفْسِهِ هَمَّ الجهل .

وإنما هَشَّ إلى سَمَاعِ الأَخبارِ ومُحَادَثةِ الناس من يَطْلُبَ ذلك لِيَطْرُدَ بها عن نَفْسِهِ هَمَّ التَّوَحُّدِ ومُغيَّبَ أحوالِ العَالَمِ عنه .

وإنَّما أكَلَ مَن أكل وشَرِبَ مَن شَرِبَ ونَكَحَ مَن نَكَح ولَبِسَ مَن لَبِسَ ولَعِبَ من لَعِب واكْتَنَزَ مَن اكْتَنَز ورَكِبَ مَن رَكِبَ ومَشَى مَن مَشَى وتودَّعَ مَن تَوَدَّعَ .

لِيَطْرُدُوْا عن أنفسهم أضْدَادَ هذه الأفعال وسائر الهُمُوم .

وفي كل ما ذَكَرْنَا لِمَنْ تَدَبَّرَهَ هُمُومٌ حَادِثَةٌ لابُدَّ لها من عَوارِض تعرضُ في خِلالها وتعذُّرُ ما يَتعَذَّر منها .

وقال رحمه الله وَجَدْتُ العَمَل للآخِرَةِ سَالماً مِن كُلّ عَيْب خالِصًا مِن كُل كَدَرٍ مُوْصِلاً إلى طَرْدِ الهَمّ على الحَقِيْقة .

وَوَجَدْتُ العامِل للآخِرَةِ إنْ امْتُحِنَ بِمَكْرُوْهٍ في تِلْكَ السَبِيْل لم يَهْتَم بَلْ يُسَرُّ .

إذْ رَجاؤهُ في عَاقِبَةِ مَا يَنالُ به عَونٌ على مَا يَطْلُبُ وزائِدٌ في الغرَض الذي إيَّاهُ يَقْصُد .

وَوَجَدْتُه إن عَاقَه عَمَّا هُو بسَبيْلِه عائِقٌ لم يَهْتَمَّ إذْ لَيْسَ مُوآخَذًا بَذَلِكَ فهو غَيرُ مؤثرٍ فيما يَطلُبُ ورأيتُهُ إن قُصِدَ بالأَذَى سُرَّ .

وإنْ نَكَبَتْهُ نَكْبَةٌ سُرَّ وإن تَعِبَ فيما سلك فيه سُرَّ فَهُوَ في سُرُوْرٍ مُتَّصِلٍ أَبَدًا وغيره بِخلافِ ذَلِكَ أبدا .

وقال رحمه الله تعالى : ولو تَدَبَّرَ العَالِمُ في مُرُوْرِ سَاعَاتِهِ ماذَا كَفَاهُ العِلْمُ مِن الذُل بِتَسلِيْطِ الجُهَال .

ومِن الهَمّ بمَغِيْبِ الحَقَائِقِ عنه ومِن الغِبْطَة بما قَدْ بانَ لَه وجْهُهُ مِن الأُمور الخَفَّيةِ عن غَيرِه .

لزادَ حمدًا وشكراً وذِكرًا لله عَزَّ وجَل وغِبْطَةً بما لَدَيْهِ مِن العِلْم وَرَغْبَةً في المَزِيْدِ مِنْهُ .

أجَلَّ العُلُومِ ما قَرَّبَكَ إلى خالِقِكَ جَلَّ وعَلا وما أعانكَ على الوُصُوْلَ إلى رِضاه .

العُلُومُ الغَامِضَةُ كالدَّوَاءِ القَوي يُصْلِحُ الأَجْسَادَ القَوِيَّةَ ويُهْلِكُ الأَجْسَادَ الضَّعِيْفَةَ .

وكذلك العُلُوم الغامِضَة تَزِيْدُ العَقْلَ القَويَّ جَوْدَةً وتُصَفِّيهِ مِن كل آفةٍ وتُهْلِكُ ذَا العَقْلِ الضَّعِيْف .

العاقلُ في الدُنْيَا مُتعَبٌ ومِن جهةٍ أُخرىَ مُسْتَريح .

وَوَجْهُ ذلك أنه مُتْعَبٌ ومُتكدِرٌ فيما يَرى مِن انتشار الباطِلِ وغَلَبَةِ دَوْلَتِهِ وبما يُحَالُ بَيْنَهُ من إظهار الحق .

وأَمَّا وَجْهُ رَاحَتِهِ فِمن كُلّ ما يَهْتم به سَائِرُ الناس مِن فُضُول الدنيا .

إذا حَقَّقْتَ أَمْر الدنيا لم تَجِدْهَا إلَّا الآن الذي هَوُ فَصْلٌ بَيْنَ زَمَانَيْنَ فقط .

وأمَّا ما مَضى وما لم يأتِ فَمَعْدُوْمَانِ كما لم يكن .

فمن أضل مِمَّنْ يَبْيتُ باقِيًا خَالِدًا بمُدَّةٍ هيَ أَقَلُ مِن كر الطَّرْف .

مَن شغَل نَفْسَهُ بأدنى العُلُوم وترك أعلاها وهو قادر عليه كان كغارس الأثل والسدر في الأرض التي يَجُوْدُ ويزكُوْا فيها النخيل والتِينُ والمَوْزُ والعِنَب .

نَشْرُ العِلْمِ عنـدَ مَن لَيس من أَهْلِهِ مُفْسِـدٌ لَهُمْ كإِطْعَـامِكَ العَسَل والسُكرَ وَالتَّمْرَ مَن بِهِ مَرَضُ السُّكَّر ومَن به احْتَراق وحُمىَّ .

وكَتَشْمِيْمِكَ المِسْك والعَنبر لِمَنْ بهِ صُدَاع الصفراء ، أو به شَقِيْقَةٌ وهو وجَعُ نِصْفِ الرأس .

مَن أرادَ الآخِـرَةَ وحِكْمَةَ الدُنيا وعَدْلَ السِيْرةِ والاحْتَواءَ على مَحَاسِنِ الأعـمالِ والأَخْـلاق والآداب كُلها واستحقاق الفَضَائِلِ بأَسْرِهَا فليَقْتَدِي بمُحَمَّد ﷺ ولْيَسْتَعْمِلْ أَخْلاقَهُ وسِيَرهُ .

والله أعلـم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصـــــل)

وقال رحمه الله مَنْفَعَةَ العلم في اسْتِعْمالِ الفَضَائِل عَظيمةِ وهو أنْ يَعْلَم حُسْنَ الفضائِلِ فياتيهَا ويَعْلَم قُبْحَ الرَّذَائِل فَيَجْتَنِبُهَا ويَسْتَمِعُ الثناء الحَسَنَ فَيَرْغَبُ في مِثِله والثناءَ الرَّدِي فَيَنْفُرُ منه .

شعر : لاَ تَيْأَسَنَّ أَخَا الإِخْلاص فِي العَمَلِ   عَلىَ خُمُولِكَ أَنْ تَرْقَـى عـلىَ الفَلَـكِ

بَيْنَا تَرىَ الذَّهَبَ الإِبْـرِيْزِ مُطَّرحًـا   فِي الأَرض إذْ صَارَ إِكْلِيـلاً على ألْمَـلِكِ

آخر : لا تَحْسَبَنْ حَسَبَ الآباءِ مكرمَـــةً لِمَنْ يُقصِّرُ عَنْ أعْلا المَقامَـــاتِ
حُسْنُ الرِّجَال بتَقْـــواهم وَطَاعَتِهِـــمْ لِلّهِ لا بجَمَالِ الوَجْـــهِ وَالـــلذّاتِ

آخر : لا تَحْقِرِ المَرْءَ إنْ رَأيْـــتَ بِـــهِ دَمَامَةً أوْ رَثَاثَـــةَ الحُـــلَلِ
فالنَّحْـــلُ لا شَـــيْءَ مِـــنْ ضُؤُولَتِـــهِ يَشْتَارُ مِنْـــهُ الفَتَـــى جَنَى العَسَـــلِ

آخر : دَعِ التَّكَاسُلَ في الخَيْراتِ تَطْلُبُهَا فَلَيْسَ يَسْعَدُ في الخَيْرَاتِ كَسْلانِ

آخر : العِلْمُ زَيْنٌ وتَقْوَى الله حِلْيَتُـــهُ فَمَنْ خَلا مِنْهُمَا فاعْدُدْهُ في البَقَرِ

آخـــر : ومَا أدْرَاكَ المَطْلُوبَ في كُلِّ وجْهَةٍ مِن الناسِ إلاَّ مَنْ أجَدَّ وَشَمَّرا

فَعَـلى هَذِهِ المُقَـدِّمَـاتِ وَجَبَ أن يكون لِلْعِلم حِصَّة في كل فَضِيْلَةٍ ولِلْجَهْل حِصَّةٌ في كل رَذِيْلَةٍ .

وقـال وقـد رَأَيْتُ مِن غِمارِ العَـامَّـةِ مَن يَجْري مِن الاعتـدالِ وحَمِيْدِ الأَخلاقِ إلى مالا يَتَقَدَّمُهُ فيه حَكَيمٌ عالِمٌ رَائِضٌ لِنَفْسِهِ ولَكِنَّهُ قليلٌ جدًا .

ورَأَيْتُ مِمَّنْ طَالَعَ العُلومَ وعَرَفَ عُهُودَ الأَنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ ووَصَايَا الحُكَماءِ وهو لا يَتقَدَّمُهُ في خُبْثِ السيرة .

وفَسـادِ العَـلانيةِ والسِّـيْرةِ شِرَارُ الخَلْقِ وهذا كثيرٌ جدًّا فعَلِمتُ أنهما مَوَاهِبُ وحِرْمَان مِن الله تعالى .

وقال مَنْ جَالَسَ الناسَ لم يَعْدِمْ إثْماً وهما يُؤْلِم نَفْسَهُ وغَيْظاً يُنْضِج كَبْدَهُ وذُلّاً يُنَكِّسُ هِمَّتَهُ .

فما الظن بعد بمن خالطهم ودَاخَلَهُمْ وانْدَمَجَ مَعَهُم .

وإنما يَنْدَمُ ويَحْزَنُ ويَتَحَسَّرُ على ذلك في مَعَادِهِ .

فالعزُ والسرُورُ والأَنْسُ والراحةُ والسلامةُ في الانفراد عنهم .

ولكن اجْعَلْهُم كالنار تَدَفَّأ بها ولا تُخَالِطْهَا .

وقال آخَرُ مِن مَضَار مُجَالسة الناس ومُخَالَطَتِهم الانْهِمَاكُ في الغِيْبَةِ .

ثانياً ضَيَاعُ الوَقْت في الآثام .

ثالثاً فواتُ الأعمالِ النافعةِ في الآخرةِ أو الأعمال الدنيوية التي يَعُودُ

نَفْعُهَا في الآخرة ولا سَبِيْلِ إلى السَّلامَةِ مِن ذلك إلا بالانفراد عن مجالَسَتِهِم جُمْلَةً .

مَن جَنَّبَ الناسَ يَسْلَمْ مِن غَوَائِلِهِم وعَاشَ وَهو قَرِيْر العَيْنِ جَذْلَان

وقال لا تحقرنَّ شَيْئًا مِن عَمَل غدٍ بأنْ تُخَفِّفَهُ وتَعجله اليوم وإن قَلَّ فانَّ مِن قَلِيل الأعْمَال يجْتَمِعُ كِثيرُهَا .

لا تحْقِرَنَّ مِن الأُمور صِغَارَهَا فالْقَطْرُ منه تَدَفَّقُ الخِلْجَانِ

وربما أن الأعمال إذا لم تُخَفَّفْ يُعجزُ أَمْرُهَا فَيَبْطُلُ الكُلُ .

ولا تَحْقِرْ شَيْئًا مِمَّا تُثَقِّلُ به مِيْزانكَ يومَ البعث أنْ تُعَجِّلُه الآن وإنْ قَلَّ .

فإنَّه يَحُطُّ عنكَ كَثِيرًا لو اجْتَمَعَ لَقَذَفَ بك في النار .

اجْتَهِدْ في أنْ تَسْتَعِينَ في أُمُورِكَ بِمَنْ يُرِيْدُ منها لِنَفْسِهِ مِثل مَا تُرِيْدُ منها لِنفْسِكَ .

أَبْلَغَ في ذَمِّكَ من مَدَحَكَ بما لبس فيك لأنه نَبَّهَ على نَقْصِكَ .

وأبْلغَ في مَدْحِكَ مَن ذَمَّكَ بما لَيْسَ فيك لأنه نَبَّه على فَضْلِكَ ولَقَدِ انْتَصرَ لَكَ مِن نَفْسِكَ بذَلِكَ وباسْتِهْدافِهِ إلى الإنكار واللاَّئِمَةِ .

ولو علم الناقِصُ نَقْصَهُ لَكَانَ كَامِلاً إذا عَدَّلَهُ .

مِن عَيْبِ حُبِّ الذكْرِ أَنَّهُ رُبَّما يُحْبِطُ الأعمال إذَا أَحَبَّ أن يُذْكَر بها لأنه يَعْمَلُ لِغَيرِ الله عز وجل .

وهو يَطْمِسُ الفَضَائِلِ لأنَّ صَاحِبَهُ لا يكاد يَفْعَلُ الخَيْرَ حُبًا لِلْخَيْرِ لكن لِيُذْكَرَ به .

مِن أَفْضَلِ نِعم الله على العبدِ أنْ يُحَبِّبَ إليه العَدْلَ ويُوَفِّقَهُ لِلْعَمَلِ بِهِ ويُحَبِّبَ إليه الحَقَ وإِيْثارَهُ وَالعمل بِهِ .

ومِن قِلَّةِ تَوْفِيْقِ العَبْدِ وخُذْلانه أنْ يُطْبَعَ على الجَوْر واسْتِسْهَا لِهِ وعلى الظلم واسْتِخْفَافِهِ .

ومَن كان كذلك فلْيَيْئَسْ مِن أَنْ يُصْلِحَ نَفْسَهُ أَوْ يُقَوِّمَ طِبَاعَهُ أَبَدَ إِلَّا أن يشأ الله .

إذا حَضرتْ مَجْلِسَ عِلْمٍ فلا يكون حُضُورُكَ إلا حُضُورَ مُسْتَزِيْدٍ عِلْمًا وأَجرًا لا طَالبًا لِعَثْرَةٍ أَوْ زَلَّةٍ تُشَنِّعُهَا أَوْ غَريْبَةٍ تُشِيْعُهَا .

فإنَّ تَتَبُّعَ العَثراتِ والزَّلاتِ أَفْعَالُ الأَرَاذِلِ والسُفَلِ الذين لا يُفْلِحُونَ في العلم فإذا حَضرتَهَا على طلب الاسْتِرْشَادِ فقد حَصَّلْتَ خَيْراً .

وإنْ لم تَحْضُـرها على نَيَّـةٍ صَـالِحَةٍ فَجُـلُوسُك في مَنْزلك أَحْسَـنُ وَأَرْوَحُ لِبَدَنِكَ واكرم لِخُلُقِكَ وأَسْلم لِدِيْنِكَ .

فإذا حضرتها فالْتَزِمْ أَحَد ثلاثةِ أَوجُه أحدها إمَّا أن تسكت فَتَحْصُلُ على أجْـرِ النية بالمشاهدة وعلى الثناء عَليكَ بقلةِ فُضُولِ الكلامَ وعلى كرم المجالسة ومَودةِ مَن تُجالِس .

وإذا سألت فاسْأل سُؤآل المُتَعَلِّم عما لا تَدْرِي فإنَّ السُؤآل عَمَّا تَدْرِي سَخَفٌ وقِلَّةُ عَقَلٍ ولا تخلو من العُجْب .

وفيهِ شُغْلٌ عَمَّا هُوَ أوْلَى وفيه قَطْعٌ لِزمَانِكَ بما لا فائدة فيه لاَ لَكَ ولا لِغيْرِكَ ورُبَّمَا تَرتَّبَ عليه مَفْسَدةٌ أوْ مَفَاسِد .

وإذا أرَدْتَ أن تُراجِعَ فَراجِع مُرَاجَعَةَ العَالِمِ .

وصِفَةُ ذلك أن تُعَارِضَ جَوَابَه بما ينقضُهُ نَقْضًا بَيِّنًا فإن لم يكن عندك إلا تكرار قولك أو لِمُعَارَضَةِ بما لا يَرَاهُ خصْمُكَ معارضة فأمْسِكْ .

لأَنَّـكَ لا تَحْصُـلُ بتكرار ذلك على أَجْرٍ زَائِدٍ ولا على تعليم بل ربما حَصَلْتَ على ما يَسُؤكَ مِن الغَيْظِ والعَدَاوَةِ .

واحْذَرْ سُؤآل التَّعَنُت ومُرَاجَعَةُ المكابر الذي يَطْلُبُ الغَلبَةَ بغير علم فهـما خلقا سوء دليلان على قلة الدين وضعف العقل وقوة السخف وكثرة الفضول . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصـــــل)

صَلاحُ القلب بِتقوى الله وطاعتِه والتوكلِ عليه وتوحِيده واخلاص العمل لوجْهِهِ الكريم .

وفسادُ القلبِ بعدم التقوى والتوكل والطاعة والتوحيد والاخلاص .

ومما يورث فسادَ القلبِ وانْتِكَاسُهُ وفَسَادُ الأَخْلاق مجالسةُ أمواتِ القُلُوب وأهلِ الآراء الفاسِدَةِ وأهل البدع كالأشاعَرة والمُعْتَزلة والرافضة والفَسَقَةِ كأهلِ الملاهِي والمنكرات .

عليك بمُجَالَسَةِ أَهْلِ الدين والصلاح فإنهم هم الناس لأن أعقل خلق الله من امْتَثَلَ أَمْرَهُ واجْتَنَبَ نهيه .

وأَجْهَلَ خَلْقِ الله مَن عَصَى اللَّهَ .

العلماء العاملون المخلصون هم السالكون طَرِيْقَةَ الرسل عليهم الصلاة والسلام .

الذين لا يَطْلُبونَ مِن الناسِ أجْرًا على أَعْمَالِهم بل يُرِيْدُوْن وجْهَهُ عز وجل قال الله جل وعلا لنبيه ﷺ ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعَشِي يُريدون وجهه ﴾ وقال جل وعلا ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جَزاءً ولا شكوراً ﴾ .

قُلُوبٌ صَافِيَةٌ طَاهِرةٌ مُعْرِضةُ عن الخَلْقِ مُقْبِلَةٌ على الخالقِ ذاكرة لَهُ نَاسِيَة للدنيا ذاكرة للآخرة .

الجلوس مع الذين يطيعون الله نعمةٌ مِن اللَّهِ على عَبدِهِ والجلوسُ مَعَ المنافقين والمكذبين نِقْمَةٌ على العبد نَعُوذُ باللَّهِ مِن مُجَالسةِ أهل الضلال والبدع والأخلاق المنحرفة وأهل الملاهي والمنكرات .

فالواجبُ هِجْرَانُهم والابْتِعَادُ عنهم والتَّحذِيْرُ عنهم .

واهْجُرْ أيضا أَقْرَانَ السُوءِ واقطع المَوَدَّةَ والصِّلَة بَيْنَك وبينهم وواصْلها بينك وبين الصالحين .

قال بعضهم لا تَغْتَرَّ بمَوضِعِ صالحٍ فلا مَكانَ أَصْلَحَ مِن الجنةِ فلقِي فيها آدمُ مَا لَقِي ولا تَغْتَرَّ بكثرةِ العِبادَةِ فإن إبليسَ لَعَنَه اللَّهُ بَعْدَ طُولِ تَعَبُّدِهِ لقَيَ ما لَقِي .

ولا تَغْتَرَّ بكثرة العِلمِ فإنَّ بُلْعَامَ كانَ يُحْسِنُ الاسم الأَعْظَم فانظر ماذَا لَقِي .

ولا تَغْتَرَّ برُؤيَةِ الصَّالحين فلا شَخْصَ أكْبَر مِن المصطفى ﷺ ولم يَنتفِعْ بلقائه أعْدَاؤُهُ وبعضُ أقاربه .

وقال إذا سَمِعْتَ بحال الكفار وخُلُودَهم في النارِ فلا تأمنَ على نَفْسِكَ فإن الأمر على الخطر ولا تدري ماذا يكون مِن العاقبة وماذا سَبَقَ لك في حكم الغيب .

ولا تَغترَرْ بصَفَاءِ الأَوْقَاتِ فإنَّ تحتَها غَوَامِضُ الآفات .

آخــر :

ألا بلغــن عَنِّيْ لِحَيٍ رِسَالَةً ... تَعِيهَا رجالٌ أوْ نِسَــاء صَوالحُ
لِعَـالمهم أوْ طالبِ العِلمِ رَائمٍ ... لِاظهــارِ دِين اللهِ فيه يُنَاصِــحُ
أقولُ لَهُ : قُمْ وادعُ لِلدِين دَعْوَةً ... تُجِبْهَا عَوامٌ أوْ خَواصٌ جَحَاجِحُ
ولا تَخش تكذيباً وإنكار جَاحِدٍ ... وهُزْءِ جَهُولٍ ضَلَّ والحَــقُ صَابحُ
وغِيبةً هَمَّـازٍ وضَغْنَ مُشَــاحِن ... يُسَاعِدُهُ مَن لِلْعَوائِدِ رَاكِــحُ
ولَيْسَ لِمَـا تَبْنِى يَـدُ اللهِ هَادِمٌ ... ولَيس لأَمْرَ اللهِ إنْ جاءَ ضَارِحُ
وبَيِّنْ لَهُمْ أنَّ العَــوَائِدَ بَهْرَجَتْ ... وسُنَّتُنَـا لاحَتْ عَلَيْهَــا لَوائِحُ
ولَهْوُ الشباب اليومَ قَدْ بَارَ سُوْقُهُ ... وقَامَتْ عَلَى سُوْقِ الصَّلاحِ المَدائِحُ
وأهلُ الدُنا اليومَ انْزَوَى ظِلُّ جَاهِهِ ... وسُنُّتنَا قَدْ ظَللَتْهَا الدَّوائِحُ
ومُنْكِرُ هذا الدين قَدْ خَفَّ وَزْنُهُ ... ومَظْهَرُهُ مِيْزَانُهُ اليَــوْمَ رَاجِحُ
وناصُــرُهُ قَدْ صَـارَ في النَّاسِ عَالياً ... ومُنْكِرُهُ لِلْخَـاصِ والعَامِ دَانِحُ
وإنَّ إلهَ العَــرْشِ قَدْ مَنَّ مِنَّةً ... عَلَينَـا ومَنْ يَشْكُرْ فَذَلِكَ رَابحُ

وَمَن كَفَرَ الأنعامَ واتَّبَعَ الهَوَى ففِيْ بِدئهِ بَلْهَ القِيَامَة طَائِحُ
وذاكَ بأَنْ قَدْ بين الدين في امرىءٍ لَنَا نَسُباً نَعْلُو بِهِ ونُطَامِحُ
فإنْ نَحْنُ آوَيْنَاهُ نَنْصُرُ قَوْلَهُ نَفُزْ ونَحُزْ نَعْمَاهُ والكُل فَالِحُ
وأَنْ قَدْ أضَعْنَاهُ أفادَ بِغَيْرِنا مَصائبُ قومٍ عند قَومٍ مَصَالِحُ
ولَوْ نَفَعَتْ قُرْبَى فَقَطْ فِيْهِ مَارَدَى أَبُو طَالبٍ عَمُ النبي ، وتارِحُ
وماضَرَّ شَمْساً أَنْ نَفَى العَين ضَوءَها وماضَرَّ حَوْضاً أَنْ أبتْهُ القَوامِحُ
أطايبُ أرْضٍ تُخْرِجُ النَّبْتَ رَيْعاً بإذْنِ الإلهِ إنْ أَفَاضَتْ دَوَائِحُ
ولَوْ هَمَعَتْ دِيْماً لَمَا أنْبَتَتْ وَلَوْ بَسَايِسَ نَبْتٍ في الأَرَاضِي المَوَالِحُ
فلا يَمْنَعُ الإرشادَ عُدْمُ قَبُولِهم فَمَدْخَلُهُم مَوْلَاهُم أنْتَ فَاتِحُ
فإنكَ إنْ بَلَّغْتَهمُ ضَاعَ عُذْرُهُمْ فَسَاقِيْهِمُ المَوَلَى فإنكَ جَادِحُ
مُطِيعُ لِمَا قَدْ قالَهُ سَيِّدُ الوَرَى بِهِ بَلِّغُوْا عَنِّيْ أَتَتْهُ صَحَائِحُ
وأَمْرُ بِمَعْرُوْفٍ ونَهْيٌ لِمُنْكَرٍ عَلَى شَرْطِهِ للنَّاسِ بالحَقِ قَارِحُ
وفَهِمهُمُوا مَا يَلْزَمُ المَرْءَ عَقْدُهُ مِن الدِّينِ مِمَّا سَهَّلَتْهُ القَرَائِحُ
وغَسْلاً وضُوءاً أَوْ صَلاةً زَكَاتُهُم وصَوْماً وبَيْعاًثُمَّ كَيْفَ يُنَاكِحُ
وَوَاجِبُهَا مَسْنُوْنُهَا مُسْتَحَبّهَا ومَنْهِيُّها فالكُلُ في الكُتْبِ وَاضِحُ
وكَيْفَ تُرَاعَى نِيَّةٌ في جَمِيْعِهَا لِيَرْعَاه ذُوْفَهْمٍ يُطِيْعُكَ لَائِحُ
وكَيْفَ التَّخَلِي عن صِفَاتٍ ذَمِيْمَةٍ وكَيْفَ التَّحَلِي بالحَمِيْدَةِ نَاصِحُ
بنَفْسِكَ فابْدأ حَائِداً عن هَوَى الهَوَى لَدَى سَوْمِهَا تَرْعَى وإنكَ كَابِحُ
أَضَرَّ عَدُوٍ مَن بِدَارِكَ سَاكِنٌ مُطِيْعٌ لِشَيْطَانِ ولِلدِّينِ قَابِحُ
سَلَامةُ عَيْبِ النفْسِ عَزَّتْ لِمَالَها يَكُونُ خِلَالُ المُنْكَرَاتِ المَسَارِحُ
فَلَا تَسْتَطِيعُ التَّرْكَ عن شَهَواتِها ولَمْ تَحْتَمِلْ ذُلاً كَذَاكَ السَّبَادِحُ

لِجَاؤُكَ بالمولَى وتَقْلِيْلَ مَطْعَمٍ دَوَاءٌ لأَدْوَاءِ النُفُوسِ مَطَحْطِحُ
وبالأَصْغَرَيْنِ احْفَظْ وبالأَجْوَفَيْنِ والْ جَوَاسِيْسِ صُنْ دَوْماً تُطِعْكَ الجَوَارِحُ
تِبَاعٌ لِقُرْآنِ النَّبِي وصَحْبِهِ وتَابِعِهِم تِرْيَاقُ مَنْ هُوَ صَالِحُ
عَلَيْهِ صَلاةُ اللهِ ثُمَّ عَلَيْهِمُ كَذاكَ سَلامٌ بالرَّياحِيْنِ فَائِحُ

اللّهُمَّ يَا مَنْ لاَ تَضُرُّهُ الْمعصِيَةُ ولاَ تَنْفَعُه الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الغَفْلَةِ وَنَبِّهنَا لاغْتِنَام أَوْقَاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمصَالِحِنَا واعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنا وذُنُوبِنا ولا تؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عليْهِ ضَمائِرُونا واكَنَّتْهُ سَرَائِرُونا مِنْ أَنْواعِ القَبَائِحِ والمَعَائِبِ التي تَعْلَمُها مِنّا واغْفِرْ لَنَا ولِوالِدَيْنَا ولِجميعِ المُسْلِمينَ الاحْياءِ مِنهُمْ والميتينَ بِرَحْمَتِكَ يا أرحَمَ الرَّاحِمين وَصَلى اللهُ على مُحَمَّدٍ وعَلى آلهِ وَصَحْبِه أجْمعين .

(فصـــــل)

كتب أبو حامد الغَزَالي إلى أبي الفتح بن سلامة فقال : قَرَعَ سَمْعِي بأنك تلتمِسُ مِنّي كلاماً وجِيْزًا في مَعْرِضِ النُصْحِ والوَعْظِ وإني لَسْتُ أَرَى نَفْسِي أَهْلاً له .

فإنَّ الوَعْظَ زَكاةُ نِصَابِهِ الاتِعَاضُ فَمَنْ لانِصَابَ لَهُ كَيْفَ يُخْرِجُ الزكاةَ وفَاقِدُ النُور كَيْفَ يَسْتَنِيْرُ به غَيْرُه ومَتَى يَسْتَقِيْمُ الظِلُ والعُود أعْوَجُ .

وقد أَوْصَى اللَّهُ جَلَّ وعَلاَ عِيْسَى بنَ مَرْيَم عَلَيْهِما السلام يا ابنَ مَرْيَم عِظْ نَفْسَكَ فإن اتَّعَظَتْ فعِظِ الناسَ وإلاَّ فاسْتَحْيي مني .

وقال نبيُنَا ﷺ تركتُ فيكم ناطقًا وصَامتًا فالناطِقُ هو القرآن والصامتُ هو الموت وفيهما كفاية لكل مُتَّعِظَ فمَنْ لم يَتَّعِظْ بهما كَيْفَ يَعِظُ غيْرَه .

ولقد وعَظْتُ نَفْسِي بهما وقَبلَتْ وصَدَّقَتْ قولاً وعِلْمًا وأبَتْ وتمرَّدَتْ تَحْقِيْقًا وفِعْلاَ .

فقلت لِنَفْسِي أما أَنْتَ مُصَدِّقَة بأن القرآن هو الواعظ وأنه كلام الله المنزل الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه وَلاَ مِن خلفه ﴾ فقالَت بَلَى فَقُلْتَ لها قد قال الله تعالى ﴿ مَن كان يريد الحياة وزينتها نُوَفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبْخَسون أولَئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحَبِطَ ما صَنَعُوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ .

فقد وعَدَ اللّهُ جَلَّ وعَلاَ بالنار على إرادة الدنيا وكل ما لا يصحب بعد الموت فهو من الدنيا فهل تَنَزَهْتِ عن حُبّ الدنيا وإرادتها .

ولَوْ أَنَّ طَبيْبًا نَصْرانِيًا وعدك بالموت أو بالمرض على تناوُل الَذِ الشهوات لَتَحامَيْتِيْهَا وأَنِفْتِ مِنْهَا وجَنَّبْتِهَا أَفكانَ النصراني عندَكِ أَصدَقَ مِن الله جل وعلا .

فإن كان كذلك فما أَكْفَرَكِ أم كان المرض أشد عَلَيْكِ مِن النار فإن كان كذلك فما أَجْهَلكِ فَصَدَّقَتْ ثم ما انْتَهَتْ بل أصرت على الميل إلى العاجلة واسْتَمَرَّتْ .

ثُمَّ أَقْبَلْتُ عليهـا فَوَعَظْتُها بالواعظ فَقُلْتُ لها قد قال الله جل وعلا ﴿ قل إن الموت الذين تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ .

وقلت لها هَبي أنَّكِ مِلْتِ إلى العاجلة أَفَلَسْتِ مُصَدّقةً بأن الموتَ لا مَحَالةَ يأتيْك قاطِعًا عَلَيْكِ ما أَنْتَ مُتمسّكةٌ به وسَالِبًا مِنْكِ كُلَّ ما أَنْتِ راغبة فيه .

وأن كُلَّ ما هو آتٍ قريب وقـد قال الله جل جلالـه ﴿ أفـرأيتَ إنْ

مَتَّعْنَاهُم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغْنَى عنهم ما كانوا يُمَتَّعُون ﴾ .

وقـال مُخْبرًا عن نَفْسِـهِ عِنْـدَمَـا وَعَـظَهَا ولم تجتهد في التَّزَوُدِ لِلْآخِرةِ كاجتهادها في تَدْبِيْرِ العَاجِلَةِ ولم تجتهدْ في رضا الله كاجتهادها في طَلَبِ رِضَاهَا وطَلبِ رِضَا الخَلْقِ .

ولم تَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ تعالى كما تَستحِي من واحدٍ من الخَلْقِ ولم تُشَمِّرْ للإسْتِعْـدَادِ للآخـرة كَتَشْمِيْرِها في الصَّيْفِ لأَجل الشتَاءِ وفي الشِتَاءِ لأَجْل الصَّيف فإنها لا تطمئن في أوائل الشتاء ما لم تتفرغ عن جميع ما تحتاج إليه فيه مَعَ أنَّ الموتَ رُبَّما يَخْطِفُها والشِتَاءُ لا يُدْرِكُها .

فَقُلْتَ لها أَلَسْتِ تَسْتَعِدِّيْنَ لِلصَّيْفِ بِقَدْرِ طُوْلِهِ وتَصْنَعِينَ لَهُ آلة الصيف بقدر صبرك على الحر قالت نعم .

ثم اسْتَمـرت على سَجيَّتِهَا ولَمَّا رَأَيْتُهَا مُتَمادِيَةٌ في الطُغْيَان غير مُنْتفِعَةٍ بِمَـوْعِـظَةِ الموت والقُرآن رَأَيْتُ أَهَمَّ الأَمور التَّفْتِيْشِ عن سَبَبِ تَمَادِيْهَا مَعَ اعْتَرافِهَا وتَصْدِيْقَها فإن ذلك مِن العَجَائِبِ العَظِيْمَةِ .

فَطَالَ تَفْتِيْشِي عنه حَتى وقَفْتُ على سَبَبِه وها أنا ذَا مُوصٍ نَفْسِي وإيَّاكَ بالحَذَرِ منه فهو الداء العظيم وهو السبب الداعي إلى الغرُوْرِ والإهمالِ .

وهو اعْتِقَادُ تَرَاخِي الموت واسْتِبْعَادُ هُجُومِهِ على القُرب فإنَّهُ لو أُخْبرَ صَادِقٌ في بَيَاضِ نَهَارِهِ أنَّـه يَمُوْتُ في لَيْلَتِهِ أَوْ يَمُوْتُ بَعْدَ أَسْبُوْعٍ أَوْ شَهرٍ لاسْتَقَامَ واسْتَوى على الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْم .

فانْكشَفَ لي تحقيقًا أنَّ مَن أَصْبَحَ وهو يُؤَمِّلُ أنه يُمْسِي أَوْ أمْسَى وهو يؤَمِّلُ أنْ يُصْبحَ لم يَخْلُ مِن الفُتُورِ والتَّسْوِيْف .

فأُوْصِيْكَ ونَفْسِي بما أوصَى به رسولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ قال « صَلِّ صلاةَ

مُودّعٍ » ولَقَدْ أُوْتِيَ جَوَامِعَ الكَلِم وفصل الخطاب ولا ينتفع بوعظ إلا به .

ومَن غلبَ على ظَنِهِ في كل صلاة أنها آخرُ صَلاتِهِ حَضر مَعَهُ خَوْفُه مِن الله تعالى وخَشْيَتُهُ منه .

بخلاف مَن لم يخطر بخاطِرهِ قِصرُ عُمُره وقُرْبُ أجلِه وغَفلَ قَلْبُه عن صلاته وسَئِمَتْ نَفْسُهُ فلا يَزَالُ في غفْلَةٍ دَائمةٍ وفُتُورٍ مُسْتَمِر وتسْويْفٍ مُتَتابعٍ إلى أنْ يُدْرِكَهُ الموتُ ويهلكه حَسْرَة الفَوْتِ .

فعلى الإنسان العاقل أن يَحْذَرَ مَواقِعَ الغُرور ويَحْترِزْ مِن خِدَاعِ النفس فإن خداعها لا يقف عليه إلا الاكياس وقليل ما هم .

والـوصايا وإنْ كانَت كثيرةً والمذكورَاتُ وإن كانَتْ كبيرةً فَوَصِيَّةُ اللَّهِ أَكْمَلُهَا وأَنْفَعُهَا وأَجْمَعُهَا وقد قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ ولقد وَصَّيْنا الذين أوتو الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ﴾ فما أسْعَدَ مَن قبل وَصِيَّةَ اللَّهِ وعَمِلَ بها وادَّخَرَهَا لِيَجِدَها يومَ مَرَدَّهَا ومُنْقَلَبَهَا .

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وَوَفِقْنَا لِمَا وَفّقْتَ لَهُ الصَّالِحِينَ مِن خَلْقِكَ واغفرْ لنا وَلِوالدِينا وجَمِيعِ المسلمين بِرَحْمتكَ يا أرْحَم الرّاحمين وصلى الله على محمدِ وآلهِ وصحبه أجمعين .

(فصـــــــل)

روى عن الحسن أنه قيل له إن فلاناً ماتَ بَغْتَةً قال ما يُعْجِبُكم مِن ذَلِكَ لَوْ لَمْ يَمُتْ بَغْتَةً مَرِضَ ثم مات .

وقال غَيْرُهُ عَلَيْكَ باجْتِنَاب طُوْلِ الأَمِل فإنَّه إذا طَال هَاجَ أَرْبَعَةُ أَشْيَاء .

الأول تَرْكُ الطاعة والكسلُ فيها يَقُولُ سَوفَ أَفْعَلُ والأَيامُ بَيْنَ يَدَيَّ .

والثاني تركُ التَّوْبَةِ وتَسْويفُها يَقُولُ سَوْفَ أَتُوبُ وفي الأَيامُ سَعَةٌ وأنا شاب والتَّـوبَـةُ بينَ يَدَيَّ وأنـا قادرٌ عَليها مَتى أَرَدْتُها ورُبَّما اغْتَالَه الموتُ وهو مُصِرٌ واخْتَطَفَهُ الأَجَلُ قَبْلَ التَّوْبَةِ واصْلاحِ العَمَلِ .

والثالثُ الحِرْصُ على جَمعِ المَال والاشتغال بالدنيا عن الآخِرة يقُولُ أخاف الفقر في الكبر وربما ضَعُفْتُ عن الاكتساب ولا بُدَّ لي مِنْ شيءٍ فاضلٍ أدخره لِمَرضٍ أو هَرَم أو فقرٍ هَذَا ونَحْوُهُ يُحَرّكُ إلى الرَّغْبَةِ في الدُنْيَا والحِرْصِ عَلَيْهَا .

والـرابعُ القَسْوَةُ في القَلب والنسيان للآخرة لأنك إذا أَمَّلْتَ العَيْشَ الطَّويْلِ لا تَذْكُر الموتَ والقبْرَ في الغالب .

وعن علي رضِيَ الله عنه قال أَخْوَف ما أَخَافُ عليكم إثنان طُوْل الأَمل واتباع الهوى لأَنَّ طُول الأَمِل يُنْسِي الآخرةَ واتباع الهَوى يَصُدُكَ عن الحق .

فإذَنْ يَصِيرْ فِكركَ في حَدِيْثِ الدُنْيَا وأسباب العَيْش في صُحْبَة الخَلْق فَيقْسُوْ القَلْبُ .

ويَغلب عليه الحِرصُ . كما قيل :

والمرء يُدْرِكُ أنَّ المرءَ مُخْتَلَسٌ مِن الحَياة ولَكْنِ يَغْلِبُ الطَّمَـعُ

وبِسَبَب طُوْل الأمل تَقِلُ الطَّاعَةُ وتَتَأَخَّر التَّوبَةُ وتَكْثُر المَعْصِيَةُ ويَشْتَدُّ الحِرْصُ وتعظَمُ الغفْلَةُ فتذهَبُ الآخرةُ إنْ لم يرحَمِ اللَّهُ .

فأَيُّ حالٍ أَسْوءُ مِن هَذِه وأَيُّ آفةٍ أَعْظَمُ مِن هَذِهِ وإنَّما رقَّةُ القَلْب وصَفْوَتُهُ بذِكْرِ الموتِ ومُفاجأتِهِ والقبرِ وظَلمتِهِ والثوابِ والعقابِ وأَحْوَالِ الآخرة .

وقال رحمه الله إعلم أن تَقْصِيْر الأمل مَعَ حُبِّ الدنيا مُتَعَذِّرٌ وانتظارُ الموتِ مَعَ الاكبابِ عليها غَيْرُ مُتيَسِّر .

فالإناءُ إذا كان مَمْلُوءاً بشيءٍ لا يكونُ لِشيءٍ آخَرَ مَحَلُّ فيه ولأنَّ الدنيا والآخرة كَضَرَّتَيْن إذا أَرضَيْتَ إِحْدَاهما أسْخَطْتَ الأُخْرى .

وكالمشرقِ والمغربِ بِقَدْرِ مَا تَقْربُ مِن أَحَدِهما تُبْعِدَ عن الآخر قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ مَن كانَ يُريْدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فيها ما نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيْد ثم جَعَلْنَا له جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوْمًا مَدْحُورًا ﴾ .

شعرا :

رَجوْتَ خُلُودًا بعد مات آدمٌ ... ونُوحٌ ومَن بعد النَّبيين من قَرنِ
وسَوَّفْتَ بالأَعمال حَتَّى تَصرَّمَتْ ... سُنُوكَ فلا مالٌ ولا ولدٌ يُغني
فَشَمِّرْ لِدَارِ الخُلْدِ فاز مشمِّرٌ ... إليها ونال الأَمْنَ في مَنْزِلِ الأَمْنِ
لَقدْ شغلَتْنَا أُمُّ دفْرٍ بِزُخْرُفٍ ... شُغِلْنَا به عن طاعةِ اللَّهِ ذِي المَنّ
عَجبْتُ لِدُنْيَا لا تَسُرُّ وإنَّما ... تَشُوبُ على تلكَ المَسَرَّةِ بالحُزْنِ

قال ابن الجوزي عَجِبْتُ مِن عاقلٍ يَرى اسْتِيْلاءَ الموتِ على أقرابهِ وجيْرانهِ كَيْفَ يَطِيبُ عَيشُه خُصُوْصًا إذا عَلَتْ سِنُّهُ .

وَاعَجَبًا لِمَنْ يَرى الأَفاعِى تَدِبُّ إليه وهُوَ لا يَنْزَعِجُ أَمَا يَرى الشيخُ دَبِيْبَ الموتِ في أَعْضَائه ثم في كُلِ يومٍ يَزيد الناقِص .

ففي نظر العاقل إلى نفسِهِ ما يُشْغِلُه عن النظر إلى خَراب الدنيا وفِراقِ الإخوان وإن كان ذلك مُزْعِجًا .

ولَكِنْ شُغْلُ مَن احْتَرقَ بَيْتُهُ بنَقْلِ مَتاعِه يُلْهِيْهِ عن ذِكْرِ بُيُوتِ الجيران .

قُلْتُ ومثله مَن في بَيْتِه لصٌ يُلْهِيْهِ عن اللّصُوصِ التي في بُيُوْتِ الجيْرَان .

وإنَّهُ لَمِمَّا يُسَلي عن الدنيا ويُهَوِّنُ فِراقَهَا إِسْتِبْدَال المَعَارف بِمَنْ تَكْرَهَ فقد رَأَيْنَا أغنياء كانوا يُؤْثِرُوْن وفُقَراءَ كانوا يَصْبِرُوْن ومُحَاسِبِيْنَ لأَنْفُسِهِم يَتَورَّعُون .

فاسْتَبْدَل السُّفَهاء عن العُقَلاءِ والبُخَلاء عن الكراماء فَيَا سُهُوْلَة الرَّحِيْلِ لَعَلَّ النفْسَ تَلْقَى مَنْ فَقَدَتْ فَتَلْحَق بِمَنْ أَحَبَّتْ .

شعرا : ولا تغُرنْكَ أثوابٌ لهم حَسُنَتْ ... فَلَيْسَ مِن تَحْتِهَا في حُسْنِهَا حَمَدَا
فالْقِردُ قِردٌ وَلَوْ حليْتَهُ ذَهَباً ... والكلْبُ كَلْبٌ ولو سَمَّيْتَهُ أسَدَاً

شعرا : فإِنْ تكُنْ عَبِثَتْ أَيْدِيْ النُذُوْلِ بِنَا   وَنَالَنَا مِنَ تَمَادِيْ بأُسِهِمْ ضَرَرَ
فكَمْ عَلى الأَرْضِ مِنْ خَضْراء مُوْرِقَةٌ   وَلَيْسَ يُرْجَمُ إلَّا مَالَهُ ثَمَرُ
آخر : عَرْفِتُ أُمُوْرَ الوَقْت أَمَّا شُرُوْرُهُ   فَنَقْدٌ وأَمَّا خَيْرُهُ فَوُعُوْدُ
إِذَا كانتَ الدُنْيَا كَذَاكَ فَخَلِّهَا   وَلوْ أَنَّ كُلَّ الطَّالِعَاتِ سُعُوْدُ
آخر : تغير إخوان هذا الزمان   وَكُلُ صَدِيْق عَرَاهُ خَلَلْ
قَضَيْتُ التَّعَجُبَ مِنْ بَابِهِم   فَصِرْتُ مُنْتَظِرًا لِبَابِ البَدَلْ
آخر : مَضَى الجودُ والإِحْسَانُ واجْتُثَّ أَصْلُهُ
وأُخْمِدْنَ نِيْرَانُ الوَغَى والمكَارِمِ
وصِرْتُ إلى ضَرْبٍ مِن الناسِ آخَرِ
يَرَوْنَ العُلاَ والمجْدَ جَمْعَ الدَّرَاهِمِ
كَأَنَّهُمُوا كَانُوا جَمِيْعًا تَعَاقَدُوْا
على البُخْلِ والإِمْسَاكِ في صُلْبِ آدَمِ

اللَّهُمَّ أَيْقِظْ قُلُوبَنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الايْمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا الْمَعْرِفَةَ بِكَ عَنْ بَصِيْرَةٍ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ ووَفِّقْنَا لِطَاعَتِكَ وَامْتِثَالِ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينْ .

(فَصْلٌ)

في ذِكْرِ المَوْتِ وَالاسْتِعْدَادِ لَهُ

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيْعَ الْمُسْلِمِيْنَ أَنَّ مِمَّا يَتَأَكَّدُ الاسْتِعْدَادُ لَهُ وَاسْتِشْعَارُ قُرْبِهِ المَوْتُ فإنه أَقْرَبُ غَائِب يُنْتَظَرُ وَمَا يَدْرِي الإِنْسَانُ لَعَلَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَجْلِهِ إِلَّا الْيَسِيْرُ وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَى دُنْيَاهُ وَمُعْرِضٌ عَنْ آخرَتِهِ .

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَرْبٌ وَلاَ هَوْلٌ وَلاَ عَذَابٌ سِوَى سَكَرَاتِ المَوْتِ لَكَانَ جَدِيْراً بِأَنْ يَتَنَكَّدَ وَيَتَنَغَّصَ عَلَيْهِ عَيْشُهُ وَيَتَكَدَّرَ عَلَيْهِ سُرُوْرُهُ وَيُفَارِقُهُ سَهْوُهُ وَغَفْلَتُهُ .

إنَّ في المَـــوتِ والمَعَـــادِ لَشُغْـــلاَ　　　وادّكَاراً لِذِيْ النُّهَـــى وبَلاَغـــا
فاغْتَنِمْ خصْلَتَيْـــنِ قَبْـــلَ المَنَايَـــا　　　صِحَّةَ الجِسْمِ يَا أَخِيْ والفَرَاغَـــا

وَحَقِيْقٌ بِأَنْ يَطُوْلَ فِيْهِ فِكْرُهُ وَيَعْظُمَ لَهُ اسْتِعْدَادُهُ وَهُوَ مُحْتَمِلٌ أَنْ يَقَعَ عَلَى الإِنْسَانِ بَغْتَةً كَمَا قِيْلَ سَهْمٌ بِيَدِ سِوَاكَ لَا تَدْرِيْ مَتى يَغْشَاكَ .

قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ يَا بُنَيَّ أَمْرٌ لَا تَدْرِيْ مَتَى يَلْقَاكَ اسْتَعِدَّ لَهُ قَبلَ أَنْ يَفْجَاكَ .

تُؤَمِّل فِي الدُّنْيَا طَوِيْلاً وَلاَ تَدْرِيْ　　　إِذَا جَنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعِيْشُ إلى الفَجْرِ
فَكَمْ مِنْ صَحِيْحٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ　　　وَكَمْ مِنْ مَرِيْضٍ عَاشَ دَهْراً إلى دَهْرِ

وقَالَ الآخَـرُ :

قَصِّـر الآمَـالَ فـي الدُّنْيَـا تَفُـزْ　　　فَـدَلِيْـلُ العَقْـلِ تَقْصِـيْرُ الأَمَـلِ
إِنَّ مَـنْ يَطْـلُبُهُ المَـــوْتُ عَـلى　　　غِـرَّةٍ مِنْـهُ جَـدِيْـرٌ بِالـوَجَـلْ

وَالعَجَبُ أَنَّ الإِنْسَانَ لَوْ كَانَ فِي أَعْظَمِ اللَّذَّاتِ وَأَطْيَبِ المَجَالِسِ التِيْ تَلذُّ لَهُ وَيأْنَسُ بهَا مَعَ أَوْلاَدِهِ وَأَصْدِقَائِهِ وَأَقْرِبَائِهِ وَأُخْبِرَ أَنَّ جُنْدِيَّاً أَتى لِيُحْضِرَهُ وَيَدْعُوهُ إِلى أَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ لتنكَّدَ وَتَكَدَرَتْ عَلَيْهِ لِذَّتُه وَفَسَدَ عَلَيْهِ عَيْشُهُ .

وهُوَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ بِصَدَدِ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ مَلَكُ المَوْتِ بِسَكَرَاتِ النَّزْعِ وَهُوَ عَنْهُ فِي سَهْوٍ وغَفْلَةٍ وَمَا لِذَلِكَ سَبَبٌ إِلَّا الجَهْلُ وَالغُرُوْرُ واشتِغَالُ القَلْبِ بالدُّنْيَا .

وَقِيْلَ فِي الاسْتِعْـدَادِ لِلْمَـوْتِ هُوَ أَنْ يَتُوبَ الإِنْسَانُ تَوْبَةً طَاهِرَةً عَنْ الذُّنُوْبِ وَالخَطَايَا بِأَنْ لَوْ قِيْلَ لَهُ إِنَّكَ تَمُوْتُ السَّاعَةَ مَا وَجَدَ عِنْدَهُ ذَنْباً يَحْتَاجُ إِلى تَوْبَةٍ مِنْهُ فَيَسْأَلُ النُّظْرَةَ مِنْ أَجْلِهِ .

فَإِنْ كَانَ يجِدُ ذَنْباً يَحْتَاجُ إِلى تَوْبَةٍ مِنْهُ فَيَسْأَلُ النُّظْرَةَ مِنْ أَجْلِهِ . كَسَرِقَةٍ وَغَصْبِ مَالٍ أَوْ أَرْضٍ أَوْ غِيْبَةٍ أَوْ مُعَامَلَةٍ لا تَجُوْزُ أَوْ يَأْكُل مِنْ حَرَامٍ أَوْ مُشْتَبِهٍ .

أَوْ مُصِرّاً عَلَى زكَاةٍ أَوْ عَلى بَعْضِهَا أَوْ كاتِماً لأَمَانَةٍ أَوْ لَا يَشْهدُ الجُمُعَةَ

وَالجَماعَةَ أَوْ عِنْدَهُ مِنْ آلاَتِ اللَّهْو شيَءٌ في بَيْتِهِ أَوْ دُكَّانِه كَتلفِزْيُون أَوْ سِيْنَمَا أَوْ مِذْيَاع أَوْ فِدْيو .

أَوْ يَبيْعُ وَيَشْتَرِيْ بهَا أَوْ لَهُ أَسْهُمٌ فِيْمَا يَسْتَمِدُّ مِنْهُ أَهْلُ المَعَاصِيْ تَنْوِيْراً أَوْ لِتَصْلِيْح آلاَتِ اللَّهْو أَوْ نَحْو ذَلِكَ أَوْ مُصِرّاً عَلى التشَبُّهِ بالكَفَرة كَحلَق لِحْيَةٍ أَوْ جَعْلِ خَنَافس أَوْ مُصِرّاً عَلَى شُرْب خَمْرٍ أَوْ دُخَانٍ أَوْ يُصوِّرُ أَوْ يَبيْعُ وَيَشْتَرِيْ بهَا أَوْ مُجَالِسٌ لِلْفَسَقةِ أَوْ الكَفَرَةِ أَوْ سَاكِناً مَعَهُم أَوْ فِيْ بِلاَدِهِمْ أَوْ عِنْده كُفَّارٌ كَخَدَّامِيْنَ وسَوَّاقِين وَمُرَبِّين وخَيَّاطِين .

فَإِنَّهُ لَمْ يَسْتَعِدَّ للقَاءِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ لأَنَّهُ لاَ يُسْتَشَارُ وَلاَ يُؤخَذُ رَأْيُهُ فِي إِخْرَاج رُوْحِهِ وَالمَوْتُ يَأْتِيْهِ فُجْأَةً فَإِنْ جَاءَهُ المَوْتُ وَذَلِكَ الذَّنْبُ عِنْدَهُ لَمْ يَأْمَنْ مِنْ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ .

وكَيْفَ يَكُوْنُ مُسْتَعِدّاً لِلِقَاءِ اللَّهِ مَنْ هُوَ مُقِيْمٌ عَلى مَا يُغْضِبُ اللَّهِ مِنَ المَعَاصِيْ وَلاَ يَأْمَنُ أَنْ يَأْتِيَهُ المَوْتُ أَغْفَلَ مَا كَانَ وَالمَوْتُ آتِيْهِ لاَ مَحَالَةَ صَدَقَ اللَّهُ ﴿ قُلْ إِنَّ المَوْتَ الذيْ تَفِرُّوْنَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيْكُمْ ﴾ .

شعـــرا :

يَا مَـنْ تَمتـعِ فـي الـدنيـا ولـذتهـا	ولا تنـام عـن اللـذات عينـاه
شـغلْتَ نفسَـك فيمـا ليس تدركـه	تَقُـولُ لِلَّـهِ مـاذا حِـيْنَ تَلْقَـاهُ

آخـــر :

النـاسُ قَـدْ عَلِمُـوا أنْ لا بَقَـاءَ لَهُم	لَـوْ أَنَّهُـم عَمِـلوا مِقْـدارَ مـا عَلِمُـوْا

وَقَالَ جَلَّ وَعَلاَ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلاَ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ إِلاَّ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْمَوْتِ وَقْتٌ مَعْلُوْمٌ عِنْدَ النَّاسِ فَيُخَافُ فِيْ ذَلِكَ الوقْتِ وَيُؤمَن مِنْهُ في سَائِر الأَوْقَاتِ .

شعرا : تَغَنَّمْ من الدنيا بِسَاعَتِكَ الّتِيْ	ظَفِرْتَ بهَا مَا لَمْ تَعُقْكَ الْعَـــوائِقُ
فلاَ يَوْمُكَ الْمَاضِيْ عَلَيْكَ بِرَاجِـعٍ	ولا يَوْمُكَ الآتِـي بِهِ أَنْـتَ وَاثِـقُ

شعـــرا :

مَن كَانَ لا يَطَأُ التُرَابَ بِنَعْلِـــهِ   وَطِيءَ التُرَابَ بِصَفْحَـــةِ الخَـــدِ
مَنْ كانَ بَيْنَكَ فِي التُرابِ وبَيْنَـــهُ   شِبْرَان فَهُوَ بِغَـــايَةِ البُعْـــدِ
لَوْ كُشِفَتْ لِلنَّاسِ أغْطِيَةُ الثَـــرى   لَمْ يُعْرَفِ المَوْلَى مِنَ العَبْـــدِ

فَلَيْسَ يَأْتِي فِي الشِّتَاءِ دُوْنَ الصَّيْفِ فَيُخَافَ مِنْ الشِّتَاءِ وَيُؤمَنَ فِي الصَّيْفُ وَلاَ بِالعَكْس وَلاَ يَأْتِي فِي النَّهَارِ فَيُؤْمَنُ بِاللَّيلِ وَلاَ بِالعَكْسِ .

وَلَيْسَ وَقْتٌ مِنْ العُمْرِ مَعْلُوْمٌ عِنْدَ النَّاسِ فَيأْخُذَ أَبْنَاءَ الخَمْسِيْنَ فَيأْمَنَهُ مَنْ دُوْنَ ذَلِكَ وَلَيْسَ لَهُ عِلَّةَ دُوْنَ عِلَّةٍ كَالحُمَّى وَالسَّلِّ فَيأْمَنَهُ مَنْ لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ .

فَحَقٌّ عَلَى العَالِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّهُ الذيْ انْفَرَدَ بِعِلْمِ ذَلِكَ الوَقْتِ أَنْ لاَ يَأمَنَهُ فِي وَقْتٍ مِنْ الأَوْقَاتِ وأَنْ يكونَ مُسْتعداً لَهُ أتَمَّ الاسْتِعْدَاد .

فَمَنْ ذَكَرَ المَوْتَ بِفَرَاغَ قَلْبٍ مِنْ كُلِّ شَيءٍ مَعَ ذِكْرِهِ عَظِيْمَ مَا يَأْتِي البَشَرَ مِنْ العَذَابِ أَوْ بِالرَّحْمَةِ مَعَ الاعْتِبَارِ بِالذيْنَ مَضَوْا قَبْلَهُ مِمَّنْ فَوْقَهُ وَدُوْنَهُ وَأَشْكَالَهُ وَأَمْثَالَهُ مِنْ أَقَارِبَ وَأَصْدِقَاءِ وَزُمَلاَءِ وَأَقْرَانٍ وَجِيْرَانٍ وَمَشَايِخَ وَمُلُوْكٍ وَأَسَاتِذَةٍ وَاخْوَانٍ .

ومِن فَوائِدِ ذِكرِ الموتِ أنَّه يُورِثُ الاستشعار بالانزعاج عن هذه الدار الفانية المملوءة بالأكدار والأنكاد والهموم والغموم .

ويَحُثُكَ ذِكْرُ الموتِ على التَّوجُهِ في كُلِ لَحْظَةٍ إلى الآخرة بالاستعداد لها ثم إن الانسان لا ينفك عن حالتي ضِيْقٍ وسَعَةٍ ونعمةٍ ومِحْنَةٍ .

فإن كان في حالٍ ضَيِّقةٍ ومِحْنَةٍ فَذَكَرَ الموتَ سَهَّلَ عليه بَعْضَ ما هو فيه إذ لا مُصِيْبَةَ إلا والموتُ أعْظَمُ منها وهو ذائقُه ولا بُد .

قال الله تعالى ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ وإن كان في حال سَعَةٍ ونِعمْةٍ

شعرا : عَجباً لِمَنْ يُبْقِي ذخائرَ مَالِـهِ   وَيَظَلُّ يَحْفَظُهُنَّ وَهْـــوَ مُضَيِّـــعُ
ولِغَافِـــلٍ ويـــرى بِكُلِّ ثَنِيَّـــةٍ   مُلْقَىً لَهُ بَطْنُ الصَّفائحِ مَضْجَـــعُ
أتَرَاهُ يَحْسَبُ أنَّهـــم مَا أَسْـــأرُوْا   ومِنْ كأسِهِ أَضْعَـــافُ مَا يتجـــرَّعُ

فذِكْـرُ الموتِ يَمْنَعُهُ مِن الإغْترار بالدُنيا والركون إليها لتَحقُّقُ عَدَمِ دوامها وتحقُّق ذَهَابها عنه وانصرامها .

قال الله جلَ وعلاَ وتقدس ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ .

شعـــرا :

أَيَا صَاحِ كنْ في شأنْ دُنْيَاكَ هذه غَرِيْباً كَئِباً عَابِراً لِسَبِيْـــلِ
وعُدَّ مِن أَهْلِ القَبْرِ نَفْسكَ إنَّمَـــا بَقَاؤُكَ فِيهَا مِنْ أَقَلِّ قَلِيْـــلِ

وكَتَبَ عُمَـرُ بنُ عبدالعزيز إلى بعض أهْل بيته : أما بَعْدُ فإنكَ إن اسْتَشْعَرتَ ذِكْرَ الموتِ في لَيْلِكَ ونهارِكَ بَغَّضَ إليك كُلَّ فَان .

وقال بعضُ العلماءِ : الأيامُ سِهَام والناس أغراض والدهر يَرميكَ كُلَّ يوم بسهامِهِ ويَخْترِمُكَ بلَياليه وأيامِهِ حتى يَسْتَغْرق ويستكمل جميع أَجْزائِكَ فكيفَ تَبْقى سَلامتُكَ مَعَ وُقُوع الأيام بكَ وسُرْعَةِ الليالي في بَدَنِكَ لو كُشِفَ لك عما أَحْدَثَتِ الأيامُ فِيْكَ مِن النَّقص لاسْتَوْحَشْتَ مِن كُلِّ يوم يَأْتي عليك واسْتَثْقَلْتَ مَمَرّ الساعات بكَ ولكن تَدبيرُ الله فوق كُل تَدْبير .

قَالَ بَعْضُهُمْ يَرْثِي أخاً لَهُ :

يَا صَاحِبيْ إنَّ دَمْعِيْ اليَوْمَ مُنْهمِلٌ عَلَى الخُدُوْدِ حَكَاهُ العَارِضُ الهَطِلُ
وَفي الفُؤادِ وَفي الأَحْشَاءِ نَارُ أَسىً إِذَا أَلَـمَّ بِهَـا التِّذْكَـار تَشْـتَعِلُ
عَلى الأَحِبَّـةِ والأَخْـوَانِ اذْ رَحَـلُوْا إِلَـى المَقَـابِرِ والأَلْحَـادِ وانْتَقَـلُوْا
كُنَّـا وكَانُـوْا وَكَـانَ الشَّـمْلُ مُجْتَمِعاً وَالـدَّارُ آهِـلَةٌ وَالحَبْـلُ مُتَّصِـلُ
حَدَا بِهِـمْ هَادِمُ اللَّذَّاتِ في عَجَـلِ فَلَمْ يُقِيْمُـوا وَعَـنْ أَحْبَابِهِمْ شُغِلُوا
وَلَـمْ يَعُـوْجُـوا عَلى أَهْـلٍ وَلاَ وَلَـدٍ كَـأَنَّهمْ لَـمْ يَكُـوْنُوا بَيْنَـهَمْ نَـزَلُـوْا
إِنِّـي لأَعْجَـبُ لِلدُّنْيَـا وَطَـالِبِهَـا وَلِلْحَـرِيْصِ عَلَيْهَـا عَقْـلُهُ هَبَـلُ
وَغَـافِلٍ لَيْسَ بالمَغْفُـولِ عَنْـهُ وَإِنْ طَـالَ المَـدَى غَـرَّهُ الامْهَالُ وَالأَمَـلُ
نَـاسٍ لِـرِحْـلَتِهِ نَـاسٍ لِنُقْـلَتِهِ إِلَـى القُبُـوْرِ التِيْ تَعْيَـا بِهَـا الحِيَـلُ

فِيْهَا السؤال وَكَمْ هَـوْلٍ وَكَمْ فِتَنٍ ... لِلْمُجْرِمِيْنَ الأُلَى عَنْ رَبِّهِـمْ غَفَـلُوا
وَفِـي القُبُـوْرِ نَعِـيْمٌ لِلتَّقِـيِّ كَمَـا ... فِيْهَا العَـذَابُ لِمَـنْ فِي دِيْنِـهِ دَخَـلُ
قُـلْ لِلْحَـزِيْنِ الـذِيْ يَبْكِيْ أَحِبَّتَـهُ ... إِبْـكِ لِنَفْسِـكَ إِنَّ الأَمْـرَ مُقْتَبِـلُ
فَسَوْفَ تَشْرَبُ بالكَأْسِ الذِيْ شَرِبُوا ... بِهَـا إِنْ يَكُـنْ نَهـلٌ مِنْهَـا وَإِنْ عَـلَلُ
فَـاغْـنَمْ بَقِيَّـةَ عُمْـرٍ مَـرَّ أَكْـثَرُهُ ... فِي غَـيْرِ شَـيْءٍ فَمَهْلاً أَيُّهَا الرَّجُـلُ

اللهم إنا نَسْأَلُكَ نَفْساً مُطْمَئِنَّةً ، تُؤمِنُ بِلقَائِكْ وتَرْضى بِقضائِكْ ، وتَقْنَعُ بِعَطائِكْ ، يا أرْأفَ الرائفين ، وأرحَم الراحمين .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ التوفيق لما تُحِبُّه مِن الأعمال ، ونسأَلُكَ صِدْقَ التوكلِ عليكْ ، وحُسْنَ الظَنِّ بِكَ يَا رَبَّ العالمين .

اللهم اجعلنا مِن عِبادِكَ المُخْبِتين ، الغُرِّ المُحجَّلِين الوَفْدِ المُتَقَبَّلِين .

اللهم إنـا نَسْـأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبةً ، ونَفْساً تَقِيَّة ، وعِيْشَةٍ نَقِيَّة ، ومِيْتَةً سَوِيَّة ، ومَرَداً غَيْرَ مُخْزِي ولا فاضح .

اللهم اجعلنـا من أهـل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك يارب العالمين .

اللهم افتـح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

فصـــل : ثُمَّ اعْلَمْ أَلْهَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ الرِّضَا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَرَزَقَنا وَإِيَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِينْ الاسْتِعْدَادَ لِمَا أَمَامَنَا أَنَّهُ مَا مِن مَخْلُوقٍ مَهْمَا امْتَدَّ أَجلُه وَطَالَ عُمْرُهُ إِلَّا وَالموتُ نَازِلٌ بِهِ وَخَاضِعٌ لِسُلْطَانِهِ .

وَلَـوْ جَعَـلَ اللَّهُ الخُلُودَ لأَحَدٍ مِن الخَلْقِ لَكَانَ الأَوْلَى بِذَلِكَ الأَنْبِيَآءَ والرُّسُلَ المُطَهَّرِيْنَ المُقَرَّبِين .

وكَانَ أَوْلاَهُم بِذَلِكَ صَفْوَةَ أَصْفِيَائِهِ وَخِيرته مِن خَلْقِهِ سَيِّدُ وَلَـدِ آدم عَلى الاطْلاَقِ مُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهُ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ .

قَالَ اللَّهُ تَعَـالَى ﴿ ومَـا جَعَلْنَـا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الخَالِدُونْ ﴾ وَقَالَ ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ ﴾ .

فَالمَوْتُ حَتْمٌ لا مَحِيْص وَلاَ مَفَرَّ مِنْهُ يَصِلُ إِلَيْنَا فِي أَيِّ مَكَانٍ كُنَّا قَالَ اللَّهُ ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمْ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُم فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾ .

وَلَوْ نَجا أَحَدٌ مِن المَوْتِ لِبَسْطَةٍ فِي جِسْمِهِ أَوْ قُوَّةٍ فِي بَدَنِهِ أَوْ وَفْرَةٍ فِي مَالِهِ أَوْ سَعَةٍ فِي سُلْطَانِهِ ومُـلْكِهِ لَنَجَا مِنَ المَوْتِ كَثِيْرٌ مِن النَّاس .

وَإِلاَّ فَأَيْنَ عَادٌ وَثَمُودُ وَفِرْعَوْنُ ذُوْ الأَوْتَادِ أَيْنَ الاكاسِرَةُ وَأَيْنَ القَيَاصِرَةُ والصَّنَادِيْدُ الأَبْطَالُ ذَهَبُوْا فِي خَبَرِ كَانَ .

شعـــراً :

سَـلِ المَـدائِن عَمَّـنْ كَانَ يَمْلِكُهَـا ... هَلْ أنَسَتْ مِنْهُـمْ مِن بَعْدِهِـمْ خَبَرا
فَلَـوْ أَجَـابَتْكَ قَـالَتْ وهِـيَ عَـالِمَـةٌ ... بِسِيْرَةِ الذاهِـبِ المَـاضِي ومَنْ غَـبَرا
أَرَتْهُـمْ العِـبَرَ الـدُنْيَـا فمـا اعْـتَبَروْا ... فَصَـيَّرتْهُمْ لِقَـوْمٍ بَعْـدَهُـمْ عِـبرَا

آخـــر :

نَبْكِيْ عَلى الـدُّنْيَا وَمَـا مِنْ مَعْشَـرٍ ... جَمَعَتْهُـمُ الـدُّنْيَـا فَـلَمْ يَتَفَـرَّقُـوْا
أَيْـنَ الأَكَـاسِـرَةُ الجَبَـابِـرَةُ الأُلَـى ... كَـنَزُوا الكُنُـوزَ فَمَـا بَقِيْنَ ولاَ بَقُـوْا
مِنْ كُلِّ مَنْ ضَـاقَ الفَضَـاءُ بِجَيْشِهِ ... حَـتَّى ثَـوَى فَحَـوَاهُ لَحْدٌ ضَـيِّقُ
فَالمَـوْتُ آتٍ وَالنُّفُـوسُ نَفَـائِـسٌ ... وَالمُسْـتَغِرُّ بِمَـا لَـدَيْـهِ الأَحْمَـقُ

فالموتُ لا يَخْشَى أَحداً مِن الخَلْق ولا يُبْقِي عَلَى أَحدٍ مِنهُم وَيَهْجِمُ على الكَبيرِ والصغيرِ والقوي والضَّعيفِ والمُعَالِجِ والمُعَالَجِ والغَنِي والفقيرِ والرَّئِيْس والمَرْؤُوْس وكُلّ عندَهُ على السَّوَى كما قِيل :

هُـوَ المـوتُ مُـثْرٍ عِنْـدَهُ مِثْلُ مُعْـدِمٍ ... وَقَـاصِـدُ نَهْجٍ مِثْـلُ آخَـرَ نَاكِـبِ
وَدِرْعُ الفَـتَى فِي حُكْمِـهِ دِرْعُ غَـادَةٍ ... وَأَبْيَاتُ كِسْرَى مِن بُيُوتِ العَنَاكِبِ

آخـــر :

إذا نَزَلَ المَقْدُوْرُ لم تُلْفِ لِلْقَطَـا ... نُهُوضاً ولا لِلْمُخْـدِرَاتِ إبَاءُ

فَمَتَى لَزِمَ ذَلِـكَ وَدَاوِمْ عَلَيهِ بِتَدَبُرٍ وَتَفَكُرٍ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ فِي كُلِ وَقْتٍ عَظَمَتْ مَعْرِفَتُهُ بِالمَوْتِ وَفَجْأَتِهِ وَأَنَّهُ نَازِلٌ بِهِ كَمَا نَزَلَ بِمَنْ مَضَى قَبْلَهُ لَا مَحَالَةَ فَإِذَا عَظُمَتْ مَعْـرِفَتُهُ بِذَلِكَ قَصُرَ أَمَلُهُ فَإِذَا قَصُرَ أَمَلُهُ حَذِرَ قَلْبُهُ مِنَ المَوْتِ ارْتَقَبَ الموتَ فإِذَا كَانَ مُرْتَقِباً لَهُ سَارَعَ إِلَى الأَسْتِعْدَادِ لَهُ والأَسْتِبَاقِ إِلَى الخَيْرَاتِ قَبْلَ الفَوَاتِ .

لا شَيْءَ يَبْقَى سِوَى خَيْرٍ تُقَدِّمُـهُ ... مَـا دَامَ مُـلْكٌ لِإِنْسَـانٍ ولا خَـلَدَا
فَـامْهَـدْ لِنَفْسِـكَ والأَقْـلَامُ جَـارِيَـةٌ ... والتَّـوبُ مُقْتَبَـلٌ فاللهُ قَـدْ وَعَـدَا

ولا بَأسَ بِالتَّدَاوِي إِذَا وَقَعَ بِهِ مَرَضٌ أَوْ وَجَعٌ بِمَا هُوَ مُبَاحٌ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءٍ وفِي الحَدِيْثِ عن ابن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُنْزِلْ دَاءَ إِلا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءٍ إِلَّا الهَرَمَ فَعَلَيْكُم بِالْبَانِ الْبَقَرِ فإِنَّهَا تَرُمُّ مِن كُلِّ شَجَرٍ » .

وفِي الحديثِ الآخرِ عن أبِي سَعِيْدٍ « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلا أَنْزَلَ لَهْ دَوَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنّ جَهِلَهُ إِلا السَّامُ وَهُوَ المَوْتُ » . فإِذَا أَرَادَ اللَّهُ الشِّفَاءَ يَسَرَ ذَلِكَ لِلْعَبْدِ وَوَفَّقَهُ لِإِسْتِعْمَالِ الدَّوَاءِ عَلَى وَجْهِهِ وفِي وَقْتِهِ فَيَبْرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ .

قال القُرْطُبي عَلَى قَولِهِ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً هَذِهِ الكَلِمَةُ صَادِقَةٌ لأَنَّهَا خَبَرٌ عن الصَّادِقِ المَصْدُوْقِ عن الخَالِقِ القَدِيْرِ أَلَا يَعْلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيْفُ الخَبِيْرُ فالدَّاءُ والدواءُ خَلْقهُ والشِّفَاءُ والهلاكُ فِعْلُهُ وَرَبطَ الأَسْبَابِ بِالمُسَبَباتِ حِكْمَتُهُ وَحُكْمُهُ فكُل ذَلِكَ بِقَدَرٍ لَا مَعْدِلَ عَنْهُ .

شعرا : تَوقِّي الدَّاءِ خَيْرٌ مِنْ تَصَـدٍّ ... لِأَيْسَرِهِ وَإِنْ قَـرُبَ الطَّبِيْـبُ

وقالَ ابنُ حَجَرٍ على قَولِهِ جَهِلَهُ مَن جَهِلَهُ وَمِمَّا يَدْخُلُ فِيْهَا مَا يَقَعُ لِبَعْضِهِم أنه يُدَاوِي مِن دَاءٍ بِدَاوءٍ فَيَبْرَأُ ثُمَّ يَعْتَرِيْهِ ذَلِكَ الداءُ فَلَا يَنْجَحُ وَسَبَبُهُ الجُهْلِ بِـ ـنَةٍ مِن صِفاتِ الدَّوَاءِ فَرُبَّ مَرِيْضَيْنِ تَشَابَهَا وَيَكُونُ أَحَدُهُمَا مُرَكَّباً لا يَنْجَع

فيه مَا يَنْجعُ في غيرِ المُركَّب فيَقعُ الخطأُ وَقَدْ يَكُونُ مُتَّحِداً لكن يُرِيْدُ اللّهُ أن يَنْجحَ وَهُنَا تَخْضَعُ رِقَابُ الأَطِبَاءِ وَلِهَذا قَالَ بعضهم :

إن الطَّبِيْبَ لَذُوْ عَقْلٍ وَمَعْرِفَةٍ   مَا دَامَ في أَجَلِ الإِنْسَانِ تَأْخِيْرُ
حَتَّى إِذَا مَا انْقَضَتْ أَيَّامُ مُدَّتِهِ   حَارَ الطَّبِيْبُ وَخَانَتْهُ العَقَاقِيْرُ

وَمِمَّا وَرَدَ في الحَثِ على الاستعدادِ للموتِ ما يلي :

يا رَاقِدَ الليلِ مَسْرُوْراً بأَوْلِهِ   إِنَّ الحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقْنَ أَسْحَارَا
كَمْ قَدْ أَبَادَتْ صرُوْفُ الدَّهْرِ مِن مَلِكٍ   قَدْ كَانَ في الدهرِ نَفَّاعاً وَضَرَّارَا
يَا مَن يُعَانِقُ دُنْيَا لا بَقَاءَ لَهَا   يُمْسِيْ وَيُصْبِحُ في دُنْيَاهُ سَفَّارَا
هَلاَّ تَرَكْتَ مِن الدُنْيَا مُعَانَقَةً   حَتَّى تُعَانِقَ في الفِرْدَوْسِ أَبْكَارَا
إِنْ كُنْتَ تَبْغِيْ جِنَانَ الخُلْدِ تَسْكُنُهَا   فَيَنْبَغِيْ لَكَ أَنْ لَا تَأْمَنِ الدَّارَا

قال أبو الحُسَيْنُ الأهوازي في كتاب الفَرائد والقَلائد الدنيا لا تَصْفُو لِشَارِبٍ . ولا تَبْقَى لِصَاحِب . فَخُذْ زَاداً مِن يَومِكَ لِغَدِكَ فَلا يَبْقَى يَومٌ عليكَ ولاَ غَد .

ويقال إنه كان على قبر يَعْقوبَ بنَ لَيْث مَكْتوباً هذه الأبيات عَمِلَها قبلَ مَوتِه وأمَرَ أن تُكْتَبَ على قبره وهي هذه :

سَلامٌ على أهلِ القُبورِ الدَّوارسِ   كَأَنَّهُمُ لم يَجْلِسُوا في المجالسِ
ولم يَشْرَبُوا مِن بَارِد المَاءِ شَرْبةً   ولم يَأْكُلُوا ما بَين رَطْبٍ ويابسِ
فقد جَاءَني الموتُ المهُولُ بِسَكْرَةٍ   فَلَم تُغْنِ عَني أَلْفُ آلافِ فارسِ
فَيَا زَائِرَ القَبْرِ اتَّعِظ واعْتَبِرْ بِنَا   ولا تَكُ في الدنيا هُدِيْتَ بآنسِ
خراسَانُ نَحويْها وأطرافَ فارسٍ   وما كُنْتُ عن مُلْكِ العِرَاقِ بآيسِ
سَلامٌ على الدُنْيَا وطِيْبِ نَعِيْمِها   كَأَنْ لم يَكُنْ يَعْقُوبُ فِيها بجَالسِ

وأقبل رَجُلٌ من المقبرة فقِيلَ لَهُ مِن أين جِئْتَ فقال من القَافِلَةِ النَّازِلَةِ قيلَ لَهُ مَاذَا قُلْتَ لَهُم وَمَاذا قالوا لكَ .

قال : قُلْتُ لَهُم مَتى تَرْحَلُون ؟ قالوا : حِينَ يَنْتَهي القادِمُون . وقال آخَرُ أجَالِسُ قوماً إن حَضرْتُ وَعَظوني ولم يُؤذوني وإنْ غِبْتُ لم يَغْتَابُوني يُرِيْدُ المَوْتى .

وكَيْفَ أشيد في يومي بنـــائي   وأعْلَمُ أنَّ في غَـــدٍ عنه إرتحــال
فلا تَنْصِبْ خِيَامَكَ في مَحَـــلٍ   فإنَّ القَاطِنين على ارْتِحــــال
آخر : زَيَّنْتَ بَيْتَكَ جَاهِداً وعَمرْتَهُ   ولَعَلَّ غَيْرَكَ صَاحَــبُ لِلْبَيْـــتِ
وَالْمَرءُ مُرْ تَهَنٌ بِسَــوفَ وليتَنِـــي   وَهَلاَكُهُ في سَوْفِــهِ وَاللَّيْـــتِ
أَلَا أيهـا المَغْــرورُ في نَــوم غَفْـلَةٍ   تَيَقَّظْ فإنَّ الدَّهـر للنـاس ناصِحُ
فكَـمْ نائِم في أوَّلِ الليـلِ غَـافِلٍ   أَتَـاهُ الـرَّدَى فـي نَوْمِهِ وهو صَابِحُ
فَشَـقَّ عليه الليـلُ جَيْبَ صَبَـاحِه   وقَـامَـتْ عَليـهِ لِلطُّيُــورِ نَـوائـحُ

اللهم يا مُصْلحَ الصَّالحِينَ أَصْلِحْ فَسَادَ قُلُوبنَا واسْتُرْ في الدنيا والآخِرَةِ عُيُوْبَنَـا واغفـرْ بعَفْوكَ ورحمتكَ ذنوبنَا وَهَبْ لَنا مُوْبقات الجَرائِر واستُرْ علينا فَاضِحَاتِ السَّرائِر ولا تُخْلنا في مَوْقِفِ القِيامَةِ من بَرْدِ عَفْوكَ وَغُفْرانكَ ولا تَتْرُكْنَا مِن جَمِيْلِ صَفْحِكَ وَاحْسَانِكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدينا وَلِجَمِيع المسلمين برحمتك يا أرحمَ الراحمين وصلى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبهِ أجمعين .

(فَصْـــــلٌ)

ثم اعْلَمْ أَنَّ الاكْثَـار مِنْ ذِكْرِ المَوْتِ مُسْتَحَبٌّ مُرَغَّبٌ فيه ولَهُ مَنافِعُ وَفَـوَائِـدُ جَلِيْلَةٌ منها قِصَرُ الأَمَلِ ٢ الزُهْدُ في الدُنْيا ٣ القَنَاعَةُ مِنها باليَسِيْر ٤ الرغْبَةُ في الآخِرَةِ ٥ التَزوُدُ لِلآخِرَةِ بالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ٦ الإعْتِنَاءُ بالوَصِيَّةِ وَالمُبَادَرَة فِيها ٧ الابتعادُ عن المَعَاصِي .

وَوَرَدَ عنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ أَكْثِرُوا ذكْرَها ذم اللذاتِ المَوتَ وكانَ ﷺ إذَا ذَهَبَ ثُلُثُ الليلِ قَامَ فقـالَ أَيُّها الناسُ اذكُرُوْا اللَّهَ جاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جاءَ المَوْتُ بِمَا فيهِ .

وَلَمَا سُئِلَ ﷺ عَنِ الأَكْيَاسِ من الناس مَنْ هُمْ قال أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْراً وأَحْسَنُهُم لَهُ اسْتِعْدَاداً أُولَئِكَ الأَكْيَاسُ ذَهَبُوا بِشَرَفِ الدُّنْيَا ونَعِيمِ الآخِرَةِ وعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكْثِرُوْا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَاتِ يَعْنِيْ المَوتَ فَإِنَّهُ مَا كَانَ فِي كَثِيْرٍ إِلَّا جَزَّأَهُ رواهُ الطبرانيُ باسناد حسنٍ .

وعن أنسٍ رضي اللَّهُ عنه أن رسولَ الله ﷺ مَرَّ بِمَجْلِسِ قَومٍ وَهُمْ يَضْحَكُونَ فَقَالَ أَكْثِرُوْا من ذِكْرِهَا ذِمِ اللَّذَاتِ أَحْسبُهُ قال : فإِنَّه مَا ذَكَرَهُ أَحَدٌ في ضِيْقٍ مِن العَيْشِ إِلَّا وَسَّعَهُ ولا في سَعَةٍ إِلَّا ضَيقَهُ عَلَيهِ رواه البزار باسناد حسن والبيهقي باختصار .

وفي حديث أبي ذر قُلْتُ يا رسولَ اللَّهِ فَمَا كَانَتْ صُحُفُ إبراهيمَ عَلَيهِ السَّلامُ قال كانَتْ عِبَراً كُلُّهَا : عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بالمَوت ثُمَّ هُوَ يَفْرَحُ عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بالقَدَرِ ثُمَّ هُوَ يَنْصَبُ عَجِبْتُ لِمَنْ رَأى الدُّنْيَا وَتَقَلُّبَهَا بأَهْلِهَا ثُمَّ اطْمَأَنَّ إِلَيْهَا وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بالحِسَابِ غَداً ثُمَّ لا يَعْمَل رواه ابن حبان في صحيحه

شعــــرا :

وجِيْرَان صِــدْقٍ لا تَزاوُرَ بَيْنَهُمْ ... على قُرْبِ بَعْضٍ في التَّجاوُرِ مِنْ بَعْضِ
كَأَنَّ خَوَاتِيْماً مِن الطِّيْنِ فوقهــمْ ... فَلَيْسَ لَهَا حَتَّى القِيَامةِ مِنْ فَـضٍّ

آخـر: قِفْ بالقُبُـورِ وَقُـلْ عَـلَى سَـاحَـاتِهَا ... مَـنْ منكُـمُ المَغْمُـوْرُ في ظُلُمَـاتِهَا
وَمَـنِ المُكَـرَّمُ مِنكـمُ فـي قَعْرِهَـا ... قَـدْ ذَاقَ بَـرْدَ الأَمْـنِ مَـن رَوْعَـاتِهَـا
أَمَّـا السُكُونُ لِذِي العُيُـونِ فَوَاحِـدٌ ... لَا يَسْـتَبِينُ الفَضْـلُ في دَرجَـاتِهَـا
لَـوْ جَـاوَبُـوْكَ لأَخْـبَرُوْكَ بِأَلْسُـنٍ ... تَصِـفُ الحَقَائِقَ بَعْـدُ مِـن حَـالاَتِهَا
أَمَّـا المُطِـيْعُ فَنَـازِلٌ فـي رَوْضَـةٍ ... يُفْضِـي إِلى مَا شَـاءَ مِـن دَوْحَـاتِهَا
والمُجْـرِمُ الطَّـاغِيْ بِهَـا مُتَقَلِّـبٌ ... فـي حُفْـرَةٍ يـأْوِيْ إِلـى حَيَّـاتِهَـا
وَعَقَـارِبٌ تَسْـعَى إِلَيْـهِ فَرُوْحُـهُ ... فِـي شِـدَّةِ التَّعْـذِيْـبِ مِـن لَدَغـاتِهَا

آخــر :

وَمَازَالَـتِ الـدنيـا طَـرِيـقًا لِهَـالِـكٍ ... تُبَـايِـنُ فـي أَحْـوَالِهَـا وتُخَـالِـفُ
فَفِـي جَـانِـبٍ منهـا تَقُـومُ مَـآتِـمٌ ... وفـي جَانِـبٍ منهـا تَقُـوْمُ مَعَـازِفُ

فمـن كان فيها قاطِـنًا فهـو ظـاعِنٌ ... ومَـن كان فيها آمِـنًا فهْـوَ خَـائِفُ

ووجـد مكتوب على جدار محلة قديمة بغربي بغداد :

هــذِي مَنَــازِلُ أَقْــوَامٍ عَهِـدْتُهُـمُ ... فِي خَفْضِ عَيْشٍ وعِـزٍّ مَـالَهُ خَطَرُ

صَاحَتْ بِهِمْ نائباتُ الدَّهرِ فانقَلَبُوا ... إِلَـى القُبُـورِ فَـلا عَـيْنٌ ولا أَثَـرُ

آخـــر :

تَـرَى الذي اتَّخَـذَ الدُنْيَـا لَـهُ وَطَناً ... لَـمَ يَدْرِيْ أَنَّ المَنَـايَا عَنْـهُ تُـزْعِجُـهُ

مَـنْ كَانَ يَعْـلَمُ أنَّ المَـوْتَ مَدْرَجُـهُ ... والقَـبْرَ مَـنْزِلُـهُ والبَعْـثَ مُخْـرَجُـهُ

وَأَنَّـهُ بَـيْنَ جَـــنَّاتٍ سَـتَبْهَجُـهُ ... يَـوْمَ القِيَـامَـةِ أَوْ نَـارٍ سَـتَنْضِجُـهُ

فَكُلُ شيْءٍ سِوَى التَّقْوَى بِهِ سَـمَجٌ ... وَمَـا أَقَـامَ عَلَيْـهِ فَهُــوَ أَسْـمَجُـهُ

وعن أبي هريرةَ قال خَرَجْنَا مَعَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ في جَنَازَةٍ فَجلَسَ إِلىَ قَبْرٍ منها فَقَال مَا يأْتِيْ عَلى هَذا القَبْرِ يَوْمٌ إِلا وَهُوَ يُنَادِيْ بِصَوْتٍ ذَلِقٍ طَلِقٍ يَا ابْنَ آدمَ نَسِيْتَنِيْ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّيْ بَيْتُ الوَحْدَةِ وَبَيْتُ الغُرْبَةِ وَبَيْتُ الوَحْشَةِ وَبَيْتُ الدُوْدِ وَبَيْتُ الضِّيْقِ إِلَّا مَنْ وسَّعَنِيْ اللَّهُ عليهِ ثُمَّ قالَ رَسولُ اللَّهُ ﷺ القَبْرُ إِمَّا رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النار رواه الطبراني في الأوسط .

ثُمَّ إِنَّ النَاسَ في هذا المَقَام على أَقْسَامٍ مِنْهُمُ المُنْهَمِكُ في الدُنْيَا المُحِبُ لِشَهَوَاتِهَا فَهَذَا يَغْفُلُ قَلْبُهُ لا مَحَالَةَ عن ذِكْرِ المَوْتِ وَإِنْ ذُكِّر بِهِ كَرِهَهُ وَنفرَ واشْمَأَزَّ مِنْـهُ وَتنَـاسَاهُ وَرُبَّمَا كَرِه الذِيْ ذَكَرَ المَوْتَ وَتبَاعَدَ عَنْهُ ، وقِسْمٌ مُنْهَمِكٌ أيضاً وغارِقٌ في بُحُوْرِ الدُنْيَا ولا يَذكُرُ المَوْتَ وإِن ذَكَرَهُ فَذِكْرُهُ لَهُ تَأسُّفًا على دُنْيَاهُ وَمُفَارَقَتِهَا .

وَأَقْرَبُ عِلاَجٍ لِهَذَا القِسْمِ أَنْ يُطِيْلُوا التَفَكُّرَ لَيْلَهُمْ وَنَهَارَهُمْ في أَجَلِ هَذِهِ الحَيَاةِ وَهُمْ إِذَا فَكَّرُوْا في ذلكَ عَرَفُوا قَطْعاً أَنَّهُم تارِكُوْهَا ولا بُدَّ وَلَيْسَ ذَلِكَ بَعْدَ مائةِ سَنَةٍ بَلْ هُمْ في كُلِّ لَحْظَةٍ مُهَدَّدِيْنَ بِفِرَاقِ الدُنْيَا مُرْغَمِيْنَ لا مُخْتَارِيْنَ وَيَتْرُكُـونَ كُلَّ شَيْءٍ وَحِيْنَئِـذٍ يَسْتَوِيْ مَنْ يَمْلِكُ المَلايِيْنَ والعِمَارَاتِ والقَنَاطِيْرِ

المقنْطَرة مِن الذهَب والفِضَّة والأرَاضِيْ والملايينَ وَالبَلاَيينْ مِمَّا ذُكِرَ .

وَمنْ لاَ يَمْلِكُ مِنْهَا إلاَّ ثَوْبَهُ فَقَطْ يَسْتَوِيَانِ في أَنَّ كُلاًّ مِنْهُمَا كَأَنَّهُ لم يرَ هَذَا الوُجُود وَلَكِنَّهُمَا يَخْتَلِفَانِ اخْتِلافاً عَظِيْماً في بَرْزَخِهِمَا وفي آخِرَتِهِمَا ، وَمِن الدَّوَاءِ النافِع لِمَنْ أُصِيْبَ بِمَرضِ حُبِّ الدُنْيَا أنْ يَنْظُرَ بعَيْنِه إلى مَنْ في المُسْتَشْفَيَاتِ مِن المَرْضَى الذين تَنوعَتْ أَمْرَاضُهُم وبودِّ أَحدهم لَوْ مَلَكَ الدُنْيَا وَبَذَلَهَا لِمَنْ يَشْفِيْهِ من مَرَضِهِ أَوْ يُخَفِّفُهُ عنه .

شعــراً :

مَنْ عَاشَ لم يَخْلُ مِن هَمٍّ ، ومِنْ حَزَنٍ ... بَينَ المَصَائب ، مِنْ دُنياهُ والمِحَـنِ
وإنَّمـا نَحـنُ فـي الدُّنيـا على سَفَـرٍ ... فراحِـلٌ خَـلَّفَ البَاقِي على الظَّعـنِ
وكُـلُّنَا بالـرَّدىٰ ، والمـوتِ مُرْتَهـنٌ ... فمـا نَـرى فيهمـا فكـاًّ لِمُـرتَهَـنِ

آخــر :

وقَــلَّ غنَــاءٌ عَنْـكَ مــالاً جَمَعْتَهُ ... إذَا كـانَ مِـيْرَاثـاً ووارَاكَ لاَحِــدُ

وكذلكَ يَنْظُرُ إلى المَوْتى الذيْنَ يَمُوتُونَ كُلَّ يَوْمٍ في المُسْتَشْفَيَاتِ وَغَيْرِهَا مِن مِثْلِهِ في السِّنِّ وَأَقَلَّ وَأَكْبَرَ وَيَنْظُرُ إلى الَّذِيْنَ يَمُوتُونَ حَولَهُ مِن أَبْنَائِهِ وَإخْوَانِهِ وَأَحْبَابِهِ وَجِيْرَانِهِ وَمَنْ تَقَعُ عَلَيْهم عَيْنُهُ قائلاً لِنَفْسِهِ أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَك وَبَيْنَ هَؤلاَءِ فإذا أَذْعَنَتْ واعْتَرَفَتْ أَنَّهُ لا فَرْقَ بادَرَهَا بقَولِهِ إذاً سَتَكُونِيْنَ مِثْلَهُم .

فَمَعَ تَكْرَارِ هَذَا تَتَبَدَّلُ حَالُه بإِذْنِ اللَّهِ وَتَهُونُ عَلَيهِ الدُنْيَا وَيَسْهلُ عليهِ إخْرَاجَ الأَعْمَالِ الخَيْرِيَّةِ مَهْمَا كَثُرَتْ إنَّ هَذَا المَنْظَرُ تَنْصَدِعُ لَهُ القُلُوبُ إنْصِدَاعاً لاَ تَهُونُ بهَا الدُنْيَا فَقَطْ ولِذَلِكَ كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ إذا شَيَّعَ جَنَازَةً رَجَعَ لا يَعِيْ وَرُبَّمَا مَكَثَ أَيَّامَا مَرِيضاً مِنْ هَذَا الهَوْلِ الذِيْ نَزَلَ بِهِ وَأَذْهَلَهُ حَتَّى عَنْ نَفْسِه قال الشاعر :

ولَمْ أَرَى كَالأَمْـوَاتِ أَفْجَـعَ مَنْظـراً ... وَلاَ وَاعِظِـيْ جُـلاَّسِهِـمْ كَالمَقَـابِـرِ

وَكَيْفَ لاَ يكُـونُ هكَـذَا وَهُوَ يَرَى أَحَدَ إخْوَانِه جُثَّةً هَامِدَةً في مُنْتَهَى

الخُضُوع لِمَنْ يُودعُونَ في تِلْكَ الحُفْرَةَ المُظْلِمَةَ لا يُنَازِعُهُم عِنْدَ ادْخَالِهِم لهُ في أيِّ تَصَرُفٍ يَتصَرَّفُونَهُ فِيهِ وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ تَضِيْقُ عَنْهُ الدُنْيَا على سَعَتِهَا .

شعــــرا :

كُنْ كَيْفَ شِئِتَ فَقصرُكَ الموتُ ... لَا مَزْ حَلٌ عنهُ ولا فَــوْتُ
بَيْنَــا غِنَى بَيْتٍ وبَهْجَتُـــهْ ... زَالَ الغِنَى وتَقَوَّضَ البَيْـــتُ

آخـــــر :

وقبلكِ دَاوىَ المـــريضَ الطبيب ... فَعَاشَ المريض ومـــاتَ الطبيب
فكُنْ مُسْتَعِداً لـــدَارَ الفَنَـــا ... فإن الذي هـــو آت قَـــريب

شِعْرا :

لَيْتَ شِعْرِي سَاكن القَبرِ المشيْدْ ... هَلْ وَجَدْتَ اليومَ فِيهِ مِن مَزِيْدْ
وهَلِ البَاطِنُ فيهِ مِثْلَ مَا ... هُوَ في الظَاهِرِ تَزْوِيْقاً وَشِيْدْ
وهَلِ المضْجَعُ فيْـهِ لَيِّنٌ ... أوْ سَعِيْرٌ مالَهَا فيه خُمُــوْدْ
وهَلِ الأرْكَانُ فِيه بِالتُّقَـى ... نَيِّراتٌ أوْ بأَعْمَالِكَ السُوْدْ
لَيْتَ شِعْرِيْ سَاكِن القَبْرِ المشَيْدْ ... أشَقِيٌّ أنْتَ فيه أمْ سَعِيْدْ
أقَرِيْبٌ أنْتَ مِن رَحْمَةِ مَنْ ... وَسِعَ العَالَمَ إحْسَانَا وجُوْدْ
أمْ بَعِيْدٌ أنتَ مِنْهَا فَلَقَدْ ... طُرِقَتْ دَارُكَ بالوَيْلِ البَعِيْدْ
ولَقَـدْ حَلَّ بأَرْجَائِكَ مَا ... ضَاقَ عَنْهُ كُلُّ مَا في ذا الوُجُوْدْ
أيُهَـا الغَافِـلُ مِثْلِيْ وإلىَ ... كَمْ تَعَامَي وتَلَوّي وَتَحِيْدْ
أُدْنُ فاقْرَأْ فَوْقَ رَأسِيْ أحْرُفاً ... خَرَجَتْ وَيْحَكَ مِنْ قَلْبِ عَمِيْدْ
صَرَعَتْـهُ فِكْـرَةٌ صَادِقَــةٌ ... وهُمُوْمٌ كُلَّمَا تَمْضِيْ تَعُوْدْ
ونَدَامَاتٌ لايَّــامٍ مَضَـتْ ... هُوَ مِنْهَـا في قِيَامٍ وقُعُوْدْ
وغَداً تَرْجِعُ مِثْلِيْ فاتَّعِـظْ ... بِيْ وإلاَّ فَامْضِ وأعْمَلْ مَا تُرِيْدْ
قَدْ نَصَحْنَاكَ فإن لَمْ تَرهُ ... سَيَراهُ بَصَـرٌ مِنْكَ حَدِيْدْ

آخر : شعــراً :

كأني بنَفْسِـي وهْـي فـي السَّكراتي ... تُعَـالِـجُ أَنْ تَـرْقَـى إلـى اللَّهَـواتِـي
وقَـدْ زُمَّ رحْلِيْ واسْتَقَلَّتْ رَكَائِبي ... وقَـدْ آذَنَتْـني بالـرَّحِيْل حُـدَاتِـي
إلـى مَـنْزل فيـه عَـذابٌ ورحْمَـةٌ ... وكَـمْ فيْـهِ مِن زَجْـرٍ لنـا وعِظـاتِـي
ومِـن أعْـينٍ سَـالَتْ على وَجَـنَاتِهَا ... ومِـن أَوْجُـهٍ في التُـرْبِ مُنْعَفِـرَاتِـي
ومِـن وَارِدٍ فيـه عـلى مـا يَسُـرُّهُ ... ومِـنْ وَارِدٍ فيه علـى الحَسَـرَاتِـي

وقـال آخــر :

لَعَمْـرِكَ مَـا يُغْنِي الـثَّرَاءُ عن الفتَى ... إِذَا حَشْرَجَتْ يوماً وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

آخــر :

الحَمْـدُ لله ثم الحَمْــد لله ... مَاذَا على الموت مِنْ سَاه ومِنْ لَاهِ
ماذا يَرَى المرءُ ذُو العَيْنَيْنِ مِنْ عَجَبٍ ... عِنْدَ الخُروجِ مِن الدنيَا إلى الله

آخــر :

إذا مـا صَـارَ فُرْشِيْ مِـن تُـرَابِ ... وبـتُّ مُجَـاوِرَ الـربَّ الـرَّحِـيْمِ
فَهَنُـونِـي أصيْحَـا بِـي وقولُـوا ... لَكَ البُشْرَى قَدِمْـتَ على الكَـرِيمِ

وَقِسْمٌ تَائِبٌ يَكْثِرُ ذِكْرَ المَوْتِ لِيَنْبَعِثَ مِن قَلْبِهِ الخَوفُ فَيَفِي بِتَمامِ التَّوْبَةِ وَرُبَّمَا يَكْرَهُ المَوتَ خَشْيَةَ أَنْ يَخْتَطِفَهُ قَبْلَ تَمَامَ تَوْبَتِهِ وَقَبْلَ إِصْلاَحِ الزَّادِ ولا يَدْخُلُ هَذَا تَحْتَ قَولِ النبي ﷺ مَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ لأَنَّ هَذَا لاَ يَكْرَهُ لِقَاءَ اللَّهِ بَلْ يَكْرَهُ فَوْتَ لِقَائِه .

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها قالَتْ قالَ رَسُولُ اللَّهُ ﷺ مَنْ أَحبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ فَقُلْتُ يا نَبيَّ اللَّه أَكَرَاهِيَةَ لِلمَوْتِ فَكُلُنَا يَكْرَهُ الموتَ قَالَ لَيسَ كَذَلِكَ وَلَكِنْ المُؤمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوانِهِ وَجَنَّتِه أَحبَّ لِقَاءَ اللَّهِ فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ وإِنَّ الكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ .

وفي رِوَايَةِ شُرَيْحِ بن هَانِيءٍ عَن أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ مَن

أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ قال فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيرةَ يَذْكُرُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيْثاً إِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ هَلَكْنَا .

فَقَالَتْ إِنَّ الْهَالِكَ مَنْ هَلَكَ بقَولِ رسول اللَّهِ ﷺ وما ذَاكَ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَلَيْسَ مِنَّا أَحداً إِلَّا وَهُوَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ .

فَقَالَتْ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ بالذي نَذْهَبُ إِلَيْهِ وَلَكِنْ إِذَا شَخَصَ البَصَرُ وَحَشْرَجَ الصَّدْرُ واقْشَعَرَّ الجِلْدُ وَتَشَنَجَتِ الأَصابعُ فَعِنْدَ ذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءِ اللَّهِ كَرِهَ لِقَاءَهُ رواه مسلم .

أخرج ابن المبارك وأحمد والطبراني في الكبير عن معاذ بن جَبَل أن رسول الله ﷺ قال إن شِئْتُم أنبأتكم ما أول ما يقول الله تعالى للمؤمنين يَوْمَ القِيَامَةِ وما أَوَّلُ ما يَقولُون له .

قُلْنَا نَعَم يا رسول الله ، قال فإن الله يَقُول للمؤمنين هَلْ أَحْبَبْتُم لِقَائِي فَيَقُولُونَ نَعَم يا رَبَّنَا فَيَقُوْلُ لِمَ ، فيقولُون رَجَوْنَا عَفْوَكَ ومَغْفِرَتَكَ فَيَقُولُ قَدْ وَجَبَتْ لكم مَغْفِرَتي .

وأخرج ابنُ المبارك عن عُقبة بن مسلم قال ما مِن خصلة في العبد أحب إلى الله من أَنْ يُحِبَّ لِقَاءَهُ .

وأخرجَ أَبُو نُعيم في الحِلْيَةِ عن مجاهد ، قال ما مِن مَرضٍ يُمْرِضَهُ العبدُ إلا ورسُولُ ملكِ الموتِ عنده ، حتى إذا كان آخِرُ مَرضٍ يُمْرِضَهُ العبد ، أتاه ملك الموت عليه السلام .

فقال أَتَاكَ رسولُ بَعْدَ رسُول ونذيرٌ بعد نذُير فلم تعْبَأ به ، وقد أتاكَ رسولُ يَقْطَعُ أَثَرَكَ مِن الدنيا . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

شعْرا : أَيْنَ الذينَ على عَهْدِ الثَّرى وَطِئُوْا ... وحُكِّمُوا في لَذِيْذ العَيْشِ فاحْتَكَمُوْا

وَمُلّكوُا الأرضَ من سَهْلٍ ومن جَبَلٍ   وَخُوّلُوْا نِعَماً مَا مِثْلُهَــا نِعَـــمُ
لَمْ يَبْقَ منهم على ظَنِ القُلوبِ بِهِــمْ   إلا رُسُوْمُ قُبُورٍ حَشْوُهَــا رِمَـــمُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصـــل وعن أنسٍ أن النبي ﷺ قال إذا أرادَ اللَّهُ بعبد خيرًا اسْتَعْمَلَهُ قِيلَ كَيْفَ يَستَعْمِلُه قال يُوفِقُهُ بِعَمل صالحٍ قَبْلَ الموت .

وأخرج أحمد والحاكم عن عمرو بن الحمق قال قال رسول الله ﷺ إذا أحَبَّ الله عبدًا عَسَّلَهُ .

قالوا وما عَسَّلَه قال يُوَفِّقْ لَهُ عَملاً صَالِحًا بَيْنَ يَدَيْ أَجَلِهِ حتى يَرضَى عنه جيْرَانُهُ .

« وإذَا أحَبَّ الله يَوْماً عَبْـدُه   أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً في النـــاسِ »

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مرفوعاً « إذا أرادَ اللَّهُ بعبد خيراً بَعَثَ إليه قبل مَوتِهِ بعَامٍ مَلَكاً يُسَدِده ويُوَفِّقُه حتى يَمُوتَ على خَيْرِ أَحَايِيْنِهِ فيقول الناسُ مَاتَ فلان على خيْرِ أَحَايِيْنِهِ » .

فإذا حُضَر ورآى ما أعَدَّ اللَّهُ لَهُ جَعَل يَتَهَوَّعُ نَفْسَه مِن الحِرْصِ على أَنْ تَخْرُجَ فَهُنَاكَ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهُ وأحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ .

وإذا أرَادَ اللَّهُ بِعَبدِهِ شرًا قَيَّضَ لَهُ قَبْل مَوتِهِ بِعَامٍ شَيْطَانًا يُضِلُهُ ويُغْوِيْهِ حتى يَمُوتَ على شَرِّ أحَايِيْنِه فَيَقُولُ الناسُ قَدْ مَاتَ فُلاَنٌ على شَرِّ أَحَايِيْنِهِ .

فإذا حُضِر ورآى ما أَعَدَّ اللَّهُ جَعَل يَتَبَلَّعُ نَفْسَهُ كراهِيَةَ أَنْ تَخْرُجَ فَهُنَاكَ كَره لِقَاءَ اللَّهِ وكِرَهَ اللَّهُ لِقاءَهُ .

وأخرجَ الطبرانيُ في الكبير وأبو نُعَيْم عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « إنَّ نَفْسَ المْؤمن تَخْرُجُ رَشحًا وإنَّ نَفْسَ الكافر تسِيْل كما تَسِيْلُ نَفْسُ الحِمَارِ .

وإنَّ المؤمن لَيَعْمَلُ الخَطِيْئَةَ فَيُشَدَّدُ بها عليه عندَ الموت لِيُكَفَّر بها عنه .

وإن الكافر لَيَعْمَلُ الحَسَنَة فَيُسَهَّلُ عليه عند الموت لِيُجْزى بها » .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن زَيْدِ بن أسْلم قَالَ إذا بَقى على المؤمن من ذنوبه شيءٌ لم يَبْلُغْهُ بعَمَلِهِ شُدِّدَ عليه مِن الموت لِيَبْلُغَ بسَكَرتِ الموتِ وشَدَائِدِهِ دَرَجَتَهَ مِن الجنة .

وإن الكـافـر إذا كان قد عمـل مَعْـرُوفًـا في الدنيا هُوِّنَ عليه الموت لِيَسْتَكْمِل ثَوابَ مَعْرُوْفِهِ في الدنيا ثم لِيَصِيْرَ إلى النار .

وأخرج ابن ماجَة عن عِائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « إنَّ المؤمِن لَيُؤْجَرُ في كل شيء حتى في الكَظِّ عند الموت » .

الكَظُّ الهَمُّ الشدَّيْدُ الذي يَمْلؤُ الجَوف وأخرج الترمذي الحكيم في نَوادِرِ الأصـول والحـاكم عن سلمان الفـارسي قال سَمعتُ رسول الله ﷺ يقول « أرْقبُوا المَيِّتَ عند مَوتِهِ ثلاثاً .

إنْ رَشَحَتْ جَبِيْنُه وذَرَفَتْ عَيْنَاه وانْتَشرَتْ مِنْخِرَاهُ فهى رَحْمَةٌ مِن الله قد نَزَلَتْ به .

وإن غطَّ غَطِيْطَ البَكرِ المَخْنُوقِ وخَمَدَ لَوْنُهُ وأَزْبَدَ شِدْقَاهُ فَهْوَ عَذَابٌ مِن اللَّهِ قَدْ حَلَّ بِهِ .

وأخرج سَعيدُ بنُ مَنْصُور في سُنَنِهِ والمروزى في الجنائز عن ابن مسعود قال إنَّ المؤمِنَ يَبْقَى عليه خَطَايَا يُجَازَي بها عندَ الموتِ فَيَعْرَقُ لِذَلِكَ جَبِيْنُهُ .

وأَخْرَجَ البَيْهَقي في شُعَبِ الإيمان عن عَلْقَمَةَ بن قَيْسٍ أنه حَضَر ابْنَ عَمٍ لَهُ وقَدْ حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ فَمَسَحَ جَبِيْنَهُ فإذا هُوَ يَرْشَحُ .

فقال اللَّهُ أكْبَرُ حَدَّثِني بنُ مَسْعُودٍ عن النبي ﷺ قال « مَوْتُ المؤمِن يُرَشِّحُ الجَبِيْنْ ومَا مِن مُؤمِنٍ إلاَّ لَهُ ذُنُوبٌ يُكافأ بها في الدنيا ويبْقَى عليه بَقِيّةٌ يُشَدَّدُ بها عليه عند الموت » .

وأخـرج ابن أبي شَيْبَةَ والبيهقي عن علقمة أنه حَضَر ابنَ أخٍ له لما حُضِرَ (أَيْ حَضَرَهُ الموت) فَجَعَل يَعْرَقُ جَبِيْنُه فَضَحِكَ فَقِيل له ما يُضْحِكُكَ .

قال سَمِعْتُ ابن مسعود يقول إن نَفسَ المؤمن تَخْرُجُ رَشْحا وإنَّ نَفْسَ الكافرِ أو الفاجر تَخْرُجُ مِن شِدْقِهِ كما تَخْرُجُ نَفْسُ الحِمار .

وإنَّ المؤمنَ لَيكُونُ قد عَمِلَ السَّيئةَ فَيُشَدَّدُ عليه عند الموتِ لِيُكَفَّرَ بها وإن الكافِرَ أو الفاجِرَ لَيكُونُ قد عَمِلَ الحَسَنَةَ فَيُهَوَّنُ عليه عند الموت .

وأَخْرَجَ ابنُ أبي شَيْبَة والمروزي عن سفيان قال كانوا يَسْتَحِبُونَ العَرَقَ للميت قال بعضُ العلماء إنما يَعْرَقُ جبينُهُ حَياءً مِن رَبهِ لِمَا اقْتَرَفَ مِن مُخالَفَتهِ لأن ما سَفُلَ منه قد مات .

وإنَّما بَقِيَتْ قُوىَ الحَيَاةِ وحَرَكَاتُها فيما عَلاَ والحياءُ في العينين .

والكافر في عَمَى عن هذا كله .

والمَوَحِّدُ المُعَذَّبُ في شُغْلٍ عن هذا بالعذاب الذي قد حَلَّ به .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي اسحاق قال قِيْلَ لموسى كَيْفَ وَجَدْتَ طَعْمَ الموت قال كَسَفُودٍ أُدْخِلَ في جَزَّةِ صُوفٍ فامْتُلِخَ (أَيْ جُذِبَ) قال يا مُوسَى قد هُوِّنَ عَليكَ .

وأخرج أحمد في الزهد والمَرْوَزِيْ في الجَنَائِزِ عن أبي مُلَيْكَةَ أَن إبراهيم لَمَّا لِقَى اللَّهَ قِيْلَ لَهُ كَيفَ وَجَدْتَ الموتَ قال وَجَدْتُ نَفْسِي كَأَنَّمَا تُنْزَعُ بالسلاسل قيل له قد يسرنا عليك الموت .

وروي أن موسى لما صار روحه إلى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجَدْتَ ألم الموت قال وجَدْتُ نَفْسِي كالعُصْفُورِ الحَى حِيْنَ يُقْلَى على المِقْلَى لا يموُتُ فيَسْتَرِيْح ولا يَنْجُو فَيَطِيْر .

وأخرج الديلمى عن أنسٍ قال قال رسول الله ﷺ أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت وأفضل العبادة التفكر فَمَنْ أَثْقَلَهُ ذِكْرُ الموتِ وجَدَ قَبْرَهُ رَوْضَةٍ مِن رِياضِ الجنة .

وقالَ علي رضي الله عنه الناسُ نِيامٌ فإذا مَاتُوا انْتَبَهُوْا ونظم هذا المعنى بعضهم فقال :

وإنَّما الناسُ نِيامٌ مَنْ يَمُتْ مِنْهُم أزالَ الموتُ عنه وَسَنَهْ

آخر : يَا نَفْسُ إِنِّي قَائِلٌ فاسْمَعِــي مَقَالَةً مِن مُرْشِــدٍ ناصِـــحِ
مَا صَحِبَ الإِنْسَـــانَ فِي قَبْـــرِهِ غَيْرُ التُّقَى وَالعَمَـــلُ الصَّـــالِحُ
آخَرُ: ثَنَاءُ الفَتَى يَبْقَى وَيَفْنَى ثَرَاؤُهُ فَلا تَكْتَسِبْ بالمال شَيْئاً سِوى الذِّكْـــرِ
فَقَدْ مَاتَ أَهْلُ الدِّيْنِ والزُّهْدِ والتُّقَى وَذِكْرهُمُ غَضٌّ جَدِيْدٌ إِلى الحَشْـــرِ
آخر : إِنَّ التُّقَى أَحْلىَ المَلاَبِسِ كُلِّهَـــا يَكْسُوْ الرِّجَـــالَ مَهَـــابَةً وَجَـــلاَلاَ
ويُحِلُّ صَاحِبَهُ بِإِحْسَـــنِ مَنْـــزِلٍ يَوْمَ القِيَـــامَةِ وَالأَنَـــامُ ذُهَـــالاَ
آخر : وَمَا أَغْبِطُ الإِنْسَانَ إِلا أَخَـا التُّقَى وَمَن كَانَ أَتَقَى كَانَ بِالمَجْـــدِ أَجْـــدَرَا

(فَصْـــلٌ)

وأخـرجَ ابنُ أبي الدنيا عن إبراهيم النخعي قال كانوا يَسْتَحِبُون أن يُلَقِنُوا العبدَ مَحَاسِنَ عَمَلِهِ عند الموت حتى يُحْسِنَ ظَنَّهُ بِرَبِهِ .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن رجاء بن حيوة قال ما أكثر عبد ذِكْرَ الموت إلَّا تَرَكَ الفرحَ والحَسَدَ .

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد في الزهدِ عن أبي الدرداء قال مَن أكثر ذكر الموت قَلَّ حَسَدُه وقل فرحُه .

وعن الربيع بن أنسٍ قال قال رسول الله ﷺ كفى بالموت مُزَهِّدًا في الدنيا ومُرَغِبًا في الآخِرةِ .

وعن عُمَر بن عبدالعزيز قال مَن قَرَّب الموتَ مِن قَلْبِهِ إِسْتكثر ما في يَدَيْه .

وعن الحسن قال ما أَلْزَمَ عبدٌ قَلْبَهُ ذِكْرَ الموت إلَّا صغرت الدنيا عنده وَهَان عليه جَميعُ ما فيها وعن قتادة قال كان يقال طوبى لمن ذكر ساعة الموت وقال حكيم كفى بذكر الموت لِلْقُلوُب حَيَاة لِلْعَمل .

وقال سَمَيْط مَن جَعَل الموتَ نَصْبَ عَيْنَيْهِ لم يُبَالِ بِضِيْقِ الدنيا ولا بِسَعَتِها .

وعن كَعْبٍ قال مَن عَرَفَ الموتَ هانَتْ عليه مَصَائِبُ الدنيا .

وأخرج ابن المبارك عن ابن عباس قال إذا رأيتم بالرجل الموت فَبَشِّرُوْهُ لِيَلْقَى رَبَّهُ وهو حَسَنُ الظن باللّهِ وإذا كان حَيًا فَخَوِّفُوه .

وعن أبي ذَرٍ قال قال لي رسول الله ﷺ زُرِ القُبُورَ تذكرَّ بها الآخرة .

واغسِل الموتى فإن في مُعَالجة جَسَدٍ خَاوٍ موعظة بليغة .

وصَلِّ على الجنائز لَعَلَّ ذَلِكَ يُحْزِنُكَ فإنَّ الحَزِيْنَ في ظل الله يَتَعَرَّضُ لِكُلِّ خَيْر

شعرا : إِذَا اللهُ لَمْ يفرجْ لَكَ الشك لَمْ تزلْ جَنِيْباً كما اسْتَتْلَى الجنيْبَــةَ قائِــدُ

آخر : وَمُجَرِّرٍ خَطِّيَّةٍ يَوْمَ الوَغَــى مُنْسَابَةً مِنْ خَلْفِــهِ كَالأَرْقَمِ

تَتَضَاءَلُ الأَبْطَالُ سَــاعَةَ ذِكْرِهِ وَتَبِيْتُ مِنْهُ فِي إِبَاءَةِ ضَيْغَمِ

شَرِسُ المَقَادَاةِ لاَ يَزَالُ رَبِيْئَةً وَمَتَى يُحِسُّ بِنَارِ حَرْبٍ يُقْدِمِ

تَقَعُ الفَرِيْسَةُ مِنْهُ فِي فَوْهَاءَ إِنْ يُطْرَحْ بِهَا صُمُّ الحِجَارَةِ يُحْطَمِ

ضَمْآنَ لِلدَّمِ لا يَقُــوْمُ بِرِيِّــهِ إِلاَّ المُرُوقُ في الجُسُوْمِ مِن الدَّمِ

جَاءَتْهُ مِن قِبَلِ المَنُونِ إِشَارَةٌ فَهَوَى صَرِيْعاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ

وَرَمَى بِمُحْكَمِ دِرْعِهِ وَبِرُمْحِهِ وَامْتَدَّ مُلْقىً كَالبَعِيْرِ الأَعْظَمِ

لا يَسْتَجِيبُ لِصَارِخٍ إِنْ يَدْعُهُ أَبَداً ولا يُرْجَى لِخَطْبٍ مُعْظَمِ

ذَهَبَتْ بَسَالَتُــهُ وَمَرَّ غَرَامُــهُ لَمَّا رَآى خَيْلَ المَنِيَّةِ تَرْتَمِي

يَا وَيْحَهُ مِن فَارِسٍ مَا بَالُهُ ذَهَبَتْ فُرُوْسَتُهُ وَلَمَّا يُكْلَمِ

هَذِي يَدَاهُ وهَذِهِ أَعْضَاؤُهُ ما مِنْهُ مِنْ عُضْوٍ غَدَا بِمُثَلَّمِ

هَيْهَاتَ مَا خَيْلُ الرَّدَى مُحْتَاجَةٌ لِلْمَشْرَفِيِّ ولا السِّنَانِ اللَّهْذَمِ

هِيَ وَيْحَكُمْ أَمْرُ الإِلٰهِ وَحُكْمُهُ وَاللّٰهُ يَقْضِيْ بالقَضَاءِ المُحْكَمِ

يا حَسْرَةً لَوْ كَانَ يُقْدَرُ قَدْرُهَا ومُصِيْبَةً عَظُمَتْ ولَمَّا تَعْظُمِ

خَبَرٌ عَلِمْنَا كُلُّنَا بِمَكَــانِـهِ وَكَأَنَّنَا في حَالِنَا لَمْ نَعْــلَمِ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيْعَ السَّمَواتِ والأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنا لِمَا فِيهِ صَلاَحُ دِيْنِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ

المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فصـــل أخرج ابن أبي الدنيا عن أنس عن النبي ﷺ « أَكْثِروا ذكر الموت فإنه يُمَحِّصُ الذُنُوبَ ويُزَهِّدُ في الدنيا فإن ذكرتُمُوهُ عند الغِنَى هَدَمَه وإن ذَكَرتُموهُ عند الفقر أَرْضَاكم بعيشكم » .

وأخـرج أيضـا عن عطاءٍ الخُـراساني قال مر رسول الله بمجلس قد اسْتَعْـلاهُ الضَّحِـك فقـال شُوبُوا مَجْلِسَكُم بِمُكَدِّرِ اللَّذات قالوا وما مُكَدِّرُ اللَّذَاتِ قال الموت .

وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي في شعب الايمان عن زيد السلمي أن النبي ﷺ كان إذا آنسَ من أصحابه غَفْلَةً نادى فيهم بصَوتٍ رفيع أتَتْكُمُ المَنِيَّةُ راتبةً لازِمَةً إمَّا شقاوة وإما سعادة .

قال بعضهُم مَن أكثر ذِكر الموت أكْرِمَ بثلاثة أَشْيَآءَ تعَجْيْل التَّوبةِ ، وقناعةِ القلب ونشاطٍ في العبادة .

ومن نَسِي المـوَتَ عَوْقِبَ بثـلاثـة أَشْيَآءَ تسويفِ التَّوبةِ وتَرْكِ الرضا بالكَفَافِ والتكاسُلِ في العِبَادة .

أخرج أبو نعيم عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما لي لا أُحِبُّ الموتَ قال لَكَ مَالٌ قال نَعَمْ .

قال قَدِّمْهُ فَإِنَّ قَلْبَ المُؤمن مَعَ مَالِهِ إنْ قَدَّمُه أَحَبَّ أنْ يَلْحَق به

وأخـرج سَعِيدُ بنُ منصـور عن أبي الدرداء قال موعظة بَلِيْغَةٌ وغَفْلَةٌ سَرِيْعَةٌ كَفَى بالموت واعِظًا وكَفَى بالدهر مُفَرِّقًا اليومَ في الدُوْرِ وغدًا في القُبور .

وروى أن سَعْدَ بنَ أَبي وقَّاصٍ تَمَنَّى الموتَ ورسولُ الله ﷺ يَسْمَعُ فقال رسول الله ﷺ لا تتَمَنَّ الموتَ .

فإن كُنْتَ مِن أَهْلِ الجنةِ فالبَقَاءُ خَيْرٌ لكَ وإنْ كُنْتَ مِن أَهل النار فما يُعَجِّلُكَ إليها .

وعن أمِّ الفضل أن رسول الله ﷺ دَخلَ عليهم وعَمُه العباس يَشْتكي فتَمَنَّى الموتَ فقال له يا عَمُّ لا تَتَمَنَّى الموت .

فإنْ كُنْتَ مُحْسِنًا فأَنْ تُؤخر وتَزْدَادَ إحْسَانًا إلى إحْسَانِكَ خيرٌ لَكَ ، وإنْ كُنْتَ مُسِيئًا ، فأَنْ تُؤخر وتَسْتَعْتِبْ من إسَاءَتِكَ خير لك ، فلا تتَمَنَينَّ الموت .

وأخرج أحمد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ لا يَتَمَنَينَّ أحَدُكم الموتَ مِن قَبْلِ أنْ يأتِيَهُ ولا يَدْعُ بِهِ إلا أنْ يَكُونَ قَد وَثِقَ بعَمَله .

وعن عُبادَة بن الصامِت أن النبي ﷺ قال « أَلا أُنَبئُكُم بخِيـارِكَم » قالوا بَلَى يا رسول الله قال « أَطْوَلُكم أَعْمَارًا في الإِسلام إذا سَدَّدُوْا » .

وأخرج أحمد وابنُ زَنْجَوَيْهِ في ترغِيْبِه عن أبي هريرة قال كان رَجُلان مِن حَي قُضَاعَة أَسْلَمَا مع رسول الله ﷺ فاسْتُشْهدَ أَحَدُهُمَا وأُخِّرَ الآخر سَنَة .

قال طَلْحَةُ بن عُبَيْدِ الله فرأيتُ الجَنَّةَ ورأَيْتُ المؤخَّرَ منهما أَدْخِل قَبلَ الشَهيدِ فَعَجِبْتُ مِن ذلك .

فأصْبَحْتُ فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ فقَال « أَلَيْسَ قد صَامَ بَعْدَهُ رَمَضان وصلى سِتَّةَ آلاف رَكْعَة وكذا وكذا رَكْعَة صَلاَةَ سَنَةٍ .

وأخرج أحمد والبراز عن طلحة أن النبي ﷺ قال « لَيْسَ أحَدُ أفضل عند الله تعالى من مُؤمِنٍ يُعَمَّرُ في الإسلام لِتَسْبِيْحَةٍ وتَكبيرة وتهَليلةٍ » .

وأخرج أبو نعيم عن سعيد بن جبُير قال إن بَقَاءَ المسلم كُلَّ يوم غَنِيْمَة لأداء الفرائضِ والصلواتِ وما يَرْزُقُهُ اللَّهُ مِن ذِكْرِه .

وأخْرَجَ بن أبي الدنيا عن إبراهيم بن أبي عَبْدَة قال بَلَغني أن المؤمن إذا مَاتَ تَمَنَّى الرجعة إلى الدنيا ليس ذَلكَ إلاَّ لِيُكبِّرَ تكبْيرَةً أو يُهَلِّلَ تَهْلِيْلَةً أو يسُبحَ تَسْبِيْحَةً .

وعن ابن مَسعود رضي الله عنه قال قال رسُولُ الله ﷺ « لَقِيْتُ إبراهيمَ عليه السلامُ ليلةَ أسْرِيَ بي فقال يا مُحَمد أقْرِىءْ أُمَّتَكَ منى السلامَ .

وأخـبرهُم أنَّ الجنـةَ طَيِّبَـة التُربَةِ عَذْبَةُ الماء وأَنَّهَا قِيْعَان وأنَّ غِرَاسَها

سُبْحَـانَ اللَّهِ والحمدُ للَّهِ ولا إله إلاَّ اللَّهُ واللَّهُ أكْبَر» . رواه الترمذي وقال حديث حَسَن .

وعن سلمان رضي الله عنه قال قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول « إن في الجنـة قِيْعَـان فأكثـروُا مِن غِراسِهـا » قالوا يارسول الله ،ما غِراسُها قال « سُبْحانَ اللَّهِ والحمدُ لِلَّهِ ولا إله إلا اللَّهُ واللَّهُ أكْبَر » .

واعْلَمْ رَحِمكَ اللهُ أنَّ مّما يُعِيْنُكَ على الفِكْرَةِ في الموت وَيُفرِّغُكَ لَهُ ويُكْثِرُ اشْتِغَالُ فِكركَ بِهِ تَذَكُرُ مَن مَضَى مِنْ إخْوَانَكَ وخِلاَنِكَ وأصْحَابِكَ وأقْرنِكَ وزُمَلاَئِكَ وأسَاتِذَتِكَ وَمَشايخَتِكَ الذين مَضَوْا قبلك وتَقَدَّمُوا أُمَامَك .

شعـــرا :

وَمُنْتَظِرٍ لِلْمَوتِ في كل لَحْظَـةٍ   يَشِيْدُ ويَبْنِيْ دائِمـاً ويُحَصِّـنُ
لَهُ حِيْنَ تَبْلُوْهُ حَقِيْقَـةُ مُوْقِـنٍ   وأعْمَالُهُ أعْمَالُ مَنْ لَيْسَ يُوقِـنُ
عِيَانٌ كإنْكارٍ وكالجَهْـلِ عِلْمُهُ   لِمَذْهَبِهِ في كُلِّ مـا يَتَيَقَّـنُ

كانُوا يَحْرِصُونَ حِرْصَكَ ويَسْعَوْنَ سَعْيَكَ ، ويَأمَلُونَ أَملَكَ ، ويَعْملُونَ في هذه الدنيا عَمَلَكَ وَقَصَتِ المُنوْنُ أعْنَـاقَهُم وقَصَمَتْ ظُهُورَهُم وأَصْلاَبَهُم ، وفَجَعَتْ فِيهِمْ أَهْلِيْهِمْ وأَحِبَّاءَهُم وأقْرِباءَهم وجيرانَهُم فأصْبَحُوا آيةً لِلْمُتوسِّمِيْن وعِبْرَةً لِلْمُعْتَبرين .

ويَتَذَكَر أيْضاً ما كانوا عليه مِن الاعْتِنَاءِ بالملابِسِ ونَضَافَتِها ونَضرة بَشَرَتِهِمْ ، وما كانوا يَسْحَبُونَه مِن أرْدَيةِ الشَّبَاب وأنَّهُم كانُوا في نَعِيْم يَتَقَلَّبُون ، وعلى الأسِرَةِ يَتَّكِئُون ، وبِمَا شَاؤا مِن مَحَابِهِم يَتَنَعَمُّوْن .

وفي أمَانِيِّهِم يَقُومُون ويَقْعُدُون ، لا يُفِكِّرُوْنَ بالزَّوَالِ ، ولا يَهُمُّونَ بانتقالَ ، ولا يَخْطُرُ الموتُ لَهُمْ على بال ، قد خَدَعَتْهُمْ الدُنْيا بِزَخَارِفها ، وخَلبَتْنْمْ وخَدَعَتْنُم بِروْنَقِهَا ، وحَدَثَتْهُم بأحَادِيثها الكاذِبَةِ ، وَوَعَدَتْهُمْ بمواعِيْدِهَا المُخْلِفَة الغَرارةِ .

فَلَمْ تَزل تُقَرِّبُ لَهُمْ بَعِيْدَهَا ، وتَرْفَعُ لَهُم مَشيْدَهَا ، وتُلبِسُهُم غَضَّهَا وجَدِيْدَهَا ، حتى إذا تَمكنَتْ مِنهم علائِقُهَا ، وتحكَّمَتْ فيهم رَوَاشِقُهَا ،

وتَكَشَّفَتْ لهم حَقَائِقُهَا ، ورَمَقَتْهُمْ مِن المنِيَّةِ رَوَامِقُهَا .

فَوَثَبَتْ عليهم وثُبَتَ الحَنِقِ وأُغَصَّتْهُمْ غُصَّةَ الشَّرِق ، وقَتَلَتْهُمْ قَتْلَةَ المُخْتَنِقْ ، فَكَمْ عَليهم مِن عُيُون بَاكِيَةٍ ، ودُمُوعٍ جَارِيَةٍ ، وخُلُوْدٍ دَامِيَةٍ ، وقُلُوبٍ مِن الفَرحِ والسُرُوْرِ لِفقْدِهم خَالِيَة . وأَنْشَدُوا في هذا المَعْنَى :

وريَّانَ مِن مَاء الشَّبَابِ إِذَا مَشَى
يَمِيْدُ عَلَى حُكْمِ الصِّبَا ويَمِيْدُ
تعَلَّقَ مِن دُنْيَاهُ إِذْ عَرَضَتْ لَهُ
خَلُوبَاً لِأَلْبَابِ الرِجالَ تَصِيْدُ
فأَصْبَحَ مِنها في حَصِيْدٍ وقَائِمٍ
ولِلْمَرْءِ مِنْهَا قَائِمٌ وحَصِيْدُ
خَلَا بالأَمَانِي واسْتَطَابَ حَدِيْثَها
فَيَنْقُصُ مِن أَطْمَاعِهِ ويَزِيْدُ
وأَدْنَتْ لَهُ الأَشيَاءَ وَهْيَ بَعَيْدَةُ
وَتَفْعَلُ تُدْنِي الشيءَ وهْوَ بَعِيْدُ
أُتِيْحَتْ لَهُ مِن جَانِبِ الموتِ رَمْيَةٌ
فَرَاحَ بِهَا المَغْرُوْرُ وهْوَ حَصِيْدُ
وصَارَ هَشِيْماً بَعدَمَا كانَ يانِعاً
وعَادَ حَدِيْثًا ينقَضِيْ وَيَبِيْدُ
كَأَنْ لَمْ يَنَلْ يَوْماً مِن الدَّهْرِ لَذَّةً
ولا طَلَعَتْ فيه عَلَيْه سُعُوْدُ
تَبَارَكَ مَن يُجْرِيْ عَلى الخَلْقِ حُكْمَهُ
فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ عَنْهُ مَحِيْدُ

اللَّهُمَّ وَفِّقْنا لِصَالِحِ الأَعْمَالَ ، ونَجِّنا من جميعِ الأَهْوَالِ ، وأَمِنَّا مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ يومَ الرَجْفِ والزِلْزَالْ ، واغْفِرْ لَنا ولِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصَلى اللهُ عَلى محمدٍ وآلِهِ وصحبه أجمعين .

تنبيـــه

قال القُـرطبي لِتَشْـدِ يْد الموتِ على الأَنْبياَءِ فائدتان إحْدهما تَكْمِيْل فضائِلِهم ورَفْعُ دَرَجَاتِهم وليس ذلك نقْصاً ولا عَذَابًا بَلْ هُو كما جَاءَ أنَّ أَشَدَّ الناس بَلاءِ الأَنْبيَاءَ ثم الأمثل فالأمثل .

والثانيةُ أن تَعْرف الخَلْقُ مِقْدَارَ أَلَم الموت وأَنَّهُ بَاطِنٌ وقَدْ يَطَّلِعُ الإنسانُ على بَعْض المَوْتَى فلا يَرى عليه حَرَكَةً ولا قَلَقًا ويَرى سُهُوْلَةَ خُروجِ رُوحِهِ فيظن سُهُوْلَةَ أمْر الموت ولا يَعْرفُ مَا الميِّتُ فيه .

فَلَما ذَكَر الأَنْبيَاءُ الصادقون في خَبرِهم شِدَّةَ أَلَمِهِ مَعَ كَرَامَتِهم على الله تعالى قَطَعَ الخلقُ بِشِدَّةِ الموتِ الذي يُقاسِيهِ الميتُ مُطْلَقًا لإِخْبَارِ الصادِقِين عنه ما خلا الشهيد في سبيل الله انتهى .

أخرجَ الطبراني عن قتادة أن رسول الله ﷺ قال « الشهيد لا يَجدُ ألمَ القَتْلِ إلا كَما يَجدُ أحَدُكم أَلَمَ مَسِّ القَرْصَة » أخرج ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات وابنُ مَنِيع في مسنده من حديث أبي هريرة مَرفوعاً « يَا أَبَا هُريرة ألا أخْبرُكَ بأمرِ حَقٍّ مَن تكلم به في أَوَّلِ مَضْجَعِهِ مِن مَرضِهِ نَجَّاهُ اللَّهُ مِن النَار .

قُلْتَ بَلَى قال « لا إلهِ إلا الله يُحيِي ويُمِيْتُ وهو حَيٌ لا يَموت وسُبْحَانَ الله رب العبادِ والبلاد والحمدُ لِلَّهِ حمدًا كثيراً طيباً مُباركاً فيه على كل حال والله أكبر كبيراً كِبْرِياؤهُ وجلالُه وقُدْرَتهُ بكُلِ مَكان .

اللهم إن كُنْتَ أمرضْتني لِتَقْبضَ رُوْحي في مَرضي هذا فاجْعلَ رُوحي في أرْواحِ مَن سَبقت لَهُم منكَ الحُسْنَى وأعِذْني من النار كما أَعَذْت أولَئِكَ الذين سَبقَتْ لَهُم منك الحُسْنَى » .

فإنْ مُتَّ في مَرضِـكَ ذلـك فإلى رضوان الله والجنة ، وإنْ كُنْتَ قد اقْـتَرفْتَ ذُنُوبًا تابَ اللَّهُ عليكَ .

سَبِيْلُ الخلقِ كلِّهِمِ الفَنَــاءُ فما أَحدٌ يَدُومُ لهُ البَقَــاءُ

يُقرِّبُنَا الصباحُ إلى المنايَـــا ويُدْنِينـــا إلَيهنَ المَســـاءُ
فلا تَركَبْ هَواكَ وكُنْ مُعَدّاً فَليْسَ مُقَدَّراً لكَ ما تشَـــاءُ
أتأمَلُ أَنْ تَعِيشَ وأيُّ غُصْـــنٍ على الأيَامِ طَالَ لَـــهُ النَّمَاءُ
تَراهُ أخضرَ العِيــدَانِ غَضًّا فَيُصْبِحُ وَهوَ مُسْوَدٌّ غُثَـــاءُ
وجَدْنَا هَذِهِ الدنيْـــا غُروراً مَتَى ما تُعْطِ يُرتَجع العَطَـــاءُ
فلا تَركَنْ إليها مُطْمَئِنًّـــا فَليسَ بِدائِمٍ مِنْهَـــا الصَّفاءُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(فَصْــــلٌ)

قال ابن الجوزي رحمه الله : إخواني إنَّ الذُنوبَ تُغَطِّي على القُلوب فإذا أظْلَمَتْ مِرْآةُ القَلْبِ لم يَبِنْ فيها وَجْهُ الهُدَى ومَن عَلِمَ ضَرَرَ الذَّنْبَ اسْتَشْعَرَ النَّدَمْ .

يل مَن أعْمالُه إذا تُؤُمِّلَتْ سَقَطْ ، كَمْ أثْبتَ له عَمَل قَلَمَّا عُدِمَ الاخْلاصُ سَقَطْ ، يا حَاضِرَ الذُهْنِ في الدنيا فإذا جَاءَ الدِيْنُ خَلَطْ ، يَجْعَل هَمَّهُ في الحِسَابِ فإذا صَلَى اخْتَلَطْ .

يا ساكِتاً عن الصوابِ فإذا تَكَلَّم لَغَطْ ، يا قَرِيْبَ الأجَلِ وهو يَجْرِيْ مِن الزلِلِ على نَمَطْ .

يامَن لا يَعِظُهُ وَهنُ العَظْمِ ولا كَلَامُ الشَّمَطْ ، يامَن لا يَرْعَوِيْ ولا يَنْتَهِي بل على مِنْهَاجِ الخطيئةِ فَقَطْ ، ويْحَكَ بَادِرْ هذا الزمان فالصِّحَةُ غَنِيْمَةٌ والعَافيةُ لُقَـــطْ .

فَكَأنَّكَ بالموتِ قَدْ سَلَّ سَيْفَهُ عَلَيْكَ واخْترطْ ، أيْنَ العَزِيزُ في الدنيا أيْنَ الغَنِيْ المْغتبطْ ، خَيَّمَ بَيْنَ القُبُورِ ، وضَرَبَ فِسْطَاطهُ في الوَسَطْ ، وباتَ في اللَّحدِ كالأسير المُرْتَبَطْ .

واسْتُلِبَتْ ذَخَائِرُهُ فَفَرَغَ الصنْدُوقُ والسَّفَطْ ، وَتَمزقَ الجِلْدُ المُسْتَحْسَنُ وَتَمعَّطَ الشَّعَرْ فكأنه ما رَجَّلَهُ وكأنه ما امْتَشَطْ ورَضِيَ وُرَّاثُه بما أصَابُوهُ وَجَعَلُوا نَصِبْهُ السَّخَطْ .

وفَرَّقُوا ما كان يَجمَعُهُ بِكَفِّ البُخْلِ والقَنطْ وَوَقَعَ فِي قَفْرٍ لا مَاءَ فيه ولا حَنَطْ وكَمْ حُدِّثَ أنَّ سَعَدَ بْنَ معاذٍ في القَبْرِ انْضَغَطْ وكَمْ حُذِّرَ مِنَ المَعَاصِي وأخْبرَ أنَّ آدمَ بلُقْمَةٍ زَلَّ فهَبَطْ .

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأعْمَالِ وآتِنا في الدُّنْيَا حَسَنةَ وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابِ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمينَ بَرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى محمد وعلى آله وصَحْبه أجْمَعِيْنَ .

آخر : موعظة لله دَرُّ أقوامٍ تَركُوْا الدُنْيَا فَأَصَابُوْا ، وسَمِعُوْا مُنَادِيَ اللهِ فأجابوا ، وحَضَروا مَشَّاهِدَ التُّقَي فما غَابُوا ، واعتَذَرُوا مَعَ التَّحقِيْقِ ثم تَابُوا وأنابُوا ، وقَصَدُوْا بابَ مَوْلَاهُم فما رُدُّوا وَلَا خَابُوا .

قال عَمْرُو بنُ ذَرٍ لَمَّا رأى العَابدُوْنَ الليلَ قد هَجَم عَليهم ، ونَظَرُوا إلى أهْلِ الغَفْلَةِ قد سَكَنُوا إلى فُرشِهِمْ وَرَجَعُوا إلى مَلَاذِّهِم .

قَامُوْا إلى الله سبحانه وتعالى فَرِحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ بِمَا قَدْ وَهَبَ اللهُ لَهُمْ مِن السَّهَرِ وطول التَّهَجُدِ .

فأستَقْبَلُوا الليلَ بأبْدِانِهم ، وبَاشَرُوا ظُلْمَتَهُ بصِفَاحِ وُجُوهَهِم ، فانْقَضَى عنهم اللَّيلُ ، وما انقَضَتْ لذَّتهُم مِنَ التلاوة ، ولا مَلَّتْ أبْدَانهم مِن طُول العِبَادَة ، فأصْبَحَ الفريْقَانِ وَقَدْ وَلَّى الليلُ بِربْحٍ وغَبْن .

فاعْمَلُوا في هذا الليل وَسَوادِهِ ، فإنَّ المْغُبونَ مَن غُبِنَ الدنيا والآخرة ، كَمْ مِن قائمٍ لله تعالى في هَذَا الليل قد اغْتَبَطَ بقيامِهِ في ظُلْمَةِ حُفْرَتِه .

قال بَعْضُ العارفين ما أُحِبُ أنَّ حسَابِي يومَ القيامةِ يُجْعَلُ إلى أبَوَيَّ لأنِّي أعْلَمُ وأتَيَقَنُ أنَّ اللهَ جَلَّ وعَلَا أرْحَمُ بِي منهم .

شعــــرا :

أَفِقْ وابْكَ حَانَتْ كَبْرَةٌ ومَشِيْـــبُ أمَا لِلتُّقَي والحَقِّ فِيكَ نَصِيْــــبُ
أيَا مَنْ لَهُ فِي باطِنِ الأرضِ مَنْـــزِلٌ أتَأنَسُ بالدُنْيَا وأنْتَ غَــــرِيْبُ
وما الدهــــرُ إلَّا مَرُّ يومٍ وَليْلَـــةٍ وما المـــوتُ إلاَّ نـــازِلٌ وقَرِيْبُ

اللهم ثَبِّتْ قُلوبَنَا على دِيْنِكَ وألهِمْنَا ذكرَكَ وشُكرَكَ واخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ

السَّعَادَةَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوِلدَيْنَا وجَمْيعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلَّى اللهُ على محمدٍ وعلى آله وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(فصـــــل)

أخرج الطبراني عن أبي هريرة وأبي سَعِيْدٍ الخُدْرِي مرفوعا « مَنْ قال عند مَوتِهِ إلا إله إلاَّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لا تَطْعَمُه النار .

وأخرج الحاكم عن سعد بن أبي وقَّاص أن النبي ﷺ قال هل أَدُلكم على اسم الله الأعظم دُعَاء يُونس « لا إله إلا أنْتَ سُبْحَانَكَ إني كنتُ مِن الظالمين » .

فأيُّما مُسْلم دَعَـا بها في مرض مَوته أَرْبعِينَ مَرة فمات في مَرضِهِ ذلك أُعْطِيَ أجْرَ شهيد وإن بَرِىءَ مَغْفُورًا لَهُ .

وأخرج أحمد وأبوُ داود والحاكم عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ « مَن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دَخَل الجنة » .

وأخرج سعيد بن منصور في سُنَنِهِ والمروزى ومسلم وابن أبي شيبة عن أم الحسن قالت كُنْتُ عند أم سلمة فجاءها إنسان فقال فلان بالموت .

فقالَتْ إنطلق فإذا رأيته احْتُضِرَ فَقُلْ : سَلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

وأخرج الترمذي والبيهقي من طريق ابن اسحاق عن ابن عمر رضي الله عنهما قال دخل رسول الله ﷺ قبر سعد بن معاذ فاحْتُبِسَ (أي تأخر في الخروج) فلما خرج قيل يا رسول الله ما حَبَسَكَ قال ضُمَّ سَعْدُ في القبر ضَمَّةٍ فدعوت الله أنْ يكشف عنه .

وأخرج الحكيم الترمذي والبيهقي من طريق بن إسحاق حدثني أُمَيَّةُ ابن عبدالله أنه سُئِلَ بَعْضُ أَهْلِ سَعْدٍ ما بَلغكم من قول رسول الله ﷺ في

هذا فقالوا ذُكِرَ لنا أن رسول الله ﷺ سُئِل عن ذلك فقال كان يُقصِّرُ في بعض الطَّهور مِن البول .

وأخرج هناد بن السرى في الزهد عن أبي مُلَيْكَة قال ما أجيْرَ من ضَغْطَةِ القَبْرِ أَحَد ولا سَعْدُ ابنُ مُعاذ الذي منديل من مَنَادِيْلِهِ خير من الدنيا وما فيها .

وأخرج أيضا الحَسَن أن النبي ﷺ قال حِيْنَ دُفِنَ سعد بن معاذ « إنَّه ضُمَّ في القَبَرِ ضَمَّةً حتى صَارَ مِثْل الشّعْرةِ فَدَعَوْتُ اللَّهَ أن يَرفَعَهُ عنه وذلك بأَنَّهُ كانَ لا يَسْتَبْرِىءُ من البول » الاسْتِبْراءُ (اسْتِفْرَاغ بَقِيْةِ البَول) .

وأخرجَ ابنُ سَعْدٍ المَقْبُري قال لَمَّا دَفَنَ رسُولُ الله ﷺ سَعْدَ بنَ مُعَاذٍ قال لو نَجَا أَحَدٌ من ضَغْطَةِ القَبْرِ لَنَجا سَعْدٌ ولَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً إخْتَلَفْتْ فيه أضْلاعُهُ مِن أثَرِ البَوْلِ » قلتُ يَنْبَغِي للإنسان أن يلاحِظَ نَفْسَه مِن جِهةِ الاسْتِبْراء مِن البَول لما سَمِعْتَ مِن خَطَرِهِ .

قال أبو القاسم السَّعْدِى في كتاب الرُوْحِ لا يَنْجُو مِن ضَغْطَةِ القبر صالح ولا طالح غَيْر أن الفَرْقَ بَيْنَ المسلمِ والكافرِ دَوَامَ الضَّغْطَة لِلْكَافِرِ .

وحُصُـول هذه الحـالـةِ لِلْمؤمن في أَوَّل نُزُوْلِـهِ إلى قَبْرِهِ ثم يَعُود إلى الانْفِسَاحِ له فيه .

قال والمرادُ بِضَغْطَةِ القبر التِقَاءُ جَانِبَيْهِ على جَسَدِ الميت وقال الحكيم الـترمذي سَبَبُ هذه الضّغْطَةِ أنّه مَا مِن أحَدٍ إلاَّ وقَدْ أَلَمَّ بخَطِيْئَةٍ وإن كان صالحا فَجُعِلَتْ هذه الضَّغْطِة جَزَاءً لَهُ ثم تُدْرِكُه الرحْمَةُ ولِذَلِكَ ضُغِطَ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ في التقصيرِ مِن البول .

وقال السبكي في بَحْرِ الكلام المؤمنُ المطيعُ لا يكون له عَذابُ القبر ويكونُ ضَغْطَة القبر .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن محمد التَّيْمِي قال كان يُقَالُ إن ضَمَّة القبر

إنما أصلها أنها أمهم ومنها خُلِقُوا فَغَابُوا عنها الغَيْبَة الطويلة .

فلما رد إليها أولادها ضمَّتْهُم ضَمَّ الوالدة غَابَ عنها وَلَدُهَا ثم قَدِمَ عليها فمن كان لله مُطِيعًا ضَمَّتْهُ بِرَأفَةٍ ورِفْق ومَن كان عاصيًا ضمَّته بِعُنْفٍ سَخَطًا عليه لِرَبِّهَا .

وأخْـرَجَ البَيْهَقِي وابنُ مَنْـدَةَ والـديْلَمي وابنُ النجـار عن سَعيد بن المُسَيَّب أن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله إنكَ مُنْذُ يوم حَدَّثتني بصَوتِ منكرٍ ونكيرٍ وضغْطَةِ القبرِ لَيْسَ يَنْفَعُني شيء .

قال « يا عائشـةِ إنَّ أَصْوَاتَ منكر ونكِير في سماع المؤمنين كالإثْمِدِ في العين ، وإنَّ ضَغْطَةَ القبر على المؤْمنِ كالأم الشفيقة يَشكُو إليها ابنُها الصُداعَ فَتَغْمِزُ رَأسَه غَمْزًا رَفِيْقًا .

ولكن يا عائشـة وَيْلٌ للشـاكـين في الله كَيْف يُضْغَـطُون في قبورهم كَضَغْـطَةِ الصَّخْـرَةِ على البَيْضَـةِ » . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فـوائـد ومـواعـظ

قال بَعْضُهم مَن فَعَل سَيئةً فإنَّ عُقُوبَتَها تُدْفَعُ عنه بعشرة أسْبَاب .

أحَدُهَا أن يَتُوبَ فيُتَابَ عليه .

ثانياً أن يَسْتَغفِرَ فَيُغْفَرَ لَهُ .

ثالثاً أنْ يَعْمَل حسنات فَتَمْحُوهَا فإنَّ الحَسَناتِ يُذهِبْنَ السَّيِّئات .

رابعاً أن يُبْتَلَى في الدنيا بِمَصَائِبَ فتكفر عنه .

خامساً الضَّغْطَةِ والفِتْنَةِ فتكفر عنه .

سادساً دُعَاء إخوانه المسلمين واسْتِغْفَارهم له .

سابعاً أو يُهْدُونَ لَهُ مِن ثواب أعمالهم ما يَنْفَعُه .

ثامناً أو يُبْتَلَى في عَرَصَات القِيامةِ بِأَهْوَالٍ تُكَفِر عنه .

تاسعاً أو تُدْركهُ شَفَاعَةُ نِبَيِّه ﷺ .

عاشراً أوْ رحمة رَبِّهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلّ شيء .

موعظـــة : يُخْشَى على أهل الملاهِي والمنكرات والمجالِسِيْنَ لأَصْحَابِهِا مِن سُوْءِ الخاتمة .

أخرج ابنُ أبي الدنيا والبيهقي في الشعب وأبو نعيم عن مُجَاهِد قال ما مِن مَيِّتٍ يَمُوتُ إلا عُرِضَ عليه أهلُ مَجْلِسِه إن كانَ مِن أهل الذِكر فمِن أهل الذكر وإن كان مِن أهل اللَّهو فمِن أهلِ اللّهو .

وأخرج ابنُ أبي شيبية مِن طريق مُجاهد عن يزيد بن عُجْرة وهُوَ صَحَابي رضي الله عنه قال ما مِن مَيِّتٍ يَمُوْتُ حَتَّى يُمَثَّل له جُلَسَاؤهُ عند مَوْتِهِ إن كانُوا أَهْلَ لَهوٍ فَأَهْلَ لَهْوٍ وإنْ كانوا أَهْلَ ذِكْرٍ فأَهْلَ ذِكر .

وأخرج البَيْهَقِيُ في الشعب عن الربيع بن برة وكان عابداً بالبصرة قال أدْرَكْتُ الناس بالشام وقِيلَ لِرَجُلٍ قُلْ : لا إلهَ إلا الله قال : اشْرَبْ واسْقِنِي .

وقيل لِرَجُلٍ بالأهواز يا فلان قُلْ لا إله إلا الله فَجَعَلَ يَقُولُ دِهْ يا زِدِهْ .

وقِيْل لِرَجُلٍ هَهُنَا بالبصرة يا فلان قُلْ لا إله إلا الله فجعل يقول :

يـا رُبَّ قـائِلَـةٍ يَـومًـا وقَـدْ تعِـبَتْ   أيْنَ الطَّـريق إلى حَمَّـامِ مَنْجـابِ

إنتهى إهـ .

والقائل رجُلٌ طَلبَتْ منه إمْرَأَةٌ أنْ يَدُلها على حَمَامَ مَنْجَاب فَدلَّهَا إلى مَنْزلَه وذَهَبَ يأتي بشيء ونَسِيَ إغلاقَ بَابه فَخَرَجَت وقد تعَلَّقَ قَلْبُهُ بها فَجَعَلَ يَدُوْرُ في الأَسْوَاق ويُرَدِّدُ هذا البيتَ فَمرَّ ببَيْتِها فقالَتْ مِن دَاخِل بَيْتِهَا وهوَ يَسْمَعُ .

الـرِزْقُ إذاَ نَفَــدَ لَــهُ رَبٌّ يَخْلِفُـه   والعِـرْضُ إذا نفَـدَ مِن أيْنَ يُنْجَـابُ

فمِاتَ وهو يُرَدِّدُ هذا البيت نسأل الله حُسْنَ الخاتمة وأن يكون خَتامُ الصحيفةِ شَهادَة إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وأن محمد عبده ورسوله .

شعرا :   كم آيَــــةٍ للهِ شــــاهِدَةٌ   بأنَّهُ لَا إلـــهَ إلّا هُـــــوْ

أخرج ابنُ أبي الدنيا عن أبي محمد على قال ما مِن مَيِّتٍ يَموتُ إلاَّ مُثِلَ لَه عند مَوته أعمالُه الحسنة وأعمالُه السيئة فَيَشْخَصُ إلى حَسَناتِه ويُطْرِقُ عن سَيئآته . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصـــل أخرج ابن أبي شيبية والمروزى عن جابر بن زيد قال يُسْتَحَبُّ إذا حُضِرَ المَيّت (أَيْ حَضرَهُ المَوْت) أن يقرأ سُورة الرَّعْدِ فإنَّ ذَلِكَ يُخَفِّفُ عن الميت وأنه أَهْوَنُ لِقَبْضِهِ وأيْسَرُ لِشَأنه .

وأنه أَهْوَنُ لِقَبْضِهِ وأيْسَرُ لِشَأنه .

وكان يقال قَبلَ أنْ يَموتَ الميت بساعة في حَياة رسول الله ﷺ اللهم اغْفِرْ لِفُلان بن فلان ، وبَرِّدْ عليه مَضْجَعَه ، وَوَسِّعْ عليه قَبْرَه ، وأَعْطِهِ الراحَة بعد الموت ، والْحِقْهُ بِنَبيِّه .

وتَوَلَّ نَفْسَهُ ، وصَعِّدْ رُوْحَهُ في أَرْوَاحِ الصَّالِحِين ، واجْمَعْ بَيْنَنَا وبَيْنَهُ في دَارٍ تَبْقَى فيها الصِحَّةُ ويَذْهَبُ عَنَّا فيها النَّصَبُ واللُّغُوب ، ويُصَلِّي على رسول الله ﷺ ، ويُكَرِرُ ذلك حتى يُقْبَض .

وعن ابن أبي شيبة والمروزي عن الشعبي قال كانتِ الأنصارُ يَقْرَؤنَ عند الميت سُوْرَةَ البَقَرة .

وأخْـرَجَ أبـو نعُيَم عن قتادة في قوله تعالى ﴿ ومَن يتق الله يَجْعَل له مَخرجَا ﴾ قال مَخْرَجاً مِن شُبُهاتِ الدنيا ومِن الكُرُبَ عند الموت ومِن مَوَاقِف يوم القِيامة .

أَخْرَجَ ابن أبي الدنيا عن وهيب بن الورد قال بَلَغَنَا أَنَّهُ مَا مِن مَيِّتٍ يَمُوت حتى يتراءى له ملكاه اللذان كان يَحْفَظَان عليه عمله في الدنيا .

فإن كان صَحِبَهُمَا بطَاعَة الله قالا جَزَاكَ اللَّهُ عنا مِن جَلِيْسٍ خَيْرًا فرب مَجْلِس صِدقٍ قد أجْلسْتناه وعملٍ صالحٍ قد، أحْضَرْتَناه وكلام حَسنٍ قد أَسْمَعْتَنَاه فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا مِن جَلِيْسٍ خَيْرًا .

وان كان صَحِبَهُمَا بِغَير ذلك مِمَّا لَيْسَ لِلَّهِ فيه رِضاه قلبًا عليه الثناءِ فقالا لا جزَاكَ الله عَنَّا مِن جَليس خَيْرًا .

فَرُبَّ مَجْلِسِ سُوءٍ قد أَجْلَسْتناه ، وعمل غير صالحٍ قد أحْضَرْتَنَاه ، وكلام قبيحٍ قَدْ أَسْمَعْتَنَاه .

فلا جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا مِن جَليسٍ خَيْرًا قال فذلك شُخُوصُ بَصَرِ الميتِ إليهما ولا يرجعُ إلى الدنيا أبدًا .

وأخرج عن سفيان قال بَلَغَني أن العَبدَ المؤمِنَ إذا أحْتُضِرَ قال مَلَكاهُ اللَّذَانِ كانا مَعَه يَحْفَظَانِه أيام حَياتِه عِنْد رَنَّةِ أَهْلِهِ دَعُوْنَا فَلْنُثْنِ على صاحِبِنَا بِمَا عَلِمْنَا مِنه .

فيقُولان رَحِمَك الله وجَزَاكَ اللَّهُ مِن صاحِبٍ خَيْرًا إن كُنْتَ لَسرِيْعاً إلى طَاعَةِ اللَّهِ بَطِيْئًا عن مَعْصِيَةِ الله وإنْ كُنْتَ لِمَّنْ نَأمَنُ غَيْبَكَ فَنَعْرُجُ فلا تُشْغِلْنَا عن الذكر مَعَ الملائكة .

وإذا احْتُضِرَ العَبْدُ السُوء فَرَنَّ أَهْلُهُ وضَجُّوْا قامَ المَلَكَان فقالا دَعُونَا فلْنُثنِ بما عَلمنا منه فَيقُولانِ جَزَاكَ اللَّهُ مِن صاحبٍ شَرًّا .

إنْ كُنْتَ بَطِيئًا عن طاعةِ اللَّهِ ، سَرِيْعًا إلى مَعْصِيَتِهِ ، وما كُنَّا نأمَنُ غَيْبَك ، ثم يَعْرُجَانِ إلى السماء .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر في تفسيرِيهما عن ابن جريج قال قال رسول الله ﷺ لِعَائِشةِ إذَا عَاينَ المؤمِنُ الملائكةَ .

قالوا نرُجعُكَ إلى الدنيا فيقُول إلى دَارِ الهُموم والأحزان قُدْماً إلى الله (أيْ تَقَدَّمُوا بي تَقدُمًا إلى الله) .

وأمَّا الكافر فيقُولونَ لَهُ نرجِّعُكَ إلى الدنيا فيقول (رَبِّ ارجِعُون لَعَلِّي أعمل صالحًا فيما تَرَكْتُ) .

وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن الربيع بنِ خَيْثَمٍ في قوله تعالى ﴿ فأمَّا إنْ كان مِن المُقَرَّبين فروحٌ وريحان ﴾ .

قال هذا له عند الموت وتُخْبَأُ لَهُ في الآخرة الجنة .

وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزلٌ مِن حميم وتصْلِيَةُ جحيم .

قال هذا عند الموت وتُخْبَأُ لَهُ في الآخرة النار .

أخرج أحمد والبراز والحاكم وصححه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « كان مَلَكُ الموتِ يأتي الناسَ عِيانًا فأتى موسى فَلَطَمَهُ فَفَقَأَ عينه .

فأتى رَبَّـهِ فقـال يا رب عبـدك مُوسَى فقأَ عَيْني ولولا كرامتُه عليكَ لَشَقَقْتُ عليه ، قال إذْهَبْ إلى عَبْدِي فقل له فلْيَضَعْ يده على جلد ثور فله بكل شعرة وارَتْ يَدُهُ سَنِة .

فأتاه فقال ما بعد هذا قال الموت قال فالآن قال فشمَّهُ فقبضَ رُوحَهُ ورد الله إليه عَيْنَه ، فكان يأتي بعد الناس خفية .

أخرج ابن أبي الدنيا في القبور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما مِن مَيِّتٍ يوضع على سَرِيره فَيُخْطَى به ثلاث خطوات إلا تكلم بكلام يسمعه مَن شَاء اللَّهُ إلا الثقلين الإنس والجن .

يَقُول يا إخْوَتَاه ويا حَمَلَةَ نَعْشَاه لا تَغُرَّنكُم الدُنيا كما غَرَّتْنِي ، ولا يَلْعَبَنَّ بكم الزمانُ كما لَعِبَ بي .

خَلَّفْتُ ما تركتُ لِوَرَثتي ، والديانُ يومَ القِيامة يُخَاصِمُني ويُحَاسِبنِي ، وأنتم تُشَيِّعُونَني وتَدَعُوني (أي تتركُوني) .

أخرج الترمذي وأبو نعيم وأبو يعلى وابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم عن أنس أن النبي ﷺ قال « ما مِن إنسان إلا له بابان في السماء ، بابٌ يَصْعَدُ عملُه فيه ، وباب يَنْزِلُ منه رزقهُ ، فإذا ماتَ العبدُ المؤمن بَكَيا عليه » .

وأخرج أبو نعيم عن عطاءٍ الخرساني قال ما مِن عبد يسجد لله سَجْدةً في بُقْعَةٍ من بقاع الأرض إلا شَهدَتْ له يومَ القِيامةِ وبكَتْ عليه يومَ يَموت .

وأخرجَ سعيدُ بنُ منصور وابنُ أبي الدنيا عن محمد بن قيس قال بَلَغني أن

السمواتِ والأرض يَبْكِيَانِ على المؤمن تقول السماء مازال يَصْعَدُ إليَّ منهَ خير وتقول الأرض مازال يفعَلُ عَليَّ خَيْرًا .

وأخرج ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال إنَّ المؤمنَ إذا ماتَ بكى عليه مُصَلاهُ مِن الأرضِ ومَصْعَدُ عَمَلِهِ مِن السماءِ ثم تلا ﴿ فما بكت عليهم السماءُ والأرض ﴾ .

شِعْرًا :

أَلَا إنَّ السِّباقَ سباقُ زُهْدٍ ... وما في غَيْرِ ذلكَ مِنْ سِبَاقِ
ويَفْنَى ما حَواهُ الملكُ أصلًا ... وَفِعْلُ الخيرِ عِنْدَ اللهِ باقِ
سَتَأْلَفُكَ النَّدامَةُ عَنْ قَريب ... وتَشْهَقُ حَسْرَةً يَوْمَ المَسَاقِ
أَتَدْري أَيَّ ذاكَ اليَوْمِ فَكِّرْ ... وأيْقِنْ أَنَّهُ يَوْمُ الفِرَاقِ
فِرَاقٌ لَيْسَ يُشْبِهُهُ فِرَاقٌ ... قَد انْقَطَعَ الرَّجاءُ عنِ التَّلاقي

شعــراً :

إلى كَمْ ذا التراخي والتمادي ... وحادِي المـوتِ بالأرواح حَادِي
فلــو كُنَّا جَمَاداً لاتَّعَظْنَا ... ولَكِنَّا أشـدُّ مِنَ الجَمَادِ
تُنادينا المَنِيَّةُ كُلَّ وقتٍ ... وَمَا نُصْغِي إلى قَولِ المُنَادِي
وأنفاسُ النفوسِ إلى انْتِقَاصٍ ... ولكنَّ الذُّنُوبَ إلى ازْدِيَادَ
إذا ما الزرعُ قَارَنَهُ إصْفِرَارٌ ... فليسَ دَوَاؤُهُ غيرَ الحَصَادِ
كَأَنَّكَ بالمشِيْبِ وقد تَبَدَّى ... والأُخرى مُنَادِيْهَا يُنَادِي
وقالوا قد مضى فاقروا عليه ... سَلامَكُمُوا إلى يَوْمِ التَّنَادِي

آخــر :

أَبَدًا تُفَهِّمُنَا الخُطُوبُ كُرُوْرَهَا ... ونَعُوْدُ في عَمَهٍ كَمَنْ لا يَفْهَمُ

تَلْقَى مَسَامعنا العِظَات كأَنَّمَا ... في الظِل يَرْقُمُ وعْظه مَن يَرْقمُ
وصَحَائفُ الأَيَام نحْنُ سُطُورُهَا ... يُقرا الأخِيْرُ ويُدْرَجُ المُتَقَدِّمُ
لَحَدٌ على لَحَدٍ يُهَالُ ضَرِيحُهُ ... وبأعْظُمٍ رمَمٌ عليها أعْظُمُ
مَن ذَا توفَّاهُ المُنونُ وقَبْلَنَا ... عَادٌ أَطَاحَهُمُ الحِمَامُ وجُرْهُمُ
والتُّبَّعَانِ تَلاحَقَا ومُحَرِّقٌ ... والمُنْذِرَانِ ومالكٌ ومُتَمِّمُ

آخَرُ:

مَا حَالُ مَنْ سَكَنَ الثَّرى ما حَالَهُ ... أمْسَى وقد قُطِعَتْ هُنَاك حِبَالُهُ
أمْسَى ولا رَوْحُ الحَيَاةِ يُصِيبُهُ ... يَوْماً ولا لُطْفُ الحَبِيْبِ يَنَالُهُ
أمْسَى وحَيْداً مُوْحَشاً مُتَفَرِّداً ... مُتَشتِّتاً بَعْدَ الجَمْيعِ عِيَالُهُ
أمْسَى وقد دَرَسَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ ... وتَفَرَّقَتْ في قبرِهِ أوْصَالُهُ
واسْتَبْدَلَتْ مِنْهُ المَجَالِسُ غيْرَهُ ... وتُقُسِّمَتْ مِن بَعْدِهِ أمْوَالُهُ

اللَّهُمَّ يَا مِنْ لَا تَضُرُّهُ المعصيَةُ ولَا تَنفَعُه الطَّاعَةُ أيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الغَفْلَةِ وَنَبِّهنا لاغْتِنَام أوْقَاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمصَالِحِنَا واعْصِمْنَا مِنْ قَبَائحنَا وذُنُوبِنا ولا تؤَاخِذْنَا بَما انْطَوَتْ عليْهِ ضَمَائِرُنا واكِنَّتْهُ سَرَائِرُنا مِنْ أنْواعِ القَبَائِحِ والمَعَائِبِ التي تَعْلمُها مِنّا واغفِرْ لَنا ولِوَالِدَيْنا ولِجميعِ المُسْلِمِيْنَ الأحْياءِ مِنهُمْ والميتين بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبه

(فصل)

أخرج أبو نعيم وابن مَنْدَه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ادفنُوا مَوتاكم وسَطَ قومٍ صالحين فإن الميتَ يَتأذى بجَارِ السُوء كما يَتأذَّى الحَيُ بِجَارِ السُوء » .

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « إذ ماتَ لأحدِكم الميتُ فأحْسِنُوا

كَفَنه وعَجّلُوا بانْجَازِ وَصِيَّتِه وأعْمقُوا له في قَبْرِه وجَنِّبُوه الجَارَ السُوء » .

قِيلَ يا رسول الله وهَلْ يَنْفَعُ الجَارُ الصالحُ في الآخرة قال « هَلْ يَنْفَعُ في الدنيا » قال نَعَم قال « كذلك يَنْفَعُ في الآخِرة » .

أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في جَنَازَةٍ فَجَلَسَ إلى قَبْرٍ .

فقال مَا يَأتي على هَذا القبر من يَوم إلا وهو يُنَادِي بصوتٍ طَلِقٍ ذَلِقٍ .

يَا ابْنَ آدمَ كَيفَ نَسِيتَنِيْ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّيْ بَيْتُ الوَحْدَة ، وبَيْتُ الغُرْبَةِ ، وبَيْتَ الوَحْشَةِ ، وبَيْتُ الدُوْد ، وبَيْتُ الضِّيْق إلا مَن وَسَّعَني الله عليه .

ثم قال رسول الله ﷺ « القَبْرُ إمَّا رَوْضَةٌ مِن رِياضِ الجَنَّةِ ، أَوْ حُفْرةٌ مِن حُفَر النار » .

وأخرج ابنُ أبي الدنيا والحكيمُ والترمذي وأبو يعلي والحاكم في الْكُنى والطبراني في الكبير وأبو نُعَيم عن أبي الحَجَاج الثمالي . قال قال رسول الله ﷺ « يَقُولُ القَبْرُ لِلْمَيِّتِ حِينَ يُوضَعُ فيه أَلَمْ تَعْلَم ويْحَكَ أني بَيْتُ الفِتْنَةِ ، وبَيْتُ الظُلْمَةِ ، وبَيْتُ الوَحْدَة ، وبَيْتُ الدود ، يا ابن آدم ما غَرَّك بي إذْ كُنْتَ تَمُر عَليَّ فَدَّادًا .

فإن كان مُصْلِحًا أجاب عنه مُجِيْبُ القَبْر فيقولُ أرَأَيْتَ إن كان يأمر بالمعروف ويَنْهَى عن المنكر فيقولُ القَبْرُ إني إذًا أتَحَوَّلُ عليه خَضِراً ويَعُود جَسَدُهُ نُورًا وتَصْعَدُ رُوحُه إلى الله تعالى » .

أخرج البزار عن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال إذا بلغَتِ الجنازةُ القبرَ فَجَلَسَ الناسُ فلا تَجْلِسْ ولَكِنْ قم على شَفِيْرِ القَبْرِ فإذا دُلِّيَ في قَبْرِهِ فَقُلْ :

بِسْم اللَّهِ وعلى مِلَّة رسول الله اللهم هذا عَبْدُكَ نَزَلَ بكَ وأَنْتَ خَيرُ مَنْزُوْلٍ به خَلَّفَ الدنيا خَلْفَ ظَهْرِهِ فاجْعَلْ ما قَدِمَ عَليه خَيْرًا مِمَّا خَلَّفَ فانك قُلْتَ ﴿ وما عند اللَّهِ خَيْرٌ للأبرار ﴾ .

وأخرجَ ابنُ أبي شَيْبَةَ في المصنف عن خَيْثَمَةَ قال كانوا يَسْتَحِبُونَ إِذَا دَفَنُوا المَيِّتَ أَنْ يَقُولوا بسم الله وعلى مِلَّةِ رسول الله اللهم أجِرْهُ مِن عَذابِ القبر ومِن عذاب النار ومِن شر الشيطان الرجيم .

وأخرج ابن ماجه والبيهقي في سُنَنِهِ عن ابن المسيب قال حَضَرْتُ بن عمر رضي الله عنهما في جنازة إبْنَةٍ له فلما وضعها في اللحد قال بسم الله وفي سبيل الله فلما أخـذ في تسـوية اللحد قال اللهم أجِرْهَا مِن الشيطان ومِن عَذَابِ القبر فلَمَّا سُوِّيَ الكَثِيْبُ عليها قامَ جَانِبَ القَبْرِ ثم قال اللهم جافِ الأرضَ عن جَنْبَيْهَـا وصَعِّـدْ رُوحَها ولَقِّهَا مِنْكَ رِضْوَانًا ثم قال سَمِعْتُهُ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وأخرج بن أبي شيبة عن مجاهد أنه كان يقول بسم وفي سبيل الله اللهم افْسَحْ في قبره ونَوِّرْ له فيه وأَلْحِقْهُ بِنَبِيِّهِ .

وأخرج الطبراني عن عبدالرحمن بن العلاء بن الجَلاح قال قال أبي يا بُنَيَّ إذا وضَعْتني في لَحْدِي فقل بسم الله وعلى مِلَّةِ رسول الله ﷺ .

ثم سُنَّ عَليَّ الترابَ سَنًا ثم أَقْرأ عندَ رَأسِي بفاتحة البقرة وخَاتِمتِهَا فإني سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ ذلك .

وأخرج الطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول إذا مات أحدكم فلا تَحبسُوه وأسْرِعُوا به إلى قبره .

ولْيُقْرَأ عِندَ رَأسِهِ فاتِحَةَ الكتاب ولَفْظُ البيهقي فاتحة البقرة وعند رجليه بخاتمة سُورة البقرة في قبره .

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال كان رسول الله ﷺ يَقِفُ على القبر بعد ما يُسَوّى عليه فيقول :

اللهم نَزَلَ بكَ صَاحِبُنَـا وخَلَّفَ الدنيا خَلْفَ ظَهْرِهِ اللهم ثَبِّتْ عند المسألة مَنْطِقَه ولا تَبْتَلِهْ في قبره بما لا طاقةَ له به .

أخرج ابن ماجه عن البراء كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فَجَلِسَ على شفير قبره فبَكَى وَأَبْكَى حتى بل الثرى ثم قال « يا إِخْوَتي لِمثلِ هذا فأعِدُوا .

اللهُمّ نجّنـا برحمتِك مِن النار وعافِنا مِن دارِ الخِزْيِ والبَوَارِ وَأَدْخِلنا بِفَضْلِكَ الجنةَ دارَ القَرارِ وعامِلْنَا بكَرَمِكَ وَجُودِكَ يا كريمُ يا غَفارُ واغْفِرْ لنا وِلوالِدَيْنا ولجميعِ المسلمينَ الأَحياءِ منهْم والميتينَ برحْمَتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ وصَلّى اللَّهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين .

فصل) أَخْرَجَ الدَّيْلِمي والخطيبُ وأبُو نُعَيْم وابنُ عبدالبر في التمهيد عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « مَن قال في كل يوم مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين كان له أمانًا من الفقر وأنْسًا في وحْشَةِ القَبْرِ وفتِحَتْ لهُ أَبْوَابُ الجنة » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال مَن قرأ سُورة الملك كلَّ ليلة عُصِم مِن فَتنةِ القَّبْرِ ومَن وَاظبَ على قول الله تعالى ﴿ إِني آمَنْتُ بربكم فاسمعون ﴾ سهل الله عليه سُؤال منكرٍ ونكير .

وأخرج أبو الفضل في عُيُونِ الأخبار بسَنَدِهِ عن عُمَر مرفوعا « مَن نَوَّرَ في مَسَاجدَ اللَّهِ نورَ اللَّهُ لَهُ في قبرِهِ ، ومَن أَرَاحَ فيه رَائِحةً طَيّبَةً أدخل الله عليه في قبره مِن رَوْحِ الجَنَّةِ .

وأخرج ابَنُ أبي الدنيا والبيهقيُ عن مَيْمُوْنَةَ قالَتْ قال رسول الله ﷺ « يا مَيْمُوْنةُ تَعَوَّذِي بالله مِن عذابِ القبر ، وإن مِن أشدِ عذابِ القبر الغِيْبَةَ والبَوْل » .

شِعْرًا : أَمِنْ بَعْدِ مَثْوَى المَرْءِ في بَطْنِ أُمِّهِ ... إلىَ ضِيْقِ مَثْواهُ مِن الأَرْضِ يُسْلِمُ
وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَ الضّيْقِ والضِّيْقِ فُرْجَةٌ ... إلى ذَاكَ إنَّ اللهُ بالعَبْدِ أَرْحَمُ

شعـــــرا :

قد رَجَّلُوْني وَمَا بالشِعْرِ مِنْ شَعَثٍ ... والْبَسُوْني ثِيَاباً غَيْرَ أخْـــلاَقِ
ورَفَّعُونِي وقَالُوا أيُّمَــا رَجُــلٍ ... وأدْرَجُوني كأنِي طَيُّ مِخْـــرَاقَ
وَأرْسَلُوا فِتْيَةً مِن خَيْرِهم حَسَــباً ... لِيُسْنِدُوا في ضَرِيْح القَّبرِ أُطْبَــاقِي
وَقسَّمُوُا المالَ وارْفَضَّتْ عَوَائِدهُم ... وقال قَائِلُهُم مَاتَ ابْنُ حَــذَّاقِ
هَوِّنْ عَلَيْكَ ولا تُولَعْ بِاشْفَــاقِ ... فإِنَّمَا مالُنَا لِلْوَارِثِ البـــاقي

آخــــر :

وَكَيْفَ أشِيْدُ في يَوْمِي بِنَـــاءً ... وأعْلَمُ أَنَّ في غَدٍ عنه ارْتحَــالِيْ
فلا تَنْصِبْ خِيَامَكَ في مَحَــلٍّ ... فإنَّ القَاطِنِيْنَ على احْتِمَـــالِ

آخــــر :

أخِيْ ما بَالُ قَلْبُكَ لَيْسَ يَنْقَــى ... كَأَنَّكَ لا تَظُنُّ الموتَ حَقَّـــا
أَلَا يا ابْنَ الذينَ فَنَوْا وبــادُوْا ... أمَا واللهِ ما ذَهَبُوا لِتَبْقَــــى
وما لِلنَّفْس عندكَ من مُقَــامٍ ... إذا مَا اسْتَكْمَلَتْ أجَلاً ورزْقــا
وما أحَدٌ بِزَادِكَ مِنْكَ أحْظَـــى ... ولَا أحَدٌ بِذَنْبِكَ مِنْكَ أشْــقَى
وَلا لَكَ غَيْرَ تَقْوَى اللـــهِ زَادٌ ... إذَا جَعَلَتْ إلِي اللَّهَواتِ تَرْقَـــى

آخــــر :

أتَغْفُلُ يَا ابْنَ أحْمَدَ وَالمنَايَـــا ... شوارع يَخْتَر مْنَكَ عَن قَــرِيْبِ
أغَرَّكَ أنْ تَخَطَتْكَ الرَّزَايَـــا ... فكَمْ لِلْموتِ مِن سَــهْمٍ مُصِيْبِ
كؤُوْسُ المَوْتِ دَائرتٌ عَلينَـــا ... وما لِلْمَرءِ بُـــدٌّ مِن نَّصِيْــبِ
إلَىَ كَمْ تَجْعَل التَّسْـــوِيْفَ دَأباً ... أما يَكْفِيْكَ أنْوَارُ المَشِـــيْبِ
أمَا يَكْفِيْكَ أنـــكَ كُلَّ حِـــيْنٍ ... تَمُــرُّ بِقَبْرِ خِلٍّ أوْ حَـــبِيْبِ
كأنَكَ قَدْ لَحِقْتَ بِهِم قَرِيْبـــاً ... ولا يُغْنِيْكَ أفْــرَاحُ النَّحِيْـــبِ

آخــــر :

إذا كَملَتْ لِلْمَرءِ سِتُون حَجَّـــةً ... فلم يُحْضَ مِن سِتِّيْنَ إلاَّ بِسُدْسِهَـــا

أَلم تر أن النّصْفَ بالنوم حَاصِـــلٌ وتَذْهَبُ أوقَاتُ المقِيْل بِخُمْسِهَـــا
وتأخُذُ أوْقَاتُ الهُمُومِ بِحصَّـــةٍ وَأوقَات أمِراضٍ تُمِيْتُ بِمَيّتِهَـــا
فَحَاصِلُ مَا يَبْقَى لَهُ سُدْسُ عُمْرِهِ إذا صَدَقَتْهُ النَّفْسُ عن عِلْمِ حَدْسِهَا

آخـــر :

إسْعَدْ بِمَالِكَ في الحَياةِ فإنَّمَـــا يَبْقَى وَرَاءَكَ مُصْلِحٌ أوْ مُفْسِـــدُ
فإذا تَرَكْتَ لِمُفسْدٍ لَمْ يُبْقِـــهِ وأخُوْ الصَّلاحِ قَلِيْلُهُ يَتَزَيَّـــدُ
فإنْ اسْتَطَعْتَ فَكُنْ لنَفْسِكَ وَارِثاً إنَّ المُوَرِّثَ نَفْسَـــهُ لَمُسَـــدَّدُ

آخـــر :

كُلُّ مَالٍ لَيْسَ لِلْبِرِّ مِنْ أيْدِيْ بَاذِلِيْهْ فَهوَ لِلْوَارِثِ والوِزْرُ عَلى مُكْسِبِيْهْ

وأَخْرَجَ البَيْهَقِيُ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن عذاب القبر من ثلاثة مِن الغِيْبَة ، والنميمة ، والبول ، فإيَّاكُم وذَلِكَ » .

وأَخْرَجَ عن قتادة قال عَذَابُ القَبْرِ ثَلاثَةُ أثلاث ثُلُثٌ مِن الغِيْبَةِ وثُلُثٌ مِن النَّمِيْمةِ وثُلُثٌ مِن البَوْلِ .

أخرج الطبراني وأبو يعلى والبيهقي في الشعب والاصبهاني في الترغيب عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ليس على أهل لا إله إلا الله وحْشَةٌ عند الموت ، ولا في قبورهم ، ولا في نُشُورهم » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « أَخْبَرني جبْرِيلُ أنَّ لا إلهَ إلا الله أنْسٌ لِلْمُسْلِمِ عند مَوْتِهِ ، وفي قَبْرِه ، وحِينَ يَخْرُجُ من قَبْرِهِ » .

وقال ابنُ رَجَب في كتاب أهلِ القبور قد يُكْرِمُ اللَّهُ بَعْضَ أَهْلِ البَرْزَخ

بأعمالٍ صالحةٍ في البَرْزَخِ وإن لم يَحْصُلْ له بذلكَ ثوابُ لانْقِطَاعِ عَمَلِه بالموت .

لَكِنَّـهُ يَبْقى عَمَلُه عليه ، ليَتَنَعَم بِذكـر اللَّهِ وطاعتِهِ كما تَنَعَمُ بذلك الملائكةُ ، وأهلُ الجنة بالجنة وإن لم يكن على ذلك ثواب .

لأَنَّ نَفْسَ الذكر والطاعة أعظم نِعَيْم عندَ أهلِها مِن جميع نِعَيْم أهلِ الدنيا ولذَّتها فما تَنَعَّمَ المُتَنَعِّمُونَ بِمثلِ طاعةِ اللَّهِ وذِكره .

وقـال ابنُ رَجَبٍ وحَـدَثني المحـدِثُ أَبُـو الحَجـاج يُوسفُ بنُ مُحَمَّدٍ السَّريري وكان رَجُلاً صَالِحًا وأَراني مَوْضعًا مِن قُبور سَامُرًّا فقال هَذا الموضعُ لانَزَالُ نَسْمَعُ منه سُوْرَةَ ﴿ تبارَكَ المُلْكَ ﴾ .

وروى الحافظ أبو بكر الخطيب بسنده عن عيسى بن محمد الظوماري قال رَأَيْتُ أبا بكر بن مجاهد المقرى في النوم كأنه يَقْرأُ وكأَنِّ أَقُولُ لَهُ أنْتَ مَيِّتٌ وتَقْرَأُ .

فكأَنَّهُ يقُول لي كُنْتُ أَدْعُو اللَّهَ في دُبُرِ كُلِ صَلاةِ وعند خَتْمَ القرآن أَنْ يَجْعَلَني مِمَّنْ يقرأ في قَبْرِهِ فأنا أقرأ في قَبْرِي .

وأخرج النسائي والحاكم والبيهقي في شعب الايمان عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « نِمْت فَرأَيْتُني في الجنة » .

ولَفْظُ النسائِي دَخَلْتُ الجنة فَسَمِعْتُ صَوْتَ قاريءٍ يَقْرأ فقلتُ مَنْ هَذا قال حَارثة بن النَّعمان فقال رسول الله « كَذَاكَ البرِ ، كَذَاكَ البرِ ، كَذَاكَ البرِ ، وكان أَبَرَّ الناسِ بأمِّهِ » .

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « إني أرَاني في الجنة فَبَيْنَمَا أنا فيها سَمِعْتُ صَوْتَ رَجُل بالقرآن فَقُلْتُ مَن هَذا قالوا حَارِثة بن النُعمان فقال رسول الله ﷺ كَذَاكَ البر ، كَذَاكَ البر ، كَذَاكَ البر» .

شِعْرَا :

يُحَوَّل عَنْ قريبٍ مِن قُصُور مُزَخْرَفَةٍ إلى بَيْتِ التُّرابِ

فُيسْلَمَ فيه مَهجُوراً فَرِيْداً أَحَاطَ به شُحُوبُ الإِغْتِرابِ
وَهَوْلُ الحَشْرِ أَفْظَعُ كُلِّ أَمْرٍ إذا دُعِيَ ابنُ آدمَ لِلْحِسَابِ
وأَلْفى كُلَّ صَالِحَةٍ أَتَاهَا وسَيئةٍ جَنَاهَا فِي الكتَابِ
لَقَدْ آنَ التَزَوُّدُ إنْ عَقَلْنَا وأَخْذُ الحَظِّ مِنْ بِاقِي الشَّبَابِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأبْرارِ وأَسْكِنَّا مَعَهمُ في دارِ القرارَ ، اللهم وفقنا بِحُسْنِ الاقبالِ عَليك والإصْغَاءِ إليك ووَفِّقنا لِلتّعاوُنِ في طَاعَتِكَ والمُبَادَرَةِ إلى خِدْمَتِكَ وحُسْنِ الآداب فى مُعَامَلَتِكَ والتّسليم لِأَمْرك والرِّضا بِقَضَائِكَ والصَّبْرَ عَلى بَلائِكَ والشّكْرِ لِنَعْمَائِكَ ، واغفرَ لَنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتِكَ يا أَرْحَمَ الراحمينَ وصلى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ أجمعين .

فصل)

إعْلَمْ وفَّقَنـا اللَّهُ وإِيَّاكَ وجميع المسلمـين لما يُحِبُّهُ ويرضاه أن مُداواةَ مَرَضِ القلب واجبةً وهي تأتي مِن وجُوهٍ كثيرةٍ جدًّاً نُشِيْر إلى بَعضِها .

أحَدُهَا وهي مِن أنفَعِهَا العُزْلة المصحوبة بالاشتغال بالعُلوم النافعَة .

فبالعُزْلَة يَتَقَيَّد الظاهِرُ عَن مُخَالَطَةِ مَنْ لا تَصْلَحُ مُخَالَطَتُهُ ومَن لا يأْمَنُ دُخُول الآفات عليه بصُحْبَتِه .

فيَتَخَلَّصْ من المعاصي الَّتي يَتَعَرَّضُ لَهَا بالمُخَالَطةِ مِثْلُ الغِيْبَةِ والمداهَنة والتملُّق والرِّياء والتَّصُنُع .

ويَحْصُلُ له بذلك السلامَةُ مِن مُسارَقة الطِّبَاعِ الرَّدِيئَةِ والأخلاقِ الدَّنِيْئَةِ .

ويَسْتَفِيْدُ بذلـك أيضا صِيانَةَ دِيْنِهِ ونَفْسِهِ عن التَّعَرُضِ لِلْخُصُومات وأنواع الشرور والفتن .

فإنَّ لِلنَّفْسِ تولُعًا وتسرعًا إلى الخوض في مثل هذا .

فينْبَغِي للإنسان أن يكف لِسَانَهُ عن السُؤال عن أخبارِ الناسِ وما هم

مَشْغُولُونَ فيه وما هُم مُنْهَمِكُونَ فيه ومنكبون عليه من القيل والقال مما لا فائدة فيه وضرره يزيد على نفعه وربما أَنَّهُ ضرر خالص .

وقال آخر وإذا هَمَمْتَ بالباطل وما لا فائدة فيه فاجْعَلْ مَكانَه تَسْبِيْحًا وتهليلاً .

ويَنْبَغِي أنْ يَصُونَ سَمْعَهُ عن الاصغاء إلى أراجِيْفِ البُلْدَان وما شَمَلتْ عليه من الأحوال التي تضر ولا تنفع .

ولْيَحْرص على أن لا يأتيه مَن شأنه التَّطَلُّعُ والبَحْثُ عن شُؤونِهِ وأحوالِهِ كأصْحَابِ المُقَابَلات والمُولَعِيْنَ بأكلِ لُحُوم الغَوَافِل .

ولِيَجْتَنِبْ صُحْبَةَ مَن لا يَتَوَرَّع في مَنْطِقِهِ ولا يَضْبُطُ لِسَانَهُ عن الاسترسال في دقائق الغِيْبَةِ والوَقِيْعَة والتعرضِ بالطَّعْنِ على الناس والقدح فيهم .

فإن ذلك مما يكدر صَفَاء القلب ويؤدي إلى ارتكاب مساخط الرب .

فليهجره وليَفِرَّ منه فِرارَهُ مِن الأسد ولا يجتمع مَعَه في مكان البَتَّة .

وفي الخبر « مَثَلُ الجليسُ السُوء كَمِثْلِ الكِيْرِ إن لم يُحْرِقْكَ بشَرَرِهِ عَلِقَ بكَ مِن ريحه » .

وفي الأخبار السَّالِفة أنَّ الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام « يا ابْنَ عِمران كُنْ يَقْظانًا وارْتَدْ لِنَفْسِكَ إِخْوَانًا وكلُ أخٍ أَوْ صَاحِب لا يُؤازِرُكَ على مَبَرَّتي فهو لَكَ عَدُوٌ » .

وأوحى الله تعالى إلى داودَ عليه السلام فقال له « يا دَاوُدُ ما لِي أرَكَ مُنْتَبِذًا وحْدَانيًا » فقال إلهي قَلَيْتُ الخَلْقَ مِن أجْلِكَ .

فقال « يا دَاود كن يقظانا وارْتَدْ لِنَفْسِكَ أَخْدَانا وكلُ خِدْنٍ لا يوافقك على مَبَرَّتي فلا تَصْحَبْهُ فإنَّهُ لَكَ عَدُوٌّ ويُقَسِّيْ قَلْبَكَ ويُبَاعِدُكَ مني » .

قال الشاعر :

فَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ واخْشَ منهم كَمَا تَخْشى الضَّراغِم والسَّبَنْتَا

وخَـالِطْـهُمْ وزَايِـلهُمْ حِـذَارًا وكُـنْ كالسَّـامِري إذا لُمِسْـتَا

وروُيَ عن عِيْسَى عليه السلام « لا تُجَالِسُوا المَوْتَى فتموت قُلُوبُكُم » قِيْلَ مَن المَوْتَى قال « المحِبَّونَ لِلدُنْيَا الراغِبُون فيها وبالابتعاد عن الناس إلَّا لضرورة أوْ حاجة ماسة ينكف بصر الإنسان عن النظر إلى زِيْنَةِ الدنيا وزهرتها وزخرفها » .

ويَنْصَرفُ خَاطِرُهُ عن الاستِحْسَان إلى ما ذمه الله منها فتمتنع بذلكَ النفسِ عن التَّطَلُعِ إلى الدُنْيَا والاسْتِشْرافِ لَهَا ومنافَسَةِ أهلها فيها .

قال جل وعلا وتقدس ﴿ ولا تَمُدَّن عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَعْنَا به أَوْزَاجًا منهم زَهْرَةَ الحياة الدنيا ﴾ الآية.والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(فصـــل)

قال بعض العُلماء من علامات إتباع الهَوى المسارعة إلى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات وهذه حال كثير من الناس .

فترى الواحد منهم يهتم للنوافل ويكثر منها والفروض ما يهتم لها تجده يصوم مَثلاً البيض والاثنين والخميس ولا تجده يحفظ لِسَانَه عن القذف والغيبة والكذب .

ولا يفتش على نفسه بِدِقّةٍ فتَجِد عَنده عُقُوقُ والدين أو قَطِيْعَةُ رحم أَوْ أكلُ مِن مُشْتَبه أوْ يعامل في الربا أو في شركات تتعامل مع البنوكْ في الربا أو يبيع ويشترى في المحرمات كآلات الملاهي وتصليحها .

ومن ناحِية الزكاة تجده يخرجها إلى مَن يَتَقَاضَى منه خِدْمَةً أو يَدْفَعُها إلى مَن تجبُ عليه نَفَقَته أو لِمَن يُهْدِي إليها أوْ يَتَسَامَحَ مَعَه في المُعَامَلة أو نحو ذلك .

ومن قبل الصلاة التي هي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين وهي التي إذا صَلحَتْ وأُدِّيَتْ تَمامًا صَلحَ سَائرُ الأعمال فلا تجده يَعْتَني بها .

ويحرص على تَحْضِير قلبه لها وطَرْدِ الأفكار التي تُخِلُّ بأدَائِهَا ولا يَعْتَنِي بِمعْرفة معاني ما يتلو .

المهم أنه مَعَ ذلكَ لا تَجده مُسْتَدْركا لما فَرَّطَ فَيْه ولا لما أَهْمَلَه وما ذاكَ إلا أَنَّهُم لم يَشْتَغِلُوا بالتَّفَتْيْش والتَّفَقُدِ لأنفسِهم التي خَدَعَتْهُم ولم يَحْفَلوا بمُجاهَدَةِ أَهْوَائِهم الَّتي اسْترقَتْهُمْ ومَلَكِتهم .

ولو اَشْتَغَلُوا في تَصْلِيح ذلك لكانَ لَهُم فيه أعظم شُغلٍ ولم يَجدُوا فسحةً واسِعةً لشيء من النوافل .

قال بعض العلماء مَن كانت النـوافـل والفضـائل أهم إليه من أداء الفرائض فهو مخدوع .

وقال آخر : هلاك الناس في اثنتين اشتغال بنافلة وتضييع فريضة .

وعملٌ بالجوارح بلا مواطاة القلب وإنما حرموا الوصول بتضييع الأصول .

وقـال آخر : « انقطع الخلق عن الله بخصلتين إحداهما أنهم طلبوا النوافل وضيَّعُوا الفرائض » .

والثانية « أنهم عملوا أعمالا بالظاهر ولم يأخذوا أنفسهم بالصدق فيها والنصح لها ولا يقبل العمل إلا بالصدق وإصابة الحق » .

وقـال آخـر : أفضـل شيء للعبـد معـرفتـه بنفسه ووقوفه على حده وإحكامه لِحَالته التي أُقِيم فيها وابتداؤه بالعمل بما افترض الله عليه واجتنابه لما نهى الله عنه بعلم يُرْشِده في جميع ذلك .

وقال آخر : أَنْعَمَ الله عليك فيما أمرَكَ به مِن الطاعات المؤقتة بالأوقات بنِعْمَتَين عظيمتين .

إحداهما تَقيْدُهَا لَكَ بأَعْيَانِ الأوقات لِتُوقِعَهَا فيها فتفوز بثوابها ولولا التَّوقِيْت لَسَوَّفْتَ بها ولم تعمل بها حتى تفوت فَيَفُوتُكَ ثَوابُها .

والنعمة الثانية تَوسِيْعُ أوقاتها عليكَ لِيَبْقَى لَكَ نصيبٌ مِن الإختيار حتى تأتى الطاعات في حالِ سُكونٍ وتَمَهُلٍ مِن غير حَرَجٍ ولا ضِيق .

اللّهُمَّ ثَبِّتْ وَقَوِّ مَحَبَّتَكَ في قُلوبنا واشْرَحْ صُدُورنُا وَنَوِّرْها بنُور الإِيْمانِ واجْعَلنا هُداةً مُهْتَدين وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ واجْعَلنا مِمَّنْ يفُوزُ بالنَّظَرِ إلَى

وَجْهِكَ في جَنّاتِ النّعيمِ يَا حَليمُ وَيَا كَريمُ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدِينا ولجَميعِ المُسْلِمينَ الأحياءِ منهُم والمَيّتينَ برَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرّاحِمينَ وصلّى اللّهُ عَلى مُحَمّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِين .

(فصـل)

واعلم أنَّ اللَّهَ جَلَّ وعلا وتقدس غنِيَ عن خَلْقِهِ لا تَنْفَعُهُ طاعَتُهُمْ ولا تَضُرُهُ مَعْصِيَتُهُم وأَنَّ التكاليفَ كُلها إنما أوجَبَهَا عليهم لِمَا يَرْجِعُ إليهم مِن مَصَالِحِهِم لا غير .

فمنَ وَفَّقَهُ اللَّهُ ونوَّرَ بَصِيْرَتَهُ وشرحَ صَدْرَهُ وكَتَبَ في قلبهِ الايمانَ وبَغَّضَ إليه العِصْيَانَ لم يَقْتَصِرْ على الفرائض واجْتِناب النواهي .

بَلْ يُضيفُ إلى ذلك المُبَادَرَةَ إلى أعمالِ الطاعاتِ والمُسَارَعَة إلى نوافل العِبَادَاتِ وفِعْلِ الخَيراتِ .

وقال : وإعلم رحمك الله أنا تَلَمَّحْنَا الواجبات فرأينَا الحَقِّ جل وعلا جعل في كُلِّ ما أوجَبَهُ تَطَوُّعًا مِن جِنسِه في أيِّ الأنواع كان .

لِيكُونَ ذَلِكَ التَّطوع مِن الجِنس جَابِرًا لِمَا عَسَى أنْ يَقَعَ مِن خَلَلٍ في قيام العَبدِ بالواجِبَاتِ .

وكذلك جَاءَ في الحديث « أَنَّهُ يُنْظَرُ في مَفْرُوض صَلاةِ العَبدِ فإنْ نَقصَ منها شيء كُمِّل مِن ا لنوافل » .

فافهم رحِمَكَ اللَّهُ هذا واجْتهد ولا تكنْ مُقتَصِرًا على ما فَرَضَ اللَّهُ عَليكَ بَلْ لِتَكُن فيكَ عَزيْمَـةٌ ونَاهِضَةٌ قَوِيَّةٌ تُوجِبُ اجْتَهادَكَ وإكبَابَك على مُعَامَلة الله فيما يَجبُ وفيما يُسَن .

ففي الحديث ولا يَزالُ عبدِي يتقرب إلى بالنَّوافَل حتى أُحِبَّهُ (الحديث) .

ولو كان العِبَادُ لا يجدُوْنَ في مَوَازِيْنِهم إلا فِعْلَ الواجباتِ وثوابَ تركِ المحرمات لَفَاتهم مِن الخيرِ والمِنّةِ ما لا يَحْصُرُهُ حَاصِر ولا يُحْزِرُهُ حازر .

فسبحـانَ مَن فتـح لِعِباده باب المُعَامَلَة وهَيّءَ لَهم أسْبابَ المُوَاصَلَة

فالمُوَفَّقُون أَهْلُ الفهم والمعرفة جَعَلُوا الأوقاتَ كُلَّهَا وقتًا واحِدًا والعُمُر كُلَّه نَهْجًا إلى الله تعالى قاصِدَا .

وعَلِمُوْا أن الوقتَ كُله لله فلم يجعَلوُا منه شيئا لِغَيره .

جَعُلوا أوقاتهم في طاعة الله فِعْلاً ونِية . قال تعالى ﴿ وما خَلَقْتُ الجن والإِنس إلَّا ليعبدون ﴾ .

عَلِمُوا أن الأنفاسَ أمانات عندهم وَوَدَائع لديهم .

وعَلِمُوا أنهم مطالبون برعايتها فوجَّهُوا هِمَهَمُ لحفظها وأدائها .

قال بعضهُم إحَـالتُـكَ الأعمال إلى وجُودِ الفَراغِ حُمُقٌ وجَهْلٌ وَوَجْهُ ذلك : أولاً أنه إيثار للدنيا عَلَى الآخرة ، وليس هذا من شأن عُقَلاء المؤمنين وهو خلاف ما طلب منك قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ بل تُؤْثِرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأَبْقَى ﴾ .

والثاني أن تَسْويفَ العَمَل إلى آوان الفَراغِ غَلطَ لأَنَّه قد لا يَجِدُ مُهلةً بأن يَخْتَطِفُهُ الموتُ قَبْلَ ذلك .

أو يزداد شُغْلُه لأَنَّ أشغَال الدنيا يَتَداعَى بعْضُهَا إلى بعضه كما قيل :

فمـا قَضَى أَحَدٌ منها لُبَانَتَهُ ... ولا انْتَهَى أَرَبٌ إلا إلى أَرَبِ

والثالث أنَّه رُبَّما يَفْرَغُ منها إلى الذي لا يُرْضِيْهِ من تَبَدُّلِ عَزْمِهِ وضَعْفِ نِيَّتِهِ .

المهم أن الواجب عليه المبادرة إلى الأعمال الصالحة على أيِّ حالٍ كان .

شِعْرًا :

مَن كان يُوْحِشُهُ تَبْدِيل مَنْزِلهِ ... وأَنْ تُبَدَّل مِنْهَا مَنْزِلًا حَسَنَا
ماذا يَقُولُ إذَا ضَمَّتْ جَوَانُبِها ... عَلَيه واجْتَمَعَتْ مِن هَاهُنَا وهُنَا
ماذا يَقُولُ إذَا أَمْسَى بِحُفْرَتِهِ ... فَرْداً وقَدْ فَارَقَ الأَهْلِيْنَ والسَّكَنَا
هُنَاكَ يَعْلَمُ قَدْرَ الوَحْشَتَيْنِ وَمَا ... يلقَاهُ مَنْ باتَ باللذَات مَرْتَهَنَا

يَا غَفْلَةً ورِمَاحُ الموتِ شَارِعةٌ والشَّيْبُ أَلْقى برأسِي نَحْوَهُ الرَّسَنَا
وَلَمْ أعِدُّ مَكَاناً لِلنُّزُوْلِ وَلَا أعْدَدْتُ زَاداً ولَكُنْ غِرَّةً ومُنَا
إنْ لَمْ يَجُدْ مَنْ توالَى جُوْدُهُ أبَدَا ويَعْفُ مَنْ عَفْوُهُ مِن طالِبِيْهِ دنا
فَيا إلهِيْ ومُزْنُ الجُوْدِ وَاكِفَةٌ سَحّاً فَتُمْطِرُنَا الإفْضَالَ والمِنَنَا
آنِسْ هُنَالِكَ يا رَحْمَنُ وحْشَتَنَا وأَلْطَفْ بنَا وتَرَفَّقْ عِنْدَ ذاكَ بنَا
نَحْنُ العِصَاةُ وأنْتَ اللهُ مَلْجَؤُنَا وأنْتَ مَقْصَدُنَا الأسْنَى ومَطْلَبُنَا
فكُنْ لَنا عِنْدَ بأْسَاهَا وشِدَّتِهَا أوْلَى فَمَنْ ذَ الذِي فيها يَكُونُ لَنَا

فـائدة قال بعضُ العُلماء أَصلُ كُلِ مَعْصِيَةٍ وشهوة الرضا عن النفس لأنه أصـل جميع الصفـاتِ المـذمُـومـةِ وعَدمُ الرضا عن النفس أَصْلُ الصفات المحمودة وذلك لأَنَّ الرضا عن النفس يُوجِبُ تَغْطِيَةَ عُيُوبِهَا ومسَاوِيْها وقَبَائِحِهَا فَيَصِيْرُ قَبِيْحُهَا حَسَنَا كما قيل :

وعَيْنُ الرضا عن كُل عيْبٍ كَلِيْلةٌ كما أَنَّ عَيْنَ السُخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيَا

آخـــر :

ونَفْسَكَ أكْرِمْ عَنْ أُمُوْرٍ كَثيرةٍ فما لك نَفْسٌ بَعْدَ مَا تَسْعِيْرُهَـــا
ولا تَقْربِ الأمْرَ الحَرَامِ فإنَــــهُ حَلاوَتُهُ تَفْنَى ويَبْقَى مَرِيْرُهَـــا

آخـــر :

تَوَقَّ نَفْسَكَ لا تَأمَنْ غوائِلَهَـــا فالنَّفْسُ أخْبَثُ مِن سَبْعِيْنَ شَيْطَانَا

وعَدمُ الرضا عن النَّفس على العَكسِ من هذا لأن العبد إذ ذَاك يَتَّهِمُ نَفْسَـه ويَتَطَلَّبُ عُيُوبَهَا ولا يَغْتَرُ بما يظهر من الطاعة والانقياد

شعـــرا :

أَلَا أَيُها النّفْسُ السَّؤومُ تَنَبَّهِـــي وأَلْقِي إليَّ السمعَ إلقَاءَ جَازمَـــةْ
ضَلَالٌ لأذْهَانٍ وظَنٌّ مُكَـــذِبٌ رَجَاؤكِ أنَّ تَبْقَى على الدهرِ سَالِمةْ
وقد غصَّ بالكأس الكَرِيْهَة أحْمَدُ ومَاتَ فمَاتَ الحقُ إلاَّ مَعَالِمُـــهْ
آخر : إذَا ما أجَبْتَ النَّفْسُ في كُلِّ دَعْوَةٍ دَعَتْكَ إلى الأَمْرِ القَبِيْحِ المُحَـــرَّمِ

اللهمّ اجْعلَنا مِن حِزْبِكَ المُفْلِحينَ وَعِبادِكَ الصّالحينَ الذين أَهّلتهم لِخدمَتِكَ وَجَعلتهُم مِمّن قَبلتَ أَعمالَه يارَبَّ العَالمينَ وصلّى الله على مُحمّدٍ وآله وَصَحْبِه أجْمعين .

(فصـــــل)

اعلم وفَّقَنا الله وإيَّاكَ وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أنَّ من رَضِي عن نَفْسِه اسْتَحْسَنَ حَالَهَا وسَكَنَ إليها ومَن اسْتَحْسَنَ حال نَفْسِهِ وسَكن إليها اسْتَوْلَتْ عليه الغَفْلَةُ .

وبالغَفْلَةِ يَنْصَرِفُ قَلْبُه عن التَّفَقُدِ والمُرَاعَاةِ لِخَواطِرِه فَتَثُورُ حِيْنئذٍ دَوَاعِيْ الشهوة على العبد .

ولَيْسَ عنده مِن المراقبةِ والملاحظةِ والتَّذْكِيرِ ما يَدْفَعُهَا به ويَقْهَرُهَا .

فتصير الشهوةُ غَالِبَةً له بسَبَبِ ذلك ومَن غَلَبَتْهُ شَهْوَتُهُ وَقَعَ في المعاصي .

وأصل ذلك كُله رِضَاه عن نَفْسِهِ ومَن لم يَرْضَ عن نفسِهِ لم يَسْتَحْسِنْ حَالَهَا ولم يَسْكُنْ إليها .

ومَن كان بهذا الوَصْفِ كان مُتيَقِّظًا مُتْنَبهًا لِلطَّوَارِىء وبالتَّيَقُظ والتَّنَبُهِ يَتمكَنُ من تفقُدِ خَواطِره ومُرَاعَاتِها .

وعند ذلك تَخْمُدُ نِيْرانُ الشَّهْوَةِ فلا يكونُ لَهَا غَلَبَةٌ ولا قُوَةُ فَيَضْعُفُ العبد حِيْنَئِذٍ بصِفةِ العِفَّةِ .

فإذا صار عَفِيْفًا كان مُجْتَنِبًا لِكُلِّ مَا نَهَاهُ اللَّهُ عنه مُحَافِظًا على جميع ما أَمَرَهُ به وهَذَا هُوَ مَعْنَى الطَّاعةِ لِلَّهِ عَزَّ وجَل وأصلُ هذا كلِه عَدَمُ الرِضا عن نَفْسِهِ .

فإذًا يجبُ على الإنسان أنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ ويَلْزَمُ مِن ذلك عَدَمُ الرضا عنها وبِقَدْرِ تَحقُق العبدِ في مَعْرَفَة نَفْسِهِ يصلح له حَالُهَ ويَعْلُوا مَقَامُه .

وكانَ العلماءُ المُخْلِصُونَ يَذُمُّونَ نُفُوسَهم ويَتهِمُوْنَهَا ولا يرضون عنها .

قال بعضُهم من لم يتَّهِمْ نَفْسَهُ على دَوَامِ الأوقات ولم يُخَالِفْهَا ولم يَجُرَّهَا إلى مكروهها فهو مَغْرُوْر ومَنْ نَظَر إليها باسْتَحْسَانِ شيء منها فقد أهلكها .

وكيف يرضى عنها عاقل وهي الأمارة بالسُوء وقال بعض العلماء لا تسكن إلى نفسك وإنْ دامَتْ طاعَتُهَا لَكَ في طَاعَةِ الله .

وقال آخر : ما رَضِيْتُ عن نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ .

وقـال آخر : إنَّ مِن النَّاسِ ناسٌ لَو مَاتَ نِصْفُ أَحَدِهم ما انْزَجَرَ النصفُ الآخَرُ ولا أحْسِبُني إلا منهم .

وقال آخر : فائدةَ الصحبة إنما هي لِلزِّيَادَة في الحال وعَدَم النُقْصِان فيها فإيَّاكَ وصُحْبَةَ من لا يُنْهِضُكَ حَالُه ولا يَدُلُّكَ على اللَّهِ مَقَالُه .

فصحبة مَن يَرْضَى عن نفسِهِ وإنْ كانَ عَالِماً شَرٌ مَحْض ولا فائدة فيها لأن علمه في الغالب غير نافع له .

وجهلُه الذي أوجَبَ رِضاه عن نفسه صَارَ غايةَ الضرر لأنَّهُ فَاتَه العلم الذي يُرِيْهَ عَيْبَه حتى لا يرضى عن نفسه ا لأمارة بالسُوء .

وقـال ابن القيم رحمه الله لما ذكر النفسَ الامارةَ بالسوء قال منها أن يَعرِفَ أنها جاهلةٌ ظالمة وأن الجهلَ والظلم يصدرُ عنهما كل قُولٍ وعملٍ قبيح .

ومَن وَصْفُه الجهلُ والظلم لا مَطْمَعَ في استقَامَتِهِ واعتدالِهِ البتة فيوجب له ذلـك بَذْلُ الجُهْـدِ في العلم النـافع الذي يُخْرِجُها بِهِ عن وصْفِ الجَهْل والعمل الصالح الذي يُخْرِجُها به عن وَصْفِ الظُلْم وَمَعَ هذا فجهلُهَا أكثر من عِلْمَها وظلمُهَا أعظَم مِن عَدلها .

فحَقِيْقٌ بمَنْ هَذا شأنهُ أَنَّ يَرغَبَ إلى خالقها وفاطِرهَا أَن يَقِيْهِ شَرَّهَا وأَنْ يُؤتِيْهَا تَقْوَاهَا ويُزَكِيْهَا فهو خير مَن زكاها وأنْ لا يَكِلهُ إليها طَرْفةَ عينَ فَإنهُ إن

وَكله إليها هَلَكَ فَما هَلكَ مَن هَلكَ إلاَّ حَيْثُ وكِلَ إلى نفسِه .

وقال النبي ﷺ لِحُصَينْ بن المنذر « قل اللهم أَلْهِمْني رُشدِي وقِني شر نفسِي » وفي خُطْبَـةِ الحَاجَةِ « ونعوذ بالله مِن شُرورِ أنفُسِنا » وقد قال تعالى ﴿ ومَن يُوق شح نفسه فأولَئكَ هم المفلحون ﴾ وقال ﴿ إنَّ النَّفْسَ لأمَّارةٌ بالسُّوء ﴾ .

فمَن عرف حَقيْقَة نفسِهِ وما طُبعَت عَليْه عَلمَ أنها مَنْبع كُل شَرٍ وَمَأوَى كل سُوء وأنَّ كلَّ خير فيها فَفَضْلٌ من اللَّهِ مَنَّ به عَلَيْها لم يَكُنْ منها كما قال تعالى ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحدٍ أبدا ﴾ .

وقال تعالى ﴿ ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفـر والفُسُوقَ والعصيان ﴾ فهذا الحُبُّ وهذِهِ الكراهةُ لم يَكُونَا في النفس ولا بها .

ولكن هو اللَّهُ الـذي مَنَّ بهما فجعـل العبـد بِسَبَبِهـما من الراشدين ﴿ فضلاً من الله ونعمةً واللَّهُ عليم حكيم ﴾ عليم بِمَن يَصْلَحُ لِهذا الفضل ويَزكوا عليه وبه ويثمر عنده حكيم فلا يَضَعُه عندَ غيرِ أَهْلِهِ إنتهى بِتَصَرُّفٍ يَسِير .

فعلى العاقل اللبيب مُحَاسَبَةُ نَفْسِهِ دَائمًا والمُحَاسَبَةُ هي مَطَالَعَةُ القلبِ وأَعْمَالِ اللِّسَانِ وأَعْمَالِ الجوارح .

فأجْعَل ذُنُوبَكَ نَصْبَ عَيْنَيْكَ فإنْ غَفَلْتَ عنها اجْتَمَعَتْ بُسْرعَةٍ وكَثُرتْ .

وتأمل وفكِّر فَلَو أنَّكَ وضَعْتَ في كل مَعْصِيَةٍ تُحْدثُهَا حَجَرًا في دَارِكَ لامْتَلأَ بَيْتُكَ في مُدَّةٍ يَسْيرةٍ .

فمثلاً عندكَ غِيْبَةٌ أو عندكَ كَذِبَ أو عندكَ رِيَاء أو عندَكَ عقوق أو قطيعة رحم أو ظلمَ لِمُسْلم أو لنَفْسِكَ أو لأهْلِكَ أو لأولادِكَ أو لجيرانِكَ أو تُعامِل مُعَاملةً لا تَجُوز .

أو عندَكَ كُفَارَ خُدَّام أو سوَّاقِين أو عندكَ مَلاهِي كالتلفاز والفيديو أو عندك صُور أو تشرب الدُخان أو حلق لحية أو إسْبَال أو تشبه بكفار أو سفر لبلادهم .

أو لكَ أولادٌ يَدْرسُون عندهم برضا مِنْكَ أو أكلُكَ وشربُكَ ولُبْسَكَ مِن شَرِكَاتٍ تَتعامَلُ بالرِّبَا أو أنَّ عَمَلَكَ لا تُؤدِيْهَ كامِلاً مُكَملاً وتَأخُذ ما عليه كامِلاً .

أو لا تَتَنَسَّخ مِن الزكاة أو نحو ذلك مِمَّا لا يَحْصُرُهُ العَدُّ .

فَتيقَّظْ وحَاسِب نَفَسك وفتش عليها بدِقَّةٍ وأسأل الله الحي القيوم أن يَتَجاوَزَ عَنك .

فـإنْ تَنْـجُ منَها تَنْجُ مِن ذِي عَظيمَةٍ وإلَّا فـإنِّي لَا إخَـالُكَ نَـاجِيَـا

قال تبـارك وتعالى ﴿ وإنْ تُبْدُوْا مَا في أنْفُسِكُم أو تُخفوه يُحَاسِبْكُم بِهِ الله ﴾ قِيلَ إنَّ هَذِه الآية أَعْظَم آية في المؤآخذَةَ .

ولَمَّا نَزلَت بكى عَبدُ اللَّهِ بنُ عُمَر رضي الله عنهما فقال ابنُ عباس يَرحَمُ أَبَا عَبدالرحمن وإن اللَّهَ تبارك وتعَالى يقول ﴿ لا يكلف اللَّهُ نَفْسًا إلا وُسْعَها ﴾ .

وقال ابن القيم رحمه الله فَمَن له بصيرةٌ بنفسِهِ وبصيرة بحُقوق الله وهو صادقٌ في طلبه لم يُبْقِ له نَظَرُهُ في سَيئاَتِهِ حَسَنَةً البتة فلَا يلْقَى الله إلا بالإفلاس المَحْضِ والفقرِ الصِّرْف .

لأنه إذا فَتَّش عن عُيوب نفسِهِ وعُيوبَ عَمَلِهِ عَلِمَ أنَّها لا تَصْلحَ لله وأنَّ تلكَ البضَاعَةَ لا تشْتَرَىَ بها النَّجَاةَ مِن عَذَاب الله فضْلاً عن الفوز بعظيم ثوابه .

فإن خلص له عمل وحال مَعَ الله وصَفَا لَهُ مَعَهُ وَقْتٌ شاهَدَ مِنَّةَ الله عليه به ومُجَرَّدَ فَضْلِهِ وأنَّه ليسَ مِن نَفْسِهِ ولا هِيَ أهلٌ لذاك .

فهو دَائمًا مشاهدٌ لِمِنَّةِ الله عليه وَلِعُيوبِ نفسِهِ وعملِهِ لأنه متى تطلبَها زآها وهذا مِن أجَلِّ أنواع المعارف وأنفعها للعبد .

ولذلك كانِ سيد الاستغفار « اللهم أنْتَ ربي لا إله إلا أنْتَ خلقتني وأنا عَبْدُكَ وأنا على عهدك ووعدك ما اسْتَطَعْتُ أعُوذ بكَ مِن شر ما صَنَعْتَ أبُوءُ لَكَ بنِعْمتكَ عَليَّ وأبُوءُ بذَنْبي فاغْفِرْ لي إنه لا يغْفِرُ الذنوب إلا أنْتَ » .

فتضمَّنَ هذا الاستغفـارُ الاعْـتِرَافَ من العبـد برُبُـوبيَّةِ الله وإلهيَّتِـه وتوحِيْدِهِ والاعتراف بأنه خالقُهُ العَالِمُ بِهِ إذْ أنْشَأَهُ نَشْأةً تَسْتَلزِمُ عَجزَهُ عن أدَاءِ حَقِّهِ وتَقْصِيْرَهُ فيه والاعتراف بأنه عَبْدُهُ الذي ناصِيَتُه بيده وفي قَبْضَتِهِ لا مَهْرَبَ له منه ولا ولي له سواه .

ثم التَزَمَ الدخول تحت عهده وهو أمْرُهُ ونَهْيُهُ الذي عَهِدَهُ إليه على لسان رسوله ﷺ وانَّ ذلك بحَسَبِ اسْتِطَاعَتي لا بحَسَبِ أداءِ حَقِّكَ فإنَّهُ غيرُ مَقْدُوْرٍ لِلْبَشَرِ إنما هو جُهْدُ المُقِل وقَدْرُ الطاقة .

ومَعَ هذا فأنا مُصَدِق بوعدك ثم أنْزع إلى الاسْتِعَاذة والاعتصَام بكَ مِن شر ما فَرَّطْتُ فيه مِن أمرِكَ ونهْيِكَ فإنكَ إنْ لم تُعِذْني من شره وإلا أحاطَتْ بِي الهَلكَةُ فإنَّ إضَاعَةَ حَقِّكَ سَبَبُ الهلاكِ وأنا أقرُ لك والتزم وأبْخَعُ بذَنْبي .

فِمَنْكَ المِنَّةُ والاحسانُ والفضلُ ومِني الذنبُ والإساءَةُ فأسألكَ أنْ تَغفِرَ لي بمحْوِ ذنبي وأنْ تعْفِيْني من شره إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فلهذا كان هذا الدعاء سَيِّدُ الاستغفَار .

وهو مُتضمنٌ لمَحْضِ العُبودية فأيُ حَسَنَةٍ تبقى لِلبَصِيْر الصادِقِ مع مُشاهَدَتِه عُيوبَ نفْسِهِ وعملِهِ ومنَّةَ اللَّهِ عليه فهذا هو الذي يُعْطِيه نظَره إلى نفسِهِ ونقصِهِ أ هـ .

قال بعضُ الزهاد لا يكون العبد من المتقين حتى يُحاسِبَ نفَسه أشد من مُحْاسَبةِ الشرَّيكِ لِشَريكه والشريكان يَتَحاسَبَان بَعْدَ العمل .

شِعْرًا : النّاسُ كُلّهمُ لِلْعِيدِ قَدْ فَرِحُـوا وَقَدْ فَرِحْتُ أَنَا بالوَاحِـدِ الصَّمَـدِ

النَّاسُ كُلُّهـــمُ لِلْعِيـــدِ قَدْ صَبَغــوا   وقَدْ صَبَغْتُ ثِيَابَ الـــذُلِّ والكَمَـــدِ
النَّاسُ كُلهُمُ لِلْعِيدِ قَدْ غَسَلــوُا   وقَدْ غَسَلْتُ أَنا الدَمْـــعِ لِلْكَبِـــدِ

وقال الحسنُ المؤمنُ قوَّامٌ على نفسه يُحَاسِبُهَا لله تعالى وإنَّمَا خَفَّ الحسابُ على قَوم حَاسَبُوا أَنْفُسَهم في الدنْيا وإنما شَقَّ الحسابُ على قَوم أَخَذُوا هَذَا الأمْرَ مِن غير مُحَاسَبَة .

وفي حديث أبي طَلحَة أنه لَمَّا شغله الطِّينْ في صلاته فَتَدَبَّرَ شُغْلَهُ فجعَل حَائطهُ صَدَقَةً لله تعالى ندَمًا ورَجَاءً لِعوض مِمَّا فَاته وتأدِيْبًا لِنَفْسِهِ .

المهم أن يعلم العبد أن أعْدَى عَدُوٍ له نَفْسُه التي بَينَ جَنْبَيْهِ وقد خُلقَتْ أمارةً بالسوء أمارة بالشر فَرَّارَةً من الخير .

والإِنسانُ مأمُورٌ بتَزْكِيتِهَا وتَقْوِيْمِهَا وقَوْدِهَا بسَلاَسِلِ العِبَرِ إلى عِبَادَة رَبهَا وخالِقها ومَنْعِهَا عن لَذَّاتها وشهواتها المُهْلِكَة .

فإنْ أهملها شَرَدَتْ وَجَمَحَتْ ولم يَظْفُر بها بَعْدَ ذلك وإن لازَمَهَا بالتَّوبيْخ والتَّقْرِيع والمُعَاتَبَةِ والعَذْلِ والمَلامَةِ ولم يَغْفُلْ عن تَذْكِيْرِها وعِتَابها اعْتَدَلَتْ بإذنِ الله تعالى .

والنَّفْسُ كالطِفْلِ إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ على   حُـبِّ الرَّضَـاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ
ورَاعِهَا وهْيَ في الأَعْمَالِ سَائِمَةً   وإنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ المَرْعَى فلا تُسِمِ
كـم حَسَّـنَتْ لَـذَّةً لِلْمَـرْءِ قـاتِلَةً   مِن حَيْثُ لم يَدْرِي أنَّ السُّم في الدَّسَمِ

فالعاقل اللَّبِيْبُ مَن يُوَبِّخُ نَفْسَهُ ويُعَاتِبُها ويُوَضِحُ لَهَا عُيُوبَهَا كُلَّهَا ويُقَرِّر عِنْدهَا جَهْلَهَا وحَمَاقَتَهَا فإنها إذا أَرادَ اللَّهُ تُعْذِر وتَرْعَوي وترجع .

فيقول لها مَا أعظم جَهْلَكِ تَدَّعِينَ الحِكْمَةَ والفِطْنَةَ وأَنْتِ مِن أَجْهَلِ الناسِ وأَحْمَقِهم .

وأكْبَرُ برهان على ذلك إهْمَالُكِ واسْتِهَانَتُكِ أمَا تَعْرِفِيْنَ ما بينَ يَدَيْكِ مِن الأهوال والعَظَائِم والمُزْعِجَاتِ والمَخاوُفِ .

أمَـا تَقْـرئِـينَ وتَسْمَعِينَ قول أصدق القائِلين وأوفى الواعدين وأقْدَرَ

القادرين ﴿ إنا لَدَيْنَا أنكَالاً وجَحِيْمًا وطَعَامًا ذا غُصَّةٍ وعَذَابًا أليْمًا يوم تَرجُف الأرضُ والجبَالُ وكانت الجبَالُ كُثِيْبًا مَهيْلا ﴾ .

يَوْمُ القِيَامَةِ لَوْ عَلْـمِتَ بِهَوْلِـهِ　　لَفَـرَرْتَ مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ أَوْطَـانِ

يَوْمٌ تشقَـقَتِ السَّمَـاءُ لِهَوْلِـهِ　　وَتَشِيْبُ مِنْهُ مَفَـارِقُ الوِلْـدَانِ

وقـولـه تعـالى ﴿ وجيء يَومَئـذٍ بِجَهَنَّم يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإنسانُ وأنّي له الذكرى يقول يا ليتنى قَدَّمْتُ لِحَيَاتي ﴾ الآية .

وقوله عزَّ مِنْ قَائل ﴿ وإذا أُلْقُوا منها مكانًا ضيقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوا هُنَالكَ ثبُورًا ﴾ الآية

وقوله جل وعلا ﴿ مِن ورائه جَهنم ويُسْقَى مِن مَاءٍ صَدِيْدٍ يَتجرَّعُهُ ولا يَكادُ يُسيْغُه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ ﴾ .

وقوله تبارك وتعالى ﴿ فأنذرتكم نارا تلظى ﴾ .

وقوله جل وعلا ﴿ إنها تَرْمي بِشَرَرٍ كالقَصرِ كأنه جِمَالةٌ صُفر ﴾ .

ونحو هذه الآيات المخوفة ثم يقول لنفسه فمالك تفرحِينَ وتَضْحَكِين وتشتغلين باللهو وأنْتِ مَطلوبَةٌ لهذا الأمر العظيم والخطب الجسيم وبينَ يَدَيْك إحْدَى مَنْزِلَتَين الجنةِ أو النارِ فَكَيْفَ يَهْنُؤكِ نَومٌ أو يَلَذُّ لَكِ مأكول أو مشروب وأنتِ لا تَدْرِيْن في أَيِّ الفريقين تكونِيْنَ « فريق في الجنة وفريق في السعير » .

وكَيْـفُ تَنَـامُ العَيـنُ وهـي قَـريْرَةٌ　　ولَـمْ تَـدْرِ فـي أيِّ المَكانَـيْنِ تَـنْزِلُ

وقُلْ لهَا أمَا تَعْلَمِيْنَ أنَّ كُلَّ ما هو آتٍ قَريب وأن البَعيْد مَا لَيْسَ آتٍ .

أما تَعْلَمِيْنَ أَنَّ المَوْتَ يأتي بَغْتَةً مِن غَيرِ تَقْدِيْم رسُول ومِن غَيْرِ مُوَاعَدَةٍ وأنَّه لا يأتي في شِتاءٍ دُوْنَ صَيْفٍ ولا في صَيْفٍ دُوْنَ شِتَاءٍ ولا في نَهَارٍ دُوْنَ ليل ولا في ليلٍ دُوْنَ نهار ولا يَأتي في الصبَّا دُوْنَ الكبر ولا في الكِبر دُوْنَ الصِبَّا .

بل كُلُ نَفْسٍ يُمكنُ أنْ يَأتِيَهَا الموتُ بَغْتَةً فإنْ لم يأتِ الموتُ بَغْتَةً جَاءَهُ المَرَضُ لا مَحَالَةَ ثم المَرض يُفْضِي إلى الموت .

فمالكِ يا نَفْسُ لا تَسْتَعِدين والموت أقرب إليك من حبل الوريد .

فَهكَذَا مُعَامَلَةُ الزُّهَادِ والعُبَّادِ في تَوْبِيْخ أنفُسِهم وعِتَابها فإنَّ مَطْلَبَهُم من المناجاة الاسْتِرْضَاء ومَقْصُوْدُهُم مِن المُعَاتَبَةِ التَّنْبِيْه والاسترعاء .

فَمَنْ أهْمَلَ مُعَاتَبَةَ نَفْسِهِ وتوَبِيْخَهَا وأَهْمَلَ مُناجَاتها لم يكُنْ لِنَفْسِهِ مُرَاعِيَا فَنسْأَلُ اللَّهَ العظيم الحي القيوم مَعْرِفَةً حقِيْقَةً بأحْوَال أنْفُسِنَا وغرورها .

وخِتَامًا فالعاقِلُ مَن بَذَلَ وُسْعَه في التَّفكُرِ التَّام وعَلِمَ أنَّ دَار الدنيا رِحْلَةٌ فَجمَعَ لِلسَّفَرِ رَحْلَهْ .

فمَبْدَأُ السَّفَرِ من ظهورِ الأباء إلى بُطُونِ الأمَّهَاتِ ثُمَّ إلى الدنيا ثُمَّ إلى القبر ثُمَّ الحشر ثم إلى دَارِ الاقامة الأبدِيَّة .

هَوِّنْ عَلَيكَ فَمَا الدُنْيَا بِدَائِمَـةٍ ... وإنَّمَا أنْتَ مِثْل الناسِ مَغْـرُوْرُ
وَلَوْ تَصَوَّرَ أهْلُ الدهْرِ صُوْرَتَـهُ ... لَمْ يُمْسِ مِنْهُم لَبِيْب وهو مَسْرُوْرُ

فَدَارُ الإقـامـة لِلْمُؤْمِنِ هِي دَار السلام مِن جَمِيْع الآفات وهي دَارُ الخلود والعَدُوُّ سَبَانا منها إلى دَار الدنيا .

فالواجِبُ علينا الأَجْتِهَادُ في فَكَاكِ أسْرِنا ثم في حَثِّ السير إلى الوصول إلى دارنا الأولى وفي مِثْل هذا قِيل :

فَحَيَّ علـى جَنَّـاتِ عَـدْنٍ فـإنَّهـا ... مَنَـازِلُكَ الأُوْلَـى وفيهـا المُخَيَّمُ
وَلَكِنَّنَا سَبْيُ العَـدُوِّ فَهَـل تَـرى ... نُـرَدُّ إلَـى أوْطَـانِنَا ونُسَـلَّمُ

آخر : تَرَكْتُ هَوَى لَيْلَى وَسُعْدَى بِمَعْزِل ... وعُـدْتُ إلى تَصْحِيْح أوْلَ مَـنْزِلِ
ونادَتْ بي الأشْوَاقُ مَهْلاً فَهذِهِ ... مَنَـازِلُ مَـنْ تهـوى رُوَيْـدَكِ فَانْـزِلِ

ثم اعْلَمْ أنَّ مِقْدَارَ السَّيْرِ في الدنيا يَسِيْر ويُقْطَعُ بالأنْفَاسِ كما قيل :

ومـا نَفَـسٌ إلَّا يُبَـاعِـدُ مَـوْلِـدًا ... ويُـدْنِـي المَنَـايَـا لِلنفُـوس فَتَقْـرُبُ

ويَسِيْرُ الإنسانُ في هذه الدنيا سَيْرَ السفِيْنَةِ لا يُحُسُ بسَيْرِهَا وهُوَ جَالِسٌ فيها كما قيل :

وإنّـا لَفِـي الـدنيـا كَـرَكْـبِ سَفِيْنَةٍ ... تَظُـنُّ وقُـوْفًـا والـزمـانُ بهـا يَجْـرِى

ويقُول الآخر :

نَسِـيْرُ إلى الآجـال فـي كُلّ لَحْظَـةٍ ... وأيّـامُنَـا تُطْـوَى وهُـنَّ مَـراحِـلُ

آخر : **وكُلُ امْرِيءٍ يَوْماً سَيَرْكَبُ كارهاً ... على النَّعْشِ أعْنَاقَ العِدَا والأَقَـارِبِ**

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصـــل : إعلم أيها الأخ أن جميع مُصِيْبَاتِ الدنيا وشُرُوْرِها وأحْزَانها كأحلام نوم أو كظِلٍ زائل .

إنْ أضحَكَتْ قليلاً أبْكَتْ كثيراً وإنْ سَرَّتْ يَوْمًا أو أيَّامًا سَاءَتْ أَشْهُرًا أو أعْوامًا وإنْ مَتَّعَتْ قليلاً مَنَعَتْ طَوِيْلا .

وما حَصَل لِلْعَبْدِ فيها مِن سُرُوْر إلاَّ أعقَبَهُ أَحْزَان وشُرُور كما قيل : « مَن سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أزْمَانُ » .

وقال بعضُ العُلماء لِبعضِ الملوك إن أحَقَّ الناس بِذَمِّ الدنيا وقِلاهَا مَن بُسِطَ له فيها وأعْطِيَ حاجَتَه منها .

لأنه يَتَوقَّعُ أفَةً تَعْدُو على ماله فَتَجْتَاحُهُ ، أو على جَمْعِهِ فَتُفَرِّقَه ، أو تأتي سُلطانَه فتَهْدِمَه من قَواعِدِه .

أو تَدِبُّ إلى جِسْمِهِ فَتسْقِمُهُ ، أَوْ تَفْجَعُهُ بشَيْءٍ هُو ضَنِيْنٌ به مِن أحْبَابِهِ .

فالدنيا أحق بالذَّم هيَ الآخذةُ لِمَا أعْطَتْ ، والراجعَةُ لِمَا وَهَبَتْ .

بَيْنَما هِيَ تُضْحِكُ صاحِبَها إذا هِيَ تُضْحِكُ منه غيره .

وبَيْنَما هِيَ تَبْكِي لَهُ إذْ بَكَتْ عليه .

وبَيْنَما هِيَ تَبْسُطُ كَفَّهُ بالاعطاء إذْ بَسَطَتْها بالاسترداد .

تَعْقِدُ التاجَ على رَأس صَاحِبِهَا اليوم وتُعَفِّرُهُ بالتُراب غَدًا .

سَواءٌ عليها ذَهَابُ ما ذَهَبَ وبقاءُ ما بَقي تَجِدْ في الباقي مِن الذاهبِ خَلَفًا وتَرْضَى بِكُلٍّ بَدَلا .

شعــرا :

بِأَمْـرِ دُنْيـاكَ لا تَغْفُـلْ وكُـنْ حَذِرًا   فَقَـدْ أَبانَـتْ لأَرْبـاب النُّهَي عِبَرَا
فـأيُّ عَيْــشٍ بهَـا ما شَـابَـهُ غِـيَرٌ   وَأيُّ صَفْـوٍ تَنَـاهَى لـم يَصِـرْ كَـدِرَا
كَمْ سَالِمٍ أسْلَمَتْهُ لِلرَّدَى فَقَضى   حَتْفًا ولم يَقْضِ مِن لَذَّاتها وطَـرا

ومُـتْرَفٍ قَـلَبَتْ ظَهْـرَ المِجَـنِّ لَـهُ   فَعَـادَ بَعْـدَ عُـلوِّ القَـدْرِ مُحْتَقَـرَا
فابْعِـدَنْهَـا ولا تَحْفَـلْ بِـزخْـرُفِهَا   وغُـضَّ طَـرْفَـكَ عنـه قَـلَّ أو كَـثُرَا
فَكُلُّ شَيءٍ تَرَاهُ العَيْنُ من حَسَنٍ   كَـرُ الأَهِـلَّةِ لا يُبْقِـي لَـهُ أثـرًا
واصْحَبْ وصَـلِّ وَوَاصِـلْ كُلّ أونَـةٍ   علـى النـبي سَــلامًا طَـيِّبًا عَطِـرَا
وصَحْبِـهِ ومَـنِ اسْتَهْـدَى بِهَدْيِهِمُـوْا   فَهُـمْ أَئِمَّـةُ مَـن صَـلَّى ومَـن ذَكَـرَا

ثم علم أيها الأخ أَنَّ مَن بَورِكَ له في عُمُرِهِ أَدْرَكَ في يَسِيْرِ الزمنِ مِن مِنَنِ اللَّهِ ما لا يَدْخُل تَحْتَ دَوَائِرِ العِبَارَةِ .

فَبركَةُ العُمْرِ أَنْ يَرْزُقَ اللَّهُ العَبْدَ مِن الفِطنَةِ واليَقَظَةِ ما يَحْمِلُه على الجِدِّ والاجْتهادِ على اغْتِنَامِ أَوْقَاتِ عُمُرِهِ وانتِهَازِ فُرْصَةِ إمكانه .

فيبـادِرْ إلى الأعـمال القَلْبيَّة والأعمال البَدَنيَّة ويَسْتَفْرِغُ في ذَلِكَ مَجْهُودَهُ بالكُلِيَّة وكُلُّ ذلك في عُمُرٍ قَصِيْرٍ وزَمَن يَسِيْرٍ .

والخُذْلَانِ كُلَّ الخُذْلانِ أَنْ تَتفَرَّغَ مِن الشَّوَاغِلِ ثم لا تَتوجَّهَ إلى الله جل وعلا .

ومِن الخُذْلانِ أيضا أن تَصُدَّك العَوائِقُ والشواغِل عن التَّوجُهِ إلى الله تعالى .

والواجب عليكِ أن تبادِرَ إلى التوجه إلى الله بالأعمال الصالحة وأن تَرمِي بالعَوائقِ والشَّوَاغِلِ خَلْفَ ظَهْرِكَ

شعــــرا :

مَضَى أَمْسُكَ الماضِي عَلَيكَ مُعَدِّلاً   وأَصْبَحْتَ في يَومٍ عَلَيكَ جَـــدِيْدُ
فإن كُنْتَ بالأَمْسِ اقْتَرفْتَ جِنَايَةً   فَثَنّي بإحسانٍ وأنْتَ حَميْــــدُ
ولا تُرْجِ فِعْلَ الصَّالِحَاتِ إِلَى غَدٍ   لَعَلَّ غداً يَأْتِي وأنْتَ فَقِيْـــدُ

وقد قيل سِيْرُوا إلى الله عُرْجًا ومَكَاسِيْرَ ولا تَنْتَظِروا الصِّحَّةَ فإِنَّ انْتِظَار الصِّحَّـةَ بَطَالَةٌ والعاقِلُ مَن بَادَرَ إلى الأعمالِ الصالحة قال الشاعر حاثًا على اغتنام الوقت :

وخُذ مِن قَرِيْبٍ واسْتجِبْ واجْتَنِبْ غدًا … وشَمِّرْ عن السَّاقِ إجْتِهَادًا بنَهْضَةِ
وكُنْ صَارِمًا كالْوَقْتِ فالْمَقْتُ في عَسَى … وإيَّـاكَ مَهْـلاً فَهْـيَ أَخْطَـرُ عِـلَّـةِ
وسِرْ زمِنًا وانْهَضْ كَسِيْرًا فَحَظُّكَ الْـ … ـبَطَالَةُ مَا أَخَّـرْتَ عَـزْمًـا لِصِحَّـةِ
وجُـدَّ بسَيْفِ العَزْمِ سَوْفَ فإنْ تَجُدْ … تَجِدْ نَفَسًا فالنَّفْسُ إنْ جُدْتَ جَدَّتِ

ثم أعلم أيها الأخ الحريصُ على حفظ وقته عن الضياع أنه إنْ قلّتْ أَشْغَالُك وقَلّتْ عَوَائِقُكَ ثم قَعْدُتَ عن الجدّ والاجْتِهَادِ فيما يُقَرِّبُكَ إلى الله مِن أنواع الطاعات أن هذا هُو الخُذْلان أعاذنا الله منه .

فَفَرَاغُ القَلْبِ مِن الأَشْغالِ نِعْمِةٌ عظيمة لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ إغْتنَامَهَا فَصرَفَها في البَاقِيَاتِ الصَّالحَاتِ والوَيْلُ لِمَنَ كَفِرَ هذه النِّعْمَةَ بأَنْ فَتحَ على نَفْسِهِ بابَ الهَوى وانْجَرَّ في قيادِ الشَّهْوَاتِ .

قال ﷺ بادِرُوْا بالأعمال سَبْعًا هل تَنْتَظِرونَ إلا فقرًا مُنْسِيًا أو غِنًى مُطْغِيًا أو مَرَضًا مُفْسِدا أو هَرَمًا مُفْنِدًا أو مَوْتًا مُجْهِزًا أو الدجالَ فشرُّ غائِب يُنْتَظَر أو الساعة فالساعةُ أدْهَى وأمَر .

وقال بعضهم الفِكْرَةُ سِرَاجُ القلب فإذا ذَهَبَتْ فلا إضَاءَةَ له فالقلبُ الخَالي مِن الفِكْرَة خالي من النُور مُظلِمٌ بُوجُود الجهل والغرور .

فَفِكْرُ الزاهِدِين في فَنَاءِ الدنيا واضْمِحْلاَلِهَا وقِلَّةِ وَفَائِها لِطُلاَّبِهَا فَيَزْدَادُوْنَ بالفِكْرِ زُهْدا فيها .

وفِكْرُ العَابدين في جَمِيْلِ الثواب فَيَزْدَادُوْنَ نشاطًا عليه ورَغْبَةً فيه .

وفِكْرُ العارِفِينَ في الآلاَءِ والنَّعْمَاءِ فَيَزْدَادُوْنَ نَشَاطًا في جَمِيْعِ أَنْواع العِبَادة ويَزْدَادونَ مَحَبَّةً لِلَّهِ وشكرًا له وحَمْدًا على نِعمهِ التي لا تُعَدُّ وَلا تُحصى قَال جَلَّ وعلا وتقدس ﴿ وإن تَعُدوا نَعْمَةَ الله لا تُحصُوها ﴾ .

شعرا : ماليْ أَرَاكَ على الذَنُوبِ مُوَاظِباً … أأخَذْتَ مِن سُوءِ الحِسَابِ أَمَـانَا
لاَ تَغْفُلَنَّ كَـأنَّ يَوْمَـكَ قَدْ أَتَـى … وَلعَّلَ عُمْرَكَ قد دَنَـا أو حَـانَا
ومَضَى الحَبِيْبُ لِحَفْرِ قَبْرِكَ مُسْرِعـاً … وَأَتى الصَّدِيقُ فأَنْـذرَ الجِيْـرَانَا

وأَتوا بغَسَّـــال وَجاءُوا نَحْـــوَهُ وَبَدَا بغَسْلِــك مَيِّتـــاً عُرْيَانَـــا
فغُسلْتَ ثُمَّ كُسِيْتَ ثوبـــاً للْبِـــلَىَ ودَعُوا لِحَمْلِ سَرِيْــرِكَ الإِخْوَانَـــا
وأتاكَ أهْلَكَ للْوداعِ فَودَّعَــوا وَجَــتْ عليْمَ دَمُوعَهُــمْ غُـــدْرَانَا
فَخَفِ الإِلَـــهَ فإِنَّـــهُ مَـــنْ خَـــافَه سَكَـــنَ الجِنَـــانُ مُجَـــاوراً رِضْوَانَـــا
جَنّاتِ عَـدْنٍ لَا يَبْيــــدُ نَعِيْمُهُـــا أَبداً يُخَالَطُ رُوْحَــــهُ رَيْحَـــاناً
ولِمن عَصَى ناراً يُقَـــال لَهَـــا لَظَــى تَشْوِيْ الوُجُـــوهَ وتُحْـــرِقُ الأَبْدَانَـــا
نَبْكِيْ وَحُــــقّ لَنَا البُكَـــى يَا قَومَنَـــا كَيْ لا يُؤاخِذُانَا بها قَدْ كَـــانَا

(فَصْـــلٌ)

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَيس ذِكْرُ المَوْتِ النَّافِعِ هُوَ أَنْ يَقُولَ المَوْتَ فَقَطْ فإِنَّ هَذَا قَلِيْلُ الفَائِدَةِ بَلْ لَا بُدَّ مَعَ ذَلِكَ مِن تفكُّرٍ بقَلْبٍ فارغٍ عَنِ الشَّهواتِ واسْتِحْضارِ لِحالِهِ عِنْدَ المَوْتِ وأَهْوالِهِ وَشدائِدِهِ وسَكَرَاتِهِ وَيَتَفَكَّرُ في شِدَّةِ النَّزْعِ وَالأَلَمِ الذيْ يُعَانِيْهِ عِنْدَ خُرُوْجِ الرُوْحِ مِن البَدَنِ أَعَانَنَا اللَّهُ على ذَلِكَ وَجَمِيْعِ المسلمين .

حَتَّى قَالُـوا أَنَّـهُ أَشَـدُّ مِن الضَّرْبِ بالسَّيْفِ وَنَشْرِ المَنَاشِيْرِ وَقَرْضِ المَقَارِيْضِ لأَنَّهُ يَهْجُمُ عَلَى الأَنْسَانِ وَيَسْتَغْرِقُ جَمِيْعَ أَجْزَائِهِ من كُلِّ عِرْقٍ مِنَ العُرُوْقِ وَعَصَبٍ مِنَ الأَعْصَابِ وَجُزْءٍ مِنَ الأَجْزَاءِ ومَفْصِلٍ مِنَ المَفَاسِلِ وَمِن أَصْلِ كُلِّ شَعْرَةٍ وَبَشَرَةٍ مِن المَفْرِقِ أَلى القَدَمِ لِيَسْتَلَّ الرُوْحَ مِنْهَا .

فَلَا تَسْأَلْ عَنْ كَرْبِهِ وَأَلَمِهِ وَلِذَلِكَ لا يَقْدِرُ عَلى الصِّيَاحِ مَعَ شِدَّةِ الأَلَمِ لِزِيَادَةِ الكَرْبِ حَيْثُ قَهرَ كُلَّ قُوَّةٍ وَضَعَّفَ كُلَّ جَارِحَةٍ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ قُوَّةَ الاستِغَاثَةَ أَمَّا العَقْلُ فقَدْ غَشيَهُ وَشَوْشَةٌ .

وَأَمَّا اللسَانُ فَقَدْ حَجزَهُ وَأَبْكَمَهُ وَالأَطْرَافُ فَقَدْ ضَعَّفَهَا وَوَهَّنَهَا وَخَدَّرَهَا فَإِنْ بَقِيَتْ فِيْهِ قُوَّةٌ سَمِعْتَ لَهُ عِنْدَ نَزْعِ الرُّوْحِ وجَذْبِهَا خُواراً وَغَرْغَرَةً مِنْ حَلقِهِ وَصَدْرِهِ وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَارْبَدَّ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ ظَهرَ مِنْ التُّرَابِ الذِيْ هُوَ أَصْلُهُ .

وَقَدْ جذَبَ مِنْهُ كُلَّ عِرْقٍ عَلى حِدَّتِهِ فالأَلَمُ مُنْتَشِرٌ في دَاخِلِهِ وَخَارِجِهِ حَتَّى

تَرْتَفِعَ الحَدَقَتَانِ إِلَى أَعَالِيْ أَجْفَانِهِ . وَتَتَقَلَّصُ الشَّفَتَانِ وَيَتَقَلَّصُ اللِّسَانُ وَتَخْضَرُّ أَنَامِلُه فَلا تَسْأَلْ عَنْ بَدَنٍ يُجْذَبُ مِنْهُ كُلُّ عِرْقٍ مِنْ عُرُوْقِهِ .

ثُمَّ يَمُوْتُ كُلُّ عُضْوٍ مِن أَعْضَائِهِ تَدْرِيْجاً فَتَبْرُدُ أَوَّلاً قَدَمَاهُ ثُمَّ سَاقَاهُ ثُمَّ فَخِذَاهُ وَلِكُلِّ عُضْوٍ سَكْرَةٌ بَعْدَ سَكْرَةٍ وَكَرْبَةٌ بَعْدَ كَرْبَةٍ حَتَّى يَبْلُغَ بِهَا إِلَى الحُلْقُومِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْقَطِعُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا وَتَعْظُمُ حَسْرَةُ المُفَرِّطِ وَيَنْدَمُ حَيْثُ لا يَنْفَعُهُ النَّدَمُ .

هُو الموتُ لا مَنْجَى مِن الموتِ والذِي ... نُحَاذِرُ بَعْدَ الموت أدهَى وأفظَعُ

آخر :

دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ كَانَ فِي زَمَنِ الصِّبَا ... وَاذْكُرْ ذُنُوْبَكَ وَابْكِهَا يَا مُذْنِبُ
واذْكُرْ مُنَاقَشَةَ الحِسَابِ فَإِنَّهُ ... لَا بُدَّ يُحْصَى مَا جَنَيْتَ وَيُكْتَبُ
لَمْ يَنْسَهُ المَلَكَانِ حِينَ نَسِيْتَهُ ... بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لاهٍ تَلْعَبُ
وَالرُّوْحُ فِيْكَ وَدِيْعَةٌ أُوْدِعْتَهَا ... سَتَرُدُّهَا بالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسْلَبُ
وَغُرُوْرُ دُنْيَاكَ التِيْ تَسْعَى لَهَا ... دَارٌ حَقِيْقَتُهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
واللَّيْلَ فاعْلَمْ وَالنَّهَارَ كِلاهُمَا ... أَنْفَاسُنَا فِيْهَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ
وَجَمِيْعُ مَا خَلَّفْتَهُ وَجَمَعْتَهُ ... حقاً يَقِيْناً بَعْدَ مَوْتِكَ يُنْهَبُ
تَبّاً لِدَارٍ لَا يَدُوْمُ نَعِيْمُهَا ... وَمَشِيْدُهَا عَمَّا قَلِيْلٍ يَخْرَبُ
وَعَوَاقِبُ الأَيَّامِ فِي غُصَّاتِهَا ... مَضَضٌ يَذِلُّ لَهَا الأَعَزُّ الأَنْجَبُ
فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فالزَمْهَا تَفُزْ ... إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ البَهِيُّ الأَهْيَبُ
وَاعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَنَلْ مِنهُ الرِّضَا ... إِنَّ المُطِيْعَ لَهُ لَدَيْهِ مُقَرَّبُ
وَاقْنَعْ فَفِيْ بَعْضِ القَنَاعَةِ رَاحَةٌ ... واليَأْسُ مِمَّا فَاتَ فَهُوَ المَطْلَبُ
وَاخْتَرْ قَرِيْنَكَ واصْطَفِيْهِ تَفَاخُراً ... إِنَّ القَرِيْنَ إلى المُقَارِنِ يُنْسَبُ
وَدَعِ الكَذُوْبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِباً ... إِنَّ الكَذُوْبَ لَبِئْسَ خِلاً يُصْحَبُ
واحْفَظْ لِسَانَكَ واحْتَرِزْ من لَفْظِهِ ... فالمَرْءُ يَسْلَمُ باللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
وَزِنِ الكَلامَ إِذَا نَطَقْتَ ولا تَكُنْ ... ثَرْثَارَةً فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ

وارْعَ الأَمَـانَـةَ والخِيَـانَـةَ فاجْتَنِـبْ واعْـدِلْ ولا تَظْـلِمْ يَطِيْبُ المَكْسَـبُ
واحْـذَرْ مُصَـاحَبَـةِ اللئِيْم فـإِنَّـهُ يُعْدِيْ كَمَا يُعْدِيْ الصَّحِيْحَ الأَجْرَبُ
واحْـذَرْ مِن المَظْـلُوم سَهْمـاً صَائِباً واعْـلَمْ بـأَنَّ دُعَـاءَه لاَ يُحْجَـبُ
فَاحْفَـظْ هُـدِيْتَ نَصِيْحَـةً أَوْلاَكَهَـا بَـرٌّ نَصُـوحٌ لِلأَنَـامِ مُجَـرِّبُ
صَحِـبَ الزَّمَـانَ وَأَهْـلَهُ مُسْتَبْصِرا وَرَأَى الأُمُـورَ وَمَـا تَـؤُوْبُ وَتُعْـقِبُ

اللَّهُمَّ اخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ كُتِبَتْ لَهُم الحُسْنَى وزِيَادَة وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْـــلٌ)

وَمِمَّا يُعِيْنُ على الاسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ ذِكْرُ مَرَارَاتِه كَمَا فَهِمْتَه مِمَّا سَبَقَ وَمِمَّا يَأْتِي وَقَدْ سَمَّاهُ ﷺ هَادِمُ اللَّذَاتِ وَتَفَكَّرْ فِي المَوتَى الذين حُبِسُوا على أَعْمَالِهِم لِيُجَازَوا بِهَا فَلَيْسَ فِيْهِم مَن يَقْدِرُ على مَحْوِ خَطِيْئَةٍ ولا عَلى زِيَادَةِ حَسَنَةٍ .

وَلو قُلْتَ لَهُمْ تَمَنَّوا وَأَنْطَقَهُم اللَّهُ لَقَالُوا نُرَدُّ إلى الدُّنْيَا لِنَعْمَلَ بِطَاعَةِ الله لاَ يُرِيْدونَ ذَهَباً ولا فِضَّةً ولا بُسْتاناً ولا فُلَّةً ولا عَمَارة . وَلَتَعَجَّبَ مِنَّا وِمِن حَالِنا وتَفْرِيطِنا وانْهِمَاكِنَا في الدنيا .

وَمِمَّا يُعِيْنُ عَلى الاسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ أَيْضاً ذِكْـرُ مَا بَعْدَ المَوْتِ مِنْ فِتْنَةِ القَـبْرِ وَعَـذَابِـهِ أَوْ نَعِيْمِـهِ وَالبَعْثِ وَالحَشْرِ وَالحِسَـابِ وَالصِّرَاطِ وَالمِيْزَانِ وَالحَـوْضِ وَالشَّفَاعَةِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لأَهْلِهِمَا اجْمَالاً وَتَفْصِيْلاً .

شعـــراً : مر رجل على رجل جالساً في المَقَابر فقال ما أجْلَسَكَ هُنَا فقال :

يَشْـتَاقُ كُـلُ غَـرِيْبٍ عِنـد غُـرْبتِهِ وَيذْكُـرُ الأَهْـلَ والجِـيْرانَ والسَّـكَنا
ولَيسَ لِـيْ وَطَـنٌ أَمْسَيْتُ أَذْكُـرُهُ إلاَّ المَقَـابـرَ إِذْ كَـانَـتْ لَهُـمُ وَطَنَـا

شعـــرا :

ما زِلْتُ أُفْجَعُ بالأَحِبَّةِ كُلِّهِـــمْ وَفَنَاءُ نَفْسِيْ فِي الحَقِيْقَةِ أَفْجَـــعُ
فَوَدِّعْ خَلِيْلَ النَّفْسِ قَبْلَ فِرَاقِــهِ فَمَا النَّاسُ إلاَّ ظَاعِنٌ ومُـــوَدِّعُ

آخر : أبْقَيْتَ مَالكَ مِيرَاثاً لِوَارِثِـه فَلَيْتَ شِعْـرِيَ ما أَبْقى لَكَ المـالُ
القَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَـالٍ تَسرُّهُـمُ فَكَيْفَ بَعْدهُمُ حَالَتْ بِكَ الحَـالُ
مَالُّوْا لِبُكاءَ فَمَا يَبْكِيْكَ مِنْ أَحَـدٍ واسْتَحْكَمَ القِيْلُ في المِيْراثِ وَالقَالُ

آخـر :

أشتَاقُ أهْـلي وَأوْطَـاني وقَدْ مُلكَتْ دُوْني وأفْنَى الـرَّدَى أهْـليْ وأحْبَابيْ
فاسْتَرِيْحُ إلـى رُؤْيَـا القُبُـوْر فَفِـيْ أمْثَـالِهَا حَـلَّ إخْـوانِـيْ وأتْـرَابـي
ولَسْـتُ أحْيَـا حَيَـاةً أَسْتَلِذُّ بهـا مِنْ بَعْـدِهِم ولِحَـاقُ القَوْم أوْلَى بِيْ

آخـر :

خَلَتْ دُوْرُهُمْ مِنْهُمْ وَأقْوَتْ عِرَاصُهُمْ وَسَـاقَهُـمْ نَحْـوَ الْمَنَـايَا المَقَـادِرُ
وَخَـلَّوْا عَـنْ الـدُّنْيَـا وَمَـا جَمَعُـوْا لَهَا وَضَمَّـهُم تَحْـتَ الـتُّراب الحَفَـائِـرُ

آخـر :

وَفي ذِكْـرِ هَوْلِ المَوْتِ وَالقَبْرِ وَالْبِلَيَ عَن اللَّهْـو وَاللَّـذَات لِلْمَـرْءِ زَاجِـرُ
أَبَعْـدَ اقْـتِرَابِ الأَرْبَعِـيْنَ تَـرَبُّـصٌ وَشَـيْـبُ قَـذالٍ مُنْـذِرٌ للأَكَـابِـرِ
كَـأَنَّـكَ مَعْـنِيٌّ بِمَـا هُـوَ ضَـائِـرُ لِنَفْسِكَ عَمْداً أَوْ عَنْ الرُّشْـدِ حَـائِـرُ

آخـرُ :

إنَّ اللَّيَـالِيْ مِـنْ أَخْـلاَقِهَا الكَـدَرُ وَإِنْ بَـدَا لَـكَ مِنْهَـا مَنْظَـرٌ نَظِـرُ
فَكُـنْ عَـلى حَـذَرٍ مِمَّـا تَغُـرُّ بِـه انْ كَـانَ يَنْفَـعُ مِـنْ غِـرَّاتِهَـا الحَـذَرُ
قَـدْ أَسْمَعَتْكَ اللَّيَـالِيْ مِن حَـوَادِثِهَا مَـا فِيـه رُشْـدُكَ لَكِنْ لَسْتَ تَعْتَبِرُ
يَـا مَـنْ يُغَـرُّ بِـدُنْيَـاهُ وَزُخْـرُفِهَـا تَاللَّـهِ يُوْشِـكُ أنْ يُـودِيْ بِكَ الغَـرَرُ
وَيَـا مُـدِلاًّ بِحُسْـنٍ رَاقَ مَنْظَـرُه لِلْقَـبْرِ وَيْحَـكَ هَذَا الدَّالُّ وَالفَخَـرُ
تَهْـوَى الحَيَـاةَ وَلاَ تَرْضَـى تُفَـارِقُهَـا كَمَـنْ يُحَـاوِلُ وِرْداً مَـالَهُ صَـدَرُ
كُلُّ امْـرِىءٍ صَـائِرٌ حَتْماً إلى جَدَثٍ وَإِنَّ أَطَـالَ مَـدى آمَـالِـهِ العُمُـرُ

آخـر :

قُـلْ لِلَّـذِي فَقَـدَ الأَحِبَّـةَ وانْثَـنَى يَسْـقِي دِيَـارَهُـم دُمُـوعاً تَسْـجُمُ
مـاذَا وُقُـوْفُـكَ في الـدِّيَـارِ مُسَـائِلاً عـن أَهْلِهَـا ومـتَى يُجِيْبُ الأَبْكَـمُ

سَلْ عَنْهُمُ صَرْفَ الزَّمانِ فإنَّهُ ... بِهِمُ من الدار المُحَيْلَةِ أعْلَمْ
أفْنَاهُمُ رَيْبُ الزمان وهَذه ... آثارُهُمْ عِظَةٌ لِمَنْ يَتَوَسَّمُ
وإذَا رَأيْتَ مُحَسَّدَيْن فقلَّمَا ... تُرجيْهُمُ الأحْداثُ حَتَّى يُرْحَمُوْا
وتَرَى تَقَلُّبَ هَذه الدُنْيا بِنَا ... وكأنَّنَا فِيْهَا سُكَارَى نُوَّمُ

آخر :

ولَمَّا مَرَرْنَا بالدِّيَارِ التي خَلَتْ ... فَهُنَّ لِفُقْدانِ الأنِيْسَ نَوَاحِلُ
فإشْرَاقُها بَعدَ الذينَ تَحَمَّلُوْا ... ظَلامٌ وَضَحْوَاتُ النهار أصَائِلُ
أثَارَ الجَوَى عِرْفَانَهَا وتَبَادَرَتْ ... على أهْلِهَا مِنَّا الدّمُوعُ الهَوامِلُ

أخْرَجَ الطَّيَالِسِيّ وَبْنُ أبي شَيْبَةَ في المُصَنَّفِ وَأحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ وَهَنادُ بنُ السِّرى في الزّهْدِ وعبدُ بنُ حُمَيدٍ وأبو دَاودَ وابنُ جَرِيْرٍ وابنُ أبي حَاتم وصَحَّحهُ والحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ والبَيْهَقِيّ في كِتَاب عَذاب القَبْرِ عن البَرَاءِ بن عَازِب رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في جَنَازةِ رَجُلٍ من الأنْصَار فانتهَيْنا ألى القبْرِ ولَمّا يُلحَدْ فَجلَس رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجلْسَنا حوْلَهُ وَكَأنَّ على رُؤسِنَا الطَّيْرُ وفي يَدِه عُوْدٌ يَنْكُتُ بهِ في الأرْضِ فرفَعَ رَأْسَهُ فقالَ اسْتَعِيْذُوا باللَّهِ من عَذابِ القَبْرِ مرَّتيْنِ أو ثلاثاً .

ثُمَّ قَالَ انَّ العَبْدَ المؤمِنَ اذَا كَانَ في انْقِطَاعٍ من الدُّنْيا وَإقْبَالٍ من الآخِرَةِ نزلَ إليهِ مَلائِكَةٌ من السَّماءِ بِيْضُ الوُجُوهِ كأنَّ وُجُوْهَهُم الشَّمْسُ معهم كَفَنٌ مِنْ أكْفَانُ الجنّةِ وَحَنُوطٍ مِن حَنُوط الجَنَّةِ حتى يَجْلِسُوا منه مَدَّ البَصِرَ .

وَيَجِيءُ مَلَكُ الموتِ حتى يَجْلِسَ عند رَأْسِهِ فَيَقُولُ أيَّتُها النَّفْسُ المطْمَئِنَّةُ اخْرُجي إلى مَغْفِرَةٍ مِن اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قال فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كما تَسِيْلُ القَطْرَةُ مِن فيِّ السِّقَاءِ فَيَأخُذُهَا فإذا أخَذَهَا لم يَدَعُوهَا في يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حتى يأخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا في ذلك الكَفَنِ وفي ذَلِكَ الحَنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كأطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ على وَجْهِ الأرْضِ .

فَيَصْعَدُونَ بها فلا يَمُرُّونَ على مَلَأٍ مِن الملائِكَةِ إلَّا قالُوا ما هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ فَيقُولُونَ فلانُ بنُ فلانٍ بأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ التي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بها في الدنيا حتى يَنْتَهُوا بها إلى السَّماءِ التي تَلِيْهَا حتى ينتهي إلى السَّماءِ السَّابعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي في عِلِّيينْ وَأَعِيْدُوهُ إلى الأرْضِ فَانِّيْ مِنْهَا خَلَقْتُهم وفيها أُعِيْدُهم ومنهَا أُخْرِجُهم تَارَةً أُخْرَى .

قَالَ فَتُعَادُ رُوْحُه فَيَأْتِيْهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانه فيَقُولانِ له مَن رَبُّك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الإسلام فَيَقُوْلَانِ لَهُ مَا هَذا الرَّجُلِ الذي بُعِثَ فِيْكُم فَيَقُولُ هُوَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولَانِ له وَمَا عِلْمُكَ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِه وَصَدَّقْتُ فَيُنَادِي مُنَادٍ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوه مِن الجَنَّةِ وَأَلْبِسُوه مِن الجَنة وافتحُوا له بَاباً إلى الجَنَّةِ فَيَأْتِيْهِ مِن رَوْحِهَا وَطِيْبِهَا وَيُفْسَحُ له في قَبْرِهِ مَدَّ البَصَرِ .

قَالَ وَيَأْتِيْهِ رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْه حَسَنُ الثِّيَاب طَيِّبُ الرِّيْحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِيْ يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الذي كُنْتَ تُوْعَدُ فَيَقُولُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الذِيْ يَجِيءُ بالخَيْرِ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَيَقُولُ رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ حتى أَرْجِعَ إلى أَهْلِيْ وَمَالِيْ .

قَالَ وَانَّ العَبْدَ الكَافِرَ إِذَا كَانَ في انْقِطَاعٍ مِن الدُّنْيَا وَاقْبَالٍ مِنْ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِن السَّمَاءِ مَلائِكَةٌ سُوْدُ الوُجُوهِ مَعَهُمْ المُسُوْحُ فَيَجْلِسُوْنَ مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الموتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُها النَّفْسُ الخَبِيْثَةُ أُخْرُجِيْ إلى سَخطٍ مِن اللَّهِ وَغَضَبٍ قال فتفرَّقُ في جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِن الصُّوْفِ المَبْلُولِ فيَأْخُذُهَا فإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يدعُوْهَا في يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا في تِلْكَ المُسُوحِ .

وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيْحِ جِيْفَةٍ وُجِدَتْ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بهَا فلا يَمُرُّونَ بِهَا عَلى ملأٍ مِن المَلَائِكَةِ إلَّا قَالُوا مَا هَذِهِ الرُّوحُ الخَبِيْثَةُ فَيَقُولُون فلانُ

بنُ فلانٍ بأَقْبح أَسْمائه التيْ كَانَ يُسَمَّي بها في الدُّنْيا حَتَّى يَنْتَهِيْ بها إلى السَّماءِ الدُّنْيا فيَسْتَفْتِحُ فَلا يُفتحُ لَهُ ثُمَّ قرأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (لا تُفتَّحُ لَهُم أَبْوابُ السَّماءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ في سَمِّ الخِيَاطِ) .

فَيقولُ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ اكْتُبوا كِتابَهُ في سِجِّيْنٍ في الأَرْضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحَاً ثم قَرأَ ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ باللَّهِ فَكأنّما خَرَّ مِنْ السَّماءِ فَتَخْطَفُه الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيْحُ في مَكانٍ سَحِيْقٍ ﴾ فَتُعَادُ رُوْحه في جَسَدِه وَيَأْتِيْهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسانه فَيقُولانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيقُولُ هَاهَ هَاهْ لا أَدْرِيْ فَيقُولاَنِ لَهُ مَا دِيْنُكَ فَيقُولُ هَاه هَاه لاَ أَدْرِيْ .

فَيَقُولاَنِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلِ الذِي بُعِث فِيْكُم فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِيْ فَيُنَادِي مُنَادٍ مِن السَّماءِ أَنْ كَذبَ عَبْدِيْ فأفرشُوه مِن النَّار وَافْتَحُوا له بَاباً إلى النَّار فيَأْتِيْه مِن حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْه قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فيه أَضْلاعُه وَيَأْتِيْهِ رَجُلٌ قَبِيْحُ الثِّيَاب مُنْتِنُ الرِّيْح فَيَقُولُ أَبْشِرْ بالذِيْ يَسُوْءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الذي كُنْتَ تُوْعَدُ فَيقُولُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الذِيْ يَجِيءُ بالشَّرِّ فَيقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيْثُ فَيَقُولُ رَبِّ لا تُقِمْ السَّاعَةَ » .

شعرا : لا تَحْسَبَنَّ المَوْتَ مَوْتَ البِلى ... لَكِنَّما المَوْتُ هُوَ الكُفْـرُ باللّهْ
كِلاهُمَـا مَـوْتٌ وَلَكِـنَّ ذَا ... أَعْظَـمُ مِنْ ذَاكَ لِجَحْـدِه اللَّهْ

آخـرُ : وَإِنِّيْ وَأَهْلِيْ وَالذيْ قَدَّمَتْ يَدِيْ ... كَـدَاعٍ إِلَيْـه صَحْبَـهُ ثُـمَّ قَـائِـلِ
لأَصْحَابِهِ إِذْ هُـمْ ثَلاثَـةُ إِخْـوَةٍ ... أَعِيْنُوْا على أَمْرٍ بِيَ اليَوْمَ نَـازِل
فِـرَاقٌ طَـوِيْـلٌ غَـيْرَ ذِي مَثْنَوِيَّـةٍ ... فَمَـاذَا لَدَيْكُـم بالذي هُـوَ غَـائِـل
فَقَالَ امْرُءٌ مِنْهُم أَنَا الصَّاحِبُ الذِّيْ ... أُطَعْتُـكَ فِيْمَا شِئْتَ قَبْـلَ التَّزَايُـل
فَـأَمَّـا إِذَا جَـدَّ الفِـرَاقُ فَـإِنَّنِـيْ ... لِمَـا بَيْنَنَـا مِنْ خُـلَّةٍ غَـيْرُ وَاصِـل
أَمُـدُّكَ أَحْيَـانـاً فَـلاَ تَسْتَطِيْعُنِي ... كَـذَلِكَ أَحْيَـانـا صُرُوفُ التَّـدَاوُل
فَخُـذْ مَـا أَرَدْتَ الآنَ مِـنِّي فَـانَّنِيْ ... سَيُسْـلكُ بي مِنْ مَهيَلٍ مِنْ مَهَايِلِ
وَإِنْ تُبْقِنِيْ لا تبْـقَ فَـافْـهم مَقـالَتِيْ ... وَعَجِّلْ صَـلاَحاً قَبْلَ حَتْفٍ مُعَاجِلِ

وَقَالَ امْرُؤٌ قَدْ كُنْتُ جِدّاً أُحِبُّهُ … فَأُوْثِرُهُ مِنْ بَيْنِهِم بالتَّفَاضُلِ
غَنَائِيَ أَنِّي جَاهِدٌ لَكَ نَاصِحٌ … إِذَا جَدَّ جِدُّ الْكَرْبِ غَيْرُ مُقَاتِلِ
وَلَكِنَّنِيْ بَاكٍ عَلَيْكَ وَمُعْوِلٌ … وَمُثْنٍ بِخَيْرٍ عِنْدَ مَنْ هُوَ سَائِلِ
وَمُتَّبِعُ الْمَاشِينَ أَمْشِيْ مُشَيِّعاً … أُعِينُ بِرِفْقٍ عُقْبَةَ كُلِّ حَامِلِ
إِلى بَيْتِ مَثْوَاكَ الذي أَنْتَ مُدْخَلٌ … وَحِيْنَئِذٍ أَرْجِعْ بِمَا هُوَ شَاغِلِ
كَأَنْ لَمْ يَكُن بَيْني وَبَيْنَكَ خُلَّةٌ … وَلاَ حُسْنُ وُدٍّ مَرَّةً في التَّبَادُلِ
وَذَلِكَ أَهْلُ المَرْءِ ذَاكَ غِنَاؤُهُم … وَلَيْسُوا وَإِنْ كَانُوا حِرَاصاً بِطَائِلِ
وَقَالَ امْرُؤٌ مِنْهُم أَنَا الأَخُ لا تَرَى … أخاً لَكَ مِثْلِيْ عِنْدَ جَهْدِ الزَّلاَزِلِ
لَدَى القَبْرِ تَلْقَانِي هُنَالِكَ قَاعِداً … أُجَادِلُ عَنْكَ في رِجَاعِ التَّجَادُلِ
وَأَقْعُدُ يَوْمَ الوَزْنِ في الكِفَّةِ الَّتِيْ … تَكُونُ عَلَيْهَا جَاهِداً في التَّثَاقُلِ
فَلاَ تَنْسَنِيْ وَاعْلَمْ مَكَانِيْ فَإِنَّنِيْ … عَلَيْكَ شَفِيْقٌ نَاصِحٌ غَيْرُ خَاذِلِ
وَذَلِكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ صَالِحٍ غَداً … تُلاقِيْهِ إِنْ أَحْسَنْتَ يَوْمَ التَّفَاضُلُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا بِتَذْكِيرِكَ مُنْتَفِعِينَ وَلِكِتَابِكَ وَرَسُولِكَ مُتَّبِعِينَ وَعَلى طَاعَتِكَ مُجْتَمِعِينَ وَتَوَفَّنَا رَبَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِين وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلَّى اللّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــــــــلٌ)

في صَحِيْحِ أَبي حَاتِمٍ عَنْ أَبي هُرَيْرَة قالَ قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ أَوْ الإِنْسَانُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا المُنْكَرُ ، ولِلآخَرِ النَّكِيْرُ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ في هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّداً ﷺ ، فَهُوَ قَائِلٌ مَا كَانَ يَقُولُ .

فان كَانَ مُؤمِنـاً قَالَ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ ورسولُه أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ فَيَقُولَانِ لَهُ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تقُولُ ذلكَ ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُوْنَ ذِرَاعاً ، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيه .

وَيُقَالُ لَهُ نَمْ فَيَقُولُ أَرْجِعُ إِلى أَهْلِيْ وَمَالِيْ فَأُخْبِرُهُمْ ، فَيَقُولَانِ لَهُ نَـمْ كَنَوْمَةِ العَرُوْسِ الذي لَا يُوْقِظُهُ إِلا أَحَبُّ اَهْلِهِ إِلَيهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذلك .

وإِنْ كَانَ مُنَافِقاً قَالَ لَا أَدْرِيْ كُنْتُ ، أَسْمَعُ الناسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فكُنْتُ أَقُـولُـهُ ، فَيَقُـولَانِ لَهُ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلكَ ، ثم يُقَالُ لِلأَرْضِ التَئِمِيْ عَلَيْهِ ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيْهَا أَضْلاعُهُ ، فلا يَزَالُ مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِن مَضْجَعِهِ ذلك .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه أنَّ النبيَ ﷺ قال إِذَا احْتُضِرَ المُؤْمِنُ أَتَتْهُ الملائكةُ بِحَرِيْرَةٍ بَيْضَاءَ ، فَيَقُولُونَ أخْرُجِيْ أَيَّتُهَا الرُّوْحُ الطَّيِبَةُ رَاضِيَةً مَرْضِياً عَنْكِ ، إِلى رَوْحٍ وَرَيْحَانٍ ، وَرَبٍ غَيْرِ غضبَانٍ .

فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ مِن رِيْحِ المِسْكِ ، حَتَّى إِنَّهُ لِيُنَاوِلُه بَعْضُهُم بَعْضَاً حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ السَّمَاءِ ، فَيَقُولُونَ مَا أَطيَبَ هَذِهِ الرِّيْحَ التي جَاءَتْكُم مِن الأَرْضِ .

فَيَأْتُونَ به أَرْوَاحَ المؤمِنِيْنَ ، فَهُمْ أَشَدُّ فَرَحاً بِهِ مِن أَحَدِكُمْ بغَائِبِهِ ، يَقْدُمُ عَلَيْهِ ، فَيَسْـأَلُونَهُ مَاذَا فَعَل فُلانٌ قالَ فيقولُونَ دَعُوْهُ يَسْتَرِيْحُ فإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُنْيَا فإِذا قَالَ أَمَا أَتَاكُم قَالُوا ذُهِبَ بِهِ إِلى أُمِّهِ الهَاوِيَةِ وإِنَّ الكَافِرَ إِذَا احْتُضِرَ أَتَتْـهُ مَلائِكَةُ العَذَابِ بِمُسْحٍ فَيَقُولُونَ أُخْرُجِيْ سَاخِطَةً مَسْخُوطاً عَلَيْكِ إِلى عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَخْرُجُ كَانْتَنِ رِيْحِ جِيْفَةٍ حَتَّى يَأْتُونَ بِهَا بَابَ الأَرْضِ فَيَقُولُونَ فما أَنْتَنَ هَذِهِ الريحِ حَتَّى يَأْتُونَ بِهَا أَرْوَاحَ الكُفَّارِ .

وَأَخْرَجَهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ وقال إِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الموتُ حَظَرَتْهُ

مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ، فَإِذَا قُبِضَ جعلَتْ رُوْحَهُ فِي حَرِيْرَةٍ بَيْضَاءَ ، فَيُنْطَلَقُ بِهَا إِلى بَابِ السَّمَاءِ ، فَيَقُولُونَ ما وَجَدنَا رِيحاً أَطْيَبَ مِن هَذِهِ فَيُقَالُ مَا فَعَل فلان ما فَعَلَتْ فُلاَنَةُ ، فَيُقَالُ دَعُوْهُ يَسْتَرِيْحُ ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُنْيَا .

وَأَمَّا الكافِرُ إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُهُ ، ذُهِبَ بِهَا إِلى الأَرْضِ ، فَتَقُولُ خَزَنَةُ الأَرْضِ مَا وَجَدْنَا رِيْحاً أَنْتَنَ مِنْ هَذِهِ ، فَيَبْلُغُ بِهِ إِلى الأَرْضِ السُّفْلَى .

وَرَوَى النَّسَائِي فِي سُنَنِهِ مِن حَدِيْثِ عَبدِ اللَّهِ بن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنهما عن النبي ﷺ قال هَذَا الذي تَحَرَّكَ لَهُ العَرْشُ ، وَفُتِّحتْ لَهُ أَبْوابُ السَّمَاءِ وَشَهِدَ لَهُ سَبْعُونَ ألفاً مِنَ الملائكةِ لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ ، قال النَسَائِي يَعْنِي سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ .

وقـال هَنَّـادُ بنُ السَّرِي حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ فُضَيْلٍ عن أبيهِ عن ابن أبي مُلَيْكَةَ ، قال مَا أجيرَ أحَدٌ مِن ضَغْطَةَ القَبْرِ ، ولا سَعْدَ ابْنَ مُعَاذٍ الذي مِنْدِيْلٌ مِن مَنَادِيْلِهِ خَيْرٌ مِن الدُنْيَا وَمَا فِيْهَا .

قال وحدثنا عبدهُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنُ عُمَرَ عن نافعٍ قَالَ لَقَدْ بَلَغَني أَنَّهُ شَهِدَ جَنَازَةَ سَعْدِ بن مُعَاذٍ سَبْعُوْنَ ألفَ مَلَكٍ ، لم يَنْزلُوا إِلى الأَرْضِ قَطْ ، وَلَقَدْ بَلَغَني أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال لَقَدْ ضُمَّ صاحِبُكُم في القَبْرِ ضَمَّة ، وقِيْلَ فِيه رضي الله عنه شعراً :

وما اهْتَزَّ عَرْشُ اللَّهِ مِن أَجْلِ هَالِكٍ سَمِعْنَا بـِهِ إلاَّ لِسَـعْدِ أَبـِيْ عَمْـرِو

وَوَرَدَ عن النبي ﷺ لَمَّا دَفَنَ ابْنَتَهُ جلَسَ عِندَ القَبْرِ فَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ .

ثُمَّ سُرِيَ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ رَأَيْنا وَجْهَكَ آنِفاً ثُمَّ سُرِيَ فَقَالَ النَّبيُ ﷺ ذَكَرْتُ ابْنَتِيْ وَضَعْفَهَا وَعَذاب القَبْرِ فَدَعَوْتُ اللَّهَ فَفَرَّجَ عَنْهَا وَيْمُ اللَّهِ لقَدْ ضُمَّتْ ضَمَّةً سَمِعَهَا مَنْ بَيْنَ الخَافِقَيْنِ .

وَرُوِيَ عن ابْرَاهِيْمَ الغَنِوي عن رَجُلٍ قَالَ كُنْت عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهَا فَمرَّتْ جَنازَةُ صَبي فَبكَتْ فَقُلْتُ لَهَا مَا يُبْكِيْكِ يَا أُمُّ المُؤمنِيْنَ فَقَالَتْ هَذا الصَّبيُ بَكَيْتُ لَهُ شَفقَةً عليهِ مِن ضَمَّةِ القَبْر .

شعرا : وَتُقبَضُ كَفُّ الطّفلِ عند وِلاَدَةٍ   دَلِيْلٌ عَلَى الحِرْصِ المُركّبِ في الحَيّ
وَبَسْطُ يَدَا الإِنسَانِ عِنْـدَ مَمَـاتِهِ   دَلِيْلٌ على أنّي خَرجْتُ بلاَ شَـيءٍ
يا باكى الأمواتِ إنك مَيِّـتٌ   فاجْعَلْ بُكاءَكَ إنْ بَكَيْتَ عَلَيْكَـا
لا تبْكِ غيرك وَابْك نَفْسَكَ إنَّهَا   أوْلى النُّفُوس بذَاكَ مِن عَيْنَيْكَـا

آخــر :

تَمُـرُّ لِـذَاتِـي واحِـداً بَعْـدَ واحِـدِ   وأَعْـلَمُ أَنِـي بَعْـدَهُمْ غَـيْرُ خـالِـدِ
وأَحْمِـلُ مَـوْتَاهُـمْ وأَشْـهَدُ دَفْنَهُـمْ   كـأَنّـي بَعِيـدٌ مِنْهُمُ غَـيْرَ شَـاهِـدِ
فهـا أَنَا فـي عِلْمِي بِهِـم وَجَهَالَتِي   كَمُستَيْقِظٍ يَرنُـو بِمُقلَةِ رَاقِـدٍ !

آخر :

طَوىَ الموتُ ما بَيْني وبَيْنَ مْحمَّدٍ   ولَيْسَ لما تَطْوى المنِيَّةُ ناشِرُ
لَئِنْ أوُحَشَتْ مِمَّنْ أُحِبُّ مَنَازِلٌ   لَقَدْ أنِسَتْ مِمَّنْ أُحِبُّ المَقابِرُ
وكُنْتُ عليه أحذر الموتَ وحْدَهُ   فلم يَبْقَ لِي شَيْء عَليهِ أحاذِرُ

آخــر :

أَيـا آمـنَ الأقـدار بَـادِرْ صَـرْفَهـا   واعْـلَـمْ بـأَنَّ الطَّـالِـبينَ حِثَـاثُ
خُـذْ مِـن تُراثِكَ مَـا استطعتَ فإنّمَا   شُـركَـاؤكَ الأَيَّـامُ والـوُرَّاثُ
مـا لِـي إلى الـدُّنْيا الغَرُورَةِ حَـاجَـة   فليُخْـزَ سـاحـرُ كَيـدهـا النَّفَّـاثُ
طَـلقْتُهَا أَلفـاً لأَحْسِـمَ دَاءَهـا   وطَـلاقُ مَـن عَـزمَ الطَّـلاقَ ثَـلاثُ
سَـكَنَاتُهـا مَحْـذُورَةٌ وعُهُـودُهَـا   مَنْقُـوضَـةٌ ، وحِبَـالُهَـا أَنْكَـاثُ
إنِي لأعْجَـبُ مِن رجـالٍ أمْسَكُوا   بحبَـائِـلِ الـدُّنْيَـا وهُـنَّ رِثَـاثُ
كَـنَزُوا الكنُـوز وأغفَـلُوا شَهـواتِهم   فالأَرضُ تَشْـبَعُ ، والبُطـونُ غِـراثُ
أَتـراهُـمُ لـم يَعْـلَمُـوا أَنَّ التُّقـى   أزوادُنـا وديـارَنـا الأَجْـدَاثُ ؟

اللهم سلمنامِن شُرُورِ أنفُسِنا الَّتي هِي أَقْرَبُ أَعْـدَائِنا وأَعِذْنَا مِن عَدُوك

واعْصِمْنا مِن الهَوى ومِن فِتنةِ الدنيا وَمكَنْ محبَّتَكَ في قُلُوبنَا وقوّهَا وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْـرَكَ وفَـرِّحْ قُلُوبَنَا بالنَّظَرِ إلى وَجْهِكَ الكَريم في جَنَّاتِ النعيم واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« مَـوْعِظَـةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ اغْتَنمُوا مَوَاسِمَ الطَّاعَاتِ فَأَيَّامُ المَوَاسِمِ مَعْدُوْدَةٌ وَانْتَهِزُوْا فُرَصَ الأَوقاتِ فَسَاعاتُ الإِسْعَادِ مَحْدُوْدَةٌ وَجُدُّوْا في طَلَبِ الخَيْرَاتِ فَمَنَاهِلُ الرِّضْوَانِ مَوْرُوْدَةٌ وَقُوْمُوْا عَلَى قَدَمِ السَّدَادِ واتقوا اللَّهَ الذي إِلَيه تُحْشَرُوْنَ .

وكُونُوا مِن الذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم خوفاً وطمعاً وَمِمَّا رَزَقَهُم يُنفِقُون قال تعالى ﴿ فلا تَعْلَم نفسٌ ما أخفىَ لهم مِن قرة أَعينٍ جزاءً بما كانوا يَعْمَلُون * أَفَمَنْ كَانَ مُؤمِناً كَمَنْ كانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوون * أَمَّا الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فلهُم جَنَّاتُ المَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾ .

فَيَا سَعَـادَةَ أُولِى الـطاعـاتِ الـذينَ اجْتَبَـاهُم مَوْلاَهُم لِدَارِ السـلام واصْـطَفاهُم لِحَضِيْرَةِ قُدْسِهِ وَأَوْرَدَهُم مَنَاهِلَ الإنعامِ وَأَوْلاَهُم حَلَاوَةَ الأُنْسِ وَوَالاَهُم بِمَواهِبِ الإكرامِ وسَـقَاهُم مِن رَحِيْقٍ مختومٍ خِتَامُهُ مِسْكُ وفي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ المُتَنافِسُون .

ويا مَسَرَةَ مَن شَاهَدَ مَعالِمَ الرُّشْدِ فَسَلَكَ مَسَالِكَهُ وكَانَ مِنْ المُسْتَبْشِرِيْنَ الـذينَ يومَ القِيامَةِ وُجُوهُمُ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ لا يَحْزُنُهم الفَزعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلقاهُم الملائكةُ هَذَا يَوْمُكم الذي كُنتُم تُوعَدُون .

فَتَدَبَّرُوْا عِبَادَ اللَّهِ الأَمْرَ وانْظُرُوْا بعَيْنِ النَّاقِدِ البَصِيْرِ وَتَذَكَّرُوْا العَرضَ يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ العَالَمِين العَلِيْمِ الخَبيْرِ وَاعْلَمُوا أَنَّ الظالِمِيْنَ مَا لَهُم

مِن وَلِيٍّ ولا نَصِيْر « يَوْمَ يُقَالُ » ﴿ هَذا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُم بالحَقِّ إنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُم تَعْمَلُون ﴾ .

أَلَا يَا نَفْسُ هَلْ لَكِ فِي صِيامٍ　　عن الدُنْيَا لَعَلَّكَ تَهْتَدِيْنَا
يَكُوْنُ الفِطْرِ وَقْتُ المَوْتِ مِنْهَا　　لَعَلَّكِ عِنْدهُ تَسْتَبْشِرِيْنَا
أَجِبْنِى هُدِيْتَ واسْعِفِيْنِي　　لَعَلَّكِ فِي الجِنَانَ تُخَلَّدِيْنَا

شعرا :

لَا تَبْكِ لِلدُّنْيَا ولا أَهْلِهَا　　وإِبْكِ لِيَوْمٍ تَسكُن الحافرة
وابْكِ إذا صِيْحَ بأهلِ الثرى　　فاجْتَمَعُوْا في سَاعَةِ السَّاهِرةْ
ويْلَكِ يا دُنْيَا لَقَدْ قَصَّرَتْ　　آمالُ مَن يَسْكُنُكِ الآخرةْ

آخر :

واذْكُرْ مُنَاقَشَةَ الحِسَابِ فإنه　　لا بُدَّ يُحْصَى ما جَنَيْتَ ويُكتَبُ
لَمْ يَنْسَهُ المَلَكَانِ حِيْنَ نَسِيْتَهُ　　بَلْ أَثْبَتَاهُ وأَنْتَ لَاهٍ تَلْعَبُ

اللَّهُم ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ واشْرَحْ صُدُرْنَا وَيَسِّرْ أُمُورَنَا وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ واغفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلَّى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ)

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فاعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ أَيِسَ مِن حَيَاتِهِ بَلْ يُسْتَحَبُّ لَهُ بتَأَكُدٍ أَنْ يُكْثِرَ مِن قِرَاءةِ القُرآنِ والأَذْكَار وَيُكْرَهُ لَهُ الجَزَعُ وَسُوءُ الخُلُقِ وَالشَّتْمُ وَالمُخَاصَمَةِ والمُنَازَعَةِ في غير الأُمُور الدِّيْنِيَّةِ في الدِّفَاعِ عَنْهَا وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ شَاكِرَاً لِلَّهِ تعالى بِقَلْبِهِ وَلِسَانِه وَيَسْتَحْضِرَ في ذِهْنِهِ أَنَّ هَذَا آخِرُ أَوْقَاتِهِ مِن الدنيا فَيَجْتَهِدُ على خَتْمِهَا بخَيْرٍ وَيُكْثِرُ مِن قَولِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَيُبَادِرَ إلى أَدَاءِ الحُقُوقِ إلى أَهْلِهَا مِنْ رَدِّ المَظَالِمِ والعَوَارِي وَالوَدَائِعِ والغُصُوبِ وَيَسْتَحِلَّ أَهْلَهُ وَزَوْجَتَهُ وَوَالِدَيْهِ وَأَوْلَادَه وَغِلْمَانَهُ وَجِيْرَانَهُ وَأَصْدِقَائَهُ وَزُمَلاءَهُ وَكُلَّ مَنْ كَانَتْ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ مُعَامَلَةٌ أَوْ مُصَاحَبَةٌ في سَفَرٍ أَوْ غَيْرِهِ أَوْ لَهُ تَعَلُّقٌ بِشَيْءٍ .

وَأَخْرَجَ البَيْهَقِيُ وابنُ عَسَاكِرَ عَنْ عُبَادَةَ بن مُحَمَّدٍ بن عُبَادَةَ ابن الصامتِ قال لَمَّا حَضَرَتْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه الوَفَاةُ قَالَ أَخْرِجُوْا إِليَّ مَوَالِيّي وَخَدَمِيْ وَجِيْرَاني وَمَن كانَ يَدْخُلُ عَليَّ فَجُمِعُوْا له فقال إِنَّ يَوْمِيْ هَذَا لَا أَرَاهُ إِلَّا آخرَ يَوْمٍ يأتي عَليَّ مِن الدُّنْيَا وَأوَّلَ لَيْلةٍ مِن الآخِرَةِ .

وإِنِي لَا أَدْرِيْ لَعَلَّهُ قَدْ فَرَطَ مِنِّي إِليكُم بيَدِيْ أَوْ بِلِسَاني شَيْءٌ وَهوَ والذِيْ نَفْسِيْ بِيْدِهِ القِصَاصُ يَوْمَ القِيامَةِ وَأُحَرِّجُ إِلى أَحَدٍ مِنكُم في نَفْسِهِ شَيْءٌ مِن ذَلِكَ إِلَّا اقْتَصَّ مِنِّيْ مِن قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ نَفْسِيْ فَقالُوا بَلْ كُنْتَ وَالِداً وَكُنْتَ مُؤَدِّباً قال وَمَا قَالَ لِخَادِمٍ سُوْءاً قَطْ فقالَ اعفَوْتُمْ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا نَعَمْ قال اللّهم أشْهَدْ . . . الخ .

وَوَرَدَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَمْرٍو لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قَالَ انْظُرُوْا فُلاناً فَإِنِّي كُنْتُ قُلْتُ لَهُ في ابْنَتِيْ قَوْلاً كَشِبْهِ العِدَةِ فَمَا أُحِبُّ أَن أَلْقَى اللَّهَ بِثُلُثِ النِّفَاقِ فَأُشْهِدُكُم أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُهُ .

وَيَنْبَغِي أَنْ يُوْصِيَ بِأُمُورِ أَوْلَادِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ جَدٌّ يَصْلَحُ لِلْوِلَايَةِ وَيُوصِيْ بِمَا لا يَتمَكَّنُ مِن فِعْلِهِ في الحَالِ مِن قَضَاءِ الدُّيُونِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وأَنْ يَكُونَ حَسَنُ الظَّنِ باللَّهِ تَعَالَى رَاجِياً عَفْوَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وإِحْسَانَهُ .

وَيَسْتَحْضِرَ في ذِهْنِه أَنَّهُ حَقِيْرٌ في مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ تَعَالى وَأَنَّ اللَّهَ تعالى غَنِيٌ عن عَذَابِهِ وَعَن طَاعَتِهِ وأَنَّهُ عَبْدُهُ ولا يَطْلُبُ العَفْوَ والإِحْسَانَ والصَّفْحَ والامْتِنَانَ إِلَّا مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَس ويحث أولاده على الدعاء له والصدقة عنه .

شعرا : وإِذا رَأَيْتَ بَنِيْكَ فاعْلَمْ أَنَّهُمْ ... قَطَعُوْا إليكَ مَسَافَةَ الآجَالِ
وَصَلَ البَنُوْنَ إلى مَحَلِّ أَبِيْهِمُ ... وَتَجَهَّزَ الآبَاءُ لِلتَّرْحَالِ

آخر : لِيْ خَمْسٌ وَثَمانُونَ سَنَـــهْ فإذا قَدَّرْتُهَا كانَـــتْ سَنَـــهْ
إنَّ عُمرَ المَرْءِ مَا قَـــدْ عَمَّــرَهْ في التُقَـــى والزُّهْـدِ طُوْل الأزمنَـــهْ

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُـونَ مُتَعاهِداً نَفْسَهُ بقِرَاءَةِ آياتٍ مِن القُرْآن العَزيْز في الرَّجاءِ وكَذَلِكَ أَحَادِيْثَ الرَّجَاءِ يَقْرَؤُهَا أَوْ يَجْعَلُ مَنْ يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ وَأَنْ يَكُونَ خَيْرُهُ مُتَزَايداً وَيُحَافِظَ عَلى الصَّلواتِ الخمسِ في أوقاتِها .

وَيَجْتنِبَ النَّجاسَاتِ وَيَحْرِصَ عَلَى التَّطَهُرَ وَيَصْبرَ عَلَى مَشَقَّةِ ذَلِكَ وكَذَا بَاقِي وَظَائِفَ الدِيْنَ يَحْرِصُ على أدائِها كامِلَةً مُكَمَّلَةً وَلْيَحْذَرْ من التَّسَاهُلِ في ذَلِكَ فَإِنَّهُ أَقْبَحُ القَبَائِح أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِ من الدُنْيَا التي هِيَ مَزْرَعَةُ الآخِرَةِ التَّفرِيْطَ فِيْمَا وَجَبَ عَلَيهِ أَوْ نُدِبَ إِليْهِ .

وَلِيَجْتَهِدْ في خَتْمِ عُمُرِهِ بِأَكْمَلِ الأَحْوَالِ وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُوْصِيَ أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ بالصَّبْرِ عَلَيْهِ في مَرَضِهِ واحْتِمالِ عما يَصْدُرُ منه وَيُوْصِيْهِم أَيْضاً بالصَّبْرِ عَلَى مُصِيْبَتِهِمْ بِهِ وَيُوْصِيْهِم بالـرِّفْقِ بِمَنْ يَخْلُفَـه مِن طِفْـلٍ وَغُـلامٍ وَجَارِيَةٍ وَيُوْصِيْهِم بالاحْسَانِ إلى أَصْدقَائِهِ وَيُعَلِمُهُم أن النبيَ ﷺ قال إنَّ مِن أَبَرِ البرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدَّابِيْهِ .

وَقَدْ صَحَّ أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُكْرِمُ صَوَاحِبَاتِ خَدِيْجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها بَعْدَ وَفَاتِهَا :

وَيُوْصِيْهِم بتَعَاهُدِهِ بالدُّعَاءِ وَفِعْلِ مَا يُقَرِّبُ إِلى اللَّهِ وَيَنْوِيْ الثوابَ لَهُ وَذَلِـكَ كَالحَجِ والصَّدَقَةِ والأَضْحِيَةِ وَطَبْعِ المَصَاحِفِ والكُتُبِ الدِيْنِيَّةِ المُقَوِّيَةِ لِلشَّرِيْعَةِ المُحَمَّدِيَةِ والإِعَانَةِ على بَناءِ المَسَاجِدِ .

وكالعَينِ الجَارِيَةِ وَنَحوِ ذَلِكَ وَيُوصِيْهِم بأَنْ لا يَنْسَوْهُ بَلْ يَتَعَاهَدُوْه بالدُّعَاءِ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ .

شعرا : يَامَنْ سَيَنْآى عن بَنِيْـــهْ كَمَا نَأى عَنْـــهُ أَبُـــوْهْ
مَثِّلْ لِنفسِـــكَ قَوْلَهُـــمْ جَـــاءَ اليَقِيْنُ فَوَجِّهُـــوْهْ
وتَحَلَّلُوْا مِنْ ظُلمِـــــه قَبْلَ المَمَـــاتِ وحَلِلــوْهْ

آخر : إنِّيْ لأَشْكُوْ خُطُوْ بِالاَ أُعَيِّنُهَا لِيَبْرأ النَّاسُ مِنْ عُذْرِيْ ومِنْ عَذَلِيْ
كالشَمْعِ يَبْكِيْ فما يُدْرى أعَبْرَتُهُ مِن صُحْبَةِ النارِ أمْ مِنْ فُرْقَةِ العَسَل

وَيُسْتَحَبُ أنْ يَقُولُ لَهُم في وَقْتٍ بَعْدَ وَقْتٍ مَتى رَأَيْتُم مِنِّيْ تَقْصيْراً في شيْءٍ انْهَوْنِي عَنْهُ برِفْقٍ وَلُطْفٍ لأَنَّ النَّفْسَ تَضْعُفُ في ذَلِكَ الوَقْتِ وَأَدُّوْا إلَيَّ النَّصِيْحَةَ في ذلَكَ فإنِّيْ مُعَرَّضٌ لِلْغَفْلَةِ والسَّهْوِ والكَسَلِ والإِهْمَالِ فإذَا قَصَّرْتُ فَنَشِّطُوْنِيْ وَعَاوِنُونِيْ عَلى التَّأَهبِ لِهَذَا السَّفَرِ البَعِيْدِ والتَّغَرُّبِ المُخِيْفِ .

شِعْراً :

وَلـم تَتَزَوَّدْ لِلرَّحِيْلِ وَقَدْ دَنَا وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ وَشِيْكٍ مُسَافِرُ
فَيَا لَهْفَ نَفْسِيْ كَمْ أُسَوِّفُ تَوْبَتِيْ وَعُمْرِي فَانٍ والرَّدَى لِيَ نَاظِرُ
وَكُلُ الذي أَسْلَفْتُ في الصُحْفِ مُثْبَتٌ يُجَازِيْ عَلَيْهِ عَادِلُ الحُكْمِ قَادِرُ

آخر :

لهفي على عُمُري الذي ضَيَّعْتُهُ في كل ما أَرْضَى وَيُسْخِطُ مَالِكي
وَيْلِيْ إذا عَنَتِ الوُجُوهُ لِرَبِّهَا ودُعِيْتُ مَغْلُولاً بوَجْهٍ حَالِكَ
وَرقيبُ أَعْمَالي يُنَادِي قائِلاً يا عَبْدَ سُو أَنْتَ أَوَّلُ هَالِكَ
لم يَبْقَ مِن بَعدِ الغِوايةِ مَنْزِلٌ إلَّا الجحيمُ وسوءُ صُحْبَةِ مَالِكَ

آخرُ :

تَخْرَبُ مَعْمُوراً وَتَعْمُرُ فَانِيا فَلا ذاكَ مَوْفُوْرٌ ولا ذَاكَ عَامِرُ
وَهَلْ لَكَ إنْ وَافَاكَ حَتْفُكَ بَغْتَةً وَلَم تَكْتَسِبْ خَيْراً لَدَى اللَّهِ عَاذِرُ
أَتَرْضَى بِأَنْ تَفْنَى الحَيَاةُ وَتَنْقَضِيْ وَدِيْنُكَ مَنْقُوصٌ وَمَالُكَ وَافِرُ

آخرُ :

كم ضَاحِكٍ والمَنَايَا فَوقَ هَامَتِهِ لَوْ كَانَ يَعْلَم غَيْباً مَاتَ مِنْ كَمَدِ
مَنْ كَانَ لَمْ يُؤْتَ عِلْماً في بَقَاءِ غَدٍ مَاذَا تَفَكُّرُهُ في رِزْقِ بَعْدَ غَدِ

آخر :

كَفَى حَزناً أنْ لا حَيَاةَ هَنِيَّةً ولا عَمَلٌ يَرضَى بِهِ الله صَالِحُ
فَامْهَدْ لنَفْسِكَ والأَقْلامُ جَارِيَةٌ والتَّوْبُ مُقْتَبَلٌ فالله قد وَعَدا

لا تَفْخَـرَنَّ بِـدُنْيَا أَنْـتَ تـارِكُهَـا عَمـا قليـلٍ تَـزُور القَـبْرَ واللَّحَـدَا

وإذا حَضَرَهُ النَّزْعه فَلْيُكْثِرْ من قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِتَكُونَ آخِرَ كَلَامِهِ فَيَالَهُ مِن خِتَامٍ وَيَا لَهُ مِنْ طَابَعٍ ، فَعَنْ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لَقِنُوا مَوْتَاكُم لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَيَسْتَحْضِرْ أَحَادِيْثَ الرَّجَا مِثْلُ حَدِيْثِ أَبِي ذَرٍ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَ ﷺ وعليه ثَوْبٌ أَبيضُ وَهو نَائِمٌ ثم أَتَيْتُهُ وقد اسْتَيْقَظَ فقالَ ما مِنْ عَبْدٍ قال لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثم مَاتَ عَلى ذَلِكَ إلا دَخَلَ الجَنَّةَ قُلْتُ وانْ زَنَى وإِنْ سَرَقَ قال وإن زَنَى وَإِنْ سَرَقَ الحديثَ متفق عليه .

وَحَدِيث ابن عباس أنَّ نَاساً مِن أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوْا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوْا وَزَنَوا وأَكْثَرُوْا فَأَتَوْا مُحَمَّداً ﷺ فقالُوا إِنَّ الذي تَدْعُوا إليهِ لَحَسَنٌ لو تُخْبِرْنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَارةً فَنَزَلَ ﴿ والذين لا يَدْعُونَ مع اللَّهِ إلهاً آخرَ ولا يقتلونَ النفسَ التي حَرَّمَ اللَّهُ إلا بالحق ولا يَزْنُون ﴾ الأيتين - ونَزَلَ ﴿ قل يَا عِبَادِي الذين أسرفُوا على أنفسِهم لا تَقْنَطُوا مِن رحمةِ اللَّهِ ﴾ الآية ونحو هذه الآية والأحاديث التي سَبَقَتْ .

شعـــراً :

إِذا أَتى اللَّهُ يـومَ الحَشـرِ في ظُـلَلٍ وجـيءَ بالأُمَـمِ المَاضِينَ والرُّسُـلِ
وحاسَبَ الخَلْقَ مَنْ أَحْصَى بقُدرَتِه أَنْفَـاسَـهُم وتَـوفَّـاهُـم إِلـى أَجَـلِ
ولـم أَجِـدْ فـي كِتَـابـي غَـيْرَ سَـيِّئَةٍ تَسُـوُءني وعَسىَ الإِسْـلَامُ يَسْـلَمُ لي
رَجَـوتُ رَحمَـةَ ربِّـي وهـي واسِعُـةٌ ورَحْمَـةُ اللَّهِ أَرْجَـى لي مِـنَ العَمَـلِ

اللّهُمَّ اجْعَلْ في قُلوبنَا نُوْراً نَهْتَدِيْ بهِ إِلَيْكَ وَتَولَّنَا بحُسْنِ رعَايَتِكَ حَتَّى نَتوكلَ عَلَيكَ وارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّذَلل بَينَ يَدَيكَ فَالعزيزُ مَنْ لاذَ بعزِّكَ والسَّعيدُ مَن الْتَجأَ إلى حَماكَ وَجُودِكَ والذليلُ مَنْ لَمْ تَؤيّدْهُ بعنايَتِكَ والشَّقِيُ مَن رَضِيَ

بالإعْرَاضِ عنْ طَاعَتِكَ اللهم نَزِّهْ قُلوبَنا عنْ التَّعلق بمَنْ دُونَك واجْعَلْنا مِنْ قوم تحبُّهُمْ ويُحِبُّونَكَ واغْفِرْ لَنا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الراحِمِينَ وصلى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ : اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وإيَّاكَ وَجَمِيعَ المسلمينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ في الجَنَائِزِ عِبَرٌ لِلْبَصِيْرِ ، وَفِيْهَا تَنْبِيهٌ ، وَتَذْكِيْرٌ لأَهْلِ الغَفْلَةِ ، وَأَكْثَرُهُم لا تَزِيْدُهُ مُشَاهَدَتُهَا إِلَّا قَسْوَةً ، لأَنَّهُم يَظُنُّونَ أَنهم أَبَداً إلى جَنَائِزِهِم يَنْظُرُوْنَ ولا يَحْسَبُوْنَ أَنَّهم لا مَحَالَةَ على الجَنَائِزِ يُحْمَلُونَ أَوْ يَحْسَبُونَ ولكنَّهم عَلَى القُرب لا يُقَدِّرُوْنَ ولا يَتَفَكَّرُوْنَ أَنَّ المَحْمُولِيْنَ على الجَنَائِزِ هَكَذَا كانُوا مِثْلَهُم يَحْسَبُونَ فَبَطَلَ حُسْبانُهُم وانْقَرَضَ عَلَى القُرْبِ زَمَانُهُم .

والبَصِيْرُ لَا يَنْظُرُ إِلى الجَنَائِزِ إلَّا وَيُقَدِّرُ نَفْسَهُ مَحْمُولاً عَلَيْهَا فإِنَّه مَحْمُولٌ عَلَيْهَا عَلَى القُرْبِ .

الْغَزَ بعضهم في النعش الذي يحمل عليه الميت إلى المقبرة :

أَتَعْـرِفُ شَيْئًا فـي السَّمـاءِ يَطِـيْرُ   إذا طَـارَ هَـاجَ النـاسُ حَيْثُ يسِيْر
فَتَلْقَـاهُ مَـرْكُـوبًا وتَلْقَـاهُ رَاكِـبًا   وكُـلُ أَمِـيرٍ يَعْـتَرِيْـهِ أَسِـيْرُ
يَحُثُ على التَّقْـوَى ويُكْـرَهُ قُـرْبُـهُ   وتَنْفُـرُ مِنْـهُ النَّفْسُ وهْـوَ نَـذِيْـرُ
ولَـم يَسْـتَزِرْ عـن رَغْبَـةٍ في زِيَـارَةٍ   ولكِـنْ عَـلَى رَغْـمِ المَـزُوْرِ يَـزُوْرُ
شِعْراً : (كُلُ ابنِ أُنْثَى وإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ   يَـوْمـاً عَلى آلـةٍ حَـدْبَـاءَ مَحْمُـوْلُ)
آخرُ : فَلِلْمَوتِ تَغْذُو الولداتُ سِخَالَهَا   كَمَا لِخَرابِ الدهـرِ تُبْنَى المَسَـاكِنُ
آخرُ : (الا وكَمَا شَيَّعْتَ يَوْماً جَنَازَةً   فَـأنْتَ كَمَـا شَـيَّعْتَهُم سَـتُشَـيَّعُ)

وكَـانَ بَعْضُهم إِذا رَأَى جَنَازَةً قال : اغْدُوْا فإِنَّا رَائِحُون مَوْعِظَةٌ بَلِيْغَةٌ وَغَفْلَةٌ سَرِيْعَةٌ يَذْهَبُ الأَوَّلُ . والآخِرُ لا عَقْلَ لَهُ ، وقال آخَرُ ما شَهِدْتُ جَنَازَةً فَحَدَّثَتْنِيْ نَفْسِي بِشَيْءٍ سِوَى مَا هُوَ مَفْعُولٌ بِهِ وما هُوَ صَائِرٌ إِليه .

وَقَالَ الأَعْمَشْ كُنَّا نَشْهَدُ الْجَنَائِزَ فَلاَ نَدْرِي مَنْ نُعَزِّي لِحُزْنِ الْجَمِيْع .

وقَالَ ثَابتُ الْبُنَانِي كُنَّا نَشْهَدُ الْجَنَائِزَ فَلاَ نرَى إلَّا مُقَنَّعاً بَاكِياً .

هَذَا حَالُ السَّلَفْ وَالأنْ انْظُرُ إلى مْشَيِّعِي الْجَنَائِزْ بَعْضُهُمْ يَبْحَثُ بالْعَقَارْ وَبَعْضُهُمْ يَتَكَلَّمُ وَيَضْحَكْ وَبَعْضُهُمْ يُعَدِّدُ مُخَلَّفَاتِهْ وَيَنْدُرُ أَنْ تَرى الْمُتَفَكّرُ في جَنَازَتِه إِذَا وَصَلَهُ الدَّوْر وَحُمِلَ إلى الْقَبْرِ الْمُظلِمْ بَيْتِ الْوِحْدَة بَيْتِ الدّوْدِ والصَّدِيْدِ والْهَوَامْ .

يَابَاكِياً مِن خِيْفَةِ الموتِ ... أصَبْتَ فارْفَعْ مِن مَدَى الصَّوْتِ
ونَادِ يَا لَهفِيْ على فُسْحَةٍ ... في العُمْرِ فَاتَتْ أيَّمَا فَوْتِ
ضَيَعْتُهَا ظَالِمٌ نَفسِي ولَمْ ... أصْغِ إلىٰ مُوْتٍ ولا مَيْتِ
يا لَيْتَهَا عَادَتْ وهَيْهَاتَ أَنْ ... يَعُوْدَ ما قَدْ فَاتَ يَالَيْتِ
فَخَلِّ عن هَذِي الأماني ودَعْ ... خَوْضُكَ في هَاتِ وفي هَيْتِ
وبَادِرِ الأمْرَ فَمَا غَائِبٌ ... أَسْرَعُ إتْيَاناً مِنَ المَوْتِ
كَمْ شَا ئِدٍ بَيْتاً لِيَغْنَى بِهِ ... مَاتَ وَلَمْ يُفْرَغْ مِن البَيْتِ

اللَّهُمَّ أسْلُكْ بنَا سَبِيْلَ الأبْرَارِ ، واجْعَلنَا مِنْ عِبَادِكَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ، وامْنُنْ عَلَيْنَا بالعفو وَالعِتْقِ مِنْ النَّارِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَلِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الاحْيَاء مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ

(فَصْلٌ)

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدَ الْعزيْز لِبعْض جلَسَائه يَا فُلاَنُ لَقَدَ أَرِقْتُ اللَّيْلَةَ أَتفكّرُ في الْقَبْرِ وَسَاكِنه إِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ الْمَيّت بَعْدَ ثَلاثَةٍ في قَبْرِهِ لاَ اسْتَوْحَشْتَ مِنْ قُرْبه بَعْدَ طُولِ الأَنْسِ مِنْكَ بِهِ وَلَرَأَيْتَ بَيْتاً تَجُولُ فِيْهِ الْهَوَامُ وَيَجْرِي فِيْه الصَّدِيْدُ وَتَخْتَرِقُهُ الدِّيْدَانُ مَعَ تَغيرِ الرِّيْحِ وَبَلَى الاكْفَانُ بَعْدَ حُسْنِ الْهَيْئَةِ وَطِيبِ الرّيْحِ وَنَقَاءِ الثِّيابِ ثُمّ شَهِقَ شَهْقَةً خَرَّ مَغْشِياً عَلَيْهِ .

وكَانَ يزيْدُ الرَّقَاشِي يَقُولُ أَيُّها الْمَقْبُورُ في حُفْرَتِهْ وَالْمُتَخَلِّي في الْقَبْرِ بِوُحْدَتِهِ الْمُسْتَأْنِس في بَطْنِ الأَرْض بِأَعْمَالِهِ لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ أَعْمَالِكَ اسْتَبْشَرْتَ ، وَبِأَيْ إِخْوَانِكَ اغْتَبَطْتْ ، ثُمَّ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ عِمَامَتَهْ .

ثُمَّ يَقُوْلُ اسْتَبْشِرَ واللَّهِ بِأَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ ، واغْتبطَ باخْوانِهِ الْمُتَعَاوِنِيْنَ عَلى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وكَانَ الْحَسَنُ بْنُ صَالحٍ إِذَا أَشْرَفَ عَلَى المَقَابِرِ يَقُولْ مَا أَحْسَنَ ظَوَاهِرَكَ إِنَّما الدَّوَاهِي في بَواطِنِكَ .

وكَانَ عَطَاءُ السُّلَمِي إِذَا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلِ خَرَجَ إِلى الْمَقْبَرَةَ ثُمَّ يَقُولْ غداً عَطَاءُ في الْقَبُور فلَا يَزَالُ عَطَاءُ ذَلِكَ دَأْبُهُ حَتَّى يُصْبِحَ ويُرْوَى أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتُ الْحُسَيْنِ نظَرَتْ إِلى جَنَازَةِ زَوْجِها الْحَسَن ابْن الْحَسَنْ فَغَطَّتْ وَجْهَهَا وقَالَتْ :

وكَانُوا رجَاءً ثُمَّ أَمْسَوا رَزِيَّةً لَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرَّزَايَا وَجَلَّتِ

وقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مَهْرَانْ خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيْزِ إِلى الْمَقْبَرة فلَمَّا نَظَر إِلى القُبُور بَكَى ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالْ يَا مَيْمُون ، هَذِهِ قُبُور آبائي بَنِي أُمَيَّة كَأَنَّهُمْ لَمْ يُشَارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا في لَذَّتِهِمْ وَعَيْشِهِمْ أَمَا تَرَاهُمْ صَرْعَى قَدْ حَلَّتْ بهِمْ الْمُثُلَاتْ واسْتَحْكَمَ فِيْهِم الْبِلَى وَأَصَابَتْهُم الْهَوَامُ مقِيْلاً في أَبْدَانِهِمْ ثُمَّ بَكَى وَقَالْ واللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحداً أَنْعَمَ مِمَّنْ صَار إِلى هَذِهِ القُبُورِ وَقَدْ أَمِنَ مِنَ عَذَابِ اللَّهْ ، وَوُجِدَ مَكْتُوبٌ عَلَى قَبْرٍ :

وَقَفْتُ عَلَى الأَحِبَّةِ حِينَ صفَّتْ قُبُورُهُمْ كَأَفْرَاسِ الرِّهَانِ
فَلَمَّا أَنْ بَكَيْتُ وَفَاضَ دَمْعِي رَأَتْ عَيْنَايَ بَيْنَهُم مَكَانِي

آخر : وناء عن الدنيا وعن أعْيُنِ الورى وحِيْدٌ لِأَصحاب القُبُورِ مُجَاوِرُ

آخَرُ :

أَبَا غَانِمٍ أَمَا ذُرَاكَ فَوَاسِعٌ وَقَبْرُكَ مَعْمُورُ الجَوانِبُ مُحْكَمُ

وَمَا يَنْفَعُ الْمَقْبُورَ عُمْرَانُ قَبْرِهِ ... إِذَا كَانَ فِيهِ جِسْمُهُ يَتَهَدَّمُ

شِعْراً: قَصِيْدَةٌ زُهْدِيَّةٌ وَعْظِيَّةٌ سَقَطَ بَعْضُها وَعَوَّضْنَاهَا عَنْهُ مَا بَيْنَ الأَقْوَاسْ:

لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا ... فَالْمَوْتُ لَا شَكَّ يُفْنِيْنَا وَيُفْنِيْهَا
وَمَنْ يَكُنْ هَمُّهُ الدُّنْيَا لِيَجْمَعَهَا ... فَسَوْفَ يَوْماً عَلَى رَغْمٍ يُخَلِّيْهَا
لَا تَشْبَعُ النَّفْسُ مِنْ دُنْيَا تُجَمِّعُها ... وَبُلْغَةٌ مِنْ قِوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِيْهَا
إِعْمَلْ لِدَارِ الْبَقَا رِضْوَانُ خَازِنُهَا ... الْجَارُ أَحْمَدُ وَالرَّحْمٰنُ بَانِيْهَا
أَرْضٌ لَهَا ذَهَبٌ وَالمِسْكُ طِيْنَتُهَا ... وَالزَّعْفَرانُ حَشِيْشٌ نَّابِتٌ فِيْهَا
أَنْهَارُهَا لَبَنٌ مَّحْضٌ وَمِنْ عَسَلٍ ... وَالخَمْرُ يَجْرِي رَحِيْقاً فِي مَجَارِيْهَا
وَالطَّيْرُ تَجْرِي عَلَى الأَغْصَانِ عَاكِفَةً ... تُسَبِّحُ اللَّهَ جَهْراً فِي مَغَانِيْهَا
مَنْ يَشْتَرِي قُبَّةً فِي العَدْنِ عَالِيَةً ... فِي ظَلِّ طُوْبِي رَفِيْعَاتٍ مَبَانِيْهَا
دَلَّالُهَا المُصْطَفَى وَاللَّهُ بَائِعُها ... وَجُبْرَئِيْلُ يُنَادِي فِي نَوَاحِيْهَا
مَنْ يَشْتَرِيْ الدّارَ فِي الفِرْدَوْسِ يَعْمُرَها ... بِرَكْعَةٍ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ يُخْفِيْهَا
أَوْ سَدِّ جَوْعَةِ مِسْكِيْنٍ بِشَبْعَتِهِ ... فِي يَوْمِ مَسْغَبَةٍ عَمَّ الغَلَا فِيْهَا
النَّفْسُ تَطْمَعُ فِي الدّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ ... أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْهَا تَرْكُ مَا فِيْهَا
وَاللَّهُ لَو قَنِعَتْ نَفْسِي بِمَا رُزِقَتْ ... مِنَ المَعِيْشَةِ إِلَّا كَانَ يَكْفِيْهَا
وَاللَّهِ وَاللَّهِ أَيْمَانٌ مُكَرَّرَةٌ ... ثَلَاثَةٌ عَنْ يَمِيْنٍ بَعْدَ ثَانِيْهَا
لَوْ أَنْ فِي صَخْرَةٍ صَمَّا مُلَمْلَمَةٍ ... فِي البَحْرِ رَاسِيَةٌ مِلْسٌ نَوَاحِيْهَا
رِزْقًا لِعَبْدٍ بَرَاهَا اللَّهُ لَانْفَلَقَتْ ... حَتَّى تؤدِيْ إِليهِ كُلَّ مَا فِيْهَا
أَوْ كَانَ فَوْقَ طِبَاقِ السَّبْعِ مَسْلَكُهَا ... لَسَهَّلَ اللَّهُ فِي المَرْقَى مَرَاقِيْهَا
حَتَّى يَنَالَ الّذِيْ فِي اللوْحِ خُطَّ لَهُ ... فَإِنْ أَتَتْهُ وَإِلَّا سَوْفَ يَأْتِيْهَا
أَمْوَالُنَا لِذَوِيْ المِيْرَاثِ نَجْمَعُهَا ... وَدَارُنَا لِخَرَابِ البُومِ نَبْنِيْهَا
لَا دَارَ لِلْمَرْءِ بَعْدَ المَوتِ يَسْكُنُهَا ... إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ المَوْتِ يَبْنِيْهَا

فَمَنْ بَنَاهَا بِخَيْرٍ طَابَ مَسْكَنُهُ ... وَمَنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ بَانِيْهَا
والنَّاسُ كالْحَبِّ والدُّنْيَا رَحىً نُصِبتْ ... لِلْعَالَمِيْنَ وَكَفُّ المَوْتِ يُلْهِيْهَا
فَلاَ الاقَامَةُ تُنْجِي النَّفْسَ مِنْ تَلَفٍ ... وَلاَ الفِرَارُ مِنَ الأحْدَاثِ يُنجِيْهَا
وللنُّفُوسِ وَأَنْ كَانَتْ عَلَى وَجَلٍ ... مِنَ المنيةِ آمَالٌ تُقَوِّيْهَا
فالمَرءُ يَبْسُطُهَا والدَّهْرُ يَقْبِضُهَا ... والبِشْرُ يَنشُرُهَا والمَوْتُ يَطْوِيْهَا
وَكُلُّ نَفْسٍ لَهَا زَوْرٌ يُصَبِّحُهَا ... مِنَ المَنِيَّةِ يَوْماً أَوْ يُمَسِّيْهَا
تِلْكَ المَنَازِلُ فِي الآفَاقِ خَاوِيَةٌ ... أَضْحَتْ خَرَاباً وَذَاقَ المَوْتَ بَانِيْهَا
كَمْ مِن عَزِيزٍ سَيَلْقَى بَعد عزته ... ذُلاًّ وضَاحِكَةٍ يوما سَيُبْكِيها
ولِلْمَنَايَا تُرَبِّي كُلُّ مُرضِعَةٍ ... ولِلْحِسَابِ بَرَى الأَرواحَ بَارِيها
لا تَبْرَحُ النَّفْسُ تَنْعَى وهي سَالمَةٌ ... حَتَّى يَقُومَ بِنَادِ القَومِ نَاعِيها
وَلَنْ تَزَالَ طِوَالَ الدَّهْرِ ظَاعِنَةً ... حَتَّى تُقِيْمَ بِوَادٍ غَيْرِ وَادِيها
أَيْنَ المُلوكُ الَّتِي عَنْ حَظِّهَا غَفَلَتْ ... حَتَّى سَقَاهَا بِكَأْسِ المَوْتِ سَاقِيْهَا
أَفْنَى القُرُونَ وَأَفْنَى كُلَّ ذِي عُمُرٍ ... كَذَلِكَ المَوْتُ يُفْنِي كُلَّ مَا فِيْهَا
فَالمَوْتُ أَحْدَقَ بالدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا ... والنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ كُلِّ مَا فِيْهَا
لَوْ أَنَّهَا عَقَلَتْ مَاذَا يُرَادُ بِهَا ... مَا طَابَ عَيْشٌ لَهَا يوماً وَيُلْهِيْهَا
نَلْهُو وَنَأْمُلُ آمالاً نُسَرُّ بِهَا ... شَرِيْعَةُ المَوْتِ تَطْوِيْنَا وَتَطْوِيْهَا
فَاغْرِسْ أُصُولَ التُّقَى مَا دُمْتَ مُقْتَدِرا ... وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ المَوْتِ لاَقِيْهَا
« تَجْنِي الثِّمَارَ غَداً فِي دَارِ مَكْرُمَةٍ ... لاَ مَنَّ فِيْهَا وَلاَ التَّكْدِيْرُ يَأْتِيْهَا »
« فِيْهَا نَعِيْمٌ مُقِيْمٌ دَائِماً أَبَداً ... بِلاَ انْقِطَاعٍ وَلا مَنٌّ يُدَانِيْهَا »
« الأُذْنُ وَالعَيْنُ لَمْ تَسْمَعْ وَلَمْ تَرَهُ ... وَلَمْ يَدُرْ فِي قُلُوبِ الخَلْقِ مَا فِيْهَا »
« فَيَا لَهَا مِنْ كَرَامَاتٍ إِذَا حَصَلَتْ ... وَيَا لَهَا مِنْ نُفُوسٍ سَوْفَ تَحْوِيْهَا »
« وَهَذِهِ الدَّارُ لاَ تَغْرُرْكَ زَهْرَتُهَا ... فَعَنْ قَرِيْبٍ تَرَى مُعْجِبَاكَ ذَاوِيْهَا »
« فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ لاَ يَخْدَعكَ لاَمِعُهَا ... مِنَ الزَّخَارِفِ وَاحْذَرْ مِنْ دَوَاهِيْهَا »

« خَـدَّاعَةٌ لَمْ تَـدُمْ يَوْمـاً عَلَى أَحَـدٍ — وَلَا اسْتَقَرَّتْ عَلَى حَـالٍ لَيَـالِيْهَـا »
« فَانْظُرْ وَفَكِّرْ فَكَمْ غَرَّتْ ذَوِي طَيْشٍ — وَكَـمْ أَصَـابَتْ بِسَهْمِ المَوْتِ أَهْلِيْهَا »
اعْـتَزَّ قَـارُون فِي دُنْيَـاهُ مِـنْ سَـفَهٍ — وَكَـانَ مِـنْ خَمْرِهَـا يَا قَـوْمُ ذَاتِيْـها
يَبِيْـتُ لَيْـلَتَهُ سَهْـرَانَ مُنْشَـغِلاً — فـي أَمْرِ أَمْـوَالِـهِ فـي الهَـمِّ يَفْـدِيْهَا
وفـي النَّهَـارِ لَقَـدْ كَـانَتْ مُصِيْبَتُهُ — تَحُـزُّ فـي قَلْبِـهِ حَـزّاً فَيُخْفِـيْهَا
فَمَـا اسْتَقَـامَتْ لَهُ الدُّنْيَـا وَلا قَبِلَتْ — مِنْـهُ الـوِدَادَ وَلَـمْ تَرْحَـمْ مُحِبِّيْـهَا
« ثُمَّ الصَّـلَاةُ عَلَى المَعْصُومِ سَيِّدِنَا — أَزْكَـى الـبَرِّيَـةِ دَانِيْهَـا وَقَـاصِيْهَـا »

(مـــوعظـــة)

قال الله جل وعلا ﴿ فاعتبروا يا أولى الأبصار ﴾ الاعتبار : النظر في الأمور ليعرفَ بها شيء مِن غيرِ جنسها ، والأبصار : العقول والمعنى تَدَبَّرُوْا .

إخواني : الدنيا دار عبرة ما وقَعَتْ فيها حبرة إلا ورَدِفَتْهَا عِبْرَة أيْنَ من عاشرنـاه كثـيراً وألِفْنَا ، أَيْنَ مِنْ مِلْنَا إليه بالوداد وانعَطَفْنَا ، أيْنَ مَنْ ذكرْناهُ بالمحاسن وَوَصَفْنَا ما نعْرِفُهم لو عنهم كَشَفْنَا ، ما ينطقون لو سَألْنَاهُم والْحَفْنَا .

وسَنَصِـيْرُ كما صَارُوْا فلَيْتَنَـا أنصَفْنَـا ، كم أغمضْمْنَـا مِن أحبابنا على كرههم جَفْنَا ، كَمْ ذَكَّرتْنَا مَصارعُ مَن فَنِيَ مَن يَفْنَى ، كم عزيزٍ أحْبَبْنَا دَفَنَاهُ وانصرفنا ، كَمْ مُؤْنسٍ أضْجَعْنَاهُ في اللحد وَما وَقَفْنَا ، كم كريم علينا إذا مَرَرْنَا عليه انْحَرَفْنَا .

ما لنا نَتَحقَّقُ الحَقَّ فإذا أيْقَنَّا صَدَفْنَا ، أما ضَرَّ أهلهُ التَّسْوِيْفُ ، وَهَا نَحْنُ قد سَوَّفْنَا ، أمَا التُرَابُ مَصِيرُنَا فلماذَا مِنه أنِفْنَا ، ألامَ تَغُرُّنَا السَّلامَةُ وكَأَنْ قد تَلِفنَا .

أَيْنَ حَبْيُبَنَا الذي كان وانتَقَلْ ، أمَا غَمَسَهُ التَّلَفُ في بَحْرِهِ وارتحلْ أما

خلا في لحده بالعملْ أَيْنَ مَن جَرَّ ذَيْلَ الخُيَلآءَ غافلاً ورَفَلْ أما سَافَر عَنا وإلى الآنَ مَا قَفَلْ .

أَيْنَ مَن تَنَعَّمَ في قَصْرِه وفي قَبْرِه قَدْ نَزَلْ ، فكأنه بالدَّار ما كانَ وفي اللَّحْدِ لم يَزَلْ ، أَيْنَ الجبابرة الأكاسرة الأول الذين كنزوا الكنوز العُتَاةُ الأول ، مَلَكَ الأَموالَ سِواهُم والدنيا دُوَلْ .

شِعْـــراً :

تَنَامُ وَقَدْ أُعِـدَّ لكَ السُهَادُ ... وتُوقِنُ بالرَّحِيْلِ وَلَيْسَ زَادُ
وتُصبِحُ مِثْلَ ما تُمْسِيْ مُضِيْعًا ... كَأَنَّكَ لَسْتَ تدْرِيْ مَا المُرَادُ
أَتَطْمَعُ أَنْ تَفُوْزَ غَدًا هَنيًا ... ولَمْ يَكُ مَنْكَ في الدُّنْيَا اجْتِهَادُ
إِذَا فَرَّطْتَ في تَقْدِيمِ زَرْعٍ ... فَكَيْفَ يَكونُ مِنْ عَدَمٍ حَصَادُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ في قُلوبنَا نُوراً نَهْـتَدِيْ بِهِ إِلَيْكَ وَتولَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ حَتّى نَتَوكلَ عَلَيكَ وارْزُقْنَا حَلاَوَةَ التَّذلِلِ بَينَ يَدَيكَ فَالعزيزُ مَنْ لاَذَ بعزِّكَ والسَّعيدُ مَنِ الْتجَأَ إلى حمَاكَ وَجُودِكَ والذليلُ مَنْ لَمْ تَؤَيّدْهُ بعنايَتِكَ والشَّقِيُ مَن رَضِيَ بالإِعْرَاضِ عنْ طَاعَتِكَ اللهم نَزِّهْ قُلوْبَنَا عِنْ التَّعَلق بمَنْ دُونَكَ واجْعَلْنَا مِنْ قوم تحبُّهُمْ ويُحِبُّـونَكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الراحِمِينَ وصلى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْـــــلٌ)

وَيُسَنُّ تَوْجِيْهُ الْمَيِّتِ وَمَنْ في النَّـزْعِ إلى الْقِبْلَةَ عَلَى جَنْبِـهِ الأيْمَنْ لأَنَّ حُذَيْفَـةَ قَالْ « وَجِّهُـوْني إلى الْقِبْلَةْ » وَاسْتَحَبَّهُ مَالكُ وأهْلُ الْمَدِيْنَةِ وَالأَوْزَاعِيُ وَأَهْلُ الشَّامِ وَقَالَ ﷺ عَنِ البَيْتَ الحَرامِ قِبْلَتُكُمْ أحْيَاء وَأَمْوَاتاً رَوَاهُ أَبُو دَاوُدُ .

وَقَوْلُ باسْم اللَّهِ وَعَلى وفاة رَسُولُ اللَّهْ لِمَا رَوى الْبَيْهَقِي عَنْ بَكْر بْن عَبْدِالله الْمُزنِي وَلَفْظُه وَعَلى مِلَّةِ رَسُول اللَّهْ وَلاَ بَأْسَ بتَقْبِيْل الْمَيّتِ والنّظَر إلَيْهِ لِحَدَيْث عَائِشَةَ وابْنِ عَبّاسٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَبَّلَ النْبِيَّ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهْ رَوَاهُ الْبُخَارِي والنسّائِي .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ قَبَّل النَّبيُّ ﷺ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونْ وَهْوَ مَيِّتٌ حَتَّى رَأَيْتُ الدُّمُوْعَ تَسِيْلُ على وَجْهِهْ رَوَاهْ أَحْمَدْ والتِّرْمِذي وَصَحّحَهْ .

وَغَسْلُ الْمَيّتِ فَرْضُ كِفَايَةْ لِقَوْلِه ﷺ في الذّي وَقَصْتْهُ رَاحِلَتُهُ اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وكَفِّنُوهُ في ثَوْبَيْه مُتَّفقٌ عَلَيْهِ وَشَرْطَ في الْمَاءِ الّذِي يُغْسَلُ فِيْهِ الْمَيّتُ الطّهُوْرِيَّةُ والْابَاحَة كَبَاقِي الاغْسَالْ .

وَشُرِطَ في الْمُغسِّـل لِلْمَيِّتِ الاسْلاَمُ وَالْعَقْلُ والتَّمْييز لأَنَّ هَذِهِ شُرُوطٌ لِكُلِّ عِبادَةٍ شَرْعِيَّةٍ إلَّا التَّمْيِيْزَ في الحَجْ وَالْأكمْلُ أن يَكُوْنَ الْغَاسِلُ لِلْمَيِّتِ ثِقَةً يَعْرفُ أحْكَامَ الْغَسْلِ لِيَحْتَاطَ فِيْه وَلِقَوْلِ ابْنِ عُمَرْ لاَ يُغَسِّلُ مَوْتَاكُمْ إلَّا الْمَأْمُونُونْ .

وَالْاوْلَى بغَسْل الْمَيِّتِ وَصِيّةُ الْعَدْل لأَنَّ أَبَا بَكْرِ الصِّدّيْق أَوْصَى أنْ تُغَسِّلُهُ امْـرَأَتُـهُ أَسْمَاءَ بِنْتُ عُمَيْس فَقُدِّمَتْ بِذَلِك وَأَوْصَى أنسٌ أَنْ يَغْسِلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سِيْرِيْنَ فَفَعَلْ .

وإِذَا شَرَعَ في غَسْله سَتَرَ عَوْرَتَهُ وُجُوباً لِحَدِيْثُ لاَ تُبْرِزْ فَخذكَ وَلاَ تَنْظرْ إلى فَخِذَ حَيٍّ ولاَ مَيِّتٍ رَواهُ أَبُو دَاوُدْ .

وَيَحْرُمُ مَسَّ عَوْرَةِ مَنْ بَلَغَ سَبْعَ سِنْين وَيُسْتَحَبُّ أَنْ لاَ يَمَسَّ سَائِرُهُ إلَّا بحَائِل ، أدْسُوْس يَدَيْن أَوْ نَحْوِها لِمَا رُوُى أنْ عَلَيًّا غَسَّلَ النّبيّ ﷺ وَبِيَدِهِ خِرْقَةٌ يَمْسَحُ بِهَا تَحْتَ القَمِيص ذَكَرَهُ الْمَرْوزِي عَنْ أَحْمَدْ .

وَلِلرَّجُلِ أَنْ يُغَسِّلَ زَوْجَتَهُ وَأَمته لِقَوْله ﷺ لِعَائِشَةْ لَوْ مُتِّ قَبْلي لَغَسَلْتُك وَكَفَّنْتُكَ رَوَاهُ ابْنُ مَاجه وَغَسَّل عَلِيٌّ فاطِمَة رَضِي اللَّهُ عَنْهُما وَلَمْ يُنْكِرْهُ مُنْكِرٌ فكانَ إجْمَاعا .

وَلِلْمَرْأةِ تَغْسِيْلُ زَوْجِها وَسَيِّدِهَا وابْن دُوْنَ سَبْعِ سِنْين قالَهُ ابْنُ الْمُنذِرِ إجْمَاعَا لِحَدِيْثَ أبِيَ بَكرِ السَّابِقْ وقَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَوْ اسْتَقْبَلْنا مِنْ أمْرِنَا مَا اسْتَدْبَرْنا مَا غَسَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إلا نِسَاؤُهْ رَواهُ أَحْمَد وأبُو دَاوُد .

وَلَمَّا مَاتَ إبْـرَاهِيْم بْنُ النَّبي ﷺ غَسَّلَهُ النِسَّـاء وَحُكْم غَسْلِ الْميتِ كَغَسْلِ الْجَنَابَةِ لِقَوْلِهِ ﷺ لِلنِّسَاء اللاّتِي غَسَّلْنَ ابْنَتَهْ إبْدأنَ بميامنها ومَوَاضِعِ الْوَضُوءِ مِنْهَا وَلاَ يُدْخِلُ فِي فَمِ الْمَيّتِ الْمَاءَ وَلاَ في أنْفِهِ بَلْ يَأخُذَ خِرْقَةً مَبْلُولَةً فَيَمْسَحُ بِهَا أسْنَانَهُ ومَنْخِرْيه لِيَقُومَ مَقَامَ الْمَضْمَضَةِ والاسْتِنْشَاقِ قَالَ اللَّهُ تَعَالى ﴿ فاتَّقوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ .

وقال ﷺ «إذَا أَمَرْتُكُمْ بأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُم » وَيُكْرَهُ الاقْتِصَارُ عَلى غَسْلَةٍ واحدة لِقَوْلِهِ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَتْ ابْنَتُه اغْسِلْنَها ثَلاثاً أَوْ خَمْساً أَوْ اكْثَرْ مِن ذَلِكَ إنْ رأَيْتُنَّ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ .

فإِنْ خَرَجَ مِنَ الْمَيّت الْمُغَسَّل شيْءٌ زيْدَ في الْغَسَلاتْ وُجُوباً إلى السَّبْعِ فَإِنْ خَـرَجَ بَعْـدَ السَّبْعَ حُشِيَ الْمَحَلُّ بِقُطْنٍ فَإِنْ لَمْ يَسْتَمْسِكَ فَبِطِنٍ حُرٍ ثُمَّ يُغَسَّلُ الْمَحَلُ ويُوَضَّأ وُجُوبَا .

وَإنْ خَرَجَ بَعْدَ التَّكْفِين لَمْ يُعَدِ الْغَسْـلُ ولاَ الْوُضُوءُ لِمَا فِيْهِ مَن الْحَرج وَالْمَشقّة وَلاَ يُغسّلُ شَهِيْدُ الْمَعْرَكَةِ وَلاَ يُكَفّنُ وَلاَ يُصَلىَّ عَلَيْه لِحَدِيْث جابرْ أَنّ النّبي ﷺ أَمَرَ بِدَفْنِ شُهَداءِ أُحُدٍ فِي دِمَائِهِم وَلَمْ يغَسَّلوا وَلَمْ يُصَلَّى عَلَيْهم رَواهُ البُخَاري .

شعـــــرا :

أَلا ذكَّراني قَبْلَ أنْ يَأتِيَ المـــوتُ ... ويُبْنى لجُثْمَانِيْ بِدارِ البِلَى بَيْتُ
وعَلَّمَنِي رَبِّيْ طَرِيْقَ سَـــــلامَتِيْ ... وبَصَّرني لكِنَّني قَــدْ تعَامَيْتُ
وقَالوا مَشِيْبَ الرَّأسِ يَحْدُوْا إلَىَ البِلَى ... فَقُلْتُ أراني قد قَرُبْتُ فَأدْنيْتُ

وكَذَا لاَ يُغسّلُ وَلاَ يُكفّنُ ولاَ يُصلَّى على الْمَقْتُولِ ظُلْمًا لِحَدِيْث سعْيدِ بْن زَيْدٍ مرْفُوعا مَنْ قُتلَ دُونَ دِيْنِه فَهْوَ شَهيْدٌ ومَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهْو شَهيْدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُون مالِهِ فَهْو شَهِيْدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُوْنَ أَهْلِهِ فَهْوَ شَهِيْد رَوَاهُ أَبُو دَاوْدَ والتّرمِذي وَصَحَّحَ .

وَقِيْلَ يُغَسَّلُ وَيُصَلّى عَلَيْه لأَنّ ابْنَ الزّبُيْرَ غُسِّلَ وَصِلّى عَلَيْه وَهَذَا القَوْل يَترجَّحُ عِنْدَي لأَنَّهُ أَحْوَط واللَّهُ سبُحْانَه وَتعَالى أعْلَمْ .

فَأَنْ قُتِـلَ وَعَلَيْه مَا يوجب الْغُسْل مِنْ نَحْو جَنَابَةٍ فَهو كَغَيْرِه يَجبُ أنْ يُغسّلْ لأنّ النّبي ﷺ قَالَ يوْمَ أحُدٍ ما بَالُ حَنْظَلَة بْنَ الرّاهِبْ إنِي رَأَيْتُ الْمَلاَئِكَةَ تُغسِّلهُ قَالُوا إِنَّهُ سَمعَ الْهَائِعَةَ وَهْوَ جُنُبْ وَلم يَغْتَسِلْ رَواه الطَّيالِسِي .

وَانْ سَقَط مِنْ دَابتِّهِ أَوْ وُجِد مَيِّتاً وَلاَ أثَر به أَوْ تَرَدّى مِنْ مَحلٍ رَفيعٍ أَوْ حُمِلَ فأكَلَ أَوْ شَرِبْ أَوْ طَالَ بَقاؤهُ عُرْفاً غُسِّلَ وَصُلى عَلَيْهِ وكَذا - لَوْ تَكَلَّمَ أَوْ بَالَ أَوْ عَطَسْ لأَن النَّبيَ ﷺ غسَّلَ سَعْد بْنَ مُعَاذ وَصلّى عَلَيْهِ وكانَ شَهيْدا وَصَلَّى الْمُسْلِمُون عَلَى عُمَرَ وَعَليْ وَهُمَا شَهيْدانِ والسِّقْطُ لأَرْبَعَةِ أشْهُرٍ كالْمُولُودِ حَيًّا يُغسَّلُ ويُصَلَّى عَلَيْهِ عَلَيْهِ لِحَدِيْث الْمُغيْرَة مَرْفوعا ، والسِّقْطُ يُصَلّى عَلَيْه رَواهُ أبو دَاوْدَ والتّرمِذِي وَصَحَحَّهُ .

وَلاَ يُغسِّلُ مُسْلِمٌ كَافِراً وَلَوْ ذِمِّيّاً وَلاَ يُكَفِّنُهُ وَلاَ يُصلِّي عَلَيْهِ وَلاَ يتبّعُ جَنَازَتَهْ لأَنَّ في ذَلِكَ تَعْظِيْماً لَهُ وَقَدْ قَالَ تَعالى ﴿ لاَ تَتوَلّوا قَوْماً غَضِبَ اللَّهْ عَلَيْهِمْ ﴾ بَلْ يُدْفَنُ إنْ لَمْ يَدْفِنُه الْكُفار كَما فُعلَ بأَهْلِ الْقَلِيْبِ يَوْمَ بَدْرَ وَعَنْ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ قَالَ قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنْ عَمَّكَ الشَّيْخَ الضَّالَ قَدْ مَاتَ قَالَ إِذْهَبْ فَوارِهِ رَوَاهُ أَبُو دَاودُ .

شِعْـراً :

كَيْفَ إِحْتِيَالِي إِذَا جَاءَ الْحِسَابُ غَـدَاً ... وَقَـدْ حُشِـرْتُ بِأَثْقَـالِـي وَأَوْزَارِي
وَقَـدْ نَظَـرْتُ إِلـى صُحْفِي مُسْـوَدَّةٍ ... مِنْ شُؤْمِ ذَنْبٍ قَدِيْمِ العَهْدِ أَوْطَارِي
وَقَـدْ تَجَلَّى لِبَسْطِ الْعَـدْلِ خَـالِقُنَا ... يَـوْمَ الْمَعَـادِ وَيَـوْمَ الـذُّلِّ والعَـارِ
يَفُـوزُ كُـلُّ مُطِـيْعٍ لِلْعَزِيْـزِ غَـدَاً ... بِـدَارِ عَـدْنٍ وأَشْـجَارٍ وَأَنْهَـارِ
هُـمْ نَعْـيِمٌ خُـلُودٌ لا نَفَـادَ لَـهُ ... يُخَـلَّدُونَ بِـدَارِ الْـوَاحِـدِ الْبَـارِي
وَمَـنْ عَصَى فِي قَـرَارِ النَّـارِ مَسْكَنُهُ ... لا يَسْـتَرِيحُ مِنَ التَّعْذِيْبِ فِي النَّـارِ
فَابْكُـوا كَثِيْراً فَقَدْ حُـقَّ الْبُكَـاءُ لَكُمْ ... خَوْفَ الْعَذَابِ بِدَمْعٍ وَاكِفٍ جَارِي

آخَـرُ :

يـا عَجَباً لِلنَّـاسِ كَـيفَ اغْتَـدَوْا ... فـي غَفْـلَةٍ عَمَّـا وَرَاءَ الممـاتْ
لَـوْ حَـاسَبُوا أَنْفُسَـهُم لـم يَكُـنْ ... لَهُم على إِحدى المَعَاصِي ثَبَاتْ
مَـن شَـكَّ فِي اللَّهِ فَـذاكَ الـذي ... أُصِيْبَ فـي تَمْـيِيْزِه بالشَّـتَاتْ
يُحْـيِيْهُـم بَعـد البِـلى مِثْـلَ مَـا ... أَخْـرَجَـهُم مِـن عَـدمٍ لِلْحَيَـاةْ

اللّهُمَّ اهمْنا ذكرَكَ وَشُكرَكَ وأرزقْنا الاستقامةَ طوعَ أَمْرِكَ وَتفضّلْ علينا بعـافِيتـكَ وجَزيلِ عَفوِكَ واغفْر لنا ولوالدِينا ولجميع المسلمين الأَحياءِ منهم والمَيتينَ برحمتكَ يا أرحم الراحمين وصلى اللّهُ على محمّدٍ وعلى آلِهِ وصحْبهِ أجْمعين .

(فَصْـــــــلٌ)

وَتَكْفِينُ الْمَيْتِ فَرْضُ كِفَايَةٍ لِقَوْلِهِ ﷺ فِي الْمُحْرِمِ الْذي مَاتَ اِغْسِلُوهُ بِماءٍ وَسِدْرٍ وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ والْواجِبُ ثَوْبٌ يَسْتُرُ جَمِيعَ المَيّتِ لِقَوْلِ أُمِّ عَطِيَّةَ فَلَمَّا فَرَغْنَا

أَلْقَى إِلَيْنَا حِقْوَهُ فَقَال أشْعِرنَهَا وَلَمْ يَزِد عَلى ذَلِكَ رَواهُ الْبخاري .

وَلاَ يُسْتَرُ رَأْسُ الْمُحرِم وَلاَ وَجْهُ الْمَحْرِمَةِ لِقَوْلِه ﷺ في الْمُحْرِم الّذِي مَاتْ « وَلاَ تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَومَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيا » مُتَّفقٌ عَلَيْه والسُّنَّة تَكْفِيْنُ الرَّجُل في ثَلاَثِ لَفَائِف بِيْض مِنْ قُطْن لِحَدْيث عَائِشَة كُفِّن رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ في ثَلاَثَة أثْوَابٍ بِيْضٍ سَحوْلِيّةٍ يَمانِيَّةٍ لَيْس بِهَا قَمِيْصٌ وَلاَ عِمَامَةٌ أُدْرِجَ فِيْهَا إدْراجا مُتَّفقٌ عَلَيْه .

وَالْمَسْنُونُ في حَقِّ الأُنْثى خَمْسَةُ أثْوَاب إزَارٌ وَخِمَارٌ وَقَمِيْصٌ وَلِفَافَتَيْنْ لِحَدِيْث لَيْلَى بِنْت قَائِف الثَّقَفِيّة قَالَتْ كُنْتُ فِيْمَنْ غَسّلَ أُمَّ كُلْثُوْم ابْنَةَ النَّبيّ ﷺ عِنْدَ وَفَاتِهَا فَكَانَ أوَّلَ مَا أعْطَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحِقَا ثُمّ الدِّرْعَ ثُمَّ الْخِمارَ ثُمَّ الْمِلْحَفَة ثُمَّ أُدْرِجَتْ بَعْدَ ذَلِكَ في الثَّوْبِ الآخَرِ رواهُ أبُو دَاوُدْ .

والصَّبيُّ في ثَوْبٍ وَاحِد لأَنَّهُ دُوْنَ الرَّجُلْ وَيُبَاحُ في ثَلاَثَةٍ ، مَا لَمْ يَرِثْهُ غَيْرُ مُكَلَّف ، ولِصَغِيْرٍ قَمِيْصٌ وَلِفَافَتَان ، والْخُنْثَى كَالأُنْثَى في خَمْسَةِ أثْوَاب ، وأمَّا صِفَةُ تَهْيِئَة اللّفَائفْ ووَضْع الْمَيِّت عَلَيْهَا فَإِنَّا تُبْسَطُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَتُجْعَلُ اللِّفَافَةُ الظَّاهِرَةُ وَهِيَ السُّفْلى مِنَ الثَّلاَثِ أحْسَنهَا وَذَلِك بَعْدَ تَبْخِيْرِهَا بِعُوْدٍ وَنَحْوِهِ بَعْدَ رَشِّهَا بِمَا وَرْدٍ لِتَعْلَقَ رَائِحَةُ الْبَخُوْرِ بهَا مَا لَمْ يَكُنْ مُحْرِمًا .

فمــا تَـزَوَّدَ مِمَّـا كـان يَجْمَعُـهُ   سِوَى حَنُوطٍ غَدَاةَ البَيْنَ في خِرَقِ
وغَيْرَ نَفْحَـةِ أعْـوادٍ تُشَـبُّ لـه   وقَـلَّ ذَلِـكَ مِـنْ زادٍ لِمُنْـطَلِقِ

وَيُجْعَلُ الْحَنُوطُ وَهُوَ أخْلاَطُ مِنْ طِيْب فِيْمَا بَيْنَ اللّفَائفْ وَذَلِكَ بِأَنْ يُذَرُّ بَيْنَ اللّفَائفْ ثُمّ يُوْضَعَ الْمَيّتُ عَلى اللِّفَائِفِ مُسْتَلْقِياً وَيُجْعَلُ مِنْهُ في قُطْنٍ بَيْنَ إلْيَتَيْه وَمَثَانَتِه .

وَيُجْعَلُ الْبَاقِي مِنَ الْقُطْن الْمُحَنَّطِ عَلى مَنَافِذ وَجْهِهِ وَمَوَاضِع سُجُوْدِهْ جَبْهَتِهِ وَيَدَيْهِ ورُكْبَتَيْهِ وَتَحت إبْطِهِ وسُرَّتِه لأنّ ابْنَ عُمَرْ كَانَ يَتَتَبّعُ مَغابِن الْمَيِّت وَمَرافِقَهُ بِالْمِسْك وإنْ طُيّبَ كُلُّهُ فَحَسَنْ لأنَّ أَنَساً طُلِيَ بِالْمِسْكِ وَطَلَى ابْنُ عُمَرَ مَيِّتاً بِالْمِسْكِ .

ثُمَّ يُرَدُّ طَرَفَ اللِّفَافَةِ الْعُلْيَا مِن الْجَانِبِ الأَيْسَرِ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنْ ثُمَّ يُرَدُّ طَرَفَهَا الأَيْمَنَ عَلَى الأَيْسَرَ ثُمَّ الثَّانِيَةَ كَذَلِكَ ثُمَّ الثَّالِثَةَ كَذَلِكَ وَيُجْعَلُ أَكْثَرُ الْفَاضِلِ عِنْدَ رَأْسِهِ ثُمَّ يَعْقِدُهَا وَتُحَلُّ فِي الْقَبْرِ ، لِقَوْلِ ابْنُ مَسْعُوْدٍ إِذَا أَدْخَلْتُم الْمَيْتَ الْقَبْرَ فَحُلُّوا الْعُقَدْ رواهُ الأَثْرَمْ .

شعـــرا :

إنَّ الذي كان بَعْضُ الأرضِ يَمْلِكُهُ أَمْسَى مِن الأَرضِ قد يَحْوِيْهِ مِتْرانِ
وغَابَ عن مُلْكِهِ المِسْكِيْنُ واقْتَسَمُوا أمْوَالَهُ فاعْتَبِرُوا واقتَــد بِيَقْظَـــانِ

آخـــر :

وَعُرِّي عَنْ ثِيَابٍ كَانَ فِيهَا وأُلْبِسَ بَعْدُ أَثْوَابَ انْتِقَالِ
وبَعْدَ رُكُوبِهِ الأَفْرَاسَ تِيْهاً يُهَادَى بَيْنَ أَعْنَـاقِ الرِّجَـالِ
إِلَى قَبْرٍ يُغَادَرُ فِيهِ فَرْدَاً نَأَى مِنْهُ الأَقَارِبُ والمَوَالِي
تَخَلَّى عَنْ مُوَرِّثِهِ وَوَلَّى وَلَمْ تَحْجُبْهُ مَأْثُرَةُ المَعَالِي

موعظـة : عِبَادَ اللَّهِ مَا هَذَا التَّكَاسُلُ عَن الطَّاعَاتِ وَزَرْعُ الأَعْمَارِ قَدْ دَنَا لِلْحَصَادِ وَمَا هَذَا التَّبَاعُدُ وَمُدَدُ الأَيَّامِ قَدْ قَارَبَتْ لِلنَّفَاذَ ، وَمَا هَذَا التغافل والتَّكَاسُلُ عَنْ إِعْدَادِ الزَّادِ لِيَوْمِ المَعَادِ .

خَـلَتِ القُلـوُبِ مِن المَعَـادِ وذِكـره وتَشَـاغَلُوا بالحِـرص والأَطمـاعِ
صَـارَتْ مَجَالِسُ مَن ترى وحديثُهم في الصُحُـفِ والتِلفـازِ والمِذيـاعِ

آخـرُ :

تَـزَوَّدْ لِلَّـذِي لا بُـدَّ مِنْـهُ فَإِنَّ المَوْتَ مِيْقَـاتُ الْعِبَـادِ
يَسُرُّكَ أَنْ تَكُونَ رَفِيْقَ قَوْمٍ لَهُـمْ زَادُ وأنْـتَ بِغَـيْرِ زَادِ

عِبَادَ اللَّهِ أَيْنَ الْحَسَرَاتُ عَلَى فَوْتِ أَمْسِ أَيْنَ الْعَبَرَاتُ عَلَى مُقَاسَاتِ الـرَّمْسِ أَيْنَ الأَسْتِعْـدَادُ لِيَوْمِ تَدْنُـو فِيْهِ مِنْكُمُ الشَّمْسُ ، ﴿ وأَنْـذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

يَا مَنْ مَشِيْبُـهُ أَتَى وَشَبَـابَه إِضْمَحَلْ وَخَبَى ، مَتَى تَتَضرَّعَ إلى مَوْلاَكَ وَتَقِفُ بِالْبَـاب ، أَمَـا اعْتَـبَرتَ بِالـرَّاحِلِينَ مِنَ الأَقْـارِب وَالْجِـيْرَانِ والـزَّملاءِ وَالأَحْبَاب ؛ أَمَا قَرَعَ سَمْعَكَ ﴿ إِعْلَمُوا أَنَّما الْحَيَاةُ الدّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْو وَزِيْنَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ والأَوْلاَدِ ﴾ الآيَةْ .

كَيْفَ حَالُكَ إِذَا بَلَغَتِ الرّوْحُ التَّرَاقِ وَقَطَّعَتِ الْحَسَرَاتُ وَالنَّدَمُ عَلاَئِقَ الأَكْبَادِ وَوُضِعْتَ فِي بَيْتِ الظُّلْمَةِ والدُّودِ وَالْوَحْدَةِ وَلاَ وَلِيَّ لَكَ مِنَ اللَّهِ وَلاَ نَاصِرْ وَضُوعِفَ الْعَذَابُ وَقِيْلَ لِلظَالِمِيْنَ ذُوْقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُوْنَ .

كَيْفَ أَنْتَ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُوْرِ وَكُل إِنْسَانٍ أُلْزِمَ طَائِرَهُ فِي عُنقِهْ يَوْمَ النّشُوْرِ وَحُرِّرَ الْحِسَابُ بَيْنَ يَدَي سَرِيْعِ الْحِسَابِ عَالِمْ السِّرِّ والْخَـفِـيَّاتِ وَالْجَـلِيَاتِ وَنُصِبَ المِيْزَانُ ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِيْنُـهُ فَأُوْلَئِـكَ هُمُ المُفْلِحُوْنَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِيْنُهُ فأولئك الّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بآياتنا يَظْلِمُونْ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ فأما مَن ثقلت موازينُهُ ، فهو في عيشة راضية ، وأما مَن خفت موازينه ، فأمه هاوية ، وما أدراك ما هيه نار حامية ﴾ .

شِـعْرَاً :

وَلاَ بَـأْسَ شَـرْعـاً أَنْ يَطَّبكَ مُسْـلِمٌ
وَشَكْوى الّذِيْ تَلْقى وَبِـالْحَمْدِ فَـابْتَـدِ

وَتَــرْكُ الــدَّوَا أَوْلَـى وَفِعْـلُكَ جَـائِـزٌ
بِمَـا لَمْ تَيَقَّنْ فِيْـهِ حُـرْمَـةَ مُـفْـرَدِ

وَرَجِّحْ عَلَى الْخَوْفِ الرَّجَا عِنْدَ يَأْسِـهِ
وَلاَقِ بِحُسْنِ الـظَّنِّ رَبَّـكَ تَسْعَـدِ

وَيُشْـرَعُ لِلْمَـرْضَى الْعِيَـادَةُ فَـأْتِهِـمْ
تَخُضْ رَحْمَـةً تَغْمُـرْ مَجَـالِسَ عُـوَّدِ

فَسَبْعُـــونَ أَلْفـاً مِنْ مَــلاَئِكَـةِ الــرِّضَــا
تُصَلِّي عَلَى مَنْ عَادَ مُمْسىً إِلَى الْغَدِ
وَإِنْ عَــادَهُ فِي أَوَّلَ الْيَــوْمِ وَاصَـلَتْ
عَلَيْــهِ إِلى اللَّيْــلِ الصَّــلاَةَ فَــاسْنِــدِ
فَمِنْهُمْ مُغِباً عُــدْ وَخَــفِّفْ وَمِــنْهُــم الْــ
لَــذِيْ يُؤْثِــرُ التَّــطْوِيْــلَ مِنْ مُتَــوَدِّدِ
فَفَكِّــرْ وَرَاعِ فِي العِيَــادَةِ حَــالَ مَنْ
تَـعُــودُ وَلاَ تُـكْـثِــرْ سُـؤَالاً تُـــنَـكِّـــدِ
وَذَكِّــرْ لِــمَــنْ تَــأْتِــي وَقَــوِّ فُــؤَادَهُ
وَمُــرْهُ بِــأَنْ يُــوْصِي إِذَا خِفْتَ وَارْشُــدِ
وَنَــدِّ بِــمَــاءٍ أَوْ شَــرَابٍ لِــسَــانَــهُ
وَلَقِّنْــهُ عِنْــدَ الْمَــوْتِ قَــوْلَ الْمُــوَحِّــدِ
وَلاَ تُضْجِــرَنْ بَــلْ إِنْ تَــكَلَّمَ بَــعْــدَهُ
فَعَــاوِدْ بِلَفْظٍ وَاسْــأَلْ اللُّطْفَ وَاجْهَــدِ
وَيَس إِنْ تُــتْلَىٰ يُــخَــفَّــفُ مَــوْتُــهُ
وَيُــرْفَــعُ عَنْــهُ الاصْــرَ عِنْــدَ التَّلَحُّــدِ
وَوَجِّهْــهُ عِنْــدَ الْــمَــوْتِ تِلْقَــاءَ قِبْلَةٍ
فَإِنْ مَــاتَ غَمِّضْــهُ وَلَحْيَيْــهِ فَــاشْــدُدِ
وَمَلْبُــوْسَــهُ فَــاخْلَعْ وَلَيِّنْ مَفَــاصِــلاً
وَضَــعْ فَوْقَ بَــطْنِ الْمَيِّتِ مَانِــعَ مُصْعِدِ
وَوَفِّ دُيُــونَ الْمَيْتِ شَــرْعــاً وَفَــرِّقَنْ
وَصِيَّــةَ عَــدْلٍ ثُمَّ تَــجْهِــيْــزَهُ أَقْصُــدِ

إذَا بِـانْخِسَـافِ الصُّـدْغِ أَيْقَنْتَ مَـوْتَـهُ
وَمَيْـلَ أَنْفِهِ مَـعْ فَصْـلِ رِجْلَيْـهِ وَالْيَـدِ
وَلاَ بَـأْسَ فِي إِعْلاَمِ خِـلٍ وَصَـاحِبٍ
وَأَنْـسَـابِـهِ وَاكْـرَهْ نِـدَاءَ وَشَـدِّدِ
وَسَـارِعْ إِلَى التَّجْهِيْـزِ فَـرْضَ كِفَايَـةٍ
فَقَـدِّمْ وَصِيًّـاً بَعْـدَهُ الأَبَ فَـاعْـدُدِ
فَـجَـدٌ فَـأَدْنَى ثُـمَّ أَدْنَـى مُـنَـاسِـبٍ
فَمَـوْلَى فَـأَدْنَى أَقْـرَبِيْـهِ كَمَـا ابْتُـدِي
وَمُسْتَتِـراً لِلْغَسْـلِ ضَعْـهُ مُـوَجَّـهَـاً
وَمُنْحَـدِراً تِلْقَـاءَ رِجْلَيْـهِ فَـاغْـمِـدِ
وَصُبَّ عَلَيْـهِ الْمَـاءَ فَـوْقَ قَمِيْصِـهِ
بِـالاخْـرَى بِـلاَمَسٍّ وَحَيْـزٍ بِـأَبْعَـدِ
وَيَخْتَـارُ مَجْـدُ الـدِّيْنَ لَفَّـةَ غَـاسِلٍ
عَلَى يَـدِهِ ثَـوْبَـاً لِغُسْـلٍ مُـعَـوَّدِ
وَيُشْـرَعُ سَتْرُ الْمَيتِ عَنْ أَعْيُنِ الْـوَرَىٰ
وَغَسْلُكَ تَحْتَ السَّقْفِ أَوْ سِتْـراً اشْهَدِ
وَقَـرِّبْـهُ مِنْ حَـالِ الْجُلُوسِ بِـرَفْعِـهِ
وَلِلْبَـطْنِ فَـاعْصِـرْ وَارْفِقَنْ لاَ تُشَـدِّدِ
وَكَثِّـرْ لِصَبِّ الْمَـاءِ لِيَـذْهَبَ بِـالأَذَى
وَفِي وَاسِـعِ الْكُمَّيْنِ غَسِّـلْ بِـأَبْعَـدِ
وَلُفَّ لِتَنْضِيْفِ النَّجَـاسَـةِ خِـرْقَـةً
بِكَـفٍّ وَنَجِّـيْـهِ وَعَـنْ عَـوْرَةٍ حُـدِ

وَتَعْمِيْمُهُ بِالمَا اشْتَرِطْ وَبِخِرْقَةٍ
بِيُمْنَ وَسَمِّ وانْوِ شَرْطاً بِأَجْوَدِ
وَلاَ تُدْخِلَنَّ الْمَاءَ فَاهُ وَأَنْفَهُ
وَنَظِّفْهُمَا وَاتْمِمْ وُضُوءَ التَّعَبُّدِ
وَمِنْ رُغْوَةِ السِّدْرِ اغْسِلَنْهُ جَمِيْعَهُ
وَبِالأَيْمَنِ ابْدَأْ ثُمَّ لِلأَيْسَرِ أُقْصِدِ
ثَلاَثاً فَإِنْ لَمْ يُنْقِ أَوْ بَانَ خَارِجٌ
فَغَسِّلْ إلى الانْقَى وَبِالْوِتْرِ جَدِّدِ
إلى مُنْتَهَى سَبْعٍ وفي كُلِّ غَسْلَةٍ
فَقَلِّبْهُ وَارْفِقْ وَامْسَحِ الْبَطْنَ بِالْيَدِ
وَفي الآخِرِ الْكَافُورَ ضَعْهُ فَإِنْ بَدَا
إذاً بَعْدَ سَبْعٍ مَخْرَجَ الْمَيِّتِ فَاسْدُدِ
بِقُطْنٍ فَإِنْ يَخْرُجِ فَطِيْنٍ وَقِيْلَ لاَ
تُغَسِّلْ وَوَضِّ بَعْدَ غَسْلِ الأَذَى قَدِ
وَيُكْرَهُ تَسْرِيْحُ الشُّعُورِ بِأَوْطَدِ
وَشَارِبَهُ والظُّفْرَ وَالأَبْطَ فَاجْدُدِ
وَغَسِّلْ وَكَفِّنْ بَعْضَ مَيِّتٍ مُغَيَّبٍ
وَصَلِّ عَلَيْهِ مِثْلَ رِجْلٍ بِأَوْكَدِ
وَيُخْتَارُ لِلْغَسْلِ الأَمِيْنُ وَعَالِمٌ
بِأَحْكَامِ تَغْسِيْلٍ وَلَوْ بِتَقَلُّدِ
وَلاَ تُفْشِ سِرّاً يُؤْثِرُ الْمَيْتُ كَتْمَهُ
سِوَى ذِي فُجُورٍ وَابْتِدَاعٍ مُعَوَّدِ

وَتَجْهِيزُ مَيِّتٍ خُذْهُ مِنْ رَأْسِ مَالِهِ
وَقَدِّمْ عَلَى كُلِّ الْحُقُوقِ وَأَكِّدِ
وَوَاجِبُهُ ثَوْبٌ يَلُفُّ جَمِيْعَهُ
وَقِيْلَ ثَلاَثٌ بَلْ مَعَ الدَّيْنِ أَفْرِدِ
وَيُشْرَعُ فِي بِيْضٍ ثَلاَثٍ بَسَطَتَهَا
طِبَاقاً بِطِيْبٍ والدِّثَارَ فَجَوِّدِ
وَحَنِّطْهُ فِيْمَا بَيْنَهَا وَاجْعَلَنْ عَلَى
مُلَفَّفِ قُطْنٍ بَيْنَ أَلْيَيْهِ وَاشْدُدِ
وَكَفِّنْهُ وَابْدَأْ بِالْيَسَارِ وَفَوْقَهَا الْـ
يَمِيْنُ كَذَا الاطْرَافُ مِنْهَا فَعَقِّدِ
وَمَا عِنْدَ رَأْسِ الْمَيْتِ وَفِّرْوَ حُلَّهَا
بِلَحْدٍ وَدَعْ أَكْفَانَهُ لاَ تُقَدِّدِ
وَيَكْفِي لِفَافٌ مَعَ قَمِيْصٍ وَمِئْزَرٍ
والأُنْثَى خِمَارٌ مَعَ لِفَافَةٍ ازْدَدِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرِكَ وَشُكْرَكْ وَوَفِّقْنَا لِلْقِيَامِ بِأَمْرِكْ وَاعِذْنَا مِنْ عَدُوِّنَا وَعَدُوِّكْ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْن .

(فَصْلٌ)

والصَّلاَةُ عَلَى الْمَيِّتِ فَرْضُ كِفَايَةٍ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الْغَالْ صَلّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ وَقَوْلِهِ صَلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ صَلُّوا على

أَطْفَالِكُمْ فَإِنَّهُمْ أَفْرَاطُكُمْ وَقَوْلُهُ إِنَّ صَاحِبَكُمْ النّجَاشِي قَدْ مَاتَ فَقُوْمُوا فَصَلُّوا عَلَيْهِ وَقَوْلُهُ صَلُّوا عَلى مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَتَسْقطُ الصَّلاَةُ عَلَيْهِ بِمُكَلَّفْ ، لأنها صَلاَةٌ لَيْسَ مِنْ شُرُوْطِهَا الْجَمَاعَة ، فَلَمْ يُشْتَرَطْ لَهَا الْعَدَد ، وَشُرُوْطُ الصَّلاَةِ عَلَى الْمَيِّتِ ثَمَانِيَةٌ النِّيَّةُ والتَّكْلِيْفُ وَاسْتِقْبَالُ القِبْلَة وَسَتْرُ الْعَوْرَة واجْتِنَابُ النَّجاسَة واسْلامُ الْمُصَلِّي وَالْمُصَلَّى عَلَيْهِ وَطَهَارَتُهما وَلَوْ بِتُرَاب وَحُضُورُ الْمَيِّتِ إِنْ كَانَ في الْبَلَدِ .

وَأَرْكَانُ الصَّلاَةِ عَلَى الْمَيِّتِ سَبْعَةٌ ، الْقِيَامُ في فَرْضِهَا والتَّكْبِيْرَاتُ الأَرْبَعُ لأَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ كَبَّرَ عَلَى النَّجَاشِي أَرْبَعا مُتفقٌ عَلَيْهِ، وَقِراءَةُ الْفَاتِحَة، لِعُمومِ حَدِيْثِ لَا صَلاَةَ لِمَنْ يَقْرَأْ لَمْ بِفَاتِحَة الكِتَاب ، وَصَلَّى ابْنُ عَبَّاس على جَنَازَةٍ فقَرَأَ بِأُمِّ القُرْآنْ وَقَالَ لِتَعْلَمُوا أَنَّها سُنَّة ، أَوْ قَالَ مِن تمام السُّنّةِ رَوَاهُ البُخَارِي .

والصَّلاةُ على النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ، والدُّعَاءُ لِلْمَيِّتْ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ إذا صَلَّيْتُمْ عَلَى الميِّتِ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاء رَوَاهُ أَبُو دَاودْ ،والتَّرْتِيْبُ ، والسَّـلَامُ، لِعُمُومِ حَدِيْث تحْلِيْلُهـا التَّسْلِيْم ، وَصِفَةُ الصَّلَاةِ على الميِّتْ أَنْ يَنْوِيَ .

ثُمَّ يُكَبِّرَ أَرْبَعا يَرْفَعُ يَدَيْهِ مَعَ كُلِّ تَكْبِيْرَةٍ يُحْرِمُ بالتَّكْبِيْرَةِ الأُوْلَى وَيَتَعَوَّذُ وَيُسَمِّي وَيقْرَأ الفَاتِحَةُ وَلَا يَسْتَفْتِحْ لِأَنَّ مَبْنَاهَا عَلى التَّخْفِيف ، وَيُكَبِّرُ التَّكْبِيْرَةِ الثَّانِيَة ، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كَمَا يُصَلِّي عَلَيْهِ في التَّشَهُدِ ، وَيُكَبِّرُ في الثَّالِثَةِ وَيَدْعُو لِلْمَيّتِ بِأَحْسَنِ مَا يَحْضُرْ .

وَسُنَّ بِمَا وَرد ، وَمِنْه : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنا وَصَغِيْرِنَا وَكَبِيْرِنَا وَذَكَرِنَا وَانْثَانَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مُنْقَلَبَنا وَمَثْوَانَا وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْر اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِسْلَامِ والسُّنَّة وَمَنْ تَوَفيتَهُ مِنَّا فَتَوفَّهُ عَلَيْهِمَا .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وارْحَمْهُ ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ ، وَاكْرِمْ نُزُلَهْ ،وَأَوْسِعْ مُدْخَلَهُ ،وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ والثَّلْجِ وَالْبَرَدْ ،وَنَقِّهِ مِنَ الذّنُوبِ والْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَنَس ،وَأَبْدِلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ وَزَوْجَاً خَيْراً مِنْ زَوْجِهِ وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَعَذَابِ القَبْر وَافْسَحْ لَهُ في قَبْرِهِ وَنَوِّرْ لَهُ فِيْهِ .

وَإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ الْمُصَلَّى عَلَيْهِ صَغِيْراً أَوْ مَجْنُوناً وَاسْتَمَرَّ قَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلَهْ ذُخْراً لِوَالِدَيْهِ وَفَرَطاً وَشَفِيْعاً مُجَابَا اللَّهُمَّ ثَقِّلْ بِهِ مَوَازِيْنَهُمَا وَأَعْظِمْ بِهِ أُجُورَهُمَا وَأَلْحِقْهُ بِصَالِح سَلَفِ الْمُؤْمِنِيْنَ واجْعَلْهُ في كَفَالَةِ ابْرَاهِيْمِ وَقِهِ بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ الْجَحِيْمِ وَإِنْ لَمْ يُعْلَمْ إِسْلَامُ والِدَيْه دَعَا لِمَوَالِيْهِ .

وَيُؤَنَّثُ الضَمِيْرُ عَلَى أُنْثَى فَيَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهَا إِلى آخِرِ الدُّعَاءْ وَيُشِيرُ بِمَا يَصْلُحُ لَهُمَا عَلَى خُنْثَى ، وَمَا جُهِلَ هَلْ هُوَ ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى فَيَقُولُ في دُعَائِهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِهَذَا الميِّتْ وَنَحْوِه كَهَذِهِ الجَنَازَةْ لِأَنَّهُ يَصْلُحُ لَهُمَا .

وَيُكَبِّرُ التَّكْبِيْرةَ الرَّابِعَةَ وَيَقِفُ بَعْدَهَا قَلِيْلاً وَلَا يَدْعُو وَيُسَلِّمُ تَسْلِيْمَةً وَاحِدَةً عَنْ يَمِيْنِه وَيَجُوزُ أَنْ يُسَلِّمَهَا تِلْقَاءَ وَجْهِهْ وَيَجُوزُ أَنْ يُسَلِّمَ ثَانِيَةً .

وَتُسَنُّ الصَّلَاةَ عَلَى الْمَيِّتِ جَمَاعَةً كَفِعْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامْ وَأَصْحَابِهْ واسْتَمَرَّ عَلَيْهِ النَّاسْ وَسُنَّ أَنْ لَا تَنْقُصَ الصُّفُوفُ عَنْ ثَلَاثَةِ صُفُوفٍ ثُمَّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ صُفُوفٍ مِنَ النَّاسِ فَقَدْ أَوْجَبْ) رَوَاهُ التِّرمِذِيْ وَحَسَّنَه والْحَاكِمْ وَقَال صَحِيْحٌ عَلى شَرْطِ مُسْلِمْ .

وَيَجُوزُ أَنْ يُصَلَّى عَلَى الْمَيِّتِ مِنْ دَفْنِه إلى شَهْر وَشَيْءٍ قَلِيْلٌ كَيَوْمٍ وَيَوْمَيْن يُرْوَىٰ عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم مِنْ سِتَّةِ وُجُوْهٍ كُلّها حِسَانٌ قَالَهُ أَحْمَدْ وَقَالْ وَمَنْ يَشُكُّ في الصَّلاَةِ عَلى الْقَبْر وَقَالْ أَكْثَرُ مَا سَمِعْتُ أَنَّ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم صَلَّى عَلى أُمِّ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ بَعْدَ شَهْرٍ .

وَيُصَلَّى عَلَى الْغَائِبِ بالنِّيَّة لِصَلاَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلام على النَّجَاشِي وَالأَوْلَىٰ بالصَّلاَةِ عَلَى المَيِّتِ وَصِيُّهُ العَدْلُ فَسَيِّدٌ بِرَقِيْقِه فالسُّلْطَانُ فَنَائِبُهُ الأَمِيْرُ فالْحَاكِمُ فالأَوْلَىٰ بِغَسْلِ رَجُلٍ فَزَوْجٌ بَعْدَ ذَوِي الأَرْحَامِ .

وَمَعَ تَسَاوٍ يُقْرَعُ بَيْنَهُمْ وَمَنْ قَدَّمَهُ وَلِيٌّ لاَ وَصِيٌّ بِمَنْزِلَتِهِ وَالسُّنة أَنْ يَقِفَ الإِمَامُ والمُنفردُ عِنْدَ رَأْسِ الرَّجُلِ الْمَيِّتِ المُصَلَّى عَلَيْهِ وَعِنْدَ وَسَطِ الأُنْثَى لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى عَلَى رَجُلٍ فَقَامَ عِنْدَ رَأْسِه ثُمَّ صَلَّى عَلَى امْرَأَةٍ فَقَامَ وَسْطَهَا فَقَالَ العَلاَءُ بْنُ زِيَادْ هَكَذَا رَأَيْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومْ قَالَ نَعَمْ وَعَنْ سَمُرَةَ بْنُ جُنْدُبْ رَضِيَ اللهُ عَنْه قَالَ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِي صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلى امْرَأَةٍ فَقَامَ وَسْطَها مُتَّفَقٌ عَلَيْه .

وَيُسَنّ أَنْ يَلِيَ الامَامَ مِنْ كُلّ نَوْعٍ أَفْضَلُهُمْ فَأَسَنُّ فَأَسْبَقُ ثُمَّ يُقْرَعْ فَإِنْ كَانَ رَجُلاً وَصَبِيّاً وامْرَأَةً وَخُنْثَى قُدِّمَ إِلى الامَامِ الرَّجُل ثُمَّ الصَّبِي ثُمَّ الخُنْثَى ثُمَّ الْمرْأَةْ لِمَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى عَلَى تِسْعِ جَنَائِزَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ فَجَعَلَ الرِّجَالَ مِمَّا يَلِي الامَامْ وَالنِّسَاءَ مِمَّا يَلِي الْقِبْلَة .

وَيَقْضِي الْمَسْبُوقُ مَا فَاتَه مِنَ التَّكْبِيْرَاتِ إِذَا سَلَّمَ إِمَامُه عَلَى صِفَتِهَا فَإِنْ خَشِيَ رَفْعَ الجَنَازَةِ تَابَعَ التَّكْبِير رُفِعَتْ أَوْ لَمْ تُرْفَعْ وَإِذَا سَلَّمَ وَلَمْ

يَقْضِ شَيْئًا صَحَّتْ وَيَجُوزُ دُخُولُه بَعْدَ التَّكْبِيْرَةِ الرَّابِعَةِ وَيَقْضِي الثَّلاَثَ التَّكْبِيْراتِ اسْتِحْبَاباً لِيَنَالَ الأَجْرَ .

وانْ وُجِدَ بَعْضُ مَيِّتٍ كَرِجْلٍ أوْ يَدٍ فَحُكْمُهُ كَكُلِّهِ فَيُغَسلُ وَيُصَلَّى عَلَيْهِ بَعْدَ مَا يُكَفَّنْ وُجوباً لِأَنّ أَبَا أَيُّوبَ صَلَّى عَلَى رِجْلِ انْسَان قَالَهُ أَحْمَدْ وَصَلَّى عُمَرُ على عِظَامٍ بالشَّامِ وَصَلَّى أَبو عُبَيْدَةَ عَلَى رُؤُوْسٍ رَوَاهُمَا عَبْدُ اللَّه بْنُ أَحْمَد بِاسْنَادِه ،

قَالَ الشَّافِعِي أَلْقَى طَائِرٌ يَدَاً مِنْ وَقْعَةِ الجَمَلْ عُرِفَتْ بالْخَاتَمْ وَكَانَتْ يَدَ عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ وَصَلَّى عَلَيْها أَهْلُ مَكّةْ فَإِنْ كَانَ الْمَيّتُ قَدْ صَلُّى عَلَيْه غُسِلَ ذَلِكَ الْبَعْضُ وَكُفِّنَ وُجوباً وَصُلِي عليهِ اسْتِحْبَاباً لِأنَّ الفَرْضَ سَقَط بالصَّلاَة على أَكْثَر الْمَيْتِ .

وَكَذَا إِنْ وُجِدَ الْبَاقِي مِنَ الْميتْ فَيُغْسَلُ وَيُكَفَّنُ وَيُصَلَّى عَلَيْه وَيُدْفَنُ بِجَنْبِهِ وَلاَ يُصَلى عَلَى مَا بَانَ وَانْفَصَلَ مِنْ حَيٍ كَيَدِ سَارِقٍ وَقَاطِعِ طَرِيقٍ مَا دَامَ الإِنْسَانُ حَيّاً .

وَلاَ يُصَلَّى عَلى مَنْ فِي أَحَدِ جَانِبَي الْبَلَدِ وَانْ كَانَ الْبَلَدُ كبِيْراً وَلَوْ لِمَشقَّةِ مطَرٍ أَوْ مَرَضٍ لِأنَّه يُمكِنُ حُضُورَ الْمَيّتِ لِلصَّلاَةِ عَلَيْهِ في الْبَلَدْ وَيُعْتَبَرُ انْفِصَالُه عَنِ الْبَلَد بِمَا يُعَدُّ الذَّهَابُ إِلَيْهِ نَوْعُ سَفَرْ .

قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُ الدِّيْنِ وَأَقْرَبُ الْحُدودُ ما تَجِبُ فِيهِ الْجُمْعَةُ وَلاَ يُصلِّي على كُلِّ غَائِبٍ قَالَهُ الشّيْخ تَقِيُّ الدِّين لِأَنَّه لَمْ يُنْقَلْ وَمَنْ صَلَّى عَلى مَيِّتٍ كُرِه لَهُ إِعَادَةُ الصَّلاَةِ كَالْعِيْد إِلاَّ مَنْ صُلِيَّ عَلَيْهِ بالَنِّيَةِ إِذا حَضَرْ .

وَكَذَا إِذَا وُجِدَ بَعْضُ مَيِّتٍ صُلِّي عَلَى جُمْلَتِهِ فَتُسَنُّ الصَّلاَةُ عَلى ذَلِكَ البَعْضِ .

شِـعْراً :

يَـا غَـافِـلِيْنَ أَفِيْـقُـوا قَبْـلَ مَـوْتِـكُمُ
وَقَـبْـلَ يُـؤْخَـذُ بـالأَقْـدَامِ والـلَّمَـمِ

والنَّـاسُ أَجْمَـعُ طُراً شاخِصُوْنَ غَـداً
لاَ يَـنْـطِقُـونَ بِـلاَ بَكْمٍ وَلاَ صَـمَـمِ

والْخَلْقُ قَـدْ شُغِلُوا والْحَشْـرُ جَـامِعُهُـمْ
والـلّهُ طَـالِبُـهُـم بـالْـحِـلّ والْـحَـرَمِ

وَقَـدْ تَـبَـدَّىٰ لِأَهْـلِ الْجَمْـعِ كُـلِّهِـم
وَعْـدُ الإِلَـهِ مِنَ التَّـعْـذِيـبِ والـنَّـقَـمِ

وَكُـلُّ نَفسٍ لَـدَى الْجَبَّـارِ شَـاخِصَـةٌ
لاَ يَـنْـطِقُـونَ بِـلاَ رُوحٍ مِنَ الـزَّحَـمِ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرنا وَأَنْ تَضعَ وِزْرَنا وَتُصْلِحَ أَمْرَنَا وَتُطَهِّرَ قُلُوبَنَا وَتُنَوِّرَ قُبُورَنَا وَتَغْفِرْ لنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــلٌ)

ولا يُصَلِّي الامَامُ على الْغالِ وَلاَ عَلَى قَاتِلِ نَفْسِهِ أَمَّا الْغالُ وَهُوَ مَنْ كَتَمَ شَيْئا مِمَّا غَنِمَهُ المُسْلِمُون مِن الكُفَّارْ لِيَخْتَصَّ بِهِ فَلأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام امْتَنعَ عن الصَّلاَةِ عَلى رَجُلٍ مِنْ جُهَيْنَة غَلَّ يَوْمَ خَيْبَرْ وَقالْ صَلُّوا عَلَى صَاحِبُكُمْ رَواهُ الخَمْسَة إلاَّ التِّرْمِذِي احْتَجَّ بِهِ أَحْمَد وَأَمَّا قَاتِلُ نَفْسِهْ فَلِحَدِيْثِ جَابِرْ بْنِ سَمرَة أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ جَاؤهُ بِرَجُلٍ قَدْ قَتلَ نَفْسَهُ بِمَشَاقِصْ فَلَمْ يُصَلِّى عليه رواهْ مسلم وغيرُه .

وَلِلْمُصَلِّي عَلَى الْجَنَازَةِ قِيْرَاطٌ مِنَ الأُجْرِ وَهُوَ أَمْرٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ اللّه تعالى وَلَهُ بِتَمَامِ دَفْنِهَا قِيْرَاطٌ آخَرْ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مَنْ شَهِدَ جَنَازَةً حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيْرَاطٌ وَمَنْ شَهِد حَتَّى تُدْفَنْ فَلَهُ قِيْرَاطَانِ قِيْلَ وَمَا القِيْرَاطَانِ قَال مِثْلُ الجَبلَيْنِ العَظِيْمَيْنِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَلِمُسْلِم حَتَّى تُوْضَعَ فِي اللّحْد وَلِلْبُخَارِي مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَة مَنْ تَبِعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيْمَاناً وَاحْتِسَاباً وَكَانَ مَعَهَا حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْ دَفْنِها فَإِنّهُ يَرْجِعُ بِقِرَاطَيْنِ كُلُّ قِيْرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ وَحَمْلُ الْمَيِّتِ لِمَحَلِّ دَفْنِه فَرْضُ كِفَايَةٍ .

وَيُسَنُّ التَّرْبِيْعُ فِي حَمْلِ الجَنَازَة لِمَا وَرَدَ عَنْ ابْن مَسْعُودٍ قَال مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةً فَلْيَحْمِلْ بِجَوانِبِ السَّرِيْرِ كُلِّها فَإِنَّهُ مِنَ السُّنةِ ثُمَّ إِنْ شَاءَ فَلْيَتَطَوَّعْ وَإِنْ شَاءَ فَلْيَدَعْ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَصِفَتُهُ أَنْ يَضَعَ قَائِمَةَ السَّرِيْرِ اليُسْرى المُقَدّمَة على كَتِفِهِ الْيُمْنَى .

ثُمَّ يَنْتَقِلُ إلى المُؤخَّرْة ثُمَّ الْيُمْنَى المُقَدّمَةِ عَلَى كَتِفِهِ الْيُسْرَى ثُمَّ يَنْتَقِلُ إلى المُؤخّرَةِ ولاَ يُكْرَهُ الحَمْلُ بَيْنَ العَمُودَيْن وَهُوَ مَا بَيْنَ القَائِمَتَيْنِ المُقَدِّمَتَيْنِ أَوْ المُؤخَّرتَيْنِ أَوْ يَجْعَلُ كُلَّ عَمُودٍ عَلى عَاتِقٍ .

لِمَا رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمْ حَمَلَ جَنَازَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ بَيْنَ العَمُودَيْن وَيُسَنّ الاسْرَاعُ بِالجَنَازَةْ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْه قَالَ قَالَ رَسُول اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمْ أَسْرِعُوا بالجَنَازَة فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَرّبْتُمُوهَا إِلى خَيْر وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ ذَلِك فَشَرٌّ تَضَعُوْنَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ رَواهُ الجَمَاعَة .

شعرا : إني أَبُثُكَ من حَدِيْثي والحَدِيْثُ لَهُ شُجُوْن
غَيَّرتُ مَوضْعَ مرقَدِيْ لَيْلا فَنافَرنِيْ السُّكُوْنْ
قُلْ لِيْ فأَوّلُ لَيْلَةٍ في القَبْرِ كَيْفَ تُرى تَكُوْنْ

شعرا : نُراعُ إذا الجَنائِزُ قابَلَتْنـــا ونَسْكُنُ حِيْنَ تَخْفَى ذاهِبَاتٍ
كَرَوْعَةِ ثُلَّةٍ لِظُهُوْرِ ذِئْبٍ فَلَمَا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَــاتٍ

وَلاَ يُكْرَه الحَمْلُ عَلَى دَابّةٍ لِغَرضٍ صَحِيْحٍ كَبُعْدِ المَقْبَرةَ وَمِثْلُ البَعِيْرِ السَّيَّارَةُ وَنَحْوُهَا وَيُسْتَحَبُّ كَوْنُ المَاشِي قُدَّامَ الجَنَازةِ قَالَ ابْنُ المُنْذِرْ ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَر كَانُوا يَمْشُونَ أَمَامَ الجَنَازَة ، رَوَاهُ أَحْمَد عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَلِأَنَّهُمْ شُفَعَاءُ والشَّفِيْعُ يَتَقَّدمُ المَشْفُوعَ له .

وَسُنَّ كَوْنُ رَاكِبٍ خَلْفَ الْجَنَازَةِ لِحَدِيْثِ المُغيْرَةِ بْنِ شُعْبَةَ مَرْفُوعاً الرَّاكِبُ خَلفَ الجَنَازَةِ والمَاشِي حَيْثُ شَاءَ مِنْها رَواهُ التِّرْمِذِي وَقَالَ حَسَنٌ صَحِيْح وَلأَنَّهُ إِذَا سَارَ أَمَامَها الرَّاكِبُ أَذَى المُشَاةَ والقُرْبُ مِنَ الجَنَازةِ أَفْضَلُ كالإِمَامِ في الصَّلاَة .

وَيُكْرَهُ جُلُوسُ تَابِعِها حَتَّى تُوْضَعَ بالأَرْض لِحَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ فِيهِ حَتَّى تُوْضَعْ بالأَرْض وَرَفْعُ الصَّوْتِ مَعَ الجَنَازَةِ مَكْرُوهٌ لِحَدِيْثِ لا تُتْبَعُ الجَنَازَةُ بِصَوْتٍ وَلاَ نَارٍ رَوَاهُ أَبو دَاودْ وَقَوْلُ القَائِلِ مَعَ الجَنَازةِ اسْتَغْفِرُوا بِدْعَةٌ وَرَوَى سَعِيْدُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ وَسَعِيْدَ بْنَ جُبَيْرٍ قَالاَ لِقَائِلِ ذَلِكَ لاَ غَفَرَ اللّٰهُ لَكْ .

وَكُرِهَ أَنْ يَتْبَعَ الْجَنَازَةَ امْرَأَةٌ لِحَدِيْثِ أُمِّ عَطِيَّةَ « نُهِيْنَا عَن اتِّبَاعِ الجَنَائِزْ وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا وَحَرُمَ أَنْ يَتْبَعُها مَعَ مُنْكَرٍ يَعْجِزُ عَنْ إِزَالَتِه وَيَلْزَمُ القَادِرُ عَلَى إِزَالَتِهِ أَنْ يُزِيْلَهُ وَلاَ يَتْرُكَ اتِّبَاعَها .

وَيُسْتَحَبُّ القِيَامُ لِلْجَنَازَةِ لِمَا وَرَدَ عَن ابْنِ عُمَرْ عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيْعَة عَن النَّبِيّ صَلى اللّٰهُ عَلَيْه وَسَلَّمْ قَال إذا رَأَيْتُم الجَنَازَةَ فَقُومُوْا لَهَا حَتَّى تُخَلِّفَكُم أَوْ تُوْضَعَ رَوَاهُ الجَمَاعَة وَلِأَحْمَدْ .

وَكَانَ ابْنُ عُمَرْ إذَا رَأَى جَنَازَةً قَامَ حَتَّى تُجَاوِزَهُ وَلَهُ أَيْضاً عَنْهُ أَنّهُ رُبمَّا

تَقدَّمَ الجَنَازَةَ فقعَدَ حتَّى إذَا رَآهَا قَدْ أَشْرَفَتْ قَامَ حَتَّى تُوْضَعْ وَاخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ الشَّيْخُ تَقِيُ الدِّيْنَ وَعَنْ جَابِرٍ قَالْ مَرَّتْ بِنَا جَنَازَةٌ فقَام لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّمْ وَقُمْنَا مَعَهُ فقُلْنَا يَا رَسُولَ اللّهِ إنّها جَنَازَةُ يَهُودِي قَالَ إذَا رَأَيْتُمْ الجَنَازَةَ فقُومُوْا لَها .

وَعَنْ سَهْلِ بْنَ حُنَيْفٍ وَقَيْسِ بْنِ سَعْد أَنَّهُما كَانَا قَاعِدَيْنِ بالقَادِسِيَّةِ فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ فقَامَا فَقِيْلَ لَهُمَا إنَّها مِنْ أَهْلِ الأَرْض أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِمَّةِ فقَالَ إنَّ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ مَرَّتْ بِهِ جَنازَةٌ فقَامَ فَقِيْلَ لَهُ انَّها جَنَازَةٌ يَهُودِي فقَالْ أَلَيْسَتْ نَفْسَاً مُتَّفقٌ عَلَيْهُما .

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا تَوْفِيْقَاً يَقِيْنَاً عَنْ مَعاصِيْكَ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيْكَ وَأَرْزُقْنَا مَحَبَّتَكَ وَمَحَبَّةَ مَنْ يُحِبُّكْ وَبُغْضَ مَنْ يُعَادِيْك واغْفِرْ لَنا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَميع المُسْلِمِيْن بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْن وَصَلَّى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعين .

شِـعْراً :

هَذهِ قَصِيْدَةً بَلِيْغَةٌ جِدَّاً وَهِيَ زُهْدِيَّةٌ وَعَظِيَّةٌ أَلْق لَهَا سَمعك

سِهَـامُ الْمَنَايَـا فِي الـوَرَى لَيْس تُمْنَـعُ
فَكُـلٌّ لَـهُ يَـومـاً وَانْ عَـاشَ مَصْـرَعُ

وَكُـلٌّ وِانْ طَـالَ المَـدَى سَـوْفَ يَنْتَهِيْ
إلى قَعْـر لَحْـدٍ في ثَـرَىً مِنْـهُ يُـوْدَعُ

فَقُـلْ لِلَّذي قَـدْ عَـاشَ بَعْـدَ قَـرِيْنِـهِ
إلى مِثْلِهَـا عَمَّـا قَـلِيْـلٍ سَتُـدْفَـعُ

فَكُلُّ ابْنِ أُنْثَى سَوْفَ يُفْضِيْ إلى الرَّدَى
وَيَـرْفَـعُـهُ بَعْـدَ الأَرائِـكِ شَـرْجَـعُ

وَيُـدْرِكُـهُ يَـوْماً وَانْ عَـاشَ بُـرْهَـةً
قَضَـاءُ تَسَاوَى فِيْـهِ عَـوْدٌ وَمُـرْضَـعُ
فَـلاَ يَفْرَحَنْ يَـوْماً بُـطُولِ حَيَاتِـهِ
لَبِيْبٌ فَمَا فِي عَيْشِهِ الْمَرْءُ مَطْمَـعُ
فَمَـا الْعَيْشُ إلاَّ مِثْـلُ لَمْحَـةِ بَـارِقٍ
وَمَـا الْمَوْتُ إلاَّ مِثْـلُ مَا الْعَيْن تَهْجَـعُ
وَمَـا النَّـاسُ إلاَّ كَـالنَّبَـاتِ فَيَـابِسٌ
هَشِيْـمٌ وَغَضٌّ إثْـرَ مَـا بَـادَ يَـطْلَعُ
فَـتَبـاً لِـدَارٍ مَـا تَـزَالُ تَـعُـلُّنَـا
أَفَـاوِيْـقَ كَـأْسٍ مُـرَّةً لَيْس تُـقْنِـعُ
سَحَـابُ أَمَـانِيْهَـا جَهَـامٌ وَبَـرْقُـهَـا
إذا شِيْمَ بَـرْقٌ خُلَّبٌ لَيْسَ يَـهْـمَـعُ
تَـغُـرُّ بَنِيْهَـا بـالـمُنَى فَـتَقُـودُهُمْ
إلى قَعْـرِ مَهْـوَاةٍ بِهَـا المَرْءُ يُـوْضَـعُ
فَكَمْ أَهْلَكَتْ فِـي حُبِّهَـا مِنْ مُـتَيَّمٍ
وَلَم يَحْـظَ مِنْهَـا بـالـمُنَى فَيُـمَتَّـعُ
تُمَنِّيْـهِ بـالآمَـالِ فِي نَيْـلِ وَصْلِهَـا
وَعَنْ غَيِّـهِ فِـي حُبِّهَـا لَيْس يَـنْـزِعُ
أَضَـاعَ بِهَـا عُمْـراً لَـهُ لَيْسَ رَاجِعَـاً
وَلَـمْ يَنَـلِ الأَمْـرَ الّـذِي يُـتَـوَقَّـعُ
فَصَـارَ لَهَـا عَبْـداً لِجَمْـعِ حُـطَامِهَـا
وَلَمْ يَهْنَ فِيهَـا بـالَّـذِي كَـانَ يَجْمَـعُ

وَلَــوْ كَــانَ ذَا عَقْــلٍ لأغْنَتْــهُ بُلْغَــةٌ
مِنَ العَيْشِ فِي الدّنْيَا وَلَمْ يَكُ يَجْشَعُ
إلى أَنْ تُــوَافِيْــهِ المَنِيّــةُ وَهُــوَ بَــالْ
قَــنَــاعَــةِ فِيْــهَــا آمِــنــاً لاَ يُــرَوَّعُ
مَصَــائِبُــهَــا عَمَّتْ فَلَيْسَ بِمُــفْلَتٍ
شُــجَــاعٌ وَلاَ ذُو ذِلَّــةٌ لَيْس يَــدْفَــعُ
وَلاَ سَــابِحٌ فِي قَعْــرِ بَحْرٍ وَطَــائِــرٌ
يُــدَوِّمُ فِــي بُــوْحِ الفَــضَــاءِ وَيَــنْــزِعُ
وَلاَذُوْ امْتِنَــاعٍ فِــي بُــرُوجٍ مُشَيْــدَةٍ
لَهَــا فِي ذُرَى جَوِّ السَّمَــاءِ تَــرَفُّــعُ
أَصَــارَتْــهُ مِنْ بَعْــدِ الحَيَاةِ بِــوَهْــدَةٍ
لَــهُ مِنْ ثَــرَاهَــا آخِــرَ الــدَّهْــرِ مَضْجَعُ
تَسَــاوَى بِهَــا مَنْ حَــلَّ تَحْتَ صَعِيْدِهَــا
عَلَى قُــرْبِ عَهْــدٍ بِــالمَمَــاتِ وَتُبَّــعُ
فَسِيَّــانِ ذُو فَــقْــرٍ بِهَــا وَذُوُوْا الــغِنَــى
وَذُوْ لَكَنٍ عِــنْــدَ المَــقَــالِ وَمِصْــقَــعُ
وَمَنْ لَمْ يَخَفْ عِنْــدَ النّــوَائِب حَتْفَــهُ
وَذُوْ جُبُنٍ خَــوْفاً مِنَ المَــوتِ يُسْــرِعُ
وَذُوْ جَشَــعٍ يَسْــطُو بِنَــابٍ وَمِخْلَبٍ
وَكُــلُّ بُــغَــاثٍ ذِلَّــةٌ لَيْس يَــمْــنَــعُ
وَمَــنْ مَــلَكَ الآفَــاقَ بَــأْســاً وَشِــدَّةً
وَمَنْ كَــانَ مِنْــهَــا بِــالضَّــرُوْرَةِ يَقْنَــعُ

وَلَوْ كَشَفَ الأَجْدَاثَ مُعْتَبِراً لَهُمْ
لِيَنْظُرَ آثَارَ البِلَى كَيْفَ يَصْنَعُ
لَشَاهَدَ أَحْدَاقاً تَسِيْلُ وَأَوْجُهاً
مُعَفَّرَةً فِي التُّرْبِ شُوْهاً تُفَزِّعُ
غَدَتْ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى مُكْفَهِرَّةً
عُبُوْساً وَقَدْ كَانَتْ مِنَ البِشْرِ تَلْمَعُ
فَلَمْ يُعْرَفِ المَوْلَى مِنَ العَبْدِ فِيْهِم
وَلَا خَامِلاً مِنْ نَابِهٍ يَتَرَفَّعُ
وَأَنَّى لَهُ عِلْمٌ بِذَلِكَ بَعْدَمَا
تَبَيَّنَ مِنْهُمْ مَا لَهُ العَيْنُ تَدْمَعُ
رَأَى مَا يَسُوءُ الطَّرْفَ مِنْهُمْ وَطَالَمَا
رَأَى مَا يَسُرُّ النَّاظِرِيْنَ وَيُمْتِعُ
رَأَى أَعْظُماً لَا تَسْتَطِيْعُ تَمَاسُكاً
تَهَافَتَ مِنْ أَوْصَالِهَا وَتَقَطَّعُ
مُجَرَّدَةً مِنْ لَحْمِهَا فَهِيَ عِبْرَةٌ
لِذِيْ فِكْرَةٍ فِيْمَا لَهُ يَتَوَقَّعُ
تَخَوَّنَهَا مَرُّ اللَّيَالِي فَأَصْبَحَتْ
أَنَابِيْبَ مِنْ أَجْوَافِهَا الرِّيْحُ تُسْمَعُ
إِلَى حَالَةٍ مُسْوَدَّةٍ وَجَمَاجِمٍ
مُطَأْطَأَةٍ مِنْ ذِلَّةٍ لَيْس تُرْفَعُ
أُزِيْلَتْ عَنِ الأَعْنَاقِ فَهِيَ نَوَاكِسٌ
عَلَى التُّرْبِ مِنْ بَعْدِ الوَسَائِدِ تُوْضَعُ

عَـلاَهَـا ظَـلاَمٌ لِـلْبِـلَى وَلَـطَالَـمَـا
غَدَا نُورُهَـا فِي حِنْدِسِ الظُّلْمِ يَلْمَعُ

كَـأَن لَمْ يَكُنْ يَوْماً عَـلاَ مَفْـرِقـاً لَهَـا
نـفَـائِسُ تِـيْـجَـانٍ وَدُرٍ مُـرَصَّـعُ

تَـبَـاعَـدَ عَنْـهُمْ وَحْشَـةً كُـلُّ وَامِقٍ
وعَـافَـهُمُ الأَهْـلُونَ والنَّـاسُ أَجْـمَـعُ

وَقَـاطَعَهُمْ مَنْ كَـانَ حَـالَ حَـيَـاتِـهِ
بِـوَصْلِهِمُ وجْـداً بِهِمْ لَيْسَ يَـطْمَـعُ

يُبَكِّيْهِـمْ الأَعْـدَاءُ مِنْ سُـوءِ حَـالِـهِمْ
وَيَـرْحَمُهُمْ مَنْ كَـانَ ضِـداً وَيَجْـزَعُ

فَقُـلْ لِلّذِي قَـدْ غَـرَّهُ طُـوْلُ عُمْـرِهِ
وَمَـا قَـدْ حَـوَاهُ مِنْ زَخَـارِفَ تَخْـدَعُ

أَفِقْ وَانْـظُرِ الـدُّنْيَـا بِعَيْـنِ بَصِيْـرَةٍ
تَجِـدْ كُـلَّ مَـا فِيْهَـا وَدَائِـعَ تَـرْجِـعُ

فَأَيْنَ المُلُوكُ الصِّيْدُ قِـدْماً وَمَنْ حَـوَى
مِنَ الأَرْضِ مَا كَانَتْ بِهِ الشَّمْسُ تَطْلَعُ

حَـوَاهُ ضَـرِيـحٌ مِنْ فَضَـاءِ بَسِيْـطِهَـا
يُقَصِّـرُ عَنْ جُثْـمَـانِـهِ حِيْـنَ يُـذْرَعُ

فَـكَمْ مَـلِكٍ أَضْحَـى بِهَـاذَا مَـذَلَّـةٍ
وَقَـدْ كَـانَ حَيّـاً لِلْمَـهَـابَـةِ يُتْـبَـعُ

يَقُـودُ عَلَى الخَيْـلِ العِتَـاقِ فَـوَارِسَـاً
يَسُـدُّ بِهَـا رَحْبَ الفَـيَـافِي وَيُـتْـرِعُ

فَـأصْبَـحَ مِنْ بَعْـدِ التَّنَعُّمِ في ثَـرَى
تُـوارِي عِـظَامـاً مِنْـهُ بَهْمَـاءُ بَلْقَـعُ
بَعِيْـداً عَـلى قُـرْبِ المَـزَارِ إيـابُـهُ
فَلَيْسَ لَـهُ حَتَّى القِيَـامَـةَ مَـرْجِـعُ
غَـرِيْبـاً عَنِ الأحْبَـابِ والأَهْـلِ ثَـاوِيـاً
بـأقْصَى فَـلاَةٍ خَـرْقُـهُ لَيْسَ يُـرْقَـعُ
تُـلِحُّ عَلَيْـهِ السَّـافِيَـاتُ بِمَنْـزِلٍ
جَـدِيْبٍ وَقَدْ كَـانَتْ بِـهِ الأرْضُ تُمْـرِعُ
رَهِيْنـاً بِـهِ لاَ يَمْلِـكُ الـدَّهْـرَ رَجْعَـةً
وَلاَ يَسْتَـطِيْـعَنَّ الـكَـلاَمَ فَـيُسْـمَـعُ
تَوَسَّدَ فِيْـهِ التُّرْبَ مِنْ بَعْـدِ مَا اغْتَـدَى
زَمَـانـاً عَلَى فُـرُشٍ مِنَ الخَـزِّ يُـرْفَـعُ
كذَلِكَ حُكْمُ اللهِ في الخَلْقِ لَنْ تَـرَى
مِنَ النَّـاسِ حَيّـاً شَمْلُهُ لَيْسَ يُصْـدَعُ

اللَّهُمَّ انْهجْ بِنَا مَنَاهِجَ المُفْلِحين وأَلْبِسْنَـا خِلَعَ الايْمَانِ واليَقِيْن وَخُصَّنَا مِنْكَ بالتَّوْفِيْقِ المُبين وَوَفِّقْنَا لِقَوْلِ الحَقِ واتْبَاعِهِ وَخَلِّصْنَا مِنَ البَاطِل وابْتِدَاعِهِ وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدا ولاَ تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدَا وَاجْعَلْ لَنا عَيْشاً رَغَدَا ولاَ تُشْمِتْ بِنَا عَدوّاً وَلاَ حَاسِداً وارْزُقْنَا عِلْماً نافِعاً وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاَ وَفَهْماً ذَكِيّاً وَطَبْعاً صَفِيًا وَشِفَاً مِنْ كُلِّ دَاء واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَميع المُسْلِمين بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين وصَلَّى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْن .

(فَصْــلٌ)

ثُمَّ اعْلَمْ أَيُّهَا الأخُ الكريمُ وَفَّقَنَا اللّهُ وايَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ لِحُسْنِ الخَاتِمَةِ أَنَّهُ إذا حَلَّ بالانْسَانِ الأجَلُ المَحْتُوم وَوَافَتْهُ المنِيَّةُ وَفَاضَتْ رُوحُهُ وَخَرَجَتْ مِنَ الجَسَدِ الَّذي كانَتْ تَعْمُرُهُ في الدّنْيَا .

فَإِنْ رَأَيْتَ النَّاسَ عَامَّةً وَمَنْ يَلُوذُوْنَ بِهِ خَاصَّةً كَأَقْرِبَائِهِ وَجِيْرانِهِ وأنْسِبَائِهِ وَاخْوَانِهِ وَزُمَلائِه وَمُعَامِلِيْهِ مَا بَيْن شَاكٍ وَبَاكٍ وَمُثْنٍ عَلَيْهِ بخَيْرٍ وَدَاعٍ لَهُ وَسَائِلٍ لَهُ النّجاةَ مِنَ المَخَاوِفِ وَسَائِلٍ اللّهَ لَهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنة .

وَقَدْ أَجْمَعُوا يَطْلُبُونَ له المُسَامَحَةَ والمَغْفِرَةَ مِنَ اللّهِ لِمَا كَانَ يَتجلّى لَهُمْ مِنْ خُــلُقٍ وَدِيْنٍ وَمُعَامَلَةٍ واحْسَانٍ وَمَعْرُوفٍ وَسِيْرَةٍ حَسَنَـةٍ وكانَ المُثْنُونَ عليهِ مِنْ أَهْـلِ الصَّلاحِ والعَـدَالةِ والـوَرَعِ والتُّقى والصِّدْقِ والفَضْل .

فاعْلَمْ أنَّ ثَنَاءَهُمْ دَلِيْلٌ قَوِيٌ وَبُرْهَانٌ جَلِيٌ على حُسْنِ حَالِ المَيتِ الرّاحِلِ عَن الدّنْيَا إلى الآخِرَة وإنْ رَأَيْتَهُمْ بالعَكْسِ خِلاَفَ مَا ذَكَرْنا فَبدَلُ الثَّنَاءِ والمَدْحِ قَدْحٌ وَمَكانَ التّرَحُّمِ والدُّعاءِ لَهُ الطّعْنُ والسَّبُّ والشَّتْمُ والاسْتِيَاءُ فَتَجِدُ جِيْرَانَه مِنْ أَهْلِ الصّلاحِ فَرِحِينَ لِانْقِطَاعِ شَرِّهِ وَكَذَلِكَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ بِمُعَامَلَةٍ أَوْ نَمِيْمَةٍ أَوْ كَذِبٍ أَوْ أَكْلِ حُقُوقِهِمْ أَوْ لِمَا يَعْلَمُونَ عَنْهُ مِنَ الفِسْقِ والفُجُورِ والاعْتِدَاءِ والاسْتِطَالةِ على عِبَادِ اللّهِ بغير حَقْ .

فَهَذَا أَيْضَا بُرْهَانٌ سَاطِعٌ وَدَلِيْلٌ واضِحٌ عَلى سُوءِ حَالِهِ وَخُبْثِ أعْمالِهِ وَفِي الحَدِيْثِ الذي أَخْرَجَهُ البُخارِيُ في صَحِيْحِهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فأثْنَوا عَلَيْها خَيْراً فَقَالَ النبي صلى اللّهُ عليهِ وسَلّمْ

وَجَبَتْ ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرى فأثْنوا عَلَيْهَا شَرًا فقالَ وَجَبَتْ .

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ مَا وَجَبَتْ قَالَ هَذِهِ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرَاً فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنّةْ وَهَذِهِ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرّاً فَوَجَبَتْ لَهُ النّارْ أَنْتُمْ شُهَدَاءَ اللّهِ في الأرضْ وفي الحديثِ الآخَرِ عِنْدَ الحَاكِمْ « انّ لِلّهِ مَلائِكَةً تَنْطِقُ على أَلْسِنَةِ بَنِي آدَمْ بمَا في المؤْمِنِ مِنْ الخَيْرِ والشَّر ، قُلْتُ ولا يَبْعُدُ أَنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْطِقُ على أَلْسِنَةِ الذيْنَ يَكْتُبُونَ لِلْفَسَقَةِ والمُجْرِمينَ حُسْنَ سَيْرٍ وَسُلُوكْ .

وفي الحديثِ الذي في المُسْنَدِ يُوْشِكُ أَنْ تَعْلَمُوا أَهْلَ الجَنّةِ مِنْ أَهْلِ النَّار قَالُوا بِمَاذا رَسول الله قَالَ بالثّناءِ الحَسَنِ والثّناءِ السّيِّء .

وقالَ النَوَوي عَلى حَدِيْثِ أَنَسْ أَنَّهُ مُرَّ عَلَى النّبِي صَلَّى اللّهُ عليهِ وَسَلَّمَ بِجَنَازَةٍ فأَثْنَوا عليهِ خَيْراً فقَالَ النّبِيُّ صلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمْ وَجَبَتْ ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى فَأَثْنَوا عَلَيْهِ شَرّاً فَقَالَ وَجَبَتْ الحَدِيْث قَالَ الصَّحِيْحُ أَنَّهُ عَلَى عُمُومِهِ وَأَنَّ مَنْ مَاتَ فَأَلْهَم اللّهُ النَّاسَ الثّنَاءَ عَلَيْهِ بِخَيْرٍ كَانَ دَلِيْلاً عَلَى أنّه مِنْ أَهْلِ الجَنّةِ .

وَمِمَّا يُؤَيِّدُ مَا قَالَهُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللّه حَدِيْثُ أَنَسٍ عِنْدَ أَحْمَدٍ وَابْنُ حِبّان والحَاكِمَ مَرْفُوْعاً « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَشْهَدَ لَهُ أَرْبَعَةُ مِنْ جِيْرَانِهِ الأَدْنَينِ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُوا مِنْهُ إلّاَ خَيْرًا إلّاَ قَالَ اللّهُ تَعَالى قَدْ قَبِلْتُ قَوْلَكُمْ وَغَفَرْتُ لَهُ مَا لاَ تَعْلَمُونْ » .

وَفي حَدِيْثِ البُخَارِي عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّه عليهِ وَسَلّمْ أَيُّمَا مُسْلِمٌ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةُ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللّهُ الجَنَةً فقُلْنَا وَثلاَثَةُ قَالْ : وَثَلاَثَةُ فَقُلْنَا وَاثْنَانِ قَالَ وَاثْنَانِ ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَن الوَاحِد .

وَقَالَ شيْخُ الإِسْلَام بْنُ تَيْمِيّةَ رَحِمَهُ الله وَلاَ يُشْهَدُ لأَحَدٍ بالجَنّةِ إلاّ مَنْ شَهِدَ لَهُ الرّسُولُ ﷺ أَوْ اتّفقَتْ الأُمَّةُ على الثّناءِ عَلَيْه .

وَقِيْلَ يُشْهَدُ بِهِ لِمَنْ اسْتَفَاضَ عِنْدَ الأُمَّةِ أَنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ كَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيز والْحَسَن البَصْرِيّ وَغَيْرِهِمْ .

وكَانَ أَبُو ثَوْرٍ يَشْهَدُ لأَحْمَدَ بنُ حَنْبَلٍ بالجَنَّةِ وَبالتالي فَإِذا شَهِدَ عَامّةُ المُؤمنِيْنَ مِمَّنْ تُقْبَلُ شَهَادَتهم وَيُوْثَقُ بدِيْنِهم وَأَمَانَتِهِمْ وكَلاَمِهِم مِنْ أَهْلِ الصّدْقِ والفَضْلِ والوَرَعِ لِرَجُلٍ بالخَيْرِ فَهُوَ بُرْهَانٌ وَدَلِيْلٌ عَلَى حُسْنِ حَالِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمْ وَلاَ عِبْرَةَ بثَنَاءِ الفَسَقَةِ والفَجَرَةِ لأَنَّهُمْ قَدْ يُثْنُونَ عَلَى مَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ وَلاَ مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المَيّتِ عَدَاوَةْ . لأَنَّ شَهَادَةَ العَدُوّلا تُقْبَلُ عَلَى عَدُوّهْ .

قَال ابن القيم رحمه الله :

لَمَّا رَأى المتيقظون سَطْوةَ الدنيا بأهلِها ، وخِدَاعَ الأَمل لأَربابه ، وتَمَلُّكِ الشيطان ، وقيادةَ النُفُـوس ، رَأو الدَّولةَ لِلنَّفْسِ الأمارةِ ، لجأوا إلى حِصْنِ التضرعِ والإلجاءِ ، كما يَأوي العبدُ المذعورُ إلى حَرَمَ سيدهِ .

شَهواتُ الدنيا كَلُعَبِ الخَيال ، ونظرُ الجاهِلِ مقصورٌ على الظاهرِ ، فأمَّا ذُو العقل فيرى ما وَرَاءَ السِتْر . لاحَ لهم المشتهَى ، فلما مَدُوا أيدي التناولِ بَانَ لأَبصـار البصـائِرِ خَبْطُ الفـخ ، فَطارُوا بأجنحـةِ الحَذَرِ ، وصَوَّبُوا إلى الرحيلِ الثاني (يا ليت قومي يعلمون) .

تَلَمَّحَ القومُ الوجودَ ففَهموا المقصودَ ، فأجمعوا الرحيلَ قبل الرحيلِ ، وشَمَّرُوا لِلسَّيرِ في سواءِ السبيل ، فالناسُ مُشْتَغِلُونَ بالفَضَلاتِ ، وهم في قطعِ الفَلَواتِ ، وَعَصَافِيرُ الهوى في وَثَاقِ الشَّبكَةِ يَنْتَظِرُوْنَ الذبحَ .

« وقع ثعلبان في شَبَكَةٍ . فقال أَحدُهُما لِلآخَرِ : أَيْنَ المُلْتَقى بَعْدَ هَذَا ؟ فقال : بَعْدَ يومَيْنِ في الِدَّبَاغَة » . تَاللهِ مَا كَانَتِ الأَيامُ إلا مَناماً فاسْتَيقَظُوا ،

وقد حَصَلُوا على الظَّفرِ . ما مَضى مِن الدنيا أحلام ، وما بقي منها أماني ، والوقتُ ضَائع بينهما .

كيف يَسلم مَن له زوجة لا تَرْحَمُهُ ، وَوَلَدٍ لاَ يعْذُرُهُ ، وجَارٍ لاَ يأْمَنُهُ ، وصاحبَ لا يَنْصَحُهُ ، وشَرِيْكٌ لا يُنْصِفُه ، وعَدُوٌ لاَ يَنامُ عن مُعادَاته ، ونَفْسٌ أَمَّارَةٌ بالَسوء ، ودُنْياً مُتَزَيِّنَةً ، وَهَوىً مُرْدٍ ، وشَهْوة غَالبة له ، وغَضَبٌ قاهِرٌ ، وشَيْطانٌ مُزينٌ ، وضَعْفٌ مُسْتَوْلٍ عليه .

فإن تولاه الله وجذبه إليه ، انْقهرتْ له هذهِ كُلُّها ، وإن تخلى عنه ووكله إلى نفسه ، اجتمعتْ عليه ، فكانتِ الهلكة .-

شِعْـراً :

ألا خَـبَرٌ بِمُنَـتزجِ النَّـواحِـي ... أَطِـيرُ إليْـهِ مَنْشُـورَ الجنَـاحِ
فأَسـألُـهُ وأُلطِفُـهُ عَسـاهُ ... سَيَأْسُـو مَـا بـِدِيني مِنْ جِراحِ
ويَجْلُو ما دَجا مِن لَيْلِ جَهْلي ... بنُورِ هُدَىً كَمُنْبَلَجِ الصبَّاحِ
فأَبْصُـقُ فِـيْ مُحَـيَّا أُمِّ دَفْـرٍ ... وأَهْجُـرُهَـا وأَدْفَعُـها بـِراحِـي
وأَصْحُـو مِـنْ حُمَيَّاهَا وأَسْلُوا ... عَفَـافاً عـن جَـآذِرِها المِـلاحِ
وأَصْـرِفُ هِمَّـتي بالكُـلِّ عَنْهَا ... إِلَى دَارِ السَّـعادةِ والنَّجـاحِ
أَفـي السِتَّين أَهْجَعُ في مَقِيْلي ... وَحَـادِي المَوْتِ يُوقِظُ لِلرَّواحِ
وقَـدْ نَشَـرَ الزَّمانُ لِوَاءَ شَيْبي ... لِيَطْـوِيْني ويَسْلُبَني وِشَـاحِي
وقَـدْ سَـلَّ الحِمامُ عَليَّ نَصْـلاً ... سَيَقْتُلُني وانْ شَاكَتْ سِلاحِي
ويَحْمِلُني إلى الأَجْداثِ صَحْبي ... إلى ضِيْـقٍ هُنَـاكَ أَوِ انْفِسَـاحِ
فَأُجْـزَى الخَيْرَ إنْ قدَّمْتُ خَيْراً ... وَشَراً إنْ جُزِيتُ عَلَى اجْتراحِي
وهَـا أنا ذا عَلى عِلْـمي بهَـذا ... بَطِيءُ الشَّأْوِ في سَنَنَ الصَّلاحِ
فَـلَوْ أنَي نَظَـرْتُ بعَـيْنِ عَقْـلي ... إذنْ لَقَطَعْـتُ دَهْري بالنِّياحِ
ولم أَسْحَبْ ذُيُوْلِي في التَّصابَي ... ولَـمْ أَطْـرَبْ بغَـانَيِةٍ رَدَاحِ

وكُـنْتُ اليَـومَ أوَّابـاً مُنيبـاً لَعَلِّي أنْ تَفُـوْزَ غَداً قِـداحِي
إذا مَا كُنْتُ مَكْبُـولَ الخَطَـايَا وعَـانِيَهَـا فَمَـنْ لِـي بالـبَراحِ
فَهَـلْ مِنْ تَـوبَةٍ مِنْهَا نَصُـوحٍ تُطَـيِّرُني وتأخُـذُ لِي سَـراحِي
فَيَـا لَهْفِـي إذا جُمِـعُ الـبَرَايـا على حَرَبي لَدَيْهِـمْ وافْتِضَاحِي
ولَـوْلاَ أنَّـني أرْجُـو إلهِـي ورَحْمَـتَهُ يَئِسْـتُ مِـنَ الفَـلاحِ

اللَّهُمَّ اخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ واجْعَلْنا مِمَّنْ كَتَبْتَ لَهُمُ الحُسْنى وَزيادَة واغْفِرْ لَنَا وَلِوالِدَيْنَا وَلِجَميعِ المُسْلِمِينْ بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِينْ وَصَلَّى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِينْ .

(فَصْـــلٌ)

وَسُنَّ أنْ يُعَمَّقَ القَبْرِ بأنْ يُنَزَّلَ لِلأرْضِ لِقَوْلِهِ ﷺ في قَتْلَى أُحُدْ احْفِرُوا وَأوْسِعُوا وَأعْمِقُوا رَواهُ أبُو دَاوُدَ والتِّرمِذي وَصَحَّحَه وَقَوْلُه لِلْحافِرِ أوْسِعْ مِنْ قِبَلِ الرَّأْسِ وَأوْسِعْ مِنْ قِبَلِ الرِّجْلَيْنْ رَواهُ أحْمَد وأبُو دَاوُدْ .

قَالَ أحْمَد يُعَمَّقُ إلى الصَّدْرِ لأنَّ الحَسَنَ وابْنَ سِيرِيْنَ كَانَا يَسْتَحِبَّانِ ذَلِكَ وَيَكْفِي مَا يَمْنَعُ السِّبَاعَ والرَّائِحَةَ لأنَّهُ يَحْصُلُ بِهِ المَقْصُودُ وَسُنَّ أنْ يُسَجَّىٰ قَبْرٌ لأنْثَىٰ وَخُنْثَىٰ وَكُرِهَ لِرَجُلٍ إلَّا لِعُذْرِ .

وَسُنّ أنْ يُدْخِلَهُ قَبْرَهُ مِنْ عِنْدِ رِجْلَيْهِ إنْ سَهُلَ عَلَيْهِمْ لأنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم سُلَّ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ أدْخَلَ الحَارِثَ مِنْ قِبَلِ رِجْلي القَبْرِ وَقَـالَ هَذَا مِنَ السُّنَّة رواهُ أحْمَد وَيُسَنّ قَوْلُ مُدْخِلِهِ القَبْرَ بِسْمِ الله وَعَلى مِلَّةِ رَسُولِ الله .

وَيَجِبُ أنْ يُسْتَقْبَـلَ بِهِ القِبْلَةَ إذا وُضِـعَ في القَبْرِ لِقَوْلِهِ ﷺ في الكَعْبَةِ

قِبْلَتكُمْ أَحْيَاءً وأَمْوَاتاً وَلأَنَّهُ طَرِيقُ الْمُسْلِمِيْنَ بنَقْلِ الخَلَفِ عَنِ السّلَفْ .

وَيَحْرُمُ دَفْنُ غَيْرِهِ مَعَهُ إلاَّ لِضَرُوْرَةٍ لأَنَّ النَّبِيّ ﷺ كانَ يَدْفِنُ كُلَّ مَيِّتٍ في قَبْرٍ وَاحِدٍ وَأَمَّا عِنْدَ الضَّرُوْرَةِ فَيَجُوْز لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا كَثُرَ القَتْلَى يَوْمَ أُحُدْ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرّجُلَيْنِ في القَبْرِ الوَاحِدِ ثُمّ يَسْأَلُ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ لِلْقرْآن فَيُقَدّمُهُ في اللحْد حَدِيْثٌ صَحِيْح .

وَسُنّ حَثْوُ التُّرَاب عَلَيْهِ ثَلاثاً ثُمَّ يُهَالُ عَلَيهِ التّرَاب لِحَدِيْثِ أَبي هُرَيْرَة قالَ فِيْه فَحَثَى عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ رُأْسِهْ ثَلاثاً رواهُ ابْنُ مَاجُهْ وَيُسْتَحَبّ الدُّعاء لِلْمَيْت بَعْد الدَّفْنِ لِمَا وَرَدَ عَنْ عُثْمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالْ كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إذَا فرَغَ مِنْ دَفْنِ المَيْتِ وَقَفَ عَلَيْهِ وَقَالَ اسْتَغْفِروا لأَخِيْكُم واسْأَلُوا لَهُ التّثْبيت فَإِنَّـهُ الآنَ يُسْأَلْ رَواهُ أَبُو دَاوُدْ .

وَسُنّ رَفْعُ القَبْرِ عَنِ الأَرْض قَدْر شَبْرٍ مُسَنَّماً لِقَوْلِ جابر أَنّ النبيّ ﷺ رُفعَ قَبْرُهُ عَن الأَرْض قَدْرَ شِبْر رواهُ الشَّافعي وَيُكْرَهُ رَفْعُهُ أَكْثَرَ لِقَوْلِه لِعَلي لاَ تَدَعْ تِمْثَالاً أَلاَّ طَمَسْتَهْ وَلاَ قَبْراً مشْرِفاً أَلاَّ سَوَّيْتَه رَواهُ مُسْلِم .

وَسُنَّ رَشُّ القَبْرِ بِمَاء لِمَا وَرَدَ عَنْ جَعْفَرَ بْن مُحَمّدِ عَنْ أَبيْهِ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ رَشّ على قَبْرِ ابْنِه ابْرَاهِيمَ مَاءً وَوَضَعَ الحَصْبَاءَ رَواهُ الشّافِعي .

قَالَ بَعْضُ العُلَمَاء وَيُسْتَحَبُّ الـدّفْنُ فِيْما كَثُرَ فِيْه أَهْلُ الخَيْرِ والصّلاَح فَيَدْفِنُهُ مَعَهُمْ وَيُنْزِلُهُ بازَائِهِمْ وَيُسْكِنَهُ بجوارِهِم وَأَنْ يُجَنِّبَهُ قُبُورَ مَنْ يَخَافُ التَّأَذّيْ بِهِمْ كَما جَاءَ في أَثَرْ أَنَّ امْرَأَةً دُفِنت في قَبْرٍ فَأَتَتْ أَهْلَها لَيْلاً أَيْ في النّومْ فَجَعَلَتْ تُعَتِبُهُمْ وَتَقُولُ مَا وَجَدْتم أَنْ تَدْفِنُوني إلاَّ إلى فُرْنِ الخُبْز .

فَلَمّا أَصْبَحُوا لَمْ يجدُوا بقُرْب القَبْر فُرْنَ خُبْزٍ لَكِنْ وَجَدُوا رَجُلاً سَفَّافاً لابْن عَامِرٍ دُفِنَ بقُرْبها وَرأى بَعْضُهُم وَلَـدَهُ بَعْـدَ مَوْتِه فَقَالَ مَا فَعَل الله بكْ قَال مَا ضَرّني إلاَّ أَنّي دُفِنْتُ بازَاءِ فُلاَنٍ وَكَانَ فَاسِقا فَرَوّعَنِي مَا يُعَذّبُ به أ هـ .

قَصِيْدةُ تَحْتوي عَلى الثّناء والشُّكرِ والحَمْدِ والتّضرُّع إلى الله عَزَّ وَجّل .

يَـا مُلَبِّسِـي بالنُّطْـقِ ثَـوْبَ كَـرامَةٍ ... وَمُكَمِّـلي جُـوْداً بـهِ وَمُقَـوِّمِـي
خُـذْنيْ إذَا أَجَـلي تَنَاهَـى وانْقَضَى ... عُمْـري عَـلى خَـطٍ إِلَيْكَ مُقـوِّمِـي
وَاكْشِفْ بِلُطْفِـكَ يَـا إلهِـيَ غُمَّـتِيْ ... وَاجْلِ الصَّدَا عَنْ نَفْسِ عَبْدِكَ وَارْحَمِ
فَعسَـايَ مِـنْ بَعْدِ المَهَـانَـةِ اكْتَسِي ... حُـلَلَ المَهَـابَةِ فِي المَحَـلِّ الأَكْـرَمِ
وَأَبُـوءُ بالفِـرْدَوْسِ بَعْـدَ إقَـامَتِي ... فِي مَـنْزِلٍ بَـادِ السَّـمَاجَـةِ مُظْـلِمِ
فَقَـدْ اجْتَـوَيتُ ثَـوايَ فِيْهِ وَمَنْ تَكُنْ ... دَارُ الغُـرُورِ لَـهُ مَحَـلاً يَسْـأَمِ
دَارٌ يُغَـادِرُ بُـؤْسَـهَا وَشَـقَاءَهَـا ... مَـنْ حَـلَّهَا وَكَـأَنَّـهُ لَـمْ يَنْعَـمِ
وَيَعُـودُ صَـافِيْ عَيْشِـهِ وَحَيَـاتِـهِ ... كَـدِراً فَـلاَ تَجْنَحْ إِلَيْهَـا تَسْـلَمِ
فَبِـكَ المَعَـاذُ إلَهَنَـا مِـنْ شَـرِّهَـا ... وَبِكَ المَـلاَذُ مِنَ الغِـوَايَةِ فَاعْصِـمِ

وَعَلَيْـكَ مُتَّكَلي وَعَفْـوُكَ لَـمْ يَـزَلْ ... قَصْـدِي فَوَاخَسَـراهُ إِنْ لَـمْ تَرْحَـمِ
يَانَفْسُ جُـدِّيْ وَادْأَبـي وَتَمَسَّـكِي ... بِعُرَى الهُدَى وَعُرَى المَوَانِعِ فَافْصِمِ
لاَ تُهْمِلي يَـا نَفْسُ ذَاتَـكِ إنّ فِـي ... نِسْيَانِها نِسْـيَانُ رَبِّـكِ فَـاعْـلَمِي
وَعَـلَيْـكِ بالتّفْكِـيْرِ فِـي الآئِـهِ ... لِتَبَـوئِـي جَنّـاتِـهِ وَتَنْعَـمِيْ
وَتَيَمَّـمِي نَهْـجَ الهِـدَايَـةِ إِنَّـهُ ... مُنْجٍ وَعَنْ طُـرْقِ الضَّـلاَلَةِ أحْجِمِيْ
لاَ تَـرْتَضِي الدُّنْيَـا الدَّنِيَّـةَ مَـوْطِنـاً ... تُعْـلَيْ عَلَى رُتَبِ السَّـوارِي الأَنْجُـمِ
وَتُعَـايِـنِي مَـا لاَ رَأَتْ عَـيْنٌ وَلاَ ... أُذُنٌ إِلَيْـهِ وَعَـتْ فَجِـدِّي تَغْـنَمِي
وَتُشَـاهِـدِي مَـا لَيْسَ يُـدْرِكُ كُنْهُهُ ... بِالفِكْـرِ أَوْ بِتَـوَهُّـمِ المُتَـوَهِّـمِ
قُـدْسٌ يَجُـلُ بِـأَنْ يَحُـلَّ جَنـابَـهُ ... يَا نَفْـسُ إِلاَّ كُـلُّ شَـهْمٍ أَيْهَـمِ
وَتُجَـاوِرِي الأَبْـرَارَ فِـي مُسْتَوْطَـنٍ ... لاَ دَاثِـرٍ أَبَـداً وَلاَ مُتَهَـدِّمِ
يَا أَيُّهَـا المَغْـرُورُ شِبْتَ وَلَـمْ تَعُـدْ ... عَمَّـا لَهَجْـتَ بِـهِ وَلَـمْ تَتَنَـدَّمِ
وَاعْكِـفْ عَلَى تَمْجِيْدِ مُوْجِدِكَ الذّي ... عَمَـرَ الـوُجُـودَ الجُـودُ مِنْهُ وَعَظِّـمِ

فَبِذِكْرِهِ تُشْفَى النُّفُوسُ مِنَ الجَوَىٰ   فَعَلَيْهِ إِنْ آثَـرْتَ بُـرْؤَكَ صَـمِّـمِ
أَكْـرِمْ بِنَفْسِ فَتىً رَأَى سُبُلَ الهُدَى   تَهْـوِي فَمَالَ إِلى الصِّـرَاطِ الأَقْـوَامِ
ذَاكَ الَّـذِي يُحْظَى بِيَوم مَعَـادِهِ   مُلْكـاً سَجِيسَ الدَّهْـرِ لَمْ يَتَصَـرَّمِ
يَا جَـابِرَ العَظْمِ الكَسِـيْرِ وَغَـافِرَ الْـ   جُـرْمَ الكَبِيْرِ لِكُـلِّ عَبْـدٍ مُجْرِمِ
مَـالِـي إِلَيْـكَ وَسِـيْلَةٌ وَذَرِيْعَـةٌ   أَنْجُـو بِهَـا إِلَّا اعْتِقَـادُ الْمُسْـلِمِ
فَاقْبَـلْ بِمَنِّـكَ تَـوْبَتِيْ مِـنْ حَـوْبَتِي   فَعَسَـى سَـعَادَةُ أَوْبَتِي لَـمْ أُجْـرِمِ
حَمْـداً لَـكَ اللَّهُـمَّ يُنْمَى مَـاجَـلَا   وَضْـحُ الصَّـبَاحِ سَوَادَ لَيْلٍ أَسْحَمِ
وَعَـلَى نَبِيِّـكَ ذِي الثَّنَـاءِ وَآلِـهِ   السَّـادَةِ الأُمَنَـاءِ صَـلِّ وَسَـلِّـمِ
وَعَـلَى صَحَـابَتِـهِ الـذِيْـنَ بِنَصْـرِهِ   قَـامُـوا وَنَـارُ الكُفْـرِ لَـمْ تَتَضَـرَّمِ

اللهم إنا نسألك رحمةً من عندكَ تَهْدي بها قُلوبَنَا ، وتَجْمعُ بها شَمْلَنَا ، وتَلمُ بها شَعَثَنَا ، وترفع بها شاهدنا ، وتَحفَظُ بها غائبَنَا ، وتزكي بها أعمالنا ، وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم الراحمين .

اللهم ارزقنـا من فضلك ، وأكفنـا شر خلقك ، وأحفظ علينا دِيْننا وصحة أبداننا .

اللهم يا هادِي المضلين ويا راحم المذنبين ، ومُقِيْلَ عثرات العاثرين ، نسألـك أن تُلْحِقنـا بعبـادك الصـالحـين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَصْـــــلٌ)

وَيَحْرُمُ إِسْرَاجُ الْقَبْرِ وَاتِّخَاذُ مَسْجِدٍ عَلَيْهِ وَتَجْصِيْصُهُ وَتَزْوِيْقُهُ والْبِنَاءُ عَلَيْهِ والإِسْتِشْفَاءُ بِتُرَابِه وَتَخْلِيْقُهُ وَتَبْخِيْرُهُ وَتَقْبيلُهُ والجلوسَ عليه والوَطْءُ عَلَيه والكِتَابَةُ

عليه والتخلي عَلَيْه والطَّوافُ بِهِ والتّمَسُّحُ بِهِ والتَّخَلِّي بَيْنَ الْقُبُورِ والصّلاَةُ عِنْدَهُ لِأجْلِ الدُّعَاءِ وَالإِتّكاءُ إِلَيْهِ .

وَيُكْرَهُ الْمَشْيُ بالنَّعْلِ إلاّ لِخَوْفِ شَوْكٍ وَنَحْوهْ وَإِلَيْكَ أَدلّةُ مَا سَبَقَ مِنْهَا حَدِيْثُ ابْنُ عَبّاسْ قَالْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبور وَالْمُتَّخِذِيْنَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ والسُّرُجُ رواهُ الْخَمْسَةَ إِلاّ ابْنُ مَاجَة وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ إِتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ جابر قَالْ نَهَى رَسولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ وأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ رَواهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمُ والنّسَائِي وَأَبُو دَاوُدَ والتَّرْمذيُّ وَلَفْظُهُ نَهَى أَنْ تُجَصَّصَ الْقُبورِ أَوْ يُزَادَ عَلَيْهِ أَوْ يُجَصّصَ أَوْ يُكتَبَ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأنْ يَجْلِس أَحدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقُ ثِيَابَهُ فَتَخْلَصُ إلى جَلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلى قَبْرٍ رَوَاهُ الْجَمَاعَة إلاّ الْبخَاري والتِّرْمذي وَعَنْ عَمْرو بْن حَزْمٍ قَالْ رَآني رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتّكِئاً عَلى قَبْرٍ فقالْ لاَ تُؤْذِ صَاحِبَ هَذَا الْقَبرِ أوْ لاَ تُؤْذِهِ رَواهُ أَحْمَدْ .

وَعَنْ بَشِيْرِ بْنُ الْخَصَاصِيَةَ أَنّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قالْ لاَ تَجْلِسُوا عَلى الْقُبُور وَلاَ تُصَلُّوا إِلَيْهَا رَوَاهُ مُسْلِم وَعَنْ عُقْبَةَ ابْن عَامرٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَنْ أَطأَ عَلى جَمْرَةٍ أَوْ سَيْفٍ أَحَبُّ إليَّ من أَنْ أطأَ عَلَى قَبْرِ مُسْلِم رواهُ الْخَلاَّلُ وابْنُ مَاجَهْ .

وَيحْرُمُ دَفْنٌ فِي مُلْكِ الْغَيْرِ وَيُنْبَشُ مَا لَمْ يَأْذَنْ لَهُ الْمَالِكْ لِلأَرْض .

وَيَحْرُمُ نَبْشُ مَيِّتٍ بَاقٍ لِمَيِّتٍ آخَرَ لِمَا فِي النَّبْشِ مِنْ هَتْكِ حُرْمَةِ الْمَيتِ وَمتى عُلِمَ أنّ الْمَيّتَ بَلِيَ وَصَارَ رَمِيْماً جَازَ نَبْشُهُ وَدَفن غَيْرِهِ فِيْه .

وَإنْ شُكَّ فِي أَنَّهُ بَلِيَ وَصَارَ رَمِيْمَا رُجِعَ إِلى قَوْلِ أَهْلِ الْخِبْرَةِ وَالْمَعْرفَةِ بِذَلِكَ فَإِنْ حفَرَ فَوُجِدَ فِي الأَرْض عِظاماً دَفَنَهَا مَوْضِعَها وَأَبْقَاهَا في مَكانها وأعاد

اَلتّرابَ عَلَيْهَا كَما كانَ أَوْلاً وَلَمْ يجُزْ دَفْنُ مَيِّتٍ آخرَ عَلَيْهِ وَحفَرَ فِي مَكَانٍ آخَرْ .

شِعْـراً :

محمدُ ما أعددْتَ لِلقَبْرِ والبلىٰ ... ولِلْمَلَكَيْنِ الوَاقِفَين على القَبْرِ
وأَنْتَ مُصِرٌّ لا تُراجِعُ تَوبَةً ... ولا تَرْعَوي عَمَّا يُذَمُّ مِن الأَمرِ
سَيأتيكَ يومٌ لا تُحاولُ دفْعَهُ ... فَقَدِّمْ لَهُ زاداً إلى البَعثِ والنّشْرِ

آخـــر :

أَبْقَيْتَ مَالكَ مِيْراثاً لِوَارِثِـــهِ ... فَلَيْتَ شِعْرِيَ مَا أَبْقَى لَكَ المَـــالُ
القوم بَعْدَك فِي حَالٍ تَسرُهُـــم ... فكَيْفَ بَعْدهم دَارَتْ بِكَ الحَـــالُ
مَلُوا البُكاءُ فما يَبْكيكَ مِنْ أحـــدٍ ... واسْتَحْكَمَ القِيلُ فِي المِيْراث والقَالُ
مَالَتْ بِهِمْ عَنْكَ دُنيَّا أَقبلَتْ لَهُـــمُ ... وَأَدْبَرَتْ عَنكَ والأَيَّامُ أَحْـــوَالُ

وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وعَلى آله وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فصـــــل)

تُسَنُّ زِيَارَةُ قَبْرِ مُسْلِمٍ لِرَجُلٍ وأَنْ يَقِفَ الزّائِرُ أَمَامَهُ قَرِيباً مِنه لِمَا وَردَ عَنْ بُرَيْدَة بْنُ الخُصَيْبِ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنـهُ قَالَ قَالَ رَسُـولُ اللَّه ﷺ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُرُوهَا رَواهُ مُسْلِم زَادَ التِّرْمِذِيُّ فإنّها تُذَكِّرُ الآخِرَةْ زَادَ بْنُ مَاجَة مِنْ حَدِيْثِ ابْنُ مَسْعُودٍ وَتُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا .

وَيَقُولُ الزّائِرُ لِلقُبُورِ والْمَارُ بِهَا السَّلاَمَ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنين وَإِنّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَلاَحِقُونْ يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِيْنَ مِنْكُمْ وَالْمُسْتَأْخِرِيْن نَسْأَلُ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ اللّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ وَلا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ واغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ .

لِمَا وَرَدَ عَنْ سُلَيْمَانُ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمهُمْ أَذَا خَرَجـوا إلى المَقَابِرْ أَنْ يَقُولُوا السَّلام عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَار مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُسْلِمِيْنَ وَإِنّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُون نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَة رَواهُ مُسْلِم .

شعــــرا :

مَحَلَّةُ سَفْرٍ كَانَ آخِرُ زَادِهِـــمْ إلَيْهِ مَتَاعٌ مِن حَنُوطٍ ومِن خِرَقْ
إلَى مَنْزِلٍ سَوْى البِلَى بَيْنَ أهْلِهِ فَلَمْ تَسْتَبِنْ فيه المُلوكُ ولا السَّـوَقْ

آخـــر :

أَتَيْتُ إلى خالِقِــي خَاضِعــاً وخــدِّي في الثـرى يُوضَــعُ
وَإنْ كُنْتُ وافَيْتُــهُ مُجْرِمــاً فإنِّي في عَفْــوِهِ أطْمــعُ
وكيْفَ أخَــافُ ذُنُوباً مَضَــتْ وعَفْوُهُ عَمَّ الــوَرَى أجْمَــعُ

وَعَنْ ابْنُ عَبّاسٍ رَضِيْ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالْ مَرّ النَّبيّ ﷺ بقُبُور الْمَدْيْنَة فأقْبَلَ عَلَيْهم بوَجْهِهِ فَقالْ السّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ الْقُبُورِ يَغْفِرُ اللَّهُ لَنا وَلَكُمْ أَنْتُمْ سَلفُنَا وَنَحْنُ بالأَثَرْ رَواهُ التِّرْمِذي .

شِعْــراً :

قِـفْ بِالْقُبُــورِ باكْبَــادٍ مُصَــدَّعَـةٍ وَدَمْعَـةٍ مِـنْ سُـوَيْدَا الْقَلْـبِ تَنْبَعِثُ
وَسَـلْ بِهَا عَنْ رِجَالٍ طَالَ مَا رَشَفُوا ثَغْـرَ النَّعِـيْمِ وَمَـا فِـي ظِـلِّهِ مَكَثُـوْا
مَـاذَا لَقُـوا فِـي خَبَـايَاهَا وَمَا قَدمُوْا عَلَيْـهِ فِيْهَـا وَمَـا مِـنْ أَجْـلِهِ ارْتَبَثُـوْا
وَعَـنْ مَحَاسِـنِهِمْ انْ كَـانَ غَـيَّرَهَـا طُوْلُ الْمَقَامِ بِبَطْنِ الأَرْضِ وَاللّبثُ
وَمَاهُمْ حَشَـرَاتُ الأَرْضِ تَنْهَشُهُمْ نَهْشَـاً تَـزُوْلُ بِـهِ الأَعْضَاءُ وَالْجُثَثُ
وَانْ يُجِبْـكَ بِمَـا لاَقَـا مُجِيْبُهُمُ وَلَـنْ يُجِيْبَ وَأَنَّـي يَنْطِـقُ الْجَـدَثُ
فَانْظُـرْ مَكَانَكَ فِي أَفْنَـاءِ سَاحَتِهِمْ فَـإِنَّـهُ الْجِـدُّ لاَ هَـزْلٌ وَلاَ عَـبَثُ

وَتَحْرُمُ زِيَارَةُ الْقُبُورِ لِلنِّسَاءِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيْ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ زَوَّارَاتِ الْقُبورِ رَوَاهُ أَحْمَدْ وَابْنُ مَاجَه وَالتِّرمذي وَصَحَّحَهُ وَاحْتَجَّ شَيْخُ الإِسْلامِ رَحِمَـهُ اللَّهُ على تَحْرِيْمِهِ بِلَعْنِ رَسُول اللَّهِ ﷺ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ وَصَحّحَ الحَدِيْثْ .

وَسُئِلَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ أَبَابُطَيْنْ إذَا كَانَ طَرِيْقٌ عَلَى حَدِّ الْمَقْبَرَةِ هَلْ يُكْرَهُ

لِلنّسَاءِ الْمُرُوْرِ مَعَهُ فأجَاب إذَا كَانَ لِلنّاسِ طَرِيقٌ عَلَى الْمَقْبَرَةِ وَمَرَّتْ مَعَهُ إمْرَأَةٌ وَسَلَّمَتْ فَلاَ بَأْس لأَنَّها لا تُسَمَّى زَائِرَةً وَاللَّهُ أعْلَمْ وَصَلّى اللَّهُ على مُحَمّدٍ وآلِهِ وَسَلّم .

شِعْرًا :

وَلَمّا حَلَلْنَا مِنْ بِجَايَةَ جَانِباً | تُصَانُ بِهِ تِلْكَ الجُسُوْمُ وتُكْرَمُ
وَجَدْتُ لَهَا طِيْباً وَرَوْحاً وَرَاحَةً | كأنِي لأَنْفَاسِ الصِّبَا أتَنَسَّمُ
فَقُلْتُ لِصَحْبِي ما الذِي أَمْرَجَتْ لَهُ | مَقَابِرُ مِنْهَا لَا طِيءٌ ومُسَنَّمُ
فأَوْهَمْتُهُمْ أَنِّي جَهِلْتُ وَإِنَّنِي | لأَدْرِي بِذَاكَ الأَمْرِ منهم وأَفْهَمُ
فقالوا طَلَبْنَا عِلْمَ ذَاكَ فَلَمْ نَجِدْ | سِوَى رِمَمٍ مِمَّنْ تُحِبُّ وتُعْظِمُ
تَضَوَّعَ بَطْنُ الأَرْضِ منها كأنَّما | تَفَتَّقَ مِن دَارِيْنَ مِسْكٌ مُخَتَّمُ
فَفَاضَتْ دُمُوْعِيْ عند ذاكَ وَرُبَّمَا | تَشَهَّرَ بالدَّمْعِ السرارُ المُكَتَّمُ
خَلِيْلَيَّ ما بَالِي وبالُ مَصَائِبٍ | يُرَاعُ لِذاكْراها فُؤآدِي ويُكْلَمُ
ومِمَّا شَجَانِي وَهْوَ أعْظَمُ أَنَّنِي | قَذَفْتُ بِهَا مُسْوَدَّةَ الجَوَف تَلْطِمُ
وَلَمْ أَدْرِ مَا كانَتْ تَحِيَّةُ خَصْمِهِ | لَهُ هَلْ بِبُشْرَى أَمْ بِشَنْعَاءَ تَقْصِمُ
وَأَعْظَمُ مِنْهُ مَوْقِعاً وَأَشَدُّهُ | وما خَصَّنِي أَدْهَى عَلَيَّ وأَعْظَمُ
بأَنِي في تِلْكَ المَسَالِكِ سَالِكٌ | أُسَاقُ إِلَيْهَا إِنْ أَبَيْتُ وَأُرْغَمُ
وما أنَا أُدْرِيْ ما أَلاَقِي وما الذي | عَلَيْه إِذَا مَا كانَ ذَلِكَ أَقْدَمُ
فَهَلْ مِنْ دَمٍ أَبْكِيْهِ صِرْفاً فإنَّمَا | يُبَكَّى على هَذَا مِن المُقْلَةِ الدَّمُ

اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنْ الخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُوْ وَاصْرِفْ عَنَّا مِنْ السُّوْءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوْبَنَا بِرَجَائِكَ وَاقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوْبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمَ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيْرًا يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوْكِ سَبِيْلِ عِبَادِكَ الأَخْيَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءَ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــــــلٌ)

تُسَنُّ تَعْزِيَةُ الْمُسْلِمُ الْمُصَابُ بِالْمَيّتْ لِمَا وَرَدَ عَنْ الأَسْودِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَن اَلنّبي ﷺ قَالْ مَنْ عَزّىَ مُصَاباً فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهْ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ والتّرمِذي وَحَدِيْث عَمْرُو بْن حَزْمٍ مَرْفُوعا مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزّى أَخَاهُ بِمُصِيْبَةٍ إِلاّ كَسَاهُ اللَّهُ عَزّ وَجَلّ مِنْ حُلَلِ الْجَنّةِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ

وَاعْلَمْ أَنَّ التّعْزِيَةَ هِيَ التَّصْبِيْرُ وذِكْرُ مَا يُسَلّي صَاحِبَ الْمُصِيْبَةِ وَيُخَفّفُ حُزْنَهُ وَيُهَوّنُ مُصِيْبَتَهْ .

وَهْيَ مُسْتَحَبّـةٌ لأَنَّها مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عن الْمُنْكَرْ وَهْيَ دَاخِلَةٌ فِي قَوْلِهِ تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ .

وَهـذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يُسْتَـدلُّ بِهِ فِي التَّعْزِيَةِ ثُمَّ التَّعْزِيَةَ الَّتِي هِيَ الأَمْرِ بالصَّبْرِ والرِّضَا بِمَا قَدّرَ اللَّهَ مُسْتَحَبَّةٌ قَبْلَ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَبَعْدَهْ وَهُوَ أَفْضَلُ لأَنَّ أَهْلَ الْمَيّتِ مَشْغُولُونَ قَبْلَ دَفْنِهِ بِتَجْهِيْزِهِ وَلأَنَّ وَحْشَتِهِمْ بَعْدَ دَفْنِهِ لِفِرَاقِهِ أَكْثَرْ هَذَا اذا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ جَزَعٌ فَإِنْ تَبَيَّنَ لَهُ مِنْهُمْ جَزَعٌ قَدَّمَ التَّعْزِيَةَ لِيُسَكّنَهُمْ .

قَالَ الْعُلَمَاء وَيُكْرَهُ الْجُلُوسُ لِلتَّعْزِيَةِ وَذَلِكَ بِأَنْ يَجْتَمِعَ أَهْلُ الْمَيّتِ فِي بَيْتِ لِيَقْصِدَهُمْ مَنْ أَرَادَ التّعْزِيَةَ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ إِسْتِدَامَةِ الْحُزْنَ وَقَدْ حَدَثَ فِي زَمَنِنَا هَذَا أُنَاسٌ يُقَبّلُون الْمُصَابَ بِالْمَيّتِ مَعَ تَعْزِيَتِهِمْ لَهُ وَلاَ أَدْرِي مَا مُسْتَنَدُهُمْ وَلاَ أَعْلَمْ أَنّ أَحَـداً مِنَ الصَّحَـابَـةِ أَوِ التَّابِعِيْنَ فَعَلَ ذَلِكْ وَلاَ الّذِيْنَ بَعْدَهُمْ إِلى مُنْتَصَفِ هَذَا الْقَرْنِ الرّابِعَ عَشَرْ .

اللّهُمّ اعْصِمْنَا عَنْ الْبِدَعْ وَأَحْسَنُ مَا يُعَزّىٰ بِهِ مَا رُوِيَ فِي الصَّحِيْحَيْنْ عَنْ أُسَامَةَ بْنُ زَيْدٍ رَضِيْ اللَّهُ عَنْهُ ، قَال أَرْسَلَتْ إِحْدَى، بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِرَسُـولِ الله تدعـوه وتخـبره أن إبناً لها في الموت فقال عليه الصلاة والسّلام لِلرَّسُوْلِ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَىٰ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمَّى فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ وَذَكَرَ الحَدِيْثْ .

وَمعنىَ قَوْلُهُ ﷺ أَنَّ لِلَّه مَا أَخذَ أَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ مُلْكٌ لِلَّه وَلَمْ يَأْخُذْ مَا هُوَ لَكُمْ بَلْ هُوَ آخِذٌ مَا هُوَ لَهُ عِنْدَكُمْ فِي مَعْنَى الْعَارِيّة وَقَوْلُهُ وَلَهُ مَا أَعْطَىٰ أَيْ مَا وَهَبَهُ لَكُمْ لَيْسَ خَارِجاً عَنْ مُلْكِهِ بَلْ سُبْحَانَهُ يَفْعَلُ فِيْهِ مَا يَشَاءُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى .

فَلاَ تَجْزَعُوا فَإنَّ مَنْ قَبَضَهُ فَقَدْ انْقَضَىٰ أَجَلُهُ الْمُسَمّىٰ فَمُحَالٌ تَأْخِيْرُهُ أَوْ تَقْدِيْمُهُ قَالَ تَعَالَى ﴿ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَة وَلا يَسْتَقْدِمُونْ ﴾ فَاذَا عَلِمْتُمْ ذَلِكَ فَاصْبِرُوا واحْتَسِبُوا مَا نَزَلَ بِكُمْ واللَّهُ أَعْلَمْ وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْـــــلٌ)

وَيُقَالُ لِلْمُصَاب بِمُسْلِم أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكْ وَأَحْسَنَ عَزَاوَكْ أَوْ يَقُولُ غَيْرِ ذَلِكْ قَالَ الْمُوفَّقْ لاَ أَعْلَمُ فِي التَّعْزِيَةِ شَيْئاً مَحْدُوداً إلاّ أَنّهُ يُرْوَىٰ أَنَّ النَّبِيَ ﷺ عَزَّى رَجُلًا فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهْ وأَجَرَكْ رَوَاهُ أَحْمَد وَيقُولُ الْمُعَزَّىٰ إِسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاكَ ورَحِمَنَا وَإيّاكْ وَيَحْرُمُ تَعْزِيَةُ الْكَافِرِ سَوَاءٌ كانَ الْمَيِّتُ مُسْلِماً أَوْ كَافِراً لأَنَّ فِيها تَعْظِيْماً لِلكافِرْ .

وَعَزّىَ بَعْضُهُمْ أَخاً لَهُ فِي ابْنِه فَقَالْ أَحْسن عَزَاهُمْ فِيْه وَأَعْظَمْ لَهُم الأُجُورْ والْهَمْهِمْ التّسْلِيْمُ لِلْمَقْدُور نَقولُ جَمِيْعاً كَمَا قَالَ الصّابرُونْ ﴿ إِنّا لِلَّهِ وَإِنّا إليهِ رَاجِعُونْ ﴾ فاللَّه اللَّهَ أُوْصِيْكَ أَخِي أَنْ تَتَدَرَّعَ بالرِّضَا وَتُسَلِّمَ لِلْقَضَاء فالْمُصَاب مَنْ حُرِمَ الثّوابْ .

وَأَذْكُـرُ آيَةً فِي كِتَاب الله تَشْرَحُ لِلْمُؤمن صَدْرَهُ وَتَجْلِبُ لَهُ صَبْرَهُ وَتُهَوِّنُ خَطْبَهُ وَتُذَكِّرُهُ رَبَّه قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بشَيءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوع وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ والأَنْفُسِ والثَّمرَات وَبَشِّرِ الصَّابرِيْنَ ﴾ إلى قَوْله ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونْ ﴾ .

وَقَالْ ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابرُون أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابْ ﴾ وفي الصَّحِيْحِ عَنْ

صُهَيْب مَرْفُوعا عَجَباً لإمْر الْمُؤمِنْ إنّ أمْرَهُ خيرٌ إنَ أَصَابَتْهُ سَرّاءُ شَكَرْ فَكَانَ خَيْراً وَإنْ أَصَابَتْهُ ضَرّاءُ صَبرْ فَكَان خَيْراً لَهُ .

وَقَالَ آخَرْ يُعَزِّى بَعْض إخْوَانِهْ الْمَأْمُولُ فِيْكُمُ الصَّبْرُ والاْحْتِسَاب وَالتّعَزِّي بعَزَاءِ الله فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاء إنَّكَ لَنْ تَجِدْ أَهْلَ الْعِلْم وَالاْيْمَانِ إلاَّ وَهُمْ أَقَلُّ النّاس انْزِعَاجاً عِنْدَ الْمَصَائِب وأَحْسَنُهُمْ طُمَأْنِيْنَةَ وأَقَلّهُمْ قَلَقاً عِنْدَ النَّوَازِلْ وَما ذَاكَ إلاَّ لِمَا أُوتُوا مِمَّا حُرِمَهُ الْجَاهِلُونْ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالى ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِيْنَ الذَّيْنَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيْبَةٌ قَالُوا إنّا لِلَّهِ وَإنّا إلَيه رَاجعُونْ * أُولَئِكَ عَلَيْهِم صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأوُلَئِك هُمْ الْمُهتَدُونْ ﴾ .

فَهَذِهِ الْكَلِمَةْ مِنْ أَبْلَغِ عِلاَجِ الْمُصَاب وَأَنْفَعِهِ لَهُ في الْعَاجِلَةِ والآجِلَةْ فَانهَا تَتَضَمَّنُ أَصْلَيْنْ عَظِيْمَيْنْ إِذَا تَحَقّقَ الْعَبْدُ بِمَعْرفَتِهَا تَسَلَّى عَنْ مُصِيْبَتِهْ لأَنَّ الْعَبْدَ وأَهْلهُ ومَالَهُ مُلْكٌ لِلَّهِ يَتَصَرَّفُ فِيْه حَيْثُ جَعَلَهُ عِنْدَ عَبْدِهِ عَارِيَّةً .

وَالْمُعِيْرُ مَالِكٌ قَاهِرٌ قَادِرٌ وَالْعَبْدُ مَحْفُوفٌ بِعَدَمَيْنْ عَدَمٌ قَبلَهُ وَعَدَمٌ بَعْدَهْ وَمُلْكُ الْعَبْد مِتْعَةٌ مُعَارَةْ الثَّاني أنّ مَصِيْرَ الْعَبْدِ وَمَرْجِعَهُ وَمَرَدَّهُ إلى مَوْلاَهُ الْحَق الّذي لَهُ الْحُكْمُ وَالأَمْرْ وَلاَ بُدَّ أَنْ يُخَلِّفَ مَا خَوَّلَهُ في هَذِهِ الدَّارُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَيَأْتِي فَرْداً بِلاَ أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَشِيْرَةٍ وَلَكِنْ بالحَسَنَاتِ والسَّيِّئَاتْ .

وَمَنْ هَذِهِ حَالُهُ لاَ يَفْرَحُ بمَوْجُودٍ وَلاَ يَأْسَفُ عَلَى مَفقودٍ وَإذَا عَلِمَ الْمُؤمِنُ عِلْمَ الْيقِينْ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخطِئَهُ وَمَا أَخْطَأهُ لَمْ يكُنْ لِيُصِيْبُه هانَتْ عَلَيْه الْمصِيْبَة وَأَطْمَأَنَّ بِأذْنِ الله وَقَدْ قِيْل :

مَا قَدْ قُضِي يَا نَفْسُ فَاصْطَبِرِيْ لَـهُ ... وَلَكِ الأَمَـانُ مِـنَ الّـذي لَـمْ يُقْـدَرِ
وَتَعَـــلَّمِي أَنَّ الْمُقَـــدَّرَ كَـــائِـــنٌ ... يَجْـرِي عَلَيْك عَـذَرْتِ أَمْ لَـمْ تَعْـذُرِ

وَمِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنْ أَنَّهُ عِنْدَ الزّلاَزِل وَقُورٌ وفي الرَّخَاءِ شَكُورْ ومِمَّا يُخَفِّفُ الْمَصَائِبْ بُرْدُ التَّأَسِّيْ فانْظُرُوا يَمْيناً وَشِمَالاً وَأَمَامَ وَوَرَاءَ فَإنّكُمْ لاَ تَجِدُونَ إلاَّ مَنْ

قَدْ وَقَعَ بِهِ مَا هُوَ أَعْظَمْ مِنْ مُصِيْبَتُكُمْ أَوْ مِثْلُها أَوْ قَرِيْبٌ مِنْهَا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا التّفَاوُتِ فِي عَوضِ الْفَائِتْ أعوذُ باللَّهِ مِنَ الْخُسْرَانْ .

وَلَوْ أَمْعَنَ الْبَصِيْرُ فِي هَذَا الْعَالَمِ جَمِيْعِه لَمْ يَرَى إِلاّ مُبْتَلِي إِمَّا لِفَوْتِ مَحْبُوبٍ أَوْ حُصُولِ مَكْرُوْهٍ وأَنَّ سُرُورَ الدّنْيَا أَحْلَامُ لَيْلٍ أَوْ كَظِلٍ زَائِلٍ إِنْ أَضْحَكَتْ قَلِيْلاً أَبْكَتْ كَثِيْراً وَإِنْ سَرَّتْ يَوْماً أَسَاءَتْ دَهْراً جَمْعُها إِلَى انْصِدَاعْ وَوَصْلُها إِلى انْقِطَاعْ .

إِقْبَالُها خَدِيْعَةٌ وَإِدْبَارُهَا فَجِيْعَةٌ لَا تَدُومُ أَحْوالُها وَلاَ يَسْلَمُ نُزَّالُها حَالُها انْتِقَالٌ وَسُكُونُها زَوَالٌ غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ نَزُوعْ وَيكْفِي فِي هَوانِهَا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعْصَىٰ إِلَّا فِيْهَا وَلا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا .

مَعْ أَنّ الْمَصَائِبَ مِنْ حَيْثُ هِيَ رَحْمَةٌ لِلْؤمِنِ وَزِيَادَةٌ فِي دَرَجَاتِهِ كَمَا قَالَ بَعْضُ السّلَفْ لَوْ مَصَائِبُ الدُّنْيَا لَوَرَدْنَا الْآخِرَةَ مَفَالِيْسِ وَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ لَمْ يُرْسِلِ الْبَلَاءِ إِلى الْعَبْدِ لِيُهْلِكهُ وَلا لِيُعَذِّبَهُ وَلكِنْ إِمْتِحَاناً لِصَبْرِهِ وَرِضَاهُ عَنْهُ وَاخْتِبَاراً لِإِيْمانِه وَلِيَرَاهُ طَرْيحاً ببابه لائذاً بجَنَابِهِ مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَهَذَا مِنْ حَيْثُ الْمَصَائِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَأَمَّا مَا جَرَى عَلَيْكُمْ فَأَنْتُمْ بِهِ بِالتَّهْنِئَةِ أَجْدَرُ مِنَ التّعْزِيَةْ .

وَلَعَمْرُ الله إِنّ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِيْنُهْ فَالمِحَنُ فِي حَقّهِ مِنَحٌ والْبَلَايَا عَطَايَا وَالْمَكْرُهَاتَ لَهُ مَحْبُوبَاتْ وَأَمَّا الْمُصِيْبَة الْعُظْمَى والْخَطْبُ الاكْبَرْ وَالكَسْرُ الّذِي لا يُجْبَر والْعِثَارُ الَّتِي لا تُقَالْ فَهِي الْمُصِيْبَةُ فِي الدِّيْنِ كَمَا قِيْل :

« وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْبُرُهُ وَمَا لِكَسْرِ قَنَاةِ الدِّيْنِ جُبْرَانُ »

آخــرُ :

الدِّيْنُ رأسُ المالِ فَاسْتَمْسِكْ بِهِ فَضَيَاعُهُ هُوَ أعْظَمُ الخُسْرانِ

آخر : لَعَمْرِيَ مَا الرَّزِيَّةُ فَقْدُ قَصْرٍ فَسِيْحٍ مُنْيَةٍ لِلسَّاكِنْنَا

ولكنَّ الرَّزِيَّةَ فَقْدُ دِيْنٍ يَكُوْنُ بِفَقْدِهِ مِنْ كَافِرِيْنَا

آخر : لعَمْرِيَ ما عُمْرٌ يُعَدُّ بِضَائِـــعِ إذا كانَ بالتّهْلِيلِ والذِكْرِ يُعْمَــــرُ

آخـــرُ :

إذا المرءُ لَمْ يُدْرِكْ رضَىٰ خالِقِ الوَرَىٰ فمـا حَظُـهُ في أنْ يَطُـولَ بـه العمْـرُ

آخـــــر :

لِمَنْ تَطْلُب الدُنْيَا إذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا رِضَى المَلِكِ القُدُّوسِ رَبِّ البَرِيَّةِ

آخــرْ :

« مِنْ كُلّ شَـيءٍ إذَا ضَيَّعْتَهُ عِـوَضٌ وَمـا مِـن اللَّهِ إن ضَيَّعْتَهُ عَـوَضُ »

وَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ أَحْكَم الحَاكِمْينَ لِمَنْ أَرادَ بِهِ خَيْرا أنْ يُقَدّمَ الإِبْتِلاءَ بَينَ يَدَيْه وَمِن أسْبَاب السُّلُوِّ عَن الْمَصَائِب وأقْوى الأَدْوية باذْنِ اللَّهِ تَعالى لِفَاقِدِ الْحَبيْب الْعِلْمُ بأنَّ الدُّنْيَا فَانِيةٌ وزَائِلةٌ وأنها مَخْلُوقَةٌ لِلذّهَاب والأُفول وأنّ مَا فِيْها يَتَغَيّرُ وَيَتَحوَّلُ وَيَضْمَحِلُ وَيَفْنَى لأَنّها إلى الآخِرَةِ طَرِيْق وَهْي مَزْرَعَةٌ لِلآخِرَةْ .

رُويَ عَنْ أَبي الـدَرْدَاءِ رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَان لِسُلَيْمَانَ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السّلامْ ابْنٌ يجدُبه وُجْداً شَدِيْداً فَماتَ الغُلاَمُ فَحزنَ عَلَيْهِ حَزناً شَدِيْداً وَرُوىَ ذَلِكَ في قَضَائِه وَمَجْلِسه فَبعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ في هَيْئِةِ الْبَشرْ فَقَال مَا أَنْتُما فَقالا خَصْمَانَ قَالَ إجْلِسَا بِمَجْلِسِ الْخُصُوْمِ فَقَالَ أَحدهُمَا إنِّي زَرَعْتُ زَرْعاً فَأتَى هَذا فَأَفْسَدَهْ .

قال سُلَيْمَان عَلَيْهِ السـلامُ ما يَقُولُ هَذا قَالَ أَصْلَحكَ اللَّهُ إنَّهُ زَرَعَ في الطَّريق وإِنِّيْ مَرَرْتُ بِهِ فَنظَرْتُ يَميْناً فاذا الزَّرْعُ ونَظَرْتُ شِمَالاً فإذا الزَّرْعُ وَنَظَرْتُ قَارِعَةَ الطَّرِيْقِ فإذا الزَّرْعُ فَركِبْتُ قَارِعَةَ الطَّرِيْقِ فَكَانَ في ذَلِكَ فَسَادُ زَرْعِهِ .

فقال سُلَيْمانُ عَليهِ السلامُ مَا حَمَلَكَ عَلَى أنْ تَزْرَعَ بالطريق أَمَا عَلِمْتَ أنَّ الطَّرِيقَ سَبيْلُ الناس ولا بُدَّ للنَّاسِ أنْ يَسْلُكُوا سَبيْلَهُم فَقالَ لَهُ أحدُ المَلَكَيْنِ أو مَا عَلِمْتَ يا سُلَيْمانُ أنَّ المَوْتَ سَبيلُ الناسِ ولا بُدَّ لِلنَّاسِ مِن أنْ يَسُلكُوا سَبيْلَهُم .

قال فَكأَنَّمَا كُشِفَ عَن سُلَيْمَانَ الغطاءُ وهَذَا مِن لَطِيْفِ التَّعْزِيَةِ لِمَن حَلَّتْ به رَزِيَّةٌ .

أرَىَ الدهرَ أَغْنَى خَطْبُهُ عن خِطَابِهِ ... بِوَعْظٍ شَفَى الْبَابَنَا بلُبَابِهِ
لَهُ قُلَّبٌ تَهْدِي القُلُوبَ صَوَادِيَاً ... إليها وتَعْمَى عن وَشِيْكِ انْقِلابِهِ
هُو الليثُ إلا أنَّهُ وهْوَ خَادِرٌ ... سَطَا فأغَابَ اللَّيثَ عن أنْسِ غابِهِ
وهَيهاتَ لَمْ تَسْلَمْ حَلاوَةُ شَهْدِهِ ... لِصَابِ إليه مِن مَرَارَةِ صَابِهِ
مُبِيْدٌ مَبَادِيهِ تَغُرُّ وإنمَّا ... عَواقُبُهُ مَخْتُومَةٌ بعِقَابِهِ
أَلَمْ تَرَ مَن سَاسَ المَمالِكَ قادراً ... وسَارَتْ مُلُوكُ الأَرضِ تَحتَ رِكَابِهِ
ودَانَتْ لَهُ الدنيا وكَادَتْ تُحِلُّهُ ... عَلى شُهْبِهَا لَولا خُمُودُ شِهَابِهِ
لقد أسْلَمَتْهُ حِصْنُهُ وحُصُونُهُ ... غَدَاةَ غَدا عَن كَسْبِهِ باكْتِسَابِهِ
فَلا فِضَّةٌ أنْجَتْهُ عندَ انْفِضَاضِهِ ... ولا ذَهَبٌ أغْنَاهُ عِندَ ذَهَابِهِ
سَلا شَخْصَهُ ورَّاثُهُ بتُراثِهِ ... وأفْرَدَهُ أتْرابُهُ بِتُرابِهِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فَصْلٌ)

قيل لرجل إنك تموت ، قال : وإلى أين يُذْهَبُ بي قالوا إلى الله ، قال ما أُكره أن يذهب بي إلى مَن لم أرَى الخيرَ إلا منه ولو قال أنا أفْرح وأُسَرُّ وأُسْتَبْشِرِ بذهاب إلى الله .

وعَزَّى رَجلٌ آخرَ بابْنٍ لَهُ فقال كان لكَ مِن زينَةِ الحياة الدنيا وهو اليوم مِن الباقياتِ الصالحاتِ .

ولما احْتُضِرَ المنصور قال اللَّهُم إن كُنْتَ تَعلَم أني قد ارْتَكَبْتُ الأمورَ العِظَامَ جُرأةً مِني عَلَيْكَ فإنكَ تَعْلَمُ أني قد أطعْتُكَ في أحِبِّ الأَشْيَاءِ إليكَ شهادةِ أن لا إله إلا الله مَنّاً مِنْكَ لا مَنّاً عَلَيْكَ .

ومات عَبْدُ الله بنُ مُطْرِف فَخَرجَ مُطْرفٌ في ثِيابٍ حَسَنَةٍ فأنكَرُوا عليه

فقال أفأَسْتَكين لها وقد وَعَدني عليها ربي ثلاثاً إحداها أَحَبُ إليَّ من الدنيا وما فيها ﴿ أولئكَ عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ .

قيل انه دَخَلَ مَلَكُ الموتُ على دَاوُدَ عليه وعلى نبينا السلام ، قال مَن أنْتَ قال الذي لا يهابُ الملوكَ ولا تمنعُ منه القُصُور ولا يَقْبَلُ الرُشَى .

قالَ فإذاً أنْتَ مَلَكُ الموت ولم أسْتَعِدَّ بَعْدُ قال يا دَاوُدُ أيْنَ جَارُكَ فُلان ، أينَ قَرِيْبُكَ فُلان ، قال مَاتَ ، قال أما كان لَكَ في هؤلآءِ عِبْرَةٌ لِتَسْتَعِدَّ لِلْمَوْتِ .

عن عائشة رضي الله عنها لَمَّا مَاتَ عثمانُ بنُ مَظْعُونَ كَشَفَ النبيُ ﷺ الثوبَ عن وجهه فَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ وبَكَى طَوِيْلاً : فلما رُفِعَ على السَّرِيْر قال طُوبَاكَ يا عُثمانُ لم تَلْبَسْكَ الدُنْيَا ولم تَلْبَسْهَا .

ودُخِلَ على المأمون في مَرَضِه وهو يَجُودُ بنَفْسِهِ فاذا هو قد فُرِشَ لَهُ جُلُّ الدَّابَّةِ وبسط عليه ا لرَّمَادُ وهو يَتمرَّغُ عَليه ويَقُولُ : يا من لا يَزولُ مُلكه إرْحَمْ مَن زَالَ مُلْكُه .

وقال عمرو ابن العَاص لأَبْنِهِ عندمَا حَضَرَهُ الموتُ مَن يأخُذُ هذا المالَ بما فيه قال مَنْ جدَعَ اللَّهُ أنْفَهُ فقال إحملُوه إلى بَيْتِ مالِ المسلمين .

ثم قال سمعتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ إن التوبة مَبْسُوْطَةٌ ما لم يُغَرْغِرْ إبنُ آدم بِنَفْسِهِ ثم اسْتَقْبَلَ القِبْلَة فقال اللهم إنك أمَرْتَنَا فَعَصَيْنَا ونَهَيْتَنا فَارْتَكَبْنَا ، هذا مَقَامُ العائذُ بِكَ فأهْلُ العَفْوِ أنْتَ .

وإنْ تُعَاقِبْ فبما قَدَّمَتْ يَدَايَ « سُبْحَانَكَ لا إله إلا أَنْتَ إني كُنْتُ مِن الظالمين » فمات وهو مَغْلُولٌ مُقَيدٌ فَبَلَغَ الحَسَنَ بْنَ على فقال اسْتَسْلَمَ الشيخُ حِيْنَ أيْقَنَ بالموت ولَعَلَّهَا تنْفَعُه .

قالت عائشةُ رضي الله عنها : لا أغبط أَحَداً بهوْنِ الموتِ بعد الذي رَايتُ مِن رسول الله ﷺ وسَمِعَ أبُو الدرداء رَجُلاً يَقُولُ في جَنَازَةٍ مَنْ هَذَا قال أنْتَ وإن كَرِهْتَ فَأَنَا .

وسَمِعَ الحَسن إمرأةً تبكي خلْفَ جَنَازَةٍ وتقولُ يا أبَتاه مِثْل يَوْمِكَ لم أره فقال لها : بَلْ أبُوكِ مِثْلَ يومِهِ لَم يَرَه .

وقِيل إنه لَمَّا احْتُضِرَ إبراهيم عليه السلام قَال هَلْ رَأَيْتَ خَلِيْلاً يَقْبضُ رُوحَ خليله فأوحَى الله إليه : هَلْ رَأيْتَ خليلاً يَكْرَهُ لِقَاءَ خَلِيلِه . قال اقْبِضْ رُوْحِيْ السَّاعَة .

ونُعِيَتْ إلى ابن عَبَّاسٍ بِنْتٌ له في طريقِ مكةَ ، فَنَزَلَ عن دابته فَصَلى ركعتين ثم رَفَعَ يَدَيْهِ وقال : عَوْرَةٌ سَتَرَهَا الله ، وَمؤْوَنةٌ كَفَاهَا الله ، وأَجْرٌ سَاقَهُ الله ثم ركبَ ومَضى .

وقال رجل لأويس القرني أوصيني ، قال تَوَسَدِ الموتِ إذا نِمْتَ واجْعَلْهُ نَصْبَ عَيْنَيْكَ إذا قُمْتَ . وقال الثوري يَنْبَغِي لمن كان له عقل إذا أتي عليه عمر النبي ﷺ أنْ يُهَيِئَا كَفَنَه .

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عمرو بن عبيد يعزيه أما بَعد فإنا أناسٌ مِن أهل الآخرة أُسْكِنَا في الدنيا أَمْوَاتٌ أباءُ أمْوَاتٍ أبناءُ أمْوَات فالعَجَبُ لميتٍ يَكْتُبُ إلى مَيِّتٍ يُعَزِيْهِ عن مَيِّتٍ .

وقِيلَ لِلْحَسَنِ فُلانٌ في النَّزعِ ، قال وما مَعْنَى النَّزْعِ قالُوا القُرُب ، قال هو في ذلك مُنْذُ خُلِق .

وتُوفيَتْ أمُ قاضِي بَلْخ فقال له حاتم الأصم إن كانَتْ وَفَاتُها عِظَةٌ لَكَ فَعَظَّمَ اللهُ أجْرَك على مَوْتِ أمِّكَ وإن لم تَتَّعِظْ بها فَعَظَّمَ اللهُ أَجْرَكَ على مَوْتِ قَلْبِك .

وقال له : أيها القاضي منذ كم تحكم بين عباد الله ، قال منذ ثلاثين سنة قال هل رد الله عليك حكماً قال لا قال فان الله لم يرد عليك أحكامك في ثلاثين وترد حكماً واحداً حَكَمه عَلَيْكَ .

وعَزَّى آخر بأخيه فقال له أنْظُرْ مُصِيْبَتَكَ في نفسك تُنْسِكَ فَقْدَ غَيْرِكَ واذكر قول الله تعالى لنبيه ﷺ « إنك مَيِّتٌ وإنهم ميِّتون » وخذ بقول الشاعر :

تَعَــزَّ فَكُــلٌّ سَــالِــكٌ لِسَبِيْلِهِ ... وكُلُ امْـرِءٍ من خَشْيَةِ المـوتِ جَـازِعُ
ونحنُ سَوَاءٌ في المُصَـابِ وإنْ نَأَتْ ... بَنَـا الـدارُ فالأَرْحَـامُ مِنَّـا جَوامِـعُ
ولا شَـكَّ مِنَّـا بالتَعَـزِي وإِنَّمـا ... نُعَزِيْكَ إذْ جَـاءَتْ بِذَاكَ الشَـرَائِعُ

آخــر :

تَفَكَّـرْ فـإن كـانَ البُكَـا رَدَّ هَالِكاً ... على أَحـدٍ فاجْهَـدْ بُكَـاءً عَلى عَمْرو
ولا تَبْـكِ مَـيْتاً بعـدَ مَـيْتٍ أجَـنَّهُ ... عَلـيٌ وعبـاسٌ وآل أبِـي بَكْـرِ

آخــر :

ويَبْكِـي عَلـى المـوتَى ويَـتْرِكُ نَفْسَـه ... وَيزْعُـمُ أَنْ قَـدْ قَـلَّ عَـنْهُم عَـزَاؤُهُ
ولـو كـان ذَا عَقْـلٍ وَرَأْيٍ وَفِطْنَـةٍ ... لَكَــانَ عليــهِ لا عَليهـم بُكَـاؤُهُ

شِعْـراً :

إلَهِي عَفْــواً مِـن ذُنُـوبٍ تَثَاقَلَـتْ ... على ظَهْـرِ عَبْـدٍ لا يُطِيْقُ لَهَا حَمْـلاَ
عَصَـاكَ فَيَـا مَـوْلاَهُ مِـن دُونِ رُقْبَـةٍ ... ويَخْشَـى إذا تُبْـلَى السَّـرائِـر أن يُبْـلَى
فـإمَّـا إلى نَـارٍ وإمَّـا لجَـنَّـةٍ ... وكُلُ إمـرِىءٍ يُجْزَى بفِعْـلَتِهِ قَبْـلاَ
ويَـرْكُـنُ لِلَّراحَــاتِ قبـلَ بُلُوغِـها ... وكَـمْ ضَـاحِـكٌ كـانَ البُكاءِ بهِ أَوْلاَ
فمــا نَحْنُ في الدُنْيَا لِنَعْصِرَ وَجْهَنا ... ولا لِـنَرى غَـيرَ اعْـتِبَارٍ بهَـا شُـغْلاَ
فَيَـا رَبِّ وَفِّــقْ لِلرَّشَــادَ مَطَـالِبِي ... ويَسِّـرْ لِمَا تَهْوَاهُ لي مِن هُـدىً فِعْـلاَ

والله أعلم وصلى الله علىٰ محمدٍ وآله وصحبه وسلم .

(فصـــل)

وكَتَبَ ابنُ السَّماكِ إلى هارُوْنَ الرَّشيْدِ يُعَزِّيْه بولَدِه فقَالَ أما بَعْدُ فإنْ اسْتَطَعْتَ أن يَكُونَ شُكْرُكَ لِلّه عزَّ وَجلَّ حَيْثُ قَبَضَهُ كشُكْرِكَ لَهُ حَيْثُ وَهَبَهُ لكَ فافْعَلْ فانُه حَيْثُ قَبَضَهُ أحْرَزَ لَكَ هِبَته .

ولو بَقِيَ لَمْ تَسْلَمْ مِن فِتْنَةٍ أَرأيْت جزعَكَ عَلى ذَهابهِ وَتَلُّهُفَكَ على فِرَاقِهِ أرَضِيتَ الدَّارَ لِنَفْسِك فَتَرْضَاهَا لابْيكَ أمَّا هو فَقَدْ خَلَصَ مِن الكَدَرِ وَبَقِيْتَ مُتَعَلِّقاً بالخَطَرِ والسلام .

وانْ شَاءَ قَالَ إذَا كَانَ صَغيراً عَظَّمَ الله أَجْرَكَ وجَبَرَ مُصِيْبَتَكَ وأَذْهَبَ عَنْكَ الحَزَنَ وَجَعَلَهُ لَكَ فَرطاً وذُخْراً وَوَسِيْلَةً لاكْتِسَابِ الأَجْرِ في الأُخْرَى وأَنْتَ خَبيْرٌ بأنَّ المَوْتَ مَصِيْرُ كُلِّ العِبادِ قال الله جل وعلا وتَقَدّس لرسولِ الله ﷺ ﴿ وما جَعلْنَا لِبَشَرٍ مِن قبلكَ الخلدَ أفإنْ مِتَّ فَهُمَ الخَالِدُونَ كُلُ نَفْسٍ ذَائقةُ الموت ﴾ .

ومثلك ولله الحمـدُ لا يحتاج إلى التَّسْليَةِ والنَّصِيْحَةِ لأَنَّهُ لَيْسَ بخافٍ عَلَيْكَ أنَّ الصَّبْرَ قَد حَثَ اللَّهُ عليهِ وَوَعَدَ بكَثْرةِ الأَجر وَأنَّهُ أَوْلى مَا تَمَسَّكَ بِهِ مُؤْمِنٌ واعْتَصَمَ بِهِ مُحْتَسِبٌ فالتَّسْليْمُ لأَمْرِ اللَّهِ بما قَدَّرَهُ وَقَضَاه في سَابقِ عِلْمِهِ يَسْتَوْجِبُ الثَّوابَ الجَزِيْلَ وَحَسْبُنَا اللَّهُ ونعمَ الوَكِيْل .

شعــرا :

كُلُ المُصَائِبِ قَدْ تَمُرُ عَلى الفَتى ... وَتَهُوْنُ غَيْرَ مُصِيْبَةِ في الـدِّيْنِ

آخــر :

رَأَيْتُ بَني الدنيا كَوَفْدَيْن كُلَّمَا ... تَرحَّلَ وَفْـدُ حَـطَّ في إثْرِهِ وَفْـدُ
وَكُـلٌ يَحُثُ السَّيْرَ عنـها ونَحـوهَا ... فَيَمْضِي بِذَا نَعْشٌ ويَأْتي بذَا مَهْـدُ

آخــر :

وَتَأْكُلُنَا أَيَّامُنَـا فكأَنَّمَـا ... تَمُرُّ بِنَا السَّاعَاتُ وَهْي أسُـوْدُ

آخــر :

ومـا هَـذِهِ الأَيّـامُ إلاَّ مَـرَاحِـلٌ ... يَحُثُ بِهَا حَادٍ مِن المـوتِ قاصِدُ

وأَعْجَبُ شَيْءٍ لَوْ تَأَمَّلْتَ أَنَّهَا مَنَازِلُ تُطْوَى وابْنُ آدمَ قَاعِدُ

أَوْ تَقُولُ : بَلَغَنِي وفَاةُ الأَخِ العَزِيْزِ تَغَمَّدَهُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ الَّتِي وَسِعَتْ كلَّ شَيْءٍ وَوَفَّقَنَا وإِيَّاكُمْ لِلصَّبْرِ والاحتساب .

وعَلَى كُلِّ حَالٍ فالأَخُ أَوْلَى مَنْ يَتَلَقَّى أَمْرَ اللَّهِ بالقَبُولِ والتَّسْليمِ ويَلْقَى الخُطُوبَ الصَّادِعَةَ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ وهُوَ أَدْرَى بأَنَّ هذهِ الدارَ لَيْسَتْ بِدَارِ قَرِرٍ وأَنَّ المَفْقُوْدَ نَزَلَ في جِوَارِ الكَرِيمِ وشَتَّانَ بَيْنَ ذَاكَ الجِوَارِ وهَذا الجِوَارِ .

ولَيْسَ إِلَّا الصَّبْرُ واحْتِسَابُ الأَجْرِ مِن المَوْلَى الأَجَلِّ هَذا وَكُلٌّ مِنَّا يَعْلَمُ أَنَّ الموتَ مَنْهَلٌ لا بُدَّ مِن وُرُوْدِهِ ومَحْضَرٌ لا بُدَّ مِن شُهُوْدِهِ ورَسُولٌ لا بُدَّ مِنه وأَمْرٌ لا مَحِيْصَ ولا مَفَرَّ عَنْهُ ومَا مَات أَحدٌ قَبْلَ أَجَلِهِ الذي قُدِّرَ لَهُ ولا تَقَدَّمَ عَنْهُ ولا تَأَخَّرَ قال تعالى ﴿ فاذا جاءَ أَجَلُهُم لا يَسْتَأْخِرُوْنَ سَاعَةً ولا يَسْتَقْدِمُوْنَ ﴾ وقال ﷺ إِنَّ رُوْحَ القُدُس نَفَثَ في رَوْعِيْ أَنَّهُ لَنْ تَمُوْتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا وأَجَلَهَا فاتّقوا اللَّهَ وأَجْمِلُوا في الطلب .

وعن مُعَاوِيَةَ بن أَيَاسٍ عن أبيهِ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أَنَّهُ فَقَدَ رَجُلاً مِن أَصْحَابِهِ فسأَلَ عَنْهُ فقالُوا يا رَسُولَ اللَّهِ ابْنَهَ الذي رأيتَهُ هَلَكَ .

فَلَقِيَهُ النبيُ ﷺ فسَأَلَهُ عن ابنِهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلَكَ فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا فُلَانُ ايُّما أَحَبُّ إِليكَ أَنْ تَتَمَتَّعَ بِهِ عُمُرَكَ أَوْ لا تَأْتِي غَدَاً باباً مِن أَبْوَابِ الجَنَّةِ إِلَا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ فَقَال يا نَبِيَّ اللَّهِ يَسْبِقُنِيْ إلى الجَنَةِ يَفْتَحُهَا لِي هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ قَالَ فَذَلِكَ لَكَ .

فَقِيْلَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا لَهُ خاصةٌ أَمْ لِلْمُسْلِمِيْنَ عَامَّةً قَالَ بَلْ لِلْمُسْلِمِيْنَ عَامَّةً وَبَلَغَ الشَّافِعِيَّ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ مَهْدِي مَاتَ لَهُ إِبْنٌ فَجَزِعَ عَلَيْهِ جَزَعاً شَدِيْداً فَبَعَثَ إِليهِ الشَّافِعِيُ يَقُولُ يَا أَخِي عَزِّ نَفْسَكَ بِمَا تُعَزِّي بِهِ غَيْرَهَا واسْتَقْبِحْ مِن فِعْلِكَ ما تَسْتَقْبِحُهُ مِن فِعْلِ غَيْرِكَ .

واعْلَمْ أنَّ أَمْضَى المَصَائِبِ فَقْدُ سُرُوْرٍ وحِرْمَانُ أَجْرٍ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَا

مَعَ اكْتِسَابِ وِزْرٍ فَتَنَاوَلْ حَظَّكَ يا أخِي إذا قَرُبَ مِنْكَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُبَهُ وَقَدْ نَـأَى عَنْكَ أَلْهَمَكَ اللَّهُ عِنْدَ المَصَائِبِ صَبْرًا وأحْرَزَ لَنَا وَلَكَ بِالصَّبْرِ أجْرًا وَكَتَبَ إليه يَقُولُ :

إِنِّـي مُعَـزِّيْكَ لَا أَنِّـيْ عَـلَى ثِقَـةٍ مِـنَ الحَيَـاةِ وَلَكِـنْ سُـنَّةُ الـدِّيْـنِ
لَيْـسَ المُعَـزَّي بِبَـاقٍ بَعْـدَ مَيِّتِـهِ وَلا المُعَـزِّيْ وَإِنْ عَـاشَـا إلـى حِيْنِ

وعزى رجل عمر بن عبدالعزيز فقال :

تَعَـزَّ أَمِـيْرُ المُؤْمِـنِيْنَ فَـإِنَّـهُ لِمَـا قَـدْ تَـرى يُفْـدَى الصغيرُ ويُولَـدُ
هَـلْ ابنُـكَ إلا مِـن سُـلَالَـةِ آدَمٍ لِكُـلٍّ عَـلَى حَـوضِ المنيـةِ مَـوْرِدُ

فقال ما عزاني أحد بمثل تعزيتك .

وَكَتَبَ رَجُلٌ إلى بَعْضِ إخْوَانِهِ يُعَزِيْهِ بابْنِهِ : أَمَّا بَعْدُ فإنَّ الوَلَدَ عَلَى وَالِدِهِ مَا عَاشَ حُزْنٌ وَفِتْنَةٌ فإذَا قَدَّمَهُ فَصَلَاةٌ وَرَحْمَةٌ فَلا تَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَكَ مِن حُزْنِهِ وَفِتْنَتِهِ ولا تُضَيّعْ مَا عَوَضَّكَ اللَّهُ تعالى مِن صَلَاتِهِ وَرَحْمَتِهِ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ المُهْدِي لابْرَاهِيْم بن سَلَمَةِ وَعَزَّاهُ بابْنِهِ أَسَرَّكَ وَهُوَ بَلِيَّةٌ وَفِتْنَـةٌ وَأَحْزَنَكَ وهُوَ صَلاةٌ وَرَحْمَةٌ واعْلَمْ يا أخ أنَّ كُلَّ المَصَائِبِ التِي تَمُرُّ على الإنسانِ تَهُوْنُ إلا مُصِيْبَةُ الدِّيْنِ لَا يَنْجَبِرُ كَسْرُهَا كما قِيْلَ :

وكُـلُ كَسْـرٍ فـإنَّ اللَّـهَ يَجْـبُرُهُ ومـا لِكَسْـرِ قَنَـاةِ الـدِّيْـنِ جُـبْرَانُ

وَفقَنَا اللَّهُ وإيَّاكَ لِمَا يُحِبُهُ وَيَرْضَاهُ وَأَلْهَمَنَا وإيَّاكَ الرِّضَا بقَضَائِهِ وقَدَرِهِ ، وَيَحْرُمُ النَّدْبُ وهو تَعْدَادُ مَحَاسنَ المَيْتَ بلَفْظِ النِّداءِ مَعَ زِيَادَةَ ألِفٍ وهَا في آخِرِهِ واسَيِّدَاهْ واجَبَلَاهْ وانْقِطَاع ظَهْرَاهْ والنِّيَاحَةُ هِيَ رَفْعُ الصَّوْتِ بذَلِكَ بِرَنَّةٍ وَهْيَ مُحَرَّمَةٌ أَيْضَاً قالَتْ أمُ عَطِيَّةَ أخَذَ عَلَيْنا النبيُ ﷺ في البَيْعَةِ أَنْ لا نَنُوحَ متفق عليه .

شعرا : إذا مَاتَ ابْنُهَا صَرَخَتْ عليهِ ... وَمَاذَا تَسْتَفِيْدُ مِن الصُّراخِ

سَتَتْبَعُهُ كَعَطْفِ الفَاءِ لَيْسَتْ ... بِمَهْلٍ أَوْ كَثُمَّ عَلى التَّراخِــــيْ

وفي صحيح مُسْلِم أن النَّبيَّ ﷺ لَعَنَ النَّـائحَـةَ والمُسْتَمِعَةَ وَيَحْرُمُ شَقُّ الثَّوْبِ وَنَحْوِهِ وَيَحْرُمُ لَطْمُ الخَدِّ والصُّرَاخِ ونَتْفُ الشَّعْرِ وَنَشْرُهُ لِمَا وَرَدَ عن ابنِ مَسْعُوْدٍ أنَّ النَبِيَّ ﷺ قال لَيْسَ مِنَّا مَن ضَرَبَ الخُدُوْدَ وَشَقَ الجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ .

وعن أبي بُرْدَةَ قَالَ وَجِعَ أَبُو مُوْسَى وَجَعاً فَغشِيَ عَلَيْهِ وَرَأْسُهُ في حَجْرِ امْرَأَةٍ مِن أَهْلِهِ فَصَاحَتْ إمْرَأَةٌ مِن أَهْلِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ أنا بَرِيءَ مِمن برىء منه رسولُ اللَّهِ ﷺ فَإنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَرِيءِ مِنَ الصَّالِقَةِ والحَالِقة والشَّاقَةِ .

وَعَنْ المُغِيْرَةِ بن شُعْبَةَ قَال سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّهُ من يُنَحْ عَلَيْهِ يُعَذَّبُ بِمَا نِيْحَ عَلَيْهِ وفي صَحِيْحِ البُخَاري عن النُعمانِ بن بَشِيْرٍ قال أغْمِيَ على عَبْدِ اللَّهِ ابنِ رَوَاحَةَ فَجَعَلَتْ أُخْتُهُ عَمْرَةُ تَبْكِي وا جَبلاَهْ وا كذا وا كَذَا تُعَدِّدُ عَلَيْهِ فقال حِيْنَ أَفَاقَ مَا قُلْتِ شَيْئاً إلا قِيْلَ أَنْتَ كَذَلِكَ فَلَمَّا ماتَ لَمْ تَبْكِ عليه .

وعن أبي مُوْسَى أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ المَيِّتُ يُعَذَّبُ بِبُكاءِ الحَي إذا قَالَتْ النائحَةُ وا عَضُدَاهُ وا نَاصِرَاهْ وا اكاسِيَاهْ جُبذَ المَيْتُ وقِيْلَ لَهُ أَنْتَ عَضُدَهَا أَنْتَ نَاصِرُها أَنْتَ كاسِيْهَا رواه أحمد .

وَسُنَّ أَنْ يُصْلَحَ لأَهْـلِ المَيْتِ طَعَاماً يُبْعَثُ به إليْهِمْ وَيُكْرَهُ لَهُمْ فِعْلُهُ لِلنَّاسِ لِمَا وَرَدَ عَن عبدِ اللَّهِ بن جَعْفَرٍ قَالَ لَمَّا جَاءَ نَعْيُ أَبِيْ حَيْنَ قُتِلَ قال النبيُ ﷺ اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَاماً فَقَدْ أتاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ رواهُ الخمسةُ إلاَّ النَّسَائِي قال الزبَيْرُ فَعَمَدَتْ سَلْمَى مَوْلاَةُ النبي ﷺ إلى شَعِيْرٍ وأَدَمَتْهُ بِزَيْتٍ جُعِلَ عَلَيْهِ وَبَعَثَتْ بِهِ إليهم .

وَيُرْوَى عن عبدِ اللَّهِ بن أبي بَكْر أَنَّهُ قال فَما زَالَتْ السُنَّةُ فِيْنا حَتَّى تَرَكَهَا

مَن تركَها وَسَواءٌ كَانَ المَيِّتُ حاضِراً أَوْ غائِباً وَأَتاهُمْ نَعْيُهُ وينْوِيَ فِعْلُ ذَلِكَ لأَهْلِ المَيْتِ لا لِمَنْ يَجْتَمِعُ عندَهُم فَيُكْرَهُ لأَنَّهُ إعانَةٌ عَلَى مَكْرُوْهٍ وَهُوَ اجْتِماعُ الناسِ عندَ أهلِ الميتِ نَقَلَ المَرْوَزِي عن أَحْمَدَ هُوَ مِن أفعال الجاهليةِ .

يُسَرُّ الفَتى بالعَيْشِ وهو مُبِيْدُهُ ... ويَغْتَرُّ بالدُّنْيا وما هِيَ دارُهُ
وفي عِبَرِ الأَيامِ لِلْمَرءِ واعِظٌ ... إذَا صَحَّ فيها فِكْرُهُ واعْتِبارُهُ
فلا تَحْسَبَنْ يا غافِلُ الدَّهْرَ صامِتا ... فأفْصَحُ شيءٍ لَيْلُه ونهارُهُ
أَصِخْ لِمُناجاةِ الزمانِ فإِنَّهُ ... سَيُغْنِيْكَ عن جَهْرِ المقالِ سِرارُهُ
أدارَ على الماضِينَ كأساً فَكُلُّهُمْ ... أُبِيْحَتْ مَغانِيْهِ وأَقْوَتْ دِيارُهُ
ولم يَحْمِهِم مِن أَنْ يُسَقَّوْا بِكَاسِهِمْ ... تَناوُشُ أَطْرافِ القَنا واشْتِجارُهُ

اللهم نَوِرْ قُلُوبَنا بِنُوْرِ الايمانِ ووفقنا لِمَحبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ مَن يُحِبُّكَ وأَلْهِمْنا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ واجْعَلْنا مِن عبادِكَ الصالحين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْــــلٌ)

وَيَجُوزُ البُكَاءُ عَلَى المَيْتِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ شَهِدْتُ بنتاً لِلنَّبِي ﷺ تُدْفَنُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ عِندَ القَبْرِ فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ رواه البخاري .

وعن ابنِ عمرَ قال اشْتَكى سَعْدُ بنُ عُبادَةَ شَكْوَى لَهُ فَأَتَاهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرحمنِ بنِ عَوفٍ وسَعْدِ بنِ أَبِي وقَّاصٍ وعبد اللَّهِ بنِ مَسعودٍ .

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيهِ وَجَدَهُ فِي غَشْيَةٍ فَقَالَ قَدْ قُضِيَ فَقَالُوا لاَ يا رسولَ اللَّهِ فَبَكَى رسولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَى القومُ بكاءَهُ بَكَوا فقال أَلاَ تَسْمَعُوْنَ إنَّ اللَّهَ لا يُعَذِبُ بِدَمْعِ العَينِ ولا بحُزْنِ القَلْبِ ولكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا أَوْ يَرْحَمُ وأشارَ إلى لِسَانِهِ متفق عليه .

وَأَخْبَارُ النَّهْي مَحْمُولَةٌ على بُكَاءٍ مَعَهُ نَدْبٌ أَوْ نِيَاحَةٌ وعن أُسَامَةَ بن زَيْدٍ قَالَ كُنَّا عندَ النبي ﷺ فأرْسَلَتْ إليهِ إحْدَى بَنَاتِهِ تَدْعُوْهُ وتخبره أنَّ صَبِياً لها في المَوْتِ .

فَقَالَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ ارْجِعْ إلَيْهَا فأَخْبِرْهَاا أَنَّ لِلَّهِ ما أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَىٰ وكُلُ شيْءٍ عِنْدَهُ بأَجَلٍ مُسَمَّى فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ ولتَحْتَسِبْ فَعادَ الرسُولُ فقالُ إنَّهَا اقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا .

قال فقامَ النَّبيُّ ﷺ وقام سَعْدُ بنُ عُبادَةَ وَمَعَاذُ بنُ جَبَلٍ قَالَ فانطلقتُ مَعَهُم فَرُفِعَ إلَيْهِ الصَّبِيُ وَنَفْسَهُ تَقَعْقَعُ كأَنَّهَا في شَنَّةٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ فقال سَعْدٌ ما هَذَا يا رَسُوْلُ اللَّهِ قال هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ في قُلُوبِ عِبَادِهِ وإنَّما يَرْحَمُ اللَّهُ مِن عِبَادِهِ الرُحَمَاءُ متفق عليه .

شـــعراً :

إنْ كُـنتَ ترجُـو مِـن الرحمـن رحمَتَهُ ... فارْحَمْ ضِعَافَ الوَرَىَ يَا صَاحِ مُحْتَرِمَا
وأقصُــدْ بذَلِـك وَجْــهَ الله خَـالِقَنَا ... سُبْحَانَه مِـن إلٰهٍ قَـدْ بَـرى النَّسَمَا
وَاطْلُبْ جَـزا ذاكَ مِن مَولاَكَ رَحْمَتَه ... فـإنَّمـا يَرْحَـمُ الرحْمَـنُ مَـنْ رَحِمَـا

آخر : إصْبِرْ لِمُرِّ حَوادِثِ تَجْـرِي ... فَلَتَحْمِدَنَّ مَغَبَّـــةَ الصَّبْــرِ
واجْهَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ مِيْتَتِهَـــا ... واذْخَرْ لِيَومٍ تَفَاضُلِ الذُخْــرِ
فَكَأَنَّ أَهلَكَ قدْ دَعْوكَ فَلَمْ ... تَسْمَعْ وأنتَ مُحَشرَجُ الصَّدْرِ
وكأَنَّهُمْ قدْ قَلَّبُوك عَـــلَى ... ظَهْرِ السَّرِيروأنتَ لا تَدْرِي
وكأَنَّهُمْ قدْ زوَّدُوكَ بِمَـــا ... يَتَزَوَّدُ الهَلْكَى مِنَ العِطْـــرِ
ياليتَ شِعْرِي كَيْفَ أنتَ إذَا ... غُسِّلتَ بالكَافُـــورِ والسِّدْرِ
أوْلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أنتَ عَلى ... نَبْشِ الضَّرِيْحِ وظُلْمَةِ القَبْرِ
ياليتَ شِعْرِي ما أقـــولُ إذَا ... وُضِعَ الكتابُ صَبِيْحَةَ الحَشْرِ
ما حُجَّتِي فيمَـــا أتيتُ عَلى ... عِلْمٍ ومَعْرِفَةٍ وما عُـــذْرِي

ياسَوْأَتا مِمَّا اكْتَسَبْتُ وَيَــا أَسَفِيْ على مَا فَاتَ مِنْ عُمْرِي
أَلاَّ أَكُونُ عَقَلْتُ شَأْنِي فاسْتَقْـ بَلْتُ ما اسْتَدْبَرْتُ مِنْ أَمْرِي

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قلوبَنَـا على دِيْنِكَ وأَلْهِمْنَا ذِكرَكَ وشُكرَكَ واخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ واغفِرْ لَنَا ولوالِدَيْنَا وَجَمِيعِ المسلمينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلَّى اللَّهُ على محمدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فصــــــل)

وَلَمَّا ثَقُلَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ الكَرْبُ فقالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عنها واكَرْبَ أَبَتَاهُ فقال لَيْسَ على أَبِيْكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ فَلَمَّا مَاتَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَتْ يا أَبتاهْ أَجَابَ رَباً دَعَاهُ يا أَبَتَاه جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ يَا أَبَتَاهُ إلى جِبْرِيْلَ نَنْعَاهُ .

فَلَمَّا دُفِنَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ الله عنها يا أنسُ أطابَتْ أَنْفُسُكُم أَنْ تَحْثُوا على رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم التُرَابَ .

وَلَمَّا بَلَغَتْ أَبَا بَكْرٍ وَفَاةُ رَسُوْلِ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وسلم وكانَ نَائِمَا عندَ إبْنِهِ خـارِجَـةَ بالسُّنْخِ جَاءَ حَتَّى دَخَلَ على رسول اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم فَكَشَفَ عَن وجْهِهِ وَوَضَعَ فَمَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى صُدْغَيْهِ وَقَالَ وانبِيَّاهْ واخَلِيْلاَهْ واصَفِيَّاهْ وَخَنَقَهُ البُكَاءُ ثم خَرَجَ لِلناسِ وَعُمَرُ يُكلمهُم فقال اجْلِسْ يَا عُمَرُ قال أَبُو بكر أما بَعْدُ :

مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ قال اللهُ تعالى ﴿ وما مُحَمَّدٌ إلا رسولٌ قد خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُسُلُ أَفَائِنْ ماتَ أو قُتِلَ انقَلَبْتُمْ على أعقابِكُم ومَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شيئاً وسيجزي اللهُ الشاكرينَ ﴾ .

قال : فَوَاللهِ لَكَأَنَّ النَاسَ لم يَعْلَمُوا أنَّ اللهَ أنْزَلَ هَذِهِ الآيةَ حَتَّى تلاَهَا أبُو بَكْرٍ فَتلاَهَا منهُ الناسُ كُلُّهُم فَمَا أَسْمَعُ بَشَراً مِن الناس إلا يَتْلُوها ويَقُولُ حَافِظُ إبراهيم في عُمُرَ حَوْلَ هذِهِ الآيةِ وَبَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ واسْرَاعِ عُمَرَ رضِيَ اللهُ عنه في مُبَايَعَةِ أبِي بكرٍ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ وَلَمِّهِ شَعَثَ المُسْلِمينَ عندَ الاختلاف .

وَمَوْقِفٍ لَكَ بَعْدَ المُصْطَفى افْتَرَقَتْ
فِيهِ الصَّحَابَةُ لَمَّا غَابَ هَادِيْهَا
بَايَعْتَ فِيْهِ أَبَا بَكْرٍ فَبَايَعَهُ
عَلَى الخِلاَفَةِ قَاصِيْهَا وَدَانِيْهَا
« وأُطْفِئَتْ فِتْنَةٌ لَوْلاَ إلٰـهُ غَشَتْ »
بَيْنَ القَبَائِلِ وانْسَابَتْ أَفَاعِيْهَا
بَاتَ النَّبِيُّ مُسَجَّى في حَظِيْرَتِهِ
وأَنْتَ مُسْتَعِرُ الأَحْشَاءِ دَامِيْهَا
تَهِيْمُ بَيْنَ عَجِيْجِ الناسِ في دَهَشٍ
مِن نَبْأةٍ قَدْ سَرَى في الأَرْضِ سَارِيْهَا
تَصِيْحُ مَن قَالَ نَفْسُ المُصْطَفَى قُبِضَتْ
عَلَوْتُ هَامَتَهُ بِالسَّيْفِ أَبْرِيْهَا
أَنْسَاكَ حُبُّكَ طَهَ أَنَّهُ بَشَرٌ
يُجْرِي عليهِ شُؤُونَ الكَوْنِ مُجْرِيْهَا
وأَنَّـهُ وَارِدٌ لا بُـدَّ مَوْرِدَهُ
مِنَ المَنِيَّةِ لاَ يُعْفِيْهِ سَاقِيْهَا
نَسِيْتَ في حقِّ طَه آيَةً نَزَلَتْ
وَقَدْ يُذَكِّرُ بالآياتِ نَاسِيْهَا

ذَهِلْتَ يَـوْمَـاً فَكَـانَتْ فِتْنَـةٌ عَمَمٌ
وثَـابَ رُشْـدُكَ فـانْجَـابَتْ دَيَاجِيْهَـا
فَلِسَّقِيْفَـةِ يَـوْمَـاً أَنْـتَ صَـاحِبُـهُ
فِيـهِ الخِـلاَفَـةُ قَـدْ شِيْـدَتْ أَوَاسِيْهَـا
مَـدَّتْ لَهَا الأَوْسُ كَفاً كَيْ تَنَاوَلَهَا
فَمَدَّتِ الخَـزْرَجُ الأَيْـدِيْ تُبَـارِيْهَـا
وَظَـنَّ كُـلُ فَـرِيْقٍ أَنَّ صَـاحِبَهُـمْ
أَوْلَى بِهَـا وَأَتَى الشَّـحْنَـاءَ آتِيـْهَـا
حَتَّى انْبَـرَيْتَ لَهُمْ فَـارْتَـدَّ طَـامِعُهُمْ
عَنْهَـا وآخَى أَبُـو بَكْـرٍ أُوَاخِيْهَـا
وَقَـوْلَـةٌ لِـعَـلِيٍّ قَـالَـهـا عُـمَـرٌ
أَكْـرِمْ بِسَـامِعِهَـا أَعْـظِمْ بِمُلْقِيْهَـا
حَـرَّقْتُ دَارَكَ لاَ أُبْقِي عَلَيْكَ بِهَـا
إِنْ لَمْ تُبَـايِعْ وَبِنْتُ المُصْـطَفَى فِيْهَا
مـا كانَ غَيْرُ أَبِي حَفْصٍ يَفُوْهُ بِهَـا
أَمَـامَ فَـارِسِ عَـدْنَـانٍ وَحَـامِيْهَـا
كِـلاَهُمَـا في سَبِيْـلِ الحَقِّ عَـزْمَتُـهُ
لاَ تَنْثَنِيْ أَوْ يَكُـونُ الحَقُّ ثَـانِيْهَـا

اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنْ الخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُوْ وَاصْرِفْ عَنَّا مِنْ السُّوْءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ . اَللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوْبَنَا بِرَجَائِكَ وَاقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اَللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوْبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمَ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيْرًا يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ اَللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوْكِ سَبِيْلِ عِبَادِكَ الأَخْيَارِ وَاغْفِـرْ لَنَا

وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

مَوْعِظَة

عِبَادَ اللّه إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا قستْ واسْتَوْلَى عَلَيْها حُبُّ الدُّنْيا دَوَاؤُهَا النَّافِعُ بِإذْنِ اللّهْ ذِكْرُ اللّهْ جَلَّ وَعَلا وَتِلاَوَةِ كِتَابِهِ الْعزِيْزِ وَزِيَارَةُ الْمقَابِرِ لِترَى فِيْها بِعَيْنِكَ مَا صَارَ إِلَيْهِ الأكَابِرْ والاَصَاغِرْ تَرَى فِيْهَا الْمُلوكَ والْوُزَرَاءَ وَالْوُجَهاءَ والْجَبَابِرةَ والظَّلَمَةَ والْمُتَكَبِّرِيْنَ والفَسَقَةَ صَرْعَىٰ فِي ضِيْقِ تِلْكَ الْحفَائِرْ وَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا عَلَى سَعَتِهَا تَضِيْقُ عَمَّالَهُمْ مِنْ آمالٍ وَأَمَانِيْ .

وَتَرَى هُنَاكَ أَحِبَّاءَ اللّهِ وَأَوْلِيَاءَهُ وَعِبَادَه الصَّالِحْين الْكُلُّ حكَمَ عَلَيْهِ الْعَزِيزُ الْحَكِيْمُ الْقَهَّار بالمَوْتَ فَلَبَّوا طَائِعِيْنَ أَوْ مُكْرَهِيْن وأصْبَحَ الْكُلُّ مُنْفَرِداً لا أَنِيْسَ لَهُ إلا ما قَدَّمَهُ مِن الأعمالِ فالمُطِيعُ لِلهِ الّذِيْ امْتَثَلَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ وانْتَهَى عَمَّا نَهى اللّهُ عَنْهُ في رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةْ وَعِنْدَهُ عَمَلُهُ الصَّالِحْ .

وَأَمَّا الآخَرْ فَلَوْ أَنْطَقَهُ اللّهُ لَقَالَ لَكَ كَلاماً تَقَطَّعُ لَهُ الْقُلُوبُ حَسَرَات يَقُولْ إِنَّ الْحَكَمُ الْعَدْلُ جَازَانِي بِمَا اسْتَحِق وَإِنِّي بِعَذَابٍ لاَ تَحْتَمِلُهُ الْجِبَال الرَّاسِيَات وَإِنِّي مُسْتَحِقٌ لِذَلِك لِأَنِّي اغْتَرَرْتُ بالدُّنْيَا وَزَخَارِفَها فَلَمْ أعْبَأْ بِأوَامِرِ رَبِّي وَلاَ نَواهِيْهِ واقْتَحَمْتُ الْمُوبِقَاتِ لِذَا صِرْتُ إِلَى مَا لَوْ رَأَيْتَهُ لِصَعِقْتَ وَذَهِلْتَ وَغُشِيَ عَلَيْكَ ، وَمُلِئْتَ رُعْبا وَاشْتَعَلَ شَعْرُك شَيْبا وَلَمْ تَنْتَفِعْ بَعْدَ قَوْلِهِ بِأكْلٍ وَشُرْبٍ وَرَأَيْتَ أَحْدَاقاً عَلى الخُدُودِ سَائِلةً ، وَرَأَيْت أَعْظُماً غَيْرَ مُتَمَاسِكةٍ وَأَوْصَالاً مُتَقَطَّعةً وَرَأَيْت جَمَاجماً قَدْ عَلاَهَا الدُّوْدُ

والْخَشَاشُ كأَنَّها الْانَابِيْبُ وَرَأَيْتَ مَا كَانَ مُجْتَمِعاً مُتَفَرّقاً رَمِيْما وَرَأيْتَ الصَّدِيْدَ وَالْقَيْحَ يَجْرِي فَيَالَهُ مِنْ مَنْظِرٍ مَا أَفْزَعَهُ وَيالَهُ مِنْ سَفَرٍ مَا أَطْوَلَهْ .

وَالْعَجبْ مِمَّنْ يَزُوْرُ الْقُبورَ وَيَسْمَعُ ذَلِكَ وَيُصَدِّقُ بِهُ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَنَامُ مُطْمَئِنّاً مَا كَأَنَّهُ سَيسَاكِنهُمْ عَنْ قَرِيْبٍ ، مَاتَتِ الْقُلُوبُ فأصْبَحَتْ لَا تَنْتَفِعُ بالْوَعْظِ والتّذْكِيرْ وَلاَ بِزَاجِرِ الْمَوْتِ وَهْوَ أبْلَغُ زَاجِرٍ لِلأحْيَاءِ فَزُرْ يا أَخِي الْقُبُورَ مُعْتَبِرَا وانْتَبِه مِنْ هَذِهْ الْغَفْلَةِ فالْمَوْتُ مَهْمَا مُدَّ فِي عُمُرِكْ لاَبُدَّ أَنْ يَأْتِيْكَ فَكُنْ مِنْهُ عَلى حَذَرٍ فإِنّهُ لاَ يُؤْمَنُ أَنْ يَفْجَاكَ وَأَنْتَ سَارِحٌ فِي أَوْدِيَةِ الدّنْيَا . وَمَا أَكْثَرَ مَوْتِ الْفُجْأَةْ فِي زَمَنِنَا بَوَاسِطَةِ السَّيَّارَاتِ وَالْقَزْ والكَهْرَبَاء والطَّائِرَاتِ وَنَحْو ذَلِكْ .

شعـراً :

تَحُــومُ عَلَيْنَـا للمَــنَـايَـا حَـوَائِـمُ
كَـأَنَّـا حُبُـوْبٌ والحِـمــامُ حَمَـائِـمُ

وَلَــمْ أرَ كالـدُّنْيَـا حِبَـالَـةَ صَـائِـدٍ
تُرَى النَمْـلُ في أَشْـرَاكِهَـا والضَّـرَاغِمُ

وَلَـوْ عَلِمَـتْ مِنْـهُ الـبَّـهَـائِـمُ عِلْمَنَـا .
إذاً هُـزِلَـتْ خَـوْفَ المنُـونِ البَهـائِـمُ

حَيَــاةٌ ومَــوْتٌ ذَا لِـذاكَ مُبَـايِـنٌ
وبَـيْنَهُـمَــا لِلَّنـائِبَــاتِ تَــلازُمُ

فَيَـا صَــاحِبِي رَافِــقْ رَفِيقــاً يَمَـانيـاً
فَـإِنّـكَ لِلْـبَرْقِ الـشـآمِـيِّ شَــائِـمُ

ونَـادِمْ نَـدامَـاكَ الـتُّـقَـا وصِحَـابَـهُ
فـإِنّـكَ يَــوْمــاً للمـنَــايَـا مُنَــادِمُ

آخـــر :

هُـوَ الْمَـوْتُ فَاحْـذَرْ أَنْ يَجِيْئَـكَ بَغْتَـةً
وأَنْتَ عَلى سُـوءٍ مِـنَ الْفِعْـلِ عَـاكِـفُ

وَإِيَّـاكَ أَنْ تَـتْرَكَ مِـنَ الـدّهْـرِ سَـاعَـةً
وَلاَ لَحْظَـــةً إلاّ وَقَـلْبُـكَ وَاجِـــفُ

وَبَـادِرْ بِأَعْـمَـالٍ يَسُـرُّكَ أنْ تُـرى
إِذَا نُشِـرَتْ يَـوْمَ الْحِسَـابِ الصَّحَـائِفُ

آخـــر :

فما مِـن صَبَـاحٍ جـاءَ إِلَّا مُـؤَدِبـاً
لأَهْـلِ العُقـولِ النـافِـذاتِ البَصَـائِرِ

أُبَيـدتْ قُـرونٌ قَبْـلُ قَـدْ كُـنتَ بعـدَها
وأَنْـتَ عـلى لَهْـوِ القُـرونِ الأَصَـاغِـرِ

كَـأَنَّكَ لَـم تَـدفُـنْ حَميمـاً ولـم تَكُـنْ
لـه فـي حِيـاظَ المـوتِ يَومـاً بِحـاضِـرِ

نَسِـيتَ لَظَـى عِنـدَ ارْتِكَابِكَ لِلْهَـوَى
وأَنْـتَ تَـوقَّـى حَـرَّ شَـمْسِ الهَـوَاجِـرِ

آخر :

كأنَّكَ قد رَحَلْتَ عن المَبَاني ... وَوَارَتْكَ الجَنَـادِلُ والصَّعِيْـــدُ
ونادَاكَ الحَبِيْبُ فَلَمْ تُجِبْهُ ... وقُرْبُكَ مِنْهُ في الدنيا بَعِيْدُ
وأَصْبَحَ مَالُكَ المجْمُوعُ نَهْباً ... وعُطِّلَ بَعْدَاكَ القصرُ المَشِيْدُ
وَصَارَ بَنُـوكَ أيْتَاماً صِغَاراً ... وعَانَقَ عِرْسَكَ البَعْلُ الجَدِيْدُ
وأَكْبَرُ مِنْهُ أنَّكَ لَسْتَ تَدْرِي ... شَقِيٌّ أنْتَ ويْحَكَ أَمْ سَعِيْدُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأبْرارِ وأَسْكِنَّا مَعَهمُ في دارِ القرارَ ، اللهم وفقنا بِحُسْنِ الاقبالِ عَليك والإصْغَاءِ إليك ووَفّقنْا لِلتعاوُنِ في طَاعَتِكَ والمُبَادَرَةِ إلى خِدْمَتِكَ وحُسْنِ الآداب في مُعَامَلَتِكَ والتّسليم لِأَمْرِك والرِّضا بِقَضَائِكَ والصَّبْرِ عَلى بَلائِكَ والشّكْرِ لِنَعْمَائِكَ ، واغفرَ لَنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتِكَ يا أرْحَمَ الراحمين وصلى الله على محمدٍ وآلِهِ أجمعين .

(فَصْلٌ)

وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ رَضْي اللّهُ عَنْهُ وَسُجّي عَلَيْهِ اِرْتَجَّتِ الْمدَيْنَةُ بالْبُكَاء فَجَاءَ عَليٌّ بْنُ أَبِيَ طَالِبِ رَضْيَ اللّهُ عَنْـهُ مُسْتَعْجِلاً مُسْتَرْجِعاً حَتَّى وَقَفَ عَلى الْبَيْتِ الّذِي فِيْهِ أبُو بَكْر .

فَقَالَ رَحِمَكَ اللّهُ يَا أَبَا بَكْرٍ فَلَقَدْ كُنْتَ اِلْفَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهَ عَلَيْهِ وَسلّمْ وَأَنِيسَـهُ وَمُسْتَرَاحَهْ وَثِقَتَهُ وَمَوْضِعَ سِرِّهْ وَكُنْتَ أَوَّلَ الْقَوْمِ إسْلاَمَا وَأَخْلَصَهُمْ إيْمَانَا وَأَشَدَّهُمْ لِلّهِ يَقِيْنَا وَأَخوَفَهُم لِلّه وَأَعْظَمَهُمْ غِنَاءٍ فِي دِيْنِ اللّهِ عَزَّ وَجَلْ وَأَحْوَطَهُمْ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمْ .

وَأَحْسَنَهُمْ صُحْبَةً وَأَكْثَرَهُمْ مَنَاقِبْ وَأَفْضَلَهُمْ سَوابِقَا وَأَرْفَعَهُمْ دَرجَة وَأشْبَهَهُمْ بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمْ خُلُقاً وَفَضْلاً وَهَدْياً وَسَمْتَا وَأكْرَمَهُمْ عَلَيْهِ فَجزاكَ اللّهُ عَنِ رَسُولِهِ وَعَنِ الاسْلاَمِ وَالْمُسْلِمِيْن خَيْراً .

صَدَّقْتَ رَسُولَ اللّهِ حِيْنَ كَذَّبَهُ النَّاسْ وَوَاسِيْتَهُ حِيْنَ بَخِلُوا وَقُمْتَ مَعَهُ حِيْنَ قَعَدُوا وَكُنْتَ عِنْدَهُ بِمَنْزِلِهِ السَّمْعِ وَالْبَصَر وَسَمَّاكَ اللّه فِي كِتَابِهِ صِدِّيْقاً فَقَال وَالّذِي جَاءَ بالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهْ .

وَصَحِبْتَهُ فِي الشَّدَةِ أَكْرَمَ صُحْبَةٍ ثانِي اِثْنِيْنِ وصَاحِبَـهُ فِي الْغَارِ وَالْمُنَزلُ عَلَيْهِ السَّكِيْنَة وَرَفِيْقَه فِي الْهِجْرَةْ .

وَخَلَفْتَهُ فِي دِيْنِ اللَّهِ وَأُمَّتِهِ أَحْسَنَ الْخِلاَفَةْ حِيْنَ ارْتَدُّوا فَقُمْتَ بِالأمْر مَا لَمْ يَقُمْ بِهِ خَلِيْفَةُ نَبِيٍ نَهَضْتَ حِيْنَ وَهَنَ أَصْحَابُهُ وَبَرَزْتَ حِيْنَ اسْتَكَانُوا وَقَوِيتَ حِيْنَ ضَعُفُوا .

وَلَزِمْتَ مِنْهَاجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كُنْتَ خَلِيْفَةَ رَسُولِ اللَّهِ حَقًّا لَنْ تُنَازَعَ وَلَنْ تُضَارَعَ بِرَغْمِ الْمُنَافِقِيْن وَكَبْتِ الْحَاسِدِيْن قُمْتَ بِالأَمْرِ حِيْنَ فَشِلُوا واتَّبَعُوكَ فَهُدُوا كُنْتَ أَخْفَضَهُمْ صَوْتَا وَأَقَلَّهُمْ كَلاَمَا وأَصْدَقَهُمْ مَنْطِقا وأَبْلَغَهُمْ قَوْلاَ وأَشْجَعَهُمْ نَفْسا وأَشْرَفَهُمْ عَمَلاَ .

كُنْتَ لِلْمُؤْمِنِينَ رَحِيْمَا حِيْنَ صَارُوا عَلَيْكَ عِيَالاَ حَمَلْتَ أَثْقَالَ مَا عَنْهُ ضَعُفُوا وَرَعَيْتَ مَا أَهْمَلُوا وَعَلِمْتَ مَا جَهِلُوا وَصَبَرْتَ إِذْ جَزِعُوا وَرَاجَعُوا بِرَأْيِكَ رُشْدَهُمْ فَظَفِرُوا وَنَالُوا بِرَأْيِكَ مَا لَمْ يَحْتَسِبُوا .

كُنْتَ كَمَا قَالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَمَنَّ النَاسِ عليه فِي صُحْبَتِكْ وَذَاتِ يَدِكْ وَكُنْتَ كَمَا قَال ضَعِيْفاً فِي بَدَنِكَ قَوِّياً في أمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلْ مُتُوَاضِعاً فِي نَفْسِكْ عَظِيْماً عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلْ جَلِيْلاً فِي أَعْيُنِ النَّاسْ كَبِيْراً في أَنْفُسِهِمْ ، لَمْ يَكُنْ لأَحَدٍ فِيْكَ مَغْمَزٌ وَلاَ لِقَائِلٍ فِيْكِ مَهْمَزٌ الضَّعِيْفُ الذَّلِيْلُ عِنْدَكَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ حَتَّى تَأْخُذَ بِحَقِّهْ الْقَرِيْبُ والْبَعِيْدُ عِنْدَكَ سَوَاء .

وَأَقْرَبُ النَّاسِ عِنْدَكَ اطْوَعَهُمْ لِلَّهْ وَأَتْقَاهُمْ ، شَأْنُكَ الْحَقُّ والصِّدْقُ والرِّفْقُ اِعْتَدَلَ بِكَ الدِّيْن وَقَوِيَ بِكَ الإِيمَانْ فَسَبَقْتَ وَاللَّهِ سَبْقاً بَعِيْد وَاتْعَبْتَ مَنْ بَعْدَكَ إتْعاباً شَدِيْدا رَضِيْنَا عِنِ اللَّهِ قَضَاءَهُ وَقَدَرَهُ وَسَلَّمْنَا لَهُ أمْرَهْ .

وَاللَّهِ لَنْ يُصَابَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ

بِمِثْلِكَ أبَدًا ، كُنْتَ لِلدِّيْنِ عِزًّا وَحِرْزًا وَكَهْفًا فالْحَقك اللّهُ بَنَبِيّكِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمْ وَلاَ حَرَمَنَا أجْرَكَ وَلاَ أضَلَّنَا بَعْدَكَ فَسَكَتَ النَّاسُ حَتَّى قَضَى كَلامَهُ ثُمّ بَكَوا حَتّى عَلَتْ أصْوَاتُهُمْ .

وَقَالُوا صَدَقْتَ يا خَتَنَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلّم وَلَمَّا مَرِضَ أبُو بَكْرٍ رَضْيَ اللّهُ عَنْهُ تَرَكَ التَّطَبُّبَ تَسَلُّمَاً لأمْرِ اللّهِ تَعَالى فَعَادَهُ الصَّحَابَةُ رَضْيِ اللّهُ عَنْهُمْ فَقَالُوا ألاَ نَدْعُوا لَكَ طَبِيْبًا يَنْظُرُ إلَيْكَ فَقَالَ نَظَرَ إليّ قالُوا وَمَا قَالَ قَالَ إنِّي فَعَّالٌ لِمَا أُرِيْدُ واسْتَخْلَفَ فِي مَرَضِهِ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بِمُشَاوَرَةِ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةْ .

شِعْرا :

لِلْمَوْتِ فَاعْمَلْ بِجِدٍ أيُّهَا الرَّجُلُ
واعْلَمْ بِأنَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ مُرْتَحِلُ
إلَى مَتَى أنْتَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ
تُمْسِي وَتُصْبِحُ في اللَّذَّاتِ مُشْتَغِلُ
كَأنّنِي بِكَ يَاذَا الشَّيْبِ فِي كُرَبٍ
بَيْنَ الأحِبَّةِ قَدْ أوْدَى بِكَ الأجَلُ
لَمَّا رَأوكَ صَرِيْعاً بَيْنَهُمْ جَزِعُوا
وَوَدَّعُوكَ وقَالُوا قَدْ مَضَى الرَّجُلُ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ يَا مِسْكِيْنُ فِي مَهَلٍ
مَا دَامَ يَنْفَعُكَ التّذْكَارُ وَالْعَمَلُ
إنَّ التَّقِيَّ جِنَانُ الْخُلْدُ مَسْكَنُهُ
يَنَالُ حُوْراً عَلَيْهَا التَّاجُ وَالْحُلَلُ

وَالْمُجْـرِمِيْنَ بِنَـارٍ لا خُمُـودَ لَهَـا
فِي كُـلِّ وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ تَشْتَعِـلُ

روي أن عُبيدَ الله بنَ عبدالله بنَ عتبةَ بنَ مسعود رحمه الله بَاعَ دَاراً بمأتين ألف درهم فقيل له لو اتخذتَ مِن هذا المال ذُخراً فقال أنا أجْعَل هَذا المالَ ذُخْراً لي عندَ اللّهِ واجعلُ اللّهَ سبحانَه ذُخْراً لِوَلَدِي ثم تَصدَّقَ بالمال كله .

شِعْرَا :

تَغَطَّ بأَثْواب السَّخَـاإِ فإِنَّنِـي أَرَى كل عَيْبٍ والسُّخَاءُ غطَاؤُهُ
وَقَارِنْ إِذَا قَارَنْتَ حُراً فإِنّما يَزِيْنُ ويُزرِي بالفَتَى قُرنَـاؤُهُ
وَيُظْهِرُ عَيْبَ المرء فِي الناسِ بُخْلُهُ ويَسْتُرهُ عَنْهُم جَمِيْعاً سَخَاؤُهُ

آخـــر :

وَقَائِلةٍ مَا بَال مَالَكَ ناقصاً وأَمْوالُ كُلِّ العَالَمِيـنَ تَزِيْـدُ
فَقُلْتُ لَهَا إِنّي أَجُودُ بمَاَ حَوَتْ يَدَيَ وَبَعْضُ الناسِ لَيْسَ يَجُوْدُ

آخـــر :

المالُ يَغْشَى رِجالًا لَاسَمَاحَ لَهُمْ كَالسَّيْلِ يَغْشَى أُصُولَ الدَّمْدمِ البَالِي
أَصُوْنُ عِرْضي بِمَالِي لا أُدَنّسِهُ لَا بَارَكَ الله بَعْدَ العِرْضِ في المالِ
أَحْتَال لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فأَكْسِبُهُ وَلَسْتُ لِلْعِرْض إن أودى بِمُحْتَالِ

جاءت إِمْمرأةً إلى الليث ابن سَعْد بإِناءٍ صغير تطلب منه عَسَلًا وقالت إن زَوجي مرِيْض فأمر لها بِقِرْبة ملآنة عَسَلًا فقيل له إنها طلبت قدحاً صَغيراً فقال إنما طَلَبَتْ على قدرها ونَحْنُ أعْطَيناها على قدرنا وجاءَ رَجُل إلى سعيد بن العاص يسأله شيئا فأَمَرَ لَهُ بخمْسِمائة وأَطْلَقَهُ فقال الرجل مُسْتَفْهِماً مَن سَعِيْد هذه دَنَانِير أَوْ دَرَاهم فقال سَعِيْدُ ما أَرَدْتَ إلا الدراهم ولكن حَيْثُما تَرَدَدْتَ أَنْتَ فى ذلك فَغَيّرَهَا دَنانِيْرَ فجَلسَ الرجُل يُبْكي فقال سَعَيْدُ مَا يُبْكِيْكَ فقال أبْكِي على رَجلٍ مِثلَك يَنْزِلُ تَحْتَ التُرَاب .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلوبِنا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَيَسِّرْنا لِلْيُسْرَى وَجَنِّبْنا العُسْرَى وَاغْفِرْ لَنا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وَقَالَ أبُو بَكْرٍ رَضْيِ اللَّهُ عَنْهُ نِعْمَ الْوَلِيُ عُمَرُ أَمَا أَنَّهُ لاَ يَقْوَى عَلَيْهِمْ غَيْرُه وَمَا هُوَ بِخَيْرٍ لَهُ أنْ يَلِيَ أمْرَ أُمَّةِ مُحَمّدٍ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسلم إنَّ عُمَرَ رآى لِيْناً فاشْتَدَّ وَلَوْ كَانَ وَالِياً لَلاَنَ لِأَهْلِ اللّيْن ثُمَّ دَعَا بِعُثْمَانَ بْنِ عَفّانَ رَضْيَ اللّه عَنْهُ .

فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ هَذَاَ مَا عَهِدَ بِهِ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ اِلى الْمُسْلِمِيْن أَمّا بَعْد فَانِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْه فَكَتَبَ عُثْمان عُمَرَ بْنَ الْخطَّابْ لِمَا سَمِعَ مِنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ ثُمَّ أفَاقَ أبُو بَكْرٍ فَقَالَ اقْرَأ عَلَيَّ مَا كَتَبْت فَقرأ عَلِيْه ذِكْرَ عُمَرَ فَقَالَ جزاكَ اللّهُ عَنِ الإسْلاَمِ وأهْلِه خَيْرًا .

ثُمَّ رَفَعَ أَبُو بَكْرٍ يَدَيْه فَقالَ اللّهُمَّ إنِّي وَلَّيْتُ خَيْرَهُمْ وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إلاَّ صَلاَحَهُمْ وَخِفْتُ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَة وَفَعَلْتُ فِيْهِمْ مَا أنْتَ أعْلَم وَقَدْ حَضَرَنِي فِي أمْرِي مَا قَدْ حَضَرُ فاجْتَهَدْتُ لَهُمْ الرَّأْيَ وَوَلَّيْتُ عَلَيهِمْ خيْرَهُمْ هُوَ أقْوَاهُمْ عَلَيْهِمْ وَاحْرَصُهَم عَلى رُشْدِهِمَ وَلَمْ أُرِدْ مَحُابَاةَ عُمْرَ وَأنَا خَارِجٌ مِنَ الدّنْيا وَداخِلٌ في الآخِرَةَ فاخْلُفْني فِيْهِمْ فَهُمْ عِبادُكَ وَنَواصِيْهِمْ بِيَدِك .

أَصْلِحْ لَهُمْ وَالِيْهِمْ عُمَرْ ، واجْعَلْهُ مِنْ خُلَفَائِكَ الرَّاشِدْين يَتْبَعُ هَدْيَ نَبِيِهِ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ وَهُدَى الصَّالِحْين بَعْدَهْ وأصْلِحْ لَهُ أمْرَ رَعِيَّتِه ، وَكَتَب بِهَذا الْعَهْدُ إلَى أُمَراءِ الأَجْنَادِ إنِّي قَدْ وَلَّيتُ عَلَيْكُمْ خَيْرَكُم ولَمْ آلُ نفسِيْ وَلا المسلِمينَ خَيْرًا .

ثُمَّ دَعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللّهُ عَنْهُ فَقالْ اِنِّي مُسْتَخْلِفُكَ على أصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمْ يا عُمَرُ اِنَّ لِلّهِ حَقّاً في اللّيْل لا يَقْبَلُهُ في النَّهَار وَحَقّاً في النِّهَارِ لاَ يَقْبَلُهُ في اللّيْل وَانَّها لاَ تُقْبَلُ نَافِلةٌ حَتَّى تُؤَدَّى فَرِيْضة وَاِنَّما ثَقُلَتْ مَوازِيْنُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِيْنُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ باتِّباعِهِمُ الْحَقَ وَثِقْلِه عَلَيْهِمْ وَحَقٌّ لِمِيْزانٍ لاَ يُوضَعُ فِيْهِ اِلاّ الْحَقُ غَداً أنْ يَكونَ ثَقِيْلاَ .

وَإِنَّما خَفَّتْ موازِيْنُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِيْنُه يَوْمَ الْقِيَامَةْ بِاتِّبَاعهْم الْبَاطِلَ في الدّنْيَا وَخِفَّتِهِ عَلَيْهِم وَحَقٌّ لِمِيْزَانٍ لا يُوْضَعُ فِيْهِ إلاّ الْبَاطِلَ أنْ يَكُونَ خَفِيْفَاً يَا عُمرُ إنّما نَزَلت آيةُ الرَّخاءِ مَعَ آيةِ الشِّدَّةِ وَآيَةُ الشِّدَّةِ مَعَ آيَةِ الرَّخاءِ لِيَكُونَ الْمؤمِنُ رَاغِباً رَاهباً فَلاَ تَرْغَبْ فَتَتَمَنَّى عَلى اللّهِ فِيْها مَا لَيْسَ لَكْ وَلاَ تَرْهَبْ رَهْبَةً تُلْقِى فِيْهَا مَا بِيَدِكْ.

يَا عُمَرُ إِنَّما ذَكَرَ اللّهُ أهْلَ النَّارِ بِأَسْوَءِ أعْمَالِهِمْ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانَ مِنْ حُسْنٍ فاذَا ذَكَرْتُهُمْ قُلْتُ إنّي لاَرْجُو أن لا أكُونَ مِنْ هَؤُلآءْ .

وَإِنَّما ذَكَرَ اللّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِأَحْسِنِ أعْمَالِهِمْ لِأَنَّه تَجاوَزَ لهُمْ مَا كَانَ مِنْ سَيٍّءٍ فَاذا ذَكَرْتُهُمْ قُلْتُ أيُّ عَمَلٍ مِنْ أعْمَالِهِمْ أعْمَلْ فَاِنْ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي فَلاَ يَكُنْ غَائِبٌ أحَبَّ اِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتَ وَهْوَ نَازِلٌ بِكْ وَإِنْ ضَيَّعَتَ وَصِيَّتِي فَلا يَكُنْ غَائِبٌ أكْرَهَ إِلَيْكَ مِنْ الْموت وَلَسْتَ تُعْجِزُهْ .

وَكَانَ رَضى اللّهُ عَلَيْهِ يَقُول اِعْلَمُوا عِبَادَ اللّه أَنَّ اللّهَ قَدِ اِرْتَهَنَ بِحَقّهِ أنْفُسَكُمْ وَأخذَ عَلى ذَلِكَ مَوَاثِيْقَكُمْ واشْتَرَى مِنْكُمْ الْقَلِيْلَ الْفَانِي بالْكَثِير الْبَاقِي وَهَذا كِتَابُ اللّهِ فِيْكُمْ لاَ تَفْنَى عَجَائِبُهْ وَلاَ يَطْفَى نُوْرُهْ فَصَدِّقُوا قَوْلَهْ وَاسْتَنْصِحُوا كِتَابَهُ واسْتَضِيئُوا مِنْه لِيَوم الظُّلْمَة .

وَقَالْتَ أُمُّ الْمُؤْمِنْينَ عَائِشَةرَضِيَ اللّهُعَنْهَا لَمَّا مَرِضَ أبُو بَكْرٍ مَرَضَهُ

الّذِي مَاتَ فِيْه قَالْ انْظُرُوا مَا زَادَ في مَالِي مِنْذُ دَخَلْتُ الْامِارَةَ فابْعَثُوا بِه إلى الْخَلِيْفَةِ مِنْ بَعْدِي فَنَظَرْنَا فإذا عَبْدُ نُوبِي يَحْمِلُ صِبْيانَه وإذَا نَاضِحٌ كَانَ يَسْقِي بُسْتَاناً لَهْ فَبَعْثنَاهُمَا إلى عُمَر فَبَكَى عُمْر .

وقَال رَحمَةُ اللّه على أبي بَكْر الصِّدِّيْق رَضى اللّه عَنْه وَخَطَبَ النَّاسَ فَحَمدِ اللّهِ وأثْنى عَلَيْه ثُمَّ قَال إن أكْيَسَ الْكَيْسِ التَّقْوىٰ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيْه فَلَمَّا اصْبَحَ غَدَا إلى السُّوق فقَالَ لَهُ عُمَر رَضى اللّهُ عَنْه أيْنَ تُرِيْدُ قَال السُّوْقَ قَال قَدْ جَاءكَ مَا يُشْغِلْك عَنِ السّوْق .

قَـال سُـبْحَـانَ اللّهِ يُشْغِلُـني عَنْ عِيَالِي قَالْ نَفْرِضُ بَالْمَعْرُوفْ قَالَ وَيْحَ عُمَر إني أخافُ أنْ لا يَسَعُني أنْ آكُلَ مِنْ هَذا الْمَالِ شَيْئا قَال فانْفق فِي سَنتَيْنِ وَبَعْضِ أخْرَى ثَمَانِيَة آلافِ دِرْهَم .

فَلَمَّا حَضَرَهُ الموتُ قَالْ قَدْ كُنتُ قُلْتُ لِعُمَرَ اِنّي أَخَافُ أَنْ لّاَ يَسَعُنِي أنْ آكُلَ مِنْ هَذا المْال شَيْئا فَغلَبَنِي فاذَا أنا مِتُّ فَخُذُوا مِنْ مّالِي ثَمانِيَة آلافِ دِرْهَم وَرُدُّوْهَا في بَيْتِ المالِ قَالَ فَلَمَّا أَتىٰ عُمَر قال: رَحِمَ اللّهُ أبَا بَكْرٍ لَقَدْ أتْعَبَ مَنْ بَعْدَه تَعَباً شَدِيْدا .

وَأَخْرَجَ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أبي بَكْرِ بْنِ حَفْصَ بْنِ عُمَرَ قَالَ جاءَت عَائِشَةُ رَضى اللّهُ عَنْها إلى أبِي بَكرٍ رَضْى اللّهُ عَنْه وَهْوَ يُعَالِجُ مَا يُعَالِجُ الْمَيِّتُ وَنَفَسُه في صَدْرِهِ فَتَمَثّلَتْ بِهَذَا الْبَيْت :

لَعَمْـرُكَ مَـا يُغْنِـي الثّـراءُ عَـنِ الْفَـتَى
إذا حَشْـرَجَتْ يَـوْمَـاً وضَـاق بِهَـا الصَّـدْرُ

آخر : وإذَا المِنيَّةُ أقْبَلَتْ لم تَثنِهَـا خَيْلٌ مُطَهَّمَـةٌ ولا أمْوَالُ

فَنظَر إلَيْهَا كالْغَضْبَانِ ثُمَّ قَالَ لَيْسَ كَذِلِكَ يَا أُمَّ الْمؤْمِنِين وَلِكَنْ:
« وَجَاءَتْ سَـكْرَةُ الْموتِ بالْحَقِّ ذَلِكَ ما كُنْتَ مِنْه تَحِيْد » إنِّي كُنْتَ

نَحَلْتُكِ حَائِطاً وَإنّ في نَفْسي مِنْهُ شَيْئا فَرُدّيهِ إلى الْميراثِ قَالْت نَعَمْ فَرَدَدْتُه فَقَالَ إنَّا مُنْذُ وَلِيْنا أمْرَ الْمُسْلِمين لَمْ نَأكُلْ لَهُمْ دِيْناراً وَلاَ دِرْهَمَا وَلَكِنَّنا قَدْ أكَلْنا مِنْ جَرِيْشِ طَعَامِهِمْ في بُطُونِنا وَلَبِسْنَا مِنْ خَشْنِ ثِيَابِهْم عَلَى ظُهُورِنَا وَلَيْسَ عَنْدي مِنْ فيءْ المُسْلِمين قَلِيْلٌ وَلاَ كَثِيرٌ إلاّ هَذَا الْعَبْدُ الْحَبَشِي وَهَذا الْبَعِيْرُ النّاضِحْ وَجُرْدُ هذِهِ القَطِيفَةِ فإذَا مِتُّ فابْعِثي بِهِنَّ إلى عُمَر وابْرَئِي مِنْهُنَّ فَفَعَلْتُ .

فَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولُ عُمرَ بَكَى حَتَّى جَعَلَتْ دُمُوعُهُ تَسِيْل في الأَرْض وَيَقُول : رَحِمَ اللّهُ أبَا بَكْر لَقَدْ أتْعَبَ مَنْ بَعْدَه رَحِمَ اللّهُ أبَا بَكْرٍ لَقَدْ أتَعْبَ مَنْ بَعْدَهْ يَا غُلاَمُ ارْفَعْهُن فَقَال عَبْدُ الرّحَمَنِ ابْنُ عَوْف رَضى اللّهُ عَنْه سُبْحَانَ اللّهْ تَسْلُبُ عِيَالَ أبِي بَكْر عَبْداً حَبَشِّياً وَبَعِيراً نَاضِحَاً وَجَرْدَ قَطِيفةٍ ثَمَنُ خَمْسَةِ دَراهِمْ .

قَالَ فَمَا تَأْمُر قَالَ تَرُدُّهُنَّ عَلَى عِيَالِه فَقَالَ لاَ والَّذي بَعَثَ مَحُمَّداً صَلّى اللّهُ عَليهِ وَسَلّمَ بالْحَق : ـ أوْ كَمَا حَلَف ـ لا يكُوُن هَذَا في ولاِيَتِي أبَدا وَلاَ خَرَجَ أبُو بَكْر مِنْهُنَّ عِنْدَ الْموت وَأرُدُّهُنَّ أنا على عِيَالِهْ ، الْموتُ أقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ

آخــر :

تِلْكَ الرجَالُ وغَبْنٌ أنْ يُقالَ لِمَنْ　　لم يَتَّصِفْ بمعَالِي وَصْفِهم رَجُـلُ

واللّهُ أعْلَمْ وصلّى اللّهُ على نَبِينا مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصحبه وَسَلَّمْ .

مَـوْعِظَـةٌ

ابْنَ آدمَ كأنّك بالْموتِ وَقَدْ فَجأَكَ وَألْحَقَكَ بِمَنْ قَدْ سَبَقْكَ مِنَ الأُمَمِ وَنَقَلَكَ مِنَ الْقُلَلِ والْعَـمائِـرِ إلَى بَيْتِ الْوِحدَةَ وَالْوحْشَةِ وَالظُّلَمِ وَمِنْ ذَلِكَ

إلى عَسْكَرِ الْمَوْتى مُخَيِّمَةً بَيْنَ الْخِيَمِ مُفَرِّقاً مِن مَّالِكَ مَا اجْتَمَعَ وَمِنْ شَمْلِكَ مَا انْتَظَمَ وَلَيْسَ لَكَ قُدْرَةٌ فَتَدْفَعُهُ بِكَثْرَةِ الأَمْوالِ وَلا بِقُوةِ الْخَدَمِ وندِمْتَ عَلى التَّفْرِيْطِ وَلاَتَ سَاعَةَ نَدَمْ .

فَيَا عَجباً لِعَيْنٍ تَنَامُ وَطَالِبُهَا مُجِدٌّ في طَلَبِهَا لَمْ يَنَمْ، مَتى تَحْذَرُ مِمَّا تُوعَدُ وَتُهدَدْ، ومَتى تَضرَّمُ نارُ الْخَوْفِ في قَلْبِكَ وتتوقّد، إلىَ مَتى حَسَناتُكَ تَضْمَحِلُ وَسيئاتُكَ تَتجدَّد، وإلى مَتى لا يَهُوْ لُكَ زَجْرُ الْوَاعِظِ وَانْ شَدَّدْ وَإلى مَتى وَأنْتَ بَيْنَ الْفُتُورِ وَالتّوانِي تَرَدَّدْ مَتى تَحْذَرُ يَوماً تَنْطِقُ فِيْهِ الْجُلُودُ وَتَشْهَدُ وَمَتى تُقْبِلُ عَلى مَا يَبْقَى وَتَتْرُكُ مَا يَفْنَىٰ وينفَدْ .

مَتَى تَهُبُّ بِكَ في بَحْرِ الْوُجْدِ رَيْحُ الْخَوْفِ والرَّجا مَتى تَكُونُ في اللّيْلِ قَائِماً إذَا سَجَى أيْنَ الَّذِينَ عَامَلُوا مَوْلاهُم بالاْخِلاصِ وانْفَرَدُوا وَقامُوا في الدُّجَى فَرَكَعُوا وَسَجَدُوا وَقَدِمُوا إلى بَابِه في الأَسْحَارِ وَوَفَدُوا وَصَامُوا هَواجِرَ النَّهارِ فَصَبَرُوا واجْتَهدُوا ، لَقَدْ سَارُوا وَتَخلفْتَ وَفَاتَكَ مَا وَجدُوا وَبَقِيْتَ في أعْقَابِهِمْ وإنْ لَمْ تُسْرِعْ وَتَجْتَهِدْ بَعُدُوا .

فَتَنَبَّهْ وَتَيَقَّظ يَا مِسْكِينُ قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئُكَ هَادِمُ اللَّذَّات فَلاَ تَقْدِرُ عَلى اسْتِدْرَاكِ لِمَا فَاتَ ، قَالَ اللّهُ جَلّا وَعَلاَ ﴿ وَأنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَ أحدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُوْلَ رَبِّي لَوْلاَ أخَرْتَنِي إلى أجَلٍ قَرِيْبٍ فَأصَّدَقَ وَأكُنْ مِنَ الصَّالِحِيْنَ. وَلَن يَوخِرَ اللّهُ نَفْساً إذا جَاءَ أجَلُها واللّهُ خَبيرٌ بِمَا تَعْمَلوْن ﴾ .

وَمُسْنَدُوْنَ تَعَاقَروا كأسَ الرَّدَي ... ودَعَا بِشُرْبِهِمُ الحِمَامُ فأسْرَعُوْا
بَرِكَ الزَّمانُ عَلَيْهِمُوْا بِجرَانِهِ ... وهَفَتْ بِهِم رَيْحُ الخُطُوب الزَّعْزَعُ
خُرُسٌ إذَا نَادَيْتَ إلاَّ أنَّهُمْ ... وعَظُوْا بِمَا يَزعُ اللَّبِيْبَ فَأسْمَعُوْا
والدَّهْرُ يَفْتِكُ بالنُّفُوسِ حِمَامُهُ ... فَلِمَنْ تُعَدُّ كَرِيْمَةٌ أوْ تُجْمَعُ

عَجَباً لِمَنْ يُبْقِيْ ذَخَائِرَ مَالِهِ ... ويَظَلُّ يَحْفَظُهُنَّ وهْوَ مُضَيَّعُ
ولِغَافِلٍ ويَرَى بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ ... مُلْقَى لَهُ بَطْنُ الصَّحَائِفِ مَضْجَعُ
أَتَرَاهُ يَحْسُبُ أنَّهُم مَا أَسْأَرُوْا ... مِن كَأْسِهِ أضْعَافَ مَا يَتَجَرَّعُ

اللهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأمْرِ والعَزِيْمَةَ عَلَى الرُّشْدِ وَنَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ وَنَسْأَلُكَ قَلْباً سَلِيْماً وَلِسَاناً صَادِقاً وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ وَللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلّى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ)

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمْ أَعْظَمُ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ التَّوْحِيْدُ ، وَعَلَى حَسْبِ كَمَالِهِ وَقُوَّتِهِ وَزِيَادَتِهِ يَكُونُ انْشِرَاحُ صَدْرِ صَاحِبِهِ ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى (٣٩ : ٢٢) ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ .

وَقَالَ ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهِ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً ، كَأَنَّمَا يَصَّعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ .

فالهُدَى وَالتَّوحِيْدُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ والشِّرْكُ والضلال من أعظم أسباب ضِيْقِ الصَّدْرِ.

وَمِنْهَا النُّورُ الَّذِي يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ ، وَهُوَ نُورُ الايمَانِ ، فَإِنَّهُ يَشْرَحُ الصَّدْرَ وَيُوَسِّعُهُ ، وَيُفَرِّحُ القَلْبَ ، فَإِذَا فَقَدَ هَذَا النُّورَ مِنَ القَلْبِ ضَاقَ وَحَرَجَ وَصَارَ فِي أَضْيَقِ سِجْنٍ وَأَصْعَبِهِ .

وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيْ فِي جَامِعِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ إذَا دَخَلَ النُّوْرُ الْقَلْبَ إنفَسَحَ وَانْشَرَحَ ، قَالُوا وَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ يَا رَسُوْلَ اللهِ ، قَالَ الإِنَابَةِ إلَى دَارِ الخُلُوْدِ ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُوْرِ ، وَالاسْتِعَدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نزُولِهِ .

فَنصِيْبُ الْعَبْدِ مِنْ انْشِرَاحِ صَدْرِهِ بِحَسْبِ نَصِيْبِهِ مِنْ هَذَا النُّوْرِ ، وكذَلِكَ النّوْرُ الْحِسّي وَالظُّلْمَةُ الْحِسِّيَّةُ ، هَذِهِ تَشْرَحُ الصّدْرَ وَهَذِهِ تُضَيِّقُهُ .

وَمِنْهَا الْعِلْمُ فَإِنَّهُ يَشْرَحُ الصَّدْرَ وَيوسِعُهُ ، حَتَّى يَكُونَ أَوْسَعَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَالْجَهْلُ يُوَرِّثُهُ الضِّيْقَ والحصْرَ والحَبْسَ ، فَكُلَّمَا اتَّسَعَ عِلْمُ الْعَبْدِ إنْشَرَحَ صَدْرُهُ وَاتَّسَعَ .

وَلَيْسَ هَذا لِكلِ عِلمٍ بَل لِلعِلمِ المُوْرُوْثِ عَنِ الرَّسُولِ صلى اللهُ عليه وسلَّم وَهُوَ العلْمُ النَّافِعُ ، فَاهْلُهُ أَشْرَحُ النَّاسِ صَدْرَاً ، وَأَوْسَعَهُمْ قُلُوباً ؛ وأَحْسَنُهمْ وَأَطْيَبُهُمْ عَيْشَاً .

قلت ولله در القائل :

اجْعَلْ جَلِيْسَكَ دَفْتَراً فِي نَشْرِهِ
لِلْمَيْتِ مِن حِكَمِ العُلُومِ نُشُورُ

فَكِتَابُ عِلْمٍ لِلأَدِيْبِ مُؤَانِسٌ
ومُؤَدِّبٌ ومُبَشِرٌ ونَذِيْرُ

ومُفِيْدُ آدَابٍ ومُؤْنِسُ وحْشَةٍ
وإذَا انْفَرَدْتَ فَصَاحِبٌ وسَمِيْرُ

وَمِنْهَا الأنَابَةُ إلَى اللّهِ تَعَالَى ، وَمَحَبَّتُهُ بِكُلِّ الْقَلْبِ ، وَالأقْبَالُ عَلَيْهِ ، وَالتَّنعُّمُ بِعبَادَتِهِ فَلاَ شَيْءَ أَشْرَحَ لِصَدْرِ العَبْدِ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى لَيَقُولَ أَحْيَانَاً إن كُنْتُ فِي الجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ فَإِنِّي إذَاً فِي عَيْشٍ طَيِّبٍ .

وَلِلْمَحَبَّةِ تَأْثِيْرٌ عَجِيْبٌ فِي انْشِرَاحِ الصَّدْرِ ، وَطِيْبِ النَّفْسِ ، وَنَعِيمٌ لاَ يَعْرِفَهُ إلاّ مَنْ لَهُ حِسٌّ بِهِ .

وَكُلَّمَا كَانَتْ الْمَحَبَّةُ أَقْوَى وَأَشَدَّ ، كَانَ الصَّدْرُ أَفْسَحَ وَأَشْرَحَ ، وَلاَ

يَضِيقُ إلاّ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْبَطالِينَ الْفارِغِينَ مِنْ هَذا الشَّأْنِ فَرؤْيَتُهُمْ قَذَى عَيْنِهِ ، وَمُخَالَطَتُهِمْ حُمَّى رُوحِهِ .

وَمِنْ أَعْظَمَ أَسْبَابِ ضِيْقِ الصَّدْرِ ، الْأَعْرَاضُ عَنِ اللهِ تَعالَى وَتَعَلُّق الْقَلْبِ بِغَيْرِهِ ، وَالْغَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِهِ ، وَمَحَبَّةُ سِواهُ ، فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً غَيرَ اللّهِ عُذِّبَ بِهِ ، وَسُجِنَ قَلْبُهُ في مَحبَّةِ ذَلِكَ الْغَيْرَ .

فَمَا في الْأَرْضِ أَشْقَى مِنْهَ ، وَلاَ أكْسَفُ بَالا ، وَلاَ أَنْكَدُ عَيْشَا وَلاَ أتْعَبُ قَلْبَا .

فَهُمَا مَحبَّتَانْ مَحبَّةٌ هِي جَنَّةُ الدّنْيا ، وَسُرُورُ النَّفْسِ ، وَنَعِيْمُ الرُّوْحِ وغذاؤها ، وَدَوَاؤُهَا ، بَلْ هِيَ حَيَاتُها ، وَقَرَّةُ عَيْنِهَا ، وَهِيَ مَحبَّةُ اللّهِ وَحْدَه ، بِكُلِ القَلْب ، وَانْجِذَابُ قُوى المَيْلِ ، وَالإِرَادَةْ ، وَالمَحبَّةِ كُلُّهَا إِلَيْهِ .

وَمَحبَّةٌ هِيَ عَذابُ الرُّوحِ وَغَمُّ النَّفْسِ وَسِجْنُ الْقَلْبِ وَضِيْقُ الصِّدْر وَهِيَ سَبَبُ الْألَمِ والنَّكَدِ وَالْعَنَاءِ ، وَهِيَ مَحبَّةُ ما سِوَىٰ اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

وَمِنْ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ دَوَامِ ذِكْرِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وفي كِلِّ مَوْطِنٍ فَلِلذِّكْرِ تَأْثِيْرٌ عَجِيْبٌ في إنْشِرَاحِ الصَّدْرِ، وَنَعِيْمِ الْقَلْبِ ، وَلِلْغَفْلَةِ تَأْثِيْرٌ عَجِيْبٌ في ضِيْقِه ، وَحَبْسِهِ ، وَعَذَابِه .

وَمِنْها الإِحْسَانُ إلى الخَلْقِ وَنَفعِهِم، بِمَا يُمْكِنُهُ مِنَ المَالِ والجَاه ، والنَّفْعِ بالبَدن ، وَأَنْواعِ الإِحْسَان ، فَإِنَّ الكَرِيْمَ المُحْسِنَ أشْرَحُ النَّاسِ صَدْرا ، وَأَطْيَبُهُمْ نَفْسَا ، وَأَنْعَمُهُمْ قَلْبَا ، والْبَخِيْلُ الّذي لَيْس فِيْه إحْسَان أضْيَقُ النَاسِ صَدْراً وَأَنْكَدُهُمْ عَيْشاً وَأَعْظَمُهُمْ هَمَّاً وَغَمَّا .

وقَدْ ضَرَبَ رَسولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّم في الصَّحِيْحِ مَثلاً لِلْبَخِيل وَالمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلين عَلَيْهُمَا جُنَّتانِ مِنْ حَدِيْد ، كُلَّمَاهَمَّ ، المَتَصَدِّق بَصَدَقَةٍ اتَّسعَتْ عَلَيْهِ وانْبَسَطَتْ ، حَتَّى يَجُرَّ ثِيَابَهُ وَيَعْفِي أَثَرَهْ

وَكُلَّمَا هَمَّ البَخِيْلُ بالصّدَقَةِ لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا وَلَمْ تَتَّسِعْ عَلَيْه .

فَهَذَا مَثَلُ انْشِرَاحِ صَدْرِ المُؤْمِنِ المُتَصَدِّق ، وَانْفِسَاحُ قَلْبِهِ ، وَمَثَلُ ضِيْقِ صَدْرِ البخِيْل ، وانْحِصارِ قلْبِه .

وَمِنْهَا الشَّجَاعَة ، فَإِنَّ الشُّجَاع مُنْشَرِحُ الصَّدْر ، وَاسِعُ البطَان ، مُتَّسِعُ القَلْبِ ، والجَبَانُ ، أَضْيَقُ النَّاسِ صَدْراً واحْصَرُهَم قَلْباً ، لاَ فَرْحَةَ وَلاَ سُرُورْ ، وَلاَ لَذَّةَ ، وَلاَ نَعِيْمَ ، إِلاّ مِنْ جِنْسِ الحَيَوَانِ البَهِيْم .

وَمِنْهَا اخْرَاجُ دَغَلِ القَلْبِ مِنَ الصِّفَاتِ المَذْمُومَة ، الّتِي تُوجِبُ ضِيْقه ، وَعَذَابَهُ ، وَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ البُرْء .

وَمِنْهَا تَرْكُ فُضُولِ النَّظَرِ ، والْكَلامِ ، وَالاسْتِمَاعِ والمُخَالَطَةِ والأكْل والنَّوْم ، فَانَّ هَذِهِ الفُضُولَ تَسْتَحِيْلُ آلاماً وغُمُوماً وَهُمُـوماً في القلبِ تَحْصُرُه ، وَتَحْبِسُه ، وَتُضَيِّقُه ، وَيَتَعَذَّبُ بِها ، بَلْ غَالِبُ عَذَابِ الدّنْيا والآخِرةِ مِنْهَا .

فَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّه ، مَا أَضْيَقَ صَدْرَ مَنْ ضَرِبَ فِي كُلِّ آفَةْ مِنْ هَذِهِ الآفاتِ بِسَهْم ، وَمَا أَنْكَدَ عَيْشَه ، وَمَا أَسْوَءَ حَالَه ، وَمَا أَشَدَّ حَصْرَ قَلْبِهِ ، وَلاَ إِلَه إِلاّ اللّه مَا أَنْعَمَ عَيْشَ مَنْ ضَرِبَ فِي كُلِّ خَصْلَةٍ مِنْ تِلْكَ المَحْمُودَةُ بِسَهْم ، وَكَانَتْ هِمَّتُهُ دَائِرَة عَلَيْها حَائِمَةً حَوْلَها .

فَلِهَذَا نَصِيْبٌ وَافِرٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالى (٨٢ : ١٣) ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيْم ﴾ وَلِذَلِكَ نَصْيبٌ وافِرٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ ﴿ وإِنَّ الفُجّارَ لَفِي جَحِيْم ﴾ وَبَيْنَهُمَا مَرَاتِبُ مُتَفَاوِتَةٌ ، وَلاَ يُحْصِيْهَا إِلاَّ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

والمَقْصُودُ انَّ النَّبيَّ صَلَّى اللّه عَلَيْه وسَلَّمْ أَكْمَلُ الخَلْقِ فِي كُلِّ صِفَةٍ يَحْصُل بِهَا انْشِرَاحُ الصّدْرِ ، واتّسِاعُ القَلْب وَقُرَّةُ العَيْن ، وَحَياةْ الرُّوح فَهُو أَكْمَلُ الخَلْق في هَذَا الشَّرْحِ والحَيَاةِ وَقُرَّةِ العَيْن ﴾ وصَلى اللّهُ على مُحَمّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أجْمعين

فـائـدة عظيمـة النفــع

وقال رحمه الله لَيْسَ في الوجود شرٌّ إلاَّ الذُنُوبُ ومُوجِبَاتُها وكَوْنُها ذُنُوباً تأتي مِن نَفْسِ العبد فإنَّ سَبَبَ الذنب الظُلْمُ والجهلُ وهُمَا مِن نَفس العبدِ كما أَنَّ سَبَبَ الخيرِ الحَمْدُ والعلْمُ والحِكْمَةُ والغِنى .

وهي أمورٌ ذاتيةٌ للرّب وذاتُ الرب سبحانه ، مُسْتَلْزِمَةُ لِلْحِكْمَةِ والخير والجُودِ .

وذاتُ العبدِ مُسْتَلْزِمةٌ لِلجهلِ والظُلمِ وما فيه مِن العِلْمِ والعَدْلِ فإنما حَصَلَ لَهُ بِفَضْلِ اللَّهِ عليه وهو أمرٌ خارجٌ عن نَفسه .

فَمَنْ أَرادَ اللَّهُ به خَيْرًا أَعطاه هذا الفضل فصدرَ منه الاحسانُ والبرُ والطاعة .

ومَن أرادَ به شَرًا أَمْسَكَهُ عنه وخَلاَّهُ ، ودَواعِي نفسه وطَبْعِهِ ومُوجَبُها فَصدَرَ منهُ مُوْجَبُ الجهلِ والظُلمِ مِن كُلّ شرٍ وقبيح .

ولَيْسَ مَنْعُهُ لِذَلَكَ ظلماً منه سبحانه فإنه فَضْلُه وليسَ مَن مَنَعَ فضَله ظالماً لا سِيَّمَا إذا مَنَعَه عن محَلِ لا يَسْتَحِقّهُ ولا يليقُ به .

وأيضًا فان هذا الفضلَ هو تَوفيقُه وإرادَتُه مِن نَفْسِهِ أَنْ يَلْطَفَ بَعبْدِهِ ويُوفِقَهُ ويُعِينَهُ ولا يُخَلّي بينه وبَيْنَ نَفْسِهِ وهذا محَضُ فِعْلِهِ وفَضْلِه .

وهو سبحانه أَعَلْمُ بالمحَلِ الذي يَصْلَحُ لهذا الفَضْلِ ويليق به ويُثْمِرُ به ويَزْكُو . وقد أشارَ اللَّهُ تعالى إلى هَذا المعنى بقوله ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ الانعام (٣٥) .

فأخبر سبحانه أنه أعلم بمَن يَعْرِفُ قَدرَ هذه النعمة ويَشكرُهُ عليها فان أصلَ الشكرِ هو الاعـترافُ بانْعَـامِ المنعمِ على وَجْـهِ الخُضُـوعِ والذُلِ

والمحبة . فَمَن لم يَعْرفْ النَعمةَ . بَلْ كَانَ جَاهِلاً بها لم يَشْكرُها .

ومَن عَرفَها ولم يَعْرَفْ المنعمَ بها لم يَشكُرهَا أيضاً ومَن عَرف النعمةَ والمنعمَ لكن جَحَدَها كما يَجْحَدُ المنكرُ لِنْعمَةِ المنعم عليه بها فقد كَفَرَهَا .

ومَن عَرفَ النعمة والمنعمَ وأقَرَّ بها ولم يَجْحَدْها ولكن لم يَخْضَعْ لَهُ ويُحبُه ويَرضَى به وعنه لم يَشْكُرَهَا أيضاً .

ومَن عَرَفَها وعَرفَ المنعمَ بها وخَضَعَ للمنعم بها وأَحَبَّهُ ورَضِيَ به وعنه واسْتَعْملَها في مَحَابّهِ وطاعتِهِ فهذا هو الشُكْرُ لها .

فلا بَدَّ في الشكرِ مِن عِلْمِ القلبِ وعَمَلِ يَتْبَعُ العلمَ وهو الميلُ إلى المنعمِ ومحبتِهِ والخضوعِ له .

كما في صحيح البخاري عن شداد ابن أوس قال قال رسول الله ﷺ : « سَيدُ الاستغفار أن يقولَ العبدُ اللهم أنتَ ربي لا إله إلَّا أنْتَ خَلَقْتَني وأنا عَبدُكَ وأنا على عَهدَكَ وَوَعْدِكَ ما استطعتُ أعوذُ بك مِن شرَ ما صَنَعْتُ أبُوء لَكَ بَنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وأبوءُ بذَنْبي فاغْفِرْ لي فإنه لا يَغْفِر الذُنُوبَ إلَّا أنْتَ » .

« مَن قَالَها إذا أصْبَح مُوْقَنَا بها فماتَ مِن يَومِهِ دَخلَ الجنةَ ومَن قالها إذا أمْسَى مُوْقِناً بها فماتَ مِن ليلته دَخَل الجنة » .

فقَولَهُ : « أبُوءُ لكَ بَنِعْمَتِكَ عَلَّي » يَتَضَمَّنُ الأَقرارَ والانابةَ إلى اللَّهِ بعبوديته . فالعبدُ يَبُوءُ إلى اللَّهِ بَنِعْمَتِهِ عليه ويبُوءُ بذَنْبِهِ ويَرجِعُ إليه بالاعْتَرافِ بِهَذا وبهذا رُجُوعَ مُطْمَئِنٍ إلى ربه منيبٍ إليه ليسَ رُجُوعَ مَن أقبل عليه ثم أَعرضَ عنه .

فهو مَعْبُودُهُ وهُوَ مُسْتَعانهُ لا صَلاحَ له إلا بعبادتِهِ ولا يُمكنُ أن يَعْبُدَهُ إلَّا باعانتِهِ .

ومِن المعلومِ أن أَجّلَ نِعَمِهِ على عبدِهِ نِعْمَةُ الايمانِ بهِ و معرفته ومحبته وطاعته والرضا به والانابة إليه والتوكل عليه والتزام عبوديته .

ومن المعلوم أيضاً أن الأرواحَ منها الخبيثُ الذي لا أخبثَ منه ومنها الـطيبُ . وبين ذلك وكذلك القلوبُ منها القلبُ الشريفُ الزَّكِي والقلبُ الخَسِيْسُ الخبيثُ .

وهو أعْلَمُ بالقُلوب الزّاكية والأرواحِ الطيبة التي تَصْلحُ لاستقرار هذه النِّعَمِ وإيداعِهـا عِندَها ويَزكُو بذْرُهَا فيها فيكون تخصِيْصُه لها بهذِه النعمة كَتخْصِيْصِ الأرضِ الطيبةِ القابلةِ للبذر بالبذر .

فليْسَ مِن الحكمةِ أن يبذر البذرَ في الصخور والرمالِ والسباخِ وفاعلُ ذَلِكَ غيرُ حكيمٍ فما الظنُ ببذرِ الايمان والقُرآن والحكمةِ ونور المعرفة والبصيرةِ في المحالِ التي هِيَ أَخْبَثُ المحالِ فالله أعلمُ حَيثُ يجعلُ رِسَالتَه أَصلاً ومِيراثاً .

فَهوَ أعلمُ بمَن يَصلح لِتَحمُّلِ رِسالتِهِ فَيُؤدِيَّها إلى عِبادِهِ بالأمانةِ والنصيحةِ ،وتعظيمِ المرسلِ والقيامِ بَحقِهِ والصبرِ على أوامرِهِ والشكرِ لِنعمه والتقرب إليه . ومَن لاَ يَصْلَحُ لِذَلِكَ .

وكـذلِـكَ هو سُبحَـانَـه أعلم بِمَنْ يَصْلحَ مِن الأُممِ لِوراثَـةِ رُسُله والقيامِ بخلافَتِهم وحَمْلِ ما بَلَّغُوهُ عن ربهم .

فالربُّ سبحانه إذا عَلْمَ مِن محَلِ أَهْليةً لِفَضلِه ومحبتهِ ومعرفتِهِ وتَوحيدِهِ حبب إليه ذلكَ وَوضَعَهُ فيه وكَتَبه في قَلبِهِ وَوَفَقَهُ له وأعانَهُ عليهِ وَيَّسرَ له طُرُقَه وأغلَقَ دُونَهُ الأَبوابَ التي تَحوُلُ بينَه وبينَ ذلك .

ثم تَولاَّهُ بلُطفِهِ وتَدبيرِهِ وتَيْسيرِهِ وتَرْبيَتِهِ أَحْسَنَ مِن تربيةِ الوَالِدِ الشفيقِ الرحيمِ المحسنِ لِوَلَدِهِ الذي هو أَحَبُّ شيءٍ إليه .

فـلا يَزالُ يُعَـامِلُه بُلُطْفِهِ ويَخْتَصُـه بفَضْلِه ويُـؤْثِرهُ برَحْمَتِهِ ويمده بمعـونته ويؤيده بتوفيقه ويريه موَاقع احسَانه إليه وبرِّه به فَيزدَاد العبد بهَ معرفة وله محبة وإليه إنابة وعليه توكلاً . ولا يَتوَلَّى معه غيره ولا يَعبد معه سِواه .

وهذا هو الذي عَرَفَ قَدرَ النعمة وعَرفَ المنعمَ وأقرَ بنعمَتِه وصرَفَها في مَرضاتِه .

واقتضتْ حِكمةُ الرب وجُودُه وكرمُه واحسانُه أن بَذَر في هذا القلب نورَ الايمانِ والمعرفة وسقاه بالعلم النافعِ والعملِ الصالحِ وأطلعَ عليه مِن نُورِهِ شَمْسَ الهداية وصَرَفَ عنه الآفاتِ المانعة مِن حُصول الثَّمرةِ .

فأنْبَتَتْ أرضُه الزاكيةُ مِن كُلِ زوجٍ كَريم فَمَنْ لم يُنبْتْ قَلْبُه شَيئاً مِن الخير البتة فهذا مِن أشْقَى الأشقياءِ .

فصلواتُ اللَّهِ وسلامُه على مَن الهُدَى والبيانُ والشفاءُ والعصمةُ في كَلامِهِ وفي أمثالِهِ .

والمقصودُ أن اللَّهَ سُبحانَه أعلَمُ بمواقعِ فَضْلِهِ ورحمتِهِ وتوفيقِهِ ومَن يَصلُح لها ومَن لا يَصلح وأن حكمتَه تأبى أن يَضَعَ ذلِكَ عندَ غيرِ أهلِهِ كما تأبَى أن يَمْنَعَه مَن يَصلَحُ لَهُ .

وهو سُبحانَهُ الذي جَعَلَ المحلَّ صَالِحاً وجَعَلَه أهلاً وقابِلاً فَمِنه الإعداد والإمداد ومنه السَّبَبُ والمُسَبَب .

وقال رحمه الله كمالُ العبدِ وصلاحُه يَتَخَلَّفُ عنه مِن إحَدى جهتين إما أن تكوُنَ طَبيعتُهُ يابِسَةً غيرَ لينةٍ ولا مُنْقَادَةً ولا قابلةٍ لِمَا به كمالُها وفلاحُها .

وإما أن تكون لَينةً مُنقادَةً سَلِسَلَة القيادَةِ لكنها غَيرَ ثابَتةٍ على ذلكَ بَلْ سَرْيَعَةُ الانتقالِ عنه كثيرةُ التَّقلُّب .

فَمتى رُزقَ العبدُ انقيادًا لِلْحَقِ وثباتاً عليه فَلْيبشِرْ فقد بُشِرَ بكلِ خَيرٍ وذلك فضلُ اللَّهِ يؤتيه مَن يَشاء .

وقال صِدْقُ التأهب لِلقاءِ اللَّهِ مِن أَنْفعِ ما لِلْعَبدِ وأَبلَغِهِ في حُصُول استقامَتِهِ فإن مَن اسْتَعَدَّ لِلقاءِ اللَّهِ انقطَعَ قلبُه عن الدنيا وما فيها ومطالِبهَا

وخَمَدَتْ مِن نفسِه نيرانُ الشهواتِ وأخْبَتَ قلبُهُ إلى اللّهِ وعَكَفَتْ همَّته على اللّهِ وعلى محبتِهِ وايثارِ مرضاتِهِ .

واستحْدَثَتْ همَّةٌ أُخْرى وعُلوماً أُخَر ووُلِدَ ولادةً أُخْرَى نِسْبَةُ قلبه فيها إلى الدار الآخرة كَنِسَبَةِ جِسْمِه إلى هَذِه الدار بَعدَ أن كَانَ في بَطن أمِهِ فَيولَدُ قَلبُه ولادةً حَقِيْقَية كما وُلِدَ جِسْمُهُ حقيقةَ وكما ان بَطْنَ أمه حِجَاباً لِجِسِمِهِ عن هَذِهِ الدارِ فهكذا نَفسُه وهَواهُ حَجَابٌ لِقلبه عن الدارِ الآخرة .

فَخُروجُ قلبهِ عن نفسهِ بارزًا إلى الدار الآخرةِ كَخُروج جِسْمِهِ عن بطِن أمِهِ بارزاً إلى هذه الدار وهذا مَعْنَى ما يُذكَرعن المسيحِ أنه قال يا بَني إسرائيل إنكم لَن تلِجُوا ملَكوتَ السماءِ حتى تُولَدُوا مَرَّتَين .

ولَمَّا كان أكثرَ الناسِ لم يُوْلَدُوا هذه الولادَةَ الثانية وَلا تَصورُوْهَا فَضْلاً عن أن يُصَدِّقُوا بها فَيقُولُ القَائِل كيفَ يُولَدُ الرجلُ الكبيرُ أَوْ كيفَ يُولَدُ القلبُ لم يَكن لَهمْ إليها همَّةٌ ولا عَزْيمةٌ إذْ كَيفَ يَعْزِمُ عَلى الشيءِ مَن لا يَعرِفُهِ ولا يُصَدقُهُ ولكن إذا كُشفَ حِجَابُ الغفلةِ عن القلبِ صَدَّقَ بذلكَ وعلِمَ أنه لَم يُولَدُ قَلْبُهُ بَعدُ .

والمقصودُ أن صَدْقَ التأهب لِلقاءِ اللّهِ هُو مِفتاحُ جَميعِ الأعمالِ الصالحةِ والأَحوالِ الإِيمانيةِ ومقاماتِ السالكين إلى اللّهِ ومنازلِ السائرين إليه مِن اليقظةِ والتوبةِ والإِنابةِ والمحبةِ والرَّجاءِ والخشيةِ والتفويضِ والتسليمِ وسائر أعمالِ القلوبِ والجَوارحِ .

فمفتاحُ ذلكَ كُلِه صِدْقُ التأهبِ والاستعداد لِلقاء الله والمفتاحُ بيد الفتاح العليم لا إله غيرهُ ولا رَبَّ سِواهُ .

شعـــــرا :

وأهْوَى مِن الشُبانِ كُلَّ مُجَنِّـــبٍ عن اللَّهْوِ مِقْدَماً على كُلِّ طَاعَـــةِ
لَهُ عِفَّةٌ عن كُلِّ شَيءٍ مُحَـــرَّمٍ وذُوْ رَغْبَةٍ فيما يَقُوْدُ لجنَّـــةِ

تَمَسَّكْ بِهِ إنْ تَلْقَهُ يَا أَخَا لِتُقَـــى   تَمَسُّكَ ذِي بُخْـــلٍ بِتِبْرٍ وفِضَّـــةِ

وصلى اللّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصَحْبه أجمعين

(فَصْـــلٌ)

وقال رحمه الله طُوبَى لِمَنْ أنْصَفَ فأقَرَّ لَهُ بالجهل في علمه ، والآفاتِ في عَمَلِهِ ، والعُيُوب في نَفْسِهِ ، والتَّفْرِيْطِ في حَقِّهِ ، والظُّلم في مُعَامَلَتِهِ .

فإنْ أخَذَهُ بذُنُوبه رَأى عَدْلَه ، وإنْ لم يؤخِذْهُ رَأى فَضْلَهُ .

وإنْ عَمِل حَسَنَةً رآها مِن مِنَّتِهِ عليه ، فإن قَبِلَها فمِنَّةٌ وصدقةٍ ثانية ، وإنْ رَدَّهَا فَلِكَوْنِ مِثْلِهَا لا يَصْلحُ أن يُواجَهَ به .

وإنْ عَمِل سَيئَةً رَآها مِن تَخَلِّيْهِ عنه ، وخُذْلانِهِ لَهُ ، وإمْسَاكِ عِصْمَتِهِ ، وذلِكَ مِن عَدْلِهِ فيه .

فَيرى في ذَلِكَ فَقْره إلى رَبه وظلمه في نَفْسِهِ ، فإنْ غَفَر لَهُ فَبِمَحْضِ إحْسَانِهِ وجُوْدِهِ وكَرَمِهِ .

ونُكْتَةُ المَسْأَلَة وسرها أنه لا يرى رَبَّهُ إلا مُحْسِنًا ولا يرى نَفْسَهُ إلاَّ مُسْيئًا ومُفَرِّطا أو مُقَصِّرًا .

فيرى كل ما يَسُرُّهُ مِن فَضْلِ رَبِّهِ عليه وإحسانِهِ إليه ، وكُلَّ ما يَسُوُءُهُ مِن ذُنُوبه .

وقال مَن لم يَعْرِفْ نفسَه كيفَ يعرفُ خالِقَه ؟ فاعلم أن الله خَلَقَ في صَدرِكَ بيتاً وهو القلبُ . ووضعَ في صدره عرشاً لِمَعْرفتِهِ يستوي عليه المثلُ الأَعلى ، فهو مُسْتَوٍ على سَرِير القلب ، وعلى السرير بِسَاطٌ مِن الرِضا .

ووضعَ عن يمينهِ وشِمالِه مَرافِقَ شَرَائِعهِ وأوامِره ، وفتحَ إليه باباً مِن جنةِ رَحمتِهِ ، والأنس به ، والشوق إلى لقائه .

وأمْطَـرَهُ مِن وابـل كَلامِهِ مـا أَنْبَتَ فيهِ من أصنافِ الرياحينِ والأشجارِ

المثمرةِ ، مِن أنواع الطاعات والتهليلِ والتسبيحِ والتحميدِ والتقديسِ .

وَجَعَل في وَسَطِ البُستانِ شجرةَ مَعْرِفتهِ ، فهي تُؤتي أُكَلها كُلَ حين بإذَنِ ربهـا مِن المحبةِ والإنابةِ ، والخشيةِ والفرحِ به ، والابتهاجِ بِقربهِ ، وأجْرى إلى تِلكَ الشَّجَرةِ ، ما يَسْقِيَها مِن تدَبُّر كلامِهِ وفَهمِهِ ، والعَملِ بوصاياهُ .

وعَلَّقَ في ذلــك البيتِ قِنـديلاً أسْرَجَـهُ بِضَياءِ مَعْـرِفَتِـه ، وايمانٍ بهِ وتَوحيدِهِ ، فهو يَسْتَمدُ مِن شَجَرةٍ مُبارَكَة زَيتُونة لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ يَكَادَ زَيتُها يُضيٍ ءُ ولو لَم تَمَسَسْهُ نار .

ثم أحَاطَ عَليه حَائطاً يَمنَعُهُ مِن دُخُولِ الآفاتِ والمفسدين ومَن يُؤذِي البُستـانَ ، فلا يَلْحَقـهُ أذَاهُم ، وأقامَ عَليه حَرسَاً مِن الملائكةِ يحفظُونَه في يَقْظَتِهِ ومَنامِهِ .

ثم أُعلِمَ صاحبُ البيتِ والبُستانِ بالساكن فيه فَهُو دائماً هَمُّهُ إصْلاحُ السَّكَنِ ولمِّ شَعَثِهِ لِيرضَاهُ الساكَنُ مَنْزِلاً .

وإذا أحَسَّ بِأدنَى شَعَثٍ في السَكَنَ بادَرَ إلى إصْـلاحِهِ ولَمِهِ ، خَشْيَةَ انْتقالِ الساكنِ مِنه ، فَنِعْمَ الساكنُ ، ونِعْمَ المسكن فسبحان الله رب العالمين .

كَمْ بَيْنَ هذا البيتِ وبيتٍ قَدْ اسْتَـوْلَى عليه الخَـرَابُ ، وصَارَ مأْوى لِلْحَشَرَاتِ والهَوام ، ومَحَلَّاً لإِلْقَاءِ الأَنْتانِ ، والقَاذُوراتِ فيه .

فَمَنَ أرادَ التَّخَلي وقَضَاءَ الحاجةِ وَجَدَ خَرَبَةً لا سَاكِنَ ولا حَافِظَ لَهَا .

وهي مُعَـدَّةٌ لِقَضَاءِ الحَاجَةِ ، مُظْلِمَةُ الأَرْجَاءِ ، مُنْتِنَةُ الرائحةِ ، قد عَمَّهَـا الخَرابُ ، ومَلأَتْها القاذُوراتُ . فلا يأنسُ بها ولا يَنْزِلُ فِيها إلا مَن يُنَاسُبهُ سُكْنَاهَا مِن الحشراتِ والديدان والهَوام .

الشيطانُ جَالِسٌ على سَرِيْرِهَا وَعَلى السريرِ بساطُ الجَهْلِ وتَخْفِقُ فيه الأَهْوَاءُ ، وعن يَمينِهِ وشِمالِهِ مَرافِقُ الشهواتِ .

وقد فُتِحَ إليه بابٌ مِن حَقْلِ الخُذْلانِ وَالوَحْشَةِ ، والرُكونَ إلى الدنيا ، والطُمَأْنِينَةِ بها ، والزُهْدِ في الآخرةِ .

وأمطَرَ مِن وَابلٍ الجهلِ والهَوى والشركِ والبدعِ ، ما أَنْبَت فيه أصنافَ الشوكِ والحنظلِ ، والأشجارِ المثمرة بأنواعِ المعاصِي والمخالفاتِ ، مِن الزوائدِ والانْتِدَابَاتِ ، والنوادِرِ والهزلياتِ والمضحكاتِ ، والأشعارِ الغزلياتِ ، والخمرياتِ التي تُهَيِّجُ على ارْتكابِ المُحَرَّمَاتِ ، وتُزَهِّدُ في الطاعاتِ .

وجَعَلَ في وَسَطِ الحقَلِ شَجَرةَ الجهلِ بِهِ والإعراضِ عنه ، فهي تُؤتي أُكَلَها كُلَّ حِينٍ مِن الفُسُوقِ والمعاصِي ، واللهوِ واللعبِ والمُجُونِ ، والذهابِ مَعَ كُلِ رَيْحٍ ، واتباعِ كلِ شهوةٍ .

ومِن ثمرِها الهُمُومُ والغُمُومُ ، والأحزانُ والآلامُ ، ولكنها مُتواريةٌ باشتغالِ النفسِ بِلَهْوِهَا ولَعِبها . فإذا أفاقَتْ مِن سُكْرِها أحْضَرَتْ كُلَّ همٍ وغَمٍ وحُزْنٍ وقَلقٍ ، ومَعِيْشةٍ ضَنْكٍ .

وأُجْرِي إلى هذهِ الشجرةِ ما يَسْقِيها مِن اتباعِ الهوى ، وطُولِ الأمل والغُرورِ .

ثم تُرِكَ ذلك البيتُ وظُلُمَاتُه وخَرابُ حِيْطانِهِ بحَيْثُ لا يُمْنَعُ منه مُفْسِدٌ ولا حَيوَانٌ ، ولا مُؤْذٍ ولا قَذَرٌ .

فسبحان خالِق هذا البيتِ وذلك البيتِ ، فمنَ عَرفَ بَيْتَهُ وقَدَّرَ الساكنَ فيه ، وقَدَّرَ ما فيه مِن الكُنوزِ والذخائر والآلات انتفعَ بِحَياتِهِ ونَفْسِهِ .

ومَن جَهِلَ ذلك ، جَهِلَ نفسَهُ وأضاعَ سَعَادَتَهُ . والله الموفق .

وقال أقامَ اللَّهُ سبحانَه هذا الخلق بين الأمرِ والنهي والعطاءِ والمنعِ فافْـتَرقَوْا فرقةً قابلَتْ أمرَهُ بالتَّركِ ، ونهيَهُ بالارتكاب ، وعَطَاءَهُ بالغفلةِ عن الشكرِ ، ومَنْعَهُ بالسُخْطِ ؛ وهؤلآءِ أَعْداؤُهُ ، وفيهم مِن العَداوةِ بحسبِ ما فيهم مِن ذَلك .

وقِسْمٌ قالُوا : إنَّما نَحْنُ عَبيدُكَ فإنْ أمرتَنَا سَارَعْنَا إلى الإجابةِ ، وإن نَهَيْتَنَـا أَمْسَكْنـا نُفـوسَنَـا وكَفَفْنـاهَـا عَمَّا نَهيتَنَـا عنـه ، وان أَعْطَيتَنا حَمِدْناكَ وشَكَرنَاكَ ، وإن مَنَعْتَننا تَضَرَّعْنَا إليكَ وذَكَرْنَاكَ .

فَلَيْسَ بينَ هؤلآءِ وبينَ الجنةِ إلَّا سِتْرُ الحياةِ الدنيا ، فإذَا مزَّقُه عليهم الموتُ ، صارُوا إلى النعيمِ المقيمِ ، وقُرةِ الأعْينِ كَمَا أَنَّ أولَئكَ لَيْسَ بينَهم وبينَ النارِ إلا سِتْرُ الحياةِ الدنيا .

فإذا مَزَّقَهُ الموتُ صَارُوا إلى الحسرةِ والألمِ . فإذا تَصادَمتْ جُيوشُ الدُنيا والآخرةِ في قَلْبكَ وأردتَ أن تَعْلَمَ مِن أَيِّ الفريقين أَنْتَ فانْظُرْ مَعَ مَن تَميلُ منها ، ومَن تُقَابلُ ؛ إذ لا يُمْكِنُك الوقُوفُ بين الجَيْشَينِ ، فأنتَ مَعَ أحدِهِمَا لا مَحَالَةِ .

فقِسْمٌ اسْتَغَشُّوا الهَـوى فخَـالَفُـوهُ ، واستَنْصَحوُا العقلَ فَشَاوَرُوْهُ . وفَرَّغُوا قُلُوبَهُمْ لِلفكرِ فيما خُلقُوا لَهُ وجَوارحَهم لِلْعَمِلِ بما أمِرُوا بِهِ ، وأوْقاتَهُم لِعِمَارَتِها بما يعْمُر مَنَازِلَهُم في الآخِرَةِ .

واسْتَـظْهَـرُوا على سُرْعَةِ الأَجَلِ بالمُبَادَرَةِ إلى الأَعْمَالِ وسَكَنُوا الدُنْيَا وقُلُوبُهُم مُسَافِرةٌ عنها .

واسْتَوطَنُوا الآخرةَ قَبلَ انْتَقالِهِمْ إليها ، واهْتَمُّوا باللَّهِ وطاعتِهِ على قَدْرِ حَاجَتِهِم إليه ، وتَزَوَّدُوا لِلآخرةَ على قدرِ مَقامِهِم فيها .

فَجَعَّلَ لَهُم سُبْحَانه من نعَيم الجنةِ وَروْحِها ، أَنْ آنسَهُم بِنَفْسِهِ ، وأَقْبَلَ بقُلُوبِهم إليه ، وجَمَعَها على محبَّتِهِ ، وشَوقَّهم إلى لِقَائِهِ ، ونَعَّمَهُم بِقُرْبِهِ .

وفرَّغَ قُلوبَهم مِمَّا مَلأَ به قُلُوبَ غيرِهم مِن محبةِ الدُنْيَا والهَمِ والحُزْنِ على فَوْتِها ، والغَمِ مِن خَوفِ ذَهَابِها .

فَاسْتَلانُوا ما اسْتَوْعَرَهُ المُترفُونِ ، وأنِسُوا بما اسْتَوْحَشَ مِنه الجاهِلُونَ ، صَحِبُوا الدنيا بأبْدَانِهِم ، والملأَ الأَعْلَى بأرْوَاحِهم .

فـائـدة : وقال رحمه الله إذا أَصْبَحَ العَبْدُ وأَمْسَى ولَيْسَ هَمُّهُ إلا اللَّهُ وحْدَهُ تَحَمَّلَ اللَّهُ سبحانه حَوائِجَهُ كُلَّها وحَمَلَ عنه كُلَّ ما أَهَمَّهُ وفَرَّغَ قَلْبَهُ لِمحبَّتِهِ ولِسَانَهُ لِذِكْرِهِ وجَوارِحَهُ لِطَاعَتِهِ .

وانْ أَصبحَ وأَمْسَى وَالـدنيا هَمُّهُ حَمَّلَهُ اللَّهُ هُمُوْمَهَا وغُمُومَهَا وأنكادها ووَكَله إلى نفسه .

فشَغَل قَلْبَهُ عن محبَّتِهِ بمَحَبَّة الخلق ولِسَانَهُ عن ذكره بذكرهم وجَوارِحَهُ عن طاعته بخدمتهم وأشْغَالِهِم .

فَهُو يَكْـدَحُ كَدْحَ الوَحْشِ في خِدْمَةِ غيره كالكِيْرِ يَنْفَخُ بَطْنَهُ ويَعْصِرُ أَضْلاَعَهُ في نَفْعِ غيره .

فكُلُ مَن أَعْرَضَ عن عُبُودِيَّةِ اللَّهِ وطاعَتِهِ ومَحَبَّتِهِ بُلِيْ بعُبُودِيَّةِ المَخْلُوق ومحبَّتِهِ وخِدْمَتِه .

قال تعالى ﴿ ومَن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّضْ له شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِين ﴾ .

قال سُفيان بن عُيَيْنَة لا تأتون بِمَثَلٍ مَشْهُور لِلْعَرَب إلا جِئْتُكُم به مِن القرآن .

فقال له قَائِلٌ فأَيْنَ في القُرآن أعْطِ أخَاكَ تَمْرَةْ فإن أبى فَجَمْرة .
فقال في قوله تعالى ﴿ ومَن يعْشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّضْ له شَيْطَانًا ﴾ الآية .

شِـعْرَاً :

وَفي السُّقْمِ وَالآفَـاتِ أَعْـظَمُ حِكْمَـةٍ
مُـيَقِّـظَةٍ ذَا اللُّبِّ عِـنْـدَ التَّـفَـقُّـدِ
يُنَـادِي لِسَـانُ الحَـالِ جِـدُّوا لِتَـرْحَلُوا
عَنِ المَنْـزِلِ الغَثِّ الكَثِيْـرِ التَّنَكُّـدِ
أَتَـاكَ نَـذِيْـرُ الشَّيْبِ بـالسُّقْمِ مُخْبِـراً
بـأنَّـكَ تَتْلُو القَـومَ في اليَـومِ أَوْ غَـدِ
فَخُـذْ أُهْبَةً في الـزَّادِ فـالمَـوْتُ كَـائِنٌ
فَمَـا مِنْـهُ مِنْ مَنْجَـا وَلاَ عَنْـهُ عُنْـدَدِ
فَـمَـا دَارُكُـمْ هَـذِهِ بِـدَارِ اقَـامَـةٍ
وَلَـكِـنَّـهَـا دَارُ ابْـتِـلاً وَتَـزَوُّدِ
أَمَـا جَـاءَكُـمْ مِـنْ رَبِّـكُـمْ وَتَـزَوَّدُوا
فَمَـا عُـذْرُ مَنْ وَافَـاهُ غَـيْـرَ مُـزَوَّدِ
وَمَـا هَـذِهِ الأَيَّـامُ الاَّ مَـرَاحِـلٌ
تُقَـرِّبُ مِنْ دَارِ الـلِقَـا كُـلَّ مُبْـعَـدِ
وَمَنْ سَـارَ نَحْـوَ الـدّارِ سِتِّيْنَ حِجَّـةً
فَقَـدْ حَـانَ مِنْـهُ المُلْتَقَى وَكَـأَنْ قَـدِ
وَمَـا النَّـاسُ إلاَّ مِثْـلَ سَفْـرٍ تَتَـابَعُـوا
مُقِيْـمٌ لِتَـهْـوِيْمٍ عَـلى اثْـرَ مُغْـتَـدِي

وَمَنْ يَـكُ عِـزْرَائِيـلُ كَـافِـلَ رُوحِـهِ
فَـإِنْ فَاتَـهُ فِي اليَوْمِ لَمْ يَنْـجُ مِنْ غَدِ
وَمَنْ رُوحُـهُ في الجِسْمِ مِنْهُ وَدِيْعَـةٌ
فَـهَيْـهَـاتَ أَمْنٌ يُـرْتَـجَى مِـن مُـرَدَّدِ
فَـمَـا حَقُّ ذِي لُـبٍّ يَـبِيْـتُ بِـلَيْـلَةٍ
بِـلا كَـتْبِ إيْـصَـاءٍ وَإِشْهَـادِ شُـهَّـدِ
وَوَاجِبٌ الإِيْصَـا عَلَى المَـرْءِ إنْ يَكُنْ
عَـلَيْـهِ حُـقُـوقٌ واجِـبَـاتُ الـتَّـرَدُّدِ
وَلَا بَـأْسَ أَنْ يَخْبَـا الفَتَى كَفَنـاً لَـهُ
لِـحِـلٍّ وَآثَـارِ الـرِّضَـى والـتَّـعَـبُّـدِ
فَبَادِرْ هُجُومَ المَـوْتِ في كَسْبِ مَا بِـهِ
تَـفُـوزُ بِـهِ يَـوْمَ القِـيَـامَـةِ وَاجْهَـدِ
فَكَمْ غَبْنُ مَـغْبُـونٍ بِـنَعْـمَـةِ صِحَّـةٍ
وَنِـعْـمَـةِ إِمْـكَـانِ اكْـتِـسَـابُ الـتَّـعَـبُّـدِ
فَنَفْسَـكَ فَـاجْعَلْهَـا وَصِيَّـكَ مُكْثِـراً
لِسَفْـرَةِ يَـوْمِ الحَشْـرِ طِيْبَ الـتَّـزَوُّدِ
وَمِـثْـلُ وُرُودِ القَـبْـرِ مَهْـمَـا رَأَيْـتَـهُ
لِنَفْسِـكَ نَفَّـاعـاً فَـقَـدِّمْـهُ تَـسْـعَـدِ
فَـمَـا نَفَـعَ الإنْسَـانَ مِثْلُ اكْتِسَـابِـهِ
بِـيَـومٍ يَفِـرُّ المَـرْءُ مِنْ كُـلِّ مَحْتَـدِ
كَـفَى زَاجِـراً لِـلْمَـرْءِ مَـوْتٌ مُحَتَّمٌ
وَقَـبْـرٌ وَأَهْـوَالٌ تُشَـاهَـدُ فـي غَـدِ

وَنَــارٌ تَـلَظَّى أَوْعَـدَ اللَّهُ مَـنْ عَصَـى
فَمِنْ خَـارِجٍ بَـعْـدَ الشَّـقَـا وَمُخَـلَّدِ
وَيُسْــأَلُ في القَبْــرِ الفَتَـى عَنْ نَـبِيِّـهِ
وَعَـنْ رَبِّـهِ والـدِّيْـنِ فِـعْـلَ مُـهَـدِّدِ
فَمَنْ ثَبَّتَ الـلّهُ اسْتَجَـابَ مُـوَحِّـداً
ومَنْ لم يُثَبَّتْ فَـهُـوَ غَـيْـرَ مُـوَحِّـدِ
وَتِـلْكَ لَعَـمْـرِي آخِـرُ الفِـتَـنِ الَّـتِي
مَتَى تَنْجُـو مِنْهَـا فُـزْتَ فَـوْزَ مُخَلَّدِ
فَنَسْـأَلُـهُ الـتَّـثْبِيْتَ دُنْيـاً وآخِـرَاً
وَخَـاتِـمَـةً تَـقْضِـي بِـفَـوْزٍ مُؤَبَّـدِ

اللَّهُمَّ الْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكْ وَوَفِّقْنَا لِطَاعَتِكَ وامْتِثَالِ أَمْرِكْ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْن بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين .

(فَصْــلٌ)
في الـحَيَـــاءْ

الْحَيَاءُ هُوَ انْقِبَاضُ النَّفْسِ عَن القَبَائِح وَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ النَّفْسِ المَمدُوحَة لأَنَّ اشْمِئْزَازَ النَّفْسِ عَن القَبَائِح يَسْتلزِمُ تَرْكَها والإنْصِرَافَ عَنْهَا وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ صِفَاتِ النَّفْسِ وَأَجْلِها قَدْرا .

وَسُئِلَ بَعْضُهمْ عَنِ الحَيَاءِ فَقَال شَيءٌ يَتَوَلَّدُ بَيْنَ رُؤْيَةِ النَّعْمَاءِ وَرُؤْيَةِ التَّقْصِيْرِ .

وَقَالَ الفُضَيْل : عَـلامَةُ الشَّقَـاوَةِ خَمْسَةٌ ، قِلَّةُ الحَيَـاءِ ، وَقَسْوَةُ

القَلْب ، وَجُمُودُ العَيْن ، وَالرَّغْبَةُ في الدّنْيَا ، وَطُولُ الأَمَل أهـ .

فالْحَيَاءُ خُلُقُ الكِرَامُ وَسِمَةُ أَهْلِ المُرُوْءَةِ والشَّرَفِ ، وَعُنْوَانُ الفَضْلِ والنُّبْلِ ، وَلَقَدْ صَدَقَ أَهْلُ اللُّغَةَ حَيْثُ قَالُوا الاسْتحْيَاءُ مِنَ الحَيَاةِ ، واسْتِحْيَاءُ الرّجُلِ مِنْ قُوَّةِ الحَيَاةِ فِيْه لِشِدَّةِ عِلْمِهِ بِمَوَاقِعِ العَيْبِ وَالذَّمِ .

والحَيَاءُ بَاعِثَهُ إِحْسَاسٌ رَقِيْقٌ ، وَشُعُورٌ دَقِيْقٌ ، يَبْدُو في العَيْن مَظْهَرُه وَعَلى الوَجْهِ أَثَرُه ، وَمَنْ حُرِمَهُ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّه ، وَمَنْ تَحَلَّى بِهِ ظَفِرَ بالْعِزَّةِ وَالكَرَامَةِ ، ونَالَ الخَيْرَ أَجْمَعْ وَهُوَ زِيْنَةُ النُّفُوسِ يَصُدَّهَا عَنْ فِعْلِ مَا يَشِيْنُها وَيَحْمِلُها عَلى التَّحَلِّي بِجَمِيْلِ الْخِصَالِ فَهُوَ أَبداً لاَ يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ ، وَكَفَى خَيْراً أَنْ يَكُونَ عَلى الخَيْرِ دَلِيْلاً وَكَفَى بِضِدّهِ البَذَاءِ أَنْ يَكُونَ عَلَى الشَّرِ دَلِيْلاَ وَإِلَيْهِ سَبِيْلاً وَمِن الحِكَم قَوْلُهُمْ مَنْ كَسَاهُ الحَيَاءُ ثَوْبَه لَمْ يَرَى النَّاسُ عَيْبَه :

وَرُبَّ قَبِيْحَةٍ مَا حَالَ بَيْنِي
وَبَيْنَ رُكُوبِهَا إِلَّا الحَيَاء

وَيَقُولُ الآخَرُ :

وَعَقْلُ المَرْءِ أَحْسَنُ حِلْيَتَيْهِ
وَزِيْنُ المَرْءِ في الدُّنْيَا الحَيَاءُ

آخر : وإِنيّ لأَسْتَحْيي من الله أن أُرَى   حَلِيْفَ غَوانٍ أَوْ أَلِيْفَ أَغَانيْ

إذا مَا لم يَكُنْ لِلْمِرْءِ عَقْلٌ   ولا أدَبُ فَذَاكَ هُو الحمارُ
تَراهُ في ذَوِيْ الأَلْبَابِ ضَجْراً   ومُلْتَجِئاً إلى جَنْبِ الجدَارِ

أَمَّا انْقِبَاضُ النَّفْسُ عَنِ الفَضَائِل فَلاَ يُسَمَّى حَيَاءً بَلْ هُوَ خَوَرٌ وَجُبْنٌ فَإِذَا كَانَ الإِنْسَانُ عِنْدَ أَحدِ العُظَمَاءِ مِنَ النَّاسِ الّذِيْنَ يَتْرُكُونَ الصَّلاَةَ وَيَأْتُونَ المُنْكَرَاتِ ، أَوْ عِنْدَ مَنْ يَتْرُكُونَ صَلاَةَ الجَمَاعَةِ وَانْقَبَضَتْ نَفْسُهُ عَن

فِعْلِ الْخَيْرِ وانْبسطَ مَعَهُمْ لِفِعْلِ الشَّرِ مُجارَاةً وَمُطَايَبَةً لَهُمْ كَانَ فِعْله جُبْناً وَخَوَراً وَمُدَاهَنةً وَنِفاقاً لا حَياءً وَمِثْلُ ذَلِك مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ مُجامَلَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً في سَمَاعِ المُنْكَرَاتِ وَرُؤْيَتِها وَسَمَاعِ الغِيْبَةِ وَنَحْوِهَا فَهَذَا جُبْنٌ مذْمُومٌ كُلَّ الذَّمِ وَصَاحِبُهُ شَرِيْكٌ في الإِثْم إِنْ لَمْ يُنكِرِ أَوْ يُفَارِقُهُمْ .

وَالحَياءُ أَمارَة صَادِقَةٌ عَلَى طَبِيْعَةِ الإِنْسَان فَهُوَ يَكْشِفُ عَنْ قِيْمَةِ إِيْمانِه وَمِقْدَارِ أَدَبِهِ فَعِنْدَمَا تَرَى الإِنْسَان يَشْمَئِزُّ وَيَتَحَرَّجُ مِنْ فِعْلِ مَا لاَ يَنْبَغِي أَوْ تَرَى حُمْرَةَ الخَجَلِ فِي وَجْهِهِ صَابِغَةً إِذا بَدَرَ مِنْهُ مَالاَ يَلِيْق فَاعْلَمْ أَنَّهُ حَيُّ الضَّمِيْر نَقِيُّ المَعْدِن زَكِيُّ العُنْصُرِ وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ لاَ يَكْتَرِثْ وَلاَ يُبَالِي فِيْمَا يَبْدُرُ مِنْهُ فَهُوَ امْرُؤٌ لا خَيْرَ فِيْهِ وَلَيْس وَازِعٌ يَمْنَعُهُ مِنْ ارْتِكَابِ الجَرَائِمِ ، وَاقْتِرَافِ الآثَامِ الدَّنَايَا .

وَيَنْقَسِمُ الحَيَاءُ إِلى قِسْمَيْنِ حَياءٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجل لِمَا رَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ لأَصْحَابِهِ « اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاء قَالُوا إِنَّا نَسْتَحِي يَا نَبِيَّ اللَّهَ والْحَمْدُ لِلَّه .

قَالَ لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَكِنْ مَن اسْتَحْيَا مِنَ اللَّه حَقَّ الحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا وَعَى وَلْيَذْكُرِ المَوْتَ وَالْبِلَى وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِيْنَةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاء » رَوَاهُ أَحْمَد والتِّرْمِذِي وَقَالَ هَذَا حَدِيْثٌ غَرِيْب .

وَالقِسْمُ الثَّانِي : الحَيَاءُ مِنَ النَّاسْ وَهُوَ بِقِسْمَيْهِ رَأْسُ الفَضَائِلِ وَأَسَاسُ مَكَارِمِ الأَخْلاَق لأَنَّهُ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مَا يَتَرتَّبُ عَلَى العَدْلِ وَالعِفَّةِ وَلِذَا وَرَدَ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَال الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ مُتَّفَقٌ عَلَيْه وَفي رِوَايَةٍ لِمُسْلِم الحَيَاءُ خَيْرٌ

كُلَّهُ أَوْ قَال الحَياءُ كُلَّهُ خَيْرٌ .

وَعَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَار وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيْمَانِ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

. وَفي حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالْ الإِيْمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيْقِ وَالْحياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيْمَان مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَرَقَّ النَّاسِ طَبْعاً وَأَنْبَلَهُمْ سِيرَةً وَأَعْمَقَهُمْ شُعُوراً بالواجب وَنُفوراً عَن المَحَارِمْ .

فَعَنْ أَبِي سَعَيْدٍ الخُدْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَشَدُّ حَياءً مِنَ العَذْرَاءِ في خِدْرِهَا فَإِذَا رَأَى شَيْئاً يَكْرَهُهُ عَرِفْنَاهُ في وَجْهِهِ مُتَفَقٌ عَلَيْه وَعَنْ زَيْد بْن طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إِنَّ لِكُلِّ دِيْنٍ خُلُقا وَخُلُق الإِسْلَامِ الحَيَاءُ رَوَاهُ مَالِكُ مُرْسَلا وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَة وَالبَيْهَقِيُ في شُعبِ الإِيْمَانِ عَنْ أَنسٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ .

وَعَن ابْنِ عُمَرْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَال الحَياءُ والإِيْمانُ قُرَنَاءُ جَمِيْعاً فَاذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخر وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسْ فَاذَا سُلِبَ أَحَدُهُمَا تَبِعَهُ الآخرُ رَوَاهُ البَيْهَقِي في شُعَبِ الإِيْمَان وَعَن ابْنِ مَسْعُودٍ قَال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إِنَّا مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأَوْلَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فاصْنَعْ مَا شِئْتَ رَوَاهُ البُخارِي .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنّ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ قَالْ « الحَيَاءُ مِنَ الإِيْمَــانِ وَالإِيْمَانُ في الجَنَّة وَالبَذَاءُ مِنَ الجَفَاء وَالجَفَاءُ في النّارِ ، رَواهُ أَحْمَد والتِّرمِذِي وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمْ الحَيَاءُ والعِيُّ مِنَ الإِيْمَانْ وَالبَذَاءُ وَالبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفاق رَوَاهُ أَحْمَد وَالتِّرْمِذي وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ الحَيَاءُ نِظَامُ الإِيْمَان .

هَذَا بَعْضُ مَا قَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحَيَاءِ وَهُوَ كَمَا تَرَى يَتَضَمَّنُ وَعْدَ مَنْ اتَّصَفَ بالحَيَاءِ بِالجَنَّةِ وَوَعِيْدَ مَن اتَّصَفَ بِضِدِّهِ مِنَ البَذَاءِ والجَفَاءِ بِالنَّارْ وَلاَ شَك في أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَجل الحِكَم وَأَفْضَلِ المَوَاعِظ فَمَا مِنْ أَحَدٍ يَسْتَمْسِكُ بالحَيَاءِ وَلاَ يَحِيْدُ عَنْه إلاَّ عَاشَ في دُنْيَاهُ عِيْشَةً سَعِيْدَةً حَمِيْدَةً رَاضِيَةً مَرْضِيّةً وَظَفِرَ في آخِرَتِهِ بالسَّعَادَةِ الدَّائِمَة إِذَا وَفَّقَهُ اللّهُ لِذَلِك .

وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الحَيَاءَ يَنْقَسِمُ إلى قِسْمَيْن حَياء مِنَ النَّاسِ فَأَمَّا الحَيَاءُ مِنَ اللّه فَإِنّه يَترَتَّبُ عَلَيْهِ كُلَّ الفَضَائِلِ ، الَّتِي يَسْعَد بِهَا النَّاسُ في دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ فَإِنَّ الذِي يَسْتَحِي مِنَ اللّه لاَ يَفْعَلُ المَعَاصِي بَلْ يَحْفَظ جَوَارِحَهُ كُلّهَا عَنْهَا وَلاَ يَتْرُكُ وَاجِباً مَا دَامَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللّهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْه لاَ تَخفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنَ أَمْره .

وَأَنّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَجْزِي المُحْسِنَ باحْسَانِه وَالمُسِيء بِاسَاءَته كَمَا قَالَ تَعَالى ﴿ لِيَجزِيَ الْذِيْنَ أَسَاؤا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِيْنَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الّذِي خَلَقَ الانْسَانَ وَسَوّاهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَأَنّهُ الّذِي أَمَدَّهُ بِنِعَمِه كمَا قَالَ ﴿ تَعَالى وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً

وَباطِنَة ﴾ وَقالْ ﴿ وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللّه ﴾ وَقَال ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّهِ لَا تُحْصُوها ﴾ .

وَأَنَّهُ الّذِيْ فَضَّلَهُ عَلَى كَثِيْرٍ مِنْ خَلْقِه كَمَا قَالَ تَعالى وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ في البرِّ وَالْبَحْرِ وَرزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبات وَفضّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيْرٍ مِمَّنْ خَلقْنَا تَفْضِيْلا وَأَنّهُ مَدِيْنٌ لِلّه في وُجُوْدِهِ وَبقَائِه وَفَنَائِهِ وَبَعْثِهِ وَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إلى اللّه في جَمِيْعِ حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِه بَلْ مضطرٌ إليهِ ضَرُوْرَةً مُسْتَمِرَّةً .

وَأَنَّهُ إِذَا فَكَّرَ فِي نَفْسِه وَأَدْرَكَ مَا انْطَوتْ عَلَيْهِ مِنْ دَقِيْقِ الصُّنْعِ وَبَدِيْعِ التّرْكِيْب كَمَا أَشَارَ إِلَيْـهِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَفي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُون وَعَلِمَ أَنَّهُ لاَ يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً فَلاَ بُدَّ أَنْ يَسْتَحِي مِنْ عِصْيَانِ ذَلِكَ الخَالِقِ العَظِيْم الحَكِيْم وَلاَ بُدَّ أَنْ يَفْعَلَ مَا أَمَرَهُ اللّهُ بِه وَيَنْتَهِي عَمَّا نَهاهُ عَنْهُ وَذَلِكَ هُوَ الخَيْرُ كُلُّهُ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في الحَدِيْثِ السّابِق .

وَهَذَا وَاضِح لأَنَّ الَّذِي يُطِيْعُ اللَّهَ فِيْمَا أَمَرْ يَقُومُ بِالْوَاجِبَاتِ ، وَيَمْتَنِعُ عَنِ المحَرَّمَاتِ فَلَا يَظْلِمُ وَلاَ يَتَكَبَّرُ وَلاَ يُنَافِقُ وَلاَ يَكْذِبْ وَلاَ يُرَابِي وَلاَ يُرَائِي وَلاَ يَخُونْ وَيَتَجَنَّبُ جَمِيْعَ سَفْسَافِ الأُمُورِ ، وَيَعْمَلُ بِمَعَالِيَ الأَخْلاَقِ مِنَ العَدْلِ وَالتّوَاضُعِ وَالحِلْمِ والصِّدْقِ والصَّبْرِ وَالعِفَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهُوَ ذُو فَضْلٍ عَظِيْمٍ وَخَيْرٍ كَثِيْرٍ عَلى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهْ يَعِيْشُ في هَذِهِ الدُّنْيا عِيْشَةً رَاضِيَةً وَيَحْيا حَيَاةً هَنِيْئَةً طَيّبَةً في الدُّنْيا والآخِرَةِ وَ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيْم ﴾.
وَقَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدُوسْ :

إِذَا قَلَّ مَاءُ الْوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَجْهٍ إِذَا قَلَّ مَاؤُهُ
حَيَاؤُكَ فَاحْفَظْ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا
يَدُلُّ عَلَى فِعْلِ الْكَرِيْمِ حَيَاؤُهُ

اللَّهُمَّ يَا جَامِعَ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيْهِ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصِّدْقِ وَالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ وَالإِخْلَاصِ وَالخُشُوْعِ وَالمُرَاقَبَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وَأَمَّا الحَيَاءُ مِنَ النَّاسْ فَهُوَ قِسْمَانْ الأَوَّلِ أَنْ يَسْتَحِي المرْءُ مِنَ النَّاسِ وَهُوَ جَازِمٌ بِأَنَّهُ لَا يَأْتِي هَذَا المُنْكَرَ وَلَا يَفْعَلُ هَذِهِ الرَّذِيْلَةَ خَوْفاً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَحَيَاءً مِنْهُ أَيْضَا وَلَوْ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَهَذَا هُوَ الحَازِمُ الَّذِي عَرَفَ كَيْفَ يَسْتَفِيْدُ مِنْ صِفَةِ الحَيَاءِ ، وَيَأْخُذَ أَجْرَهَا كَامِلاً لِأَنَّ الحَيَاءَ إِنَّمَا يُمْدَحُ مِنْ جَمِيْعِ جِهَاتِهِ إِذَا تَرَتَّبَ عَلَيْهِ الْكَفُّ عَنِ القَبَائِحِ الَّتِي لَا يَرْضَاهَا الدِّينُ الإِسْلَامِيّ فِي جَمِيْعِ الأَحْوَالِ .

وَرُوِيَ أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِي أَتَى الجُمُعَةَ فَوَجَدَ النَّاسَ قَدْ انْصَرَفُوا فَتَنَكَّبَ الطَّرِيْقَ عَنِ النَّاسِ وَقَالَ لَا خَيْرَ فِيْمَنْ لَا يَسْتَحِي مِنَ النَّاسْ .

إِذَا لَمْ تَصُنْ عِرْضاً وَلَمْ تَخْشَ خَالِقَا
وَتَسْتَحِيي مَخْلُوقاً فَمَا شِئْتَ فَاصْنَعِ

وَيُقَالُ خَمْسَةُ أَشْيَاءْ تَقْبُحُ فِي خَمْسَةِ أَصْنَافٍ قِلَّةُ الحَيَاءِ فِي ذَوِي الاحْسَابِ وَالْحِدَّةُ فِي السُّلْطَانِ ، وَالبُخْلُ فِي ذَوِي الأَمْوَالِ ، وَالْفُتُوَّةُ فِي

الشُّيُوخِ ، والْحِرْصُ في العُلَمَاءِ ، وَالقُرَّاءِ .

الثَّانِي : أَنْ يَتْرُكَ القَبِيْحَ حَيَاءً مِنَ النَّاسِ بَحِيْثُ لَوْ لَمْ يَطَّلِع عَلَيْهِ أَحَدٌ لَفَعلهُ وهَذَا يَحْتَاجُ إِلى عِلَاج لِأَنّه ما دَامَ عِنْدَهُ شَيءٌ مِنَ الحَيَاء وَهُوَ حَيَاؤُهُ مِنَ النّاسِ فَقَطْ فَمَا دَامَ لَا يَفْعَلُ القَبَائِحَ بَيْنَهُمْ فَإِنّهُ يَسْهُلُ تَذْكِيْرُهُ بِعظَمَةِ رَبّه وَجلَالِه وَأَنّه أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنه لِأَنّهُ القَادِرُ المطلِعُ الّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَيُبَيّنُ لَهُ أَنّهُ لَا يَلِيْقُ بالمُؤْمِن أَنْ يَسْتَحِي مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحِي مِنَ اللّهْ وَلَيْسَ مِنَ العَقْلِ وَلَا مِنَ المرُوْءَةِ أنْ يُضِيْعَ ثَوابَ تَرْكِ القَبِيْحِ بِانْصِرَافِهِ عَنْ مُلَاحَظَةِ خَالِقِهِ وَمُرَاقَبَةِ رَبّهِ .

أَمَّا الَّذِي يُجَاهِرُ بالمَعَاصِي وَلَا يَسْتَحِي مِنَ اللّهِ وَلَا مِنَ النّاسِ فَهُوَ مِنْ شَرِّ مَا مُنِيَتْ بِهِ الفَضِيْلَة لِأَنّ المَعَاصِي دَاءٌ سَرِيْعُ الإِنْتِقَالِ لَا تَلْبَثُ أَنْ تَسْرِي إِلى النُّفوسِ الضَّعِيْفَةِ فَيَعُمُّ شَرُّ مَعْصِيَةِ المُجَاهِرِ وَيَتَفَاقَمُ خَطْبُها وَيَصْعُبَ عِلَاجُها فَضْلاً عَمَّا في المُجَاهِرَةِ مِنْ إِنْتِهَاكِ حُرْمَةِ الفَضِيْلَةِ وَالقَضَاءِ عَلَيْهَا فَشَرُّهُ عَلَى نَفْسِه وَعَلى النّاسِ عَظِيْمٌ وَخَطَرُهُ عَلى الفَضَائِلِ كَبِيْرٌ .

شِعْرا : إِذَا مَا ذكرتَ النَاسَ فاتْرُكْ عُيُوبَهِمْ ... فَلَا عَيْبَ إِلَّا دوْن مَا مِنْكَ تَذْكُرُ
مَتَى تَلْتَمِسْ للنَّاسِ عَيباً تَجِدْ بِهِمْ ... عُيُوْباً وَلَكِنْ رُبّما فِيكَ أَكْثَرُ

شعرا : إِذَا حُرِمَ المَرْءُ الحَيَاءَ فإنّهُ ... بكل قبيح منه كان جدير
له قِحّةٌ فى كل أَمْر وسِرُّهُ ... مُبَاحُ وخِدْنَاهُ خَناً وغُرُوْرُ
يَرى الشّتْمَ مَدْحاً والدّناءَةَ رِفْعَة ... وللسّمْعِ منه فى العطَاءِ نُفُوْرُ
فَرَجِ الفَتَى ما دَامَ حَياً فإنَّهُ ... إلى خَيْرِ حَالاتِ الْمَبيْتِ يَصِيْرُ

آخــر : إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي ... وَلَمْ تَسْتَحِيي فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ
فَلَا وَاللهِ مَافِي العَيْشِ خَيْرٌ ... وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ
يَعِيْشُ المَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ ... وَيَبْقَى العُوْدُ مَا بَقِيَ الْحَيَاءُ

آخــــر : إذا المرءُ وَافـى الأَربَعِينَ ولــم يكنْ

لَـهُ دُوْنَ مـا يَهْـوَى حَيَــاءٌ ولا سِــتْرُ

فدَعْـهُ ولا تنْفُسْ عليه الـذي أتَـى

وَإنَّ جَـرَّ أسـبابَ الحَيَـاةِ لَـهُ الـدَّهْـرُ

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتلَذَّذُونَ بِذِكْر فُسُوقِهِمْ وَمَعَـاصِيْهِمْ وَيَتَبَجَّحُونَ بِتَعْدادِ جَرائِمهِمْ وَجِنَايَاتِهِمْ فَيُذِيْعُونَ لِجُلَسَائِهِمْ مَا سَتَرَهُ اللّهُ عَلَيْهِمْ فَيُعرِّضُونَ أَنْفُسَهُمْ لِعُقُوبَةِ الدُّنْيَا وَلِلْحِرْمَانِ مِنْ عَفْوِ اللّهِ وَرَحْمَتِهِ وَفي هَؤُلَاءِ وَأَمْثَـالِهِمْ يَقُولُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمْ كُـلُّ أُمَّتِي مُعَـافي إلَّا المُجَاهِرُون فَيَجِبُ أَنَّ لا يَتْرُكُوا أُولَئِكَ الّذِيْنَ يُجَاهِرُونَ بِارْتِكَابِ المُوبِقَات يَعِيْشُونَ بَيْنَهُمْ بَلْ يَجِبُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ أَنْ يَبْذِلَ مَجْهُوداً في رَدِّهِمْ عَنْ غَيِّهِمْ بِكُلِّ مَا يَسْتَطِيْعُ مِنَ النَّصِيْحَةِ وَالإِرْشَادِ وَغَيْرِهَا .

وَخَيْرُ عِلاجٍ لِلْقَضَاءِ عَلَى هَؤُلَاء مُقَاطَعَتُهمْ وَعَدَمُ مُخَالَطَتِهِمْ وَعَدَمُ اجَابَةِ دَعْوَتِهِمْ والابْتِعَادُ عَنْهُمْ وَاحْتِقَارُهمْ في مَجَالِسِهِمْ والانْصِرَافُ عَنْ حَدِيْثِهِمْ إن ابْتُلَى بِهِمْ حَتَّى يَرْجِعُوا عَنْ غَيِّهِمْ وَيَكُفُّوا عَن المُجَاهَرَةِ بِجَرَائِمِهِمْ .

وَمِنَ الأَسَفِ أَنَّ المُجَاهَرَةَ بِالمَعَاصِي قَدْ فَشَتْ في زَمَنِنَا بِدُونِ حَيَاءٍ مِنَ اللّهِ وَلَا مِنَ النَّاسِ فَلا شَابٌّ يَنْزَجِر وَلَا شَيْخٌ يَرْعَوِي وَلَا رَجُلٌ تُدْرِكُهُ الغَيْرَةُ وَلَا امْرَأَةٌ يَغْلِبُ عَلَيْهَا الْحَيَاءُ فَتَتَحفَّظُ وَتَتَسَتَّر ، وَهَذَا مُؤَذِّنٌ بِعُقُوبَةٍ واللّهُ أَعْلَمْ لِأَنَّ الأُمَمَ تَحْيَا حَيَاةً طَيِّبَةً بالتَّمَسُّكِ بالفَضَائِلِ ، وَتَعِيْشُ عِيْشَةً سَعِيْدَةً بِاجْتِنَابِ الرَّذَائِلِ فَإِذَا انْتُهِكَتِ المَحَارِمُ ، وَغَلَبَتِ الشَّهَوَات ، وَضَاعَ الحَيَاءُفَمَاذَا يُرْتَجَى بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ عَيْشٍ وَرَاءَهُ سَخَطُ اللّه وَعِقَابه وَمَقْتِه وَعَذَابِهِ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ الَّا باللّهِ العَلِيِّ العَظِيْم .

شعرا : فَشَرُّ العَالَمِيْــنَ ذَوُوْ نِفَــاقٍ وَإشْــرَاكٍ بِــربِّ العَالَمِيْنَــا

وَخَيْرُ النَّاسِ ذَوْ دِيْــنٍ مَتِيْــنٍ وَتَعْظِيْمٍ لِــرَبِّ العَالَمِيْنَــا

مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ الله إنَّ الحَيَاءَ كَمَا عَلِمْتُمْ مِنَ الإيْمَان وَإِنَّهُ لَا يَأْتِي إِلَّا بخَيْرِ وَأَنَّهُ خُلق الإسْلاَم وَذَلِكَ أَنَّهُ يَجُرُّ إلى الكَمَالاَت وَإلى الفَضَائِل فَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الحَيَاءِ حَقِيْقَةً فَليقتدِي بِهِمْ وَالتَشَبَّه بِهِمْ لأَنهُمْ خَاصَّةُ الفُضَلاَءُ .

فَذُو الحَيَاءِ الخُلُقِي يَمْنَعُهُ حَيَاؤُهُ مِنَ العُدْوَانِ عَلَى المَخْلُوقَاتِ ذُو الحَيَاءِ لَا تَبْدُرُ مِنْهُ بَادِرَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الفَضَائِلْ تَنَافي ذُو الحَيَاءِ لَا يُقْدِمُ عَلَى الزِّنَا بَلْ وَلاَ عَلَى مُغَازَلَةِ النِّسَاءِ الّتِي هِيَ مِفْتَاحُ الفُسُوق وَلاَ يُقْدِمُ عَلَى مُعَامَلةٍ في الرِّبَا لِعِلْمِهِ أَنَّ مُتَعَاطِي الرِّبَى العَالِمَ بِتَحْرِيْمِهِ مُحَارِبٌ لِلّهِ وَرَسُولِه .

ذُو الحَيَاءِ لَا يَغُشُّ أَخَاهُ المُؤْمِنْ لِعِلْمِهِ بِتَحْرِيْم الغش وَأَنَّ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا ذُو الحَيَاءِ لَا يَعْثُوْ في لُحُوم الغَوَافِلِ ، ذُو الحَيَاءِ لَا يَنْقُلُ كَلاَمَ مُؤْمِنٍ إلى أَخِيْهِ لِقَصْدِ الإفْسَادِ بَيْنَهُمْ ذَوُ الحَيَاءِ لَا يَعِقُّ وَالِدَيْهِ وَلاَ يَقْطَعُ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَلاَ يَشْهَدُ بالـزُّوْرِ وَلاَ يُؤْذِ جِيْرَانَهْ .

صَاحِبُ الحَيَاءِ يَبْتَعِدُ عَنْ أَكْلِ الحَرَامْ وَعَنْ المُجَاهَرَةِ بِالمَعَاصِي فَلاَ يَحْلِقُ لِحْيَتَه لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ بِذَلِكَ عَاص لِلّهِ وَلِرَسُولِهْ وَلاَ يُخَنْفِسْ وَلاَ يَجْعَلُ تَوَالِيت لِعِلْمِهِ أَنْ ذَلِكَ تَشَبُّه بِالافْرَنْج وَلاَ يَسْتَعْمِلُ المَلاَهِيَ بِأَنْوَاعِهَا مِنْ تَلِفِزْيُونٍ أَوْ سِينَمَاءٍ أَوْ مِذْيَاعٍ أَوْ كُرَةٍ أَوْ بكمٍ أَوْ عُودٍ أَوْ فِدْيُو أَو نَحوِ ذَلِكَ مِنَ البِدَعِ المُحَرَّمَاتِ التِي حَدَثَتْ في زَمَنِنَا كالمذكورات.

صَاحِبُ الحَيَاءِ لاَ يَشْرَبُ الدُّخَانَ أَوْ إنْ بُلِيَ بِهِ فَلاَ يَشْرَبَهُ في

الأَسْوَاقِ وَمَجَامِعِ النَّاسِ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ إذَا جَاهَرَ بِهِ في ذَلِكَ إزدَادَ إثْمُهُ وَعَظُمَ جُرْمُهُ ذُوْ الحَيَاءِ لَا يَخْلُو بامْرَأةٍ لا مَحرَم مَعَهَا لَا في بَيْتٍ ولا في سَيَّارَةٍ ولا في أيِّ مَحلٍ لِعِلْمِهِ أَنَّ خَلْوَةً بالأَجْنَبِيَّةِ مُحَرَّمٌ لِلأَحَادِيْثِ الواردةِ في ذَلِكَ .

صَاحِبُ الحَيَاءِ لا يَبِيْعُ وَيَشْتَرِي في صُوَرِ ذَوَاتِ الأَرْوَاحِ مُجَسَّدَةً أَو غَيْرَ مُجَسَّدَةٍ ولا يَبِيْعُ آلاتِ اللَّهْوِ كَالتَّلَفْزِيُونِ والسِيْنَما وَالمِذْيَاعِ لِعِلْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ مُحَرَّمٌ وَأَنَّهُ بتعَاطِيْهِ ذَلِكَ يَكُونُ مُعِيْناً عَلَى نَشْر المَعَاصِي في أَرْضِ اللَّهِ بَلْ وَلَا يُصَلِّحُها لِأَنَّ ذَلِكَ مُسَاعَدَةٌ عَلى المَعَاصِي .

وَالأُجْرَةُ حَرام الّتِي تَأْتِي مُقَابِلَ تَصْلِيْحِ آلَاتِ اللَّهْوِ وَالفُسُوقْ وَقِسْ عَلى ذَلِكَ بَاقِيَ المُحَرَّمَات فَصَاحِبُ الحَيَاءِ الخُلُقِيَ يَسْتحِي مِنَ اللّهْ وَمن اسْتَحْيَا مِنَ اللّهْ لَمْ يُغْضِبْهُ . صاحبُ الدين والحَياء لا يَعمر قُصُوْراً للأعْراس ولا يُشَارِكُ في عِمارتها لِعِلْمهِ أنَّ ذَلِكَ يُصادِمُ تخْفِيْفَ الصَّداق الذي هُوَ سَبَبٌ لتكثير أمة محمد ﷺ ، نسأل الله أن يَعْصِمَنَا وإخْوانَنا المسلمين عن عمارَتها والمشاركة فيها اللهم صلى على محمد وآله وصحبه وسلم .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ إذَا أَرَادَ اللّهُ أَنْ يُهْلِكَ عَبْداً نَزَعَ مِنْهُ الحَيَاء فَإِذا نَزَعَ مِنْهُ الحَيَاءَ لَمْ تُلْفِهِ إلَّا مَقِيْتاً مُمقَّتاً فَإِذَا لَمْ تُلْفِهِ إلَّا مَقِيْتاً مُمَقَّتاً نُزِعَتْ مِنْهُ الأَمَانَةُ فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الأمانَة لَمْ تُلْفِهِ إلَّا خَائِناً مُخَوَّناً فإذا لَمْ تُلْفِهِ إلَّا خَائناً مُخوَّناً نُزِعَتْ مِنْهُ الرّحْمة فإذا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَة لَمْ تُلْفِهِ إلَّا رَجِيْماً مُلَعَّناً نُزِعَتْ مِنْهُ رِبْقَةُ الإِسْلَام رواه ابْنُ مَاجَه .

قَالَ العُلَمَاءُ عَلَى هَذَا الحَدِيْث ، وَهَذَا تَرْتِيْبٌ دَقِيْقٌ في وَصْفِهِ لأَمْرَاضِ النُّفوسْ وَتَتَبعِهِ لِأَطْوَارِها وَكَيْفَ تُسَلِّمُ كُلُّ مَرْحَلَةٍ خَبِيْثَةٍ إلى أخْرَى أَشَدَّ نَكْراً فَإِنَّ الرَّجُلِ إذَا مَزَّقَ جِلْبَابَ الحَيَاءِ عَنْ وَجْهِهِ وَلَمْ يَتَهَيَّبْ عَلَى عَمَلِهِ حِسَابَا وَلَمْ يَخْشَ في سُلُوكِهِ لَوْمَةَ لائم مَدَّ يَدَ الأَذَى لِلنَّاس

وَطَغَى عَلَى كُلِّ مَنْ يَقَعُ في سُلْطَانِهِ .

وَمِثْلُ هَذَا الشَّخْص الشَّرِسْ لَنْ تَجِدَ لَهُ قَلْباً يَعْطِفُ عَلَيْهِ بَلْ يَغْرِسُ الضَّغَائِنَ في القُلُوبِ وَيُنَمِّيْها وَأَيُّ شَخْصٍ جَرِيءُ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى النَّاسِ وَلَا يَرُدُّهُ عَنِ الآثام حَيَاءُ فَاذَا صَارَ الشَّخْصُ بِهَذِهِ المثابَةِ لَمْ يُؤْتَمَنْ عَلَى شَيءٍ قَطْ إِذْ كَيْفَ يُؤْتَمن عَلى أَمْوالٍ لَا يَخجَلُ مِنْ أَكْلِهَا أَوْ عَلَى أَعْرَاضٍ لَا يَسْتَحِي مِنْ فَضْحِها أَوْ عَلَى مَوْعِدٍ لَا يَهُمُّهُ أَنْ يُخْلِفَهْ أَوْ عَلى وَاجِبٍ لَا يُبَالِي أَنْ يُفَرِّطَ فِيْهِ أَوْ عَلى بِضَاعَةٍ لَا يَتَنزَّهُ عَنِ الغِشِّ فِيْها .

فَإِذَا فَقَدَ الشَّخْصُ حَيَاءَهُ وَفَقَدَ أَمَانَتَهُ أَصْبَحَ وَحْشِيَّاً كاسِراً يَنْطَلِقُ مُعَرْبِداً وَرَاءَ شَهْوَاتِهِ وَيَدُوسُ في سَبِيْلِها أَزْكى العَواطِفْ فَهُوَ يَغْتَالُ أَمْوَالَ الفُقَراء غَيْرَ شَاعِرٍ نَحْوَهُمْ برقَّةٍ وَيَنْظُرُ إلى المَنْكُوبِيْنَ والمُسْتَضْعَفِينَ فَلَا يَهْتَزُّ فُوآدُهُ بِشَفقَةٍ فَهُوَ لَا يَعْرِفُ إلَّا مَا يُغوِيْهِ وَيُغْرِيْهِ بالمَزِيْد .

وَيَوْمَ يَبْلُغُ امرُؤٌ هَذَا الحَضِيْضَ فَقَدْ أُفْلِتَ مِنْ قُيُودِ الدِّيْن وَانْخَلَعَ مِنْ رَبْقَةِ الإِسْلَام ، وَلِلْحَيَاءِ مَوَاضِعُ يُسْتَحَبُّ فِيْهَا فالحَيَاءُ في الكلام يَتَطَلَّبُ مِنَ المُسْلِمِ أَنْ يُطَهِّرَ فَمَهُ مِنَ الفُحْشِ وَأَنْ يُنَزِّهَ لِسَانه عَنِ العَيْب وَأَنْ يَخْجَلَ مِنْ ذِكْرِ العَوْرَاتِ فَإِنَّ مِنْ سُوءِ الأَدَبِ أَنْ تُفْلِتَ الأَلْفَاظُ البَذِيْئَةُ مِنَ المَرء غَيْرَ عَابِىءٍ بِمواقِعِها وَآثَارِهَا وَمِنَ الحَيَاء أَنْ يَقْتَصِدَ المُسْلِمُ في الكَلَامِ في تَحدُّثِهِ في المَجَالِس انْتَهى .

شِعْرَاً : هَذِهِ قَصِيْدَةٌ مَمْلُوءَةٌ حِكَماً رَائِعَةً لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا اللَّبِيْبُ :

أَحْسِنْ جَنَى الحَمْدِ تَغْنَمْ لَذَّةَ العُمُرِ
وَذَاكَ في بَيَاهِرِ الأَخْلَاقِ والسِّيَرِ

هَمُّ الفَتَى المَـاجِدِ الغِـطْرِيْفِ مَكْـرُمَـةٌ
يَضُـوْعُ نَادِيْ المَـلاَ مِنْ نَشْرِهَـا العَطِرِ
وَحِلْيَـةُ المَرْءِ في كَسْبِ المَحَـامِـدِ لاَ
في نَـظْمِ عِقْـدٍ مِنَ العِقْيَـانِ والـدُّرَرِ
تَكْسُـوْ المَحَامِـدُ وَجْهَ المَـرْءِ بَهْجَتَهَـا
كَمَا اكْتَسَىٰ الزَّهْرُ زَهْرَ الرَّوْضِ بالمَطَرِ
يُخَلِّدُ الـذِّكْـرُ حَمْـداً طَـابَ مَنْشَؤُهُ
وَلَيْسَ يَمْحُـو المَـزَايَـا سَـالِفُ العُصُـرِ
تَمَيَّـزَ النَّـاسُ بـالفَضْـلِ المُبِيْنِ كَمَـا
تَمَيَّـزَوْا بَـيْنَـهُمْ فـي خِلْقَـةِ الـصُّـوَرِ
بِـقَـدْرِ مَعْـرِفَـةِ الإِنْـسَـانِ قِـيْـمَـتُـهُ
وبـالفَضَـائِـلِ كَـانَ الفَـرْقُ في البَشَـرِ
مـا الفَضْـلُ في بَزَّةٍ تَـزْهُـو بِـرَوْنَقِهَـا
وَأَيُّ فَـضْـلٍ لاَ بْـرِيْـزٍ عَـلَى مَـدَرِ
وَإِنَّمـا الفَضْــلُ في عِـلْمٍ وَفي أَدَبٍ
وفي مَكَــارِمَ تَـجْلُو صِـدْقَ مُـفْتَـخِـرِ
فَـلاَ تُـسَـــاوِ بِـأَخْـلاَقٍ مُـهَـذَّبَـةٍ
أَخْـلاَقَ سُـوءٍ أَتَتْ مِنْ سَـارِحِ البَقَـرِ
وَخُـذْ بِمَنْهَـجِ مَنْ يَعْصِي هَـوَاهُ وَقَـدْ
أَطَـاعَ أَهْـلَ الحِجَا في كُـلِّ مُؤْتَمَـرِ
إِنَّ الْهَـوَىٰ يُفْسِـدُ العَقْـلَ السَّلِيْمَ وَمَنْ
يَعْصِي الهَوَىٰ عَاشَ في أَمْنٍ مِنَ الضَّرَرِ

وَجَاهِدِ النَّفْسَ فِي غَيٍّ يُلِمُّ بِهَا
كَيْلَا تُمَاثِلَ نَذْلاً غَيْرَ مُعْتَبَرِ
وَفِي مُعَاشَرَةِ الأَنْذَالِ مَنْقَصَةٌ
بِهَا يَعُمُّ الصَّدَا مِرْآةَ ذِي فِكَرِ
وَلَيْسَ يَبْلُغُ كُنْهَ المَجْدِ غَيْرُ فَتىً
يَرَى اكْتِسَابَ المَعَالِيْ خَيْرَ مُتَّجَرِ
إِنَّ الكَرِيْمَ يَرَىٰ حَمْلَ المَشَقَّةِ فِي
نَيْلِ العُلَى مِنْ لَذِيْذِ العَيْشِ فَاصْطَبِرِ
فَالصَّبْرُ عَوْنُ الفَتَى فِيْمَا تَجَشَّمَهُ
إِنَّ السِّيَادَةَ نَهْجٌ وَاضِحُ الوَعَرِ
وَأَفْضَلُ الصَّبْرِ صَبرٌ عن مُهَيَّأَةٍ
مِنَ المَعَاصِي لِخَوْفِ اللهِ فَازْدَجِرِ
وَاصْبِرْ عَلَى نَصَبِ الطَّاعَاتِ تُحْظَ بِمَا
أَمَّلْتَهُ مِنْ عَظِيْمِ الصَّفْحِ مُغْتَفَرِ
نَيْفٌ وَسَبْعُونَ مِنْ آيِ الكِتَابِ أَتَتْ
فِي الصَّبْرِ فاعْمَلْ بِهَا طُوْبَى لِمُصْطَبِرِ
وَعِشْ مُحَلًّا بِأَخْلَاقٍ مَحَاسِنُهَا
تُجلِيْ عَلَى أَوْجُهِ الأَيَّامِ كَالْغُرَرِ
دِيْنٍ بِهِ عِصْمَةٌ مِنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ
وَكُلِّ مَا اسْطَعْتَ مِنْ بِرٍّ فَلَا تَذَرِ
إِنَّ العَفَافَ حِمَىً لِلنَّسْلِ صُنْهُ بِهِ
إِذَا أَضَعْتَ الحِمَى يَرْعَاهُ كُلُّ جَرِي

قَــدْ قِيْــلَ عِفُّــوْا تَعُفنَّ النِسَــاءُ وفي
مِثْقَــالِ خَيْــرٍ فَشَــرٌ أَوْضَــحُ الـنُــذُرِ
وَمِنْ جَمَالِ الفَتَى صِدْقُ العفَافِ فَكُنْ
بِــهِ مُحَلَّىً خَلِيْقــاً مُنْتَهى الـعُمُــرِ
وَالْـزَمْ فَـوَائِــدَ تَقْـوَى اللّهِ تَعْــلُ بِهَا
إنيّ سَــأُوْرِدُهَــا عَنْ مُحْكَمِ الـزُّبُــرِ
فَبِــالتُّقَى مَخْــرَجٌ مِنْ كُــلِّ حَــادِثَــةٍ
والحِفْظُ مِنْ صَـوْلَةِ الأَعْـدَا مَعَ الـظَّفَرِ
وَالــرِّزْقُ في دَعَـةٍ بِــالْحِـلِّ مُقْتَــرِنٌ
وَحُسْنُ عَــاقِبَــةٍ في خَيْــرِ مُــدَّخَــرِ
وَجَــاءَ نُــورٌ بِــهِ تَـمْشِي وَمَـغْـفِــرَةٌ
مِنَ الــذُّنُــوبِ وَمَنْجَــاةٌ مِنَ الـحَــذَرِ
بِــهِ البَشَــارَةُ في الــدُّنْيَــا وَضَــرَّتِهَــا
بِــهِ النَّجَــاةُ مِــنَ الأَهْــوالِ والشَّــرَرِ
وَرَحْــمَــةُ اللّهِ تَـغْشَـى المُتَّقِي وَلَــهُ
قَــبُــولُــه وَلَــهُ الإِكْــرَامُ فَــاعْـتَــبِــرِ
وَبِــالتُّقَى تَغْنَمِ الإِصْــلاَحَ في عَمَــلٍ
وَتَــسْتَـفِيــدُ بِــهِ عِـلْمَــاً بِــلاَ سَـهَــرِ
وَنَـفْــعُ ذَلِــكَ لاَ يُحْـصَى لَــهُ عَــدَدٌ
وَنَصُّ ذَلِــكَ في آيِ الكِتَــابِ قُــرِي
وَخَيْــرُ مَـا يَقْتَنِي الإِنْسَــانُ إِنْ كَـرُمَتْ
أَخْــلاَقُــهُ واسْتَفَــادَتْ رِقَّــةُ الــسَّحَــرِ

وَمِنْ مَكَـــارِمِهَـــا عَشْـــرٌ عَلَيْـــكَ بِهَـــا
فَـــإِنَّـهـــا حِـكَـــمٌ تُـــرْوَى عَـــنِ الأَثَـــرِ
صِـدْقُ الحَدِيْثِ فَـلاَ تَعْـدِل بِـهِ خُلُقـاً
تَبْلُغْ مِنَ المَجْـدِ أَبْهَى بَـاذِخِ السُّرُرِ
وَكُنْ خَلِيْقـاً بِصِدْقِ الْبَـأْسِ يَـوْمَ وَغَىٰ
فَشَـــرُّ عَيْبِ الفَتَى بِـــالجُبْـنِ والْخَـــوَرِ
أَجِبْ مُنَادِي العُلَى فِي خَوْضِ غَمْرَتِهَا
فَـالعِـزُّ تَحْتَ ظِـلاَلِ البِيْضِ والسُّمُـرِ
بِـــالصَّبْرِ يَكْتَسِبُ المِقْـــدَامُ نُصْـــرَتَـــهُ
وَيُلْبِسُ الضِّـــدَّ مِنْـــهُ ثَـــوْبَ مُنْـــذَعِـــرِ
وَلاَ يُـــدَنِّـيْ لَـــهُ الإِقْـــدَامُ مِنْ أَجَـــلٍ
يَكْفِي حِـــرَاسَتَـــهُ مُـسْتَـــأْخِـــرُ الـقَـــدَرِ
واحْرِصْ عَلَى عَمَلِ المَعْرُوفِ مُجْتَهِداً
فَـــإِنَّ ذَلِـــكَ أَرْجَـــىٰ كُـــلَّ مُـنْـتَـــظِرِ
وَلَـيْسَ مِنْ حَـــالَـــةٍ تَبْقَـى كَهَـيْئَتِـهَـــا
فَـاغْنَمْ زَمَانَ الصَّفَـاءِ خَوْفاً مِنَ الكَدَرِ
وَلاَ يَضِيْـــعُ وإِنْ طَـالَ الـــزَّمَـــانُ بِـــهِ
مَعْـــرُوفُ مُسْتَبْصِـــرٍ أُنْثَى أَوِ الـــذَّكَـــرِ
إِنْ لَمْ تُصَـــادِفْ لَـهُ أَهْـــلاً فَـأَنْتَ إِذا
كُنْ أَهْلَهُ واصْـــطَنَعْـــهُ غَيْـــرَ مُقْتَصِـــرِ
أَغِثْ بِـامْكَـانِـكَ المَلْهُـوفَ حَيْثُ أَتَى
بِـالكَسْـرِ فَـــاللَّهُ يَـرْعَى حَـــالَ مُنْكَسِرِ

وَكَافِئَنَّ ذَوِي المَعْرُوفِ مَا صَنَعُوا
إنّ الصَّنَائِعَ بالأَحْرَارِ كَالْمَطَرِ
وَلاَ تَكُنْ سَبِخاً لَمْ يُجْدِ مَاطِرُهُ
وَكُنْ كَرَوْضٍ أَتَى بالزُّهْرِ وَالثَّمَرِ
واذْكُرْ صَنِيْعَةَ حُرٍ حَازَ عَنْكَ غِنَى
وَقَدْ تَقَاضَيْتَهُ في زِيّ مُفْتَقِرِ
وَاحْفَظْ ذِمام صَدِيْقٍ كُنْتَ تَأْلَفُهُ
وَذِمَةَ الجَارِ صُنْها عَنِ يَدِ الغِيْرِ
وَصِلْ أَخَا رَحِمٍ تَكْسَبْ مَوَدَّتَهُ
وَفي الْخُطُوبِ تَرَاهُ خَيْرَ مُنْتَصِرِ
وَوَصْلُهُ قَدْ يَجُرُّ الْوَصْلَ فِي عَقِبِ
وَقَدْ يُزَادُ بِهِ فِي مُدَّةِ الْعُمُرِ
وَجُدْ عَلَى سَائِلٍ وَافى بِذِلّتِهِ
وَلَوْ بِشَيءٍ قَلِيْلِ النَّفْعِ مُحْتَقَرِ
وَاحْفَظْ أَمَانَةَ مَنْ أَبْدَى سَرِيْرَتَهُ
مَالاً وَحَالاً لِحُسْنِ الظَّنِّ وَالنَّظَرِ
وَاقرِ الضُّيُوفَ وَكُنْ عَبْدَاً لِخِدْمَتِهِمْ
وَهُشَّ بِشَّ وَلاَ تَسْأَلْ عَن السَفَرِ
وَبَادِرَنَّ إِلَيْهِمْ بالّذِي اقْتَرَحُوا
عَنْ طِيْبِ نَفْسٍ بِلاَ مَنٍّ وَلاَ كَدَرِ
وَخُضْ بِهِمْ في فُنُونٍ يَأْنَسُون بِها
مِنْ كلِّ مَا طَابَ لِلأَسْمَاعِ في السَّمَرِ

لِكُـلِّ قَـوْمٍ مَقَـامٌ في الخِـطَابِ فَـلاَ
تَجْعَـلْ مُحَـادَثَـةَ الأَعْـرَابِ كـالحَضَـرِ
وَاعْرِفْ حُقُوقَ ذَوِي الهَيْئَاتِ إِذْ وَرَدُوا
وَلِلصَّعَـالِيْـكِ فـاحْـذَرْ حَـالَـةَ الضَّجَـرِ
والْـزَمْ لَـدَى الأَكْـلِ آدَابـاً سَـأُوْرِدُهَـا
تَعِشْ حَمِيْدَ المَسَاعِي عِنْدَ كُـلِّ سَـرِي
كُنْ أَنْتَ أَوَّلَ بَـادٍ بِـامْـتِـدَادِ يَـدٍ
إِلـى الـطَّعَـامِ وَسَـمِّ الـلَّهَ وَابْـتَـدِرِ
وَاشْـرَعْ بـأَصْفَى حَـدِيْثٍ في مُنَـاسَبَـةٍ
بـالـزَّادِ أُنْسَـاً وَتَـرْغِيْـباً بِـلاَ هَـذَرِ
لاَ تُـؤْثِـرَنَّ بِشَـيءٍ لَـذَّ مَـطْعَـمُـهُ
نَفْسَـاً وَلاَ وَلَـداً فـالضَّيْفُ فِيْـهِ حَـرِي
وَكُنْ إِذَا قَـامَ كُـلُّ القَـوْمِ آخِـرَهُمْ
وَغُضَّ عَنْ مَـدِّ أَيْدِي القَـوْمِ بـالْبَصَـرِ
وَمَنْ أَقَـامَـكَ أَهْـلاً لِلضِّيَـافَـةِ قُمْ
بِشُـكْـرِهِ واسْتَـزِدْ انْعَـامَ مُقْتَـدِرِ
وَرَأْسُ مَـا قَـدْ ذَكَـرْنَـاهُ الحَيَـاءُ فَكُنْ
مِنَ الحَيَـاءِ بِـأَوْفَى بَـاهِـرِ الـحِبَـرِ
لاَ دِيْنَ إِلاَّ لِمَـنْ كَـانَ الحَيَـاءُ لَـهُ
إِلْفَـاً قَـرِيْنـاً فَيَسْمُـوْ كُـلَّ مُسْتَتِـرِ
فاسْتَحْيِ مِنْ خَالِقٍ يَـرْعَاكَ في مَـلأٍ
وَفـي خَـلاَءٍ وَكُنْ مِنْـهُ عَلَى حَـذَرِ

وَالعَـاقِلُ الشَّهْمُ مَنْ يَـأْبَى الرَّذَائِـلَ بلْ
يَخْتَـارُ مِنْ كُـلِّ شَيْءٍ أَطْيَبَ الْخَبَـرِ
بِـالْعَقْلِ تُـدْرِكُ غَايَـاتِ الْكَمَـالِ كَمَـا
بِـهِ تُـمَيِّـزُ بَيْـنَ النَّـفْـعِ والـضَّـررِ
لَـوْلاَهُ لَمْ نَعْـرِفَ اللَّهَ الكَـرِيْـمَ وَلاَ
نَمْتَـازُ يَـومـاً عَنِ الأَنْعَـامِ فِـي الفِـطَرِ
فَـاسْتَعْمِـلِ العَقْـلَ في كُـلِّ الأُمُـوْرِ وَلاَ
تكُنْ كَحَـاطِبِ لَيْـلٍ أَعْمَشَ الْبَصَـرِ
دَلِيْـلُ عَقْـلِ الفَتَى بَـادِي مُـرُوْءَتِـهِ
فَمَنْ تَجَنَّبَهَـا فَـالْعَقْـلُ مِنْـهُ بَـرِي
عَـارِي المُـرُوْءَةِ نِكْسٌ لاَ خَـلاَقَ لَـهُ
وَذُوْ المُـرُوْءَةِ مَحْبُـوبٌ لَـدَى البَشَـرِ
أَخُو المُرُوْءَةِ يَـأْبَى أَنْ يَرُدَّ ذَوِي الْ.
آمَالِ مِنْ فَضْـلِهِ فِي حَـالِ مُنْكَسِـرِ
وَالْجُـودُ أَشْرَفُ مَـا تَسْمُوْ الـرِّجَالُ بِـهِ
وَقَـدْ يُنَـالُ بِـهِ مُسْتَجْـمَـعُ الفَـخَـرِ
وبِـالسَّخَـاءِ لِحِفْظِ النِّعْمَـةِ اعْتَمِـدُوا
يَـا حَبَّذَ عَمَـلٍ بِـالْحِفْظِ صَـارَ حَـرِي
لاَ يَصْلُحُ الـدِّيْنُ إلاَّ بِـالسَّخَـاءِ أَتَى
إِنَّ السَّخَـاءَ مِـنَ الإِيْمَـانُ فَـاعْتَبِـرِ
والْجُـوْدُ مِنْ شَجَرِ الجَنَّاتِ فَاحْظَ بِـهِ
وَخُـذْ بِغُصْنٍ أَتَى مِنْ ذَلِـكَ الشَّجَـرِ

يُحِبُّ مَـوْلَاكَ حُسْنَ الخُلُقِ مُقْتَـرِنـاً
بـالجُـودِ لَمْ يُبْقِيَـا لِلذَّنْبِ مِنْ أَثَـرِ
إِنَّ الـسَّـخِيَّ حَبِـيْـبٌ لِـلإِلَـهِ لَـهُ
قُـرْبٌ مِنَ اللَّهِ هَـذَا جَـاءَ في الخَبَـرِ
ولا تَـرُحْ بِلَئِيْـمٍ سَـرْحَ عَـارِضَـةٍ
تَـرِدْ بِـهِ في ظَمَـا مِنْ حَـافَـةِ النَّهَـرِ
وَلَا تَـغُـرَّنْـكَ مِنْـهُ طُـوْلُ مِكْنَتِـهِ
حَـلْفَـاءَ عَـارٍ بِـلَا ظِـلٍّ وَلَا ثَـمَـرِ
بَذْلُ النَّفِيْسِ عَلَى نَفْسِ الخَسِيْسِ عَناً
فِعْـلُ الْجَمِيْلِ لَـدَيْـهِ مُـوْجِبَ الضَّـرَرِ
وَمَـنْ يَؤُمُّ لَئِيْـمـاً عِـنْـدَ حَـاجَـتِـهِ
يَعُضُّ كَفَّيْـهِ كَـالكُسْعِيِ وَسْطَ قَـرِي
وَاسْلُكْ سَبِيْـلَ كِـرَامٍ أَصْفِيَـاءَ مَضَـوا
بِكُـلِّ حَمْـدٍ عَـلَى الآفَـاقِ مُنْتَشِـرِ
وَاحْـذَرْ طَبَـائِـعَ أَهْـلِ اللُّؤْمِ إِنَّ لَهُمْ
ذَمَّـاً يَـدُومُ عَلى الآصَـالِ وَالْبُـكَـرِ
وَاغْـنَـمْ مَـكَـارِمَ تُـبْـقِيْـهَـا مُـخَـلَّدَةً
في أَلْسُنِ النَّاسِ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَـرِ
فَخَيْـرُ فِـعْـلِ الفَتَى فِـعْـلٌ يُبَـلِّغُـهُ
مِنَ المَحَـامِـدِ مَـا يَبْقَى عَلَى الأَثَـرِ
فَـالمَرْءُ يَفْنَى وَيَبْقَى الـذِّكْـرُ مِنْ حَسَنٍ
وَمِنْ قَبِيْـحٍ فَخُـذْ مَـا شِئْـتَـهُ وَذرِ

وَهَـذِهِ حِكَمٌ بِـالنُّصْـحِ كَـافِـلَةٌ
بِـالنَّقْلِ جَـاءَتْ وَعَنْ مَصْقُـولَـةِ الفِكَـرِ

اللَّهُمّ انظِمْنَا في سِلْكِ عِبَادِكَ المخلصينَ ووفّقْنَا للقِيَامِ بأَرْكانِ دينكَ القَويمِ وَنجنَا مِن لَفَحَاتِ الجَحِيْمِ وأَسْكِنَّا في جَناتِ النَّعيم واغفرْ لَنا ولِوالدِيْنَا ولِجَميع المُسْلمين الأحْيَاءِ منهم والميتين بِرَحْمَتِك يا أَرْحَمَ الراحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعلى آله وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْـلٌ)

قالَ في مُخْتَصر مِنْهَاج القَاصِدِيْن : وَاعْلَمْ أَنَّا قَدْ ذَكَرْنا جُمْلَةً مِنْ نِعَم اللَّهِ على خَلقِهِ وَنِعْمَةُ الْبَدَنِ وَاحِدَةٌ مِنَ النّعِمَ الوَاقِعَةِ في الرُّتْبَةِ الثَّانِيَةِ فَلَو أَرْدنا أَنْ نَسْتَقْصِي الأَسْبَابَ التي بِهَا تَمَّتْ هَذِهِ النّعْمَةُ لَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهَا وَلَكِنْ الأكْلُ أَحَدُ أَسْبَابِ الصِّحَّةِ ، فَلْنَذْكُرْ شَيْئاً مِنَ الأَسْبَابِ الّتِي يَتِمُّ بِهَا الأَكْلُ عَلَى سَبِيْلِ التَّدْرِيْجِ لَا عَلَى سَبِيْلِ الاسْتِقْصَاءِ .

فَنقُولُ : مِنْ جُمْلَةِ نِعَمِ اللّهِ عَلَيْكَ أَنْ خَلَقَ لَكَ آلَةَ الإِحْسَاسِ وَآلَةَ الحَرَكَةِ في طَلبِ الغِذَاء فَانْظُرْ إلى تَرْتِيْبِ حِكْمَةِ اللّهِ تَعالى في الحَوَاسِ الخَمْسِ الّتِي هِيَ آلَةٌ لِلإِدْرَاكِ .

فَأَوَّلُها حَاسَةُ اللَّمْسِ وَهُوَ أَوَّلُ حِسٍّ يُخْلَـقُ لِلْحَيوانِ وَأَنْقَصُ دَرَاجَاتِ الحِس أَنْ يُحِسَّ بِمَا يُلاصِقُهُ فَإِنَّ الإِحْسَاسَ بِمَا يَبْعُدُ مِنْهُ أَتَمُّ لَا مَحالَةَ فَافْتَقَرْتَ إلى حِسٍّ تُدْرِكُ بِهِ مَا بَعُدَ عَنْك فَخلَقَ لَكَ الشَّمَ تُدْرِكُ بِهِ الرَّائِحَةَ مِنْ بُعْدٍ وَلَكِنْ لَا تَدْرِي مِنْ أَيِّ نَاحِيَةٍ جاءَتِ الرَّائِحَةُ فَتَحْتَاجُ أَنْ تَطُوفَ أَيْ تَدُورَ كَثِيْراً ، حَتَّى تَعْثُرَ عَلى الَّـذي شَمَمْتَ رَائِحَته وَرُبَّما لَمْ تَعْثُرْ عَلَيْهِ .

فَخَلَقَ لَكَ الْبَصَرْ لِتُدْرِكَ بِهِ مَا بَعُدَ عَنْكَ وَتُدْرِكَ جِهَتَهُ فَتَقْصُدُها

بِعَيْنِهَا إِلَّا أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَخْلُقْ لَكَ إِلَّا هَذَا لَكُنْتَ نَاقِصاً إِذ لَا تُدْرِك بِذَلِكَ مَا وَرَاء الجِدَارِ وَالحِجَابِ فَرُبَّمَا قَصَدَكَ عَدُوٌّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَقَرُبَ مِنْكَ قَبْلَ أَنْ يَنْكَشِفَ الحِجَابُ فَتَعْجز عَنِ الهَرَبِ فَخَلَق لَكَ السَّمْعَ حَتَّى تُدْرِك بِهِ الأَصْوَاتَ مِنَ الحُجُراتِ عِنْدَ جَرَيَاتِ الحَرَكَاتِ وَلَا يَكْفِي ذَلِكَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ حُسْنُ ذَوْق اذْ بِهِ تَعْلَمُ مَا يُوَافِقُكَ وَمَا يَضُرُّكَ بِخِلَاف الشَّجرَة فانَّهُ يُصَبُّ فِي أَصْلِها كُلُّ مَائِعٍ وَلَا ذَوْقَ لَهَا فَتَجْذِبُهُ وَرُبَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبِ جَفَافِهَا وَتَلافِهَا .

ثُمَّ أَكْرَمَكَ تَعَالى بِصِفَةٍ أُخْرَى هِيَ أَشْرَفُ مِنَ الكُلِ وَهُوَ العَقْلُ فَبِهِ تُدْرِكُ الأَطْعِمَةَ وَمَنْفَعَتَها وَمَا يَضُرُّ فِي المَالِ وَبِهِ تُدْرِكُ طَبْخَ الأَطْعِمَةِ وَتَأْلِيْفِهَا وَاعْدَادَ أَسْبَابِها فَتَنْتَفِعُ بِهِ فِي الأَكْلِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ صِحَّتِكَ وَهِيَ أَدْنَى فَوَائِدِ العَقْلِ والحِكْمَةُ الكُبْرى فِيْهِ مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى .

وَمَا ذَكَرَنا مِنَ الحَوَاسِّ الخَمْسِ الظَّاهِرَةِ فَهِيَ بَعْضُ الإِدْرَاكَات وَلَا تَظُنُّ أَنَّنَا اسْتَوْفَيْنَا شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ البَصَرَوَاحِدٌ مِنَ الحَوَاسِ والعَيْنُ آلَةٌ لَهُ وَقَدْ رُكِّبَتْ العَيْنُ مِنْ عَشْرِ طَبَقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ بَعْضُهَا رُطُوبَاتٌ وَبَعْضُها أَغْشِيَةٌ مُخْتَلِفَةٌ .

وَلِكُلِّ واحِدَةٍ مِنَ الطَّبَقَاتِ العَشْرِ صِفَةٌ وَصُوْرَةٌ وَشَكْلٌ وَهَيئَةٌ وَتَدْبِيْرٌ وَتَرْكِيْبٌ لَوْ اخْتَلَفتْ طَبَقَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْهَا أَوْ صِفَةٌ وَاحِدَةٌ لَا اخْتَلَّ البَصَرُ ، وَعَجِزَ عَنْهُ الأَطِبَّاءُ كُلُّهِمْ فَهَذَا فِي حِسٍ وَاحِدٍ وَقِسْ حَاسَّةَ السَّمَع وَسَائِرَ الحَوَاس وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَوْفى ذَلِكَ فِي مُجَلَّدَات فكيف بجميع البدن .

ثـم انْظُرْ بـعـد ذلـك فـي خَـلْقِ الإِرَادةَ والـقُـدْرَةَ وآلاتِ الحَرَكَة مِنْ أَصْنَافِ النِّعَمْ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ خَلقَ لَكَ البَصَر حَتَّى تُدْرِكَ بِهِ

الطَّعَام وَلَمْ يَخْلُقْ لَكَ في الطَّبْع شَوْقاً إِلَيْه وَشَهْوَةً لَهُ تَسْتَحِثُّك عَلى الحَرَكَةَ لَكَانَ البَصرُ مُعَطَّلا فَكَمْ مِنْ مَرِيْضٍ يَرَى الطَّعَام وَهُوَ أَنْفَعُ الأَشْيَاءِ لَهُ وَلاَ يَقْدِرُ عَلَى تَنَاوُلَهُ لِعَدَمِ الشَّهْوَةِ لَهُ فَخَلَقَ اللَّهُ لَكَ شَهْوَةَ الطَّعامِ وَسَلَّطَهَا عَلَيْكَ كَالمتقَاضِي الذي يُضطَّرُ إلى تَنَاوُلِ الغِذَاء .

ثُمَّ هَذِه الشَّهْوَةُ لَوْ لَمْ تَكُنْ عِنْد أَخذِ مِقْدَارِ الحــاجَةِ مِنَ الطَّعَامِ لأسْرَفْتَ وَأَهْلَكْتَ نَفْسَكَ فَخلَق لَكَ الكَرَاهة عِنْدَ الشِّبع لِتَتْرُكَ الأَكْل بِهَا ، وَكَذَلِكَ القُوَّةُ في الشَّهْوَة لِلْوَقاع لِحِكْمَةِ بَقَاءِ النَّسْلِ .

ثُمَّ خَلقَ لَكَ الأَعْضاءَ التِي هِيَ آلاَتُ الحَركَةِ في تَناوُلِ الغِذَاء وَغَيْرِهِ مِنْهَا اليَدَان وَهُمَا مُشْتَمِلَتَانِ عَلَى مَفَاصِل كَثِيْرَةٍ لِتَتحرَّكَ في الجِهَاتِ وَتَمْتَدَّ وَتَنْثنِي وَلاَ تَكُونُ كَخَشَبَةٍ مَنْصُوبَةٍ .

ثُمَّ جَعَلَ رَأْسَ اليَدِ عَرِيْضاً وَهُوَ الكَف وَقَسَّمَهُ خَمْسَةَ أَقْسَام وَهِيَ الأَصَابِعْ وَتُمَدُّ الأَصَابِعُ وَجَعَلَهَا مُخْتَلِفَةً في الطُّولِ وَالقِصَرِ وَوَضَعَهَا في صَفَّيْنِ بِحَيْثُ يَكُونُ الإبْهَامُ في جَانِبْ وَيَدُورُ عَلَى الأَصَابِعِ البَوَاقِي وَلَوْ كَانَتْ مُجتَمِعَةً مُتَراكِمَةً لَمْ يَحْصُلْ تَمامُ الغَرَضِ .

ثُمَّ خَلقَ لَهَا أَظْفَاراً وَأَسْنَدَ إِلَيْهَا رُؤُوسَ الأَصَابْعِ لِتَقْوَى بِهَا وَلِتَلْتَقِطَ بِهَا الأَشْيَاءِ الدَّقِيْقَةِ الّتِي لاَ تَحْوِيْهَا إِلاَّ الأَصَابِعُ ثُمَّ هَبْ انَّكَ أَخَذْتَ الطَّعَامَ بِالْيَدِ فَلاَ يَكْفِيْكَ حَتَّى يَصِلَ إلى بَاطِنَكَ فَجَعَلَ لَكَ الفَمُ واللَّحْيَيْنِ خَلقَهُمَا مِنْ عَظْمَيْنِ وَرَكَّبَ فِيهِما الأسْنَانَ وَقَسَّمَهَا بِحَسَبِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الطَّعَامُ فَبَعْضُهَا قَوَاطِعُ كالرُّبَاعِيَّاتِ وبَعْضُهَا يَصْلُحُ لِلْكَسْرِ كَأَنْيَابٍ وَبَعْضُهَا طَوَاحِنٌ كَالأَضْرَاس .

وَجعَلَ اللِّحْيَ الأَسْفَلَ مُتَحَرِّكاً حَرَكَةً دَوْرِيَّةً واللِّحْيَ الأَعْلَى ثَابِتاً لَا يَتَحَرَّك فَانْظُرْ إلى عَجِيْبِ صُنْعِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِيْ أَتْقَنَ كُلَّ شَيءٍ وَأَنّ كُلَّ رَحىً صَنَعَهَا الخَلْقُ يَثْبُتُ مِنْهَا الحَجَرُ الأَسْفَلُ وَيَدُورُ الأَعْلَى إِلَّا هذِهِ الرُّحَى الَّتِي هِيَ صُنْعُ اللهِ سبحانه وتعالى فإنَّه يَدُوْرُ مِنْهَا الأَسْفَلُ عَلَى الأَعْلى إذْ لَوْ دَارَ الأَعْلَى خُوْطِرَ بِالأَعْضَاءِ الشَّرِيْفَةِ الَّتِيْ يَحْتَوِي عَلَيْهَا .

ثُمَّ انْظُرْ كَيْفَ أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِخَلْقِ اللِّسَانْ فَإِنَّهُ يَطُوفُ في جَوانِبِ الفَمِ وَيَرُدُّ الطَّعَامَ مِنَ الْوَسَطْ إِلى الأَسْنَانِ بِحَسَبِ الحَاجَةِ كَالْمِجْرَفَةِ الَّتِي تَرُدُّ الطَّعَامَ إِلى الرَّحى هَذَا مَعَ مَا فِيْهِ مِنْ عَجَائِبِ قُوَّةِ النُّطْقِ ثُمَّ هَبْ أَنَّكَ قَطَعْتَ الطَّعَامَ وَعَجَنْتَهْ فَمَا تَقْدِرُ عَلَى الإِبْتِلَاعْ إِلَّا بِأَنْ يَتَزَلَّقَ إِلى الحَلْقِ بِنَوْعِ رُطُوْبَةٍ فَانْظُرْ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى تَحْتَ اللِّسَانِ عَيْناً يَفِيْضُ مِنْهَا اللُّعَابُ وَيَنْصَبُّ بِقَدْرِ الحَاجَةِ حَتَّى يَنْعَجِنَ بِهِ الطَّعَامُ .

ثُمَّ هَذَا الطَّعَامُ المَطْحُونُ المَعْجُونُ مَنْ يُوْصِلُهُ إِلى المَعِدَةَ وَهُوَ في الفَمِ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ ايْصَالُه باليدِ فَهَيَّأَ لَكَ المَرِي والحُنْجَرَةَ وَجَعَلَ رَأْسَهَا طَبقَاتٍ يَنْفَتِحُ لِأَخْذِ الطَّعَامِ ثُمَّ يَنْطَبِقُ وَيَنْضَغِطُ حَتَّى يَقلِبَ الطَّعَامَ فَيَهْوِي في دِهْلِيْزِ المَرِيءِ إلى المَعِدَةِ فَإِذَا وَرَدَ الطَّعَامُ إلى المَعِدَةِ وَهُوَ خُبْزٌ وَفَاكِهَةٌ مُقَطَّعَةٌ فَلَا يَصْلُح أَنْ يَصِيْرَ لَحْماً وَعَظْماً وَدَماً عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ حَتَّى يُطْبَخَ طَبْخاً تَمَاماً فَجعَلَ اللَّهُ المَعِدَةَ عَلَى هَيْئَةِ قِدْرٍ يَقَعُ فِيْهِ الطَّعَام فَتَحْتَوِي عَلَيْهِ وَتُغْلِقُ عَلَيْهِ الأَبْوَابُ وَيَنْضِجُ بِالحَرَارَةِ الَّتِي تَتَعَدَّى إِلَيْهَا مِنَ الأَعْضَاءِ الأَرْبَعَةِ .

وَهِيَ الكَبِدُ مِنْ جَانِبِهَا الأَيْمَنِ وَالطِّحَالُ مِنْ جَانِبِهَا الأَيْسَرِ والثِّرْبُ مِنْ أَمَامِهَا وَلَحْمُ الصُّلْبِ مِنْ خَلْفِهَا فَيَنْضِجُ الطَّعَامُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَصِيْرُ مَائعاً مُتَشَابِهاً يَصْلُحُ لِلنُّفُوذِ في تَجَاوِيْفِ العُرُوقِ ثُمَّ يَنْصَبُّ الطَّعَامُ مِنَ العُرُوقِ

إلى الكَبِدِ فَيَسْتَقِرُّ فِيْهَا رَيْثَما يَصْلُحُ لَهُ نُضْجٌ آخَرُ ثُمَّ يَتفرَّقُ في الأَعْضَاءِ وَيَبْقَى مِنْهُ ثَفَلٌ ثُمَّ يَنْدَفِع .

فَانْظُرْ إلى نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكَ لِتَقْوى عَلَى الشُّكْرِ فَإِنَّكَ لاَ تَعْرِفُ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالى إلاَّ نِعْمَةَ الأَكْلِ وَهِيَ أَبْسَطُهَا ثُمَّ لاَ تَعْرِفُهُ مِنْهَا إلاَّ أَنَّكَ تَجُوعُ فَتَأْكُلُ وَالبَهِيْمَةُ أَيْضاً تَعْرِفُ أَنَّها تَجُوعُ وَتَأْكُلُ وَتَتْعَبُ فتَنَامُ وَتَشْتَهِي فَتُجَامِعُ وَإِذَا لَمْ تَعْرِفْ أَنْتَ مِنْ نَفْسِكَ إلاَّ مَا يَعْرِفُ الحِمَارُ فَكَيْفَ تَقُومُ بِشُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

قال وَاعْلَمْ أَنَّ الأَطْعِمَةَ كَثِيْرَةٌ مُخْتَلِفَةٌ وَلِلَّهِ تَعَالَى في خَلْقِهَا عَجَائِبُ لاَ تُحْصَى وَهِيَ تَنْقَسِمُ إلى أَغْذِيَةٍ وَأَدْوِيَةٍ وَفَوَاكِهَ وَغَيْرِهَا فَنَتَكَلَّمُ عَلَى بَعْضِ الأَغْذِيَةِ فَنَقُولُ إذَا كَانَ عِنْدَكَ شَيءٌ مِنَ الحِنْطَةِ فَلَوْ أَكَلْتَهَا لَفَنِيَتْ وَبَقِيْتَ جَائِعاً فَمَا أَحْوجَكَ إلى عَمَلٍ يَنْمُو بِهِ حَبُّ الحِنْطَةِ وَيَتَضَاعَفُ حَتَّى يَفِي بِتَمَامِ حَاجَتِكَ وَهُوَ زَرْعُهَا وَهُوَ أَنْ تُجْعَلَ في أَرْضٍ فِيْهَا مَاءٌ يَمْتَزِجُ مَاؤُهَا فَيَصِيْرُ طِيْنًا .

ثُمَّ لاَ يَكْفِي المَاءُ والتُّرَابُ إذْ لَوْ تُرِكَتْ في أَرْضٍ نَدِيَّةٍ صَلْبَةٍ لَمْ تَنْبتْ لِفَقْدِ الهَوَاءِ فَيَحْتَاجُ إلى تَرْكِهَا في أَرْضٍ مُتَخَلْخِلَةٍ يَتَغَلْغَلُ الهَواءُ فِيْهَا ثُمَّ الهَوَاءُ لاَ يَتَحَرَّكُ إلَيهَا بِنَفْسِهِ فَيَحْتَاجُ إلى رِيْحٍ يُحَرِّكُ الهَواءَ وَيَصْرِفُه بِقَهْرٍ عَلَى الأَرْضِ حَتَّى يَنْفُذَ فِيْهَا ثُمَّ كُلُّ ذَلِكَ وَحْدَهُ لاَ يُغْنِي فَيَحْتَاجُ إلى حَرَارَةِ الرَّبِيْعِ والصَّيْفِ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ في البَرْدِ المفْرِطِ لَمْ يَنْبُتْ .

ثُمَّ انْظُر إلى المَاءِ الَّذِي تَحْتَاجُ إلَيْهِ هَذِهِ الزِّرَاعَةُ كَيْفَ خَلَقَهُ اللَّه تَعَالى فَجَّرَ العُيونَ وَأَجْرَى مِنْهَا الأَنْهارَ وَلَمَّا كَانَ بَعْضُ الأَرْضِ مُرْتَفِعا لاَ يَنالُهُ

المَاءُ أَرْسَل إِلَيْهِ الغُيومَ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا الرِّيَاحَ لِتَسُوقَها بِإِذْنِهِ إِلى أَقْطَارَ العَالَمِ وَهِيَ سُحُبٌ ثِقَالٌ ثُمَّ يَرْسِلُهُ عَلَى الأَرْضِ مِدرَاراً في وَقْتِ الحَاجَةِ .

وانْظُرْ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ الجِبَالَ حَافِظَةً لِلْمَاءِ تَتَفَجَّرُ مِنْهَا العُيُونُ تَدْرِيْجَا ، فَلَوْ خَرَجَتْ دُفْعَةً وَاحِدَةً لَغَرقَتِ البِلَادَ وَهَلَكَ الزَّرْعُ وَغَيْرُهُ ، وَانْظُرْ كَيْفَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَخَلَقَهَا مَعَ بُعْدِها عَنِ الأَرْضِ مُسَخِّنَةً لَهَا في وَقْتٍ دُوْنَ وَقْتٍ ، لِيَحْصُلَ البَرْدُ عِنْدَ الحَاجَةِ إِلَيْهِ وَالحَرُّ عِنْدَ الحَاجَةِ إِلَيْهِ ، وَخَلَقَ الْقَمَرَ وَجَعَلَ مِنْ خَاصِيَّتِهِ التَّرْطِيْبَ ، فَهُوَ يُنْضِجُ الفَوَاكِهَ بِتَقْدِيْرِ الحَكِيْمِ الخَبِيْرِ ، وَكُلُّ كَوْكَبٍ خُلِقَ فِي السَّمَاءِ فَهُوَ لِنَوْعٍ فَائِدَةٍ .

وَلَمَّا كَانَتْ كُلُّ الأَطْعِمَةِ لاَ تُوْجَدُ في كُلِّ مَكَانٍ ، سَخَّرَ اللَّهُ تَعَالَى التُّجَّار وَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الحِرْصَ عَلى جَمْعِ المَالِ مَعَ أَنَّهُ لاَ يُغْنِيْهِمْ في غَالِبِ الأَمْرِ شَيْءٌ بَلْ يَجْمَعُونَ الأَمْوَالَ فَإِمَّا أَنْ تَغْرقَ بِهَا السُّفُنُ أَوْ تَنْتَهِبُهَا قُطَّاعُ الطَّرِيْقِ أَوْ يَمُوتُونَ في بَعْضِ البِلَادِ فَتَأْخُذُهَا السَّلاطِينُ وَأَحْسَنُ أَحْوَالِهِمْ أَنْ يَأْخُذُهَا وَرَثَتُهُمْ وَهُمْ أَشَدُّ أَعْدَائِهِمْ لَوْ عَرَفُوا .

فانْظُرْ كَيْفَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الأَمَلَ والغَفْلَةَ حَتَّى يُقَاسُوا الشَّدَائِدَ في طَلَبِ الرِّبْحِ في رُكُوبِ البِحَارِ وَرُكُوبِ الأَخْطَارِ فَيْحمِلُونَ الأَطْعِمَةَ وَأَنْوَاع الحَوائِجِ مِنْ أَقْصَى الشَّرقِ والغَرْبِ إِلَيْكَ فَأَكْثِرْ مِن حَمْدِ اللَّهِ وشُكْرِه .

سَيْرُ المنَايَا إلى أعْمَارنا خببُ ... فما تبينُ ولا يَعْتَاقهَا نَصَبُ
كَيْفَ النَّجاءُ وأيْدِيْهَا مُصَمَّمَتٌ ... بذَبْحنَا بِمُدًى لَيْسَتْ لَهَا نُصُبُ
وهَلْ يُؤَمِّلُ نَيْلَ الشَّمْلِ مُلْتَئِماً ... سَفْرٌ لَهُمْ كُلَّ يومٍ رِحْلَةٌ عَجَبُ
وما إقَامَتُنَا في مَنْزِلٍ هَتَفَتْ ... فِيْه بِنَا مُذْ سَكَنَّا رَبْعَهُ نُوَبُ
وآذَنَتْنَا وقَدْ تَمَّتْ عِمَارَتُهُ ... بأنَّهُ عَنْ قَرِيْبٍ دَاثِرٌ خَرِبُ
أَزْرَتْ بِنَا هَذِهِ الدُّنْيَا فَمَا أَمَلٌ ... إلَّا لِرَيْبِ المنَايَا عِنْدَهُ أَرَبُ
هَذَا ولَيْسَتْ سِهَامُ الموتِ طَائِشَةً ... وهَلْ تَطِيْشُ سِهَامٌ كُلُّهُ نُصُبُ

ونَحْنُ أغْـرَاضُ أنْـواعِ البَـلاَءِ بِهَا   قَبْـلَ المَمَـاتِ فَمَـرْمِـيٌّ ومُـرْتَقِـبُ
أيْـنَ الذيـنَ تَنَـاهَـوُا في ابْتِنَـائِهِـمُ   صَاحَتْ بِهِمْ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ فانْقَلَبُوْا

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الإِيْمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلى قَوْلِكَ الثَّابِتْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفِي الآخِرَةِ واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وَتَوفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَالحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِيْنَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلَّى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(فَصْـــلٌ)

وَاعْلَمْ أَنَّ الخلْقَ لَمْ يَقْصُرُوا عَنْ شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ إِلاَّ لِلْجَهْلِ وَالْغَفْلَةِ فَإِنَّهُمْ مُنِعُوا بِذَلِكَ عَنْ مَعْرِفَةِ النِّعَمِ وَلاَ يُتَصَوَّرُ شُكْرُ النِّعْمَةِ بِدُونِ مَعْرِفَتِهَا ثُمَّ إِنْ عَرَفُوا نِعْمَةً ظَنُّوا أَنَّ الشُّكْرَ عَلَيْهَا أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ بِلِسَانِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ لِلَّهِ وَلَمْ يَعْرِفُوا أَنَّ مَعْنَى الشُّكْرِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ النِّعْمَةَ فِي اتْمَامِ الحِكَمِ الَّتِي أُرِيْدَتْ بِهَا وَهِيَ طَاعَةُ اللَّهِ وَطَاعة رسولِهِ صلى الله عليه وسلم .

شعرا : تَعَلَّمْتُ فِعْلَ الخَيْرِ مِنْ قَوْلِ رَبِّنَا   وقَولِ رَسُولِ اللهِ أعْنِيْ مُحَمَّـــداً
آخر : «وَلَوْ أَنَّ لِيْ فِي كُلِ عُضْوٍ وشَعْـرةٍ   لِسَاناً يُؤَدِّيْ الشُكرَ للهِ قَصَّـرا »
آخـــر :
دَعِيني أَجُدُ السَّعْيَ فِي شكْرِ مَن لَهُ   عَليَّ بِأَصْنَافِ النَّعِيْمِ تَفضُّـــلا

أَمَّا الغفْلَةُ عَنِ النِّعمِ فَلَها أَسْبَابٌ . أَحَدُها أَنَّ النَّاسَ لِجَهْلِهِمْ لاَ يَعُدُّونَ ما يَعُمُّ الخَلْقَ فِي جَمِيْعِ أَحْوَالِهِمْ نِعْمَةً فَلِذَلِكْ لاَ يَشْكُرُونَ على جُمْلَةِ مَا ذُكِرَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي تَفَضَّلَ بِهَا عَلَى خَلْقِه لأَنَّهَا عَامَّةٌ لِلْخَلْقِ مَبْذُولَةٌ لَهُمْ في جَمِيْعِ أَحْوالِهِمْ فَلاَ يَرَى مِنْهُمْ اخْتِصَاصاً بِهِ فَلاَ يَعُدَّهُ نِعْمَة .

وَلِذَلِكَ لاَ تَجِدُهُمْ يَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى رَوْحِ الْهوا وَلَوْ أَخذ بِمَخْنَقِهِمْ لَحْظَةً حَتَّى أَنْقَطَعَ الهَوَاءُ عَنْهُمْ مَاتُوا وَلَو حُبِسُوا فِي بِئْرٍ أَوْ حَمَّامٍ مَاتُوا غَمّاً

فَإنْ أُبْتلى أَحَدُهُمْ بِشَيءٍ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ نَجا قَدَّر ذَلِكَ نِعْمَةً يَشْكُرُ اللَّهَ عَلَيْهَا .

وَهَذَا غَايَةُ الجَهْلِ إذْ صَارَ شُكْرُهُمْ مَوْقُوفاً عَلى أَنْ تُسْلَب عَنْهُمُ النّعْمةُ ثُمَّ تُرَدُّ إلَيْهِمْ في بَعْضِ الأحْوال فَالنِّعَمُ في جَمِيْعِ الأحْوَال أَوْلَى بِالشُّكْرِ فَلاَ ترى البَصِيْرَ يَشْكُرُ نِعْمَةَ البَصَرِ وَصِحَّتَه إلاَّ أَنْ يَعْمَى فَإذَا أُعِيْدَ بَصَرُهُ أَحَسَّ بالنِّعْمَةِ وشَكَرَهَا وَعَدَّهَا نِعْمَةً وَهُوَ مِثْلُ عَبْدِ السُّوءِ يُضْرَبُ دَائِماً فَإذَا تُرِكَ ضَرْبُهُ سَاعَةً شَكَرَ وَتَقَلَّدَ ذَلِكَ مِنْه وَإنْ تُرِكَ ضَرْبُهُ أَصْلا غَلَبَهُ البَطَرْ وَتَرَكَ الشُّكْرَ فَصارَ الناسُ لا يَشْكُرُوْنَ إلاَّ المَالَ الذِيْ يَتَطَرَّقُ الاخْتِصَاصُ إليهِ مِن حيْثُ الكَثْرَةِ والقِلَّةِ وَيَنْسَوْنَ جَمِيْعَ نِعَمِ اللهِ عَليهم .

شعـــرا :

إذَا شِئتَ أنْ تَبْقَى من الله نعمـــة ... عَلَيْكَ فأَكْثِرْ حَمْدَهُ مَعَ شُكْـــرِهِ
وَلا تَعْصِيَنَّ الله فيما رزقْتَـــه ... فينزعُ عَنْك الله وَاسِعَ رِزْقِـــهِ

آخـــر :

ما أَحْسَنَ الدنيـــا وإقبالهـــا ... إذا أَطَـــاعَ اللهَ مَنْ نَالهـــا
مَنْ لَمْ يؤَالِي شُـــكْرَ إلهـــهِ ... عَرَّضَ لِلإدْبـــارِ إقْبالَهَـــا
فاحْذَرْ زَوَلَ الفَضْـــلِ يَامَانعـــاً ... زَكَاةَ أمْـــوَالٍ لـــه نالَهَـــا

كَمَا رُوِيَ أَنَّ بَعْضَهُم شَكَا فَقْرَهُ إلى بَعْضِ أَرْبَابِ البَصِيْرَةِ وَأَظْهَرَ شِدَّةَ اغْتِمَامِهِ بِذَلِكَ فَقَالَ لَهُ أَيَسُرُّكَ أَنكَ أَعْمَى وَلَكَ عَشْرَةَ آلاَفِ دِرْهَمٍ قال لَا قَالَ أَيَسُرُّكَ أَنَّكَ أَخرَس وَلَكَ عَشَرَةُ آلاَفٍ قَالَ لا قَالَ أَيَسُرَّكَ أنكَ أَقْطَعَ اليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ وَلَكَ عِشرُوْنَ ألفاً قَالَ لَا قَالَ أَيَسُرَّكَ أَنَّكَ مَجْنُوْنٌ وَلَكَ عَشَرَةُ آلاَفِ دِرْهَمٍ قَالَ لَا قَالَ أَمَا تَسْتَحِيْ أنْ تَشْكُوْ مَوْلاَكَ وَلَهُ عِنْدَكَ عُرُوْضٌ بِخَمْسِيْنَ أَلْفا .

وَدَخَلَ ابنُ السِمَاكِ عَلَى الرَّشِيْدِ في عِظَةٍ فَبَكَى وَدَعَا بِمَاءٍ في قَدَحٍ فَقَالَ يَا أميرَ المُؤْمِنِيْنَ لو مُنِعْتَ هَذِهِ الشَّرْبَةَ إلاَّ بالدُنْيَا وما فِيْهَا أَكُنْتَ

تَفْدِيْهَا قَالَ نَعَمْ قَالَ فاشْرَبْ رَياً بَارَكَ اللهُ فِيْكَ فَلَمَا شَرِبَ قَالَ لَهُ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ .

أَرَأَيْتَ لَوْ مُنِعْتَ اخْرَاجَ هَذِهِ الشَّرْبَةَ مِنْكَ إلا بالدُنْيَا ومَا فِيْهَا أكُنْتَ تَفْتَدِيْ ذَلِكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَمَا تَصْنَعُ بِشَيْءٍ شَرْبَةُ مَاءٍ خَيْرٌ مِنْهُ وَهَذَا يُبَينُ أَنَّ نِعْمَةَ اللهِ تَعَالَى عَلَى العَبْدِ في شَرْبَةٍ عِنْدَ العَطَشِ أَعْظَمُ مِن مُلْكِ الأَرْضِ ثُمَّ تَسْهِيْلُ خُرُوْجِ الحَدَثِ مِن أَعْظَمِ النِّعَمِ ، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ وَجِيْزَةٌ إلى النِعَمِ الخَاصة.

ثم اعْلَمْ أَنَّه مَا مِن عَبْدٍ إلا إذا أَمْعَنَ النَّظَرَ رَأى عَلَيْهِ مِن نِعَمِ اللهِ نِعَماً كَثِيْرَةً لا يُشَارِكُهُ فِيْهَا عُمُومُ الناسِ بَلْ قَدْ يُشَارِكُهُ في ذَلكَ يَسِيْرٌ مِنهم مِن ذَلِكَ العَقْلُ فَمَا مِن عَبْدٍ إلا وَهُوَ رَاضٍ عن اللهِ سُبْحَانَهُ في عَقْلِهِ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَعْقَلَ الناسِ وَقَلَّمَا يَسْأَلَ اللهَ العقلَ وإذا كانَ ذلكَ اعْتِقَادُهُ فَيَجِبُ عليهِ أن يَشْكُرَ اللهَ تعالى على ذلكَ .

وَمِن ذَلِكَ الخَلقُ فإِنَّهُ مَا مِن عَبْدٍ إلا وَيَرَى مِن غَيْرِهِ عُيُوْباً يَكْرَهُهَا وَأَخْلاَقاً يَذُمُّها وَيرى نَفْسَهُ بَرِيْئاً مِنْهَا فَيَنْبَغِي أَنْ يَشْكرُ اللّهَ عَلَى ذَلِكَ حَيْثُ أَحْسَنَ خُلُقَهُ وابْتَلى غَيْرَهْ .

شِعْرا :

أَيَا ابْنَ آدَمَ والْآلَاءِ سَابِغَةٌ ... ومُزْنَهُ الجُودِ لَاتَنْفَكُّ عَن دِيَمِ
هَلْ أَنْتَ ذَاكِرُ مَا أُوْلِيْتَ مِنْ حَسَنٍ ... وشاكِرٌ كُلَّ خُوِّلْتَ مِنْ نِعَمِ
بَرَاكَ بَارِئُ هَذا الخَلْقِ من عَدَمٍ ... بَحْتٍ ولَوْلَاهُ لَمْ تَخْرُجْ مِن العَدَمِ
أَنْشَاكَ مِنْ حَمَأٍ ولَا حَرَاكَ بِهِ ... فَجِئْتَ مُنْتصِباً تَمْشِيْ عَلَى قَدَمِ
مُكَمَّلَ الأَدَوَاتِ آيَةً عَجَباً ... مُوَفَّرَ العَقْلِ مِنَ حَظٍ ومِن فهمِ
تَرَى وتَسْمَعُ كُلَّا قَدْ حُبِيْتَ بِهِ ... فَضْلاً وتَنْطِقُ بالتَّبْيِيْنِ والكَلم
هَدَاكَ بِالعِلْمِ سُبْلَ الصَّالِحِيْنَ لَهُ ... وكُنْتَ مِن غَمَرَاتِ الجَهْلِ في ظلمِ

مَاذَا عَلَيْكَ لهُ مِن نِعْمَةٍ غَمَرَتْ كُلَّ الجِهَاتِ ولم تَبْرَحْ ولم تَرِمِ
غَرَّاءُ كالشمسِ قَدْ أَلْقَتْ أُشِعَّتِهَا حَتَى لَيُبْصِرهَا عَلَيْكَ كُلُّ عَمِيْ
فاشْكُرْ وَلَسْتَ مُطِيْقاً شُكرهَا أَبَدَا ولَوْ جَهِدْتَ فَسَدِّدْ وَيْكَ والتَزِمِ
رِزْقٌ وَأَمْنٌ وإِيْمَانٌ وَعَافِيَةٌ مَتَى تَقُوم بشُكْرِ هَذِهِ النِّعَم

آخـر :

إِلَهِي لَكَ الْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
عَلَى نِعَمٍ مِنْهَا الْهِدَايَةُ لِلْحَمْدِ
صَحِيْحاً خَلقْتَ الْجِسْمَ مِنِّي مُسَلَّمَا
وَلُطْفُكَ بِي مَا زَالَ مُذْ كُنْتُ في الْمَهْدِ
وَكُنْتُ يَتِيْماً قَدْ أَحَاطَ بِيَ الرَّدَى
فَأَوَيْتَ وَاسْتَنْقَذْتَ مِنْ كلِّ مَا يُرْدِي
وَهَبْتَ لِيَ الْعَقْلَ الَّذِي بِضِيَائِهِ
إلى كُلِّ خَيْرٍ يَهْتَدِى طَالِبُ الرُّشْدِ
وَوَفَّقْتَ لِلاْسْلَامِ قَلْبِي وَمَنْطِقِي
فَيَا نِعْمَةً قَدْ جَلَّ مَوْقِعُهَا عِنْدِي
وَلَو رُمْتُ جُهْدِي أَنْ أُجَازِي فَضِيلَةً
فَضَلْتَ بِهَا لَمْ يَجُزْ أَطْرَافَها جُهْدِي
أَلَسْتَ الَّذِي أَرْجُو حَنَانَكَ عِنْدَما
يُخَلِّفونِ الأَهْلُونَ وَحْدِي فِي لَحْدِي
فَجُدْ لي بِلُطْفٍ مِنْكَ يَهْدِي سَرِيْرَتِي
وَقَلْبِي وَيُدْنِيْنِي إِلَيْكَ بِلَا بُعْدِ

وَمِنْ ذِلِكَ أَنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَعْرِفُ مِنْ بَوَاطِنِ أُمُورِ نَفْسِهِ وَخَفَايَا أَرْكَانِهَا مَا هُوَ مُنْفردٌ بِهِ وَلَوْ كَشَفَ الغِطَاءَ عَنْهُ حَتَّى اطَّلَعَ عَلَيْهِ أَحَدُ

مِنَ الْخَلْقِ لاَ افْتَضَحَ فَكَيْفَ لَوْ اطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ كَافَّةً فَلِمَ لاَ يَشْكُرِ اللَّهَ عَلَى سِتْرِ مَسَاوِيْهِ حَيْثُ أظْهَرَ الجَمِيْلَ وَسَتَرَ الْقَبِيْح .

وَأَيْضَاً مَا مِنْ عَبْدٍ إلاَّ وَقَدْ رَزَقَهُ اللَّهُ فِي صُوْرَتِهِ وَأَخْلاَقِهِ أَوْ صِفَاتِهِ أو جَاهِهِ أَوْ أهْلِهِ أَوْ وَلَدِهِ أو مَسْكَنِهِ أو بَلَدِهِ أو سَائِرِ مَحَابِّهِ أُمُوراً لَوْ سُلِبَ ذَلِكَ مِنْهُ وَأعْطَى مَا خُصِّصَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ غَيْرَهُ لَكَانَ لاَ يَرْضَى وَذَلِكَ مِثْلُ أَنَّ اللهَ جَعَلَهُ مُؤْمِناً لاَ كَافِراً وَحَيًّا لاَ مَيّتاً وَإِنْسَاناً لاَ بَهِيْمَةً وَذَكَراً لاَ أُنْثَى وَصَحِيْحاً لاَ مَرِيْضاً وَعاقِلاً لاَ مَجْنُوناً وَسَلِيْماً لاَ مَعِيْباً فَإِنَّ هَذِهِ خَصَائِصُ فَعَلَيْهِ أَنْ يُشْكَرَ اللهَ جَلَّ وَعلاَ في كُلِ سَاعةٍ وَلاَ يَغْفَلْ .

شعــــرا :

إذا أنَا لَمْ أَشْكُرْ لِرَبِي دَائِمـــاً ... وَلَمْ أُصْفِ من قَلْبِيْ لَهُ الوِدَّ أجْمَعَا
فلا سَلِمَتْ نَفْسِي مِن السُوءِ سَاعَةً ... ولا نَظَرَتْ عَيْنِي مِن الشمسِ مَطْلَعَا

شِعْراً :

تَبَـارَكَ مَنْ لاَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ غَيْـرُهُ
وَمَنْ لَمْ يَـزَلْ يُثْنَى عَلَيْـهِ وَيُـذْكَـرُ
عَلاَ فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى فَوْقَ عَرْشِهِ
إلى خَلْقِـهِ في البَـرِّ وَالْبَحْـرِ يَنْـظُرُ
سَمِيْـعُ بَـصِيْـرٌ قَـادِرٌ وَمُـدَبِّـرٌ
وَمَـنْ دُوْنَـهُ عَبْـدٌ ذَلِيْـلٌ مُـدَبَّـرُ
يَـدَاهُ لَنَـا مَبْسُـوطَتَـانِ كِـلاَهُمَـا
يَسِحَّـانِ وَالأيْـدِي مِنَ الْخَلْقِ تَقْتُـرُ
وَإِنْ فِيْـهِ فَكَّرْنَـا اسْتَحَـالَتْ عُقُـولُنـا
وَأُبْـنَا حَيَـارَى واضْمَحَـلَّ التَّفَكُّـرُ

وَإِنْ نَقَّــرَ الْمَخْلُوْقُ عَنْ عِلْمِ ذَاتِــهِ
وَعَنْ كَيْفَ كَــانَ الأمْــرُ تَــاهَ الْمُنَقِّــرُ
وَلَوْ وَصَفَ النَّاسُ الْبَعُــوْضَةَ وَحْـدَهَا
بِعِلْمِهِمُــوْا لَمْ يُحْكِمُــوْهَــا وَقَصَّــرُوْا
فَكَيْفَ بِمَنْ لَا يَقْــدِرُ الخَلْقُ قَـدْرَهُ
وَمَــنْ هُــوَ لَا يَفْنَــى وَلَا يَتَـغَيَّــرُ

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيْلَ عِبَادِكَ الْأبْرَارِ وَوَفِّقْنَـا لِلتَّوْبَـةِ والْأسْتِغْفَارِ وَاحْطُطْ عَنَّا ثِقَلَ الْأوْزَارِ وآتِنا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وفِي الآخِرَةِ حَسَنَة وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ يَا عَزِيْزُ يَا غَفَّارْ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(فصل)

وَقَالَ في كِتَابِ التَّوْحِيْدِ المُسَمَّى الأدِلَّةُ على الحِكْمَةِ والتَّدْبِيْرِ : تَأمَّلْ هَذِهِ القُوَى التِيْ في النَّفْسِ وَمَوْقِعَهَا في الأنْسَانِ أَعْنِي الفِكْرَ والوَهْمَ والعَقْلَ والحِفْظَ وغَيْرَ ذَلِكَ أفَرَأَيْتَ لَوْ نُقِّصَ الإنْسَانُ مِن هَذِهِ الحِفظَ وَحْدَهُ كَيْفَ تَكونُ حَالُهُ وَكَمْ مِن خَلَلٍ يَدْخُلُ عَلَيْهِ في أُمُورِهِ وَمَعَاشِهِ وتِجَارَتِهِ إذَا لَمْ يَحْفَظْ مَالَهُ وما عَلَيْهِ وَمَا أَخَذَهُ وَمَا أَعْطَى وَمَا رَأَى وَمَا سَمِعَ وَمَا قَالَ وَمَا قِيْلَ لَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ مِمَّنْ أَسَاءَ بِهِ وما نَفَعَهُ مِمَّا ضَرَّهُ

ثُمَّ كَانَ لَا يَهْتَدِي لِطَرِيْقٍ لَوْ سَلَكَهُ مَالَا يُحْصَى وَلَا يَحْفَظُ عِلْماً وَلَوْ دَرَسَهُ عُمُرَهُ ولا يَعْتَقِدُ دِيْناً ولا يَنْتَفِعُ بِتَجْرِبَةٍ ولا يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَعْتَبِرَ شَيْئاً عَلَى مَا مَضَى بَلْ كَانَ حَقِيْقاً خَلِيْقاً أَنْ يَنْسَلِخَ مِن الأنسانيَّةِ فانْظُرْ إِلَى الأنسانِ في هَذِهِ الخِلَالِ وكَيْفَ مَوْقِعَ الوَاحِدَةِ مِنْهَا دُوْنَ الجَمِيْعِ .

وَأَعْظَمُ مِن النِّعْمَةِ عَلَى الأنسَانِ في الحِفْظِ النِّعْمَةِ في النِسْيَانِ فَلَوْلَاهُ لَمَا سَلَا أَحَدٌ عَنْ مُصِيْبَةٍ وَلَا تَقَضَّتْ لَهُ حَسْرَةٌ وَلَا مَاتَ لَهُ حِقْدٌ ولَا

اسْتَمتَع بِشَيْءٍ مِن مَتَاعِ الدُنْيا مَعَ تَذَكُّرِ الآفاتِ وَلاَ رَجا غَفْلَةً مِنْ سُلْطَانٍ وَلاَ فتْرَةً مِن حَاسِدٍ أَفلاَ تَرى كَيْفَ جُعِلَ فِي الأنسانِ الحِفْظُ والنِسْيَانُ وهُمَا مُخْتَلِفَانِ مَتضَادَّانِ وَجُعِلَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا قِسْماً مِنَ المَصْلَحَةِ .

ثُمَّ انْظُرْ إلى مَا خُصَّ بِهِ الأنْسَانُ دُوْنَ جَمِيْعِ الحيـوانِ مِن هَذَا الخُلُقِ الجَلِيْلِ قَدْرُهُ العَظِيْمِ غِنَاؤُهُ أَعْنى الحَيَاءَ فَلَوْلاَ هَذَا الحَيَاءُ الذي خَصَّ اللهُ بِهِ الأنْسَانَ لَمْ يَقرِ ضَيْفاً وَلَمْ يُوْفِ بالعِدَّةِ وَلَمْ تُقْضَ الحَوَائِجُ وَلَمْ يُنْجَزِ الجَمِيْلُ وَلَمْ يُنْكَبِ القَبِيْحُ في شَيْءٍ مِنْ الأشْيَاءِ حَتَّى إنَّ كَثِيْراً مِنْ الأمور المَفْرُوْضَةِ أَيْضاً إنَّمَا تُفْعَلُ لِلْحَيَاءِ فَإنَّ مِنَ الناسِ مَنْ لَولاَ الحَيَاءُ لَمْ يَرْعَ حَقَّ وَالِدَيْهِ وَلَمْ يَصِلْ ذَا رَحِمٍ وَلَمْ يُؤَدِّ أَمَانَةً وَلَمْ يَعْفَّ عَنْ فَاحِشَةٍ أَفَلاَ تَرَى كَيْفَ وُفِيَ الأنْسَانُ جَمِيْعَ الخِلاَلِ الَّتِي فِيْهَا صَلاَحُهُ وَتمامُ أَمْرِهِ .

وَتَأَمَّلْ مَا أَنْعَمَ اللهُ جَلَّ وَعَلاَ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ عَلَى الأنسَانِ بِهِ مِن هَذَا المَنْطِقِ الذي يُعَبِرُ بِه عَمَّا فِي ضَمِيْرِهِ وَمَا يَخْطُرُ بِبالِهِ وَفِي قَلْبِهِ وَيُنْتِجُهُ فِكْرُهُ بِهِ يَفْهَمُ عَن غَيْرِهِ مَا فِي نَفْسِهِ وَلَوْلاَ ذَلِكَ كَانَ بِمَنْزِلَةِ البَهَائِمِ المُهْمَلَةِ التِيْ لا تُخْبِرُ عن نَفْسِهَا بِشَيْءٍ ولَا تَفْهَمُ عَنْ مُخْبِرٍ شَيْئاً.

وَكَذَلِكَ الكِتَابَةُ التي بِهَا تُعِيْدُ أَخْبَارَ المَاضِيْنَ لِلْبَاقِيْنَ وأَخْبَارَ البَاقِيْنَ لِلآتِيْنَ وَبِهَا تَخْلُدُ الكُتُبُ في العُلُومِ والآدَابِ وبِهَا يَحْفَظُ الأنسَانُ ذِكْرَ مَا يَجْرِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِن المُعَامَلاَتِ وَلَوْلاَهَا لاَ انْقَطَعَ بَعْضُ الأزمِنَةِ عَن بَعْضٍ وَأَخْبَارُ الغَائِبِيْنَ عَن أَوْطَانِهِمْ وَدرَسَتِ العُلُومُ وَضَاعَتْ الآدابُ وَعظُمَ مَا يَدْخُلُ على الناسِ مِن الخَلَلِ في أُمُوْرِهِمْ وَمُعَامَلاَتِهِمْ وَمَا يَحْتَاجُوْنَ إلى النَّظَرِ فِيْهِ مِنْ أَمْرِ دِيْنِهِمْ وَمَا رُوِيَ لَهُمْ مِمَّا لاَ يَسَعُهُمْ جَهْلُهُ .

وانْظُرْ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلإِنْسَانِ لِسَانٌ مُهَيأٌ لِلْكَلاَمِ وَذِهْنٌ يُهْتَدَى بِهِ لِلأُمُوْرِ

لَمْ يَكُنْ لِيَتَكَلَّمَ أبَداً وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ كَفٌ مُهَيأةٌ وَأصَابعُ لِلْكِتَابَةِ لَمْ يَكُنْ لِيَكْتُبَ أبَدًا وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ مِنَ البَهَائِمِ التي لا كَلاَمَ لَهَا وَلاَ كِتَابَةَ فأصْلُ ذَلِكَ فِطْرَةُ البَارِي جَلَّ وَعَلاَ وَمَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَى خَلْقِهِ فَمَنْ شَكَرَ أُثِيْبَ وَمَنْ كَفَرَ إنَ اللهَ غَنِيٌّ عن العَالَمِيْنَ .

وَفَكِّرْ فِيْما أُعْطِيَ الأنْسَانُ عِلْمَهُ وما مُنِعَ مِنْهُ فـإنه أعْطَى عِلْمَ مَا فِيْهِ صَلاَحُ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ فَأمَّا صَلاَحُ دِيْنِهِ فَهُوَ مَعْرِفَةُ الخَالِقِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالدَّلاَئِلِ والشَّواهِدِ القَائِمَةِ وزَكَاةٍ وصِيَامٍ وحَجٍ ومِن العَدْلِ بَيْنَ الناسِ كَافَّةً وبرِ الوَالِدَيْنِ وَصِلَةِ الأرْحَامِ وَأداءِ الأمَانَةِ وَمُواسَاةِ أهْلِ الخَلَّةِ وأشْبَاهِ ذَلِكَ .

وكَذَلِكَ أُعْطِيَ مَا فِيـهِ صَلاحُ دُنْيـاهُ كَالـزِرَاعَةِ والغِـرَاسَةِ واسْتِخْرَاجِ ما في الأرْضِينَ واقْتِنَاء الأغْنَام والأنْعَامِ واسْتِنْبَاطِ الماءِ ومَعْرِفَةِ العَقَاقِيْرِ الَتِي يَسْتَشْفِي بِهَا بإذْنِ اللهِ مِن ضُرُوبِ الأسْقَامِ والمَعَادِنِ التِي يَسْتَخْرِجُ مِنها أنْوَاعِ الجَوَاهِرِ وَرُكُوبِ السُّفُنِ والغَوْصِ في البَحْرِ وضُرُوبِ الحِيَلِ في صَيْدِ الوحْشِ والطَّيْرِ والحِيتانِ والتَّصرُّفِ في الصّناعاتِ وَوُجُوْهِ المَتاجِرِ والمكاسِبِ وغيرِ ذلكَ مِمَّا يَطُوْلُ شَرْحُهُ وَيَكْثُرُ تَعْدَادُهُ مِمَّا فِيْهِ صلاحُ أمْرِهِ في هذِه الدارِ .

فأُعْطِيَ عِلْمَ مَا يَصْلُحُ بِهِ دِيْنُهُ وَدُنْيَاهُ وَمُنِعَ مَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ في شَأْنِهِ وَلا طَاقَتِهِ أنْ يَعْلَمَ كَعِلْمِ الغَيْبِ وعِلْمِ مَا فِي السَّماءِ وما تَحْتَ البِحَارِ وأقطارِ العَالَمِ ومَا فِي قُلُوبِ الناسِ وما فِي الأرْحَامِ وأشْبَاهِ هَذا مِمَّا حُجِبَ عَلَى الناسِ عِلْمُهُ فانْظُرْ كَيْفَ أُعْطِيَ عِلْمَ جَمِيْعَ مَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ لِدِينِه ودُنْيَاهُ وَحُجِبَ عَنهُ ما سِوَى ذلكَ لِيَعْرِفَ قَدْرَهُ وَنَقْصَهُ وكِلاَ الأمْرَيْنِ فِيْهِ صَلاحُهُ .

ثُمَّ تَأَمَّلْ مَا سُتِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ مِن مُدَّةِ حَيَاتِهِ فَانَّهُ لَوْ عَرَفَ مِقْدَارَ عُمُرِهِ وكَانَ قَصِيْرَ العُمُر لمْ يَتَهنأ بالعَيْشِ مَعَ رَقَبِ الموتِ وتَوَقُّعِهِ لِوَقْتٍ قَدْ عَرَفَهُ

وأيْقَنَ به وَإنْ كَان طَوِيْلَ العُمُرِ وعَرَفَ ذلكَ وَثِقَ بالبقاء وانْهَمَكَ في اللذاتِ والمَعاصِي وعَمِدَ أنْ يَبْلُغَ مِنْ شَهْوَتِهِ ثُمَّ يَتُوبُ في آخِرِ عُمُرِهِ وهَذا مَذْهَبٌ لا يَرْضَاهُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ ولا يَقْبَلُهُ .

قُلْتُ ومِمَّا يُسْتَعانُ بِهِ عَلَى مَعْرِفَةِ قَدْرِ نِعَم الله عَلى العَبْد التَّفكُرُ فِيْهَا وبالتَّفكُرِ في حَالِ نَفْسِه قَبْلَ وُجُودِهَا فَيَنْظُرُ إذا كان غَنِياً إلى حالِ فَقْرِهِ المُتَقَدِّمِ حِساً أَوْ مَعْنَى ويَنْظُرُ إذا كَانَ صَحِيْحاً إلى حالِهِ حِيْنَمَا كَانَ مَرِيْضاً وَيَنْظُرُ إذا كَانَ مُطِيْعاً لِلهِ وَقْتَ عِصْيَانِهِ لِله حَيْثُ مَنَّ اللهُ عَلَيهِ بِضدِّ تِلْكَ الحَالِةِ .

وَينْظُرُ إذا كانَ ذَاكِراً لِله عَلَى الدَّوامَ أيَّام كَانَ غَافِلاً لاَهِياً وَيَنْظُرُ إذا كانَ قَارِئاً أيَّامَ أنْ كَانَ لاَ يَقْرَأُ ولِيْنْظُرْ إذا كانَ عَالِماً إلى وَقْتِ جَهْلِهِ ويَنْظُرُ إذَا كَانَ لَهُ أَوْلاَدٌ صَالِحينَ أَيَّامَ أَنْ لَمْ يكُنْ لَهُ أولادٌ ويَنْظُرُ إذا كانَ في مَسْكَنٍ واسِعٍ مُنَاسِبٍ أيَّامَ أنْ كانَ يَسْتَأجِرُ أو في بَيْتٍ ضَيِّقٍ لا يَرْتَضْيه .

وهَكَذا كُلُّ نِعْمَةٍ يَنْظُرُ إلى وُجُوْدِ ضِدِّهَا الذِي كَانَ مَوْجُوْداً قَبْلَ ذَلِكَ فَلاَ شَكَ أنَّ مَن عَمِلَ بِهَذا يَعْرِفُ قَدْرَهَا فَيَشْكُرُهَا فَتَدُوْمُ عَلَيْهِ بإذْنِ الله تَعالَى لِأنَّ اللهَ جَلَّ وعَلاَ يَقُوْلُ وهُـوَ أصْدَقُ قَـائِلٍ ﴿ لَئِنْ شَكَـرْتُـمْ لأزِيْدَنَّكُمْ ﴾ فَمَـنْ شَكَرَ نِعْمَةَ اللهِ زَادَهُ اللهُ مِنها وقِيْلَ الشُكْرُ قَيْدُ المَوْجُودِ وصَيْدُ المَفْقُودِ .

شعـــــرا :

تَعْصي الإلهَ وأنْتَ تُظْهِرُ حُبَّـــهُ   هَذا مُحَالٌ في القياسِ بَدِيْـــعُ
لَوْ كانَ حُبُّك صَادِقــاً لأطعْتَهُ   إنَّ المُحِبَّ لِمنْ يُحِبُّ مُطِيْـــعُ
في كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَدِيْكَ بِنِعْمَــــةٍ   مِنْهُ وأنْتَ لِشكرِ ذَاكَ مُضَيِّــعُ

وفي أثَرٍ إلهِيْ : يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَ أَهْلُ ذِكْرِيْ أَهْلُ مَجَالِسِيْ وأَهْلُ شُكْرِيْ أهلُ زِيَادِتِي وأَهْلُ طَاعَتِيِ أَهْلُ كَرَامَتِيْ وأهْلُ مَعْصِيَتِي لا أقنِّطُنَّهُمْ

مِن رَحْمَتِي إنْ تَابُوْا فأنَا حَبِيْبُهُمْ وإنْ لَمْ يَتُوْبُوا فـأنَا طَبِيْبُهُمْ ابْتَلِيْهِمْ بالمصَائِبِ لأطَهِرَهُمْ مِن المَعَائِبِ وقِيْلَ مَنْ كَتَمَ نِعْمَةً فَقَدْ كَفَرَهَا ومَنْ أظْهَرَهَا ونَشَرَهَا فَقَدْ شَكَرَهَا وهَذَا مَأْخُوْذٌ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم إنَّ اللَّهَ إذَا أنْعَمَ على عَبْدِ نِعْمَةً أحَبَّ أنْ يَرَى أثَرَ نِعْمتِهِ عَلَى عَبْدِهِ قُلْتُ .

وقَدْ وَرَدَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّهُ قَالَ إنَّ اللهَ يُحِبُّ النَّاسِكَ النَّظِيْفَ فاللَّهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى يُحِبُّ أنْ يَرَى عَلَى عَبْدِهِ الجَمَالَ الظَّاهِرَ كَمَا يُحِبُّ أنْ يرَى عَلَيهِ الجَمَالَ البَاطِنَ بالتَّقْوى ونَظَافَةُ الظاهِرِ مَعَ نَظَافَةِ البَاطِنِ نُوْرٌ عَلى نُوْرٍ قال بَعْضُهُم لِمَنْ انْتَقَدَهُ في تحْسِيْنِ ثِيَابِهِ :

حَسِّنْ ثِيَابَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فإنَّهَا
زَيْنُ الرِّجَالِ بِهَا تُعَزُّ وتُكْرَمُ
فَرَثَاثُ ثَوْبِكَ لاَ يَزِيْدكَ رِفْعَةً
عِنْدَ الإلهِ وأنْتَ عَبْدٌ مُجْرِمُ
وَجَدِيْدُ ثَوْبِكَ لاَ يَضُرُّكَ بَعْدَ أنْ
تَخْشَى الإلَهَ وتَتَّقِيْ مَا يَحْرُمُ

آخر :

تَجَمَّلْ بالثِّيَابِ تَعِشْ حَمِيْدَا
فإنَّ العَيْنَ قَبْلَ الاخْتِبَارِ
فَلَوْ لَبِسَ الحِمَارُ ثِيَابَ خَزٍ
لَقَالَ الناسُ يَا لَكَ مِن حِمَارِ

وتَأَمَّلْ حِكْمَةَ عَدَمِ تَشَابُهِ النَّاسِ بِخِلاَفِ سَائِرِ الحَيَوانِ فانَّكَ تَرَى السِّرْبَ مِن الظِّبَاءِ والقَطَا يَتَشَابَهُ حَتَّى لاَ يُفَرَّقُ بَيْنَ وَاحِدٍ مِنْهَا وَبَيْنَ الآخِرَ وتَرَى الناسَ مُخْتَلِفَةً صُوَرُهُمْ وخَلْقُهُمْ حَتَّى لا يَكادُ اثْنَانِ مِنْهُمْ يَجْتَمِعَانِ في صُوْرَةٍ وَاحِدةٍ والعِلَّةُ في ذَلِكَ أنَّ الناسَ مُحْتَاجُوْنَ إلى أنْ يَتعارَفُوْا

بأعْيَانِهِم وحُلاَهُمْ لِمَا يَجْرِيْ بَيْنَهُمْ مِن المُعَامَلاَتِ ولَيْس يَجْرِي بَيْنَ البَهَائِمِ مِثْلُ ذَلِكَ فَيَحْتَاجُ إلى مَعْرِفَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِعَيْنِهِ .

أَلا تَرَى أنَّ التَشَابُهَ في الطَّيْرِ والوَحْشِ لا يَضُرُّها شَيْئاً وَلَيْس كذلِكَ الانسانُ فإِنَّهُ رَبَّما تَشابَهَ التَّوْأَمَانِ تَشَابُهاً شَدِيداً فَتَعْظُمُ المُؤْنَةُ عَلَى النَّاسِ في مُعَامَلَتِهَا حَتَّى يُؤْخَذَ أحدُهُمَا بذنبِ الآخَرِ فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِيْنَ .

وَتَأَمَّلْ لَوْ كَانَ الانْسَانُ لاَ يُصِيْبُه أَلَمٌ وَلاَ وَجعٌ بِمَ كَانَ يَرْتَدِعُ عَنِ الفَوَاحِشِ ويَتَواضَعُ لِله ويَتَعطَّفُ عَلَى الناسِ أَمَا تَرَى الانسانَ إذا عَرَضَ لَهُ وَجعٌ خَضَعَ واسْتَكَانَ وَرَغِبَ إلى رَبِّه في العَافِيةِ وبَسَطَ يَدَهُ في الصَّدقَةِ انتهى .

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوْبَنا مِنَ الحَسَدِ وَالحِقْدِ والبُغْضِ لِعبَادِكَ المؤمِنِيْنَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِيْنَ .

مَوْعظة : عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا بنعَمٍ كَثْيرَةٍ ، وجَادَ عَلَيْنَا بخَيْراتٍ وَفِيْرَةٍ غفَلْنَا عَنْهَا ، وعَن ضِدِّهَا ، وجهلْنَا حِكْمَتَها ، أعطَانَا جَلَّ وعَلاَ العَقْلَ ، ومَيَّزَنَا به عن الحَيوانَاتِ ، وأرسَلَ إليْنَا الرُّسُلَ ، يُرْشِدُونَنَا لِلْحَقِّ وخَالِصَ الإِيمانِ ، مَنَحنَا القُوَّة والعَافِيَةِ ، وصَحَّةَ البَدَنِ ، وسَلاَمَةَ الأَعْضَاءِ .

وجَعَلَ لَنَا السَّمْعَ ، والبَصَرَ ، واللِّسانَ ، والشَّفَتَيْنِ ، وعَلَّمَنَا البَيَانَ والإِفْصَاحَ ، عَنْ مَا نَقْصُدُ بالكلامِ ، خَلَقَنَا في أَحْسَنِ تَقْوِيْم ، وجَعَلَ لَنَا الأَرْضَ فِرَاشاً ، والسماءَ بِنَاءً ، وأَنْبَتَ لَنَا في الأَرْضِ النَّخِيْلَ ، والأَعْنَابَ والزَّرْعَ وسائِرَ ما نَحْتَاجُ إليْهِ مِن الثِّمارِ ، ونَسْتَخْرِجُ مِنْهَا المَعَادِنَ ، والخَامَاتِ .

وأَجْرَى لَنَا فِيْهَا الأَنْهارَ ، وأَنْبَعَ لَنَا الماءَ الزلاَلَ ، وخَلَقَ الشَّمْسَ والقَمَرَ ، والنُّجُومَ ، مُسَخَّراتٍ بأمْرِهِ تَمُدُّنَا بالأنْوَارِ ، والمَنَافِعِ ، للأَبْدَانِ

والثِّمارِ ، والنَّباتَاتِ ، وفِيْهَا مِن الاتْقَانِ ، والجَمَالِ ، والاتِّزَانِ في سَيْرِهَا مَدَى الليالِي والأيَّامِ ، ما يَشْهَدُ لِلهِ بالوَحْدَانِيَّةِ ، والحِكْمَةِ ، والْقُدْرَةِ البَاهِرَة ، والعِلْمِ ، وسَائِرِ صِفاتِ الكمَالِ .

ولِلهِ نِعَمٌ أُخْرَى لاَ تُعَدُّ ، ولا تُحْصَى ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وإِنْ تَعُدُوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوْهَا ان الانسانَ لَظَلُومٌ كَفَّار ﴾ إذاً يَجِبُ عَلَيْنَا شُكْرُهُ تعالى على نِعَمِهِ ، وهُوَ الغِنِيُّ الحَمِيْدُ ، غَنِيٌّ عَن العَالَمِين ، والخَلْقُ هُمُ الفُقَرَاءُ إليْهِ ، كَمَا قَالَ جَلَّ وعَلاَ ﴿ يَا أَيُّهَا الناسُ أَنْتُم الفُقَرَاءُ إلى اللهِ واللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ ، ولَيْسَ لِلهِ في شُكْرِنَا مَنْفَعَةٌ تُعُوْدُ إليْهِ ، ولَيْسَ في كُفْرِ نِعَمِهِ ضَرَرٌ عَلَيهِ ، إنَّمَا تَعُوْدُ مَنْفَعَةُ الشُكْرِ إلى الشَّاكِرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى﴿ومَنْ شَكَرَ فإنَّمَا يَشْكُر لِنَفْسِهِ ومَن كَفَرَ فانَّ رَبي غَنِيٌّ كَرِيْم﴾ .

إنَّمَا الذي يَنْتَظِرُ الشُكْرَ مَخْلُوقٌ مَثْلَنَا وأَنْتَ إذَا شَكَرْتَ اللهَ إنَّمَا تُبَرْهِنُ عَلَى فَهْمِكَ لِنِعْمَةِ الله ، وتَقْدِيْرِكَ لَهُ إنْ شَكَرْتَ فَقَدْ وَجَّهْتَ النِعْمَةَ وَجْهَةَ الخَيْرِ ، والنَّفْعِ ، واسْتَعْمَلْتَهَا فِيْمَا يُسْعِدُكَ في الدُنْيا والآخِرَةِ ، وانْ كَفَرْتَ فَقَدْ بَرْهَنْتَ عَلى سُوْءِ فَهْمِكَ ، وعَدَمِ تَقْدِيْرِكَ لِرَبِكَ ، وعَلَى تَعَمُّقِكَ في اللُؤْمِ والرَّدَاءَةِ .

واذَا تَأَمَّلْتَ الكَثِيْرَ مِن الناسِ وَجَدْتَهُ مُهْمِلاً لِلشُّكْرِ الذِي هُوَ صَرْفُ النِّعَمِ فِيْمَا خُلِقَتْ لَهُ ، واسْتِعْمَالُهَا فِيْمَا شُرِعَتْ لأجْلِهِ ، لِتَظْهَرَ فَائِدَتُهَا وتَتِمَّ حِكْمَتُهَا ، ويَجْنِي العِبَادُ مَنَافِعَهَا ، ، فالشاكِرُ بِلِسَانِهِ وقَلْبِهِ ، وعَمَلِهِ مِن الفَائِزِيْنَ ، ولَكِنَّهُ قَلِيْلٌ ، كَمَا قال تَعَالى ﴿وقَلِيْلٌ مِن عِبَادِيَ الشَّكُورَ﴾ الأَكْثَرُ كَمَا تَقدم صَرَفُوْهَا فِيْمَا يَعُوْدُ عَلَيْهِم ، وعَلى أَوْلاَدِهِمِ ، وأَهْلِيهِم ، وأُمَّتِهِمْ بالضَّرَرِ .

أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بالمَالِ فَقِسْمٌ خَزَنُوْهُ وَمَنَعُوْا حُقُوْقَهُ فَلَمْ يَخْرِجُوا زَكَاتَهُ ،

وَلَمْ يُسَاهِمُوا في مَشَارِيْعَ دِيْنِيَّةٍ ، كَبِنَاءِ مَسَاجِدَ ، وقَضَاءِ دَيْنٍ عَنْ مَدِيْنٍ ومُسَاعَدَةِ فَقِيرٍ ، وإجْرَاءِ مِيَاهٍ لِلْمُسْلِمِيْنَ ، والمُسَاعَدِةِ عَلَى نَشْرِ الاسْلام وطِبَاعَةِ مَصَاحِفَ طِبَاعَةً جَيِّدَةً وتَوْزِيْعِهَا عَلَى التَّالِيْنَ لِكِتَابِ اللهِ ، وطِبَاعَةِ الكُتُبِ الدِّيْنِيَّةِ المُقَوِّيَةِ لِلشَّرِيْعَةِ المُحَمَّدِيَّةِ ، وبِنَاءِ بُيُوْتٍ لِمَنْ لاَ مَسَاكِنَ لَهُمْ ، ونَحْوَ ذَلِكَ .

وقِسْمٌ أَنْفَقُوا المالَ في المَلاذِ والمَلاَهِيْ ، والمُنْكَراتِ ، وسَائِرِ المُحَرَّمَاتَ ، أذْهَبُوهَا فِي الحَيَاةِ الدُنْيَا ، واسْتَمْتَعُوا بِهَا ، ولَم يُرَاقِبُوا اللهَ فِيْهَا ، أنْعَمَ عَلَيْهِمْ في الصِّحَةِ والفَرَاغِ المَفْرُوْضُ أن تُغْتَنَمَ في طَاعَةِ اللهِ .

وَلَكِنْ يَا لِلاسَفِ صُرِفَتْ في السَّهَرِ ، وفي الفَسَادِ ، وفي المُجُونِ والكَسَلِ والتَّكَسُعِ ، والخُمُولِ أو التَّطَاوُلِ بالقُوَّةِ عَلَى الضُعَفَآءِ ، والمساكِيْنِ ، وإعانَةِ الظَّلمَةِ والفَاسِقِيْنَ ، ونَحْوِ ذَلِكَ ، مِنَ المَفَاسِدِ والشُرُوْرِ .

وقِسْ عَلَى ذَلِكَ بَاقِي النِّعَمِ مِن السَّمْعِ والبَصَرِ واللِّسَانِ والرِّجِلْ فَلَمْ يَبْقَ نِعْمَة إلا وَقَلَبُوْهَا ، ولا هِبَةٌ مِن اللهِ إلاَّ وَجَحدُوْهَا فَنَزَلُوا بَعْدَ الرِّفْعَةِ وذَلُّوْا بَعْدَ العِزَّةِ فإنَا لِله وإنا إليهِ رَاجِعُوْن .

وقالَ بَعْضُهُمْ في مَدْحِ اللَّطِيْفِ الخَبِيْرِ جَلَّ وَعَلاَ وذَكَرَ بَعْضَ أَلْطَافِهِ :

أَحَاطَ بِتَفْصِيلِ الدَّقَائِقِ عِلْمُهُ
فَأَتْقَنَهَا صُنْعَاً وَأحْكَمَهَا فِعْلاَ
فَمِنْ لُطْفِهِ حِفْظَ الْجَنِيْنِ وَصَوْنُهُ
بِمُسْتَوْدَعٍ قَدْ مَرَّ فِيْهِ وَقَدْ حَلاَّ
تَكَنَّفَهُ بِاللُّطفِ فِي ظُلُمَاتِهِ
وَلا مَالَ يُغْنِيهِ هُنَاكَ وَلاَ أهْلاَ

وَيَأتِيه رِزْقٌ سَابِغٌ مِنْهُ سَائِغٌ
يَرُوحُ لَهُ طَوْلاً وَيَغْدُو لَهُ فَضْلاَ
وَمَا هُوَ يَسْتَدْعِي غِذاءً بِقِيْمَةٍ
ولا هُوَ مِمَّنْ يُحْسِنُ الشُّرْبَ وَالأَكْلاَ
جَرَى فِي مَجَارِيْ عِرْقِهِ بتَلَطُّفٍ
بِلاَ طَلَبٍ جَرْياً على قَدْرِهِ سَهْلاَ
وَأجْرَى لَهُ فِي الثَّدْيِ لُطْفَ غِذَائِهِ
شَراباً هَنِيْئاً مَا أَلَذَّ وَمَا أَحْلاَ
وَأَلْهَمَهُ مَصّاً بِحِكْمَةِ فَاطِرٍ
لهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ الْجَزِيْلُ بِمَا أَوْلاَ
وَأَخَّرَ خَلْقَ السِّنِّ عَنْهِ لِوَقْتِهَا
فأبْرَزَهَا عَوْناً وَجَاءَ بِهَا طَوْلاً
وَقَسَّمَهَا لِلْقَطْعِ وَالْكَسْرِ قِسْمَةً
وَلِلطَّحْنِ أعْطَى كُلَّ قِسْمٍ لَهَا شَكْلاَ
وَصَرَّفَ فِي لَوْكِ الطَّعَامِ لِسَانَهُ
يُصَرِّفُهُ عُلْوًا إِذَا شَاءَ أَوْ سُفلا
وَلَوْ رَامَ حَصْراً في تَيَسُّرِ لُقْمَةٍ
وألْطَافِهِ فِيْمَا تَكَنَّفَهَا كَلاًّ
فَكَمْ خَادِمٍ فِيْها وَكَمْ صانِعٍ لَّهَا
كَذلِكَ مَشْرُوبٌ وَمَلْبَسُهُ كَلاًّ
وَكَمْ لُطَفٍ مِن حَيْثُ تَحْذَرُ أكرَمَتْ
وَمَا كُنْتَ تَدْرِي الفَرْعَ مِنها وَلاَ الأَصْلاَ

وَمِـنْ لُـطْفِـهِ تَـكْلِيْـفُـهُ لِـعَبَـادِهِ
يَسِيْـراً وأعْـطَاهُمْ مِن النِّعِمِ الْجَـزْلَا

وَمِـنْ لُـطْفِـهِ تَـوْفِيْـقُهُـمْ لإنَـابَـةٍ
تُـوَصِّلُ لِلْخَيْـراتِ مِن حَبْلِهم حَبْـلا

وَمِنْ لُـطْفِـهِ بَعْثُ النَّبِي مُـحَمَّـداً
لِيَشْفَـعَ فِي قَوْمٍ وَلَيْسُـوا لَهـا أهْـلَا

وَمِنْ لُطْفِـهِ حِفْظُ الْعَقَـائِدِ مِنْهُمُـوا
وَلَوْ خَالَفَ الْعاصِي الْمُسِيءُ وَإِنْ زَلَّا

ومِنْ لُطْفِهِ إخْـراجُـهُ عَسَــلاً كَمَـا
تُشَـاهِـدُ مِمَّـا كَـان أَوْدَعَــهُ النَّحْـلَا

وَإِخْــرَاجُـهُ مِنْ بَيْنِ فَــرْثٍ مُجَـاوِرٍ
دَمَـاً لَبَناً صِـرْفـاً بلَا شَـائِبٍ رِسْـلَا

وَإِخْــرَاجُــهُ مِـنْ دُوْدَةٍ مَلْبَـســاً لَّـهُ
رُوَاقَـاً عَجِيْبـاً أحْكَمَتْــهُ لَنَـا غَــزْلَا

وَأعْجَبُ مِنْ ذَا خَلْقُـهُ الْقَلْبَ عَارِفَـاً
بِـهِ شَـاهِـدَاً أنْ لَّا شَبِيْـهَ وَلَا مِثْـلَا

وَأَلْطَافُ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ فَخُذْ بِمَا
بَـدَا لَـكَ واشْهَـدْهَـا وَإياكَ وَالْجَهْـلَا

وَصَلِّ عَلى الْمُخْتَارِ أفْضَـلَ مُرْسَـلٍ
عَلَى خَالِصِ الْعِرْفَـانِ بِاللَّهِ قَـدْ دَلَّا

اللَّهُمَّ اخْتِم لَنَا بِخَاتِمِةِ السّعادَة واجْعَلْنا مِمَّنْ كَتَبْتَ لَهُمُ الْحُسْنَى وزِيَادَةَ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا ولِجَمِيعِ الْمُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أرحَمَ الرّاحِمِيْنَ وَصلّى اللَّهُ عَلى مُحَمّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْن .

(فَصْلٌ)
في المرُوْءَةْ

الْمَرُوْءَةُ بِمَعْنَى الْانْسَانِيَّةِ لِأَنَّها مَأْخُوْذَةٌ مِنَ الْمَرءَ وَهْيَ تَعَاطِيَ مَا يُسْتَحْسَنُ وَتجنُّبُ ما يُسْتَرْذَلْ قَالَ بَعْضُهُمْ حَدُّ الْمُرُوَءَةِ رَعْيُ مَساعِي الْبِرِّ ، وَرَفْعُ دَوَاعِي الضُّرِّ والطَّهَارَةُ مِنْ جَمِيْعِ الأدْنَاسِ ، والتَّخَلّصِ مِنْ عَوَارِضِ الإِلْتِبَاسْ ، حَتَّى لاَ يَتعَلَّقُ بِحامِلِها لَوْمٌ ، وَلاَ يَلْحَقُ بِهِ ذَمٌّ .

وَقِيْلَ هِيَ آدَابٌ نَفْسِيَّةٌ تَحْمِلُ مُرَاعَاتُها الإنْسَانَ عَلَى الْوُقُوفِ عِنْدَ مَحَاسِنِ الاخْلاقِ وَجَمِيْلِ الْعَادَاتْ وَقْيل هِي قُوَّةٌ لِلنَّفْسِ مَبْدَأٌ لِصُدُورِ الأَفْعالِ الْجَمِيْلَةِ عَنْهَا الْمُسْتَتْبِعَةِ لِلْمَدْحِ شَرْعاً وَعَقْلاً وَفَرْعا وَكُلُّها قَرِيْبَةُ الْمَعْنَى. وقيل هي الصدق وُالشرقُ والاستِقامةُ والشجاعَة والحَمِيَّة .

وَقَال بَعْضُهُمْ الْمرُؤَةُ كَلِمَةَ لَفظُها كَمَعْنَاهَا حُلْوٌ جَمِيْلٌ اِنْ قَرعَتِ السَّمْعَ فَعظمَةٌ وَجلال وَاِنْ نَفَذتْ إلى الْقَلْب فَنُبْلٌ وَسُمُوٌ وَشُعُورٌ بالْكَرامَةِ والْكَمَالِ وَلَسْتُ أعْدِلُ عَنِ الْحَق اِنْ قُلْتُ اِنَّ الْمرُؤَةَ هِيَ جِمَاعُ الْفَضَائِلِ وَرَأْسُ الْمَكَارِمِ وَعُنْوَانُ الشَّرفِ بِهِا يَسْمُو الْمَرءُ وَيَرْتَفِعَ ذِكْرُهْ وَبِفِقْدِهَا يَفْقِدُ كُلَّ كَرَامَةٍ وَفَضْلٍ .

فَهْيَ مِيْزَانُ الرِّجَالِ وَأَصْلُ الْجَمَالِ وَحَدُّ الْمُرؤَةِ تَجَمُّلُ النَّفْس بِمَا يَزِيْنِهَا وَتَحْصِيْنُها مِمَّا يَشِيْنُها بِحَيْثُ تكُونُ لِلْمَحَامِدِ أهْلاَ وَعِنِ الْمَذَامِّ بمَنْأَى وَلاَ يكوُنُ ذلِكَ إلاّ لِمَنْ رَاضَ نفْسَه عَلَى التَّخلُّقِ بالخُلُقِ الْحَسَنِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالتَجَمُّلِ بِجَمِيْلِ الْعَادَاتِ حَتَّى يُصْبحَ التَّطَبُّعُ جِبلَةً والتَعوُّدُ غَرِيْزَةً وَلَيْسَ يسْتَطِيْعُ ذَلك اِلاّ مَنْ جاهَد نَفْسَهُ وَنازَعَ هَوَاهْ رَغْبَةً في حُسْنِ الأُحْدُوثَةِ والذِّكْرِى الْجَمِيْلَةْ. كما قيل:

لَقَدْ أَسْمَعُ القَولَ الذي كادَ كُلَّمَـــا تُذَكِّرُنِيْهِ النَّفْسُ قَلْبِي يُصَـــدَّعُ
فَأُبْدِيْ لِمنْ أَبْدَاهُ مِنّي بَشَاشَـــةٍ كَأَنِّيَ مَسْرُوْرٌ بِما مِنْهُ أَسْمَـــعُ

وما ذَاكَ مِنْ عُجْبٍ بِهِ غَيْرَ أَنَّنِيْ أَرَى أَنْ تَرْكَ الشَّرِ لِلشَّرِ أَقْطَعُ

آخر : وإنَّمَا المرءُ حَدِيْثٌ بَعْدَهُ

فَكُنْ حَدِيْثاً حَسَناً لِمَنْ وَعَى

مِنْ كُلِّ ما نَالَ الفَتَى قَدْ نِلْتُهُ

والمَرءُ يَبْقَى بَعْدَهُ حُسْنُ الثَّنَا

وَقَدْ وَرَدَ عَن النَّبِيِّ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلّم أَنّهُ قَال « مَنْ عَامَل النّاسَ فَلَمْ يَظْلِمهُمْ ، وَحَدّثَهمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ ، وَوَعَدهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ ، فَهْوَ مِمَّنْ كَمُلَتْ مُرُوَتُهُ ، وَظَهرَتْ عَدالَتُهُ ، وَوَجَبَت أُخُوّتُهُ » وَقالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللّهْ : وَحَقِيْقَةُ الْمُروَةِ تَجنُّبُ الدّنَايَا والرّذَائِلِ مِنَ الأقْوالِ والْاَخلاقِ وَالْاَعْمَالِ .

فَمرُوَةُ الّلسَانِ حَلاَوَتُه وَطِيْبُهُ وَلِيْنُهْ ، وَاجْتِنَاءُ الثِّمَارِ مِنْهُ بِسُهولةٍ وَيُسْرٍ ، وَمُرُوَةُ الخُلُقِ سَعَتُهُ وَبَسْطُه لِلْحَبِيْبِ وَالبَغِيْضِ .

وَمُرُوَةُ الْمَالِ الاصَابَةُ بِبَذْلِهِ مَواقِعَهُ الْمَحْمُودَةَ عَقْلاً وَعُرْفاً وَشَرْعا .

وَمُرُوَةُ الْجَاهِ بَذْلُهُ لِلْمُحْتَاجِ اِلَيْه ، وَمُرُوَةُ الاحْسَانِ تَعْجِيْلُهُ وَتَيْسِيْرُه وَتَوْفِيْرُهُ وَعدَمُ رُؤْيَتِهِ حالَ وُقُوعِهِ ونِسْيانُهُ بَعْدَ وَقُوْعِه ، فَهذِهِ مُروَةُ الْبَذْلِ .

وَأَمَّا مُرُوَةُ التَّرْك ، فَتَرْكُ الْخِصَامِ وَالْمُعَاتَبَةِ والْمُمَارَاتِ ، وَالْاَغْضَاءُ عَنْ عَيْبِ مَا يَأْخُذُهُ مِنْ حَقّكْ وتَرْكُ الْاَسْتِقْصَاءِ في طَلَبِهِ والتَّغَافُلِ عَنْ عَثَرَاتِ النّاسْ ، وَاِشْعَارُهُمْ أنكَ لاَ تَعْلَمُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَثْرَةً ، وَالتَوْقِيْرُ لِلْكَبِيْرِ ، وَحِفْظُ حُرْمَةِ النَّظِيْر ، وَرِعَايَةُ أدَبِ الصَّغِيْرِ قَالَ وَهِيَ عَلَى ثَلاثُ دَرَجَاتْ الدَّرَجَةُ الْاوْلَى مُرُوَةُ الإنْسَانُ مَعَ نَفْسِهِ ، وَهْيَ أَنْ يَحْمِلَها قَسْراً عَلَى مَا يُجَمِّلُ وَيَزيْنُ وتَرْكُ مَا يُدَنِّسُ وَيَشِيْنُ، لِيَصْيرَ لَهَا مَلَكَةً في جَهْرِهِ وعَلاَنِيَتِهِ .

شعرا : وَهَلْ يَنْفَعُ الفِتْيَانَ حُسْنُ وُجُوهِهِم إذَا كَانَتِ الأعْرَاضُ غَيْرُ حِسَانِ

فلا تَجْعَلِ الحُسْنَ الدّلِيلَ عَلَى الفَتَى فَما كُلُ مَصْقُوْلِ الحَدِيْدِ يَمَانِيْ

آخر : كالثَّوْر عقـلاً ومِثْلُ التَّيس مَعْرِفَةً ... فَلاَ يُفرّقُ بَيْنَ الحَـقّ والفَنَـدِ
الجَهْلُ شخْصٌ يُنادِي فوقَ هَامَتِـه ... لا تَسْأَلَ الرَّبْعَ مَا في الرَّبْعِ مِنَ أحَـدِ
آخر : خَلِيْلِيَّ كَمْ ثَوبٍ وَكَم مِن عَبَاءةٍ ... عَلى جَسَدٍ ما فِيْهِ عِلْـمٌ ولا عقْـلُ
وَكَمْ لحِيْةٍ طَالَتْ عَلى خَدّ جَاهِـلٍ ... فأزْرَى بهَـا مَنْ بَعْدِمَا طَالَتَ الجَهْـلُ
وَكَمْ رَاكِبٍ بَغْلاً لَهُ عَقْلُ بَغْلِـهِ ... تَأَمّلْ ترى بَغْلاً عَلَى ظَهْرِهِ بَغْـلُ
آخر : كَلُ الأنام بَنُـوْأبٍ لَكِنَّمَـا ... بالفَضْـلِ تُعْرَفُ قِيْمَةُ الإنسَـانِ

فَلاَ يَكْشِفُ عَوْرَتَهُ في الْخلْوَة ، وَلاَ يَتجشَّأُ بصَوْتٍ مُزْعِجٍ مَّا وَجدَ إلى خِلاَفِهِ سَبِيْلا ، وَلاَ يُخْرِجُ الرِّيْح بِصَوْتٍ وَلاَ يَجْشَعُ وَيَنْهَمُ عِنْدَ أكْلِهِ وَحْدَهُ وَبالجُملَةِ فَلاَ يَفْعَل خَالِياً مَا يَسْتحي مِنْ فِعْلُهُ في الْمَلإِ إلاَّ مَا يَحْظُرُهُ الشّرْعُ وَالْعَقْلُ اِنْ وَافَقَ الشَّرْعَ وَلاَ يكوُن إلاَّ في الْخلْوَةِ كالْجِمَاعِ والتَّخليِّ وَنَحْو ذَلِكْ .

الدّرَجَةُ الثَّانِيَةُ الْمُرُوْءَةُ مَعَ الْخلق بِأَنْ يَسْتَعْمِلَ مَعَهُمْ شُروُط الأدَبِ والْحَياءِ وَالْخُلُقَ الْجَمِيْلَ وَلا يُظْهِرُ لَهُم مَا يَكْرَهُهُ هُوَ مِنْ غِيْرِهِ لِنَفْسِهْ وَلِيَتَّخِذَ النَّاسَ الْمُتَمَشّيْنَ مَعَ الشّرِيْعَةِ الْمُطَهَّرَةِ في أقْوَالِهِمْ وأفْعَالِهِمْ مِرْآةٍ لِنفْسِهْ فَكُلُّ مَا كَرِهَهُ ونَفرَ عَنْهُ مِنْ قولٍ أوْ فِعْلٍ أوْ خُلُقٍ فَلْيَجْتَنِبُهُ وَمَا أحَبَّهُ مِنْ ذَلِكَ واسْتَحْسَنَهُ فَلْيَفْعَلَهُ .

وَصَاحِبُ هَذِهِ الْبَصِيْرَةِ يَنْتَفِعُ بِكُلِّ مَنْ خَالَطَهُ وَصَاحَبَهُ مِنْ كامِلٍ وناقِصٍ وَسَيّءِ الخُلُقِ وَحسَنه، وَعَدِيْمِ الْمُروءَةِ وَغَزِيْرِهَا ، وَكَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ يَتعلّمُ المَروءَةَ وَمكَارِمَ الأخْلاَقِ مِنَ الْمَوْصُوْفِيْنَ بِأَضْدَادِهَا كَمَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ الأكَابْرِ أنَّهُ كَانَ لَهُ مَمْلُوكٌ سَيِّءُ الْخُلُقْ فظُ غَلِيْظُ لاَ يُنَاسِبُهُ فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ أدْرُسُ عَلَيْهِ مَكَارِمَ الأخْلاَقْ .

وَكَانَ لآخَرْ زَوْجَةٌ حَمْقَاءَ بَذِيْئَةُ اللّسَانِ تَشْتِمُهُ بَلْ وَتَلْعَنُهُ بِاسْتِمْرَارِ وَتَدْعُو عَلَيْهِ مِنْ دُونِ دَاعٍ فَقِيْلَ لَهُ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلَيْهَا وَهَذِهِ سيْرَتُهَا مَعَكَ غفرَ اللّهُ لَكْ .

فَقَالَ أَدْرُسُ عَلَيْهَا مَكَارِمَ الأَخْلاَق وبالأخَصِّ الحِلْمُ والصَّبْرِ وَأُرِيْدُ أنْ تُبْرزَ زَلاَّتي فَأَتجَنَّبُها وكانَ كَثِيْراً مَا يَتمثَّلَ بهَاذَيْن الْبيْتَيْنْ :

عُدَاتِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ   فَلاَ أَذْهَبَ الرّحْمنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا
هُمُوا بَحَثُوا عَنْ زَلَّتِي فَأَجْتَنَبْتُها   وَهُمْ نَافَسُونِي فاكتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا

وهذَا يَكُونُ بِمَعْرِفَةِ مَكَارِم الأَخْلاَقِ فِي ضِدِّ أَخْلاَقِهِ وَيكُونُ بتَمْرِيْنِ النَّفْس عَلَى مُصَاحَبَتِهِ وَمُعَاشَرَتِهِ والصّبرِ عَلَيْهِ وَلَكِنْ مَا يَفْعَلُ ذِلكَ إلاّ القَلِيْل الّذِينَ قَدْ وَطَّنُوا أَنْفُسَهُم .

كما قيل :

النّاسُ مِثْلُ بُيُوتِ الشِّعْرِ كَمْ رَجُلٍ   مِنْهُمْ بأَلْفٍ وكَم بَيْتٍ بِدِيْوَانِ

آخر :

وكَمْ لِلَّهِ مِن عَبْدٍ سَمِينْ   كَثِيْرِ اللحم مَهْزُوْلِ المَعَالِي
كَشِبْهِ الطَبلِ يُسْمَعُ مِن بَعِيْدٍ   وَبَاطِنُهُ مِن الخَيْرَاتِ خَالِي

الدَّرَجَةُ الثّانِيَةُ الْمُرُوْةُ مَعَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بالْأَسْتِحْيَاءِ مِنْ نَظَرِهِ إلَيْكَ وَإطّلاعِهِ عَلَيْكَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَنَفَسٍ واصْلاَح عُيُوْب نَفْسِكَ جَهْدَ الإِمْكَانِ إنَّهُ قَدْ اشْتَرَاهَا مِنْكَ وأَنْتَ سَاعٍ فِي تَسْلِيْمِ المَبِيعِ وَتَقَاضِي الثَّمَنْ وَلَيْسَ مِنَ الْمُرُوْةِ تَسْلِيْمُه عَلَى مَا فِيهِ مِنْ عُيُوبٍ وَتَقَاضِيَ الثّمَنَ كامِلاً أَوْ رُؤيَةِ مِنّتِهِ فِي هَذَا الأَصْلاَحِ وأنّهُ هُوَ الْمُتولِّي لَهُ لاَ أَنْتَ .

وَالْاشْتِغَالِ باصْلاَحِ عُيُوْبِكَ نَفْسَكَ عَنِ الْتِفَاتِكَ إلى عَيْبِ غَيْرِكَ وَشُهُودِ الْحَقِيْقَةِ عَنْ رُؤْيَةِ فِعْلِكَ وَصَلاَحِهْ أ هـ .

عَلَيْكَ نَفْسَكَ فَتِّشْ عَنْ مَعَايِبِهَا   وَخَلِّ مِنْ عَثَرَاتِ النّاسِ لِلنَّاسِ

وَمِمَّا تَقَدَّمَ يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ مُرَاعَاةَ النَّفْسِ عَلَى أَكْمَلِ الأَحْوَالِ وَأَفْضَلِهَا هِيَ الْمُرُوْةُ وإذَا كَانَتْ كَذلِكَ فَلَيْسَ يَنْقَادُ لَهَا مَعَ ثِقَلِ كُلَفِهَا إلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ وَسَهَّلَ عَلَيْهِ الْمَشَاقَ وَيَودُّ كُلُّ أَحَدٍ لَوْ حَصَلَتْ لَهُ الْمُرُوْةُ وَلَكِنْ كَمَا قِيْلَ :

وَكُلَّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى   وَلَكِنْ طَبْعَ النّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ

آخر : فلا تَحْسَبُوْا أنَّ المَعَالِيْ رَخِيْصَــــةً ولاَ أَنَّ إِدْرَاكَ العُلَى هَيِّنٌ سَــــهْلُ
فَمَا كُلُ مَنْ يَسْعَى إِلَى المَجْدِ نَالَهُ ولا كُلُ مَنْ يَهْوَى العُلا نَفْسُه تَعْلُوْ

قَالَ الْعُلَمَاءُ وَالدَّاعِيَ إلى اسْتِسْهَالِ الْمَشَاق شَيْئَانْ عُلُوُّ الْهِمَّة وَشَرَفُ النَّفْسِ فَأَمَّا عُلُوُّ الْهِمَّة فَيَدْعُو إلى التَّقَدُّمُ وَقَدْ وَردَ عَن النَّبي ﷺ أَنَّهُ قَالْ « إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَّ الْأمُور وأشْرَافِهَا ويَكْرَهُ دَنيَّها وَسَفْسَافَهَا » قَالَ الْمَنَاوي مَعَالِيَ الْأمُورِ وأشْرَافُهَا هِيَ الأخْلاقُ الشَّرْعِيَّةُ والْخِصَالُ الدِّيْنِيَّةُ أ هـ .

وأمَّـا سَفْسَـافُ الْأمُـور فَهْـوَ حَقِيْرُها وَرَدِيئُهَا ، وَرُوِيَ عَنْ عُمَر بن الْخَـطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنـهُ أنَّـهُ قَالْ لا تَصْغُـرَنَّ هِمَمُكُمْ فَإنِّي لَمْ أرَ أقْعَدَ عَنْ الْمَكْرُمَاتِ مِنْ صُغْرِ الْهِمَمْ :

حَـاوِلْ جَسِيْمَاتِ الْأُمُـوْرِ وَلاَ تَقُـلْ إنَّ الْمَحَــامِـدَ والْعُــلَى أَرْزَاقُ
آخَرُ : يَسْتَقْرِبُ الدارَ شَوْقاً وَهْيَ نَازِحَةٌ مَنْ عَالَجَ الشَّوْقَ لَمْ يَسْتَبْعِدَ الــدَّارَا
آخَرُ : فإنَّ عَلِيَّـاتِ الْأُمُـور مَشُـوْبَـةٌ بِمُسْـتَوْدَعَاتٍ فـي بُطُـونِ الأَسَـاوُدِ
آخـر :
بَصُرْتَ بالحَالَةِ العُلْيَا فَلَمْ تَرهَا نُتَنَالُ إلَّاعَلَى جَسْرٍ مِنَ التَّعَبِ
آخـر : وَلَـمْ أَرَى في عُيُوْبِ النَّـاسَ شَـيْئاً كَنَقْصِ الْقَـادِرِيْـنَ عَـلَى التَّمَـامِ
ويقـول :
تُـرِيْـدِيْنَ لُقْيَـانَ المَعَـالِي رَخِيْصَـةً ولا بُدَّ دُوْنَ الشَّـهْدِ مِنْ إِبَرِ النَّحْـلِ

وقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إذَا طَلَبَ رَجُلاَنِ أَمْرَاً ظَفِرَ بِهِ أعْظَمُهُمَا مُرُوْءَةً لِكَثْرَةِ وُجَاهَتِه وَوَسَائِطِهِ عِنْدَ ذَوِي الْأمْرِ ، وَأَمَّا شَرَفُ النَّفْسِ فَيَدْعُوْ إلى الشَّهَامَةِ وَهْيَ الْحِرْصُ عَلَى مَا يُوْجِبَ الذِّكْرَ الجَمِيْلَ ، وَالإِحْتِمَال وَهْوَ إِتْعَابُ النَّفْسِ في الحَسَنَاتِ كَمَا قِيْلَ :

وَإنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا فَلَيْسَ إلـى حُسْـنِ الثَّنَاءِ سَـبِيْلُ

فَباتْعَا بِهَا يَكُونُ قَبُولُ التَّأدِيْبِ واسْتِقْرَارُ التَّقْوِيْمِ والتَّهْذِيْبِ لِأَنَّهَا رُبَّمَا تَرَكَتِ الْأفْضَلَ وَهْيَ بِهِ عَارِفَةٌ ، وَنَفَرَتْ عَنِ التَّأنِيْبِ وَهْيَ لَهُ مُسْتَحْسِنَةٌ ،

لأنَّها عَلَيْهِ غَيْرَ مَطْبُوعَةٍ وَلَهُ غَيْرُ مُلاَئِمَةٍ ، وقَدْ قِيْل : مَا أكثَرُ مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ وَلاَ يُطِيْعُه ، وَإذَا شَرُفَتِ النَفْسِ كانَتْ لِلآدَابِ طَالِبَةً ، وَفِي الْفَضَائِلِ رَاغِبَةً فَإذَا خَالَطَ شَرَفُ النَفْسِ الآدَابَ صَادَفَ طَبْعَاً مُلاَئِماً فَنَما وَاسْتَقَرَّ بإذْنِ اللّهِ تَعَالَى

وإذَا كانَتِ النفُوسُ كِبَاراً   تَعِبَتْ في مُرادِها الأَجْسَامُ

اللَّهُمَّ احمِنَا عَن الْمَيْل وَالرُّكُوْن إلى أَعْدَائِكْ وَأَرْزُقْنا بُغْضَهُمْ وَأَعْوَانَهُمْ والمُؤَيّديْنَ لَهُمْ اللَّهُمَّ شَتِّتْ شَمْلَهُمْ وَدَمِّرْهُمْ أجْمَعِيْنْ وانْصُرْ مَنْ نَصَرَ الإسْلاَمَ والْمُسْلِمِينَ وأَحَبَّ فِيْكَ وأبْغَضَ فِيْكَ يَا رَبَّ العَالَمِين واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِديْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

قَالَ الْعُلَمَاء وَلِلْمُرُوْءَةِ شُرُوطٌ فِي نَفْسِ المَرْءِ وَشُرُوطٌ في حَقِّ غَيْرِهِ فأمَّا شُرُوطُهَا فِي حَقِّ نَفْسِهِ بَعْدَ الْتِزَامِ مَا أوْجَبَهُ الشَّرْعُ مِنْ أحْكَامِهِ فَيَكُونُ بِثَلاَثَةِ أمُوْرْ وَهْيَ الْعِفَّةُ وَالنَّزَاهَةُ والصِّيَانَةُ .

فَأمّا الْعِفَّةُ فَنَوْعانِ أحَدُهُمَا الْعِفَّةُ عَنِ الْمَحَارِمْ ، والثَّانِي الْعِفَّةُ عَنِ المآثِمِ .

شعــــرا :

فَيَانَفْسُ صَبْراً إنَّمَا عِفَّــةُ الفَتَـــى   إذَا عَفَّ عن لَذَّاتِهِ وهو قَـــادِرُ

فأمَّا الْعِفَّةُ عَن الْمَحَارِمْ فَنَوْعانِ ، أحَدُهُما ضَبْطُ الْفَرْجِ عَنِ الْحَرَامِ كالزِّنَا واللِّوَاط .

والثَّـاني : كَفُّ اللِّسَـانِ عَن الأعْرَاضِ كَالْقَذْفِ وَالسِّعَايَةِ والنَّمِيْمَةِ والغِيْبَةِ والْكَذِبِ وَالإسْتِهْزَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ . مما قد كثر في زمننا بسبب التلفزيون والفيديو والتلفون المذياع فلهذا ينبغي الابتعاد عن الناس إلا لأخذ العِلْم أو إصْلاحٍ قال بعضهم .

لِقَاءُ الناسِ لَيْسَ يُفِيْــدُ شَيْئـــاً   سِوَى الهَذَيَانِ مِن قِيْـــلٍ وقَـــالِ
فَأقْلِـــلْ مِـــنْ لِقَــاءِ الناسِ إلاَّ   لأَخْذِ العِلْمِ أَوْ إصْـلاحِ حَـــالِ

آخر : النَّاسُ دَاءٌ دَفِينٌ لا دَوَاءَ لَـــهُ العَقْلَ قَدْ حَارَ مِنْهُم فَهْوَ مُنْذهِـــلُ
إِنْ كُنْتَ مُنْبَسِطاً سُمِيْتَ مَسْخَـــرَةً أَوْ كُنْتَ مُنْقَبِطاً قالُوا بِــهِ ثِقِـــلُ
وَإِنْ تُوَاصِلْهُـــمْ قَالُــوْا بِــهِ طَمَــعٌ وَإِنْ تُقَاطِعَهُمْ قالوا بِهِ مَلَـــلُ
وإِنْ تَهَــوَّرَ يَلقَـــوهُ بِمَنْقَصَـــةٍ وإِنْ تَزَهَّدَ قَالُوا زُهْـــدُهُ حِيَـــلُ

آخــر :

لِقَاءُ أَكْثَرِ مَن تَلْقَاهُ أَوْزَارُ فَلَا تُبَال أَصَدُّوْا عَنْكَ أَوْزَارُوْا
لَهُمْ لَدَيْكَ إِذا جَاؤكَ أَوْ طَارُ فإِنْ قضَوْهَا تنحوا عَنْكَ أَوْطَارُوْا

فَأَمَّـا ضَبْطُ الْفَرْجِ عَنِ الْحَرَامِ فَلانَّ عَدَمَهُ مَعَ وَعِيْدِ الشَّرْعِ وَزَاجِرِ الْعَقْلِ مَعَرَّةٌ فَاضِحَةٌ وإِثْمٌ وَاضِحٌ ، وَلِذَلِكَ قَاالَ النَّبِيُّ ﷺ « مَنْ وُقِيَ شَرَّ ذَبْـذَبِـهِ وَلَقْلَقِـهِ وَقَبْقَبِهِ فَقَدْ وُقِيَ » وَفِي رِوَايَةٍ « فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » وَالْمُرَادُ بِالذَّبْذَبِ الْفَرْجِ وَبِلَقْلَقِهِ لِسَانُه ، وبِقَبْقَبِهِ بَطْنُهُ .

والـدَّاعِي إِلَى الْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ شَيْئَان إِرْسَالُ الطَّرْفِ وَالثَّانِي اتِّبَاعُ الشَّهْوَةِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الكَلامُ عَلَى النَّظَرِ الْمُحَرَّمِ فِي ص ٢٠٩ .

شِعْرَاً :

لَيْسَ الظَّرِيْفُ بِكَامِـلٍ فِي ظَرْفِـهِ حَتَّى يَكُـونَ عَـنِ الْحَـرَامِ عَفِيْفَـا
فَـإِذَا تَـوَرَّعَ عَـنِ مَحَـارِمَ رَبِّـهِ فَهُنَاكَ يُـدْعَـى فِي الأَنَـامِ ظَـرِيْفَـا

وَمِنْ ذَلِـكَ تَرْغِيْبُ النَّفْسِ فِي الْحَـلَالِ عِوَضاً عَنِ الحَرَامِ وَاقْنَاعُهَا بِالْمُبَاحِ بَدَلاً مِنَ الْمُحَرَمِ فإِنَّ اللَّهَ مَا حَرَّمَ شَيْئاً إِلَّا وَأَغْنَى عَنه بِمُبَاحٍ لِيَكْونَ ذلِكَ الإِغْنَاءُ عَوْناً عَوْناً عَلى الطَّاعَةِ ، وحَاجِزاً عَنِ الْمُخَالَفَةِ ، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا أَمَرَ بِشَيْءٍ إِلاّ وأَعَانَ عَلَيْهِ ، وَلاَ نَهى عَنْ شَيءٍ إِلَّا وَأَغْنَى عَنْهُ .

مَا أَقْبَحَ العِرْضَ مَدْنُوساً بِفَاحِشَةٍ يَخُطُّهَا اللَّـوحُ أو يَجْرِي بها القَـلَمُ
والحُسْــنُ لا حُسْـنَ فِي وَجْـهٍ تَأَمَّلُهُ إِنْ لـم تَكُنْ مِثْلَهُ الأَخْلاقُ والشِّيَمُ
وِلِلشَّـــبِيبَةِ بُنْيَــانٌ تُكَمِّـلُهُ لَـكَ الثَّـلاثُونَ عَـامـاً ثُـمَّ يَنْهَـدِمُ

وَمِنْ ذَلِكَ إشْعَارَ النَّفْسِ تَقْوَىٰ اللّهِ في أَوَامِرِهْ ، وَاتِّقَاؤُهُ في زَوَاجِرِهِ وإلْزَامُهَا مَا أَلْزَمَ مِنْ طَاعَتِهِ ، وَتَحْذِيْرُهَا مَا حَذَّرَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ وَإعْلامُها أَنَّه لا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيةٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ بَيْنَهُمَا كَمَا قَالَ تعالَىٰ ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ في السَّمواتِ ولاَ فِي الأَرْضِ ولاَ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إلاّ في كِتَابٍ مُبِيْن ﴾ .

وأَنَّهُ يُجازِي الْمُحْسِنَ بإحْسَانِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ إنَّا لاَ نُضِيْعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ وأنَّهُ يُجَازِي الْمُسِيءَ بِمَا عَمِلَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزِىٰ الَّذِيْنَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إلاّ مَا كانُوا يَعْمَلُوْنْ ﴾ وَبِذَلِكَ نَزَلَتْ الكُتُبْ وَبَلَّغَتْ الرُّسُلُ .

وَقَدْ وَرَدَ أنَّ آخِرَ مَا نَزَلَ قَوْلُه تعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُوْنَ فِيْهِ إلى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وهم لا يُظلَمُونَ ﴾ قَالَ في مِنْهَاجِ اليَقِيْنِ شَرحِ أدبِ الدنيا وَالدين فَاذا أَشْعَرَ صَاحِبُ الشَّهوةِ مَا وصَفتُ مِنَ الأمُورِ انْقَادَتْ أيْ النَّفْسُ إلى الكفِّ وَأذْعَنَتْ بالاتِّقاءِ فَسَلِمَ دِيْنُهُ مِن دَنَسِ الرِّيْبَةِ وَظَهَرَتْ مُرُؤتُهُ .

وأمَّا كفُّ اللِّسَانِ عن الوُقُوعِ في الأعْرَاضِ ،فَالْوُقُوعُ فيهَا مَلاذُ السُّفَهاءِ ، وَانْتِقَامُ أَهْلِ الغوغَاءِ والسَّفَلَة ، قُلتُ وَإلى هَذا أشَارَ أبُو الطيِّبِ في قولِهِ : مع أنه لم يعمل بقوله فقد اغتاب وقذف الأبرياء .

وَأُكْبِرَ نَفْسِيْ عنِ جَزَاءٍ بِغِيبَةٍ ... وكُلُّ اغْتِيَابٍ جُهْدُ مَنْ لاَ لَهُ جُهْدُ

وَهُوَ مُسْتَسْهَلُ الكُلَف إذا لَمْ يَقْهَرْ نَفْسَهُ عنه بِرَادع كَافٍ وَزَاجر سَادٍّ تَلَبّطَ بمَعَارَّةٍ وَتَخّبَطَ بمَضارِّهْ فَهلَكَ وَأَهْلَكَ ولذلك يَقُولُ النبي صلى الله عليه وسلم « إنَّ دِمَاءَكُم وأمْوَالَكُم وأعْرَاضَكم عَليْكمُ حَرَامٌ » فَجَمَع النبي صلى الله عليه وسلم في الحُرْمَةِ بَيْنَ سَفكِ الدّمِ ، وَهَتْكِ العِرْضِ ، لِما فِيْهِ مِنْ إيْغَارِ الصُّدُورِ بالحِقْدِ وإبْدَاءِ الشُّرورِ وإظهارِ البَذاءِ .

قَالَ بعْضُ الحُكَماء : إنَّما هلَكَ الناسُ بفُضُولِ الكَلامِ وَفُضُولِ المالِ .

وَأمَّا العِفّة عن المَأْثَمِ فَنَوْعَانِ : أحَدُهُمَا الكَفُّ عن المُجَاهَرَةِ بالظُّلْمِ وَالثَّانِيْ زَجْرُ النَّفْسِ عن الاسْرَارِ بالخِيَانَةِ فامَّا المُجَاهَرَةُ بالظُّلْمِ فَعُتُوٌّ مُهْلِكٌ ، وَطُغْيَانٌ مُتْلِفٌ لِلمُجاهِرْ .

قالَ اللهُ تَعالى ﴿ وَلا يَحِيْقُ المكرُ السَّيِّء إلا بأهْلِه ﴾ رُوِيَ عَنْ النَّبي صَلّى اللهُ عَليهِ وسَلم أنهُ قَالَ لا تَمْكُرُوْا وَلا تُعِيْنُوا مَاكِراً فَانّ الله تَعالى يَقُول ﴿ وَلا يَحِيْقُ الْمكرُ السَّيءُ إلاَّ بأهلِهِ ﴾ وَلا تَبْغُوا وَلا تُعِيْنُوا بَاغِياً فإنّ اللهَ يَقُول ﴿ انَّما بَغْيُكُم على أنفسِكُم ﴾ .

وَالبَاعِثُ عَلى المجاهَرَةِ بالظّلْمِ الجُرْاةُ والقَسْوَةُ ، وَالصَّادُّ عَنْ ذلك رُؤ يَةُ آثارِ غَضَبِ اللّهِ تَعَالى في الظَّالِمين ، وَأنْ يتَصَوَّرَ عَوَاقِبَ ظُلمِهِم وأما الاسْتِسْرَارُ بالخِيَانَةِ فدَنَاءةٌ ولآمَةٌ .

وأمَّا النَزاهَةُ فَنَوْعَانِ أَحَدُهُمَا النَّزَاهَةُ عن المطَامِعِ الدَّنِيَّةِ ، وَالثَّانِيْ زَجْرُ النَّفِسْ عَن الإْسرارِ بالخِيَانَةِ فأما المُجَاهَرَةُ بالظُّلمِ فَعُتُوٌّ وطُغيَان.

شِعرًا :

عَلَيْكَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ كِلَيْهِمَا
وَبِرِّ ذَوِيْ القُرْبَى وَبِرِّ الأَبَاعِدِ
وَلا تَصْحَبَنْ إلاَّ تَقِيًّاً مُهَذَّباً
عَفِيْفاً زَكِيّاً مُنْجِزاً لِلْمَوَاعِدِ
وَقَارِنْ إذَا قَارَنْتَ حُرّاً مُؤَدَّباً
فتىً من بَنِي الأحْرَارِ زَيْنِ المَشَاهِدِ
وَكُفَّ الأَذى وَاحْفَظْ لِسَانَكَ واتَّقِي
فَدَيْتُكَ في وُدِّ الخلِيْلِ المُسَاعِدِ
وَغُضَّ عَنْ المَكْرُوهِ طَرْفَكَ وَاجْتَنِبْ
أَذَى الجَارِ وَاسْتَمْسِكْ بِحَبْلِ المَحَامِدِ

وَكُنْ وَاثِقاً بِاللهِ في كُلِّ حَادِثٍ
يَصُنْكَ مَدَى الأَيامِ مِنْ شَرِّ حَاسِدِ
وَبِاللّهِ فَاسْتَعْصِمْ وَلاَ تَرْجُ غَيْرَهُ
وَلاَ تَكُ لِلنَّعْمَاءِ عَنْهُ بِجَاحِدِ
وَنَافِسْ بِبَذْلِ الْمَالِ في طَلَبِ العُلَى
بِهِمَّةِ مَحْمُودِ الخَلاَئِقِ مَاجِدِ
وَلاَ تَبْنِ في الدُّنْيَا بِنَاءَ مُؤَمِّلٍ
خُلُوداً فَمَا حَيٌّ عَلَيْهَا بِخَالِدِ
وَكُلُّ صَدِيْقٍ لَيْسَ لِلَّهِ وُدُّهُ
فَنَادِ عَلَيْهِ هَلْ بِهِ مِنْ مُزَايِدِ

اللَّهُمَّ اسْتُرْ مَا بَدَا مِنَّا مِنْ العُيُوبِ وَأَمِّنَّا يَوْمَ الشَدَائِدِ والكُرُوبِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمين الأحْيَاءِ منهم والميتين ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمين وصلى اللهُ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

في بر الوالدين وتحريم عقوقهما

البِرُّ : الصِّلةُ والحَسَنة وَالخَيْرُ ، وفي المطالِع في قَوْلِه صَلى الله عليه وسلم « وانَّ الصِّدْقَ يَهْدِيْ الى البِرِّ » البِرُّ اسْمٌ جَامِعٌ لِلْخير ، وَعَقَّ الوَلَدُ أَباهُ اذا آذَاهُ وَعَصَاهُ وَخَرَجَ عليهِ : برُّ الوَالِدِين فَرِيْضَةٌ لاَزِمَة وَعُقُوقُهما حَرَامٌ ، وَلاَ يُنْكِرُ فَضْلَ الوَالِدين إلا المتَوَغِّلُ في النَّذَالةِ وَاللآمَةِ .

وَلَنْ يَسْتَطِيْعَ الأَبْنَاءُ وَالبَنَاتُ مُجَازَاةَ الآبَاءِ والأُمَّهَاتِ على مَا قَامُوا به نَحْوَهُم من الطُّفُولَةِ إلى الرُّجُولَةِ من عَطْفٍ وَرِعَايَةٍ وَتَرْبِيَةٍ وَعِنَايَةٍ إلا أنْ يَجِدَ الوَلَدُ الوَالِدَ مَمْلُوكاً فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ كما في حَدِيْثِ أبي هريرة قالَ

رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « لا يَجْزيْ وَلدٌ وَالِدَهُ إلا أنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكاً فَيشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

فَشُكْرُ المُنْعِمِ وَاجِبٌ ، وَلِلَّهِ سُبْحَانَهُ على العِبَادِ نِعَمٌ ، لا تُحْصَى كَمَا قالَ تَعَالى ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ من ذَلِكَ نِعْمَةُ الخَلْقِ وَالإِيْجَادِ ، وَجَعَلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلوَالِدَيْنَ نِعْمَةَ الايْلاَدِ وَالتَّرْبِيَةِ الصَّالِحَةِ ، وَالعِنَايَةِ التَّامَّةِ بالأوْلاَدِ ، وَأَكْبَرُ الخَلْقِ وَأَعْظَمُهم نِعْمَةً على الانْسَانِ بَعْدَ رُسُلِ اللّهِ وَالِدَاهُ اللذانِ جَعَلَهُما اللهُ سَبَباً لِوُجُودِهِ وَاعْتَنَيا بِهِ منْذُ كَانَ حَمْلاً إلى أنْ كَبِرَ .

فَأُمُّهُ حَمِلَتْهُ شُهُوْراً تِسْعاً في الغَالِبِ تُعَانِي بِهِ في تلك الأَشْهُرِ مَا تُعَانِيْ من آلامٍ من مَرَضٍ وَوَحَمٍ وَثِقَلٍ فإذا آنَ وَقْتُ الوَضْعِ وَأَجَاءَها المخَاضُ ، شَاهَدَتْ المَوْتَ ، وَقَاسَتْ مِنْ الآلامِ مَا اللهُ بِهِ عَلِيْمٌ فَتَارَةً تَمُوْتُ ، وَتَارَةً تَنْجُو وَيَا لَيْتَ الألم وَالتَّعَبَ يَنْتَهِيْ بالوَضْعِ كانَ الأَمرُ سَهْلاً وَلَكِنْ يَكْثُرُ النَّصَبُ وَيَشْتَدُّ بَعْدَهُ قالَ اللهُ تَعالَى ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهَا ﴾ ثُمَّ تُرْضِعُهُ حَوْلَينِ كَامِلَيْنِ غَالِباً فَتَقُومُ بهِ مُثْقَلَةً وَتَقْعُدُ بِهِ مُثْقَلَةً ، تَضِيْقُ أَحشَاؤُهَا وَقْتَ حَمْلِه بالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . وَتَضْعُفُ عِنْدَ الوَضْعِ أَعْضَاؤُها .

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ صِيَاحُ باللَّيْلِ يَحْرِمُ الوَالِدَيْنِ النَّوْمَ ، وَكَذَلِكَ بِالنَّهَارِ يُقْلِقُ به رَاحَتَهُما ، وَيُتْعِبُ قَلْبَيْهِمَا ، وَيَذْرِفُ دُمُوعَهُما ، وَمَرَضٌ يَعْتَرِي الوَلَدَ مِن وَقْتٍ لآخَرَ ، تَنْخَلِعُ لَهُ قُلُوبُهُمَا إِنْخِلاَعاً وَتَنْهَدُّ بِهِ أَبْدَانُهُمَا هَدّاً .

وَتَعَهُّدٌ مِنَ الأُم لِجِسْمِهِ بالغسْلِ ، وَلِثَيابِهِ بالتَّنْظِيْفِ ، وَلإفْرَازَاتِهِ بالازالةِ ، لا يَوْماً وَلاَ يَوْمَيْنِ ، وَلاَ شَهْراً ولا شَهْرَيْنِ وَلاَ سَنَةً وَلاَ سَنَتَيْنِ هِيَ بِهِ لَيْلُهَا وَنهَارُهَا في مَتَاعِبَ وَمَشَاقٍ ، تَصْغُرُ بِجَانِبِهَا مَتَاعِبُ المُؤَبَّدِيْنَ في الأعْمَالِ الشَّاقةِ .

يُضَافُ إلى ذَلِكَ امْتِصَاصُهُ دَمَها الذِي هُوَ اللَّبَنُ مُدَّةَ الرَّضَاعِ ، وَلَوْ لم يَكُنْ مِنْهُ لِهَدْمِ بَدَنِهَا وَإِضْعَافِهِ وَاذْهَابِ قُوَّتِهَا إلَّا هَذَا الإمْتِصَاصُ لَكَفَى .

فَإذَا شَبَّ وَبَرَزَتْ أَسْنَانُه ، وَقَوِيَتْ مَعِدَتُـه على قَبُولِ الـطَّعَامِ وَهَضْمِهِ وَانْفَتَحَتْ شَهَوَاتُه لَهُ ، انْفَتَحَ لِوَالِدِيهِ بَابُ الفِكر والكَدِّ لِجَلْبِ طَعَامِهِ وَشَرابِهِ وَسَائِرِ شُؤونِهِ ، وَرُبَّما احْتَملا أَلَم الغُرْبَةِ والسَّفرِ إلى بَلَدٍ بَعِيْدٍ لِطَلَبِ المَعِيْشَةِ لِلأَوْلَادِ .

وَكَثِيْراً مَا يُضَحّي الـوَالِدَانِ بِـرَاحَتِهِمَا في سَبِيْـلِ رَاحَةِ الأبْنَـاءِ وَالبَنَاتِ . وَالطِّفْلُ يَعْرِفُ أمَّهُ وَيُحِبُّها قبلَ كُلِّ أَحَدٍ فَإِذَا غَابَتْ صَاحَ حَتَّى تَأْتِيَهُ وإذا أعْرَضَتْ عنه دَعَاهَا وَنَاجَاهَا بمَا يَقْدِرُ عَلَيهِ من كَلَامٍ أو غَيْرِهِ وَإذَا أَصَابَهُ شَيءٌ يُؤْلِمُهُ اسْتَغَاثَ وَنَادَاهَا ، يَظُنُّ أنَّ الخَير كُلَّهُ عِندَهَا وأَنَّ الشَّرَّ لا يَخلُصُ إليه مَا دَامَتْ تَضُمُّه عَلى صَدْرِهَا وَتَرْعَاهُ بِعَيْنِهَا وَتَذُبُّ دُوْنَهُ بِيَدَيْهَا .

وَلذَلِكَ هِيَ مُقَدَّمَةٌ فِي الحَضَانَةِ إِذَا فَارَقَهَا زَوْجُهَا وَلَمْ تَتَزَوَّجْ حتى يُمَيِّزَ وَيَخْتَارَ مَنْ شَاءَ مِنْهُمَا كَمَا في حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ أَنَّ امْرَأَة قَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ انَّ ابْنِيْ هَذَا كانَ بَطْنِي له وِعَاءٌ ، وَحَجْرِيْ لَهُ حِواءٌ ، وَثَدْيِي له سِقَاءٌ ، وزَعَمَ أَبُوهُ أنه يَنْتَزِعُهُ مِنِّيْ فقَالَ « أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكِحِيْ » رَواهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

ثُمَّ الوَلَدُ لا يُحِبُّ بَعْدَ أُمِّه إلا أَبَاهُ الذِي إذَا دَخَلَ هَشَّ وَبَشَّ به وَإِنْ خَرَجَ تَعَلَّقَ بِهِ وإذَا حَضَر قَعَدَ على حَجْرِهِ ، مُسْتَنِداً على صدرِهِ ، وإذا غَابَ سَألَ عنه وانْتَظَرَهُ ، يَرَى أَنَهُ إذا رَضِيَ أعْطَاهُ ما يُرِيْدُ وإذَا غَضِبَ ضَرَبَهُ وَأَدَّبَهُ ، يُخَوِّفُ مَنْ يُؤْذِيْه بِأَبِيْهِ ، وَأَيُّ حُبٍّ واحْتِرَامٍ بَعْدَ هَذا ،

وَلَكِنْ يَا لِلأَسَفِ سَرْعَانَ مَا يَنْسَى الجَمِيْلَ وَيُنْكِرُ المَعْرُوف وَيَلْتَفِتُ إلى زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ .

وَلِذَلِكَ لَا يَحْتَاجُ الآبَاءُ إلى تَوْصِيَةٍ بالأَبْنَاءِ إنَّمَا يَحْتَاجُ الأَوْلَادُ إلى اسْتِجَاشَةِ وُجْدَانِهِم بِقُوَّةٍ لِيَذكُروا وَاجِبَ وَالِدَيْهِم نَحْوَهُم .

شعراً :

قَضَى اللّهُ أنْ لَا تَعْبُدوا غَيْرَهُ حَتْماً
فَيَا وَيْحَ شَخْصٍ غَيْرَ خَالِقِهِ أَمَّا
وَأَوْصَاكُمُوْا بِالوَالِدَيْنِ فَبَالِغُوا
بِبِرِّهِمَا فَالأَجْرُ في ذَاكَ وَالرُّحْمَا
فَكَمْ بَذَلا مِن رَأْفَةٍ وَلَطَافَةٍ
وَكَمْ مَنَحا وَقْتَ احْتِيَاجِكَ مِنْ نُعْمَا
وَأُمُّكَ كَمْ بَاتَتْ بِثِقْلِكَ تَشْتَكِي
تُوَاصِلُ مِمَّا شَقَّها البُؤْسَ وَالغَمَّا
وَفي الوَضْعِ كَمْ قَاسَتْ وَعِنْدَ وِلَادِهَا
مُشِقّاً يُذِيْبُ الجِلْدَ وَاللَّحْمَ وَالعَظْمَا
وَكَمْ سَهِرَتْ وِجْداً عَلَيْكَ جُفُونُها
وَأَكْبَادُهَا لَهْفاً بِجَمْرِ الأَسَا تَحْمَى
وَكَمْ غَسَّلَتْ عَنْكَ الأذى بِيَمِيْنِهَا
حُنُوّاً وَاشْفَاقَاً وَأَكْثَرَتِ الضَّمَّا
فَضَيَّعْتَهَا لمَّا أَسَنَّتْ جَهَالَةً
وَضِقْتَ بِهَا ذَرْعَاً وَذَوَّقْتَهَا سُمَّا
وَبِتَّ قَرِيْرَ العَيْنِ رَيَّانَ نَاعِماً
مُكِبّاً على اللَّذَاتِ لا تَسْمَعُ اللَّوْمَا

وَأُمُّـكَ في جُـوْعٍ شَـدِيْـدٍ وَغُـرْبَـةٍ
تَلِيْنُ لها مِمَّا بِهَا الصَّخْـرَةُ الصَّمَـا
أَهَـذَا جَـزَاهَـا بَعْدَ طُـوْلِ عَنَائِهَـا
لأَنْتَ لَـذُو جَهْـلٍ وَأَنْـتَ إِذاً أَعْمَـى
اخـر :
فـلا تُـطِعْ زَوْجَـةً في قَـطْعِ وَالِـدَةٍ
عليـكَ يَا ابْنَ أَخِيْ قَـدْ أَفْنَتِ العُمُـرَا
فَـكَيْـفَ تُنْكِـرُ أُمّـاً ثُقْـلُكَ احْتَـمَلَتْ
وَقَـدْ تَمَـرَّغْتَ في أَحْشَـائِهَا شُهُـرَا
وَعَـالَجَتْ بِـكَ أَوْجَـاعَ النِّفَـاسِ وَكَمْ
سُـرَّتْ لمَّـا وَلَـدَتْ مَـوْلُـودَهَـا ذَكَـرَا
وَأَرْضَـعَتْـكَ إلـى حَـوْلَـيْـنِ مُـكْمَـلَةً
في حَجْرِهَا تَسْتَقِي من ثَـدْيِهَا الـدُّرَرَا
وَمِنْـكَ يُنْجِسُـهَـا مـا أَنْتَ رَاضِـعُـهُ
مِـنْهَـا وَلاَ تَـشْتَـكِي نَـتْنـاً وَلاَ قَـذَرَا
وَقُـلْ هُـوَ الـلهُ بـالآلافِ تَقْـرَؤُهَـا
خَـوْفـاً عَلَيْـكَ وَتُـرْخِي دُوْنَـكَ السُّتُـرَا
وَعَـامَـلَتْـكَ بِـإِحْسَـانٍ وَتَـرْبِـيَـةٍ
حَتَّى اسْتَوَيْتَ وَحَتَّى صِرْتَ كَيْفَ تَرَى
فَـلاَ تُـفَضِّـلْ عَـلَيْهَـا زَوْجَـةً أَبَـداً
وَلاَ تَـدَعْ قَلْبَهَـا بِـالقَهْـرِ مُنْكَسِـرَا
وَالـوَالِـدُ الأَصْـلُ لا تُنْكِرْ لِتَـرْبِيَـةٍ
وَاحْفَـظْهُ لا سِيَّمـا إِنْ أَدْرَكَ الكِبَـرَا

فَمَـا تُؤَدِّي لَـهُ حَقّـاً عَلَيْـكَ وَلَـوْ
عَلَى عُيُـونِكَ حَـجَّ البَيْتَ وَاعْتَمَـرا

اللهم وَفِّقْنا لِحُبِّكَ وَحُبِّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبِّ العَمَلِ الذي يُقَرِّبُنَا إلى حُبِّكَ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاعْمُرْ أَوْقَاتَنَا بطَاعَتِكَ وَحُلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيْكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وَقَدْ أَمَرَ اللّهُ جَلَّ شَأْنُهُ بالأحْسَانِ إلى الوَالِدَيْنِ في آيَاتٍ مِن القُرْآنِ الكَريم قَالَ تَعَالَى ﴿ وَقضى رَبُّكَ أن لا تَعْبُدُوا إلا إيَّاهُ وبالوَالِدَيْنِ إحْسَاناً إمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أو كِلاهُمَا فلاَ تَقُلْ لهما أفٍّ ولاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيْماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ من الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيْرا ﴾ وقَالَ تَعالَى ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إليَّ المَصِيْرُ﴾ .

وَقَدْ فَصَّلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا يَجِبُ مِن الإحْسَانِ إلَى الوَالِدَيْنِ بِقَوْلِهِ ﴿ إمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ ﴾ الآيَتَيْنِ المَعنىَ إذَا وَصَلَ الوَالِدَانِ أَوْ أَحَدُهُمَا إلى الكِبَرِ حَالَ الضَّعْفِ وَالعَجْزِ وصَـارَا عِنْدَكَ في آخِرِ العُمُرِ كَمَا كُنْتَ عِنْدَهُمَا في أَوَّلِهِ وَجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تَحْنُو عَلَيْهِمَا وَتُشْفِقَ عَلَيْهِمَا وَتلَطفَ لَهُمَا وَتُعَامِلَهُمَا مُعَامَلَةَ الشَّاكِرِ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ على أنَّ الفَضْلَ لِلْمُتَقَدِّم .

وَيَتَجلَّى ذَلِكَ بِأَنْ تَتَّبِعَ مَعَهُمَا أُمُوراً خَمْسَةً أَوَّلاً أَلاَّ تَتَأَفَّفَ مِنْ شَيءٍ تَرَاهُ أَوْ تَشُمُّه مِن أَحَدِهِمَا أَوْ مِنْهُمَا مِمَّا يَتَأَذَّى بِهِ النَّاسُ ، وَلَكِنْ اصْبِرْ عَلى ذَلِكَ مِنْهُمَا وَاحْتَسِبْ الأَجْرَ عَلَيْهِ مِنْ اللّهِ جَلَّ وَعَلا كَمَا صَبَرَا عَلَيْكَ في

صِغَرِكَ وَاحْذَرْ الضَّجَرَ وَالملَلَ القَلِيْلَ وَالكَثِيْرَ وَعَلَيكَ بالرِّفقِ واللِّيْنِ مَعُهَمَا واللهُ لا يُضِيْعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً .

ثانياً أن لا تُنَغِّصَ ولا تُكدّرَ عَليْهِمَا بِكَلَامٍ تَزْجُرُهُما بِهِ وفي هذا مَنْعٌ مِنْ اظْهَارِ المخَالَفَةِ لَهُمَا بالقَولِ عَلى سَبِيْلِ الرَّدِ عَلَيْهِمَا والتَّكْذِيْبِ لَهُما .

ثَالِثاً : أَنْ تَقُولَ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيْماً أَيْ حَسَناً طَيِّباً مَقْرُوْناً بالاحْتِرَامِ وَالتَّعْظِيْمِ مِمَّا يَقْتَضِيْهِ حُسْنُ الأَدَبِ وَتُرْشِدُ إِلَيْهِ المُرُوءة كَأَنْ تَقُولَ يا أَبَتَاه أو يَا وَالدِيْ ويَا أُمَّاهُ أَو يَا وَالِدَتِي وَلاَ تَدْعُوهُمَا بِأَسْمَائِهِمَا وَلاَ تَرْفَعْ صَوْتَكَ أَمَامَهُما وَلاَ تُحَدِّقْ فِيْهِمَا بِنَظَرِكَ بَلْ يَكُونُ نَظَرُكَ إِلَيْهِمَا نَظَرَ لُطْفٍ وَعَطْفٍ وَتَوَاضُعٍ .

فَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « لَمْ يَتْلُ القُرْآنَ مَنْ لم يَعْمَلْ به ، وَلَم يَبَرَّ وَالِدَيْهِ مَنْ أَحَدَّ النَّظَرَ إِلَيْهِمَا في حَالِ العُقُوقِ أُولَئِكَ بُرَآءُ مِنِّيْ وَأَنَا مِنْهُم بَرِيْءٌ » رَواه الدار قُطنِيّ .

وَأَخْرَجَ ابنُ أَبي حَاتِم عَنْ عُرْوَةَ في قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ واخْفِضْ لَهُما جَنَاحَ الذُّلِّ مِن الرَّحْمَةِ ﴾ قَالَ إِنْ أَغْضَبَاكَ فَلا تَنْظُرْ إِلَيْهِمَا شَزَرَا ، فإِنَّهُ أَوَّلُ مَا يُعْرَفُ بِهِ غَضَبُ المَرْءِ شِدَّةُ نَظَرِهِ إِلى مَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ .

وَأَخْرَجَ ابنُ أبي شَيْبَةَ عن الحَسَنِ أَنَّهُ قِيْلَ لَهُ إِلى مَا يَنْتَهِيْ العُقُوقُ . قالَ أَنْ يَحْرِمَهُما وَيَهْجُرَهُمَا وَيُحِدَّ النَّظَرَ إِلَيْهِمَا . واعْلَمْ أَنَّ النَّظَرَ إِليهما بِعَيْنِ الحُنُوِّ وَالعَطْفِ وَالشَّفَقَةِ وَالتَّفقُدِ لما يَكْرَهَانِ فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ كَمَا أَنَّ غَضَّ الطَّرفِ عَنْهُمَا كَرَاهَةَ عُقُوقٌ قَالَ الشَّاعِرُ في ابْنِهِ :

يَـوَدُّ الـرَّدَى لِـيْ مِـن سَـفَـاهَـةِ رَأْيِـهِ
وَلَـوْ مُـتُّ بَـانَـتْ لِـلـعَـدُوِّ مَـقَـاتِـلُهْ
إِذَا مَـا رَآنِـيْ مُـقْـبِـلاً غَضَّ طَـرْفَـهُ
كَـأَنَّ شُـعَـاعَ الشَّمْسِ دُوْنِي يُـقَـابِلُهْ

رَابِعاً : أَنْ تَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَرْحَمَهُما بِرَحْمَتِهِ الوَاسِعَةِ كِفَاءَ رَحْمَتِهِمَا لَكَ وَجَمِيْلِ شَفَقَتِهِمَا عَلَيْكَ .

خَامِساً : أَنْ تَتَوَاضَعَ لَهُمَا وَتَتَذَلَّلَ وَتُطِيعَهُمَا فِيْمَا أَمَرَاكَ بِهِ مَا لَمْ يَكُنْ مَعْصِيَةً لِلَّهِ وَتَشْتَاقَ وَتَرْتَاحَ إلى بَذْلِ مَا يَطْلُبَانِ مِنْكَ مِن حُطَامِ الدُّنيَا الفَانِيَةِ رَحْمَةً مِنْكَ بِهِمَا وَشَفَقَةً عَلَيْهِمَا إِذْ هُمَا قد احْتَاجَا إلى مَنْ كَانَ أَحْوَجَ الناسِ إليهِمَا أَيَّامَ كَانَ في غَايَةِ العَجْزِ عن أَيِّ مَصْلَحَةٍ مِنْ مَصَالِحِه بِحَيْثُ لو غَفَلَ عَنْهُ وَالِدَاهُ قَلِيْلاً مِن الزَّمَنِ لَهَلَكَ .

وَعَلى الجُمْلَةِ فَقَدْ أَكَّدَ جَلَّ وَعَلا التَّوْصِيَةَ بِهِمَا مِنْ وُجُوهٍ كَثِيْرَة ، وَكَفاهُمَا أَنْ شَفَعَ الاحْسَانَ إِلَيْهِمَا بِتَوْحِيْدِهِ ، وَنَظَمَهُمَا في سِلْكِ القَضَاءِ بِهِمَا مَعاً ، وَقَدْ وَرَدَ في برِّ الوَالِدَيْنِ أَحَادِيْثُ كَثيرةٌ ، مِن ذَلِكَ أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم يَسْتَأْذِنُه في الجِهَادِ مَعَهُ فقالَ : أَحَيٌّ وَالِدَاكَ ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ : فَفِيْهِمَا فَجَاهِدْ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ مُسْلِم وَغَيْرُه لا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدَاهُ إلا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكاً فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ ومن ذلك ما رُوي عَن ابنِ مَسْعُودٍ قالَ سَأَلْتُ رَسُوْلَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إلى اللَّهِ وَرَسُولِهِ قال الصَّلاةُ على وَقْتِهَا قُلتُ : ثم أيٌّ قَالَ برُّ الوَالِدَيْنِ قلتُ ثم أيٌّ قالَ الجِهَادُ في سَبِيْلِ اللهِ .

وَعَن أبي هُريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ « رَغِمَ أنفُ ثم رَغِمَ أنفُ ثم رَغِمَ أنفُ مَن أدرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ أَحَدُهما أَو كِلاَهُمَا فلَمْ يَدْخُلِ الجنَّةَ رَواهُ مُسْلِمٌ .

وَعَن عبدِ الله بن عَمْرو بنِ العَاص رَضِيَ اللهُ عنهما قَالَ أَقْبَلَ رَجُلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقَال أُبَايعُكَ على الهِجْرَةِ وَالجِهَادِ ابْتغِيْ الأَجْرَ مِن اللهِ تَعَالَى فَقَالَ « فهَلْ مِن وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ » ؟ قالَ نَعَمْ بَلْ كِلاَهُما ، قَالَ « فَتَبْتَغِيْ الأجْرَ مِن اللّهِ تَعَالَى » ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ « فَارْجِعْ إلى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهِمَا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَأَخْرَجَ ابنُ مَاجَة عن أبي أُمَامَة رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رَجلاً قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا حَقُّ الوَالِدَيْنِ على وَلَدِهِمَا ؟ قالَ « هُمَا جَنَّتُكَ وَنَارُكَ » .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ قَالَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « مَن سَرّهُ أنْ يُمَدَّ في عُمْرِهِ وَيُزَادَ في رِزْقِهِ فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالبيهقي بِسَنَدٍ رجَالهُ رَجَالُ الصحيح ، وَأَصْلُه في الصَّحِيْحَيْنِ باخْتِصَارٍ .

وَعَنْ عَبْدِ اللّهُ بن عَمْرو رَضِيَ اللهُ عنهُما قالَ جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ اللهِ صَلى الله عليه وسلم فقالَ : جِئْتُ أُبَايِعُكَ على الهِجْرَةِ وَتَرَكْتُ أَبَوِيَّ يَبْكِيَانِ فَقَال إرْجِعْ اليْهِمَا فاضْحِكْهُما كَمَا أبكيتَهُما ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُد .

قالَ النَّاظِمُ :

وَيَحْسُنُ تَحْسِيْنٌ لِخُلْقٍ وَصُحْبَةٍ
وَلاَ سِيَّمَا لِلْوَالِدِ المُتَأَكِّدِ

وَلَـو كَـانَ ذَا كُـفْـرٍ وَأَوْجَـبَ طَـوْعَـهُ
سِـوَى فـي حَـرَامٍ أَوْ لأَمْـرٍ مُـؤَكَّـدِ
كَـتِـطْلَابِ عِـلْمٍ لا يَـضُـرُّهُـمَـا بِـهِ
وَتَـطْلِيْـقِ زَوْجَـاتٍ بِـرَأْيٍ مُـجَـرَّدِ
وَأَحْسِنْ إلـى أَصْحَـابِـهِ بَعْـدَ مَـوْتِـهِ
فَـهَـذَا بَـقَـايَـا بِـرِّهِ الـمُـتَـعَـوَّدِ

وَقَالَ صلى الله عليه وسلم : « ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ لا شَكَّ فِيْهِنَّ دعْوَةُ المظلُوم ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ ، وَدَعوَةُ الوَالِدِ على وَلَدِهِ » وَعَن وَهْبِ ابنِ مُنَبِّه قالَ : إنَّ اللهَ تَعَالى أَوْحَى إلى مُوْسَى صَلواتُ اللهِ وسلامه عليه يَا مُوْسَى وَقِّرْ وَالِدَيْكَ ، فَإِنَّ مَنْ وَقَّرَ وَالِدَيْهِ مَدَدْتُ في عُمْرِهِ ، وَوَهَبْتُ له وَلَداً يُوَقِّرُهُ وَمَنْ عَقَّ وَالدَيْهِ قَصَّرْتُ في عُمْرِه وَوَهبتُ لَهُ وَلَداً يَعُقُّهُ .

وَذَكَرَ في الآدَابِ الكُبْرَى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إِنَّما رَدَّ اللهُ عُقوبةَ سُلَيْمَانَ عن الهُدْهُدِ لِبرِّهِ كَانَ بأمِّهِ ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ : إِنَّما صَرَفَ سُلَيْمَان عن ذَبحِ الهُدْهُدِ إِنَّهُ كَانَ بَارّاً بِوَالِدَيْهِ يَنْقُلُ إِلَيْهِمَا الطَّعَامَ فَيَرْزُقُهُمَا انتهى .

وَقِصَّةُ الهُدْهُدِ على مَا قِيْلَ عَنْهَا هِيَ أَنَّهُ لَمَّا تَوَعَّدَهُ سُلَيْمَانُ بِقَوْلِهِ : ﴿ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيْداً أَوْ لأَذْبَحَنَّه أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلطَانٍ مُبِيْنٍ ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا فَقَدَهُ لأَجْلِ المَاءِ ، فَدَعَا سُلَيْمَانُ عَرِيْفَ الطَّيرِ وَهُوَ النَّسْرُ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ عِلمَهُ .

ثم قَال لِسَيِّدِ الطَّيْرِ وَهُوَ العُقَابُ عَلَيَّ بِهِ فَارْتَفَعَتْ فَنَظَرَتْ فَإِذَا هُوَ مُقْبِلٌ فَقَصَدَتْهُ فَنَاشَدَهَا الله ، وقالَ بِحَقِّ الذي قَوَّاكِ وَأَقْدَرَكِ عَلَيَّ إِلَّا رَحِمْتِيْنِيْ ، فَتَرَكَتْهُ وَقَالَتْ : ثَكِلَتْكَ أمكَ ، إِنَّ نَبِيَّ اللهِ حَلَفَ لَيُعَذِّبَنَّكَ قالَ : وَمَا اسْتَثْنَى ؟ قَالَتْ بَلى قال ﴿ أوليَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِيْنٍ ﴾ .

فَلَمَّا قَرُبَ مِن سُلَيْمَانَ أَرْخَى ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ يَجُرُّهُمَا عَلى الأَرْضِ تَوَاضُعاً فلمَّا دَنا مِنْهُ أَخَذَ رَأْسَهُ فَمَدَّهُ إليهِ، فقَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ اذْكُرْ وُقُوفَكَ بَيْنَ يَدَيْ اللهِ ، فَارْتَعَدَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَعَفَا عنه انتهى .

واللهُ أَعْلَمُ وَصَلى الله على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْــلٌ)

وَبِرُّ الأُمِّ مُقَدَّمٌ على بِرِّ الأَبِ لِمَا سَيَأْتِي مِن الأَحَادِيْثِ ، وَذَلِكَ أَنْهَا تَنْفَرِدُ عن الأَبِ بِأَشْيَاءَ مِنْهَا مَشَقَّةُ الحَمْلِ وَصُعُوبَةُ الوَضْعِ ، وَصُعوبَةُ الرِّضَاعِ وَكَثْرَةُ الشَّفَقَةِ وَالخِدْمَةِ والحُنُوِّ .

فَعَن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قَالَ : « أُمُّكَ » قَالَ ثم مَنْ ؟ قَالَ « أُمُّكَ » قَالَ : ثم مَنْ ؟ قَالَ : « أُمُّكَ » قَالَ : ثم مَنْ ؟ قالَ « أَبُوكَ » .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالَ : إِنِّيْ اشْتَهِيْ الجِهَادَ ولا أَقْدِرُ عليه . قَالَ « هل بَقِيَ مِن وَالِدَيْكَ أَحَدٌ » قالَ : أمِّي ، قَال « قابِل اللّهَ في بِرِّهَا ، فإذا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَأَنْتَ حَاجٌ وَمُعْتَمِرٌ وَمُجَاهِدٌ » رَوَاهُ أَبو يَعْلَى والطَبَرانِي في الصَّغِيْرِ وَالأَوْسَطِ وَإِسْنَادُهُمَا جَيِّدٌ .

وَعَنْ طَلْحَةَ بنِ مُعَاوِيَةَ السُّلَمِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ النبي صلى الله عليه وسلم فقلتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّيْ أُرِيْدُ الجِهَادَ في سَبِيْلِ اللهِ قَالَ : « أُمُّكَ حَيَّةٌ » قُلْتُ : نَعَم قَال النبي صلى الله عليه وسلم : « الْزَمْ رِجْلَهَا فثَمَّ الجَنَّةُ » رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ .

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بنِ جَاهِمَة أَنَّ جَاهِمَةَ جَاءَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالَ : يَا رَسُوْلَ اللهِ أَرَدْتُ أن أَغْزُو ، وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيْرُكَ ، فَقَالَ « هَلْ لَكَ مِن أُمّ » ؟ قَالَ : نَعَمْ قال : « فَالزَمْهَا فَإِنَّ الجَنَّةَ عِنْدَ رِجْلِهَا » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه وَالنَّسَائِي وَاللفْظُ لهُ وَالحَاكِمُ وقَالَ صَحِيْحُ الاسْنَادِ .

وَرَوَاهُ الطَّبَرانِيّ باسْنَادٍ جَيّدٍ وَلَفْظُه قَال : أَتَيْتُ النبي صلى الله عليه وسلم اسْتَشِيْرُهُ في الجِهَادِ فَقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم « أَلَكَ وَالِدَانِ » قُلْتُ : نَعَمْ قَالَ « الْزَمْهُمَا فإِنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ أَرْجُلِهِمَا » .

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أنَّ رَجُلاً أَتَاهُ فَقَالَ : إنَّ لِيْ امْرَأَةً وإن أُمِّيْ تَأْمُرنِي بطَلاَقِهَا ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ « الوَالِدُ أَوْسَطُ أبْوابِ الجَنَّةِ » فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ هَذَا البَابَ أَوِ احْفَظه رَوَاهُ ابنُ مَاجَه والتّرْمِذي وَاللفظُ له .

وَعَنْ ابن عُمَر رَضِيَ اللهُ عنْهُما قَالَ كانَ تَحْتِيْ امرأةٌ أُحِبُّهَا وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُها ، فقالَ لِيْ : طَلِّقْها فَأَبَيْتُ فأَتَى عُمَرُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فذكرَ ذلك لهُ ، فقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « طَلِّقْهَا » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتّرْمِذيّ والنسَائِيّ وَابْنُ ماجه ، وَابْنُ حِبَّانَ في صحْيحِهِ وقال الترمذي حَدِيْثٌ حَسَنٌ صحيح

شعرا : زُرْ وَالَدَيكَ وَقِفْ لَىَ قَبْرِيْهَا   فَكَأَنّنِيْ بكَ قد نُقِلْتَ إِلَيْهِمَا
ما كانَ ذَنْبُهُمَا إِلَيْكَ فَطَالَمَا   مَنحَاكَ مَحْضَ الوّدِ مِنْ نَفْسَيْهِمَا
كانا إِذَا مَا أبْصرَا بِكَ عِلَّةً   جَزِعاً لِمَا تَشكُوْهُ شَقَّ عَلَيْهِمَا
كانا إذَا سَمِعَا أَنِينَكَ أَسْبَلاَ   دَمْعَيْهِمَا أَسفاً عَلَى خَدَّيْهِمَا

وَتمَنَّيا لَوْ صادَفَـــا لَكَ رَاحَـــةً   بجَمْيع مَا يَحْوِيْه مُلْكُ يَدَيْهِمَـــا
أَنسيْتَ حَقَّهُمَا عشيَّـــةَ أُسْكِنَـــا   دَارَ البلاَ وَسَكَنْـــتَ في دَارَيْهِمَـــا
فَلَتَلْحقَّهُمَا غَـــدًا أَوْ بَعْـــدَهُ   حَتْماً كَمَا لَحِقَا هُمَـــا أَبَوَيْهِمَـــا

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بن عَمْرو رَضِي اللهُ عَنْهُما قَال قَال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « رِضَا الله في رِضَا الوالِدِ وَسَخَطُ اللهِ في سَخَطِ الوَالِدِ » رَوَاهُ الترمذي وَرَجَّحَ وَقْفَهُ وابنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ والحَاكِمُ وَقَالاَ صَحِيْحٌ على شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ .

عَنْ أَسْمَاءَ بنتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَتْ قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّيْ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ في عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلى الله عليه وسلم فاسْتَفتَيْتُ رسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قُلْتُ : قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي .وَهِيَ رَاغِبَةٌ ، أَفَأَصِلُ أمِّي ؟ قال « نَعَم صِلى أُمَّكِ » رَوَاهُ البُخاري وَمُسْلِم .

قَال بَعْضُهم :

لَئِـنْ كَـانَ بِـرُّ الـوَالِـدَيْنِ مُـقَـدَّمـاً
فَـمَـا يَـسْـتَـوِي فـي بِـرِّهِ الأَبُ وَالأُمُّ
وَهَـلْ يَسْتَـوِي الـوَضْعَـانِ وَضْـعُ مَشَقَـةٍ
وَوَضْـعُ التِـذَاذٍ ذَاكَ بُـرْءٌ وَذَا سُقْـمُ
إِذَا الْـتَفَـتَتْ نَـحْـوَ السَّمَـاءِ بِـطَرْفِهَـا
فَكُنْ حَـذِراً مِن أَنْ يُصِبْ قَلْبَكَ السَّهْمُ
وفـي آيَـةِ الـتَّـأْفِيْـفِ لِلْحُـرِّ مُـقْـنِـعٌ
وَلَـكِـنَّـه مَـا كُـلُّ عَـبْـدٍ لَـهُ فَـهْـمُ

وَرَوَى وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ في حَدِيْثٍ طَوِيْلٍ أَنَّ فَتى كَانَ بَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَكَانَ يَحْتَطِبُ على ظَهْرِهِ فَإِذَا بَاعَه تَصَدَّقَ بِثُلُثِهِ وَأَعْطَى أمَّهُ ثلثَهُ ، وَأَبْقَى لِنَفْسِهِ

ثُلُثه ، فَقَالَتْ لَهُ أمُّه يَوْماً إني وَرِثْتُ مِنْ أَبِيْكَ بَقَرَةً فَتَرَكْتُها في البَقَرِ على اسْم اللّهِ ، فإذا أَتَيْتَ البَقَرَ فَادْعُهَا بِاسْم إلهِ إبْرَاهِيْم .

فَذَهَبَ فَصَاحَ بِهَا ، فأقْبَلَتْ فَانْطَقَهَا اللّهُ ، فَقَالَتْ : ارْكَبْنِيْ يَا فَتى فَقَالَ الفتى : انَّ أُمِّي لَمْ تَأْمُرْنِي بِهَذَا فَقَالَتْ : أَيُّها البَرُّ بأمِّهِ لَوْ رَكِبْتَنِي لَمْ تَقْدِرْ عَلَيَّ فانطَلِقْ فَلَو أَمَرْتَ الجَبَلَ أَنْ يَنْقَلِعَ مِنْ أَصْلِهِ مَعَكَ لانقلَعَ لِبرِّكَ بأمِّكَ .

فَلَمَّا جَاءَ بِهَا قَالَتْ أُمُّهُ : بِعْهَا بِثَلاثَةِ دَنَانِيْرِ على رِضىً مِنِّيْ فَبَعَثَ اللّهُ مَلَكاً فَقَالَ : بِكَمْ هَذِهِ ؟ قَالَ بِثَلاثَةِ دَنَانِيْرَ على رِضىً مِنْ أُمِّيْ ، قَالَ : لَكَ سِتَّةٌ ولا تَسْتَأْمِرْهَا ، فأبَى وَعَادَ إلى أمِّهِ فأخْبَرَهَا فَقَالَتْ : بِعْهَا بِسِتَّةٍ عَلى رِضىً مِنِّي ، فَجَاءَ الملكُ فَقَالَ خُذْ اثنَيْ عَشَرَ ولا تَسْتَأْمِرْهَا فأبى وَعَادَ إلى أمِّهِ فَأَخْبَرَهَا فَقَالَتْ يَا بُنَيَّ ذَاكَ مَلَكٌ فَقُلْ لَهُ بِكَمْ تَأْمُرُنِيْ أَنْ أَبِيْعَها ؟ فَجَاء إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا فَتَى يَشْتَرِيْ بَقَرَتَكَ هَذِهِ مُوْسَى بْنُ عِمْرَانَ لِقَتِيْلٍ يُقْتَلُ في بَنِيْ إسرَائِيْلَ .

وفي رِوَايَةٍ فَقَالَ لَهُ المَلكُ اذْهَبْ إلى أُمِّكَ وَقُلْ لَهَا امْسِكِيْ هَذِهِ البقرَةَ فإنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ عَلَيهِ السَّلامُ يَشْتَرِيْهَا مِنْكَ لِقَتِيْلٍ يُقْتَلُ في بَنِيْ اسْرَائِيْلَ فلا تَبِعْهَا إلا بِمِلءِ مَسْكِهَا دَنَانِيْرَ فَأَمْسَكَهَا وَقَدَّرَ اللّهُ عَلَى بَنِيْ اسْرَائِيْلَ ذَبحَ تِلْكَ البَقَرَةِ بعَيْنِهَا فَمَا زَالُوا يَسْتَوْصِفُونَهَا حَتَّى وُصِفَتْ لَهُمْ تِلْكَ البَقَرةُ مُكافأةً لَهُ عَلى بِرِّهِ بِوالِدَتِهِ فَضْلاً مِنْ اللّهِ وَرَحْمَةً .

وَعَنْ أَسِيْرِ بنِ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذَا أتى عليهِ أُمَراءُ اليَمَنِ سَأَلَهُم أَفِيْكُم أُوَيْسُ بنُ عَامِرٍ ؟ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ

فَقَالَ : أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ ؟ قالَ نَعَمْ قَالَ مِنْ مُرَادٍ ثم مِنْ قَرْنٍ ؟ قالَ نَعَمْ قَالَ فكانَ بكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إلاَّ مَوْضِعُ دِرْهَمٍ ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ لَكَ وَالِدَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

قَال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُوْلُ : يَأْتِيْ عَلَيْكُم أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثمّ مِنْ قَرْنٍ ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرِىءَ مِنْهُ إلاَّ مَوْضِعُ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلى اللّهِ لأَبَرَّهُ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعلْ ، فَاسْتَغْفِرْ لِيْ ، فقالَ لهُ عُمَرُ : أَيْنَ تُرِيْدُ ؟ قَالَ الكُوفَةَ قَالَ ألا أَكْتُبَ لَكَ إِلى عَامِلِهَا ؟ .

قَالَ أَكُونُ في غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِليَّ ، فَانْظُرْ المَنْزِلَةَ التِيْ بَلَغَهَا هَذَا البَارُّ بأمِّهِ حتى كان مِن شَأْنِهِ أَنْ يُخْبرَ عنه المُصْطَفَى صلى الله عليه وسلم وأن يَقُولَ لِعُمَرَ إنِاسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فافْعَلْ إذا أَتَى ثم حِرْصُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى السُّؤالِ عن أُوَيْسٍ لِيَطْلُبَ منه الاسْتِغْفَارَ لَهُ .

رَأى ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا رَجُلاً قَدْ حَمَلَ أُمَّهُ على رَقَبَتِهِ وَهُوَ يَطُوفُ بهَا حَوْلَ الكَعْبَةِ فَقَالَ يا ابْنَ عُمَرَ أَتُرَانِي جَازَيْتُهَا ؟ قالَ ولا بطَلْقةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ طَلَقَاتِهَا وَلَكِنْ أَحْسَنْتَ واللهُ يُثِيْبُكَ عَلَى القَلِيْلِ كَثِيْراً .

وَأَخْرَجَ البُخَارِيّ وَمُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ انْطَلَقَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُم حَتَّى آوَاهُم المَبيْتُ إلى غَارٍ فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرْت صَخْرَةٌ مِن الجَبَلِ فَسَدَّتْ عَليهم الغَارَ فقَالُوا : إنهُ لاَ يُنَجِّيْكُم مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إلا أَنْ تَدْعُوا الله بِصَالِحِ أَعْمَالِكُم قَالَ رَجُلٌ مِنْهُم :

اللَّهُمَّ كَانَ لِيْ أبوانِ شَيْخَانِ كَبِيْرَانِ وَكُنْتُ لا أَغْبِقُ قَبْلَهُما أَهْلاً ولا مَالاً فَنَأَىٰ بِي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوْماً فَلَمْ أَرُحْ عَلَيْهِمَا حتى نامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهما فَوَجَدتُهمَا نَائِمَيْنِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوْقِظَهما فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ على يَدِيْ أَنْتَظِرُ اسْتِيْقاظَهُما حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ فاسْتَيْقَظَا فشَرِبَا غَبُوقَهَما .

اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعلْتُ ذَلِكَ ابْتِغاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فيه مِن هَذِهِ الصَّخْرَةِ فانْفَرَجَتْ شَيئاً لا يَسْتَطِيْعُونَ الخُرُوْجَ مَعَهُ قَالَ الآخَرُ : اللَّهُمَّ كَانَتْ لِيْ ابْنَةُ عَمّ كانَتْ أَحبَّ الناسِ إليَّ فأرَدْتها على نَفْسِهَا فامْتَنَعَتْ مِنّيْ حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِن السِّنِيْن ، فَجاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِيْنَ ومائة دِيْنارٍ على أن تُخْلِي بَيْني وَبَيْنَ نَفْسِهَا ، فَفَعَلَتْ حَتَّى إذا قدِرْتُ عليها قالَتْ لاَ أُحِلُّ أنْ تَفُضَّ الخَاتِمَ إلا بِحَقِّهِ فَتَحَرَّجْتُ مِن الوُقُوْعِ عَلَيْهَا ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إليَّ ، وَتَركْتُ الذَهَبَ الذي أَعْطَيْتُها .

اللَّهُمَّ انْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَأفرجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيْهِ فانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُم لا يَسْتَطِيْعُونَ الخُرُوجَ منها ، قالَ النبي صلى الله عليه وسلم وَقَالَ الثَّالِثُ اللَّهُمَّ اسْتَأْجَرْتُ أُجراءَ وَأَعْطِيْتُهم أَجْرَهُم غَيْرَ رَجُل وَاحِدٍ تَرَكَ الذي لَهُ وَذَهَبَ ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرتْ مِنْهُ الأمْوالُ فَجَاءَنِي بَعْدَ حِيْنٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللّهِ أَدِّ إليَّ أجْرِيْ فَقُلْتُ كُلُّ مَا ترى مِن أَجْرِكَ مِن الابلِ وَالبَقَرِ والغَنَمِ والرَّقِيقِ فقالَ يَا عَبْدَ اللهِ لا تَسْتَهْزِىءْ بي فَقُلتُ إنِّيْ لا أَسْتَهْزِىءُ بِكَ ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فلم يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئاً .

اللهم إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَأَفْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيْهِ فانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُوْنَ ، والشَّاهِدُ مِن الحَدِيْثِ لِمَا نَحْنُ فِيْهِ قِصَّةُ الأوَّلِ الذِيْ هُوَ البَارُّ بِوالِدَيْهِ .

قَالَ بَعْضُهم :

لأُمِّكَ حَقٌّ لَوْ عَلِمْتَ كَبِيْرُ
كَثِيْرُكَ يَا هَذَا لَدَيْهِ يَسِيْرُ
فَكَمْ لَيْلَةٍ بَاتَتْ بِثُقْلِكَ تَشْتَكِيْ
لَهَا مِنْ جَوَاهَا أَنَّةٌ وَزَفِيْرُ
وَفي الوَضْعِ لَوْ تَدْرِيْ عَلَيْكَ مَشَقَّةٌ
فَكَمْ غُصَصٍ مِنْهَا الفُؤَادُ يَطِيْرُ
وَكَمْ غَسَلَتْ عَنْكَ الأذى بِيَمِيْنِهَا
وَمِنْ ثَدْيِهَا شُرْبٌ لَدَيْكَ نَمِيْرُ
وَكَمْ مَرَّةٍ جَاعَتْ وَأَعْطَتْكَ قُوْتَهَا
حُنُوّاً وَإِشْفَاقاً وَأَنْتَ صَغِيْرُ
فَضَيَّعْتَهَا لَمَّا أَسَنَّتْ جَهَالَةً
وَطَالَ عَلَيْكَ الأَمْرُ وَهُوَ قَصِيْرُ
فَآهاً لِذِيْ عَقْلٍ وَيَتْبَعُ الهَوَى
وَوَاهاً لأَعْمَى القَلْبِ وَهُوَ بَصِيْرُ
فَدُوْنَكَ فَارْغَبْ في عَمِيْمِ دُعَائِهَا
فَأَنْتَ لِمَا تَدْعُوْ إِلَيْهِ فَقِيْرُ

اللهم عَلِّمْنَا ما يَنْفَعُنَا وانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ولا تَجْعَلْ عِلْمَنَا وَبَالاً عَلَيْنَا . اللَّهُمَّ قَوِي مَعْرِفَتَنَا بِكَ وَبِأَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ وَنَوِّرْ بَصَائِرَنَا وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا يَا رَبَّ العالمين واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلَّى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــلٌ)

وَلَيْسَ بِرُّ الوَالِدَيْنِ مَقْصُوْراً عَلى الحَيَاةِ فَقَطْ فَقَدْ وَرَدَ عَنْ أَبِيْ أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيْعَةَ السَّاعِدِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِندَ رَسُولِ اللّهِ صَلى الله عليه وسَلم إذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلمَة فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرّ أبويَّ شَيءٌ أَبُرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا .

قَالَ : نعَمْ الصَّلاَةُ عَلَيْهِمَا ، والاسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَانْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ التِي لاَ تُوْصَلُ إلاَّ بِهِمَا وَإكْرَامُ صَدِيْقِهِمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وابنُ حِبَّان في صَحِيْحِهِ ، وَزَادَ في آخِرِهِ ، قَالَ الرَّجُلُ : مَا أَكْثَرَ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ وَأَطْيَبَهُ قَالَ « فَاعْمَل بِهِ » .

وَعَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيْقِ مَكَةَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ وَحَمَلَهُ عَلى حِمَارٍ كانَ يَرْكَبُه وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلى رَأْسِهِ ، قَالَ ابْنُ دِيْنَارٍ : فَقُلْنَا لهُ : أَصْلَحكَ اللّهُ إنَّهُمْ الأَعْرَابُ وَهُمْ يَرْضَوْنَ باليَسِيْرِ فقَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ إنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدّاً لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ وَإنِّيْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُوْلُ « إنَّ أَبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبيْهِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ قَدِمْتُ المَدِيْنَةَ فَأَتَانِيْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ فَقَالَ أَتَدْرِيْ لِمَ أَتَيْتُكَ ؟ قَالَ قُلْتُ لاَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلى الله عليه وسلم يَقُولُ « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ في قَبْرِهِ فَلْيَصِلْ إخْوَان أَبْيِهِ بَعْدَهُ » وإنَّهُ كان بَيْنَ أَبِيْ عُمَرَ وَبَيْنَ أَبِيْكَ إخَاءٌ وَوُدّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَصِلَ ذَاكَ رَوَاهُ ابْنُ حِبّانَ في صَحِيْحِهِ .

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم « دَخَلْتُ

الجَنَّةَ فَسَمِعْتُ فِيْهَا قِرَاءةً فَقُلْتُ مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ كَذَلكُم البِرُّ كذلكُم البِرُّ » وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ رَوَاهُ في شَرْحِ السُّنةِ والبَيْهَقِيِّ في الشُّعَبِ شُعَبِ الإيْمَانِ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَاسٍ قالَ قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « مَنْ أَصْبَحَ مُطِيْعَاً لِلّهِ في وَالِدَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ من الجَنَّةِ وَإِنْ كان وَاحِداً فَوَاحِدٌ وَمَنْ أَمْسَى عَاصِياً لِلهِ في وَالِدَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ مِن النَّارِ وَإِنْ كَانَ وَاحِداً فَواحِدٌ قَالَ رَجُلٌ : وَإِنْ ظَلَمَاهُ ؟ قَالَ « وَإِنْ ظَلَمَاهُ وَإِنْ ظَلماهُ وَإِنْ ظَلَمَاهُ » .

وَعَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ مَا مِنْ وَلَدٍ بَارٍّ يَنْظُرُ إلى وَالِدَيْهِ نَظَرَ رَحْمَةٍ إلاَّ كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ نَظْرَةٍ حَجَّةٌ مَبْرُوْرَةٌ ، قالُوا وَإِنْ نَظَرَ كُلَّ يَوْمٍ مائَةَ مَرَّةٍ ؟ قَالَ « نِعَمُ اللّهِ أَكبَرُ وَأَطْيَبُ » رَوَاهُمَا البَيْهَقِيّ في شُعَبِ الإيْمَانِ (فَوَائِد) .

وَلما مَاتَتْ أُمُّ إِيَاسٍ الذَّكيّ القَاضِيْ المَشْهُورِ بَكَى عَلَيْهَا فَقِيْلَ لَهُ في ذَلِكَ فقَالَ : كَانَ لِيْ بَابَانِ مَفْتُوْحَانِ إلى الجَنَّةِ فَغُلِّقَ أَحدُهُمَا وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ المُتعَبِّدِيْنَ يُقَبِّلُ كُلَّ يَوْمٍ قَدَمَ أمِّهِ فَأَبْطأَ يَوْماً على أَصْحَابِهِ فَسَأَلُوه فَقَالَ : كُنْتُ أَتَمَرَّغُ في رِيَاضِ الجَنَّةِ ، فقدْ بَلَغَنَا أَنَّ الجنةَ تَحْتَ أَقْدَامِ الأُمَّهَاتِ .

وَقِيْلَ لِعَلِيّ بْنِ الحُسَيْن إِنَّكَ مِنْ أَبَرِّ النَّاسِ وَلاَ تَأْكُلُ مَعَ أُمِّكَ في صحْفَةٍ فَقَالَ : أَخَافُ أَنْ تَسْبِقَ يَدِيْ يَدَهَا إلى مَا تَسْبِقُ إِلَيْهِ عَيْنَاهَا فَأَكُوْنُ قدْ عَقَقْتُهَا وَيَا للأَسَفِ نَحْنُ في جِيْلٍ أَكْثَرُ أَهْلِهِ لا يَرَى لِلْوَالِدَيْنِ حَقّاً بَلْ يَسْتَهِيْنُ بِهِمَا وَيَنْتَقِصُهُما وَرُبَّما شَتَمَهُمَا أو مَا هُوَ أَعْظَمُ مِن ذلك فلذلك

إذا رَأَيْتَ الوَالِدَيْنِ في هَذَا الوَقْتِ المُظْلِمِ وَرَأَيْتَ خِدْمَتَهُما لِوَلَدِهِمَا رَحِمْتَها وَرَبَّما ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ وَتَأَلَّمَ قَلْبُكَ .

وَتَجِدُ هَذَا المَخْدُومَ رُبَّمَا أَنَّهُ لاَ يُصَلِّي أَصْلاً أَوْ لاَ يَشْهَدُ الجَمَاعَةَ أو مِنْ أَهْلِ الفسادِ والاسْكَارِ وَشُرْبِ الدُّخَانِ أو مِمَّنْ يَتَشَبَّهُ باليَهُودِ وَالنَّصَارَى والمَجُوسِ بِحَلْقِ لِحْيَتِه أو يَجْعَلُ خَنَافِس أو تَواليت أو مِمَّنْ يَعْكُفُ عِنْدَ المُحرَّمَاتِ وَالمَلاهِيْ وَسَائِرِ المُنْكِرَاتِ طوالَ لَيْلِهِ عَبْدُ فَمٍ وفَرْجٍ .

شِعْرا :

هَـذَا الـزَّمَـانُ الـذِي كُنَّـا نُحَـاذِرُهُ
في قَوْلِ كَعْبٍ وفي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودِ
دَهْــرٌ بِـهِ الحَقُّ مَــرْدُوْدٌ بِـأَجْمَعـه
وَالـظُّلْمُ وَالبَغْيُ فيـهِ غَيْــرُ مَــرْدُوْدِ
إِنْ دَامَ هَـذَا وَلَمْ يَحْـدُثْ لَـهُ غِيَـرٌ
لَمْ يُبْـكِ مَيْتٌ وَلَمْ يُفْـرَحْ بِمَـوْلُـوْدِ

آخـــر :

إلى الله أشـكوُ وحْـدَتي فـي مَصَـائِبي
وهـذا زمـانُ الصبـرِ لـو كُنْتَ حَـازِمَا
عليـكَ بالاسْـتِرْجَـاع إِنَّـكَ فَـاقِـدٌ
حَيَـاةَ العُـلَى وابـغ السُـلُوَّ مُنَـادِمَـا

قَالَ أَحْمَدُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : بِرُّ الوالدين كفَّارة الكبائِرِ وَكَذَا ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ عَنْ مَكْحُوْلٍ ، وَيَشْهَدُ لِهَذَا مَا رَوَاهُ الترمذِي وَاللفظُ لَهُ وابنُ حِبَّانَ في صحيحه والحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما قال : أَتى النَّبيَّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ إنِّي اذْنَبْتُ ذَنْباً عَظِيْماً فَهَلْ لِيْ

من تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ « هَلْ لَكَ مِنْ أُمّ وفي رِوَايَةِ ابْنِ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ هَلْ لَكَ وَالِدَانِ ؟ قَالَ : لَا قَالَ « فَهَلْ لَكَ مِن خَالَةٍ » قالَ : نعم ، قَالَ « فَبِرَّهَا » ومِنَ الفَوَائِدِ أَنَّ أَبَا هريرةِ رَأَى رَجُلاً يَمْشِي خَلْفَ رَجُلٍ فَقَالَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : أَبِيْ قالَ : لَا تَدْعُهُ بِاسْمِهِ ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ ،وَلَا تمشيْ أَمَامَهُ .

وَذَكَرَ فِي الحَدِيْثِ في تفسيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَصَاحِبْهُمَا في الدنيا مَعْرُوْفَا ﴾ عَنْهُ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « المُصَاحَبَةُ بالمَعْرُوْفِ أنْ يُطعِمَهُمَا إذَا جَاعَا وَيَكْسُوهُمَا إذَا عَرِيَا » .

وَمِنْ حُقَوْقِهِمَا خِدْمَتِهِمَا إذَا احْتَاجَا أو أَحَدُهُمَا إلى خِدْمَةٍ وَإِجَابَةُ دَعْوَتِهِمَا ، وَامْتِثَالُ أَمْرِهِمَا مَا لَمْ يَكُنْ مَعْصِيَةً للهِ فَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوْقٍ في مَعْصِيَةِ الخَالِقِ . ومِنْ حُقُوْقِهِمَا التَّكَلّمُ مَعَهُمَا بِاللّينْ وَاللُّطفِ ، ومِنْ ذَلِكَ أَنْ لا يَدْعُوْهُمَا باسْمِهِمَا ، وَأَنْ يَمْشِيْ خَلْفَهُمَا ، وَأَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ لَهُمَا بِالمَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ . واللَّهُ أعلم وصلى اللَّهُ على محمد وآله وسلم .

(مَوْعِظَةٌ)

عِبَادُ اللهِ أَحْسِنُوا إلى الوَالِدَيْنِ مَا أَمْكَنَ لَكُم الأحْسَانُ ، وَإِنْ حَسِبْتُم أَنَّكُمْ كَافَأْتُمُوْهُمْ في ذَلِكَ الحُسْبانِ ، وكُونُوا مَعَهُما في غَايَةِ الأدَبِ والأحْتِرَامِ ، وَاحْذَرُوْا سُوْءَ الأدَبِ عِنْدَهُما وَإلاّ هَوَيْتُمْ في هُوَّةِ شَقَاءٍ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ وَكُوْنُوا مَعَهُمَا في إجْلَالٍ وَاحْتِرَامٍ ، وَتَقْدِيْرٍ تَامّ ٍ وإنْ حَصَلَ مِنْهُمَا لَكَ ظُلْمٌ .

لأَنَّهُمَا اللَّذَانِ لَوْلاَ اللَّهُ ثُمَّ لَوْلاَهُمَا لَمْ تَخرُجْ عَلَى هَذَا الوُجُودِ وَلِأَنَّهُمَا اللذَانِ سَخَّرَهُمَا اللهُ لَكَ فَصَبَرا عَلَى مَا رَأَيا مِنْ الأهْوَالِ ، وَسَخَّرَهُمَا لِتَرْبِيَتِكَ وَالعِنَايَةِ بِكَ في هَذِهِ الحَيَاةِ . تَذكّرْ زَمَنَ حَملِ أُمِّكَ

بِكَ وأنتَ في بَطْنِهَا عِلّةٌ مِنْ أكْبَرِ العِلَلِ ، وَتَذكَّرْ وَقْتَ أن كانَتْ تَلِدُكَ وَهْيَ مِمَّا بِهَا لا مِن الأحْيَاءِ وَلاَ مِنْ الأمْوَاتِ وتذكّر مَا خَرجَ عَقِبَ وِلاَدَتِك مِنَ النَّزِيْفِ الدَّمِ الذِيْ هُوَ نَفْسُها .

وَتَذَكَّرْ أنَّكَ كُنْتَ تَمُصُّ دَمَهَا مُدَّةَ الرَّضَاعِ ، وَسُرُوْرُهَا بِكَ تَقْصُرُ عَنْ شَرْحِهِ العِبَارَاتُ . وَتَذكّرْ تَنْظِيْفَهَا لِبَدَنِكَ وَمَلاَبِسِكَ مِنْ الْأقذَارِ ، وَتَذَكَّرْ فَزَعَهَا عِنْدَمَا يَعْتَرِيْكَ خَوْفُ أو مَرَضٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ ، وَتَذَكَّرْ دِفَاعَهَا عَنْكَ إذَا اعْتَدَى عَلَيْكَ مُعْتَدِيْ .

وَتَذَكَّرْ حِرْصَهَا الشَّدِيْدَ عَلَى أنْ تَعِيْشَ لَهَا وَلَوْ حُرِمَتْ لَذَّةَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَتَذَكّرْ سَهرَهَا عَلَيْكَ عِنْدَمَا يُؤْلِمُكَ شَيْءٌ مِنْ جَسَدِكَ ، وَتَذَكَّرْ كَدَّ وَالِدِكَ عَلَيْكَ فِي تَحْصِيْلِ مَا بِهِ تَحْيَا بِإِذْنِ اللهِ ، لاَ يَهْدَؤُ عَنْ ذَلِكَ وَالِدُكَ مَدَى اللّيَالِيْ وَالأيَّامِ ، وَكُلَّمَا خَشِيَ أَنْ تَجُوْعَ تَقَحَّمَ الشَّدَائِدَ وَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ في الدنيا لاَ يَرُدُّهُ إلا أنْ يَرَاكَ في يَسَارٍ .

وَتَذَكَّرْ عِنَايَتَهُ بِكَ فِي تَعْلِيْمِكَ وَتَوْجِيْهِكَ إلى مَا فِيهِ صَلاَحُ دِيِنِكَ ودُنْيَاكَ وتَذَكَّرْ حِيَاطَتَهُ ونُصْحَهُ لَكَ ومُقَاسَاتُ الشَّدَائِدَ لِرَاحَتِكَ ، وتذكرْ فَرَحَهُ وَاسْتِبْشَارَهُ بِمَحَبَّتِكَ وَنَجَاحِكَ ، وَتَذَكَّرْ دِفَاعَهُ عَنْكَ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ ، وَتَذَكَّرْ دُعَاءَهُ لَكَ في مَظِنَّةِ أوْقَاتِ الأجَابَةِ أنْ يُصْلِحَكَ اللّهُ وَيوفقكَ .

وَتَذَكَّرْ قَلَقَهُمَا وَالأدْلاَجَ في البَحْثِ عَنْكَ إذَا تَأَخَّرْتَ عَنْ وَقْتِ المَجِيْءِ ، وَتَأَمَّلْ وَتَذَكَّرْ بَشَاشَتَهُمَا فِيْمَنْ يَعِزُّ عَلَيْكَ لِسُرُوْرِهما بِمَا يَسُرُّكَ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أكَّدَ اللهُ وَشَدَّدَ عَلَيكَ بِالوَصِيَّةِ بِهِمَا .

وَأَخْبَرَ نَبِيُّنَا صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمَا جَنَّتُكَ وَنَارُكَ ، وَقَدَّمَ بِرَّهُمَا

عَلَى الجِهَادِ ، وَدَعَا أَنْ يُرْغَمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أو أَحَدَهُمَا فلم يَدْخُل الجَنَّةَ ، وَأخبَرَ بِأَكْبَرَ الكَبَائِرِ فَذَكَرَ عُقُوقَهُما بَعْدَ الأَشْرَاكِ باللّهِ .

شِعْرَا :

فَكَم وَلَدٍ لِلْوَالِدَيْنِ مُضَيِّعٌ
يُجَازِيهِمَا بُخْلاً بِمَا نحلاهُ
طَوى عَنْهُمَا القُوْتَ الزَّهِيْدَ نَفَاسَةً
وَجَرَّاهُ سَارَا الحُزْنَ وَارْتَحَلاهُ
وَلاَمَهُمَا عَنْ فَرْطِ حُبِّهِمَا لَهُ
وَفِي بُغْضِهِ إِيَّاهُمَاعذلاهُ
أَسَاءَ فَلَمْ يَعْدِلْهُمَا بِشِرَاكِهِ
وَكَانَا بِأَنْوَارِ الدُّجَىٰ عَدَلاَهُ
يُعِيْرُهُمَا طَرْفاً مِن الغَيْظِ شَافِناً
كأنّهما فِيْمَا مَضَى تَبَلاَهُ
يَنَامُ إذا ما ادْنَفَا وَإِذَا سَرَى
لَهُ الشُّكُوبَاتَ الغُمْضَ مَا اكْتَحَلاَهُ
إِنْ ادَّعَيَا فِيْ وُدِّهِ الجُهْدَ صُدِّقَا
وَمَا اتُّهِمَا فِيْهِ فَيَنْتَحِلاَهُ
يَغُشُّهُمَا فِيْ الأَمْرِ هَانَ وَطَالَمَا
أَفَاءآ عليهِ النُّصْحَ وَانْتَحَلاَهُ
يَسُرُّهُمَا أَنْ يَهْجُرَ القَبْرَ دَهْرَهُ
وَأَنَّهُمَا مِنْ قَبْلِهِ نَزَلاَهُ

وَلَـوْ بِمُشَارِ العَيْنِ يُـوْحِيْ إِلَيْهِمَـا
لَـو شُكْ اعْتِزَالِ العَيْشِ لاعْتَزَلاَهُ
يَوَدَّانِ إِكْرَامَاً لَوْ انْتَعَلَ السُّهَا
وَإِنْ حَـذِيَـا السَّـلاَءَ وَانْتَعَلاَهُ
يَذُمُّ لِفَرْطِ الغَيِّ مَا فَعَلاَ بِهِ
وَأحْسِنْ وَأجْمِلْ بِالَّذِيْ فَعَلاَهُ
يَعُدَّانِهِ كَالصَّارِمِ العَضْبِ فِي العِدَا
بِظَنِّهِمَا وَالذَّابِلَ اعْتَقَلاَهُ
وَيُؤْثِرُ في السِّرِّ الكَنِيْنِ سَوَاءَهُ
فَيَنْقُلُهُ عَنْهُ وَمَا نَقَلاَهُ

اللهمّ اعْصِمْنَا عَن المَعَاصِي والزَّلَّات ووفّقْنَا للعَمَل بالبَاقيَات الصَالِحَاتِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحياءِ مِنْهُم والمَيّتين بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلى اللّهُ على محمدٍ وعَلَى آله وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

في تَحْرِيْمِ العُقُوْقِ

إعْلَمْ وَفَّقَنَا اللّهُ وإِيَّاكَ لِمَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاه ، وَجَنَّبَنَا وَإِيَّاكَ مَا يُسْخِطُهُ ولاَ يَرْضَاهُ ، أَنَّ العُقُوْقَ مِنْ كبائر الذُّنُوبِ وَحَدَّهُ بَعْضُهُم بأَنَّهُ صُدُوْرِ مَا يَتَأَذَّى بِهِ الوَالِدُ من قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ .

وَقَالَ بَعْضُهُم ضَابِطُ العُقُوْقِ هُوَ أنْ يَحْصُلَ لِلْوَالِدَيْنِ أَوْ لأحَدِهِمَا إِيْذَاءٌ لَيْسَ بالهَيِّنِ عُرْفَاً فسَبُّهُما وَعِصْيَانُهُمَا وَالتَّلَكُؤُ في قَضَاءِ شؤُونِهِمَا ،

وَمَدُّ اليَدِ بِالسُّوْءِ إِلَيْهِمَا ، وَلَعْنُهُمَا وَغِيْبَتُهُمَا ، والكَذِبُ عَلَيْهِمَا .

كُلُّ ذَلِكَ عُقُوقٌ وَنُكْرَانٌ لِلْجَمِيْلِ ، وَكَذَلِكَ نَهْرُهُمَا وَقَهْرُهُمَا وتَوبيخهُما وَالتَّأَفُّفُ مِنْهُماَ وَالدُّعَاءُ عَلَيْهِما ، كَقَوْلِهِ أَرَاحَنَا اللهُ مِنْهُ ، أَوْ أَخَذَهُ اللهُ أَوْ عَجَّلَ اللهُ بِزَوَالِكَ وَالتَّكَبُّرُ عَلَيْهِمَا

فَعَن ابْنِ عَبّاس رَضْيَ اللهُ عَنهُمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عليه وسلَّم « شرُّ النّاسِ ، ثَلاثَةٌ مُتَكَبِّرٌ عَلَى وَالِدَيْهِ يَحْقِرُهُمَا وَرَجُلٌ سَعَى بَيْنَ النّاسِ بالكذِبِ حَتَّى يَتَبَاغَضُوا وَيَتَبَاعَدُوا وَرَجُلٌ سَعَى بَيْنَ رجُلٍ وَامْرَأتِهِ بِالكَذِبِ حَتَّى يُغَيِّرَهُ عَلَيْهَا بِغَيْرِ حَقٍ حَتَّى فَرَّقَ بَينَهُمَا ثم يَخْلُفُهُ عليها مِنْ بَعْدُ » رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ .

وَأَخْرَجَ البُخَارِيّ في الأدبِ المُفْرَدِ قَالَ حَدَّثَنَا زِيَادُ بنُ مِخْرَاقٍ قَالَ حَدَّثَنِي طَيْسَلَةُ بنُ مَيَّاسٍ قَالَ كُنْتُ مع النَّجَدَاتِ فَأَصَبْتُ ذُنُوْباً لاَ أَرَاهَا إلا مِنْ الكَبَائِرِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لابْنِ عُمَرَ قَال مَا هِيَ قُلْتُ كَذَاَ وكَذَا .

قَالَ : لَيْسَ هَذِهِ الكَبَائِرَ هُنَّ تِسْعٌ : الإِشْرَاكُ بِاللهِ ، وَقَتْلُ نَسَمِةٍ ، وَالفِرَارُ مِن الزَّحْفِ ، وَقَذْفِ المُحْصَنَةِ ، وَأكلُ الرِّبَا ، وأكلُ مَالِ اليَتِيمِ ، وَالْحَادُ في المَسْجِدِ ، وَالذي يَسْتَسْخِرُ ، وَبُكَاءُ الوَالِدَيْنِ مِن العُقُوْقِ ، قَالَ لِيْ ابنُ عُمَر : أَتَفَرُ مِن النّارِ وَتُحِبُّ أَنْ تَدْخُلَ الجَنَّةَ ؟ قُلْتُ أَيْ وَاللهِ قَالَ أَحَيٌّ وَالِدَاك ؟ قُلتُ : عِنْدِيْ أُمِّيْ ، قَالَ فَوَاللهِ لَوْ أَلَنْتَ لَهَا الكَلاَمَ ، وَأَطْعَمْتَهَا الطَعَامَ ، لَتَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ ما اجْتَنَبْتَ الكَبَائِرَ وَأخْرَجَ فيهِ أيْضا قالَ حَدَّثَنَا مُوْسَى حَدَّثَنَا حَمَّادُ بنُ سَلْمَةَ عَن زِيَادِ بنِ مخراقٍ عنِ طَيْسَلَةَ : أنه سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ : بُكَاءُ الوَالِدَيْنِ مِن العُقُوْقِ والكَبَائِرِ .

وَبَعْضُ النَّاسِ لَا يَكْتَفِيْ بالتَّقْصِيْرِ في الوَاجِبِ في حقِّ أبوَيْهِ بَلْ يُسْمِعُ وَالِدَيْـهِ مَا يسوؤهما ، وَتَضِيْقُ به صُـدُوْرُهما ، وَيُنَكِّـدُ عَلَيْهِمَا مَعِيْشَتِهِمَا ، فَتَجِدُ الوَالِدَ يَكْرَهُ مَعَهُ الحَيَاةَ ، وَيَتَمَنَّى لِأَجْلِهِ أنه لم يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَرُبَّمَا تَمَنَّىٰ أَنَهُ كان عَقِيْمَا .

فَكَلَامُ الأبْنِ العَاقِّ تَئِنُّ لَهُ الفَضِيْلَةُ ، وَتَبْكِيْ لَهُ المُرُؤَةُ ، وَتَأْبَاهُ الدِّيَانَةُ ، ولا يَرْضَى به العَاقِلُ فَضْلاً عن المُتَدَيِّنُ ، لأنَّ فِعْلَهُ مُنْكرٌ عَظِيْمٌ ، وقد لا يَسُبُّ العَاقُّ أبَاهُ مُبَاشَرَةً ، وَلَكِنْ يَسُبُّ أبَا هَذَا وأمَّ هَذَا ، فَيَسُبُّونَ أمَّهُ وَأبَاهُ ، ويَصُبُّونَ عَلَى وَالِدَيْهِ مِنَ اللّعَنَاتِ أَضْعَافَ مَا صَدَرَ مِنْهُ ، والبَادِيْ هُوَ الظَّالِمُ وَمَا أكثَرَ السَّبَّ والشَّتْمَ وَاللَّعْنَ في وَقْتِنَا هَذَا ، ومَا أَسْهَلَهُ عِنْدَهُمْ .

وَمَا أَكْثَرَ الأحتِقَارَ لِلآباءِ والأُمَّهَاتِ في البُيُوتِ وَالأَسْوَاقِ وَفي كُلِّ مَحَلٍّ ، نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ .

وَمِمَّا جَاءَ في العُقُوقِ وَجُرْمِهِ وَقُبْحِهِ وَإثْمِهِ مَا رَوَاهُ البُخَارِيّ وَغَيْرُهُ عَن المغِيْرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي اللهُ عنه عن النبي صلى اللهُ عليه وسلَّم أنهُ قالَ : « انَّ اللهَ حَرَّمَ عليكم عُقُوقَ الأمَّهاتِ ، وَوأْدَ البَنـاتِ ، وَمَنْعَ وَهَاتِ ، وَكَرِهَ لكم قِيْلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَاضَاعَةَ المالِ » .

وَأَخْرَجَ البُخَارِيّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَال رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ « ألا أنبِّئُكُم بأكْبَرِ الكَبَائِرِ ؟ ثَلَاثاً قُلْنا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهُ قالَ « الإشْرَاكُ باللهِ وَعُقُوْقُ الوَالِدَيْنِ وكان مُتَّكِئاً فَجَلَسَ فَقَالَ : ألاَ وَقَوْلُ الزُّوْرِ ألاَ وَشَهَادَةُ الزُّوْرِ » فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنا لَيْتَهُ سَكَتَ .

وَلِلْبُخَارِيِّ عن عبدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا عن النبي صلى اللهُ عليه وسلَّم قالَ « الكَبَائِرُ الأشْرَاكُ باللهِ وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَاليَمِينُ الغموسُ » وللبُخَارِيِّ ومُسْلِم والترمِذِيِّ عَنْ أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الكَبَائِرَ فَقَالَ الشِّرْكُ بِاللّهِ وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

شعرا :

إلى اللّهِ أهْـدِي مِدْحَتِيْ وَثَنَـائِيَـا
وَقَـوْلاً رَصِيْناً لا يَنِيْ الـدَّهْـرَ بَـاقِيَـا
إلى المَلِكِ الأعْلَى الذي لَيْسَ فَوْقَهُ
إلَـهٌ ولا رَبٌّ يَـكُـوْنُ مُـدَانِـيـا
ألا أيُّهَـا الإنْسَـانُ إيَّـاكَ والـرَّدَى
فَـإنَّـكَ لَا تَخْفَى مِنْ اللّهِ خَـافِيَـا
وَإيَّـاكَ لا تَجْعَـلْ مَـعَ اللهِ غَيْـرَهُ
فَـإنَّ سَبِيْـلَ الـرُّشْـدِ أصْبَـحَ بَـادِيَـا

إلى أنْ قَالَ :

وَأنْتَ الذِيْ مِنْ فَضْلِ مَنٍّ وَرَحْمَـةٍ
بَعَثْتَ إلى مـوسى رسُـولا مُنَـادِيَـا
فَقُلْتَ لَـهُ فَاذْهَبْ وَهَـارُونَ فَـادْعُـوا
إلى اللهِ فِـرْعَوْنَ الـذي كَانَ طَـاغِيَا
وَقُـوْلاَ لَـهُ أأنْـتَ سَـوَّيْـتَ هَـذِهِ
بِـلاَ وَتَـدٍ حَتَّى اطْمَـأنَّتْ كَمَـا هِيَـا

وَقُـوْلَا لَـهُ أأَنْـتَ رَفَعْـتَ هَـذه
بِـلا عَمَـدٍ ارْفُقْ إذاً تَـكُ بَـانِيَـا
وَقُـوْلَا لَـهُ أأَنتْ سَـوَّيْتَ وَسْطَهَـا
مُنِيْـراً إِذَا مَـا جَنَّـهُ اللَّيْـلُ هَـادِيَـا
وَقُوْلَا لَهُ مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ غُدْوَةً
فَيصْبِحُ مَا مَسَّتْ مِنْ الأَرْضِ ضَاحِيَا
وَقُوْلَا لَهُ مَنْ يُنْبِتُ الحَبَّ في الثَّرَى
فَيُصْبِـحُ مِنْـهُ البَقْـلُ يَهْتَـزُّ رَابِيَـا
وَيُـخْـرِجُ مِنْـهُ حَبَّـهُ فَي رُؤُسِـه
فَفِيْ ذَاكَ آيَـاتٌ لِمنْ كَـانَ وَاعِيـا
وَأَنْتَ بِفَضْـلٍ مِنْـكَ نَجَّيْتَ يُـوْنُسَـا
وَقَـدْ بَاتَ في بَطْنٍ لِحُـوْتٍ لَيَـالِيَـا

اللهم انَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ في الأَمْرِ وَالعَزِيْمَةَ عَلَى الرُّشْدِ وَنَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ وَنَسْأَلُكَ أنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَـا وَلِجَمْيعِ المُسْلِمْينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمدٍ وعلى آلهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِين .

(فَصْلٌ)

وَفي كِتَابِ النَّبي صلى الله عليه وسلم الذِيْ كَتَبَهُ إلى أَهْلِ اليَمن وَبَعَث بِهِ مع عمْرِو بْنِ حَزْم «وَأَنَّ أَكْبَرَ الكبَائِرِ عِنْدَ اللّه يَوْمَ القِيَامَةِ الاشْرَاكُ باللهِ وَقتلُ النَّفْسِ المُؤْمِنَةِ بِغَيْرِ حَقٍّ والفِرَارُ في سَبْيلِ اللهِ يَوْمَ الزَّحْفِ وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ ، وَرَمْيُ المحصنَةِ وَتَعلُّمُ السِّحْر ، وَأَكْلُ الرِّبَا ،

وَأكْلُ مَالِ اليَتِيْمِ » الحدِيْثُ رَوَاهُ ابنُ حِبَّان في صَحِيْحِهِ .

وَأخْرَجَ النَّسَائِي وَالبَزَّارُ وَاللفْظُ لَهُ باسْنَادَيْنِ جَيِّدَيْنِ وَالحَاكِمُ وَقالَ صَحِيْحُ الاسْنَادِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيْ اللهُ عَنهُما عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلى الله عليه وسلم قالَ « ثَلاثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللّهُ إلَيْهم يَوْمَ القِيَامَةِ العَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَمُدْمِنُ الخَمْرِ ، وَالمنّانُ عَطَاءَهُ وَثلاثَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ العَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالدَّيُّوثُ وَالرَّجِلَةُ مِنْ النِّسَاءِ » .

وَأخْرَجَ أحْمَدُ واللفْظُ لَهُ وَالنَّسَائِيّ وَالبَزَّارُ وَالحَاكِمُ وقَالَ صَحِيْحُ الاسْنَادِ عَن عَبْدِ اللّهِ بنِ عَمْرِوُ بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أنَّ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ « ثَلاَثَةٌ حَرَّمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتعالى عليهم الجَنَّةُ مُدْمِنُ الخَمْرِ وَالعَاقُّ ، والدَّيُّوثُ الذِي يُقِرُّ الخُبْثَ في أهْلِهِ » .

وَعَنْ أبِي أُمَامَةِ رَضِي اللهُ عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى الله عليه وسلم « ثَلاثَةٌ لا يَقْبَلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُم صَرْفاً وَلا عَدْلاً ، عَاقٌّ ومَنَّانٌ وَمُكَذِّبٌ بِقَدَرٍ » رَوَاهُ ابْنُ أبِيْ عَاصِمٍ فِيْ كِتاب السُّنَّةِ باسْنَادٍ حَسَنٍ ، وَعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عليه وسلم « ثلاثَةٌ لا يَنْفَعُ مَعَهُنَّ عَمَلٌ الشِّرْكُ باللهِ وَعُقُوْقُ الوَالِدَيْنِ وَالفِرَارُ مِنْ الزَّحْفِ » رَوَاهُ الطَّبَرانِيّ في الكَبِيْرِ .

وَعَنْ عَمْرِوِ بن مُرَّةِ الجُهَنِيّ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ اللّهِ صَلى الله عليه وسلم فقالَ : يَا رَسُوْلَ اللهِ أرَأيْتَ إذا صَلَّيْتُ الصَّلواتِ الخَمْس وصُمْتُ رَمضَانَ ، وَأدَّيْتُ الزَّكاةَ ، وَحَجَجْتُ البَيْتَ ، فَمَاذا لِيْ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم « مَنْ فعَلَ ذَلِكَ كَانَ مَع

النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ والشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحْينَ إلاّ أنْ يَعُقَّ وَالِدَيْهِ » رَوَاهُ أحْمَدُ وَالطَّبَرانِيّ باسْنَادَيْن أحَدُهُمَا صَحِيْحٌ وَرواهُ ابنُ خَزَيْمَةَ وابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِمَا .

وَعَنْ عَلِيّ عَلَيْهِ رِضْوَانُ اللهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « لَعَنَ اللهُ منْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ ثَمَّ تولَّى غَيْرَ مَوْلاَهُ ، وَلَعَنَ اللهُ العَاقَّ لِوَالِدَيْهِ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ نَقصَ مَنَارَ الأَرْضِ » رَوَاهُ الحَاكِمُ .

وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عنهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « لَعَنَ اللهُ سَبْعَةً مَن فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتِهِ وَرَدَّدَ اللعْنَةَ على وَاحِدٍ مِنْهُم ثَلاثاً وَلَعَنَ كُلَّ وَاحِدٍ منهم لَعْنَةً تَكْفِيْهِ ، قَالَ : مَلْعُونٌ مَن عَمِلَ عَمَلَ قَوْم لوْطٍ ، مَلعُونٌ مَن عَمِلَ عَمَلَ قوم لوطٍ ، مَلْعُونٌ مَن عَمِلَ عَمَلَ قَوْمَ لُوْطٍ ، مَلْعُونٌ مَن ذَبَحَ لِغَير اللهِ مَلْعُونٌ مَن عَقَّ وَالديهِ ، مَلعونٌ مَن أتَى شَيْئاً مِنَ البَهَائِمِ ، مَلعُونٌ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ امْرَأةٍ وَابْنَتِهَا ، مَلْعُونٌ مَن غَيَّرَ حُدُوْدَ الأَرْضِ مَلْعُونٌ مَن ادَّعَى إلى غَيْر مَوَالِيْهِ » رَوَاهُ الطبراني في الأَوْسَطِ وَرِجَالهُ رِجَالُ الصَّحِيْحِ الاَ مُحرَّزٌ وَيُقَالُ مُحَرَّرٌ بالاهْمَالِ ابْنُ هَارُوْنَ التَمِيْمِيّ فَوَاهٍ ، وَقَدْ حَسَّنَ له التِّرمذي وَمَشَّاهُ بَعْضُهم وَرَوَاهُ الحاكِمُ من رِوَايةِ هَارُوْنَ أخِيْ مُحَرّرٍ ، وقَال صَحِيْحُ الاسْنَادِ .

وَعَنْ أَبِيْ هُرَيَرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عليه وسلم « لا تُقْبَلُ صَلاَةُ السَّاخِطِ عَلِيْهِ أبواهُ غَير ظَالِمَينِ لَهُ » رَوَاهُ أَبُو الحَسَنِ ابْنُ مَعْرُوفٍ في كِتَابِ فَضَائِل بَنِيْ هَاشِمْ .

وَعَنْ أبي بَكْرٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليه

وسلَمَ « كُلُّ الذنُوبِ يُؤَخِّرُ اللهُ مِنْهَا مَا شَاءَ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ إلا عُقُوقَ الوَالِدَيْن ، فَإِنَّ اللَّهَ يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي الحَيَاةِ قَبْلَ المَمَاتِ » رَوَاهُ البُخَارِيّ فِي الأدَبِ المفرَدِ والطَبَرانِيّ فِي الكَبِيْرِ وَالحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ وَالأَصْبَهَانِيّ فِي التَّرْغِيْبِ .

وَذُكِرَ أَنَّ شَابّاً كَانَ مُكِبّاً عَلى اللَهْوِ وَاللَّعِبِ ، لاَ يُفِيْقُ عَنْهُ ، وَكَانَ لَهُ وَالِدٌ صَاحِبُ دِيْنٍ كَثِيْراً مَا يَعِظُ هَذا الابْنَ وَيقُوْلُ لَهُ يَا بُنَيَّ احْذَرْ هَفَواتِ الشباب وعثَراتِهِ فَإِنَّ لِلّهِ سَطَوَاتٌ وَنَقَماتٌ مَا هِيَ مِن الظَّالِمينَ بِبَعِيْدٍ ، وَكَانَ إِذَا إِلَحَّ عَلَيْهِ زَادَ فِي العُقُوْقِ ، وجَارَ عَلى أبِيْهِ ، وَلَما كَانَ يَوْمٌ مِن الأيّامِ أَلَحَّ عَلى ابْنِهِ بِالنُّصْحِ عَلَى عَادَتِه ، فَمَدَّ الوَلَدُ يَدَهُ على أَبِيْهِ ، فَحَلَفَ الأبُ باللهِ مُجْتَهِداً لَيَأتِيَنَّ بَيْتَ اللهِ الحَرامَ ، فَيَتَعلقُ بِاسْتَارِ الكَعْبَةِ ، وَيَدْعُو على وَلدِهِ فَخَرَجَ حَتَّى انْتَهَى إلى البَيْتِ الحَرَامِ فَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الكَعْبَةِ وَانشَأَ يَقولُ :

يَا مَنْ إِلَيْهِ أَتَى الحُجَّاجُ قَدْ قَطَعُوا
عَرْضَ المَهامِهِ مِنْ قُرْبٍ وَمِنْ بُعُدِ
إِنِّي أَتَيْتُكَ يَا مَنْ لاَ يُخَيِّبُ مَنْ
يَدْعُوهُ مُبْتَهِلاً بِالوَاحِدِ الصَّمدِ
هَذَا مُنَازِلُ لاَ يَرْتَدُّ مِنْ عَقَقِي
فَخُذْ بِحَقِي يَا رَحْمَنُ مِنْ وَلَدِيْ
وَشُلَّ مِنْهُ بِحَوْلٍ مِنْكَ جَانِبَهُ
يَا مَنْ تَقَدَّسَ لَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَلِدِ

فَقِيْلَ إِنَّهُ مَا اسْتَتَمَّ كَلامَهُ حَتَّى يَبِسَ شِقُّ وَلَدِهِ الأَيْمَنُ . نَعُوذُ باللهِ

مِنْ العُقُوقِ ، ومِنْ قَسَاوَةِ القُلُوبِ ، وَمِنْ جَمِيْعِ المَعَاصِيْ والذُّنُوبِ وَكَانَ يُقَالُ كَدَرُ العَيْشِ في ثَلاثٍ الوَلَدِ العَاقِّ وَالجَارِ السُّوْءِ وَالمَرْأةِ السَّيِّئَةِ الخُلُقِ لأنكَ لا تَنْفَكُ في عَنَاءٍ وَشَغَبٍ وَتَعبٍ فَإِنْ سَكَنَ العَاقُّ بُرْهَةً مِن الزَّمن مَا سَكَنَ الجَارُ السُّوْءُ وَأهْلُه وَأَوْلادُه وَإِنْ سَكَنا لم تَسْكُنِ العِلةُ الدَّاخِليَّةُ المَرْأةُ السُّوْءِ سَيِّئَةُ الخُلُق فَأَنْتَ في هَذِهِ الحَالِ غَرَضٌ لِثَلاثَةِ سِهامٍ مُوَجَّهَةٌ إليْكَ في أرْبَع وَعِشْرِيْنَ سَاعَة نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ مِنْهَا .

وَعَنْ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ : أوْصَانِي رَسُوْلُ اللّهِ صَلى اللهُ عَليه وسلم بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ قَالَ : « لا تُشْرِكْ بِاللِهِ شَيْئاً وَإنْ قُتْلِتَ وَحُرِّقْتَ ، وَلا تَعُقَّنَّ وَالِدَيْكَ وَإنْ أمَرَاكَ أنْ تَخْرُجَ من أهْلِكَ وَمَالِكَ وَلا تَتْرُكَنَّ صَلاةً مَكتُوبَةً مُتَعمِّداً فَإنَّ مَنْ تَرَكَ صلاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّداً فقد بَرِئَتَ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ ، وَلا تَشْرَبَنَّ الخَمْرَ فَإِنَّهُ رَأسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ ،وَإيَّاكَ وَالمعْصِيَةَ فَإِنَّ بالمعَصِيْةِ يَحِلُّ سَخَطُ الله ، وَإيَّاكَ والفِرَار مِن الزَّحْفِ وَإِنْ هَلكَ النَّاسُ و إذا أصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ ، وَأنْتَ فِيهِم فَاثْبُتْ .

وَأنْفِقْ عَلى عِيالِكَ مِن طَوْلِكَ ، وَلا تَرْفَعْ عَنْهُم عَصَاكَ أدَباً وَأخِفْهُم في اللّهِ ، رَوَاهُ أحْمَدُ والطَبرانِيّ في الكبيرِ وَاسْنَادُ أَحْمَدَ صَحِيْحٌ إلا أنَّ فِيْهِ انْقِطَاعاً لأنَهُ مِن رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن جُبَيْرٍ عَن مُعَاذٍ وَهُوَ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ .

وَعَنْ عَمْرو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ رَأَىَ مُوْسَى عَليه السَّلامُ رَجُلاً عِنْدَ العرْشِ فَغَبَطه بمَكانَهِ فَسأَلَ عَنْهُ ، فقالُوا نُخْبِرُكَ بِعَمَلِهِ ، لاَ يَحْسُدُ النَاسَ عَلى مَا آتاهُم اللّهُ مِن فَضْلِهِ ، وَلا يَمْشِي بالنَّمِيْمَةِ ، وَلا يَعُقُّ وَالِدَيْهِ ، قَالَ أيْ رَبِّ وَمَنْ يَعُقُّ وَالِدَيهِ ؟ قَالَ يَتَسَبَّبُ لهُما حَتَّى يُسَبَّا رَواهُ أحمدُ في الزُّهْدِ .

شعــــرا :

صافِي الكَرْيَمِ فَخَيْرُ مَنْ صَافَيْتَهُ   مَنْ كان ذا دِاينٍ وكان عَفِيْفَـــا

وَاحْذَرْ مُؤَآخَاةَ اللَّئِيمِ فإنَّــــهُ ... يُبْدِي القَبِيْحَ وَيُنكِرُ المَعْرُوْفَــا

آخــــر :

تَمسَّكْ بِوَصْلِ المُمْسِكِ الدِيْنِ واجْتَنِبْ ... وِصَالَ سِوَاهُ مِن قَرِيْبٍ وشاسِـــعِ

فَذُوْ الدِيْنِ أَدْنَى النَاسِ مِنْكَ قَرابةً ... فَصِلْهُ فَمَا وَصْلُ البَعِيْدِ بِضَـــائِعِ

آخــــر :

أَخو الفِسْقِ لا يَغْرُرْكَ مِنـْـهُ تَوَدُّدٌ ... فَكُلُ حِبَالُ الفاسِقِيْنَ مَهِيْـــــنُ

وَصَاحِبْ إذَا مَا كُنْتَ يوماً مُصَاحِباً ... أَخَا الدِيْنِ مَن بالغَيْبِ مِنْكَ أَمِيْنُ

آخــــر :

أَخٌ كُلَّمَا آتيْهِ أَبْغِيْ نَوالَـــــهُ ... رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِيْ وَوَجْهِيْ بِمَائِهِ

بَلَوْتُ رِجَالاً بَعْدهُ واخْتَبَرْتُهُـــمْ ... فَمَا ازْدَدْتُ إِلاَّ رَغْبَةً في إِخَـــائِهِ

آخــــر :

ولَيْسَ خَلِيْلِي بالمَلُوْلِ ولا الـــذي ... إذا غِبْتُ عنه باعَنِي بِخَلِيْـــــلِ

ولكنْ خَلِيْلِي مَنْ يَدُوْمُ وِصَــالُهُ ... وَيَحْفَظُ سِرِّيْ عندَ كُلِّ خَلِيْلِ

آخــــر :

يَمْضِي أَخُوكَ فلا تَلْقَى لَـــهُ عِوَضٌ ... والمالُ بَعْدَ ذَهَابِ المالِ يُكْتَسَـــبُ

اللهمَّ نَجِّنا برحمتِكَ مِن النارِ وعافِنا مِن دارِ الخِزْيِ والبَوَارِ وأَدْخِلنا بِفَضْلِكَ الجنةَ دارَ القَرارِ وعامِلْنا بكَرَمِكَ وَجُودِكَ يا كريمُ يا غفارُ واغْفِرْ لنا ولوالِدِيْنا ولجميعِ المسلمينَ الأحياءِ منْهم والميتينَ برحْمَتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ وصَلّى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين .

(فَصْـــلٌ)

وَفِيْمَا ذَكَرْنَا مِنَ الأدلَّةِ على تَحْرِيمْ العُقوقِ كِفَايةٌ وَلو لم يَكُنْ لِلْعَاقِّ مِن العُقُوبَةِ إلاَ مَا يُرى مِنَ سُوءِ حَالِهِ لَكَفَى فإنَّكَ تَراهُ غَالِبَاً في أَبْأَسِ الحَالاَتِ وَآلاَمِها وَأَشَدِّهَا وَتَراهُم بَعِيْدَينَ عَن عَطْفِ القُلْوبِ عِنْدَ مَن عَلِمُوا حَالَهُم

لا يَحْنُوْ عَلَيْهِم صَدْيقٌ وَلاَ شَفِيْقٌ وَلاَ قَرِيْبٌ ، وَلا يأخُذُ بَيَدِهِمْ كَرِيْمٌ في كُرْبَةٍ ، وَلا يَرْغَبُوْنَ في مُصَاهَرَتِهِ خَشْيَةَ أنْ يَجْذِبُوا أَوْلاَدَهُمْ فيكونُوا مِثْلَهُم عَاقِّيْنَ .

بِخِلافِ البَارِّيْنَ فَإنكَ تَراهُمْ وَنَراهُمْ مُحَبَّبِينَ إلى القُلُوْبِ يَتَمَنَّى كُلُّ مَنْ يَعْرِفُهُم وَيَفْهَمُ بِرَّهُمْ وَصِلَتُهُم أنْ يَتَقَدَّم إلَيْهِمْ بِمَا يُحِبُّوْنَ وَتَجِدُهُم إذا وَقَعُوا في شِدَّةٍ يَتَرَحَّمُ النَّاسُ عَلَيْهِمْ ، وَيدْعُوْنَ لهُم بالخُرُوجِ مِنْهَا على أيْسَرِ الأحْوالِ وَأَقْرَبِها ، هَذَا حَالُهُمْ في الدّنْيَا التِيْ لَيْسَتْ هِيَ دَارَ الجَزَاءِ فَكَيْفَ في الآخِرَة دَارِ الجَزَاءِ ؟

وَمِنْ أقْبَحِ مَظَاهِرِ العُقُوْقِ أَنْ يَتَبَرَّأ الوَلَدُ مِنْ وَالِدِيْهِ حِيْنَ يَرْتَفِعُ مُسْتَوَاهُ الاجْتِمَاعِيُّ عَنْهُمَا كَأنْ يَكُونَا فَلاَّحِيْنِ أوْ نَجَّارِيْنِ أوْ صَنَّاعِيْنِ وَهُوَ يَعِيْشُ في تَرَفٍ وَيَتَسَنَّمُ بَعْضَ الوَظَائِفِ الكِبَارِ فَيَخْجلُ مِنْ وُجُوْدِهِمَا في بَيْتِهِ عِنْدَ زُمَلائِهِ بِرَثَاثَتِهِمَا وَزِيِّهِمَا القَدِيْمِ .

وَرُبَّمَا سُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ أَبِيْهِ مَنْ هَذَا الذِيْ يُبَاشِرُ فَقَالَ هَذَا خَادِمٌ عِنْدَنَا مُسْتَأْجَرٌ لِشُئُوْنِ البَيْتِ لِأَنَّهُ يَتَوَهَّمُ أنَّ هَذِهِ الهَيْئَةِ وَاللِّبَاسَ تَتَنَافى مَعَ وَظِيْفَتِهِ أوْ مَقَامِهِ الاجْتِمَاعِيّ الكَبِيْرِ وَهَذَا بلا شَكٍ بُرْهَانٌ على سَخَافَةِ عَقْلِهِ وَقِلَّةِ دِيْنِهِ وَالنفسُ العَظِيْمَةُ الشَّرِيْفَةُ تَفْتَخِرُ وَتَعْتَزُّ بِمَنْبَتِهَا وَأَصْلِهَا أبِيْهَا وَأُمِّهَا مَهْمَا كَانَتْ حَيَاتُهُما وَنَشْأَتُهُمَا وَبِيْئَتُهُمَا وَهَيْئَتُهمَا .

وَلاَ يَبْعُدُ أَنْ يُوْجَدَ مِنْ النِّسَاءِ اللاّتِيْ يُقَالُ لَهُنَّ مُتَعَلِّمَاتٌ إذَا سُئِلَتْ عن أُمِّهَا مَنْ هَذِهَ أنْ تَقُولَ هَذِهِ فَرَّاشَةٌ عِنْدَنَا أَوْ طَبَّاخَةٌ أوْ خَدَّامَة نَعُوذُ باللهِ مِنْ الانْتكَاسِ وَعمَى البَصِيْرَةِ رَبَّنَا لا تُزغْ قلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إنَّكَ أَنْتَ الوَهّابُ .

وَذَكَرَ بَعْضُهُم أنَّ رَجُلاً كَانَ مِن المَياسِيْرِ بالبصْرَةِ يَتمَنَّى أَنْ يُرْزَقَ وَلَداً ،

وَيَنْذُرَ عَلَيْهِ حَتَّى وُلِدَ لَهُ فسرَّ بِهِ غَايَةَ السُّرُوْرَ وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ حَتَّى ارْتَفَعَ عَنِ مَبْلَغِ الأَطْفَالِ إلى حَدِّ الرِّجَالِ ، وَلَمِ يَهُمَّهُ شيءٌ مِنْ أَمْرِ الدُنْيَا سِوَى هَذا الوَلَدِ وَلَمْ يُؤخِرّ مُمْكناً مِنَ الاحْسَانِ عَنْهُ ، فَلَمْ يَشْعُرُ الأَبُ ذَاتَ يَوْمٍ إلا بِخَنْجَرٍ خَالطَ جَوْفَهُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ .

فَاسْتَغَاثَ بِابْنِهِ مَرَّتَيْنِ فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَالْتَفَتَ فَاذَا هُوَ صَاحِبُ الضَّرْبَةِ فَقَالَ الشَيْخُ وَهُوَ يَضْطَرِبُ مِنَ الأَلَمِ لَاَ إِلهَ إلا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، صَدَقَ اللَّهُ أَرَادَ بِالتَّهْلِيْلِ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ بالايْمانِ .

وَأَرَادَ بالاسْتِغْفَار أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَذَّرَهُ فَلَمْ يَحْذَرْ مِنَ ابْنِهِ وبِقَوْلِهِ : صَدَقَ اللَّهُ قَوْلُه تَعَالى ﴿ انَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأوْلَادكُم عَدُوٌّ لَكمُ فاحْذَرُوْهُم ﴾ فَجَمَعَ في هَذِهِ الكَلِماتِ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إليهِ في هَذِهِ الحَالِ .

قال بعضهم ممن تضرر بأقربائه ومعارفه :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا الخَيرَ مَن لَيْسَ بَيْنَنَا ... ولا بَيْنَهُ وُدٌ بِهِ نَتعَرَّفُ
فما سَامَنَا ضَيْماً ولا شَفَّنَا أَذَى ... مِنَ النَاسِ إلاَّ مَن نَوَدُّ ونألَفُ

آخر : أَرَى أَنَّ الشدائدَ فيها خَيْرٌ ... وَإنْ جَرَّعَتْنِي غُصَصاً بِرِيْقِي
وَمَا مَدْحِيْ لَهَا حُباً ولَكِنْ ... عَرَفْتُ بِهَا عَدُوّيْ مِن صَدِيْقِي

أَرَانِي وقَومي فَرَّقَتْنَا مَذَاهِبُ ... وإنْ جَمَعَتْنَا في الأُصُوّلِ المَنَاسِبُ
فأقصَاهُمُ أَقصَاهُم عَنْ مَسَاءَتِي ... وأَقْرَبُهُمْ مِمَّا كَرِهْتُ الأَقَارِبُ
نَسِيْبُكَ مَن نَاسَبْتَ بالود قَلْبَهُ ... وجَارُكَ مَن صَافَيْتَه لاَ المُصَاقِبُ
وأعظَمُ أَعْدَاء الرجالِ ثِقَاتُها ... وأَهْوَنُ مَن عَادَيْتَهُ مَنْ تُحَارِبُ

وقال آخر :

وما زِلْتُ مُذْ نَمَّ العِذَارُ بِوَجْنَتِي ... أُفَتِّشُ عن هَذَا الوَرَى وأُكَشِّفُ
فما سَاءَنِي إلَّا الذِينَ عَرَفْتُهُمْ ... جَزَ الله خَيراً كُلَّ مَن لَيْسَ نَعْرِفُ

وقال بَعْضُ الآبَاءِ الذِيْنَ ذَاقُوا عُقُوْقَ الأوْلَادِ لابْنٍ لَهُ :

غَذَوْتُكَ مَوْلُوداً وَعِلْتُكَ يَافِعاً ... تُعَلُّ بِمَا أُدْنِي إِلَيْكَ وَتُنْهَلُ

إذا لَيْلَةٌ نَـابَتْكَ بالسُّقْمِ لَـمْ أَبِـتْ ... لذِكْـرِكَ إلَّا سَـاهِـراً أَتَمَـلْمَـلُ
كَـأَنِّـي أنَـا المَطْـرُوقُ دُونَكَ بالـذِي ... طُـرِقْـتَ بِـهِ دُونِـي وَعَيْنِي تَهْمِـلُ
تَخَـافُ الـرَّدَى نَفْسِـيْ عَلَيْكَ وَإِنَّهَـا ... لَتَعْـلَمُ أَنَّ المَـوْتَ حَـتْمٌ مُـؤَجَّـلُ
فَلَمَّـا بَلَغْـتَ السِّـنَّ وَالغَـايَـةَ الَّتِي ... إليهـا مَـدَى مَـا كُـنتُ فِيْـكَ أُؤَمِّـلُ
جَعَلْتَ جَـزَائِيْ مِنْكَ جَبْهَـاً وَغِلْظَةً ... كَـأَنَّـكَ أَنْـتَ المُنْعِـمُ المُتَفَضِّـلُ
وَسَـمَّيْتَنِيْ باسْـمِ المُفَنَّـدِ رَأْيُـه ... وَفـي رَأْيِـكَ التَّفْنِيْدُ لَوْ كُنْتُ تَعْقِلُ
تَـراهُ مُعَـدّاً لِلْخِـلافِ كَـأَنَّـه ... بِـردٍّ عَـلى أهْـلِ الصَّـوَابِ مُـوكَّـلُ
فَلَيْتَكَ إذْ لَـمْ تَـرْعَ حـقَّ أُبُـوَّتِـيْ ... فَعَلْتَ كَمـا الجَـارُ المُجَـاوِرُ يَفْعَـلُ
فَأَوَلَيْتَنِيْ حَـقَّ الجِـوَارِ وَلَـمْ تَكُـنْ ... عَـليَّ بِمَـالِيْ دُونَ مَـالِـكَ تَبْخَـلُ

وَقَالَ آخـرُ مِمَّنْ ذَاقَ وَتَجَرَّعَ أَلَمَ العُقُوقِ :

يَـوَدُّ الـرَّدَى لِـيْ مِـنْ سَـفَاهَةِ رَأيِـهِ ... وَلَـو مُـتُّ بَـانـتْ لِلعَـدُوِّ مَقَـاتِـلُه
إذَا مَـا رَآنِـيْ مُقْبِـلاً غَـضَّ طَـرْفَـهُ ... كَـأنَّ شُـعَاعَ الشَّـمْسِ دُوْنِيْ يُقَابِلُه

(مـواعـظ وفـوائـد)

رُبَّ مَسْرُوْرٍ مَغْبُون يأكلُ ويَشْرَبُ ويَضحكُ وقد حُقَّ لَهُ في كِتابِ اللَّهِ عَزَّ وجَل أنَّه مِن وقُودِ النار . مِن الغُرور ذِكْرُ الحَسَناتِ ونِسْيَانُ السيئات .

وقـال بلالُ بنُ سَعْـد : يَا أُولي الألْبَاب لِيتَفَكَّرَ مُتفكِّرٌ فيما يَبْقَى له ويَنْفَعُهُ . أمَّا مَا وَكَلكم الله عَزَّ وَجلَّ به فَتُضَيِّعُونَه . وأمَّا مَا تَكَفَّلَ لكم به فَتَطْلُبُونه ما هَكذا نعتَ الله عبادَهُ المؤمنين .

أذوُوُا عُقُولٍ في طَلَبِ الدنيا ويُلَهٌ عَمَّا خُلِقْتُم له فَكَما تَرجُونَ اللَّهَ بما تُؤدُوْنَ مِن طاعَتِه فكذلك أشْفِقُوا مِن عَذاب الله بما تَنْتَهِكُونَ مِن مَعَاصِيه .

وقال : عِبَادَ الله إعلموا أنكم تَعْمَلُونَ في أيامٍ قِصار لأَيَّامٍ طِوال ، وفي دَارِ زَوَالٍ لِدَار مَقَام ، وفي دَارِ نصَبٍ وَحُزْنٍ لِدَارِ نَعِيمٍ وخُلْدٍ .

ومَن لم يَعْمَلْ على اليقين فلا يَتعَنَّ .

عِبادَ الله هل جاءَكُم مُخْبِرٌ يُخَبِرُكُم أنَّ شيأً مِن أَعْمالِكُمْ تُقَبِّلَ منكم أو شيأً من أعمالكم غُفِر لكم .

قَال أبُـو عمرو الأوزاعي : ليسَ ساعةٌ مِن سَاعَاتِ الدنيا إلا وهي مَعْرُوضَةٌ على العبد يوم القِيامة يوماً فيومَا وسَاعَةً فَسَاعَة .

ولا تمر به سَاعَةٌ لم يَذْكُر الله فيها إلا وتَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عليها حَسرَات فكيف إذا مَرَّتْ به سَاعَةٌ مع سَاعَةٍ ويَومٌ إلى يوم ٍ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فَيْهِمَا فيا لَهَا مِن حَسْرَةٍ ويا لها من ندامة ويا له مِن أَسَفٍ وحُزْنٌ طويل .

إبنَ آدَمَ اعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ لا يُنْجِيْهِ إلاَّ اللَّهُ ثم عَمَلُهْ ، وتَوكَلْ رَجُلٍ لا يُصِيْبُهُ إلا مَا كَتَبهُ اللَّهُ لَهُ .

شعــــرا :

ومن يُنْفِق السَّاعَاتِ في غَيرِ طَاعَةٍ   لِخَالِقِهِ فَهْوَ السَّفيـــه المُضَيِّـــعُ

اللهُمَّ يا مُنَوِّرَ قُلُوبَ العَارِفِينَ ، يَا قَاضِي حَوائجَ السَّائِلْينَ يَا قَابلَ تَوبَةِ التَّائبينَ ويَا مُفرِّجاً عن الْمَكْرُوبين والمغمُومِينْ ، تُبْ عَلَيْنَا وَاغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنا ولجَميعِ المُسْلِمِينْ ، برَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصَلَى الله على مُحمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِينْ .

(فَصْلٌ)

في صِلَةِ الرَّحِمِ

الرَّحِمُ القَرَابَةُ ، سُمِّيَتْ بذلِكَ لأنَّها دَاعِيَةُ التَّراحُمِ بين الأَقْرِبَاءِ وَصِلَةُ الرَّحِمِ مُوْجِبَةٌ لِرِضَا الرَّبِّ عن العَبْدِ وَمُوْجَبَةٌ لِثَوَابِ اللهِ لِلْعَبْدِ في الآخِرَةِ ، وقد وَرَدَ أنها سَبَبٌ لَبسْطِ الرِّزْقِ وَتوسِيْعِهِ وسَبَبٌ لِطُولِ العُمْرِ ، وَهَذِه الأشْيَاءِ مِنَ الأمُوْرِ المَحبُوبةِ إلى العَبْدِ .

وَذلكَ حَقٌّ فَإِنَّ اللَّهَ تَعالى هُوَ الخَالِقُ لِلأَسْبَابِ والمُسَبِّباتِ ، وَقَدْ جَعَل لِكُلِّ مَطْلُوبٍ سَبَباً وَطَرِيْقاً يُنَالُ بِهِ ، وهذا جَارٍ على الأَصْلِ الكَبِيْرِ ، وَأنه مِن حِكْمَتِه وَرَحْمَتِه جَعَلَ الجَزَاء مِن جِنْسِ العَمَل فكَما أنَّ الانْسَانَ وَصَلَ رَحِمَهُ بالبرِّ والاحْسَان ، وَأدْخَلَ على قُلُوبِهِمُ السُّرُوْرَ ، وَصَل اللهُ عُمْرَهُ وَبَسَط في رِزْقِهِ وَوسَّعَهُ وَفتَح له مِنْ أبْوَابِ الرِّزْق مَا لَمْ يَكُن لهُ على بَالٍ وبَارَكَ لَهُ .

فَكَمْ مِن انْسَانٍ وَهَبَهُ اللّهُ قُوَّةً في جِسْمِهِ وَرزَانَة في عَقْلِهِ وَمَضَاءً في عَزِيمَتِهِ وبَرَكةً في عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ كَانَتْ حَيَاتُه حَافِلةً بِالأعْمَالِ الطَّيِّبَةِ ، فَهَذا حَيَاتُهُ حياةٌ طَوَيْلَةٌ وإنْ كانَتْ في الحِسَابِ قَصِيْرَةً ، لِأَنَّ المِقْيَاسَ الحَقِيْقِيّ لِلْحَيَاةِ المُبَارَكَةِ هِيَ جَلائِلُ الاعْمَالِ ، وَكَثْرَةُ الآثَارِ لَيْسَ الشُّهُورِ وَالأعْوَامِ كَماَ قَال بَعْضُهُم :

فَتىً عَاشَ أعْمَالًا جِسَاماً وإنَّماَ تُقَدَّرُ أَعْمارُ الرِجّالِ بأَعْمالِ

وقال آخـر :

العِلْمُ أنْفَسُ شَيءٍ أنْتَ ذَاخِرُهُ مَن يَدْرُس العِلْم لَمَ تَدْرُسْ مَفَاخِرُهُ

أَقْبِلْ عَلى العِلْم واسْتَقْبِلْ مَبَاحِثَهُ فأَوَّلُ العِلْم إقْبَالُ وآخِرُهُ

وَانْظُرْ إلى مَنْ مَضَى مِن العُلَمَاءِ وَالمُصْلِحِيْنَ الذيْنَ عَاشُوا زَمَناً قَلِيْلاً كَأَنَّهم لَبِثُوا قُروناً كَثِيْرَةً لِكَثْرَةِ مَا عَمِلُوا وَعِظَمِ مَا خَلَّفُوا بَيْنَمَا تَرى آخَرِيْنَ يَعِيْشُونَ زمناً طَوِيْلاً وَيَذْهَبُونَ ولا يَبْقَى لَهُم أثرٌ ولا ذِكْرٌ كمَا قِيْلَ :

كَـأنَّهُم قطُّ مَـا كَـانُـوا وَمَـا خُـلِقُـوا

ومَـاتَ ذِكْـرُهُمُـوْا بَيْنَ الـوَرَى وَنُسُـوا

وَمِنْ أَسْبَابِ البَرَكَةِ في العُمْرِ وَاللّهُ أَعْلَمُ التَّفَرُّغُ مِن الشَّوَاغِـلَ وَالشَّوَاغِبِ فمَن كَثُرَتْ شَوَاغِلُهُ وَشَوَاغِبُهُ قلِيْلُ البَرَكَةِ في العُمْرِ أو مَعْدُومُهَا لأَنَّهُ مُنِعَ مِنْ تَصْرِيْفِه في طَاعَةِ اللّهِ بِمُتَابَعَةِ شَهَوَاتِهِ وَمَلَذَّاتِهِ وَتَحْصِيْلِ مُنَاهُ

مِنْ دُنْيَاه وَمَنْ تَفرَّغَ مِن الشَّوَاغِل وَلَمْ يُقْبِلْ عَلَى طَاعَةِ اللهِ فَهُوَ أَيْضَاً مَخْذُولٌ وَمَصْرُوفٌ عَن طَرْيْقِ الاسْتِقَامَةِ وَالهُدَى وَلا بَرَكَةَ في عُمْرِهِ .

وَاذا تَأَمَّلْتَ أكْثَرَ النَّاسِ وَجَدْتَ الذِي حَبَسَهُم عَنْ طَاعَـةِ اللّهِ وَالاقْبَالِ عَلَيْهِ وَتَصْرِيْفِ أعْمَارِهِم في التَّوَجُّهِ إلَيْهِ بأَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ هُوَ كَثْرَةُ أَشْغَالِهِم فاشْتَغَلَتْ جَوَارِحُهُمْ بخِدْمَةِ الدُّنْيَا لَيْلاً ونَهاراً شُهُوراً وأعْوَاماً حَتَّى انْقَرَضَ العُمْرُ كُلُّهُ في اللَّهْوِ وَالبَطَالَةِ وَالتَّقْصِيْرِ .

وَمِن النَّاسِ مَنْ قَلَّتْ شَوَاغِلُهُم في الظَّاهِرِ لِوُجُوْدِ مَنْ قَامَ بَهَا عَنْهُم لِكَنْ كَثْرَة عَلائقِهِمْ وَتَفكُّرِاتِهِم في البَاطِنِ لِكَثْرَةِ مَا تَعَلَّقَ بِهِم مِن الشَّوَاغِبِ فهمُ مُسْتَغْرِقُونَ دائماً في التَّفْكِيْرِ وَالتَّدْبِيْرِ وَالاخْتِيَارِ والتَّقْدِيَراتِ وَالاهْتِمَامِ بأُمُوْرِ مَنْ تَعَلَّقَ بِهِمْ مِن الأَنَامِ .

لا سِيَّمَا مَنْ كَانَ لَهُ جَاهٌ وَرِيَاسَةٌ وخُطَّةٌ أو سِيَاسَةٌ فَهَذَا بَعِيْدٌ عَنْ تَصْرِيْفِ العُمْرِ وَاسْتِغْرَاقِهِ في أَنْوَاعِ طَاعَةِ الله والاقْبَالِ عليه بقَلْبِهِ وَقالبِهِ وَالحاصِلُ أنَّ الخيْرَ يَكُوْنُ غَالِباً باذْنِ اللّهِ في التَّخْفِيْفِ مِن الشَّوَاغِلِ وَالعَوَائِقَ التِي تَجْذِبُه وتَخْطُفهُ عن الطَّاعَةِ إذَا هَمَّ بهَا وَيكُوْن لا بَرَكَةَ في عُمْرِهِ أو قَلِيْلَ البَرَكَةِ فَيْهِ .

وَإنَّمَا رُتِّبَتْ البَرَكَةُ في العُمْرِ على صِلةِ الرَّحِمِ لأنَّ المَرْءَ إذَا وَصَلَ رَحِمَهُ أرْضَى رَبَّهَ فَأجَلَّهُ أقْرِبَاؤُهُ وَاحْتَرَمُوه ، فَامْتَلأَتْ نَفْسُه سُرُوراً وَشَعَرَ بمَكانَةٍ عَالِيَةٍ مِنْ أجْلِ مَا وَفَّقَهُ اللّهُ لَهُ مِنْ صَنِيْعِهِ الذِي صَنَعَ ، وَالسُّرُورُ مُنَشِّطٌ ، كَما أنَّ الحُزْنَ مُثَبِّطٌ ، وَالشُّعُورُ بالتَّعْظِيْمِ عَنْ أعْمَالٍ مَجِيْدةٍ دَاعٍ لِلإكْثَارِ مِنْهَا ، وبَذْلِ الجُهْدِ في سَبِيْلِهَا .

وإن لم يفعل لم يحصل له ذلك كما قيل :

وكَـيْـفَ يَسُـودُ المـرءُ مَـن هُــو مِثْلُهُ
بـلا مِنَّــةٍ منــه عَلَيــه ولا يَــدِ

آخر : أخو ثقةٍ يُسَرُّ بِحُسْنِ حَـالي وَإنْ لم تُدْنِهِ مِنّـي قَرَابَـهْ
أَحَبُّ إليَّ مِن أَلْفَي قَرِيْـبٍ تَبِيْتُ صُدُوْرُهُمْ لِيْ مُسْتَرَابَـهْ

وقال بعض من تضرر بالأقارب :

يَقُوْلُونَ عِزُ في الأَقَارِبِ إنْ دَنَـتْ وَمَا العِزُّ إلَّا في فِرَاقِ الأَقَارِبِ
تَرَاهُمْ جَمِيْعَاً بَيْنَ حَاسِدِ نِعْمَـةٍ وَبَيْنَ أَخِيْ بُغْضٍ وَآخَـرَ عَائِـبِ

وَكَما أنَّ الصِّحَّةَ وَطِيبَ الهَوَاءِ وَطِيْبَ الغِذَاءِ وَاسْتِعْمَالَ الأُمُوْرِ المُقَوِّيَةِ للأَبْدانِ وَالقُلُوبِ مِنْ أَسْبَابِ طُوْلِ العُمْرِ ، فَكَذَلِكَ صِلَةُ الرَّحِمِ جَعَلَها اللّهُ سَبَباً رَبَّانِيًّا مِنْ أَسْبَابِ طُوْلِ العُمْرِ .

قَالَ البَلْبَانِيّ وَالمرَادُ بِصِلَةِ الرَّحِمِ مُوَالاتُهم وَمَحَبَّتُهم أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِم لأجْلِ قَرابَتِهم وَتأكِيْدِ المُبَادَرَةِ إلى صُلْحِهِم عِنْدَ عَدَاوَتِهم وَالاجْتِهَادُ في إيْصَالِ كِفَايَتِهم بِطِيبِ نَفْسٍ عِند فَقْرِهِم وَالاسْرَاعُ إلى مُسَاعَدَتِهِم وَمُعَاوَنَتِهم عِنْدَ حَاجَتِهم .

وَمُرَاعَاةِ جَبْرِ قُلُوبِهم مَعَ التَّعَطُّفِ والتَلَطُّفِ بهم وَتَقْدِيْمُهُم في إجَابَةِ دَعْوَتِهم وَالتَّوَاضُعُ مَعَهُم في غِنَاهُ وَفَقْرِهِمْ وَقُوَّتِهِ وَضَعْفِهم وَمُدَاوَمَةُ مَوَدَّتِهم وَنُصْحُهُمْ في كُلِّ شُؤنِهم وَالبُدَاءَةُ بهم في الدَّعْوَةِ وَالضِّيَافَةِ قَبْلَ غَيْرِهم وَإيْثَارُهُم في الاحْسَانِ والصَّدقَةِ وَالهَدِيَّةِ على مَنْ سِوَاهُم لِأَنَّ الصَّدَقَةَ عليهم صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ .

وَفي مَعْنَاهَا الهَدِيَّةُ وَنَحْوُهَا وَيَتَأكَّدُ فِعْلُ ذَلِكَ مَعَ الرَّحِمِ الكَاشِحِ المُبْغِضِ عَسَاهُ أنْ يَعُوْدَ وَيَرْجِعَ عَنْ بُغْضٍ إلى مَوَدَّةِ قَرِيْبِهِ وَمَحَبَّتِهِ انْتَهى .

وَفي النِّهَايَةِ : قَدْ تَكَرَّرَ في الحَدِيْثِ صِلَةُ الرَّحِمِ وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الإِحْسَانِ إلى الأَقْرَبِينَ مِنْ ذَوِي النَّسَبِ وَالأَصْهَارِ ، وَالتَّعَطُّفِ عَلَيْهِم ، وَالرِّفْقِ بهم وَالرِّعَايةِ لأحْوَالِهم وَكَذَلِكَ إنْ بَعُدُوا وَأَسَاؤُا ، وَقَطْعُ الرَّحِمِ ضِدُّ ذَلِكَ كُلِّهِ .

وَفي الفَتْحِ قَالَ القُرطُبِيّ الرَّحِمُ التِي تُوْصَلُ عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ فَالعامَّةُ رَحِمُ الدِّينِ ، وَتَجِبُ مُوَاصَلتُها بالتَّوَادُدُ وَالتَّنَاصُحِ وَالعَدْلِ وَالانْصَافِ

والقِيَام بالحُقُوقِ الوَاجِبَةِ والمُسْتَحَبَّةِ ،وأمَّا الرَّحِمُ الخَاصَّةُ فَتزِيدُ النفقَةُ عَلى القَرِيْبِ ، وَتَفقُّدِ أَحْوَالِهم ، وَالتَّغَافُلِ عَنْ زَلَّاتِهم وَتَتَفاوَتُ مَرَاتِبُ اسْتِحَقاقِهم في ذَلِكَ كَما في الحَدِيْثِ الأقرَبُ فَالأقْرَبُ .

آخر : مَاذَا عَليَّ وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِيْ رَحِميْ أنْ لا أُحِبُّكُمُوْا إِنْ لَم تُحِبُونِي
لا أَسْأَلُ الناسَ عَمَّا في ضَمَائِرِهِم ما في ضَمِيْري لَهُمْ من ذاك يَكْفِيْنِيْ

آخر : مِن الناسِ من يَغْشَى الأَبَاعِدَ نَفعُهُ وَيَشْقَى بِهِ حَتى الْمَاتِ أَقَارِبُهُ
فإِنْ كان خَيْراً فالْبَعِيْدُ يَنَالُهُ وإِنْ كان شَرَاً فابْنُ عَمِّكَ صَاحِبُهْ

آخر : وَإِذَا تَكُوْنُ كَرِيْهَةٌ أدْعَى لَهَا وإذا يُحَاسُ الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدُبُ
هَذا لَعَمْر كُمُوْا الصَّغارُ بِعَيْنِهِ لَا أمَّ لِيْ إنْ كَانَ ذَاكَ ولا أَبُ

وَقَال ابنُ أَبِي جَمْرَةِ : تكُونُ صِلَةُ الرَّحِم بالمَالِ وَبالعَوْنِ على الحَاجَةِ ، وَبدْفعِ الضَّرَرِ وَبَطلاقَةِ الوَجْهِ ، وبالدُّعَاءِ ، وَالمعْنَى الجامِعُ إِيْصالُ مَا أمْكَنَ مِنَ الخَيْرِ ، وَدَفْعُ مَا أَمْكَنَ مِنَ الشَّرِّ بحَسَبِ الطَّاقَةِ .

وَهَذَا إِنَّمَا يَسْتَمِرُّ إِذَا كَانَ أَهْلُ الرَّحِمِ أَهْلَ اسْتِقَامَةٍ فَإِنْ كَانُوا كُفَّاراً أوْ فُجَّاراً فَمُقَاطَعَتُهم في اللهِ هِيَ صِلَتُهم ، بشَرْطِ بَذْلِ الجُهْدِ في وَعْظِهم ثُمَّ إِعْلامُهم إذَا أصرُّوا بأنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ تَخَلُّفِهم عَنْ الحَقِّ ، وَلا يَسْقُطُ مع ذَلِكَ صِلَتُهم بالدُّعَاءِ لَهُم بِظَهرِ الغَيْبِ أن يَعُودُوا إلى الطَّرِيْقِ المُثْلَى هـ

شعـرا :

ولَقَدْ بَلَوْتُ الناسَ ثَمَّ خَبرتُهُمْ وعَلِمْتُ ما مِنهُم من الأَسْبَابِ
فإذا القَرابَةُ لا تُقَرِّبُ قَاطعاً وإِذَا الدِّيَانةُ أَقْرَبُ الأَسْبَابِ

وَمِن اللطَائِفِ أَنَّ ابْنَ المَقرِّيْ كَتَبَ لِوَالِدِهِ حِيْنَ امْتَنع عَنِ النَّفقَةِ عليهِ :

لا تَقْطَعَنَّ عَادَةَ بِرٍ ولا
تَجْعَلْ عِتَابَ المَرْءِ في رِزْقِهِ

فَــإِنَّ أمْــرَ الإِفْــكِ مِـنْ مِسْــطَحٍ
يَـحُطُّ قَــدْرَ الـنجـمِ مِــنْ أُفْقِــهِ
وَقَـدْ جَـرَى مِنْـهُ الـذِي قَـدْ جَـرَى
وَعُــوتِـبَ الـصِّــدِّيْـقُ فـي حَــقِّــهِ

فَأَجَابَهُ وَالِدُه مُبَيِّناً لَهُ السَّبَبَ لِذَلِكَ المَنْعِ :

قَــدْ يُمْنَــعُ الـمُضْــطَرُّ مِـنْ مَيْـتَــةٍ
إِذَا عَصَى فـي السَّيْــرِ فـي طُــرْقِــهِ
لأَنَّــهُ يَــقْــوَى عَــلى تَــوْبَــةٍ
تُــوْجِــبُ إِيْــصَــالاً إِلــى رِزْقِــهِ
لَــوْ لَـمْ يَتُـبْ مِن ذَنْبِــهِ مِسْــطَحٌ
مَــا عُــوْتِبَ الصِّــدِّيْقُ في حَـقِّــهِ

وَمِمَّا يَدْخُلُ في صِلَتِهم تَعَهُّدُهُمْ بالتَّرْبِيَةِ وَالتَّوْجِيْهِ حِيْنَ يَكُونُونَ صِغَارا مُحْتَاجِيْنَ إلى تَوْجِيْهِهم إلى الدِّيْنِ الحَنِيْفِ وَالأَخْلاَقِ الفَاضِلَةِ وَمِمَّا يَدْخُلُ المُبَادَرَةُ في عِلاجِهِم عِنْدَمَا يُمْرَضُونَ وَزِيَارَتُهم إذا غَابُوا عَنْهُ ، وَعِيَادَتُهم عِنْدَما يُمْرَضون ، وَإِشْعَارُهُم أَنَّه مَعَهُمَ دَائِماً .

اللّهُم هَبْ لَنَا مَا وهَبتهُ لأَوْلِيائِكَ وتوفَّنا وأنتَ رَاضٍ عنّا وقَد قَبلْتَ اليَسيرَ منّا واجْعلنَا يا مْولانا مِنْ عِبادِكَ الدينَ لا خَوفٌ عَليهِمْ ولا هِمْ يَحزنُونَ واغْفِرْ لَنا ولِوَالِديْنَا ولِجَميعِ المُسْلِمِيْنَ برحمتك يا أَرحَم الرَّاحِمِيْنَ وصلَّى اللَّهُ على محمّدٍ وعلى آلهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وَقَدْ وَرَد في الحَثِّ عَلى صَلَةِ الرَّحِمِ وَالتَّحْذِيرِ عَنْ قَطِيْعَتِها آيَاتٌ وَأَحَادِيْثُ كَثِيْرَةٌ ، نَذكُرُ طرَفاً مِنْهَا ، قَالَ اللهَ تَعالى ﴿وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ﴾ أيْ قَرَابَتَكَ مِنْ أَبِيْكَ وَأُمِّكَ وَالمُرَادُ بِحَقِّهِمْ بِرُّهُمْ وَصِلَتُهُم .

وَقَالَ تَعَالى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الذِيْ تَسآءَلُوْنَ بِهِ وَالارَحامَ ﴾ أيْ اتَّقُوا الأَرْحَامَ أنْ تَقْطَعُوهَا ﴿ وَالذِيْنَ يَصِلُونَ مَا أمَر اللهُ بِهِ أنْ يُوْصَلَ ﴾ المُرَادُ الرَّحِمُ وَالقَرَابَةُ .

وَأخْرَجَ البُخَارِيّ وَمُسْلِمُ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولَ اللهَ صَلى الله عليه وسلم قالَ « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللّهِ وَاليَوْمِ الآخر فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِر فَليَصلْ رَحِمَه ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللّه وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيراً أوْ لِيَصْمُتْ » .

وَأخْرَجَ أَبُو يَعْلَى باسْنَادٍ جَيِّدٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ خَثْعَم قَالَ أَتَيْتُ النبي صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي نَفرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقُلْتُ أنْتَ الذي تَزْعَمُ أنك رَسُولُ اللهِ ؟ قال « نَعَمْ » قلتُ يَا رَسُولَ اللّهِ أيُّ الأعْمَالِ أحبُّ إلَى اللهِ ؟ قَالَ « الأيْمَانُ باللّهِ » قُلْتُ يَا رَسُوْلَ اللهِ ثُمَّ مَهْ .

قَالَ « ثُمَّ صِلَةُ الرَّحِم » قَالَ قُلْتُ يَا رَسُوْلَ اللهِ أيُّ الأعْمَالِ أبْغَضَ إلى اللهِ ؟ قَالَ « الإشْرَاكُ باللهِ » قَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ ثُمَّ مَهَ ؟ قَالَ ثم قَطِيْعَةُ الرَّحْمِ قَالَ قُلْتُ ثُمَّ مَهْ قَالَ الأمْرُ بالمُنْكَرِ وَالنَّهْي عَنْ المَعْرُوْفِ .

وَأخْرَجَ البُخَارِيّ وَمُسْلِم وَغَيْرُهُمَا عَنْ أبي أيُّوْب رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أنَّ أعْرَاباً عَرَضَ لِرَسُوْلِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَأخَذَ بِخطَامِ نَاقَتِهِ أو بِزِمَامِهَا ثُمَّ قَالَ يَا رَسُوْلَ اللهِ أو يَا مُحَمَّدُ أخبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي مِن النَّارِ ، قَالَ فَكَفَّ النَبي صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ثمَّ نَظَرَ في أصحَابِهِ ثُمَّ قَالَ « لَقَدْ وُفِّقَ أوْ لَقَدْ هُدِيَ » قَالَ كَيْفَ قلت ؟ قَالَ فأعَادَهَا فَقَالَ النبي صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم « تَعْبُدُ اللهَ لا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً وَتُقِيْمَ الصَّلاَةَ وَتؤتِيْ الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ » .

وَفي رِوَايَةٍ وَتَصِلُ ذَا رَحِمِكَ فَلَمَّا أدْبَرَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَى الله عليه وسلم « إنْ تَمَسَّكَ بِمَا أمَرْتُهُ دَخَلَ الجَنَّةَ » وَأخْرَجَا أيْضاً عَنْ عَائِشَةَ

عَنِ النَّبِيِّ صَلَى اللعُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « الرَّحِمُ مُعلَّقَةٌ بالعَرْشِ تَقُوْلُ مَنْ وَصَلَنِيْ وَصَلَهُ اللّهُ ، وَمَنْ قَطعَنِيْ قَطعَهُ اللهُ » .

وَأخرَجَا أَيْضاً عَنْ أَبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللّهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إنَّ اللّهَ تَعَالَى خَلَقَ خَلْقاً حَتَّى إذَا فَرَغَ مِنْهُم قَامَتِ الرَّحْمُ زَادَ رِوَايَةِ البَيْهَقِي فَأَخَذَتْ بِحِقْوَيْ الرَّحْمَنِ فَقَالَ مَهْ ؟ فَقَالَتْ هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنْ القَطِيْعَةِ قَالَ نَعَمْ أمَا تَرْضَيْنَ أنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَاقطَعَ مَنْ قَطعَكِ ؟ قَالَتْ بَلَى قَالَ فَذَاكَ لَكِ » ثُمَّ قَالَ رسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إقْرَؤُا انْ شِئْتُمْ«فَهَلْ عَسَيْتُم إنْ تَوَلَّيْتُم أنْ تُفْسِدُوا في الأرْضِ وَتُقَطِّعُوا أرْحَامَكُمْ أوْلَئِكَ الـذِيْنَ لَعَنَهُم اللهُ فَأصَمَّهُم وَأعْمَى أبْصَارَهُم » .

وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ أنَّ رجُلاً قَالَ يَا رَسُوْلُ اللهِ إنَّ لِيْ قَرَابَةً أَصْلُهُم وَيَقْطَعُوني وَأحْسِنُ إليهم وَيُسِيئُونَ إليَّ ، وَأحْلَمُ عَنْهُم وَيَجْهَلُوْنَ عَلَيَّ فَقَالَ « لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأنَّما تُسِفُّهُمْ المَلَّ وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيْراً عَلَيْهِم مَا دُمْتَ على ذِلِكَ ، رواهُ مُسْلِم .

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ أبو طَلْحَةَ أكْثَرَ الأنصَارِ بالمدينةِ مَالاً مِنْ نَخل وَكَانَ أحـبّ أمْوَالِهِ إليهِ بَيْرُحَاءَ ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم يَدْخُلُهَاوَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فيها طَيِّبِ.

فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةِ ﴿ لَنْ تَنالُوا البرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ قَامَ أبُو طَلحَةَ إلى رَسُولِ اللهِ صَلَى اللهُ عليهِ وَسَلَّم فَقَالَ يَا رَسُوْلُ اللهِ إنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ ﴿ لَنْ تَنالُوا البرَّ حَتَّى تُنْفِقُوْا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ وَإنْ أحَبَّ أمْوَالِيْ اليَّ بَيْرُحَاءَ، وَإنَّهَا صَدَقَة لِلَّهِ فقال رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابحٌ ، وقَد سَمِعْتُ مَا قُلْتَ ، وَإنّي أرَى أنْ تَجْعَلَهَا في الأَقْرَبين » فَقَالَ أبُو طَلْحَةَ أفعَلُ يا رسول اللهِ ، فَقَسَمَها أبُو طَلْحَةَ في أقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أُمِّ المؤمِنينَ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الحَارِثِ رضي اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيْدَةً وَلَمْ تَسْتَأذِنْ النَّبِيّ صلى اللهُ عليهِ وَسَلم فَلَمَّا كَانَ يَوْمُها الذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيْهِ قَالَتْ أَشَعَرْتَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنِّي أَعْتَقْتُ وَلِيْدِتِي قَالَ : أَوَ فَعَلْتِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ قَالَ : « أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لأجْرِكَ » مُتَّفَقٌ عليه .

وَفي حَدِيْثِ أَبي سُفْيَانَ في قِصَّةِ هِرَقْل أَنَّهُ قَالَ لأبي سُفْيَانَ مَا يَأْمُرُكُم بِهِ يَعْنِي النبي صلى اللهُ عليه وَسَلَّم قُلْتُ يَقُولُ « اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوْا بِهِ شَيْئاً ، وَاترُكُوا ما يَقُولُ آبَاؤُكُم وَيَأْمُرُنَا بالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ ، متفق عليه .

وَأَخْرَجَ الأمَامُ أَحْمَدُ باسْنَادٍ جَيِّدٍ قَوِيّ وَابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عنهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَقُولُ الرَّحِمُ شَجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمنِ تَقُولُ يَا رَبِّ إِنِّيْ قُطِعْتُ يَا رَبِّ إِنِّي أُسِيءَ إليَّ يَا رَبِّ إنّي ظُلِمْتُ يَا رَبِّ يَا رَبِّ فَيُجِيْبُهَا ألاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ،

وَذِي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أَضْفَارَ ضِغْنِهِ
بِحِلْمِي عَنْهُ وهْوَ لَيْسَ لَهُ حُلْمُ
يُحَاوِلُ رَغْمِيْ لاَ يُحَاوِلُ غَيْرَهُ
وكَالموتِ عِنْدِيْ أن يَحِلَّ به الرَّغْمُ
فإنْ أَعْفُ عنه أغْضِ عَيْنَاً على قذى
وَلَيْسَ لَهُ بالصَفْحِ عن ذنبهِ عِلْمُ
وإنْ انْتَصِرْ منه أَكُنْ مِثْلَ رَائِشٍ
سِهَام عَدُوٍ يُسْتَهاضُ بِهَا العَظْمُ
صَبَرْتُ على ما كا بَيْني وبَيْنَهُ
وما تَسْتَوِيْ حَرْبُ الأَقَارِبِ والسِّلْمُ

وبـادَرْتُ مِنْـهُ الـنـأيَ والمـرءُ قَـادِرٌ
عَـلَى سَـهْمِهْ مـا دَامَ فـي كَفِّـهِ السَّهْمُ
وَيَشْتِـمُ عِـرْضـيْ في المغَيَّب جَـاهِـداً
ولَيْـسَ لَـه عِنْـدِيْ هَـوَانٌ ولا شَـتْمُ
إذا سُـمْتُهُ وَصْـلَ القَـرَابَـةِ سَـامَنِيْ
قَطِيْعَـتَهَـا تِـلْكَ السَّـفَـاهَـةُ والإِثْـمُ
وإن أدْعُـهُ لِلنِّـصْـفِ يَـأْبَـى ويَعْصِني
ويَـدْعُـو لِحُكْمٍ جَـائِـرٍ غَـيْرُهُ الحُـكْمُ
فَـلَولا اتِّـقَـاءُ الله والـرِّحِـمِ الـلَّتِيْ
رِعَـايَتُهـا حَـقٌّ وَتَعْـطِـيْلُهَـا ظُـلْمُ
إذا لَعَــلاهُ بَــارِقــي وخَـطْمُــتُهُ
بِـوَسْـمِ شَـنَـارٍ لاَ يُشَـابِهُـهُ وَسْـمُ
وَيَسْـعَـى إذا أَبْنِي لِهَـدْمِ مَصَـالِحِـي
وَلَيْـسَ الـذي يَبْنِيْ كَمَنْ شـأنُـهُ الهَدْمُ
يَـوَدُّ لَـو أَنِّـي مُعْـدِمٌ ذُوْ خَصَـاصَـةٍ
وأكْـرَهُ جُهْـدِي أَنْ يُخَـالِـطَـهُ الـعُـدْمُ
ويَعْـتَـدُ غنمـاً فـي الحَـوَادِثِ نَكْـبَتِي
ومـا إنْ لَـهُ فَيْـهَا سَـنَاءٌ ولا غُـنْمُ
ومـا زِلْـتُ فـي ليْـنِيْ لَـهُ وتَعَـطُـفِيْ
عليـه كمـا تَحْنُـوْ عـلى الـوَلَـدِ الأُمُّ
وخَفْـضٍ لَـهُ مِـنِّي الجَنَـاحَ تَـأَلُّفـاً
لتُـدْنِيَـهُ مِـنِّي القَـرَابَـةُ والـرَّحْـمُ
وقَـوْلِـيْ إذا أخْشَـى عليـه مُلِمَّــةً
أَلاَ اسْلَمْ فِدَاكَ الخالُ ذُو العَقْدِ والعَمُّ

وصَبْرِيْ عَلَى أَشْيَارَ مِنهُ تُرِيبُنِي
وكَظْمٍ على غَيْظِي وقَدْ يَنْفَعُ الكَظْمُ

لأَسْتَلَّ مِن الظَّعْنَ حَتَّى اسْتَلَلْتُهُ
وقَدْ كان ذَا ضِغْنٍ يَضِيْقُ به الجرْمُ

رَأَيْتُ إنثلاماً بَيْنَنَا فرَقَعْتُهُ
برِفْقي وإحْيائي وقد يُرقَعُ الثَلْمُ

وأبْرأتُ غِلَّ الصَّدْرِ مِنْهُ تَوسُعاً
بحِلْمِيْ كما يُشْفَى بالأدْوِيَةِ الكَلْمُ

فَدَاوَيْتُهُ حتَّى ارْفأَنَّ نِفارُهُ
فَعُدْنَا كَأَنَّا لم يَكُنْ بَيْنَنَا جُرْمُ

وأطْفَأَ نارَ الحَرْبِ بَيْني وبَيْنَه
فأصْبَحَ بَعْدَ الحَرْبِ وهُوَ لَنا سِلْمُ

وَاللَّهُ أعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(**فَصْلٌ**) وَأَخْرَجَ الأمامُ أحْمَدُ أيْضاً باسْنَادٍ رُوَاتُه ثِقَاتٌ وَالبَزَّارُ عَنْ سَعِيْدِ بنِ زَيْدٍ رَضِيَ الله عنه عن النبي صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنَّهُ قَالَ إنَّ مِنْ أرْبَى الرِّبَا الاسْتَطَالَةُ في عِرْضِ المُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَإنَّ هَذِهِ الرَّحِمَ شُجْنَةٌ مِن الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجلّ فَمَنْ قَطَعَهَا حَرَّمَ اللهُ عليهِ الجَنَة .

وَأَخْرَجَ البَزَّارُ باسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « الرَّحِمُ شَجْنَةٌ مُتَمَسِّكَةٌ بِالعَرْشِ تَكَلَّمَ بِلَسَانٍ ذَلِقٍ اللهُمَّ صِلْ مَنْ وَصَلَنِيْ وَاقْطَعْ مَنْ قَطَعَنِيْ فَيَقُوْلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنَا الرَّحْمَنُ الرَّحِيْمُ وَإنِّيْ شَقَقْتُ الرَّحِمَ مِنْ اسْمِيْ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَن بَتَكَهَا بَتَكْتُهُ .

شعرا : إنِّيْ لِيَمْنَعُنِي من قَطْعِ ذِيْ رَحِمٍ ... مَا جَاء في الذِّكْرِ مَعْ مَا جَاءَ في السُّنَنِ
إنْ لَانَ لِنْتُ وَإنْ دَبَّتْ عَقَارِبُهُ ... إليَّ جَازَيْتُهُ بالصَّفْحِ لا الظَّغَنِ

إِذَا هَجَرُوْا عِزاً وَصَلْنَا تَذَلُّلاً وَإِنْ بَعُدُوْا يَأساً قَرِبْنَا تَعَلُّلَا
وَإِنْ أَغْلَقُوْا بِالهَجْرِ أَبْوَابَ وَصْلِهِم وَقَالُوا أُبْعُدُوا عَنَّا طَلَبْنَا التَّوَصُّلَا
وإِنْ مَنَعُونا أَنْ نجُوزَ بأَرْضِهِمْ وَلَم يَسْمَعُوْا الشكوى وَرَدُّوْا التَّوَسُّلَا
أَشَرْنا بِتَسْلِيْمٍ وَإِنْ بَعُدَ المَدَى إِلَيْهِمْ وَهَذا مُنْتَهَى الوَصْلِ أَكْمَلَا

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيّ وَابْنُ خزَيْمَةَ في صَحِيْحِهِ وَالحَاكِمُ ، وقَالَ عَلَى شَرْطِ مُسْلِم عَنْ أمِّ كُلْثُوْمَ بِنْتِ عُقْبَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيّ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِيْ الرَّحِمِ الكَاشِحِ » يَعْنِي أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِيْ الرَّحِمِ المُضْمِرِ العَدَاوَةِ وَهُوَ في مَعْنَى قَوْلِهِ صلى اللهُ عليه وَسَلَّم « وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ » .

قَالَ النَّاظِمُ :

وَكُنْ وَاصِلَ الأَرْحَامِ حَتَّى لِكَاشِحٍ
تُوَفَّرُ في عُمْرٍ وَرِزْقٍ وَتَسْعَدُ
وَلَا تَقْطَعِ الأَرْحَامَ إِنَّ قَطِيْعَةً
لِذِي رَحِمٍ كُبْرَى مِنَ اللّهِ تُبْعِدُ
فَلَا تَغْشَى قَوْمَاً رَحْمَةُ اللّهِ فِيْهِمُ
ثَوَى قَاطِعٌ قَدْ جَاءَ ذَا بِتَوَعُّدِ

وَأَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَ بِسَنَدٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ عن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رَضْيَ اللهُ عَنه قَالَ لَقِيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم فَأخَذْتُ بِيَدِهِ فَقُلْتُ يا رَسُولَ اللهِ أخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الأَعْمَالِ فَقَالَ « يَا عُقْبَةُ صِلْ مَنْ قَطعَكَ وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ » وَفِي لَفْظٍ وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ .

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيّ عَنْ عَلِيّ رِضْوَانُ اللّهِ عَلَيْهِ قَالَ قَالَ النبيّ صلى اللهُ عليه وسلَّم « ألا أدُلكَ عَلَى أكْرَمِ أخْلَاقِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ؟ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ وَأَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ورواه البزار عن عبادة بن الصامت مرفوعاً بلفظ ألا أدلكم عَلَى مَا يَرْفَعُ اللّهُ بِهِ

الدَّرَجَاتِ ؟ قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُوْلَ اللّهِ قَالَ « تَحْلَمُ عَلَى مَنْ جَهِلَ عَلَيْكَ ، وَتَعْفُوْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ » .

وَأَخْرَجَ البُخَارِيّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ صَلى اللهُ عليه وسلم قَال « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ رِزْقِهِ وَيُنْسَأَلَهُ في أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » وَلِلْبُخَارِيّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَلَهُ في أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » .

وَرَوَاهُ التِّرْمِذيّ بِلَفْظ « تَعَلَّمُوْا مِنْ أَنْسَابِكَمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّة في الأَهْلِ ، مَثْرَاةٌ في المَالِ مَنْسَاةٌ في الأَثَرِ » وَمَعْنَى (مَثْرَاةٌ في المال) أَيْ زِيَادَةٌ فيهِ وَمَعْنَى (مَنْسَاةٌ في الأثر) النَّسَأُ أَيْ زِيَادَةٌ في عُمُرِهِ أَيْ يُؤَخَّرُ لَهُ في أَثَرِهِ وَهُوَ الذِّكْرُ الحَسَنُ فِيْهِ يَكْتَسِبُ صَاحِبُهُ حَسَنَاتٍ وَهُوَ في القَبْرِ بالدّعَاءِ الصَّالِحِ له أو الاقْتِدَاءِ بِهَ في صَالِحِ عَمَلِهِ .

ذِكْـرُ الفَتى عُمْـرهُ الثـاني وحَـاجَتُهُ مـا قَـاتَـهُ وفُضُـولُ العَيْشِ أَشْـغَالُ

آخــر :

دَقَّـاتُ قَلْـبِ المَـرْءِ قَـائِـلَةٌ لَـهُ إنَّ الحَيَــاةَ دَقَــائِـقٌ وَثَـوانِـيْ
فَارْفَـعْ لِنَفْسِـكَ بعدَ مَـوْتِكَ ذِكْرَهَا فالـذِّكْـرُ لِلإِنْسَـانِ عُمْـرٌ ثَـانِـيْ

وَأَخْرَجَ عَبْدُ اللّهِ بنُ الأَمَامِ أَحْمَد في زَوَائِدِهِ وَالبَزَّارُ بإسْنَادٍ جَيِّدٍ وَالحَاكِمُ عَنْ عَليّ بنِ أَبِيْ طَالَبٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ في عُمْرِهِ ، وَيُوَسَّعَ لَهُ في رِزْقِهِ ، وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيْتَةَ السُّوْءِ فَلْيَتَّقِ اللّهَ ولِيَصِلْ رَحِمَهُ .

وَأَخْرَجَ البَزَّارُ بِإسْنَادٍ لاَ بَأْسَ بِهَ وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبيّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ أنهُ قَالَ « مَكْتُوبٌ في التَّوْرَاةِ مَنْ أحَبَّ أنْ يُزَادَ في عُمْرِهِ ، وَيُزَادَ في رِزْقِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » .

وَأخْرَجَ الطَّبَرانِيّ بإسْنَادٍ حَسَنٍ وَالحَاكِمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهمَا قَال قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إنّ اللهَ لَيَعْمُرُ بالقَوْمِ الدّيَارَ ويُثْمِرُ لَهُمُ الأمْوالَ ، وَمَا نَظَرَ إليهم مُنْذُ خَلَقَهُم بُغْضاً لَهُم » قِيْلَ وَكَيْفَ ذَلكَ يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ قَال « بصِلَتِهم لأرْحَامِهم » .

اللَّهُم ثَبِّتْ قلوبَنَا على دِيْنِكَ وألهمْنَا ذكرَكَ وشُكرَكَ واخْتِمْ لَنَا بخَاتمَةِ السَّعَادَةَ واغْفِرْ لَنَا وَلولِدَيْنا وجَميْعِ المُسْلِمِيْنَ برَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلَّى اللَّهُ على محمدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

فَصْلٌ ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ لِصِلَةِ الرَّحِمِ فَوَائِدُ جَمَّةٌ وَثَمَرَاتٌ مُحَقَّقَةٌ وَنَتَائِجُ حَسَنَةٌ في حَيَاةِ المُسْلِمِ وبَعْدَ وَفَاتِهِ وَقَدْ رَتَّبَ النَّبيّ ﷺ عَلَى صِلَةِ الرَّحِمِ أمْرَيْنِ مُحَقَّقَيْنِ هُمَا بَسْطُ الرِّزْقِ وَسَعَتُهُ وَالانْسَاءُ في الأثرِ ومُسَاعَدَةُ ذَوِيْ القُرْبَى وَصِلَتُهُمْ وَاجِبٌ دِيْنيٌ نَدَبَ اللَّهُ إليهِ وَجَاءَتْ الأحَادِيْثُ مُبَيِّنَةً أنَّهُ مِن آكَدِ وَاجِبَاتِ المَرْءِ في حَيَاتِهِ يَدْعُوْكَ لَهُ الشَّفَقَةُ وَالحَنَانُ والعَطْفُ والرَّحْمَةُ على ذَوِي قُرْبَاكَ .

وَلَيْسَ مِنْ البِرِّ مُسَاعَدَةُ الخَامِلِ الكَسْلاَنِ وَتَشْجِيْعُهُ عَلَى البَطَالَةِ وَالكَسَلِ وإنَّما البِرُّ والصِّلَةُ في مُسَاعَدَةِ مَنْ فَقَدَ أَسْبَابَ العَمَلِ وَلَمْ تَتَهَيَّأْ لَهُ طُرُقُ المَكَاسِبِ وَعَلَيْكَ أنْ تُعَامِلَهُمْ مُعَامَلَةَ الرِّفْقِ وَاللِيْنِ فَتَحْتَرِمَ كَبِيْرَهُم وَتُجِلَّهُ وَتُحْسِنَ إلى صَغِيْرِهِمْ وَتَتَجَاوَزَ عَنْ هَفَوَاتِهِمْ وَتَغُضَّ الطَّرْفَ عَنْ زَلاَّتِهِمْ وَتُقَابِلَ المُسِيءَ مِنْهُمْ بالاحْسَانِ لا بالاسْتِكْبَارِ وَالاسْتِنْقَاصِ لأنَّهُم أقَارِبُكَ وَأوْلَى النَّاسِ بِمَودَّتِكَ وَعَطْفِكَ وَرَحْمَتِكَ ومما يُوَلِّدُ المحبةَ والحَنَانَ الهَدَايَا قال بَعْضُهم

هَدَايَا الناس بَعْضُهُمُ لِبَعْضٍ ... تُوَلِّدُ في قُلُوبِهِمُ الوِصَالاَ
وتَزْرَعُ في الضَّمِيْرِ هَوَىً وَوُداً ... وَتَكْسُوْكَ المَهَابَةَ والجَلاَلاَ

آخر : فَلاتَكُ مَنَّاناً بِخَيْــــرٍ فَعلْتَــهُ   فَقَدْ يُفْسِدُ المَعْرُوْفَ بِالْمَنِّ صَاحِبُــــهْ

وَهُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ بَعْدَ أُصولِكَ وَفُرُوْعِكَ وَحَواشِيْكَ يَتَمَنَّوْنَ سَعَادَتَكَ هَنَاءَكَ وَيَرْجُوْنَ لَكَ الخَيْرَاتِ فَجَدِيْرٌ بِكَ أَنْ تُسَارِعَ إلى مُواسَاتِهِم وَعِيَادَتِهِم إذَا مَرِضُوا وَالسَّلام عَلَى مَنْ قَدِمَ مِنْهُم وَتَوْدِيْعِهِ إذا سَافَرَ وَمُشَارَكَتِهِم في أَفْرَاحِهِمْ وَإظهَارِ السُّرُورِ لَهُم وَمُشَاطَرَتِهِمْ في أتْرَاحِهِمْ وَتَخْفِيْفِ آلامِ الحُزْنِ عَنْهُمْ وَالْاسْرَاعِ في قَضَاءِ حَوائِجِهِم وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الأعْمَالِ الطَّيِّبَةِ وَالمَظَاهِرِ الشَّرِيْفَةِ فَبِذَلِكَ تُضِيْفُ قُوَّتَكَ إلى قُوَّتِهِمْ فَيُسْرِعُوْنَ إلى إجَابَتِكَ وَدَفْعِ الأذَى عَنْكَ فِي مُلِمَّاتِكَ أ هـ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجه وَابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحه والحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيْحُ الاسْنَادِ عن ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ قَالَ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بالذَّنْبِ يُصِيْبُهُ وَلاَ يَرُدُّ القَدَرَ إلا الدُّعَاءَ ، وَلاَ يَزِيْدُ في العُمْرِ إلا البِرُّ » .

وَرَوَى الامَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ مَرْفُوْعَا « صِلَةُ الرَّحِمِ ، وَحُسْنُ الجِوَارِ ، أَوْ حُسْن الخُلُقِ ، يَعْمُرانِ الدِّيَارَ ، وَيَزِيْدَانِ في الأعْمَارِ » .

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيّ وَابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ عن أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ أَوْصَانِي خَلِيْلِي صلى اللهُ عليه وَسَلَّمَ بِخِصَالٍ مِن الخَيْرِ أَوْصَانِيْ أن لا أَنْظُرَ إلى مَنْ هُوَ فَوْقِي،وَأَنْ أَنْظُرَ إلى مَنْ هُوَ دُوْنِي ، وَأَوْصَانِيْ بِحُبِّ المَسَاكِين والدّنُوِ منهم ، وَأوْصَانِي أَنْ أصِلَ رَحِمِي وَإنْ أدْبَرَتْ ، وَأَوْصَانِيْ أنْ لا أخَافَ في اللّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ ، وَأَوْصَانِي أَنْ أقولَ الحَقَّ وَإنْ كَانَ مُرًّا ، وَأَوْصَانِيْ أَنْ أُكْثِرَ مِن قَوْلِ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلا باللّهِ فَإنَّهَا كَنْزٌ مِن كُنُوْزِ الجَنَّةِ .

شعـــرا :

الذِّكْرُ أَصْدَقُ مِنْ سَيْف وِمنْ كُتُبٍ   فاعْمَلْ بِهِ تُحْرزْ الأعْلَى من الرُّتَـــبِ

فيه جَمِيْعُ الذِي يَحْتَاجُــه البَشَـــرُ   وَسُنّةُ المُصْطَفَى من بَعْـــدِه تُصِبِ

آخر : العِلْم فيما أَتى بِالذِكرِ مَطْلَبُهُ   وَمَا عن المُصْطَفى قَدْ جَاءَ في الكُتُبِ

وَأَخْرَجَ البُخَارِيّ وَأَبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيّ عَنْ عَبْدِ اللّٰهِ بن عَمْروِ بنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبيّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَيْسَ الوَاصِلُ بالمَكَافِي ، وَلَكِنّ الوَاصِلُ الذي إذَا قطعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا » .

وَعَنْ أبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم « مَا مِنْ ذَنْبٍ أجْدَرُ أنْ يُعَجّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ في الدُّنْيَا مَعَ مَا يُدَّخَرُ لَهُ في الآخِرَةِ مِن البَغْي وَقَطِيْعَةِ الرَّحِمِ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه وَالتِّرْمِذِيّ وَقَالَ حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ وَالحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيْحُ الاسْنَادِ .

وَعَنْ أَبِي مُوْسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « ثَلاَثَةٌ لا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ مُدْمِنُ خَمْرٍ ، وَقَاطِعُ رَحِمٍ ، وَمُصَدِّقٌ بالسِّحْرِ » رَوَاهُ ابنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ .

وَرَوَى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ « أَسْرَعُ الخَيْرِ ثَوَاباً البِرُّ وَصِلَةُ الرَّحِم ، وَأَسْرَعُ الشَّرِّ عُقُوبَةً البَغْيُ وَقَطِيْعَةُ الرَّحِمِ » رَوَاهُ ابنُ مَاجَه .

وَعَنْ أَبْي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عَنهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ علَيْهِ وَسَلَّم قَالَ « إنَّ أَعْمَالَ بَنِيْ آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيْسٍ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ فَلاَ يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ .

وَرَوَى عَنْ جَابِرِ بن عَبْدِ اللهِ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ خَرجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ مُجْتَمِعُوْنَ فَقَالَ « يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ اتقُوا اللّٰهَ وَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ فإنَّهُ لَيْسَ ثَوَابٌ أَسْرَعُ مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ ، وَإيَّاكُم وَالبَغْيَ فَإنّهُ لَيْسَ مِنْ عُقُوبَةٍ أسْرَعُ مِن عُقُوبَةِ بَغْيٍ وَإيَّاكُم وَعُقُوق

الوَالِدَيْنِ ، فَإِنَّ رِيْحَ الجَنَّةِ يُوْجَدُ مِنْ مَسِيْرَةِ ألف عَامٍ ، وَاللّهِ لا يَجِدُهَا عَاقٌ وَلاَ قَاطِعُ رَحِمٍ وَلاَ شَيْخٌ زَانٍ وَلاَ جَارٌّ ازارهُ خُيلاَءَ ، إنَّمَا الكِبْرِيَاءُ لِله رَبِّ العَالَمِيْنَ » .

شِعْرَاً :

خَفِّضْ هُمُـومَـكَ فَـالحَيَـاةُ غَـرُوْرُ
وَرَحَى المَنُـونِ على الأَنَـامِ تَـدُوْرُ
وَالْـمَـرْءُ في دَارِ الـفَـنَـاءِ مُـكَـلَّفٌ
« لاَ مُـهْـمَـلٌ فِـيْـهَـا وَلاَ مَـعْـذُوْرُ »
وَالنَّـاسُ في الـدُّنْيَـا كَظِلٍ زَائِـلٍ
كُـلٌّ إلى حُكـمِ الفَـنَـاءِ يَصِـيْـرُ
فَـالنِّكْسُ وَالمَلِكُ المُتَـوَّجُ وَاحِـدٌ
لا آمِـرٌ يَـبْـقَـى وَلاَ مَـأْمُـوْرُ
عَجَبَـاً لِمَنْ تَـرَكَ التَّـذَكُّـرَ وَانْثَنَى
في الأَمْـرِ وَهُـوَ بِعَيْشِـهِ مَغْـرُوْرُ
وَإذَا القَضَـاءُ جَرَى بَـأَمْرٍ نَـافِذٍ
غَلِطَ الـطَّبِيْـبُ وَأَخْـطَأَ التَّـدْبِيْـرُ
إنْ لُمْتُ صَرْفَ الدَّهْـرِ فيه أجَـابَنِيْ
أبَـتِ النُّهَى أنْ يُـعْتَـبَ المَقْـدُوْرُ
أَوْ قُلْتُ لَـهْ أينَ المُؤَيَّـدُ قَـالَ لِيْ
أَيْـنَ الْمُـظَفَّـرُ قَـبْـلُ وَالمَنْصُـوْرُ

أَمْ أَيْنَ كِسْرَى أَزْدَ شِيْرُ وَقَيْصَرُ
وَالهُرْمُزَانُ وَقَبْلَهُمْ سَابُوْرُ
أَيْنَ ابْنُ دَاوُدَ سُلَيْمَانُ الذِيْ
كَانَتْ بِجَحْفَلِهِ الجِبَالُ تَمُوْرُ
وَالرِّيْحُ تَجْرِي حَيْثُ شَاءَ بِأَمْرِهِ
مُنْقَادَةً وَبِهِ البِسَاطُ يَسِيْرُ
فَتَكَتْ بِهِمْ أَيْدِيْ المَنُونِ وَلَمْ تَزَلْ
خَيْلُ المَنُوْنِ على الأَنَامِ تُغِيْرُ
لَوْ كَانَ يَخْلُدُ بالفَضَائِلِ مَاجِدٌ
مَا ضَمَّتِ الرُّسُلَ الكِرَامَ قُبُوْرُ
كُلٌ يَصِيْرُ إلى البِلَى فَأَجَبْتُهُ
إِنِي لأَعْلَمُ وَاللَّبِيْبُ خَبِيْرُ
أَنَّ الحَيَاة وَانْ حَرِصْتَ غرُوْرُ
وَرَأَيْتُ كُلاًّ يُعَلِّلُ نَفْسَهُ
بِتَعِلَّةٍ وَإِلى الفَنَاءِ يَصِيْرُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللّهِ إِنَّ النَّصِيْحَةَ غَالِيَةٌ ذَاتُ أَهَمِيَّةٍ عَظِيْمَةٍ عِنْدَ ذَوِيْ الأَلْبَابِ وَالفُهومِ لأَنَّها إِرْشَادٌ إلى الصَّوَابِ وَتوجِيْهٌ نَحْوَ العَمَلِ الصَّالِحِ وَالأَخْلاَقِ الفَاضِلَةِ وَالسِّيْرَةِ الحَسَنَةِ وَهِدَايَةٍ إلى مَا يَعُوْدُ نَفْعُه وَفائِدَتُه عَلى المَنْصُوحِ بالسَّعَادَةِ وَالعِزِّ والنَّصِيْحَةُ تَبْصِيْرٌ بالمضَارِّ حَتَّى لا يَقَعَ فِيْهَا مَن لاَ يَعْرِفُهَا .

وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنَّ النَّاصِحَ ذَا رَأْيٍ ثَاقِبٍ وَعَقْلٍ رَاجِحٍ قَدْ جَرَّبَ الأُمُورَ وَعَرَكَتْهُ الأيَّامُ وَاللَيَالِي وَذَاقَ حُلْوَهَا وَمُرَّهَا وَانْتَفَعَ بِمَا رَآهُ فِيْهَا مِنْ عُسْرٍ وَيُسْرٍ وَفَرَحٍ وَسُرورٍ وَخَلَّصَ قَلْبَهُ مِنْ هَمٍّ قَاطِعٍ وَغَمٍّ شَاغِلٍ لِيَسْلَمَ رَأيُه وَتَخْلُصَ نَصِيحَتُه مِنْ الشَّوَائِبِ المكدِّرَةِ .

فَيَا عِبَادَ اللّهِ إنَّ الدِّيْنَ هُوَ النَّصِيْحَةُ يُسْدِيْهَا المُؤْمِنُ لإخْوَانِهِ لا يَبْغِي عَلَيْهَا جَزَاءً وَلا شُكُورًا إلاّ مِنْ رَبِّهِ وَخَالِقِهِ يَبْذُلُها خَالِصَةً لِوَجْهِ اللّهِ قَاصِداً بِهَا نَفْعَ عِبَادِ اللّهِ وَالأَخْذَ بِأَيْدِيْهِم إلى طُرُقِ السَّدَادِ سَارَ عَلى ذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ وَالمُؤْمِنُوْنَ الاتقِيَاءِ .

قَالَ تَعَالَى اخْبَاراً عَنْ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ﴿ وَأَنْصَحُ لَكُم ﴾ وَعَن هُوْدٍ ﴿ وَأنا لكمُ نَاصِحٌ أمِيْنٌ ﴾ وعَنْ صَالِحٍ ﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ وَعَن شُعَيْبٍ ﴿ وَنَصَحْتُ لَكُم ﴾ وَعَنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ يَنْصَحُ قَوْمَهُ ﴿ وَقَال الذِيْ آمَنَ يَا قَومِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمُ سَبِيْلَ الرَّشَادِ ﴾ الآياتِ فَالنَّصِيْحَةُ عَلاَمَةُ الحُبِّ وَالاخْلاَصِ وَالوَقَارِ .

فَاذَا عَلِمْتَ أَنَّ شَرّاً سَيَنْزِلُ بِمُؤْمِنٍ غَافِلٍ عَنْهُ فَوَاجِبٌ عَلَيْكَ أَنْ تُنَبِّهَهُ وَتُحَذِّرَهُ لِيَأْخُذَ حِذرَهُ مِنْ الكائِدِيْنَ وَأَسْرِعْ بأخْبَارِهِ كَمَا حَذَّرَ رَجُلٌ مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ تَعَالى ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ من أَقْصَى المدِيْنَةِ يَسْعَى قالَ يَا مُوسَى إنَّ المَلأَ يَأتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَأخْرُجْ إنِّي لكَ مِنْ النَّاصِحِيْنَ فَخَرَج مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِيْ مِنْ القَوْمِ الظّالِمِيْنَ ﴾ .

وَإِنْ رَأَيْتَ إنْسَاناً تَرَدَّى في المعَاصِيْ وَانْغَمَسَ في المُوْبِقَاتِ وَاتَّبَعَ شَيْطَانَهُ وَهَوَاهُ وَرَكِبَ رَأسَهُ وخالَفَ مَوْلاَهُ فَخُذْ بِيَدِه إلى طَرِيْقِ الرَّشَادِ

وَادْعُهُ بالتِي هِيَ أَحْسَنُ إلى المتابَ وَطَاعَةِ رَبِّ العِبَادِ وذَكِّرْهُ بالمَوْتِ وَسَكَراتِهِ وَالقَبْرِ وَظُلُمَاتِهِ وَالحِسَابَ وَمُنَاقَشَاتِهِ وَالصِّرَاطَ وَعَثَراتِهِ وَالنَّارِ وَعَذابِهَا وَمَا أَعَدَّ اللّهُ لاهْلِهَا مِنْ ألوَانِ العَذَابِ وَذكِّرْهُ بالضَّرِيْعِ وَالزَّقُّومِ وَوَيْلٍ وَغَسَّاقٍ وَغِسْلِيْنَ .

وَذَكِّرْهُ بالجَنَّةِ وَنعِيْمِهَا وَمَا أَعَدَّ اللّهُ لأَهْلِهَا مِمَّا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ فَلَعَلَّ اللّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ بِسَبَبِكَ .

وَانْ اسْتَنْصَحكَ أخُوْكَ المُسْلِمُ في زِوَاجٍ مَنْ كُنْتَ تَعْرِفُ فَوَضِّح لَهُ وَبَيِّنْ مَا تَعْرِفُ مِن العُيُوبِ فإِنْ كَتَمْتَ العُيُوْبَ وَأظْهَرْتَ المحَاسِنَ فأنَتَ مِن الخائِنين وَانْ أسْتَنْصَحكَ في مُسَاهَمَةٍ أَو شِرَاءِ عَقَارٍ أو بَيْتٍ أو شِرَاءِ سِلْعَةٍ فَأَحِبَّ لَهُ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَشِرْ عَلَيْهِ بمَا تُحبُّ أنْ يُشَارَ عَلَيْكَ بِهِ لَوْ كُنْتَ في مَكانِهِ .

فَانْ غَرَّرْتَ بهِ فَانْتَ مِن المُنَافِقِيْنَ . وَانْ طَلَبَ مِنْكَ مَشُوْرَةً في دِيْن أو دُنْيَا فَرجِّحْ لَهُ مَا تَرى فِيْهِ الصَّلاحُ وَلا تَنْتَظِرْ حَتَّى يَطْلُبَ مِنْكَ النُّصْحُ فَإذا رَأيْتَهُ في خَطأٍ فَوَجِّهْهُ وابْذُلِ النَّصِيْحَةَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ .

إبْذُلْهُ لِلأَبِ كَمَا فَعَلَ الخَلِيْلُ إبْذُلْهُ لابْنائِكَ وَكُنْ كَمَا كَانَ لُقْمَانُ الحَكِيْمُ لابْنِهِ وَقُلْ لَهُم مِثْلَ مَا قَالَ لَهُ ﴿ يَا بُنَيَّ أقِمِ الصَّلاةَ وَأمُرْ بالمَعْرُوفِ وَانْهَ عن المنكرِ وَاصْبِرْ عَلى مَا أصَابَكَ إنَّ ذلكَ من عزمِ الأمورِ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ في الأرضِ مَرَحاً إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُوْرٍ ﴾ .

انْصَحْهُم عَن قُرَنَاءِ السُّوْءِ وَعن مَجَالِسِ اللَّهْوِ وَالفُسُوقِ وَالعِصْيَانِ كَمَجالِس التّلِفْزْيُونِ وَالسِّينَماءِ وَالكُوْرَةِ وَمَجالِسِ الغِيْبَةِ وَالكذِبِ وَالسُّخْرِيَةِ

وَالاسْتِماع إلى الغِنَاءِ مِن المِذْيَاعِ وَالبَكَماتِ وَالمطْربْينِ وَالمطربَاتِ وَانْصَحْهُم عَنْ تَعاطِيْهَا بَيْعًا وَشِرَاءً وَأُجْرَةً واعارَةً وَحذِّرهُمْ مِن مُخَالَطَةِ مُتَعاطِيْهَا وَمُقَارَبتِهِ وَمُجاوَرَتِهِ ومَشَارَكتِه ومُصَاهَرته » .

شِعْرَاً : احْفَظْ نَصِيْحَةَ مَنْ بَدَا لَكَ نُصْحُهُ
وَلِرَأْيِ أَهْلِ الخَيْرِ جَهْدَكَ فاقْبَلِ

واللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ)

في الاحْسَانِ الى اليَتِيْمِ وَالأَرْمَلَةِ والمِسْكِينَ

اعْلَمْ وَفَّقَنا اللَّهُ وَايَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمين أنَّ في كَفَالَةِ اليَتِيْمِ وَالاحْسَانِ اليْهِ وَالسَّعْي على الأَرْمَلةِ وَالمسْكِين فَضْلٌ عَظِيْمٌ يَجدُهُ مَنْ وَفقهُ اللَّهُ لِلْقِيَام بهِ ﴿يَوْمَ تَجدُ كلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ المرء مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾

وَاليَتِيْمُ هُوَ مَنْ مَاتَ أَبُوهُ وَلَمْ يَبْلُغْ ، وَالجَمْعُ أَيْتَامٌ وَهُمْ الذِيْنَ فقدوا أَبَاهُم الذِي كَانَ يَرْعَاهُم بنَفْسِه وَمَالِهِ وَيُحِبُّهُم مِنْ أعْمَاقِ قَلْبِهِ وَيُؤثِرُ مَصْلَحَتَهُم على مَصْلَحَتِهِ .

وَانَّ مِمَّا يُذْرِفُ الدَّمْعَ مِنَ العَيْنِ سَاخِناً سَاعَةَ المَوْتِ صِبْيَةٌ صِغَاراً وَذُرِّيَةٌ ضُعَفَاءُ يُخلِّفُهُم السيِّتُ ورَاءَهُ يَخْشَى عَلَيْهِم مِنْ مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَصُرُوفِهَا وَيَتَمنَّى وصِيّاً مُرْشِداً يَقُومُ مَقَامَهُ يَرْعَاهُم كرِعَايتِهِ وَيَسُوسُهُم كَسِيَاسَتِهِ يُعزِّيْهِمْ برُّهُ وَلُطْفُهُ عَنْ أَبيهِم الرَّاحِلِ وَيَجِدونَ عِنْدَه مِنْ العِنَايَةِ وَالقِيَامَ بمَصَالِحِهِم مَا يَكُونُ بإِذْنِ اللهِ سَبَباً لإِخْرَاجِهِم رِجَالاً في الحَيَاةِ

يَمْلَؤُوْنَ العُيَوْنَ وَيَشْرَحُونَ الصُّدُوْرَ .

فَالذِي يَكْفَلُ اليَتِيْمَ وَيَتعَهَّدُهُ وَيُلاَحِظُهُ وَيُوَدِّبُه وَيُهَذِّبُ نَفْسَهُ وَتَطمِئِنُّ قلوُبُ أقاربهِ إذا رَأَوْهُ وَكأنَّ وَالِدهُ حَيٌّ لا يَفْقِدُ من وَالِدِهِ إلا جِسْمَهُ ، فَلا غَرْوَ أنْ كَانَ مَكانُهُ عِنْدَ اللّهَ عَظِيْمَا ، وَكانَ حَرِيًا أنْ يَكُونَ لِرَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ صَاحِباً في الجَنَّةِ يَتَمَتَّعُ بمَا فِيْهَـا مِنْ النَّعِيْمِ المقِيْمِ ، كَما قَامَ بمَا وَفَّقَهُ اللهُ لَهُ مِنْ رِعَايةِ اليَتِيْمِ .

فَفَي هَذَا تَرْغِيْبٌ في كَفَالَةِ الأَيْتَامِ وَالعِنَايَةِ بأُمُورِهِمْ فَلَهُم حَقٌّ على المُسْلِمْينَ سَوَاءٌ كَانُوا أقَارِبَ أو غيْرَهُم ، وَيَكُوْنَ ذَلِكَ بكفَالِتِهم وبِرِّهِم وَجَبْرِ قُلُوبِهِم وَتأدِيْبِهِم أَحْسَن تَرْبَيَةٍ في مَصَالِح دِيْنِهم وَدُنْيَاهُمْ .

وَلِذَلِكَ أوْصَى جَلَّ وَعلا بالاحْسَانِ إليهم لِيَصِيْرُوا كَمَنْ لم يَفْقِدْ وَالِدَيْهِ ، قَالَ تَعالَى ﴿ يَسْأَلُونَك عَنْ اليَتَامَى قُلْ إصْلاَحٌ لهُم خَيْرٌ ﴾ وَعن أبِي أُمامَة رضَي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ « مَن مَسَحَ رَأْسَ يَتِيْمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إلا لِلّهِ كَانَ لَهُ بكُلِّ شَعْرَةٍ تَمُرُّ عليها يَدُهُ حَسَنَاتٍ .

وَأَمَّا الأَرْمَلَةُ فَهْيَ التِي مَاتَ زَوْجُهَا ، فَهِيَ في حَاجَةٍ إلى المُلاَحَظَةِ لأنَّها ضَعِيْفةِ وَحَاجَاتُ النِّسَاءِ كَثِيْرةٌ دَقِيْقَةٌ وَجلِيْلَةٌ يَرْفَعُهَا المَسْكَنُ وَالمأكَلُ والمَلْبَسُ وَهُنَاكَ أشْيَاءُ كثِيرةٌ مِنْ ذلِكَ الدُّهْنُ وَالطِّيْبُ وَالمِشْطُ وَالمِكْحَلة وَأوَانِيْ لِشُوؤُنِهَا في حَالِ طَبْخِهَا وَفي حَالِ الحُلِّيّ وَأُمُور أُخْرَى يَطُولُ ذِكْرهَا وتَعْدَادُهَا.

وَالمُهِمُّ أنَّ الذِي يَكْدَحُ وَيَنْصَبُ لِيَكْفِيْ تِلْكَ الأَرْمَلَةِ حَاجَاتِهَا أوْ بَعْضِهَا بَعْدَ أنْ فَقدَتْ زَوْجهَا الذي كانَ يَرْعَاهَا ويُؤْنِسُهَا وَيُنْفِقُ عَلَيْهَا

وَيُسْكِنُهَا مَعَهُ ، فهُوَ بِذلِكَ الإِحْسَانِ يُخَفِّفُ عَنْهَا مِنْ أَلَمِ المُصِيْبَةِ ، وَيُسَلِّيْهَا عن الفَجِيْعَةِ ، وَيَكفُّ يَدَهَا عن السُّؤَالِ والنَّظَرِ لِمَا في أَيْدِيْ الناسِ ، وَيَصُونُ وَجْهَهَا ، فَهَذَا كَالمجَاهِدِ في سَبِيْلِ اللهِ ، لَه أجْرٌ عَظِيْمٌ عِنْدَ اللّهِ عَزَّ وَجلَّ .

وَكَذَلِكَ السَّاعِيْ عَلى المَساكِيْنِ ، وَهُمُ الذِيْنَ أَسْكَنَتْهُم الحَاجَة فَلا يَجِدُونَ مَا يَكْفِيْهِم في قُوْتِهم وَكِسْوَتِهم وَسُكْنَاهُم ، إِمَّا لِفَقْدِ المَالِ ، وإِمَّا لِعَجْزٍ عن الكَسْبِ لمرَضٍ أَوْ لِصِغَرٍ أَوْ لِزَمَانَةٍ أَوْ لِعَمىً ، أو الذي تَقَطَّعَتْ بِهِ الاسْبَابُ ، وأظلَمَتْ عَلى عينِهِ الدنيا وَانْغَلَقْتِ في وَجْهِهِ الأَبْوَابُ ، يَسْتَحِقُّ السَّعْيَ عَلَيْهِ مِمَّنْ وَفَّقَهُ اللّهُ لِذَلِكَ ، وَالأخذَ بِيَدِهِ .

وَيُعَانُ عَلى العَمَلِ بالقَرْضِ وَالايْجَارِ أَوْ مَا يَسْتَعِيْنُ بِهِ عَلى نَفَقَةِ نَفْسِهِ وَأهْلِهِ بأيِّ عَمَلٍ يُحْسِنُهُ مِن تَعْلِيْمٍ أَوْ صَنْعَةٍ أو زِرَاعَةٍ أو تِجَارَةٍ أو وَظِيْفَةٍ يَكُفُّ بِهَا وَجْهَهَ ، وَقَدْ يَكُونُ المِسْكِيْنُ مِن الاقارِب أو ذَا رَحِمٍ يَجِبُ وَصْلُهَا فَيَعْظُم حَقُّهُ ، وَيكوُنُ السَّعْيُ عليهِ بِرّاً وصِلةً يكتَبُ أَجْرُه عندَ الله أَضْعَافاً مُضَاعَفةً ، وهَذِهِ فُرْصَة ثَمِيْنةٌ لِمَنْ وَفقَهُ اللهُ لِلْقِيَامِ بِهَا !

والخُلاَصَةُ :

أَنَّ الذي يَجْمَعُ المالَ بعَرَقِ جَبِيْنِهِ لا لِيُنْفِقَهُ في السَّرَفِ وَالبَذْخِ واللذةِ وَالسُّمعةِ ، وَلَكِنْ لِيَسُدَّ به جَوْعَةَ المِسْكِيْنِ وَاليَتِيْمِ وَيُغْنِيَهِ عَنْ السُّؤَالِ فَيَحْفَظُ عَلى وَجْهِهِ مَاءَ الحَيَا وَعَلى نفَسِه خُلُقَ العَفَافِ يَكُونُ حَرِيّاً بمرْتَبَةِ المُجَاهِدِيْنَ وَمنْزِلَةِ المقَرَّبين ، فاخدِمْ بمالِكَ وَوقْتِكَ وَقُوَّتِكَ وَسَعْيِكَ وجَاهِكَ ذَوي الحَاجَاتِ وأَرْبَابَ العَاهَاتِ تَنَلْ باذْنِ اللهِ المَنْزِلَةَ العَالِيَةَ الخالِدَة . تَنْبِيْه : بشَرْطِ أن يَكُونوُا من المؤمنين بالله .

ذَكَرَ الوَعِيْدَ فَطرفُهُ لا يَهْجَعُ … وجَفَا الرُقَادَ فَبَان عَنْهُ المُضْجَعُ
مُتَفَرِّداً بقَلِيْلِهِ يَشْكُوْ الَذِيْ … مِلْءَ الجَوانِح وَالحَشَا يَسْتَوْجِعُ
لَمَّا تَيَقَّنَ صِدقَ مَا جَاءَتْ بِهِ الّـ … آياتُ صَارَ إِلىَ الإنَابَة يُسْرِعُ

فَجَفَا الأَحِبَّةُ في مَحَبَّـــةِ رَبِّـــه وَسَما إليهِ بِهِمَّـــةٍ ما يُقْلِـــعُ
وَتَمَتَّعَتْ بِـــودَادِهِ أَعْضَـــاؤُهُ إِذْ خَصَّهَا مِنْهُ بودٍ يَنفَـــعُ
كَمْ في الظَّلامِ لَهُ إذَا نَامَ الـــوَرَى مِنْ زَفْرَةٍ في إِثْرِهَا يَتَوَجَّـــعُ
وَيقُولُ في دَعَـــوَاتِهِ يا سَيِّـــدِي العُيْنُ يُسْعِدُهَا دَمُـــوْعُ رُجَّـــعُ
إنِّي فَزِعْتُ إليكَ فارْحَمْ عَبْـــرَتِيْ وَإليكَ مِن ذُلِّ الْخَطِيئَةِ أَفْـــزَعُ
مَنْ ذَا سِوَاكَ يُجِيْرُنِيْ مِن زَلّتِـــيْ يَامَنْ لِعِزَّتِهِ أَذِلُّ وأَخْضَـــعُ
فَامْنُنْ عَلَيَّ بتَوْبَةٍ أُحْيَـــا بِهَـــا إِنِّي بِمَـــا اجْتَرَأْتُ يَدَايَ مُـــرَدَّعُ

مَوْعِظَة : عِبادَ الله - الـدنيا مَلْأى بالمصائب والآلام ، والأَحزانِ والأسقام غِنَاها فقْر وعِزُّها ذُلّ . والآجَالُ فيها مَعْدُودة والأَعمارُ مَحْدُوْدة ، قال تعالى : ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ .

نعيمها إلى فناء وعيشها إلى انقضاء متاعُها قليل ، وحسابُها طويل - الخلود فيها لا يكون لإنسان والبقاء الدائم لا يكون إلا للديَّان الذي يقول : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ .

فالسعيدُ مَن اسْتَعَدَّ لِيوم الرَّحِيل ، وجَهَّزَ نفسَه بالعمل الصالح لِسفرٍ طويل ، وتَفَكَّرَ فِيمَنْ سَبَقُوه إلى دارِ القرار ، وعَلِمَ أنه لا حقٌّ بهم مَهْمَا حَاوَلَ الفِرار ، والأمرُ بعدَ ذلك إمّا نَعِيمٌ مُقِيمٌ أوْ شَقَاءٌ وعذابٌ أليم .

فيا مَن بَنَيْتَ الآمَالَ وقَصرَّتَ في الصالح مِن الأَعمال ، تنبَّه لِلْمَوتِ ، فإن نِسيْانه ضلالٌ مبين ، كَم مِن صَديقٍ لكَ ماتَ في رَيْعَانِ شَبَابَه ، وكم شَيّعْتَ إلى الـدار الآخـرةِ مِن أحْبَـابِـهِ ، تَذَكرْ يا مَغْرُوْرُ ساعةَ الاحتضارِ وخُروجِ الرَوحِ .

والأَولادُ حولَكَ يَبكُون والنِساءُ تَنُوح ، يُنادِيْكَ ولَدُكَ ، أبَتِي إني بَعدَكَ مِسْكِين ، وتَصْرُخُ الزَوجةُ يا زَوْجِي إلى أَيْنَ الرَّحِيل وهَلْ مِن رَجْعَةٍ أَوْ غِيابُكَ طَوِيل .

فَتُغَرْغِرُ عَينَاكَ بالدُمُوعِ ويُلْجَمُ مِنكَ اللسان ، وتُحَاوِلَ النُطقَ فَيَتَعَذَّرُ

عَليكَ الكلام ، وتَطْلُبُ النجاةَ ولكن ﴿ جَاءتْ سَكرَةُ الموتِ بالحق ذلكَ ما كنتَ منهُ تَحِيد ﴾ .

إذا عَلِمْتَ هذا يا أَخَا الإِسلام ، فكيفَ يكونُ حالُ أَبْنَائِكَ مِن بَعدِكَ . ذلٌ بعدَ عِزّ ، وحِرمانٌ بعدَ حَنَانَ يَنظُرونَ إلىَ الأَبناءِ مَعَ آبائِهِم فَيَحْزَنُونَ ، ويَذْكُرونَ عَطْفَ أبيهم فَيَبْكُون ، لَيْلُهُم نَهارٌ ، ونهارُهم لَيل .

أعيادُهم أتراحٌ وأحْزَان ، وأفراحُهُم هُمُومٌ وأشْجَان ، يَتلفَتُونَ على أَحْبَابِ أبيَهم وأَصْدِقائِهِ ، عَلَّهُم يَجِدُونَ عندهُم الحَنَان ويَشتَهون ضَمَّةً أو قُبْلةً كما يَفْعَلُ الآباءُ بالغِلمان والولدان .

فإن كُنْتَ يا مُسلِمُ في حَياتِكَ بَاراً بِمَنْ فَقَدُوا آبَاءَهُم ، عَطُوفاً على اليتامى . تَمْسَحُ دُموعَهم بخَيرِكَ ، وتُعَامِلَهُم كَوَلَدِكَ تُدْخِلُ السُرورَ على قُلُوبِهِمُ الحزينة بما تُقَدِّمُه لَهُم مِن الهَدَايَا والإحسَان ، وما تُظْهِره لَهم مِن حُبٍّ وعَطْفٍ ورِعَايةٍ وحَنَان ، إن فَعَلْتَ هذا في حَيَاتِكَ فأبْشِر .

فإن أَوْلَادَكَ بَعْدَكَ في أمان ، تَحْنُوا عليهم القُلوب ، ويَرعَاهم عَلَّامُ الغُيوب . قال تعالى : ﴿ ولْيَخْش الذين لو تركُوا من خَلفِهم ذُرِيةً ضِعافاً خَافُوا عليهم فليتَّقوا اللّهَ وليقولوا قولا سديداً ﴾ .

أيها المسلمون : إن رِعايةَ اليتيمِ مِن واجباتِ الدِين ، وإن إهمالَ شأنِه وإذْلَالَهُ وقَهْرَهُ ما يَنْبَغِي للإِنسانِ وأَكَل مالهُ يُغْضِبُ الدَيان ، ويُوجِبُ الحِرمان . قال الله تعالى ﴿ فأما اليتيمَ فَلا تَقْهَر ﴾ وقال سبحانه ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾ .

إن مِن رعاية اليتيم تَنْمِيَةُ مَالِه ، وإصلاحُ حَالِهِ بالتربيةِ والتعليم والتهذيبِ والتقويمِ قال تعالى : ﴿ ويَسأَلونَكَ عن اليَتَامَى قل إصْلَاحٌ لهم خير ﴾ .

وإنْ احتاجَ اليتمُ أَوْ الأَرملَةُ إلى مُساعَدةٍ تَعُودُ على مَصْلَحَتِه فَيْنَبغِي لِوَلِيهِ أَنْ يَستعينَ بأهلِ الفضلِ والكرمِ مِمَّنْ لَهُم قَدَمٌ ثابت في ذلك وعرق أصيل لانهم احرى من غيرهم في النفع . واحذَرِ اللِّئامَ والبُخَلاء .

شعرا : وَإِنيْ لأَرْثي لِلْكَريْمِ إِذَا غَدَا عَلَى حَاجَةٍ عِنْدَ اللَّئِيْمِ يُطَالِبُـــــهْ
وأَرْثِيْ لَهُ مِنَ وَقْفَـــةٍ عِنْدَ بَابِهِ كَمَرِّ سَنِيِّ الطِّرْفِ وَالعِلْجُ رَاكِبُـــــهْ

شِعْـراً : سَلِ الفَضْلَ أَهْلَ الفضلِ قِدْماً ولا تَسَلْ
عـلى مَـنْ نَشَـأَ في الـفـقـرِ ثُـمَّ تَمَـوَّلَا
فَلَو مَـلَكَ الـدنيـا جَميعـاً بـأَسْـرِهـا
تُـذَكِّـرُهُ الأَيَّـامُ مـا كَـانَ أَوَّلا

آخـــــر :
بَعْضُ الرِّجَال كَقَبْرِ المَيْتِ تَمنَحُهُ أَعَزَّ شَيْءٍ وَلا يُعْطِيْكَ تَعْوِيْضَـــا

آخــر :
تَجَنَّبْ بُيُـوتـاً شُـبِّعَتْ بَعـد جُـوعِهَا
فـإنَّ بَقَــاءَ الجُـوعِ فيهـا مُخَمَّـــرُ
وَآوِيْ بُيُـوتـاً جُـوِّعَـتْ بَعْـدَ شِبْـعِهَا
فـإنَّ كَـرِيْـمَ الأَصْـــلِ لَا يَتَغَـيَّرُ

آخــر :
إِيَّـاكَ إِيَّـاكَ أَنَ ترجُـوْ امـرأً حَسُنَتْ أَحْـوَالُهُ بَعْـدَ ضُـرٍّ كـانَ قَـاسَـاهُ
فَنَفْسُـهُ تِيْـكَ ما زَادَتْ ومَا نَقَصَتْ وذلِـكَ الفقـرُ فَقْـرٌ مَـا تَنَـاسَـاهُ

قَالَ في الفَتْح قَال شَيْخُنَا في شَرْحِ التِّرمذي لَعَلَّ الحِكْمَةَ في كَوْنِ كافِلِ اليَتِيْمِ يُشْبِهُ في دُخُولِهِ الجَنَّةِ أو شُبِّهتْ مَنْزِلَته في دُخُولِ الجَنّةِ بالقُرْبِ من مَنْزِلَةَ النَّبي لِكَوْنِ النَّبي شَأْنه أن يُبْعَثَ إلى قَوْمٍ لا يَعْقِلُونَ أمْرَ دِيْنِهم ، فَيكُونُ كافِلاً لَهُم وَمُعَلِّماً ومُرْشِدَا .

وَكَذَلِكَ كَافِلُ اليَتِيَم يَقُومُ بكفَالَةِ مَن لا يَعْقِلُ أَمْرَ دِيْنِهِ بل وَلا دُنْيَاهُ

ويُرْشِدُهُ وَيُعَلِّمُهُ وَيُحسِنُ أدبه انْتَهى ، قُلتُ وَكثيراً مَا يَفْعَلُ بَعْضُ النَّاسِ ذَلِكَ الاحْسَانَ زَمَناً وَيتركُهُ وَلا يُتَمِّمُ إحْسَانَهُ وَبَعْضُهم يُرَحِّبُ بذَلِكَ أوَّلَ الأمْرِ وَلا يَثْبُتُ عَلى ذلِكَ وَقَلِيْلٌ مَنْ يُتَمِّمُ كَلامه وَيَثْبُتُ عَلى جَمِيْله وَاحْسَانِهِ وَالتَّوْفِيْقُ بِيَدِ اللهِ وَقَدِيْماً قِيْلَ :

وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيْلِ بِفَاعِلٍ   وَمَا كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ

آخر :

فأكْثَرُ مَنْ تَلْقَى يَسُرُكَ قولِه   وَلَكِنْ قليلٌ مَنْ يُسُرك فِعْلُهُ

آخر :

وَفي النَّاسِ مَنْ أَعْطَى الجَمِيْلَ بَدِيْهَةً   وَظَنَّ بِفِعْلِ الخَيْرِ لَمَّا تَفكَّرَا

عَنْ أبي هُريرة رضي الله عنه قالَ قَالَ النَّبي صلى الله عليه وسلم « السَّاعِيْ على الأرْمَلَةِ وَالمِسْكِين كَالمُجَاهِدِ في سَبِيْلِ اللّهِ » رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمَالِكُ وَغَيْرُهُما وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ « لَيْسَ المِسْكِيْنُ بِهَذَا الطَّوَّافِ الذي تَرُدُّه اللّقْمَةُ وَاللقْمَتَانِ ، والتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنِ المِسْكِينُ الذي لا يَجِدُ غِنىً يُغْنِيْهِ ، وَلاَ يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ » متفق عليه .

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم « مَنْ عَالَ ثَلاَثَةً مِنْ الأَيْتَامِ كَانَ كَمَنْ قَامَ لَيْلَهُ وَصَامَ نَهَارَهُ وَغَدَا وَرَاحَ شَاهِراً سَيْفَهُ في سَبِيْلِ اللهِ ، وَكُنْتُ أنَا وَهُوَ في الجَنَّةِ أَخَوَيْنِ كَمَا أَنَّ هَاتَيْنِ أُخْتَانِ » وَأَلْصَقَ أَصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةُ والوُسْطَى رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه .

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً شَكَا إلى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قَسْوَةَ قَلْبِهِ فَقَالَ « امْسَحْ رَأْسَ اليَتِيْمِ وَأَطْعِمْ المِسْكِيْن » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرِجَالُه رِجَالُ الصَّحِيْحِ .

وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وسلم « كافِلُ الْيَتِيْمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ في الجَنّةِ » وَأَشَارَ مَالكٌ بالسَّبَّابةِ وَالوُسْطَى رواهُ مُسْلِم ورواه مَالكٌ عن صَفْوانَ بنَ مُسْلِمٍ مُرْسَلاً .

وَرَوَاهُ البَزَّارُ مُتَّصِلاً وَلَفظُه قال « مَن كَفَلَ يَتِيْماً لَهُ ذَا قَرَابَةٍ أَوْ لا قَرابَةَ لَهُ فَأَنَا وَهُوَ في الجَنَّةِ كَهاتين » وَضَمَّ اصْبُعَيْهِ « وَمَنْ سَعَى عَلى ثَلاثِ بَنَاتٍ فَهُوَ في الجَنَّةِ وَكَانَ لَهُ كَأَجْرِ المُجَاهِد في سَبِيْلِ اللهِ صَائِماً قَائِماً »

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .

مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللّهِ لَقَدْ تَفَضَّلَ اللّهُ عَلَيْنَا وَرَزَقَنَا مِنْ الطَّيِّبَاتِ ، وَجَعَلَنا آمِنيْنَ مُطْمَئِنِّيْنَ ، وَأَغْنَانَا عَنْ الحَاجَةِ ، وَصَانَ وُجُوهَنَا عَنْ المَسْأَلَةِ التي وَقَعَ فيها الكَثِيْرُ مِنْ النَّاسِ ، فَالوَاجِبُ عَلَيْنَا إِذاً إِزَاءَ هَذِهِ النِّعَمِ العِظَامُ أَنْ نُكْثِرَ شُكْرَهُ وَحَمْدَه وَالثَنَاءَ عَلَيْهِ .

وَبِذَلِكَ يَحْفَظُ عَلَيْكُم نِعْمَتَهُ وَيَزِيدُكم مِنْهَا وَيُبَارِكُ لَكُم فِيْهَا قالَ تَعالى وَهُوَ أَصْدَقُ قَائِلٍ وَأَوْفَى وَاعِدٍ ﴿وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيْدَنَّكُمْ﴾ وَلَيْسَ الشُكْرُ قَوْلُ اللسَانِ فَقَطْ ، وَإِنَّما الشُّكْرُ مَعَ ذَلِكَ امْتِثالُ أَوامِر اللّهِ بالطَّاعَةِ وَالاحْسَانُ في عِبَادَةِ اللّهِ وَالى عِبَادِ اللهِ البُؤسَاءِ مِن يَتِيْمٍ وَمِسْكِيْنٍ وَأَرْمَلَةٍ مِمَّنْ أَصَابَتْهُم الشِّدَةُ والفَقرُ مِنْ أَرْبَابِ العِيَالِ المُتَعَفِّفِيْنَ الذِيْنَ لا يَسْأَلُونَ ولا يُفْطنُ لهُم فَيُتَصَدَقُ عَلَيْهِم .

وفي الدَّرَجَةِ الأُوْلَى مَنْ لَيْسَ لَهُمْ مَوَارِدُ أَصْلاً لاَ أَوْلاَدَ يَدْرُسُونَ وَلاَ أَوْلاَدَ مُوَظَّفِيْنَ يُدِرُّونَ عَليهم ولا عَقَارَ وَلاَ غَيْرَهُ ، وَانَّ مِنَ القَسْوَةِ أَنْ يَمْنَعَ الانْسَانُ رِفْدَهُ وَمعُوْنَتَهُ عَنْ إِخْوَانِهِ المُحْتَاجِيْنَ .

شعـــرا :

أَحْسِنْ إذا كان إمكانٌ ومَقـــدرةٌ   فَلَنْ يَدُوْمَ على الإحسانِ إمْكَـــانُ

أمِنَ الرَّحْمَةِ والشَّفَقَةِ أَنْ يَكُونَ الانْسَانُ في رَغدٍ مِنَ العَيْش وَرفَاهِيةٍ تَامّةٍ وَسَعَةٍ مِن الرِّزْقِ وَاخْوَانُه مِنْ المُسْلِمِيْنَ في ضَنْكٍ وَبُؤْس لَا يَعْلَمُ بِهِ إِلَّا اللهُ أَوْ مَنْ أَعْلَمَهُ اللهُ بِحَالِهِ ، أَمِنَ المروءة أنْ يَتَمَتَّعَ الإِنْسَانُ بِأَصْنَافِ المآكِلِ وَالمَشَارِبِ وَالملابِسِ وَأَخوهُ المُسْلِمُ المدْقِعُ فَقْراً يَتَألَّم مِنْ الجُوْعِ وَيَتَأَلَّمُ مِنَ البَرْدِ .

فَالذي يَرى مِنْ هَذِهِ صِفَتُهم وَلَا يَتَأَلَّمُ وَيَتَوَجَّعُ لَهُمْ وَيَعْمَلُ مَا في وُسْعِهِ لَهُم قَاسِيُ القَلْبِ خَالٍ مِن الشَّفقةِ وَالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ نَسْأَلُ الله أن يَمُنَّ علينا باتّباعِ طَرِيقةِ النبي صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ وَالسَّابِقِيْنَ الأَوَّلِينَ مِنَ المهاجِرِيْنَ والأنْصارِ الذِيْنَ قَالَ اللهُ عَنْهُمْ ﴿ وَيُؤْثِرُونَ على أَنْفُسِهِم وَلَو كانَ بِهِم خَصَاصَةٌ ﴾ وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِهِ انَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــلٌ)

وعن سَهْلِ بنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عنه قالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عليه وسلم « أنا وَكَافِلُ اليَتِيْم في الجَنَّةِ هَكَذا » وَأَشَارَ بالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا رَوَاهُ البُخَارِيّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيّ .

وَعَنْ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عليه وسلم « مَنْ قَبَضَ يَتِيْماً مِنْ بَيْنِ المُسْلِمِيْنَ إلى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ أَدْخَلَهُ اللّهُ الجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَعْمَلَ ذنباً لا يُغْفَرُ » رَوَاهُ التِّرمِذيّ وقَالَ حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ .

وَرَوَى عَن أبي هُريرة رَضِيَ الله عنه عن النَّبي صَلى اللهُ عليه وسلم قالَ « خَيْرُ بَيْتٍ في المُسْلِمِيْنَ بَيْتٌ فيهِ يتيمٌ يُحْسَنُ اليهِ وَشَرُّ بَيْتٍ في المسلمينَ بَيْتٌ فيهِ يَتِيْمٌ يُسَاءُ إِليهِ » رَواهُ ابنُ ماجَه .

وروى عن عَوْفِ بن مَالِكٍ الأَشْجَعِيْ رَضِيَ الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ « أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الخَدَّيْنِ كَهَاتَيْنِ يَوْمَ القِيَامَةِ » وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ يَزِيْدُ بنُ زُرَيْعٍ الوُسْطَى وَالسَّبَّابَةُ « امْرَأَةٌ آمَتْ زَوْجَهَا ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ حَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى يَتَامَاهَا حَتَّى بَانُوا أَوْ مَاتُوا » رواهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَفَعَهُ الى النَّبي صلى الله عليه وسلم أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِيَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَا الذِي أَذْهَبَ بَصَرَكَ وَحَنَى ظَهْرَكَ ؟ قَالَ أَمَّا الذِي أَذْهَبَ بَصَرِيْ فَالبُكَاءُ عَلَى يُوْسُفَ ، وَأَمَّا الذِي حَنَى ظَهْرِيْ فالحُزْنُ عَلى أَخِيْهِ بنْيَامِيْنَ فَآتاهُ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فقالَ أَتَشْكُو اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ ؟ قالَ ﴿ إِنَّما أَشْكُو بَثِّيْ وَحُزْنِيْ إلى اللّهِ ﴾ قَالَ جِبْرِيْلُ عليهِ السَّلامُ اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا قُلْتَ مِنْكَ .

قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَخَلَ يَعْقُوْبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْتَه فقال أَيْ رَبِّ أَمَا تَرْحَمُ الشَّيْخَ الكَبِيْرَ أَذْهَبْتَ بَصَرِيْ وَحَنَيْتَ ظَهْرِيْ ، فَارْدُدْ عليَ رَيْحَانَتَيَّ فَاشُمُّهُما شَمَّةً وَاحِدَةً ثُمَّ اصْنَعْ بي بَعْدُ مَا شِئْتَ ، فَأَتَاهُ جِبْرِيْلُ فَقَالَ : يَا يَعْقُوبُ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُقْرِئُكَ السَّلام وَيَقُولُ أَبْشِرْ فَإِنَّهُما لو كانَا مَيِّتَيْنِ لَنَشَرْتُهُمَا لَكَ لأُقَرِّبهِمَا عَيْنَكَ .

وَيَقُولُ لَكَ يَا يَعْقُوْبُ أَتَدْرِيْ لِمَ أَذْهَبْتُ بَصَرَكَ وَحَنَيْتُ ظَهْرَكَ ؟ وَلِمَ فَعَلَ إِخْوَةُ يُوْسُفَ بِيُوسُفَ مَا فَعَلُوهُ ؟ قَالَ لا قَالَ : إِنَّهُ أَتاكَ يَتِيْمٌ ، مِسْكِينٌ وَهُوَ صَائِمٌ جَائِعٌ وَذَبَحْتَ أَنْتَ وَأَهْلُكَ شَاةً فَأَكَلْتُموهَا وَلَمْ تُطْعِمُوْهُ .

وَيَقُولُ إِنِّي لَمْ أُحِبَّ شَيْئاً مِن خَلْقِيْ حُبِّيَ اليَتَامَى وَالمَسَاكِيْن فَاصْنَعْ طَعَاماً وَادْعُ المَسَاكِيْنَ قَالَ أَنسٌ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم « فكانَ يَعْقوبُ كُلَّمَا أَمْسَى نَادى مُنَادِيْهِ مَنْ كَانَ صَائِماً فَلْيَحْضُرْ طَعَامَ

يعْقُوب وإذا أصْبَحَ نَادَى مُنَادِيْهِ مَنْ كَانَ مُفْطِرَاً فَلْيُفْطِرْ على طَعَامِ يَعْقُوبَ »
رَواهُ الحَاكِمُ وَالبَيْهَقِيُّ وَالاصْبهَانِيُّ وَاللفظُ لَهُ .

شعــــرا :

ألمْ ترَ أنَّ النفسَ يُرْديكَ شرُّهــا ... وأنَّكَ مأخوُذُ بما كُنتَ سَاعِيــا
فَمَنْ ذا يُرِيدُ اليومَ لِلنَّفْسِ حِكْمَةً ... وعِلْماً يَزِيدُ العقلَ لِلصَّــدرِ شَافِيا
هَلُمَّ إليَّ الآنَ إنْ كُنْتَ طَالِبــاً ... سَبِيْلَ الهُدَى أوْ كُنْتَ لِلْحَقِ باغِيا
فعندي مِن الأنباءِ عِلمٌ مجــرَّبٌ ... فَمِنه بإلهــامٍ ومِنهُ سَمَاعِيــا
أخَبرُ أخْباراً تَقَادَمَ عَهْدُهــا ... وكَيفَ بَدأ الإسلامُ إذْ كانَ بادِياً
وكَيفَ نَمىَ حتَّى استَتَمَّ كَمالُــه ... وكَيفَ ذَوَى إذْ كالثَّوبِ بَالِيــا
ومِنْ بعدِ ذا عِندي مِنَ العِلمِ جَوْهرٌ ... يُفِيدُكَ عِلْماً إنْ وَعَيْتَ كَلامِيــا
فأحْوَجُ مَا كُنَّا إلى وَصْفِ دِيْنِنَــا ... وَوَصْفِ دَلالاتِ العُقُــولِ زَمَانِيَا
فَقَدْ نَدَبَ الإسلامُ أحْمدَ نَدْبَةً ... كَمَا نَدَبَ الأمواتَ ذُو الشَّجْوِ شاجيَا
فأولُ مَا أبْدأُ فِبالحَمْدِ لِلَّــذِي ... بَرَانى لِلإســلامِ إذْ كَان بَارِيَــا
وصَيَّرني إذْ شَاءَ مِن نَسْلِ آدمَ ... ولَمْ ألُكْ شَيطاناً مِن الجِنِّ عَاتِيَــا
ولو شاءَ مِن إبليسَ صَيَّر مَخْرَجِي ... فَكُنتُ مُضِلاً جاحِدَ الحقِّ طَاغِيَــا
ولَكِنَّهُ قدْ كان بَاللُّطفِ سَابِقــاً ... وإذا لَمْ أكُنْ حَياً على الأرضِ مَاشِيَا
وصَيَّرني مِنْ بَعْدُ فِي دِينِ أحمــدَ ... وعَلَّمَني ما غَــابَ عنْهُ سُؤالِيــا
وفَهَّمَنِي نُوراً وعِلْمــاً وحِكْمَةً ... فَشُكْريْ لَهُ في الشَاكِرينَ مُوَازِيَــا
فَمِنْ أجْلِ ذَا أرْجُوْهُ إذْ كانَ نَاظِراً ... لِضَعْفِي وجَهْلي في الملائمِ حَالِيــا
ومِن أجْلِ ذَا أرْجُوْهُ إذْا كانَ غَافِراً ... ومِن أجْل ذَا قدْ صحَّ مِنِّيْ رَجَائِيَا
فلو كُنْتُ ذا عَقْلٍ لِمَا قدْ رَجُوتُهُ ... لَقد كُنْتُ ذا خَوفٍ وشُكْرِي مُحَاذِيَا
وَلَوْ كُنْتُ أرْجُوهُ لِحُسْنِ صَنِيعِــهِ ... شَكَرْتُ فَصَحَّ الآنَ مِنّى حَيَائِيَــا
فشُكْرِي لَهُ إذ صِبْرتُ بالحقِّ عَالِماً ... ولِلشرِّ وَصَّافاً ولِلْخَيْرِ وَاصِيَــا
ومِنْ بَعْدِ ذا وَصْفى لِنَفْسِيْ وطَبْعِهَا ... وَوَصْفِي غَيرِي إذْ عَرَفْتُ أبْتِدَائِيَــا

فهذا مِن الأنباءِ وَصْفُ غَـــرَائبٍ فَمَنْ كانَ وَصْف لَكَانَ يجالِيَــــا
وذاك لأن الناسَ قد آثروا الهَوى على الحقِّ سِراً ثم جَهْراً عَلانِيَــــا
فهذا زمانُ الشرِّ فاحْذَرْ سَبيْلَـــهُ فإنَّ سَبيلَ الشرِّ يُرْدِي المَهَـــاويا
سَيأتيكَ مِن أنبائِه وَصْفُ خَـــابرٍ كَلامٌ بِتَحْبِيرٍ ووَصْفُ قَوَافِيَـــا
يَقُولَونَ لِي اْهجرْ هَـــواكَ وإنَّمَـــا أكدُّ وأسْعَى أنْ أقِيمُ هَوائِيَـــا
ونَفْسَكَ جَاهِدْهَا وإنى لمـــائلٌ إليها فما أنْ دَارَ ألَّا تنائِيَـــا
وكَيْفَ أطيقُ الهوى أن أهجرَ الهوى وقد ملَّكَتْهُ النفسُ منِّى زِمَامِيَــا
تُقُودُني الأيامُ في كُلِّ محنـــةٍ لَدَى طَبَعٍ يبدو يُهَيِجُ ذَاتِيـــا
فأصْبَحتُ مأسُوراً لدى النفسِي والهوى يَشُدَّانِ مِنِّي ما اسْتَطَاعَا وَثَاقِيَـــا

اللهمّ اعْصِمْنَا عَن المَعَاصِي والزَّلَات ووفّقْنَا للعَمَلِ بالبَاقِيَاتِ الصَالِحَاتِ واغفرْ لَنَا وَلِوَالدَينا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمين الأحياءِ مِنْهُم والميّتينَ بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمينَ وَصَلىٰ الله على محمدٍ وَعَلى آله وَصَحْبه أجْمَعِين .

(فــائدة جليلة)

إذَا أصْبَحَ العَبْدُ وأمْسَى ولَيْسَ هَمُّهُ إلاَّ الله وَحْدَهُ يَحْمِلُ الله سُبْحَانَهُ حَوَائِجَهُ كُلَّهَا وَحَمل عَنْهُ كُلَّ مَا أهَمَّهُ ، وفَرَّغَ قَلْبَهُ لِمَحَبَّتِهِ ولِسَانَهُ لِذِكْرِهِ وَجَوَارِحَهُ لِطَاعَتِهِ وإنْ أصْبَحَ وأمْسَى والدُنْيَا هَمُّهُ حَمَّلَهُ الله هُمُوْمَهَا وَغُمُوْمَهَا وأنْكَادَهَا وَوَكَلَهُ إلى نَفْسِهِ فَشَغَلَ مَحَبَّتَهُ بمَحَبَّةِ الخَلْقِ ولِسَانَهُ عن ذِكْرِهِ بِذِكْرِهِمْ وجَوَارِحهُ عن طَاعَتِهِ بِخِمَتِهِم وأشْغَالِهِم .

فَهُوَ يَكْدَحُ كَدَحَ الوَحْشِ في خِدْمَةِ غَيْرِهِ كالكِيْر يَنْفَخُ بَطْنَهُ وَيَعْصِرُ أضْلَاعَهُ في نَفعِ غَيْرِهِ فَكُلُّ مَنْ أعْرَضَ عَن عُبُودِيَّةِ الله وطَاعَتِهِ ومَحَبَّتِهِ بُلِيَ بِعُبُوْدِيَّةِ المَخْلُوق ومَحَبَّتِهِ وخِدْمَتِهِ قَالَ تَعَالى **﴿وَمَنْ يَعْشُ عن ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ له شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِيْنٌ﴾** أ هـ .

دارك فَمَا عُمْرُك بالـــواني ولا تَثِقْ بالعُمْرِ الفـــاني
يأتي لَك اليومُ بمـــا تَشْتَهِي فيه ولا يَأْتِي لَكَ الثـــاني

ويأْمُلُ البَانِي بَقَاءَ الَّـــذِي   يَبْنِي وقدْ يُخْتَلَسُ البـــانِي
تُصْبِحُ في شأنٍ بِمَا تَقْتَنِي الآ   مَـــالُ والأيَامُ في شَـــانِ
فانظرْ بِعَينِ الحَقِّ مُسْتَبْصِراً   إنْ كُنْتَ ذا عَقلٍ وعِرْفـــانِ
هَلْ نالَ مَنْ جَمَّـــعَ أمْوَالَه   يَوْماً سِوَى قَبْـــرٍ وأكَفَـــانِ
ألَيْسَ كِسْرَى بعدَ مَا نَالَـــهُ   زُخْرِجَ عَنْ قَصْـــرٍ وإيوَانِ
وعَادَ في حُفْرتِهِ خَالِيـــاً   بُتْربـــةٍ يُبْلـــى ودِيْـــدَانِ
كَمْ تَلْعَبُ الدنيـــا بأبنائِهـــا   تَلاعُبَ الخَمْـــرِ بِنَشْـــوَانِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

مَـــوْعِظَـــةٌ

عبَادَ اللّهِ إنَّ الشَّفقَةَ وَالـرَّأْفَةَ على خَلْقِ اللّهِ وَخُصُوصاً اليَتِيْم وَالمسْكِيْنِ والأرْمَلَة أثَرٌ مِن آثَار الرَّحْمَة التي يَجْعَلُهَا اللهُ في قُلُوْبِ بَعْضِ عِبَادِه ، فَقُل لِيْ أيها الأخُ مَا الذي عِنْدَك مِنْهَا فَإنْ كُنْتَ رَحِيْماً بِعِبَادِ اللّهِ فَلَكَ البُشْرَى وَالهَنَاءُ بِهَذَا الخُلُقِ الكَرِيْمِ الذِي هُوَ سَبَبٌ لِسَعَادَتِكَ في يَوْمِ الحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ ، ذَلِكَ أَنَّ الرَّحِيْمَ يُعَامِلُه المَوْلَى جَلَّ وَعَلا بِرَحْمَتِهِ قالَ تَعَالَى ﴿ هَلْ جَزَاءُ الاحْسَانِ إلا الاحْسَانُ ﴾ فالرَّاحِمُوْنَ يَرْحَمُهم اللّهُ .

وَقَالَ صَلى اللّهُ عليه وسلم : « مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللهُ » وقال صلى الله عليه وسلم « مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ » وَإنْ كُنْتَ قَاسِياً عُوْمِلْتَ بالقَسْوَةِ ﴿ جَزَاءً وِفَاقاً ﴾ ﴿ وَمَـا رَبُّكَ بِـظَلَّامٍ لِلْعَبِيْدِ ﴾ وَاللّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَغْفُلُ عَنْ أعْمَالِ عِبَادِهِ ، وَتَظْهَرُ دَلَائِلُ رَحْمَتِكَ في مُعَامَلَتِكَ لِلْيَتِيْمِ وَالمِسْكِيْنِ وَالأرْمَلَةِ ، وَفي مُعَامَلَتِكَ مَعَ أهْلِكَ ، فَإنهُم يَعِيْشُونَ طُوْلَ حَيَاتِهِم عِنْدَكَ إنْ كُنْتَ رَحِيْماً أو قاسِياً .

وَتَظْهَرُ رَحْمَتُكَ أيْضاً في مَعَامَلَتِكَ اخْوانَكَ فَانَّهُم يَجِدُونَكَ انْ كُنْتَ رَحِيْماً لَيِّنَ الجَانِبِ سَهْلاً بَشُوشاً لِحَوائِجِهِم وَتَظْهَرُ في مُعَامَلَتِك لِبَهائِمِك

في عَدَمِ تَكْلِيْفِهَا فَوْقَ الطَّاقَةِ وفي مُلاَحَظَتِهَا دَائِماً في طَعَامِهَا وَشَرَابِهَا وَمَكَانِهَا في الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ .

وَتَظْهَرُ رَحْمَتُكَ في مُعَامَلَتِكَ مَعَ الخَلقِ كُلِّهم في حُسْنِ الخُلُقِ والصِّدْقِ وَالحُنُوِّ عَلَيْهِمْ وَزِيَارَتِهم وَعِيَادَتِهِم وَقَضَاءِ مَا سَهُلَ عَلَيْكَ مِنْ حَوَائِجِهم ، أَمَّا مَنْ قَسَا على الخَلْقِ وَعَامَلَهُم مُعَامَلَةً لَيْسَ فيها شَيءٌ من الحَنَانِ وَالشَّفَقَةِ فَهَذَا هُوَ الجَبَّارُ القَاسِيْ الذِي لا يُعَامِلُهُ مَوْلاَهُ إِلاَّ بِمَا يُنَاسِبُ مُعَامَلَتَهُ مِن الجَبَرُوتِ .

وَكَمْ في الدُّنْيَا مِنْ جَبَابِرَةٍ نُزِعَتْ الرَّحْمَةُ مِن صُدُوْرِهِم لاَ يَعْرِفُونَ مُعَامَلَةَ الخَلْقِ بالرَّحْمَةِ بَلْ بالقَسْوَةِ وَالشِّدَّةِ وَالغِلْظَةِ ، لاَ فَرْقَ عِنْدَهُم بَيْنَ الآدمِيْ والكلب العَقُورِ وَغَيْرِه .

وَمِثْلُ أُوْلَئِكَ لَوْ سَمِعُوا كَلِمَةً لاَ تُعْجِبُهم رُبَّمَا أَعْدَمُوا القَائِلَ وَأَيْتَمُوا أَوْلاَده وَأَيَّمُوا نِسَاءَهُ ، وَلَوْ رَأَوْا مَنْ في أَشَدِّ المَصَائِبِ مَا بَالَوا وَلاَ اهْتَمُّوا وَكَأَنَّهُ شَيءٌ عَادِيٌّ ، وَتَرَى أَحَدَهُم يَخْرُجُ مَعَ الجَنَائِزِ لِتَعْزِيَةِ رَفِيْقِهِ في مُصَابِهِ وَهُوَ يَضْحَكُ وَيَتَفَكَّهُ .

وَلَوْ رَأَى إِنْسَاناً مَصْدُوماً أو سَاقِطاً في مَحَلٍّ يُرِيْدُ إِنْقَاذَهُ تَرَكَهُ وَلا هَمَّةَ لَهُ إِلاَّ فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بِنَفْسِهِ فَقَطْ وَمِثْلُ أُولَئِكَ تَنْشَبُ بَيْنَهم وَبَيْنَ البَهَائِم كُلَّ يَوْمٍ حُرُوبٌ لأَنَّهَا عَمِلَتْ عَمَلاً في نَظَرِهِم أنهُ إِجْرَامٌ وَرُبَّمَا قَتَلُوْا البَهَائِمَ أو قَرِيْباً مِنْ الهَلاَكِ .

فَأَيْنَ هَؤُلاَءِ مِنْ الرَّحْمَةِ ، بَيْنَهُم وَبَيْنَهَا بَوْنٌ ، كَمَا بَيْنَ الحَرَكَةِ والسكُونِ ، وَمِنْ هَؤلاَءِ مَنْ لَيْسَ لَهُ إِلاَّ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ وَهُوَ جَبَّارٌ عَلَيها كلَّ ما بينَ حِيْنٍ وحِيْنٍ يَجْلِدُهَا جَلْدَ الزَّانِيْ ، وَبَعْضُهم تَجِدُ أُخْتَه أو بِنْتَه أو رَبِيْبَتَهُ كلَّ يَوْمٍ تَشْتَكِيْ مِن سُوْءِ مُعَامَلَتِهِ لَهَا . وَرُبَّمَا حَصَلَ مِنْهُ عَلَى أَبِيْهِ أو أمهِ أو كِلاَهُمَا أَذِيَّةٌ .

وفي الأرْضِ كَثِيْرٌ مِنْ هذه البَلِيَّاتِ ، فَعَوِّدْ نَفْسَكَ الرَّحْمَةَ أيُّهَا المؤمنُ ، فإنك في حاجَةٍ شَدِيْدَةٍ إلى رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَعَالِجْ نَفْسَكَ في تَهْذِيبِهَا وَتَمْرِيْنِهَا عَلى الرَّحْمَةِ وَإِذْهَابِ القَسْوَةِ ، وَاحْرِصْ عَلى مُقَارَنَةِ الرُّحَمَاءِ لِتَكْتَسِبَ مِنْهُم هَذِهِ الصِّفَةَ وَتَسْلَمَ مِن ضِدِّهَا قالَ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم « لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إلاَّ مِنْ شَقِيّ » .

الرَّاحِمُونَ لِمَنْ في الأَرْضِ يَرْحَمُهُمْ
مَنْ في السَّمَاءِ كَذَا عَنْ سَيِّدِ الرُّسُلِ
فَارْحَمْ بِقَلْبِكَ خَلْقَ اللهِ وَارْعَهُمُ
بِهِ تَنَالُ الرِّضَا وَالعَفْوَ عَنْ زَلَلِ

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيْلِ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَارْزُقْنَا الثَّبَاتَ عَلَيْهِ والاسْتِقَامَةَ وعَافِنَا مِنْ مُوجِبَاتِ الحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ وَأَمِّنَّا مِنْ فَزَعِ يَوْمِ القِيَامَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْـــلٌ)

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ لما يُحِبُّه وَيَرْضَاهُ مِن الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالأخْلاَقِ الفاضِلَةِ أَنَّ الرَّحْمَةَ بالنَّاسِ بَلْ وَبِالحَيَوانِ عَاطِفَةٌ نَبِيْلَةٌ وَخلُقٌ شَرِيْفٌ مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ وَأَزْكَاهَا وَأَرْفَعِها وَأَعْلاَهَا وَنَاهِيْكَ بِهَا أَنَّهَا خُلُقُ الأنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِيْنَ وَعِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِيْنَ .

وَلَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ بِهَا رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلم فَقَالَ سُبْحَانَهُ في وَصْفِ رَسُولِهِ ﴿بالمؤمنينَ ، رَؤُوفٌ رَحِيْمٌ﴾ وَقَالَ﴿وَمَا أَرْسَلناك إلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالمينَ﴾ وَضِدُّهَا القَسْوَةُ التِي عَاقَبَ اللهُ بِهَا اليَهُودَ لَمَّا نَقَضُوا العُهُوْدَ إذْ يَقُولُ جَلَّ وَعَلاَ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِيْثَاقَهُم لَعَنَّاهُم وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُم قاسِيَةً ﴾ .

فَالرَّحْمَةُ فَضِيْلَةٌ وَالقَسْوَةُ رَذِيْلَةٌ ، فَكَانَ مَجِيءُ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلم برِسَالتِهِ مِن عِنْدِ اللّهِ رَحْمَةً لِنَاسٍ يَتَخَبَّطُون في بَحْرِ الأَوْهَامِ وَالجَهَالاتِ وَمَساوِىءِ الاخْلاَقِ وَسَيِّءِ العَادَاتِ وَقَبِيْحِ الأعْمَالِ يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ وَالأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ وَالأَوْثَانَ وَالشَمْسَ وَالقَمَرَ ، آلِهَتُهم شَتَّى وَأَرْبَابُهم مُتَفَرِّقَةٌ .

وَقَدْ فَشَى وَعَمَّ الفَسَادُ وَأَظْلَمَ الْجَوُّ وَشَمَلَ الظُّلْمُ العِبَادَ فَالقَوِيّ يَأْكُلُ الضَّعِيْفَ وَلاَ مُرَاقِبَ لَهُ وَلاَ مُخِيْفَ ، يَئِدُون البَنَاتِ وَيَقْتُلُوْنَ الأَوْلاَدَ ، جَاءَهُم النَّبي صلى الله عليه وسلم فَأَنْقَذَهُمْ اللهُ بِهِ وَأَخْرَجَهُم بِهِ مِن الظّلمَاتِ إلى النُّورِ مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَتَعْظِيْمِهَا إلى مَعْرِفَةِ اللّهِ وَتَوْحِيْدِهِ ، والتَّفْكِيْرِ في الآلهِ وَتَمْجِيْدِهِ وَتَقْدِيْسِهِ .

وَانْتَشَلَهُم مِنْ أَوْهَامِهِم وَجَهالاَتِهم وَضَلاَلاَتِهم وَمَسَاوِئِهم إلى الاهْتِدَاءِ بِنُوْرِ القُرْآنِ وَتَعَالِيْمِه عليهِ الصَّلاَةُ والسَّلامُ فَبَعْدَ أَنْ كَانُوا قَابِعِيْنَ في عُقْرِ دَارِهِم قَانِعِيْنَ في جَزِيْرَتِهم إذَا بِهِمْ يَحْمِلُونَ إلى العَالَمِ أَجْمَعَ رِسَالَةَ النُّوْرِ وَالأَمَانِ وَالحَقِّ والسَّلامِ فَيَفْتَحُوْنَ البِلاَدَ وَيسوسُونَ العِبَادَ بِفَضْلِ مَا وَهَبَهُم اللّهُ مِنْ مَا تَمَكّنَ في نفُوسِهم وَقَوِيَ في أَفْئِدَتِهم مِن حُبِّ الرَّحْمَةِ وَابْتِغَاءِ لِلرَّأْفَةِ بِخَلقِ اللهِ وَرَغْبَةٍ في العَدْلِ .

فَكَانَ مَوْلِدُه صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِعْمَةً وَبِعْثَتُهُ رَحْمَةً لاَ تُدَانِيْهَا رَحْمَةٌ وَالرَّحْمَةُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللّهِ الذَّاتِيَّةِ الفِعْلِيَّةِ فَهُوَ رَحْمَنُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَحَدَّثَ جَلَّ وَعَلاَ عَنْ رَحْمَتِهِ في كِتَابِهِ فَقَالَ ﴿ وَرَحْمَتِيْ وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلذيْنَ يَتَّقُوْنَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالذِيْنَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الآية .

والنَّبيّ صَلى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يُرَغِّبُنَا في الرَّحْمَةِ وَاللّيْنِ وَالرِّفْقِ وَالمُسَامَحَةِ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ فَهُوَ يَقُولُ « مَنْ لاَ يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ وَهُوَ القَائِلُ لاَ

تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إلَّا مِنْ شَقِيّ » أيْ وَلَا تَسْكُنُ إلَّا في قَلْبِ تَقِيّ فَالرَّحْمَةُ فَضِيْلَةٌ وَالقَسْوَةُ وَالغِلْظَةُ رَذِيْلَةٌ وَعَمَلٌ مُنْكَرٌ وَالرَّحْمَةُ لَا تَخْتَصُّ بالانْسَانِ بَلْ تَعُمُّ الحَيوانَ وَكُلَّ ذِي رُوْحٍ وَاحْسَاسٍ .

فَمِنْ آثَارِهَا مَا يَجِدُهُ الوَالِدُ لِوَلِدِهِ وَأَثَرُهَا تَقْبِيْلُهُ وَمُعَانَقَتُهُ وَشَمُّهُ وَضَمُّهُ وَحُنُوُّهُ عَلَيْهِ كَمَا صَنَعَ صَلَّى اللهُ عليه وسلم بالحُسَيْنِ وَالحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عنهما وَمِنْ أَثَرِهَا تَأْدِيْبُه وَتَرْبِيَتُه وَإِجَابَةُ رَغَائِبِهِ مَا دَامَتْ في سَبِيْلِ المَصْلَحَةِ وَابْعَادُهُ مِن الشَّرِّ .

وَتَكُونُ الرَّحْمَةُ بالآبَاءِ والأُمَّهاتِ وَأَثَرُهَا اللُّطْفُ بِهِمَا وَالعَطْفُ عَلَيْهِمَا وَالقَوْلُ الكَرِيْمُ لَهُمَا وَصُنْعُ الجَمِيْلِ فيهِمَا وَالذَّبُّ عَنْهُمَا وَالحُنُوُّ عليهما وَالشَّفَقَةُ عليهما وَإِظْهَارُ البِشْرِ لَهُمَا قالَ اللهُ تَعالى ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيْرًا ﴾ .

وَمِنْ آثَارِهَا جَرَيَانُ الدَّمْعِ مَعَ العَيْنِ وَذَرْفُهَا عِنْدَ المُصِيْبَةِ كَمَا كَان صلى الله عليه وسلم حَالَ وَفَاةِ وَلَدِه ابْرَاهِيْمَ جَعَلَتْ عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ الدَّمْعَ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَن بن عَوْفٍ وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَة وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَماءُ .

وَلِذَا أَجابَ الأَعْرَابِيَّ الذِي قَالَ أَتقَبِّلوْنَ صِبْيَانَكُم فَمَا نُقَبِّلُهُم قالَ لَهُ أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللّهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ وَمِنْ آثَارِ الرَّحْمَةِ بِالقَرِيْبِ وَالصَّدِيْقِ أَنْ تَخُصَّهُ بِمَزِيْدٍ مِن البِرِّ وَالاحْسَانِ فَتُنَفِّسُ كَرْبَهُ وَتُخَفِّفُ أَلَمَهُ وَتُفَرِّجُ هَمَّهُ وَتَسْعَى لإِزَالَةِ الشَّحْنَاءِ وَرَفْعِ البَغْضَاءِ وَيُوَاسِي فَقْرَهُ وَيُرْشِدُهُ عِنْدَ الحَيْرَةِ وَيُنَبِّهُهُ عِنْدَ الغَفْلَةِ وَيَنْصَحُهُ إذا اسْتَنْصَحَهُ وَيُعِيْنُ العَاجِزَ وَيَعُودُ

المَرِيْضَ وَيُنَفِّسُ لَهُ فِي أَجَلِهِ وَيُشَيِّعُ جَنَازَتَهُ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ النَّافِعَةِ وَالطَّرِيْقَةِ المُجْدِيَةِ .

وَتَكُونُ الرَّحْمَةُ بالأقرباءِ وَأَثَرُهَا بِرُّهُم وَصِلَتُهم وَزِيَارَتُهم وَمَودَّتُهم وَالسَّعْيُ في مصالحهم وَدَفْعُ مَا يَضُرُّهُم وَتَكُونُ الرَّحْمَةُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَأَثَرُهَا المُعَاشرةُ بالمَعْرُوفِ وَالإِخْلاَصُ وَالوَفَاءُ المتبَادَلُ وَأَنْ لاَ تُرْهِقَهُ بالطَّلَبَاتِ وَلاَ يُكَلِّفُهَا بالمُرْهِقَاتِ بَلْ يُعَاوِنُ عَلى شُؤُونِ المَنْزِلِ وَتَرْبِيَةِ الأَوْلاَدِ بِنَفْسِهِ أَوْ مَالِه إِنْ كَانَ ذَا سَعَةٍ .

وَتَكُونُ الرَّحْمَةُ بِأَهْلِ دِيْنِكَ تُرْشِدُهُمْ إِلى الخَيْرِ وَتُعَلِّمُهُم مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِمَّا يَنْفَعُهم وَتَأخذُ بهم عَنِ اللَّمَمِ إِلى سَبِيْلِ الأَمَمِ وَتَعْمَلُ لِعِزِّهِم وَدَفْعِ المَذَلَةِ عَنْهُم وَتَكُونُ رَحِيْماً بالمؤمِنِينَ جَمِيْعاً فَتُحِبُّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَتَكْرَهُ لَهُم مَا تَكْرَهُ لَهَا .

وَمِنْ أَثَرِهَا بالحَيَوَانِ مَا جَاءَ فِي حَدِيْثِ مُسْلِم عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالَ انَّ اللهَ كَتَبَ الاحْسَانَ عَلى كُلِّ شَيءٍ فَإِذَا قَتَلْتُم فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ وإِذَ ذَبَحْتُم فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُم شَفْرَتُهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيْحَتَهُ .

وَذَلِكَ بِأَنْ يَرْفُقَ بهَا وَلا يَصْرَعُها وَيُزْعِجُها بَغْتَةً وَلاَ يَجُرُّهَا مِن مَوْضِعٍ إِلى مَوْضِعٍ بِسُرْعَةٍ تُرْهِقُهَا وَتُرْهِبُهَا بَلْ بِلُطْفٍ وَلاَ يُسْرِعُ بقطْعِ الرَّأسِ وَيُسْرِعُ بِقَطْعِ الحُلْقُوْمِ وَالمرِي وَالوَدجَيْنِ وَيَتْرُكُهَا إِلَى أَنْ تَبْرُدَ لِتَخْفِيْفِ أَلَمِهَا بِقَدْرِ الاسْتِطَاعَةِ .

وَمِنْ الرَّحْمَةِ مَا يُحَدِّثُنا بِهِ صلى الله عليه وسلم قال بَيْنَما رَجُلٌ

يَمْشِيْ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ فَنَزَلَ بِئْراً فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ فَقَالَ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الذِيْ بَلَغَ بي فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بفيهِ ثُمَّ رَقَى فَسَقَى الكلبَ فَشَكَرَ اللهَ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قالوا يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا في البَهَائِمِ أَجْرٌ قالَ في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ وَاللّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى الله على مُحَمَّدٍ .

(فَصْـــلٌ)

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللّهُ وَإِيَّاكَ لما يُحِبُّه وَيَرْضَاهُ أَنّ لِلجَارِ عَلى جَارِهِ حَقٌّ عَظِيمٌ في الأَدْيَانِ كُلِّها وَالشَّرَائِع وَالأَوْضَاع كَافةً ، والعَرَبُ كَانُوا يُعَظِّمُونَ حَقَّ الجَارِ وَيَحْتَرِمُونَ الجِوَارَ في الجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الاسْلاَمِ ، وَيَعْتَزُّونَ بِثَنَاءِ الجَارِ عَلَيْهِم وَيَفْخَرُونَ بِذَلِكَ ، والضَّعِيْفُ إِذَا جَاوَرَ الأَقْوِيَاءَ صَارَ قَوِيّاً بإذن اللهِ ، لَهُ مَا لَهُم وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِم ، وَحِيْنَ جَاءَ الاسْلاَمُ أَعزَّهُ اللّهُ وَأَكَّدَ حَقَّ الجِوَارِ وَحَثَّ عَلَيْهِ وَجعَلَهُ بَعْدَ القَرَابَةِ وَكَادَ يُوَرِّثُه .

والجَارُ يُطْلَقُ وَيُرَادُ به الدَّاخِلُ في الجِوَارِ وَيُطْلَقُ عَلى المُجَاوِرِ في الدَّارِ ، وَعَلى السَّاكِن مَعَ الانْسَانِ في البَلَدِ ، وَعَلَى أَرْبَعِيْنَ دَاراً مِن كُلِّ جَانِبٍ وَوَرَدَ عن النَّبي صلى اللهُ عليه وسلم « الجِيْرَانُ ثَلاَثَةٌ جَارٌ له حَقٌّ وَاحِدٌ وَهُوَ المُشْرِكُ لَهُ حَقُّ الجِوَارِ ، وَجَارٌ لَهُ حَقَّانِ وَهُوَ المُسْلِمُ لَهُ حَقُّ الجِوَارِ والإِسْلاَمِ ، وَجَارٌ لَهُ ثَلاثَةُ حُقُوقٍ وَهُوَ المُسْلِمُ القَرِيْبُ ، لَهُ حَقُّ الجِوَارِ وَحَقُّ الاسْلاَمِ وَحَقُّ الرَّحِم .

إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ تَوْفِيْقِ الانْسَانِ وَسَعَادَتِه أَنْ يَكُوْنَ في بَيْتِهِ يَشْعُرُ بالعَطْفِ وَاللطْفِ عليهِ وَالتَّقْدِيْرِ لَهُ وَالمَحبَّةِ له، وَمِنْ قِلةِ تَوْفِيْقِهِ

أَنْ يَكُونَ بَيْنَ جِيْرَانٍ يُضْمِرُونَ الشَّرَّ لَهُ وَالعَدَاوَةَ ، وَيُدَبِّرونَ لَهُ المكائِدَ ، وَيُذَمِّرُونَ عليهِ خُصُومَهُ .

فَالشَّخْصُ الذي بجَانِبِهِ جِيْرَانُ سُوءٍ يَعْمَلُونَ لِلاضْرَارِ بِهِ في نَفْسِهِ أو مَالِهِ أو عِرْضِهِ ، وَيَحُوكُونَ لَهُ العَظَائِمَ والدَّوَاهِيْ ، مُنَغَّصٌ عَيْشُهُ ، لَا يَهْنَأُ لَهُ بَالٌ ، غَيْرُ مُرْتَاحٍ ، تَجِدُهُ قَلِقاً مِنْهُم إِنْ دَخَلَ أَوْ خَرَجَ ، وَلَا يَنْعَمُ بِمَالٍ ، تَرَاهُ مُقَطِّبَ الوَجْهِ ، مَحْزُونَ النَّفْسِ مَكْلومَ الفُؤَادِ .

وَتَجِدُ أَهْلَهُ مَعَهُم في لِجَاجٍ ، كُلُّ ذَلِكَ من جَارِ السُّوْءِ ، إِمَّا مِنْ قِبَلِ التَّسَلُّطِ عَلى أَهْلِهِ أَوْ عَلى أَوْلَادِه ، وَإِمَّا بِوَضْعِ أَذِيَّةٍ في طَرِيْقِهِ أو في بَيْتِه ، أو بِتَعَدٍّ على مُلكِه أو بِتَجَسُّسٍ عَلَيْهِ بِدُوْنِ مُبَرِّرٍ وَإِمَّا بِنَظَرٍ وَتَطَلُّعٍ عليهم مِن نَافِذَةٍ أَوْ بَابٍ أَو سَطْحٍ أو رَمْي حَصَا وَنَحْوِهِ عليهم أو نحوِ ذَلِكَ مِن أَنْوَاعِ الأذايَا .

وَرُبَّمَا اضْطُرَّ إلى بَيْعِ مَنْزِلِهِ مِن أَجْلِ جَارِ السُّوْءِ ، كَمَا ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ ابْتُلَى بِجَارِ سُوْءٍ اضْطَرَّهُ إِلى بَيْعِ مُلكِهِ قال في ذَلِكَ .

يَلُومُونَنِيْ إِنْ بِعْتُ بالرُّخْصِ مَنْزِلِيْ ... وَلَمْ يَعْلَمُوا جَاراً هُنَاكَ يُنَغِّصُ
فَقُلْتُ لَهُم كُفُّوا المَلَامَ فَإِنَّمَا ... بِجِيْرَانِهَا تَغْلُوا الدِّيَارُ وَتَرْخُصُ

آخر :

أَرىَ دَارَ جَارِيْ إِنْ تَغَيَّب حُقْبَةً ... عَلَيَّ حَرَاماً بَعْدَهُ إِنْ دَخَلْتُهَا
قَلِيْلٌ سُؤَالِي جَارَتِي عن شُؤُوْنِهَا ... إِذَا غَابَ رَبُّ البَيْت عنها هَجَرْتُهَا
أَلَيْسَ قبيحَاً أَنْ يُخَبَّرَ أَنَّنِيْ ... إذا غابَ عَنها شَاحِطَ الدَارِ زُرْتُهَا

آخر :

اطْلُبْ لِنَفْسِكَ جِيْرَاناً تُسَرُّ بِهِمْ ... لَا تَصْلُحُ الدَّارُ حَتَّى يَصْلُحَ الجَارُ

آخر :

شِرىَ جَارَتِي سِتْراً فُضُوْل لِأَنَّنِي ... جَعَلْتُ جُفُونِي ما حَيِيْتُ لهَا سِتْرا

وما جارَتي إلا كأمّي وإنَّني لَأحْفَظُها سِراً وأحْفَظُهاَ جَهْرَا
بَعَثْتُ إِلَيْهَا انْعَمِـي وَنَتَعَّمِـيْ فَلَسْتُ مُحِلًا مِنْكِ وجْهاً ولا شَعْرَا

وَيَقُولُ الآخَــرُ :

دَارِ جَــارَ السُّــوْءِ بــالـصَّـبْــرِ وَانْ
لَـمْ تَجِـدْ صَبْـراً فَمَـا أحْـلَى النُّـقَـلْ

آخـــــر :

إذَا المَرْءُ لم يُخْلِصْ عِبادة رَبّــــهِ فلَا خَيْرَ فيه وابتَعِدْ عن جِـــوَارِهِ

وبعضُ الجـيران يكـون فيه خيرٌ وشر فهذا ربما تُقَابِلُ مَنَافِعُهُ مَضارَّهُ وتَتَحمَّلْ منه ذلكَ النقصَ لما فيه مِن الكمالِ وأمَّا الآخرُ فهو شرٌ مَضَرَةٌ بلا مَنفعة ونقصان بلا فائدة فكيف يعذر وهو بهذه الحالة .

عَذَرْنَا النَّخْـلَ فـي إبْـدَاءِ شَـوْكٍ يَــرُدُّ بـه الأنَـامِــلَ عـنِ جَنَــاهُ
فمـا لِلْعَـوْسَجِ المـذْمُـومِ يُبْـدِي لَنَـا شَـوْكـاً بِـلاَ ثَمَــرٍ نَــرَاهُ

آخـر :

مَرِضْتُ وَلِيْ جِيْرَةٌ كُلهُـمْ عن الرُشْدِ في صُحْبَتِى حَائِدُ
فأَصْبَحْتُ فى النَّقْصِ مْثِل الّذِيْ ولا صِلَةَ لِيْ وَلَا عَائِدُ

آخــــر :

وَلمَّا رَأيْتُ الناسَ لا عَهْدَ عنـــدهم صَدَفتُ وَرَبّ الخَلْقِ عَن صُحْبَةِ الناسِ
وصِرْتُ جَليْسَ الكُتْبِ ماعِشْتُ فيْهمُ وَأعْمَلْتُ حُسْنَ الصبرِ عنهم مَعَ اليَاسِ

آخـــر :

وزَهَّدَني في الناسَ مَعْرِفَتيْ بِهِــمْ وطُوْلُ إخْتِبَاري صَاحِباً بعد صَاحِبِ
فَلَمْ أرَى في الأيَّامِ خِلاً تَسُرُّنـــيْ بَوَادِيْهِ إلاَّ سَاءَنِي في العَــواقِبِ
ولا قُلْتُ أَرْجُوْهُ لدَفْعِ مُلِمَّـــةٍ أَتَتْني إلّا كانَ إحْدى المَصَـــائِبِ

آخـــر :

أَنْتَ في مَعْشَرٍ إذا غِبْتَ عَنهـــم جَعَلُوا كُلَّ مَا يَزِيْنُكَ شَيْنَـــــا
وإذَا آمَارَأوْكَ قَالوْا جَمِيْعـــــاً أَنْتَ مِن أكْرَمِ النـــاسِ عَلَيْنَـــا

وَعَنْ أَبي شُرَيْحٍ قَالَ قَالَ النَّبِيّ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلَّم : « واللهِ لا يُؤمِنُ ، وَاللهِ لَا يُؤمِنُ ، واللهِ لَا يُؤْمِنُ » قِيْلَ مَنْ يا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ « الذيْ لا يَأْمَنُ جَارُه بَـوَائِقَـهُ » رَواهُ البُخَارِيّ وَمُسْلِم فَبَيَّنَ صَلى اللهُ عليهِ وسلم أنَّ مَن هذا خُلقُه ، وَتِلْكَ دَخِيْلَتُه مَعَ جَارِهِ غَيْرُ مُؤْمِنٍ ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ بالحَلِفِ وَالتَّكْرَارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

وَهَلْ المُؤْمِنُ الَّا مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلى دِمَائِهم وَأَمْوَالِهم وَأَعْرَاضِهم وَهَلْ الإِيْمَانُ إلا مِنَ الأَمْنِ ؟ فَإذَا كَانَ الجَارُ لِجَارِهِ حَرْباً وَعليهِ ضِدّا فَكَيْفَ يَكُونُ مِن المؤمنين الذِيْنَ أَخْلَصُوا دِيْنَهُم لِلّهِ لَقَدْ كَانَ الوَاجِبُ عَليهِ أَنْ يَتَفَقَّد أُمُورَ جَارِه ، وَيُسَاعِدَه بكلِّ مَا اسْتَطَاعَ ، وَيَعْمَلَ على جَلْبِ الخَيْرِ لَهُ وَدَفْعِ مَا يَضُرُّهُ، حَتَّى يَكُوْنَ في عِيْشَةٍ رَاضِيَةٍ وَحَيَاةٍ طَيِّبَةٍ ، كَمَا يَعْمَلُ بَعْضُ الجِيْرَانِ المُحْسِنِيْنَ الذِيْنَ يَألفُونَ وَيُؤْلَفُونَ .

فَقَدْ يَأْنَسُ الانْسَانُ بِجَارِه القَرِيْبِ أَكْثَرَ مِمَّا يَأْنَس بِالنَّسِيْبِ فَيَحْسُنُ التَّعَاوُنُ بَيْنَهُما ، وَتَكونُ الرَّحْمَـةُ وَالاحْسَانُ بينهمـا ، فاذا لَمْ يُحْسِنْ أَحَدُهُما لِصَاحِبِه فلا خَيْرَ فِيْهِمَا لِسَائِرِ النَّاسِ .

أعِينُ أَخِـيْ أَوْ صَـاحِبي في بَلائِهِ أَقُـومُ إذَا عَـضَّ الـزَّمَـانُ وَأَقْعُـدُ
ومَـنْ يُفْـردُ الإخْـوَانَ فيمَـا ينـوبُهُمْ تَنُبْـهُ اللَّيَـالِـي مَـرَّةً وَهْـوَ مُفْـرَدُ

فَيَنْبَغِي لِلْجَارِ أَنْ يَتعَاهَدَ جَارَهُ باهْدَاءِ مَا تَيَسَّرَ وَالصَّدَقَةِ وَالدَّعْوَةِ وَاللطَافَةِ بِهِ وَبِأَوْلَادِهِ وَأَهْلِهِ ، وَالصَّفْحِ عَنْ زَلَّتِهِمْ ، وَبُدَاْتِه بالسَّلَامِ وَاظْهَارِ البِشْرِ لَهُ وَاعَانَتِهِ وَالتَّوْسِيْعِ عَلَيْهِ في مُعَامَلته وَاقْرَاضِهِ ، وَعِيَادَتِه وَتَعْزِيَتِهِ عِنْدَ المُصِيْبَةِ وَتَهْنِئَتِه بِمَا يُفرِحُه ، وَيَسْتُرُ مَا انْكَشَفَ لَهُ من عَوْرَةٍ ، وَيَغُضُّ بَصَرَهُ عَنْ مَحَارِمِه وَيَمْنَعُ أَوْلَادَهُ وَأَهْلَه مِنْ أَذِيَّةِ أَوْلَادِ جَارِهِ وَأَهْلِهِم .

وَانْ بَدا لَهُم حَاجَةٌ قَامَ بِهَا ، وَلَا يَرْفَعُ عَلى المِذْيَاعِ أَوِ التلفِزْيُونِ إنْ كَانَ يَضُرُّهُم وَيُسْهِرُهم وَهُوَ مِمَّنْ ابْتُلى بِهَذَا المُنْكَرِ المُحَرَّمِ ، وَيَعْمَلُ

كُلَّ مَا فِيْهِ نَفْعٌ لَهُم وَيَقْدِرُ عَلَيْهِ وَيَدْفَعَ عَنْهُم مَا يَضُرُّهم مَا اسْتَطَاعَ فَبِهَذِهِ الأَشْيَاءِ تَقَعُ بإذْنِ اللّهِ الألفَةُ وَالمَحَبَّةُ .

وَبِهَا تَحْصُلُ المَوَدَّةُ ، وَيُصْبِحُ المَرْءُ بَيْنَ جِيْرَانِهِ مَحْبُوْبَاً مُوَقَّراً يَتَفَقَدُونَهُ إِذا غَابَ وَيَسْأَلُونَ عنه وَيَعُدّوْنَهُ إِذَا حَضَرَ مَرْغُوباً مَرْمُوْقاً بالعِنَايَةِ مِنْهُم آمِناً مِنهُم مُطْمَئِناً إِلَيْهِم يَتَبَادَلُونَ المَنَافِعَ .

رُوِيَ أَنَّ ابْرَاهِيْمَ بنَ حُذَيْفَةَ بَاعَ دَارَهُ فَلَمَّا أَرَادَ المُشْتَرِيْ أَنْ يُشْهِدَ عَلَيْهِ قالَ لَسْتُ أُشْهِدُ عَلَيَّ وَلاَ أُسَلِّمُها حَتَّى يَشْتَرُوا مِنِّيْ جِوارَ سَعِيْدِ بنِ العَاص وَتَزَايَدوا في الثَّمَنِ قَالُوا وَهَلْ رَأَيْتَ أَحَداً يَشْتَرِي جِواراً أو يَبِيْعَه قالَ الا تَشْتَرُونَ جِوَارَ مَنْ إِنْ أَسَأْتُ إِليهِ أَحْسَن وَانْ جَهلْتُ عَلَيْهِ حَلمَ وَإِنْ أَعْسَرْتُ وهَبَ لا حَاجَةَ لِيْ في بَيْعِكُم رُدُّوْا عَلَيَّ دَارِيْ .

فَبَلَغَ ذَلِكَ سَعِيْدَ بنَ العَاص فَبَعَثَ إِليهِ بمِائَةِ أَلْفِ دِرْهِمٍ وَرَوى المدائِنيّ أَنَّهُ باعَ جَارٌ لِفَيْرُوْز دَارهُ بأَرْبَعَةِ آلافِ دِرْهَمٍ فَجِيءَ بهَا فَقالَ البائع هَذا ثَمنُ دَارِيْ فَأَيْنَ ثَمَنُ جَارِي قَالَ وَلِجَارِكَ ثَمَنٌ قالَ لاَ أَنْقُصُهُ وَاللّهِ عن أَرْبَعةِ آلافِ دِرْهَمٍ .

فَبَلَغَ ذَلِكَ فَيْرُوْزَ فَأَرْسَلَ إِليهِ بثَمَانِيَةِ آلاف دِرْهَمٍ وقالَ هَذَا ثَمَنُ دَارِكَ وَجَارِكَ وَالزَمْ دَارَكَ لا تبعْهَا ، أَيْنَ هَؤُلآءِ مِنْ أَكْثَر جِيْرَانِ زَمَنِنَا لا تَكَادُ تَهْدَأُ أَذِيَّتُهم وَشَتَائِمُهُمْ وَسَبُّهُمْ وَهِجْرَانُهُمْ وَمُشَاجَرَاتُهمْ وَتَقَاطُعُهُمْ وَكَيدُ بَعْضِهِم لِبَعْضٍ رِجَالاً وَنِسَاءً وَأَوْلاداً كأَنُهم في مَعْزِلٍ عن الآياتِ والأَحاديثِ الوَارِدَةِ في الجِوَارِ وَحُقُوقِه ولِبَعْضِهِم ممَّن بُلِي بجَارِ السُّوْءِ :

أَلا مَنْ يَشْتَرِي جَاراً نَؤُوْماً ... بِجَارٍ لا يَنَامُ وَلا يُنِيْمُ
ويَلْبَسُ بالنَّهَارِ ثِيابَ نُسْكٍ ... وَشَطْرُ اللَّيْلِ شَيْطَانٌ رَجِيْمُ

وقيل إن ابنَ المُقَفَعَ كان بجوارِ دَاره دَارٌ صَغيرةٌ وكانَ يرغب فى شِرَائِهَا

لِيُضِيْفَهَا إلى دَاره وكان جَارُهُ يَمْتَنِعُ مِن بَيْعهَا ثم رَكبَهُ دَيْنَ فاضطَرَّ إلى بَيْعهَا وعَرَضَهَا على جَاره بنِ المُقَفَّعِ فقال ما لي بهَا حَاجَةً فقيل له أَلَسْتَ طَلَبْتَ منه شِرَائهَا فقال لَوَ اشتَرَيْتها الآنَ ما قُمْتُ بِحُرْمَةِ الجِوارِ لِأنهُ الآنَ يُرِيْدُ بيعَهَا مِن الفَقرِ ثم دَفعَ إلى جارِهِ ثمنَ الدار وقال إبق بدَارك وَأَوْفِ دَيْنَكَ لِلهِ دَرُّه .

قالَ عَليُّ بنُ أَبي طَالِبِ لِلْعَبّاس مَا بَقِيَ مِنْ كَرم إِخْوَانِكَ قَالَ الافْضَالُ على الاخْوَانِ وَتَرْكَ أَذى الجِيْرَانِ قَالَ الشَّاعِرُ :

شعرا : سَقْياً وَرَعْياً لجِيْرَانٍ نَزَلْتُ بِهِمْ ... كَأَنَّ دَارَ اغْتِرَابي عِنْدَهُم وَطَنِيْ
إِذَا تَأَمَّلْتُ مِنْ أَخْلاَقِهِم خُلُقاً ... عَلِمْتُ أَنّهُموا مِنْ حِلْيَةِ الزَّمَنِ

آخر : إِذَا خَفِتِ المَودَّةُ واسْتَقَامَتْ ... فَلا تَجْزَعْ وإِنْ بَعُدَ اللِّقَاءُ
وَإِنْ يَكُنْ البعَادُ أغَابَ وجْهِي ... فَلَمْ تَغِب المَوَدَّةُ والصَّفَاءُ
ولَمْ يَزَلِ الثنَاءُ عَلَيكَ مِنّي ... مَعَ السَّاعَاتِ يَتْبَعُهُ الدُّعَاءُ

آخر : أَحْبابُنَا ما غُبْتُم مُذْ بِنْتُمُوْا ... فَأَبُثُكُمْ شَوْقِيْ وَأَسْأَلُ عَنْكُمُ
بِنْتُم عَلَى حُكْمِ المَجَازِ وَلَيْسَ في ... حُكَمِ الحقيقةِ أنكم قَدْ بِنْتُمُوْا
أَنْتُمْ إِذَا أَطَّرَدَ القِيَاسُ أَنَا وإِنْ ... عُكِسَ القياسُ فإِنني أَنَا أَنْتُمُوْا

آخر : تَطَاوَلَ لَيْلِيْ بالرِّياضِ وَلَمْ يَكُنْ ... عَلَيَّ بحَارَاتِ القَصِيْمِ يَطُوْلُ
فَهَلْ لِيْ إِلىَ أَرْضِ القَصِيْمِ بِرَجْعَةٍ ... أُقِيْمُ بهَا قَبْلَ المَمَاتَ قَلِيْلُ
وَلاَ سِيَّمَا فِي حَارَةٍ قَدْ سَكَنْتُهَا ... ثَلاثِيْنَ عَاماً أَوْ تَزِيْدُ قَلِيْلُ

آخر : إِذَا أَنَا لاَ أَشْتَاقَ أَوّل مَنْزِلٍ ... غُذيْتُ بِخفْضٍ فِي ذُرَاهُ وَلِيْنِ
مِنَ العَقْلِ أَنْ أَشْتَاقَ أَوّل مَنْزِلٍ ... غُذيْتُ بِخفْضٍ فِي ذُرَاهُ وَلِيْنِ

آخر : يُقِيْمُ الرّجَالُ المُوسِرُوْنَ بأَرْضِهِمْ ... وتَرْمِيْ النَّوَى با المُقْتِرِيْنَ الرّامِيَا
وَمَا تَركُوْا أوْطَانَهُمْ عَنْ مَلاَلَةٍ ... ولَكِنْ حِذَاراً مِنْ شَمَاتِ الأَعَادِيَا

يَا مَنْ تَحَوَّلَ عَنَّا وهْوَ يَأْلَفُنَا ... بَعُدْتَ عَنَّا أَبْعَدَ الآنَ تَلْقَانَا
فاعْلَمْ بأنكَ مُذْ فارَقْتَ جِيْرَتَنَا ... بُدِلْتَ جَاراً وَمَا بُدِّلْتَ جِيْرَانَا

فكَتَبَ إليه جاره :

بَعُدْتُ عنكُمْ بداريْ دُوْنَ خالِصَتي ... ومحْضُ وُدِّيْ وعَهْدِيْ كالذي كانا

وما تَبدَّلْتُ مُذْ فارَقْتُ قُربَكُمُ ... إلاّ هُموماً أَعَانِيْهَا وأَحْزانا

وهَلْ يُسَرُّ بسُكْنَى دارِهِ أَحَدٌ ... ولَيس أَحْبابُهُ للدَّار جيْرانا

آخر :أَقُوْلُ لِجَارِي إذْ أتاني مُخاصِماً ... يُدِلُّ بِحَقّ أوْ يدل بِبَاطِلِ

إِذَا لَم يصَلْ خَيْرِيْ وأنْتَ مُجاوِرِي ... إلَيْكَ فما شَرّي إلَيْكَ بِواصِلِ

آخر : إنّي لأَحْسدُ جارَكُمْ لِجِوارِكُمْ ... طُوبَى لِمَنْ أَمْسَى لِدارِكَ جَارَا

يا لَيْتَ جارَكَ بَاعَني مِن دَارِهِ ... شِبْرًا فأُعْطِيْهِ بِشَبْرٍ دارَا

آخر : يا حَبَّذَا وَطَنُ كُتَابِهِ زَمَناً ... فِيْهِ السرُّرُ عَلىَ يُسْرٍ وَإِعْسَارِ

وحَبَّذَا ناعِم مِن تُربهِ عَبِقٌ ... هَبَّتْ عَليهِ رِيَاحُ غِبَّ أَمْطَارِ

أُحِبُّهُ وَبِلادُ اللهِ واسعَةٌ ... حُبَّ البَخِيْل غِنَاهُ بَعْدَ إِقْتَارِ

وَلَسْتُ أوّلَ مُشْتَاقٍ إلىَ وَطَنِ ... مَعَ الأَقَارِبَ والأَصْحَابُ وَالجَارِ

آخر : سَقَى اللهُ نَجْداً والقَصِيْمَ أَخُصُّهُ ... سَحَابُ غَوادٍ خَالِيَاتٍ مِنَ الرَّعْدِ

آخر : يَا حَبَّذَا أزمُنٌ في مَنْزل سَلَفَتْ ... مَا أقْصَرَ وَقْتَهَا عُمْراً وأحْلاَهَا

أَوْقَاتُ أُنْس قَضَيْنَاهَا فَما ذُكِرَتْ ... إلاَّ وقَطَّعَ قَلْبَ االمَرْءِ ذِكْرَاهَا

آخر : وَمَن مَذْهَبِيْ حُبُّ الدّيَا الّتي بهَا ... وُلِدْتُ وحُبُّ المُتَّقِيْنَ بأَرضْهَا

آخر : إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْعَ العُهُودَ الّتِي مَضَتْ ... فَلَسْتَ بِراعٍ عَهْدَ أَهْلِ المَنَازِلِ

ولا سِيَّمَا داراً وُلِدَتَ بِرَبْعِهَا ... وَكُنْتَ بِهَا جَذْلاً في خَيْرِ آهِلِ يُرِيْدُ القَصِيْم

آخَرُ : إذا زُرْتُ أَرْضِيْ بَعْدَ طُوْلِ تَغرُّبٍ ... فَقَدْتُ صَدِيْقي والبِلاَدُ كَما هِيَا

فأكْرِمْ أَخَاكَ المُخْلصَ الودَّ إنَّما ... كَفَى بالمَمَاتِ فُرْقَةً وَتَنَائِيَا

آخر : بِذَيَّالِكَ المَنْزلُ أَهِيْمُ وَلَمْ أَقُلْ ... بِذَيَّالِكَ المَنْزلُ وَذَيَّاكَ مِن زُهْدِ

وَلَكِنْ إذَا ما حُبَّ شَيءٌ تَوَلَّعَتْ ... بِهِ أحْرُفُ التَّصْغيْرِ من شِدَّةِ الوَجْدِ

سَقَى اللهُ نَجْداً والْقَصِيْمَ أَخُصُّهُ ... سَحَابُ غَوادٍ خَالِيَاتٍ مِنَ الرَّعْدِ

آخر : بِلاَدٌ بِهَا كُنَّا ونَحْنُ نُحِبُّهَا ... إِذَا النَّاسُ نَاسٌ وَالبِلاَدُ بِلاَدُ

آخر مِنْ مَنْ يهْوَى التَّنقُل تبَعَ المَصَالحِ الدُنيويَّـــة

نَقّلْ ركَـــابَكَ في الفَـــلاَ ودَعِ الغَوَانِي في القُصُـــوْرْ
لَوْلاَ التَّغَــرُّبُ ما ارْتَقَـــى دُرَرُ البُحُـــورِ إلىَ النُحُـــوْرْ
فَمُحَـــا لِفُـــوْا أَوْطَانِهِـــمْ أَمْثَالُ سُكَّـــانِ القُبُـــوْرْ

آخر : كُلُ المنازِلِ والبلاد عَزِيْـــزَةٌ عِنْدي وَلا كَمُوَاطِنِيْ وَبَـــلادِيْ

آخَر : ما مِنْ غَرِيْبٍ وَلَنْ أبْـــدَى تَجَلُّدَهُ إلاَّ تَذَكَّر عِنْدَ الغُرْبَةِ الوَطَنَـــا

آخر : إِنَّ الوَدَاعَ مِنَ الأَحْبَابُ نافلةٌ لِلظَّاعِنِينَ إِذَا ما يَمَّمُوا بَلَـــداً
وُلَسْت أدْرِي إِذَا شَطَّ الْمَـــزَارُ بِهِـــمْ هَلْ تَجْمَعُ الدارُ أَمْ لا نَلْتَقِيْ أَبَـــدَا
دَارٌ سَكنا بِهَـــا مُذْ كَانَ نَشْأتُنَـــا فِيْهَا القَرِيْبُ وَأَصْحَّابٌ لَنَا سَنَـــدا

آخر : كم مَنْزِلٍ في الأرض يَألفُه الفُتى وحَنِيْنُهُ أبَداً لأَوّلِ مَنْـــزِلِ

آخر ولا تَيْأَسَا أَنْ يَجْمَع الله بَيْنَنَـــا كَأحْسَنِ مَاكُنَّا عَلَيْهِ تَصَافِيَـــا
فَقَدْ يَجْمَعُ اللهُ الشَّتِيْتَيْنِ بَعْدَمَـــا يَظُنَّانِ كُلُّ الظَّنِ أَنْ لا تَلاَقِيَـــا

قال ابن عبد البَرّ ثلاثٌ إذا كُنَّ في الرجّلُ لم يُشَكُّ في عَقْلِهِ وَفَضْلِهِ إِذَا حَمِدَهُ جَارُهُ وقَرابَتُهُ وَرَفِيقُهُ وإِلَيكَ طَرَفُ في الحَثّ على الاَحْسَانِ إلى الجَار والبُعْدِ عن أذيَّتِهِ .

وَقَدْ جَاءَ في الأَحَادِيْثِ النَّبويَّةِ التَّحْذِيْرُ مِنْ إِيْذَاءِ الجَار ، والتَّرْغِيبُ في الاحْسَانِ إليه ، فَعَنْ ابن عُمَر رضي الله عنهما قال قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَا زَالَ جِبْرِيْلُ يُوْصِيْنِي بالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثه » مُتَّفَقٌ عليه .

وَعَن أَبِي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ « يَا نِسَاءَ المُسْلِمَاتِ لا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِها وَلَوْ فِرْسنَ شَاةٍ » مُتفقٌ عليه .

وَعَنْ أَبِي ذَرّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « يَا أَبَا ذرٍ إِذا طَبَخْتَ مَرَقَةً فأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيْرَانَكَ » رَوَاهُ مُسْلِم .

وَفي رِوَايَةٍ له عن أبي ذَرّ قَالَ إِنَّ خَلِيْلِي ﷺ أَوْصَانِيْ « إِذَا طَبَخْتَ مَرقَةً

فَأَكْثِرْ مَاءَها ثمّ انْظرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِن جِيْرَانِكَ فَأَصِبْهُم مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ » .

وَعَن المِقْدَادِ بن الأَسْوَدِ رضي الله عنه قالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لأَصْحَابه « مَا تَقُولُونَ في الزِّنَا ؟ » قَالُوا : حَرَامٌ ، حَرَّمَهُ اللّهُ وَرَسُولُهُ ، فَهُوَ حَرَامٌ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ ، قالَ فقالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ « لأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بامْرَأَةِ جَارِهِ » .

قالَ « مَا تَقُولُونَ في السَّرِقةِ ؟ » قَالُوا : حَرَّمَهَا اللّهُ وَرَسُولُه فَهِيَ حَرَامٌ قَال « لأَنْ يَسْرِقَ الـرَّجُل مِن عَشَرةِ أبْيَاتٍ ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِن أَنْ يَسْرِقَ مِن جَارِهِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَاللفْظُ لَهُ ، وَرُوَاتهُ ثِقَاتٌ وَالطَّبَرَانِيّ في الكبِيْرِ وَالأَوْسَطِ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ « المؤمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّـاسُ ، والمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسلِمُوْنَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِه ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوْءِ ، وَالذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَا يَدْخلُ الجَنَّةَ عَبْدٌ لَا يأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى وَالبَزَّارُ وَاسْنَادُ أَحْمَدَ جَيِّدٌ .

لِلْجَارِ حَق إِذا أَدَّيْتَ وَاجِبَهُ ... جَازَاكَ رَبُّكَ بالإِحْسانِ إِحْسَانَا
فَأَوْلِ بالخَيْر خَيْراً وَاثْنِيَنَّ بِهِ ... وإِنْ أَتَى سَبُّهُ جَازَيْتَ غُفْرَانَا
واغْضُضْ جُفُوْنَكَ عن عَوَاتِ مَنْزِلِهِ ... وَأَوْلِهِ مِنْكَ لُطْفاً حَيْثُمَا كَانَا
جَارِي أَرَى حِفْظَهُ حَقاً ونصْرتَهُ ... فَلَسْتُ أُسْلِمُ جَارِيْ عَزَّ أَوْهَانَا

آخـر :

إنْ كانَتِ الدارُ فيمَا بَيْنَنَا نَزَحَتْ ... فأَنْتُمُوْا في سُوَيْدَا القَلْبِ سُكّانُ
والله مَا غيَّرَ تْنِي سَلْوَةٌ عَرَضَتْ ... ولا انْطَوَى لِيْ على الهجْران جُثْمَانُ
وكيْفَ أنْسَاكَم وُالقَلْبُ عِنْدَكُمُ ... وفى الحَشَا منكُم وَجْد وَأَشْجانُ
لا تهْجُرُوْا وَافِياً يَرْعَى ذِمَامَكُم ... فَيَبْلُغُ الغَرضَ الحُسَادُ لَا كَانُوا

قال بعضهم على لِسَان من فارَقَهُ مَن يأْلَفُهُ ويُحِبُّهُ .

كَيْفَ السَّبِيْلُ وقد شَطَّتْ بنَا الدَّارُ ... أَمْ كَيْفَ أَصْبرُ وَالأَحْبَابُ قَدْ سَارُوْا

ومَنْزِلُ الأُنُسْ أَضْحَى بَعْدَ سَاكِنِهِ مُسْتَوْحِشاً حِيْنَ غَابَتْ عَنْه أَقْمَارُ
ما كانِ أَحْسَنَنَا والدارُ تَجْمَعُنَا وَالعَيْشُ مُتّصِلٌ والوَصْلُ مِدْرَارُ
يَاسَاكِنْينَ بِقَلْبِيْ أَيْنَمَا رَحلُوْا ورَاحِلِيْنَ بِقَلبِي أَيْنَما سَارُوْا
غِبْتُم فَاظْلَمَتِ الدنْيَا لِغَيْبَتِكُمْ وَضَاق مِن بَعْدِكم رَحْبٌ وأَقْطَارُ
لَيْتَ الغُرابُ الذِيْ نَادَى بفْرِقتكُمْ عَارٍ مِن الرّيْش لا تَحْويه أَوْكَارُ
بَعْدَ النعِيْمِ بَعُدْنا عن مَنَازِلِنا وبَعْدَ أَحْبَابِنَا شطَّتْ بِنَا الدَّارُ

وقال آخـر :

دَعُوني على الأَحْبَاب أَبْكِي وأَنْدُبُ فَفِي القَلْبِ مِن نارِ الفِراقِ تَلَهُّبُ
ولا تُعْتِبُوني إن جَرتَ أَدْمُعِي دَماً فلَيْسَ لِقَلْبٍ فَارَقَ الإلفَ مَعْتَبُ
لَقَدْ جَرَحَ التّفْرِيْقُ قَلْبِـيْ بنَبْلِهِ فِمَنْ دَمِهِ دَمْعِي على الخدِ يَسْكُبُ
أَأَحْبَابُنَا مَا باخْتيارِيْ فِراقُكُم ولَكِنْ قضَاءُ اللهِ مَا مُنْه مَهْرَبُ
وما كان ظَنِيّ أَنْ يُفَّرقَ بيْنَنَا وَسُرْعَةَ هذا البَيْنِ ما كُنْتُ أَحْسِبُ
أَجُوْل بِطَرفِي بَعْدَكُم فى دِيارِكُمْ فارْجِعُ والِنّيْرانُ في القَلْبِ تَلْهَبُ

آخر :

بَكَيْتُ على الأَحِبَّةِ حِيْنَ سَارُوْا وأَزعَجَنْي الرَّحِيْلُ فَلَا قَـرَارُ
أنَادِيْهِمْ بِصَوتِي أيْنَ حَلُـوا وفي قَلبِي مِن الأَشْـوَاقِ نارُ
يَقُوْلُ لِيْ العَذُوْلُ وقَـد رَآني وفي حَالِي لمَنْ عَشَـقَ إعْتِبَـارُ
أَتهجُرُ مَن تُحِبُّ وأنْتَ جَـارٌ وتطْلُبُهُ وقَدْ شَـطَّ المَـزَارُ
وتبكي عندَ فُرقَتِـهِ اشْتِيَاقـا وتَسْأُلُ في المنازل أين سـارُوْا
لِنَفْسِكَ لَمْ ولا تلم المَطِايَا ومُتْ كَمَداً فَلَيْسَ لك اعْتِـذارُ

مَوْعِظَة عِبادَ اللَّهِ لَقَدْ تَبَاعَدَتْ القُلُوبُ في هَذَا الزَّمَانِ تَبَاعُدَاً يَنْبَغِيْ أَنْ يُبْكى لَهُ أَشَدَّ البُكَاءِ ، وَأَصْبَحْنا بهَذَ التَّباعُدِ لاَ اخاءَ بَيْنَنا ، وَالسَّبَبُ الوَحِيْدُ في ذَلِكَ أَنَّ عشقنا الدُّنْيَا قَضَى نَهَائِيّاً عَلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ ، وَأَصْبَحَ الهَدَفُ الوَحِيْدُ هُوَ الحُصُوْلَ عليهَا مِنْ أَيّ طَرِيْقٍ كَانَ ، فَالقَلْبُ وَاللسَانُ وَالجَوَارِحُ مَشْغُولَةٌ

لَيْلاً ونَهَاراً في طَلَبِ الدُّنْيا ، فَهِيَ المُنْتهى وَالمُشْتَهَى عَلى حَدِّ قَوْلِ الشَّاعِرِ فيها وهي تلقب أمَ دَفْر والدفر النَّتن :

أَبى القَلْبُ إلاَّ أُمَّ دَفْرٍ كَمَا أَبى ... سِوَىٰ أُمَّ عَمْرٍو مُوْجَعُ القَلْبِ هَائِمُ
هِيَ المُنْتَهى وَالمُشْتَهَى وَمَعَ السُّهَى ... أَمَانِيٌّ مِنْهَا دُوْنَهُنَّ العَظَائِمُ
وَلَمْ تَلْقَنَا إلاَّ وَفِيْنَا تَحَاسُدٌ ... عَلَيْهَا وَإلاَّ في الصُّدُوْرِ سَخَائِمُ

آخر :

نَعَمْ إنَّهَا الدُنْيَا إلى الغَدْرِ دَعْوةٌ ... أَجَابَ إليها عَالِمٌ وَجَهُولُ
فَفَارَقَ عَمْرُو بْنُ الزُبَيْرِ شَقِيْقَهُ ... وَخَلىَّ أَمِيْرَ المؤمنِيْنَ عَقِيْلُ

آخر :

عَجِبْتُ مِنَ الدُنْيَا وَذَمِّي نَعِيْمَهَا ... وحُبِّيْ لَهَا في مُضْمَرِ القَلْبِ بَاطِنُ
وقَوْلِي أَعِذْنِي رَبِّ مِن كُلِّ فِتْنَةٍ ... وأُكْلَفُ منها بالذي هو فَاتِنُ

آخر :

أَرَى أَشْقِياءَ الناسِ لا يَسْأَمُونَهَا ... على أَنَّهُم فيها عُرَاةٌ وَجُوَّعُ
أَرَاهَا وإنْ كَانَتْ تُحَبُّ كَأَنها ... سَحَابَةُ صَيْفٍ عن قَرِيْبٍ تَقَشَّعُ

آخر :

لِسَانُكَ لِلدُّنْيَا عَدُوٌ مُشَاحِنٌ ... وقَلْبُكَ فيها لِلسَانِ مُبَايِنُ
وما ضَرَّهَا مَا كانَ مِنْكَ وقد صَفَا ... لها منكَ وِدٌّ في فُؤَادِكَ كامِنُ

فَلِلدُّنْيا يَعُقُّ الوَلَدُ أَبَاهُ وَيُقاطِعُ أَخاهُ ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَمَاماً أَنَّهُ شَقِيْقُهُ وَلِلدُّنْيَا المُشَاغَبَاتُ بَيْنَ الجِيْرَانِ وَالمُتَعَامِلِيْنَ فَلِلدُنْيا مَكَانَةٌ اليَوْمَ أَنْستْ الخَلْقَ خَالِقَهم وَرازِقَهمْ فإِنْ حَضَرُوا لِلصَّلاةِ فَالأبْدَانُ حَاضِرَةٌ وَالقُلُوبُ مَعَ الدُنْيَا ، فَعَلَتْ الدُّنْيَا بِالنَّاسِ اليَوْمَ أَفَاعِيْلَ مَا كَانَتْ تَخْطُرُ عَلَى البَالِ ، وَمِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا تَرَى الخَلْقَ في قَلاقِلَ وَأَهْوَالٍ .

زُرْ المحَاكِمَ وانْظُرْ تَرَى العَجَبَ العُجَابَ ، كُلُّ ذَلِكَ وَأَعْظَمُ مِنْهُ

سَبَبُهُ حُبُّ الدُّنْيَا والانْهِمَاكُ فِيْهَا فأيْنَ نَحْنُ مِنْ سَلَفِنَا الصَّالِح الذِيْنَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى في وَصْفِهِم ﴿ أَشِدَّاءُ عَلى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم ﴾ فَانْظُرْ شَهَادَةَ اللهِ لَهُم أَنَّهُمْ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم وَهَلْ تَقْتَضِيْ الرَّحْمَةُ إلاَّ عَطْفاً مِنْهُم على إخْوَانِهِم وَإِحْسَاناً ، وَانْظُرْ إلى قَوْلِهِ تَعالَى ﴿ يُحِبُّوْنَ مَنْ هَاجَرَ اليْهِمْ وَلاَ يَجِدُوْنَ في صُدُوْرِهِمْ حَاجَةً مِمّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُوْنَ عَلى أنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خصَاصةٌ ﴾ .

هَكَذَا يَكُوْنُ المُؤْمِنُوْنَ ، لِذَلِكَ كَانَتْ هَيْبَتُهُم في نُفُوْسِ أَعْدَائِهِم تَرْتَعِدُ مِنْهَا فَرَائِصُ الشُّجْعَانِ وَكَانُوا سَادَةَ الدُّنْيَا يَشْهَدُ بِذَلِكَ العَدُوْ قَبْلَ الصَّدِيْقِ ، فَانْ كُنْتَ في شَكٍّ مِمَّا ذَكَرْنَا لَكَ فَانْظُرْ إلى مَا ذَكَرهُ المحَقِّقُون مِنْ المُؤَرِّخِيْنَ .

اللهُمَّ اجْمَعْ قُلوبَ المُؤمِنِينَ على مَحَبَّتِكَ وَطَاعَتِكَ ، وَأَزِلْ عَنْهُم مَا حَدَثَ مِنْ المنْكَراتِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمين ، وَصَلى اللهُ على مُحمدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــلٌ)

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنْ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَسَمَ بَيْنَكُم أَخلاَقَكُم ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُم أَرْزَاقَكُم ، وَإِنّ اللهَ عزّ وَجَلّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يحِبُّ وَمَنْ لاَ يُحِبُّ ، وَلاَ يُعْطِي الدِّيْنَ إلا مَنْ أَحَبَّ ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الدِّيْنَ فَقَدْ أَحَبَّهُ ، وَالذِي نَفْسِيْ بِيَدِهِ لاَ يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يُسْلِمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُه ، وَلاَ يُؤْمِنُ حَتّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ » .

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا بَوائِقُه ؟ قَالَ « غَشَمُه وَظُلْمُه » ولاَ يَكْسَبُ مَالاً مِنْ حَرَامٍ فَيُنْفِقُ منه فَيُبَارَكُ فِيْهِ ، وَلاَ يَتَصَدَّقُ بِهِ فَيَقْبَلُ مِنْه ، وَلاَ يَتْرُكه خَلْفَ ظَهْرِهِ إلَّا كَانَ زَادَه إلى النّارِ ، إنَّ اللهَ لاَ يَمْحُو السَّيِّءَ بالسَّيِّءِ

وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّءَ بالحَسَنِ ، انَّ الخَبِيْثَ لاَ يَمْحُـو الخَبِيْثَ » رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ أَبي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَشْكُو جَارَهُ قَالَ « أَطرَحْ مَتاعَكَ على الطَّرِيْقِ » فَطَرَحَهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَمُرُّونَ عَلَيْهِ وَيَلْعَنُوْنَه ، فَجَاءَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ لَقِيْتُ مِنْ الناسِ ، قالَ وَمَا لَقِيْتَ مِنْهُم ؟ قالَ : يَلْعَنُونَنِي .

قَالَ « قَدْ لَعَنَكَ اللهُ قَبْلَ النَّاسِ فَقَالَ : إِنِّي لاَ أَعُودُ ، فَجَاءَ الذِيْ شَكَاهُ إِلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالَ « ارْفَعْ مَتَاعَكَ فَقَدْ كُفِيْتَ » رَوَاهُ الطَّبَرانِيّ ، وَالبَزَّارُ بِاسْنَادٍ حَسَن بِنَحْوِهِ إلاَّ أَنَّه قَالَ « ضَعْ مَتَاعَكَ عَلَى الطَّرِيْقِ » فَوَضَعَهُ ، فَكَانَ كلُّ مَنْ مَرَّ بِهِ قَالَ : مَا شَأْنُكَ قَالَ : جَارِيْ يُؤذِيْنِي ، قَالَ فَيَدْعُونَ عَلَيْهِ ، فَجَاءَ جَارُه فَقَالَ : رُدَّ مَتَاعَكَ فإنِّيْ لاَ أَؤذِيْكَ أَبَدَا .

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَشْكُو جَارَهُ فقالَ : « اذْهَبْ فَاصْبِرْ » فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً ، فَقَالَ « اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ في الطَّرِيْقِ » فَفَعَلَ فَجَعَلَ النَّاسُ يَمُرُّونَهُ وَيَسْأَلُونَهُ فَيُخبِرُهُمْ خَبَرَ جَارِهِ ، فَجَعَلُوا يَلْعَنُونَهُ ، فَعَلَ اللهُ بِهِ وَفَعَلَ ، وبَعْضُهم يَدْعُو عَلَيْهِ ، فَجَاءَ إِليهِ جَارُهُ ، فَقَالَ : ارْجِعْ فإنَّكَ لَنْ تَرَىٰ مِنِّيْ شَيْئاً تَكْرَهُهُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَاللفْظُ لَهُ وَابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ وَالحَاكِمُ وقالَ صَحِيْحٌ على شرطِ مُسلم وعن مُطَرفِ بنِ عبدِ اللهِ قال كان يبْلُغني عَنْكَ حَديث وكُنْتُ أَشْتَهِي لِقائَكَ قال لِلَّهِ أَبُوكَ قد لَقِيْتَنِي فَهَاتِ . قلْتُ حَدِيْثٌ بَلَغَنِيْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَكَ ، قَالَ « انَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ ثَلاَثَةً وَيُبْغِضُ ثَلاَثَةً » قَالَ ا إِخَالُنِي أَكْذِبُ عَلى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ .

قَالَ : فَقُلْتُ فَمَنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ الذين يُحِبُّهم اللهُ عَزَّ وَجلَّ قالَ : رَجُلٌ غَزَا في سَبيلِ اللهِ صَابِراً مُحْتَسِباً فقاتَلَ حَتَّى قُتِلَ وَأَنْتُم تَجِدُونَهُ عندَكُم في كِتَابِ اللهِ عزَّ وَجلَّ ثم تَلاَ ﴿ انَّ اللهَ يُحِبُّ الذِيْنَ يُقَاتِلُونَ في سَبِيْلِهِ صَفّاً كأنهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوْصٌ ﴾ .

قُلْتُ : وَمَنْ ؟ قَالَ (وَرَجُلٌ كَانَ لَهُ جَارُ سُوْءٍ يُؤْذِيْهِ فَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُ حَتَّى يَكْفِيْهِ اللهُ إِيَّاهُ بِحَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ) فذكرَ الحَدِيْثَ رَوَاهُ أَحْمَدَ وَالطَّبَرانِيّ وَاللفْظُ لَهُ وَاسْنَادُه واحد اسْنَادَيْ أَحْمَدُ رِجَالُهُما مُحْتَجٌّ بِهِمْ في الصَّحِيْحِ وَرَوَاهُ الحَاكِمُ وَغَيْرُه بِنَحْوِهِ وَقَالَ صَحِيْحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ .

وَعَنْ نَافِعِ بْنِ الحَارِثِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم (مِنْ سَعَادَةِ المَرْءِ الجَارُ الصَّالِحُ وَالمرْكَبُ الهَنِيُّ وَالمَسْكَنُ الوَاسِعُ) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرُوَاتُهُ رُوَاةُ الصَّحِيْحِ .

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِيْ وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « أَرْبَعٌ مِن السَّعَادَةِ : المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ وَالمَسْكَنُ الوَاسِعُ والجَارُ الصَّالِحُ والمرْكَبُ الهَنِيُّ وَأَرْبَعٌ مِنْ الشَّقَاءِ الجَارُ السُّوءُ وَالمَرْأَةُ السُّوْءِ وَالمرْكَبُ السُّوءُ وَالمَسْكَنُ الضَّيِّقُ » رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ .

وَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ فُلانَةُ تُكْثِرُ مِنْ صَلاتِهَا وَصَدقتِها وَصِيَامِهَا غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِيْ جِيْرَانَهَا بِلِسَانِهَا .

قَالَ « هِيَ في النَّارِ » قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ فإِنَّ فُلانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَلاَتِهَا وَأَنَّهَا تَتَصدَّقُ بالأثوارِ مِنْ الأَقِطِ وَلاَ تُؤْذِيْ جِيْرَانِهَا، قَالَ « هِيَ في الجَنَّةِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالبَزَّارُ وَابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ ، وَالحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيْحُ الاسْنَادِ .

وَرَوَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِيْ شَيْبَةَ باسْنَادٍ صَحِيْحٍ أَيْضاً وَلَفْظُهُ وَهُو لَفْظُ

بَعْضِهِم قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ فلانَةُ تَصُومُ النَّهارَ ، وَتَقُومُ اللّيْلَ وَتُؤْذِيْ جِيْرَانَهَا ، قَالَ « هِيَ في النَّارِ » قَالُوا : يَـا رَسُولَ اللهِ فُـلانة تَصَلّيْ المَكْتُوبَاتِ وَتَصدقَ بالأَثْوَارِ مِنْ الأَقِطِ وَلاَ تُؤْذِيْ جِيْرَانَهَا ، قالَ « هِيَ في الجَنَّةِ » .

وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم « ثَلاَثَةٌ مِنْ الفَوَاقِرِ ، إِمَامٌ إِنْ أَحْسَنْتَ لَمْ يَشْكُرْ وَانْ أَسَأْتَ لَمْ يَغْفِرْ وَجَارُ سُوءٍ إِنْ رَأَى خَيْراً دَفَنَهُ ، وانْ رَأى شَرّاً أَذَاعَهُ ، وَامْرَأَةٌ إِنْ حَضَرَتْ آذَتْكَ وَإِنْ غِبْتَ عَنْهَا خَانَتْكَ» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ باسْنَادٍ لا بَأْسَ بِهِ .

وَفِي حَدِيْثِ أَنَسٍ إِثْنَـانِ لاَ يَنْظُرُ اللّهُ إِلَيْهِمَا يَوْمَ القِيَامَةِ قَاطِعُ رحِمٍ وَجَارُ سُوْءٍ . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« مَـوْعِظَـةٌ »

عِبَادَ اللّهِ لَقَدْ كَانَ سَلَفُنَا في مَحَبَّةِ بَعْضِهِم بَعْضاً آيَةٌ مِنْ الآيَاتِ وَكَانَ التَّراحُمُ بَيْنَهُم بَالِغاً مَبْلغاً يَعُدُّهُ أَهْلُ الانْصَافِ غَايَةَ الغَايَاتِ لِذَلِكَ كَانُوا في مَحَبَّةِ الخَيْرِ لِبَعْضِهِم عَلَى أَرْقَى مَا يُتَصَوَّرُ في الدَّرجَاتِ .

وَهَلْ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُم فِي أَشَدِّ الجُوْعِ وَيُؤْثِرُ أَخَاهُ بِمَالَهُ مِنْ طَعَامٍ عَامِلِيْنَ بِقَـوْلِهِ تَعَـالَى ﴿ وَيُؤْثِرُوْنَ على أَنْفُسِهم وَلَـوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ وَقَولِهِ ﴿ وَيُطْعِمُوْنَ الطَّعَامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيْناً وَيَتِيْماً وَأَسِيْراً ﴾ وَبِقَوْلِهِ صلّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .

وَإِنّ الخَجَلَ لَيَعْلُو وُجُوْهَنَا إِذَا نَحْنُ قَارَنَّا بيْنَ هَؤُلآءِ وَبَيْنَ أَبْنَاءِ هَذَا الزَّمَانِ ، نَحْنُ في حَالَةٍ تَصَوُّرُ حَقِيْقَتِهَا فَقَطْ يُثِيْرُ في قُلُوبِ المؤمِنيْنَ الآحْزَانَ .

كَيْفَ وَنَحْنُ إِذَا فَتَّشْنَا ثم فَتَّشْنَا لا نَجِدُ قَلْبَيْنِ مَعَ بَعْضِهِمَا مَعِيَّةَ الاخَاءِ التّامِّ يَكُوْنُ الجَارُ في نِهَايَةِ الفَقْرِ وَلاَ يَلْتَفِتُ إِليهِ جَارُهُ المُثْرِي وَيَنْزِلُ

بالأخِ الشَّقِيْقِ أَوِ العَمِّ الشَّقِيْقِ أَو نَحْوِهِمَا مَا يَنْزِلُ مِن الكَوَارِثِ وَلاَ أَثَرَ لِنُزُوْلِهَا عِنْدَ أَخِيْهِ وَلاَ كَأَنَّهُ يرَى تِلْكَ المَصَائِبَ الفَادِحَة وَلَعَلَّكَ مُنْتَظِرٌ الجَوَابَ مَا هُوَ السَّبَبُ في ذَلِكَ فَأَلْقِ سَمْعَكَ وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ .

فَأَقُولُ لِكُلِّ النَّاسِ اليَوْمَ شُغْلٌ وَاحِدٌ هُوَ المالُ شَغَلَهُم عَمَّا عَدَاهُ وَأَنْسَاهُم كُلَّ مَا سِوَاهُ مَلأَ القُلُوبَ حُبُّ هَذَا المالِ حَتّى لَمْ يَبْقَ في القُلُوبِ مُتَّسَعٌ لِسِوَاهُ فَمِنْ أَجْلِهِ تُسْتَبَاحُ الاعْرَاضُ وَمِنْ أَجْلِهِ تُرَاقُ الدِّمَاءُ وَمِنْ أَجْلِهِ يَكُونُ الصَّفا والمُعَادَاةُ هُوَ القُطْبُ الذِي تَدُورُ حَوْلَهُ أَفْعَالُ العِبَادِ في هَذَا الزَّمَانِ .

فَالقُلُوبُ في سُرُوْرٍ مَا دَامَ المالُ سَالماً وإن انهْارَ بنَاءُ الشَّرَفِ والدِّيْنِ والنُّفُوسُ في هُدُوءٍ وَطُمَأْنِيْنَةٍ ما ابْتُعِدَ عَن المالِ فَإِذَا قُرِبَ حَوْلَهُ هَاجُوا هَيَجَانَ الجِمَالِ وَهُمْ في تَوَاصُلٍ مَا لَمْ يُتَعَرَّضْ لِلْمالِ فَإِذَا تُعرِّضَ لَهُ انْقَطَعَت الصِّلاتُ حَتَّى بَيْنَ الأَقْرَبِيْنَ مِنْ آبَاءٍ وَأُمَّهاتٍ وأوْلاَد وَإِخْوَانٍ .

وهذا من ثمرات البُخْل قال بعضهم البخيل يستعجل الفقر الذي هرب منه ويفوته الغِنى الذي يطلبه فيعيش في الدنيا عَيْشَ الفُقَراء ويُحاسَبُ حِسَابَ الأَغْنِيَاء فالبخيلُ هو الوحيدُ الذي يَسْتَبْشِرُ وَرَثَتُهُ بمَرَضِهِ وَمَوْتِه وتجده لَيْلَهُ ونَهارَهُ مُسْتَغْرَقٌ في جَمْعِ المالِ لا يَفْتُر خَوْفًا مِن الفَقْرِ وهذا هُوَ الفَقْرُ كما قيل :

ومَن يُنْفِقِ الساعاتِ في جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ فالذي فَعَلَ الفَقْرُ

آخر :

يُفْني البَخِيْل بجَمْعِ المالِ مُدَّتَهُ وللْحَوادِثِ والوُرَّاثِ ما يَدَعُ
كَدُوْدَةِ القَزِّ ما تَبْنِيْهِ يَهْدِمُهَا وغَيْرُهَا بالذي تَبْنِيْهِ يَنْتَفِعُ

آخر :

وذِيْ حِرْصٍ تَراهُ يُلِمُّ وفْرًا لِوَارِثِهِ ويَدْفَعُ عن حِمَاهُ
كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُمْسِكُ وهْوَ طَاوٍ فَرِيْسَتَهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ

أَمـا عَلِمَ هَؤُلاَءِ أَنَّ المالَ الذي كَانَ بِأَيْدِينَا كَانَ قَبْلَنَا بِيَدِ اخْوَانِنَا في الإِنْسَانِيّةِ الذين سَبَقُونَا إلى الدنيا ثم انْتَقَلَ إِلىَ مَنْ بَعْدَهُم ثم انْتَقَلَ مِن جِيْلٍ إلى جِيْلٍ إلى أَنْ وَصَلَ الَيْنَا سَعِدَ بِهِ مَنْ صَرَفَهُ مَرَاضِيْ اللَّهِ وَشَقِيَ بِهِ مَنْ صَرَفَهُ في مَا يُغْضِبُ اللَّهَ .

وَلَعَلَّكَ يَا أَخِيْ تَتَكَدَّرُ إذَا عَلِمْتَ أَنَّهُ سَيَنتقِلُ عَنْكَ في أَسْرَعِ وَقْتٍ فلا تَفْزَعْ وَلاَ تَتَكَدَّرْ ووَطِّنْ نَفْسَكَ وَاعْلَمْ انَّكَ وَاللَّهِ مَيِّتٌ وَمَوْرُوثٌ عَنْكَ مَا جَمَعْتَ وَمَنَعْتَ رَغْمَ أَنْفِكَ يَتَمَتَّعُ بِهِ ذَلِكَ الوَارِثُ العَاقُّ أَوْ البار وَإِنْتَ تُسْأَلُ عَنْهُ هَلَلَةً وَقِرْشاً قِرْشاً .

وَتَكُـوْنُ النَّتِيْجَـةُ إِنْ كُنْتَ جَمُوعاً مَنُوعاً شَقَاءً تَسْتَغِيْثُ مِنْهُ فَلاَ تُغَاثُ وَتَتَمَنَّى لَوْ كَانَت الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا بِيَدِكَ وَافْتَدَيْتَ نَفْسَكَ بِهَا تَكُونُ النَّتِيْجَةُ ذَلِكَ إِنْ كُنْتَ مِنْ المَغْرُورِيْنَ الغَافِلِيْنَ لذِيْنَ ظَنُّـوا أَنَّ السَّعَادَةَ كُلَّهَا تَيْسِيْرُ جَمْعِ المَالِ وَتَكْدِيْسُهُ عِنْدَكَ آلافاً وَمَلاَيينَ وَعَمَائِرَ وَفِلَلِ وَأَرَاضِيْ وَبُيوتٍ كَدَأْبِ أَهْلِ هَذَا العَصْرِ الغَافِلِ المُظْلِمِ بالمَعَاصِيْ وَالبِدَعِ والمُنْكَرَاتِ .

الذِيْ اعْتَاضَ أَهْلُهُ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ العُكُوْفَ عَلى الجَرَائِدِ حَمَّالَة الكَذِبِ والمَجلاتِ الخَلِيْعَاتِ وَالكُتُبِ الهَدَّامَاتِ والجُلُوسَ حَوْلَ المَلاَهِيْ والمُنْكَرَاتِ فَسَوْفَ تَنْدَمُ وَتَتَحسَّرُ حِيْنَمَا يَنْكَشِفُ عَنْكَ الغِطَا وَيَتَبَيَّنُ لَكَ ذَلِكَ الخَطَأَ وَتَتَمَنَّى أَنَّكَ أَمْضَيْتَ أَوْقَاتَكَ في طَاعَةِ مَوْلاَكَ وَهَيْهَاتَ أَنْ يَحْصُلَ لَكَ مُنَاكَ ذَهَبَ الآوَانُ وَبَقِيَ النَّدَمُ وَالحِرْمَانُ .

قال تعالى ﴿ ولو ترى إِذْ فَزِعُوا فلا فوتَ وأخذوا من مكان قريب . وقالوا آمنا به وأنَّى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد . وحِيلَ بينهم وبين ما يشتَهُون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شكٍ مريب ﴾ .

لَقَـدْ أَنْسَى النَّـاسَ حُبُّ هَذَا المـالِ مَا لَهُم مِن شَرَفٍ وَمُرُوْأَةٍ وَدِيْنٍ

وَجعَلَهُم حَوْل حُطام الدُّنْيا كَما وَصفَهُم الشَّافِعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَمَا هِيَ إِلَّا جِيْفَةٌ مُسْتَحِيْلَةٌ عَلَيْهَا كِلاَبٌ هَمُّهنَّ اجْتِذَابُهَا
فَإِنْ تَجْتَنِبهَا كُنْتَ سِلْماً لأَهْلِهَا وَإِنْ تجتذبها نَازَعَتْكَ كِلاَبُهَا

أَمَا عَلِمُوا أَنَّ المَالَ مِن خَدَم الدِّيْن فَاذَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ كَان نَكْبَةً عَلى أَصْحَابِهِ وَكذاكَ الأَولادُ إنْ كانُوا غَيْرَ صَالِحِيْنَ فَهُمْ ضَرَرٌ على أَبِيْهِم وَعَلى أَنْفُسِهِم وَكَذَلِكَ الزَّوْجَةُ وَلِذلك وَرَدَ عَنْ دَاوُدَ عليهِ السلامُ أنهُ كانَ يَقُولُ « اللهُمَّ إِنِّيْ أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ وَمِنْ مَالٍ يَكُونُ عَليَّ عَذاباً وَمِنْ وَلدٍ يَكُونُ وَبالاً وِمِنْ زوجةٍ تُشَيِّبُنِيْ قَبْلَ المَشِيْب وَمِنْ خَلِيْلٍ مَاكِرٍ عَيْنُهُ تَرْعَانِيْ وَقَلْبُهُ يَشْنَانِيْ إنْ رَأَى خَيْراً أَخْفَاهُ وَانْ رَأَى شَراً أَفْشَاهُ » .

وَقِيْلَ إنَّهُ سُئِلَ عِيْسَى عليه السَّلامُ عَن المالِ فقَالَ لا خَيْرَ فيْهِ قِيْلَ وَلِمَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ لأَنَّهُ يُجْمَعُ مِنْ غَيرِ حِلٍّ قِيلَ فانْ جُمِعَ مِنْ حِلٍّ قال لا يُؤدَّى حَقُّهُ قِيْلَ فإنْ أدِّيَ حَقهُ قالَ لا يَسْلَمْ صَاحِبُهُ من الكِبْرِ والخُيَلاَءِ قِيْلَ فانْ سَلِمَ قَالَ يُشْغِلُهُ عن ذِكْرِ اللَّهِ قِيْلَ فإنْ لم يَشغَلْهُ قالَ يُطِيْلُ عليهِ حِسَابَهُ يَوْمَ القِيامةِ .

فتَأَمَّلْ هَذِه العَقَباتِ الخَمْسَ وَقَلِيْلٌ مِنْ يَتَجَاوَزُها سَالِماً وَوَرِدَ عَنْ عَطاءِ بن السّائب عَن أَبِيْ البخْتَري قالَ كَانَ بَيْنَ عمّارِ بْن يَاسِرٍ وَبِيْنَ رَجُلٍ كَلاَمٌ في المَسْجِدِ فَقَال عَمَّارُ أَسْأَلُ اللَّهَ تَعالَى إنْ كُنْتَ كَاذبًا أَنْ لا يُمِيْتَكَ حَتَّى يُكْثِرَ مَالَكَ وَولَدَكَ وَيُوَطِّىءَ عَقِبَكَ وَوَرِدَ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ رسولُ الله ﷺ « خِيارُكُم في المائَتَيْنِ كُلُّ خَفِيْفِ الحاذِّ » قَالُوا يَا رَسُوْلَ اللَّهِ وَمَا الخَفِيْفُ الحَاذِّ قال : « الذِيْ لا أَهْلَ لَهُ وَلاَ وَلَد » .

شِعْرَا : يَقُولُ الذِيْ يَرْجُو مِن اللهِ عَفْوَهُ
وَيَرْجُوهُ نَصْراً عَاجِلاً غَيْرَ آجِلِ
لِمَنْ يَتَّقِيْ المَوْلَى وَيَرْجُو لِقَاءَهُ
وَعَمَّا يَقُولُ النَّاسُ لَيْسَ بِسَائِلِ

أَقُــولُ بِحَمْــدِ اللّهِ قَــوْلاً مُنَـقَّحــاً
وَلَوْ أَنَّ فَهْمِيْ قَاصِـر فِي المَسَائِـلِ

عَلَيْـهِ مِن النَّصِّ الصَّرِيْـحِ شَـوَاهِـدُ
إِذا قُلتُــهُ يَهْـوىٰ لَــهُ كُـلُّ عَــاقِـلِ

أُسِــرُّ بِمَــا بِيْ وَالـعُيُــوْنُ عَــوَابِــرٌ
بِـدَمْعٍ عَلى الخَـدَّيْنِ ثَجّـاً بِـوَابِـلِ

وَفِي مُـدَّعِيْ الإِسْـلَامِ قَلْبِيْ كَـأَنَّـهُ
عَلى الْمُهْلِ مِنْهُم لَيْسَ عَنْهُم بِذَاهِلِ

فَمَــا بَيْنَ دَهْـرِيٍّ وَمَــا بَيْنَ مُشْـرِكٍ
وَلَمْ يَعْـرِفِ الإِسْلَامَ غَيْـرُ القَـلائِـلِ

وَلَـوْ بَـذَلُــوْا الأَمْـوَالَ نَفْــلاً لِـرَبِّنَــا
إِذَا الفَـرْضُ ضَاعَ لَاغِنَى بِـالنَّوَافِـلِ

تَـرَكْنَـا الكِتَــابَ وَالحَـدِيْثَ وَرَاءَنَــا
لِأَجْــلِ مَجَلاتٍ أَتَتْ بِــالتَّهَــازُلِ

لَقَـدْ حَصَّـلَ المَقْصُـودَ مِنَّـا عَـدُوُّنَـا
وَمَقْصُــودُنَـا مِنْهُم فَلَيْسَ بِحَــاصِـلِ

مَشَيْنَـا جَمِيْعـاً فِي فَسَـادِ صَـلاحِنَـا
وَرُمْنَـا مَرَامـاً خَـاسِـراً غَيْـرَ طَـائِـلِ

وَتَـسْتَـعْجِـبُ الأَعْــدَاءُ مِنَّــا لِأَنَّـنَــا
كَمِثْـلِ القَطَا تَصْـطَادُنَـا بِـالحَبَـائِـلِ

أَحَاطَتْ بِنَا الأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَـانِـبٍ
كَـأَنَّـا طَـعَـامٌ قَــدَّمُــوهُ لِآكِــلِ

وَصَارُوْا بِحَاراً يُغْرِقُ الفُلْكَ مَوْجُهَا
وَنحنُ لَهُمْ صِرْنَا كَمِثْلِ الجَدَاوِلِ
وَتَخْتَرِعُ الأَعْدَاءُ لِلْحَرْبِ قُوَّةً
وَقَدْ هَدَّدَتْ مَنْ لَمْ يُطِعْ بِالقَنَابِلِ
وَلَيْسَ لَنَا مِنَّا زَعِيْمٌ مُصَادِمٌ
أَتَتْ تَتمطَّى مَا لهَا مِنْ مُقَابِلِ
وَنَحْنُ هَبَطْنَا لِلتُّرَابِ تَوَاضُعاً
نُرِيْدُ نَجاحاً مِنْ خَفِيْفِ القَسَاطِلِ
« فَتَبّاً لِعُبَّادِ الدَّنَانِيْرِ كُلِّهِمْ
وَتَبّاً لِخَبٍّ جَاهِلٍ مُتَعَاقِلِ »
وَتَبّاً لِعَبْدٍ مُشْرِكٍ خَانَ رَبَّهُ
وَضَيَّعَ دِيْناً مَا لَهُ مِنْ مُمَاثِلِ
وَتَبّاً لِقَوْمٍ عَزَّ فِيْهِمْ سفِيْهُهُمْ
وَصَارَ ذَلِيْلاً عِنْدَهُمْ كُلُّ فَاضِلِ
وَمِنْ أَعْظَمِ الخُسْرَانِ عِزُّ عَدُوِّهِمْ
وَذُلِّهُم مِنْ بَعْدِ عِزِّ الأَوَائِلِ
فَيَا لَيْتَ للإِسْلامِ في الحَالِ شَوْكَةً
ذَوُوا نَجْدَةٍ يَخْشَاهُمُ كُلُّ جَاهِلِ
رِجَالٌ يَرَوْنَ المَوْتَ مَجْداً وَجُنَّةً
عَنِ الذُّلِّ مِنْ فِعْلِ الصُّقُوْرِ الحَلاَحِلِ
تَذُوْدُ عَنِ الدِّيْنِ القَوِيْمِ بِسَيْفِهَا
وَمِنْ أَرْضِهَا تنفِيْ جَمِيْعَ الأَرَاذِلِ

اللهُم اخْتُمْ بالسَّعَادَة آجالَنا وَحقِّقْ بالزِّيَادَةِ أعْمَالَنا وَاقْرِنْ بالعَافِيَةِ غُدُوَّنَا

وَآصَالَنَا واجْعَلْ إلى رَحْمَتِكَ مَصِيْرَنَا وَمآلَنا وَاصْبُبْ سِجَالَ عَفْوِكَ على ذُنُوبنا وَمُنَّ بإِصْلاحِ عُيُوبِنَا واجْعَل التقوى زَادَنا وفي دِيْنِك اجْتِهَادُنا وَعَلَيْكَ تَوَكّلُنا وَاعْتِمَادُنا إلهَنا ثَبِّتْنَا على نَهْجِ الاسْتِقَامَةِ وَأَعِذْنَا مِن مُوْجِبَاتِ النَّدامَةِ يومَ القيامة وَاغفرْ لنا ولِوَالدَيْنا وجَميعِ المسلمين برَحمتِك يا أرحَمَ الرَّاحِمينَ وصَلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين .

(فَصْلٌ)

وَمِمَّا حَثَّ الشَّارِعُ عليه وهو من سُنَنِ المرسَلين إكْرَامُ الضَّيْفِ قال الله تعالى عن الخَليلِ عليهِ السَّلامُ ﴿ هلْ أتاكَ حَدِيْثُ ضيفِ ابراهيم المُكْرَمِيْنَ إذْ دَخلَوا عليه فقَالُوا سَلاماً قال سَلامٌ قومٌ مُنْكَرُونَ ، فَراغ إلى أهْلِهِ فجَاء بعِجْلٍ سَمِيْنٍ فقَرَّبَهُ اليهم قال ألا تَأكُلُونَ ﴾ .

وَيُذْكَرُ أنه كان لا يَأْكُلَ طَعَامَهُ إلاَّ مَعَ ضَيْفٍ وإنْ لَمْ يَأتِهِ أحَدٌ خَرجَ يَلْتَمِسُ ضَيْفا وقال صلى الله عليه وسلم مَن كان يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليُكْرِمْ ضَيْفَه ورَغَّبَ فيها صَلى الله عليه وسلم وقالَ مَن أقامَ الصَّلاةَ وآتَى الزكاةَ وصَامَ رمضَانَ وقَرى الضَّيْفَ دَخَلَ الجَنَّةَ .

وقَالَ صلى الله عليه وسلم لِعَبْدِ اللهِ بنِ عَمْروٍ رضي الله عنهما فَإنَّ لجَسَدِك عليكْ حَقّا وإن لعَيْنِكَ عليكَ حَقّا وإن لِزَوْرِكَ عليكَ حَقا والحديثُ رواهُ البخاري ومسلِم .

وعَن أبي هُريرة رضي اللهُ عنه قال جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقالَ إني مَجْهُودٌ فأرسَلَ إلى بَعْضِ نِسَائِهِ فقَالَتْ : لا والذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ ما عِنْدِي إلاَّ مَاءٌ ثم أَرْسَلَ إلى الأُخْرَى فقالَتْ مِثلَ ذلك حَتَّى قُلْنَ كلهُن مِثْلَ ذلكَ لا وَالذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ ما عِنْدِيْ إلاَّ مَاءٌ .

فقَالَ مَنْ يُضِيْفُ هَذا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللّهُ فقَامَ رَجُلٌ مِن الانْصَارِ فقالَ أنا يا رسُولَ اللهِ فانْطَلَقَ به إلى رَحْلِهِ فقَالَ لإمْرَأتِهِ هَلْ عندَكِ شَيءٌ قالَتْ لَا إلاَّ قُوْتُ صِبْيَانِيْ قالَ فَعلِّلِيْهِمْ بشيءٍ فاذا أرَادُوا العَشَاء فَنَوِّمِيْهِمْ فإذا دَخَلَ ضَيْفنَا فَأطْفئيْ السِّرَاجَ وَأرِيْهِ أنَّا نَأكُلُ .

وَفي رِوَايَةٍ فاذَا أهْوَى لِيَأكُلَ فقُومِيْ إلى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيْهِ قالَ فقعَدُوا وَأكلَ الضَّيْفُ وبَاتَا طَاوِيَيْنِ فَلَمَا أصْبَحَ غَدَا عَلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالَ قَدْ عَجِبَ اللهُ من صَنِيْعِكُما بضَيْفِكُما زادَ في رِوَايةٍ فَنزلَتْ هَذِه الآية ﴿وَيُؤْثِرُون على أنفسِهم وَلو كانَ بهم خصَاصَةٌ﴾ .

وَعَن أبي شُرَيْحٍ خُوَيْلدِ بنِ عَمْروٍ رضي الله عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ من كان يُؤمِنُ باللهِ واليـوْمِ الآخِرِ فَلْيُكرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ يَوْمٌ وَليْلَة وَالضِّيَافَةُ ثلاثَةُ أيّام فمَا كانَ بَعْدَ ذلك فهُوَ صَدَقةٌ ولا يَحِلُّ له أنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ رَوَاهُ مَالكٌ والبُخَاريّ ومُسْلَم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قالَ أيُّمَا ضَيْفٍ نَزَلَ بقَوْمٍ فَأصْبَحَ الضَّيْفُ مَحْرُوماً فَلَهُ أن يَأخُذَ بقَدْرِ قِرَاهُ ولا حَرَجَ عليهِ رَواه أحمدُ ورُوَاتُه ثِقَاتٌ وَالحَاكِم .

وعن شِهَابِ بن عَبَّادٍ أنَّهُ سَمِعَ بَعْضَ وَفْدِ عَبْدِ القَيْسِ وهم يَقُولُون قدِمْنَا على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فاشْتَدَّ فَرَحُهم فلمَّا انْتَهَيْنَا إلى القــومِ أوْسَعُوا لنَا فقَعَدْنَا فَرَحّبَ بنَا رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ودَعَا لنَا .

ثُمَّ نَظَرَ إلَيْنا فقَالَ مَنْ سَيِّدُكُم وَزَعِيْمُكُم فَأشْرنَا جَمِيْعُ إلى المُنْذِرِ بن عَائِذ فقَالَ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم أهَذَا الأشَجُّ فكان أوَّلَ يَوْمٍ وُضِعَ عَليهِ الاسْمُ لِضَرْبَةٍ كَانَتْ في وَجْهِهِ بحَافِرِ حِمَارٍ قُلْنَا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ فَتَخَلَّفَ بَعْدَ القَوْمِ فَعَقَلَ رَوَاحِلَهُم وَضَمَّ مَتَاعَهُم .

ثُمَّ أَخْرَجَ عَيْبَتَهُ فَأَلْقَى عَنْهُ ثِيَابَ السَّفَرِ وَلَبِس مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ ثمَّ أَقْبَلَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقَدْ بَسَطَ النبي صلى الله عليه وسلم رِجْلَهُ وَاتَّكأ فلمَّا دَنا مِنْهُ الأَشَجُّ أَوْسَعَ القَوْمُ لَهُ وَقَالوا هَاهُنا يا أَشَجُّ فقالَ النبي صلى الله عليه وسلم وَاسْتَوى قَاعِداً وَقَبَضَ رِجْلَهُ هَهُنَا يَا أَشَجُّ فتمَعْدَ عن يَمِينِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فرَحَّبَ به وَأَلْطَفهُ وسَأله عن بِلادِهِم وسَمَّى لهُم قَرْيَةَ الصَّفَا وَالمشْقَرِ وَغيرِ ذلكَ مِنْ قُرَى هَجَرٍ .

فقال بِأَبِيْ وَأُمِّي يا رسُولَ اللهِ لأَنْتَ أَعْلَمُ بأَسْمَاءِ قُرَانَا مِنَّا فَقَالَ إنِّيْ وَطِئتُ بلادَكُم وَفُسِحَ لِيْ فِيْهَا قالَ ثم أقبل عَلى الأَنصارِ فقالَ يا مَعْشَر الأَنصَارِ أكرمُوا إِخْوَانَكم فَانَّهُم أَشْبَاهكُم في الإِسْلامِ أَشْبَهُ شيءٍ بكم أَشْعَاراً وَأَبْشَاراً أَسْلَمُوا طَائعِينَ غيْرَ مُكْرَهِينَ ولا مَوْتُورِيْنَ إِذْ أَبَى قَوْمٌ أَنْ يُسْلِمُوا حَتَّى قُتِلُوا .

قَالَ فلمَّا أصْبَحُوْا قالَ كيفَ رَأَيْتُم كَرَامَةَ إِخْوَانِكُم وضِيَافَتَهُمْ إيَّاكُم قالوا خَيْرَ إِخْوَانٍ أَلانُوْا فُرُشَنا وَأَطَابُوْا مَطْعَمَنَا وَباتُوْا وَأَصْبَحُوْا يُعَلِّمُونَا كِتابَ رَبِّنَا تبارَكَ وَتَعالى وسُنَّةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فَأُعْجِبَ النبيُ ﷺ وَفَرِحَ رواه أحمدُ باسْنَادٍ صَحيح .

وَإِكْرَامُ الضَّيْفِ يَكُونُ بحُسْنِ اسْتِقْبَالِه وَيُقَابِلُهُ بِوَجْهٍ طَلِقٍ وَيَهُشُّ بِهِ وَيَبُشُّ وَيُرَحِّبُ بهِ وَيُؤَهِّلُ وَيُظْهِرُ لهُ مِنَ السُّرُوْرِ مَا تَطِيْبُ به نَفْسُه وَيَطْمَئِنُّ بهِ قَلْبُه من حُسْنِ حَدِيْثٍ مما يُنَاسِبُ حَالَهُ وَمقامَه وابْتِسَامٍ وَمُدَاعَبةٍ في حِشْمَةٍ واحْتِرَامٍ وَقَدِيْماً قِيْلَ :

إِذَا المَرْءُ وَافَى مَنْزِلاً لَكَ قَاصِدًا ... قِرَاكَ وَأَرْمَتْهُ لَدَيْكَ المَسَالِكُ
فَكُنْ بَاسِماً فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلاً ... وَقُلْ مَرْحَباً أَهْلاً وَيَوْمٌ مُبَارَكُ
وَقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيْعُ مِن القِرَا ... عَجُولاً ولا تَبْخَلْ بمَا هُوَ هَالِكُ
فَقَدْ قِيلَ بَيْتٌ سَالِفٌ مُتَقَدِّمٌ ... تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وعَمْرٌو وَمَالِكُ
«بَشَاشَةُ وَجْهِ المَرْءِ خَيْرٌ مِن القِرَا ... فكَيْفَ بمَنْ يَأْتِيْ بِهِ وَهْوَ ضَاحِكُ»

آخر : أَمِتْ ذِكْرَ مَعْرُوْفٍ تُرِيْدُ حَيَاتَهُ ... فإِحْيَاؤُهُ حَقًّا إِمَانَةُ ذِكْرِهِ
وَصَغِّرْهُ يَعْظُمْ فِي النُفُوْسِ مَحَلُّهُ ... فَتَصْغِيْرُهُ فِي النَّاسِ تعْظِيْمُ قَدْرِهِ
آخر : ومالي وَجْهٌ فِي اللِّئَامِ ولا يَدٌ ... وَلكنَّ وجْهِيْ لِلْكَرِيمِ عَرِيْضُ
أَحِنُّ إذا لاقيتُهُمَ وكأنني ... إِذَا أنا لاقَيْتَ اللَّئِيمَ مَرِيض

آخر :

وَمَا اكْتسَبَ المحَامِدَ طَالِبُوهَا ... بِمِثْلِ البِشْرِ وَالوجْهِ الطَّلِيْقِ

آخر :

وما اكْتَسبَ المَعَالِيَ طَالِبُوْهَا ... بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضَ الجَلِيْلُ

آخر :

أَخُوْ البِشْرِ مَحْمُودٌ على حُسْنِ بشره ... ولَنْ يَعْدِمِ البَغْضَاءَ من كان عَابِسَا

آخر :

يَقُوْلُونَ لِيْ هَلْ لِلْمَكَارِمِ وَالعُلى ... قِوامٌ ففِيْهِ لَو عَلِمتَ دَوَامُهَا
فَقُلْتُ لَهُمَ قَوْلاً صَحِيْحاً مُحقَّقاً ... نَعَمْ طَاعَةُ الرَحمٰنِ فَهْيَ قِوَامُهَا

آخر :

لا يُدْرِكُ المَجْدُ مَنْ لَمْ يُخْلِصِ العَمَلا ... لِخَالِقِ الخَلْقِ ذِى الفَضْلِ الذِيْ شَمَلا
ولا يَنَالُ العُلا إلا الذي شَرُفَتْ ... أخلاقُهُ وَلِأَمْرِ اللهِ مُمْتَثِلاَ

وقال آخر :

جِيءْ بالسَّماحِ إذا ما جِئْتَ فِي غرض ... فَفِي العُبُوسِ لَدَى الحَاجَاتِ تَصْعِيبُ
سَمَاحَةُ المرءِ تُنْبي عن فَضِيْلَتِهِ ... فَلاَ يَكُنْ لك مَهْمَا اسْطَعْتَ تَقْطِيْبُ

آخَرُ :

أُضَاحِكُ ضَيْفِيْ قَبْلَ إنْزَالِ رَحْلِهِ ... ويُخْصِبُ عِنْدِيْ وَالمَحَلُّ جَدِيْبُ
وَمَا الخِصْبُ لِلأَضْيَافِ أنْ يَكْثُرَ القِرَىٰ ... وَلكِنَّمَا وَجْهُ الكَرِيْمِ خَصِيْبُ

ولاَ يُرِيْهِ مِن فَقْرِهِ وَسُوْءِ حَالِهِ وَقِلَّةِ ذَاتِ اليَدِ فَإِنَّهُ رُبَّمَا ضَاقَ بذلكَ ذَرْعاً وَيَتَنَكَّدُ عليهِ المَقَامُ وَيَتَكَدَّرُ لِتِلْكَ الشَّكوىٰ ثم إنْ كانَ عَاقِلاً صَاحِبَ دِيْنٍ رَقَّ

لَهُ وَرَحِمَهُ وَقَدَّمَ مَا عِنْدَهُ لَهُ وانْعَكَسَتْ المَسْأَلةُ فأصْبَحَ ضَيْفاً عليه صَاحِبُ المَنْزِلِ بَعْدَ أنْ كانَ ضَيْفاً لَهُ .

وَإنْ كَانَ جَاهِلاً غيرَ دَيِّنٍ شَتَمَكَ وَذَمَّكَ وَخَرَجَ مِنْ عِنْدَكَ سَاخِطاً يَقُولُ مَا لا يَنْبَغِيْ وَيَنْسِبُ إليك أَشْيَاءَ رُبَّمَا أنكَ بَرِيءٌ مِنْهَا ولا تَحْتَقِرْ مَا عِنْدَكَ بَلْ قَدِّمْ له مَا تَيَسَّرَ مِن الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ كَمَا هِيَ طَرِيْقَة السَّلَفِ الصَّالِحِ رَضِيَ اللَّهُ عنهم فَانهم كانوا يُقدِّمُونَ لِلضَّيْفِ مَا يَجِدُوْنَهُ وَلَوْ كانَ شَيْئاً يَسِيْرًا وَيَقُولُونَ هُوَ أَحْسَنُ من العَدَمِ .

وَقَدْ دَخَلَ ضَيْفٌ عَلى عُمَرَ بن عَبْدِ العَزيز رَضيَ اللَّهُ عَنه فَقَدَّمَ له نِصْفَ رَغِيْفٍ وَنِصْفَ خِيَارَة وقالَ لَهُ كُلْ فَإِنَّ الحَلالَ في هَذَا الزَّمَانَ لا يَحْتَمِلُ السَّرَفَ وَأَخْرَجَ سَلْمَانُ رَضي الله عنه إلى ضَيْفٍ خُبْزاً وَمِلْحاً وَقَال لَولا أَنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَانَا عَن التَّكَلُّفِ لَتَكَلَّفْتُ لَكَ وقالَ إبرَاهِيْمُ النَّخعِيُّ رضي الله عنه كانَ يُعْجِبُهُم أنْ يَكُوْنَ في بُيُوتِهم التَّمْرُ لِلزَّائِرِ وَالسَّائِلِ وَالْمُهِمُّ أَنَّ الانسَانَ لا يَبْخَلُ بِمَا تَيَسَّرَ ظَانّاً أَنَّهُ لا يَلِيْقُ بضَيْفِه وَأنها لا تَتِمُّ الضِّيَافَةُ به وأَنَّهُ لا يُذْكَرُ مَعَهُ بِخَيْرٍ فَخيرٌ له أنْ يقال جَادَ بِمَا لَدَيْهِ مِن أن يُقَالَ فِيه أغْلَقَ بَابَهُ وَغيبَ وَجْهَهُ عن ضَيْفٍ نَزَلَ بِهِ .

وَفي الحَدِيْثِ عن جَابرِ بْن عَبدِ الله رضي الله عنه دَخَلَ عليه نَفَرٌ من أصْحَابِ النبي ﷺ فَقَدَّمَ إلَيْهِم خُبْزاً وَخَلاًّ فقال كُلُوا فانِّي سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقُولُ « نِعْمَ الإِدَامُ الخَلُّ » إنهُ هَلاكٌ بالرَّجُلِ أن يَدْخُلَ إليه النَّفَرُ مِن اخْوَانِهِ فَيَحْتَقِرَ ما في بيتِهِ أن يُقدِّمَهُ إليهم وهَلاكٌ بالقَوْمِ أن يَحْتَقِرُوا ما قُدِّمَ إلَيْهِم وفي روايَةٍ كَفَى بالمرْءِ شرّاً أنْ يَحْتَقِرَ ما قَدَّمَ إلَيْهِمْ وفي رِوَايَةٍ كَفَى بالمرءِ شَرّاً أن يَحْتَقِرَ ما قُدِّمَ إليه .

وَلا يَنْبَغِي أنْ يَسْتَأْثِرَ بِخَيْرِ مَا عِنْدَه مِن البُرِّ وَاللَّحْمِ وَالسَّمْنِ وَالعَسَلِ وَالفَاكِهَةِ وَنَحْو ذلكَ ويُقدِّمَ لِضَيْفِهِ الرَّدِيءَ وَالجَافَّ وَالنَّاشِفَ أو مَا يَكْرَهُهُ هُوَ وَأَهْلُهُ مِن رَدِيءِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَلا يَجِبُ عليه إنْزَالُ الضَّيْفِ في بَيْتِه لِمَا فيه

مِن الحَرَجِ والمشَقّةِ إلاَّ أَنْ لا يَجِدَ الضَّيْفُ مَسْجداً ولا رِباطاً وَلاَ مَحَلًّا فيهِ ولا يَخافُ منه ضرراً على نَفْسِهِ أو مَالِه أو أهْلِه فيَلْزَمُ إنزالُه في بَيْتِهِ لِلضَّرُورَةِ فإنْ خافَ فلا يَلْزَمُه .

ويَجُوزُ لِلضَّيْفِ الشُّرْبُ مِن كُوْزِ صَاحِبِ البَيْتِ وَالاتّكَاءِ على وسَادَةٍ مَوْضُوْعَةٍ وَقَضاء حَاجَتِه في الصُّهْرُوْجِ أَوْ الكَنيفِ مِنْ غَيْرِ اسْتِئْذَانٍ باللفْظِ لأَنَّهُ مَأْذُونٌ فِيْهِ عُرْفَا كقرْعِ البَابِ عليهِ هَذَا إِذ كانَ قَرِيْباً مِن مَحَلِّ الضَيفِ وإلا فَلاَ بُدُّ من تَنْبِيْه

شعــــرا :

وَمَنْ يَجْعَلِ المعْرُوْفَ فِي غَيرِ أَهْلِهِ ... يُلاقِيْ كَمَا لاَقَى مُجِيْرُ أُمُّ عَامِرِ
سَقَاهَا وَرَوَّاهَا فَلَمَّا تَضَلَّعَــــتْ ... فَرَتْهُ بأَنْيابٍ لَهَا وَأَظَافِـــــرِ
فَقُلْ لِذَوِيْ المَعْرُوْفِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ ... يُوَصِّلُ مَعْرُوْفاً إلى غَيْرِ شَـــاكِرِ

واللَّهُ أَعلمُ وصلى الله على مُحمدٍ وعَلَى آله وصحبه وسلم .

(فَصْــــــلٌ)

وَيَنْبَغِي أَنْ يَخْرُجَ مَعَ الضَّيْفِ إِذَا خَرَجَ وَيَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ وَيَحْفَظَ لَهُ دَابَّتَهُ وَمَتاعَهُ وَيَقْضِيْ له حَاجَتَهُ وَيَحْمِلَ مَعَهُ مَا يَشْرِيْه لِنَفْسه ويَسْعَى في تَسْهِيْلِ الطَّرِيْقِ لَهُ مَا أمْكَنَ مِن مُساعَدَتِه على رُخْصَةِ أَمْتِعَتِه وجَوازِ سَفرٍ وَنَحوِه .

وَيَنْبَغِيْ لِلضَّيْفِ أَنْ يكـونَ خَفِيْفَ النَّفْسِ لَطِيْفـاً يَفْهَمُ بالاشَارَةِ ، يُبَاشِرُ أعْمَالَه بنَفْسه وَلا يُكَلِّفُ مُضِيفَهُ وَيُشْغِلُهُ عَنْ شُئُونِهِ وَلا يُكَلِّفُه فوق طَاقَتِه ولا يَتَـأَفَّفُ وَيَتَكَرَّهُ مِن طَعَامٍ قُدِّمَ إليه وَلا يَترَفَّعُ عن مَكَانٍ أُعِدَّ لَهُ وَأنْزِلَ فيه ولا يَعِيْبُ شَيْئاً مِمَّا يَراهُ ويَغُضُّ بصرَهُ وَيكُفُّ سَمْعَهُ وَلا يَتَجَسَّسُ أخبَارَ أهْلِ البَيْتِ وَلا يَتحكَّمُ بالحَاشِيَةِ وَلأَطْفَالِ وَالخَدَمِ .

وَلا يُطِيْلُ الاقَامَةَ حتّى يُحْرِجَ صَاحِبَ المَنْزِلِ كَما يَفعَلُه الثُّقَلاءُ ولا يَقُولُ

إلا خَيْراً ولا يَفْعَلُ إلاَّ فِعْلَ الكِرَام الذيْنَ يَشْكُرُونَ الصَّنِيْعَ وَيُكافِئُونَ على الاحْسَانِ وعلى المُضِيْفَ أنْ يَحْتَسِبَ الأَجْرَ مِن اللَّـهِ على فِعْلِه المَعْرُوفَ وَيَغْتَنِمَ مِثْلَ هَذه الأَعْمَالِ وَلا يَأْلُ جُهْداً في اصْطَنَاعِ المَعْرُوفِ مَهْمَا أَمْكَنَهُ ذلكَ فَقَدْ قال ﷺ صَنَائِعُ المَعْرُوفِ تَقِيْ مَصَارِعَ السُّوءِ وقَالَ عَلِيٌّ رضي اللَّهُ عنه لا يُزْهِدَنَّكَ في المعرُوفِ كُفْرُ مَنْ كَفَرَهُ فقد يَشْكُرُ الشَّاكِرُ بأَضْعَافِ جُحُوْدِ الكَافِرِ وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ ... لا يَذْهَبُ العُرْفُ بين اللَّهِ وَالنَّاس

آخـر :

إنْ لم يَكُنْ مِنْكَ إحْسَانٌ تَجُودُ بِهِ ... فَجُدْ بِجَاهِكَ إن الجَاهَ إحْسَانُ

آخـر :

وما نِعْمَةٌ مَشْكُورَةٌ قَدْ صَنَعْتُها ... إلى غَيْرِ ذِي شُكْرٍ بِمانِعَتِي أُخْرَى

سَآتِي جَمِيْلاً ما حَيِيْتُ فإنَّنِي ... إذَا لَمْ أُفِدْ شُكراً أَفَدْتُ بِهِ أَجْرَا

قَالُوا وَيَنْبَغِيْ لِمَنْ قَدَرَ عَلى اسْدَائِهِ لِلْمَعْرُوفِ أَنْ يُعَجِّلَهُ حَذَراً من فَوَاتِهِ وَيُبَادِرَ بِهِ خِيْفَةَ عَجْزِهِ وَيَتَحَرَّى الأَخْيَارَ الكِرَامَ كَمَا يَتَحَرَّى لِزِرَاعَتِهِ الرِّيَاضَ الطَّيِّبَة وَلْيَحْذَرْ مِنْ بَذْرِ المَعْرُوفِ باللئَامِ الأَنْذَالِ فَانَّهُم كَالأَرْضِ السَّبِخَةِ تُمَرِّرُ المَاءَ العَذْبَ وَتُفْسِدُ البَذْرَ ولا تأْمَنُ مِنْهُم أَنْ يَنَالَكَ جَزَاءَ احْسَانِكَ إِلَيْهِم سُوْءَ وَقَدِيْماً قِيْلَ :

وَلا تَصْطَنِعْ إلاَّ الكِرَامَ فَانَّهُم ... يُجَازُونَ بالنَّعْمَاءِ مَنْ كَانَ مُنْعِمَا

وَمَنْ يَتَّخِذْ عِنْدَ اللئَامِ صَنِيْعَةً ... يَظَلُّ عَلى آثَارِهَا مُتَنَدِّمَا

آخـر :

إذا شِئْتَ أن تُعْطِي الأمُورِ حُقُوقَهَا ... وَتُوقِعَ حُكْمَ العَدْلِ أحْسَنَ مَوْقِعه

فَلاَ تَصْنَعِ المَعْرُوْفَ في غَيرِ أَهْلِهِ ... فَظُلْمُكَ وَضْعُ الشيءِ في غَيرِ مَوْضِعِه

آخر : لَيسَ الكَرِيْمُ الذَّيْ يُعْطِيْ عَطِّيتَهُ ... عَن الثَّنَاءِ وَإنْ أَغْلَى بِهِ الثَّمَنَا

إنَّ الكَرِيْمُ الذي يُعْطَى عَطِيَّتَهُ ... يَقْصُدْ رِضَى رَبِّهِ لا يَبْتَغِيْ ثَمَنَا

ولا يُرِيْدُ بِبَذْلِ العُرْفِ مَحْمَدَةً ... وَلاَ يَمُنُّ إذَا مَا قَلَّدَ المِنَنَا

آخر : كَمْ طَامِعَ بِالثّنا مِنْ غَيْرِ بَذْلِ يَدٍ وَمُشْتَهٍ حَمْدَهُ لَكِنْ بِمَجَّانِ
والنَاسُ أَكْيَسُ من أنْ يَحْمَدُوْا رَجُلاً حَتَى يَرَوْا عنده ُ آثَارَ إحْسَانِ

آخر :

إذا كُنْتُمُوْ للناسِ فى الأرضِ قادَةً فَسُوْسُوْا كرامَ الناس بالحلم والعَدْلِ
وَسُوْسُوْا لِئَآمَ الناس بالذُلّ وَحْدَهُ صَرِيْحاً فإنّ الذُلَ أصْلَحُ لِلنّذْلِ

آخر : أَمَرُّ وأَمْضَى من سُمُوْمِ الأَرَاقَمَ وَأَوْجَعُ مِن ضرب السُيُوْفِ الصَّوارِمِ
وُقُوفُ فَتَى حُرٍّ تَقِيٍ مُهَذَّبٍ عَلى بَابِ نَذْلٍ لإِرْتِيَادِ المَطَاعِمِ
ألا إنَّ قَصْدَ الحُرِّ لِلنَّذْل هُجْنَةٌ عَلَيْهِ وَلَوْ أَعطَاهُ مُلْكَ الأَعَاجِمِ

آخر : مَتَى تَحْمَدْ صَدِيْقَ السُوْءِ فاعْلَمْ بأنَّكَ بَعْدَ مَحْمَدَةٍ تَذُمُّهْ
كَطِفْلٍ رَاقَهُ تَرْقِيْشُ صِلّ فلَمَّا مَسَّهُ أَرْدَاهُ سُمَّهْ

آخر : مَتَى تُسْدِ مَعْرُوْفاً إلَى غَيْرِ أَهْلِهِ رُزِئْتَ ولم تَظْفُرْ بِحَمْدٍ وَلاَ أَجْرِ

آخر : مَدَحْتُكُم طَعَماً فيْهَا أُؤمِّلُهُ فَلَمْ أَنَلْ غَيْرَ حَظِّ الاثْمِ والتَّعَبِ
إنْ لم تَكُنْ صِلَةٌ منكُمْ لِذِي أدَبٍ فَأُجْرَةُ الخَطِّ أَوْ كَفَّارَةُ الكَذِبِ

آخر : وَاخْشَ الأَذَى عِندَ اكْرَامِ اللئِيْمِ كَمَا تَخْشَى الأَذَى إنْ أهنْتَ الحُرَّ ذَا النُّبلِ

وقال آخر :

ومَن يَجْعَلِ الضِرّغامَ لِلصَّيْدِ بَازَهُ تَصَيَّدُه الضِرّغَامُ فِيما تَصَيَّدَا
وما قَتَلَ الأَحْرَارَ كالعَفْو عنهم ومَنْ لَك بالحُر الذي يَحْفَظُ اليَدا
إذا أنْتَ أكْرَمْتَ الكَريم مَلَكْتَهُ وإذْا أنْتَ أكْرَمْتَ اللَّئيْمَ تَمَرَّدَا
فَوضعُ النَّدَا في مَوضْعِ السَّيْفِ بالعُلا مُضِر كوضْعِ السَّيْفِ في مَوضِعِ النَّدَا

آخر : إذا افتَقَر الكريمُ فملْ إليْه فَشَمُّ الوَرْدِ بَعْدَ القَطْفِ عَادَه
وَإِنْ أثرى اللَّئيمُ فَصُدَّ عَنْهُ فَبَيْتُ الماءِ تُفْسِدُهُ الزيَادَهْ

آخر : إذَا مَا أتينَاهُ في حَاجَةٍ رَفَعْنَا الرّقَاعَ لَهُ بالقَصَبْ
لَهُ حَاجِبٌ دُوْنَهُ حَاجِبٌ وحَاجِبُ حَاجِبِهِ يَحْتَجِبْ

النَّاس بالنَّاسِ مَا دَامَ الحَيَاةُ بهم وَالسَّعْدُ لا شَكَّ تَارَاتٌ وَتَارَاتُ

وَأَفْضَلُ النَّاسِ مَا بَيْنَ الوَرَى رَجُلٌ   تُقْضَى عَلى يَدِهِ لِلنّاسِ حَاجَاتُ
لَا تَمْنَعَنَّ يَدَ المَعْرُوفِ عَنْ أَحَدٍ   مَا دُمْتَ مُقْتَدِراً فَالسَّعْدُ تَارَاتُ
وَاشْكُرْ فَضَائِلَ صُنْعِ اللّهِ إِذْ جُعِلَتْ   إِلَيْكَ لاَ لَكَ عِنْدَ النَّاسِ حَاجَاتُ
قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَتْ مَكَارِمُهُمْ   وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُم فِي النَّاسِ أَمْوَاتُ

وَلا يُهْمِلُهُ ثِقَةً مِنْهُ بظَنِّ القُدْرَةِ عَلَيْهِ فَكَمْ مِنْ وَاثِقٍ بالقُدْرَةِ فَاتَتْ فَأَعْقبت نَدماً وَكَم مِنْ مُعَوّلٍ على مُكنَةٍ فأَوْرثَتْ خَجلاً كَما قِيْلَ :

مَازِلْتَ أَسْمَعُ كَمْ مِنْ وَاثِقٍ خَجِلٍ   حَتّى ابْتُلِيْتُ فكُنْتُ الوَاثِقَ الخَجِلاَ

وَلَوْ فَطِنَ لِنَوَائِبِ دَهْرِهِ وَتَحَفَّظَ مِنْ عَوَاقِبِ أَمْرِهِ لَكَانَتْ مَغَانِمُهُ مَدْخُورَةٌ وَمغَارِمُهُ مَجْبُورَةٌ فَقَدْ رُوِيَ عَن النبي ﷺ أنهُ قَالَ مَنْ فُتِحَ عَلَيْهِ بَابٌ مِن الخَيْرِ فَلْيَنتَهِزْهُ فإِنَّهُ لا يَدْرِيْ مَتى يُغْلَقُ عَنْهُ ورُوِيَ عَنْه ﷺ أنَّهُ قَالَ لِكُلِّ شَيءٍ ثَمَرَةً وثَمَرةُ المَعْرُوفِ السَّرَاحِ ، أيْ التَّعجِيْلُ وقَالَ بَعْضُهُم مَنْ أخَّرَ الفُرْصَةَ عَنْ وَقتِها فَليَكُنْ عَلى ثِقَةٍ مِنْ فَوْتِها .

شعرا : جُوْدُ الكَرِيْمِ إِذَا مَا كَانَ عَن عِدَةٍ   وقَدْ تَأخّرَ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الكَدَرِ
إِنَّ السَّحَائِبَ لَا تُجْدِيْ بَوَارِقُهَا   نَفْعاً إِذَا هِيَ لم تُمْطِر عَلَى الأَثَرِ
يَا دَوْحَةَ الجُوْدِ لاَ عَتْبٌ عَلَى رَجُلٍ   يَهُزُّهَا وَهو مُحْتَاجٌ إلى الثَمَرِ

شعرا : إِنَّ العَطِيَّةَ رُبّمَا أزْرَى بِهَا   عِندَ الذى تُقْضَى لَهُ تطْويْلُهَا
فإِذا ضِمَنْتَ لِصَاحِبٍ لَكَ حَاجَةً   فاعْلمْ بأَنَّ تَمَامَهَا تَعْجِيْلُهَا

آخر : إِذَا هَبَّتْ رِيَاحُكَ فَاغْتَنِمْهَا   فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سُكُوْنُ
وَلا تَغْفُلْ عَنِ الإِحْسَانِ فِيْهَا   فَمَا تَدْرِيْ السُكُونُ مَتى يَكُوْنُ

آخر :
أَحْسِنْ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَمقْدِرَةٌ   فَلَنْ يَدُوْمَ عَلَى الاحْسَانِ إِمْكَانُ

فَعَلَى الإنسان العَاقِلِ أَنْ يُسَاعِدَ أَخَاهُ المُسْلِم على فِعلِ مَعْرُوفٍ أَوْ دَفْعِ مُلِمَّةٍ بِمالِهِ وجَاهِهِ وَلا يَقْتَدِي بِمَنْ لا خَيْرَ فيه لا في جاه ولا مال يَهُمُّهُ إلا نفسه

نفسه فقط قال الشاعر :

إذَا كُنْتَ لا تُرجَى لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ ولم يَكُ لِلْمعْرُوْفِ عِندَكَ مَوْضِعُ
ولا أنْتَ ذُوْ جَاهٍ يُعَاشُ بِرَئْيِهِ ولا أنتَ في يَوم القِيامةِ تَشْفَعُ
فَعَيشُكَ في الدنيا ومَوْتُكَ واحِدٌ وعُودُ خِلالٍ مِن حَيَاتِكَ أنْفَعُ

وَلِيَحْرِصْ فَاعِلُ المَعْرُوفِ عَلى ضَيْفٍ أوْ غَيْرِه عَلى مُجَانَبَةِ الامْتِنَانِ وَتَرْكِ الاعْجَابِ بِفِعْلِهِ لِما في ذَلِكَ مِنْ اسْقَاطِ الشُّكْرِ وَاحْبَاطِ الأَجْرِ فَانَّهُ قد رُوِي عن المُصْطَفَى ﷺ أنّهُ قَالَ إيَّاكُمْ وَالامْتِنَانِ بالمعْرُوفِ فَانّهُ يُبْطِلُ الشُّكْرَ وَيَمْحَقُ الأَجْرَ ثم تَلا ﷺ آيَةَ البَقَرةِ ﴿ يا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بالمَنِّ وَالأَذى ﴾ فالمَانُّ بالمَعْرُوفِ وَالاحْسَانِ غيرُ مَحْمُودٍ وفي ذلكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

إذَا الجُوْدُ لَمْ يُرْزَقْ خَلاصاً مِن الأَذَى فلا الحَمْدُ مَكْسُوباً وَلا المالُ بَاقِيا

وَقَالَ العَبَّاسُ لا يَتِمُّ المَعْرُوفُ إلاَّ بثَلاثِ خِصَالٍ تَعْجِيْلُهُ وَتَصْغِيْرُه وَسَتْرُه فَأذَا عَجَّلْتَه هَنَّأْتَهُ وإذَا صَغَّرْتَه عَظَّمْتَهُ وَإذَا سَتَرْتَهُ تَمَّمْتَهُ عَلى أَنَّ سَتْرَ المَعْرُوفِ من أَقْوَى أسْبَابِ ظُهُورِهِ وَأَبْلَغ دَوَاعِيْ نَشْرِهِ لِمَا جُبلَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ مِنْ اظْهَارِ مَا خَفِيَ وَإعْلاَنِ مَا كتِمَ قَالَ الشَّاعِرُ :

خِلٌّ إذَا جِئْتَهُ يَوْماً لِتَسْأَلَهُ أَعْطَاكَ مَا مَلَكَتْ كَفَّاهُ وَاعْتَذَرَا
يُخْفِيْ صَنَائِعَهُ وَاللّهُ يَعْلَمُهَا إنَّ الجَمِيْلَ إذَا أَخْفَيْتَهُ ظَهَرا

آخر :

لا تَسْأَلِ الناسَ وَالأَيَّامَ عن خَبَرٍ هُمَا يُبَثِّانِكَ الأَخْبَارَ تَطْفِيْلاَ
ولا تُعَاتِبْ على نَقْصِ الطِّبَاعِ أَخَا فإِنَّ بَدْرَ السَّمَا لم يُعْطَ تَكْمِيْلا

شعرا :

إذَا المرءُ أَبْدَى الخَيْرَ مُكْتَتِماً لَهُ فَلاَبُدَّ أَنَّ الخَيْرَ يَوْماً سَيَظْهَرُ
وَيُكْسَى رِدَاءً بالذِي هُوَ عَامِلٌ كَمَا يَلْبسُ الثَّوْبَ التَّقِيُّ المُشَهَّرُ

آخر :

وَمَهْمَا تكُنْ عِنْدَ امْرِىءٍ مِنْ خَلِيْقَةٍ وَإنْ خَالها تَخْفَى عَلى النَّاسِ تُعْلَمِ

اللّهُم هَبْ لَنَا ما وهَبتهُ لأَوْلِيائكَ وتَوفّنا وأنتَ رَاضٍ عنّا وقَد قَبِلْتَ اليَسيرَ منّا واجْعلنَا يامْولانا مِنْ عِبادِكَ الذينَ لا خَوفٌ عَليهِمْ ولا هُمْ يَحزنُونَ واغْفرْ لنَا ولوالِديْنَا ولجَميعِ المسلمينَ برحمتكَ ياأرحمَ الرَّاحِمِيْنَ . وصلى الله على محمدٍ وعلى آلهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(مَـوْعِظَــةٌ)

عِبَادَ اللَّهِ إنَّ الصَّلاَةَ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَاتِ عِنْدَكُمْ ، مَطْلُوبٌ ، مِنْكُمْ أَنْ تُؤَدُّوهَا وَتُقِيْمُوهَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ حَافِظُوا عَلى الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِيْنَ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَالذِيْنَ هُمْ عَلى صلواتهم يحافظون ﴾ فاللَّهُ سبحانهُ أَمَرَنَا بالمُحَافَظَةِ على الصلاةِ في أَوْقَاتِهَا والقِيَامِ فِيْهَا خَاشِعِيْنَ خَاضِعِيْنَ لجَلالتِهِ وَعَظَمَتِه ، وَجَعَلَهَا طَرِيْقَ الفَوْزِ والسَعَادَةِ في العَاجِلِ والآجِلِ قالَ تَعَالى ﴿ قَد أفْلَحَ المؤمنون ، الذينَ هُمْ في صلاتِهم خَاشِعُونَ ﴾ .

ذَلِكَ أنَّ الصَّلاَةَ الكامِلَةَ تُنِيْرُ القَلْبَ وتُهَذِّبُ النَّفْسَ وَتُعَلِّمُ العَبْدَ آدَابَ العُبُودِيَّةِ لِلّهِ وَوَاجبَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ ، بمَا تغرسُهِ في قَلْبِ العَبْدِ المُؤْمِنِ مِنْ اجْلاَلِ اللهِ وَتَعْظِيْمِهِ وَتَقْدِيْرِهِ ، وَالتَّحلِيّ بِمَكارِمِ الأخْلاقِ كالصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ وَالقَنَاعَةِ وَالوَفَاءِ وَالحِلمِ وَالحَياءِ والتَّواضُعِ وَالعَدْلِ وَالصَّبْرِ وَالاحْسَانِ .

وَتُوَجِّهُهُ إلى مَوْلاَهُ ، فَتَكْثُرُ لهُ مُرَاقَبتُهُ وَخِدْمَتُهُ حَتَّى تَعْلُو بِذَلِكَ هِمَّتُه ، وَتَقْوى عَزِيْمَتُه وَتَزْكُو نَفْسُهُ ، فَيَبْتَعِد عَن الكَذِبِ وَالخِيَانَةِ ، وَالأيْمانِ الكَاذِبَةِ ، وَالشَّرِّ وَالغَدْرِ وَالغضَبِ وَالكِبْرِ وَالرِّيَاءِ ، وَيَترَفَّعُ عن البَغْيِ وَالعُدْوانِ ، وَدَنَاءَةِ الفُسُوْق وَالعِصْيَانِ وَالفَسْادِ قَالَ اللهُ تَعالى ﴿ انَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَن الفَحْشَاءِ وَالمنكرِ وَلذِكْرُ اللهِ أكبَرُ واللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُون ﴾ .

فَبِالمُحَافَظَةِ عَلى الصَّلاةِ تَقْوى النَّفْسُ عَلى احْتِمَالِ الشَّدَائِدِ ، وَتَثْبُتُ عِنْدَ نُزُوْلِ البَلاَيَا وَالمِحَنِ ، وَيَسْهُلُ عليه البَذْلُ حَالَةَ الغِنَى وَاليَسَارِ ، قَال اللهُ

تعالى ﴿ انَّ الانْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إذَا مَسّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا ، إلا المُصَلِّيْنَ الذِيْنَ هُمْ عَلى صَلاتِهم دَائِمُوْن ﴾ .

شعــــرا :

إذا أُلْهِمَ الإنسانُ ذِكْراً لِرَبِّــــهِ وكانَ بِمَا يَأْمُرْ بِهِ الله آتِيَـــــا
فَهَذَا الفَتَى لا مَنْ يكُون مُضَيعاً لأمْرِ الذي فَوق السَّمٰواتِ عَالِيَا

ثُمَّ انْظُروا يا عِبَادَ اللهِ ماذا كَانَ مِنْ آثَارِ تَرْكِ الصَّلاةِ ، كَانَ مِنْ آثارِهِ كثْرَةُ الشّرِّ ووَسَائِل الشَّرِّ ، وَانْتِشَارِ الفَوَاحِش وَالمنْكَرَاتِ ، مِن سُفُورٍ وَآلاتِ لَهْوٍ وَحَلْقِ لِحَى عَلَناً وَشُرْبِ دُخَانٍ عَلَنًا وصُوَرٍ مُجَسَّدةٍ وغير مُجَسَّدَةٍ ، وَغِشٍّ وَتَدْلِيس وَرِبَا وَعُقُوقِ وَالِدَيْنِ وقَطِيْعَةِ رَحِم وَشَهَادَةِ زُوْرٍ وَقَذْفٍ وَلَعْنٍ وَغِيْبَةٍ وَنَمِيْمَةٍ وأغاني من مَذياعٍ وفِدْيُو وتلفِزْيُوْن ونحو ذلِكَ من البِدَعِ المُحرَّمَة

وَتَشَبُّه بأَعْدَاءِ الاسْلامِ بجعْل خَنَافِسَ وَاسْبَال ثوب وجَعْل شَنَبَاتٍ مَعَ حَلْقِ لِحْيَةٍ ، وَتَشَبُّهٍ بِالنّساءِ وَمُغَازَلِةٍ لَهُنَّ وتسْميَةٍ لأَعْدَاءِ الاسْلامِ بسَيِّدٍ ومُعَلِّمٍ وَأُسْتَاذٍ وَنَحوِ ذَلِكَ مِمّا يَقْشَعِرُّ مِنْهُ جِلْدُ المسْلِمِ وَتَفَتَّتُ لَهُ كبَدُه فإنّا لِلّهِ وإنّا إليهِ رَاجِعُونَ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا باللهِ العَلِيِّ العَظِيْمِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيْلِ وَصَلَّى اللهُ على مُحمدٍ وعلى آلِهِ وصَحبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

إعْلَمْ وَفَّقنَا اللهُ وَإيّاكَ وَجمِيْعُ المُسْلِمِيْنَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ الأَمَانَةَ مِن الأَخْلاَقِ الفَاضِلَةِ وَأصْلٌ مِن أصُولِ الدِّيَانَاتِ ، وهِيَ ضَرُوْرِيَّةٌ لِلْمُجْتَمعِ الانْسَانِيِّ ، لاَ فَرْقَ بَيْنَ حَاكِمٍ وَمُوَظَّفٍ وَصَانِعٍ وَتَاجِرٍ وَزَارِعٍ وَلاَ بَيْنَ غَنِيٍّ وَكَبِيْرٍ وَصَغِيْرٍ ، فَهِيَ شَرَفُ الغَنِيِّ وَفَخْرُ الفَقِيْرِ وَوَاجِبُ المُوَظَّفِ وَرَأسُ مَالِ التَّاجِرِ وَسَبَبُ شُهْرَةِ الصَّانِعِ ، وَسِرُّ نَجاحِ العَامِلِ وَالزَّارِعِ ، وَمِفْتَاحُ كُلِّ تَقدّمٍ بِإذْنِ اللهِ ، وَمَصْدَرُ كُلِّ سَعَادَةٍ وَنَجاحٍ بِإذْنِ اللهِ .

وَلَيْسَت الأَمَانَةُ مَقْصُوْرَةً عَلى الوَدَائِعِ التِي تُؤمَّنُ عِنْدَ النَّاسِ مِن غَالٍ

وَثمِيْنٍ كالنَّقْدَيْنِ وَمَا نَابَ عَنْهُمَا مِن أوْرَاقٍ ، وَكَالجَواهِرِ وَالحُلِيّ وَالأمْوَال بَل الأمَانَةُ أوْسَعُ مِنْ هَذَا كُلّهِ ، فَهِيَ عَمَلٌ لِكُلِّ مَا لِلهِ فيهِ طَاعَةٌ ، وامتثال واجْتِنَابُ كُلِّ مَا لِلَّهِ فِيهِ مُخَالَفَةٌ وَعِصْيَانٌ ، سَوَاءً كَانَ ذَلِكَ في عِبَادَةِ اللهِ أو في مُعَامَلَةِ عِبَادِهِ .

فَالصَّلاَةُ أمَانَةٌ عِنْدَكَ مَطْلُوبٌ مِنكَ أَنْ تُؤدِّيهَا في وَقْتِهَا إنّ لَمْ يَكُنْ عُذْرٌ شَرْعِيٌّ كَامِلَةً غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ مُسْتَوْفِيَةً لِفَرَائِضِهَا وَأرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا وَسُننِهَا وَأدائِهَا بِقَلْبٍ مَمْلُوْءٍ مِن الخُشُوْعِ وَالخُضُوْعِ ، وَجِسْمٍ مَمْلُوْءٍ مِن الطَمَأنِيْنَةِ وَالأتِّزَانِ .

وَالزَّكَاةُ أَمَانَةٌ عِنْدَكَ مَطْلُوْبٌ مِنْكَ أَنْ تُؤدِّيْهَا في وَقْتِهَا كَامِلَةً غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ إذا اجْتَمَعَتْ الشّرُوطُ ، طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُكَ لِكَيْ تُطَهِّرَ مَالَكَ وَتُزَكِّيْ نَفْسَكَ وَتَبْرَأَ مِنْهَا ذِمَّتُكَ وَتَسْلمَ مِنْ عُقُوبَتِهَا .

وَالصِّيَامُ أمَانَةٌ ، مَطْلُوْبٌ أَنْ تَصُوْمَ وَأَنْ تَصُوْنَ صِيَامَكَ عَنْ مَا يُفْسِدُهُ ، وَأَنْ تَتَحَرَّى الحَلاَلَ لِلسَّحُوْرِ وَالفُطُوْرِ ، وَأنْ لاَ يُفكِّر عَقْلُكَ إلا في خَيْرٍ وَلاَ يَنْطِقَ لِسَانُكَ إلا حَسَناً ، ولا تَسْمَع أُذُنَيْكَ إلا طَيِّباً وَلاَ تَنْظرَ عَيْنُكَ إلا مُبَاحاً ولا تَمُدَّ يَدَكَ إلاّ إلى إصْلاَحٍ وَلاَ يَسْعَى قَدَمُكَ إلا إلى طَاعَةٍ وَمَعْرُوْفٍ .

وَالحَجُّ أمَانَةٌ لله فِي عُنُقِكَ إنْ كُنْتَ مِمَّنْ تَوفَّرتْ لَدَيْهِ الشُّرُوطُ وهِيَ الإسْلاَمُ والحُرِّيَّةُ وَالبُلُوْغُ والعَقْلُ والاسْتِطَاعَةِ ، وَتَزِيْدُ المَرْأَةُ شَرْطَاً سَادِساً وَهُوَ وُجُوْدُ مَحْرَمٍ لَهَا ، وَتُؤدِّيْ مَا عَلَيْكَ مِنْ حُقُوقٍ للهِ وَ لعِباده .

وَتَنْظُرَ ذَلِكَ المالَ الذي سَتَحُجُ بِهِ أهُوَ حَلاَلٌ أَمْ حَرَامٌ ، وَهَلْ جَمَعْتَهُ من عَرَقِ جَبِيْنِكَ أَوْ إرْثَاً أَوْ مِنْ دِمَاءِ النَّاسِ وَسَرِقَةِ مَا لهم بِغِشٍّ وَنَحْوِهِ ، وَهَلْ تُرِيْدُ حَجَّ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ أَوْ ابْتِغَاء وَجْهِ اللهِ ، وَالمُهِمُّ أنْ تُفَتِّشَ عَلَى نَفْسِكَ قَبْلَ العَمَلِ لَئَلاّ تَخْسَرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ .

وَبِقَدَرِ مَا يَكُونُ الانْسَانُ مُقَصِّراً في عِبَادَةٍ مِنْ هَذِهِ العِبَادَاتِ يَكُونُ غَيْرَ مُوَفٍّ لأمَانَتِهِ تَماماً ، فَيَنْبَغِي لِلانْسَانِ أنْ يَسْتَحْضِرَ في كُلِّ سَاعَةٍ وفي كُلِّ نَظْرَةٍ

وَلَفْتَةٍ وفي كُلِّ اشَارَةٍ وَعِبَادَةٍ وفي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُوْنٍ أَنَّهُ مُطَالَبٌ بالأمَانَةِ فَلِسَانُكَ أَمَانَةٌ عِنْدَكَ إنْ حَفِظْتَهُ مِن الكَذِبِ وَالغِيْبَةِ والنَّمِيْمَةِ وَالسُّخْرِيَةِ بِعِبَادِ اللهِ وَالقَذْفِ وَالفُحْشِ وَنَحْو ذَلِكَ مِمَّا نَهَى عَنْهُ الشَّرْعُ واسْتَعْمَلْتَهُ في تِلَاوَةِ كلامِ اللهِ وَالبَاقِيَات الصَّالِحَاتِ ، فَقَدْ حَفِظْتَ هَذِهِ الأمَانَةَ

وَالأُذنُ أمَانَةٌ ، إنْ جَنَّبْتَها اسْتِمَاعَ المُحَرَّمَاتِ مِنْ الغِيْبَةِ وَالمَلَاهِيْ والغِنَاءِ وَكَلَامِ مَنْ لَا يَرْضَوْنَ باسْتَمَاعِكَ ويكْرَهُوْنَ ذَلِكَ ، وَاسْتَعْمَلْتَهَا في اسْتِمَاعِ مَا يَعُودُ نَفْعُهُ إليكَ في الدّنْيَا وَالآخِرَةِ فَقَدْ حَفِظْتَ هَذِهِ الأمَانَةَ .

وَرِجْلُكَ أمَانَةٌ عِنْدَكَ إن اَسْتَعْمَلْتَهَا بالمَشْيِ إلى مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ ، وَحَجَزْتَها عَن السَّيْرِ إلى مَا نَهَى اللّهُ عنه فقد حَفِظْتَها .

وَكَذَلِكَ الفَرْجُ إنْ جَنَّبْتَه الزِّنَا وَاللِّوَاطَ وَالاسْتِمْنَاءِ بِاليَدِ وَكُلَّ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ ، وَاسْتَعْمَلتهُ فِيْمَا أَبَاحَهُ لَكَ الشَّرْعُ فَقَدْ حَفِظْتَهُ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَالذِيْنَ هُمْ لِفُرُوْجِهِمْ حَافِظُوْنَ إلاّ عَلَى أزْوَاجِهِمْ أو مَا مَلَكتْ أَيْمَانُهُم فَإنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ، فَمَن ابْتَغَى وراءَ ذَلِكَ فاولَئِكَ هُمْ العَادُوْنَ ﴾ .

وَكَذَلِكَ العَقْلُ إن اسْتَعْمَلْتَهُ فِيْمَا يَعُوْدُ عَلَيْكَ بالسَّعَادَةِ دُنْيا وأُخْرَى وَلَم تَسْتَعْمِلْهُ في المَكْرِ وَالدّهَاءِ وخِدَاعِ المُسْلِمِيْنَ وَالكَيْدِ لَهُمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَقَدْ حَفِظْتَهُ .

وَمِنْ مَعَانِيْ الأمَانَةِ وَضْعُ كُل شيءٍ في مَكَانِهِ اللاّئِق بِهِ وَالجَدِيْرِ لَهُ فَلَا يُسْنَدُ مَنْصِبٌ إلا لِمَنْ تَرْفَعُهُ كِفَايَتُهُ لَهُ ، أمّا مَنْ يَعْجزُ عَن القِيَامِ بِهِ فَلَا يَجُوْزُ اسْنَادُهُ إليهِ ، فَعَنْ أَبِيْ ذَرّ رَضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ألاَ تَسْتَعْمِلْنِي ، قَالَ فَضَرَب بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ : « يَا أبَا ذَرّ إنَّكَ ضَعِيْفٌ ، وَإنَّها أمَانَةٌ وَإنَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ ، إلا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأدّى الذِيْ عَلَيْهِ فِيْهَا . والله أعلم وَصَلى اللّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« مَوْعِظَة »

عِبَادَ اللهِ تَمُرُّ الحَيَاةُ بِأَحَدِنا وهو مُنْهَمِكٌ في مَلَذَّاتِهِ وَشَهَواتِهِ

وَمَطامِعِهِ ، لا يُفكِّرُ في مَآلِهِ ولا في يَوْمِ حِسَابِهِ وَكأَنَّهُ خَالِدٌ في الدنيا لا يَمُوتُ أَبَدًا ، أو كَأَنَّ عِنْدَهُ يَقِيْنٌ أَنَّهُ لَا يُحَاسَبُ عَلَى مَا جَنَاهُ .

وَمِن العَجِيْبِ أنَّهُ لا يَمُرُّ يَوْمٌ بل ولا سَاعَةٌ إلا وفي ذَلِكَ نَذِيْرٌ لابْنِ آدَمَ بالرَّحِيْلِ عن هَذهِ الدّارِ ، يُشاهِدُ المَوْتَ يَتَخَطَّفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِ فَلا يَزْدَجِرُ ، وَتَقُومُ الحَوادِثُ الجِسَامُ مِن حُرُوبٍ تُفْنِيْ آلافاً مِن البَشَرِ وَتُهَدِّدُ الأَحْيَاءَ بالالْتِحَاقِ بِمَنْ مَاتَ ، وَبِالمَجاعَاتِ وَالخَرَابِ ، فلا يَتَّعِظُ وَلَا يَعْتَبِرُ .

وَيَرَى الحَرَائِقَ مَا بينَ آوِنَةٍ وآوِنَةٍ تُتْلِفُ النُّفُوسَ وَالأَمْوَالَ وَالمَسَاكِنَ ، وَكَيْفَ تَكُونُ حَالَةُ النَّاسِ وَمَطَافِيْهِمْ ، فَلا يَذْكُرُ جَهَنَّمَ وَأَهْوَالَهَا وَأَنْكَالَهَا وَمَا فِيْهَا مِنْ أَنْوَاعِ العَذَابِ الَّذِيْ لَا تَصْمُدُ لَهُ الجِبَالُ الصُّمُّ الصِّلَابُ ، قَسَتِ القُلُوبُ ، وَتَحَجَّرَتِ الضَّمَائِرُ ، (ظَهَرَ الفَسَادُ في البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيْ النَّاسِ) (انَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيروا مَا بِأَنْفُسِهِم) .

أيُّهَا الغَافِلُوْنَ ، دُنْيَاكُمْ دَارُ غُرُورٍ وَهُمومٍ وَأَحْزَانٍ ، وَهِيَ بِلَا شَكٍّ فَانِيَةٌ ، وأُخْرَاكُم دَارُ قَرَارٍ بَاقِيَةٌ ، وَأَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ وَالتَّقْوَى مِفْتَاحُ السَّعَادَتَيْنِ الدّنْيَوِيَّةِ وَالآخرِوِيَّةِ ، ضَمَانٌ ضَمِنَهُ اللهُ لِعِبَادِهِ ، وَوَعْدٌ لا يَتَخَلّفُ ، قَالَ تَعالَى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحَاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجزِيَنَّهُم أجْرَهُمْ بِأحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

أَمَّا المَعَاصِيْ وَالغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ وَالطُّغْيَانِ ، فَلَيْسَ مِنْ وَرَائِهَا إلّا ضَنْكُ المَعِيْشَةِ في الدنيا بالهُمُومِ المبَرِّحَةِ وَالأحْزانِ المجَرِّحَةِ مَعَ العَذَابِ الألِيْمِ في الآخِرَةِ ، قَالَ اللهُ تَعالَى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِيْ فَإنَّ لَهُ مَعِيْشَةً ضَنْكَاً ، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ الآياتِ .

أَيُّهَا العَاقِلُونَ كُلُّكُم تَعْلَمُونَ أَنَّ الغَفْلَةَ تُنْسِيْ العَبْدَ رَبَّهُ وَآخِرَتَهُ ، وَمَنْ نَسِيَ رَبَّهُ أنْسَاهُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، قال تعالى ﴿ ولا تكونوا كالذين نَسُوا الله فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ ،فَلا تَتَعَرَّضُوا بِذَلِكَ لِسَخطِهِ وَكُونُوا دَائِماً ذَاكِرِيْنَ لِلْآخِرَةِ ، فَإِنَّ

ذَلِكَ يَبْعَثُ عَلَى الخَوْفِ مِن اللَّهِ ، وَمَنْ خَافَ رَبَّهُ اسْتَقَامَ بِأَذْنِ الله ، قَال اللَّهُ تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَىٰ فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَىٰ ﴾ واللَّهُ أعلمُ وصلى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ .

شِعْراً : وَصِيَّتِي لَكَ يَاذَا الفَضْلِ وَالأَدَبِ
إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْكُنَ العَالِيْ مِنَ الرُّتَبِ
وَتُدْرِكَ السَّبْقَ وَالغَايَاتِ تَبْلُغُهَا
مُهَنَّأً بِمَنَالِ القَصْدِ وَالأَدَبِ
تَقْوَى الإِلَه الَذِي تُرْجَى مَرَاحِمُهُ
الوَاحِدُ الأَحَدُ الكَشَّافُ لِلْكُرَبِ
الْزَمْ فَرَائِضَهُ وَاتْرُكْ مَحَارِمَهُ
وَاقْطَعْ لَيَالِيْكَ والأَيَّامَ فِي القُرَبِ
وَأَشْعِرِ القَلْبَ خَوْفاً لا يُفَارِقُهُ
مِنْ رَبِّهِ مَعَهُ مِثْلٌ مِنَ الرَّغَبِ
وَزَيِّنِ القَلْبَ بِالأَخْلَاصِ مُجْتَهِداً
وَاعْلَمْ بأَنَّ الرِّيَا يُلْقِيْكَ فِي العَطَبِ
وَنَقِّ جَيْبَكَ مِنْ كُلِّ العُيُوبِ وَلاَ
تَدْخُلْ مَدَاخِلَ أَهْلِ الفِسْقِ والرِّيَبِ
وَاحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْ طَعْنٍ على أَحَدٍ
مِنَ العِبَادِ وَمِنْ نَقْلٍ وَمِنْ كَذِبِ
وَكُنْ وَقُوراً خَشُوْعَاً غَيْرَ مُنْهَمِكٍ
فِي اللَّهْوِ وَالضِّحْكِ وَالأَفْرَاحِ وَاللَّعِبِ
وَنَزِّهِ الصَّدْرَ مِنْ غِشٍّ وَمِنْ حَسَدٍ
وَجَانِبِ الكِبْرَ يَا مِسْكِيْنُ وَالعُجُبِ

وَارْضَ التَّوَاضُعَ خُلقَاً إنّهُ خُلُقُ الْـ
أخْيَارِ فَاقْتَـدْ بِهِم تَنْجُو مِنَ الـوَصَبِ
وَخَـالِفِ النَّفْسَ وَاسْتَشْعِـرْ عَـدَاوَتَهَا
وَارْفُضْ هَـوَاهَا وَمَـا تَخْتَـارُهُ تُصِب
وَانْ دَعَتْـكَ إلى حَظٍّ بِشَهْـوَتِـهَـا
فَاشْرَحْ لَهَـا غِبَّ مَا فِيْـهِ مِنَ التَّعَبِ
وَازْهَـدْ بِقَلْبِكَ في الـدَّارِ الَّتِي فَتَنَتْ
طَـوَائِـفـاً فَرَأوْهـا غَـايَـةَ الـطَّلَبِ
تَنَـافَسُـوْهَـا وَأعْـطَوْهَـا قَـوَالِبَهُم
مَـعَ القُلُوبِ فَيَـا لِلَّهِ مِـنْ عَجَـبِ
وَهْيَ التِيْ صَغُرَتْ قَدْراً وَمَـا وَزَنَتْ
عِنْدَ الإِلَهِ جَنَاحاً فَـالْحَرِيْصُ غَبِيْ
وَخُـذْ بَلاَغَـكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَاسْـعَ بِـهِ
سَعْيَ المُجِدِّ إلى مَـوْلاَكَ وَاحْتَسِبِ
وَاعْلَمْ بِـأَنَّ الـذِيْ يَبْتَـاعُ عَـاجِلَهُ
بِـآجِـلٍ مِـنْ نَعِيْمٍ دَائِـمٍ يَخِـبِ
وَإنْ وَجَدْتَ فَوَاسِ المُعْوِزِيْنَ تَفِضْ
عَلَيْـكَ مِنْ رَبِّـكَ الأَرْزَاقُ فَـاسْتَجِبِ
وَ إنْ بُلِيْتَ بِفَقْـرٍ فَـارْضَ مُكْتَـفِيـاً
بِـاللّهِ رَبِّكَ وَارْجُ الفَضْـلَ وَارْتَقِبِ
وَاتْـلُ القُـرْآن بِقَلْبٍ خَـاضِـرٍ وَجِـلٍ
عَـلى الـدَّوَامِ وَلاَ تَـذْهَـلْ وَلا تَـغِـبِ
وَاذْكُـرْ إلَهَـكَ ذِكْـراً لا تُفَـارِقُـهُ
وَادْعُ الآلَـهَ وَقُـلْ يَـا فَـارِجَ الكُـرَبِ

يَـا رِبِّ إنَّـكَ مَقْصُـوْدِيْ وَمُعْتَمَـدِيْ
وَمُــرْتَـجَــايَ بِــدُنْيَــايَ وَمُنْـقَـلَبِـيْ
فَـاغْفِرْ وَسَـامِحْ عُبَيْـدَاً مَا لَـهُ عَمَـلٌ
بِالصَّالِحَاتِ وَقَدْ أَوْعَى مِن الحُــوبِ

اللَّهُمَّ قَوِّ إيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلاَئِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَثَبِّتْنَا وَثَبِّتنا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدنْيَا وفي الآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

فَالْوِلاَيَةُ شُرُوطُهَا الحِفْظُ وَالعِلْمُ وَالقُوَّةُ وَالامَانَةُ ، فَالوَاجِبُ أَنْ يُخْتَارَ لِلْعَمَلِ أَحْسَنَ النَّاسِ قِيَاماً بِهِ ، فَإِنْ عُدِلَ عَنْهُ إلى غيرِهِ لِهوىً أو رِشْوَةٍ أَوْ قَرَابَةٍ فَهَذِهِ خِيَانَة مِمَّنْ وَلاَّهُ أَوْ تَسَبَّبَ فِي الوِلاَيَةِ ، قالَ صلى الله عليه وسلم مَنْ اسْتَعْمَلَ رَجُلاً على عِصَابَةٍ وَفِيْهِمْ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ والمؤمِنيْنَ رَوَاهُ الحَاكِمُ .

وَعَنْ أَبِي يَعْلَى مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقُولُ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيْهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إلاّ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وفي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ « مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أُمُوْرَ المُسْلِمِيْنَ ثُمَّ لا يَجْهَدُ لهُمْ وَيَنْصَحُ لهُمْ إلا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُم الجَنَّةَ » .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ « مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إلاّ أَتى اللهَ عَزَّ وَجلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مَغْلُولَةٌ يَدُه الى عُنُقِهِ فَفَكَهُ بِرُّهُ أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ أَوَّ لُهَا مَلامَةٌ وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ وآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ القِيَامَةِ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً « وَيْلٌ لِلأُمَنَاءِ وَيْلٌ لِلْعُرَفَاءِ لَيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ

القِيامَةِ أنَّ ذَوائِبَهُم كانَتْ مُعلَّقَةً بِالثُّرَيَّا يَتذَبْذَبُوْنَ بَيْنَ السَّماءِ وَالأرْضِ وَلم يَكُونُوا عَمِلُوا عَلى شَيءٍ .

وَفي أفْرَادِ مُسْلِم مِنْ حَدِيْثِ أَبِيْ ذر قَالْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللّهَ ألا تَسْتَعْمِلُنْي قالَ فضَرَبَ بِيدِهِ على مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ يَا أبَا ذَرٍ إنَّكَ ضَعِيْفُ وَإنّها أمَانَةٌ وإنّها يوم القِيامَةِ خَزْيٌ وَندامَةٌ إلا مَنْ أخذَهَا بِحقّهَا وَأدّى الذي عَليْهِ فِيْهَا وَفي لَفْظٍ آخَرَ يا أبَا ذَرٍ إنّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي لا تَأمَّرَنَّ عَلى اثْنَيْنِ وَلا تَوَلّيَنَّ مَالَ يَتِيْمٍ .

وَفي الحَدِيْثِ الآخَر أيُّما رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ رَجُلاً عَلى عَشْرةِ أَنْفُسٍ عَلِمَ أنَّ في العَشَرَةِ أفْضَلَ مِمَّنْ اسْتَعْمَلَ فَقَدْ غَشَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَغشَّ جَماعَةَ المُسْلِمِيْنَ ، قُلْتُ وَفي وَقْتِنَا وَزَمانِنَا المُظْلِمِ بالمُنْكَرَاتِ وَالمعَاصِيْ كَثِيْرٌ مِنْ الأعْمَالِ يَتولاّهَا أُنَاسٌ لا يُصَلُّوْنَ كَفَرَةً فإنّا لِلّهِ وَإنّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاّ باللهِ العَليِّ العَظِيْمِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيْـلُ .

وَعَنْ يَزْيَدَ بْنِ أبي سُفْيَانَ قَالَ قَالَ لِيْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ حِيْنَ بَعَثَنِي إلى الشَّامَ يا يَزِيْدُ ، إنّ لَكَ قرابَةً عَسِيْتَ أنْ تُؤْثِرَهُم بالامَارَةِ وَذلِكَ ما أخافُ عليْكَ بَعْدَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ المُسْلِمِيْنَ شَيْئاً فأمَّرَ عَليهم أحَداً مُحابَاةً فَعلَيْهِ لعنَةُ اللهِ لا يَقْبَلُ اللهُ مِنهُ صَرْفاً وَلا عَدْلاً حَتَّى يُدْخِلَهُ جهَنَّمَ رَوَاهُ الحَاكِمُ .

وَالأُمَّةُ التِي لا أمَانَةَ لَهَا هِيَ التِي تَنْتَشِرُ فِيْهَا الرِّشْوَةُ وتَعْمَلُ على إهْمَالِ الأكْفاءِ وإبْعادِهِم وَتَقْدِيْمِ الذين لَيْسُوا أهْلاً لِلْمَنَاصِبِ ، وَهَذا مِنْ عَلامَاتِ السَّاعَةِ الذي وَقَعَ . فقدْ جَاءَ عَن النّبيِّ صَلى اللهُ عليه وسلم أنّ رَجُلاً سَألَهُ مَتى تقوُمُ السَّاعَةُ فَقَالَ إذَا ضُيِّعَت الأمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ فقالَ وَكَيْفَ إضَاعَتُهَا قَالَ إذَا وُسِّدَ الأَمْرُ لِغَيْرِ أهْلِهِ فانْتَظِرْ السَّاعَةَ رَوَاهُ البُخَارِيّ .

وَمِنْ مَعَانِيْ الأمَانَةِ أَنْ يَحْرِصَ الانْسَانُ عَلى أدَاءِ وَاجِبِهِ كَامِلاً في العَمَلِ الذي يُناطُ به وَأنْ يَسْتَنْفِدَ جُهْدَهُ في تَكْمِيْلِهِ وتَحْسِيْنِهِ وَأنْ يَفِيْ بِجَمِيْعِ مَا اتَّفقَا عَليْهِ عَمَلاً ووَقْتا ، وَالخِيَانَةُ تَتَفَاوَتُ ، فَمَا أَصَابَ الدِّيْنَ وَجُمْهُوْرَ

المُسْلِمِيْنَ وَتعَرَّضَت البِلَادُ لأذاهُ أَشَدُّ إِثْماً ونُكراً وَشَناعَةً ، وَورَدَ عَن النبي صَلى اللهُ عليهِ وسلم أنهُ قَالَ « إِذَا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ فَيُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ» رَواهُ البُخَارِيّ .

وفِي رِوَايَةٍ « لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرَتِه أَلَا وَلا غَادِرَ أَعْظَمُ مِنْ أَمِيْرِ عَامَّةٍ .

وَمِن الأَمَانَةِ أَنْ لاَ يَسْتَغِلَّ الإِنْسَانُ مَنْصِبَهُ الذِي عُيِّنَ فِيْهِ لِجَرِّ مَنْفَعَةٍ لَهُ أَوْ إِلىٰ قَرِيْبِهِ فَأَخْذُ زِيَادَةٍ عَلى مَا رُتِّبَ لَهُ مِنْ بَيْتِ المالِ بِطُرُقٍ مُلْتَوِيَةٍ .

إِمَّا بِتَنَاوُلِ رِشْوَةٍ وَإِمَّا بِتَنَاوُلِ رِشْوَةٍ بِاسْمِ هَدِيَّةٍ أَوْ تُحْفَةٍ يَتَنَاوَلُها هَذَا الخَائِنُ بِتَأْوِيْلَاتٍ بَاطِلَةٍ أو بِمُحَابَاةِ قَرِيْبٍ أَوْ مُجَامَلَةِ صَدِيْقٍ أَوْ رَفِيْقٍ أَوْ جَارٍ بِمَا فيه ضَرَرٌ على عُمُومِ المُسْلِمِيْنَ أَوْ بِأَيَةِ ذَرِيْعَةٍ وَوَسِيْلَةٍ مِنْ وَسَائِلِ الاسْتِغْلَالِ النُّفُوذِيّ ، فكلُّ ذَلِكَ غِشٌّ وَخِيَانَةٌ ، وَمَا أَخذَ فهُوَ سُحْتٌ ، لأَنَّهُ ثَمْرَةُ خِيَانَةٍ وَغَدْرٍ وَخِدَاعٍ وَمَكْرٍ ، قَالَ تَعالَى ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ .

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ عُمَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عليه وسلم يَقُولُ « مَن اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُم عَلى عَمَلٍ فَكتَمنا مِخْيطاً فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولاً يَأْتِي بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَسْوَدُ مِنَ الأَنْصَارِ كَأَنِّي أَنْظُر إليه ، فقالَ يَا رَسُولَ اللهِ اقْبَلْ عَنِّيْ عَملك قَالَ وَمَالَكَ قَالَ سَمِعْتُكَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا قَالَ وَأَنَا أَقُولُ الآنَ مَن اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلى عَمَلٍ فَلَيَجيءْ بِقَلِيْلِهِ وَكَثِيْرِهِ فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَ وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهى رَواهُ مُسْلِم .

شعـــــرا :

يَغْدُ إلى كِسْبُ قِيْراط أُخُو عَمَل لَوْ يُوْزَنُ الإِثْمُ فيه كانَ قِنْطَـــارَا

وَعَنْ أَبِيْ حُمَيْدٍ السَّاعِدِيّ قَالَ اسْتَعْمَلَ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلاً مِن الأَزْدِ يُقالُ لَهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ على الصَّدَقَةِ فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ هَذَا لَكُم وَهذَا أُهْدِيَ لِيْ فَخَطَبَ النّبِيّ صَلى اللهُ عليه وَسَلمَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنى عَلَيْهِ .

ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّيْ أَسْتَعْمِلُ رِجَالاً مِنْكُمْ على أُمُورٍ وَلَّانِيَ اللّهُ فَيَأْتِيْ

أَحدُكُم فيقُوْلُ هَذَا لَكُمْ وَهذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِيْ فهلَا جلَسَ في بَيْتِ أَبِيْهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْـظُرَ أَيُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ وَالذي نَفْسِيْ بِيَدِهِ لا يَأْخُذُ منهُ شَيْئاً إلا جَاءَ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِه إنْ كَانَ بَعِيْراً لَهُ رُغَا أو بَقَراً لَهُ خُوارٌ أو شَاةً تَيْعَرُ .

ثُمَّ رَفَع يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنا عفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ ثم قَالَ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ متفقٌ عليه ، قالَ الخَطَّابِيّ وفي قولِهِ هَلاّ جَلَسَ في بَيْتِ أَبِيْهِ أَوْ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لاَ : دَلِيْلٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ أمْرٍ يُتَذَرَّعُ بِهِ إِلى مَحْظُورٍ فَهُوَ مَحْظُورٌ .

وَكُلُّ دَاخِلٍ في العُقُودِ يُنْظَرُ هَلْ يَكُونُ حُكْمُهُ عِنْدَ الانْفِرادِ كَحُكْمِهِ عِنْدَ الاقْتِرَانِ أَمْ لاَ .

أَمَّا الذي يَلْتَزمُ حُدُوْدَ اللهِ في وَظِيْفَتِه وَلاَ يَخُوْنُ الوَاجِبَ الذِيْ طوِّقَهُ فَهُوَ مِن المجَاهِدِيْنَ قَالَ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « العَامِلُ إذَا اسْتُعْمِلَ فَأَخَذَ الحَقَّ وَأَعْطَى الحَقَّ لَمْ يَزَلْ كَالمُجَاهِدِ في سَبِيْلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ الى بَيْتِهِ .

شِـعْراً :

فَـلِلّهِ دَرُّ الـعَـارِفِ الـنَّـدْبِ إنَّـهُ
تَسِحُّ لِفَـرْطِ الـوَجْـدِ أَجْفَـانُـهُ دَمَـا

يُـقِيْـمُ إِذَا مَـا اللّيْـلُ مَـدَّ ظَـلاَمَـهُ
على نَفْسِـهِ مِنْ شِدَّةِ الخَـوْفِ مَـأْتَمَـا

فَصِيْحـاً بِمَـا قَـدْ كَـانَ مِنْ ذِكْـرِ رَبِّـهِ
وَفِيْمَـا سِوَاهُ في الـوَرَى كَـانَ أَعْجَمَـا

وَيَـذْكُـرُ أَيَّـامـاً مَضَتْ مِنْ شَبَـابِـهِ
وَمَا كَـانَ فِيْهَـا بِـالجَهَـالَـةِ أَجْـرَمَا

فَصَـارَ قَـرِيْنَ الـهَمِّ طُـوْلَ نَـهَـارِهِ
وَيَـخْـدِمُ مَـوْلاَهُ إِذَا اللّيْـلُ أَظْـلَمَـا

يَـقُـولُ إِلَهِـيْ أَنْتَ سُـؤْلِيْ وَبُـغْيَتِـيْ
كَفَى بِـكَ لِـلرَّاجِيْـنَ سُؤْلاً وَمَـغْنَمَـا

عَسَى مَنْ لَـهُ الاحْسَانُ يَغْفِـرُ زَلَتِيْ
وَيَسْتُـرُ أَوْزَارِيْ وَمَـا قَـدْ تَـقَـدَّمَـا

اَللَّهُمَّ أَذِقْنا عفْوَكَ وَغُفْرَانَكَ وَأَسْلُكْ بِنَا طَرِيْقَ مَرْضَاتِكَ . وَعَامِلْنا بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكَ وَاقْطَعْ عَنَّا مَا يُبْعِدُ عَن طَاعَتِكَ اللهم وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلوبِنَا وَقَوِّهَا وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسَّرْتَهُ لأَوْلِيَائِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُم وَالمَيّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــلٌ)

وَمِنْ مَعَانِيْ الأَمَانَةِ حِفْظُ الاسْرَارِ التِي لاَ يَرْضَى أَهْلُهَا أَنْ تُذَاعَ فَكَمْ مِنْ أَضْرَارٍ عَلى الأَبْدَانِ وَالأَمْوَالِ وَالأَعْرَاضِ حَصَلَتْ بِافْشَاءِ الأَسْرَارِ إِلاَّ إِذَا كَانَتْ الأَسْرَارُ فِيْهَا أَضْرَارٌ عَلى المُسْلِمِيْنَ فَلَيْسَ لَهَا حُرْمَةٌ ولا يَجُوْزُ كَتْمُهَا وَعَلى كُلّ مُسْلِمٍ شهِدَ مَجْلِساً يَمْكُر فِيْهِ المُجْرِمُوْنَ بِغَيْرِهِمْ لِيُلْحِقُوا بِهِ الأَذَى أَنْ يُسَارِعَ إِلَى الحَيْلُولَةِ دُوْنَ الفَسَادِ جَهْدَ طَاقَتِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ خَطَرٌ عَظِيْمٌ وَفَسَادٌ كَبِيْرٌ ، وَقَدْ قَالَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « المَجْلِسُ بالأمَانَةِ إِلاَّ مَجْلِسَ سَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ أَوْ فَرْجٍ حَرَامٍ أَوْ اقْتِطَاعِ مَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَمِمَّا يَتَعَيَّنُ كَتْمُه وَسَتْرُهُ مَا يَجْرِيْ بَيْنَ الرَّجُلِ وَامْرَأتِهِ مِمَّا يُفْضِيْ بِهِ أَحَدُهُمَا إِلى الآخَرِ فَإِنَّ التَّحَدُّثَ بِهِ خِيَانَةٌ لِهَذِهِ الأَمَانَةِ » .

إِذَا المَرءُ أَفْشَــى سِـرَّهُ بِلِسَـانِهِ ولامَ عَلَيْـهِ غَيْـرَهُ فَهْوَ أَحْمَـقُ
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ المَرءِ عَنْ سِرِ نَفْسِـهِ فَصَدْرُ الذي يُسْتُوْدَعُ السّرِ أَضْيَـقُ

فَقَدْ قَالَ صَلى اللهُ عليه وسلم إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ مَنْـزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِيْ إِلى امْرَأتِهِ وَتُفْضِيْ إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا ، وَالثَّرْثَارُونَ مِنْ أَحْلَى وَأَلَذِّ مَا يَتَسَامَرُونَ بِهِ في مَجَالِسِهِمْ مُنْكَرٌ مِنْ أَقْبَحِ المُنْكَرَاتِ ، أَلاَ وَهُوَ مَا يَقَعُ بَيْنَهُم وَبَيْنَ أَزْوَاجِهِم في الخَلوَاتِ الخاصَّةِ مِنْ كَلاَمٍ وَأَفْعَالٍ ، وَمَا يَكُونُ مِنْ الرِّجَالِ قَلِيْلٌ مِنْ مَا يَكُونُ مِنَ النِّسَاءِ فَإِنَّ الكَلامَ في هَذَا المَوْضُوعِ عَادَتُهُنَّ

الوَحِيْدَةُ وَهَذِهِ مَعْصِيَةٌ مِنْ أَفْحَشِ المَعَاصِيْ ووَقَاحَةٌ مُحَرَّمَةٌ .

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْت يَزِيْدَ أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ قُعُودٌ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَعَلَّ رَجُلاً يَقُولُ مَا فَعَلَ بِأَهْلِه وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا فَأَزَمَّ القَوْمُ - أَيْ سَكَتُوا وَجلِينَ - فَقُلْتُ أَيْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُم لَيَفْعَلُونَ وَإِنَّهُنَّ لَيَفْعَلْنَ قَالَ فَلا تَفْعَلُوا فَإِنَّمَا مَثَلُ ذَلِك مَثَلُ شَيْطَانٍ لَقِيَ شَيْطَانَةً فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُوْنَ رَوَاهُ أَحْمَدُ .

شِعْـرًا :

إن الكـريـمَ الـذي تَبْقَـى مَـودتُـه ... ويَحْفَظُ السِّـرَ إن صَـافَا وإن صَـرَمَا
ليس الكـريمُ الذي إن زَلَّ صَاحِبُه ... بَـثَّ الـذي كـان مِن أَسْـرَارِه عَلِمَا

روى عن بعض الوَرِعين أنه أرَادَ طَلاقَ امرأتِه فقيل له ما الذي يَرِيبُك منها فقال العاقلُ لا يَهْتِكُ سِتْرًا فلما طلقها قيل له الآنَ طَلَّقْتَهَا فقال ما لي ولامرأة غيري (المعنى عَليَّ وعليها سِتْرُ الله) . وهكذا الرجال الذي يَعْرفُونَ قَدْرَ الأمانةِ والغالبُ أنَّ إخبارَ الناسِ بالأسْرَارِ يَتَرتَّبُ عليه أضرارٌ فلذلك قيل حول هذا الكلام :

احْفَـظْ لِسَـانَـكَ لا تَبُـحْ بِثَـلاثَـةٍ ... سِـنّ ومـالٍ إنْ سُـئِلْتَ ومَـذْهَـب
فَعَـلَى الثـلاثَـةِ تُبْتَـلَى بِثَـلاثَـةٍ ... بِمُكَفِّـرٍ وبِحَـاسِـدٍ ومُكَـذِّبِ

وَمِن الأَمَـانَـةِ الوُضُوءُ فَإِنْ أَدَّاهُ كَامِلاً بِدُوْنِ مُجَاوزَةٍ لِلْحَدِّ فَقَدْ حَفِظَ هَذِهِ الأَمَانَةَ وَأَدَاهَا وَإِنْ فَرَّطَ فِيْهَا وَأَهْمَلَ بَعْضَ الأَعْضَاءِ أَوْ بَعْضَ الجِسْمِ فِي الغُسْلِ أَوْ تَعَدى إلى الوَسْوَاسِ وَفَاتَتْ المُولاةُ فَقَدْ خَانَ أَمَانَتَهُ .

وَكَذَلِكَ الكَيْلُ وَالوَزْنُ أَمَانَةٌ إِنْ أَدَّاهُ عَلى الوَجْهِ المَطْلُوبِ بلاَ بَخْسٍ وَلاَ غِشٍّ فَقَدْ حَفِظَهَا وَأَدَّاهَا ، وَإنْ بَخَسَ أَوْ غَشَّ أَوْ دَلَّسَ فَقَدْ خَانَ أَمَانَتَهُ .

وَكَذَلِكَ أَوْلادُكَ أَمَانَةٌ عِنْدَكَ إِنْ أَحْسَنْتَ فِيْهِمْ وَرَبَّيْتَهم تَرْبِيَةً صَالِحَةً

ووَجَّهْتَهُم تَوْجِيْهاً حَسَناً فقَدْ أَدَّيْتَ أَمَانَتَك وإِنْ أَهْمَلَهُم وَلَمْ يبال بِهِمْ فَقَدْ خَانَ أَمَانَتَهُ .

وكَذَلِكَ الوَدَائِعُ التِي تُدْفَعُ إلى الإِنْسَانِ لِيَحْفَظَهَا حِيْناً ثُمَّ يَرُدُّهَا إلى أَصْحَابِهَا حِينَ يَطْلُبُونَهَا أَوْ إلى الحَاكِمِ إِنْ فُقِدُوا وَمَنْ يَخْلُفُهم وتَعَذَّرَ عَلَيْهِ إِيْصَالُهَا إِلَيْهِمْ وَأَيِسَ مِنْ مَجِيءِ صَاحِبِهَا ، فَهَذِهِ مِنَ الأَمَانَاتِ الَّتِي يُسْأَلُ عنها ، وَقَدْ اسْتَخْلَفَ ﷺ عندَ هِجْرَتِهِ ابْنَ عَمِّهِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه لِيُسَلِّمَ المُشْرِكِينَ الوَدَائِعَ التِي اسْتُحْفِظَهَا مَعَ أَنَّ هَؤُلَاءِ المُشْرِكِيْنَ كَانُوا بَعْضَ الأُمَّةِ التِي اسْتَفَزَّتْهُ مِنَ الأَرْضِ وَاضْطَرَّتْهُ إِلَى تَرْكِ وَطَنِهِ فِي سَبِيْلِ عَقِيْدَتِهِ ، قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ ثَلاثَةٌ مُؤَدَّيْنَ إلى البَرِّ والفَاجِرِ الأَمَانَةُ وَالعَهْدُ وَصِلَةُ الرَّحِمِ .

وكَذَلِكَ التِّلْمِيْذُ أَمَانَةٌ يَجِبُ على الاسْتَاذِ أَنْ يُوَجِّهَهُ إلى العُلُومِ النَّافِعَةِ وَالعَقَائِدِ السَّلِيْمَةِ وَيُحَذِّرَهُ مِنَ البِدَعِ وَمَا يَضُرُّهُ فِي دِيْنِهِ وَيُحَذِرَهُ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ وَيُبَيِّنَ مَا يَعْرِفُهُ مِنَ الكُتُبِ المُظِلِّ دِرَاسَتُهَا وَالعُلَمَاءِ المُنْحَرِفِيْنَ عَنِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ لِيَجْتَنِبَهُمْ وكُتُبَهُم ، وَيذكُرَ لَهُ العُلَمَاءَ المُحَقِّقِينَ المُسْتَقِيمِيْنَ وَكُتُبَهُمْ لِيَقْتَنِيْهَا فَيَتَأَثَّرُ بِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَحِلُّ العَقِيْدَةُ السَّلِيْمَةُ فِي قَلْبِهِ وَيَسْعَدُ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .

ويحذره من كتب الأشاعرة والشيعة والمعتزلة ومن علمائهم ومِن أَضَرِّ مَا على المسلمين اليومَ الأَشَاعِرَةُ وكُتُبُهُم والرافضةُ وكُتُبهم عصمنا الله وجميع المسلمين منهم ومِن كتبهم وبدعهم التي عَمَّتْ وطَمَّتْ وصرَفَتْ كَثِيْراً مِن الناسِ عَنْ طَرِيقَةِ السلف الخالصة مِن شَوائِبِ البدع .

وَيكُونُ هَذَا المعَلِّمُ المُخْلِصُ هُوَ السَّبَبُ الوَحِيْدُ لاسْتِقَامَةِ هَذَا التِّلْمِيْذِ وَهِدَايَتِهِ فَيَالَهَا مِنْ تِجَارَةٍ وَيَالَهُ مِنْ رِبْحٍ ، وَيَالَهَا مِنْ نَصِيْحَةٍ فَنَجِدُ التِّلْمِيْذُ إِنْ كَانَ وَافِياً شَكُوْراً يَدْعُو لِمُوَجِّهِهِ دَائِماً وَإِنْ لم يَكُنْ كَذَلِكَ فَأَجْرُ المعَلِّمِ وَالمُوَجِّهِ

المخْلِص لاَ يَضِيْعُ عِنْدَ اللّهِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ إنَّا لاَة نُضِيْعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاَ ﴾ وَالنَّاسُ يَخْتَلِفُوْنَ فِيْهِمْ رَوْضٌ وَسَبَخٌ .

قَالَ بَعْضُهُمْ :

لَعَمْرُكَ مَا المَعْرُوفُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ ... وفِي أَهْلِهِ إِلاَّ كَبَعْضِ الوَدَائِعِ

فَمُسْتَودَعٌ ضَاعَ الذِيْ كَانَ عِنْدَهُ ... وَمُسْتَوْدَعٌ مَا عِنْدَهُ غَيْرُ ضَائِعِ

وَمَا النَّاسُ فِي كُفْرِ الأَيَادِيْ وَشُكْرِهَا ... إلى أَهْلِهَا إِلاَّ كَبَعْضِ المَزَارِعِ

فَمَزْرَعَةٌ أَجْدَتْ فَأَضْعَفْ زَرْعُهَا ... وَمَزْرَعَةٌ أَكْدَتْ عَلَى كُلِّ زَارِعِ

وَكَذَلِكَ العِلْمُ أَمَانَةٌ فِي عُنُقِ العَالِمِ يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِذَا لَمْ يَنْشُرْهُ بَيْنَ النَّاسِ وَيُنَوِّرَ بِهِ قُلُوبَهُم يَكُوْنُ خَائِناً لأَمَانَتِهِ وَغَاشّاً لإِخْوَانِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الذيْنَ يَكْتُمونَ مَا أَنْزَلْنَا مِن البَيِّنَاتِ وَالهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمْ اللَّهُ وَيَلعَنُهُمْ اللاَّعِنُوْنَ ﴾ .

قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِيْنَ عَلى هَذِهِ الآيةِ : وَالتَّنْدِيْدُ بِكِتْمَانِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِن الكِتَابِ المَقْصُودُ بِهِ أَوَّلاً أَهْلُ الكِتَابِ وَلَكِنّ مَدْلُولَ النَّصِّ العَامّ يَنْطَبِقُ عَلى أَهْـلِ كُلِّ مِلّةٍ يَكْتُمُونَ الحَقَّ الذِيْ يَعْلَمُونَهُ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمناً قَلِيْلاً إِمَّا هُـوَ النَّفْـعُ الخَاصُّ الذِيْ يَحْرِصُونَ عَلَيْهِ بِكِتْمَانِهِمْ لِلْحَقِّ وَالمَصَالِحِ الخَاصّةِ الَّتِي يَتَحَرَّوْنَها بِهَذَا الكِتْمَانِ وَيَخْشَوْنَ عَلَيْهَا مِنَ البَيَانِ وَإِمَّا هُوَ الدّنْيَا كُلّها وَهِيَ ثَمَنٌ قَلِيْلٌ حِيْنَ تُقَاسُ إلى مَا يَخْسَرُونَهُ مِنْ رِضَى اللَّهِ وَمِنْ ثَوابِ الآخِرَةِ انْتَهَى .

وَقَالَ آخَرُ وَهَذِهِ الآيَةُ تُوْجِبُ اظْهَارَ عُلُومِ الدِّيْنِ مَنْصُوْصَةً كَانَتْ أَوْ مُسْتَنْبَطةً وَتَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِ جَوَازِ أَخْذِ الأَجْرَةِ عَلى ذَلِكَ إِذْ غَيْرُ جَائِزٍ اسْتِحْقَاقُ الأَجْرِ عَلى مَا يَجِبُ فِعْلُهُ بَلِّغ يا أخي الذين يأكلون بالكتب الدينية ويحتكرونها باسم تحقيق أو نشر نسأل الله العافية .

وَقَدْ رَوَى الأَعْرَجُ عَن أَبي هريرة أنهُ قَالَ إِنَّكم تَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ عن النَّبيِّ ﷺ وَاللَّهُ المَوْعِدُ ، وَأَيْمُ لَوْلا آيَةٌ في كِتَابِ اللَّه مَا حَدَّثْتُ بشيءٍ أَبَدًا ، ثُمَّ تَلا ﴿ إِنَّ الذِيْنَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِن البَيِّنَاتِ وَالهُدَى ﴾ الآيَةُ .

وَعَنْ أبي هُريرة رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيّ وَحَسَّنَهُ وَابنُ مَاجَهْ وَابْنُ حِبّانَ في صَحِيْحِهِ وَالبَيْهَقِيّ وَرَوَاهُ الحَاكِمُ بِنَحْوِهِ وَقَالَ صَحِيْحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ .

وَعَنْ أَبِيْ سَعِيْدٍ الخُدْرِيّ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَتَمَ عِلْماً مِمَّا يَنْفَعُ اللهُ بِهِ النَاسَ في أَمْرِ الدِّيْنِ أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِن نارٍ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ ، وَمِن الامَانَةِ في العِلْمِ إِنَّكَ إِذَا أَبْدَيْتَ رَأْياً ثُمَّ أَرَاكَ الدّلِيْلُ القَاطِعُ أَو الرَّاجِحُ أَنَّ الحَقَّ في غَيْرِ مَا أَبْدَيْتَ أَنْ تَصْدَعَ بِمَا اسْتَبَانَ لَكَ أَنّهُ الحَقُّ .

وَلَا يَمْنَعُكَ مِن الجَهْرِ بِهِ أَنْ تُنْسَبَ إلى سُوْءِ النَّظَرِ فِيْمَا رَأَيْتَهُ أَوّلاً ، وَالأَمَانَةُ حَملتْ كثيراً مِن العُلَمَاءِ عَلى أَنْ يُظْهِرُوا رُجُوْعَهُم عَنْ كَثِيْرٍ مِنْ آرَاءَ عِلْمِيَّةٍ أو اجْتِهَادِيَّةٍ دِيْنِيَّةٍ تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُم غَيْرُ مُصِيْبِيْنَ فِيْهَا .

ولاَ يَكْتَرِثُوْنَ بِمَا يُقَالُ فِيهِمْ مِن الإِعْتِرَاضَاتِ التِي في غَيْرِ مَحَلِّهَا لِعِلْمِهِمْ أَنْ النَّاسَ مَا مِنْهُم سَلاَمَةٌ أَبَدَا مَهْمَا اسْتَقَامُوْا وَلِهَذَا الرُّسُلُ لم يَسْلَمُوا مِنْهُم قَوْلاً وَفِعْلاً ، بَل اللهُ جَلَّ وَعَلا الذِيْ أَوْجَدَهُم وَرَبَّاهُم وَرَزَقَهُم وَفَضّلَهُم عَلى كَثِيْرٍ مِمَّنْ خَلَقَ جَعَلُوا لَهُ وَلَدا وَقَالُوا لا يُعِيْدُنَا ، فَلاَ مَطْمَعَ في السَّلاَمَةِ مِنْهُم ، وَهُمْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ مُعْرِباً عَنْ صِفَاتِهِمْ :

وَإِنْ تُبْدِي يَوْماً بِالنَّصِيْحَةِ لامْرِىءٍ
بِتُهْمَتِهِ إِيَّاكَ كَانَ مُجَازِيَا

وَإنْ تَتَحلَّى بِـالسَّمَـاحَـةِ وَالسَّخَـاء
يُقَـالُ سَفِيْـهُ أَخْـرَقُ لَيْسَ وَاعِيَـا
وَإنْ أَمْسَكْتَ كفَّـاكَ حَـالَ ضَـرُوْرَةٍ
يُقَـالُ شَحِيْحُ مُمْسِـكٌ لا مُسَـاوِيـا
وَإنْ ظَهَـرَتْ مِنْ فِيْكَ يَنْبُوعُ حِكْمَةٍ
يَقُـولُـونَ مِهْـذَاراً بَـذِيّـاً مُبَـاهِيَـا
وَعَنْ كُـلِّ مَا لَا يَعْنِ إنْ كُنْتَ تَـارِكـاً
يَقُولُونَ عَنْ عِيٍّ مِن العَجْزِ صَاغِيَا
وَإنْ كُنْتَ مِقْـدَامـاً لِكُـلِّ مُلِمَّـةٍ
يُقَالُ عَجُولٌ طَـائِشُ العَقْـلِ وَاهِيَـا
وَإنْ تَتَغَـاضَى عَنْ جَهَـالَـةِ نَـاقِصٍ
يَـعُـدُّوكَ خَـوّاراً جَبَـانـاً وَلاهِـيـا
وَإنْ تَتَقَـاصَى بِـاعْتِـزالِـكَ عَنْهُـمُـو
يَخَـالُـوكَ مِنْ كِبْـرٍ وَتِيْـهٍ مُجَـافِيَـا
وَإنْ تَـتَـدَانَى مِـنْـهُـم لِـتَـأَلُّـفٍ
يَـظُنُّوكَ خَـدَّاعـاً كَـذُوْبَـاً مُـرَائِيَـا
تَـرى الظُّلْمَ مِنْهُم كَـامِناً في نُفُـوسِهِم
كَـذَا غَـدْرُهُم في طَبْعِهِمْ مُتَـوَارِيَـا
فَفِي قُـوَّةِ الانْسَـانِ يَـظْهَـرُ ظُلْمُـهُ
وَفي عَجْـزِهِ يَبْقَى كَمَـا كَـانَ خَـافِيَـا
وَهَيْهَـاتَ تَنْجُـو مِنْ غَـوَائِـلِ فِعْلِهِم
وَأَقْـوَالِهِمْ مَـهْمَـا تَـكُنْ مُتَحَـاشِيَـا

فَمَنْ رَامَ إِرْضَاءَ الأَنَامِ بِقَوْلِهِ
وَفِعْلٍ غَدَا لِلْمُسْتَحِيْلِ مُعَانِيَا
وَمَنْ ذَا الذِيْ أَرْضَى الخَلاَئِقَ كُلَّهُم
رَسُولاً نَبِيًّا أَمْ وَلِيّاً وَقَاضِيَا
وَأَعْظَمُ مِنْ ذَا خَالِقُ الخَلْقِ هَلْ تَرَى
جَمِيْعَ الوَرَى فِي قِسْمَةٍ مِنْهُ رَاضِيَا
إِذَا كَانَ رَبُّ الخَلْقِ لَمْ يُرْضِ خَلْقَهُ
فَكَيْفَ بِمَخْلُوقٍ رِضَاهُمْ مُرَاجِيَا
فَلازِمْ رِضَى رَبِّ العِبَادِ إِذاً وَلاَ
تُبَالِ بِمَخْلُوقٍ إِذَا كُنْتَ زَاكِيَا
وَسَدِّدْ وَقَارِبْ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا
يُكَلَّفُ عَبْدٌ فِعْلَ مَا كَانَ قَاوِيَا

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا وَشَرِّ الدُّنْيَا وَالهَوَى وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيْمِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وَمن الأَمَانَةِ فِي العِلْمِ أَنَّكَ إِذَا سُئِلْتَ عَنْ مَسْأَلَةٍ خَافِياً عَلَيْكَ حُكْمُهَا أَنْ تَقُولَ لا أَدْرِيْ غَيْرَ مُسْتَنْكِفٍ وَلاَ مُبَالٍ بِمَا يَكُونُ لَهَا مِنْ أَثر عِنْدَ السَّائِلِيْنَ وَالمُسْتَمِعِيْنَ وَلأَنْ يُقَالَ سُئِلَ فَقَالَ لاَ أَدرِيْ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُقَالَ سُئِلَ فَأَجَابَ خَطأً أَوْ رَوَى مَا لَمْ يَكُنْ وَاقِعاً.

وسأل رجلٌ بنَ عُمر عن مَسألة فقال لا عِلْمَ لي بها ثم قال السائل بَعْدَ أن وَلَّى : نِعْمَ ما قال بنُ عمر قال : لِمَا لا يَعْلَم لا أَعْلَم .

وقال سفيان بن عُيَيْنَه كُنتُ في حلقةِ رجُلٍ مِن ولدِ عبدالله بن عمر فَسُئِلَ عن شيء فقال : لا أدري فقال له يحيى بن سعيد العَجبُ مِنك كُلَّ العَجَب تَقُول لَا أَدْري وأنتَ ابنُ إمام هُدَى فقال أوَلاَ أخبرُكَ مِنى عند الله وعند مَن عَقَلَ عن الله مَن قالَ بِغِيرِ عِلْم أو حَدَّثَ عن غيرِ ثِقَةٍ .

وقال الهَيْثَمُ بنُ جَمِيْلٍ شَهِدْتُ مَالِك بنُ أنس سُئِلَ عن ثمانٍ وأرْبَعِيْنَ مَسْألة ، فَقال في اثْنَينْ وثَلاثِيْنَ مِنها لا أدْرِي .

وعن أبي سُلَيْمان بن بِلال قال شَهِدْتُ القاسِمَ بنَ مُحَمَّدٍ بنَ أبي بكر الصديق والناسُ يَسْألونه ، فقال يَا هَؤلآلاء بعض مسائِلِكم فإنا لا نَعْلم كُلَّ شَيء .

وكان عبد الله بنَ يَزيد بنُ هُرمُز يَقُولُ : يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يُوَرِّثَ جُلسَاءَهُ مِن بَعْدِهِ لَا أَدْري حَتى يَكُونَ أَصْلاً منه في أيديهم إذا سُئِلَ أحدهم عما لا يَعلم قال لا أدْرِي .

عَلَيْكَ بِلَا أَدْرِيْ إِذَا كُنْتَ جَاهِلاً   لِتَسْلَمَ مِن شَرّ الخَطَا في الإِجَابَةِ
آخر : ومَن كان يهوَى أن يُرَى مُتَصَدِّراً   وَيكْرَهُ لَا أَدْرِي أَصِيْبَتْ مَقَاتِلُهْ
آخر : يَمُدُّوْنَ في الإِفْتَاءِ بَاعًا قَصِيْرَةً   وأَكْثَرُهُمْ عِنْدَ الجَوَابِ يُكَذْلِكُ
آخر : حِذَارَكَ أَنْ تَقُوْلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ   كَفَى بالشَّكِ عِنْدَ الناسِ جَهْلَا
آخر : وَبِالصِّدْقِ فاسْتَقْبِلْ حَدِيْثَكَ إِنَّهُ   أَصَحُّ وَأَدْنَى لِلسَّدَادِ وَأَمْثَلُ

آخر : تَعَلَّمْ فَلَيْسَ المرءُ يُوْلَدُ عَالِمـــاً وَلَيْسَ أخُو علْمٍ هُوَ جَاهِـــلُ
وإنَّ كَبِيْرَ القَومِ لا عِلْمَ عِنْـــدَهُ صَغِيْرٌ إِذَا التَّقتْ عَليهِ المَحَـــافِلُ

ومِنْ الأَمَانَةِ في العِلْمِ أَنْ لَا يُفْتِي بِمَا يَراهُ بَاطِلاً . إِلَّا إِنْ سَأَلَهُ عَنْ مَا يَراهُ فلانٌ بِأَنْ قَالَ مَا رَأْيُ الشَّافِعيّ أَوْ أَحْمَدُ فِيْهَا ، أَوْ مَا هُوَ اخْتِيَارُ شَيْخِ الإِسْلَامِ فِيْهَا ، فَهذَا إِنْ كُنْتَ عَالِمَاً بالحُكْمِ تَقُولُ لَهُ يَرَى كَذَا وَكَذَا وَلاَ بَأْسَ .

وَبِالتَّالِيْ فَمَا مِنْ انْسَانٍ مِنَّا إِلَّا وَعَمَلُهُ أَمَانَةٌ لِلّهِ في عُنُقِهِ ، فَالشَّعْبُ أَمَانَةٌ في يَدِ الوُلَاةِ لِلأُمُوْرِ ، وَالدِّيْنُ أَمَانَةٌ في يَدِ العُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ العِلْمِ وَالعَدْلُ أَمَانَةٌ في يَدِ القُضَاةِ وَالحَقُّ أَمَانَةٌ في يَدِ المُجَاهِدِيْن ، وَالصِّدْقُ أَمَانَةٌ في يَدِ الشُّهُودِ ، وَالمَرْضَى أَمَانَةٌ في يَدِ الأَطِبَّاءِ ، وَالمَصَالِحُ أَمَانَةٌ في يَدِ المُسْتَخْدَمِيْنَ ، وَالتِّلْمِيْذُ أَمَانَةٌ في يَدِ الأُسْتَاذِ ، وَالوَلَدُ أَمَانَةٌ في يَدِ أَبِيْهِ ، وَالوَطَنُ أَمَانَةٌ في يَدِ الجَمِيْعِ ، وَهكَذَا بَاقِيْ الأَمَانَاتِ .

وَقَدْ وَرَدَتْ آيَاتٌ وَأَحَادِيْثُ في عِظَمِ شَأْنِ الأَمَانَةِ وَالأَمْرِ بِحِفْظِهَا وَأَدَائِهَا وَالتَّحْذِيْرِ مِنَ الخِيَانَةِ فِيْهَا ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلى أَهْلِهَا ﴾ وَقَالَ ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ على السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوْمَاً جَهُولاً ﴾ .

وَعَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: القَتْلُ في سَبِيْلِ اللّهِ يُكَفِّرُ الذّنُوبَ كُلَّها إلَّا الأَمَانَةَ . قَالَ: يُؤْتَى بِالعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَإِنْ قُتِلَ في سَبِيْلِ اللهِ فَيُقَالَ أَدِّ أَمَانَتَكَ فَيَقُوْلَ أَيْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ ذَهَبَت الدُّنْيَا ، فَيُقَالُ انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الهَاوِيَةِ ، وَتُمَثَّلُ لَهُ أَمَانَتُه كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ دُفِعَتْ إِلَيْهِ فَيَرَاهَا فَيَعْرِفُهَا فَيَهْوِيْ في أَثَرِهَا حَتَّى يُدْرِكُهَا فَيَحْمِلُها على مَنْكِبِهِ حَتّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ خَارِجٌ زَلَّتْ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَهُوَ يَهْوِيْ في أَثَرِهَا أَبَدَ الآبِدِيْنَ .

ثُمَ قَالَ الصَّلَاةُ أَمَانَةٌ ، والوُضُوءُ أَمَانَةٌ وَالكَيْلُ أَمَانَةٌ وَأَشْيَاءُ عَدَّدَهَا وَأَشدُّ

ذَلِكَ الوَدَائِعُ ، قَالَ رَاوِيْ الحَدِيْثِ فَأَتَيْتُ البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ فَقُلْتُ أَلَا تَرى إِلَى مَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ، قَالَ كَذَا وَكَذَا قَالَ البَرَاءُ صَدَقَ أَمَا سَمِعْتَ اللهَ يَقُولُ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ .

وَفي حَدِيْثِ حُذَيْفَةَ في وَصْفِهِ لِتَسَرُّبِ الأَمَانَةِ مِن القُلُوْبِ التِيْ تَخَلْخَلَ فِيْهَا اليَقِيْنُ ، قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيْثَيْنِ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ حَدَّثَنَا أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ في جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ثُمَّ عَلِمُوا مِن القُرْآنِ ثُمَّ عَلِمُوا مِن السُّنَّةِ .

وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الوَكْتِ ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلُ أَثَرِ المَجَلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلى رِجْلِكَ فَنَفَطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِراً ، وَلَيْسَ فِيْهِ شَيءٌ فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلا يَكَادُ أَحَدُهُمْ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ فَيُقَالُ إِنَّ في بَنِيْ فُلانٍ رَجلاً أَمِيْناً وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ وَمَا في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ الحدِيْثُ رَوَاهُ البُخَارِيّ .

وَلِلأَمِيْرِ الصَّنْعَانِيّ في الحَثِّ عَلى تَدَبُّرِ كِتَابِ اللهِ وَالتَّفَكُّرِ في آيَاتِهِ والثَّنَاءِ عَلى اللهِ قَصِيْدَةٌ بَلِيْغَة .

الـوَارِدَاتُ عَـلَيْـنَـا كُـلُّهَـا مِـنَـنُ
مِـنْ رَبِّنَـا فَـلَهُ الاحْسَـانُ وَالـحَسَـنُ
إِنَّـا لَنَـا كُـلَّ شَيءٍ مِنْ مَـوَاهِبِـهِ
مَـا لا تُـحِيْطُ بِـهِ عَـيْنٌ وَلَا أُذُنُ

فَشُكْـرُ بَعْضِ أَيَـادِيْـهِ التِي شَمَلَتْ
عَنْ شُكـرِهَا يَعْجَـزُ العَـلاَّمَـةُ اللَّسِنُ

يَـا عَـالِمَ الغَيْبِ لاَ يَخْفَـاهُ خَـافِيَـةٌ
وَعِـلْمُـهُ يَتَسَـاوَى السِّـرُّ وَالعَلَنُ

أَهْـلُ البَسِيْـطَةِ طُـرّاً تَحْتَ قَبْضَتِـهِ
وَكُلُّهُـم بـالَّـذِيْ يَـأْتِيْـهِ مُـرْتَـهَـنُ

بِـحِكْمَـةٍ وَبِعِلْمٍ كَـانَ مُبْتَـدِئـاً
هَذَا الوُجُـوْدَ الذِي حَـارَتْ لَهُ الفِـطَنُ

دَحَى البَسِيْطَةَ فَـرْشَـاً لِـلأَنَـامِ وَقَـدْ
عَلَتْ عَلَيْهَـا الجِبَـالُ الشُّـمُّ وَالقُنَنُ

كَـيْـلاَ تَمِيْـدَ بِـأَهْلِيْهَـا وَأَوْدَعَـهَـا
لَهُم مَنَـافِعَ إِنْ سَـارُوا وَإِنْ قَطَنُـوْا

بَنَى السَّمَـاءَ بِأَيْـدٍ فَـوْقَهَـا وَحَـوَتْ
عَجَـائِبـاً أَعْـرَضُـوا عَنْهَـا وَمَا فَـطِنُـوْا

فَفِيْ التَّـأَمُّـلِ فِي آيَـاتِهَـا عِبَـرٌ
لَـوْ كَـانَ يُطْلَقُ عَنْ أَفْكَـارِنَـا الـرَّسَنُ

وَقَـدْ حَكَى اللّهُ إِعْرَاضَ العِبَـادِ فَهَـلْ
غَـطَّى عَلَى العَيْنِ مِنْ أَفْكَارِنَـا الوَسَنُ

إِنَّ الـتَّفَـكُّـرَ فـي آيَـاتِ خَـالِقِـنَـا
عِبَـادَةُ الفِكْـرِ فِيْهَـا الخَلْقُ قَـدْ غُبِنُـوا

تَـزْدَادُ بِـالفِكْـرِ إِيْـمَـانـاً وَمَعْـرِفَـةً
فَـلاَ يَـفُـوتُـكَ شَيءٌ مَـا لَـهُ ثَـمَنُ

مَنَّ الإلـهُ عَلَيْنَـا بـالكِتَـابِ فَقُـلْ
يَـا مِنَّـةً قَصُـرَتْ مِنْ دُوْنِهَـا المِنَنُ
فَصَرِّفِ الفِكْرَ في الذِّكرِ الحَكِيْمِ تَجِدْ
فِيْـهِ العُلُومَ التِيْ لَمْ يَحْوِهَـا الفَـطِنُ
آيَـاتُـهُ أَعْـجَـزَتْ كُـلاًّ بـلاغَـتُـهَـا
وَأَبْـلَغُ الخَـلْقِ قَـدْ أَوْدَى بـهِ اللَّكَـنُ
أَدِلَّـةٌ وَأَقَـاصِـيْصٌ وَأَمْـثِـلَـةٌ
لَـفْظٌ بَلِيْـغٌ وَمَـعْـنَـى فَـائِـقٌ حَـسَـنُ
غُصْ بَحْـرَه تَلْقَ فِيْـهِ الـدُّرَّ مُبْتَـذَلاً
وَفُلْكُ فِكْـرِكَ فـي أَمْـوَاجِـهِ السُّـفُنُ
كَمْ قِصَّـةٍ وَصَفَتْ أَخْبَـارَ مَنْ دَرَجُـوا
مِـنْ صَـالِـحٍ وَشَقِـيٍّ رَبُّـهُ الـوَثَـنُ
قِفْ بِـالمَثَـانِيْ تَـرَىٰ آيَـاتِهَـا عَجَبـاً
أَوْ بـالـمِئِيْنِ فَفِيْهَـا كُـلُّهَـا المِـنَـنُ
أَوْ الـطِّوَالِ فَفِيْـهَـا العِـلْمُ أَجْمَـعُـهُ
خَـزَائِـنٌ هِيَ لِـلأَحْـكَـامِ تَـخْـتَـزِنُ
وَفـي الـمُـفَـصَّـلِ آيَـاتٌ مُـفَـصَّـلَةٌ
قَـوَارِعٌ لِـقُـلُوْبٍ مَـا بِـهَـا دَرَنُ
إِنَّ الـذُّنُـوْبَ لأَوْسَـاخُ القُلُوبِ فَـلاَ
يَـكُنْ فُـؤَادُكَ بَيْتَـاً حَشْـوُهُ الـدِّمَـنُ
وَدَاوِ قَلْبَـكَ مِنْ قَبْـلِ المَمَـاتِ فَمَـا
يُجْـدِي الـدَّوَاءُ بِمَيْتٍ بَعْـدَ مَـا دَفَنُـوا

بِمَرْهَمِ التَّوْبَةِ الصِّدْقِ النَّصُوحِ فَذَا
هُوَ الدَّوَاءُ لِذَاكَ الدّاءِ لَو فَطِنُوا
وَنَارُ ذَنْبِكَ تُطْفِيْهَا الدُّمُوْعِ إِذَا
أَثَارَهَا الخَوْفُ مِنْ مَوْلَاكَ وَالحَزَنُ
بَادِرْ بِهَذَا الدَّوَا مِنْ قَبْلِ مِيْتَتِهِ
فَمَا لِسَهِمِ القَضَا مِنْ دُوْنِهِ جُنَنُ
وَرُبَّ شَخْصٍ تَوَفَّى قَبْلَهُ وَثَوَى
فِي صَدْرِهِ فَهُوَ قَبْرٌ وَالحَشَا كَفَنُ
تَرَاهُ في النَّاسِ يَمْشِيْ حَامِلاً جَدَثاً
فَهَلْ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا أَتَى الزَّمَنُ
فَأَسْأَلُ اللّهَ تَوْفِيْقاً يَكُونُ بِهِ
حُسْنُ الخِتَامِ فَفِيْهِ الفَوْزُ مُرْتَهَنُ
فَفِيْ الصَّلاةِ على خَيْرِ الوَرَىٰ وَعَلَى الآ
آلِ الكِرَامِ مَعَ التَّسْلِيْمِ يَقْتَرِنُ

اللهم ثَبِّتْ محبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بنُورِ الإِيمانِ واجعلنا هُدَاةً مُهْتَدِيْن وآتِنا في الدُّنيا حَسَنةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنَا عَذَابَ النارِ واغْفِرْ لَنَا ولوالدينا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْـلٌ)

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ لِمَا يُحِبُّه وَيَرْضَاهُ أَنَّ تَوْثِيْقَ عُرَى المَوَدَّةِ بَيْنَ المُسْلمين وَتَصْفِيَةَ القُلُوبِ مِن الغِلِّ وَالحِقْدِ وَالحَسَدِ ، وَالحِرْصَ عَلى مَا يَجْلِبُ المَوَدَّةَ وَالتَّآلُفَ والتَّنَاصُرَ وَالتَّعَاضُدَ ، وَتَجَنُّبَ مَا يُوْغِرُ الصُّدُوْرَ

وَيُوْرِثُ العَدَاوَةَ وَاجِبٌ تَقْتَضِيْهِ الأُخُوَّةُ الايْمَانِيَّةُ ، وَالإِيْمَانُ لا يَكُونُ تَامّاً إِلاَّ بِذَلِكَ .

وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَهَى عَنِ التَّفَرُّقِ فَقَالَ ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ فَأَمَرَهُمْ بالجَمَاعَةِ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ ، وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيْثُ مُتَعَدِّدَةٌ بِالنَّهْيِ عَنِ التَّفَرُّقِ وَالأَمْرِ بالاجْتِمَاعِ وَالائْتِلَافِ .

ولَمَّا كَانَ الصُّلْحُ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ أَفْرَاداً أَوْ جَمَاعَاتٍ يُثْمِرُ إِحْلَالَ الأُلْفَةِ مَكَانَ الفُرْقَةِ وَاسْتِئْصَالَ دَاءِ النِّزَاعِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْحِلَ وَحَقْنَ الدِّمَاءِ التِيْ تُرَاقُ بيْنَ الطَّوَائِفِ المُتَنَازِعَةِ .

وَتَوْفِيْرَ الأَمْوَالِ التِي تُنْفَقُ لِلْمُحَامِيْنَ بالحَقِّ وَالبَاطِلِ وَتَوْفِيْرَ الرُّسُومِ وَالنَّفَقَاتِ الأُخْرَى وَتَجَنُّبَ إِنْكَارِ الحَقَائِقِ التِيْ تَجُرُّ إليها الخُصُوْمَاتُ وَتَرْكَ شَهَادَةِ الزُّوْرِ وَتَجَنُّبَ المشَاجَرَاتِ والاعْتِدَاءَاتِ على الحُقُوقِ وَالنُّفُوسِ وَتَفَرُّغَ النُّفُوسِ لِلْمَصَالِحِ بَدَلَ جِدَالِهَا وَانْهِمَاكِهَا في الكَيْدِ لِلْخُصُومِ إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُثْمِرُهُ الصُّلْحُ أَمَرَ اللهُ بِهِ وَحَثَّ عَلَيْهِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِن الْمُؤْمِنِيْنَ اقْتَتَلوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حَتى تفِيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بَيْنَهُمَا بالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المقْسِطِيْنَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّمَا الْمؤْمِنُونَ اخْوَةٌ فأَصْلِحُوا بَينَ أَخَوَيْكُم ﴾ وقَالَ ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ لَا خَيْرَ في كَثِيْرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ .

وَحَثَّ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ عَلى الصُّلْحِ وَأَصْلَحَ بَيْنَ كَثِيْرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَعَنْ أَبِيْ العَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَلَغَهُ أَنَّ بَنِي عَمْرو بْن عَوْفٍ كانَ بَيْنَهُم شَرٌّ فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وسلَمَ يُصْلِحُ بَيْنَهُم في أُنَاسٍ مَعَهُ الحَدِيْثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَلَقَدْ بَلَغت العِنَايَةُ بالصُّلْحِ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ إلى أَنَّهُ رُخِّصَ فِيْهِ بالكَذِبِ رَغْمَ قَبَاحَتِهِ وَشَنَاعَتِهِ وَشِدَّةِ تَحْرِيْمِهِ ، وَعَنْ أُمِّ كُلْثُوْمٍ بِنْتِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النبي صَلى اللهُ عَليه وسَلم قَالَ : « لَمْ يَكْذِبْ مَنْ نَمى بَيْنَ اثْنَيْن لِيُصْلِحَ بَيْنَهُم » .

وفي رواية لَيْسَ بالكاذِبِ مَنْ أَصْلَحَ بينَ الناسِ فَقالَ خَيْراً أَو نَمى خَيْراً .رَوَاهُ أَبُوا دَاوُدَ ،وفي رِوَايَةٍ لِمُسْلِم قَالَتْ وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ في شَيءٍ مِمَّا يَقُولُه الناسُ إلاَّ في ثلاثٍ يَعْنِي الحَرْبَ وَالاصْلاحَ بَيْنَ النّاسِ وَحَدِيْثُ الرَّجُلِ امْرَأتَهُ وَحَدِيْثَ المَرْأةِ زَوْجَها ، أَيْ قَالَ خَيْراً عَلى وَجْهِ الاصْلاحِ وَلَيْسَ المُرَادُ نَفْيَ ذَاتِ الكَذِبِ بَلْ نَفْيُ اثْمِهِ فالكذبُ كذِبٌ وَإِنْ قِيْلَ لِلإِصْلاحِ أَو غَيْرِهِ وَإِنَّما نُفِيَ عَنَ المُصْلِحِ كَوْنُه كَذَّاباً باعْتِبَارِ قَصْدِه .

وَهَذِهِ أُمُوْرٌ قَدْ يَضطَرُّ الانْسَانُ فِيْهَا إلى الزِّيَادَةِ في القَوْلِ وَمُجَاوَزَةِ الصِّدْقِ طَلَباً لِلسَّلامَةِ وَدَفْعاً لِلضَّرَرِ وَرَخّصَ في اليَسِيْرِ في مِثْلِ هَذَا لِمَا يُؤَمِّلُ فيهِ من الصَّلاحِ ، وَالكَذِبُ بينَ اثْنَيْنِ في الاصْلاحِ أَنْ يَنْمِيْ مِنْ أَحدِهِمَا إلى صَاحِبِهِ خَيْراً وَيُبَلِّغُه جمِيْلاً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ سَمِعَهُ مِنْهُ بِقَصْدِ الإِصْلاحِ ، وَالكَذِبُ في الحَرْبِ أَنْ يُظْهِرَ في نَفْسِهِ قُوَّةً وَيَتَحَدَّثَ بِمَا يُقَوّي بِهِ أَصْحَابَهُ وَيَكِيْدُ بِهِ عَدُوَّهُ وَيُوهِنُهُ وَيُشَتِّتُ فِكْرَهُ . وَالكَذِبُ لِلزَّوْجَةِ أَنْ يَعِدَهَا وَيُمَنِّيْها وَيُظْهِرَ لَهَا أَكْثَرَ مِمَّا فِيْ نَفْسِهِ لِيَسْتَدِيْمَ صُحْبَتَهَا وَيَتَأَلَفَها وَيُصْلِحَ بِهِ خُلُقَهَا .

وَبَلَغَتْ العِنَايَةُ بِالصُّلْحِ بَيْنَ النَّاسِ إلى أَنَّ المُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ يُعْطَى مِن الزَّكاةِ أَوْ مِنْ بَيْتِ المالِ لأداءِ مَا تَحَمَّلَهُ مِنَ الدُّيُونِ في سَبِيْلِ الاصْلاحِ وَإِنْ كَانَ قادِراً عَلى أَدَائِهَا مِنْ مَالِهِ .

وَأَخْبَرَ صَلى اللهُ عليه وَسَلم أَنَّ الاصْلاحَ بَيْنَ النّاسِ تِجَارَةٌ وَأَنَّهُ مِمّا يَرْضَاهُ اللهُ وَرَسُولُه ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيّ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلم قَالَ لأَبِي أَيُّوبَ أَلاَ أَدُلُّكَ عَلى تِجَارَةٍ قَالَ بَلَى قَالَ صِلْ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا وَقَرِّبْ بَيْنَهُم إِذَا تَبَاعَدُوا رَوَاهُ البَزَّارُ وَالطَّبَرَانِيّ ، وَعِنْدَهُ أَلا أَدُلُّكَ عَلى عَمَلٍ يَرْضَاهُ اللهُ وَرَسُولُه قَالَ بَلى قالَ صِلْ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا وَقَرِّبْ بَيْنَهُم إِذَا تَبَاعَدُوا .

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَن النَّبي صَلى اللهُ عليه وَسَلم قَالَ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ أَصْلَحَ اللّهُ أَمْرَهُ وَأَعْطَاهُ بِكُلِّ كِلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا عِتْقَ رَقَبَةٍ وَرَجَعَ مَغْفُوراً لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ رَوَاهُ الاصْبِهَانِيّ وَهُوَ حَدِيْثٌ غَرِيْبٌ جِدًّا .

اللهُمَّ يَا مَنْ فَتَحَ بَابَهُ لِلطَّالِبِيْنَ وَأَظْهَرَ غِنَاهُ لِلرَّاغِبِيْنَ أَلْهِمْنا مَا أَلْهَمْتَ عِبَادَكَ الصَّالِحِيْنَ وَأَيْقِظْنَا مِنْ رَقْدَةِ الغَافِلِيْنَ إِنَّكَ أَكْرَمُ مُنْعِمٍ وَأَعزُّ مُعِيْنٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللهِ لمَّا كَانَ الانْسَانُ مُكَلَّفاً بالسَّعْي وَالعَمَلِ لِطَلَبِ الرِّزقِ من وُجُوهِهِ المشْرُوعَةِ كان حَقّاً عليه أنْ يَصُونَ نَفْسَه عَنْ مَسْأَلَةِ النّاسِ .

وَأَنْ لاَ يَمُدَّ يَدَهُ لِسُؤَالِهِم وَلاَ يَتَقَدَّمَ إِليهم لِطَلَبِ حُطَامِ الدُّنْيا إلاَّ عِنْدَ

الضَّرُورةِ أَوِ الحَاجَةِ الشَّدِيْدَةِ لِأَنَّهُ إِذَا قَعَدَ عن العَمَلِ وَلَزِمَ البَطَالَةَ وَالكَسَلَ وَنَظَرَ لِمَا في أَيْدِي النَّاسِ مِنْ أَوْسَاخِهِم سَاءَتْ حَالُهُ ، وَضَاعَتْ آمَالُه ، وَضَعُفَ تَوَكلُه ، وَضَاق عَيْشهُ ، وَانْحَطَّتْ نَفْسُهُ ، وَاعْتَادَ السُّؤَالَ الذِي لا يَنْفَكُّ عن ثَلاثَةِ أُمُورٍ مُحَرَّمَةٍ :

الأَوَّلِ : اظْهَارِ الشَّكْوَى مِن اللهِ تَعَالَى ، إذ السُّؤَآل اظْهَارُ لِلفَقْرِ وَذِكرُ لِقُصُورِ نِعْمَةِ اللهِ عنه ، وَهُوَ عَيْنُ الشَّكوى ، وَكَما أَنَّ العَبْدَ المَمْلُوكَ لَو جَعَلَ يَسْأَلُ وَأَنَّهُ مَا يَجِدُ شَيْئاً لَكَانَ سُؤَآلُهُ تَشْنِيْعاً عَلى سَيِّدِه وَلا يَرْضَى بِذَلِكَ وَلِلّهِ المَثَلُ الأَعْلَى .

وَلاَ سِيَّمَا إذا أَتَى إِلى بَيْتِ اللهِ يَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ حِيْنِ مَا يُسَلِّمُ الامَامُ وَجَعَلَ يَشْرَحُ حَالَهُ وَفَقْرَهُ وَأَوْقَفَ النَّـاسَ عَنْ تَهْلِيْلِهِم ، وَتَسْبِيْحِهِمْ ، وَتَكْبِيْرِهِمْ ، وَالمَسَاجِدُ لَمْ تُبْنَ إلا لِذِكْرِ اللهِ ، وَالصَّلاَةِ فِيْهَا وَقِرَاءةِ القرْآنِ . وهذا المنكر قَلَّ مَن يَنْتَبِهُ له .

الأَمْرِ الثَّانِيْ : أَنَّ في سُؤَالِ النَّاسِ إذْلاَلٌ لِنفْسِ السَّائِلِ ، وَلَيْسَ لِلإنْسَانِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ وَيُخْضِعَهَا إلاَّ لِلهِ ، الذِي في اذْلاَلِهَا عِزُّهُ ، فَأَمَّا سَائِرُ الخَلْقِ فَإِنَّهُم عِبَادٌ أَمْثالُه فَلاَ يُذِلُّ لَهُم نَفْسَهُ .

ثَالِثاً : أَنَّ فِيْهِ ظُلْمٌ لِنَفْسِه إلاّ عِنْدَ الضَّرُورَةِ أَوْ الحَاجَةِ الشَّدِيْدَةِ وَفِيْهِ أَيْضاً إِيْذَاءُ لِلمَسْئُولِ خُصُوصاً إذا كَانَ مَعَ إِلْحَاحٍ ، وَالإِيْذَاءُ حَرَامٌ ، فَأَيُّ عَاقِلٍ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِهَذِهِ الحَالَةِ التَّعِسَةِ ، بَلْ كَيْفَ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عُضْواً أَشَلاً في الهَيْئَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ لاَ يُقَامُ لَهُ وَزْنٌ وَلاَ تُقَامُ لَهُ قِيْمَةٌ .

وَقَدْ أَثْنَى اللهُ عَلى الذِيْنَ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَقَالَ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ « لَيْسَ المِسْكِيْنُ الذِيْ يَطُوفُ عَلى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللّقْمَةُ وَاللقْمَتَانِ وَالتّمْرَةُ

وَالتَّمْرَتان ، وَلَكِن المِسْكِيْنُ الذِيْ لا يَجدُ غِنىً يُغْنِيْهِ وَلاَ يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلاَ يَقُوْمُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ .

فَفِيْ زَمَنِنَا الذِي اخْتلَطَ فِيْهِ الحَابِلُ بالنَّابلِ وَصَارَ عِنْدَهُمْ الحَلاَلُ مَا وَصَلَ إلى اليَدِ وَذَهَبَ عَنْهُم الوَرَعُ وَالابْتِعَادُ عَن الشُّبُهَاتِ ، عَلى الإِنْسَانِ أَنْ يَبْذُلَ جُهْدَهُ وَيَتَثَبَّتَ وَلاَ يَبْذُلُ زَكَاتَهُ إلى كُلِّ مَنْ مَدَّ يَدَهُ ، بَلْ يَسْأَلُ بدِقَّةٍ ، وَيَتَحَقَّقُ مِن الإِوْرَاقِ التِي تُعْرَضُ عَلَيْهِ ، التِي صَارَتْ تُصَوَّرُ وَتُبَاعُ وَتُشْتَرىٰ .

وَرُبَّـما حَصَـلَ المُتَسَـوِّلُ عَلى أَضْعَافِ مَا فِيْهَا وَلَوْ أَنَّ هَؤُلآءِ المتَسوِّلِيْنَ الشَّحَّاذِيْنَ استَعْمَلُوا فِي طَرِيْقٍ مُنْتجٍ مِن تجَارَةٍ أو غَيْرِهَا مَا يَصِلُ أَلَى أَيْدِيْهِم مِن الصّـدَقَاتِ لما بَقِيَ فِي الأُمَّةِ مِنْهُم مُتَسَوِّلٌ ، وَلَكِنْ هَؤلآءِ قَوْمٌ أَلِفُوا هَذَا العَيْشَ ورَكَنُوا إِلَيْهِ لاَ يَدْفعُهم إِلَيْهِ فقْرٌ وَلاَ يَرُدُّهُمْ عَنْهُ غِنى ، وَكَمْ مِمَّنْ اكْتُشِفَ فَصَارَ عِنْدَهُ ثَرْوَةٌ ، وهَذَا سَبَبُه عَدَمُ التّيبُّتَ وَاجْرَاء العَادَاتِ بِدُوْنِ سُؤَالٍ هَلْ اغْتَنَى أَمْ لا .

وَقَدْ بيَّنَ صَلى اللَّهُ عليه وسلم مَنْ يَحِلُّ لَهُ السُّؤَال وَذَلِكَ فِيْمَا وَرَدَ عَنْ قَبِيصَةِبْنِ مُخَارِقٍ الهِلاَلِيِّ قَالَ تَحمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَسْأَلُه فِيْهَا ، فَقَالَ أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيْنَا الصَّدَقَةُ فآمر لكَ بِهَا ، ثم قَالَ يَا قَبِيْصَة إِنَّ المَسْأَلَةَ لا تَحِلُّ إلا لأَحدِ ثلاَثَةٍ : رَجُلٍ تَحمَّلَ حَمَالةً فَحلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيْبَهَا ثم يُمْسِكُ ، أَو رَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيْبَ قِواماً مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ .

وَرَجُل أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُوْمَ ثَلاَثَةٌ مِنْ ذَوِيْ الحِجَى مِنْ قَوْمِهِ يَقُولُونَ لَقَدْ أَصَابَتْ فُلاناً فَاقَةٌ فَحلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيْبَ قِواماً مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ ـ فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ المَسْأَلَةِ يَا قَبِيْصَةُ سُحْتٌ يَأْكلُها صَاحِبُهَا سُحْتًا رَوَاهُ مُسْلِم .

وَقَدْ ذَكَرْنَا الأَحَادِيْثَ التي تَتَضَمَّنُ التَّغْلِيْظَ الشَّدِيْدَ في السُّؤال مِنْ غيرِ ضَرُورةٍ وَذلك في مَوْضُوعِ « مَنْ تَحِلُّ لَهُ الصَّدَقَةُ » .

شِعْراً :

غَفَلْتُ وَحَادِيْ المَوْتِ في أَثَرِيْ يَحْدُوْ
فَإِنْ لَمْ أَرُحْ يَوْمِيْ فَلا بُدَّ أَنْ أَغْدُ

أُنَعِّمُ جِسْمِيْ بِاللِّبَاسِ وَلِيْنِهِ
وَلَيْسَ لِجِسْمِيْ مِنْ لِبَاسِ البِلَى بُدُّ

كَأَنِّيْ بِهِ قَدْ مَرَّ في بَرْزَخِ البِلَى
وَمِنْ فَوْقِهِ رَدْمٌ وَمِنْ تَحْتِهِ لَحْدُ

وَقَدْ ذَهَبَتْ مِنِّيْ المَحَاسِنُ وَانْمَحَتْ
وَلَمْ يَبْقَ فَوْقَ العَظْمِ لَحْمٌ وَلاَ جِلْدُ

أرى العُمْرَ قَدْ وَلَّى وَلَمْ أُدْرِك المُنَى
وَلَيْسَ مَعِيْ زَادٌ وَفي سَفَرِيْ بُعْدُ

وَقَدْ كُنْتُ جَاهَرْتُ المُهَيْمِنَ عَاصِياً
وَأَحْدَثْتُ أَحْدَاثاً وَلَيْسَ لَهَا رَدُّ

وَأَرْخَيْتُ خَوْفَ النّاسِ سِتْراً مِنْ الْحَيا
وَمَا خِفْتُ مَنْ سِرّيْ غَداً عِنْدَهُ يَبْدُو

بَلَى خِفْتُهُ لَكِنْ وَثِقتُ بِحِلْمِهِ
وَأَنْ لَيْسَ يَعْفُو غَيْرُهُ فَلَهُ الحَمْدُ

فَلَوْ لَمْ يَكُنْ شَيءٌ سِوَى المَوْتِ وَالبِلَى
عَنِ اللّهْوِ لَكِنْ زَالَ عَنْ رَأْيِنَا الرُّشْدُ

عَسَى غَـافِرُ الـزَّلَّاتِ يَغْفِـرُ زَلَّتِيْ
فَقَـدْ يَغْفِرُ اَلمَـوْلَى إِذَا أَذْنَبَ العَبْـدُ
أَنَـا عَبْدُ سُـوْءٍ خُنْتُ مَـوْلايَ عَهْـدَهُ
كَـذَلِكَ عَبْـدُ السُّـوءِ لَيْسَ لَـهُ عَهْـدُ
فَكَيْفَ إِذَا أَحْـرَقْتَ بِـالنَّـارِ جُثَّتِيْ
وَنَـارُكَ لَا يَقْوَى لَهَـا الحَجَرُ الصَّلْدُ
أَنَا الفَرْدُ عِنْدَ المَوْتِ وَالفَرْدُ فِي البِلَى
وَأُبْعَثُ فَـرْداً فَـارْحَمْ الفَـرْدَ يَـا فَـرْدُ

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ وَالاجَابَةِ وارْزُقْنَا الاقْبَالَ عَلى طَاعَتِكَ وَالانَابَةَ وَبَارِكْ في أَعْمَالِنَا وَأَعْمَارِنَا وَأَجْزِلْ لَنَا الأَجْرَ والاثَابَةَ وَآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْـــلٌ)

وَأَخْبَرَ صَلى اللهُ عليه وسلم بِأَنَّ دَرَجَةَ المُصْلِحِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلُ مِنْ دَرَجَةِ الصَّائِمِيْنَ وَالمُصَلِّيْنَ وَالمُتَصَدِّقِيْنَ فَعَنْ أَبِيْ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ قَالُوا بَلَى قَالَ إِصْلَاحُ ذاتِ البَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيّ وَابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ ، وَقَالَ التِّرمِذِيّ حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ قَالَ وَيُرْوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهُ قالَ هِيَ الحَالِقَةُ لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّيْنَ .

وَلَا غَرْوَ إِذَا ارْتَفَعَتْ دَرَجَةُ المُصْلِحِ البَاذِلِ جُهْدَهُ المُضَحِّي بِرَاحَتِهِ وَأَمْوَالِهِ فِي رَأْبِ الصَّدْعِ وَجَمْعِ الشَّتَاتِ وَإِصْلَاحِ فَسَادِ القُلُوبِ ، وَإِزَالَةِ مَا فِي النفُوسِ مِن ضَغِينَةٍ وَحِقْدٍ وَالعَمَلِ عَلى إِحْكَامِ الرَّوَابِطِ لِلإِلْفَةِ وَالإِخَاءِ وَإِطْفَاءِ نَارِ العَدَاوَةِ وَالفِتَنِ .

كَمَا هِيَ وَظِيْفَةُ المُرْسَلِيْنَ لا يَقُوْمُ بِهَا إِلَّا أُوْلَئِكَ الذِيْنَ أَطَاعُوا رَبَّهم وَشَرُفَتْ نُفُوسُهم وَصَفَتْ أَرْوَاحُهُمْ يَقُومُونَ بِهِ لِأَنَّهم يُحِبُّونَ الخَيْرَ والهُدُوءَ وَيَكْرَهُوْنَ الشَّرَّ حَتَّى عِنْدَ غَيْرِهِم مِنَ النَّاسِ وَيَمْقِتُونَ الخِلَافَ حَتَّى عِنْدَ غَيْرِهِم مِن الطَّوَائِفِ وَيَجِدُّوْنَ في إِحْبَاطِ كَيْدِ الخَائِنِيْنَ .

وَلَوْ أَنَّنَا تَتَبَّعْنَا الحَوَادِثَ وَرَاجَعْنَا الوَقَائِعَ لَوَجَدْنَا أَنَّ مَا بِالمَحَاكِمِ مِنْ قَضَايَا وَمَا بِالمَرَاكِزِ وَالنِّيَابَاتِ مِنْ خُصُوْمَاتٍ وَمَا بِالمُسْتَشْفَيَاتِ مِنْ مَرْضَى ، وَمَا بِالسُّجُوْنِ مِنْ بُؤَسَاءَ يَرْجِعُ أَكْثَرُهُ إلى إِهْمَالِ الصُّلْحِ بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى عَمَّ الشَّرُّ القَرِيْبَ وَالبَعِيْدَ وَأَهْلَكَ النُّفُوسَ وَالأَمْوَالَ وَقَضَى عَلى الأَوَاصِرِ وَقَطَعَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوْصَلَ مِنْ وَشَائِجِ الرَّحِمِ وَالقَرَابَةِ وَذَهَبَ بِرِيْحِ الجَمَاعَةِ وَبَعَثَ عَلى الفَسَادِ في الأَرْضِ .

وَمَنْ تَأَمَّلَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ اليَوْمَ وَجَدَ أَنَّ كَثِيْراً مِنْهُم قَدْ فَسَدَتْ قُلُوبُهم وَخَبُثَتْ نِيَّاتُهم لِأَنَّهُم يُحِبُونَ الشَّرَّ وَيَمِيْلُونَ إليهِ وَيَعْمَلُونَ عَلى نَشْرِهِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَتركُونَ المُتَخَاصِمَيْنِ في غَضَبِهِمْ وَشَتَائِمِهِمْ وَكَيْدِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ حَتَّى يَسْتَفْحِلَ الأَمْرُ .

وَيَشْتَدُّ الشَّرَ وَيَسْتَحْكِمُ الخِصَامُ بَيْنَهم فَيَنْتَقِلُوا مِن الكَلَامِ إلى القَذْفِ وَالطَّعْنِ وَمِنْ ذَلِكَ إلى اللَّطْمِ وَمِن اللَّطْمِ إلى العُصِيِّ وَمِن العُصِيِّ إلى السِّلاحِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ إلى المَرَاكِزِ ثُمَّ إلى السُّجُوْنِ وَالنَّاسُ في أَثْنَاءِ ذَلِكَ كُلِّه

يَتفرَّجُونَ وَيَتغامَزُونَ وَيَتَتَبَّعُونَ الحَوادِثَ وَيَلْتَقِطُونَ الأَخْبَارَ ، بَلْ قَدْ يُلْهِبُونَ نَارَ الفِتْنَةِ وَالعَدَاوَةِ وَلا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَقْهَرَ القَوِيُّ الضَّعِيْفَ وَلَوْ كَانَ ذلِكَ بالبَاطِلِ وَالزُّوْرِ وَالبُهْتَانِ بِدُوْنِ خَوْفٍ مِن اللهِ وَلَا حَيَاءٍ مِن النَّاسِ .

وَتكُونُ النَّتِيْجَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ضَيَاعُ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ مَالٍ أَو عَقَارٍ وَقَدْ كَانَ يَكْفِيْ لإزَالَةِ مَا في النُّفُوسِ مِن الأَضْغانِ وَالأَحْقَادِ وَالكَرَاهةِ ، كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ عَاقِلٍ لَبِيْبٍ ناصِحٍ مُخْلِصٍ تَقْضِي عَلى الخُصُومَاتِ في مَهْدِهَا فَيَتغَلَّبُ جَانِبُ الخَيرِ وَيرْتَفِعُ الشرُّ وَتَسْلَمُ الجَماعَة مِن التَّصَدُّعِ والإِنْشِقَاقِ والتَّفرُّقِ .

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم صَوْتَ خُصُومٍ بالبَابِ عَالِيَةٌ أَصْوَاتُهُمَا ، إِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُه في شَيءٍ وَهُوَ يَقُولُ وَاللهِ لَا أَفْعَلُ فَخَرَجَ عَليْهِمَا رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسَلم فَقَالَ أَيْنَ المُتَأَلِّيْ عَلَى اللّهِ لَا يَفْعَلُ المَعْرُوفَ ، فَقَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللّهِ فَلَهُ أَيُّ ذلِكَ أَحَبَّ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ فَعِنْدَمَا رَأى النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ يَسْتَنْكِرُ عَمَلَهُ عَدَلَ عَنْ رَأْيِهِ وَاسْتَجَابَ لِفِعْلِ الخَيْرِ وَقَدْ قَامَتْ في نَفْسِهِ دَوَافِعُهُ إِرْضَاءً لِلّهِ وَلِرَسُوْلِهِ .

وَالشَّاهِدُ مِنْ ذَلِكَ خُرُوْجُهُ صلى الله عليه وسلم لِلإِصْلَاحِ بَيْنَهُم فَالدِّيْنُ الاسْلامِيُّ الحَنِيْفُ أَوجَبَ عَلَى العُقَلَاءِ مِن النَّاسِ أَنْ يَتَوسَّطُوا بَيْنَ المُتَخاصِمَيْنِ وَيَقُومُوْا باصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ وَيُلْزِمُوا المُعْتَدِيْ أَنْ يَقِفَ عِنْدَ حَدِّهِ دَرْأً لِلْمَفَاسِدِ المُتَرَتِّبَةِ عَلَى الخِلَافِ وَالنِّزَاعِ وَمَنْعاً لِلْفَوْضَى وَالخِصَامِ ، وَأَقْوَمُ الوَسَائِلِ التي تَصْفُو بِهَا القُلُوْبُ مِنْ أَحْقَادِهَا أَنْ يَجْعَلَ كُلُّ امْرِىءٍ نَفْسَهُ مِيْزَاناً بَيْنَهُ وَبَيْنَ اخْوَانِهِ المُسْلِمِيْنَ فَمَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ يُحِبُّهُ لَهُمْ وَمَا يَكْرَهُهُ لِنَفْسِهِ يَكْرَهُهُ لَهُمْ

شعـــــرا :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَمْ يَلِدْهُ أَبُوكَــا   وأَخٍ أَبُوهُ أَبُوكَ قَدْ يَجْفُــوْكَا
كَم إِخْوَةٍ لَكَ لَمْ يَلِدْكَ أَبُوهُمُــوْا   وكأَنَّمَا آبَاؤُهُــمْ وَلَدُوْكَــا

وَبذَلكَ تَسْتَقِيْمُ الأُمورُ بإذْنِ اللَّهِ ، قَالَ ﷺ لَا يُؤْمِنُ أَدُكُم حَتَّى يُحِبَّ لأَخيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وَهَذِهِ الطَّرِيْقَةُ هِيَ التِيْ كَانَ عَلَيْهَا السَّلَفُ الصَّالِحُ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ وَكَانُوا بِسَبَبِ ذَلِكَ مُفْلِحِيْنَ

شعرا : إنَّ المَكَارِمَ كُلَّهَا لَوْ حُصِّلَتْ ... رَجَّعْتُ جُمْلَتَهَا إلى شَيْئين
تَعَظِيْمُ أَمْرِ اللَّهِ جَلَّ جَلالهُ ... والسَّعي في إصْلَاحِ ذَاتِ البَيْنِ

آخــر :

«فأَحْسِنْ إذَا أُوتِيْتَ جَاهًا فإِنَّهُ ... سَحَابَةُ صَيفٍ عن قَلِيلٍ تَقَشَّعُ»
«وكُنْ شَافِعًا ما كُنْتَ في الدهرِ قادرًا ... وخَيْرُ زَمَانِ المَرْءِ مـا فِيـهِ يَشْفَـعُ»

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فَصْــلٌ)

العَدْلُ : ضِدُّ الجَوْرِ وَهُوَ الاعْتِدَالُ وَالاسْتِقَامَةُ وَالمَيْلُ إِلَى الحَقِّ . وَشَرْعاً : هُوَ الاسْتِقَامَةُ على طَرِيْقِ الحَقِّ بالاجْتِنَابِ عَمَّا هُوَ مَحْظُورٌ دِيْناً : وفي اصْطِلاحِ الفُقَهَاءِ العَدَالَةُ اسْتِوَاءُ أَحْوَالِهِ في دِيْنِهِ وَاعْتِدَالُ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ .

وَيُعْتَبَرُ لَهَا شَيْئَانِ الصَّلاحُ في الدِّيْنِ وَاجْتِنَابُ المُحَرَّمِ ، وَالعَدَالَةُ تَارَةً يُقَالُ لهَا هِيَ الفضَائِلُ كلُّها مِنْ حَيْثُ لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِن الفَضَائِلِ عَنْهَا وَتَارَةً يُقَالُ لها هِيَ أَجْمَلُ الفَضَائِلِ مِنْ حَيْثُ أَنَّ صَاحِبَهَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا في نَفْسِهِ وفي غَيْرِهِ .

وَقِيْلَ في قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ اللَّهُ الذي أَنْزَلَ الكِتَابَ بالحَقِّ وَالمِيْزَانَ ﴾ أَيْ العَدْلُ والانصَافُ ، كَمَا في قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ والسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيْزَانَ ﴾ وَقَوْلُه ﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الكِتَابَ وَالمِيْزَانَ ﴾ قَالَ قُتَادَةُ وَمُجَاهِدُ وَمُقَاتِلُ : العَدْلُ . وَسُمِّيَ العَدْلُ مِيْزَاناً لأَنَّ المِيْزَانَ آلَةُ الإِنْصَافِ وَالتَّسْوِيَةِ ،وَعَبَّرَ عَنْ العَدَالَةِ بِالمِيْزَانِ إذْ كَانَ مِنْ أَثَرِهَا ، وَمِنْ أَظْهَرِ أَفْعَالِهَا لِلحَاسَّةِ .

وَمِنْ مَزِيةِ العَدْلِ أَنّ الجَوْرَ الذِيْ هُوَ ضِدُّ العَدْلِ لا يَتَسَبَّبُ إلَّا بِهِ فَلَوْ أَنَّ لُصُوصاً أَوْ نَحْوَهُمْ تَشَارَطُوا فِيْمَا بَيْنَهُمْ شَرْطاً فَلَمْ يُرَاعُوا العَدَالَةَ فِيْهِ لَمْ يَنْتَظِمْ أَمْرُهُم . وَمِنْ فَضْلِهَا أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ تَتَلَذّذُ بِسَمَاعِهَا وَتَتَأَلَّمُ مِنْ ضِدِّهَا وَلِذَلِكَ حَتَّى الجَائِرُ يَسْتَحْسِنُ عَدْلَ غَيْرِهِ إِذَا رَآهُ أَو سَمِعَهُ .

وَالعَدْلُ يَدْعُو إلى الإِلْفَةِ وَالمَحبَّةِ وَيَبْعَثُ عَلى الطَّاعَةِ وَتَعْمُرُ بِهِ البِلَادُ وَتَنْمِيْ بِهِ الأَمْوَالُ وَيَكْثُرُ مَعهُ النّسْلُ وَيَأْمَنُ بِهِ السُّلطَانُ لِحُصُولِ الأَمْنِ العَامّ وَانْبِسَاطِ الآمَالِ .

عَلَيْكَ بالعَدْلِ إنْ وُلّيْتَ مَمْلَكَةً   واحْذَرْ مِن الجور فيها غَايَةَ الحَذَرِ
فالمُلْكُ يَبْقَى على عَدْلِ الكَفُورِ وَلَا   يَبْقَى مَعَ الجَوْرِ في بَدْوٍ ولا حَضَرِ

وَقَدْ قالَ المرْزِبَانُ ، رَئِيْسُ المَجُوسِ لِعُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ لَمَّا رَآهُ مُتَبَذِّلاً لَا حَارِسَ لَهُ عَدَلْتَ فَأَمِنْتَ فَنمْتَ .

وَفِيْ ذَلِكَ يَقُوْلُ الشَّاعِرُ :

وَرَاعَ صَاحِبَ كِسْرَى أَنْ رَأى عُمَراً
بَيْنَ الرَّعِيَّةِ عُطْلاً وَهُوَ رَاعِيْهَا
وَعَهْدُهُ بِمُلُوكِ الفُرْسِ أَنَّ لَهَا
سُوْراً مِن الجُنْدِ وَالأَحْرَاسِ يَحْمِيْهَا
رَآهُ مُسْتَغْرِقاً في نَوْمِهِ فَرَأى
فِيْهِ الجَلَالَةَ في أَسْمَى مَعَانِيْهَا
فَوْقَ الثَّرَى تَحْتَ ظِلِّ الدَّوْحِ مُشْتَمِلاً
بِبُرْدَةٍ كَادَ طُوْلُ العَهْدِ يُبْلِيْهَا

فَهَانَ في عَيْنِهِ مَا كَانَ يُكْبِرُهُ
مِنَ الأَكَاسِرِ وَالدُّنْيَا بِأَيْدِيْهَا
وَقَالَ قَوْلَةَ حَقٍّ أَصْبَحَتْ مَثَلاً
وَأَصْبَحَ الجِيْلُ بَعْدَ الجِيْلِ يَحْكِيْهَا
أَمِنْتَ لَمَّا أَقَمْتَ العَدْلَ بَيْنَهُمُوا
فَنِمْتَ نَوْمَ قَرِيْرِ العَيْنِ هَانِيْهَا

وَقَالَ النَّبيّ صلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ ثَلاثٌ مُنْجِيَاتٌ وَثَلاثُ مُهْلِكَاتٌ فَأَمَّا المنجِيَاتُ فَالعَدْلُ في حَالةِ الغضَبِ وَالرِّضَا وَخَشْيَةُ اللهِ تَعَالى في السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ وَالقَصْدُ في الغِنَى وَالفَقْرِ .

وَأَمَّا المُهْلِكَاتُ فَشُحٌّ مُطَاعٌ وَهوىً مُتَّبَعٌ وَاعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ، » وَالذِيْ يَجِبُ أَنْ يَسْتَعْمِلَ الإِنْسَانُ العَدْلَ مَعَهُ أَوّلاً بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّ العِزَّةِ جَلَّ وَعَلا بِمَعْرِفَةِ أَحْكَامِهِ وَتَطْبِيْقِهَا بالعَمَلِ بهَا .

فَأَعْظَمُ الحُقُوقِ عَلى الاطْلاَقِ حَقُّ اللهِ تَعَالَى عَلى عِبَادِهِ وَذَلِكَ بِأَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُوْن ﴾ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ ﴾ وفي حَدِيْثِ مُعَاذٍ المتَّفَقِ عليهِ « حَقُّ اللهِ عَلى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا » فَمَنْ قَامَ بِهذَا الحَقِّ فَعَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ . وَأَدَّى هَذَا الحَقَّ وَقَامَ بِحُقُوقِهِ مُخْلِصاً لِلّهِ ، فَقَدْ قَامَ بِأَعْظَم العَدْلِ ، وَمَنْ صَرَفَهُ لِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ جَارَ وَظَلَمَ ، وَعَدَلَ عَن العَدْلِ وَاسْتَحَقَّ العُقُوْبَةَ .

الظُلْمُ نَارٌ فَلا تَحْقِرْ صَغيرتَهُ
لَعَلَّ جَذْوَةَ نَارٍ أَحْرَقَتْ بَلَدَا

الثَّانِيْ : أَنْ يَعْدِلَ مَعَ نَفْسِهِ وَذَلِكَ بِحَمْلِهَا عَلى مَا فِيْهِ صَلاَحُهَا وَكَفُّها عَن القَبَائِحِ ثم بِالوُقُوفِ في أَحْوَالِهَا عَلى أَعْدَلِ الأَمْرَيْنِ مِنْ تَجاوُزٍ أَوْ تَقْصِيْرٍ ، فَإِنَّ التَجَاوُزَ في الأَحْوَالِ جَوْرٌ عَلى النَّفْسِ وَالتَّقْصِيْرُ فِيْهَا ظُلمٌ لَهَا لِمَنْعِهَا عَنْ كَمَالِهَا وَمَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ فَهُوَ لِغَيْرِهِ أَظْلَمُ وَمَنْ جارَ عَلى نَفْسِهِ فَهُوَ عَلى غَيْرِهِ أَجْورُ ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ يُرَاعِ حُقُوْقَ نَفْسِهِ فَعَدَمُ مُرَاعَاتِهِ حُقُوْقَ غَيْرِهِ أَوْلَى وَأَحْرَىٰ .

الثَّالِثُ : عَدْلُ الانْسَانِ فِيْمَنْ دُوْنَهُ كَالسُّلْطَانِ في رَعِيَّتِهِ وَالرَّئِيْس مَعَ صَحَابَتِهِ ، وَذَلِكَ بِأُمور : الأَوَّلُ اتِّبَاعُ المَيْسُورِ لَهُمْ وَتَرْكُ المَعْسُوْرِ وَحَذْفُهُ عَنْهُم وَتَرْكُ التَّسَلُّطِ وَالقَهْرِ بِالقُوَّةِ وَابْتِغَاءِ الحَقِّ في المَيْسُورِ وَيُقِيْمُ العَدْلَ فِيْهِمْ قَرِيْبِهِم وَبَعِيْدِهِمْ غَنِيِّهِمْ وَفَقِيْرِهِمْ وَأَنْ يَكُوْنُوا عِنْدَهُ في هَذَا سَوَاءٌ .

وَلاَ يُقَصِّرُ شَيْئاً مِنْ وَاجِبِهِ مَعَ رَعِيَّتِهِ وَلاَ يُهْمِلُ شَيْئاً يُرَقِّي أَبْدَانَهُم وَعُقُولَهُم وَأَخْلاَقَهُم وَيَحْفظُ عَلَيْهِمْ أَمْوَالَهُم وَدِمَاءَهُمْ وَأَعْرَاضَهُم وَيَكُوْنُ لَهُمْ مَثَلاً أَعْلَى في مُعَامَلَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً بِالعَدْلِ وَالانْصَافِ ، فَالحَاكِمُ كالقَلْبِ مِن الجَسَدِ إذا صَلُحَ صَلُحَ الجَسَدُ ، فَإِذَا صَلحَ الرَّاعِيْ صَلَحَتْ الرَّعِيَّةُ وَإذا فَسَدَ فَسَدَتْ ، فَلِهَذَا كَانَتْ مَسْؤُلِيَّةُ وُلاةِ الأُمورِ عَظِيْمَةٌ في نَظَرِ الشَّرِيْعَةِ الاسْلامِيَّةِ .

وَقَدْ حَذَّرَ مِنْهَا النَّبي صلى الله عليه وسلم تَحْذِيْراً شَدِيْداً رُوِيَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُوْلَ اللهِ أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِيْ . قالَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلى مَنْكِبِيْ ، ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا ذَرّ إِنَّكَ ضَعِيْفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وإِنَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الذِيْ عَلَيْهِ فِيْهَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَحَقُّهَا في نَظَرِ الدِّيْنِ أَنْ يَقُومَ بِكُلِّ شَيءٍ فِيْهِ مَصْلَحَةٌ لِلْمَحْكُومِيْنَ .

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : وَاللّهِ لَوْ عَثَرَتْ بَغْلَةٌ فِي العِرَاقِ لَوَجَدْتَنِي مسئولاً عَنْهَا ، فَقِيْلَ لِمَاذَا يا أَمِيْرَ المؤمنين ، فقالَ لِأَنّنِيْ مُكَلَّفٌ باصْلَاحِ الطّرِيْقِ . هذا مِثَالُ الحَاكِمِ العَدْلِ ، وَلَهَذَا جَعَلَ اللهُ لَهُ فَضْلاً عَظِيْماً وَمَيّزَهُ كَمَا سَيَأْتِيْ فِي الأَحَادِيْثِ .

وَرُوِيَ أَنَّ يَهُودِيّاً شَكَا عَلِيّاً إِلَى عُمَرُ فِي خِلَافَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، فقالَ عُمَرُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِيْ طَالِبِ : قِفْ بِجَوَارِ خَصْمِكَ يَا أَبَا الحَسَنِ ، فَوَقَفَ وَقَدْ عَلَا وَجْهَهُ الغَضَبُ فَبَعْدَ أَنْ قَضَى الخَلِيْفَةُ بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ قَالَ أَغَضِبْتَ يَا عَلِيُّ أَنْ قُلْتُ لَكَ قِفْ بِجَوَارِ خَصْمِكَ ، قَالَ لَا وَاللهِ يَا أَمِيْرَ المؤمنينَ ، وَلَكِنْ مِنْ كَوْنِكَ كَنَّيتَنِي بِأَبِيْ الحَسَن فَخَشِيْتُ مِنْ تَعْظِيْمِكَ إِيَّايَ أَمَامَ اليَهُودِيِ أَنْ يَقُول ضَاعَ العَدْلُ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ .

وَجاءَ رجُلٌ إلى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَأْخُذُ رِزْقَهُ وَكَانَ جُنْدِيّاً مِنْ جُنُودِ المسلمينَ ولكنّهُ كانَ في الجَاهِلِيّةِ قَدْ قَتَلَ أَخاً لِعُمَرَ بْنِ الخَطَابِ فَلَمَّا رَآهُ عُمَرُ ارْبَدَّ وَجْهُهُ ، وَقَالَ لَهُ يا هَذا إِنّيْ لَا أُحِبُّكَ حَتّى تُحِبَّ الأَرْضُ الدَّمَ ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِعُمَرَ أَو مَانِعِيْ ذَلِكَ عِنْدَكَ حَقاً مِنْ حُقُوقِ اللّهِ فَقَالَ عُمَرُ اللَّهُمَّ لَا .

فَقَالَ الرَّجُلُ مَا يَضِيْرُنِيْ بُغْضُكَ إِيَّايَ إِنَّمَا يَأْسَى عَلَى الحُبِّ النِّسَاءُ فَقَدْ عَرَفَ الرّجلُ مِنْ وَرَعِ عُمَرَ وَدِيْنِهِ أَنَّ شِدَّةَ غَضَبِهِ وَغَيْضِهِ وَحَنَقِهِ عَلَيْهِ وَكَرَاهِيَتَهُ لَهُ لَا تَخْرُجُ بِهِ عن العَدْلِ إِلَى الظُّلْمِ فَهُوَ لِمَا عَلِمَ مِنْ عَدْلِهِ وَثِقَتِهِ بِدِيْنِهِ أَمِنَ مِنْ بَطْشِهِ .

وَمِمَّا يَجِبُ عَلَيهِ أَنْ يَسْتَنِيْبَ لِكُلِّ عَمَلٍ الأَكْفَأَ الأَمِيْنَ وَلِيَحْذَرَ أَنْ يُوَلِّيْ عَلَيْهِمْ رَجُلاً وفِي رَعِيَّتِهِ خَيْرٌ مِنْهُ .

فَعَنِابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه

وسلم مَن اسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنْ عِصَابَةٍ وَفِيْهِمْ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلّهِ مِنْهُ فقدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالمؤمِنِينَ رَوَاهُ الحَاكِمُ .

وَعَنْ يَزِيْدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ قَالَ لِيْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ رَضِيَ اللهُ عنه حِيْنَ بَعَثَنِيْ إِلى الشَّامِ يَا يَزِيْدُ إِنَّ لَكَ قَرَابَةً عَسِيْتَ أَنْ تُؤْثِرَهُم بالامَارَةِ وَذَلِكَ أَكْثَرُ مَا أخافُ عليك بَعْدَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وَسَلَّمَ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ المسلمينَ شَيْئاً فَأَمَّرَ عليهم أَحداً مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ لاَ يَقْبَلُ اللهُ منه صَرْفاً وَلاَ عَدْلاً حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ رَوَاهُ الحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيْحُ الاسْنَادِ .

وَعَلى الامَامِ أَنْ يُوْصِيَ مَن اسْتَنَابَهُ باقَامَةِ العَدْلِ وَيُحَذِّرَهُمْ مِن الجَوْرِ وَظُلْمِ العِبَادِ فِي الدِّمَاءِ وَالأَمْوَالِ وَالأَعْرَاضِ ، وَيُذَكِّرَهُمْ حَدِيْثُ أبي هُريرة عن النبي صَلى اللهُ عليه وسلم أنهُ قالَ ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لا شَك فِيْهِنَّ دَعْوَةُ المَظْلُومِ وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الوَالِدِ لِوَلَدِهِ .

وَيَتَفَقَّدَهُم في ذَلِكَ الأَمْرِ الذِيْ هُوَ أَسَاسُ الصَّلاحِ الدِّيْنِيْ والدُّنْيَوِيّ فَلاَ يَصْلُحُ الدِّيْنُ إلاَّ بالعَدْلِ وَلاَ تَصْلُحُ الدُّنْيَا وَتَسْتَقِيمُ الأمُورُ إلاَّ عَلى العَدْلِ .

وَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيّ الدّيْنِ أُمورُ النَّاسِ تَسْتَقِيْمُ في الدُّنْيَا مَعَ العَدْلِ الذِيْ فِيْهِ اشْتِرَاكٌ في أَنْوَاعِ الاثْمِ أَكْثَرَ مِمَّا تَسْتَقِيْمُ مَعَ الظلْمِ في الحُقوقِ وَإِنْ لَمْ تَشْتَرِكْ في إِثْمٍ ، وَلِهَذَا قِيْلَ إِنَّ اللهَ يُقِيْمُ الدّوْلَةَ العَادِلَةَ وانْ كَانَتْ كَافِرَةً وَلاَ يُقِيْمُ الظَّالِمَةَ وإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً وَيُقَالُ الدُّنْيَا تَدُوْمُ مَعَ العَدْلِ وَالكُفْرِ وَلاَ تَدُوْمُ مَعَ الظُّلْمِ وَالإِسْلاَمِ ، وَذَلِكَ أَنَّ العَدْلَ نِظَامُ كُلِّ شَيءٍ فَإِذَا أُقِيْمَ أَمْرُ الدُّنْيَا بِعَدْلٍ قَامَتْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِصَاحِبِهَا في الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ أهـ .

وَعَن ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عليه

وسلمَ يَوْمٌ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتّيْنَ سَنَةً وَحَدٌّ يُقَامُ في الأَرْضِ بِحَقّهِ أَزْكَى فِيْهَا مِنْ مَطرٍ أَرْبَعِيْنَ صَبَاحاً رَوَاهُ الطَّبَرانِيّ في الكَبِيْرِ وَالأَوْسَطِ وَاسْنَادُ الكَبِيْرِ حَسَنٌ .

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَا أَبَا هُريرةَ عَدْلُ سَاعَةٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِيْنَ سَنَةً قِيَامُ لَيْلِهَا وَصِيَامُ نَهَارِهَا ، وَيَا أَبَا هُرَيْرَةَ جَوْرُ سَاعَةٍ في حُكمٍ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ عِنْدَ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَعَاصِيْ سِتينَ سَنَة وفي رِوَاية عَدْلُ يوم وَاحِدٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ ستين سَنَةً رَوَاهُ الاصْبِهَانِيّ .

وَعَنْ أَبِيْ سَعِيْدٍ الخُدْرِيْ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَحبُّ النَّاسِ إِلَى اللّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِساً إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَأَبْغَضُ النّاسِ إلى اللهِ تَعَالَى وَأَبْعَدُهُمْ مَجْلِساً إِمَامٌ جَائِرٌ » رَوَاهُ التّرْمِذِيّ وَالطّبَرانِيّ في الأَوْسَطِ مُخْتَصَراً ، وَعَدَّ صَلى اللهُ عليه وَسَلَّمَ مِنْ السَّبْعَةِ الذيْنَ يُظِلُّهُمْ اللّهُ في ظِلّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلّهُ إِمَامٌ عَادِلٌ .

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا عِلْماً نَافِعاً وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً وَرِزْقاً وَاسِعاً نَسْتَعِيْنُ بِهِ عَلَى طَاعَتِكَ ، وَقَلْباً خَاشِعاً ، وَلِسَاناً ذَاكِراً ، وَإِيْمَاناً خَالِصاً ، وَهَبْ لَنَا إِنَابَةَ المُخْلِصِيْنَ ، وَخُشُوْعَ المُخْبِتِيْنَ ، وَأَعْمَالَ الصَّالِحِيْنَ ، وَيَقِيْنَ الصَّادِقِيْنَ ، وَسَعَادَةَ المُتّقِيْنَ ، وَدَرَجَاتِ الفَائِزِيْنَ ، يَا أَفْضَلَ مَنْ رُجِيَ وَقُصِدَ ، وَأَكْرَمَ مَنْ سُئِلَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْـــلٌ)

وَيَجِبُ على القُضَاةِ وَالحُكَّامِ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ يَتَحَرَّوا العَدْلَ وَيَحْكُمُوا بِهِ بين النَّاسِ .

وَهُمْ أَهَمُّ رُكْنٍ تَقُومُ عليهِ سَعَادَةُ المجْتَمع وَيَنْبَنِيْ عليه أَمْنُ النَّاس عَلى دِمَائِهم وأَمْوَالِهم وَأَعْرَاضِهم ، فَإِذا جَارَ القاضِيْ وَلَمْ يُقْسِطْ اخْتَلَّ النِّظامُ وَسَادَت الفَوْضَى ، وَلِهَذا إِذَا عَمَّ العَدْلُ اسْتَغْنَت الأُمَّةُ عَن المَحَاكِم وَقُضَاتِهَا وَمُحَامِيْهَا وَالوُكَلاَءِ وَالسَّمَاسِرَةِ ، وانْقَطَعَ دَابِرُ شُهَدَاءِ الـزّوْرِ أَعْدَمَهُم اللهُ عن الوُجُودِ أَوْ أَصْلَحَهُم ، فَأَكْثَرُ الحُكَّامِ وَظِيْفَتُهم إِقَامَةُ العَدْلِ ، فإِذَا وُجِدَ العَدْلُ فَلاَ حَاجَةَ إِلَيْهِمْ ، وَبِذَلِكَ يَتَوَفَّرُ عَلى الأُمَّةِ عَدَدٌ كَبِيْرٌ يَشْتَغِلُ في مَصَالِحَ أُخْرَى ، وَيَتوفَّرُ مِقْدَارٌ كَثِيْرٌ مِن المَالِ .

ولِهَذا السَّلَفُ تَمُرُّ المُدّةُ الكَثِيْرَةُ عَلى القَاضِيْ لا يَأْتِيْهِ خُصُومٌ ، وَإِلَيْكَ حِكَايَةُ حالٍ تارِيْخِيْةٍ تَنْطَبِقُ تَماماً عَلى المُتَّصِفِيْنَ بالصِّفَاتِ الحَمِيْدَةِ وَالأَخْلاقِ الكَرِيْمَةِ ، عَيَّنَ أَبُو بَكْـرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ قَاضِياً عَلى المَدِيْنَةِ ، فَمَكَثَ عُمَرُ سَنَةً لَمْ يَخْتَصِمْ إِلَيْهِ اثْنَانِ فَطَلَب مِنْ أَبِي بَكْرٍ إِعْفَاءَهُ مِن القَضَاءِ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكرٍ أَمِنْ مَشَقَّةِ القَضَاءِ تَطْلبُ الاعْفَاءَ يَا عُمَرُ .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : لا يَا خَلِيْفَةَ رَسُولِ اللّهِ وَلَكِنْ لا حَاجَةَ لِيْ عِنْدَ قَوْمٍ مُؤْمِنِيْنَ عَرَفَ كُلُّ مِنْهُم مَا لَهُ مِنْ حَقٍّ فَلَمْ يَطْلُبْ أَكْثَرَ مِنْهُ وَمَا عليهِ مِنْ وَاجِبٍ فَلَم يُقَصِّرْ في أَدَائِهِ ، أَحَبَّ كلٌّ مِنْهُم لأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَإِذا غابَ أَحَدُهم تَفَقَّدُوهُ وَإِذَا مَرِضَ عَادُوهُ وَإِذَا افْتَقَر أَعَانُوه ، وإِذا احْتَاجَ سَاعدُوه ، وَإِذَا أُصِيْبَ وَاسوه ، دِيْنُهم النَّصِيْحَةُ ، وَخُلقُهم الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَن المُنْكَرِ ، فَفِيْمَ يَخْتَصِمُونَ إِذاً .

وَبالتَّالِيْ فَقَدْ عُنِيَتِ الشَّرِيْعَةُ بِالعَدْلِ في القَضَاءِ عِنَايَتَها بِكُلِّ مَا هُوَ دِعامَةٌ لِسَعَادَةِ الحَيَاةِ ، فَأتَتْ بالعِظَاتِ البَالِغَاتِ تُبَشِّرُ مَنْ أَقامَهُ بِعُلُوِّ المَنْزِلَةِ وَحُسْنِ العاقِبَةِ ، وَتُحَذِرُ مَن انْحَرَفَ عَنْهُ بالعَذَابِ الأَلِيْمِ .

فَمِن الآيَاتِ المُنَبِّهةِ لِمَا في العَدْلِ مِنْ فَضْلٍ وَكَرامَةٍ قَوْلُهُ تَعالَى ﴿ وَإِنْ حَكمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهم بالقِسْطِ إنّ اللهَ يُحِبُّ المقْسِطِيْنَ ﴾ فَأَمَرَ بِالعَدْلِ وَنَبَّه عَلى أَنْ الحَاكِمَ المقْسِطَ يَنالُ خيْراً عَظِيْماً ، هُوَ مَحَبَّةُ اللهِ لِلْعَبْدِ ، وَمَا بَعْدَ مَحبّةِ اللهِ إلاَّ الحَياة الطّيبَة في الدّنْيَا وَالعِيْشَةُ الرّاضِيَةُ في الآخِرَةِ .

وَقَالَ تَعالَى ﴿ وأَقْسِطُوا إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِيْنَ ﴾ وَمِن الأَحَادِيْثِ الدَّالةِ عَلى مَا يُورثُهُ العَدْلُ مِنْ شَرفِ المنْزِلَةِ عِنْدَ اللهِ تَعالَى مَا وَرَدَ عَن عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرو بنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إنَّ المقْسِطِيْنَ عِنْدَ اللّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُوْرٍ عنْ يَمِيْنِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِيْنٌ الذِيْنَ يَعْدِلُون في حُكْمِهم وَأَهْلِيْهِم وَمَا وُلّوا رَواهُ مُسْلِم وَالنّسائِيّ .

فَفِيْهِ دَلِيْلٌ عَلى العِنايَةِ بِهِمْ لِكَوْنِهم عَنْ يَمِيْنِهِ جَلَّ وَعَلا وَدَلِيْلٌ عَلى شِدةِ قُرْبِهم مِنْهُ جَلَّ وَعَلا وَفَوْزِهِمْ بِرِضْوَانِهِ وفي ذِكْرِ الرَّحْمَنِ تَرْبِيَةٌ لِقُوَّةِ الرَّجاءِ وَالثِّقةِ بِأَنَّ الحَاكِمَ العادِلَ يَجِدُ مِن النَّعِيْمِ مَا تَشْتَهِيْهِ نَفْسُهُ وَتَلَذُّ عَيْنُهُ قالَ تَعالَى ﴿ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا المُقَرَّبُونَ ﴾ فالمقَرّبُونَ يَحْصُلُ لَهُم مِن النَّعِيْمِ مَالا يَحْصُلُ لِغَيْرِهِمْ .

وَقَدْ وَرَدَتْ آيَاتٌ وَأَحادِيْثُ تُحَذِّرُ مِن الجَوْرِ في القَضَاءِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالَى ﴿ يَا دَاوُدُ إنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيْفَةً في الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بالحَقّ وَلا تَتَّبعِ الهَوى فَيُظِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ إنَّ الذِيْنَ يُظِلّونَ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيْدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ ﴾ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنه عَن النَبيّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ أَمِيرِ عَشرةٍ إلاَّ يُؤْتى بِهِ مَغْلُولاً يَوْمَ القِيامَةِ حَتَّى يَفُكَّهُ العَدْلُ أَوْ يُوبِقَهُ الجَوْرُ رَواهُ البَزّارُ وَالطّبَرانِيّ في الأَوْسَطِ وَرِجَالُ البَزارِ رِجَالُ الصّحِيْحِ .

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنَ النَّبي صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ القُضَاة ثلاثَةٌ وَاحِدٌ في الجَنّةِ وَاثْنَانِ في النّارِ فَأَمَّا الذِي في الجَنّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الحَقَّ فَقَضَى بِهِ ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الحَقَّ فَجارَ في الحُكْمِ فَهُوَ في النَّارِ وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلى جَهْلٍ فَهُوَ في النَّارِ رَوَاهُ أَبو دَاوُدَ وَالترْمِذِيّ وَابْنُ مَاجَهْ .

فَالقَاضِيْ المَمْدُوْحُ في نَظَر الدِّيْنِ هُوَ الذِي يَعْرِفُ الحَقَّ وَيَقْضِي بِهِ فَأَمَّا مَعْرِفَةُ الحَقّ فَإِنَّهَا تَحْتَاجُ إلى مَجْهُودٍ عَظِيْمٍ وَبَحْثٍ في كُلِّ الظُّرُوفِ وَالأَحْوالِ المُحِيْطَةِ بالخُصُومِ وَأَمّا الحُكْمُ بِالحَقِّ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إلى مُجَاهَدَةٍ عَظِيْمَةٍ حَتَّى يُبْعِدَ القاضِيْ عَن المَيْلِ وَيَتَنَزَّهَ عَن التَّحَيُّزِ إِلَى أَقْرِبَائِهِ وَأَصْدِقَائِهِ وأَصْهَارِهِ وَجِيْرَانِهِ أَوْ مَنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ رَابِطَةٌ ، أَوْ تَجْمَعُهُمْ مَعَهُ جَامِعَةٌ أَوْ يَكُوْنُ لَهُ في المَيْلِ غَرَضٌ يَنَالُهُ مِنْ مَالٍ أَوْ مَنْصِبٍ أَوْ شَهْوَةٍ .

فَالقَاضِيْ لا يَنْجُو إلاَّ إذَا كَانَ كَالمِيْزَانِ المُنْضَبِطِ فَلاَ يَمِيْلُ مِثْقَالَ ذَرّةٍ إلى أَحَدِ الخَصْمَيْنِ إلاَّ بِالحَقِّ وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَتَحَقَّقُ فِيْهِ قَولُ النّبِيّ صَلى اللهُ عليه وسلم مَنْ وَلِيَ القَضَاءَ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ عَلى مَا فَسَّرَهُ بَعْضُ العُلَمَاءِ مِنْ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلهلاكِ وَالعَذَابِ الأَلِيْمِ وَهَذَا إِنْ لَمْ يَقْضِ بِالحَقِّ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلى الله عليه وسلم يَقُولُ لَيَأْتِيَنَّ عَلى القَاضِيَ العَدْلِ يَوْمَ القِيَامَةِ سَاعَةٌ يَتَمَنّى أَنّهُ لَمْ يَقْضِ بينَ اثنينِ في تمْرةٍ قطّ رواهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبّانَ في صَحِيْحِهِ وَلَفْظُهُ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُوْلُ يُدْعَى القَاضِيْ العَدْلُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَلْقَى مِنْ شِدّةِ الحِسَابِ مَا يَتَمَنَّى أَنّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَين في عُمْرِهِ قطّ وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ)

وَكَذَلِكَ العَدْلُ بَيْن الأَوْلَادِ وَالأَقَارِبِ بالقِيَامِ بِحُقُوقِهِمْ عَلى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ وَالقِيَامِ بِصِلَتِهِم الوَاجِبَةِ وَالمُسْتَحَبَّةِ بِهِ تَتِمُّ الصِّلَةُ وَتَقْوى رَوابِطُ المحبّةِ والتَّعَاطُفِ ، وَبِذَلِكَ يَكْسِبُوْنَ الشَّرَفَ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ وَبِهِ تُنْظَرُ هَذِهِ البُيُوتِ الَّتِي قَامَتْ عَلى ذَلِكَ بِعَيْنِ التَّقْدِيْرِ وَالتَّعْظِيْمِ وَالاجْلَالِ .

وَبِذَلِكَ يَحْصُلُ بإذْنِ اللهِ التَّكَاتُفُ وَالتَّسَاعُدُ عَلى مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالدّيْنِ وَذَلِكَ رَاجِعٌ إلى العَدْلِ وَعَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلّكُم مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالمرْأةُ رَاعِيَةٌ في بَيْتِ زَوْجِهَا مسئولة عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلّكُم رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلِمٌ .

وَأَمَّا المَرْأةُ فَإِنَّهَا مَسْؤُلَةٌ عَنْ تَدْبِيْرِ مَنْزِلِهَا بِمَا يُوَافِقُ حَالَ زَوْجِهَا فَلَا تُرْهِقُه بالانْفَاقِ وَلَا تَطْلُبُهُ بطَلبٍ لَا يَقْدِرُ عَليهِ وَلَا تَخُوْنُهُ في عِرْضِهِ وَلَا تَفْعَلُ مَا يُؤْذِيْهِ وَكَذَلكَ يَجِبُ عَليها أنْ تَعْدِلَ بَيْنَ أَبْنَائِها فيمَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ فَلَا تُفَضِّلُ وَاحِداً عَلى الآخَرِ مِنْ غَيْرِ حَقٍّ بَلْ تُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ مَا يُنَاسِبُه فَلا تَحْرِمُ مَنْ تُبْغِضُ وَتُجزِلُ العَطَاءَ لِمَنْ تُحِبُّ فإنْ خَانَتْ زَوْجَهَا في عِرْضِهَا أوْ مَالِهِ أوْ آذَتْهُ بِعِصْيَانِهَا أوْ فَضَّلَتْ بَعْضَ أَوْلَادِهَا عَلى بَعْضٍ كَانَتْ ظَالِمَةً تَسْتَحِقُّ العِقَابَ .

وَكَذَا الخَادِمُ وَالعَامِلُ مسْئُولٌ عَن العَمَلِ الذِي وُكِلَ إليهِ وَائْتُمِنَ عليه فَإذا أَهْمَلَ العَامِلُ عَمَلاً أوْ أدَاهُ نَاقِصاً فَقَدْ ظَلَمَ سَيِّدَهُ وَاسْتَحَقَّ العِقَابَ وَكَذَلِكَ الخَادِمُ إِذَا خَانَ سَيِّدَهُ ني مَالِهِ كَأنْ كَلَّفَهُ بِشِرَائِهِ فزَادَ في ثَمَنِهِ وَأَخَذَهُ لِنَفْسِهِ أوْ أَهْمَلَ مُسَاوَمَةَ التَّاجِرِ فَغَبَنَهُ في السِّلْعَةِ أوْ رَأى أحَداً يَعْتَدِيْ على مَالِ سَيِّدِهِ فَلَمْ يَرُدَّهُ أو كَلَّفهُ بالانْفَاقِ عَلى عَمَلٍ فَأَسْرَفَ فِيهِ بِدُوْنِ حَقٍ فَانَّهُ يَكونُ ظَالِماً وَآثِماً .

وَمِنْ هَؤُلآءِ الصُنَّاعُ الذين يَتَعاقَبُونَ على عَمَلٍ ثُمَّ لا يُجِيْدُونَ صُنْعَهُ وَيغُشّونَ النَّاسَ فإنَّهم ظَالِمُونَ آثِمُونَ وَكَذلِكَ النَّجّارُونَ والحَدَّادُونَ وَسَائِرُ أَهْلِ الصَّنَائِع لأَنَّهم مُكلَّفُونَ بالعَدْلِ في صَنائِعِهِمْ بأنْ يُجِيْدُوهَا وَلا يَتْرُكوا خَللاً إلاّ أَصْلَحُوهُ .

وَعَن أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عليه وسلم إن اللهَ سَائِلٌ كلَّ راعٍ عَمّا اسْتَرْعَاهُ حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ رَوَاهُ ابْنُ حِبّان في صَحِيْحِه وَجَاءَ في تَرْكِ العَدْلِ بينَ الزَوْجَاتِ أَحَادِيْثُ تَدُلُّ على خُطُورَةِ ذَلِكَ مِنْهَا ما وَرَدَ عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلّمَ قَالَ مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ امْرَأتَانِ فلمْ يَعْدِلْ بَيْنَهما جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَشِقُّهُ سَاقِطٌ رَوَاهُ التِّرْمذيّ .

وَرَوَاهُ أَبو دَاوُدَ وَلَفْظُهُ مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمال الى احْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ وَلَفْظُهُ مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيْلُ احْدَاهُمَا عَلى الاخْرَى جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَحدُ شِقَّيْهِ مَائِلٌ وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجه وَابْنُ حِبّانَ في صَحِيْحِهِ بِنَحْوِ رِوَايَةِ النّسائِيّ هَذِهِ إلا أَنَّهما قَالا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَحدُ شِقَّيْهِ سَاقِطٌ ، اللهُمَّ قَوِّ إيْمَانَنا بِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِمَلائِكَتِكَ وَبِرُسُلِكَ وَباليَوْمِ الآخِرِ وَبالقدرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . اللهُمَّ ثَبِّتْنَا على قَوْلِكَ الثَّابتِ في الحَيَاةِ الدنيا وفي الآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَجمِيعِ المُسْلِمِيْنَ الأحْيَاءِ مِنْهُم وَالمَيّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــلٌ)

وَإذَا تَتَبَّعْتَ سِيْرَةَ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ وَمَن اقْتَدى بِهِمْ وَجَدْتَهُم يَعْدِلُونَ

وَيأْمرونَ بالعَدْلِ بَلْ مِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ بنَفْسِهِ مِن الأمةِ أَنْ تُحَاسِبَهُ عَلى كُلِّ عَمَلٍ وَتَصرُّفٍ وَتُقَوِّمُه في كُلِّ خَطإٍ قد يَصْدُرُ منه ما دامُوا مُخْلِصِين يَبْتَغُون وجْهَ اللهِ في حُكْمِهِم وَسُلْطَانِهم .

فَهذَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَلِيْفَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُر بالْعَدْلِ يَقُولُ عِنْدَما اسْتَلَمَ الحُكْمَ فإنْ أَحْسَنْتُ فَأعِيْنُوني وَإنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِيْ ، أَطِيْعُونِيْ مَا أَطَعْتُ اللّهَ وَرَسُولَهُ فِيْكُمْ وَيَقُولُ أَمِيْرُ المؤمِنينَ عُمَرُ ابْنُ الخَطَابِ رَضِيَ اللهُ عنه مَنْ رَأَى مِنْكُم فِيَّ اعْوِجَاجاً فَلْيُقَوِّمْهُ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ اتَقِ اللّهَ يا عُمَرُ فَأَجَابَهُ أَحدُ الحَاضِرِيْنَ بِقَوْلِهِ أَتَقُولُ هَذَا لأَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ وَلَكِنّ عُمَرُ نَهرَهُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ وَقَالَ لا خَيْرَ فِيْكُم إِنْ لم تَقُولُوهَا وَلا خَيْرَ فِيْنَا إن لَمْ نَسْمَعْهَا .

وفي مَرّةٍ كَانَتْ جُمْلَةٌ مِنْ غَنَائِمِ المُسْلِمِيْنَ أَبْرَادٌ يَمانِيَةٌ فَقَامَ عُمَرُ رَضِيَ الله عنه يَقْسِمُ هَذِهِ الغَنَائِمَ بالعَدْلِ وقد أَصَابَهُ مِنْهَا بُرْدٌ كَمَا أَصَابَ ابْنَهُ عَبْدُ اللهِ مِثْلُ ذَلِكَ كَأَيِّ رَجُلٍ مِن المُسْلِمِيْنَ وَلَمَّا كَانَ عُمَرُ بِحَاجَةٍ إلى ثَوْبٍ طَوِيلٍ لأَنَّهُ طَوِيْلُ الجِسْمِ تَبرَّعَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ ببُرْدِهِ لِيَصْنَعَ مِنْهُمَا ثَوْباً يَكْفِيْهِ ثُمَّ وَقَفَ وَعَلَيْهِ هَذَا الثَّوْبُ الطَّوِيْلُ يَخْطُبُ في النَّاسِ فقَالَ بَعْدَ أَن حَمِدَ اللهَ وَأَثْنى عَلى رَسُولِهِ صَلى الله عليه وسلم : أيها النَّاسُ اسْمَعُوا وَأَطِيْعُوا فوَقَفَ له سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ الصَّحَابِيُّ المَشْهُوْرُ الجَلِيْلُ فَقَالَ لِعُمَرَ لاَ سَمْعَ لَكَ عَلَيْنَا وَلاَ طَاعَةَ .

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنه وَلِمَ ؟ قَالَ سَلْمَانُ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الثَّوْبُ ، وَقَدْ نَالكَ بُرْدٌ وَاحِدٌ وَأَنْتَ رَجُلٌ طَوِيْلٌ فَقَالَ لاَ تَعْجَلْ وَنَادَى ابْنَهُ عَبْدَ اللهِ فَقَالَ لَبَّيْكَ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنينَ قَالَ نَاشَدْتُكَ اللهَ البُرْدُ الذي اتَّزَرْتُ بِهِ أَهُوَ رِدَاؤُكَ ، فقَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ سَلْمَانُ الآنَ مُرْ نَسْمَعْ وَنُطِيْع .

وخَرَجَ عُمر بنُ الخطاب رضي الله عنه من المسجد ومعه الجارود فإذا امرأة بَرِزَةٌ على ظَهْرِ الطَّرِيْقِ فَسَلَّمَ عَليها فَرَدَّتْ عليه أو سَلَّمَتْ عليه فَرَدَّ عليها فَقَالَتْ هِيْهْ يا عُمر عَهِدْتُكَ وأنْتَ تُسمَّى عُمَيْراً في سُوْقِ عُكاض تُصَارِعُ الصِبْيَانَ فلم تَذْهَبِ الأيامُ حَتى سُمِيْتَ أَمِيْر المؤمنين فاتَّقِ اللهَ في الرَّعيَّةِ واعْلَمْ أنَّهُ مَنْ خَافَ الموتَ خَشِيَ الفَوتَ، فَبَكَى عُمَرُ رضي الله عنه.

فقال الجارُوْدُ هِيْهْ قَدِ اجْتَرَأْتِ على أمير المؤمنين وأبْكَيْتِيْه فقالَ عُمَرُ دَعْهَا أمَا تَعْرِفُ هَذِهِ هِيَ خَوْلَةُ بِنتُ حَكيم التي سَمِعَ اللهُ قَولَهَا مِن فَوقِ سَبْعِ سَمواتِهِ فعُمرَ واللهِ أحْرى أن يَسمع كَلاَمَها.

وقَامَ مَرةً خَطِيْباً فقال إنْ رَأيْتُم فِيَّ اعوجاجاً فَقَوِمُونِي فقام رَجُلٌ مِن الحَاضِرِيْنَ وقال والله لَوْ وَجَدْنَا فِيْكَ اعْوِجَاجاً لَقَوَّمْنَاهُ بِسُيُوفِنَا فَقَال عُمَرُ الحَمْدُ لِلَّهِ الذي جَعَلَ في الرَّعِيَّةِ مَن يُقَوِّمْ اعْوِجَاجَ عُمَر.

وكان رضي الله عنه إذا إلتبست عليه بعض الأمور يشاور الصحابة وقال رضي الله عنه ما تشاور قوم قط إلا هدوا لرشدهم.

وقال لقمان لابنه يا بني شاور من جَرَّبَ فإنه يعطيك من رأيه ما أقام عليه بالغلاء وأنت تأخذه بالمجان.

وقال الحسن الناس ثلاثة فرجلٌ رجلٌ ورجل نصف رجلٌ ورجل لا رجُل، فأما الرجُل فذُو الرأي والمشورة وأما نِصْفُ الرجُل فالذي له رأي ولا يشاور، وأما الرجُل الذي لَيْسَ برجُل فالذي لا رَأْيَ له ولا يُشَاوِرْ.

وقال ابن عُيينة كان رسول الله ﷺ إذَا أراد أمراً شاور فيه الرجال وكَيْفَ يَحتاج إلى مشاورة المخلوقين مَن الخالِقُ مُدَبِّرٌ أَمْرَهُ، ولكنه تَعْلِيمٌ منه لِيُشَاوِرَ الرجُلُ الناسَ.

وقال لقمانُ لابْنِهِ يا بُنَيَّ إذَا أَرَدْتَ أن تقطَعَ أمراً فلا تقطعه حتى تستشير مُرْشِداً.

شعرا : رُكُوبُكَ الأَمْرَ مَا لَمْ تَبْدُ مَصْلحَةٌ   جَهْلٌ وَرَأْيُكَ في الإِقْحَامِ تَغْرِيْرُ
فاعْمَل صَوَباً وَخُذْ بالحَزْمِ مَأْثَرةً   فَلَنْ يُذَمَّ لِأَهْلِ الحَزْمِ تَدْبِيْرُ

وقال عمر رضي الله عنه لا أمينَ إلا مَن يَخْشَى اللهَ فشاور في أمْرِكَ الذين يَخشون الله.

شعرا : إذا بَلَغَ الرأيُ المشورةَ فاسْتَعِنْ
بِرأيِ نَصِيْحٍ أو نَصِيحَةِ حَازِمِ
ولا تَجْعَلِ الشُورَى عَليكَ غَضَاضَةً
فإنَّ الخَوافِي قوةٌ لِلْقَوادِمِ

آخر :

شَاوِرْ سِوَاكَ إذَا نَالتْكَ نَائِبَةٌ يَوْماً وإنْ كُنْتَ مِنْ أهْلِ المَشُوْرَاتِ
فالْعَيْنُ تُبْصِرُ فِيْهَا ما دَنَا وَنَأى ولا تَرَى نَفْسَهَا إلاَّ بِمِرْآتِ

آخر : إذا عَنَّ أَمْرٌ فاسْتَشِرْ فيه صَاحِباً
وإنْ كُنْتَ ذا رَأْيٍ تُشِيْرُ على الصحبِ
فإنِي رَأيتُ العَيْنَ تَجْهَلُ نَفْسَهَا
وتُدْرِكُ ما قَدْ حَلَّ في مَوضِعِ الشُهْبِ

وقال سليمان بن داود يا بُنَيَّ ، لا تقطع أمراً حَتَّى تَأْمُر مُرْشَدَا فإذا فَعَلْتَ فلا تَحْزَنْ .

وفي كتاب الامام علي رضي الله عنه للاشتر النخعي لما ولاه على مصر ولا تُدْخِلْ في مَشْوَرَتِكَ بَخيلا يَعدِلُ بكَ عن الفَضل ويعدكَ الفقرَ ولا جباناً يُضْعِفُكَ عن الأمور ولا حَرِيْصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بالجور فإنَّ البخلَ والحرصَ والجبنَ غَرائز وشتى يَجْمَعُنَّ سوءُ الظن بالله .

وعنه مَن اسْتَبَدَّ بِرَأيِهِ هَلَكَ ومَن شاورَ الرجالَ شَارَكَهَا في عُقُولِهَا .

شعراً :

إذا كُنْتَ ذا رَأيٍ فكُنْ ذا عَزِيْمَةٍ
فإنَّ فَسَادَ الرأيِ أنْ تَتَرَدَّدَا
وإن كُنْتَ ذَا عَزْمٍ فأنفِذْهُ عَاجِلا
فإنَّ فَسَادَ العَزْمِ أنْ تَتَقَيَّدا

وَلَمَّا بُوْيِعَ بالخِلافَةِ في اليَوْم الذي مَاتَ فِيْهِ أَبُو بَكْرٍ بِوَصِيَّةٍ مِنْ أبِيْ بَكر

إليْهِ هَابَهُ النَّاسُ هَيْبَةً شَديْدَةً حَتَّى إنَّهُم تركُوْا الجُلُوْس في الأَفْنِيَةِ فلَمَّا بَلغَهُ ذَلِكَ جَمَعَ النَّاسَ ثُمَّ قَامَ عَلى المِنْبَرِ حَيْثُ كَانَ يَقُومُ أَبُو بَكْرٍ يَضَعُ قَدَمَيْهِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلهُ ثمّ صَلّى عَلَى النّبيّ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ قَالَ بَلَغَنِي أَنَّ النَّاسَ هَابُوا شِدَّتِيْ وَخَافُوا غلْظَتِيْ وَقَالُوا قَدْ كَانَ عُمَرُ يَشْتَدُّ عَلَيْنَا وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنا ثُمَّ اشْتَدَّ عَلَيْنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَالِيْنَا دُوْنَهُ فَكَيْفَ الآنَ وَقَدْ صَارَتْ الأُمُوْرُ إليهِ .

وَلَعمْرِيْ مَنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ صَدَقَ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عليه وَسَلم فَكُنْتُ عَبْدَهُ وَخَادِمَهُ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ تَعَالَى وَهُوَ رَاضٍ وَالحَمْدُ للهِ وَأَنَا أَسْعَدُ النَّاسِ بِذَلِكَ ثُمَّ وَلِيَ أَمْرَ النَّاسِ أَبُو بكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَكُنْتُ خَادِمَهُ وَعَوْنَهُ أَخْلِطُ شِدَّتِيْ بِلِيْنِهِ فَأَكُونُ سَيْفاً مَسْلُولاً حَتَّى يُغْمِدَنِيْ أَوْ يَدعَنِيْ فَمَا زِلْتُ مَعَهُ كَذَلِكَ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ تَعَالَى وَهُوَ عَلَيَّ رَاضٍ وَالحَمْدُ لِلّهِ وَأَنَا أَسْعَدُ النَّاسِ بِذَلِكَ .

ثمّ إنِّي وُلِّيتُ هَذا الأَمْرَ أَمْرَكُمْ فَاعْلَمُوْا أَنَّ تِلْكَ الشِّدَّةِ قَدْ تَضَاعَفَتْ ولكنَّها تَكُونُ عَلى أَهْلِ الظّلْمِ وَالتّعدِّيْ عَلى المُسْلِمِيْنَ .

وَأَمّا أَهْلُ السَّلَامةِ وَالدِّيْنِ وَالقَصْدِ فَأَنَا أَلْيَنُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ وَلَسْتُ أدَعُ أَحداً يَظْلِمُ أحداً وَيَتَعَدّى عَليه حَتى يَضَعَ خَدَّهُ على الأَرْض وأَضَعَ قَدَمَيَّ على الآخرِ حَتّى يُذْعِنَ لِلْحَقِّ .

وَإلى هَذا أشَارَ الشَّاعِرُ في قَوْلِهِ :

في طَيِّ شِدَّتِهِ أَسْرَارُ رَحْمَتِهِ
لِلْعَالَمِيْنَ وَلَكِنْ لَيْسَ يُفْشِيْهَا

وَبَيْنَ جَنْبَيْــهِ فِيْ أَوْفَـى صَــرَامَتِــهِ
فُــؤَادُ وَالِــدَةٍ تَــرْعَــى ذَرَارِيْــهَــا
أَغْنَتْ عَن الصَّارِمِ المَصْقُولِ دُرَّتُـهُ
فكمْ أخَـافَتْ غَوِيَّ النَّفْسِ عَـاتِيْهَـا

وقال : وَلَكُم عَلَيَّ أَيُّها النَّاسُ أَنْ لا أَخْبأَ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ خَرَاجِكُمْ وَاذا وَقَعَ عِنْدِي أنْ لا يَخْرُجَ إلاّ بِحَقّهِ وَلَكُمْ عَلَيّ أنْ لا أُلْقِيْكُمْ في المهَالِكِ وَإذا غِبْتُمْ فِيْ البُعُوْثِ فأنَا أَبُو العِيَالِ حَتَّى تَرْجِعُوا أَقُولُ قَوْلِيْ هَذا وَأَسْتَغفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ .

وَأَخْرَجَ بْنُ سَعْدٍ عَن الحَسَنِ قَالَ كَتَبَ عُمَرُ إلى حُذَيْفَةَ رَضي الله عَنْهُمَا أنْ أعْطِ النّاسَ أعْطِيَتَهُمْ وأرْزَاقَهُمْ فكتَبَ إلَيْهِ إنّا قَدْ فَعَلْنَا وَبَقِيَ شَيءٌ كَثِيْرٌ .

فَكَتَبَ إليْهِ عُمَرُ إنهُ فَيْئُهُمْ الذِي أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِمْ لَيْس هُوَ لِعُمَرَ وَلاَ لآلِ عُمَرَ اقْسِمْهُ بَيْنَهُمْ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ وَابْنُ عَساكِرٍ عَن الحَسَنِ قَالَ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الخَطّابِ الى أَبِيْ مُـوْسَى رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا ، أَمَّا بَعْدُ فَاعْلَمْ يَوْماً مِن السَّنَةِ لا يَبْقَى في بَيْتِ المالِ دِرْهَمٌ حَتَّى يُكْتَسَحَ اكْتِسَاحاً حَتَّى يَعْلَمَ اللهُ أَنِّيْ قدْ أدَّيْتُ إلَى كُلِّ ذِيْ حَقٍّ حَقَّهُ .

وَعِنْدَ ابْنِ عَسَاكِرٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ سَعِيْدٍ قَالَ أُتِيَ عُمرُ بْنُ الخَطّابِ بِمَالٍ فَقَامَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عوْفٍ فقالَ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ لَوْ حَبَسْتَ مِنْ هَذَا المال في بَيْتِ المالِ لِنَائِبَةٍ تَكُوْنُ أَوْ أمْرٍ يَحْدُثُ .

فَقَالَ كَلِمَةٌ مَا عَرَضَ بِهَا إلاّ شَيْطَانٌ لَقَّانِيْ اللّهُ حُجَّتَهَا ووَقَانِيْ فِتْنَتَها

أعْصِيْ العَامَ مَخَافَةَ قَابِلٍ أعِدُّ لهُمْ تَقْوَى اللهِ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسبُ﴾ وَلِتكُونَ فِتْنَةً مِنْ بَعْدِيْ .

وقَالَ سَعِيْدُ بْنُ المُسَيّبِ تُوُفِّيَ وَاللّهِ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَزَادَ فِي الشِّدَّةِ فِي مَوَاضِعِهَا وَاللّيْنِ فِي مَوَاضِعِهِ وَكَانَ أَبَا العِيَالِ حَتّى إنّهُ يَمْشِيْ على المُغِيْبَاتِ اللاتِي غَابَ عَنْهُنّ أَزْوَاجُهُنّ وَيَقُولُ أَلَكُنّ حَاجَةٌ حَتّى اشْتَرِيْ لَكُنّ فَإنّيْ أَكْرَهُ أَنْ تُخْدَعْنَ فِي البَيْعِ وَالشّرَاءِ فَيُرْسِلْنَ مَعَهُ جَوارِيْهُنّ .

فَيَدْخُلُ وَمَعَهُ جَوَارِيْ النِّسَاءِ وَغِلْمَانُهُنّ مَالاَ يُحْصَى فَيَشْتَرِيْ لَهُنَّ حَوَائِجَهُنَّ فَمَنْ كَانَتْ لَيْسَ عِنْدَهَا شَيْءٌ اشْتَرَى لهَا مِنْ عِنْدِهِ وَكَانَ يَحْمِلُ جِرَابَ الدَّقِيْقِ على ظَهْرِهِ لِلأَرَامِلِ وَالأَيْتَامِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لهُ دَعْنِيْ أَحْمِلُ عَنْكَ فَقَالَ عُمَرُ وَمَنْ يَحْمِلُ عَنّيْ ذُنُوْبِيْ يَوْمَ القِيَامَةِ .

وَيُرْوَى أَنّهُ مَرَّ بِنُوْقٍ قَدْ بَدَتْ عَلَيْهَا آثَارُ النِّعْمَةِ تَهفُّ ذُرَاهَا فَسَأَلَ عَنْ صَاحِبِهَا فَقَالُوا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ فَسَاقَهَا إلَى بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِيْنَ ظَنّاً مِنْهُ أَنَّ ثَرْوَةَ ابْنِهِ لا تَفِيْ لَهَا وَأَنّهُ لَوْلا جَاهُهُ بَيْنَ النّاسِ مَا قَدِرَ على إطْعَامِهَا .

وفي ذَلكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

وَمَا وَفَى ابْنُكَ عَبْدُ اللّهِ أَيْنُقُهُ
لَمَّا اطّلَعْتَ عَلَيْهَا في مَرَاعِيْهَا

رَأَيْتَهَا في حِمَاهُ وَهْيَ سَارِحَةٌ
مِثْلَ القُصُور قدِ اهْتَزَّتْ أَعَالِيْهَا

فَقُلْتَ مَا كَانَ عَبْدُ اللهِ يُشْبِعُهَا
لَوْ لَمْ يَكُن وَلَدِي أَوْ كَانَ يُرْوِيْهَا

قَـدْ اسْتَعَـانَ بِجَـاهِيْ فِي تِجَـارَتِــهِ
وَبَــاتَ بَـاسْمِ أَبِيْ حَفْصٍ يُنَمِّيْهَــا
رُدُّوْا النِّيَــاقَ لِبَيْتِ المَــالِ إِنَّ لَــهُ
حَقَّ الــزِيَـادَةِ فِيْهَــا قَبْـلَ شَــارِيْهَا
وَهَــذِهِ خُـطَّةٌ لِـلَّهِ وَاضِـعُـهَـا
رَدَّتْ حُقُـوقاً فَـأَغْنَتْ مُسْتَمِيْحِيْهَا

وَرُوَيَ أَنَّ طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَرَجَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ فَرَآى عُمَرَ رَضي اللهُ عنه قَدْ دَخلَ بَيْتاً ثُـمَّ خَرَجَ فَلمّا أَصْبَحَ طَلْحَةُ ذَهَبَ إلى ذلكَ البَيْتِ فَإذَا فِيْهِ عَجُوزٌ عَمْيَاءُ مُقْعَدَةٌ لا تَقْدِرُ على المَشْي فقَالَ لهَا طَلحَةُ مَا بَالُ هَذا الرَّجُل يَأْتِيْكِ فَقَالَتْ إنهُ يَتعاهَدُنِي مِنْ مُدَّةٍ كَذا وَكذَا بمَا يُصْلِحُنِيْ وَيُخْـرِجُ عَنِّيْ الأَذَى يَعْنِي القَذرَ وَالنَّجاسَةَ فرضي الله عنه وأرضاه.

اللّهُمّ اجْعَلْ خَيْرَ أَعْمَالِنَا خَوَاتِمهَا وَخَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ لِقَائِكَ ، اللهم ثَبِّتْنَا عَلى قَوْلِكَ الثّابِتِ وَأَيِّدْنَا بِنَصْرِكَ وَارْزُقْنَا مِنْ فَضْلِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ وَاغْفِرْ لنَا وَلوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرّاحمينَ وَصَلّى اللهُ عَلى مُحمدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وَلَمّا رَجعَ رَضْيَ اللهُ عنهُ مِن الشّام إلى المَدِيْنَةِ انْفَرَدَ عَنْ النَّاسِ لِيَتَعَرَّفَ وَيَتَفَقّدَ أَحْوالَ رَعِيَّتِهِ فَمَرَّ بِعَجُوزٍ في خِبَاءٍ لهَا فَقَصَدَهَا فَقَالَتْ يَا هَذَا مَا فَعَلَ عُمَرُ قَالَ قَدْ أَقْبَلَ مِن الشَّامِ سَالِماً فَقَالَتْ لاَجزَاهُ اللهُ خَيْراً .

قَالَ وَلِمَ قَالَتْ لِأَنَّهُ وَاللهِ مَا نَالَنِيْ مِنْ عَطَائِهِ مُنْذُ تَولَّى أَمْرَ المُسْلمينَ دِيْنَارٌ

وَلا دِرْهَمٌ قَالَ وَمَا يُدْرِي عُمَرُ بِحَالِكَ وَأَنْتِ في هذا المَوْضِعِ فَقَالَتْ سُبْحَانَ اللهِ واللهِ مَا ظَنَنْتُ أَنَّ أحداً يَلِيْ عَلى النَّاسِ وَلا يَدْرِيْ مَا بَيْنَ مَشْرِقِهَا وَمَغْرِبِهَا فَبَكَى عُمَرُ رَضي اللّهُ عَنْهُ وقَالَ وَاعُمَراه كُلُّ أحَدٍ أفْقَهُ مِنْكَ يَا عُمَرُ حَتَّى العَجَائِزَ .

ثُمّ قَالَ لَهَا يَا أَمَةَ اللهِ بِكَمْ تَبِيْعِيْنِيْ ظُلامَتكِ مِنْ عُمَرَ فَإِنِّي أَرْحَمُهُ مِن النّارِ فَقَالَتْ لا تَسْتَهْزِئْ بِنَا يَرْحَمُكَ اللهُ فَقَالَ لَسْتُ بِهَزَّاءٍ فلم يَزَلْ بها حَتَّى اشْتَرى ظُلاَمَتَهَا بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِيْنَ دِيْنَاراً .

فَبَيْنَما هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ عَلِيّ بْنُ أَبِيْ طَالِبٍ وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضيَ اللهُ عَنهُما فَقَالاَ السّلامُ عليكَ يَا أَمِيْرَ المؤْمِنينَ فَوَضَعَتْ العَجُوزُ يَدَهَا عَلى رَأْسِهَا وَقَالَتْ وَاسَوْأَتاهُ شَتَمْتُ أَمِيْرَ المُؤْمِنين في وَجْهِهِ .

فَقَالَ لهَا عُمَرُ مَا عَلَيْكِ يَرْحَمُكِ اللهُ ثُمَّ طَلَبَ رُقْعَةَ جِلْدٍ يَكْتُبُ بِهَا فَلَمْ يَجِدْ فَقَطَعَ قِطْعَةً مِنْ مُرَقَّعَتِهِ وَكَتَبَ فِيْهَا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ هَذَا مَا اشْتَرى بِهِ عُمَرُ مِنْ فُلانَةِ ظَلاَمَتَهَا مُنْذُ وَلِيَ إلى يَوْمِ كَذا وَكَذا بِخَمْسَةٍ وَعِشرينَ دِيْنَاراً فمَا تَدَّعِيْ عِنْدَ وَقُوفِهِ في الحَشْرِ بَيْنَ يَدي اللهِ تعالَى فَعُمَرُ منهُ بَرِيءٌ شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ عَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ ثُمَّ دَفَعَ الكِتَابَ إليَّ وَقَالَ إذا أنَا مُتُّ فَاجْعَلْهُ في كَفَنِيْ ألقَى بهِ رَبّيْ عَزَّ وَجَلَّ .

هَكَذَا يكُونُ العُلَمَاءُ العَامِلُوْنَ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾ .

عَلى قَدْرِ عِلْمِ المَرْءِ يَعْظُمُ خَوْفُهُ
فَلا عَالِمٌ إلاّ مِن اللّهِ خَائِفُ

فَـآمِنُ مَكْـرِ اللّـهِ بـاللّهِ جَـاهِـلُ
وَخَـائِفُ مَكْـرِ اللّهِ بِـاللّهِ عَـارِفُ

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرٍ وَسَعِيْدُ بْنُ مَنْصُوْرٍ وَالبَيْهَقِيّ عَن الشَّعْبِيّ قَالَ كَانَ بَيْنَ عُمَرَ وَبَيْنَ أُبَيّ بْن كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا خُصُوْمَةٌ فَقَالَ عُمر اجْعَلْ بَيْنِي وبَيْنَكَ رَجُلاً فجعَلا بَيْنَهُمَا زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَأَتِيَاهُ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ أَتَيْنَاكَ لِتَحْكُمَ بَيْنَنَا وَفِي بَيْتِهِ يُؤْتَىٰ الحَكَمُ .

فَلمَّا دَخَلاَ عَلَيْهِ وَسَّعَ لَهُ زَيْدُ عَنْ صَدْرِ فِرَاشِهِ فَقَالَ هَا هُنَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ فَقَالَ لهُ عُمَرُ :

هَذَا أَوَّلُ جَوْر جُرْتَ في حُكْمِكَ ، وَلَكِنْ أَجْلِسُ مَعَ خَصْمِي فَجَلَسَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَادَّعَى أُبَيُّ وَأَنْكَرَ عُمَرُ فَقَالَ زَيْدُ لأُبَيّ أَعْفِ أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ مِن اليَمِيْنَ وَمَا كُنْتُ لأَسْأَلها لأَحَدٍ غَيْرِهِ فَحلفَ عُمَرُ ثُمّ أَقْسَمَ لا يُدْرِكُ زَيْدُ القَضَاءَ حَتّى يَكُونَ عُمَرُ وَرَجُلٌ مِنْ عُرْضِ المُسْلِمِيْنَ عِنْدَهُ سَوَاءُ .

وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ كانَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَضِي اللهُ عَنْهُمَا دَارٌ إلى جَنْبِ مَسْجِدِ المَدِيْنَةِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنه بِعْنِيْهَا فَأَرَادَ عُمَرُ أنْ يَزِيْدَهَا في المَسْجِدِ فَأَبَى العَبَّاسُ أَنْ يَبِيْعَهَا إِيَّاهُ فقَالَ عُمَرُ فَهَبْهَا لِيْ فَأَبَى فقَالَ فَوَسِّعْهَا أَنْتَ في المَسْجِدِ فَأَبَى .

فَقَالَ عُمَرُ لا بُدَّ لَكَ مِنْ إحْدَاهُنَّ فَأَبَى عَلَيْهِ فَقَالَ خُذْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ رَجُلاً فأخَذَ أُبَيّا رَضِيَ اللهُ عنهُ فاخْتَصَمَا إِلَيْهِ فَقَالَ أُبَيُّ لِعُمَرَ مَا أَرَى أَنْ تُخْرِجَهُ مِنْ دَارِهِ حَتَّى تُرْضِيَهُ فَقَالَ لهُ عُمَرُ أَرَأَيْتَ قَضَاءَكَ هَذَا في كِتَابِ اللهِ وَجَدْتَهُ أَمْ سُنَّةً مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلم فقالَ أُبَيّ بَلْ سُنَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَ عُمَرُ وَمَا ذَاكَ فَقَالَ إِنِّيْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدٍ عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لمّا بَنَى بَيْتَ المَقْدِسِ جَعَلَ كُلَّمَا بَنَى حَائِطاً أَصْبَحَ مُنْهَدِماً فَأَوْحَى اللّهُ إِلَيْهِ أَنْ لا تَبْنِيْ في حَقّ رَجُلٍ حَتَّى تُرْضِيَهُ فَتَرَكَهُ عُمَرُ فَوَسَّعَها العَبَّاسُ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا بَعْدَ ذَلِكَ في المَسْجِدِ .

بَلِّغْ يَا أَخِيْ هَذِه القِصَّةَ لِلسَّاكِنِيْنَ في بُيُوتِ المُسْلِمِيْنَ بِغَيْرِ رِضَاهُمْ وَقُلْ لِمَ تُصَلُّونَ وَتَصُوْمُوْنَ وَتَنْكِحُوْنَ في بَيْتٍ مَغْصُوْبٍ يَدْعُو عَلَيْكُمْ مَالِكُهُ لَيْلاً وَنَهاراً سِرّاً وجِهَاراً . أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِهِ وَجَعَلَهُ بَيْنَ عِبَادِهِ مُحَرَّماً .

وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَيْضاً عَنْ سَعِيْدِ بْنِ المُسَيَّبِ قَالَ أَرَادَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يَأْخُذَ دَارَ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبْ رَضِي اللهُ عَنْهُ فَيَزِيْدَهَا في المَسْجِدِ فَأَبَى العَبَّاسُ أَنْ يُعْطِيْهَا إِيّاهُ فَقَالَ عُمَرُ لآخُذَنَّهَا فَقَالَ فاجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَك أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ نَعَمْ .

فَأَتَيَا أُبَيّاً فَذَكَرَا لهُ فقَالَ أُبَيّ أَوْحَى اللّهُ الى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أنْ يَبْنِيْ بَيْتَ المَقْدِسِ وَكانَتْ أَرْضاً لِرَجُلٍ فَاشْتَرَى مِنْهُ الأَرْضَ فلمّا أعْطَاهُ الثَّمَنَ قالَ الذِيْ أعْطَيْتَنِيْ خَيْرٌ أَمْ الذي أَخَذْتَ مِنّيْ قَالَ بَلْ الذِيْ أخَذْتُ مِنْكَ قَالَ فَانِّيْ لا أجِيْزُ ثُمَّ اشْتَراهَا مِنْهُ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْ ذلِكَ فَصَنَعَ الرَّجُلُ مِثْلَ ذلِكَ مَرَّتَيْنِ أوْ ثَلاثاً .

فَاشْتَرَطَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أَنِّـيْ أَبْتَاعُهَا مِنْكَ عَلى حُكْمِكَ فَلا تسْأَلْنِي أَيُّهما خَيْرٌ قَالَ فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ بِحُكْمِهِ فَاحْتَكَمَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفِ قِنْطَارٍ ذَهَبَاً فَتَعَاظَمَ ذَلِكَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ الصّلاةُ وَالسّلامُ أنْ يُعْطِيَهُ فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِ إِنْ كُنْتَ تُعْطِيْهِ مِنْ شَيءٍ هُوَ لَكَ فَأَنْتَ أَعْلَمُ وَإِنْ كُنْتَ تُعْطِيْهِ مِنْ رِزْقِنَا فَأَعْطِهِ حَتَّى يَرْضَى فَفَعَلَ وَأَنَا أَرَى أَنَّ عَبَّاساً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَحقُّ بِدَارِهِ حَتَّى يَرْضَى ، بَلِّغْ يَا

أخِيْ أَيْضاً هَذه القِصَّةَ السَّاكِنِيْنَ فِيْ بُيُوتِ المُسْلِمِيْنَ بِغَيْرِ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ وَقُلْ لَهُمْ أمَا تَتَّقُوْنَ اللَّهَ وَتَخشَون عُقُوبَتَهُ .

قَالَ العَبَّاسُ فَإِذَا قَضَيْتَ لِيْ فَإِنِّي أَجْعَلُهَا صَدَقَةً لِلْمُسْلِمِيْنَ رَضيَ اللهُ عنهم وَأَرْضَاهُم وَجَعَلَ جَنَّةَ الفِرْدَوْسِ مَثْوانا وَمَثْوَاهُمُ .

ورُوِيَ أن عمر رَضي الله عنه أَمَرَ بقَلْعِ مِيْزَابٍ كان في دَار العباس بن عبدالمطلب إلى الطريق بينَ الصفا والمروةِ فقال له العباسُ قَلَعْتَ ما كانَ رسول الله ﷺ وضَعَهُ بيَدِهِ فقال إذاً لا يَرُدُّهُ إلى مَكَانِهِ غَيْرُكَ ولا يكون سُلَّمٌ غَيْرَ عَاتِقِ عُمَرَ فأقامَهُ وأعادَهُ على عاتِقِ عُمَرَ ورده إلى موضِعه .

وَسَاوَمَ عُمرُ رَضيَ اللهُ عَنْهُ رَجُلاً مِنْ رَعِيَّتِه في شِرَاءِ فَرَسٍ ثُمَّ رَكِبَهُ عُمَرُ لِيُجَرِّبَهُ فعطِبَ فَرَدَّهُ إلى صَاحِبه فأبَى صَاحِبُ الفَرسِ أَنْ يَأخُذَهُ فَقَالَ لهُ وهُوَ خَلِيْفَةُ المُسْلِمين اجْعَلْ بَيْنِيْ وَبَيْنَك حَكَماً فَرَضِيَ الرَّجُلُ بِقَضَاء شُرَيْحٍ العِرَاقِيّ فَتَحَاكَمَا إلَيْهِ .

فَقَالَ شُرَيْحُ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ حُجَّةَ كُلٍّ مِنْهُمَا يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ خُذْ مَا اشْتَرَيْتَ أو رُدَّهُ كَمَا أخذتَهُ فأكْبرَ عُمَرُ هَذِهِ العَدَالَةَ وَالنَّزَاهَةَ مِنْ شُرَيْحٍ وَقَالَ وَهَلْ القَضَاءُ إلا هَكَذا ثُمّ أَقَامَ شُرَيْحاً عَلَى القَضَاءِ في الكوْفَةِ تَقْدِيْراً لِنَزاهَتِهِ وَعدْلهِ رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا وَارْضَاهُمَا اللّهُمَّ يسرْ لنا أمثالَهُمَا وأبعدْ عَنَّا أَضْدَادهما

اللَّهُمَّ يَا حَيّ يَا قَيُومُ يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ مَكِّنْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وَأَعِنَّا على القِيَامِ بِطَاعَتِكَ وَالانْتِهَاءِ عَنْ مَعْصِيَتِكَ اللهم افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ والاجَابَةِ فَإنّا نَدْعُوْكَ دُعَاءَ مَنْ كَثُرَتْ ذُنُوْبُهُ وَتَصَرَّمَتْ آمَالُه وبقِيَتْ آثامُه وَانْسَبَلَتْ دَمْعَتُه وَانْقَطَعَتْ مُدَّتُهُ دُعَاءَ مَنْ لا يَرْجُو لذنبِهِ غَافِراً غَيْرَكَ وَلا لِمَا يُؤَمِّلُهُ مِن الخَيْرَاتِ مُعْطِياً سِوَاكَ وَلا

لِكَسْرِهِ جَابراً إلاَّ أنْتَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمينَ وصَلّى الله عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبهِ أجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وكَانَ عُمَرُ رَضيَ اللهُ عَنْهُ في خِلاَفَةِ أَبِيْ بَكْرٍ يَتَعَهَّدُ امْرَأَةً عَمْيَاء بالمدِيْنَةِ لِيَقُومَ بِأمْرِهَا فكانَ اذا جَاءَهَا ألَفَاهَا قدْ قُضِيَتْ حَاجَتُهَا فَتَرَصَّدَ عُمَرُ يَوْماً فَاذَا أَبُوْ بَكْرٍ هُوَ الذيْ يَكْفِيْهَا مؤُنَتها لا تَشْغَلُهُ عَنْ ذَلِكَ الخِلافَةُ وَتبعاتُهَا ، عِنْدَئِذٍ صَاحَ عُمَرُ حِيْنَ رَآهُ أَنْتَ هُوَ لَعَمْرِيْ . وَلِلّهِ دَرُّ القَائِلِ يَصِفُ الصَّحَابَةَ رَضَىَ اللهُ عَنْهُمْ :

قَـوْمٌ طَـعَـامُـهُـمُـو دِراسَـةُ عِـلْـمِـهِـمْ
يَـتَـسَـابَـقُـونَ إلـى الـعُـلا وَالـسُّـؤْدَدِ

وَمِنْ كَلاَمِهِ إنّا كُنَّا أَذَلَ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللّهُ بِالاسْلاَمِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ العِزَّ بِغيرِ مَا أَعزَّنَا اللهُ بِهِ أَذَلَّنا اللّهُ .

وَعَنْ أَبِيْ عُثْمَانَ النَّهْدِيْ أَنَّهُ قَالَ رَأَيْتُ عُمَرَ يَطُوْفُ بِالبَيْتِ وَعلَيْهِ جُبَّةُ صُوْفٍ فِيْهَا اثْنَا عَشَرَ رُقْعَةً بَعْضُهَا مِنْ جِلْدٍ ، وَرَآهُ رَجُلٌ وَهُوَ يَطْلِيْ بَعِيراً مِنْ إبِلِ الصَّدَقَةِ بالقَطِرَانِ فَقَالَ لَهُ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ لو أمَرْتَ عَبْداً منْ عَبِيْدِ الصَّدَقَةِ فكفاكَهُ فَضَرَبَ عُمَرُ صَدْرَ الرَّجُلِ وَقَالَ عَبْدٌ أعْبَدُ مِنِّيْ .

وَرُوِيَ أَنَّهُ أُتِيَ بِمَالٍ كَثِيْرٍ فَأَتَتْهُ ابْنَتُهُ حَفْصَةَ فَقَالَتْ يَا أَمِيْرَ المؤ مِنينَ حَقَّ أقْرِبيْكَ فَقَدْ أوْصَى اللّهُ بِالأقْرَبِيْنَ فَقَالَ لا يَا حَفْصَةُ إنَّمَا حَقُّ الأقْرَبِيْنَ في مَالِيْ

فَأمَّا مَالُ المسْلِمِينَ فَلاَ يَا حَفْصَةُ نَصَحْتِ قَوْمَكِ وغَشَشْتِ أبَاكِ فَقَامَتْ تَجُرُّ ذَيْلَها .

وَرُوِيَ أَنَّهُ جِيْءَ بِمَالٍ كَثِيْرٍ مِن العِرَاقِ ، فَقِيْلَ لَهُ أَدْخِلْهُ بَيْتَ المَالِ فَقَال لاَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ لا يُرَى تَحْتَ سَقْفِهِ حَتَّى أَقْسِمَهُ بيْنَ المُسْلِمْينَ ، فَجُعِلَ بالْمَسْجِدِ ، وَغُطِّيَ بِالانْطَاعِ ، وَحَرَسَهُ رِجَالٌ مِن المُهَاجِرِيْنَ وَالأنَصارِ .

فَلَمّا أَصْبَحَ نَظَرَ الى الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَاليَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَدِ وَالدُّرِّ يَتَلألأُ ، فَبَكَى ، فَقَال لهُ العَبَّاسُ يَا أميرَ المؤمِنِينَ مَا هَذا بِيَوْمِ بُكَاءٍ وَلَكِنَّهُ يَوْمُ بُشْرَى ، وَسُرُوْرٍ ، فَقَالَ وَاللهِ مَا ذَهَبْتُ حَيْثُ ذَهَبْتَ ، وَلَكِنَّهُ مَا كَثُرَ هَذَا في قَوْمٍ قَطُّ إلاّ وَقَعَ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ .

ثُمَّ أَقْبَلَ إلَى القِبْلَةِ وَقَالَ اللّهُمَّ إنِّيْ أعُوْذُ بِكَ أَنْ أَكُوْنَ مُسْتَدْرَجاً فإنّي أَسْمَعُكَ تَقُوْلُ « سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ » .

وَعَنْ سِنَانَ الدَّوْلِيْ أَنَّهُ دَخلَ عَلى عُمَرَ وَعِنْدَهُ نَفَرٌ مِن المُهَاجِرِيْنَ الأوَّلِيْنَ فَأَرْسَلَ عُمَرُ رَضي اللهُ عَنْهُ لِسِفْطٍ أُتِيَ به مِنْ قَلْعَةٍ بالعِرَاقِ ، وكَانَ فِيْهِ خَاتَمٌ فَأخذهُ بَعْضُ بَنِيْهِ فأدْخلَهُ في فِيْهِ فَانْتَزعَهُ مِنْهُ ثمَّ بَكَى ، فَقَالَ لهُ مَنْ عِنْدَهُ لِمَ تَبْكِي يَا أَمِيْرَ المؤمِنينَ وَقَدْ فَتَحَ اللهُ عَليْكَ ، وَأَظْهَرَكَ عَلى عَدُوِّكَ ، وَأقَرَّ عَيْنَكَ ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلى الله عليه وسلم يَقُوْلُ لاَ تُفْتَحُ الدُّنْيا عَلى أحَدٍ حَتَى تُلْقَى بَيْنَهُم العَدَاوَةُ ، وَالبَغْضَاءُ ، إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَأنا أُشْفِقُ مِنْ ذَلكَ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالبَزَّارُ .

وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ يَقْسِمُ شَيْئاً مِنْ بَيْتِ المَالِ فَدَخَلَتْ ابْنَةٌ لَهُ صَغِيْرَةٌ فَأخَذَتْ دِرْهَماً فَنَهَضَ في طلبهَا حَتَّى سَقَطَتْ مِلْحَفَتُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، وَدَخَلَتْ

الصَّبِيَّةُ إلى بَيْتِ أهْلِهَا وَهِيَ تَبْكِيْ ، وَجَعَلَتْ الدِّرْهَم في فَمِهَا ، فَأَدْخَلَ عُمَرَ أَصْبُعَهُ في فَمِهَا فأَخْرَجَ الدِّرْهَمَ وطَرَحَهُ على خراجِ المُسْلِمْينَ ، وَقَالَ أيُّها النّاسُ إنَّهُ ليْسَ لِعُمَرَ وَلاَ لآلِ عُمَرَ إلاّ مَا لِلْمُسْلِمْينَ قَرِيْبِهِمْ وَبَعِيْدِهِمْ .

وَعَنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبيْهِ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ ذَاتِ لَيْلَةٍ حَتَّى أشْرَفْنا عَلى حَرَّةِ وَاقِمْ ، فإذا نَارٌ تُوارىْ بصِرَامٍ ، فَقَالَ يا ابْنَ أَسْلَمَ إنِّيْ أَحْسِبُ هؤلآءِ رَكْباً يَضْرِبُهُمْ اللَّيْلُ وَالبَرْدُ ، انْطَلِقْ بِنَا إليْهِمْ ، قَالَ فَخَرَجْنا نُهَرْوِلُ حَتَّى انْتَهيْنا إلىَ النّارِ فَاذَا امْـرَأَةٌ تُوْقِدُ تَحْتَ قِدْرٍ ، وَمَعَهَا صِبْيَانٌ يَتَضَاغَوْنَ ، فَقَالَ السَّلامُ عَلَيْكُم أَصْحَابَ الضَّوْءِ أَأَدْنُوْ فقَالَتْ المَرْأَةُ أدنُ بِخَيْرٍ أَوْ دَعْ فَقَالَ مَا بَالُكُمُ قَالَتْ يَضْرِبُنَا اللَّيْلُ والبَرْدُ قَالَ فَمَا بَالُ هَؤُلآءِ الصِّبْيَةِ يَتَضَاغَوْنَ ، قَالَتْ الجُوْعُ قَالَ فَمَا هَذَا القِدْرُ قَالَت مَاءٌ أُسَكِّتُهْم بِهِ وَاللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عُمَرْ .

فَقَالَ وَمَا يُدْرِيْ عُمَرُ قَالَتْ يَتَوَلَّى أمْرَنَا ثُمَّ يَغْفُلُ عَنَّا ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ انْطَلِقْ بِنَا فَخَرَجْنَا نُهَرْوِلُ حَتَّى أَتيْنَا دَارَ الدَّقِيْقِ ، فَأخرَجَ عِدْلاً مِنْ دَقِيْقٍ فيهِ عُكْنَةٌ مِنْ شَحْمٍ ، فَقَالَ احْمِلْهُ عَلَيَّ ، قُلْتُ أنا أحْمِلُهُ عَنْكَ ، فَقَالَ أَنْتَ تَحْمِلُ عَنِيْ وَزْرِيْ يَوْمَ القِيَامَةِ لاَ أُمَّ لَكَ ، احْمِلْهُ عَلَيَّ فَحَمَلْتُه عَلَيْهِ فَخَرَجْنَا نُهَرْوِلُ حَتَّى ألقَيْنا ذَلِكَ العِدْلَ عَنْدها .

ثُمَّ أخرَجَ الدَّقِيْقَ فَجعَلَ يَقُولُ ذُرِّيْ عَلَيَّ وَأنَا أَسُوْطُهُ ، وَجعَلَ يَنْفُخُ تَحْتَ القِدْرَ وَكَانَتْ لِحْيَتُه عَظِيْمَةً ، فَجعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى الدُّخانِ يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ خَللِ لِحْيَتِهِ حَتَّى أنْضَجَ .

ثُمَّ أخذَ مِنْ الشَّحْمِ فَأَدَّمَهَا بِهِ ثُمَّ قَالَ إِئْتِ بشَيْءٍ فجَاءَتْهُ بِصَحْفَةٍ ، فَأَفْرَغَ القِدْرَ فِيْهَا ، ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ لها أَطْعِمِيْهِم ، وَأنَا أَسْطَحُ لَكِ ، يَعْنِيْ

أبَرِّدُهُ ، فَأكَلُوْا حَتَّى شَبِعُوا .

ثُمَّ تَرَكَ عِنْدَهَا فَضل ذَلِك ، فَقَالَتْ لَهُ جَزَاكَ اللّهُ خَيْراً أَنْتَ أَوْلَى بِهَذا الأمْرِ مِنْ أَمِيْرِ المؤ مِنْينَ ، فَقَال قُوْلِيْ خَيْراً إنَّكِ إذَا جِئْتِ أمِيْرَ المؤ منين وَجدتنِيْ هُنَاكَ .

ثُمَّ تَنَحَّى قَرِيْباً فَرَبَضَ مَرْبَضَ السَّبُعِ ، فَقُلْتُ لَهُ إنَّ لَكَ شَأْناً غَيْرَ هَذا ، فلَمْ يُكَلِّمْنِيْ حَتَّى رَأَيْتُ الصِّبْيَةَ يَصْطَرِخُوْنَ وَيَضْحكُونَ ، ثُمَّ نَامُوا فقَامَ وَهُو يَحْمَدُ اللّهَ تَعالَى .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ يَا ابْنَ أَسْلَمَ إنِّيْ رَأَيْتُ الجُوْعَ أَبْكَاهُمْ ، فَأحَبْبْتُ أنْ لاَ أنصَرِفَ حَتَّى أرى مِنْهُم مَا رَأيْتُ أ هـ .

وَفي ذَلِكَ يَقُوْلَ حَافِظُ ابْرَاهِيْم :

وَمَـنْ رَآهُ أَمَـامَ القِـدْرِ مُنْصَهِـراً
وَالنَّـارُ تَـأْخُـذُ مِنْـهُ وَهْـوَ يُـذْكِيْهَـا
وَقَـدْ تَـخَلَّلَ فـي أَثْنَـاءِ لِـحْـيَتِـهِ
مِنْهَـا الدُّخَـانُ وَفُوْهُ غَـابَ فِيْ فِيْهَـا
رَآى هُنَـاكَ أمِيْـرَ المُؤْمِـنِيْـنَ عَلَى
حَـالٍ تَـرُوْعُ لَعَمْـرُ اللّهِ رَائِيْـهَـا
يَسْتَقْبِـلُ النَّارَ خَـوْفَ النّارِ في غَـدِهِ
وَالعَيْنُ مِنْ خَشْيَـةٍ سَـالَتْ مَـآقِيْهَـا

وَعَنْ الحَسَنِ البَصْرِيّ قَالَ بَيْنَما عُمَرُ يَعُسُّ بالمدِيْنَةِ لَيْلاً لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ تَحْمِلُ قِرْبَةً ، فَسَألَها فَذَكَرَتْ له أنَّ لَهَا عِيَالاً وَلَيْسَ لَها خَادِمٌ ، وَأَنَّها تَخْرُجُ

لَيْلاً فَتَسْقِيْ لَهُمْ الماءَ ، وَتَكْرَهُ أَنْ تَخْرُجَ نَهاراً ، فَحَمل عُمَرُ عَنْها القِرْبَةَ حَتَّى بَلَغ مَنْزِلِها .

ثُمَّ قَالَ لَهَا أُغْدِيْ إِلَى عُمَرَ غَدْوَةً يُخْدِمُكَ خَادِماً ، قَالَتْ لاَ أَصِلُ إِلَيْهِ ، قَالَ إِنَّكِ سَتَجِدِيْنَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ ، فَغَدَتْ عَلَيْهِ ، فَإِذَا هِيَ بِهِ فَعَرَفَتْ أَنَّهُ الذِي حَمَلَ عَنْهَا القِرْبَةَ ، فَاسْتَحْيَتْ وَذَهَبَتْ فأرسَلَ لَهَا عُمَرُ بِخَادِمٍ وَنَفَقَةٍ .

وَكانَ إِذَا قَدِمَ الرَّسُولُ مِن الثُّغُور بِكُتُبِ الغُزَاةِ إِلى أَهْلِيْهِم هُوَ الذِيْ يَدُوْرُ بِهَا وَيُوْصِلُهَا إِلَى بُيُوتِهِم بِنَفْسِهِ ، وَيَقُوْلُ إِذَا كانَ عِنْدَكُنَّ مَنْ يَقْرَأُ وَإِلا فَاقَرَبْنَ مِن الأَبْوَابِ حَتَّى أَقْرَأَ لكُنَّ ثُمَّ إِذَا خَرجَ الرَّسُولُ دَارَ عَلَيْهِنَّ بالقِرْطَاسِ وَالدَّوَاةِ بِنَفْسِهِ ، فَيَقْرُبْنَ مِن الابْوَابِ فيَكْتُبُ لهُنَّ الى رِجَالِهِنَّ .

ثُمَّ يَأْخُذُ الكُتُبَ فَيَأْمُرُ بِهَا مَعَ الرَّسُولِ ، وَعَنْ أَبِيْ فِرَاسٍ قَالَ خَطَبَنَا عُمَرُ فَقَالَ في خُطْبَتِهِ إِنّي لَمْ أَبْعَثْ عُمَّالِيْ لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَكُم - أي جُلُوْدَكُم - وَلا لِيَأخُذُوْا أَمْوالكُمْ .

فَمَنْ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ فَلْيَرفَعْهُ إِلَيَّ أَقُصُّهُ مِنْهُ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ لَوْ أَنَّ رَجُلاً أَدَّبَ بَعْضَ رَعِيّتِهِ ، أَتُقِصُّهُ مِنْهُ ، قَالَ أيْ وَالذِيْ نَفْسِيْ بِيَده لأُقِصُّهُ مِنْهُ ، وَقدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عليه وسلم أَقَصَّ مِنْ نَفْسِهِ - أيْ مَكَّنَ من القِصَاصِ مِنْهُ - أخْرَجَهُ أبو دَاوُدَ .

وَفي حَدِيْثٍ أَخْرَجَهُ البُخَارِيّ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّيْ أُشْهِدُكَ عَلى أُمَرَاءِ الأَمْصَارِ ، وَإِنِّي إِنّـما بَعَثْتُهُم لِيَعْدِلُوا ، وَلِيُعَلِّمُوا النّاسَ دِيْنَهُم ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِم ، وَيَقْسِموا فِيهِمْ فيأهُم ، وَيَرْفَعُوا إِلَيّ مَا أَشْكَلَ مِنْ أمْرِهِمْ .

وَفي حَديْثٍ أخْرَجَهُ البُخارِيّ وَمُسْلِمٌ أنَّ عُمَرَ لمَّا طُعِنَ قِيْلَ لَهُ لَوْ اسْتَخَلَفْتَ ، فقَالَ أتحمَّلُ أمْرَكُمْ حَيَّاً وَمَيِّتاً ، إنْ اسْتَخْلِفْ فقَدْ اسْتَخْلَفَ مَنْ هَوْ خَيْرٌ مِنّي أبو بَكْرٍ وإنْ أتْرُكَ فقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَدِدْتُ أنْ حَظِّيْ مِنْهَا الكَفافُ ، لا عَليَّ ولا لِيَ ، فقَالُوا جَزاكَ اللهُ خَيْراً ، فَقَال رَاغِبٌ وَراهِبٌ .

اللّهُمَّ رَضِّنا بقَضَائِكَ وَأعِنَّا عَلى الدُّنْيا بالعِفَّةِ وَالزُّهْدِ وَالقَنَاعَةِ وَعَلى الدِّيْنِ بالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَطَهِّرْ ألْسِنَتَنَا مِن الكذبِ وَقُلُوْبَنا مِن النِّفاقِ وَأعْمالَنا مِن الرِّيَاءِ وَاحْفَظْ أبْصارَنا مِن الخِيَانَةِ فانَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعْينِ وَما تُخْفِيْ الصُّدُوْر وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وَعَن ابْنِ عُمَرَ قَالَ تَضَرَّعْتُ إلَى اللهِ أنْ يُرِيَنِيْ أبِيْ في النَّوْمِ ، حَتَّى رَأيْته وَهُوَ يَمْسَحُ العَرَقَ عَنْ جَبِيْنِهِ ، فَسَألتُهُ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ لَوْلاَ رَحْمَةُ اللهِ لَهَلَكَ أبُوكَ إنَّهُ سَألَنِيْ عَنْ عِقَالِ بَعِيْرِ الصَّدَقَةِ ، وَعَنْ حِيَاضِ الابِلِ ، فَكَيْفَ النَّاسُ فَسَمِعَ بذَلِكَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيْزِ فَصَاحَ وَضَربَ بِيَدِهِ عَلى رَأسِهِ ، وَقالَ فُعِلَ هَذَا بِالتَقِيِّ الطَّاهِرِ ، فَكَيْفَ بِالمُتْرَفِ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ .

وَلَمَّا أصَابَ النَّاسَ هَوْلُ المَجَاعَةِ وَالقَحْطِ في عَهْدِ عُمَرَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ لا يَنَامُ اللَّيْلُ الاّ قَلِيْلاَ ، وَلا يَجِدُ الرَّاحَةَ إلاَّ قَلِيْلاً كَانَ كُلُّ هَمِّهِ أنْ يَدْفَعَ خَطَرَ المَجَاعَةِ عَنْ شَعْبِهِ ، وَمَا زَالَ بِهِ الهَمُّ حَتَّى تَغَيّر لَوْنُه وَهَزُلَ ،

وَقالَ مَنْ رَآهُ لَوْ اسْتَمرَّتْ المَجَاعَةُ شُهُوراً أُخْرَى لَمَاتَ عُمَرُ مِن الهَمِّ وَالأَسَى .

وَجَاءَتْهُ يَوْماً قَافِلَةٌ مِنْ مَصْر تَحْمِلُ اللَّحْمَ وَالسَّمْنَ وَالطَّعَامَ وَالكِسَاءَ فَوزَّعَهَا عَلى النّاسِ بِنَفْسِه وَأبى أنْ يَأكُلَ شَيْئاً وَقَالَ لِرَئِيْسِ القَافِلِةِ سَتأكُلُ مَعِي فَي البَيْتِ وَمَنَّى الرَّجُلُ نَفْسَهُ مُمْتَازاً حَيْثُ ظَنَّ أنَّ أمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ يَكُونُ طَعامُهُ خَيْراً مِنْ طَعَامِ النَّاسِ .

وجَاءَ عُمَرُ وَالرَّجُلُ إلى البَيْتِ جَائِعَيْنِ بَعْدَ التَّعبِ ونَادَى عُمَرُ بِالطَّعَامِ فَاذَا هُو خُبْزٌ مُكَسَّرٌ يَابِسٌ مَعَ صَحْنٍ مِن الزَّيْتِ وَانْدَهَشَ الرَّجُلُ وَتَعجَّبَ مِنْ أنْ يَكونَ هَذا طَعَامُ أمِيْرِ المؤْمِنْينَ .

وَقَالَ لِمَاذَا مَنَعْتَنِي مِنْ أَنْ آكُلَ مَعَ النَّاسِ لَحْماً وَسَمْناً وَقَدَّمْتَ هَذا الطَّعَامَ قَالَ عُمَرُ ما أُطعِمُكَ إلا مَا أُطْعِمُ نَفْسِيْ .

قَالَ وَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَأْكُلَ كَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَقَدْ وَزَّعْتَ بِيَدِكَ اللحْمَ وَالطَّعَامَ عَلَيْهِمْ قَالَ عُمَرُ لَقَدْ آلَيْتُ عَلى نَفْسِيْ أنْ لا أذوُقَ السَّمْنَ وَاللَّحْمَ حَتَّى يَشْبَعَ مِنْهُمَا المُسْلِمُونَ جَمِيْعَاً ، أسَمِعْتَ مِثْلَ هَذا الايْثَارِ لِغَيْرِ الأنْبِيَاءِ والخلفَاء الرَّاشِدِيْنَ .

وَمِنْ وَرَعِهِ وَتَقَشُّفِهِ مَا رُوِيَ مِنْ أَنَّ امْرَأتَهُ اشْتَهَتْ الحَلْوى فَادَّخَرَتْ لِذَلِكَ مِنْ نَفَقَةِ بَيْتِهَا حَتَّى جَمَعَتْ مَا يَكْفي لِصُنْعِهَا فَلَمَّا بَلَغَ عُمَرَ ذَلِكَ رَدّ مَا ادّخَرتْهُ إلى بَيْتِ المَالِ وَنَقَصَ مَن النفَقَةِ بِقَدْرِ مَا ادَّخَرتْ وَإلى هَذا أشَارَ الشَّاعِرُ :

إنْ جَـاعَ في شِـدَّةٍ قَـومٌ شَـرَكْتَهُمُ
في الجُوْعِ أَوْ تَنْجَلِيْ عَنْهُم غَوَاشِيْهَا
جُـوْعُ الخَلِيْفَـةِ وَالـدُّنْيا بِقَبْضَتِـهِ
فِيْ الـزُّهْدِ مَنْزِلَـةٌ سُبْحَـانَ مُـوْلِيْهَـا
فَمَنْ يُبَـارِيْ أَبَـا حَفْصٍ وَسِيْـرَتَـهُ
أَوْ مَنْ يُحَـاوِلُ لِلْفَـارُوْقِ تَشْبِيْـهَـا
يَوْمَ اشْتَهَتْ زَوْجُهُ الحَلْوَى فَقَالَ لَهَا
مِنْ أَيْنَ لِيْ ثَمَنُ الحَلْوَى فَـأَشْرِيْهَـا
لاَ تَمْتَـطِيْ شَهَوَاتِ النَّفْسِ جَـامِحَـةً
فَكِسْـرَةُ الخُبْـزِ عَنْ حَلْوَاكِ تُجْـزِيْهَـا
قَـالَتْ لَـكَ اللّهُ إنِّي لَسْتُ أَرْزَؤُهُ
مَـالاً لِحَـاجَـةِ نَفْسٍ كُنْتُ أَبْغِيْهَـا
لَكِنْ أُجَـنِّبُ شَـيْئَـاً مِنْ وَضِـيْفَـتِنَـا
فِيْ كُـلِّ يَوْمٍ عَلَى حَـالٍ أُسَـوِّيْهَـا
حَتَّى إذَا مَـا مَلَكْنَـا مَـا يُكَـافِئُهَـا
شَـرَيْتُـهَـا ثُـمَّ إنِّـيْ لاَ أُثَـنِّيْـها
قَالَ اذْهَبِيْ وَاعْلَمِيْ إنْ كُنْتِ جَاهِلَةً
أَنَّ القَنَـاعَـةَ تُغْنِيْ نَفْسَ كَـاسِيْهَـا
وَأَقْبَلَتَ بَعْـدَ خَمْسٍ وَهْيَ حَـامِلَةٌ
دُرَيْهِمَـاتٍ لِتَقْـضِيْ مِـنْ تَشَـهِّيْـهَـا
فَقَـالَ نَبَّهْتِ مِنِّيْ غَـافِـلاً فَـدَعِيْ
هَـذِي الدَّرَاهِمَ إذْ لاَ حَقَّ لِيْ فِيْهَـا

مَـا زَادَ عَنْ قُوْتِنَـا فَـالمُسْلِمُـوْنَ بِـهِ
أَوْلَى فَقُـوْمِيْ لِبَيْتِ المَـالِ رُدِّيْهَـا

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا أنفذ عمالًا قال لهم اشتروا دوابكم وأَسْلِحَتكُم من أرزاقِكم ولا تَمُدوا أَيْدِيَكم إلى بيتِ مالِ المسلمين ولا تُغْلِقُوا أبوابكم دُونَ أربابِ الحوائجِ.

قال عبدُالرَحمن بنُ عوف دَعَانِي عُمَرُ بنُ الخطابِ ذَاتَ لَيلةٍ وقال قد نَزَلَ ببابِ المدينة قَافِلَةٌ وأخافُ عليهم إذا نَامُوا أن يُسرَقَ شيءٌ مِن مَتَاعِهِم فَمَضَيْتُ مَعَهُ فلما وَصَلْنَا قال لي نَمْ أَنْتَ ثم جَعَلَ يَحرسُ القافلةَ طُولَ لَيلتِهِ.

وقال عُمَرُ رضي اللَّهُ عنه يَجبُ عَليَّ أن أسَافِرَ لأقْضِي حَوائجَ الناسِ في أقطارِ الأَرْضِ لأن بها ضُعَفَاءَ لا يَقْدِرُونَ على قَصْدِي في حَوَائِجِهم لِبُعْدِ المكانِ فَيَنْبَغِيْ أن أُطُوفَ البلادَ لأُشَاهِدَ أَحوالَ العُمَّالِ واسْبُرَ سِيرَتَهُم وأَقْضِي حَوائجَ المسلمين ، فلا يكون في سِنِي عُمَرَ أبركُ من هذه السَّنَةِ .

وكَتَبَ عُمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه إلى عَامله أبي مُوسَى الأَشعري «أما بَعدُ فان أسْعَدَ الوُلَاةِ مَن سَعِدَتْ به رَعِيَّتُهُ وان أشْقَى الوُلَاةِ مَن شَقِيَتْ بِهِ رَعِيَّته فاياكَ والتَّبَسطُ فان عُمَّالَكَ يَقْتَدُونَ بِكَ وانما مثلكَ كَمثلِ دَابَةٍ رَأتْ مَرْعىً مُخْضراً فأكَلتَ كثيراً حتى سمنت لأنَّها بذلِكَ السمنِ تُذْبَحُ وتُؤْكَلُ وفي التَّورَاةِ كُلُ ظُلْمٍ عَلِمَهُ السُلطانُ مِن عُمَّالِهِ فَسَكَتَ عنه كان ذلكَ الظُلْمُ مَنْسُوباً إليهِ وأخذ بِهِ وعُوقِبَ عَلِيْهِ.

ويَنْبَغِي للوَالي أن يَعْلَمَ أنه لَيْسَ أَحدٌ أشَدُّ غبناً مِمَّن بَاعَ دِيْنَهُ وآخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ وأكْثَرُ الناسِ في خِدْمَةِ شَهوَتهم فإنهم يَسْتَنْبطون الحِيَلَ لِيَصِلُوا إلى مُرادِهِم مِن الشهواتِ وكذلكَ العُمَّالُ لأجْلِ نَصيبِهِم مِن الدُنْيا يَغُرونَ الوَالِيَ ويُحَسِّنُونَ الظُلْمَ عِندَهُ فَيُلْقُونَهُ في النَارِ لِيَصِلُوا إلى أغْراضِهِم وأَيُ عَدُوٍ أشَدُ عَدَاوَةً مِمَّنْ يَسْعَى في هَلَاكِكَ وهَلَاكِ نَفْسِهِ لأَجْلِ دِرْهَمٍ يَكْتَسِبُهُ ويُحَصِّلُهُ. وفي الجملةِ يَنْبَغي لِمَنْ أرادَ حِفْظَ العَدْلَ على الرَّعِيَةِ ان يُرَتِبَ غِلْمَانَهُ وعُمَّالَهُ

للعَدْلِ ويَحْفَظَ أَحْوَالَ العُمالِ ويَنْظُرَ فيها كَمَا يَنْظُرُ في أحْوَالِ أهْلِهِ وَأوْلَادِهِ ومَنْزِلِهِ ولا يَتِمُّ لَهُ ذلكَ إلَّا بِحِفْظَ العدل أولا مِن باطِنِهِ وذَلكَ أنْ لَا يُسَلِطَ شَهْوَتِهِ وغَضَبَهُ على عَقْلِهِ ودِينِهِ ولا يَجعلَ عَقلَهُ ودِينَهُ أسْرَى شَهْوَتِهِ وغَضَبِهِ بل يَجعلُ شَهْوَتَهُ وغَضَبَهُ أسْرَى عَقْلِهِ ودِينِهِ.

وَكَانَ يَقُولُ إنِّي أُنْزِلْتُ مَالَ اللهِ مِنِّيْ بِمَنْزِلَةِ مَالِ اليَتِيْمِ، فَإنِ اسْتَغْنَيْتُ عَنْهُ عَففْتُ عَنْهُ وَإن افْتَقَرْتُ أكَلْتُ بِالمَعْرُوْفِ .

وَسُئِلَ يَوْماً عَمَا يَحِلُّ لَهْ مِنْ مَالِ اللهِ فَقَالَ أنَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا أسْتَحِلُّ مِنْهُ يَحِلُّ لِيْ حُلَّتَانِ حُلَّةٌ فِي الشِّتَاءِ وَحُلَّةٌ في الصَّيْفِ وَمَا أحجُّ عَلَيْهِ وَأعْتمِرُ مِن الظَّهْرِ وَقُوْتِيْ وَقُوْتُ أهْلِيْ كَقُوتِ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ لَيْسَ بِأغنَاهُمْ وَلَا بِأفْقَرِهِمْ ثُمَّ أنَا رَجُلٌ مِن المُسْلِمِيْنَ يُصِيْبُنِيْ مَا أصَابَهُمْ رَضِيَ اللهُ وَأرْضَاهُ وَجَعَلَ جَنَّةَ الفِردَوْسِ مَثْوَاه .

وَرُوِيَ أنَّ مُعَاوِيَةَ ـ وَهُوَ عَلَى الشَّامِ بَعَثَ مَرَّةً إلى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ بِمَالٍ وَأدْهَمٍ ـ أيْ قَيْدٌ ـ وَكَتَبَ إلى أبِيْهِ أبَا سُفْيَانَ أنْ يَدْفَعَ ذَلِكَ إلى عُمَر فَخَرَجَ رَسُولُ مُعَاوِيَةَ بالمَالِ وَالأدْهَمِ حَتَّى قَدِمَ عَلَى أبِيْ سُفْيَانَ بِالمَالِ وَالأدْهَمِ ، فذَهَبَ أبُوْ سُفْيَانَ بِالأدْهَمِ وَالكِتَابِ إلى عُمَرَ وَاحْتَبَسَ المالَ لِنَفْسِهِ فَلَمَّا قَرَأ عُمَرُ الكِتَابَ قَالَ فَأيْنَ المالُ يَا أبَا سُفْيَانَ قَالَ كَانَ عَلَيْنَا دَيْنٌ وَمَعُوْنَةٌ وَلَنَا في بَيْتِ المالِ حَقٌ فَإذَا أخْرَجْتَ لَنَا شَيْئاً قَاضَيْتَنَا بِهِ فَقَالَ اطْرَحُوْهُ في الأدْهَمِ أيْ فِيْ القَيْدِ حَتَّى يَأْتِيَ المالُ .

فَأرْسَلَ أبُو سُفْيَانَ مَنْ أتَاهُ بالمَالِ فَأمَرَ عُمَرُ بإطْلَاقِهِ مِن القَيْدِ فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ مُعاوِيَة عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهُ أرَأيْتَ أمِيْرَ المؤمِنِيْنَ أعْجِبَ بِالأدْهَمِ قَالَ نَعَمْ وَطَرحَ فِيْهِ أبَاكَ قَالَ وَلِمَ قَالَ إنَّهُ جَاءَ بالأدْهَمِ وَحَبَسَ المَالَ قَالَ مُعَاوِيَةُ أيْ وَاللهِ وَالخَطَّابُ لَوْ كَانَ لَطَرَحَهُ فِيْهِ يُرِيْدُ لَوْ أنَّ الخَطَّابَ أبَا عُمَرَ مَكَانَ أبِيْ

سُفْيَانَ في القِصَّةِ حَتَّى يَأْتِيَ المَالُ فَرَضِيَ اللهُ عَنْ عُمَرَ وَأَرْضَاهُ مَا أَنْصَفَهُ وَأعْدَلَهُ وَأوْرَعَهُ .

وفي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

وَمَا أَقَلْتَ أبَا سُفْيَانَ حِيْنَ طَوَى
عَنْكَ الهَدِيَّةَ مُعْتَزّاً بِمُهْدِيْهَا
لَمْ يُغْنِ عَنْهُ وَقَدْ حَاسَبْتَهُ حَسَبٌ
وَلاَ مُعَاوِيَةٌ بِالشَّامِ يَجْبِيْهَا
قَيَّدْتَ مِنْهُ جَلِيْلاً شَابَ مَفْرِقُهُ
فِي عِزَّةٍ لَيْسَ مِنْ عِزٍّ يُدَانِيْهَا
قَدْ نَوَّهُوْا في اسْمِهِ فَي جَاهِلِيَّتِهِ
وَزَادَهُ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ تَنْوِيْهَا
في فَتْحِ مَكَّةَ كَانَتْ دَارُهُ حَرَماً
قَدْ أَمَّنَ اللهُ بَعْدَ البَيْتِ غَاشِيْهَا
وَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَشْفَعْ لَدَى عُمَرٍ
في هَفْوَةٍ لأَبِيْ سُفْيَانَ يَأْتِيْهَا
تَا للّهِ لَوْ فَعَلَ الخَطَّابُ فِعْلَتَهُ
لَمَا تَرَخَّصَ فَيْهَا أَوْ يُجَارِيْهَا
فَلاَ الحَسَابَةُ فِي حَقٍّ يُجَامِلُهَا
وَلاَ القَرَابَةُ في بُطْلٍ يُحَابِيْهَا

ويُرْوَى أَنَّ جَبَلَةَ بْنَ الأَيْهَم أَحَدُ أَبْنَاءِ الغَسَاسِنَةِ مُلُوْكِ الشَّامِ قد اعْتَنَقَ

الاسْلاَمَ وَبَيْنَما هُو ذَاتَ يَوم يَطُوْفُ إذْ وَطِيءَ أَعْرَابِيٌّ ثَوْبَهُ فَلَطَمَهُ جَبلَةُ لَطْمَةً هَشَمَتْ أَنْفَهُ فَشَكَاهُ الأعْرَابِيُّ إلى عُمَرَ فَأَمَرَ أَنْ يُقْتَصَّ مِنْ جَبَلَةَ فَأَبى جَبَلَةُ أنْ يُمكِّنَهُ مِنْ القِصَاصِ وَهَرَبَ وَالتَجأَ إلى القُسْطَنْطِيْنِيَّةِ وَتَنَصَّرَ .

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

كَمْ خِفْتَ فِي اللهِ مَضْعُوفاً دَعَاكَ بِهِ
وَكَمْ أَخَفْتَ قَوِيّاً يَنْثَنِيْ تِيْهَا
وَفِي حَدِيْثِ فَتى غَسَّانَ مَوْعِظَةٌ
لِكُلِّ ذِيْ نَعْرَةٍ يَأْبىَ تَنَاسِيْهَا
فَمَا القَوِيُّ قَوِيّاً رَغْمَ عِزَّتِهِ
عِنْدَ الخُصُومَةِ وَالفَارُوْقُ قَاضِيْهَا
وَمَا الضَّعِيْفُ ضَعِيْفاً بَعْدَ حُجَّتِهِ
وَإنْ تخَاصَمَ وَالِيْهَا وَرَاعِيْهَا

وَيُرْوَى أَنَّ عُمَرَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ كَتَبَ إلى عمْروبْنِ العَاصِ إنَّهُ قَدْ فَشَتْ لَكَ فَاشِيَةٌ مِنْ مَتَاعٍ وَرَقِيْقٍ وَآنِيَةٍ وَحيَوَانٍ لَمْ تَكُنْ حِيْنَ وَلِيْتَ مِصْرَ فَكَتَبَ إلَيْهِ عَمْرٌو إنَّ أَرْضَنَا أَرْضُ مُزْدَرعٍ وَمُتَّجَرِ فَنَحْنُ نُصِيْبُ فَضْلاً عَمَّا نَحْتَاجُ إلَيْهِ لَنَفَقَتِنا فَكَتَبَ إلَيْهِ إنِّيْ خَبرْتُ مِنْ عُمَّالِ السُّوْءِ مَا كَفَى وَكِتَابُكَ إلَيَّ كِتَابُ مَنْ أَقْلَقَهُ الأَخْذُ بالحَقِّ وَقَدْ سُؤْتَ بِكَ ظَنّاً وَقَدْ وَجَّهْتُ إلَيْكَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ لِيُقَاسِمَكَ مَالَكَ فَأَطْلِعْهُ وَأَخْرِجْ إليهِ مَا يُطَالِبُكَ وَأعْفِهِ مِن الغِلْظَةِ عَلَيْكَ ، فَلَمْ يَسَعْ عَمْرُو ابْنُ العَاصِ عَلَى دَهَائِهِ وَعُلُوِّ مَكَانِهِ وَبُعْدِهِ عَنْ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ إلاّ الخُضُوْعَ لِمَا أَمَرَ بِهِ وَمُقَاسَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ مَالَهُ وإلى هذِهِ القِصَّةِ يُشِيْرُ الشَّاعِرُ .

شَـاطَـرْتَ دَاهِيَـةَ السُّـوَّاسِ ثَـرْوَتَـهُ
وَلَمْ تَخَفْـهُ بِمِصْـرَ وَهْـوَ وَالِيْـهَـا
وَأَنْتَ تَعْـرِفُ عَمْرَاً فِي حَـوَاضِـرِهَـا
وَلَسْتَ تَجْهَـلُ عَمْـرَاً فِي بَـوَادِيْهَـا
فَلَمْ يَـرُغْ حِيْلَةً فِيْمَـا أَمَـرْتَ بِـهِ
وَقَـامَ عَمْرُوٌ إِلى الأَجْمَـالِ يُـزْجِيْهَـا
وَلَمْ تُقِـلْ عَـامِـلاً مِنْهَـا وَإِنْ كَثُـرَتْ
أَمْـوَالُـهُ وَفَشَـا فِي الأَرْضِ فَـاشِيْهَـا

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ صُدُوْرَنَا وَاسْتُرْ عُيُوْبَنَا وَأَمِّنْ خَوْفَنَا وَاخْتِمْ بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَنَا وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ وَحِزْبِكَ المُفْلِحِيْنَ الذِيْنَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُوْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وَمِنْ وَرَعِهِ رَضِيَ اللهُ عنهُ مَا يَتَجَلَّى فِيْمَا يَلي مِمَّا رُوِيَ عَنْهُ : كَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِمَّنْ يَأْخُذُوْنَ بِالشُّوْرَى فِي أُمُوْرِهِمْ عَمَلاً بِقَوْلِ اللّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ﴿وَشَاوِرْهُم فِي الأَمْرِ﴾ وَكَانَ يَقُولُ لا خَيْرَ فِي أَمْرٍ أُبْرِمَ مِنْ غَيْرِ شُوْرَى .

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَرَّرَ قَاعِدَةَ الشُّورَى فِي انْتِخَابِ الخَلِيْفَةِ فَقَدْ سُئِلَ عِنْدَمَا طُعِنَ عَمَّنْ يُوْصِي بَعدَهُ فَقَالَ لِلْمَقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ إِذَا وَضَعْتُمُونِي فِي حُفْرَتِي فَأَدْخِلْ عَلِيَّاً وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَسَعْدَاً وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَطَلْحَةَ إِنْ قَدِمَ

وَأَحْضِرْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ وَلاَ شَيْءَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ وَقُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ فإنْ اجْتَمَعَ خَمْسَةٌ وَرَضُوا رَجُلاً وَأَبَى وَاحِدٌ فَاضْرِبْ رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ وَإِنْ اتَّفَقَ أَرْبَعَةٌ وَرَضُوا رَجُلاً مِنْهُمْ وَأَبَى اثْنَانِ فَاضْرِبْ رَأْسَيْهِمَا فإنْ رَضِيَ ثَلاثَةٌ رَجُلاً وَثَلاثَةٌ رَجُلاً مِنْهُم فَحَكِّمُوا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ فَأَيُّ الفَرِيْقَيْنِ حَكَمَ لَهُ فَلْيَخْتَارُوا رَجُلاً مِنْهُمْ .

فَإِنْ لَمْ يَرْضَوْا بِحُكْمِ عَبْدِ اللهِ فَكُونُوا مَعَ الذِيْنَ فِيْهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَاقْتُلُوا البَاقِيْنَ إِنْ رَغِبُوا عَمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَلَمْ يَذْكُر فِي الشُّوْرَى سَعِيْدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ لأَنَّهُ ابْنُ عَمِّهِ فَخَشِيَ أَنْ يُرَاعَى فَيُوَلَّى لِكَوْنِهِ ابْنَ عَمِّهِ فَلِذَلِكَ تَرَكَهُ وَهُوَ أَحَدُ العَشْرَةِ المُبَشَّرِيْنَ فِي الجَنَّةِ بَلْ قِيْلَ إِنَّهُ اسْتَثْنَاهُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَالى هَذِهِ القِصَّةِ يُشِيْرُ الشَّاعِرُ فِي قَوْلِهِ :

يَا رَافِعاً رَايَةَ الشُّوْرَى وَحَارِسَهَا
جَزَاكَ رَبُّكَ خَيْراً عَنْ مُحِبِّيْهَا
لَمْ يُلْهِكَ النَّزْعُ عَنْ تَأْيِيْدِ دَوْلَتِهَا
وَلِلْمَنِيَّةِ آلامٌ تُعَانِيْهَا
لَمْ أَنْسَ أَمْرَكَ لِلْمِقْدَادِ يَحْمِلُهُ
إلى الجَمَاعَةِ إِنْذَاراً وَتَنْبِيْهَا
إِنْ ظَلَّ بَعْدَ ثَلاثٍ رَأْيُهَا شُعَبَاً
فَجَرِّدِ السَّيْفَ وَاضْرِبْ فِي هَوَادِيْهَا
فَاعْجَبْ لِقُوَّةِ نَفْسٍ لَيْسَ يَصْرِفُهَا
طَعْمُ المَنِيَّةِ مُرّاً عَنْ مَرَامِيْهَا
دَرَى عَمِيْدُ بَنِي الشُّورَى بِمَوْضِعِهَا
فَعَاشَ مَا عَاشَ يَبْنِيْهَا وَيُعْلِيْهَا

وَمَـا اسْتَبَـدَّ بِـرَأْيٍ فِي حُكُـوْمَتِـهِ
إنَّ الحُكُـوْمَـةَ تغْـرِيْ مُسْتَبِـدِّيْهَـا
رَأْيُ الجَمَـاعَةِ لاَ تَشْقَى البِلاَدُ بِـهِ
رَغْمَ الخِـلاَفِ وَرَأْيُ الفَـرْدِ يُشْقِيْهَـا

وَمِنْ لُطْفِهِ وَرَأْفَتِهِ بِرَعِيَّتِهِ وَحِرْصِهِ عَلَى العَدْلِ فِيْهِم مَا يَتَجلَّى فِي وَصِيَّتِهِ لأبِي مُوْسَى الأشْعَرِيِّ وَقَدْ كَتَبَ لَهُ كِتَاباً قَالَ فِيْهِ فَإذَا جَاءَ كِتَابِي هَذَا فَأْذَنْ لأهْلِ الشَّرَفِ وَأَهْلِ القُرْآنِ وَالتَّقْوَى وَالدِّيْنِ فَإذَا أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ فَأْذَنْ لِلعَامَّةِ وَلاَ تُؤَخِّرْ عَمَلَ اليَوْمِ لِغَدٍ فَتَزْدَحِمُ عَلَيْكَ الأعْمَالُ فَتَضِيْعُ .

وَإيَّاكَ وَاتِّبَاعَ الهَوَى فَإنّ لِلنَّاسِ أَهْوَاءً مُتَّبَعَةً وَدُنْيَا مُؤثَرَةً وَضَغَائِنَ مَحْمُوْلَةً وَحَاسِبْ نَفْسَكَ فِي الرَّخَاءِ قَبْلَ حِسَابِ الشِّدَّةِ فَإنَّ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الرَّخَاءِ قَبْلَ حِسَابِ الشِّدَّةِ كَانَ مَرْجِعُهُ إلى الرِّضَا وَالغِبْطَةِ .

وَمَنْ أَلْهَتْـهُ حَيَاتُهُ وَشَغَلَتْهُ أَهْوَاؤُهُ عَادَ أَمْرُهُ إلى النَّدَامَةِ وَالحَسْرَةِ، آس بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَعَدْلِكَ وَمَجْلِسِكَ حَتَّى لا يَطْمَعَ شَرِيْفٌ فِي حَيْفِكَ وَلاَ يَيْأَسَ ضَعِيْفٌ مِنْ عَدْلِكَ .

وَلاَ يَمْنَعُكَ قَضَاءٌ قَضَيْتَهُ اليَوْمَ فَرَاجَعْتَ فِيْهِ نَفْسَكَ وَهُدِيْتَ فِيْهِ لِرُشْدِكَ أنْ تَرْجِعَ إلى الحَقِّ فَإنَّ الحَقَّ قَدِيْمٌ وَمُرَاجَعَةُ الحَقِّ خَيْرٌ مِن التَّمَادِي فِي الباطل وَالفَهْمَ الفَهْمَ فِيْمَا تلجلَجَ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ وَلاَ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ اعْرِفْ الأشْبَاهَ وَالأمْثَالَ فقِسَ الأمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ بِنَظَائِرِهَا .

وَاعْمَدْ إلى أَقْرَبِهَا إلى اللهِ وَأَشْبَهِهَا بِالحَقِّ وَاجْعَلْ لِمَنْ ادَّعَى حَقّاً غَائِبَاً

أَمَدَاً يَنْتَهِي إلَيْهِ فَإِنْ أَحْضَرَ بَيِّنَتَهُ أخذْتَ لَهُ بِحَقِّهِ وَإلاّ اسْتَحَلّت عَلَيْهِ القَضِيّةُ فَإِنّ ذلكَ أَنْفَى لِلشَّكِ وَأَجْلَى لِلْمَعْنَى وَأَبْلَغُ في العُذْرِ ، وَالمُسْلِمُوْنَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ إلا مَجْلوداً في حَدّ أو مُجَرّباً عَلَيْهِ شَهَادَةُ زُوْرٍ أَوْ مُتَّهماً في وَلَاءٍ أَوْ نَسَبٍ فَإِنّ اللهَ قَدْ تَوَلَّى مِنْكُمْ السَّرَائِرَ . وَادْرَأْ بالبَيِّنَاتِ وَالأَيْمَانِ وَإِيَّاكَ وَالغَلَقَ وَالضَّجَرَ وَالتَّأَذّيْ بِالخُصُومِ وَالتَّنَكُّرِ عِنْدَ الخُصُوْمَاتِ

فَإِنَّ الحَقَّ في مَوَاطِنِ الحَقِّ يُعْظِمُ اللهُ بِهِ الأَجْرَ وَيُحْسِنُ بِهِ الذُّخْرَ فَمَنْ صَحَّتْ نِيَّتُهُ وَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ كَفَاهُ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .

وَمَنْ تَخَلَّقَ لِلنَّاسِ بِمَا يَعْلَمُ اللهُ انَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسِهِ شَانَهُ اللهُ فَما ظَنُّكَ بِثَوَابِ عِنْدَ اللهِ عزَّ وَجَلَّ وَخَزَائِنَ رَحْمَتِهِ وَالسَّلَامُ .

وصلى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين .

مقتل عمر رضي الله عنه

لم يُصَبِ المُسلمونَ في العَصْرِ الأول بمصيبةٍ بعدَ وَفَاةِ رَسول الله ﷺ وَوَفَاةِ الصِّدِيقِ أَعظَمَ مِن قَتْلِ أميرِ المؤمنينَ عُمرَ بنُ الخطاب رضي الله عنه .

جَنَى عليه غلامٌ مَجُوسيٌ اسْمُهُ أَبُو لُؤلُؤة كانَ لِلْمُغيرةِ بن شُعْبَةَ وَهَا نحنُ نَسُوقُ لَكَ ما رواه البخاري في صحيحه عن عَمْرِو بنِ مَيْمُون في هذا المصاب الجلَلِ .

قَال عَمْرو إني لواقفٌ ما بَيْني وبينَه (عمر) إلا عبدُالله بنُ عباسٍ غداةَ أُصِيْب .

وكان إذا مَرَّ بينَ الصَّفَينِ قال اسْتَوُوْا حَتى إذا لم يَرَ فِيهنَّ خَللاً تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ .

ورُبما قرأ سُورة يُوسف أو النحلِ أو نحو ذلك في الركعةِ الأُولى حتى يَجْتَمِعَ الناس .

فما هو الا أَنْ كَبَّرَ فَسَمِعْتُه يقول قَتَلَنِي أَوْ أَكَلَنِي الكلب حين طَعَنَهُ أَبُو لُؤلُؤة فسارَ العِلْجُ بِسكين ذا طرَفين لا يَمُرُّ على أحَد يميناً وشمالاً إلَّا طَعَنه حتى طَعَنَ ثلاثةَ عَشرَ رَجُلا فمات منهم سَبعة .

فلما رأى ذلك رَجُلٌ مِن المسلمين طَرَحَ عليه بُرْنُسًا فَلَمَّا ظَنَّ العِلْجُ أنه مأْخُوذٌ نَحرَ نَفْسَهُ .

وَتَنَاوَلَ (عُمَرُ) يَدَ عبدِالرحمن بن عَوفٍ فَقَدَّمَهُ فَمَنْ يَلي عُمَرَ فَقَدْ رَأَى الذي أَرَى وأَمَّا نَواحِي المسجد فانهم لَا يَدْرُوْنَ غيرَ أنهم فقدُوا صوتَ عُمر وهم يقولون سبحانَ الله سبحانَ الله فَصَلَّى بهم عبدُالرحمن بنُ عوف صلاةً خَفِيفة .

فلما انْصرفُوا قال يا ابنَ عباس انْظُر مَن قَتَلَنِي فجَالَ سَاعَة ثم جَاءَ فقال غُلَامُ المُغِيرة قال الصَّنْع قال نَعَمْ فقال قَاتَلَه اللَّهُ لقد أمرتُ به مَعْرُوْفاً الحمدُ لله الذي لم يَجعلْ مِيْتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الأَسلام فاحْتُمِلَ إلى بيته .

فانطلقنا معه وكأن الناس لم تُصِبْهم مُصِيْبَةٌ قبْلَ يومئذٍ فَقَائِلٌ يقولُ لا بأسَ عليه وقائلٌ يقولُ أخَافُ عليه فأتي بنَبيذٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِن جَوفِهِ ثم أُتِى بِلبَنٍ فَخَرَجَ مِن جَوفه فَعَلِمُوا أنه مَيّتٌ فَدَخَلْنَا عليه وجَاءَ الناسُ يُثْنُونَ عليه .

وجاءَ رجلٌ شابٌ فقال أَبْشِرَ يا أَميرَ المؤمنين ببُشْرَى اللَّه لكَ مِن صُحْبَةِ رسول الله ﷺ وقِدَم في الإِسلام ما قد عَلِمْتَ ثم وُلِيْتَ فَعَدَلْتَ ثم شهادة .

قال وددْتُ أَنَّ ذلك كَفَاف لا عَلَيَّ ولا لي فلما أَدْبَرَ إذا إِزَارُهُ يَمَسُّ الأَرضَ قال رُدُّوْا الغُلامَ قال يا ابنَ أَخِيْ ارْفَعْ ثَوبَكَ فانه أَبْقَى لِثوبكَ وأَتْقَى لِرَبكَ .

يا عبدَالله بنَ عُمر أنْظُرْ ما عَليَّ مِن الدَّيْن فَحَسَبُوهُ فَوَجُدُوْهُ سِتةً وثَمانِيْنَ ألفاً أَوْ نحوه قال إن وَفَى بذلكَ مَالُ آلِ عُمر فأدِّه مِن أموالِهم والا فَسَلْ في بني عَدى ابن كَعْبٍ فإنْ لم تَفِ أموالُهم فَسَلْ في قُرَيش ولا تُعْدُهُم إلى غيرِهم فأَدِّعَنِّي هَذا المالَ .

انْطَلِقْ إلى عَائِشَةَ أُم المؤمنين فَقُلْ يَقْرَأُ عليك عُمَرُ السلامُ ولا تَقُلْ أَمِيْرَ المؤمنـين فإني لَسْتُ اليومَ لِلمؤمنين أميراً وقُلْ يَسْتأذِنُ عُمر ابنُ الخطابِ أنْ يُدفنَ مَعَ صَاحِبَيه .

فَسَلَّمْ واسْتأْذَنَ ثم دَخَل عَليها فوجَدَها قاعدة تَبكي فقال يقرأُ عُمُرُ بنُ الخطاب عَلَيْك السلامَ ويَسْتأذِنُ أنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ .

فَقَالَتْ كُنْتُ أُرِيْدُهُ لِنَفسِي وَلا أُوْثِرنَّهُ به اليومَ على نَفْسِي فَلَمَّا أَقْبلَ قِيلَ هذا عبدُالله بنُ عُمَر قد جَاءَ فقال ارْفَعُوني فأسْنَدَهُ رَجُلٌ إليه فقال ما لَدَيْكَ .

قال الذي يُحبُّ يا أميرَ المؤمنينَ أَذِنَتْ قال الحمدُ لله مَا كَانَ شيءٌ أَهَمَّ إليَّ مِن ذَلكَ فإذا قَضَيْتُ فاحْمِلُوني ثم سَلِّمْ فَقُلْ يَسْتأذِنُ عُمُرُ ابنُ الخطاب فإنْ أذِنَتْ فادْخِلُوني وإِنْ رَدَّتْني رُدُّوني إلى مَقَابِرِ المسلمين .

وجاءَتْ أُمُّ المؤمنينَ حَفْصَةُ (بنتُ عُمَر) والنساء تَسِيْرُ مَعَهَا فَلَمَّا رأَينَاهَا قُمْنَا فَوَلَجتْ عليه دَاخِلاً لَهم فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا مِن الداخل .

فقالُوا أَوْص يَا أَميرَ المؤمنين اسْتَخْلِفْ فقال كما في رِواية مُسْلِم أَتَحَمَّلُ أَمَركم حَياً ومَيتاً لَوِدَدْتُ أَني احْظَى منها الكَفافَ لا عَليَّ ولا لي .

وأن اسْتَخْلِفْ فقد اَسْتَخْلفَ مَن هو خيرٌ منى يَعني أباَ بكر .
وان إتركُكُم فقد تَركَكُم مَن هُو خَيرٌ مِني يَعني رسولَ الله ﷺ .

قال عبدُالله بنُ عُمر فعَرَفتُ أنه حِينَ ذَكَر رَسُولَ الله ﷺ غيرُ مُسْتَخْلِف ثم قَالَ عُمَر ما أَجِدُ أَحَقَّ بهذا الأمرِ مِن هؤلاَءِ النفرِ أو الرهطِ الذين تُوفي رسولُ الله ﷺ وهو عَنهم راضٍ .

فَسَمَّى علياً وعثمانَ والزُبيرَ وسَعْدًا وطَلْحَةَ وَعَبْدَالرحمن بنَ عَوف وقال يَشْهَدُكم عَبدُالله بنُ عُمر ولَيسَ له مِن الأمر شيءٌ كَهيئَةِ التعزية لَهُ .

شعـــــرا :

فِي كُلِ عَصْرٍ لِلْجُنَاةِ جَـــرِيْرَةٌ ... لَيْسَتْ على مَرّ الزمـــانِ تَزُوْلُ
جَارُوا على الفاروق أعدل من قضى ... بَعْدَ النبي وزَكَىَّ رَأْيَهُ التنـــزيلُ
وَعَلى عَلِي وهْوَ أطْهَرُنا فمـــاً ... وَيَداً وسَيْفُ نَبيِّنَـــا المَسْلُولُ
كَمْ دَوْلَةٍ شَهِدَ الصَّبَاحُ جَلاَلهَـــا ... وأتى عَليهَا الليَّلُ وهْيَ فَلُـــولُ
وَقُصُوْرُ قومٍ زَاهِرَاتٍ في الدجَى ... طَلَعَتْ عَليهَا الشَمْسُ وَهْيَ طُلُوْلُ

شعـــــرا :

ولكِنَّنَا والحمـــدُ لِلَّهِ لَمْ نَزَلْ ... عَلَى قَولِ أصحابِ الرّسولِ نُعَوِّلُ
نُقِرُّ بأَنَّ اللهَ فَوْقَ عِبَـــادِهِ ... عَلَى عَرْشِهِ لَكِنَّمَـا الكَيْفُ يُجْهَلُ
وكُلِ مَكَانٍ فَهْـوَ فِيْـهِ بِعِلْمِهِ ... شَهِيْـدٌ عَلَى كُلِّ الوَرَى لَيس يَغْفُلُ
ومَا أثبتَ البَـارِي تَعَـالى لِنَفْسِهِ ... مِن الوَصْفِ أوْ أَبْدَاهُ مَن هُوَ مُرْسَلُ
فَنُـثْبِـتُهُ لِلَّهِ جَـلَّ جَـلاَلُهُ ... كَمَـا جَاءَ لا نَنْفِيْ ولا نَتَـأَوَّلُ
هُوَ الواحِـدُ الحيُّ القَدِيْرُ لَهُ البَقَا ... مَلِيْكٌ يُوَلِّي مَن يَشَـاءُ ويَعْـزِلُ
سَميــعٌ بَصِــيْرٌ قَـادِرٌ مُتَكَلِّمٌ ... عَلِيْـمٌ مُرِيْــدٌ آخِــرٌ هو أَوّلُ
تَنَــزَّهَ عَـنْ نِـدٍّ وَوَلْـدٍ وَوَالِـدٍ ... وَصَــاحِبَـةٍ فَاللهُ أَعْـلَى وأَكْمَـلُ
ولَيْسَ كَمِثْـلِ اللهِ شَيْءٌ ومَا لَهُ ... شَبِيْـهٌ ولا نِـدٌّ بِـرَبِّكَ يَعْـدِلُ
وإنّ كِتَـابَ اللهِ مِن كَلِمَـاتِهِ ... ومِن وَصْفِـهِ الأَعْـلَى حَكِيْمٌ مُنَزَّلُ
هو الذِكْرُ مَتْلـوٌ بأَلْسِنَـةِ الـوَرَى ... وفي الصَّدْرِ مَحْفُوْظٌ وفي الصُّحْفِ مُسْجَلُ
فألفَـاظُهُ لَيسَتْ بمَخْـلوقَةٍ ولا ... مَعَانِيْهِ فاتْرُكْ قَوْلَ مَن هُوَ مُبْطِلُ
وقد أُسْمَعَ الرحمـنُ مُوسَى كَلاَمَهُ ... على طُور سِيْنَا والإلهُ يُفَضِّـــلُ

وللطُـور مَوْلانَا تَجـلَّى بُنُوْرِهِ ... فَصَـارَ لِخَـوفِ اللهِ دَكاً يُزَلْزَلُ
وإنَّ عَلَيْنَـا حَافِظِـيْنَ مَـلَائِكـاً ... كِرَامـاً بسُـكَّانِ البَسِيْطَةِ وكِّلُوا
فَيُحْصُـونَ أَقْـوالَ ابن آدَمَ كُلَّهَـا ... وأَفْعَـالَهُ طُـراً فلا شَيءَ يُهْمَـلُ
ولا حَيَّ غَـيْرُ اللهِ يَبْقَى وكُل مَنْ ... سِـواهُ لَهُ حَوضُ المنيـةِ مَنْهَـلُ
وإنَّ نُفُوسَ العَـالمَينَ بقَبْضِهَـا ... رَسـولٌ مِن اللهِ العظيمِ مُوَكَّلُ
ولا نَفْسَ تَفْنَى قَبْلَ إكْمَالِ رِزْقِهَا ... ولَكِنْ إذَا تَمَّ الكِتَـابُ المُؤَجَّلُ
وسِيَّـانِ مِنْهُمْ مَن وَدي حَتْفَ أَنْفِه ... ومَن بالظُبَا والسَّمْهَـرِيَّةِ يُقْتَـلُ
وإنَّ سُـؤَالَ الفَاتِنَيْنَ مُحَقَّـقٌ ... لِكُلِ صَرِيْعٍ في الثَّرى حِيْنَ يُجْعَلُ
يَقُولان : ماذا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ ماالَّذِيْ ... تَدِيْنُ؟ ومَن هذا الذي هُوَ مُرْسَلُ؟
فيـارَبَّ ثَبِّتْنَـا عَلَى الحق واهْـدِنَا ... إليْهِ وانْطِقْنَا بِـهِ حِيْنَ نُسْـأَلُ
وإنَّ عَـذَابُ القَبْرِ حَقٌ ورُوْحُ مَن ... وَدَى في نَعِيْمٍ أَوْ عَذابٍ سَتجْعَـلُ
فأَرْوَاحُ أصحـابِ السعادةِ نُعِّمَتْ ... برَوْحٍ ورَيْحَـانٍ ومَا هُوَ أَفْضَـلُ
وتَسْـرَحُ في الجَنَّاتِ تَجْنِي ثِمَارَهَا ... وتَشْرَبُ مِن تِلْكَ المِيَـاهِ وتَأْكُلُ
ولَكِنْ شَهِيْـدُ الحَـرْبِ حَيٌّ مُنَعَّمٌ ... فَتَنْعِيْمُهُ لِلرُّوْحِ والجِسْمِ يَحْصُـلُ
وأَرْواحُ أَصْحَـابِ الشقاءِ مُهَانَةٌ ... مُعَـذَّبَةٌ لِلْحَشْـرِ واللهُ يَعْـدِلُ
وإنَّ مَعَـادَ الرُّوحِ والجِسْمِ وَاقِعٌ ... فَيَنْهَضُ مَن قَدْ مَاتَ حَيـاً يُهَرْوِلُ
وصِيْحَ بِكُلِّ العَـالمِيْنَ فأُحْضِرُوْا ... وقِيْلَ : قِفُوهُمْ لِلْحِسَـابِ لِيُسْأَلُوا
فذَلِكَ يومٌ لا تُحَـدُّ كُـرُوْبُهُ ... بِوَصْفٍ فإنَّ الأَمْرَ أدْهَى وأَهْوَلُ
يُحاسَبُ فِيْهِ المَرْءُ عَنْ كُلِّ سَعْيِهِ ... وكُل يُجَازَى بالذِي كَانَ يَعْمَلُ
وتُوْزَنُ أَعْمَالُ العِبَـادِ جَمِيْعُهَـا ... وقَدْ فَازَ مَن مِـيْزَانُ تَقْـواهُ يَثْقُلُ
وفي الحَسَنَاتِ الأَجْرُ يُلْقَى مُضَاعَفاً ... وبالمِثْلِ تُجْزَى السيئاتُ وتُعْدَلُ
ولا يُدْرِكُ الغُفْرَانَ مَن مَاتَ مُشْرِكاً ... وأَعْمَالُهُ مَرْدُوْدَةٌ لَيْسَ تُقْبَلُ
ويَغْفِرُ غَيْرَ الشِرْكِ رَبِي لِمَنْ يَشَا ... وَحُسْنُ الرَّجَا والظَّنِّ باللهِ أَجْمَلُ

وَإنّ جنَانَ الخُلْدِ تَبْقَى ومَنْ بِهَا   مُقِيماً عَلى طولِ المَدى لَيسَ يَرْحَلُ
أُعِدَّتْ لِمَنْ يَخْشَى الإلهَ ويَتَّقِيْ   ومَاتَ عَلَى التَّوْحِيْـد فَهْوَ مُهَلِّلُ
وَينظُر مَن فيها - إلى وجــهِ رِبِّه   بذا نَطَقَ الوحيُ المبينُ المنــزَّلُ
وإن عَذابَ النَّـار حقٌ وإنَّهَا   أُعِدَّتْ لِأَهْلِ الكُفْرِ مَثْوى وَمَنْزِلُ
يُقِيْمُونَ فِيها خَالِدِيْنَ عَلَى المَدَى   إذا نَضِجَتْ تِلْكَ الجُلُودُ تُبَـدَّلُ
ولم يَبْقَ بالإجْمَاعِ فِيْهَا مُوَحِّـدٌ   ولَوْ كَانَ ذَا ظُلْمٍ يَصُوْلُ وَيَقْتُلُ
وإنَّ لِخَيْرِ الأَنْبِيَـاءِ شَفَـاعَةً   لَدَى اللهِ في فَصْلِ القَضَـاء فَيَفْصِلُ
ويَشْفَعُ لِلْعَاصِيْنَ مِنْ أَهْلِ دِيْنِهِ   فيخرجهم من نارهم وهي تشعل
فَيُلْقَونَ في نَهْـرِ الحَيَـاةِ فَيَنْبُتُوْا   كَمَا - في حَمِيْل السَّيْلِ يَنْبُتُ سُنْبُلُ
وإنَّ لَهُ حَوْضـاً هَنِيئاً - شَـرَابُهُ   مِن الشّهد أَحْلَى فَهْوَ أبيضُ سَلْسَلُ
يُقَدَّرُ شَهْراً في المَسَـافَةِ عَرْضُهُ   كَأَيْلَةَ مِن صَنْعَا وفي الطُوْلِ أَطْوَلُ
وكِيْزَانُهُ مِثْـلُ النُجُـومِ كَثِيْرَةٌ   وَوُرَّادُهُ حَقـاً أَغَـرُّ مُحَجَّـــلُ
مِن الأُمَّةِ المُسْتَمْسِكِيْنَ بِدِيْنِهِ   وعَنْهُ يُنَحَّى مُحْـدِثٌ ومُبَـدِّلُ
فَيا ربِّ هَبْ لِيْ شَـرْبةً مِن زُلَالِهِ   بِفَضْلِكَ يَا مَنْ لَمْ يَزَلْ يَتَفَضَّـــلُ

اللهم يا عظيم العفـو ، يا واسع المغفرة ، يا قريب الرحمة ، ياذ الجلال والاكرام ، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة .

اللهم يا حيُّ ويا قيوُّم فَرِّغْنَا لما خَلَقْتَنَا له ، ولا تُشْغِلْنَا بما تَكَفَّلْتَ لنا به ، واجعلنا مِمَّن يُؤمِنُ بلقَائِك ، ويَرْضَى بقضَائِك ، ويقنعُ بعطائك ، ويخشَاكَ حَقَّ خَشْيَتِك .

اللهم اجْعَلْ رِزْقَنا رَغَدَا ، ولا تشمِتْ بنَا أَحَدَا .

اللهم رَغِّبْنَا فيما يبقى ، وزهدنا فيما يَفْنى ، وهب لنا اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه ، ولا يُعَوَّلُ في الدين إلا عليه .

اللهم إنا نسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك

الذي ملأ أركان عرشك أن تكفينا شر ما أهمنا وما لا نهتم به وأن تعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

اللهم يا عليم يا حليم يا قوي يا عزيز ياذ المن والعطا والعز والكبرياء يا مَن تَعْنُوْا له الوجُوه وتخشع له الأصوات .

وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شيء قدير وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصــــل)

قالَ النَّبيُّ ﷺ : (مَن قال حِينَ يُصبِحُ يُمسي : « اللهمَّ إني أصبْحتُ أُشهدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وملائِكَتَكَ وجَمِيْعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ وأنَّ مُحَمَّداً عبدُكَ ورَسُولُك » . أُعْتَقَ اللهُ رُبُعَهُ مِن النار . فَمَنْ قالَها مَرتَين أعتق اَلله نِصْفَهُ . فَمَنْ قَالَها ثلاثاً أُعتقَ الله ثلاثةَ أَرباعِهِ . فإنْ قالها أربعاً أعتقَه الله مِن النار) . رواهُ أبو داود عن أَنس رضي الله عنه .

وقال النبيُّ ﷺ : « مَن قال حين يصبحُ ثلاثَ : أعوذُ بالله المسيعِ العليمِ مِن الشيطانِ الرجيمِ ، وقرأَ ثلاثَ آياتٍ مِن آخرِ سورةِ الحَشْر ، وكَّلَ الله بِهِ سبعينٌ ألفٌ مَلَكٍ يُصلّونَ عليه حتى يُمْسيَ ، وإن ماتَ مِن ذلك اليومِ ماتَ شهيداً . ومَن قالها حين يمسي كان بتلك الْمَنْزِلَةِ » . رواه أحمد والترمذي عن معقل بن يسار رضي الله عنه .

وقالَ النبيُّ ﷺ : « مَن قال حين يصبحُ أو حينَ يُمسي : اللهمَّ أنت رَبي لا إله إلا أنتَ خلقتَني وأنا عبدُك وأنا على عهدكَ ووعدِكَ ما استطعتُ . أعوذُ بك مِن شرِّ ما صَنعتَ أَبُوءُ لكَ بنعمتِكَ عَليَّ وأَبُوءُ بِذَنبي فاغْفِرْ لي فإنَّه لا يغفر الذَنوبَ إلا أنْتَ . فَمَاتَ مِن يومِه أَو لَيْلَتِهِ دَخَلَ الجَنةَ » . رواه أحمد وأبو داودَ وابنُ ماجه وابن حبان والحاكم عن بريدة رضي الله عنه .

وقالَ النَّبيُّ ﷺ : « مَن قال حين يُصْبح : اللهمَّ ما أصبحَ بِي مِن نِعْمَةٍ أو بأَحدٍ مِن خلقِكَ فمِنْكَ وَحْدَكَ . لا شَرِيْكَ لكَ ، فلكَ الحَمدُ ولَكَ الشكْرُ على ذلك . فقد أدّى شُكْرَ يَومِهِ . ومنَ قالَ ذلكَ حِين يُمْسِي فقد أدّى شُكْرَ لَيلتِه » . رواهُ أبو داود وابن حبان وابن السني والبيهقيُّ عن عبدالله بن غنام رضي الله عنه .

وقالَ النبيُّ ﷺ : « مَن قال حِين يصبحُ : ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصبِحونَ * وَلَهُ الحَمْدُ في السَّمواتِ وَالأرضِ وَعَشِياً وَحِينَ تُظْهِرون * يُخرِجُ الْحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الْحيِّ وَيُحْيِي الأرضَ بعدَ مَوْتِهَا وَكَذا لِكَ تُخْرَجُونَ﴾ : أَدْرَكَ ما فاتَه في يَومِهِ ذلكَ ، ومَن قالها حين يمسي أدرِكَ ما فاته في لَيْلَتِهِ » . رواهُ أبو داود عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما .

وقال النبيُّ ﷺ : «مَن قال حين يصبح وحين يُمسي ثلاثَ مراتٍ : رضيتُ بالله وبالإسلامِ ديناً وبمحمَّدٍ نَبيّاً . كان حقاً على الله أن يُرْضِيَه يومَ القيامَة» . رواهُ أحمد وأبو داود والنسائيُّ وابن ماجه والحاكم ورواهُ الترمذيُّ عن ثوبان رضيَ الله عنه .

وقال النبيُّ ﷺ : « مَا على الأرض أحدٌ يقولُ : لا إله إلّا الله والله أكبرُ ولا حولَ ولا قوةَ إلّا بالله . إلا كُفِّرتْ عنه خطاياه ولو كانت مثلَ زَبَدِ البحر » . رواهُ أحمد والترمذيُّ عن ابنِ عمرٍ رضيَ الله عنهُما .

وقال النبيُّ ﷺ : « مَن قالَ حينَ يسمعُ المُؤَذِّنَ : وَأَنَا شَهدُ أن لا إلهَ إلّا الله وحدهُ لا شريكَ لهُ وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ . رضيتُ بالله ربّاً وبمحمَّدٍ رسولًا وبالإسلامِ ديناً . غفرَ الله لَهُ ما تقدمَ مِن ذنبِهِ » رواهُ أحمدُ ومسلم وأبو داود والترمذيُّ والنسّائيُّ وابن ماجه عنْ سَعدِ بنِ أبي وقاص رضيَ الله عنه .

وقالَ النبيُّ ﷺ : مَن قَال حين يسمعُ النداءَ : اللهمَّ ربَّ هذهِ الدعوةِ

التامَّةِ والصَّلاةِ القائمةِ آتِ محمَّداً الوسيلةَ والفضيلةَ وابعثْهُ مقاماً محموداً الذي وعَدْتَه . حَلَّتْ لهُ شَفَاعَتِي يومَ القِيامة » . رواه أحمد والبُخاريُّ وأبو داود والترمذيُّ والنسّائيُّ وابن ماجه عن جابرٍ رضيَ الله عنه .

وقالَ النبيُّ ﷺ لأمِّ سلَمةَ : « قُولي عندَ أَذانِ المَغْرِبِ : اللهمَّ هذا إقْبَالُ لَيْلِكَ وإدْبَارُ نهارِكَ وأصْواتُ دُعاتِكَ وحُضُورُ صلواتِكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لي » رواهُ الترمذيُّ والطبراني والحاكم عن أم مِّ سلمَةَ رَضيَ الله عنها .

وقالَ النبيُّ ﷺ : « إذا صَلَّيتَ الصُّبْح فقل قبلَ أَن تُكلِّم أَحداً مِن الناس : « اللهمَّ أَجِرْني مِن النَّار . سبعَ مراتٍ . فإنك إن مُتَّ مِن يومِكَ .

هذا كتبَ الله لكَ جِوَاراً من النَّارِ .

وإذا صَلَّيتَ المغرب فقل قبل أنْ تُكلِّمَ أحَداً مِن الناسِ : اللهمَّ أَجِرني مِن النارِ . سبعَ مراتٍ ، فإنك إنْ مُتَّ مِن ليلتكَ كتبَ الله لكَ جواراً مِن النار » رواه أحمد وأبو داود والترمذيُّ عنِ الحارثِ التيميِّ رضيَ الله عنه .

كانَ أكثرُ دُعاءِ النبي ﷺ : « يا مقَلِّبَ القُلوبِ ثَبِّتْ قَلْبي على دينِكَ » . فقيلَ له ، قال : « ليسَ مِن آدميّ إلا وقلبُهُ بينَ إصْبَعَيْنِ مِن أصابعِ الله فَمَنْ شَاءَ أقامَ ومَنْ وَمنْ شاءَ أزاغَ » . رواهُ الترمذيُّ عن أمِّ سلمَةَ رضيَ الله عنها .

وقالَ النبيُّ ﷺ : « لو دُعيَ بهذا الدعاءِ على شيءٍ بينَ المشرقِ والمغربِ في ساعةٍ مِن يومِ الجمعةِ لا سْتُجيبَ لصَاحِبِهِ : لا إلهَ إلا أنتَ ياحَنَّانُ يامَنَّانُ يابديعَ السَّمواتِ والأرضِ ياذا الجلالِ والإكرامِ » .

رواهُ الخطيب عن جابر رضي الله عنه .

وقال النبيُّ ﷺ : « يا سَعدُ ، لو دَعَوْتَ على مَنْ بينَ السَّمواتِ والأرضِ لا ستُجيبَ لكَ ، فَأَبْشِرْ ياسعد » . يعني « سُبْحانَكَ لا إلهَ إلا أنتَ ياذا الجَلالِ والإكرامِ » . رواهُ الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما .

وقالَ النبيُّ ﷺ : « من لزمَ الاستِغفارَ جعلَ الله له مِن كُلِّ ضيقٍ مَخْرَجاً ومِن كلِ هَمٍّ وَرَزَقَهُ مِن حَيْثُ لا يَحْتَسِب » . رواهُ أبو داود وابن ماجه عن ابن عبّاسٍ رضيَ الله عنهما .

وقالَ النبيُّ ﷺ : « ألا أُعَلِّمكَ كلماتٍ إذا قُلْتَهُنَّ غفرَ الله لكَ وإن كنتَ مغفوراً لك ؟ قل : لا إله إلّا الله سبحانَ الله رب السَّمواتِ السبعِ ورَبُّ العرشِ العظيمِ . الحمد لله رَبِّ العالمين » . رواهُ الترمذي عن علي رضيَ الله عنه .

وَجاءَ رجلٌ إلى أبي الدرداءِ رضيَ الله عنه فقال : يا أبا الدَّرداءِ ، قد احْتَرَق بَيْتُكَ . فقال : ما احْتَرَقَ . لَمْ يكنِ الله عزَّ وجَلَّ لِيَفعَلَ ذلكَ بكلماتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رسول الله ﷺ وقد قُلتُهنَّ اليومَ . ثم قالَ : انْهضُوا بنا . فانْتَهَوْا إلى دَارِهِ وقد احْتَرَقَ ما حَوْلهَا ولم يُصبهْا شيءٌ .

وهذه هي الكلمات : قال النبيُّ ﷺ : « مَن قال حينَ يصبح وحين يمسي : ما شاءَ الله كانَ وما لم يَشأ لم يَكنْ . لا حولَ ولا قُوةَ إلا بالله العَليِّ العظيم . أَعلَمُ أَنَّ الله على كلِّ شيءٍ قديرٌ . وأَنَّ الله قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً . اللهمَّ إني أعوذُ بكَ مِن شَرِّ نفسي ومِن شرِّ كُلِّ دابَّةٍ أَنتَ آخذٌ بناصيتِهَا . إنَّ رَبِّي على صراطٍ مستقيم . لم يُصِبْهُ في نَفْسِهِ ولا أَهلِهِ ولا مالِهِ شيءُ يَكرهُه » رواهُ ابنُ السني عن أبي الدرداء رضيَ الله عنه .

وقالَ النبيُّ ﷺ : « أَما لِدُنْياكَ ، فإذا صلّيتَ الصُّبْحَ فقل بعد صلاةِ الصُّبح : سبحان الله العظيم وبحمدِهِ ولا حولَ ولا قوة إلا بالله . ثلاثَ مَرَّاتٍ يُوقيكَ الله مِنْ بلايا أربع : مِن الجنونِ والجذامِ والعَمىَ والفالِج . وأمّا لآخِرَتِكَ فقل : اللهمَّ اهدني مِن عندك ، وأَفِضْ عليَّ مِنْ فضلك ، وانشُر عليَّ مِن رحمتِك ، وأَنزِل عليَّ مِنْ بَركاتِك . والذي نفسي بيده مَن وَافَى بهِنَّ يومَ

القيامةِ لم يَدَعْهُنَّ لَيُفْتَحَنَّ له أَرْبَعَةُ أبواب مِن الجنة يدخل مِن أيها شاء » . رواهُ السني عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وقالَ النبيُّ ﷺ : « ما مِنْ رجلٍ يدعو بهذا الدَّعاءِ في أَوَّلِ لَيْلِهِ وأَوَّلِ نهارِهِ إلَّا عَصَمَهُ اللهُ مِن إبليسَ وَجنودِهِ : بسم الله ذي الشانِ ، عظيمِ البرهانِ . شديد السلطانِ . ما شاءَ الله كان . أعوذ بالله مِن الشيطان » . رواهُ الحاكم وابنُ عساكر عن الزبير بن العوام رضي الله عنه .

وقالَ النبيُّ ﷺ : « مَن قال حين يُصبحُ وحينَ يُمسي : حسبي الله لا إلهَ إلا هو عليهِ توكلتُ وهو ربُّ العرشِ العظيمِ . سبعَ مرات كفاه الله تعالى ما أهمَّهُ مِن أمرِ الدُّنيا والآخرة » . رواهُ ابن السني عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

وقالَ النبيُّ ﷺ : « مَن قال حين يُمسي : بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماءِ وهو السميعُ العليمُ . ثلاث مراتٍ لم يُصبْهُ فجأةً بَلَاءُ حتى يُصْبِح ، ومَنْ قالها حين يُصبحُ ثَلاثَ مراتٍ لم يصبهُ فجأةً بلاءٌ حتى يمسيَ » رواهُ أبو داود وابن حبان والحاكم عن عثمان رضي الله عنه .

معارضة بدء الامالي

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله :

بِحَمْدِ اللهِ نَبْدَأُ في المَقَالِ ... ونُثْني بالمَدِيحِ لِذي الجَلالِ
إلٰهِ العَالَمِيْنَ وكُلِّ حيٍّ ... تَفَرَّد بالعُبُودَةِ والكَمَالِ
ومَوْصُوفٍ بأَوْصَافٍ تَعَالَتْ ... عن التَّشبيه أو ضَرْبِ المِثالِ
ومِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ على نَبيٍّ ... هُوَ المَعْصُوم أحْمَدُ ذُو الجَمَالِ
زَكِيُّ النَّفسِ مَنْبَعُ كُلِّ خَيْرٍ ... كَرِيْمُ المُحتَدَى سَامِي المَعَالي
فإنِّي قَدْ رَأَيْتُ نِظَامَ شَخْصٍ ... تَهَوَّر في المَقَالَةِ لا يُبَالي

نِظَاماً في العَقِيْدَةِ لا سَدِيداً ... ولا مَنْظُومُهُ مِثْلُ اللَّئَالِي
كَمَا قَدْ قَالَه فيما قد نَمَاه ... وخَالَ نِظَامَه عَالٍ وحَالِي
وقَدْ أَخْطَا بِمَا أَبْدَاهُ مِمَّا ... لَهُ قَدْ قَالَ في بَعضِ الأَمَالِي
فَبَعْضٌ قَدْ أَصَابَ القَولَ فِيْهِ ... وبَعْضٌ جَاءَ بالزُّورِ المُحَالِ
فهذا بعضُ ما قَدْ قَالَ فيْهَا ... مِن الزُّورِ المُلَفَّقِ والضَّلالِ
صِفَاتُ الذَّاتِ والأَفْعَالِ طُرًّا ... قَدِيْمَاتٌ مَصُونَاتُ الزَّوالِ
فَهَذَا بَعْضُهُ حَقٌّ وبَعْضٌ ... فمِنْ قَوْلِ المُعَطِّلة الخَوالِي
صِفَاتُ الذَّات لَازِمَةٌ وحقٌّ ... قَدِيْمَاتٌ عَدِيْمَاتُ المِثَال
فَخُذْ مِنْهُنَّ أَمْثِلَةً وقُلْ لِي ... جُزِيتَ الخَيرَ مِنْ كُلِّ الخِصَالِ
عَليمٌ قَادِرٌ حيٌّ مُرِيْدٌ ... بَصِيْرٌ سَامِعٌ لِذَوِى السُؤَآل
وأفْعَالُ الإِلَهِ فإنَّ فِيْهَا ... لِأَهلِ الْحَقِّ مِن أهْلِ الكَمَالِ
كَلاماً فاصِلاً لا رَيْبَ فيه ... وحقًّا عن أمَاثِلَ ذِيْ مَعَالِ
قَديمٌ نَوْعُها إنْ رُمتَ حقًّا ... وآحَادُ الحَوادِثِ بالفِعَالِ
فَيَضْحَكُ ربُّنا مِنْ غيرِ كَيْفٍ ... ويَفْرَحُ ذُو الجَلالِ وذُو الجَمالِ
بِتَوبَةِ عَبْدِهِ مِمَّا جَنَاهُ ... ويَسْخَطُ إنْ جَنَى سُوءَ الفِعالِ
ومُنْتَقِمٌ بِمَا قَدْ شَاءَ مِمَّنْ ... تَعَدَّى واعْتَدَى مِنْ كُلِّ غَالِ
ويَرحَمُ مَن يَشاءُ بِغَيرِ كَيفٍ ... يُحِبُّ المُحْسِنِين ذَوِى النَّوالِ
ويَغْضَبُ رَبُّنا وكَذَاكَ يَرضَى ... وأفْعَالُ الإِلٰهِ مِنَ الكَمَالِ
ويَخْلُقُ رَبُّنا ويَجِيْ ويَأْتِي ... بلا كَيفٍ ويَرْزُقُ ذُو التَّعالِي
ويَنْزِلُ رَبُّنا مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ ... ويَهْبِطُ ذُو المَعَارِجِ والجَلالِ
ويَقْهَرُ رَبُّنا ويُرَى تَعالىٰ ... وذِى الأوصَافِ أمْثِلَةُ الفِعَالِ
ولسْنَا كالذينَ تَأَوَّلُوهَا ... بِأَنواعٍ مِن القَوْلِ المُحَالِ
ولَكِنَّا سنُجْرِيهَا كَمَا قَدْ ... أَتَى في النَّصِّ والسُّوَرِ العَوالِي

وأَهْلُ البَغْيِ مِنْ بَطْـرٍ وغَيٍّ ... يُسَـمُّونَ الصِّفَاتِ لِذِى الكَمالِ
حُلُولَ حَـوادِثٍ بَغْيـاً وقَصْداً ... لِتَنْفِيرِ الوَرَى عَنِ ذِى الفِعَـالِ
ومِمَّـا قَـالَ فيما كَـانَ أَمْـلَي ... وذَاتـاً عن جِهَـاتِ السِّـتِ خَالِي
تَعَـالى اللهُ عَمَّـا قَالَ هَـذا ... فَـذَا قَـوْلٌ لِأَربابِ الضَّـلالِ
فإنَّ اللهَ مِن غَـيرِ امْـتِرَاءٍ ... على السَّـبعِ العُـلىٰ والعَرشِ عَالِ
على العَرْشِ اسْتَوى مِن غَيرِ كَيْفٍ ... فإنَّ اللهَ جَـلَّ عَنِ المِثَـالِ
وعَنْهَا بَـايِنٌ ولَـهُ تَعـالى ... عُـلوُّ الـذَّاتِ مِنْ فَوقِ العَوالي
وقَهْـرٌ لِلْخَـلائِقِ والـبَرايَا ... وقَدْرٌ والكَمَـالُ لِذِى الجَمَـالِ
ومَعْنَىً بَاطِـلٍ لا شَكَّ فِيْـهِ ... ومِنْـهِ اغْـتَرَّ أربابُ الضَّـلالِ
ولابْنِ القَّـيِّمِ الثِّقَـةِ المُـزَكَّى ... بإتْقَـانٍ وحِفْـظٍ واحْتِفَـالِ
كَلامٌ في البَـدَائعِ مُسْتَبِـيْنٌ ... بِتَفْصِـلٍ لِلَيْـلِ الشَّـكِّ جَالِ
ويَعْسُرُ نَظْـمُ ما قَد قَالَ فيها ... مِن التَّفصـيلِ في هـذَا المَجَال
فَقَـوَّى قَـوْلَ أهـلِ الحقِّ فيه ... وأَوْهَى قَـوْلَ أَهْلِ الاعتزَال
فَرَاجِعْـهُ تَجِـدْ قَـولاً سدِيْداً ... مُفِيْـداً شَافياً سَهْـلَ المَنَـالِ
وأَنَّ اللهَ جَـلَّ لَـهُ صِفـاتٌ ... وأَسـماءٌ تَعَـالَتْ عَنْ مِثَـالِ
وتَكْفِي سُـوْرَةُ الإخلاص وصفاً ... لِرَبِّي ذِى المَعَـارِجِ والجَـلالِ
وما قَدْ جَـاء في الآيَـاتِ يَوْماً ... عَنْ المعصومِ صَحَّ بلا اخْتِلالِ
وفيمـا قَـالَه الرَّحْمٰـنُ رَبِّي ... وما أَبْـدَى الرَّسولُ مِن المَقَـالِ
شِفَـاءٌ لِلْسِّقَـامِ وفيهِ بُرءٌ ... ومُقْنِـعُ كُلِّ أَرْبَـابِ الكَمَالِ
ورُؤْيا المُؤْمنينَ لَـهُ تَعَـالى ... أَتَتْ بالنَّصِّ عَنّ صَحْـبٍ وآلِ
عنِ المعصـومِ عِشْرِيْناً وبِضْعاً ... أَحَـادِيثاً صِحَاحاً كاللَّئَـالِي
وفي القُـرآنِ ذَلِكَ مُستَبِـينٌ ... فَيَا بُعْـداً لِأَهْـلِ الاعْـتِزَالِ
لَقَـدْ جَـاءُوا من الكُفْـرانِ أَمراً ... يَهُـدُّ الرَّاسياتِ مِنَ الجِبَالِ

وإنَّ المُؤْمِنِيْنَ لَفِي نَعِيْمٍ نَعِيْمٍ لا يَصِيْرُ إلَى زَوالِ
وإنَّ أَلَذَّ مَا يَلْقَوْنَ فِيْهَا مِن اللَّذَّاتِ رُؤْيَةُ ذِى الجَمَالِ
ونُؤمنُ بالإلٰـهِ الحَقِّ ربًّا عَظِيماً قَدْ تَفَرَّدَ بالكَمَالِ
إلٰهاً وَاحِداً صَمَداً سَمِيْعاً بَصِيْرا ذِى المَعَارِجِ والجَلالِ
قَدِيْراً ماجِداً فَرْداً كَرِيْماً عَلِيماً واسِعاً حَكَمَ الفِعَالِ
لَهُ الأَسماءُ والأَوصَافُ جَلَّتْ عن التَّشْبِيْهِ أوْ ضَرْبِ المِثَالِ
ونُؤْمِنُ أَنَّمَا قَدْ شَاءَ رَبِّي فَحَقٌّ كَائِنٌ في كُلِّ حَالِ
وإنْ مَاشَاءَهُ أَحَدٌ ومَا لَمْ يَشَأْهُ اللهُ كَانَ مِن المُحَالِ
وأَقسامُ الإرادَةِ إنْ تُرِدْها فأَرْبَعَةٌ مُوَضَّحَةٌ لِتَالِ
فَمَا قَدْ شَاءَهُ شَرْعاً ودِيْنَاً مِن العَبْدِ المُوَفَّق لِلْكَمَالِ
بِمَا وَقَعَ المقدَّرُ مِن قَضَاءٍ بِذَلِكَ في الوُجُودِ بِلا اخْتِلالِ
مِن الطَّاعَاتِ فَهْو لَهَا مُحِبٌّ إلٰهى رَاضِياً بالامْتِثَالِ
فَهَذَا قَدْ أَرَادَ اللهُ دِيْناً وشَرْعاً كَوْنَه في كُلِّ حَالِ
ورَبُّ العَرشِ كَوَّنها فكَانَتْ ولَولَا ذَاكَ مَا كَانَتْ بِحَالِ
وثانيهَا الَّذِي قَدْ شَاءَ دِيْناً مِن الكُفَّار أَصْحَابِ الوَبَالِ
مِن الطَّاعَاتِ لَوْ وَقَعتْ وصَارَتْ عَلىٰ وَفْقِ المحَبَّةِ بالفِعَالِ
ولكنْ لَمْ تَقَعْ مِنْهُم فَباءُوْا لَعَمْرِي بالخَسَارِ وبالنَّكَالِ
وثالثهَا الَّذِي قَدْ شَاءَ كَوْناً بِتَقْدِيْرِ الحَوادِثِ لِلْوَبَالِ
كَفِعْلٍ لِلْمَعَاصِي أوْ مُبَاحٍ فَلَمْ يأْمُرْ بِهَا رَبُّ العَوالي
ولَمْ يَرْضَ بِهَا مِنهُم وكَانَتْ عَلىٰ غَيْرِ المحَبَّةِ لِلْفِعَالِ
فإنَّ اللهَ لا يَرْضَىٰ بِكُفْرٍ ولا يَرْضَى الفَوَاحِشَ ذُو الجَلالِ
فَلَولَا أنَّهُ قَدْ شَاءَ هَذا وقَدَّرَ خلْقَهُ في كُلِّ حَالِ
لَمَا كَانَتْ ولَمْ تُوجَدْ عَيَاناً فَمَا قَدْ شَاءَ كَانَ بلا اخْتِلالِ

وَرَابعُهَا الَّذِي مَاشَاءَ رَبِّي ... لَهُ كَوْناً ولا دِيْنَا بِحَالِ
فَذا مَا لَمْ يَكُن مِن نَوعِ هَذا ... ولا هَذَا وهَذَا في المِثَالِ
كأَنْواعِ المَعَاصِي أوْ مُباحٍ ... فهذا الحَقُّ عنْ أهْلِ الكَمَالِ
فَخُذْ بالحقِّ واسْمُ إلَى المَعَالِي ... ودَع قَوْلَ المُخبِّطِ ذَ الخَيَالِ
ولِلْعَبْدِ المَشيْئَةُ وَهْيَ حَقٌّ ... أَتَتْ بالنَّصِّ فِي أيِّ لِتَالِ
وبَعْدَ مَشِيْئَةِ الرَّحمٰنِ فاعْلَمْ ... هُدِيْتَ الرُّشْدَ في كُلِّ الخِلاَلِ
وأعْمَالُ العِبَادِ لهُم عَلَيْهَا ... لَعمْرِي قُدْرَةٌ بالافْتِعَالِ
ومَا الأَفْعَالُ إلَّا باخْتيَارٍ ... وربِّي ذُو المَعَارِجِ والجَلاَلِ
لِذَلِكَ خَالِقٌ ولَهمْ كَمَا قَدْ ... أَتَى فِي النَّصِّ فاسْمَعْ لِلْمَقَالِ
ونُؤمِنُ بالكِتَابِ كَمَا أَتَانَا ... وبالرُّسْلِ الكِرَامِ ذَوِي الكَمَالِ
ونُؤْمِنُ بالقَضَا خَيْراً وشَراً ... وبالقَدَرِ المُقَدَّرِ لا نُبَالِي
وأَمْلاَكِ الإلٰهِ وإنَّ مِنْهم ... لَعَمْرِي مُصْطَفَيْنَ لِذِي الجَلاَلِ
وإنَّ الجنَّةَ العُلْيَا مَئَآبٌ ... لِأَهْلِ الخَيْرِ مِنْ غَيرِ انْتِقَالِ
وإنَّ النَّارَ حَقٌّ قَدْ أُعِدَّتْ ... لِأَهْلِ الكُفْرِ أصْحَاب الوَبَالِ
وإنَّ شَفَاعَةَ المَعْصُومِ حَقٌّ ... لأَصْحَابِ الكَبَائِرِ عَنْ نَكَالِ
ونُؤْمِنُ بالحِسَابِ وذَاكَ حَقٌّ ... وكُلٌّ سَوفَ يُجْزَى بانْتِحَالِ
وكُلٌّ سَوفَ يُؤتَى يَوْمَ حَشْرٍ ... كِتَاباً باليَمِيْنِ أوِ الشِّمَالِ
ونُؤْمِنُ أنَّ أعْمَالَ البَرايَا ... سَتُوْزَنُ غَيْرَ أصْحَابِ الضَّلاَلِ
فَلَيْستْ تُوزنُ الأَعْمَالُ منهُم ... كَأَهْلِ الخَيْرِ مِنْ أهْلِ الكَمَالِ
ولَكِنْ كَيْ لِتُحْصَى ثُمَّ يُلْقَى ... إلىٰ قَعْرِ النُّهى بِذَوِي النَّكَالِ
ونُؤمِنُ أنَّنَا لَا شَكَّ نَجْرِيَ ... علىٰ مَتْنِ الصِّرَاطِ بكُلِّ حَالِ
فَنَاجٍ سَالِمٌ مِنْ كُلِّ شَرٍّ ... وهَاوٍ هَالِكٌ لِلنَّارِ صَالِ
وأنَّ البَعْثَ بَعْدَ الموتِ حَقٌّ ... لِيَومِ الحَشْرِ مَوْعِدُ ذِى الجَلاَلِ

ومِعْـرَاجُ الرَّسول إليْـهِ حَـقٌّ ... بِـذَاتِ المُصطفَى نَحْـوَ العَوالِ
وفي المِعْـرَاجِ رَدٌّ مُسْـتَبِيْنٌ ... على الجَهميَّـةِ المُغَـلِ الغَـوالِي
ومَنْ يَنحُـوْ طَـرِيْقَتَهُمْ بِبَغْيٍ ... وعُـدْوَانٍ وقَـوْلٍ ذِيْ وَبَـالِ
بِتَـأْوِيْـلٍ وتَحْـرِيْفٍ وهَـذا ... هُوَ التَّعْطِيْلُ عِنْـدَ ذَوِيْ الكَمَالِ
وأنَّ الحَـوضَ لِلْمَعْصُـومِ حَـقٌّ ... لِأَهْلِ الخَيرِ لا أَهْلِ الضَّـلالِ
ونُؤمِنُ أَنَّـهُ مِنْ غَـيْرِ شَـكٍّ ... سَيَأْتِي الفَـاتِنَـانِ بكُلِّ حَـالِ
إلى المَقْبُـورِ ثمَّـةَ يَسْـأَلانِهِ ... فَنَـاجٍ بالثَّبَـاتِ بِلا اخْتِـلالِ
سِوَى مَنْ كَانَ يَوْمـاً ذَا مَعَاصٍ ... سَيَلْقَى غِبَّهـا بَعْـدَ السُّؤَالِ
إذَا مَا لَمْ تُكَفَّرْ تِلْكَ عَنْـهُ ... بأَشياء مُمَحَّصَـةٍ بِحَـالِ
وآخَرُ بالشَّقَـاوَةِ سَوْفَ يَلْقَى ... عَـذَابَ القَـبْرِ مِنْ سُوءِ الفِعَالِ
ونُؤمِنُ بالَّذِي كانُـوا عَلَيْـهِ ... خِيـارُ النَّـاسِ مِنْ صَحْبٍ وآلِ
كَذَاكَ التَّـابعُـونَ وتَابِعُـوْهُمْ ... عَلَى دِيْنِ الهُـدَى والانْتِحَـالِ
وإنَّ الفَضْـلَ لِلْخُلَفَـاءِ حَـقٌّ ... وتَقْـدِيْـمَ الخِـلافَةِ بالتَّـوَالِي
أَبُو بَكْرٍ فَفَـارُوْقُ الـبَرايَـا ... فَـذُو النُـورَينِ ثُمَّ عَليٌّ عَالِ
عَلىٰ مَنْ بَعْـدَه وهُمُـوا فَهُمْ هُمْ ... نُجُـوْمُ الأَرْضِ كَالـدُّرَرِ الغَوالِي
وكَالأَعْـلَامِ لِلْحَيْرَانِ بَلْ هُمْ ... هُـدَاتٌ كَالرَّعَـانِ مِنَ الجِبالِ
وكُلُّ كَـرَامَـةٍ ثَبَتَتْ بِحَـقٍّ ... فَحَقٌّ لِلْـولِّي بـلا اخْتِـلالِ
نَـوالٌ مِن كَـرِيمٍ حَيْثُ كَانُوا ... بِطَاعَـةِ رَبِّهِم أهْلَ انْفِعَـالِ
ولَيْسَ لَهُـمْ نَـوالٌ أوْ حِبَـاءٌ ... لِمَنْ يَدعُوهُموا مِن كُلِّ عَالِ
وإن الخَـرْقَ لِلْعَـادَاتِ فاعْـلَمْ ... عَلَى نَوعَـيْنِ واضِحَـةِ المِثَالِ
فَنَـوعٌ مِن شَيَـاطِـيْنٍ غُوَاةٍ ... لِمَنْ وَالَاهُمُـو مِنْ ذِي الخَيَالِ
ونَوعٌ وهُـوَ ما قَـدْ كَانَ يَجْـرِي ... لِأَهْلِ الخيرِ مِن أهْلِ الكَمَالِ
مِن الرَّحمٰـنِ تَكْـرِمَةً وفَضْـلاً ... لِشَخْـصٍ ذِي تُقَى سَامِي المَعَالي

ولكِنْ لَيْسَ يُوْجِبُ أنْ سَيُدْعَى   وَيُرْجَى أوْ يُخَافُ بِكُلِّ حَالِ
فَمَا في العَقْلِ مَا يَقْضِي بِهَذَا   ولا فِي الشَّرعِ يَا أَهْلَ الوَبَالِ
وفَارِقُ ذَلِكَ النَّوعَيْنِ أمْرٌ   هُوَ الفَصْلُ المُحَكَّمُ في المَقَالِ
سُلُوكُ طَرِيْقَةِ المَعْصُومِ حَقًّا   وتَوْحِيْدٌ بإخْلاصِ الفِعَالِ
فَمَنْ يَسْلُكْ طَرِيْقَتَهُ بِصِدْقٍ   فَمِنْ أَهْلِ الوَلَا لَا ذِي الضَّلَالِ
ومَنْ يَسْلُكْ سِوَاهَا كَانَ حَتْماً   بِلَا شَكٍّ يُخَالِجُ ذَا انْسِلالِ
ونُؤْمِنُ أَنَّ عِيسَىٰ سَوْفَ يأْتِي   لِقَتْلِ الأَعْوَرِ البَاغِي المُحالِ
ويَقْتُلُ لِلْيَهُوْدِ وَكُلِّ بَاغٍ   ويَحْكُمُ بالشَّرِيْعَةِ لا يُبَالِي
ورَبِّي خَالِقٌ مُحْيٍ مُمِيْتٌ   هُوَ الحَقُّ المُقَدرُ ذُو التَّعَالِي
وبالاسْبَابِ يَخْلُقُ لا كَقَوْلٍ   لِقَوْمٍ عِنْدَهَا قَوْلُ الضَّلالِ
وفي القُرْآن ذَلِكَ مُسْتَبِيْنٌ   فَأَنْبأنَا بِهِ والحَقُّ جَالِ
لِرَيْبِ الشَكِّ عَنْ كُلِّ اعْتِقَادٍ   صَحِيْحٍ عن أَمَاثِلَ ذِي مَقَالِ
على هَذَا ابنُ حَنْبَلَ وهْوَ قَوْلٌ   لِأَهْلِ الحقِّ مِن أَهْلِ الكَمَالِ
ومَنْ يَنْسُبْ إليه غَيْرَ هَذا   فَقَدْ أَخطَا خطَاءً ذَا وَبَالَ
ومِمَّا قَالَ فِيمَا زَاغَ فيه   وأعْنِي في القَصِيْدةِ ذَا الأَمالِي
ومَا أَفْعَال خَيْرٍ في حِسَابٍ   مِن الإِيمانِ مَفْرُوْضُ الوِصَالِ
بَلِ الاعْمَالُ والأَفْعَالُ حَقٌّ   مِن الإِيمانِ فاحْفَظْ لِي مَقالِي
يَزِيدُ بِطَاعَةِ الإنسانِ يَوْماً   ويَنقصُ بالمَعَاصِي ذِي الوَبَالِ
وهَذا قَوْلُ أَهْلِ الحَقِّ مِمَّن   هُمُ الأَعلامُ مِن أهْلِ الكَمَالِ
ودَعنِي مِن خُرَافَاتٍ وَهَمْطٍ   لأَربابِ الجَهَالَةِ والضَّلالِ
وإنَّ السُّحتَ رِزْقٌ لا حَلَالٌ   حَرَامٌ كُلُّهُ لا كَالحَلالِ
وتَكْفِيرٌ بِذَنْبٍ لا نَرَاه   لِأَهْلِ القِبْلةِ المُثْلَى بحالِ
ولَكِنْ مَنْ أَتَى كُفراً بَواحاً   وأَشْرَكَ في العِبَادَةِ لا نُبَالِي

وإنَّ الهِجْـرَةَ المُثَلَى لَفَـرْضٌ عَـلىٰ ذِي قُـدْرَةٍ بالانْتِقَـالِ
ولم تُنْسَـخْ بِحُـكْمِ الفَتْحِ بَلْ ذَا بِذَاكَ الوَقْتِ والإسْـلامُ عَـالِ
فإنْ عـادَتْ وصَـارَت دارَ كفرٍ فهـاجِـرْ لا تطفِّف باعْـتِزالِ
لأَنَّ المُصْطَفى قَـدْ قَـالَ ما قَـدْ رَوَى الإثبـاتُ مِن أهْلِ الكَمَال
بذكْـرٍ بالبَـراءةِ مِنْ مُقـيمٍ بِدَارِ الكفر بَيْنَ ذَوي الضَّلالِ
وذَا مِنْ مُسْلِمٍ إذْ جَـاءَ ذَنْبٌ كَبِـيْرٌ بالإقَـامَةِ لا يُبَـالِي
رَوَى ذَا الترْمِذيُّ كَـذَاكَ جَاءَتْ بِـهِ الآيَـاتُ وَاضِحَـةً لِتَـالِ
وجُمْـلةُ كُلِّ مُعْتَقَـدٍ صَحِيْحٌ رَوَاهُ النَّاسُ عَـن صَحْبٍ وآلِ
وعن سَلَفٍ رَوَى خَلَفٌ ثِقَـاتٌ لَنَا بالنَّقْـلِ عَنْهُم باحْتِفَـالِ
فإنَّـا باعْتِقَـادٍ واحْتِفَـالٍ لَـهُ بالأَخْـذِ في كُلِّ الخِـلَالِ
فإن رُمتَ النَّجَـاةَ غَـداً وتَرْجُو نَعِيْمـاً لا يَصِـيْرُ إلىٰ زَوَالِ
نَعِيْماً لَا يَبِيْـدُ ولَيْسَ يَفْنَى بِـدَارِ الخُـلْدِ في غُرَفٍ عَوالِ
وحُـوْراً في الجِنَـانِ مُنعَّمـاتٍ مَلِيْحَـاتِ التَّبَعُّـلِ والـدَّلالِ
فَـلَا تُشْـرِكْ بِرَبِّكَ قَطُّ شَيْئاً وأَخْلِصْ في العِبَـادَةِ والفِعَـالِ
ولا تَـذْهبْ إلى الأمْـواتِ جَهْلا لِنَفْـعٍ أوْ لِضُـرٍّ أوْ نَـوَالِ
ولا تَجْعَـلْ وسَائِط تَرتَجِيْهِمْ فإنَّ اللهَ رَبَّكَ ذُو الكَمَـالِ
عَـلِمٌ قَـادِرٌ بَـرٌّ كَرِيْـمٌ بَصِـيْرٌ سَامِعٌ لِـذَوِي السُّـؤَالِ
ولَيْسَ بِعَـاجِـزٍ فيُعَـانُ حَاشَا ولَيْسَ بِغَائِبٍ أوْ ذِي اشْتِغَالِ
فـلا يَدْرِي بأَحْـوَالِ الـبَّرايا فَتَدْعُـو مَنْ يُخَـبِّرَ بالسُّـؤَالِ
فَتَجْعَـلُهُ الوَسَـاطَةُ إنَّ هَـذَا لَعَمْـرِي مِنْ مَـزَلَّاتِ الضَّـلالِ
وهَـذا يَقْتَضِـي أنْ لَيْسَ رَبِّي مُـرِيْـدَ النَّفـعِ أوْ بَـذلَ النَّوالِ
ولا الإحسَانُ إلَّا مِـنْ شفيعٍ يُحَـرِّكُه فيَعْطِفُ ذُو الجَـلالِ
لِحَـاجتِـهِ ورغبَتِـه إليْـهِ وهَذَا لا يكونُ لِـذِي الكَمَـالِ

أَلَيْسَ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شيءٍ ... وَمَالِكُهُ وَرَبُّكَ ذُو التَّعَالِي
ومَنْ ذَا شَأْنُه ولَهُ البَرَايَا ... بأجمَعِهَا الأسَافِلُ والأعَالِي
أكَانَ يَكُونُ عَوناً أوْ شَفيعاً ... يُخبِّرُ بالغَوامِضِ والفعَالِ
ويُكرِهُه علىٰ ما لَيْسَ يَرْضَى ... تَعالىٰ ذُو المَعَارِج والمعالِي
أكَانَ يكونُ من يَخشانُ رَبِّي ... ويرجُوه لتبليغِ المَقالِ
ويشفعُ عنده كرهاً عليْه ... كَمَا عندَ الملوكِ من المَوالِي
لِحَاجَتِهم ورغبَتِهم إليهم ... لخوفٍ أوْ رَجاءٍ أو نَوالِ
تَعالَى اللهُ خَالِقُنَا تعالىٰ ... تَقَدَّسَ بَل تَعاظَمَ ذُو الجَلالِ
أَلَيْسَ اللهُ يَسْمَعُ مَنْ يُنَاجِي ... كَمَنْ يَدْعُو بِصَوْتٍ بالسُّؤَالِ
وأصْوَاتُ الجَمِيعِ كَصَوْتِ فَردٍ ... لَدَى الرَّحمٰنِ وهْوَ عَلىَ العَوالِي
فَلا يَشْغَلْه سَمْعٌ عن سَمَاعٍ ... لِمَنْ يَدْعُو ويَهْتِفُ بِابْتِهَالِ
ولا يَتَبَرَّمُ الرحْمٰنُ رَبِّي ... بالْحَاحِ المُلِحِّيْنَ المَوالِي
ولا يُغْلِطْه كَثرةُ سَائِلِيْهُ ... جَميعاً بالتَّضَرُّعِ والسُّؤَالِ
بِكُلِّ تَفَنُّنِ الحَاجَاتِ مِنْهم ... وأصْنَافِ اللُّغَاتِ بِلَا اخْتِلالِ
فَيُعطِي مَن يَشَاء ما قَدْ يَشَاءُ ... ويَمْنَعُ مَا يَشَاءُ مِن النَّوالِ
أَلَيْسَ اللهُ يُبْصِرُ كُلَّ شَيءٍ ... بِلَا شَكٍّ ويُبْصِرُ ذُو الجَلالِ
دَبِيْبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَا تَعالىٰ ... وأَعْطَى تِلْكَ فِي ظُلَمِ اللَّيالِي
عَلَى صَخْرٍ أَصَمَّ ذَوِي سَوَادٍ ... شَدِيْدٍ حَالِكٍ مِثْلِ الكُحَالِ
ومُجْرِي القُوتَ فِي الأعْضَاءِ مِنْها ... وأَعْضَاءِ البعُوضِ بِكُلِّ حَالِ
ومَدَّ جَنَاحَهِ فِي جُنْحِ لَيْلٍ ... وأعْرَاقُ النِّياطِ بلا اخْتلالِ
ويَعلمُ ما أَسَرَّ العبدُ حَقاً ... وأخْفَى مِنْهُ فاسْمَعْ للمقالِ
فَمَنْ ذَا شَأْنُه أَيصِحُّ شَرْعاً ... وعَقْلاً أنْ يُشَارِكَه المَوالِي
مَعَاذَ اللهِ مَا هَذا بِحَقٍّ ... ولا فِي العَقْلِ عِنْدَ ذَوِي الكَمَالِ

أَفِي مَعْقُولِ ذِي حُجْرٍ عُدُولٍ إلى مَيْتٍ رَمِـيْمٍ ذِي اغْتِفَـالِ
عَـدِيْمِ السَّمعِ لَيْسَ يَراهُ يَوماً عَـدِيمَ العِـلمِ لَيْسَ بِذِي نَوالِ
وَيتْرُكُ عَـالماً حَيًّـا قَـدِيراً بَصِـيْراً سَـامعـاً في كُلِّ حَـالِ
كَـرِيْماً مُحْسناً بَـرًّا جَـواداً رَحِيْماً ذُو الفَـواضِـلِ والنَّوالِ
لَعَمْرِي إنَّ مَنْ يَأْتِي بِهَـذَا لَـذُو خَبَـلٍ مِن الإِسلامِ خَالِ
وعَقـلٌ يَرْتَضِي هَـذَا لَعَمْرِي سَقِيمٌ زَائِـغٌ وَاهِ المَقَـالِ
وأَهـلُوه أضـلُّ النَّاسِ طُـرًّا وأسفهُهُـم وأولى بالنَّكَـالِ
فـلا يَغُـرُوْكَ إقـرارٌ بِمَا قَدْ أَقرَّ المشـركون ذَوُوا الضَّـلالِ
بأَنَّ اللهَ خَـالِقُ كُلِّ شيءٍ ومَـالِـكُه وذا بالاقْتِـلالِ
ورَزَّاقٌ مُـدَبِّرُ كُلِّ أَمْـرٍ وَحيٌّ قَـادِرٌ رَبُّ العَـوَالِي
فَهـذَا قَـدْ أَقـرَّ بِهِ قُريشٌ فَلَمْ يَنفعْهُمُوا فاسْـمَعْ مَقـالِي
وهُمْ يَدْعُوْنَ غَـيرَ اللهِ جَهْراً وجَهْلاً بالمُهَيْمِـنِ ذِي الجَـلَالِ
ولِلْأَشَجارِ والأَحْجَـارِ كَانَتْ عِبَـادَتُهم بِذَبْحٍ مَعْ سُـؤالِ
وللأَمـواتِ هَـذا كَانَ مِنْهُمْ بِخَـوْفٍ مَعْ رَجَـاءٍ وانْـذِلَالِ
ونَـذْرٍ واستِغَـاثَةِ مُستَضَـامٍ فَبَـاءُوا بالـوبَالِ وبالنَّكَـالِ
وإنَّ الحَـقَّ إنْ تَسْلُكْهُ تَنْجُـوْ مِنَ الإِشراكِ ذِي الـدَّاءِ العُضَالِ
طَـرِيقُ المصْطفى المَعْصُومِ حَقًّا بِتَوْحِيْـدِ المُهَيْمِـنِ ذِي الكَمَالِ
بأَفْعَـالٍ لَـهُ وَحِّـدْهُ فِيْهَـا وبالأَفْعَـالِ مِنْكَ بـلا اخْتِلالِ
بأَنْـواعِ العِبَـادةِ مِنْ رَجَـاءٍ وخَـوْفٍ وَالتَّـوَكُّلِ والسُّـؤَالِ
وذَبْحٍ واسْتِغَـاثَةِ مُسْتَغِيْثٍ ونَـذْرٍ واسْتِعَـانَةِ ذِي الجَلالِ
ولا تَخْضَـعْ لِغَـيْرِ اللهِ طُـرًّا ولا تَخْشَـاه في كُلِّ الفِعَـالِ
وبالـرَّغْبـاءِ والـرَّهْبَـاءِ مِنْـه بِتَعظِـيْمٍ وحُبٍّ وانْـذِلَالِ
لِربِّكَ لَا لِمَخْـلُوقٍ ومَيْـتٍ ضَعِيْـفٍ عَـاجِـزٍ في كُلِّ حَالِ

فَوَحِّـــدْهُ وأفْـرِدْهُ بِهَـــذا ... ودَعْنَـا مِن مَزَلَّاتِ الضَّـلالِ
وَأوْضَـاعٍ لأفَّـاك جَهُـولٍ ... حِكَـايَاتٍ مُلفَّقَـةٍ لِغَـالِي
وكُلُّ طَـرِيْقَةٍ خَـرَجَتْ وزَاغَتْ ... عَنِ المَشْرُوْعِ بالقَـوْلِ المُحَـالِ
فإنَّا مِنْ طَـرَائِقِهِـمْ بَـرَاءٌ ... إلَى اللهِ المُهَيْمِـنِ ذِي الجَلالِ
فَتَبْـرأُ مِنْ ذَوِي الإِشْـراكِ طُرًّا ... ومِن جَهْمِيَّـةٍ مُغْـلٍ غَـوالِ
ومِنْ كُلِّ الرَّوافضِ حَيْثُ زَاغُوا ... فَهُمْ أَهْلُ المَنَاكِرِ والضَّـلالِ
ومِنْ قولِ النَّواصِبِ حَيْثُ ضَلَّتْ ... حُلُومُهمُـوا بِقَـوْلٍ ذِي وَبَالِ
ومِنْ قَولِ الخوارجِ قَـدْ بَرِئْنَا ... ويَا بُعْـداً لِأَهْـلِ الاعْتِزَالِ
بِمـا قَالُـوْهُ وانتَحَـلُوهُ مِمَّا ... يُخَـالِفُ دِينَ أَرْبَـابِ الكَمَالِ
فَقَدْ جَاءُوا مِنَ الكُفْـرَان أَمْراً ... عَظِيْمـاً واجْـتِرَاءًا بالمُحَـالِ
ونَبْـرأُ مِن أَشَـاعِرَةٍ غُـوَاةٍ ... قَفَـوْا جَهْماً بِرَأْيٍ وانْتحَـالِ
ومِنْ جَـبْرِيَّةٍ كَفَـرَتْ وَضَلتْ ... ونَبْـرأُ جَهْـرَةً مِنْ كُلِّ غَـالِ
كَنَا فِي قُـدْرَةِ الرَّحمٰنِ رَبِّي ... وتَقْـدِيْرِ المُهَيْمِـنِ ذِي الجَـلَالِ
ومِنْ قَـوْلِ ابْنِ كُـلَّاب بَرِئْنَا ... فَلَسْنَا مِنْهُمُـوا أَبَـداً بِحَـالِ
ومِنْ قَـولِ ابْنِ كَـرَّامٍ ومِمَّن ... نُمِيْ بالاقْـتِرانِ ذَوِيْ الضَّلَالِ
وأَهْـلِ الوَحْـدةِ الكُفَّـارِ إذْ هُمْ ... أَضَـلُّ النَّـاسِ فِي كُلِّ الخِلَالِ
ومِن أَهْلِ الحُلولِ ذَوِي المَخَازِي ... فقدْ جَاءُوا بِقَـوْلٍ ذِي وَبَالِ
ومِمَّنْ قَـالَ بالإرجَـاءِ يَوْماً ... ومِن كُلِّ ابْتِـداعٍ فِي وانْتِحَـالِ
يُخَالفُ شَرْعَ أَحمَدَ ذِي المَعَالِي ... وأَصْحَـابٍ كِـرَامٍ ثُمَّ آلِ
ونَبْرأُ مِنْ طَـرَائِقَ مُحْـدَثاتٍ ... مَـلاهٍ مِنْ مَلاعِبِ ذِي الضَّلالِ
بِأَلحَـانٍ وتَصْـدِيَةٍ ورَقْـصٍ ... ومِـزْمـارٍ ودُفٍّ ذِيَ اغْتِيَالِ
وأَذكَـارٍ مُلَفَّقَـةٍ وشِعْـرٍ ... بأَصـوَاتٍ تَرُوقُ لِذِي الخَبَالِ
فَحِينَـاً كالكُلابِ لَـدَى انْتِحَالٍ ... وحِيْناً كالحَمِـيْرِ أَوْ البِغَـالِ

وتَلْقَى الشَّيْخَ فِيهِمْ مِثْلَ قِرْدٍ ... يُلَاعِبُهُمْ ويَرْقُصُ في المَجَالِ
بأيِّ شَرِيعَةٍ جَاءَتْ بهذَا ... فَلَمْ نَسْمَعْهُ في العُصُرِ الخُوالِي
فأمَّا عَنْ ذَوِي التَّقْوى فَحَاشَا ... فَهُمْ أَهْلُ التُّقَى والإبْتِهَالِ
وأَهْلُ الاتِّبَاعِ ولَيْسَ مِنْهُمْ ... لَعَمْرِي ذُو ابْتِدَاعٍ في انتحالِ
وكَانَ سُلُوكُهم حقًّا عَلَى مَا ... عَليه الشَّرْعُ دَلَّ مِنَ الكَمَالِ
بأذكَارٍ وأَورَادٍ رَوَوْهَا ... عن الإثبَاتِ عَنْ صَحْبٍ وآلِ
وحَالٍ يَشْهدُ الشَّرْعُ المُزكِّي ... لَهُ بالاقْتِضَا في كُلِّ حَالِ
ومَعْ هَذَا إذَا مَا جَاءَ حَالٌ ... بأَمْرٍ وَارِدٍ لِذَوِي الكَمَالِ
مِن النُكَتِ الَّتِي لِلْقَوْمِ تُرْوَى ... وتُعْرَضُ في الفَنَا فِي ذَ المَجالِ
أَبَوْا أنْ يَقْبَلُوهَا ذَاكَ إلَّا ... بِحُكْمِ الشَّاهِدَيْنِ بلا اخْتِلالِ
كِتَابُ الله أَوْ نَصٌّ صَحِيْحٌ ... صَرِيْحٌ واضِحٌ لِذَوي المَعَالي
وقدْ قَالُوا ولا يَغْرُرْكَ شَخْصٌ ... إلى الآفَاقِ طَارَ ولا يُبَالِي
ويَمْشِي فَوقَ ظَهْرِ الماءِ رَهْواً ... ويأتِي بالخَوارِقِ بالفِعَالِ
ولَمْ يَكُ سَالِكاً في نَهْجِ مَنْ قَدْ ... أَتَى بالشَّرْعِ في كُلِّ الخِصَالِ
فَذلكَ مِنْ شَيَاطِيْنٍ غُوَاةٍ ... لِمَنْ والَاهُمُو مِنْ كُلِّ غَالِ
فَدَعْ عَنْكَ ابْتِدَاعاً واخْتِرَاعاً ... وسُرْ في إثْرِ أصْحَابِ الكَمَالِ
ولَمْ نَستوعِبْ المَفْرُوْضَ لَكِنْ ... ذَكَرْنَا جُمْلَةً فِي ذَا المَجَالِ
فأَحِبْ في الإلٰهِ وعَادِ فيه ... وأَبغِضْ جَاهداً فِيه وَوَالِ
وأَهْلَ العلمِ جَالِسْهم وسَائِلْ ... ولا تَرْكَنْ إلىٰ أَهْلِ الضَّلالِ
ولا يَذْهَبْ زَمَانُكَ في اغْتِفَالِ ... بلا بَحْثٍ وفي قِيْلٍ وَقَالِ

ومُرْ بالعُرْفِ وأنْهَ عن المَنَاهِي ... فَذَا مِنْ شأنِ أربَابِ الكَمَالِ
دَعَانِي واقْتَضَى نَظْمِي لِهَذا ... قَرِيْضٌ قَدْ رَأيتُ لِذي الأمَالِي
وحَقُّ إجَابَةٍ لِسُؤَال خِلٍّ ... وقَدْ سَاعَفْتُهُ بالامْتِثَالِ

فَعَـارَضْتُ الَّـذي لا نَرْتَضيـه   وأَبْقَيْتُ الَّـذِي لِلْشَّـكِّ جَـالِ
وزِدْنَـا فيـه أَبْحَـاثاً حِسَاناً   عليـهِ النَّـاسُ في العُصُر الخَوالِي
فَيَـاذَا العَـرْشِ ثَبِّتْنِي وكُـنْ لِي   نَصِـيراً حَافِظاً ولِمَنْ دَعَـالِي
وحَقِّـقْ فِيْكَ آمَـالِي وجُـدْ لِي   بِعِـلْمٍ نَافِعٍ يَاذَ الجَـلالِ
وصِلْ حَبْـلي بِحَبْلِكَ واعْفُ عَنِّي   جَمِيْعَ السُّـوءِ مِنْ كُلِّ الفِعَـالِ
وصَـلِّ اللهُ ما قَـدْ صَـابَ ودْقٌ   ولَاحَ البَرْقُ في ظُـلَمِ اللَّيـالِي
عَلَى المَعْصُومِ أَحْمَدَ ذِي المَعَالِي   وأتبـاعٍ وأَصحـابٍ وآلِ

تمَّ هذَا الجُزْءُ الثالث بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيْقِهِ وَنسْأَلُ اللَّهُ الحَيَّ القَيُّوْمُ العَلِيُّ العَظِيْمَ ذا الجَلَالِ والإِكْرَامِ الوَاحِدَ الأَحَدَ الفَرْدَ الصَّمَدَ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كفواً أَحَد أنْ يُعِزَّ الإِسْلَامَ والمُسْلِمِيْنَ وأنْ يَخْذُلَ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِيْنَ وَأَعْوَانَهُمْ وأنْ يُصْلِحَ مَن في صَلاحِهِ صَلاحٌ لِلإِسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَيُهْلِكَ مَنْ في هلَاكِهِ عِز وصلاحٌ لِلإِسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَأنْ يَلُمَّ شَعَثَ المُسْلِمِيْنَ وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ ويُصْلِحَ أَوْلَادَهُمْ وَيَشْفِ مَرْضَاهُمْ وَيُعَافِي مُبْتَلَاهُمْ وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخذَ بِأَيْدِيْنَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا وإِيَّاهم مِنْ كُلِّ شَرٌ وَيَحْفَظنا وإِيَّاهم مِن كُلِّ ضُرٍ وأنْ يَغْفِرَ لَنَا ولِوَالِدِينا وجَمِيعِ المُسْلمِين بِرَحْمَتِهِ إِنَّه أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلى الله على محمد وعلى آله وَصَحْبِهِ أجمعين .

والله المسئول أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به نفعاً عاماً إنه سميع قريب مجيب على كل شيء قدير .

(خاتمـــةٌ ، وَصِيَّـــةٌ ، نصِيْحَـــةٌ)

إعْلَمْ وَفقَّنا الله وإيَّاكَ وجَمْيعَ المسلمين لما يحُبُّهُ الله ويَرضَاهُ أنَّ مِمَّا يَجبُ الاعْتِنَاءُ بِهِ حِفْظاً وعَمَلاً كلام الله جَلَّ وعَلا وكَلام رسوله ﷺ .

وأنه يَنْبغي لِمَنْ وَفَّقَهُ الله تعالى أَنْ يَحُثَّ أوْلَادَه على حِفْظ القُرآن وما تَيَسَّرَ مِن أحَاديث النبي ﷺ المتفق على صحَّتِهَا عنه كالبُخاري ومُسْلم .

ومِن الفقه مختصَر المقْنع لِيَتَيَسَّرَ لَهُ استِخْراجُ المسائل ويَجْعَلُ لأوَلادِهِ مَا يَحُثُّهُم على ذَلِكَ .

فَمَثلاً يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ القُرآنَ على صَدْرِهِ حِفْظاً صَحِيْحاً عَشَرَةَ آلافِ أَوْ أَزْيَد أَوْ أقل حَسَبَ حَالِهِ في الغنَى .

ومِن الأَحَادِيثِ عُقودَ اللُّؤلؤ والمرَجان فِيْمَا اتَّفَقَ عَليْهِ الإمَامَانِ البُخارِي ومُسلم ، يَجْعَلُ لَمِنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّةَ آلاف (٦٠٠٠) ريال .

فإنْ عَجَزَوَاْ عن حِفْظِهَا فالعُمدة في الحديث يَجْعَلُ لِمَنْ حَفظها ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) ريال أَوْ الأربعِيْن النّواوِيَّة ويَجْعَل لمن يَحْفَظُهَا أَلْفاً (١٠٠٠) ريال .

ويَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ مُخْتَصَرَ المقنع في الفِقه أَلْفين (٢٠٠٠) مِن الريالات فالغَيبُ سَبَبٌ لحفظ المسائل وسَبَبٌ لسُرعَةِ استِخْرَاج ما أُرِيْدَ مِن ذَلِكَ وما أَشْكَلَ مَعْنَاه أَوْ يُدَخِلهُم في مَدَارسِ تَحفِيْظِ القُرآن في بُيُوتِ الله أو البُيُوتِ المُعَدَّةِ لِذَلِكَ فَمَدَارِسُ تَعْلِيْم القُرآنِ وَالسُّنَّة هِيَ مَدَارِسُ التَّعْلِيْمِ العَالِيْ المُمْتَازِ البَاقِي النّافِعِ في الدُنْيَا والآخرةِ أو يُدْخلهم في حَلَقَاتِ تحفيظ القرآن الكريم الموجُودة في المساجد .

فَمَنْ وَفَّقَهُ الله لِذَلِكَ وعَمِلَ أولادُهُ بِذَلِكَ كان سَبَباً لِحُصُولِ الأَجر من الله وسبَباً لِبّرهِم بهِ ودُعَائِهم لَهُ إذَا ذَكَروْا ذَلِكَ منه ولَعَلَّهُ أنْ يَكُونَ سَبَباً مُبارَكاً يَعْمَلُ بِهِ أَوَلَادُهُ مَعَ أَولادِهم فَيزيْدُ الأَجْرُ لَهُ ولَهُم نَسْأَلُ الله أنْ يُوفّقَ الجَميعَ لِحُسْنِ النّيَةِ إنَّهُ القادِرُ عَلَى ذَلِكَ وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

وَلَمْ أَرَى لِلْخَلَائِقِ مِنْ مُـــرَبٍ كَعِلْمِ الشَرْعِ يُؤْخَذُ عن ثِقَـــاتِ
بِبَيتِ اللهِ مَدْرسَـــةِ الأَوالـــيْ لِمَنْ يَهْوَى العُلُومَ الرَّاقِيَـــاتِ

(فَصْلُ يَحْتَوِيْ عَلى الدُعَاء)

اللّهُمَّ يا عظيمَ الْعَفْو ، يا وَاسِعَ المغفرةِ ، يا قريبَ الرحمةِ ، يا ذا الجلال والاكرام ، هَبْ لنا العافيةِ في الدنيا والآخرة .

اللهم ياحيُّ ويا قيوُم فرِّغنَا لما خَلَقْتَنَا لَهْ ، ولا تُشْغلْنَا بما تَكَفَّلْتَ لَنَا بِهْ ، واجعلنا ممَّنْ يُؤمِنُ بلقَائِكْ ، ويَرْضَى بقَضَائِكْ ، ويَقْنَعُ بعَطَائِكَ ، وَيَخْشَاكَ حَقَّ خَشْيَتَكْ .

اَللهم اجْعَلْ رِزْقَنَا رَغَدًا ، ولا تُشْمِتْ بنَا أَحَدًا .

اللهم رَغِّبْنَا رفيما يَبْقى ، وزهدنا فيما يَفَنى ، وهَبْ لنا اليقين الذي لا تسكن النفوسُ إلا إليه ، ولا يُعَوَّلُ في الدِيْن إلا عليه .

اللهم إنا نسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الَذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفينا شرَّ ما أهمنا وما لا نهتم به وأن تعيذنا مِن شرور أنفسنا ومِن سيئات أعمالنا .

اللهم يا عليم يا حليم يا قوي يا عزيز ياذَ المن والعطا والعز والكبرياء يا مَن تَعْنُوْا له الوجُوه وتخشع له الأصوات .

وفِّقْنا لِصَالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شيء قدير .

اللهم إنا نسألك رحمة مِن عندكَ تَهْدِي بها قُلُوْبَنَا ، وتَجْمعُ بها شَمْلَنَا ، ولَمُ بها شَعَثَنَا ، وترفع بها شاهدنا ، وتَحَفَظُ بها غائِبَنا ، وتزكى بها أعمالنا ، وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم الراحمين .

اللهم ارزقنا من فضلك ، وأكفنا شر خلقك ، وأحفظ علينا دْيَنَنَا وصحةَ أبداننا .

اللهم يا هادِي المضلين ويا راحم المذنبين ، ومُقِيْلَ عثرات

العـاثـرين ، نسألك أن تُلْحِقنا بعبادك الصالحين الذين أنعمتَ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين .

اللهم ياعالم الخفيات ، ويارفيع الدرجات ، ياغافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا أنت إليك المصير.

نسـألك أن تذيقنا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، ياأرحم الراحمين وأرأفَ الرائفين وأكرمَ الأكرمين .

اللهم اعْتقْنَا من رقِّ الذُنُوبْ ، وخَلِّصْنَا مِن أشَرِ النُّفوسْ ، وأذْهِبْ عَنَّا وَحْشَةَ الإِسَاءَةْ ، وطَهِّرْنا مِن دَنَس الذنوب ، وباعِدْ بَيْنَنا وبَيْنَ الخَطَايَا وأجرْنا من الشيطان الرجيم .

اللهم طَيِّبْنَا للَقائكْ ، وأهِّلْنا لوَلائِكْ وأدْخِلْنَا مَعَ المَرْحُوْمينَ مِن أوْلِيَائِكْ ، وتَوفَّنَا مُسْلمين والحقنَا بالصالحين .

اللهم أعِنَّـا على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِكْ ، وتِلاَوَةِ كِتَـابِـكْ ، واجْعَلْنَـا من حِزْبِـكَ المُفْلحِـينَ ، وأيِّدْنَـا بجُنْـدِكَ المَنْصُـورين، وارْزُقْنَـا مُرافَقَـةَ الـذيْنَ أنْعَمْتَ عليهم مِن النبيينَ والصِّديقِين والشهداء والصَّالحين .

اللهم يا فالقَ الحب والنَّوَى ، يا مُنْشِيء الأجْسَادِ بَعْدَ البلَى يا مُؤْيِ المُنْقَطِعِيْنَ إليهْ ، يا كافي المُتَوكِّلِينَ عليه ، انقطَعَ الرَّجَاءُ إلا مِنْـكْ ، وخابَت الظُنُون إلا فِيْكْ ، وضَعُفَ الاعْتِمَاد إلا عَلَيْكْ نسألُكَ أنْ تُمْطِرَ مَحْلَ قُلُوبنا مِن سَحَائِبِ بِرِّكْ واحْسَانِكْ وأن توفقنا لِموجِبـاتِ رحمتك وعَزَائِم مغفرتك إنَكَ جواد كريم رؤوف غفور رحيم .

اللهم إنَّا نسألك قلباً سليماً ، ولساناً صادقاً ، وعملاً متقبلاً ،

ونسألك بركة الحياة وخير الحياة ، ونعوذ بك من شر الحياة ، وشر الوفاة .

اللَّهُمَّ إنا نَسْأَلُكَ باسْمِكَ الأعْظَم الأغَرِّ الأجَلِّ الأكرم الذي إذا دُعِيْتَ به أجَبْتَ وإذا سُئِلْتَ به أعْطَيْتَ .

ونَسْأَلُكَ بوَجْهِكَ الكَرِيْم أكْرَمَ الوُجُوه ، يا من عَنَتْ لَهُ الوُجُوهُ ، وخَضَعَتْ لَهُ الرِقَابُ ، وخَشَعَتْ لَهُ الأصْوَاتُ ، ياذَ الجَلال والأكرام .

ياحَيُّ ياقَيُّومُ ، يامَالِكَ الملكِ ، يامَن هُوَ على كُلِّ شيءٍ قَدِيْرٌ ، وبكل شيءٍ عَلِيم ، لا إله إلا أنْتَ ، بَرحْمَتِكَ نَسْتَغِيْثُ ، ومِن عَذَابكَ نَسْتجير .

اللهم اجعلَنا نَخْشَاكَ حَتَّى كأننا نَرَاكَ ، واسْعِدْنا بتقْواك ، ولا تُشْقِنَا بمَعْصِيَتك .

اللهم إنك تسمعُ كلامَنَا ، وترى مَكاننا ، وتَعْلم سِرَّنَا ، وعَلاَنِيَتَنا لا يَخْفَى عليكَ شيءٌ مِن أمْرِنا نحن البؤساءُ الفُقَراءُ إليك ، المُسْتغِيْثُون المُسْتجيْرُونَ الوجِلُونَ المشفقُونَ المعترفُون بِذُنُوبنا .

نَسْأَلُكَ مَسألةَ المسكين ، ونَبْتَهِلُ إليك إبْتِهَالَ المُذْنِب الذَّلِيْل ، ونَدْعُوْكَ دُعَاءَ الخَائِف الضرير .

اللهم يامَن خَضَعَتْ لَهُ رِقَابنَا ، وفَاضَتْ لَهُ عَبَارَاتُنَا ، وذَلَّت له أجْسَامُنَا ، ورَغِمَتْ لَهُ أنُوْفُنَا لا تَجْعَلْنَا بِدُعَائِك أشقياء ، وكن بنا رؤفًا ياخَير المَسْؤُلِين .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ نَفْساً مُطْمَئِنَّةً ، تُؤمِنُ بلقَائِكْ وتَرْضَى بِقَضائِكْ ، وتَقْنَعُ بعَطَائِكْ ، يا أرأف الرائفين ، وأرحم الراحمين .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ التوفيق لما تُحِبُّه مِن الأعمال ، ونسألُكَ صِدْقَ التوكل عليكْ ، وحُسْنَ الظَنِّ بكَ يارَبَّ العالمين .

اللهم اجعلنا مِن عِبادِكَ المُخبِتِين ، الغُرِّ المُحجَّلِين الوَفْدِ المُتَقَبَّلِين .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَنَفْساً تَقِيَّة ، وعِيْشَةٍ نَقِيَّة ، ومِيْتَةً سَوِيَّة ، ومَرَداً غَيْرَ مُخْزِي ولا فاضح .

اللَهم اجعلنـا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك يارب العالمين .

« اللهم مالكَ الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تَشَاء وتُعِز مَن تشاء وتُذِلُ مَن تشاء بِيَدِكَ الخيرُ إنكَ على كل شىءٍ قــــدير » .

ياوَدُوْدُ يَاذَا العَرش المجيد يامُبْدِىءُ يامُعِيْد يافَعَالٌ لما تُريد نسألك بنور وجهك الذي ملأ أركانَ عَرشك وبقُدرتِكَ التي قدرت بها على جميع خلقكَ وبرحمتك التي وسِعَت كل شىء لا إله إلا أنت أن تغفـر ذنوبَنا وسَيئاتِنا وأنْ تبدلها لنا بحسنات إنك جوادٌ كريم رؤوفٌ رحيم .

اللهم افْتَحْ لِدُعَائِنا بابَ القبولِ والإجابةِ واغفر لنا ولوالدينا وجميعِ المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين ،،،

عبدالعزيز بن محمد بن سلمان

شعــــرا :

مُنَـايَ من الدنيا عُلُومٌ أَبُثُهَــــا وأَنْشُرُهَا في كُلِ بادٍ وحَاضِـــرِ
دُعَاءٌ إِلىَ القُرآنِ والسُنَّـــةِ التـــي تَنَاسَى رِجَـالٌ ذِكْرَهَا في المَحَاضِـرِ
وَقَدْ أَبْدَلُوهَا بالجَـرَائِدِ تَـــارَةْ وَتِلْفَازِهم رَأْسُ الشُرُرِ المَنَاكِــرِ
ومِذْياعِهِمْ أَيْضا فلا تَنْسَ شَـــرَّهُ فكَمْ ضَاعَ مِن وَقْتٍ بهَا بالخَسَائِرِ

آخر : أُقلّبُ كُتباً طالمَا قد جمَعْتُها   وَأَفْنَيْتُ فِيها العَينَ وَالعَينَ وَالْيَدا
وَأَصْبَحْتُ ذَا ظَنٍّ بهَا وَتَمَسُّـــكٍ   لِعِلْمِيْ بِمَا قَدْ صُغْتُ فِيْهَا مُنَضَّدَا
وَأَحْذرَ جُهْدِيْ أَنْ تُنَالَ بنائِـــلٍ   مَهِينٍ وَأَنْ يَغْتَالَهَا غَائِلُ الــرَّدَى
وَأَعْلَمُ حَقاً أَنَّنِي لَسْتُ بَاقِيـــاً   فَيَالَيْتَ شِعْرِيْ مَنْ يُقَلِّبُهَا غَـــدَا

فوائد عَظِيمة النَّفْـــعِ

وَاعَجَباً مِنْكَ يَضِيْعُ مِنْكَ الشيّْءُ القَلِيلُ وَتتكدَّر وَتَتَأَسَّفْ ، وَقَدْ ضَاعَ أَشرَفُ الأشْيَاء عِندَكَ وَهُوَ عُمُرك الذِي لا عِوَضَ لَهُ ، وأنْتَ عِنْدَ قتَّالاَتِ الأَوْقَات ،الكُورة والتّلْفاز والمِذْيَاع وَنحوها مِن قُطَّاعِ الطَّريْقِ عَنِ الأَعْمالِ الصَّالِحَة ، وَلَكِنْ سَتَنْدَم « يَوْمَ يُنَادِ المُنَادِي مِن مَكَانٍ قَرِيْب ، يَوْمَ يَسْمَعُوْنَ الصَّيحَةَ بِالحَقِ ذلك يوم الخروج » .

اللهم عَلِمْنَا ما يَنْفَعُنَا وانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ولا تَجْعَلْ عِلْمَنَا وَبَالاً عَلَيْنا اللَّهُمَّ قَوي مَعْرِفَتَنَا بكَ وَبِأَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ وَنَوِّرْ بَصَائِرَنَا وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّاتِنَا يا رَبَّ العالمين واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلَّى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فهرس الجزء الثالث

تابع فهرس الجزء الثالث

تابع فهرس الجزء الثالث

تابع فهرس الجزء الثالث

تابع فهرس الجزء الثالث

تابع فهرس الجزء الثالث

تابع فهرس الجزء الثالث

تابع فهرس الجزء الثالث

تابع فهرس الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

يوزع مجاناً

موارد الظمآن لدروس الزمان

خطب وحكم واحكام وقواعد ومواعظ وآداب واخلاق حسان

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز المحمد السلمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء الرابع

الطبعة الثلاثون (٣٠)

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير

الموكل عنهم إبراهيم بن علي العودة

جزاهم الله كلهم خيراً

اللهم صلي على محمد وعلى آله وسلم

١٤٢٤ هـ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ
وَبِهِ نستَعِيْـــنْ

شعرا : إذَا شئتَ أنْ تَلقَى عَدُوَّكَ رَاغِمـاً　　فَتُحرِقَهُ حُزْناً وَتَقْتُلَهُ غَمَّـــا
فَعَلَيْكَ بالإِخْلَاصِ وَالزُّهْـدِ والتُّقَـى　　فَمَنْ فَازَ فِيْهَا مَاتَ حُسَّــادُهُ هَمَّــا

فائدة : وقَفَ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوْا إنَّا سَائِلُوكَ أَفَمُجِيْبُنَا أَنْتَ قَالَ سَلُوْا وَلَا تُكْثِرُوْا ، فَإِنَّ النَّهَارَ لَنْ يَعُوْدَ ، والطَّالِبَ حَثِيْث في طَلبه ، قالُوْا فأَوْصنَا ، قال تَزَوَّدُوْا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ فإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أَبْلَغَ البُغْيَةَ ، ثُمَّ قَالَ الأَيَّامُ صَحَائِفُ الأَعْمَارِ فَخَلِّدُوْهَا أَحْسَنَ الأَعْمَالِ ، فإِنَّ الفُرَصَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، وَالتَّوَانِيْ مِنْ أَخْلَاقِ الكُسَالَى والخَوَالِفِ ، وَمَنِ اسْتَوْطَنَ مَرْكَبَ العَجْزِ عَثَرَ بِهِ ، وتَزَوَّجَ التَّوَانِيْ بالكَسَلِ فَوُلِدَ بَيْنَهُما الخُسْرَانُ اهـ . قال بَعْضُهُمْ :

شِعْرًا : تَزَوَّجَتِ البَطَـالَةُ بالتَّوَانِيْ　　فَأَوْلَدَهَا غُلَاماً مَعْ غُلَامَـــهْ
فَأَمَّا الإِبْنُ سَمَّــوْهُ بِفَقْـــرٍ　　وَأَمَّا البِنْتُ سَمَّوْهَا نَدَمَـــهْ

آخر : يَا سَاكِنَ الدُّنْيَا تَأَهَّــبْ　　وَانْتَظِرْ يَوْمَ الفِـــرَاقْ
وَأَعِـدَّ زَادًا لِلرَّحِيْــــلْ　　فَسَوْفَ يُحْـدَى بالرِّفَـــاقْ
وَابْـكِ الذُنُــوْبَ بِأَدْمُــعٍ　　تَنْهَـلُّ مِنْ سُحُــبِ المَــآقْ
يا مَــنْ أَضَــاعَ زَمَــانَهُ　　أَرَضِيْتَ مَا يَفْنَـى بِبَــاقْ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملاحظـــة :

لا يسمح لأي إنسان أنْ يَخْتَصِرَهُ أوْ يَتَعَرَّضَ له بما يُسَمُّونَه تَحقِيْقاً لأَنَّ الإختصار سَبَبٌ لتعطيل الأصْلِ والتحقيق أرَى أنَّهُ إتِهَامٌ لِلْمُؤلف ، ولا يُطْبَع إلا وقفاً لله تعالى على مَن ينتفع به من المسلمين .

(فائدةٌ عَظِيْمَةُ النَّفعْ لِمَنْ وَفَّقَهُ الله)

ما أَنْعَم الله على عَبْدٍ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أنْ عَرَّفَه لاَ إلهَ إلا الله ، وفهَّمَهُ مَعْنَاهَا ، وَوَفَّقَهُ لِلعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا ، والدَّعْوَةِ إليْهَا .

إصْرِفْ هُمُومَكَ لِلْقُرآنِ تَفْهَمَهُ ... وَاعْمَلْ بِهِ كَيْ تَنَالَ الأجْرَ والشَّرَفَا
آخر : الذِّكْرُ أصْدَقُ قَوْلٍ فافْهَم الخَبَرَا ... لأنَّهُ قَوْلُ مَنْ قَدْ أنْشَأ البَشَرَا
فَاعْمَلْ بِهِ إنْ تُرِدْ فَهْماً ومَعْرِفَةً ... يَاذَا النُّهَى كَيْ تَنَال العِزَّ والفَخَرَا
وتَحْمدِ الله في يَوْمِ المَعَادَ إذَا ... جَاءَ الحِسَابُ وعَمَّ الخَوفُ وانْتَشَرَا
لله دَرُّ رَجالٍ عَامِلِيْنَ بِهِ ... فِيْمَا يَدِقُ وَمَا قَدْ جَلَّ واشْتَهَرَا
آخر : جَمِيْعُ الكُتْبِ يُدْرِك مَنْ قَراهَا ... مِلالٌ أو فُتُورُ أَوْ سَآمَهْ
سِوَى القُرْآن فافْهَمْ وَاسْتَمِعْ لي ... وقَوْلِ المُصْطَفَى يا ذَا الشَّهَامَهْ

بسم الله الرحمن الرحيم

آخر : هِيَ الكُنوزُ التي تنْمُوْ ذَخائِرهَا ولا يُخَافِ عَلَيها حَادثَ الغِيَرَ

النَاسُ إِثْنَانِ ذُوْ عِلْمٍ ومُسْتَمِعٌ وَاعٍ وَغَيْرُهُمَا كَاللَّغْوِ والهَذَرِ

(١)

اللَّيلُ والنهارُ يَعْمَلان فِيْكَ فاعْمَلْ فيهما أَعْمَالاً صَالِحَةً تَرْبَحَ وتحمَدِ العَاقِبةَ الحَمِيْدةِ إن شاء الله تعالى .

وَلَيْلُكَ شَطْرُ عُمْرِكَ فَاغْتَنِمْهُ ولا تَذْهَبْ بِشطْرِ العُمْرِ نَوْمَا

آخر : أَلَا لَيْتَ أَنِّي يَوْمَ تَدْنُو مَنِيَّتِيْ أَلَازِمُ ذِكْرَ اللهِ فِي كُلِّ لَحْظَةِ

(٢)

الملَائِكةُ يَكْتُبَانِ مَا تَلفَّظَ به فاحْرِصْ عَلَى أنْ لا تَنْطِقَ إِلَّا بِمَا يَسرُّكَ يوم القِيَامَةْ . أَشْرَف الأشْياء قَلْبُكَ ، ووَقْتُك ، فإذا أَهْمَلْتَ قَلْبَكَ وضَيَّعْتَ وَقْتَك ، فَماذا يَبْقَى مَعَك ، كُلُّ الفَوائِدِ ذَهَبتْ .

شعرا : أَمَّا بُيُوْتُكَ فِي الدُنْيا فَواسِعَةٌ فَلَيْتَ قَبْرَكَ بَعْدَ المَوْتِ يَتَّسِعُ

(٣)

إِعْلَم أَنَّ قِصرَ الأَمَل عليه مَدَارُ عظيم ، وحِصَنُ الأَمَل ذِكْرُ الموتِ ، وحِصْنُ حِصْنِه ذِكْرُ فَجْأَةِ الموتِ وَأخْذُ الإنسان على غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ ، وهُوَ في غِرَرٍ وفُتُورٍ عن العمل لِلآخِرَةِ . نَسْأَلُ اللهُ أَنْ يُوقِضَ قُلوبَنَا إنه على كل شيء قدير . اللهم صلى على محمد وآله وسلم .

آخر : إذَا كانَ رَأْسُ المالِ عُمْرُكَ فَاحْتِرزْ عَليه من الإِنْفَاقِ فِي غَيْرِ وَاجِبِ

بسم الله الرحمن الرحيم

(فَصْــــــلٌ)

« فِي نَماذجَ مِنْ الفِرَاسَةِ »

وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهُ فِرَاسَةٌ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أُتِيَ يَوْماً بِفَتىً أَمْرَدٍ قَدْ وُجِدَ قَتِيْلاً مُلْقىً عَلَى الأَرْضِ فَسَأَلَ عُمَرُ عَنْ امْرِهِ وَاجْتَهَدَ فَلَمْ يَقِفْ لَهُ عَلَى خَبَرٍ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ .

فَقَالَ اللهُمَّ أَظْفِرْنِيْ بِقَاتِلِه حَتَّى إذَا كَانَ عَلَى رَأْسِ الحَوْلِ وُجِدَ صَبِيٌّ مَوْلُوْدٌ مُلْقىً بِمَوْضِعِ القَتِيْلِ فَأُتِيَ بِهِ عُمَرُ فَقَالَ ظَفِرْتُ بِدَمِ القَتِيْلِ إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إلى امْرَأَةٍ تُرْضِعُهُ وَتَقُومُ بِشَأْنِه وَقَالَ خُذِيْ مِنَّا نَفَقَتَهُ وَانْظُرِيْ مَنْ يَأْخُذُهُ مِنْكِ فإذا وَجَدْتِ امْرَأَةً تُقَبِّلُهُ وَتَضُمُّهُ إلى صَدْرِهَا فَأَعْلِمِينِيْ بِمَكَانِهَا .

فَلَمَّا شَبَّ الصَّبِيُّ جَاءَتْ جَارِيَةٌ فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ إنَّ سَيِّدَتِيْ بَعَثَتْنِيْ إلَيْكِ لِتَبْعَثِيْ بِالصَّبِيِّ لِتَرَاهُ وَتَرُدُّهُ إلَيْكِ قَالَتْ نَعَمْ إذْهَبِيْ بِهِ إلَيْهَا وَأَنَا مَعَكِ فَذَهَبَتْ بِالصَّبِيِّ وَالمَرْأَةُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى سَيِّدَتِهَا فَلَمَّا رَأَتْهُ أَخَذَتْهُ فَقَبَّلَتْهُ وَضَمَّتْهُ إلَيْهَا .

فَإِذَا هِيَ ابْنَةُ شَيْخٍ مِنْ الأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ النبيِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَأَتَتْ عُمَرَ فَخَبَّرَتْهُ فَاشْتَمَلَ عَلَى سَيْفِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ إلَى مَنْزِلِ المَرْأةِ فَوَجَدَ أَبَاهَا مُتَّكِئاً عَلَى البَابِ فَقَالَ يَا فُلاَنُ مَا فَعَلَتْ ابْنَتُكَ فُلاَنَةٌ قَالَ جَزَاهَا اللهُ خَيْراً يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ هِيَ مِنْ أَعْرَفِ النَّاسِ بِحَقِّ اللهِ وَحَقِّ أَبِيْهَا مَعَ حُسْنِ صَلاَتِهَا وَصِيَامِهَا وَالقِيَامِ بِدِيْنِهَا .

فَقالَ عُمَرُ قَدْ أَحْبَبْتُ أن أَدْخُل إِلَيْهَا فَأزِيْدَهَا رَغْبَةً في الخَيْرِ وأُحُثَّهَا عَلَيْهِ فَدَخَلَ أبُوها وَدَخَلَ عُمَرُ مَعَهُ فَأَمَرَ مَنْ عِنْدَهَا فَخرَجَ وَبَقِي هُوَ وَالمَرْأَةُ في البَيْتِ فَكَشَفَ عُمَرُ عَنِ السَّيْفِ وَقَالَ لَتَصْدُقِيْني وَ إِلاَّ ضَرَبْتُ عُنُقَكِ وَكَانَ لا يَكْذِبُ .

فَقَالَتْ عَلَى رِسْلِكَ فَوَاللَّهِ لأَصْدُقَنَّ إِنَّ عَجُوْزاً كَانَتْ تَدْخُلُ عَلَيَّ فاتَّخذَتْهُا أمّاً وَكَانَتْ تَقُومُ مِنْ أَمْرِيْ كَمَا تَقُومُ بِهِ الوَالِدَةُ وَكُنْتُ لَهَا بِمَنْزِلَةِ البِنْتِ فَمَضَى لِذَلِكَ حِيْنٌ ثمّ إنَّها قَالَتْ يَا بُنَيَّةُ إنَّهُ قَدْ عَرَضَ لِيْ سَفَرٌ وَلِيْ ابْنَةٌ فِي مُوْضِعٍ أَتَخَوَّفُ عَلَيْهَا فِيْهِ أَنْ تَضِيْعَ وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَضُمَّهَا إِلَيْكِ حَتَّى أَرْجِعَ مِنْ سَفرِيْ .

فَعَمَدَتْ إِلَى ابْنٍ لَهَا شَابٍّ أَمْرَدٍ فَهَيَّئَتْهُ كَهَيْئَةِ الجَارِيَةِ وَأَتَتْنِيْ بِهِ وَلاَ أُشُكُّ أَنَّهُ جَارِيَةٌ فَكَانَ يَرَى مِنِّي مَا تَرَى الجَارِيَةُ مِن الجَارِيَةِ حَتَّى اغْتَفَلَني يَوْماً وَأنَا نَائِمَةٌ فَمَا شَعَرْتُ حَتَّى عَلاَنِيْ وَخَالَطَنِيْ فَمَدَدْتُ يَدِيْ إلى شَفْرَةٍ كَانَتْ إلى جَنْبِيْ فَقَتَلْتُهُ .

ثُمَّ أَمَرْتُ بِهِ فَأُلْقِيَ حَيْثُ رَأَيْتَ فَاشْتَمَلْتُ مِنْهُ عَلى هَذَا الصَّبِيِّ فَلَمَّا وَضَعْتُهُ أَلْقَيْتُهُ في مَوْضِعِ أَبِـيْهِ فَهَذَا واللّهِ خَبَرُهُمَا عَلَى مَا أَعْلَمْتُكَ .

فَقَالَتْ صَدَقْتِ ثُمَّ أَوْصَاهَا وَدَعَا لَهَا وَخَرَجَ وَقَالَ لأَبِيْها نِعْمَ الابْنَةُ ابْنَتُكَ ثُمَّ انْصَرَفَ .

وَقَالَ نَافِعُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ بَيْنَما عُمَرُ جَالِسٌ إذْ رَأى رَجُلاًفَقَالَ لَسْتُ ذَا دِرَايَةٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ كَانَ يَنْظُرُ في الكِهَانَةِ ادْعُوْهُ لِي فَدَعَوْهُ فَقَالَ هَلْ كُنْتَ تَنْظُرُ وَتَقُوْلُ في الكِهَانَةِ شَيْئاً قَالَ نَعَمْ .

وَقَالَ مَالِكُ عَنْ يَحْيَ بْنِ سَعِيْدٍ إِنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ قَالَ لِرَجُلٍ مَا اسْمُكَ قَالَ جَمْرَةُ قَالَ ابْنُ مَنْ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ قَالَ مِمَّنْ قَالَ مِنَ الحُرْقَةِ قَالَ أَيْنَ

مَسْكَنُكَ قَالَ بِحَرَّةِ النَّارِ قَالَ أَيُّها قَالَ بِذَاتِ لَظَى فَقَالَ عُمَرُ أَدْرِكْ أَهْلَكَ فَقَدْ احْتَرَقُوا فَكَانَ كَمَا قَالَ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولُ اللهِ لَوْ اتَّخَذْتَ مِنْ مَقَامِ ابْرَاهِيْمَ مُصَلَّى فَنَزَلَتْ الآيَةُ ﴿ وَاتَّخِذُوْا مِنْ مَقَامِ ابْرَاهِيْمَ مُصَلًّى ﴾ وَقَالَ يَا رَسُولُ اللهِ لَوْ أَمَرْتَ نِسَائكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ وَاجْتَمَعَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاؤُهُ فِي الغَيْرَةِ فَقَالَ لَهُنَّ عُمَرُ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ فَنَزَلَتْ كذَلِكَ .

وَشَاوَرَهُ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ فَأَشَارَ بِقَتْلِهِمْ وَنَزَلَ القُرْآنُ بِمُوَافَقَتِهِ وَرَوَى زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيْه ، قَالَ قَدِمَتْ عَلَى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللّهُ عنه حُلَلٌ مِنْ اليَمَنِ فَقَسَمَها بَيْنَ النَّاسِ فَرَأى فِيْهَا حُلَّةً رَدِيْئَةً فَقَالَ كَيْفَ أَصْنَعُ بِهَذِهِ إِنَّ أَحَداً لَمْ يَقْبَلْهَا فَطَوَاهَا وَجَعَلَهَا تَحْتَ مَجْلِسِهِ وَأَخْرَجَ طَرَفَهَا وَوَضَعَ الحُلَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَقْسِمُ بَيْنَ النَّاسِ .

فَدَخَلَ الزُّبَيْرُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الحَالِ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلى تِلْكَ الحُلَّةِ ، فَقَالَ مَا هَذِهِ الحُلةُ فَقَالَ عُمَرُ دَعْهَا عَنْكَ قَالَ مَا شأْنُها قَالَ دَعْهَا قَالَ فَأعْطِنِيْهَا قَالَ إِنَّكَ لَا تَرْضَاهَا ، قَالَ بَلَى قَدْ رَضِيْتُهَا فَلَمَّا تَوَثَّقَ مِنْهُ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَرُدَّهَا رَمَى بِهَا إِلَيْهِ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا إِذا هِيَ رَدِيْئَةٌ قَالَ لا أُرِيْدُهَا قَالَ عُمَرُ هَيْهَاتَ قَدْ فَرَغْتُ مِنْهَا فَأَجَازَهَا عَلَيْهِ وَلَمْ يَقْبَلْهَا .

اللهُمَّ وَفِّقْنَا لِلْهِدَايَةِ وَأَبْعِدْنَا عَنْ أَسْبَابِ الجَهَالَةِ وَالغَوَايَةِ اللهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى الإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ وَلَا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَاوَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ الوَهَّابُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ خاصَمَ غُلَامٌ مِن الأنْصارِ أُمَّهُ إلى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه فجَحَدَتْهُ فسَألَهُ البَيِّنَةَ فَلَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ وَجاءتْ المَرْأَةُ بِنَفرٍ فَشَهِدُوا أنها لَمْ تَتَزَوَّجْ وَأنَّ الغُلَامَ كَاذِبٌ عَلَيْهَا وَقَدْ قَذَفَها فأمَرَ عُمَرُ بِضَرْبِهِ .

فَلَقِيَهُ عَلِيّ بْنُ أَبِيْ طَالِبٍ فَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِمْ فَأَخْبَرَهُ فَدَعَاهُمْ ثُمَّ قَعَدَ في مَسْجِدِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم وسَأَلَ المَرْأَةَ فَجَحَدَتْ فَقَالَ لِلغُلَامِ اجْحَدْهَا كَمَا جَحَدَتْكَ فَقَالَ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلَّم إنَّها أُمِّيْ قَالَ اجْحَدْهَا وأنا أَبُوْكَ وَالحَسَنُ وَالحُسَيْنُ أخَوَاكَ .

قَالَ قَدْ جَحَدْتُهَا وَأَنْكَرْتُهَا فَقَالَ عَلِيٌّ لأَوْلِيَاءِ المَرْأَةِ أَمْرِيْ فِي هَذِهِ المَرْأَةِ جَائِزٌ قَالُوا نَعَمْ وَفِيْنَا أَيْضاً فَقَالَ أُشْهِدُ مَنْ حَضَرَ أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُ هَذَا الغُلَامَ مِنْ هَذِهِ المَرْأَةِ الغَرِيْبَةِ مِنْهُ يا قَنْبَرُ ائْتِنِيْ بِدَرَاهِمَ فَأَتَاهُ فَعَدَّ أَرْبَعْمَائَةٍ وَثَمَانِيْنَ دِرْهَماً فَقَذَفَهَا مَهْراً لَهَا .

وَقَالَ لِلْغُلَامِ خُذْ بِيَدِ امْرَأَتِكَ وَلاَ تَأْتِنَا إلاَّ وَعَلَيْكَ أَثَرُ العُرْسِ فَلَمَّا وَلى قَالَتْ المَرْأَةُ يا أَبَا الحَسَنِ اللهَ اللهَ هُوَ النَّارُ هُوَ واللهِ ابْنِيْ .

قَالَ وَكَيْفَ ذَلِكَ قَالَتْ إنَّ أَبَاهُ كَانَ هَجِيْناً ـ الهَجِيْنُ عَرَبِيٌّ وُلِدَ مِنْ أَمَةٍ أَوْ مَنْ أَبُوْهُ خَيْرٌ مِنْ أُمِّهِ ـ وَإنَّ إِخْوَتِي زَوَّجُونيْ مِنْهُ فَحَمَلْتُ بِهَذَا الغُلَامِ وَخَرَجَ الرَّجُلُ غَازِياً فَقُتِلَ وَبَعَثْتُ بِهَذَا إلى حَيِّ بَنِيْ فُلَانٍ فَنَشَأَ فِيْهِمْ وَأَنِفْتُ أَنْ يَكُوْنَ ابْنِيْ فَقَالَ عَلِيٌّ أنا أَبُو الحَسَنِ وَأَلْحَقَهُ بِهَا وَثَبَّتَ نَسَبَهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ سَأَلَ رَجُلاً كَيْفَ أَنْتَ فَقَالَ مِمَّنْ يُحِبُّ

الفِتْنَةَ وَيَكْرَهُ الحَقَّ وَيَشْهَدُ عَلى مَا لَمْ يَرَهُ . فَأمَرَ بِهِ إلى السِّجْنِ فأَمَرَ عَلِيٌّ بِرَدِّهِ فَقَالَ صَدَقَ ، فَقَالَ كَيْفَ صَدَّقتَهُ قَالَ يُحِبُّ المالَ وَالوَلَدَ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿إنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ وَيَكْرَهُ المَوْتَ وَهُوَ الحَقُّ وَيَشْهَدُ أنّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ وَلَمْ يَرَهُ فَأَمَرَ عُمَرُ بِإطْلَاقِهِ وَقَالَ « اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ » .

وَشَكَا شَـابٌ إلى عَلِيّ نَفَراً فَقَالَ إنَّ هؤلاء خَرَجُوا مَعَ أَبِيْ فِي سَفَرٍ فَعَادُوا وَلَمْ يَعُدْ أَبِيْ فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهُ فَقَالُوا مَاتَ فَسَأَلْتُهُم عَنْ مَالِهِ فَقَالُوا مَا تَرَكَ شَيْئاً وَكَانَ مَعَهُ مَالٌ كَثِيْرٌ وَتَرَافَعْنَا إلى شُرَيْحٍ فَاسْتَحْلَفَهُم وَخَلَّى سَبِيْلَهُم .

فَدَعَا عَلِيٌّ بِالشُّرَطِ فَوَكَّلَ بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُم رَجُلَيْنِ وَأَوْصَاهُمْ أَنْ لا يُمْكِّنُوا بَعْضَهُمْ أَنْ يَدْنُوَ مِنْ بَعْضٍ وَلَا يُمَكِّنُوا أحَداً يُكَلِّمُهُمْ وَدعَا كَاتِبَهُ وَدَعا أحَدَهُمْ فَقَالَ أخْبِرْنِيْ عَنْ أَبِ هَذَا الفَتَى أَيَّ يَوْمٍ خَرَجَ مَعَكُمْ وَفِي أَيِّ مَنْزِلٍ نَزَلْتُمْ وَكَيْفَ كَانَ سَيْرُكُمْ وَبِأَيِّ عِلَّةٍ مَاتَ وَكَيْفَ أُصِيْبَ بِمَالِهِ وَسَأَلَهُ عَمَّنْ غَسَّلَهُ وَدفَنَهُ وَمَنْ تَوَلَّى الصَّلَاةَ عَلَيْهِ وَأَيْنَ دُفِنَ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَالكَاتِبُ يَكْتُبُ فَكَبَّرَ عَلِيٌّ وَكَبَّرَ الحَاضِرُوْنَ وَالمُتَّهَمُوْنَ لَا عِلْمَ لَهُمْ إلاّ أنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ صَاحِبَهُم قَدْ أَقَرَّ عَلَيْهِم .

ثُمَّ دَعَا آخَرَ بَعْدَ أنْ غَيَّبَ الأَوَّلَ عَنْ مَجْلِسِهِ فَسَأَلَهُ كَمَا سَأَلَ صَاحِبَهُ ثُمَّ الآخَرَ كَذَلِكَ حَتَّى عَرَفَ ما عِنْدَ الجَمِيْعِ فَوَجَدَ كُلَّ وَاحِدٍ يُخْبِرُ بِضِدِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ صَاحِبُهُ ثُمَّ أَمَرَ بِرَدِّ الأَوَّلِ فَقَالَ يَا عَدُوَّ اللّهِ قَدْ عَرَفْتُ غَدْرَتَكَ وَكَذِبَكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ أَصْحَابِكَ وَمَا يُنْجِيْكَ مِن العُقُوْبَةِ إلا الصِّدْقُ ثُمَّ أمَرَ بِهِ إلى السِّجْنِ ،وَكَبَّرَ وَكَبَّرَ مَعَهُ الحَاضِرُوْنَ .

فَلَمَّا أَبْصَرَ القَوْمُ الحَالَ لم يَشُكُّوا أَنَّ صَاحِبَهُمْ أَقَرَّ عَلَيْهِمْ فَدَعَا آخَرَ مِنْهُمْ فَهَدَّدَهُ فَقَالَ يَا أَمِيْرَ المؤْمِنِيْنَ وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ كَارِهاً لِمَا صَنَعُوا ثُمَّ دَعَا الجَمِيْعَ

فَأقَرُّوا بالقِصَّةِ وَاسْتَدْعَى الذي في السِّجْنِ وَقالَ لَهُ قَدْ أَقَرَّ أَصْحابكَ وَلاَ يُنْجِيْكَ سِوَى الصِّدْق فَأقَرَّ بكُلِّ ما أقرَّ بِهِ القَوْمُ فَأغْرَمَهُمْ المالُ وَأقَادَ مِنْهُمْ بالقَتِيْلِ .

اللَّهُمَّ أرْحَمْ غُرْبَتَنَا في القُبُور وَآمِنَّا يَوْمَ البَعْثِ والنُّشُوْر واغْفرْ لَنا وَلِوَالِدَيْنا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فصل)

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ دَفَعا إلَى امْرَأةٍ مِائَةَ دِيْنَارٍ وَدِيْعَة وَقَالاَ لاَ تَدْفَعِيْهَا إلى وَاحِدٍ مِنَّا إلا وَمَعَهُ صَاحِبُه فَلَبَثَا حَوْلاً فَجَاءَ أحَدُهُمَا فَقَال إنَّ صَاحِبِي قَدْ مَاتَ فَادْفَعِي إليَّ الدَّنَانِيْرَ فَأبَتْ وَقَالَتْ إنَّكُما قُلْتُما لا تَدفِعِيْهَا إلى وَاحِدٍ مِنّا دُوْنَ صَاحِبِه فَلَسْتُ بِدَافِعَتِها إلَيْكَ ، فَثَقَّلَ عَلَيْهَا بِأهْلِهَا وَجِيْرَانِهَا حَتَّى دَفَعَتْهَا إلَيْهِ .

ثُمَّ لَبِثَتْ حَوْلاً آخرَ فَجَاءَ الآخَرُ فَقَالَ ادْفَعِيْ إلَيَّ الدَّنَانِيْرَ فَقَالَتْ إنَّ صَاحِبَكَ جَاءَنِي فَزَعَمَ أنكَ قَدْ مُتَّ فَدَفَعْتُها إلَيْهِ فَاخْتَصَمَا إلَى عُمَرَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ فَأرَادَ أنْ يَقْضِيَ عَلَيْهَا فقالَتْ ادْفَعْنَا إلَى عَلِيِّ بْنِ أبِيْ طَالِبٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ فَعَرفَ عَلِيّ أَنَّهُمَا قَدْ مَكَرا بِهَا .

فَقَالَ ألَيْسَ قُلْتُمَا لا تَدْفَعِيْهَا إلَى وَاحِدٍ مِنَّا دُوْنَ صَاحِبِه قَالَ بَلَى قَالَ مَالُكَ عِنْدَهَا فَاذْهَبْ فَجِيْءْ بِصَاحِبِكَ حَتَّى تَدْفَعهُ إلَيْكُما .

وَاخْتَصَمَ إلَى إيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ رجُلانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا إنَّهُ بَاعِنِيْ جَارِيَة رَعْنَا فَقَالَ إيَاسٌ وَما عَسَى أنْ تَكُوْنَ هَذِهِ الرُّعُوْنَةُ قَالَ شِبْهُ الجُنونُ فَقَالَ إيَاسٌ لِلْجَارِيَةِ أتذْكُرِيْنَ مَتَى وُلِدْتِيْ قَالَتْ نَعَمْ قَالَ فأيُّ رِجْلِيْكِ أطوَلُ قَالَتْ هَذِهِ فقالَ إيَاسٌ رُدَّهَا فَانَّها مَجْنُونَةٌ .

وَتَقدَّمَ إلى إيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ فقَالَ إيَاسٌ أمَّا احْدَاهُنَّ فَحامِلٌ وَالأُخرى مُرْضِعٌ وَالآخرىٰ ثيّبٌ وَالاخْرى بِكْرٌ فنظَرُوا فوجَدوا الأَمْرَ كما قَالَ قَالُوا كَيْفَ عَرَفْتَ ، فَقَالَ أمَّا الحامِلُ فَتْرفُع ثَوْبَها عَنْ بَطْنِها وَهِيَ تُكلمّنُيْ فعلِمْتَ أنَّها حَامِلٌ وأمَّا المُرضِعُ فكانَتْ تَضْرِبُ ثدْيَها فَعلِمْتُ أنها مُرْضِعٌ ، وأمَّا الثيِّبُ فكانتْ تُكلِّمُنِيْ وَعينُها في عَيْنِيْ فَعلِمْتُ أنَّها ثيِّبٌ .

وَأمَّا البِكْرُ فكَانَتْ تُكلِّمُنِيْ وَعَيْنُها في الأرْضِ فَعلِمْتَ أنَها بِكْرٌ ، وقَالَ المدَائِنِيّ عَنْ رَوْحٍ اسْتَوْدَعَ رَجُلٌ رَجُلا مِنْ أبْنَاءِ النَّاسِ مَالاً ثُمَّ رَجَعَ فطلَبَهُ فجحَدَ فأتَا إيَاساً فأَخْبَرَهُ فقَالَ لهُ إيَاسُ انْصرِفْ فاكْتُمْ أمْرَكَ وَلا تُعْلِمْهُ أنَّكَ أتَيْتَنِيْ ثم عُدْ إليَّ بَعْدَ يَوْمَيْنِ .

فدَعَا إيَاسٌ المُودَعَ فَقَالَ قَدْ حَضَرَ مَالٌ كَثِيْرٌ وَأُرِيْدُ أنْ أُسَلِّمَهُ إلَيْكَ أفَحَصِيْنٌ مَنْزِلُكَ قالَ نَعَمْ قَالَ فأعِدَّ لهُ مَوْضِعاً وَحَمَّالِيْنَ وَعادَ الرَّجُلُ صَاحِبُ الوَدِيْعَةِ إلى إيَاسٍ .

فَقَالَ انْطلِقْ إلى صَاحِبَكَ فاطْلُبْ المَالَ فَإنْ أعْطَاكَ فَذَاكَ وَإنْ جَحَدَكَ فَقُلْ لَهُ إنِّيْ أخبرُ القاضِيْ فَأتَى الرَّجُلُ صَاحِبَهُ فَقَالَ مَالِيْ وَإلا أَتَيْتُ القَاضِيْ وَشَكْوتُ إليْهِ وَأخْبَرْتُه بِأمْرِي ، فَدَفَعَ إلَيْهِ مَالَهُ فَرَجَع الرَّجُلُ إلى إيَاسٍ فَقَالَ قَدْ أعْطَانِيْ المالَ .

وَجَاءَ الأَمِيْنُ إلَى إيَاسٍ لِوَعْدِهِ فَزَجَرَهَ وَانْتَهرَهُ وَخَجَّلَهُ وَقَالَ لاَ تَقْرَبْنِيْ يَا خَائِنُ . وَتَقلَدَ القَضَاءَ بِوَاسَطَ رَجُلٌ ثِقَةٌ فَأَوْدَعَ رَجُلٌ بَعْضَ شُهَودِهِ كِيْساً مَخْتُومَاً ذَكَر أنَّ فِيْهِ ألفَ دِيْنَارٍ .

فَلَمَّا طَالَتْ غَيْبَةُ الرَّجُلِ فَتَقَ الشَاهِدُ الكِيْسَ مِنْ أسْفَلِهِ وَأَخَذَ الدَّنانِيْرَ وَجَعَلَ مَكانَها دَرَاهِمَ وأعَادَ الخِيَاطَةَ كَمَا كَانَتْ .

وَجاءَ صَاحِبُ الكِيْسِ فَطَلَبَ وَدِيْعَتَهُ فَدَفَعَ إِلَيْهِ الكِيْسَ بِخَتْمِهِ لَمْ يَتَغَيّر فلمَّا فتحهُ وَشَاهَدَ الحَالَ رَجَعَ إليْهِ وقَالَ إِنّيْ أَوْدَعْتُكَ دَنَانِيرَ وَالتِي دَفَعْتَ إليَّ دَرَاهِمَ فَقَالَ هُوَ كِيْسُكَ بِخَاتَمِكَ فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ القَاضِيْ فأمَرَ بِإحْضَارِ المُوْدَعِ فلمَّا صَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ القَاضِيْ مُنْذُ كَمْ أَوْدَعَكَ هَذَا الكِيْسُ فقالَ مُنْذُ خَمْسَةَ عَشَر سَنَةً .

فَأَخَذَ القَاضِيْ تِلْكَ الدَّرَاهِمَ وَقَرأَ سِكَّتَها فاذا فِيْهَا مَا قَدْ ضُرِبَ مِنْ سَنَتَيْنِ وَثلاثٍ فَأمَرهُ بِدَفْعِ الدَّنَانِيْرِ إِلَيْهِ وَأَسْقَطَهُ وَنَادَى عَلَيْهِ ، وَاسْتَوْدَعَ رَجُلٌ لِغَيْرِهِ مَالاً فَجَحَدهُ فَرفَعَهُ إلى إِيَاسٍ فَسَأَلهُ فأنكَرَ .

فَقَالَ لِلْمُدَّعِيْ أَيْنَ دَفعْتَ إِلَيْهِ فَقَالَ فِي مَكَانٍ كَذا في البَرِّيَّةِ فَقَالَ وَمَا كَانَ هُناكَ قَالَ شَجرةٌ قَالَ اذْهَبْ إِلَيْهَا فَلَعَلَّكَ دَفَنْتَ المَالَ عِنْدَها وَنَسِيْتَ فَتَذْكُرَ إذَا رَأَيْتَ الشَّجَرَةَ فمضَى وقَالَ لِلْخَصْمِ اجْلِسْ حَتَّى يَرْجِعَ صَاحِبُكَ وَإِيَاسٌ يَقْضِيْ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ .

ثُمَّ قَالَ يَا هَذَا أَتَرَىٰ صَاحِبَكَ بَلَغَ مَكَانَ الشَّجَرَةِ قَالَ لاَ قَالَ يَا عَدُوَّ اللهِ إِنَّكَ خائِنٌ قَالَ أقِلْنِيْ قَالَ أَقَالَكَ اللهُ فأمَرَ مَنْ يَحْتَفِظُ بِهِ حَتَّى جَاءَ الرَّجُلُ فقالَ لهُ أيَاسٌ اذْهَبْ مَعَهُ فَخُذْ حَقَّكَ .

وَتَقَدَّمَ رَجُلٌ شَيْخٌ أَيْ كَبِيْرُ السِّنِّ ومعهُ غُلامٌ حَدَثٌ أَيْ صَغِيْرٌ إلى القَاضِيْ أبِي حَازِمٍ فَادَّعَى الشَّيْخُ عَلى الغُلامِ بألِفْ دِيْنَارٍ دَيْناً فَقَالَ مَا تَقُولَ قَال نَعَمْ فَقَالَ القَاضِيْ لِلشَّيْخِ مَا تُرِيْدُ قَالَ احْبِسْه قَالَ لا .

فَقَالَ الشَّيْخُ إِنْ رَأى القَاضِيْ أَنْ يَحْبِسَهُ فَهُوَ أَرْجَى لِحُصُولِ مَالِي فَتَفَرَّسَ أبُو حَازِمٍ فِيْهِما سَاعَةً ثم قالَ تَلازَما حَتّى أنْظُرَ في أَمْرِكُما في مَجْلِسٍ آخرَ فقَالَ لَهُ مُكْرِمُ بْنُ أحْمَدٍ لِمَاذَا أخرّتَ حَبْسَهُ فقَالَ وَيْحكَ إِنِّي أَعْرِفُ في

أَكْثَرِ الأَحْوَالِ فِي وُجُوْهِ الخُصُوْمِ وَجْهَ المُحِقِّ مِن المُبْطِلِ وَقَدْ صَارَتْ لِيْ بذلِكَ دِرَايَة لا تكادُ تُخْطِىء .

وَقَدْ وَقَعَ لِيْ أَنَّ سَمَاحَهُ هَذا بالاقْرَارِ عَيْنُ كَذِبِه وَلَعَلَّهُ يَنْكَشِفُ لِي من أمْرِهِمَا مَا أكُوْنُ مَعَهُ على بَصِيْرةٍ أمَا رَأَيْتَ قِلَّةَ تَعاصِيْهِمَا في المُناكَرَةِ وقلَّةِ اخْتِلافِهِمَا وَسُكُون طِبَاعِهِمَا مَعَ عِظَمِ المالِ ومَا جَرَتْ عَادَاتُ الأَحْدَاثِ بِفرْطِ التَّوَرُّعِ حَتَّى يُقِرَّ بِمِثْلِهِ طَوْعاً عَجِلاً مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ عَلى هَذَا المالِ .

قَالَ وَنَحْنُ عَلى ذَلِكَ نَتَحَدَّثُ إِذْ أَتى الآذِنُ يَسْتَأْذِنُ عَلى القَاضِيْ لِبَعْضِ التُّجَّارِ فَأَذِنَ لَهُ فَلَمَّا دَخَل قَالَ أَصْلَحَ القَاضِيْ إِنِّيْ بُلِيْتُ بِوَلدٍ حَدَثٍ صغيْرٍ يُتْلِفُ كُلَّ مَا يَظْفَرُ بِهِ مِنْ مَالِيْ فِي القِنَانِ عِنْدَ فُلانٍ فَإِذَا مَنَعْتُهُ احْتَالَ بِحِيَلٍ تَضْطَرُّنِيْ إِلَى الْتِزَامِ الغُرْمِ عَنْهُ .

وَقَدْ نَصَبَ اليَوْمَ صَاحِبُ القِنَانِ يُطَالِبُ بِأَلْفِ دِيْنَارٍ حَالاً وَبَلَغَنِيْ أَنَّهُ تَقَدَّمَ إِلى القَاضِيْ لِيُقِرَّ لَهُ فَيَسْجُنَهُ وَأَقَعُ مَعَ أُمِّهِ فِيْمَا يُنَكِّدُ عَيْشَنَا إِلَى أَنْ أَقْضِيَ عَنْهُ فَلَمَّا سَمِعْتُ بِذلِكَ بَادَرْتُ إِلى القَاضِيْ لأشْرَحَ لَهُ أَمْرَهُ .

فَتَبَسَّمَ القَـاضِيْ وَقَـالَ كَيْفَ رَأَيْتَ فَقُلْتُ هَذَا مِنْ فَضْـلِ اللَّهِ عَلى القَاضِيْ فَقَالَ عَلَيَّ بِالغُلامِ وَالشَّيْخِ وَوَعَظَ الغُلامَ فَأَقَرَّ فَأَخَذَ الرَّجُلُ ابْنَهُ وانْصَرَفَا .

قال عَمْرو بن نُجيْد كان شَاهُ الكَرْمَاني حَادُّ الفِراسَةِ لا يُخْطِي ويَقُولُ مَن غَضَّ بَصرَهُ عن المحَارمِ وَأَمْسَكَ نَفَسَهُ عَن الشهوات وعَمرَ بَاطِنَهُ بالمُراقبَةِ وظَاهِرَهُ باتباع السُنة وتعوَّدَ أَكْلَ الحَلالِ لم تُخْطِىء فِراسَتُه .

واللهُ أعْلَمُ وَصَلى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

مَوعظة : عِبَادَ اللَّهِ تَيَقَّظُوا فَالعِبَرُ مِنكُم بِمَرْأًى وَمَسْمَعٍ ، وَطَالَمَا نَادَاكُم لِسَانُ الزَّوَاجِر عَن الانْهِمَاكِ فِي الدُّنْيَا وَحُطَامِهَا وَالتَّهَالُكِ عَلَيْهَا فَاسْمَعْ .

عِبَادَ اَللَّهِ احْذَرُوا أنْ تَكُونُوا مِثْلَ مَنْ قَدْ مَحَّضُوْا لِلْدُّنْيَا كُلَّ مَا لَهُم مِنْ أعْمَالٍ وَأَصْبَحُوا لا يَقْصِدُونَ بِتَصَرُّفَاتِهِمْ إلاَّ الدنْيَا وأمّا الآخِرَة فلا تَخْطُرُ لَهُمْ عَلى بَالٍ .

أَخَذَتْ الدُّنْيَا أسْمَاعُهُمْ وأبْصَارَهُمْ وعُقُولَهُم بِمَا فِيْهَا مِن الزَّخَارِفِ الوَهْمِيَّةِ التيْ هِيَ مَرَاقِد الفَنَاءِ وَمَرَابِضُ الزَّوَالِ وَقَواتِلُ الأَوْقَاتِ .

وَهَلَ هِيَ الاّ الأَلْعَابُ وَالمَلاهِيْ المُشَارُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ اعْلَمُوا أنّما الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وزينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ في الأَمْوالِ وَالأَوْلَادِ ﴾ الآيَةِ وَقَوْلُهُ ﴿ وَمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاّ لَعِبٌ وَلَهْو وَانَّ الدَّار الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُوْنَ ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا لَعِبٌ وَلَهُو ﴾ الآيَةِ ، عِبَادَ اللّهِ ، كُلُّ مَا تَرَوْنَ مِن البَلاَيَا وَالمِحَنِ مِنْ أجْلَ الدُّنْيَا وَمالَهَا مِنْ مَتاعٍ حَقْيرٍ .

عَجَبٌ أَنْ يَكُونَ كُلُّ هَذا الاهْتِمَامِ مِنْ أجْلِ دارِ الغُرُوْرِ وأَيَّامِهَا المَعْدُودْةِ ، وَكُلُّ مَا فِيْهَا مِنْ لذائِذَ مَعْلُومٌ أَنَّهَا مُنَغَّصَاتٌ ثُمَّ مُنْتَهِيَاتٍ ذَلِكَ فَوْقَ أنَّ الأَرْزَاقَ فِيْهَا قَدْ ضَمِنَهَا اللَّطِيْفُ الخَبِيْرُ خَالِقُ كُلُّ شَيءٍ الذِي مَا مِنْ دَابَّةٍ في الأَرْضِ إلا عَلَيْهِ رِزْقُهَا .

وَهَلْ يَشُكُّ مُؤْمِنٌ عَاقِلٌ في مَا ضَمِنَهُ مَوْلاَهُ الغَنِيُّ الحَمِيْدُ لَقَدْ كَانَ الأجْدَرُ وَالأَوْلَى بِهَذا الاهْتِمَامَ حَيَاتَنَا الثَّانِيَة لإِنَّها دارُ القَرَارِ وَلأنَّها إذا فَاتَتْكَ فِيْهَا دَارُ الكَرَامَةِ هَوَيْتَ في الْهَاوِيَةِ وَأنْتَ لا تَدْرِي هَلْ أَنْتَ مِنْ فرِيْقِ الجَنَّةِ أمْ مِنْ فَرِيْقِ السَّعِيْرِ .

فَتَيَقَّظَ يَا مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ في الغفَلاتِ ! انْتَبِهْ يَا مَنْ يَقْتُلُ أوْقَاتَهُ عِنْدَ الملاهِيْ وَالمنكَرَاتِ .

يَا أسَفَى عَلَى أوْقَاتٍ لَا تُبَاعُ بملءِ الأَرْضِ ذَهَباً تُضَيِّعُ عِنْدَ التِّلفِزْيُونِ وَالفِدْيُو والسِّيْنَمَاتَ والبكمات ولَعِبِ الأَوْرَاقِ المُحَرَّمَات .

شعـــــــرا :

أُحْذِرْك أحَذِرْك لا أحْذرك واحِدَةً   عن المَذَايِيْع والتِّلْفَازِ والصُّحُفِ
كَمْ عِنْدَهَا ضاعَ مِن وقْتٍ بلا ثَمَنٍ   لو كان في طاعَةِ أحْرَزْتَ لِلشَّرَفِ

آهٍ على أوقاتٍ تُقْتَلُ عِنْدَ المِذْيَاعِ واسْتِمَاعِ أغَانِيْهِ ومَلاَهِيْهِ المُهْلِكَاتْ .

آهٍ على سَاعَاتٍ تَمْضِيْ عِنْدَ الكُرَةِ وَالمُطْرِبِيْنَ وَالمُطْرِبَاتِ .

آهٍ عَلى أوْقَاتٍ وَتَفْكِيْرَاتٍ تَذْهَبُ في قِرَاءَةِ الكُتُبِ الخلِيْعَةِ وَالجَرَائِدِ وَالمَجَلاَّتِ .

آه على أوقاتٍ تَنْقَضِيْ في الإقَامَةِ بَيْنَ أعْدَاءِ اللهِ وَرَسُولِهِ .

آهٍ عَلى أوْقَاتٍ تُقْتَلُ في الغِيْبَةِ وَالبُهْتِ وَالتَّمَلّقِ وَالنِّفَاقِ وَالمُدَاهَنَاتِ .

آهٍ عَلى أوْقَات تُقْتَلُ في الجُلُوسِ في الأسْوَاق لاَ لِمَصْلَحَةِ دُنْيَا ولا دِيْنٍ بَلْ لِأمُورٍ عِنْدَ أهلِ الضَّيَاعِ مَعْلُومات .

آهٍ على أوقاتٍ تُقضَى في بِلادِ الحُرِّيَةِ وَالفِسْقِ وَالفُجُوْرِ والأمور المهلكات .

آهٍ عَلى أوقاتٍ تُقْتَلُ بالحِكَايَاتِ المضحكَاتِ والتَّمْثِيْلِيَاتْ .

آهٍ على أوقاتٍ تَنْقَضِي بِلَغْوِ الكلامِ والمُغَازَلات لأهل المعاصي والمنكرات .

آه على أوقاتٍ تَنْقَضي في الاسْتِمَاعِ لِلأغَانِيْ الخَلِيْعَاتِ .

آه عَلى أوْقَاتٍ تَمْضِيْ في السُّكْرِ وَشُرْبِ أبي الخَبَائِثِ الدُّخَانْ .

آهٍ على أوْقَاتٍ تُقْتَلُ في ذِكْرِ الحَوَادِثِ وَالامُوْرِ المَاضِيَاتِ التِيْ لاَ تَعُوْدُ عَلَيْهِم بِنَفْعٍ بَلْ رُبَّمَا عَادَتْ بِالضَّرَرِ والنَّكَبَاتِ .

آه عَلى أوقَاتٍ تذهَبُ سُدَى في النَّوْمِ وَالغَفَلاتِ .

وَمَنْ يَقْطَعِ الأوقَاتَ في غَيْرِ طَاعَةٍ   سَيَنْدَمُ وَقْتًا لا يُفِيْدُ التَّنَـــدُّمُ

آه عَلى أمْوال تُنفقُ فِيْمَا يُغْضِبُ فَاطَر الأرْض وَالسَّموَات وعلى أمْوَال تُبْذَلُ لِلْخَدَّامِيْنَ والخَدَّمَات الكَافِرينَ والكافِرات .

آه على أَلْسِنَةٍ لَا تَفْتُر عَن الكَلامِ فِيمَا يَضُرُّ وَلَمْ تَسْتبدِلْهُ بِتَمْجِيْدٍ وَتَسْبِيْحٍ وَتَكْبِيْرٍ وَتَهْلِيْلٍ بَدِيْعِ الأَرْضِ وَالسَّمواتِ .

آهٍ عَلى أفْكَارٍ وأَذْهانٍ مَصْرُوفةٍ ومُشْتَغِلَةٍ طوْل لَيْلِهَا وَنَهارِهَا فِيْمَا فِي الدُّنْيَا مِنْ مَتَاعٍ وعَقَارَاتٍ وَلَمْ تُفكِّرْ وَتَلْتَفِتْ وَتَسْتَعِدّ إِلَى مَا فِي أَمامِهَا مِنْ أَهْوَالٍ وَشَدائِدَ وَعقَباتٍ وَمَا فِي الآخِرَةِ لِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ مِن أَنْهَارٍ وثِمَارٍ وَحُوْرٍ حِسَانٍ طَاهِرَاتٍ .

تَاللَّه لقَدْ فَسدَتْ أمْزِجَةُ أَكْثَر النَّاسِ حَتَّى أَثَّر فَسَادُهَا عَلى الأَفْهَامِ لِذَلِكَ رَجَّحُوا فَانِياً مُكدَّراً مُنَغّصاً عَلى بَاقٍ ضِمن صَفْوَهُ مُوْلِيْ الأَنْعَامِ وَهَا هُمْ أُوْلَاءِ كَمَا تَرَى لَا هَمَّ لَهُمْ وَلَا عَمَل إلّا لِلدُّنْيَا وَمَالَهَا مِنْ حُطَامٍ قَالَ تَعالَى ﴿ بَلْ تُؤْثِرُوْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَالآخِرَةُ خيرٌ وَأَبْقَى ﴾ .

عِبادَ اللَّه أمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ نَبِيِّكُمْ ﷺ أَبْشِروا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُم فَوَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُم وَلَكِنْ أخْشَى أن تُبْسَطَ الدُنْيَا عَلَيْكُم كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَن كانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوْهَا كَما تنافَسُوهَا فَتُهلِككم كَما أهلكتْهُم رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلِمٌ وَخِتَاماً :

فَيَنْبَغِيْ لِلعَاقِلِ أَنْ يَعْرِفَ شَرَفَ زَمَانِهِ وَقَدْرَ وَقْتِهِ فَلا يُضِيْعُ مِنْهُ لَحْظَةً فِي غير قُرْبَةٍ وَيُقَدِّمَ الأَفْضَلَ فَالأَفْضَلَ مِنَ القَوْلِ وَالعَمَلِ .

فوائد : كُلُّ ما يقومُ به غَيْرُكَ وَيَحْصَلُ بذَلِكَ غَرضُكَ فإن تَشَاغلك به غَبْنٌ فاحِش لِأَنَّ إحْتيَاجُكَ إلى التشاغل بما لا يقوم به غَيْرُكَ مِن العلم والعمل والذِكر والفِكر آكدُ والْزَمَ وأَنْفَع .

أعلم أن ما احْتَجْتَ إلى مُفَارقته وتركه للناس فَلَيْسَ لَكَ والشُغْلُ بما لَيس لَكَ عَبَث .

وما المرءُ إِلَّا رَاكبٌ ظَهْرَ عُمْرِه ... عَلى سَفَرٍ يُفْنِيْهِ فِي اليوم والشهرِ
يَبِيْتُ ويضحي كلَّ يومٍ وليلةٍ ... بَعِيْدًا عن الدُّنْيَا قريباً إلى القبرِ

آخر : آنَ الرّحِيْلُ فَكُنْ على حَذَرٍ ... ما قَدْ ترَى يُغْنِي عن الحَذَرِ
لا تَغْتَرِرْ باليَوْمِ أَوْ بِغَدٍ ... قُلوبُ المَغْرُوْرِيْنَ عَلَى خَطَرْ

آخر : دَخَلَ الدُّنْيَا أُنَاسٌ قَبْلَنَا رَحَلُوْا عَنْهَا وَخلوْهَا لَنَــــا
ونَزَلْنَـــاهَا كما قَـــدْ نزلــوا ونُخَلِّيْهَــا لِقَوْمٍ بَعْــــدَنَا

آخر : إِذَا كَانَ رأسُ المَالِ عُمْرُكَ فَاحْتَرِزْ عَلَيْهِ مِنْ الانْفَـاقِ في غَيْرِ وَاجِبِ

آخـرُ : عِلْمِي بِعَاقِبَةِ الأيامِ تَكْفِيْنِــــي وما قَضَى اللهُ لِيَ لابُدَّ يَأْتِيْنِــــيْ
ولا خلافَ بأنَّ الناسَ مُذْ خُلِقُــوْا فيما يَرُوْمُوْنَ مَعْكُوسَ القَــوَانِيْنِ
إِذْ يُنْفِقُوْا العُمْرَ في الدُنْيَا مُجَازَفَةً والمالُ يُنْفَقُ فيهَـا بالمَوَازِيْـنِ

آخر : سَتَبْكِيْ رجَالٌ في القِيَامَةِ حَسْرَةً عَلى فـوْتِ أوْقَـاتِ زَمَـانِ حَيَـاتِهَا

اللهمَ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بنُورِ الأَيمانِ وَأَعِنَّا على أَنْفُسِنَا والشَّيْطَانِ وَأَيِّسْهُ مِنَّا كَمَا أَيَّسْتَهُ من رَحْمَتِكَ يا رَحْمَانُ وآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ برَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

أَتَتْ عُمَرَ امْرَأَةٌ فَشَكَتْ عِنْدَهُ زَوْجَها وَقَالَتْ هُوَ مِنْ خَيْرِأَهْلِ الدُّنْيَا يَقُوْمُ اللَّيْلَ حَتَّى الصَّبَاحِ وَيَصُوْمُ النَّهَارَ حَتَّى يُمْسِيْ ثُمّ أَدْرَكَهَا الحَيَاءُ فقَالَ عُمَرُ جَزَاكِ اللَّهُ خَيْراً فَقَدْ أَحْسَنْتِ الثَّنَاءَ .

فَلَمَّا وَلَّتْ قَالَ لَهُ كَعْبُ بْنُ سُوْرٍ : يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ لَقَدْ أَبْلَغَتْ إِلَيْكَ في الشَّكْوَى ، فَقَالَ وَمَا اشْتَكَتْ قَالَ زَوْجَهَا ، قَالَ عَلَيَّ بِهَا فقَالَ لِكَعْب اقْضِ بَيْنَهُمَا ، قَالَ أَقْضِ وَأَنْتَ حَاضِرٌ ، قَالَ إِنَّكَ قَدْ فَطِنْتَ لِمَا لَمْ أَفْطَنْ لَهْ .

قَالَ كَعْبٌ إِنَّ اللهَ يَقُولُ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِن النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ صُمْ ثلاثَةَ أيَامٍ وَافطِرْ عِنْدَهَا يَوْماً وَقُمْ ثَلاثَ لَيَالٍ وَبِتْ عِنْدَهَا لَيْلَةً فَقَالَ عُمَرُ هَذَا أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنَ الأَوَّلِ فَبَعَثَهُ قَاضِياً لأَهْلِ البَصْرَةِ فكَانَ يَقَعُ لهُ مِنْ الفِرَاسَةِ أُمُوْرٌ عَجِيْبَةٌ .

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ وَمِنْ دَقِيْقِ الفِرَاسَةِ أَنَّ المَنْصُوْرَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ

خَرَجَ فِي تِجَارَةٍ فَكَسِبَ مَالاً فَدفعهُ إلى امْرَأَتِهِ ثُمَّ طَلبَهُ فَذَكَرَتْ أَنَّهُ سُرِقَ مِنْ البَيْتِ وَلمْ يَرَ نَقْباً وَلاَ أَمَارَةً فَقَالَ لَهُ المَنْصُوْرُ مُنْذُ كَمْ تَزَوَّجْتَهَا قَالَ مُنْذُ سَنَةٍ ، قَالَ بِكْراً أَوْ ثَيِّباً قَالَ ثَيِّباً قَالَ فَلَهَا وَلَدٌ مِنْ غَيْرِكَ قَالَ لا .

فَدَعَا لَهُ المَنْصُوْرُ بِقَارُوْرَةِ طِيْبٍ يَتَّخذُهُ لَهُ حَادُّ الرَّائِحَةِ غَرِيْبُ النَّوْعِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ تَطَيَّبْ مِنْ هذا الطِّيْبِ فَإِنَّهُ يُذْهِبُ غَمَّكَ فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ المَنْصُوْرُ لأَرْبَعَةٍ مِنْ ثِقَاتِهِ لِيَقْعُدْ مِنْكُمْ كُلُّ وَاحِدٍ على بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ المَدِيْنَةِ فَمَنْ شَمَّ مِنْكُمْ رَائِحَةَ هَذا الطِّيْبِ مِنْ أَحَدٍ فَلْيَأْتِ بِهِ ، وَخَرَجَ الرَّجُلُ بالطِّيْبِ وَدفَعَهُ إلى امْرَأَتِهِ فَلمَّا شَمَّتْهُ بَعَثَتْ مِنْهُ إلى رَجُلٍ كَانَتْ تُحِبُّهُ وَقَدْ كَانَتْ دَفَعَتْ إِلَيْهِ المَالَ .

فَتَطَيَّبَ مِنْهُ وَمَرَّ مُجْتَازاً بِبَعْضِ أَبْوَابِ المَدِيْنَةِ فَشَمَّ المُوَكَّلُ بِالبَابِ رَائِحَةً طَيِّبَةً فَأَتَى بِهِ المَنْصُوْرَ فَسَأَلَهُ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذا الطِّيْبِ فَلَجْلَجَ في كَلامِهِ فَبَعَثَ بِهِ إلى وَالِيْ الشُّرْطَةِ فقَالَ إنْ أَحْضَرَ لكَ كَذا وكَذَا مِن المالِ فَخَلِّ عَنْهُ وَإلا اضْرِبْهُ أَلْفَ سَوْطٍ .

فَلَمَّا جُرِّدَ لِلضَّرْبِ أَحْضَرَ المالَ على هَيْئَتِهِ فدعَا المَنْصُوْرُ صَاحِبَ المالِ فقَالَ إنْ رَدَدْتُ إِلَيْكَ مالَكَ تُحَكِّمَنِيْ في امْرَأَتِكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ هَذا مَالُكَ وَقَدْ طَلَّقْتُ المَرْأَةَ مِنْكَ .

قَالَ وَمِنْ عَجِيْبِ الفِرَاسَةِ مَا ذُكِرَ عَنْ أَحْمَدِ بْنِ طُوْلُوْنَ أَنَّهُ بَيْنَما هُوَ جَالِسٌ في مَجْلِسٍ لهُ يَتَنَزَّهُ فِيْهِ إِذْ رَأَى سَائِلاً في ثَوْبٍ خَلِقٍ فَوَضَعَ لهُ دَجَاجَةً على رَغِيْفٍ وَحَلْوَى وَأَمَرَ بَعْضَ الغِلْمَانِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ فَلَمَّا وَقَعَ في يَدِهِ وَأخذهُ لَمْ يَفْرَحْ بِهِ وَلَمْ يَهُشَّ لَهُ وَلَمْ يَعْبَأْ بِهِ .

فَقَالَ لِلْغُلَامِ ائْتِنِيْ بالسَّائِلِ فَلَمَّا وَقَفَ قُدَّامَهُ اسْتَنْطَقَهُ فَأَحْسَنَ الجَوَابَ

وَلَمْ يَخفْ وَلَمْ يَضْطَرِبْ مِنْ هَيْبَتِهِ فَقَالَ لَهُ هَاتِ الكُتُبَ، التِي مَعَكَ وَاصْدُقْنِي مَنْ بَعثَكَ فَقَدْ صَحَّ عِنْدِيْ أنَّكَ صَاحِبُ خَبرٍ وَأَحْضَرَ السِّيَاطَ فاعْتَرَفَ .

فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِ هَذَا وَاللهِ السِّحْرُ قَالَ مَا هُوَ بِسِحْرٍ وَلكِنْ فِرَاسَةٌ صَادِقَةٌ رأَيْتُ سُوْءَ حَالِهِ فوَجَّهْتُ إليْهِ بطعَامٍ يـرْغَبُ أكْلَهُ الشَّبْعَانُ فَمَا هَشَّ لهُ وَلا فَرِحَ وَلا مَدَّ يَدَهُ إلَيْهِ فَأحْضَرْتُه فتَلَقَّاني بِقُوَّةِ جَأْشٍ فَلَمَّا رَأَيْتُ رَثَاثَةَ حَالِهِ وَقُوَّةَ جَأْشِهِ عَلِمْتُ أنّه صَاحِبُ خَبرٍ فَكَانَ كَمَا قَالَ .

وَرأَى يَوْماً حَمَّالاً يَحْمِلُ صَنَّاً ـ أيْ صُنْدُوقاً مِنْ خَشَبٍ ـ وَالحَمَّالُ تَضْطَرِبُ رِجْلاَهُ تَحْتَهُ فَقَالَ لَوْ كَانَ هَذا الاضْطِرَابُ مِن الثِّقَلِ لَغاصَتْ عُنُقُ الحَمَّالِ وَهَذِهِ عُنُقُهُ أراهَا بَارِزَةً وَما أرىٰ الأَمْرَ إلاَّ مِنْ خَوْفٍ .

فَأَمَرَ بحطِّ الصَّنِّ فَإذَا فِيْهِ أُنْثَى مَقْتُولَةٌ وَقَدْ قُطِّعَتْ فَقَالَ لِلْحَمَّالِ اصْدُقْنِي عَنْ حَالِهَا فقَالَ هُنَاكَ في الدَّارِ الفُلانِيَّةِ أَرْبَعَةُ نَفَرٍ أَعْطونِيْ هَذِهِ الدَّنَانِيْرَ وَأَمَرُونِي بحَمْلِ هَذِهِ المَقْتُولَةِ فَضَرَبَهُ لأَنَّهُ لَمْ يُخْبِرْهُ رَأْساً وَأَمَرَ بِقَتْلِ الأَرْبَعَةِ .

وَكَانَ يَتَنَكَّرُ ـ أَيْ يُغَيِّرُ لِبْسَتَهُ وَهَيْئَتَهُ ـ وَيَدُوْرُ وَيَسْمَعُ قِرَاءَةَ أَئِمَّةَ المَسَاجِدِ فَدَعَا ثِقَةً وَقَالَ خُذْ هَذِه الدَّنَانِيْرَ وَأَعْطِهَا إمَامَ المَسْجِدِ الفُلاَنِيِّ فَإنَّهُ فَقِيرٌ مَشْغُولُ القَلْبِ فَفعلَ وَجَلَسَ مَعَ إمَامَ المَسْجِدِ وَبَاسَطهُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ زَوْجَتَهُ قَدْ أَخذَهَا الطَّلْقُ وَلَيْسَ مَعَهُ مَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ فأخْبَرَهُ فَقَالَ صَدقَ عَرفْتُ شُغْلَ قَلْبِهِ بِكَثْرَةِ غَلَطِهِ في القراءة.

وَكَانَ يَرْكَبُ وَحْدَهُ وَيَطُوْفُ لَيْلاً وَنَهاراً يُفَتِّشُ وَيَتَفَقَّدُ الرَّعِيَّةَ الى أَنْ مَرَّ يَوْماً في سُوْقٍ مَسْدُودٍ في بَعْضِ أَطْرَافِ البَلَدِ فَدَخَلَهُ فَوَجَدَ مُنْكَراً وَوَجدَهُ لا يَنْفُذُ فَرَآى عَلى أحَدِ أَبْوَابِهِ شَوْكَ سَمَكٍ كَثِيْرٍ وعِظَامَ الصُّلْبِ .

فَقَالَ لِشَخْصٍ كَمْ يُقَوِّمُ تَقْدِيْرُ ثَمنِ هَذَا السَّمَكِ الذِيْ هَذِهِ عِظَامُهُ قَالَ

دِيْنَارٌ قالَ أهْلُ هَذا هذا الزُّقاقِ ـ أيْ السُّوْقِ لا تَحْتَمِلُ أَحْوالُهُمْ مُشْتَرَىٰ مِثْلِ هَذا لأَنَّهُ زُقاقٌ بَيّنُ الاخْتِلال إلى جَانِبِ الصَّحْراءِ لا يَنْزِلُهُ مَنْ معه شَيءٌ يَخَافُ عَلَيْهِ أَوْ لَهُ مَالٌ يُنْفِقُ مِنْهُ هذِه النَّفقة وَمَا هِيَ إلاّ بَلِيَّةٌ يَنْبَغِيْ أَنْ يُكْشَفَ عَنْهَا فَاسْتَبْعَدَ الرَّجُلُ هَذا وَقَالَ هَذا فِكْرٌ بَعِيْدٌ .

فَقَالَ اطْلبُوا لِيْ امْرَأَةً مِنْ الدَّرْبِ أُكَلِّمُهَا فَدَقَّ بَاباً غَيْرَ الذِيْ عَلَيْهِ الشَّوْكُ وَطَلَبَ مَاء فَخَرَجَتْ عَجُوزٌ ضَعِيفَةٌ فمَا زَالَ يَطْلُبُ شَرْبَةً بَعْدَ شَرْبَةٍ وَهِيَ تَسْقِيْهِ وَهُوَ في خِلالِ ذَلِكَ يَسْأَلُ عَنِ الدَّرْبِ وَأهْلِهِ وَهِيَ تُخبِرُهُ غَيْرَ عَارِفَةٍ بعَوَاقِبِ ذَلِكَ .

إلى أَنْ قَالَ لهَا وَهَذِهِ الدَّارُ مَنْ يَسْكُنُهَا وَأشَارَ إِلَى التِي عِنْدَ بابِها عِظامُ السَّمَكِ فقالَتْ فِيهَا خَمْسَةُ شَبَابٌ أعفَارٌ كأَنَّهُم تُجَّارٌ وَقَدْ نَزَلُوا مُنْذُ شَهْرٍ لَا نَراهُمْ نَهَاراً إلا فِيْ مُدّةٍ طَوِيْلَةٍ وَنَرى الوَاحِدَ مِنْهُم يَخْرُجُ لِلْحَاجَةِ وَيَعُوْدُ سَرِيْعاً .

وَهُمْ في طُوْلِ النَّهارِ يَجْتَمِعُونَ فَيأْكُلونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَلْعَبُونَ بِالشِّطْرَنْجِ وَالنَّرْدِ وَلَهُم صَبِيٌّ يَخْدِمُهُم فإِذَا كانَ اللَّيْلُ انصرَفُوا إلى دَارٍ لهُم بالكَرْخِ وَيَدَعُوْنَ الصَّبِيَّ في الدَّارِ يَحْفَظُهَا فَإِذَا كَانَ سَحَراً جَاؤ وا وَنَحْنَ نِيَامٌ لا نَشْعُرُ بِهِمْ .

فَقَالَ لِلرَّجُلِ هَذِهِ صِفَةُ لُصُوصٍ أَمْ لَا قَالَ بَلَى فَأَنْفَذَ في الحَالِ فَاسْتَدْعَىٰ عَشَرَةً مِنْ الشُّرَطِ وَأدْخلَهُم إلى سَطْحِ الجِيْرَانِ وَدَقَّ هُوَ البَابَ فَجَاءَ الصَّبِيّ فَفَتَحَ فَدَخَلَ الشُّرَطُ مَعَهُ فمَا فَاتَهُ مِن القَوْمِ أَحَدٌ فكانُوا هُمْ أَصْحَابُ الخِيَانَةِ بِعَيْنِهِمْ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الوُلَاةِ سَمِعَ في بَعْضِ لَيَالِيْ الشِّتَاءِ صَوْتاً بِدَارٍ

يَطْلُبُ مَاءً بَارِداً فأمَرَ بِكَبْسِ الدَّارِ فأخرَجُوا رَجُلاً وامْرَأةً فَقِيْلَ لهُ مِنْ أيْنَ عَلِمْتَ قَال الماءُ لا يُبَرَّدُ في الشّتَاءِ إنَّمَا ذَلِكَ عَلامَةٌ بينَ هَذيْنِ .

وَأحْضَرَ بَعْضُ الوُلاةِ شَخْصَيْن مُتَّهَمَيْنِ بسَرِقَةٍ فَأمَرَ أنْ يُؤْتَى بكُوزٍ مِنْ مَاءٍ فَأخَذَهُ وَألقَاهُ في الأَرْضِ عَمْداً فانكَسر فَارتَاعَ أحَدُهُمَا وَثَبَتَ الآخِرُ فَلَمْ يَتَغيَّرْ فَقَالَ للذِيْ انْزَعَج اذْهَبْ وَقَالَ للآخَرِ أحْضِرْ العُمْلَةَ .

فقَالَ لَهُ مِنْ أيْنَ عَرَفْتَ ذَلِكَ فَقَالَ اللِّصُّ قَوِيُّ القَلْبِ لا يَنْزَعِجُ وَالبَرِيءُ يُرَى أنَّهُ لوْ نَزَلَتْ فِيْ البَيْتِ فأْرَةٌ لأزْعَجَتْه وَمَنَعَتْه مِنَ السَّرِقَةِ .

شِعْراً :

يَا نَفْسُ قَدْ طَابَ في امْهَالِكِ العَمَلُ
فاسْتدْرِكِي قَبْلَ أنْ يَدْنُو لَكِ الأَجَلُ
إلى مَتَى أنْتِ في لَهْوٍ وفي لَعِبٍ
يَغُرُّكِ الخَادِعَانِ الحِرْصُ وَالأَمَلُ
وَأنْتِ في سُكْرِ لَهْوٍ لَيْسَ يَدْفَعُهُ
عَنْ قَلْبِكِ النَّاصِحَانِ العُتْبُ وَالْعَذَلُ
فَزَوِّدِيْ لِطَرِيْقٍ أنْتِ سَالِكَة
فِيْهَا فَعَمَّا قلِيْلٌ يَأْتِكِ الْمَثَلُ
وَلا يَغُرُّكِ أيَّامُ الشَّبَابِ فَفِيْ
أعْقَابِهَا المُوبِقَانِ الشَّيْبُ وَالأَجَلُ
يَا نَفْسُ تُوْبِيْ مِنَ العِصْيَانِ وَاجْتَهِدي
وَلا يَغُرَّنَّكِ الابْعَادُ وَالمَلَلُ
ثُمَّ احْذَرِيْ مَوْقِفاً صَعْباً لِشِدَّتِهِ
يَغْشَى الوَرَى الْمُتْلِفَانِ الحُزْنُ وَالوَجَلُ

وَيُخْتَمُ الفَمُ وَالأَعْضَاءُ نَاطِقَةٌ
وَيظْهَرُ المُفْصِحَانِ الخَطُّ وَالخَطَلُ
وَيَحْكُمُ اللّهُ بَيْنَ الخَلْقِ مَعْدِلَةً
فَتُذْكَرُ الحَالتَانِ البِرُّ وَالزَّلَلُ

اللّهُمَّ قَوِّ ايمَانَنا بِكَ وَبِمَلائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَباليَوْمِ الآخِرِ وَبالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ رَبَّنَا آتِنَا في ا لدنيا حَسَنَةً وفي الآخِرةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النّارِ ، رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ وصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللّهِ كُلُّنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَّا مَنْ لا يُخْطِيْ وَلا يَنْحَرِفُ عَنْ طَرِيْقِ الحَقِّ بَلْ إِنَّ فِيْنَا مِن الغَرائِزِ وَالطِّبَاعِ مَا يَمِيْلُ بِنَا إلى الرُّشْدِ وَالغَيِّ وَالخَيْرِ وَالشَّرِّ وَلَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَعْرِفُ خَطَأَهُ أو يَهْتَدِيْ إِلَيْهِ .

وَبِذَلِكَ كانَ مِنْ حَقِّ المُسْلِمِ عَلى أَخِيْهِ أَنْ يُبَصِّرَهُ بِعُيُوْبِهِ وَيَنْصَحَ لَهُ في أَمْرِهِ وهَذا مِن التَّوَاصِيْ بالحَقِّ . وَكَما يَجِبُ عَلى مَنْ رَأَى الظُّلمَ مِنْ حاكِم ومسئول أنْ يُنْكِرَ عَليْهِ ظُلْمَهُ وبَغْيَهُ وَجَبَ عَلى مَنْ رَأى مُؤْمِناً يَظْلِمُ غيرَهُ أوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ أنْ يَحُوْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَظْلِمْ إِبْقَاءً عَلى حَقِّ الأُخُوَّةِ وَدَفْعاً لِلأَذى عَنْ المظْلُومِ وَعَن المُجْتَمعِ .

قال بَعْضُ العُلَمَاءِ

النَّصِيْحَةُ عَلى مَرَاتِبَ أَوّلاً أنْ لا يُبَادِرَ الانْسَانُ إِلَى تَصْدِيْقِ مَا يُقَالُ لَهُ عَنْ قَرِيْبٍ أوْ صَدِيْقٍ أَوْ جَارٍ أَوْ زَمِيْلٍ أَوْ أَحدٍ مِنَ النَّاسِ بَلْ يَتَثَبَّتُ في ذَلِكَ حَتَّى يَسْتَيْقِنَ لأَنّ أكثَرَ النَاس في وَقْتِنا اعْتَادُوا إِشَاعَةَ السُّوءِ وَأَكْثَرُ النَّاس إِلىَ الاسَاءَةِ يُسْرِعُونَ، وَيَنْدُرُ مِنْهُم مَنْ يُحْسِنُ الظَّنَّ ، فَلا تُصَدِّقْ فَوْراً بكلِّ ما سَمِعْتَهُ

حتّى تسْمَعَهُ مِمَّنْ حَضَرهُ وَشاهَدَهُ وَتتأكّدَ مِنْ ثُبُوتِهِ وَبَرَاءَتِهِ وَخُلُوِّهِ مِن الهَوَى وَالأَغْرَاضِ .

وَإذَا رَأَيْتَ أمْرَاً أو بَلَغَكَ عَنْ صَدِيْقِكَ كَلامٌ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ فاحْمِلْهُ مَحْمَلاً حَسَناً ، قَالَتْ بِنْتُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مُطِيْعٍ لِزَوْجِهَا طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِالرَّحْمنِ بْنِ عَوْفٍ وكانَ أجْوَدَ النَاسِ في زَمَانِهِ مَا رَأَيْتُ قَوْماً ألأمَ مِنْ إخَوانِكَ قَالَ لَهَا وَلِمَ ذَلِكَ قَالَتْ أراهُمْ إذَ أيْسَرْتَ لَزِمُوْكَ وإذا أعْسَرْتَ تَرَكُوْكَ فَقالَ لَها هَذَا وَاللَّهِ مِنْ كَرَمِ أخْلاقِهِم يَأْتُونَنَا في حَالِ قُدْرَتِنَا عَلى إكْرَامِهِمْ وَيَتْرُكُوْنَنَا في حَالِ عَجْزِنَا عَنْ القِيَامِ بِحَقِّهِمْ .

فَانْظُرْ كَيْفَ حَمَلَ فِعْلَهُم عَلى هَذا المَحْمَلِ الحَسَنِ ، وَثَانياً أَنْ يَكُونَ عَلى بَالِكَ مُسْتَحْضَرَاً أَنَّ النَاسَ لَيْسُوا مَعْصُومِيْنَ بَلْ لَهُم هَفَواتٌ وَأَخْطَاءٌ وَتَصوَّرْ ذَلِكَ في نَفْسِكَ لِتَعْذُرَهُم وَلَقَدْ أحْسَنَ القَائِلُ :

مَنِ الذِي مَا سَاءَ قَطّْ ... وَمَنْ لَهُ الحُسْنَى فَقَطْ

آخر : أَرَدْتَ لِكَيْمَا لاَ تَرى لِيَ عَثْرَةً ... وَمَنْ ذَا الذِي يُعْطَى الكَمَالَ فَيَكْمُلُ

آخر : وَمَنْ الذِيْ تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا ... كَفَى المَرْءَ نُبْلاً أنْ تُعَدَّ مَعَائِبُهُ

آخر : إنْ كُنْتَ تَطْلُبُ في الزمانِ مُهَذَّباً ... فَنِيَ الزمانُ وأنْتَ في الطَّلَبَاتِ

خُذْ صَفْوَ أَخْلاقِ الصَّدِيقِ وأعْطِهِ ... صَفْواً ودَعْ أخْلاقَهُ الكَدِرَاتِ

ثَالِثاً : أَنْ تَنْظُرَ إلى الأَمْرِ مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِكَ وَمِنْ وِجْهَةِ نَظَرِ صَاحِبِه أَيْضَا ، فَقَدْ يَكُونُ مُجْتَهِداً فِيْمَا أعْتَقَدَهُ مِنْ رَأيٍ مُتَحَرِّياً لِلْخَيْرِ فِيْمَا سَلَكَهُ مِنْ سَبِيْلٍ ، فَلا تُسَارِعْ إلى الانْكارِ عَلَيْهِ وَتَخْطِئَتِهِ مَا دَامَ مِن المُحْتَمَلِ أنْ يَكُونَ لَهُ وَجْهٌ مِن الحَقِّ فَإنْ تَأَكَّدْتَ مِنْ الخَطأ وَالانْحِرافِ فَتَقَدَّمْ بالنَّصِيْحَةِ سِرّاً بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، لا عِنْدَ ملأٍ مِنْ الناسِ كَمَا يَفْعَلهُ بَعْضُ النَّاسِ ، فَإنَّهُ احْرَىٰ لِقَبُولِ النَّصِيْحَةِ ، رَابِعَاً : لَا يَتَرَتَّبُ عَلى النَّصِيْحَةِ مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهَا .

شعرا : تَعَمَّدِني بِنُصْحٍ في انْفِـرَادِ وجَنِبْني النَّصِيْحَةَ فى الجَمَاعَةْ
فإنْ النُّصْحَ بين الناسِ ضَرْبَ من التَّوْبِيخ لا أَرْضَى اسْتمَاعَهْ
فإنْ خَالَفْتني لِتُرِيْدَ نَقْصِيْ فلا تَغْضَبْ إذا لم تُعْطَ طَاعَةْ

وَعِنْدَمَا يُهْمِلُ الصَّدِيْقُ صَدِيْقَهُ وَيُهْمِلُ الأَخُ حَقَّ أَخِيْهِ عَلَيْهِ في النُّصْحِ وَالارْشَادِ تَسُوءُ عَلائِقُ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ وَتَنْقَلِب الصَّدَاقَةُ عَدَاوَةً وَيُصْبِحُ أَمْرُ المجتَمع فَوْضَى يَمُوْجُ بِالشَّرِّ وَالاثْمِ .

وَلَقَدْ أخْبرَنَا اللَّهُ في القُرْآنِ الكَرِيْمِ أَنَّ بَنِيْ اسْرَائِيْلَ اسْتَحَقُّوا اللَّعْنَةَ وَالحِرْمَانَ وَالتَّشْرِيْدَ لأَنَّهُم كَانُوا لا يَتَنَاصَحُونَ ، قَالَ تَعَالَى « لُعِنَ الذين كَفَرُوا مِنْ بَنِيْ اسْرَائِيْلَ عَلى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيْسَى بْن مَرْيَم ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وكَانُوا يَعتَدُونَ ، كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عن مُنْكَرٍ فَعلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُوْنَ » .

وَلَيْسَ أَدَلَّ على رُقِيِّ الأُمَّةِ وَاسْتِقَامَةِ ضَمَائِرِهَا مِنْ تَمَسُّكِهَا بِخُلُقِ التَّنَاصُحِ فِيْمَا بَيْنَهَا وَالتَّوَاصِيْ بالحق ، قَالَ تَعالَى ﴿ وَالعصْرِ إِنَّ الأنْسَانَ لَفِيْ خُسْرٍ ، إِلا الذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَواصَوا بالحَقِّ وَتَواصَوْا بالصَّبْرِ ﴾ رُوِيَ عَنْ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ لَوْ لَمْ يَنْزِلْ غيرَ هَذِهِ السُّوْرَةِ لَكَفَتِ النَّاسِ .

وَكانَ الرَّجُلانِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِي ﷺ إِذَا الْتَقيا لَمْ يَتَفرَّقَا حَتّى يَقْرَأَ أحَدُهُمَا عَلى الآخرِ سُوْرَةَ العَصْرِ ثمَّ يُسَلِّمُ أَحَدُهُمَا عَلى الآخَرِ .

قُلْتُ وَذَلِـكَ أَنَّ الأَوَامِـرَ وَالنَّـوَاهِيْ كُلُّهَـا تَدُوْرُ عَلى التَّـوَاصِيْ بِالحَقِّ وَالتَّـواصِيْ بالصَّبْرِ ، فَالتَّواصِيْ بالحَقِّ مِثْلُ الايْصَاءِ بِتَوْحِيْدِ اللَّهِ وَالايْمَانِ بِهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

وَالايْصَاءِ بالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالحجِّ وبِرِّ الوَالِدَيْنَ وَصِلَةِ الارْحَامِ وَالاحْسَانِ إلى اليَتِيْمِ وَالمِسْكِيْنِ وَالجَارِ وَابْنِ السَّبِيْلِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَالتَّـوَاصِيْ بالابْتِعَـادِ عَنْ مَا نَهى اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ مِن المَعَاصِيْ كُلِّهَا الصَّغَائِرِ وَالكَبَائِرِ .

وَالتَّوَاصِيْ الصَّبْرِ عَلى الطَّاعَاتِ حَتّى المَمَاتِ ، وَالتَّواصِيْ بِالصَّبْرِ عَلى المَصَائِبِ ، وَالتّواصِيْ بِالصَّبْرِ عَن المَعاصِيْ .

وَلكِنْ يَا لَلأَسَفِ صَارَ التَّـوَاصِيْ عِنْـدَ هَذَ الجِيْلِ فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بالدُّنْيَا وَحُطَامِهَا فَتَجِدُ الوَاحِدَ يَحُثُّ صَدِيْقَهُ على التَّعَلُّقِ بهَا وَعِمَارَتِهَا وَكُلِّ مَا يَشْغَلُهُ ويُلهِيْهِ عَن الآخِرَةِ مِنْ مَشاركةٍ وسلفةٍ ونحو ذلك .

وإذا انتقص بشيء مما يتعلّق بها أَقَامَ النّاسَ وَأقْعَدَهُمْ حَتَّى المُنْتَسِبِيْنَ إلَى طَلَبِ العِلْمِ .

فَتَجِدُ الوَاحِدَ مِنْهُمْ إِذَا خُصِمَ عَلَيْهِ بَعْضُ الدَّرجَاتِ أو بَعْضُ الفُلُوس انْفَعَلَ وَتَغَيَّرَ مِزاجُهُ وَصَارَ يَتَكَلَّمُ بكَلام غَيْرِ مُتَّزِنٍ .

عَكْس أُمُـورِ الآخِـرَةِ فانَّهُ لا يَهْتَمُّ لها ، فَتَفُوتُه تكْبِيْرَةُ الأَحْرَام مَعَ الأَمَام بل تَفُوتُهُ الصلاةُ مَعَ الجمَاعَةِ وَلا يُبَالِيْ بِنَقْصِ خَمْسٍ وَعِشْرِيْنَ دَرَجَةٍ .

وَتَجِدُ الوَاحِد مِنْهُمْ يُوْصِيْ زَمِيْلَهُ بالدِّرَاسَةِ لأَجْلِ الحُصُوْلِ عَلى شَهَادَةٍ في زَعْمِهِ أَنَّهَا تَأْمِينٌ لِلْحَيَاةِ مِن الفَقْرِ .

وَهذَا يَدُلُّ عَلى ضَعْفِ التَّوكُّلِ عَلى اللَّهِ .

وَأَمَّـا الصَّلاةُ وَسَائِرُ الطَّاعَاتِ وتَرْكُ المَعَاصِيْ التِيْ بهَا بإِذْنِ اللَّهِ تأْمِيْنُ الحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ وَالسَّلامَةُ مِنْ جَهَنَّمَ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ فَلا تَجِدُهُ يُوْصِيْه بها ، وَلا يَهْتَمُّ مِنْهَا .

حَتَّى الآبَاءُ دَخَل عَلَيْهِمْ النَّقْصُ فَتَجِدُ الأَبَ وَالأُمَّ يَحْرِصُوْنَ عَلى إِيْقَاظ أَوْلادِهِمْ للاخْتِبَارِ يَتَرَدَّوْنَ عَلَيْهِم وَلو شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ .

أَمَّـا لِصَـلاةِ الفَجْـرِ وَسَائِرِ الصَّلَواتِ وَسَائِرِ الطَّاعَاتِ وَالابْتِعادِ عَن المَلاهِيْ وَالمُنْكَراتِ فلا .

نَسْأَلُ اللَّهَ العَظِيْمَ أنْ يُوْقِظَ قُلُوبَنا ويَمْلأَهَا بالغَيْرةِ وَالنَّصِيْحَةِ وَأَنْ يُصْلِحَ قُلُوبَنَا وَأَوْلاَدَنا وَأَحْوالَنَا وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ .

وَإِذَا خَلاَ المُجْتَمعُ مِن التَّواصِيْ بالحَقِّ وَالصَّبْرِ والتَّنَاصُحِ أَوْ ضَعُفَ مَظْهرُ العَمَلِ بهِ فَقَدْ انتهَت الأمّةُ أسْوءِ حَالاتاً مِن الفَوْضَى وفَسَادِ الاخْلاقِ وَالتَّقاطُعِ وَالتَّدَابُرِ وَالعُدْوَانِ وفشُوِّ الشُّرُورِ مِن المُنَافِقِينَ والنَّمامِينَ وَالكَذَّابِيْنَ وأعوانهم .

وانْظُرَ كَيْفَ تَكُوْنُ الحَالُ فِيْها إذَا عُدِمَ الأَمْرُ بالمَعرْوفِ وَالنَّهْي عَن المنْكَرِ وَتَرْكِ التَّوَاصِيْ بالحَقِّ وَالتَّوَاصِيْ بِالصَّبْرِ وَأُهْمِلتْ النَّصِيْحَةُ .

وكَيْفَ يَجْترِىءُ الفُسَّاقُ عَلى المعَاصِيْ وَيَصِلُوْنَ فِيْهَا إلَى مَا تَضِجُّ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَا فِيْهِمَا مِنْ أنَواعِ الشُّرُوْرِ .

لا شَيءَ أبْلَغَ مِن ذُلٍّ يُجَرِّعُهُ ... أَهلُ الخَسِيسةِ أَهْلَ الدين والحَسَبِ
القَائِمِيْنَ بمَا جَاء الرَّسُوْلُ بهِ ... والمُبْغِضِيْنَ لأَهْلِ الزَّيغِ والرِّيَبِ

وَإِنْ شِئْتَ فَزُرْ أيَّ جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ العَالَمِ تَرى مَا يَتقَطَّعُ لَهْ قَلبُكَ حَسَراتٍ انْظُرْ آكَدَ أرْكَانِ الإِسْلاَمِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ الصَّلاَةَ كَيْفَ تَركَهَا الكَثِيْرُ مِن النَّاسِ .

وَانْظُرْ إلَى الزَّكَاةِ التِيْ لَوْ أُخرجَتْ لَمْ يَبْقَ فَقِيْرٌ وانْظُرْ صِيَامَ رَمضَانَ كَيْفَ لَمْ يُبَالِ بِهِ كَثِيْرٌ مِن النّاسِ .

وَانْظُرْ كَيْفَ تَهاوَنَ النَّاسُ بالرِّبَا وَالغِشِّ وَسَائِرِ المُحَرَّماتِ كُلُّ هَذا نَتِيْجَةُ اهْمَالِ التَّوَاصِيْ بالحَقِّ وَالتَّوَاصِيْ بِالصَّبْرِ وَإِهْمَالِ النّصِيْحَةِ وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنّهْي عَن المنْكرِ .

وَمَا قِيْمَةُ الأَوْطَانِ إنْ لَمْ يَكُنْ بِهَا ... رِجَالٌ بِدِيْنِ اللهِ قَامُوْا لِيَنْفَعُوْا

آخر : وَقعْنا في الخَطَايا والبَلاَيَا ... وفي زَمَنِ انْتِقَاضٍ واشْتِبَاهِ
تَفانى الخَيرُ والصُّلحَاءُ ذَلُّوْا ... وَعَزَّ بِذُلِّهِمْ أَهْلُ السَّفَاهِ

وباءَ الآمِرُوْنَ بكُلِّ عُرْفٍ   فَمَا عَنْ مُنكَرٍ في الناس نَاهِ
فَصَارَ الحُرُ لِلْمَمْلوكِ عَبْداً   فَما لِلْحُرِّ مِنْ قَدْرٍ وجَاهِ
فَهَذَا شُغْلُهُ طَمَعٌ وجَمْعٌ   وَهذا غَافِلٌ سَكْرانُ لَاهِ

لِأنّ التَّساهُلَ بهَذِهِ الأُمُورِ يَفْتَحُ لِلنُّفُوسِ الخَبِيْثَةِ أَبْوَابَ المعَاصِيْ فَتَنفُذُ إلى مَا تَشْتَهِي مِنْ خَبائِث وَترى مَوْقِعَ ذلِكَ سَهْلاً عَلى النَّاسِ فَتَنْدَفِعُ إلى كلِّ مَا يَحْلُو لَها مَهْمَا كَانَ عَرِيْقاً في بَابِ الرَّذِيْلةِ آمِنَةً مِنْ تَغيُّرِ وَجْهٍ أوْ انْقِبَاضِ قَلْبٍ لِمَا تَفْعَلُ .

وإذاً تَنْتَعِشُ الرَّذِيْلَةُ وَتَشْتَدُّ وَتَزْدَادُ وَيَقْوَى أهْلُهَا وَهُمْ الفَسَقَةُ لأنَّ أهْلَ الجَهْرِ بالفَاحِشَةِ يَكُونُون قُدْوَةً سَيِّئَةً لِغَيْرِهِمْ . وَالنُّفُوسُ مِنْ طَبِيْعَتِهَا التَّقْلِيْدُ وَالمُحَاكَاةِ لِمَا تَرى وتَسْمَعُ خُصُوصاً إذا كَانَ مَا تَراهُ أو تَسْمَعُهُ لَذَّةً وَاطْلاَقا .

وَإذَا كَثُرَ جَيْشُ الرَّذِيْلَةِ في قُوَّةٍ قَلَّ جَيْشُ الفَضِيْلَةِ في ضَعْفٍ ، وَلا تَسْتَبْعِدْ أنْ يَتغَلَّبَ جَيْشُ الرَّذِيْلةِ فَيُبِيْدَ جَيْشَ الفضِيْلَةِ أوْ يَجْعَلَه في حُكْمِ المُبَادِ وَإنْ كَانَ لا يَزَالُ بَاقٍ مِنْهُ أفْرَادٌ .

وَإذَا كانَ غَضِبَ اللهُ جَلَّ وَعَلا عَلى عِبَادِهِ فعَاقَبَهُم في الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ وَلا يَنْجُوْ مِنْ بَطْشِ اللّهِ وَعَذابِهِ إلا مَنْ كَانَ في جانِبِ دِيْنِهِ يَتألَّمُ لهُ وَيغضبُ على مَخالِفِيْهِ آمِراً لَهُمْ وَنَاهِياً مَهْمَا نَالَهُ في سَبِيْلِ ذَلِكَ مِنْ إيْذَاءٍ .

عَلَّمَنا ذَلِكَ رَبُّنا بِقَوْلِهِ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أنْجَيْنَا الذِيْنَ يَنْهَوْنَ عَن السُّوءِ وَأخَذْنَا الذِيْنَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (وَمَا ظَلَمَهُم اللهُ وَلَكِنْ كانَوا أنْفُسَهُم يَظْلِمُونَ ﴾ .

قَالَ تَعَالى ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيْبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيْكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيْرٍ﴾، وَقَالَ فِي الآيَةِ الأُخْرَى ﴿ ظَهَر الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيْ النَّاسِ لِيُذِيْقَهُم بَعْضَ الذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُم يَرْجِعُونَ ﴾ .

إذاً عَاقِبَةُ التَّسَاهُلِ فِي الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ شَقَاءُ الدُّنْيَا بِمَا يَنْزِلُ مِنْ آلامٍ لِمَعَاصِيْهِمْ التِيْ يَقْتَرِفُوْنَهَا آمِنِيْنَ مِنْ زَجْرٍ عَلَيْهَا وَمَلامٍ وَشَقَاءِ الآخِرَةِ بِمَا أَعَدَّ رَبُّنَا لِلْعُصَاةِ مِنْ عَذَابٍ .

قَالَ بَعْضُهُم :

مَضَى الزَّمَانُ وَعَيْشِيْ عَيْشُ تَنْكِيدْ
وَالعُمْرُ وَلَّى وَلَمْ أَظْفَرْ بِمَقْصُوْدِ
وَالِ اليَقِيْنَ وَعَادِ الشَّكَ أَجْمَعَهُ
عَظِمْ إِلَهَكَ لا تَرْكَنْ لِمَنْقُودِ
فَالخَطْبُ عَمَّ وَصَارَ النَّاسُ كُلُّهُم
مُعَظِّمِيْنَ لِبِدْعِيٍّ وَمَرْدُوْدِ
هَذَا الزَّمَانُ الذِي كُنَّا نُحَاذِرُهُ
فِي قَوْلِ كَعْبٍ وَفِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودِ
فَصَاحِبُ الدِّيْنِ مَمْقُوتٌ وَمُنْكَتِمٌ
وَصَاحِبُ الفِسْقِ فِيْهِم غَيْرُ مَظْهُودِ
كُلٌّ يُقَلِّدُ فِي الأَهْوَاءِ صَاحِبَهُ
حَتَّى البِلادُ لَهَا شَأْنٌ بِتَقْلِيْدِ
وَالأَمْرُ بِالعُرْفِ ثُمَّ النَّهْيُ عَنْ نُكُرٍ
صَارَا لَدَيْنَا بِلا شَكٍ كَمَفْقُوْدِ
إِذَا نَصَحْتَ لِشَخْصٍ قَالَ أَنْتَ كَذَا
فِيْكَ العُيُوْبُ لَدَيْنَا غَيْرُ مَحْمُوْدِ

أَضْحَى تَفَاخُرُهُمْ فِي حُسْنِ بِزَّتِهِمْ
وَمَنْزِلٍ حَسَنٍ عَالٍ بِتَشْيِيْدِ
وَجَمْعِ حُلْيٍ وَخُدَّامٍ وأَمْتِعَةٍ
أَيَّامُهُمْ فَنِيَتْ فِي جَمْعِ مَنْقُوْدِ
تَلْقَى الأَمِيْرَ مَعَ الْمَأمُوْرِ فِي وَهَنٍ
عَنْ رَفْعِ مَظْلَمَةٍ أَوْ نَفْعِ مَنْكُوْدِ
لِنَيْلِ دُنْيَاهُمُ كَالأُسْدِ ضَارِيَةٍ
وَكُلُّهُم فِي الهَوَىٰ مُبْدٍ لِمَجْهُودِ
إِذَا رَأَوْا صَالِحاً يَدْعُو لِنَيْلِ هُدَى
تَأَنَّبُوْهُ بِإِيْذَاءٍ وَتَبْعِيْدِ
حُكْمُ القَوَانِيْنِ قَالُوا فِيْهِ مَصْلَحَةٌ
وَفِي الرِّبَا سَاعَدَتْ شِيْبٌ لِمَوْلُوْدِ
أَهْلَ الحِجَى وَالنُّهَى مَالُوا لِمُحْدَثَةٍ
قَالُوا الشَّرِيْعَةَ لا تَكْفِيْ لِمَقْصُودِ
أَبْدَوْا لَنَا بِدَعاً مَا كُنَّا نَعْرِفُهَا
وَجَانَبُوا نَهْجَ تَوْفِيْقٍ وَتَسْدِيْدِ
تَلْقَى الهَوَىٰ وَالرِّبَا وَالجَوْرَ مُرْتَكَباً
وَالعِلْم وَالنُّصْحَ فِيْهِمْ غَيْرَ مَوْجُوْدِ
وَالهَرْجَ وَالمَرْجَ تَلْقَاهَا مَرُوَّجَةً
وَالدِّيْنَ وَالسَّمْتَ فِي جِلْبَابِ مَرْدُوْدِ
وَقَلَّدَ الأَمْرَ لِكُعِيٍّ أَخُو بِدَعٍ
لِجَلْبِ أَمْرٍ وَفِكْرٍ غَيْرِ مَحْمُوْدِ

مُحَالِفُ الشَّرِّ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ
لَوْ نَالَ خَيْراً قُصَارَاهُ لِتَبْدِيْدِ
اَلبُهْتُ وَالذَّمُّ وَالايْذاءُ قَدْ وُجِدَتْ
لِكُلِّ مُنْتَسِبٍ يَوْماً لِتَوْحِيْدِ
فَالدِّيْنُ في غُرْبَةٍ وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ
بِخُبْثِ طَبْعٍ يُوَالِيْ كُلَّ مَطْرُوْدِ
صَارَ الذِيْ كَانَ تَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ
وَتَقْتَفِيْهِ بِأَمْرٍ غَيْرِ مَعْهُوْدِ
مَنْ كَانَ يَهْجُرُ ذَا بِدْعٍ وَمَظْلَمَةٍ
أَمْسَى يُبَاشِرُهَا مِنْ غَيْرِ تَرْدِيْدِ
فَالكُلُّ يَسْرِيْ لِمَا يَهْوَاهُ خَاطِرُهُ
لَمْ يَلْتَفِتْ لِمَرَاضِيْ خَيْرِ مَعْبُودِ
حَقُّ القَرِيْبِ وَحَقُّ الجَارِ أَهْمَلَهُ
مَنْ كَانَ نَعْرِفُهُ بِالدِّيْنِ وَالجُوْدِ
تُجَّارُهُمْ لَمْ تُزَكِّ وَيْلُ أُمِّهِمُ
مِنْ شَرِّ عَاقِبَةٍ في يَوْمٍ مَوْعُوْدِ
لَا يَرْبُ سُحْتٌ كَمَا قَالَ الإِلَهُ لَكُمْ
كَسْبُ الحَرامِ طَرِيْقٌ غَيْرُ مَحْمُوْدِ
أَيْنَ الفِرَارُ وكَمْ مِنْ بِدْعَةٍ حَدَثَتْ
وَسُنَّةٍ دَرَسَتْ مِنْ غَيْرِ تَعْدِيْدِ
كَمْ مِنْ طَرائِقِ سُوْءٍ بَانَ مُنْكَرُهَا
وَمَنْهَلُ الحَقِّ أَضْحَى غَيْرَ مَوْرُوْدِ

فَمَـا الطَّرِيْقَـةُ إِلَّا نَهْـجُ أحْمَـدَ مَـعْ
أَصْحَـابِـهِ السَّـادَةِ الغُـرِّ الصَّنَـادِيْـدِ
فَـأَخْلِصْ لِرَبِّـكَ وَاتْبَعْ نَهْـجَ سَيِّدِنـا
قَـوْلًا وَفِعْـلًا تَنَـلْ فَـوْزاً بِتَسْـدِيْـدِ
ثَعَـالِبُ السُّـوْءِ نَـادَتْ فِي أرَانِبِهَـا
هَـذَا زَمَـانُـكِ عِيْشِيْ عَيْشَ مَحْمُـوْدِ
مَا فِيْ الأَنَامِ حُمَـاةٌ غَيْرَ مَنْ رَحَلُوا
وَمَنْ بَقِيْ عِنْـدَنَـا فِي زِيِّ مَلْحُـوْدِ
وَاغُـرْبَـةَ الـدِّيْنِ وَالايْمَـانِ فِي زَمنٍ
أَهْـلُ الهُـدَى بَيْنَ مَقْهُـوْرٍ وَمَـظْهُـوْدِ
إِنْ دَامَ هَـذَا وَلَمْ يَحْصُـلْ لَـهُ غِيَـرٌ
لِمْ يُبْـكَ مَيْتٌ وَلَمْ يُفْـرَحْ بِمَـوْلُـوْدِ
وَفَـارِقِ الكُـلَّ لا تَلْوِ عَـلى أَحَـدٍ
أَرْضـاً بِـأَرْضٍ وَخِـلَّانـاً بِمَـوْجُـوْدِ
مَنْ كَـانَ تَـأْمَلُهُ فِي كَشْفِ مُعْضِلَةٍ
أبْـدَى بِعُـذرٍ وَلا أَجْـدَى بِمَقْصُـوْدِ
فَأَيُّ أَرْضٍ بِهَا الاسْلامُ فِي شَرَفٍ
وَسُنَّـةُ المُصْـطَفَى تَـزْهُـوْ بِتَجْـدِيْـدِ
أَيْنَ الفِـرَارُ وَأَيُّ الـدَّارِ نَلْقَى بِهَـا
وُلاتَـهَـا كُـلَّ مَيْـمُـوْنٍ وَمَحْـمُـوْدِ
عُمْـرِيْ غَدَا بَيْنَ وَاشٍ ثُمَّ مُبْتَـدِعٍ
يَـا رَبِّ يَسِّـرْ بِـأنصَـارٍ لِتَـوْحِيْـدِ

يَا صَاحِ مَنْ رَامَ فَوْزاً يَمْشِيَنَّ عَلى
طَرِيْقَةِ المُصْطَفَى يُحْظَى بِتَسْعِيْدِ
وَآلِـهِ ثُـمَّ أَصْحَـابٌ لَـهُ تَـبَـعٌ
فَـازُوا بِسَبْقٍ وَفَاقُـوْنَـا بِتَسْـدِيـدِ
وَقَـادَةِ الخَيْـرِ كَـالنُّعْمَـانِ أولِهِـمْ
وَأَحْمَدَ وَابْنِ ادْرِيْسٍ أَخَا الجُـوْدِ
وَمَـالِـكٍ كُـلِّهِمْ كَـانُـوا أَئِـمَّتَنَـا
أَئِمَّـةُ النَّـاسِ قَدْ جَاؤُوا بِمَقْصُـوْدِ
نَـوَاقِضُ الدِّيْنِ عَشْـرٌ تِلْكَ فَـافْهَمَهَـا
لِكَيْ تَنَـالَ نَعِيْمـاً غَيْـرَ مَحْـدُوْدِ
وَحُبَّ في اللهِ لا تَـرْكَنْ لِمُبْتَـدِعِ
وَاهْجُـرْ رِجَـالَ الخنَا حُبّاً لِمَعْبُـودِ
وَلَازِمِ السُّنَّـةَ الغَـرَّاءَ تَنْـجُ بِـهَـا
عِنْـدَ اللِّقـاءِ بِفَـوْزٍ غَيْـرِ مَحْـدُوْدِ
وَلَا تُـوَافِـقْ لأَهْـوَاءٍ تُـلَـفِّقُهَـا
أَقْـوَامُ سُـوْءٍ بِـلاَ شَـكٍّ وَتَـرْدِيْـدِ
خَيْـرُ الأُمُورِ أَخِيْ مَـا كَانَ مَـرْجِعُهُ
إلى الـرَّسُولِ بِـلاَ شَـكٍّ وَتَـرْدِيْدِ
فَـامْسِكْ عَلَيْـهِ وَجَانِبْ كُـلَّ مُنْحَرِفٍ
لِكَيْ تَفُـوزَ بِـدَارِ الخُلْدِ وَالجُـوْدِ

اللهم افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ وَالاجَابَةِ وَارْزُقْنَا صِدْقَ التَّوْبَةِ وَحُسْنَ الانَابَةِ وَيَسِّرْنَا لِلْيُسْرَى وَجَنِّبْنَا العُسْرَى وَآتِنَا في الدُّنيا حَسَنَةً وفي

الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنَا عَذابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لنا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وَأَمَّا عَلِيّ بْنُ أَبي طَالِبٍ فَالَيْكَ نَمَاذِجُ مِنْ عَدْلِهِ وَزُهْدِهِ وَوَرَعِهِ ، قَالَ رضي اللهُ عَنْهُ في خُطْبَتِهِ عَقِبَ البَيْعَةِ لَهُ : أَيُّها النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُم لِيْ مَا لَكُمْ وَعَلَيَّ مَا عَلَيْكُم ، وإنّي حَامِلُكُم عَلى مَنْهج نَبِيِّكُمْ وَمُنَفِّذٌ فِيْكُم مَا أُمِرْتُ بِهِ ، ألاَ إنَّ كُلَّ قَطِيْعَةٍ أَقْطَعَهَا عُثْمَانُ .

وَكُلُّ مَالٍ أَعْطَاهُ مِنْ مَالِ اللّهِ فَهُوَ مَرْدُودٌ في بَيْتِ المَالِ ، فإنَّ الحَقَّ لا يُبْطِلُهِ شَيءٌ وَلَوْ وَجَدْتُه قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاء وَمُلِكَ الاماء وَفُرِّقَ في البُلْدَانِ لرَدَدْتُه فإنَّ العَدْلَ سَعَةٌ .

وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الحَقُّ فَالجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ ، أَيُّهَا النَّاسُ ألا لاَ يَقُولَنَّ رِجَالٌ مِنْكُم غَداً قَدْ غَمَرَتْهُم الدُّنْيَا فامْتَلَكُوا العَقَارَ وَفَجَّرُوا الأَنْهارَ وَرَكِبُوا الخَيْلَ وَاتَّخَذُوا الوَصَائِفَ الْمُرَقَّعَةَ إذَا مَا مَنَعْتُهم مَا كانُوا يَخُوضُون فِيْهِ وَأَصَرْتُهم إلى حُقُوْقِهِمْ التِيْ يَعْلَمُونَ « حَرَمَنَا ابْنُ أَبِي طَالِبٍ حُقُوقَنَا » .

أَلاَ وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِن المهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَرى أنَّ الفَضْلَ لهُ على سِوَاهُ بِصُحْبَتِهِ فإنَّ الفَضْلَ غَداً عِنْدَ اللّهِ وَثَوَابُه وَأَجْرُهُ عَلى اللّهِ ، ألاَ وَأَيُّما رَجُلٍ اسْتَجَابَ لِلّهِ وَلِرَسُوْلِهِ فَصَدَّقَ مِلَّتَنا وَدَخَلَ دِيْنَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا فَقَد اسْتَوْجَبَ حُقُوقَ الاسْلامِ وَحُدُوْدَهُ .

فَأَنْتُمْ عِبَادُ اللّهِ ، وَالمَالُ مَالُ اللّهِ ، يُقْسَمُ بَيْنَكُمْ بالسَّوِيَّةِ وَلا فَضْل فِيْهِ لأَحَدٍ عَلى أَحَدٍ وَلِلْمُتَّقِيْنَ عِنْدَ اللّهِ أَحْسَنُ الجَزَاءِ .

وَأَخْرَج أَبُو نُعَيْم في الحِلْيَةِ عَنْ عَلِيّ بْنِ رَبِيْعَةَ الوَالِبِيْ عَنْ عَلِيّ بْنِ أبي طَالِبٍ قَال جَاءَ ابْنُ النَّبَاجِ فقالَ يا أَمِيرَ المُؤْمنينَ امْتَلأَ بَيْتُ مَالِ المُسْلِمينَ مِنْ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ فقَالَ اللّهُ أكْبَرُ فقَامَ مُتَوَكِّئاً على ابْنِ النَّباجِ حَتَّى قَامَ عَلى بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِيْنَ فَقَالَ :

هَـذا جَـنَـايَ وَخِـيَـارُهُ فِـيْـهِ
وَكُـلُّ جَـانٍ يَـدُهُ إلـى فِـيْـهِ

يَا ابْنَ النَّباجِ عَلَيَّ بأَشْيَاعِ الكُوْفَةِ قَال فَنُودِيَ في النَّاسِ فَأَعْطى جَمِيْعَ مَا فِيْ بَيْتِ مَالِ المُسْلمين وَهُوَ يَقُوْلُ : يَا صَفْرَاءُ وَيَا بَيْضَاءُ غُرِيْ غَيْرِي هَا وَهَاحَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهُ دِيْنَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ ثُمَّ أمَرَ بِنَضْحِهِ وَصَلى فِيْهِ رَكْعَتَينِ وَعَنْ مجْمع التَّيْمِيّ قَالَ كَانَ عَلِيّ رَضْيَ اللّهُ عَنْهُ يَكْنِسُ بَيْتَ المَالِ وَيُصَلِّيْ فِيْهِ وَيَتَّخِذُهُ مَسْجِداً رَجَاءَ أنْ يَشْهَدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ .

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ العَلا عَنْ أَبِيْهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِيْ طَالِبٍ رَضيَ اللّهُ عَنْهُ يَقُولُ مَا أَصَبْتُ مِنْ فَيْئِكُم غَيْرَ هَذِهِ القارُوْرَةِ أهْدَاهَا إلَيَّ الدِّهْقَانُ ، ثُمَّ نَزَلَ إلى بَيْتِ المال ففَرَّقَ كُلَّ مَا فِيْهِ ، وَلَمَّا قَرَّرَ رَسُولُ اللّهِ صَلى اللّهُ عليه وسلم الهِجْرَةَ مِنْ بَيْتِهِ الذِيْ أحَاطَ بِهِ المُشْرِكُوْنَ لِيَقْتُلُوهُ إثْرَ مَكْرِهِمْ بهِ في دَارِ النَّدْوَةِ وَضَعَ مَكَانَهُ في فِرَاشِهِ ابْن عَمِّهِ أَبَا الحَسَنِ عَلِيّاً رَضيَ اللّهُ عَنْهُ .

وَآثَرَ عَلِيٌّ أَنْ يَكُوْنَ الفِدَا لِرَسُوْلِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ

يُعَرِّضَ نَفْسَهُ لِلسُّيُوْفِ سُيُوْفِ المُشْرِكِيْنَ تُقَطِّعُ لَحْمَهُ وَتُزْهِقُ رُوْحَهُ وَبذَلِكَ فَدَى بِنَفْسِهِ رَسُولَ اللّهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلِمَ وَفِيْـهِ يَقُولُ النَّـاظِمُ لِلعَقِيْدَةِ :

وَلَا تَنْسَ صِهْرَ المُصْطَفَى وَابْنَ عَمِّهِ
فَقَـدْ كَـانَ حَبْـراً لِلْعُلُومِ وَسَيِّـدَا
وَفَـادَى رَسُـولَ اللهِ طَـوْعـاً بِنَفْسِـهِ
عَشِيَّـةَ لمَّـا بـالفِـرَاشِ تَـوَسَّـدَا
وَمَنْ كَـانَ مَـوْلَاهُ النَّبِيّ فَقَـدْ غَـدَى
عَلِيٌّ لَـهُ بِـالحَقِّ مَـوْلًى وَمُنْجِـدَا

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوْبَنَا بِطَاعَتِكَ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارْزُقْنَا الانَابَةَ إلِيْكَ وَحُسْنَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ وَآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وصَلى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وَرُوِيَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبي طَالِبٍ رَضيَ اللهُ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَوْماً فَقالُوا لهُ لَوْ أعْطَيْتَ هَذِهِ الأمْـوَالَ ، وَصَلْتَ بِهَا هَؤُلاءِ الاشْرَافَ ، وَمَنْ تَخَافُ فِرَاقَهُ ، حَتَّى إِذَا اسْتَتَبَّ لَكَ مَا تُرِيدُ عُدْتَ إلى مَا عَوَّدَكَ اللهُ مِن العَدْلِ في الرَّعِيَّةِ وَالقِسْمَةِ بِالسَّوِيَّةِ .

فَقَالَ أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ

الاسْلام ِ وَاللّهِ لاَ أفْعَلُ ذَلكَ لَوْ كَانَ هَذَا المالُ لِيْ لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُم فِيْهِ كَيْفَ وَإنَّمَا هِيَ أمْوَالهُم .

وَرُوِيَ أنَّ أخاهُ عَقِيْلاً سَألَهُ شَيْئاً مِنْ بَيْتِ المَالِ فَقَالَ إذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ فَأْتِنِيْ ، فَأتَاهُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إلى المَسْجِدِ ، وَقَدْ اجْتَمَع فِيْهِ النَّاسُ فقالَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ مَا تَقُوْلُ فِيْمَنْ خَانَ هَؤُلاءِ ، فَقَالَ أقُوْلُ إنَّهُ رَجُلُ سُوْءٍ ، فَقَالَ إنَّكَ سَألْتَنِيْ أنْ أخُونَهم أوْ كَما قَالَ .

وَرُوِيَ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفْلَةَ قَالَ دَخَلْتُ عَلى أمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ عَلِيِّ بْنِ أبِيْ طَالِبِ بَعْدَ مَا صَارَ إلَيْهِ الأمْرُ فَإذَا هُوَ جَالِسٌ عَلى مُصَلى لَيْسَ في دَارِهِ سِوَاهُ فَقُلْتُ يا أميرَ المؤمِنينَ أنْتَ مَلِكُ الاسْلامِ ، وَلا أرَى في بَيْتِكَ أثاثاً وَلا مَتَاعاً ، سِوَى مُصَلًّى أنْتَ جَالِسٌ عليه فقالَ يا ابْنَ غَفْلَةَ إنَّ اللَّبِيْبَ لا يَتَأثَّثُ في دَارِ النُّقْلَةِ، وَأمَامَنَا دارٌ هِيَ دَارُ المُقَامِ ، وقَدَ نَقَلْنَا إلَيْها خَيْرَ مَتَاعٍ وَنَحْنُ إلَيْهَا مُنْتَقِلُونَ .

وَعَنْ بَعْضِهِمْ قَالَ رَأيْتُ عَلِيّاً يَطُوفُ وَبِيَدِهِ الدُّرَّةُ وَعَلَيْهِ إزَارٌ فِيْهِ أرْبَعَ عَشْرَةَ رُقْعَةً بَعْضُهَا مِنْ جِلْدٍ

وَمِنْ كَلامِهِ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ألاَ وَإن إمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفى مِن الدُّنْيَا بِطِمْرَيْهِ وَمِنْ طَعَامِهِ بِقُرْصَيْهِ ، ألاَ وَإنَّكُمْ لا تَقْوَوْنَ عَلى ذَلِكَ وَلَكِنْ أعِيْنُونِيْ بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ ، فَوَاللّهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً ، وَلا أحْرَزْتُ مِنْ غنَائِمِهَا وَفْرًا .

إلَى أنْ قَالَ وَلَوْ شِئْتُ لاهْتَدَيْتُ الطَّرِيْقَ إلَى مُصَفَّى هَذَا العَسَلِ ، وَلُبَابِ هَذَا القَمْحِ ، وَنَسَائِجِ هَذا القَزِّ ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أنْ يَغْلِبَنِيْ هَوَايَ ،

وَيقُوْدُنِي جَشَعِي إلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ .

وَلَعَلَّ بِالحِجَاز وَاليَمَامَةِ مَنْ لاَ يُدْرِكُ القُرْصَ ، وَلاَ عَهْدَ لَهُ بالشِّبَع ، أوَ أَبِيْتُ مِبْطَاناً وَحَوْلِيْ بُطُوْنٌ غَرْثَى مِن الجُوْعِ ، وَأَكْبُدٌ حَرَّاءُ ، فأكُونُ كَمَا قَالَ القائِلُ :

وَحَسْبُكَ عَاراً أَنْ تَبِيْتَ بِبِطْنَةٍ
وَحَوْلَكَ أكْبَادُ تَحِنُّ إلى القِدِّ

ومِنْ كَلامِ عَليّ رَضي اللهُ عَنْهُ في كِتَابِ العَهدِ لِلأَشْتَرِحِيْن وَلاَّهُ مِصْرَ وَلْيَكُنْ أحَبُّ الذَّخَائِرِ إلَيْكَ ذَخِيْرَةَ العَمَلِ الصَّالِحِ فَامْلِكْ هَوَاكَ وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَنْ مَا لا يَحِلُّ لكَ ، فإنَّ الشُّحَّ بالنَّفْسِ بالانْصَافِ مِنْهَا فِيْما أَحَبَّتْ وَكَرِهَتْ ا.هـ.

وقال غيره الهَوى والنفسُ يُنتِجَانِ مِن الأخلاقِ قَبائِحَها ويُظْهِرانِ مِن الأفعالِ فضائِحهَا .

إذا ما رَأيْتَ/المَرْءَ يُقْتَادُهُ الهَوَى فَقَدْ ثَكِلَتْهُ عِندَ ذَاكَ ثَواكِلُهْ
وما يَرْدَعُ النَّفسُ الحَرُوْنَ عن الهَوَى مِن الناسِ إلّا حازِمُ الرأْيِ كَامِلُهْ
وقد أشمتَ الأعْدَاءَ جَهْلاً بنَفْسِهِ وقَدْ وَجَدَتْ فيه مَقَالاً عَوَاذِلُهْ

إذا اشْتَبَهَ الأَمْرَانِ فالخَيرُ في الذي
تَراهُ إذا كَلَّفْتَهُ النَّفْسَ يَثْقُلُ
فَجَانِبْ هَوَاهَا واطْرِحْ ما تُرِيْدُهُ
مِن اللَّهْوِ واللذاتِ إنْ كُنْتَ تَعْقِلُ

وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ المَحَبَّةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالرَّحْمَةِ بِهِمْ وَالرِّفْقَ بِهِمْ وَلاَ تَكُوْنَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعَاً ضَارِيَاً يَغْتَنِمُ أكْلَهُمْ ، فَإنَّمَا هُمْ صِنْفَانِ إمَّا أخٌ لَكَ في

الدِّيْنِ ، أَوْ نَظِيْرٌ لَكَ في الخُلُقِ ، يَفْرُطُ مِنْهُم الزَّلَلُ وَتَعْرِضُ لَهُم العِلَلُ وَيَأْتِيْ عَلَى أَيْدِيْهِم العَمْدُ والخَطَأْ .

فأعْطِهُمْ مِنْ عَفوكَ ، وَصَفْحِكَ ، مِثْلَ الذي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيْكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ، وَوَالِيَ الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ ، وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ ، وَابْتَلاكَ بِهِمْ .

وَفِيْهِ لَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ وَلَا تَبَجَّحَنَّ بِعُقُوْبَةٍ وَلَا تَسْرِعَنَّ إلى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ عَنْهَا مَنْدُوْحَةً .

ولَا تقُولَنَّ إني امْرُؤٌ آمُرُ فَأُطَاع ، فَإِنَّ ذَلِكَ إدْغَالٌ في القَلْبِ وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّيْنِ ، وَتَقَرُّبٌ مِن الغَيْرِ .

فَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا فِيْهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةٌ أو مَخْيَلَةٌ فانْظُرْ إلى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ على مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ .

وَفِيْهِ إيَّاكَ وَمُسَامَاتِ اللَّهِ في عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ في جَبَرُوتِهِ، فإنَّ اللهَ يُذِلُّ كَلَّ جَبَّارٍ ، وَيُهِيْنُ كُلَّ مُخْتَالٍ ؛ أَنْصِف اللهَ ، وَانْصِف النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ ، وَمَنْ لكَ فِيْهِ هَوَىً مِنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفعَلْ ذَلِكَ تَظْلِمْ وَمَنْ ظَلَم عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ ، دُوْنَ عِبَادِهِ ،وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ .

وَلْيَكُنْ أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ عَنْكَ وَأَشْنَؤُهُمْ عِنْدَكَ ، أَطْلَبَهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ فَإِنَّ في النَّاسِ عُيُوباً الوَالِيْ أحَقُّ بِسَتْرِهَا ، فَلا تَكْشِفَنَّ عَنْ مَا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيْرُ مَا ظَهَرَ لَكَ ، وَاللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ .

وَفِيْهِ وَلَا تَعْجَلَنَّ بِتَصْدِيْقِ سَاعٍ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِيْنَ وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُوْرَتِكَ بَخِيْلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الفَضْلِ وَيَعِدُكَ الفَقْرَ وَلَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الأُمُوْرِ وَلَا حَرِيْصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالجَوْرِ وَلَا يَكُوْنُ الْمُحْسِنُ وَالمُسِيءُ عِنْدَكَ سَوَاءً بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيْدَاً لِأَهْلِ الإِحْسَانِ فِي الإِحْسَانِ وَتَدْرِيْباً لأَهْلِ الاسَاءَةِ وَأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ .

ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ النَّاسِ الذِيْنَ لا حِيْلَةَ لَهُمْ وَالمَسَاكِيْنَ وَالمُحْتَاجِيْنَ وَالبُؤْسَاءِ وَالزَّمْنَى فاحْفَظَ اللهَ فِيْهِما كَمَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيْهِمْ وَاجْعَلْ لَهُم قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ وَسَهْماً مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي بَلَدِكَ .

وَتَفَقَّدْ أُمورَ مَنْ لا يَصِلُ إلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ العُيُوْنُ وَتَحْتَقِرُهُ الرِّجَالُ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِن الرَّعِيَّةِ أَحَقُّ بِالانْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ وَتَعَهَّدْ أَهْلَ اليَتِيْمِ وَأُوْلِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لا حِيْلَةَ لَهُ وَلَا يَنْصِبُ نَفْسَهُ لِلْمَسْأَلَةِ وَذَلِكَ عَلَى الوُلَاةِ ثَقِيْلٌ وَالحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيْلٌ .

وَفِيْهِ وَلَا يَطُوْلَنَّ احْتَجَابُكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّ احْتَجَابَ الوُلَاةِ عَنْ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِن الضِّيْقِ وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالأُمُورِ وَالاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُوْنَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمْ الكَبِيْرُ وَيَعْظُمُ عِنْدَهُمْ الصَّغِيْرُ وَيَقْبُحُ الحَسَنُ وَيَحْسُنُ القَبِيْحُ وَيُشَابُ الحَقُّ بِالبَاطِلِ .

وَفِي كِتَابِهِ رَحِمَهُ اللهُ وَإِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيءٌ أَدْعَى لِنَقْمَةٍ وَلَا أَعْظَمَ تَبِعَةٍ وَلَا أَحْرَى لِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا ، فَلَا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ ، فَإِنَّ

ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوْهِنُهُ ، بَلْ يُزِيْلُهُ وَيَنْقُلُهُ وَأَخِّرْ السَّطْوَةَ حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الخِيَارَ ، وَلَنْ تُحْكِمَ ذَلِكَ حَتَّى تَكْثُرَ هُمُوْمُكَ بِذِكْرِ المَعَادِ إِلى رَبِّكَ وَالسَّلَامُ .

وَعَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ : وَجَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ دِرْعَهُ عِنْدَ رَجُلٍ نَصْرَانِيِّ فَأَقْبَلَ بِهِ إِلى شُرَيْحٍ يُخَاصِمُهُ قَالَ فَجَاءَ عَلِيُّ حَتَّى جَلَسَ إِلى جَنْبِ شُرَيْحٍ قَالَ يَا شُرَيْحُ لَوْ كَانَ خَصْمِي مُسْلِماً مَا جَلَسْتُ إِلا مَعَهُ وَلَكِنَّهُ نَصْرَانِيٌّ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذا كُنْتُمْ وَإِيَّاهُمْ فِي طَرِيْقٍ فَاضْطَرُّوْهُمْ إِلى مَضَايِقِهِ وَصَغِّرُوْا بِهِمْ كَمَا صَغَّرَ اللهُ بِهِم مِنْ غَيْرِ أَنْ تَطْغَوْا ثُمَّ قَالَ : هَذَا الدِّرْعُ دِرْعِيْ وَلَمْ أَبِعْ وَلَمْ أَهَبْ.

فَقَالَ شُرَيْحُ لِلنَّصْرَانِيِّ مَا تَقُولُ فِيْمَا يَقُولُ أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ فَقَالَ النَّصْرَانِيِّ مَا الدِّرْعُ إِلاَّ دِرْعِيْ ، وَمَا أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ عِنْدِيْ بِكَاذِبٍ فَالْتَفَتَ شُرَيْحُ إِلى أَمِيْرِ المؤمنينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِيْ طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ هَلْ مِنْ بَيِّنَةٍ فَضَحِكَ عَلِيُّ رَضِيَ اللهُ عنه ، وَقَالَ أَصَابَ شُرَيْحُ مَالِيْ فَقَضَى شُرَيْحُ بِهَا لِلنَّصْرَانِيِّ .

قَالَ فَأَخَذَهُ النَّصْرَانِيُّ وَمَشَى خُطاً ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنَّ هَذِهِ أَحْكَامُ الأَنْبِيَاءِ، أَمِيْرُ المؤمِنِيْنَ يُدْنِيْنِي إِلى قَاضِيْهِ يَقْضِيْ عَلَيْهِ .

أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه ، الدِّرْعُ وَاللهِ دِرْعُكَ يَا أَمِيْرَ المؤمنيْنَ اتَّبَعْتُ الجَيْشَ وأَنْتَ مُنْطَلِقٌ إِلى صِفِّينَ فَخَرَجَتْ مِنْ بَعِيْرِكَ الأَوْرَقِ فَقَالَ أَمَّا إِذَا أَسلَمْتَ فَهِيَ لَكَ وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ .

شِعْراً :

لَعَمْرُكَ مَا تُغْنِي المَغَانِيْ وَلاَ الغِنَى
إذَا سَكَنَ المُثْرِيْ الثَّرَىٰ وَثَوَىٰ بِهِ

فَجُدْ في مَرَاضِيْ اللّهِ بالمالِ رَاضِياً
بِمَا تَقْتَنِيْ مِنْ أجْرِهِ وَثَوَابِهِ

وَعَاصِ هَوَى النَّفْسِ الذِي مَا أَطَاعَهُ
أخُوْ ظَلّةٍ إلَّا هَوَى مِنْ عُقَابِهِ

وَحَافِظْ عَلَى تَقْوَى الآلهِ وَخوْفِهِ
لِتَنْجُوَ مِمَّا يُتّقى مِنْ عِقَابِهِ

وَلاَ تَلْهُ عَنْ تِذْكَارِ ذَنْبِكَ وَابْلُهُ
بِدَمْعٍ يُضَاهِيْ المُزْنَ حَالَ مُصَابِهِ

وَمَثِّلْ لِعَيْنَيْكَ الحِمَامَ وَوَقْعَهُ
وَرَوْعَةَ مُلْقَاهُ وَمَطْعَمَ صَابِهِ

وَإنَّ قُصَارَى مَنْزِلِ الحَيِّ حُفْرَةٌ
سَيَنْزِلُهَا مُسْتَنْزَلاً عَنْ قِبَابِهِ

فَواهاً لِعَبْدٍ سَاءَهُ سُوْءُ فِعْلِهِ
وَأَبْدَى التَّلاَفِيْ قَبْلَ إغلاَقِ بَابِهِ

قَالَ عَلِيّ رَضيَ اللهُ عَنْهُ لِعَمَّارٍ عَلاَمَ تَتَأَوَّهُ ؟ إنْ كَانَ عَلَى الدُّنْيَا فَقَدْ خَسِرَتْ صَفْقَتُكَ ، وإنْ كانَ عَلَى الآخِرَةِ فَقَدْ رَبِحَتْ تِجَارَتُكَ ، يَا عَمَّارُ إنِّيْ وَجَدْتُ لَذّاتِ الدُّنْيَا في أَحْقَرِ الأشْيَاءِ الطَّعَامِ وَأَفْضَلُهُ العَسَلُ وَهُوَ مِنْ حَشَرَةٍ ، المَشْرُوْبَاتِ ، وَأَفْضَلُهَا سَائِرَةٌ في الهَوَاءِ .

المَلْبُوسَاتُ وَأَفْضَلُهَا الحَرِيْرُ وَهُوَ مِنْ دُوْدِ القَزِّ ، المَشْمُوْمَاتُ وَأَفْضَلُهَا المِسْكُ وَهُوَ مِنْ فَأرَةٍ ، المَسْمُوْعَاتُ وَهِيَ أعْرَاضٌ سَائِرَةٌ في الهَوَاءِ .

النِّكَاحُ وَهُوَ مَبَالٌ في مَبَالٍ وَحَسْبُكَ أنَّ المَرْأةَ تَتَزَيَّا بِأقْبَحِ شَيءٍ فِيْهَا : هَذِهِ العِظَةُ تَكْشِفُ لَنا عَنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللّهِ حَيْثُ جَعَلَ لَذَّاتِهَا في أحْقَرِ الأشياء والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فَصْلٌ: ومِنَ الحِكَم المروية عنه ما يلي :

وقال رضي الله عنه « البخل عار والجبن منقصة والفقر يخرس الفطن عن حجته والمقل غريب في بلدته والعجز آفة والصبر شجاعة والزهد ثروة والورع جنة » .

وقال « نعم القرين الرضى والعلم وراثة كريمة والآداب حلل مجددة والفكر مرآة صافية » .

وقال « صدر العاقل صندوق سره والبشاشة حبل المودة والاحتمال قبر العيوب » وقال « إذا أقبلت الدنيا على أحد اعارته مَحَاسِنَ غيره وإذا ادبرت عنه سلبته محاسن نفسه » .

وقال « إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه » وقال « إذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر » .

وقال « من جري في عنان امله عثر بأجله » وقال « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » ويروى هذا عن رسول الله ﷺ « من كفارات الذنوب العظام اغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب » .

وقال « يابن آدم إذا رأيت ربك سبحانه يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره » وقال « الحذر الحذر فوالله لقد ستر حتى كأنه غفر » .

وقال « فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر منه » وقال « كن سمحاً ولا تكن مبذراً وكن مقدراً ولا تكن مقتراً » .

وقال « من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون » .

وقال طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عنه الله » .

وقال احذروا صولة الكريم إذا جاع وصولة اللئيم إذا شبع » وقال « أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة » وقال « القناعة مال لا ينفذ » .

وقال « اللسان سبع ان خلي عنه عقر » وقال « فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها » وقال « لا تستح من اعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه » .

وقال « إذا تم العقل نقص الكلام » وقال « من نصب نفسه للناس اماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلم نفسه ومأدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم » وقال « قيمة كل امرىء ما يحسنه » .

وقال « أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الابل لكانت لذلك أهلا لا يرجون أحد منكم الا ربه ولا يخافن الا ذبنه ولا يستحين احد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ولا يستحين احد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه .

وعليكم بالصبر فان الصبر من الايمان كالرأس من الجسد ولا خير في جسد بغير رأس ولا في إيمان لا صبر معه » .

وقال « من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح أمر آخرته اصلح الله له امر دنياه ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ » .

وقال « اعقلوا الخير عقل رعاية لا عقل رواية فان رواة العلم كثير ولكن رعاته قليل » وقال « لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم الا فتح الله عليهم ما هو أضر منه » وقال « اضاعة الفرصة غصة » .

وقال « عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغني الذي إياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء .

وعجبت للمتكبر الذي كان بالامس نطفة ويكون غداً جيفة .

وعجبت لمن شك في الله وهو يرى خلق الله .

وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى الموتى .

وعجبت لمن انكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى .

وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء » .

فيا عَجَبًا مِمَّنْ يُضِيْعُ حَيَاتَهُ على حِفْظِ مالٍ وهو لِلْغَيْرِ يَدْخَرُ
ومَنْ تُتَوفى نفسُه كُلَّ ليلةٍ وتَرْجِعُ فيه كَيْفَ لِلْبَعْثِ يُنْكِرُ
بَلَى قَادِرٌ أنْشَاهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ عَلَى رَدِّ رُوحٍ منه في الجِسْمِ أَقْدَرُ

وقال « لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث في نكبته وغيبته ووفاته » وقال « تنزل المعونة على قدر المؤنة » .

وقال « المرء مخبوء تحت لسانه » وقال « لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان » .

وقال « الراضي بفعل قوم كالداخل معهم وعلى كل داخل في باطل اثمان اثم العمل به واثم الرضى به » .

وقال « من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها » وقال « من كتم سره كانت الخيرة بيده » وقال « الاعجاب يمنع من الازدياد » .

وقال « الناس اعداء ما جهلوا » وقال « زاجر المسيء بثواب المحسن » وقال « الطمع رق مؤبد » وقال « لم يذهب من مالك ما وعظك » .

وقال « لا يزهدنك في المعروف من لا يشكر لك فقد يشكرك عليه من لا يستمتع به وقد تدرك من شكر الشاكر اكثر مما أضاع الكافر والله يحب المحسنين » .

وقال « بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد » وقال « من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه » .

وقال « الكرم أعطف من الرحم » وقال « من ظن بك خيراً فصدق ظنه » وقال « الحدة ضرب من الجنون فان صاحبها يندم فان لم يندم فجنونه مستحكم » . إنتهى .

اللهم إِنَّك تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلاَنِيَتَنَا وتَسْمَعُ كَلاَمَنَا وتَرَى مَكَانَنَا لاَ يَخْفَى عَليكَ شيْءٌ مِن أَمْرِنَا نَحْنُ البُؤسَاءُ الفُقَراءُ إليكَ المستغيثون المستجيرونَ بكَ نَسْأَلُك أَنْ تُقَيِّظَ لِدِيْنِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ ويُزِيلُ مَا حَدَثَ مِن البِدَعِ والمُنْكَراتِ ويُقِيْمُ عَلَمَ الجِهَادِ ويَقْمَعُ أَهْلَ الزَّيْغِ والكُفْرِ والعِنَادِ ونَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا ولِوَالِدِيْنَا وجميعِ المسلمين برحْمَتِكَ يا أَرْحَم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ)

مواعظ ونصائح

وعن رجل مِن بني شيبان أن عليَّ بنَ أبي طالبٍ عليه السلام خطب فقال : « الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأؤمِنُ به وأتوكلُ عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودِين الحق لِيُزِيْحَ به

عِلَّتكُمْ ، ولِيُوقِظَ به غَفْلَتَكُم ، واعلموا أنكم مَيِّتُون ومَبْعُوثُون مِن بعد الموت ومَوْقُفُون على أعمالكم ومجزيُونَ بها .

فلا تَغُرنّكُم الحَيَاةُ الدنيا فانها دارٌ بالبلاء مَحفُوفةٌ ، وبالفناء معروفة ، وبالغَدر مَوْصُوفَةٌ ، كُلُ ما فيها زَوال وهي بينَ أهلِها دُوَلٌ وسِجَال ، لا تَدُومُ أهوالُهَا .

ولن يَسْلَمَ مِن شرها نُزَّالُهَا ، بينا أهلِها منها في رَخَاءٍ وسُرور ، إذاهم منها في بلاء وغُرُور ، أَحْوَالٌ مُختَلِفة ، وتاراتٌ مُتصَرِّفَةٌ .

العيشُ فيها مَذْمُوم ، والرخاءُ فيها لا يَدُوم ، وإنما أهلُهَا فيها أغراضٌ مُسْتَهْدَفَة تَرْمِيهم بسهامِها ، وتقصِمُهم بِحِمامِها ، حتفُه فيها مَقْدُور وحظُّه فيها مَوْفُور .

واعلموا عبادَ اللَّهِ وما أنتم فيه مِن زهرةِ الدنيا على سبيلِ مَن قد مَضَى مِمَّنْ كان أطولَ منكم أعماراً ، وأَشَدَّ منكم بَطْشًا ، وأَعْمَرَ دِياراً ، وأبعدَ آثاراً .

فأصْبَحتْ أموالُهُم هامِدَةً مِن بعدِ نُقْلَتِهِم ، وأَجْسادُهُم بالِية وَدِيارُهُم خَالية ، وآثارُهُم عافِية .

فاستبدلُوا بالقُصورِ المُشَيَّدَةِ والنمارقِ المُمَهدَةِ الصُّخُورَ والأحجارَ في القُبور التي قَدْ بُنِيَ على الخراب فِناؤُهَا ، وشُيِّدَ بالتراب بناؤُهَا .

فَمَحلُّهَا مُقْتَرِبْ ، وساكنها مُغْتَرِبْ ، بينَ أَهْلِ عِمارَةٍ مُوْحِشِينْ ، وأَهْلِ مَحَلَّةٍ مُتَشَاغِلِين ، لا يَستأنِسُونَ بالعُمْران ، ولا يَتواصَلُون تواصُلَ الجِيرانِ والإخوان ، على ما بينهُم مِن قُرْبِ الجوار ، ودُنُوّ الدار .

وكَيْفَ يكونُ بَيْنَهُم تواصُلٌ وقد طَحَنَهُم بكَلْكَلِهِ البِلَى وأَظَلَّتْهُمُ الجَنادِلُ والثَّرَى ، فأَصْبَحُوا بعد الحياة أَمْوَاتًا ، وبَعْدَ غَضارَةِ العَيشِ رُفَاتًا .

فُجِعَ بهم الأَحْبَاب ، وسَكَنُوا التُراب ، وظَعَنُوا فليسَ لهم إِياب ، هَيْهَاتَ هَيْهاتَ ، « كَلّا إِنّها كَلمةٌ هو قائلها ومِن وَرَائِهِمْ برزَخٌ إِلى يوم يُبْعَثُون » .

وكأنْ قد صِرْتُم إلى مَا صَارُوا إليه مِن البلى ، والوَحْدَةِ في دَارِ المَثْوَى ، وارْتُهِنْتم في ذلك المَضْجَع ، وضَمَّكُم ذلك المُسْتَودَع .

فكيف بكم لو قَدْ تَنَاهَت الأُمُور ، وبُعثِرتِ القُبور ، وحُصِّل ما في الصُدور ، وَوَقَفْتُم لِلتَحْصِيل ، بين يَدَي المَلِكِ الجَليل .

فَطَارَتِ القُلوب ، لإِشْفَاقِها مِن سَالِفِ الذُنُوب ، وهُتِكَتْ عَنكُم الحُجُب والأَسْتَار ، وظَهَرتْ مِنكم العُيوبُ والأَسْرَار .

هُنَالِكَ « تُجْزى كلُّ نَفْسٍ بِما كسَبتْ » إِن الله عز وجل يقول : ﴿ لِيَجْزِيَ الذينَ أساؤوا بِما عَمِلوا وَيجْزِيَ الذين أَحسنوا بالحسنى ﴾ .

وقال : ﴿ وَوُضِعَ الكِتَابُ فتَرى المُجْرمينَ مُشْفِقينَ مِمّا فيه ويقولون : يا وَيْلَتنا ما لِهذا الكتاب لا يُغَادِر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ؟ وَوجدوا ما عملوا حاضِراً ولا يَظْلِمُ ربُّكَ أَحَداً ﴾ .

جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه ، متّبعين لأوليائه ، حتى يُحِلَّنا وإياكم دَارَ المُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ ، إنه حميد مجيد .

عن الحسن ، عن عليٍّ عليه السلام ، قال : طُوبى لِكُلِّ عبدٍ نُوَمَةٍ عَرَفَ الناسَ ولم يعرفه الناسُ ، عَرَفَه اللَّهُ برضوان .

أولَئك مَصَابيحُ الهُدى ، يَكْشِفُ اللَّهُ عنهم كُلَّ فِتنةٍ مُظْلِمة ، سيدخلهم الله في رحمة منه ، لَيْسُوا بالمَذَاييْعِ البُذُرِ ولا الجُفَاةِ المُرائين .

وعن عاصم بن ضَمْرة عن عليٍّ عليه السلام : « ألا إن الفقيه الذي لا يُقنِط مِن رحمةِ اللَّهِ وَلا يُؤمِنُهُم مِن عذابِ الله ، ولا يُرَخِّصُ لهم في مَعَاصِي الله .

ولا يَدَعُ القُرآن رَغْبَةً عنه إلى غَيرِهِ ، ولا خَيْرَ في عِبادَةٍ لا عِلْمَ فيها ولا خير في علم لا فَهْمَ فيه ، ولا خَيْرَ في قِراءةٍ لا تَدَبُّرَ فيها » .

عن الشعبي ، أَنَّ عليًا عليه السلام قال : « يا أيها الناس ، خُذُوْا عني هؤلاء الكلمات ، فلو رَكِبْتُم المَطِيَّ حتى تُنْضُوْهَا ما أُصبتمُ مِثْلَها .

لا يَرْجُوَنَّ عَبْدٌ إلا ربَّه ، ولا يَخَافَنَّ إلا ذَنْبَه ، ولا يَستحِيي - إذا لم يعْلَمْ - أن يَتَعَلمَّ ، ولا يَسْتَحِيي - إذا سُئل عما لا يعلم - أَنْ يَقُولَ : لا أَعْلَم .

واعْلَمُوا أن الصَّبْرَ مِن الايمان بمنزلة الرأسِ مِن الجسد ، ولا خَيْرَ في جَسَدٍ لا رأسَ له .

وعن أبي عبدالرحمن السُّلَمى ، عن علي بن أبي طالب ، قال : أوحى الله عز وجل إلى نبي من الأنبياء أنه ليس من أهل بيت ولا أهل دار ولا أهل قرية يكونون لي على ما أحب فيتحولون عن ذلك إلى ما أكره ، إلا تحوَّلت لهم مما يحبون إلى ما يكرهون .

وليس من أهل بيت ولا أهل دار ولا أهل قرية يكونون لي على ما أكره فيتحولون من ذلك إلى ما أحب إلا تحولت لهم مما يكرهون إلى ما يحبون .

وعن عبدالله بن عباس أنه قال : ما انتفعتُ بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ كانتفاعي بكتابٍ كَتَبَ إليَّ عليُّ بنُ أبي طالب ، فانه كَتَبَ إليَّ :

« أما بعد فان المرءَ يَسوءُهُ فَوْتُ ما لم يكن لِيُدْرِكَه ، ويسرَّه دَرْك ما لم يكن لِيَفُوتَه ، فَلْيكُنْ سُرُوْرُكَ بما نلتَ مِن أمْرِ آخرَتكَ وليكُنْ أسَفُكَ على ما فاتَكَ منها وما نِلْتَ مِن دُنْياكَ فلا تُكثِرنَّ به فَرَحًا ، وما فاتَكَ منها فلا تأسَ عليه حَزَنًا ، وليكن هَمُّكَ فيما بَعدَ الموت » .

وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده ، أن عليًا رضي الله عنه شيَّع جَنَازَةً ، فلما وُضِعَتْ في لَحْدِهَا عَجَّ أهلُها وبَكَوْها فقال : « ما تبكون ؟

أما واللَّهِ لو عَايَنُوا ما عَايَنَ مَيّتُهُم لأذهَلَتْهُم مُعَايَنَتُهم عن مَيّتِهم ، وإن له فيهم لَعَوْدَة ، ثم عودة ، حتى لا يُبقي منهم أحداً » . ثم قام فقال :

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال ، ووقّتَ لكم الآجال ، وجعل لكم أسماعًا تعي ما عنَاها ، وأبصاراً لتجلو عن غشاها ، وأفئدة تَفْهَمُ ما دهاها .

إن الله لم يخلقكم عبثاً ، ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً بل أكرمكم بالنعم السوابغ ، وأرصد لكم الجزاء ، فاتقوا الله عباد الله وجُدُّوا في الطلب ، وبادِروا بالعمل قَبْلَ هادم اللذات .

فان الدنيا لا يَدُوم نعيمُها ، ولا تُؤمَنُ فَجَائِعُها ، غَرُورٌ حائِل ، وسِنادٌ مائِلٍ ، اتَّعظوا عبادَ الله بالعِبَر ، وازدَجِرُوا بالنُذُر ، وانتفعُوا بالمواعظ .

فكَأَنْ قد عَلِقَتْكُم مَخَالبُ المنية ، وضُمّنْتُم بَيْتَ التُراب ، ودهمتكم مُفْظِعاتُ الأُمور بنفخةِ الصُوْر ، وبَعْثَرةِ القُبور ، وسِياقِ المحشرِ ، ومَوْقفِ الحساب ، باحاطةِ قُدْرَةِ الجبار .

كُلُّ نَفْسٍ مَعَهـا سَائِقٌ يَسُوقُها لِمَحْشَرِها ، وشاهِدٌ يَشْهَدُ عليها : ﴿ وأشْرَقتِ الأَرْضُ بنُورِ ربّها وَوُضِعَ الكتابُ وجيء بالنبيّينَ والشهداء وقُضِيَ بينهم بالحقّ وهم لا يُظْلَمون ﴾ .

ارْتَجّتْ لِذلـك اليوم البِلاد ، ونادَى المُنَادِي وحُشِرتِ الوحُوْشُ ، وبَدَتِ الأَسْرار ، وارتجَّتْ الأفئِدَةُ ، وبُرّزتِ الجحيم قد تأجَّجَ جَحِيْمُهَا وغلا حَمِيْمُهَا .

عباد الله ، اتقوا الله تُقْيَةَ مَنْ وَجِلَ وَحذرَ وأَبْصرَ وازْدَجَـرَ فاحْتَثَّ طَلَبًا ونَجا هَرَبًا ، وقَدَّمَ لِلْمَعَاد واسْتَظْهَرَ بالزاد .

وكَفَى بالله مُنْتَقِمًا ونَصيراً ، وكفى بالكتاب خَصْمًا وحَجِيْجًا ، وكفى بالجنة ثوابًا ، وكفَى بالنار وبالاً وعِقابًا ، وأسْتَغْفِرُ اللّهَ لي ولكم .

شعــــرا :

خُلِقَتَ جِسْماً ثَرِياً ثم زُرْتَ ثَرى وصِرْتَ خطّاً فطَالَتْ مُدَّةٌ فَمُحِيْ

قِفْ بالمنازِلِ من عَادٍ وغَيْرِهِمُوا   فَمَا تَرَى ثَمَّ مِن شَخْصٍ ولا شَبَحِ
كُلٌّ مُجازَى بِما أَسْدَاهُ مِن حَسَنٍ   وسَيِّىءٍ فاهْجُرِ السَّوْآت وَانْتَزِجِ

وعن كُمَيْل بن زياد قال : أخذ عليٌّ بن أبي طالب بِيَدِي فأخرجني إلى ناحية الجبّان ، فلما أصْحَرنا جلس ، ثم تنفس ، ثم قال : « يا كُمَيْل بنَ زِياد ، القلوبُ أَوْعِيةٌ فخَيْرُها أوعَاهَا لِلْعِلْم ، احْفَظْ ما أَقُولُ لَكَ .

الناس ثلاثةٌ : عَالِمٌ رباني ، ومُتَعلِّمٌ على سبيل نَجاة ، وهمَجٌ رَعَاعُ أتْبَاعَ كلِّ ناعِقٍ ، يَميلونَ مَعَ كُلِّ رِيح ، ولم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركنٍ وثيق .

العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة ، العلم حاكم والمال محكوم عليه وصنيعة المال تزول بزواله .

ومحبة العالم دين يدان بها العلم يُكْسِبُه الطاعة في حَيَاته وجَمِيْل الأُحدوثة بعد مماته ، مات خُزّان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة .

إن ههنا وأومأ بيده إلى صدره علمًا لو أصبت له حَمَلَةً بلى أصبته لَقِنًا غير مأمون عليه ، يستعمل آلة الدين للدنيا ، يستظهر بنعم الله على عباده ، وبحججه على كتابه .

أو معاندًا لأَهل الحق لا بصيرة له في إحيائه ، ينقدح الشك في قلبه ، عارض من شبهة . لا ذا ولا ذاك . أو منهومًا باللذات سلس القياد للشهوات ، أو مُغْرىً بجمع الأموال والادّخار ، ليسا من دعاة الدين في شيء ، أقرب شبهًا بهم الأنعام السائمة .

كذلك يموت العلم بموت حامليه ، اللهم بلى ، لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة لكي لا تبطُل حُجَج الله وبيّناته أولئك هم الأقلون عددًا ، الأعظمون عند الله قدراً .

بهم يحفظ الله حججه حتى يُؤدوْها إلى نظرائهم ويزرعونها في قلوب أشباههم ، هَجم بهم العلم على حقيقة الأمر ، فاستلانوا ما استوعر المْترفَوُن ، وأنسِوا بما استوحش منه الجاهلون .

صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلَّقة في المحلِّ الأعلى آه آه شوقًا إلى رؤيتهم ، وأستغفر الله لي ولك إذا شئت فَقُم » .

وعن أبي أراكة ، قال : صليت مع علي بن أبي طالب عليه السلام صلاة الفجر ، فلما سلّم انفتل عن يمينه ، ثم مكث كأن عليه كآبة ، حتى إذَا كانت الشمس على حائط المسجد قِيدَ رمح ، قال وقلب يده :

« لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يشبههم لقد كانوا يصبحون شُعْثًا صُفْرًا غُبْرًا بين أعينهم أمثال رُكَب المِعْزى ، قد باتوا لله سُجّدًا وقيامًا ، يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم .

فاذا أصبحوا فذكروا الله ما دَوْا كما تَميد الشجرة في يوم الريح ، وهَملت أعينهم حتى تبلّ ثيابهم ، والله لكأن القوم باتوا غافلين » .

ثم نهض فما رُئي مفتّراً يضحك حتى ضربه ابن مُلْجَمٍ ، والسلام .

ولا غُرْوَ بالأَشْرَافِ إِنْ ظَفِرتْ بهِمْ ... كِلَاب الأعادِيْ مِن فَصِيْحٍ وأَعْجَمِ
فَحَـرْبَةُ وَحْشِيٍ سَقتْ حَمْـزةَ الرَّدَى ... ومَوْتُ عَلي مِن حُسَام ابْنِ مُلْجِمِ

شعـــرا :

وكيف قَرّتْ لأهــل العلم أعينُهم ... أو اسْتَلَذُوا لَذِيذَ النومِ أو هَجَعُوا
والموتُ يُنْذِرهُم جَهْراً عَلانِيَـةً ... لَوْ كَان لِلْقَومِ أسْمَاعٌ لَقَدْ سَمِعُوا
والنارُ ضَاحِيَةُ لا بُدَّ مَوْرِدُهُـمْ ... ولَيس يَدْرُونَ مَن يَنْجُو ومَنْ يَقَعُ
قَدْ أمْسَتِ الطيرُ والأنعامُ آمِنةً ... والنونُ في البَحْرِ لَنْ يَغْتَالُهَا فَزَعُ
والْأَدَمِيُّ بِهَذا الكَسْبِ مُرْتَهـنٌ ... لَهُ رَقِيبٌ على الأَشْرارِ يَطَّلِـعُ
حَتَّى يُوافِيهِ يَوْمَ الجَمْعِ مُنْفَرداً ... وخَصْمُهُ الجِلْدُ والأَبْصَارُ والسَّمَعُ
إذَا النَّبيونَ والأشهادُ قِائِمـةٌ ... والجنُ والإنسُ والأَمْلاكُ قد خَشَعُوا

وطارَتِ الصُحُفُ في الأيديْ مُنشَّرةً   فِيهَا السَّرائِرُ وَالأخبارُ تُطَّلَعُ
فكيفَ سَهْوُكَ والأنباءُ وَاقِعَةٌ   عَمَّا قَليلٍ ولا تَدْرِيْ بِمَا يَقَعُ
أفِي الجِنانِ وفَوْزٍ لا انْقِطَاعَ لَهُ   أمِ الجَحِيْم فلا تُبْقِيْ ولا تَدَعُ
تَهْوِيْ بِسَاكِنِهَا طَوْراً وتَرْفَعُهُمْ   إذا رَجَوْا مَخْرَجاً مِن غَمِّهَا قُمِعُوا
طَالَ البُكَاءُ فَلَمْ يُرْحَمْ تَضَرّعَهُمْ   هَيْهاتَ لا رِقَّةٌ تُغنِي ولا جَزَعُ
لِيَنْفَع العِلْمُ قَبْلَ الموتِ عَالِمُهُ   قَدْ سَالَ قَومٌ بِهَا الرُّجْعَى فما رُجِعُوا

اللهم ارزقنا أنفساً تَقْنَعُ بِعطَائِكْ ، وتَرْضَى بقَضَائِكْ ، وتَصْبِرُ على بلائِكْ ، وتُوْقِنُ بِلِقَائِكَ وتَشْكُرُ لِنَعْمَائِكْ وتحِبُ أَوْلِيَائَكْ وتُبْغِضُ أعْدَاءَكْ واغْفِرْ لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

فَصْل : ضَرَبَ بنُ رَجَب رحمه الله مثلاً جامعًا لأحوالِ الخَلقِ كُلّهم بالنسبةِ إلى دَعوةِ الرسول ﷺ وانقسامِهم في إجابةِ دعْوتِه إلى سَابِقٍ ، ومُقْتَصِدٍ ، وظَالِمٍ لِنَفْسه ، وبه يَظْهَر فَضْلُ العُلماءِ الربانيين على غيرهِم مِن الناسِ أجمعين .

فنقولُ : مَثَلُ ذلك كمثل رَسُولٍ قَدِمَ مِن بَلدِ الملِكِ الأَعظمِ فأدّى رِسَالةِ الملِكِ إلى سَائِرِ البُلْدانِ ، وظَهَرَ لهم صِدْقُه في رِسَالتِهِ .

فكانَ مَضمُونُ الرِسالةِ التي أدَّاهَا مِن الملِكِ إلى رَعِيتهِ أنَّ هذا الملك لا إحْسَانَ أَتَمَّ مِن إحسانِهِ ، ولا عَدْلَ أكملَ مِن عَدْلِهِ ، ولا بَطْش أشدَّ مِن بَطْشِهِ .

وأنـه لابُـدَّ أنْ يَستدعِي الرعيةَ كُلَّهم إليه لِيُقِيمُوا عنده . فَمَن قَدِمَ بإحسانٍ جَزَاهُ بإحسانه أَتَمَّ الجزاءِ ، ومَن قَدِمَ عليه بإساءَةٍ جَزَاهُ بإساءَتِهِ أشدَ الجزَاءِ .

وأنه يُحِبُ كَذَا وكَذا ، ويكْرَهُ كَدا وكذا لم يَدَعْ شَيئاً مِمَّا تعْمَلُهُ الرَّعِيةُ إلَّا أخْبرَهَم بها يحِبُهُ المَلِكِ منه وما يكْرَهُ ، وأَمَرَهُم بالتَّجهُز والسير إلى دَارِ الملِكِ ، التي فيها الإقامةُ .

وأَخْبَرَهُم بخَراب جميع البلادِ سوىَ ذلك البلدِ .

وأنَّ مَن لم يَتَجهزْ للسَّيْرِ بَعثَ إليه الملِكُ مَن يُزْعِجُهُ عن وطنِهِ وَينقلُه مِنْهُ على أَسْوَأ حَال .

وجَعَلَ يَصِفُ صِفاتِ هذا الملك الحسُنى مِن الجَمالِ والكَمالِ والجَلالِ والإِفْضالِ .

فانقسمَ الناسُ في إجابَةِ هذا الرسُولِ الدَّاعِي إلى الملِكِ أَقساماً عَديْدَةً فمِنهُم مَن صَدَّقَهُ ولم يكُنْ لَهُ هَمٌّ إلَّا السُّؤال عَمَّا يُحِبُّ هذا الملِكُ مِن الرعِيَة استصحابَه إلى دارِهِ عندَ السيرِ إليه .

فاشتغَلَ بتَخْليصِهِ لِنَفْسِهِ وبدُعَاءِ مَن يُمكِنُهُ دُعَاؤُهُ مِن الخَلقِ إلى ذلك ، وعَمَّا يَكْرَهُهُ هَذَا الملِكُ فاجْتَنَبَهُ .

وأَمَر الناسَ باجتنابِهِ وجعَلَ هَمَّهُ الأَعظَمُ السُؤال عن صِفاتِ الملِكِ وعَظَمَتِهِ وإِفْضَالِهِ ، فَزادَ بذَلِكَ محبةً لِهذا الملِكِ وإجلالِهِ والشوقِ إلى لِقائِهِ .

فارتحَلَ إلى الملِكِ مُسْتَصْحِباً لأَنْفس ما قَدرَ عليهِ مِمَّا يُحِبه الملِكُ ويَرْتَضِيْهِ ، واسْتَصْحَبَ مَعَهُ رَكْبًا عَظِيْمًا على مِثْلِ حَالِهِ سَارَ بهم إلى دَارِ الملِكِ .

وقَدْ عرفَ مِن جِهَةِ ذلكَ الدليلُ الذي هو الرسولُ الصادِقُ أقربَ الطرقِ التي يتوصَّلُ بالسيرِ فيها إلى الملِكِ ، وما يَنْفَعُ مِن التزوُدِ لِلمَسِيرِ فيها .

وعَمِلَ بمقتضَى ذلك في السَيْرِ هو ومَن اتبعَهُ .

فهذه صفةُ العُلماءِ الربانيين الذين اهتدوا وهَدوا الخَلقَ مَعَهُم إلى طريقِ اللّه .

وهؤلآءِ يَقْدَمُونَ على الملِكِ قُدومَ الغائبِ على أهلِهِ المنتظِرينَ لِقُدومِهِ المشتاقينَ إليه أشدَّ الشوق .

شعرا : إِذَا خَدمَ السُّلْطَانَ قَومٌ لِيَشرفُوْا بِهِ وَنَالُوْا كُلَّ مَا يَتَشَوَّفُوْا

خَدَمْتُ إِلٰهِيْ وَاعْتَصَمْتُ بِحَبْلِهِ لِيَعْصِمَنِيْ مِنْ كُلِّ مَا أَتَخَوَّفُ

وَيُكْرِمُنِيْ بالعِلْم والحِلْمِ وَالتُّقى وَيُؤتِيَنِي ما لَيْسَ يَفْنَى وَيَتْلَفُ
فَخِدْمَتُ مَنْ يُعْطِي السَّلاطِيْنَ مُلْكَهُم وَيَنْزَعَهُ عَنْهُمْ أَجَلُّ وأشْرَفُ

وقِسْمٌ آخَرُونَ اشتَغلُوا بالتأهّب بمسيرِهم بأنفُسِهم إلى الملِكِ ولم يَتفرَّغُوا لِاسْتِصْحَاب غَيْرِهِمْ مَعَهُم .

وهذه صِفَةُ العُبّادِ الذين تَعَلَّمُوا ما يَنفعُهُم في خاصةِ أَنفسِهم واشتغلُوا بالعَمَلِ بمُقْتَضَاه .

وقِسْمٌ آخرُونَ تَشَبهُّوا بأَحَدِ القِسْمَين وأَظْهَروُا لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ مِنْهُم وأَنَّ قَصدَهُم التَّزوُدَ لِلرَّحِيل ، وإنما كان قَصدُهم استيطان دارِهم التي هُمُ بها مُسْتَوطِنُون .

وحَالُ هؤلآءِ عند الملِكِ إذا قدمُوا عليه شَرّ حالٍ . ويقالُ لهم اطْلبُوا جزاءَ أَعْمالِكم مِمَّنْ عَمِلْتُم لهَم ، فليسَ لكَم عندنا مِن خَلاقٍ . وهُم أولُ مَن تُسعَّرُ بهِمُ مِن أهلِ التوحيد .

وقِسْمٌ آخَرُونَ فَهِمُوا ما أَرادَهُ الرسولُ مِن رسالةِ الملِكِ لَكِنَّهُم غَلَبَ عَليهم الكَسَلُ والتقاعدُ عن التزود للسفر واستصحاب ما يُحِبُ الملِكِ واجتنابِ ما يَكْرَه .

وهؤلآء العُلماء الذين لا يَعْمَلُونَ بعِلْمِهم ، وهُمْ على شَفَا هَلَكَةٍ ، وربما انتفعَ غيرُهُم بمعرِفتهم وَوَصْفِهم لِطَريقِ السَّيرِ ، فسارَ المتعلِمُونَ فنجَوا وانقطعَ مَن تَعلَّموا مِنهم فهلكوا .

وقِسْمٌ آخَرُونَ صَدَّقُوا الرسولَ فِيما دَعَا إليه مِن دعوة الملِكِ لَكِنَّهُم لم يَتَعلَّمُوا منه طَرِيْقَ السير ، ولا مَعْرفة تفاصيل ما يُحِبُه الملِكِ وما يَكرَهُهُ ، فساروا بأنفسِهم وَرَمَوْا أنفسَهم في طَرِيْقٍ شَاقَّةٍ ، ومَخَاوُفَ ، وقِفَارٍ وعْرَةٍ فَهَلَكَ أَكْثرُهُم ، وانقطعُوا في الطريقِ ، ولم يَصِلُوا إلى دَارِ المِلِكِ . وهؤلآءِ الذين يَعْمَلُون بغَيرِ عِلْم .

وقِسْمٌ لم يَهْتَمُّوا بهذِه الرسالةِ ، ولا رَفعُوا بها رَأْساً ، واشتَغلُوا بمصَالح إقامَتهِم في أوطانِهِم التي أَخبر الرسولُ بخَرابها .

وهَؤلآءِ منهم مَن كَذَّبَ الـرسولَ بالكلية ، ومنهم من صدَّقه بالقول ولكنَهُ لم يَشْتَغِلْ بمعرفةِ مَا دَلَّ عليه ولا بالعملِ بِهِ . وهَؤلآءِ عُمُومُ الخلق المعرِضُونَ عن العِلم والعَمَلِ .

ومنهم الكُفارُ والمنافقونَ ومنهم العُصَاةُ الظالمون لأنفسِهم فلا يَشعُرون إلا وقد طرقَهُم داعِي الملِكِ فأجْلاَهُم عن أوطانِهِم واسْتَدعَاهُم إلى الملِكِ فقَدِمُوا عَليهِ قُدُوْمَ الآبقِ على سيدِهِ الغضبانِ عليه .

فإذا تأَملْتَ أقسامَ الناسِ المذكورَةَ لَم تَجِدْ أَشرَفَ ولا أقْرَبَ عندَ الملِكِ مِن العُلماء الرَّبانيين . فهُم أفضَلُ الخلقِ بعد المُرسَلِين صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين أ هـ .

خُزَّانُ وَحْـيِ اللَّهِ لَمْ يُـرَى غَيْرُهُم ... أَهْـلاً لِحِـفْظَ كَـلامِـهِ المُخْتَـارِ
لَكِـنْ عَـلَيْهِم أَنْ يَقُـومُوْا بالـذِي ... فيـهِ مِـن المَشْـرُوْعِ لِلْأَبْـرَارِ
صِـدْقٌ وإِخْـلاصٌ وحُسْنُ عِبَـادَةٍ ... وقِيَـامُ لَيْـلٍ مَـعْ صِيَـامِ نَهَـارِ
وتَـوَرُّعٍ وتَـزَهُّـدٍ وتَعَفُّـفٍ ... وتَشَـبُّهٍ بخَـلائِقِ الأَخْيَـارِ
ودِيَـانَـةٍ وصِيَـانَـةٍ وأَمَـانَـةٍ ... وتَجَنُّـبٍ لِخَـلائقِ الأَشْـرَارِ
وأَداءِ فَرْضٍ واجْتِنَابِ مَحَارِمٍ ... وإِدَامَـةٍ لِلْحَمْـدِ والأَذْكَـارِ
يـا حَـامِـلَ القُـرآنِ إنْ تَـكُ هَكَذا ... فَـلَكَ الهَنَـاءُ بفَـوْزِ عُقْبَى الـدَّارِ
ومَتَى أَضَعْـتَ حُـدُوْدَهُ لـم تَنْتَفِـعْ ... بحُـرُوْفِـهِ وسَكَنْتَ دَارَ بَـوَارِ

اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا ما يَنفَعُنَا وانفَعْنَا بِما علَّمْتَنَا وَبَارِكْ لنا في عُلُومِنا وأعمالِنا وأَعمارِنا وأَصْلِحْ نِياَّتِنا وذُرّيَاتِنا واغفِرْ لنا ولِوَالِدينا ولجميع المسلمين برحْمَتِك يا أرحمَ الراحمينَ وصلى اللَّهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجمعين .

(فصـــل)

وقال ابن القيم رحمه الله في الكلام على مَرَاحِل العالَمين وكيفيةِ قَطْعِهم إيَّاها فَلْنَرجِعْ إليه فنقول أمَّا الأَشْقياءُ فقطعُوا تِلكَ المراحلَ سَائرين إلى دارِ الشقاء مُتزودين غضَبَ الرب سُبْحَانِهِ .

ومُعاداةَ كُتُبِه ورُسُلِهِ ، وما بُعِثُوا به ومُعَادَاةَ أوليائِه والصَّدَّ عن سبيلِهِ ومحاربةَ مَن يدعو إلى دينه ومقاتلةَ الذين يأمرون بالقسط من الناس وإقامة دعوة غير دعوة الله التي بَعَثَ بها رُسَلَه لِتَكُونَ الدعوةُ لَهُ وَحْده .

فقطعَ هؤلآءِ الأشقياءُ مَرَاحِلَ أعمارِهم في ضِدِّ ما يُحِبه اللَّهُ وُيَرضاه : وأَمَّا السائرونَ إليه فظالِمُهُم قَطَعَ مَراحِلَ عُمُرِهِ في غفلاتِهِ وايثار شهواته ولَذَّاتهِ على مَراضِ الرب سبحانه وأوامِرِهِ مع ايمانه بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر .

لكن نفسه مغلوبة معه مأسورة مع حظه وهواه يعلم سوء حاله ويعترف بتفريطه ويعزم على الرجوع إلى الله فهذا حال المسلم .

واما من زين له سوء عمله فرآه حسناً وهو غير معترف ولا مقر ولا عازم على الرجوع إلى الله والإنابة إليه أصلاً .

فهذا لا يكاد اسلامه أن يكون صحيحاً أبداً ولا يكون هذا الا منسلخ القلب من الايمان ونعوذ بالله من الخذلان .

وأما الأَبرار المقتصدون فَقَطَعوا مَرَاحِلَ سَفَرهم بالاهتمام باقامةِ أَمْرِ اللَّهِ وعقدِ القلبِ على تَرْكِ مُخَالَفَتِهِ ومَعَاصِيه فَهَمَمُهُم مصرُوْفَةٌ إلى القيامِ بالأَعمالِ الصالحةِ واجتنابِ الأَعمالِ القبيحةِ .

فأولُ مَا يَسْتَيقِظُ أَحَدُهُم مِن مَنامِهِ يَسْبِقُ إلى لُبِهِ القِيامُ إلى الوُضُوءِ والصلاة كما أَمَرَهُ اللَّهُ فإذا أَدّى فَرْضَ وقْتِهِ اشْتَغَلَ بالتلاوةِ والأذكارِ إلى حِينِ تطلعُ الشمسُ فيركَعُ الضُحى .

ثم يَذْهَبُ إلى ما أقامَهُ اللَّهُ فيه مِن الاسباب فإذا حَضر فرْضُ الظُهر بادَرَ إلى التَّطَهُّر والسعي إلى الصفِ الأول مِن المسجدِ فَادّى فرِيْضَتَهُ كما أمِرَ مُكَمّلاً لها بشَرَائِطِهَا وأركانِها وسُنَنِها وحَقَائِقِهَا الباطِنَةِ مِن الخشوعِ والمُرَاقبةِ والحُضُور بين يَدَي الرب .

فَيَنْصَرِفُ مِن الصلاةِ وقد أَثَّرَتْ في قَلْبِه وبَدَنِه وسائرِ أحْوالِهِ آثارًا تَبْدُو على صَفَحَاتِهِ ولِسانِه وجَوارِحِه ويجَدُ ثَمرتَهَا في قلبِه مِن الانابة إلى دارِ الخُلود والتجافي عن دار الغرور وقِلَّةِ التكالب والحِرص على الدنيا وعَاجلها .

قد نَهَتْهُ صَلاتُه عِن الفحشاءِ والمنكر وَحَبَّبَتْ إليه لِقاءَ اللَّهِ ونَفَّرتْهُ عن كُلِّ قاطعٍ يَقْطَعُه عن اللَّهِ فَهُو مَغْمُومٌ مَهْمُومٌ كَأَنَّهُ في سِجْنٍ حتى تحْضُرُ الصلاةُ .

فإذا حَضَرَتْ قَامَ إلى نعَيْمِهِ وسُرُوْره وقُرةِ عينه وحَيَاةِ قلبِهِ فهو لا تطيبُ له الحياة إلا بالصلاةِ هذا وهُم في ذلك كُلِّه مُرَاعُونَ لحِفظِ السُنن لا يُخِلُّونَ منها بِشَيءٍ ما أَمكَنَهُم .

فَيَقْصُدُوْنَ مِن الوُضوءِ اكمله ومِن الوقتِ أَوَّلَه ومِن الصفوف أَوَّلَهَا عن يمينِ الامامِ أو خلفَ ظهره .

ويأتونَ بعد الفريضةِ بالاذكارِ المشروعةِ كالاستغفارَ ثلاثاً وقولِ اللهم أنت السلامُ ومنكَ السلامُ تباركتَ يا ذا الجلالِ والإكرام .

وقول لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانعَ لما أَعْطَيْتَ ولا معطي لما مَنَعتَ ولا ينفعُ ذا الجدِ منكَ الجدُ لا إلهَ إلا اللَّهُ ولا نعبدُ الا اياهُ له النعمةُ وله الفضلُ وله الثناءُ الحَسَنُ لا إلهَ إلا اللَّهُ مخلصينَ له الدينَ ولو كره الكافرون .

ثم يُسبحُونَ ويحَمدُونَ ويُكَبرونَ تِسعاً وتِسعينَ ويَختِمُونَ المائة بلا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَه لَهُ الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيءٍ قدير .

ومَن أرَادَ المزيدَ قرأَ آيةَ الكُرسيِ والمُعوذَتين عَقبَ كل صلاةٍ فإن فيها أحَاديْث رواها النسائي وغيرهُ .

ثم يَركَعُونَ السنة على أحْسَنِ الوُجُوهِ هذا دَأبُهُم في كُلّ فَرِيْضَةٍ .

فإذا كان قبلَ غُروبِ الشمس توَفَّرُوْا على أذكارِ المسَاءِ الوَارِادةِ في السُنَةِ نَظِيْرُ أذكارِ الصَّباحِ الوَارِدَةِ في أَوَّلِ النهارِ ولا يُخلُّونَ بها أَبَداً .

فإذا جَاءَ الليلُ كَانُوا فِيه على مَنازِلِهم مِن مَواهِبِ الربِ سُبْحَانَهُ التي قَسَّمَها بينَ عِبادِهِ .

فإذا أَخَذُوا مَضَاجِعَهُم أَتَوا بِأَذْكارِ النَّوْمِ الوَارِدَةِ في السُنةِ وهي كَثيرةٌ تبلغُ نَحْوًا من أَربَعِينْ .

فيأتـونَ منهـا ما عَلِمُوْهُ وما يَقْدِرُوْنَ عليه مِن قِراءَةِ سُوْرَةِ الاخلاص والمُعَوذَتَين ثلاثاً ثم يَمْسَحُوْنَ بها رُؤُوْسَهُمْ وَوُجُوهَهُم وأجْسَادَهُم ثلاثاً ويَقْرَؤُوْنَ آيةَ الكُـرْسِي وخَوَاتِيمِ سُورَةِ البَقَرةِ ويُسَبّحُونَ ثلاثاً وثلاثين ويَحْمِدُوْنَ ثلاثاً وثلاثين ويُكَبرُونَ أَرْبعاً وثلاثين .

ثم يَقوُل أَحَدُهم اللَّهُمَّ إني أسْلَمْتُ نَفسِي إليكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهي إليكَ وفَوَّضْتُ أمْريْ إليكَ وأَلجأتُ ظَهْرِيْ إليكَ رَغْبةً ورَهْبَةً إليك لا مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجا مِنكَ إلَّا إليَكَ .

آمنْتُ بكَتابك الذِي أَنْزلتَ ونَبّيكَ الذي أَرْسَلْتَ .

وإنْ شَاءَ قَال باسمـك ربي وَضَعْتُ جنْبي وبكَ أرفَعُهُ فإنْ أَمْسَكْتَ نفسِي فاغْفرْ لَها وإنْ أَرسَلْتَهَا فاحْفَظْهَا بها تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصالِحِين .

وإن شَاءَ قَال : اللَّهُمَّ رَبَّ السموات السبعِ وَرَبَّ العَرشِ العظيمِ رَبي وَرَبَّ كُلِ شَيء فـالِقَ الحب والنَّوى مُنَزّلَ التوراةِ والانجيلِ والقرآنَ أعوذُ بَكَ مِن شر كُلَ دابةِ أَنْتَ آخذٌ بناصِيَتِها .

أَنْتَ الَاوّلُ فليسَ قَبْلَكَ شيءٌ وأَنْتَ الآخرُ فليْسَ بَعْدَكَ شيءٌ وأَنْتَ

الظاهرُفَلَيْسَ فَوقَكَ شيءٌ وأَنْتَ الباطنُ فَلَيْسَ دُوْنَكَ شيءٌ إقضِ عني الدينَ وأَغْنِني مِن الفقرِ .

وبالجُملَةِ فلا يَزَالُ يَذْكُر الله على فراشِهِ حتى يَغْلِبَهُ النومُ فهذا نَوْمُهُ عِبَادَةٌ وزَيادَةٌ لَه مِن قُربِهِ مِن اللَّهِ .

فإذا اسْتَيْقَظَ عاد إلى عَادتِهِ الأُوْلىَ وَمَعَ هذا فَهُوَ قائمٌ بِحقُوقِ العِبادِ مِن عِيادَةِ المَـرْضَى وتَشْيِيْعِ الجنـائـزِ وإجَابةِ الدَّعْوَةِ والمُعَاوَنَةِ لهم بالجاه والبدن والنفسِ والمالِ وزيارَتِهم وتفَقُدِهِم . وقائمٌ بحقُوقِ أَهْلِهِ وعِيالِهِ .

فَهُوَ مُتَنَقِّلٌ في مَنَازِلِ العُبُودِيةِ كَيفَ نقلَهُ فِيها الأَمْرُ فإذا وَقَعَ مِنه تَفرِيطٌ في حَقٍ مِن حُقُوقِ اللَّهِ بادَرَ إلى الاعتذارِ والتوبةِ والاستغفارِ ومَحْوِهِ ومُدَاوَاتِهِ بِعَمَلٍ صَالحٍ يُزيلُ أَثَرَهُ فهذا وَظِيفَتُهُ دائمًا . أ هـ .

وقال إنَ شُرورَ الدُنْيَا والآخِرَة إنما هُو الجهلُ بما جاء به الرسول ﷺ والخروجُ عنه .

وهذا بُرْهانٌ قاطع على أنْ لا نجاةَ لِلْعَبدِ ولا سعادةَ إلا بالاجتهاد في مَعْرِفةِ ما جَاءَ به الرسول ﷺ علْماً والقيامِ به عَملاً .

وكـمالُ هذه السَّعَادَةِ بأَمْرَيْن أَحَدُهما دعوة الخلق إليه ، والثاني صَبْرُهُ واجتهادُهُ على تلك الدعوة .

فانحصرَ الكمالُ لِلْإنسان على هذه المراتب الأربع .

أَحَدُهَا العلمُ بما جاء به النَّبي ﷺ .

والثانيةُ العملُ به .

والثالثةُ نَشْرُهُ في الناس والدعوة إليه .

والرابعةُ صَبْرُهُ وجهادُهُ في أَدَائِهِ وتنفِيْذهُ .

ومَن طَلَعَتْ همَّتُهُ إلى مَعْرِفَةِ ما كان عليه الصحابةُ رضي اللَّهُ عنهم وأرَادَ اتِّبَاعَهمُ فهذِهِ طريقتُهم حقًا .

اللهم إنا نسألك فِعْلَ الخَيْرَاتِ ، وتَرْكَ المنكرات وحُبَّ المسَاكِيْنِ وإذا اردْتَ فِتْنَةً في قوم فَتَوَفَّنا غَيْرَ مفتُوْنِيْنَ .

وقال رحمه الله الهجرةُ هِجْرتان : هِجرةٌ بالجسم مِن بلد إلى بلد وهذه أَحكامُها معلومةٌ وليس المرادُ الكلامُ فيها .

والهجرةُ الثانيةُ الهجرةُ بالقلب إلى اللَّهِ ورسولِه وهذِه هِيَ المقصودُ هُنا وهذِه الهِجرةُ هِي الهِجرةُ الحِقيقيةُ وهي الأَصل .

وهجرةُ الجسدِ تابعةٌ لها لله وهي هِجرة تتضمنُ (مِن) و (إلىَ) فيها جسرٌ بِقَلْبِـهِ مِن محبّةِ غير اللَّهِ إلى مَحَبَّتِهِ ومِن عُبودية غيرِه إلى عبودِيتِهِ ومِن خَوْفِ غَيرِهِ ورَجَائِهِ والتوكّلِ عليه إلى خوفِ اللَّهِ ورَجائِهِ والتوكلِ عليه ومِن دعـاءِ غيرِهِ وسؤالِـهِ ، والخضوعِ له والذُلِ له والإستكانةِ له إلى دعاء الله وسؤال الله والخضوع له والذل له والاستكانة له .

وهذَا بعَيْنِهِ مَعْنَى الفرار إليه قال تعالى ؛ ﴿ ففرّوا إلى الله ﴾ والتوحيدُ المطلوبُ مِن العبد هُو الفِرارُ مِن الله إليه .

وتَحْتَ (مِن) و (إلى) في هذا سِرٌّ عظيمٍ مِن أسرار التـوحيدِ فإنّ الفـرارَ إليه سُبْحَانَهُ يَتضَمَّنُ إفْرادَهُ بالطلبِ والعبوديةِ فهو مُتَضَمّنٌ لِتَوحِيدِ الإلهيَّةِ الَّتي اتّفقَتْ عليها دَعوةُ الرسلِ صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليهم أجمعين .

وأَما الفِرارُ منه إليه فَهُو مُتَضَمّنٌ لِتَوحيدِ الرُبُوبيةِ وإثباتِ القَدَرِ وأنَّ كُلَّ ما في الكونِ مِن المكروهِ والمَحْذُورِ الذي يَفِرُّ مِنه العبدُ فإنما أَوْجَبَتْهُ مشِيْئةُ اللَّهِ وحْدَهُ .

فإن ما شاءَ كانَ وَوَجَبَ وجُودُهُ بمشيئتِهِ وما لم يَشأْ لم يَكُن وامتنعَ وجُودُهُ لِعَدمِ مَشيئتِهِ .

فإذا فَرَّ العبدُ إلى اللَّهِ فإنمَا يَفِرُّ مِن شيءٍ إلى شَيءٍ وُجِدَ بمشيئة اللَّهِ وقَدرِهِ فهو في الحقيقةِ فارٌ مِن اللَّهِ إليه .

ومَنْ تصوَّرَ هذا حَقَّ تَصَوُّره فَهِمَ مَعْنَى قولِهِ ﷺ : « وأعُوذُ بِكَ مِنكَ » وقوله : « لا مَلْجأَ ولا مَنْجَى مِنكَ إلاَّ إليكَ » فإنه ليسَ في الوُجُودِ شيءٌ يَفرُّ مِنه ويُسْتَعَاذُ منه ويُلتجأ مِنه إلاَّ هُوَ مِن اللَّهِ خَلْقاً وإبْداعاً .

شعــــرا :

تَوَكَّلْ على الرحمنِ في كُلِّ حَاجةٍ　　أَرَدْتَ فإنَّ اللهَ يَقْضِيْ وَيقدِرُ
مَتَى ما يُرِدْ ذُو العَرْشِ أمْراً بِعَبْدَهَ　　يُصِبْهُ ، وما لِلْعَبْدِ ما يَتخَيَّـــرُ
وقد يَهلَكُ الإنسانُ مِن وَجْهِ أمْنِهِ　　ويَنْجُوْ بإذنِ اللهِ مِن حَيْثُ يَحْذَرُ

فالفارُ والمُسْتَعِيْذُ فَارٌّ مِمَّا أَوجَدَ قَدَرُ اللَّهِ ومشيئُته وخلقُه إلى ما تقتضيه رحمتُه وبرُّه ولُطفهُ واحسانُه ، ففي الحقيقةِ هو هاربٌ مِن اللَّهِ إليه مُسْتَعْيذٌ باللَّهِ مِنه .

وتَصَـوُّرُ هَذَين الأمْـرَيْنِ يُوجبُ لِلْعَبـدِ انقـطاعَ تَعلقِ قَلْبِهِ عن غيرِه بالَكُليةِ ، خَوفًا ورَجَاءً ، ومحبَةً .

فإنه إذا عَلِمَ أن الذي يفِرُ مِنه ويَسْتِعيْذُ منه إنما هو بِمَشِيْئةِ اللَّهِ وقُدْرَتِهِ وخَلْقِهِ لم يَبْقَ في قلبه خَوفٌ مِن غيرِ خالِقِه ومُوْجِدِه .

فَتَضَمَّنَ ذلكَ إفراد اللَّهِ وَحْدَهُ بالخوفِ والحُبِ والرجاءِ . ولو كان فِرَارُهُ مِمَّا لم يَكُنْ بمَشِيْئَتِهِ ولا قُدْرَتِهِ لكن ذلك موجباً لخوفه منه مثل ما يفر من مخلوق إلى مخلوق آخر أَقدر منه .

فانه في حالِ فِرارِهِ مِن الأولِ خائفٌ منه حَذرًا أن لا يكونَ الثاني يُفِيْدُهُ مِنه بخلاف مَا إذا كان الذي يَفِرُ إليه هُوَ الذي قَضَى وقَدَّرَ وشَاءَ ما يَفِرُ مِنه فإنهُ لا يَبْقَى في القلب التفاتُ إلى غيره .

فَتَفَطَنْ إلى هذا السِّرِ العَجِيْبِ في قَولِهِ : « أعُوذُ بك منكَ » و « لا مَلْجَأَ ولا مَنْجَى مِنكَ إلا إليكَ » فأَنَّ النَاس قد ذكروا في هذا أَقوالاً ، وقَلَّ مَن تَعَرَّضَ منهم لِهذِهِ النُكْتةِ التي هِي لُبُّ الكلامِ ومقصودُه . وبالله التوفيق .

فتأمل كيفَ عادَ الأمرُ كُلُّهُ إلى الفِرارِ مِن الله إليه وهو مَعنى الهِجرة إلى الله تعالى ، ولهذا قال النبي ﷺ : « المهاجِرُ مَن هَجَرَ ما نهى اللَّهُ عنه » .

ولهـذا يَقرنُ سُبْحَانَهُ وتَعالَى الايمانَ والهجرةَ في غيرِ موضعٍ لِتلازُمِهِمَا واقتضاءِ أحدهِما للآخر .

والمقصودُ أن الهجرةَ إلى اللَّهِ تتضمنُ هِجْرانَ ما يَكْرَهُهُ واتيانَ ما يُحبه ويرضاه وأصلُهما الحبُّ والبُغضُ .

فإنّ المهاجرَ مِن شَيءٍ إلى شَيءٍ لا بُدَّ أن يكونَ ما يُهاجِرُ إليه أحَبَّ مما هاجَرَ مِنه فيؤثِرُ أَحَبَّ الأمَرين إليه على الآخر .

وإذا كان نفسُ العبدِ وهَواهُ ، وشيطانُه إنما يدعونَهُ إلى خِلاف ما يُحبه ويَرضَاهُ ، وقد بُلي بهؤلآءِ الثلاث .

فلا يَزالُـونَ يَدْعُـونَه إلى غير مَرْضَاةِ رَبِهِ ، وداعِي الإيمانِ يدعُوه إلى مَرضاةِ ربه ، فعليه في كُلِ وقْتٍ أنَ يُهاجِرَ إلى اللَّهِ ولا يَنْفَكَ في هِجْرَته إلى المَمات .

وهذِهِ الهِجرةُ تَقْوىَ وتَضْعُفُ بحسَبَ دَاعِي المحبةِ في قلب العبدِ فإن كان الداعِي أقْوى كَانتْ هذِهِ الهِجرة أقْوَى وأَتَم واكملُ وإذَا ضَعُفَ الدَاعِي ضعُفَتِ الهِجرةُ حتى لا يَكادُ يَشْعُرَ بها عِلماً ، ولا يَتحرَّكُ لَها إرادَةً .

والـذي يَقْضِي مِنه العَجَبُ أَنَّ المرءَ يُوسعُ الكلامَ وُيفَرِّعُ المسائلَ في الهِجرة مِن دارِ الكفر إلى دَارِ الإسلام ، وفي الهِجرة التي انْقَطَعت بالفَتْحِ ، وهَذِهِ هِجْرَةٌ عَارِضَةٌ . رُبَّمَا لا تَتَعلقُ به في العُمْر أَصْلاً .

وأما هَذِهِ الهِجْرَةُ التي هِي واجبَةٌ على مَدَى الأَنْفَاسِ لا يَحْصُلُ فِيها عِلْمًا ولا إرَادَةً ومَا ذاكَ إلَّا لِلأَعْرَاضِ عَمَّا خُلِقَ لَهُ ، والاشتغالُ بما لا يُنْجِيْهِ وحْدَهُ عَمَّا لا يُنْجيْه غَيْرُهُ قال تعـالى : ﴿ ولا تكُونُوا كالذَّيْنَ نَسُوْا الله فأنساهم أنْفُسهُمْ ﴾

وهَـذا حَالُ مَن عَشيْتَ بَصِـيْرتُـهُ وضَعُفَتْ مَعْـرفته بمراتِبِ العُلُوم والأَعْمَالِ والله المستعان . وبالله التوفيق لا إلهَ غَيْرُهُ ولا رَبَّ سِوَاهُ .

وأما الهِجْرَةُ إلى الرسُولِ ﷺ فعِلْمٌ لم يَبْقَ منه سِوَى اسْمُهُ ومَنْهَجٌ لم تَتْرُكْ بُنَيَّاتُ الطريقِ سِوى رَسْمَهُ ، ومَحَجَّةٌ سفَتْ عليها السوافي فَطَمَسَتْ رُسُومَهَا وغَارَتْ عليها الأَعَادِي فَغَوَّرَتْ مَنَاهِلَهَا وعُيونَهَا .

فسالِكُهَا غَرِيْبٌ بَينَ العِبَادِ فَرِيدٌ بَينَ كُلِّ حي وناد . بعيد على قرب المكان وحيد على كثرة الجيران .

مستوحش مما به يستأنسون ، مستأنس مما به يستوحِشُوْن مقيم إذا ظعنوا ، ظاعن إذا قطنوا ، منفرد في طريق طلبه لا يقر قراره ، حتى يظفر بإربه . فهو الكائن معهم بجسده البائن منهم بمقصده ، نامت في طلب الهدى أعينهم ، وما ليل مطيته بنائم ، وقعدوا عن الهجرة النبوية ، وهو في طلبها مشمر قائم .

يعيبونه بمخالفة أرائهم ويزرون عليه إزارءً على جهالاتهم واهوائهم ، قد رجموا فيه الظنون وأحدقوا فيه العيون ، وتربصوا به ريب المنون ﴿ فتربصوا انا معكم متربصون ﴾ ﴿ قالَ رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ﴾ .

وقال رحمه الله الطلبُ لِقَاحُ الإيمان ، فإذا اجتمعَ الإيمانُ والطلبُ أَثْمَرَ العملَ الصالحَ .

وحسنُ الظنّ بالله لِقاحُ الافتقارِ والاضطرارِ إليهِ فإذا اجتمعا أثمَرا إجابَةَ الدُعَاءِ .

والخشيةُ لقاحُ المحبةِ فإذا اجتمعا أَثْمَرا امتثالَ الأَوامرِ ، واجتنابَ النواهِي .

والصبرُ لِقاحُ اليقين ، فإذا اجتمعا أَوْرَثَا الإمامةَ في الدِيْنَ قال تعالى

﴿ وجعلناهم أئمةً يهدونَ بأمرنا لما صَبَرُوا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ .

وصحـةُ الاقتداء بالرسول لِقاحُ الإخلاصِ فإذا اجتمعا أثمرَا قبولَ العملِ والاعتدادَ بِهِ .

والعملُ لِقاحُ العِلَم فإذا اجتمعا كان الفلاحُ والسعادةُ ، وإن انفردَ أَحَدَهُمَا عن الآخرِ لم يُفِد شيئاً .

والحلمُ لِقَاحُ العِلم ، وإنْ انفردَ أَحَدُهُمَا عن صاحبِهِ فاتَ النفعُ والانتفاعُ .

والعـزيمـةُ لِقـاحُ البصـيرةِ ، فإذا اجتمعـا نَالَ صَاحِبُهُمَا خيْرَ الدنيا والآخِـرة ، وحصَل الانتفاعُ بِعلم العالِمِ ، وبَلَغَتْ بِهِ هِمتهُ مِن العلياء كُلَّ مكان وإنْ انفردَ أَحَدُهُمَا عن صاحبِهِ فاتَ النفعُ والانتفاعُ .

فَتَخلُّفُ الكَمالاتِ إمَّا مِن عَدَم البَصيرةِ ، وإمَّا مِن عَدَم العَزيمةِ ، وحُسْنُ القَصْدِ لِقاحُ لِصِحَّةِ الذُّهْنِ ،فإكذا فُقِدا فُقِدَالخيرُ كلُه ،وإذا اجْتَمَعَا أثمرَا أنواعَ الخيرات .

وصِحةُ الرَّأْيِ لِقَاحُ الشجاعَةِ ، فإذا اجْتَمَعَا ، كان النَّصْرُ والظَّفَرُ ، وإن فُقِـدَا فالخُـذْلانُ والخيبـة . وإن وُجِـدَ الـرأيُ بلا شَجـاعَةٍ ، فالجُبنُ والعَجْزُ ، وإن حَصَلَتْ الشجاعةُ بلا رَأيٍ ، فالتَّهَوُرُ والعَطَبُ .

والصَّـبْرُ لِقَـاحُ البصـيرةِ ، فإذا اجتمعـا فالخَـيرُ في اجْتِماعِهِما . قال الحسنُ : إذا شئتَ أنْ ترى بَصْيراً لا صَبْرَله رَأَيتَهَ ، وإذا شئتَ أن ترى صَابراً لا بَصْيرَةَ له رَأَيتَه ، فإذا رأَيتَ صابراً بَصِيْراٍ فذاكَ .

والنصيحةُ لِقَاحُ العَقْلِ ، فكلما قَوِيَتِ النصيحةُ قَوِيَ العَقلُ واستنَارَ .

والتذكُرُ والتفكرُ كُلُ منهما لِقاحُ الآخَرَ ، إذا اجتمعا أَنتجا الزُهْدَ في الدنيا . والرغبةَ في الآخِرةِ .

والتقوى لِقاحُ التوكلِ ، فإذا اجتمعا اسْتَقَامَ القلبُ .

ولِقاحُ أَخْذِ أُهْبَةِ الاستعدادِ لِلِقّاءِ قِصرُ الأَملِّ ، فإذا اجتمعا فالخير كله في اجتماعهما ، والشر في فرقتهما .

ولِقَاحُ الهِمَّةِ العاليةِ ، النيةُ الصحيحةُ فإذا اجتمعا بَلَغَ العبدُ غَايةَ المراد .

وقال لا يزال العبدُ مُنْقَطِعاً عن الله حتى تَتَّصِلَ ارادَتهُ ومحبتهُ بوجهه الأَعْلَى ، والمرادُ بهذا الاتصالِ ، أن تُفْضِى المحبةُ إليهِ ، وتَتَعَّلقُ بهِ وَحْدَهُ ، فَلا يَحْجُبهَا شيَءٌ دُونَهُ .

وأَنْ تَتَّصِلَ المعرفةُ بأسمائِهِ وصفاتِهِ وأفعالِهِ ، فلا يَطْمِسْ نُورَها ظلمةُ التعطيل ، كما لا يَطْمِسُ نورَ المحبةِ ظُلْمَةُ الشركِ .

وأَنَّ يَتَصِلَ ذِكْرُهُ بهِ سُبْحَانَهُ فَيَزُولُ بينَ الذاكر والمذكور حجاب الغَفْلَة والتفاتُهَ في حَالِ الذكْرِ إلى غير مَذكُوره .

فحَيْنئذٍ يَتَّصِلُ الذكرُ بهِ ، ويَتصلُ العَملُ بأوامرِه ونواهيهِ ، فيفعلُ الطاعةَ لأنه أمَرَ بها وأَحَبَّهَا ، ويَتْرُكُ المَنَاهِيَ لِكَونِه نَهى عَنها ، وابْغَضَها .

فهذا مَعنىَ اتِّصَالِ العملِ بأمره ونَهْيِه . وحَقيْقَةُ زَوالِ العِلَلِ البَاعِثَةِ على الفِعْلِ والتركِ مِن الأَعْراضِ والحُظُوظِ العاجلةِ .

ويَتَّصِلُ التوكلُ والحبُ بهِ بحيْثُ يَصيْرُ وَاثِقاً به سُبْحَانَهُ ، مُطْمَئِناً إليهِ ، رَاضِياً بحُسْنِ تَدْبيرِه لَه غَيْرَ مُتَّهِمٍ لَهُ في حالٍ مِن الأحوالِ .

ويتصلُ فَقرُهُ وفاقَتُه به سُبْحَانَه دُونَ مَن سِواهُ .

ويتصلُ خَوفُه ورَجَاؤُهُ ، وفَرحُه وسرُورُهُ ، وابتهاجُه بهِ وَحْدَهُ ، فلا يَخافُ غَيْرَهُ ، ولا يَرجُوْهُ ، ولا يَفْرَحُ بهِ كلَّ الفَرحِ ولا يُسَرُّ بهِ غايةَ السُرُوْرِ .

وإنْ نَالَـهُ بالمخلوق بعضُ الفَرحِ والسُرُورِ ، فَليسَ الفرحُ التامُ والسرورُ الكاملُ ، والابتهاجُ والنعيمُ وقُرَّةُ العينِ ، وسُكونُ القلب إلاَّ بهِ سُبْحَانَه . قَال تعالى : ﴿ الذين آمنوا وتَطمَئِنُّ قُلُوبُهم بذِكرِ الله أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطمئن القلوب ﴾ . الآيـة

وما سِواهُ إن أعَانَ عَلىَ هَذا المطلوبِ فَرِح بِهِ وسُرَّ بهِ . وإنْ حُجِبَ عنه فُهو بالحُزْنِ بهِ والوَحْشَةِ مِنهُ واضْطِرابِ القلبِ بحُصُولِه لَهُ أحقُ مِنه بأَنْ يَفْرَحَ بهِ ، فلا فَرْحَةَ ولا سُرُوْرَ إلا بهِ ، أو بها أَوْصَلَ إليهِ وأعانَ على مَرْضَاتِهِ . وقد أخبرَ سُبْحَانَه أنه لا يُحبُ الفَرِحين بالدنيا وزِينَتِها .

شعرا : كَفِلْتُ لِطَالِبِ الدنيا بِهَمٍّ طَوْيلٍ لا يَؤُولُ إلى انْقِطَــاعِ
وذُلٍّ في الحَياةِ بِغَيْرِ عِــزٍّ وَفقْرٍ لا يَدُلُّ عَلَى اتِّسِــاعِ
وشُغْلٍ لَيْسَ يَعْقُبُهُ فَــراغٌ وسَعْيٍ دَائِمٍ مَعَ كُلِ سَاعِي
وحِرْصٍ لا يَزَالُ عَلَيهِ عَبْداً وعَبْدُ الحِرْصِ لَيْسَ بِذِى ارْتِفَاعِ

وأما الفرحُ بفَضْلِهِ ورحَمته ، وهُو الإسلامُ والإيمانُ والقرآنُ كما فَسَّرَهُ الصحابةُ والتابعونَ . والمقصودُ أَنَّ مَن اتَّصَلَتْ له هذهِ الأمورُ باللَّهِ سبحانه فقد وَصَل ، وإلَّا فَهُو مَقْطُوعٌ عَنْ رَبّه مُتَّصَلٌ بحَظِهِ وَنفْسِهِ ، فَلُبّسَ عليه في مَعْرفَتِهِ وإرَادَتَه وسُلُوْكِهِ .

(مــوعظـــــــة)

الاخـلاصُ مِسْـكٌ مَصُونٌ في القلبِ يُنبّه رِيْحُهُ عَلى حَامِله ، العَمَلُ صُوْرَةٌ والإخـلاصُ رُوح ، إذا لم تُخْلِصْ العَمـلَ للَّهِ وحْدَهُ فلا تَتْعَب ، لو قَطَعْتَ المنازِلَ لم تكن حَاجًا إلا بشُهُود الوقُوف بالموقف ، ولا تَغْتَرَّ بصُورة الطاعات .

كان أيوبُ السِختياني إذا تَحَدَّثَ فَرَقَّ قلبهُ وجاءَ الدَّمْعُ قال ما أَشَدَّ الزُكام .

وكان إبْرهِيمُ بْنُ أدهم إذا مَرِضَ يَجْعَلُ عند رَأسِهِ ما يأكل الأَصِحَاء كَيْلَا يتَشَبَّهُ بالشاكِين .

وكان ابن أبي ليلى يصلي فإذا أحَسَّ بداخل نام على فراشه .

وكان النخعي يَقْرَأُ في المُصْحَفِ فإذا دَخل عليه أحَدُ غطاه .

وكان الواحدُ من السلف تأتيهِ العَبْرَةُ والخشوعُ فيقوم خشيةَ أنْ يُفْطَنَ له .

وكان بعضُهم يُصَلِي ويبكي وإذا جاءه زائر غسَّل وَجْهَهُ عن الدموع لئلا يتنبه له .

كل هذا من الاخلاص بَلّغْ يا أخِي مَعْشَرَ المُرائِينَ الذين إذا سَاهَمُوا في مَشْرُوْع دِيْني نشروا أسْمَاءَهُم في الجرائد والمجلات والاذاعات والذين يُعَدِّدُوْنَ كَمْ حَجُّوْا من سَنَة وهم ما سُئِلُوْا ويَقُولون نَحنُ نعتمر كل سنة وأهلنا وأولادنا ويَجْلِس بالحرم .

ويُهْمِل عَائِلَتَهُ ولا يُحافِظ عليهم ولا يدري أَيْنَ يَذْهَبُون في الليل والنهار ورُبَّمَا حَصَل له بسببهم إثمٌ عظيم لِأَن سَيئَةَ الحرم عَظيمة لَيْسَتْ كَغَيرها .

وربما كان مع ذلك المأكل والملبس والمركب حرام نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة .

وهذه المسائل قَلَّ مَن يَنتَبَّهُ لها مِن طلبة العِلم فَضْلاً عن غيرهم .

فالرياءُ مِن أصْعَبِ الأشياءِ وأخْفَاهَا وضَرَرُهُ عَظِيم وقد يُحْبِطُ الأعمال .

فَيَنْبَغِي للانسان أن يَجْعَلَهُ دَائما نَصْبَ عَيْنَيْهِ في الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الأعمال .

اللَّهُمَّ قَوِّنَا بالْيَقِينْ وَامْنَحْنَا التَّوْفِيْقَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

شِعْراً :

تَبَارَكَ مَنْ شُكْرُ الوَرَىٰ عَنْهُ يَقْصرُ ... لِكَوْنِ أَيَادِيْ جُوْدِهِ لَيْسَ تُحْصَرُ
وَشَاكِرُهَا يَحْتَاجُ شُكْراً لِشُكْرِهَا ... كَذلِكَ شُكْرُ الشُّكْرِ يَحْتَاجُ يُشْكَرُ
فَفِيْ كُلِّ شُكْرٍ نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ ... بغَيْرِ تَنَاءٍ دُوْنَهَا الشُّكْرُ يَصْغُرُ

فَمَنْ رَامَ يَقْضِيَ حَقَّ وَاجِب شُكْرِهَا   تَحَمَّلَ ضِمْنَ الشُّكْرِ مَا هُو أَكْبَرُ
تُسَبِّحُهُ الحِيْتَانُ فِي المَا وَفِي الْفَلا   وُحُوشٌ وَطَيْرٌ فِي الهَوَاءِ مُسَخَّرُ
وَفِي الفُلْكِ وَالأَمْلاكِ كُلٌّ مُسَبِّحٌ   نَهَاراً وَلَيْلاً دَائِماً لَيْسَ يَفْتُرُ
تُسَبِّحُ كُلُّ الكَائِنَاتِ بِحَمْدِهِ   سَمَاءٌ وَأَرْضٌ وَالجِبَالُ وَأَبْحُرُ
جَمِيْعاً وَمَنْ فِيْهِنَّ وَالكُلُّ خَاشِعٌ   لِهَيْبَتِهِ العُظْمَى وَلاَ يَتَكَبَّرُ
لَهُ كُلُّ ذَرَّاتِ الوُجُوْدِ شَوَاهِدٌ   عَلَى أَنهُ البَارِيْ الإِلَهُ المُصَوِّرُ
دَحَا الأَرْضَ وَالسَّبْعَ السَّمَاوَاتِ شَادَهَا   وَأَتْقَنَهَا لِلْعَالَمِيْنَ لِيَنْظُرُوا
وَأَبْدَعَ حُسْنَ الصُّنْعِ فِي مَلَكُوتِهَا   وَفِي مَلَكُوْتِ الأَرْضِ كَيْ يَتَفَكَّرُوا
وَأَوْتَدَهَا بِالرَّاسِيَاتِ فَلَمْ تَمِدْ   وَشَقَّقَ أَنْهَاراً بِهَا تَتَفَجَّرُ
وَأَخْرَجَ مَرْعَاهَا وَبَثَّ دَوَابَهَا   وَلِلْكُلِّ يَأْتِي مِنْهُ رِزْقٌ مُقَدَّرُ
مِنْ الحَبِّ ثُمَّ الأَبِّ وَالقَضْبِ وَالكَلا   وَنَخْلٍ وَأَعْنَابٍ فَوَاكِهُ تُثْمِرُ
فَأَضْحَتْ بِحُسْنِ الزَّهْرِ تَزْهُوْ رِيَاضُهَا   وَفِي حُلَلٍ نَسْجُ الرَّبِيْعِ تَبَخْتَرُ
وَزَانَ سَمَاءً بِالمَصَابِيْحِ أَصْبَحَتْ   وَأَمْسَتْ بِبَاهِيْ الحُسْنِ تَزْهُوْ وَتَزْهَرُ
تَرَاهَا إِذَا جَنَّ الدُّجَى قَدْ تَقَلَّدَتْ   قَلائِدَ دُرِّيٍّ لِدُرٍّ تُحَقِّرُ
فَيَا نَاظِراً زَهْرَ البَسَاتِيْنَ دُوْنَهَا   أَظُنُّكَ أَعْمَى لَيْسَ لِلْحُسْنِ تُبْصِرُ
وَيَا مَنْ لَهَا إِنَّ المَحَاسِنَ كُلَّهَا   بِدَارٍ بِهَا مَالا عَلَى القَلْبِ يَخْطُرُ
وَلاَ سَمِعَتْ أُذْنٌ وَلاَ العَيْنُ أَبْصَرَتْ   وَمَا تَشْتَهِيْهِ النَّفْسُ فِي الحَالِ يَحْضُرُ
تَزِيْدُ بَهَاءً كُلَّ حِيْنٍ وَعَيْشُهَا   يَزِيْدُ صَفَاءً قَطُّ لاَ يَتَكَدَّرُ
مِنْ الدُّرِّ وَاليَاقُوْتِ تُبْنَى قُصُوْرُهَا   وَمِنْ ذَهَبٍ مَعْ فِضَّةٍ لاَ تَغَيَّرُ
وَمَا يُشْتَهَى مِنْ لَحْمِ طَيْرٍ طَعَامُهَا   وَفَاكِهَةٍ مِمَّا لَهُ يُتَخَيَّرُ
وَمَشْرُوْبُهَا كَافُوْرُهَا وَرَحِيْقُهَا   وَتَسْنِيْمُهَا وَالسَّلْسَبِيْلُ وَكَوْثَرُ
وَمِنْ عَسَلٍ وَالخَمْرِ نَهْرَانِ جَوْفُهَا   وَنَهْرَانِ أَلبَانٌ وَمَاءٌ يُفَجَّرُ
وَغَالِيْ حَرِيْرٍ فُرْشُهَا وَلِبَاسُهَا   وَحَصْبَاؤُهَا وَالتُّرْبُ مِسْكٌ وَجَوْهَرُ

وَمِنْ زَعْفَرَانٍ نَبْتُهَا وَحَشِيْشُهَا   وَمِنْ جَوْهَرٍ أَشْجَارُهَا تِلْكَ تُثْمِرُ
فَوَاكِهُ تَكْفِي حَبَّةٌ لِقَبِيْلَةٍ   أُدِيْمَتْ أُبِيْحَتْ لا تُبَاعُ وَتُحْجَرُ
وَأَكْوَابُهَا مِنْ فِضَّةٍ لاَ كَبِيْرَةٍ   عَلى شَارِبٍ مِنْهَا وَلا هِيَ تَصْغُرُ
وَمِنْ ذَهَبٍ زَاهِيْ الجَمَالِ صِحَافُهَا   يَلَذُّ بِهَا عَيْشٌ بِهِ العَيْنُ تَقْرُرُ
وَأَزْوَاجُهَا حُوْرٌ حِسَانٌ كَوَاعِبٌ   رَعَابِيْبُ أَبْكَارٌ بِهَا النُّوْرُ يَزْهُرُ
هَرَاكِيْلُ خُوْدَاتٌ وَغِيْدٌ وَخُرَّدٌ   مَدَى الدَّهْرِ لاَ تَبْلَىَ وَلا تَتَغَيَّرُ
نَشَتْ عُرُباً أَتْرَابَ سِنٍّ قَوَاصِرٍ   لِطَرْفٍ كَحِيْلٍ لِلْمَلاحَةِ يَفْتُرُ
عَوَالِي الحُلَى وَالحَلْيُ عَيْنٌ فَوَاخِرٌ   زَكَتْ طَهُرَتْ مِنْ كُلِّ مَا يُتَقَذَّرُ
ثَوَتْ فِي خِيَامِ الدُّرِّ فِي رَوْضَةِ البَهَا   عَلى سُرُرِ اليَاقُوْتِ تَغْدُر وَتَحْضُرُ
مِلاحٌ زَهَتْ فِي رَوْنَقِ الحُسْنِ وَالبَهَا   وَكُلُّ جَمَالٍ دُوْنَهُ الْمَدْحُ يَقْصُرُ
وَمَا الْمَدَحُ فِيْمَنْ نَشْرُهَا وَابْتِسَامُهَا   يُضِيءُ الدَّيَاجِيْ وَالوُجُوْدَ يُعَطِرُ
وَمَنْ يَعْذُبُ البَحْرُ الأُجَاجُ بِرِيْقِهَا   وَمَنْ حُسْنِهَا لِلْعَالَمِيْنَ يُحَيِّرُ
وَمَنْ لَوْ بَدَتْ مِنْ مَشْرِقٍ ضَاءَ مَغْرِبٌ   وَحَارَ الوَرى مِنْ حُسْنِهَا حِيْنَ تَظْهَرُ
وَمَنْ مُخُّهَا مِنْ تَحْتِ سَبْعِيْنَ حُلَّةً   يُرَىَ كَيْفَ مُوْفِيْ المَدْحِ عَنْهَا يُعَبِّرُ
فَخَيْرٌ مِن الدُّنْيَا جَمِيْعاً خِمَارُهَا   فَأَحْسِنْ بِمَنْ تَحْتَ الخِمَارِ مُخَمَّرُ
وَأَحْقِرْ بِرَبَّاتِ الْمَحَاسِنِ وَالَّتِى   بِتَشْبِيْهِ أَوْصَافِ الجِنَانِ تُصَدَّرُ
فَمَا الفِضَّةُ البَيْضَاءُ شِيْبَتْ بِعَسْجَدٍ   وَمَا البَيْضُ مَكْنُونُ النَّعَامِ الْمُسَتَّرُ
بَهَاءً وَحُسْناً مَا الْيَوَاقِيْتُ فِي الصَّفَا   وفِي رَوْنَقٍ مَا اللُّؤْلُؤُ الرَّطْبُ يُنْثَرُ
وَمَا شَبَّهَ الرَّحْمَنُ مِنْ بَعْضِ وَصْفِهَا   بِبَيْضٍ وَيَاقُوتٍ فَذَلِكَ يُذْكَرُ
عَلى جِهَةِ التَّقْرِيْبِ لِلذِّهْنِ إِذْ لَنَا   عُقُوْلٌ عَلَيْهَا فَهْمُ مَا يَتَعَسَّرُ
تَبَارَكَ مُنْشِيْ الخَلْقِ عَنْ سِرِّ حِكْمَةٍ   هُوَ اللَّهُ مَوْلانَا الحَكِيْمُ الْمُدَبِّرُ

إِذَا مَا تَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً   تَعَالَى لِكُلِّ الْمُؤْمِنِيْنَ لِيَنْظُرُوا
وَقَدْ زُيِّنَتْ جَنَّاتُ عَدْنٍ وَزُخْرِفَتْ   نَسُوَا كُلَّ مَا فِيْهَا لِمَا مِنْهُ أَبْصَرُوا

جَمالاً ووَصْفاً جَلَّ لَيْسَ كَمِثْلِه ... وَفَضْلاً وَإِنْعَامَاً يَجِلُّ وَيَكْبُرُ
نَعِيْمٌ وَلَذَّاتٌ وَعِزٌّ وَرِفْعَةٌ ... وَقُرْبٌ وَرِضْوَانٌ وَمُلْكٌ وَمَتْجَرُ
بِمَقْعَدِ صِدْقٍ فِي جِوَارِ مَلِيْكِهِمْ ... هَنِيْئاً لِمَسْعُوْدٍ بِذَلِكَ يَظْفَرُ
أَيَا سَاعَةً فِيهَا السَّعَادَاتُ تُجْتَلَى ... عَلى وَجْهِهَا دُرُّ العِنَايَاتِ يُنْثَرُ
وَيَا سَاعَةً فِيْهَا المَفَاخِرُ تُرْتَقَى ... عُلاهَا وَخَلْعَاتُ الكِرَامِ تُنَشَّرُ
أَلا مُشْتَرٍ جَنَّاتِ خُلْدٍ وَخَيْرَهَا ... وَحُوْراً حِسَاناً فِي المَلاحَةِ تَفْخَرُ
أَلا بَائِعُ الفَانِيْ الحَقِيْرِ بِبَاقِي ... خَطِيْرٍ وَمُلْكٍ لَيْسَ يَبْلَى وَيَدمُرُ
أَلا مُفْتَدٍ مِنْ نَارِ حَرٍّ عَظِيْمَةٍ ... أُلُوْفُ سِنِيْنَ تِلْكَ تُحْمَى وَتُسْعَرُ
لَهَا شَرَرٌ كَالقَصْرِ فِيْهَا سَلاسِلٌ ... عِظَامٌ وَأَغْلالٌ فَغُلُّوْا وَجُرْجِرُوا
عُصَاةٌ وَفُجَّارٌ وَسَبْعٌ طِبَاقُهَا ... وَسَبْعِيْنَ عَاماً عُمْقُهَا قَدْ تَهَوَّرُوا
وَحَيَّاتُهَا كَالبُخْتِ فِيْهَا عَقَارِبٌ ... بِغَالٌ وَضَرْبٌ وَالزَّبَانِيُّ يَنْهَرُ
غَلِيْظٌ شَدِيْدٌ فِي يَدَيْهِ مَقَامِعٌ ... إِذَا ضَرَبَ الصُّمَّ الجِبَالَ تَكَسَّرُ
وَمَطْعُومُهُمْ زَقُّوْمُهَا وَشَرَابُهُمْ ... حَمِيْمٌ بِهَا أَمْعَاؤُهُمْ مِنْهُ تَنْدُرُ
وَيُسْقَوْنَ أَيْضاً مِنْ صَدِيْدٍ وَجِيْفَةٍ ... تَفَجَّرُ مِنْ فَرْجِ الذِيْ كَانَ يَفْجُرُ
وَقَدْ شَابَ مِنْ يَوْمٍ عَبُوسٍ شَبَابُهُم ... لِهَوْلٍ عَظِيْمٍ لِلْخَلائِقِ يُسْكِرُ
فَيَا عَجَباً نَدْرِيْ بِنَارٍ وَجَنَّةٍ ... وَلَيْسَ لِذَيْ نَشْتَاقُ أَوْ تِلْكَ نَحْذَرُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ خَوْفٌ وَشَوْقٌ وَلا حَيَا ... فَمَاذَا بَقِيْ فِيْنَا مِنَ الخَيْرِ يُذْكَرُ
وَلَيْسَ لِحَرٍّ صَابِرِيْنَ وَلا بَلا ... فَكَيْفَ عَلى النِّيْرَانِ يَا قَوْمُ نَصْبِرُ
وَفَوْتُ جِنَانِ الخُلْدِ أَعْظَمُ حَسْرَةً ... عَلى تِلْكَ فَلْيَسْتَحْسِرِ المُتَحَسِّرُ
فَأُفٌّ لَنَا أُفٍّ كِلابُ مَزَابِلٍ ... إِلى نَتْنِهَا نَغْدُوْا وَلا نَتَدَبَّرُ
نَبِيْعُ خَطِيْراً بِالحَقِيْرِ عَمَايَةً ... وَلَيْسَ لَنَا عَقْلٌ وَلُبٌّ مُنَوَّرُ
فَطُوْبَى لِمَنْ يُؤْتَى القَنَاعَةَ وَالتُّقَى ... وَأَوْقَاتُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ يَعْمُرُ
فَيَا أَيُّهَا الأَخْوَانُ مِنْ كُلِّ سَامِعٍ ... لَهُ فَهْمُ قَلْبٍ حَاضِرٍ يَتَذَكَّرُ

أَلَا إنَّ تَقْوَى اللَّـهِ خَيْرُ بِضَاعَةٍ لِصَاحِبِهَا رِبْحٌ بِهَا لَيْسَ يَخْسَرُ
وَطَاعَتُهُ لِلْمُتَّقِى خَيْرُ حِرْفَةٍ بِهَا يَكْسِبُ الخَيْرَاتِ وَالسَّعْيُ يُشْكَرُ
إِذَا أَصْبحَ البَطَّالُ فِي الحَشْرِ نَادِماً يَعُضُّ عَلى كَفٍّ أَسىً يَتَحسَّرُ
فَطُوبَىٰ لِمَنْ يُمْسِيْ وَيُصْبِحُ عَامِلاً عَلى كُلِّ شَيءٍ طَاعَةَ اللَّـهِ يُؤْثِرُ
بِهَا يَعْمُرُ الأَوْقَاتَ أَيَّامَ عُمْرِهِ يُصَلِّيْ وَيَتْلُو لِلكِتَابِ وَيَذْكُرُ
وَيَأْنَسُ بِالمَوْلَى وَيَسْتَوْحِشُ الوَرَى وَيَشْكُرُ فِي السَّرَّا وَفِي الضَّرَّا يَصْبِرُ
وَيَسْلُوْ عَنَّ اللَّذَّاتِ بِالدُّوْنِ قَانِعُ عَفِيْفُ لَهُ قَلْبٌ نَقِيٌّ مُنَوَّرُ
حَزِيْنٌ نَحِيْلٌ جِسْمُهُ ضَامِرُ الحَشَا يَصُوْمُ عَنَّ الدُّنْيَا عَلى المَوْتِ يُفْطِرُ
إِذَا ذُكِرَتْ جَنَّاتُ عَدْنٍ وَأَهْلُهَا يَذُوْبُ اشْتِيَاقاً نَحْوَاهَا وَيُشَمِّرُ
وَيَعْلُو جَوَادَ العَزْمِ أَدْهَمَ سَابِقاً وَأَبْيَضَ مَجْنُوباً عَنِ النُّوْرِ يُسْفِرُ
فَأَدْهَمُ يَسْقِيْ مَاءَ عَيْنٍ وَأَبْيَضُ لِصَبْرٍ عَلى صَوْمِ الهَجِيْرِ يُضَمَّرُ
وَيَرْكُضُ فِي مَيْدَانِ سَبْقٍ إِلى العُلا وَيَسْرِيْ إِلى نَيْلِ المَعَالِيْ وَيَسْهَرُ
فَمَجْدُ العُلَا مَا نَالَهُ غَيْرُ مَاجِدٍ يُخَاطِرُ بِالرُّوْحِ الخَطِيْرِ فَيَظْفَرُ
سَأَلْتُ الذِيْ عَمَّ الوُجُوْدَ بِجُوْدِهِ وَمَنْ مِنْهُ فَيْضُ الفَضْلِ لِلْخَلْقِ يَغْمُرُ
يَمُنُّ عَلَيْنَا فِي قَبُولِ دُعَائِنَا وَيُلْحِقُنَا بِالصَّالِحِيْنَ وَيَغْفِرُ
وَأَزْكَى صَلاةِ اللَّـهِ ثُمَّ سَلامِهِ عَلى المُصْطَفَى مَا لَاحَ فِيْ الأُفْقِ نَيِّرُ

(فَصْــــلٌ)

فِي ذِكْرِ بَعْضِ سِيْرَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ عَبْدِ العَزِيْزِ وَزُهْدِهِ وَوَرَعِهِ وَعَدْلِهِ

انْصَافُهُ مِنْ نَفْسِهِ وَأَقَارِبِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالى فَعِنْدَمَا تَوَلَّى أَخَذَ جَوَاهِرَ زَوْجَتِهِ وَحُلِيِّهَا فِيْمَا أَخَذَ فَأَوْدَعَهُ بَيْتَ المَالِ حَتَّى إِذَا احْتَاجَ إِلَيْهِ المُسْلِمُونَ أَنْفَقَهُ عَلَيْهِمْ .

وَعِنْدَمَا أَحَسَّ أَنهَا لَمْ ترض أَوَّلَ الأَمْر كُلَّ الرِّضَا بمَا فَعَلَ خيَّرَهَا بَيْنَ أَنْ تُقِيْمَ عِنْدَهُ وَبَيْنَ أَنْ تَلْحقَ بأَهْلِهَا فرضِيَتْ أَنْ تُقِيْمَ عِنْدَهُ وَأَنْ تَدْفَعَ بِحُلِيِّهَا وَجَوَاهِرِهَا إلى بَيْتِ المَالِ ثُمَّ لا تَرُدُّهُ إِلَيْهَا أبداً .

وَمَا زَالَ عُمَرُ فِي زَوْجَتِهِ حَتَّى أَثَّرَ عَلَيْهَا وَاقْتَدَتْ بِهِ فِي الوَرَعِ وَالزُّهْدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا .

وَكَمَا فَعَلَ عُمَرُ مَعَ زَوْجَتِهِ فَاطِمَةَ فَعَلَ بِأَوْلَادِهِ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ .

أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ ابْنَتُهُ بلؤلؤةٍ وَقَالَتْ لَهُ : إنْ رَأَيْتَ أَنْ تَبْعَثَ لِيْ بأُخْتِهَا حَتْى أَجْعَلَهَا في أُذنَيَّ فأَرْسَلَ لَهَا بِجَمْرَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ لها إن اسْتَطَعْتِ أنْ تَجْعَلِيْ هَاتَينِ الجَمْرَتَيْنِ في اذُنيكِ بَعثْتُ إِلَيْكِ بِأُخْتِهَا .

وَبَلَغَ عُمَرَ أَنَّ ابْنَهُ اشْتَرَى فَصَّ خَاتَمٍ بأَلْفِ دِرْهَمٍ فَكَتَبَ عَزِيْمَةٌ مِنِّيْ عليْكَ إلاّ بِعْتَ هَذا الخَاتَمَ الذِي اشْتَرَيْتَهُ بأَلْفِ درْهَمٍ وَتَصَدَّقْتَ بِثَمَنِهِ اشْتَرَيْتَ آخرَ بِدْرهمٍ نَقَشْتَ عَلَيْهِ : رَحِمَ اللهُ امْرأً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ وَالسَّلامُ .

وَجَمَعَ يَوْماً رُؤسَاءِ النَّاسِ فَخَطَبَهُم فقَالَ : إنَّ فَدَكَ كَانَتْ بيَدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَضَعُهَا حَيْثُ أرَاهُ اللهُ ثم وَلِيهَا أبو بَكرٍ وَعُمَرُ كذَلِكَ قالَ الأَصْمَعِيُّ وَمَا أدْرِيْ مَا قَال في عُثْمَانَ ثمْ قَال انَّ مَرْوَانَ أَقْطَعَهَا فَحَصَلَ لِيْ مِنْهَا نَصِيْبٌ وَوَهَبَنِي الوَلِيْدِ وَسُلَيْمَانُ نَصِيْبَهُما وَلَمْ يَكُنْ مِنْ مَالِيْ شَيءٌ أَرُدُّهُ أغْلَى مِنْهَا وَقد رَدَدْتُهَا في بَيْتِ المالِ عَلى ما كانَتْ عليْهِ في زَمانِ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسَلم .

قال فَيئِسَ النَّاسُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنَ المَظَالِمَ ثُمَّ أمَرَ بأمْوَالِ جَمَاعَةً مِنْ بَنِيْ أُمَيَّةَ فَرَدُّوْهَا إلى بَيْتِ المالِ وَسَمَّاهَا أمْوَالُ المظالِم فاسْتَشَفَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ وتَوَسَّلُوا إلَيْهِ بعَمتِهِ فَاطِمَةِ بِنْتِ مَرْوانَ فَلَمْ يَنْجَعْ فِيْهِ شَيْءٌ .

وَقَالَ لَهُم لَتَدعُنِّيْ وَإِلاَّ ذَهَبْتُ إلى مَكَّةَ فَنَزَلْتُ عَنْ هَذَا الأَمْرِ لِأَحَقِّ النَّاسِ بِهِ .

وَقَدْ اجْتَهَدَ رَحِمَهُ اللهُ في مُدَّةِ وِلايَتِهِ مَعَ قِصَرِهَا حَتَّى رَدَّ المظَالِمَ وَصَرَفَ إِلَى كُلِّ ذِيْ حَقٍّ حَقَّهُ .

وَكَانَ مُنَادِيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ يُنَادِيْ أَيْنَ الغَارِمُوْنَ أَيْنَ النَّاكِحُوْنَ أَيْنَ المسَاكِيْنُ أَيْنَ اليَتَامَى حَتَّى أغنَى كلاًّ مِنْ هَؤُلاءِ فَرَحْمَةُ اللهِ عَلى تِلْكَ الرُّوْحِ المَطْبُوعِ عَلى العَدْلِ والصدق والوَرَعِ والزُّهْدِ .

وَقَالَتْ زَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ دَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْماً وَهُوَ جَالِسٌ فِي مُصَلاَّهُ وَاضِعاً خَدَّهُ على يَدِهِ وَدُمُوْعُه تَسِيْلُ على خَدَّيْهِ فقُلتُ مَالَكَ فَقَالَ وَيْحَكِ يَا فَاطِمَة قد وُلِّيْتُ مِنْ أَمْرِ هذه الأُمَّةِ مَا وُلِّيْتُ فَتَفَكَّرْتُ في الفَقِيْرِ الجَائِعِ وَالمظْلُوْمِ المَقْهُوْرِ وَالغَرِيْبِ وَالأَسِيْرِ وَالشَّيْخِ الكَبِيْرِ وذِي العِيَالِ الكَثِيْرِ وَالمرَيْضِ الضَّائِعِ وَالعَارِيْ المَجْهُودِ واليَتِيْمِ المكْسُوْرِ وَالأَرْمَلةِ الوَحِيْدَةِ وَالمَالُ قَلِيْلٌ وَأَشْبَاهُهُم في أقطارِ الأَرْضِ وَأَطْرَافِ البِلَادِ .

فَعلِمْتُ أَنَّ رَبِّيْ عَزَّ وَجلَّ سَيَسْأَلُنِي عَنْهُم يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَنَّ خَصْمِيْ دُوْنَهُم محمد صلى الله عليه وسلم فَخَشِيْتُ أَنْ لا يَثْبُتَ لِيْ حُجَّةٌ عِنْدَ خُصُوْمَتِهِ فَرَحِمْتُ نَفْسِيْ فَبَكيْتُ ؛ قَالُوا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سِوَى ثَوْبٍ وَاحِدٍ فَكَانَ إذا غَسَلُوهُ جَلَسَ فِي المَنْزِلِ حَتَّى يَيْبَسَ . قَالُوا وَدَخَلَ مَرَّةً عَلَى امْرَأَتِهِ فسَأَلَها أَنْ تُقْرِضَهُ دِرْهَماً أو فُلُوساً يَشْتَرِيْ لَهُ بِهَا عِنَباً فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهَا شَيْئاً فَقَالَتْ لهُ أَنْتَ أَمِيْرُ المؤمنينَ وَلَيْسَ في خِزَانَتِكَ ما تَشْتَرِيْ بِهِ عِنَباً .

فَقَالَ هَذَا أَيسَرُ مِنْ مُعَالَجَةِ الأَغْلَالِ وَالأَنْكَالِ غَداً في جَهنَّمَ . قَالَ وَكَانَ سِرَاجُه عَلى ثلاثِ قَصَبَاتٍ في رُأْسِهِنَّ طِينٌ وَبَعَثَ يَوْماً غُلَامَهُ لِيَشْوِيْ لهُ لَحماً فَجَاءَ بِهَا سَرِيْعاً مَشْوِيَّةً فَقَالَ أَيْنَ شَوَيْتَهَا قَالَ في المَطْبَخِ

فَقَالَ في مَطْبَخِ المُسْلِمِينَ قالَ نَعمْ فَقَالَ كُلْهَا فَانِّيْ لَمْ أَرْزَقْهَا هِيَ رِزْقُكَ وَسَخَّنُوا لهُ المَاءَ في المَطْبَخِ العَامِّ فَرَدَّ بدَلَ ذلكَ بدِرْهَمٍ حَطَباً .

وَكَانَ لهُ سِرَاجٌ يَكْتُبُ عَليْهِ حَوائِجَهُ وَسِراجٌ لِبَيْتِ المَالِ يَكْتُبُ عَلَيْهِ مَصَالِحُ المُسْلِمِيْنَ لا يَكْتُبُ عَلى ضَوْئِهِ لِنَفْسِهِ حَرْفاً وَبَلَغَ عُمَرُ أنَّ رَجْلا مِنْ أصْحَابِهِ تُوُفِّيَ فَجاءَ إلَى أهْلِهِ يُعَزِّيْهِمْ فَصَرَخُوا في وَجْهِهِ بالبُكَاءِ عَلَيْهِ فَقَالَ مَهْ إنَّ صَاحِبَكُمْ لَمْ يَكُنْ يَرْزُقُكُم إنَ الذِي يَرْزُقُكُمْ حَيٌّ لا يَمُوْتُ وَانَّ صَاحِبَكُمْ هَذا لَمْ يَسُدَّ شَيْئاً مِنْ حُفَرِكُمْ وَإنَّما سَدَّ حُفْرَةَ نَفْسِهِ ألا وَإنَّ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْكُم حُفْرَةً لاَ بُدَّ وَاللَّهِ أنْ يَسُدَّهَا .

إنَّ اللهَ عزَّ وَجلَّ لمَّا خَلقَ الدُّنْيا حكَمَ عَلَيْهَا بالخَرَابِ وَعلى أهْلِهَا بالفَنَاءِ وَمَا امْتلأتْ دَارٌ حُبْرَةً إلاّ امْتَلأَتْ عِبْرَةً وَلاَ اجْتَمَعُوا إلا تفَرّقُوا حَتَّى يَكُوْنَ اللهُ هُوَ الذِي يَرِثُ الارْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ بَاكِياً فَلْيَبْكِ عَلى نَفْسِهِ فإنَّ الذِي صَارَ إلَيْهِ صَاحِبُكُمْ كُلُّ النَّاسِ يَصِيْرُونَ إلَيْهِ غَداً .

شِعْراً :

أَبْقَيْتَ مَـالَـكَ مِيْـرَاثـاً لِـوَارِثِـهِ
فَلَيْتَ شِعْرِيَ مَـا أَبْقَى لَـكَ المَـالُ
القَـوْمُ بَعْـدَكَ في حَـالٍ تَسُـرُّهُمُ
فكَيْفَ بَعْدهُمُو صَـارَتْ بِكَ الحَـالُ
مَلُّوا البُكَـاءَ فَمَـا يَبْكِيْـكَ مِنْ أَحَـدٍ
وَاسْتَحْكَمَ القِيْلُ في المِيْرَاثِ وَالقَالُ
مَـالَتْ بِهِمْ عَنكَ دُنْيـا أَقْبَلَتْ لَهُمُوا
وَأدْبَـرَتْ عَـنْـكَ وَالأَيَّـامُ أَحْـوَالُ

وَكَان رَحِمَهُ اللهُ قَدْ رَزَقَهُ اللهُ العِلْمَ وَالحِكْمَةَ وَالأَدَبَ وَالعَدْلَ فَمَا

تَزَحْزَحَ قَيْدَ شِبْرٍ عَن طَرِيْقَةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ وَقَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا ذُكِرَ عَنْهُ أَنَّهُ شَيَّعَ جَنَازَةً فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّاسُ تَأَخَّرَ عُمَرُ وَتَأَخَّرَ مَعَهُ أُنَاسٌ وَجَلَسُوا نَاحِيَةً .

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ لِمَ تَأَخَّرْتَ وَتَرَكْتَ الجَنَازَةَ وَأَنْتَ وَلِيُّهَا فَقَالَ نعَمْ نَادَانِي القَبْرُ مِنْ خَلْفِي يَا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيْزِ أَلا تَسْأَلُنِي مَا صَنَعْتُ بالأَحِبَّةِ قلتُ بَلى .

قَالَ أَحْرَقْتُ الأَكْفَانَ وَمَزَّقْتُ الأَبْدَانَ وَمَصَصْتُ الدَّمَ وَأَكَلْتُ اللَّحْمَ قَالَ أَلَا تَسْأَلُنِي مَا صَنَعْتُ بِالأَوْصَالِ قُلْتُ بَلى قَالَ نَزَعْتُ الكَفَّينِ من الذِّرَاعَيْنِ وَالذِّرَاعَيْنِ مِنَ العَضُدَيْنِ وَالوَرْكَيْنِ من الفَخِذَيْنِ وَالفَخِذَيْنِ مِن الرُّكْبَتينِ وَالرُّكْبَتَينِ مِن السَّاقَينِ وَالسَّاقَينِ مِن القَدَمَيْنِ .

ثُمَّ بَكَى عُمَرُ وَقَالَ أَلا إِنَّ الدُّنْيَا بَقَاؤُهَا قَلِيْلٌ وَعَزِيْزُهَا ذَلِيْلٌ وَغَنِيُّهَا فَقِيرٌ وَشَابُّهَا يَهْرَمُ وَحَيُّهَا يَمُوْتُ فَلا يَغُرَّنَّكُم إقبالُهَا مَعَ سُرْعَةِ ادْبَارِهَا فَالمغْرُورُ مَنْ اغْتَرَّ بِمَا لا يَدُومُ وَالمفْتُونُ مَنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ في طَلَبِ مَا لَيْسَ بِمَقْسُومٍ .

ثُمَّ قَالَ أَيْنَ سُكَّانُهَا الذِيْنَ تَبَوَّؤُا مَدَائِنَها وَشَقُّوا أَنْهَارَهَا وَغَرَسُوا أَشْجَارَهَا لَقَدْ أَقَامُوا أَيَّاماً يَسِيْرَةً فَتَنَتْهُم العَافِيَةُ وَغَرَّهُم النَّشَاطُ وَأَلْهَتْهُم الزَّخَارِفُ فَرَكِبُوا المَعَاصِيْ حَتَّى أَنَاخَتْ بهِم مَطَايَاهَا عَلى حَافَاتِ الحُفَرِ .

وَالقَبْرُ إِمَّا رَوْضَة مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ

فَوَاخَيْبَةَ آمَالِهِم وَيَا حَسْرَةَ قُلُوبِهِم لَقَدْ كَانُوا مَغْبُوطِيْنَ بِمَا صَنَعُوا

وَمَحْسُودِيْنَ عَلى مَا جَمَعُوا وَلَقَدْ عَلِمْتُم مَا صَنَعَ التُّرَابُ بِأبْدَانِهِم وَالدِيْدَانُ بِلُحُوْمِهِمْ .

وَأَطَالَ الكَلامُ في هَذَا المَوْضُوعِ وَهُوَ يَبْكِيْ إلى أَنْ قَالَ يَا سَاكِنَ القَبْرِ بَعْدَ أيَامٍ قَلائِلَ مَا غرَّكَ من الدنيا هَلْ ظَنَنْتُ أنَّكَ تَبْقى لهَا أمَا رَأيْتَ مِنْ آبَائِكَ مَنْ قَدْ نَزَلَ بِهِ الأمْرُ وَجَاءَ الأَجَلُ فأصْبَحَ لا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ مَا نَزَلَ بِهِ وَهُوَ يَرْشَحُ عَرَقاً وَيَتَلظَّىٰ عَطَشاً وَيَتَقَلَّب في غَمَرَاتِ المَـوْتِ وَسَكَرَاتِهِ .

ثُمَّ قَرَأَ « حَتَّى إذَا بَلَغَت الحُلْقُوْمُ وَأَنْتُمْ حِيْنَئِذٍ تَنْظُرُوْنَ وَنَحْنُ أقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُم وَلكِنْ لا تُبْصِرُوْنَ فَلَوْلا أنْ كُنْتُم غَيْرَ مَدِيْنِينَ تَرْجِعُونَهَا إنْ كُنْتُم صَادِقِيْنَ » وَبَكَى طَوِيْلاً ثُمَّ قَالَ لَيْتَ شِعْرِيْ مَا الذِيْ يَلقَانِيْ بِهِ مَلَكُ المَوْتِ عِنْدَ خُرُوْجِي مِن الدُّنْيَا وَما يَأْتِيْنِيْ بِهِ مِنْ رِسَالَةِ رَبِّي

رَثى بَعضُهم عُمَرَ بن عَبدالعزيز فقال :

كَمْ مِنْ شَرِيعَة حَقٍ قَدْ بَعَثْتَ لَهَا ... كادَتْ تَمُوتُ وأخرىَ منْكَ تُنْتَظرُ
يالَهْفَ نَفْسِي ولَهْفُ الواجِدِيْن مَعي ... على الحبيب الذى يُسْقَى بِهِ المَطَرُ
ثلاثة مارَ أتْ عَينى لهَا شَبَهاً ... تَظمُ أعْظُمُهُمْ في المسجِدِ الحُفَرُ
وأنْتَ رَابعُهم إذ كُنْتَ مُجتَهِداً ... لِلحق والأمْرِ بالمَعْرُوفِ تبْتَدِرُ
لو كُنْتُ أمْلِكُ والأقْدَارُ غَالبةٌ ... تأْتِي رَوَاحاً وتِبْيَانـاً وَتبْتكـرُ
صَرَفْتُ عن عُمَرَ المَرْضِي مَصرَعَهُ ... بِدَيْر سِمْعَانِ لَكِنْ يَغْلِبُ القَدَرُ
وفي مُصَابِ رَسول الله تسْلِيَةَ ... فِيْمَنْ يمُوت وفى أنْبَائه عِبَرُ
هو الرسولُ الذِي مَنّ الإلَهُ به ... على البَرِيّةِ وازْدَادَتْ به السِّيَرُ
وخير مَن وَلَدَتْ عَدْنَانُ قاطِبةً ... وخير مَن شَرُفَتْ مِن أجْلِهِ مُضَرُ
صلى عليه إلهُ العَرش ما طَلَعَتْ ... شَمْسَ وما خَلفَتْهَا الأنْجمُ الزّهرُ

اللَّهُمَّ انْظِمْنَا في سِلْكِ أهلِ السّعادَةْ ، واجْعَلْنَا مِن عبادِكَ المُحْسِنِينَ الذَينَ لهُم الحُسْنَى وزِيَادَةٌ ، واغْفِر لنَا ولوالِدِيْنا ولجميع المُسْلِمينَ الأحياءِ مِنْهُم

والميتينَ بِرَحْمَتِك يا أرْحَمَ الراحمين ، وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْــــلٌ

وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ مُحَمَّدٍ المُرْوَزِيِّ قَالَ أُخْبِرْتُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيز رضيَ اللهُ عَنْهُ لما دُفِنَ سُليمانُ بن عبدِ الملكِ وَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ سُمِعَ للأَرْضِ هَدَّةٌ أو رَجَّةٌ فقَالَ مَا هَذِهِ فَقِيْلَ هَذِهِ مَرَاكِبُ الخِلافةِ قُرِّبتْ إِلَيْكَ لِتَرْكَبَها فقَالَ مَا لِيْ وَلَهَا أَبْعِدُوْهَا عَنِّيْ وَقَرِّبُوا لِيْ دَابَّتِيْ فَقُرِّبَتْ إِلَيْهِ فَرَكِبَها فَجَاءَ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ يَسِيْرُ بَيْنَ يَدَيْهِ بالحَرْبَةِ جَرْياً على عَادَةِ الخُلَفَاءِ قَبْلَهُ .

فَقَالَ تَنَحَّ عَنِّيْ مَا لِيْ وَلَكَ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِن المُسلِمِيْنَ ثُمَّ سَارَ مُخْتَلطاً بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى دَخَلَ المَسْجِدَ وَصَعَدَ المِنْبَرَ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ النَّبِيَّ صَلى الله عليه وسلم ثمّ قالَ أيُّها النَّاسُ إِنَّمَا بُلِيْتُ بهَذَا الأمْرِ مِنْ غَيْرِ رَأْيٍ مِنِّيْ وَلا طِلْبَةٍ وَلا مَشُوْرَةٍ وَإِنِّيْ قَدْ خَلَعْتُ مَا في أَعْنَاقِكُمْ مِنْ بَيْعَةٍ فَاخْتَارُوا لأَنْفُسِكُم غَيْرِيْ فَصَاحَ المُسلِمُونَ صَيْحَةً وَاحِدَةً قَد اخْتَرْنَاكَ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِينَ وَرَضِيْنَاكَ فَلِيْ أَمْرَنَا بِاليُمْنِ وَالبَرَكَةِ .

فَلَمَّا سَكَتُوا حَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى على النَّبيّ ﷺ ثُمَّ قَالَ أُوْصِيْكُم بتَقْوَى اللَّهِ فإنّ تقْوَى اللَّهِ خَلَفٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَيْسَ مِنْ تقوى اللَّهِ خَلَفٌ وَأَصْلِحُوا سَرَائِرَكُمْ يُصْلِح اللَّهُ عَلانِيَتَكُم وَأَكْثِرُوْا ذِكْرَهَا ذِمِ اللذّاتِ المَوْتَ وَأَحْسِنُوا لَهُ الاسْتِعْدَادَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ .

وَإِنَّ مَنْ لا يَذْكُرُ مِنْ آبَائِهِ الذِيْنَ لَيْسَ بَيْنَهم وبَيْنَ آدَمَ أَباً حَيّاً لمُعْرِقٌ في المَوْتِ وَإنّ هَذِه الأُمّةِ لَمْ تَخْتَلِفْ في رَبِّهَا وَلاَ في نَبِيِّهَا وَلا في كِتَابِهَا إِنَّمَا اخْتَلَفُوا

فِي الدِّيْنَارِ والدِّرْهَمْ وَإِنِّيْ وَاللَّهِ لاَ أُعْطِيْ أَحداً بَاطِلاً وَلا أَمْنَعُ أَحَداً حَقّاً .

أَيُّها النَّاسُ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ تَعَالَى وَجَبَتْ طَاعَتُه وَمَنْ عَصَى اللَّهَ فلا طَاعَة لَهُ أَطِيْعُونِيْ مَا أَطَعْتُ اللَّهَ فاذَا عَصَيْتُه فلا طَاعَةَ لِيْ عَلَيْكُم ثُمَّ نزَلَ وَدَخَلَ دَارَ الخِلاَفَةِ وَأَمَرَ بالسُّتُور فَهُتِكَتْ وبالبُسُطِ فَرُفِعتْ وَأَمَرَ بِبَيْعِ ذَلِكَ وَادْخَالِ أَثْمانِها بَيْتَ مَالِ المُسْلِمِيْنَ .

ثُمَّ ذَهَبَ يَتَبَوَّءُ مَقِيْلاً فَأَتَاهُ ابْنُهُ عَبْدُالمَلِك فَقَالَ مَا تُرِيْدُ أَنْ تَصنع يَا أَبَتِيْ قَالَ أيْ بُنَيَّ أَقِيْلُ فَقَالَ تَقِيْلُ وَلا تَرُدُّ المظالِمَ قَالَ أَيْ بُنَيَّ قدْ سَهِرْتُ البَارِحَة فِي أَمْرِ عَمِّكَ سُلَيْمان فَاذا صَلَّيْتُ الظّهْرَ رَدَدْتُ المظالِمَ فَقَالَ يا أَمِيْرَ المؤمنينَ مِنْ أَيْنَ لكَ أَنْ تَعِيْشَ إلى الظّهْر فقالَ ادْنُ مِنّيْ فَدَنَا مِنْهُ فقبّلَ بيْنَ عَيْنَيْه .

وَقَالَ الحَمْدُ لِلَّهِ الذِيْ أَخْرجَ مِنْ ظَهْرِيْ مَنْ يُعِيْنُنِيْ عَلى دِيْنِيْ فَخَرَجَ وَلَمْ يقِلْ وَأَمرَ مُنَادِياً يُنَادِيْ أَلاَ مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ فليرفَعْهَا إلَيَّ فَتَقدَّمَ إلَيْهِ ذِمِّيّ مِنْ أهْلِ حِمْصَ فقَالَ يَا أَمِيْرَ المؤمِنِيْنَ أَسْأَلُكَ كِتَابَ الله قَالَ وَمَا ذَاكَ قَالَ إنَّ العَبَّاسَ بْنَ الوَلِيْدِ اغْتَصَبَنِيْ أَرْضِيْ وَالعَبَّاسُ حَاضِرٌ فقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا تَقُولُ يا عَبَّاسُ قَالَ إنَّ أَمِيْرَ المؤمنِينَ الوَلِيْدُ أَقْطَعَنِيْ إيَّاهَا وَهَذا كِتَابُهُ .

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَا تَقُوْلُ يَا ذِمِّيْ قَالَ أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ أَسْأَلُكَ كِتَابَ اللّهِ تَعالَى فَقَالَ عُمَرُ رَضيَ اللهُ عَنْهُ كِتَابَ اللهِ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَع مِنْ كِتَابِ الوَلِيْدِ فَارْدُدْ عَلَيْهِ أَرْضَهُ يا عَبَّاسُ فَرَدَّهَا عَلَيْهِ ثم جَعَلَ لاَ يُدَّعَى عَلَى شَيْءٍ مِمَّا فِي أَيْدِيْ أَهْلِ بَيْتِهِ مِن المَظَالِمِ إلاَّ رَدَّهُ مَظْلَمَةً مَظْلَمَةً ولَما بَلَغَ الخَوارِجَ سِيْرَةُ عُمَرَ وَمَا رَدَّ مِنَ المَظَالِمِ اجْتَمعُوا وَقَالُوا مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُقَاتِلَ هَذَا الرَّجُلَ وَقَالَ فِيْهِ كُثَيِّرُ عَزَّةَ :

وَلَيْتَ وَلَمْ تَسْبُبْ عَلِيّــاً وَلَمْ تُـخِفْ
بَــرِيًّاً وَلَمْ تَقْبَــلْ مَقَالَــةَ مُجْــرِمِ
وَصَدَّقْتَ بِالقَـوْلِ الفِعَالَ مَـعَ الذِيْ
أَتيْتَ فَــأمْسَى رَاضِيَــاً كُــلَّ مُسْلِمِ
فَمَا بَيْنَ شَرْقِ الأَرْضِ وَالغَرْبِ كُلِّهَا
مُنَــادٍ يُنَــادِيْ مِنْ فَصِيْــحٍ وَأعْجَمِ
يَقُــوْلُ أمِيْــرَ الـمُؤْمِـنِيْـنَ ظَلَمْتَنِـيْ
بِــأَخْـذِكَ دِيْنَــارِيْ وَلاَ أَخْـذِ دِرْهَمِ
فَــأَرْبِـحْ بِهَــا مِنْ صَفْقَـةٍ لِمُبَــايِعٍ
وَأَكْــرِمْ بِهَــا مِنْ بَيْعَــةٍ ثُمَّ أَكْــرِمِ

وَلَمَّا بَلَغَ الجَبَّارَ العَنِيْدَ عُمَرَ بْنِ الوَلِيْدِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيْزِ رَحِمَهُ اللَّهُ رَدَّ الضَّيْعَةَ عَلَى الذِمِيّ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيْزِ يَعْتَرِضُ عَلَى عَدْلِهِ وَيَزْعُمُ أنه جورٌ ، فقال في كتابه إنك قد ازدريت على من كان قبلك مِن الخُلَفَاءِ ، وَعِبْتَ عليهم وسرت بغير سرتهم بغضاً لهم وشيناً لمن بعدهم مِنْ أَوْلاَدِهِمْ . قَطَعْتَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوْصَلَ إِذْ عَمَدْتَ إِلَى أَمْوَالِ قُرَيْشٍ وَمَوَارِيْثِهم فَأَدْخَلْتَهَا بَيْتَ المَالِ جَوْراً وَعُدْوَاناً ، وَلَنْ تُتْرَكَ عَلَى هَذِهِ الحَالِ ، والسَّلاَمُ .

فَلَمَّا قَرَأَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيْزِ كِتَابَهُ كَتَبَ إِلَيْهِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ) مِنْ عَبْدِ اللهِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيْزِ إلى عُمَرَ بْنِ الوَلِيْدِ السَّلاَمُ عَلَى المُرْسَلِيْنَ وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِيْ كِتَابُكَ ، أَمَّا أَوَّلَ شَأْنِكَ يَا ابْنَ الوَلِيْدِ فأُمُّكَ بَنَانَةُ السُّكُوْنِ كانَتْ تَطُوْفُ في سُوْقِ حِمْصَ وَتَدْخُلُ في حَوَانِيْتِهَا ثُمَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِهَا .

ثُمَّ اشْتَرَاهَا ذُبْيَانُ مِنْ مَالِ المُسْلِمِيْنَ فَأَهْدَاهَا لأبِيْكَ فَحَمَلَتْ بِكَ فَبِئْسَ المَوْلُوْدُ ، ثُمَّ نَشَأْتَ وَكُنْتَ جَبَّاراً عَنِيْداً تَزْعُمُ أَنِّي مِنَ الظَّالِمِيْنَ إِذْ حَرَمْتُكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ مَالَ اللهِ تَعَالَى الذِي هُوَ فِي حَقِّ القَرَابَاتِ والمَسَاكِيْنِ وَالأَرَامِلْ .

وَإِنَّ أَظْلَمَ مِنِّيْ وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللهِ مَنْ اسْتَعْمَلَكَ صَبِيَّاً سَفِيْهَاً عَلَى جُنْدِ المُسْلِمِيْنَ تَحْكُمْ فِيْهِمْ بِرَأْيِكَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي ذَلِكَ نِيَّةٌ إِلا حُبُّ الوَالِدِ لِوَلَدِهِ فَوَيْلٌ لِأَبِيْكَ مَا أَكْثَرَ خُصَمَاؤُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَكَيْفَ يَنْجُو أَبُوكَ مِنْ خُصَمَائِهِ .

وَإِنَّ أَظْلَمَ مِنِّيْ وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللهِ مَنَ اسْتَعْمَلَ الحَجَّاجَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَيَأْخُذ المالَ الحَرَامَ .

وَإِنَّ أَظْلَمَ مِنِّيْ وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللهِ مَنْ اسْتَعْمَلَ قُرَّةَ أَعْرَابِيَّاً جَافِيَاً عَلَى مِصْرَ وَأَذِنَ لَهُ فِي المَعَازِفِ وَاللهْوِ وَشُرْبِ الخَمْرِ .

وَإِنَّ أَظْلَمَ مِنِّيْ وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللهِ مَنْ جَعَلَ لِعَالِيَةِ البَرِيْقِيَّةِ فِي خُمسِ العَرَبِ نَصِيْبَاً فَرُوَيْداً يَا ابْنَ بَنَانَة لَوْ الْتَقَتَا حِلَقُ البِطَانِ وَرُدَّ الفَيْءُ إلى أَهْلِهِ لَتَفَرَّغْتُ لَكَ وَلأَهْلِ بَيْتِكَ فَوَضَعْتُهُم عَلَى المحجّة البَيْضَاءِ فَطَالَمَا تَرَكْتُمْ المَحَجَّةِ البَيْضَاءِ فَطَالَمَا تَرَكْتُمْ الحَقَّ وَأَخَذْتُم البَاطِلَ وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ مَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ رَأَيْتُهُ مِنْ بَيْعِ رَقَبَتِكَ وَقَسْمِ ثَمَنِكَ عَلَى الأرامِلِ والمساكين واليَتَامَى فإِنَّ لِكُلٍّ فِيْكَ حَقَّاً وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَلَا يَنال سَلَامُ اللهِ القَوْمَ الظَّالِمِيْنَ

وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَحَدُ عُمَّالِهِ فَقَالَ أَمَّا بَعْدُ أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيْرَ فَإِنَّ قَبْلِي أَناساً مِن العُمَّالِ قَد اقْتَطَعُوا مالاً عَظِيْمَاً لَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى اسْتِخْرَاجِهِ مِنْ أَيْدِيْهِم إِلّا أَنْ أَمَسَّهُم بِشَيْءٍ مِن العَذَابِ فَإِنْ رَأَى أَمِيْرُ المؤمنين أَنْ يَأذَنَ لِيْ فِي ذَلِكَ أَفْعَلُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ أَمَّا بَعْدُ فَالعَجَبُ كُلَّ العَجَبِ مِنْ اسْتِئْذَانِكَ إِيَّايَ فِي عَذَابِ بَشَرٍ كَأَنِّي لَكَ وِقَايَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَكَأَنَّ رِضَائِيْ عَنْكَ يُنْجِيْكَ مِنْ سَخَطِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَانْظُرْ مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ عُدولٌ فخذه بِمَا قَامَتْ بِهِ البَيِّنَةُ .

وَمَنْ أقرَّ لَكَ بِشَيْءٍ فَخُذْهُ بِمَا أَقَرَّ بِهِ وَمَنْ أَنْكَرَ فَاسْتَحْلِفْهُ باللهِ العَظِيْمِ وَخَلِّ سَبِيْلَهُ وَأَيْمُ اللهُ لأنْ يَلْقَوْا اللّهَ بِخِيَانَاتِهِمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ أَنْ أَلقَىٰ اللهَ بِدِمَائِهِمْ والسَّلَامُ .

وَكَانَ لِلْوَلِيْد بْنِ عَبْدِ المَلِكِ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ رَوْحٌ وَكَانَ نَشَأَ بِالبَادِيَةِ فَكَأَنهُ أَعْرَابِيٌّ فَأَتَى نَاسٌ مِن المُسلِمِيْنَ إِلى عُمَرَ يُخَاصِمُوْنَ رَوْحاً في حَوَانِيْتَ بِحِمْصٍ وَكَانَتْ لَهُمْ أَقْطَعَهَا إِيَّاهُمْ أَبُوهُ بِسِجِلِّ الوَلِيْدِ .

قَالَ مَا يُغْنِيْ عَنْكَ سِجِلُّ الوَلِيْدِ ، الحَوَانِيْتُ حَوَانِيْتُهُمْ قَدْ قَامَتْ لَهُمْ البَيِّنَةُ عَلَيْهَا خَلِّ لَهُمْ حَوَانِيْتَهُم فَقَامَ رَوْحٌ وَخَصْمُهُ الحِمْصِيُّ مُنْصَرِفَيْنَ فَتَوَعَّدَ رَوْحٌ الحِمْصِيَّ فَرَجَعَ الحِمْصِيُّ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ هُوَ وَاللهِ يَتَوَعَّدُنِيْ يَا أَمِيْرَ المؤمِنِيْنَ .

فَقَالَ عُمَرُ لِكَعْبِ بْنِ حَامِدٍ وَهُوَ مِنْ حَرَسِ عُمَرَ إِذْهَبْ إِلَى رَوْحٍ يَا كَعْبُ فَإِنْ سَلَّمَ الحَوَانِيْتَ إِلى الحِمْصِيِّ فَذَاكَ وَإِلاَّ أَتِنِيْ بِرَأْسِهِ فَسَمِعَ بَعْضُ المُوَالِيْنَ لِرَوْحٍ كَلَامَ عُمَرَ فَأَسْرَعَ فِي إِخْبَارِهِ بِمَا قَالَ عُمَرُ فَخَلَعَ قَلْبَهُ وَخَرَجَ إِلَيْهِ كَعْبٌ وَقَدْ سَلَّ بَعْضَ السَّيْفِ فَقَالَ لَهُ قُمْ فَخَلِّ لَهُ حَوَانِيْتَهُ قَالَ نَعَمْ وَخَلَّى لَهُ الحَوَانِيْتَ وَتَابَعَ النَّاسُ فِي رَفْعِ المَظَالِمِ فَمَا رُفِعَتْ إِلَيْهِ مَظْلَمَةٌ إِلاَّ رَدَّهَا .

شعرا : أَلَا فَاسْلُكْ إِلَى الْمَولَى سَبِيلَا ... وَلا تَطْلُبْ سِوَى التَقْوَى دَلِيْلَا
وَسِرْ فِيهَا بِجِدٍ وانْتِهَاض ... تَجِدْ فِيْهَا المُنَى عَرْضًا وَطُوْلَا
وَلَا تَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيا وَعَوِّلْ ... عَلَى مَوْلَاكَ واجْعلْه وَكِيْلَا
وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُعَزَّ عِزاً ... يَدُوْمُ فَكُنْ لَهُ عَبْدًا ذَلِيْلَا

وَوَاصِلَ مَنْ أَنَابَ إِليهِ واقْطَعْ وصَالَ المُسْرِفِينَ تَكُنْ نَبِيْلَا
ولا تُفْنِي شَبَابكَ واغْتَنِمْهُ وَمثِّلْ بَيْنَ عَيْنَيْكَ الرَّحِيْلَا
ولا تَصِلِ الدُّنَا واهْجُرْ بَنِيْهَا عَلَى طَبَقاتِهِم هَجْراً جَمِيْلَا
وعَامِلْ فِيهِمُ الْوَلَى بِصِدْقٍ يَضَعْ لَكَ فِي قُلُوبِهِمُ القَبُولَا

والله أعلم وصلى الله على مُحَمّدَ

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللّهِ قَدْ كَثُرَ في زَمَنِنَا اليَوْمَ أُنَاسٌ يَرى أَحَدُهُمْ قَدْرَ نَفْسِهِ فَوْقَ ما تَتَصَوَّرُهُ الأَفْهَام وَيَجْزِمُ كُلَّ الجَزْمِ أَنَّهُ رَفِيْعُ المَقَامِ ، رِفْعَةً كُلُّ رَفِيْعٍ مَعَهَا تَحْتَ الأَقْدَامِ ، لَا تَذْكُرُ أمَامَهُ فَاضِلاً إلاّ ضَحِكَ وَهزَّ رَأسَهُ مُتَهَكِّماً سَاخِراً بِمَا لَهُ مِنْ مَقَامٍ وقَدِيْماً قِيْلَ :

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ
رَأى غَيْرُهُ مِنْهُ مَالا يَرَىٰ

وَتَجِدُ هَذَا المُتَكَبِّرُ المُعْجَبُ بِنَفْسِهِ شَرِساً أَحْمَقَاً ذَا إِبَاءٍ وَاسْتِعْصَاءٍ حَتَّى على خالِقَهَ القَدِيْرالكَبِيْر المُتَعَالِي وَتَراهُ نَارِيَّ المِزَاجِ يَلْتَهِبُ التِهَاباً وَيَنْفَجِرُ لِأَدْنى كَلِمَةٍ لا تُرْضِيْهِ وَلَوْ لَمْ يَقْصِدَ قَائِلُهَا إلَّا الحُسْنَى .

وَمِنْ عَلاَمَاتِهِ أَنَّكَ تَجِدُهُ حَرِيْصَاً عَلَى أَنْ يَكُوْنَ أَمَامَ النَّاسِ وَأَنْ يُصْغُوا إِلَى كَلَامِهِ وَيُؤلِمهُ كَلَامُ غَيْرِهِ وَلَوْ كانَ حَقّاً وَتَجِدُ ثِيَابَهُ مُسْبَلَةً وفِي مَشْيِهِ يَتَبَخْتَر مُصعِّراً خَدَّهُ وإِنْ كَانَ عَلَيْهِ عِقَالٌ تَجِدُهُ مُمِيْلاً لَهُ وَتَجِدُ بَعْضَهُمْ قَدْ وفَّرَ شَارِبَهُ وَفَتَلَهُ وَسَوَّى شَنَبَاتِهِ كالقُرُوْنِ قَالَ بَعْضُهُمْ :

إنَّ الكَمَالَ الذيْ سَادَ الرِّجَالُ بِهِ
هُوَ الوَقَارُ وَقَرْنُ العِلْمِ بِالعَمَلِ
فَقُلْ لِمَنْ يَزْدَهِيْ عُجْباً بِمَنْطِقِهِ
وَقَلْبُهُ في قُيُوْدِ الحِرْصِ والأَمَلِ

مَهْلَا فَمَا اللهُ سَاهٍ عَنْ تَلَاعُبِكُمْ لَكِنَّ مَوْعِدُكُمْ في مُنْتهى الْأَجلِ
وَقُلْ لِمَنْ فَخْرُه في فَتْلِ شَارِبه أَضَعْتَ عُمْرَكَ بَيْنَ الكِبْرِ وَالكَسَلِ
حَتَّامَ تُبْرِمُ يَا وَافِيْ القَفَا شَنَباً مَا فِي طَوَايَاهُ إلَّا خَيْبَةُ الأَمَلِ
أَصْبَحْتَ بُعْبُعَ مَنْ في البَيْتِ تُزْعِجُهُمْ هَلَّا أخَفْتَ العِدَا يامَعْرَضَ الخَجَلِ

آخر :

قل لِلَّئيمِ الذى أَحْفَى لِلِحَيتِه وَتَاهَ في شَنَباتٍ حَشْوُهَا قَذَرُ
أَرْفُقْ فَلَيْسَ كَمَالاً ما تَتِيْهُ بِهِ لَكِنَّهُ نَتَنٌ يَشُوْبُهُ مَذَرُ

وَمِنْ عَلَامَاتِهِ أَنَّكَ تَجِدُ صَاحِبَ الكِبْرِ لا يَرْغَبُ قُرْبَ الفُقَرَاءِ مِنْهُ ولَا يَأْلَفُ إلَّا الأَغْنِيَاءَ فَالمُتَكَبِّرُ لا يُحِبُّ لِلْمُؤْمِنِيْنَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ لِأَنَّهُ لا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ بِسَبَبِ كِبْرِهِ وَعُجْبِهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى التَّوَاضُعِ وَهُوَ رَأسُ أخْلَاقِ الأَصْفِيَاءِ .

وَلَا يَقْدِرُ المُتَكَبِّرُ عَلَى تَرْكِ الحِقْدِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَدُوْمَ عَلَى الصِّدْقِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ الغَضَبِ وَلَا عَلَى كَظْمِ الغَيْظِ ولَا يَسْلَمُ مِنَ احْتِقَارِهِ لِلنَّاسِ وَلَا يَسْلَمُ مِن الغِيْبَةِ وَالبُهْتِ لِأَنَّهُ فِيْهِ مِن العَظَمَةِ وَالعِزَّةِ وَالكِبْرِيَاءِ مَا يَحُوْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ .

فَمَا مِنْ خُلُقٍ ذَمِيْمٍ وَقَبِيْحٍ إلاّ وَصَاحِبُ الكِبْرِ مُضْطَرٌّ إلَيْهِ لِيَحْفَظَ بِهِ عِزَّهُ وَعَظَمَتَهُ وَلِذَلِكَ وَرَدَ في الحَدِيْثِ أَنّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنّةَ مَنْ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ وفي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لابْنِهِ يَقُولُ « وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ في الأَرْضِ مَرَحاً إنَّ اللهلا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُوْرٍ » .

وَمِنْ تَعَالِيْمِ رَبِّنَا لِهَذِهِ الأُمَّةِ وَنَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَمْشِ في الأَرْضِ مَرَحاً إنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُوْلا﴾ .

وَبِالحَقِيْقَةِ إنَّ المتَكبِّرَ مِسْكِيْنٌ ثم مِسْكِيْنٌ إلَى حَدٍ يَسْتَحِقُّ مَعَهُ الرِّثَاءُ فإنَّكَ بَيْنَمَا تَرَاهُ بِهَذِهِ الكِبْرِيَاءُ وَالعَظَمَةِ تَرَاهُ غَارِقاً في بَحْرِ المَعَاصِيْ وَذُلِّهَا يُلْقِيْ نَفْسَهُ في جَهَنَّمَ .

أَيَظُنُّ هَذَا المِسْكِيْنُ أَنَّهُ عَزِيْزٌ واللَّهُ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ أَوْ يَظُنُّ أَنَّهُ رَفِيْعٌ وَهُوَ في قاذُوْرَاتِ المَعَاصِيْ إنَّ العِزَّةَ والرِّفْعَةَ لَا يَحْصُلَانِ بِالدَّعْوَى وَلَيْسَ حُصُوْلُهُمَا بِيَدِ مَخْلُوقٍ وَلَكِنَّهُمَا بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ يَمْنَحُهُمَا إلَى مَنْ يُسَارِعُونَ إلى طَاعَةِ مَوْلَاهُم جلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ .

فَيَا عِبَادَ اللهِ انْصَحُوا مَنْ وَقَعَ في وَرْطَةِ الكِبْرِ وَقُولُوا لَهُ تَدَبَّرْ كَلَامَ رَبِّ العَالَمِيْنَ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْتَكْبِرِيْنَ ﴾وَقَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الذِيْنَ يَتَكَبَّرُوْنَ في الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وإنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإنْ يَرَوْا سَبِيْلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوْهُ سَبِيْلاً وإنْ يَرَوْا سَبِيْلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيْلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِيْنَ » .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيْهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْشَرُ المتَكَبِّرُوْنَ أمْثَالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ يُسَاقُوْنَ إلَى سِجْنٍ في جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ بُوْلُسْ تَعْلُوْهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِيْنَةِ الخَبَالِ رَوَاهُ النَّسَائِيّ وَالترْمِذِيْ واللّفْظُ لَهُ وَقَالَ حَدِيْثٌ حَسَنٌ .

شعرا : مَتَى يَصِلِ العِطَاشُ إلَى ارْتِوَاءٍ إِذَا اسْتَقَت البِحَارُ مِنَ الرّكَايَـــا
وَمَنْ يَثْنِ الأَصَاغِرَ عَنِ مُـــرَادٍ وَقَدْ جَلَسَ الأَكَابِرُ في الزَّوَايَـــا
وَإنَّ تَرَفُّعَ الوُضَعَـــاءِ يَوْمـــاً على الرُفَعَاءِ مِن إحْدَى الرَّزَايَـــا
إذَا اسْتَوَتْ الأَسَافِلُ والأَعَـــالِيْ فقدْ طَابَتْ مُنَادَمَةُ المَنَايَـــا

آخر :

إِعْلَمْ هُـدِيْتَ وَخَيْرُ العِلْمِ أَنْفَعُـهُ
أَنَّ اتبَاعَ الهوىٰ ضَـرْبٌ مِنْ الخَبَلِ
وَالحَمْـدُ لِلّهِ رَبِّ العَـالَـمِيْـنَ عَلى
إِنْعَـامِـهِ وَتَعـالَىٰ اللّهُ خَيْـرُ وَلِيّ
فَكَمْ وَكَمْ ظَلَّ بـالأَهْـوَاءِ وَطَـاعَتِهَـا
مِنْ عَـاقِلٍ جَـامِعٍ لِلْعِلْمِ وَالعَمَـلِ
هُـوَ الهَـوَانُ كَمَـا قَـالُوا وَقـد سُـرِقَـت
الـنُّـوْنُ مِنْـهُ فَجَـانِبْـهُ وَخُـذْ وَمِـلِ
وَأَقْبِـلْ عَـلى طَـاعَـةِ الـرَّحْمَنِ وَالْـزَمهَـا
فـي كُـلِّ حِيْنٍ وَلا تَخْلُدْ إِلَى الكَسَـلِ
وَلا تُخَـالِـفْ لَـهُ أَمْــراً تَبَـارَكَ مِـنْ
رَبٍّ عَظِيْمٍ وَسِـرْ في أَقْـوَمِ السُّـبُـلِ
وَخُـذْ بِمَـا فِـي كِتَـابِ الـلَّهِ مُجْتَهِـداً
مُشَـمِّـراً وَاحْـتَرِزْ مِنْ سَـوْفَ وَالأَمَـلِ
وَلا تُعَــرِّجْ عَـلى دَارِ الـغُــرُوْرِ وَدا
والخُـلْفِ وَالـزُّوْرِ وَالـنِّسْـيَانِ لِلأَجَـلِ
وَاحْـذَرْ مُصَـاحَبَـةَ المَـرْءِ المُضِيْعِ فَقَدْ
صَـارُوا إِلَى الشَّرِّ وَالعِصْيَانِ وَالـزَّلَـلِ
وَأَصْـبَـحُـوا في زَمَـانٍ كُـلُّهُ فِـتَـنٌ
وَبَـاطِـلٌ وَفَـسَـادُ بَـيِّنٌ وَجَـلِيْ

هُـوَ الـزَّمَـانُ الـذِي قَـد كـانَ يَحْـذَرُهُ
أَئِـمَّـــة الحَــقِّ مِـنْ حَـبْرٍ ومِـنْ بَـدَلِيْ
هُـوَ الـــزَّمَـانُ الـذِيْ لَا خَـيْرَ فِيـهِ وَلَا
عُـرْفٌ نَرَاهُ عَلَى التَّفْصِيْلِ وَالجُمَـــلِ
هُـوَ الـــزَّمَانُ الــذِيْ عَــمَّ الحَـرَامُ بِهِ
وَالـظُّـلْمُ مِنْ غَـيْرِ مَا شَكٍّ وَلا جَدَلِ
أَيْـنَ الـــقُـرَآنُ كِتَابُ اللَّـهِ حُجَّتُـهُ
وَأَيْـنَ سُنَّــةُ طَـهَ خَـاتَــمِ الـرُّسُـلِ

وَأَيْنَ هَـدْيُ رِجَـالِ الــلَّهِ مِنْ سَلَفٍ
كانَ الهُـدَى شَأْنُهم في القَوْل وَالعَمَلِ
أَكُـــلُّ أَهْـلِ الهُـدَىٰ وَالحَقِّ قَدْ ذَهَبُـوا
بالمَـوْت أَمْ سُتِرُوا يا صَاحِـبِيْ فَقُــلِ
وَالأَرْضُ لا تَخْـلُو مِنْ قـوْمٍ يَقُـوْم بِهِمْ
أَمْـرُ الإِلــهِ كَمَـا قـد جَـاءَ فَاحْتَفِـلِ
فَـارْجُ الالَــهَ وَلا تَيْـأَسْ وَانْ بَعُـدَتْ
مَطَـالِـبٌ إنَّ رَبَّ الــعَـالَمِيْنَ مَـلِيْ
وَفـي الالَـهِ مَلِيْكِ الــعَـالَمِيْنَ غِنَـــىً
عَـنْ كُـلِّ شَيْءٍ فَلازِمْ بَـابَــهُ وَسَـلِيْ
هُـوَ القَـرِيْبُ المُجِيْبُ المُسْتَغَـاثُ بِـهِ
قُـلْ حَسْـبِيَ اللَّهُ مَعْبُـودِيْ وَمُتَّكَــلِيْ
وَأَسْـــأَلُـهُ مَغْـفِـرَةً وَاسْـــأَلُـهُ خَـاتِمَـةً
حُسْنَـــى وَعَـافِـيَـةً وَالجَـبْرَ لِلْخَـلَلِ

وَأَنْ يُـوَفِّـقَـنَـا لِلصَّـالِحَاتِ وَمَـا
يُـرْضِيْـهِ عَنّـا وَيَحْفَـظْنَـا مِن الخَـطَـلِ
وَأَنْ يُصَـلِّي عَلى المُـخْـتَـارِ سَـيِّدِنَـا
مُحَمَّـدٍ مَـا بَكَـتْ سُحْـبٌ بِمُنْهَـمِـلِ
وَالآل وَالـصَّحْـب مَـا غَنَّتْ مُطَـوَّقَـةٌ
عَلى الغُصُـوْنِ فأشْجَتْ وَاجِـداً وَخَـلِيْ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إِيْمَانَنَا ثُبُوتْ الجِبَال الرَّاسِيَاتِ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَل فِي البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَجَنِّبْنَا جَمِيْعَ الطُّرق المُرديَاتِ وَزَحْزِحنَا عَنْ النّار وَأَدْخِلْنَا فَسِيْحَ الجَنَّاتِ يَا رَفِيْعَ الدَّرَجات بِرَحْمَتِكَ التِيْ وَسعَتْ الأَحْيَاءَ وَالأَمْوَاتِ وَصَلّى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وكَتَبَ عُمَرُ بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهَ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ لا يُقَيَّدَ مَسْجُوْنٌ فَإِنَّهُ يَمْنَعُهُ مِنْ الصَّلاةِ وكَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ إِذَا دَعَتْكُمْ قُدْرَتُكُمْ عَلى النَّاس إِلَى ظُلْمِهِمْ فَاذْكُرُوا قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَنَفَاذَ مَا تَأْتُونَ إِلَيْهِم وَبَقَاءَ مَا يَأْتِيْ إِلَيْكُمْ مِنْ العَذَاب بِسَبَبِهِمْ وكَانَتْ حُجْزَةُ إِزَارِهِ قَبْلَ الخِلافَة غَائِبَةً فِي عُكَنِهِ مِنْ الحَالِ فَلَمَّا تَوَلَّى الخِلافَةَ ذَهَبَتْ تِلْكَ الحَالُ فلو شِئْت أَنْ تَعُدَّ أَضْلاعَهُ مِنْ غَيْرِ مَسٍّ لَعَدَدْتَهَا .

وَكَانَتْ لهُ غَلَّةٌ خَمسِيْنَ أَلْفَ دِيْنَارٍ فلَمَّا وَلِيَ الخِلافَةَ صَارَ يُنْفِقُهَا كُلَّ حِيْنٍ حَتَّى ما بقي لَهُ غَيْرُ قَمِيْصٍ وَاحِدٍ لا يَخْلَعُهُ حَتَّى يَتَّسِخَ فَإِذَا اتَّسَخَ غَسَلَهُ وَمَكَثَ بِالبَيْتِ حَتَّى يَجِفَّ ثُمَّ يَلْبَسُهُ .

وَلَمَّا وَلِيَ خَيَّرَ جَوارِيْهِ وَقَالَ قَدْ نَزَلَ بِيْ أَمْرٌ قد شَغَلَنِيْ عَنْكُنَّ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ وَحَتَّى يَفْرُغَ النَّاسُ مِنَ الحِسَابِ فَمَنْ أَحَبَّتْ مِنْكُنّ عِتْقَها أَعْتَقْتُهَا وَمَنْ أَحَبَّتْ أَنْ أُمْسِكَهَا عَلى أَنْ لا يَكُوْنَ مِنِّي إلَيْهَا شَيْءٌ فَبَكَيْنَ وَارْتَفَعَ بُكَاؤُهُنَّ إيَاساً مِنْهُ .

وَكَانَ يَخْطُبُ النَّاسَ بِقَمِيْصٍ مَرْقُوْعِ الجَيْبِ مِنْ قُدَّامْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ .

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ إنَّ اللّهَ تَعَالَى قَدْ أَعْطَاكَ فَلَوْ لَبِسْتَ فَنَكَّسَ رَأْسَهُ سَاعَةً ثمّ قالَ أَفْضَلُ القَصْدِ عَن الجِدَةِ وَأَفْضَلُ العَفْوِ عَنْ المَقْدِرَةِ .

وَذَكَرَتْ زَوْجَتُه فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ المَلِكِ أَنَّ عُمَرَ مَا اغْتَسَلَ عَنْ حُلُمٍ وَلا جَنَابَةٍ مُنْذُ وَلى الخِلَافَةَ نَهارُهُ في أَشْغَالِ النَّاسِ وَرَدِّ المَظالِم إلىَ أَهْلِهَا وَلَيْلُه في عِبَادَةِ رَبِّهِ .

وَقَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ دَخَلْتُ على أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيْزِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَعُودُهُ في مَرَضِهِ الذِي مَاتَ فِيْهِ فَإِذَا عَلَيْهِ قَمِيْصٌ وَسِخٌ فَقُلْتُ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ المَلِكِ اغْسِلِيْ قَمِيْصَ أَمِيْرِ المؤ مِنِيْنَ فَقَالَتْ نَفْعَلُ إنْ شَاءَ اللّهُ قَالَ مَسْلَمَةُ ثُمَّ عُدْتُه فَاذَا القَمِيْصُ عَلى حَالِهِ فَقُلْتُ يَا فَاطِمَةَ أَلَمْ آمُرُكِ أَنْ تَغْسِلِيْ قَمِيْصَ أَمِير المؤمِنينَ فَإنَّ النَّاسَ يَعُوْدُوْنَهُ فقَالَتْ وَاللهِ مَا لَهُ قَمِيْصٌ غَيْرُهُ وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ كَثِيْراً مَا يَتَمَثَّلُ بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ :

نَهَارُكَ يَا مَغْرُوْرُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ
وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَازِمُ

يَسُــرُّكَ مَــا يَفْنى وَتَفْــرَحُ بِــالمُنَى
كَمَـا غُرَّ بِـاللَّذاتِ في النَّوْمِ حَـالِمُ
وَشُغْلُكَ فِيْمَــا سَــوْفَ تَـكْرَهُ غِبَّــهُ
كَـذَلِـكَ في الـدُّنْيَـا تَعِيْشُ البَهَــائِمُ
وَفِعْلُكَ فِعْــلُ الجَـاهِـلِيْنَ بِـرَبِّـهِمْ
وَعُمْرُكَ في النُّقْصَانِ بَـلْ أَنْتَ ظَالِمُ
فَـلا أَنْتَ في اليَقْـظَـانَ يَقْظَـان حَـازِمُ
ولا أَنْـتَ فـي الـنُّـوَّامِ نَـاجٍ وَسَـالِـمُ
فَـلاَ تَحْمَــدِ الـدُّنْـيَــا وَلَكِـنْ فَـذُمَّهَـا
وَلا تَكْــثِرِ العِصْيَــانَ إنَّـكَ ظَــالِـمُ

وكَانَ يَقُوْلُ أدْرَكْنَا العُلَمَاءَ ، والامُرَاءُ وَالسَّلاطِيْنُ يَأْتُوْنَهُم فَيَقِفُوْنَ عَلى أَبْوَابِ العُلَمَاءِ كَالعَبِيْدِ حَتَّى إذَا كَانَ اليَوْمُ رَأَيْنَا العُلَمَاءَ وَالفُقَهَاءَ وَالعُبَّادَ هُمَ الذِيْنَ يَأْتُونَ الأُمَراءَ وَالأغنِيَاءَ فلمَّا رَأَوا ذَلِك مِنْهُمْ ازْدَرَوْهُمْ وَاحْتَقَرُوْهُمْ .

وَقالُوا لَوْلاَ أَنَّ الذِيْ بِأَيْدِيْنَا خَيْرٌ مِمَّا بِأَيْدِيْهِم مَا فَعَلُوا ذَلِكَ مَعَنَا وَنُقِلَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ إنَّ بَنِيْ اسْرَائِيْلَ لما كَانُوا عَلى الصَّوَابِ كانَتْ الأمَرَاءُ تَحْتَاجُ إلى العُلَمَاءِ وَكَانَتْ العُلَمَاءُ تَفِرُ بِدِيْنِهَا مِن الأُمَراءِ فَلَمَّا رَأى ذَلِكَ قَوْمٌ مِنْ رُذَالَةِ النَّاسِ تَعَلَّمُوا ذَلِكَ العِلْمَ وَأَتَوْا بِهِ الأُمَراءَ فَاسْتَغْنَتْ بِهِ عَن العُلَمَاءِ وَاجْتَمَعَ القَوْمُ عَلىَ المَعْصِيَةِ فَسَقَطُوا وَانْتَكَسُوا ، وَلَوْ كَانَ عُلَمَاؤُنَا يَصوْنُوْنَ عِلْمَهُمْ لَمْ تَزلَ الأُمَراءُ تَهابُهُمْ قُلْتُ وَلِلّهِ دَرُّ القَائِلِ :

وَلَـوْ أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ صَانُوْهُ صَانَهُمْ
وَلَـوْ عَـظَّمُـوْهُ فِي النُّفُـوسِ لَعُـظِّمَـا
وَلَكِنْ أَهَــانُــوْهُ فَـهَــانُــوا وَدَنَّسُــوا
مُحَيَّــاهُ بِــالْأَطمَــاعِ حَتَّى تَجَهَّمَــا
فَـإِنْ قُلْتَ زَنْدُ العِلْمِ كَـابٍ فَـإِنَّمَـا
كَبَى حَيْثُ لَمْ تُحْمَى حِمَاهُ وَأَظْلَمَا

آخر :

فَهُبُّوا أُهَيْلَ العِلْمِ مِنْ رَقْـدَةِ الهَوَى
وَمِيْلُوا إِلَى نَهْـجِ الرَّشَـادِ وَخَـالِفُـوْا
هَوَى النَّفْسِ إِنَّ النَّفْسَ مِنْ أَكْبَرِ العِدَا
وَلِلْعَبْـدِ فِيْهَـا إِنْ أَطَـاعَ المَتَـالِفُ
وَحُثُّوا مَطَايَا العَزْمِ فِي طَلَبِ العُـلَا
فَقَـدْ مَـاتَ أَهْلُوهُ الكِـرَامُ السَّـوَالِفُ
وَنَحْنُ إِذَا مَــاتُـوْا نَمُــوْتُ بِمَــوْتِهِمْ
إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَّا عَلَى النَّهْجِ عَارِفُ
فَـأَحْيُوا مَـوَاتَ العِلْمِ مِنْكُمْ بِعَطْفَـةٍ
إِلَى العِلْمِ كَيْ تَحْيَا بِتِلْكَ الوَضَائِفُ
فَلَا خَيْرَ يُرْجَى فِي الحَيَاةِ عَلَى الهَوَى
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيْنَا إِلَى العِلْمِ صَارِفُ
بِضَـاعَتُنَـا المُـزْجَـاةُ فِيْـهِ قَلِيْـلَةٌ
وَقَـدْ كَانَ فِيْنَـا جِسْمُهُ وَهْـوَ نَـاحِفُ
وَعَمَّـا قَلِيْـلٍ سَــوْفَ يُـطْوَى سِجِلُّهُ
وَتَـذْهَـبُ أَرْبَـابٌ لَـهُ وَطَـوَائِـفُ

وَدَخَلَ عَلى عُمَرَ مَسْلَمَةُ في مَرَضِهِ فَقَالَ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ إنَّكَ أَفْقَرْتَ أَفْوَاهَ وَلَدِكَ مِنْ هَذَا المالِ وَتَرَكْتَهُمْ عَيْلَةً لا شَيْءَ لَهُمْ فَلَوْ أَوْصَيْتَ بِهِمْ إلَى وَالٍ نَظَرَ إلَى أَهْلِ بَيْتِكَ فَقَالَ عُمَرُ أَسْنِدُوْنِي .

ثُمَّ قَالَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنِّيْ أَفْقَرْتُ أَفْوَاهَ وَلَدِيْ مِنْ هَذَا المَالِ فَوَاللّهِ مَا مَنَعْتُهُمْ حَقّاً هُوَ لَهُمْ وَلَمْ أُعْطِهِمْ مَا لَيْسَ لهُمْ وَأَمَّا قَوْلُكَ لَوْ أَوْصَيْتَ بِهِمْ فإِنَّ وَصِيِّيْ وَوَلِيِّ فِيْهِمْ ﴿اللّهُ الذي نَزَّلَ الكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِيْنَ﴾ بَنِيّ أحَدُ رَجُلَيْنِ إمَّا رَجُلٌ يَتَّقِيْ اللّهَ فَيَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجا وَإمّا رَجُلٌ مُكِبٌّ عَلى المَعَاصِيْ فَانِّيْ لَمْ أَكُنْ أُقَوِّيْهِ عَلى الْمَعاصِيْ .

ثُمَّ بَعَثَ إلَيْهِمْ وَهُمْ بِضْعَةَ عَشَرَ ذَكَراً فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ثَمَّ قَالَ بِنَفْسِيْ الفَتِيَةُ الذِيْنَ تَرَكْتُهُمْ عَيْلَةً لا شَيْءَ لَهُمْ فَإِنِّيْ بِحَمْدِ اللهِ قَدْ تَرَكْتُهُمْ بِخَيْرٍ أَيْ بَنِيّ إنّ أَبَاكُمْ قَدْ مَيَّزَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ بَيْنَ أَنْ تَسْتَغْنُوْا وَيَدْخَلُ النَّارَ أَبُوكُمْ أَوْ تَفْتَقِرُوْا وَيَدْخَلُ أَبُوْكُمْ الجَنَّةَ فكَانَ أنْ تَفْتَقِرُوا وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ أَحَبَّ إلَيْهِ مِنْ أنْ تَسْتَغْنُوا وَيَدْخُلُ النَّارَ قُوْمُوا عَصَمَكُمْ اللّهُ .

وَذكَرَ ابْنُ أَبِيْ الدُّنْيَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيْزِ لَمَّا كَانَ في اليَوْمِ الذِي مَاتَ فِيْهِ قَالَ أَجْلِسُوْنِيْ فأجْلَسُوهُ فَقَالَ أنَا الذِيْ أَمَرْتَنِيْ فَقَصَّرْتُ وَنَهَيْتَنِيْ فَعَصَيْتُ ثلاثَ مَرَّاتٍ وَلَكِنْ لاَ إلَهَ إلا اللهُ ثمّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَأحَدّ النَّظَرَ فَقَالُوا إِنَّكَ لتَنْظُرُ نَظَراً شَدِيْداً يَا أَمِيْرَ المؤمِنِيْنَ فَقَالَ إنِّيْ لأرَى حَضَرَةً مَا هُمْ بِإنْسٍ وَلاَ جِنٍّ ثُمَّ قُبِضَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ .

آخر : إذا شِئْتَ أَنْ تَرْثِي فَقِيْدًا مِن الوَرَى ... وَتَدْعُو لَهُ بَعْدَ النبي الْمُكَرَّمِ
فَلا تَبْكِيَنْ إلاَّ عَلىَ فَقْدِ عَالِمٍ ... يُبَادِرُ بالتَّفْهِيْمِ لِلْمُتَعَلِّمِ
وفَقْدِ إمَامٍ عَالِمٍ قَامَ مُلْكُهُ ... بِأَنْوَارِ حُكْمِ الشَرعِ لا بالتَّحَكُّمِ
وفَقْدِ شُجَاعٍ صَادِقٍ في جِهَادِهِ ... وقد كُسِرَتْ رَايَتُهُ فِي التَقَدُّمِ
وفَقْدِ كَرِيْمٍ لا يَمَلُّ مِن العَطَا ... لِيُطْفِيءَ بُؤسَ الفقْرِ عن كُلِّ مُعْدِمِ

وفقْـدِ تَقِـى زاهـدٍ مُتـورّعٍ مُطِيْـعٍ لِـربِّ العَـالَمِيْنَ مُعظـمِ
فَهُم خَمْسَـةٌ يُبْكَى عَلَيْهِم وغَيرُهُمْ إلىَ حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أمُ قَشْعَمِ

شعـــــرا :

وَلَمْ أرَ أمْثَالِ الرِجَالِ تَفَاوُتــاً لدَىَ الدِّيْنِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدِ
آخر : تَفَرَّدَ بِالْعَلْيَاءِ عَن أهْلِ بَيْتِـهِ وَذَاكَ بتَوفِيْقٍ من اللهِ وَافِـــدُ
وَتَخْتَلِفُ الأَثْمَارُ في شجَرَاتِهَـــا إِذَا شَرِبَتْ بالْمَاءِ وَالْمَاءِ وَاحِـدُ

إشارة إلى قول الله جَلَ وعَلاَ ﴿يُسْقى بماءَ واحَد ونفضِل بعضَها على بعضٍ في الأُكَـــلْ﴾

(فَصْلٌ)

وَرَوى سُفْيَانُ الثَّورِيّ قَالَ قَالَ: عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيْزِ لابْنِهِ عَبْدِ الملكِ وَهُوَ مَرِيْضٌ كَيْفَ تَجِدُكَ قَالَ في المَوْتِ قالَ لأنْ تكُونَ في مِيزَانِيْ أحَبُّ إليَّ أنْ أكُونَ في مِيْزَانِكَ فقَالَ لهُ واللهِ يَا أبتِ لأَنْ يكونَ مَا تُحِبُّ أحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ يَكُونَ مَا أُحِبُّ .

قِيْلَ فَلَمَّا مَاتَ ابْنُه عَبْدُ الْمَلِكِ قَالَ عُمَرُ يَا بُنَيَّ لَقَدْ كُنْتَ في الدُّنْيَا كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿ المالُ وَالبَنُون زِيْنَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وَلَقَدْ كُنْتَ أفْضَلَ زِيْنَتِهَا وَإنّي لأرجو أنْ تَكُوْنَ اليَوْمَ مِنْ البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ التيْ هِيَ خَيْرٌ ثَوابَاً وَخَيْرٌ أمَلاَ وَاللّهِ مَا سَرَّنِيْ أنْ دَعَوْتُكَ مِنْ جَانِبٍ فاجَبْتَنِيْ .

وَلما دَفَنَهُ قَامَ عَلى قَبْرِهِ فَقَال مَا زِلْتُ مَسْرُوراً بِكَ مُنْذُ بُشِّرْتُ بِكَ وَمَا كُنْتُ قطُّ أسَرَّ إليَّ مِنْكَ اليَوْمَ ثُمَّ قَالَ اللّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ الملكِ بْنِ عُمَرَ وَلِمَنْ اسْتَغْفَرَ لَهُ .

وَلَمَّا قَامَ النَاسُ لَهُ قَالَ يَا مَعْشَرَ النَاسِ إنْ تَقُومُوا نَقُمْ وَإنْ تَقْعُدُوْا نَقْعُدْ فَإنَّمَا يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العالَمِيْنَ إنَّ اللهَ فَرَضَ فَرائِضَ وسَنَّ سُنَنَاً مَنْ أخذَ بِهَا لَحق وَمَنْ تركَهَا مُحِق .

وَمَنْ أَرادَ أَنْ يَصْحَبْنَا فَلْيَصْحَبْنَا بِخَمْسٍ يُوْصِلُ إِلَيْنَا حَاجَةَ مَنْ لا تَصِلُ إِلَيْنَا حَاجَتُه وَيَدُلُّنا مِن العَدْلِ إلى مَالا نَهْتَدِيْ إِلَيْهِ وَيَكُونُ عَوْناً لنا على الحَقِّ وَيُؤَدِّيْ الأَمَانَة إِلَيْنَا وَإِلَى النَّاسِ وَلا يَغْتَبْ عِنْدَنا أَحَداً وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ في حَرَجٍ مِنْ صُحْبَتِنَا وَالدُّخولِ عَلَيْنا .

وَسُئِلَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ المَلِكِ زَوْجَةِ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ عَنْ عِبَادَةِ عُمَرَ فقالَتْ وَاللهِ مَا كَانَ بأَكْثَرَ النَّاسِ صَلاةً ولا أكثر صِياماً وَلكِنْ وَاللهِ مَا رأيْتُ أخْوَفَ لِلّهِ مِنْهُ لَقدْ كَان يَذْكُرُ اللهَ في فِرَاشِهِ فَيَنْتَفِضُ انْتِفَاضَ العُصْفُورِ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ حَتَّى نقوْل لَيُصْبِحَنَّ النَّاسُ وَلا خَلِيْفَةَ لهُمْ.

قَالَ وَمَرَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزيز ذاتَ يومٍ بفَاطِمَةَ زَوْجَتِهِ فَضَرَبَ على كَتِفِهَا وَقَالَ يَا فَاطِمَةُ لنَحْنُ لَيالِيْ دَابِقَ أَنْعمُ مِنَّا اليَوْمَ فَقالَتْ وَاللهِ مَا كُنْتَ عَلى ذَلِكَ أَقْدَرَ مِنكَ اليَوْمَ فأَدْبَرَ عنهْا وَلَهُ حَنِيْنٌ وَهُوَ يَقُولُ يَا فَاطِمَةُ إِنِّيْ أخافُ النَّارَ يَا فَاطِمَةُ ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيْمٍ ﴾ .

قَال وَكانَ عُمَرُ يُصَلِّي العَتَمَةَ ثمَّ يَدْخُلُ عَلَى بَنَاتِهِ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ فَدَخَلَ عَلَيْهِنَّ ذاتَ لَيْلَةٍ فَلمَّا أَحْسَسْنَهُ وَضَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ على أفْوَاهِهِنَّ ثمَّ تَبَادَرْنَ البَابَ فقَالَ لِلْحَاضِنَةِ مَا شَأْنُهُنَّ قَالَتْ إنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُنَّ شَيْءٌ يَتعشَّيْنَهُ إلاّ عَدَسٌ وَبَصَلٌ فَكَرِهْنَ أَنْ تَشُمَّ ذَلِكَ مِنْ أفْوَاهِهِنَّ فَبَكَى عُمَرُ ثُمَّ قَالَ لَهُنَّ يَا بَنَاتِيْ مَا يَنْفَعُكُنَّ أَنْ تعشَيْنَ الألْوانَ وَيُؤْمَرُ بِأَبِيْكُنَّ إِلَى النَّارِ قَالَ فَبَكَيْنَ حَتَّى عَلَتْ أَصْوَاتُهنَّ ثُمَّ أنْصرَفَ .

وَجَاءَتْ عَمَّةٌ له إِلَى فَاطِمَةَ امْرَأته فَقَالَتْ إِنِّيْ أُرِيْدُ كَلامَ أَمِيْرِ المُؤْمِنِينَ قَالَتْ لهَا اجْلِسِيْ حَتَّى يَفْرُغَ فَجَلَسَتْ فاذا بِغُلامٍ قَدْ أَتى فَأَخَذَ

سِرَاجاً . فَقَالَت لهَا فَاطِمَةُ إنْ كُنْتِ تُريدينَه فالآنَ فَانَّهُ إذَا كَانَ في حَوَائِجِ العَامَّةِ كَتَبَ عَلى الشَّمْعِ وَاذا صَارَ إلَى حَاجَةِ نَفْسِهِ دَعَا بِسِرَاجِهِ .

فَقَامَتْ فَدَخلَتْ عَلَيْهِ فَإذَا بَيْنَ يَدَيْهِ أقْرَاصٌ وَشَيْءٌ مِنْ مِلْحٍ وَزَيْتٍ وَهُوَ يَتَعَشَّى فَقَالَتْ يَا أمِيْرَ المؤمنينَ اتيْتُ لِحَاجَةٍ لِيْ ثمَّ رَأيْتُ أنْ أبْدَأ بك قَبْلَ حَاجتِيْ قالَ ، وَمَا ذَاكَ يَا عَمَّةُ قَالَتْ لَوْ اتَّخذْتَ لَكَ طَعَاماً أَلْيَنَ مِنْ هَذا قَالَ لَيْسَ عِنْدِيْ يَا عَمَّةُ وَلَوْ كَانَ عِنْدِيْ لَفَعلْتُ .

قَالَتْ : يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ كَانَ عَمُّكَ عَبْدُ المَلِكِ يُجْرِيْ عَلَيَّ كَذَا وَكَذا ثُمَّ كَانَ أخُوْكَ الوَلَيْدُ فَزَادَنِي ثُمَّ كانَ أخُوكَ سُلَيْمَانُ فَزَادَنِيْ ثُمَّ وَلِيْتَ أنْتَ فقَطَعْتَهُ عَنِّي قَالَ يَا عَمَّةُ إنَّ عَمِّيْ عَبد المَلِكِ وَأخِيْ الوَلِيْدِ وَأخِيْ سُلَيْمَانُ كَانُوا يُعْطُوْنَك مِنْ مَالِ المُسْلِمِيْنَ .

وَكَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ قَدْ أمَر لِعَنْبَسَةَ بْنِ سَعدٍ بنِ العَاصِ مِنَ البَيْتِ الأمَوِيّ بِعِشْرِينَ أَلْفِ دِيْنَارٍ فَدَارَتْ المُعَامَلةُ في الدَّوَاوِيْنِ حَتَّى انْتَهتْ إلى دِيْوَانِ الخَتْمِ فلمْ يَبْقَ إلاّ قَبْضُهَا فتوُفِيَ سُليْمانُ قبْلَ أنْ يَقبِضَهَا .

وَكانَ عَنْبَسَةُ صَدِيْقاً لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيْزِ فَغَدَا يَطْلُبُ مِنْ عُمَرَ مَا أمَر لهُ بهِ سُليْمَانُ فوَجَدَ بنِيْ أُميَّةَ حُضُوْراً بِبَابِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيْزِ يُرِيْدُوْنَ الإِذْنَ عَليْهِ لِيُكَلِّمُوهُ في أُمُوْرِهِمْ فلَمَّا رأو صَدِيْقَ عُمَر عَنْبَسَةَ قَالُوا نَنْتَظِر مَاذَا يَعْمَلُ مَعَهُ قَبْلَ أنْ نُكَلِّمَهُ .

فَدَخَلَ عَنْبَسَةُ عَلَيْهِ فَقَالَ لهُ يَا أميرَ المُؤْمِنِيْنَ إنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنينَ سُلَيْمَانُ كانَ قَدْ أمَر لِيْ بعِشْرِيْنَ أَلْفِ دِيْنَارٍ حَتَّى وصَلَتْ إلى دِيْوَانِ الخَتْمِ وَلَمْ يَبْقَ إلا أنْ أقْبِضَهَا فَتُوفي قَبْلَ أنْ أقْبِضَهَا واميرُ المُؤْمِنينَ أوْلَى

باسْتِتْمَامِ الصَّنِيْعَةِ عِنْدِيْ وَمَا بَيْنِيْ وَبَيْنَهُ أعْظَمُ مِمَّا كانَ بَيْنِيْ وَبَيْنَ أمِيرِ المؤمِنينَ سُلَيْمَانُ .

فَقَالَ لَهْ عُمَرُ كَمْ ذَلِكَ قَالَ عِشْرُونَ أَلْفِ دِيْنَارٍ قَالَ عُمَرُ عِشْرُونَ ألْفِ دِيْنَارٍ تُغْنِيْ أرْبَعَة آلافِ بيْتٍ مِنْ المُسلِمِيْنَ وَأدْفعُهَا إلى رَجُلٍ وَاحِدٍ واَللهِ مَا لِيْ إلىَ ذَلكَ مِنْ سَبِيْلٍ .

قَالَ عَنْبَسَةُ فَرَمَيْتُ بِالكِتَابِ الذي فيه الصَّكُّ فقَال عُمَرُ لا عَليْكَ أنْ يَكُون مَعَكَ فلعَلَّهُ أنْ يأتِيَ مَنْ هُوَ أجْرأُ على هَذَا المالِ مِنِّي فَيأْمَرَ لكَ بِهِ فأخَذْتُهُ وَخرجْتُ إلى بَنِيْ أمَيَّةَ وَأعْلَمْتُهم مَا كَان مِنْ ذَلِكَ فقَالُوا لَيْسَ بَعْدَ هَذا شَيْءٌ ارْجِعْ إلَيْهِ فاسألْهُ أنْ يأذنَ لنَا في البُلْدَانِ .

فَرَجَعْتُ إلَيْهِ فَقُلْتُ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ إنَّ قَوْمَكَ بِالبَابِ يَسْأَلُونكَ أنْ تُجْرِيْ عَلَيْهِمَ مَا كَانَ يَجْرِيْ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِكِ . فَقَالَ عُمَرُ وَاللّهِ مَا هَذَا المالُ لِيْ وَمَا لِيْ إلىَ ذَلِكَ مِنْ سَبِيْلٍ .

قُلْتُ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ فَيَسْأَلُونَكَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُمْ يَضْرِبُوا في البُلْدَانِ قَالَ مَا شَاؤا ذلِكَ لَهُمْ وَقَدْ أذِنْتُ لهُمْ قُلْتُ وَأنَا أيْضاً قَالَ وَأنْتَ أيْضاً قَدْ أذِنْتُ لَكَ وَلكِنِّيْ أرَى لَكَ أنْ تُقِيْمَ فإنَّكَ رَجُلٌ كَثِيْرُ النَّقْدِ وَأنَا أبِيْعُ تَرِكَةِ سُلَيْمَانَ فَلَعَلَّكَ تَشْتَرِيْ مِنْهَا مَا يَكُونُ لَكَ في رِبْحِهِ عِوَضٌ مِمَّا فَاتَكَ .

قَالَ فَأَقَمْتُ فَاشْتَرَيْتُ مِنْ تَرِكَةِ سُلَيْمَانَ بِمَائَةِ ألْفِ فَخَرَجْتُ بِهَا إلىَ العِرَاقِ فَبِعْتُهَا بِمِائَتَيْ ألفِ دِيْنَارٍ وَحَبَسْت الصَّكَّ فَلمَّا تُوفِيَ عُمَرُ وَوَلِيَ يَزِيْدُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ أتَيْتُه بِكِتَابِ سُلَيْمَانَ فَأنْفَذَ لِيْ مَا كَانَ فِيْهِ .

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيْزِ يَنْظُرُ لَيْلاً في أحْوَالِ الرَّعِيَّةِ في ضَوْءِ السِّرَاجِ فَجَاءَ غُلامٌ لَه فَحَدَّثَهُ في شَأْنٍ خَاصٍّ بِعُمَرَ فقَالَ عُمَرُ لِلْغُلامِ

أطْفِىءْ سِرَاجَ بَيْتِ المَالِ ثُمَّ حَدِّثْنِيْ لِأَنَّ الدُّهْنَ مِنْ بَيْتِ مَالِ المُسلِمينَ وَلَا يَجُوْزُ اسْتِعْمَالُه إلاَّ في أشْغَالِ المُسْلِمِيْنَ.

وَعَنْ الفِهْرِيّ عَنْ أَبِيْهِ قَالَ كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزيزِ يَقْسِمُ تُفَّاحَ الفَيءِ فَتَنَاوَلَ ابْنُهُ تُفَاحَةً فَانْتَزَعَها مِنْهُ عُمَر وَأَوْجَعَ فَمَهُ فَسَعَى إلى أُمِّهِ فَأَرْسَلَتْ إلى السُّوْقِ وَاشْتَرَتْ لهُ تُفَّاحاً .

فَلمَّا رَجَعَ عُمَرُ وَجَدَ رِيْحَ التُّفَاحِ فَقَالَ لِزَوْجَتِهِ فَاطِمَةُ هَلْ في البَيْتِ شيَءٌ مِنْ هَذا الفَيْءِ قَالتْ لاَ وَقَصَّتْ عَلَيْهِ القِصَّةَ فَقَالَ وَاللَّهِ لقَدْ انْتَزَعْتُهاَ مِنْ ابْنِي وَكَأَنَّمَا انْتَزَعْتُهَا مِنْ قَلْبِي وَلَكِنْ كَرِهتُ أن أُضِيْعَ نَفْسِيْ بتفاحَةٍ مِنْ فَيْءِ المسْلمينَ .

وذُكِرَ أَنَّهُ كَان في زَمَنِ عُمَر بن عبدِالعزيز قَحْطٌ عَظِيمٌ فَوَفَدَ عليهِ قَومٌ مِن العَرَبِ فاختاروا منهم رَجُلًا لِخِطَابِه .

فقال ذلكَ الرجُلُ يا أميرَ المؤمنين إنا أتيناكَ مِن ضَرورةٍ عَظِيْمَةٍ وقد يَبِسَتْ جُلُودُنا على أَجْسادِنَا لِفقْدِ الطَّعَامِ وَراحَتُنَا في بيتِ المالِ .

وهَذَا المالُ لا يَخْلُو من ثلاثةِ أقسام . إما أن يكُونَ لِلَّهِ . أو لِعبَادِ الله . أو لَكَ فإن كان لله فإن الله غنيٌّ عنه . وإن كان لِعبادِ الله فآتِهم إيَّاهُ .

وإن كان لكَ فَتصَدَّقَ بهِ علينا : إن الله يَجزي المُتَصدِقِين .

فَتغَرْغَرَتْ عَينا عُمَرَ بنِ عبدِالعزيز بالدُّموعِ وقال هُوَ كما ذَكَرْتَ وأَمَرَ بحَوائِجهم فَقُضِيَتْ من بيتِ المالِ .

فَهَمَّ الأَعـرابيُ بالخُـروجِ . فقـال لَهُ عُمَـرَ : أَيُّها الإنسانُ الحُر كما أَوصَلْتَ إليَّ حَوائجَ عِبادِ الله وأسْمَعْتَني كَلاَمَهُم فأوصِلْ كَلاَمي وارْفَع حَاجَتي إلى الله تعالى .

فَحَـولَ الأَعْـرابيُّ وَجْهَهُ قِبلَ السمـاءِ . وقال إلهي اصْنَـعْ مَعَ عُمَرَ بنِ

عبدِالعزيز كَصَنِيْعِهِ فِي عِبادِكَ فَمَا أَسْتَتَمَّ الأَعرابيُ كَلاَمَهُ حتَّى ارتَفَعَ غَيمٌ فأَمْطَرَ مَطراً غزيراً .

وكان لِعُمَرَ بن عبدِ العزيز غلامٌ وكانَ خازناً لِبَيتِ المال وكان لِعُمَرَ بَنَاتٌ فَجِئْنَهُ يومَ عَرَفَةَ وقُلْنَ له غداً العِيدُ ونساءُ الرَّعِيَةِ وبَنَاتُهم يَلُمْنَنا ويَقُلْنَ أنتُنَّ بَنات أَمِيرِ المؤمنين .

ونَرَاكُنَّ عَرِيَانَاتٍ لاَ أقلَّ مِن ثِيَاب تَلْبَسْنَها وبَكَينَ عندَه فَضَاقَ صَدْرُ عُمَرَ فَدَعَا غُلاَمَهُ الخازنَ وقال لَهُ أَعْطِنِي مُشَاهَرتِي لِشَهْرٍ وَاحِدٍ .

وقال الخازنُ يا أميرَ المؤمنينَ تَأْخُذُ المُشَاهَرَةِ مِن بَيْتِ المال سَلَفاً أتظُنَّ أنَّ لَكَ عُمْرَ شَهرٍ فتأخُذُ مُشَاهَرَةَ شَهْرٍ فَتَحَيَّرَ عُمَرُ .

وقَالَ نعْمَ مَا قُلْتَ أَيُّها الغلامُ بَارَكَ الله فيكَ ثم التَفَتَ إلى بَنَاتِهِ وقالَ اَكْظَمْنَ شَهَواتِكُنَّ فإن الجنةَ لا يَدْخُلُهَا أحَدٌ إلا بِمَشَقَّةٍ .

سُئِلَ عمرُ بنُ عبدِالعزيز ما كان سَبَبَ تَوبَتِكَ قال كنتُ أضْرِبُ يوماً غلاماً فقال لِي اذكُرْ الليلةَ التي تكونُ صَبِيحَتُها القِيامَةَ فَعَمِلَ ذلكَ الكلامُ في قَلْبِي .

رأى بعضُ الأكابَر هارونَ الرشيدَ في عرفات وهو حافٍ حاسرٌ قائمٌ على الرمضاءِ الحَارةِ .

وقد رَفَعَ يَدَيه وهو يقولُ إلٰهي أنتَ أنتَ وأنا أنا الذي دَأْبِي كُلَّ يوم أَعُوْدُ إلى عِصيانِكَ ودأبُكَ أن تعودَ إليَّ برَحْمَتِكَ .

فقال بعضُ الكُبراءِ : انظُرُوا إلى تَضَرُّعِ جَبَّارِ الأَرضِ بَينَ يدي جَبَّارِ السماء .

سأل عمرُ بنُ عبدِالعزيز يوماً أبا حازمٍ الموعظةَ فقال له أبُو حازمٍ إذا نمتَ فَضَعِ الموتَ تَحتَ رأْسِكَ .

وكُلُّ ما أَحْبَبْتَ أَنْ يَأْتِيَكَ الموتُ وأنتَ عليهِ مُصِرٌ فالْزَمْهُ وكُلُّ ما لاَ تُرِيدُ

أنْ يَأْتِيَكَ الموتُ وأنتَ عليه فاجْتَنِبْهُ فَرُبما كان ا لموتُ مِنْكَ قَريباً .

فَيَنْبَغِي لِصَاحِبِ الولايةِ أن يَجْعَلَ هَذه الحِكَايَةَ نَصْبَ عَيْنَيْهِ وأنْ يَقْبَلَ المواعِظَ التي وُعِظَ بها غَيْرُهُ .

فَكُلَّمَا رَأى عالمـاً عاملاً بعلمه لَيْسَ مِن علماءِ الدنيا زاهِدًا فيها على طريقة السلف الصالح سَأَلَهُ أن يَعِظَهُ .

ويَنْبَغِي لِلْعُلَماءِ أن يَعِظُوا الملوكَ بِمِثْلِ هَذهِ المَواعِظِ ، ولا يَغُروهُم ولا يَدَّخروا عَنهم كَلِمَةَ الحقِ وكُلُ مَن غَرَّهُم فَهو مُشَارِكٌ لَهُم .

وعن الفضل بن الربيع حاجب هارون الرشيد قال أرسل إليَّ الرشيد ذاتَ ليلة فحضرتُ إليه فلما دخلتُ عليه وجَـدْتُ بين يديه ضبارة سيوف وأنوع من آلات العذاب .

فقال يا فضل فَقُلْتُ لَبَيْكَ يا أمير المؤمنين فقال عَليَّ بهذا الحِجَازِي يعني الشافعي رضي الله عنه وهو مُغْضَبٌ الساعةَ الساعةَ .

فخرجتُ وبي مِن الغم والحزن ما لا يُوصَف لِمَحَبَّتي للشافعي لفصاحته وبراعته وبلاغته وعقله فجئْتُ إلى بابه .

فأمَرْتُ مَن دَقَّ عليه البابَ فتَنَحْنَحَ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُصَلي فوقَفْتُ حتى فرغَ مِن صلاتِهِ وفَتَح البابَ فَسَلَّمْتُ عليه .

وقلْتُ له أَجِبْ أمِيرَ المؤمنين فقال سَمْعًا وطَاعَةً وجَدَّدَ الوُضُوءَ وارْتَدَى وركعَ ركْعَتَينِ وخرَجَ يَمْشِي فمِنْ شَفَقَتِي عليه قُلْتُ يا أبا عبدِالله قِفْ لِتَسْتَرِيْحَ بَيْنَما أسْتَأْذِنُ .

فدخلتُ على أمير المؤمنين فإذا هُوَ على حَالِهِ في غَضَبِهِ فلما رَآني قال أَيْنَ الحِجَازي .

قُلْتُ عندَ السِتْرِ فقال مُرْهُ بالدخُول فجئتُ إليه وأَمَرْتُهُ بالدُخول .

فَدَخَل يَمْشِي مُطْمَئِنًا غير فَزَعٍ ولا خائِفٍ ولا قَلِقٍ ولا مُنْزَعِج ثم بَـدَأَ يُحَرّكُ شَفتَيه ووَجْهُهُ مُستنير .

فَلَمَّا دَخَلَ وبَصُرَ به أميرُ المؤمنين قَامَ إليه قائمًا واسْتَقْبَلَهُ واعْتَنَقَهُ وجَعَلَ يُقَبّلُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وهَشَّ به وبَشَّ .

وقـال مَرْحَبًا بابي عبدالله لِمَ لَا تَزُوْرَنا وتكونَ عندنا فإني إليكَ مُشْتاق وأجْلَسَه مَكانَه وقَعَدَ إلى جانبه وتَحَدَّثَ مَعَهُ سَاعَة .

ثم أمَرَ لَهُ بَبْدْرَةٍ مِن الذهب فقال الشافعي لا أَرَبَ لي فيه فسأله أَنْ يَقْبَلَهُ فَقَبلَه غَير مُكْتَرِثٍ به « يَعْني ما هَمَّهُ » .

ثم أمَرَني أنْ أرُدَّهُ إلى دَارِهُ وأنْ تُحْمَلَ البَدْرَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ فلما خَرَجْنا جَعَل يُعْطَي كُلَّ مَن رَآه وكلَّ مَنْ سَألَه يمَيْنًا وشِمالاً حَتَّى وصِل إلى مَنْزِلِه وما مَعَه منها شيء .

فلما دَخـل مَنزلَه واطْمَأَنَّ به الجلُوسُ قَعَدْتُ بَينَ يَدَيْه وقُلْتُ له يا أبا عَبْدِالله قد عَرَفْتَ محَبَّتِي لكَ وشفقِتي عليكَ وإني شاهَدْتُ غَضَبَ أمير المؤمنين في ابْتِداءِ طَلبَه إيَّاكَ .

ثم لَمَّا دَخَلْتَ عليهِ رَأَيْتُ منه مِن التواضِع والتَّودُدِ والاجلالِ والاكرامِ لك مَا سَرَّني وكُنْتُ رأيتُك حَرَّكْتَ شَفَتَيْكَ عند دُخُولكَ عليه .

فَبالذي سَكَّنَ غَضَبَهُ عَليكَ وسَخَّرَهُ إلا ما عَلَّمْتني ما كُنْتَ تَقُولُ في دُخُولِكَ مَعِي عليه .

فقال حَدَّثِني نافُع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأه يَوَمَ الأحزابِ فَهزَمَهُمُ اللَّهُ ونصرهم على عدوهم .

وهـو هذا « شِهَـد اللَّهُ أنـه لا إلهَ إلا هو والملائكةُ وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام » ثم قال وأنا

أَشْهَدُ بما شَهِدَ به اللَّهُ وأَسْتَوْدِعُ اللَّهَ هَذِه ا لشَّهادة وهذه الشهادة ودِيْعَةٌ لي عندِ الله إلى يوم القيامة .

اللهم إني أَعُوذُ بنُور قدْسِكَ وعَظِيمِ بَركَتِكَ وعَظَمَةِ طَهَارَتِكَ وبَرَكَةِ جَلاَلَتِكَ مِن كُلِّ آفةٍ وعَاهَةٍ .

ومِن طَوَارِقِ الليلِ والنهارِ مِن الجن والإنس إلاَّ طارقًا يَطْرُقُ بخير يا رحمنٰ .

اللهم أنْتَ غِيَاثِي فَبكَ اسْتَغِيْث وأنْتَ مَلاذي فَبكَ أَلُوذ وأنْتَ عِيَاذِي فبِكَ أعُوذُ يا مَن ذَلَّتْ له رقابُ الجَبَابِرَةِ وخَضَعَتْ لَهُ أَعْنَاقُ الفَراعِنَةِ .

أَعُوذُ بِكَ مِن خِزْيِكَ ومِن كَشَفْ سِتْرِكَ ومِن نِسْيانِ ذِكْرِكَ والانْصِرَافِ عن شُكْرِكَ .

أنــا في حِرْزِكَ وتَحْتَ كَنَفِــكَ لَيْلِي ونهَارِي ونَــوْمِي وقَــرَارِي وظَعْنِي وأَسْفَارِي وحَرَكَاتِي وسَكَنَاتِي وحَيَاتِي ومَمَاتِي وجميعِ ساعاتِي وأوقاتِي .

ذِكْرُكَ شِعَارِي وثنَاؤكَ دِثارِي أشهَد أن لا إله إلا أنْتَ ولا إلهَ غَيرُكَ ولا مَعْبُودَ سِوَاكَ .

سُبْحَانَكَ وبِحَمْدِكَ تشريفًا لِعَظمتك وتكريما لِسُبُحَاتِ وجْهِكَ وإقرارًا بِصَمْدَانِيَّتِكَ .

واعْـترافًـا بوَحْـدَانِيَّتِـكَ وتَنْـزِيهًـا لَكَ عَمَّا يَقُـولُ الكافِرون والظَالمون والجاحِدون تَعَالَيْتَ عن ذلك عُلوًا كبيراً .

اللهم أجـرني مِن خِزْيِكَ ومن شَرِّ عِبـادِكَ واضْرِبْ عَليَّ سَرادِقـاتِ حِفْظِكَ وأدْخِلْنِي في حِفْظِكَ وعِنايتِكَ وجُدْ عليَّ مِنك بخير يا أرحم الراحمين .

إلٰهي كَيْفَ أخافُ وأنْتَ أمَلي أَمْ كَيْفَ أضامُ وعَلَيْكَ توكُلي أم كَيفَ أُقْهَرُ وأنْتَ عِمَادِي أَمْ كيفَ أغلبُ وعَلَيْكَ في كلِ الأمورِ اعتمادي ضَرَبْتُ وَجْهَ كُلِ

حَاسِدٍ حَسَدَ ورَاصِدٍ رَصَدَ وظالمٍ كَنَد ، بـ ﴿ قل هُوَ اللَّهُ أَحد اللَّهُ الصمد لم يَلد ولم يُولد ولم يَكُن له كُفوًا أحد ﴾ .

وفي مسنـد الأمـام أحمد وصحيح ابن حبان عن عبدالله بن مسعود مرفوعا : ما أصاب عبد هم ولا غم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك بن عبدك بن أمتك ناصِيَتي بيدك مَاضٍ فيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فيَّ قضاؤك .

أسألك بكل اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ به نَفْسَكَ أو أنزلته في كتابك أو علمته أحَدًا من خلقك أو اسْتَأْثَرْتَ به في علم الغيب عندك .

أن تجعل القرآن رَبِيْع قلبي ونُورَ صَدْري وجَلاءَ حُزْني وذَهَابَ هَمِّيْ .

إلا أَذْهَبَ اللَّهُ حُزْنَهُ وهَمَّهُ وابْدَله مَكَانَهُ فَرَحا .

ومن أَدْعِيَة المُضْطَرين يا وَدُوْد يا ذا العرش المجيد يا مُبْدِىءُ يا مُعِيْدُ يا فعالٌ لما تُرِيْد أَسْأَلُكَ بنُورِ وجْهِكَ الذي مَلاءِ أركان عَرْشِك وبقُدْرَتِكَ التي قدرتَ بها على جميع خَلقِكَ وبرَحْمَتِكَ التي وسِعَتْ كُلَّ شيء لا إله إلا أنت يا مُغيْث اغِثْني اللهم تَقَبَّلْ منَّا يَسيَر الأَعْمَالُ ، وهَبْ لَنا إساءَتنا في الأقوالِ والأفعالِ وَسَامِحْنا عَن الغفلةِ والإِهمَالِ واغفرْ لنا ولوالدينا ولجميع المسلمينَ برحمَتِكَ يا أرحم الراحمين . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْــلَ)

دعا المنصور أَبا حَنِيْفَةَ والثوري ومِسْعرًا وشريكا لِيُولِيَهُم القَضَاء .

فقال أَبُو حَنِيْفَةَ أنا أتَحامَقُ فأُقال وأتَخَلَّص .

وأما مِسْعَرُ فَيَتجَان (أيْ يُظْهِرُ كأنَّهُ مَجْنُون) ويَتَخَلَّص .

وأما سُفْيَان فَيهْرَب .

وأما شَرِيْكُ فَيَقَعُ فلما دَخلُوا على المنصور قال أبُو حَنِيْفَةَ أنا رجُلٌ مَوْلِى ولَسْتُ مِن العَرَب .

ولا تكادُ العَربُ تَرضَى بأنْ يكونَ عليهم مَوْلَى وَمَعَ ذَلكَ فإني لا أُصْلَحُ لِهذا الأمر فإن كُنْتُ صَادِقًا في قَوْلي فلا أَصْلَحُ لِلْقَضَاءِ .

وإن كُنْتَ كاذباً فلا يَجُوزُ لَكَ أن تولِّي كاذِبًا دِمَاءَ المُسلمين وأموالهَم وفرُوضَهم .

وأمـا سفيانُ فأدركـه المُشْخِصُ في طَرِيْق فَذَهَبَ لِحَاجَتِـهِ فانْصَرَفَ المُشخِصُ يَنْتَظِر فَرَاغَهُ .

فَرَآى سُفيانُ سَفِيْنَةً فقال لِلْملاح قَائِد السفينة إنْ مَكَّنْتَنِي مِن سَفِيْنتك وإلا ذُبحْتُ بغَيْرِ سِكِّين .

تَأَوَّلَ قول النبي ﷺ مَن وُلِّيَ القَضَاءَ فقد ذُبِحَ بغَيْرِ سِكِّيْنٍ فأخْفَاهُ الملاحُ تَحْتَ السَّارِيَة .

وأما مِسْعَرُ ابْنُ كُدَام فدخل على المنصور فقال له هَاتِ يَدَكَ كَيْفَ أَنْتَ والدَّوَاب والأولاد فقال أخرجُوه فإنه مجنون .

وأما شريك فقال له المنصور تَقَلَّدْ فقال له أنا رجلٌ خَفِيْفُ الدِّمَاغ فقال تَقَلَّد وعليك بالنَّبِيْذ الشديد حتى يرجع إليكَ عَقْلُك فَتقَلَّدَ .

فَهَجَرَهُ الثوري وقال له أَمْكَنَكَ الهَرَبُ فلم تَهْرِبْ .

وكتب الخليفة إلى عبدالله بن وهب في قَضَاءِ مِصْرَ فَتَجَنَّنَ نفْسَهُ ولَزِمَ بَيْتَهُ فاطَّلَعَ عليه راشد بن سَعْدٍ وهُوَ يتوَضأُ في صَحْنِ دَارِهِ .

فقال أبا محمد أَلاَ تَخْرُجُ إلى الناس فَتَقْضِيْ بَيْنَهُم بكتاب الله وسُنَّةِ رسوله ﷺ فقد جَنَنْتَ نَفْسَكَ ولَزِمْتَ بَيْتَكَ .

فَرَفَعَ إليه رَأْسَهُ وقال إلى هَاهُنَا عَقْلُكَ « إنَّ العُلَماءَ يُحْشَرُوْنَ مَعَ الأَنْبياءِ وإن القُضَاةَ يُحْشَرُون مَعَ السَّلاطِين أ هـ .

بَلِّغْ يا أخِي الَّذِيْنَ يُرَشحُونَ أَنْفُسَهُم لِلقَضَاءِ ويُعْمِلُون الوَسَائِط لِلْحُصُول عليه وهم غير أهلٍ له لم تَجْتَمِعْ فيهم الشروط ولا يُحسِنُونَ القَضَاءَ.

ودَعَـا الخليفـةُ أيامَ المِحْنَةِ محمـد بنَ مُقَـاتِـل الـرازي وأبا الصَّلْتِ عبدالسلام فقال لمحمد بن مُقاتل ما تقول في القرآن .

قال أَقُـول التـوراة ، والانجيل ، والـزبـور ، والفرقان ، فإنَّ هذه الأربعة وأشار إلى أصابعهِ الأربعة مَخْلُوقَة .

فظنوا أنه يُرِيْدُ الكتبَ المنزلة وهُو يُرِيْدُ أَصَابِعَ يَدِهِ الأربعة فَنَجَا .

فقال للآخر وهو أبو الصَّلْتِ ما تقول فقال تَعَزَّ يا أمير المؤمنين .

قال عن مَنْ وَيْلَكَ قال عن القُرآن فإِنَّهُ ماتَ . قال فَكَيْفَ قال إنْ كان مَخْلُوْقًا فإِنَّهُ يَمُوت .

وأُدْخِـلَ عُبَـادَةُ على الـواثق والنـاس يُضْرَبُون ويُقْتَلُون في الامتحان بالقُرآن قال عُبَادة فَقُلْتُ في نَفْسِي والله لَئِنْ امْتَحَنَني قَتَلني فَبَدَأْتُ بهِ فَقُلْتُ عَظم اللّهُ أجْرَكَ أيُهَا الخليفة قال فِيْمَنْ فَقُلْتُ في القرآنَ قال ويْحَكَ والقُرآنُ يَمُوْت قُلْتُ كل مخلوق يَمُوت فإذا مات القرآن في شعبان فبأي شيء يصلى الناس في رمضان فقال الواثق أَخْرِجُوه فإنه مجنون .

فائدة نفيسة قال أحد العلماء رحمه الله تعالى إعلم أَنّ الدّنيا رأْسُ كُلِ خَطِيئَةٍ كما قال ﷺ وقد صارت عدوّةً لله وعدوّةً لأَوليائِهِ وعـدوّةً لأَعْدَائِهِ ، أما عَدَاوتُها لله تعالى فلأَنّها قَطَعَتِ الطريقَ بينهَ وبينَ أَوليائِه .

ولهذا فإنّه لم يَنْظُر إليها مُنْذُ خَلَقَهَا ، وأَمّا عداوتُها لأَوليائِهِ فلأَنّها تَزَيَّنَتْ لهم بزينَتِها وغَمَرتْهم بزَهْرتها وتزَهَّتْ لهم بنَضَـارَتِهَا حتى تَجَرَّعُو مَرَارَاتِ الصّبرِ في مُقَاطَعَتِهَا وتَحَمَّلُوا المَشَاقَ في البُعْدِ منها .

وأَمَّـا عَداوتُهـا لأَعْـدَائِـهِ فلأَنها اسْتَـدْرَجَتْهُم بمكْـرِهَـا ومَكَـايِدِهَـا واقْتَنَصَتْهم بحَبَائِلِهَا وأَقْصَدَتْهُم بِسِهَامِهَا حتى وَثِقُوا بها وعَوَّلُوا عليها .

فَخذَلَتْهُم أَحْوجَ ما كانوا إليها وغَدَرَتْ بهم أَسْكَنَ ما كانُوا إليها فاجْتَنَوْا منهـا حَسْرَةً تَنْقَـطِعُ دُوْنَهَا الأَكْبَادُ . وحَرَمَتْهُم السّعادَةَ الأُخْرَوِيَّةَ على طُوْلِ الآمَاد فانْتَبه يا مَن اغتر بها قبل أن يُصِيْبَكَ مثل مَا أصاب المغترين بها .

وقـال بعض العـارفين إذا كان أبونا آدم بعد ما قيل له أسْكُنْ أنتَ وزوجـك الجنة صَدَرَ منه ذَنْبٌ وَاحِدٌ فأمِرَ بالخُروج مِن الجنةِ فكَيْفَ نَرْجُوْا دُخُولَهَا مَعَ ما نحنُ مُقِيْمُونَ عليه من الذُنُوبِ المُتَتَابعَةِ والخَطَايَا المُتواتِرَةِ .

كان أبو الفتح المنهى قد برع في الفقه وتقدم عند العوام وحَصَل له مال كثير ودَخَلَ بَغدَاد وفُوِّضَ إليه التَّدريس بالنظامية وأدْرَكَهُ الموتُ بهَمَدان .

فلما دَنَتْ وَفَاتُهُ قال لأصْحَابِهِ أُخْرُجُوْا فَلَمَّا خَرجُوا عنه جَعَلَ يَلْطُمُ وَجْهَهُ ويَقُولُ « يا حَسْرَتَا على مَا فَرَّطْتُ في جنب الله » ويقول لِنَفْسِهِ مُوَبّخًا لَهَا يَا أبا الفَتْحَ ضَيَّعْتَ العُمْرَ في طَلب الدنيا وتحصِيل المال والجاه والتَّردُدِ إلى السَّلاطِين ويُنْشِدُ هٰذَيْن البَيْتَين :

عَجِبْتُ لأَهلِ العِلم كَيْفَ تَغَافُلُوا   يَجُرُوْنَ ثوبَ الحِرْصِ حَول المهالكِ
يَـدُوْرُوْنَ حَـوْلَ الظـالِـينَ كأَنَّهُـم   يَطُوْفُوْنَ حَوْلَ البَيْتِ وقْتَ المناسِكِ

أرْسَلَ عثمانُ بنُ عَفان رضي الله عنه مَعَ عَبدٍ لَه كِيْسًا مِن الدراهم إلى أبي ذر رضي الله عنه وقال لِعَبْدِهِ إنْ قَبلَ هَذا أبُو ذَر فأَنْتَ حُرٌ أي عَتِيق فأَتى بالكيس إلى أبي ذَرٍ وأَلَحَّ عليه في قَبُولِهِ فلم يَقْبَلْ فقال الغُلامُ لأبي ذرٍ إنَّهُ عَلَّقَ عِتْقِي عَلَىَ قَبُولِكَ هَذَا الكِيْسَ فَقَالَ أبُو ذَرِ لكِنَّ في قَبُولِهِ رِقِّي .

هذه القصيدة الشيبـانية عَدَّلْنَـا فِيْهَا بَعْضَ أَبْيَاتٍ وكانَ بَعْضُها فيه شيء لا يصلح .

سَـأَحْمَـدُ رَبِّـي طَـاعَـةً وَتَعَبُّـدَا   وَانْظِـمُ عِقْـداً في الْعقِيـدةِ أَوْحَـدَا
وَأَشْهَـدُ أَنَّ الله لا رَبَّ غَـيْرُهُ   تَعَـزَّزَ قِـدْمـاً بالْبَقَـاء وَتَفَـرَّدَا

هُوَ الأَوَّلُ المُبْدِي بِغَيْرِ بِدَايَةٍ   (ولا بعده شَيْءٌ علا وتوحَدَا)
سميعٌ بَصِيرٌ عَالِمٌ مُتَكَلِّمٌ   قَدِيرٌ يُعِيدُ الْعَالَمِينَ كَمَا بَدَا
مُرِيدٌ أَرَادَ الْكَائِنَاتِ لِوَقْتِهَا   قَدِيرٌ فَأَنْشَا مَا أَرَادَ وَأَوْجَدَا
إِلَهٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ قَدِ اسْتَوَى   وَبَايَنَ مَخْلُوقَاتِهِ وَتَوَحَّدَا
إِذِ الْكَوْنُ مَخْلُوقٌ وَرَبِّي خَالِقٌ   لَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْكَوْنِ رَباً وَسَيِّدَا
وَلَيْسَ كَمِثْلِ اللهِ شَيْءٌ وَلاَ لَهُ   شَبِيهٌ تَعَالَى رَبُّنَا وَتَوَحَّدَا
وَمَنْ قَالَ فِي الدُّنْيَا يَرَاهُ بِعَيْنِهِ   فَذَلِكَ زِنْدِيقٌ طَغَىٰ وَتَمَرَّدَا
وَخَالَفَ كُتْبَ اللهِ وَالرُّسْلَ كُلَّهُمْ   وَزَاغَ عَنِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَأَبْعَدَا
وَذَلِكَ مِمَّنْ قَالَ فِيهِ إِلَهُنَا   يُرَى وَجْهُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَسْوَدَا
وَلَكِنْ يَرَاهُ فِي الْجِنَانِ عِبَادُهُ   كَمَا صَحَّ فِي الأَخْبَارِ نَرْوِيهِ مُسْنَدَا
وَنَعْتَقِدُ الْقُرْآنَ تَنْزِيلَ رَبِّنَا   بِهِ جَاءَ جِبْرِيلُ النَّبِيَّ (مُحَمَّدَا)
وَأَنْزَلَهُ وَحْياً إِلَيْهِ وَأَنَّهُ   هُدَى اللهِ يَا طُوبَى بِهِ لِمَنِ اهْتَدَى
كَلاَمٌ كَرِيمٌ مُنْزَلٌ مِنْ إِلَهِنَا   بِأَمْرٍ وَنَهْيٍ وَالدَّلِيلُ تَأَكَّدَا
كَلاَمُ إِلَهِ الْعَالَمِينَ حَقِيقَةً   فَمَنْ شَكَّ فِي هَذَا فَقَدْ ضَلَّ وَاعْتَدَى
وَمِنْهُ بَدَا قَوْلاً وَلا شَكَّ أَنَّهُ   يَعُودُ إِلَى الرَّحْمَنِ حَقاً كَمَا بَدَا
فَمَنْ شَكَّ فِي تَنْزِيلِهِ فَهُوَ كَافِرٌ   وَمَنْ زَادَ فِيهِ قَدْ طَغَى وَتَمَرَّدَا
وَمَنْ قَالَ مَخْلُوقٌ كَلاَمُ إِلَهِنَا   فَقَدْ خَالَفَ الإِجْمَاعَ جَهْلاً وَأَلْحَدَا
وَنُؤْمِنُ بِالْكُتْبِ الَّتِي هِيَ قَبْلَهُ   وَبِالرُّسْلِ حَقاً لاَ نُفَرِّقُ كَالْعِدَا
وَإِيمَانُنَا قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَنِيَّةٌ   وَيَزْدَادُ بِالتَّقْوَى وَيَنْقُصُ بِالرَّدَى
فَلاَ مَذْهَبَ التَّشْبِيهِ نَرْضَاهُ مَذْهَباً   وَلاَ مَقْصِدَ التَّعْطِيلِ نَرْضَاهُ مَقْصِدَا
وَلَكِنَّ بِالْقُرْآنِ نَهْدِي وَنَهْتَدِي   وَقَدْ فَازَ بِالْقُرْآنِ عَبْدٌ قَدِ اهْتَدَى
وَنُؤْمِنُ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ كُلَّهُ   مِنَ اللهِ تَقْدِيراً عَلَى الْعَبْدِ عُدِّدَا
فَمَا شَاءَ رَبُّ الْعَرْشِ كَانَ كَمَا يَشَا   وَمَا لَمْ يَشَا لا كَانَ فِي الْخَلْقِ مُوجَدَا

وَنُؤْمِنُ أَنَّ المَوْتَ حَقٌّ وَأَنَّنا   سَنُبْعَثُ حَقاً بَعْدَ مَوْتَتِنَا غَدَا
وَأَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ وَأَنَّهُ   عَلَى الْجِسْمِ والرُّوحِ الذَّي فِيهِ أُلْحِدَا
وَمُنْكَرُهُ ثُمَّ النَّكِيرُ بِصُحْبَةٍ   هُما يَسْأَلاَنِ الْعَبْدَ فِي الْقَبْرِ مُقْعَدَا
وَمِيزَانُ رَبِّي وَالصِّرَاطُ حَقِيقَةً   وَجَنَّتُهُ وَالنَّارُ لَمْ يُخْلَقا سُدَى
وَأَنَّ حِسَابَ الخَلْقِ حَقٌّ أَعَدَّهُ   كَمَا أَخْبَرَ الْقُرْآنُ عَنْهُ وَشَدَّدَا
وَحَوْضُ رَسُولِ اللهِ حَقاً أَعَدَّهُ   لَهُ اللهُ دُونَ الرُّسْلِ مَاءً مُبَرَّدَا
وَيَشْرَبُ مِنْهُ الْمُؤْمِنونَ وَكُلُّ مَنْ   سُقِي مِنْهُ كَأْساً لَمْ يَجِدْ بَعْدَهُ صَدَا
أَبارِيقُهُ عَدُّ النُّجُومِ وَعَرْضُهُ   كَبُصْرَى وَصَنْعاً فِي المَسَافَةِ حُدِّدَا
وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ أَفْضَلُ مَنْ مَشى   عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَوْلادِ آدَمَ أَوْ غَدَا
وَأَرْسَلَهُ رَبُّ السَّمٰوَاتِ رَحْمَةً   إلى الثَّقَلَيْنِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ مُرْشِدَا
وَأَسْرَى بِهِ لَيْلاً إلَى الْعَرْشِ رِفْعَةً   وَأَدْنَاهُ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ مُصْعِدَا
وَخَصَّصَ مُوسى رَبُّنَا بِكَلاَمِهِ   عَلَى الطورِ نَادَاهُ وَأَسْمَعَهُ النِّدَا
وَكُلُّ نَبِيٍّ خَصَّهُ بِفَضِيلَةٍ   وخَصَّصَ بالقرآنِ رَبي مُحَمَّداَ
وَأَعْطَاهُ فِي الْحَشْرِ الشَّفَاعَةَ مِثْلَ ما   رُوِي فِي الصَّحِيحَيْنِ الحَدِيثُ وَأُسْنِدَا
فَمَنْ شَكَّ فِيهَا لَمْ يَنَلْهَا وَمَنْ يَكُنْ   شَفِيعاً لَهُ قَدْ فَازَ فَوْزاً وَأُسْعِدَا
وَيَشْفَعُ بَعْدَ الْمُصْطَفى كُلُّ مُرْسَلٍ   لِمَنْ عاشَ فِي الدُّنْيَا وَمَاتَ مُوَحِدَا
وَكُلُّ نَبِيٍّ شَافِعٌ وَمُشَفَّعٌ   وَكُلُّ وَلِيٍّ فِي جَمَاعَتِهِ غَدَا
وَيَغْفِرُ دُونَ الشِّرْكِ رَبِّي لِمَن يَشَا   وَلاَ مُؤْمِنٌ إلاَّ لَهُ كَافِرٌ فِدَا
وَلَمْ يَبْقَ فِي نَارِ الجَحِيمِ مُوَحِّدٌ   وَلَوْ قَتَلَ النَّفْسَ الحَرَامَ تَعَمُّدَا
وَنَشْهَدُ أَنَّ اللهَ خَصَّ رَسُولَهُ   بِأَصْحَابِهِ الأَبْرَارِ فَضْلاً وَأَيَّدَا
فَهُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِ   بِهِمْ يَقْتَدِي فِي الدِّينِ كُلُّ مَن اقْتَدَى
وَأَفْضَلُهُم بَعْدَ النَّبِيِّ (مُحَمَّدٍ)   أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ذُو الفضلِ والنَّدَى
لَقَدْ صَدَّقَ الْمُخْتَارَ فِي كُلِّ قَوْلِهِ   وآمَنَ قَبْلَ النَّاسِ حَقاً وَوَحَّدَا

وَفَـادَاهُ يَـوْمَ الْغَـارِ طَـوْعـاً بِنَفْسِـهِ   وَوَاسَـاهُ بِالأَمْـوَالِ حَـتَّى تَجَـرَّدَا
وَمِنْ بَعْدِهِ الْفَـارُوقُ لاَ تَنْسَ فَضْلَهُ   لَقَـدْ كـانَ لِلإِسْـلاَمِ حِصْناً مُشَيَّدَا
لَقَـدْ فَتَـحَ الْفَـارُوقُ بِالسَّيْفِ عَنْوَةً   كَـثِيرَ بِـلاَدِ الْمُسْـلِمِينَ وَمَهَّـدَا
وَأَظْهَـرَ دِيـنَ اللهِ بَعْـدَ خَفَـائِـهِ   وَأَطْفَـأَ نَـارَ الْمُشْـرِكِينَ وَأَخْمَـدَا
وَعُثْمَـانُ ذُو النُّورَيْنِ قَدْ مَـاتَ صَائِماً   وَقَـدْ قَـامَ بِالْقُـرْآنِ دَهْـراً تَهَجُّـداً
وَجَهَّـزَ جَيْشَ الْعُسْـرِ يَـوْماً بِمَـالِـهِ   وَوَسَّـعَ لِلْمُخْتَارِ وَالصَّحْبِ مَسْجِداً
وَبَـايَـعَ عَنْـهُ الْمُصْطَفَىٰ بِشِـمَالِـهِ   مُبَـايَعَـةَ الرِّضْـوَانِ حَقـاً وَأَشْهَـداً
وَلاَ تَنْسَ صِهْرَ الْمُصْطَفَىٰ وَابْنَ عَمِّهِ   فَقَـدْ كَـانَ حَـبْراً لِلْعُلُـومِ وَسَيِّدَا
وَفَـادَى رَسُـولَ اللهِ طَـوْعـاً بِنَفْسِهِ   عَشِـيَّةَ لَمَّـا بِالْفِـرَاشِ تَـوَسَّـدَا
وَمَـنْ كَـانَ مَـوْلاَهُ النَّبِيُّ فَقَـدْ غَـدَا   عَـلِيٌّ لَـهُ بِالْحَـقِّ مَـوْلـىً وَمُنْجِـداً
وَطَلْحَتُهُمْ ثُـمَّ الـزُّبَيْرُ وَسَـعْدُهُـمْ   كَـذَا وَسَعِـيدٌ بِالسَّـعَادَةِ أُسْـعِدَا
وَكَـانَ ابْنُ عَـوْفٍ بَاذِلَ الْمَـالِ مُنْفِقاً   وَكَـانَ ابْـنُ جَـرَّاحٍ أَمِينـاً مُؤَيَّـداً
وَلاَ تَنْسَ بَـاقِيَ صَحْبِـهِ وَاهْـلَ بَيْتِهِ   وَأَنْصَـارَهُ وَالتَّـابِعِـينَ عَـلَى الْهُـدَى
فَكُلُّهُـمُ أَثْـنَى الإِلَـٰهُ عَـلَيْهِمُ   وَأَثْـنَى رَسُـولُ اللهِ أَيْضـاً وَأَكَّـدَا
فَـلاَ تَـكُ عَبْـداً رَافِضِيـاً فَتَعْتَـدِي   فَوَيْـلٌ وَوَيْـلٌ فِي الْـوَرَىٰ لِمَنِ اعْتَـدَى
وَنَسْكُتَ عَنْ حَرْبِ الصَّحَابَةِ فَالَّذِي   جَـرَى بَيْنَهُمْ كَـانَ اجْتِهَاداً مُجَـرَّداً
وَقَـدْ صَـحَّ فِـي الأَخْبَارِ أَنَّ قَتِيلَهُمْ   وَقَـاتِلَهُمْ فِـي جَنَّـةِ الْخُـلْدِ خُـلِّدَا
فَهَـٰذَا اعْتِقَـادُ الشَّـافِعِـيِّ إِمَـامِنَـا   وَمَـالِكٍ وَالنُّعْمَـانِ أَيْضـاً وَأَحْمَـدَا
فَمَـنْ يَعْتَقِـدْهُ كُـلَّهُ فَهُـوَ مُـؤْمِـنٌ   وَمَـنْ زَاغَ عَنْـهُ قَـدْ طَغَـى وَتَمَـرَّدَا

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قصــــة

تَوَجَّهَ عَافِيَةُ بنُ يَزِيْدُ الأَودِي القاضي إلى المهدي يوماً في وقتِ الظَّهِيرة لِمُقابَلَتِهِ على عَجَل .

فلمّا أذِنَ لَهُ إذَا بِهِ يحمل أوراقَه بينْ يَدِيه ويَسْأَل المهدي أن يُعْفِيهِ مِن القضـاء ويَسْتـأذنـه في تسليم الأوراق التي في حَوْزَتـهِ إلى مَن يَأمُر الخليفةُ بتَسليمها له .

وظَنَّ الخليفـةُ أن القـاضيِ عَافية قَد أَقْدَمَ عَلى طَلَبَ الاسْتِعْفَاءِ مِن القَضَاء لأن أحد رجالِ حَاشيَته ومَنْ هُم مَحْسُوبُونَ على الخَليفةِ قد تَطاوَلَ عَليه أو نالَ منه أو أَسَاء مُعَامَلَته أو أَبْدَى عَدَمَ إحْترامٍ له أو تَدَخل في شأنٍ مِن شؤون قَضائِهِ فأَضْعَفَ سُلْطَانَه في تنْفِيذِ أحْكامِهِ ولشَدَّ مَا كانَتْ دَهْشَةُ الخليفةِ حِيْنَمَا عَرَفَ أنه لم يَقَعْ شَيءٌ مِن ذلك .

فأحَبَّ الخَليفةُ أن يَتعرَّفَ مِن ذَلكَ السَّبَبَ الحَقِيْقِي الذي دَفَعَ القَاضِي إلى الاسْتَعْفَاءِ على عَجَلٍ في ذلك الوَقْت الذي يَلْجَأُ النَاسُ فيه إلى الرَاحَةِ وهوَ وَقْتِ الظَهِيْرِةِ .

ولما أصَرَّ الخليفةُ عَلى طلب مَعْرفَةِ السَبب لم يَجِدَ القاضِي بُداً من أن يَرْوي لَهُ ما جرىَ لَه مما كان سَبَباً في طلب الإِعْفَاءِ حِرْصَاً على دِيْنِهِ وَطَهارةً لِنَفْسِهِ .

فقال القاضي عافِيةُ مُنْذُ شَهْرَيْن وأنا أتَابِعُ البَحْثَ في إحدى القَضَايَا المُعْضِلَةِ مُحَاولاً أَنْ أصِلَ فيها إلى وَجْهِ الحَقِّ فقد تَقَدم إليّ خصْمَان مُوْسِرَانِ وَجِيْهَانِ في قضِيَّةٍ مُعْضِلَةٍ مُشْكِلَةٍ .

وكُلُّ منهما يَدَّعِي بَيِّنَةً وشُهُوداً ويُدْلي بحُجَجٍ تحتاجُ إلى تأمُلٍ وتَثَبُّتٍ .

ولما لم يَتَبيَنْ لي وَجْهُ الحقِ رَددْتُ الخُصُومَ رَجَاءً أن يَصْلَحُوا أو يَتَبَيَّنَ لي وجْهُ فَصْلٍ بَيْنَهُمَا .

وأثْنَاءَ ذَلِكَ وَقَفَ أحَدُ الخَصْمَيْنِ مِن خَبَري على أني أحِبُّ الرُّطَب السُّكَريْ .

فَعَمَدَ في وَقْتِنا هذا وهُوَ أوّلُ وقْتِ الرُطَبِ وجَمَعَ رُطَباً سُكَّرِياً لا يَتهيَأ في

هذا الوقتِ لِأَحدٍ جَمْعُ مثْلِه إلاَّ لأَمير المؤمنين وحَقاً ما رَأيْتُ أَحْسَنَ منه .

ثم عَمَدَ إلى بَوَّابي فرَشَاهُ جُمْلَةَ دَرَاهِم لِيُدْخِلَ الطَّبَقَ إليَّ على أنه لا يُبَالي بَعْدَ ذَلكَ أَنْ أَقْبَلَ الطَّبَقَ أو أَرُدَّهُ .

فلما أَدْخَلَ الطبقَ إليَّ أَنْكَرْتُ أَمْرَهُ وطَرَدْتُ بَوَّابِي وأَمَرْتُ بِرَدِّ الطَّبَقِ فَرَدَّهُ لِسَاعَتِه .

فلما كان اليومُ تَقَدَّمَ إليَّ هَذا الرجلُ مع خَصْمِه فَهَالَنِي أَنَّهُمَا لَمْ يَتَسَاوَيَا في قَلْبِي ولا في عَيني .

وهذا يا أمير المؤمنين وأنا لَمْ أَقْبَلْ فكيف يكون حَالي لو قَبلْتُ ولا آمَنُ أن يَقَعَ على حِيْلَةٍ في دِيْني فأَهْلِكُ وقد فَسد الناسَ فأَقِلْني أَقَالَكَ الله وأَعْفِني .

ولم يَسَع الخليفةُ وهو يَستَمعُ إلى ذلك الكلامَ المنبي عن شِدَّةِ الوَرَعِ والحرص الخالص على نزاهةِ الحكم وبُعْدِ القاضي عن المؤثرات أيّاً كان نوعُها إلاَّ أن يَسْتَجيْبَ لِطَلَب القَاضِي النَّقِي النَّبِيْل فأعْفَاهُ مِن القَضَاء .

فَتَأَمْل هَذِه القِصَّةِ بدقة . وقارِنْ بَيْنَهُ وبَيْنَ كَثِيرٍ من قُضاةِ هذا الزمن يَتَبَيَّنُ لَكَ الفرق العظيمُ والبُوْنُ الشاسع نسأل الله العافية .

اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوبَنَا وَنَوِّرْهَا بنُور الايْمَانِ وَزَيِّنْهَا بمَحَبَّتِكَ وَجَمِّلْ أَلْسِنَتَنا بِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسِّنْ أعْمَالَنَا وَوَفِّقْنَا لِحِفْظِ أَوْقَاتِنا وَأَحْيِنَا حَيَاةً طَيِّبَةً وَتَوفَّنا مُسْلِمِيْنَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ وَصَلَّى الله عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(فَصْــــلٌ)

وَمِنْ إعْلانِ عمر بن عبدالعزيز الجَوائِز لِمَنْ يَدُلُّهُ عَلى الخَيْرِ أَنَّهُ كَتَبَ إلَى أَهْلِ المَوْسِمِ أمّا بَعْدُ فَأَيُّما رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْنَا في رَدِّ مَظْلَمَةٍ أَوْ امرٍ يُصْلِحُ اللَّهُ به خاصّاً

أَوْ عَامّاً مِنْ أَمْرِ الدِّيْنِ فَلَهُ مَا بَيْنَ مِائَةِ دِيْنَارٍ إِلَى ثَلاثِمائَةِ دِيْنَارٍ بِقَدْرِ مَا يَرى مِنْ الحُسْبَةِ وَبُعْدِ السَّفَرِ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْيِيْ بِهِ حَقّاً أَوْ يُمِيْتُ بِهِ بَاطِلاً أَوْ يَفْتَحَ بِهِ مِنْ وَرَائِهِ خَيراً وَلَوْلا أَنِّي أُطِيْلُ عَلَيْكُم وَأُطْنِبُ فَيَشْغَلُكُم ذَلِكَ عَنْ مَنَاسِكِكُم لَسَمَّيْتُ أُمُوراً مِنَ الحَقِّ أَظْهَرَهَا اللَّهُ وَأُموراً مِنَ البَاطِلِ أَمَاتَهَا اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ هُوَ المُتَوحِّدُ لَكُمْ في ذَلِكَ لا تَحْمَدُونَ غَيْرَهُ فَإِنَّهُ لَوْ وَكَلَنِيْ إِلَى نَفْسِي لَكُنْتُ كَغَيْرِيْ وَالسَّلامُ .

وَكَتَبَ مَرَّةً إِلى الحَسَنِ البَصْرِيّ وَمُطَرِّفَ بْنِ الشِّخِّيْرِ : مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ إِلى الحَسَنِ البَصْرِيِّ وَمُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ ابْنِ الشِّخِّيرِ سَلامٌ عَلَيْكُمَا فَإِنِّيْ أَحْمَدُ إِلَيْكُمَا اللَّهَ الذيْ لا إِلهَ إِلا هُوَ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلى مُحَمدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّيْ أُوْصِيكُمَا بِتَقْوى اللَّهِ فَإِنَّ مَنْ يَقُولُهَا كَثِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهَا قَلِيْلٌ فَإِذَا أَتَاكُمَا كِتَابِيْ فَعِظَانِيْ وَلا تُزَكِّيَانِ وَالسَّلامُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الحَسَنُ إِلَى عُمَرَ سَلامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّيْ أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الذي لا إلهَ إِلاَّ هُوَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَخُوْفَةٍ أُهْبِطَ إِلَيْهَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلامُ عُقُوبَةً تُهِينُ مَنْ أَكْرَمَها وَتُكْرِمُ مَنْ أَهَانَهَا وَتُفْقِرُ مَنْ جَمَعَ لَهَا لَهَا في كُلِّ يَوْمٍ قَتِيْلٌ فَكُنْ يَا أَمِيرَ المؤمِنِينَ كَالمُدَاوِيْ لِجُرْحِهِ وَاصْبِرْ عَلى شِدَّةِ الدَّوَاءِ لِمَا تَخَافُ مِنْ طُوْلِ البَلاءِ .

وَكَتَبَ إِلَيْهِ مُطَرِّفُ سَلامٌ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِيْنَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهِ فَإِنِّيْ أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الذي لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ أَمَّا بَعْدُ فَلْيَكُنْ اسْتِئْنَاسُكَ بِاللَّهِ وَانْقِطَاعُكَ إِلَيْهِ فَإِنَّ قَوْماً أَنِسُوا بِاللَّهِ وَانْقَطَعُوا إِلَيْهِ فِي وَحْدَتِهِم أَشَدُّ اسْتِئْنَاساً مِنْهُمْ بِالنَّاسِ فِي كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ ، أَمَاتُوا مِنَ الدُّنْيَا مَا خَافُوا أَنْ يُمِيتَ قُلُوبَهُم وَتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنْ سَيَتْرُكَهُمْ فَأَصْبَحُوا لِمَا سَالَمَ النَّاسُ مِنْهَا أَعْدَاءً جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنْهُم ، فَإِنَّهُم قَدْ أَصْبَحُوا بِهَا قَلِيْلا وَالسَّلامُ .

وَقَدِمَتْ امْرَأَةٌ مِنَ العِرَاقِ عَلى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيْزِ . فَلَمَّا صَارَتْ إِلَى بَابِهِ قَالَتْ هَلْ عَلى أَمِيرِ المؤمِنِينَ حَاجِبٌ فَقَالُوا لاَ فَادْخُلِيْ إِنْ شِئْتِ ،

فَدَخلَتْ المَرْأةُ على زَوْجَةِ عُمَرَ فاطِمَةَ وَهِيَ جالِسَةٍ في بَيْتِها وَفي يَدِها قُطْنٌ تُعالِجُهُ فسَلَّمَتْ المَرْأَةُ فردَّتْ عليْها فاطِمَةُ السَّلامَ وَقالَتْ لَها ادْخُلِيْ .

فَلَمَّا جلَسَت المَـرْأَةُ رَفَعَتْ بَصرَهَا فَلَمْ تَرَ في البَيْتِ شَيْئاً لَهُ بَالٍ وَذُو أَهَمِيَّةٍ ، فقَالَتْ إِنَّمَا جِئْتُ لأَعْمُرَ بَيْتِيْ مِنْ هَذا البَيْتِ الخَرَابِ قَالَتْ فَاطِمَةُ : إِنَّما خَرَّبَ هَذا البَيْتَ عِمارَةُ بُيُوتِ أَمْثَالِكِ فَأَقْبَلَ عُمَرُ حَتَّى دَخَلَ الدّارَ فَسَلَّمَ وَدخَلَ بَيْتَهُ فمَالَ إِلَى مُصَلّى كَانَ لَه في البَيْتِ يُصَلِّيْ فِيْهِ .

فَسَأَلَ فَاطِمَةَ عَن المَرْأَةِ فَقالَتْ هِيَ هَذِهِ فَأَخَذَ مِكْتَلاً لَهُ فِيْهِ شَيْءٌ مِنْ عِنَبٍ فَجَعَلَ يَتخَيَّرُ لَها أَحْسَنَهُ يُنَاوِلُهَا إِيَّاهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْها فقَالَ ما حَاجَتُكِ .

فَقَـالَتْ امْـرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ العِرَاقِ لِيْ خَمْسُ بَنَاتٍ كُسُلٍ كُسُدٍ فَجِئْتُكَ ابْتَغِيْ حُسْنَ نَظرِكَ لَهُنَّ ، فَجَعَـلَ يَقُولُ كُسُلٌ ، كُسُدَ وَيَبْكِيْ فَأَخَذَ الدَّوَاةَ وَالقِـرْطَـاسَ وكَتَبَ إِلَى وَالِيْ العِرَاقِ فقَالَ سَمِّيْ أَكْبَرَهُنَّ فَسَمَّتْها ففَرضَ لَها فَقَالَتْ المَرْأةُ الحَمْدُ لِلَّهِ .

ثُمَّ سَأَلَها عَنْ اسْمِ الثَّانِيَةِ وَالثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ وَالمَرْأَةُ تَحْمَدُ اللَّهَ فَفَرَضَ لَها فلَمَّا فَرَضَ لِلأَرْبَـعِ اسْتَفَزَّهَا الفَرَحُ فدَعت لَهُ فَجزَتْهُ فرَفَعَ يَدَهُ وَقَالَ قَدْ كُنَّا نَفْرِضُ لَهُنَّ حِيْنَ كُنْتِ تُوْلِيْنَ الحَمْدَ أَهْلَهُ فَمُرِيْ هَؤُلاَءِ الأَرْبَعَ يُفِضْنَ عَلى هَذِهِ الخَامِسَةِ .

فَخَرَجَتْ بالكِتَابِ حَتَّى أَتَتْ بِهِ العِرَاقَ فَدَفَعتْهُ إِلى وَالِيْ العِرَاقِ فَلَمَّا دَفَعَتْ إِلَيْهِ الكِتَابَ بَكَى وَاشْتَدَّ بُكَاؤُهُ وَقَالَ رَحِمَ اللَّهُ صَاحِبَ هَذَا الكِتَابِ فَقَالَتْ أَمَاتَ قَالَ نَعَمْ فَصَاحَتْ وَوَلْوَلَتْ فَقَالَ لاَ بَأْسَ عَلَيْكِ مَا كُنْتُ لأَرُدَّ كِتَابَهُ فِي شَيْءٍ فَقَضَى حَاجَتَهَا وَفَرضَ لِبَنَاتِها .

وَأَرْسَـلَ عَطَاءُ إِلى فَاطِمَـةَ بِنْتِ عَبْـدِ المَلِكِ أَخْبِرِيْنِيْ عَنْ عُمَرَ قَالَتْ أَفْعَلُ . إِنَّ عُمَرَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ كانَ قَدْ فَرَّغَ لِلْمُسْلِمِيْنَ نَفْسَهُ وَلأُمُورِهِمْ فَكَانَ

إذَا أَمْسَى وَلَمْ يَفْرُغْ فِيْهِ مِنْ حَوَائِجِ يَوْمِهِ وَصَلَ يَوْمَهُ بِلَيْلَتِهِ إلَى أنْ أَمْسَى مَسَاءً وَقَدْ فرغَ حَوائجَ يَوْمِهِ فَدَعَا بِسِرَاجِهِ الذيْ كَانَ مِنْ مَالِهِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَقْعَى وَاضِعاً رَأْسَهُ عَلَى يَدَيْهِ تَسِيْلُ دُمُوْعُهُ عَلَى خَدَّيْهِ يَشْهَقُ الشَّهْقَةَ يَكَادُ يَنْصَدِعُ قَلْبُهُ لَهَا وَتَخْرُجُ لَهَا نَفْسُهُ حَتَّى إذَا بَرِقَ الصُّبْحُ أَصْبَحَ صَائِماً فَدَنَوْتُ مِنْهُ .

فَقُلْتُ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ أَلَيْسَ مِنْكَ مَا كَانَ قَالَ أَجَلْ فَعَلَيْكِ بِشَأْنِكِ وَخَلِّيْنِيْ وَشَأْنِيْ قَالَتْ فَقُلْتُ إنِّيْ أَرْجُو أَنْ أَتَّعِظَ قَالَ إذَنْ أُخْبِرُكِ إنِّيْ نَظَرْتُ فَوَجَدْتُنِيْ قَدْ وُلِّيْتُ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَسْوَدَهَا وَأَحْمَرَهَا .

ثُمَّ ذَكَرْتُ الفَقِيْرَ الجَائِعَ وَالغَرِيْبَ الضَّائِعَ وَالأَسِيْرَ المَقْهُورَ وَذَا المَالِ القَلِيْلِ والعِيَالِ الكَثِيْرِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ فِي أَقَاصِيْ البِلَادِ وَأَطْرَافِ الأَرْضِ فَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ سَائِلِيْ عَنْهُمْ وَأَنْ رَسُوْلَ اللَّهِ ﷺ حَجِيْجِيْ فِيْهِم فَخِفْتُ أنْ لا يَقْبَلَ اللَّهُ مِنِّيْ مَعْذِرَتِيْ فِيْهِم وَلَا تَقُوْمُ لِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُجَّةٌ فَرَحِمْتُ وَاللَّهِ يَا فَاطِمَةُ نَفْسِيْ رَحْمَةً دَمَعَتْ لَهَا عَيْنِيْ وَوَجِعَ لَهَا قَلْبِيْ فَأَنَا كُلَّمَا ازْدَدْتُ لَهَا ذِكْراً ازْدَدْتُ مِنْهَا خَوْفاً فَاتَّعِظِيْ إنْ شِئْتِ أَوْ ذَرِي .

وَكَانَ النَّاسُ فِي زَمَنِهِ كَلَامُهُمْ وَبَحْثُهُمْ فِي الأَعْتِنَاءِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَقِيَامِ اللَّيْلِ وَسِيْرَةِ الرَّسُولِ وَالصَّحَابَةِ وَالزُّهْدِ وَالوَرَعِ وَالبَحْثِ عَنِ الفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِيْنِ وَالأَرَامِلِ وَالأَيْتَامِ وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوْفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَهَكَذَا النَّاسُ فِي كُلِّ عَصْرٍ تَبَعٌ مُلُوكِهِمْ وَقَادَتِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ غَالِبَاً .

وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حُبُّ العَدَالَةِ وَالأَنْصَافِ رَكِيْزَةٌ فِي نَفْسِهِ وَمِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِهِ أَنْ وَهَبَ لَهُ ابْنَهُ عَبْدَالمَلِكِ وَكَانَ أُعْجُوْبَةَ التَارِيخِ ، كَانَ نَاشِئاً لَمْ يُجَاوِزْ عِشْرِيْنَ عَامَاً ، وَلَكِنَهُ مِنْ تَوْفِيْقِ اللَّهِ لَهُ أَنَّهُ مُنْذُ صِغَرِهِ قَوِيُّ الأَيْمَانِ وَرِعَاً زَاهِدَاً ، يَقْتَحِمُ عَلَى أَبِيْهِ فِي مَجْلِسِهِ وَنَادِيْهِ وَمَخْدَعِ نَوْمِهِ وَقَيْلُوْلَتِهِ يَحُثُّهُ وَيَعِظُهُ وَيَذْكُرُهُ بِاللهِ ويوقظه وينهيه الا يؤخر مظلمةً للناس مخافة أن يَحُمَّ الأَجَلُ فَتَسُوءُ المَغَبَّةُ وَتَلْتَهِبُ عَلَى أَبِيْهِ النَّارُ .

وكَـانَ كُلَّمَا دَخـلَ عُمـرُ في الأُمُـوْر على بيِّنةٍ اقْتَحمَها عَبْدُالمَلك قويّاً مُسْتَعْجلاً وقَدْ أثَّرَ علَى أبيْه وزَادَ في ورَعِه وتَنْجيْزِه للأُمُوْر ودَخلَ عَبْدُ المَلك يوْماً علَى أَبيْه وكَانَ عِنْدَهُ عمُّهُ مَسْلمَةُ فَطَلَبَ إلَى أَبيْه أنْ يُخْليْه به فقَالَ أسرٌّ دُوْنَ عمِّكَ قَالَ نعَمْ فقَامَ مَسْلمَةُ وجلَس عَبْدُالمَلك بيْنَ يَديْ أَبيْه فقَالَ لَهُ يا أَميْرَ المُؤمنيْنَ مَا أَنْتَ قائلٌ لربِّكَ غداً إذا سَألَكَ فقَالَ رأيْت بدْعَةً لَمْ تُمتْهَا أَوْ سُنَّةً لَمْ تُحْيهَا فقَالَ عُمَرُ يا بُنيَّ أَشيءُ حَمَلكَ أمْ رَأْيٌ رَأَيْتَهُ قَالَ لاَ واللَّهِ ولَكنْ رَأْيٌ رأيْتُهُ مِنْ نَفْسيْ عَرَفْتُ أنَّكَ مسْؤلٌ فَمَا أَنْتَ قائلٌ .

قَالَ أَبُوهُ يرْحَمُكَ اللَّهُ يا بُنيَّ ويَجْزِيْكَ منْ ولَدٍ خيْراً فَواللَّهِ إنِّيْ لأرْجُوْ أنْ تكونَ من الأعْوانِ علَى الخَيْرِ يا بُنيَّ إنَّ قَوْمَكَ شَدُّوا هَذَا الأَمْرَ عُقْدَةً وعُرْوَةً ومَتى مَا أُريْدَ مُكَابرَتَهُم علَى انْتزَاعِ مَا في أَيْديْهِمْ لَمْ آمَنْ أَنْ يَفْتقُوا عَليَّ فَتْقاً تَكْثُر فيْهِ الدِّمَاءُ واللَّه لزَوالُ الدنيا أهْوَنُ عليَّ منْ أنْ يُهْرَاق فيْ سَببِيْ مِحْجَمَةٌ منْ دمْ أَوْ مَا تَرْضىٰ أَلَّا يَأْتي علَى أَبيْكَ يوْمٌ منْ أَيَّام الدُّنْيا إلاّ وَهُوَ يُميْتُ فيه بدْعَةً ويُحْيِي فيْهِ سُنَّةً حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وهُوْ خيْرُ الحَاكميْنَ .

ولَمْ يَزلْ عَبْدُ المَلكِ بأَبيْه حتى صَارَ لاَ يُبْرِمُ أَمْراً في المَظَالِم دُوْنَ رأْيِهْ قَالَ مَيْمُوْنُ بْنُ مهْرَانْ بَعثَ إليَّ عُمَرُ بْنُ عَبْدالْعزيْز وإلى مكْحُوْل وإلَى أَبي قِلاَبَةَ فقَال مَا ترَوْنَ في هَذهِ الأمْوالِ الَّتي أُخذَتْ منَ النَّاس ظُلْماً فقَالَ مَكْحُوْل يَوْمئذٍ قَوْلاً ضَعِيْفاً كَرِهَهُ عُمَر قالَ أَرَى أَنْ تُسْتَأْنَف فَنَظرَ عُمَرُ إليَّ كَالْمُسْتَغيْثِ بي فَقُلْتُ يا أَميْرَ المُؤمنيْنَ إبْعثْ إلى إبْنكَ عَبْدالمَلكِ فأحْضرْهُ فإنَّهُ لَيْس بدُوْنِ مَنْ رأَيْت .

وكَـانَ عَبْدُ المَلكِ قدْ تَفقَّهَ ودَرسَ حَتَّى صَـارَ في الصَّفِ الأوَّلِ منْ فُقَهَاءِ الشَّام ثُمَّ زهدَ قَالَ ميْمُوْن فقَالَ عُمَرُ يا حَارثُ ادْعُ ليْ عَبْدَالْمَلك فلَمَّا دَخـلَ علَيْه قَالَ لَهُ يا عَبْـدَالْمَلكَ مَا ترَى في هَذهِ الأمْوالِ الَّتي أُخذَتْ منَ النَّاس ظُلْماً وَقَدْ حضرُوا يطْلُبُوْنهَا وقَدْ عرَفْنَا مَواضِعهَا قَالَ أرَى أنْ تَرُدَّهَا فإنْ لَمْ تَفْعلْ كُنْت شرِيْكاً لِمَنْ أَخذَهَا .

تَسْمَعُ حِكَايَاتٍ يَطِيْبُ سَمَاعُهَا وَيَحْلُو كَطَعْمِ الشَّهْدِ فِي ثَغْرِ ذَائِقِ
فَكَمْ مِنْ شَوَاجٍ لِلْقُلُوْبِ رَقَائِقِ وَكَمْ مِنْ مَعَانٍ لِلْعُلُوم حَقَائِقِ

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِالْعَزِيْزِ لَمَّا كَانَ فِي يَوْمِهِ الَّذِي مَاتَ فِيْهِ قَالَ أَجْلِسُوْنِي فَأَجْلَسُوْهُ فَقَال أَنَا الَّذِي أَمَرْتَنِي فَقصَّرْتُ وَنَهَيْتَنِيْ فَعَصَيْتُ وَلَكِنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَأَحَدَّ النَّظَرَ فَقَالُوا إِنَّكَ لَتَنْظُرُ نَظَراً شَدِيْدَاً يَا أَمِيْرُ الْمُؤمِنِيْنَ فَقَال إِنِّي لأَرَى حَضْرَةً مَا هُمْ بِإِنْسٍ وَلاَ جِنٍ ثُمَّ قُبِض .

وَقَالَ مَسْلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكَ لَمَّا احْتُضِرَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِالْعَزِيْزِ كُنَّا عِنْدَهُ فِي قُبَّةٍ فَأَوْمَأَ إِلَيْنَا إِنْ أُخْرُجُوْا فَخَرَجْنَا حَوْلَ القُبَّةِ وَبَقِيَ عِنْدَهُ وَصِيْفٌ فَسَمِعْنَاهُ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَة ﴿ تِلْكَ الدّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلّذِيْنَ لاَ يُرِيْدُوْنَ عُلُواً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْنَ ﴾ ما أَنْتُمْ بِإِنْسٍ وَلاَ جِنٍ ثُمَّ خَرَجَ الْوَصِيْفُ فأَومَأَ إِلَيْنَا أَن ادْخُلُوا فَإِذَا هُوَ قَدْ قُبِض .

شَمِّرْ عَسَى أَنْ يَنْفَعَ التَّشْمِيرُ وانْظُرْ بفِكْرِكَ ما إِليْهِ تَصِيْرُ
طَوَّلْتَ آمالاً تكَنَّفَهَا الهَوَى ونسِيْتَ أَنَّ العُمْرَ منكَ قَصِيْرُ
قَدْ أَفْصَحَتْ دُنْيَاكَ عن غَدَرَاتِها وأَتَى مَشِيْبُكَ وَالْمَشِيْبُ نَذِيْرُ
دَارٌ لَهَوْتَ بِزَهْوِهَا مُتَمَتِّعاً تَرْجُوْ المقامَ بِهَا وأَنْتَ تَسِيْرُ
واعْلَمْ بأُنكَ رَاحِلٌ عَنْهَا وَلَوْ عُمِّرْتَ فيها ما أَقامَ ثَبِيْرُ
لَيْسَ الغِنَى فِي العَيْشِ إِلاَّ بُلْغَةً وَيَسِيْرُ ما يَكْفِيْكَ منه كَثِيْرُ
لا يَشْغَلَنَّكَ عاجِلٌ عن آجِلٍ أَبَدًا فَمُلْتَمِسُ الحَقِيْرِ حَقِيْرُ
ولَقَدْ تَسَاوَى بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى فِي الأَرْضِ مأمُوْرٌ بِهَا وأَمِيْرُ

آخر : حَانَ الرَّحِيْلُ فَوَدِّعِ الدارَ التِي ما كانَ سَاكِنُهَا لَهَا بِمُخَلَّدِ
واضْرَعْ إلى المَلِكِ الجَوَادِ وَقُلْ لَهُ عَبْدٌ بِبَابِ الجُودِ أَصْبَحَ يَجْتَدِي
لَمْ يَرْضَ إِلاَّ اللهَ مَعْبُوداً وَلَا دِيْناً سِوَى دِيْنِ النَّبِي مُحَمَّدِ

قَالَ بَعْضُهُمْ لما حَضَرَته الوَفَاة : (إِلٰهِيْ وسَيِّدِيْ ومَوْلاي قَدْ آن الرَّحِيْل إِلَيْكَ وَأَزِف القُدُومَ عَلَيْكَ وَلا عُذْرَ لِيْ بَيْنَ يَدَيْكَ غَيْرَ أَنَّكَ الغَفُورُ وأنا العَاصِيْ وأَنت أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْن وأنا الجَانِي وَأَنْتَ السَّيِّدُ وَأَنَا العَبْدُ إِرْحَمْ

خُضُوْعِي وَزَلَّتِيْ بَيْنَ يَدَيْكَ فإِنَّهُ لاَ حَوْلَ ولا قوةَ إلاَّ بِكَ) وَصَلِّ اللهُ عَلَىَ مُحَمد وعلى آله وَصَحبِهِ أجمعين .

مَوْعِظَة : عِبَادَ اللَّهِ ، إقْـتَرَبَت السَّاعَة وَقَرُبَ التَّحَوُّلُ والمَسِيْر ، وَأَزِفَتِ الآزِفَةُ وَلَيْس هُنَاكَ حَمِيْمٌ وَلاَ نَصِيْرٌ وكُتِبَتِ الصَّحِيْفَةُ فَلاَ نِسْيَانَ لِقَلِيْلٍ وَلاَ كَثِيْرٍ ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِيْنٍ ﴾ .

تاللَّهِ لَقَدْ غَرَّتِ الآمَانِي أَكْثَر خَلْقِ اللَّهِ فَتركُوا سَبِيْلَ الْهُدَى وأَعْرَضُوا عَنْ دَارِ التَّهَـانِي والْقَرَارِ فَوَقَعُوا في شَرَكِ الرَّدَىٰ وَتَمَادَوْا على التَّوَاني وَظَنُّوْا أَنْ يُتْرَكُـوا سُدَىٰ وَنَسُـوا قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِيْنٌ ﴾ وَقَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ ذَرْهُمْ يأكلوا ويَتَمتعوا ويُلهِهِم الأمل فسوف يعلمون ﴾ وقوله تعالى ﴿ أَيَحْسَبُون أَنَّمَا نُمِدَهم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَّا يَشْعُرُوْنَ ﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ كَيْفَ حَالُكُمْ إِذَا قُمْتُمْ مِنَ الْقُبُورِ حَيَارَىٰ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ، وَقَـدْ عَظُمَتِ الْأَهْوَالُ ﴿ وَتَرَىٰ النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ ﴾ وَلَزِمَتِ الصُّحُفُ الْأَعْنَاقَ ثُمَّ رُدُّوا إِلى اللَّهِ مَوْلاَهُمْ الْحَقِ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِيْنَ .

كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الْجَبَّـارَ ﴿ لاَ تَخْتَصِمُـوْا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْـوَعِيْدِ ﴾ ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّم هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُوْلُ هَلْ مِن مَزِيْد ﴾ وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ أَلَمْ أَعْهَدِ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِيْنٌ ﴾ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ يُؤخَذُ الْمُجْرِمُونَ بالنَّوَاصِي والاقْدَام ، وَيُطْرَحُ فِي الْجَحِيْمِ مَنْ كَانَ لَهُ عَلى الْمَعَاصِي جَرَاءَةٌ وإِقْدَام .

وَيَمْرَحُ بِالنَّعِيْمِ مَنْ قَدَّمَ الْخَـيْرَاتِ لِدَارِ السَّـلاَم وَعَمِـلَ بِالْبَـاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَيَحْظَىٰ بِجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فاتَّقُوا الله عِبَادَ الله

واسْلُكُوا طَرِيْقَ الشَّرعِ القَوِيْمِ الذي لاَ اعْوِجَاجَ فِيه وَقُوْمُوا بأوَامِرِ المَنَّانِ وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ .

وَاحْذَرُوا أَنْ تكُونُوا مِمَّنْ غرَّتْهُم الحَيَاة الدُّنْيَا بزَخَارِفِهَا الزَّائِلة وَزِيْنَتِهَا العَاطِلَة وَأُوْلَئِكَ هُمْ الّذِيْنَ تَنْقص الأَيَّامُ واللَّيَالي آجَالَهُمْ وَهُمْ لاَهُونَ وَتَجْرِي بِهِم الأَعْوَامُ إلى مَرَاقِدِ قُبُورِهِمْ وَهُمْ نَائِمُون وَتَتَخَطَّفَهُم المَنَايَا وَهُمْ لاَعِبُون وَتُنَادِيْهُم العِبرُ وَالمَوَاعِظُ وَهُمْ لاَ يَسْمَعُون وَلاَ يُبْصِرُون وَيَرَوْنَ مَا وَقَعَ بالأمَمِ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا نَزَلَ بآبَائِهِمْ ولكِن لاَ يَفْقَهُوْنَ واللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بمآلهم وَمَا إلَيْهِ صَائِرُون ، إذا هُمْ وَصَلُوا إلى الغَايَةِ المَفْهُومَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيْهِ ﴾ .

شِعْرَاً :

يَا غَافِلاً عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِهْ	جَدَّ الرَّحِيْلُ وَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ
سَارَ الرِّفَاقُ وَخَلَّفُوكَ مَعَ الأُوْلَى	قَنِعُوا بِذَا الحَظِّ الخَسِيْسِ الفَانِ
وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفَاً	فَتَبِعْتَهُمْ وَرَضِيْتَ بِالحِرْمَانِ
لَكِنْ أَتَيْتَ بِخُطَّتَيْ عَجْزٍ وَجَهْـ	ـلٍ بَعْدَ ذَا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَانِ
مَنَّتْكَ نَفْسُكَ بِاللَّحَاقِ مَعَ القُعُو	دِ عَنِ المَسِيْرِ وَرَاحَةِ الأَبْدَانِ
وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِيْنَ يَنْكَشِفُ الغِطَا	مَاذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا امْكَانِ

آخر :

دُنْيَاً مَغَبَّةُ مَنْ أثرى بِهَا عَدَمٌ	وَلَذَّةٌ تَنْقَضِي مِنْ بَعْدِهَا نَدَمُ
وفي المنونِ لأهْلِ الكتْبِ مُعْتَبَرٌ	وفي تزوُّدِهم منها التُّقَى غُنُمُ
والمرء يَسْعَى لِفَضْلِ الرزْقِ مُجْتَهِداً	وَمَالَهُ غَيْرُ مَا قَد خُطَّ في القَلَمِ
كَمْ خَاشِعٍ في عُيُونِ النَاسَ مَنْظِرُهُ	والله يَعْلَمُ مِنها غَيْرَ مَا عَلِمُوا

اللَّهُم نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الإِيْمَانْ وَثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابت ، في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفي الآخِرَة ، وَيَسِّرْنا لِلْيُسْرَىٰ وَجَنِّبْنَا العُسْرَىٰ ، واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْن واغْفِرْ

لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــــلٌ)

ووَقَفَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْماً عَلَى مِنْبَرِهِ بَعْدَ أَنْ قَطَعَ العَطَايَا المالية عَنْ أَفْرَادِ المُسْلِمِينَ فَقَالَ اسْمَعُوْا وَأَطِيْعُوْا فَقَامَ إليه أَبُو مُسْلِمُ الخَوْلَانِي فَقَالَ لاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ يَا مُعَاوِيَةُ قَالَ مُعَاوِيَة وَلِمَ يَا أَبَا مُسْلِم فَقَالَ يَا مُعَاوِيَةُ كَيْفَ تَمْنَعُ العَطَا وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَدِّكَ وَلاَ كَدِّ أَبِيْكَ وَلاَ مِنْ كَدِّ أُمِّكَ .

فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ وَنَزَلَ عَنِ المِنْبَرِ وَقَالَ لِلْحَاضِرِيْنَ مَكَانَكُمْ وَغَابَ سَاعَةً عَنْ أَعْيُنِهِمْ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ وَقَدْ اغْتَسَلَ فَقَال إِنَّ أَبَا مُسْلِمْ كَلَّمَنِي بِكَلاَمٍ أَغْضَبَنِي وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُول « الغَضَبُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالشَّيْطَانُ خُلِقَ مِنَ النَّـارِ وَإِنَّـمَا تُطْفَأُ النَّارُ بالمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَغْتَسِلْ » وَإِنِّي دَخَلْتُ فَاغْتَسَلْتُ وَصَدَقَ أَبُو مُسْلِم إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَدِّي وَلا مِنْ كَدِ أَبِي فَهلمُّوا إلى عَطَائِكُم .

وبالتَّالي فَإِلَيْكَ صِفَةُ الإمام العَادِل : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيْز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا وَلِيَ الخِلاَفَةَ إلى الحَسَن البَصْرِي لِيُخْبِرَهُ عَنْ صِفَةِ الإِمَامَ العَادل فَكَتَبَ إِلَيْهِ الحَسَن إِعْلَمْ يَا أَمِيرَ المؤمنِيْنَ أَنَّ اللَّه جَعَلَ الإِمَامَ العَادِلَ قِوَامَ كُلِّ مَائِلٍ وَقَصْدَ كلِّ جَائِرٍ وَصَلاَحَ كُلِّ فَاسِد وَقُوَّةَ كُلِّ ضَعِيْف وَنَصَفَةَ كُلِّ مَظْلُوم ومَفْزَعَ كُلِّ مَلْهُوف وَالإِمَامُ العَادل يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِينَ كَالرَّاعِي الشَّفِيق عَلى إِبِلِهِ الرَّفِيْق بهَا الَّذِي يَرْتَادُ لَهَا أَطْيَبَ المَرْعَىٰ وَيَذُودُهَا عَنْ مَرَاتِعِ الهَلَكَةِ وَيَحْمِيْهَا عَنِ السِّبَاعِ وَيُكِنُّها عَنْ أَذَى الحَرِّ والقَر .

والإِمَامُ العَادِل كَالأَبِ الحَانِي عَلَى وَلَدِهِ يَسْعَى لَهُمْ صِغَاراً وَيُعَلِّمُهُمْ كِبَاراً يَكْتَسِبُ لَهُمْ في حَيَاته وَيَدَّخِرُ لَهُمْ بَعْدَ مَمَاته .

والإِمَامُ العَادِلُ كَالأُمِّ الشَّفِيْقَةُ البَرَّةِ الرَّقِيْقَةِ بِوَلَدِهَا حَمَلَتْهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ

كُرْهاً وَرَبَّتْهُ طِفْلاً تَسْهَرُ بِسَهَرِهِ وَتَسْكُنُ بِسُكُونِهِ تُرْضِعُهُ تَارَةً وَتَفْطِمُهُ أُخْرَى وَتَفْرَحُ بِعَافِيَتِهِ وَتَغْتَمُّ بِشِكَايَتِهِ .

وَالإِمَامُ العَادِلُ وَصِيُّ اليَتَامَىٰ وَخَازِنُ المَسَاكِيْنِ يُرَبِّي صَغِيْرَهُمْ وَيَمُونُ كَبِيْرَهُمْ والإِمَامُ العَـادِلُ كَالْقَلْبِ بَيْنَ الجَوارِحِ تَصْـلُحُ الجَوَارِحُ بِصَلاحِهِ وَتَفْسُدُ بِفَسَـادِهِ والإِمَـامُ العَـادِلُ هُوَ القَـائِمُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ يَسْمَعُ كَلاَمَ اللَّهِ وَيُسْمِعُهُمْ وَيَنْـظُرِ إِلى اللَّهِ وَيُرِيهِمْ وَيَنْقَـادُ إِلى اللَّهِ وَيَقُودُهُمْ فَلاَ تَكُنْ يَا أَمِيْرَ المُؤمِنِيْنَ فِيْمَا مَلَّكَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَل كَعَبْدٍ إِئْتَمَنَهُ سَيِّدُهُ وَاسْتَحْفَظَهُ مَالَهُ وَعِيَالَه فَبَدَّدَ المَالَ وَشَرَّدَ العِيَال فَأَفْقَرَ أَهْلَهُ وَفَرَّقَ مَاله .

وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الحُدُوْدَ لِيَزْجُرَ بِهَا عَنِ الخَبَائِث وَالفَوَاحِش فَكَيْفَ إِذَا أَتَاهَا مَنْ يَلِيْهَا وَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ القِصَاصَ حَيَاةً لِعِبَادِهِ فَكَيْفَ إِذَا قَتَلَهُمْ مَنْ يَقْتَصُّ لَهُمْ وَاذْكُرِ المَوْتَ وَمَا بَعْدَه وَقِلَّةَ أَشْيَاعِك عِنْدَه وَأَنْصَارِكَ عَلَيْهِ فَتَزَوَّدْ لَهُ وَلِمَا بَعْدَهُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَر .

وَاعْلَمْ أَنَّ لَكَ مَنْـزِلاً غَيْرَ مَنْزِلِـكَ الَّـذي أَنْت فِيْهِ يَطُولُ فِيْهِ ثَوَاؤُكَ وَيُفَارِقُكَ أَحِبَّاؤُكَ يُسْلِمُوْنَكَ فِي قَعْرِهِ وَحِيْداً فَرِيْداً فَتَزَوَّدْ لَهُ مَا يَصْحَبُكَ يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيْهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيْهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيْهِ وَاذْكُرْ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي القُبُور وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُور فالأَسْرَارُ ظَاهِرَة والكِتَابُ لاَ يُغَادِرُ صَغِيْرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا .

فالآنَ وَأَنْتَ فِي مَهلِ قَبْلَ حُلُولِ الأَجل وانْقِطَاعِ الأَمل لاَ تَحْكُمُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِحُكْمِ الجَاهِلِيْنَ وَلاَ تَسْلُكْ بِهِمْ سَبِيْلَ الظَّالِمِيْنَ وَلاَ تُسَلِّطْ المُسْتَكْبِرِيْنَ عَلى المُسْتَضْعَفِيْنَ فَإِنَّهُمْ لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً فَتَبُوءَ بِأَوْزَارِكَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكَ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِك .

وَلاَ يَغُـرَّنَّـكَ الَّذِينَ يَتَنَعَّمُونَ فِي بُؤْسِك وَيَأْكُلُونَ الطَّيِّبَاتِ فِي دُنْيَاهُمْ بِإِذْهَابِ طَيِّبَاتِكَ فِي آخِرَتِك وَلاَتَنْظُرْ إِلى قُدْرَتِكَ اليَوْمَ وَلَكِنْ انْظُرْ إِلى قُدْرَتِك

غَداً وَأَنْتَ مَأْسُورٌ في حَبَائِلِ المَوْتِ وَمَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدي اللَّه في مَجْمَعٍ مِنَ المَلائِكَةِ وَالنَّبِيينَ والمُرسَلِيْنَ وَقَدْ عَنَتِ الوُجوهُ للْحيِّ القَيُّوم الذي لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَانَوم .

شِعْرَاً : زِدْنَا عليه ما بين الأقواس .

سَـلِ المَنَايَا عَـلى عِـلْمٍ وَتَجْرُبَةٍ ... في أي شَيءٍ بَغَى الإنْسَانُ أَوْ حَسَدَا
تَنافَسَ النَّاسُ في الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمُوْا ... أَنْ سَوْفَ تَقْتُلَهُم لَـذَّاتُهَا بُـدَدَا
تَبَـادَرُوهَا وَقَـدْ آذَتْهُم فَشَلاً ... وَكَاثَـرُوهَا وَقَـدْ أَفْنَتْهُـمُ عَـدَدَا
قُـلْ لِلْمُحَـدِّثِ عَنْ لُقْمَـانَ أَوْ لِبَـدٍ ... لَـمْ يَـتْرُكِ الدَّهْـرُ لُقْمَـاناً وَلاَ لِبَـدَا
« وَلَـمْ يُغَـادِرْ عَمَـارَاتٍ وَلاَ قُـلَلاً ... وَلاَ قُصوراً بِهَا المَغْـرُورُ مُسْتَنِدَا »
« وَلاَ بَسَـاتِيْنَ فـي الأَشْجَارِ زَاهِيَةً ... وَسَاهِـرُ المَـاءِ في الأَنْهَارِ مُطَّـرِدَا »
« وَلاَ جَبَـاناً يَخَـافُ المَـوْتَ ذَا قَلَقٍ ... وَلاَ شُـجاعاً يَهْزِمُ الجَمْعَ مُنْفَرِدَا »
« وَلاَ كَـرِيْمـاً تُبِيْـدُ المَـالَ رَاحَتُـهُ ... وَلاَ بَخِيْـلاً إِذَا اسْتَمْنَحْتَهُ شَـرَدَا »

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا من المُخَالَفَةِ وَالعِصْيَانِ وَلا تُؤخِذْنَا بِجَرائِمَنَا وَمَا وَقَعَ مِنَّا مِن الخَطأ وَالنِّسْيَانِ وَاغفِر لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَميْعِ المُسْلِمِينَ الأَحْياءِ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــــــلٌ)

كتب سفيانَ الثوريّ إلى أخٍ له في الله يقول له : « أما بعدُ : عافانا الله وإيّاك مِن النّار برحمتِه ، أوصِيْكَ وإيّايَ بتقْوى الله .

وأحَذِّرُكَ أن تَجْهَلَ بعد إذْ عَلِمْتَ ، فتهلكَ بعدَ إذْ أبصرتَ ، وتَدَعَ الطريقَ بعد إذْ وَضَحَ لَكَ ، وتَغترَّ بأهلِ الدنيا بِطَلَبِهم لَهَا ، وحِرْصِهِم عليها وإكثارِهِم منها .

فإنَّ الْهولَ شديدٌ ، والطّريقَ بَعِيْدٌ ، والمَناقِشَ عَتِيدٌ ، والخطرَ عَظِيمٌ ، والوَقتَ قريبٌ ، وكأنْ قَدْ كانَ .

فَتفَرّغْ وفَرِّغْ قلبَك ، ثم الجِدَّ الجِدَّ ، والوَحَاءَ الوَحَاءَ ، والهَربَ الهربَ ، وارْتَحِلْ إلى الآخرةِ مِن قَبلِ أَنْ يُرْتَحَلَ بِكَ ، .

واسْتَقْبِلْ رُسُلَ ربِّكَ ، واشْدُدْ مِئْزرَكَ مِن قَبْلِ أنْ يُقْضَى قَضَاؤُكَ ، ويُحَالَ بينَكَ وبَيْنَ ما تُريد ، فقد وَعَظْتُكَ بما وَعَظْتُ بِهِ نَفْسِي ، والتوفيقُ مِن الله .

ومِفْتَاحُ التوفيقِ التَّضَرُّعُ والاستكانةُ والندامةُ على ما فَرَّطتَ ، ولا تُضَيِّعْ حَظَّكَ مِن هذِهِ الأيامِ والليالي التي هي مَتْجَرُ الزُهّاد ، ومَكْسَبُ العُبّاد .

ثم إيّاكَ وما يُفسِدُ عليكَ عَمَلَكَ وهو الرياءُ ، فإنْ لم يَكُنْ رياءٌ فإعجابُك بنفسك .

وإيَّاكَ أن تُحِبُّ مَحامِدَ النّاسِ أو تَحِبَّ أن يُكْرِمُوكَ بعَملِكَ .

ويَروْنَ لَكَ فَضِيْلَةً وشَرَفاً ومَنْزِلَةً في صُدُوْرِهِم ، أوْ حَاجَةً تَطْلُبُها إليهم في أمرٍ مِن الأُمُورِ .

فإنَّكَ زَعَمْتَ أنَّكَ تُرِيْدُ بِعَمَلِكَ وَجْهَ الله والدارِ الآخِرَةَ ولا تُريدُ به غيرَه .

وَعَلَيكَ بِكَثْرةِ ذِكرِ المَوتِ ، فَكَفَى بِطُولِ الأمَلِ قِلَّةُ الخَوف ، وجُرأةُ على المَعاصِي ، وكَفَى بالْحَسْرَةِ والنَّدامَةِ يَومَ القِيامَةِ أَنَّكَ لم تعلم ولم تَعْمَلْ بِعِلْمِكَ .

واطلب العِلْمَ لِتَعْمَل بِهِ ، ولا تَطْلُبْه لِتُباهِيَ به العُلَمَاء ، أو لِتُمَارِيْ به السُفَهَاءَ ، أَوْ تأكُلَ به الأَغْنِيَاءَ .

أَوْ تَسْتَخْدِمَ بِهِ الفُقَرَاءَ ، أَوْ تَصرِفَ به وُجُوهَ النّاسِ إليكَ ، فإنَّ لَكَ مِن عِلمِكَ ما عَمِلْتَ بهِ ، وعَلَيكَ ما ضَيَّعْتَ منه .

فكلُّ مَن طَلَبَ الخيرَ صارَ غريباً في زمانِهِ ، فلا تَسْتَوحِشْ واسْتَقِمْ على سَبِيْلِ رَبِّكَ .

واشْتَغِلْ بذِكْرِ عُيوبِ نَفْسِك عن ذِكرِ عُيوُبِ غيرِكَ ، واحْزَنْ على مَا مضى من عُمرِكَ في غيرِ طَلَبِ آخرتِكَ .

وأكْثر مِن البُكَاءِ على مَا أوقرْتَ ظَهْرَكَ ، لَعلَّك تَخلُصُ منها ولاَ تُمْسِكْ عن الخيرِ وأهلِهِ ، ولا تَتَبَاعَدْ عنهم .

وتَبَاعَدْ مِن الجُهّال وباطِلِهِم مهما استطعت ، فإنَّه لا يَنْجو من جاوَرهم إلا مَنْ عصمَ الله .

وقال رحمه الله وإنْ أَرَدْتَ اللِّحَاقَ بالصالِحين فاعملْ عَمَلَهُم ، واحْذُ سِيرَتَهُم ، واكْتَفِ بِما رُزِقْتَ مِن الدُنْيَا .

ولا تَنْسَ مَن لا يَنْسَاكَ ، ولا تَغْفَلْ عمّن وُكّلَ بِكَ ، يُحصِي أثرَكَ ، ويكْتُبُ عَمَلَكَ .

وَرَاقِبِ الله في سِرِّكَ وعَلانيتِكَ ، فهو رَقيب عَلَيكَ ، واسْتَحي مِمَّنْ هُوَ مَعَكَ ، وأَقْرَبُ إليكَ مِن حَبْلِ الوريد .

واعْتَرِفْ بفَاقةِ نَفْسكَ وارْحمها وأكْثِرْ مِن البُكَاءِ عَلَيهَا . ولا تَغْبطْ أهلَ الشَّهواتِ بِشَهواتِهِم ولا أهْلَ النِّعم بنِعَمِهم .

فإنَّ وَرَاءَهُم يوماً تُزَلْزَلُ فِيهِ الأَقْدَامُ ، وتُرعدُ فيه الأجْسَامُ ، وتَتَضَاعَفُ فيه الآلاَمُ ، وتَتزايَدُ فيه الأسقامُ .

ويَطُولُ فيه القِيامُ ، ويَشْتَدُّ فيه الحسابُ ، ويُشْفَقُ فيه مِن العذاب ،

وتَطِيرُ فيه القُلُوبُ حتى تَبلُغَ الحَنَاجِرَ ، فيا لَهَا مِن نَدامَةٍ على مَا أَصَابُوا مِن هَذه الشهوات .

واجْعَلْ كَسْبَكَ فيما يكونُ لَكَ ولا تَجْعَلْه فِيما يَكُونُ عَلَيكَ ، واجْتَنِبْ الحرامَ ولا تَجلِسْ مَعَ مَنْ يَكْسِبُه .

وإيَّاكَ والظُّلمَ ، أو تكُونَ عَوْناً لِلظَالِمِ أو تَصْحَبَهُ أو تُؤاكِلُه ، أو تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ ، أو تَنَالَ منه شَيئاً فتكونَ عَوْناً لَهُ ، والعَوْنُ شَرِيْكٌ ، ولا تُخَالِفْ أَهْلَ التَّقوى ، ولا تُطِعْ أَهلَ الخَطَايا .

ولا تُجَالِسْ أهلَ المَعاصِي ، واجتنب المحارِمَ . وعَليكَ بالتَّوْبَةِ ، وجَدِّدْهَا في كُلِّ يومٍ ، بَلْ في كُلِّ سَاعةٍ ، فإنَّ لِكُلِّ ذنبٍ توبةٌ ، وتَرْكُ الذنبِ أيْسَرُ مِن طَلَبِ التوبة .

ولا تَتَهاوَنْ بالذنب الصغير ، ولكنْ انظرْ مَن عَصيْتَ ، عَصِيْتَ رَبّاً عَظِيْماً ، يُعَاقِبُ على الصَّغيرِ ، ويَعفُو عن الكبيرِ إنْ شاءَ .

فإنَّ إبراهيمَ الخليلَ عليه السلام حَذَّرَ نَفسه مَعَ قُربهِ وخُلَّتِهِ ، وعُلوِّ مَنزِلَتِهِ ، فَسَأَلَ ربَّهُ فقال : ﴿ واجْنُبْني وبَنِيَّ أنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ .

وقالَ يُوسفُ الصديقُ عليه السلام مَعَ عِصْمَتِهِ ونُبوتِه : ﴿ تَوفَّني مُسْلِماً وأَلْحِقْنِي بالصَّالحين ﴾ .

وقال موسى عليه السَّلام : ﴿ ربِّ بِما أنعمتَ عليَّ فلنْ أكونَ ظَهِيراً للمُجْرِمين ﴾ .

وقالَ شُعَيْبُ عليه السلام : ﴿ وما يكونُ لنا أن نعودِ فيها إلا أنْ يَشَاءَ ربُّنَا ﴾ .

فهؤلآء الأنبياءُ المقرَّبُون المُجْتَبَوْن المخصُوصُونَ بالنُبوّة والرِسالةِ وعُلوِّ المنزلةِ خافوا على أنفسِهم ، وتَضرَّعُوا إلى مَالِكِهِمْ .

(تحـــذير إلى الغافلين)

أَلا يَا غَافِلاً يُحْصَى عليهِ | مِنَ العَمَلِ الصَّغيرةُ والكَبِيرَهْ
يُصاحُ بِهِ ويُنذرُ كلَّ يومٍ | وقدْ أنسَتْهُ غَفْلَتُهُ مَصيْرَهْ
تأهَّبْ لِلرَّحِيْلِ فَقَدْ تَدانَى | وأَنذرَكَ الرحِيلَ أخٌ وجِيرَهْ
وأَنتَ رَخِيٌّ بالٍ في غُــرُوْرٍ | كَأَنْ لَمْ تَقْتَرِفْ فِيها صَغِيرَهْ
وكَمْ ذَنْبٍ أتَيْتَ على بَصِيرةٍ | وعَيْنُكَ بالذي تأتِي قَرِيرَهْ
تُحَاذِرُ أنْ تَرَاكَ هُنَاكَ عَيْنٌ | وإنَّ عَلَيْكَ لَلْعَيْنُ البَصِيْرَهْ
وكَمْ حَاوَلتَ مِنْ أمْرٍ عَظِيمٍ | مُنِعْتَ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَخِيْرَهْ
وكَمْ مِن مَدْخلٍ لَوْ مُتَّ فيهِ | لَكُنْتَ بِهِ نَكَالاً في العَشِيْرَهْ
وُقِيْتَ السُوءَ والمَكْرُوهَ فيهِ | ورُحْتَ بِنِعمَةٍ فيهِ سَـــتِيرَهْ
وكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ لله تُمْســـى | وتُصْبِحُ لَيْسَ تَعْرِفُها كَثِيرَهْ

اللّهُمَّ حَبّبْ إِلَيْنَا الإِيْمانَ وَزَيِّنْهُ في قُلوبِنا وكَرِه إِلَيْنا الكُفْرَ والفُسوقَ والعِصْيانَ واجْعَلنـا مِنَ الـرّاشِدِين وَاغْفِرْ لَنا ولِوالِديْنا وجَمِيْع المُسْلمينَ بِرَحْمتِكَ يا أرحَمَ الرّاحِمِيْنَ وصلّى الله على محمّد وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمَعِين .

(فَصْلٌ)وقــال رحمــه الله واعلم يا أخي أنَّ الله لا يقبــلُ نافلةً حتى تُؤَدّي الفريضةُ ، وأنَّ لِلَّهِ حقاً بالليل لا يَقبلُه بالنهار .

وحقّــاً بالنهــارِ لا يَقبلُه باللّيل ، وأنــه يُحاسِبُ العبدَ يومَ القيامـةِ بالفرائض ، فإنْ جاءَ بها تامةً قُبلَتْ فرائضهُ ونوافلُه .

وإنْ لم يُؤَدِّها تامةً وأضاعَها أُلحقتِ النوافلُ بالفرائض ؛ فإنْ شاءَ غَفر لَهُ وإنْ شاءَ عذَّبَهُ .

وعَلَيكَ بتقوى الله عَزَّ وجَلَّ ، ولِسَانٍ صَادِقٍ ونِيّةٍ خَالِصةٍ ، وأعمال صَالِحةٍ ، ليس فيها غِشٌ ولا خُدْعَةٌ .

فإنَّ الله يَراكَ وإنْ لم تكنْ تَراهُ ، فلا تُخادع الله يَخْدَعُكَ ، وأصلحْ

سَرِيْرَتِكَ وَعَلانِيَتِكَ ، وأحْسِنْ فيما بَينَكَ وبينَ الله يُحْسِن ما بَينَكَ وبَيْنَ النَّاس .

واعمَلْ لآخِرَتِكَ يَكْفِيْكَ أَمْرَ دُنْيَاكَ ، وبعْ دُنْيَاكَ بآخِرَتِكَ تَرْبَحُهُمَا جَمِيْعاً ، ولا تَبعْ آخِرَتَكَ بدُنْيَاكَ فَتخسَرْهُمَا جَمِيْعاً .

وإيّاكَ ومُجَالَسةَ أهلِ الجَفَاء ، ولاَ تَصْحَبْ إلا مُؤْمِناً ، ولا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلاّ تَقِيٌّ ، ولا تُصَاحِبْ الفَاجِرَ ولا تُجالسْهُ .

وإيَّاكَ وأبـوابَ الملوكِ وأبوابَ مَنْ يَأتي أَبْوَابَهُم وأبوابَ مَنْ يَهْوَى هَوَاهُم ، فإنَّ مَعَهُمْ مِثْلَ فِتَنِ الدَّجَّال .

شِعْرَا: مضى السَّلف الأبرار يَعْبِق ذكرهم   فَسِيْرُوْا كَمَا سَارُوْا عَلى البِرِ وَاصْنَعوا

وكُنْ مَبْذُولاً بمالِكَ ونَفْسِكَ لإخوانِكَ ، وعليكَ بالكسبِ الطَّيبِ ، وما تَكْسِبُ بيَدَيْكَ ، وإيَّاكَ وأوساخَ النَّاس أنْ تأكلَه أو تلبسَه .

فإنَّ الذي يأكُلُ أوساخَ النَّاسِ فهو يَتكَلَّمُ مَعَهُم بذِلّةٍ وتَواضُعٍ وهَوَى ، ويَتَواضَعُ لهم مَخافةَ أنْ يَمنعُوه .

ويا أخي ! مَتَى تَنَاوَلْتَ مِن النَّاس شيئاً قَطَعْتَ لِسَانَكَ ، وأكْرَمْتَ بعضَ النَاسِ وأهنتَ بعضَهم مَعَ ما يَنْـزِلُ بِكَ يومَ القيامـةِ ، فإنَّ الذي يُعطِيكَ مِن مَالِهِ فإنما هُوَ وَسَخُه .

وتَفْسِيرُ وَسَخِهِ : تَطْهِيرُ عَمَلِه من الذُنُوب ، فإنْ أنتَ تَنَاولتَ مِن النَّاسِ شيئاً فلا تأمنْ إنْ دَعوكَ إلى مُنْكرٍ أجبْتَهم .

وإنَّ الذي يأكُلُ أوساخَ النَاسِ كالرجلِ لَهُ شُركاءُ في شيءٍ يَنبَغِي لَهُ أنْ يُقَاسِمَهم ، يا أَخِي جُوْعٌ وقَليلٌ مِن العِبادة خَيرٌ مِن أن تَشْبَعَ مِن أوساخِ النَّاسِ وكثيرٌ مِن العِبادةِ .

فَقَدْ بَلَغَنَا أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لَو أنَّ أحدَكم أخذَ حَبْلاً ثمَّ احْتَطَبَ حتَّى يُدْبِرَ ظَهْرُه ، كانَ خيراً له مِن أن يَقُومَ على ظَهْرِ أخيهِ فَيسألُه أو يَرجُوه » .

وبَلَغَنـا أن عمـرَ بنَ الخـطابِ رضي الله عنه قال : مَنْ عَمِلَ مِنكم حَمِدنَاهُ ، ومَن لَم يَعْمَلْ اتَّهمناهُ .

وقال : يا مَعْشَرَ القُرَّا ! أرْفعُوا رُؤُسَكم ، لا تَزيدُوا الخشوعَ على ما في القَلْب ، اسْتَبِقُوا في الخيراتِ ، ولا تكونُوا عِيالاً على النَّاسِ فقد وَضَحَ الطريقُ .

وقال عليٌّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه : إنَّ الذي يَعيشُ مِن أيدِي النَّاس كالذي يَغْرِسُ شَجَرَةً في أرضٍ غيرِهِ .

فاتق الله يا أخِي ، فإنّه مَانَال أحدٌ مِن النَّاسِ شيئاً إلا صَارَ حَقيراً ذليلاً عندَ النَّاس ، والمؤمنون شُهودُ الله في الأَرضِ .

وإيَّاكَ أن تَكْسِبَ خَبيْثاً فَتُنْفِقَهُ في طاعةِ الله ، فإنَّ تَرْكَهُ والله فَريضةٌ واجبة ، وإنَّ الله عزَّ وجَلَّ لا يَقْبلُ إلا الطَّيِّبَ .

أرَأيْتَ رَجُلاً أَصابَ ثوبَه بَوْلٌ ثم أرادَ أنْ يطهِّرَهُ فغسَله بِبَولٍ آخَرَ ، أتُرى كان ذلك يُطَهِّره ؟

إنَّ البولَ لا يُطَهِّرُ إلا بطاهرٍ طيّبٍ ، فكذلك لا تُمْحَى سيئة بسيئةٍ ، ولاتُمْحَى إلا بحَسَنةٍ .

وعليكَ بالصِّدقِ في المواطِن كُلِّهَا ، وإيَّاكَ والكذبَ والخيانة ، وإيَّاكَ والرِيَاءَ في القَولِ والعَملِ فإنَّه الشركُ بعَينِهِ .

وإيَّاكَ والعُجْبَ فإنَّ العملَ لا يُرفعُ وفيه عُجْبٌ ، ولا تأخذْ إلاّ مِمَّنْ هُو مُشْفِقٌ على دِينِهِ .

فإن مَثَلَ الذي هُوَ غيرُ مُشْفِقٍ على دِينِهِ كَمَثَلِ طَبيْبٍ به دَاءٌ لا يَسْتَطِيعُ أنْ يُعَالِجَ دَاءَ نَفسِه ، ولا يَنْصَحُ لِنفسِهِ ، ولا يَتجَنَّبْ ما يَضُرُّ مَرضَه ويَحْمِيْها مِنه .

فَكيف يصلح آن يَعـالِجَ دَاءَ النَاسِ وَيَنْصَحُ لَهم ؟! فهذا الذي لا يُشْفِقُ على دِيْنِهِ ، كيفَ يُشْفِقُ على دِيْنِكَ ؟!

ويا أخِي ! إنما دينُكَ لحمُكَ ودَمُكَ ، فابكِ على نفسِكَ وَارْحَمْهَا ، فإن أنتَ لم تَرْحَمْهَا لم تُرحَمْ . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فَصْــــلٌ)

وقــال رحمــه الله ولْيَكُنْ جَلِيسُــكَ مَنْ يُزهِـدُكَ في الدنيا ويُرَغِّبُكَ في الآخرةِ ، وإيَّاكَ ومجالسة أهلِ الدنيا الذينَ يَخوضُونَ في حديثِ الدنيا ، فإنَّهم يُفْسِدُونَ عَليكَ دِيْنَكَ وقَلْبَكَ . وأكْثِرْ ذِكْرَ الموتِ .

وأكثِـر الاستغفـارَ مِمَّا قَدْ سَلَفَ مِن ذُنُـوبِـكَ ، وَسَـلِ الله السَّلامةَ والعصمةَ لِمَا قَدْ بَقِيَ مِن عُمُرِكَ . ثم أخِي عَليكَ بأدبٍ حَسَنٍ ، وخُلُقٍ حَسَنٍ .

ولا تُخَالِفَنَّ الجماعَةَ إذا كانوا على السُّنَةِ ، فإنَّ الخيرَ فيها . وانصحْ لِكُلِّ مُؤمنٍ إذا سَألَكَ في أمْرِ دِينِهِ .

ولاَ تَكْتُمنَّ أَحَـداً مِن النصيحةِ شيئاً إذا شَاوَرَكَ فيما كان لله رِضاً ، وإيَّاك أن تَخُونَ مُؤْمِناً ؛ فَمنْ خَانَ مُؤمِناً فَقَدْ خَانَ الله ورَسولَه .

وإذَا أحْبَبْتَ أخــاكَ في الله فابْــذِلْ لَهُ نَفسَــكَ ومَــالَـكَ . وإيَّاكَ والخصوماتِ والجدالِ والمِرَاءَ ، فإنَّكَ تصيرُ ظلوماً خَوَّاناً أثيماً .

وعليك بالصبرِ في المواطن كلِّها ، فإنَّ الصبرَ يَجُرُّ إلى البرِّ ، والبِرُّ يَجُرُّ إلى الجنّةِ .

وإيَّاكَ والحِدَّةَ والغضب ؛ فانهما يَجُرَّانِ إلى الفُجُورِ ، والفُجُورُ يَجُرُّ إلى النَّارِ .

ولا تُمارِيَنَّ عَالِمــاً فَيَمْقُتَــكَ ، وإن الاخْتــلافَ إلى العُلَماءِ رَحْمَــةٌ ، والانقطاعَ عنهم سَخَطُ الرحمن .

فإنهم خُزَّانُ الأنبياء وأَصحَابُ مَوارِيثهم ، وأُمَنَاءُ الله وهُدَاةُ الدِين

« يُرِيد العلماء المتبعون للكتاب والسنة والمطبقون لهما في الأقوال والأفعال » .

لا مَن يُسَموْنَ عُلماء ولَيْسَ بعُلَمَاء لا يُرَى عليهم آثَارَ العِلم فهؤلآء يجب الابتعاد عنهم والتحذير منهم نسأل الله السلامة والعِصْمَة .

وعليكَ بالزهد يُبصِّرْكَ عوْرَاتِ الدُنْيَا ، وعَلَيكَ بالوَرَعِ يُخفِّفُ الله حِسَابَكَ .

ودَعْ كَثيراً مِمَّا يريبُكَ إلى ما لا يَريبُكَ تكُنْ سَالماً ، وادْفَعْ الشَّكَ باليَقِين يَسْلَمْ لكَ دِيْنُكَ .

وأْمـرْ بالمَعـروفِ ، وانـهَ عن المُنكَـر تَكُنْ حَبيْبَ الله ، وأَقِلَّ الفَرَحَ والضَحِكَ تَزْدَدْ قُوَّةً عندَ الله ، واعْمَلْ لآخرَتكَ يَكْفكَ الله أمْرَ دُنْيَاكَ .

وإذا أردتَ أَمْراً مِن أُمُورِ الدنيا فَعَليكَ بالتَّوأُدَةِ ؛ فإنْ رأيتَه مُوافِقاً لآخِرتِكَ فَخذْهُ ، وإلا فَقِفْ عنه ، وسلَ الله العافية وحُسْنَ العَاقِبَةِ .

وإذا هَمَمْتَ بأمرٍ من أمور الآخرة فشمِّرْ إليها مُسْرِعاً مِن قَبْلِ أن يَحُولَ بينَكَ وبينَهَا الشيطان .

ولا تَكـونَنَّ أَكُولاً ، ولا تأكلنَّ بغيرِ شَهْوةٍ ، ولا بغير نِيَّةٍ ، ولا عَلَى شِبَعٍ ؛ فَيَقْسُو قَلْبُكَ . وإيَّاكَ والطمعَ فيما في أيدِي النَّاسِ ، فإنَّ الطَمَعَ هَلاكُ الدين .

وإيَّاكَ والحِرصَ على الدنيا ، فإن الحِرصَ يَفْضَحُ يومَ القِيامةِ . وكُنْ طَاهِرَ القلب نَقِيَّ الجسدِ من الذُّوبِ والخَطَايَا .

نَقيّ اليَدين مِن المـظالم ، سَليمَ القلبِ مِن الغِشِّ والمكر والخِيَانَة ، خَاليَ البَطْنِ مِن الحرامِ ، فأنَّه لا يَدْخُلُ الجنَّةَ لحمٌ نَبتَ مِن سُحْتٍ .

وكُفَّ بَصرَكَ عن عَوراتِ النَّاسِ ، ولا تَمْشِينَ إلى غَيرِ حَاجَةٍ ، ولا تَكَلَّمنَّ بغَيرِ حِكْمَةٍ .

وإيَّاكَ ثُم إيَّاكَ أن تَلِيَ نَفْسَكَ مِن الأمَانة شيئاً ، وقد سمَّاكَ الله ظَلوماً

جهولاً ، وأقِلِ العَثْرَةَ ، وأَقِلَّ الاعتذارَ ، واغفرْ ذنبَ مَن يُرجَى خيْرُهُ ويُؤمَنُ شرُّه .

ولا تُبْغِضْ أحَداً يُطِيعُ الله ورسولَهُ ، ولا تَقْطَعْ رَحِمَكَ ، وصِلْ مَن قَطَعَك ، وصِلْ رَحِمَكَ وإنْ قَطعَتْكَ .

وتَجاوَزْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ تَكُنْ رَفيقَ الأَنبياءِ والشهداءِ ، وأَقِلَّ دُخُولَ السوقِ ، فإنَّ أهلَهُ ذِئابٍ عليهم ثِيَابٌ ، وفي السُوقِ مَرَدَةُ الشياطينِ مِنِ الجنِّ والإِنسِ .

وإذا دَخَلتَها فقلْ : أشهدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا الله وحده لا شريكَ له ، له الملك وله الحمدُ يُحيي ويُميتُ ، وهو حيٌّ لا يموت ، بيده الخير وهو على كلِّ شيءٍ قدير ، اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ وأصحابه أجمعين .

فقد بلغنا عن النبي ﷺ أنه قال : يُكتبُ لِقَائِلَها بعدَدَ مَنْ في السُوق مِن أَعْجَمِي أو فَصِيحٍ عَشرُ حَسَناتٍ . وإيَّاكَ أنْ تُفارِقَ الدَّسَمَ ؛ فإنَّه أتمُّ لِعَقْلِكَ ، ولا تَمنعنَّ نفسَك مِن الحَلاوَةِ إنْ قَدرْتَ ؛ فإنَّه يَزِيْدُ في الحِلْمِ ، وعَلَيْكَ باللّحمِ إنْ وَجَدْتَهُ ، ولا تَدُمْ عَلَيه ولا تَدَعهُ أربعين يَوْماً فَيَسوءَ خُلُقُكَ ، ولا تَردَّ الطِّيبَ ؛ فإنَّه يَزِيْدُ الدِّمَاغَ قُوةً .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فَصْــــلٌ)

وقال رحمه الله وعليكَ باللِّباسَ الخشنِ تَجدْ حلاوةَ الإيمان ، وعليكَ بالصَّوْمِ يَسُدُّ بابَ الفُجور ، ويَفْتَحْ عليكَ بابَ العِبادة ، وعليك بقلَّةِ الكلامِ يَلِنْ قَلْبُكَ . قُلْتُ إلَّا بذكر الله وما والاه .

وعليكَ بطُولِ الصمتِ تملكُ الوَرَعَ ، « أي إلَّا ما فيه نفع أُخْرَوِي أو ما هو وسيلة إليه » ولا تكنْ طعَّاناً ولا مُغتاباً تسلمْ من أَلْسُنِ النَّاسِ .

وكنْ رحيماً تكنْ محبَّباً إلى النَّاس ، وارضَ بما قسمَ الله لك تكنْ غنيّاً ،

وتوكّل على الله تكنْ قويّاً ، وكنْ مُتواضِعاً تستكملْ أعمالَ البِّر .

وكنْ عفـوّاً تظفـر بحـاجتِـك ، وكنْ رحيماً يُتَرَحَّم عليكَ ، وعليك بالسَّخَاء فإنه يَسْتُر العوارتِ .

وعليكَ بكثرةِ المعروف يُؤنسْكَ الله في قَبرِكَ واجتنبْ المحارِمَ كلَّها تَجِدْ حَلَاوةَ الإِيْمان .

وأحِبَّ أهلَ الجنّةِ تكنْ معهم يومَ القيامة وابغضْ أهلَ المعاصي يُحِبُّكَ اللَّهُ والمؤمنون .

واحْرِصْ يا أخِي ! أن يَكُونَ أوَّلُ أمرِك وآخرُه على تقوى الله في السرِّ والعلانية .

واخشَ الله خشية مَن عَلِمَ أنه مَيِّتٌ ومَبْعُوثٌ ومَحْشُورٌ ومَوْقوفٌ بينَ يَديْ الجَبّارِ .

ثم المصيرُ إلى أحدِ الدارينْ ؛ إمَّا إلى جنَّةٍ ناعمةٍ خالدةٍ ، أو إلى نارٍ حاميةٍ مؤبَّدَةٍ دائمةٍ .

وجـالس الفقـراء ، واصحبِ المساكينَ ، وأرضَ بعيشتهم ، وتأسَّ بفقيرِهم ، واصْبر على مُضطَرِّهم .

وكنْ راضياً عن الله بما قسم ، وداخلاً تحتَ ما حكَم ، ساهِراً في جُنحِ الظُّلَمِ . إنْتَهى .

قال يحيى بن أكثم كنتُ أرى شيخاً يَدخُل على المأمون وكان يَخْلُو به خلوةً طويلةً ثم ينصرفُ فلا نسمع له خَبرَا فلما تُوفي .

قال لنا المأمونُ وَاأسَفَا على فقد صَديقٍ مَسْكُونٍ إليه مَوْثوقٌ به وتُقْتَبَسُ منه الفَوائدُ وَالغُرَر قُلْنَا .

ومَن ذاكَ يا أمير المؤمنين قال أما كُنتَ ترى شيخا يأتينَا ونَخْلُوا به مِن دونَ الناسِ قُلْتُ بَلَى قالَ قد تأخر عن إبانهِ وأظن أنه قَدْ ماتَ .

قُلْتُ ومـا في ذلـكَ قال كان صَديقي بخـرسان وكُنْتُ أسْترِيحُ إليه

اسْتِرَاحَةَ المكْرُوب وأجد به ما يوجد بالولد السارَ المحبوب ولقد استمد منه رَأياً أقوم به أَوَدَ المملكة وأصل به إلى رضا الله في سِيَاسَة الرعية .

وآخر ما قال لي عِنْدَ وداعِهِ إذا اسْتَشَنَّ ما بينك وبَيْنَ الله فابْلُلْهُ قُلْتُ بماذا يَا صَاحِبَ الخَيْرِ قال بالاقتداء به في الاحسان إلى عباده فإنه يحب الاحسان مِن عباده إلى عباده كما تحب الاحسان إلى ولدك من حَاشِيَتِكَ .

والله ما أعطاك القُدْرَةَ عليهم إلا لتصير على إحسانك إليهم بالشكر على حَسَنَاتِهِم والتَّغَمُّدَ لسيآتهم وأي شيء أوجه لَكَ عند ربك من أن يكونَ أمامك عدل وإنصاف وإحسان واسْعَافٌ ورأفة ورحمة مَن لِي بمثل هذا القائِل وُاني لي بمن يذكرني ما أنا إليه صائر .

أَلَا إنما الدُّنيا مَتَاعُ غُرورِ … وَدَارُ بَلاءٍ مُؤذِنٍ بثُبُورِ
وَدَارُ مُلِمَّاتٍ وَدَارُ فَجَائِعٍ … وَدَارُ فَناً في ظُلْمَةٍ وبُحُورِ
وَدَارُ خَيَالٍ مِن شُكُوكٍ وَحَيْرَةٍ … ودَارُ صُعُودٍ في الهوى وحُدُورِ
وإنَّ إمرأً لم يَنْجُ فيها بنفْسِه … على مَا يَرى فيها لَغيرُ صَبُورِ
ولا بُدَّ مِن يَومَينِ يوم بَلِيَّةٍ … إرَادَةُ جَبَّارٍ ويَوم نُشُورِ
كأَنِّي بيَوم ما أخَذْتُ تَأَهُّباً … لِرَبِّي رَوَاحِي مَرةً وبُكُورِي
كَفَى حَسْرَةً أن الحوادث لم تزَلْ … تُصَيِّرُ أهْلَ المُلْكِ أهْلَ قُبُورِ
أَلا رُبَّ أبناءِ اتِّسَاعٍ وفَرْحَةٍ … وزَهْرَةِ عَيْشٍ مُونِقٍ وحُبُورِ
وأَبْنَاءِ لَذَّاتٍ وظِلٍّ مَصَانِعٍ … وظِلِّ مَقَاصِيرٍ وظِلِّ قُصُورِ
نَظَرتُ إليهم في بُيوتٍ مِن الثَّرَى … مُسَتَّرَةٍ مِن رَضْرَضٍ بِسُتُورِ
وكَم صُوَرٍ تَحتَ التُرابِ مُقِيمَةٍ … عَلَى غَيرِ أبْشَارٍ وغَيرِ شُعُورِ
ثَوَتْ في سَرَابِيلٍ عليها مِن الحَصى … ومِنْ لَخَفٍ مِن جَنْدَلٍ وصُخُورِ
إذا ما مَرَرْنَا بالقُبور لِحَاجَةٍ … مَرَرْنَا بِدُوْرٍ هُنَّ أَجْمَلُ دُوْرِ
أَلاَ رُبَّ جَبَّارٍ بها مُتَكبرٍ … ويَا رُبَّ مُخْتَالٍ بها وفَخُورِ
خَلِيْلَيَّ كَمْ مِن مَيِّتٍ قد حَضَرْتُهُ … ولكِنَّني لَم أنْتَفِعْ بحُضُورِي

وكَمْ مِن خُطُوبٍ قد طَوتْني كَثيرَةٍ ... وكَمْ مِن أمُـورٍ قَدْ جَرتْ وأمُـورِ
وكَمْ مِن لَيالٍ قد أرَتْني عَجائِباً ... لَهُـنّ وأيَّـامٍ خَـلَتْ وشُهُـورِ
ومَن لَم تَزدْهُ السِّنُ ما عَاشَ عِبْرَةً ... فَذاكَ الذي لا يَسْتَضِيءُ بنُـورِ
مَتى دَامَ في الدُّنيا سُرُوْرٌ لأَهْلِها ... فأَصْبَحَ فِيهـا واثقـاً بسُـرُوْرِ ؟

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيْعَ السَّمواتِ وَالأَرْضِ نَسْأَلُكَ أنْ تُوفِّقَنا لِمَا فِيهِ صَلاحُ دِيْنِنَـا وَدُنْيَانَـا وَأَحسِنْ عاقِبَتَنَـا وَأَكْـرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلجَمِيْعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْــــلٌ)

في مَـآلِ الإِنْسَانِ وَمَصِيْرِه

قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ : بَيْنَمَا الإِنْسَانُ في صِحَّتِه مُتَمَتِّعاً فَرِحاً بِقُوَّتِهِ وَشَبَابِهِ لاَ يَخْطُرُ لَهُ الضّعْفُ عَلى قَلْبٍ وَلاَ المَوْتُ عَلَى بَالٍ إِذْ هَجَمَ عَلَيْهِ المَرَضُ وَجَاءَ الضّعْفُ بَعْدَ القُوَّةِ وَحَلَّ الهَمُّ مِنْ نَفْسِهِ مَحَلَّ الفَرَحِ والكَدَرُ مَكَانَ الصّفَاءِ وَلَمْ يَعُدْ يُؤنِّسُه جَلِيْسٌ وَلاَ يُرِيحُهُ حَدِيْثٌ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ العَلِي العَظِيْمِ قَدْ سَئِمَ وَمَلَّ مِمَّا كَانَ يَرْغَبُهُ فِي أَيّامِ صِحَّتِهِ وَصَارَ لاَ يَشْتَهِي الغِذَاءَ وَيَكْرَهُ تَنَاوُلَ الدَّوَاءِ عَلَى بَقَاءٍ في لبِهِ وَصِحَّتُهُ في عَقْلِهِ يُفَكِّرُ في عُمُرٍ أَفْنَاهُ وَشَبَابٍ أَضَاعَهُ في الفُسُوقِ والعِصْيَانِ وَعِنْدَ المَلاَهِي والمُنْكَرَاتِ .

وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَها وَدُوْراً بَنَاهَا وَقُصُوراً شَيَّدَهَا وَضِيَاعاً جَدَّ وَكَدَّ في حِيَازَتِهَا وَيَتَأَلَّمُ لِدُنْيَا فَارَقَها وَيَتْرُكُ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً يَخَافُ عَلَيْهِمْ الضّيَاعَ مِنْ بَعْدِهِ مَعَ اشْتِغَالِ نَفْسِهِ بِمَرَضِهِ وَآلاَمِهِ وَتَعَلُّقِ قَلْبِهِ بِمَا يُعَجِّلُ شِفَاءَهُ وَلَكِنْ مَا الحِيْلَةُ إِذَا اسْتَفْحَلَ الدَّاءُ وَلَمْ يُفِدِ الدَّوَاءُ وَحَارَ الطَّبِيْبُ وَيَئِسَ الحَبِيْبُ ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيْدُ ﴾ .

عِنْدَ هَذَا يَسْتَشْعِرُ النَّدمَ عَلَى مَا مَضَى وَيُحِسُّ بِعَوَاقِبِ التَّفْرِيْطِ والإِهْمَالِ

وَقَدْ تغيَّرَ لَوْنَهُ وَغَارَتْ عَيْنَاهُ وَمَالَ عُنُقُهُ . وأنْفُهُ وَذَهَبَ حُسْنُهُ وَجَمَالُه وَخَرسَ لِسانُهَ وَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ وَأَصْدِقَائه يَنْظُر وَلاَ يَفْعَلَ وَيَسْمَعُ ولاَ يَنْطق يُقلِّبُ بَصرَهُ فِيْمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَوْلاَدِهِ وَأَهْلِهِ وَإِخْوَتِهِ وَأَقَارِبِهِ وَأَحْبَابِهِ وَجِيْرَانِهِ يَنْظُرُوْنَ مَا يُقَاسِيْهِ مِنْ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ وَلَكِنَّهُمْ عَنْ انْقَاذِهِ أَوْ تَخْفِيْفِ كَرْبِهِ عَاجِزُون .

شِعْرَاً :

أَحَاطَتْ بِهِ أَحْزَانُهُ وَهُمُومُهُ ... وَأَبْلَسَ لَمَّا أَعْجَزَتْهُ المَقَادِرُ
فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ المَوْتِ فَارِجٌ ... وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا يُحَاذِرُ نَاصِرُ
وَقَدْ جَشَأَتْ خَوْفَ المَنِيَّةِ نَفْسُهُ ... تُرَدِّدُهَا مِنْهُ اللَّهَا وَالحَنَاجِرُ
فَكَمْ مُوْجَعٌ يَبْكِي عَلَيْهِ مُفْجَعٌ ... وَمُسْتَنْجِدٌ صَبْراً وَمَا هُوَ صَابِرُ
وَمُسْتَرْجِعٍ دَاعٍ لَهُ اللَّهَ مُخْلِصاً ... يُعَدِّدُ مِنْهُ كُلَّ مَا هُوَ ذَاكِرُ
وَكَمْ شَامِتٍ مُسْتَبْشِرٍ بِوَفَاتِهِ ... وَعَمَّا قَلِيْلٍ لِلَّذِي صَارَ صَائِرُ
وَحَلَّ أَحَبُّ القَوْمِ كَانَ بِقُرْبِهِ ... يَحُثُّ عَلَى تَجْهِيْزِهِ وَيُبَادِرُ
وَشَمَّرَ مَنْ قَدْ أَحْضَرُوهُ لِغُسْلِهِ ... وَوُجِّهَ لَمَّا فَاضَ لِلْقَبْرِ حَافِرُ
وَكُفِّنَ فِي ثَوْبَيْنِ وَاجْتَمَعُوا لَهُ ... مُشَيِّعُهُ إِخْوَانُهُ وَالعَشَائِرُ
فَلَوْ أَبْصَرتْ عَيْنَاكَ أَوْلاَدَهُ الَّذِي ... عَلى فقْدِهِ مِنْهُمْ قُلُوبٌ تَفَطَّرُ
لَعَايَنْتَ مِنْ قبحِ المَنِيَّةِ مَنْظَراً ... يُهَالُ لِمَرْآهُ وَيَرْتَاعُ نَاظِرُ
أَكَابِرُ أَوْلاَدٍ يَهِيْجُ اكْتِئَابُهُمْ ... إِذَا مَا تَنَاسَوْهُ البَنُوْنَ الأَصَاغِرُ
وَرَنَّةُ نِسْوَانٍ عَلَيْهِ جَوَازِعٌ ... مَدَامِعُهُمْ فَوْقَ الخُدُودِ غَوَازِرُ
ثَوَى مُفْرَداً فِي لَحْدِهِ وَتَوَزَّعَتْ ... مَوَارِيْثَهُ أَوْلاده وَالأَصَاهِرُ
وَأَحْنَوا إِلَى أَمْوَالِهِ يَقْسِمُوْنَهَا ... فَلاَ حَامِدٌ مِنْهُمْ عَلَيْهَا وَشَاكِرُ
فَيَا عَامِرَ الدُّنْيَا وَيَا سَاعِيَاً لَهَا ... وَيَا آمِناً مِمَّا تَدُوْرُ الدَّوَائِرُ
سَتَلْقَى الَّذِيْ لاَقَى عَلَى الرَّغْمِ آنِفاً ... فَخُذْ أُهْبَةً وَاحْرِصْ فَمَا لَكَ عَاذِر

وَبَعْدَ أَنْ كَانُوا يُحِبُّونَ حَيَاتَهُ وَبَقَاءَهُ صَارُوا يَتَمَنَّوْنَ مَوْتَهُ وَرَاحَتَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ عَمَّا قَلِيْلٍ مَأْخُوذٌ مِنْ بَيْنِهِمْ حَيْثُ لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى مَنْعِهِ وَلاَ يَسْتَطِيْعُونَ رَدَّ

رُوْحِـهِ إلى بَدَنِه قَالَ تَعَالَى ﴿ فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَت الْحُلْقومَ وَأَنْتُمْ حِيْنَئِذٍ تَنْظُرُوْن وَنَحْنُ أَقْـرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لاَ تُبْصِرُون * فَلَوْلاَ إِنْ كُنْتُم غير مدِيْنِـينَ تَرْجِعُونَهَا اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ ﴾ .

ثُمَّ لاَ يَزَالُ يُعَالِجُ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَشَدَائِدَه وَيَشْتَدُّ بِهِ النَّزْع وَجَعَلَ يُتَابِعُ نَفَسَه وَاخْتَلَّ نَبْضُه وَتَعَطَّلَ سَمْعُه وَبَصَرُه كَمَا تَعَطَّلَ قَبْلَ ذَلِكَ لِسَانُهَ حَتَّى إِذَا جَاءَ الأَجَلُ وَنَفَذَ الْقَضَاءُ وَفَاضَتْ رُوْحُهُ إِلَى السَّماء صَار جُثَّةً هَامِدَةً وَجِيْفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ وَعَشِيْرَتِه قَدْ اسْتَوْحَشُـوْا مِنْ جَانِبِهْ وَتَبَاعَدُوْا وَمَاتَ اسْـمُهُ الَّذِيَ كَانُوا يَعْرِفُونَهُ كَمَا مَاتَ شَخْصُهُ الَّذِي كَانُوا يَأنَسُونَ بِه وأَصْبَحُوا يَقُولُونَ الْمَيِّت بَعْدَ أَنْ كَانُوا يُنَادُونَهُ بِاسْمِهِ حَيًّا .

فَإِنَا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون ثُمَّ أَخَذَ الْغَاسِلُ فَجَرَّدَهُ مِنْ ثِيَابِه وَصَارَ يُقَلِّبُهُ عُرْيَانـاً وَيَضَـعُ يَدَهُ عَلَى سَوْأَتِـهِ وَعَـوْرَتِهِ وَقَدْ كَانَ يَسْتَحِي وَيَخْجلُ مِنْهُ حَالَ حَيَاتِـه . ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَـانِـهِ كَمَا يُدْرجُ الْمَتَاعُ فِي لِفَافَتِه وَبَعْدَ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ يَحْمِلُونَهُ إِلى حُفْرَةٍ عَمِيْقَةٍ ضَيِّقَةٍ مُوْحِشَةٍ وَيَتْرُكُونَهُ وَحِيْداً لاَ أَنِيْسَ وَلا رَفِيْقَ إلا عَمَلُه إنْتَهَىٰ وَوُجِدَ مَكْتُوباً عَلى قَبْرِه :

شِعْرَاً :

فَأَمْسَـوْا رَمِيْمـاً فِي الـتُّرابِ وَعُطِلَّتْ — مَجَالِسُهُمْ مِنْهُمْ وأخلِيْ الْمَقَـاصِـرُ
وَحَـلُّوا بِـدَارٍ لاَ تَـزَاوُرَ بَيْنَهُـمْ — وَأَنَّـي لِسُـكَّانِ الْقُبُـورِ الـتَّزَاوُرُ
فَمَـا أَنْ تَـرَىٰ إلاَّ قُبُـوراً ثَـوَوْا بِهَـا — مُسَـطَّحَةً تَسْفِيْ عَلَيْهَـا الأَعَـاصِـرُ
فَمَـا صَـرَفَـتْ كَـفَّ الْمَنِيَّـة إِذْ أَتَـتْ — مُبَادَرَةٌ تَهْـوِي إِلَيْهَـا الـذَّخَـائِـرُ
وَلاَ دَفَعَتْ عَنْهُ الْحُصُـونُ الَّتِى بَنَى — وَحَفَّـتْ بِهَـا أَنْهَـارُهُ والـدَّسَـاكِـرُ
وَلاَ قَـارَعَـتْ عَنْـهُ الْمَنِيَّـةَ حِيْـلَـةٌ — وَلاَ طَمِعَتْ فِي الذَّبِّ عَنْهَا الْعَسَـاكِرُ
أَتَـاهُ مِـنَ الجَبَّـار مَـالاَ يَـرُدُّه — وأَمْـرٌ قَضَـاهُ اللَّـهُ لاَ بُـدَّ صَـائِـرُ
مَلْيكٌ عَـزِيْـزٌ لاَ يُـرَدُّ قَضَـاؤُهُ — حَكِيْمٌ عَلِيْمٌ نَـافِـذُ الأَمـرِ قَـاهِـرُ

عَنى كُلُّ ذِي عِزّ لِعِزَّةِ وَجْهِهِ فَكَمْ مِنْ عَزِيزٍ لِلْمُهَيْمِن صَاغِرُ
لَقَدْ خَضَعَتْ واسْتَسْلَمَتْ وَتَضاءَلَتْ لِعِزَّةِ ذِي الْعَرْش الْمُلُوكُ الْجَبابِرُ

وَقَفَ بَعْضُ السَّلَف عَلى إنْسَانٍ شَدِيْدِ الْحُزْنِ فَقالَ مِنْ أيِّ شيْءٍ أَنْتَ مَحْزُون قَال لأني أُصِبْتُ في نَفْسِي وَذلِكَ أني قَتلْتُها بالذّنوب فأنَا حَزِيْنٌ عَلَيْهَا ثُمَّ أَسْبَلَ دَمْعَهُ فَقالَ لَهُ مَا يُبْكِيْكَ الآن قال ذَكَرْتُ يَوْماً مَضَى مِنْ أَجَلي لَمْ يَحْسُنْ فِيْهِ عَمَلي فَبُكَائِي لِقِلّةِ الزّادِ وَبُعْدِ الْمَفَازَة وَعَقَبَةٌ لا بُدّ لِيْ مِنْ صُعُودِها ثم لا أَدْري أيْنَ يُهْبطُ بي إلى الْجَنّةِ أمْ إلى النّار ثمّ أنْشَد :

يَا رَاكِباً يَطْوِي مَسَافَة عُمْرِهِ بِاللّهِ هَلْ تَدْرِي مَكَانَ نُزُوْلِكَا
شَمِّرْ وَقُمْ مِنْ قَبْلِ حَظّكَ فِي الثّرَى فِي حُفْرَةٍ تَبْلَى بِطُول حُلُولِكَا

- وَوُجِدَ مَكْتُوباً على قَبْرٍ -

ذَهَبَ الأَحِبَّةُ بَعْدَ طُولِ تَزَاوُرٍ وَنَأَى الْمَزارُ وأسْلَمُوكَ وَأَقْشَعُوا
تَرَكُوكَ أَوْحَشَ مَا تَكونَ بِقَفْرَةٍ لَمْ يُؤْنِسُوكَ وَكُرْبَةٍ مَا نَفَّسُوا
وَقَضَى الْقَضاءُ وَصِرْتَ صَاحِبَ حُفْرَةٍ عَنْكَ الأحِبّةُ أَعْرَضُوا وَتَصَدَّعُوا

آخر : إنَّ الْمَسَاءَةَ لِلْمَسَرَّةِ مَوْعِدُ أُخْتَانِ رَهْنٌ لِلْعَشِيَّةِ أَوْ غَدِ
فَإذَا سَمِعْتَ بِهالِكٍ فَتَيَقَّنَنْ أَنَّ السَّبِيْلَ سَبِيْلُه فَتَزَوَّدِ

آخر : قِفْ بِالْقُبُورِ وَقُلْ عَلى سَاحَتِها مَنْ مِنْكُمْ الْمَغْمُورُ فِي ظُلُمَاتِهَا
وَمَنِ الْمُكَرَّمُ مِنْكُمْ فِي قَعْرِهَا قَدْ ذَاقَ بَرْدَ الأَمْنِ مِنْ رَوْعَاتِهَا
لَوْ جَاوَبُوكَ لأَخْبَرُوكَ بِأَلْسُنٍ تَصِفُ الْحَقَائِقَ بَعْدُ مِنْ حَالاتِها
أَمّا الْمُطِيْعُ فَنَازِلٌ فِي رَوْضَةٍ يُفْضِي إلَى مَا شَاءَ مِنْ دَوْحَاتِهَا
وَالْمُجْرِمُ الطَّاغِي بِهَا مُتَقَلِّبٌ فِي حُفْرَةٍ يَأْوِي إلى حَيَّاتِهَا
وَعَقَارِبٌ تَسْعَى إلَيْهِ فَرُوْحُهُ فِي شِدّةِ التَّعْذِيْبِ مِنْ لَدَغَاتِها

آخر : إنَّ الْحَبِيْبَ مِنَ الأَحْبَاب مُخْتَلَسُ لاَ يَمْنَعُ الْمَوْتَ بَوَّابٌ وَلاَ حَرَسُ

فَكَيْفَ تَفْـرحُ بالـدُّنْيـا وَلَـذَّتِهـا   يـا مَـنْ يُعَـدُّ عَلَيْـهِ اللّفْـظُ والنَّفَسُ
أَصْبَحْتَ يَا غَافِلاً فِي النَّقْصِ مُنْغمِساً   وَأَنْـتَ دَهْـرَكَ فِـي اللَّذَّاتِ مُنْغَمِسُ
لَا يَرْحَـمُ الْمَوْتُ ذَا جَهْـلٍ لِغِـرّتِهِ   وَلا الّـذِي كَـانَ مِنْـهُ الْعِلْمُ يُقْتَبَسُ

آخـــر :

بَيْنَا الشَّفِيْقُ عَلَى إِلْفٍ يُسَرُّ بِهِ   إِذْ صَارَ أَغْمضَهُ يَوْماً وسَجَّاهُ
يَبْكِي عليه قَلِيْلًا ثم يُخْرِجُهُ   فَيُمْكِنُ الأَرض مِنْهُ ثُمّ يَنسْاهُ
وَكُلُ ذِيْ أَجَلٍ يَوْماً سَيَبْلُغُهُ   وكُلُ ذِيْ عَمَل يَوْماً سَيَلْقاهُ

آخـر : كَمْ أَخْرَسَ الْمَوْتُ فِي قَـبْرٍ وَقَفْـتَ بِهِ   عَـنِ الْجَـوَابِ لِسَـاناً مَـا بِـهِ خَـرَسُ
قَدْ كَـانَ قَصْرُكَ مَعْمـوراً لَهُ شَـرَفُ   فَقَبْرُكَ الْيَـومَ فِي الأَجْدَاثِ مُنْدَرِسُ

هَذِهِ الأَبْيَاتُ كُتِبَتْ عَلى قُبُورٍ لِلاعتْبَار فالْبَصِيْرِ هُوَ الذَّيْ يَنْظُرُ إلى قَبْر غَيْرِهِ فَيَرَى مَكَانَه بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ فَيَسْتَعِدّ للحُوقِ بهم وَيَعْلَمُ أَنّهُمْ لا يَبْرَحُونَ مِنْ مَكَانِهِمْ حَتّى يَلْحَقَ بِهِمْ وَلْيَتَحقّقْ أَنّهُ لَوْ عُـرِضَ عَلَيْهِمْ يَـوْمٌ مِنْ أَيّـام عُمُـرِهِ الّذِي هُوَ مَضيّعٌ لَهُ لكَانَ ذَلِكَ الْيَومُ أَحبّ إِلَيْهِمْ مِنَ الدّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا لأَنّهُمْ عَرَفُوا قَدْرَ الأَعْمَارِ وَالْأَعْمَالِ وانْكَشَفَتْ لَهُمْ حَقَائِقَ الأُمُورِ وَإِنَّمَا حَسْرَتُهُمْ عَلى يَوْمٍ مِنَ الْعُمُـرِ لِيَتَدارَكَ الْمُقصِّرُ بِهِ تَقْصِيْرُهُ فَيَتَخلَّصَ مِنَ الْعِقَابِ وَلْيَسْتَزِيْدَ الْمُوفَّقُ بِهِ رُتْبَةً فَيضَاعَفُ لَهُ الثّوابُ .

لا يَحْقِـرِ الرجُـلُ اللَّبِيْبُ دَقِيْقَةً   فِي السَّهْوِ فِيْهَا لِلْوَضِيـعِ مَعَـاذِرُ
فَكَبـائِرُ الرجُلِ الصَّغِيْرِ صَغِيْرَةٌ   وصَغَـائِرُ الرجُـلِ الكبيرِ كَبَـائِرُ

اخر : يا رَبِّ مَا لِي غَيْرِ لَطْفِكَ ملجأ   ولَعَـلّنِيْ عـن بـابِـهِ لا أُطْـرَدُ
يـا رَبِّ هَـبْ لِـيَ تَـوْبَةً أقْضِـي بِهَـا   دَيْنـاً عَـليَّ بِـهِ جَـلالُكَ يَشْـهَدُ
أَنْـتَ الخَـبِيْرُ بِحَـالِ عَبْـدِكَ إِنَّـهُ   بِسَـلاسِـلِ الـوِزْرِ الثَّقِيْـلِ مُقَيَّـدُ
أَسَـفًا على عُمْـرِيَ الَّذِي ضَيَّعْـتُهُ   تَحْتَ الذُنُـوبِ وأَنْتَ فَوقي تَرْصُـدُ

يا رَبِّ قد ثَقُلَتْ عَليَّ كبائر   بإزاءِ عَيْني لَمْ تَزَلْ تَتَردَّدُ
يا رَبِّ إنْ أبْعَدتُ عَنكَ فإنَّ لِي   طَمَعًا برَحْمَتِكَ الَّتي لا تُبْعِدُ
أنْتَ المُجِيْبُ لِكُلِّ دَاعٍ يَلْتَجِيْ   أنْتَ المُجَيرُ لِكُلِّ مَنْ يَسْتَنْجِدُ
مِنْ أيِّ بَحْرٍ غَيْرَ بَحْرِكَ نَسْتَقِى   ولأيِّ بَابٍ غَيْرَ بَابِكَ نَقْصُدُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

وَفِي الْحَدِيْث مَا مِنْ أَحد يَمُوْتُ إلاّ نَدِم : إنْ كَانَ مُحْسِناً نَدِمَ أنْ لاَّ يَكُوْنَ إزْدَادَ ، وَإنْ كَانَ مُسْيئَاً نَدِمَ أنْ لاَّ يَكُونَ نَزَع ، فَإنَّهُمْ إنّما عَرَفُوا قَدْرَ الْعُمُرِ بَعْدَ إنْقِطَاعِهِ فَحَسْرَتُهُمْ عَلى سَاعَةٍ مِنَ الحَيَاةِ وَأنْتَ أيُّهَا الْحَيُّ قَادِرٌ عَلى تِلْكَ السَّاعَةِ وَرُبَّمَا أقْدَرَكَ اللّهُ عَلى أمْثَالِهَا .

ثُمَّ أنْتَ مُضَيّع لِلْوَقْتِ وَقَاتِلٌ لَهُ فِيْمَا لاَ فَائِدَةَ فِيْهِ أوْ فِيْمَا فِيْهِ مَضَرَّةٌ عَلَيْكَ فَوَطِّنْ نفْسَكَ عَلَى النّدَم والتّحَسُّر والتَّلَهُّفِ عَلى تضيِيْعِ الْوَقْتِ عِنْدَ خُرُوجِ الأمْرِ مِن اخْتِيَارِكَ وَعَدَمِ تَمَكُّنِك مِن الْعَمَلِ الصَّالِح .

وَاذْكُرْ قَوْل اللَهِ جَلَّ وَعَلا ﴿ أنْ تَقُوْلَ نَفْسٌ يَا حَسْرتَا عَلَى مَا فَرّطتُ في جَنْبِ اللَهِ وَانْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِيْن ﴾ الآيات وَقَوْلَهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ وأنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْل أنْ يَأتِي أحَدكُم الْمَوْت فَيَقُولَ رَبِّي لَوْلاَ أخْرَتَنِي إلَى أجَلٍ قَرِيْبٍ فأصَّدَّقَ وَأكُنْ مِنَ الصَّالِحْينَ ﴾ وقولَهُ تَعالى ﴿ وَأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إذْ قُضِيَ الأمْر وَهُمْ في غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمُنونَ ﴾ وَقَوْله تَعَالَى ﴿ يَوْم تَبْلُو كُلّ نَفْسٍ مَّا أسْفَلت ﴾ الآيَة وَقَوْلَهُ ﴿ واتّقوا يَوْماً تُرجَعُونَ فِيْهِ إلى اللَه ثُمّ تُوَفى كُلُّ نَفْسٍ مّا كَسبتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُون ﴾ .

وَنَحو هَذِهِ الآيَاتِ الّتِي هِيَ بالْحَقِيْقَةِ لمَنْ تَدبَّرهَا أبْلَغُ مِنَ السّيَاطِ ،

في الْحَثِّ عَلَى التَّزَوّدِ لِلْمَعادِ وَصِيَانَةِ الوَقْتِ وصَرْفِهِ فِيْما يُقَرِّبُ إلى اللّه جَلَّ وَعَلا .

وقال الشيخ سعدُ بنُ عتيق رحمه الله تعالى ناظماً المفاتيحَ التي ذكرها ابنُ القيم رحمه اللهُ تعالى في كتابِهِ حادِي الأرواح .

حَمِدتُ الذي يـوْلِي الجَمْيلَ وَيُنْعِمُ
لَـهُ الفَضْلُ يُؤْتِيْ مَنْ يَشَـاءُ وَيُكْـرِمُ
وأزْكَـى صَــلاةِ الـلهِ ثـم سَــلاَمُـهُ
عَـلى خَيْــرِ مَـخْلُوقٍ عـليــهِ يُسَـلَّمُ
مُحَمَّــدٍ الهـادِي وأصْحَــابِـهِ الأُولَى
بِحُسْنِ اجْتِـهَــادٍ عُلِّمُــوْا وتَـعَلَّمُــوْا
وَبعْــدُ فَقَـدْ عَنَّ الــوَفَـاءُ لِسَــائِلٍ
بِــوَعْــدِيَ إيَّــاهُ بــأنّــي أنْــظِمُ
مَفَـاتِيْـحَ كَــانَتْ لِلشُّـرُورِ وضِــدِّهَا
فَقَـدْ فَـازَ مَن بـالْخَيْـرِ وَالشَّـرِ يَعْلَمُ
وَأَضْحَى بِمَا يَدْرِيْ مِن الحَقِّ عَامِلاً
فَكُنْ عَـامِلاً بـالعِلْمِ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ
وَقَـدْ جَعَـلَ الْمَــولى لَهُنَّ مَفَـاتِحَـاً
تُـنَـالُ بَهـا والـلهُ بــالـحق أعْـلَمُ
فَمِفْتَـاحُ شَـرْعِيّ الصَّـلاةِ طُهُـوْرُنَـا
وَيَفْتَــحُ حَجاً مُحْــرِمٌ حِيْنَ يُحْــرِمُ
وبـالصِّـدْقِ فَتْـحُ البِـرّ وَالعِلْمُ فَتْحُهُ
بِــحُسْــنِ سُؤَالٍ عَـنْ فَتَـى يَـتَـعَلَّمُ

وَمُسْتَحْسنِ الاصْغَاءِ والنَّصْرُ فَتْحُـهُ
مَعَ الظَّفَرِ الْمَحْمُودِ بالصَّبْرِ فـاعْلَمُوا
وَتَـوْحِيْدُنَـا لِلهِ مِفْتَـاحُ جَنَّـةِ النَّـ
نَعِيْمِ فبـالتَّـوْحِيـدِ دِيْنُـوا تَنَعَّمُـوا

وبـالشُّكْرِ لِلنَّعْمَـاءِ فَتْـحُ زِيَـادَةٍ
وَيَحْصُـلُ حُبُّ والـوِلاَيـةُ تُغْنَمُ
بِمِفْتَاحِهِ الـذِّكْرُ الشَّـرِيْفُ وَذُو التُّقى
يَـنَـالُ بِـتَقْـوَاهُ الـفَـلاَحَ وَيُكْـرَمُ
وَمِفْتَـاحُ تَـوْفِيقِ الفَتَى صِدقُ رَغْبَةٍ
وَرَهْـبَتِـهِ ثُـمَّ الـدُّعَـاءُ الـمُكَـرَّمُ
لَـدَى اللهِ مِفْتَاحُ الاجـابَـةِ واعْلَمَنْ
بِـأَنَّ جَمِيْلَ الـزُّهْـدِ لِلْعَبْـدِ مَغْنَمُ
وَيُفْتَـحُ لِـلْعَبْـدِ التَّجَلِي بِـرَغْبَـةٍ
بِـدَارِ البَقَـاء فـازْهَـدْ لَعَلَّكَ تَغْنَمُ
وَمِـفْتَـاحُ إِيْـمَـانِ العِبَـادِ تَفَـكُّـرُ
بِمَـا كَـانَ رَبُّ العَـالَمِيْنَ دَعَـاهُم
إِلَـى نَـظَرٍ فِيْـهِ وَأَنْ يَـتَفَـكَّـرُوْا
بِـهِ وَدُخُـوْلُ العَبْـدِ ذَاكَ المُفَـخَّمُ
عَـلَى رَبِّـهِ مِفْـتَـاحُ ذَاكَ سَـلاَمَـةٌ
وَإِسْـلاَمُ قَلْبٍ لِـلإِلَـهِ فَـأَسْلِمُـوْا
وَمَـعَ ذَاكَ إِخـلاصٌ بِحُبٍّ وَبُغْضِـهِ
وفِـعْـلٍ وَتَـرْكٍ كُـلُ ذَلِـكَ يَـلْزَمُ

وَيُحْيِيْ قُلُوْبَ العَـارِفِيْنَ تَضَـرُّعٌ
بِـأَوْقَـاتِ أَسْحَـارٍ فَكُنْ أَنْتَ مِنْهُمُ
كـذا الـوَحْيُ إذْ يُتْلَى بِحُسْنِ تَـدَبُّـرٍ
وَتَـرْكُ الـذُنُـوبِ فَهِيَ لِلْقَلْبِ تُؤْلِمُ

وإحســانُ عَبْـدٍ فـي عِبَـادَةِ رَبِّـهِ
وَنَـفْـعُ العِبَـادِ والقِيَـامُ عَـلَيْـهِـمُ
لإِصْلاَحِهِمْ مِفْتاحُ تَحْصِيْلِ رَحْمَةِ الْـ
إلـهِ فَـلاَزِمْ ذَا لَـعَـلَّكَ تُـرْحَـمُ
وَمِفْتَـاحُ رِزْقِ العَبْدِ سَعْيٌ مَعَ التُّقَى
وَكَثْـرَةُ الاسْتِغْفَـارِ إذْ هُـوَ مُجْـرِمُ
وَمِفْتَـاحُ عِزِّ العَبْـدِ طَـاعَـةُ رَبِّـهِ
وَطَـاعَـةُ خَيْـرِ المُـرْسَلِيْنَ فَعَـظِّمُـوْا
وَمِفْتَـاحُ الاسْتِعْـدَادِ مِنْـكَ لِمَـا لَـهُ
تَصِيْـرُ مِن الـدَّارِ الَّتِيْ هِيَ أَعْـظَمُ
هُـوَ القَصْـرُ لِـلآمَـالِ والْخَيْـرُ كُلُّهُ
فَمِفْتَـاحُـهُ رَغْبٌ مِن العَبْـدِ يُعْـلَمُ
بِمَـوْلاَهُ والـدَّارِ الَّتِـيْ بَعْـدَ هَـذِهِ
وَمِفْتَاحُ كُـلِّ الشَّـرِّ إنْ كُنْتَ تَفْهَمُ
إطَـالَتُكَ الآمـالَ فـاحْذَرْ غُـرُوْرَهَـا
وَحُبُّـكَ لِلدُّنْيَـا الـتِي تَـتَـصَـرَّمُ
وَمِفْتَـاحُ نَـارِ الخُلْدِ شِـرْكٌ بِـرَبِّنَـا
وَكِبْـرُ الفَتَى فـالكِبْـرُ حُـوْبٌ مُعَظَّمُ

وإعْـرَاضُـه عَمَّـا عَنِ اللهِ قـد أَتَى
بِهِ المُصْطَفَى الهَـادِي النبيُ المُكَرَّمُ
وَغَـفْـلَتُـهُ عَــنْ ذِكْـرِهِ وَقِيَـامِـهِ
بحقٍ لِـذِي العَـرْشِ المَلِيْـكِ يُحَتَّمُ
وَمِفْتَـاحُ إثْمٍ يُـوْبِقُ العَبْـدَ مُسْكِرٌ
مِن الْخَمْـرِ فـاحْـذَرْهَـا لَعَلَّكَ تَسْلَمُ
وَمِفْتَاحُ ذِيْ المَقْتِ الزِنَا سَيّءُ الغِنَا
وَذَلِـكَ قُـرْآنُ الـلَّعِيْـنِ وَمَـأْثَـمُ
وإطلاقُ طَرْفِ الشَّخْصِ مفْتَاحُ عِشْقِهِ
لِمُسْتَحْسَنِ الأَشْبَـاحِ فَهُـوَ مُحَـرَّمُ
وبالكَسَل الْمَذْمُوْمِ مَعَ رَاحَـةِ الفَتَى
يخِيْبُ وَكُـلُّ الخَيْرِ لَا شَـكَّ يُحْـرَمُ
وَمِفْتَـاحُ كُـفْـرَانِ الْفَتَى وَبَـرِيْـدُهُ
مَعَـاصِيْهِ والعَـاصِيْ قَـرِيْبـاً سَيَنْـدَمُ
وَبَــابُ نِفَـاقِ العَبْـدِ يَفْـتَحُـهُ إذَا
يَكُـونُ كَـذُوْبَـاً والكَـذُوْبُ مُـذَمَّمُ
وشُـحُّ الْفَتَى والحِرْصُ مِفْتَاحُ بُخْلِهِ
وَمِفْتَاحُ أَخْذِ المَـالِ مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُ
بَـأَنْ لَيْسَ حِـلاً مَـعْ قَـطِيْعَـةِ رَحْمِـهِ
وَكُـلُّ ابْـتِـدَاعٍ فـي الْـخَلِيْـقَـةِ يُـعْـلَمُ
فَمِفْتَـاحُـهُ الإعْـرَاضُ عَمَّـا أَتَى بِـهِ
نَـبِيُ الْـهُـدَى مِنْ سُنَّـةٍ نَـتَـعَـلَّمُ

واخْتِمُ قَوْلِي في القَرِيْضِ بِأَنَّنِي
أُصَلِيْ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى وَأُسَلِّمُ
وآلٍ مَعَ الصَّحْبِ الْكِرَامِ الذين هم
لِمُقْتَبِسٍ عِلْمَ الشَّرِيْعَةِ أَنْجُمُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللهِ اتَّقُوا الله تعالى واحْمَدُوْهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ وارْغَبُوْا إِلَيْهِ في حِرَاسَةِ النِّعَم عن الزَّوَالِ فإنَّ نِعَمَ اللهِ قَدْ عَمَّتِ الْبَوَادِيَ وَالأَمْصَارَ وإنَّ نِعَمَ اللهِ لاَ تُعَدُّ ولا تُحْصَى ولا تُحَدُّ بِمِقْدَارٍ .

قال تعالى ﴿ وإنْ تَعُدُّوْا نِعمَةَ اللهِ لا تُحْصُوْهَا إنَّ الإنسانَ لَظَلُومٌ كَفَّار ﴾ فكَمْ أَسْدَى مَعْرُوْفاً وكَمْ أَغَاثَ مَلْهُوْفاً فاشْكُرُوْا آلاءَ اللهِ وَاذْكُرُوْهُ كَثِيْراً قال تعالى ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوب ﴾ .

وهُبُّوْا مِنْ هَذِهِ الرَّقْدَةِ وَالمَقَامِ واحْذَرُوْا الأَهْوَاءَ فإنَّهَا تُوْرِثُ المَهَالِكَ وَالمَذَامَّ ، والْزَمُوْا طَاعَةَ الْمَلِكِ العَلاَّمِ ، واغْتَنِمُوْا بَقِيَّةَ العُمُرِ وَالأَيَّامِ ، وَبَادِرُوْا بالتَّوْبَةِ مِنَ الْمَعَاصِي والإجْرَامِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَومٌ تَشَقَّقُ فِيْهِ السَّمَاءُ بالغَمَام وَتَظْهَرُ فِيه الخَفَايَا والدَّوَاهِي والأَهْوالُ الطَّوَام ، وتُنَكِّسُ فِيْهِ الظُّلَمَةُ رُؤُوْسَهَا وَيعْلُوهَا الذُّلُ مِن الرُّؤُوْسِ إلى الأَقْدَمِ وَيَتَجلَّى لِفَصْلِ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ حَاكِمُ الحُكَّام .

قال تعالى ﴿ وَأَشْرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الكِتَابُ وَجِيْءَ بالنَّبِيِّيْنَ والشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالحَقِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُون وَوُفِيَتْ كُلُّ نَفْسٍ

ما عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُون ﴾ ونُودِيَ أَيْنَ الظَّلَمةُ وأَعْوانُ الظَّلَمَةِ وَمَنْ كَانَ لَهُمْ على الْمَعَاصِي وُثُوبٌ وَإِقْدَامُ فَيَالَهُ مِنْ يَوْمٍ مَا أَطْوَلَهُ وَمِن بَلَاءٍ مَا أَهْوَلَهُ وَمِنْ حِسَابٍ مَا أَثْقَلَهُ وَمِنْ عَذَابٍ مَا أَعْضَلَهُ وَمِنْ جزاءٍ مَا أَجْزَلَهُ وَمِنْ حَاكِمٍ مَا أَعْدَلَهُ .

هُنَالِكَ شَابَ الْوَلِيْدُ وَحَقَّ الْوَعِيْدُ وَعَظُمَ الْهَوْلُ الشَّدِيْدُ قَالَ تَعَالَى ﴿ وجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيْدٌ ، لَقَدْ كُنْتَ في غَفْلَةٍ مِن هَذا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيْدٌ ﴾ وَخَضَعَتِ الرِّقَابُ وَذَلَّ كُلُّ فَاجِرٍ كَذَّابٍ وَرَجَعَ الأَشْقِيَاءُ بالخُسْرَانِ والتَّبَابِ فالسعيدُ مَن اسْتَعْمَلَ نَفْسَهُ في طَاعةِ الْمَلِكِ الْمَعْبُوْدِ وَخَافَ أَنْ لَا يَنْجُو مِن النَّارِ بَعْدَ الْوُرُوْدِ .

فانْتَبِهْ أَيُّهَا العَبْدُ لأَيَّامِ شَبَابِكَ قَبْلَ فِرَاقِ أَحْبَابِكَ وَاحْفَظْ أَيَّامَ عُمُرِكَ قَبْلَ حُلُولِ قَبْرِكَ واغْتَنِمْ حَيَاتَكَ قَبْلَ أَوَانِ وَفَاتِكَ فَإِنَّ العُمُرَ بالسِّنِيْنَ يُنْهَب والأَجَلَ بِمُرُوْرِ الليالي والأيَّامِ يَذْهَب .

شِعْرا :

لِمَن وَرْقَاءُ بالوَادِي المَرِيْعِ   تَشُبُّ بِهِ تَبَارِيْحُ الضُلُوعِ
على فَيْنَانَةٍ خَضْراءَ يَصْفُـوْ   على أَعْطَافِهَا وَشْيُ الرَّبِيْـعِ
تُرَدِدُ صَوْتَ باكِيَةٍ عليهـا   رَمَاهَا الموتُ بالأَهْلِ الجَمِيْعِ
فَشَتَّتَ شَمْلَهَا وأَدَالَ مِنـهِ   غَرَاماً عَاثَ في قَلْبٍ صَرِيْعِ
عَجِبْتُ لَهَا تَكَلَّمُ وهْيَ خَرْسَا   وتَبْكِي وهْيَ جَامِدَةُ الدُّمُوعِ
فَهِمْتُ حَدِيْثَهَا وفَهِمْتُ أَنِّي   مِن الخُسْرانِ في أَمْرٍ شَنِيْعِ
أَتَبْكِي تِلْكَ أَنْ فَقَدَتْ أَنِيساً   وتَشْرَبُ منه بالكَأْسِ الفَظِيْعِ
وَها أنَا لَسْتُ أَبْكِي فَقْدَ نَفْسِي   وتَضْيِيْعِي الحَيَاةَ مَعَ المُضِيْعِ
ولَوْ أَنِّي عَقَلْتُ اليَوْمَ أَمْرِيْ   لأَرْسَلْتُ المَدامِعَ بالنَّجِيْـعِ

أَلاَ يَا صَاحِ والشَّكْوَى ضُرُوْبٌ   وذِكْرُ المَوتِ يَذْهَبُ بالهُجُوْعِ
لَعَلَّكَ أَنْ تُعِيْرَ أَخَاكَ دَمْعاً   فما في مُقْلَتَيْهِ مِن الدُمُوْعِ

آخـر :

ما زُخْرُفُ الدُنيا وَزُبْرُجُ أَهْلِهَا   إِلَّا غُرُوْرٌ كُلُّهُ وَحُطَـامُ
وَلَرُبَّ أَقْوَامٍ مَضَوْا لِسَبِيْلِهِمْ   وَلَتَمْضِيَنَّ كَمَا مَضَى الأَقْوَامُ
وَلَرُبَّ ذِيْ فُرُشٍ مُمَهَّدَةٍ لَهُ   أَمْسَى عَلَيْهِ مِن التُّرَابِ رُكَامُ
والموتُ يَعْمَلُ والْعُيُونُ قَرِيْرَةٌ   تَلْهُوْ وَتَلْعَبُ بالمُنَى وَتَنَامُ
كُلٌ يَدُوْرُ عَلَى الْبَقَاءِ مُؤَمِلًا   وَعَلَى الفَنَاءِ تُدِيْرُهُ الأَيَّـامُ
والدَائِمُ الْمُلْكُوتِ رَبٌّ لَمْ يَزَلْ   مَلِكاً تَقَطَّعُ دُوْنَهُ الأَوْهَامُ
فَـالـحَـمْـدُ لِـلّهِ الـذِيْ هُـوَ دَائِـمٌ
أَبَـداً وَلَـيْـسَ لِـمَـا سِـوَاهُ دَوَامُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الإِيْمَان واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللَّهْ قَدْ حَثَّنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ أَنْ نَكُونَ اخْوَانَاً مُتَرَاحِمِيْنَ مُتَعَاوِنِيْنَ مُتَحَابِيْنَ مُتَعَاطِفِيْنَ يُحِبُّ كُلُّ مِنَّا لِأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه وَيَسْعَى في ذَلِك أَخْرَجَ الْبُخَارِي وَمُسْلِمُ في صَحِيْحِهِمَا عَنْ أَبِي مُوْسَى الأَشْعَرِيُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللّه صَلى اللّهُ عليهِ وَسَلَّمَ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدّ بَعْضُه بَعْضا وَشَبك بَيْنَ أَصَابِعِه .

وَكُلُّ صَدِيْقٍ لَيْسَ فِي اللهِ وِدُّهُ   فَإِنِّيْ بِهِ فِي وِدِّهِ غَيْرُ واثِـــقِ

آخــــر :

إِذَا حَقَقْتَ فِي وِدٍ صَدِيْقــاً   فَزُرْهُ وَلَا تَخَفْ مِنْهُ مِــلَالَا
وَكُنْ كالشَّمْسِ تَطْلُعُ كُلَّ يومٍ   وَلَا تُكُ فِي مَوَدَّتِهِ هِــلَالَا

وَأَخْرَجَ البُخَارِيُّ أَيْضَا فِي صَحِيْحِهِ عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُه وَلَا يُسْلِمُه وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيْهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهْ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمَاً سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فِي الحديث الأَوَّلِ ما يُفِيْدُ أَنَّ المُؤْمِنِيْنَ مِن شَأْنِهِم التَّنَـاصُرُ والتَّنَاصُحُ والتَّكَاتُفُ والتعاون على مَصَالِحِهِمْ العَامَةِ والخَاصَةِ وَأَنْ يَكُونُوا مُتَراحِمِيْنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُساعِدُ أَخَاهُ وَيُعَاوِنُهُ على ما يُصْلِحُ حَالَهُ وَيُصْلِحُ حَالَ الجَمِيْعِ كَمَا فِي الحَدِيْثِ الآخَرِ مَثَلُ المُؤْمِنِيْنَ فِي تَوادِّهِم وَتَراحُمِهِم وَتَعاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ إذا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَداعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالحُمَّىٰ والسَّهَرِ .

وَكَمَا وَصَفَهُم اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ والَّذِيْنَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ على الكفارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ وفي الحديث الآخرِ « المُؤْمِنُ أَخُو المُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوْطُهُ مِن وَرَائِهِ » .

وَمِنْ مُقْتَضَى الأُخُوَّةِ فِي الدِيْنِ أَوِ النَّسَبِ أَنَّهُ لَا يَظْلِمُ أَخَاهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَيَسْعَىٰ لِتَفْرِيْجِ مَا نَزَلَ بِهِ مِنْ كَرْبٍ وَمَا حَلَّ بِهِ مِنْ ضَيْمٍ وَمَا انْتَابَهُ مِنْ هَمٍ وَغَمٍّ وَعُسْرٍ وَضِيقٍ وَلَا يَسْعَىٰ لِهَتْكِ عِرْضِهِ وَنَشْرِ سِرِّهِ وَالتَّشْهِيْرِ بِهِ .

وَمَحَلُّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ مِنْ ذَوِيْ الهَيْئَاتِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ لَيْسَ مَعْرُوْفاً

بالفُجُوْرِ والفِسْقِ والمُجاهَرَةِ بِالمَعَاصِيْ وَهَذَا في سَتْرِ مَعْصِيَـةٍ وَقَعَتْ وَانْقَضَتْ .

أَمَّا إِذَا عَلِمَ مَعْصِيَتَهُ وَهُوَ مُتَلَبِسٌ بِهَا فَتَجِبُ المُبَادَرَةُ بالإِنْكَارِ عَلَيْهِ وَمَنْعُهُ مِنْهَا والحَيْلُولَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا بِحَسَبِ الإسْتِطَاعَةِ فإِنْ عَجِزَ لَزِمَهُ رَفْعُهَا إلى وَلِيِ الأَمْرِ إِنْ لَمْ يَتَرَتَّبْ عَلَىٰ ذَلِكَ مَفَاسِدُ أَعْظَمُ مِنْهَا لأَنَّ السَّتْرَ عَلَيْهِ يُطْمِعُهُ في الفَسَادِ وَيُجرِئُهُ عَلى انْتِهاكِ الحُرُمَاتِ واسْتِرْسَالِهِ في طُرُقِ الغَيِ والفَسَادِ والضَّلالاتِ .

وَهَذَا مِن بَابِ النَّصِيْحَةِ والأَمْرِ بالمَعْرُوْفِ والنَّهْيِ عن المُنْكَرِ ثُمَّ بَيَّنَ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ في حَدِيْثِ ابنِ عُمَرَ وَصْفَ المُسْلِمِ لأَخِيْهِ المُسْلِمِ بأَنَّهُ لا يَظْلِمُهُ في نَفْسِهِ وَلاَ فِي عِرْضِهِ وَلاَ فِي مَالِهِ والظُّلْمُ مُحَرَّمٌ بِسَائِرِ أَنْوَاعِهِ .

وَأَخْرَجَ الطَّبَرانِيُ عَنْ أَوْسِ بنِ شُرَحْبِيْلٍ أَنَّ النبيَ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ قالَ مَن مَشَى مَعَ ظَالِمٍ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الإِسلامِ فَهَذَا وَعِيْدٌ شَدِيْدٌ لأَعْوَانِ الظَّلَمَةِ وَمُسَهِّلِيْ مُصَالِحِهم وَمُوَطِّدِي طُرقِهِمْ الدَّالِينَ لَهُمْ على عَوْرَاتِ المُسْلِمِيْنَ .

فَمَا الظَّنُ بِحَالِ الظَّلَمِةِ إِذَا جَاءَ الحَكَمُ العَدْلُ لِلْفَصْلِ بَيْنَ عِبَادِهِ وَشُوْفِهَ الظَالِمُ بِمَا جَنَى وَأَيْقَنَ بالعَذَابِ وَتَمَنَّى أَنَّهُ تَخَلَّصَ مِنْ مَظَالِمِه في الدُنْيَا .

وَلِهَذَا أَمَرَنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَصْرَةِ المَظْلُومِ والأَخْذِ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ وَكَفِّهِ عن ظُلْمِهِ وَمَنْعِهِ مِن جَوْرِهِ وفي الحَدِيْثِ الآخرِ يَقُولُ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّم « انْصُرْ أَخاكَ ظَالماً أَوْ مَظْلُوماً قالوا يا رسولَ اللهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُوماً فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِماً قال تَأْخُذُوْا على يَدِهِ » .

وَهُوَ كِنَايَةٌ عن مَنْعِهِ مِن الظُلْمِ بالفِعْلِ كالاسْتِعَانَةِ عَلَيْهِ بِرَفْعِهِ لِوُلاَةِ

الأُمورِ وَرَفْعِهِ لِلْحُكَّامِ حَيْثُ لَمْ يُؤَثِّرْ فِيْهِ النُّصْحُ بـاللِّسَانِ وَضُـرُوْبِ الكلام .

وَمِنَ النُّصْرَةِ لِلْمَظْلُومِ إِعَانَتُهُ والسَّعْيُ لِرَفْعِ ظَلاَمَتِهِ والضَّرْب على يَدِ الظَّالِمِ وَكَفِهِ عن ظُلْمِهِ فَهَذَا نُصْرَةٌ لَهُ عَلى شَيْطَانِهِ الذِي يُغْوِيْهِ وَيُوْرِدُهُ المَهَالِكَ وَيُوْقِعُهُ في المآزِقِ والوَرْطَاتِ التِي يَصْعُبُ التَّخَلُّصُ مِنْهَا وَنُصْرَةٌ لَهُ على نَفْسِهِ الشرِيْرَةِ التِي تَأْمُرُهُ بالفَحْشَاءِ .

شعــــرا :

وَإِيَّاكَ والأَمْرَ الذيْ إنْ تَوسَّعَتْ مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ المَصَادِرُ

فما حَسَنٌ أنْ يُعْذِرَ المَرْءُ نَفْسَهُ ولَيْسَ لهُ مِنْ سَائِرِ الخَلْقِ عَاذِرُ

والعاقِلُ اللَّبِيْبُ مَنْ يَتَحلَّل مِن أَهْلِ المَظَالِمِ في دُنْيَاهُ قَبْلَ الآخِرَةِ ولا يَدَعُ حَقاً لأَحَدٍ عَلَيْهِ بَلْ يُسَارِعُ لأَدَاءِ مَا في ذِمَّتِهِ وَيَطْلُبُ المُسَامَحَةَ مِمَّنْ حَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مُنافَسَةٌ أَوْ مُنَازَعَةٌ أَوْ مُعَامَلَةٌ مِنْ جَارٍ أَوْ زَوْجَةٍ أَوْ قَرِيْبٍ أَوْ بَعِيْدٍ .

قَبْلَ أَنْ يَقِفَ ذَلِكَ المَوْقِفَ الرَّهِيْب في يَومٍ يَجْعلُ الوِلْدَانَ شِيْبًا السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كان وَعدُهُ مَفْعُولا ﴿ يومَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَفْسِهَا وتُوَفى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُوْنَ ﴾ .

وفي حديث أبي هريرةَ عندَ مُسْلمٍ لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوْقُ إِلَى أَهْلِهَا يَومَ القِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّـاةِ الجَلْحَاءِ مِن الشَّاةِ القَرْنَاءِ وَقَدْ عَقَدْنَا فَصْلاً كَامِلاً لِبَيَانِ الظُّلْمِ وَأَنْوَاعِهِ وَأَدِلَّةِ تَحْرِيْمِهِ والتَّحْذِيْرِ مِنْه في الجزء الثالث من الكتاب ص ١٠٥ .

وقال أَبُو هُرِيرةَ مَكْتُوبٌ في التَّوْرَاةِ يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ وَرَاءِ الجِسْرِ يَعْنِي الصِرَاطَ يَا مَعْشَرَ الجَبَابِرَةِ الطُّغَاةِ وَيَا مَعْشَرَ المُتْرَفِيْنَ الأَشْقِيَاءِ إِنَّ اللهَ يَحْلِفُ بِعِزَّتِهِ وَجَلاَلِهِ أَنْ لاَ يُجَاوِرَ هَذَا الجِسْرَ ظَالِمٌ .

شِعْرًا : ثَلاَثَةٌ فِيْهِنَّ لِلْمُلْكِ التَّلَفْ الظُّلْمُ والإِهْمَالِ فِيْــهِ وَالسَّرَفْ

وَعَنْ جَابِرٍ قال لَمَّا رَجِعَتْ مُهَاجِرَةُ الحَبَشَةِ عَامَ الفَتْحِ إلى رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلَّمَ قال أَلاَ تُخْبِرُوْنِي بأعْجَبَ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ فَقَالَ فِتْيَةٌ كَانُوا مِنْهُمْ بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ إِذْ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِن عَجَائِزِهِمْ تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ فَمَرَّتْ بِفَتىً مِنْهُمْ فَجَعَلَ إحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كتفيها ثم دَفَعَهَا فَخَرَّتْ الْمَرْأَةُ على رُكْبَتَيْهَا وانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا .

فَلَمَّا قَامَتْ التفتتْ إليهِ ثُمَّ قَالَتْ سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غَادِرُ إِذَا وَضَعَ اللهُ الكُرْسِيَّ وَجَمَعَ اللهُ الأَوَّلِيْنَ والآخِرِيْنَ وَتَكَلَّمَتْ الأَيْدِي والأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون ، سَوْفَ تَعْلَمُ مَنْ أَمْرِيْ وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَداً .

قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ صَدَقَتْ كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ قَوْماً لا يُؤْخَذُ مِنْ شَدِيْدِهِم لِضَعِيْفِهِم .

ورُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « خَمْسَةٌ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ إنْ شَاءَ أَمْضَى غَضَبَهُ عَلَيْهِمْ في الدُنْيَا وإلا أَمَرَ بِهِمْ في الآخِرَةِ إلى النارِ .

أَمِيْرُ قَوْمٍ يَأْخُذُ حَقَّهُ مِنْ رَعِيَّتِه وَلاَ يُنْصِفُهُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَلاَ يَدْفَعُ الظُلْمَ عَنْهُمْ .

وَزَعِيْمُ قَوْمٍ يُطِيْعُونَهُ ولا يُسَاوِيْ بَيْنَ القَوِيِّ والضَّعِيْفِ وَيَتَكَلَّمُ بالهَوَى وَرَجُلٌ لا يَأْمُرُ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ بطَاعَةِ اللهِ ولا يُعَلِمُهُمْ أَمْرَ دِيْنِهِمْ .

وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيْراً فاسْتَوْفَى مِنْهُ العَمَلَ وَلَم يُوَفِّهِ .

وَرَجُلٌ ظَلَمَ امْرَأَتَهُ صَدَاقَهَا وعن عَبْدِ اللهِ بنِ سَلاَمٍ قال إن اللهَ

تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الخَلْقَ واسْتَمَرُّوْا عَلَى أَقْدَامِهِم رَفَعُوْا رُؤُسَهُم إلى السَّمَاء وقالُوا يَا رَبُّ مَعَ مَنْ أَنْتَ قَالَ مَعَ المَظْلُومِ حَتَّى يُؤَدى إليه حَقَّهُ .

وَقِيْلَ لَمَّا حُبِسَ خَالِدُ بْنُ بَرْمَكٍ وَوَلَدُهُ قَالَ يَا أَبَتِيْ بَعْدَ العِزِّ صِرْنَا في القَيْدِ وَالحَبْسِ فقالَ يَا بُنَيَّ دَعْوَةُ مَظْلُومٍ سَرَتْ بِلَيْلٍ غَفَلْنَا عَنْهَا وَلَمْ يَغْفَلِ اللهُ عَنْهَا وكانَ يَزِيْدُ بنُ حَكِيْمٍ يَقُولُ مَا هِبْتُ أَحَداً قَطُّ هَيْبَتِي رَجُلاً ظَلَمْتُهُ وأنَا أَعْلَمُ لَا نَاصِرَ لَهُ إلا اللهُ يقولُ : حَسْبِيَ اللهُ ، واللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ .

وَعَن أَبِي أُمَامَةَ قَالَ يَجِيءُ الظَّالِمُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى إذَا كَانَ على جَسْرِ جَهَنَّمَ لَقِيَهُ المَظْلُوَمُ وَعَرَّفَهُ مَا ظَلَمَهُ بِهِ فَمَا يَبْرَحُ الذِيْنَ ظَلِمُوْا بالذِيْنَ ظَلَمُوْا حَتَّى يَنْزِعُوْا مَا بِأَيْدِيْهِمْ مِن الحَسَنَاتِ فَإِنْ لَمْ يَجِدُوْا لَهُمْ حَسَنَاتٍ حَمَلُوا عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّئَآتِهِمْ مِثْلَ مَا ظَلَمُوْهُمْ حَتَّى يُرَدُّوْا إلى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِن النارِ .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ أُنَيْسٍ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ يُحْشَرُ العِبَادُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً بُهْماً فَيُنَادِيْهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ أَنَا المَلِكُ الدَّيَان لا يَنْبَغِيْ لِأَحدٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ أَوْ أَحدٍ مِنْ أَهْلِ النارِ أَنْ يَدْخُلَ النارَ وَعِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ إلى أَنْ أُقِصَّهُ حَتَّى اللَّطْمَةَ فَمَا فَوْقَهَا ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدَا .

قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ وإِنَّمَا نَأْتِي حُفَاةً عُرَاةً فَقَالَ بالحسناتِ والسيئاتِ جزَاءً ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا وجَاءَ عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم أنه قال مَنْ ضَرَبَ سَوْطاً ظُلْماً اقْتُصَّ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ .

وعن ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنه قال قال رسول اللهُ صلى الله عليه وسلم مَنْ أَعَانَ ظَالِماً سُلِّطَ عَلَيهِ وقال سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ رَحِمَهُ اللهُ لا

تَمْلَؤا أَعْيُنَكُمْ مِن أَعْوَانِ الظَّلَمَةِ إلا بالإنكارِ مِنْ قُلُوبِكُم لئلا تَحْبُطَ أَعْمالُكُمْ .

وقال مَكْحُولُ الدِّمَشْقِي يُنادِيْ مُنَادٍ يومَ القِيَامَةِ أَيْنَ الظَّلَمَةُ وَأَعْوَانُ الظَّلَمةِ فَمَا يَبْقَى أَحَدٌ مَدَّ لَهُمْ حِبْراً أَوْ حَبَّرَ لَهُمْ دَوَاةً أَوْ بَرَى لَهُم قَلَماً فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إلا حَضَرَ مَعَهُمْ فَيُجْمَعُوْنَ في تَابُوْتٍ مِن نارٍ فَيُلْقَوْنَ في النارِ .

وَجَاءَ رَجُلٌ خَيَّاطٌ إلى سُفْيَانِ الثَّوْرِي فَقَالَ إِنِّي رَجُلٌ اخِيْطُ ثِيَابَ السُلْطانِ هَلْ أَنَا مِن أَعْوَانِ الظَّلَمَةِ فَقَالَ سُفْيَانُ أَنْتَ مِنَ الظَّلَمَةِ أَنْفُسِهِمْ ولَكِن أَعْوَان الظَّلَمَةِ مَنْ يَبِيْعُ مِنْكَ الإِبْرَةَ والخُيُوْط .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فَصْــلٌ)

في التَّــواضــع

التَّواضُع يُقَابِلُ الكِبْرَ وَهُوَ انْكِسَارُ القَلْبِ لِلّهِ وَخَفْضُ جَنَاحِ الذُلِّ وَالرَّحْمَةِ لِلْخَلْقِ وَقِيْلَ هُوَ رِضَا الإنسانِ بِمَنْزِلَةٍ دُوْنَ ما يَسْتَحِقُهُ فَضْلُهُ وَمَنْزِلَتُهُ وَفَضِيْلَتُه لا تَكَادُ تَظْهَرُ في أَكْثَرِ الناسِ وَإِنَّما يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ في أَجِلاَّءِ الناسِ وَعُلَمَائِهِم العَامِلِيْنَ بِعِلْمِهِم وهَذَا كَانَ في عُلَمَاءِ السَلَفِ كَثِيْرٌ أَمَّا اليومَ فَهُوَ نَادِرٌ وَهُوَ مِنْ بَابِ التَّفَضُلِ لِأَنَّ المُتَوَاضِعَ يَتْرُكُ بَعْضَ حَقِّهِ والتَّوَاضُعُ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الكِبْرِ والضَّعَةِ والكِبْرُ تَقَدَّمَ تَعْرِيْفُهُ في أَوَّلِ الكتاب .

والضَّعَةُ وَضْعُ الإنسان نَفْسَهُ في مَنْزِلَةٍ تُزْرِي بِهِ مِن الدَّنَاءَةِ والخِسَّةِ وابْتِذَالِ النَّفْسِ في سَبِيْلِ شَهَوَاتِهَا الفَاسِدَةِ فَتَجِدُ الوَضِيْعَ يَقِفُ في

المَوَاقِفِ التِي تُزْرِي بِهِ مِن أَجْلِ الحُصُولِ على وَظِيْفَةٍ أَوْ مَالٍ أو جَاهٍ أَوْ امرَأةٍ أَوْ نَحْو ذَلِكَ فَلَا يُبَالِيْ أَنْ يَذِلَّ لِمَنْ دُوْنَهُ أَوْ يَتَمَلَّقَ لِمَنْ يُهِيْنُهُ أَوْ يَقِفَ عَلَى بَابِ مَنْ يَسْتَثْقِلُهُ وَيُظْهِرُ الاشْمِئْزَازَ مِنْهُ وَهُوَ لَا يُبَالِي بالألحاحِ عَلَيْهِ وَالوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ ذَلِيْلاً خَاضِعَاً ولا شَكَّ أَنَّ هَذَا صِفَةٌ ذَمِيْمَةٌ .

وَمَنْشَأُ التَّوَاضُعِ مِنْ مَعْرِفَةِ الإنسانِ قَدْرَ عَظَمَةِ رَبِّهِ وَمَعْرِفَتِهِ قَدْرَ نَفْسِهِ لِأَنَّ مَنْ يُدْرِكُ أَنَّهُ شَخْصٌ ضَعِيْفٌ فانٍ وَأَنَّ كُلَّ صِفَةٍ مِن صِفَاتِهِ المُوْجِبَةِ لِلرِّفْعَةِ والكِبْرِ في هَذِهِ الحَيَاةِ لا ثَبَاتَ لَهَا بَلْ هِيَ أَعْرَاضٌ زَائِلَةٌ وَيُدْرِكُ أَنَّ رَبَّهُ هُوَ الخَالِقُ العَظِيْمُ المُتَفَرِّدُ بالبَقَاءِ والكِبْرِيَاءِ ، فَهَذَا لَا يَتَمَرَّدُ عَلَى خَالِقِهِ باقْتِرَافِ الجَرَائِمِ والآثامِ وعندَ ذَلِكَ يُعَامِلُ الناسَ مُعَامَلَةً حَسْنَةً بِلُطْفٍ وَرَحْمَةٍ وَرِفْقٍ وَلِيْنِ جَانِبٍ ولا يَتَكَبَّرُ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَزْهُوْ عَلَى مَخْلُوقٍ وَلَا يُبَالِي بِمَظَاهِرِ العَظَمَةِ الكَاذِبَةِ وَلَا يَتَرَفَّعُ عَنْ مُجَالَسَةِ الفُقَراءِ والمَشْيِ مَعَهُمْ واجابَةِ دَعْوَتِهِم وَمُخَاطَبَتِهِم بالكلامِ اللَّيِنِ ولا يَأْنَفُ مِن اسْتِمَاعِ نَصِيْحَةِ مَنْ هُوَ دُوْنَهُ .

وَقال الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ التَّوَاضُعُ أَنْ تَخْضَعَ لِلْحَقِّ وَتَنْقَادَ لَهُ وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِن صَبِي قَبِلْتَهُ مِنْهُ وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِن أَجْهَلِ الناسِ قَبِلْتَهُ وَلِلتَّوَاضُعِ فَوَائِدُ وَمَنَافِعُ تَعُودُ عَلَى الأَفْرَادِ وَالجَمَاعَاتِ بِالخَيْرِ الكثيرِ فإِنَّ المُتَواضِعَ قَرِيْبٌ إلى الناسِ مُحَبَّبٌ إلى نُفُوسِهِمْ ضِدُّ المُتَكَبِّرِ فإِنَّهُ بَغِيْضٌ إِلَيْهِمْ ثَقِيْلٌ عِنْدَهُمْ وَكُلَّمَا دَنا المُتَوَاضِعُ مِنَ الناسِ ارْتَفَعَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَهُم وَعَظُمَ في عُيُوْنِهم وَثَقُلَ مِيْزَانُهُ عِندَهُم واسْتَفَادَ مِنْهُمْ وَأَفَادَهُمْ .

وَكُلَّمَا كَانَ المُتَواضِعُ عَظِيْماً ذا مَكَانَةٍ رَفِيْعَةٍ كَانَ التَّواضُعُ مِنْهُ أَكْبَرُ أَثَراً وَأَكْثَرُ فَائِدَةً لأَنَّ الأَشْيَاءَ تَعْظُمُ بِنِسْبَةِ مَنْ تَسْتَنِدُ إليه كَمَا قِيل :

عَلَى قَـدْرِ أَهْـلِ العَـزْمِ تَـأْتِي العَـزَائِمُ
وتـأتـي على قـدْرِ الكِـرَامِ المَكَـارِمُ
وتَعْـظُمُ في عَيْنِ الصَّغِيْـرِ صغـارهـا
وَتَصْغـرُ فـي عَيْنِ العَـظِيم العَـظَائِـمُ

وَإِذَا كَانَ المُتَواضِعُ عَالِمَاً فإِنَّهُ بالتَّوَاضُعِ يَزْدَادُ عِلْمَاً لإِنَّهُ لا يَسْتَنكِفُ عَنْ أَخْذِ الفائِدَةِ مِمَّنْ هُوَ دُوْنَهُ ولهذا قِيْلَ تعَلَّمُوْا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوْا ولا يَأْبَى العَالِمُ المُتَواضِعُ أَنْ يَنْقُلَ الحَقَّ عن أَيِّ مَخْلُوقٍ .

وَقَدْ تَتلمذ الشَّيْخُ تَقِيُ الدِّينِ عَلى ابن عَبْدِ القَوِّي نَاظِمِ عِقْدَ الفَرَائِدِ وَنَظم ابنُ عَبْدِ القَوِي بَعْضَ اخْتِيَارَاتِ الشيخِ تَقِيّ الدِّيْنِ فعِنْدَمَا ذَكَرَ مَسَافَةَ القَصْرِ قال :

وَعِنْدَ إِمَامِ العَصْرِ لاَ حُجَّةً لَهُم عَلَى ذَا وَلَكِنْ بِاسْمِهِ فَلْيُحَدَّدِ

وَعِنْدَمَا ذَكَرَ قِتَالَ أَهلِ البَغْي قال :

وَيكْرَهُ شَيْخُ العَصْرِ أَنْ يَقْصُد الفَتَى بُغَـاةَ ذَوِيْ الأَرْحَـامِ لاَ ذُوْ المُجَـرَّدِ

عِنْدَمَا ذَكَرَ مِنْ لَهَا عَادَةٌ من النِساء وَتَغَيَّرَتْ قال :

وَعِنْدَ إِمَامِ الوَقْتِ تَجْلِسُ مُطْلَقَا لِظَاهِرِ مَا يُرْوَى بِغَيْرِ تَقَيُّدِ

فَلِلّهِ دَرُّهُ مِن مُتَواضِعٍ . عكس ما عليه كثير من حاملي الشهادات الحالية دكتوراه وماجستير وبكالوريوس ودبلوم ونحوها نسأل الله الكريم أن يعافيهم ولا يبلانا فيما بُلوا به من الكبر والعُجْب والجَهْل .

قِيْلَ لبزر جَمْهر مَا النِّعْمَةُ التي لا يُحْسَدُ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا ، قال التَّواضُعُ قِيْلَ لَهُ فَمَا البَلاَءُ الذي لا يُرْحَمُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ قال العُجْبُ وقال التَّواضُعُ مَعَ السَّخَافَةِ والبُخْلُ أَحْمَدُ مِن الكِبْرِ مَع السَّخَاءِ والآدَاب فَأَعْظِمْ بِحَسَنَةٍ عَفَتْ عَن سَيِّئَتَيْنِ وَأَقْبِحْ بعَيْبٍ أَفْسَدَ مِن صَاحِبِهِ حَسَنَتَيْنِ ولقَد أَحْسَنَ القَائِلُ :

وَأحْسَنُ مَقْرُونَيْنِ في عَيْنِ نَاظِرٍ   جَلاَلَةُ قَدْرٍ في خُمُوْلِ تَوَاضُعِ

آخر : لَيْسَ الخُمُوْلُ بِعَارٍ   على امْرِىءٍ ذِيْ جَلاَلِ

آخر : فَلَيْلَةُ القَدْرِ تَخْفَى   وَتِلْكَ خَيْرُ اللَّيَالِ

إنَّ التَّواضُعَ مِن خِصَالِ المُتقِي   وبه التّقيُّ إلى المَعَالي يَرتَقِي

ومِن العَجَائِبِ عُجْبُ مَن هو جَاهِلٌ   في حَالِه أَهُوَ السَّعِيْدُ أم الشَّقِي

أم كَيفَ يُختَمُ عُمْرُه أَوْ رُوْحُهُ   يَوْمَ النَّوى مُتَسفل أَوْ مُرْتَقِي

والكِبْرِيَاءُ لِرَبنَا صِفَةٌ لَهُ   مَخْصُوصَةٌ فَتَجَنَّبْنَها وَاتَّقِي

وَقَالَ بَعْضُ الحُكَماءِ مِنْ بَرِيءٍ مِنْ ثَلاَث نَالَ ثَلاثَاً مَنْ بَرِىءَ مِنَ السَّرَفْ نَالَ العِز وَمَنْ بَرِىءَ مِنَ البُخْلِ نَالَ الشَّرَف وَمَنْ بَرِىءَ مِنَ الْكِبرِ نَالَ كَرَامَةَ التَّواضُعِ وَقَالَ مِصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ التَّواضُعُ مَصَائِدُ الشرَف وَقِيْلَ في مَنْثُورِ الحِكَمِ مَنْ دَامَ تَوَاضُعُهُ كثُرَ صَدِيْقُه .

أمَّا المُتَكبر فَهُوَ كَالمَغْرُور فَإِنَّهُ كَثِيْراً مَا تَفُوتهُ الحَقَائِقُ العِلْمِيَّةُ لأَنَّهُ تَأْبَى عَلَيْهِ نَفْسُه أنْ يَأخُذَ الحَقَّ حَيْثُ وَجدَه وَلِهَذَا قِيْلَ ضَاعَ الْعَلْمُ بَيْنَ الْحَيَاءِ وَالكِبْرِ ثُمَّ إنْ كَانَ المُتَواضِعُ تِلْمِيْذَاً يجدُ لُطْفاً وَعَطْفَاً مِنَ الاسْتَاذ فَلاَ يَبْخَلُ عَلَيْهِ بِمَجْهُودِهِ وَلاَ يَشُحُّ عَلَيْه بِفَائِدَةٍ لأَنَّ التّواضُعَ يَسْتَلْزِمُ الأَدَب .

وَأمَّا أَحْسَنُ الأَدَب والتَّواضُعِ واللُّطْف مَعَ المُعَلِم الَّذيْ يَبْذِلُ جُهْدَهُ فيسَبيْل تَثْقِيْفِهِ وَتَهْذِيْبِهْ وَتَرْبِيَتِهِ تَرْبِيَةً صالِحَةً وَأَنَّهُ بتَوَاضُعِه وَحُسْن سَيْرَتِه مَعَ مُعَلّمِه يُبَرْهِنُ عَلَى أَنَّهُ مِمَّنْ يَعْرِفُ قَدْرَ الْعِلْمِ وَالْعُلَماءِ وَأَنَّهُ يُدْرِكُ قِيْمَةَ الْمَعْرُوف وَأَنَّهُ مِمَّنْ يُجَازِي عَلَى الإِحْسَانِ بالإِحْسَان .

أَمَّا المُتَكَبِّرُ الّذِيْ يَتَكبَّرُ وَيَتَعَاظَمُ في نَفْسِه وَيَحْمِلُهُ الْكِبْرُ عَلى سُوءِ الأَدَب واحْتِقَار المُعَلِم فَهُوَ بِالحَقِيْقَةِ غَبِيٌّ جَاهِلٌ جلفٌ فَدم لاَ يَعْرِفُ لِلْعِلْمِ قِيْمَته وَلاَ يُرِيْدُ أَنْ يَخْرَجَ مِنْ جَهْلِه وَهَذَا شَيءٌ مُشَاهَدٌ مَعْرُوف فَإِنَّكَ تَرَى المُتَكَبِّرِيْنَ عَلَى المُعَلِمِيْنَ يَعْمَهُونَ في حُمْقِهِمْ وَجَهْلِهِمْ وَلاَ يَخْرُجُونَ عَن السَّخَفِ فَضْلاً عَمَّا

ارْتَكَبُوهُ مِنْ نُكْرَانِ الجَمِيْلِ وَجَحْدِ المَعْروفِ الَّذِيْ يُسْدَىٰ إِلَيْهِمْ وَقَدِيْماً قِيْل :

فَاصْبِرْ لِدَائِكَ إِنْ جَفَوْتَ طَبِيْبَهُ   وَاصْبِرْ لِجَهْلِكَ إِنْ جَفَوْتَ مُعَلِّماً

آخر : وَمَنْ لَمْ يَذُقْ مُرَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً   تَجَرَّعَ ذُلَّ الجَهْلِ طُوْلَ حَيَاتِهِ

فَصَبْراً عَلَى مُرِّ الجَفَا مِن مُعَلِّمٍ   فَإِنَّ رُسُوبَ العِلْمِ فِي نَفَرَاتِهِ

وَمَنْ فَاتَهُ التَّعْلِيمُ وَقْتَ شَبَابِهِ   فَكَبِّرْ عَلَيْهِ أَرْبَعاً لِوَفَاتِهِ

وَذَاتُ الْفَتَى وَاللَّهِ بِالعِلْمِ وَالتُّقَى   إِذَا لَمْ يَكُونَا لَا اعْتِبَارَ لِذَاتِهِ

آخر :

أَيْنَ المَرَاتِبُ فِي الدنيا وَرِفْعَتُهَا   مِن الذِيْ حَازَ عِلْماً لَيسَ عِندهُمُ

لا شَكَّ أَنَّ لنا قدراً رَأَوْهُ وَمَا   لِمِثْلِهِم عِنْدَنَا قَدْرٌ ولا لَهُمُوْا

هُمُ الوُحُوش وَنَحْنُ الإِنْسُ حِكمَتُنَا   تَقُوْدُهُم حَيْثُمَا شِئْنَا وَهُمْ نَعَمُ

آخر : إِحْرِصْ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ تَبْلُغِ الأملا   ولا تُواصِلْ لِعِلْمٍ وَاحِدٍ كَسَلَا

فالنَّحْلُ لَمَّا رَعَتْ مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ   أَبْدَتْ لَنَا الجَوْهَرَيْنِ الشَّمْعَ والعَسَلَا

الشَّمْعُ بِاللَّيْلِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ   وَالشَّهْدُ يُبْرِيْ بِإِذْنِ البَارِيءِ العِلَلَا

تَنْبِيه : وَنَعْنِي بِالْعَالِمِ المُعَلِّمِ الَّذِي يُتَأَدَّبُ مَعَهُ وَيُتَوَاضَعُ لَهُ وَيُقَدَّرُ وَيُحْرَصُ عَلَى أَخْذِ العِلْمِ مِنْه وَمُجَالَسَتِهِ العَامِلُ بِعَمَلِهِ المُتَأَدِّبِ بِآدَابِ الشَّرِيْعَةِ المُتَمَسِّكُ بِهَا الَّذِي يَصْدَعُ بِالحَق وَلَا تَأْخُذُه فِي الله لَوْمَةَ لَائِمِ البَعِيْدُ عَنِ المُجَامَلَة إِذَا رَأَى مَا يُغْضِبُ الله البَعِيْد عن الظُّلمَةِ وَأَعْوانِهِمْ المُتَملِّقِيْن .

أَمَّا مَنْ يُسَمُّونَ مَشَايِخَ وَأَسَاتِذَة ويُرَى عَلَيْهِمْ آثَارُ مُخَالَفَةِ النَّبِي ﷺ مِنْ حَلْق لِحْيَةٍ أَوْ تَشَبُّهٍ بِالْكَفَرةِ أَوْ تَرْكِ حُضُور جُمعَةٍ أَوْ جَمَاعَةٍ أَوْ اسْتِعْمَالِ آلاتِ لَهْو أَوْ شُرْب دُخَان أَوْ نَحْو ذَلِكَ فَهَؤُلَاءِ يَتَعَيَّنُ الإِبْتِعَادُ عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ وَمُجَاوَرَتِهِم وَمُعَامَلَتِهِمْ وَمُشَارَكَتِهِمْ إِلَّا لِضَرُوْرَةٍ أَوْ حَاجَةٍ شَدِيْدَةٍ تَدْعُوْ إِلى ذَلِك لِأَنَّ

الطِّبَاع كَسَّابَةٌ وَيُخْشى عَلَى مَنْ قَارَفَهُمْ أَوْ قَارَبَهُمْ أَنْ يَتَّصِلَ مَا بِهِمْ مِنْ مَرَضٍ مَعْنَوِي إلى ذَلِكَ الشَّخْص البَرِيْ .

شعراً :

خَلَتِ القُلوبُ مِن المَعَادِ وذِكْرِهُ وَتَشَاغَلُوا بالحِرْصِ والأَطْمَاعِ
صَارَتْ مَجَالِسُ مَن تَرى وحَدِيثُهم في الصُّحُفِ والتِلْفَازِ والمِذْيَاعِ

آخر :

(أَلَا أَيُّها المَغْرُورُ في جَرِّ ثَوْبِهِ وجَزِّ لِبَعْضِ الراسِ فِعْلَ الأَرَاذِلِ)
(فما العِزّ في حَلْقَ اللِّحا أَوْ خَنَافِسٍ ولا شُرْبِ دُخَّانٍ كَفِعْلِ الأَسَافِلِ)
(ولكِنَّهُ بالعِلْم والزُّهْدِ والتُقى وصِدْقٍ وحِلْمٍ واقْتِنَاءِ الفَضَائِلِ)

قَالَ ابْنُ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ غَائِباً عَن المُنْكَر في بُيوتِ الوُلَاةِ وَيكُونُ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ حَضَرَ وَذَلِكَ لأَنَّهُ يَبْلُغه فَيَرْضَى بِهِ وَيَسْكُتُ عَلَيْهِ ، قُلْتُ وفي وَقْتِنَا مَا أَكْثَرَ السَّاكِتِيْنَ وَالمدلِّسِين والمُدَاهِنِيْنَ الَّذِيْنَ هَمُّهُمْ وَهَدَفهمُ الوَحِيْدُ مَا يَحْشُونَ بِهِ بُطُونَهُمْ مِنْ مَطْعُومٍ وَمَشْرُوبٍ أَوْ مَا يُجَمِّلونَ بِهِ ظَوَاهِرَهُمْ مِنْ مَلْبُوسٍ وَمَرْكُوبٍ أَوْ يَتَذَوَّقُونَ بِهِ مِنْ زَوْجَةٍ إلى زَوْجَة دَائِماً يُطَلِّقُ وَيَتزوّج لَا يَسْتَقِرُّ عَلَى الدَّوَام .

قال ﷺ لا تُطَلَّقُ النِسَّاءُ إلا مِن رِيبَةٍ إنَّ الله تعالى لَا يُحِبُّ الذَّوَاقِيْنَ والذَّوَاقُ الكثيرُ النكاح والطَّلاق مِن غَيْرِ عُذْرٍ شَرْعِي والذَّوَاقَةُ التِي كلُّ مَنْ أَخَذَهَا تَتسَبَّبُ لِفِراقِهِ لأَجْلِ أَن تَتزَوَّجَ بِغَيْرِهِ .

وإنْ كَانَ المُتواضِعُ تَاجِراً ذَا مَالٍ فإنَّهُ بِمُخَالَطَتِهِ الناسَ وَعَدمِ التَّرَفُّعِ والكِبْرِ عَلَيْهِم يَنَالُ بِهِ الإنسانُ الألفة والإئْتِنَاسَ والمَحَبَّةَ والاقبالَ عليه في المُعَامَلَةِ وَيَعْرِفُ الفُقَرَآءَ والمُحْتَاجِينَ وَيَرى مَا يُصِيبُهُمْ مِن الشَّقَاءِ وَيَمَسُّهُمْ مِن الجُوْعِ والعُرِيّ وَمَا يُؤذِيهِم مِن أَلَمِ الحَرّ والبَرْدِ فَتَأَلَّمُ نَفْسُهُ لِمَا يُصِيبُهُمْ فَيَرْحَمُهُمْ وَيَعْطِفُ عَلَيْهِم فَيَسْهُلُ عَلَيهِ فِعْلُ الخَيْرِ والمُشَارَكَةُ فِيْهِ وَيَسْهُلُ عَلَيهِ أَدَاءُ ما

فَرَضَهُ اللهُ عليهِ مِن نَفقَاتٍ وَزكَاةٍ وَيهُونُ عَلَيْهِ انْقَاذُ المَكْرُوْبِ وإِغَاثَةُ المَلْهُوْفِ .

وفي عَمَلِهِ ذَلِكَ مَعَ النِيَةِ الصَّالِحَةِ فَائِدَةٌ لَهُ وَلِلنَّاسِ لِأَنَّهُ بِعَمَلِهِ هَذا يُرْضِي اللهَ أَوَلاً وَرِضَى الرَّبِ خَيْرُ ذَخِيْرَةٍ يَدْخَرُهَا المَرْءُ تَنْفَعُهُ في الدُنْيَا والآخِرَةِ لأَنَّ مَن يَرْضَى عَنْهُ مَوْلاَهُ القَوِيُّ العَزِيْزُ فَقَدْ فازَ بالدُنْيَا والآخِرَةِ أَمَّا بالدُنْيَا فَلِمَا يَحْصُلُ لَهُ مِن رَاحَةِ الخَاطِرِ الَّتِيْ يَتَأَلَّمُ لَهَا المُتكَبِرُوْنَ وَتَغْلِيْ مِن أَجْلِهَا دِمَاؤُهُمْ وَيطْغَى غَضَبُهُم فَيَحْمِلُهُمْ على التَّعَدِيْ على عِبَادِ اللهِ قَوْلاً وَفِعْلاً وَلِمَا يَكْسِبُهُ مِن قُلُوبِ الناسِ وَمَحَبَّتِهِم لَهُ واحْتِرَامِهِم لَهُ وإِخْلاَصِهِم في خِدْمَتِهِ والمُبَادَرَةِ لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِ وتَضَافرُهم عَلى الدِّفَاعِ عَنْهُ والانْتِصَارِ لَهُ .

وَعَلَى عَكْسِهِ المُتَكَبِّرُ لاحْتِقَارِهِ لَهُمْ واحْتِقَارِهِمْ لَهُ وانْ كَانَ التَّواضُعُ مِن صَاحِبِ جَاهٍ فَإِنَّ التَّوَاضُعَ يَجْعَلُ لِجَاهِهِ قِيْمَةً لِأَنَّ الجَاهَ إِنْ لَمْ يُسْتَعْمَلْ في فَائِدَةِ الأُمَّةِ والأَفْرَادِ لاَ يَكُونُ لَهُ مَعْنَى وَمَنْ تَرَفَّعَ عن الناسِ وَلَمْ يَتَوَاضَعْ لَهُمْ فَإِنَّهُ لا يَدْنُوْ مِنْهُ أَحَدٌ وَلاَ يَنْتَفِعُ بِجَاهِهِ مُحْتَاجٌ فَيَظَلُّ جاهَهُ قاصِرٌ عليهِ وَيُصْبِحُ اسْماً بِدُوْنِ مُسَمًّى .

وَمَنْ ظَنَّ أَنَهُ مَتى حَصَلَ لَهُ مَا يَسُدُّ شَهْوَتَهُ وَحْدَهُ مِنْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ أو سُلْطَان فَقَدْ ظَفرَ بِلَذَاتِ الدَنْيَا وَنَعِيْمِهَا فَلاَ يُبَالِي بَعْدَ ذَلِكَ بِغَيْرِهِ شَقِيَ أَمْ سَعِد فَهُوَ ضَائِعٌ أَحْمَق لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَسْتَقِلُّ في هَذِهِ الحَيَاةِ بَلْ لاَ بُدَّ مِنَ التَّعاوُنِ مَعَ غَيْرِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيَّاً ﴾ قالَ الشَّاعِرُ :

النَّـــاسُ لِلنَّـــاسِ مِـنْ بَــدْوٍ وَحَــاضِــرَةٍ
بَعْضٌ لِبَـعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَـشْعُـرُوا خَــدَمُ

وَكُـلُّ عُـضْـوٍ لِأَمْـرٍ مَّـا يُـمَـارِسُـه
لا مَشْيَ لِلْكَفِّ بَـلْ تَمْشِي بِـهِ الْقَـدَمُ

آخَــر :

إِذَا مَـا تَـأَمَّـلْنَـا الأمُـورَ تَـبَـيَّـنَـتْ
لَـنَـا وَأَمِيْـرُ الـقَـوْمِ لِلْقَوْمِ خَـادِمُ

مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللّهْ مَنْ كَانَ الْمَوْتُ يَطْلُبُهُ كَيْفَ يَقِرُّ لَهُ قَرَار وَمَنْ كَانَ الدَّهْرُ يُجَارِيْهِ فَكَيْفَ يُطِيْقُ الانْتصَار ، وَمَنْ كَانَ رَاحلاً عَنِ الدّنْيَا إلى الآخِرَةِ كَيْفَ يَلَذُّ لَهُ قَرَارُ ، عَجَباً لِمَنْ يَمْلأُ عينهُ بِالنَّوم وهُوَ لاَ يَدْرِي أيُسَاقُ إلى الجَنَّةِ أَوْ إلى النَّار .

وَلَقَدْ أَحْسَن مَنْ قَال :

(وَكَـيْفَ تَـنَـامُ الْـعَـيْـنُ وَهِـيَ قَـرِيْـرَةٌ
وَلَمْ تَـدْرِ فِي أَيْ الـمَكَـانِيْنِ تَـنْـزِلُ)

إِنْ هِيَ إلاَّ غَفْلَةٌ وَأُمْنِيَّةٌ عَاجِلَةٌ وَسَجِيّةٌ عَادِلَةٌ جَرَى بِهَا القَلَمُ وَمضَى عَلَيْهَا سَالِفُ الأُمَمِ ، فَيَا فَرَائِسَ الاحْدَاث وَيَا غَرَائِسَ الاجْدَاث ، لَقَدْ صَعَقَ المَوْتُ فِي دِيَارِكُمْ فَنَعَب ، وَصَدَقَكُمْ صَرْفُ الزّمَانِ وَمَا كَذَب ، فَكَأَنَّهُ قَدْ أَعَادَ عَلَيْكُمْ الكَرَّةَ وَسَلَب ، وَنَغَّصَ عَلَيْكُمُ الْمَسَّرةَ ، وَانْتَهَزَ فِيْكُم الغِرَّة ، فَمَا أَقَالَكُمْ عَثْرَة .

عَنْ كَعْبٍ أَوْ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِيْن قَال : يَقُوْمُونَ مِقْدَارَ ثَلاَثمائَةِ عَامْ قَالَ سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُوْلُ : مَا ظَنّكَ بِأَقْوَامٍ قَامُوا لِلّهِ عَزّ وَجَل على أَقْدَامِهِمْ مِقْدَارُ خَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَة لَمْ يَأْكُلُوا فِيْهَا أَكْلَة وَلَمْ يَشْرَبُوا فِيْهَا شَرْبَـةْ حَتَّى إذَا انْقَطَعَتْ أَعْنَـاقُهِمْ مِنَ الْعَطَش

وَاحْتَرَقَتْ أَجْوَافُهُمْ مِنَ الجُوْعِ انْصُرِفَ بِهِمْ إلى النَّارْ فَسُقُوا مِنْ عَيْنٍ قَدْ آنَ حَرُّهَا واشْتَدَّ نَفْحُهَا .

فَلَمَّا بَلَغَ المَجْهُودُ مِنْهُمْ مَالاَ طَاقَةَ لَهُمْ بِهْ كَلَّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضَا في طَلَبِ مَنْ يَكْرُمُ عَلى مَوْلاَهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُمْ في الرَّاحَةِ مِنْ مَقَامِهِمْ وَمَوْقِفِهِمْ لِيَنْصَرِفُوا إلى الجَنّةِ أَوْ إلى النَّارْ مِنْ وُقُوفِهِمْ فَفَزِعُوا إلى آدَمَ وَنُوحٍ وَمِنْ بَعْدِهِ ابْرَاهِيْمَ وَمُوْسَىٰ وَعِيْسَى كُلُّهُمْ يَقُولُ إنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ مِثْلَهُ قَبْلَهْ وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهْ مِثْلَهْ فَكُلُّهُمْ يَذْكُرُ شِدَّةَ غَضَبِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَل وَيُنَادِي بالشُّغْل بِنَفْسِهْ فَيَقُولَ نَفْسِي نَفْسِي فَيَشْتَغِلُ بِنَفْسِهِ عَنَ الشَّفَاعَةِ لَهُمْ إلى رَبِّهِمْ لإهْتِمَامِهِ بِنَفْسِهِ وَخلاَصِهَا .

وَكَذَلِكَ يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَل ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا فَبَادِرُوا رَحِمَكُمُ اللّهْ وَأَنْتُم في مَكَانِ الإمْكَانْ ، قَبْلَ ضِيْقِ الأَوْطَان ، وَتَقَلُّصِ اللّسَانْ واصْفِرَارِ البَنَان ، والتَّقَلُّبِ مِن جِهَةٍ إلى جِهَة مِنْ شِدَّةِ الآلام.

وَرَفْعُ يَدٍ وَوَضْعُ الأخْرَى مِنْ شِدَّةِ السَّكَرَات ، لِجَذْبِ الرُّوحِ مِن العُرُوقِ والعَصَب والعِظَامْ ، قَبْل شُخُوصِ البَصَر ، وَبُرُودَةِ البَدَن ، وَنَقْلِهِ لِبَيْتِ الدَّوْدِ والظُّلْمَةِ وَالوَحْشَةِ والإنْفِرَادِ وَسُؤالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيْرٍ ، وَمَا يَعْقُبُه مِنْ كُلِّ أمْرٍ خَطِيْرٍ في يَوْمٍ يَشِيْبُ مِنْ أَهْوَالِهِ الوِلْدَان .

فَمَا ظَنّكُمْ عِبَادَ اللّهِ بِيَوْمٍ بَضَائِعُـهُ الأَعْمَالُ ، وَشُهُـوْدُهُ الجُلُودُ والأَلْسِنَةُ وَالأَوْصَال ، وَسِجْنُهُ النَّارُ ، وَحَاكِمُهُ الجَبَّارُ ، إنَّ ذَلِكَ لَيَوْمٌ عَظِيْمٌ لاَ يَعْمَلُ لِحَسَابِهِ إلاَّ مَنْ وَفَّقَهُ الْحيُ الْقَيّوم لَيْس فِيهِ لِلْمُجْرِمِ رَاحَةٌ ولا نَوْمٌ ، فانْتَبِهُوا رَحِمَكُمُ اللهُ وَتَيَقَّظُوا وَتَزَوَّدُوْا فَكَأَنَّكُم بِهِ وَقَدْ أَتى قَالَ تَعَالى ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهم وهُم في غَفْلَةٍ مُعْرِضُوْنَ ﴾ ﴿ أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوه ﴾ .

شِعْراً :

خَبَتْ مَصَابِيحُ كُنَّا نَسْتَضِيءُ بِهَا
وَطَوَّحَتْ لِلْمَغِيبِ الأَنْجُمُ الزُّهَرُ

واسْتَحْكَمَتْ غُرْبَةُ الاسْلَامِ وانكَسفَتْ
شَمْسُ العُلُومِ التي يُهْدَى بِهَا البَشَرُ

تُخُرِّمَ الصَّالِحُونَ المُقْتَدَى بِهِم
وقَامَ مِنهُم مَقَامَ المُبْتَدَا الخَبَرُ

فَلَسْتَ تَسْمَعُ إلا كَانَ ثُمَّ مَضَى
وَيَلْحَقُ الفَارِطُ البَاقِيْ بِمَنْ غَبَرُوا

والناسُ في سَكْرَةٍ مِن خَمْرِ جَهْلِهِمْ
والصَّحْوُ في عَسْكَرِ الأَمْوَاتِ لَوْ شَعِرُوا

نَلْهُو بزُخْرُفِ هَذَا العَيْشِ مِن سَفَهٍ
لَهوَ المُنَبِّتِ عُوْداً مَا لَهُ ثَمَرُ

وَتَسْتَحِثُّ مَنَايَانَا رَوَاحِلَنَا
لِمَوقِفٍ مَالَنَا عَنْ دُوْنِهِ صَدَرُ

إلَّا إلى مَوْقِفٍ تَبْدُوْا سَرَائِرُنَا
فِيْهِ وَيَظْهَرُ لِلْعَاصِيْنَ مَا سَتَرُوْا

فَيَالَهُ مَصْدَراً مَا كَانَ أَعْظَمَهُ
الناسُ مِن هَوْلِهِ سَكْرَى وَمَا سَكِرُوْا

فَكُنْ أَخِيْ عَابِراً لا عَامِراً فَلَقَدْ
رَأَيْتَ مَصْرَعَ مَنْ شَادُوْا وَمَنْ عَمَرُوْا

اسْتُنْزِلُوا بَعْدَ عِزٍ عَن مَعَاقِلِهِم
كَأَنَّهُم مَا نَهَوْا فيهَا ولا أَمَرُوْا

تُغَـلُّ أَيْـدِيْهِمُـوْ يَـوْمَ القِيَـامَـةِ إنْ
بَرُّوْا تُفَكُّ وفي الأَغْـلَالِ إنْ فَجَرُوْا

وَنُحْ على العِلْمِ نَوْحَ الثَّاكِلاتِ وَقُلْ
والهْفَ نَفْسِيْ على أَهْـلٍ لَهُ قُبِـرُوْا

الثَّـابِتِيْنَ عَـلَى الإِيْمَـانِ جُـهْـدَهُم
والصَّـادِقِيْنَ فَمَـا مَـانُـوْا ولا خَتَـرُوْا

الصَّـادِعِيْنَ بِـأَمْـرِ اللهِ لَـو سَخِـطُوْا
أَهْـلُ البسِيْطَةِ مَـا بَالَـوْا ولَـوْ كَثُـرُوْا

السَّالِكِيْنَ عَلى نَهْجِ الـرسُولِ عَلَى
مـا قَـرَّرَتْ مُحْكَمُ الآيَـاتِ والسُّـوَرُ

العَـادِلِيْنَ عَن الـدُّنْيـا وَزَهْـرَتِهَـا
والآمِـرِيْنَ بِخَيْـرٍ بَعْـدَ مَـا ائْتَمَـرُوْا

لَمْ يَجْعَلُوا سُلَّماً لِلْمَـالِ عِلْمَهُمُـوْا
بَـلْ نَـزَّهُـوْهُ فَلَمْ يَعْلُقْ بِـهِ وَضَـرُ

فَحَيَّ أَهْـلاً بِهِمْ أَهْـلاً بِـذِكْـرِهِمُـوْا
الـطَّيِـبِيْـنَ ثَـنَـاءً أَيـنَمَـا ذُكِـرُوْا

أَشْخَاصُهُم تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى وَهُمُوْا
كَـأَنَّهُم بَيْنَ أَهْلِ العِلْم قَـدْ نُشِـرُوْا

هَـذِيْ المَكَـارِمُ لا تَـزْوِيْقُ أَبْنِيَـةٍ
وَلَا الشُّفُوفُ الَّتِيْ يُكْسَى بِهَا الجُدُرُ

والعِلْمُ إنْ كَـانَ أَقْـوَالاً بِـلا عَمَـلٍ
فَلَيْتَ صَـاحِبَـهُ بِـالجَهْـلِ مُنْغَمِـرُ

يَا حَامِلَ العِلْمِ والقُرْآنِ إنَّ لَنَا
يَوْماً تُضَمُّ بِهِ المَاضُوْنَ والأخَرُ
فَيَسْأَلُ اللَّهُ كُلاًّ عَنْ وَظِيْفَتِهِ
فَلَيْتَ شِعْرِي بِمَاذَا مِنْه تَعْتَذِرُ
وَمَا الجَوابُ إِذَا قَالَ العَلِيْم أَذَا
قَالَ الرسولُ أَوِ الصِّدِّيْقُ أَوْ عُمَرُ
والكُلُ يَأْتِيْهِ مَغْلَولَ اليَدَيْنِ فَمِنْ
نَاجٍ وَمِنْ هَالِكٍ قَدْ لَوَّحَتْ سَقَرُ
فَجَدِّدُوْا نِيَةً لِلَّهِ خَالِصَةً
قُومُوْا فُرَادَى وَمَثْنَى واصْبِرُوْا وَمُرُوْا
وَنَاصِحُوا وَانْصَحُوا مَنْ وَلِيَ أَمْرَكُمُ
فالصَّفْوُ لاَ بُدَّ يَأْتِي بَعْدَه كَدَرُ
واللهُ يَلْطُفُ في الدُّنْيا بِنَا وَبِكُمْ
وَيَوْمَ يَشْخَصُ مِن أَهْوَالِهِ البَصَرُ
وَصَلِّ رَبِّ عَلَى المُخْتَارِ سَيِّدِنَا
شَفِيْعِنَا يَوْمَ نَارِ الكَرْبِ تَسْتَعِرُ
مُحَمَّد خَيْرِ مَبْعُوْثٍ وَشِيْعَتِهِ
وَصَحْبِهِ مَا بَدَا من أُفْقِهِ قَمَرُ

اللهم كَمَا صُنْتَ وُجُوْهَنَا عن السُّجُودِ لِغَيْرِكَ فَصُنْ وُجُوْهَنَا عن المَسْأَلَةِ لِغَيرِكَ ، اللهم مَن كَانَ على هَوَى وهو يَظُنُّ أَنَّهُ على الحَقِ فَرُدَّهُ إلى الحَقِ حَتَّى لاَ يَضَلُّ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ أَحدٌ اللَّهُمَّ لا تَشْغَلْ قُلُوبَنَا بِمَا تَكَفَلْتَ لَنَا بِهِ وَلاَ تَجْعَلْنَا في رِزْقِكَ خَوَلاً لِغَيْرِكَ وَلاَ تَمْنَعْنَا خَيْرَ مَا عِنْدَكَ

بِشَرٍ مَا عِنْدَنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ منهم والمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللهِ إِنَّ عَلَيْكُم مَسْؤُلِيَّةً كُبْرَى وفي أَعْنَاقِكُم أَمَانَةً عُظْمَى سَتُسْأَلُونَ عنها يَوْمَ يَبْعَثُ اللهُ الأَوَّلِيْنَ والآخِرِيْنَ ، فإنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ .

عِبَادَ اللهِ إِنَّ في أَعْنَاقِكُم أَوْلَادَكُم وهُم أَفْلَاذُ أَكْبَادِكُم فاتَّقُوا اللهَ فِيْهِم ووَجِّهُوْهُمْ إلى الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ والأَخْلَاقِ الفَاضِلَةِ ، فإنَّ هَؤُلَآءِ الأَوْلَادِ سَيَكُونونَ في المُسْتَقْبَلِ رِجَالاً ، فإذا تَرَبُّوْا على طاعةِ اللهِ وَتَعَوَّدُوْا الأَخْلَاقَ الصَّالِحَةَ الَّتِي تَرْفَعُ مَقَامَهُمْ وَتُعْلِيْ شَأْنَهُمْ وَحَصَّلُوا مِنَ العُلُومِ النَّافِعَةِ مَا يَنْفَعُوْنَ به أَنْفُسَهُمْ وَيَنْفَعُونَ بِهِ عِبَادَ اللهِ ، كَانُوْا أَسَاساً مَكِيْناً لِنَهْضَةِ الأُمَّةِ وَهَذا أَمْرٌ لا يَخْتَلِف فِيه إِثْنَانِ .

وإن اسْتَعَادُوْا سَافِلَ الأَخْلَاقِ وَهَجَرُوْا العُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ وما يُعِيْنُ عَلَيْهَا ، كَانُوا ضَرَراً عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلى الأُمَّةِ .

عِبَادَ اللهِ التَّرْبِيَةُ أَمْرٌ عَظِيْمُ الخَطَرِ كَبِيْرُ القِيْمَةِ ، والطِّفْلُ أَمَانَةٌ عِنْدَ وَالِدَيْهِ ، وَقَلْبُهُ الطَّاهِرُ جَوْهَرَةٌ نَفِيْسَةٌ خَالِيَةٌ مِنْ كُلِّ نَقْشٍ وَصُوْرَةٍ فإنْ عُوِّدَ الخَيْرَ وَعُلِّمَهُ نَشَأَ عَلَيْهِ وَسَعِدَ في الدنيا والآخِرَةِ وَشَارَكَهُ في ثَوَابِهِ أَبَوَاهُ ، وَكُلُّ مُؤَدِّبٍ وَمُعَلِّمٍ لَهُ في الخَيْرِ ، وإِنْ عُوِّدَ الشَّرَّ وأُهْمِلَ وَتُرِكَ بِلَا عِنَايَةٍ ، شَقِيَ وَهَلَكَ وَكَانَ عَلَى وَلِيِّهِ وَرَاعِيْهِ مَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الإِثْمِ .

فالتَّرْبِيَةُ هِيَ غَرْسُ الدِيْنِ الإسْلاَمِي ومَحَبَّتِهِ وآدَابِهِ قَـوْلاً وَعَمَلاً واعتقاداً ، وغَرْسُ الأَخلاقِ الفاضِلَةِ في نُفُوسِ النَّاشِئِيْنَ وَسَقْيُهَا بِمَاءِ الإِرْشَادِ والنَّصِيْحَةِ ، والتَّوْجِيْهِ إلى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ واتِّبَاعِ سَبِيْلِ السابِقِيْنَ الأَوَّلِيْنَ مِن المُهَاجِرِيْنَ والأَنْصَارِ وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ .

قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في الحَدِيْثِ الذي أخرجَهُ البُخَارِي عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه ، قال قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَا مِن مَوْلُودٍ يُوْلَدُ إلا عَلَى الفِطْرَةِ فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ البَهِيْمَةُ جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّوْنَ فِيها مِن جَدْعَاءَ .

ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه فِطْرَةَ اللهِ التي فَطَرَ النَاسَ عليها لا تَبْدِيْلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدينُ القَيِمُ . والله وَأَعلَم وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ

(فَصْلٌ)

قَالَ في الدُرُوْسِ الوَعْظِيَّةِ عَلَى هَذَا الحَدِيْثِ : أَجْمَعَ العُقَلاَءُ عَلى أَنَّ الإِنْسَانَ بِحَاجَةٍ إلى التَّرْبِيَةِ فَإنَّمَا يُوْلَدُ صَغِيْراً مُجَرَّداً عَنْ كلِّ المُمَيِّزَاتِ قَابِلاً لِكُلِّ نَقْشٍ مُسْتَعِدّاً لِكُلِّ مَا يُلْقَى إلَيْهِ مِنْ تَعْلِيْمٍ وَيُحَاطُ بِهِ مِنْ تَثْقِيْفٍ .

وَالوَالِدَانِ هُمَا الرَّاعِيَانِ لِوَلَدِهِمَا المَسْؤُلانِ عَنْهُ لدَى اللّهِ والنَّاسِ ، فانْ أَحْسَنَا تَأْدِيْبَهُ وَعَوَّدَاهُ الخَيْرَ وَانْشَآهُ عَلَيْهِ سَعدَ في دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ وَنَالَ أُمْنِيَتَهُ وَمُبْتَغَاهُ ، وَكَانَ لِوَالِدَيْهِ وَكُلِّ مَن اشْتركَ في تَعْلِيْمِهِ وَسَاهَمَ في تَهْذِيْبِهِ أَجْرُهُ عِنْدَ اللهِ ، وَإِنْ أَهْمَلَهُ وَالِدَاهُ إِهْمَالَ البَهَائِمِ وَلَمْ يرْعَيَا حَقَّ اللهِ بِهِ كَانَ اثْمُهُمَا عِنْدَ اللهِ كَبِيْراً وَسُؤَالُهُمَا خَطِيْرا .

وَإنَّ مِن الأُمُورِ المُحقَّقَةِ وَالحقَائِق المُشَاهَدَةِ عَلى مَا قَدَّمْنَا أنَّ عقْلِيَّةَ الوَلَدِ تتأَثَّرُ بتأَثُّرِ البيْئَةِ وَالمُجْتَمعِ صِحَّةً وَفَسَاداً ، لِسَذَاجَةِ نَفْسِهِ وَسَلامَةِ فِطْرَتِهِ إذَنْ ، فَوَاجِبُ الوَالِدِ كَبِيْرٌ فَعلَيْهِ أنْ يَحُوطَهُ بِعِنَايَةٍ دَقِيْقَةٍ وَرَقَابَةٍ شَدِيْدَةٍ وَتَوْجِيْهٍ صَحِيْحٍ وَتَرْبِيَةٍ حَسَنَةٍ .

وَذلِكَ بِأَنْ يُؤَدِّبَهُ ، وَيُهذِّبَهُ ، وَيُعَلِّمَهُ مَكَارِمَ الأخْلاَقِ ، وَمَحَاسِنَ العَادَاتِ ، وَيَحْفَظَهُ مِنْ قُرَنَاءِ السُّوْءِ ، وَذَوِي الأخْلاَقِ المُنْحَطَّةِ ، وَلْيَعْلَم الوَالِدُ أنَّ وَلَدَهُ أَمَانَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلْيُؤَدِّ وَاجِبَ الأَمَانَـةِ ، وَلْيَقُمْ بِحَقِّ الرِّعَايَةِ .

وَإذَا أُهْمِلَ الوَلَدُ في ابْتِدَاءِ نَشْأَتِهِ وَأَوَّلِ رَعْرَعَتِهِ وَتَمْيِيْزِهِ خَرجَ خَبِيْثَ الطَّبْعِ سَيِّءَ الأَخْلاَقِ ، مُحْتَالاً كَذَّاباً سَرَّاقاً كَثِيْرَ الهَذَيَانِ وَفُضُوْلِ الكَلاَم ، يَتَدَخَّلُ فِيْمَا لاَ يَعْنِيْهِ ، بَذِيْءَ اللِّسَانِ مُغْتَاباً نَمَّاماً وَقِحاً بَعِيْداً عَن التَّقْوَى وَالطَّاعَةِ ، قَرِيْباً مِن الفُسُوْقِ والفُجُورِ .

وَفي مِثْلِ هَذِهِ الحَالُ يَكُونُ وَبَالاً عَلى المُجْتَمعِ وَعُضْواً فَاسِداً يَجِبُ أَنْ يُبْتَرَ وَيُقْطَعَ إلا مَنْ حَفِظَ رَبُّكَ .

وَيَجِبُ عَلى وَلِيِّ الطِّفْلِ وَالطِّفْلَةِ عِنْدَ إرَادَةِ التَّعْلِيْم أنْ يُسَلِّمَ الوَلَدَ لِمُرَبٍّ صَالِحٍ ، وَمُعَلِّمٍ نَاصِحٍ ، يَحْفَظُ عَلَيْهِ أَخْلاَقَهُ ، وَيُحَسِّنُ آدَابَهُ ، وَيُرَوِّضُه وَيُمَرِّنُه على الشَّعَائِرِ الدِّيْنِيَّةِ ، وَيُلقِّنُهُ العَقَائِدَ الصَّحِيْحَةَ السَّلِيْمَةَ ، الإسْلاَمِيَةَ وَلاَ يَتَسَامَحْ مَعَهُ في إهْمَالِ أَمْرِ الدِّيْنِ وَآدَابِهِ .

وَلاَ يَجُوزُ تَسْلِيْمُ الطِّفْلِ إلَى مُعَلِّمٍ مُتَهتِّكٍ يَسْتَهْتِرُ بِأَمْرِ الدِّيْنِ أَوْ زِنْدِيْقٍ مارِقٍ لاَ يُبَالِيْ بِعَقَائِدِ المُسْلِمِيْنَ، أَوْ جَاهِلٍ سَخِيْفٍ يَبْهُتُه بالخَرَافاتِ وَالغَرائِبِ ، وَهُوَ في نَفْسِهِ لاَ يُمَيِّزُ الحَقَّ مِنْ البَاطِلِ والغَثَّ مِن السَّمِيْنِ ،

أَوْ مُلْحِدٍ خَارِجٍ عَن الأَوَامِرِ الإِلٰهِيَّةِ والنَّوَامِيْسِ السَّمَاوِيَّةِ غير مُكْتَرِثٍ بالتَّعَالِيْمِ الدِّيْنِيَّةِ ، أَوْ يَقْذِفُ بِهِ في المَدَارِسِ التَّبْشِيْرِيَّةِ الأَجْنَبِيَّةِ ذَاتِ الاغْرَاضِ المَعْرُوْفَةِ وَالغَايَاتِ الدّيْنِيَّةِ وَالتَّوْجِيْهِ الفَاسِدِ ضد الإسلام والمسلمين .

وَلِمِثْلِ هَذِهِ الأَغْرَاضِ الشَّرِيْفَةِ وَالغَايَاتِ النَّبِيْلَةِ ، يُرْشِدُنَا النّبي صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ إِلى رِعَايَةِ الوَلَدِ ، وَصِيَانَتِه ، وَشِدَّةِ مُرَاقَبَتِهِ ، وَحِمَايَتِهِ فهُوَ يَقُوْلُ : « مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوْلَدُ إِلَّا عَلَى الفِطْرَةِ الصَّحِيْحَةِ الإِسْلَامِيَّةِ ، والعَقِيْدَةِ المرْضِيَّة فأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ » .

المَعْنَى إِذَا تَقَرَّرَ ذلِكَ فَمَنْ تَغَيَّرَ عَن الفِطْرَةِ الصَّحِيْحَةِ وَمَالَ إِلى العَقَائِدِ البَاطِلَةِ وَالآرَاءِ الفَاسِدَةِ ، وَالمَذَاهِبِ الزَّايِفَةِ كَانَ سَبَبُ تَغَيُّرِهِ أَنَّ أَبَواه يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ بِتَعْلِيْمِهِمَا إِيَّاهُ ، وَتَرْغِيْبِهِمَا فِيْهِ ، أَو وَنَحْو هَذِه الآيَةِ وَأمرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا والآيَةُ الأُخْرَى وَأَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الأَقْرَبِيْنَ . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فَصْــــلٌ)

وقال في توجِيْهَات دينية ومناصحات فيما يجب على الراعي والرعية .

يا أيهـا المؤمنـونَ المسؤولـونَ الكرام : إن المؤمن إذا أمعن الفكرة ، وتلمس الحقيقةَ ، وتجافَى عن التصنعِ والمغالطةِ .

عَلِمَ أن ما أصابَ المسلمينَ مِن تَدَهْوُرٍ وانْهيارٍ ، ونَقْصٍ من أخلاق الدين الحنيف ، وتعاليمهِ القيمةِ وسببهُ الوحيدُ .

وعَامِلُه المفردُ تفريطُ زعماءِ الأمة الاسلامية في تربيةِ الشبابِ ، والتراخي في جهادِ النفوس على ما يَجبُ مِن مُعَانَاةِ النَّشْءِ :

وَيَنْشَأُ نَاشِىءُ الفِتيانِ مِنَّا عَلى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

ومَن هُم زعماءُ الأمةِ ؟ نَعْني كُلُ مَن يَلي أمراً مِن أمور المسلمين بأمارةٍ أو إدارةٍ ، أو يَشْغَلُ مَنْصِبَ تَعليمٍ ، أو تكونَ له كلمةٌ مَسْمُوعَةٌ .

إن أبناءَ المدارسِ في عمومِ البلادِ الإسلاميةِ . هُمُ رجالُ المستقبلِ بَل هُمْ المسلمونَ المرجونَ لحملِ الدينِ وحِمَايَتِه .

فإذا أنْهارَ كيانُ الدين في نُفُوسِهم ، وتَلاَشَى تَعظِيمُ الشريعَةِ في قُلُوبهم ، وجَهِلُوا ما بَلَغَ هَذَا الدِينُ العَظِيم بأهلِهِ دُنْيَاً وأُخْرَى في حالِ طُفُولَتِهم ، وفَرَاغِ أذ هانهم .

فكيفَ يكونُ الحالُ إذا شَبَّ أَبْنَاؤُنَا ، وهُم لا يَرَوْنَ ولا يَسْمَعُونَ إلا دُعَاةَ الاستعمارِ ، وسَماسِرَةَ الغرب قَولاً وعَمَلاً يَتَشَدَّقُونَ بتَضْخِيم الغَرْبِ ، وتَعظِيم رجالِه ، ويَنْخرطُونَ في هُوَّةِ تَقْليدِهِم .

فَيَفْعَلُ هؤلاءِ ، وَيَتَغَافَلُ أولئكَ عن مآثِرَ هِيَ المُثُلُ العُلْيَا في رُقِيِّ البَشَرَ ، قِدْماً في حَياتِهِ الهَنِيْئَةِ المُوصِلَة إلى حَيَاتِهِ الأَبَدِيَّةِ في جِوَارِ خَالِقِهِ الكَريم .

إن تِلْكَ المآثِرَ التي جَلَّتْ عن الخَفَاء ، وشَهِدَتْ بِهَا الأَعْدَاءُ ، وظَهرتْ ظُهورَ الشمسِ في الملأ لتُبَرْهِنُ على مجد أبنائِها .

أولئكَ السادةُ آباؤنا الكرام وسَلَفُنَا الصالحُ ، الذين خَالَطتْ بَشَاشَةُ الايمان قُلوبَهم ، وامتزَجتْ عَقَائِدُ الدِينِ بنُفُوسِهم ، وانْطَبَعتْ آدابُه وتعاليمُه في أخلاقِهم .

فَمَثَّلُوه عملاً ، ودَعَوْا إليهِ فعْلاً قبْلَ دُعَائِهِم إليهِ قَوْلاً ، وطَبَّقُوا قَوانِيْنَهُ وأَنْظِمَتَهُ حُكُومَاتٍ وشُعُوباً وأفْراداً .

أولئكَ الذين اسْتَرْخَصُوا مُهَجَهُم في سبيلِ إعْزَازِهِ ، وضَحُّواْ بأمْوَالِهم وَأولاَدِهِم وأَوْطَانِهم في حِمَى حَوْزَتِهِ ، والذب عن كِيانِهِ :

هُـمُ الذيـنَ رَعَـوا لِلّدِيـن حُـرْمَتَـهُ لِلّديـن عِنـدَهُمْ جَـاهٌ ومِقْـدَارُ

عَظُمَ أَمْرُ الدِّيْنِ في قُلُوبهم فلم يُشَارِكْهُ وَطَنٌ ولاَ عَشِيْرَة . بِهِ وَحْدهُ قَامُـوا وبهم قَامَ ولَه قَاتَلوا ، وفيه أحَبُوا وأَبْغَضُوا ولِشَعَائِرِهِ عَظَّمُوا ، وعِندَ حُدُودِهِ وقَفُوا ، وبأوَامِرِهِ امْتَثَلُوا .

فامْتَطوا به هَامَ العَالَمِ حِينَ حَمَلُوهُ ، وأصْبَحُوا بِهِ مَضْرَبَ الأمثالِ في العِز إذ مَثَّلُوه .

لم تَسْتَعْبِدْهُم الدُنيا ، ولم تُسَيْطِرْ عَلَى نُفُوسِهِم شَهوةٌ ذَاتِيَّةٌ ، ولم تَمْلِكْهُم الأَعْراضُ الشَّخْصِيَة .

ولم يَحْمِلْهُم حُبُّ الانتصارِ على الظُلْمِ المُدَمِّرِ ، ولم يَثْنِهِمْ حُبُّ الوَطَنِ عن الهِجْرَةِ إليه :

سِـيْرُوا كَما سَـارُوا لِتَجْنُوا مَا جَنُـوا لا يَحْصُـدُ الحَـبَّ سِـوَى الـزَّراع

إنَّ مَحْضَ النُصْحِ لَيُحَتِّمُ التَّصريح بأن مَا حَلَّ بالأمةِ الاسلاميةِ إنما يَتَحمل تبعته كاهلان ، ويَتَقَلَدُ مَسؤوليته عُنُقَان : أُمَـراءُ الأُمَةِ ، وعُلَماءُ الدِيْنِ .

أُولئكَ الذِين أَوْجَبَ الله لَهُم السمعَ والطاعةَ ، وأُخذَ عَليهم العهدَ والميثاقَ .

فإذا قامَ العلماءُ بِنَشْرِ تَعَـاليمِ الـدِين ، وتَجْلِيَتِهِ بالأعمال في مَظْهَرِهِ الحَقِيقْي ، وَرَوْنَقِهِ الباهِرِ .

وقَـامَ الأمَـراءُ بِتَـطبيق أنـظِمَتِـهِ الكـريمةِ ، وتَنْفِيذِ أَوَامِرِهِ القَيِّمَةِ ، والاستفادَةِ بإرْشادَاتِهِ الساطِعَةِ .

وتَحَقَقُـوا بوصْفِ الله لِخُلَفَـائِـهِ في أَرْضِهِ : ﴿ الذين إن مكنَّاهم في

الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ .

وأَسْنَدُوا الأُمُورَ إلى أَكْفَائِها عَمَلاً بقوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ وتَصَوَّرُوا مَسْؤُليتَهُم المُحقَّقة بأخبارِ الصادق المصدوقِ ﷺ : ﴿ كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته » .

فاجْتَهدُوا حَسَبَ الإمكانِ في اختيارِ المُعَلِّمين في مَعَاهِدِهم ومَدَارِسِهم الدِيْنِيَةِ ، وتَعَهُّدِهم بالمراقبةِ الحَقَّةِ المُكَافحةِ لإتخاذِ التَّعْليمِ مَكْسباً مَحْضاً لا أمانةً ودِيْناً .

« إن هذا العِلمَ دِينٌ فانظُروا مَن تأخذونَ دِينكُم عنه » فَمَن خَالَفَ قَوْلُهُ عَمَلَهُ لا يَحِلُ أَن يُوَلَّى أَمَانَةَ التَّعْلِيم ، ولا يَصْلُحُ لِرِعَايَةِ أَوْلَادِ المسلمين . بل يَجِبُ عليه إِصْلاحُ حَالِهِ أولاً كما قِيل :

– فابْدأْ بنفسك فانْهَهَا عَن غَيِها –

ومِن المحالِ أن يَنْطَبعَ في قَلْبِ مُتَعَلِّمٍ ما لَيسَ مِن صِفَةِ مُعَلِّمِهِ .

إِن القولَ المجردَ عن العملِ لا أثرَ لَهُ بل ضَرَرُهُ أكثرُ مِن نفعِهِ ، لأنَّ المُتَعَلِّمَ إذا رأى تَعَاليمَ الإسلامِ عندَ مُعَلِّمِهِ صُورَةً مُجَرَدَةً عن العملِ اعتقدَ بحُكْمِ طُفُولَتِهِ وبِجَهْلِهِ باديء الأمرِ أن العِلْمَ مَقْصُودٌ لِنَفْسِهِ ، لَا لِلْعَمَلِ به فلم يَرْضَ نَفْسَهُ على العَمَلِ بعِلْمِهِ .

وبهذا تَعْظُم مُصِيْبَتُهُ في مُسْتَقبلِ أمره . فَيَجِبُ أَن يَتَجافَى المَسْؤُولُونَ في مَعَاهِدِهم وَمَدَارِسِهم الدِينِيةِ عن الذينَ يَقُولُونَ ما لا يَفعلون ، ويُظْهِرُونْ ما لا يُبْطِنُونَ . أولئِكَ الذين مَقَتَهُم الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كَبُرَ مَقْتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ .

وفي الحديث : « أَخْوَفَ ما أخافَ على أُمَّتي كُلَّ منافِقٍ عَليمِ اللسان » .

وفي شرحِ ابن رَجَبَ على حديث : « أربَعٌ مَن كُنَّ فِيه . . . الخ » روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر : إن أخوفَ ما أخافُ عليكم المُنَـافِقَ العليم ، قِيْلَ كَيفَ يكونُ المنافقُ عَلِيماً ؟ قال : يَتَكَلَّمُ بالحكمةِ ، ويَعْمَلُ بالجور أو قال المنكر .

ولا نلْتَمِسْ مِن المسؤولِينَ التَّفْتِيشَ عن الباطِنَ ، وتَتبعَ السرائِرَ ، فإننا لم نُؤمَرَ بذلك ، ويكْفِي المجاهرةُ بمخالفةِ الأعمالِ الظَاهِرةِ للتعاليم المرسومةِ .

فإن وَفَّقَنَـا الله للقيام بالـواجب ، وأرجـوا أن يكون آن لنا ذلك . وبذلكَ نكون قد تلافينا الخلل ، وعالجنا الداء ووضعنا الهناء موضع النقب :

فَيَا مَعْشَـرَ الحُكّام مِن كُـلِّ مسلِم ... بنَـا فانْهَضُـوا نَحْـوَ المَعَـالِي وشَمِّرُواْ
لِنَعْمُـرَ مَجْداً قَـدْ بَنَتْـهُ سَـرَاتُنَـا ... فَاعْـلَوْا وعن كُلِّ النقـائِص سَـوِّرُواْ
وسِـيْرُوا بنَـا نَقْفُـوا شَـرِيْعَـةَ أَحْمَـدٍ ... نَـبيٌّ أَتَـى بالعَـدْلِ والـبِر يَـأْمُـرُ
وَخَـافُوا إِلَهَ العَرشِ في هَضْمِ أُمَّـةٍ ... لَهَـا نبأٌ في الـذِكـر يُتْلَى ويُـذْكَـرُ
وما الْهَضْمُ إلا أن تُضَـامَ شُـعُوبُكُم ... ومـا العُـذْرُ عنـدَ اللهَ أن تَتَـأَخَّـرُواْ
فَسِـيْرُوا بهَـا نَحـوَ الأَمَـامَ نَسُـرُكُمْ ... فَلَيْسَتْ جُنُوداً بَلْ هِيَ الإِسْـدُ تَزْأَرُ
إذا أُوتِـيَ الرَّاعُـونَ حُسْـنَ قِيَـادَةٍ ... وصِـدْقاً فإنَّ الجُنْـدَ جُنْـدٌ مُظَفَّـرُ
فَمَـا نَهـضَ الكَـابُونَ فَضْـلاً وإنَّمَا ... رَأَوْنَـا نِيَـامـاً ثـم قَـامُـوا وزَمَّـرُواْ
وقَـدْ جَـاءَ في التَّنْزيلِ وَعْـداً مُحَقَّقاً ... بأَنكُـمُ إنْ تنصُـرُوْا الله تُنْصَـرُواْ
وهَـلْ نَصْـرُهُ إلاّ اتبـاعُ كِتَـابِـهِ ... وتَحْكِيمُ مَـا قَـالَ الرسولُ المُطَهَّرُ
فَيَـا قَـادَةَ الدِّيـنِ الحَنيفِ تنَاصَـرُوا ... وخَـلُّوا أُمُـوراً عَـن عُـلاَكُـم تُقَهْقِـرُ

فما العزُ إلاَّ في اجْتِماعِ سَرَاتِكُم وأنْ تَتَواصَوْا بالضِّعَافِ، وتُؤْثِرواْ
ولا تُسْلِمُوا أبْنَاءَ دِيْنٍ مُقَدَّسٍ لِكُلِّ غَبِيٍّ بالقَبَائِحِ يَجْهَرُ
ومَجْهُولِ حالٍ قد رأى العِلْمَ صَنْعَةً ويَكْفِيهِ مِنهُ أنْ يُقَالَ مُحَرَّرُ
فَمَنْ يا أُبَاةَ الضَّيْمِ لِلدِّيْنِ بَعدَكُم ومَن لِلْشَّبَابِ النَّاشِئِيْنَ يُبَصِّرُ
تَجَافَوا عن الجافِينَ في كُلِّ مَعْهَدٍ وَمَدْرَسَةٍ فيها المعارِفُ تُنْشَرُ
كذاكَ عن الغالينَ وابْغُوا أفاضِلاً فَضَائِلُهُمْ في الناشِئِيْنَ تُؤَثِّرُ
فَمِرْآةُ أخْلاَقِ المُعَلِّمِ طِفْلُهُ ومَا فيه في تِلْمِيْذِهِ لَكَ يَظْهَرُ
فَأَوْلُوهُم مِنكم رِقَابَةَ مُخْلِصٍ تُمَحِّصُ مِن أَخْلاَقِهِمْ وَتُطَهِّرُ
فَمَهْمَا اسْتَقَمْتُمْ تَسْتَقِيْمُ شُعُوْبُكُم وإنْ تُبْصِرُوا أنْتُم فَكُلٌّ سَيَبْصِرُ

اللهُم يا عالِمَ الخَفياتِ وَيَا سَامِعَ الأَصْواتِ ويَا بَاعِثَ الأَمْواتِ وَيَا مُجِيْبَ الدَعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الأَرْضِ والسَّمواتِ أَنْتَ اللَّهُ الاحدُ الصمدُ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحد الوَهَّابُ الذي لا يَبْخَلُ والحَليمُ الذي لا يَعْجَلُ لا رادَّ لامْركَ ولا مُعَقِّبَ لِحُكمِكَ نَسْأَلكَ أنْ تغفرَ ذنوبَنَا وتُنورَ قلوبنا وَتُثَبِّتَ مَحبَّتَكَ في قُلوبِنَا وَتُسْكِنَنا دَارَ كَرَامَتِكَ إنك عَلَى كُلِ شيْءٍ قَدير وَصَلَّى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ يحتوي على آدابٍ ومواعظَ ونصَائحَ وأخلاقٍ فاضِلة)

وَاعْلَمْ أَنَّ وِقَايَةَ الأَنْفُسِ بالـزَامِها أَوَامِرَ اللَّهِ امْتِثالاً وَنَواهِيْهِ اجْتِنَاباً وَالتَّوْبَةُ عَمَّا يُسْخِطُ اللَّهِ ، وَيُوْجِبُ العَذَابَ .

وَوِقَايَةِ الأَهْلِ وَالأَوْلاَدِ بِتَأْدِيْبِهِم وَتَعْلِيمِهِمْ وَإِلْزَامِهِمْ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ فَلاَ يَسْلَمُ العَبْدُ إِلاَّ إِذَا قَامَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي نَفْسِهِ وَفِيْمَنْ تَحْتَ وِلاَيَتِهِ وَتَصَرفِهِ .

وَرُوِيَ أَنَّ عُمَر قَالَ حِينَ نَزَلَتْ الآية الآتية بعد سطرين يَا رَسُولَ اللَّهِ نَقِيْ أَنْفُسَنَا فَكَيْفَ لَنَا بِأَهْلِيْنَا فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلامُ تَنهَوْنهنَّ عمَّا نهاكُم اللَّهُ عنهُ وتَأْمرونهنَّ بِمَا أَمَركُم اللَّهُ بِهِ فَيَكُونَ ذَلِكَ وِقَايَةً بَيْنَهُم وَبَيْنَ النَّار .

وقَالَ بَعْضُهُمْ بَعْدَ سِيَاقِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا قُوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَاراً وَقُوْدُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ ﴾ وَحَدِيْثُ كُلُّ مَوْلُودٍ يُوْلَدُ عَلى الفِطْرَةِ فَأَبَواهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ .

إِنَّ تَرْبِيَةَ الأَوْلاَدِ وَتَعْلِيْمَهُم لأَمْرٌ عَظِيْمٌ لَهُ شَأْنُهُ الأَكْبَر وَخَطَرُهُ الجَسِيْمُ فِي حَيَاتَنَا الدِّيْنِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ ، والخُلُقِيَّةِ ، فَهُمْ قُوَى المُجْتَمع المُنْتَظَر ودَعَائِمه التِيْ سَيَقُومُ عَلَيْهَا ، وعَلَيْهِمْ وَحْدَهُم يَتَوقَّفُ رُقِيُّ الأُمَّةِ الحَقِيْقِيّ وَنُمُوُّهَا وَتَقَدُّمُهَا .

وَإِنَّ أَمَامَهُم لَخَطَرٌ عَظِيْمٌ وَغَزْوٌ هَائِلٌ مُتَسَتِّرٌ بِبَعْضِ الثَّقَافَاتِ لِهَدْمِ عَقَائِدِهِمْ وَفَسَادِ أَخْلاَقِهِمْ ، وَانْتِزَاعِ رُوْحِ الإِبَاءِ والغَيْرَةِ والعَفَافِ مِنْ نفوسِهِم ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

وَإِنَّ مُشْكِلَتَهِمْ اليَوْمَ لَهِيَ أُمُّ المَشَاكِلِ فَلأَنْ نَخْسَرَ الأَمْوَالَ والأَنْفُسَ أَيْسَرُ وَأَهْوَنُ مِنْ أَنْ نَخْسَرَ رُوْحَ نَشْئِنَا المَعْنَوِيَّة ، وَعَقَائِدَهُمْ السَّلَفِيَّةِ ، فَيَجِبُ أَنْ نَسْعَى فِي حِيَاطَتِهِم بِسِيَاجِ الدِّيْنِ وَأَنْ نَغْرِسَ فِي نُفُوسِهِم أَوَّلاً وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ احْتِرَامَ الإِسْلاَم ، وَحُبَّ تَعَالِيْمِهِ ، وَآدَابِهِ قَوْلاً وَعَمَلاً وَاعْتِقَاداً .

يَجِبُ أَنْ يَعْتَنِيْ بِذَلِكَ الآبَاءُ والمُصْلِحُونَ يَجِبُ أَنْ لاَ يُوْكَلَ تَرْبِيَتُهم وَتَعْلِيْمُهُم وَتَهْذِيْبُهُمْ وَالإِشْرَاف عَلَيْهِم إِلَّا لِمَنْ عُرِفَ بِصِحَّةِ العَقِيْدَةِ وَسَلاَمَةِ المَبْدَأ وَنَزَاهَةِ العِرْضِ وَالمُحَافَظَةِ عَلَى شَعَائِرِ الدِّيْنِ وَأَرْكَانِهِ فَمَا أَنْتُم إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِنَشْئِكُم وَمَا النَّشْءُ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِالدِّيْنِ والأَخْلاَق .

وَإِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلاَقُ مَا بَقِيَتْ   فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاَقُهُم ذَهَبُوا

آخـــر :

إذا اسْتَحالَتْ سجايا القوم فاسـدة فَلَيْـسَ يَنفَعُـهم عِـلْمٌ ولا عَمَـلُ

ويَقُولُ الآخَرُ :

صَـلاَحُ أَمْـرِكَ لِلأَخْـلاقِ مَـرْجِعُـهُ فَقَـوِّم النَّفْسَ بالأَخْـلاَقِ تَسْـتَقِم

وَمَا الأَخْلاَقُ إلَّا بالتَّرْبِيَةِ الأَسْلاَمِيَّةِ الصَّحِيْحَة فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ في ثَمَراتِ قُلُوبكُم وَفَلَذاتِ أَكْبَادِكُمْ لاَ تُهْمِلُوا تربيتَهُمْ التَّرْبِيَةَ الإسلامية ، وَلاَ تَتَساهَلُوا بِهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فَقَدْ أُلْقِيَتْ إِلَيْكُمْ مَقَالِيْدُهُمْ ، وَأَصْبَحْتُمْ رُعَاةَ أُمُورِهِمْ ، وَلاَ تَكِلُوا أَمْرَهُمْ إلى حَاضِنَةٍ وَلاَ مُرَبِّيَةٍ وَلا إلَى مُعَلِّمٍ لَمْ تَتَأَكَّدُوا صِحَّةَ إِسْلاَمِه .

فإِنَّهُم وُلِدُوا أَصْفِيَاءَ النُّفُوس قَابلِيْنَ لِكُلِّ مَا أُلْقِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، فَإِنْ وُفِّقَ أَحَدُهُمْ فِيمَنْ يُحْسِنُ تَرْبِيَتَهُ وَتَعْلِيْمَهُ ويغذيه بلِبَانِ الدِّيْنِ ، وَيُحَبِّبُهُ لِسِيْرَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِيْنَ ، شَبَّ حَسَنَ الاخْلاَقِ طَيِّبَ النَّفْسِ ، مُتَمَسِّكاً بِدِيْنِهِ ، مُبْتَعِداً عَنِ الرَّذَائِلِ ، وَمُتَحَلِّياً بالفَضَائِلِ ، نَافِعاً لِلأُمَّةِ .

وَإِلَّا فَسَيَشِبُّ خَبِيْثَ النَّفْسِ فَاسِدَ الاعْتِقَادِ سَيِّءَ الأَخْلاَقِ خَالٍ مِنَ الرُّوْحِ الإِسْلاَمِيَّةِ وَالتَّعَالِيْمِ النَّبَوِيَّةِ كَلًّا على نَفْسِهِ وَعَشِيْرَتِهِ وَشَقَاءً وَشَرّاً عَلَى مُجْتَمَعِهِ ، وَبَلاَءً .

فَاتَّقُـوا اللَّهَ عِبَـادَ اللَّهِ في أَوْلَادِكُمْ بَاعِـدُوا بَيْنَهُمْ وَبَـيْنَ قُرَنَـاءِ السُّوْءِ وَفَاسِدِيْ الأَخْلاَقِ وَفَاقِدِيْ المُرُوءَةِ وَالشَّرَفِ ، وَمُرُوهُمْ بِمَا أُمِرْتُم بِهِ ، قالَ الله تَعَـالَى ﴿ وَأْمُـرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ وَأَخْبَرَ عَنْ اسْمَاعِيْلَ فَقَالَ ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بالصَّلاَةِ والزَّكَاةِ ﴾ الآيَةَ وَقَالَ حِكَايَةً عَنْ لُقْمَانَ وَهُوَ يُوْصِيْ ابْنَهُ ﴿ يا بُنَيَّ أَقِمْ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ واصْبِرْ عَلى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ .

وانْهَوْهُمْ عَمَّا يَضُرُّهُمْ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ لُقْمَانَ بَعْدَ مَا أَمَرَ ابْنَهُ بِأَشْيَاءَ نَهَاهُ

عَنْ أَشْياءَ فَقَالَ ﴿ وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهِ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ ، وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ واغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيْرِ ﴾ .

وذكر بَعْضُ العُلماء آدابًا نحو الصبي إذا بَلَغَ سِنَّ التَّمييْز فقال رحمه الله ومهما بدت من الصَّبي مخايل التمييز فينبغي أن يُحْسَنَ مُرَاقَبَتَهُ ومطالعةُ أحواله فإذا ظهرت في وجهه أنوار الحياء وكان يحْتَشِم ويَستحي مِن بعضِ الأفعالِ حتى يَراها قبيحة .

فهـذه هدايَةٌ مِن الله تعـالى إليه وبَشارة تَدُلُّ على اعتدالِ الأَخلاقِ وصفاءِ القلبِ .

ومَنْ هذه حالهُ فهو مُبَشر بكمالِ العقلِ عند البلوغِ .

فَيَنْبَغِي أَنْ لا يُهْمَلَ عن رعايةِ الاعتناءِ في حقّه بحُسنِ الأَدب .

وجُمْلَةُ ما نُشيرُ إليه ممّا يُعامَلُ به مِن الآدابِ واحدٌ وثلاثون أَدَباً .

الأَدبُ الأَولُ : هو أن الغالبَ على الأَطفال الشرَهُ في الطعامِ فَيَنْبَغِي أَن يُؤَدَبَ فيه فلا يأكلُ الطَّعامَ إلَّا بيَمِيْنِه .

ويقولُ بسم اللهِ عند أَكْلِهِ وليأْكُلْ مِمَّا يَلِيْه .

ولا يُبَادِرُ إلى الطَّعامِ قبلَ غيرِهِ .

قال الشاعر :

وإن مُدَّتِ الأَيْدِي إلى الزَّادِ لم أَكُنْ   بِأَعْجَلِهِم إِذْ أَجْشَعُ القومِ أَعْجَلُ

ولا يُحَدِّق إلى الطعامِ وإلى مَن يأْكُله فإنَّ هذه دَليلٌ على البُخل .

الأَدَبُ الثاني : يُؤمَرُ أَنْ لا يُسرِعَ في الأَكلِ ، ويَمْضغَ الطعامَ مَضْغاً جَيِّداً ولا يُوالي بَيْنَ الأَكلاتِ ويُلَطِّفُ اللُّقْمَةَ ولا يُلَطِّخُ أَثْوابَهُ .

الأَدَبُ الثالثُ : يُعوَّدَ أَكْلَ الخُبْزِ مِن غيرِ الإِدامِ في بَعْضِ الأَوقاتِ

حتى يَصِيْرَ بحَيْثُ لا يرى الإدامَ حَتْماً وَاجباً لأنه ربما فَقَدَه .

ويُقَبَّحُ عنده كَثْرَةُ الأكل بأَنْ يُشَبَّهُ مَن يُكْثِرُ الأَكلَ بالبهائم .

ويُذَمُّ الصّبيُّ الذي يُكْثِرُ الأَكل عِندَه ويُمْدَحُ الصَّبيُ القَلِيلُ الأكلِ حتى يَقْتَدِي بذَلِكَ لئلا يَصيرَ شرِهًا لا يَهُمُّه إلا بَطْنُه .

الأَدَبُ الرابعُ : يُحَبَّبُ إليه الإيثار بالطعامِ وقلّة المبالاةِ ، ويُمْدَحُ عندَه الطّعام الذي فيه خُشُونَةٌ أيَّ طعامٍ كانَ بِحَيْثُ لا يَكُونُ مُوْلَعاً بالطّعامِ اللَّيِّنِ فَيَصْعُبُ عليه مُفَارَقَتُهُ .

الأَدَبُ الخامسُ : يُسْتَحَبُ أن يكونَ لِبَاسُهُ مِن الثّياب البيضِ دُوْنَ الثّياب الملوّنةِ بالصّباغَاتِ المُزَعْفَرَةِ والمعصفرة وأنواعِ الدّيباجِ والأبريسم .

ويُقَرِرُ عندهَ أن ذلكَ إنّما هو مِن لِباسِ النّسوانِ والرّجالِ الذين لا خيرَ فيهم ولا دِينَ لَهُم وأن الرجالَ يستنكفون عن ذلك .

الأَدَبُ السادسُ : أنه مَهْمَا رَأَى على صبي ثَوباً مِن دِيباجٍ أَوْ حَرِيْرٍ أو أبريسَم فينبغي أَن يُنْكَرَ عليه فَيُذَمَّ على لُبسهِ ويُزَالَ عنه بكلِّ حالٍ ولا يُغْتَفَرُ لَهُ ذلك ويُذَمُّ عنده إسْبَال الثِيابِ لِيَعْتَاد عَدَمَ الإسبال .

الأَدَبُ السّابعُ : يَنْبَغِي أَنْ يُحْفَظَ الصبيّ عن الصّبيان الذين عوّدُوا التنّعمَ والترفّهَ ولبسَ الثّيابِ الفاخرةِ وعن مُخَالَطةِ مِنَ يَرْغَبُ فيها ذكرناه .

فإنّ الصبىَ إِذَا أُهْمِلَ في أَولِ النشأَة خَرَجَ في الأغلبِ رَدِيّ الأخلاق كذاباً حَسُوداً سَرُوقاً نَمّاماً لَجُوجاً ذَا فُضُول ومُجُون ، وإنّما يُحْفَظُ عن ذلك كُلّهِ بحُسْنِ الأدب .

الإِدَبُ الثامنُ : ثم إنّه يُسْتَحَبُ أَن يُشْغَل في المكتب يتعلّم القُرآن وتَفسْيْرَهُ وأَحاديثَ الرسول ﷺ والفقه ويحرص على حفظ القُرآن عن ظهر قلب وكذلك الأَحاديث الصحيحة كالعمدة وكذلك مختصر المقنع أو دليل الطالب لأن الحفظ هو العلم فمن لم يحفظ لا يقدر على اسْتِخْراج المسائل غالباً والله أعلم .

ويَعْتَمِدُ في حفظ المواعظ الحسنة وأخبار الأَبرار وحكاية أَهل الصلاح في الزُهدِ في الدُنيَا وحُسْنِ الريّاضةِ لِلنفس فَيَنْغرِسُ في قلبِهِ حُبُّ الصّالِحِين والاقتداء بهم . قُلتُ ويحذر عنِ كُتُبِ الأشاعرة والمعتزلة والرافضة وجميع أهل البدع .

الأَدَبُ التّاسعُ : يَنْبَغِي أن يُحْفَظَ عن الأَشعارِ التي فيها ذكر الهجاء والعشّـاق ويُحْفَظ عن مُخَالَـطةِ مَن هذه حالُه في اتّباعِ الهوى فإنَّ ذاكَ مَهْما انْغرَسَ في قلوبِ الصّبيان فإنّه يَبْذُرُ الفَسادَ في النّفوس .

الأَدَبُ العَاشِرُ : أَن يُعَوَّدَ كتابةَ الخطِ وحفظَ الأَمثال الشعريّة والاشعار الزهدية فإنَّ ذلك صفةُ كمالٍ وزينةٍ ، وقد قال أمير المؤمنين رضي الله عنه ، عليكم بحُسْنِ الخطِ فأنّه من مفاتيح الرزق .

الأَدَبُ الحـادي عَشَرَ : إذا ظهرَ من جهةِ الصبى فِعْلٌ جَمِيْلٌ وخُلُقٌ حَسَنٌ فَيَنْبَغِي أَن يُكْرَمَ عليه ويُجَازَي بما يَفْرَحُ به ويُمْدَحَ بينَ أَظهر النّاسِ .

فإن خَالَفَ ذلك في بعضِ الأَحوالِ مَرة واحدةً فَيَنْبَغِي أَنْ يُتَغَافَلَ عنه ولا يُهْتَكُ سِتْرُهُ في مَلإٍ مِن الخلقِ ولا يُكَاشَفُ في وجْهِهِ ويُظْهَرَ لَهُ أنَّ مِثْلَ هَذا لا يَتَجاسَرَ عليه أَحدٌ لا سِيَّما إذا سَترَهُ الصَّبىُ وأَخْفَاهُ .

الأَدَبُ الثاني عَشرَ : أنّه إن عَادَ إلى ذلك فَيَنْبَغِي أَنَّ يُعَاتَبَ سراً وَيُعَظَّمَ عليه الأَمرُ ويُقَالُ لَهُ إيَّاكَ أَن يُطَّلعَ عليكَ في مِثْلِ هَذا فَتَفْتَضِحَ بَيْنَ النّاسِ .

ولا يُكْثَرُ عليه العِتَابُ في كُلِ حِينٍ فإنَّ ذلك يُهَوّنُ سَماعَ الملامَةِ في حَقِّهِ ويَسْقُطُ وَقْعُ الكلام في قَلْبِهِ .

الأَدَبُ الثالثُ عَشرَ : أن يكونَ الأَبُ حَافِظاً لِهَيْبَةِ الكَلام مَعَهُ ولا يُوبّخُهُ إلا أَحْيَاناً ، والأُمُ تُخَوِّفُه بالأَبِ وتَزْجُرُهُ عن القَبَائحِ وتُظْهِرُ له الوَعِيْدَ بِشِدَّةِ الأَبِ وخَوْفِهِ مِنه .

الأُمُّ مَدْرَسَـــةٌ إذا أَعْدَدْتَهَـــا ... أَعْدَدْتَ شعْبَـا طَيِّبَ الأَعْـرَاقِ

الأم رَوْضٌ إنْ تَعْهَــدَهُ الحَيَــا ... بالدّيْــنِ أَوْرَقَ أَيَّمَــا إيْــرَاقِ

الأَدَبُ الرابعُ عَشرَ : ينْبَغِي أَن يُمْنَعَ مِن النّوم نَهاراً فإن ذلك يُورِثُ الكَسَلَ في حَقِّهِ ولا يُمْنَعُ مِن النوم لَيْلاً لأَنَّ مَنْعَهُ مِن النّوم في الليل يُورِثُ المَلاَلَةَ والتَّسخُنَ ويُضْعِفُ عن مُكَابَدَةِ النّوم وشدّةِ النُعَاس .

الأَدبُ الخامسُ عشَرَ : يَنْبَغي أَنْ يمنعَ مِن استعمال الفَرَش الوَطِيةِ حَتى تَتَصَلَّبَ أَعْضَاؤُهُ ويَسْتَخِفُ بَدَنُه فلا يَصْبِرُ عن التنعّم .

بَلْ يُعَـوَّد الخُشُونَةَ في الملبس والمفرش والمطعم والمشرب . فقد قال رسولُ اللَّه ﷺ « إيَّاكُم وفُضُولَ المَطْعَم فإنّه يَسِمُ القلبَ بالقَسْوَةِ » .

الأَدَبُ السادسُ عَشَرَ : يَنْبَغي أَن يمنعَ مِن كُلِّ مَا يَفْعَلُه في خُفْيَةٍ فإنَّه لا يُخْفِيْهِ إلاّ وهُو يَعْتَقِدُ أَنَّه قَبِيحٌ فَيَدْعُو ذلك إلى أَنّه يَتَعوَّدُ فِعْلَ كُلّ قَبيح .

الأَدَبُ السابعُ عَشَرَ : يَنْبَغِي أَن يُعَوّد في بَعض النهارِ المشيَ في الحَرَكَةِ والرّياضةِ حتى لا يَغلِب عليه الكسلُ ويتَعود الميلَ إليه .

وإنْ كان مِمَّنْ يَعْتَادُ الرَّمْيَ ويُحِبُّه فلا بَـأْسَ بشُغْلِهِ ، وهكذا الحالُ في رُكوبِ الخَيلِ فقد قال ﷺ « ثلاثةٌ لا تُعَدُ مِن اللّهوِ ، لَهْوُ الإِنسانِ بِفرسِهِ ولَهْوُهُ بقَوْسِهِ ولَهْوُهُ بأَهلِهِ » .

الأَدَبُ الثّامنُ عَشرَ : يَنْبَغِي أَن يُعَوَّدَ أَن لا يَكْشفَ أَطرافَهُ ولا يُسْرِعَ في المشي ولا يُرخِي يَدَيْهِ يُحَرِّكُهُمَا وَرَاءَهُ فِعْلَ المتبَخْتِرِ .

فقد نهى رسولُ الله ﷺ عن هذه المِشْيَةِ ، وهكذا حَالُ التَّمطُّطِ عند المشي مَكْرُوه أَيْضاً وقد نهى عنه .

الأَدَبُ التاسعُ عَشرَ : يَنْبَغِي أَن يُمْنَعَ مِن الافْتِخارِ على أَقْرانِهِ وأَمثالِهِ بِشيءٍ مِمّا يَمْلِكُه أَبَواهُ أَو بشيءٍ مِن مَطَاعِمِهِ ومَلابِسِه ونحو ذلك ويُعَوَّدُ التواضُعَ والإِكْرَامَ لِكُلِّ مَن عَاشَرَهُ مِن الصِّبيَانِ ويُلَطَفَ في الكلامِ مَعَهُم .

الأَدَبُ العُشْرُوْن : يُمْنَـعُ أَن يَأْخُذَ عَلَى الصِّبْيَانِ مِن أَمثالِهِ شيئاً إذا كانَ مِن أَهْلِ الشرفِ والرِّياسَةِ ويُقَرَّرُ في نَفْسِهِ أَنَّ الأَخذَ لُؤْمٌ وخِسَّةٌ ونُزُولُ قَدْرٍ وأَنَّ الإِعطاءِ كَرَمٌ وشَرَفٌ .

وإن كانَ مِن أولادِ الفُقَراءِ فَيُقَررُ في نَفْسِهِ أَنَّ الأَخْذَ طَمَعَ وفي الطَّمَعِ مَهَانَةٌ ومَذَلَّةٌ وأَنَّ ذلِكَ مِن دَأْبِ الكِلابِ فإنه يَتَذَلَّلُ في انْتِظارِ لُقْمَةٍ .

الأَدَبُ الحادِي والعُشْرون : يَنْبَغِي أَنْ يُقَبحَ إلى الأَولادِ حَبَّ الذهبِ والفِضّةِ والطّمعِ فيهما ويُحَذَّرَ مِنْهُمَا أَكْثَرَ مِمَّا يُحَذَّرُ مِن الحَياتِ والعَقارِبِ والسُّمُومِ .

فإِنَّ آفةَ حُبِّ الذّهبِ والفِضّةِ والطّمعِ فيهما أَكْثَرُ مِن آفةِ السُمُومِ على الصِبْيَانِ بَلْ على الأَكابرِ مِن العقلاء ، فإِنَّ ضَرَرَ السُم يَنْقَطِعُ بالموتِ وضَرَرُ حُبِّهِمَا يَتَجَدَّدَ بعدَ الموتِ .

الأَدَبُ الثاني والعِشرون : يَنْبَغِي أَنْ يُعَوّدَ أَنْ لا يَبْصُقَ في المجلِس ولا يَتَمخَّط بحَضْرَةِ غيرِه ولا يَسْتَدبر غَيرَهُ من المسلمين ولا يُكْثِرَ التّثاؤب .

الأَدَبُ الثالثُ والعِشرون : يَنْبَغِي أَن يُعَلَّمَ كيفيةَ الجُلوسِ على رُكْبَتَيْهِ على الأَرْضِ أَوْ ناصِباً قَدَمَهُ اليَمِينَ وَاضِعَ الأُخرى على الأَرْضِ أَوْ يَقْعُدْ مُحْتَبِياً بيَدَيْهِ ، هكذا كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَفْعَلُ في أَكْثَرِ أَحْوالِهِ .

الأَدَبُ الرابِعُ والعِشرون : يَنْبَغِي أَنْ يُمْنَعَ مِن كَثْرَةِ الكُلامِ إلا من ذكـرِ اللهِ ويُبَيَّنَ لَهُ أَنَّ ذَلِكَ مِن أَمارةِ الوَقَاحَةِ وأَنَّه عَادَةُ أَبناءِ اللئامِ وأَولادِ السِّفلةِ مِن الناس لِيَنْزَجِرَ عن ذلك ويَمْتَنِعَ منه والله أعلم .

الأَدَبُ الخامِسُ والعِشرون : يَنْبَغِي أَن يُمنعَ عن الأَيْمَانِ صِدْقاً كانَتْ أَوْ كَذِباً حتى لا يَتعوَّدَ ذلك في حَالِ الصِّغرِ .

الأَدَبُ السـادسُ والعِشرون : يُمْنَـعَ مِن لَغْوِ الكَلامِ وفُحْشِهِ ومِن اللعنِ والسّب ، ومِن مُخالـطَةِ مَن يجْرى على لِسَانِهِ مثلُ ذَلِكَ ، فإِنَّ ذلِكَ

يَسْرِي لا مَحَالَةَ مِن قُرَنَاءِ السوءِ ، وأَصلُ تأْديبِ الصِّبيانِ الحِفْظُ مِن قُرناءِ السُوءِ . قُلْتُ ويحذر من التلفاز والفديو والمذياع والمجلات المَدَّامَةِ لِلأَخــلاقِ .

الأَدَبُ السابعُ والعِشرون : يَنْبَغِي أَن يَتَعَلَّمَ شَجَاعَةَ القَلْبِ والصَّبْرِ على الشـدائـدِ وتمْدحَ هذِهِ الأَوصافَ بَيْنَ يَدَيْهِ ولِسَمَاعِهِ لَمَا يَنْغَرِسُ في قَلْبِهِ حُسْنُهَا وَيَتعوَّدُهَا .

الأَدَبُ الثـامنُ والعِشرون : يَنْبَغِي أَن يُعَلَّم طاعـة والـديه ومُعَلمه ومؤدّبه وكل من هو أكبر منه سنّاً من قريب أَوْ بعيد أَوْ أَجنبي من المسلمين وأن يكون ناظراً إليهم بعين الجلالة والتعظيم ، وأن يترك اللعب بين أَيديهم فهذه الآداب كلها متعلقة بسن التمييز في حالة الصغر قبل البلوغ إنتهى باختصار .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصبحه وسلم .

فصل في كَلامٍ نافعٍ في بيان فوائد الجوع وآفات الشبع
فقال رحمه الله

الفـائـدةُ الأُولى : صَفَاءُ القَلْب واتِّقَادُ القَرِيحة ونَفَاذُ البَصِيرَةِ ، فإِنَّ الشّبـعَ يُورثُ البلادةَ وَيعْمِي القلبَ وَيكثر البُخَارَ في الدِماغِ يشبهِ السُّكْر حتى يَسْتَوِلي على مَعَادِنِ الفِكْرَة فَيَثْقُلُ القلبُ بِسببِ ذلك الجَريانِ في الأَفكارَ .

الفائدةُ الثانيةُ : رِقَّةُ القلب التي يَتَهَيَّأُ بها لإِدراكِ حَلاوةِ المناجاةِ لِلَّهِ عَزَّ وجل ، فكَمْ مِن ذِكْرٍ يَجْري على اللسانِ مَعَ حُضُورِ القلب .

ولكن القَلْبُ لا يَلتذَ بِهِ ولا يَتَأَثَّرُ عنه حتى كأَن بَيْنَهُ وبَيْنَهُ حِجاباً مِن قَسَاوَةِ القلب .

وقـد يَرقّ في بعضِ الأَحوالِ فَيَعْظُم تأَثُّرُهُ بالذكرِ وتَلَذُّذُهُ بالمناجاة ، وخُلُو المعدةِ هو السَّبَبَ الأَظهر في ذلك .

الفائدةُ الثالثةُ : الانكسَارُ والذلُ وزوالُ البَطَرِ والفَرَحِ والأَشَرِ الذي هو مُبْدأُ الطُغيانِ والغفْلةِ عن الله تعالى .

ولا تَنْكَسِرُ النّفسُ ولا تَذِلّ كما تَذِلُّ بالجُوع ، فعِندهُ يَسْتكِينَ العبدُ لِربّهِ ويَخْشَعُ له ويَقِفُ على عَجْزِه وذُلّهِ .

والبَطْرُ والفَرَحُ بَابَانِ مِن أَبواب النّارِ وأَصلُهُما الشّبعُ ، والذُلُ والانكِسارُ بَابَانِ مِن أَبواب الجنّةِ ، وأَصلُهُما الجَوعِ .

ومن أَغلق باباً مِن أبوابِ النّارِ فقد فتح باباً مِن أبوابِ الجنةِ بالضّرورَةِ لأَنّهما مَتَقَابلان كالمغربِ والمشرقِ ، فالبُعْدُ مِن أَحدِهما قربٌ مِن الآخرِ .

الفائدةُ الرابعة : لا يُنْسَى بلاءَ الله وعذابه ولا ينسى أَهل البلاءِ ، فإنّ الشَّبْعَان يَنسَى الجَائِعِينَ ويَنْسَى الجُوعَ ، والمؤمنُ الفَطِنُ لا يَشاهِدُ بَلاءً إلا ويُذَكِّره بَلاءَ الآخرةِ ، ويَتَذكّرَ مِن عَطشِهِ الخلائق في عَرصاتِ القِيامة ، ومِن جُوعِهِ جُوعَ أَهلِ النّارِ حِينَ يَجُوعُون فَيُطْعَمُون مِن الزّقُّومِ ، والضّرِيعِ ويُسْقونَ الغَسَّاق والمَهْلَ .

الفائدةُ الخامسةُ : كسرُ شهوَاتِ المَعَاصِي كُلّها والاستيلاءُ على النّفسِ الأَمّارةِ بالسُّوءِ ، فإنّ مَنْشأَ المعاصِي كُلّها الشّهواتُ .

ونَيْلُ الشّهواتِ مادةُ القُوى ، ومادّةُ الشّهواتِ والقُوى لا مَحالَةَ الأَطعِمة ، فَبِقِلّتِها تضعفُ كُلّ شهوةٍ وقُوّةٍ .

والسعَادةُ كُلَها أَن يملِكَ الإِنسانُ نَفْسَهُ ، والشّقاوةُ في أَنْ تَمْلِكَ الإِنسانَ نفسُه وتكون هِي المستَولِيةُ عليه .

الفائدةُ السادسةُ : رَفْعُ النّومِ ودَاومُ السّهرِ ، فإنَّ كُلَّ مَن شَبِعَ شَرِب كَثِيراً ، ومَن كَثُرَ شُرْبُهُ كَثُرَ نَومُه .

وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوتُ التّهجُّدِ وبلادَةُ الطبعِ وقساوةُ القلبِ ، والعُمُرُ أَنْفَسُ الجواهِرِ وهُو مَالِ الإِنسانِ الذي به يَتَّجِرُ .

الفائدةُ السّابعةُ : تَيْسِيْرُ المواظبةِ على العِبادةِ فإن كَثْرَةَ الأَكلِ تَمنعُ مِن كثرةِ العبادةِ .

لأَنَّ الأَكلَ يَحتَاجُ إلى زمانٍ يَشْتَغلُ فيه بالأَكلِ ، وربَّما احتاجَ إلى زمانٍ في شِراءِ الطعام وطبخِهِ ثم يحتاجُ إلى غسلِ اليدِ والخِلالِ ثم يَكْثُرُ تردّدهُ للخُروجِ إلى بيتِ الماءِ .

وهذهِ أوقاتٌ يمكنُ صرْفُها إلى العِبادة عِوضاً عن الأَكلِ المباحِ وليس لها سَبَبٌ إلاّ كثرة الأَكلِ والتوسّعُ في الشِبَعِ .

الفائدةُ الثامنةُ : صحة البدنِ ودفع الأَمراضِ فإن سببها كثرةُ الأَكلِ وحُصول فضلات الأَخلاطِ في المعِدةِ والعروق .

ثم إن المرضَ يمنعُ مِن العباداتِ ويُشوش القلوب ويمنعُ مِن الذكرِ والفكرِ وينغص ويُحْوِجُ إلى الفصدِ والحِجامة والدواءِ والطبيب ، وكُلُ ذلك يحتاجُ إلى أُمورٍ كثيرةٍ وتبعاتٍ وفي الجُوع ما يمنعُ من ذلكَ كُله .

الفائدةُ التاسعة : خفّةُ المؤنةِ فإنَّ كُلَ مَن تَعَوَّدَ قِلّةَ الأَكل كَفَاهُ مِن المالِ قَدرٌ يَسِير .

والذي تَعَوَّدَ الشّبعَ صَارَ بَطْنُه غَريماً مُلازماً يأُخذُ بِمخْنَقِه كُلَّ يومٍ فيقولُ مَاذا تأْكلُ اليومَ .

فيحتاجُ إلى أَن يَدْخلَ في المداخِلِ الخَبِيْثَه مِن الحَرام فَيَعصْى أو مِن الحَلالِ فيذِلَ وَيَتْعَبُ .

وربّما يَحَتاجُ إلى أَن يمدَّ عَيْنَيْه إلى الخلقِ بالطمعِ فيما في أَيْديهم وهو غايةُ الذُلِ والمؤمنُ خَفِيْفُ المؤنة .

الفائدةُ العاشرةُ : التمكنُ مِن الأَيثارِ والتصدّقِ بما فَضَلَ مِن الأَطعمةِ على اليتامَى والمساكين ، ويكونُ يومَ القِيامة في ظِلِ صَدَقَتِهِ كما ورد في الخبر .

فَمَا يأْكلهُ فَخزَانَتُهُ الكَنِيْـف وما يَتَصَدقُ به فخزِانَتُهْ فَضْل الله ورحمتُه .

فهـذه جُمْلَةُ ما نريد ذِكْرَهُ مِن فَوائِد الجوع ، وأَما آفات الشّبع فهو نقائض هذه الخصال التي أوردناها فلا حاجة لنا إلى تكريرها إنتهى .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

وَقَال الشَّيْخُ عَليّ بْنُ حُسَينْ بْن الشَّيْخ مُحَمَّدِ بْن عَبْدِ الوَهَّاب رَحِمَهُم اللَّهُ حينَ جَلَوْ مِن الدّرْعِيّةِ بَعْدَ اسْتِيْلاَءِ الأَعْدَاءِ عَلَيْهَا سُقْنَاهَا لَعَلَّ المُسْلِمِينَ يَسْتَيْقِظو مِنْ رَقْدَتِهِم وَيَرْجعُوا إلى اللَّهِ وَيَأْمُروا بالمَعْرُوف وَينْهوا عَنْ المنكرِ قَوْلاً وَفِعْلاً وَيَخْشَوْا العُقُوبَةَ الَّتي إِذَا جَاءت لا تخصُّ الظَّالِمِيْنَ .

اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا بعبادك الصالحين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

شِـعْراً :

خَلِيْلَيَّ عُـوْجَـا عَنْ طَـرِيْقِ العَـوَاذِلِ
بِمَهْجُـورِ لَيْلى فَـابْكِيَـا في الْمَنَـازِلِ
لَعَـلَّ انْحِـدَارَ الـدَّمْـعِ يُعْقِبُ رَاحَـةً
مِنْ الوَجْدِ أو يَشْفِيْ غَلِيْلَ البَلاَبِـلِ
أَرَى عَبْـرَةً غَبْـرَاءَ تَتْبَـعُ أُخْتَهَـا
عَلى إِثْـرِ أُخْـرَى تَسْتَهِـلُّ بِـوابِـلِ
تُهَيّـجُ ذِكْـراً لِـلأُمُـوْرِ التِي جَـرَتْ
تُشِيْبُ النَّـوَاصِي وَاللِّحَـا لِـلأَمَـاثِـلِ
وَتُسْقِطُ مِنْ بَطْنِ الحَوامِـلِ حَمْلهَا
وَتُـذْهِـلُ أَخْيَـارَ النِّسَـاءِ المَـطَافِـلِ

فَبَيْنَا نَسُودُ النَّاسَ والأَمْرُ أَمْرُنَا
وَتَنْفُذُ أحْكَامٌ لَنَا في القَبَائِلِ
وَتَخْفِقُ رَايَاتُ الجِهَادِ شَهِيْرَةً
بِشَرْقٍ وَغَرْبٍ يَمْنَةً وَشَمَائِلِ
تَبَدَّلَتَ النَّعْمَاءُ بُؤْساً وَأَصْبَحَتْ
طُغَاةٌ عُتَاةٌ مَلْجَئاً لِلأَرَاذِلِ
وَبَثَّ عُتَاتُ الدِّيْنِ في الأَرْضِ بَغْيَهُم
وَرِيْعَتْ قُلُوبُ المُؤْمِنِيْنَ الغَوَافِلِ
وَأَقْبَلَ قَادَاتُ الضَّلالَةِ وَالرَّدَى
وَسَادَاتُهَا في عَسْكَرٍ وَجَحَافِلِ
وَشُتِّتَ شَمْلُ الدِّيْنِ وَانْبَتَّ أَصْلُهُ
فَأَضْحَى مُضَاعاً كَالبُدُوْرِ الأَوَافِلِ
وَفَرَّعَنِ الأَوْطَانِ مَنْ كَانَ قَاطِناً
تَرَاهُمْ فُرَادَى نَحْوَ قِطْرٍ وَسَاحِلِ
وَفُرِّقَ شَمْلٌ كَانَ لِلْخَيْرِ شَامِلاً
وَزَالَتْ وُلاَةُ المُسْلِمِيْنَ الأَعَادِلِ
وَسَادَ شِرَارُ الخَلْقِ في الأَرْضِ بَعْدَهُمْ
وَدَارَتْ رَحَىً لِلأَرْذَلِيْنَ الأَسَافِلِ
فَأَصْبَحَتِ الأَمْوَالُ فِيهِمْ نَهَائِباً
وَأَضْحَتْ بِهَا الأَيْتَامُ خُمْصَ الحَوَاصِلِ
فَكَمْ دَمَّرُوْا مِن مَسْكَنٍ كَانَ آنِساً
وَكَمْ خَرَّبُوْا مِن مَرْبَعٍ وَمَعَاقِلِ

وَكَمْ خَـرَّبُـوْا مِن مَسْجِـدٍ وَمَـدَارِسٍ
يُقَـامُ بِهَا ذِكْـرُ الضُّحَى والأَصَـائِـلِ
وَكَمْ قَـطَعُـوْا مِن بَـاسِقَـاتٍ نَـوَاعِـمٍ
وَكَمْ أَغْلَقُوْا مِن مَـعْقَـلٍ وَمَـنَـازِلِ
وَكَمْ أَهْلَكُـوا حَـرْثـاً وَنَسْـلاً بِبَغْيِهِمْ
وَكَمْ أَيْتَمُـوْا طِفْـلاً بِغَـدْرٍ وَبَـاطِـلِ
وَكَمْ هَتَكُـوا سِتْـراً حَيِّيـاً مُمَنَـعـاً
وَكَمْ كَشَفُوا حُجْبَ العَذَارَى العَقَائِلِ
وَكَمْ حَرَّقُوا مِن كُتْبِ عِلْمٍ وحِكْمَـةٍ
وفِقْـهٍ وَتَـوْحِيـدٍ وَشَـرْحِ مَسَـائِـلِ
وَكَمْ هَـدَمُـوْا سُـوْراً وَقَصْـراً مُشَيَّـداً
وَحِصْنـاً حَصِيْنـاً أَوْهَنُـوْا بـالمَعَـاوِلِ
وَكَمْ أَسَـرُوْا مِن حَاكِمٍ بَعْـدَ عَـالِمٍ
وَكَمْ زَلْـزَلُوْا مِنْ مُحْصَنَـاتٍ غَوَافِـلِ
وَكَمْ قَتَـلُوا مِنْ عُصْبَـةِ الحَقِ فِتْيَـةً
تُقَـاةً هُدَاةً في الـدُّجَى كَالمَشَـاعِلِ
يَـذُوْدُوْنَ عَن وِرْدِ الدَّنَـايَـا نُفُـوسَهُمْ
وَيَسْعَـونَ جُهْـداً لإِقْتِنَـاءِ الفَضَـائِـلِ
فَمَا بَعْدَهُمْ وَاللَّهِ في العَيْشِ رَغْبَـةٌ
« لدَى مُخْلِصٍ حُرٍّ كَرِيْمِ الشَّمَائِلِ »
مَضَـوْا وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُمْ حِيْنَ أَوْرَثُـوا
ثَنَـاءً وَمَجْـداً كَـالهُـدَاةِ الأَوَائِـلِ

فَـوَا أَسَفـاً مِنْ فَقْـدِهِمْ وَفِـرَاقِهِمْ
وَوَاسَوْءَتا مِنْ بَعْدِ أَهْلِ الفَضَـائِلِ
فَجَـازَاهُمُ الـرَّبُّ الكَـرِيْمُ بِـرَحْمَـةٍ
تَعُمُّ عِـظَامـاً أُوْدِعَتْ في الجَنَـادِلِ
وَأَبْقَى لَهُمْ نَـصْـراً وَأَهْـلاً مُؤَثَّـلاً
يُعِـزُّ هُدَاةَ الدِّيْنِ بَيْنَ الجَحَـافِـلِ
لَـقَـدْ بَخِلَتْ عَيْنٌ تَظُنُّ بِمَائِـهَـا
عَلى فَقْـدِهِمْ أو دَمْعُ عَيْنٍ تُهَـامِـلِ
فَقَدْ كُسِفَتْ شَمْسُ المَعَارِفِ بَعْدَهُمْ
وَسَـالَتْ جُفُونُ بـالدُّمُـوعِ الهَوَاطِـلِ
فَكَمْ عَـاتِقٍ غَـرَّاءَ تَبْكِيْ بِشَجْوِهَا
وَأَرْمَـلَةٍ ثَـكْـلَى وَحُبْـلَى وَحَـائِـلِ
يَـنُـحْـنَ بِـأَكْـبَـادٍ حِـرَارٍ وَعَـبْـرَةٍ
وَيَكْـظِمْنَ غَيْظاً في الجَـوانِبِ دَاخِلِ
يُـرَجِّعْنَ أَلْحَـانَ التَّعَـزِّيْ بِحُـرْقَـةٍ
وَيُـظْهِرْنَ صَبْـراً عَنْ شُمَـاةٍ وَعَـاذِلِ
فَلَوْ شَهِـدَتْ عَيْنَـاكَ يَـوْمَ رَحِيْلِهِمْ
عَنْ المَسْكَنِ الأَعْلَى الرَّفِيْعِ المَنَازِلِ
وَفُـرِّقَتْ الأَحْبَابُ في كُـلِّ قَـرْيَـةٍ
وَسَـارَ بِهِمْ حِـزْبُ العَـدُوِّ المُـزَايِـلِ
يَسُـوقُـوْنَهُمْ سَـوْقـاً عَنِيْفـاً بِشِـدَّةٍ
وَيُـزْجُـوْنَ أَشْيَـاخـاً بِتِلْكَ القَـوَافِـلِ

لَذابَتْ جُفُون العَيْنِ وَاحْتَرقَ الحَشا
وَسَالَتْ خُدُوْدٌ بالدُّمُوعِ السَّوائِلِ
فَقَدْ عَاثَت الأَحْزَابُ في الأَرْضِ بَعْدَهُمْ
بِكلِّ مكانٍ ناصِبِيْنَ الحَبَائِلِ
فَكَمْ غَارَةٍ غَبْرَاءَ يُكرَهُ وِرْدُهَا
على إِثْرِ أُخْرَى بَيْنَ تِلْكَ القَبَائِلِ
وَكَمْ فِتْنَةٍ كُبْرَى تُتَابِعُ أُخْتَهَا
عَلى إِثرِ صُغْرَى مِنْ قَتِيْلٍ وَقَاتِلِ
تَرَى خَيْلَهُم في كُلِّ يَوْمٍ مُغِيْرَةً
عَلى دَاخِلٍ أَو خَارِجٍ أَوْ مُسَابِلِ
عَسَى وَعَسَى أَنْ يَنْصُرَ اللهُ دِيْنَنَا
وَيَجْبُرَ كَسْراً مُثْقَلاً بالحَبَايِلِ
وَيَعْمُرَ لِلسَّمْحَاءِ رُبُوعاً تَهدَّمَتْ
وَيُعْلِي مَنَاراً لِلْهُدَى غَيْرَ زَائِلِ
فَيَظْهَرُ نُورُ الحَقِّ يَعْلُو سَنَاؤُهُ
فَيُضْحِيْ ظَلامُ الشِّرْكِ وَالشَّكُّ زَائِل
وَيَكْسِرَ أَعْلَامَ الضَّلَالَةِ إِنَّهُ
قَرِيْبٌ مُجِيْبٌ مُسْتَجِيْبٌ لِسَائِلِ
وَيَطْمِسَ آثَارَ الفَسَادِ بِدِيْمَةٍ
مِنْ النَّصْرِ هَتَّانِ الجَوانِبِ وَابِلِ
فَيَنْبُتُ زَرْعُ الحَقِّ أَخْرَجَ شطأة
مُسِحّاً بِخَيْرٍ لِلثِّمَارِ الحَوَاصِلِ

إِلَـهِيْ فَـحَقِّـقْ ذَا الـرَّجَـاءَ فَـإِنَّنَـا
عُبَيْـدُكَ تُبْنَـا لَسْتَ عَنَّـا بِغَافِلِ
أَغِثْنَا أَغِثْنَا وَارْفَـعِ الضُّـرَّ وَالبَـلاَ
بِعَفْـوِكَ عَنَّـا يَـا قَـرِيْبُ لآمِـلِ
فَـإِنْ لَمْ تُغِثْنَا يَا قَـرِيْبُ فَمَنْ لَنَـا
لِنَقصُـدَ في دَفْـعِ الأُمُـوْرِ الثَّقَـائِـلِ
إِلَيْـكَ أَنَبْنَا فَـاغْفِـرْ الـذَنْبَ والخَـطَا
إِلَيْكَ رَجَعْنَا فَـارْجِعِ الخَيْـرَ كَامِـلِ
فَقَـدْ سَامَنَـا الأَعْدَاءُ سَـوْمـاً مُبَـرِّحـاً
بِقَتْـلٍ وَأَسْـرٍ مُـوْثَقـاً بِـالحَبَـائِـلِ
عَلى غَيْـرِ جُرْمٍ غَيْـرِ تَـوْحِيْـدِ رَبِّنَـا
وَهَـدْمِ قِبَـابِ المُشْـرِكِيْنَ الأَبَـاطِـلِ
وَأَمْـرٍ بِـمَعْـرُوْفٍ وإِنْـكَـارِ مُنْـكَـرِ
وَفِعْـلِ صَلاَةٍ في الجَمَـاعَةِ حَـافِلِ
وَأَخْـذِ زَكَـاةِ المَـالِ فَـرْضَـاً مُؤَكَّـداً
يُـرَدُّ لِذِي فَقْـرٍ وَغُـرْمٍ وَعَـامِـلِ
وَحَـجٍ وَتَـقْـوِيْـمِ الـجِـهَـادِ لأَنَّـهُ
أَمَـانٌ وَعِـزٌ عَـنْ مَـذَلَّـةِ خَـاذِلِ
إِذَا مَـا مَـلَكْنَـا قَـرْيَـةً أَوْ قَـبِيْـلَةً
أَقَمْنَـا بِهَـا شَـرْعَ الهُـدَاةِ الكَـوَامِـلِ
فَنَهْـدِمُ أَوْثَـانـاً وَنَبْنِي مَسَـاجِـداً
وَنَكْسِـرُ مِـزْمَـاراً وَطَبْلاً لِجَـاهِـلِ

وَنَقْطَعُ سُرَّاقاً وَنَرْجُمُ مُحْصَناً
وَنَجْلِدُ سَكْرَاناً بِنَصِّ الرَّسَائِلِ
نَكُفُّ ظُلُومَ البَدْوِ والحَضْرِ إنْ غَدَا
يُغِيْرُ عَلَى حَقِّ الضِّعَافِ الأَرَامِلِ
وَنَتْبَعُ آثَارَ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ
مَعَ السَّلَفِ البِرِّ التُّقَاةِ الأفَاضِلِ
كَأَحْمَدَ والنُّعْمَانِ قُلْ لِيْ وَمَالِكٍ
كَذَا الشافِعِي رُكْنِ الحديثِ وَنَاقِلِ
فَمَاذَا عَلَيْنَا إذْ سَلَكْنَا سَبِيْلَهُمْ
بِقَوْلٍ وَفِعْلٍ مُسْعِدٍ فَنُوَاصِلِ
أَلا أَيُّهَا الإخْوَانُ صَبْراً فَإنَّنِي
أَرَى الصَّبْرَ لِلْمَقْدُوْرِ خَيْرَ الوَسَائِلِ
وَلَا تَيْأَسُوْا مِنْ كَشْفِ ذَا الكَرْبِ وَالبَلَا
فَذُوْ العَرْشِ فَرَّاجُ الأُمُوْرِ الجَلَائِلِ
عُيُونُ القَضَا لَيْسَتْ نِيَاماً وَسَهْمُهُ
مُصِيْبٌ فَمَا يُخْطِيْ عُيُونَ المَقَاتِلِ
فَطُوبَى لِعَبْدٍ قَامَ لِلهِ مُخْلِصاً
تَرَنَّمَ فِي مِحْرَابِهِ مُتَمَايِلِ
يَمُدُّ يَدَيْهِ سَائِلاً مُتَضَرِّعاً
لِرَبٍّ قَرِيْبٍ بالإجَابَةِ كَافِلِ
فَجَاءَتْ سِهَامُ اللَّيْلِ تَهْوِيْ بِسُرْعَةٍ
إلى ظَالِمٍ عَنْ ظُلْمِهِ مُتَغَافِلِ

أَصَابَتْ نِيَاطَ القَلْبِ في وَسْطِ نَحْرِهِ
فَـآبَ بِخُسْـرَانٍ وَحَـرِّ بَـلاَبِـلِ
فَقُمْ قَـارِعاً لِلْبَابِ والنَّابِ نَـادِماً
عَلى مَا جَرَى وَأَقْبِـل عَلَيهِ وَسَـائِلِ
وَأمَّـا بَنُـوْ الـدُّنْيَا فـلا تَـرْجُ نَفْعَهُمْ
فَـلاَ مُرْتَقَى مِنْهُمْ يُـرَجَّى لِنَـازِلِ
فَـإنّي تَتَبعْتُ الأَنَـامَ فَلَمْ أَجِـدْ
سِوَى حَاسِـدٍ أَوْ شَامِتٍ أَوْ مُعَـاذِلِ
فَلَمْ أَرَى أَنْكَى لِلْعَـدُوِّ مِنَ الـدُّعَـا
كَـرَمْيٍ بِنَبْلٍ أُوْتِـرَتْ بـالمَنَـاصِـلِ
فَـلاَ تَدْعُ غَيْرَ اللهِ في كُلِّ حَـالَـةٍ
وَخَـلِّ جَمِيْعَ الخَلْقِ طُـراً وَعَـازِلِ
سَأَلْتُكَ يَـا ذَا الجُوْدِ وَالمَنِّ والعَـطَا
تَجُـودُ وَتَعْفُـوْ عن عُبَيْـدِكَ يَـاوَلِي
وَتُـرْسِـلَ طَـاعُـونـاً وَرِجْـزاً وَنِقْمَـةً
وَطَعْنـاً لِـطَغَّـانٍ وَقَتْـلاً لِقَـاتِـلِ
يَعُم لِأَحْـزَابِ الضَّـلاَلِ وَصَحْبِهِـمْ
بِسَـوْطِ عَذَابٍ عَـاجِـلٍ غَيْـرِ آجِـلِ
فَـإِنَّـكَ قَهَّـارٌ على كُـلِّ قَـاهِـرٍ
وَأَمْـرُكَ غَـلاَّبٌ لِكُـلِّ مُحَـاوِلِ
وَأَزْكَى صَـلاَةً لاَ تَنَاهَى عَلَى الـذِيْ
لَـهُ انْشَقَّ إيوانُ لِكِسْـرَى بِبَـابِـلِ

مُحَمَّدٍ والأَصْحَابِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
وَآلِ رَسُولِ اللهِ زَيْنِ المَحَافِلِ

اللهم أَبْرِمْ لِهَذِهِ الأُمَّةَ أَمْرَ رُشْدٍ يُعَزُ فِيْهِ أَهْلُ طَاعَتِكَ وَيُذَلُّ فيه أَهْلُ مَعْصِيَتِكَ وَيُؤمَرُ فِيْهِ بِالمَعْرُوْفِ وَيُنْهَى فِيْهِ عن المنكر وَيُزَالُ بِهِ ما حَدَثَ مِن بِدَعٍ وَمُنْكَرَاتٍ وَمَعَاصِي وَيُحْيَا بِهِ بَدَلُهَا مَا أُمِيْتَ مِن سُنَّةٍ وَغيْرَةٍ وَشِيْمَةٍ كَرِيْمَةٍ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْر وبالأَجابَةِ جَدِيْر .

اللَّهُمَّ يَاحَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيْعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوَفِّقَنا لِمَا فِيهِ صَلاحُ دِيْنِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــلٌ)

كانَ صَلى اللهُ عليه وسلم مُتَوَاضِعاً كَانَ يَرْكَبُ الحِمَارَ وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ فَقَدْ أَرْدَفَ بَعْضَ نِسَائِهِ وَأَرْدَفَ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ وَأَردَفَ أُسَامَةَ بنَ زَيْدٍ ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ عليه الصلاةُ والسلامُ كانَ في سَفَرٍ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِإِصْلاَحِ شَاةٍ فقالَ رَجُلٌ ، يَا رَسُولَ اللهِ عَلَيَّ ذَبْحُهَا وقال آخَرُ عَلَيَّ سَلْخُهَا وقال آخَرُ عَلَيَّ طَبْخُهَا .

فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم وَعَلَيَّ جَمْعُ الحَطَبِ فقالُوا يَا رَسُول اللهِ نَكْفِيْكَ العَمَلَ فقال عَلِمْتُ أَنَّكُمْ تَكْفُونَنِي وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ أَتَمَيَّزَ عَلَيْكُمْ ، وإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَكْرَهُ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرَاهُ مُتَمَيِّزاً بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ جَاءَ وَفْدُ النَّجَاشِي فَقَام صَلَى اللهُ عليه وسلم يَخْدِمُهُم فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ نَكْفِيْكَ ، قال إِنَّهُم كَانُوا لِأَصْحَابِنَا مُكْرِمِيْنَ ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أُكَافِئَهُمْ .

وَعن ابْنِ عُمَرَ قال أَتى رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم صَاحِبَ بز فاشْتَرى مِنْهُ قَمِيْصاً بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ فَخَرجَ وَهُوَ عليهِ ، فإذَا رَجُلٌ مِن الأنْصَارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ اكْسِنِيْ قَمِيْصاً كَسَاكَ اللهُ مِن ثِيَابِ الجَنَّةِ فَنزَعَ القَمِيْصَ فَكَسَاهُ إيَّاهُ ثُم رَجَعَ إلى صَاحِبِ الحَانُوتِ فاشْتَرَى مِنْهُ قَمِيْصاً بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ وَبَقِيَ مَعَهُ دِرْهَمانِ ، فَإذَا هُوَ بِجَارِيَةٍ تَمْشِيْ في الطَّرِيْقِ تَبْكِي فَقَالَ مَا يُبْكِيْكِ قَالَتْ يَا رَسُوْلَ اللهِ دَفَعَ إليَّ أَهْلِي دِرْهَمَيْن اشْتَرِي بِهِمَا دَقِيْقاً فَهَلَكَا فَدَفَعَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم إلَيْهَا الدِرْهَمَيْنِ البَاقِيَيْنِ .

ثُمَّ وَلَّتْ وَهِيَ تَبْكِيْ فَدَعَاهَا فَقَالَ مَا يُبْكِيْكِ وَقَدْ أَخَذْتِ الدِّرْهَمَيْنِ فَقَالَتْ أَخَافُ أَنْ يَضْرِبُوْنِيْ فَمَشَى مَعَهَا إلى أَهْلِهَا فَسَلَّمَ فَعَرَفُوا صَوْتَهُ ثُمَّ عَادَ فَسَلَّمَ ثُمَّ عَادَ فَثَلَّثَ فَرَدُّوْا .

فَقَالَ أَمَا سَمِعْتُمْ أَوَّلَ السَّلَامِ فَقَالُوا نَعمْ وَلَكِنْ أَحْبَبْنَا أَنْ تَزِيْدَنَا مِن السَّلامِ فَمَا أَشْخَصَكَ بِأَبِيْنَا وَأُمِّنَا قَال أَشْفَقَت هَذِهِ الجَارِيَةُ أَنْ تَضْرِبُوْهَا .

قَالَ صَاحِبَهَا هِيَ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللهِ لِمَمْشَاكَ مَعَهَا فَبَشَرَهُمْ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بالخَيْرِ وبالجَنةِ .

وقال لَقَدْ بَارَكَ اللهُ في العَشَرةِ كَسَا اللهُ نَبِيَّهُ قَمِيْصاً وَرَجُلاً مِن الأَنصارِ قَمِيْصاً وَأعْتَقَ مِنْهَا رَقَبَةً وَأَحْمَدُ اللهَ هُوَ الذي رَزَقَنَا هَذَا بِقُدْرَتِهِ أَخْرَجَه الطبرانيُ كَمَا في مَجْمَعِ الزوائد في ٩ ص ١٣ .

فَهَذَا الحَدِيْثُ يَشْهَدُ لِتَواضُعِهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم وَسَمَاحَتِهِ وَرَحْمَتِه وعن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال إنْ كَانَتِ الأمَةُ مِن إمَاءِ المَدِيْنَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ النبي صلى اللهُ عليه وسلم فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ رواهُ البخاري .

وعن الأَسوْدِ بنِ يَزِيْدٍ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها ما كانَ النبيُ صلى اللهُ عليهِ وسلم يَصْنَعُ في بَيْتِهِ قالَتْ كَان يَكُونُ في مِهْنَةِ أَهْلِهِ ، يَعْنِيْ خِدْمَةِ أَهْلِهِ فإذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إلى الصلاةِ رواه البخاري .

وَدَخَلَ الحَسَنُ والنبيُ صلى اللهُ عليه وسلم يُصَلِّيْ فَرَكِبَ الحَسَنُ ظَهْرَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَبْطأَ صَلَّى اللهُ عليه وسلم في سُجُودِهِ فَلَمَّا فَرَغَ قالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحابِه لَقَدْ أَطَلْتَ سُجُوْدَكَ قالَ إن آبْنِي آرْتَحَلَنِيْ فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ .

وَكَان صَلى اللهُ عليه وسلم يُبَاسِطُ أَصْحَابَهُ وقالَتْ عائشةُ رضي اللهُ عنها كان رسولُ اللهِ صلى اللهُ علبه وسلم إذا خَلاَ في بَيْتِهِ أَلْيَنَ الناسِ بَسَّاماً ضَحَّاكاً .

وعنِ البَرَاءِ بنِ عازِبٍ رضي اللهُ عنه قال رأيت رَسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَوْمَ الأحزابِ يَنْقُلُ التُّرابَ وقَدْ وَارَى البَيَاضُ بَيَاضَ بَطْنِهِ .

وعن أنسٍ رضي اللهُ عنه قال كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَعودُ المريضَ وَيَشْهَدُ الجَنَائِزَ ويَأتي دَعْوَةَ المَمْلُوكِ وَيَرْكَبُ الحِمَارَ وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يوماً على حِمَارٍ خِطَامُهُ لِيفٌ .

وعن أنس رضي اللهَ عنه ما كانَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِن رَسُول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وَكَانُوا إذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوْا لِمَا يَعْلَمُونَ مِن كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ .

وَعن الحسنِ رَضِيَ اللهُ عنه أَنَّهُ ذَكَرَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فقالَ لا وَاللهِ مَا كَانَ يُغْلَقُ دُوْنَهُ الأَبْوَابُ ولا يَقُوْمُ دُوْنَهُ الحِجَابُ ، ولا يُغْدَى عَلَيْهِ بالجِفَانِ ولا يُرَاحُ عليه بِهَا ولَكِنَّهُ كان بَارِزاً مَنْ أَرَادَ أَنْ

يَلْقَى نَبِيُّ اللهِ لَقِيَهُ كانَ يَجْلِسُ بالأَرْضِ وَيُوْضَعُ طَعَامُهُ بالأَرْضِ وَيَلْبَسُ الغَلِيْظَ وَيَرْكَبُ الحِمَارَ وَيُرْدِفُ بَعْدَهُ وَيَلْعَقُ واللهِ يَدَهُ صلى اللهُ عليه وسلم .

وعن قُبَيْس بنِ أبي حَازِمٍ أنَّ رَجُلاً أَتَى النبيَّ صَلى اللهُ عليه وسلم فلَمَّا قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ اسْتَقْبَلَتْهُ رِعْدَةٌ فقالَ لَهُ النبي صلى اللهُ عليه وسلم هَوِّنْ عَلَيْكَ فإِنِّيْ لَسْتُ مَلِكاً إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِن قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ القَدِيْدَ .

وَإِنَّمَا قالَ ذَلِكَ صَلَواتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ حَسْماً لِمَوادِّ الكِبْرِ وَقَطْعاً لِذَرَائِعِ الاعْجَابِ وكسْراً لِأَشَرِ النَّفْسِ وَبَطَرِهَا وتذليلاً لِسَطْوَةِ الاسْتِعْلاَءِ وهَذَا أَبُوْ بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عنه كانَ قَبْلَ أَنْ يَتولَّى الخِلاَفَةَ يَحْلِبُ لِلضُّعَفَاءِ مِمَّنْ حَوْلَهُ أَغْنَامَهُمْ فَلَمَّا وَلِيَ الخِلاَفَةَ سَمِعَ جَارِيَةً تَقُولُ اليَوْمَ لاَ تُحْلَبُ لَنَا مَنَائِحُ دَارِنَا فَسَمِعَهَا فقالَ بَلَى لَعَمْرِي لَأَحْلُبَنَّهَا لَكُم فَكَانَ يَحْلِبُهَا وَرُبَّمَا سَأَلَ صَاحِبَتَهَا يَا جَارِيَةُ أَتُحِبِّيْنَ أَنْ أُرْغِيْ لَكِ أَمْ أُصَرِّحْ فَرُبَّمَا قَالَتْ أرغِ وَرُبَّمَا قالَتْ صَرِّحْ فَأَيُّ ذَلِكَ قالَتْ فَعَلْ .

وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ نَادَى الصَّلاَةُ جَامِعَة فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ صَعِدَ المِنْبَرَ فَحَمِدَ اللهَ وأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى على النبي صلى اللهُ عليه وسلم .

ثُمَّ قالَ أَيُّهَا الناسُ لَقَدْ رَأَيْتُنِيْ أَرْعَى عَلَى خَالاتٍ لِيْ مِن بَنِيْ مَخْزُوْمٍ فَيَقْبِضْنَ لِيْ القَبْضَةَ مِنَ التَّمْرِ والزَّبِيْبِ فَأَظَلُّ اليَوْمَ وَأَيَّ يومٍ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ واللهِ يَا أَمِيرَ المؤمِنِينَ مَا زِدْتَ على أَنْ قَصَّرْتَ بِنَفْسِكَ فَقَالَ وَيْحَكَ يا ابْنَ عَوْفٍ إِنِّي خَلَوْتُ فَحَدَّثَتْنِي نَفْسِيْ فَقَالَتْ أَنْتَ أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ فَمَنْ أَفْضَلُ مِنْكَ فَأَرَدْتُ أَنْ أُعَرِّفَهَا نَفْسَهَا .

شِعْرَاً :

تَـوَاضَـعْ لِـرَبِّ العَرْشِ عَلَّكَ تُـرْفَـعُ
فَمَـا خَـابَ عَبْـدٌ لِلْمُهَيْمِـنِ يَخْضَـعُ

وَدَاوِ بِـذِكْـرِ الـلَّهِ قَـلْبَـكَ إِنَّـهُ
لَأَشْـفَـى دَوَاءٌ لِـلْقُـلُوبِ وَأَنْـفَـعُ

آخـرُ :

تواضَـعْ تكُنْ كالنَّجْـم لاحَ لِنَاظِـرٍ عَـلى صَفَحَاتِ المَـاءِ وَهُـوَ رَفِيـعُ
ولا تَـكُ كَالـدُّخَانِ يَـرْفَـعُ نَفْسَـهُ إلـى طَبَقَـاتِ الجَـوِّ وَهُـوَ وَضِيـعُ

وعَن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال لَوْ دُعِيتُ إلى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ ولَو أُهْدِيَ إليَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ .

وعن بن أبي أَوْفَى قال كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يَأْنَفُ ولاَ يَسْتَكْبِرُ أَنْ يَمْشِي مَعَ الأَرْمَلَةِ والمِسْكِينْ فَيَقْضِي لَهُ حَاجَتَهُ وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عنه أَنَّ امرأَةً كان في عَقْلِهَا شيءٌ فَقَالَتْ يا رسولَ اللَّهِ إنَّ لِيْ إِلَيْكَ حاجَةً قَالَ يَا أُمَّ فُلَانٍ خُذِيْ في أَيِّ طَرِيْقٍ شِئْتِ قُوْمِيْ حَتَّى أَقومَ مَعَكِ فَخَلاَ مَعَهَا رسولُ اللَّهِ ﷺ يُنَاجِيَاً حَتَّى قَضَى حَاجَتَهَا .

وقالت عائشة رضي الله عنها كنتُ أَرَى إمرأَةً تدخلُ على النبي ﷺ وكان يُقْبِلُ عليها بِحَفَاوَةٍ فَشَقَّ ذلكَ عَلَيَّ فَعَلِمَ ذلك مِني فقال يا عائشةُ هَذِهِ كانَتْ تَغْشَانا أيامَ خَدِيْجَة وان حُسْنَ العَهدِ مِن الإيمان .

قُلْتُ ولله در القائل :

وإِنَّ أَوْلَـى المَـوالِـيْ أَنْ تُـوالِيَـهُ عِندَ السُّرُوْرِ الذي واسَاكَ في الحُزْنِ
إن الكِـرَامَ إذا ما أَيْسَـرُوْا ذَكَـرُوا مَـن كَـانَ يَأْلفهُم في المَنْزِلِ الخَشِنِ

وَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَبِي ذَرٍّ قَالا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ

بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ فَيَجِيءُ الغَرِيْبُ فلا يَدْرِيْ أَيُّهم هُوَ حَتَّى يَسْأَلَ فَطَلَبْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ مَجْلساً يَعْرِفُهُ الغَرِيْبُ إذا أَتَاهُ فَبَنَيْنَا لَهُ دُكَّاناً مِنْ طِينٍ فكانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ وَنَجْلِسُ بِجَانِبَيْهِ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُلْ جَعَلَنِيْ اللَّهُ فِدَاكَ مُتَّكِئاً فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكَ قال لَا بَلْ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ العَبْدُ وأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ العَبْدُ .

وَعَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جاءَنِيْ مَلَكٌ فَقَالَ إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلامَ وَيَقُولُ إِنْ شِئْتَ نَبِيّاً عَبْداً وَإِنْ شِئْتَ نَبِيّاً مَلِكاً فَنَظَرْتُ إِلى جِبْرِيْلَ فَأَشَارَ لِيْ ضَعْ نَفْسَكَ فَقُلْتُ نَبِيّاً عَبْداً . وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيْ أَوْفَى قَالَ كان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ وَيُقِلُّ اللغْوَ وَيُطِيْلُ الصَّلاةَ وَيُقَصِّرُ الخُطْبَةَ وَلَا يَأْنَفُ وَلا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَمْشِيْ مَعَ الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِيْنِ يَقْضِيْ لَهُمَا حَاجَتَهُمَا .

وَعَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ فِي عِصَابَةٍ مِن المُهَاجِرِينَ جَالِساً وَإِنَّ بَعْضَهُم يَسْتَتِرُ بِبَعْضٍ مِن العُرْيِ وَقَارِىءٌ لَنَا يَقْرَأُ عَلَيْنَا فَكُنَّا نَسْتَمِعُ إِلى كِتَابِ اللَّهِ فقالَ النَّبِيُّ ﷺ الحَمْدُ لِلَّهِ الذِيْ جَعَلَ مِنْ أُمَّتِيْ مَنْ أُمِرْتُ أَنْ أَصْبِرَ مَعَهُمْ نَفْسِيْ ثُمَّ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسْطَنَا لِيَعْدِلَ بَيْنَنَا بِنَفْسِهِ فَقَالَ أَبْشِرُوا مَعَاشِرَ صَعَالِيْكِ المُهَاجِرِيْنَ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَذَلِكَ خَمْسُمائِهِ عام .

ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ ﷺ

شِعْراً :

إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ مِنَّا تَحِيَّةً ... وَصَلَّى عَلَيْكَ العَابِدُ المُتَهَجِّدُ
فَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ هَادٍ وَمُهْتَدٍ ... نَبِيٌّ هُدَىً لِلأَنْبِيَاءِ مُؤَيَّدُ
وَقَدْ قَالَ حَسَّانٌ وفِي الشِّعْرِ شَاهِدٌ ... تُجَدِّدُهُ الأَيَّامُ يُرْوَى وَيُنْشَدُ
«أَغَرُّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ ... مِن اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيُشْهَدُ»

«وَضَمَّ الإلهُ اسْمَ النَّبيّ إلَى اسْمِهِ إذَا قَالَ في الخَمْسِ المُؤَذِّنُ أشْهَدُ»
فَقُلْتُ شَبِيْهاً بالذيْ قَالَ إنَّنِيْ بهِ مُؤْمِناً حَقّاً لِرَبِّيْ مُوَحِّدُ
فَلاَ يُقْبَلُ التَّوْحِيْدُ إلَّا بِذِكْرِهِ لِيَقْرِنَهُ عِنْدَ النِّدَاءِ المُوَحِّدُ
وَمَا جَاءَ يَدْعُونَا بغَيْرِ دَلاَلَةٍ وَلَكِنْ بِآيَاتٍ تَدُلُّ وَتَشْهَدُ
وَمِنْ ذَاكَ جِذْعٌ حَنَّ شَوْقًا إلَى الرِضَا وَمَا زَالَ سَاعَاتٍ يَمِيْلُ وَيُسْنَدُ
وَقَدْ سَمِعُوا صَوْتاً مِن الجِذْعِ بَيِّناً فَيَا عَجَباً مِمَّنْ يَشُكُّ وَيُلْحِدُ
وَمِنْ ذَاكَ شَاةٌ خِلْوَةُ الضَّرْعِ مَسَّهَا فَدَرَّتْ بِغَزْرٍ حَافِلٍ يَتَزَيَّدُ
فَقَامَ إلَيْهَا الحَالِبَانِ فَأَتْرَعَا أَوَانِيْهِمَا وَالضَّرْعُ مَلآنُ أبْرَدُ
وَسَارَ إلى البَيْتِ المقَدَّسِ لَيْلَةً مَسِيْرَةَ شَهْرٍ وَارِداً لَيْسَ يُطْرَدُ
يُخَبِّرُ بالعِيْرِ التيْ في طَرِيْقِهِ لِيُوقِنَ أَهْلُ الشِّرْكِ ذَاكَ فَيَسْعَدُوا
وَمِنْ ذَاكَ أَخْبَارٌ عَن الغَيْبِ قَالَهَا يُعَايَنُ مِنْهَا الصِّدْقُ فِيْهَا وَيُوْجَدُ
فَسُؤْدَدُهُ باللّهِ إذْ كَانَ وَحْيُهُ إلَيْهِ وَهَلْ فَوقَ النُّبُوَّةِ سُؤْدَدُ
فَأَظْهَرَ بالإسْلامِ دَعْوَةَ صَادِقٍ فَضَلَّ بهِ قَوْمٌ وَقَوْمٌ به هُدُوا
تُسَلِّمُ أحْجَارٌ عَلَيْهِ فَصِيْحَةً إذَا مَا خَلا في حَاجَةٍ يَتفَرَّدُ
وَيُسْمَعُ مِنْ أَصْوَاتِهَا في طَرِيْقِهِ تُمَجِّدُهُ إنَّ النَّبِيَّ مُمَجَّدُ
وَأَنْشَأَ رَبِّيْ مُزْنَةً فَوْقَ رَأْسِهِ رَآهَا بُحَيْرُ الرَّاهِبُ المُتَعَبِّدُ
تُظَلِّلُهُ مِنْ كُلِّ حَرٍّ يُصِيْبُهُ تَقِيْمُ عليهِ مَا أَقَامَ فَيَرْكُدُ
وَإنْ سَارَ سَارَتْ لا تُفَارِقُ رَأْسَهُ فَقَالَ لَهُم هَذا النَّبِيُّ مُحَمَّدُ
حَلِيْمٌ رَحِيْمٌ لَيِّنٌ مُتَواضِعٌ سَخِيٌّ حَيِيٌّ عَابِدٌ مُتَزَهِّدُ

وَقَالَ آخَر :

نَبِيٌّ تَسَامَى فِي المَشَارِقِ نُورُهُ فَلاَحَتْ بَوَادِيْهِ لأهْلِ المَغَارِبِ
أَتَتْنَا بِهِ الأَنْبَاءُ قَبْلَ مَجِيْئِهِ وَشَاعَتْ بِهِ الأَخْبَارُ فِي كُلِّ جَانِبِ

وَرَامَ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ جِنٌّ فَزِيَّلَتْ … مَقَاعِدَهُم مِنْهَا رُجُومُ الْكَوَاكِبِ
هَدَانَا إلى مَا لَمْ نَكُنْ نَهْتَدِي لَهُ … لِطُول العَمَى مِن واضِحَاتِ المَذَاهِبِ
وَجَاءَ بِآيَاتٍ تَبَيَّنَ أَنَّهَا … دَلَائِلُ جَبَّارٍ مُثِيبٍ مُعَاقِبِ
فَمِنْهَا نُبُوعُ المَاءِ بَيْنَ بَنَانِهِ … وَقَدْ عَدِمَ الوُرَّادُ قُرْبَ المَشَارِبِ
فَرَوَّى بِهِ جَمّاً غَفِيراً وَأَسْهَلَتْ … بِأَعْنَاقِهِ طَوْعاً أَكُفُّ المَذَانِبِ
وبِئْرٍ طَغَتْ بالمَاءِ مِنْ مَسِّ سَهْمِهِ … وَمِنْ قَبْلُ لَمْ تَسْمَحْ بِمَذْقَهِ شَارِبِ
وَضَرْعٍ مَرَاهُ فَاسْتَدَرَّ وَلَمْ يَكُنْ … بِهِ دِرَّةٌ تَصْغَى إلَى كَفِّ حَالِبِ
وَنُطْقٍ فَصِيحٍ مِنْ ذِرَاعٍ مُبِينَةٍ … لِكَيْدِ عَدُوٍّ لِلْعَدَاوَةِ نَاصِبِ
وَمِنْ تِلْكُم الآيَاتِ وَحْيٌ أَتَى بِهِ … قَرِيبُ المَآتِي مُسْتَجِمُّ العَجَائِبِ
تَقَاصَرَتِ الأَفْكَارُ عَنْهُ فَلَمْ يُطِعْ … بَلِيغاً وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ خَاطِبِ
حَوَى كُلَّ عِلْمٍ وَاحْتَوَى كُلَّ حِكْمَةٍ … وَفَاتَ مَرَامَ المُسْتَمِرِ المُوارِبِ
أَتَانَا بِهِ لَا عَنْ رَوِيَّةِ مُرْتَئٍ … وَلَا صُحْفِ مُسْتَمْلٍ وَلَا وَصْفِ كَاتِبِ
يُوَاتِيهِ طَوْراً فِي إجَابَةِ سَائِلٍ … وَإفْتَاءِ مُسْتَفْتٍ وَوَعْظِ مُخَاطِبِ
وَإِتْيَانِ بُرْهَانٍ وَفَرْضِ شَرَائِعٍ … وَقَصِّ أَحَادِيثٍ وَنَصِّ مَآرِبِ
وَتَصْرِيفِ أَمْثَالٍ وَتَثْبِيتِ حُجَّةٍ … وَتَعْرِيفِ ذِي جَحْدٍ وَتَوْقِيفِ كَاذِبِ
وَفِي مَجْمَعِ النَّادِي وَفِي حَوْمَةِ الوَغَى … وَعِنْدَ حُدُوثِ المُعْضِلَاتِ الغَرَائِبِ
فَيَأْتِي عَلَى مَا شِئْتَ مِنْ طُرُقَاتِهِ … قَوِيمَ المَعَانِي مُسْتَدِرَّ الضَّرَائِبِ
يُصَدِّقُ مِنْهُ البَعْضُ بَعْضاً كَأَنَّمَا … يُلَاحِظُ مَعْنَاهُ بِعَيْنِ المُرَاقِبِ
وَعَجْزُ الوَرَى عَنْ أَنْ يَجِيئُوا بِمِثْلِ مَا … وَصَفْنَاهُ مَعْلُومٌ بِطُولِ التَّجَارُبِ
وَكَانَ رَسُولُ اللهِ أَكْرَمَ مُنْجَبٍ … جَرَى فِي ظُهُورِ الطَّيِّبِينَ المَنَاجِبِ
عَلَيْهِ سَلَامُ اللهِ فِي كُلِّ شَارِقٍ … أَلَاحَ لَنَا ضَوْءاً وَفِي كُلِّ غَارِبِ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الحُسْنَى وَصِفَاتِكَ العُلَى أَنْ

تُعْتِقَ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا مِن النَّار وَالدَّيْن وَالمظَالِمِ يَا عَزِيْز يَا غَفَّارُ يَا كَرِيْمُ يَا سَتَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَلِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

موعظـــة

عبادَ الله إقْتضَتْ حِكمةُ الله العليم الخبيرِ بأنَّ كُلَّ شيءٍ لَهُ إبتداء لابُدَّ له مِن نهايَةٍ ، وكُلَّ شيءٍ لَهُ أول حَتْماً لا مَنَاصَ لَهُ آخِر ، والعِبرةُ بالخاتمةِ نسأل الله حُسْنَهَا .

وأنَّ الأَيامَ والليالي تَمرُ والعُمُرُ يَنْقَضِي والحياةُ تَزُولُ ، ولا يَبْقَى إلا ما قَدَّمْتَهُ مِن صالح الأَعمالِ ينْفعُكَ ﴿ يومَ لا ينفعُ مال ولا بنون إلا مَن أتىَ الله بقلبٍ سليم ﴾ ﴿ يومَ لا تَملِكُ نَفس لِنَفْسٍ شيئاً والأَمرُ يومئذٍ لله ﴾ .

فالأَمرُ أَيُّها المسلمُ خَطير فإن مَوْقِفاً مِن مَوَاقِفِ القِيامةِ تَشِيْبُ مِن هَوْلِهِ الوِلدان يومَ تمورُ فيه السماءُ مُوْراً وتسيرُ الجبالُ سَيرًا .

يَوم تذهلُ فيهِ كُلُ مُرضِعَةٍ عَمَّا أَرضَعَتْ وتضعُ كُلُ ذاتِ حملٍ حَمْلَهَا ﴿ يومَ يَفِرُ المرءُ مِن أخيه وأمهِ وأبيهِ وصاحبته وبنيهِ لِكلِ إمرءٍ منهم يومئذٍ شأن يغنيه ﴾ ﴿ يومَ ينادِي المنادي مِن مكانٍ قريب ﴾ .

يُنادِ بالحشرِ : يا أَيَّتهـا العِظامُ الْباليةُ والأَوصالُ المتَقطِّعَةُ واللحومُ المُتَمَـزقَـةُ والشعـورُ المتفرقةُ ، إن الله يأمُركن أن تجتمِعْنَ لِفَصِلِ القضاء ، فَتَخْرُجُ الخلَائقُ مِن قبورها .

إن يوماً هذا بعضُ أحوالِهِ جَدِير أن يُسْتَعَدَّ له بصالحِ الأعمالِ .

فيا عبـادَ الله كُونُـوا مِن الدنيا على حَذَرٍ وأَكْثِروُا ذِكْرهَا ذِم اللذات وَتذَكَّروُا ما ذَهَبَ مَن أَعمارِكم كم وفاتَ فكأني بِكم وقد نَقَلكُم الأَجلُ إلى إنقضاءِ المدةِ .

فيا رَهـائِنَ الموتِ وأعراضَ المنغمسينَ في الآثام أعَلَى الله تَجْترُؤن ، وعلى الدنيا وحطامِها الفاني تَتَنافَسُون ، وفي دار النُقْلَة تتَحَاسِدُون .

أمرتُم بخَرابها فَعَمرتُموها ونُهيتُم عن تَزْيينِها فزَخرَفْتمُوهَا ونُدْبتُم لطلب الآخرة فأهْملتُموهَا ودَعَتْكُم الخداعةُ الغَرَّارَةُ بدَاوعِيها فأجَبْتُموها فَشَغَلتْكُمْ بلذاتِها وقَمَعَتْكُم بشَهواتِها ورَضِيتُم مِن الكثير باليسيرِ وبِعْتُم الجزيلَ بالحقيرِ وتَكَاسَلْتُم عن الجِدِ والتَّشمِيْر وأقمتمُ على التَّسويفِ والتعذيرِ .

عبـادَ الله أينَ الخوفُ والوَجَلُ والاستغفارُ ، وأينَ الخشوعُ والخضوعُ والبكاءُ وجريان الدموعِ على الذنوبِ التي تَذَكّرُها يَروع ، أينَ التفكرُ والأعتبار .

ألا فإحْذروا المعاصي فإنها جَالِبةُ النقَمِ ومُغَيّرَةِ النِّعمِ والأحوال وقال الله جل وعلا ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من الله من وال ﴾ .

عبادَ الله لا تَغُرنَّكُم الدنيا كما غرَّتْ مَن قَبْلَكم فإن حَظَّها مَشْؤم وإن نَعَيْمَهَا وَإنْ طالَ لا يدُوم :

ولو كانَتِ الدُّنْيَا عَرُوْساً وجَدَّتَها ... بمـا قَتَلَتْ أَوْلادَهـا لا تُـزَوَّجُ

ويقول الآخر :

ولو كانَتِ الدُنَيا مِن الإنسِ لَمْ تَكُنْ ... سِوَى مُوْمِسٍ أَفْنَتْ بِمَا سَاءَ عُمْرَهَا

عِبادَ الله لا يخدعنكَم الأملُ فإن الأَجلَ محتُوم ولا يَصدنَّكم الشيطانُ عما خلقتُم لَهُ مِن عِبادة الحي القيومِ ولا تغرنكُ الأماني فإنها حلم المستيقض وسَلْوةُ المحزون ، قال الله جل وعلا ﴿ إقتربَ للناس حسابُهم وهم في غفلةٍ معرضون ﴾ وقال تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذْ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ .

شِعْرًا

لِكُلِّ شَيْءٍ إذا مَا تَمَّ نُقْصَانُ   فلا يُغَرُّ بِطِيْبِ العيش إنسان
هي الأمورُ كما شَاهَدْتَهَا دُوَلٌ   مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْه أزْمَانُ
وعَالَمُ الكَوْنِ لا تَبقى محاسنُه   ولا يَدُوْمُ على حالٍ لَهَا شانَ
يُمزِّقُ الدهرُ حَتماً كُلَّ سَابغَةٍ   إذا نَبَتْ مشرفيات وخِرصَان
ويُنْتضَى كُلُّ سَيْفٍ لِلفَنَاءِ ولو   كان إبنَ ذِي يَزَنٍ والغُمْدُ غُمدانُ
أينَ الملوكُ ذَوُوا التِّيْجَانِ مِنَ يَمنٍ   وأينَ منهم أكاليل وتِيْجانُ
وأينَ ما شَادَهُ شَدَّادُ مِن إرمٍ   وأينَ ما سَاسَه في الفُرس ساسان
وأينَ ما حَازَهُ قَارونُ مِن ذَهبٍ   وأينَ عادٌ وشدادٌ وقَحْطانُ
أتَى على الكُلِّ أمْرٌ لا مَردَّ لَهُ   حتى قَضَوا فكَأنَّ الكلَّ ما كَانوا
وصَارَ مَا كَانَ مِن مُلْكٍ ومِن مَلِكٍ   كَمَا حَكَى عن خَيَالِ الطيف وَسنَانُ
دَارَ الزمانُ على دَارَا وقَاتِلِه   وأمَّ كِسْرى فما آواهُ إيْوَانُ
كأنما الصَّعْبُ لم يَسْهُلْ لَهُ سَبَبٌ   يوماً ولم يملِكِ الدُنْيا سُلَيْمانُ
فَجَائعُ الدهرِ أنواعٌ مُنوَّعَةٌ   ولِلزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وأحْزَانُ
ولِلْمَصَائِبِ سُلْوانٌ يُهَوِّنُها   ومَا لِمَا حَلَّ بالإسلام سُلْوَانُ
دَهى الجزيرةَ أمرٌ لا عَزاءَ لَهُ   هَوى لَهُ أُحُدٌ وإنْهدَّ ثَهْلانُ
أصَابَها العَيْنُ في الإسْلام فإرْتَزأَتْ   حتى خَلَتْ منه أقطارٌ وبلدان
فإسألْ بَلَنْسِيَةً ما شأنُ مُرْسيةٍ   وأينَ قُرطبةٌ أمْ أيْنَ جَيَّانُ
وأيْنَ حِمْصٌ وما تحويهِ مِن نُزَهٍ   ونَهْرُها العذبُ فَيَّاضٌ ومَلآنُ
كَذا طُلَيْطلةٌ دَارُ العُلُوم فكَمْ   من عَالِمٍ قَدْ سَمَا فيهَا لَه شَانُ
وأيْنَ غَرْنَاطةٌ دَارُ الجهادِ وكَمْ   أُسْدٌ بها وهُمُ في الحَرْبِ عُقْبانُ
وأيْنَ حَمْراؤُها العَلْيَا وزُخْرُفُها   كَأنها مِن جِنانِ الخُلْدِ عَدْنَانُ

قَـوَاعِـدٌ كُـنَّ أَركـانَ البـلادِ فَمـا عَسَـى البقـاءُ إذا لـم تَبْقَـى أركـانُ
وَالماءُ يَجْـري بسَاحَاتِ القُصُورَ بها قَـدْ حَـفَّ جَـدولَهَـا زَهْـرٌ وَرَيْحَـانُ
وَنَهْـرُها العَـذْبُ يَحْكَي في تَسَلْسُلِه سُيُوفَ هِنْـدٍ لَهَـا فـي الجـوّ لَمْعَـانُ
وأينَ جَـامِعُها المشْهُـورُ كَـمْ تُلُيَتْ فِـي كُـلِّ وَقْـتٍ بِـهِ آيٌ وَفُـرْقَـانُ
وعَـالِمٍ كـان فَيـه لِلْجَهُـولِ هُـدَى مُـدَرّسٌ ولَـهُ فـي العِـلْـم تِبْيَـانُ
وعَـابـدٌ خَـاضِـعٌ لِلّـهِ مُبْتَهِـلٌ والـدَّمْعُ مِنه على الخَدَيْن طُـوْفَـان
وأَيْنَ مَالِقَـةٌ مُرْسَـى المراكـب كَـمْ أَرسَـتْ بِسَـاحَتِها فُلْكٌ وغُـرْبـانُ
وكَـم بداخِلِهَا مِـن شَـاعِـرٍ فَطِـنٍ وذِي فُنُـونٍ لَـهُ حِـذْقٌ وتِبْيـانُ
وكَـم بِخَـارِجِها مِـن مَنْزَهٍ فَـرِجٍ وَجَنَّـةٍ حَـوْلَهَـا نَهْـرٌ وبُسْتَـانُ
وأيـنَ جَـارَتُهـا الـزَّهْـرَا وقُبَّتُهَـا وأيـنَ يـا قَـومُ أَبْطَـالٌ وفُـرْسَـان
وأيْـنَ بَسْطَـةُ دَارُ الزَّعْفَـرانِ فَهَـلْ رَآى شَبِيْهَاً لَهـا في الحُسْـن إنسَـانُ
وكَـمْ شُجَاع زَعِيْمٍ فِي الوَغَى بَطلٍ تَبْكِيْـه مِـن أَرْضِـهِ أَهْـلٌ وَولْـدَانُ
وَوَادِيـاً مَـن غَـدَتْ بالكُفْر عَـامِـرَةً وَرِدَّ تَـوْحِيْـدَهَـا شِـرْكٌ وطُغْيَـانُ
كَـذا المَـرِيَّةُ دَارُ الصَّـالحِيـنَ فَكَـمْ قُطْـبٌ بِهَـا عَـلَـمٌ بَحْـرٌ لـه شَـانُ
تَبْكِيْ الحَنيفيةُ البَيْضَاءُ مِن أَسَـفٍ كمـا بَكَـى لِفِـرَاقِ الإلـفِ هَيْمَـانُ
حتَّى المَحَارِيْب تَبْكِى وهـي جَامِدَة حتَّـى المَنَـابِـرَ تَبْكِيْ وهـي عِيْـدَانُ
عـلى دِيـارٍ مِـن الإسـلام خَـالِيـةٍ قَـدْ أَقْفَـرَتْ ولَهَـا بالكُفُـرِ عُمْـرانُ
حَيْثُ المساجِدَ قَدْ أَمْسَتْ كَنَائِسَ ما فيْهِـنَّ إلَّا نَـواقِيْـسٌ وصُـلْبَانُ
يا غافـلاً ولَهُ فـي الدهـر مَـوْعِظَـةٌ إن كُنْتَ في سِنَةٍ فالدهْـر يَقْظَـانُ
ومـاشـيـاً مَـرِحَـاً يُلْهِيْـهَ مَـوْطَنُـهُ أَبَعْـدَ حِمْـصٍ تَغُـرُ المـرءَ أَوْطَـانُ
تِلْكَ المصُيْبَةُ أَنْسَـتْ مَـا تَقَـدَّمَهَـا ومَالَهَـا مَـعْ طَـوِيْـل الـدهـرِ نِسْيَـانُ
يـا رَاكبيْنَ عِتَـاقَ الخَيْـل ضَـامِـرَةً كَـأَنَّهَـا فـي مَجَـالِ السَّبْقِ عُقْبَـانُ

وحـاملِيْنَ سُيُوفَ الهِنْدِ مُرْهَفَةً كـأَنَّهَا في ظَلامِ الليلِ نِيْرَانُ
وراتِعـينَ وَرَاءَ النَّهْـرِ فـي دَعَـةٍ لَهُمْ بأَوطَـانِهـم عَـزٌّ وسُـلْطَان
أَعِنْـدَكُـمْ نَبَـأٌ مِـن أَمـرِ أَنـدَلُـس فَقَـدْ سَـرَى بِحَـدِيْثِ القَـوْمَ رُكْبَـانُ
كَـم يَسْتَغِيْثُ صَنَادِيدُ الرِّجَالِ وهُمْ أَسْـرَى وقَتْلَى فَـلا يَهْتَزُّ إنسـانُ
أَلَّا نُفُـوسٌ أَبِيَّـاتٌ لَهَـا هِمَـمٌ أَمَـا عَلَى الخَيْرِ أَنْصَـارٌ وأعْـوَانُ
يَـا مَـن لِنُصْـرَةِ قَـوْمٍ قُسِـمُّوا سَـطَا عَلَيْهِـم بهـا كُفْـرٌ وطُغْيَـانُ
بالأَمْسِ كانُـوا مُلُوكاً فـي مَنَازِلِهِمْ واليومَ هُـمْ في قُيُـودِ الكُفرِ عُبْدَانُ
فَلَو تَـرَاهُم حَيَـارى لا دلِيْـلَ لَهُـمْ عَلَيْهِمُ مِـن ثِيَـابِ الـذُّلِ أَلْـوَانُ
ولَـو رَأَيْـتَ بُكَـاهُـم عِنْـدَ بَيْعِهِـمْ لَهَالَكَ الأَمْـرُ واسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ
يَـا رُبَّ طِفْـلٍ وَأُمٍّ حِيْـلَ بَيْنَهُمَـا كَمَـا تُفَـرِّقُ أَرْوَاحٌ وَأَبْـدَانُ
وَطِفْلَةٍ مِثْلَ حُسْنُ الشَّمسِ إذ طَلَعَتْ كَأَنَمَـا هِـيَ يـاقُـوْتٌ ومَـرْجَـانُ
يَقُـودُهَـا العِلْجُ لِلْمَكْرُوهِ مُكْرَهَـةً والعَيْنُ بَـاكِيَـةٌ والقَـلْبُ حَـيْرَانُ
لِمثْلِ هَـذَا يَذُوبُ القَلْبُ مِـن كَمَـدٍ إنْ كَانَ فِي القَلْبِ إسْلامٌ وإيمانُ
هَلْ لِلجِهـاد بهـا مِن طَـالِب فَلَقَدْ تَـزَخْـرَفَـتْ جَنَّـةُ المَأْوَى لَها شَانُ
وأشْـرَفَ الحُـوْرُ والوِلْدَانُ مِن غُرَفٍ فَـازَتْ وربِّ بهـذا الخَـيْرِ شُجْعَانُ
ثم الصـلاةُ على المختـارِ مِن مُضَـرٍ مَـاهَـبَّ رِيـحُ الصَّبَا واهْتَزَّ اغْصَانُ

هذه منظومة وعظية نقلناها من مقامات الحريري :

خَـلِّ ادِّكَـارَ الأَرْبُـعِ والمَعْهَـدِ المُـرْتَبِـعِ
والظَّـاعِـنِ المُـوَدَّعِ وعَـدِّ عَنْـهُ وَدَعِ
وانْـدُبْ زَمَـانـاً سَـلَفَـا سَـوَّدتَ فِيـهِ الصُّحُفَا
ولَـمْ تَـزَلْ مُعْتَكِفَـا علـى القَبِيْـحِ الشَّنِعِ
كَـمْ لَيْـلَةٍ أَوْدَعْتَهَـا مـآثِمـاً أَبْـدَعْتَهَـا

لِشَـهْوةٍ أَطَعْتَهَـا في مَـرْقَـدٍ ومَضْـجَعِ
وكَـمْ خُطًى حَثَثْتَهَا في خِـزْنَـةٍ أَحْـدَثْتَهَـا
وتَـوْبَـةٍ نَكَثْتَهـا لِمَلْعَـبٍ ومَـرْتَـعِ
وكَـمْ تَجَـرَّأْتَ عَلَى رَبِّ السَّماواتِ العُـلَىَ
ولَـم تُـرَاقِبْـهُ وَلاَ صَـدَقْـتَ فِيْمَـا تَدَّعِـيْ
وكَـم غَمَضْـت بِرَّهُ وكَـمْ أَمِـنْت مَكْـرَهُ
وكَـم نَبَـذْتَ أَمْـرَهُ نَبْـذَ الحَـذاءِ المُـرَقَّـعِ
وكَمْ رَكَضْتَ في اللَّعِبْ وفُهْتَ عَمْداً بالكَذِبْ
ولَـم تُـراعِ مَـا يَجِبْ مِـن عَهْـدِهِ المُتَبَّـعِ
فالْبَسْ شِعَـار النَّـدَمِ واسْكُبْ شآبِيْبَ الـدَّمِ
قَبْـلَ زَوَالِ القَـدمِ وقَبْـلَ سُـوءِ المَصْـرَعِ
واخْضَعْ خُضُوْعَ المُعْتَرِفْ ولُـذْ مَـلاَذَ المُقْـتَرِفْ
واعْصِ هَوَاكَ وانْحَرِفْ عَنـهُ انْحِـرَافَ المُقْلِعِ
إلاَمَ تَسْـهُـو وتَـنِي ومُعْظَـمُ العُمْـرِ فَـنِي
فِيمَا يَضُـرُّ المُقْتَنِي ولَسْـتَ بالمُـرْتَـدِعِ
أَما تَرى الشَّيْبَ وَخَطْ وخَطَّ في الرأسِ خُطَطْ
ومَن يَلِحْ وخْطَ الشَّمَطْ بِفَـوْدِهِ فَقَـدْ نُعِـيْ
وَيْحَكِ يا نَفْسُ احْرَصِي علـى ارْتِيَـادِ المَخْـلَصِ
وطَـاوِعِـى واخْلِصِـى واسْتَمِعِي النُّصْحَ وَعِيْ
واعْتبِري بِمَنْ مَضَى مِـن القُـرونِ وانْقَضَى
واخْشَيْ مُفَاجَأَةَ القَضَا وحَـاذِري أَنْ تُخْـدَعِي
وانْتَهِجِي سُبْلَ الهُدَى وادَّكِرِيْ وَشْـك الـرَّدَى

آهَـا لَـهُ بَيْـتُ البلَى والمَنْزلِ الفقْـرِ الخَـلاَ
ومَـوْرِدِ السَّـفْرِ الأُولَـى واللاَّحِـقِ المُتَـبِّعِ
بَيْتٌ يُـرىَ مَن أُوْدِعَـهْ قَـدْ ضَمَّـهُ واسْتَوْدَعَـهْ
بَعْـدَ الفَضَـاءِ والسَّعَةْ قِيْـدَ ثَـلاثِ أَذْرُعِ
لا فَـرْقَ أَنْ يَحِـلَّهُ دَاهِيَـةٌ أَوْ أَبْـلَهُ
أَوْ مُعْسِرٌ أَوْ مَـنْ لَـهُ مُـلْكٌ كَمُـلْكِ تُبَّـعِ
وبَعْـدَهُ العَـرْضُ الـذِي يَحْوِي الحَيِيَّ وَالبـذِي
والمُبْتَـدِي والمُحْتَـذِي ومَنْ رَعَـى ومَن رُعِـي
فيَـا مَفَـازَ المُتَّقِـى ورِبْحَ عَبْـدٍ قَدْ وُقِىْ
سُـوءَ الحِسَـابِ المُوبقِ وهَـوْلَ يَـوم المَفْـزَعِ
ويا خَسَـارَ مَـنْ بَغَـى ومَـن تَعَـدَّى وطَغَـى
وشَبَّ نِـيْرانَ الـوَغَـى لِمَطْعَـمٍ أَوْ مَطْمَـعِ
يـا مَـن عَليـهِ المُتَّـكَلْ قَد زَادُ مَا بي مِن وَجَلْ
لِمَـا اجْتَرمْتُ مِن زَلَلْ فِـى عُمْـرِي المُضَيَّـعِ
فاغْفِـرْ لِعَبْدٍ مُجْـتَرِمْ وارْحَـمْ بُكَـاهُ المُنْسَجَمْ
فأنتَ أَوْلَى مَن رَحِـمْ وخَـيْرَ مَـدْعُـوٍّ دُعِـي

اللَّهُمَّ ثَبت مَحبَّتَكَ في قَلوبنا وَقَوِّهَا ووفقنا لِشُكرِكَ وذكرك وارزقنا التأهُبَ والاسْتِعْـدَادِ لِلِقَـائِـكَ. واجْعَـلْ خِتَـامَ صَحَائِفِنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ)

في المُعَاشَرَةِ وَالْحِلْمِ وَآثَارِهِ وَالأَسْبَابِ الباعِثَةِ على ضَبْطِ النَّفْسِ

الْحِلْمُ لُغَةً الأَنَاةُ وَالعَقْلُ لكَوْنِهِ سَبَبُ الحِلْمِ وَاصْطِلاحاً ضَبْطُ النَّفْسِ وَالطَّبْعِ عِنْدَ هَيَجَانِ الغضَبِ أَوْ احْتِمَالِ الأذَى مِنَ الأَدْنَى وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى الأَوَّلِ لأَنَّ مَنْ احْتَمَلَ الأَذَىٰ مِمَّنْ دُوْنَهُ مَعَ القُدْرَةِ عَلَيْهِ فَقَدْ ضَبَطَ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ .

وَقَالَ القَاضِيْ عِيَاضُ الحِلْمُ حَالَةُ تَوَقُّرٍ وَثَبَاتٍ ، أَيْ صِفَةٌ تُوْرِثُ طَلَبَ وَقَارٍ وَثُبُوتٍ فِي الأَمْرِ واسْتِقْرَارٍ عِنْدَ الأَسْبَابِ المُحَرِّكَةِ لِلْغَضَبِ البَاعِثَةِ عَلَى العَجَلَةِ فِي العُقُوْبَةِ . وَلاَ يُسَمَّى المرْءُ حَلِيْماً إِلاّ إذا كَانَ ذَلِكَ طَبْعاً لاَ تَكَلُّفاً وَقَدْ وَصَفَ اللّهُ بِهِ سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيْمَ الخَلِيْلَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ إِنَّ إِبْرَاهِيْمَ لأَوَّاهٌ حَلِيْمٌ . وَكَمَا قَالَ فِي وَلَدِهِ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيْمٍ .

قَالَ الشَّاعِرُ :

أَلا إِنَّ حِلْمَ المَـرْءِ أَكْـرَمُ نِـسْبَـةٍ
تَـسَـامَى بِهَـا عِنْـدَ الفِخَـارِ حَلِيْمُ

فَيَا رَبِّ هَبْ لِيْ مِنْكَ حِلْماً فَإِنَّنِي
أَرَى الحِلْمَ لَمْ يَنْـدَمْ عَلَيْـهِ كَـرِيْمُ

وَقَالَ الآخَرُ :

أُحِبُّ مَكَـارِمَ الأَخْـلاَقِ جُـهْـدِيْ
وَأَكْـرَهُ أَنْ أَعِـيْـبَ وَأَنْ أُعَـابَـا

آخر :

فَإِنْ كُنْتَ تَرجُو في العُقُوبَةِ رَاحَةً　　فَلا تَزْهَدَنْ عِنْدَ المُعَافَاتِ في الأَجْرِ

آخر :

فَهَبْنِيْ مُسِيئاً كالذِيْ قُلْتَ ظَالماً　　فَعَفْوٌ جَمِيْلٌ كَيْ يكُونَ لَكَ الفَضْلُ
فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِلْعَفْوِ أَهْلاً لِسُوْءِ مَا　　أَتَيْتُ بِهِ جَهْلاً فَأَنْتَ لَهُ أَهْـلُ

آخر : ما كلُّ مَن حَسُنَتْ في الناس سُمْعَتُهُ　　وَحَاز قلبًا ذكياً أدرَكَ الأَمَـلاَ
مَا السَّمعُ والقلبُ مُدْنٍ مِنكَ مَنْفَعَـةً　　إِنْ لَمْ يَكُنْ مثلُ ذا زُهْداً وَذَاكَ تُقَى

آخـــــــر :

أُحبُّ مَكَارِمَ الأخلاقِ جُهْدِي وأَكْرَهُ أنْ أعِيْبَ وأنْ أعَــــابَا
وَأَصْفَحُ عَنْ سِبَابِ النَّاسِ حِلْماً
وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ يَهْوَىٰ السِّبَابَا
وَمَنْ هَابَ الرِّجَالَ تَهَيَّبُوهُ
وَمَنْ حقَرَ الرِّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا

فَأَمَّا ضَبْطُ النَّفْسِ عِنْدَ الغضَبِ مَعَ التَّكَلُّفِ فَهُوَ تَحَلُّمٌ لا حِلْمٌ فإذا تَكَلَّفَ الإنْسَانُ الحِلْمَ بِأَنْ مَرَّنَ نَفْسَهُ عَلَى كَظْمِ الغَيْظِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ أَصْبَحَ الحِلْمُ لَهُ عَادَةً .

وَأَصْلُ الكَظْمِ شَدُّ رَأْسِ القِرْبَةِ عِنْدَ امْتِلائِهَا وَكَظْمُ البَابِ سَدُّهُ شُبِّهَ بِهِ مَنْ أَمْسَكَ نَفْسَهُ وَضَبَطَهَا عِنْدَ امْتِلاَئِهَا بِالغَضَبِ فَلَمْ يَنْتَقِمْ مِمَّنْ أَهَاجَهُ وَمِنْهُ فُلانٌ كَظِيْمٌ بِمَعْنَى مُمْتَلِىءٌ حُزْناً قَالَ تَعَالَى عَنْ يُوْنُسَ « إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ أيْ غَيْظاً عَلَى قَوْمِهِ إِذْ لَمْ يُؤْمِنُوا لمَّا دَعَاهُمْ إِلَى الإِيْمَانِ » .

وَالغَيْظُ مُرَادِفٌ لِلْغَضَبِ وَلاَ يَتِمُّ حِلْمُ الإِنْسَانِ إلاّ بِامْسَاكِ الجَوَارِحِ كُلِّهَا : اليَدِ عَنْ البَطْشِ وَاللِّسَانِ عَنْ الفُحْشِ وَالعَيْنِ عَنْ فُضُوْلاَتِ النَّظَرِ وَأَقْرَبُ لَفْظٍ يُسْتَعْمَلُ ضِدَّ الحِلْمِ التَّذَمُّرُ .

وَأَمَّا العَفْوُ وَالصَّفْحُ فَهُمَا صُوْرَتَا الحِلْمِ فَالعَفْوُ تَرْكُ المُؤَاخَذَةِ بالذَّنْبِ ،

وَالصَّفْحُ تَرْكُ التَّثْرِيْبِ وَهُوَ مَحْمُودٌ إذَا كَانَ عَلَى الوَجْهِ الَّذِيْ يَجِبُ . بِأَنْ لاَ يَتَرَتَّبَ عَلَيْهِ إِخْلاَلٌ بِالدِّيْنِ ، قَالَ تَعَالَى (فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الجَمِيْلَ) تَنْبِيهاً عَلَى مَا يَجْمُلُ مِنْهُ .

وَأَمَّا الصَّفْحُ في غَيْرِ مَحَلِّهِ فَلاَ يَصْفَحُ حَيْثُ اقْتَضَى المَقَامُ العُقُوْبَةَ ، كَعُقُوْبَةِ المُعْتَدِيْنَ الظَّالِمينَ الَّذِيْنَ لاَ يَنْفَعُ فِيْهِمْ إلاّ العُقُوْبَةُ .

وَقَدْ حَثَّ اللّهُ تعَالَى عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ « وَالكَاظِمِيْنَ الغَيْظَ وَالعَافِيْنَ عَنْ النَّاسِ » فَأَمَرَ جَلَّ وَعَلا بالحِلْمِ وَالعَفْوِ وَقَالَ تعَالَى وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا وَقَالَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إنَّ اللّهَ يُحِبُّ المُحْسِنِيْنَ وَقَالَ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ ، وَقَالَ تعَالَى (إدْفَعْ بِالّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ فَإذَا الّذِيْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيْمٌ وَمَا يُلقهَا إلاّ الّذِيْنَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إلاّ ذُو حَظٍّ عَظِيْمٍ) .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَاصْدُقْ صَدِيْقَكَ إنْ صَدَقْتَ صَدَاقَةً

وَادْفَعْ عَدُوَّكَ بِالّتِي فَإذَا الّذِيْ

وَأَمَّا إنْ كَانَ الحِلْمُ عَلَى مَنْ يَعْتَدِيْ عَلَى الدِّيْنِ أَوْ العِرْضِ أَوْ المَالِ فَهذا في غَايَةِ الجُبْنِ وَمُنْتَهَى الذَّمِّ نَعَمْ يَنْبَغِيْ لِمَنْ يُدَافِعُ عَنْ الفَضِيلَةِ أنْ يَضْبِطَ نَفْسَهُ عِنْدَ الدِّفَاعِ فَلا يُسْرِفْ فِي الانْتِقَامِ .

وَيُعْجِبُنِيْ جَوَابُ مَا ذُكِرَ في القِصَّةِ المَشْهُوْرَةِ مِنْ أَنَّ مُعَلِّماً كَانَ يُلقِي دَرْساً أوْ هُوَ يَعِظُ فَتَقَدَّمَ إلَيْهِ إنْسَانٌ لَمْ يَسْتَعْمِلْ الرِّفْقَ وَتَسَرَّعَ فِي الانْتِقَادِ وَخَطَّأَ المُعَلِّمَ جَهْراً وَالنَّاسُ يَسْمَعُوْنَ وَمَضَى الشَّيْخُ في شَرْحِهِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَبَيَّنَ لِلنَّاقِدِ أَنَّهُ أَخْطَأَ وَأَنَّ الصَّوَابَ مَا قَالَهُ الشَّيْخُ فَذَهَبَ إلَيْهِ فِي بَيْتِهِ مُعْتَذِراً مِمَّا فَرَطَ مِنْهُ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ نَظْماً جَوَاباً لَهُ :

جَفَاءٌ جَرَىٰ جَهْراً لَدَىٰ النَّاسِ وَانْبَسَطْ

وَعُذْرٌ أتَى سِرّاً فَأكَّدَ مَا فَرَطْ

وَمَنْ ظَنَّ أنْ يَمْحُو جَلِيَّ جَفَائِهِ

خَفِيُّ اعْتِذَارٍ فَهْوَ في أَعْظَمِ الغَلَطْ

فَالنَّقْدُ يَجِبُ أَنْ يَكونَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِيَكُونَ مِنْ وَرائِهِ نَجاحُ القَصْدِ وَالسَّلَامَةِ مِنْ الإِثْمِ وَالزَّلَلِ وَكَانَ الوَاجِبُ عَلَى المنْتَقِدِ أَنْ يُلَطِّفَ الكَلَامَ وَيَأْتِيْ بِصِيْغَةِ سُؤَالٍ وَاسْتِفْهامٍ وَيَسْأَلَ مَنْ حَوْلَهُ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ هَذَا إِذَا كَانَ مُتَيَقِّناً لِلْخَطَإِ وَإِلاَّ فَبَعْدَ التَّثَبُّتِ يُبَيِّنُ لَهُ ذَلِكَ بِالكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالمَعْرُوْفِ مِنَ القَوْلِ وَلْيَحْذَرْ مِنْ خُشُوْنَةِ الكَلَامِ فَإِنَّهَا مُنَفِّرَةٌ وَدَاعِيَةٌ إِلَى التَّمَادِيْ فِي البَاطِلِ .

وَعَلَى الحَلِيْمِ أَنْ لَا يَتَجاوَزَ الحَدَّ المَشْرُوْعَ لِرَدِّ المعتَدِيْنَ وَرَدْعِهِمْ وَإِلاَّ كَانَ مُتَهَوِّراً ظَالِماً فَالشَّجَاعَةُ تَسْتَلْزِمُ الحِلْمَ لأَنَّ الشَّجَاعَةَ لَيْسَتْ مُجَرَّدُ القُوَّةِ الَّتِيْ يَسْتَطِيْعُ بِهَا المَرْءُ مُوَاجَهَةَ الأَخْطَارِ بَلْ لَا بُدَّ مَعَهَا مِنْ ضَبْطِ النَّفْسِ عِنْدَ الغَضَبِ حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِنْ اتِّبَاعِ سُنَنِ الدِّيْنِ .

وَالشَّجَاعَةُ هِيَ الحَدُّ الوَسَطَ بَيْنَ رَذِيْلَتَيْ الجُبْنِ وَالتَّهَوُّرِ فَفِيْ الجُبْنِ تَفْرِيْطٌ وَتَضْيِيْعٌ وَتَقْصِيْرٌ وفِي التَّهَوُّرِ إِفراطٌ وَتَعَدٍ لِلْحُدُودِ وَفِي الشَّجَاعَةِ السَّلَامَةُ بِأَنْ يُقْدِمَ حَيْثُ يَرَىٰ الإِقْدَامَ عَزْماً وَيُحْجِمَ حَيْثُ يَرَىٰ الإِحْجَامَ حَزْماً .

وَيَتَرَتَّبُ عَلَى الحِلْمِ آثَارٌ جَلِيْلَةٌ وَمَنَافِعُ عَظِيْمَةٌ يَعْرِفُ الإِنْسَانُ قَدْرَهَا إِذَا حَصَلَ الغَضَبُ وَآثَارَ العَوَاطِفَ وآثارَ النُّفُوْسِ وَشَبَّ نَارَ الفِتْنَةِ فَاضْطَرَبَتْ الأُمُوْرُ وَتَغَيَّرَتْ وَاسْتَحْكَمَتْ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ وَاسْتَوْلَى عَلَى النَّفْسِ حُبُّ النِّزَاعِ وَالصِّدَامُ وَحُبِّبَ إِلَى النُّفُوْسِ الفَتْكُ وَالدَّمَارُ وَنُسِيتْ عَوَاقِبُ الأُمُورِ مِمَّا يَجُرُّهُ الطَّيْشُ وَالتَّهَوُّرُ مِنْ بَلَاءٍ وَدَمَارٍ وَشَقَاءٍ وَنَتَائِجَ وَخِيْمَةٍ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ وَيَظْهَرُ فَضْلُ الحِلْمِ .

فَإِنَّ الحِلْمَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَدْفَعُ بِهِ هَذِهِ الشُّرُورِ لأَنَّ الحَلِيْمَ يَسْتَطِيْعُ إِذَا

وَفقَهُ اللّهُ أنْ يَنْظرَ إلى كُلِّ أمْرٍ مِنَ الأُمُورِ نَظراً صَادِقاً وَيُقَدِّرُهُ تَقْدِيْراً صَحِيْحاً وَيَزِنُهُ بِمِيْزانٍ عَادِلٍ فَلا يَسْتَخِفُّهُ الغَضَبُ وَالطَّيْشُ فيَدْفَعُهُ إلى المُخَاطَرَةِ وَيَسُوقُهُ إلى مَا لاَ قِبَلَ لَهُ بِهِ .

فَالحِلْمُ خَيْرُ وِقَايَةٍ تَقِيْ مَصَارِعَ السُّوْءِ وَتَحْفَظُ مِنَ الوُقُوعِ فِي مَوَاطِنِ الهَلاكِ .

وَقَدْ مَثَّلَ العُلَماءُ لِذَلِكَ أَمْثِلَةً مِنْهَا إذَا كَانَ الحَاكِمُ حَلِيْماً لا يَسْتَفِزُّهُ الغَضَبُ إلى إبْرَامِ الأُمُورِ قَبْلَ التَّثَبُّتِ مِنْهَا فَإنَّهُ يَكُوْنُ نِعْمَةً وَبَرَكَةً عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى رَعِيَّتِهِ لأنَّ التَّثَبُّتَ فِي الأُمورِ قَبْلَ إبْرَامِهَا يَسْتَلْزِمُ العَدْلَ واعْطَاءَ كُلِّ ذِيْ حَقٍّ حَقَّهُ وَجَزَاءَ كُلِّ فَرْدٍ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وبِذَلِكَ تَسْعَدُ وَتَدُوْمُ الدَّوْلَةُ بِإذْنِ اللّهِ وَتَرْتَفِعُ مَكَانَتَهُ عِنْدَ اللّهِ وَعِنْدَ عِبَادِهِ .

المَثَالُ الثَّانِيْ : الزُّعَماءُ وَالرُّؤَسَاءُ إذَا كَانُوا حُلَمَاءَ فَإنَّهُمْ يَرْفَعُونَ عَنْ أَتْبَاعِهِمْ إذَا أَرَادَ اللّهُ كَثِيْراً مِنَ الأَذَى وَيَدْفَعُوْنَ عَنْهُمْ شَرَّ التَّنَازُعِ وَالخُصُوْمَاتِ مَعَ بَعْضِهِمْ وَمَعَ غَيْرِهِمْ فَإنَّ الحَلِيْمَ يُمْكِنُهُ أن يُعَالِجَ الأُمُوْرَ بِالهُدُوءِ وَالرِّفْقِ وَالتَّلَطُّفِ وَيُفَكِّرَ فِي الوَسَائِلِ وَالأسْبَابِ الَّتِيْ تُزِيْلُ الأَحْقَادَ وَالضَّغَائِنَ وَالخِصَامَ وَيَكُفُّهُمْ عَنْ الشَّرِّ وَيَأْخُذَ مِنْهُمْ بِحِلْمِهِ وَلِيْنِهِ مَا لَمْ يَسْتَطِعْ أخْذَهُ بِقُوَّتِهِ وَجَاهِهِ فَتَنْحَسِمُ مَادَّةُ الشَّرِّ وَيَحِلُّ الوِئَامُ مَحَلَّ الخِصَامِ .

وَمِنْ الأَمْثِلَةِ القُضَاةُ إذَا كَانُوا مُتَّصِفِيْنَ بِالحِلْمِ فَإنَّهُمْ بِإذْنِ اللّهِ يَهْتَدُوْنَ إلَى الصَّوَابِ وَيَظْهَرُ لَهُمْ الحَقُّ لأَنَّ سَعَةَ صَدْرِ القَاضِيْ لاسْتِمَاعِ جَمِيْعِ مَا يَذْكُرُهُ الخُصُوْمُ وَحِلْمُهُ عَلَيْهِم حَتَّى يُدْلُوا إلَيْهِ بِكُلِّ حُجَجِهِمْ وَيُبَيِّنُوا لَهُ كُلَّ مَا

يَسْتَطِيعُوْنَهُ مِنْ طُرُقِ الإِثْبَاتِ مِنْ خَيْرِ الوَسَائِلِ الَّتِيْ تُفِيْدُ فِي اسْتِنْبَاطِ الحَقِّ وَمَعْرِفَةِ المُبْطِلِ مِنَ المُحِقِّ بِخِلافِ الأَحْمَقِ الغَضُوبِ فَإِنَّ ضَرَرَهُ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِ وَخَطَأَهُ أَكْثَرُ مِنْ صَوَابِهِ .

وَمِنْ الأَمْثِلَةِ لِذَلِكَ أَنَّ المُرَبِّيْ إِذَا كَانَ حَلِيْماً فَإِنَّهُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْتَجَ أَحْسَنَ النَّتَائِجِ وَيُؤَدِّيْ لِأُمَّتِهِ أَجَلَّ الخِدَمِ وَأَفْضَلَهَا لأَنَّهُ يَسْتَطِيْعُ بِحِلْمِهِ أَنْ يَتَبَيَّنَ مَوْضِعَ الضَّعْفِ مِنْ نَفْسِ القَائِمِ عَلَى تَرْبِيَتِهِ فَيُعَالِجُهُ بِمَا يُنَاسِبُ حَالَهُ حَتَّى يَشِبَّ صَالِحاً نَافِعاً إِذَا كَانَ قَائِماً بِتَلْقِيْنِهِ العِلْمَ فَإِنَّ مُلَقِّنَ العِلْمِ إِذَا لَمْ يَكُنْ حَلِيْماً فَإِنَّهُ يُضِيْعُ عَلَى مَنْ يُعَلِّمُهُ أَحْسَنَ الفُرَصِ فِي حَيَاتِهِ لأَنَّهُ يَمْنَعُهُ مِنْ مُنَاقَشَةِ الحَقَائِقِ العِلْمِيَّةِ الَّتِيْ يَتَمَكَّنُ بِهَا مِنْ مَعْرِفَةِ الخَطَأِ مِنَ الصَّوَابِ وَالحَقِّ مِنْ البَاطِلِ وَيَتَدَرَّبَ بِهَا عَلَى المُنَاظَرَةِ المُفِيْدَةِ لِلْفِكْرِ .

وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ المُرَبِّي الأَحْمَقَ يُضِيْفُ إِلَى ذَلِكَ أَثَراً سَيِّئاً فِي نَفْسِ المُرَبَّى لأَنَّ الطِّبَاعَ كَسَّابَةٌ فَيَتَأَثَّرُ مِنْهُ وَيَسْرِيْ إِلَيْهِ مِنْ أُسْتَاذِهِ مِنْ مَا بِهِ مِنْ أَمْرَاضٍ أَخْلاَقِيَّةٍ غَالِباً وَيَكُونُ شَرّاً مُتَعَدِّياً عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ .

وَمِنْ الأَمْثِلَةِ لِذَلِكَ الزَّوْجُ مَعَ زَوْجَتِهِ فَإِذَا كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا حَلِيْماً فَإِنَّهُمَا يَعِيْشَانِ عِيْشَةً مَرْضِيَّةً إِذَا كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا يُغْضِيْ عَنْ هَفَوَاتِ الآخَرِ وَيَزُفُّوْهَا فَلا يُثِيْرَانِ نِزَاعاً لأَيْسَرِ الأُمُورِ وَأَحْقَرِ الأَسْبَابِ وَأَتْفَهِهَا وَإِنْ وَقَعَ نَادِراً عَالَجَاهُ بِلُطْفٍ وَحَرِصَا عَلَى كَتْمِهِ عَنْ الأَوْلاَدِ لِعِلْمِهِمَا بِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى إِظْهَارِهِ مِنَ الضَّرَرِ العَظِيْمِ خُصُوصاً إِذَا كَانَ الأَبْنَاءُ فِي حَدٍّ قَابِلٍ لاِنْطِبَاعِ الأَخْلاَقِ فِيْهِمْ وَانْتِقَالِ الصِّفَاتِ إِلَيْهِمْ فَإِنَّ الحِلْمَ فِي هَذِهِ الحَالَةِ مَوْقِعُهُ عَظِيْمٌ وَضَرَرُ الحَمَاقَةِ شَدِيْدٌ جِدّاً لما يُصِيْبُ الأَبْنَاءَ مِنْ ضَرَرِ عَدَمِ الحِلْمِ فَالحِلْمُ فِي الحَقِيْقَةِ سَعَادَةٌ عَاجِلَةٌ وَخَيْرٌ لِلأُسْرَةِ بِتَمَامِهَا .

شعرا : رَجَعْتُ على السفيهِ بفضْلِ حِلْمي فكَانَ الحِلْمُ عَنْهُ لَهُ لِجَامَا
وظَنَّ بِيَ السَّفَاهَ فَلَمْ يَجِدْنِي أُسَافِهُهُ وقُلْتُ لَهُ سَـــلاَمَا

فَقَامَ يَجُرُّ رِجْلَيْهِ ذَلِيــــلاً وَقَدْ كَسَبَ المَذَلَّةَ وَالمَلامَا
وفَضْلُ الحِلْمِ أَبْلغُ في سَفِيــهٍ وأَحْرَى أَنْ تَنَالَ بِهِ انْتِقَامَا

وَمِنَ الأَمْثِلَةِ لِذَلِكَ التَّاجِرُ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ حَلِيْماً تَرُوْجُ تِجَارَتُهُ وَيُقْبِلُ المُعَامِلُونَ عَلَيْهِ لأَنَّ حِلْمَهُ يُرَغِّبُ فِي مُعَامَلَتِهِ أَمَّا إِذا كَانَ حَمِقِيَاً غَضُوْباً لأَهْوَنِ الأَشْيَاءِ وَأَيْسَرِ الأُمُورِ فَتَجِدُهُ مَعَ النَّاسِ فِي لِجَاجٍ وَخِصَامٍ لا يُمَكِّنُ غَضَبُهُ أَحداً مِنْ مُفَاهَمتِهِ فِيمَا يُرِيْدُ أَنْ يَبِيْعَهُ أو يَشْتَرِيْهِ وَرُبَّمَا أَدَّى بِهِ غَضَبُهُ وَعَدَمُ حِلْمِهِ إِلَى اتْلاَفِ السِّلْعَةِ الَّتِيْ يُرِيْدُ بَيْعَها أَوْ إِلَى الأَيْمَانِ أَنَّهُ لا يَبِيْعُهَا مِنَ المُسَاوِمِ لَهُ أو غَيرِ ذَلِكَ مِمَّا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الحَمْقَى الجَاهِلِيْنَ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الأَسْبَابِ لِكَسَادِ تِجَارَةِ هَؤلاءِ وَانْصِرَافِ النَّاسِ عَنْهُمْ وَنُفْرَتِهِمْ مِنْ مُعَامَلَتِهِمْ . وَقَدْ يُفَضِّلُونَ مُعَامَلَةَ الحَلِيْمِ حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ سِلْعَتُهُ أَقَلَّ جَوْدَةً مِنْ سِلْعَةِ ذَلِكَ الأَحْمَقِ .

وَمِثْلُ ذَلِكَ أَهْلُ الصَّنَائِعِ إِذَا كَانُوا حُمَقَاءَ فَإِنَّ النَّاسَ لاَ يُعَامِلُونَهُمْ خَوْفاً مِنْ أَلْسِنَتِهِمْ وَيَذْهَبُونَ عَنْهُمْ إِلَى مَنْ كَانَ حَلِيْماً لأَنَّهُ يَكونُ مُحَبَّباً إِلَى النُّفُوسِ يَسْتَرِيْحُ مَعَهُ النَّاسُ .

« مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ تَنَبَّهُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِقَوَارِعِ العِبَرِ وَتَدَبَّرُوا مَوَاعِظَ كِتَابِ رَبِّكُمْ فَإِنَّهُنَّ صَوَادِقُ الخَبَرِ وَتَفَكَّرُوا في حَوَادِثِ الأَيَّامِ فَإِنَّ فِيْهَا المُزْدَجَرُ وَتَأَمَّلُوا دَوْرَ الزَّمَانِ عَصْراً فَعَصْراً أَيَّامٌ تَتْلُو أَيَّاماً وَشَهْرٌ يَتْلُو شَهْراً وَسَنَةٌ تَتْلُوا سَنَةً وَأَوْقَاتٌ تُطْوَى فَتُخَرِّبُ عُمْرَاناً وَتَعْمُرُ قَفْرا وتُعِيْرُ مَرَّةً وَتَسْلُبُ أُخْرَى .

مَوَاعِظُ تُنَادِي العَاقِلَ بِلِسَانِ الحَقِيْقَةِ جَهْراً فَاحْذَرُوا زَخَارِفَ الدُّنْيَا المُظَلِّلَة وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ تَكَثَّرَ مِنْهَا وَلَمْ يَسْتَعْمِلْهُ فِي مَرَاضِيْ اللَّهِ وَيَجْعَلْهُ ذُخراً لِلدَّارِ الآخِرَةِ لَمْ يَزْدَدْ مِنْ اللَّهِ إِلاَّ قِلَّةً .

فَتَزَوَّدُوا مِنْهَا التَّقْوَى فَإِنَّهَا خَيْرُ زَادٍ وَخُذُوا أُهْبَةَ التَّحَوُّلِ وَانْتَبِهُوا مِنْ

سِنَةِ الرُّقَادِ قَبْلَ أَنْ تُقَرَّبَ لَكُمْ مَرَاكِبُ التَّحَوُّلِ إِلَى القُبُورِ وَيُنَادِي بِكُمْ الرَّحِيْلُ إِلَى الآخِرَةِ .

خُذُوا أُهْبَةً فِي الزَّادِ فالموتُ كائنٌ ... فما منه مَنْجَا ولا عنه مُنْدَدِ
فما داركم هَذِي بِدَارِ إِقَامَةٍ ... ولَكِنَّهَا دَارُ ابْتِلاً وتَزَوُّدِ
أَمَا جَاءكم عن رَبكم وتَزَوَّدُوْا ... فَمَا عُذْرُ مَن وافَاهُ غَيرُ مُزَوَّدِ
فما هَذِهِ الأَيَامُ إِلاَّ مَرَاحِلٌ ... تُقَرِّبُ من دَارِ اللِّقَا كل مُبْعَدِ

آخر : نَهْوَى الحَيَاةَ وَلَوْ صَحَّتْ عَزَائِمُنَا ... لَمَا صَرَفْنَا إِلَى الخَدَّاعَةِ الهِمَمَا
لَوْ عِلْمُنَا عَلِمَتْ شُمُّ الجِبَالِ بِهِ ... أَزَالَ ذَلِكَ مِنْ آنَافِهَا الشَّمَمَا
إِنَّ الشُّخُوصَ الَّتِيْ كَانَتْ رَجَاحَتُهَا ... تُوَازِنُ الهَضْبَ صَارَتْ فِي الثَّرَى رِمَمَا
عَمَّتْهُمُ حَادِثَاتٌ غَيْرُ مُبْقِيَةٍ ... شَيْئاً فَلَمْ تُبْقِ أَبْدَاناً وَلاَ قِمَمَا

اللَّهُمَّ عَافِنَا مِنْ مَكْرِكَ وَزَيِّنَّا بِذِكْرِكَ وَاسْتَعْمِلْنَا بِأَمْرِكَ وَلاَ تَهْتِكْ عَلَيْنَا جَمِيْلَ سِتْرِكَ وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِلُطْفِكَ وَبِرِّكَ وَأَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا مِنْ عَذَابِكَ وَآمِنَّا مِنْ عِقَابِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــــلٌ)

قَالَ العُلَمَاءُ وَأَسْبَابُ الحِلْمِ البَاعِثَةِ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ عَشَرَةٌ أَحَدُهَا الرَّحْمَةُ لِلْجُهَّالِ وَذَلِكَ مِنْ خَيْرٍ يُوَافِقُ رِقَّةً وَقَدْ قِيْلَ فِي مَنْثُورِ الحِكَمِ مِنْ أَوْكَدِ أَسْبَابِ الحِلْمِ رَحْمَةُ الجُهَّالِ فَيَأْمَنُ وَيَأْمَنُونَ مِنَ اسْتِحْدَاثِ البُغْضِ وَالقَطِيْعَةِ المؤدِيَّيْنِ إِلَى تَرْكِ النُّصْرَةِ وَالغِيْبَةِ .

شعرا : وما قَتَلَ السَّفَاهَةَ مِثْلُ حِلْمٍ ... يَعُودُ به على الجَهْلِ الحَليمُ
فَلاَ تَسْفَهْ وَإِنْ مُلِّيتَ غَيْظَا ... على أحدٍ فإِنَّ الفُحْشَ لُوْمُ
ولا تَقْطَعْ أخاً لَكَ عِنْدَ ذَنْبٍ ... فإِن الذَّنْبَ يَعْفُوهُ الكَرِيْمُ

آخر : إذا سَبَّنِي نَذْلٌ تَزَايَدْتُ رِفْعَةً ... وما العَارُ إِلاَّ أَن أَكُوْنَ أُجَاوِبُهُ
وَلَوْ أَنَّ مَا نَفْسِي عَلَيَّ عَزِيْزَةٌ ... لَقَرَّبْتُهَا من كُلِ نَذْلٍ تُخَاطِبُهُ

آخر : لا يُعْجِبَنَّكَ مَن يُصُوْنُ ثِيَابَهُ حَذَرَ الغُبَارِ وعِرضُـــهُ مَبْـــذُوْلُ
فلَرُبَّمَا افْتَقَرَ الفَتى فرَأَيْتَـــهُ وَسْخَ الثِّيَابِ وَعِرْضُـــهُ مَغْسُــوْلُ

الثَّانيْ : مِنْ أَسْبَابِ الحِلْمِ القُدْرَةُ عَلَى الانْتِقَامِ وَالانْتِصَافِ وَذَلِكَ الحِلْمُ مِنْ سَعَةِ الصَّدْرِ وحُسْنِ الثِّقَةِ باللّهِ وبِقُدْرَتِهِ وَقَالَ بَعْضُ البُلَغَاءِ أَحْسَنُ المَكَارِمِ عَفْوُ الْمُقْتَدِرِ وَجُوْدُ المُفْتَقِرْ .

شِعْراً :

خيرُ الخَلِيْلَيْنِ مَنْ أَغْضَى لِصَاحِبِهِ وَلَوْ أرَادَ انْتِصَاراً مِنْهُ لَا انْتَصَرَا

وَالثَّالِثُ : مِنْ أَسْبَابِ الحِلْمِ التَّرَفُّعُ عَنْ السِّبَابِ وَعذلِكَ مِنْ شَرَفِ النَّفْسِ وَعُلُوِّ الهِمَّةِ وَقَالَتْ الحُكَمَاءُ شَرَفُ النَّفْسِ أَنْ تَحَمَّلَ الْمَكَارِهَ وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لا يَبْلُغُ المَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا حَتَّى يَذِلُّوا وَإِنْ عَزُّوْا لأَقْوَامِ
وَيُشْتَمُوْا فَتَرَىٰ الأَلْوَانَ مُسْفِرَةً لا صَفْحَ ذُلٍّ وَلَكِنْ صَفْحُ أَحْلَامِ

آخـــر :

إذا شِئْتَ يوماً أن تسوْدَ عَشِيْرةً فبالحلم سُدْ لا بالتَّسَرُّعِ وَالشَّتْمِ

آخــر :

وإنْ هُوَ لَم يَحْمِلْ عَلى النفسِ ضَيْمَهَا فليس إِلَى حُسْنِ الثناءِ سَبِيْلُ

وَالرَّابِعُ : مِنْ أَسْبَابِ الحِلْمِ الاسْتِهَانَةُ بِالْمُسِيءِ قَالَ الشَّاعِرُ :

قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَا جَانِيْهُمُوا أَمِنُوا لِلُؤْمِ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوَدَا

وَقَالَ آخَرُ :

فَدَعِ الوَعِيْدَ فَمَا وَعِيْدكَ ضَائِرِيْ. أَطَنِينُ أَجْنِحَةِ الذُّبَابِ يَظِيرُ

آخـــر :

وكَم مِن لَئِيْمٍ وَدَّ أني شَتَمْتُهُ وإنْ كَانَ شَتْمِي فيه صَابٌ وعَلْقَمُ
ولَلْكَفُّ عن شَتْمِ اللئِيْمِ تَكَرُّمَا أَضَرُّ لَهُ مِن شَتْمِهِ حِيْنَ يشتَمُ

آخر : إِذَا نَطَقَ السَّفِيْهُ فَلا تُجِبْهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ

سَكَتُّ عَنْ السَّفِيْهِ فَظَنَّ أَنِّيْ عَيِيْتُ عَنْ الجَوَابِ وَمَا عَيِيْتُ

وَالخَامِسُ : مِنْ أَسْبَابِ الحِلْمِ الاسْتِحْيَاءُ مِنْ جَزَاءِ الجَوَابِ وَهَذَا يَكُوْنُ مِنْ النَّفْسِ وَكَمَالِ المُروْءِهِ كَمَا قَالَ بَعْضُهُم :

إِنِّيْ لأَعْرِضُ عَنْ أَشْيَاءَ أَسْمَعُهَا حَتَّى يَظُنَّ رِجَالٌ أَنَّ بِيْ حَمَقاً
أَخْشَى جَوَابَ سَفِيْهٍ لا حَيَاءَ لَهُ فَسْلٍ يَظُنُّ رِجَالٌ أَنَّهُ صَدَقَا

آخـر :

فَمَا الأَنْسُ بِالأَنْسِ الَّذِيْنَ عَهِدْتهم بِأُنْسٍ وَلَكِنْ فَقْدُ أُنْسِهِمُ أُنْسُ
إِذَا سَلِمَتْ نَفْسِيْ وَدِيْنِيْ مِنْهُمُوا فَحَسْبِيْ أَنْ العِرْضَ مِنِّيْ لَهُمْ تُرْسُ

السَّادِسُ : مِنْ أَسْبَابِ الحِلْمِ التَّفَضُّلُ عَلى السَّابِّ وَهَذَا يَكُوْنُ مِنْ الكَرَمِ وَحُبِّ التَّآلُفِ قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا كَانَ دُوْنِيْ مَنْ بُلِيْتُ بِجَهْلِهِ أَبَيْتُ لِنَفْسِيْ أَنْ أُقَابِلَ بِالجَهْلِ
وَإِنْ كَانَ مِثْلِيْ فِي مَحَلٍّ مِنْ العُلا هَوِيْتُ إِذاً حِلْماً وَصَفْحاً عَنْ الجَهْلِ
وَإِنْ كُنْتُ أَدْنَى مِنْهُ فِي الفَضْلِ وَالحِجَا رَأَيْتُ لَهُ حَقَّ العِلاوَة والفَضْلِ

آخـر :

فَيَا هَارِباً مِن سُخْطِنَا مُتَنَصِّلاً هَرَبْتَ إِلى أَنجى مُقِرٍ وَمَهْرَبِ
فَعُذْرُكَ مَبْسُوطٌ لَدَيَّ مُقَدَّمٌ وَوُدُّكَ مَقْبُوْلٌ بِأَهْلٍ وَمَرْحَبِ
وَلَوْ بَلَّغَتْنِي عَنْكَ أُذْنِيْ أَقَمْتُهَا لَدَيَّ مَقَامَ الكَاشِحِ المتكَذِبِ

آخر : أَتَطْلُبُ صَاحِبَاً لا عَيْبَ فِيْهِ وَأَيُّ النَاسِ لَيْسَ لَهُ عُيُوْبُ
آخر : وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لا تَلُمُّهُ عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرجالِ المُهَذَّبُ

السَّابِعُ : مِنْ أَسْبَابِ الحِلْمِ اسْتِكْفَافُ السَّابِّ وَقَطْعِ السِّبَابِ وَهَذَا يَكُونُ مِنَ الحَزْمِ وَجَوْدَةِ العَقْلِ وَمِمَّا يُنْسَبُ لِلأَمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

قَالُوا سَكَتَ وَقَدْ خُوصِمْتَ قُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الجَوَابَ لِبَابِ الشَّرِّ مِفْتَاحُ

فَالصَّمْتُ عَنْ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقٍ شَرَفٌ   أَيْضاً وَفِيْهِ لِصَوْنِ العِرْضِ إِصْلاحُ
أَمَا تَرى الأُسْدَ تُخْشَى وَهْيَ صَامِتَةٌ   وَالكَلْبُ يَخْشَ لعَمْرِيْ وَهْوَ نَبَّاحُ

آخــر :

إِذَا فَاهَ السَّفِيْهُ بِسَبِّ عِرْضِيْ   كَرِهْتُ بِأَنْ أَكُوْنَ لَهُ مُجِيْبَا
يَزِيْدُ سَفَاهَةً وَأَزِيْدُ حِلْماً   كَعُوْدٍ زَادَهُ الإِحْرَاقُ طِيْبَا

آخــر :

لَنْ يُدْرِكَ المَجْدَ أقوامٌ وإِنْ كَرُمُوْا   حَتَّى يَذِلُوا وإِنْ عَزُوْا الأَقْوَامِ
ويشتمُوْا فَتَرى الأَلْوَانَ كاسِفَةً   لَا ذُلَّ عَجْزٍ وَلَكِنْ ذُلَّ أَحْلامِ

آخــر :

ما صاحبُ المرء مَن إن زَلَّ عاقَبَهُ   بَلْ صاحبُ المَرْءِ مَنْ يَعْفُو إذَا قَدِرَا
فإِنْ أَرَدْتَ وِصالاً لا يُكَدِّرُهُ   هَجْرٌ فكُنْ صَافياً لِلْخِلِ إن كَدَرَا

آخــر :

زيّنْ أخَاكَ بِحُسْنِ وَصْفِكَ فَضْلَهُ   وبِبَثِّ ما يأتي مِن الحَسَناتِ
وتَجافَ عن عَثَرَاتِهِ وانظُرْ إلى   مَنْ ذَا الذِّيْ يَنْجُو مِنَ العَثَراتِ

وَتَعرَّضَ رَجُلٌ أَحْمَقٌ لأحدِ العُقَلاءِ الحُكَماءِ وأَسْمَعَهُ كَلَاماً غَلِيْظاً وَأَفْحَشَ في القَوْلِ فتَحَلَّمَ عَنْهُ وَتَركَهُ يُنَوِّعُ سَبَّهُ وَلَمْ يُجِبْهُ بشيءٍ فَقِيلَ لِمَاذا لَا تُجِبْهُ ؟

فَقَالَ أَرَأَيْت لَوْ عَضَّكَ حِمَارٌ أَوْ رَمَحَكَ أَكُنْتَ تَعُضُّهُ أَوْ تَرْمَحُهُ قَالَ لا ، قَالَ أَرَأَيْتَ لَوْ نبَح عَلَيْكَ كَلْبٌ أَوْ عَضَّكَ أَكُنْتَ تَعُضُّهُ أَوْ تَنْبَحُ عَلَيْهِ قَالَ لَا قَالَ فَإِنَّ السَّفِيْهَ إِمَّا يَكُونُ كَالكَلْب أَوْ كَالحِمَارِ لأَنَّهُ مَايَخْلُ مِنْ جَهْلٍ وَأَذى وَشرٍّ وَكَثِيْراً مَايَجْتَمِعَانِ فِيهِ فَالأَبْعَادُ عَنْهُ غَنِيْمَةٌ لِيُحصُلَ عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ شَرِّه وَأَذَاهُ .

شِعْرًا : كالثَّوْرِ عَقْلًا ومِثْلُ التّيسِ مَعْرِفَةً   فلا يُفَرّقُ بَيْنَ الحـق والْفَنَـدِ
الجَهْـلُ شَخْصٌ يُنادِيْ فوقَ هَامَتِـهِ   لا تَسْأَل الرَّبْعَ مَا في الرَّبْعِ من أحَـدِ

آخر: زَوَامِلُ لِلأَسْفارِ لا عِلْمَ عِنْدَهم	بِمَكنونِهَا إلاَّ كَعِلْمِ الأَبَاعِرِ
لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي البَعِيْرُ إِذَا غَدَا	عَلَى ظَهْرِهِ مَا في بُطُونِ الغَرَائِرِ

والثَّامِنُ : مِنْ أَسْبَابِ الحِلْمِ الخَوْفُ مِنَ العُقُوْبَةِ عَلَى الجَوَابِ وَهَذَا يَكُوْنُ مِنْ ضَعْفِ النَّفْسِ وَرُبَّمَا أَوْجَبَهُ الرَّأْيُ السَّدِيْدُ وَاقْتَضَاهُ الحَزْمُ .

وَالتَّاسِعُ : مِنْ أَسْبَابِ الحِلْمِ الرِّعَايَةُ لِيَدٍ سَلَفَتْ وَحُرْمَةٍ لَزِمتْ وَهَذَا يَكُونُ مِنْ الوَفاءِ وَحُسْنِ العَهْدِ وَقِيْلَ في مَنْثُورِ الحِكَمِ أكْرَمُ الشِّيَمِ أرْعَاهَا لِلذِّمَمِ والعَاشِرُ مِنْ أَسْبَابِ الحِلْمِ الكَيْدُ والمَكْرُ وَتَوَقُّعِ الفُرَصِ الخَفِيَّةِ وَهَذَا يَكُوْنُ مِنْ الدَّهَاءِ .

يَقُولُ لَكَ العَقْلُ الذي زَيَّنَ الفَتَى	إِذَا أَنْتَ لَمْ تَقْوَىٰ عَدُوَّكَ دَارِهِ
وَلاَقِهِ بالتَّرحِيْبِ والبِشْرِ والرضَا	وَبَارِكْ لَهُ مَا دُمْتَ تَحْتَ اقْتِدَارِهِ
وقَبِّلْ يَدَ الجَانِي الذي لَسْتَ قَادرًا	على قَطْعِهَا وارْقُبْ سُقُوطَ جِدارِهِ

آخر :

وإذَا عَجزْتَ عن العَدُوِّ فَدَارِهِ	وامْزَحْ لَهُ إنَّ المِزَاحَ وِفَاقُ
فالنارُ بالماءِ الذي هُوَ ضِدُّهَا	تُعْطِي النِّضَاجَ وطَبْعُها الإحْرَاقُ

وَقَدْ قِيْلَ في مَنْثُورِ الحِكَمِ مَنْ ظَهَرَ غَضَبُهُ قَلَّ كَيْدُهُ وَقَالَ بَعْضُ الأُدَبَاءِ غَضَبُ الجَاهِلِ في قَوْلِهِ وَغَضَبُ العَاقِلِ في فِعْلِهِ وَقَالَ بَعْضُ الحُكَمَاءِ إذَا سَكَتَّ عَنْ الجَاهِلِ فَقَدْ أَوْسَعْتَهُ جَوَاباً وَأَوْجَعْتَهُ عِقَاباً وَقَالَ إِيَاسُ بْنُ قَتَادَةَ :

(تُعَاقِبُ أَيْدِيْنَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا	وَنَشْتُمُ بِالأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ)

آخر :

تَخَالُهُمْ لِلْحِلْمِ صُماً عن الخَنَا	وخُرْساً عن الفَحْشَاءِ عِند التَّفاخُر
ومَرْضَى إذَا الأقوا حَيَاءً وَعِفَّةً	وعِنْدَ الحِفَاظ كاللُّيُوْثِ الكَوَاسِرِ

آخر :

لَقَدْ أَسْمَعُ القَوْلَ الَّذِيْ كَادَ كُلَّمَا	تُذَكِّرْنِيْهِ النَّفْسِ قَلْبِيْ يُصَدَّعُ

فَأُبْدِيْ لِمَنْ أَبْدَاهُ مِنِّيْ بَشَاشَةً ... كَأَنِّي مَسْرُورٌ بِمَا مِنْهُ أَسْمَعُ
وَمَا ذَاكَ مِنْ عُجْبٍ بِهِ غَيْرِ أَنَّنِيْ ... أَرَى أَنَّ تَرْكَ الشَّرِّ لِلشَّرِّ أَقْطَعُ

آخـــر :

وفي الحِلْمِ والإِسْلامِ لِلْمَرءِ وَازِعٌ ... وفي تركِ أَهْوَاءِ الفُؤَادِ المُتَيَّمِ
بَصَائِرُ يُرْشِدْنَ الفَتَى مُسْتَبِيْنَةٌ ... وَأَخْلاقُ صِدْقٍ عِلْمُهَا بِالتَّعَلُّمِ

آخر : إِذَا اعْتَذَرَ الصَّدِيْقُ إِلَيْكَ يَوْماً ... مِنَ التَّقْصِيْرِ عُذرَ فَتىً مُقِرِّ
فَصُنْهُ عَنِ عِتَابِكَ وَاعْفُ عَنْهُ ... فَإِنَّ العَفْوَ شِيْمَةُ كُلِّ حُرِّ

آخر : تكثر مِنَ أَهْلِ الدينَ ما اسْطَعْتَ إِنَهُمْ ... عِمَادُ إِذَا اسْتَنْجَدْتَهُمْ وَظُهُوْرُ
فما بكثير أَلْفُ خلٍ مُوَفَّقٍ ... لِطَاعَةِ رَبِّ العَرشِ تُحْظى بِقُرْبِهِ

آخر : إِذا تَخَلَّفْتَ عن صَدِيقٍ ... وَلَم يُعَاتِبْكَ فِي التخلُّفْ
فلا تَعُدْ بَعْدَهَا إِلَيْهِ ... فَإِنَّمَا وُدُّهُ تَكَلُّفُ

آخر : إِذا خَلِيْلِيَ لم يُكْثِرْ إِسَاءَتَهُ ... فَأَيْنَ مَوْضِعُ إِحْسَانِي وغُفْرَانِي
يَجْنِي عَلَيَّ وَأَحْنُو صَافِحاً أَبَدَا ... لَا شَيءَ أَحْسَنَ مِن حَانٍ عَلَى جَانِ

قَالَ بَعْضُ الحُكَمَاءِ ثلاثَةٌ لا يُعْرَفُونَ إِلَّا فِي ثَلاثَةِ مَوَاطِنَ لا يُعْرَفُ الجَوَادُ إِلَّا فِي العُسْرَةِ وَلَا يُعْرَفُ الشُّجَاعُ إِلَّا فِي الحَرْبِ وَلَا يُعْرَفُ الحَلِيْمُ إِلَّا فِي الغَضَبِ قَالَ الشَّاعِرُ :

«مَنْ يَدَّعِيْ الحِلْمَ أَغْضِبْهُ لِتَعْرِفَهُ ... لا يُعْرَفُ الحِلْمُ إِلَّا سَاعَةَ الغَضَبِ»

وَمَنْ فَقَدَ الغَضَبَ فِي الأَشْيَاءِ المغضِبَةِ حَتَّى اسْتَوَتْ حَالَتَاهُ قَبْلَ الإِغْضَابِ وبَعْدَهُ فَقَدْ عَدِمَ مِنْ فَضَائِلِ النَّفْسِ الشَّجَاعَةَ وَالأَنفَةَ وَالحَمِيَّةَ وَالغَيْرَةَ وَالدِّفَاعَ وَالأَخْذَ بِالثَّأْرِ لأَنَّهَا خِصَالٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ الغَضَبِ فَإِذا عَدِمَهَا هَانَ بِهَا وَلَم يَكُنْ لِبَقَاءِ فَضَائِلِهِ فِي النُّفُوسِ قِيْمَةٌ وَلَا لِوُفُوْرِ حِلْمِهِ مَوْقِعٌ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِذَا كَانَ الحِلْمُ يُؤَدِّيْ إِلَى فَسَادٍ بِأَنْ كَانَ المَحْلُومُ عَلَيْهِ

لَئِيماً يَزْدَادُ شَرُّهُ مَعَ الحِلْم فَالجَهْلُ مَعَهُ أَحْسَنُ لأَنَّهُ يَرْدَعُهُ عَنْ الشَّرِّ وَالتَّمادِيْ فِيْه

شعرا :

لَئِنْ كانَ حِلمُ المرءِ عَوْنُ عَدُوه عَلَيْه فإنّ الجَهْلَ أغْنَى وَأَرْوَحُ
وَفِي الحِلْم ضَعْفُ والعُقُوبةِ قُوةٌ إذَا كُنْتَ تخْشَى كَيْدَ مَنْ عَنْهُ تَصفَحُ

آخــر :

أبَا حَسَنٍ ما أقْبَحَ الجَهْل بالفتَى ولَلْحُلْمُ أحْيَاناً مِن الجَهْلِ أَقْبَحُ

آخــر :

وَأَنْـزلَنِيْ طُـوْلُ النَّـوَى دَارَ غُـرْبَـةٍ إذَا شِـئْتُ لاقَيْتُ الّذِيْ لاَ أُشَـاكِلُهْ
فَحَامَقْتُـهُ حَـتَّى يُقَـالَ سَجِيَّـةٌ وَلَـوْ كَـانَ ذَا عَقْـلٍ لَكُنْتُ أُعَـاقِلُهُ

آخر : تَأَمَّلْتُ الوَرَى جِيْلًا فجِيْلاَ فكَان لَبِيْبُهُــم عِنْدِيْ قَلِيْــلاَ
لَهُم صُوَرٌ تَــروْقُ وَلاَ حُلُوْمـاً وأَجْسَـام تهـوْلُ ولا عُقُــولاً

آخر : إِذَا خَطَبَ الصَّدَاقَةَ مِنْكَ كُفْوءٌ فلا تَطْلُبْ سِوَى صِدْقٍ صَدَاقَـا
فَقَدْ صَدِأَتْ قُلُوْبُ الناسِ غِشاً وقَدْ صُقِلَتْ وُجُوْهُ أكثرهم نِفَاقَـا

آخر : وما أنا بالنِّكْسِ الدَّنِيءِ وَلا الذي إذا صَدَّ عَنْهُ ذُوْ المـروءةِ يَقْـرُبُ
ولكِنَّهُ إِنْ دَامَ دُمْتُ وإِنْ يَكُــنْ لَهُ مَذْهَبُ عَنِّيْ فلِيْ عَنْهُ مَذْهَــبُ
لِأَنَّ الــوِدَّوِدُّ تَطَوَّعَــــتْ بِهِ النَّفْسُ لا وِدُّ أَتَى وَهْوَ مُتْعَـبُ

آخــر :

وللِدَّهْـرِ أَثْـوَابٌ فَكـنْ فـي ثِيـابِهِ كَلِبْستِـهِ يَـومًـا أجَـدَّ وأَخْـلَقَـا
فكُنْ أكْيَسَ الْكَيْسَى إذا كُنْتَ فيهم وإِنْ كُنْتَ في الحمقى فَكُنْ أَنْتَ أَحمقا

وَقَـالَ بَعْضُ الحُكَـمَاءِ العَفْـوُ يُفْسِدُ مِنْ اللَّئِيْمِ بِقَدْرِ إِصْلَاحِهِ مِنْ الكَرِيْمِ وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

مِنْ الحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ الجَهْلَ دُوْنَهُ إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الحِلْمِ طُرْقُ المَظَالِمِ

فَالحَكِيْمُ يَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي المَحَلِّ اللاَّئِقِ بِهِ فَلا يُعَامِلُ الكَرِيْمَ مُعَامَلَةَ

اللئيْم وَلاَ بالعَكْس فَإنَّ هَذَا فِيْه ضَرَرٌ عَظِيْمٌ وَيُخِلُّ في مَنْصِب الشَّخْص وَيَحطُّ مِنْ قَدْرِهِ وَيَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ عَقْلِهِ وَأَنَّهُ لا يُحْسِنُ أَنْ يُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ وَيَقُولُ أَبُو الطَّيِّبِ في ذَلِكَ :

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيْمَ مَلَكْتَهُ ... وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيْمَ تَمَرَّدَا
فَوَضْعُ النَّدا في مَوْضِعِ السَّيْفِ بالعُلَا ... مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَا

آخـر :

الصَّمْتُ زَيْنٌ والسكُوتُ سَلامَةٌ ... فإذَا انْطَقْتُ فلا تكُنْ مِهْذَارَا
مَا إنْ نَدِمْتُ على سُكُوتِي مَرَّةً ... وَلَقَدْ نَدِمْتُ على الكَلام مرارا

وَيَقُوْلُ الآخَرُ :

وَالعَفْوُ عِنْدَ لَئِيْمِ الطَّبْعِ مَفْسَدَةٌ ... تُطْغِيْ وَلَكِنَّهُ عِنْدَ الكَرِيْمِ يَدَا

وَقَالَ آخَرُ :

وَلِيْ فَرَسٌ لِلْحِلْمِ بالحِلْمِ مُلْجَمٌ ... وَلِيْ فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بالجَهْلِ مُسْرَجُ
فَمَنْ شَاءَ تَقْوِيْمِي فَإِنِّيْ مُقَوَّمٌ ... وَمَنْ شَاءَ تَعْوِيْجِيْ فَإِنِّيْ مُعَوَّجُ
وَمَا كُنْتُ أَرْضَى الجَهْلَ خِدْناً وَصَاحِباً ... وَلَكِنَّنِيْ أَرْضَى بِهِ حِيْنَ أُحْرَجُ

وَيَقُولُ الآخَرُ :

إِذَا كُنْتَ بَيْنَ الحِلْمِ وَالجَهْلِ نَاشِئاً ... وَخُيِّرْتَ أَنَّى شِئْتَ فَالحِلْمُ أَفْضَلُ
وَلَكِنْ إِذَا أَنْصَفْتَ مَنْ لَيْسَ مُنْصِفاً ... وَلَمْ يَرْضَ مِنْكَ الحِلْمَ فَالجَهْلُ أَمْثَلُ

وَلَمَّا ظَفِرَ النَّبِيّ ﷺ وَهُوَ بِحَمْرَاءَ الأَسَدِ بِأَبِيْ عَزَّةَ الشَّاعِرُ الَّذِيْ مَنَّ عَلَيْهِ النَّبِيّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ وَتَعَهَّدَ لِلنَّبِيّ ﷺ أَنْ لا يُنَاصِبَ الْمُسْلِمِينَ العِدَا وَلاَ يُحَرِّضَ عَلَيْهِ الأَعْدَاءَ فَلَمْ يَفِ بِقَوْلِهِ وَلَمْ يَصْدُقْ بِوَعْدِهِ بَلْ نَقَضَ العَهْدَ وَخَانَ المِيْثَاقَ وَمَا أَبْرَمَ مِنْ الاتِّفَاق فَأَمَرَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بِقَتْلِهِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَقِلْنِيْ وَامْنُنْ عَلَيَّ وَدَعْنِيْ لِبَنَاتِيْ وَأُعْطِيْكَ عَهْداً أَلَّا أَعُودَ لِمِثْلِ مَا فَعَلْتُ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَاللهِ لاَ تَمْسَحُ عَارِضَيْكَ بِمَكَّة وَتَقُولُ خَدَعْتُ مُحَمَّداً مَرَّتَيْنِ لا

يُلْدَغُ الْمُؤمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ أضْرِبْ عُنُقَهُ يَا زَيْدُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ» اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا مِنْ عَذَابِكَ وَآمِنَّا مِنْ عِقَابِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ الَّتِيْ هِيَ آدَابُ الإِسْلامِ جَمَالٌ لا يُوَازِنُهُ جَمَالٌ وَحَظُّ الإِنْسَانِ مِنْهَا يَكُوْنُ بِقَدْرِ مَا تَخَلَّقَ بِهِ مِنْ تِلْكَ الأَخْلاَقِ وَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُتَخَلِّقاً بِجَمِيْعِهَا كَانَ أَجْمَلَ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِيْنَ .

وَجَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ وَجَاءَ فِي حَدِيْثٍ مُرْسَلٍ أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الدِّيْنُ فَقَالَ النَّبيّ ﷺ حُسْنُ الخُلُقِ .

وَهَذا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حُسْنَ الخُلُقِ رُكْنُ الإِسْلامِ العَظِيْمِ الَّذي لا قِيَامَ لِلدِّيْنِ بِدُونِهِ كَالوُقُوفِ بِعَرَفَاتٍ بِالنِّسْبَةِ لِلْحَجِّ فَقَدْ جَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ الحَجُّ عَرَفَة أَيْ إِنَّهُ رُكْنُ الحَجِّ العَظِيْمِ الَّذِي لا يَكُونُ الحَجُّ إِلاّ بِهِ الوُقُوفُ بِعَرَفَاتٍ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِلأَخْلاقِ مَكَانَةً عَظِيْمَةً أَنَّ المُؤْمِنِينَ يَتَفَاضَلُونَ فِي الإِيْمَانِ وَأَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِيْهِ أَحْسَنُهم خُلُقاً جَاءَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي الحَدِيْثِ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا قِيْلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ المُؤْمِنِيْنَ أَفْضَلُ إِيْمَاناً قَالَ « أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً » .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ المُؤْمِنِيْنَ يَتَفَاوَتُونَ فِي الظَّفَرِ بِحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالقُرْبِ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَكْثَرهمْ ظَفَراً بِحُبِّهِ وَالقُرْبِ مِنْهُ الَّذِيْنَ حَسُنَتْ أَخْلاقُهُمْ جَاءَ فِي الحَدِيْثِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِليَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقاً » .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ حُسْنَ الخُلُق أَمْرٌ لازِمٌ وَشَرْطٌ لا بُدَّ مِنْهُ لِلنَّجَاةِ مِنْ النَّارِ وَالفَوْزِ بِالجَنَّةِ وَأَنَّ إِهْمَالَ هَذا الشَّرْطِ لا يُغْنِي عَنْهُ الصَّلاةُ وَالصِّيَامُ جَاءَ فِي

الحَديْثِ أنَّ أحَدَ المُسْلِميْنَ قَالَ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ إنّ فُلانَةً تَصُوْمُ النَّهارَ وَتقُومُ اللَّيْلَ وَهِيَ سَيِّئَةُ الخُلُقِ تُؤْذِي جِيْرانِهَا بِلِسَانِهَا قَالَ لا خَيْرَ فِيْهَا هِيَ فِي النَّارِ .

وَكَانَ النّبِيّ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ بأَنْ يُحَسِّنَ خُلُقَهُ وَهُوَ أحْسَنُ النّاسِ خُلُقاً وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ « اللّهُمَّ حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِيْ » وَيَقُولُ « اللّهُمَّ اهْدِنِيْ لأحْسَنِ الأَخْلاقِ فإنَّهُ لا يَهْدِي لأحْسَنِهَا إلاّ أنْتَ » وَمَعْلُومٌ أنّهُ لَا يَدْعُو إلاّ بِمَا يُحِبُّهُ اللّهُ وَيُقَرِّبُهُ مِنْهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَدْحُ اللّهِ تَعَالَى لِلنَّبِيّ ﷺ بِحُسْنِ الخُلُقِ فَقَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ « وَإنّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيْمٍ » وَاللّهُ لاَ يَمْدَحُ إلاّ عَلَى الشَّيْءِ العَظِيْمِ ، وَمِنْ ذَلِكَ كَثْرَةُ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ بِمَوْضُوعِ الأَخْلاقِ أمْراً بالجَيِّدِ مِنْهَا وَمَدْحاً لِلْمُتَّصِفِيْنَ بِهِ وَمَعَ المَدْحِ الثَّوَابُ ، وَنَهْياً عَنْ الرَّدِيْ مِنْهَا وَذَمٌّ لِلْمُتَّصِفِيْنَ بِهِ وَمَعَ الذَّمِّ العِقَابُ وَلاَ شَكَّ أنَّ كَثْرَةَ الآيَاتِ فِي مَوْضُوعِ الأخْلاَقِ دَلِيْلٌ عَلَى أهَمِّيَّتِهَا .

وَبالتَّالِيْ فَالإكْثَارُ مِنَ الأخْلاقِ الفَاضِلَةِ وَالاقلالُ مِنْهَا يَكُوْنُ جَمَالُ الإنْسَانِ بِنِسْبَةِ ذَلِكَ الاكْثَارِ أوْ الاقْلالِ وَكَذَلِكَ تَرْكُ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ شَيْنٌ لِتَارِكِهَا كَبِيْرٌ وَعَلَى قَدْرِ مَا تَرَكَهُ يَكُوْنُ شَيْنُهُ عِنْدَ الكَبِيْرِ مِنّا وَالصَّغِيْرِ فَمَهْمَا أكْثَرْتَ أو أقْلَلْتَ مِنْ تَرْكِهَا يَكُونُ شَيْنُكَ بِنِسْبَةِ ذَلِكَ التَّقْدِيْرِ .

وَلِذَلِكَ أنْظُرْ إلى الكُفّارِ حَيْثُ أنَّهُمْ تَرَكُوْهَا كُلَّهَا وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِنْ مَكَارِمِ الأخْلاقِ شَيْءٌ تَجِدُهُمْ فِي قُبْحٍ لاَ نِهَايَةَ لَهُ وَلَيْسَ ذَلِكَ الحُسْنُ وَالجَمَالُ فِيْمَنْ اتّصَفَ بِمَكَارِمِ الأخْلاقِ عِنْدَنا فَقَطْ بَلْ عِنْدَ اللّهِ بِهِ يَمْدَحُ اللّهُ المُؤْمِنِيْنَ المُتَّصِفِيْنَ بِذَلِكَ وَيُدْخِلُهُمْ الجَنّةَ فانْظُرْ أيَّ نَصِيْبٍ نَصِيْبُكَ مِنْ تِلْكَ الخِلاَلِ الحِسَانِ لِتَعْرِفُ قَدْرَكَ وَقِيْمَتَكَ عِنْدَ اللّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ إنَّ الأَلَمَ لَيَمْلَؤُ الجَوَانِحَ عَلَى الأخْلاقِ الفَاضِلَةِ وَعَلَى عُشَّاقِهَا الفُضَلاءِ النُّبَلاء مَاتَتْ وَمَاتُوا ، أيْنَ أهْلُ الأخْلاصِ الّذِيْنَ يَرَوْنَ المَوْتَ خَيْراً مِنْ حَيَاةِ الرِّيَاءِ .

أَيْنَ أَهْلُ الصِّدْقِ الَّذِيْنَ يَرَوْنَ قَطْعَ أَلْسِنَتِهِمْ أَخَفَّ عِنْدَهُمْ مِنْ أَنْ يَكْذِبُوا أَوْ يَتَمَلَّقُوا أَوْ يُدَاهِنُوا أَوْ يُنَافِقُوا أَوْ يَنِمُّوا أَوْ يَغْتَابُوا أو يَتَجَسَّسُوْا على المُؤْمِنِينَ لِيَزُجُونَهُمْ بالسُّجُون .

أَيْنَ الَّذِيْنَ إِذَا وَعَدُوا صَدَقُوا وَإِذَا عَاهَدُوا وَفَوْا أَيْنَ أَهْلُ العَفْوِ عِنْدَ المَقْدِرَةِ أَيْنَ أَهْلُ العَدْلِ وَالإِنْصَافِ .

الَّذِيْنَ حِلْمُهُمْ مِثْلُ الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ أَيْنَ الَّذِيْنَ يَلْتَمِسُوْنَ الكُرَبَ لِيُفَرِّجُوهَا ، أَيْنَ الَّذِيْنَ يَبْتَعِدُوْنَ عَنْ الرِّبَا وَمُعَامِلِيْهِ أَيْنَ الَّذِيْنَ يَعْرِفُونَ الوَلاَءَ وَالبَرَاءَ وَلاَ يَأْلَفُونَ وَلا يُجَالِسُونَ إلاّ أَهْلُ الصَّلاحِ وَيَبْتَعِدُوْنَ كُلَّ البُعْدِ عَنْ أَهْلِ المَعَاصِي مِن اللوطيّة والزُنَاةِ الذين يُطَارِدُونَ النِساءَ في الأَسْوَاقِ وَالذين يُسَاكِنُونَ الكُفارَ وَالعِيَاذُ بالله .

أَيْنَ الَّذِيْنَ يَبْحَثُوْنَ عَنْ الفُقَرَاءِ الَّذِيْنَ لاَ مَوْرِدَ لَهُمْ فَيُنْعِشُوْهُمْ بِمَا تَيَسَّرَ مِنْ زَكَاةٍ أَوْ صَدَقَةِ تَطَوُّعٍ دَرَاهِمَ أَوْ طَعَامٍ أَوْ كُسْوَةٍ . أَوْ يَتَسَبَّبُوْنَ لَهُمْ فِي وَظَائِفَ يَكُفُّونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ عن النَّظَرِ لِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ .

أَيْنَ الَّذِيْنَ يُؤَدُّوْنَ الزَّكَاةَ مُكَمَّلَةً لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا لا يُحَابُونَ بِهَا وَيَبْحَثُونَ عَنْ أَهْلِ العَوَائِدِ فَإِذَا وَجَدُوهُمْ غَيْرَ مُسْتَحِقِّينَ لمْ يُبَالُوا بِهِمْ وَلَمْ يُعْطُوهُمْ لِعِلْمِهِمْ أَنَّهَا لا تَبْرَأُ ذِمَمُهُمْ بِذَلِكَ .

أَيْنَ الَّذِيْنَ يَبْحَثُوْنَ عَنْ الأرامِلِ وَالأَيْتَامِ لِيَجْبُرُوا قُلُوْبَهُمْ بِمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهِ ، أَيْنَ الَّذِيْنَ يَهْجُرُوْنَ الفَسَقَةَ وَالظَّلَمَةَ وَالمُجْرِمِيْنَ حَتَّى وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ .

أَيْنَ الرَّجُلُ المُهَذَّبُ الَّذِيْ لا يَتَلَبَّسُ فِي سِرِّهِ وَلاَ فِي عَلانِيَتِهِ بِحَالٍ يَسْتَحِي مِنْ اطِّلاعِ العُقَلاءِ عَلَيْهِ وَلاَ يَعْمَلُ عَمَلاً لاَ يَرْفَعُهُ عِنْدَ اللهِ دَرَجَةً وَلاَ يَقُولُ قَوْلاً غَيْرَ مُفِيْدٍ لِسَامِعِهِ فَائِدَةً فِي دِيْنِهِ وَلاَ يُضْمِرُ لِعَدُوِّهِ سُوْءاً إِذَا سَالَمَهُ وَلاَ يَتَخَلَّقَ إلاّ بِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيْلٍ .

أَيْنَ الَّذِيْنَ لا يَعْرِفُوْنَ إِلَّا النُّصْحَ لِلْمُسْلِمِيْنَ يُبْعِدُوْنَ عَنْ الغِشِّ كُلَّ البُعْدِ ، بَعَثَ أَبُو حَنِيْفَةَ بِمَتَاعٍ إِلَى شَرِيْكِهِ فِي التِّجَارَةِ حَفْصِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمنِ وأَعْلَمَهُ أَنْ فِي ثَوْبٍ مِنْهُ عَيْباً وَاسْتَوْفَى الثَّمَنَ كَامِلاً لِثَوْبٍ غَيْرِ كَامِلٍ وَقِيْلَ ثَمَنُ المَتَاعِ الَّذِيْ بِيْعَ ثَلاثُونَ أَلفاً أَوْ خَمْسَةٌ وَثَلاثُونَ أَلْفاً فَأَبى أَبُو حَنِيْفَةَ إِلَّا أَنْ يَبْعَثَ لِشَرِيْكِهِ فِي التِّجَارَةِ يُكَلِّفُهُ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ المُشْتَرِي وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْهُ بَعْدَ البَحْثِ عَنْهُ .

فَأَبَى أَبُو حَنِيْفَةَ إِلَّا انْفِصَالاً مِنْ شَرِيْكِهِ وَتَتَارَكَا بَلْ أَبَى أَبُو حَنِيْفَةَ أَنْ يُضِيفَ الثَّمَنَ إِلَى حُرِّ مَالِهِ وَتَصَدَّقَ بِهِ كَامِلاً مِنْ شِدَّةِ الوَرَعِ .

وَيُرْوَى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ يُوْنُس بْنِ عُبَيْدٍ حُلَلٌ مُخْتَلِفَةُ الأَثْمَانِ ضَرْبٌ قِيْمَةُ كُلِّ حُلَّةٍ مِنْهُ أَرْبَعُمَائَةٍ وَضَرْبٌ كُلُّ حُلَّةٍ قِيْمَتُهَا مائِتَانِ فَمَرَّ إِلَى الصَّلاةِ وَخَلَّفَ ابْنَ أَخِيْهِ فِي الدُّكَّانِ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ وَطَلَبَ حُلَّةً بِأَرْبعمائِةٍ فَعَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ حُلَلِ المِائَتَيْنِ فَاسْتَحْسَنَهَا وَرَضِيَهَا وَاشْتَرَاهَا وَمَضَى بِهَا وَهِيَ عَلَى يَدَيْهِ .

فَاسْتَقْبَلَهُ يُوْنُسُ فَعَرَفَ حُلَّتَهُ فَقَالَ لِلأَعْرَابِيِّ بِكَمْ اشْتَرَيْتَ فَقَالَ بِأَرْبعمائةٍ

فَقَالَ لَا تُسَاوِيْ أَكْثَرَ مِنْ مِائَتَيْنِ فَارْجِعْ حَتَّى تَرُدَّهَا فَقَالَ هَذِهِ تُسَاوِيْ فِي بَلَدِنَا خَمْسُمَائةٍ وأَنَا ارْتَضَيْتُهَا فَقَالَ يُوْنُسُ انْصَرِفْ فَإِنَّ النُّصْحَ فِي الدِّيْنِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا .

ثُمَّ رَدَّهُ إِلَى الدُّكَّانِ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِائَتَيْ دِرْهَمٍ وَخَاصَمَ ابْنَ أَخِيْهِ فِي ذَلِكَ وَقَالَ أَمَا اسْتَحَيْتَ أَمَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ تَرْبَحُ مِثْلَ ثَمَنِهَا وَتَتْرُكُ النُّصْحَ لِلْمُسْلِمِيْنَ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَخَذَهَا إِلَّا وَهُوَ رَاضٍ بِهَا قَالَ فَهَلْ رَضِيْتَ لَهُ بِمَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ .

وَرُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ المُنْكَدِرِ أَنَّ غُلامَهُ بَاعَ لأَعْرَابِيِّ فِي غَيْبَتِهِ مِنَ الخَمْسِيَّاتِ بِعَشَرَةٍ فَلَمْ يَزَلْ يَطْلُبُ ذَلِكَ الأَعْرَابِيَّ طُوْلَ النَّهَارِ لِيَرُدَّ عَلَيْهِ خَمْسَةً حَتَّى وَجَدَهُ فَقَالَ لَهُ إِنَّ الغُلامَ قَدْ غَلِطَ فَبَاعَكَ مَا يُسَاوِيْ خَمْسَةً بِعَشَرَةٍ .

فَقَالَ يَا هَذَا قَدْ رَضِيْتُ فَقَالَ وَإِنْ رَضِيْتَ فَإِنَّا لَا نَرْضَى لَكَ إِلا مَا نَرْضَاهُ

لأنفُسِنَا وَرَدَّ عَلَيْهِ خَمْسَةٌ ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ يُوْجَدُ مِنَ الوَرِعِيْنَ النَّاصِحِيْنَ الَّذِيْنَ يُحِبُّونَ لأَخْوَانِهِمْ المُؤْمِنِينَ مَا يُحِبُّونَ لأَنْفُسِهِمْ نَسْأَلَ اللهَ أنْ يُكْثِرَ أمْثَالَهُمْ وأنْ يُقَلِّلَ الغَشَّاشِينَ السَّرَّاقِيْنَ المُنَافِقِينَ الكَذَّابِيْنَ ، أيْنَ الَّذِيْنَ لا تَأْخُذُهُم في اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ .

أَيْنَ الَّذِيْنَ يَحِنُّونَ إلَى بُيُوتِ اللَّهِ حَنِيْنَ الأَلْفِ فَارَقَهُ الأَلْفُ .

أيْنَ الَّذِيْنَ لاَ يَطِيْبُ لَهُمْ مَجْلِسٌ إلا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ وَالبُخَارِيِّ ومُسْلِمٌ وَسَائِرَ السُّنَنِ أَو مَا أُخِذَ مِنْهَا أو مَا هُوَ وَسِيْلَةٌ إِلَيْهَا .

أَيْنَ الَّذِيْنَ إذَا فَاتَهُمْ قِيَامُ اللَّيْلِ جَلَسُوا يَبْكُوْنَ عَلَى مَا فَاتَ .

أَيْنَ الَّذِيْنَ دَرَسُوا سِيْرَةَ المُصْطَفَى وَأَصْحَابِهِ فكأنَّهُمْ بَيْنَهُمْ يَتَرَدَّدُوْنَ .

أَيْنَ الَّذِيْنَ يَتَقَدَّمُونَ إلى بُيُوتِ اللَّهِ قَبْلَ الوَقْتِ وَيُسَبِّحُونَ وَيُهَلِّلُونَ مَاتَ هَؤُلآءِ وَبَلِيَّةٌ مِنْ أكْبَرِ البَلا أنْ نَفْقِدَ هَذا الطِّرَازَ فَهَلْ لَكَ يَا أَخِيْ أَنْ تَسْلُكَ سَبِيْلَ هَؤُلآءِ لِتَكُوْنَ قُدْوَةً وَمَثَلاً لِلْعَامِلِيْنَ .

وَتَفُوْزَ برِضَا رَبِّ العَالَمِيْنَ فَتَحْظَى بالفَوْزِ بسُكْنَى جَنَّاتِ النَّعِيْمِ الَّتِيْ فِيْهَا مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ مِنْ الحُورِ العِيْنِ وَالفَوَاكِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَإِنْ رَغِبْتَ فِي ذَلِكَ فَاجْتَهِدْ فِي تَحْسِيْنِ عَمَلِكَ الَّذِي هُوَ المَهْرُ لِذَلِكَ .

قَالَ بَعْضُهُمْ :

فَإِنْ كُنْتَ لِلْمَهْرِ الَّذِيْ عَزَّ قَادِراً ... فَنَافِسْ وَسَابِقْ نَحْوَهَا كُلَّ سَابِقِ
وَإِنْ كُنْتَ مِثْلِيْ عَاجِزاً فَارْضَ بالدُّنَا ... فَبالدُّوْنِ يَرْضَى الدُّوْنُ عِنْدَ العَلائِقِ
رَعَىَ اللَّهُ مَنْ أَضْحَى وَأَمْسَى مُشَمِّراً ... لِنَيْلِ المَعَالِيْ قَاطِعاً كُلَّ عَائِقِ
إلَى أَنْ عَلاَ فَوْقَ المَقَامَاتِ فِي العُلاَ ... وَنَالَ المنى مِنْ قُرْبِ مَوْلَى الخَلاَئِقِ

آخر : اعْلَمْ بِأَن طَرِيقَ الحَقِ مُنْفَرِدٌ ... والسَالِكُونَ طَرِيقَ الحق أَفْرادُ

لا يُطْلبُونَ ولا تُطْلَبُ مَساعِيَهُم فَهُم على مَهلٍ يَمْشُونَ قُصَّادُ
والناسُ في غَفْلةٍ عَمَّا لَهُ قصَدوا فَجُلُّهُم عن طَريقِ الحقِ رُقَّادُ

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بنَا سَبيلَ عِبادِكَ الأَبْرارِ ، وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَأَسْكِنَّا الجَنَّةَ دَارَ القَرَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ المُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ الزَّوَاجَ هُوَ أَهَمُّ مُقَوِّمَاتِ الحَيَاةِ وَالمُتَمِّمُ لِلوَضَائِفِ الحَيَوِيَّةِ وَالحَافِظُ لِلْجَامِعَةِ البَشَرِيَّةِ مِنَ الانقِرَاضِ وَالزَّوَالِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَسَاسٌ لِتَقْدِيرِ المَرْءِ فِي الهَيْئَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ .

وَقِوَامُهُ وُجُودُ الإِلْفَةِ وَالتَّحَابُبِ وَالاحْتِرَامِ وَالتَّوْقِيرِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَبِهِ يَحْصُلُ التَّعَاوُنُ وَالتَّعَاضُدُ وَالتَّآلُفُ وَالتَآزرُ بَيْنَ الأُسَرِ المُتَنَاسِبَةِ بِسَبَبِ مَا تَمَّ بَيْنَهَا مِنَ المُصَاهَرَةِ المُقَرِّبَةِ لِلْبَعِيدِ وَالمُحَبِّبَةِ لِلْقَرِيبِ وَالمُدْنِيَةِ لِلأَجْنَبِيِّ .

وَقَدْ نَدَبَ اللَّهُ إِلَى الزَّوَاجِ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ « وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِيْنَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ » وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى « فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ » وَقَالَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً » وَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا » .

وَلِهَذَا خَاطَبَ النَّبِيّ ﷺ الشَّبَابَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الزَّوَاجِ وَالمُبَادَرَةِ إِلَيْهِ مَتَى كَانَ قَادِراً عَلَى مُؤَنِ الزَّوَاجِ وَنَفَقَاتِهِ وَكَانَ بِهِ تَوَقَانٌ إِلَى النِّسَاءِ حَتَّى لا تَزِلَّ بِهِ القَدَمُ فِي مَهَوَاتِ المَعَاصِي فَتَقُودُهُ نَفْسُهُ وَيُغْرِيهِ شَيْطَانُهُ فَيَقَعُ فِيمَا لا يَحِلُّ مِنَ المُوبِقَاتِ وَالذُّنُوبِ المُهْلِكَاتِ فَإِنَّ لِلشَّبَابِ فُتُوَّةً وَنَزْوَةً تَدْفَعُ الشَّابَّ إِلَى إِطَاعَةِ شَهْوَتِهِ وَتَقْهَرُهُ عَلَى إِرْضَائِهَا بِدُونِ أَنْ يُبَالِيَ بِسُوءِ مَغَبَّةٍ أَوْ حُسْنِهَا .

وَكَمْ مِنْ شَابٍّ أَغْرَتْهُ شَهْوَتُهُ وَاسْتَعْبَدَتْهُ لَذَّتُهُ فَأَتَى نَفْسَهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالمَعاصِيْ حَظَّها وَأَرْوَى مِنَ المُوْبِقَاتِ غلَّتَها .

فَكَانَ عَاقِبَةُ ذَلِكَ ضَيَاعَ الثَّرْوَةِ والافْتِقَارِ بَعْدَ اليُسْرِ وَالمَالِ العَرِيْضِ وَالذِّلَّةِ بَعْدَ الجاهِ وَالعِزَّةِ ، وَالضَّعْفَ بَعْدَ القُوَّةِ وَالصِّحَّةِ الشَّامِلَةِ وَانْتَابَتْهُ بَعْدَ نَضارَةِ شَبَابِهِ العِلَلُ وَالأَسْقَامُ وَصارَ حَلِيْفَ الهَمِّ والغَمِّ والسُّهادِ يَنَامُ عَلَى مِثْلِ شَوْكِ القَتادِ قَدْ أَقَضَّ مَضْجَعَهُ وَذَبلَتْ نَضْرَتُهُ وَتَنَكَّرَتْ لَهُ الحَيَاةُ بَعْدَ إِقْبالِهَا وَكَشَّرَتْ لَهُ الأَيّامُ بَعْدَ ابْتِسامِهَا أَنْيابَهَا وَذَلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداه .

وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَنْفُرُوْنَ عَنْهُ بَعْدَ مَا كَانَ قُرَّةَ أَعْيُنِهِمْ وَمَوْضِعَ الغِبْطَةِ والسُّرُوْرِ وَلَقَدْ بيَّنَ الرَّسُوْلُ ﷺ حِكْمَةَ المُبادَرَةِ إِلَى الزَّواجِ بَعْدَ القُدْرَةِ وَالاسْتِطَاعَةِ بِأَنَّهَا تُحَصِّنُ الفَرْجَ عَنْ الوُقُوعِ فِي المُحَرَّماتِ ومَلابَسَةِ ما يُغْضِبُ فَاطِرَ الأَرْضِ وَالسَّمواتِ وَيُزْرِيْ بِالشَّرَفِ وَالكَرامَاتِ .

وَإِنَّ المُبَادَرَةَ تَدْعُو إِلَى العِفَّةِ وَغَضِّ البَصَرِ عَنِ المُحَرَّمَاتِ أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ المُبَادَرَةَ فِي الزَّوَاجِ تُمَكِّنُ المَرْءُ بِإِذْنِ اللّهِ إِذا رَزَقَهُ اللّهُ أَوْلاداً مِنْ تَرْبِيَتِهِمْ وَالقِيَامِ بِشُؤُونِهِمْ وَإِعْدادِهِمْ لِمُسْتَقْبَلِ حَياتِهِمْ وَجَعْلِهِمْ رِجَالاً صَالِحِيْنَ مُصْلِحِيْنَ يَنْفَعُوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَأُمَّتَهُمْ وَيَجْعَلُ مِنْهُمْ عِماداً لَهَا وَقُوَّةً يُرْهَبُ بِهِمْ جَنابُهَا وَتَقْوَى شَوْكَتُها وَتُحْفَظُ هَيْبَتُهَا وَكَرامَتُها وَيَدْفَعُ مَنْ يُرِيْدُ إِذْلالَها وَاسْتِعْبادَهَا .

تَأَمَّلْ فِي حَيَاةِ المُتَزَوِّجِ عِنْدَمَا يُفَاجِئُهُ مَرَضٌ أَوْ تَنْتَابُهُ نَائِبَةٌ وَعِنْدَهُ زَوْجَةٌ صَالِحَةٌ كَيْفَ يَكُوْنُ مُحاطاً بِعَطْفِهَا وَقِيَامِهَا بِخِدْمَتِهِ نَائِماً عَلَى فِرَاشِ الرَّاحَةِ وَتُسَلِّيْهِ وَتُؤْنِسُهُ وَتَقُومُ بِخِدْمَتِهِ وَتُضْمِرُ الخَيْرَ لَهُ .

وَارْجِعْ بِنَظَرِكَ إِلَى العَزَبِ فِي حَالَةِ مَرَضٍ فِي حَالَةِ يَأْسٍ وَقُنُوطٍ وَنَدمٍ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ لِعَدَمِ اقْتِرانِهِ بِزَوْجَةٍ صَالِحَةٍ وَقَرِيْنَةٍ نَاصِحةٍ تَكُونُ لَهُ خَيْرَ مُعِيْنَةٍ وَأَفْضَلَ مُساعِدَةٍ عَلَى نَوائِبِ الدَّهْرِ وَأَنْكادِهِ فَقَدْ فَقَدَ العَزَبُ العَطفَ وَالرَّأْفَةَ بِهِ وَالرَّاحَةَ وَالقِيَامَ بِتَمْرِيْضِهِ وَحَوائِجِهِ الكَثِيْرَةِ فِي أَشَدِّ الأَوْقَاتِ وَأَحْرَجِهَا وَأَضْيَقِ

السَّاعَاتِ وَكَانَ في حَالَتِهِ المُحْزِنَةِ كَالغَرِيْبِ النَّائِيْ عَنْ وَطَنِهِ وأقْرَبَائِهِ وَأَصْدِقَائِهِ يَتَمَنَّى وَيتَلَهَّفُ عَلَى أَحَدٍ يَتصَدَّقُ عَلَيْهِ بِشَرْبَةِ مَاءٍ أَوْ نَحْوِهَا .

وَأَمَّا الإِبْطَاءُ عَنْ الزَّوَاجِ حَتَّى يَتَقَدَّمَ في العُمْرِ فَصَاحِبُهُ عَلَى خَطَرٍ فَقَدْ لاَ يَسْتَطِيْعُ تَرْبِيَةَ أَوْلاَدِهِ لِضُعْفِ قُوَّتِهِ وَعَجْزِهِ عَنْ تَحْصِيْلِ مَا بِهِ حَيَاتُهُمْ وَتَوْفِيْرِ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ لَهُمْ .

وَرُبَّمَا اخْتَرَمَتْهُ المَنِيَّةُ فَيَتْرُكُهُمْ كَزُغْبِ القَطَا مَهِيْضِيْ الجَنَاحِ أَيْتَامُ لاَ يَقْدِرُوْنَ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْ الأَكْدَارِ وَالأَنْكَادِ زِدْ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الإِبْطَاءَ فِي الزَّوَاجِ يَزِيْدُ كَثْرَةَ الفَتَيَاتِ العَانِسَاتِ وَيُفَوِّتَ عَلَيْهِنَّ زَمَنَ نَضْرَتِهِنَّ وَجَنْيِ ثِمَارِهِنَّ وَلَيْسَ لَهُنَّ قُوَّةٌ عَلَى دَفْعِ الشَّهْوَةِ كَالرِّجَالِ فَرُبَّمَا تَطْغَى عَلَيْهِنَّ وَيَسْلُكْنَ طُرُقَ الغِوَايَةِ وَالفَسَادِ .

وَهُنَاكَ الطَّامَّةُ الكُبْرَى وَالمُصِيْبَةُ العُظْمَى مِنْ اخْتِلاَطِ الأَنْسَابِ وَانْتِهَاكِ حُرْمَةِ الأَعْرَاضِ وَتَمْزِيْقِ ثَوْبِ الحَيَاءِ وَالاسْتِهْتَارِ بِمَا يُزِيْلُ الكَرَامَةَ وَيُذِلُّ الشَّرَفَ والعِزَّةَ وَيَقْضِيْ عَلَى الاباءِ وَالمُرُوءةِ وَالنَّخْوَةِ .

وَإِنَّ مِمَّا يُؤْسَفُ لَهُ أَشَدَّ الأَسَفِ مِنْ إِنْصِرَافِ الشَّبَابِ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْ الزَّوَاجِ إِعْرَاضاً تَامّاً ظَنّاً مِنْهُمْ أَنَّ حَيَاةَ العُزُوْبَةِ أَلَذُّ وأَهْنَأُ وَأَهْوَنُ حِمْلاً وأَخَفُّ كُلْفَةً مِنْ الزَّوَاجِ مَعَ أَنَّهُمْ مُخْطِئُونَ فِي عَمَلِهِمْ شَاذُّوْنَ في رَأْيِهِمْ ضَالُّوْنَ عَنْ طَرِيْقِ الحَقِّ تَائِهُونَ عَنْ جَادَّةِ الصَّوَابِ .

لأَنَّ التَّزَوُّجَ سُنَّةُ المُرْسَلِيْنَ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي وَكَانَ ﷺ يَأمُرُ بالبَاءَةِ وَيَنْهَى عَنْ التَّبَتُّلِ نَهْياً شَدِيْداً وَرُوِيَ لا صَرُوْرَةَ فِي الإِسْلاَمِ وَالصَّرُوْرَةُ الذي لَمْ يَتَزَوَّجْ .

وَقَالَ أَحْمَدُ لَيْسَ العُزُوْبَةُ مِنْ أَمْرِ الإِسْلامِ فِي شَيْءٍ وَقَالَ مَنْ دَعَاكَ إِلَى غَيْرِ التَّزَوّجِ فَقَدْ دَعَاكَ إِلَى غَيْرِ الإِسْلاَمِ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِرَجُلٍ تَزَوَّجْ فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً وَلَوْ لَمْ

يَكُنْ فِي الحَثِّ عَلى الزَّوَاجِ وَالنَّهْيِ عَنْ العُزْبَةِ إلاّ قَوْلُهُ تَعالَى « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً لَكفَى وَشفَى .

شعرا : وإنْ صَافَيْتَ أَوْ خَالَلْت خِلًّا فَفِي الرحمنِ فاجْعَلْ مَنْ تُؤَاخِيْ
وَلا تَعْدِلْ بتقْوَى الله شَيْئاً وَدَعْ عَنْكَ الضَّلَالَةَ والتَّراخِيْ
فكَيفَ تَنَالُ فِي الدُّنيا سُرُوراً وأيَّامُ الحَياةِ إِلَى انْسِلاخ
وإنَّ سُرُورَها فِيمَا عَهِدْنَا مَشُوبٌ بالبُكَاءِ وبالصُّرَاخِ
فقَدْ عَمِيَ ابنُ آدَمَ لا يَرَاهَا عَمَىً أَفْضَى إِلَى صَمَمِ الصِّمَاخ

اللهم وَفِقْنَا لِصَالِحِ الأَعمالِ وأكفنا بحلالك عن حَرامِكَ وبفَضْلِكَ عَمَّنْ سِواكَ إنكَ على كلِ شيءٍ قدير وصلى اللّهُ على محمدٍ وآلِهِ أجمعين .

(فصـــل)

وَقَالَ ﷺ مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ نِصْفَ دِيْنِهِ فَلْيَتَّقِ اللّهَ في النِّصْفِ البَاقِيْ رَوَاهُ الطَّبَرانِيّ في الأَوْسَطِ وَقَالَ ﷺ مَنْ أَحَبَّ فِطْرَتِيْ فليَسْتَنَّ بسُنَّتِي وَمِنْ سُنَّتِيْ النِّكَاحُ رَوَاهُ البَيْهقِيّ في السُّنَنِ الكُبْرَى وَقَالَ ﷺ أيَما رَجُلٍ تَزَوَّجَ في حَدَاثةِ سِنِّه عَجَّ شَيْطَانُهُ يَا وَيْلَهُ عُصِمَ دِيْنُهُ رَوَاهُ أبُو يَعْلَى في مُسْنَدِهِ .

وَقَالَ ﷺ ثَلاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللّهِ عَوْنُهُمْ المُجَاهِدُ فِي سَبِيْلِ اللّهِ والمَكَاتِبُ الَّذِيْ يُرِيْدُ الأَدَاءَ والنَّاكِحُ الّذِيْ يُرِيْدُ العَفَافَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسائِيّ وَغَيْرُهُمَا بإسْنَادٍ صَحِيْحٍ .

وَقَالَ ﷺ لِعَكَّاف بْنِ وَدَاعَةَ الهِلاَلِيّ أَلَكَ زَوْجَةٌ يَا عَكَّافُ قَالَ لاَ قَالَ وَلاَ جَارِيَةٌ قَالَ وَلاَ جارِيَةٌ قَالَ وَأَنْتَ مُوسِرٌ قَالَ وَأَنَا مُوْسِرٌ بِخَيْرٍ قَالَ أَنْت إذاً مِنْ إخْوَانِ الشَّيَاطِيْنِ لَوْ كُنْتَ مِنْ النَّصَارَىٰ كُنْت مِنْ رُهْبَانِهِمْ إنَّ سُنَّتَنَا شِرَارُكُمْ عُزَّابُكُمْ وَأَرَاذِلُ مَوْتَاكُمْ عُزَّابُكُمْ أَبَا الشَّيْطانُ تَمرسُونَ مَا لِلشَّيْطَانِ سِلاحٌ أَبْلَغُ فِي الصَّالِحِيْنَ مِنْ النِّسَاءِ إلاّ الْمُتَزَوِّجُونَ أُوْلئِكَ المُطَهَّرُوْنَ المُبَرَّؤُنَ مِنْ الخَنا وَيْحَكَ يَا عَكّافُ إنَّهُنَّ صَوَاحِبُ أَيُّوبَ وَدَاوُدَ وَيُوْسُفَ وَكُرْفُس .

قَالَ لَهُ بِشْرُ بْنُ عَطِيَّةَ مَنْ كُرْفُسُ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ رَجُلٌ كَانَ يَعْبُدُ اللّهَ بِسَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ البَحْرِ ثَلاثَمِائَةِ عَامٍ يَصُوْمُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ ثُمَّ إِنَّهُ كَفَرَ بِاللّهِ بِسَبَبِ امْرَأَةٍ عَشِقَهَا وَتَرَكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةٍ ثُمَّ اسْتَدْرَكَهُ اللّهُ بِبَعْضِ مَا كَانَ مِنْهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَيْحَكَ يَا عَكَّافُ تَزَوَّجْ وإلاّ فَأَنْتَ مِنَ المُذْبِرِيْنَ قَالَ زَوِّجْنِيْ يَا رَسُوْلَ اللّهِ قَالَ زَوَّجْتُكَ كَرِيْمَةَ بِنْتَ كُلْثُومَ الحِمْيَرِيِّ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ .

وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَقُولُ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِيْ إِلاَّ عَشَرَةُ أَيَّامٍ أَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ حَتَّى لاَ أَلْقَى اللّهَ عَزَباً وَتَزَوَّجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فِي اليَوْمِ الثَّانِي مِنْ وَفَاةِ امْرَأَتِهِ وَقَالَ أَكْرَهُ أَنْ أَبِيْتَ عَزَباً وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلامُ مَا اسْتَفَادَ المُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْراً لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا بَرَّتْهُ وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ .

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ إِنِّي لأُكْرِهُ نَفْسِيْ عَلَى الجِمَاعِ رَجَاءَ أَنْ يُخْرِجَ اللّهُ نَسْمَةً تُسَبِّحُهُ وَتَذْكُرُهُ وَقَالَ ﷺ دَعُوْا الحَسْنَاءَ العَاقِرَ وَتَزَوَّجُوا السَّوْدَاءَ الوَلُوْدَ فَإِنِّيْ أُكَاثِرُ بِكُمْ الأُمَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ ، وَالأَمْرُ لِلنَّدْبِ .

وَقَالَ عُمَرُ تَكَثَّرُوا مِنْ العِيَالِ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْرُوْنَ بِمَنْ تُرْزَقُوْنَ وَقَالَ ﷺ تَزَوَّجُوا الوَدُوْدَ الوَلُودَ فَإِنِّيْ مُكَاثِرٌ بِكُمْ الأُمَمَ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالنَّسَائِيّ وَقَالَ ﷺ لا تُطَلَّقُ النِّسَاءُ إِلاّ مِنْ رِيْبَةٍ إِنَّ اللّهَ تَعَالَى لاَ يُحِبُّ الذَّوَّاقِيْنَ وَلاَ الذَّوَّاقَاتْ » وَالذَّوَّاقُ الكَثِيْرُ النِّكَاحِ وَالطَّلاقِ مِنْ دُوْنِ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ وَالذَّوَّاقَةُ الَّتِيْ كُلَّ مَنْ أَخَذَهَا تَتَسَبَّبُ لِفِرَاقِهِ لأَجْلِ التَّزَوّجِ بِغَيْرِهِ هَذا وَاللّهُ أَعْلَمُ مَعْنَاهُمَا .

وَمِنْ الأَسْبَابِ الرَّئِيْسِيَّةِ لِتَوَقُّفِ كَثِيْرٍ مِنْ الشَّبَابِ عَنْ الزَّوَاجِ ثِقَلُ المُهُوْرِ

وَالتَّبْذِيْرِ السَّخِيْفِ في الطُّرُقِ الَّتِيْ غَيْرَ شَرْعِيَّة وسَبَبُ ذلِكَ مُوافَقَةُ سُخَفَاءِ العقول في تَصَرّفاتِهِمْ .

فَالعَاقِلُ إذَا جَاءَهُ مَنْ يَرْضَى دِينَهُ وَعَقْلَهُ مَا يَغْتَرُّ بالزَّخَارِفِ وَيَنْخَدِعُ بالبَهارِجِ الكَاذِبَةِ وَيَحْذُو حِذَاءَ المُسْرِفِيْنَ بَلْ يَنْقَادُ لِعَقْلِهِ الرَّاجِحِ وَدِيْنِهِ الحَقِّ وَتعَالِيْمِهِ السَّامِيَةِ وَيَرْضَى بِالْمَيْسُورِ إِذَا كَانَ لَهُ السُّلْطَةُ التَّامَّةُ عَلَى أَهْلِهِ ، وَإِنْ كَانَ مِنَ المُسْتَضْعِفِيْنَ فَيُحَاوِلُ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ فَإِنْ عَجز فَلَيْس لَهُ وَاللّهِ إلاَّ الصَّبْرُ وَالرِّضَا بِمَا قَدَّرَهُ اللّهُ وَقَضَاهُ في هَذَا الزَّمَنِ الَّذِيْ انْحطَّ أَهْلَهُ وَسَيْطَرَتْ فِيْهِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ وَصَارَ الأَكْثَرُ مِنْ الرِّجَالِ عِنْدَ أَهْلِيْهِمْ وَأَوْلادِهِمْ بِمَنْزِلَةِ الخادِمِ الحَقِيْرِ وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ حَارِسٌ وَخَادِمٌ مَحْقُورٌ وَمُحَامِيْ لِلأَمْوَالِ الَّتِي سَتؤُلُ إِلَيْهِمْ وَلاَ شُكْرَ مِنْهُمْ وَلاَ ثَنَاءَ وَاللّهُ المُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلانِ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يأخُذُ الكِتابَ باليمين ، وأجْعَلْنا يومَ الفَزَعِ الأكبَرِ آمِنِين ، وأَوْصِلْنَا بِرَحْمَتِكَ وَكَرَمِكَ إِلَى جَناتِ النَّعِيم ، واغْفِر لَنا وَلوَالدَيْنَا ولجميع المسلمين ، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَم الرَّاحِمِين ، وصلى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وَصَحبِهِ أجمعين

(فَصْــــلٌ)

وَإِلَيْكَ قِصَّةَ سَعِيْدِ بْنِ المُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللّهُ

قَالَ أَبُو وَدَاعَةَ كُنْتُ أُجَالِسُ سَعِيْدَ بْنَ المُسَيَّبِ فَفَقَدَنِيْ أَيَّاماً فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ أَيْنَ كُنْتَ قُلْتُ تُوفِّيَتْ زَوْجَتِيْ فَاشْتَغَلْتُ بِهَا فَقَالَ هَلاَّ أَخْبَرْتَنَا فَشَهِدْنَاهَا فَلَمَّا أَرَدْتُ أنْ أَقُومَ قَالَ هَلْ أَحْدَثْتَ امْرَأَةً غَيْرَهَا فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللّهُ وَمَنْ

يُزَوِّجُنِيْ وَمَا أَمْلِكُ إلاّ دِرْهَمَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً قَالَ إنْ فعلْتُ تَفْعَلُ قُلْتُ نَعم ثُمَّ حمِدَ اللّهَ وَصَلّى عَلَى النّبِيِّ ﷺ وَزَوَّجَنِيْ ابْنَتَهُ عَلَى دِرْهَمَيْنِ .

وَفِيْ مَسَاءِ ذَلِكَ اليَوْمِ إِذَا بِالبَابِ يُقْرَعُ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا فَقَالَ سَعِيد فَفكّرْتُ فِي كُلِّ إنْسَانٍ أَعْرِفُهُ اسْمُهُ سَعِيْدٌ إلاّ سَعِيْدَ بْنَ المُسَيِّبِ فَإِنَّهُ لَمْ يُرَ مُنْذُ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً إلاّ مَا بَيْنَ بَيْتِهِ وَالمَسْجِدِ فَقُمْتُ وَفَتَحْتُ البَابَ وَإِذَا سَعِيْدُ بْنُ المُسَيَّبِ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ بَدَا لَهُ فَقُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِيْ قَالَ رَأَيْتُكَ رَجُلاً عَزباً فَكَرِهْتُ أَنْ تَبِيْتَ اللَّيْلَةَ وَحْدَكَ وَهَذِهِ زَوْجَتُكَ فَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ خَلْفَهُ فِي طُوْلِهِ ثُمّ دَفَعَهَا وَرَدَّ البَابَ فالله دَرُّهُ من عَالِمٍ .

إسمع يا من سول له الشيطان وأملى له فأحْدَثَ بدَعاً بُيُوتاً لِلْأَعْرَاسِ صَادَمَ بِها الأَمْرَ بتخْفِيفِ الصَّداقِ والحَثِ على تَكْثِير الأُمَّةَ نَسْأَلُ الله العافيةَ وهَذِهِ البيُوت تُؤجَر بإجَارَاتٍ بَاهِضَةٍ فِيْمَا يَبْلُغُنَا يَعجَزُ الفَقِيرُ عن تحْصِيل أُجْرَتِهَا فَضْلاً عَن الصَّدَاق الّذي سَيَدْفَعُهُ وقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ أُجْرَتَهَا ثَلاَثَةُ آلافٍ أَو أَرْبَعَةِ نَسْأَلُ الله السلامةَ والعَافيةَ مِمَّا بُلِيَ بِهِ مَن أَحْدَثُوْهَا أَوْ سَاعَدُوْا على إحْدَاثِهَا أَوْ اسْتَأْجَرُوْهَا فَشَجَّعُوْا مَنْ أَحْدَثُوْهَا كَمْ عَرْقَلْنَ عَنِ الزواجِ مِن فُقَراءَ مُتَعَفِّفِيْنَ نسأل الله الحيَّ القيومَ العلي العظيم أَنْ يُوَفِّقَ وُلاَتَ الأَمْرِ لإزَالَتِهَا اللهم صلى على محمد وآله وسلم .

فَحْذَرْ يَامَنْ مَنَّ الله عليه بِعَدَمِ إِحْدَاثِهَا أَوِ المُشَارَكَة فِيها أَوِ الإِعَانَةِ عَليهَا بِقَولٍ أَوْ فِعْلٍ وأَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ الحَمْدُ لله الذي عَافَانَا مِمَّا إبتُلُوا بِهِ وانْصَحْ عنها مَن يَقْبَلُ مِنْكَ مِن أقارِبَ وَأَصْحَابِ واحْذرِ الحُضُورَ فيها فَتكُونَ مِمَّنْ يُشجِعُ على البِدْعَةِ المحُرَّمَةَ .

وَثِقَلُ المُهُورِ يَنْشَأُ عَنْهُ التَّزَوُّجُ بِالاجْنَبِيَّاتِ وَهَذَا مِنْ أَكْبَرَ الأَضْرَارِ عَلَى الأُمَّةِ وَمِنْ أَعْظَمِ الأَسْبَابِ لِكَسَادِ بَناتِ الوَطَنِ لِأَنَّهُ يُكسِدُ وَاحِدةً وَيأْتي بِأُخْرَى تُحَمِّلُهُ في كُلِّ زِيَارَةٍ مَهراً جَدِيْداً وَيَبْعُدُ أَنْ تَتَّفِقَ الطِّبَاعُ بَيْنَهُمَا وَإِنْ حَصَلَ أَوْلادٌ ثُمَّ فِرَاقٌ فَأَعْظِمْ بِهِ مِنْ ضَرَرٍ .

وَأَكْثَرُ مَنْ يَتزَوَّجُ بالأجْنَبِيَّاتِ الأغْبِيَاءُ قُصَّارُ النَّظَرِ الَّذِيْنَ لاَ يَحْسِبُونَ لِلْمُسْتَقْبَلِ حِسَاباً وَلاَ يُفكِّرُونَ وَلاَ يَفْرضُوْنَ ويُقدِّرُونَ أَهْلُ ظَوَاهِرْ فَقَطْ عُقُولِهِمْ ضَعِيْفَةٌ وَنَظرُهُمْ قَاصِرْ .

وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ فَأَهْلُ ظَوَاهِرِ
تَبْدُو لَهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ مَعَانِي
فَهُمْ القُشُوْرُ وبِالقُشُوْرِ قِوَامُهُمْ
وَاللُّبُّ مِنْهُ خُلاصَةُ الإنْسَانِ

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الغَالِبَ في الأَجْنَبِيَّاتِ السُّفُورُ وَالاسْتِهَانَةُ بِالأزْوَاجِ وَكَثْرَةُ الخُرُوْجُ وَاسْتِطَالَةُ اللِّسَانِ عَلَى الزَّوْجِ وَضَعْفُ الدِّيْنِ أو عَدَمُهُ وَالغِلْظَةُ عَلَى الأوْلاَدِ وَتَكْلِيْفُ الزَّوْجِ بالمَصَارِيْفِ البَاهِضَةِ حَتَّى تُجْلِسَهُ عَلَى بِسَاطِ الفَقْرِ هَذَا في الغَالِبِ وَلِهَذَا نَسْمَعُ أَنَّ بَعْضَ الَّذِيْنَ اغْتَرُّوا وَتزَوَّجُوا بِهِنَّ يَئِنُّوْنَ وَيَتَمَنَّوْنَ الخَلاصَ وَهَيْهَاتَ الخَلاصُ بَعْدَ مَا امْتَلأَ البَيْتَ مِنْ الأوْلادِ وَالبَنَاتِ . ولِذَلِكَ تَجدهم يتضجَّرُوْن ويَتشكون بَعْدَمَا تورَّطُوا .

وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ اضْطُرَّ إِلَى مُصَادَقَةِ زَوْجَتِهِ لأَجْلِ الأوْلاَدِ وَبِالعَكْسِ فَكَمْ مِنْ زَوْجَةٍ اضْطُرَّتْ إِلَى مُجَامَلَةِ زَوْجِهَا وَالصَّبْرِ عَلَى جَوْرِهِ لأَجْلِ أوْلاَدِهَا قَالَ بَعْضُهُمْ وأَظُنُّهُ مِمَّنْ ابْتُلِيَ بِزَوْجَةٍ يُبْغِضُهَا وَلَكِنَّهُ مُضْطَرٌّ إِلَى المُجَامَلَةِ وَالصَّدَاقَةِ .

وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَى مَوْتِ زَوْجَتِي
وَلَكِنْ قَرِيْنُ السُّوْءِ بَاقٍ مُعَمَّرُ
فَيَا لَيْتَهَا في القَبْرِ أَمْسَتْ ضَجِيْعَةً
يُعَذِّبُهَا فِيْهِ نَكِيْرٌ وَمُنْكَرُ

وَكَمْ مِنْ زَعِيْمٍ اضْطُرَّ إِلَى مُصَادَقَةِ زَعِيْمٍ وَكَمْ مِنْ مَرْؤُسٍ اضْطُرَّ إِلَى مُصَادَقَةِ رَئِيْسٍ وَصَبَرَ عَلَى النَّكَدِ وَالضَّرَرِ وَهَذَا مِنْ أَثْقَلِ مَا يَكُونُ عَلَى

النُّفُوس قَالَ المُتَنَبِّيْ :

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الحُرِّ أَنْ يَرَىٰ
عَـدُوّاً لَـهُ مَـا مِنْ صَـدَاقَتِـهِ بُـدُّ

آخَرُ : مُحذِّراً عمَّنْ لاَ تَصْلُحُ وَحاثّاً عَلَى الّتِي تَصْلُحُ :

وَإِيَّـاكَ يَـا هَـذَا وَرَوْضَـةَ دِمْنَـةٍ
سَتَرْجِعُ عَنْ قُرْبٍ إِلَى أَصْلِهَا الرَّدِيْ
وَخَيْرُ النِّسَاء مَنْ سَرَّتِ الزَّوْجَ مَنْظِراً
وَمَنْ حَفِـظَتْـهُ فِي مَغِيْبٍ وَمَشْهَـدِ
قَصِيْـرَةُ أَلْـفَـاظٍ قَصِيْـرَةُ بَيْتِهَـا
قَصِيْرَةُ طَرْفِ العَيْنِ عَنْ كُـلِّ أَبْعَـدِ
حَسِيْبَـةُ أَصْـلٍ مِنْ كِـرَامٍ تَفُـزْ إِذَا
بِـوُلْـدٍ كِـرَام وَالبَكَـارَةَ فَـاقْصُـدِ
وَوَاحِـدَةٌ أَدْنَى إِلَى العَـدْلِ فَـاقْتَنِـعْ
وَإِنْ شِئْتَ فَـابْلغْ أَرْبَعـاً لاَ تَـزَيَّـدِ

اللهُم اجْعَلْنَا مِن أَهْلِ الصّلاحِ والنّجَاحِ والفَلاحِ ، ومِن المؤَيَّدِينَ بِنَصْرِكَ وتَأْيِيْدِكَ ورِضَاكَ يارَبَّ العالمين .

« اللهم مالِكَ الملك تُوتِي الملكَ مَن تَشاء وَتنزِعُ الملكَ مِّمنْ تَشَاءُ وتُعِز مَن تشاء وتُذِلُ مَن تشاء بِيَدِك الخيرُ إنكَ على كل شيْءٍ قدير » .

يا وَدُوْدُ يَا ذَا العَرشِ المجيد يا مُبْدِىءُ يا مُعِيْدُ يا فَعَالٌ لما تُرِيد نَسأَلُكَ بِنُورِ وجْهِكَ الذي مَلأَ أركانَ عَرشِكَ وبقُدرَتِكَ التي قَدرْتَ بِهَا على جميع خَلْقِكَ وبرَحْمتكَ التي وسِعَتْ كُلّ شَيءٍ لا إلهَ إلا أَنْتَ أن تَغْفِرَ ذُنُوبَنا وسَيئاتِنا وأَنْ تُبَدّلْهَا لَنَا بحسَنَات إنكَ جوادٌ كريم رَؤُوفٌ رَحِيم .

اللهم افْتَحْ لِدُعَائِنا بابَ القَبُولِ والإجَابَةِ واغفرْ لَنَا ولِوَالِدِينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَصْـــلٌ)

ثُمَّ اعْلَمْ وَفَّقَنِي اللَّهُ وَإيَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ أَنَّهُ يُسَنُّ لِمَنْ أَرَادَ النِّكَاحَ أنْ يَتَخيَّرَ ذَاتَ الدِّيْنِ لِحَدِيْثِ أبي هُريرةَ مَرْفُوعاً تُنْكَحُ المَرأةُ لأرْبَعٍ لِمالِهَا وَلِجَمالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِدِيْنِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّيْنِ تَرِبْتِ يَداكَ متفقٌ عَلَيْهِ وأنْ تكونُ ذاتَ عَقْلٍ لَا حَمْقَى جَاهِلَةً لأنَّ النِّكَاحَ يُرَادُ لِلعِشْرَةِ الحَسَنَةِ وَلَا تَصْلُحُ العِشْرَةُ مَعَ الحَمْقَاءِ وَلَا يَطِيْبُ مَعَها عَيْشٌ وَرُبَّما تَعدَّى ذَلِكَ إلَى وَلدِهَا وَقَدْ قِيْلَ اجْتَنِبُوا الحَمْقَاءَ فَإنَّ وَلَدَهَا ضَيَاعٌ وَصُحْبَتَها بلاءٌ وَلَا يَنْفَعُ فِيْهَا العِلاجُ وَقَدِيْماً قِيْلَ :

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُّ بِــهِ ... ألاَّ الحَمَاقَةَ أعْيتْ مَنْ يُدَاوِيْهَـــا

آخـــر :

أنَّ الرِّجالَ إذَا لَمْ يَحْمِهَا رَشَــدٌ ... مِثْلُ النِسَاءِ عَراها الخُلْفُ والخَلَفُ

ألاَ تَرَى جَمْعَ مَا لا عَقْلَ يُسْنِدُهُ ... جَمْعَ المؤنثِ زِيْدَ التَّاءُ وَالأَلِــفُ

وَأَنْ تَكُوْنَ الزَّوْجَةُ مِنْ بَيْتٍ مَعْرُوفٍ بِالقَنَاعَةِ لأَنَّهُ مَظِنَّةُ دِيْنِهَا وَقَناعَتِهَا وَيُسْتَحَبُّ أنْ تَكُونَ جَمِيْلَةً لأَنَّهُ أسْكَنُ لِنَفْسِهِ وَأغَضُّ لِبَصَرِهِ وَأكْمَلُ لِمَوَدَّتِهِ وَلِذَلِكَ جَازَ النَّظَرُ إلَيْهَا قَبْلَ النِّكَاحُ .

وَعَنْ المُغِيْرَةِ بْنِ شُعْبَةِ أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً فَقَالَ لَهُ النَّبِيّ ﷺ انْظُرْ إلَيْهَا فَإنَّهُ أحْرَى أنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُما رَوَاهُ الخَمْسَةُ إلاَّ أبُو دَاوُدَ وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ إذَا خَطِبَ أحَدُكُمْ المَرْأَةَ فَقدِرَ أنْ يَرَى مِنْهَا بَعْضَ مَا يَدْعُو إلى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ رَوَاهُ أحْمَدُ وَأبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ مُوْسَى بْنِ عَبْدِ اللّهِ عَنْ أَبِيْ حُمَيْدٍ أَوْ حُمَيْدَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ إذا خَطَبَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أنْ يَنْظُرَ مِنْهَا إذَا كانَ إنَّمَا يَنْظُرُ إلَيْهَا

لِخِطْبَةٍ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَعْلَمُ رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا أَلْقَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَلْبِ امْرِئٍ خُطْبَةَ امْرَأَةٍ فَلَا بَأْسَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ .

وَيُشْتَرَطُ أَنْ يَكُوْنَ نَظَرُهُ إِلَيْهَا بِلا خَلْوَةٍ لِحَدِيْثِ لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُوْ مَحْرَم فَإِنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ النَّظَرُ إِلَيْهَا بَعَثَ إِمْرَأَةً ثِقَةً تَتَأَمَّلُها لَهُ وَتَصِفُهَا لأَنَّهُ ﷺ بَعَثَ أُمَّ سُلَيْمٍ إِلى امْرَأَةٍ وَقَالَ انْظُرِيْ عُرْقُوبَهَا وَشُمِّيْ عَوارِضَهَا رَوَاهُ الحَاكِمُ وصَحَّحَهُ وَالعُرْقُوبُ إِذا لَمْ يَكُنْ طَوِيْلاً فَهُوَ أَحْسَنُ بِأَنْ يَكُوْنَ مُسَاوي لِلسَّاقِ ، وَكَانُوا يَذُمُّوْنَ الَّتِيْ عُرْقُوْبُهَا طَوِيْلٌ قَالَ بَعْضُهُمْ وَهُوَ مِنَ المُتَثَاقِلِيْنَ لِلصِّيَامِ .

أُنْبِئْتُ أَنَّ فَتَـاةً كُنْـتُ أَخْـطُبُـهَـا
عُرْقُوْبُهَا مِثْلُ شَهْـرِ الصَّوْمِ بِـالطُّوْلِ

وَالعَوارِضُ الأَسْنَانُ الَّتِيْ فِي عَرْضِ الفَمِ وَهِيَ مَا بَيْنَ الثَّنَايَا وَالأَضْرَاسِ وذَلِكَ لاخْتِبَارِ النَّكْهَةِ فَإِنْ لَمْ تُعْجِبْهُ سَكَتَ وَلَا يَقُوْلُ إِلَّا خَيْراً لَا يَقُوْلُ لا أُرِيْدُهَا لأَنَّ فِي ذَلِكَ إِيْذَاءً .

وَلِحَدِيْثِ أَبِيْ هُرَيْرَةَ قَالَ قِيلَ يَا رَسُوْلَ اللهِ أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ قَالَ الَّتِيْ تَسُرُّهُ إِذا نَظَرَ إِلَيْهَا وَتُطِيْعُهُ إِذَا أَمرَهَا وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَلَا فِي مَالِهِ بِمَا يَكْرَهُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيّ وَعَنْ يَحْيى بْنِ جَعْدَةَ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ خَيْرُ فَائِدَةٍ أَفَادَهَا المَرْءُ المُسْلِمُ بَعْدَ إِسْلامِهِ امْرَأَةٌ جَمِيْلَةٌ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا تَسُرُّهُ وَتُطِيْعُهُ إِذَا أَمرَهَا وَتَحْفَظُه في غَيْبَتِهِ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهَا رَوَاهُ سَعِيْدٌ .

شعـــرا :

وَمِن سَعْدِ حَظِ المَرْءِ وِجْدَانُ زَوجَةٍ   تُطِيْبُ بها هذي الحَيَاةُ وَتَعْـــذبُ

آخر : لِكُلِّ أَبِيْ بِنْتٍ يُرَجي بَقَاءَهَا   ثَلَاثَةُ أَصْهَـارٍ إِذَا ذُكِرَ المَهْــرُ

فَبَيْتٌ يُغَطِّيْهَا وَزَوْجٌ يَصُوْنُهَـــا   وَقَبْرٌ يُوارِيْهَا وَخَيْرُهُمَـــا القَبْــرُ

آخـــر :

وَزادَني رَغْبَةً في العَيْش مَعْرِفَتِي ... ذِلَّ اليَتِيْمَةِ يَجْفُوهَا ذَوُوْ الرَّحِـــمِ

أحَاذِرُ الفَقْـرَ يَوْماً أَنْ يُلِمَّ بِهَـا ... فَيَهْتِكُ السّتَرَ عَنْ لَحْمٍ عَلى وَضَمِ

تَهْوَي حَيَاتِيْ وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقاً ... وَالْمَوْتُ أكْرمُ نَزَّالٍ على الحُـرمِ

أَخْشَى فَظَاظَةَ عَمٍّ أَوْ جَفَاءَ أَخٍ ... وَكُنْتُ أبْقِي عَلَيْهَا مِن أَذَى الكَلِمِ

وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا وَأَحَبَّهَا وَتَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِهَا وَهِيَ ذَاتُ دِيْنٍ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ جَمِيْلَةً فَقَدْ لَا يُحِبُّ الجَمِيْلَةَ فَالأَحْسَنُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِمَنْ يُحِبُّ فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَهُمَا

شعراً : يا إبْنَتِي إِنْ أَرَدْتِ أَيَّةَ حُسْنٍ ... وَجَمَالاً يَزِيْـنُ جِسْماً وَعقْـلاً

فانْبُذي عَـادَةَ التبـرجِ نَبْـذاً ... فَجَمَالُ النُفُوس أَسْمَى وأَعْـلا

يصنع الصَّانِعـوُنَ وَرْداً وَلكِـنْ ... ورْدَة الروضِ لا تُضَارَعُ شكَـلاً

آخر : لا تَطْلُبُ الحُسْنَ إنَّ الحُسْنَ آفَتُهُ ... أنْ لَا يَزَالَ طِوَالَ الدَّهرِ مَطْلُوْبَا

وَلَنْ تُصَادِفَ يَوْماً لُؤْلُؤاً حَسَناً ... بَيْنَ اللآلِيءِ إلاَّ كَانَ مَثْقُوْبَـا

وشاوَرَ رَجُلٌ رجلا في النكاح فقال : إيَّاك والجمال الفائق فإن الشاعرَ قال :

ولَنْ تُصادِفَ مَرْعىً مُوْنِقاً أَبَـدَا ... إِلاَّ وَجَدْتَ بِهِ آثَارَ مَأْكُـوْلِ

آخـــر :

لا تَرْكَنَنَّ إلى ذِى مَنظرٍ حَسَـنٍ ... فَرُبَّ رَائِقَةٍ قد سَاءَ مَخْبَرُهَـا

ما كُل أَصْفَرَ دِينَارٌ لِصُفْرَتِـهِ ... صُفْرُ العَقَارِبِ أَرْدَاهَا وأَنْكَرُهَـا

آخر : وَرُبَّ مَلِيْـحٍ لَا يُحِـبُّ وَضِـدُّهُ
يُقَبَّـلُ مِنْـهُ العَيْنُ وَالأَنْـفُ وَالفَـمُ

هُوَ الجَدُّ خُـذْهُ إنْ أرَدْتَ مُسَلَّماً
وَلَا تَـطْلُبِ التَّعْلِيْـلَ فَـالأَمْرُ مُبْهَمُ

آخر : لِكُلِّ ساقِطَةٍ في الحَيّ لاقِطَةٌ ... وَكُلُّ بائِرَةٍ يَوْماً لَهَا سُـوْقُ

آخر : تَقُولُ مَنْ لِلْعَمَى بالحُسْنِ قُلْتُ لَهَا ... كَفَى عَنِ اللهِ في تَصْدِيقِهِ الخَبَرُ

القَلْبُ يُدْرِكُ مَا لَا عَيْنَ تُدْرِكُـــهُ والحُسْنُ مَا اسْتَحْسَنَتْهُ النَّفْسُ لا البَصَرُ

ويقول الآخـــر :

وعَيَّرني الأعداء والعَيْبُ فِيهِمُــوا وَلَيس بِعَيْبٍ أَنْ يُقَالَ ضَــرِيْرُ

رَأَيْتُ العَمَى أجراً وذُخراً وعِصْمَةً وَإِنّي إِلَى تِلْكَ الثَّلاثِ فَقِيــرُ

إِذَا أَبصَرَ المرءُ المرُوءَةَ والتُقَـــى فإِنَّ عَمَى العَيْنينَ لَيسَ يَضِيْــرُ

آخر : إِنَّ الْمليحَةَ مَنْ تَزِيْنُ حُلِيَّهَا لَا مَنْ غَدتَ بِحُلِيِّهَـــا تَتَزَيَّـــنُ

آخر : وَمَا الحُبُّ مِنْ حُسْنٍ وَلَا مِنْ مَلَاحَةٍ

وَلَكِنَّـهُ شَـيْءٌ بِـهِ الـرُّوْحُ تُكْـلَفُ

آخرُ : كَلِفْتُ بِهَا شَمْطَاءَ شَابَ وَلِيْدُهَا

وَلِلنَّـاسِ فِيْمَا يَعْشَقُـوْنَ مَـذَاهِبُ

آخر : لِكُلِّ ساقِطَةٍ في الْحَيِّ لاقِطَةٌ وَكُـلُّ بائِرَةٍ يَوْماً لَهَا سُـــوْقُ

آخر : فكَمْ في العُرْسِ أبْهَى من عَرُوْسٍ ولكنْ للعَرُوْسِ اللهُ سَـــاعَدْ

وَيُسَنُّ أَنْ تَكُوْنَ وَلُوْداً لِحَدِيْثِ أنسٍ كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَقُولُ تَزَوَّجُوا الوَدُوْدَ الولود فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الأُمَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ رَوَاهُ سَعِيْدٌ .

وَيُعْرَفُ كَوْنُ البِكْرِ وَلُوْداً بِكَوْنِهَا مِنْ نِسَاءٍ يُعْرَفْنَ بِكَثْرَةِ الأوْلادُ فَإِذَا كَانَتْ أُمُّهَا وَأُخْتُهَا وَخالَتُهَا وَعَمَّتُهَا وَالقَرِيْبَاتِ لَهَا مِنْ النِّسَاءِ وَلُوداتٍ فَالغَالِبُ وَالعِلْمُ لِلّهِ أَنَّهَا تَكُونُ مِثْلُهُنَّ وَيَبْعُدُ أَنْ تَكُونَ بِخِلافِ ذَلِكَ .

وَلْيَحْذرْ الإِنْسَانُ مِنْ خَضْرَاءِ الدِّمنْ فَفِيْ الحَدِيْثِ الَّذِيْ رَوَاهُ الدَّارُ قُطْنِيُّ في الأَفْرَادِ وَالعَسْكَرِيُّ في الأَمْثَالِ إِيَّاكُم وَخَضْرَاءَ الدِّمَنْ قَالُوا وَمَا خَضْرَاءُ الدِّمَنْ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ المَرْأَةُ الجَمِيْلَةِ مِنْ المَنْبَتِ السُّوْءِ ، قَالَ ابْنُ الجَوْزِيّ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَنْظُرَ فِي الأُصُوْلِ فِيمَنْ يُخَالِطُهُ وَيُعَاشِرُهُ وَيُشَارِكُهُ وَيُصَادِقُهُ وَيُزَوِّجُهُ أَوْ يَتَزَوَّجُ إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْظُرَ بَعْدَ ذَلِكَ في الصُّوَرِ .

قَالَ أَمَّا الأُصُوْلُ فَإِنَّ الشَّيْءَ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلِهِ وَبَعِيْدٌ مِمَّنْ لا أَصْلَ لَهُ أَنْ

يكُوْنَ فِيْهِ مَعْنَى حَسَن فَإِنَّ المَرْأَةَ الحَسْنَاءُ إذا كَانَتْ مِنْ بَيْتٍ رَدِيءٍ فَقَلَّ أَنْ تكُوْنَ أَمِيْنَةً وَكَذَا أَيْضاً الْمُخَالِطُ وَالصَّدِيْقُ وَالمَبَاضِعُ وَالمُعَاشِرُ وَإِيَّاكَ أَنْ تُخَالِطَ إلاّ مَنْ لَهُ أَصْلٌ يَخَافُ عَلَيْهِ الدَّنَسُ فَالغَالِبُ السَّلامَةُ وَإِنْ وَقَعَ خِلافُ ذَلِكَ كَانَ نَادِراً أ . هـ .

وَقَالَ ابْنُ القَيِّمْ :

يَـا مُطْلِقَ الـطَّرْفِ المُعَذَّبِ بـالأُولَى
جُـرِّدْنَ عَـنْ حُسْنٍ وَعَنْ احْـسَـانِ
لَا تَسْبِيَنَّـكَ صُـوْرَةٌ مَنْ تَحْتَهـا الـد
دَّاءُ الـدَّفِيْنُ تَبُـوْءُ بِـالـخُسْـرَانِ
قَبُحَتْ خَـلاَئِقُـهَـا وَقُبِّـحَ فِـعْلُهَـا
شَيْـطَانَـةٌ فِـي صُـوْرَةِ الإِنْـسَـانِ
تَـنْقَـادُ لـلأَنْـذَالِ وَالأذالِ هُـمْ
أَكْفَـاؤُهَـا مِنْ دُوْنِ ذِيْ الأَحْسَـانِ
مَـا ثَـمَّ مِنْ دِيْـنٍ وَلاَ عَـقْـلٍ وَلاَ
خُـلُقٍ وَلاَ خَـوْفٍ مِـنْ الـرَّحْـمَـنِ
وَجَـمَـالُهَـا زُوْرٌ وَمَـصْـنُـوعٌ فَـإِنْ
تَـرَكَتْهُ لَمْ تَـطْمَحْ لَهَـا العَيْنَـانِ
طُبِعَتْ عَلَى تَـرْكِ الحِفَاظِ فَمَا لَهَا
بِـوَفَـاءِ حَـقِّ الـزَّوْجِ قَطُّ يَـدَانِ
إِنْ قَصَّـرَ السَّاعِيْ عَلَيْهَـا سَاعَـةً
قَـالَتْ وَهَـلْ أَوْلَيْتَ مِنْ إِحْـسَـانِ
أَوْرَامَ تَقْـوِيْماً لَهَـا اسْتَعْصَتْ وَلَمْ
تَقْبَلْ سِوَى التَّعْـوِيْجِ وَالنُّقْصَـانِ

أَفْكَارُهَا فِي المَكْرِ وَالكَيْدِ الَّذي
قَدْ حَارَ فِيْهِ فِكْرَةُ الانْسَانِ
فَجَمَالُهَا قِشْرٌ رَقِيْقٌ تَحْتَهُ
مَا شِئْتَ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نُقْصَانِ
نَقْدٌ رَدِيءٌ فَوْقَهُ مِنْ فِضَّةٍ
شَيْءٌ يُظَنُّ بِهِ مِنَ الأَثْمَانِ
فَالنَّاقِدُوْنَ يَرَوْنَ مَاذَا تَحْتَهُ
وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ مِنَ العِمْيَانِ
أَمَّا جَمِيْلاتُ الوُجُوهِ فَخَائِنَا
تُ بُعُولَهُنَّ وَهُنَّ لِلأَخْدَانِ
وَالحَافِظَاتُ الغَيْبِ مِنْهُنَّ الَّتِي
قَدْ أَصْبَحَتْ فَرْداً مِنَ النِّسْوَانِ

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا توفيقاً يَقِيْنَا عَنْ مَعَاصِيْكَ وَأَرْشِدْنَا إلى السَّعْي فِيْمَا يُرْضِيْكَ وأجرْنَا يَا مَوْلاَنَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لأَوْلِيَائِكَ وأَحْبَابِكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

« مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللَّهِ كَانَ تَعَدُّدُ الزَّوْجَاتِ عَادَةً شَائِعَةً فِي العَرَبِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَتَقَيَّدُونَ فِيْهِ بِعَدَدٍ وَلاَ يُرَاعُوْنَ عَدْلاً بَيْنَ الزَّوْجَاتِ فكَانَ ذَلِكَ مِمَّا أَصْلَحَهُ الإِسْلاَمُ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مَنْعاً بَاتاً لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الحَرَجِ وَلَمْ يَتْرُكْهُ فَوْضَى كَمَا كَانَ بَلْ أَبَاحَهُ إِلَى أَرْبَعٍ وَشَرَطَ لِلْحِلِّ شَرْطاً وَثِيْقاً وَهُوَ العَدْلُ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ فِي المُعَامَلَةِ .

قَالَ اللَّه تعالى « فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُم الا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً » فَتَراهُ قَدْ شَرَطَ إِبَاحَةَ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ بالعَدْلِ كَمَا

جَعَلَ مُجَرَّدَ خَوْف الجوْرِ والظُّلْم سَبَباً كَافِياً في تَحْرِيْم التَّعدُّدِ فَمَنْ لَمْ يَأنَسْ مِنْ نَفْسِهِ أنْ يَقُوم بالقِسْطِ بَيْنَ الزوجاتِ لا يُتَاحُ لَهُ التَّعدُّدُ وَيجبُ عَلَيْهِ الاقْتِصارُ عَلَى وَاحِدَةٍ .

نَعَمْ الأصْلُ فِي التَّزَوّجِ التّوحُدُ فِيهِ يَتِمُّ السُّكُونُ لِكُلٍّ مِن الزَّوْجَيْنِ إلى الآخَرِ وَيَسْتَقِيْمُ أَمْرُهُما وَيَهْنَأُ عَيْشُهُمَا وَتَسْعَدُ أَوْلادُهُمَا بإذْنِ اللّهِ وَلَكِنْ قَدْ تَدْعُو الحَاجَةُ أَوْ الضَّرُوْرَةُ إلى التَّعدُّدِ وَتَقْتَضِيْهِ المَصْلَحَةُ لِمَسَائِلَ كَثِيْرَةٍ كَمَا إذا لَمْ تَرْغَبْ أُمُّ أَوْلادِهِ في مُضَاجَعَتِهِ والاتّصَالِ بِهِ وَكَما لَوْ كَانَ بِهَا مَرَضٌ لا يُرْجَى بُرْؤُهُ أَوْ مَاتَ أَوْلَادُهَا وَوَقَفَتْ عن الحَمْلِ أَوْ يَكُونُ بِهِ شَبَقٌ وَلَا يَكْتَفِي بِوَاحِدَةٍ لِمَا يَتعَرَّضُهَا مِنْ حَيْضٍ أَوْ اسْتِحَاضَةٍ أَوْ نِفَاسٍ أو نحوِ ذلِكَ .

فَإذَا تَزَوَج أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدَةٍ وَجَبَ عَلَيْهِ العَدْلُ بَيْنَ زَوْجَاتِهِ فَيَبِيتُ عِنْدَ احْدَاهُنَّ كَمَا يَبِيْتُ عِنْدَ الأُخْرَى وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ في المَطْعَمِ وَالمَسْكَنِ وَالمَلْبَسِ وسائِرِ أَنْوَاعِ النَّفَقَةِ إنْ كُنَّ فِي الغِنَى مُتَساوِيَاتٍ وَإنْ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ وَجُرْتَ مَعَ إحْدَاهُمَا فَأَنْتَ في عِدَادِ الظالمين .

وَلَا تَظُنّ الأمْرَ في هَذا بَسِيطاً هَيّناً لَا بَلْ إعْلَمْ أنَّهُ عَظِيْمٌ مَنْ أَخَلَّ بِهِ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَشقُّهُ سَاقِطٌ كَمَا أخْبَرَ بِذَلِكَ الرّسُوْلُ الكَرِيمُ وَهُوَ جَزَاءٌ يُنَاسِبُ جُرْمَهُ لِأَنَّهُ أَسْقَطَ نَاحِيَةَ المَظْلُوْمَةِ بِإِخْلَالِهِ الذَّمِيْمِ .

وَيَا لَيْتَ الأَمْرَ يَقِفُ عِنْدَ هَذَا الحَدِّ بَلْ وَرَاءَهُ النّارُ دَارُ المُذْنِبِيْنَ وَلِذَلِكَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلِ الّذِي أَثْنَى عَلَيْهِ رسُولُ اللّهِ ﷺ وَقَالَ أَعْلَمُ أُمّتِي بالحَلالِ وَالحَرَامِ ، كَانَتْ عِنْدَهُ امْرَأتانِ فَإذَا كَانَ عِنْدَ إحْدَاهُمَا لم يَشْرَبْ مِنْ بَيْتِ الأُخْرَى الماءَ ، مَعْنَاهُ أنّه مِنْ وَرَعِهِ وَخَوْفِهِ مِنْ المَيْلِ إلَى إحْدَاهُمَا إذا كَانَت النَّوْبَةُ لِوَاحِدَةٍ وَفَّرَ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَها عَلَيْهَا فَلَوْ مَرَّ في يَوْمِهَا فِي بَيْتِ ضَرَّتِهَا وَهُوَ عَطْشَانٌ لَمْ يَشْرَبْ مِنْ عِنْدِهَا حَتَّى يَأتِي بَيْتَ الّتِي اليَوْمُ يَوْمُهَا .

هَذَا العَدْلُ أَصْبَحَ عِنْدَ النّاسِ الّذِيْنَ اخْتَارُوْا التَّعدُّدَ نَادِرَ الوُجُودِ يَتْرُكُ

أَحَدُهُمْ زَوْجَتَهُ الَّتِي لا يُحِبُّهَا مُدةً طَوِيْلةً تُقَاسي مِن آلام الجَوْرِ والغَيْرَةِ مَا تُقَاسِيْ وَهُوَ مَعَ المَحْبُوْبَةِ أَوْ صَاحِبَةِ المَالِ لَيْلُهُ وَنَهارُهُ كأَنَّهُ لاَعَنَ تِلْكَ المَبْغُوْضَة فَحَرُمَتْ عليهِ أَبَدَ الآبِدِيْنَ .

وَتَجِدُهُ إِذَا دَعَاهُ إِنْسَانٌ جَعَلَهُ فِي لَيْلَةِ المَبْغُوْضَةِ وَيَوْمِهَا وَالمفْرُوضُ أَنْ يَسْتَعْمِلَ القُرْعَةَ وإذَا قَدِمَ أتَى إلى المَحْبُوْبَةِ وَيَخْتَارُ لَهَا المَسْكَنَ الطَّيبَ وكَذَلِكَ الصُّوْغ وَالثِيَابُ وَالطَّعَامُ وَالأَطْيَابُ وَالفَواكِهُ وَبِودِّهِ لَوْ اسْتَرَاحَ وَطَلَّقَ المَبْغُوضَة ولكِنَّهُ يَخْشَى أَنْ تَتْرُكَ الأَوْلاَدَ وَتَذْهَبَ أَوْ تَسْحَبَ مَا لَها عِنْدَهُ مِنْ أموالٍ فَلِهذا يُجامِلُهَا مَعَ العَدَاوَةِ والبُغْضِ وَيَنْطَبِقُ عَلَيْهِ قولُ المتنبي :

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الحُرِّ أَنْ يَرَى … عَدُوّاً لَهُ مَا مِن صَدَاقَتِه بُدُّ

وَلَكِنْ لِيَعْلَمَ هَذَا الجَائِرُ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلاَ لَهُ وَلأَمْثَالِهِ بِالمِرْصَادِ وَلِيَعْلَمَ أَنَّ حَنِيْنَ الزَّوْجَةِ إِلى زَوْجِها يَزِيدُ بَعْدَ زَواجِه عَلَيْهَا أَضْعَافاً مُضَاعفَاتٍ وَقَدْ كَانَتْ قَبْلَ زوَاجِهِ لاَ تَصْبِرُ عَنْهُ سَاعةً فَكَيْفَ تَصْبِرُ بَعْدَ الزّواجِ شُهُوْراً أَوْ سَنواتٍ فأطِلِ التَّفَكُّر في هَذَا لِتَعْلَمَ كَيْفَ تَكُونُ العَاقِبَةُ لَعَلَّكَ تَسْلُكُ طَرِيْقَ العَدْلِ وتُبْعِدُ عَنِ الجَوْرِ والجَائِرِيْنَ .

فَفِي الحَدِيْثَ إِذَا كَانَتْ عِنْدَ الرَّجُلِ امْرَأَتانِ فَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ سَاقِط رواه الترمذي وأبو داود وغيرهما .

شعــــرا :

وَمَنْ جَمَعَ الضرَاتِ يَطْلُبُ لَذَّةً … فقد بَاتَ بالأَضْرَارِ غَيْرَ سَــدِيْدِ

اللّهُمَّ وفّقْنَا لِلاسْتِقامَةِ والعدْلِ فِيْمَا وَلَّيْتَنا عَلَيْه اللّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بكَ مِن دُنْيَا تَمْنَعُ خَيْرَ الآخِرَة ونَعُوذُ مِنْ حَيَاةٍ تَمْنَعُ خَيْرَ المَمَاتِ وَنَعُوذُ بكَ مِنْ أَمَلٍ يَمْنَعُ خَيْرَ العَمَلِ ونسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْـــــلٌ)

وينْبَغي أَنْ يَتَخيَّر الدَّينة حَسْنَة السِيْرَةِ راجحَةَ العقْل المُحْسِنَةَ للتّدْبِير وليَحْـذَرْ كُلَّ الحَـذَرِ من الخَـرْقَـاءِ والبَخيْلَة فكِـلاهُما ما يُفْسِدَانِه أَكْثَرُ مِمّا يُصْلِحَانِهِ إنْ حَصل صَلاحٌ وفيما قِيْلَ قَدِيْماً :

وَمَـن لـم يكُـنْ فـي بَيْتِهِ قَهْـرمانَةٌ   فَذَالِكَ بَيْـتٌ لا أَبَا لكَ ضَـائعُ

آخر :إذا لم يكن في مَنْزِلِ المَرْءِ حُرَّةٌ   رَآى خَلَـلًا فيْمَـا تَولـىَّ الوَلَائِدُ
فلَا يتخـذْ منهنُ حُرٌ قَعِيْـــدَةً   فَهَـنَّ لَعَمْــرُ اللهِ بِئسَ القَعَائِـــدُ

آخــر :

« وُدوْنَك بَيْتاً قَـدْ تَحلَّى بِهِ النُّهَى   كَمَـا يَتَحَـلَّى مِعْصَـمٌ بِسِـوَارِهِ »
« إذَا لَمْ يَكُنْ في مَنْزِلِ المَرْءِ حُرَّةٌ   تُدَبِّرُهُ ضَـاعَـتْ مَصَـالِحُ دَارِهِ »

آخــــر :

إذَا شِئْتَ يَوْماً أَنْ تقارِنَ حُـرَّةً   مِن النّاسِ فاختر دِيْنَهَا ونَجارَهَـــا
فَمِنهُنَّ مَنْ تُعْطِي الرِّبَاحَ عَشِيْرَهَا   ومنهُن مَنْ تَبْنِي بِخُسْرٍ تِجارَهَــا

آخــر :

فإنْ شِئتَ أَن تَخْـتَرْ لِنَفسِكَ حُـرَّةً   عَلَيْكَ بِبيْتِ الجُـود خُذْ مِنْ خِيارِهِ
وإيَّاكَ والبَيْـتَ الـدَّنيَّ فـرُبَّمَـا   تُعَارُ بِطُـوْلٍ في الزمـانِ بِعَارِهِ
وفِيْهِنَّ مَن تأتي الفتَى وهو مُعْسِـرٌ   فَيُصْبِحُ كُلُ الخَيْرِ في وسْـطِ دَارِهِ
وفيْهِـنَّ مَـن تأتيـهِ وهـو مُيَسِّـرٌ   فَيُصْبِحُ لا يَمْـلِكُ عَـلِيْقَ حِمارِهِ
وفِيْهِـنَّ مَـنْ لا بَيَّضَ اللَّهُ وجْهَهَا   إذَا غَـابَ عنها الزَّوْجُ طَـلَّتْ لِجَارِهِ

وَوَرَدَ أَنَّ المَرأَةَ الصَّالِحَةَ كَالغُرَابِ الأَعْصَمِ وَهُوَ أَبْيَضُ الجَناحَينِ فلا يَكَادُ يُوْجَدُ إلا القَلِيْلُ ومِن الصَّالِحَاتِ ما في حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « أَلَا أُخْبِركُم برِجَالِكُمْ في الجَنَّةِ قُلْنَا بَلىَ يَا رَسُوْلَ اللَّهِ قال النبيُ في الجَنةِ أَلا أُخْبِرُكُم بِنِسَائِكُم في الجَنَّةِ قُلْنَا بَلىَ يَا رَسُول اللَّهِ قال وَدُوْدٌ

وَلُودٌ إِذَا غَضِبَتْ أَوْ أُسِيْءَ إِلَيْهَا أَوْ غَضِبَ زَوْجُهَا قَالَتْ هَذِه يَدِيْ فِي يَدِكَ لا أَكْتَحِلُ بغَمْضٍ حتَّى تَرْضَى » المعنى أنها تُرْضِيْهِ رواه الطبراني .

وقَدْ وَرَدَ مَا فِيْهِ بَشَارةٌ بعَظِيْم أَجْرِ المَرْأَةِ الصَّالِحَةِ القَانِتَةِ ونَجاتُهَا فَمِنْهَا مَا رَواه الامام أحمدُ والطبراني عن عبدالرحمن ابن عوفٍ رضِيَ اللَّهُ عنه قال قال رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَها وصَامَتْ شَهْرَهَا وحَفِظَتْ فَرْجَها وأطاعَتْ زَوْجَهَا قِيْلَ لَهَا ادْخُلِي الجَنَّةَ مِن أيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شِئْتِ .

ونَحْوُ هَذَا في رواية ابن حبان عن أبي هريرة وروى الحاكم وصححه أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وزَوْجُهَا عَنها راضٍ دَخلَتِ الجَنَّةَ وقال ﷺ مُحَذِّراً لَهُنَّ عَمَّا فيه ضَرَرٌ عَلَيْهِنَّ أَيُّمَا امْرَأَةٍ خَرجَتْ مِن بَيْتِهَا بغَيْرِ إِذْنِ زَوْجِهَا كَانَتْ في سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى تَرْجِعَ إلى بَيْتِهَا أَوْ يَرْضَى عَنْهَا زَوْجُهَا رواه الخطيب عن أنس ابن مالك .

وقال ﷺ « إنّي لأُبْغِضُ المَرْأَةَ تَخْرُجُ مِن بَيْتِهَا تَجُرُّ ذَيْلَهَا تَشْكُوْ زَوْجَهَا رواه الطبراني وقال ﷺ أَيُّمَا امْرَأَةٍ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا في غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا فَقَدْ هَتَكَتْ سِتْرَ مَا بَيْنَهَا وَبِيْنَ اللَّهِ عَزَ وَجَلَ رواه أحمد والحاكم .

وقَالَ ﷺ أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَزَعَتْ ثِيَابَهَا في غَيرِ بَيْتِ زَوْجِهَا خَرقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا سِتْرَهُ رواه أحمد والطبراني والبيهقي والحاكم في مستدركه .

وأن تَكُونَ طَيِّبَةَ الأَصْلِ حَسِيْبَةً لِيَكُونَ الوَلَدُ بإِذْنِ اللَّهِ نَجِيْبًا فانهُ أَشْبَهَ أَهْلَهَا فَجذَبُوْهُ بالخَلْقِ والخُلُقِ وفي الخَبَرِ انْظُرُ في أيّ شَيْءٍ تَضَعُ وَلَدَكَ فإِنَّ العِرْقَ دَسَّاسٌ وقال عليهِ أفْضَلُ الصلاةِ والسلامِ تَخَيَّرُوْا لِطُفِكُمْ فإِنَّ النِسَاءَ يَلِدْنَ أَشْبَاهَ إِخْوانِهِنَّ وأَخَواتِهِنَّ رواه ابن عدي وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها .

وأَنْ تَكُونَ بِكْراً لِمَا في الصّحِيْحَين عن جابر رضي الله عنه فَهَلاَّ بِكْراً تُلاَعِبُهَا وتُلاَعِبُكَ ولِقَوْلِه فَهَلاَّ بكراً تَعُضُّهَا وتَعُضُّكَ رواه الطبراني واسناده صحيح ولِقَولِهِ عليه الصلاةُ والسلامُ عليكم بالأَبْكَارِ فإِنَّهُنَّ أَعْذَبُ أفْوَاهاً

وأَنْتَقُ أَرْحَاماً وأَرْضَى باليَسِيْرِ رواه ابن ماجه وغيره وفي رواية عليكم بالأَبْكَار فإِنَّهُنَّ أَطْيَبُ أَفْوَاهاً وأَنْتَقُ أَرْحَاماً وأَرْضَى باليَسِيْرِ من الجِمَاع .

ومن فَوائِـد نِكَـاحِ البِكْرِ أَنَّهَا تُحِبُّ الزَّوْجَ الأَوَّلَ وتَأْلَفُهُ فإِنَّ الطِّبَاعَ مَجْبُوْلَةٌ على حُبِّ الأُنْسِ بأَوَّلِ مَأْلُوفٍ وفي هذا المَعْنى قِيْلَ :

نَقِّلْ فُؤادَكَ ما اسْتَطَعْتَ من الهَوَى ... مَـا الحُـبُّ إِلَّا لِلْحَـبِيْبِ الأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الأَرْضِ يَأْلَفُهُ الفَتَى ... وحَنِيْنُـــهُ أَبَـداً لِأَوَّلِ مَـنْزِلِ

آخـــــر :

قالوا نكَحْتَ صَغِيْرَةً فأَجَبْتُهُـــمْ ... أَشْهَى المَطِيِّ إِلَيَّ مَا لَمْ يُرْكَـــبِ
كَمْ بَيْنَ حَبَّةِ لُؤْلُوءٍ مَثْقُوبَــةٍ ... ثَقْباً وحَبَّةِ لُؤْلُوءٍ لَمْ تُثْقَـــبُ

آخـــــر :

إِنَّ المِطِيَّةَ لا يُلَذُّ رُكُوْبُهَـــــا ... حَتَّى تُذَلَّلَ بالركُوب وتُركَبَـــا
والدُّرُ لَيْسَ بنافع أَصْحَـــابَهُ ... مَا لم يُؤَلَّفْ في النِّظَامِ وَيُثْقَبَـــا

آخـــر :

كَـذَبَ الـذينَ تَحَدَّثُوا فـي قَـولِهِم ... مـا الحُـبُّ إِلَّا لِلْحَـبِيْبِ الأَوَّلِ
الحُبُّ لِلْمَحْبُـوبِ سَـاعَةَ وَصْلِهِ ... مـا الْحُـبُّ فيه لآخـر ولاَ أَوَّل
مَـا أَنْ أَحُـنُّ إِلـى خَـرَابٍ مُقْفِـر ... دَرَسَـتْ مَعَـالِمُـهُ كَـأَنْ لَـمْ يُـوْهَـلِ
مقْـتِي لِمَنْزِلِـيْ الـذي اسْتَحْدَثْتُهُ ... أَمَّـا الـذي وَلَّـى فَلَيْـسَ بِمَـنْزِلِ
لا شَـكَ فـي أَنَّ النَّبـيَّ مُحَمَّـدًا ... فَـاقَ الـبَرِيَّـةَ وهُـوَ خَـرُ مُـرْسَـلِ
آخر : وَالآنَ جَا مِصْدَاقُ هَذَا عِنْدَنَا ... تَرَكُـوْا القَدِيْـمَ لأَجْنَبـي يَسْكُنُـوْا
أَتَانِيْ هَـوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الهَـوَا ... فَصَـادَفَ قَلْبـاً خَـالِيـاً فَتَمَكَّـنَا

ومِنْ أَمْثِلَةِ العَرَبِ « لَا تَنْسَى الشَّيْبَاءُ أَبَا عُذْرِهَا ولا قَاتِلَ بِكْرِهَا » .
المَعْنَى أنها لا تَنْسَى الذِي افْتَضَّ بَكَارَتَها ولاَ الذِي يَقْتُلُ أَوَّلَ أَوْلَادِهَا ولِهَذا قالَ بَعْضُهُمْ النِّسَاءُ ثَلاثٌ وَاحِدَةٌ لَكَ ووَاحِدَةٌ عَلَيْكَ ووَاحِدَةٌ لا لَكَ ولاَ عَلَيْكَ .

فأمَّا التي لَكَ فالبِكْرُ التي لَم تَرَ غيْرَكَ إنْ رَأَتْ خَيْراً حَمِدَتِ اللَّه وإِنْ رَأَتْ غيْرَ ذَلِكَ قَالَتْ هكذا الرِّجَالُ أَجْمَعُ .

وأما التي لا لَكَ ولا عَليْكَ غَالباً فالثَّيِّبُ إنْ رَأَتْ خَيْراً قَالَتْ هَكَذَا يَجْمُلُ بي وَإنْ رَأَتْ شراً حَنَّتْ إلى الأَوَّلِ ولَوْ أنه مُسِيْءٌ فِيها وهذا إِذَا كُنْتَ أَنْتَ وزَوْجُهَا الأَولُ مُتقاربينَ في السنِّ والكَرَمِ والغِنَا والعَفَافِ وإِنْ كُنْتَ دُونَـهُ سَمِعْتَ مَا يَسُؤُكَ ويُؤْلِمُكَ ورأَيْتَ مَا يُحْزِنُكَ ويُقْلِقُكَ مِن ذِكْرِ زَوْجِهَا الأَوَّلِ وأَفْعَالِهِ لَمْزاً وَهزْباً ولِهَذَا قال بعْضهم مُحَذِّراً عنها :

ولا تَنْكِحَنَّ الدّهْرَ مَا عِشْتَ أَيِّمـاً مُجَـرَّبَـةً قَـدْ مُـلَّ مِنْهَـا وَمَـلَّتِ

وقيل لبعضهم قد كَرِهَتْ امرأَتُكَ شَيْبَتَكَ فقال إنما مَالَتْ إلى الأَبْدال لِقلة المال واللَّهِ لو كُنْتُ في سِنِّ نُوحٍ وشَيْبَةِ إبليس وخِلْقةِ مُنكرٍ ونكيرٍ ومَعِي مالٌ لَكُنْتُ أَحبَّ إليها مِن مُقتِرٍ في جَمَالِ يُوسُفَ وخُلُقِ دَاوُد وسِنِّ عِيْسَى وجُودِ حاتِم وحِلم أَحْنَف .

آخر : أَعِرْ طَرْفَكَ المِرْآةَ وانظر فإنْ نَبَا بعَيْنِكَ مِنْهُ الشَّيْبُ فالْبِيضُ أَعْذَرُ
إِذَا شَنُأَتْ عَيْنُ الفَتَى شَيْبَ نَفْسِهِ فَعيْـنُ سِوَاهُ بالشَّنَـاءةِ أَجْـدَرُ
آخَرُ : يُرِدْنَ ثراءَ المالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ وَشَرْحُ الشَّبَابِ عِنْدَهُـنَّ عَجِيْبُ
آخـر : فَجَعَلْتُ أَطْلُبُ وَصْلَهَا بتَملُّقٍ والشَّيْبُ يَغْمِزُها بأن لا تَفْعلي
آخر : فإنْ تَسْأَلُوني بالنِسَّاءِ فإنَّنِي خَبِيْـرٌ بأَدْوَاءِ النِسَّـاءِ طَبِيْـبُ
إِذَا شَابَ رَأسُ المَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَـهُ من وُدِّهِـنَّ نَصِيْـبُ
يُرِدْنَ ثَرَاءَ المَـالِ حَيْثُ عَلِمنَـهُ وشِرْخُ الشَّبَـابِ عِنْدَهُـنَّ عَجِيْبُ
آخر : رَأينَ الغَوالي الشَّيبَ لاحَ بعَارِضي فأعْرَضْنَ عَنِـيّ وبـالخدود النَّواظِـرِ
وكُنَّ إذا أبْصَرنَنِي أو سَمِعْنَ بَي رَنَيْـنَ فَرفعْنَ الكُـوى بالمحَاجِـرِ
آخر : لَمْ أَعْشِقِ السُمْرَ إلاّ مِن حِيازَتِهِـمْ لَوْنَ الشبابِ وحَبَّ القَلْبِ وَالحَدقِ
ولا سَلَوْتُ بَيَاضَ الشَّيْب عن غَلَطٍ إنِّي من الشَّيْبِ والأَكْفَانِ في فَرَقِ
آخر : تهزَأَتْ أَنْ رَأَتْ شَيْبي فَقُلْتُ لَهَا لا تَهْزَئي مَن يَطُلْ عُمْرٌ بِهِ يَشِبِ

شَيْبُ التقـــي لَهُ عِزٌ ومَكْرَمَـــةٌ إذا اسْتَقَـــامَ بلا شكٍ وَلَا رِيَبَ

آخر : بَدَا شَيْبُهُ مِثْلَ النهارِ ولَمْ يَكُـــنْ يُشابِهُ فَجْراً أَوْ نُجُوْمَ ظَـــلَامِ

يُحَدِّثُهَا مَا لا تُرِيْدُ إسْتِمَاعَـــهُ ولَمْ يَبْقَ عند الشيخ غَيْرُ كَـــلامِ

تَوَدُّ لَو أنَّ اللهَ أعْطَاهُ حَتْفَـــهُ وكَفَّلَهَا مِنْ بَعْدِهِ بِغُـــلامِ

تَقُولُ لهُ فِي النَّفْسِ غَيْرَ مُبِيْنَـــةٍ خُذِ المَهْرَ مِنّي وانْصَرِفْ بِسَـــلامِ

آخر الشَّيْبُ أَعْظَمُ جُرْمٍ عِنْدَ غَانِيَةٍ مِنْ ابْنِ مُلْجِمٍ عِنْدَ الْفَاطِمِّيِنَا

آخر : وَمُدَّعٍ شَرْخَ شَبَابٍ وَقَدْ عَمَّمَهُ الشيْبُ عَلَى وَفْرَتِهْ

يَخضِبُ بالأَسْوَدِ لِحْيَتَـــهْ يَكْفِيْهِ أَنْ يَكْذِبَ فِي لِحْيَتِهْ

آخر : خَضَبْتُ الشَّيْبَ لَمَّا كان عَيْبـــاً وخَضْبُ الشَّيْبِ أَوْلَى أَنْ يُعَابَا

وَلَمْ أَخضِبْ مَخَافَةَ هَجْرِ خِـــلٍ ولا عُتْباً خَشِيْتُ ولا عِتَابَـــا

ولَكِنَّ المشِيْبَ بَدَا ذَمِيْمـــاً فَصَيَّرْتُ الخِضَابَ لَهُ عِقَابَـــا

آخر : أَنْذَرَكَ الشيْبُ فَخُذْ نَصْحَهُ فَإِنَّمَا الشيْبُ نَذِيْرٌ نَصِيْـــحْ

وَعِلَّةُ الشَّيْبْ إِذَا مَا اعْترتْ أَعْيَتْ لَوْ أَنَّ المَدَاوِيْ المَسِيْحْ

آخر : ولائِكُ فِي وَطْءِ الكَوَاعِبِ مُسْرِفاً فاسْرَافُهُ لِلْعُمْرِ أَقْوى الهَوَادِمِ

وإِيَّاكَ إِيَّاكَ العَجُوزَ وَوَطْأَهَـــا فَمَا هِيَ إلاَّ مِثْلُ سُمُّ الأَرَاقِـــمِ

آخر : إِذَا فَكَّرْتُ فِي شَيْبِيْ وَسِنِّيْ عَتِبْتُ عَلَيهِ فِيمَا نَالَ مِنِّيْ

كَأَنَّ الشَّيْبَ غَارَ عَلَىَ الغَوانِيْ فَعَرَّضَهُـــنَّ لِلإِعْرَاضِ عَنِـــيّ

آخر : والشَّيْبُ تَغْتَفِرُ الغَوانِي ذَنْبَهُ مَا دَامَ ذَاكَ الشيءِ فِيْهِ تَحَرُّكُ

آخر : ما كانَ أَقْصَرَ أَيَّامَ الشبابِ وَمَا أَبْقَى حَلاَوَةِ ذِكْرَاهُ الَّتِـــيْ يَدَعُ

مَا وَاجَهَ الشَّيْبُ مِن عَيْنٍ وإنْ رَمَقَتْ إلاَّ لَهَـا نَبْوَةٌ عَنْـهُ وَمُرْتَـــدَعُ

آخر: رَأَيْتُ سَوَادَ الرَّأْسِ وَاللَّهْوُ تَحْتَهُ كَلَيْلٍ وحُلْمٍ بَاتَ رَائِيْهِ يَنْعَـــمُ

فَلَمّا اضْمَحَلَّ اللَّيْلُ زَالَ نَعِيْمُـــهُ وَلَمْ يَبْقَ إلاَّ عَهْـدُهُ المُتَوَهَّـــمُ

آخر: حَلَّ المَشِيْبُ بِعَارِضِي ومَفَارِقِي بِئْسَ القَرِيْـنُ أَرَاهُ غَيْـرَ مُفَارِقِـــيْ

رَحَلَ الشَبَابُ فَقُلْتُ قِفْ لِي سَاعَةً حَتَّى أُوَدِّعَ قَالَ إِنَّكَ لاحِقِـــيِ

آخر : رَحَلَ الشَّبَابُ فَمَالَهُ مِن عَوْدَةٍ وأَتَى المَشِيْبُ فأَيْـنَ مِنْـهُ المَهْـرَبُ

آخر: عانِقْ مِن النِسْوانِ كُلَّ فُتَيَّةٍ أَنْفَاسُهَا كَرَاوَائِحِ الرَّيْحَانِ
أَحْذِرْكَ عَن نَفَسِ العَجُوْزِ وبُضْعِهَا فَهُمَا لِجِسْمِ ضَجِيْعِهَا سَقَمَانِ
آخر: عَجُوْزٌ تَمَنّتْ أَنْ تَكُون فُتَيَّةً وقَدْ يَبِسَ الجَنْبَانِ وَاحْدَ وْدَبَ الظَّهْرُ
تُرُوْحُ إلَى العَطَّار تَبْغِي شَبَابَهَا وَهَلْ يُصْلِحُ العَطَّارُ ما أَفْسَدَ الدَّهْر
وما غرَّنِي إلَّا خِضَابٌ بِكَفِّهَا وَكُحْلٌ بعَيْنَيْهَا وَأَثْوابُهَا الصُّفْرُ
وَجَاؤُابِهَا قَبْلَ المُحَاقِ بِلَيْلَةٍ فَكَا مُحَاقاً كُلُّهُ ذَلِكَ الشَّهْرُ

وقال بَعْضُ العُلَمَاءِ يُكْرَهُ نِكَاحُ الحَنَّانَةِ والمَنَّانَةِ والأَنَّانَةِ والحَدَّاقَةِ والبَرَّاقَةِ والمِمْرَاضِ .

فالحَنَّانَةُ التي لَهَا وَلَدٌ تَحُنُّ إليه أَوْ زَوجٌ تُحِبُّهُ مِنْ قَبْلِك وفي المَثَلِ (حُب الأوّلِ مَا يَتَحَولْ)

والمَنانَةُ التي تَمُنُّ على زَوْجِهَا بما تَفْعَلُه أَوْ تَبْذِلُهُ .

والأنانةُ كثيرةُ الأَنينِ الكَسْلانَةُ المُتَكَاسِلةُ .

والحَدَّاقَةُ التي تَسْرِقُ كُلَّ شَيْءٍ بِحَدَقَتِهَا التي تُحِبُّ أَنْ تَطَّلعَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وتُكَلِّفُ زَوْجَهَا بأنواع المشقات .

والبَرَّاقَةُ التي تَشْتَغِلُ بتَبْرِيْق وَجْهِهَا ويَدَيْهَا وَرجْلِيْهَا مِن تَحْمِيْرٍ وتَبْيِيضٍ وَتَنْمِيْقٍ وتَحْسِينٍ وقِيْلَ أنَّهَا التِي تَغْضَبُ عندَ الطعامِ ولا تَأْكُلُ إلَّا وَحْدَهَا التّي تَبْحَمُ بالشَّيء

والشَّرَّاقَةُ كَثيرةُ الكَلام قَلِيْلةُ الصَّمْتِ .

والمِمْرَاضُ التي تَتَمارَضُ غالبَ أَوْقَاتِهَا ولَيْسَ فِيْهَا مَرَضٌ إِنَّمَا تَهْرَبُ مِن العَمَلِ أَوْ الاسْتِمْتَاعِ بها فَهِيَ دَائماً تُعَبِّسُ بِوَجْهِهَا مُقَطِّبَةً دَائِماً كَسْلانه تُحبُّ النومَ وَالرَّاحة .

عَصَمَنَا اللّهُ وإيَّاكُمْ مِنْ الزَّلَلِ وَوَفَّقَنَا لِصَالِحِ العَمَلِ وَهَدَانا بفَضْله سَبِيْلَ الرَّشَادِ وَطَرِيْقَ السَّدَادِ إِنَّهُ جَلَّ شَأنُهُ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيْرِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

مَـوْعظـــة:

عِبادَ اللَّهِ يَقُولُ اللَّهُ تَعالَى وَهُوَ أَصْدَقُ قَائِلٍ ﴿ وَلاَ تُلْقُوْا بأَيْدِيْكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ ويَقُولُ جَلَّ وَعَلاَ ﴿ ولا تَقْتلُوا أَنْفسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيْماً ﴾ ويقُـولُ جَلَّ وَعَــلاَ ﴿ اليَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وأتممْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الإِسْلام دِينًا ﴾ ، ويَقُولُ ﷺ تركتُمْ عَلَى المَحَجَّةِ البَيْضَاءِ لَيْلُهَـا كَنَهارِهَا لاَ يزِيْغُ عَنْهَا بَعْدِيْ هالكٌ ويقُولُ جَلَّ وَعَلاَ ﴿ ما فَرَّطْنَا في الكتابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ويقولُ ﴿ وَأَنْزَلْنا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبياناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

وبِذَلِكَ قَدْ وَضحَ الأَمْرُ وَتَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغي والهُدَى مِنَ الضَّلاَلِ وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ ذَلِكَ حُجَّةٌ لِطَالِبِ الرُّشْدِ وَلا عُذْرَ لِمَنْ وَقَعَ فِي الغِوَايَةِ ولكِنَّ فَرِيقاً مِن النَّاسِ وَضَعُوا عُقُوْلَهُمْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ وَلَمْ يُبالُوا بِمُخَالَفَةِ الكِتابِ والسّنةِ واتَّبَعُوْا شَهَواتِ أَنْفسِهِمْ فَعَمِيَتْ بَصَائِرُهُمْ واسْقَطُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ دَرَجَةِ الكَمَالِ الَّذي أعَدَّهُمُ اللَّهُ لَهُ .

وذَلِكَ بأَنَّهُم سَعَوا بِمَا يَضُرُّ نُفُوْسَهُمْ وَدِيْنَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ وَهُوَ شُرْبُهُمْ لأَبِي الخَبَائِثِ الدُّخانِ الَّذِي لاَ يَتوَقَّفُ عَالِمٌ بِتَحْرِيْمِهِ وَلاَ يَتوَقَّفُ طَبِيْبٌ بِمَضرَّتِهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ الأَدِلَّةِ الدَّالَةِ عَلَى تَحرِيْمِهِ إلاّ الآياتُ المُتقدّمةُ لكانَتْ كافِيَةً لأَنَّ شَارِبَهُ يَسْعَى فِي اضْعَافِ جِسْمِهِ وَالقَضَاءِ عَلَى حَيَاتِهِ وَتَبْذِيرِ مَالِهِ والمُبَذِّرِيْنَ إِخْوَانُ الشَّياطِيْنِ وَهُوَ إِسْرَافٌ ﴿والله لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ﴾ .

ومِنْ أَوْضَحِ الأَدِلَّةِ عَلَى تَحْرِيْمِهِ قَوْلُهُ تَعالَى فِي حَقِّ نَبِيِّهِ ﷺ ﴿يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِم الخَبائِثَ﴾ وَلاَ يَمْتَرِي عَاقِلٌ فَضْلاً عَنْ العَالِمِ أَنَّهُ مِنْ قِسْمِ الخَبَائِثِ وَلَهُ مِنْ المَفاسِدِ والأَضْرَار مَا لاَ يَخْفَى عَلى ذِي بَصِيْرَةٍ وَإِلَيْكَ تعْدَادُ بَعْضِ مَضَارِّه وهِيَ قَلِيلٌ مِن كثير .

١ ـ فَمِنْ مَضَارِهِ الدِّيْنِيَّةِ أَنَّهُ إِسْرَافٌ واللَّهُ لاَ يُحِبُّ المُسْرِفِين .

٢ ـ ومِنْها أَنَّهُ تَبْذِيْرٌ والمُبَذِّرِيْنَ إِخْوانُ الشَّياطِين .

٣ ـ ومِنْها أنّهُ يُعْدِيْ أَوْلَادَهُ فيقلدُونَهُ بِشُرْبِهِ .

٤ ـ أنّهُ يُثقِّلُ عَلَى العَبْدِ العِبَادَاتِ ويُبَغِّضُهَا عِنْده .

٥ ـ ومِنْها أنَّهُ يُبَغِّضُ إلَيْهِ المُكْثَ في بَيْتِ اللّهِ المَسْجِدِ .

٦ ـ ومِنْهَا أنّهُ يُكرِّهُ الصِّيَامَ لِشَارِبِهِ .

٧ ـ ومِنْهَا أنّهُ يَدْعُو إلى مُخَالَطَةِ الأنْذَالِ والسُّفَلِ .

٨ ـ ومِنْهَا أنّهُ يُزَهِّدُ فِي مُجَالَسَةِ الأخيارِ .

٩ ـ ومِنْهَا اقْتِطَاعُ جُزْءٍ مِنَ العُمْرِ كَبِيرٍ فِي هذِهِ المَعْصِيَةِ وذلِكَ وَقْتُ شُرْبِهِ وشِرَائِهِ .

١٠ ـ ومِنْهَا إِيْذَاءُ الكِرامِ الكاتِبِين فِي رَائِحَتِهِ الكَرِيْهَةِ .

١١ ـ ومِنْهَا إِيْذَاءُ المُعَقّبَاتِ كذَلِكَ .

١٢ ـ ومِنْهَا تَوسِيْخُ مَوْضِعِ قِرَاءَةِ كَلَامِ اللّهِ وَسُنَّةِ رَسُوْلِهِ لأنَّ مَحَلَّ التِلَاوَةِ اللّسَانُ والحَلْقُ والصَّدْرُ والدُّخَانُ يُلوِّثُهُ .

١٣ ـ ومِنْهَا إيذاءُ المُسْلِمِينَ المُجَالِسِيْنَ والماشِينَ مَعَهُ .

١٤ ـ ومِنْ مَضارِهِ البَدَنِيَّةِ احْتِوَاؤُهُ عَلَى مَادةِ النّيكُوتِيْن السَّامَةِ وأنّهُ سَبَبٌ لارتِفَاعِ ضَغْطِ الدَّم .

١٥ ـ ومِنْ مِضارِهِ أنّ شَارِبَهُ يَتَعَرَّضُ لأمْرَاضٍ خَطِرَة كَثِيْرَةٍ فِي بَدَنِهِ مِنْ ذَلِكَ تَعْسِيْرُ هَضْمِ الطَّعَامِ وإفسادُ مَجاري البَوْل .

١٦ ـ ومِنْهَا إحْدَاثُ التِهَابٍ فِي الرِّئَتَيْنِ .

١٧ ـ ومِنْهَا إحْدَاثُ السُّعَالِ وكَثْرَةِ المُخَاطِ .

١٨ ـ ومِنْهَا تَعْطِيْلُ الشَّرَايِيْنِ الصَّدْرِيَّةِ وأَوّلُهُ تَضْيِيْقُهَا .

١٩ ـ ومِنْهَا ما يَحْدُثُ مِن عُسْرِ التَّنَفُّسِ .

٢٠ ـ ومِنْهَا التأثِيرُ عَلَى القَلْبِ بِتَشْوِيْشِ انْتِظَامِ دَقّاتِهِ .

٢١ ـ ومِنْهَا أنَّ شَارِبَهُ يُعِيْنُ عَلَى قَتْلِ نَفْسِهِ .

٢٢ ـ ومِنْهَا إضْعَافُ البَصَرِ وأوّله إثارة إفْرازِ الدُّمُوع .

٢٣ ـ ومِنْهَا إضعافُ شهيَّةِ الطَّعامِ شَيْئاً فشَيْئاً .

٢٤ ـ ومِنْهَا إضعَافُ شَهْوَةِ الجَمَاعِ أو قَطْعَهَا مُفاجأة .

٢٥ ـ ومِنْهَا إضْعَافُ السَّمْعِ .

٢٦ ـ ومِنْهَا إضعَافُ العَقْلِ إذ العَقْل يَضْعف تبع الجسْم .

٢٧ ـ ومِنْهَا أنّهُ يُحْدِثُ الخفقَانَ في القَلْبِ .

٢٨ ـ ومِنْهَا إضْعَافُ الفِكْرِ والحِفْظِ فَتَضْعُفُ الذَّاكِرَةُ .

٢٩ ـ ومِنْها أنَّهُ يُوْرِثُ الحُمُقَ وسُرْعَةَ الغَضَبِ .

٣٠ ـ ومِنْهَا إحداثُهُ للجُنُـون التُوْتُوني كَمَا ذَكَرَهُ العُلَمَاءُ والجُنُونُ فُنُونٌ وَلَوْ أنَّ إنْسَاناً أتى بِألْفٍ مِنَ الرِّيالاَتِ وَحَرَّقَهَا أمَامَ النَّاسِ لَقَالُوا مَجْنُوْنٌ وَلَمْ يَشْكُوْا وَشَارِبُ الدُّخَانِ يُحَرِّقُ آلافاً فِي جَوْفِهِ لاَ فِي الفَضَاءِ نَسْألُ اللّهَ العَافِيَةَ فَانْظُرْ وَفَكِّرْ واحْكُمْ أيُّهُمَا أحَقُّ باطْلاقِ الجُنُوْنِ عَلَيْهِ الّذِيْ يُحَرِّقُ مَالَهُ فِي الفَضَاءِ أمْ الّذِيْ يُحَرِّقُ بِهِ بَدَنَهُ وَيُعَذِّبُ بِهِ نَفْسَهُ نَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ عَمَى البَصِيْرَةِ واتّبَاعِ الهَوَى والنّفس الامَّارَةِ بالسُّوء .

٣١ ـ ومِنْهَا أنّهُ يُخَرِّبُ كُرَيَّاتِ الدَّمِ التي تَدْفع المكْرُوْباتِ عن الجسم .

٣٢ ـ ومِنْهَا إنْحِطَاطُ القُوَّةِ العَصَبِيَّةِ .

٣٣ ـ ومِنْهَا أنَّهُ يُؤدّي إلى مَرَضِ السِّل الرِّئوِي .

٣٤ ـ ومِنْهَا المَوْتُ بالسَّكْتَةِ القَلْبِيَّةِ .

٣٥ ـ ومِنْهَا تَقَلُّصُ الأوْعِيَةِ الدَّمويَّةِ بالأطْرَافِ .

٣٦ ـ ومِنْهَا أثَرهُ المَحْسُوسُ في مَرَضِ السَّرَطَانِ .

٣٧ ـ ومِنْهَا تَسْوِيْدُهُ الفَمَ والشَّفَتَيْنِ والحَلْق .

٣٨ ـ ومِنْهَا تَسْوِيْدُ الأسْنَانِ وَسُرْعَةُ بَلاَئِها وتحطُّمِهَا وتأكلِهَا بالسُّوْسِ وذهابُ نظرَتِها وتكريْهِهَا لِنَاظِرِهَا .

٣٩ ـ ومِنْهَا انْهيَارُ الفَمِ والبُلْعُوْمِ وَرُبَّمَا حَدَثَ سَرَطَانٌ في الحَلْقِ بِسَبَبِهِ أو شَلَلٌ فِي الأعْضَاءِ .

٤٠ ـ ومِنْهَا أَنَّهُ يُكَرِّهُ شَارِبَهُ عِنْدَ زَوْجَتِهِ وَأَهْلِهِ لِمَا يُحْدِثُهُ مِنَ البَخَرِ لأَنَّهُ يُخَيِّسُ الفَمَ والأنفَ .

٤١ ـ ومِنْهَا أَنَّ ضَرَرَهُ يَتَعَدَّى إلى المُجْتَمَع دِيْنِياً واقْتِصَادِيّاً .

٤٢ ـ ومِنْهَا أَنَّهُ يُحْدِثُ الأرَقَ وَهُوَ السَّهَرُ وَعَدَمِ النَّوْم فَيَتضرَّرُ بِهِ .

٤٣ ـ ومِنْهَا إضعَافُهُ حَاسَةَ الشَّم وربما تَعَطَّلت كلّياً بسَبَبِهِ .

٤٤ ـ ومِنْهَا أَنَّ كَثِيْراً مِنَ الحَرَائِقِ تَحْدُثُ بِسَبَبِهِ .

٤٥ ـ ومِنْهَا مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ العُلَمَاءِ مِنْ أَنَّهُ يُوَلِدُ البَاسُوْرَ وَيَزْدادُ معَهُ إنْ كانَ مَوْجُوْداً مِنْ قَبْلِ شُرْبِهِ .

٤٦ ـ ومِنْهَا أَنَّ بَعْضَ العُلَمَاءِ لاَ يَقْبَلُ شَهَادَتَهُ لأَنَّهُ يَعْتَبِرُهُ فاسِقاً بِهَذِهِ المَعْصِيَةِ والعِيَاذِ بالله .

٤٧ ـ ومِنْهَا أَنَّها لا تَصِحُ إمَامَتُهُ عِنْدَ بَعْضِ العُلَمَاءِ .

٤٨ ـ ومِنْهَا مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الأطِبّاءِ مِنْ أَنَّهُ يُحْدِثُ تَيَبُّسَ في الكَبِدِ وأَنَّهُ مِنْ أهمِّ المُسَبِّباتِ للقرْحة المِعَوِيّة .

٤٩ ـ ومِنْهَا ما ذَكَرَهُ بَعْضُ العُلَمَاءِ مِنْ أَنَّهُ يُحْدِثُ الفَالِجَ .

٥٠ ـ ومِنْهَا أَنَّ شَارِبَهُ يُجْلَدُ أَرْبَعِيْنَ جلْدَةً عِنْدَ بَعْضِ العُلَمَاءِ لأَنَّهُ مُحَرَّمٌ كالخَمْرِ وفِيْهِ مَضَارٌ أُخْرَى ذَكَرَهَا الأطِّبَاءُ تَرَكْنَاهَا خَوْفَ الإطَالَةَ .

فَالوَاجِبُ عَلَى العَاقِلِ النَّاصِحِ لِنَفْسِهِ التَّوْبَةُ إلى اللّهِ عن شُرْبِهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوْتَ بِسَبَبِه فيكُونُ قَدْ أعَانَ عَلى قَتْلِ نَفْسِهِ

اللَّهُمَّ يا مَن خلق الانسانَ وَبَنَاه واللّسَانَ وأَجْرَاهُ ، يا مَنْ لا يُخَيِبُ مَن دَعَاهُ ، هَبْ لِكُلٍّ مِنَّا مَا رَجَاهُ ، وَبَلِّغْهُ مِن الدَّارَيْن مُنَاهُ ، اللَّهُمَّ اغفر لنا

جميعَ الـزلات ، واسـتر علينـا كلَّ الخـطيئـاتَ وسـامِحْنـا يَوْمَ السُّؤآلِ والمُناقَشَات ، وانفعْنَا وَجَمِيْعَ المُسْلِمِينَ بما أَنْزَلْتَهُ مِن الكلمات يا أَرْحَمَ الراحمين

(فَصْـلٌ

ومِمَّا لاَ يُسْتَهانُ بِهِ وَيَحْرَصُ عَلَيْهِ أَنْ تَكُونَ الزَّوْجَةُ ذَاتُ دِينٍ شَرِيْفَةٍ فإنَّ الشَّرِيفَةُ غَالِباً تُحَافِظُ عَلَى شَرَفِها وسُمْعَتِها وتُبْعِدُ عَمَّا يُدَنِّسُ الشَّرَفَ وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ لِرَجُلٍ أشِرْ عَلَيَّ فِيْمَنْ أَسْتَعْمِلُ فَقَالَ أَمَّا أَرْبَابُ الدِّيْنِ فَلا يُرِيْدُوْنَكَ وأَمَّا أَرْبَابُ الدُّنْيا فَلاَ تُرِيْدُهُمْ وَلَكِنْ عَلَيْكَ بالأَشْرَافِ فَإِنَّهُمْ يَصُوْنُوْنَ شَرَفَهُمْ عَمَّا لاَ يَصْلَحُ .

وَرُوِيَ عن أبِي إسْحَاقَ قَالَ دَعَانِي المُعْتَصِمُ يَوْماً فَأَدْخَلَنِي مَعَهُ الحَمامَ ثُمَّ خَرَجَ فَخَلاَ بِيْ وَقَالَ يَا أَبَا إسْحَاقَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ أُرِيْدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ إنَّ أخِيْ المَأْمُوْنُ اصْطَنَعَ فَأَنْجَبُوْا وَاصْطَنَعْتُ أنا مِثْلَهُمْ فَلَمْ يُنْجِبُوْا قُلْتُ ومنْهُمْ قال اصْطَنَعَ طَاهِرَ وابْنَهُ وَإِسْحَاقَ وآلَ سَهْلٍ فَقَدْ رَأَيْتَ كَيْفَ هُمْ وَاصْطَنَعْتُ أَنَا الأَفْشِيْنَ فَقَدْ رَأَيْتَ إِلَى مَا آلَ أمْرُهُ وأَسَاسَ فَلَمْ أجِدْهُ شَيْئاً وكَذَلِكَ انْبَاحَ وَوَصِيْفَ .

قُلْتُ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ هَهُنَا جوابٌ عَلَى أَمَانٍ مِنَ الغَضَب قَالَ لَكَ ذَلِكَ قُلْتُ نَظَرَ أَخُوْكَ إلى الأُصُولِ فاسْتَعْمَلَهَا فَانْجَبَتْ فُرُوْعُهَا وَاسْتَعْمَلْتَ فُرُوْعاً لاَ أُصُوْلَ لَهَا فَلَمْ تُنْجِبْ فقَالَ يَا أَبَا اسْحَاقَ مُقَاسَاةُ مَا مَرَّ بِي هَذِهِ المُدَّةُ أهونُ عليَّ مِنْ هَذَا الجَوَابِ أ هـ .

وَقِيْلَ إِنَّ جَعْفَرَ بْنَ سُلَيمانَ بْنَ عَلي عَابَ يَوْماً عَلَى أَوْلاَدِهِ وأَنَّهُمْ لَيْسُوا كَمَا يُحِبُّ فَقَالَ لَهُ وَلَدُهُ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرَ إِنَّكَ عَمَدْتَ إِلى فَاسِقَيْ مَكَّةَ والمَدِيْنَةَ فأَوْعَيْتَ فِيْهِنَّ بضُعْكَ ثُمَّ تُرِيْدُ أَنْ يُنْجِبُوْا وَإِنَّمَا نَحْنُ لِضَاجِبَاتِ الحِجَازِ هَلاَّ فَعَلْتَ في وَلَدِكَ مَا فَعَلَ أبُوكَ فِيْكَ حِيْنَ اخْتَارَ لَكَ عَقِيْلَةَ قَوْمِهَا .

وَيَنْبَغِي أَنْ يَقْتَصِرَ عَلى زَوْجَةٍ واحِدَةٍ خَوْفاً مِن عَدَمِ العَدْلِ قال اللَّه تَعالَى ﴿وإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لاَ تَعْدِلُوا فَواحِدَة﴾ وقالَ تَعالَى ﴿ولَنْ تَسْتَطِيعوا أَنْ

تَعْدِلُوا بيْنَ ولو حرصْتُمْ فلا تَمِيلُوا كُلَ المَيْلِ فَتذرُوها كالمعلقة﴾ .

وَلَهُ أَنْ يَتزوَّجَ أربَعَ نِسْوَةٍ ولا يَزِيدُ على ذَلِكَ إلاَّ بِمُلْكِ اليَمِيْنِ فَلَهُ أنْ يَتَسَرَّى بِمَا شَاءَ مِن الإمَاءِ وإنْ أرادَ اصطحاب وَاحِدَةٍ مِنْ نِسَائِهِ في سَفَرِهِ أقْرَعَ بَيْنَهُنَّ وَمَدَحَ أحَدُ العُلَماءِ زَوْجَتَهُ وبَالَغَ فِي مَدْحِهَا فَقال :

مُكَمَّلَةُ الأوْصَافِ خُلْقاً وَخِلْقَةً
فَأهْلاً بِهَا أهْلاً وَسَهْلاً بِهَا سَهْلاَ
وَدُوْدٌ وَلُوْدٌ حُرَّةٌ قُرَشِيَّةٌ
مُخَدَّرَةٌ مَعْ حُسْنِهَا تُكْرِمُ البَعْلاَ
وَبَاذِلَةٌ نَظِيْفَةٌ وَلَطِيْفَةٌ
مِنْ أظْرَفِ إنْسَانٍ وأحْسَنِهِمْ شَكْلاَ
شَكُورٌ صَبُورٌ حُلْوَةٌ وَفَصِيْحَةٌ
ومُتْقِنَةٌ تُتْقِنُ الفَوْلَ والفِعْلاَ
تَغَارُ مِنْ أسْبَابِ النَّقَائِصِ كُلِّهَا
وتَحْفَظُ مَالَ الزَّوْجِ والنَّفْسَ والأهْلاَ
حَصَانٌ رَزَانٌ لَيْسَ فِيْهَا تَكَبُّرٌ
قَنُوْعٌ فَلاَ شِرْبٌ يَدُوْمُ وَلاَ أكْلاَ
مُطَاوِعَةٌ لِلْبَعْلِ يَقْضِي أدِيْبَةٌ
مُوَافِقَةٌ قَوْلاً وفِعْلاً فَمَا أعْلاَ
صَغِيْرةُ سِنٍّ فِي الكَلاَمِ كَبِيْرَةٌ
نُهَاهَا يُرَى مُمْتَازَ أكْرِمْ بِهِ عَقْلاَ
يُشِيرُ عَلَيْهَا بِالتَّفَرُّجِ مَرَّةً
فَتَأبَى وَقَعْرُ البَيْتِ فِي عَيْنِهَا أحْلاَ
مُدَارِيَةٌ لِلأهْلِ إنْ عَتِبَتْ وإنْ
أحَبَّتْ فَلاَ حِقْدُ لَدَيْهَا وَلاَ ...لاَّ

رَقِيْقَـةُ قَلْبٍ مَـعْ سَـلاَمَـةِ دِيْنِهَـا
فَلَسْتَ تَرى شِبْهاً لَهَا في النِسَا أَصْلاَ
خَـدُوْمٌ بقَلْبٍ في جَمِيْعِ أُمُـورِهـا
مُبَـاشِرَةٌ لِلْكُـلِ مَـا دِقَّ أَوْ جَـلاَّ
مُـلاَزِمَةٌ لِلشُّغْـلِ في البَيْتِ دَائِمـاً
عَلَى صِغَرٍ مِنْ سِنِّهَا لاَ تَنِيْ فِعْـلاَ
مُـطَرِّزَةٌ خَـيَّـاطَـةٌ ذَهَـبِـيَّـةٌ
مُفَصِّـلَةٌ خَـطَّاطَـةٌ تُحْكِمُ الـغَـزْلاَ
تَنَقَّـلُ في الأَشْغَالِ مِنْ ذَا لِـذَا وذَا
وَتَفْعَلُ حَتَّى الكَنْسَ وَالطَّبْخَ والغَسْلاَ

وَمَـا ذَاكَ مِنْ عُدْمٍ فَلَمْ يَخْـلُ بَيْتُهَا
مِن امْـرَأَةٍ تَكْفِيْ إذا شَـاءَتِ الفِعْـلاَ
وَلَكِنَّهَـا اعْتَـادَتْ نَـظَافَـةَ شُغْلِهَـا
فَعَـافَتْ فِعَالَ الكُـلِّ واحْتَمَلَتْ فِعْلاَ
خَـفِيْـفَـةُ رُوْحٍ مَـعْ وَقَـارٍ ذَكِـيَّـةٌ
فَتَفْهَمُ مَـا يُلْقَى لَـدَيْهَـا وَمَـا يُتْلَى
لَهَـا هِمَّـةٌ عُلْيَـا تَـطُوْلُ شُـرُوحُهَـا
عَلَى صَعَبِ الأشْغَـالِ تَتْرُكُـهُ سَهْـلاَ
مُـرَبِّـيَـةٌ حَـنَّـانَـةٌ ذَاتُ رَحْـمَـةٍ
وكُـلُّ يَتِيْمٍ وَاجِـدٍ عِنْـدَهَـا فَضْـلاَ
نَفُـوْرٌ إِذَا ارْتَـابَتْ أُلُـوْفٌ لأَهْلِهَـا
فَمَهْـلاً إِذَا قِيْسَ النِّسَـاءُ بِهَـا مَهْـلاَ
عَـدِيْمَـةُ لَفْظٍ وَالْتِفَـاتٍ إِذَا مَشَتْ
صَمُـوْتٌ فَلا قَـطْعاً تَـرُدُّ وَلاَ وَصْـلاَ

وَلَمْ يَنْكَشِفْ مِنْهَا بَنَانٌ يَحَارُ مَنْ
مَشَى مَعَهَا فِي حِفْظِهَا يَدَهَا قَبْلَا
يَعِزُّ عَلَى مَنْ يَطْرُقُ البَابَ لَفْظُهَا
جَوَاباً فَلا عَقْداً تَرَاهُ وَلَا حَلَّا
يُطِيلُ وُقُوفاً لَا يُجَابُ مُحَرَّمٌ
عَلَيْهَا كَلَامُ الأَجْنَبِيِّ وَإِنْ قَلَّا
وَحَافِظَةٌ لِلْغَيْبِ صَالِحَةٌ أَتَتْ
لَحَقٌّ إِذَا كَانَتْ مَنَاقِبُهَا تُتْلَا
وَقَانِتَةٌ صَوَّامَةٌ وَمُدِلَّةٌ
بِعَقْلٍ وَتَدْبِيرٍ تَرَاهُ العِدَا بُخْلَا
تَجَمَّعَ فِيهَا عِفَّةٌ وَنَزَاهَةٌ
وَعِزَّةُ نَفْسٍ فَهِيَ تَكْلَا وَلَا تُقْلَا

قُلْتُ مَا أَظُنُّ مِثْلَ هَذِهِ وُجِدَتْ وَلا فِي القَرْنِ الرَّابِعِ أَوْ الخَامِسِ فَضْلاً عَمَّا بَعْدَهُمَا وَخُصُوصاً في زَمَنِنَا الَّذِي اسْتَطَالَتْ فِيهِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ بَعْدَ مُخَالَطَةِ الأَجَانِبِ الخَاضِعِيْنَ لَهُنَّ واسْتَعْمَرَ النِّساءُ الرِّجَالَ اسْتِعْمَاراً مَا بَعْدَهُ اسْتِعْمَارٌ وَصَارَ الزَّوْجُ بِالنِّسْبَةِ لِشُئُونِ الأَوْلادِ والبَيْتِ والذَّهَابِ والمَجِيءِ مُسَيَّراً لا مُخَيَّراً كالسَّيَّارةِ بِيَدِ السَّائِقِ والمِلْعَقَةِ بِيَدِ الآكِلِ والقَلمِ بِيَدِ الكَاتِبِ هِيَ الَّتِي تَدبِرُهُ وتُصَرِّفُهُ كالصَّبِيِّ الخَادِمِ .

وإن وُجِدَ أَحَدُ خِلافَ ما ذَكَرْنَا فَهُوَ مِن النَّادِرِ والشَّاذِ والسَّبَبُ الوَحِيْدُ فِي ذَلِكَ هُوَ تَقْلِيْدُنَا لِلأَجَانِبِ الَّذِيْنَ هُمْ فِي أَيْدِي نِسَائِهِمْ كالخَاتَمِ تُصَرِّفُهُ كَيْفَ شَاءَتْ يَتْبَعُهَا أَيْنَمَا تَوَجَّهَتْ سَارَ خَلْفَها حَامِلاً لِوَلَدِهَا قَدْ نَبَذَ الحَيَاءَ كَمَا نَبَذَتْهُ هِيَ بِدُوْنِ مُبَالاَتٍ وَلَا خَجَلٍ فَلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاّ بِاللَّهِ العلي العظيم .

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالحين من خَلْقِكَ واغْفِرْ لَنَا ولِوالِدِيْنَا وَجميع المسلمين بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَم الرَّاحمين وصلى الله على

« مَوْعِظَةٌ »

عِبَادَ اللّهِ لَقَدْ طَغَتْ شَهْوَةُ الفَرْجِ اليَوْمَ عَلَى كَثِيرٍ مِن النَّاسِ طُغْيَاناً لَيْسَ فَوْقَهُ طُغْيَانٌ وأصْبَحَ سُلْطَانُهَا عَلَى أفْرَادِهِ شَيْباً وَشُبَّانَا لاَ يُدَانِيْهِ سُلْطَانٌ حَتَّى إنَّهُ لَيُخَيَّلُ إلى بَعْضِهِمْ أنَّ فَاحِشَةَ الزنا بَسِيْطَةٌ وَالعِيَاذُ بِاللّهِ وأنَّ مُغَازَلَةَ النِّسَاءِ والخَلْوةَ بِهِنَّ مُبَاحَةٌ نَسْألُ اللّهَ العافِيَة .

يَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ مَا تُشَاهِدُهُ مِن الرِّجَالِ والنِّسَاءِ فَتَرَى الرِّجَالَ فِي تَأنُّقٍ بَدِيْعٍ فِي لِبَاسِهِمْ قَدْ حَلَقُوا لِحَاهُمْ وألْهَبُوْا الأصْبَاغُ فِي وَجَنَاتِهِمْ وذَكَّتْ رَوَائِحِهُمْ وَرَجَّلُوا شَعَرَ رُؤُوسِهِمْ وَتَعَرَّضُوْا لِلنِّسَاءِ في الطُّرُقِ قَدْ خَلَعُوْا سِرْبَالَ الحَيَاء .

وَترى النِّسَاءَ تَسْتَعِدُّ اسْتِعْدَاداً تَامّاً إذَا أَرَادَتِ الخُرُوْجِ مِنْ بَيْتِهَا فَتَتَزَيَّنُ بِأنْوَاعِ الزِّيْنَةِ مِنْ لِبَاسٍ بَرَّاقٍ وَشَفَّافٍ وِمِن حُلي يَلْمَعُ لَمَعَاناً يَأْخُذُ بالأبْصَارِ وَمِنْ تَعَطُّرٍ بِمَا تَهْزَأُ رَائِحَتُهُ بِرَائِحَةِ المِسْكِ وَمِن أدْهَانٍ تَدْهُنُ بِهِ وَجْهَهَا وَأطْرَافَها وَحَاجِبَهَا وَشَفَتَيْهَا وَمِنْ آلَةٍ تَفْرقُ بِهَا رَأْسَهَا وَجُفُوْنَهَا لِيَصِيْرَ نَاعِماً لاَمِعَاً كَثِيْراً وبِذَلِكَ تَنْقَلِبُ فِتْنَةً لِلنَّاظِرِيْنَ بَعْدَ أنْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ تَشُقُّ عَلَى العُيُونِ رؤْيَتُها وَعَلَى الآذانِ سَمَاعُ صَوْتِهَا ويُفَرُّ مِنْ شَهَابَتِهَا وقُبْحِها وهَيْئَتِها الَّتِي كانَتْ تَتَقَدَّمُ بِهَا لِزَوْجِهَا فِي البيتْ كُلُّ ذلِكَ سَبَبُهُ مُخَالَطَةَ الأَجْنَبِيّاتِ أبْعَدهُنَّ اللّه .

فَمَا ظَنُّكَ إذَا الْتَقَا هَؤُلاَءِ إنَّهَا لَمَصَائِبُ تَجْرَحُ قَلْبَ كُلِّ مُؤْمِنٍ غَيُوْرٍ لِدِيْنِهِ يَمُوْتُ كَمَداً مِنْ هَذِهِ المُنْكَرَاتِ وَأَشْبَاهِهَا قَالَ ﷺ مُحَذِّراً عَنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ « اتَّقُوا الدُّنْيَا واتَّقُوا النِّسَاءَ فَإنَّ إبْلِيْسَ طَلاَّعُ رَصَادُ وَمَا هُوَ بِشَيْءٍ مِن فُخُوْخِهِ بأوْثَقَ لِصَيْدِهِ في الأتْقِيَاءِ مِنْ النِّسَاءِ » .

وَخَصَّ الأتْقِيَاءَ لِمَا لَهُمْ مِنَ الشُّهْرَةِ عَلَى قَهْرِ الشَّيْطَانِ وَرَدِّ كَيْدِهِ فَمَا ظَنُّكَ بِغَيْرِ الأتْقِيَاءِ فَهُوَ مَا يَثِقُ بِصَيْدِهِ الأتْقِيَاء بِشَيْءٍ مِنْ آلاتِ الصَّيْدِ وُثُوْقَهُ بِالنِّسَاءِ وَكَوْنِهِنَّ مِنْ فُخُوْخِهِ فَلأنَّهُ جَعَلَهُنَّ مَصْيَدَةً لاَ تُفْلِتُ يُزَيِّنُهُنَّ فِي قُلُوبِ

الرِّجالِ ويُغْرِيْهِم بِهِنَّ فَيُورِّطُهُم فِي الزِّنَا كَصَائِدٍ يَنْصِبُ شَبَكَةً لِيَصْطَادَ بِهَا ويُغْرِيْ الصَّيْدَ عَلَيْهَا لِيَقَعَ فِي حَبَائِلِهَا قال بَعْضُهُم :

شعرا : عَجُوْزُ النَّحْسِ إِبْلِيسٌ يَرَاهَا ... تُعَلِّمُهُ الخَدِيْعَةَ في السُّكُوْتِ
تَقُودُ مِنَ السِّيَاسَةِ أَلْفَ بَغْلٍ ... إِذَا انْفَرَدَتْ بِخَيْطِ العَنْكَبُوْتِ

آخر : إِذَا رَأَيْتَ أُمُوْراً ... مِنْهَا الفُؤَادُ تَفَتَّتْ
فَتشْ عَلَيْهَا تجِدْهَا ... مِنَ النِّسَاءِ تَأَتَّتْ

آخر : لا تَنْكَحنَّ عَجُوزاً إنْ أَتَوكَ بِهَا ... واخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا مُمْعِناً هَرَبَا
فإنْ أتَوكَ وقالوا إنَّها نَصَفٌ ... فإنَّ أحْسَنَ نِصْفَيْهَا الذِيْ ذَهَبَا

آخر : إذا كُنْتَ ذَا اثِنْتَيْنِ فاغْدُ مُحَارباً ... عَدُوَّيْنِ واحْذَرْ مِنْ ثَلاثَ ضَرَائِرِ
وإنْ هُنَّ أَبْدَيْنَ المَودَّةَ والرِضَى ... فكمْ مِن حُقُودٍ غُيِّبَتْ في الضَمَائِرِ
وَإنْ كُنتَ غِراً بالزَّمَانِ وأهلِهِ ... فَيَكْفِيْكَ إحْدَى الآنِسَاتِ الغَرَائِرِ

قَالَ ﷺ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْهَوْا نِسَاءَكُمْ عَنْ لُبْسِ الزِّيْنَةِ وَالتَّبَخْتُرِ فِي المَسْجِدِ فَإِنَّ بَنِيْ إِسْرَائِيلَ لَمْ يُلْعَنُوا حَتَّى لَبِسَ نِسَاؤُهُمْ الزِّيْنَةَ وَتَبَخْتَرْنَ فِي المَسَاجِدِ » رواه ابْنُ ماجَةَ وفي الحَدِيثِ الآخَرِ مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلاَّ وَيُنَادِيْ مَلَكَانِ وَيْلٌ لِلرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ وَوَيْلٌ لِلنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ رواهُ ابنُ ماجه والحاكم .

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « إِنَّ المَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُوْرَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُم مِنْ امْرَأَةٍ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ » .

وعَنْ ابن مَسْعودٍ عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَالَ إِنَّ المَرأةَ عَوْرَةٌ فَإذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيطانُ رواه الترمذي قال أَبو حَمْزَةَ الخُرَاسَاني النَّظَرُ رسُولُ البَلايَا وسِهَامُ المَنَايا .

وَقَالَ بَعْضُ الحُكَمَاءِ مَنْ غَلَبَ هَوَاهُ عَقْلَهُ افْتَضَحَ وَمَن غَضَّ طَرْفَهُ اسْتَرَاحَ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لا شَيْء أَشَدُّ مِنْ تَرْكِ الشَّهْوَةِ لأنَّ تَحْرِيْكَ السَّاكِنِ أَيْسَرُ مِنْ تَسْكِيْنِ المُتَحَرِّكِ .

وَقَالَ ابْنُ الحَاجِ قَالَ صَاحِبُ الأَنْوَارِ احْذَرُوْا الاغْتِرَارَ بِالنِّسَاءِ وإِنْ كُنَّ نُسَّاكاً عُبَّاداً فَإِنَّهُنَّ يَرْكَنَّ إلى كُلِّ بَلِيَّةٍ ولا يَسْتَوْحِشْنَ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ .

شعرا: إِنَّ النِّسَاءِ كَأَشجَارٍ نَبَتْنَ مَعاً ... مِنْهُنَّ مُرٌّ وَبَعْضَ المُرِّ مَأْكُوْلُ

إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يُنْهَيْنَ عَنْ خُلُقٍ ... فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَابُدَّ مَفْعُولُ

وقال بَعْضُ العَارِفِيْنَ مَا أَيِسَ الشيْطَانُ مِنْ إِنْسَانٍ قَطُّ إِلَّا أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ لأَنَّ حَبْسَ النَّفْسِ مُمْكِنٌ لأَهْلِ الكَمَالِ إلاَّ عنْ النِّسَاءِ لأَنَّهُنَّ مِنْ ذَوَاتِ الرِّجَالِ وَشَقَائِقِهِمْ ولَسْنَ غيْراً حَتَّى يُمْكِنُ التَّبَاعُدُ عَنْهُ والتَّحَرُّرُ عَنْهُ .

شِعَرا : لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى النِسَاءِ وَلَوْ أَخَا ... مَا فِيْ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ أَمِيْنُ

يَارَاعِي الذَّوْدِ لا تَرْحَلْ لِمَكْرُمِةٍ ... إِنَّ القِلاصَ إِذَا مَا غَابَ رَاعِيْهَا

لَمْ يَثْنِهَا أَحَدٌ دُوْنِ الفُحُوْلِ فَلاَ ... تُهْمِلْ قَلُوْصَكَ إِمَّا كُنْتَ تَحْمِيْهَا

وَلَا تُلْمِهَا عَلَى وِرْدٍ وقَدْ ظَمِئَتْ ... لَوْ شِئْتَ أَرْوَيْتَهَا إِذْ كُنْتَ سَاقِيْهَا

أَحْظِرْ مَشَارِبَهَا وَاحْفُفْ جَوَانِبَهَا ... وارْمُمْ مَذَاهِبَهَا تَسْلَمْ قَوَاصِيْهَا

خَلِيَّتَهَا لِفُحُولٍ غَيْرِ فَاخِرَةٍ ... فِي كُلِّ بَرِّيَّةٍ قَفْرٍ فَيَافِيْهَا

قَالَ اللّهُ تَعالى « هُوَ الّذي خَلَقَكُم مِنْ نَفسٍ وَاحِدةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَهَا » وَمَا عَدَاهُنَّ فَاتِّبَاعُ هَوَى النَّفْسِ فِيْهِ آيَةُ تَكْذِيْبِ الرّحمن وَعَلَامَةُ الاسْتِرْسَالِ مَعَ الشَّيْطَانِ وَتَصْدِيْقُهُ فِيْمَا يُزَيِّنُهُ مِن البُهْتَانِ .

وَلِذَا نَرَى الحَازِمَ اللَّبِيْبَ الكَامِلَ مُنْقَاداً مُسْتَرْسِلَ الزِّمَامِ لِتِلْكَ النَّاقِصَاتِ دِيْناً وَعَقْلاً مَقْهُوْراً تَحْتَ حُكْمِهِنَّ قَالَ جَرير :

إِنَّ العُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ
قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَا يُحْيِيْنَ قَتْلَانَا
يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حَتَّى لَا حَرَاكَ بِهِ
وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللّهِ إِنْسَانَا

فَالنِّسَاءُ فِتْنَةٌ عَظِيْمَةٌ لِلرِّجَالِ فَالّذي يَقْوى على قَهْرِ نَفْسِهِ عَن هَوَاهَا أَمَامَ هَذِهِ الشَّهْوَةِ خَوْفاً مِنَ اللّهِ تَعَالى وَيُلْزِمُهَا الصَّبْرَ وَعَدَمَ التَّسَخُّطِ عِنْدَ فَادِحَاتِ

المَصَائِبِ رِضىً بِمَا قَدَّرَهُ اللّهُ وَأَجْرَاهُ دَلِيْلٌ عَلَى كَمَالِ إِيْمَانِهِ بِخِلَافِ المتَّبعِ لِهَوَاهُ عادِمَ الصَّبْرِ والاحْتِسَابِ وهَذا هُوَ المِيْزَانُ عِنْدَ الاخْتِبَارِ .

قال بعضهم :

وَعَبْدُ الهَـوَى يَمْتَـازُ مِن عَبْـدِ رَبِّـهِ
لَـدَى شَهْـوةٍ أَوْ عِنْـدَ صَـدْمِ بَلِيَّـةِ
بِكِيْـرِ البَـلَا يَبْـدُوْ مِن التِّبْـرِ حُسْنُـهُ
وَيَبْدُو نُحاسُ النَّحْسِ فِي كُلِّ مِحْنَةِ
خَـلَا مِنْ حُلَى قَوْمٍ كِـرَامٍ تَدَرَّعُـوا
دُرُوْعَ الرِّضَا والصَّبْـرِ في كُلِّ شِـدَّةِ
وَلَاقَوْا طِعَانَ النَّفْسِ فِي مَعْرَكِ الهَوَى
وَرَاحُـوْا وَقَدْ أَرْوَوْا مَـوَاضِيْ الأَسِنَّـةِ
وَسَـاقُوْا جِيَـادَ الجِدِّ عِنْـدَ اشْتِيَـاقِهِمْ
وَأَرْخَــوْ لَهَـا نَحْـوَ العُـلَا لِـلأَعِنَّـةِ
سَمَوْا فاعْتَلَوْا بِيْضَ المَعَـالِيْ عَوَالِيـاً
بِبِيْضِ العَـوَالِيْ فِي القُصُوْرِ العَلِيَّـةِ
مَقَامَاتِ قَوْمٍ أَتْعَبُوْا النَّفْسَ فِي السُّرَى
وفَـازُوْا بِمَـا نَـالُوْهُ فَـوْقَ الأَسِـرَّةِ
بِـذُلٍّ أُنِيْلُوْا العِـزَّ وَالجُهْـدِ رَاحَـةً
وَفَقْـرٍ غِنَىً والحُـزْنِ كُـلَّ مَسَـرَّةِ
وَطَيِّبَ عَيْشٍ بـالـطَّوى ثُمَّ بالـظَّمَـا
شَـرَابَ كُؤُوسٍ حَـالِيَـاتٍ هَـنِيَّـةِ
بِجَنَّـاتِ عَـدْنٍ فِي رِيَـاضٍ أَنِيْقَـةٍ
لَهُمْ ذُلِّلَتْ مِنْـهَـا قُـطُوْفُ تَـدَلَّتِ
جَنَـوْا مِنْ جَنَـاهَـا زَاكِيـاً لَا يَـذُوْقُـهُ
مِنَ الْخَـلْقِ إِلَّا كُـلُّ نَفْسٍ زَكِـيَّـةِ

تَسلَّتْ عَن الدُّنْيَا وماتَت عَنِ الهَوَى
وَغسَّلَهَا فِي مَوْتِها مَاءُ دَمْعَةِ
وَصَلَّتْ عَلَيْهَا صَالِحَاتُ فِعَالِهَا
وَقَدْ كُفِّنَتْ في بِيْضِ أثْوابِ تَوْبَةِ
وَنَالَتْ مُنَاهَا والسَّعَاداتِ كُلَّهَا
فَيَا سُعْدَ نَفْسٍ أدْرَكَتْ مَا تَمَنَّتِ

إذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاحْرَصْ كُلَّ الحِرْصِ عَلَى صِيَانَةِ أهْلِكَ فِي هَذَا الزَّمَنِ وَأمَّا فِي البُيُوتِ فَمُتَمَرِّدَاتٌ عَلى الرِّجَالِ لا يَهْدَأْنَ لَيْلاً ولا نَهاراً مِنْ المُشَاغَبَاتِ والتَّدَخُّلِ فِيْمَا لا يَعْنِي حَتَّى أنَّ الرَّجُلَ لَيَكْرَهُ دُخُولَ بَيْتِهِ لأنَّهَا مِنْ المُؤْذِيَاتِ لا يَنْتَهِي ذَلِكَ الشَّغَبُ في يومٍ ولا أسبوعٍ وَلاَ شهرٍ ولا سَنَةٍ .

كُلَّ يَوْمٍ تَجدَّدُ مُحاضَرَاتُ المُشَاغَبَةِ فَقَاتَلَهُنَّ اللّهُ مَا لِلْؤْمِهِنَّ مَعَ الرِّجَالِ حَدٌّ تَقِفُ عِنْدَهُ أُولَئِكَ اللَّئِيْمَاتِ وَصَارَ الرَّجُلُ لا يَقْدِرُ على مَنْعِهَا مِن الخُرُوْجِ إلى الأسْوَاقِ وَلاَ مِن الجُلُوسِ عِنْدَ التِّلْفِزْيُون وَالنَّظَرِ إلَيْهِ الَّذِي حَطَّمَ الأخْلاقَ والعَقَائِدَ والأدْيَانَ وَقتَلَ الغَيْرَةَ الدِّيْنِيَّةَ وَالمُرُوْءَ وسَبَّبَ الإنْحِلاَلَ والتَّمَيُّعَ فِي العائِلاَتِ وخَدَّرَ أعْصَابَ الأبَوَيْنِ وانْتَزَعَ السُّلْطَةَ مِنْهُمَا وَسَبَّبَ نُشُوْزَ الزَّوْجَةِ عَنْ زَوْجِهَا وَالزَّوْجَ عَنْ زَوْجَتِهِ وَدَلَّ النَّاسَ عَلَى طُرُقِ المَكْرِ والحِيَلِ وَالسَّلْبِ وَالنَّهْبِ والعُدْوَانِ على النَّاسِ مَعَ ما فِيْهِ مِنْ احْتِقارِ المُسْلِمِيْنَ وخُصُوصاً عُلَماؤهُمْ وأبْطَالَهُمْ وَتَعْظِيْمَ الكَفَرَةِ والمُنَافِقِيْنَ وَالنَّظَرِ إلَى الأجْنَبِيَّاتِ ونَزْعِ الحَيَاءِ وَالعِفَّةِ وَالتَّشَبُّهِ بِأعْدَاءِ اللّهِ والسَّيْرِ في رِكَابِهِمْ وَضَيَاعِ الأوْقَاتِ فِيْمَا يَضُرُّ وَلاَ يَنْفَعُ إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ المَضَارِّ الَّتِي فِيْمَا أظُنُّ تَزِيْدُ عَلَى المائَتَيْنِ نَسْألُ اللّهَ العافِيَةَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ إنَّهُ القَادِرُ على ذَلِكَ .

شعـــرا :

هي الضلَعُ العَوْجَاءُ لَسْتَ تُقِيْمهَا ... ألا إنَّ تَقْوِيْمَ الضُّلُوعِ إنكِسَارُهَا
أتَجْمَعُ ضُعْفاً واقْتِدَاراً على الفَتى ... ألَيْس عَجِيْباً ضُعْفُهَا واقْتِدَرُهَــا

آخر: إذا كُنْتَ بالتلْفَاز والفْديُو مُوْلعاً   وَعِنْدَكَ مِذْياعٌ وكُورة لاعـــبِ
وَتشْرَبُ دَخَّاناً وَتحْلـقُ لِحْيَـةً   وَتـعْشِقُ فنّاناً وصَوْتاً لِمُطْـرِبِ
فأنْتَ سُكَرْتيرٌ لِمَنْ كَانَ فَاسِقاً   يُفَدِيْك إنْ أقْبلْتَ بالأمِ والأبِ

آخر: ألَا قِفْ بِدَارِ الْمُتْرَفِيْنَ وَقُلْ لَهُمْ   ألَا أيْنَ أرْبَابُ المدَائِن والقُرىَ
وأيـنَ المُلُوْكُ النَّاعِمُونَ بِغِبْطَةٍ   وَمَنْ عَانَقَ البِيْضَ الرَّعَابِيْبَ كالدُّمَى
فَلَوْ نَطَقَتْ دَارٌ لقَالَتْ دِيَارُهُم   لَكَ الخَيْرُ صَارُوْا لِلتُّرَابِ وِللْبلَىَ
وأفْنَاهُم كَرُّ النَّهَارِ ولَيْلُهُ   فَلم يَبْقَ لِلأيَّامِ كَهْلٌ ولا فَتَىَ

آخر:
بِضَاعَةُ العُمُرِ المَاضِي يَفُوزُ بِهَا   مَنْ يَقْطَعُ الدَّهْرَ فِي عَزْمٍ وَتَشْمِيْرِ
يَا نَفْسُ ضَيَّعْتِ رأس المالِ في غَلَطٍ   فَمَرَّ عُمْرُكِ فِي سَهْوٍ وَتَبْذِيْرِ
يا ضَيْعَتَ العُمْرِ مَاضٍ مانْتَفَعْتُ بِهِ   ولا حَصَلْتُ عَلَى البَاقِيْ بِتَدْبِيْرِ

آخر:
ولا تُرْجِ فِعْلَ الصالحاتِ إلى غَدٍ   لعل غداً يأتي وأنت فَقِيْدُ

آخر:
وليس جَلِيْلاً فَقْدُ مالٍ وَرُزْؤُهُ   وَلِكِنَّ فقدَ الدينِ فهو جَلِيْلُ

آخر:
ولو أَنَّ عَيْناً سَاعَدتْ لَتوكَّفَتْ   سَحَائِبُهَا بالدَّمْعِ دِيْماً وَهُطَّلا
وَلَكِنَّهَا مِن قَسْوَةِ القَلْبِ أقْحَطَتْ   فَيَا ضَيْعَتَ الأعْمَارِ تَمْشِيْ سَبَهْلَلا

آخر:
فَيَا أَسَفَا يَا حَسْرَتَا يَا مُصِيْبَتَا   وَيَا ضَيْعَةِ الأعْمَارِ عِنْدَ المَنَاكِرِ

آخر:
وَكُلُّ كَسْرٍ فَإنَّ اللهَ يَجْبُرُهُ   ومَا لِكَسْرِ قَنَاة الدين جُبْرَانُ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوْبَنَا بِنُوْرِ الإيمانِ واحْمِنَا مِنَ الفِتَنِ والطُّغْيَانِ وآتِنَا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وفي الآخِرة حَسَنَةً وَقِنا عَذَابَ النَّار وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْع

المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلِّ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين .

(فَصْـــلٌ)

اعْلَمْ وفَّقَنا الله وإِيَّاكَ وَجَمِيعَ المُسْلِمِيْنَ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّهُ يَلْزَمُ كُلَّ وَاحِدٍ مِن الزَّوْجَينِ مُعَاشَرَةَ الآخَرِ بِالمَعْرُوْفِ مِن الصُّحْبَةِ الجَمِيْلَةِ ، وكَفِّ الأَذى ، وأنْ لاَ يَمْطُلَهُ بِحَقِّهِ ، مَعَ قُدْرَتِهِ ، وَلاَ يُظْهِرُ الكَرَاهَةَ لِبَذْلِهِ ، بَلْ بِبِشْرٍ وطَلاَقةٍ ، وَطِيْبِ نَفْسٍ ، ولا يُتْبِعُهُ مِنَّةً ، ولا أذى ، لأَنَّ هَذَا مِنَ المَعْرُوْفِ المَأمُوْرِ بِهِ .

لِقَوْلِهِ تَعالى « وَعَاشِرُوْهُنَّ بِالمَعْرُوْفِ » وقولُهُ « وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بالمَعْرُوْف » قَالَ ابن عَبّاس إِنِّيْ لأُحِبُّ انْ أَتزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ كَمَا أُحِبُّ أن تَتزَيَّنَ لِي ، لأَنَّ اللَّهَ تَعالى يَقُولُ « وَلَهُنَّ مِثلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بالمَعْرُوْفِ » .

وَحَقُّ الزَّوْجِ عَلَى المَرْأَةِ أَعْظَمُ مِنْ حَقِّهَا عَلَيْهِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالى « ولِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ » .

ولِقَوْلِهِ ﷺ لَوْ كُنْتُ آمِراً أَحداً أَنْ يَسْجُدَ لأَحدٍ لأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لأَزْوَاجِهِنَّ ، لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الحَقِّ رَواه أَبُو داود .

وَقَالَ إِذَا بَاتَت المَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا . لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ ، متفق عليه .

وفِي الصَّحيحين أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبحَ .

وفِي لَفْظٍ فَبَاتَ وَهُوَ عَلَيْهَا غَضْبَانُ ، لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حتّى تُصْبحَ ، وَلَفْظُ الصَّحِيْحَيْنِ أَيْضاً إِذا بَاتَتْ المَرْأَةُ هاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا فَتأْبى عَلَيْهِ إلاّ كَانَ الَّذِي فِي السَّماءِ سَاخِطاً عَلَيْهَا ، حَتّى يَرْضَى عَنْهَا زَوْجِها .

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ ثَلاثَةٌ لا يَقْبَلُ اللّهُ لَهُمْ صَلاةً ولا تُرْفَعُ لَهُمْ إِلى السَّماءِ حَسَنَةٌ العَبْدُ الآبِقُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَوالِيْهِ فَيَضَعَ يَدَهُ فِي أَيْدِيْهِمْ وَالمَرْأَةُ السَّاخِطُ عَلَيْهَا زَوْجُهَا حَتّى يَرْضَى عَنْهَا ، والسَّكْرَانُ حَتَّى يَصْحُوْا .

وَقَالَ ﷺ لا تُؤْذِيْ إِمْرَأَةٌ زَوْجَهَا إِلاّ قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُوْرِ العَيْنِ لا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكَ اللّهُ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيْلٌ يُوْشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ رواهُ ابْنُ ماجة والتِّرمذي وقال حديثٌ حَسَن .

وَعنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ أَيُّ النَّاسِ أَعْظَمُ حَقّاً عَلَى المَرْأَةِ قَالَ زَوْجُهَا قُلْتُ فَأَيُّ النّاسِ أعْظَمُ حَقّاً عَلَى الرَّجُلِ قَالَ أُمُّهُ رَواهُ البزّار والحَاكم .

وعن الحَسَن قال حَدَّثَنِيْ من سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ ، أَوَّلُ ما تُسْأَلُ عنهُ المَرْأَةُ يَوْمَ القِيَامةِ ، عَنْ صَلاتِهَا وعن بَعْلِهَا .

وعن ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ خَثْعَمَ أَتَت رَسولَ اللهِ ﷺ فقالَتْ يَا رَسولَ اللهِ أَخْبِرْنِيْ مَا حَقُّ الزَّوْجِ على الزوجة ، فإِنِّي امْرَأَةٌ أَيِّمٌ فإِنْ اسْتَطَعْتُ والا جَلَسْتُ أيماً قَالَ إِنَّ حَقَّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ إِنْ سَأَلَها نَفْسَهَا وهِيَ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ أنْ لا تَمْنَعَهُ نَفْسَها .

ومِنْ حُقُوقِ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ أَنْ لاَ تَصُوْمَ تَطَوُّعاً إِلا بإِذْنِهِ ، فإِن فَعَلَتْ جَاعَتْ وعَطِشَتْ ولا يُقْبَل مِنها ، ولا تَخْرُجْ مِن بَيْتِهَا إِلاَّ بإِذْنِهِ ، فان فَعَلَتْ لَعَنَتْهَا مَلائِكَةُ السَماءِ ومَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ، ومَلائكَةُ العَذَابِ ، حَتَّى تَرْجِعَ ، قالَتْ لا جَرَمَ ولاَ أَتَزَوَّجُ أَبَداً رواه الطبراني .

ومِمَّا يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ حَقِّ الزَّوْجِ ، مَا رَواه البزّار عنْ ابن عبّاس رضِيَ اللّهُ عَنْهُما قال وَجاءَتْ امْرَأَةٌ إلى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فقالَتْ يَا رَسُوْلَ اللّهِ أنا وَافِدَةُ

النِّسَاءِ إِلَيْكَ ، هَذَا الجِهَادُ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى الرِّجَالِ ، فَإِنْ أُصِيْبُوْا أُجِرُوْا ، وإِنْ قُتِلُوا كَانُوْا أَحْيَاءً عِنْدَ اللَّهِ يُرْزَقُوْنَ .

ونَحْنُ مَعْشَرَ النِّسَاءِ ، نَقُوْمُ عَلَيْهِم فَمَا لَنَا مِن ذَلِكَ ، قال فَقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَلِّغِي مَن لَقِيْتِ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ طَاعَةَ الزَّوْجِ واعْتِرَافاً بِحَقِّهِ يَعْدِلُ ذلِكَ وقَلِيْلٌ مِنْكُنَّ مَن يَفْعَلُه .

ومِمَّا يَدُلُّ عَلى عِظَمِ حَقِّ الزَّوْجِ ، حَديثُ أَبِي سَعِيْدٍ رَضِيَ الله عَنه قالَ أَتَى رَجُلٌ بِابْنَتِهِ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فقالَ إِنَّ ابْنَتِي هَذِه أَبَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَ فقال لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَطِيْعِي أَبَاكِ فَقَالَتْ والذِي بَعَثَكَ لَا أَتَزَوَّجُ حَتَّى تُخْبِرَنِي مَا حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ قالَ حَقُّ الزَّوْجِ على زَوْجتِه لَوْ كانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ فَلَحَسَتْهَا ، أَوْ تَنَثَّرَ مَنْخِرَاهُ صَدِيْداً ودَماً ثُمَّ ابْتَلَعَتْهُ ، ما أَدَتْ حَقَّهُ ، قالَتْ والذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ لا أَتَزَوَّجُ أَبَداً ، فقال النبيُّ ﷺ لا تُنْكِحُوْهُنَّ إِلَّا بإِذْنِهِنَّ رواه البزار وابن حبان في صحيحه .

وقالَتْ عَمَّةُ حُصَيْنِ بنِ مِحْصَنٍ وَذَكَرَتْ زَوْجَهَا لِلنَّبِي ﷺ فقالَ انْظُرِيْ مِن أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ ، فإِنَّهُ جَنَّتُكَ ونَارُكِ أخرجه النسائي .

وقَالَتْ عَائِشَةُ رَضيَ الله عَنْهَا يَا مَعْشَرَ النِسَاءِ لَوْ تَعْلَمْنَ بِحَقِ أَزْوَاجِكِنَّ عَلَيْكُنَّ لَجَعَلْتِ المَرْأة مِنْكُنَّ تَمْسَحُ الغُبَارَ عن قَدَمَيْ زَوْجِهَا بِخَدِ وَجْهِهَا .

وقالﷺ نِسَاؤُكُم مِن أَهْلِ الجَنَّةِ الوَدُوْدُ التي إذَا أُوْذِيَتْ أَوْ آذَتْ أَتَتْ زَوْجَهَا حتى تَضَعَ يَدَهَا في كَفِّهِ فَتَقُولُ لا أَذُوْقُ غَمْضاً حَتَّى تَرْضَى .

وعن عبدِ الله بن عمرو رضي الله عنهما قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لا يَنْظُرُ الله إلى امْرَأةٍ لا تَشْكُرُ زَوْجَهَا وهِيَ لا تَسْتَغْنِيْ عَنْهُ .

وجاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ إذَا خَرَجَتِ المَرْأَةُ مِن بَيْتِ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ أَوْ تَتُوبَ .

وعن زَيدِ بنِ أَرْقَمَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَرْأَةُ لا تُؤْدي حَقَّ زَوْجِهَا كُلَّهُ ولَوْ سَأَلَهَا وهِيَ على ظَهْرِ قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعْهُ نَفْسَهَا رواه الطبراني باسناد جيد .

وعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اثْنَانِ لا تُجاوِزُ صَلاَتُهُمَا رُؤُسَهُمَا عَبْدٌ أَبَقَ مِنْ مَوالِيهِ حَتَّى يَرْجِعَ وَامْرَأَةٌ عَصَتْ زَوْجَهَا حَتَّى تَرْجِعَ .

وعنه رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ إنَّ المَرْأَةَ إذَا خَرَجَتْ مِن بَيْتِهَا وَزَوْجُهَا كارِهٌ لَعَنَهَا كُلُ مَلَكٍ في السَّماءِ وكُلُ شَيْءٍ مَرَّتْ عَلَيْهِ ، غَيْرَ الجِنِ والإنسِ ، حَتَّى تَرْجِعَ رواه الطبراني في الأوسط .

وعن طَلْقِ بنِ عَليٍّ رضي الله عنه أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ إذَا دَعَا الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ فَلْتَأْتِهِ وإنْ كانَتْ على التَّنُوْرِ رواه الترمذيُ وقال حديث حسن والنسائيُ وابنُ حبان في صحيحه .

وعن ابنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه قَالَ لَمَّا قَدِمَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ مِنَ الشامِ سَجَدَ لِلنَّبِي ﷺ فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ما هَذَا قال يا رسولَ اللهِ قَدِمْتُ الشَّامِ فَوَجَدْتُهُم يَسْجُدُوْنَ لِبَطَارِقَتِهِمْ وأَسَاقِفَتِهِمْ فأرَدْتُ أنْ أَفْعَلَ ذلكَ بِكَ .

قَالَ فَلاَ تَفْعَلَ فإنِّيَ لَوْ أَمَرْتُ أَحَداً أنْ يَسْجُدَ لإحدٍ لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا والذِي نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَا تُؤَدِيْ المَرْأَةُ حَقَّ رَبِهَا حَتَّى تُؤَدِيْ حَقَّ زَوْجِهَا رواه ابن ماجه وابنِ حبان في صحيحه .

وقال صَلى اللهُ عليه وسلم لَوْ أَمَرْتُ احداً أنْ يَسْجُدَ لأَحدٍ لأَمَرْتُ

المَرأَةَ أنْ تَسْجُدَ لِزُوْجِهَا مِن عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا ولا تَجِدُ حَلاَوَةَ الإِيمانِ حَتّى تُؤَدِيْ حَقَّ زَوْجِهَا ولو سَألها نَفْسَهَا وهيَ على ظَهْرِ قَتَبٍ .

وقال ﷺ لا يَحِلُ لاِمْرَأةٍ تُؤْمِنُ باللهِ أنْ تأْذَنَ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَهُوَ كَارِهٌ ولاَ تَخْرُجْ وَهُوَ كارِهٌ ولا تُطِيْعُ فِيهِ أحداً ولا تَعزِلْ فِراشَهُ ولا تَضْرِبْهُ فإن كَانَ هُوَ أظْلَمِ فَلْتَأتِهِ حَتّى تُرْضِيَهُ فإن قَبِلَ مِنْهَا فَبِهَا ونِعْمَتْ وقَبِلَ اللهُ عُذْرَهَا وأفْلَحَ حُجَّتَهـا وَلاَ إثمَ عَلَيْهَا وإن هُوَ لم يَرْضَ فقدْ أبْلَغتْ عِندَ اللهِ عُذْرَهَا رواه الحاكم وقالَ صحيح الاسناد .

اللّهُمّ ارْزِقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وحُبَّ العَمَلِ الّذِي يُقَرِّبُنَا إلى حُبِّكَ اللّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بابَ القَبُولِ والإجَابَةِ وألهِمْنَا ذِكرَكَ وشُكْرَكَ ووَفِّقْنَا لامْتِثَالِ أمْرِكَ وآتِنَا فِي الدُّنْيا حَسَنةً وفِي الآخِرَةِ حَسَنةً وَقِنَا عَذابَ النّارِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنا وجميعِ المُسْلِمِيْنَ برحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلّى اللّهُ عَلى مُحَمّد وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْن .

(فصــل)

إذَا عُلِمَ مَا سَبَقَ فَالواجِبُ عَلَى المَرْأةِ أنْ تَطْلُبَ رِضا زَوْجِهَا وتَجْتَنِب سُخْطَهُ ولا تَمْتَنِعْ مِنْهُ مَتى أرادَهَا وَهِيَ طَاهِرَةٌ ويَنْبَغِيْ أن تُقَدِّرْ كأنَّهَا كَمَمْلُوكَةٍ لِلزَّوْجِ فَلا تَتَصَرَّفْ فِي نَفْسِهَا وَلاَ فِي مَالِهِ إلاّ بِإذْنِهِ .

وتُقَدِّم حَقَّهُ عَلَى حَقِّهَا وَحُقُوْقَ أقَارِبِهِ عَلَى حُقُوْقِ أقَارِبِهَا وَتَكُونُ مُسْتَعِدَّةً لِتَمَتُّعِهِ بهَا بِجَمِيْعِ أسْبَابِ النَّظَافَةِ وَلاَ تَفْتَخِرُ عليْهِ وَلاَ تَتَطاوَلُ عَلَيْهِ بِرَفْعِ صَوْتِهَا كَمَا تَفْعَلَهُ ضَعِيفَاتِ الدّيْنِ سَخِيْفَاتِ العُقُولِ المُلْسِنَاتِ القَاهِرَاتِ اللاَّتي يَحْمِلُ أزْوَاجُهُنَّ هَمّاً عَظِيْماً إذا أرَادَ دُخُولَ بَيْتِهِ خَوْفاً مِنْ شُرُوْرِهِنَّ وألْسِنَتِهِنَّ وما أكْثَرَهُنَّ في هَذا الزَّمَنِ .

ويَجِبُ عَلَيْهَا أَيْضاً دوامُ الحَيَاءِ مِنْ زَوْجِها وَغَضُّ طَرْفِهَا قُدَّامِهِ وَلاَ تَفْعَلُ قُدَّامَهُ مَا يُكرِّهُهَا عِنْدَهُ وَلا تُسْمِعْهُ مَا يُنغِصُ علَيْهِ عَيْشَهُ وَيُكَدِّرُ خَاطِرَهُ وَتُطِيْعُهُ إِذَا أَمَرَهَا فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللّهِ .

وتَسْكُتُ عِنْدَ كَلاَمِهِ وَلاَ تُنَازِعُهُ القَوْلَ ولا تَتَدخَّلُ فِيْمَا لاَ يَعْنِيْهَا لِئَلاَّ يَحْصُلُ فِرَاقٌ وتَبْتَعِدُ عنْ كُلِّ ما يُسْخِطُهُ وتَقُومُ مَعَهُ عِنْدَ خُرُوْجِهِ .

وتَعْرِضُ نَفْسَهَا عَلَيْهِ عِنْدَ النَّوْمِ وتَتَجنَّبُ خِيَانَتَهُ في غَيْبَتِهِ وفي حُضُورِهِ في فِرَاشِهِ ومالِهِ وبَيْتِهِ وتُطَيِّبُ رَائِحَتَهَا .

وتَتَعَاهَدُ فَمَهَا بالسِّوَاكِ وبِالمِسْكِ والطِّيْبِ ودَوَامِ الزِّيْنَةِ بِحَضْرَتِهِ وتَتْرُكُهَا في غَيْبَتِهِ وتَحْرِصْ عَلَى كُلِّ ما يُسَلِّكُهَا عِنْدَهُ وتُكْرِمُ أَهْلَهُ وأَقَارِبَهُ وتَرَى القَلِيْلَ مِنْهُمْ كَثِيْراً وَهَذا إِذَا كَانَ مُسْتَقِيماً في أَعْمَالِهِ وأَخْلاَقِهِ .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ القَائِلُ يُخَاطِبُ زَوْجَتَهُ :

خُـذِيْ العَفْوَ مِنِّيْ تَسْتَـدِيْمِيْ مَـوَدَّتي
وَلاَ تَنْطِقِي في سَوْرَتِي حِيْنَ أَغْضَبُ
فإِنِّيْ رَأَيْتُ الحُبَّ في الصَّدْرِ والأَذَى
إِذَا اجْتَمَعَـا لَم يَلْبَثِ الحُبُّ يَذْهَبُ

وَمِنْ حُقُوقِ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ أَنْ لاَ تَأْلُو جُهْداً فِيْمَا يُحَبِّبُهَا إِلَيْهِ ، قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ خَارِجَةَ الفَزَارِي لابْنَتِهَا عِنْدَ الزِّفَافِ يا بُنَيَّة إِنَّكِ خَرَجْتِ مِن العِشِّ الَّذي دُرَجَتِ فِيْهِ فَصِرْتِ إِلى فِرَاشٍ لَمْ تَعْرِفِيْهِ وَقَرِيْنٍ لَمْ تَأْلَفِيْهِ .

فَكُونِي لَهُ أَرْضاً يَكُنْ لَكَ سَمَاءً وكُوْني لَهُ مِهَاداً يَكُنْ لَكِ عِمَاداً وكُونِي لَهُ أَمَةً يَكُنْ لَكِ عَبْداً لاَ تُلْحِفِي فيقْلاكِ « المَعْنَى لاَ تُلِحِّي عَلَيْهِ فَيُبْغِضَكِ » ولا

تَباعَدِي عَنْهُ فَيَنْسَاكِ إنْ دَنَا مِنْكِ فاقْرَبي مِنْهُ واحْفَظِيْ أنْفَهُ وسَمْعَهُ وَعَيْنَهُ فَلا يَشُمُّ مِنْكَ إلا طِيْباً وَلاَ يَسْمَعُ إلاّ حَسناً ولا يَنْظُرُ إلاّ جَمِيْلاً .

وهَكَذَا تَكُونُ المَرْأَةُ المُؤَدَّبَةُ النَّاجِحَةُ فِي امْتِلاَكِ قَلْبِ زَوْجِهَا لاَ كَالَّتِي إذ أَتَتْ لِزَوْجِهَا اسْتَقْبَلَتْهُ بِثِيابِ المَطْبَخِ والمَلاَبِسِ الوَسِخَةِ شَهْبَاءَ الوَجْهِ غَبْرَاءَ الجِلْدِ شَعْثَاءَ الشَّعْرِ طَوِيْلَةُ اللّسانِ جاحِدَةُ الإحْسانِ كأنَّ زَوْجَهَا عِنْدَهَا خَادِمٌ حَقِيْرٌ مُضْطَرٌ إلَيْهَا لاَ تُقِيْمُ لَهُ وَزْناً وَلاَ تُبالي فِيْهِ وَلاَ تَهْتَمُّ مِنْهُ .

ومِنْ حُقُوقِ زَوْجِهَا عَلَيْهَا أَنْ تَتْرُكَ لَهُ وَقْتاً يَتفرَّغُ فِيْهِ لِنَفْسِهِ ولِفِكْرِهِ فَإنْ كَانَ عَابِداً تَرَكَتْ لَهُ وَقْتاً تَطْمَئِنُّ فِيهِ نَفْسُهُ إلَى عِبادَةِ رَبِّهِ بِخُشُوْعٍ وَخُضُوْعٍ وَحُضُوْرٍ وقَلْبٍ وَإنْ كَانَ عَالِماً تَرَكَتْ لَهُ وَقْتاً يُطَالِعُ فِيْهِ وَيَقْرأ الكُتُبِ أَوْ يُؤَلِّفُ أَوْ يُفَكِّرُ .

فاللَّذَّةُ الَّتِي يَجِدُها العَالِمُ فِي قِراءَتِهِ والعَابِدُ فِي خَلْوَتِهِ لا تَعْدِلُهَا لَذَّةٌ في الحَياةِ قال بعضُ العُلَماءِ « لَوْ عَلِمَ المُلُوكُ وأبْناءُ المُلُوكِ ما نَحْنُ فِيهِ لجَالدُوْنَ عليْهِ بالسُّيُوفِ » وَقَدْ لا تَشْعُرُ المَرْأَةُ بِهَذِهِ اللَّذَّةِ فَلا تَفْهَمُ لَهَا مَعْنَى وَقَدْ تَتَأَلَّمُ مِنْهَا عَلَى مَعْنَى الكُرْهِ والبُعْدِ عَنْهَا وَهِيَ في ذَلِكَ مُتَجَنِّيَةٌ على زَوْجِهَا وَنَفْسِهَا ورُبَّمَا جَنَتْ عَلَى نَفْسِهَا .

اللّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وعَمَلَنا مِن الرِّيَاءِ وألْسُنَنَا مِن الكَذِبِ وأعْيُنَنا مِن الخِيَانَةِ اللّهُمَّ إنّنا نَسْأَلُكَ إيْمَاناً يُبَاشِرُ قُلُوبَنَا ويَقِيناً صَادِقاً حتّى نَعْلَمَ أنَّهُ لا يُصِيْبُنَا إلاّ مَا كَتَبْتَ لَنَا واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنا وجَمِيعِ المُسْلِمِين بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وصَلّى اللّهُ على مُحَمّد وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِين .

(فصـــل)

وَإذَا كَانَتِ المَرْأَةُ مَأْمُوْرَةً بطَاعَةِ زَوْجِهَا وَبِطَلَبِ رِضَاهُ فَالزَّوْجُ أيْضاً مأمُوْرٌ

بالإحْسانِ إلَيْهَا وَاللُّطْفِ بِهَا وَالصَّبْرِ عَلَى ما يَبْدُوْ مِنْهَا مِن سُوْءِ خُلُقٍ وغَيْرِهِ وإِيْصَالِهَا حَقَّهَا مِنَ النَّفَقَةِ .

والكِسْوَةِ والعِشْرَةِ الجَمِيْلَةِ لقولِهِ تعالى ﴿وعاشِرُوْهُنَّ بِالمَعْرُوْفِ﴾ .

ولِقَوْلِهِ ﷺ ألاَ وَاسْتَوْصُوْا بالنِّسَاءِ خَيْراً فإنَّما هُنَّ عَوانٍ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئاً غَيْرَ ذَلِكَ إلاَّ أنْ يَأتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإنْ فَعَلْنَ فاهْجُرُوْهُنَّ فِي المَضَاجِعِ واضْرِبُوهُنَّ (أيْ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ) فَإنْ أَطَعْنَكُمْ فلا تَبْغُوْا عَلَيْهِنَّ سَبِيْلاً .

ألاَ إنَّ لَكُمْ على نِسَائِكُمْ حَقّاً وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقّاً فَحَقُّكُمْ عَلَيْهِنَّ أنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَن تَكْرَهُوْنَ ولاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوْتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُوْنَ ألاَ وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أنْ تُحْسِنُوا إلَيْهِنَّ في كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ .

وَقَال ﷺ خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي مَا أَكْرَمَ النِّسَاءَ إلاَّ كَرِيْمٌ وَلاَ أَهَانَهُنَّ إلاَّ لَئِيْمٌ .

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكْمَلُ المُؤْمِنِيْنَ إِيْمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً وخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ .

وعَنْ عَائِشَةَ رضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إنَّ مِن أكْمَلِ المُؤْمِنِينَ إيْمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً وأَلْطَفُهُمْ بأَهْلِهِ .

وَقَالَ ﷺ إنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ فَإنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا فَدَارِهَا تَعِشْ بِهَا رَواهُ ابْنُ حَبّان في صَحِيحه .

وَفِي الصَّحِيحِينْ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَوْصُوْا بِالنِّسَاءِ فَإنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِن ضِلَعٍ وَإنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ فَإنْ ذَهَبْتَ تُقِيْمَهُ كَسَرْتَهُ وإنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أعْوَجَ فَاسْتَوْصُوْا بِالنِّسَاءِ وَفي رواية

لمسلم إنَّ المَرْأةَ خُلِقَتْ مِن ضِلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيْقَةٍ فإن اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيْهَا عِوَجٌ وإنْ ذَهَبْتَ تُقِيْمُهَا كَسَرْتَهَا وَكَسْرُهَا طَلاَقُهَا .

وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ لا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ رواه مُسْلم .

فَفِيْ هَذَا الحَدِيْثِ ارْشَادٌ مِنْهُ ﷺ لِلزَّوْجِ فِي مُعَاشَرَةِ زَوْجَتِهِ وَهَذا الارْشَادُ مِن أكْبَرِ الأَسْبَابِ والدَّوَاعِيْ إلى حُسْنِ العِشْرَةِ واسْتِدَامَتِها فَقَدْ نَهَى ﷺ عَنْ سُوءِ العِشْرَةِ .

وَمَفْهُوْمُ الحَدِيثِ الحَثُّ على حُسْنِ العِشْرَةِ وأَمْرِهِ ﷺ الزَّوْجَ أنْ يَنْظُرَ إلَى المَحَاسِنِ والمَسَاوِيءِ وَيَجْعَلَ مَا كَرِهَ فِي مُقَابَلَةِ مَا رَضِيَ مِنْهَا فَإنَّهُ إذَا تَأَمَّلَ بانْصَافِ الأَخْلاَقَ الجَمِيْلَةَ والأخلاقَ الَّتِي يَكْرَهُهَا تَبَيَّنَ لَهُ فِي الغَالِبِ أَنَّهَا أقَلُّ مِنَ الأَخْلاَقِ الفَاضِلَةِ بِكَثِيْر .

فَإذَا كَانَ صَاحِبَ انْصَافٍ وَعَدْلٍ وَرَأى رُجْحَانَ المَحَاسِنِ على المَسَاوِيْ غَضَّ عَنِ المَسَاوِيْ طَرْفَهُ لاضْمِحْلاَلِهَا في المَحَاسِنِ .

وَاسْمَعْ مَا يَلِيْ رُوِيَ أنَّ رَجُلاً جَاءَ إلَى أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَشْكُوْ زَوْجَتَهُ مِنْ جِهَةِ سُوْءِ خُلُقِهَا مَعَهُ فَوَقَفَ بِبَابِ عُمَرَ يَنْتَظِرُ خُرُوْجَهُ فَسَمِعَ امْرَأَةَ عُمَرَ تَسْتَطِيْلُ عَلَيْهِ بِلِسَانِهَا وتُخَاصِمُهُ وعُمَرُ سَاكِتٌ لا يَرُدُّ عَلَيْهَا فَقَنِعَ الرَّجُلُ وَانْصَرَفَ رَاجِعاً قَائِلاً فِي نَفْسِهِ إذاكَانَ هَذَا حَالُ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ مَعَ شِدَّتِهِ وَصَلاَبَتِهِ وَحَزْمِهِ فَكَيْفَ حَالِيْ أنَا مَعَ ضَعْفِيْ فَخَرَجَ عُمَرُ قَبْلَ أنْ يُبْعِدَ الرَّجُلُ فَرَأى الرَّجُلَ مُدْبِراً مُوَلِياً عَن بَابِهِ .

فَنَادَاهُ عُمَرُ وقَالَ لَهُ مَا حَاجَتُكَ يَا رَجُلُ فَقَالَ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ جِئْتُ أَشْكُوْ

إِلَيْكَ سُوْءَ خُلُقِ زَوْجَتِيْ واسْتِطَالَتُهَا عَلَيَّ فَلَمَّا سَمِعْتُ زَوْجَتَكَ كَذَلِكَ رَجَعْتُ وقُلْتُ إِذَا كَانَ هَذَا حَالُ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ مَعَ زَوْجَتِهِ فَكَيْفَ حَالِي .

فَقَالَ عُمَرُ يَا أَخِيْ إِنِّي احْتَمِلُهَا لِحُقُوْقٍ لَهَا عَلَيَّ إِنَّهَا طَبَّاخَةٌ لِطَعَامِي خَبَّازَةٌ لِخُبْزِيْ غَسَّالَةٌ لِثِيَابِي مُرْضِعَةٌ لِوَلَدِيْ وَلَيْسَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِوَاجِبٍ عَلَيْهَا وَيَسْكُنُ بِهَا قَلْبِيْ عَنِ الحَرَامِ فَأَنَا احْتَمِلُهَا لِذَلِكَ فَقَالَ الرَّجُلُ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ وكَذَلِكَ زَوْجَتِيْ .

قَالَ عُمَرُ فَاحْتَمِلْهَا يَا أَخِيْ فَإِنَّمَا هِيَ مُدَّةٌ يَسِيْرَةٌ ، فَانْظُرْ إِلَى هَذَا الانْصَافِ لأَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ فَإِنَّهُ لاَحَظَ الأَخْلاَقَ الجَمِيْلَةَ وَالمَحَاسِنَ وَغَضَّ عَنْ المَسَاوِيْ بالكُلِّيَّةِ وَتَنَاسَاهَا .

ثُمَّ انْظُرْ كَيْفَ أَثَّرَتْ سِيْرَتُهُ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي جَاءَ إِلَيْهِ لِيَشْكُوْ امْرَأَتَهُ وَرَجَعَ قَانِعاً رَاضِياً .وصلَّى اللهُ على محمّدٍ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ

(فصـــل)

وَمِنْ حُقُوْقِ الزَّوْجَةِ عَلَى زَوْجِهَا أَنْ يَغَارَ عَلَيْهَا فَلاَ يُعَرِّضُهَا لِلشُّبْهَةِ وَلاَ يَتَسَاهَلُ مَعَهَا فِي مَا يُؤْذِي الشَّرَفَ وَالمُروْةَ ولا يُعَرِّضُهَا لأَلْسِنَةِ السُّوْءِ والتَّسَاهُلُ في هَذَا قَبِيْحٌ يُعَدُّ مِنْ سَفْسَافِ الأَخْلاقِ لِما يَجُرُّهُ مِن الشَّقَاءِ لَهَا ولِلأُسْرَةِ وَلِزَوْجِهَا .

وَمَا زَالَ النَّاسُ تَتَأَثَّرُ سُمْعَتُهُمْ وَكَرَامَتُهُمْ بِسُلُوكِ الزَّوْجَاتِ فَمَنْ أَغْضَى عَنْ زَوْجَتِهِ وَهُوَ يَرَى وَيَسْمَعُ أَوْ أَغْضَى عَن بَنَاتِهِ أَوْ أَخَوَاتِهِ أَوْ أَيِّ أُنْثَى مِن قَرَابَاتِهِ فَقَدْ أَخْرَجَ نَفْسَهُ مِنْ زُمْرَةِ الرِّجَالِ الَّذِيْنَ لَهُمْ حُرْمَةٌ وَشَرَفٌ فِي النُّفُوسِ وَمَنزِلَةٌ عِنْدَ اللهِ عَلَى أَنَّهَا إِذَا رَأَتْ مِنْهُ تَسَامُحاً رُبَّمَا ازْدَادَتْ تَوَسُّعاً فِيْمَا هَمَّتْ بِهِ أَوْ دَخَلَتْ فِيْهِ .

فَالمَرْأَةُ شَدِيْدَةُ التَّأَثُّرِ بِسُلُوكِ زَوْجِهَا الدِّيْنِي فَإِنْ رَأَتْ مِنْهُ حِرْصاً على التَّسَتُّرِ والعِفَّةِ والنَّزَاهَةِ وَالعِبَادَةِ أَقْتَدَتْ بِهِ وَبَادَرَتْ إلى ذَلِكَ اسْتِجَابَةً لِعَاطِفَتِهِ وارْضَاءً لِزَوْجِهَا وَإِنْ رَأَتْ مِنْهُ تَشْجِيْعاً عَلى الإِهْمَالِ والانْفِلاتِ مِن أَحْكَامِ الدِّيْنِ وآدَبِ الأُسْرَةِ لَمْ تَجِدْ بُدّاً آخِرَ الأَمْرِ مِنْ أَنْ تَسْتَجِيْبَ لَهُ وَتَفْعَلَ مَا يُرْضِيْهِ .

هَذَا فِي الغَالِبِ وَقَلَّ أَنْ تَجِدَ مَنْ تَبْتَعِدُ عَنْهُ إِذَا رَأَتْهُ غَيْرَ مُسْتَقِيْمٍ وَكَمْ مِنْ زَوْجَاتٍ خَرَجْنَ مِنْ بُيُوْتِ آبَائِهِنَّ عَفِيْفَاتٍ قَانِتَاتٍ يَصُمْنَ أَيَّامَ البِيْضِ وَيَقُمْنَ لِصَلاَةِ اللَّيْلِ فَمَا مَكَثْنَ غَيْرَ زَمَنٍ يَسِيْرٍ حَتَّى انْحَرَفْنَ عَن ذَلِكَ كُلِّهِ بِتَأَثُّرِ الزَّوْجِ وانْحِرَافِهِ وَجَهْلِهِ وَتَوْجِيهَاتِهِ الفَاسِدَةِ وتَعْلِيْمِهِ لَهَا بِالقَوْلِ والفِعْلِ نَسْأَلُ اللَّهَ العافِيَةَ .

وأَقَلُّ النَّاسِ إِيْمَاناً وتَوْفِيْقاً وأَبْعَدُهُمْ عَنِ الأَخْلاَقِ الفَاضِلَةِ مَنْ أَهْدَرَ المَحَاسِنَ كُلَّهَا وَلَوْ كانَتْ تَرْبُوْ بِكَثِيْرٍ عَلى المَسَاوِيْ .

وَجَعَلَ المَسَاوِيْ نَصْبَ عَيْنَيْهِ وَرُبَّمَا مَدَّدَهَا وَبَسَطَهَا وَطَوَّلَهَا وَأَلْحَقَ بِهَا غَيْرَهَا وَكَرَّرَهَا وأَعَادَهَا وَفَسَّرَهَا بِظُنُوْنِهِ السَّيِّئَةِ وَتَأْوِيْلاتِهِ الفَاسِدَةِ .

وَأَضَافَ إِلَيْهَا مِن الكَذِبِ والبَهْتِ مَا تَسْتَغِيْثُ مِنْهُ الفَضِيْلَةُ كَمَا هُوَ الوَاقِعُ عِنْدَ كَثِيْرٍ مِن أَهْلِ هَذَا العَصْرِ المُظْلِمِ بالمَعَاصِي والفِتَنِ والمُنْكَرَاتِ والظُّلْمِ .

وَبعضٌ يُلاَحِظُ المَحَاسِنَ وَالمَسَاوِيَ وَيُوَازِنُ بَيْنَهُمَا وَيُعَامِلُ الزَّوْجَةَ بِمَا يَرَى أَنَّهُ مُقْتَضَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَهَذا مُنْصِفٌ ولَكِنْ الكَمَالُ في الحَالَةِ الأُوْلَى وَقَدْ حُرِمَهُ وَلَقَدْ أَجَادَ القَائِلُ :

إِذَا قِيْسَ إِحْسَانَ امْرِىءٍ بِإِسَاءَةٍ
فَأَرْبَى عَلَيْهَا فَالإِسَاءَةُ تُغْفَرُ

وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ الْمَرْأَةِ الْمُطَاوِعَةِ لِزَوْجِهَا أَحادِيثُ كَثِيْرَةٌ نَذْكُرَ بَعْضَهَا إن شَاءَ اللَّهُ مِن ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الجَنَّةَ رواهُ ابْنُ ماجة والتّرمذيّ وحسنه .

وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَهَا وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا وأطَاعَتْ بَعْلَهَا دَخلَتْ مِنْ أيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شَاءَتْ رواه ابْن حبّان في صحيحه .

وَرُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَسْتَغْفِرُ لِلْمَرْأَةِ المُطِيْعَة لِزَوْجِهَا الطَّيْرُ فِي الهَوَاءِ والحِيْتَانُ فِي المَاءِ وَالملائكةُ في السّماءِ والشّمْسُ والقمَرُ مَا دَامَتْ فِي رِضَا زَوْجِهَا .

وأَيُّمَا امْرَأَةٍ عَصَتْ زَوْجَهَا فَعَلَيْهَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ والنّاسِ أَجْمَعِين وأيُّمَا امْرَأَةٍ كَلَحَتْ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا فَهِيَ فِي سَخَطِ اللَّهِ إلى أنْ تُضَاحِكَهُ وتَسْتَرْضِيْهِ وأَيُّمَا امْرَأَةٍ خَرَجَتْ مِنْ دَارِها بِغَيْرِ إِذْنِ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حَتّى تَرْجِعَ .

تَنْبِيْه : المُرَادُ بِطَاعَةِ المَرْأَةِ لِزَوْجِهَا إِنَّمَا هِي في حُدُوْدِ الشَّرِيْعَةِ قَال ﷺ لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخالِقِ فَلَوْ أمَرَهَا زَوْجُهَا بِمَعْصِيَةٍ كاتْيَانِهَا فِي الدُّبُرِ أَوْ في المحيض فلا يَجُوزُ لَهَا المُوافقَةُ ويَحْرُمُ عَلَيْهَا ذَلِكَ .

وَكَذَا لَوْ أَمَرَهَا بِتَرْكِ صِيَامِ رَمَضَانَ أَوْ حَجِّ البَيْتِ أَوْ أَمَرَهَا بِتَرْكِ الزَّكَاةِ فَلاَ

يَجُوزُ لَهَا طَاعَتُهُ وكَذَا لَوْ أَرَادَ جِمَاعَهَا وَهِيَ حَائِضٌ حَرُمَ عَلَيْهَا طَاعَتُهُ فِي ذَلِكَ وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الأُمُوْرِ يَفْهَمُهَا الموفق .

لِكُلِّ تَفَرُّقِ الدُّنْيَا اجْتِمَاعُ　　فَمَا بَعْدَ المَنُونِ مِن اجْتِمَاعِ
فِرَاقٌ فاصِلٌ ونَوىً شَطُونٌ　　وشُغْلٌ لا يُلبِّثُ لِلْوَدَاعِ
وَكُلُّ أُخُوَّةٍ لابُدَّ يَوْماً　　وإنْ طَالَ الوِصَالُ إِلَى انْقِطَاعِ
وَإنَّ مَتَاعَ ذِي الدُّنْيا قَليْلٌ　　فَمَا يُجْدِي القَلِيْلُ مِنَ المَتَاعِ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بنُورِ الايْمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلى قَوْلِكَ الثَّابَتْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وَتوفَّنا مُسْلِمِينَ وَالْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آله وَصَحْبِهِ

(فَصْـــلٌ)

أعْلَمْ وَفَّقَنَا اللّهُ وَإيَّاكَ وَجَمِيعَ المُسْلِمين أَنَّهُ يَقَعُ مَشَاكِلُ كَثِيْرَةٌ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ تَحْتَاجُ لِلتَّنْبِيهِ عَلَيْهَا لِتُجْتَنبَ مِنْ أَسْبَابِ المَشَاكِلِ العَائِلِيَّةِ سُوْءُ خُلِق أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ وَكَوْنُهُ يَثُوْرُ لأَدْنَى سَبَبٍ وَيَغْضَبُ لأَقَلِّ كَلِمَةٍ وَلَوْ كَانَتْ خَارِجَةً سَهْواً فَكَمْ ثَارَتْ فِي البُيُوتِ مَشَاكِلُ مِن أَسْبَابِ ضِيْقِ الصَّدْرِ وسُوْءِ الخُلُقِ .

وَكَمْ إنْهَارَتْ بُيُوْتٌ فَتَفرَّقُوا مِنْ أَجْلِ ضِيْقِ الصَّدْرِ والحُمْقِ مِن الزَّوْجِ أَوْ الزَّوْجَةِ والغَالِبُ أَنَّ الزَّوْجَ أَكْثَرُ تَجَنِّياً مِن الزَّوْجَةِ فَالْمَرْأَةُ تَتَحمَّلُ مِن الزَّوْجِ غَالِباً أَكْثَرَ مِمَّا يَتَحمَّلُ زَوْجُهَا مِنْهَا لِغُرُوْرِهِ هَذَا فِي الزَّمَنِ الأَوَّلِ أَمَّا الآنَ فَالنِّسَاءُ أَكْثَرُهُنَّ عَلَى العَكْسِ لأنَّ المَرْأَةَ فِي زَمَنِنَا صَارَ لَهَا الكَلامُ وَسَيْطَرَتْ عَلَى الرِّجَالِ فِي الغَالِبِ بأَسْبَابِ مُخَالَطَةِ الأَجَانِبِ لأَنَّهُمْ يَخْضَعُوْنَ لَهُنَّ وَيُقَدِّمُوْنَهُنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ يَخْرجُون عَنْ رأيِهِنَّ أَبَدَا .

ومِنْ أَسْبَابِ المَشَاكِلِ العَائِلِيَّةِ سوْءُ الظَّنِّ مِن أحدِهِمَا وَغضَبِهِ قَبْلَ التَّذكُرِ والتَّثَبُّتِ فَيَقَعُ النِّزَاعُ وَرُبَمَا حَصَلَ فِرَاقٌ ثُمَّ تَبيَّنَ الأَمْرُ خِلافَ الظَّنِّ .

ومِنْ أسْبَابِ المَشَاكِلِ العَائِلِيَّةِ تَدَخُّلُ الزَّوْجِ فِي الشُّئُونِ البَيْتِيَّةِ أكْثَرَ مِمَّا تَدْعُوْ الحَاجَةُ أوْ الضَّرُوْرَةُ إِلَيْهِ وَكَمْ مِن رَجُلٍ فَارِغٍ مِن العَمَلِ يَقِفُ مَعَ زَوْجَتِهِ فِي المَطْبَخِ وَيَعْتَرِضُ اعْتِرَاضَاتٍ تَافِهَةٍ واقْتِرَاحَاتٍ يُرِيْدُ بِهَا التَّحَدّي والتَّعْجِيْزَ وَهَذَا تَضِيْقُ زَوْجَتُهُ بفُضُوْلِهِ فَمَا تَلْبَثُ أنْ تَنْفَجِرُ وتَثُوْرُ وَيَقَعُ الخِصَامُ واللّجَاجُ .

وَمِن أَسْبَابِ المَشَاكِلِ سُوْءُ فَهْمِ كُلٍّ مِن الزَّوْجَيْنِ لِطِبَاعِ الآخَرِ فَقَدْ يَكُونُ الزَّوْجُ حَادَّ المِزَاجِ شَدِيْدَ الإِحْسَاسِ يَتَأَثَّرُ لأَقلِّ الأَشْيَاءِ الّتي يَرَاهَا مُخَالِفَةً لِذَوْقِهِ فَلاَ تُرَاعِيْ زَوْجَتُهُ فِيْهِ هَذا فَمَثَلاً تَتْرُكُهُ وَهُوَ يُوجّهُ إِلَيْهَا الكَلاَمَ وَتَمْزَحُ وَالمَقَامُ يَقْتَضِيْ الجِدَّ وَتَضْحَكُ وَهُوَ غَضْبَانٌ وَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ .

فَتُقَابِلُهُ بِعِشْرِيْنَ كَلِمَةً فَقَلَّ أَنْ تَطُولَ المُدَّةُ قَبْلَ الانْفِجَارِ وَقَدْ يُجْبِرُهَا عَلَى مَا تَكْرَهُ لُبْسَهُ أَوْ يُسْكِنُهَا بِمَا لا يَصْلَحُ لِمِثْلِهَا فَمَا تَلْبَثُ الزَّوْجَةُ أَنْ تُحسَّ بِضِيْقِ الصَّدْرِ والانْقِبَاضِ ثُمَّ يَنْقَلِبُ الانْقِبَاضُ إلى تَبَرُّمٍ ثُمَّ يُؤَدِيْ إِلَى الشِّقَاقِ لأَقلّ سَبَبٍ وربما أمرها والعياذ بالله بقص رأسها أو على أن تحضر عند الملاهي.

وَمِنْ الأَسْبَابِ التَّدَخُلُ فِيْمَا لا يَعْنِي إِمَّا مِنْهَا أَوْ مِنْهُ وأَكْثَرُ المَشَاكِلِ تَقَعُ مِنْ هَذَا السَّبَبِ ولِهَذا في الحَدِيثِ مِن حُسْنِ اسْلام المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيْه .

وَمِنَ الأَسْبَابِ مَيَلاَنُ أحَدِهِمَا إلى أَحَدِ الأوْلاَدِ وَتَخْصِيْصُهُ بالمالِ أوِ الحُنُوِ والشَّفَقَةِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

ومِنَ الأَسْبَابِ عَدَمُ رِضَا أَحَدِهِمَا بالآخَرِ رِضىً صَحِيْحٍ وَقَبُوْلٍ وانْقِيَادٍ عِنْدَ عَقْدِ النِّكَاحِ بَلْ إِكْرَاهٍ أَوْ مُجَامَلَةٍ فَهَذا لاَ يَلْبَثُ إلا زَمَنٌ يَسِيْرٌ ثُمَّ يَقَعُ الخِصَامُ والفِرَاقُ والدَّعَاوِيْ والمُطَالَبَاتُ .

ومِنَ الأَسْبَابِ تَدَخُلُ أَحَدِ الأَبَوَيْنِ بَيْنَ الزَّوْجِ والزَّوْجَةِ فَتَقَعُ المَشَاكِلُ

بَيْنَهُمَا وَيطُولُ النِّزَاعَ وَقَدْ تَقعُ الفُرْقَةُ مِنْ ذَلِكَ السَّببِ .

وَمِنَ الأَسْبَابِ خُرُوْجُ المَرْأَةِ مِن بَيْتِهَا مِن غَيْرِ إِذْن زَوْجِهَا وَقَدْ كَثُرَ هَذَا فِي زَمَنِنَا بسَبَبِ مُخَالَطَةِ الأجانِبِ أَبْعَدَهُمْ اللهُ عَنَّا. .

ومِنَ الأَسْبَابِ خُلُوُ الزَّوْجَةِ مَعَ أَقارِبِ الزَّوْجِ الّذيْن لَيْسُوْا مَحارِمَ لَهَا وَلِهَذا قَالَ ﷺ الحَمُو المَوْتُ .

ومِنَ الأَسْبَابِ إِذَا كَانَ لَهُ زَوْجَتَانِ فَأَكْثَرُ مَيْلُهُ إِلى إِحْدَى الزَّوْجَاتِ فَتَجِدُ بَعْض مَنْ عِنْدَهُ أَكْثَرُ مِنْ زَوْجَةٍ يَحْرِصُ على أن يَجْعلَ مَواعِيْدَ الدَّعْوَةِ لِطَعَامٍ أَوْ غَيْرِهِ فِي لَيْلَةِ الّتِي يَكْرَهُهَا أَوْ أَقلَّ مَحبَّةً مِنَ الأُخْرَى وَيأْتي فِي لَيْلَةِ الْتي يُحِبُّهَا مِن حِيْنِ يُصَلّي العِشَاءَ إن كَانَ مِمَّنْ يَشْهَدُوْن صَلاَةَ الجَماعَةِ ، وبَعْضُهُمْ يأتِي رَاجِحَة المَحَبَّةِ في لَيْلةِ المَرْجُوْحَةِ بِغَيْرِ رِضَاهَا والعِيَاذُ باللّهِ .

وَأَمَّا العَادِلُ فَيَنْظُرُ إِلى السَّاعَةِ وَيَضعُ قُرْعَةً لِلدَّعْوَةِ فَأَيَّتهُنَّ خَرجَتْ فِي لَيْلَتِهَا عَمِلَ بِذلِكَ ، هَذِهِ هِيَ مُعْظَمُ مَا يَحْصُلُ بِهِ المشاكِلُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ فَيِنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يُلاحِظَهَا وَيَجْعلَهَا على بَالِهِ دَائِماً لِيَتَجنَّبَها وَإِذا كَانَ الرَّجُلُ أَكْمَلُ عَقْلاً مِنْهَا فَعَلَيْهِ أَنْ يَدْمَجَ الزَّالاتِ البَسِيْطَةِ لِتَدُوْم العِشْرَةُ وتَسُوْدَ المَحَبَّةَ وَعَلَيْهَا هِيَ أَيْضاً أَنْ تَحْرِصَ كُلُّ الحِرْصِ عَلَى طَاعَتِهِ في غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللّهِ

شعـــرا :

إِذَا رَفَعَ الإلـــهُ مَكَانَ شَخْـــصٍ ... وَتَهْوَى أَنْ تَكُونَ لَهُ مُسَاعِـــدْ
أَنِلْهُ مَكَانَ رُتْبَتِهِ تَجِـــدْهُ ... يُنِيلُكَ إِنْ دَنَوتَ وإِنْ تَبَاعَـــدْ
ولا تَقُلِ الذِي تَدْرِيْهِ فِيـــــه ... تَكُنْ رَجُلاً عن الحُسْنَى تَقَاعَدْ
فَكَمْ فِي العُرْسِ أَبْهَى من عَرُوْسٍ ... وَلكِنْ لِلْعَرُوْسِ اللهُ سَـــاعَدْ

آخـــر :

أَلَا يَاغَوَانِي مَنْ أَرَادَتْ سَعَـــادَةً ... وتُوْقَى عَذَاباً بالنّسَا صَارَ مُحْدِقَا

فَـأَكْثَـرُ أَهْـلُ النّـارِ هُنَّ حَقِـيْقَـةً
رَوَيْنَـا حَدِيْثـاً فِيْـهِ صِـدْقـاً مُصَـدَّقَـا
تُخَلِي التَّبـاهِيْ تُبْدِلُ اللَّهْـوَ بـالبُكَـا
وتَبْـذُلُ كُلَّ الجَهْـدِ بالـزُّهْـدِ والتُّقَى
وتَعْتَـاضُ عَنْ لِيْنٍ بِـدُنْيـاً خُشُـوْنَـةً
وعن يَابِسٍ في الدِّيْنِ أَخضَرَ مُوْرِقَا
رَعَى اللّهُ نِسْـوَنـاً تَبِيْتُ قَـوَانِـتـاً
ويُصْبحُ مِنْهَا القَلْبُ بالخَوْفِ مُحْـرِقَا
تَظَلُّ عنِ المَرْعَى الخَصِيْب صَوَائِماً
ويُمْسِيْ سَمِيْنُ البَطْنِ بالظَّهْرِ مُلْصَقَا
تَـرَى بَيْنَ عَيْنٍ والسُّهَـادِ تَـوَاصُـلاً
وَبَيْنَ الكَـرَى والعَيْنِ مِنْهَـا تَفَـرُّقَـا
وَبَـيْنَ مِـعَـاءٍ والغِـذَاءِ تَـقَـاطُـعـاً
وبَيْنَ خُلُوفِ المِسْـكِ والثَّغْـرِ مُلْتَقَى
تَـرَى نَـاحِلاتٍ قَـارِئـاتٍ مَصَـاحِفـاً
وَلُؤْلُؤُ بَحْـرِ الدُّرِّ في الْـوَرْدِ مُشْرِقَـا
فَـدَتْها مِن الآفـاتِ كُلُّ نُفُـوسِ مَنْ
يُخَالِفُهَا فِي الـوَصْفِ غَرْبـاً وَمَشْرِقَـا
خَلِيْلِيَّ إِنَّ المَـوْتَ لا شَـكَّ نَـازِلٌ
وبَـيْنَ الأَحِبَّـا لا يَـزَالُ مُـفَـرِّقَـا
فَجُـدًا لِـدَارٍ لا يَـزُوْلُ نَعِيْمُـهَـا
بِهَـا الحُسْنُ واللَّذاتُ والمُلْكُ والبَقَا

ولُقْيَـا حِسَـانٍ نَـاعِمَـاتٍ مُنَعَّـمُ
بِهِنَّ سَعِيْـدُ سَعْدَ ذَلِـكَ مَنْ لَقَـا
كَـوَاعِبَ أَتْـرَابٍ زَهَتْ فِي خِيَـامِهَـا
بِـظِلٍّ نَعِيْمٍ قَطُّ مَـا مَسَّهَـا شَقَـا
كَـدُرٍّ ويَـاقُـوْتٍ وبَـيْضِ نَـعَـامَـةٍ
كَسَاهَا الْبَهَـا والنُّوْرُ والحُسْنُ رَوْنَقَـا
تُغَنِّي بِمَـا لَمْ تَسْمَـعِ الخَلْقُ مِثْلَهُ
وَقَـدْ حَبَّرَتْ صَـوْتـاً رَخِيْمـاً مُشَـوِّقَـا
غِنَـاهُنَّ نَحْنُ الخَـالِـدَاتُ فَقَطُّ مَـا
نَبِيْـدُ وَنَحْنُ النَّـاعِمَـاتُ فَـلاَ شَقَـا
ولا سَخَطٌ والـرَّاضِيَـاتُ بِنَـا الْمُنَى
فَطُوبِي لِمَنْ كُنَّا لَهُ مِن أُولِي التُّقَى

والله أعْلَم وصَلّى اللّهُ عَلَى مُحَمّد وآلِهِ وسلّم .

فصل
« في ذِكْرِ بَعْضِ أحْوالِ يَوْمِ القِيامَةِ »
« والرَّدِّ عَلَى مَنْ أَنْكرَ يَوْمَ القِيَامَةِ »

عِبادَ اللّهِ قَدْ سَبَقَ ذِكْرُ المَوْتِ وأحْوَالِ المَيِّتِ في سَكَرَاتِهِ وَفِتْنَةِ القَبْرِ وسُؤالِ مُنْكَرٍ ونَكِيْرٍ وعَذَابِ القَبْرِ ونَعِيْمِهِ وَخَطَرِ مَنْ كَانَ مَسْخُوْطاً عَلَيْهِ وأعْظَمُ مِن ذلِكَ الأَخْطَارُ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ نَفْخِ الصُّوْرِ والبَعْثِ والنُّشُوْرِ والعَرْضِ عَلَى الجَبَّارِ وَالسُّؤالِ عن الدَّقِيْقِ وَالجَلِيْلِ ونَصْبِ المِيْزَانِ لِمَعْرِفَةِ المَقَادِيرِ .

ثُمَّ جَوَازُ الصِّرَاطِ مَعَ دِقَّتِهِ وَحِدَّتِهِ ثُمَّ انْتِظَارُ النِّدَاءِ عِنْدَ فَصْلِ القَضَاءِ إمَّا بالإسْعَادِ وإمَّا بالإشْقاء فَهَذِهِ أحْوَالٌ وأهْوَالٌ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا ثُمَّ الإيْمَانُ بِهَا عَلى سَبِيْلِ الجَزْمِ والتَّصْدِيْقِ ثُمَّ تَطْوِيلُ الفِكْرِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ الَّذي مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ ألفَ سَنَةٍ .

كَمَا جَاءَ في الكِتَابِ والسُّنَّةِ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الأوَّلِيْنَ والآخِرِيْنَ في صَعِيْدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمْ البَصَرُ لا يَغِيْبُ مِنْهُمْ أحَدٌ وَتَدْنُو مِنْهُم الشَّمْسُ ويُلْجِمُهُمُ العَرَقُ هَذَا اليَوْمُ هُوَ اليَوْمُ الَّذي تَذْهَلُ فِيهِ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَنْ مَا أرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ولَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيد » .

فِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَبْلُغُ الأمْرُ مِن الحَيْرَةِ والدَّهْشَةِ والاضْطِرَابِ والذُّهُولُ أنْ تَذْهَلَ المُرْضِعَةُ عن وَلَدِهَا الَّذي فَمُهُ في ثَدْيِهَا وَهُوَ أعَزُّ شَيْءٍ لَدَيْهَا فَكَيْفَ بالذُّهُوْلِ عَمَّا سِوَاهُ وتسْقِطُ الحَوَامِلُ مِنَ الفَزَعِ وَالرُّعْبِ والرَّوْعِ مَا فِي بُطُونِهَا مِن الأجِنَّةِ قَبْلَ التَّمامِ وتَرى النَّاسَ كَأنَّهُمْ سُكَارَى مِن شِدَّةِ الرَّوْعِ والفَزَعِ والخَوْفِ الَّذِي صَيَّرَ مَنْ رَآهُمْ يُشَبِّهُهُمْ بالسُّكَارَى لِذَهَابِ عُقُوْلِهِمْ مِن شِدَّةِ الخَوْفِ كَمَا يَذْهَبُ عَقْلُ السَّكْرانِ مِن الشَّرَابِ « يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ تَكُونُ الأرْضُ كالسَّفِيْنَةِ في البَحْرِ عِنْدَ اضْطِـراب الأمْوَاجِ تكَفأُ بأهْلِهَا .

فَيمِيْدُ النَّاسُ عَلَى ظَهْرِهَا وَيَتَسَاقَطُونَ مِنْ شِدَّةِ الأمْرِ وبُلُوغِهِ أقْصَى الغَايَاتِ وَلِهَذا أذْهَلَ العُقُولَ وأذْهَبَ التَّمْيِيز والفِكْرَ والصَّحْوَ إنَّهُ يَوْمُ القِيَامةِ ﴿إذَا زُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزَالَهَا وأخْرَجَتِ الأرْضُ أثْقَالَها﴾ .

إنَّها لَهزَّةٌ عَنِيفَةٌ لِلْقُلُوبِ الغَافِلَةِ حَيْثُ تَرْجُفُ الأَرْضُ الثَّابِتَةُ ارْتِجافاً وتَزَلْزَلُ زِلْزالاً وَتَنْفُضُ ما في جَوْفِهَا نَفْضاً وَتُخْرِجُ مَا يُثقِّلُهَا مِن أجْسَادٍ وَنُقُودٍ وَغَيْرِهَا مِمَّا حَمَلَتْهُ طَوِيْلاً وهُوَ مَشْهَدٌ يَهُزُّ كُلَّ شَيْءٍ ثَابِتٍ والأرْضُ تَهْتَزُّ والسَّمَاءِ تَمُوْرُ .

إنّهُ لَمَشْهَدٌ مُجَرَّدُ تَصوُّرِهِ ، يَخْلَعُ القُلُوْبَ يَرى الإنْسَانُ مَا لاَ يَعْهَدُ وَيُوَاجِهُ مَا لاَ يُدْرِكُ وَيَشْهَدُ مَا لاَ يَمْلِكُ الصَّبْرَ أَمَامَهُ وَلاَ السُّكُوتَ عَنْهُ ﴿وَقَالَ الإنْسَانُ مَا لَهَا﴾ ما الّذِي يُزَلْزِلُهَا هَكَذا وَيَرُجُّهَا رَجّاً .

وكَأَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ مَا نَزَلَ يَتَمَايَلُ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ وَيَتَشَبَّثُ وَيُحَاوِلُ أَنْ يُمْسِكَ بِشَيْءٍ لَعَلّهُ يَثْبُتُ لأنَّ كُلَّ مَا حَوْلَهُ يمُوْرُ مَوْراً شَدِيْداً قَدْ إمْتَلأَ مِنَ الرُّعْبِ والفَزَعِ وَالدَّهْشَةِ والعَجَبِ .

يَرَى الجِبَالَ وَهِيَ تَسِيْرُ وإذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ ، هَذِهِ الجِبَالُ وَقَدْ نُسِفَتْ وبُسَّتْ وَرَاءهَا ذَرَّاتٍ في الهَوَاءِ ﴿وَبُسَّتِ الجبالُ بَسّاً فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عنْ الجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبّي نَسْفا ، وسُيِّرَتِ الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا » .

هَذِهِ تُصَرِّحُ وَتُشِيْرُ إلى حَدَثٍ عَظِيمٍ تَتَزَلْزَلُ مِنْهُ الجِبَالُ وَتَذْهَبُ هَبَاءً يَتَلاَشى ثَبَاتُهَا وَرُسُوخُها واسْتِقْرَارُهَا وَتَمَاسُكُهَا والإنْسَانُ يَنْظُرُ وَلاَ يَكَادُ يَلْتَقِطُ أنْفَاسَهُ ﴿إذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كاظِمِيْنَ﴾ .

هُنَا يُشَاهِدُ وَيُواجِهُ الحَشْرَ والحِسَابَ والوَزْنَ والجَزَاءَ وَيقِفُ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السّلامُ والملائِكَةُ صَفّاً بَيْنَ يَدَيْ الرَّحْمَنِ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوْحُ والملائِكَةُ صَفّاً لا يَتكَلَّمُونَ إلاّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرحمن وقال صواباً﴾ « ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوْعٌ لَهُ

النّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ يَوْمَ يأتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاّ بإذْنِهِ » ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ والملكُ صَفّاً صَفّاً﴾ .

وَمَوْقِفُ هَؤُلاءِ المُقَرَّبِيْنَ صَامِتِيْنَ خَاشِعِيْنَ خَاضِعِيْنَ لِعَظَمَةِ اللّهِ ﴿وَخَشَعَتِ الأصْوَاتِ للرّحمَنِ فلاَ تَسْمَعُ إلاّ هَمْسًا﴾ وَعَنَتِ الوُجُوْهُ لِلْحي القَيُّوْمُ وَقَدْ خَابَ مَن حَمَلَ ظُلْمًا » .

مَوْقِفُهُمْ هَكَذا صَامِتِيْنَ لاَ يَتَكَلَّمُوْنَ إلاّ بِإذْنٍ مِن الرَّحْمَنِ يُلْقِي فِي النَّفْسِ الرَّهْبَةَ والرُّعْبَ والفَزَعَ مِن ذَلِكَ اليَوْمِ العَظِيْمِ الّذي يَنْكَشِفُ فِيْهِ كُلُّ مَسْتُوْرٍ وَيُعْلِمُ فِيْهِ كُلُّ مَجْهُوْلٍ .

وَتَقِفُ فِيْهِ النَّفْسُ أمامَ مَا أُحْضَرَتْ مِن الرَّصِيْدِ والزَّادِ فِي مَوْقِفِ الفَصْلِ والحِسَابِ ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوْ كُلُّ نفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوْءٍ تَودُّ لو أنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أمداً بَعِيْداً » يَوْمَ يَنْظُرُ المرءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِيْهِم اللّهُ دِيْنَهُمُ الحَقُّ﴾ .

فِي ذَلِكَ اليَوْمِ يَكُونُ التَّغَيُّرُ العَظِيْمُ الشَّامِلُ لِلْمَعْهُوْدَاتِ السّمواتِ والأرْضِ الشَّمْسُ مُكَوَّرَةٌ وَالنُّجُوْمُ مُنْكَدِرَةٌ والسَّمَاءُ مُنْشَقَّةٌ والوُحُوشُ النَّافِرَةُ مَحْشُوْرَةٌ والأَنْعَامُ والطُّيورُ والعِشَارُ مُعَطَّلَةٌ ﴿فإذَا بَرِقَ البَصَرُ وَخَسَفَ القَمَر وجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ يَقُولُ الإنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أيْنَ المَفَر﴾ ﴿إذا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وإذَا الكَواكِبُ انْتَثَرَتْ وإذَا البِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالغَمَامِ وَنُزِّلَ المَلاَئِكَةُ تَنْزِيلا ﴾ ﴿ فإذا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كالدِّهَان ﴾ .

هَذِهِ الآيَاتُ وأَمْثَالُهَا تُشِيْرُ إلَى ذَلِكَ الحَادِثِ الهَائِلِ فِي الكَوْنِ كُلِّهِ وَلاَ يَعْلَمُ حَقِيْقَتَهُ إلاّ اللّهُ إنَّهُ حَادِثٌ عَظِيْمٌ تَرْجُفُ الأَرْضُ مِنْهُ وَتَخَافُ وَتَنْهَارُ فَكَيْفَ

بالخَلْقِ الضِّعَافِ المَهازِيْلِ الّذِينَ تَهُزُّهُمْ الصَّوَاعِقُ هَزّاً وتَخْلَعُ قُلُوبَهُمْ خَلْعا ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُوْنَ إنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلِ الوِلْدَانَ شِيْبًا السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ والجِبَالُ وَكَانَتِ الجِبَالُ كَثِيْباً مَهِيْلَا﴾ .

وفي وَسَطِ هَذَا الرُّعْبِ والخَوْفِ والقَلَقِ والفَزَعِ والذُّهُوْلِ والانْقِلابِ يتساءلُ الإِنْسَانُ المَذْعُوْرُ المَرْعُوْبُ أَيْنَ المَفَرُّ وَيَبْدُوْ ذلِكَ في سُؤَالِهِ وَكَأَنَّما يَنْظُرُ في كُلِّ اتِّجَاهٍ فَإِذَا هُوَ مَسْدُوْدٌ دُوْنَهُ مأخُوْذٌ عَلَيْهِ وَلاَ مَلْجَأ وَلاَ مَحِيْصَ ولا مَنْفَذَ وَلاَ وِقَايَةَ مِنْ قَهْرِ اللّهِ وأخذِهِ،والرَّجْعَةُ إِلَيْهِ والمَصِيْرُ والمستقَرُّ عِنْدَهُ ﴿كَلاَّ لاَ وَزرَ إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المُسْتَقَرْ﴾ ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ إنْ اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِن أقطارِ السّمواتِ والأرضِ فانفذوا﴾ .

فَفِيْ هَذَا المَوْقِفِ الرَّهِيْبِ يَتَبَيَّنُ عَجْزُ الخَلاَئِقِ وضَعْفُهُمْ وَكَمالُ سُلْطَانِ اللّهِ وقُدْرَتِهِ ونُفُوذِ مَشِيئَتِهِ ﴿إنَّمَا تُوْعَدُوْنَ لآتٍ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ﴾ إنّكُمْ في قَبْضَةِ اللّهِ ﴿مَا مِن دابّةٍ إلاّ هُوَ آخذٌ بناصِيَتِها﴾ إنّهُ لَيَوْمٌ عَصِيْبٌ وَمَوْقِفٌ رَهِيْبٌ «إنْ كُلُّ مَن فِي السَّمواتِ والأَرْضِ إلاّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً لقَدْ أحْصَاهُم وعَدَّهُم عَدّا وكُلُّهُم آتِيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْدا » .

فَلاَ مَجالَ لِهَرَبِ أَحدٍ وَلا نِسْيَانَ لأَحَدٍ فَعَيْنُ اللّهِ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ وَكلّ فَرْدٍ يَقُوْمُ وَحِيْداً لاَ يَأْنَسُ بأحَدٍ فإذا هُوَ فَرِيْدٌ وَحِيْدٌ أمَامَ الدَّيّانِ ﴿يَوْمَ تأتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عنْ نَفْسِها﴾ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أخِيْهِ وأمِّهِ وأبِيْهِ وصَاحِبَتِهِ وبَنِيْهِ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأنٌ يغنيه﴾ .

مَشْهَدُ المَرْءِ يَفِرُّ وَيَنْسَلِخُ وَيهْرَبُ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إلَيْهِ وأَلْصَقِهِمْ بِهِ أُولَئِكَ الّذِينَ تَرْبُطُهُمْ بِهِ وَشَائِجُ وَرَوابِطُ لا تَنْفَصِمُ وَلَكِنْ الصَّاخةُ وَالطَّامَةُ تُمَزِّقُ

هَذِهِ الرَّوَابِطِ وتُقَطِّعُ الوَشَائِجَ والصِّلاتِ ﴿فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءلُونَ﴾ .

فَالْهَوْلُ يُفْزِعُ النَّفْسَ ويُقْلِقُهَا وَيفْصِلُهَا مِنْ مُحِيطِهَا وَيَسْتَبِدُّ بِهَا اسْتِبْدَاداً فلِكُلٍّ نَفْسُهُ وَشَأْنُهُ وَلَدَيْهِ الكِفَايَةُ مِنَ الهَمِّ الخَاصِ بِهِ الَّذِي لاَ يَدَعُ لَهُ فَضْلَةً مِنْ وَعْيٍ أَوْ جُهْدٍ ﴿لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ شَأْنٌ يُغْنِيْهْ﴾ إِذِ القُلُوبُ لَدَىٰ الحَنَاجِرِ كَاظِمِيْنَ) .

فَهَا هِيَ ذِي السَّاعَةِ الَّتِي يَغْفُلُ عَنْهَا الغَافِلُونَ وَيَلْهُوْا عَنْهَا اللاَّهُوْنَ وَيَسْتَعْجِلُ بِهَا المُسْتَعْجِلُون ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِيْنَ آمَنُوا مُشْفِقُوْنَ مِنْهَا وَيَعْلَمُوْنَ أَنَّهَا الحَقُّ﴾ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَلْبِسُ المُجْرِمُوْنَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كافِرِيْنَ﴾ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُوْنَ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي العَذَابِ مُحْضَرُوْنَ﴾ .

وَهَؤُلاَءِ المُجْرِمُونَ حَائِرِيْنَ يَائِسِينَ لاَ أَمَلَ فِي النَّجَاةِ وَلاَ رَجَاءَ وَلاَ خَلاَصَ بَلْ قَدْ أَيْقَنُوْا فِي العَطَبِ ﴿وَرَأَى المُجْرِمُوْنَ النَّارَ فَظَنُّوْا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوْهَا وَلَمْ يَجِدُوْا عَنْهَا مَصْرِفَا﴾ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ المُجْرِمُوْنَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ . رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوْقِنُون﴾ .

هُنَا يَعْتَرِفُوْنَ بِالخَطِيْئَةِ وَيُقِرُّوْنَ بِالحَقِّ الَّذِي جَحَدُوْهُ بِالدُّنْيَا وَيُعْلِنُوْنَ اليَقِيْنَ بِمَا شَكُوْا فِيْهِ وَيَطْلُبُوْنَ العَوْدَةَ إِلى الدُّنْيَا لإِصْلاَحِ مَا فَاتَ فِي الدُّنْيا وَمَنْظَرُهُمْ إِذْ ذَاكَ مُفْزِعٌ مُخِيْفٌ وَهُمْ نَاكِسُوا الرُّؤُوسَ خَجَلاً وخِزْياً .

فَالأَمْرُ أَمْرٌ فَظِيْعٌ وَالحَالُ مُزْعِجَةٌ أَقْوَاماً حَاسِرِيْنَ مَكْرُوْبِيْنَ وَسُؤَالٌ غَيرُ

مُجاب لِفواتِ وَقْتِ الإِمْهالِ ﴿وَقَالُوْا آمَنَّا بِهِ وأَنَّى لَهُمْ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيْدٍ﴾ .

فَيَا عِبَادَ اللّهِ انْتَبِهُوْا مِنْ رَقْدَتِكُمْ واسْتَدْرِكُوْا بَقِيَّةَ أَعْمَارِكُمْ وَاحْذَرُوْا الإِنْهِمَاكَ فِي دَارِ الغُرُوْرِ فَالوَيْلُ كُلَّ الوَيْلِ لَكُمْ إِنْ أَدْرَكَكُمْ المَوْتُ وَأَنْتُمْ عَلَى هَذِهِ الحَالَةِ ، زَيَّنْتُمُ الفُلَلَ وَالقُصُوْرُ وَنَسِيْتُمُ القُبُوْرَ ، اذْكُرُوْا القَبْرَ وَظُلْمَتَهُ وَوَحْشَتَهُ وَالمَوْتَ وَسَكْرَتَهُ وَالمِيْزَانَ وخِفَّتَهُ أَوْ رَجْحَتَهُ والكِتَابَ وأَخْذَتَهُ وَالصِّرَاطَ وَدِقَّتَهُ ، وَالمَوْتَ ، سَكْرَةٌ فِي سَكْرَةٍ وَحَيْرَةٌ فِي حَيْرَةٍ وَجَذْبَةٌ يَا لَهَا مِنْ جَذْبَةٍ وَكُرْبَةٌ يَا لَهَا مِنْ كُرْبَةٍ فَالمِسْكِيْنُ يُكابِدُ غُصَصَ المَنُوْنِ دَاهِشَ العَقْلِ كالمَحْزُوْنِ .

فاللّهَ اللّهَ عِبَادَ اللّهِ أَفِيْقُوْا مِنْ سَكَرَاتِكُمْ وانْتَبِهُوْا مِنْ نَوْمَاتِكُمْ واسْتَيْقِظُوا مِنْ غَفَلاتِكُمْ قَبْلَ مُفاجَأَةِ المَنِيَّةِ وحُلُولِ الرَّزِيَّةِ وَوُقُوعِ البَلِيَّةِ حَيْثُ لا مَالَ وَلاَ وَلَدَ نَافِعٌ وَلاَ حَمِيْمَ شَافِعٌ وَلاَ فَرَحَ وَاقِعٌ وَلاَ رَجاءَ طَامِعٌ وَلاَ حَسَنَةٌ تُزَادُ وَلاَ سَيِّئَةَ تُحْذَفُ وَلاَ حَيَاةٌ تُعَادُ وَيُزَوِّدُكَ أَحْبَابُكَ بالحَزَنِ عَلَيْكَ وَالبُكاءِ فَلاَ عَثْرَةٌ تُقَالُ وَلاَ رَجْعَةَ تُنَالُ .

شعرا :

أَلاَ إِنَّ أَيَّـامَ الـحَـيَـاةِ مَـراحِـلُ
طَرِيْقُ الفَتَى مِنْهَا إِلَى المَوْتِ سَاحِلُ
يُسَـرُّ بِمَـا يَمْضِي لِمَـا هُوَ آمِـلُ
وَيَأْتِي الرَّدَى مِنْ دُوْنِ مَـا هُوَ أَمِـلُ
وَمَـا يَـوْمُـهُ إِلاَّ غَـرِيْـمٌ مُـحَـكَّـمٌ
إِذَا مَـا اقْتَضَاهُ نَفْسَـهُ لاَ يُمَـاطِـلُ

عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْغِيْ السَّلاَمَةَ جَاهِداً
وَمَرُّ اللَّيَالِيْ كُلُّهُنَّ غَوَائِلُ
وَنَحْنُ بَنُوْ الأَيَّامِ نَظْلِمُ نُفُوْسَنَا
وَنَرْجِعُ وهْيَ القَاتِلاَتُ الثَّوَاكِلُ

اللَّهُمَّ أَقِمْ عَلَمَ الجِهَادِ وَوَفِّقْنا لِسُلوكِ طَرِيقَ الحقِّ وَالرَّشَادِ ، وَأَقْمَعْ أَهْلَ الكُفْرِ وَالزَّيْغِ والشَّرِّ وَالفَسَادْ ، وانْصُرْ دِيْنَكَ وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ مِنَ العِبَادِ ، وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوْبِنا وَقَوِّهَا ، يَا كَرِيْمُ يَا جَوَاد ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ .

وَصَلّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّد وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْن .

(فصـــل)

وَتَفكَّرْ فِي حَالَتِهِمْ فِي المَحْشَرِ تَجِدْ مَشْهَدَ مَكْرُوْبٍ ذَلِيْلٍ يُثِيْرُ الفَزَعَ وَالخَوْفَ « فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِيْن » .

هَذِهِ أَبْصَارِهُمْ لاَ تَطْرُفُ مِنَ الهَوْلِ الّذِي فُوْجِئُوْا بِهِ يَقُوْلُون يَاوَيْلَنَا وَهُوَ تَفَجُّعُ وَتَوَجُّعُ المَفْجُوْءِ الّذِي تَنْكَشِفُ لَهُ الحَقِيْقَةُ المُرَوِّعَةُ بَغْتَةً فَيَذْهَلُ وَيَشْخَصُ بَصَرُهُ فَلاَ يَطْرُفُ وَيَدْعُوْ بِالوَيْلِ وَالهَلاَكِ وَيَعْتَرِفُ وَيَنْدَمُ وَلَكِنْ بَعْدَ فَوَاتِ الأَوَانِ .

إِنَّهَا مَشَاهِدُ يَوْمِ القِيَامَةِ وَمَا يَجْرِيْ فِيْهِ مِن تَغَيُّرَاتٍ كَوْنِيَّةٍ وَمِنْ اضْطِرَابَاتٍ نَفْسِيَّةٍ وَمِنْ حَيْرَةٍ وَتَحَسُّرٍ فِي مُوَاجَهَةِ الأَحْدَاثِ الغَالِبَةِ حَيْثُ يَتَجَلَّى

الهَوْلُ فِي صَمِيْمِ الكَوْنِ وفِي اغْتِرَارِ النَّفْسِ وَهِيَ تَرُوْغُ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ .

« فَذَرْهُمْ يَخُوْضُوْا وَيَلْعَبُوْا حَتَّى يُلاَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُوْنَ يَوْمَ يَخْرُجُوْنَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُبٍ يُوْفِضُوْنَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ اليَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوْعَدُوْن » .

وَكَذَلِكَ خُرُوْجُهُمْ مِنَ القُبُوْرِ يُنْبِىءُ أَنَّهُمْ فِي كَرْبٍ وَشِدَّةٍ وَأَنَّهُمْ أَذِلاَّءُ غَيْرُ مُتَمَكِّنِيْنَ مِنَ الاسْتِعْصَاءِ عَلَى الدَّاعِي إِذْ هُمْ يُهَرْوِلُوْنَ مَقْهُوْرِيْنَ مَعَ خُشُوْعِ أَبْصَارِهِمْ وَذِلَّتِهَا لِهَوْلِ مَا تَحَقَّقُوا مِنَ العَذَابِ .

قَدْ مَلَكَ القَلَقُ وَالخَوْفُ قُلُوْبَهُمْ واسْتَوْلَى عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ وَسَكَّنَ حَرَكَاتِهِمْ وَقَطَعَ أَصْوَاتَهُمْ تَعْلُو وُجُوْهَهُمُ القَتَرَةُ لِمَا أَصَابَهُمْ مِنَ الكَآبَةِ وَالحُزْنِ وَالهَمِّ العَظِيْمِ الَّذِي لَا يُرْجَى لَهُ فَرَجٌ « تَرَى الظَّالِمِيْنَ مُشْفِقِيْنَ مِمَّا كَسَبُوْا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِم » « وَتَرَى الظَّالِمِيْنَ لَمَّا رَأَوا العَذَابَ يَقُوْلُوْنَ هَلْ إِلَى مَرَدٍ مِن سَبِيْلٍ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِيْنَ مِن الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِي » .

إِنَّ هَؤُلاءِ الظَّالِمِيْنَ الطُّغَاةِ كَانُوْا فِي الدُّنْيَا مُتَكَبِّرِيْنَ فَنَاسَبَ أَنْ يَكُونَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ هُوَ مَظْهَرُهُمْ البَارِزُ فِي يَوْمِ القِيَامَةَ يَوْمَ الجَزَاءِ عَلَى الأَعْمَالِ فَعِنْدَ مَا يُشَاهِدُوْنَ الحَقَائِقَ وَيَرَوْنَ العَذَابَ تَتَهَاوَى كِبْرِيَاؤُهُمْ وَعَظَمَتُهُمْ وَيَتَسَاءَلُوْنَ فِي ذُلٍّ وانْكِسَارٍ وَخَوْفٍ « هَلْ إِلَى مَرَدٍ مِنْ سَبِيل » .

فِي هَذِهِ العِبَارَةِ الَّتِي يُفْهَمُ مِنْهَا اليَأْسُ مَعَ التَّلَهُّفِ وَالإِنْهِيَارِ مَعَ التَّطَلُّعِ إِلى أَيِّ بَارِقَةٍ لِلْخَلاصِ وَيُعْرَضُوْنَ عَلَى النَّارِ خَاشِعِيْنَ لَا مِنْ وَرَعٍ وَلَا تَقْوَى وَلاَ مِنْ حَيَاءٍ وَخَجَلٍ وَلَكِنْ مِنَ الذُّلِّ وَالهَوَانِ مُنَكِّسِيْ أَعْيُنِهِمْ مِنَ الذُّلِّ والعَارِ يَنْظُرُوْنَ مِن طَرْفٍ خَفِي .

إِنَّهُ لَمَنْظَرٌ وَمَرْأً فَظِيْعاً صَعْباً شَنِيْعاً مُجَرَّدُ تَصَوُّرُهُ يُزْعِجُ وَيُقْلِقُ حَيْثُ يَظْهَرُ مِنْهُ النَّدَمُ العَظِيْمُ والحُزْنُ الطَّوِيْلُ والأَسَفُ الشَّدِيْدُ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِن الإِهْمَالِ والتَّفْرِيْطِ والتَّضْيِيْعِ الَّذِي لاَ يُمْكِنُ تَلاَفِيْهِ .

فَيَا أَيُّهَا الغَافِلُ السَّاهِيْ المُهْمِلُ وَكُلُّنَا كَذَلِكَ انْتَبِهْ وَمَثِّلْ نَفْسَكَ فِي هَذَا اليَوْمِ العَظِيْمِ الجَامِعِ للأَوَّلِيْن وَالآخِرِيْنَ فَيَا لِعِظَمِ يَوْمٍ يُوَجَّهُ السُّؤَالُ فِيْهِ لِمَنْ قَالَ اللّهُ جَلَّ وَعَلاَ فِي حَقِّهِمْ ﴿وَسَلاَمٌ عَلَى المُرْسَلِيْن﴾ ﴿وإِذَا قَالَ اللّهُ يَا عِيْسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوْنِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُوْنِ اللّهِ﴾ ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِيْنَ أُرْسِلَ إِلَيْهِم ولَنَسْأَلَنَّ المُرْسَلِيْنَ﴾ .

فِي ذَلِكَ اليَوْمِ العَصِيْبِ يُنَادَوْنَ الخَلاَئِقَ وَاحِداً وَاحِدًا يَا فُلاَنُ هَلُمَّ إِلى العَرْضِ وَعِنْدَ ذَلِكَ تَنْخَلِعُ القُلُوْبُ وَتَرْتَعِدُ الفَرائِصُ وتَضْطَرِبُ الجَوارِحُ وتَنْبَهِتُ العُقُوْلُ وتَتَحَيَّرُ وَيَيْبَسُ اللِّسَانُ وَتَشْخَصُ الأَبْصَارُ .

فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ يُؤْخَذُ بِنَاصِيَتِهِ وَيُقَادُ وَفُؤَادُهُ مُضْطَّرِبٌ وَلُبُّهُ طَائِرٌ وَفَرائِصُهُ تَرْتَعِدُ وَجَوارِحُهُ تَنْتَفِضُ وَلَوْنُهُ مُتَغَيِّرٌ وَلِسَانُهُ وَشَفَتَاهُ قَدْ نَشَفَ مَا بِهِمَا مِنْ رُطُوْبَةٍ وَقَدْ عَضَّ عَلَى يَدَيْهِ وَلَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرَبْ وَلَمْ يَنَمْ وَلَمْ يَسْتَرِح وَلَمْ يَجْلِسْ وَلَمْ يَرْكَبْ .

والعَالَمُ والجَوُّ عَلَيْه مُظْلِمٌ وضَاقَتْ عَلَيه الأَرْضُ وَصَارَتْ الدُنيَا عِنْدَهُ أَضْيَقَ مِنْ سَمِّ الخِيَاطِ مَمْلُوْءٌ مِن الرُّعْبِ والخَجَلِ مِنْ عَلاَّمِ الغُيُوبِ والأَوَّلِيْنَ والآخِرِيْنَ وَأَهْلِ السَّمواتِ وأَتَى يتخطَّى رِقَابَ النَّاسِ وَيَخْتَرِقِ الصُّفُوفَ يُقَادُ كَمَا يُقَادُ الفَرَسُ المَجْنُوْبُ وَقَدْ رَفَعَ الخَلائِقُ إِلَيْهِ أَبْصَارَهُمْ حَتَّى انْتَهي بِهِ إِلى عَرْشِ الرَّحمن فَرَمُوْهُ مِن أَيْدِيْهِم .

ونَادَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَدَنَى بقَلْبٍ مَحْزُوْنٍ خَائِفٍ وَجِلٍ وطَرْفٍ خَاشِعٍ ذَلِيْلٍ وَفُؤَادُهُ مُتَحَطِّمٌ مُتَكَسِّرٌ وأُعْطِي كِتَابَهُ الذِي لا يُغَادِرُ صَغِيْرَةً ولاَ كَبِيْرَةً إلا أَحْصَاهَا .

فَكَم مِن فَاحِشَةٍ نَسِيَهَا فتذَكَّرَهَا وَكَمْ مِنْ سَاعَةً قَتَلَهَا عند مُنْكَرٍ وكَم مِنْ لَيْلَةٍ أضَاعَهَا عِنْدَ مَلْهَى وَكَمْ مِنْ فُلُوسٍ أَنْفَقَهَا فِي المَعَاصِيْ وكَمْ مِنْ صَلاَةٍ ضَيَّعَهَا وَكَمْ مِنْ زَكَاةٍ تَهَاوَنَ بِهَا وَكَمْ مِنْ صِيَامٍ في الكَذِبِ والغِيْبَةِ خَرَّقَهُ وَكَمْ مِنْ أَعْرَاضٍ انْتَهَكَهَا وجلود مزقها وَكَمْ مِن جِيْرَانٍ تأذَوْا بِمُجَاوَرَتِهِ وكَمْ مِن بَرِيءٍ قَذَفَهُ بالزِّنَا واللِّوَاطِ وكَمْ مِن مُحْصَنَةٍ قَذَفَهَا واتَّهَمَهَا وكَمْ مِن مُحْصَنَةٍ حَاوَلَهَا لِلْفَسَادِ وَكَمْ مِنْ مُخَالِطٍ لَهُ أَوْقَعَهُ في المَعَاصِيْ وكَمْ مِن أَرْحَامٍ قَطَعَهُمْ وكَمْ مِن مُسْلمٍ غَشَّهُ وكَمْ مِن سَاعَةٍ قَتَلَهَا فِيْمَا يُغْضِبُ اللهَ حَوْلَ المُنْكَرَاتِ وكَمْ مِنْ زَكَاةٍ تَنَاسَاهَا وَكَمْ مِن صَلاةٍ أَضَاعَهَا وأَفْسَدَها .

وَكَمْ مِن حُقُوقٍ لِخَلْقِ اللهِ نَسِيَهَا أَوْ تَنَاسَهَا وَكَمْ مِن أَسْرَارٍ تَسَمَّعَهَا لَمْ يُؤْذَنَ لَهُ في ذَلِكَ وَكَمْ مِن مُحَرَّمٍ نَظَرَ إليْهِ وَمُسْلِمٍ جَسَّ عَلَيْهِ وَأَوْقَعَهُ فَأَفْزَعَهُ وأَزْعَجَ أَوْلاَدَهُ وأَحِبَّاءَهُ وَأَثَّرَ بِهِ الفَزَعُ والهَمُّ إلى أَنْ أَبَادَهُ وَكَمْ مِن رِحْلَةٍ إلى بِلاَدِ الكُفْرِ أَقَامَهَا وأَنْفَقَ فِيها الأَمْوَالَ في المَعَاصِيْ .

وَكَمْ مِن أَعْدَاءٍ للهِ جَالَسَهُمْ وَمَازَحَهُمْ وشَارَكَهُمْ وَوَلاَهُمْ وَدَاهَنَهُمْ وَكَمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ للهِ عَادَاهُمْ وَانْتَهَكَ أَعْرَاضَهُمْ وَكَمْ مِن كُفَّارٍ والاَهُمْ وَصَادَقَهُمْ وَمَدَحَهُمْ وَكَمْ مِنْ عَمَلٍ بالرِّيَاءِ أَفْسَدَهُ ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وبَدَا لَهُمْ سيئَاتُ ما عَمِلُوا وحَاقَ بِهِم ما كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ .

فَلَيْتَ شِعْري بأَيِّ قَدَم يَقِفُ بَيْنَ يَدَيْ اللهِ وَبِأَيِّ لِسَانٍ يُجِيْبُ وبأَيِّ قَلْبٍ

يَعْقِلُ ما يَقُولُ وبأيّ يَدٍ يَتَنَاوَلُ وبأيّ عَيْنٍ يَنْظُرُ وبَدِيْعُ السمواتِ والأَرضِ أمَامَهُ ﴿إنْ كُلُّ مَنْ في السَّمَوَاتِ والأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًا وَكُلُّهُمْ آتِيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْدًا﴾ .

إذا فَهِمْتَ مَا سَبَقَ مِن أَحْوَالِ يوم القِيَامَةِ وأَدِلَّتِهِ فَاعْلَمْ أَنَّ أَكْثَرَ خَلْقِ اللهِ لَمْ يَدْخُلِ الايمانُ باليَوْمِ الآخِرِ في قُلُوبِهِم وَلَمْ يَتَمكَّنْ مِن سُوَيْدَاءِ أَفْئِدَتِهِمْ .

ويَدُلُ عَلَى ذَلِكَ اسْتِعْدَادُهُم لِبَرْدِ الشتَاءِ وحَرِ الصَّيْفِ وتَهَاوُنُهُمْ بِجَهَنَّمَ وَزَمْهَرِيْرِهَا وَزَقُّومِهَا وَحَمِيْمِهَا وَوَيْلِهَا وغَسَّاقِهَا مَعَ مَا يَتْبَعُ ذلكَ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالأَهْوَالِ والكُرُوْبِ والْقَلاَقِلِ والمُزْعِجاتِ .

ولَو كانُوا مُصَدِّقِيْنَ مَا كَانُوا بِهَذِهِ الحَالِ ، اللِّسَانُ يُصَدِّقُ والعَمَلُ يُكَذِّبُ إِذَا سُئِلُوا عَنِ اليَوْمِ الآخِرِ نَطَقَتْ أَلْسِنَتُهُمْ وغَفَلَتْ عَنْه قُلُوبُهم .

ومَنْ قُدِّمَ لَهُ طَعَامٌ وأُخْبِرَ أَنَّهُ مَسْمُوْمٌ فَقَالَ لِلَّذِي أَخْبَرَهُ صَدَقْتَ فيهِ سُمٌ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ يَتَنَاوَلُهُ لِيَأْكُلَ كَانَ مُصَدِّقاً بِلِسَانِهِ ومُكَذِّباً بِفِعْلِهِ وتَكْذِيْبُ العَمَلِ أَبْلَغُ مِن تَكْذِيبِ اللِّسَانِ قَالَ بَعْضُهم :

شِعْرَا : ومُنْتَظِرٍ لِلْمَوتِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
يَشِيْدُ وَيَبْنِي دَائِماً وَيُحَصِّنُ
لَهُ حِيْنَ تَبْلُوْهُ حَقِيقَةُ مُوْقِنٌ
وأَعْمَالُهُ أَعْمَالُ مَن لَيْسَ يُوْقِنُ
عِيَانٌ كَإِنْكَارٍ وَكَالجَهْلِ عِلْمُهُ
بِمَذْهَبِهِ في كُلِّ مَا يُتَيَقَّنُ

آخر : بَادِرْ شَبَابَكَ أَنْ تَهْرَمَا وَصِحَّةَ جِسْمِكَ أَنْ تَسْقَمَا
وأيامَ عَيْشِكَ قَبلَ المَمَاتِ فَمَا قَصْرُ مَنْ عَاشَ أَنْ يَسْلَمَا
وَوَقْتُ فَراغِكَ بادِرْ بِهِ لَيَالِيَ شُغْلِكَ فِي بَعْضِ مَا
آخر : أَمِنْ بَعْدِ شَيْبٍ أيُّهَا الرَّجُلُ الكَهْلُ جَهِلتَ ومِنْكَ اليومَ لا يَحْسُنُ الجَهْلُ

تَحكَّمَ شَيْبُ الـرَّأسِ فِيكَ وإنَّمَا　　تَمِيلُ إلَى الدُّنْيَا ويَخْدَعُكَ المَطْلُ
دَعِ المَطْلَ والتَّسويفَ إنّكَ مَيِّتٌ　　وَبَادِرْ بجدٍّ لا يُخَالِطُهُ هَـــزْلُ
سَأَبْكِي زَمَـاناً هَـدَّنِي بفراقِـهِ　　فَلَيْسَ لِقَلْبِي عَنْ تَذَكّرِهِ شُغْـلُ
عَجِبْتُ لِقَلْبِيْ والْكَرى إذْ تَهَاجَرَا　　وقَدْ كَان قَبْلَ الْيَوْمِ بَيْنَهُمَا وَصْلُ
أَخَذْتُ لِنَفسيْ حَتْفَ نَفْسي بِكَفِّهَا　　وأثقلْتُ ظَهْرِيْ مِن ذُنُوْبٍ لَهَا ثِقْلُ
وبَارَزْتُ بالعِصيَانِ رَباً مُهَيْمِنـاً　　لَهُ المنُّ والإحْسَانُ والجُودُ والفَضْلُ
أخَافُ وَأرْجُوْ عَفْـوَهُ وعِقَابَـهُ　　وأعْلَـمُ حَقاً أنَّـه حَكَـمٌ عَدْلُ

« موعظة »

عِبَادَ اللهِ إنَّ مِن عِبادِ اللهِ مَنْ إذَا أنْعَمَ اللهُ عَلَيهِ بِمَالٍ كَثِيرٍ كَانَتِ الحَالُ عِنْدَهُ فَوْضَى فلا تَضَعُ زَوْجَتُهُ ولاَ بَنَاتُهُ أيْدِيَهُمْ في دَقِيْقٍ ولا جَلِيْلٍ مِن أعْمَالِ البَيْتِ فَيَجِيءُ لَهُنَّ بِخَدَّامِيْنَ وَسَوَّاقِيْنَ وَطَبَّاخِيْنَ الوَاحِدُ مِنْهُمْ في طُولِ النَّخْلَةِ في مُنْتَهى العَافِيَةِ ولا يَبْعُدُ أنْ يَكُونَ مِنَ الشَّبابِ الذِيْنَ يُعْجِبُوْنَ النِسَآءَ جَمَالاً وَرُبَّمَا خَلَوْ في النِّسَآءِ وَصَاحِبُ البَيْتِ مِنْ زَوْجٍ أوْ غيرِهِ لاَهٍ في أُمُوْرِ دُنْيَاهُ أوْ في عَمَلِهِ لا يُفَكِّرُ فِيمَا تُفكِّرُ فِيْهِ النِسَآءُ ولا فِيْمَا يُفَكِّرُ فِيْهِ الخَادِمُ أو السَّائِقُ وكأنَّ نِسَاءَهُ في اعْتِقَادِهِ مَعْصُوْمَاتٍ وَلاَ يَدْرِي أنَّهُ مَا خَلاَ رجُلٌ بِامْرَأةٍ إلا وَثَالِثُهُمَا الشيطانُ وأنَّ النِسَآءَ حَبَائِلُ الشيطانِ وَأنَّهُنَّ مِن أضَرِّ مَا عَلَى الرَّجُلِ وَأنَّ لذةَ الرَّجُلِ عِنْدَهُنَّ ولَذَّاتُهُنَّ عِنْدَهُ لا يُخَالِفُ في ذَلِكَ أحَدٌ إلا مَعْتُوْهٌ أوْ نَحْوُهُ فإذَا رَأَتْ المَرْأةُ شَاباً وَلاَ ثَالِثَ لَهُمَا فَلا يَبْعُدُ أنْ تَدْعُوْهُ لِذَلِكَ فَمَا مَوْقِفُ هَذَا المُغَفَّلِ أمَامَ بَدِيْعِ السَّمواتِ والأرْضِ الذي يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعْيُنِ وَما تُخفي الصُّدُوْر .

ولَعَلَّ جَوَابَ هَذَا الجَاهِلِ أنَّهُ لا يَدُوْرُ في خَلَدِهِ أنَّ امْرَأَتَهُ تُقْدِمُ عَلَى مِثْلِ هَذَا لأنَّهَا عِنْدَهُ مَعْصُوْمَةٌ قُولُوا لَهُ أمَا سَمِعْتَ بِقِصَّةِ امْرَأةِ العَزِيْزِ اقْرَأْهَا لَعَلَّكَ تَأْخُذُ حِذْرَكَ وتَعْلَم أنَّه لاَ يَسْلَمُ مِن فِتْنَتِهِنَّ إلا عِبَادَ اللهِ المُخْلَصِيْن .

قُوْلُوا لَهُ تَأَمَّلِ القِصَّةَ لَعَلَّكَ أَنْ تَفْهَمَ أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلا لم يَذْكُرْهَا فِي القُرْآنِ إلا لِيَعْتَبِرَ أُولُو الأَبْصَارِ فَيَحْتَرِسِ الرِّجَالُ على نِسَائِهِم مِن الخَدَمِ ونَحْوِهِم .

إنَّ امْرَأَةَ العَزِيْزِ كَانَتْ ذَاتَ مَرْكَزٍ عَظِيْمٍ فِي مِصْرَ وكَانَ يُوْسُفُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسلامُ في بَيْتِهَا كَخَادِمٍ لَهَا وَمَعَ ذلكَ لَمْ تَسْأَلْ عَنْ شَرَفِهَا وكَرَامَتِهَا ولا شَرَفِ زَوْجِهَا بَلْ دَاسَتْهُمَا بِنَعْلِ الشَّهْوَةِ دَوْساً ولم تَتَوَقَّفْ في بَذْلِ كُلِّ مَا تَسْتَطِيْعُ مِن قُوَّةٍ وَحِيْلَةٍ لاخْضَاعِ يُوْسُفَ عَلَيْهِ السلامُ وَلَوْلاَ أَنَّ اللهَ عَصَمَهُ وصَرَفَ عَنْهُ السُّوْءَ والفَحْشَآءَ لَوَصَلَتْ إلى مَا تُرِيْدُ قال تعالى « كذلك لِنَصْرِفَ عنه السُّوْءَ والفَحْشَآءَ إنه مِن عِبَادِنا المخلصين » .

والفِتْنَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّكَ تَجِدُ آخرَ يَأْتِي بِخَدَّامَةٍ وَيَتَخَيَّرُ القَوِيَّةَ الجَمِيْلَةَ وبَيْتُهُ الوَاسِعُ مَمْلُوءٌ مِن العُزَّابِ أَوْلادٍ وإِخْوَانٍ وَرُبَّمَا خَلَوْ بِهَا وهُوَ أَيْضاً رُبَّمَا خَلاَ بِهَا وَرُبَّمَا تكونُ أَجْمَل مِن زَوْجَتِهِ أَوْ أَشَبَّ مِنْهَا وَمَعَ هَذا فَلاَ يُفكِّرُ في الخَطَرِ مِن زَوْجَتِهِ أَوْ أَوْلاَدِهِ فلا تَهُمُّهُ تِلْكَ النَّاحِيَةُ وإِنَّمَا تَهُمُّهُ النَّاحِيَةُ التِي يَعْرِفُهَا عن بَعْضِ النِسَآءِ الفَاسِقَاتِ ويَسْتَبْعِدُ ذَلِكَ مِن نِسَائِهِ وأَنَّهُ مِن المُحَالِ عِندَهُ فَتَنبهُوْا يا عِبَادَ اللهِ ولا تَسْتَخدِمُوْا الشَّبَابَ ولا الشَّابَاتِ مِن النِّسَاءِ وإلا فَقَدْ عَرَّضْتُمْ أَنْفُسَكُم لِلْفِتَنِ والمَشَاكِلِ والعُقُوبَاتِ. واحذروا إستخدام الكافرين والكافرات.

فإِنْ كانَ لاَ بُدَّ فاسْتَخْدِمُوْا الرِّجَالَ خَارِجَ البُيُوتِ واحْذَرُوْا مِن اتِّصَالِهِم بِنسَائِكُم وأَمَّا الخَدَّامَاتِ فاحْرِصُوا على كَبِيْرَةِ السِّنِّ المُتَدَيِّنَةِ غَيْرَ الجَمِيْلَةِ لِتَبْتَعِدُوا عن أَسْبَابِ الشَّرِ والفَسَادِ وتَطْمَئِنُوْا على مَا يَأْتِيكُم مِن أَوْلادٍ أَنَّهُم مِن أَصْلاَبِكُم وإِن أَبَيْتُمْ فالضَّرَرُ عَائِدٌ عَلَيْكُم دُنْياً وأُخْرَى .

شِعراً : بَذَلْتُ لَهُمْ نُصحِيْ بِمُنْعَرِجِ اللِّوَا   فَلَمْ يَسْتَبِيْنُوا الرُّشْدَ الأَضْحَى الغَدِ

آخر : أَتَيْتُكَ رَاجياً يَا ذَا الجَلالِ فَفَرِّجْ ما تَرى مِن سُوْءِ حَالِيْ
عَّصَيْتُكَ سَيِّدِي وَيْلِيْ بِجَهْلِي وَعَيْبُ الذَّنْبِ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِي
إِلَى مَنِ يَشْتَكِى الْمَمْلُوكُ إِلاَّ إِلَى مَوْلاَهُ يا مَوْلَى المَوالِي
فَوَيْلِي لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلاَ أَعْصِيْكَ فِي ظُلَمِ اللَّيَالِي
وَهَا أَنَا ذَا عُبَيْدُكَ عَبْدَ سُوْءِ بِبَابِكَ واقِفٌ يَا ذَا الجَلالِ
فإِنْ عَاقَبْتِ يَا رَبُّ فإِنِّي مَحُقُ بالعَذَابِ وبالنَّكَالِ
وإِن تَعْفُوْ فَعَفْوُكَ أَرْتَجِيْهِ وَيَحْسُنُ إِنْ عَفَوْتَ قَبِيْحَ حَالِيْ

اللَّهُمَّ وَفِقْنا لِصَالِحِ الأَعْمَالِ وَأَكْفِنَا بِحَلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِ شَيْءٍ قَدِيْر وَاللهُ أَعْلِمُ وَصَلىَ اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل)

وقِسْمٌ مِن النَّاسِ وَالعِيَاذُ باللهِ أَنْكَرُوْا يومَ القِيَامَةِ بَتَاتاً مُسْتَبْعِدِيْنَ ومُسْتَفْهِمِيْنَ اسْتِفْهَامَ إِنْكَارٍ وتهكم ﴿أئذا مِتْنا وَكُنَّا تُراباً ذَلِكَ رجعٌ بَعِيدٌ﴾ ﴿وضَرَبَ لَنا مَثَلاً ونَسِيَ خَلْقَهُ قَال مَنْ يُحْيِيْ العظامَ وهي رَمِيْمٌ﴾ فأَوْضَحَ جَلَّ وَعَلاَ وَبَيَّنَ أَنَّ الذِيْ خَلَقَهُم وأنشأَهُم أوَّل مَرةٍ قَادِرٌ على إِحْيَائِهِم بَعْدَ فَنائِهِم .

بَلِ الإِعَادَةُ أَهْوَنُ في نَظَرِ النَّاسِ وَحُدُوْدِ قُدْرَتِهِم مِن الإِبْدَاعِ فالذِيْ يَعْتَرِفُ وَيُقِرُ بِأَنَّ الله تَعالَى هُوَ الذِي بَدَأَ الخَلْقَ يَجِبُ عليهِ ويَتَحَتَّمُ أَنْ يُسَلِّمَ بِأَنَّ اللهَ تعالى قادِرٌ على الإِعَادَةِ .

وذَكَرَ جَلَّ وَعَلاَ البَدْأَ دليلاً على الإعادة فقال ﴿ويقول الإنسان إذا ما مت لسوف أخرج حياً أَوَ لا يَذْكُرُ الانسانُ أَنَّا خَلقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ ولَم يَكُ شَيْئاً﴾ وَذَكَرَ جَلَّ وَعَلاَ في سُوْرَةِ الرُّوْمِ أَنَّ إِعَادَةَ الخَلْقِ أَهْوَنُ مِن ابْتِدَائِهِ فقال جَلَّ وَعَلاَ ﴿وهُوَ الذِي يَبْدَؤُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ وهُوَ أَهْوَنُ عليهِ ولَهُ المَثَلُ الأَعْلَى في السمواتِ والأَرْضِ وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيْمِ﴾ .

ومِنَ الأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلى البَعْثِ دَلالَةً قَاطِعَةً بمُجَرَّدِ نَظَرِ العَاقِلِ إِلَيْهَا يَسْتَدِلُ بِهَا اسْتِدْلالاً لا يَقْبَلُ الشَّكَ والشُبْهَةَ بِوُقُوعِ مَا خَبَّرَتْ به الرُّسُلُ مِنَ البَعْثِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ على عِظَمِهِمَا فَكُلُ مُنْصِفٍ يَعْلَمُ بالبَدَاهَةِ الحِسِّيَةِ أنَّ خَلْقَ السَّمواتِ والأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ في ابْتِدَائِهِم وإِعَادَتِهِمْ .

وَوَرَدَ بِعِدَّةِ آيَاتِ الاسْتِدْلَالُ بِخَلْقِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعالَى عَلَى إِحْيَاءِ المَوْتَى قالَ تعالى ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الذِي خَلَقَ السمواتِ والأَرْضَ ولَمْ يَعْيَ بخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ على أنْ يُحْيِيَ المَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾ .

وقال تعالى ﴿أَفَعَيِيْنا بالخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ في لَبْسٍ مِن خَلْقٍ جَدِيْدٍ﴾ بِهَذِهِ الآيَةِ أَكَّدَ جَلَّ وَعَلَا صحَةَ البَعْثِ ، المَعْنَى أنَّ ابْتِداءَ الخَلْقِ لَمْ يُعْجِز الله والإعادةُ أَسْهَلُ مِن الابْتِدَاءِ والكُلُ على اللهِ هَيِّنٌ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إذا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فيَكُون﴾ ، فلا مَجالَ لِلشَّكِ فِي الإعَادَةِ عِنْدَ مَنْ يُقِرُ في الابْتِدَاء .

وقال جَلَّ وَعَلَا مُخْبِراً عَمَّا قَالَهُ الكُفَّارُ الذِيْنَ يَسْتَبْعِدُوْنَ البَعْثَ وَرَاداً عَلَيْهِم ﴿آئـذا كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ » .

وقَدْ أَمَرَ الله رسولَهُ ﷺ أَنْ يُجِيْبَهُمْ ويُعَرِّفَهُم قُدْرَتَهُ على بَعْثِهِ إِيَّاهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِم وانْشَائِهِ لَهُمْ كَمَا كَانُوا قَبْل بلائِهِم خَلْقاً جَدِيْداً على أيِّ حَالٍ كانُوا عِظَاماً أَوْ رُفَاتاً أَوْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيْداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يُسْتَبْعَدُ عِنْدَكُم قَبُولُهُ لِلْحَيَاةِ فإِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْر ، لا يُعْجِزُهُ إعادَتُكُمْ مَهْمَا تَحَوَّلْتُم وتَمَزَّقْتُم وتَفَرَّقْتُمْ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون ﴿فإِنَّما هِي زَجْرَةٌ واحِدَةٌ فإِذَا هُمْ بالسَّاهِرة﴾ .

شِعْرا : يَومُ القِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهَوْلِهِ   لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ أَوْطَـانِ
يَومٌ تشقَقَتِ السَّمَـاءُ لِهَوْلِـهِ   وتشِيْبُ مِنْهُ مَفَـارِقُ الوِالْـدانِ

وأخبَرَ أنَّه عِنْدَمَا يُقِيْمُ عَلَيْهِمُ الحُجَّةَ على البَعْثِ يَقُولُوْنَ مَنْ يُعِيْدُنَا أيْ مَنْ يُعِيْدُنَا وَنَحْنُ بِهٰذِهِ الحَالِ : فَقُلْ تَحْقِيْقاً لِلْحَقِّ وَإزَاحَةً للاسْتِبْعَادِ وارْشَاداً إلى طَرِيْقِ الاسْتِدْلَالِ ، الذِي يَفْعَلُ ذلكَ هُوَ القَدِيْرُ العَظِيْمُ الذِي لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ في الأَرْضِ ولا فِي السَّماءِ .

الذِي ذَرَأَكُم في الأَرْضِ أَوَّلَ مَرَّةٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ يُحْتَذَى وَلَا مِنْهَاجٍ مُعَيَّنٍ يُنْتَحَى وكُنْتُمْ تُرَاباً لَمْ يَشُمَّ رَائحَةَ الحَيَاةِ أَلَيْسَ الذِي يَقْدِرُ على ذَلِكَ يَقْدِرُ علىَ أنْ يَجْمَعَ ما تَفَرَّقَ ويُفِيْضَ الحَيَاةَ عليهِ ويُعِيْدُهُ كَمَا خَلَقَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلَى إنَّه سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدير .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ مَا يَفْعَلُوْنَهُ حِيْنَ مَا يَسْمَعُوْا الجَوابَ « فَسيُنْغِضُوْنَ إلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُوْلُونَ مَتَى هُوَ »أَيّ مَتَى هَذَا البَعْثُ وَفِي أيِّ وَقْتٍ وَحَالٍ يُعِيْدُنَا خَلْقاً جَدِيْداً كَمَا كُنَّا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَمَقْصَدُهُمْ مِنْ هَذَا السُّؤَالِ اسْتِبْعَادُ حُصُوْلِهِ .

وَفِي مَعْنَى هَذِهِ الآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُم « وَيَقُولُون مَتَى هَذَا الوَعْدُ إن كُنْتُمْ صَادِقِيْن » قَالَ تَعَالَى « قُلْ عَسَى أنْ يَكُوْنُ قَرِيباً » أيّ فَاحْذَرُوا فَإنَّه قَرِيْبٌ مِنْكُمْ وَسَيأتِي لَا مَحَالَةَ وَكُلُّ آتٍ قَرِيْب وَكُلُّ مَا هُوَ مُحَقَّقُ الحُصُوْلِ قَرِيب .

وَإنْ طَالَ الزَّمَانُ فِي نَظَرِ العِبَادِ وَلَمْ يُخْبِرْ بِهِ أَحداً لا مَلَكاً مُقَرَّبَا وَلَا نَبِيَّاً مُرْسَلا «يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيْبُوْنَ بِحَمْدِهِ » أيّ يَوْمَ يَدْعُوْكُمْ لِلْبَعْثِ وَالنُّشُورِ والحِسَابِ والجَزَاءِ فَتَسْتَجِيْبُوْنَ لَهُ مِن قُبُورِكُمْ بِقُدْرَتِهِ وَدُعَائِهِ إيَّاكُمْ وَلَهُ الحَمْدُ فِي كُلِّ حَالٍ وَتظُنُّون حِيْنَ تَقُوْمُوْنَ مِنْ قُبُوْرِكُمْ إنْ لَبِثْتُمْ إلاّ قَلِيْلا فِي دارِ الدُّنْيا وَقَوْله « كَأَنَّهُمْ يَوم يَرَوْنَ مَا يوعَدُوْن لم يَلبثُوا إلاّ ساعةً مِنْ نهار » .

وَنَحْوُ هَذِهِ الآيَةِ قَوْلُهُ تَعالَى « كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوْا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا » وقوْله « وَيَوْمَ تَقُوْمُ السّاعةُ يُقْسِمُ المُجْرِمُوْنَ مَا لَبِثُوا غيْرَ سَاعَةٍ » وقولُهُ « ويَوْمَ يحشُرهُمْ كأنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتعَارَفُوْنَ بَيْنَهُمْ » وَقَوْله « إِذْ يَقُولُ أمثلُهُم طَرِيقةً إنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا » .

شعرا :

هُوَ الدَّهْرِ فَاصْبِرْ مَا عَلَى الدَّهْرِ مَعْتَبُ
وَلَيْسَ لَنَا مِمَّا قَضَى اللّٰهُ مَهْرَبُ
وَلَا بُدَّ مِنْ كَأْسِ الحِمَامِ ضَرُورَةً
وَمَنْ ذَا الَّذِي مِنْ كَأْسِهِ لَيْسَ يَشْرَبُ
وَمَا يَعْمُرُ الدُّنْيَا الدَّنِيَةَ حَازِمٌ
إِذَا كَانَ فِيْهَا عَامِرُ العُمْرِ يَخْرَبُ
وإِنَّ عَلِيّاً ذَمَّهَا فِي كَلَامِهِ
وَطَلَّقَهَا وَالجَاهِلُ الغِرُّ يَخْطُبُ
أَلَا إِنَّ هَذَا الكَوْنَ فِيْهِ مَوَاعِظٌ
لِمُتَّعِظٍ مِن ظُلْمَةِ القَبْرِ يَهْرَبُ
فَكَمْ مِنْ عَظِيْمِ البَأْسِ صَارَتْ عِظَامَهُ
أَوَانٍ وَمِنْها المَاءُ يَا قَوْمُ يُشْرَبُ
وَيُنْقَلُ مِنْ أَرْضٍ لأُخْرَى وَمَا دَرَى
فَوَاهاً لَهُ بَعْدَ البِلَى يَتَغَرَّبُ

اللَّهُمَّ قَوِّمْنَا إِذَا اعْوَجَجْنَا وأَعِنَّا إِذَا اسْتَقَمْنَا وَكُنْ لَنَا وَلَا تَكُنْ عَلَيْنَا وَأَحْيِنَا فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنِيْنَ طَائِعِيْنَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِيْنَ مُخْلِصِيْنَ واجْعَلْنَا عِنْدَ السُّؤَالِ

ثَابِتِيْنَ وَاجْعَلْنا مِمَّن يَأخُذُ كِتَابَهُ باليَمِيْنِ واجْعَلْنَا يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ مِنْ الآمِنِيْن وَمَتِّعْنَا بالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الكَرِيم بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْن .

(فصــل)

ومِنْ تَوَهُّمَاتِ المُنْكِرِيْنَ لِلْبَعْثِ أَنَّ مَنْ يَمُوْتُ يَضَلُّ رُفَاتُهُ في الأَرْضِ فَتَذْهَبُ صُوْرَتُهُ وَصِفَاتُهُ فَكَيْفَ يُرْجِعُ اللَّهُ هَذِهِ الذَّوَاتِ والصِّفَاتِ وَكَيْفَ يَجْمَعُ هَذِهِ الذَّرَّاتِ المُتَفَتِّتَةُ مِنْ عِظَامِهِمْ وَأثَرُ هَذَا التَّوَهُّمُ الفَاسِدِ يَظْهَرُ فِي تَوَهُّمِهِمْ أَن عِلْمَ اللَّهِ غَيْرُ مُحِيْطٍ بِكُلِّ صَغِيْرٍ وَكَبِيْرٍ مِن أَعْدَادِ الَّذِينَ يَمُوْتُوْنَ مِن النَّاسِ وَغَيْرُ مِحِيْطٍ بِصِفَاتِهِمْ وَأَوْضَاعِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ .

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلاَ مَقَالَتَهُمُ الفَاسِدَةَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى هَذَا التَّوَهُّمِ مِنْ تَوَهُّمَاتِهِمْ قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُمْ « وَقَالُوا أئِذَ ظَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أئِنَّا لَفِيْ خَلْقٍ جَدِيْد » وَهَؤُلاءِ قَاسُوْا قُدْرَةَ الخالِقِ الَّذِي بَدَأَهُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ عَلَى قُدْرَةِ المَخْلُوقِ العَاجِزِ .

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ القُدْرَتَيْنِ « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون » « فَإِنَّمَا هِيَ زَجَرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بالسَّاهِرَةِ » .

ثُمَّ زَادَ فِي النَّعْي عَلَيْهِمْ والإِنْكَارِ لآرَائِهِمْ بِقَوْلِهِ « بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُوْنَ » أيْ تَعَدَّوْا ذَلِكَ إلى الجُحُودِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ وَذَكَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلاَ مَقَالَتَهُمْ هَذِهِ فِي سُوْرَةِ سَبَأ وَهُم أَتَوْا بِهَا عَلَى وَجْهِ الاسْتِهْزَاءِ وَالتَّهَكُّمِ وَالتَّكْذِيْبِ والاسْتِبْعَادِ والانْكَارِ .

« وَقَال الّذِيْنَ كَفرَوْا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ أَنَّكُمْ لَفِي خَلق جَدِيد » أَيْ إِنَّهُ يَقُولُ إِذَا أَكَلَتْكُمُ الأَرْضُ وصِرْتُم رُفَاتاً وعِظَاماً وَقَطَّعَتْكُم السِّبَاعُ والطَّيْرُ سَتَحْيَوْنَ وَتُبْعَثُون ثُمَّ تُحَاسَبُوْنَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْكُمْ مِنْ صَالِح العَمَلِ وَسَيِّئِهِ .

وَإِنَّ أَمْرَهُ دَائِرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُفْتَرِياً عَلَى اللّهِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مَجْنُوْناً فَرَدَّ اللّهُ عَلَيْهِمْ مَقَالَتَهُمْ وأَثْبَتَ لَهُمْ مَا هُوَ أَشَدُّ وأَنْكَى فَقَالَ « بَلْ الّذِيْنَ لا يُؤْمِنُوْنَ بِالاخِرَةِ فِي العَذَابِ والضَّلالِ البَعِيْدِ أَيْ لَيْسَ الأَمْرُ كَمَا زَعَمُوْا وَلاَ كَمَا ذَهَبُوْا إِلَيْهِ .

بَلْ إِنَّ مُحَمَّداً ﷺ صَادِقٌ فِيْمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ البَعْثِ وَهُمْ فِي شَقَاءٍ عَذَابٌ فِي حَيَاتِهِمْ مِنْ دَاخِلِ نُفُوسِهِمْ كُفْرٌ وشُكُوكٌ وأَوْهَامٌ وَفِي الآخِرَةِ إِذَا بُعِثُوْا ذَاقُوا أَلْوَانَ العَذَابِ لأَنَّهُمْ مُجْرِمُوْنَ مُتَمَرِّدُوْنَ على الحَقِّ وهُمْ فِي الضَّلاَلِ البَعِيْدِ فِي عَقِيْدَتِهِمْ وفِي سُلُوكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ .

ثُمَّ ذَكَّرَهُمْ بِمَا يُعَايِنُونَهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ مِنَ الدَّلِيْلِ العَقْلِي الدَّالِ عَلَى عَدَمِ اسْتِبْعَادِ البَعْثِ وَهُوَ أَنَّهُمْ لَوْ نَظَرُوْا إِلى مَا بَيْنَ أَيْدِيْهِم وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ فَرَأَوْا مِنْ قُدْرَةِ اللّهِ فِيهِمَا مَا يَبْهَرُ العُقُوْلِ وَمِن عَظَمَتِهِ مَا يُذْهِلُ العُلَمَاءَ الفُحُوْلَ وَلَكِنَّهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى « وَكَائِنْ مِنْ آيةٍ فِي السّموات والأرضِ يَمُرُّوْنَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُون » وَقَال عَمَّا قَالَهُ نُوْحُ عَلَيْهِ السّلام « قال يا قوم أَرأَيْتُمْ إنْ كُنْتُ على بينةٍ مِنْ رَبِّي وآتاني رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكم أَنُلْزِمُكُمُوها وأنْتم لَهَا كَارِهُوْن » .

وَفِي الكَوْنِ مِن سِرِّ الوُجُوْدِ عَجَائِبٌ
أَطَـلَّ عَلَيْهَـا العَـارِفُـوْنَ وأَشْـرَفُـوْا

آخَرُ : فَيَا عَجَباً مِمَّنْ يُضِيْعُ حَيَاتَهُ
عَلَى حِفْظِ مَالٍ وَهُوَ لِلْغَيْرِ يَدْخَرُ
وَمَنْ تُتَوفَّى نَفْسُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ
وتَرْجِعُ فِيْهِ كَيْفَ لِلْبَعْثِ يُنْكِرُ
بَلَى قَادِرٌ أَنْشَاهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
عَلَى رَدِّ رُوْحٍ مِنْهُ فِي الجِسْمِ أَقْدَرُ
آخَرُ : تَأَمَّلْ سُطُوْرَ الكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا
مِنَ المَلِكِ الأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ
وَقَدْ كَانَ فِيْهَا لَوْ تَأَمَّلْتَ خَطَّهَا
أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللَّهَ بَاطِلُ

وَفِي سُورةِ قٓ ذَكَرَ تَعالَى أَنَّهُمْ اسْتَبْعَدُوْا البَعْثَ وَتَعَجَّبُوْا قَالَ تَعالَى حِكَايَةً عَمَّا قَالُوا « وقال الكَافِرُونَ هَذا شَيْءٌ عَجِيْب أَئِذا مِتْنَا وَكُنَّا تُراباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيْد » .

فَعُقُوْلُ هَؤُلاَءِ سَخِيْفَةٌ حَيْثُ قَاسَتْ قُدْرَةَ مَنْ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْر وبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْم الكَامِلُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ بِقُدْرَةِ العَبْدِ الفَقِيْرِ الضَّعِيْفِ العَاجِزِ مِنْ جَمِيْعِ الوُجُوْهِ الجَاهِلِ الَّذِي لا عِلْمَ لَهُ .

فَقَالَ جَلَّ وَعَلاَ مُشِيْراً إلى دَلِيْلِ جَوَازِ البَعْثِ وَقُدْرَتِهِ عَلَيْهِ ومُؤَكِّداً عِلْمَهُ بِجَمِيْعِ الأَشْياءِ « قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهم وعندنا كِتَابٌ حَفِيْظ » حَافِظٌ لِتَفاصِيْلِ الأشْيَاءِ كُلِّهَا مَحْفُوْظٌ عن التَّغْيِيرِ والتَّبْدِيلِ بِكُلِّ مَا يَجْرِيْ عَلَيْهِمْ فِي حَيَاتِهِمْ أَوْ مَمَاتِهِمْ .

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ حَالَ مُنْكِرِيْ البَعْثَ لَفَتَ أَنْظَارَهُمْ إلى الدَّلِيْلِ الَّذِي يَدْحَضُ كَلامَهُمْ أَلَا وَهُوَ النَّظَرُ فِي آياتِهِ الأفاقِيَّةِ كَيْ يَعْتَبِرُوْا وَيَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلَى مَا جُعِلَتْ أَدِلَّةً عَلَيْهِ .

فإِنَّ مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَزَيَّنَهَا بالكَوَاكِبِ وأَحْكَمَهَا وَبَسَطَ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيْهَا رَوَاسِيَ وأنْبَتَ فِيْهَا صُنُوفَ النَّبَاتِ صِنْوَانٌ وغَيْرُ صِنْوانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ واحِدٍ وَيَتَفَاضَلُ فِي الأَكْلِ .

وَجَعَلَ ذَلِكَ تَبْصِرَةً لِأُوْلِي الأَلْبَابِ وَنَزَّلَ مِن السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَ بِهِ خُضْرَ الجِنَانِ وَالزَّرْعِ المُخْتَلَفِ الأَصْنَافِ والأَلْوَانِ والطُعُومِ والنَّخْلِ البَاسِقِ ذَا الطِلْعِ المُتَرَاكِمِ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ رزقا للعباد وأَحْيَا الأرضَ الموات .

أَفَلا يَسْتَطِيْعُ مَنْ هَذِه قُدْرَتُه وَهَذَا شَأْنُهُ أَنْ يُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ القُبُوْرِ بَعْدَ بَلائِهِم وَبَعْدَ أَنْ يَصِيْرُوْا عِظَاماً وَرُفَاتاً وَيُنْشِئُهُمْ خَلْقاً آخَرَ في حَيَاةٍ اخْرَى وعَالَمٍ غَيْرَ هَذَا العَالَمِ بَلَى وَاللهِ إِنَّهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْر وبكلِ شَيءٍ أَحَاطَ عِلْمَا .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ السَّفَارِيْنِي :

وَاجْزِمْ بِأَمْرِ البَعْثِ والنُشُوْرِ
والحَشْرِ جَزْماً بَعْدَ نَفْخِ الصُوْرِ
كَذَا وُقُوفِ الخَلْقِ لِلْحِسَابِ
والصُّحْفِ والمِيْزَانِ لِلثَّوابِ
كَذَا الصِراطِ ثُمَّ حَوْضِ المُصْطَفَى
فَيَا هَنَا لِمَنْ بِهِ نَالَ الشِفَا

عَنْـهُ يُـذَادُ المُفْتَـرِيْ كَمَـا وَرَدْ
وَمَنْ نَحَا سُبْلَ السَّلامَةْ لَمْ يُـرِدْ
وَكُنْ مُـطِيْعاً وَأقْفُ أهْـلَ الطَّـاعَـةْ
في الحَـوْضِ والكَـوْثَـرِ والشَّفَـاعَـةْ
فـإنَّـهَـا ثَـابِتَـةٌ لِـلْمُصْـطَفَـى
كَغَيْـرِهِ مِـن كُـلِّ أرْبَـابِ الْـوَفَـا
مِنْ عَـالِمٍ كَـالـرُسْـلِ والأَبْـرَارِ
سِـوَى التِي خُصَّتْ بِـذِي الأَنْـوَارِ

اللهم انا نعوذ بك مِن جَهْدِ البَلاء ودَرَكِ الشَّقَاء وشَمَاتَةِ الأَعْدَاء وسوءِ المنظر في الأهلِ والمالِ والولَدِ اللهم حَبِّبْ إلَيْنَا الايمانَ وزَيِّنْهُ في قُلُوبِنَا وَكَرِّهْ إلينَا الكُفْرَ والفُسُوقَ والعِصْيَانَ واجعلنا مِن الراشدين واغفر لَنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل)

ومِن الأَدلَّةِ الدَّالَّةِ على البَعْثِ قولُه تعالى ﴿ومِن آياتِهِ أَنَّك تَرَى الارض خاشِعةً فإذا أنْزَلْنا عليها الماءَ اهْتَزَّتْ ورَبَتْ إنَّ الذي أَحْيَاهَا لمحْي الموتى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير﴾ .

إنَّ جَفَافَ الزَّرْعِ ويُبْسَ الشَّجَرِ وانْقِطَاعَ تَغْذِيَتِهِ مِن الأَرْضِ وحَصَادَهُ وتَحَطُّمَهُ يُشْبِهُ حَالَةَ المَوْتِ في الأَحياء .

ثُمَّ إنَّ سُنَّةَ اللهِ الكَوْنِيَةِ الدَّائِمَةِ الظَّاهِرَةِ المُشَاهَدَةِ في عَمَلِيَّةِ انْشِقَاقِ

الحُبُوْبِ في بَطْنِ الأَرْضِ ونَباتِها بَعْدَ مَا سَبَقَ مِن حَالِهَا التِي تُشْبِهُ حَالةَ المَوتِ وَعَوْدَتَهَا إلى الحياة .

والنَّظْرَةَ كَرَّةً أخِرَةً وذلكَ عِنْدَ وُجُوْدِهَا في البَيْئَةِ المُلائِمَةِ مِن مَاءٍ مِمْتَزِجٍ بالتُّرابِ الصَّالحِ لِتُعْطِيْ تَقْرِيْباً حِسِّياً مُشَاهَدَاً بِاسْتِمْرارٍ في الظَواهِرِ الكَوْنِيَّةِ لِقِصَّةِ بَعْثِ الحَيَاةِ وتَفَرُّقِ أَجْزَائِهَا فِي تُرَابِ الأَرْضِ .

وقَدْ نَبَّهَ اللهُ في القُرْآنِ إلى هَذَا الشَاهِدِ الكَوْنِي الذِيْ يُقَرِّبُ إلى تَصَوُّرِ أَصْحَابِ هَذَا التَّوَهُّمِ إمْكَانَ الحَيَاةِ الأُخْرَى وأَنَّهَا تُشْبِهُ عَوْدَةَ الحَيَاةِ إلى الزَّرْعِ وَالنَّبَاتِ بَعْدَ جَفَافِهَا ومَا يُشْبِهُ حَالَةَ المَواتِ فِيْهَا قالَ اللهُ تعالى ﴿وَترى الأَرْضَ هَامِدَةً فإذَا أَنْزَلْنَا عليها الماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيْج ذَلِكَ بأن اللهَ هُوَ الحَقُ وأنهُ يُحْيِ المَوْتَى وأنه على كل شيءٍ قَدِير﴾ .

وقَالَ فِي سُوْرَةِ الرُّوْمِ ﴿فانْظُرْ إلى آثارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ المَوْتَى وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْر﴾

وقالَ فِي سُوْرَةِ قَ ﴿وَنزَّلْنَا مِن السَّمَآءِ ماءً مُبَارَكاً فأَنْبَتْنا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الحَصِيْدِ والنخلَ باسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيْد رِزْقاً لِلعِبادِ وأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الخُرُوْجِ﴾ جَعَلَ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى ما سَبَقَ دَلِيْلاً على البَعْثِ لأَنَّهُ شَبِيْهٌ بِهِ .

وفي التَعْبِيْرِ عَن إخْرَاجِ النَّبَاتِ مِن الأَرْضِ بالاحْيَاءِ وعن احْيَاءِ المَوْتَى بالخُرُوْجِ تَفخِيْمٌ لِشَأْنِ الإنْبَاتِ وَتَهْوِيْنٍ لِأَمْرِ البَعْثِ وتَحْقِيْقٌ لِلْمُمَاثَلَةِ بَيْنَ اخْرَاجِ النَّبَاتِ وإِحْيَاءِ المَوْتَى لِتَوْضِيْحِ مِنْهَاجِ القِيَاسِ وتَقْرِيْبِهِ لِأَفْهَامِ النَّاسِ وكَذَلِكَ قَوْلَهُ تَعالَى ﴿وَهُوَ الذِيْ يُرْسِلُ الرِيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فأَنْزَلْنَا بِهِ الماءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِ الثَّمَرَاتِ

كَذَلِكَ نُخْرِجُ المَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْن﴾ .

فَفِي إِحْيَاءِ الأَرْضِ اليَابِسَةِ بَعْدَ نُزُوْلِ المَطَرِ عَلَيْهَا دَلِيْلٌ قَاطِعٌ واضِحٌ على إِحْيَاءِ المَوتَى فَكَمَا أَحْيَا الأَرْضَ بَعدَ مَوْتِهَا يُحْيِ الأَجْسَادَ وَيُعِيْدُ إِلَيْهَا أَرْوَاحَهَا يَومَ القِيَامَةِ .

فَيَقُومُ الناسُ مِن قُبُورِهم لِرَبِ العَالَمِين كَمَا أَخْبَرَ جَلَّ وَعَلا وهُوَ أَصْدقُ قَائِلٍ وذَلِكَ أنَّ اللهَ يُنْزِلَ مَاءً مِن السَّمَاءِ فَتُمْطَرُ الأَرْضُ أَرْبَعِيْنَ يوماً فَتَنْبُتُ مِنْهُ الأجسادُ في قُبُورِهِمْ كَما يَنْبُتُ الحَبُّ في الأَرْضِ ، قالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تعالى :

وإِذَا أَرَادَ اللهُ اخْـرَاجَ الـوَرَى
بَعْـدَ المَمَـاتِ إلى مَعَـادٍ ثَـانِي
أَلْقَى عَلَى الأَرْضِ التِي هُمْ تَحْتَهَا
واللهُ مُـقْـتَـدِرٌ وذُوْ سُـلْطَانِ
مَـطَراً غَـلِيْـظاً أَبْيَضـاً مُتَتَـابِعـاً
عَشْـراً وعَشْـراً بَعْـدَهَـا عَشْـرَانِ
فَتَـظَلُّ تَنْبُتُ مِنْـهُ أَجْسَـامُ الـوَرَى
ولُـحُـوْمُهُـم كَمَنَـابِتِ الـرَّيْحَـانِ
حَتَّى إِذَا مَـا الأُمُّ حَـانَ وِلادُهَـا
وتَـمَخَّـضَـتْ فَنِفَـاسُهَـا مُتَـدَانِ
أَوْحَى لَهَـا رَبُّ السَّمـا فَتَشَقَّقَتْ
فَبَـدَا الجَنِيْنُ كَـأَكْمَـلِ الشُّبَـانِ

وَتَـخَلَّتِ الأُمُّ الـوَلُـوْدُ وَأخْـرَجَـتْ
أثْـقَـالَـهَـا أنْثَـى وَمِـنْ ذُكْـرَانِ
واللهُ يُـنْشِـئُ خَلْقَهُ فِـي نَـشْـأَةٍ
أُخْرَى كَمَا قَـدْ قَالَ فِي القُـرْآنِ
هَـذَا الذِي جَـاءَ الكِتَابُ وَسُنَّـةُ الْـ
ـهَادِيْ بِـهِ فَـاحْرَصْ عَلَى الإِيْمَـانِ

يُضَافُ إلى هَذِهِ الأَدِلَّةِ مَا ذَكَرَ اللهُ في كِتَابِهِ أَيْضاً مِثْلَ قِصَّةِ إحْيَاءِ قَتِيْلِ بَنِي اسْرَائِيلَ لِسُؤالِهِ عن القَاتِلِ وَهَذِهِ القِصَّةِ أَخْبَرَنَا اللهُ بِهَا فِي أوَائِلِ سُوْرَةِ البَقَرةِ وَمُلَخَّصُهَا فِيْمَا ذُكِرَ أنَّهُ كانَ فِي بَنِي اسْرَائِيْلَ شَيْخٌ مُوْسِرٌ لَهُ ابْنٌ وَاحِدٌ قَتَلَهُ ابنُ عَمِّهِ طَمَعاً في مِيْرَاثِهِ .

ثُمَّ جَاءَ يُطَالِبُ بدَمِهِ قَوْماً آخَرِيْنَ فأَنْكَرَ المُتَّهَمُوْنَ قَتْلَهُ وَتَرَافَعُوا إلى مُوْسَى عليهِ السَّلاَمُ كِلٌ مِنْهُمْ يَدْفَعُ التُّهْمَةَ عن نَفْسِهِ فَقَالَ لَهُمْ مُوْسَى إنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوْا بَقَرَةً وَذَلِكَ لِيَتَبَيَّنَ لَهُمْ القَاتِلُ الحَقِيْقِيُّ فَقَالُوا أَتَهْزَأُ بِنَا قَالَ مُوْسَى ﴿أَعُوْذُ باللهِ أَنْ أَكُوْنَ مِن الجَاهِلِين﴾ فَسَأَلُوهُ عن مَا تَتَمَيَّزُ بِهِ مِن الأَوْصَافِ وَشَدَّدُوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَثَرُوْا عَلَيْهَا وَذَبَحُوْهَا وَمَا كَادُوْا يَفْعَلُونَ ثُمَّ ضَرَبُوْا جَسَدَ القَتِيْلِ بِبَعْضِ البَقَرَةِ التِي ذَبَحُوْهَا فأَحْيَا اللهُ القَتِيْلَ وأَخْبَرَ بالقَاتِلِ .

ومِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ أَصْحَابِ الكَهْفِ وَكَيْفَ ضَرَبَ اللهُ عَلَى آذَانِهِمْ ثَلاثَةَ قُرُوْنٍ وَتَزِيْدُ تِسْعُ سِنِيْنَ وحَفِظَ أَجْسَامَهُمْ مِن البِلَى على طُولِ الزَّمَانِ وثِيَابَهُمْ مِنَ العَفَنِ والبِلَى وأَعْثَرَ عَلَيْهِمْ الفَرِيْقَ الآخَرَ الذينَ كَانُوا في شَكٍّ مِن قُدْرَةِ اللهِ عَلَى إحْيَاءِ المَوْتَى وَفِي مِرْيَةٍ مِن إنْشَاءِ أجْسَامِ خَلْقِهِ كَهَيْئَتِهِمْ يَوْمَ قَبْضِهِمْ بَعْد

البِلَى لِيَعْلَمُوْا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَيُوْقِنُوْا أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيْهَا فَفِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ ودَلِيْلٌ عَلَى وُقُوعِ المَعَادِ الجِسْمَانِي يَوْمَ القِيَامَةِ .

ومِنْ ذَلِكَ الذِيْنَ خَرَجُوْا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ المَوتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوْتُوْا ثُمَّ أَحيَاهُمْ ثُم بَعْدَ هَذِهِ الإِمَاتَةِ أَحْيَاهُمْ فَفِيْهَا أَيْضا عِبْرَةٌ وَدَلِيْلٌ قَاطِعٌ عَلى وُقُوْعِ المَعَادِ الجُسْمَانِيْ وَأَنَّهُ لا مِرْيَةَ فِيه ومِن ذَلِكَ قِصَّةُ الذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ على عُرُوْشِهَا فقال مُسْتَبْعِداً لِعَوْدَةِ عِمَارَتِهَا وإِحْيَاءِ أَهْلِهَا أَنَّى يُحْيِ هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فأَمَاتَهُ اللهُ مَائةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قِيْل إِنَّ اللهَ تَعالى أَمَاتَهُ في أَوَّلِ النَّهَارِ وأَحْيَاهُ بَعْدَ المائةِ آخِرَ النَّهارِ .

وقِيْلَ واللهُ أَعْلَمُ أَوَّلَ شَيْءٍ أَحْيَاهُ اللهُ فِيْهِ عَيْنَيْهِ لِيَنْظُرَ بِهِمَا إِلى قُدْرَةِ اللهِ وَصُنْعِهِ كَيْفَ يُحْيِ بَدَنَهُ فَلَمَّا اسْتَقَلَّ سَوِياً قَالَ كَمْ لَبِثْت قالَ لَبِثْتُ يوماً أَوْ بَعْض يَومٍ قَالَ جَلَّ وَعَلاَ وَتَقدَّسَ بَلْ لَبِثْتَ مَائَةَ عَامٍ فانْظُرْ إِلى طَعَامِكَ وشَرَابِكَ قِيْلَ كَانَ مَعَهُ عَنِبٌ وَتِيْنٌ وَعَصِيْرٌ فَوَجَدَهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ وانْظُرْ إِلى حِمَارِكَ كَيْفَ يُحْيِيْهِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ « ولِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ » أَيْ دَلِيْلاً عَلَى المَعَادِ حَيْثُ أَحْيَاهُ اللهُ بَعْدَ إِمَاتَتِهِ وَأَحْيَا حِمَارَهُ ولم يَتَغَيَّرْ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ إِحْيَاءُ الطُّيُوْرِ الأَرْبَعَةِ لَمَّا طَلَبَ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السلامُ مِن اللهِ أَنْ يُرِيَهُ كَيْفَ يُحْيِ المَوْتَى لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ أَرْبَعَةً مِن الطَّيْرِ فَيُقَطِّعُهُنَّ أَجْزَاءً ثُمَّ يُفَرِّقُهَا عَلَى عِدَّةِ جِبَالٍ حَوْلَهُ ثُمَّ يَدْعُوْهَا فَفَعَلَ وَدَعَاهَا بِأَسْمَائِهِنَّ فَأَقْبَلْنَ إِلَيْهِ سَرِيْعَاتٍ تَطِيْرُ والطَّيْرُ أَشَدُّ الحَيَوانِ نُفُوراً مِنَ الانْسَانِ غَالِباً فهذا أَكْبَرُ بُرْهَانٍ عَلَى كَمَالِ عِزَّةِ اللهِ وحِكْمَتِهِ وقُدْرَتِهِ عَلَى البَعْثِ والمعاد والجزاء . فتبارك اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِيْن .

ومِنَ الأَدِلَّةِ الدَّالَةِ على البَعْثِ مَا فِي قِصَّةِ مُوْسَى وَهَرُوْنَ مَعَ فِرْعَونَ فَفِي قَلْبِ عَصِيَ مُوْسَى حَيَّةً تَسْعَى تَلْقَفُ مَا يَأْفَكُونَ أَكْبَرُ بُرْهَانٍ عَلَى البَعْثِ وَذَلِكَ أَنَّهَا صَارَتْ تِنِّيْناً عَظِيْماً هَائِلاً ذَا قَوَائِمَ وَعُنُقٍ وَرَأْسٍ وأَضْراسٍ فَجَعَلَتْ تَبْتَلِعُ تِلْكَ الحِبَالَ والْعُصِيَّ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ إلاَّ ابْتَلَعتْهُ والسَّحَرَةُ والناسُ يَنْظُرُوْنَ إلى ذَلِكَ عِيَاناً جَهْرَةً نَهاراً ضَحْوَةً .

ثُمَّ أَمَرَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلاَ بِأَنْ يَأْخُذَهَا قَالَ له ﴿خُذْهَا ولاَ تَخفْ﴾ فَلَمَّا أَمَرَهُ بِأَخْذِهَا لَفَّ طَرَفَ المِدْرَعَةَ عَلَى يَدِهِ فَقَالَ لَهُ مَلَكٌ أَرَأَيْتَ يَا مُوْسَى لَوْ أَذِنَ اللهُ بِمَا تُحَاذِرُ أَكَانتِ المِدْرَعَةُ تُغْنِيْ عَنْكَ شَيْئاً قَالَ لاَ وَلَكِنِّيْ ضَعِيْفٌ وَمِن ضُعْفٍ خُلِقْتُ فَكَشَفَ عَن يَدِهِ ثمَّ وَضَعَهَا فِي فَمِ الحَيَّةِ حَتَّى سَمِعَ حِسَّ الأَضْرَاسِ والأَنْيَابِ ثُمَّ قَبَضَ فإذَا هِيَ عَصَاهُ التِي عَهِدَهَا وإذَا يَدُهُ في مَوْضِعِهَا إذَا يَتوكَأُ عَلَيْهَا بَيْنَ الشُّعْبَتَيْنِ فَفِيْهَا دَلِيْلٌ وَاضِحٌ على بَعْثِ الأجْسَادِ لِمَنْ بَصَّرَهُ اللهُ وَنَوَّرَ عَقْلَهُ .

ومِنَ الأَدِلَّةِ الدَّالَةِ على البَعْثِ مَا أَيَّدَ اللهُ به عِيْسَى بن مَرْيَمَ عَلَى إحْيَاءِ المَوْتَى قَالَ اللهُ تعالى ﴿ورَسُولاً إلى بَنِي اسْرَائِيلَ أَنِي قَدْ جِئْتِكُم فيهِ مِن رَبِّكُمْ أَنِي أخْلُقُ لكُم مِن الطِيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخُ فيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ﴾ فَكَان يُصَوِّرُ مِن الطِّيْنَ شَكْلَ طَيْرٍ ثمّ يَنْفَخُ فِيه فَيكُونُ طَيْراً فَيطِيْرُ عِيَاناً بإِذْنِ اللهِ .

فَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ البَرَاهِيْنِ عَلَى بَعْثِ الأَجْسَادِ وكَذَلِكَ إِحْيَاءُ المَوْتَى بإذْنِ اللهِ قال تعالى « وأحْيِ المُوْتَى بإذْنِ اللهِ » فَهَذَا بُرْهَانٌ وَاضِحٌ عَلَى بَعْثِ الأجْسَادِ لاَ رَيْبَ فِيهِ لِذِي عَقْلٍ سَلِيْمٍ .

اللّهُمَّ يَا مَنْ لاَ تَضُرُّهُ الْمعصيَةُ ولاَ تَنْفَعُه الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الغَفْلَةِ وَنَبِّهنْا لاغْتِنَام أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمصَالِحِنَا واعْصِمْنَا مِنْ قَبَائحنا وذُنُوبنا ولا تُؤاخِذْنَا بِمَا انْطوَتْ عليْهِ ضَمائِرُنا واكَنَّتْهُ سَرَائِرُنا مِنْ أنْواعِ القَبَائح والمَعَائبِ

التي تَعْلَمُها مِنّا واغْفِرْ لَنَا ولوالِدِيْنَا ولجميع المُسْلِمينَ الاَحْياءِ مِنهُمْ والميتينَ بِرَحْمَتِكَ يا أرحَمَ الرّاحِمينَ وصَلى اللَّهُ على مُحَمّدٍ وعَلَى آلِه وَصَحْبِه أجْمعين .

« هَذِهِ أبْيَاتٌ مُخْتَارَةٌ مِن قَصِيْدَةٍ لِبَعْضِ »
« العُلَماءِ رَداً عَلَى مَنْ قَالَ بالطَّبِيعَةِ »

وَاهـاً لِـدُنْيَـا إذَا مَـا أَقْبَلَتْ قَتلَتْ
وشَـوْطُ إقْبَـالِهَـا فَـوْتٌ وَإدْبَـارُ
دَسَّتْ لَكَ السُّمَّ في حَلْوَى زَخَارِفِهَا
وَزَيَّـنَتْ لَـكَ مَـا عُـقْبَـاهُ أَضْـرَارُ
وعِشْتَ دَهْراً مِنَ الأَعْـوام مُنْتَـظِراً
فـي مَلْعَـبٍ كُـلُّهُ جُـرْمٌ وإصْـرَارُ
حَتَّى إذَا جَاءَ وَقْتُ المَقْتِ وَانْتَشَبَتْ
يَـا لَاهِياً لِلْمَنَـايَـا فِيْـكَ أَظْفَـارُ
خَـابَتْ ظُنُـوْنُـكَ فِي دُنْياً مُخَـادِعَـةٍ
أَلْـوَتْ عِنَـانَـكَ عَمَّـا كُنْتَ تَخْتَـارُ
يَا ذَا الوِجَاهَةِ والجَاهِ العَرِيْضِ لَقَـدْ
خَـانَتْ عُهُـوْدَكَ أَعْـوَانٌ وأَنْـصَـارُ
أَلْقَـوْكَ فِي حُفْـرَةٍ هَـالَتْـكَ وَحْشَتُهَـا
كَـأَنَّهـا مِخْـدَعٌ يُغْلَى بِـهِ القَـارُ
وَغَـادَرُوْك وَمَا فِي الحَيِّ مِن حَكَمٍ
تَشْكُـو إِلَيْـهِ وَمَـا فِي الـدَّارِ دَيَّـارُ
يَـا رَاقِـداً وَمَضِيْقُ القَبْـرِ مَضْجَعُـهُ
أَمَلَّكَ القِـطْرُ أَمْ ضَاقَتْ بِـكَ الـدَّارُ

أبعدَ مَا فِي مَغَانِي الحَيِّ مِن سَعَةٍ
تُغْنِي الضَّجِيْعَ عنِ الأَمْيَالِ أَشْبَارُ
خَلَوْتَ وَحْـدَكَ لاَ خِلٌ وَلاَ خَـدَمٌ
فَهَلْ تُنَاجِيْكَ بالإِصْلاَحِ أَفْكَارُ
أَمْ أَنْتَ مِمَّنْ يَرَوْنَ المَوْتَ رَاحَتَهُمْ
يَا حَبَّذَ المَوْتِ لَوْلاَ الحَشْرُ والنَّارُ
والقَبْـرُ إِنْ لَمْ تَكُنْ فِيْـهِ مُنَغِّصَـةٌ
حَـاكَتْ زَوَايَاهُ رَوْضـاً فِيْهِ أَزْهَـارُ
لَكِنَّـهُ وَظَلاَمُ الـزَّيْـغِ يُـوْحِشُـهُ
سِجْنٌ لَـهُ مِنْ ذَوَاتِ النَّهْشِ عُمَّـارُ
فَهَلْ يُحَاكِي قُبُـورَ القَوْمِ مَضْجَعُكُمْ
أَمْ زَاحَـمَـتْـكَ ظَـلامَـاتٌ وآصَـارُ
بِـالأَمْسِ صَدْراً أَخَا كِبْرٍ وَغَطْرَسَـةٍ
وَمَـا سِوَى الصَّـدْرِ نَهَـاؤٌ وَأَمَّـارُ
وَاليَوْمَ بَيْنَ هَوَامِ الأَرْضِ مُضْطَجِعٌ
فِي مَضْجَعٍ مَا بِـهِ جَـارٌ وَسُمَّـارُ
وَاهـاً لِـدُنْيَـا إِذَا مَـا أَقْبَلَتْ قَتَلَتْ
وشَـوْطُ اقْبَـالِهَـا فَـوْتٌ وإِدْبَـارُ
تَمُـرُّ بِـالمَـرْءِ مَرَّ الطَّيْفِ بَاسِمَـةً
وخَلْفُهَا مِن جُيُوْشِ الحُـزْنِ جَـرَّارُ
إِذَا سَقَتْ كَـأْسَ إِيْنَاسٍ أَخَا سَفَـهٍ
تَجَـرَّعَ السُّـمَّ مِنْـهُ وَهُـوَ مُخْتَـارُ

وَمَا السُّمُوْمُ سِوَى لِذَاتِهَا وبِهَا
كَمْ أَهْلَكَتْ أُمَماً فِي القَبْرِ قَدْمَا رُوْا
تَزْهُوْ لأَهْلِ الهَوَى حَتَّى إِذَا ابْتَهَجُوْا
جَاءَتْ بِمَا فيْهِ أرْزَاءٌ وَأَكْدَارُ
يَا وَيْحَ مَنْ أَخَذَتْ يَوماً بِمِخْنَقِهِ
إلى طَرِيْقٍ إِلَيْهَا يَنْتَهِي العَارُ
ويَا نَدَامَةَ مَنْ لَمْ يَبْكِ إنْ ضَحِكَتْ
فَضِحْكُها لِذَوِيْ اللَّذَاتِ إِنْذَارُ
وَيَا خَسَارَةَ مَنْ أَنْسَتْهُ مَبْدَأَهُ
ومُنْتَهَاهُ وَلَمْ يُوْقِظْهُ تَذْكَارُ
كَالشَّابِ تُنْسِيْهِ عَصْرَ الشَّيْبِ غُرَّتُهُ
حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ بالأُزْرِ أَوْزَارُ
فَرَّ الشَّبَابُ وَظَلَّ الشَّيْبُ هَازِمَهُ
إِنَّ الشَّبَابَ أَمَامَ الشَّيْبِ فَرَّارُ
فَهَلْ لِذِي الجَاهِ أَنْ يَنْسَى مَنِيَّتَهُ
والمَوْتُ فِي رَأْسِ رَبِّ الجَاهِ مِعْثَارُ
وَكَمْ وَجِيْهٍ تَعَامَى عَنْ عَوَاقِبِهِ
إِذْهَابَهُ خَشْيَةً عَمْروُ وَعَمَّارُ
وَظَلَّ فِي زُخْرُفِ التَّضْلِيْلِ مُتَّجِراً
وَالنَّاسُ مِنْهُ بِسُوْقِ الزَّيْغِ تَمْتَارُ
حَتَّى إِذَا مَا الرَّدَى لِلْمَوْتِ أَضْجَعَهُ
أَضْحَى كَأُضْحِيَةٍ مِنْ حَوْلِهَا دَارُوا

وَمَـاتَ وَالخَوفُ حَيٌّ بَيْنَ أَضْلُعُـهِ
وَلِـلمَخَـازِيْ بِـتِـلْكَ الـدَّارِ أَدْوَارُ

أُفٍّ لِـمُقْـبِلَةٍ مَـرَّتْ عَـلَى عَـجَـلٍ
كَـأَنَّهَـا الفَجْـرُ لَمْ يُمْهِلْهُ إِسْفَـارُ

كَـأَنَّمَـا أَنْتَ وَالـدُّنْيَا وَمَـا صَنَعَتْ
أُلْعُـوْبَـةٌ بَـاعَهَـا الصِّبْيَـانِ مِهْـزَارُ

أَلْهَتْهُمُـوا بُـرْهَـةً حَتَّى إِذَا تَـلِفَتْ
وَفَـاتَهُمْ فِي المَسَـادَفُّ وَمِـزْمَـارُ

لَمْ يَلْبَثُوا فِي المَلاَهِيْ غَيْرَ سَاعَتِهِمْ
وَقَـدْ دَهَـتْـهُـمْ مُـلِمَّـاتٌ وَأَكْـدَارُ

وَهَكَـذَا كُـلُّ حَـالٍ لاَ بَقَـاءَ لَهَـا
وَكُلُّنَـا فِي الجَنَى لِلْمَـوْتِ أَثْـمَـارُ

وَكُـلُّ مَنْ كَـانَتْ الأَيَّـامُ مَـرْكَبَـهُ
فَكُـلُّ أَوْقَـاتِـهِ ظَـعْـنٌ وَأَسْـفَـارُ

تَبّـاً لِـدَارٍ أَرَتْنَـا مِنْ مَـلاَعِبِهَـا
عَجَـائِبـاً مَـا أَتَـاهَـا الـدَّهْـرَ سَحَّـارُ

فَيَا أَخَا العِلْمِ لاَ يُنْجِيْكَ عِلْمُكَ إِنْ
فَـاتَتْكَ خَشْيَـةُ رَبٍّ اسْمُـهُ البَـارُ

وَيَـا أَخَا المَـالِ لاَ تَـرْكَنْ لِكَثْـرَتِـهِ
فَـالـمَـالُ كَـالمَـاءِ كَـرَّارٌ وَفَـرَّارُ

وَالجَاهُ ضَيْفٌ وَعُقْبَى الضَّيْفِ رِحْلَتُهُ
وإِنْ دَعَتْـهُ لِـطُولِ المُكْثِ أَوْطَـارُ

واضْرَعْ إلى اللّهِ يا مَنْ بَاتَ في سَعَةٍ
مِـنْ نِعْـمَـةِ اللّهِ إنَّ الـدَّهْـرَ دَوَّارُ
ونِعْمَــةُ الـلّهِ تــأْتِي طَيَّ رَحْمَتِـهِ
كَمَــاطِـرِ غَيْثُـهُ الهَـطَّالُ مِـدْرَارُ
لَكِنَّمَــا الغيُّ والـطُّغْيَــانُ يَنْقُصُهَــا
فَمَــا تَهَنَّى بِهَـا فِي الكَـوْنِ كُفَّــارُ
وإنْ تَقُـلْ إنَّ أَهْـلَ البَغْيِ فِي نِعَمٍ
فَـرَكْبُهُمْ فِي طَـرِيْـقِ الغَمِّ سَيَّــارُ
والغَـافِلُونَ لَهُمْ فِي القَبْـرِ مُـزْعِجَـةٌ
وَبَعْـدَ فَصْـلِ القَضَـا عُقْبَـاهُمُ النَّـارُ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الإيمَانِ واشْرَحْ صُدُوْرَنَا واسْتُرْ عُيُوْبَنَا وأَمِّنْ خَوْفَنَا وَوَفِّقْنَا لاسْتِغْرَاقِ أَوْقَاتِنَا فِي البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ واجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ الّذِيْنَ لاَ خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُون وآتِنَا في الدُّنْيا حَسَنَةً وفِي الآخِرَة حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلّى اللّهُ عَلى مُحَمّد وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْن .

(فصــل)

قَال ابْنُ القيّم رَحِمَهُ اللّهُ :

طبَقاتُ المُكَلَّفِيْنَ في الاخِرَةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ طَبَقَةً أعلاَهَا مَرْتَبَةُ الرُّسُلِ صَلَواتُ اللّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ ثَلاثُ طَبَقاتٍ أَعْلاَهُمْ أولُو العَزْمِ الخَمْسَةُ ثُمَّ مَنْ عَدَاهُمْ من الرسل ثم الأنْبِياءُ الّذِيْنَ لَمْ يُرْسَلُوا إِلَى الأُمَمِ.

الرَّابِعَةُ : الصِّدِّيقُونَ وَرَثَةُ الرُّسُلِ القَائِمُونَ بِمَا بُعِثُوْا بِهِ عِلْماً وعَمَلاً وَدَعْوَةً لِلْخَلْقِ إلى اللّهِ عَلى طَرِيْقِهِمْ .

الخَامِسَةُ : أئِمّةُ العَدْلِ وَوُلاَتُهُ .

السادِسةُ : المُجَاهِدُوْنَ فِي سَبِيْلِ اللّهِ .

السابِعَةُ : أَهْلُ الإِيْثَارِ وَالإِحْسَانِ وَالصَّدَقَةِ .

الثّامِنَةُ : مَنْ فَتَحَ اللّهُ عَلَيْهِ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الخَيْرِ القَاصِرِ عَلى نَفْسِهِ مِن صَلاةٍ وَصِيامٍ وَحَجٍّ وَغَيْرِهَا .

التّاسِعَةُ : طَبَقَةُ أَهْلِ النَّجَاةِ وَهُمْ مَن يُؤَدِّيْ فَرَائِضَ اللّهِ وَيَجْتَنِبْ مَحَارِمَهُ .

العَاشِرَةُ : طَبَقَةُ قَوْمٍ أَسْرَفُوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَغَشَوْا كَبَائِرَ مَا نَهى اللّهُ عَنْهُ وَلَكِنْ رَزَقَهُمُ اللّهُ التَّوْبَةَ النَّصُوْحَ قَبْلَ المَوْتِ فَمَاتُوا عَلَى تَوْبَةٍ صَحِيْحَةٍ .

الحادِيَةَ عَشَرْ : طَبَقَةُ أَقْوَامٍ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً وَلَقُوا اللّهَ مُصِرِّيْنَ غَيْرَ تَائِبِيْنَ لَكِنْ حَسَنَاتُهُمْ أَغْلَبُ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَإِذَا وُزِنَتْ بِهَا رَجَحَتْ كِفَّةُ الحَسَنَاتِ فَهَؤُلاءِ أيْضاً نَاجِحُوْنَ فَائِزُوْنَ .

الثّانِيَةَ عَشَرْ : قَوْمٌ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئاتهُمْ وَهُمْ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ وَهُوَ مَوْضِعٌ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنّارِ ولَكِنْ مَآلُهُمْ إلى دُخُوْلِ الجَنَّةِ .

الثّالثَ عَشَرْ : طَبَقَةُ أَهْلِ البَلِيَّةِ والمِحْنَةِ وَهُمْ قَوْمٌ مُسْلِمُوْنَ خَفَّتْ مَوازِيْنُهُمْ وَرَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُمْ عَلَى حَسَنَاتِهِمْ وَهؤُلاءِ الّذِيْنَ ثَبَتَتْ فِيْهِمْ الأحادِيثُ أَنَّهُمْ يَدْخُلونَ النَّارَ فَيَكُونُوْنَ فِيْهَا عَلَى مِقْدَارِ أَعْمَالِهِمْ ثُمَّ يُخْرَجُوْنَ

مِنْهَا بشَفَاعَةِ الشَّافِعِيْنَ وبِرَحْمَةِ أرْحَمِ الرَّاحِمِيْن .

الرَّابِعَةَ عَشَر : قَوْمٌ لاَ طَاعَةَ لَهُمْ وَلاَ مَعْصِيَةَ وَلاَ كُفْرَ وَلاَ إيْمَانَ وَهُمْ أصْنَافٌ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُمُ الدَّعْوَةُ بِحَالٍ وَمِنْهُمْ المَجْنُونُ الّذي لا يَعْقِلُ ومِنْهُمْ الأصَمُّ الّذي لا يَسْمَعُ شَيْئاً أَبدا ومِنْهُمْ أطْفَالُ المُشْرِكِيْنَ الّذِينَ مَاتُوْا قَبْلَ أنْ يُمَيِّزُوْا شَيْئاً فاختَلَفَتِ الأئِمَّةُ فِيْهِمْ عَلَى ثَمَانِيَةِ مَذَاهِبٍ أرْجَحُهَا أنَّهُمْ يُمْتَحِنُوْنَ في عَرَصَاتِ القِيَامَةِ ويُرْسَلُ إلَيْهِمْ هُنَاكَ رَسُولٌ فَمَنْ أطَاعَ الرّسُولَ دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ .

وبِهَذَا تَتَّفِق الأحَادِيْثُ وَتُوَافِقُ الحِكْمَةُ والعَدْلُ .

الطَّبَقَةُ الخَامِسَةَ عَشَرَ : طَبَقَةُ الزَّنَادِقَةِ وَهؤُلاءِ المُنَافِقُوْنَ الّذِيْنَ أظْهَرُوْا الإسْلاَمَ وأبْطَنُوا الكُفْرَ وهُمْ فِي الدَّرْكِ الأسْفَلِ مِن النّارِ .

الطَّبَقَةُ السَّادِسَةَ عَشَرَ : رُؤُسَاءُ الكُفْرِ وأئِمَّتُهُ وَدُعاتُهُ وَيَتَغَلَّظُ الكُفْرُ بِغِلَظِ العَقِيْدَةِ وبِالعِنَادِ وبالدَّعْوَةِ إلى البَاطِلِ .

الطَّبَقَةُ السّابِعَةَ عَشَرَ : طَبَقَةُ الْمُقَلِّدِيْنَ وَجُهَّالُ الكَفَرَةِ وَقَدْ اتَّفَقَتِ الأُمَّةُ عَلَى أنَّهُم كُفَّارٌ .

الثّامِنَةَ عَشَرَ : طَبَقَةُ الجِنّ وهُمْ مُكَلَّفُوْنَ مُثَابُونَ وَمُعَاقَبُوْنَ بحَسَبِ أعْمَالِهِمْ ولِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوْا ولِيُوْفِيَهُمْ أعْمَالَهُمْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُوْنَ .

وقَالَ الإنابَةُ الرُّجُوعُ إلى اللّهِ وانْصِرافُ دَوَاعِي القَلْبِ وَجَوَاذِبِهِ إلَيْهِ وَهِيَ تَتَضَمَّنُ المَحَبَّةَ والخَشْيَةَ والنَّاسُ فِي إنَابَتِهِمْ دَرَجَاتٌ مُتَفَاوِتَةٌ فَمِنْهُمْ المُنِيْبُ إلى اللّهِ بِالرُّجُوْعِ إلَيْهِ مِن المُخَالَفَاتِ والمَعَاصِي والحَامِلُ الخَوْفُ وَالعِلْمُ .

ومِنْهُمُ المُنِيْبُ إلى اللّهِ في أَنْوَاعِ العِبَادَاتِ فَهُوَ سَاعٍ بِجُهْدِهِ وَمَصْدَرُهَا الرَّجَاءُ وَمُطَالَعَةُ الوَعْدِ والثَّوَابِ وَهَؤُلاءِ أبْسَطُ نُفُوْساً مِن الأَوَّلِيْنَ وَكُلٌّ مِنْهُمَا مُنِيْبٌ بِالأَمْرَيْنِ ولَكِنْ يَغْلِبُ عَلَى الأَوَّلِيْنَ الخَوْفُ وَيَغْلِبُ الرَّجَاءُ عَلَى الآخِرِيْن .

ومِنْهُمُ المُنِيْبُ إِلَيْهِ بالتَّضَرُّعِ والدُّعَاءِ وكَثْرَةِ الافْتِقَارِ وسُؤَالِ الحَاجَاتِ كُلِّهَا مَعَ قِيَامِهِمْ بالأَمْرِ والنَّهْيِ ومِنْهُمْ المُنِيْبُ إلى اللّهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ فَقَطْ إِنَابَة المُضْطَّرِ لا إِنَابَة اخْتِيَارٍ .

وَأَعْلَى أَنْوَاعِ الإِنَابَاتِ إِنَابَةُ الرُّوْحِ بِجُمْلَتِهَا إِلَيْهِ لِشِدَّةِ المَحَبَّةِ الخَالِصَةِ المُغْنِيَة لَهُمْ عَمَّا سِوَى مَحْبُوْبِهِمْ وَحِيْنَ أَنَابَتْ إِلَيْهِ لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ شَيْء عَنِ الإِنَابَةِ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا رَعِيَّتُهَا وَأَدَّتْ وَظَائِفَهَا كَامِلَةً فَسَاعَةٌ من إِنَابَةِ هَذَا أَعْظَمُ مِن إِنَابَةِ سِنِيْنَ مِنْ غَيْرِهِ وذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ انتهى .

« موعظـــة »

عِبَادَ اللّهِ نَحْنُ فِي عَصْرٍ بَارَكَ اللّهُ فِيْهِ بَرَكَةً عَمَّتِ المَشَارِقَ والمَغَارِبَ وَكُلَّ مَا للأَرْضِ مِنْ أَنْحَاءٍ مِمَّا نَعْلَمُهُ وَجَّهَ بِقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ أَفْكَارَ بَنِيْ آدَمَ إِلى مَا أَوْدَعَهُ فِي خَلْقِهِ مِن أَسْرَارٍ تَفُوْتُ الاحْصَاءَ وَيَسَّرَ لَهُمْ السَّبِيْلَ فَوَصِلُوا مِنْ التَّرَاقِيْ فِي الاخْتِرَاعِ والاطِّلاعِ إِلى مَا يُدْهِشُ الأَفْكَارَ وتَزْدَادُ بِهِ عَقِيْدَةُ المُؤْمِنِ قُوَّةً فَلا يَعْتَرِيْهِ أدْنَى شَكٍّ فِي مَا أَخْبَرَ اللّهُ بِهِ وَرَسُولُه .

أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا كُلُّها كَأَنَّهَا بَيْتٌ وَاحِدٌ يُكَلِّمُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً مَعَ بُعْدِ المَسَافَةِ وَيُسَافِرُوْنَ بَرّاً وَبَحْراً فَيَقْطَعُوْنَ بِالمَرَاكِبِ البَرِيَّةِ والبَحْرِيَّةِ في مُدَّةٍ يَسِيْرَةٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَى مُدَّةٍ طَوِيْلَةٍ فِيْمَا مَضَى وَتَنْقُلُ تِلْكَ المَرَاكِبُ الَّتِي خَلَقَهَا

اللّٰهُ لَنَا مِنَ الأَثْقَال بِقُوَّةٍ وسُرْعَةٍ تَقِفُ أَمَامَهَا الألبَابُ حَائِرَاتٍ بَلْ لَوْ أَرَادُوْا مُسَابَقَةَ الطَّيْرِ فِي السَّمَاءِ لَسَبَقُوْهُ بِالطَّائِراتِ .

فَسُبْحَانَ مَنْ أَرْشَدَ عِبَادَهُ إِلَى صُنْعِ هَذِهِ المُخْتَرَعَاتِ قَالَ تَعَالَى « واللّٰهُ أخرجَكُم مِن بُطُوْنِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُوْنَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ والأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنْ » .

وانْظُر إِلَى الكَهْرَبَاءِ وَفَائِدَتِهِ العَظِيْمَةِ في اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَقَدْ صَارَ اللَّيْلُ بِأَنْوَارِهِ وكَأَنَّهُ نَهَارٌ وَمَا فِيْهِ مِنْ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ والمَنَافِعِ العَظِيْمَةِ الَّتِي لَمْ تَحْصُلْ لِمَنْ قَبْلَنَا أَلَيْسَ هَذا مِن أَعْظَم البَرَاهِيْنِ والأدِلَّةِ عَلَى صِدْقِ مَا أَخْبَرَ اللّٰهُ بِهِ بِقَوْلِهِ « سَنُرِيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفاقِ وفي أَنْفُسِهِمْ حتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ » .

وَعَلَى صِدْقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ المَصْدُوْقُ مِنْ أَنَّ الزَّمَانَ يَتَقَارَبُ وَهَا أَنْتَ لاَ تَمْشِيْ شَرْقاً وَلاَ غَرْباً إِلاَّ وَأَنْتَ تَرَى وَتَسْمَعُ مِنْ تِلْكَ الأَسْرَارِ مَا تَحَارُ بِهِ الأَفْكَارُ فَنَحْنُ اليَوْمَ نَتَقَلَّبُ فِي كُلِّ أَحْوَالِنَا فِي نَعِيْمٍ لَمْ يَظْفَرْ بِهِ عَصْرٌ مِنَ الأَعْصَارِ حَتَّى إِنَّكَ تَرَى حَيَوَانَ هَذَا العَصْرِ فِي رَاحَةٍ وإِكْرَامٍ لَمْ تَتَمَتَّعْ بِهَا بَنُوْ العُصُورِ الْمَاضِيَاتِ إِنَّ حَقّاً عَلَيْنَا إِزاءَ كُلِّ هَذَا أَنْ نَكُوْنَ أَسْبَقَ الأَجْيَالِ فِي مِيْدَانِ شُكْرِ اللّٰهِ لِيُبَرْهِنَ كُلٌّ مِنَّا أَنَّهُ يُحِسُّ وَيَشْعُرُ بِمَا اخْتَصَّهُ بِهِ مَوْلاَهُ أ ـ هـ .

ولكِنْ يَا لِلأَسَفِ لَمْ يَكُنْ مِنَّا شُكْرُ هَذِهِ النِّعَمِ وَاسْتِعْمَالُهَا فِي طَاعَةِ اللّٰهِ وَمَرَاضِيْهِ وَدَلِيْلُ ذَلِكَ مَا تَرَى وَتَسْمَعُ مِن المَعَاصِي والمُنْكَراتِ الَّتِي تَكَادُ أَنْ تَبْكِي مِنْ فُشُوِّهَا وَازْدِيَادِهَا الجَمَادَاتُ .

فَيَا لَلّٰهِ لِلْمُسْلِمِيْنَ إِنَّهَا لَتَجْرَحُ قَلْبَ المُؤْمِنِ السَّالِمِ مِنْهَا جَرْحاً يُوْشِكُ أَنْ يُوْصِلَهُ إِلى القَبْرِ اللّٰهُمَّ وَفِّقْ وُلاَتَنا لإِزَالَةِ هَذِهِ المُنْكَراتِ وَلِتَأْيِيْدِ الإِسْلامِ

والمُسْلِمِيْنَ في جَمِيْعِ الجِهَاتِ وَوَفِّقْهُمْ لِلرِّفْقِ فِي رَعَايَاهُمْ والنُّصْحِ لَهُمْ وَسَدِّدْ خُطَاهُمْ .

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأعْمَالِ ، ونَجِّنَا من جميعِ الأَهْوَالِ ، وأَمِنّا مِن الفَزَعِ الأَكْبَرِ يومَ الرَّجْفِ والزلْزَالْ ، وَاغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يا أرحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصَلى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبه أجمعين .

(فَصْــــلٌ)

عَنْ ابن عَبَّاسٍ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ نِعْمَتَانِ مَغْبُوْنٌ فِيْهِمَا كَثِيْرٌ مِن النَّاسِ الصِّحة والفَرَاغُ رواهُ البُخاريّ والتّرمذيّ والنّسائيّ وأحْمد وابن ماجة .

لَقَدْ صَدَقَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِيْمَا قَالَهُ فِي هَذَا الحَدِيْثِ العَظِيْمِ فَإِنَّ كَثِيْراً مِنَ النَّاسِ يُهْمِلُ وَاجِبَ النِّعَمِ عليْهِ فلاَ يَسْتَقْبِلُ النِّعَمَ بِمَا يَجِبُ لَهَا مِنَ الشُّكْرِ وَلاَ يُحَاوِلُ اسْتِبْقَاءَهَا بأداءِ حَقِّ اللّهَ فِيْهَا بَلْ يُعْرِضُ عَنْ اللّهِ وَيَنْأى بِجَانِبِهِ وَلاَ يَذْكُرُ هَذِهِ النِّعْمَةَ مِنْ نِعَمِ اللّهِ عَلَىٰ عَظَمِهَا إلاّ حِيْنَ يَعْدُوْ عَلَيْهَا المَرَضُ فَيُذْبِلُ نَضْرَةَ العَافِيَةِ وَيَخْطُوْ بِقُوّةِ الشَّبَابِ على غَيْرِ مَوْعِدٍ إلى ضَعْفِ الشَّيْخُوْخَةِ .

أَمَّا حِيْنَ يَنْعَمُ الإِنْسَانُ بِسَلاَمَةِ أَعْضَائِهِ وقُوَّةِ بُنْيَتِهِ وَحِيْنَ يُحِسُّ الحَيَوِيَّةَ تَسْرِيْ فِي عُرُوْقِهِ فَهُوَ يَنْطَلِقُ فِي شَهَوَاتِهِ خَاضِعاً لَهَا ، وَهُوَ يَظُنُّ نَفْسَهُ الآمِرَ النَّاهِي ، وخَاسِراً بِهَا وَهُوَ يَحْسِبُ نَفْسَهُ قَدْ رَبِحَ كُلَّ شَيْءٍ .

وتَمْضِيْ بِهِ أَيَّامُهُ وَلَيَالِيْهِ وَهُوَ يَرْتَعُ كَالحَيَوَانِ فِي مَلَذَّاتِهِ مِنْ مَأْكُوْلاتٍ وَمَشْرُوْبَاتٍ دُوْنَ تَفْرِقَةٍ بَيْنَ حَلاَلٍ وَحَرَامٍ ومِنْ غَيْرِ تَمْيِيْزٍ بَيْنَ طَيِّبٍ وَخَبِيْثٍ فَيُسِيءُ إِلَى نَفْسِهِ وَيَبْخَسُهَا حَقَّهَا إِذْ يُضَيِّعُ طَاقَتَهَا عَلَى العَمَلِ النَّافِعِ وَعَلَى الطَّاعَةِ الوَاجِبَةِ فِي اللَّهْوِ واللَّعِب . قال اللهُ جَلَّ وَعَلاَ **﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُوْنِ﴾** .

وَبِلاَ شَكٍّ أَنَّ الصِّحَةَ عَرَضٌ لا يَدُوْمُ بَلْ يَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ وأَنَّ المَرَضَ يُفْقِدُ الإِنْسَانَ مُعْظَمَ طَاقَتَهُ عَلَى العَمَلِ بَلْ رُبَّمَا فَقَدَهَا كُلَّها وَعجز فَمِنَ السَّفَهِ والحُمُقِ إِذاً أَنْ لاَ يَغْتَنِمَ الإِنْسَانُ فُرْصَةَ الصِّحَّةِ والفَرَاغِ مِن الشَّوَاغِلِ لِلطَّاعَةِ والعِبَادَةِ .

وَكُلُّ إِنْسَانٍ يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ يَوْمٍ يَتَقَدَّمُ بِهِ الزَّمَنُ يَقْصُرُ عُمُرُهُ وَمَقْدِرَتُهُ عَلَى العَمَلِ تَضْعُفُ كُلَّمَا خَطَا بِهِ الزَّمَنُ وَمَحْصُوْلُهُ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يَقِلُّ كُلَّمَا أَقْعَدَهُ المَرَضُ أَوْ أَثْقَلَتْهُ السُّنُوْن فالعَاقِلُ اليَقِظُ يُحَافِظُ عَلَى وَقْتِهِ أَكْثَرَ مِنْ مُحَافَظَتِهِ عَلَى مَالِهِ وَلاَ يُضَيِّعُ مِنْهُ شَيْئاً بَلْ يَسْتَعْمِلَهُ فِيْمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللّهِ والدَّارِ الآخِرَةِ أَوْ مَا هُوَ سَبَبٌ إِلى ذَلِكَ فَإِنَّ فَاتَهُ شَيْءٌ أَوْ نَسِيَ شَيْئاً مِنْ أَعْمَالِهِ بِاللّيْلِ قَضَاهُ بِالنَّهَارِ وبِالعَكْسِ .

ولِلّهِ آياتٌ كَوْنِيَّةٌ وآيَاتٌ قُرْآنِيَّةٌ يَتَمَشَّى المُسْلِمُ النَّشِيْطُ المُبْتَعِدُ عَنْ الكَسَلِ والعَجْزِ عَلى ضَوْئِهَا . قال تَعَالى : ﴿وهُوَ الّذِي جَعَلَ اللّيْلَ وَالنّهَار خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذّكَرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورَا﴾ وقَالَ : ﴿إِنَّ في اخْتِلافِ اللّيلِ والنّهارِ ومَا خَلَق اللّه في السموات والأرضِ لآياتٍ لقَوْم يَتّقُون﴾ .

وقَالَ تَعَالى : ﴿يُغْشى اللّيلَ النّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ فاللّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْ هَذِهِ عَبَثاً فَالذّاهِلُونَ عن مَعَانِيْ هَذِهِ الآياتِ ، الهَائِمُوْنَ وَرَاءَ مَنَافِعِهِمْ المُعَجَّلَةِ حَمْقَى لا يَنْتَصِحُوْنَ مِن حِكْمَةٍ وَلا يَسْتَفِيْدُوْنَ مِنْ دَرْسٍ تَجِدْهُمْ لا يُبَالُوْنَ باِضَاعَةِ أَوْقَاتِهِمْ في غَيْرِ فائِدَةٍ وَرُبَّما أَضاعُوْهَا فِي المَعَاصِي .

شعـــرا :

أَجْنِبْ جِيَاداً مِنَ التَّقْوى مُضَمَّرَةً ... لِلسَّبْقِ يَومَ يَفُوزُ النَاسُ بالسَّبَقِ
تَمُرُّ مَرَّ الرِّيَاحِ الهُوجِ عَاصِفَـــةً ... أَوْ لَمْحَةِ البَرْقِ إذَا يَجْتَازُ بالأُفُقِ
وَارْكُضْ إِلَى الغَايَةِ القُصْوى وخَلِّ لَهَا ... عِنَانَ صِدْقٍ رَمَى فِي فِتْيَةٍ صُـــدُقِ
فإِنَّ خلْفَكَ أَعْمَـــالاً مُثَبِّطَـــةً ... ولَسْتَ تَنْهَضُ إلاَّ وَيْكَ بالعَنَـــقِ

كَمْ حَلَّ عَزْمَكَ مِن دُنْيـــاً مُعَرِّجَة   بِقَصْدِكَ اليومَ عن مَسْلُوكَةِ الطُرِقِ
يَا غَافِلاً والمَنَايَا مِنْــهُ ذَاكِرَةٌ   وَضَاحِكاً والرَّدَى مِنْهُ عَلى حَنَقِ
قَطَعْتَ عُمْرَكَ في سَهْوٍ وفي سِنَةٍ   ومِنْ أَمَامِكَ لَيْـــلٌ دَائِمُ الأَرَقِ

آخـــر :

« إذا شَغَّـلَ الضَّيـاعُ آلاتِ لَهْـوِهِمْ
وَطَـابَ لَهُمْ عِنْدَ المَـلاهِيَ مَحْفَلُ »
« وَسُـرُّوْا بِمَـا فِيْـهِ، هَـلاكُ نُفُوْسِهِمْ
وَدِيْنُـهُـمُ وَالأَهْـلُ وَالـمَـالُ أَوَّلُ »
« فَقُمْ وَتَوَضَّأْ وأَقْصِـدْ الماجِـدَ الّذي
إذا مَـا مَضَى الثُّلْثَانِ لِلَّيْـلِ يَنْـزِلُ »
« يَقُـولُ أَلَا مِنْ سَـائِلٍ يُعْطَ سُؤْلَـهُ
ومُسْتَغْفِـرٍ يُغْفَـرْ لَـهُ مَـا يُؤَمِّـلُ »
« ومِنْ مُـذْنِبٍ مِمَّا جَنَى جَـاءَ تَائِبـاً
إِلَى غَـافِرٍ لِلّذنْبِ لِلتَّـوْبِ يَقْبَـلُ »
« وَكَـرِّرْ سُؤَالاً وَالـدُّعَـا بِتَضَـرُّعٍ
لَعَلّكَ تُحْـظَى بِـالفَـلَاحِ فَتُقْبَـلُ »
« وَقُلْ عَبْدُكَ المِسْكِيْنُ قَدْ جَاءَ تَائِباً
وَيَـرْجُـوْكَ تَـوْفِيْقـاً ولِلْعَفْـوِ يَـأْمَـلُ »
« فَجُـدْ وَتَجَاوَزْ يَـا جَـوَادُ لِمَنْ أَتَى
وَلَـيْسَ لَـهُ إِلَّا رَجَـاؤُكَ مَـوْئِـلُ »

اللّهُمَّ وَفّقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمَالَ ، ونَجّنَا من جميعِ الأَهْوَالِ ، وأَمّنَا مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ يومَ الرَّجْفِ والزِلْزَالْ ، واغفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا ، ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصَلّى الله على محمدٍ وآلِـــهِ وصحبه أجمعين .

(فَصْــــلٌ)

ثُمَّ اعْلَمْ أَهْلَ الضَّيَاعِ لِلْوَقْتِ الَّذِيْنَ كَانَ أَمْرُهُمْ فُرُطًا وأعْمارُهُمْ سَبَهْلَلا لا يُفِيْقُوْنَ مِنْ قَتْلِ أَوْقَاتِهِمْ فِي البَطَالَةِ وعِنْدَ المُنْكراتِ مِنْ كورة وفِدْيو وتِلفزْيُون ومِذْيَـــاعٍ وسِيْنَمَا وَوَرَقٍ وَغِيْبة ونَمِيْمـــــةٍ وتَجَسُّسٍ على المسلمين ونحْو ذَلِكَ .

وَرُبَّمَا أَضَافُوْا إِلى ذَلِكَ الجِنَايَةَ عَلَى أَوْقَاتِ الآخَرِيْن فَشَغَلُوهُم عَنْ أَعْمَالِهِمْ بِشُئُونٍ تَافِهَةٍ أَوْ فِيْمَا يَعُوْدُ عَلَيْهِم بِالخُسْرانِ فَهؤُلاَءِ أَسَاؤُوا مِنْ جِهَتَيْن عَلَى أَنْفُسِهِمْ إِذْ يُمْضُون أَيَّامَهُمْ فِي غَيْرِ عَمَلٍ وَعَلى غَيْرِهِمْ حَيْثُ شَغَلُوْهُمْ عَن العَمَلِ والعَجَبُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِيْنَ اعْتَادُوْا قَتْلَ الوَقْتِ إِذَا مَا تَبَيَّنَ فَشَلُهُمْ فِي نَوْبَةِ يَقْظَةٍ رَاحُوْا يَتساءَلُوْنَ عَنْ سِرِّ هَذَا الفَشَلِ وَيَتَّهِمُوْنَ الأَيَّامَ تارةً والحَظَّ تَارَةً أُخْرَى ، كَأَنَّهُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ مَطْبُوْعُونَ عَلَى النَّجَاحِ دُوْنَ عَمَلٍ وَأَنْ يَجْنُوْا ثِمَارَ مَوَاهِبِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَتَلُوْا هَذِهِ المَوَاهِبَ .

أَمَّا السَّبَبُ الحَقِيْقِي لِفَشَلِهِمْ فَهُوَ لا يَخْطُرُ لَهُمْ بِبالٍ وَلا يُفَكِّرُوْنَ فِيْهِ وذَلِكَ لِضُعْفِ عُقُوْلِهِم .

فَعَلَى العَاقِلِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَن هَؤُلاَءِ الكُسَالَى كُلَّ البُعْدِ لِئلا يُؤَثِّرُوْا عَلَيْهِ فَيُصِيْبُهُ مَا أَصَابَهُمْ مِن ضَيَاعِ العُمْرِ سُدَى ويَجْتَهِدَ فِي صُحْبَتِهِ ضِدَّ هَؤُلاَءِ أُناساً أَتْقِيَاءَ مُحَافِظِيْنَ عَلَى أَوْقَاتِهِمْ لاَ يُمْضُوْنَهَا إلا في طاعَةِ اللّهِ وَمَا أَحْسَنَ مَا قيل :

أخو الفِسْقِ لا يُغْرُوْكَ مِنْهُ تَوَدُّدٌ ... فكُلُّ حِبَالِ الفَاسِقِيْنَ مَهِين
وَصَاحِبْ إِذَا مَاكُنْتَ يَوماً مُصاحِباً ... أَخَا ثِقَةٍ بالغَيْبِ مِنْكَ أَمِيْنُ

آخر : بِعَشْرَتِكَ الكِرَامَ تُعَدُّ منهم ... فَلاَ تُرَيَنْ لِغَيرِهُمُ أُلُوْفَــا

آخر : فَصَــاحِبْ تَقِيّاً عَــالِماً تَنْتَفِــعْ بِــهِ ... فَصُحْبَةُ أَهْلِ الخَيْرِ تُرْجَى وَتُطْلَبُ
وَإِيَّـــاكَ والـفُسَّــاقَ لا تَـصْحَـبَنَّـهُـمْ ... فَقُــرْبُهُـمْ يُعْـدِي وَهَــذَا مُـجَــرَّبُ

فَـإِنَّـا رَأَيْنَـا المَـرْءَ يَسْـرِقُ طَبْعَـهُ
مِنَ الإِلْفِ ثُمَّ الشَّرُّ لِلنَّاسِ أَغْلَبُ
وَجَـانِبْ ذَوِيْ الأَوْزارِ لا تَقْـرَبَنَّهُمْ
فَقُـرْبُهُمْ يُـرْدِي ولِلْعِـرْضِ يَثْلِبُ

آخر :

وأَهْوَ مِن الإِخْوَانِ كُلَّ مُجَنِّبٍ   عن اللَّهْوِ مقْدَاماً على فِعْلِ طَاعَةِ
لَهُ عِفَّةٌ عن كُلِ شَيْءٍ محـــرم   وذُوْ رَغْبَةٍ فيمَا يَقُوْدُ لجَنَّـــةِ

آخر :

لا يُعْجِبَنّكَ أثواب على رجـــل   وَانظُرْ إلى دِيْنِهِ وانظر إلى الأدَبِ
فالعُوْدُ لَوْ لم تُفُحْ مِنْهُ رَوَائِحُـــهُ   ما فَرَّقَ النَّاسُ بَيْنَ العُودِ والحَطَبِ

وبالتَّالِي فالّذِي يُرْشِدُنَا إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذا الحَدِيثِ أَنَّهُ يُقرِّرُ أوّلاً أنَّ صِحَّةَ البَدَنِ نِعْمَةٌ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللّهِ عَلَيْنَا لِيُرَبّي فِيْنَا الوَعْيَ بِقِيْمَةِ الطَّاقَةِ الإِنْسَانِيَّةِ الّتِي خَلَقَهَا اللّهُ فِيْنَا . فَنَسْتَغِلّها فِيْمَا يَعُوْدُ عَلَيْنَا أَفْراداً وَجَماعَةً بالخَيْرِ والنَّفْعِ .

وَيُقَرِّرُ لَنَا ﷺ ثانياً أَنَّ الوَقْتَ هُوَ الحَياةُ ، وَأَنَّ مَا نَحْسِبُهُ فَراغاً فَنَتَفَنَّنُ فِي وَسَائِلِ قَتْلِهِ هُوَ الطَّرِيْقُ إلى التَّقَدُّمِ فالحَقِيْقَةُ أَنَّ الحيَّ الّذِي يُقَدِّرُ حَياتَهُ يَبْخَلُ فِي الوَقْتِ أَنْ يَكُونَ فِيْهِ فَارِغاً وَيَجْتَهِدُ فِيْهِ فِي العَمَلِ الذي يُقرِّبُهُ إِلَى اللّهِ وإلى مَرْضَاتِهِ مِنْ صَلاةٍ وَصدقَة وتَهْلِيل وتَسْبِيح وتكْبير وتَحْمِيد .

وَمِن اسْتِغْلالِ الوَقْتِ بأَنْفَعِ الوَسَائِلِ المُدَاوَمَةُ عَلَى العَمَلِ وَإِنْ كَانَ قَلِيْلاً . وذَلِكَ أَنَّ اسْتِدَامَةَ العَمَلِ القَلِيْلِ عَلَى تَوالِي الزَّمَانِ واسْتِمْرَارِهِ يُكَوِّنُ مِن القَلِيْل كَثِيْراً مِنْ حَيْثُ لا يَجِدُ الإِنْسَانُ مَشَقَّةً وَلا ضَجَراً .

وفِي الحَدِيْث إِنّ أَحبَّ الأَعْمَالِ إِلى اللّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ وفِي الحَدِيث الآخرِ إنَّ الدِّيْنَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشادَّ الدّيْنَ أَحدٌ إِلّا غَلَبَهُ فَسدِّدُوْا وَقارِبُوا وَأَبْشِرُوْا واسْتَعِيْنُوْا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ والقَصْدَ القَصْدَ .

فَقدْ ختَمَ ﷺ هَذا الحَدِيث بوَصِيَّةٍ خَفِيْفَةٍ على النُّفُوسِ ، نَافِعَةٍ تُرْشِدُ إلى المُحَافِظَةِ عَلَى الوَقْتِ ، حَيْثُ حَثَّ فِيْهَا عَلَى التَّبْكِيْر وَرغَّبَ أَنْ يَبْدأ

المُسْلِمُ أعْمَالَ يَوْمِهِ نَشِيْطاً طَيّبَ النَّفْسِ مُكْتَمِلَ العَزْمِ فإنَّ الحِرْصَ عَلَى الانْتِفَاعِ مِنْ أوَّلِ اليَوْمِ يَسْتَتْبِعُ الرَّغْبَةَ القَوِيَّةَ في أنْ لا يَضِيْعَ سائِرُهُ سُدَى .

فَهَذِهِ الأوْقَاتُ الثّلاثَةُ المَذْكُورَةُ فِي الحَدِيثِ ، كَمَا أنَّهَا السَّبَبُ الوَحِيْدُ لِقَطْعِ المَسَافَاتِ القَرِيْبَةِ والبَعِيْدَةِ في الأسْفَارِ الحِسّيَةِ مَعَ رَاحَةِ المُسَافِرِ وَرَاحَةِ رَاحِلَتِهِ وُوُصُوْلِهِ بِرَاحَةٍ وَسُهُوْلَةٍ فَهِيَ السَّبَبُ الوَحِيْدُ لِقَطْعِ السَّفَرِ الأُخْرَوِيِّ وَسُلُوْكِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ والسَّيْرِ إلى اللّهِ سَيْراً جَمِيْلاً .

فَمَتَى أخَذَ العَامِلُ نَفْسَهُ وَشَغَلَهَا بِالخَيْرِ والأعْمَالِ الصَّالِحَةِ المُنَاسِبَةِ لِوَقْتِهِ أوَّلَ نَهَارِهِ وآخِرَ نَهَارِهِ وشَيْئاً مِنْ لَيْلِهِ وخُصُوصاً آخِرَ اللَّيْلِ حَصَلَ لَهُ مِنَ الخَيْرِ ومِنْ البَاقِيَاتِ الصّالحاتِ أكْمَلُ حَظٍّ وَأوْفَرُ نَصِيْبٍ وَنَالَ السَّعَادَةَ والفَوْزَ والفلاحَ وَتَمَّ لَهُ النَّجَاحُ بِإِذْنِ اللّهِ فِي رَاحَةٍ وَطُمَأْنِيْنَةٍ مَعَ حُصُوْلِ مَقْصَدِهِ الدُّنْيويّ وأغْرَاضِهِ النَّفْسِيَّةِ .

وَمِمَّا وَرَدَ فِي الحَثِّ عَلَى صِيَانَةِ الوَقْتِ مَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ : شَبابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ وَفراغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ .

وَقَال ﷺ مَنْ خَافَ أدْلَجَ وَمَنْ أدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ ألاَ إنَّ سِلْعَةَ اللّهِ غَالِيَةٌ ألاَ إنَّ سِلْعَةَ اللّهِ الجَنَّةَ وَرُوِيَ عنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ مَرَّ بِي رَسُوْلُ اللّهِ ﷺ وأنَا مُضْطَجِعَةٌ مُتَصَبِّحَةٌ فَحَرَّكَنِيْ بِرِجْلِهِ ثُمَّ قَالَ يَا بُنَيَّةَ قُومِيْ اشْهَدِي رِزْقَ رَبِّكِ وَلاَ تَكُونِي مِنَ الغَافِلِيْنَ فَإنَّ اللّهَ يَقْسِمُ أرْزَاقَ النّاسِ مَا بَيْنَ طُلُوْعِ الفَجْرِ إلى طُلُوْعِ الشَّمْسِ » إذْ أنَّ الجَادِيْنَ أوْ الكُسَالَى يَتَمَيَّزُوْنَ فِي هَذَا الوَقْتِ فَيُعْطَى كُلُّ أمْرِءٍ حَسَبَ اسْتِعْدَادِهِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيا والآخِرَةِ .

شعرا: إذَاالمَرْءُلم يَطْلُبْ مَعَاشاً لِنَفْسِهِ   شَكَا الفَقْرَ أوْ لاَمَ الصَّدِيْقَ فَأكْثَرَا
وَصَارَ عَلَى الأدْنَيْنِ كَلّا وَأوْشَكَتْ   صِلاتُ ذَوِيْ القُرْبَى لَهُ أنْ تَنْكَرَا

وخِتاماً فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ اللَّبِيْبِ أَنْ لَا يُضَيِّعَ أَيَّامَ صِحَّتِهِ وَفراغَ وقْتِهِ بِالتَّقْصِيْرِ فِي طَاعَةِ اللّهِ، وَأَنْ لَا يَثِق بِسَالِفِ عَمَلٍ وَيَجْعَلَ الاجْتِهاد غَنِيْمَةَ صِحَّتِهِ ، وَيَجْعَلَ العَمَلَ فُرْصَةَ فراغِهِ . فَلَيْسَ الزَّمَانُ كُلُّهُ مُسْتَعِدّاً وَلَا مَا فَاتَ مُسْتَدْرِكاً .

شعـــــرا :

لَيْسَ السَّعَادَة أَنْ تَبِيْتَ مُنَعَّمَـــا وتَظَلُّ سَالِكاً مَسْلكَ الكَسْــلانِ
ما لِلرِّجَالِ وللتَّنَعُمِ إنَّمَـــا خُلِقُوا لِيُعْبُدُوْا خَالِقَ الإنْسَــانِ

قَال بَعْضُهُمْ فَوْتُ الوَقْتِ أَشَدُّ مِنْ فَوْتِ الرُّوْحِ عِنْدَ أَصْحَابِ الحَقِيْقَةِ لِأَنَّ فَوْتَ الرُّوْحِ إنْقِطَاعُ عنْ الخَلْقِ وَفَوْتُ الوَقْتِ انْقِطَاعُ عَنِ الحَقِّ .

وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ الرَّاحَةُ لِلرِّجَالِ غَفْلَةٌ ولِلنِّسَاءِ غِلْمَةٌ فَالفَرَاغُ مَفْسَدَةٌ وقَالَ بَعْضُهُمْ لا تُمْضِ يَوْمَكَ في غَيْرِ مَنْفَعَةٍ وَلَا تُضِعْ مَا لَكَ فِي غَيْرِ الفِعْلِ الحَسَنِ ، فَالعُمْرُ أَقْصَرُ مِنْ أنْ يَنْفَدَ فِي غَيْرِ المَنَافِعِ كَمَا قِيْلَ :

أَذَانُ الْمَــرْءِ حِيْنَ الـطِّفْـل يَــأتِيْ
وتَــأْخِيْــرُ الصَّــلاةِ إلى المَمَــاتِ
دَلِــيْـــلُ أَنَّ مَــحْـيَــاهُ قَــلِيْــلُ
كَـمَــا بَـيْـنَ الأذَانِ إلـى الـصَّــلَاةِ

وَالمَالُ أَقَلُّ مِنْ أَنْ يُصْرَفَ فِي غَيْرِ الصَّنَائِعِ والعَاقِلِ أَجَلُّ وأَكْيَسُ مِنْ أنْ يُفْنِي أَيَّامَهُ فِيْمَا لَا يَعُودُ إِلَيْهِ نَفْعُهُ وَخَيْرُهُ وَيُنْفِقُ أَمْوالَهُ فِيْمَا لَا يَحْصُلُ لَهُ ثَوَابُهُ وأجْرُهُ .

وَقَالَ عِيْسَى عَلَيْهِ وَعَلى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ البَرُّ ثَلَاثَةٌ المَنْطِقُ والنَّظَرُ والصَّمْتُ فَمَنْ كَانَ مَنْطِقُهُ في غَيْرِ ذِكْرٍ فَقَدْ لَغا وَمَنْ كَانَ نَظَرُهُ فِي غَيْرِ اعْتِبَارَ فَقَدَسَها وَمَنْ كَانَ صَمْتُهُ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدَ لَهَا .

شعراً: عَقَلْتُ فودَّعْتُ التَّصَابِي وَإنَّمـا تَصرُّمُ لَهْوِ المَرْءِ أَنْ يَكْمُلَ العَقْلُ
أَرَى الكُفْرَ شَرّاً في الحَيَاةِ وَبَعْدَهَا ولا عُمرَ إلاَّ مَا يُنَـالُ بِهِ الـفَضْلُ

ومِمَّا يَحْفِزُ الإنْسَانَ عَلَى المُسَابَقَةِ إلى فِعْلِ الطَّاعَاتِ تَذَكُّرُ يَوْمِ القِيَامَةِ وَحَالَةَ السَّبْقِ لِلْمُجِدِّيْنَ قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا مَضَتِ الأَوْقَاتُ فِي غَيْرِ طَاعَةٍ
وَلَمْ تَكُ مَحْزُوْناً فَذَا أَعْظَمُ الخَطْبِ
عَلاَمَةُ مَوْتِ القَلْبِ أَنْ لاَ تَرَى بِهِ
حَراكاً إلى التَّقْوَى ومَيْلاً عَنِ الذَّنْبِ

وقال الآخر :

وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَوْمَ الفَصْلِ فَرْداً
وأَبْصَرْتَ المَنَازِلَ فِيْهِ شَتَّى
لأَعْظَمْتَ النَّدَامَةَ فِيْهِ لَهْفاً
عَلَى مَا فِي حَيَاتِكَ قَدْ أَضَعْتَا

فَالعَاقِلُ مَنْ يُبَادِرُ أَيَّامَ الصِّحَّةِ وَالسَّلاَمَةِ ولا يُفَوِّتُ مِنْهَا شَيْئاً فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ .

قال الأَعْشَى :

إذا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى
وَأَبْصَرْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لاَ تَكُوْنَ كَمِثْلِهِ
وَأَنَّكَ لم تُرْصِدْ كَمَا كَانَ أَرْصَدَا

شعرا :

تَغَنَّمْ سُكُوْنَ الحَادِثَاتِ فَإِنَّهَا
وَإِنْ سَكَنَتْ عَمَّا قَلِيْلٍ تَحَرَّكُ
وبَادِرْ بِأَوْقَاتِ السَّلاَمَةِ إِنَّهَا
رِهَانٌ وهَلْ لِلرَّهْنِ عِنْدَكَ مَتْرَكُ

نَسْأَلُ الله أنْ يُوفِقَنَا لِتَدبُّرِ آياتِهِ وفَهْمِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ والعَمَلِ بِهِمَا وأَنْ يَرْزُقَنَا الانْتِفَاعَ بِمُرُوْرِ الزَّمَنِ على خَيرِ وَجْهٍ إِنَّه القَادِرُ على ذلكَ ، اللهم أَيْقِظْنَا مِن

هَذِهِ السُّنَةِ وَوَفِقْنَا لِإتِّبَاعِ ذَوِي النُّفُوسِ المُحْسِنَةْ وآتِنَا في الدنيا حَسَنَةً وفي الآخرةِ حَسنةً وَقِنَا عذابَ النارِ ، اللهم وآتِنَا أَفْضَلَ ما تُؤْتِي عِبَادَكَ الصَّالِحِيْنَ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أرحمَ الراحمين وصلى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين .

(فصل)

وفي وَصِيَّةِ الإمَامِ المُوَفَّقِ بنِ قُدَامَةَ مَا لَفْظُهُ : فاغْتَنِمْ رَحِمَكَ الله حَيَاتَكَ النَّفِيْسَةَ واحْتَفِظْ بأَوْقَاتِكَ العَزِيْزَةِ واعْلَمْ أَنَّ مُدَّةَ حَيَاتِكَ مَحْدُوْدَةٌ وأَنْفَاسَكَ مَعْدُوْدَةٌ فكُلُ نَفسٍ يَنْقُصُ بِهِ جُزْءٌ مِنْكَ والعُمْرُ كُلُّهُ قَصِيْرٌ والبَاقِي مِنْهُ هُوَ اليَسِيْرُ وَكُلُ جُزْءٍ مِنْهُ جَوْهَرَةٌ نَفِيْسَةٌ لا عِدْلَ لَهَا والبَاقِي مِنْهُ هُوَ اليَسِيْرُ وَكُلُ جُزْءٍ مِنْهُ جَوْهَرَةٌ نَفِيْسَةٌ لا عِدْلَ لَهَا ولا خَلفَ مِنْهَا فإنَّ بِهَذِهِ الحَيَاةِ اليَسِيْرَةِ خُلُودُ الأَبَدِ في النَّعِيْمِ أَوْ العَذَابِ الأَلِيْمِ .

وإذا عَادَلْتَ هَذِهِ الحَيَاةَ بِخُلُودِ الأَبَدِ عَلِمْتَ أَنَّ كُلَّ نَفسٍ يُعَادِلُ أَكْثَرَ مِنْ أَلفِ أَلْفِ عَامٍ فِي نَعِيْمٍ لَا خَطَرَ لَهُ أَوْ خِلافَ ذَلِكَ وما كانَ هَكَذَا فَلا قِيْمَةَ لَهُ فَلا تُضَيِّعَ جَوَاهِرَ عُمْرِكَ النَّفِيْسَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ ولا تُذْهِبْهَا بِغَيْرِ عِوَضٍ واجْتَهِدْ أَنْ لَا يَخْلُو نَفَسٌ مِنْ أَنْفَاسِكَ إِلَّا في عَمَلِ طَاعَةٍ إو قُرْبَةٍ تُقَرِّبُ بِهَا فإنَّكَ لَوْ كَانَ مَعَكَ جَوْهَرَةٌ مِن جَوَاهِرِ الدُّنْيَا لَسَاءَكَ ذَهَابُهَا فكَيْفَ تُفَرِّطُ في سَاعَاتِكَ وكَيْفَ لَا تَحْزَنُ عَلَى عُمرِكَ الذَّاهِبِ بِغَيْرِ عِوَضٍ انتهى .

وعن عُمَرَ بنِ ذَرٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ اعْمَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ رَحِمَكُم الله في هَذَا اللَّيْلِ وَسَوَادِهِ ، فإنَّ المَغْبُوْنَ مَن غُبِنَ خَيْرَ اللَّيلِ والنَّهارِ ، والمَحْرُوْمَ مَن حُرِمَ خَيْرَهُمَا ، إِنَّمَا جُعِلا سَبِيْلا لِلْمُؤْمِنِينَ إلى طَاعَةِ ربِّهم ؛ وَوَبَالاً على الآخَرِيْنَ لِلْغَفْلَةِ عن أَنْفُسِهِم فأَحْيُوا لِلَّهِ أَنْفُسَكُمْ بذِكْرِهِ ، فإنَّمَا تَحْيَا القُلُوبُ بِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

كَمْ مِن قَائِمٍ لِلهِ جَلَّ وَعَلا في هَذَا الليلِ قَدْ اغْتَبَطَ بِقِيَامِهِ فِي ظُلْمَةِ

حُفْرَتِهِ وَكَمْ مِن نَائِمٍ فِي هَذَا اللَّيْلِ قَدْ نَدِمَ عَلَى طُوْلِ نَوْمَتِهِ عِنْدَمَا يَرَى مِن كَرَامَةِ اللهِ لِلْعَابِدِيْنَ غَداً فأغْتَنِمُوْا مَمَرَّ السَّاعَاتِ واللَّيَالِي والأَيَّامِ رَحِمَكُم اللهُ وَرَاقِبُوا اللهَ جَلَّ وَعَلاَ في كُلِّ لَحْظَةٍ وداوِمُوْا شُكْرَهُ .

قالَ مُحَمَّد بنُ عَلي الترمذيُ اجْعَل مُرَاقَبَتَك لِمَنْ لا تَغِيْبُ عن نَظَرِهِ إِلَيْكَ واجْعَلْ شُكْرَكَ لِمَنْ لا تَنْقَطِعُ نِعْمَتُهُ عَنْكَ واجْعَلْ خُضُوْعَكَ لِمَنْ لا تَخْرُجُ عَنْ مُلْكِهِ .

وقال ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ : العَبْدُ مِنْ حِيْنِ اسْتَقَرَّتْ قَدَمُهُ في هذِهِ الدارِ فَهُوَ مُسَافِرٌ فِيْهَا إلى رَبِّهِ ، وَمُدَّةُ سَفَرِهِ عُمْرُهُ ولأَيَّامُ واللَّيالِي مَرَاحِلُ فلا يَزَالُ يَطْوِيْهَا حَتَّى يَنْتَهِي السَّفَرُ ، فالكَيِّسُ لاَ يَزَالُ مُهْتَماً بِقَطْعِ المَرَاحِلِ فِيْمَا يُقَرِّبُهُ إلى اللهِ لِيَجِدَ ما قَدَّمَ مُحْضَراً ثُمَّ الناسُ مُنْقَسِمُونَ إلى أقْسَامٍ ، مِنْهُمْ مَن قَطَعَهَا مَتَزَوِّداً بِمَا يُقَرِّبُهُ إلى دَارِ الشَّقَاءِ مِن الكُفْرِ وَأَنْوَاعِ المَعَاصِيْ .

ومِنْهُمْ مَنْ قَطَعَهَا سَائِراً فِيْهَا إلى اللهِ وإلى دَارِ السَّلامِ ، وَهُمْ ثَلاَثَةُ أَقْسَامٍ : سَابِقُوْنَ أَدُّوْا الفَرَائِضَ وأَكْثَرُوْا مِن النَّوَافِلِ بأنْوَاعِهَا ، وَتَرَكُوْا المَحَارِمَ ، والمَكْرُوْهَاتِ وفُضُولِ المُبَاحَاتِ ، ومُقْتَصِدُوْنَ أَدُّوْا الفَرَائِضَ وتَرَكُوْا المَحَارِمَ ، ومِنْهُمُ الظَّالِمُ لنفسه الَّذي خَلَطَ عَمَلاً صَالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً وهُمْ فِي ذَلِكَ دَرَجَاتٍ يَتَفَاوَتُوْنَ تَفَاوُتاً عَظِيْماً أ هـ .

وقالَ رَحِمَهُ اللهُ : الناسُ مُنْذُ خُلِقُوا لَمْ يَزَالُوْا مُسَافِرِيْنَ لَيْسَ لَهُمْ حَطٌّ عن رِحَالِهِم إلا في الجَنَةِ أو النَّارِ والعَاقِلُ يَعْلَمُ أن السَّفَرَ ، مبْنِيٌ على المَشَقَّةِ وَرُكُوبِ الأَخْطَارِ وَمِنَ المُحَالِ عَادَةً أَنْ يُطْلَبَ فِيه نَعِيْمٌ ، ولَذَةٌ وَرَاحَةٌ إِنَّمَا ذَلِكَ بَعْدَ انْتِهَاءِ السَّفَرِ ومِنَ المَعْلوم أنَّ كُلَّ وَطْأَةِ قَدَمٍ أوْ كُلَّ آنٍ مِن آنَاتِ السَّفَرِ غَيْرَ وَاقِفَةٍ ولا المُكَلَّفُ وَاقِفٌ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ سَافَرَ عَلَى الحَالِ التِي يُحِبُ أَنْ

يَكُوْنَ المُسَافِرُ مِنْ تَهْيِئَةِ الزَّادِ المُوْصِلِ وَإِذَا نَزَلَ أو نام أو استراح فعلى استعداد .

شعراً :

أَنْتَ المُسَافِرُ والدُنْيَا الطَّرِيْقُ وَأَنْ
فَاسٌ خُطَاكَ وَرَأْسُ المَرْءِ إِيْمَانُ
فاجْعَلْ لِنَفْسِكَ تَقْوَى اللهِ مَدْرَجَةً
فَلِلْأسَاءَآتِ قُطَّاعٌ وأَعْوَانُ
يَا قَومُ دُنْيَاكُمُوْا دَارٌ مُزَوَّقَةٌ
لكِنْ لَهَا وُضِعَتْ في الرَّمْلِ أَرْكَانُ
لَهَا سُقُوفٌ بِلَا أُسٍ مُزَخْرَفَةٌ
وكَيْفَ يُبْنِي بِغَيْرِ الأُسِّ بُنْيَانُ
كَمْ فَاتِحٍ عَيْنَهُ فِيْهَا تَخَطَّفَهُ
أَيْدِي الرَّدَى قَبْلَ أَنْ تَنْضَمَّ أَجْفَانُ
هِيَ السَّرَابُ وَمَاءُ الوَجْهِ تُهْرِقُهُ
ولا يَرَى فِيهِ وَجْهَ الماءِ عَطْشَانُ
رَحًى يَدُوْرُ دَقِيْقٌ شَأْنُهُ عَجَبٌ
غَدَا لِكُلِّ خَلِيْلٍ وَهُوَ طَحَّانُ
يَسُرُّ كُلُّ فَتًى طُوْلُ الزَّمَانِ بِهِ
ولِلْفَتَى حَاصِلُ الأَزْمَانِ إِزْمَانُ

وقَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ وعِمَارَةُ الوَقْتِ الاشْتِغَالُ في جَمِيْعِ آنَائِهِ بِمَا يُقَرِبُ إِلَى اللهِ أَوْ يُعِيْنُ على ذَلِكَ مِن مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ أَوْ مَنْكَحٍ أَوْ مَنَامٍ أَوْ رَاحَةٍ

فانَّهُ مَتى أَخذَها بِنيَّةِ القُوَّةِ عَلى مَا يُحِبُّهُ اللهُ وتَجنَّبَ مَا يُسْخِطُهُ كَانتْ مِن عِمَارَةِ الوَقْتِ وَإِنْ كَانَ لَهُ فِيْهَا أَتمَّ لَذَّةٍ فلا تَحْسَبْ عِمارَةَ الوَقْتِ بِهجْرِ اللَّذاتِ وَالطَّيِّبَاتِ فالمُحِبُ الصَّادِقُ رُبَّمَا كَانَ سَيْرُهُ القَلْبي في حَالِ أَكْلِهِ وشُرْبِهِ وجِمَاعِ أَهْلِهِ وَرَاحَتِهِ أَقْوَى مِن سَيْرِهِ البَدَني في بَعْضِ الأَحْيَانِ .

وقَالَ رَحِمَهُ اللهُ : والعَبْدُ إِذَا عَزَمَ عَلى فِعْلِ أَمْرٍ فَعَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ أَوَّلاً هَلْ هُوَ طَاعَةٌ لِلهِ أمْ لاَ فَإنْ لَمْ يَكُنْ طَاعَةً فَلا يَفْعلَهُ إلاَّ أنْ يَكُون مُباحاً يَسْتَعِيْنُ بِهِ عَلَى الطَّاعَةِ وحِيْنَئِذٍ يَصِيْرُ طَاعَةً فإذَا بانَ لَهُ أَنَّهُ طَاعَةٌ فَلا يُقْدِمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْظُرَ هَلْ هُوَ مُعَانٌ عَلَيْهِ أَمْ لاَ فإنْ لَمْ يَكُنْ مُعَاناً عَلَيْهِ فلا يُقْدِمْ عَلَيْهِ فَيُذِلَ نَفْسَهُ وإنْ كَانَ مُعَاناً عَلَيهِ بَقِيَ عَلَيْهِ نَظَرٌ وهُوَ أنْ يَأْتِيَهُ مِن بَابِهِ فَإنْ أَتَاهُ مِن غَيْرِ بَابِهِ أَضَاعَهُ أَوْ فَرَّطَ فِيْهِ أَوْ أَفْسَدَ مِنْهُ شَيْئاً فَهَذِهِ الأُمُوْرُ الثلاَثَةُ : الطَّاعَةُ والإِعَانَةُ والهِدَايَةُ أَصْلُ سَعَادَةِ العَبْدِ وفَلاَحِهِ .

وَهُوَ مَعْنَى قَولِ العَبْدِ لِرَبِّهِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ فَأَسْعَدُ الخَلْقِ أَهْلُ هَذِهِ العِبَادَةِ والاسْتِعَانَةِ والهِدَايَةِ إِلى المَطْلُوبِ وأشقَاهُمْ مَنْ عَدِمَ الأُمُوْرَ الثلاثَةَ وَمِنْهُمْ مَن يَكُونُ لَهُ نَصِيْبٌ مِن إِيَّاكَ نَعْبُدُ ونَصِيْبُهُ مِن إِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ مَعْدُوْمٌ أَوْ ضَعِيْفٌ فَهذَا مَخْذُوْلٌ مَهِيْنٌ مَحْزُوْنٌ ومِنْهُم مَنْ يَكونُ نَصِيْبُهُ مِن إِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ قَوِياً ونَصِيْبُهُ مِن إِيَّاكَ نَعْبُدُ ضَعِيْفاً أَوْ مَفْقُوْداً فَهذا لَهُ نُفُوذٌ وَتَسَلُّطٌ وَقُوَّةٌ ولكِنْ لا عَاقِبَةَ لَهُ بَلْ عَاقِبَتُهُ أَسْوَءُ عَاقِبَةٍ .

ومِنْهُمْ مَن يَكُونُ لَهُ نَصِيْبٌ مِن إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ ولَكِنْ نَصِيْبُهُ مِن الهِدَايَةِ إِلَى المَقْصُوْدِ ضَعِيْفٌ جِداً كَحَالِ كَثِيْرٍ مِنَ العِبَادِ والزُهَادِ الذِيْنَ قَلَّ عِلْمُهُمْ بحَقَائِقِ مَا بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّداً ﷺ مِن الهُدَى والتُقى .

شِعْرا: مَاالفَخْرُ إِلَّا لأَهْلِ العِلْمِ إِنَّهُمُوْا ... عَلىَ الهُدَى لِمنْ اسْتَهْدَى أَدِلاَّءُ
وَقِيمَةُ المَـرْءِ مَا قَدْ كَانَ يُحْسِنُـهُ ... وَالجَاهِلُونَ لأَهْلِ العِلْمِ أَعْـدَاءُ
فَعِشْ بِعِلْمٍ تَفُزْ حَياً بِهِ أَبَـداً ... النَّاسُ مَوْتَى وأَهْلُ العِلْمِ أَحْيَاءُ

اللهم اجْعَلْ إيْمَانَنَا بِكَ عَمِيْقًا وسَهِلْ لَنَا إلى مَا يُرْضِيْكَ طَرِيْقاً وألطفْ بِنَا يَا مَوْلَانَا وَوَفِقْنَا لِلْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ تَوْفِيْقًا واغفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا وجَمِيعِ المسلمين برحمتكَ يا أرحمَ الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصــــل)

وقال رحمه الله :

أَقَامَ اللهُ سُبْحَانَهُ هَذَا الخَلْقَ بَيْنَ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ والعَطَاءِ والمَنْعِ فافْتَرَقُوْا فِرْقَتَيْنِ ، فِرْقَةً قَابَلَتْ أَمْرَهُ بالتَّرْكِ ، وَنَهيَهُ بالارتكابِ ، وَعَطَاءَهُ بالغَفْلَةِ ، عَن الشُكْرِ ومَنْعَهُ بالسُّخْطِ وهَؤُلَآءِ أَعْدَاؤُهُ ، وفِيْهِم مِنَ العَدَاوَةِ بحَسَبِ مَا فِيْهِم مِن ذَلِكَ .

وقِسْمٌ قَالُوا إنَّمَا نَحْنُ عَبِيْدُكَ ، فإنْ أَمَرْتَنَا سَارَعْنَا إلى الاجَابَةِ ، وانْ نَهَيْتَنَا أَمْسَكْنَا نُفُوسَنَا وكَفَفْنَاها عَمَّا نَهَيْتَنَا عَنهُ وإنْ أَعْطَيْتَنَا حَمِدْنَاكَ وشَكَرْنَاكَ ، وإنْ مَنَعْتَنَا تَضَرَّعْنَا إلَيْكَ وذَكَرْنَاكَ ، فَلَيس بَيْنَ هَؤلَآءِ وبَيْنَ الجَنَّةِ إلا سِتْرُ الحَيَاةِ الدُنْيَا ، فإذَا مَزَّقَهُ عَلَيْهِم الموتُ ، صَارُوا إلى النَّعِيْمِ المُقِيْمِ وقُرَّةِ العَيْنِ ، كَمَا أنَّ أُولَئِكَ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ النارِ إلا سِتْرُ الحَيَاةِ ، فإذا مَزَّقَهُ الموتُ صَارُوْا إلى الحَسْرَةِ وَالأَلَمِ .

فإذَا تَصَادَمَتْ جُيُوشُ الدُنيا والآخِرَةِ في قَلْبِكَ وأَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ أَيِّ الفَرِيْقَينِ أَنْتَ ، فانْظُرْ مَعَ مَنْ تَمِيْلُ مِنْهُمَا ، وَمَعَ مَنْ تُقَاتِلُ ، إذْ لَا يَمْكِنُكَ الوُقُوفُ بَيْنَ الجَيْشَيْنِ ، فأَنْتَ مَعَ أَحَدِهِمَا لَا مَحَالَةَ .

فَفَرِيقٌ مِنْهُمْ اسْتَغَشُّوْا الهَوَى فَخَالَفُوهُ ، واسْتَنْصَحُوْا العَقْلَ فَشَاوَرُهُ ، وفَرَّغُوا قَلوبَهُمْ لِلْفِكْرِ فِيْمَا خُلِقُوْا لَهُ ، وَجَوارِحَهُم لِلْعَمَلِ بمَا أُمِرُوْا بِهِ ،

وأوْقَاتَهم لِعِمَارَتِهَا بِمَا يَعْمُرُ مَنَازِلَهُمْ في الآخِرَةِ ، واسْتَظْهَرُوْا عَلَى سُرْعَةِ العَمَلِ بالمُبَادَرَةِ إلَى الأعمالِ ، وسَكَنُوا الدُنْيَا وقُلُوبُهُم مُسَافِرَةٌ عَنْهَا ، واسْتَوْطَنُوا الآخِرَةَ قَبْلَ انْتِقَالِهِم إِلَيْهَا .

واهْتَمُّوْا باللهِ وطَاعَتِهِ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ ، وَتَزَوَّدُوْا لِلآخِرَةِ عَلَى قَدْرِ مَقَامِهِمْ فِيْهَا ، فَجَعَلَ لَهُمْ سُبْحَانَهُ مِنْ نَعِيْمِ الجَنَّةِ وَرَوْحِها أنْ آنَسَهُمْ بِنَفْسِهِ ، وَأَقْبَلَ بقُلُوبِهِمْ إِلَيْهِ ، وَجَمَعَهَا عَلَى مَحَبَّتِهِ ، وشَوَّقَهُمْ إِلَى لِقَائِهِ وَنَعَّمَهُمْ بِقُرْبِهِ ، وَفَرَّغَ قُلُوبَهُمْ مِمَّا مَلأ قُلُوبَ غَيْرِهِمْ مِنْ مَحَبَّةِ الدُنْيَا ، والهَمِّ والحُزْنِ عَلَى فَوْتِهَا ، والغَمِّ مِنْ خَوْفِ ذَهَابِهَا ، فاسْتَلانُوْا مَا اسْتَوْعَرَهُ المُتْرَفُوْنَ ، وأنِسُوْا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الجَاهِلُونَ ، صَحِبُوا الدُنْيَا بأَبْدَانِهِمْ والملأ الأعْلا بأرْوَاحِهِمْ على حَدِّ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَصَاحَبُوْهَا بِأَبْدَانٍ قُلُوبُهُمُ
طَيْرٌ لَها في ظِلالِ العَرْشِ أوْكَارُ

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ سَيِّدُ عَمَلِهِ وطَرِيْقُهُ الذي يَعُدُّ سُلُوْكَهُ إلى اللهِ طريْقَ العِلْمِ والتَّعْلِيمِ قَدْ وَفَّرَ عَلَيهِ زَمَانَهُ مُبْتَغِياً بِهِ وَجْهَ الله فلا يَزَالُ كَذَلِكَ عَاكِفاً على طَرِيقِ العِلم والتَّعلِيم حَتَّى يَصِلَ مِنْ تِلْكَ الطَّرِيْقِ إلى اللهِ وَيَفْتَح لَهُ فِيْهَا الفَتْحَ الخَاصَّ أَوْ يَمُوْتَ في طَرِيْقِ طَلَبِهِ فَيُرجَى لَهُ الوُصُولُ إلى مَطْلَبِه بَعْدَ مَمَاتِهِ قَال تعالى : (وَمَن يَخْرجْ مِن بَيتِهِ مُهَاجِراً إلى الله ورسولِهِ ثم يدركه الموتُ فقد وقعَ أجرُه على الله) .

وقَدْ حُكِيَ عَنْ جَمَاعَةٍ كَثِيْرَةٍ مِمَّنْ أَدْرَكَهُ الأَجَلُ وهُوَ حَرِيْصٌ طَالِبٌ لِلْقُرْآنِ أنَّهُ رُؤِيَ بَعْدَ مَوْتِهِ وأخْبَرَ أنَّهُ في تَكْمِيْلِ مَطْلُوبِهِ وأنهُ يَتَعلَّمُ في البَرْزَخِ فإنَّ العَبْدَ يَمُوْتُ على مَا عَاشَ عَلَيْهِ .

وَمِن النّاس مَنْ يَكُوْنُ سَيِّدُ عَمَلِهِ الذِّكْرُ وَقَدْ جَعلَهُ زَادَهُ لِمَعادِهِ وَرَأْس مَالِهِ لِمآلِهِ فَمَتَى فَتَرَ عَنْهُ أَوْ قَصَّرَ رأى أَنَّهُ قَدْ غُبِنَ وَخَسِرَ .

وَمِن الناس مَنْ يَكُوْنُ سَيِّدُ عَمَلِهِ وَطَرِيْقُهُ الصَّلاةُ فَمَتَى قَصَّرَ في وِرْدِهِ مِنها أَوْ مَضى عَلَيْهِ وَقْتٌ وهُوَ غَيْرُ مَشْغُولٍ بِهَا أَوْ مُسْتَعِدٌ لَهَا أَظْلَمَ عَلَيْهِ وَقْتُهُ وضَاقَ صَدْرُهُ .

ومِنَ الناس مَن يَكُونُ طَرِيْقُهُ الاحسانُ والنَّفْعُ المُتَعَدِّيْ كَقَضاءِ الحَاجَاتِ وتَفْرِيْجِ الكُرُبَاتِ وإغَاثَةِ اللَّهفَاتِ وأَنْواعِ الصَّدَقَاتِ قَدْ فُتِحَ لَهُ فِي هَذَا وَسَلَكَ مِنْهُ طَرِيْقاً إلى رَبِّهِ .

ومِن الناس مَنْ يَكُونُ طَرِيْقُهُ الصَّوْمُ فَهُوَ مَتى أَفْطَرَ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ قَلْبُهُ وَسَاءَتْ حَالُهُ .

ومِنَ الناس مَنْ يَكُونُ طَرِيْقُهُ تِلَاوَةُ القُرْآنِ وَهِيَ الغَالِبُ عَلى أَوْقَاتِهِ وهِيَ أَعْظَمُ أَوْرادِهِ .

ومِنْهُمْ مَن يَكُونُ طَرِيْقُهُ الأمْرُ بالمَعْرُوْفِ والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ قد فتح الله له فيه ونفذ منه إلى ربه .

ومِنْهُمْ مَن يَكُونُ طَرِيْقُهُ الذِي نَفَذَ فِيه الحَجُّ والاعْتِمَارُ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُوْنُ طَرِيْقُهُ قَطْعُ العَلائِقِ وتَجْرِيْدُ الهِمَّةِ وَدَوامُ المُراقَبَةِ وَمُرَاعَاةُ الخَواطِرِ وحِفْظُ الأَوْقَاتِ أَنْ تَذْهَبَ ضَائِعَةً .

ومِنْهُمْ جَامِعُ المَنْفَذِ السَّالِكُ إلى اللّهِ فِي كُلِّ وَادٍ الوَاصِلُ إلَيْهِ مِنْ كُلِّ طَرِيْقٍ فَهُوَ جَعَلَ وَظَائِفَ عُبُودِيَّتِهِ قِبْلَةَ قَلْبِهِ وَنَصْبَ عَيْنِهِ يَؤُمُّهَا أَيْنَ كَانَتْ وَيَسِيْرُ

مَعهَا حَيْثُ سَارَتْ قَدْ ضَرَبَ مَعَ كُلِّ فَرِيْقٍ بِسَهْمٍ فَأَيْنَ كَانَتْ العُبُوْدِيَّةُ وَجَدْتَهُ هُنَاكَ إِنْ كَانَ عِلْمٌ وَجَدْتَهُ مَعَ أَهْلِهِ أَوْ جِهَادٌ وَجَدْتَهُ فِي صَفِّ المُجَاهِدِيْنَ أَوْ صَلاةٌ وَجَدْتَهُ فِي القَانِتِيْنَ أَوْ ذِكْرٌ وَجَدْتَهُ فِي الذَّاكِرِيْنَ أَوْ إِحْسَانٌ وَنَفْعٌ وَجَدْتَهُ فِي زُمْرَةِ المُحْسِنِيْنَ أَوْ مَحبَّةٌ وَمُرَاقَبَةٌ وإِنَابَةٌ إِلى اللَّهِ وَجَدْتَهُ فِي زُمْرَةِ المُحِبِّيْنَ المُنِيْبِيْنَ .

يَدِيْنُ بِدِيْنِ العُبُوْدِيَّةِ أنّي اسْتَقَلَّتْ رَكَائِبُهَا وَيَتوجَّهُ إِلَيْهَا حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ مَضَارِبُهَا لَوْ قِيْلَ لَهُ : مَا تُرِيْدُ مِنَ الأَعْمَالِ ؟ لَقَالَ أُرِيْدُ أَنْ أُنفِّذَ أَوَامِرَ رَبِّيْ حَيْثُ كَانَتْ وأَيْنَ كَانَتْ جَالِبَةً مَا جَلَبَتْ مُقْتَضِيَةً مَا اقْتَضَتْ جَمعَتْنِي أَوْ فَرَّقَتْنِي .

لَيْسَ لِي مُرَادٌ إِلاَّ تَنْفِيذُها والقِيَامُ بِأَدائِهَا مُرَاقِباً لَهُ فِيْهَا عَاكِفاً عَلَيْهِ بِالرُّوحِ والقَلْبِ وَالبَدَنِ وَالسِّرِّ قَدْ سَلَّمْتُ إِلَيْهِ المَبِيْعَ مُنْتَظِراً مِنْهُ تَسْلِيْمَ الثَّمَنِ ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرى مِنَ المُؤْمِنِيْنَ أَنفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ بأن لَهُمْ الجَنّةُ﴾ فَهَذا هُوَ العَبْدُ السَّالِكُ إِلى رَبِّهِ النّافِذُ إِلَيْهِ حَقِيْقَةً .

وَمَعْنَى النُّفُوذُ إِلَيْهِ أَنْ يَتَّصِلَ بِهِ قَلْبُهُ وَيَعْلِقَ بِهِ تَعَلُّقَ المُحِبِّ التَّامِ المَحَبَّةِ بِمَحْبُوْبِهِ فَيَسْلُوا بِهِ عَنْ جَمِيْعِ المَطَالِبِ سِوَاهُ فَلاَ يَبْقَى فِي قَلْبِهِ إِلاّ مَحَبَّةُ اللّهِ وَأَمْرُهُ وَطَلَب التَّقرُّبِ إِلَيْهِ)) وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين

(**فَصْــــلٌ**) فَإِذَا سَلَكَ العَبْدُ عَلى هَذَا الطَّرِيْقِ عَطَفَ عَلَيْهِ رَبُّهُ فَقَرَّبَهُ واصْطَفَاهُ وأَخذَ بِقَلْبِهِ إِلَيْهِ وَتَولاّهُ فِي جَمِيْعِ أُمُوْرِهِ فِي مَعَاشِهِ وَدِيْنِهِ وَتَولَّى تَرْبِيَتِهِ أَحْسَنَ وَأَبْلَغ مِمَّا يُرَبِّي الوَالِدُ الشَّفِيْقُ وَلَدَهُ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ القَيُّومُ المُقِيْمُ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ المَخْلُوْقَاتِ طَائِعِهَا وَعَاصِيْهَا .

فَكَيْفَ تَكُوْنُ قَيُّوْمِيَّتُهُ بِمَنْ أَحَبَّهُ وَتَوَلاَّهُ وآثَرَهُ عَلَى ما سِوَاهُ وَرَضِيَ بِهِ مِنَ

النّاس حَبِيْباً وَربّاً ووكِيْلاً وَناصِراً وَمُعِيْناً وَهادِياً فَلَوْ كَشفَ الغِطَاءُ عَنْ ألطَافِهِ وَبِرِّهِ وَصُنْعِهِ لَهُ مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُ وَمِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُ لَذَابَ قَلْبُهُ مَحَبَّةً لَهُ وَشَوْقاً إلَيْهِ وَتَقَطّعَ شُكْراً لَهُ .

وَلَكِنْ حجبَ القُلُوْبَ عَنْ مُشَاهَدَةِ ذَلِكَ إخْلادُهَا إلَى عَالَمِ الشَّهَوَاتِ والتَّعلُّقِ بِالأسْبَابِ فَصدَّتْ عَنْ كَمالِ نَعِيْمِهَا وَذَلِكَ تَقْدِيْرُ العَزِيْزِ العَلِيْمِ وإلاَّ فَأيُّ قَلْبٍ يَذُوْقُ حلاَوَةَ مَعْرِفَةِ اللّهِ وَمَحبَّتِهِ ثُمّ يَرْكَنُ إلى غَيْرِهِ وَيَسْكُنُ إلَى مَا سِوَاهُ هَذا مَا لا يَكُوْنُ أَبَداً .

وَمَنْ ذَاقَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ وَعَرَفَ طَرِيْقاً مُوْصِلَةً إلى الله ثُمَّ تَرَكَهَا وأَقْبَلَ عَلَى إرَادَتِهِ وَرَاحَاتِهِ وَشَهَواتِهِ وَلَذَّاتِهِ وَقَعَ فِي آثارِ المَعَاطِبِ وَأَوْدَعَ قَلْبَهُ سُجُوْنَ المَضَايِقِ وَعُذِّبَ فِي حَيَاتِهِ عَذَابا لَمْ يُعذَّبْ بِهِ أَحَدُ مِنَ العَالَمِيْن ، فَحَيَاتَهُ عَجْزٌ وَغَمٌّ وَحَزنٌ وَمَوْتُهُ كَدَرٌ وَحَسْرَةٌ وَمَعَادَهُ أَسَفٌ وَنَدَامَةٌ قَدْ فَرطَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَشُتِّتَ عَلَيْهِ شَمْلُهُ وَأَحْضَرَ نَفْسَهُ الغُمُوْمَ والأحْزَان .

فَلاَ لَذَّةَ الجَاهِلِيْنَ وَلاَ رَاحَةَ العَارِفِيْنَ يَسْتَغِيْثُ فَلاَ يُغَاثُ وَيَشْتَكِيْ فَلاَ يُشكَّى فَقَدْ تَرحَّلَتْ أَفْرَاحُهُ وَسُرُوْرُهُ مُدْبِرَةً وأَقْبلَتْ آلامُهُ وَأَحْزَانُهُ وَحَسَرَاتُهُ فَقَدْ أُبْدِلَ بِأُنْسِهِ وَحْشَةً وبِعِزِّهِ ذُلًّا وَبِغِنَاهُ فَقْراً وَبِجَمْعِيَّتِهِ تَشْتِيْتاً وأَبْعَدُوْهُ فَلَمْ يَظْفُرْ بِقُرْبِهِمْ وأَبْدَلُوْهُ مَكَانَ الأُنْسِ إيْحَاشَا .

ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَرَفَ طَرِيْقَهُ إلى اللّهِ ثُمَّ تَرَكَهَا نَاكِباً عَنْهَا مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ فَأبْصَرَ ثُمَّ عَمِيَ وَعَرَفَ ثُمَّ أنكرَ وأَقْبَلَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَدُعِيَ فَمَا أَجَابَ وفُتِحَ لَهُ فَوَلَّى ظَهْرَهُ البابَ قَدْ تَرَكَ طَرِيْقَ مَوْلاَهُ وأَقْبَلَ بِكُلِّيَتِهِ عَلَى هَوَاهُ .

فَلَوْ نَالَ بَعْضَ حُظُوظِهِ وتَلَذَّذَ بِرَاحَاتِهِ وَشُؤُونِهِ فَهُوَ مُقَيَّدُ القَلْبِ عَنْ

انْطِلاقِهِ فِي فَسِيْحِ التَّوْحِيْدِ وَمَيَادِيْنِ الأُنْسِ وَرِياضِ الْمَحَبَّةِ وَموائِدِ القُرْبِ قدْ انْحَطَّ بسَبَبِ إعْراضِهِ عن إلهِهِ الْحَقِّ إلى أَسْفَلِ سَافِلِينَ وحَصَلَ فِي عِدادِ الْهَالِكِيْنَ فنارُ الحِجَابِ تَطْلُعُ كُلَّ وَقْتٍ عَلَى فُؤَادِهِ وإعْراضُ الكونِ عنْهُ ـ إذْ أعْرَضَ عنْ رَبِّهِ ـ حائِلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُرادِهِ .

فَهُوَ قَبْرٌ يَمْشي على وَجْهِ الأَرْضِ وَرُوْحُهُ فِي وَحْشَةٍ مِنْ جِسْمِهِ وقَلْبُهُ فِي مَلالٍ مِنْ حَيَاتِهِ يتمَنَّى المَوْتَ وَيشْتَهِيْهِ وَلَوْ كَانَ فِيْهِ ما فِيْهِ حَتَّى إذا جاءَهُ المَوْتُ على تِلْكَ الحَالِ وَالعِياذُ باللّهِ فلا تَسْأَلْ عَمَّا يَحِلُّ بِهِ مِنَ العَذابِ الأليمِ بِسَبَبِ وُقُوعِ الحِجابِ بَيْنَهُ وبَيْنَ مَوْلاهُ الحَقّ وإحْرَاقِهِ بِنَارِ البُعْدِ مِنْ قُرْبِهِ وَالإعْراضِ عَنْهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبيْنَ سَعَادَتِهِ وأُمْنِيَتِهِ .

فَلَوْ توَهَّمَ العَبْدُ المِسْكِيْنُ هَذِهِ الحالَ وَصوَّرَتْها لَهُ نَفْسُهُ وَأَرَتْهُ إيَّاهَا على حَقِيقَتِهَا لتقَطَّعَ واللّهِ قَلْبُهُ وَلَمْ يَلْتَذَّ بِطَعَامٍ وَلاَ شَرابٍ وَلَخَرجَ إلى الصُّعْداتِ يَجْأَرُ إلى اللّهِ وَيسْتَغِيْثُ بِهِ وَيَسْتَعْتِبُهُ فِي زَمَنِ الاسْتِعْتَابِ هَذا مع أَنَّهُ إذا آثَرَ شَهَواتِهِ وَلَذَّاتِهِ الْفَانِيَةَ الّتِي هِيَ كخَيَالِ طَيْفٍ أَوْ مُزْنَةِ صَيْفٍ نَغَّصتْ عَلَيْهِ لذَّتَها أَحْوجَ مَا كَانَ إِلَيْهَا وَحِيْلَ بَيْنَهُ وبَيْنَهَا أَقْدَرَ ما كَانَ عَلَيْهَا وتِلْكَ سُنَّةُ اللّهِ فِي خَلْقِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿حَتَّى إذَا أخذَتِ الأرْضُ زُخْرُفَها وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُوْنَ عَلَيْها أَتَاهَا أمرُنا لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجعَلْنَاهَا حَصِيْداً كأنْ لَمْ تَغْنَ بالأمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لقَوْمٍ يَتفكَّرُون﴾ .

وَهَذا هُوَ غِبُّ اعْرَاضِهِ وإِيْثَارِ شَهْوَتِهِ عَلى مَرْضَاةِ رَبِّهِ يَعُوقُ القَدَرُ عَلَيْهِ أَسْبابَ مُرادِهِ فَيَخْسَرُ الأمْرَيْنِ جَمِيعاً فيَكُوْنُ مُعَذَّباً فِي الدُّنْيا بِتَنْغِيصِ شَهَوَاتِهِ وَشِدَّةِ اهْتِمَامِهِ بِطَلَبِ ما لَمْ يُقْسَمْ لَهُ وَإنْ قُسِمَ لَهُ مِنْهُ شَيْءٌ فَحَشْوُهُ الخَوْفُ والحَزنُ والنَّكَدُ والأَلَمُ فَهَمٌّ لا يَنْقَطِعُ وَحَسْرَةٌ لا تَنْقَضِي وحِرْصٌ لا يَنْفَدُ وَذُلٌّ لا

يَنْتَهِي وَطَمَعٌ لاَ يُقْلَع وهذا في هَذِهِ الدَّار .

وَأَمَّا فِي البَرْزَخِ فأضْعَافُ أضْعَافِ ذَلِكَ قَدْ حِيْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهِي وفاتَهُ مَا كَان يَتمنَّاهُ مِنْ قُرْبِ رَبِّهِ وَكَرَامَتِهِ وَنَيْلِ ثَوَابِهِ وأُحْضِرَ جَمِيعُ غُمومِهِ وأحْزانِهِ ، وأمّا فِي دَارِ الجَزَاءِ فَسِجْنُ أمثالِهِ مِنَ المُبْعِدِيْنَ المَطْرُودِيْن فَوَاغَوْثَاهُ ثُمَّ وَاغَوْثَاهُ بِغِيَاثِ المُسْتغيثينَ وأرحَمِ الرَّاحِمِيْنَ .

فَمَنْ أعْرَضَ عَن اللّهِ بالكُلِّيَّةِ أعْرَضَ اللّهُ عَنْهُ بالكُلِّيَّةِ وَمَنْ أعْرَضَ اللّهُ عَنْهُ لَزِمَهُ الشَّقَاءُ وَالبُؤْسُ والبَخْسُ فِي أَحْوالِهِ وأعمَالِهِ وقَارَنَهُ سُوءُ الحَالِ وَفَسَادٌ فِي دِيْنِهِ وَمَالِهِ فَإِنَّ الرَّبَّ إذَا أعْرَضَ عَنْ جِهَةٍ دَارَتْ بِهَا النُّحُوسُ وأظلَمْتْ أرْجاؤُهَا وانْكَسَفَ أنوارُهَا وَظَهَرَ عَلَيْها وَحْشَةُ الإعْرَاضِ وَصَارَتْ مَأْوَى لِلشَّيَاطِيْنَ وَهَدَفاً لِلشُّرُورِ وَمَصباً لِلْبَلاءِ .

فَالمَحْرُوْمُ كُلَّ الْمَحْرُوْمِ مَنْ عَرَفَ طَرِيقاً إِلَيْهِ ثُمَّ أعْرَضَ عَنْهَا أَوْ وَجَدَ بَارِقَةً مِنْ حُبِّهِ ثُمَّ سُلِبَهَا لَمْ يَنْفُذْ إِلَى رَبِّهِ مِنْهَا خُصُوصاً إِذَا مَالَ بِتِلْكَ الإرَادَةِ إِلى شَيْءٍ مِنَ اللَّذاتِ وانْصَرَف بجُمْلَتِهِ إلى تَحْصِيْلِ الأغْرَاضِ والشَّهَوَاتِ عاكِفاً على ذَلِكَ فِي لَيْلِهِ وَنَهارِهِ وَغُدُوِّهِ وَرَوَاحِهِ هابِطاً مِنَ الأوْجِ الأعْلَى إِلَى الحَضِيضِ الأدْنَى .

قَدْ مَضَتْ عَلَيْهِ بُرْهَةٌ مِنْ أوْقَاتِهِ وَكَانَ هَمُّهُ اللّهُ وبُغْيَتُهُ قُرْبُهُ وَرِضاهُ وإيثارُهُ على كُلِّ مَا سِواهُ على ذَلِكَ يُصْبِحُ ويُمْسِي وَيَظَلُّ ويُضْحِي وكَانَ اللّهُ فِي تِلْكَ الحالِ وَلِيَّهُ لأَنَّهُ وَلِيُّ مَنْ تَوَلاّهُ وَحَبِيْبُ مَنْ أَحَبَّهُ وَوَالاَهُ .

فَأَصْبَحَ فِي سِجْنِ الهَوَى ثَاوِياً وفِي أَسْرِ العَدُوِّ مُقِيْماً وفِي بِئْرِ المَعْصِيَةِ سَاقِطاً وفِي أَوْدِيَةِ الحَيْرَةِ وَالتَّفْرِقَةِ هَائِماً مُعْرِضاً عَنِ المَطَالِبِ العالِيَةِ إلى

الأغْرَاضِ الخَسِيْسَةِ الفَانِيَةِ كَانَ قَلْبُهُ يَحُومُ حَوْلَ العرْشِ فأصْبَحَ مَحْبُوْساً فِي أَسْفَلِ الحُشِّ :

فَـأَصْبَـحَ كَـالبَـازِ المُنَتَّفِ رِيْشُـهُ
يَـرَى حَسَـراتٍ كُلَّمَـا طَـارَ طَـائِـرُ
وَقَدْ كَانَ دَهْـراً فِي الرِّيَـاضِ مُنَعَّماً
عَلَى كُلِّ مَا يَهْوَى مِنَ الصَّيْدِ قَـادِرُ
إلَى أَنْ أصابَتْـهُ مِنَ الـدَّهْـرِ نَكْبَـةٌ
إذَا هُـوَ مَقْصُوصُ الجنـاحَيْنِ حَاسِـرُ

فَيا مَنْ ذَاقَ شَيْئاً مِنْ مَعْرِفَةِ رَبِّهِ وَمَحبَّتِهِ ثُمَّ أعْرَضَ عَنْهَا واسْتَبْدَلَ بِغَيْرِها مِنْهَا يَا عَجبا لَهُ بأيِّ شَيْءٍ تَعوَّضَ وكَيْفَ قَرَّ قرارُهُ فَما طَلَبَ الرُّجوعَ إلى أحنيَتِهِ وَمَا تَعرَّضَ وَكَيْفَ اتَّخذ سوى احنيتَهُ سَكناً وجَعَلَ قَلبَهُ لِمَنْ عادَاهُ مولاهُ مِنْ أجْلِهِ وطَناً أمْ كيْفَ طاوَعَهُ قَلْبُهُ على الاصطِبارِ ووافَقَهُ عَلَى مُساكَنَةِ الأغيار .

فَيا مُعْرِضاً عَنْ حَياتِهِ الدّائِمَةِ وَنَعِيْمِهِ المُقِيمِ وَيَا بَائعاً سَعادَتَهُ العُظْمَى بالعَذابِ الأليْمِ وَيَا مُسْخِطاً مَنْ حَيَاتُهُ وَراحَتُهُ وَفَوْزُهُ فِي رِضاهُ وطَالباً رِضى مَنْ سَعادَتُهُ فِي إرْضاءِ سِوَاه إنّما هِيَ لَذَّةٌ فانِيَةٌ وشَهْوَةٌ مُنْقضِيَةٌ تَذْهَبُ لذّاتُها وَتبقى تَبِعاتُهَا فَرَحُ ساعَةٍ لا شَهْرٍ وغَمُّ سَنَةٍ بَل دَهْرٍ طعامٌ لذيذٌ مَسْمُومٌ أوَّلُهُ لذّةٌ وآخِرُهُ هَلاك .

فالعَامِلُ عَلَيْها والسّاعِي فِي تَوْصِيْلِها كَدُودَةِ القزِّ يَسُدُّ على نَفْسِهِ المَذَاهِبَ بِمَا نَسجَ عَلَيْها مِن المَعَاطِبِ فَيَنْدَمُ حِيْنَ لَا تَنْفَعُ النَّدَامَةُ وَيَسْتَقِيلُ حِيْنَ لا تُقْبَلُ الاسْتِقَالَةُ فَطُوبَى لِمَنْ أقْبَلَ على اللّهِ بكُلّيتِهِ وَعَكَفَ عَلَيْهِ بإرادَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ .

فَإِنَّ اللّهَ يُقْبِلُ عَلَيْهِ بِتَوَلّيهِ وَمَحَبَّتِهِ وَعطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ وإِنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ إِذا أَقْبَلَ عَلَى عَبْدٍ اسْتَنَارَتْ جِهاتُهُ وأشْرَقَتْ سَاحَاتُها وَتَنوّرَتْ ظُلماتُها وَظَهَرَ علَيْهِ آثارُ إِقْبالِهِ مِنْ بَهْجَةِ الجلاَلِ وآثارِ الجَمالِ .

وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ أهلُ الملأ الأعْلَى بالمَحبَّةِ والمُوالاَةِ لأَنَّهُمْ تَبَعٌ لِمَوْلاهُمْ فَإِذا أَحَبَّ عَبْداً أَحبُّوهُ وإِذا وَالَى وَلِيّاً وَالَوْهُ إِذا أَحَبَّ اللّهُ العبْدَ نادى يَا جِبْرائيلُ إِنّي أُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبَّهُ فَيُنادِي جِبْرائيلُ في السَّماءِ إِنّ اللّهَ يُحِبُّ فُلاناً فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السّماءِ ثُمَّ يُحِبُّهُ أَهْلُ الأَرْضِ .

فَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ بَيْنَهُمْ ويجْعَلُ اللّهُ قُلوبَ أوْليائِهِ تَفِدُ إِلَيْهِ بالوُدِّ والمَحبّةِ والرّحْمَةِ ونَاهِيْكَ مَنْ يَتوجَّهُ إِلَيْهِ مالِكُ المُلْكِ ذُو الجَلاَلِ والإِكْرَامِ بِمَحَبَّتِهِ ويُقْبِلُ عَلَيْهِ بأَنْواعِ كرامَتِهِ ويَلْحظُهُ الملأُ الأعلى وأهْلُ الأَرْضِ بالتَّبْجيلِ والتّكريمِ وذَلِكَ فضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ واللّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين

(فصـــل) (قاعدة) السائِرُ إِلى اللّهِ والدّارِ الآخِرَةِ بَلْ كُلُّ سائِرٍ إِلى مَقْصَدٍ لا يَتِمُّ سيرُهُ ولا يَصِلُ إِلى مَقْصُودِهِ إِلاّ بِقُوَّتَيْنِ - قُوّةٍ عِلْمِيَّةٍ - وقُوَّةٍ عَمليَّةٍ - فَبِالقُوَّةِ العِلْمِيَّةِ يُبْصِرُ مَنازِلَ الطَّرِيقِ ومَواضِعَ السُّلُوكِ فَيَقْصِدُها سَائِراً فِيها ويَجْتَنِبُ أَسْبابَ الهلاكِ ومواضِعَ العَطَبِ وطُرُقَ المَهالِكِ المنحرفةِ عَنِ الطّرِيقِ الموصِلِ .

فَقُوَّتُهُ العِلْمِيَّةُ كَنُورٍ عَظِيمٍ بِيدِهِ يَمْشي فِي لَيْلَةٍ عَظِيْمَةٍ مُظْلِمةٍ شَديدَةِ الظُّلْمَةِ فَهُوَ يُبْصِرُ بذَلِكَ النّورِ مَا يَقَعُ الماشي فِي الظُّلْمَةِ فِي مِثْلِهِ مِنَ الوِهَادِ والمتآلِفِ ويَعْثُرُ بِهِ مِنَ الأحجارِ والشّوْكِ وَغيْرِهِ ويُبْصِرُ بِذَلِكَ النورِ أيضاً أعْلاَمَ الطّرِيقِ وأَدَاتَها المَنْصُوْبَةَ عَلَيْها فَلا يَضِلُّ عَنْها فَيَكشِفُ لَهُ النّورُ عَنِ الأَمْرَيْنِ

أعْلَامِ الطَّرِيقِ وَمَعاطِبِهَا .

وبالقُوّةِ العَمَلِيّةِ يَسِيرُ حَقِيْقَةً بَلِ السَّيْرُ هُوَ حَقِيْقَةُ القُوَّةِ العَمَلِيّةِ فَإنَّ السَّيْرَ هُوَ عَمَلُ المُسَافِرِ وكَذلِكَ السّائِرُ إلى رَبِّهِ إذا أبْصَرَ الطَّرِيقَ وأعْلامَهَا وأبْصَرَ المَغَابِرَ والوِهَادَ والطُّرُقَ النَّاكِبَةَ عَنْها فقَدْ حَصَلَ لَهُ شَطْرُ السّعادَةِ والفَلاحِ وبَقِيَ عَلَيْهِ الشّطْرُ الآخَرُ وَهُوَ أنْ يَضَعَ عَصاهُ عَلَى عَاتِقِهِ ويُشَمِّرَ مسافِراً فِي الطَّرِيقِ قَاطِعاً مَنَازِلَها مَنْزِلَةً بَعْدَ مَنْزِلَةٍ فَكُلَّمَا قَطَعَ مَرْحَلَةً اسْتَعَدَّ لِقَطْعِ الأُخرى وَاسْتَشْعَرَ القُرْبَ مِنَ المَنْزِلِ فهانَ عَلَيْهِ مشَقَّةُ السَّفَرِ .

وَكُلَّمَا سَكَنَتْ نَفسُهُ مِنْ كَلَالِ السَّيْرِ ومُواصَلَةِ الشَّدِّ والرَّحِيلِ وَعَدها قُرْبُ التّلاقِي وبَرْدُ العَيْشِ عِنْدَ الوُصُولِ فَيُحْدِثُ لَها ذَلِكَ نَشاطاً وَفَرحاً وهِمَّةً فهُو يقولُ : يا نفسُ أبْشِرِي فَقَدْ قَرُبَ المنزلُ ودَنا التّلاقِي فَلا تَنْقطِعِي في الطَّرِيقِ دُونَ الوُصُولِ فيُحالَ بَيْنَكِ وَبَيْنَ مَنازِلِ الأحِبَّةِ .

فَإنْ صَبَرْتَ وَواصلْتِ المَسْرَى وَصَلْتِ حَمِيْدَةً مَسْرورةً جَذِلَةً وتلقَّتْكِ الأحِبَّةُ بأنواعِ التُحَفِ والكَراماتِ ولَيْس بَيْنَكِ وَبَيْنَ ذَلِكَ إلّا صَبْرُ سَاعَةٍ فَإنَّ الدُّنْيا كُلَّها كَساعةٍ مِنْ سَاعَاتِ الآخِرَةِ وعُمُرُكِ درجةٌ مِنْ دَرَجِ تِلْكَ السّاعَةِ فَاللّهَ اللّهَ لا تَنْقَطِعِي في المَفازَةِ فهُوَ واللّهِ الهلاكُ والعَطَبُ لوْ كُنْتِ تعْلَمين .

فَإنْ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْه فليُذَكِّرْهَا ما أَمَامَهَا مِنْ أحْبابِها وَمَا لَدَيْهِمْ مِنَ الإكْرَامِ والإنْعَامِ وَمَا خلفَها مِنْ أعْدَائِها وَمَا لَدَيْهِمْ مِن الإهَانَةِ والعَذَابِ وأنْواعِ البلاءِ فَإنْ رَجعَتْ فإلى أعدائِهَا رُجُوعها وإنْ تَقدَّمَتْ فإلى أحبابِها مصِيْرُها وإنْ وَقَفَتْ في طَرِيقها أدْرَكَهَا أعداؤُ ها فَإنّهُمْ وَراءَها في الطَّلَبِ ولا بُدَّ لَها مِنْ قِسْمٍ مِنْ هَذِهِ الأقْسَامِ الثّلاثَةِ فلْتَخْتَرْ أيّها شاءَتْ انتهى .

شعرا :

تَـراهُمْ وأَمْلاَكُ الـرِّضَـا يَقْـدُ مُـونَهِمْ
إلَى جَنَّــةٍ طَـابَتْ وَطَــابَ نَعِيمُهَــا
يَسِيْــرُوْنَ فِي أَمْنٍ إِذَا الخَلْقُ فُــزَّعٌ
وَقَــدْ بَـرَزَتْ نَــارٌ وَشَبَّ جَحِيْمُهَــا
آخر : فَلِلَّهِ كَمْ مِنْ خَيْرَةٍ قَدْ تَهَيَّئَتْ
لِقَـوْمٍ عَلَى الأَقْـدَامِ بِـاللَّيْـلِ قُـوَّمُ
يُنَــاجُــوْنَ رَبَّ العَــالَـمِيْـنَ إِلَهَـهُمْ
فَتَسْـرِي هُمُوْمُ القَـوْمِ والنَّـاسُ نُـوَّمُ
آخـر : ولِلَّهِ أَلْـطافُ بَـطيٍّ قَضَـائِـهِ
أَخُــو الفَهْمِ فِي أَسْــرَارِهَــا يَتَفَهَّمُ
فَـمُــوْسَى بِـقَــذْفِ ٱلْيَـمِّ تَمَّ عُـلُوُّهُ
تـرَقَّى إلى أعْلَى الذُّرَى وَهْـوَ مُكْرَمُ
ويُـوْسُفُ بَعْدَ الجُبِّ والسِّجْنِ حُقْبَـةً
حَوَى المُلْكَ وهُوَ المُسْتَفـادُ المُعَظَّمُ
وبِــالصَّبْـرِ والتَّقْــوَى تُنَـالُ هِبَــاتُــهُ
وأَتْقَى الـوَرَى عِنْـدَ المُهَيْمِنِ أَكْــرَمُ

وقال رحمه الله :

السَّنَةُ شَجَرةٌ والشُّهُورُ فُرُوعُهَا والأَيَّامُ أغْصَانُها وَالسَّاعَاتُ أَوْرَاقُها والأَنْفَاسُ ثَمَرُهَا فَمَنْ كَانَتْ أنْفَاسُهُ فِي طَاعةٍ فَثَمَرَةُ شَجَرَتِهِ طَيِّبَةٌ وَمَنْ كَانَتْ فِي مَعْصِيَةٍ فَثَمَرَتُهُ حَنْظَلٌ وإِنَّمَا يَكُونُ الجَدَادُ يَوْمَ المَعَادِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ حُلْوُ

الثِّمَارِ مِنْ مُرِّهَا .

والإخْلاصُ والتَّوْحِيْدُ شَجَرَةٌ في القَلْبِ فُرُوعُها الأعمالُ وثَمَرُهُ طِيْبُ الحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا والنَّعِيْمُ المُقِيْمُ فِي الآخِرَةِ وكَما أنّ ثِمارَ الجَنَّةِ لا مَقْطُوْعَةٌ ولَا مَمْنُوْعَةٌ فَثَمرَهُ التَّوْحِيْدِ والإخْلاصِ في الدُّنْيا كذَلِكَ .

والشِّرْكُ والكَذِبُ والرِّياءُ شَجَرَةٌ فِي القَلْبِ ثَمَرُهَا فِي الدُّنْيا الخَوْفُ والهَمُّ والغَمُّ وضِيْقُ الصَّدْرِ وظُلمَةُ القَلْبِ وثَمرُها في الآخِرَةِ الزَّقُّومُ والعَذَابُ الأَلِيْمُ المُقِيْمُ وَقَدْ ذَكَرَ اللّهُ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ فِي سُورَةِ إبراهيمَ .

وقال رَحِمَهُ اللهُ: إشْتَرِ نَفْسَكَ فَالسُّوقُ قَائِمَةٌ والثَّمَنُ مَوْجُودٌ وَلا بُدَّ مِن سِنَةِ الغَفْلَةِ وَرُقادِ الهَوَى ولَكِنْ كُنْ خَفِيْفَ النَّوْمِ فَحُرَّاسُ البَلَدِ يَصْحُونَ دَنَا الصَّبَاحُ نُورُ العَقْلِ يُضِيءُ في لَيْلِ الهَوَى فَتَلُوحُ جادَّةُ الصَّوَابِ فَيَتلَمَّحُ البَصِيْرُ فِي ذَلِكَ النُّوْرِ عَوَاقِبَ الأُمورِ أُخْرُجْ بالعَزْمِ مِن هَذَا الفِنَاءِ الضَّيِّقِ المَحْشُوِّ بالآفاتِ إلى ذلِكَ الفِناءِ الرَّحْبِ الَّذي فِيهِ ما لَا عيْنٌ رأتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ .

فَهُنَاكَ لَا يَتعَذَّرُ مَطلوبٌ وَلا يُفْقَدُ محبُوبٌ يا بائعاً نَفْسَهُ بِهَوَى مَنْ حُبُّهُ ضَنا وَوَصْلُهُ أذى وحُسْنُهُ إلى فَناءٍ لقَد بِعْتَ أنْفَسَ الأشياءِ بِثَمَنٍ بَخْسٍ كأنّكَ لَمْ تَعْرِفْ قَدْرَ السِّلعَةِ حتّى إذا قَدِمْتَ يَوْمَ التَّغابُنْ تَبَيَّنَ لَكَ الغَبْنُ فِي عَقْدِ التَبايُعِ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ سِلْعَة اللّهُ مُشْتَرِيها ، وثَمَنُهَا الجَنَّةُ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ في الحياةِ الدُنيا وَفي الآخِرَةِ اللهم وَأَيِّدْنا بِنَصْرِكَ وَأَرْزِقْنا مِن فَضلِكَ وَنَجِّنا مِنْ عَذابِكَ يومَ تَبْعَثُ عِبادَكَ ، واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ المسلمينَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الراحِمينَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وسَلَّمَ .

شعراً :

كـرِهْتُ وَعَـلَّامِ الغُيـوبِ حَيَـاتِي
وأَصْبَحْتُ أَرجُـو أنْ تحينَ وَفَـاتـي
فَشَا السُوءُ إلا في القليل مِنَ الوَرَى
وخـاضُـوا بِحَـارَ اللهْـوِ والشَّهَـواتِ
وضَاعَتْ لَدَيْهِمْ حُرْمَةُ الدِّينِ واغْتَدَتْ
نُفُـوسُهُمُـوْا في الفِسْقِ مُنْغَمِسَـاتِ
وقَـدْ فَسَـدَتْ أَخْـلاقُهُمْ وتَغَيَّـرتْ
وأَضْحَتْ خِـلالُ الخِـزْيِ مُنْتَشِـرَاتِ
وَسَارَ الخَنَا فِيْهِمْ فلَسْتُ أرَى سِوَى
كَتَـائِبِ فُسَّـاقٍ وجَـمْـعَ طغَـاةِ
فَمِنْهُمْ كَـذُوْبٌ في الـوِدَادِ مُخَـادِعٌ
أراهُ صَـدِيقِي وهُـوَ رأسُ عُـداتِي
يُقـابِلُنِي بـالبِشْـرِ واللُطْفِ عِنْـدَمَـا
يَـرَانِي ويَـدْعُـو لِيْ بِطُولِ حَيَـاتِي
وإنْ غِـبْتُ عنـه سَبَّنِي وأَهَـانَـني
وَعَـدَّ عُيُـوبي لـلوَرَى وَهَـنَـاتِـي
ومِنهُمْ شَقِيٌّ هَمُّـهُ الفِسْقُ والـزِنَـا
ولَـوْ كـانَ عُقْبَـاهُ إلى الهَـلَكَـاتِ
تُـلاقِيـهِ يَجْـرِي خَلْفَ مُسْلِمَـةٍ بِـلاَ
حَيَـآءٍ ولا خَـوْفٍ مِنَ اللَّعَنَـاتِ

كَــأنْ لَمْ يُفَكِّــرْ أنَّ تِلْكَ كَــأخْتِــهِ
فَـيَـغْـمِـزُهَـا لِـلْحَظِ والـغَـمَـزَاتِ
وَيُبْدِي لَهَا الإعْجَـابَ غِشًّا وَخِـدْعةً
ولمْ يَــرْعَ حقَّ اللهِ في الحُـرُمَــاتِ
وآخَــرُ أمْسَى لِـلْعُـقَـارِ مُـعَــاقِــراً
وأصْبَــحَ في خَبْلٍ وفي سَكَــرَاتِ
تَــرَاهُ إذَا مَـا أَسْــدَلَ الليـلُ سِتْــرَهُ
عَـلَيــهِ وَوَافِـيَ بَــادِيَ الـظُّلُمَــاتِ
يُدِيْرُ ابْنَــةَ العُنْقُـودِ بَينَ صِحَــابِـهِ
ويَــطْربُ بينَ الكَــأسِ والنَغَمَــاتِ
وَقَـدْ أَغْفَـلَ المِسْكِيْنُ ذِكْـرَ مَمَـاتِــهِ
وَمـا سَيُلاقِي مِنْ جَـوَى النَّـزَعَــاتِ
يَتِيْــهُ عَـلَى كُــلِّ العِبَــادِ بِعُـجْبِــهِ
وَيَــخْتَــالُ كِـبْــراً نَــاسِيــاً لِـغَــدَاةِ
غَـدَاةَ يُــوارَى فِي التُّـرابِ ويَغْتَـدِي
طَعَــامـاً لَــدُودِ القَبْــرِ والحَشَــرَاتِ
وآخَــرُ مَــغْــرُورٌ بِـكَــثْــرَةِ مَــالِــهِ
ومـا عِنْـدَهُ فِي البَنْـكِ مِنْ سَنَـدَاتِ
يُفَــاخِـرُ خَلْقَ اللّهِ بِــالْجَـاهِ والغِنَى
وبـالْمَـالِ لا بـالفَضْـلِ والْحَسَنَـاتِ
وَلَـمْ يَــدْرِ أَنَّ المــالَ فَــانٍ وأَنَّــهُ
يَــزُولُ كَسُحْبِ الصَّيْفِ مُنْقَشِعَـاتِ

وَذَا شَاهِدٌ بالزُّور إنْ يَسْتَعِنْ بِهِ
أخُوْ شِقْوةٍ يَشْهَدْ بِكُلِّ ثَبَاتِ
ولَمْ أَدْرِ مَاذَا قَدْ أَعَدَّ لِمَوْقِفٍ
بِهِ يَقِفُ العَاصِيْ بغَيْرِ حُمَاةِ
وذَا آكِلٌ مَالَ اليَتِيْمِ وَلَمْ يَدَعْ
لَهُ عِنْدَ رَدِّ الحَقِّ غَيْرَ فُتَاتِ
وفي بَطْنِهِ قَدْ أدْخَلَ النّارَ عامِداً
وأصْبَحَ مَحْرُوْماً مِنَ النَّفَحَاتِ
وَذَلِكَ مُغْتَابٌ وَهَذا مُنَافِقٌ
لِحِطَّتِهِ قَدْ عُدَّ فِي النَّكِرَاتِ
وهَذَا يَغُشُّ النّاسَ فِي البَيْعِ والشِرَا
وأرْبَاحُهُ مَنْزُوْعَةُ البَرَكَاتِ
وَهَذَا حَوَى كُلَّ الخَنَا وَصِفَاتُهُ
مَعَ الخَلْقِ والخَلَّاقِ شَرُّ صِفَاتِ
وكَمْ مُعْلِنٍ لِلْفِطْرِ والنّاسُ صُوَّمٌ
يُجَاهِرُ فِي الإفْطَارِ في الطُّرُقَاتِ
وَلَيْسَ يُبَالِي بانْتِقَامِ إلٰهِهِ
وَتَعْذِيْبِهِ لِلأَنْفُسِ النَّجِسَاتِ
وَكَمْ مِنْ غَنِيٍّ مُسْتَطِيْعٍ تَرَاهُ لَا
يُبَادِرْ بِحَجِّ البَيْتِ قَبْلَ فَوَاتِ
فَيَسْعَى بِنَفْسٍ مِلْؤُهَا البِرُّ وَالتُّقَى
لِتَلْبِيَةِ الرَّحْمَنِ في عَرَفَاتِ

وَلَمْ أَرَ إِلَّا النَّــزْرَ فِيْهِمْ مُســارِعــاً
لِإِحْيَـاءِ دِيْـنِ الـلّهِ بِـالـصَّـلَوَاتِ
ومـا الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ إِلَّا وَسَـائِـلٌ
عَلَى المُتّقي تَسْتَنْـزِلُ الـرَّحَـمَـاتِ
وَتَنْهَى عَنْ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ الّـذي
يَــزُجُّ بِمَنْ يَـأتِيْــهِ فِي الكُــرُبَـاتِ
وَيَـنْــدُرُ أَنْ أَلْقَى غَنِيّـاً بِمــالِـهِ
يَجُــودُ لِــذِي جُــوعٍ وَذَاتِ عُــرَاةِ
فَمَا ائْتَمَرُوا بـالأَمْرِ كَـلَّا وَلَا انْتَهَـوْا
عَنْ النَّهْيِ حَتَّى سَوَّدُوا الصَّفَحَاتِ
وعـاثُوا فَسـاداً فِي البِلادِ فَـأَصْبَحُـوا
بِعِصْيَــانِهِمْ في أَسْفَـلِ الـدَّرَجَـاتِ
خَلَائِقُ يَـأْبَاهَا الـرَّشِيْـدُ لِقُبْحِهَــا
وَلَا يَـرْتَضِيْهَــا غَيْــرُ أَحْمَقَ عَــاتِي
ويُنْكِرُها ذُوْ العَقْلِ والرَّأْيِ والحِجَـا
وَيَخْجَــلُ مِنْهَـا صَــادِقُ العَـزَمَــاتِ
وَمَنْ يَتَّخِـذْهـا مَنْهجاً خَابَ سَعْيُـهُ
ولا يَقْتَنِيْ مِنْهَــا سِوَى الحَسَــرَاتِ
إِذَا جَـاءَ وَقْتُ الصَّيْفِ شَدَّ رِحـالَـهُ
إِلَى الغَـرْبِ يَلْهُـوْ والشَّبَابُ مُـوَاتِي
كَأَنَّ بَنِي الإِسْلَامِ في عَصْرِنا غَدَوْا
لِهَــدْمِ عُـلا الإِسْــلامِ شَـرَّ دُعـاةِ

فَتُـوبُـوا عِبَـادَ اللّهِ لِلّهِ وَارْجِعُـوا
إِلَيْـهِ تَنَـالُـوا مُنْتَهَى الـرَّغَبَـاتِ
وَلاَ تَقَـرَّبُـوا مَـا لاَ يَحِـلُّ وأَبْعِـدُوا
نُفُـوسَكُمُـوا حَتَّى عنْ الشُّبُـهَـاتِ
وأَدُّوا حُقُـوقَ اللّهِ وآرعَـوْا حُـدودَهُ
كَمَـا يَنْبَغِي فِي الجَهْـرِ والخَلَوَاتِ
وَلاَ تَهِنُـوا يَـوماً وَلاَ تَحْـزَنُـوا لِمَـا
يُصِيْبُكُمُـوا فِي الحَقِّ مِنْ عَقَبَـاتِ
تَفُـوزُوا بِـرِضْـوانِ الإِلـهِ ولُـطْفِـهِ
ويُغْـدِقْ عَلَيْكم أنْعُمَـاً وهِبَـاتِ
وَيَفْتَـحْ لَكُمْ بَابَ القَبـولِ وَيَسْتَجِبْ
إِذا مَا دَعَـوْتُمْ صالِحَ الـدَّعَـوَاتِ
وَيَجْعَـلْ لَكُمْ فِي النَّسْلِ قُـرَّةَ أعْيُنٍ
وَيَـرْزُقَكُمُ مِنْ أطَيَبِ الثَّـمَـرَاتِ
ويُمْـدِدْكُمُ بـالنَّصْـرِ حَتَّى إِذا طَغَى
عَـلَيْـكُـمْ عـدُوٌّ رَدَّهُ بِـشَـتَـاتِ
فَمَـا حَـلَّ هَـذَا الحَـالُ إِلَّا لِنَبْـذِكُمْ
تَـعَـالِيـمَ دِيـنِ الـلَّهِ نَبْـذَ نَـوَاةِ
وَمَـا سلَّطَ اللّهُ العَـدُوَّ عَلَيْـكُـمُ
فَلَمْ يَبْقَ فِيْكُمْ غَيْـرُ بعضِ رُفَـاتِ
سِـوَى بُعْـدِكُمْ عَنْ دِينِـهِ ولأنَّـكُمْ
قَنِعْتُمْ عَن الأعْمَـالِ بِـالكَلِمَـاتِ

اللّهُمَّ ثَبِّتْ وَقَوِّ مَحبَّتَكَ في قُلوبِنا واشْرَحْ صُدُورَنا وَنوِّرْها بِنُورِ الإِيْمانِ واجْعَلنا هُداةً مُهْتَدين وألْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وآجْعَلنا مِمَّنْ يفُوزُ بالنَّظَرِ إلَى وَجْهِكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَا حَليمُ وَيَا كَرِيمُ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدِينا ولِجَميعِ المُسْلِمين الأحياءِ منهُم والميِّتينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحمَ الرّاحِمينَ وصلّى اللّهُ عَلى مُحمّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِين .

(فصــل)

وقال ابن القيم رحمه الله :

الجِهَادُ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ أحدُهَا أنْ يُجاهِدَهَا عَلَى تَعَلُّمِ الهُدَى ودِينِ الحقِّ الّذي لا فلاحَ لَها وَلاَ سَعادَةَ لَها فِي مَعَاشِهَا ومَعادِها إلا بِهِ وَمَتى فَاتَها علمُهُ شَقِيَتْ في الدَّارَيْن الثانية أَنْ يُجاهِدَهَا عَلَى العَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ وإلاَّ فمُجَرَّدُ العِلْم بِلا عَمَلٍ إنْ لَمْ يَضُرَّها لَمْ يَنْفَعْهَا الثّالِثَةُ أنْ يُجاهِدَ عَلَى الدَّعْوَةِ إلَيْهِ وتَعْلِيمِهِ مَنْ لا يَعْلَمُهُ وإلاّ كَانَ مِنَ الّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ الهُدَى والبَيِّنَاتِ وَلاَ يَنْفَعُهُ علمُهُ وَلاَ يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللّهِ .

الرَّابِعةُ : أَنْ يُجاهِدَها عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَشاقِّ الدَّعْوَةِ إلى اللّهِ وأذَى الخَلْقِ وَيَتحمَّلَ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلّهِ فَإِذا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ المَرَاتِبَ الأَرْبَعَ صَارَ مِنَ الرَّبَّانِيِّيْنَ فَإِنَّ السَّلفَ مُجْمِعُوْنَ عَلَى أنَّ العالِمَ لا يَسْتَحِقُّ أنْ يُسَمَّى رَبَّانِيّاً حَتَّى يَعْرِفَ الحَقَّ وَيَعْمَلَ بِهِ وَيُعَلِّمَهُ .

فَمَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ وَعَمِلَ فَذَاكَ يُدْعَى عَظِيْماً فِي مَلَكُوْتِ السَّمَاءِ وأمّا جِهَادُ الشّيطانِ فَمَرْتَبتانِ جِهادُهُ عَلى دَفْعِ ما يُلْقِي إلى العَبْدِ مِن الشُّبُهاتِ والشُّكوكِ القادِحَةِ في الإيمانِ .

الثّانية : جِهادُهُ عَلى دَفْعِ ما يُلْقِيهِ مِنَ الإرَادَاتِ والشَّهوَاتِ فَالجِهَادُ الأوّلُ يَكُونُ بَعْدَهُ اليَقِينُ والثّاني بَعْدَهُ الصَّبْرُ قَالَ تعالَى ﴿وجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُوْنَ بِأَمْرِنا لمَّا صَبَرُوْا وكَانُوا بآياتِنَا يُوْقِنُون﴾ فأخبَرَ أَنَّ إمامَةَ الدِّيْنِ إنّما تُنَالُ بالصَّبْرِ واليَقِيْنَ فَالصَّبْرُ يَدْفَعُ الشَّهَوَاتِ والإرَادَاتِ وَاليَقِيْنُ يَدْفَعُ الشُّكُوكَ والشُّبُهَاتِ وأمّا جِهادُ الكُفّارِ والمُنَافِقِيْنَ فَأَرْبَعُ مَرَاتِبَ بالقَلْبِ وَاللّسانِ والْمَالِ وَالنَّفْسِ وَجِهادُ الكُفّارِ أخصُّ باليَدِ وجِهادُ المُنَافِقِيْنَ أخصُّ باللّسَانِ وأمّا جِهَادُ أَرْبَابِ الظُّلْمِ والبِدَعِ والمُنْكَرَاتِ فَثَلاثُ مَرَاتِبَ الأُولى باليَدِ إذَا قَدَرَ فَإِنْ عَجِزَ انتقلَ إلى اللّسانِ فَإِنْ عَجزَ جَاهَدَ بِقَلْبِهِ فَهذِهِ ثَلاثَةَ عشْرَةَ مَرْتَبَةً مِنَ الجهادِ وَمَنْ مَاتَ ولَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بالغَزْوِ ماتَ على شُعْبَةٍ مِنَ النّفاقِ وَلاَ يَتِمُّ الجِهَادُ إلاّ بالهِجْرَةِ وَلاَ الهِجْرَةُ وَالجِهادُ إلاّ بالإيمانِ .

والرّاجُونَ رَحْمَةَ اللّهِ هُمُ الّذِينَ قَامُوْا بِهَذِهِ الثّلاثَةِ قَال تَعالَى ﴿إنَّ الّذِينَ آمَنُوا وَالّذِينَ هَاجَرُوا وجَاهَدُوا فِي سَبِيْلِ اللّهِ أُولئِكَ يَرْجُوْن رَحمةَ اللّهِ واللّهُ غَفورٌ رحِيمٌ﴾ .

وَكَمَا أَنَّ الإيمانَ فَرْضٌ عَلى كُلِّ أَحدٍ فَفَرِضَ عَلَيْهِ هِجْرَتَانِ فِي كُلِّ وَقْتٍ هِجْرةٌ إلى اللّهِ عَزَّ وَجلَّ بِالتَّوْحِيْدِ وَالإخْلاصِ وَالإنابَةِ وَالتَّوكُّلِ والخَوْفِ وَالرَّجاءِ والمَحبَّةِ والتَّوْبَةِ وهِجْرَةٌ إلى رَسُولِهِ بالمُتَابعَةِ والانْقِيَادِ لأمْرِهِ والتَّصْدِيْقِ بِخَبَرِهِ وتَقْدِيْمِ أمْرِهِ وخَبَرِهِ على أَمْرِ غَيْرِهِ وخَبَرِهِ .

فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللّهِ ورسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى دُنْيا يُصِيبُهَا أوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُها فَهِجْرَتُهُ إلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ .

وفُرِضَ عَلَيْهِ جِهَادُ نَفْسِهِ فِي ذَاتِ اللّهِ وجِهادُ شَيْطَانِهِ فَهذَا كُلُّهُ فَرضٌ

عَيْنٍ لَا يَنُوبُ فِيهِ أحَدٌ عَنْ أحَدٍ وأمّا جِهَادُ الكُفَّارِ وَالمُنَافِقِيْنَ فَقَدْ يُكْتَفي فِيْهِ بِبَعْضِ الأُمّةِ إذا حَصَلَ مِنْهُم مَقْصُوْدٌ .

وأَكْمَلُ الخَلْقِ عِنْدَ اللّهِ مَنْ أكْمَلَ مَرَاتِبَ الجِهَادِ كُلِّها ، وَالخَلْقُ مُتَفاوِتُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ عِنْدَ اللّهِ تَفاوُتَهُمْ فِي مَرَاتِبِ الجِهَادِ وَلِهَذَا كَانَ أكْمَلُ الخَلْقِ وأكْرَمُهُمْ عَلَى اللّهِ خاتَمُ أنْبِيائِهِ وَرُسُلِهِ فَإنّهُ كَمَّلَ مَرَاتِبَ الجِهَادِ وَجَاهَدَ فِي اللّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَشَرَعَ فِي الجِهَادِ مِنْ حِيْنَ بُعِثَ إلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإنَّهُ لَمّا نَزَلَ عَلَيْهِ ﴿يَا أَيُّهَا المُدَثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ شَمَّرَ عَنْ سَاقِ الدَّعْوَةِ وَقَامَ فِي ذَاتِ اللّهِ أَتَمَّ قِيَامٍ وَدَعَا إلَى اللّهِ لَيْلاً وَنَهَاراً وَسِرّاً وَجَهْراً فَلَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ صَدَعَ بِأَمْرِ اللّهِ لا تَأْخُذُهُ فِيْهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ فَدَعَا إلَى اللّهِ الصَّغيرَ وَالكَبِيْرَ والحُرَّ والعَبْدَ والذَّكَرَ وَالأُنْثَى والأَحْمَرَ والأَسْوَدَ والجِنَّ والإِنْسَ .

وَلَمَّا صَدَعَ بِأَمْرِ اللّهِ وَصَرَّحَ لِقَوْمِهِ بِالدَّعْوَةِ وَنَادَاهُمْ بِسَبِّ آلِهَتِهِمْ وَعَيْبِ دِيْنِهِمْ اشْتَدَّ آذَاهُمْ لَهُ وَلِمَنْ اسْتَجَابَ لَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَنَالُوهُمْ بِأَنْوَاعِ الأَذى وَهَذِهِ سُنَّةُ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي خَلْقِهِ كَمَا قَالَ تَعالى ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إلَّا مَا قَدْ قِيْلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وَقَالَ : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِيْنَ الإِنْسِ والجِنِّ﴾ وقال : ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلَّا قَالُوا سَاحِرٌ مَجْنون أَتَواصَوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُون﴾ .

فَعَزَّى سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ بِذَلِكَ وأَنَّ لَهُ أُسْوَةً بِمَنْ تَقَدَّمَهُ مِنْ المُرْسَلِيْنَ وَعَزَّى أَتْبَاعَهُ بِقَوْلِهِ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ والضَّراءُ وَزُلْزِلُوا حَتّى يَقُولَ الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ ألا أنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيْب﴾ .

شعــــرا :

لَعَمْرِيَ إنَّ المَجْدَ وَالفَخْرَ وَالعُلا وَنَيْلَ الأَمَانِيْ وَارْتفَاعَ المــراتِبِ
لِمَنْ قَامَ بَالدِّيْنِ الحَنِيْفِيِّ صَادِقًا وَجَاهَدَ أَهْلَ الشَّرِ من كُلِّ نَاكِبِ

وَقَوْلِهِ ﴿الٓم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوْا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُون ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِيْنَ صَدَقُوا وَلَيْعْلَمَنَّ الكَاذِبِيْنَ ، أَمْ حَسِبَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونا سَاءما يَحْكُمُونَ مَنْ كَانَ يَرْجُوْ لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أجل اللَّهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيْعُ العَلِيم ، وَمَنْ جَاهَد فَإنّما يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العالَمِيْن والَّذِيْنَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُكَفِرَنَّ عَنْهُم سَيِّئاتِهِم ولَنجزِيَنَّهُمْ أحسَنَ الَّذي كَانُوا يَعْمَلُون﴾.

وَوَصَّيْنا الإنْسَانَ بِوالديهِ حُسْناً وإن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إليَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون ، وَالَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِين ، ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإذا أُوْذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ولَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لِيَقُولُنَّ إنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَ لَيْسَ اللَّهُ بأعْلَمَ بِمَا فِي صُدُوْرِ العالَمين﴾ فَلْيَتَأَمَّلِ العَبْدَ سِيَاقَ هٰذِهِ الآيَاتِ وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِن العِبَرِ وكُنُوزِ الحِكَمِ فَإِنَّ النَّاسَ إذَا أُرْسِلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلُ بَيْنَ أَمْرَيْن : إمَّا أنْ يَقُوْلَ أحدُهُمْ آمَنَّا ، وإمَّا أنْ لَا يَقُولَ ذَلِكَ بَلْ يَسْتَمِرُّ عَلَى السَّيِّئَاتِ والكُفْرِ .

فَمَنْ قَالَ آمَنَّا . امْتَحَنَهُ رَبُّهُ وابْتَلاهُ وَفَتَنَهُ والفِتْنَةُ الإبْتِلاءُ والاخْتِبَارُ لِيَتَبَيَّنَ الصَّادِقُ مِنَ الكَاذِبِ . وَمَنْ لَمْ يَقُلْ آمَنَّا فَلَا يَحْسَبْ أَنَّهُ يُعْجِزُ اللَّهَ وَيَفُوتُهُ ويَسْبِقُهُ فإنَّهُ إنَّما يَطْوِي المَرَاحِلَ فِي يَدَيْهِ .

وَكَيْفَ يَفِــرُّ المَــرْءُ عَنْــهُ بِــذَنْبِــهِ
إذَا كَــانَ يطْوِي فِي يَــدَيْهِ المَــرَاحِلِ

فَمَنْ آمَنَ بالرُّسُلِ وأَطَاعَهُمْ عَادَاهُ أَعْدَاؤُهُمْ وآذَوْهُ فَابْتُلِيَ بِمَا يُؤْلِمُهُ ،

وإنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِمْ وَلَمْ يُطِعْهُمْ عُوقِبَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَحَصَلَ لَهُ مَا يُؤْلِمُهُ وَكَانَ هَذَا المُؤْلِمُ أَعْظَمَ وَأَدْوَمَ مِن أَلَمِ إتباعِهِمْ فلاَ بُدَّ مِنْ حُصُولِ الأَلَمِ لِكُلِّ نَفْسٍ آمَنَتْ أَوْ رَغِبَتْ عَنِ الإيْمَانِ لَكِنْ الْمُؤْمِنُ يَحْصُلُ لَهُ الأَلَمِ لِكُلِّ نَفْسٍ آمَنَتْ أَوْ رَغِبَتْ عَن الإيْمَانِ لَكِنْ المُؤْمِنُ يَحْصُلُ لَهُ الألَمُ فِي الدُّنيا ابْتِداءً ثُمَّ يَكُونُ لَهُ العاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ والمُعْرِضُ عَنْ الإيمانِ يَحْصُلُ لَهُ لذَّةٌ ابْتِداءً ثُمّ يَصِيْرُ في الألَمِ الدَّائِمِ وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فَصْــــلٌ » وسُئِلَ الشّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللّهُ أَيُّما أَفْضَلُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُمَكَّنَ أَوْ يُبْتَلى فَقالَ لاَ يُمَكَّنُ حَتَّى يُبْتَلَى وَاللّهُ تَعالَى ابْتَلى أُولُوا العَزْمِ مِن الرُّسُلِ فَلَمَّا صَبَرُوْا مَكَّنَهُمْ .

فَلا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّهُ يَخْلُصَ مِنَ الأَلَمِ البَتَّةَ وإِنَّما تَفاوَتَ أَهْلُ الآلامِ فِي العُقُولِ فَأَعْقَلُهُمْ مَن بَاعَ أَلماً مُسْتَمِراً عَظِيْماً بألمٍ مُنْقَطِعٍ يَسِيرٍ وأشْقاهُمْ مَنْ بَاعَ الأَلَمَ المُنْقَطِعَ اليَسِيْرَ بالألمِ العَظِيْمِ المُسْتَمِرِ . فإنْ قِيْلَ كَيْفَ يَخْتَارُ العَقْلُ لِهذا ؟ قِيْلَ الحَامِلُ لَهُ عَلَى هَذَا النَّقدُ والنَّسِيْئَةُ والنَّفْسُ مُوَكَّلَةٌ بالعَاجِلِ (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ العاجِلة - أيَ الدُّنْيا ﴿وتذرون الآخِرة﴾﴿إنّهؤلاء يُحبّونَ العاجِلَةَ ويَذَرُوْنَ وَرَاءَهُمْ يَوْمَا ثَقِيْلا﴾ وهَذا يَحْصُلُ لِكُلِّ أَحدٍ فَإِنَّ الإِنْسَانَ مَدَنِيٌّ بالطَّبْعِ لا بُدَّ لَهُ أنْ يَعِيْشَ مَعَ النّاسِ .

وَالنَّاسُ لَهُمْ إِرَادَاتٌ وَتَصوُّرَاتٌ فَيَطْلُبُوْنَ مِنْهُ أَنْ يُوافِقَهُمْ عَلَيْها وانْ لَمْ يُوَافِقْهُمْ آذَوْهُ وعَذَّبُوْهُ ، وإنْ وَافَقَهُمْ حَصَلَ لَهُ الأذَى وَالعَذابَ تَارةً مِنْهُمْ ، وتَارَةً مِنْ غَيْرِهِمْ كَمَنْ عِنْدَهُ دِيْنٌ وتُقَى حَلَّ بَيْنَ قَوْمٍ فُجّارٍ ظَلَمَةٍ وَلاَ يَتَمَكَّنُوْنَ مِنْ فُجُوْرِهِمْ وظُلْمِهِمْ إلاّ بِمُوافقَتِهِ لَهُمْ وسُكُوْتِهِ عَنْهُمْ فَإِنْ وَافَقَهُمْ أَوْ سَكَتَ عَنْهُمْ سَلِمَ مِنْ شَرِّهِمْ فِي الابْتِدَاءِ ثُمَّ يَتَسَلَّطُوْنَ عَلَيْهِ بالإِهَانَةِ والأذَى أضْعَاف

مَا كَانَ يَخَافُهُ ابْتِدَاءً لَوْ أَنْكَرَ عَلَيْهِم وخَالَفَهُمْ وإِنْ سَلِمَ مِنْهُمْ فَلاَ بُدَّ أنْ يُهَانَ وَيُعَاقَبَ عَلَى يَدِ غَيْرِهِمْ .

فَالحَزْمُ كُلَّ الحَزْمِ في الأَخْذِ بِمَا قَالَتْ أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ لِمُعَاوِيَة : مَنْ أَرْضَى اللّهَ بسَخَطِ النّاسِ كَفَاهُ اللّهُ مؤُنَةَ النّاسِ وَمَنْ أَرْضَى النّاسَ بسَخَطِ اللّهِ لَمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً .

ومَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ العَالَمِ رَأَى هَذَا كَثِيْراً فِيمَنْ يُعِيْنُ الرُّؤسَاءَ عَلَى أَغْرَاضِهِمْ الفَاسِدَةِ وفِيْمَنْ يُعِيْنُ أَهْلَ البَدَعِ عَلَى بِدَعِهِمْ هَرَباً مِنْ عُقُوْبَتِهِمْ فَمَنْ هَدَاهُ اللّهُ وأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ وَوَقَاهُ شَرَّ نَفْسِهِ امْتَنَعَ مِن المُوافَقَةِ عَلَى فِعْلِ المُحَرَّمِ وَصَبَرَ عَلَى عَدَاوتِهِمْ ثُمَّ يَكُونُ لَهُ العَاقِبَةُ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ كَمَا كَانَتْ لِلرُّسُلِ وأتْبَاعِهِمْ كالمُهَاجِرِيْنَ والأنْصَارِ وَمَنْ ابْتُلِي مِنَ العُلَمَاءِ والعُبَّادِ وَصَالِحِيْ الوُلاَةِ والتُّجارِ وغَيْرِهِمْ وَلَما كَانَ الأَلَمُ لاَ مَحِيصَ مِنْهُ البَتَّةَ عَزَّى سُبْحَانَهُ مَنْ اخْتَارَ الأَلَمَ اليَسِيْرَ المُنْقَطِعَ عَلَى الألمِ العَظِيْمِ المُسْتَمِرِّ بقَوْلِهِ ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللّهِ لآتٍ وهُوَ السَّمِيْعُ العَلِيم﴾ .

فَضَرَبَ لِمُدَّةِ هَذَا الأَلَمِ أَجلاً لاَ بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ وَهُوَ يَوْمُ لِقَائِهِ فَيَلْتَذُّ العَبْدُ أَعْظَمَ اللَّذّةِ بِمَا تَحَمَّلَ مِنَ الألَمِ فِي اللّهِ ولِلّهِ وأَكَّدَ هَذَا العَزَاءَ وَالتَّسْلِيَةِ بِرَجَاءِ لِقَائِهِ لِيْحْمِلَ العَبْدَ اشْتِيَاقُهُ إِلَى لِقاءِ رَبِّهِ وَوَلِيِّهِ عَلَى تَحَمُّلِ مَشَقَّةِ الأَلَمِ العَاجِلِ بَلْ رُبَّمَا غَيَّبَهُ الشَّوْقُ إلى لِقَائِهِ عَنْ شُهُوْدِ الأَلَمِ والاحْسَاسِ بِهِ وَلِهذا سَأَلَ النَّبيّ ﷺ رَبَّهُ الشَّوْقَ إلى لِقَائِهِ فقَالَ في الدُّعَاءِ الَّذي رواهُ أحمد وابن حبان :

(اللّهُمَّ إنّي أَسْأَلُكَ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ وقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ أَحْيِني إذا

كانَتِ الحَياةُ خيراً لِيْ وَتَوفَّنِيْ إِذَا كانَتْ الوَفاةُ خَيْراً لِيْ وأسألكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ والشَّهَادَةِ وأَسْأَلُكَ نَعِيْماً لا يَنْفَذُ وأسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لا تَنْقَطِعُ وأسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ القَضَاءِ وأسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ وأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إلى وَجْهِكَ وأَسْأَلُكَ الشَّوْقَ إلى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فتنَةٍ مُضِلَّةٍ اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِيْنَةِ الإِيمانِ واجْعلْنا هُدَاةً مُهْتَدِيْن) .

فالشَّوْقُ يَحْمِلُ المُشْتَاقَ عَلَى الجِدِّ فِي السَّيْرِ إلى مَحْبُوْبِهِ ويُقَرِّبُ عَلَيْهِ الطَّرِيْقَ وَيَطْوِيْ لَهُ البَعِيْدَ ويُهَوِّنُ عَلَيْهِ الآلامَ والمَشَاقَ وَهُوَ مِنْ أعْظَمِ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللّهُ بِهَا على عَبْدِهِ ولكِنْ لِهَذِهِ النِّعْمَةِ أقْوالٌ وأَعْمَالٌ هُمَا السَّبَبُ الّذي تُنَالُ بِهِ واللّهُ سُبْحَانَهُ سَمِيْعٌ لِتِلْكَ الأَقْوَالِ عَلِيْمٌ بِتِلْكَ الأفْعالِ وَهُوَ عَلِيْمٌ بِمَنْ يَصْلحُ لِهَذِهِ النِّعْمَةِ كَمَا قالَ تَعالَى ﴿وكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بأعْلَمَ بِالشَّاكِرِين﴾ .

فَإذَا فَاتَتِ العَبْدَ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ رَبِّهِ فَلْيَقْرَأْ عَلَى نَفْسِهِ ﴿أَلَيسَ اللّهُ بأَعْلَمَ بالشَّاكِرِين﴾ ثُمَّ عَزَّاهُمْ تعَالى بِعزَاءٍ آخرَ وَهُوَ أنَّ جِهادَهُمْ فِيْهِ إِنَّما هُوَ لأَنْفُسِهِمْ وَثَمرَتُهُ عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ وإِنَّهُ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِيْنَ ومَصْلَحَةُ هَذا الجِهادِ تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ لا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ ثُمَّ أخْبَرَ أَنَّهُ يُدْخِلُهُمْ بِجِهَادِهِمْ وَإِيْمَانِهِمْ فِي زُمْرَةِ الصَّالِحِيْنَ ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ حَالِ الدَّاخِلِ فِي الإِيمانِ بلا بَصِيْرَةٍ وَأَنَّهُ إِذا أُوْذِيَ فِي اللّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ لَهُ كَعَذَابِ الله .

وَهِيَ أَذَاهُمْ لَهُ وَنَيْلُهُمْ إِيَّاهُ بالمَكْرُوْهِ والأَلَمِ الّذي لا بُدَّ أَنْ يَنالَهُ الرُّسُلُ وأتْبَاعهُم مِمَّنْ خَالَفَهُمْ جَعَلَ ذَلِكَ الّذي نَالَهُ مِنْهُمْ كَعَذَابِ اللّهِ الّذي فَرَّ مِنْهُ المُؤْمِنُونَ بالإِيمانِ فَالمُؤْمِنُونَ لِكَمَالِ بَصِيْرَتِهِمْ فَرُّوا مِنْ أَلَمِ عَذابِ اللّهِ إِلَى الإِيمانِ وتَحَمَّلُوا مَا فِيْهِ مِنَ الأَلَمِ الزَّائِلِ المُفَارِقِ عَنْ قَرِيبٍ .

وَهَذَا لِضُعْفِ بَصِيْرَتِهِ فَرَّ مِنْ أَلَمِ عَذَابِ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ إلى مُوافَقَتِهِمْ وَمُتَابَعَتِهِمْ فَفَرَّ مِنْ أَلَمِ عَذَابِهِمْ إلى أَلَمِ عَذَابِ اللَّهِ فَجَعَلَ أَلَمَ فِتْنَةَ النَّاسِ فِي الفِرَارِ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ أَلَمِ عَذَابِ اللَّهِ وَغُبِنَ كُلَّ الغَبْنِ إِذْ اسْتَجَارَ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ وَفَرَّ مِنْ أَلَمِ سَاعَةٍ إلى أَلَمِ الأَبَدِ وإِذَا نَصَرَ اللَّهُ جُنْدَهُ وأَوْلِيَاءَهُ قَالَ إِنِّي مَعَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيم بِمَا انْطَوَى عَلَيْهِ صَدْرُهُ مِنَ النِّفَاقِ .

وَالمَقْصُودُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ اقْتَضَتْ حِكْمَتُه أَنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يَمْتَحِنَ النُّفُوسَ ويَبْتَلِيْهَا فَيَظْهَرُ بالامْتِحَانِ طَيِّبَهَا مِنْ خُبْثِهَا ومَنْ يَصْلُحُ لِمُوالاتِهِ وكَرَامَاتِهِ وَمَنْ لَا يَصْلحُ وليُمَحِّصَ النُّفُوسَ الَّتي تَصْلُحُ لَهُ ويُخَلِّصَهَا بِكيْرِ الامْتِحانِ كالذَّهَبِ لَا يَخْلُصُ وَلَا يَصْفُو مِنْ غِشِّهِ إلّا بالامْتِحانِ إذ النَّفْسُ فِي الأَصْلِ جَاهِلةٌ ظَالِمةٌ وَقَدْ حَصَلَ لَهَا بالجَهْلِ والظُّلْمِ مِنَ الخُبْثِ مَا يَحْتَاجُ خُرُوْجَهُ إِلَى السَّبْكِ والتَّصْفِيَةِ فَإِنْ خَرَجَ فِي هَذِهِ الدَّارِ وإلَّا فَفِيْ كِيْرِ جَهَنَّمَ فإذا هُذِّبَ العَبْدُ ونُقِّيَ أُذِنَ له فِي دُخول الجَنّةِ .

قال الناظم رحمه الله :

وَإِنَّ جِهَادَ الكُفْرِ فَرْضُ كِفَايَةٍ
وَيَفْضُلُ بَعْدَ الفَرْضِ كُلَّ تَعَبُّدِ
لأَنَّ بِهِ تَحْصِيْنُ مِلَّةِ أَحْمَدٍ
وَفَضْلُ عُمُومِ النَّفْعِ فَوْقَ المُقَيَّدِ
فَلِلَّهِ مَنْ قَدْ بَاعَ لِلَّهِ نَفْسَهُ
وجُوْدُ الفَتَى فِي النَّفْسِ أَقْصَى التَّجَوُّدِ
وَمَنْ يَغْزُ إِنْ يَسْلَمْ فَأَجْرٌ ومَغْنَمٌ
وإِنْ يَرْدَ يَظْفَرْ بالنَّعِيْمِ المُخَلَّدِ

وَمَا مُحْسِنٌ يَبْغِي إِذَا مَاتَ رَجْعَةً
سِوَى الشُّهَدَا كَيْ يَجْهَدُوْا فِي التَّزَوُّدِ

لِفَضْلِ الَّذِي أُعْطُوْا وَنَالُوا مِنَ الرِّضَى
يَفُوقُ الأَمَانِيْ فِي النَّعِيْمِ المُسَرْمَدِيْ

كَفَى أَنَّهُمْ أَحْيَا لَدَى اللَّهِ رُوْحُهُمْ
تَرُوْحُ بِجَنَّاتِ النَّعِيْمِ وَتَغْتَدِيْ

وغُدْوَةُ غَازٍ أَوْ رَواحُ مُجَاهِدٍ
فَخَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا بِقَوْلِ مُحَمَّدِ

يُكَفِّرُ عَنْ مُسْتَشْهَدِ البَرِّ مَا عَدَا
حُقُوقَ الوَرَى والكُلَّ فِي البَحْرِ فَاجْهَدِ

وَقَدْ سُئِلَ المُخْتَارُ عَنْ حَرِّ قَتْلِهِمْ
فَقَالَ يَرَاهُ مِثْلَ قَرْصَةِ مُفْرَدِ

كُلُوْمُ غُزَاةِ اللَّهِ أَلْوَانُ نَزْفِهَا
دَمٌ وكَمِسْكٍ عَرْفُهَا فَاحَ فِي غَدِ

ولَمْ يَجْتَمِعْ فِي مَنْخِرِ المَرْءِ يَا فَتَى
غُبَارُ جِهَادٍ مَعْ دُخَانِ لَظَى أَشْهَدِ

كَمَنْ صَامَ لَمْ يُفْطِرْ وقَامَ فَلَمْ يَنَمْ
جِهَادُ الفَتَى في الفَضْلِ عِنْدَ التَّعَدُّدِ

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الضَّجِيْعِ بِفُرْشِهِ
وسَاهِرِ طَرْفٍ لَيْلَةً تَحْتَ أَجْرَدِ

يُدَافِعُ عَنْ أَهْلِ الهُدَى وحَرِيْمِهِمْ
وأَمْوَالِهِم بالنفسِ والمَالِ واليَدِ

وَمَن قَـاتَـلَ الأَعْـدَاء لإِعْـلاَءِ دِيْنِنَـا
فَـذَا فِيْ سَبِيْـلِ اللهِ لاَ غَيْـرُ قَيِّـدِ
وَيَحسنُ تَشْيِيْـعُ الغُـزَاةِ لِـرَاجِـلِ
وَحَـلَّ بِـلاَ كُـرْهٍ تَلَقِيْـهُمُ أشْـهَـدِ
وأَهْلُ الكِتَابِ والمجُوسُ إنْ تَشَا أغْزُهُمْ
بِغَيْـرِ دُعَـاءٍ إذْ بِـإبْـلاغِهِمْ بُـدِيْ
ويُغْـزَوْنَ حَتَّى يُسْلِمُـوْا أَوْ يُسَلِّمُـوْا
صَغَـاراً إِلَيْنَـا جِـزْيَـةَ الذُّل عَنْ يَدِ
وَغَيْرُ أُولَى فَلْيُدْعَ قَبْلَ قِتَالِهِ
إلى أَشْـرَفِ الأَدْيَـانِ دِيْنِ مُحَمَّـدِ
وَعَـرِّفْـهُ بِـالبُرْهَـانِ خَتْمَ اِتِّبَـاعِـهِ
ولا تَـقْبَلَنْ مِنْـه سِـوَاهُ بِـأَوْطَـدِ
وإنَّ رِبَـاطَ الـمَـرْءِ أَجْـرٌ مُعَـظَّمٌ
مُـلازِمُ ثَـغْـرٍ لِلِّقَـا بِـالـتَّـعَـدُّدِ
ويَجْـرِيْ عَلى مَيْتٍ بِـهِ أَجْـرُ فِعْلِهِ
كَحَيٍ وَيُـؤْمَنْ بِـافْـتِتَـانٍ بِمَلْحَـدِ
ولا حَدَّ في أَدْنَاهُ بَلْ أَرْبَعُوْنَ في التَّـ
ـمَامِ ويُعْطَى أَجْـرَ كُـلِّ مُـزَيِّـدِ
وأَفْضَلُهُ مَـا كَـانَ أَخْـوَفَ مَـرْكَـزاً
وأَقْـرَبَ مِن أرضِ العَدُوِّ المُنَكِـدِ
وذَلِـكَ أَثْـنَى مِن مُقَـامٍ بِـمَـكَّـةٍ
وفي مَكَّـةٍ فَضْـلُ الصَّـلاةِ فَزَيِّـدِ

وَمَنْ لَمْ يُطِقْ في أرْضٍ كُلَّ ضَلاَلةٍ
قِيَاماً وَإظهَاراً لِدِيْنِ مُحَمَّدِ
فَحَتْمٌ عَلَيْهِ هِجْرَةٌ مَعَ أَمْنِهِ الْـ
هَلاَكَ وَلَوْ فَرْداً وَذَاتَ تَعَدُّدِ
بِلاَ مَحْرَمٍ مَشْياً وَلَوْ بَعُدَ المَدَى
لِفِعْلِ الصَّحابِيَاتِ مَعْ كُلِّ مُهْتَدِ

اللَّهُمَّ ألهِمْنا ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وَوَفِقْنا لِمَا وَفَقْتَ لَهُ الصّالحين من خَلْقِكَ واغفرْ لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برَحْمتك يا أرْحَم الرّاحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

فائدة جليلة

وَقَالَ إذَا أَصْبَحَ العَبْدُ وأَمْسَى ولَيْسَ هَمَّهُ إلاّ الله وَحْدَهُ يَحْمِلُ الله سُبْحَانَهُ حَوَائِجَهُ كُلَّهَا وَحَمل عَنْهُ كُلَّ ما أَهَمَّهُ ، وفَرَّغَ قَلْبَهُ لِمَحبَّتِهِ ولِسَانَهُ لِذِكْرِهِ وَجَوَارِحَهُ لِطَاعَتِهِ وإنْ أَصْبَحَ وأَمْسَى والدُّنْيا هَمُّهُ حَمَّلَهُ الله هُمُوْمَهَا وَغُمُوْمَهَا وَأَنْكَادَهَا وَوَكَلَهُ إلى نَفْسِهِ فَشَغَلَ مَحبَّتَهُ بِمَحبَّةِ الخَلْقِ ولِسَانَهُ عن ذِكْرِهِ بِذِكْرِهِمْ وجَوَارِحهُ عن طَاعَتِهِ بِخِدمَتِهِم وأَشْغَالِهِم .

فَهُوَ يَكْدَحُ كَدحَ الوَحْشِ في خِدْمَةِ غَيْرِهِ كالكِيْرِ يَنْفَخُ بَطْنَهُ وَيَعْصِرُ أَضْلاَعَهُ في نَفْعِ غَيْرِهِ فَكُلُّ مَنْ أَعْرَضَ عَن عُبُودِيَّةِ الله وطَاعَتِهِ ومَحبَّتِه بُلِيَ بِعُبُوْدِيَّةِ المَخْلُوقِ ومَحبَّتِهِ وخِدْمَتِهِ قَالَ تَعَالى « وَمَنْ يَعْشُ عن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ له شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِيْنٌ » أ هـ .

شعرا :

كَأَنِّي بنفسِيْ قَدْ بَلَغْتُ مَدَى عُمْرِي
وأنْكَرْتُ مَا قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ مِنْ دَهْرِي

وطَالَبَنِيْ مَن لاَ أَقُومُ بِدَفْعِهِ
وحُوِّلْتُ مِن دَارِي إلى ظُلْمَةِ القَبْرِ
وَفَازَ بِمِيْرَاثِي أنَاسٌ فَشَتَّتُوْا
بإفْسَادِهِم مَا كُنْتُ أجْمَعُ في عُمْرِي
وأهْمَلَنِي مَنْ كَانَ يُبْدِي مَحَبَّتِيْ
وأُخْلِصُهُ وُدِّيْ ويَغْمِرُهُ بِرِّيْ
ولَمْ يَسْخُ لِي مِنْهُمْ صَدِيْقٌ بِدَعْوَةٍ
إِذَا مَا جَرَى يَوماً بحَضْرَتِهِ ذِكْرِي
وأضْحَى لِبَيْتِيْ سَاكِنٌ مُبْهَجٌ بِهِ
وفي اللحدِ بَيْتِيْ لاَ أَقُوْمُ إلى الحَشْرِ
فَيَا شِقْوَتِي إنْ لَمْ يَجُدْ بنَجَاتِهِ
إلٰهي ولَمْ يَجْبُرْ برَحْمَتِهِ فَقْرِي
فَقَدْ أثْقَلَتْ ظَهْرِي ذُنُوْبٌ لَوْ أنَّهَا
على ظَهْرِ طُوْرٍ أثْقَلَتْهُ مِن الوِزْرِ

« موعظة »

عِبَادَ اللهِ مَضَى رِجَالٌ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ كَانُوا يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ خَشْيَةَ العَارِفِينَ الموقِنِينَ لِذَلِكَ كَانَتْ أَقْوَالُهُمْ وأفْعَالُهُم مَوْزُوْنَةٌ بِمَا لِلشَّرْعِ مِن مَوَازِيْنَ كانُوا يَزِنُونَ كَلامَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَلْفُظُوا بِهِ لِأَنَّهُم يُوْقِنُوْنَ أنَّ خَالِقَهُمْ سَمِعَهَا وشَهِدَ عَلَيْهَا وهُوَ تَعَالَى خَيرُ شَاهِدٍ .

كَانُوا إذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ يَقِفُونَ في مَحَارِيْبِهِمْ بَاكِيْنَ مُتَضَرِّعِيْنَ لَهُم أَنِيْنٌ كَأَنِيْنِ المَرْضَى ولَهُمْ حَنِيْنٌ كَحَنِيْنِ الثُّكْلَى وكانُوا رُبَّمَا مَرُّوْا بالآيَةِ مِن كِتَابِ اللهِ

فَجعلُوْا يُرَدِّدُوْنَهَا بقَلْبٍ حَزِيْنٍ فأَثَّرتْ عَلَيْهِم ومَرِضُوْا بَعْدَهَا مَاتَ أُولَئِكَ السَّلَفُ الصَّالِحُ الذِينَ تَتجافَى جُنُوبُهُم عن المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وطمعاً .

ومَاتَتْ تِلْكَ الخَشْيَةُ وأعْقَبَهَا قَسْوَةٌ أَذْهَلَتِ العِبَادَ عن طَاعةِ اللهِ فَصَارُوْا يَأتُونَ ويَذَرُوْنَ ما يَذرُوْنَ دُوْنَ سُؤالٍ عن سَخَطِ اللهِ ورِضَاه .

وغَدَتْ جَوارِحُهُم مُطْلَقةً في كُلِّ مَا يُغْضِبُ اللهَ وصَارَتْ أَفْعَالُهُم فَوْضَى لَيْسَ لَهَا ضَوَابطُ وَلاَ قُيُودٌ العينُ تَجُولُ في المَنَاظِرِ المُحرَّمَةِ مِن نِسَاءٍ سَافِرَاتٍ إلى سِيْنَماءٍ إلى تَلْفِزْيُونٍ إلى الفِدْيُوْ مُعَلِّمِ الفَسَادِ إلى كُوْرَة إِلَى مَجَلاَّةٍ في طَيِّها الشُّرُورُ إلى صُورةٍ مُجَسَّدَةٍ وغَيرِ مُجَسَّدَةٍ إلى كُتُبٍ هَدَّامَةٍ لِلأَخْلاَقِ إِلَى غَيْرِ ذلكَ مِن المُحَرَّمَاتِ التي تَجْرَحُ القُلُوب .

والفَرْجُ يَسْرَحُ كَمَا شَاءَ إلى الفَوَاحِشِ الدِّيْنُ ضَعِيْفٌ وَالخُلُقُ فَاسِدٌ والاذنُ لا تَشْبَعُ مِن سَمَاعِ مَا يُسْخِطُ رَبَّهَا والبَطْنُ يَسْتَزِيْدُ مِن سُحْتِ الأَقْوَاتِ .

وأما اليَدُ فَحدِّثْ ولاَ حَرجَ في تَعَدِّي الحُدُوْدِ وأَمَّا اللِّسَانُ فَلَيْلُهُ ونَهارُهُ يَتحَرَّكُ وَيَتقَلَّبُ في مُنْكرِ القَوْلِ وزُوْرِهِ وَلاَ كَأَنَّ رَبَّهُ السَّمِيْعُ البَصِيْرُ العَلِيْمُ مَوْجُوْدٌ وَتَراهُ يَطْعَنُ في أعْرَاضِ الغَوَافِلِ ويُمَزِّقُ جُلُودَهُم في السَّبِ والغِيْبَةِ والبَهْتِ والكَذِبِ ولا يَعِفُ عَن عِرْضِ أَيِّ بَشَرٍ .

ويَحْلِفُ باللهِ العَلِي العَظِيم كُلَّ يَوم مَرَّاتٍ ولا يَهُمُّهُ أَبَرَّ في يَمِيْنِهِ أَمْ فَجَرَ وأَمَّا وُعُودُهُ وَعُهُوْدُهُ وَعُقُوْدُهُ فَتُهمَلُ وَلاَ كأنَهُ مُكَلَّفٌ باحْتِرَامِهَا فَهَذَا وأَمْثَالُهُ قد انْهَمَكُوا في المَعَاصِي وتَوَغَّلُوْا فِيْهَا وصَارَتْ عِنْدَهُم عَادَاتٌ وشَيءٌ طَبِيْعِيٌ مَألُوفٌ لَهُمْ .

وَلِذَلِكَ إِذَا مَرَرْتَ بِهِمْ أَوْ مَرَرْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ اسْتَوْحَشْتَ مِنْ سَمَاعِ الأَغَانِيْ والرَّقصِ والمُطْرِبِيْنَ والسَّبِّ واللَّعْنِ والقَذْفِ والاسْتِهْزَاءِ بِالدِّينِ وأَخَذْتَ فِي العَجَبِ بَيْنَ هَؤلآءِ وَأُولَئِكَ الذينَ في أَوْقَاتِ التَّجَلِّيَاتِ في حَنَادِسِ الظُّلمِ يُنَاجُوْنَ رَبَّهُمْ رَاغِبِيْنَ في رِضْوَانِ العَزِيْزِ الجَبَّارِ خَائِفِيْنَ مِنْ سَخَطِ المُنْتَقِمِ القَهَّارِ مُتَفَكِّرِيْنَ في سُرْعَةِ حُلُولِ المَنَايَا التي تُسَارِعُ الأَيَّامَ واللَّيَالِيْ في اقْتِرَابِهَا ومُوْقِنِيْنَ بِأَنَّهُمْ مُحَاسَبُوْنَ على الفَتِيْلِ والنَّقِيْرِ والقِطْمِيْرِ عَالِمِينَ بِأَنَّهُم مُكَلَّفُوْنَ بِوَاجِبَاتِ عُبُوْدِيَّةٍ مَا قَامُوا بِالقَلِيْلِ مِنْهَا وهُمْ عَنْهَا مَسْؤُلُونَ وعلى مَا قَدَّمُوْهُ مِن خَيْرٍ وشَرٍّ قَادِمُوْنَ .

وَهَلْ حَالُ هَؤلآءِ السُّعَدَاءِ في جَانِبِ أُولَئِكَ التُعَسآءِ الأَشْقِيَآءِ إِلَّا كَحَالِ المُصَابِ بِالجُنُونِ في جَانِبِ أَوْفَرِ الناسِ عَقْلاً وأَكْمَلِهِمْ وَقَاراً فأَكْثِرْ يَا أَخِيْ مِنْ قَوْلِكَ الحَمْدُ للهِ الذي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلاَهُمْ اللهُ يُعَافِيْهِمْ ولاَ يَبْلاَنَا قال تعالى « قُلْ إن الخَاسِرِيْنَ الذِينَ خَسِرُوْا أَنْفُسَهُم وأَهْلِيْهِم يومَ القِيَامَةِ ألاَ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِيْنُ »

وَكُلُ كَسْرٍ فَإِن اللهَ يَجْبُرُهُ
وَمَا لِكَسْرِ قَنَاةِ الدِّيْنِ جُبْرَانُ

فَتَنَبَّهْ أَيُّهَا المُؤْمِنُ واعْلَمْ أَنَّكَ مَسْؤُلٌ عَن كُلِّ مَا تَعْمَلُ لا مُهْمَلٌ كالأَنْعَامِ فانْهَجْ نَهْجَ الاِسْتِقَامَةِ وَرَاقِبْ رَبَّكَ في مَصَادِرِكَ وَمَوَارِدِكَ لِتَقِفْ عِنْدَ الحُدُوْدِ قَالَ بَعْضُ المُرشِدِيْنِ إلى مَعَالِمِ الرُشْدِ ضَارِباً لِذَلِكَ مَثَلاً .

واعْلَمْ أَنَّ الانسَانَ فِي تَقَلُّبِهِ في أَطْوَارِ حَيَاتِهِ كَمَثَلِ غَرِيْبٍ أَلْقَتْ بِهِ المَقَادِيْرُ إلى قَوْمٍ اسْتَقْبَلُوهُ بِتَرْحَابٍ وتَكْرِيْمٍ وكانَ ذَلِكَ النَّازِلُ فَاقِدَ القُوَى غَيْرَ عَالِمٍ بِمَا عَلَيْهِ القَوْمُ مِن الشُؤُنِ ولا يَدْرِي مِنْ أَيْنَ أَتَى وَلا إِلى أَيْنَ يَذْهَبُ .

فَقَامَ القَوْمُ بواجبَاتِ خِدْمَتِهِ وإِكْرامِهِ حَتَّى قَوِيتْ حَواسُّهُ وَجَوارِحُهُ ومَدارِكُهُ وأخذَ يَعْمَلُ كَمَا يَعْمَلُ القَوْمُ فَجاءَ رَجُلٌ مِن عُقَلائِهِم قائِلاً يا هَذا إِنَّ هَذِهِ الدارَ التِي تَوطَّنَهَا مُكْرِمُوْكَ ما هِيَ دَارُ إِقَامَةٍ ولا هِيَ مَمْلُوكَةٌ لأَحَدٍ مِن الخَلقِ ولكِنَّهُمْ أَمْثالُكَ نُزَلآءِ مَنْ كَانُوْا يَعْمِرُوْنَ هَذِهِ الدارَ قَبْلَهُم ثُمَّ رَحَلُوْا وَتَرَكُوْهَا وَمَا كَانَ رَحِيْلُهُم إلى مَكَانٍ بَعِيْدٍ ولَكِنَّهُ كَانَ إلى سِجْنٍ ضَيِّقٍ وَمَكانٍ مُظْلِمٍ لَوْ أَرْسَلْتَ بِبَصرِكَ لَرَأَيْتَهُ وقَدْ فَقَدُوْا تِلْكَ القُوَى وتَنَاسَوْا ذَلِكَ النَّعِيْمَ .

ثُمَّ أَخذَ بِيَدِهِ إلى مَكَانٍ قَفْرٍ وأَعْنِي به المَقْبَرَةَ وقَالَ لَهُ هَذَا مُراحُ القَوْمِ ومَسْقَطُ رؤُسِهِمْ وإِنَّ الطَّرِيْقَ التِي تُوْصِلُكَ إلى هَؤلآءِ القَومِ هِيَ الطَّرِيْقُ التِي سَلَكَهَا مُكْرِمُوْكَ وإنَّها لَطَرِيْقٌ ذَاتُ عَقَبَاتٍ مُهْلِكَةٍ ولَهَا أَوْحَالٌ مَنْ تَورَّطَهَا هَلَكَ وَلا مَخْلَصَ مِن تِلْكَ الأَوْحَالِ إلا بِتَجَنُّبِ تِلْكَ العَقَبَاتِ أَوْ تَجَاوُزِهَا عَدْواً .

فإِنْ رُمْتَ السَّلامَةَ فَسِرْ فَرِيْداً مُتَحَفِّظاً مِن تَخَاصُمِ القَوْمِ وتَنَازُعِهِم ومِنْ مَلاهِيْهِمْ وَأَلعَابِهِمْ ولا تُصْغِ لِمَنْ يُنَادِيْكَ مِن خَلْفِكَ فإِنَّ الذي يُنَادِيْكَ مِن خَلْفِكَ في طَرِيْقِ النَّجاةِ هُوَ أَجْهَلُ مِنْكَ بِهَا ولا تُخَالِفْ مَنْ نَادَاكَ مِن الأَمَامِ فَإِنَّهُمْ أَدْرَى مِنْك بمَفَاوِزِ الطَّرِيْقِ .

وإيَّاكَ أَنْ تَشْتَبِهَ عَلَيْكَ الطُّرُقُ وأَصْوَاتُ المُنَادِيْنَ فإِنَّ طَرِيْقَ السَّلامَةِ لَهَا أَعْلامٌ ومَصَابِيْحُ نَيِّرَةٌ عَلَى رَأسِ كُلِّ مَرْحَلَةٍ مِنْ مَرَاحِلِها وأَمَّا بَاقِي الطُّرُقِ فإِنَّهَا مُظْلِمَةٌ مُوْحِشَةٌ مُهْلِكَةٌ وَمَا هِيَ إلاطَرِيْقٌ وَاحِدَةٌ وَلَكِنَّهاذَاتُ شُعَبٍ ومَسَارِبٍ كَثِيْرَةٍ .

فاحْذَرْ انْ تَتَهاوَنَ بِنَفْسِكَ كَمَا تَهاوَنَ القَوْمُ بِنُفُوسِهِمْ فَهَلَكُوْا وَهُمْ لا يَشْعُرُوْنَ فإِنْ كَانَ النَازِلُ الغَرِيْبُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِتَعَقُّلِ النَّصَائِحِ وَذَا قَابِلِيَةٍ تَقْبَلُ

الارْشَادَ وقفَ عَلى أفْواهِ الطرِيْقِ وفَتحَ عَيْنَيْهِ واسْتَعْمَلَ فِكْرَهُ وتَبصَّرَ في أمْرِهِ وتَدَبَّرَ عَواقِبَ مَا عَليه القَومُ وأخذَ لِنَفْسِه بأحْوَطِ الأَحْوالِ وأقْربِهَا إلَى السَّلامَةِ وَجعَلَ عَيْنَهُ مُتَّجِهَةً لِلنَّظَرِ إلى مَنَازِلِ الرَّاحِلِيْنَ التي لا أنِيْسَ بِهَا ولا جَلِيْسَ .

وَتَأمَّلَ سُرْعَةَ الرَّحِيْلِ وقِصَرَ أوْقَاتِ الاقَامَةِ وتَجَنَّبَ الأَلْعَابَ والمَلاهِي وسَلَكَ سَبِيْلَ المُهْتَدِيْنَ وإنْ كَانَ ضَيِّقَ الحَضِيْرَةِ قَاصِرَ النَّظَرِ ضَعِيْفَ الهِمَّةِ ضَائِعَ العَقْلِ سيءَ التَّصوُرِ فَاقِدَ الفِكْرِ خَبِيْثَ الاسْتِعْدَادِ لَئِيْمَ الطَّبْعِ لا يَجِدُ بُداً مِن مُنَازَعَةِ اللاَّعِبِيْنَ ومُسَابَقَةِ اللاَّهِيْنَ وَتَغافَلَ عن عَاقِبَةِ أمْرِهِ وسُوْءِ مَصِيْرِهِ وتَبَاعَدَ عن صِيَاحِ النَّاصِحِيْنَ وأصْغَى إلَى مُدَاهَنةِ الغَاوِيْنَ أصْبَحَ مِن النادِمِيْنَ .

وَمَا ضَرَبْنَا لَكَ هَذَا المَثَلَ إلا لِتَعْلَمَ أنَّكَ أنْتَ الغَرِيْبُ الذي نَزَلْتَ يَوْمَ وَلَدَتْكَ أمُّكَ بقَوْمِكَ وأنْتَ ضَعِيْفُ القُوَى لا تَعْلَمُ شَيْئاً كَمَا قَالَ تَعالَى « واللهُ أخرجَكُم مِن بُطونِ أمَّهاتِكُم لا تَعْلَمُون شيئاً وجَعَلَ لَكُم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ لعلكم تَشْكُرون » فَفرِحَ بِكَ قَوْمُكَ وأكْرَمُوكَ إلى أنْ قَوِيَتْ الآتُ أعْمَالِكَ وصِرْتَ تُحْسِنُ الرَّحِيْلَ وَحْدَكَ .

ونُرِيْدُ بالرَّحِيْلِ هُنَا سُلُوكَ إحْدَى الطَّرِيْقَيْنِ إمَّا طَرِيقَ الكَمَالاتِ وإمَّا طَرِيْقَ النَّقَائِصِ لِأَنَّهُما مَسارِبَ المكلفِيْنَ الذينَ لا بُدَّ لَهُمْ مِن السَّيْرِ فِيْهَا لِلوُصُوْلِ إلى أحَدَ الغَايَتَيْنِ فَإنَّهُ مَا مِن طَرِيْقٍ إلا وَلَهَا غَايَةً يَنْتَهِي إلَيْهَا مَسِيْرُ سَالِكِهَا .

وَمَا نُرِيْدُ بالرَّجُلِ العَاقِلِ المُرْشِدِ إلاَّ صَاحِبَ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أوْ النَّائِبِ عَنْهُ فِي تَبْلِيْغِهَا وَمَا نُرِيْدُ بِمَنْ يُنَادِيْكَ مِنَ الأَمَامِ إلاَّ السَّلَفُ

الصَّالِحُ الَّذِينَ سَبقُوْنَا بِالإيْمانِ وَبيَّنُوْا لَنَا طَرِيْقَ النَّجاةِ أَوِ الأَتْقِيَاءِ المُقْتَفُوْنَ لآثارِهِمْ الَّذِيْنَ ثَبَتَتِ اسْتِقَامَتُهُمْ .

وَمَا نُرِيْدُ بِالَّذِيْنَ يُنَادُوْنَكَ مِنْ خَلْفِكَ إلَّا الَّذِيْنَ لاَ قَدَمَ لَهُمْ فِي طَرِيْقِ النُّبُوَّةِ فَلَمْ يَسْلُكُوْا سَبِيْلَ المُهْتَدِيْنَ بَلْ اعْتَمَدُوْا فِي ارْشَادِهِمْ عَلَى مَقَالٍ لاَ حَالَ مَعَهُ وَلاَ عَمَلَ وَهَذا لا تَصْلُحُ مُتَابعَتُهُ لأَنَّهُمْ أجْهَلُ النَّاسِ بطَرِيْقِ الاسْتِقَامَةِ .

وَمَا أَهْلُ الاسْتِقَامَةِ إلَّا الَّذِيْنَ رَاقَبُوْا قُلُوْبَهُمْ وأَمْسُكُوْا ألسِنَتَهُمْ وَطَهَّرُوْا أَقْلامَهُمْ فَلاَ عَزْمَ لَهُمْ إلَّا عَلَى أَعْمَالِ البِرِّ والمُوَاسَاةِ وَلاَ يَقُوْلُوْنَ إلَّا الحَقَّ المُنْجِيْ وَلاَ يَكْتُبُوْنَ إلَّا مَا لَوْ سُئِلُوا عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لأَحْسَنُوْا الإجَابَةِ وَالَّذِيْنَ يَذْكُرُوْنَ اللَّهَ كَثِيْراً وإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالبَكَّاؤُونَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ المُقْتَفُونَ لآثَارِهِ ﷺ .

شعرا :

نُـورُ الحَـدِيْثِ مُبِيْنٌ فَـادْنُ وَاقْتَبِسِ
وَاحْدُ الرِّكَابَ لَهُ نَحْوَ الرِّضَا النَّدُسِ
مَـا العِلْمُ إلَّا كِتَـابُ اللَّهِ أَوْ أَثَـرٌ
يَـجْلُو بِنُـوْرِ هُـدَاهُ كُـلَّ مُلْتَبِسِ
نُـوْرٌ لِـمُقْتَبِسٍ خَـيْـرٌ لِـمُلْتَمِسٍ
حِمىً لِمُحْتَـرِسٍ نُعْمَى لِـمُبْـتَئِسِ
فَـاعْكُفْ بِبَـابِهِمَـا عَلَى طِـلابِهِمَـا
تَمْحُوْ العَمَى بِهِمَا عَنْ كُـلِّ مُلْتَبِسِ

وَرِدْ بِقَلْبِكَ عَذْباً مِنْ حِيَاضِهِمَا
تَغْسِلْ بِمَائِهِمَا مَا فِيْهِ مِنْ دَنسِ
واقْفُ النَّبِيَّ وأَتْبَاعَ النَّبِيّ وَكُنْ
مِنْ هَدْيِهِمْ أَبَداً تَدْنُوْ إِلَى قَبَسِ
والْزَمْ مَجَالِسَهُمْ وَاحْفَظْ مُجَالِسَهُمْ
وَانْدُبِ مَدَارِسَهُمْ بِالأَرْبُعِ الدُّرُسِ
واسْلُكْ طَرِيْقَهُمْ وَاتْبَعْ فَرِيقَهُمُ
تَكُنْ رَفِيْقَهُمْ فِي حَضْرَةِ القُدُسِ
تِلْكَ السَّعَادَةُ إِنْ تُلْمِمْ بِسَاحَتِهَا
فَحُطَّ رَحْلَكَ قَدْ عُوْفِيْتَ مِنْ تَعَسِ

وَمَا نُرِيْدُ بِمَرَاحِلِ حَيَاتِكَ إِلاّ الأَطْوَارَ الَّتِي تَتَقَلَّبُ بِكَ فِيْهَا الشَّمْسُ كُلَّمَا غَرَبَتْ أَوْ أَشْرَقَتْ وَتَنْتَقِلُ بِكَ إِلَيْهَا اللَّيَالِي وَأَنْتَ لا تَشْعُرُ فَمَا أَسْرَعَ مُرُوْرِ الشَّمْسِ بِكَ إِلى نِهَايَةِ أَجَلِكَ وَمَا أَغْفَلَكَ عَنْ عَمَلِهَا فِيْكَ .

وَمَا نُرِيْدُ بِأَوْحَالِ حَيَاتِكَ إِلاّ مُتَابَعَةُ شَهَوَاتِكَ عِنْدَ بُلُوغِ الحُلْمِ فَإِنَّ لِطَوْرِ الشُّبُوبِيَّةِ أَوْحَالٌ مُهْلِكَةٌ وهِيَ الشَّهَوَاتُ البَهِيْمِيَّةُ الَّتِي تَضْطَرُّ الشَّبَابَ الّذِيْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ عَقْلَهُ إِلى مُغَازَلَةِ الغَانِيَاتِ وَمُعَانَقَةِ المَلاهِيْ وَتَعَاطِيْ المُحَرَّمَاتِ فَيَصِيْرُ فِي أَوْحَالٍ تُنَاسِبُهُ .

وَمَا مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيْعُ تَجَنُّبَ تِلْكَ الأَوْحَالَ إِلاَّ الّذِيْ وَفَّقَهُ اللّهُ فَتَبَاعَدَ عَنْ ظُلُمَاتِ الزَّيْغِ وَتَنَوَّرَ بِنُوْرِ العِلْمِ الدِّينِيْ الّذي عَلَّمَهُ العَلِيْمُ الخَبِيْرُ لِرَسُوْلِهِ ﷺ وأَمْرَهُ بِتَعْلِيْمِهِ لِلنَّاسِ لأَنّهُ جَلَّ شَأْنُهُ هُوَ الحَكِيْمُ العَلِيْمُ الّذِي عَلِمَ الدَّاءَ وَدَبَّرَ

الدَّوَاءَ قَال تَعَالى : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيْفُ الخَبِير﴾ انتهى بتصرف يسير .

شعرا :

مَثِّلْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا المَغْرُوْرُ
يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُوْرُ
قَدْ كُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وأُضْعِفَتْ
حَرّاً عَلَى رُؤُس العِبَادِ تَفُوْرُ
وَإِذَا الجِبَالَ تَعَلَّقَتْ بِأُصُوْلِهَا
فَرَأَيْتَهَا مِثْلَ السَّحَابِ تَسِيْرُ
وإِذَا النُّجُومُ تَسَاقَطَتْ وَتَنَاثَرَتْ
وَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ الضِّيَاءِ كَدُوْرُ
وإِذَا العِشَارُ تَعَطَّلَتْ عَنْ أَهْلِهَا
خَلَتِ الدِّيَارُ فَمَا بِهَا مَعْمُوْرُ
وإِذَا الوُحُوْشُ لَدَى القِيَامَةِ أُحْضِرَت
وتَقُوْلُ لِلأَمْلَاكِ أَيْنَ نَسِيْرُ
فَيُقَالُ سِيْرُوْا تَشْهَدُوْنَ فَضَائِحاً
وَعَجَائِباً قَدْ أُحْضِرَتْ وَأُمُوْرُ
وإِذَا الجَنِيْنُ بِأُمِّهِ مُتَعَلِّقٌ
خَوْفَ الحساب وقلبه مذعُوْرُ
هَذَا بِلَا ذَنْبٍ يَخَافُ لِهَوْلِهِ
كَيْفَ المُقِيْمُ عَلَى الذُّنُوْبِ دُهُوْرُ

اللّهُمَّ ثَبِّتْ وَقَوِّي مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِطَاعَتِكَ وامْتِثالِ أمْرِكَ اللّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُوْرِ الإِيْمَانِ واجْعَلْنا هُدَاةً مُهْتَدِيْن وتَوَفَّنَا مُسْلِمِيْنَ والْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدِيْنَا وجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أرحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلّى الله عَلَى مُحمّد وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْن .

(فصــل)

« نَخْتُمُ هَذَا الجُزْءَ فِي فَصْلٍ يَحْتَوِيْ عَلَى نُبْذَةٍ يَسِيْرَةٍ »
« عَنْ سِيْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ »
« وَنُمُوذجٍ عَنْ حِلْمِهِ وَوَفَائِهِ »

هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصيّ بْنِ كِلاَبِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بن لُؤي بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مالك بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بن مُدْرِكَةَ بْنِ الياس بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِ بْنِ عَدْنَانٍ هَذا متّفق علَى صِحَّتِهِ .

وَلاَ خِلاف أنَّ عَدْنَانَ مِنْ وَلَدِ إسْمَاعِيْلَ بْنِ إبراهِيمَ وإِسْمَاعِيْلُ هُوَ الذَّبِيْحُ عَلَى القَوْلِ الصَّحِيْحِ والقَوْلُ بِأَنَّهُ اسْحٰقُ باطلٌ وَلاَ خِلاف أنَّهُ ﷺ وُلِدَ بِمَكَّةَ عَامَ الفِيْلِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ لِثَمانٍ خلَوْنَ مِنْ رَبِيْعِ الأَوَّلِ وقِيْلَ لِعَشْرٍ مِنْهُ وقِيلَ لاثْنَتي عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْهُ سَنَة ٥٧١ م .

وأمَّا عَبْدُ اللّهِ أبو رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَكَانَ أحْسَنَ أوْلادِ عبْدِ المُطَّلِبِ وأعَفَّهُمْ وَكَانَ أبُوْهُ يُحِبُّهُ والأكْثَرُ يقُولُونَ أنَّهُ تُوفّيَ وَالنَّبِيُّ ﷺ حَمْلٌ وقِيْلَ أنَّهُ مَاتَ وَلِرَسُولِ اللّهِ ﷺ شَهْرَانِ وَجَمِيْعُ مَا خَلَّفَهُ عَبْدُ المُطَّلِبِ خَمْسَةُ أجْمَالٍ وجَارِيَةٌ

(م ٦ - ج ٣)

حَبَشِيَّةٌ اسْمُهَا بَرَكَةُ وَكُنْيَتُهَا أُمُّ أيْمَنَ وهِيَ حَاضِنَتُهُ ﷺ .

وَرَوَى البيهقيُّ أنَّهُ ﷺ وُلِدَ مَخْتُوْناً وذَكرَ البَيْهَقِيُّ أيْضاً أنَّهُ لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةَ الَّتِي وُلِدَ فِيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ارْتَجَّ إيْوَانُ كِسْرَى وَسَقَطَ مِنْهُ أرْبَعَ عَشْرَ شَرَفَةً وخَمَدَتْ نَارُ فَارِسَ وَلَمْ تَخْمُدْ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ ألْفِ عَامٍ وَغَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَاوَة .

وإلى هذا أشارَ الشَّاعِرُ فِي قَوْلِهِ :

نُـوْرٌ مِـنَ الـرَّحْمٰـنِ أرْسَلَهُ هُـدَى
لِلنَّـاسِ فَـازْدَهَـرَ الزَّمَـانُ وأيْنَعَـا
دَعْ عَنْكَ إيْـوَانـاً لِكِسْـرَى عِنْـدَمَا
هَتَفُـوْا بِمَـوْلِـدِهِ هَـوَى وتَصَـدَّعَـا
واذْكُـرْهُ كَيْفَ أتَى شُعُـوْبـاً فُـرِّقَتْ
أهْـوَاءُهَا كُـلٌّ يُصَحِّـحُ مَـا ادَّعَـا
فَـهَـدَاهُمْ لِلْحَقِّ حَتَّى أصْبَحُـوْا
فِـي اللَّهِ إخْـوَانـاً تَـرَاهُـمْ رُكَّعَـا
أبْـنَـاءَ أخْيَـافٍ تَـجَمَّـعَ شَـمْـلُهُـمْ
وَغَـدَوْا بِـدِيْنِ اللَّهِ شَعْبـاً أمْـنَعَـا
فَتَحْـوا لَـهُ الـدُّنْيـا فَسَـار مُظفـراً
وَبَنَـوْا لَـهُ حِصْنـاً أشَمَّ مُـمَنَّعَـا
بَـذَلُوْا النُّفُـوسَ رَخِيْصَـةً فِي نَصْـرِهِ
فَتَسَنَّمُـوْهَـا ء السَّـلَامِ الأرْفَعَـا

لَهْفِيْ عَلَى مَـاضِي الحَنِيْفَـةِ إِنَّـهُ
مَـاضٍ تَـأَلَّقَ زَاهِيـاً وَتَـضَـوَّعَـا
أَيَّـامَ كَـانَ الـدِّيْنُ تُشْـرِقُ شَمْسُـهُ
فَيَـرَى الغُـوَاةُ السَّـادِرُوْنَ المَهْيَعَـا
يَـا أُمَّـةَ التَّـوْحِيْدِ هَـذَا مَجْـدُكُمْ
إِنِّـيْ لأخْشَـى أَنْ يَضَـلَّ مُـضَيَّـعَـا

سِيْـرُوْا عَلَى سُنَنِ النَّبِيِّ وَجَنِّبُـوْا
زَيْفَ الحَضَـارَةِ عَنْكُمُ أَنْ يَخْدَعَـا
وَخُذُوْا لَكُمْ مِن سُنَّةِ الهَادِي هُدَى
فَهُـوَ المَنَـارُ إِذَا الضَّـلاَمُ تَجَمَّعَـا

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنْ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ عَن النَّبِيِّ ﷺ قالَ إِنِّيْ عِنْدَ اللّهِ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَخَاتِمُ النَّبِيِّيْنَ وإِنَّ آدَمَ لمُجَنْدَلٌ فِي طِيْنَتِهِ وَسَوْفَ أُنَبِئُكُمْ بِتَأْوِيْلِ ذَلِكَ دَعْوةُ أَبِي إِبْرَاهِيْمَ وَبِشَارَةُ عِيْسَى قَوْمَهُ وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِيْ رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنهَا نُوْرٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُوْرُ الشَّامِ .

قَالَ فِي اللَّطَائِفِ وخُرُوْجُ هَذَا النُّوْرِ عِنْدَ وَضْعِهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا يَجِيءُ بِهِ مِنَ النُّوْرِ الَّذِي اهْتَدَى بِهِ أَهْلُ الأَرْضِ وَزَالَتْ بِهِ ظُلْمَةُ الشِّرْكِ كَما قَالَ تَعالَى قَدْ «جَاءَكُمْ مِنَ اللّهِ نُوْرٌ وكِتَابٌ مُبِيْنٌ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ » .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لاَ تَضُرُّهُ الْمعصيَةُ ولاَ تَنْفَعُه الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الغَفْلَةِ وَنَبِّهنْا لاغْتِنَام أَوْقَاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لمِصَالِحِنَا واعْصِمْنَا مِنْ قَبَائحِنا وذُنُوبنا ولا تُؤاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عليْهِ ضَمائِرُنا واكَنَّتْهُ سَرَائِرُنا مِنْ أَنْواعِ القَبَائحِ والمَعَائِبِ التِي تَعْلَمُها مِنّا واغْفِرْ لَنَا ولِوالِدِيْنَا ولجميعِ المُسْلِمِينَ الاَحياءِ مِنهُمْ والميتِينَ برَحْمَتِكَ يا أرحَمَ الرّاحِمِينَ وصَلى اللّهُ على مُحَمّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبه أجْمعين .

(فصــل)

وَبعْدَ مَوْلِدِهِ ﷺ أَرْضَعَتْهُ أُمُّهُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبِ بْنِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ بنِ كُلاَبِ ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ ﷺ ثُوَيْبَةُ عَتِيْقَةُ أَبِي لَهَبِ أعْتَقَهَا حِيْنَ بَشَّرَتْهُ بِولادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ حَلِيْمَةُ السَّعْدِيَّةُ .

قَالَتْ حَلِيْمَةُ السَّعْدِيَّةُ الَّتِي أَرَادَ اللَّهُ أَنْ تَقُوْمَ بِإِرْضَاعِهِ قَدِمْتُ مَكَّةَ مَعَ تِسْعِ نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ نَلْتَمِسُ الرَّضَاعَ فِي سَنَةٍ شَهْبَاءَ عَلَى أتَانٍ لِي وَمَعِي صَبِيٌّ لَنَا وَقَدْ عُرِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى كُلِّ امْرَأةٍ مِنَّا فَأَبَيْنَ أنْ يُرْضِعْنَهُ حِيْنَمَا عَلِمْنَ أنَّهُ يَتِيْمُ الأبِ .

وَذَلِكَ أَنَّا كُنَّا نَرْجُو المَعْرُوْفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ فَكُنَّا نَقُوْلُ إِنَّهُ يَتِيْمٌ مَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ فَكُنَّا نَكْرَهُهُ لِذَلِكَ قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا بَقِيَ مِنْ صَوَاحِبِيْ امْرَأَةٌ إِلاَّ أَخَذَتْ رَضِيْعاً فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ قُلْتُ لِزَوْجِيْ وَهُوَ الحَارِثُ بْنُ عَبْدِ العُزَّى وَاللَّهِ إِنِّيْ لاَ أَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِيْ وَلَيْسَ مَعِيْ رَضِيْعٌ لأنْطَلِقَنَّ إِلى ذَلِكَ اليَتِيْمِ وَلاَ آخُذَنَّهُ .

قَالَ لاَ ضَرَرَ عَلَيْكِ أَنْ تَفْعَلِيْ . عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيْهِ بَرَكَةً فَذَهَبْتُ ثُمَّ أَخَذْتُهُ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ فَأقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيِي بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ وَشَرِبَ ابْنِيْ حَتَّى شَبِعَ فَوَدَّعَتِ النِّسَاءُ بَعْضُهُنَّ بَعْضا .

ثُمَّ رَكِبْتُ أَتَانِي وأَخَذْتُ مُحَمَّداً بَيْنَ يَدَيَّ ثُمَّ مَشَتْ أَتَانِيْ حَتَّى سَبَقَتْ دَوابَّ النَّاسِ الَّذِيْنَ كَانُوْا مَعِيْ وَصَارُوْا يَتَعَجَّبُوْنَ مِنِّي ثُمَّ وَصَلْنَا إِلَى مَنَازِلِ بَنِيْ سَعْدٍ وَلاَ أَعْلَمُ أَرْضاً مِنْ أَرْضِ اللَّهِ أَجْدَبَ مِنْهَا فَكَانَتْ غَنَمِيْ تَرُوْحُ عَلَيَّ حِيْنَ قَدِمْنَا بِهِ كَثِيْرَةَ اللَّبَنِ فَنَحْلِبُ وَنَشْرَبُ .

وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنْ عُمُرِهِ ذُكِرَ أَنَّ مَلَكَيْنِ شَقَّا بَطْنَهُ واسْتَخْرَجَا قَلْبَهُ وَشَقَّاهُ فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ ثُمَّ غَسَلاَ قَلْبَهُ وَبَطْنَهُ بِالثَّلْجِ وَقَالَ أَحَدُهُمَا زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنَهُ ثُمَّ ما زَالَ يَزِيْدُ حَتَّى بَلَغَ الأَلْفَ فَقَالَ واللّهِ لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَها .

وَمَاتَتْ أُمُّهُ عَلَيْهِ السّلامُ وَلَمْ يَسْتَكْمِلْ إِذْ ذَاكَ سَبْعَ سِنِيْنَ حِيْنَ انْصَرَفَتْ مِنْ زِيَارَاتِ أَخْوَالِهِ بَنِي النَّجارِ وَكَانَتْ خَرَجَتْ بِهِ مَعَهَا وَمَعَهُ دَايَتُهُ أُمُّ أَيْمَن قَدِمَتْ بِهِ إِلى مَكَّةَ بَعْدَ مَوْتِهَا .

فَكَفَلَهُ جَدُّهُ عَبْدُ المُطَّلِبِ وَرَقَّ عَلَيْهِ رِقَّةً لَمْ يَرِقَّهَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَوْلَادِهِ فَكَانَ لاَ يُفَارِقُهُ وَمَا يَجْلِسُ عَلَى فِرَاشِهِ إِجْلاَلا لَهُ إِلاّ رَسُولُ اللّهِ ﷺ .

وَقَدِمَ مَكَّةَ قَوْمٌ مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ مِنَ القَافَةِ فَلَمَّا نَظَرُوْا إِلَيْهِ قَالُوْا لِجَدِّهِ احْتَفِظْ بِهِ فَلَمْ نَجِدْ قَدَماً أَشْبَهَ بالقَدَمِ الّذي في المَقَامِ مِنْ قَدَمِهِ فَقَالَ لأَبِي طَالِبٍ اسْمَعْ مَا يَقُولُ هَؤُلاءِ واحْتَفِظْ بِهِ .

وَتُوُفِّيَ جَدُّهُ عَبْدُ المُطَّلِبْ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنْ مَوْلِدِهِ ﷺ وَأَوْصَى بِهِ إِلَى عَمِّهِ أَبِيْ طَالِبٍ شَقِيْقِ أَبِيْهِ عَبْدِ اللّهِ فَكَفَلَهُ وَأَحْسَنَ كَفَالَتَهُ قَالَ الوَاقِدِيّ أَقَامَ أَبُو طَالِبٍ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ مِنْ مَوْلِدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ إِلى السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ النُّبُوَّةِ ثَلاثاً وأَرْبَعِيْنَ سَنَة يَحُوْطُهُ وَيَقُومُ بأَمْرِهِ ويَذُبُّ عَنْهُ وَيَلْطُفُ بِهِ .

وَلَمَّا بَلَغَ ﷺ أَثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً خَرَجَ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى بَلَغَ بُصْرى فَرَآهُ بُحَيْرُ الرَّاهِبُ وَاسْمُهُ جِرْجِيْسُ فَعَرَفَهُ بِصِفَتِهِ فَقَالَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِهِ هَذَا سَيِّدُ العَالَمِيْنَ هذا يَبْعَثُهُ اللّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنَ فقَالَ وَمَا عِلْمُكَ بِذلِكَ فَقَالَ إِنَّكُمْ حِيْنَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ العَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ حَجَرٌ وَلاَ شَجَرٌ إِلاَّ وَخَرَّ سَاجِدًا وَلاَ

تَسْجُدُ إلاّ لِنَبيّ وإنّيْ أعْرِفُهُ بِخَاتِمِ النُّبُوَّةِ في أسْفَلِ غُضْرُوْفِ كتِفِهِ مِثْلُ التُّفَاحَةِ وإنّا نَجِدُهُ فِي كُتبِنَا .

وَسَأَلَ أبَا طَالِبٍ أَنْ يَرُدَّهُ خَوْفاً عَلَيْهِ مِنَ اليَهُوْدِ الحَدِيْثَ رَواه ابن أبي شيْبَة وفِيْهِ إنَّهُ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الصّلاةُ والسّلامُ وَعَلَيْهِ غَمامَةٌ تُظَلِّلُهُ . ثُمَّ خَرجَ ﷺ مَرَّةً أُخْرَى ومَعَهُ مَيْسَرَةُ غُلامُ خَدِيْجَةَ فِي تِجَارةٍ لَهَا حَتَّى بَلَغَ سُوْقَ بُصْرَى وَلَهُ إِذْ ذَاكَ خَمْسٌ وعِشْرُوْنَ سَنَةً .

فَنزَلَ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ فَقَالَ نَسْطُوْرُ الرَّاهِبُ مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إلاّ نَبِيٌّ وَكَانَ مَيْسَرَةُ يَرَى فِي الهَاجِرَةِ مَلَكَيْنِ يُظَلاّنِهِ مِنَ الشَّمْسِ فَلَمَّا رَجِعُوْا إِلَى مَكَّةَ سَاعَةَ الظَّهِيْرَةِ وَخَدِيْجَةُ فِي عَلِيَّةٍ لَها رَأَتْ رَسُوْلَ اللّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَعِيْرِهِ وَمَلَكَانِ يُظِلاّنِهِ ذَكَرَهُ أَبُو نُعَيْم .

اللّهُمَّ عَمِّقْ إِيمَانَنا بِكَ وبِمَلائِكَتِكَ وبِكُتُبِكَ وبِرُسُلِكَ وبِاليَوْمِ الآخِرِ وبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وآتِنَا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَصَلّى اللّهُ عَلَى مُحَمّدٍ وآلِهِ وَسلّم .

(فصــل)

وَتَزَوَّجَ رَسُوْلُ اللّهِ ﷺ خَدِيْجَةَ بَعْدَ ذَلِكَ وَكَانَتْ تَحْتَ أَبِي إِهَابَة بْنِ زُرَارَةَ التَّمِيْمِيْ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا عَتِيْقُ بْنُ عَائِذٍ المَخْزُوْمِيّ فَوَلَدَتْ لَهُ هِنْداً وَكَانَ لَهَا حِيْنَ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنَ العُمُرِ أَرْبَعُونَ سَنَةً فَوَلَدَتْ لِرَسُولِ اللّه ﷺ بَنِيْنَ وَبَنَاتٍ وَكُلُّ أَوْلادِهِ مِنْهَا حَاشَا إِبْرَاهِيْمَ فَإِنّه مِنْ مَارِيَةِ القُبْطِيَّةِ الّتِي أَهْدَاهَا لَهُ المُقَوْقِسُ صَاحِبُ مِصْرَ .

فَالذُّكُوْرُ مِنْ وَلَدِهِ القَاسِمُ وَبِهِ كَانَ يُكْنَى وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِهِ عَاشَ أَيَّاماً

يَسِيْرَةً وُلِدَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَوُلِدَ لَهُ غَيْرُ إِبْرَاهِيْمَ وَالقاسِمَ عَبْدُ اللّهِ وَهُوَ المُسَمَّى بِالطَّيِّبِ وَالطَّاهِرِ لأَنَّهُ وُلِدَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ وأَمَّا إِبْرَاهِيْمُ فَوُلِدَ لَهُ بِالمَدِيْنَةِ وَعَاشَ عَامَيْنِ غَيْرَ شَهْرَيْنِ وَمَاتَ قَبْلَ مَوْتِهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ يَوْمَ كُسُوفٍ .

وَأَمَّا بَنَاتُهُ ﷺ فَأَرْبَعٌ زَيْنَبُ تَحْتَ أَبِي العَاصِ بْنِ الرَّبِيْعِ وَكَانَتْ خَدِيْجَةُ خَالَتُهُ وَالثَّانِيَةُ رُقَيَّةُ تَزَوَّجَها عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَمَاتَتْ بَعْدَ بَدْرٍ بِنَحْوِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ وَزَيْنَبُ مَاتَتْ فِي حَيَاةِ أَبِيْهَا ﷺ وَالثَّالِثَةُ أُمُّ كُلْثُومٍ وَهِيَ أَصْغَرُ بَنَاتِهِ كَانَتْ مُمَلَّكَةً بِعُتْبَةَ بنَ أبي لَهَبٍ فَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا وَطَلَّقَهَا فَتَزَوَّجَهَا عُثْمَانُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فَمَاتَتْ عِنْدَهُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ .

الرّابعةُ فَاطِمَةُ تَزَوَّجَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِيْ طَالِبٍ فَوَلَدَتْ لَهُ الحَسَنَ والحُسَيْنَ وَزَيْنَبَ وَأُمّ كُلْثُومٍ وابْنَا مَاتَ صَغِيْراً اسْمُهُ المُحْسِنُ وَمَاتَتْ فَاطِمَةُ بَعْدَ رَسُوْلِ اللّهِ ﷺ بِستّةِ شُهُوْرٍ ، وَخَدِيْجَةُ أَوَّلُ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَ بِهَا وَأَوَّلُ امْرَأَةٍ مَاتَتْ مِنْ نِسَائِهِ وأَمَرَهُ جِبْرِيْلُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهَا السّلامَ مِنْ رَبِّهَا .

وَهِيَ أَوَّلُ امْرَأَةٍ آمَنَتْ بِهِ وَعَاضَدَتْهُ وَنَاصَرَتْهُ عَلَى أَمْرِهِ وَكَانَ لَهَا مِنْهُ المَنْزِلَةُ العَالِيَةُ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحبَّتَكَ وَمَحبَّةَ كُتُبِكَ وَمَلاَئِكَتِكَ وَرُسُلِكَ وَأَوْلِيائِكَ فِي قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُوْرِ الإِيْمَانِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَجَمِيعِ المُسْلِمِيْن بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلّى اللّهُ عَلَى نَبِيّنا مُحمّد وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين .

شعـــــرا :

دَعَاكُم إلى خَيْرِ الأُمُور مُحَمَّـــدٌ ... وَلَيْسَ العَوالِي في القَنَا كالسَّوافِلِ
دَعَاكُم إلى تَعْظِيمِ مَنْ خَلَقَ الضُحَى ... وشُهْب الدُّجى من طَالِعَاتٍ وآفِلِ
وحَثَّ على تطْهِيْرِ جِسْمٍ ومَلْبَسٍ ... وعَاقَبَ في قَذْفِ النِّسَاءِ الغَوافِلِ
فَصَلَّى عليه الله مَاذَرَّ شَـــارِقٍ ... ومَا فَتَّ مِسْكاً ذِكْرُهُ في المَحَافِلِ

(فصــل)

وَلَمْ يَرِثْ ﷺ مِنْ وَالِدِهِ شَيْئاً بَلْ وُلِدَ يَتِيماً عَائِلاً فَاسْتُرْضِعَ فِي بَنِي سَعْدٍ وَلَمَّا بَلَغَ مَبْلَغاً يُمْكِنُهُ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلاً كَانَ ﷺ يَرْعَى الغَنَمَ مَعَ إِخْوَانِهِ مِنَ الرَّضَاعِ فِي البَادِيَةِ وَكَذَلِكَ لَمَّا رَجَعَ إِلى مَكَّةَ كَانَ يَرْعَاهَا لأَهْلِهَا عَلَى قَرَارِيْطَ كَمَا ذَكَرَ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحه .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيّاً إِلاّ رَعَى الغَنَمَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ فَقَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيْطَ لأَهْلِ مَكَّةَ .

وَلَمَّا شَبَّ ﷺ كَانَ يَتَّجِرُ وَكَانَ شَرِيْكُهُ السَّائِبُ بْنُ أَبِي السَّائِبِ وَذَهَبَ بِالتِّجَارَةِ لِخَدِيْجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلى الشَّامِ عَلَى جُعْلٍ يَأْخُذُهُ وَلَمَّا شَرَفَتْ خَدِيْجَةُ بِزَوَاجِهِ وَكَانَتْ ذَاتَ يَسَارٍ عَمِلَ فِي مَالِهَا وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْ نَتِيْجَةِ عَمَلِهِ وَحَقَّقَ اللَّهُ مَا امْتَنَّ عَلَيْهِ بِهِ فِي سُورَةِ الضُّحَى بِقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيْماً فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى » بالإِيْوَاءِ والاغْنَاءِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ والهِدَايَةِ بِالنُّبُوَّةِ هَدَاهُ اللَّهُ لِلْكِتَابِ وَالإِيْمَانِ وَدِيْنِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَلَمْ يَكُنْ يَدْرِي قَبْلَ ذَلِكَ قَالَ تَعَالى « وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا مَا كُنْتَ تَدْرِيْ مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنا وإِنَّكَ لَتَهْدِيْ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْم » .

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أَحْسَنَ قَوْمِهِ خُلُقاً وأَصْدَقَهُمْ حَدِيْثاً وأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً وأَبْعَدَهُمْ عَنْ الفُحْشِ والأَخْلاقِ الَّتِي تُدَنِّسُ الرِّجَالَ حَتَّى كَانَ أَفْضَلَ قَوْمِهِ مُرُوءَةً وأَكْرَمَهُمْ مُخَالَطَةً وَخَيْرَهُمْ جِوَاراً وأَعْظَمَهُمْ حِلْماً

وأَصْدَقهُمْ حَدِيْثاً فَسَمُّوْهُ الأَمِيْنَ .

لَما جَمعَ اللّهُ فِيْهِ مِنَ الأُمُوْرِ الصَّالِحَةِ الحَمِيْدَةِ والفِعَالِ السَّدِيْدَةِ مِنَ الحِلْمِ والصَّبْرِ والشُّكْرِ والعَدْلِ وَالتَّوَاضُعِ والعِفَّةِ والجُوْدِ وَالشَّجَاعَةِ والحَيَاءِ حَتَّى شَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ أَلَدُّ أَعْدَائِهِ النَّظْرُ بْنُ الحَارِثِ مِنْ بَنِيْ عَبْدِ الدّارِ حَيْثُ يَقُوْلُ قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيْكُمُ غُلاماً حَدَثاً أَرْضَاكُمْ فِيْكُمْ وأصْدَقُكُمْ حَدِيْثاً وأَعْظَمُكُمْ أَمَانَةً حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ فِي صُدْغَيْهِ الشَّيْبَ وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ قُلْتُمْ سَاحِرٌ لاَ وَاللّهِ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ .

قَالَ ذَلِكَ فِي مَعْرِضِ الاتِّفَاقِ عَلَى مَا يَقُوْلُوْنَهُ لِلْعَرَبِ الّذِيْنَ يَحْضُرُوْنَ المَوْسِمَ حَتَّى يَكُوْنُوْا مُتَّفِقِيْنَ عَلَى مَا يَقُوْلُوْنَهُ وَلَمَّا سَأَلَ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّوْمِ أَبَا سُفْيَانَ قَائِلاً هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُوْنَهُ بالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُوْلَ مَا قَالَ قَالَ لا فَقَالَ هِرَقْلُ مَا كَانَ لِيَدَعَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللّهِ وَرَدَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ صَحِيحِ البُخَارِيِّ .

ثَوَى فِي قُرَيْشٍ خَمْسَ عَشْرَةَ حَجَّةً
يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقاً مُوَاتِيَا
وَيَعْرِضُ فِي كُلِّ المَوَاسِمِ نَفْسَهُ
فَلَمْ يَرَى مَنْ يُؤْوِيْ وَلَمْ يَرَ دَاعِيَاً
فَلَمَّا أَتَانَا واطْمَأَنَّتْ بِهِ النَّوَى
وكنا لَهُ عَوْناً مِن اللّهِ بَادِيَا
يَقُصُّ لَنَا مَا قَالَ نُوحُ لِقَوْمِهِ
وَمَا قَالَ مُوسى إِذَا أَجَابَ المناديا

فأَصْبَحَ لا يَخْشَى مِنَ النّاسِ وَاحداً
قَرِيْباً ولا يَخْشَى مِن النـاسِ نَائِيَا
بَذَلْنَا لَهُ الأَمْوَالَ مِنَ جُلِّ مَالِنَا
وأَنْفُسَنَا عِنْدَ الوَغَى والتَّآسِيَا
نُعَادِي الذِي عَادَى مِن الناسِ كُلِّهِمْ
جَمِيْعاً وَلَو كَانَ الحَبِيْبَ المُوَاسِيَا
ونَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ
وأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَصْبَحَ هَادِيَا

اللَّهُمَّ اغفر لنا جَميعَ ما سَلَفَ مِنا من الذُّنُوب . واعْصِمْنَا فيما بَقى مِن أَعْمارنا ، ووَفقنا لِعَمَلٍ صَالحٍ تَرضَى به عنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين

« فَصْلٌ » وقال شَيْخُ الاسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ وقَدَ نَقل النَّاسُ صِفَاتِ النبي ﷺ الطَّاهِرَةَ الدَّالة عَلى كَمَالِهِ ونَقلُوا أَخلاقَهُ مِنْ حِلْمِهِ وشَجَاعَتِهِ وكَرَمِهِ وزُهْدِهِ وغَيرِهِ ونَحْنُ نَذْكُرُ بَعْضَ ذَلِكَ :

فَفِيْ الصَّحِيْحَيْنِ عنِ البَرَاءِ بنِ عازِبٍ قال كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ الناسِ وَجْهاً وَأَحْسَنَهُم خُلُقا لَيْس بالطَوِيْلِ الذَّاهِبِ ولا بالقَصِيْرِ وعَنْهُ قال كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْيدَ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ عَظِيْمَ الجُمَّةِ إلى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ عَلَيْهِ حُلَةَ حَمْرَاءَ ما رَأَيْتُ شَيْئاً قطُ أَحْسَنَ مِنْهُ .

وفي البخاري وسئِل البَرَاءُ أَكَانَ وَجْهُ رَسولِ الله ﷺ مِثْلُ السَّيْفِ قَالَ لا بَلْ مِثْلَ القَمَرِ وفي الصَّحِيْحَيْنِ مِنْ حَديثِ كَعْبِ ابنِ مالِكٍ قَالَ كَانَ النبيُ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ فِلْقَةُ قَمرٍ .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالِكٍ قال كَانَ رسولُ اللّهِ ﷺ ضَخْمُ الرَّأْسِ والقَدَمَيْنِ وَلَمْ أَرَ قَبْلَهُ ولا بَعْدَهُ مِثْلَهُ وكانَ بَسِيْطَ الكَفَيْنِ ضَخْمُ اليَدَيْنِ وَسُئِلَ عن شَعَرِهِ فقال كَانَ شَعْراً رَجِلاً لَيْسَ بالجَعْدِ ولا بالسَّبِطِ بَيْنَ أُذُنَيْهِ وعَاتِقِهِ .

وفي الصحيحين عن سِمَاكِ بن حَرْبٍ عن جابر بن سَمُرَةَ قال كان رسولُ اللّهُ ﷺ ضَلِيْعُ الفَمِ اشْكَلَ العَيْنَيْنِ مَنْهُوْسَ العقِبَيْنِ وفَسَّرهُما بنُ سِمَاكٍ بنُ حَرَبٍّ فقالَ وَاسِعَ الفَمِ طَوِيْل شِقِّ العَيْن قَلِيْلَ لَحْمِ العَقِبِ .

وفي الصَّحِيْحَيْنِ عن أنسٍ بن مالكٍ قال كَانَ رَسولُ اللّهِ ﷺ لَيْسَ بالطّوِيْلِ البَائِنِ ولابالقَصيْرِ وَلَيْسَ بالأَبْيَضِ الأَبْهَقِ ولا بالآدَمِ ولا بالجَعِدِ ولا بالسَّبِطِ .

وفي الصحيحين عنه قال كان رسولُ اللّهِ ﷺ أزْهَرَ اللَّوْنِ كَأَنَّ عَرَقَهُ اللُؤْلُؤُ إذا مَشَى تَكَفأَ وَمَا مَسْستُ دِيْبَاجَةً ولا حَرْيَرَةً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسُوْلِ اللّهِ ﷺ ورَوَى الدَّرامِيُ عن اِبنِ عباسٍ قال كانَ رسولُ اللّهِ ﷺ أَبْلَجَ الثَّنِيَّتَيْنِإذا تَكَلَّمَ رُؤِي النُوْرُ يَخْرُجُ مِن ثَنَايَاهُ

وعنَ أَنسٍ قَالَ دَخلَ عَلَيْنا رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَقَالَ عِنْدَنا ـ أَيْ نَامَ ـ فَعَرِقَ وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُوْرَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلِتُ العَرَقَ فِيْهَا فاسْتَيْقَظَ رسولُ اللّهِ ﷺ فَقَالَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ما هَذَا الذِي تَصْنَعِيْنَ قَالَتْ هَذا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ في طِيْبِنَا وإنه أَطْيَبُ مِن الَطِّيْبِ أخرجاه .

وَرَوَى الدَّارِمِيُ عن جابر قال رسولُ اللّهِ ﷺ لا يَسْلُكُ طَرِيْقاً فَيَتْبَعُهُ أَحَدٌ إلَّا عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ سَلَكَهُ مِن طِيْبِ عَرَقِهِ ﷺ .

وفي حديثِ أُمِّ مَعْبَدِ المَشْهُوْرِ لَمَّا مَرَّ بِهَا النَّبيُّ ﷺ في الهِجْرَةِ هُوَ وأَبو بَكْرٍ وَمَوْلاَهُ وَدَلِيْلُهُمْ وَجاءَ زَوْجُهَا فقَالَ صِفِيْهِ لِيْ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ فَقَالَتْ رَجُلاً ظَاهِرَ الوَضَاءَةِ حُلْوُ المَنطِقِ فَصْلٌ لا نَزْرٌ ولا هَذْرٌ كأنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتٌ نَظْمٍ يَتَحدَّرْنَ .

وذَكَرَ بَعْضُهُم زِيَادَةً عَلَى هَذَا قَالَ فِيه :

وفي وَصْفِ أُمِّ مَعْبَدٍ الخُزَاعِيَّةِ لِرَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ قالَ أَبُو مَعْبَدٍ لِزَوْجَتِهِ صِفِيْ لِيْ صَاحِبَ قُرَيْشٍ الذي يُطْلَبُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ قالَتْ رَأَيْتُ رَجُلاً ظاهِرَ الوَضَاءَةِ - أَيْ الحُسْنِ والنَّظَافَةِ مُبْتلِج الوَجْهِ - أَيْ مُشْرِقٌ ذَا نُوْرٍ - .

حَسَنُ الخُلُقِ لِمْ تَعْبهُ ثَجْلَةٌ - أَيْ لَيْسَ بَطْنُهُ ضَخْمٌ - وَلَمْ تُزْرِ بِهِ صَعْلَةٌ - أَيْ لَيْسَ رَأْسُهُ صَغِيرٌ - وَسِيْمٌ - أَيْ جَمِيْلٌ مُعْتَدِلُ القَامَةِ - في عَيْنَيْهِ دَعَجٌ - أَيْ شِدَّةُ سَوَادِ العَيْنِ مَعَ سَعَتِهَا - .

وفي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ - كَثْرَةُ شَعَرِ الحَاجِبْينِ - وفي صَوْتِهِ صَحَلٌ - صَوْتُهُ رَخِيْمٌ - أَحْوَرُ - شِدَّةُ بَيَاضِ العَيْنِ في شِدَّةِ سَوَادِهَا - أَكْحَلُ أَزَجُ - كَانَّ عَيْنَهُ مَكْحُوْلَةٌ وَإِنْ لَمْ تُكْحَلْ - دَقِيْقُ الحَاجِبْيَنِ في طُولٍ - أَقْرَنُ - مَقْرُوْنُ الحَاجِبَيْنِ - شَدِيْدُ سَوَادِ الشَّعَرِ في عُنُقِهِ سَطَحٌ - أَيْ ارْتِفَاعٌ وطُوْلٌ وفي لِحْيَتِهِ كَثَافَةٌ .

إذا صمَتَ فَعَلَيْهِ الوَقَارُ وإذا تَكَلَّم سَمَا - أَيْ أَرْتَفَعَ - وَعَلاَهُ البَهَاءُ - الحُسْنُ والجَمَالُ وكأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتٌ يَتَحَدَّرْنَ حُلْوُ المَنْطِقِ فَصْلٌ لا نَزْرٌ ولاَ هَذْرٌ - أَيْ لاَ عِيَّ فِيْهِ ولا ثَرْثَرَةَ أَجْهَرُ الناسِ وَأَجْمَلُهُم مِن بَعِيْدٍ وأَحْلاَهُمْ وأَحْسَنُهُمْ مِن قَرِيْبٍ .

رَبْعَةٌ لا تَشْنَؤُهُ من طُوْلٍ ولا تَقْتَحِمُهُ عَيْنُ مِن قِصَرٍ غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْن فَهُو أَنْظَرُ الثَّلاثَةِ مَنْظِراً وَأَحْسَنُهُمْ قَدْراً لَهُ رُفَقَاءُ يَحُصُونَ بِهِ إِذا قَالَ اسْتَمَعُوْا لِقَوْلِهِ وَإِذَا أَمَرَا تَبَادَرُوْا إلى أَمْرِهِ مَحْفُودٌ ـ أَيْ يُطِيْعُهُ أَصْحَابُهُ مُسْرِعِيْنَ ـ مَحْشُوْدٌ ـ يَجْتَمِعُوْنَ حَوْلَهُ .

اللَّهُمَّ أَلْهَمْنا ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وَوَفِقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالحين من خَلْقِكَ واغْفِرْ لَنَا ولِوالِدِاينا وجميع المسلمين بِرَحْمتك يا أرْحَم الرَّاحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين

« قِصَّةُ أَبِي أَيُّوْب الأَنْصَارِي »

أَبُو أَيُوْبَ الأَنْصَاري خَالدُ بنُ زَيْدِ الأَنْصَارِي ، شَهِدَ بَدْراً والعَقَبَةَ ، وَرَوَى مائَةً وخَمْسِيْنَ حَدِيْثاً ، مَاتَ بأَرْضِ الرُوْمِ غَازِياً سَنَة ٥٢ هـ ودُفِنَ إلى أَصْلِ حِصْنٍ بالقَسْطنْطِيْنِيَّةِ ، ولَهُ قِصَّةٌ يَحْلُوْ ذِكْرُهَا .

بَعْدَ مَا تَآمَرَتْ قُرَيْشٌ بدَارِ النَّدْوَةِ عَلَى قَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَاءَ جِبرِيْلُ عليهِ السلامُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأَخَبَرَهُ بَذَلِكَ وأَمَرَهُ أَنْ لَا ينامَ في مَضْجَعِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ .

وَجَاء رَسُولُ الله ﷺ إلى أَبي بَكْرٍ نِصْفَ النهارِ في سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِيْهِ فِيْهَا مُتَقَنِعاً فقال أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ فقالَ إِنَّمَا هُم أَهْلُكَ يا رَسُوْلَ اللَّهِ ، فقال رَسولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أذِنَ لِي في الخُرُوْجِ فقال أَبُو بَكْرٍ الصُحْبَةَ يا رَسُولَ الله ، قال نَعَمْ فقال أَبو بَكْرٍ فَخُذْ بِأَبُيْ أَنْتَ وَأُمِّي احْدَى الرَّاحِلَتَيْنِ ، فَقَالَ بالثَّمَنِ ، وأَمَرَ عَلِياً رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنْ يَبِيْتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ على فِرَاشِهِ ﷺ .

ومَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلى بَيْتِ أَبْيْ بَكْرٍ فَخَرَجا مِن خَوْخَةٍ في بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ لَيْلاً ، وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وأَبُوْ بَكْرٍ إلى غَارِ ثورٍ ، فَنَسَجَتِ العَنْكَبُوْتُ

على بَابِهِ ، وَحَامَ الحَمَامُ فوْقَ الغَارِ وَجدَّتْ قُرَيْشُ في طَلَبِهِمَا وأَخذُوْا مَعهُمُ القَافَةِ حَتَّى انْتهَوْا إلى بابِ الغَارِ ، فوَقفُوا عَلَيْهِ فلمَّا رَأوْا الحَمَامَ فوْقَهُ والعَنْكَبُوتَ قَدْ نَسجَتْ على بَابِهِ اسْتَبْعَدُوا ذَلِكَ جِدًّا وأَعْمَى اللَّهُ بَصائِرهُم وَأَبْصَارَهُمْ وفي ذلك يَقُولُ الشاعِرُ :

وَمَا حَوَى الغَارُ مِنْ خَيْرٍ ومِنْ كَرَمٍ
وكُلُ طَرْفٍ مِنَ الكُفَّارِ عَنْهُ عَمِيْ
ظَنُّوْا الحَمَامَ وظَنُّوْا العَنْكَبُوتَ عَلَى
خَيْرِ البَرِيَّةِ لَمْ تَنْسِجْ وَلَمْ تَحُمِ
وِقَايَةُ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ
مِنَ الدُرُوْعِ وعَنْ عَالٍ مِن الأُطُمِ

فقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحدَهُمْ نظَرَ إلى مَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصرَنَا ، فقالَ مَا ظَنُّكَ باثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا ، لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا وَكَانَا يَسْمَعَانِ كَلامَهُمْ إلا أَنَّ اللَّهَ عَمَّى عَلَيْهِمْ أَمْرَهُمَا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْر .

بَلَغَ النَّبيُ ﷺ المدِيْنَةَ ، فَتَلَقَتْهُ قُلُوبُ أَهْلِهَا بأَكْرَم ما يُتَلَقَى بِهِ وَافِدٌ ، وتَطَلَّعَتْ إِلَيْهِ عُيُوْنُهُمْ تَبُثُهُ شَوْقَ الحَبِيبِ إلى حَبْيْبِهِ ، وفَتَحُوْا لَهُ قُلُوْبَهُم لِيَحِلَّ مِنْهَا في سُؤ يْدَائِهَا ، واشرَعُوْا لَهُ أَبْوَابَ بُيُوْتِهِم لِيَنْزِلَ فِيْهَا أَعَزَّ مَنْزِلٍ ، فَكَانُوا يَخْرُجُونَ كُلَّ يَوْمٍ إِلى الحَرَّةِ يَنْتَظِرُوْنَهُ ، فإِذَا اشْتَدَّ حَرُّ الشمسِ رَجعُوا إِلى مَنَازِلِهِم .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَثْنَيْنِ ثَانِي عَشَرَ الأَوَّلِ عَلَى رَأْسِ ثَلاثَ عَشْرة سَنَةً مِن نُبُوَّتِهِ ﷺ خَرَجُوْا على عَادَاتِهِم فَلَمَّا حَمِيْتِ الشَّمْسُ رَجَعُوْا ، فَصَعِدَ رَجُلٌ من

اليَهُوْدِ على أُطُمٍ من آطامِ المدِيْنَةِ فَرآى رَسُولَ اللّهِ ﷺ وأصْحَابُهُ مُبَيضِيْنَ يَزُوْلُ بِهِمُ السَّرابُ ، فَصَرِخَ بأعْلَى صَوْتِهِ يا بَنِيْ قَيْلَةَ ، هَذَا صَاحِبُكَم هَذَا جَدُكُم الذِي تَنْتَظِرُوْنَهُ .

فَثَارَ الأَنْصَارُ إلى السِّلاَحِ ، لِيَتَلَقَوْا رَسُوْلَ اللّهِ ﷺ ، وسُمِعَتِ الوَجْبَةُ وَالتَّكْبِيْرُ في بَنِيْ عَمْرٍو وبنِ عَوْفٍ وكَبَّرَ المُسْلِمُونَ فَرَحاً وَسُرُوْراً بِقُدُوْمِهِ .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الجُمَعَةِ رَكِبَ فَأَدْرَكَتْهُ الجُمُعَةُ في بَنِيْ سَالِمٍ ابنِ عَوْفٍ فَصَلاَّهَا في المَسْجِدِ الذي في بَطْنِ الوَادِي ، فَكَانَتْ أَوَّلَ جُمُعَةٍ صَلاَهَا بالمَدْيْنَةِ ، ثَمَّ رَكِبَ نَاقَتَهُ فَجَاءَهُ سَادَاتُ يَثْرِبَ في طَرِيْقِهَا كُلُّ يُرِيْدُ أَنْ يَظْفَرَ بِشَرَفِ نُزُوْلِهِ ﷺ عِنْدَهُ .

فَأَتَاهُ عِتْبَانُ بنُ مَالِكِ ، وعَبَّاسُ بنُ عُبَادَةَ بنُ نَضْلَةَ في رِجَالٍ مِنَ بَنِيْ سَالِمِ بنِ عَوْفٍ ، فقَالُوا يَا رَسُولَ اللّهِ أَقِمْ عِنْدَنَا في العَدَدِ والعُدَّةِ والمَنَعَةِ قالَ (خَلُّوْا سَبِيْلَهَا فإِنَّهَا مَأمُوْرَةٌ) فخَلُّوا سَبِيْلَ نَاقَتِهِ ﷺ .

فانْطَلَقَتْ حَتَّى إِذَا وَازنَتْ دَارَ بَنِي بَيَاضَةَ تَلَقَّاهُ زِيَادُ بنُ لَبِيدٍ وَفَرْوَةُ بنُ عَمْروَ، في رِجَالٍ مِن بَنِيْ بَيَاضَةَ ، فقالُوا يا رَسُولَ اللّهِ هَلُمَّ إِلَيْنَا إِلى العَدَدِ والعُدَّةِ والمَنَعَةِ ، قالَ (خَلُّوْا سَبِيْلَهَا فإِنَّهَا مَأمُوْرَةٌ) فَخَلَّوْا سَبِيْلَهَا .

فانْطَلَقَتْ حَتَّى إذا مَرَّتْ بِدَارِ بَنِيْ سَاعِدَةَ اعْتَرَضَهُ سَعْدُ ابنُ عُبَادَةِ ، والمُنْذِرُ بنُ عَمرو ، في رِجَالٍ مِن بَنِي سَاعِدَةَ ، فَقَالُوا يا رَسُولَ اللّهِ هَلُمَّ إِلَيْنَا إِلى العَدَدِ والعُدَّةِ والمَنَعَةِ قالَ (خَلُّوْا سَبِيْلَهَا فإِنَها مَأمُوْرَةٌ) فخلوا سبيلها .

فانْطَلَقَتْ حَتَّى إِذَا وَازَانَتْ دَارَ بَنِي الحَرْثِ بْنِ الخَزْرَجِ اعْتَرَضَهُ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيْعِ وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فِي رِجَالٍ مِنْ بَنِيْ الحَرْثِ

بْنِ الخَزْجِ فقالُوْا يَا رَسُوْلَ اللَّهِ هَلُمَّ إِلَيْنَا إِلَى العَدَدِ والعُدَّةِ والمَنَعَةِ قَالَ (خَلُّوْا سَبِيْلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُوْرَةٌ) فَخلُوا سَبِيْلَهَا .

فَانْطَلَقَتْ حَتَّى إِذَا مَرَّتْ بِدَارِ بَنِي عَدِيّ بْنِ النَّجّارِ وَهُمْ أَخْوَالُهُ دُنْيَا أُمِّ عَبْدِ المُطَّلِبِ سَلْمَى بِنْتِ عَمْرٍو وإِحْدَى نِسَائِهِمْ اعْتَرَضَهَا سَلِيْطُ بنُ قَيْسٍ وَأَبُوْ سَلِيْطٍ أُسِيْرُهُ بنُ أبِي خَارِجَةَ في رِجَالٍ مِنْ بَنِي عَدِيّ بْنِ النَّجّارِ فَقَالُوْا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى أخْوالِكَ إلى العَدَدِ والعُدَّةِ والمَنَعَةِ قَالَ (خَلُوْا سَبِيْلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُوْرَةٌ) فَخلُوا سَبِيْلَهَا .

فَانْطَلَقَتْ حَتَّى إذا أَتَتْ دَارَ بَنِيْ مَالِكِ بْنِ النَّجّارِ بَرَكَتْ عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ ﷺ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مِرْبَدٌ - المَوْضِعُ الّذِيْ يُجَفّفُ فِيْهِ التَّمْرُ - لِغُلَامَيْنِ يَتِيْمَيْنِ مِنْ بَنِيْ النَّجارِ ثُمَّ مِنْ بَنِي مَالِك بنِ النَّجّارِ فِي حِجْرِ مُعَاذِ بْنِ عَفْراءَ : سَهْلٌ وسُهَيْلٌ ابْنَيْ عَمْرو فَلَمَّا بَرَكَتْ وَرَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْها لَمْ يَنْزِلْ وَثَبَتْ فَسَارَتْ غَيْرَ بَعِيْدٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ واضِعٌ لَهَا زِمَامَهَا لَا يَثْنِيْهَا بِهِ .

ثُمَّ الْتَفَتَتْ إلى خَلْفِهَا فَرَجَعَتْ إِلَى مَبْرَكِهَا أَوَّلَ مَرّةٍ فَبَرَكَتْ فِيْهِ ثُمَّ تَحَلْحَلَتْ - أيّ تَحرّكَتْ - وَرَزَمَتْ - أيّ رَغَتْ وَرَجَّعَتْ فِي رُغَائِهَا وَوَضَعَتْ جِرَانَهَا فَنَزَلَ عَنْهَا ﷺ .

فَاحْتَمَلَ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ رَحْلَ النَّبِيِّ ﷺ وكَأَنَّما يَحْمِلُ كُنُوزَ الدُّنْيَا مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ وَالسُّرُوْرِ وبَادَرَ أَبُو أَيُّوبَ يُرَحِّبُ بِرَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ قالَ أَبُوْ أَيُّوبَ لَمَّا نَزَلَ عَلَيَّ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ في بَيْتِي نَزَلَ في السُّفْلِ وَأَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ فِي العُلُوِّ فَقُلْتُ لَهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنِّي لَأَكْرَهُ وأُعْظِمُ أَنْ أَكُوْنَ

فَوْقَكَ وَتَكُوْنَ تَحْتِيْ فَاظْهَرْ أَنْتَ فَكُنْ فِي العُلُوِّ وَنَنْزِلُ نَحْنُ فَنَكُنْ فِي السُّفْلِ .

فَقَالَ يَا أَبَا أَيُّوبَ ارْفَقْ بِنَا وبِمَنْ يَغْشَانَا أَنْ نَكُوْنَ فِي سُفْلِ البَيْتِ قَالَ فَكَانَ رَسُوْلُ اللّهِ ﷺ فِي سُفْلِهِ وكُنَّا فَوْقَهُ فِي المَسْكَنِ فَلَقَدْ انْكَسَرَ حِبٌّ لَنَا فِيْهِ مَاءٌ فَقُمْتُ أنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيْفَةٍ لَنَا مَا لَنَا لِحَافٌ غَيْرُهَا نُنَشِّفُ بِهَا الماءَ تَخَوُّفاً أَنْ يَقْطُرَ عَلَى رَسُوْلِ اللّهِ ﷺ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِيْهِ .

قَالَ وَكُنَّا نَصْنَعُ لَهُ العَشَاءَ وَنَبْعَث بِهِ إِلَيْهِ فإِذَا رَدَّ عَلَيْنَا فَضْلَةً تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوْبَ مَوْضِعَ يَدِهِ فَأَكَلْنَا مِنْهُ نَبْتَغِي بِذَلِكَ البَرَكَةَ حَتَّى بَعَثْنَا إِلَيْهِ لَيْلَةً بِعَشَائِهِ وَقَدْ جَعَلْنَا لَهُ فِيْهِ بَصَلاً أَوْ ثُوماً فَرَدَّهُ رَسُوْلُ اللّهِ ﷺ وَلَمْ أَرَ لِيَدِهِ فِيْهِ أَثَراً قَالَ فَجِئْتُهُ فَزِعاً فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللّهِ بِأَبِيّ وَأُمِّيْ رَدَدْتَ عَشَاءَكَ وَلَمْ أَرَى فِيْهِ مَوْضِعَ يَدِكَ وَكُنْتُ إِذَا رَدَدْتَهُ عَلَيْنَا تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِكَ نَبْتَغِي بِذَلِكَ البَرَكَةَ قَالَ إِنِّيْ وَجَدْتُ فِيْهِ رِيحَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وأَنَا رَجُلٌ أُنَاجِيْ فَأَمَّا أَنْتُم فَكُلُوْهُ قَالَ فَأَكَلْنَاهُ وَلَمْ نَصْنَعْ لَهُ تِلْكَ الشَّجَرَةِ بَعْدُ .

شِعْرا :

إِلَى مَوْلَاكَ سَلِّمْ كُلَّ أَمْرٍ … تَفُزْ فِي كُلِّ صُبْحٍ أَوْ عَشِيِّ
وصُنْ مِنْكَ الفُؤَادَ بِحُسْنِ سَيْرٍ … بِإِخْلاصٍ على النَّهْجِ السَّوِيِّ
ومِنْ مَوْلاكَ أُطْلُبْ مَنْحَ فَضْلٍ … تَنَلْ مِنْهُ صَفَا العَيْشِ الهَنِيِّ
وأَكثِرْ مِنْ صَلاتِكَ مَعْ سَلامٍ … على أَسْمَى نَبِيٍّ هَاشِمِيِّ
صَلاةُ اللهِ يَتْلُوهَا سَلامٌ … عليهِ دَامَ كَالمِسْكِ الزَّكِيِّ

اَللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأبْرار وأَسْكِنَّا مَعَهُمْ في دار القرارَ ، اللَّهُمَّ وفقنا بِحُسْنِ الاقبالِ عليك والإِصْغَاءِ إليك ووَفِّقْنَا للتَّعاوُنِ في طَاعَتِكَ والمُبَادَرَةِ إلى خِدْمَتِكَ وحُسْنِ الآدابِ في مُعَامَلَتِكَ والتَّسليم لأمْرِكَ والرِّضا

بقضائِكَ والصَّبْرَ على بَلائِك والشُّكْرِ لِنعْمَائِكَ ، واغفرْ لَنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتِكَ يا أرْحَمَ الراحمين وصلى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ أجمعين .

« موعظة »

عِبَادَ اللّهِ إنَّ الإنْسَانَ مِنَّا كَمَا عَلِمْتُمْ مُعَرَّضٌ لِلأذَى وَالإسَاءَةِ والإهَانَةِ وَعُرْضَةٌ لِلأخْطَارِ ، والمُهْلِكَات ، فَمَنَحَهُ اللّهُ قُوَّةً يَدْفَعُ بِها الإهَانَةَ ، ويَدْفَعُ بِهَا الخَطَرَ ، وَيَنْجُوْ بِهَا بِإِذْنِ اللّهِ مِن الهَلاكِ ، هِيَ قُوَّةُ الغَضَبِ والحَمِيَّةِ .

وَخُلِقَ الغضَبُ مِنَ النَّارِ ، فَتَسَلَّطَ الشَّيْطانُ عَلَيْنا مِنْ هَذا الطَّرِيْق وَرَكِبَنا وقْتَ الغضَبِ ، حَتَّى صَارَ النّاسُ فِي غَضَبِهِمْ حَمْقى مُتَهَوِّرِيْنَ ، وسُفَهاءَ طَائِشِيْنَ .

فَكرِهَ النّاسُ الغَضَبَ لِذَلِكَ ، واصْطَلَحُوْا على ذَمِّهِ مُطْلَقا ، وَهَذا خَطأٌ فَظِيْعٌ وَخَلْطٌ لا يَجُوْزُ ، فَلَيْسَ كُلُّ غَضَبٍ مَذْمُوْم وَلاَ كُلُّ حِلْمٍ بِمَمْدُوْحٍ ، واللّهُ جَلَّ وَعَلاَ لاَ يَخْلُقُ لَنا طَبْعاً إلاَّ لِحكمةٍ ، وَلاَ يُركِّبُ فِيْنا قُوّةَ الحَمِيَّةِ والغَضَبِ إلاّ لِسَبَبٍ وحِكْمَةٍ .

فَالأذَى إِذَا جَاءَنَا لاَ يُدْفَعُ إلاّ بالغَضَبِ ، والشَّرُّ إِذَا نَالَنا لاَ يُدْفَعُ إلاّ بالغَضَبِ ، وحِمَايَةُ الدِّيْنِ والأعْرَاضِ والشَّرَفِ والكَرَامَةِ لاَ تُدْفَعُ إلاّ بِالغضَبِ لِلْحَقِّ ، فَمَنْ فقَدَ قُوَّةَ الغضَبِ بالكُلّيَةِ ، أَوْ ضَعُفَتْ فِيْهِ الحَمِيَّةُ فَهُوَ نَاقِصٌ مَحْلُولُ العَزْمِ ، مَفْقُوْدُ الحَزْمِ ، مَعدُوْمُ الرُّجُوْلَةِ .

وَقَدْ امْتَدَحَ اللّهُ غَضَبَ المُؤْمِنِيْنَ عَلَى الكُفَّارِ ، وحَمِيَّتَهُمْ الدِّيْنِيَّةِ ، لِمَا لَهُ مِن أثَرٍ في اعْلاءِ كَلِمَةِ اللّهِ ، فَقَالَ تَعالى « أشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ » .

وقال « أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِيْنَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِيْنَ » وقَالَ « ولْيَجِدُوْا فِيْكُمْ غِلْظَةً » .

وأَمَرَنَا بِالغَضَبِ إِذَا انْتُهِكَتْ حُرْمَةُ الدِّيْنِ ، والغَيْرَةِ عَلَى حُدُوْدِ اللّهِ ، فَقَالَ فِي الزُّنَاةِ « وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِيْنِ اللّهِ إِنْ كُنْتُم تُؤْمِنُون بِاللّهِ واليوم الآخِر » .

فَمَنْ فقَدَ قُوَّةَ الغضَبِ ، يُصْبِحُ جَبَاناً ، ضَعِيْفاً ، وَذَلِيْلاً حَقِيْراً لاَ يَأنَفُ مِنَ العَارِ ولاَ يهُمُّهُ ، وَلاَ يَتَأَلَّمْ لأَذَى السُّفَهَاءِ ، يَتَطَاوَلُ السُّفَهَاءُ والفَسَقَةُ على حَرَمِهِ ، فَلا يَغَارُ لِعِرْضٍ ، ولاَ يَغْضَبُ لِشَرَفٍ ، فَيَكُوْنُ تَيْساً فِي صُوْرَةِ إِنْسَانٍ ، وجَمَاداً لاَ إِحْسَاسَ لَهُ ، وَلا شُعُوْر .

وَلَيْسَ مِنَ الحِلْمِ فِي شَيْءٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ جُبْنٌ ، وخَورٌ ، وَذِلَّةٌ وَقَدْ وَرَدَ عَنْ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ دَيُّوْثٌ ، قَالُوْا وَمَا الدَّيُّوْثُ يَا رَسُوْلَ اللّهِ قَالَ الّذِي لاَ يَغَارُ عَلَى أَهْلِهِ .

وَقَالَ سَعْدُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللّهِ لَوْ وَجَدْتُ مَعَ أَهْلِيْ رَجُلاً أَمْهِلُهُ حَتَّى آتِي بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَقَالَ ﷺ نَعَمْ ، فَقَالَ كَلاَّ وَالّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ ، إِنْ كُنْتُ لأُعَاجِلُهُ بالسَّيْفِ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ ﷺ اسْمَعُوْا إِلَى مَا يَقُوْلُ سَيِّدُكُمْ ، إِنَّهُ لَغَيُّوْرٌ وأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ واللّهُ أَغْيَرُ مِنِّيْ .

وَإِذَا لَمْ يَغْضَبِ الإِنْسَانُ لِعِرْضِهِ ، ضَاعَتْ الأَنْسَابُ ، واخْتَلَطَتِ الأَوْلاَدُ ، وَكُلُّ أُمَّةٍ تَمُوْتُ الغَيْرَةُ فِيْهِمْ لاَ بُدَّ وأَنْ تَضِيْعَ العِفَّةُ ، والصِّيَانَةُ مِنْ نِسَائِهَا ، وَهَذَا هُوَ الضَّعْفُ ، والخَورُ ، والعَجْزُ ، وَالجُبْنُ ، الّذِي اسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيّ ﷺ ، وَكَيْفَ تَذُمُّ رَجُلاً يَغْضَبُ لِدِيْنِهِ ، إِذَا رَأى المُنْكَرَاتِ ، وَقَدْ أُمِرَ بِمُحَارَبَتِهَا وكَيْفَ يُصْلِحُ المَرْءُ عُيُوْبَ نَفْسِهِ ، إِذَا لَمْ يَغْضَبْ عَلَيْها ، ويَشْتَدُّ فِي رَدِّهَا عَنْ هَوَاهَا .

أَمَّا الغَضَبُ المَذْمُوْمُ فَهُوَ الّذِي يُعْمِيْ صَاحِبَهُ عَن الحَقِّ ، ويُفْقِدُهُ بَصَرَ البَصِيْرَةِ ، والفِكْرِ فَتأخُذُهُ العِزَّةُ بالإِثْمِ ، ويُعْرِضُ عَن النُّصْحِ إِذَا نُصِحَ ، وَرُبَّمَا زَادَ هَيْجَاناً ، وإِذَا رُوْجِعَ في قَوْلٍ ازْدَادَ سُخْطاً ولِجَاجاً .

وَقَدْ يَحْدُثُ مِنْهُ ضَرَرٌ عَلَى مَنْ حَوْلَهُ ، وتَجِدُهُ مُتغَيّراً لَوْنُهُ ، مُرْتَعِشَةً أَعْضَاؤُهُ ، زَائغاً بَصَرُهُ ، وكَالأَعْمَى يَسُبُّ الجَمَادَ ، والحَيوانَ ، ويَبْطِشُ بِكُلِّ مَا يُصَادِفُهُ ، حَتَّى إِنَّهُ يُتْلِفُ الأَثَاثَ ، وَالرِّيَاشَ ، ورُبَّمَا لاَ يَشْفِيْ غَلّةً ، وَقَدْ يَحْدُثُ مِنْهُ طَلاَقٌ ، ولَعْنٌ وَسَبٌّ ، وشَتْمٌ ، فَهَذا غَضَبٌ مَذْمُوْمٌ قَبِيْحٌ مَرْذُوْلٌ يَنْتَصِرُ فِيْهِ إِبْلِيْسُ عَلَى هَذَا الّذي لاَ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْد الغَضَبِ كَمَا قِيْلَ :

وَمَا غَضَبُ الإِنْسَانِ إِلاَّ حَمَاقَةٌ
إِذَا كَانَ فِيْمَا لَيْسَ لِلّهِ يَغْضَبُ

ومِثْلَ هَذَا الغَضَبِ يَهْدِمُ الجِسْمَ ، ويُتْلِفُ الصِّحَّةَ ، ويَحْرِمُ صَاحِبَهُ الرَّاحَةَ والهَنَاءَ وَيَجْعَلُ نَظْرَتَهُ إِلَى الحَيَاةِ مُظْلِمَةً سَوْدَاءَ فالتَّفْرِيْطُ فِي الغَضَبِ ضَعْفٌ ، والإِفْرَاطُ تَهُورٌ وجُنُوْنٌ ، والمَحْمُوْدُ مِنْهُ الوَسَطُ والاعْتِدَالُ والقَصْدُ المَحْمُودُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ غَضَبُكَ لِلدِّيْنِ فَإِذَا اعْتَدَى قَوْمٌ عَلَى الإِسْلامِ بالطَّعْنِ والتَّشْهِيْرِ أَوْ التَّشْكِيْكِ فِي العَقَائِدِ كَمَا يُحاوِلُ المُلْحِدُوْنَ وَكَمَا يَفْعَلُ المُبَشِّرُونَ فَيَجِبُ أَنْ تَغْضَبَ عَلَيْهِم انْتِصاراً لِدِيْنِنا وَدِفاعاً عَنْ شَرْعِنَا .

وَمِنَ الغَضَبِ المَحْمُودِ الغَضَبُ عَلَى مَنْ تَعَدَّى عَلى بِلاَدٍ إِسْلامِيَّةٍ أَوْ تَعَدَّى عَلَى مُسْلِمٍ أَوْ مَدَحَ غَيْرَ الدِّيْنِ الإِسْلامِيْ أَوْ ذَكَرَ اللّهَ أَوْ كِتَابَهُ أَوْ مَلاَئِكَتَهُ أَوْ رُسُلَهُ بِسُوْءٍ أَو سَبَّ صَحَابِيّاً أَوْ إِمَاماً مَشْهُوْراً بالتُّقى وَالوَرَعِ

والاسْتِقَامَةِ أَوْ طَعَنَ في رِجَالِ الدِّيْنِ لأَجْلِ دِيْنِهِمْ أَوْ كَذَبَ عَلَى اللّهِ أَوْ عَلَى رُسُلِهِ أَوْ أَحَلَّ شَيْئاً مِنَ المُحَرَّمَاتِ أَوْ حَرَّمَ شَيْئاً مِمَّا حَلَّلَهُ اللّهُ أَوْ اسْتَهَانَ بِكِتَابِ اللّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُوْلِهِ ﷺ أَوْ كُتُبِ أَهْلِ العِلْمِ المُحَقِّقِيْنَ مِثْلُ الإِمَامِ أَحْمَدَ والشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وأَبِي حَنِيْفَةَ والمُوَفَّقِ والمَجْدِ وابْنِ أَبِي عُمَرَ وَشَيْخِ الإِسْلامِ وابْنِ القَيِّمِ وابْنِ كَثِيْرٍ وابْنِ رَجَبَ وابْنِ مُفلحٍ ونَحْوِهِمْ مِنَ العُلَمَاءِ المَشْهُوْرِيْنَ بالاسْتِقَامَةِ والبُعْدِ عَنِ البِدَعِ وكَأَئِمَّةِ الدَّعْوَةِ .

ومِنَ الغَضَبِ المَحْمُوْدِ الغَضَبُ عَلَى مَنْ مَدَحَ الكَفَرَةَ والمُنَافِقِيْنَ وأئمة الضَّلالِ والحَيَارَى كابنِ عَرَبِيّ وابْنِ رُشْدٍ وَالفَارَابِيّ وابْنِ سِيْنَا وَابْنِ كُلَّابٍ والعَفِيْفِ التِّلْمُسَانِيّ وابْنِ سَبْعِيْنَ وابْنِ الفَارِضِ وابْنِ الرَّاوَنْدِي والكَوْثَرِي والبُوْصِيْرِي والمَعَرّي ونَحْوِ هؤُلاءِ مِنَ المُلاحِدَةِ والزَّنَادِقَةِ والمُبْتَدِعَةِ والفَسَقَةِ والظُّلمَةِ وأعْوانِهِمْ .

ومِنَ الغَضَبِ المَحْمُودِ الغَضَبُ عَلَى مَنْ ابْتَدَعَ فِي الدِّيْنِ بِدَعاً أَوْ نَشَرَهَا أَوْ دَعَا إِلَيْهَا أَوْ مَدَحَ مُحَلِّلِيْهَا أَوْ مَدَحَ الكُفَّارَ أَوْ مَدَحَ المَلاهِي والمُنْكَرَاتِ الَّتِي حَطَّمَتِ الأَخْلاقِ وَقَضَتْ عَلَيْهَا وأتْلَفَتِ الأَمْوَالِ وَقَتَلَتِ الأَوْقَاتَ وَأَوْرَثَتِ الخَلْقَ أَفَانِيْنَ العَدَوَاتِ وأحْدَثَتِ التَّفَرُّقَ فِي البُيُوْتِ والقُلُوْبِ .

شِعْرا :

« إِنَّ المَلاهِيَ أَلْقَتْ بَيْنَنَا إِحَنـاً
وَأَوْرَثَتْنَـا أَفَـانِيْنَ الـعَـدَوَاتِ »
« وَهَلْ أُصِيْبَ شَبَابُ اليَوْمِ وانْحَرَفُوا
إِلَّا بِتَقْلِيْدِ أَصْحَابِ الضَّلالاتِ »

« مِنْ كُلِّ أَهْوَجَ لَا دِيْنٌ وَلَا أَدَبٌ
وَلَا حَيَاءٌ وَمَعْدُوْمُ الـمُـرُوءاتِ »
« يَرَى التَّمَدُّنِ فِي تَطْوِيْلِ شَارِبِهِ
وَحَلْقِ لِحْيَتِهِ مِثْلَ الخَوَاجَاتِ »
« يُقَلِّدُ الكُفْرَ فِي تَطْوِيْلِ أَظْفُرِهِ
أَقْبِحْ بِهِ مِنْ سَفِيْهٍ سَاقِطٍ عَاتِ »

اللَّهُمَّ قَوِّي إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وبِكُتُبِكَ وبِرُسُلِكَ وبِاليَوْمِ الآخِرِ وبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِلهِدَايَةِ وَجَنِّبْنَا أَسْبَابَ الجَهَالَةِ والغِوَايَةِ اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى الإِسْلامِ والسُّنَّةِ وَلَا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّاب ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحيَاءِ مِنْهُمْ والمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْن .

(فصــل)

ومِنْ وَفَائِهِ ﷺ مَا أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيْحِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيْجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا .

وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا في صَدَائِقِ خَدِيْجَةَ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ في الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إلا خَدِيْجَةَ فَيَقُوْلُ إِنَّها كَانَتْ وَكَانَ لِيْ مِنْهَا وَلَدٌ ، كَانَتْ خَدِيْجَةُ رَضِيَ الله عنها في الجَاهِلِيَّةِ سَيِّدَةً وَقُوْرةً ذات عَقْلٍ رَزْينٍ وصَاحَبَةَ مَالٍ وَيَسَارٍ وجاهٍ وشَرَفٍ تَسْتَأْجِرُ الرِّجَالَ في مَالِهَا وَتُضَارِبُهُمْ إِيَّاهُ .

فَلَمَّا وَقَعَ في سَمْعِهَا مَا يَتَحدَّثُ بِهِ الناسُ وَيَتَنَاقَلُهُ العَارِفُونَ عن المُصْطَفَى ﷺ مِن الوَفاءِ والصِّدْقِ والأَمانةِ والنُصْحِ وحُسْنِ السِّيْرَةِ وكَرِيْمِ الشَّمَائِلِ والسَّخَاءِ ونَحْوِ ذَلِكَ مِن مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ ومَحَاسِنِ الشِّيمِ مَا لَمْ تَسْمَعْهُ عَنْ غَيرِهِ حَتَّى سَمَّاهُ قَوْمُهُ الأَمِيْنَ اسْتأجَرْتْهُ لِيَخْرُجَ في مَالِهَا تَاجِراً وتُعْطِيْهِ أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تُعْطِيْ غَيْرَهُ .

فَسَافَرَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسلام بقَصْدِ الاتِّجَارِ إِلَى الشَّام يَصْحَبُهُ غُلاَمُهَا مَيْسَرَةُ فَبَاعَا وابْتَاعَا وَرَبِحَا رِبْحاً عَظِيْماً وَظَهَرَ لَهُ ﷺ في هَذِهِ السَّفرةِ مِن البَرَكَاتِ وإِفَاضَةِ الخَيْرَاتِ الشيءُ الكثيرُ وجَعَلَ اللَّهُ حُبَّهُ في قَلْبِ غُلاَمِهَا مَيْسَرَةَ وأُعْجِبَ بِمَا شَاهَدَهُ مِنْهُ .

وكَانَتْ سِنُّهُ ﷺ في هَذِهِ السَّفْرَةِ خَمْساً وعِشْرِينَ سَنَةً وهِيَ السَّفْرَةُ الثانِيَةُ مِن اسْفَارِهِ إِلى الشَّامِ وَلَمَّا رَجَعَ قَافِلاً مِن الشَّامِ وقَدِمَ مَكَّةَ وَرَأَتْ خَدِيْجَةُ ما وَفقَهُ اللَّهُ له مِن رِبْحٍ كانَ عَلَى يَدَيْه وَبرَكَاتٍ وَفِيْرَةٍ .

وَمَا أَتْحَفَهَا بِهِ غُلاَمُهَا مَيْسَرَةُ مِمَّا شَاهَدَهُ مِن حُسْنِ سِيْرَتِهِ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ على يَدَيْهِ مِن البَرَكَاتِ كُلُّ ذَلِكَ حَفَزَهُ في نَفْسِ خَدِيْجَةَ وَحَبَّبَهُ إِلَيها فَلَمْ تَتَمَالَكْ نَفْسُهَا وكَانَ سِنُّهَا نَحْوُ الأَرْبَعِيْنَ سَنَةً وهِيَ كَمَا وَصَفْنَا وَأَضْعَافِ مَا وَصَفْنَا مِن كَرَامَةِ مَحْتَدِهَا وَشَرَفِ حَسَبِهَا وحُسْنِ سِيْرَتِها رضي اللَّهُ عَنهَا .

فَأَرْسَلَتْ إِلى رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ تَخْطُبُهُ لِنَفْسِهَا فَقَامَ ﷺ يُنْجِزُ رَغْبَتَهَا ويُجِيْبُ طِلْبَتَهَا واسْتَدْعَى أَعْمَامَهُ حَتَّى دَخَلَها على عَمِّهَا عَمْرِو بنِ أَسَدٍ فَخَطَبَهَا مِنه بِوَاسِطَةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ فَزَوَّجَهَا عَمُّهَا .

ثم قَامَ أَبُو طَالِبِ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خطِيباً فَقَالَ الحَمْدُ لِله الذِي جَعَلَنَا

مِن ذُرِّيةِ إبراهِيْمَ وزَرْعِ اسْماعِيْلَ وضِئْضِيءِ مَعَدٍ وعُنْصُرِ مُضَرٍ وَجعَلَنا حَضنَةَ بَيْتِهُ وَسُوَّاسَ حَرَمِهِ وَجعَل لنا بَيْتاً مَحْجُوْجاً وَحَرماً آمِناً وَجعَلَنا حُكّامَ الناسِ .

ثُمَّ إِنَّ أبنَ أَخِيْ هَذَا مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ لا يُوْزَنُ بِهِ رَجُلٌ شَرَفاً وَنُبْلاً وَفضْلاً وَإِنْ كَانَ في المالِ قِلٌّ فإنَّ المالَ ظِلٌّ زَائِلٌ وَأَمْرٌ حَائِلٌ وعَارِّيةٌ مُسْتَرَدَّةٌ وهُوَ وَاللّهِ بَعْدَ هَذَا لَهُ نَبأٌ عَظِيْمٌ وخطرٌ جَلِيْلٌ وَقَدْ خَطَبَ إِلَيْكُمْ رَغْبَةً في كَرِيْمَتِكُم خَدِيْجَةَ وقَدْ بَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ كَذَا وعَلَى ذَلكَ تَمَّ الأَمْرُ .

وَلَمَّا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بالِّرسَالَةِ وشَرَّفَهُ بالنُبُوَّةِ كَانتْ خَدِيْجَةُ رَضْيَ اللَّهُ عَنْهَا أَسْرَعَ الناسِ بِهِ إِيْمَاناً ولِدَعْوَتِهِ تَصْدِيْقاً ولَهُ إجَابَةً وَلَم تَنْتَظِره آيةً أُخْرَى زِيَادَةً على مَا عَلِمَتْهُ مِن مَكَارِمِ أَخْلاَقِهِ ﷺ وما سَمِعَتْ مِن خَوَارِقِ العَادَاتِ التِي كانَتْ تَظْهَرُ عَلَى يَدَيْهِ .

وَأَوَّلُ شَيْءٍ بُدِيءَ بِهِ الوَحْيُ الرُّؤْيا الصَّادِقَةُ فَكَانَ لاَ يَرى رُؤْياً إلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِليْهِ الخَلاَءُ وَالعُزْلَةُ عَنِ البَشَرِ فَكانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَا فيَتَعَبَّدُ فِيْهِ اللَّيالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ فَتَارَةً يَمْكُثُ عَشَرَةً وتَارَةً أَكْثَرَ إلى شَهْرٍ .

وَكَانَتْ عِبادَتُهُ إِذْ ذَاكَ عَلَى الشَّرِيْعَةِ الحَنِيْفِيَّةِ دِيْنِ أَبِيهِ إبراهِيمَ عَلَيهِ السَّلامُ ويَأْخُذُ زَادَهُ فَاذَا نَفَدَ رَجَعَ إلى خَدِيْجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَ مُبَلِّغُ الوَحْيِ ومَلَكُ السَّمآءِ جَبْرِيْلُ عليهِ السلامُ فَبَيْنَما هُوَ قَائِمٌ عَلَى الجَبَلِ إِذْ فَاجَاءَهُ جِبْرِيلُ وَقال أَبْشِره يا مُحَمَّدُ أَنَا جِبرِيْلُ وَأَنْتَ رَسُوْلُ اللَّهِ إلى هَذِهِ الأُمَّةِ .

ثُمَّ قالَ لَهُ اقْرَأْ قالَ مَا أَنَا بِقَارِيءٍ يُرِيْدُ بذَلِكَ أَنَّهُ أُمِّيٌّ لَمْ يَتَعَلَّمِ القِرَاءَةَ مِن قَبْلُ فَأَخذَهُ فَغطَّهُ بِالنَّمَطِ الذِي كانَ يَنَامُ عليهِ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الجُهْدَ ثم أَرْسَلَهُ فَقَالَ لَهُ اقْرَأْ قال مَا أَنا بِقَارِيءٍ فأَخذَهُ فغطَّهُ ثَانِيَةً ثُمَّ أَرْسَلَهُ فَقالَ اقْرَأْ قالَ مَا أَنَا

بِقَارِيءٍ فَأَخَذَهُ فَغَطَّهُ الثَّالِثَةَ فقَالَ « اِقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ خَلَقَ الانْسَانَ مِن عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُكَ الأكْرَمُ الذِي عَلَّم بالقَلَمِ عَلَّمَ الانسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .

فَرَجَعَ عَلَيه السلامُ مَذْعُوراً خَائفاً يَرْجُفُ فُؤَادُهُ ولاَ يَتَمالَكُ نَفْسَهُ مِن هَوْلِ المَنْظَرِ وشِدَّةِ مَا أَلَمَّ بِهِ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيْجَةَ زَوْجَتِهِ فقَالَ « زَمِّلُونِي زَمِّلُوْنِي » أيْ لُفُّوْنِيْ في ثَوْبِيْ ، ليَزُوْلَ عَنْهُ مَا يَجِدُ مِن الرُّعْبِ والقُشَعْرِيْرَةِ التِي انْتَابَتْهُ مِن رُؤْيَةِ المَلَكِ فزَمَّلُوْهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الخَوْفُ .

فَذَكَرَ لِخَدِيْجَةَ الأَمْرَ وأَخْبرَهَا قَائِلاً لَقَدْ خَشِيْتُ عَلَى نَفْسِيْ مِن شِدَّةِ مَا أَصَابَنِي مِن غَطِّ المَلَكِ لِيْ ولَمْ يَكُنْ عَلَيهِ الصلاةُ والسلامُ يَعْرِفُ شَيْئاً عن جِبْرِيْلَ وَوَصْفِهِ وأَشْكَالِهِ ، فأَجَابَتْهُ خَدِيْجَةُ رضي اللَّهُ عنها على الفَوْرِ وَوَقَفَتْ ذَلَكَ المَوْقِفَ المُشَرِّفَ في تَثْبيْتِ فُؤَادِهِ وتَهْدِئَةِ أَعْصَابه وتَقْوِيَةِ دَوَاعِي الأَمَلِ فيهِ قَائِلَةً كَلاَّ واللَّهِ لا يُخْزِيْكَ اللَّهُ أَبَدَا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وتَحْمِلُ الْكَلَّ وتَكْسِبُ المَعْدُوْمَ وتَقْرِيْ الضَّيْفَ وتُعِيْنُ علَىَ نَوائِبِ الحَقِ فلاَ يُسَلِطُ اللَّهُ عليكَ الشَياطِينَ والأَوْهَامَ ولا مِرَاءَ أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَكَ لِهِدَايَةِ قَوْمِكَ .

ثُمَّ لَمْ تَكْتَفِ بِهذَا القَدْرَ مِن القَوْلِ بَلْ أَرَادَتْ أَنْ تَتَثَبَّتَ مِمَّنْ لَهُمْ عِلْمٌ بحَالِ الرُسُلِ واطِّلاَعٌ عَلَى أَخْبَارِهِمْ بِمَا قَرَؤُهُ في الكُتُبِ القَدِيْمَةِ فانْطَلَقَتْ بِهِ إلى وَرَقَةَ بنِ نَوْفَلٍ وهُوَ ابنُ عَمِّهَا وكَانَ امْرأً قَدْ تَنَّصرَ في الجَاهِلِيَّةِ وكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العَبْرَانِي فَيَكْتُبُ مِن الانْجِيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أنْ يَكْتُبَ وكان شَيْخاً كَبِيْراً قَدْ عَمِيَ .

فَقَالَتْ لَهُ خَدِيْجَةُ يا بنَ عَمِّ اسْمَعْ مِن ابْنِ أَخِيْكَ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِيْ مَاذَا تَرى فأَخْبَرَهُ عليه الصلاةُ والسلامُ خَبَرَ مَا رَأَى فقال لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوْسُ الذِي

أَنْزَلَ اللَّهُ على مُوْسَى لأَنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ وَاسِطَةَ الوَحْي بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِ هُوَ جِبْرِيْلُ عليهِ السلامُ .

ثُمَّ قال يَا لَيْتَنِي فِيْهَا جذَعاً إذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ مِن بِلَادِكَ الَّتِي نَشَأْتَ بِهَا لِمُعَادَاتِهِمْ إِيَّاكَ وكَرَاهَتِهِمْ لَكَ حِيْنَمَا تُطَالِبُهُم بِتَغْيِيْرِ اعْتِقَادَاتِهِم التِي وَجَدُوْا عَلَيْهَا آبَاءَهُمْ فكَانَ قَوْلُ وَرَقَة مَوْضِعَ اسْتِغْرَابِ النَّبِي ﷺ لِمَا يَعْرِفُهُ مِن حُبِّ قَوْمِهِ لَهُ لاتِّصَافِهِ بِصِدْقِ الحَدِيْثِ والأَمَانَةِ وَمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ حَتَّى سَمَّوْهُ الأَمِيْن .

وقَالَ أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ قَالَ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُوْدِيْ عَلَى حَدِّ مَا جَاءَ فِي القُرآنِ الكَرِيْمِ (لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ) وقوله « وقال الذِينَ كفروا لرسلهم لنخرجَنَّكم مِن أرضنا أو لتعُوْدُنَّ في مِلَّتِنا » وقولهم « أَخْرِجُوْا آلَ لُوْطٍ مِن قَرْيَتِكُم » .

ثم قال وَرَقَةُ مُسْتَأْنِفاً : وإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّرا ثم تُوُفِي وَرَقَةُ بَعْدَهَا بِقلِيْلٍ : قَالَ وهذا نُمُوْذَجُ مِن مَنَاقِبِ أُمِّنَا وَأُمِّ المُؤْمِنِيْنَ خَدِيْجَةَ وَمَوَاقِفِهَا إِزَاءَ مَا كَانَ يَحْدُثُ لِلنَّبِي ﷺ .

ولِذَا كَانَ ﷺ يُبَادِلُهَا الوَفَاءَ بالْوَفَاءِ والإخلاصَ بالإخلاصِ وكانَ يَحْنُوْ إِلَيْهَا وَيُدِيْمُ ذِكْرَهَا بَعْدَ مَوْتِهَا اللهم صَلي وسلم عليه .

وكَانَ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرِهَا ورُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا في صَدَائِقِ خَدِيْجَةَ وَهَذا يُشْعِرُ بِبَقَاءِ وِدِّهَا واسْتِمْرَارِ حُبِّهِ لَهَا واخْلَاصِهِ حَتَّى كَانَ يَتَعَهَّدُ صَدِيْقَاتِهَا بالاهْدَاءِ والعَطَاء بَعْدَ مَوْتِهَا .

ولِذَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما غِرْتُ عَلَى أَحدٍ مِن نِسَاءِ النبي ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيْجَة ومَا رأيْتُهَا وفي حَدْيثٍ رَوَاهُ البُخَارِيُ عن عائشةِ رَضِيَ

اللَّهُ عنها قَالَتْ : اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدُ أُخْتُ خَدِيْجةِ على رَسُولِ اللّه ﷺ فَعرفَ اسْتئذَانَ خَدِيْجَةَ فارْتَاعَ لِذَلِكَ فَقَالَ اللَّهُمَّ هَالَةُ قَالَتْ فغِرْتُ الحديث .

وفي الاسْتِيْعَابِ لأَبِي عمر جـ ص ١٨١٠ بسندِهِ إلى عائِشَةَ قَالَتْ جَاءَتْ عَجُوْزٌ إلى النبيِ ﷺ فقالَ لَهَا مَنْ أَنْتِ قَالَتْ أَنَا جَثَّامَةَ المزَنِيَّةُ : قالَ بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ المُزَنِيَّةُ : كَيْفَ حَالُكُم كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنا قالَتْ بخَيْرٍ بأَبِيْ أَنْتَ وأُمِّي يَا رَسُولَ الله .

فَلَمَّا خَرَجَتْ قُلْتُ يَا رَسُوْلَ اللَّهِ تُقْبِلُ عَلَى هَذِهِ العَجُوزِ هَذَا الاقْبَال قَالَ إنَّها كَانَتْ تَأْتِيْنَا أَيَّامَ خَدِيْجَةِ وَإِنَّ حُسْنَ العَهْدِ مِن الايْمانِ : مُقَابَلَةٌ طَيِّبَةٌ ومُلاَطَفَةٌ جَمِيْلَةٌ وتَوَدُّدَ مَحْمُوْدٌ ووَفَاءٌ مِنْ النَّبيّ ﷺ لِزَوْجَتِهِ خَدِيْجَةَ الّتي ماتَتْ وَطَالَما أَيَّدَتْهُ وخَفَّفَتْ عنه وسَلَّتْهُ وَعَاشَرَتْهُ وَتَبَادَلُ هُوَ وَإِيَّاهَا المَوَدَّةَ ولَمْ تُكَدِّرْ خَاطِرَهُ ولاَ مَرَّةً وَاحِدَةً عَكْسُ مَا عَلَيْهِ زَوْجَاتُ هَذا الجِيْل المنحرف إلا النّادرة .

وأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ جـ ٢ ص ٦٣ أَنَّ عُمَرَ بنَ السَّائِبِ حَدَّثَهُ أَنَّه بَلَغَهُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ جَالِساً يَوماً فأَقْبَلَ أَبُوْهُ مِن الرَّضَاعَةِ فَوَضَعَ لَهُ بَعْض ثَوْبِهِ فَقَعَدَ عَلَيه ثُمَّ أَقْبَلَتْ أُمُّهُ فَوَضَعَ لَهَا نِصْفَ ثَوْبِهِ مِن جَانِبِهِ الآخَرَ فَجَلَسَتْ عَلَيهِ ثم أَقْبَلَ أَخُوْهُ مَن الرَّضَاعَةِ فَقَامَ لَهُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ فأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهَا .

وعَندَ أَحْمَدَ مِن حَدْيثِ مَسْرُوْقٍ عن عائشة : آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ وصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِيْ النَّاسُ وَوَاسَتْنِيْ إِذ حَرَمَنِي النَّاسُ وَرَزَقِنِي اللَّهُ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِيْ أَوْلاَدَ النِسَآءِ وكَانَ جَمِيْعُ أَوْلاَدِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْهَا عَدَا إِبْرَاهِيْمَ فَإِنَّهُ مِن مارِيَةِ القِبْطِّيَةِ وتُوُفِيَتْ خَدِيْجَة قَبْلَ الهِجْرَةِ بثَلاَث سِنْين وحَزِنَ عَلَيْهَا ﷺ حَزناً

شَدِيْداً لِمَا كَانَ لَهَا مَن الأَعْمَالِ النَّبِيْلَةِ والوَفاءِ التَّامِ والتَّأْيِيْدِ لَهُ وَتَثْبِيْتِهِ ولِمَا لَهَا مِن آراءَ سَدِيْدَةٍ .

ومْنِهَا القَاسُم الذِي كَانَ يُكْنَى بِهِ وسَائِرُ وَلَدِهِ سوَى إِبْرَاهِيْمَ وِبوَفَاتِهَا انْطَفأَ مِصْبَاحُ مُنِيْرٌ وعَوْنٌ كَبَيْرٌ لِيَتَمَثَّلَ النِّسَآءُ بأَعْمَالِهَا في حُسْنِ الوَفاءِ والاخلاصِ والصِدْقِ والبرِ فانَّهَا امْرأةٌ ولكِنَّهَا خَيْرٌ مِنْ آلافِ الرِّجَالِ وفي مِثْلِهَا وأَشْبَاهِهَا لَوْ يُوْجَدُ حَسَنُ التَمَثُلُ بقَولِ المُتَنبي :

(ولَــوْ كَـانَ النِسَــآءُ كَمَنْ فَقَــدْنَــا
لَفُضِّلَتِ النِّسَــاءُ عَلَى الــرِّجَــالِ)

ولِهَذَا اسْتَحَقَّتْ أَجْرَ العَامِلِيْنَ وَثَوَابَ المُخْلِصِيْنَ وَجَاءَتْها البَشَارَةُ مِن رَبِّ السَّمَآءِ عَلَى لِسَانِ جِبْرِيْلَ الأَمِيْن قَائِلاً « يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيْجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيْه إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ شَكَّ مِنْ الرَّاوِيء » وذَلِكَ عِنْدَمَا كَانَ ﷺ في غَارِ حِرَاءٍ فاذا هِيَ أَتَتْكَ فاقْرأْ عَلَيْهَا السلامَ مِن رَبِّهَا ومِنِّي وبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ في الجَنَّةِ مِن قَصَبٍ لا صَخَبَ فيهِ ولا نَصَبَ »

فقالَتْ هُوَ السَّلامُ ومِنْهُ السلامُ وعلى جِبْرِيْلُ السَّلامُ وَعَلَيْكَ يا رسولَ اللَّهِ السلامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكَاتُهُ .

رَأَتْ خَــدِيْجَـةُ إِنْسَــانــاً تُصَــاحِبُــهُ
عِنَــايَــةُ اللَّهِ رَغْــمَ الفَـقْــرِ والْيُـتْمِ
فاخْتَارَتْ المُصْطَفى زَوْجاً لَهَا ولَقَدْ
وَفىَّ لَهَا المُصْطَفَى المُخْتَارُ بالذِّمَمِ
يُثْنِيْ عَلَيْهَــا ولاَ يَنْسَى فَـضَــائِلَهَــا
مِثْـلُ اسْتِجَـابَتِهَــا فِيْ لاَ وَفِي نَعَمِ
أَوْلاَدُهُ غَيْــرُ إِبْرَاهِيْــمَ سِتَّتُهُــمْ   أَتَوهُ مِنْهَا وَنُورُ الشَّمْسِ في النَّجِمِ

آخر : لَقَدْ سَمِعْنَا بأَوْصَافٍ لكُمْ حَسُنَتْ فَسَرَّنَا مَا سَمِعْنَاهُ وَأَرْضَانَـــــــا
مِنْ قَبْل رُؤْيَتِكُـمْ نلَنَـا مَحَبَّتكُـمْ والإِذْنُ تَعْشِقُ قَبْلَ العَيْـنِ أَحْيَانَـا

« موعظـــة »

عِبَادَ اللّهِ إِنَّ شَأْنَ الصَّلاَةِ عَظِيْمٌ جِدّاً فِي دِيْنِنَا مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ وَفِي كُلِّ دِيْنٍ وأَسْرَارُهَا العَظِيْمَةُ وَبَرَكَاتُهَا العَمِيْمَةُ وَفَوائِدُهَا الكَثِيْرَةُ لا تَخْفَى عَلَى كَثِيْرٍ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ .

وَلَيْسَتِ الصَّلاَةُ مُجَرَّدُ أَقْوَالٍ يَلُوْكُهَا اللِّسَانُ وَحَرَكَاتٌ تُؤَدِّيْهَا الجَوَارِحُ بِلاَ تَدَبُّرٍ مِنْ عَقْلٍ وَلاَ تَفَهُّمٍ وَلاَ خُشُوْعٍ مِنْ قَلْبٍ لَيْسَتْ تِلْكَ الّتِيْ يَنْقُرُهَا صَاحِبُهَا نَقْرَ الدِّيكَةِ وَيَخْطِفُهَا خَطْفَ الغُرَابِ وَيَمُرُّ بِهَا مَرَّ السَّحَابِ كَأَنَّ وَرَاءَهُ طَالِبٌ حَثِيْثٌ وَيَلْتَفِتُ فِيْهَا التِفَاتَ الثَّعْلَبِ يَمِيْناً وَشِمَالاً وَفَوْقاً وَتَحْتاً .

كَلاَّ فَالصّلاَةُ المُقَامَةُ تَمَاماً هِيَ الّتِي تَأْخُذُ حَقَّهَا مِنَ التَّأَمُّلِ والخَشْيَةِ والخُضُوْعِ والسُّكُوْنِ واسْتِحْضَارِ عَظَمَةِ المَعْبُوْدِ جَلَّ جَلاَلُهُ .

وَذَلِكَ أَنَّ القَصْدَ مِنَ الصَّلاَةِ وَسَائِرِ العِبَادَاتِ هُوَ تَذْكِيْرُ الإِنْسَانِ بِرَبِّهِ الأَعْلَى الّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالّذِي قَدَّرَ فَهَدَى .

وَالصَّلاَةُ صِلَةٌ بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ تَقْوَى بِهَا مَحَبَّةُ العَبْدِ لِرَبِّهِ كُلَّمَا تَكَرَّرَتْ قَالَ ابْنُ القِيمِ رَحِمَهُ اللّهُ فَإِنَّ المُحِبَّ يَتَلَذَّذُ بِخِدْمَةِ مَحْبُوْبِهِ وَتَصَرُّفِهِ فِي طَاعَتِهِ وكُلَّمَا كَانَتْ المَحَبَّةُ أَقْوَى كَانَتْ لَذَّةُ الطَّاعَةِ والخِدْمَةِ أَكْمَلُ فَلْيَزِنِ العَبْدُ إِيْمَانَهُ وَمَحَبَّتَهُ بِهَذَا المِيْزَانِ والْيَنْظُرْ هَلْ هُوَ مُلْتَذٌ بِخِدْمَةِ مَحْبُوْبِهِ أَوْ

مُتكَرِّهٌ لَهَا يَأْتِي بِهَا عَلَى السَّآمَةِ والمَلَلِ والكَرَاهَةِ فَهَذا مَحَكُّ إِيْمانِ العَبْدِ وَمَحَبَّتُهُ لِلّهِ .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ إِنِّي أَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ فَأَحْمِلُ هَمَّ خُرُوْجِي مِنْهَا وَيَضِيْقُ صَدْرِي إِذا فَرَغْتُ لِأَنِّي خَارِجٌ مِنْهَا وَلِهَذا قَالَ النَّبِيّ ﷺ وَجُعِلَتْ قُرَّتْ عَيْنِي فِي الصّلاةِ وَمَن كَانَتْ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي شَيْءٍ فَإِنَّهُ لَا يَوَدُّ أَنْ يُفَارِقَهُ وَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ فَإِنَّ قُرَّةَ عَيْنِ العَبْدِ نَعِيْمُهُ وَطِيْبُ حَياتِهِ بِه .

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ إِنِّي لَأَفْرَحُ بِاللَّيْلِ حِيْنَ يُقْبِلُ لِمَا تَتَلَذَّذُ بِهِ عيشتي وَتَقرُّبِهِ عَيْنِي مِن مُنَاجَاةِ مَنْ أُحِبُّ وَخَلْوَتِي بِخِدْمَتِهِ والتَّذلُّلِ بَيْنَ يَدَيْهِ واغْتَمُّ لِلفَجْرِ إِذا طَلَعَ لِمَا اشْتَغِلُ بِهِ بِالنَّهَارِ عَنْ ذَلِكَ فَلا شَيْءَ أَلَذُّ لِلْمُحِبِّ مِنْ خِدْمَةِ مَحْبُوْبِهِ وَطَاعَتِهِ أَيْنَ هؤلآء ممن لَذَّتُهم وأنْسُهُمْ عند المنكرات.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ تَعَذَّبْتُ بِالصَّلاةِ عِشْرِيْنَ سَنَةً ثُمَّ تَنعَمْتُ بِهَا عِشْرِيْنَ سَنَةً وَهَذِهِ اللَّذَّةُ وَالتَّنعُّمُ بالخِدْمَةِ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِالمُصابَرَةِ عَلَى التَّكَرُّهْ والتَّعَبِ أَوَّلاً فَإِذا صَبَرَ عَلَيْهِ وَصَدَقَ فِي صَبْرِهِ أَفْضَى بِهِ إِلَى هَذِهِ اللَّذَّةِ .

وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ سُقْتُ نَفْسِيْ إِلَى اللهِ وَهِيَ تَبْكِيْ فَمَا زِلْتُ أَسُوْقُهَا حَتَّى انْسَاقَتْ إِلَيْهِ وَهِيَ تَضْحَكُ أ . هـ .

وَقَالَ اللّهُ تَعَالَى « وأَقِمِ الصّلاةَ لِذِكْرِي » .

وَقَالَ ﷺ إِنَّمَا فُرِضَتِ الصَّلاَةُ وأُمِرَ بالحَجِّ وأُشْعِرَتِ المَنَاسِكُ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللّهِ رَواهُ أَبُو داود ولِهَذا كَانَتْ عُنْوَانٌ عَلَى الفَلاحِ قَالَ تَعَالى « إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ الآية » .

والمُرَادُ بِعِمَارَتِهَا بالصّلاَةِ والقُرُبَاتِ وقَال ﷺ إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسْجِدَ فَاشْهَدُوْا لَهُ بِالإِيْمَانِ ، فَإِنَّ اللّهَ يَقُول : « إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ باللّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ » .

وَجَاءَ ذِكْرُ الصّلاَةِ فِي القُرْآنِ في مَوَاضِعَ كَثِيْرَةٍ وأثْنَى جَلَّ وَعَلا عَلَى المُقِيْمِيْنَ لَهَا والمُحَافِظِيْنَ عَلَيْهَا وأخْبَرَ أَنَّهَا تَنْهَى عن الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ ومِنْ دُعَاءِ الخَلِيْلِ عَلَيْهِ السّلامُ أنّهُ يَسْأَلُ رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَهُ مُقِيْماً لَهَا قَالَ تَعالَى : « رَبِّ اجْعَلْنِيْ مُقِيْمَ الصَّلاَةِ ومِنْ ذُرِّيّتِي » .

وَمَدَحَ بِهَا إِسْمَاعِيْلَ قَالَ تَعَالَى « وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيَا » وأَمَرَ جَلَّ وَعَلاَ مُوْسَى بإِقَامَتِهَا أَوَّلَ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ فِي سَاعَاتِ الوَحْيِ الأُوْلَى قَالَ تَعَالَى « وأنَا اخْتَرْتُكَ فاسْتَمِعْ لِمَا يُوْحَى إِنَّنِي أَنَا اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وأقِمِ الصّلاَةَ لِذِكْرِي » وَقَالَ لَهُ وَلِهَارُوْنَ « أَنْ تَبوّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوْتاً واجْعَلُوْا بُيُوْتَكُمْ قِبْلَةً وأقِيْمُوْا الصَّلاَةَ » .

وفي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لابْنِهِ يَا بُنَيَّ أقِمِ الصَّلاَةَ وأمَرَ بالمَعْرُوْفِ وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ الآيَة ويُنْطِقُ اللّهُ عِيْسَى وَهُوَ فِي مَهْدِهِ فَيَقُوْلُ « وَأَوْصَانِي بِالصّلاةِ والزّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّا » .

وَيَأْمُرُ اللّهُ بِهَا صَفْوَةَ خَلْقِهِ وَخَاتِمَ أَنْبِيَائِهِ فَيَقُوْلُ جَلَّ وَعَلاَ « اتلُ مَا أُوْحِي إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصّلاَةِ » وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلاَ وَتَقَدَّسَ « وأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا » .

وَيَبْتَدِئُ بِهَا أَوْصَافَ المُؤْمِنِيْنَ وَيَخْتِمُ بِهَا فَيَقُوْلُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى « قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُوْنَ الّذِيْنَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُوْنَ » الآيَات إلى قَوْلِهِ « وَالّذِيْنَ

هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُوْنَ » .

وَيُؤَكِّدُ المُحَافَظَةَ عَلَيْهَا حَضَراً وَسَفَراً وفِي الأَمْنِ والخَوْفِ والسِّلْمِ والحَرْبِ « حَافِظُوْا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الوُسْطَى وقُوْمُوْا لِلّهِ قَانِتِيْنَ فإنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً » .

وَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلاَ عَمَّنْ أَضَاعُوْا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوْا الشَّهَوَاتِ أَنَّ عَاقِبَةَ أَعْمَالِهِمْ وَسُوْءَ مَآلِهِمْ شَرٌّ وخُسْرَانٌ فَقَالَ « فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوْا الصَّلاَةَ واتَّبَعُوْا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيا » .

وَجَعَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ الشِّعارَ الفَاصِلَ بَيْنَ المُسْلِمِ والكَافِرِ فَقَالَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ وَقَالَ العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاَةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ وَفِي الحَدِيثِ الآخرِ مَنْ تَرَكَ الصَّلاَةَ مُتَعَمِّداً فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللّهِ وَرَسُوْلِهِ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلامُ مَنْ فَاتَتْهُ صَلاَةٌ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ الصَّلاَةِ مَعَ مَا تَقَدَّمَ اهْتِمَامُ المُسْلِمِيْنَ بِتَوْجِيْهِ المُحْتَظَرِ وَهُوَ فِي سَكَرَاتِ المَوْتِ إِلى القِبْلَةِ وَكَذَلِكَ وَضْعُهُ فِي قَبْرِهِ مُتَّجِهاً إِلى القِبْلَةِ وَمَا ذَاكَ إِلاّ لأَنَّهَا الجِهَةُ الّتِي يَتَّجِهُ إِلَيْهَا كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَتَعَرَّفَ إِلَى رَبِّهِ وَيَدْعُوْهُ وَيُجَدِّدُ الصِّلَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ فِي الصَّلاَةِ .

على الصوات الخمس حَافِظْ فإنها ... لآ كَدُ مَفْرُوْضٍ على كلِ مُهْتَدِ
فلا رُخْصَةٍ في تركهَا لِمُكَلَّفٍ ... وأوُل مَا عَنه يُحَاسَبُ في غدِ
بإهْمالِهَا يَسْتَوجِبُ المَرءُ قَرْنَهُ ... بفرعونَ مَعْ هَامَانَ في شرِ مَوْرِدِ
ومَازَال يُوصِيْ بالصلاة نَبِيُّنَا ... لَدَى الموتِ حَتَّى كَلَّ عن نُطْقِ مِذْوَدِ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ المُفْلِحِين وألْبِسْنا خِلَعَ الإِيْمَانِ واليَقِيْن ، وَخُصَّنَا مِنْكَ بالتَّوفِيْقِ المُبين ، وَوَفِّقْنَا لِقَوْلِ الحَقِ واتِّبَاعِهِ وخَلِّصْنَا مِنَ البَاطِلِ وابْتِدَعِهِ ، وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدا ولا تَجْعَل لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشاً رَغَدا وَلَا

تُشْمِتْ بِنَا عَدوّاً وَلَا حَاسِداً ، وارْزُقْنا عِلْماً نَافِعاً وَعَمَلاً مُتقبَّلا ، وَفهْماً ذَكِيّاً صَفِياً وَشِفَاً مِنْ كُلِّ دَاء ، واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ولِجَميعِ المسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الراحمين وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصِحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(فصــل)

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ أَنْ تَعْتَنِيْ بِهَا وَتَجْتَهِدَ فِي كُلِّ مَا يُصْلِحُهَا ويُكَمِّلُهَا تَجْتَهِدُ أوّلاً فِي الطَّهَارَةِ وَالنَّظَافَةِ فِي جِسْمِكَ وَثَوْبِكَ وَمَوْضِعِ صَلاَتِكَ فَعَلَيْكَ أوّلاً بالاسْتِبْراءِ مِن البَوْلِ والغائِطِ بأنْ تَتَأنَّى قَلِيلاً حَتَّى يَخْرُجَ البَوْلُ كُلُّهُ بِدُوْنِ نَتْرٍ .

وهُوَ دَفْعُ بَقِيْتِ البَوْلِ وبِدُوْنِ مَصْرٍ لِلذَّكَرِ فَإِنَّ هَذَا العَمَلَ يُحْدِثُ السَّلَس وتَغْسِلُ مَحَلَّ الغَائِطِ حَتَّى يَعُوْدَ المَحَلُّ كَمَا قَبْلَ التَّغَوُّطِ خَالٍ مِنْ آثَارِ النَّجَاسَةِ ولُزُوْجَتِها لِئَلا تَكُونَ حَامِلاً لِلنَّجَاسَةِ فِي صَلاَتِكَ فَتَبْطُلُ .

ثُمَّ عِنْدَ الوُضُوءِ تُزِيْلُ مَا يَمْنَعُ وُصُوْلَ المَاءِ إِلَى البَشَرَةِ مِنْ مَرْهَمٍ أَوْ وَازلِيْن أَوْ دُهْنٍ عَلَى غَيْرِ جُرْحٍ يَضُرُّهُ المَاءُ وتَتَفَقَّدُ عِنْدَ الوُضُوءِ أخْمُص القَدَمَيْنِ والعَقِبَ وَهُوَ مُؤخَّرُ القَدَمِ وأعْلَى الجَبة ومَا حَوْلَ المَرَافِقِ .

وفِي الغَسْلِ صِمَاخَ الأُذُنَيْنِ وَطَيَّ الرُّكْبَتَيْنِ وَمَا تَحْتَ الشُّعُوْرِ والإبْطِ والسُّرَّةَ وَمَا بَيْنَ الأصَابعِ أصَابع الرِّجْلَيْنِ والأضافِرِ ان كَانَتْ طِوَالاً وتَمْنَعُ المَاءَ وَيَضُرُّكَ قصُّهَا وإلاَّ فَتَقُصُّها ثُمَّ بَعْدُ تَنْتَبه لِهَذِهِ الدّقَائِقِ .

وَتَكُوْنُ مُحسِناً لِلْوُضُوْءِ وَتَسْعَى فِي تَفَقُّدِ مَا يُفْسِدُهَا أَوْ يُنَقِّصُها كَمَا تَرَاهُ فِي فِعْلِ الصَّلاةِ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ تَرا عِنْدَهُ مِنَ العَبَثِ والحَرَكَةِ والتَّلَفُّتِ مَا يَجْعَلُكَ فِي شَكٍّ مِنْهُ هَلْ هُوَ فِي صَلاةٍ أمْ لاَ فَتجِدُهُ أحْيَاناً يَنْظُرُ سَاعَتَهُ وأَحْيَاناً يُصَلِّحُ غُتْرَتَهُ وأحْيَاناً يُوَاسِيْ ثَوْبَهُ وَيُطَالِعُهُ وأَحْيَاناً يَعْبَثُ فِي مَحَلِّ لِحْيَتِهِ وأحْيَاناً فِي أنْفِهِ أَوْ عَيْنِهِ وَفِي خِفَّةِ رُكُوْعِهِ وسُجُوْدِهِ مَا يُدْهِشُكَ .

وَلَعَلَّكَ تَظُنُّ أَنَّ هَذا مُبالَغَةً ولَكِنْ إِذا أَرَدْتَ الوُقُوْفَ عَلَى ذَلِكَ فَانْظُرْ بَعْدَ ما تُسَلِّمْ إِلى الّذِيْنَ يُكَمّلُوْنَ وَإِلَى مَنْ يُصَلِّي وَحْدَهُ وَعَلَى كُلِّ حالٍ الأَمْرُ عَظِيْمٌ وَمَعَ ذَلِكَ النّاسُ فِي غَفْلَةٍ وسَهْوٍ عَنْ ذَلِكَ .

وَأَمَّا الطُّمَأْنِيْنَةُ فِي الصّلاةِ فَيُفْهَمُ قَدْرُ تَرْكِهَا مِنْ حَدِيْثِ المُسِيْءِ فِي صَلاَتِهِ الّذي رَواهُ أَبو هُرَيْرَةَ رضِيَ اللّهُ عَنْهُ مِنْ أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ المَسْجِدَ وَرَسُوْلُ اللّهِ ﷺ جالِسٌ في نَاحِيَةِ المَسْجِدِ فَصَلَّى ثُمَّ جاءَ إِلى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ ﷺ وَعَلَيْكَ السّلامُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ .

فَصَلَّى ثُمَّ جاءَ فَسَلَّمَ فَقالَ وَعَلَيْكَ السّلامُ فَارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ فَصَلَّى ثُمَّ جاءَ فَسَلَّمَ فَقَالَ وَعَلَيْكَ السّلامُ فَقالَ فِي الثّانِيَةِ أو فِي الّتِي تَلِيْهَا عَلِّمْنِي يَا رَسُولَ اللّهِ فقالَ « إِذَا قُمْتَ إِلى الصّلاةِ فأَسْبِغِ الوُضُوءَ » .

ثُمَّ اسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ فَكبِّرْ ثُمَّ إقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ ثُمّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ثُمّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِماً ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ثُمّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جالِسًا ثُمّ اسْجُدْ حَتّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ثُمّ ارْفَعْ حَتّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا .

ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاتِكَ كُلِّها رَواهُ البُخارِيّ ومُسْلِم فَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ ﷺ لِمَنْ تَرَكَ الطُّمَأْنِيْنَةَ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ فَإِنَّ هَذا نَفْيٌ صَرِيْحٌ فِي أَنَّ الرَّجُلَ وإِنْ كَانَ يَفْعَلُ صُوْرَةَ الصَّلاَةِ فِي رَأْيِ العَيْنِ لَمْ يَأتِ بِحَقِيْقَةِ الصّلاةِ .

والّذي جَعَلَهُ كَذلِكَ هُوَ تَرْكُهُ لِلطُّمَأْنِيْنَة فِيْهَا وَهِيَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِهَا إِذاً فَلْيَطْمَئِنَّ الّذي يُرِيْدُ أَنْ يَصْدُقَ عَلَيْهِ أَنَّهُ صَلَّى والْيَعْلَمَ أَهْلُ السُّرْعَةِ والنَّقْرِ

ذلِكَ تَماماً والِيُمَرِّنُوْا أنْفُسَهُمْ عَلَى التَّأَنّي والتَّرَيُّثِ والرِّفْقِ حَتَّى يُعَدُّوْا فِي فَرِيْقِ المُصَلِّين .

وإنْ لَمْ يَطْمَئِنُّوْا فَلْيَعْلَمُوْا أَنَّهُمْ هُمْ وَتَارِكُ الصَّلاَةِ سَوَاءٌ حُكْمُهُمْ بِمُقْتَضى قَوْلِهِ ﷺ لِلْمُسْتَعْجِلِ فِي صَلاتِهِ ارْجِعْ فصَلِّ فإنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَوْصَانِي خَلِيْلِيْ ﷺ بِثَلاَثٍ ونَهَانِي عن ثَلاثٍ نَهَانِي عَنْ نَقْرَةٍ كَنَقْرَةِ الدِّيْكِ (العَجلَة فِي الصَّلاَةِ) واقْعَاءٍ كاقْعَاءِ الكَلْبِ (وَضْعُ الإلْيَةِ عَلَى الأرْضِ ونَصْبُ السَّاقَيْنِ وَوَضْعُ اليَدَيْنِ عَلَى الأرْضِ) .

والتِفَاتٍ كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ ، وقَال ﷺ لاَ يَزَالُ اللّهُ مُقْبِلاً عَلَى العَبْدِ فِي صَلاَتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ فإذَا صَرَفَ وَجْهَهُ انْصَرَفَ عَنْهُ وَنَهى ﷺ عَن رَفْعِ البَصَرِ إلى السَّماءِ في الصَّلاَةِ ، إذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَابْذِلْ يَا أَخِيْ كُلَّ مَا فِي وُسْعِكَ مِن الاجْتِهَادِ فِي تَكْمِيْلِ صَلاتِكَ واحْذَرْ مِن التَّفْرِيْطِ فِيْهَا فَعَلَيْهَا مَدَارٌ عَظِيْمٌ .

وَالمَعَانِي الَّتِي تَتِمُّ بِهَا الصَّلاَةُ كَثِيْرَةٌ مِنْهَا حُضُوْرُ القَلْبِ وَمَعْنَاهُ أَنَّكَ تُفَرِّغُ قَلْبَكَ عَن الشَّوَاغِلِ الَّتِيْ تَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا وزِيْنَتِهَا مُتَفَهِّماً لِمَا تَتْلُوْهُ أوْ تَقُوْلُهُ أَوْ تَسْمَعُه إنْ كُنْتَ مَأْمُوْماً فَتَصْرِفُ ذِهْنَكَ وَهِمَّتَكَ إلَى إدْرَاكِ المَعْنَى بِدَفعِ الخَوَاطِرِ الشَّاغِلَةِ وَقَطْعِ مَوادِّهَا فَإنَّ المَوادَ إذَا لَمْ تَنْقَطِعْ لَمْ تَنْصَرِفْ الخَوَاطِرُ والهَوَاجِسُ عنْهَا وَالمَوادُّ إمَّا ظَاهِرَةٌ وَهِيَ مَا يَشْغَلُ السَّمْعَ والبَصَرَ .

وإمَّا بَاطِنَةٌ وهِيَ أَشَدُّ كَمَنْ تَشَعبتْ بِهِ الهُمُوْمُ في أَوْدِيَةِ الدُنْيَا فإنَّه لا يَنْحَصِرُ فِكْرُهُ فِي فَنٍّ وَاحِدٍ وَلَمْ يُغْنِهِ غَضُّ البَصَرِ لإنَّ مَا وَقَعَ في القَلْبِ كَافٍ في الاشْتِغَالِ بِهِ .

وعِلاجُ ذَلِكَ إنْ كَانَ مِن المَوَادِ الظَّاهِرَةِ بِقَطْعِ مَا يَشْغَلُ البَصَرَ والسَّمع وهُوَ القُرْبُ مِن القِبْلَةِ والنَّظَرُ إلى مَوْضِعِ السُجُوْدِ والابْتِعَادُ في الصَّلاةِ عَمَّا فِيْهِ نُقُوشٌ أَوْتَطْرِيْزٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا يُلْهِيْ ويَشْغَلُ القَلْبَ فإنَّ النَّبِيَ ﷺ صَلَّى في أَنْبِجَانِيَّةٍ فِيْهَا أَعْلَامٌ وَنَزَعَهَا وَقال « إِنَّها أَلْهَتْنِي آنِفاً عن صلاتي » .

وإنْ كَانَ مِنَ المَوَادِّ البَاطِنَةِ فَطَرِيْقُ عِلَاجِهِ أنْ يَرُدَّ النَّفْسَ قَهْراً إلى مَا يَقْرَأُ في الصَّلاةِ وَيْشغَلُها بِهِ عَنْ غَيرِهِ وَيَسْتَعِدُ لِذَلِكَ قَبْلَ الدُخُوْلِ في الصَّلاةِ بأَنْ يَقْضِيْ أَشْغَالَهُ ويَجْتَهِد عَلَى تَفْرِيْغِ قَلْبِهِ عَن الهَوَاجِسِ وَيُجَدِّدُ عَلى نَفْسِهِ ذِكْرِ الآخِرَةَ وخَطَرَ القِيَامِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وهَولَ المطْلع .

فإنْ لَمْ تَذْهَبْ وتَسْتَكِنُّ الأَفْكَارُ بذَلِكَ فَلْيَعْلَم أَنَّهُ إنَّمَا يَتفكَّرُ فِيْمَا أَهَمَّهُ واشْتَهَاهُ ونَاسَبَ لِهَوَاهُ فَلْيَتْرُكْ تِلكَ الشَّهواتِ والْيَقْطَعْ تِلْكَ العَلَائِقَ .

واعْلَمْ أَنَّ العِلَّةَ والمَرَضَ مَتى تَمكَّنَ لَا يَنْفَعُ فِيْهِ إلَّا الدَّوَاءُ القَوِيُّ والعِلَّة إذَا قَوِيَتْ جَاذَبَتْ المُصلِيَ وجَاذَبهَا إلى أنْ تَنْقَضِيَ الصَلاةُ في المُجَاذَبَةِ ومِثْلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ تَحْتَ شَجرَةٍ أَرَادَ أَنْ يَصفُوْ لَهُ فِكْرُهُ أوْ أَرَادَ أَنْ يَنام وكَانَتْ هَذِهِ الشَّجَرَةُ مَأْوَى لِلْعَصَافِيرْ تَقَعُ عَلَيْهَا وتُشَوِّشُ عَلَيْهِ بأَصْوَاتِهَا وَحركَاتِهَا وفي يَدِهِ عَصَا يَطْرُدُهَا بِهِ فَمَا يَسْتَقِرُ فِكْرُهُ حَتَّى تَعُوْدُ العَصَافِيْرُ فَيَشْتَغِلُ بِهَا .

فَقِيْلَ لَهُ هَذَا شَيْءٌ يَدُوْمُ لا يَنْقَطِعُ فَإنْ أَرَدْتَ الخَلَاصَ مِمَّا شَوَّشَ عَلَيْكَ فاقْطَعِ الشَّجَرَةِ فَكَذَلِكَ شَجَرَةُ الشَّهْوَةِ وَحُبُّ الدُنْيَا إذا ارْتَفَعتْ وَتَفرقَتْ أَغْصَانُهَا انْجَذَبَتْ إلَيْهَا الأَفْكَارُ فَذَهَبَ العُمْرُ النَّفِيْسُ في دَفْعِ مَالَا يَنْدَفِعُ وَالسَّبَبُ الوَحِيْدُ حُبُّ الدُنْيا فَهُوَ الذي يَجْذِبُ الأفكَارَ وَيُوَلِّدُهَا وَيُنَمِّيْهَا فَعَلَى العَاقِلِ أَنْ يَجْتَهِدَ في قَلْعِ حُبِّهَا وهو صَعْبٌ جِداً على أكثرِ الخلقِ .

ولِهذَا كَانَ السَّلَفُ يَعْتَنُوْنَ بالصَّلاةِ اعْتِنَاءً عَظِيْماً وَيَتَلَذَّذُوْنَ بِهَا وَيَحْزَنُوْن لانْقِضَائِهَا وقَالَ بَعْضُهُمْ تَفَقدُوا قُلوبَكُمْ في ثَلاثَةِ مَوَاضِعَ في الصلاةِ وفي القُرْآن وفِي ذِكْرِ الله فإنْ وَجَدْتُمْ حَلاوةً وإلَّا فالبَابُ مُغْلَقٌ .

ومِنَ المُؤْسِفِ أنَّكَ تَجِدُ كَثِيْراً مِن النَّاسِ يأتِي الصلاةَ كالمُكْرَهِ بدَلِيْل أنَّهُ إذَا تَأخَّرَ الامامُ ولو قَلِيْلا ضَاقَتْ صُدُوْرُهُمْ مَعَ أنَّهم في صَلَاةٍ مَا انْتَظَرُوْا الصَّلاةَ وتَجِدْهُمْ يُسْرِعُوْنَ الخُرُوْجَ بَعْدَهَا بِخِلافِ المَجِيءِ إلَيْهَا .

وتَجِدْهُمْ يَحْرِصُونَ عَلَى الامِامِ الذِيْ يَنْقُرُهَا مَعَ أَنَّهُمْ في أُمُورِ الدُنَيا عَلَى العَكْسِ إِذَا أرَادَ أَحَدُهُم أنْ يَذْهَبَ إلى طَبِيْبٍ لِيَكْشَفَ عَلِيهِ حَرِصَ عَلى مَنْ يَترَكَّدُ ويَطْمَئِنُ وَيُطيْلَ الفَحصْ وَيُتْقِنُهُ ولوَ بِزيادَةٍ كَثِيْرَةٍ لمَا يُؤَمِّلُهُ مِن النُصْحِ وإتقانِ العَمَلِ .

وَكَذِلِكَ إذا أَرادَ صَنعَةَ شَيْءٍ حَرِصَ عَلَى البَصِيرِ الخبيرِ المُتْقِن لِذَلِكَ .

أمَّا في الصَّلاةِ فَكمَا ذَكَرْنا ما يَهْتَمُّ لَهَا ولاَ يُبالِي وَيرَاهَا عَلَيْهِ أثْقَلَ مِن أُحُدٍ وَرَضْوَى وهِيَ عَشْرُ دَقَائِقَ أَوْ أَقَلَّ ولوَ وَقَفَ مَعَ صَدِيْقٍ لَهُ أَوْ قَرِيْبٍ أَوْ زَمِيْلَ سَاعَةً أَوْ أَكْثَرَ وَأرادَا التَّفرُّقَ لَقَالَ سَاعَةُ المُحِبِّ قَصِيْرَةٌ لأُنْسِهِ بِهِ وتَلَذُذِهِ بِمُنَاجَاتِه .

وأَمَّا رَبُّ العَالَمِين الذِي نِعَمُهُ عَلَيْهِ لاَ تُعَدُ ولاَ تُحْصَى فالُوقُوْفُ أَمَامَهُ طَوِيْلٌ وإنْ كانَ قَصِيْراً صَدَقَ اللَّهُ العَظِيْمُ حَيْثُ يَقُولُ « وإِنَّها لَكَبِيْرَةٌ إلا عَلىَ الخَاشِعِيْن » فلا حَولَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ العلي العظِيْمِ « إنا لِلِهِ وإنا إلَيْهِ رَاجِعُوْن »

شعــــرا :

ومِن البَلِيَّةِ أن تَرى لَكَ صَاحِباً   في صُورَةِ الرجلِ السميع المبصرِ

فِطِنٌ بكلِ مُصِيْبَــةٍ في مالِــهِ   واذا يُصَابُ بِدِيْنِــهِ لم يَشْعُــرِ

آخر : فـــي أن الدنيـــــا بقلوب الناس متمكن حُبُّهَـــــا

هَي المُشْتَهَى والمُنْتَهَى وَمَعَ السُّهَى أَمَانِيّ مِنْهَا دُوْنَهُنَّ العَظَـــائِمُ

ولم تَلْقَنَا إلاَّ وفِيْنَا تَحَاسُـــدٌ عَلَيهَا وَإلاَّ في الصُّدُوْرِ سَخَائِمُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

« فصل »

وإلَيْكَ نَمَاذِجُ مِن حِلْمِهِ فَقَدْ أَرَادَ مَرَّةً أَنْ يُعَلِّمَ أَصْحَابَهُ الحِلْمَ والأَنَاءَةَ والتُّؤَدَةَ وضَبْطَ النَّفْسِ فَرُوِيَ أَنَّ أعْرَابِياً جَاءَ يَوْماً يَطْلُبُ مِن النبي ﷺ شَيْئاً فَأَعْطَاهُ ﷺ ثُمَّ قال لَهُ أَحْسَنْتُ إليكَ قَالَ الأَعْرَابِيُ ولا أَجْمَلْتَ فَغَضِبَ المُسْلِمُونَ وقَامُوْا إِلْيِهِ فأَشارَ إِلَيْهِمْ أَنْ كُفُوْا ثُـمَّ قَامَ ﷺ ودَخَلَ مَنْزِلَهُ فَأَرْسَلَ إِلَيهِ وَزَادَهُ شَيْئاً ثم قالَ لَهُ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ قالَ نَعَمْ فَجَزَاكَ اللَّهُ مِن أَهْلٍ وعَشِيْرَةٍ خَيْرًا .

فَقَالَ النَّبي ﷺ إِنَّك قُلْتَ مَا قُلْتَ آنِفاً وَفي نَفْسِ أَصْحابِي مِن ذلكَ شَيْءٌ فانْ أَحْبَبْتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ حَتَّى يَذْهَبَ مَا فِي صُدُوْرِهِم عَلَيْكَ قَالَ نَعَمْ فَلَمَّا كَانَ الغَدُ جَاءَ فقال لَهُ النبيُ ﷺ إِنَّ هَذَا الأَعرابِيَّ قالَ مَا قَالَ فَزِدْنَاهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ رَضِيَ أَكَذَلِكَ قَالَ نَعَمْ فَجَزَاكَ اللَّهُ مِن أَهْلٍ وَعَشِيْرَةٍ خَيْرًا .

فقالَ رسولُ الله ﷺ مَثَلِيْ وَمَثَلُ هَذَا وكَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ نَاقَةٌ شَرَدَتْ عَلَيهِ فاتَبَعَهَا النَاسُ فَلَمْ يَزِيْدُوْهَا إلا نُفُوْراً فَنَادَاهُمْ صَاحِبُهَا فقالَ لَهُمُ خَلُّوْا بَيْنِيْ وَبَيْنَ نَاقَتِيْ فإِنِّي أَرْفَقُ بِهَا مِنكُمْ وأَعْلَمُ فَتَوجَّهَ لَهَا بَيْنَ يَدَيْهَا فَأَخَذَ مِن قُمَامِ الأَرْضِ فَرَدَّهَا حَتَّى جَاءَتْ واسْتَنَاخَتْ وشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا واسْتَوَى عَلَيهَا وإِنِيْ لَوْ تَرَكْتُكُم حَيْثُ قال الرَّجُلُ مَا قَالَ فَقَتَلْتُمُوْهُ دَخَلَ النارَ .

ومِن ذَلِكَ مَا وَرَدَ عن جابرِ بن عبدِ اللَّهِ رضيَ اللَّهُ عنهما أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقْبِضُ لِلنَّاسِ يَوْمَ حُنَيْنٍ مِن فِضَّةٍ في ثَوْبِ بِلالٍ فَقَال رَجُلٌ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَعْدِلْ فَقَامَ عُمُرُ فقال ألا أَضْربُ عُنُقَهُ فإِنَّهُ مُنَافِقٌ فقالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَاسُ أَنِي

أَقْتُلُ أصْحَابِي رواه مسلم .

ومِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَن أنسٍ بنِ مَالِكٍ قَالَ كُنْتُ أَمْشِيْ مَعَ النَّبي ﷺ وعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحاشِيَةِ فأَدْرَكَهُ أعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرادائِهِ جَبْذَةً شَدِيْدَةً فَنَظَرْتُ إلى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبي ﷺ وقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ البُرْدِ مِن شِدَّةِ الجَبْذَةِ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ مُرْلِيْ مِن مَالِ اللَّهِ الذِي عِندَكَ فالتَفتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بعَطَاءٍ متفق عليه .

ومِن ذَلِكَ مَا وَرَدَ عن أبي هريرة رضي اللَّهُ عنه قال كُنَّا إِذَا صَحِبْنَا رَسولَ اللَّهِ ﷺ في سَفَرٍ تَرَكْنَا لَهُ أَعْظَمَ شَجَرَةٍ وَأَظَلَّهَا فَيَنْزِلُ تَحْتَهَا فَنَزَلَ ذَاتَ يَومٍ تَحْتَ شَجَرَةٍ وعَلَّقَ سَيْفَهُ فِيْهَا فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فأَخَذَهُ فقالَ يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّيْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اللَّهُ يَمْنَعُنِيْ مِنْكَ ضَعِ السَّيْفَ فَوَضَعَهُ ، ولم يُعَاقِبْهُ ﷺ .

وَوَرَدَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقْسِمُ تَمْراً في عُرْجُوْنِهِ في يَومٍ شَدِيْدِ الحَرِّ فَهَجَمَ عَلَيه أَعْرَابِيٌّ فَضَايَقَهُ فَضَرَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بعرْجُوْنِهِ فقال لَهُ الرَّجُلُ أَتَضرِبُنِيْ يا رسولَ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ خُذْ فاقْتَصَّ فَقَالَ لَهُ بَلْ عَفَوْتُ يَا رَسولَ اللَّهِ ، فانْظُرْ إلى عَفْوِهِ ﷺ عن الرَّجُلِ الذِي أَرَادَ قَتْلَهُ فإِنَّهُ لَفَتَ بَعَفوِهِ نَظَرَ الرَّجُلِ إلى مَكَارِمِ أَخْلاَقِهِ ﷺ ولِذَلِكَ ذَهَبَ الرَّجُلُ إِلى قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُمْ جِئْتُكُم مِن عِندِ خَيرِ الناس .

وفي ذلِكَ مِن تَوْجِيْهِهِم إلى النَّظَرِ فِي تَعَالِيْمِهِ والبَحْثِ فِيْمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِن عِندِ رَبِهِم ما قَد يَكُونُ سَبَباً في اسْلامِهِمْ وهِدَايَتِهِمْ وهَذِهِ هِيَ النَّتِيْجَةُ الْتي يَسْعَى لَهَا ﷺ .

وَمِن ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ الطَّبرانيُ عن عبدِ اللَّهِ بِن سلامٍ باسنادٍ رِجالُهُ ثِقاتٌ

قالَ لَمَّا أرادَ اللَّهُ هُدَى زَيْدِ بن سَعنَةَ قالَ زيدُ مَا مِن علاماتِ النُبُوةِ شَيْءُ إلَّا وَقدْ عَرَفْتُها في وَجْهِ مُحَمَّدٍ حِينَ نَظَرْتُ إليْهِ إلا اثْنَتَيْنِ لَمْ أخْبُرْهُمَا مِنْهُ يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلُهُ ولا تَزِيْدُهُ شِدَّةُ الجَهْلِ عَلَيْهِ إلَّا حِلْمَا .

قال زَيْدُ فَخَرَجَ رسولُ الله ﷺ يوماً مِنَ الحُجُرَاتِ وَمَعَه عَليُ بنُ أبي طالِبٍ فأتَاهُ رَجُلٌ عَلى رَاحِلَتِهِ كالبَدَوي فقال يَا رَسُولَ اللَّهِ لي نَفَرٌ في قَرْيَةِ بَنِي فُلانٍ قَدْ أسْلَمُوا وَدَخلُوا في الاسْلام وَكُنْتُ حدَّثْتُهُمْ إنْ أسْلَمُوْا أتَاهُمْ الرِّزْقُ رَغداً وقَدْ أصَابَتْهُمْ سَنَةٌ وشِدَّةٌ وقَحْطٌ مِنَ الغَيْثِ .

فأنَا أخْشَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أنْ يَخْرُجُوْا مِنَ الاسلام طَمَعاً كَمَا دَخَلُوا فِيهِ طَمَعاً فإنْ رَأَيْتَ أنْ تُرْسِلْ إلَيْهِمْ بِشيْءٍ تُغِيْثُهُمْ بِهِ فَعَلْتَ فَنَظَرَ إلى رَجُلٍ بِجَانِبِهِ أُرَاهُ عَلِياً فقالَ يا رَسولَ اللَّهِ مَا بَقِي مِنْهُ شَيْءُ قال زَيْدُ بنُ سَعْنَةَ فَدَنُوتُ إليْهِ فَقُلْتُ يا مُحَمَّدُ هَلْ لكَ أنْ تَبْيْعَني تَمْراً مَعْلُوماً في حَائِطِ بَنِي فُلَانٍ إلى أجَلٍ مَعْلُومٍ إلى أجَلٍ كذَا وَكذَا قال لَا تُسَمِّيْ حَائِطَ بَنِي فُلَانٍ قُلْتُ نَعَمْ فَبَايَعَنِي فاطْلَقْتُ هَمَيانِي فَأعْطَيْتُهُ ثَمانِيْنَ مِثْقالاً مِن ذَهَبٍ في تَمرٍ مَعْلُومٍ إلى أجَلٍ كَذَا وَكذا . فَأعْطَاهَا الرَّجُلَ وقال اعْدِلْ عَلَيْهِمْ وَأغِثْهُمْ .

قال زَيْدُ فَلَمَّا كَانَ قَبلَ مَحلِّ الرَّجُلِ بِيَوْمَينِ أوْ ثلاثٍ خَرجَ رَسِولُ اللَّهِ ﷺ ومَعَهُ أبُو بَكْرٍ وعُمَرُ وعُثْمانُ في نَفَرٍ مِنْ أصْحَابِهِ .

فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الجَنَازَةِ وَدَنَا إلى الجِدَارِ لِيَجْلِسَ إليه أتَيْتُهُ فَأخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيْصِهِ وَرِدَائِهِ ونَظَرتُ إليه بِوَجْهٍ غَلِيْظٍ قُلْتُ يا مُحَمَّدُ ألَا تَقْضِيْنِي حَقِّيْ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ بَنِي المُطَّلِبِ إلا مُطْلاً ولقد كانَ بِمُخَالَطَتِكُم عِلْمٌ ، ونَضَرْتُ إلى عُمَرَ وَعَيْنَاهُ تَدُوْرَانِ في وَجْهِهِ كالفَلَكِ المُسْتَدِيْر .

ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ فَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ما أَسْمَعُ وَتَصْنَعُ بِهِ ما أَرَى فَوَالذِي نَفْسِي بِيْدِهِ لولاَ مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ لَضَربْتُ بِسَيْفِي رَأْسَكَ وَرَسولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُر إليَّ في سُكُونٍ وتؤدَةٍ .

فقال يَا عُمَرُ أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوجَ إلى غَيْرِ هَذَا أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ وتأمُرَهُ بِحُسْنِ اتِّبَاعِهِ إذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فأَعْطِهِ حَقَّهُ وزِدْهُ عِشْرِيْنَ صَاعاً مِن تَمْرٍ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ قال زَيْدُ فَذَهَبَ بِي عُمَرُ فأعطانِي حَقِّيْ وَزادَنِي عِشْرِيْنَ صَاعاً مِن تَمْرٍ .

فَقُلْتُ مَا هَذِه الزِّيَادَةُ يَا عُمَرُ قال أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَنْ أَزِيْدَكَ مَكَانَ ما رُعْتُكَ قال وَتَعْرِفُنِي يا عُمَرُ قال لاَ قُلْتُ أَنَا زَيْدُ بنُ سَعْنَةَ قالَ الحَبْرُ قُلْتُ الحَبْرُ قال فَمَا دَعَاكَ إلى أَنْ فَعَلْتَ بِرَسُولِي مَا فَعَلْتَ وقُلْتَ لَهُ مَا قُلْتَ .

قُلْتُ يَا عُمَرُ لَم يَكُنْ مِن عَلاَمَاتِ النُّبُوةِ شَيْئاً إلا وَقَدْ عَرفْتُه في وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِيْنَ نظَرْتُ إليْه إلا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ . يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ ولا تَزِيْدُهُ شِدَّةُ الجَهْلِ عَلَيْهِ إلاَّ حِلْمَا .

وقَدْ اخْتَبَرتُهُمَا أُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيْتُ باللَّهِ رَباً وبالاسلام دِيْناً وبِمُحَمَّدٍ نَبِيّاً وأُشْهِدُكَ أَنَّ شَطْرَ مَالِي فإنِّيْ أَكْثَرُهَا مَالاً صَدَقَةٌ على أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ قالَ عُمَرُ أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ فَإِنَّكَ لا تَسَعُهُمْ قُلْتُ أَوْ عَلى بَعْضِهِمْ فَرَجعَ عُمَرُ وزَيْدٌ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ زَيْدٌ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاّ اللَّهُ وأَشْهَدُ أَنَّ مُحمّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه وآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وبَايَعَهُ وشَهِدَ مَعَهُ مَشَاهِدَ كَثِيْرَةً .

ثم تُوُفِيْ في غَزْوَةِ تَبُوْكَ مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ - رَحِمَ اللَّهُ زَيداً ، مِن هَذِهِ الآثارِ وما يَأتِي بَعدَهَا يَتَبَيَّنُ لكَ كَيْفَ قَامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بالقِسْطِ وأَقَامَهُ على نَفْسِهِ

وأتْبَاعِهِ وأصْحَابِهِ بلا مُحَابَاةٍ ولا مُدَارَاةٍ ولا مُدَاهَنَةٍ فَكَانَ في ذلكَ في القُمَّة العَالِيَةِ التِّي لا يَصِلُ إلِيْهَا رَاقٍ في تَنْفِيْذِ أمْرِ اللَّهِ وتَطْبِيْقِهِ على الكبيرِ والصغيرِ والقَوِيِّ والضَّعِيْفِ والشَّرِيْفِ والوَضِيْعِ والسَّيدِ والمَسُوْدِ .

اللهم أرْزُقْنَا حُبَّكَ وحُبَّ مَن يُحِبُّكَ وحُبَّ العَمَلِ الذي يُقَرِّبُنَا إلى حُبِّكَ ، اللَّهُم ثَبِّتْ إيْمَانَنَا ثُبُوْتَ الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَوفقْنَا لِلْعَمل بالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ واعْصِمْنَا يا مَوْلاَنَا عن المُحَرَّمَاتِ والمُشْتَبِهَاتِ واغْفِرْ لَنَا جَمِيْعَ الخَطَايَا والزَّلاَّتِ وافْتَحْ لِدُعَائِنَا بابَ القَبُولَ والإجابَات يَا أجْودَ الأجْوَدِين وأكرم الأكرمين وصَلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فصل »

ومِن ذَلِكَ حِلْمُهُ مَعَ الأعرابي الذي قَالَ لَهُ أتَضْرِبُنِي يا رسولَ اللَّهِ فإنه ﷺ لَمْ يَتَمَادَى في غَضَبِهِ ولم يَسْتَنْكِرْ مَن الأعْرَابِي اسْتِفْهَامَهُ الذِي فيهِ المُطَالَبَةُ فقالَ للأعْرَابي خُذْ العِرْجُونَ واقْتَصَّ مِنِّيْ .

ولَقَدْ بَلَغَ مِن حِلْمِهِ ﷺ أنَّهُ لَمْ يَضرِبْ امْرَأةً ولا خَادماً ولَمَّا قِيْلَ لَهُ وَهُوَ في القِتَالِ لَوْ لَعْنَتَهُم يا رسولَ اللَّهِ فقالَ إنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً ولم أبْعَثْ لَعَانَا وعِندَمَا لقِي ﷺ مِن قَوْمِهِ أشَدَّ مَا لَقِي نَادَاهُ مَلَكُ الجِبَالِ وَسَلَمَ عليهِ .

ثم قَالَ يا محمدُ إنَّ اللَّهَ سَمِعَ قولَ قَوْمِكَ وأنَا مَلَكُ الجِبَالِ وقَدْ بَعَثَنِي رَبُكَ إلَيْك لِتأمُرَنِي بأمْرِكَ فما شِئْتَ إنْ أطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأخْشَبَيْنِ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ بَلْ أرْجُو أن يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أصْلابِهِم مَن يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ به شَيْئَاً .

ولَمَّا آذاهُ المُشْرِكُونَ يَوْمَ أُحدٍ وَكَسَرُوْا رَبَاعِيَتَهُ وشَجُّوا وَجْهَهُ وشَقَّ ذَلِك

على أصْحَابِهِ فقَالَوُا لَوْ دَعَوْت عَلَيْهِم فقال إنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَاناً ولكِنْ بُعْثِتُ دَاعِياً وَرَحْمَةً اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي أوِ اهْدِي قَوْمِي فإنَّهُم لا يَعْلَمُون .

وقال أنسُ رضي الله عنه خَدَمْتُ النبيَّ ﷺ عَشَرَ سِنِيْنَ فَما قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ : لمَ صَنَعْتَهُ ولا لِشَيْءٍ لِمْ أُصْنَعْهُ لِمَ لَمْ تَصْنَعْهُ وكان إذا عَاتَبَنِي بَعْضُ أَهْلِهِ يَقُوْلُ دَعُوْهُ فَلَوْ قُضِيَ لَكانَ .

وقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ في سَفَرٍ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ باصَلاحِ شَاةٍ فقالَ رَجُلٌ يا رَسُولَ اللَّهِ عَليَّ ذَبْحُهَا وقَالَ آخرُ عَليَّ سَلْخُهَا وقال آخرُ عَليَّ طَبْخُهَا فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ وَعَليَّ جَمْعُ الحَطَبِ فقالوُا يَا رَسولَ اللَّهِ نَكْفِيْكَ العَمَلَ فقالَ عَلِمْتُ أنكُم تَكْفُونَنِيْ ولكِنْ أكْرَهُ أنْ أَتَميَّزَ عَلَيْكُم وإنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وتَعالى يَكْرَهُ مِن عَبْدِهِ أنْ يَراهُ مُتَميِّزاً بَيْنَ أصْحَابِهِ وقَدْ جَاءَ وَفْدُ النَّجَاشِي فقامَ ﷺ يَخْدِمُهُمْ فقال أصحابُهُ نَكْفِيكَ قال إنَّهُمْ كانُوا لإصْحابِنَا مُكْرِمِيْنَ وأنا أُحِبُّ أنْ أُكافِئَهُمْ .

وجَاءَتْه امْرَأةٌ في عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ إنَّ لِيْ إلِيْكَ حَاجَةٌ فَقَالَ اجْلِسِيْ فِي أَيِّ سِكَكِ المَدِيْنَةِ شِئْتِ أَجْلِسُ إلِيْكِ حَتَّى أَقْضِيْ حَاجَتَكِ فَخَلاَ مَعَهَا في بَعْضِ الطَّرِيْقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِن حَاجَتِهَا وَجَاءَ في البُخارِي كَانَتِ الأَمَةُ تَأْخُذُ بيَدِ رسولُ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلَقَ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ .

وَدَخَلَ الحَسَنُ بنُ عَلي والنبيُّ ﷺ يُصَلِّيْ فَرَكِبَ علَى ظَهْرِهِ وهُوَ سَاجِدٌ فَأَبْطَأ في سُجُوْدِهِ حَتَّى نَزَلَ الحَسَنُ فَلمَّا فَرَغَ قال لَهُ بَعْضُ أصْحَابِهِ لَقَدْ أطَلْتَ سُجُودَكَ قال إنَّ ابْنِي ارْتَحلنِي فكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ .

وكان ﷺ يُبَاسِطُ أَصْحَابَهُ وكَانَ رَجُلٌ يُسَمَّى زُهَيْراً يُهادِي النبيَّ ﷺ بِمَا

يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَوْجُودِ البَادِيَةِ وَكان ﷺ يُهادِيْهِ ويُكَافِئُهُ بمَوْجُودِ الحَاضِرَةِ وبِمَا يُسْتَطرَفُ مِنْهَا وكان ﷺ يَقُولُ زَهَيْرٌ بادِيَتُنَا ونَحْنُ حَاضِرَتُهْ .

ولَقَدَ جَاءَ إلى السُوْقِ يَوْماً فوَجَدَ زُهَيْراً قَائِماً فَجَاءَ مِن قِبَلِ ظَهْرِهِ وضَمَّهُ بِيَدِهِ إلى صَدْرِهِ فأَحَسَّ زُهَيْرُ أَنَّهُ الرَّسُوْلُ ﷺ فَجعَلَ يَمْسَحُ ظَهْرَهُ في صَدْرِ النَّبِي ﷺ رَجَاءَ البَرَكَةِ مِن اللَّهِ ثُمَّ مِن جَسَدِه ﷺ فَجعَلَ ﷺ يقولُ مَنْ يَشْتَرِي العَبْدَ قالَزُهيراً إِذَا تَجِدْنِي كَاسِداً فقالَ المُصْطَفَى ﷺ أَنْتَ عَندَ اللَّهِ غَالِيْ .

وكَانَ ﷺ يَمْزَحُ ولَا يَقُولَ إلا حَقاً فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلاً جَاءَهُ فقالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ احْمِلْنِي فقَالَ أَحْمِلُكَ على ابْنِ النَّاقَةِ فقال مَا عَسَى يُغْنِي عَنيْ ابنُ الناقةِ فقالَ النبي ﷺ وَيْحَكَ وَهَلْ يَلِدُ الجَمَلَ إلا النَّاقَةُ .

وجَاءَتَهْ مَرَّةً عجُوزٌ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ لِيْ أَنْ يُدْخِلِنِي الجَنَّةَ فقالَ يَا أُمَّ فُلَانٍ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَجُوزٌ فَوَلَّتْ تَبْكِيْ فقالَ أخْبِرُوْهَا أَنَّهَا لا تَدْخُلُهَا وهي عَجْوزٌ إن اللَّهَ تعالى يَقُولُ « إِنَّا أنشأناهَن إِنَشاءً فجعلناهن أبكارا » .

ومِنْ ذَلِكَ أنَّ أَنَساً كَانَ لَهُ أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُوْ عُمَيْرٍ وَكَانَ لَهُ نُغَرٌ « طَائِرٌ صَغِيْرٌ » يَلْعَبُ بِهِ فَمَاتَ فَدَخَلَ عَلى النبي ﷺذَاتَ يَوْمٍ وهُوَ حَزِيْنٌ فَقَالَ مَا شَأْنُهُ قِيْلَ لَهُ مَاتَ نُغَرُهُ فقالَ يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُغَيْرُ .

وكَانَ النبي ﷺ يُكْرِمُ كَرِيْمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُوَلِّيْهِ أَمْرَهُمْ ويَقْبَلُ مَعْذِرَةَ المُعْتَذِرِ إِلَيْهِ وَإِلَيْكَ قِصَّةُ كَعْبِ بنِ زُهَيرٍ غَضبَ كَعْبُ على أَخِيْهِ بُجَيْرٍ حيْنَ أَسْلَمَ وَآمَنَ بالنَّبِي ﷺ فقالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسلامُ مَنْ لَقِيَ مِنكُمْ كَعْبَ ابنَ زُهَيْرٍ فَلْيَقْتُلْهُ .

فَكَتَبَ بُجَيْرٌ إلى أَخِيْهِ كَعْبٍ يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ وأَنَّ النَّبِيَ ﷺ أَهْدَرَ دَمَهُ فإِنْ كانَ لَكَ في نَفْسِكَ حَاجَةٍ فَصِرْ إِلَيْهِ فانَّهُ يَقْبَلُ مَنْ جَاءَ تَائِباً ولا يُطَالِبُه بِمَا عَمِلَ

قَبْلَ الإسْلَامِ .

فلمَّا بَلَغَ الكتابُ كَعْباً فَرَّ إلى قَبْيْلَتِهِ لِتُجِيْرَهُ فأَبَتْ عَلَيْهِ ذَلِكَ فأشْفَقَ وخَافَ عَلَى نَفْسِهِ وأرْجَفَ بِهِ أَعْدَاؤُهُ فَقَدِمَ المَدِيْنَةَ ونَزلَ عَلَى عَلَيِّ بْن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه فأتَى بِهِ إلى المَسْجِدِ وقال هذا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُمْ إلَيْهِ واسْتَأْمِنْهُ .

فَسَمِعَ كَلَامَهُ وقَامَ إلَيْهِ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ قائِلاً يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ كَعْبَ بنَ زُهَيْرٍ قَدْ جَاءَ يَسْتَأْمِنُكَ تائباً مُسْلِماً فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ مِنْهُ ذَلِكَ إِنْ أنا جِئْتُكَ بِهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَنَا كَعْبُ بنُ زُهَيْرٍ فقَال النبي ﷺ الذِيْ يَقُولُ مَا يَقُولُ .

وَوَثَبَ إليه رَجُلٌ مِن الأَنْصارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي وَعَدُوَّ اللَّهِ أَضْرِبُ عُنَقَهُ فقال لَهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ دَعْهُ عَنْكَ فانَّهُ قَدْ جَاءَ تَائِباً نَازِعاً ثُمَّ أَخَذَ كَعْبُ فِي إِنْشَاءِ قَصِيْدَتِهِ المَشْهُوْرَةِ يَمْدَحُ فِيها رسولَ اللَّهِ ﷺ وَيَذْكُرُ خَوْفَهُ وارْجَافَ الوُشَاةِ بِهِ ومَطْلَعُهَا :

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِيْ اليَوْمَ مَتْبُوْلُ
مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَي مَكْبُوْلُ

إلى أَنْ بَلَغَ :

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
مُهَنَّدٌ مِن سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوْلُ

فَرَمَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بُرْدَتَهُ الشَّرِيْفَةَ إلَيْهِ وَعَفَا عَنهُ كَمَا هِيَ عَادَتُهُ الكَرِيْمَةُ

وَكانَ ﷺ لا يُوَاجِهُ أَحداً في وَجْهِهِ بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ لِسعَة صَدْرِهِ وَغزَارَةِ عَقْلِه وشِدَّةِ حَيَائِهِ وكان ﷺ يأمُرُ بالرِّفق ويَحُثُ عليه وَيَنْهي عن العُنْفِ ويُبْغِضُهُ ولَمْ يَكُنْ فَاحِشاً ولاَ مُتَفَحِّشاً ولا يُجْزِيْ بالسَّيئَةِ السَّيِئَة بَلْ يَعْفُوْ ويَصْفَحُ اللَّهم صلِ وسَلِّمْ عليه .

وكانَ يَزُوْرُ ضُعَفَاءَ المُسْلِمِيْنَ تَلَطُّفا بِهِمْ وإِيْنَاساً لَهُمْ ويَعُوْدُ مَرْضَاهُمْ ويَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ سَواءٌ كانَتْ لِشَرِيْفٍ أَوْ وضِيْعٍ وبذَلِكَ كان خَيْرَ أُسْوَةٍ وكانَ ﷺ أَصْبَرَ الناسِ على مَا يَكُونُ مِن قَبِيْحِ الأفعالِ مِنهُم وَسُوْءِ سِيْرَتِهِمْ وقَبِيحِ سَرِيْرَتِهِمْ لِإنَّ اللَّهَ تعالى شَرَحَ لَهُ صَدْرَهُ فاتَّسَعَ لِما تَضِيْقُ مِنهُ صُدُوْرُهُمْ .

وَكانَ ﷺ كَامِلاً في قُوَّةِ عَقْلِهِ وَادْرَاكِهِ وصِحَّةِ قِيَاسِهِ الفِكْرِي وصِدْقِ ظُنُوْنِهِ وصِحَّة فَهْمِهِ وقُوَّةِ حَواسِّهِ مَفْطُوْراً عَلىَ الصَّبْرِ والسُّكُونِ والحَيَاءِ والمُرُؤَةِ والمَوَدَّةِ والرَّحْمَةِ والهِدَايَةِ لِلْخَلْقِ وَحُبِّ الخَيْرِ لَهُمْ وإِعْطَاءِ الحِكْمَةِ حَقَّهَا في سَائِرِ أُمُوْرِهِ .

وكانَ ﷺ ذَا سَياسَةٍ شَرِيْفَة ومَعَارِفَ مُنْيفةٍ وَنَظَرٍ ثاقِبٍ ورأيٍ صائِبٍ وحَدْسٍ مُوَافق وَفَضَائِلَ مَقْصُودَةٍ وأَخْلاقٍ مَحْمُوْدَةٍ دِيْنُهُ الاسلامُ وخُلُقُهُ القُرآنُ يَرْضَي لِرِضَاهُ وَيَسْخَطُ لِسَخَطِهِ مُحَرِّراً لِلشَّرائِعِ حافِظاً لِلْوَدائِعِ .

وكَانَ ﷺ كَثِيْرَ الأفْضالِ يَصِلُ مَن قَطَعَهُ ويُعْطِيْ مَن حَرَمَهُ ويَبْذِلُ لِمَنْ مَنَعَهُ ويَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ ويُغْضِي طَرْفَهُ عن القَذَى ويَحْبِسُ نَفْسَهُ عن الأَذَى لا يَنْتَقِمُ مَعَ القُدْرَةِ ويَصْبِرُ على ما يَشُقُ ويُكْرَهُ ولا يَزِيْدُ مَعَ أذَى الجَاهِلِ إِلَّا صَبْرَا وَحِلْمَا .

وما خُيِرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إلا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمَا وَكَمْ أَعْرَضَ عَن

جاهِلٍ وَمُعانِدٍ وكان ﷺ يأكلُ مَعَ الخَادِمِ وَيُبادِرُ إلى خِدْمَةِ القَادِمِ ويرْقعُ ثَوْبَهُ ويَخْصِفُ نَعْلَهُ ويَقُمُّ بَيْتَهُ ويَخْدِمُ أَهْلَهُ ويَحْمِلُ بِضَاعَتَهُ مِن السُوْقِ مَع أَنَّهُ سَيِّدُ وَلدِ آدَمَ وأكْرَمُ الخَلْقِ على اللَّهِ .

وكَانَ ﷺ رَحِيْماً حَتَّى بأَعْدَائِهِ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ لمَّا دَخَلَ يومَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلى قُرَيْشٍ : وقَدْ جَلَسُوْا بالمَسْجِدِ الحَرَامِ وصَحْبُهُ يَنْتَظِرُوْنَ أَمْرَهُ فِيْهِمْ مِن قَتْلٍ أَوْ غَيْرِهِ .

قالَ لِقُرَيْشٍ ما تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ قَالُوا خَيْرًا أَخٌ كَرِيْمٌ وابنُ أَخٍ كَرِيمٍ فقال ﷺ أَقُولُ كَمَا قالَ أخِي يُوْسُفُ : لا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ اليومَ . اذْهَبُوا فأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ ولا غَرابَةَ فقد انفرد بالأخلاق الفاضلة والمحاسِنِ والمعارِفِ والتَّوَدُدِ والرِفْقِ ومن النظم الذي لا يصلح أن يوصَفَ بِهِ إلاَّ النبي صلى الله عليه وسلم ما يَلِي :

تَلْقَاهُ وهو مَعَ الإحسانِ مُعْتَذِراً ... وقد يُسِيء مُسِيءٌ وهو غَضْبَانُ
إذَا بَدَا وَجْهُ ذَنْبٍ فَهْوَ ذُوْ سِنَةٍ ... وإنْ بَدَا وَجْهُ خَطْبٍ فَهْوَ يَقْظَانُ
إذا تَيَمَّمَهُ العَافِي فكوْكَبُهُ ... سَعْدٌ ومَرْعَاهُ في وادَيْهِ سَعْدَانُ
أَحْيَا بِهِ الله هَذا الخَلْقَ كُلَّهُمُ ... كأنه الرُوْحُ وَالمخْلُوْقُ جُثْمَانُ

عبادَ اللَّهِ إنَّ أَمامَكُم يَومٌ لا كَالأَيّامِ يَومٌ فِيهِ مِن الأَهْوالِ والشَّدائِدِ والكُرُوْبِ ما يُشَيِّبُ الوِالْدَانَ وتَذْهَلُ فِيه المُرْضِعَةُ عَمَّا أَرْضَعَتْ يَوْمٌ يَتَغَيُّر فيهِ العَالَمُ ويَنْتَهِي نِظَامُهُ الذي نَرَاهُ .

فَتَنْثَرُ الكَوَاكِبُ وتَتَساقَطُ وتُطْوَى السَّمَاءُ كَطَيِ السِّجِلِ لِلْكُتُبِ يُزِيْلُهَا اللَّهُ وتُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وتُمدُّ كما أَخْبَرَ اللَّهُ تعالى ويُنْفَخُ في الصُوْرِ فَيَقُومُ الناسُ مِن قُبُورِهِم لِرَبِ العَالَمِين .

وحِيْنَئِذٍ يُحْشَرُ الكَافِرُ أَعْمَى لا يُبْصِرُ أَصَمٌ لا يَسْمَعُ أَبْكَمُ لا يَنْطِقُ يَمْشِي

عَلىَ وَجْهِهِ لِيَعْلَمَ مِن أَوَّلِ الأَمْر أنَّهُ مِن أهْلِ الإِهَانَةِ ويَكُونُ أسْوَدَ الوَجْهِ أزْرَقَ العَيْنَيْنِ في مُنْتَهى العَطَشِ في يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِيْنَ ألفَ سَنَةً لَيس بَيْنَهُ وبَيْنَ الشَّمْسِ إلا مِقْدَارُ مِيْلٍ .

إذْ ذَاكَ يِقِفُ مَبْهُوْتاً ذَاهِلَ العَقْلِ شَاخِصَ البَصَرِ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ تُرَاباً ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ إلى النَّارِ ويُسْلَكُ في سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً وَبَعْدَ دُخُولِهِ فِيْهَا لا يَخْرُجُ مِنها أبَداً وَلاَ يُزْدَادُ إلاَّ عَذاباً ولا يُفَتَّرُ عنه .

إن اسْتَغَاثَ يُغَاثُ بِمَاءٍ كَالمُهْلِ يَشْوِيْ الوُجُوْهَ ويُذِيْبُ الأَمْعَاءَ وَيُحْرِقُ الجُلُوْدَ تُحِيْطُ بِهِ النارُ مِن كُلِ جِهَاتِهِ لَهُمْ مِن جَهَنَّمَ مِهادٌ ومِن فَوْقِهِم غواشٍ كُلَّما نَضِجَ جِلْدُهُ بُدِّلَ جِلْداً غَيْرَهُ .

وَكُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا قُمِعَ بمَقَامِعَ مِن حَدِيْدٍ كُلُ هَذَا العَذَابَ يُعَانِيْهِ ولا يَمُوْتُ« وَيأتِيْهِ المَوتُ مِن كُلِ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ومِن وَرَائِهِ عذابٌ غَلِيْظٌ » لا يَمُوتُ فِيْهَا ولا يَحْيَا وسَواءٌ صَبَرَ أمْ لَمْ يَصْبِرْ هُوَ خَالِدٌ في جَهَنَّمَ خُلُوداً لا انْتِهَاءَ لَهُ أبَدَا .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيْ اللَّهُ عَنْه أنَّ رَسُوْلَ اللَّه ﷺ أتِيَ بفَرَسٍ يَجْعَلُ كُلَّ خَطْوٍ مِنْهُ أقْصَى بَصَرِهُ فَسَارَ وَسَارَ مَعَهُ جِبْرِيْلُ عليه السلامُ .

فأتَى عَلىَ قَوْمٍ يَزْرَعُونَ في يَوْمٍ ويَحْصُدُوْنَ في يومٍ كُلَّما حَصَدُوْا عَادَ كَمَا كَانَ فقالَ يا جِبْرِيْلُ مَنْ هَؤُلآءِ قال هَؤُلآءِ المُجَاهِدُوْنَ في سَبْيلِ اللّهِ تُضَاعَفُ لَهُمُ الحَسَنَةُ بِسَبْعِمائَةِ ضَعْفٍ وما أنْفَقُوا مِن شيءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ .

ثُمّ أتَى عَلَى قَوْمٍ ترضَخُ رُؤُوسُهُمْ بِالصَّخْرِ كُلَّمَا رُضِخَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ وَلاَ يُفَتَّرُ عَنهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ قَالَ يا جِبْرِيْلُ مَن هَؤُلاءِ قَالَ هَؤُلاءِ الّذِينَ

تَثَاقَلَتْ رُؤُوسُهُمْ عَن الصَّلاَة .

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ عَلَى أَدْبَارِهِم رِقَاعٌ وعَلَى أَقْبَالِهِم رَقَاعٌ يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الأنْعَامُ إلى الضَّرِيْعِ والزَّقوم ورَضَفِ جَهَنَّمَ قالَ مَا هَؤُلآءِ يا جِبْرِيْلُ قال هَؤلآءِ الذينَ لا يُؤَدُّوْنَ صَدقَاتِ أَمْوَالِهِم وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ ومَا اللّهُ بظلام لِلْعَبِيْدِ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى رَجُلٍ قَدْ جَمعَ حُزْمَةً عَظِيْمَةً لاَ يَسْتَطِيْعُ حَمْلَهَا وهُوَ يُرِيْدُ أنْ يَزِيْدَ عَلَيْهَا قالَ يَا جِبْرِيْلُ مَا هَذَا قال هَذَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِكَ عَليهِ أَمَانَةُ النَاسِ لا يَسْتَطِيْعُ أدَاءَهَا وهُوَ يرِيْدُ أَنْ يَزِيْدَ عَلَيْهَا .

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ وَأَلْسِنَتُهُم بمَقَارِيْضَ مِن حَدِيْدٍ كُلَّمَا قُرُضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ لا يُفَتَّرُ عَنْهُم مِن ذَلكَ شَيْء قال يا جِبْرِيْلُ مَا هَؤُلآءِ : قالَ خُطَبَآءُ الفِتْنَةِ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى جُحْرٍ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ ثَوْرٌ عَظِيْمٌ فَيُرِيْدُ الثَّوْرُ أَنْ يَدْخُلَ مِن حَيْثُ خَرَجَ فلاَ يَسْتَطِيْعُ قالَ مَاهَذايَا جِبْرِيلُ قالَ هَذَا الرَّجلُ يَتَكَلَّم بالكَلِمَةِ العَظِيْمَةِ فَيَنْدَمُ عَلَيْهَا فَيُرِيْدُ أَنْ يَرُدَّهَا فَلاَ يَسْتَطِيْعُ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ فَوَجَدَ رِيْحاً طَيِّبَةٍ وَوَجَدَ رِيْحَ مِسْكٍ مَعَ صَوْتٍ فقالَ مَا هَذَا قالَ صَوْتُ الجَنةِ تَقُولُ يَا ربُّ ائتِنِي بأَهْلِي وبِمَا وَعَدْتَنِي فَقَدْ كَثُرَ غَرْسِي وحَرِيْرِيْ وسُنْدُسِي وَإِسْتَبْرَقِي وعَبْقَرِيِّي ومُرْجَانِي وفِضَّتِيْ وذَهَبِي وأَكْوَابِي وصِحَافِي وأَبَارِيْقِي وفَوَاكِهِيْ وعَسَلِيْ ومَائِيْ ولَبَنِيْ وخَمْرِيْ ائتِني بِمَا وَعَدْتَنِيْ .

قال لَكِ كُلُّ مُسْلِمٍ ومُسْلِمَةٍ ومُؤْمِنٍ ومُؤْمِنَةٍ وَمَنْ آمَنَ بِي وبِرُسُلِي وعَمِلَ

صَالِحاً ولَمْ يُشْرِكْ شَيْئاً ولَمْ يَتخِذْ مِن دُوْنِي أنداداً فَهوَ آمِنٌ ومَن سَأَلَنِي أعْطَيْتُهُ ومَنْ أَقْرَضَنِي جَزَيْتُهُ ومَن توَكَّلَ عَلَيَّ كَفَيْتُهُ إِنِيْ أَنَا اللَّهُ لاَ إِلهَ إلاَّ أَنا لاَ خُلْفَ لِمِيْعَادِيْ قَدْ أَفْلَحَ المؤمِنُوْنَ تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِيْن فَقَالَتْ رَضِيْتُ . ثُم أَتَى عَلَى وادٍ فَسَمِعَ صَوْتاً مُنْكِراً فقَالَ يَا جِبْرِيْلُ مَا هَذَا الصَّوْتُ قالَ هَذَا صَوْتُ جَهَنَّمَ تَقُولُ يَا رَبُّ ائتِنِيْ بِأَهْلِي وبِمَا وَعَدْتَنِي فَقَدْ كَثُرَتْ سَلاسِلِيْ وأغْلاَلِيْ وسَعِيْرِيْ وَحَمِيْمِيْ وغَسَاقِي وغِسْلِيْنِي وَقَدْ بَعُدَ قَعْرِيْ واشْتَدَّ حَرِّيْ ائتِنِيْ بِمَا وَعَدْتَنِيْ قال لَكِ كلُ مُشْرِكٍ وَمُشْرِكَةٍ وخَبِيْثٍ وخَبِيْثَةٍ وكُلُ جَبَّارٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الحِسَابِ قالَتْ قَدْ رَضِيْتُ رواه البزارُ عن أبي العالِيَةِ - أو غيرِهِ - عن أبي هَرِيرَةِ الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ٤٥٤ في كتاب صفة الجنة والنار .

عن أبي سَعِيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه عن النبي ﷺ قال « وَيْلٌ وَادٍ في جَهَنَّمَ يَهْوِيْ فِيْهِ الكَافِرُ أرْبَعِيْنَ خَرِيْفاً قَبْلَ أنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ .

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قال في قوله سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا » قال : « جَبَلٌ مِن نَارٍ يُكَلَّفُ الكَافِرُ أَنْ يَصْعَدَهُ فاذَا وَضَعَ يَدَهُ عليهِ ذَابَتْ فإذا رَفَعَهَا عَادَتْ وإذا وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَيهِ ذَابَتْ فإذَا رَفَعَهَا عَادَتْ يَصْعَدُ سَبْعِيْنَ خَرِيفًا ثم يَهْوِيْ كذلك رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد .

عَظِيمٌ هَوْلُهُ والناسُ فيه ... حَيَارَى مِثْلَ مَبْثُوثِ الفَراشِ
بِهِ تَتَغَيَّرُ الأَلْوانُ خَوفاً ... وتَصْطَكُّ الفَرائِصُ بارْتِعَاشِ
هنالِكَ كُلُّ مَا قَدَّمْتَ يَبْدُو ... فَعَيْبُكَ ظاهِرٌ والسِّرُّ فاشِ
تَفَقَّدْ نَقْصَ نَفْسِكَ كُلَّ يَوْمٍ ... فَقَدْ أوْدَى بها طَلَبُ المَعَاشِ
أَلاَ لِمْ تَبْتَغِي الشَّهَواتِ طَوْراً ... وَطوْراً تكْتَسِي لِيْنَ الرِّياشِ ؟

اللهُمَّ أَلْحِقْنَا بِعِبادِكَ الأبْرَارِ وَآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ واغفِرْ لنَا ولَوالِدَيْنَا وَلِجمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلى مُحمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِين .

نَماذِجُ مِن
« عَدْلِهِ ﷺ »

مِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَن عُروةَ عن عائشةَ أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ في عَهْدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ في غَزْوَةِ الفَتْحِ ففَزِعَ قوْمُهَا الى أُسامَةَ ابنِ زَيدٍ يَسْتَشْفِعُوْنَ بِهِ قَالَ عُرْوَةُ فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسامَةُ فِيْهَا تلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وقال أَتُكَلِّمُني في حَدٍّ مِن حُدُوْدِ اللَّهِ تَعالى فَقَالَ أُسامَةُ اسْتَغْفِرْ لِيْ يا رَسُولَ اللَّهِ فلمَّا كانَ العَشِيُّ قامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيْبًا فأَثْنَى على اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثم قَالَ أَمَّا بَعْدُ فإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُم أَنَّهُمْ كانُوا إِذا سَرَقَ فِيهم الشَّرِيْفُ تَرَكُوْهُ وَإِذا سَرَقَ فِيهِم الضَّعِيْفُ أَقامُوْا عَلَيهِ الحَدَّ والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فاطِمَةَ بِنْتَ مُحمدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا .

ثُمَّ أَمَرَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ بِتِلْكَ المَرْأَةِ فَقُطِعَتْ يَدُهَا الحَدِيْثَ أخرجَهُ البُخاري .

ولَمَّا كَانَ العَبَّاسُ عَمُّ النَّبِي ﷺ في وَثَاقِهِ مَعَ الأَسْرَى يَئِنُ فَأَرِقَ النبيُّ ﷺ فَسُئِلَ عن سَبَبِ أرَقِه ـ أيْ عَدَمِ نَوْمِهِ ـ وقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ نَصْراً مُؤَزَّراً قال سَمِعْتُ أَنِيْنَ العَبّاسِ في وَثَاقِهِ فأَسْرَعَ بَعْضُ المُسْلِمْينَ لَمَّا سَمِعَهُ وَحَلَّ وَثَاقَهُ وعَادَ فأَخْبَرَ النبيَّ ﷺ أَنَّهُ حَلَّ وَثَاقِ العَبّاسِ قال ﷺ اذْهَبْ فافْعَلْ ذَلِكَ بالأَسْرَى كُلِّهِمْ فَتَأَمَّلْ هذا النَّصَفَ والعَدْلَ مِنه ﷺ .

« موعظة »

عِبَادَ الله مِنْ أَحْكامِ دِيْنِنا وَوَحْيِ قُرْآنِنا وتَعالِيْمِ نَبِيِّنا مُحمدٍ ﷺ المُقَرَّرَةِ

الثابتةِ أنّهُ لا فَضلَ لِعَربيٍ على عَجمِيٍ ولاَ لأبيض عَلَى أسْودَ ولا لِسَيِّدٍ عَلَى مَسُوْدٍ ولا لِملِكٍ على مَمْلُوْكٍ ولا صُعْلوكٍ إلا بالتَّقْوى .

فالمِعْيَارُ الصحيحُ والمِيْزَانُ العَدْلُ الحَقُّ لِلتَّفَاضُلِ بَيْنَ الأَفْرَادِ والجَمَاعَاتِ والتَّرْجِيْحِ بَيْنَ مُخْتَلَفِ الطَّوَائِفِ والطبقاتِ والْهَيْئآتِ مَا جَاءَ عَن رَبِّ الأَرْضِ والسَّمواتِ « إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أتْقَاكُمْ » ولَم يَقُلْ سُبْحَانَهُ وتعالى إنَّ الكَرْيْمَ مَنْ عَظُمَ جَاهُهُ أَوْ كَثُرَ مَالُهُ أَوْ كثُرَ رِجَالُهُ واسْتَسْلَمَ لَهُ الناسُ طائِعِيْنَ ومُكْرَهِيْنَ، بَلِ الكَرِيْمُ عِنْدَهُ مَنْ اتَّصَفَ بالتَّقْوى .

فالعَاقِلُ مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ في السِّرِ والنَّجْوَى وعَامَلَ النَّاسَ بالمُسَاوَاةِ ولَمْ يُرَاعِي الرُّتَبَ والدَّرَجاتِ والحَسَبَ والشَّرَفَ والسِّيَادَاتِ وسَوَّى بَيْنَهُمْ وِفْقَ تَسْوِيَةِ اللَّهِ لَهُمْ في الوَاجِبَاتِ والحُدُوْدِ وَالعِبَادَاتِ .

فَتَأَمَّلْ تجِدْ في المَوْقِفِ بالصَّلاةِ والحَجِّ وَكَيْفَ يَتَسَاوَى فِيهِ الأَمِيْرُ وَالمَأْمُوْرُ والعَظِيْمُ والحَقِيْرُ والغَنِيُّ والفَقِيْرُ والصُّعْلُوكُ والوَزِيْرُ كُلُّهُمْ بِلِسَانٍ وَاحِدٍ ولَهْجَةٍ صَادِقَةٍ يُؤدُوْنَ العِبَادَةَ لِمَوْلاَهُمْ العَلِي الكَبِيْرِ وهُمْ مُعْتَرِفُوْنَ بِشَدَةِ الافْتِقَارِ إليْهِ والعَجْزِ والتَّقْصِيْرِ فتِلْكَ هِيَ المُسَاوَاةُ كُلَّ المُسَاوَاةِ الَّتِي جَاءَ بِها الاسلامُ ودَعَى إلَيْها النَّبِي ﷺ ومَكّنَهَا في نُفُوسِ أَصْحَابِهِ أيَّ تَمْكِيْنٍ .

كَمَا سَتَرَى ما سَنَذْكُرُهُ إنْشَاءَ اللَّهُ مِن عَدْلِهِمْ وانْصَافِهِم وحُبِّهِمْ لِلْمُسَاوَاةِ وإيْثَارِهِم العَدْلَ في الأَحْكَام وتَأَمَّلْ مَا فِي هَذَا الحَدِيْثِ الشَّرِيْفِ ومَا قَالَهُ المُصْطَفى ﷺ وتَأَمَّلْ ما بَعْدَهُ مِمَّا سَيأتِيْكَ مِن سِيْرَتِهِ أ . هـ .

أَخرَجَ ابنُ عَساكِرَ عن عبدِ اللَّهِ بنِ حَدْرَدٍ الأَسْلَمِي رَضِي اللَّهُ عنه أنَّه كانَ لِيَهُوْدِي عَلَيْهِ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ فاسْتَعْدى عليهِ فقال يا مُحَمَّد إنَّ لِيْ عَلَى هَذَا

أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ وقَدْ غَلَبَنِيْ عَلَيْهَا قالَ أعْطِهِ حَقَّهَ قال والذِي بَعَثَك بالحَقِّ ما أَقْدِر عَلَيْهَا قال أعْطِهِ حَقَّهُ قال والذي نَفْسِيْ بيَدِهِ ما أَقْدِرُ عَلَيْهَا قَدْ أخْبَرْتَهُ أنَّك تَبْعَثُنَا إلى خَيْبَرَ فأرْجُوْ أنْ تُغنِّمَنَا شَيْئاً فأرْجِعُ فأقْضِيْهِ .

قالَ أَعْطِهِ حَقَّهُ وكانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذَا قال ثَلاثاً لَمْ يُرَاجَعْ فَخَرَجَ ابنُ أَبِي حَدْرَدٍ إلى السُّوْقِ وعلى رَأسِهِ عِصَابَةٌ وهُوَ مُتَّزِرٌ بِبُرْدَةٍ فَنَزَعَ العِمَامَةَ فاتَّزَرَ بِهَا ونَزَعَ البُرْدَةَ فقَالَ : اشْتَرِ مِنِّيْ هَذِه البُرْدَةَ فَباعَهَا مِنْهُ بِأرْبَعَةِ دراهِمَ فَمَرَّتْ عَجُوْزٌ فَقَالَتْ مَا لَكَ يَا صَاحِبَ رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ فأَخْبَرَهَا فقَالَتْ هَا دُوْنَكَ هَذا البُرْدَ لِبُرْدٍ عَلَيْها طَرَحَتْهُ عليه .

وعن أَبِيْ سَعِيْدٍ الخُدْرِي قال جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إلى النبي ﷺ يَتَقَاضَاهُ دَيْناً كَانَ عَلَيْهِ فاشْتَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى قال احَرِّجُ عَلَيْكَ إلاَّ قَضَيْتَنِي فانْتَهَرَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا وَيْحَكَ تَدْرِيْ مَنْ تكلم فقَالَ إِنِّي أَطْلُبُ حَقِّيْ فقالَ النبيُّ ﷺ :

هَلاَّ مَعَ صَاحِبِ الحَقِّ كُنْتُمْ ثُمَّ أَرْسَل إلى خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ فَقَالَ لَهَا إنْ كَانَ عِنْدَكِ تَمْرٌ فأَقْرِضِيْنَا حَتَّى يَأْتِيْنَا تَمْرٌ فَنَقْضِيْكِ فَقَالَتْ نَعَمْ بأَبِيْ أَنْتَ وأُمِّيْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَقْرَضَتْهُ فقضَى الأَعْرابِيَّ وأَطْعَمَهُ .

فَقَالَ أَوْفَيْتَ أَوْفَى اللَّهُ لَكَ فَقَالَ أُولَئِكَ خِيَارُ الناسِ إِنَّهُ لاَقُدِّسَتِ أمةٌ لا يَأْخُذُ الضَّعِيْفُ فِيْهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ أخرجه ابنُ ماجَة ورَوَاهُ البزارُ مِن حديث عائشة رضي الله عنها مُخْتَصَرا .

وأَخْرَجَ الطبرانِيُّ خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ امْرأةِ حَمْزَةَ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ رضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَتْ كانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وسَقٌ مِن تَمْرٍ لِرَجُلٍ مِن بَنِيْ سَاعِدَةَ فَأَتَاهُ يَقْتَضِيْهِ فأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً مِن الأَنْصَارِ أنْ يَقْضِيَهُ فَقَضَاهُ تَمراً دُوْنَ تَمْرِهِ

فأَبى أنْ يَقْبَلَ فقَالَ أَتَرُدُّ على رَسُولِ الله ﷺ .

قَالَ نَعَمْ ومَنْ أَحَقُّ بالعَدْلِ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فاْكتَحلتْ عَيْنا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بدُمُوْعِهِ ثُمَّ قَالَ صَدَقَ ومَنْ أحَقُّ بالعَدْلِ مِنِّيْ لاقَدَّسَ اللَّهُ أُمَّةً لا يَأْخُذُ ضَعِيْفُهَا حَقَّهُ مِن شَدِيْدِهَا ولاَ يُتَعْتِعُهُ .

ثُمَّ قَالَ « يَا خَوْلَةُ عِدْيهِ وَاقْضِيْهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ غَرِيْمٍ يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِ غَرِيْمِهِ رَاضِياً إلاَّ صَلَّتْ عَلَيْهِ دَوَابُّ الأَرْضِ وَنُوْنُ البِحَارِ وَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَلْوِيْ غَرِيْمَهُ وَهُوَ يَجِدُ إلاَّ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِثْماً .

ولَمَّا بَلَغَ بُنْيَانُ قُرَيْشٍ مَوْضِعَ الرُّكْنِ اخْتَصَمَ القَبَائِلُ كُلُّ قَبِيْلَةٍ تُرِيْدُ أَنْ تَرْفَعَ الرُّكْنَ إلى مَوْضِعِهِ وَكادُوْا يَقْتَتِلُوْنَ عَلى ذَلِكَ فقَالَ لَهُمْ أَبو أُمَيَّةَ بْنُ المُغِيْرَةِ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرو بْنِ مَخْزُوْمٍ وَكَانَ شَرِيْفاً مُطَاعاً اجْعَلُوا الحَكَمَ بَيْنَكُمْ لأَوَّلِ مَن يَدْخُلُ مِنْ بَابِ الصَّفَا فَقَبِلُوا ذَلِكَ مِنْهُ وَكَانَ أَوَّلَ دَاخِلٍ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا هَذَا الأَمِيْنُ أَقْبَلَ وَكَانَ يُسَمَّى فِي الجاهِلِيَّةِ « الأَمِيْنُ » لأَمَانَتِهِ وَصِدْقِهِ فَقَالُوا جمِيْعاً رَضِيْنَا بِحُكْمِهِ .

ثُمَّ قَصُّوْا عَلَيْهِ قِصَّتَهُمْ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ هَلُمَّ إلَيَّ ثَوْباً فَأُتِيَ بِهِ فَوَضَعَ الرُّكْنَ فِيْهِ يَعْنِي الحَجَرَ الأَسْوَدَ ثُمَّ قَالَ لِتَأخُذْ كُلُّ قَبِيْلَةٍ بِطَرَفٍ مِنْ هَذَا الثَّوْبِ فَحَمَلَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَطْرَافٍ أَرْبَعَةٌ مِن وُجُوْهِ القَبَائِلِ وأَشْرَافِهَا وزُعَمائِهَا وَرَفَعُوْهُ إِلى مُحَاذَاةِ مَوْضِعِ الحَجَرِ .

فَتَنَاوَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الثَّوْبِ وَوَضَعَهُ بِيَدِهِ الشَّرِيْفَةِ فِي مَحَلِّهِ فَكَانَ الأَشْرَافُ والزُّعَمَاءُ خَدَماً لَهُ ﷺ وَفي ذَلِكَ يَقُولُ هُبَيْرَةُ بْنُ وَهْبٍ المَخْزُوْمِي :

تَشَاجَرَتِ الأَحْيَاءُ فِي فَضْلِ خُطَّةٍ
جَرَتْ طَيْرُهُمْ بالنَّحْسِ مِنْ بَعْدِ أَسْعَدِ
تَرَامَوْا بِهَا بالغَضِّ بَعْدَ مَوَدَّةٍ
وأَوْقَدَ نَاراً بَيْنَهُمْ شَرُّ مُوْقِدِ
فَلَمَّا رَأَيْنَا الأَمْرَ قَدْ حَانَ جِدُّهُ
وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ غَيْرَ سَلِّ المُهَنَّدِ
رَضِيْنَا وَقُلْنَا العَدْلُ أَوَّلُ طَالِعٍ
يَجِيءُ مِنَ البَطْحَاءِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ
فَفَاجَأَنَا هَذَا الأَمِيْنُ مُحَمَّدُ
فَقُلْنَا رَضِيْنَا بالأَمِينِ مُحَمَّدِ
بِخَيْرِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا أَسْوَ شِيْمَةٍ
وَفِي اليَوْمِ مَعْ مَا يُحْدِثُ اللَّهُ فِي غَدِ
فَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ
أَعَمَّ وأَرْضَى فِي العَوَاقِبِ والبَدِيْ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الرِّدَاءِ وكُلُّنَا
لَهُ حِصَّةٌ مِنْ رَفْعِهِ قَبْضَةُ اليَدِ
فَقَالَ ارْفَعُوْا حَتَّى إذا مَا عَلَتْ بِهِ
أَكُفُّهُمُ وَالَى بِهِ خَيْرُ مُسْنِدِ
وَكُلٌّ رَضِيْنَا فِعْلَهُ وَصَنِيْعَهُ
فأَعْظِمْ بِهِ مِن رأى هَادٍ وَمُهْتَدِ
وتِلْكَ يَدٌ مِنْهُ عَلَيْنا عَظِيْمَةٌ
يَرُوْحُ بِهَا هَذا الزَّمَانُ وَيَغْتَدِيْ

وَالأَرْبَعَةُ الآخِذِيْنَ بِطَرَفِ الرِّدَاءِ هُمْ عُتْبَةُ بنُ رَبِيْعَةَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْس بنِ عَبْدِ مَنَافٍ والأَسْوَدُ بْنُ المُطَّلِبِ بْنِ أَسَد بْن عَبْدِ العُزَى بن قُصَيّ ، وأبو حُذَيْفَة بْنُ المُغِيْرَة بْنِ عَمْرو ابنِ مَخْزُوْمٍ بْنِ يقظة ، وَقَيْس بنُ عَدِيّ السَّهْمِي والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم . ومما ينطبق على الرسول ﷺ مَا يَلِي :

فَمَا غَابَ عن حِلْمٍ ولَا شَهِدَ الخِنَا ... ولا اسْتَعْذَبَ العَوْرَاءَ يَوْماً فَقَالَهَا
يَدُوْمُ عَلى خَيْرِ الخِلالِ ويَتَّقِــي ... تَصَرُّمَهَا مِنْ شِيْمَةٍ وَانْتِقَالُهَـــا
وَتَفْضُلُ أَيْمَانَ الرِجَالِ شِمَالُـــهُ ... كَمَا فَضَلَتْ يُمْنَى يَدَيْهِ شِمَالَهَـــا
وَيَبْتَذِلُ النَّفْسَ المَصُوْنَةَ نَفْسُـــهُ ... إذا ما رَآى حَقاً عليه ابْتِذَالُهَـــا

(فصـــل

وَقَالَ شَيْخُ الإِسلَامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رحِمَهُ اللَّهُ وسِيْرَةُ النَّبِيّ ﷺ مِن آيَاتِهِ وأخْلاقُهُ وأَقْوالُهُ وأفعَالُهُ وَشَرِيْعَتُهُ مِنْ آيَاتِهِ وَأُمَّتُهُ مِن آيَاتِهِ وكَرَامَاتُ صَالِحِي أُمَّتِهِ مِن آيَاتِهِ .

وَذلِكَ يَظْهَرُ بتَدَبُّرِ سِيْرَتِهِ مَنْ وُلِدَ إِلى أَنْ بُعِثَ وَمِنْ حِيْنِ بُعِثَ إِلى أَنْ مَاتَ وبِتَدَبُّرِ نَسَبِهِ وَبَلَدِهِ وأَصْلِهِ وَفَصْلِهِ فَإِنَّهُ كَانَ مِن أَشْرَفِ أَهْلِ الأَرْضِ نَسَباً مِن صَمِيْمِ سُلالَةِ إِبْرَاهِيْمَ الَّذي جَعَلَ اللَّهُ فِي ذُرِّيَتِهِ النُّبُوَّةَ والكِتَاب .

فَلَمْ يَأْتِ نَبِيٌّ مِنْ بَعْدِ إِبْرَاهِيْمَ إِلّا مِن ذُرِّيَتِهِ وَجَعَلَ لَهُ ابْنَيْنِ اسْمَاعِيْلَ وإِسْحَاقَ وذُكِرَ فِي التَّوْرَاةِ هَذَا وَهَذَا وبُشِّرَ فِي التَّوْرَاةِ بِمَا يَكُونُ مِن وَلَدِ إِسْمَاعِيْل .

وَلَمْ يَكُنْ فِي وَلَدِ إِسْمَاعِيْلَ مَنْ ظَهَرَ فِيْمَا بَشَّرَتْ بِهِ النُّبُوَّاتُ غَيْرُهُ وَدَعَا إِبْراهيمُ لِذُرِّيَةِ إِسْمَاعِيْل بأَنْ يَبْعَثَ فِيْهِمْ رَسُوْلاً مِنْهُمْ ثُمَّ هُوَ مِن قُرَيْشٍ صَفْوَةِ بَنِيْ إِبْرَاهِيْمَ مِن بَنِيْ هَاشِمٍ صَفْوَةِ قُرَيْشٍ .

ومِنْ مَكَّةَ أُمِّ القُرَى وَبَلَدُهُ البَيْتُ الَّذِي بَنَاهُ إِبْرَاهِيْمُ وَدَعَا النَّاسَ إِلى

حَجِّهِ ، ولَمْ يَزَلْ مَحْجُوجاً مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيْمَ مَذكوراً في كُتُبِ الأَنْبِيَاءِ بأحْسَنِ وَصْفٍ ، وَكَانَ مِن أَكْمَلِ النّاسِ تَرْبِيَةً وَنَشأةً لَمْ يَزَلْ مَعْرُوْفاً بالصِّدْقِ والبِرِّ وَالعَدْلِ ومَكَارِمِ الأخلاقِ وَتَرْكِ الفَوَاحِشِ والظُّلْمِ وكُلِّ وَصْفٍ مَذْمُوْمٍ .

مَشْهُوداً لَهُ بِذَلِكَ عِنْدَ جَمِيْعِ مَنْ يَعْرِفُهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَمِمَّنْ آمَنَ بِهِ وَكَفَرَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ ، لَا يُعْرَفُ لَهُ شَيْءٌ يُعَابُ بِهِ لا فِي أَقْوالِهِ وَلَا فِي أَفعالِهِ وَلَا فِي أخلاَقِهِ وَلَا جُرِّبَتْ عَلَيْهِ كِذْبَةٌ قَطُّ ولَا ظُلْمٌ وَلَا فَاحِشَةٌ .

وكَانَ خُلُقُهُ وَصُوْرَتُهُ مِن أكْمَلِ الصُّوَرِ وأَتَمِها وأجْمَعِهَا لِلْمَحَاسِنِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِهِ ، وَكَان أُمِّياً مِن قَوْمٍ أُمِّيِيْنَ لَا يَعْرِفُ لا هُوَ وَلَا هُمْ مَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الكِتَابِ « التَّوْرَاةِ والانْجِيلِ » .

وَلَمْ يَقْرَأْ مِنْ عُلُومِ النّاسِ وَلَا جَالَسَ أَهْلَهَا وَلَمْ يَدَّعِ بِنُبُوَّةٍ إِلى أنْ أكْمَلَ اللّهُ لَهُ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً فَأتَى بِأَمْرٍ هُوَ أعْجَبُ الأُمُوْرِ وأَعْظَمُهَا وبِكَلَامٍ لَم يَسْمَعْ الأَوَّلُونَ والآخَرُونَ بِنَظِيْرِهِ .

وأخبَرَ بِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ فِي بَلدِهِ وَلَا فِي قَوْمِهِ مَنْ يَعْرِفُ مِثْلَهُ وَلَمْ يُعْرَفْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ ، لَا فِي مِصْرٍ مِن الأمصَارِ وَلَا فِي عَصْرٍ مِن الأَعْصَارِ مَن أَتَى بِمِثْلِ مَا أتَى بِهِ وَلَا مَنْ ظَهَرَ كَظُهُوْرِهِ .

وَلَا مَنْ أَتَى مِنَ العَجَائِبِ والآياتِ بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ وَلَا مَن دَعَا إِلى شَرِيْعَةٍ أَكْمَلَ مِن شَرِيْعَتِهِ ، وَلَا مَنْ ظَهَرَ دِيْنُهُ عَلَى الأَدْيَانِ كُلِّهَا بالعِلْمِ والحُجَّةِ وبِاليدِ والقُوَّةِ كَظُهُوْرِهِ .

ثُمَّ إِنَّهُ اتَّبَعَهُ أَتْبَاعُ الأَنْبِيَاءِ وهُمُ الضُّعَفَاءُ مِنَ النّاسِ وَكَذَّبَهُ أَهْلُ الرِّئَاسَةِ

وَعادَوْهُ وَسَعَوْا فِي هَلاكِهِ وَهلاكِ مَن تَبِعَهُ بِكُلِّ طَرِيْقٍ ، كَما كانَ الكُفَّارُ يَفْعلُون مَعَ الأنْبِيَاءِ وأَتْبَاعِهِمْ .

وَالَّذِيْنَ اتَّبَعُوهُ لَمْ يَتَّبِعُوْهُ لِرَغْبَةٍ وَلاَ لِرَهْبَةٍ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَالٌ يُعْطِيْهِمْ وَلاَ جِهَاتٍ يُوَلِّيْهِم إيَّاهَا وَلاَ كَانَ لَهُ سَيْفٌ بَلْ كَانَ السَّيْفُ والجَاهُ والمالُ مَعَ أَعْدَائِهِ ، وَقَد آذَوْا أَتْبَاعَهُ بِأَنْوَاعِ الأذى وهُمْ صَابِرُوْنَ مُحْتَسِبُونَ لاَ يَرْتَدُوْنَ عَنْ دِيْنِهِمْ لمَّا خَالَطَ قُلُوْبَهُمْ حَلاَوَةُ الإِيْمَانِ والمَعْرِفَةِ .

وكَانَتْ مَكَّةُ يَحُجُّهَا العَرَبُ مِنْ عَهْدِ إبْرَاهِيْمَ فَتَجْتَمِعُ فِي المَوْسِمِ قَبائِلُ العَرَبِ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ يُبَلِّغُهُمْ الرِّسَالَةَ وَيَدْعُوْهُمْ إلى اللّهِ صَابِراً عَلَى مَا يَلْقَاهُ مِن تَكْذِيْبِ المُكذِّبِ وَجفاءِ الجَافِي وإِعْرَاضِ المُعْرِضِ إلى أَنْ اجْتَمَعَ بأَهْلِ يَثْرِبَ وكَانُوا جِيْرَانَ اليَهُودِ قَدْ سَمِعُوْا أَخْبَارَهُ مِنْهُمْ وَعَرَفُوْهُ .

فَلَمَّا دَعَاهُمْ عَلِمُوا أَنَّهُ النَّبِيُّ المُنْتَظَرُ الَّذي تُخْبِرُهُمْ بِهِ اليَهُوْدُ وَكَانُوا قَدْ سَمِعُوا مِنْ أخْبَارِهِ مَا عَرَفُوا بِهِ مَكَانَتَهُ ، فَإِنَّ أَمْرَهُ كَانَ قَدْ انْتَشَرَ وَظَهَرَ فِي بِضْعِ عَشْرَةِ سَنَةً فَآمَنُوا بِهِ وَتَابَعُوْهُ عَلى هِجْرَتِهِ وهِجْرَةِ أَصْحَابِهِ إِلى بَلَدِهِمْ وعَلَى الجِهَادِ مَعَهُ فَهَاجَرَ هُوَ وَمَنْ اتَّبَعَهُ إِلى المَدِيْنَةِ وَبِهَا المُهَاجِرُوْنَ والأَنْصَارُ لَيْسَ فِيْهِم مَنْ آمَنَ بِرَغْبَةٍ دُنْيوِيَّةٍ وَلاَ بِرَهْبَةٍ إلا قَلِيلاً مِن الأنْصَارِ أَسْلَمُوا فِي الظَّاهِرِ ثُمَّ حَسُنَ إِسْلاَمُ بَعْضِهِمْ ثُمَّ أُذِنَ لَهُ في الجِهادِ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ .

وَلَمْ يَزَلْ قَائِماً بِأَمْرِ اللّهِ عَلَى أَكْمَلِ طَرِيْقَةٍ وأَتَمِّهَا مِن الصِّدْقِ والعَدْلِ والوَفَاءِ لاَ يُحْفَظُ عَلَيْهِ كِذْبَةً وَاحِدَةً وَلاَ ظُلْمٌ لأَحَدٍ وَلاَ غَدْرٌ بأَحَدٍ ، بَلْ كَانَ أَصْدَقَ النَّاسِ وأَعْدَلَهُمْ وأَبَرَّهُمْ وأوفَاهُمْ بِالعَهْدِ مَعَ اخْتِلاَفِ الأَحْوَالِ عَلَيْهِ مِنْ حَرْبٍ وسِلْمٍ وأَمْنٍ وخَوْفٍ وغِنىً وفِقْرٍ وقِلَّةٍ وكَثْرَةٍ وظُهُوْرِهِ على العَدُوِّ

تَارَةً وَظُهُوْرِ العَدُوِّ عَلَيْهِ تَارَةً .

وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ مُلاَزِمٌ لأَكْمَلِ الطُّرُقِ وَأَتَمِّهَا حَتَّى ظَهَرَتِ الدَّعْوَةُ فِي جَمِيْعِ أَرْضِ العَرَبِ الَّتِي كَانَتْ مَمْلُوءَةً مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ وَمِنْ أَخْبَارِ الكُهَّانِ وَطَاعَةِ المَخْلُوْقِ فِي الكُفْرِ بِالخَالِقِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ المُحَرَّمَةِ وَقَطِيْعَةِ الأَرْحَامِ لاَ يَعْرِفُوْنَ آخِرَةً وَلاَ مَعَاداً .

فَصَارُوْا أَعْلَمَ أَهْلِ الأَرْضِ وَأَدْيَنَهُمْ وَأَعْدَلَهُمْ وَأَفْضَلَهُمْ وَهَذِهِ آثَارُ عِلْمِهِمْ وَعَمَلِهِمْ فِي الأَرْضِ وَآثَارُ غَيْرِهِمْ يَعْرِفُ العُقَلاءُ فَرْقَ مَا بَيْنَ الأَمْرَيْنِ وَهُوَ ﷺ مَعَ ظُهُوْرِ أَمْرِهِ وَطَاعَةِ الخَلْقِ لَهُ وَتَقْدِيْمِهِمْ لَهُ عَلَى الأَنْفُسِ وَالأَمْوَالِ مَاتَ وَلَمْ يُخَلِّفْ دِرْهَماً وَلاَ دِيْنَاراً وَلاَ مَتَاعاً وَلاَ دَابَّةً إِلاَّ بَغْلَتَهُ وَسِلاَحَهُ وَدِرْعُهُ مَرْهُوْنَةٌ عِنْدَ يَهُوْدِي عَلَى ثَلاَثِيْنَ وَسَقاً مِن شَعِيْرٍ ابْتَاعَهَا لأَهْلِهِ .

وَكَانَ بِيَدِهِ عَقَارٌ يُنْفِقُ مِنْهُ عَلَى أَهْلِهِ وَالبَاقِي يَصْرِفُهُ فِي مَصَالِحِ المُسْلِمِيْنَ فَحَكَمَ بِأَنَّهُ لاَ يُوْرَثُ وَلا يَأْخُذُ وَرَثَتُهُ مِنْهُ شَيْئاً وَهُوَ فِي كُلِّ وَقْتٍ يَظْهَرُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الآيَاتِ وَفُنُوْنِ الكَرَامَاتِ مَا يَطُوْلُ وَصْفُه .

وَيُخْبِرُهُمْ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُوْنُ وَيَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوْفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَشْرَعُ الشَّرِيْعَةَ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ .

أَكْمَلَ اللَّهُ دِيْنَهُ الَّذِي بُعِثَ بِهِ وَجَاءَتْ شَرِيعَته أَكْمَلَ شَرِيْعَةٍ لَمْ يَبقَ مَعْرُوف تَعرفُ العُقُولَ أَنَّهُ مَعْرُوْف إِلاَّ أَمَرَ بِهِ وَلاَ مُنْكَرٌ تَعْرِفُ العُقُولُ أَنَّهُ مُنْكَرٌ إِلاَّ نَهى عَنْهُ .

لَمْ يَأْمُرْ بِشَيْءٍ فَقِيلَ لَيْتَهُ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ وَلاَ نَهى عَنْ شَيْءٍ فَقِيلَ لَيْتَهُ لَمْ يَنْهَ عَنْهُ وأَحَلَّ الطَّيِّباتِ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئاً مِنْها كَما حُرِّمَ فِي شَرْعِ غَيْرِهِ وَحَرَّمَ الخَبائِثَ لَمْ يُحِلَّ مِنْها شَيْئاً كَما اسْتَحَلَّهُ غَيْرُهُ .

وَجَمَعَ مَحاسِنَ مَا عَلَيْهِ الأُمَمُ فَلا يُذْكَرُ فِي التَّوْراةِ والإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ نَوْعٌ مِنَ الخَبَرِ عَن اللَّهِ وَعَنْ مَلاَئِكَتِهِ وَعَنْ اليَوْمِ الآخِرِ إِلَّا وَقَدْ جاءَ بِهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ وأَخْبَرَ بأَشْياءَ لَيْسَتْ فِي هَذِهِ الكُتُبِ .

وأُمَّتُهُ أَكْمَلُ الأُمَمِ فِي كُلِّ فَضِيْلَةٍ فَإِذَا قِيسَ عِلْمُهُمْ بِعِلْمِ سَائِرِ الأُمَمِ ظَهَرَ فَضْلُ عِلْمِهِمْ وإِن قِيْسَ دِيْنُهُمْ وَعِبادَتُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ لِلّهِ بِغَيْرِهِمْ ظَهَرَ أَنَّهُمْ أَدْيَنُ مِنْ غَيْرِهِمْ وإِذَا قِيْسَ شَجاعَتُهُمْ وَجِهادُهُمْ وَصَبْرُهُمْ عَلَى المَكَارِهِ فِي ذاتِ اللّهِ ظَهَرَ أَنَّهُمْ أَعْظَمُ جِهاداً وأَشْجَعُ قُلُوباً وهَذِهِ الفَضَائِلُ بِهِ نَالُوْها ومِنْهُ تَعَلَّمُوهَا وهُوَ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِهَا ا . هـ .

وَقَالَ آخرُ :

اعْلَمْ أَنَّ مَنْ شَاهَدَ أَحْوَالَهُ ﷺ وأَصْغَى إِلى سَمَاعِ أَخْبارِهِ المُشْتَمِلَةِ عَلَى أَخْلاَقِهِ وأَفْعَالِهِ وأَحْوَالِهِ وعَادَاتِهِ وَسَجَايَاهُ وَسِيَاسَتِهِ لأَصْنَافِ الخَلْقِ وهِدَايَتَهُ إِلى ضَبْطِهِمْ وَتَأَلُّفه أَصْنَافَ الخَلْقِ وقَوْدَهُ إِيَّاهُمْ إِلى طَاعَتِهِ .

مَعَ مَا يَحْكِيْ مِنْ عَجَائِبِ أَجْوِبَتِهِ فِي مَضَائِقِ الأَسْئِلَةِ وَبَدَائِعِ تَدْبِيْرَاتِهِ فِي مَصَالِحِ الخَلْقِ وَمَحَاسِنِ إِشَارَاتِهِ فِي تَفْصِيْلِ ظَاهِرِ الشَّرْعِ الَّتِي يَعْجزُ الفُقَهاءُ والعُقَلاءُ عَنْ إِدْرَاكِ أَوائِلِ دَقَائِقِها فِي طُولِ أَعْمَارِهِمْ لَمْ يَبْقَ لَهُ رَيْبٌ وَلاَ شَكٌّ فِي أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُكْتَسَباً بِحِيْلَةٍ تَقُوْمُ بِهَا القُوَّةُ البَشَرِيَّةِ .

بَلْ لاَ يَتَصَوَّرُ ذَلِكَ إِلاّ بالاسْتِمْدَادِ مِنْ تَأْيِيْدٍ سَمَاوِيٍّ وَقُوَّةٍ إِلٰهِيَّةٍ وأَنَّ

ذَلِكَ كُلُّهُ لا يَتصوَّرُ لِكَذَّابٍ وَلاَ مُلَبِّسٍ بَلْ كَانَتْ شَمَائِلُهُ وأحْوالُهُ شَوَاهِدُ قَاطِعَةٌ بِصِدْقِهِ حَتَّى أنَّ العَرَبِيَّ القُحَّ كَانَ يَرَاهُ فَيَقُولُ : وَاللَّهِ مَا هَذَا وَجْهُ كَذَّابٍ .

فَكَانَ يُشْهَدُ لَهُ بالصِّدْقِ بِمُجَرَّدِ رُؤْيَتِهِ لِشَمَائِلِهِ فَكَيْفَ مَنْ شَاهَدَ أخْلاَقَهُ وَمَارَسَ أحْوالَهُ فِي جَمِيْعِ مَصَادِرِهِ وَمَوارِدِهِ أ . هـ .

وَقَالَ حَسّانُ يَرْثِي رَسُولَ اللّهِ ﷺ :

بِطَيْبَةَ رَسْمٍ لِلرَّسُوْلِ وَمَعْهَدُ
مُنِيْرٌ وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُوْمُ وتَهْمُدُ
وَلاَ تَنْمَحِيْ الآياتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ
بِهَا مِنْبَرُ الهادِيْ الّذِي كَانَ يَصْعَدُ
وَوَاضِحُ آياتٍ وبَاقِي مَعَالِمٍ
وَرَبْعٌ لَهُ فِيْهَا مُصَلًّى وَمَسْجِدُ
بِهَا حُجُرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسْطَهَا
مِنَ اللّهِ نُوْرٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوْقَدُ
مَعَالِمُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى العَهْدِ آيُهَا
أتَاهَا البِلَى فالآيُ مِنْهَا تَجَدَّدُ
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُوْلِ وَعَهْدَهُ
وقَبْراً بِهِ وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مَلْحَدُ
وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْماً رَزِيَّةُ هَالِكٍ
رَزِيَّةَ يَوْمٍ مَاتَ فِيْهِ مُحَمَّدُ

تَقَطَّعَ فِيْهِ مَنْزِلُ الوَحْيِ عَنْهُمُ
وَقَدْ كَانَ ذَا نُوْرٍ يَغُورُ وَيُنْجِدُ
يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمنِ مَنْ يَقْتَدِيْ بِهِ
وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الخَزَايَا وَيُرْشِدُ
إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيْهُمُ الحَقَّ جَاهِداً
مُعَلِّمُ صِدْقٍ إِنْ يُطِيْعُوهُ يَسْعَدُوا
عَفُوٌّ عَنِ الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ
وأَنْ يُحْسِنُوا فَاللّهُ بِالخَيْرِ أَجْوَدُ
فَبَيْنَاهُمُوْا فِي نِعْمَةِ اللّهِ بَيْنَهُمْ
دَلِيْلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيْقَةِ يُقْصَدُ
عَزِيْزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَحِيْدُوْا عَنِ الهُدَى
حَرِيْصٌ على أَنْ يَسْتَقِيْمُوْا وَيَهْتَدُوْا
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُثَنِّيْ جَنَاحَهُ
إِلى كَنفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ
فَبَيْنَاهُمُوْا فِي ذَلِكَ النُّوْرِ إِذْ غَدَى
إِلَى نُوْرِهِمْ سَهْمٌ مِنَ المَوْتِ مُقْصِدُ
فَأَصْبَحَ مَحْمُوْداً إِلى اللّهِ رَاجِعاً
يُبَكِّيْهِ جَفْنُ المُرْسَلاتِ وَيَحْمَدُ
وأَمْسَتْ بِلَادُ الحُرْمِ وَحْشاً بِقَاعُهَا
لِغَيْبَةِ مَا كَانَتْ مِنَ الوَحْيِ تَعْهَدُ
قِفَاراً سِوَى مَعْمُوْرَةِ اللَّحْدِ ضَافَهَا
فَقِيْدٌ يُبَكِّيْهِ بِلَاطٌ وَغَرْقَدُ

وَمَسْجِدُهُ فَالمُوحِشَاتُ لِفقْدِهِ
خَلاَءٌ لَهُ فِيْهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
فَبَكِّيْ رَسُوْلَ اللّهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةً
ولا أعْرِفَنْكِ الدَّهْرَ دَمْعُكِ يَجْمُدُ
ومَا لَكِ لاَ تَبْكِيْنَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتيْ
عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ
فَجُوْدِيْ عَلَيْهِ بِالدُّمُوْعِ وأعْوِلِي
لِفَقْدِ الَّذِي لاَ مِثْلَهُ الدَّهْرَ يُوْجَدُ
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُوْنَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
ولا مِثْلَهُ حَتَّى القِيَامَةَ يُفْقَدُ
أَعَفَّ وَأَوْفَي ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ
وأقْرَبَ مِنْهُ نَائِلاً لاَ يُنَكَّدُ
وأبْذَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيْفِ وتَالِدٍ
إِذَا ظَنَّ مِعْطَاءٌ بِمَا كَانَ يُتْلَدُ
وَأَكْرَمَ حَيّاً فِي البُيُوْتِ إِذَا انْتَمَى
وأكْرَمَ جَداً أبطَحِيّاً يُسَوَّدُ
وأَمْنَعَ ذِرْوَاتٍ وأثْبَتَ فِي العُلَى
دَعَائِمَ عِزٍّ شَاهِقَاتٍ تُشَيَّدُ
وأثْبَتَ فَرْعاً فِي الفُرُوْعِ ومَنْبَتاً
وعُوْداً غَذَاهُ المُزْنُ فَالعُوْدُ أغْيَدُ
رَبَّاهُ وَلِيْداً فَاسْتَتَمَّ تَمَامُهُ
عَلَى أكْرَمِ الخَيْرَاتِ رَبٌّ مُمَجَّدُ

تَنَـاهَتْ وِصَـاتُ المُسْلِمِينَ بِكَفِّـهِ
فَلا العِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلاَ الرَّأْيُ يُفْنَدُ

أَقُـوْلُ وَلا يُلْفَى لِقَـوْلِيَ عَـائِبٌ
مِنَ النَّاسِ إلاّ عَازِبُ العَقْلِ مُبْعَدُ

وَلَيْسَ هَـوَائِي نَـازِعاً عَنْ ثَنَـائِـهِ
لَعَلِّيْ بِـهِ في جَنَّةِ الخُلْدِ أُخْلَدُ

مَعَ المُصْطَفَى أَرْجُـوْ بِذَاكَ جِـوَارَهُ
وفِي نَيْلِ ذَاكَ اليَوْمِ أَسْعَى وأَجْهَدُ

آخـر :

سَـأَنْظِمُ مِنْ فَخْـرِ النَّبِيِّ مُحَمَّـدٍ ... لآلِيءَ لاَ يَبْلَى جَـدِيـدُ نِـظَامِهَـا
تَضَـوَّعَ طِيبـاً عَـرْفُهـا فَكـأَنَّـه ... تَضَـوُّعُ أَزْهَـارٍ بـدَتْ مِنْ كِمـامِهَـا
سَجَـايـا أَبَتْ إلاّ السِّمَـاكَيْنِ مَنْـزِلاً ... فَفَـاقَ عَلَى العَلياءِ عِلْقُ مَقَـامِهَـا
خِـلاَلٌ إذَا لاحَتْ قِبَابٌ لَـدَى عُـلاً ... تُنِيفُ فتعلُوهـا قِبـابُ خِيَـامِـهَـا
إِذَا يَمَّمُـوا يَـوْمـاً إِمَـامَ مَكـارِمٍ ... فَـأَحْمَدُ قَـدْ أَضْحَى إمامَ إِمَـامِهَـا
فَكَم ذُو عُـلاً أَوْمَـا لِـدَرْكِ مَقَـامِهَـا ... فَمَـرَّ وَلَم يُـدْرِكْ مَـرَامِي مرامِهَـا
وَكَم ظَامِىءٍ قَدْ رَامَ يُـرْوَى بَـرِيُّهَـا ... فَـآبَ وَقَـدْ أَضْحَى عَلِيـلَ أُوَامِهَـا
لِـذَاكَ العُـلاَ قَلبِي مَشُـوقٌ بِحُبِّهِمْ ... وَقَـدْ شُوِّقَتْ نَفْسِي بِطُولِ مُقامِهَا
فَـلِلّهِ عَـيْـنٌ لاَ تَـمَـلُّ بُكَـاءَهَـا ... وَقَـدْ حُـرِمَتْ فِيهِ لَـذِيـذَ مَنَـامِهَـا
وَنَفْسٌ عَلَى بُعْـدِ الـدِّيَـارِ قَـرِيحَـةٌ ... تُـطَارِحُ فِي البَلْوَى حَمَامَ حِمـامِهَـا
وَعمـرٌ مَضَتْ أَيـامُ شَـرْخِ شَبَـابِـهِ ... وَقد قَدَّ صَرْفُ الدَّهْرِ غُصْنَ قَوامِهَـا
فَيَا نَسْمَةَ الأسحارِ مِنْ نَحْوِ يَثْرِبٍ ... أَلِمِّي بِنَفْسٍ قَـدْ ذَوَتْ بِضِـرامِهَـا
وَيَـا حَـادِيَ الأَظْعَـانِ نَحْـوَ قِبَابِهِمْ ... أَلاَ فَاخْصُصِ العَلْيَا بِطِيبِ سَلاَمِهَا

اللّهُمَّ توفَّنا مُسْلِمِين وألْحِقْنا بِعِبادِكَ الصَّالِحِيْنَ الّذِينَ لاَ خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِديْنا وجَمِيع المُسْلِمِيْن بِرَحْمتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلّى اللّهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْن .

« موعظــة »

عِبَادَ اللّهِ نحْنُ فِي زَمَنٍ بَلَغَ فِيْهِ الفَسَادُ مَبْلَغاً مَا كَانَ يَدُوْرُ فِي خَلدِ إنسانٍ وَهَانَ عَلَى كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ اليَوْمَ أنْ يَتَقَدَّمُوا إلى المَعَاصِي مُطْمَئِنِّيْنَ وَخَفَّ عَلَيْهِم جِداً أنْ يَرْتَكِبُوا مَا حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ غَيْرَ هَيَّابِيْنَ وَسَهُلَ كُلَّ السُّهُوْلَةِ عَلَيْهِمْ أنْ يَقْتَحِمُوا حَتَّى مُوْبقاتِ الأَوْزَارِ غَيْرَ خَائِفِيْنَ مِنَ اللّهِ تَعالى وَلاَ مُبَالِيْنَ بِنَواهِيه .

وَلَعَلَّ زَمَنَنَا هَذَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ مَا فِي حَدِيْثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يأتِي على النّاسِ زَمَانُ القَابِضُ عَلَى دِيْنِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ وَمَا فِي حَدِيْثِ أبِي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ « بَدَا الإِسْلاَمُ غَرِيْباً وَسَيَعُودُ غَرِيْباً كَمَا بَدَا فَطُوبى لِلْغُرَبَاءِ أخرجَهُ مسلم .

وأخْرجَهُ الإمَامُ أحمَدُ وابْنُ ماجَةَ مِنْ حَدِيْثِ بنِ مَسْعُودٍ بزيادةٍ فِي آخِرِهِ وهي - قِيْلَ يا رَسُولَ اللّهِ ومِنَ الغُرَبَاءُ قَالَ « النُّزَّاعُ مِنَ القَبَائِلِ » وأخرجه أبو بكر الآجُرِيُّ وعِنْدَهُ - قِيْلَ ومَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللّهِ ، قال « الذين يَصْلَحُوْنَ إذا فَسَدَ النَّاسُ » .

وخَرَّجَهُ غَيْرُهُ وعِنْدَهُ قال « الّذِينَ يَفِرُّوْنَ بِدِيْنِهِمْ مِنَ الفِتَنِ » وخَرَّجَهُ التِّرْمِذيُّ مِنْ حَدِيثِ كَثِيْر بْن عَبْدِ اللّه المُزَنِيّ عَنْ أبِيهِ عنْ جَدِّهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ « إنَّ الدِّيْنَ بَدَا غَرِيْباً وَسَيَرْجِعُ غَرِيْباً فطُوبى لِلْغُرَبَاءِ الّذِيْنَ يُصْلِحُوْنَ مَا أفْسَدَ

النَّاسُ مِنْ سُنَّتِيْ » وفِي حَدِيْثِهِ قِيْلَ وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « الَّذِيْنَ يَصْلَحُوْنَ حِيْنَ فَسَادِ النَّاسِ » .

أمَّا الحَدِيْثُ الأَوَّلُ فَهُوَ وَاضِحٌ وَمُنْطَبِقٌ كُلَّ الانْطِبَاقِ عَلَى هَذَا الزَّمَانِ فِيْمَا أَرَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَذَلِكَ أَنَّكَ تَرَى الشَّرَّ والفَسَادَ فِي كُلِّ مَكَانٍ مُنْتَشِراً والخَيْرَ نَادِرُ الوُجُودِ فالفِتَنُ فِي البُيُوْتِ والأَسْوَاقِ والدَّكَاكِيْنِ والسَّيَّارَاتِ والقِطَارَاتِ والطَّائِرَاتِ فِتَنُ شَهَواتٍ نِسَاءٌ سَافِرَاتٌ وفِتَنُ شُكُوكٍ وإلحَادٍ وشُبُهَاتٍ مِن أُناسٍ مُنْحَرِفِيْنَ وكُتُبُ ضَلالٍ ومَجَلاَّتٌ تَحْمِلُ فِي طَيِّهَا البَلاَيَا والشُّرُوْر وفِدْيُوَاتٌ تُعَلِّمُ الفَسادَ أبْلَغ تَعْلِيْم وتُهَيِّجُ عَلَيْهِ ، حَدَثَ فِتَنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُها بَعْضاً وحَوَادِثُ الأُخْرَى أعْظَمُ مِن الأُوْلَى ومن أعظَم ما حَدَثَ كَثْرَةُ الخَدَّامِينِ والخدامات والسواقينَ والطباخينَ والمربينَ فإن ضررهم عَظِيمٌ على الدينِ والأخلاقِ والدنيا . فأنتبه يا مَن زُينَ له سُوءُ عَمَلِهِ وأتى بكفار أعداء الله ورسوله والمؤمنين وأمنهم على محارمه خدامين أو سواقين أو مربين أو نحو ذلك عياذا بالله من ذلك .

شعرا : إِذَا اكْثُر الأَجَانِبُ فِي بِلاَدٍ　　تَـلاشَـى الأَمْـنُ وانْتَشَـرَ الفَسَـادُ

آخـر :

وَقَدْ كُنْتُ أَشْكُو مِنْ حَوَادِثَ بُرْهَةً
واسْتَمْـرِسُ الأَيَّـامَ وهْيَ صَحَـائِحُ

إِلَى أَنْ تَغَشَّتْـنِيْ وُقِـيْتَ حَـوَادِثٌ
تُحَقِّـقُ أَنَّ السَّـالِفَـاتِ مَنَـائِـحُ

آخر : ظُلَمٌ تَهَافَتْ آخِذَاتٌ بَعْضُهَا
بِـالبَعْضِ تَسْتَلِبُ الفُؤَادَ الأَلْمَعَـا

لاَ يَسْتَبِيْـنُ المَـرْءُ فِيْهَـا كَفَّـهُ
تَـذَرُ الحِجَى بِـالبَـاطِـلاَتِ مُـوَلَّعَـا

وجَهَـالَـةٌ جَهْـلاَ يَـرْتَـعُ أَهْلُهَـا
في جِنْـدِسٍ مِنْهَا وَسَـاءَتْ مَرْتَعَـا

وفِتَنُ أمْوالٍ انْفَتَحتْ عَلى النّاسِ بكَثْرَةٍ وفِتَنُ أوْلاَدٍ وبَنَاتٍ وَزَوْجَاتٍ وزُمَلاءٍ وشُرَكَاءٍ وعُمَّالٍ مُنَافِقِيْنَ كَذّابِيْنَ لاَ يُصَلُّونَ وَلا يَصُوْمُوْنَ وكَثْرَةُ مُغْتَابِيْنَ ونَمَّامِيْنَ وخَدَّاعِيْنَ وَمَكَّارِيْنَ ومُجَاهِرَةٌ بِالمَعَاصِي وقِلَّةُ أنْصَارٍ وأَعْوَانٍ وكَثْرَةُ مُثَبِّطِيْنَ عَنِ الأمْرِ بِالمَعْرُوْفِ والنَّهْيِ عَنْ المُنْكَرِ ونحوِ ذَلِكَ مِمَّا يطُولُ ذِكْرُهُ. وقَلَّ أن تجد من هؤلاء من يحافظ على أركان الإسلام.

ولَكِنَّ المُتَمَسِّكَ بِدِيْنِهِ القَائِمَ بِدَفْعِ هَذِهِ المُعَارَضَاتِ والعَوائِقِ الّتي لاَ يَصْمُدُ لَها إلاّ أَهْلُ البَصَائِرِ واليَقِيْنِ وَأَهْلُ الإيْمانِ المَتِيْنِ الثَّابِتِيْنَ ثُبُوتَ الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ مِنْ أفْضَلِ خَلْقِ اللّهِ وأعْلاَهُم دَرَجَةً عِنْدَ اللّهِ وأعْظَمِهِمْ عِنْدَهُ قَدْراً جَعَلَنَا اللّهُ وإيّاكُمْ مِنْهُم إنّهُ القَادِرُ على ذَلِكَ .

وهذا زَمانُ الصَّبْرِ مَن لَكَ بالّتي لِقَبْض على جَمرٍ فَتَنْجو مِن البَـلاَ

وأمَّا الحَدِيْثُ الثّاني فَالإسْلامُ فِي أوَّلِ أمْرِهِ غَرِيْبٌ قَلِيْلٌ لأنَّ النّاسَ كانُوا قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ عَلَى ضَلالَةٍ عامَّةٍ فَلَمَّا بُعثَ مُحَمّداً ﷺ لم يَسْتَجِبْ لَهُ فِي أوَّلِ الأمْرِ إلاّ الوَاحِدُ بعْدَ الواحِدِ مِنْ كُلِّ قَبِيْلَةٍ وكَانَ المُسْتَجِيْبُ لَهُ خَائِفاً مِنْ عَشِيْرَتِهِ يُؤْذَى غَايَةَ الأذى ويُنالُ مِنْهُ وَهُوَ صَابِرٌ عَلَى ذَلِكَ فِي اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَكَانَ المُسْلِمُوْنَ إذْ ذاكَ مُسْتَضْعَفِينَ يُشَرَّدُوْنَ كُلَّ مُشَرَّدٍ ويَهْرَبُوْنَ بِدِيْنِهِمْ إلى البِلادِ النَّائِيَةِ كَمَا هَاجَرُوْا إلى الحَبَشَةِ مَرَّتَيْن ثُمَّ هَاجَرُوا إلى المدِينَةِ وَكَان مِنْهُمْ مَنْ يُعذَّبُ فِي اللّهِ ويُقْتَلُ كَعمَّارٍ وأُمِّهِ وأبِيْهِ وبِلالٍ وغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحابَةِ .

وَلَعَلَّهُ مَرَّ بِكَ أَثْنَاءَ الكِتَابِ مَا جَرَى عَلَيْهِمْ فِي أَوَّلِ إِسْلامِهِمْ مِنَ الأَذَى فَقَدْ ذَكَرْنَا نَمَاذِجَ مِنْهم ، قَالَ بَعْضُهم أبياتاً لَا تَنْطَبِقُ إلا عَلَى الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْن :

قَــوْمٌ لَقَـدْ آمَنُــوْا بِـاللّهِ خَــالِقِهِمْ
وَهَـاجَـرُوْا وَاتَّقَــوا إِثْمـاً وَعُــدْوَانَـا
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيْلِ اللّهِ بَلْ صَبَرُوْا
وَصَـابَرُوْا لِـذَوِيْ الإِشْـرَاكِ أَزْمَـانَـا
تَعَلُّمُ العِلْمِ بـالإِصْبَاحِ هَمُّهُمُـوْا
وِيَنْقَـضِيْ لَـيْلُهُـمْ ذِكْـراً وقُـرْآنَــا
وجَامِعُ الأَمْرِ إِنْ تَطْلُبْ لِوَصْفِهِمُوْا
نَهَـارُهُمْ أُسُـدٌ واللَّيْــلِ رُهْبَـانَـا

فَكَانَ الدَّاخِلُونَ فِي الإِسْلامِ إِذْ ذَاكَ غُرَبَاء .

ثُمَّ ظَهَرَ الاسلامُ بَعدَ الهِجْرَةِ إلى المَدِيْنَةِ وعَزَّ وصَارَ أَهْلُهُ ظاهِرِينَ كُلَّ الظُهُورِ ودَخَلَ النَاسُ بَعدَ ذَلِكَ في دِيْنِ اللهِ أفواجاً وأَكمَلَ اللهُ لَهُم الدِّينَ وأَتَمَّ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ .

وتُوفِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ والأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ وأَهْلُ الاسلامِ على غَايَةٍ مِن الاسْتِقَامَةِ في دِيْنِهِمْ وهُمْ مُتعَاضِدُوْنَ مُتَنَاصِرُوْنَ .

وكانُوا على ذَلِكَ فِيْ زَمَنِ أَبِيْ بَكْرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ثُمَّ عَمِلَ الشَّيْطَانُ مَكَائِدَهُ على المُسْلِمِيْنَ وأَلْقَى بأسَهُمْ بَيْنَهُمْ وأفْشَى فِيهِم فِتَنَ الشُبُهَاتِ والشَّهَوَاتِ .

ولم تَزَلْ هَاتَانِ الفِتْنَتَانِ تَتَزَايَدَ ان شَيْئاً فَشَيْئاً حَتَّى اسْتَحْكَمَتْ مَكْيَدَةُ

الشيطانِ وأطاعَهُ أكْثرُ الخلْقِ فمِنْهُم مَن أطاعَهُ وَدَخلَ في فِتْنَةِ الشُبُهاتِ ومِنْهُمْ مَن دَخَلَ في فِتْنَةِ الشَّهَوَاتِ ومِنْهُمْ مَنْ دَخلَ في الفِتْنَتَيْنِ .

وكُلُّ ذلكَ مِمَّا أَخْبَرَ النبيُ ﷺ بِوُقُوْعِهِ فأمَّا فِتْنَةُ الشُبُهاتِ .

فقد رُوِيَ عنِ النبي ﷺ مِن غيرِ وَجْهٍ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقَ على أَزْيَدَ مِن سَبْعِيْنَ فِرْقَةً وأَنَّ تِلْكَ الفرَق في النَّارِ إلاَّ وَاحِدةً وهِيَ مَن كَانَتْ على مَا هُوَعَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحَابُه ﷺ .

وعن أبي بَرْزَةَ عن النبي ﷺ قَالَ إنَّمَا أَخْشَى عليكُم الشَّهَواتِ الَّتي في بُطُونِكُم وفُرُوْجِكُم ومُضِلاَّتِ الفِتَنِ وفي رِوَايَةٍ ومُضِلاتِ الهَوَى .

فَلَمَّا دَخَلَ أكْثرُ الناسِ في هَاتَيْنِ الفِتْنَتَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا أَصْبَحُوا مُتَقَاطِعِيْنَ مُتَبَاغِضِيْنَ بَعْدَ أن كَانُوا إخْوَاناً مُتَحَابِّيْنَ مُتَواصِلِيْنَ فإنَّ فِتْنَةَ الشَّهَوَاتِ عَمَّتْ غَالِبَ الخَلْقِ فَفُتِنُوْا بِالدُنْيَا وزَهْرَتِهَا فَصَارَتْ غَايَةَ قَصْدِهِمْ لَهَا يَطْلُبُوْنَ وبِهَا يَرْضَوْنَ ولَهَا يَغْضَبُونَ ولَهَا يُوَالُونَ وعَلَيْهَا يُعَادُوْنَ فَقَطَعُوْا لِذلِكَ أَرْحَامَهُمْ وسَفَكُوْا دِمَاءَهُم وارْتَكَبُوا مَعَاصِيَ اللهِ بسَبَبِ ذَلِكَ .

وأمَّا فِتْنَةُ الشُّبُهَاتِ والأَهْوَاءِ المَضُلَّةِ فَبِسَبَبِهَا تَفَرَّقَ أَهْلُ القِبْلَةِ وَصَارُوْا شِيَعاً وكَفَّرَ بَعْضُهُمْ بَعْضَا وَأَصْبَحُوا أَعْدَاءً وفِرَقاً وأَحْزَاباً بَعْدَ أنْ كَانُوا إخْوَاناً قُلُوبُهُمْ على قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَلَمْ يَنْجُ مِنْ هَذِهِ الفِرَقِ كُلِّهَا إلا الفِرْقَةُ الوَاحِدةُ النَّاجِيَةُ .

وهُمُ المَذْكُوْرُوْنَ في قَوْلِهِ ﷺ لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي ظَاهِرِينَ على الحَقِ لَا يَضُرُّهُم مَن خَذَلَهُم وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وهُمْ عَلى ذلك .

وهُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ الغُرَبَاءُ المَذْكُوْرُوْن فِي هذِهِ الأَحَادِيثْ الذينَ يَصْلحُونَ إِذَا فَسَدَ الناسُ ويُصْلِحُونَ ما أفسَدَ الناسُ مِن السُنَّةِ وهُمُ الذينَ يَفِرُّوْنَ بِدِيْنِهِم مِن الفِتَنِ وهُمُ النُّزَّاعُ مِن القَبَائِلِ .

لأَنَّهُم قَلُّوْا فَلاَ يُوْجَدُ في كُلِّ قَبِيْلَةٍ مِنهم إلا الوَاحِدُ وقَدْ لا يُوْجَدُ في بَعْضِ القَبَائِلِ مِنْهُم أَحَدَ كَمَا كانَ الدَّاخِلُونَ في الاسلامِ في أَوَّلِ الأمرِ كَذلِكَ .

وفِي مُسْنَدِ الامامِ أحمدَ عن عبادةَ بنِ الصامتِ أنه قال لِرَجُلٍ مِن أصْحَابِهِ يُوْشِكُ إنْ طَالَتْ بِكَ الحَيَاةُ أَنْ تَرى الرَّجُلَ قَدْ قَرأَ القُرْآنَ على لِسَانِ محمدٍ ﷺ فأعادَهُ وأَبْدَاهُ وأَحلَّ حلاَلَهُ وحَرَّمَ حَرامَهُ ونزَلَ عِنْدَ مَنَازِلِهِ لا يَجُوْز فِيْكُم إلا كَمَا يَجُوزُ الحِمَارُ المَيْتُ .

ومِثْلُه قَوْلُ ابن مَسْعُودٍ يَأْتِي على الناسِ زَمَانٌ يكونُ المُؤمنُ فِيهِ أَذَلَّ مِن الأُمَّةِ وَإِنَّمَا ذَلَّ المؤمنُ آخرَ الزمانِ لِغُرْبَتِهِ بَيْنَ أهلِ الفَسَادِ من أهْلِ الشُبَهات والشهوات فكُلُّهم يكرهُهُ ويؤذيه لِمُخَالَفَةِ طَرِيْقَتِهِ لِطَرِيقتهم ومَقْصُوْدِهِ لِمَقْصُوْدِهِم ومُبَايَنَتِهِ لِما هُمْ عليهِ مِن الشَرِّ والفَسادِ والخُبْثِ وسائرِ الصِفَاتِ القَبِيْحَةِ التى أهونُها توريُد الكفار والملاهي والمنكرات لبلاد المسلمين .

وتَجِدُ أَكْثَرَ مَن يُؤْذِيْهِ سَقَطُهُمْ وسُفَلُهُم ولئَامُهُمْ لِقِلَّةِ أَعْوَانِهِ وأَنْصَارِهِ وكَثْرَةِ المُخَذِّلِيْنَ والمُرْجِفِيْنَ وأَعْوَانِ ابْلِيْسَ وجُنُودِهِ خَذَلَهُمُ اللَّهُ وَدَمَّرَهُمْ .

فكَمْ فَتَّرُوْا عَزْمَ آمِرٍ بِمَعْرُوْفٍ أَوْ ناهِي عن مُنْكَرٍ بِقولهم ما أَنْتَ بِمُكَلَّفٍ بهم أتركهمْ عَلَيْك بِنفسِكَ ونحوِ هذا الكلام والعِياذُ بالله .

شعرا : قَرُبَتْ وَحَانَتْ أَوْبَةٌ لِارْتِحَالِيْ — عن هَذِهِ الدُنيَا بِلا إِشْكَالِ
الأَرض قد مَنَعَتْ كَلاهَا والسَّما — ظَنَّتْ وذلكَ رَائد الأَهْوَالِ
ظَهَرَ الفَسَادُ بِبَرِّهَا وَبِبَحْرِهَا — وتَنَكَرَتْ أَحْوالُهَا في الحَالِ
لَمْ يَبْقَ في الدَنيَا جَمِيْلٌ ظَاهِرٌ — أَلاَّ أَقَاصِيْصُ القُرُوْنِ الخَالِ

هَلْ فِي الوَرَى مُتيَقِّضٌ مُتَحَفِّظٌ يَدَع الثَّوانِيَ عَنْهُ في الأعمال

وقَـدْ تَسْلِبُ الأَيَّامُ حَـالاتِ أَهْلِهَـا
وتَعْدُوْا على أُسْدِ الرِّجَالِ الثَّعَالِبُ

آخَرُ : إِذَا هَلَكَتْ أُسْدُ العَرِيْنَ ولَمْ يَكُنْ
لَهَا خَلَفٌ في الغِيْلِ سَادَ الثَّعَالِبُ

آخر : لَمَّا تَبَدَّلَتِ المَجَالِسُ أَوْجُهاً
غَيْـرَ الذين عهِـدْتُ مِن عُلَمَـائِهَـا
وَرَأَيْتُهَـا مَحفُـوفَـةً بِسِـوَى الأُولى
كَـانُـوا وُلَاةَ صُـدُوْرِهَـا وَفِنَـائِهَـا
أَنْشَـدْتُ بَيْتـاً سَـائِـراً مُتَقَـدِّمـاً
والعَيْنُ قَـدْ شَرِقَتْ بِجَـارِيَ مَائِهَـا
أَمَّـا الـخِيَـامُ فَـإِنَّهَـا كَخِيَـامِهِمْ
وَأَرَى رِجَـالَ الحَيِّ غَيْـرَ رِجَـالِهَـا

فَيَا لَهُ مِن زَمَانٍ يُوَاجِهُ فِيهِ المؤمِنُ الصَّابِرُ عَوَاصِفَ الفِتَنِ ورُبَّمَا تَمَنَّى المَوْتَ لِمَا يَرَى مِن المُنْكَراتِ الَّتِيْ لا يَسْتَطِيْعُ لَهَا تَغْيِيْراً واسْمَعْ إِلى مَا وَرَدَ

فَعَنْ مَعْمَرٍ عَن يَحْيَ بْن أَبِي كَثِيْرٍ قال دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مَسْلَمَةَ ابْنِ عَبْدِ الرحمن وهو مَرِيْضٌ فقالَ إِنْ اسْتَطَعْتَ أن تَمُوْتَ فَمُتْ فَوَاللهِ لَيَأْتِي على الناسِ زَمَانٌ يكونُ الموتُ أَحَبَّ إِلى أحدِهِم مِن الذَّهَبِ الأَحْمَرِ .

قُلْتُ وفي زَمَنِنَا هَذَا مَوْجُوْدٌ في كَثِيْرٍ مِن اَقْطَارِ الأَرْضِ مُسْلِمُوْنَ يُنَوَّعُ عَلَيهِم العَذَابُ عَشِيَّةً وضُحاهَا وبِوِدِّهِم لَوْ ماتُوا واسْتَرَاحُوا فالموتُ أَحَبُّ إِليهم مِن الذهبِ الأَحْمَرِ وقال طاوُوْسُ لا تُحْرِزُ دِيْنَ المرءِ إلا حُفْرَتُه .

ورُوِيَ أنَّ ابنَ عبَّاسٍ قال لِعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أكْثَرْتَ مِن الدُعَاءِ بالموتِ حتَّى خَشِيْتَ أنْ يكونَ ذَلِكَ أسْهَلَ لَكَ عندَ أوَانِ نُزُوْلِهِ فَلِمَاذا مَلَلْتَ أمَا تُعِيْنُ صَالِحاً أوْ تُقَوِّمُ فاسِداً قال يا ابنَ عَبَّاسٍ إني قَائِلٌ لَكَ قولاً وهُوَ إلَيكَ قالَ قُلْتُ لَنْ يَعْدُوْنِي قال كَيْفَ لا أُحِبُّ فِرَاقَهُم وفِيْهِم ناسٌ كلٌّ فَاتِحٌ فَاهُ لِلَهْوَةٍ مِن الدُنْيَا إما بحَقٍّ لا يَنُوْءُ بِهِ أو بِبَاطِلٍ لا يَنَالُهُ ولَوْلاَ أنْ أُسْأَلَ عَنْهُم لَهَرَبْتُ مِنكُم فأصْبَحَ الأرْضُ مِنِّي بَلاَقِعُ واللَّهُ أعْلَم وصلّى اللّهُ علىٰ مُحَمّد

(فصــــل)

ومِن كَلاَمِ أَحْمَدَ بْنِ عَاصِمٍ الأنْطَاكِيْ وكانَ مِن كِبَارِ التَّابِعِيْنَ قال إني أدْرَكْتُ مِن الأزْمِنَةِ زَماناً عَادَ فِيه الاسلامُ غَرِيْباً كَمَا بَدَا إنْ تَرْغَبَ فيه إلى عَالَمٍ وَجَدْتَهُ مَفْتُوْناً بحُب الدُنْيَا يُحبُّ التَّعْظِيْمَ والرِّيَاسَةَ ، قُلْتُ وَمَا أكثرهُ في زَمَنِنَا فأمْعِنْ نظرَكَ ، قال وإنْ تَرْغَبَ فيه إلى عَابِدٍ وَجَدْتَهُ جَاهِلاً في عِبَادَتِهِ مَخْدُوْعاً صَرِيْعاً غَدْرَهُ إبْلِيْسَ قَدْ صَعَدَ بِهِ إلى أعْلاَ دَرَجَةِ العِبَادَةِ وهو جَاهِلٌ بأدْنَاهَا فَكَيْفَ لَهُ بأعْلاَهَا .

وسَائِرُ ذَلِكَ مِن الرَّعَاعِ هَمَجٌ عُوْجٌ ذِئَابٌ مُخْتَلِسَةٌ وسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ وَثَعَالِبُ ضَوَارٍ هَذَا وَصْفُ عُيُوْنِ أهْلِ زَمَانِكَ مِن حَمَلَةِ العِلْمِ والقُرْآنِ ودُعَاةِ الحِكْمَةِ خَرَّجَهُ أبُوْ نُعَيْمٍ في الحِلْيَةِ فهذا وَصْفُ أهْلِ زَمَانِهِ فَكَيْفَ بِمَا حَدَثَ بَعْدَهُ مِن العَظَائِمِ والدَّوَاهِي الَّتِي لَم تَخْطُرْ بِبَالِهِ ولم تَدُرْ في خَيَالِهِ من المنكرات .

وعن الحسنِ البَصْرِي أنَّه قَالَ لَو أنَّ رَجُلاً مِن الصَّدْرِ الأوَّلِ بُعِثَ اليومَ مَا عَرَفَ مِنَ الاسْلامِ شيئاً إلا تِلكَ الصلاة . قُلْتُ وفي زمننا الصلاة

جِسْمٌ بلا رُوْحٍ عندَ كَثِيرٍ مِن البَقَايَا المُتَمَسِّكِينَ بها فلا حَوْلَ ولا قوةَ الا بالله العلي العَظِيم وَهُو حَسْبُنا وَنِعمَ الوَكِيل .

ثُمَّ قَالَ والذي نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَئِنْ عَاشَ على هَذِهِ المُنْكَراتِ فَرَأى صَاحِبَ بِدْعَةٍ يَدْعُو إلى بِدْعَتِهِ وصَاحِبَ دُنْيَا يَدْعُو إلى دُنْيَاهُ فَعَصَمَهُ اللهُ تعالى وَجَعَلَ قَلْبَهُ يَحِنُ إلى ذِكْرِ السَلَفِ فَيَتْبَعُ آثارَهُم ويَسْتَنُّ بِسُنَّتِهِمْ وَيَتْبَعُ سَبِيْلَهُمْ كَانَ لَهُ أَجْرٌ عَظِيْمٌ .

وَقَالَ عَلِيُ بنُ أَبِي طَالِبٍ تَعَلَّمُوا العِلْمَ تُعْرَفُوا بِه واعْمَلُوْا به تَكُوْنُوا مِن أَهْلِهِ فإنه سَيَأتِيْ بَعْدُ زَمَانٌ يُنْكِرُ الحَقَّ فيه سَبْعَةُ أعْشَارِهِمْ .

وقال ابْنُ مَسْعُوْدٍ يُوشِكُ مَنْ عَاشَ مِنْكُم أَنْ يَرى مُنْكراً لا يَسْتَطِيْعُ لَهُ غَيْرَ أَنْ يَعْلَمَ اللهُ مِن قَلْبِهِ أنه لَهُ كَارِهٌ . قُلْتُ وقَدْ وقَعَ شيءٌ كَثِيْرٌ في زَمَنِنَا وقَبْلَهُ مثل الصُوَرِ والتلفزيونِ والفيديو والمذياعِ ، والكُوْرة والسُّفُورِ وحلقِ اللحيةِ والدُّخَانِ .

لَقَدْ بَانَ لِلنَّاسِ الهُدَى غير أَنَّهُمْ غَدَوْ ابجلاِ يبْبِ الهوَى قد تَجلْبَبُوا
آخر : إعْتَزِلْ أَهْلَ المَلَاهِيْ وَالكُرَةْ وَاحْذَرِ الفِدْيُوْ وَتِلْفَازَ الضَّرَرْ
كَمْ بِهَا قَدْ ضَاعَ عُمْرٌ يافَتَى لَوْ صُرِفْ في طَاعَةٍ نِلْتَ الأَجَرْ

وقال أَبو الدَّرْدَاءِ لَوْ خَرجَ إِلَيْكُم رَسُوْلُ اللهِ ﷺ اليومَ مَا عَرَفَ شيئاً مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وأَصْحَابُهُ إلا الصلاةَ وعن ابنِ عَباسٍ قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ مَنْ تَمَسَّكَ بسُنَّتِي عِنْدَ فَسادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مائةِ شَهِيْدٍ رواه البيهقي ورواه الطبراني من حديث أبي هريرة إلا أَنَّه قال فله أجر شهيد .

وروى الترمذيُ عن أَبِي أُمَيَّةَ الشَعْبَانِي قَالَ أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الخُشَنِي فَقُلْتُ لَهُ مَا تَصْنَعُ بِهَذِهِ الآيَةِ قَالَ أَيَّةُ آيَةٍ قُلْتُ قَولَ اللهِ تعالى « يا أَيُّها الذِيْنَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنفُسَكُم لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُمْ .

قال أَمَا واللهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيْراً سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُوْلَ اللهِ ﷺ فَقَالَ بَلِ ائْتَمِرُوْا بِالمَعْرُوْفِ وتَنَاهَوْا عَنِ المُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحاً مُطَاعاً وَهَوًى مُتَّبعاً ودُنْياً مُؤْثَرَةً وإِعْجَابَ كُلِّ ذِيْ رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ العَوَّامَ .

فإِنَّ مِن وَرَائِكُم أَيَّاماً الصَّابِرُ فِيْهِنَّ عَلَى دِيْنِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيْهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِيْنَ رَجُلاً يَعْمَلُوْنَ كَعَمَلِكُم قال الترمذيُ عن ابنِ مُبَارَكٍ وزَادَ غَيْرُ عُتْبَةَ أَيْ الرَّاوِي وهُوَ ابنُ حَكِيْمٍ خَمْسِيْنَ رَجُلاً مِنْكُمْ وَرَوَى الطَّبَرَانِيُ مِن حَدِيْثِ عُتْبَةَ بنِ غَزْوَانَ قَالَ قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ مِن وَرَائِكُمْ أَيَّامُ الصَّبْرِ المُتَمَسِّكُ فِيْهَا يَوْمَئِذٍ بِمِثْلِ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِيْنَ مِنْكُمْ .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:

هَـذَا ولِـلْمُتَـمَسِّكِـيْـنَ بِسُنَّـةِ الْـ
مُخْتَـارِ عِنْدَ فَسَـادِ ذِيْ الأَزْمَـانِ
أَجْـرٌ عَـظِيْمٌ لَيْسَ يَقْـدُرُ قَـدْرَهُ
إلا الـذِي أَعْـطَاهُ لِـلإِنْـسَـانِ
فَـرَوَى أَبُـو دَاوُدَ في سُنَنٍ لَـهُ
وَرَوَاهُ أَيْـضـاً أَحْـمَـدُ الـشَّيْـبَـانِي
أَثَـراً تَضَمَّنَ أَجْـرَ خَمْسِيْنَ امْـرأً
مِنْ صَحْبِ أَحْمَدَ خِيْرَةِ الـرَّحْمٰنِ
إِسْنَـادُهُ حَـسَـنٌ ومِـصْـدَاقٌ لَـهُ
في مُسْلِمٍ فَـافْهَمْـهُ بِـالاحْسَـانِ
أَنَّ العِبَـادَةَ وَقْتَ هَـرْجٍ هِجْـرَةٌ
حَـقـاً إِلَـيَّ وَذَاكَ ذُو بُـرْهَـانِ

هَذَا فَكَمْ مِن هِجْرَةٍ لَكَ أَيُّهَا السّـ
سُنِّيُ بِـالتَّحْقِيْقِ لَا بِـأَمَـانِ
هَـذَا وَكَمْ مِن هِجْـرَةٍ لَهُمُ بِمَـا
قَـالَ الـرسـولُ وجَـاءَ فِي القُرآن
وَلَقَدْ أَتَى مِصْدَاقُه فِي الترْمِذِيّ
ي لِـمَـنْ لَـهُ أُذُنَـانِ وَاعِـيَـتَـانِ
في أَجْرِ مُحْيِيْ سُنَّةً مَـاتَتْ فَـذَا
كَ مَـعَ الـرسـولِ رَفِيْقُـهُ بِجِنَـانِ
هَـذَا ومِصْـدَاقٌ لَـهُ أيضـاً أَتَى
فِي التِـرْمِـذِيْ لِمَنْ لَـهُ عَيْنَـانِ
تَـشْبِـيْـهُ أُمَّتِـهِ بِـغَيْـثٍ أوّلٍ
مِـنْـهُ وآخِـرُهُ فَـمُـشْـتَـبِـهَـانِ
فَلِذَاكَ لَا يُدْرَى الذِي هُـوَ مِنْهُمَا
قَـدْ خُصَّ بِـالتَّفْضِيْـلِ والـرُّجْحَانِ
ولَقَدْ أَتَى أَثَرٌ بِأَنَّ الْفَضْلَ فِي الطَّـ
ـطَرَفَيْـنِ أَعْـنِـيْ أَوَّلاً والـثَّـانِـي
والْـوَسْطُ ذُوْ ثَبَجٍ فـاعْـوَجَ هَكَـذَا
جَـاءَ الحَـدِيْثُ ولَيْسَ ذَا نُكْـرَانِ
ولَقَدْ أَتَى في الوَحْيِ مِصْدَاقٌ لَهُ
فِـي الثُـلَّتَيْـنِ وذَاكَ فـي الـقُـرْآنِ
أَهْـلُ اليَمِـيْنِ فَـثُلَّةٌ مَـعْ مِثْلِهَـا
والسَّـابِقُـوْنَ أَقَـلُّ في الحُسْبَـانِ

مَـا ذاكَ إلَّا أنَّ تـابِعَهُمْ هُمُ الْـ
غُـرَبـاءُ لَيْسَتْ غُـرْبَـةَ الأَوْطَـانِ

لَـكِـنَّـهَـا واللهِ غُـرْبَـةُ قَـائِمٍ
بـالـدِّيْنِ بَيْنَ عَسَـاكِرِ الشَّيْـطَانِ

فَـلِذَاكَ شَبَّـهَهُمْ بِـهِ مَتْبُـوْعُـهُـمْ
فـي الغُـرْبَتَيْـنِ وَذَاكَ ذُوْ تِبْـيَـانِ

لم يُشْبِهُـوْهُمْ في جَمِيْعِ أُمُـوْرِهِمْ
مِنْ كُـلِّ وَجْهٍ لَيْسَ يَسْتَـوِيَـانِ

فـأنْظُر إلى تَفْسِيْـرِهِ الغُـرَبَـاءَ بِـالْـ
مُـحْـيِيْـنَ سُـنَّتِـهِ بِـكُـلِّ زَمَـانِ

طُوْبَى لَهُمْ والشَّوْقُ يَحْـدُوْهُمْ إلَى
أخْـذِ الحَـدِيْثِ وَمُحْكَمِ القُـرْآنِ

طُـوْبَى لَهُمْ لَمْ يَعْبَؤُا بِنُحَاتَـةِ الْـ
أفْـكَـارِ أَوْ بِـزُبَـالَـةِ الأَذْهَـانِ

طُوْبَى لَهُمْ رَكِبُوا عَلَى مَتْنِ العَزَا
ئِمِ قَاصِدِيْـنَ لِمَـطْلَعِ الإيْـمَـانِ

طُـوْبَـى لَهُـمْ لَمْ يَعْبَؤُا شَيْئاً بِـدَالْـ
آراءِ إذْ أغْـنَـاهُـمُ الـوَحْـيَـانِ

طُـوْبَى لَهُمْ وإمامُهُمْ دُوْنَ الـوَرَى
مَنْ جَـاءَ بِـالإيْمَـانِ والفُـرْقَـانِ

واللهِ مَـا ائْتَمُّـوْا بِشَخْصٍ دُوْنَـهُ
إلَّا إذَا مَـا دَلَّـهُـمْ بِـبَـيَـانِ

في البَــابِ آثارٌ عَــظِيْمٌ شَــأْنُهَــا
أَعْيَتْ عَلَى العُلَمَــاءِ في الأَزْمَـانِ
إذْ أَجْـمَـعَ العُـلَمَــاءُ أَنَّ صَـحَــابَــةَ الْـ
مُــخْـتَــارِ خَــيْــرُ طَــوَائِــفِ الإِنْــسَــانِ
ذَا بالضَّرُوْرَةِ لَيْسَ فِيْهُ الخُلْفُ بَيْـ
نَ اِثْنَيْنِ مَــا حُكِيَتْ بِـهِ قَــوْلاَنِ
فَلِذَاكَ ذِي الآثـارِ أَعْضَـلَ أَمْـرُهَـا
وبَغَــوْا لَهَـا التَّفْسِيْــرَ بـالإِحْسَــانِ
فـاسْمَـعْ إذاً تَـأْوِيْلَهَـا وافْهَمْــهُ لاَ
تَعْجَــلْ بِــرَدٍّ مِـنْـكَ أَوْ نُكْــرَانِ
إنَّ البِـدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ تُحِطْ
عِلْمـاً بِـهِ سَبَبٌ إلى الحِـرْمَـانِ
والـفَضْــلُ مِـنْـهُ مُــطْلَقٌ ومُقَـيَّــدٌ
وهُمَــا لِأَهْــلِ الفَضْــلِ مَـرْتَبَتَــانِ
والفَضْلُ ذُوْ التَّقْيِيدِ لَيْسَ بِمُوْجِبٍ
فَضْــلاً عَلَى الإِطْـلاقِ مِن إِنْسَـانِ
لا يُـوْجِبُ التَقْيِيْـدُ أَنْ يَقْضِيْ لَـهُ
بــالاسْتِــوَاءِ فَكَيْفَ بــالــرُّجْحَــانِ
إِذْ كَانَ ذُوْ الاطلاقِ حَازَ مِن الفَضَا
ئِـلِ فَوْقَ ذِي التَّقْيِيْـدِ بـالإِحْسَـانِ
فـإِذَا فَـرَضْنَـا وَاحِـداً قَـدْ حَـازَنَـوْ
عاً لَمْ يَحُــزْهُ فَــاضِــلُ الإِنْسَــانِ

لم يُوْجِبِ التَّخْصِيْصُ مِن فَضْلٍ عَلَيْـ
ـهِ وَلا مُـسَـاوَاةٍ ولا نُـقْـصَـانِ
مَـا خَلْقُ آدمَ بـاليَـدَيْنِ بِمُوْجِبٍ
فَضْـلاً على المَبْعُوْثِ بـالقُـرْآنِ
وكَذَا خَصَائِصُ مَن أَتى مِن بَعْدِهِ
مِنْ كُـلِ رُسْـلِ الله بـالبُـرْهَـانِ
فَمُحَـمَّـدٌ أعْـلاهُمْ فَـوْقـاً وَمَـا
حَكَمْتَ لَهُمْ بِمَـزِيَّـةِ الـرُّجْحَـانِ
فالحَائِزُ الخَمْسِيْنَ أَجراً لَمْ يَحُزْ
هَا فِي جَمِيْعِ شَـرَائِعِ الإِيْمَـانِ
هَلْ حَازَهَا فِيْ بَدْرٍ أَوْ أُحُدٍ أَوِ الْـ
فَتْـحِ الْمُبِيْنِ وبَيْعَـةِ الـرِّضْـوَانِ
بَلْ حَازَهَا إِذْ كَانَ قَدْ عَدِمَ المُعِيْـ
نَ وهُمْ فَقَـدْ كَانُـوا أُولِي أَعْـوَانِ
والرَّبُ لَيْسَ يُضِيْعُ مَا يَتَحَمَّلُ الْـ
مُـتَـحَـمِّلُونَ لأجْـلِهِ مِـن شَـانِ
فَتَحمُّـلِ العَبْدِ الـوحيدِ رِضَـاهُ مَعْ
فَـيْضِ الـعَـدُوِّ وَقِـلَّةِ الأَعْـوَانِ
مِمَّـا يَـدُلُّ على يَـقِيْـنٍ صَـادِقٍ
وَمَـحَـبَّـةٍ وَحَـقِيْـقَـةِ الـعِـرْفَـانِ
يَـكْفِيْـهِ ذُلاً وَاغْتِـرَابـاً قِـلَّةُ الْـ
أَنْصَـارِ بَيْنَ عَسَـاكِـرِ الـشَّيْـطَانِ

فِي كُلِّ يَوْمٍ فِرْقَةٌ تَغْـزُوْهُ إِنْ
تَـرْجِعْ يُـوَافِيْـهِ الفَـرِيْقُ الثَّـانِي
فَسَلِ الغَرِيْبَ المُسْتَضَامَ عَنِ الذِيْ
يَلْقَـاهُ بَيْنَ عِـدًى بِـلاَ حُسْبَـانِ
هَذَا وَقَدْ بَعُدَ المَدَى وتَطَاوَلُ الْـ
عَهْدُ الذِيْ هُـوَ مُوْجِبُ الإحْسَـانِ
ولِذَاكَ كَانَ كَقَابِضٍ جَمْراً فَسَـلْ
أَحْشَـاءَهُ عَنْ حَـرِّ ذِيْ النِّيْـرَانِ
واللهُ أَعْـلَمُ بـالـذِيْ فِي قَـلْبِـهِ
يَـكْفِيْـهِ عِلْمُ الـوَاحِـدِ الـمَنَّـانِ
في القَلْبِ أَمْـرٌ لَيْسَ يَقْدُرُ قَـدْرَهُ
إلا الـذِيْ آتَـاهُ لِـلإِنْـسَـانِ
بِـرٌّ وتَـوْحِيْـدٌ وصَبْرٌ مَـعْ رِضَا
والـشُّـكْـرُ والـتَّحْكِيْـمُ لِـلْقُـرآنِ
سُبْحَانَ قَاسِمِ فَضْلِهِ بَيْنَ العِبَا
دِ فَـذَاكَ مُوْلِ الفَضْـلِ والإِحْسَانِ
فالفَضْلُ عِنْدَ اللهِ لَيْسَ بِصُوْرَةِ الْـ
أَعْمَـالِ بَـلْ بِحَقَـائِقِ الإِيْـمَـانِ
وَتَفَاضُلُ الأَعْمَـالِ يَتْبَعُ مَا يَقُوْ
مُ بِقَلْبِ صَـاحِبِهَا مِن البُـرْهَـانِ
حَتَّى يَكُـونَ العَـامِـلاَنِ كِـلاَهُمَـا
فِـي رُتْبَـةٍ تَبْـدُوْ لَـنَـا بِعِيَـانِ

هَــذَا وَبَيْنَهُمَا كَمَــا بَيْنَ السَّمَــا
والأَرْضِ فِي فَضْلٍ وَفِي رُجْحَانِ
وَيَكُــونُ بَيْنَ ثَــوَابِ ذَا وَثَــوَابِ ذَا
رُتَــبٌ مُضَــاعَفَــةٌ بِــلا حُسْبَــانِ
هَذَا عَــطَاءُ الــرَّبِ جَــلَّ جَــلالُــهُ
وبِــذاكَ تُعْــرَفُ حِكْمَــةُ الــرَّحْمٰنِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .

« موعظة »

عِبَادَ اللهِ إِنَّ لَكُمْ بِأَبْدَانِكُم عِنَايَةً عَظِيْمَةً لا تُسَامِيْهَا العِنَايَاتُ بَلْ كُلَ حَيَاتِكُم ذَاهِبَةٌ فِيْمَا تَبْذِلُونَهُ لِخِدْمَةِ هَذَا البَدَنِ مِنْ مَجْهُودَاتٍ أَلَيْسَ لَيْلُكُم وَنَهَارُكُم في كَدٍّ مُدِيْمٍ لِجَمْعِ الأَمْوَالِ وهَلْ كلُ تِلْكَ الأَمْوَالِ إِلا وَسِيْلَةٌ تَصِلُونَ بِهَا مَا لِهَذَا البَدَنِ مِنْ مَلْذُوْذَاتٍ .

لا بَأْسَ بالاعْتِنَاءِ بالبَدَنِ لَكِنْ بِدُوْنِ هَذَا الافْرَاطِ الَّذِيْ لاَ يَرْتَضِيْهِ العَاقِلُ اللَّبِيْبُ لأَنَّ البَدَنَ مَهْمَا أَكْرِمَ مَآلُهُ إِلَى التُرَابِ تَتَمَتَّعُ بِلَذِيْذِ لَحْمِهِ الدِيْدَانُ والذي يَنْبَغِي أَنْ تَهْتَمَّ بِهِ وتَصْرِفَ عِنَايَتَكَ بِهِ نَفْسكَ قَبْلَ جِسْمِكَ الَّتِيْ أَنْتَ بِهَا مِن صَفْوَةِ هَذَا العَالَمِ وعَلَى العِنَايَةِ بِهَا تَتَوَقَّفُ سَعَادَتُكَ في هَذِهِ الحَيَاةِ وَبَعْدَ المَمَاتِ .

ولِهَذِهِ النَّفْسُ غِذَاءٌ وَلَعَلَّكَ تَوَدُّ أَنْ تَعْرِفَهُ وهُوَ جَدِيْرٌ بالإِعْتِنَاءِ مِنْكَ والتَّقْدِيْرِ والجِدّ لَهُ والتَّشْمِير لأَنَّ مَنْفَعَتَهُ دُنْياً وأُخْرَى ولا نِسْبَةَ بَيْنَهَا وبَيْنَ مَنْفَعَةِ هذِهِ الأَبْدَانِ .

ذَلِكَ الغِذَاءُ أَوِ القُوْتُ هُوَ أَنْوَاعُ الطَّاعَاتِ كاخْلاَصِ الأَعْمَالِ للهِ

والذِكْرِ لَهُ والشُكْرِ لَهُ وَمَحَبَّتِهِ وتَعْظِيْمِهِ والقِيَامِ التَّامِ بأرْكَانِ الاسلامِ الشَّهَادَتَيْنِ وَالصلاةِ والزَّكَاةِ والصِيَامِ والحَجِ وسَائِرِ البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وأَنْوَاعِ العُلُومِ والمَعَارِفِ أَوْحَاهَا اللهُ وأَوْدَعَهَا هَذِهِ المَصْنُوعَاتِ .

والاعْتِنَاءِ بمكَارِمِ الأخلاقِ ومَحَاسِنِ الشِيَمِ وما إلى ذَلِكَ مِن أَنْوَاعِ القُرُبَاتِ والذي يَظْهَرُ لَنَا مِن حَالِكَ وسِيْرَتِكَ أَنَّكَ في شُغْلٍ شَاغِلٍ عن الإِقْبَالِ عَلى النَّفْسِ وَتَغْذِيَتِهَا بِمَا قُلْنَا مِن أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ ذَلِكَ أَنَّ قَلْبَكَ مُتَعَلِّقٌ بتَحْصِيْلِ غِذَاءِ الجِسْمِ والاعْتِنَاءِ بِهِ فَهُوَ الذِي نَصْبَ عَيْنَيْكَ .

ولِذَلِكَ تَشِبُّ وتَشِيْبُ وتَمُوْتُ وأَنْتَ جَاهِلٌ بِضَرُوْرِيَاتِ الدِيْنِ الإِسْلامِي ورُبَّمَا مَرَّ عَلَيْكَ مُدَّةٌ طَوِيْلَةٌ بِدُوْنِ أَنْ تَتَفَكَّرَ بِنِعَمِ اللهِ وتَذْكُرَهُ بِلِسَانِكَ وتَشْكُرَهُ عَلى مَا أَوْلاَكَ وكَذَلِكَ الآخِرَةَ رُبَّمَا أَنَّهَا تَمْضِيْ المُدَّةُ لا تَذْكُرُهَا ولا تَسْتَعِدُّ لَهَا .

وكَمَا أَنَّ لِلأَبْدَانِ أَمْرَاضٌ كَثِيْرَةٌ فَلِنَّفْسِ أَمْرَاضٌ أَكْثَرُ وأَعْظَمُ وأَخْطَرُ وتِلْكَ الأَمْرَاضُ هِيَ السَّيِئَآتِ التِيْ مَن وُقِيَهَا رُحِمَ قال اللهُ تعالى « ومَن تَقِ السَّيِئَآتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيْمِ » .

وكذلكَ مِن أَمْرَاضِ النَّفْسِ رَذَائِلُ الأَخْلاَقِ والجَهْلُ بالشَّرْعِ الحَكِيمِ ولِهذه الأَمْرَاضِ دَوَاءٌ نافِعٌ بإِذنِ اللهِ أَنْ تَتُوبَ تَوْبَةً نَصُوْحاً إِلى اللهِ وتَتَخَلَّقَ بِضِدِّ الفِعْلِ أَوِ الخُلُقِ الذَمِيْمِ فهَلْ لَكَ شَوْقٌ إِلى هَذَا الدَّوَاءِ الشَّافِي بإِذْنِ اللهِ كَمَا أَنَّكَ تَشْتَاقُ بَلْ تُهَرْوِلُ وتُسْرِعُ إِلى طَبِيْبِ الأَبْدَانِ وَمَعَكَ مَا مَعَكَ مِن المَالِ إِذَا أَحْسَسْتَ بِمَرَضٍ في بَدَنِكَ وانْ لَمْ تَجِدْ في بِلَادِكَ ذَهَبْتَ تَطْلُبُ الشِّفَاءَ ولَو فِي بلادِ الحُرِّيَةِ والكُفْرِ مُحَكِّمَةَ القَوانِيْن أعداءَ اللهِ ورَسُوْلِهِ والمؤمِنِيْن .

أَمَّا بَدِيْعُ السَّمَواتِ والأَرْضِ فلا أَرَاكَ تَلْتَجِي لَهُ إِلا عِنْدَ الشَّدَائِدِ وهذا وَاللهِ قَبِيْحٌ مِمَّنْ يَدِيْنُ بِدِيْنِ الاسلام ويُؤْمِنُ بالبَعْثِ والنُشُوْرِ ، فالتَفِتْ يَا أخِيْ لِنَفْسِكَ وَذَكِّرْهَا بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْكَ لِتَتَمكَّنَ مَحَبَّتُهُ مِنها واقْبِل عَلَيْهَا وَعوِّدْهَا على الآدابِ الشَّرْعِيَّةِ .

شعراً :

يا خادِمَ الجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِخِدْمَتِهِ
أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ مِمَّا فِيْهِ خُسْرَانُ
أَقْبِلْ عَلى النَّفْسِ واسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا
فأَنْتَ بالنَّفْسِ لا بالجِسْمِ إِنْسَانُ

آخر : أَرَى وُجُوْدَكَ هَذَا لَمْ يَكُنْ عَبَثاً
إلا لِتَكْمُلَ مِنْكَ النَّفْسُ فانْتَبِهِ
فاعْدِلْ عَنِ الجِسْمِ لا تُقْبِلْ عَلَيْهِ وَمِلْ
إلى رِعَايَةِ مَا الإنسانُ أَنْتَ بِهِ
فَمُؤْيِسُ النَّفْسِ عن أَهْوائِهَا يَقِظٌ
ومُطْوِعُ النَّفْسِ فِيْهِ غَيْرِ مُنْتَبِهِ
واسْلُكْ سَبِيْلَ الهُدَى تحْمِدْ مَغَبَّتَهُ
فَمَنْهَجُ الحَقِّ بَادٍ غَيْرُ مُشْتَبِهِ

إذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فاعْلَمْ أَنَّ غِذَاءَ نَفْسِكَ وَدَوَائِهَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ العَامِلِيْنَ بِهِ الذِيْنَ يُصَدِّقُوْنَ أَقْوَالَهُم بأَفْعَالِهِمْ المُعَظِّمُوْنَ لِلشَّرِيْعَةِ الذِيْنَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ ذَكَرْتَ اللهَ الذِيْنَ لا يَتَشَبَّهُوْنَ بأَعْدَاءِ اللهِ ولا يُجَاهِرُوْنَ بالمَعَاصِي الصَّادِعُونَ بالحَقِّ الذِيْنَ لاَ تَأْخُذُهُمْ في اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ الذِيْنَ لاَ تَهُمَّهُمْ الدُنْيَا وَزَخَارِفُهَا البَرَّاقَةُ .

وكَذلِكَ مَوْجُوْدٌ الدَّواءُ الذيْ ذَكَرنَا في كُتُبِ العُلَماءِ السَّلَفِيِّيْنَ أتْبَاعِ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِيْنَ كَالْائِمَةِ الأَرْبَعَةِ والمُوفَّقِ وابْنِ أَبِي عُمَرَ وشَيْخِ الاسلامِ وابنِ القيمِ وابنِ رَجَبٍ وابْنِ مُفْلِحٍ وابْنِ كُثَيْرٍ ومَنْ تَلْمَذَ عَلَى كُتُبِهِمْ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ واقْتَفَى أَثَرَهُمْ وسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ فَجَزاهُمُ اللهُ عن الإِسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ خَيْراً

شعـــراً :

عِلْمُ الحَديثِ أَجَلِّ السُؤْلِ والْوَطَرِ ... فاقْطَعْ به العَيشَ تَعرِفْ لَذَّةَ العُمُرِ
وانقلْ رِحَالَكَ عن مَغْنَاكَ مُرتَحِلاً ... لِكَـي تَفُـوزَ بنقِـلِ العِلـمِ والأثـرِ
ولا تَقُلْ : عَاقَني شُغْلٌ ، فليَس يُرى ... في التَّركِ لِلعِلمِ مِنْ عُذرٍ لِمُعْتَذِرِ
وأَيُ شُغْلٍ كَمِثْلِ العِلـمِ تَطْلُبُـه ... ونَقْلِ ما قد رَوَوْا عن سَيِّدِ البَشَرِ ؟
أَلْهَىْ عن العِلـمِ أقواماً تَطَلُّبُهُمْ ... لَذّاتِ دُنيـاً غَدَوا منها على غَرَرِ
وخَلّفُــوا مالَـــه حَظٌ ومَكْرُمَـةٌ ... إلى الَّتي هِيَ دَأْبُ الهُونِ والخَطَرِ
وأَيُّ فَخْـرٍ بِدُنْيـاهُ لِمَـنْ هَدَمَتْ ... مَعَائِبُ الجهلِ منه كُلَّ مُفْتَخَرِ ؟
لا تَفخَـرَنَّ بِدنيـاً لا بَقَـاءَ لَهـــا ... وبالعَفـافِ وكَسْبِ العِلـمِ فَافتَخِـرِ
يَفْنَى الرِجالُ وَيَبْقى عِلْمُهُـمْ لَهُـمْ ... ذِكْـراً يُجـدَّدُ في الآصالِ والبُكَـرِ
ويَـذهبُ الموتُ بالدنيـا وصاحِبِهـا ... وليس يَبقَى له في الناسِ مِن أثَرِ
تَظُـنُّ أنكَ بالدنيـا أخُـوُ كِبَـــرٍ ... وأنتَ بالجهلِ قد أصبَحْتَ ذا صِغَرِ
لَيسَ الكَبيرُ عَظِيمُ القَدْرِ غيرَ فتًى ... ما زَالَ بالعِلمِ مَشْغُولاً مَدَى العُمُرِ
قَد زَاحَمَتْ رُكْبَتاهُ كُلَّ ذِي شَرَفٍ ... في العِلمِ والحِلْمِ لا في الفَخْرِ والبَطَرِ
فجالِسِ العلمـاءَ المُقْتَـدَى بِهِـمُ ... تَسْتَجْلِبِ النفعَ أو تَأْمَنْ مِنَ الضَّرَرِ
هُمْ سَادَةُ الناسِ حَقّا والجُلُوسُ لَهُم ... زِيـادةٌ هكـذا قد جَاءَ في الخَبـرِ
والْمَرْءُ يُحسَبُ مِن قَومٍ يُصَاحِبُهُم ... فارْكَنْ إلى كُلّ صافِي العِرضِ عن كَدَرِ
فَمَنْ يُجَالِسْ كَرِيمـاً نَالَ مَكرُمَـةً ... ولَمْ يَشِنْ عِرضَهُ شَيءٌ مِن الغِيَـرِ

كَصَاحِبِ العِطْرِ إنْ لم تَسْتَفِدْ هِبَةً ... مِن عِطْرِهِ لم تَخِبْ مِنْ رِيحِهِ العَطِرِ
وَمَنْ يُجَالِسْ رَدِيءَ الطَّبْعِ يُرْدِ به ... ونالَه دَنَسٌ مِن عِرْضِهِ الكَدِرِ
كَصَاحِبِ الكِيرِ إنْ يَسْلَمْ مُجالِسُه ... مِن نَتْنِهِ لَمْ يُوَقَّ الحَرْقَ بالشَّرَرِ
وكُلُّ مَن لَيسَ يَنْهاهُ الحَياءُ ولا ... تَقوى فَخَفْ كُلَّ قُبْحٍ منه وانتظِرِ
والناسُ أخلاقُهُم شَتَّى وأنفسُهم ... مِنهم بَصيرٌ ومنهم مُخْطِيءُ النَّظَرِ
وأصْوبُ الناسِ رَأْياً مَنْ تَصَرُّفُهُ ... فِيمَا بِهِ شَرَفُ الألبابِ والفِكَرِ
واركَنْ إلى كُلِّ مَنْ في وِدِّهِ شَرَفٌ ... مِن نابِهِ القَدْرِ بينَ الناسِ مُشْتَهِرِ
فالمَرْءُ يَشْرُفُ بالأخيارِ يَصْحَبُهُمْ ... وإنْ يَكُنْ قَبلُ شيئاً غيرَ مُعْتَبَرِ
إنَّ العَقيقَ لَيَسْمُو عندَ نَاظِرِهِ ... إذا بَدَا وهو مَنْظُومٌ مَعَ الدُّرَرِ
والمرءُ يَخْبُثُ بالأَشْرارِ يَأْلَفُهُمْ ... ولو غَدَا حَسَنَ الأخلاقِ والسِّيَرِ
فالماءُ صَفْوٌ طَهُورٌ في أَصَالَتِهِ ... حتى يُجَاوِرَه شَيْءٌ مِن الكَدَرِ
فكُنْ بِصَحْبِ رسولِ اللهِ مُقْتَدِياً ... فإنَّهُمْ لِلْهُدَى كالأنْجُمِ الزُّهُرِ
وإنْ عَجَزْتَ عن الْحَدِّ الذي سَلَكُوا ... فكنْ عنَ الحُبِّ فِيْهِم غيرَ مُقْتَصِرِ
والْحَقُّ بقَوْمٍ إذا لاحَتْ وُجُوهُهُمُ ... رَأَيْتَهَا مِن سَنَا التوفيقِ كالقَمَرِ
أَضْحَوْا مِن السنَّةِ العَلْيَاءِ في سَنَنٍ ... سَهْلٍ وقامُوا بَحِفْظِ الدِينِ والأَثَرِ
أجَلُّ شَيْءٍ لَدَيْهِمْ : قال أَخْبَرَنَا ... عن الرسولِ بما قد صَحَّ مِن خَبَرِ
هَذِي المَكَارِمُ لَا قَعْبَانِ مِن لَبَنٍ ... ولا التَّمَتُّعَ باللذاتِ والأَشَرِ
لا شيءَ أَحْسَنَ مِن : قال لرَّسُولُ وما ... أجَلُّ مِن سَنَدٍ عن كُلِّ مُشْتَهِرِ
ومَجْلِسٍ بَينَ أَهلِ العِلمِ جَادَ بما ... حَلَا مِنَ الدرِ أَوْ حُلِّي مِن الدُّرَرَ
يومٌ يَمُرُّ وَلَمْ أَرْوِ الحَدِيثَ بِهِ ... فَلَسْتُ أَحْسِبُ ذاكَ اليومَ مِن عُمُري
فإنّ في دَرْسِ أَخْبَارِ الرسولِ لَنَا ... تَمَتُّعاً في رِيَاضِ الجنةِ الخُضُرِ
تَعَلُّلاً إذْ عَدِمْنَا طِيبَ رُؤيَتِهِ ... مَنْ فَاتَهُ العَيْنُ هَدَّا الشَوْقَ بالأَثَرِ
كَأَنَّهُ بينَ ظَهرَيْنا نُشَاهِدُهُ ... في مَجْلِسِ الدَّرْسِ بالآصَالِ والبُكَرِ
زَيْنُ النُبوةِ عَيْنُ الرُّسْلِ خَاتِمُهُم ... بَعْثاً وأَوَّلُهُم في سَابِقِ القَدَرِ

صلى عليه إلهُ العرشِ ثُمَّ عَلَى أشياعِهِ ما جَرَى طَلٌّ على زَهَرِ
مَعَ السلامِ دَوَاماً والرِضا أَبَداً عن صَحبِهِ الأَكْرَمينَ الأَنْجُمِ الزُّهُرِ
وعن عَبيْدِكَ نحن المُذْنِبِيْنَ فَجُدْ بالأَمْنِ مِن كُلِّ ما نَخْشاهُ مِن ضَرَرَ
وَتُبْ على الكُـلِّ مِنا واعطِنا كَرَماً دُنْياً وأُخْرَى جَمْيعَ السُؤْلِ والوَطَرِ

اللهم ثَبِّتْ مَحبَّتَكَ في قلوبنا وقَوِّهَا ووفقنا لِشُكرِكَ وذِكْرِكَ وارزقنا التأهُّبَ والاسْتِعدادَ لِلِقَائِكَ واجْعَلْ خِتَامَ صَحَائِفِنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال إبن رجب رحمـه الله على حديث إبن عباس المتضمن لِوَصيةِ النبي ﷺ فإنـه تَضمَّنَ وصايا عَظِيمةً وقَواعِدَ كُلِّيةً مِن أَهَمِّ أُمُورِ الدين وأجلِها حتى قال الأمام أبو الفرجِ إبنِ الجوزي في كتابة صَيْدِ الخاطر : تدبرتُ هذا الحديثَ فأَدْهَشَني وكِدت أَطِيشُ ثم قال فوا أسفاً مِن الجهلِ بهذا الحديثِ وقِلةِ الفَهْمِ لمعْنَاه .

فقـوله ﷺ : « إحفظ الله يَحفظكَ يعني إحفظ حُدودَ الله وحُقُوقَه وأوامَرهُ ونواهيَهُ ، وحِفْظُ ذلكَ هو الوقوفُ عندَ أوامِره بالامتثالِ وعندَ نَواهِيْهِ بالاجتناب وعند حدودِه فلا يَتجاوَزَ ولا يَتعدَّى ما أمِرَ به إلى ما نُهِي عنه » .

ودَخَـلَ في ذلك فِعلُ الواجبَاتِ جميعاً وتركُ المحرماتِ كُلِّهَا كما في حديث ثَعْلَبَةَ المرفوع : « إن الله فَرض فَرائِضَ فلا تُضيعُوها وحَرّمَ حُرُماتٍ فلا تَنْتَهِكُوها وحَدَّ حُدُوداً فلا تَعْتَدُوها » .

وذلـك يدخَـلُ في حِفظِ حدودِ الله كما ذكـره الله تعالى في قوله : ﴿ والحـافظون لحدود الله ﴾ وقال تعالى : ﴿ هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾ .

وُفُسِّرَ الحفيظُ هَاهُنَا بالحافظِ لأوامِرِ اللهِ وفُسِّرَ بالحافظ لذنوبه حتى يرجعَ منها ، وكلاهما يدْخُلُ في الآية . ومَن حَفِظَ وَصِيَّةَ الله لِعبادِه وإمْتثلهَا فهو داخلٌ أيضاً ، والكُلُ يَرجع إلى مَعنىً واحد .

وقد ورد في بعض ألفاظ حديث يوم المزيدِ في الجنة ، إن الله تعالى يقول لأهل الجنةِ إذا اسْتَدْعَاهُم لزيارتِهِ وكَشفَ لهم الحجابَ « مَرْحباً بعبادي الذين حَفِظُوا وصِيّتي وَرَعَوا عَهْدِي وخافوني بالغيب وكانوا مِني على كُلِّ حالٍ مُشفقين » .

فأَمْرُهُ ﷺ لابن عباس أن يَحفظَ الله يَدخُلُ فيه هذا كُلُّهُ . ومِن أعظمِ ما يجبُ حِفظُه مِن المأموراتِ الصلوات الخمسُ قال الله تعالى : ﴿ والذين هم على صلاتهم يحافظون ﴾ .

وقال ﷺ : « مَن حَافَظَ عليها كان له عندَ الله عهداً أن يدخلهَ الجنةِ » .

وفي حديث آخر : « مَن حَافَظَ عليهن كُنَّ نُوراً وبُرهاناً ونجاةً يومَ القيامة » وكذلك الطهارةُ فإنها مفتاحُ الصلاة .

وقال النبي ﷺ : « لا يُحافِظُ على الوضوءِ إلا مؤمنٌ فإن العبدَ تَنْتَفِضُ طَهارَتهُ ولا يَعْلَمُ بذلك إلا الله » . فالمحافظةُ على الوضوءِ للصلاةِ دليلٌ على ثُبوتِ الإِيمانِ في القَلب .

ومما أمرَ الله بحفظِهِ الأيْمانُ لَمَّا ذَكرَ كَفارَةَ اليمينِ قال : ﴿ ذلك كفارةُ أيمانهم إذا حلفتم وإحفظوا أيمانكم ﴾ فإن الأيمانَ كَثيراً ما تَقعُ مِن الناسِ ومُوجباتُها مُختلفةٌ .

فتارةً يجبُ بها كفارةُ يمين وتارة يجَبُ فيها كفارةٌ مُغَلَّظَة وتارةً يَلزمُ بها

المحلوف عليه مِن طلاق ونحوه . فَمَنْ حَفِظَ أيمانَه دَلَّ على دُخُولِ الإيمانِ في قلبِهِ .

وكان السلفُ كَثيراً ما يُحافظون على الأَيمانِ فمنهم مَن كان لا يَحلفُ بالله البَتةَ . ومنهم مَن كانَ يَتَوَرعُ حتى يُكَفِرّ فيما شكَّ فيه الحنث .

وَوَصَّى الإمامُ أحمدُ رحمه الله عندَ موتهِ أن يُخرجَ عنه كفارةَ يمين . وقال أظنُّ أني حَنِثتُ في يَمينٍ حَلَفتُها . وقد روى عن أيوب عليه السلام أنه كان إذا مَرَّ باثنين يحلِفانِ بالله ذهبَ فَكَفَّرَ عنهما يَمِيْنَيهمَا لِئَلا يأثمانَ وهُما لا يشعْرُانِ .

ولهذا لَمَّا حَلَفَ على ضربِ إمرأته مِائة جَلْدَة أفتاهُ الله بالرخصةِ لِحفظَهِ لأَيمانه وأيمانِ غيرِهِ . وقد إختلفَ العلماءُ هل تتعدى الرُخْصَةُ إلى غيرِهِ أم لا ؟

وقال يزيدُ بنُ حبيب : بَلَغني أن مِن حَمَلَةِ العرشِ مَن يَسيلُ مِن عَينيهِ أمْثَالُ الأنهارِ من البكاءِ فإذا رَفعَ رأسهَ قال : سبحانكَ ما تُخْشَى حَقَّ خَشْيَتِكَ فيقول الله تعالى : ﴿ لكن الذين يَحلِفُون بإسْمِي كاذِبينَ لا يَعْلَمُون ذلكَ ﴾ وقد وَرَدَ التشديدُ العظيمُ في الحِلفِ الكاذِبِ بالله .

ولا يَصدرُ كثرةُ الحلف بالله إلاَّ مِن الجهلِ بالله تعالى وقلّةِ هَيْبَةِ في الصدورِ . وممَا يلزَمُ المؤمنَ حِفْظُهُ ، رَأسُهُ وبَطْنُهُ كما في حديث إبن مسعود رضي الله عنه المرفوع : « الاستحياءُ مِن الله حقَّ الحياءِ أن يُحفظِ الرأسُ وما وَعَى ويُحْفَظَ البَطنُ وما حَوَى » خرجه الإمام أحمد والترمذي . وحِفظُ البطنِ وما حَوَى يَتَضَمَّنُ حِفظَ القلبِ عن الإصرار على مُحَرَّمٍ .

وقد جَمعَ الله ذلك كُلّهُ في قوله تعالى : ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً ﴾ . ويدخل في حِفْظِ البطن وما حَوى حِفظهُ مِن إدْخَالِ الحرامِ إليه من المأكولاتِ والمشروباتِ .

اللَّهُمَّ طهِّـرْ قُلُوبَنا مِن النِفاق وعَمَلنا مِن الرياء وَأَلْسِنَتَنَا مِن الْكَذِبِ وَأَعْيُنَنَا مِن الخِيانَةِ وآذانَنَا عَن الاستماعِ إلى مَا لاَ يُرْضِيْكَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمينَ وَأَلْحِقْنَـا بالصَّالِحِينَ واغفر لَنا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمْيع المسلمين برحمتك يا أرحم الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْــــلٌ)

وقال رحمه الله ومما يَجبُ حِفْظهُ مِن المنهيَّاتِ حِفظُ اللسانِ والفرجِ .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : ﴿ من حَفِظَ ما بَين لَحيْيهَ وما بينَ رِجْلَيهِ دَخـل الجنةَ ﴾ خرجه الحاكم . وخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ ولفظه : « مَن يَضْمَنُ لي ما بينَ لحيْيَهَ ورِجْلَيهِ . أضْمَنْ له الجنةَ » .

وفي مسند الإمامِ أحمد عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « مَن حَفِظَ ما بينَ فقْمَيه وفَرْجِهِ دَخَلَ الجنةَ » . وقد أمرَ الله بِحْفظِ الفَرجِ خاصةً ومَـدَحَ الحـافظينَ قال الله تعالى : ﴿ قل لِلْمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفـظوا فروجهم ﴾ وقـال : ﴿ والحافظينَ فروجهم والحافظات ﴾ وقال تعالى : ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴾ .

وقد روى عن أبي إدريس الخولاني أن أولَّ ما وَصَّى الله بِهِ آدمَ عند إهَباطِهِ إلى الأرضِ بحفظِ فرجِهِ وأن لا يَضعَهُ إلا في حَلال .

قوله : « يَحفَظْكَ » يعني أن مَن حَفِظَ حُدود الله وَرَاعَى حُقُوقَهُ حَفِظَه الله فإن الجزاءَ مِن جنسِ العمل كما قال تعالى : ﴿ وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ﴾ وقال ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ .

وقال : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ﴾ . وحِفْظُ الله تعالى لِعَبدِه يَتضَمَّنُ نوعَين : أحدُهما حِفْظُه له في مَصَالحِ دُنياهُ كَحِفْظِهِ في بَدَنِهِ وَوَلَدِهِ وأهلِهِ ومالِهِ .

وفي حديث إبن عمر رضي الله عنهما قال : لم يكن رسول الله ﷺ يَدعُ هؤلاء الدعواتِ حينَ يُمسِي وحينَ يُصبِحُ : « اللهم إني أسألك العافيةَ في الدنيا والآخرةِ ، اللهم إني أسألك العفوَ والعافيةَ في دِيني ودنُياى وآخِرَتي وأهْلِي ومَالي ، اللهم إستر عَوْرَاتي وآمِنْ رَوْعَاتي وإحفظْني مِن بَينْ يَديَّ ومِن خَلْفِي وعن يَميني وعن شِمَالي ومِن فوقي ، وأعوذ بعظَمتِكَ أن أغتالَ مِن تحتي » . خرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وإبن ماجه .

وهذا الدعاءُ مُنتزَعٌ من قولِ الله تعالى : ﴿ له مُعَقبات مِن بَين يَدِيهِ ومِن خلفِهِ ﴾ الآية . قال إبن عباس رضي الله عنهما : هم الملائكة يحفظُونه بأمْرِ الله فإذا جاءَ القَدَرُ خَلَّوا عنه . وقال عَليٌّ رضي الله عنه : إن مَعَ كُلِّ رَجُلٍ ملكين يحفظانِهِ مما لم يُقدَّرْ فإذا جاءَ القَدَرُ خلَّيا بَيْنَه وَبيْنَه وإن الأجلَ جُنَّةٌ حَصِيْنَةٌ .

وقال مُجاهِدُ : ما مِن عبدٍ إلا لهُ مَلَكٌ يَحفَظُهُ في نومِهِ ويَقْظَتِهِ مِن الجنِ والإنسِ والهوامِ فما مِن شيءٍ يأتيهِ إلا قال وَرَاءَكَ إلا شيئاً قد أذنَ الله فيه فَيُصِيبُهُ . ومِن حِفْظِ الله للعبد أن يحفظَه في صِحَّةِ بَدَنِهِ وقوتِهِ وعَقْلِهِ ومَالِهِ .

قال بعضُ السلفِ : العالِمُ لا يحزنُ وقال بعضُهم مَن حَفِظَ القُرآنَ

مُتعَ بَعْقلِه ، وتأوّلَ ذلكَ بعضُهم على قَوله : ﴿ ثم رَدَدْناهُ أسفَل سَافِلينِ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ .

وكان الطيبُ أبوُ الطبري قد جَاوَزَ المائة السنة وهو مُمَتَّعٌ بعَقْلِهِ وقوتِهِ فَوَثَبَ يَوماً مِن سَفِينةٍ كان فيها إلى الأرض وَثْبَةً شديدةً فعُوتِبَ على ذلك فقال : هَذِهِ جَوَارِحُ حفظناهَا في الصِغَرِ فَحَفِظَهَا الله علينا في الكبرِ .

وعكسُ عهـذا أنَّ الجنيدَ رأى شيخاً يسألُ الناسَ فقال : إن هذا ضَيَّعَ الله في صِغرهِ فَضَيَّعَهُ الله في كِبَرِهِ . وقد يَحْفَظُ الله العبدَ بصَلاحِهِ في وَلدِهِ وَوَلَدِ وَلَدِهِ كما قِيل في قوله تعالى : ﴿ وكان أبوهما صالحاً ﴾ إنهما حُفِظا بصِلاحِ أبيهما .

وقال محمد بن المنكدر إن الله لَيَحْفَظُ بالرجل الصالحِ وَلدهُ وَوَلَدَ وَلَـدِهِ وقَـرْيَتَـهُ التي هو فيها والدُوَيْراتِ التي حَوْلَهَا فما يَزالُونَ في حِفْظِ الله وسِتْرِهِ . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَصْــــلٌ)

وقال رحمه الله :

وَمَتى كَان العبدُ مُشْتَغِلاً بطاعةِ الله تعالى يَحْفَظُه في تِلكَ الحالِ كما في مسند الإمام أحمد عن حميد بن هلال عن رجل قال : أتيتُ النبي ﷺ فإذا هُوَ بربِي بَيْتِنَـا فقـال : « إن إمـرأةً كانَتْ فيه فَخَرجَتْ في سَرِّيةٍ مِن المسلمينَ وتَركَتْ ثِنْتي عَشَرْةَ عَنْزاً وصَيْصِيَّتِها قال : فَفَقَدتْ عَنْزاً وصَيْصِيَّتَها كَانَتْ تَنْسِجُ بها .

فقالت : يا رَبِّ إنكَ قَدْ ضَمِنْتَ لِمنْ خَرجَ في سَبْيلكَ أن تَحْفَظَ عليه وإني قد فَقَدْتُ عَنْزاً مِن غَنَمِي وصَيْصِيتي وإني أنْشُدكَ عَنْزِي وصَيْصِيتي وإني أنشدكَ عَنْزِي وصَيْصِيتي .

قال فجعلَ رسولُ الله ﷺ يذكرُ شِدَّةَ مُناشَدَتِها ربَّها تَبارَكَ وتعالى . قال رسولُ الله ﷺ «فأصبحَتْ عَنْزُهَا ومِثْلُها وصَيْصِيتها ومِثْلُها وهَاتِيْكَ فأتِها إن شِئْتَ » قال فقلت بل أصدقك .

وكــان بعضُ السلفِ بيَدِه الميزان يَزِنُ به دَرَاهِمَ فَسَمِعَ الأذانَ فَنَهَضَ ونَفَضَها على الأرضِ وذهبَ إلى الصلاة فلما عادَ جَمَعَهَا فلم يذهبْ منها شيءٌ .

ومِن أنواعِ حِفْظِ الله لِمَنْ حَفِظَهُ في دُنياه أن يَحْفَظَه مِن شَرِ كل مَن يُرِيْدُهُ بأذى مِن الجنِ والإنسِ كما قال تعــالى ﴿ ومَن يَتقِ الله يَجْعَــلْ له مَخْرَجاً ﴾ قالت عائشةُ رضي الله عنها : يَكْفيهِ غَمَّ الدنيا وهَمَّهَا .

وقال الربيعُ بنُ خيثم يَجْعَلْ لَهُ مَخرجاً مِن كُلِ ما ضاقَ على الناسِ . وكَتَبَتْ عائشةُ رضي الله عنها إلى مُعاويةَ : إن إتقيتَ الله كَفاكَ الناسَ . وإن اتَقَيْتَ الناسَ لم يُغْنُوا عنكَ مِن الله شيئاً .

وكَتَبَ بعضُ الخلفاءِ إلى عَمْرِو الغِفاري كتاباً يأمره فيه بأمرٍ يُخالِفُ كِتابَ الله ، فكَتَبَ إليه : إني نظرتَ في كتابَ الله فوجدتُه قَبلَ كِتابِ أميرِ المؤمنين وإن السمواتِ والأرضَ لو كانَتَا رَتْقاً على إمرءٍ فاتَّقَي الله عَزَّ وجَلَّ جَعَلَ له مَخرجاً والسلام . وأنشد بعضُهم : بتقوى الإله نَجاً مَن نَجاَ .

كَتَبَ بعضُ السلفِ إلى أخيه أما بَعدُ فإنه مَن إتَّقَى الله فَقد حَفِظَ نَفْسَهُ ومَن ضَيَّعَ تَقْواه فقد ضَيَّعَ نفسَهُ والله الغنيُ عنه .

شعرا: عَلَيكَ بِتَقْوَى اللهِ في كُلِّ حَالَةٍ تَجِدْ نفْعَهَا يَوْمَ الحِسَابِ الْمُطَــوَّلِ
أَلَا إن تَقْوَى الله خَيْرُ بِضَاعَــةٍ وَأَفْضَلُ زَادِ الضَّاعِنِ المُتَحَمِــلِ
آخر: ولا خَيْرَ في طُوْلِ الحَيَاةِ وعَيشِهَا إذَا أَنْتَ مِنْهَــا بالتُّقَــى لم تُزَوَّدِ

ومن عَجيْب حِفْظِ الله تعالى لِمَنْ حَفِظَه أن يَجْعَلَ الحيواناتِ المؤذِيَة بالطبع حَافِظَةً له مِن الأذى وساعيةً في مَصْالحِه كما جَرى لِسَفِيْنَةَ مَولَى النبي ﷺ حَيْثُ كُسِرَ بِه المركبُ وخَرجَ إلى جَزيرةٍ فَرأى السَّبعُ فقال يا أَبا الحارث أنا سَفِيْنَةُ مولى النبي ﷺ فَجعَلَ يَمْشِي حَوْلَه ويَدُلُه على الطريقِ حتى أوقفَهُ عَليها ثم جَعَلَ يُهَمْهِمُ كأنه يُوَدِّعُه وإنصرفَ عنه .

وكان أبُو إبراهيم السايح قَدْ مَرِضَ في بَريةٍ بقُربِ دَيْرٍ فقال لو كُنْتُ عندَ بابِ الدَّيْرِ لنزَلَ الرُّهْبانُ فَعالجوني . فَجاء السَّبعُ فاحْتَمَلَهُ على ظَهْرِهِ حتى وَضَعَهُ على بابِ الدَّيْرِ فرآه الرُهْبانُ فأسْلَمُوا وكانوا أربَعمائةٍ .

وكـان إبـراهيمُ بنُ أدْهَم نائماً في بُسْتَانٍ وعِنْدَهُ حَيَّةٌ في فَمِها طَاقَةُ نَرْجَسٍ فما زَالَتْ تَذبُ عنه الذُبابَ حتى إسْتَيقَظَ . فمن حَفِظَ الله حَفِظَهُ مِن الحيواناتِ المؤذيةِ بالطبعِ وجَعَلَ تلكَ الحيواناتِ حَافِظَةً له .

ومن ضَيَّعَ الله ضَيَّعَهُ الله بَينَ خَلْقِهِ حتى يَدخُلُ عليه الضررُ مِمَّنَ كان يَرجُو أن يَنْفَعَهُ ويَصيرُ أخص أهْلِهِ بِهِ وأرفَقُهم به يُؤْذيه .

كما قال بعضُهم : إني لأعْصِي الله فأعـرفُ ذلك في خُلُقِ خَادِمي وحِمَاري . يعني أن خَادِمَهُ يَسُوءُ خُلُقُهُ عليه ولا يُطيْعُهُ وحِمارُهُ يَسْتَعْصِي عليه فلا يُواتِيه لرُكُوبه . فالخيرُ كُلُّه مجموعٌ في طاعةِ الله والإقبالِ عليه ، والشَّرُ كلهُ مَجْمُوعٌ في مَعْصِيةِ الله .

شعرا : إذا انْتَسَبَ النَاسُ كانَ التُقيُّ   بِتقْواهُ أَفْضَلَ مَنْ يُنْتَسَبُ
ومنْ يَتَّقِ الله يَكْسِبْ بِهِ   مِنَ الحظِّ أَفْضَلَ ما يُكْتَسَبُ
ومنْ يَتَّخِذْ سَبَباً لِلنَّجاةِ   فإنَّ تُقَى الله خَيْرُ السَّبَبُ

اللَّهُمَّ نَوِّر قُلوبَنَا بِنُورِ الإِيْمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفي الآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وَتَوفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَالْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ يَاأَكْرَم

الأَكْرَمِيْنَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــــلٌ)

النوع الثاني مِن الحفظِ وهو أشْرَفُهَا وأفْضَلُها ، حِفْظُ الله تعالى لِعَبْدِه في دِينِه فَيَحْفَظُ عَليه دْينَـهُ وإيْمَـانَهُ في حَيَاتِهِ عن الشُبُهاتِ المُـرْدِيَةِ والبـدعِ المضلةِ والشهوات المُحَرَّمَةِ ويحفَظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الإِسلام .

قال الحكَمُ بنُ أبان عندَ أبي مَكِي : إذا حَضَرَ الرَجُلَ الموتُ يقال لِلْمَلَكِ شُمَّ رَأْسَهُ قالَ أجدُ في رأسِهِ القرآنَ قال شُمَّ قَلْبَهُ قال أجد في قلبهِ الصِيامَ قال شُمَّ قَدَمَيْهِ قال أجَدُ في قَدَمَيْهِ القِيامَ قال حَفِظَ نِفْسَهُ فَحفِظَهُ الله عز وجل . خرجه إبن أبي الدنيا .

وقد ثبتَ في الصحيحين مِن حديث البراءِ بن عازبٍ أن النبي ﷺ عَلَّمَهُ أن يقولَ عندَ مَنامِهِ : « اللهم إن قَبضْتَ نَفسِي فارْحَمْهَا وإن أرْسَلْتَهَا فاحْفَظْهَا بِما تَحْفَظُ به عبادَكَ الصالحين » .

وفي حديث عمر عن النبي ﷺ أنه عَلَّمَهُ أن يقولَ « اللهم إحْفَظْني بالإسلام قائماً وإحْفَظْني بالإسلامِ قاعِداً وإحْفَظْني بالإسلامِ رَاقِداً ولَا تطعْ فِيَّ عَدُواً ولا حَاسِداً » خرجه إبن حبان في صحيحه .

وكان النبي ﷺ إذا وَدَّعَ مَن يُريدُ السَّفَر يقولُ لَهُ : « إستودع الله دينَكَ وأمانتَكَ وخَواتِيمَ أعْمَالِكَ » . وفي رواية وكان يقول : « إن الله إذا إسْتُودِعَ شيئاً حَفِظَهُ » خرجه النسائي وغيره .

وخَـرَّجَ الطبرانِي حديثاً مرفوعاً : « إن العبدَ إذا صَلَّى الصلاةَ على وَجْهِهَـا صَعِـدَتْ إلى الله ولها بُرْهَانٌ كبرْهان الشمس وتقول لِصَاحِبها : حَفِـظَكَ الله كما حَفِظْتَني ، وإذا ضَيَّعَهَا لُفَّتْ كما يُلفُ الثوبُ الخلق ثم

يُضْرَبُ بها وَجْهَ صَاحِبَهِاَ وتقولُ : ضَيَّعَكَ الله كما ضَيَّعْتَنِي » .

وكان عُمرُ رضي الله عنه يقولُ في خُطْبتِهِ : اللهم إعْصِمْنَا بحْفِظِكَ وثَبِتنا على أمْرِكَ . ودَعَا رجلٌ لِبَعْضِ السلفِ أن يَحَفَظَهُ الله . فقال يأ أخي لا تَسألَن عن الحِفْظَ الدُنيوي قد يَشْتَرِك فيه البَرُ والفاجرُ ، فالله تعالى يَحْفَظُ على المؤمن دِينهُ وبينَ مَا يُفْسِدُه عليه بأسبابٍ قد لا يَشْعُرُ بها العبد .

وقد يكونُ ما يكرهُهُ وهذا كما حَفِظَ يُوسُفَ عليه السلام قال تعالى : ﴿ كذلك لِنصْرِفَ عنه السُوءَ والفَحْشَاءَ ﴾ وعَصَمَهُ الله مِنها مَن حَيْثُ لا يشْعُرُ وحَالَ بَيْنَهُ وبَيْنَ أسباب المعاصِي المُهْلِكة . كما رَأى مَعْرُوْفُ الكَرْخِيْ شَبابَاً يَتهاوَنُونَ في الخُروجِ إلى القِتالِ في فِتْنَةٍ فقال : اللهم إحْفَظْهُم فَقِيلَ له : تَدْعُو لِهؤلآء ؟ فقال : إن حَفِظَهُم لم يخرجوا إلى القتال .

وسمع عُمَرُ رجلاً يقول : اللهم إنك تَحُولُ بَين المرءِ وقِلبهِ فحُل بيني وبينَ مَعَاصِيكَ فأعْجبَ عُمُرُ ودَعَا لَهُ بخير : وَرَوَى إبنُ عباسٍ رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ يَحُوُلُ بينَ المرءِ وقلبِهِ ﴾ قال : يحول بينَ المؤمنِ وبَيْنَ المعصيةِ التي تَجُرُهُ إلى النار .

حَجَّ بعضُ المتقدمين فباتَ بِمكَّةَ مَعَ قَومٍ فَهَمَّ بِمَعْصِيةٍ فَسَمِعَ هَاتفاً يَهْتِفُ يقولُ : ويلكَ أَلَمْ تَحُجَّ فَعصَمَهُ الله مما هَمَّ به . وخَرَجَ بعضُهم مَعَ رُفْقَةٍ إلى مَعْصيَةٍ فلما هَمَّ بمُواقعِتها هَتَفَ بهِ هَاتِفٌ : كُلَّ نَفْسٍ بما كَسبَتْ رَهِيْنةٌ فَتَركَهَا .

ودَخَلَ رَجلٌ غَيْضَةً ذاتَ شَجَرٍ فقال لوَ خلوتُ هَا هُنَا بمعصِيةٍ من كان يَرَاني ؟ فَسمِعَ صَوتاً مَلأَ مَا بَيْنَ حافتي الغَيْضَةِ : ألاَ يَعْلَمُ مَن خَلق وهو اللطيفُ الخبيرُ .

وهَمَّ رجلٌ بمعصيةٍ فَخرجَ إليها فَمر في طَريقِهِ بقاصّ على الناسِ فوقَفَ على حَلْقَتِهِ فَسَمعَهُ يقولُ : أيُّها الهامُّ بالمعصيةِ أما علمْتَ أن خَالِقَ الهِمَّةِ مُطَّلِعٌ على همتِكَ فَوقَعَ مَغْشياً عليه فما أفاقَ إلا مِن تَوْبَةٍ .

ومنهم مَن عَصَمَ نَفْسَه بموعِظَةٍ جَرَتْ على لِسانِ مَن أرادَ منه الموافقةَ على المعصيةِ كما جَرَى لأحد الثلاثةِ الذين دَخَلُوا الغارَ وإنطبقتْ عليهم الصخرةُ ، فإنه لَمَّا جَلَسَ مِن تِلك المرأةِ مَجْلِسَ الرجلِ مِن إمرأتِهِ قالتْ له يا عبد الله إتَّقِ الله ولا تَفُضَّ الخاتمَ إلا بِحَقِّهِ فقامَ عنها .

وكذلك الكفلُ مِن بني إسرائيلَ كان لا يَتَورَّعْ عن مَعْصِيَةٍ فأعْجَبَتْهُ إمرأةٌ فأعطاها سِتينَ دِيناراً فلمَّا قَعدَ منها مَقْعَدَ الرجل مِن إمرأتِه إرتَعَدتْ وقال أكْرَهْتُكِ ؟ قالت لا ولكن عَمَلٌ ما عَمِلْتُهُ قطُّ وإنما حَمَلني عليه الحاجةُ .

فقال تَخافِينَ الله ولا أخافُهُ ثم قامَ عنها وَوَهَبَ لَهَا الدنانيرَ وقالَ والله لا يَعْصِي الله الكفلُ أبداً وماتَ مِن لَيلتِهِ فأصْبَحَ مَكْتُوباً على بَابِهِ قد غَفَرَ الله لِلكفلِ .

خَرَّجَ الإمامُ أحمدُ والترمذيُ حَدِيثَه هذا من حديث إبن عُمَرُ مَرفوعاً .

ورَاوَدَ رجلٌ إمرأةً عن نفسِها وأمَرَهَا بغَلْقِ الأبوابِ فَفَعَلَتْ وقَالَتْ بقِيَ بابٌ واحدٌ . قال : أيُّ باب ؟ قالتْ البابُ الذي بيننا وبينَ الله تعالى فلم يَتعَرَّضْ لَهَا .

ورَاوَدَ رَجُلٌ أعرابيةً قال لَهَا مَا يرانَا إلا الكَواكِبُ . قَالَتْ : فأَيْنَ مُكَوْكِبُهَا وهذا كلهُ مِن ألطافِ الله تعالى وحَيْلُولَتِهِ بينَ العبدِ ومَعْصِيتِهِ .

قال الحسنُ وذَكَرَ أهلَ المعاصِي : هانُوا عليه فَعَصَوْهُ ولَو عَزُّوا عليه

لعَصَمَهُمْ ، وقـال بِشْرُ ما أصرَ على مَعصَيةِ الله كَريمٌ ولا آثر الدنيا على الآخرة حَليم . والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(فَصْـــــلٌ)

ومن أنواع حِفْظِ الله لعبدِه في دِيْنِهِ ، أن العبدَ قَدْ يَسْعَى في سَبَب مِن الدنيا ؛ الولايَاتِ أو التجاراتِ أو غير ذلك فَيحُولُ الله بَيْنَهُ وبَيْنَ ما أرادَهُ لِما يَعْلَمُ له مِن الخِيْرَةِ في ذلك وهُو لا يَشْعُر مَعَ كَراهَتِهِ لِذَلِكَ .

قال إبنُ مَسعُودِ رضي الله عنه : إن العبدَ لَيَهمُّ بالأمرِ مِن التجَارةِ أو الإمَـارَةِ فينظُر الله إليه فَيقُولُ لِلْمَلائِكَةِ إصْرَفُوهُ عنه فإني إن يَسّرتُهُ لَهُ أدخَلْتُه النارَ فيصرفُه الله عنه فيظلُ يَتطيرُ يقول سَبَقني فلانٌ . دَهاني فلانٌ وما هُوَ إلا فضلُ الله عز وجل .

وأعْجَبُ مِن هذا أنَ العبدَ قد يطلبُ بَاباً مِن أبواب الطاعاتِ ولا يكونُ فيه خَيرٌ له فَيحولُ الله بَينَهُ وَبَيْنَهُ صِيانةً لهْ ، وهُو لا يَشْعُر .

وخرج الطبرانيُ وغيرُه حديثَ أنسٍ مَرفوعاً ، يَقول الله عز وجل : « إن مِن عبادِي مَن لا يُصْلحُ إيمانَهُ إلا الغِنى ولو أفقرتُه لَأفْسَدَهُ ذلك ، وإن مِن عبادِي مَن لا يُصلحُ إيمانَهُ إلا الفقرُ ولو أغنيتُه لَأفْسَدَهُ ذلك » .

وإن مِن عِبادِي مَن لا يصلحُ إيمانَهُ إلا الصِحّةُ ولو أسْقَمْتُهُ لأفسدَهُ ذلكَ وإن مِن عبادِي مَن لا يصلحُ إيمانَهُ إلا السُقْمُ ولو صَحَّحْتُهُ لَأفْسَدَهُ ذلكَ .

وإن مِن عبادِي مَن يَطلبُ باباً مِن العِبادَةِ فاكُفَّهُ عنه كَيْلاَ يَدْخُلُه العُجْبُ . إني أُدبرُ عبادِي بِعلمِي بما في قُلُوبِهم إني عَلِيمٌ خَبير» .

كان بعضُ المتقدمين يُكْثِر سُؤآل الشهادَةِ فهتَف به هَاتفٌ إنَكَ إن غَزَوْتَ أُسِرْتَ وإن أسِرْتَ تَنَصَّرتَ فكَفَّ عَن سُؤآلِهِ وفي الجُمْلةِ فَمَنْ حَفِظَ حُدودَ الله وَرَاعَى حُقوقَهْ تَولَّى الله حِفْظَهُ في أمورِ دينه ودُنياهُ وفي دُنياهُ وآخرتِهِ .

وقد أخبَرَ الله تعالى أنه وَلِي المؤمنين وأنه يَتولىَ الصالحين وذلك يَتَضَمَّنُ أنه يَتولى مَصَالِحَهمُ في الدنيا والآخرة ولا يكلهم إلى غيره . قال تعالى : ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ وقال تعالى : ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأَنَّ الكافرين لا مولى لهم ﴾ وقال تعالى : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ وقال تعالى : ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ .

فمن قامَ بحقوق الله فإن الله يَتَكَفَّلُ له بالقيام بجَميعِ مَصَالحِه في الدنيا والآخرة . فَمَنْ أرادَ أن يَتولىَ الله حِفْظَهُ ورِعَايَتَهُ في أمُورِهِ كُلِهّا فليرُاعِ حُقُوقَ الله عليه .

ومَن أرادَ أن لا يُصِيبُه شيءٌ مِمَّا يكرهُ فلا يأت شيئاً مما يكْرهُهُ الله . كان بعضُ السلفِ يَدُورُ على المجالسِ ويقولُ : مَن أحَبَّ أن تَدُومَ له العافيةَ فليتق الله .

وقال العُمَريُ الزاهدُ لِمَنْ طلبَ مِنه الوصيةَ : كما تُحِبُّ أن يكون الله لكَ فهكذا كُنْ لله عز وجل . وفي بعضِ الآثار يقول الله : (وعزتي وجَلالي لا أطلعُ على قَلْبِ عبدٍ فأعلمُ أنَ الغالبَ عليه حُبُّ التَّمَسُكُ بطاعَتِي إلا توليتُ سِياسَتَهُ وتَقويمَهُ) .

وفي بعض الكتبِ المتقدمةِ يقولُ الله عز وجل : (إبنَ آدم لا تُعلمني ما يُصْلِحُكَ إبنَ آدمَ إتقني . . . ونَمْ حَيثُ شِئْتَ) .

والمعنى أنك إذا قُمْتَ بما عَليكَ لله مِن حُقُوقِ التَّقْوىَ فلا تَهْتَمُ بعدَ ذلك بِمَصَالِحِكَ فإن الله هُو أعْلَمُ بها منكَ وهو يُوصِلُها إليكَ على أتم الوجُوه مِن غيرِ أهتمامٍ منكَ بها .

وفي حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « مَن كان يُحِبُّ أنْ يَعْلَمَ مَنزلَتَهُ عندَ الله فلينظرْ كيفَ منزلةُ الله عندَهُ فإن الله يُنْزِلُ العبدَ منه حيثُ أنزلَه مَن نفسِهِ » .

فهذا يَدُلُّ على أنه على قَدْرِ إهتمامِ العبدِ بحُقوقِ الله وبأداءِ حُقوقِهِ ومُراعاة حُقُوقِهِ ومُراعاةِ حُدُودِهِ وإعْتَنائِهِ بذلكَ وحِفْظِهِ له يَكونُ إعتناؤُهُ به وحفظُه له .

فَمَنْ كـان غـايَةُ هَمِّـهِ رضَـى الله عنه وطَلَـب قُـرْبِـهِ ومَعْـرفَتِهِ ومَحبَّتِهِ وخِـدْمَتِهِ فإن الله يكونُ لَه على حَسَبِ ذلكَ كما قال تعالى : ﴿ أذكروني أذكركم وأوفوا بعهدي أوفِ بعَهدِكم ﴾ بل هو سُبحانه أكرمُ الأكرمين فهو يُجازي بالحسنةِ عَشْراً ويَزيد .

ومَن تَقرَّبَ مِنه شِبراً تَقرَّب مِنه ذِراعاً ، ومَن تَقربَ منه ذِراعاً تَقرَّبَ منه باعاً ومَن أتاهُ يَمشِي أتاهُ هَرْوَلَةً . ما يُؤتيَ الإنسانُ إلا مِن قِبلِ نَفْسِهِ ولا يُصِيبُهُ المكْرُوْهُ إلا مِن تفريطِهِ في حقِ رِبه عَزَّ وَجَلَّ .

قال علي رضي الله عنه : لا يَرْجُوَنَّ عَبْدٌ إلا رَبَّهُ ولا يَخافَنَّ إلا ذَنْبَهُ . قال بعضُهم مَن صفى صُفى له ، ومَن خَلّطَ خُلّطَ عليه . وقال مَسْرُوقٌ : مَن رَاقَبَ الله في خَطَراتِ قلبِهِ عَصَمَهُ الله في حَرَكَاتِ جَوارِحِهِ وبَسَطَ لَهُ . هذا المعنى يَطُولُ جداً . وفيما أشَرْنا إليه كِفَايَةٌ ولله الحمد والمنة .

شعراً : إذَا صَدَرَتْ مِنْكَ الذُّنُوْبُ فَدَاوِهَا ... بِرَفْعِ يَدٍ في اللَّيْلِ واللَّيْلُ مُظْلِمُ
ولا تَقْنَطَنْ مِن رَحْمَةِ الله إنمَّا ... قُنُوطُكَ منها مِن خَطَايَاكَ أَعْظَمُ
فَرَحْمَتُهُ لِلْمُحْسِنيْنَ كَرَامَةٌ ... وَرَحْمَتُهُ لِلْمُذْنِبِيْنَ تَكَرُّمُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ وَبَعْدَهَا ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ المُفْلِحِينَ الذِيْنَ نَوَّرْتَ قُلُوبَهُم بِمَعْرِفَتِكَ ، وَأَهَّلْتَهُم لِخِدْمَتِكَ ، وَحَرَسْتَهُم مِنْ عَدُوِّكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْــــلٌ)

وقوله ﷺ تَجِدْهُ أَمَامَكَ وفي رواية أخرى تجاهَكَ مَعْنَاه : أن مَن حَفظَ حُدودُ الله وَرَاعَى حُقُوقَه وَجَدَ الله مَعَهُ في جَمِيع الأحوال يَحُوطُه وينْصُرُهُ وَيحفَظُه ويُوفِّقُهُ ويُؤيدُهُ ويُسَدِدُهُ فإنه قَائِمٌ على كُلِ نَفْسٍ بما كَسَبَتْ .

وهو تعالى ﴿ مع الذين إتقوا والذين هم محسنون ﴾ قال قتادة وَمَن يَتَّقِ الله يكُن مَعَه . ومَن يَكن الله مَعَه فَمَعَهُ الفِئَةُ التي لا تُغْلَبُ والحارِسُ الذي لا يَنَامُ والهادِي الذي لا يَضِل .

كَتَبَ بَعضُ السلفِ إلى أخٍ له أما بعدُ إن كان الله مَعَكَ فَمنَ تَخَاف وإن كان عليكَ فَمَنْ تَرجُو والسلام . وهَذِهِ المعيةُ الخاصةُ بالمتقين غيرُ المعيةِ العامةِ المذكورةِ في قوله تعالى ؛ ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ وقوله : ﴿ ولا يَسْتَخْفُونَ مِن الله وهو مَعَهُم إذ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرضى من القول ﴾ .

فإن المعيةَ الخاصةَ تَقْتَضِي النصرَ والتأييدَ وَالحفَظَ والإعانةَ ، كما قال تعالى لموسى عليه السلام وهارون ﴿ لا تخافا إنني مَعَكُما أسمعُ وأرى ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إذا يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ .

وكـان النبي ﷺ قد قال لأبي بَكْرٍ الصِدِيق رضي الله عنه في تلك الحال : « ما ظنكَ باثنينِ اللَّهُ ثالثهما » .

فهذا غيرُ المعنى المذكور في قوله تعالى : ﴿ ما يكون مِن نَجوى ثلاثةٍ إلا هو رابُعِهم ولا خمسة إلا هو سادسُهم ولا أَدنَى مِن ذلكَ ولا أكثرُ إلا هو معهم أينما كانوا ﴾ فإن ذلكَ عامٌ لِكلِّ جماعَةٍ .

ومن هذا المعنى الخاص الحديث الإلهي وقوله فيه : « ولا يَزالُ عَبدي يَتَقَربُ إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّهُ فإذا أحْبَبتُهُ كنتُ سَمْعَهُ الذي يسمعُ به وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به ويَدَهُ التي يَبْطِشُ بها ورجلهُ التي يَمشِي بها » إلى غير ذلك مِن نصوصِ الكتابِ والسنةِ الدالةِ على قُرْبِ الربِ سبحانه ممن أطاعَهُ وإتقاهُ وحَفِظَ حُدُودَهُ وَرَاعَاهُ .

دَخلَ بَنانُ الحَمَّالُ البَرية على طَريق تَبُوكَ فاستوحَشَ فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ : لِمَ تَسْتوحِشْ ؟ أَلَيْسَ حَبِيْبكَ مَعَكَ ؟ فَمنْ حَفِظَ الله وراعَى حُقوقه وجَدَهُ أمامَه وتجاهَهُ على كلِ حالٍ فليستأنِسْ بِهِ وليستغنْ به عن خَلقِهِ .

وفي الحديث : « أفضلُ الإيمانِ أن يعلمَ العبدُ أن الله معه حَيْثُ كانَ » خرجه الطبراني وغيره وبَسْطُ هذا القولِ يَطُول جداً .

كان بعضُ العُلماء الربانيين كَثِيرَ السَّفَرِ وَحْدَهُ فَخَرجَ الناسُ مَرةً مَعَهُ يُودِعُونَه فَردَّهُمْ .

اللَّهُمَّ يا مَنْ خَلقَ الإنْسَان في أَحْسَن تَقْوِيْمٍ وَبِقُدْرَتِهِ التيْ لاَ يُعْجِزُهَا شيءٌ يُحْيِيْ العِظَامَ وَهِيَ ورَمِيْمٌ . نَسْأَلُكَ أَنْ تَهْدِيْنَا إلى صِراطِكَ المُسْتَقِيْم صِراطَ الَذيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِيْقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ وَأَنْ تَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــــلٌ)

وقال رحمه الله على قوله ﷺ : « تَعرَّف إلى الله في الرَّخاءِ يَعرِفْكَ في الشِدَّةِ » . المعنى أن العبدَ إذا إتقى الله وكانَ بَيْنَهُ وبيْنَهُ مَعْرِفةً فعَرَفَه ربه في الشِدَّةَ وعَرَّفَهُ عَمَلَهُ في الرَّخاء فَنَجَّاهُ مِن الشدائدِ بتلكَ المعرِفَةِ .

وهذه أيضاً معْرِفةٌ خاصةٌ تَقْتَضِي القُربَ مِن الله عز وجل ومحبتَهُ لِعَبدِه وإجابتَه لِدُعَائِه وليس المرادُ بها المعرِفة العامةِ ، فإن الله لا يخفى عليه حَالُ أحدٍ مِن خَلْقِهِ كما قال تعالى : ﴿ هو أعلم بكم إذا أنشأكم مِن الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾ .

وهذا التَّعَرُفُ الخاصُ هو المشارُ إليه في الحديث الإلهي : « لا يَزَالُ عَبْدَي يَتقَربُ إليّ بالنوافِل حتى أحِبَّهُ » إلى أن قال ؛ « ولَئِنْ سَألني لأعْطِيَّنهُ ولئن إسْتَعاذني لأعِيْذَنَّهُ » .

إجتمعَ الفُضَيْلُ بشَعْوانَةَ العابدَة فسألها الدّعُاءَ ، فقالت : يا فُضَيْلُ وما بَيْنَكَ وبَيْنَهُ ، إن دَعوتَهُ أجابَكَ . فَشَهقَ الفُضَيْلُ شَهْقَةً خَرَّ مَغْشِياً عليه .

وقال أبوُ جَعفَر السائح : أتَىَ الحسنُ إلى حَبيب أبي محُمدٍ هَارِباً مِن الحَجَّاجِ فقال : يَا أبا مُحَمَّدٍ إحْفَظْنِي مِن الشرُطِ هُمْ علىَ أثْري .

فقال يا أبا سَعيدٍ ألَيْسَ بَينكَ وبيْنَهُ مِن الثِقةِ ما تدعُوه فَيَسْتُركَ مِن هؤلآء أدخُــلِ البَيْتَ فَدَخَــلَ الشرُطُ على أثَـرِهِ فلم يَرَوْهُ فذكَـرُوا ذلـك لِلْحَجَّاجِ فقال بَلْ كَانَ في بَيْتِهِ إلا أن الله طَمَسَ على أعينهِم فلم يَرَوْهُ .

ومَتَى حَصَلَ هذا التَّعرفُ الخاصُ لِلعَبدِ مَعْرِفَة خَاصةً بربهُ تُوجِبُ لَهُ الأُنْسَ به والحَياءَ منه . وهذه مَعْرِفةٌ خَاصَّةٌ غيرَ مَعْرِفَةِ المؤمنين العامةِ . ومَدَار العارِفين كُلهُم على هَذِه المعرفةِ وهذا التعرفِ وإشاراتهُم تُومي إلى هذا .

سَمِعَ أبوُ سُلَيْمانَ رَجُلاً يقولُ سَهرتُ البارِحَةَ في ذِكْرِ النِساء . فقال وَيْحَكَ أما تَسْتَحِيْ منه يَرَاكَ سَاهِراً في ذِكْرِ غيرِهِ ؟ ولكن كَيفَ تَستَحِي مِمَّنْ لا تَعْرِف ؟

وقال أحمدُ بنُ عاصِم الأنطاكِي : أحِبُّ أن لا أمُوتَ حَتَّى أعْرِفَ مَوْلاَيَ . وليس مَعْرِفَتُه الإقرارُ بِهِ ولكن المعرفةُ الذي إذا عَرَفْتُه إسْتَحْيَيْتُ منه .

وهـذه المعرفةُ الخَاصةُ والتعرفُ الخاصُ تُوجِبُ طُمأنِينَةَ العبدِ بربهِ وثقته بِهِ في إنجائِهِ مِن كُلِ شِدَّةٍ وَكَرْبٍ وتُوجِبُ إسْتِجَابةَ الربِ دُعاءَ عَبدِهِ .

لما إخْتَفَى الحسنُ البَصرْي من الحَجَّاجِ قِيلَ له : لَو خَرَجْتَ فإنا نَخَـافُ أن يُدَلَ عليكَ . فَبكَى ثم قال : أَخْـرُجُ مِن مِصرْي وأهـلي وإخواني ، إن مَعْرِفَتِي بِربي ونِعَمِهِ عَلَى أن سَيُنْجِيْنِي منه إن شَاءَ الله تَعالى . فما ضَرَّهُ الحجاجُ بِشَيء ، ولقد كان يُكرِمُه بعدَ ذلك إكراماً شديداً .

وقـال رَجـلُ لمعروفٍ : هَيَّجَكَ على الانقطاعَ والعِبادَةِ ذِكْرُ الموتِ والبرزخِ والجنةِ والنار ؟ فقال مَعْرُوفُ : أيُّ شَيءٍ هذا إن مَلِكاً هذا كلُّه بيَدِهِ إن كَانَتْ بَينكَ وبَينَهُ مَعْرِفَةٌ كَفَاكَ جَمْيعَ هذا .

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(فَصْـــــلٌ)

ومما يُبين هذا ويوضِحُه الحديثُ الذي أخرجه الترمذي مِن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « مَن سَرَّهُ أن يَستجِيْبَ لَهُ عندَ الشدائدِ فليكثر الدعاءَ في الرَّخَاء » .

وخَرَّجَ إبنُ أبي الدنيا وإبنُ حاتم وإبنُ جرير وغيرُهم مِن حديث يزيد الرقاش عن أنس يَرفعُه : « إن يُونسَ عليه السلام لما دَعَا في بطِن الحوتِ قالت الملائكة يا رب هذا صوتٌ معروفٌ في بلادٍ غَريبةٍ فقال الله : أما تَعرفُونَ ذلك ؟ قالوا : ومَن هو ؟

قال : عَبدِي يُونسُ . . قالوا عبدَكَ يُونسُ الذي لم يَزَلْ يَرفَعُ عَملاً مُتَقَبَّلاً ودَعوةً مُستجابةً ؟ قال : نعم . قالوا يا رب أفلا تَرحمُ ما كان يَصنعُ في الرخاءِ فَتُنْجِيْهِ مِن البلاء ؟ قال بَلىَ : فأمَر الله الحوتَ فَطَرحَهُ بالعَراءِ .

وقال الضحاكُ بنُ قَيس إذكروا الله في الرَّخَاءِ يذكركم في الشدةِ . إن يُونس عليه السلام كانَ يذكرُ الله فلما وَقَعَ في بَطنِ الحوتِ قال الله تعالى : ﴿ فلولا أنه كان مِن المسبحين لَلَبثَ في بطنه إلى يوم يُبعَثون ﴾ .

وإن فرعونَ كان طاغياً ناسياً لِذكر الله فلما أدركَه الغرقُ قال : آمنتُ . فقال الله تعالى : ﴿ الآن وقد عَصَيْتَ قبلُ وكنتَ مِن المفسدين ﴾ .

وقال رُشْدِين بُن سَعْد قال رجلٌ لأبي الدرداءِ رضيَ الله عنه أوْصِني . فقال : أذكر الله في السَّراء يَذْكُرك في الضَّراءِ فإن العبدَ إذا ذكرَ في السَّراءِ فَنزلَتْ به ضَرَاءُ فَدَعَا الله عَز وجَل قالتِ الملائكةُ صوتٌ معروفٌ فشفعوا لَهُ .

وإذا كان لَيْسَ بِدَعَّاءٍ في السَّراءِ فنزلَتْ به ضَرَاءُ فدعا الله عز وجل قالت الملائكة صَوتٌ ليس بِمعْروف فلا يَشفعون له .

وحديثُ الثلاثةِ الذينَ دَخلُوا الغارَ وإنطبقتْ عليهم الصخرةُ يَشهدُ لهذا أيضاً . فإن الله فَرَّج عنهم بدعائِهم بما كان سَبَقَ منهم مِن الأعمالِ الصالحةِ الخالصةِ في حالِ الرَّخاءِ مِن بر الوالدين وتركِ الفُجُورِ وأداءِ الأمانةِ الخفيةِ .

فإذا عُلمَ أن التعرفَ إلى الله تعالى في الرخاء يُوجِبُ مَعْرفَةَ الله لِعبدِه في الشدَّةِ فلا شِدَّة يلقاها العبدَ في الدنيا أعظمَ مِن شدةِ الموتِ وهي أهونُ مما بَعدَهَا إنْ لم يكن مَصِيرُ العبدِ إلى خيرٍ . وإنْ كانَ مَصِيْرُهُ إلى خير فهي آخِرُ شِدَّةٍ يَلْقَاهَا .

فالواجبُ على العبدِ الاستعدادُ لِلْمَوتِ قبلَ نزولِه ، بالأعمالِ الصالحةِ والمبادَرةُ إلى ذلك فإنه لا يَدْري المرءُ مَتى تَنزلُ به هَذِهِ الشدةُ مِن ليلٍ أو نهارٍ . وذِكْرُ الأعمالِ الصالحةِ عندَ الموتِ مما يُحَسّنُ ظَنَّ المؤمنِ بِرَبِهِ ويُهَوّنُ عليه شِدةَ الموتِ ويُقَوّي رَجَاءَهُ .

قال بعضُهم يَسْتَحِبُون أن يكون لِلمَرْءِ خُبْيَةٌ مِن عَمَلٍ صَالحٍ لِيكونَ أهونَ عليه عِندَ نُزولِ الموتِ أو كما قال . وكانو يَستَحِبُونَ أن يَموتَ الرجلُ عَقِبَ طَاعَةٍ عَمِلها مِن حَجٍ أو جهادٍ أو صيام .

وقال النَّخَعِيُ : كانوا يَستَحِبُون أن يُلَقِنُوا العبدَ مَحَاسِنَ عَمَلِهِ عندَ مَوتِهِ لِكَي يُحْسِنَ ظَنَّهُ بربِهِ .

قال أبو عبدِ الرحمن السُلَمِي في مَرَضِهِ كَيفَ لا أرجُو ربي وقد صُمْتُ له ثمانينَ رَمَضان . ولما إحتضرَ أبو بكر بنُ عَياشٍ وبكوا عليه قال لا تَبكُوا

فإني خَتَمْتُ القرآن في هذِه الزاوِيةِ ثلاثَةَ عَشرَ ألفِ ختمةٍ . ورُوِيَ عنه أنه قال لِابنِهِ : أترى إن الله يُضَيعُ لِأبيكَ أربعينَ سَنَةَ يختمُ كُلُ ليلةٍ .

وقال بعضُ السلفِ لِابنِهِ عندَ مَوتِهِ ورَآهُ يَبكِي قال لا تَبكِي فما أوتي أبُوكَ قطُ . وخَتَم آدَمُ بنُ أبي إياسٍ القرآنَ وهوَ مُسَجَّى لِلمَوتِ ثم قال : بحبي لَكَ إلاَ رَفَقْتَ بي في هذا المصرعِ ؟ كُنتُ أُؤمِلُكَ لهذا كُنتُ أرجُوكَ لِهذا لا إله إلا الله ، ثم قَضَى رَحمَهُ الله .

وكـان عبـدُ الصمدِ الزاهدُ يقولُ عندَ مَوتِهِ : سَيدّي لِهذهِ الساعةِ خَبَّـأتُـكَ حَقّقْ حُسْنَ ظنِي بكَ . وقـال إبنُ عِقيل عنـدَ مَوتـهِ وقد بَكى النِسوةُ : قَدْ وَقَفْتُ مَنه خمسين سنة فَدعُوني أتهنأ بلقِائِهِ .

وَلمَّا هَجَم القَرامطةُ على الحُجَاجِ وَقتلُوهُم في الطَّوافِ وكان عَليُّ بنُ بَاكُويةَ الصوفي يَطُوفُ فلم يَقطَعِ الطوافَ والسيوفُ تأخذُهُ حتى وَقع

تضرع إلى فاطر السموات والأرض وثناء عليه

يا مَن عَليه مَدَى الأيَّامِ مُعْتَمِدِي ... إليكَ وَجَّهْتُ وجْهي لاَ إلى أَحَـدِ
يَا مَالِكَ المُلْكِ يا مُعْطِي الجَزيْلَ لِمَنْ ... يَـرْجُـو نَـدَاهُ بـلا مَـنٍّ ولا نَكَـدِ
ما لِـي سِـوَاكَ وما لِـي غيْرِ بَابكَ يا ... مَوْلاَيَ فامْحُ بِعَفْوٍ مَا جَنَتْهُ يَـدِي
وانْعِـمْ وأَمْطِـرْ عَلَيْنَا رَحْمَـةً فـلنَا ... عَـوائِدٌ مِنْكَ بالإِحْسَـان وَالْمَـدَدِ
وانْظُـرْ إلَيْنَـا فـكَمْ أَوْ لَيْتَنَا نِعَـمًا ... ما أَنْ تَمُرُّ على بَـالٍ ولا خَـلَـدِ
يا مَـن يُجِيبُ دُعَائِي عِنْـدَ مَسْـأَلتِي ... ومَن عَليه وإنْ أخطأتُ مُعْتَمَدِي

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصـــل

وقال رَحِمَهُ الله فَمَنْ أطاعَ الله وإتَّقاهُ في حَياتِهِ تَولاهُ الله عندَ وَفَاتِهِ على الإيمانِ وثَبتَه بالقولِ الثابتِ في القبرِ عندَ سؤالِ الملكين ودَفعَ عنه عذابَ القبرِ وآنَس وَحْشَتَهْ في تِلكَ الوَحْدَةِ والظُلمَةِ .

قال بعضُ السلفِ إذا كان الله مَعَـكَ عند دخولِ القبرِ فلا بأسَ عليكَ ولا وَحْشَةَ . ورُؤي بعضُ الصالحينَ في النومِ بعدَ مَوتِهِ فَسُئِلَ عن حَالِه فقال : يُؤْنسني رَبي عز وجل فَمَنْ كان الله سُبحانَه وتعالى أنِيسَهُ في خلَواتِهِ في الدنيا فإنه يُرجَى أن يكونَ أنِيسهَ في ظلماتِ اللّحُودِ إذا فَارَقَ الدنيا وتَخَلىَّ عنها . وفي هذا يقول بعضُهم :

فيا ربّ كُنْ لي مُؤْنساً يومَ وَحْشَتي ... فـإنـي بمَـا أنْـزَلْتَـه لَمصَـدّقُ
ومـا ضَـرَّني أنـي إلـى الله صَـائِرٌ ... ومَـن هُـو مِـن أهْـلي أبَـرُ وأشْـفَقُ

وكذلكَ أهوالُ القيامةِ وأفْزَاعُها وشَدائِدُهَا إذا تَولَى الله عبدَهُ المطيعَ له في الدنيا أنجاهُ من ذلكَ كُلّهِ . قال قتادةُ في قوله تعالى : ﴿ ومَن يتقِ الله يجعل له مخرجاً ﴾ . قال : مِن الكرب عندَ الموتِ ومِن أفزاعِ يومِ القيامةِ .

وقـال عليُ بنُ أبي طلحـةَ عن إبنِ عباسٍ رضي الله عنهما في هذه الآية : يُنْجِيْهِ مِن كُلّ كَرْبٍ في الدنيا والآخرة .

وقال زيدُ بنُ أسلمَ في قوله تعالى : ﴿ إن الذين قَالوا ربنا الله ثم إستقـاموا ﴾ قال يُبَشَّرُ في ذلك عِندَ مَوتِهِ وفي قَبرِهِ ويومَ البعثِ فإنه لَفي الجَنَّةِ ، وما ذَهَبَتْ فَرحَةُ البَشارَةِ مِن قَلْبِهِ .

وقال ثابتُ البُناني في هذه الآية : بَلَغَنا أن المؤمنَ يَبعَثهُ الله مِن قبرِهِ يَتلَقَاهُ مَلكَاهُ اللذانِ كانَا مَعَهُ في الدنيا فيقولانِ لَهُ لا تَخَفْ ولا تحزنْ فيؤَمّنُ الله خَوْفَهُ وُيقِرُ عَيْنَهُ .

فما مِن عَظيمَةٍ تَغْشَى الناسَ يومَ القيامةِ إلا وَهِيَ لِلْمُؤمن قُرَّةُ عَينْ لِما هَدَاهُ الله ولِما كَانَ يَعْمَلُ في الدنيا . خَرَّجَ ذلكَ كُلَّهُ إبنُ أَبي حَاتمٍ وغَيرُهُ .

وأما مَن لَم يَتعرَّفْ إلى الله في الرَّخَاءِ فليسَ لَهُ أن يَعْرفَهُ في الشدةِ لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وشَواهِدُ هَذا مُشَاهَدةُ حَالِهم في الدنيا وحالهم في الآخرة أشد وما لهم مِن ولي ولا نصير .

قوله ﷺ : « إذا سألت فأسأل الله » أمَرَ بإفرادِ الله تعالى بالسؤال ونَهى عن غيرِهِ مِن الخلقِ .

وقد أمَرَ سبحانه وتعالى بِسؤالِهِ فقال : ﴿ وإسألوا الله مِن فضله ﴾ . وفي الترمذي عن إبن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « من لا يَسْأل الله يَغْضَبْ عليه » .

وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه : « إسْألُوا الله مِن فَضْلِهِ فإن الله يحُبُ أن يُسألَ » .

وفيه أيضاً : « إن الله يحُبُ الملحينَ في الدعاء » .

وفي حديث آخر : « لِيَسألْ أحدُكُم حَاجَتهُ كُلّها حتى يسأل شِسعَ نَعلِه إذا انْقَطَعَ » . وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة .

وفي النَّهْي عن سُؤآلِ الخلقِ أحَادِيْثُ كَثيرةٌ صحيحةٌ . وفي حديث إبن مسعود وإبن عمَرَ رضي الله عنهما مرفوعاً : « لا يزالُ العبدُ يَسألُ وهو غَنِيٌ حَتَّى يخَلّقَ وَجْهُهُ فما يكون له عندَ الله وَجْهٌ » .

وقد بَايعَ النبي ﷺ جماعةً من الصحابةِ على أن لا يَسألُوا الناسَ شيئاً منهم الصديقُ رضي الله عنه وأبوُ ذر وثوبان .

وكان أحدُهُم يَسقُطُ سَوطُهُ وخِطَامُ ناقِتِهِ فلا يَسأَلُ أحداً أن يُنَاولَه إياهُ رَضِي الله عنهم . وإعلمْ أنَ سُؤآل الله تعالى دُوْنَ خَلْقِهِ هو المتعِينُ عقلاً وشرعاً .

وذلـك مِن وُجُوهٍ مُتَعَدّدةٌ منها أن السؤآل فيه بَذلٌ لماءِ الوجهِ وذِلٌ للسائلِ وذلكَ لا يَصْلَحُ إلا لله وَحْدَهُ . فلا يَصْلُحُ الذُلُ إلا الله بالعبادهِ والمسألةِ وذلك مِن غَايةِ المحبةِ الصادقةِ .

سُئِلَ يُوسُفُ بنُ الحُسين ما بالُ المحِبينَ يتلَذذُونَ بِذُلِهِمْ في المحبةِ فأنشد :

ذلُّ الفتى في الحـبِ مَكْـرُمَةٌ   وخُضُـوعُـه لِحَبيبـهِ شَـرَفُ

وهذا الذلُ وهذِه المحبةُ لا تَصلُحُ إلا الله وحْدَهُ وهذا حَقِيْقَةُ العِبادَةِ التي يَخْتَصُ بها الإلهُ الحق .

كان الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ الله يقولُ في دُعائِهِ : اللهم كما صُنْتَ وجْهي عن السُجُودِ لِغَيركَ فصُنْهُ عن المسألةِ لِغيركَ .

وقـال أبو الحسين الأقطعُ : كُنتُ بمكةَ سَنَةً فأصابتْني فاقةٌ وضَرَرٌ فكُنتُ كُلَّما أردتُ أن أخْرُجَ إلى المسألةِ هَتَفَ بي هَاتِفٌ يَقولُ : الوَجْهُ الذي تسجُدُ لي بهِ تَبْذِلُه لِغيري . إنتهى كلامه رحمه الله تعالى .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فَصْـــــلٌ)

وقال إبن القيم رحمه الله :

للعبـد ستر بينه وبين الله وستر بينه وبين الناس فمن هتك الستر

الذي بينه وبين الله هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس .

للعبد رب هو ملاقيه، وبيت هو ساكنه ، فينبغي له أن يسترضي ربه قبل لقائه ، ويعمر بيته قبل إنتقاله إليه .

إضاعة الوقت أشد من الموت ، لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة ، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها .

الدنيا من أولها إلى آخرها لا تساوي غم ساعة فكيف بغم العمر كله . محبوب اليوم يعقب المكروه غداً ، ومكروه اليوم يعقب المحبوب غداً .

أعظم الربح في الدنيا : أن تشغل نفسك كل وقت بما هو أولي بها وأنفع لها في معادها .

كيف يكون عاقلا من باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة .

المخلوق إذا خفته إستوحشت منه وهربت منه والرب تعالى إذا خفته أنست به وقربت إليه . لو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله سبحانه أحبار أهل الكتاب ، ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم المنافقين .

إذا جرى على العبد مقدور يكرهه فله فيه ست مشاهد :

أحدها : مشهد التوحيد وأن الله هو الذي قدره وشاءه وخلقه وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

الثاني : مشهد العدل وأنه ماض فيه حكمه عدل فيه قضاؤه .

الثالث : مشهد الرحمة وإن رحمته في هذا المقدور غالبة لغضبه وإنتقامه ورحمته وعفوه .

الرابع : مشهد الحكمة وإن حكمته سبحانه إقتضت ذلك لم يقدره سدى ولا قضاه عبثاً .

الخامس : مشهد الحمد وأن له سبحانه الحمد التام على ذلك من جميع وجوهه .

السادس : مشهد العبودية وأنه محض من كل وجه تجرى عليه أحكام سيده وأقضيته بحكم كونه ملكه وعبده فيصرفه تحت أحكامه القدرية كما يصرفه تحت أحكامه الدينية فهو محل لجريان هذه الأحكام عليه .

الاجتماع بالإخوان قسمان :

أحدهما : إجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت ، فهذا مضرته أرجح من منفعته ، وأقل ما فيه أنه يفسد القلب ويضيع الوقت .

الثاني : الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر ، فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها .

ولكن فيه ثلاث آفات :

إحداها : تزين بعضهم لبعض .

الثانية : الكلام والخلطة أكثر من الحاجة .

الثالثة : أن يصير ذلك شهوة وعادة ينقطع بها عن المقصود .

وبالجملة : فالاجتماع والخلطة لقاح ، إما للنفس الأمارة ، وإما للقلب والنفس المطمئنة والنتيجة مستفادة من اللقاح فمن طاب لقاحه طابت ثمرته .

وهذه الأرواح الطيبة لقاحها من المَلَك والخبيثة لقاحها من الشيطان

وقد جعل الله سبحانه بحكمته الطيبات للطيبين والطيبين للطيبات وعكس ذلك .

بين العبد وبين الله والجنة قنطرة تقطع بخطوتين خطوة عن نفسه ، وخطوة عن الخلق فيسقط نفسه ويلغيها فيما بينه وبين الناس ويسقط الناس ويلغيهم فيما بينه وبين الله ؛ فلا يلتفت إلا إلى من دله على الله وعلى الطريق الموصلة إليه .

من عرف نفسه إشتغل بإصلاحها عن عيوب الناس .
من عرف رَبَّهُ إشتغل بِهِ عن هوى نفسه .

أنفع العمل أن تغيب فيه عن الناس بالإخلاص وعن نفسك بشهود المنة فلا ترى فيه نَفْسَكَ ولا ترى الخلق .

دخل الناس النار من ثلاثة أبواب : باب شبهة أورثت شكا في دين الله ، وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته ، وباب غضب أورث العدوان على خلقه .

أصول الخطايا كلها ثلاثة : الكبر ، وهو الذي أصار إبليس إل ما أصاره والحرص ، وهو الذي أخرج آدم من الجنة .

والحسد ، وهو الذي جرأ أحد إبني آدم على أخيه . فمن وقى شر هذه الثلاثة فقد وقى الشر ، فالكفر من الكبر ، والمعاصي من الحرص ، والبغي والظلم من الحسد .

جمع النبي ﷺ في قوله : « فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » بين مصالح الدنيا والآخرة .

فالآخرة ونعيمها ولذاتها ، إنما تنال بتقوى الله ، وراحة القلب

والبدن وترك الاهتمام والحرص الشديد والتعب والعناء ، والكد والشقاء في طلب الدنيا ، إنما ينال بالإجمال في الطلب .

فمن إتقى الله فاز بلذة الآخرة ونعيمها ، ومن أجمل في الطلب إستراح من نكد الدنيا وهمومها ، فالله المستعان :

قد نادت الدنيا على نفسها لو كان في ذا الخلق من يسمع
كم واثق بالعيش أهلكته وجامع فرقت ما يجمع

سر التوكل على الله وحقيقته ، هو إعتماد القلب على الله وحده ، فلا يضر مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الإعتماد عليها والركون إليها ، كما لا ينفعه قوله : توكلت على الله ، مع إعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به .

فتوكل اللسان شيء ، وتوكل القلب شيء . كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب مع إعتماد قلبه على غيره ، مثل قوله : تبت إلى الله وهو مصر على معصيته مرتكب لها .

إتباع الهوى وطول الأمل ، مادة كل فساد ، فإن إتباع الهوى يعمي عن الحق معرفة وقصداً ، وطول الأمل ، ينسي الآخرة ويصد عن الاستعداد لها .

إذا أراد الله بعبد خيراً جعله معترفاً بذنبه ، ممسكاً عن ذنب غيره ، جواداً بما عنده ، زاهداً فيما عند غيره ، محتملا لأذى غيره ، وإن أراد به شراً عكس ذلك عليه .

العقول المقيدة بالتوفيق ، ترى أن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق الموافق للعقل والحكمة .

والعقول المضروبة بالخذلان ، ترى المعارضة بين العقل والنقل وبين الحكمة والشرع .

أقرب الوسائل إلى الله ، ملازمة السنة والوقوف معها في الظاهر والباطن ودوام الافتقار إلى الله ، وإرادة وجهه وحده بالأقوال والأفعال .

وما وصل أحد إلى الله إلا من هذه الثلاثة ، وما إنقطع عنه أحد إلا بانقطاعه عنها أو عن أحدها .

الأصول التي إنبنى عليها سعادة العبد ثلاثة ، ولكل واحد منها ضد ، فمن فقد ذلك الأصل حصل على ضده ، التوحيد وضده الشرك ، والسنة وضدها البدعة ، والطاعة وضدها المعصية .

ولهذه الثلاثة ضد واحد وهو خلو القلب من الرغبة في الله وفيما عنده ، ومن الرهبة منه وما عنده .

إذا إستغنى الناس بالدنيا ، فإستغن أنت بالله ، وإذا فرحوا بالدنيا فأفرح أنت بالله ، وإذا أنسوا بأحبابهم ، فاجعل أنسك بالله .

وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة ، فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه ، تنل بذلك غاية العز والرفعة .

قال بعض الزهاد : ما علمت أن أحداً سمع بالجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر أو صلاة أو قراءة أو إحسان . فقال له رجل إني أكثر البكاء فقال : إنك أن تضحك وأنت مقر بخطيئتك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك ، وأن المدل لا يصعد عمله فوق رأسه .

فقال : أوصني فقال : دع الدنيا لأهلها كما تركوا هم الآخرة لأهلها ، وكن في الدنيا كالنحلة ، إن أكلت أَكَلَتْ طيبا ، وإن أطعمت أطعمت طيبا ، وأن سقطت على شيء لم تكسره ولم تخدشه .

النعم ثلاثـة : نعمـة حاصلة يعلم بها العبـد ، ونعمـة منتـظرة يرجوها ، ونعمة هو فيها لا يشعر بها . فإذا أراد إتمام نعمته على عَبدِهِ ، عرفه نعمته الحاضرة ، وأعطاه من شكره قيدا يقيدها به حتى لا تشرد فإنها تشرد بالمعصية وتَبْقَى بالشكر ، ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة ، وبصره بالطرق التي تسدد وتقطع طريقها ، ووفقه لاجتنابها ، وإذا بها قد وافقته إليه على أتم الوجوه ، وعرفه النعم التي هو فيها ولا يشعر بها .

ويحكى أن أعرابيا دخل على الرشيد فقال : أمير المؤمنين ثبت الله عليك النعم التي أنت فيها بإدامة شكرها ، وحقق لك النعم التي ترجوها بحسن الظن به ودوام طاعته ، وعرفك النعم التي أنت فيها ولا تعرفها لتشكرها ، فأعجبه ذلك منه وقال : ما أحسن تقسيمه .

قال شقيق بن إبـراهيم : أغلق باب التـوفيق عن الخلق من ستة أشياء : إشتغالهم بالنعمة عن شكرها ، ورغبتهم في العلم وتركهم العمل والمسـارعـة إلى الذنب وتأخير التوبة ، والاغترار بصبحة الصالحين وترك الاقتداء بفعالهم ، وإدبار الدنيا عنهم وهم يتبعونها ، وإقبال الآخرة عليهم وهم معرضون عنها .

قلت : وأصـل ذلـك : عدم الـرغبـة والـرهبـة ، وأصله ضعف اليقـين ، وأصله ضعف البصـيرة ، وأصله مهـانـة النفس ودنـاءتهـا ، وإستبدال الذي هو أدني بالذي هو خير .

الناس منذ خلقوا لم يزالوا مسافرين ، وليس لهم حَطٌّ من رحالهم إلا في الجنـة أو النـار ، والعـاقـل يعلم أن السفـر مبني على المشقة وركوب الأخطار ، ومن المحال عادة أن يطلب فيه نعيم ولذة وراحة ، إنما ذلك بعد إنتهاء السفر .

ومن المعلوم أن كل وطأة قدم ، أو كل من آنات السفر غير واقفة ، ولا المكلف واقف ، وقد ثبت أنه سافر على الحال التي يجب أنْ يكون المسافر عليها من تهيئة الزاد الموصل ، وإذا نزل أو نام أو إستراح ، فعلى قدم الاستعداد للسير .

لله على العبد في كل عضو من أعضائه أمر ، وله عليه فيه نهي ، وله فيه نعمة ، وله به منفعة ولذة ، فإن قَامَ في ذلك العضو بأمره وإجتنب فيه نهيه .

فقد أدى شكر نعمته عليه فيه ، وسعى في تكميل إنتفاعه ولذته به ، وإن عطل أمر الله ونهيه فيه ، عطله الله من إنتفاعه بذلك العضو ، وجعله من أكبر أسباب ألمه ومَعَرِته .

وله عليه في كل وقت من أوقاته عبودية تقدمه إليه وتقربه منه ، فإن شغل وقته بعبودية الوقت ، تقدم به إلى ربه ، وإن شغله بهوى أو راحة وبطالة ، تأخر ، فالعبد لا يزال في تقدم أو تأخر ، ولا وقوف في الطريق البتة .

قال تعالى : ﴿ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ﴾ .
والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وقال القحطاني رحمه الله :

يَا أيُّها السُّنيُّ خُذْ بِوَصِيَّتي ... وأخْصُصْ بذَلِكَ جُمْلَةَ الإخْوانِ
واقْبَلْ وَصيَّةَ مُشْفِقٍ مُتَوَدِّدٍ ... وَأسْمَعْ بِفَهْمٍ حاضِرٍ يَقْظَانِ
كُنْ في أُمورِك كُلِّها مُتَوَسِّطاً ... عَدْلاً بلاَ نَقْصٍ ولاَ رُجْحانِ
وأعْلَم بأَنَّ اللَّهَ ربٌّ واحِدٌ ... مُتَنَزِّهٌ عن ثَالِثٍ أَوْ ثَانِ

الأوَّلُ المُبْـدِي بغَير بـدَايَـةٍ ... والآخِـرُ المُفْـنِي وَلَيْسَ بفـانِ
رُكْـنُ الدِّيانَةِ أَنْ تُصَدِّقَ بالقَضـا ... لاَ خَـيْرَ فـي بَيْـتٍ بـلا أَرْكـانِ
فاقْصِـدْ هُـدِيْتَ ولا تكُن مُتَغَالِياً ... إنَّ القُـدُوْرَ تَفُـورُ بالغَـلَيـانِ
دِنْ بالشَّـريعـةِ والكتـابِ كِلَيْهِمَا ... فَكِـلاَهُمَـا للـدِّيـنِ واسِـطتانِ
وإذا دُعِـيْتَ إلَـى أَدَاءِ فَـريضَـةٍ ... فَأَنْشَطْ وَلاَ تَكُ في الإجـابَةِ واني
قُمْ بالصَّلاةِ الخمسِ وأعْرِفْ قَدْرَهَا ... فَلَهُـنَّ عندَ اللَّـهِ أَعْظَـمُ شَـانِ
لا تَمْنَعَـنَّ زكـاةَ مَـالِـكَ ظـالِماً ... فَصَـلاتنَـا وَزكـاتُنـا أُخْتَـانِ
لا تَعْتَقِـدْ دِيْـنَ الـرَّوافِـضِ إنَّهـم ... أَهْـلُ المُحَـالِ وشِيعَةُ الشَّيْطانِ
إنَّ الرَّوافِضَ شَرُّ مَن وَطِيءَ الحَصَا ... مِـن كُـلِّ إنْـسٍ نَاطِـقٍ أَوْ جَـانِ
مَـدَحُـوا النَّبيَّ وَخَـوَّنُـوا أَصْحَـابَهُ ... وَرَمَـوْهُـمُ بـالظُّـلْـمِ والعُـدْوَانِ
قُـلْ إنَّ خَيْرَ الأنبيـاءِ مُحَمَّـدٌ ... وَأَجَـلُّ مَن يَمْشِـي علىٰ الْكُثْبانِ
قُلْ خَيْرَ قَـوْلٍ في صَحَـابَةِ أَحْمَدٍ ... وَأَمْـدَحْ جَمِيعَ الآلِ والنِّسْـوانِ
دَعْ ما جَرى بَيْنَ الصَّحَابَةِ في الوَغَى ... لِسُيُوفِهِم يَـومَ الْتَقَـى الجَمْعَـانِ
لاَ تَقْبلَـنَّ مِـنَ التَّـوارِخ كُـلَّ مـا ... جَمَـعَ الـرُّواةُ وَخَـط كُـلُّ بَنَـانِ
ارْوِ الحَـدِيثَ المُنْتَقَـى عَـن أَهْلِه ... سِيَّمَا ذَوِي الأَحْـلاَمِ والأَسْـنَانِ
وأَحْفَظْ لأَهْلِ البَيْتِ واجِبَ حَقِّهِمْ ... وَأَعْـرِفْ عَـلِيًّا أَيَّمَـا عِـرْفَانِ
لا تَنْتَقِصْـهُ ولا تَـزِد فـي قَـدْرِهِ ... فَعَلَيْـهِ تَصْلَـى النـارَ طَـائِفتَانِ
إحْـدَاهُمَـا لا تَـرْتَضِيْـهِ خَلِيْفَـةً ... وتَنُصُّـهُ الأُخْـرى إلهـاً ثـانِ
احْـذَرْ عِقَابَ اللَّـهِ وأَرْجُ ثَـوَابَـهُ ... حَتَّـى تكـونَ كَمَـنْ لَـهُ قَلْبَـانِ
وَإذَا خَـلَوْتَ بريبَـةٍ فـي ظُلْمَـةٍ ... والنَّفْـسُ داعِيَـةٌ إلـى الطُّغيـانِ
فاسْتَحْيِ مِن نَظَرِ الألـهِ وقُـلْ لَهَـا ... إنَّ الَّـذي خَلَقَ الظَّـلامَ يَـرانِـي
كُـنْ طَالِبـاً للعِلْمِ وأعْمَلْ صالِحاً ... فهُمَـا إلـى سُبُلِ الهُـدَىٰ سَبَبَانِ
لا تَعْـصِ رَبَّـكَ قَـائِلاً أَوْ فَـاعِـلاً ... فكِـلاهما فـي الصُّحُـفِ مكتـوبانِ

جَمِّل زَمَانَكَ بالسُّكُوتِ فإنَّه ... زَينُ الحَليمِ وسِتْرَةُ الحَيْرانِ
كُنْ حِلْسَ بَيْتِكَ إن سَمِعْتَ بِفِتْنَةٍ ... وَتَوقَّ كُلَّ مُنافِقٍ فَتَّانِ
أَدِّ الفَرائِضَ لا تَكُنْ مُتَوانِياً ... فَتَكُونَ عندَ اللَّهِ شَرَّ مُهَانِ
أَدِمِ السِّوَاكَ مَعَ الوُضُوءِ فإنَّهُ ... مُرْضِي الإِلهِ مُطَهِّرِ الأَسْنانِ
سَمِّ الأَلهَ لَدَىٰ الوُضُوءِ بِنِيَّةٍ ... ثم أَسْتَعِذْ مِن فِتْنَةِ الوَلْهَانِ
فَأَسَاسُ أَعْمَالِ الوَرَىٰ نِيَّاتُهُمْ ... وعلىٰ الأَسَاسِ قَواعِدُ البُنْيَانِ
لا تَلْقَ رَبَّكَ سَارِقاً أَوْ خَائِناً ... أَوْ شَارِباً أَوْ ظَالِماً أَوْ زَانِي
أَيْقِنْ بِأَشْرَاطِ القِيَامَةِ كُلِّها ... وأَسْمَعْ هُدِيتَ نَصِيْحَتِي وبَيَانِ
أَحْسِنْ صلاتَكَ رَاكِعاً أَوْ سَاجِداً ... بتطمْؤُنٍ وَتَرفُّقٍ وتَدَانِ
حَصِّنْ صِيامَكَ بالسُّكُوتِ عن الخَنَا ... أَطْبِقْ على عَيْنَيْكَ بالأَجْفانِ
لا تَمْشِ ذا وَجْهَيْنِ مِن بَينِ الوَرَىٰ ... شَرُّ البَرِيَّةِ مَن لَهُ وَجْهَانِ
لا تَحْسُدَنْ أَحَداً علىٰ نَعْمَائِهِ ... إِنَّ الحَسُودَ لِحُكْمِ ربِّكَ شَانِ
لا تَسْعَ بَيْنَ الصَّاحِبَيْنِ نَمِيْمَةً ... فَلأَجْلِهَا يَتَباغَضُ الخِلَّانِ
وتَحَرَّ بِرَّ الوالِدينِ فَانَّه ... فَرْضٌ عَلَيْكَ وطَاعَةُ السُّلْطانِ
« فِي غَيرِ مَعْصِيَةِ الإِلهِ فإنَّهُ ... لا طَاعَةٌ لِلْخَلْقِ فِي العِصْيَانِ »
لا تَخْرُجَنَّ على الإِمَامِ مُحَارِباً ... ولَوَ أَنَّهُ رَجُلٌ مِن الحُبشَانِ
ومَتَى أُمِرْتَ بِبِدْعَةٍ أَوْ زَلَّةٍ ... فَاهْرُبْ بِدِيْنِكَ آخِرَ البُلْدَانِ
الدِّينُ رأْسُ المَالِ فاسْتَمْسِكْ بِهِ ... فَضَياعُهُ مِن أَعْظَمِ الخُسْرانِ
لا تَخْلُ بامْرَأَةٍ لَدَيْكَ بِرِيْبَةٍ ... لَوْ كُنْتَ فِي النُّسَّاكِ مِثْلَ بُنَانِ
وَأَغْضُضْ جُفُونَكَ عن مُلَاحَظَةِ النِّسَا ... ومَحَاسِنِ الأَحْداثِ والصِّبْيَانِ
واحْفِرْ لِسِرِّكَ في فُؤادِكَ مَلْحَداً ... وأَدْفِنْهُ فِي الأَحْشَاءِ أَيَّ دِفَانِ
لا يَبْدُ مِنكَ إلى صَدِيقِكَ زلَّةٌ ... وأَجْعَلْ فُؤادَكَ أَوْثَقَ الخُلَّانِ
لا تَحْقِرَنَّ مِنَ الذُّنوبِ صِغَارَها ... فالقَطْرُ منه تَدَفُّقُ الخُلْجَانِ

وَإذا نَذَرْتَ فَكُنْ بنَذْرِكَ مُوفِياً   فالنَّذْرُ مِثْلُ العَهْدِ مَسْئُولانِ
لا تَشْغَلَنّ بِعَيْبِ غَيرِكَ غَافِلاً   عن عَيْبِ نَفْسِكَ إنَّهُ عَيْبَانِ
لا تُفْنِ عُمْرَكَ في الجِدَالِ مُخَاصِماً   إنَّ الجِدالَ يُخِلُّ بالأَدْيَانِ
وَاحْذَرْ مُجَادَلَةَ الرِّجالِ فإنَّهَا   تَدْعُو إلَى الشَّحْنَاءِ والشَّنَآنِ
وإذا أضْطُرِرْتَ إلى الجِدالِ ولَمْ تَجِدْ   لَكَ مَهْرباً وتَلاَقَتِ الصَّفانِ
فاجْعَلْ كِتَابَ اللَّهِ دِرْعاً سَابِغاً   والشَّرْعَ سَيْفَكَ وابْدُ في المَيْدانِ
والسُّنَةَ البيضَاءَ دُوْنكَ جُنَّةً   وأرْكَبْ جَوادَ العَزْمِ في الجَوَلانِ
وأثبُتْ بصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيةِ الهُدىٰ   فالصَّبْرُ أوثَقُ عُدَّةِ الإنسانِ
وأطعَنْ برُمْحِ الحَقّ كُلَّ مُعَانِدٍ   للَّهِ دَرُّ الفَارِسِ الطَّعَانِ
واحْمِلْ بسَيْفِ الصِّدقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ   مُتَجَرِّدٍ للَّهِ غيرِ جَبَانِ
وَإذا غَلَبْتَ الخَصْمَ لا تَهْزَأْ بِهِ   فالعُجْبُ يُخْمِدُ جَمْرَةَ الإ نسانِ
لا تَغْضَبَنَّ إذا سُئِلْتَ وَلا تَصِحْ   فكِلاَهُمَا خُلُقَانِ مُذْمُومَانِ
كُنْ طُوْلَ دهْرِكَ سَاكِتاً مُتَواضِعاً   فَهُمَا لِكُلِّ فَضِيْلَةٍ بابَانِ
وَأخْلَعْ رِداءَ الكِبْرِ عَنْكَ فَإنَّهُ   لا يَسْتَقِلُّ بحَمْلِهِ الكَتِفَانِ
كُنْ فاعِلاً لِلْخَيرِ قَوَّالاً لَهُ   فالقَوْلُ مِثْلُ الفِعْلِ مُقْتَرِنَانِ
مِن غَوْثِ مَلْهُوفٍ وشبعةِ جَائِعٍ   ودِثَارِ عُرْيانٍ وفِدْيةِ عَانِ
فَإذا فَعَلْتَ الخَيْرَ لا تَمْنُنْ بهِ   لا خَيْرَ في مُتَمَدِّحٍ مَنَّانِ
أُشْكُرْ على النَّعمَاءِ وأصْبِرْ لِلْبَلا   فكِلاَهُمَا خُلُقَانِ مَمْدُوْحَانِ
لا تَشْكُوَنَّ بِعِلَّةٍ أَوْ قِلَّةٍ   فَهُمَا لِعِرضِ المَرْءِ فاضِحَتَانِ
صُنْ حُرَّ وَجْهِكَ بالقَناعَةِ إنَّمَا   صَوْنُ الوُجُوهِ مُرُوْءَةُ الفِتْيَانِ
باللَّهِ ثِقْ ولَهُ أَنِبْ وَبهِ أسْتَعِنْ   فَإذَا فَعَلْتَ فَأَنْتَ خَيْرُ مُعَانِ
وَإذا عَصيْتَ فَتُبْ لِرَبِّكَ مُسْرِعاً   حَذَرَ المَمَاتِ وَلا تقُلْ لِمَ يَانِ

وَإذا ٱبْتُلِيْتَ بِعُسْرةٍ فأصْبِرْ لَهَا ... فالعُسْرُ فَرْدٌ بَعْدَهُ يُسْرَانِ
لا تَتَّبِعْ شَهَواتِ نَفْسِكَ مُسْرِفاً ... فاللَّهُ يُبْغِضُ عَابِداً شَهْوَانِي
أعْرِضْ عَنِ الدُّنْيا الدَّنيَّةِ زَاهِداً ... فالزُّهْدُ عِندَ أُولي النُّهَىٰ زُهْدَانِ
زُهْدٌ عَن الدُّنيا وزُهْدٌ في الثَّنا ... طُوبَىٰ لِمَنْ أمْسَىٰ لَهُ الزُّهْدَانِ
وَأحْفَظْ لِجَارِكَ حَقَّهُ وذِمَامَهُ ... ولِكُلِّ جارٍ مُسْلِمٍ حَقَّانِ
وأضْحَكْ لِضَيْفِكَ حِينَ يُنْزِلُ رَحْلَهُ ... إنَّ الكَرِيْمَ يُسَرُّ بالضِّيفَانِ
واصِلْ ذَوِي الأَرْحامِ مِنْكَ وإنْ جَفَوْا ... فَوصَالُهُمْ خَيْرٌ مِنَ الهِجْرانِ
وَاصْدُقْ وَلا تَحْلِفْ بِرِبِّكَ كَاذِباً ... وتَحَرَّ في كَفَّارةِ الأَيْمَانِ
وَتَوَقَّ أيْمَانَ الغَمُوسِ فإِنَّهَا ... تَدَعُ الدِّيارَ بَلاقِعَ الحِيْطَانِ
أعْرِضْ عن النِّسوانِ جُهْدَكَ وانْتَدِبْ ... لِعِناقِ خَيْراتٍ هُنَاكَ حِسَانِ
في جَنَّةٍ طَابَتْ وطَابَ نَعِيمُهَا ... مِن كُلِّ فاكِهَةٍ بها زَوجَانِ
إن كُنْتَ مُشْتاقاً لَهَا كَلِفاً بِهَا ... شَوقَ الغَرِيْبِ لِرُؤيَةِ الأَوطَانِ
كُنْ مُحْسِناً فيما أستطعتَ فرُبَّما ... تُجْزَىٰ عَنِ الإحْسانِ بالإحسانِ
وأعْمَلْ لِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وطِيْبِهَا ... فَنَعِيْمُهَا يَبْقَىٰ ولَيْسَ بِفَانِ
قُمْ في الدُّجىٰ وأتْلُ الكِتابَ ولا تَنَمْ ... إلاَّ . كَنَوْمَةِ حَائِرٍ ولْهَانِ
فلربَّمَا تَأتِي المَنِيَّةُ بَغْتَةً ... فَتُسَاقُ مِن فُرُشٍ إلى الأَكْفَانِ
يا حَبَّذا عَيْنانِ في غَسَقِ الدُّجىٰ ... مِن خَشْيَةِ الرَّحْمٰنِ باكِيَتَانِ
لا تَجْزَعَنَّ إذا دَهَتْكَ مُصِيْبَةٌ ... إنَّ الصَّبُورَ ثَوَابُهُ ضِعْفَانِ
فَأَذا ٱبْتُلِيْتَ بِنَكْبَةٍ فَأصْبِرْ لَهَا ... اللَّهُ حَسْبِي وحْدَهُ وكَفَانِي
وَعَلَيْكَ بالفِقْهِ المُبَيِّنِ شَرْعَنَا ... وفَرائِضِ المِيْرَاثِ والقُرْآنِ
أمْرِرْ أحَادِيثَ الصِّفاتِ كَما أتَتْ ... مِن غَيرِ تَحْرِيْفٍ ولا هَذَيانِ
هو مذهبُ الزُّهرِي ووافَقَ مَالِكٌ ... وكِلاهُمَا في شَرْعِنا عَلَمَانِ
والله يَنْزِلُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ ... بِسَمَائِهِ الدُّنْيا بِلا كِتْمانِ

فيقولُ هَلْ مِن سَائِلٍ فأُجِيْبُهُ   فَأَنا القَريبُ أُجيبُ مَن نَادَانِي
والأَصْلُ أنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ   شَيءٌ تَعَالَىٰ الرَّبُّ ذُو الإِحسانِ
صلَّىٰ الإلهُ علىٰ النَّبيِّ مُحَمَّدٍ   ما نـاحَ قَمْـرِيٌّ على الأَغْصَـانِ
وعلىٰ جَمِيْعِ بَنَاتِهِ وَنِسَائِهِ   وَعلىٰ جَمِيْعِ الصَّحْبِ والإِخْوانِ

« موعظـة »

عباد الله أين الذين سادوا وشادوا أوطانا ، وحكموا وأحكموا بنياناً ، وجمعوا فحشدوا أموالا وأعوانا عوضوا بأرباح الهوى خسرانا ، وبدلوا بإعزاز الكبر والتجبر هَوانا وأخرجوا من ديارهم بعد الجموع وحدانا ، وما استصحبوا مما جمعوا إلا أكفانا .

نَصِيْبُك مِمَّا تَجْمَعُ الدَّهْرَ كُلَّهُ   رِدَاآنِ تُطْوَى فِيْهِمَا وحَنُوْطُ
آخر : فما تَزَوَّدَ مما كان يَجْمَعُهُ   سِوَى حَنوط غَدَاةَ البيَن في خرَقِ
وغيرِ نفحةِ أعْوَادٍ تُشَبُّ لَهُ   وقَلَّ ذَلِكَ مِن زادٍ لِمُنْطَلِقِ

يُحْمَلُونَ على الأعناق ولا يُسَمَّونَ رُكبانا ، ويُنْزلُونَ بُطونَ الألحادِ ولا يُسَمَّونَ ضِيْفَانا ، مُتقاربين في القبور ولا يُسَمَّوْنَ جيرَانَا .

أو ليس قد رأينا كيفَ يُنْقَلُونَ ولا كَفَانَا ، فيا مَن قَد بَقِي مَن عُمُرِهِ القَليلُ ولا يَدْري مَتى يَقَعُ الرحيل ، كأنكَ بطَرْفِكَ حِينَ الموت يَسِيْلُ والروحُ تنزعُ والكربُ ثقِيْل ، والنُّقْلَةُ قد قَربَتْ وأينَ المقيل ، أفي الجنةِ ونِعيمها والسَّلْسَبيلِ أم في الجحيم وأنكالِها وأغلالِها وبئْسَ المقيل .

يا مَن تُعَدُ عليه أَنْفَاسُهُ اسْتَدْرِكْها ، يا مَنْ سَتَفُوتُه أيامُهُ أدْرِكْهَا ، إنَّ أعزَّ الخَلق عَليكَ نَفْسُكَ فلا تُهْلِكْهَا كَمْ أَغْلَقْتَ بَاباً على قَبيحْ ، وكم

أعْرَضْتَ عن قولِ المخلصِ النَّصِيْحِ ، أعظم الله أجرك في عمر قد مضى ما رزقت فيه العفو ولا الرضى .

إنقضَتْ فيه اللذاتُ كَمَن قَضَى ، وصارتِ الحسراتُ مِن الشهوات عِوضًا ، قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ وأنذرهم يومَ الحسرة إذا قُضِي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ وقال تعالى ﴿ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الخاسرين ﴾ والله أعلم وصلى الله على محمد .

« مـوعظـــة »

عِبـاد الله ما هذه الغفلة وأنتم مستبصرون ومـا هذه الرقدة وأنتم مستيقـظون كيف نسيتم الـزاد وأنتم راحلون ، أينَ مَن كان قبلكم ألا تتفكـرون أمـا رأيتم كيف نازلهم المنون ﴿ فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾ .

عباد الله لو حضرت القلوب لجرت من العيون عيون فكأنكم بالآلام قد إعْتَرَضَتْ ، وبالأجسام قد إنقضت ، وبالأوصال قد فصلت ، فرحم الله عبدا أعتق نفسه من رق شهواتها ونظر لها قبل مماتها وأخذ من جدته عَتاداً لفقره وإدخر من صحته زاد لقبره قبل أن يفوت زمن الاستدراك بوقوع الهلاك .

فكـأنكم بالمـوت قد حل العـراص ، وأنشب مخاليبـه في الأرواح للاقتنـاص ، وأين لكم الفـلات فلا تحين منـاص ثم يقومون للحساب والجزاء والقصاص .

وإذا الخلائق قد حشرت ، وإذا الصحف قد نشرت ، وإذا جهنم

قد سيقت ومرارة الندم قد ذيقت ، فستنطق عليكم الجوارح وتنشر حين القضاء الفضائح .

فيا خجل المقصرين ويا أسف المذنبين ويا حسرة المفرطين ويا سوء منقلب الظالمين ، قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ ولا تحسبن الله عافلا عما يعمل الظالمون . إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار . مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ .

خَفِ الله في ظلمِ الورَى واحْذَرَنَّهُ   وخَفْ يومَ عض الظالمين على اليد

والله أعلم وصلى الله محمد وآله وسلم .

فصل : قال بعضُ السلفَ : ما سَبَقهُم أَبُو بكرٍ بكثرةِ صَومٍ ولا صَلاةٍ ولكن بِشَيءٍ وقَرَ في صَدْرِهِ .

وقال بَعْضُهم : الذي كان في صدرِ أبي بكرٍ رضي الله عنه المحبةُ لله والنصيحةُ لِعبادِهِ .

وقال طائفةُ مِن العارفين ما بلغَ مَن بَلغ بكثرةِ صيامٍ ولا صَلاةٍ ولَكِنْ بسَخَاوَةِ الأَنفسِ وسَلَامة الصدرِ والنصيحةِ لِلْأُمَّةِ ، زادَ بَعْضُهُم : وبِذَمِ نُفُوسِهِم .

وقال آخَرُ إنما تَفَاوَتُوا بالارَادَاتِ ولم يَتَفَاوَتُوا بكَثرةِ الصِيامِ والصَلوات .

وذُكِرَ لأبي سُليمان : طُولَ أَعْمارِ بَني إسرائيلَ وشِدَّةِ إجْتِهادِهِم في الأعمالِ ، وأَنَّ مِنَ الناسِ مَن غَبَطَهُمْ بِذلكَ ، فقالَ : إنما يُريدُ الله منكم صِدقَ النيةِ فيما عِنده . أو كَما قال .

وقال إبنُ مَسعودٍ رَضِي اللَّهُ عنه لأَصْحَابِهِ : أَنتمُ أَكْثَرُ صَوماً وصَلاةً مِن أَصْحَابِ محمدٍ ﷺ ، وهمَ كانُوا خَيراً مِنكم ، قالوا : وبما ذاكَ ؟ قال كانُوا أزْهَدَ منكم في الدنيا وأرغبَ في الآخرة .

يُشِير إلى الصحابةَ رضي اللَّهُ عنهم فاقُوا على مَن بَعدَهُم بِشِدّةِ تَعَلْقِ قلوبِهم بالآخرةِ ورَغْبَتِهم فيها وإعراضِهم عن الدنيا وتحقيرِها وتصغِيرِها .

وهذه الحالُ وَرثُوها مِن نَبِيهم ﷺ ، فإنه كان أشدَّ الخلق فَراغاً بقلبهِ مِن الدنيا وتَعَلُّقهُ بالله والدارِ الآخِرَة مَعَ مُلاَبَستِهِ لِلْخَلْقِ بِظَاهِرِه ، وقِيامِهِ بأَعْباءِ النُبوةِ وسِيَاسَةِ الدِين والدنيا .

وكـذلـك خُلَفَـاؤُهُ الـراشِدُون بَعدَهُ ، وكذلكَ أَعْيَانُ التابعينَ لهم بإحسانٍ كالحسن وعمرَ بن عبدِ العزيز وقد كان في زَمَانِهم مَن هُو أكثرُ منهم صَوْماً اللَّهُمَّ أرْزُقْنَا حُبَّـكَ وحُبَّ مَن يُحِبُّكَ وحُبَّ العَمَلِ الذي يُقَرِّبُنَا إلى حُبِّكَ ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إيْمَانَنا ثُبُوْتَ الجبَالِ الرَّاسِيَات وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بالبَاقِيَاتِ الصَّـالِحَاتِ واعْصِمْنَا يا مَوْلاَنَا عن المُحَرَّمَاتِ والمُشْتَبِهَاتِ واغْفِرْ لَنَا جَمِيْعَ الخَطَايَا والزَّلاَّتِ وافْتَحْ لِدُعَائِنَا بابَ القَبُولَ والإجابَاتِ يَا أَجْوَدَ الأَجْوَدِين وأكرمَ الأكرمين وصَلى الله على محمد وعلى آلِهِ وصحبه أجمعين .

(فَصْـــلٌ)

وقال إبن رجب رحمه الله على « قوله ﷺ في حديث أبي هريرةَ وعائشةَ رضي الله عنهما فسددوا وقاربوا المراد بالتسديد العملُ بالسداد ، وهو القصدُ والتوسطُ في العبادة فلا يُقَصرّ فيما أمر به ، ولا يَتحَمَّلُ منها ما لا يطيقه » .

قال النظر بنُ شُمَيل : السدادُ القصدُ في الدين والسبِيل ، وكذا

المقاربةُ ، المراد التوسطُ بين التفريطِ والافراطِ فهما كلمتان بمعنى واحد أو متقارب ، وهو المرادُ بقوله في الرواية الأخرى : « عليكم هَدْياً قاصداً » .

قوله : وأبشروا يعني أن مَن مَشَى في طاعة الله على التسديدِ والمقاربةِ فَلْيَبْشِرْ ، فانه يصِلُ ويسبقُ الدائِبَ المجتهد في الأعمال فان طريقةَ الاقتصادِ والمقاربةِ أفضلُ مِن غيرها .

فمن سلكها فليبشر بالوصول فان الاقتصادَ في سُنّةٍ خيرٌ مِن الاجتهاد في غيرها . وخيرُ الهدي هدىُ محمد ﷺ ، فمَن سلكَ طَريقَة كان أقرب إلى الله من غيره .

وليست الفضائلُ بكثرةِ الأعمالِ البدنيةِ ، لكن بكونها خالِصَةً لله صواباً على متابعةِ السنةِ وبكثرةِ مَعَارِف القلوبِ وأعمالِها .

فمن كان بالله أعلم وبدينه وأحكامه وشرائعه أعلم ، وله أخوفَ وأحَبَّ وأرْجَى فهو أفضلُ ممن ليس كذلك ، وإن كان أكثر منه عملاً بالجوارح .

وإلى هذا المعنى الاشارة في حديث عائشة رضي الله عنها بقول النبي ﷺ : « سَدِوُا وقارِبُوا وإعْلَمُوا أنه لن يُدخِلَ أحداً منكم عملُه الجنة ، وإن أحَبَّ الأعمالِ إلى الله أدْوَمُها وإن قَلّ » .

فأمر بالاقتصاد في العمل وأن يضم إلى ذلك العِلْمَ بأحَبّ الأعمالِ إلى الله ، وبأن العمل وحده لا يُدخل الجنة .

وصلاةً ، ولكن لم يصلْ قلبُه إلى ما وَصِلَتْ إليه قلوبُ هؤلاءِ من إرتحاله عن الدنيا وتَوَطُّنِهَا في الآخِرةِ .

فأفضلُ الناسِ من سلك طريقَ النبي ﷺ وخواصِ أصحابهِ في الاقتصاد في العبادةِ البدنيةِ والاجتهادِ في الأحوالِ القلبيةِ فإن سَفَرَ الآخرةِ يُقْطِعُ بِسَيرِ القلوبِ لا بِسَيرِ الأبدان .

جاء رجلُ إلى بعض العارفين فقال له : قَطَعْتُ إليكَ مَسَافَةً ، فقال له ليس هذا الأمرُ بقطعِ المسافاتِ ، فارق نفْسَكَ بخطوةٍ وقد حَصَلَ لكَ مَقْصُوْدُكَ . قال أبو يَزيد : رأيتُ رَبَّ العِزةِ في المنامِ فقلتُ لهُ : يا رب كيفَ الطريقُ إليك ؟ قال : أتركْ نَفْسَكَ وتَعَالَ .

ما أعطيتْ أمُةٌ مَا أُعطِيَتْ هذا الأمةُ ببركةِ مُتَابَعَةِ نبيها ﷺ ، حيثُ كان أفضــلُ الخلقِ ، وهديهُ أكملُ الهُدي مع ما يَسرَ الله على يَدَيهه مِن دِينهِ ، ووضعَ به الآصارَ والأغلالَ عن أمِتهِ ، فمن أطاعهُ فقد أطاعَ الله وأحبه الله ، وإهتدى بهِدي الله .

فمن جملةُ ما حصل لأمتِهِ بِبَركَتِهِ وتَيْسِيرِ شَرِيْعَتِهِ أن مَن صَلّى منهم العِشَاء في جماعةٍ فكأنما قامَ نِصفَ اللَيل ، ومن صلى الفجر في جماعةٍ فكأنما قامَ الليلَ كُلّهُ ، فيكتبُ له قِيامُ ليلةٍ وهو نائمٌ على فراشِهِ ، ولا سيما إن نامَ على طُهْرٍ وذِكْرٍ حَتَّى تَغْلِبُهُ عَيناه .

ومَن صام منهم ثلاثةَ أيامٍ من كل شهرٍ فقد صامَ الشهرَ كلّه فهو صائمٌ لِبقيةِ الشهر في ضِيافةِ الله ، ومُفْطِرٌ له في رُخَصه والطاعمُ الشاكُر له أجرُ الصائم الصابر . ومَن نَوى أن يقومَ مِن الليلِ فَغَلَبتْه عَيْناهُ فنامَ كُتِبَ له ما نوى ، وكان نومُهُ عليه صَدَقَةً .

وقال أبو الدرداء يا حبذَا نَومُ الاكياس وإفطارُهُم كَيْفَ يسْبِقْون سَهَرَ الحَمْقى وصيَامَهُم . ولهذا جاء في الحديث الصحيح : « رُبَّ قائمٍ حَظُه مِن قِيامِهِ السَّهَرُ ، وصائمٍ حظُه مِن صِيامِهِ الجوعُ والعَطَشُ » رواه الطبراني وأحمدُ بنُ حنبل .

وقال بعضُهم : كم مِن مُسْتَغفِرٍ مَمْقُوتٍ وساكتٍ مَرحُومٍ ، وهذا إستغفرَ وقلبُه فاجرٌ ، وهذا ساكتٌ وقلبُه ذَاكِرٌ ، وقال بعضُهم : ليس الشأنُ فيمن يَقُومُ الليلَ ، إنما الشَّأْنُ فِيمنَ ينَامُ على فِراشه ثم يُصبِحُ وقد سَبَق الرّكْبَ .

اللهم وَفِّقنَا لِمَا وَفَّقْتَ إليه القَوْم وأَيْقِظْنَا مِن سِنةِ الغَفْلَةِ والنَّوم وأرزقْنا الاستعـدادَ لِذَلِكَ اليَوْمِ الذي يَرْبَحُ فيه المُتَّقُونَ اللهم وعامِلنَا بإِحْسَانِكَ وَجُدْ علينا بِفَضْلِكَ وامْتِنَانِكَ واجعلنا مِن عِبادِكَ الذين لا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزنـون اللهم ارحَمْ ذُلَّنـا بَيْنَ يَدَيْكَ واجعلْ رَغْبَتَنَا فيما لَدَيْكَ ، ولا تَحرمنـا بِذُنـوبنـا ، ولا تَطْرُدْنَـا بعُيوبنا ، واغفر لنا وَلِوالدينا وَلِجميع المُسْلمـين الأَحياء مِنْهُم والمَيتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَم الرَّاحِمِيْنَ وصلّى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْـــــلٌ)

وقال رحمه الله :

قولـه ﷺ : « اغْـدُوا ورُوْحُوا وشيء مِن الدلجة » كقوله في الرواية الأخرى : « إستعينوا بالغدوةِ والروحةِ وشيءٍ مِن الدلجة » ، يعني أن هذه الأوقاتِ الثلاثةَ تكون أوقاتَ السَّير إلى الله بالطاعات ، وهي آخر الليل وأولّ النهارِ وآخرهُ .

وقد ذكر الله هذه الأوقاتَ في قوله تعالى : ﴿ واذكر إسم ربكَ بُكْرةً وأصِيْلاً - ومِن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً ﴾ . وقال : ﴿ وسبح بحَمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آناء الليل وأطراف النهارِ لعلك ترضى ﴾ ، وقال ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب - ومِن الليل فسبحه وأدبار السجود ﴾ .

وذكر الله تعالى الذكر في طَرَفيّ النهار في مواضع كثيرة من كتابه كقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً ﴾ وقال : وإستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك العشيّ والإبكار ﴾ ، وفي ذكر زكريا عليه السلام ﴿ واذْكُر ربَّكَ كثِرا وسَبح بالعَشِي والإبكار ﴾ . وقال ؛ ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ وقال : ﴿ فأوحى إليهم أن سبّحوا بكرةً وعشياً ﴾ .

فهذه الأوقات الثلاثةُ منها وقتانِ وهما أول النهار وآخِرُهُ يجتمع في كلِ مِن هذين الوقتين عَمَلٌ واجبٌ هو تَطوعٌ فأما العملُ الواجبُ فهو صَلاةُ الصبح وصلاةُ العصرِ وهما أفضل الصلواتِ الخمس ، وهما البَرْدَانِ الّلذانِ مَن حافظ عَلَيْهِمَا دَخَل الجنة ، وقد قيل في كِل منهما أنها الصلاةُ الوسطى . .

وأما العملُ التطوعُ فهو ذِكْرُ الله بعدَ صَلاةِ الصبح حَتَّى تطلعَ الشمسُ ، وبعد العصر حتى تغربَ الشمسُ . وقد ورد في فضله نصوصٌ كثيرةٌ ، وكذلك وردت النصوصُ الكثيرةُ في أذكارِ الصباحِ والمساءِ وفي فضلِ مَن ذَكَر الله حيثُ يصبحُ وحيثُ يُمسي .

وقد روي من حديث إبن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « إبنَ آدم إذكرني ساعةً مِن أولِ النهارِ وساعةً مِن آخِره أغْفِر لكَ ما بينَ ذلكَ إلا الكبائَر أَوْ تَتُوبَ منها » . وكان السلفُ لآخر النهار أشدَّ تعظيماً مِن أولِه .

قال إبنُ المباركِ : بلغنا أنه مَن خَتَم نهارهُ بِذِكَر الله كُتَب نهارهُ كلُه ذكراً . وقال أبو الجَلْدِ : بلغنا أن الله تَعالى يَنزلُ مَساءَ كِلَ يومٍ إلى السماءِ الدنيا يَنظُرُ إلىَ أعمالِ بني آدم .

عليكَ يَاذَا الجَلالِ مُعْتَمَدِيْ طُوْبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلاَهْ
طُوبىَ لِمَنْ بَاتَ خَائِفاً وَجِلاً يَشْكُوا إِلىَ ذِي الجَلالِ بَلْوَاهْ
ومـا بِهِ عِلَّةٌ وَلاَ سَقَمٌ أَكْثَرَ مِن حُبِّهِ لِمَوْلاَهْ

ورأى بعضُ السلفِ أبا جعفرٍ القاري في المنام فقال له : قل لأبي حازم - يعني الأعـرجَ الزاهدَ الكَيّسَ : إن الله وملائكته يتراؤنَ مجْلِسَكَ بالعشَياتِ . والظاهرُ أن أبا حازمٍ كان يَقُصُّ على الناسِ آخر النهارِ .

وقد جاء في الحديث أن الذكرَ بعدَ الصبحِ أفضلُ مِن أربعِ رقابٍ وبعد العصر أحبّ مِن ثمانٍ . وأيضاً فيومُ الجُمعةِ آخِرُهُ أفضلُ مِن أولِهِ لما يُرجى في آخِرِهِ مِن ساعةِ الاجابة .

ويومُ عرفَةَ آخِرُهُ أفضلُ مِن أولِهِ لأنه وقْتُ الوقوف . وكذلك آخِرُ الليل أفضـلُ مِن أولِهِ ، وكذا قال السلفُ ، واستدلوا بحديث النزولِ الإلهي . وهذا كلُه مما يُرجحُ به قولُ مَن قال أن صلاةَ العصرِ هي الوُسْطَى .

وأما الوقتُ الثالثُ فهو الدلجةُ . والإدلاجُ سيرُ آخِرِ الليل ، والمرادُ ههنـا العمـلُ في آخـرِ الليل وهـو وقتُ الاستغفـارِ كما قال تعـالى : ﴿ والمستغفرين بالأسحار ﴾ وقال : ﴿ وبالاسحار هم يستغفرون ﴾ .

وهـو آخـرُ أوقـاتِ النـزولِ الإلهي المتضمنِ لاستعراضِ حوائج السـائلين ، وإستغفارِ المذنبين ، وتوبةِ التائبين ، وسط الليلِ للمحبين لِلخَلْوةِ بحبيبهم ، وآخـرُ الليل للمـذنبين يَستغفرون مِن ذنوبهم ، مَن عجزَ عن مُشاركةِ المحبين في الجَري مَعَهُم في ذلك المضمار فلا أقلّ مِن مُشاركةِ المذنبين في الاعتذار .

وَرَدَ في بعضِ الآثار : أن العرشَ يَهتزُّ مِن السحرِ . قال طاووسُ ما كُنْتُ أظنُ أن أحَداً يَنامُ في السحرِ .

وفي الحديث الذي خرجه الترمذي : « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل . سير الدّلجة آخرَ الليل يَقطَع به سَفرَ الدنيا والآخِرة .

ولهذا الحديث الذي خرجه مسلم : « إذا سافرتم فعليكم بالدُلجة فإن الأرضَ تُطوى بالليل » وقد دَخل الأشتر على عَلي رضي الله عنه وهو يُصّلي فأنشد :

إصْبرْ على مَضَض الإدلاجِ بالسَّحَر   وفي الرَّواحِ على الطاعاتِ والبُكَر
لا تَضْجَرَنّ ولا يُعْجِزْكَ مَطْلَبُهَا   فالهمُ يَتْلفُ بين اليأسِ والضَّجَر
إني رأيتُ وفي الأيام تَجْربُةٌ   لِلصَّبْرِ عاقبة مَحْمُودَةَ الأثر
وقَلَّ مَن جَدَّ في أمرٍ تَطلّبَهُ   واستصحبَ الصَّبْرَ الا فازَ بالظفرِ

اللَّهُمَّ أَلحِقْنا بِعبَادِك الصَّالِحينَ الأبْرَارْ ، وَآتِنَا في الدُّنْيا حَسَنَةً وفي الآخِرَة حَسنةً ، وَقِنَا عذابَ النَّارْ ، واغْفرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا ، وَلِجَمِيْع المُسْلِمينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُم والمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمين ، وَصَلَّى اللَّهُ على سَيِّدِنا مُحَمّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين .

(فَصْــــلٌ)

وقال رحمه الله :

وقوله ﷺ « والْقَصْدَ القصدَ تبلُغُوا » حَثَّ على الاقتصادِ في العبادةِ ، والتوسطِ فيها بينَ الغلوَ والتقصيرِ » ، ولذلك كَرَّرَهُ مَرَّةٍ بَعْدَ مَرةٍ .
وفي مسند البزارِ من حديث حذيفةَ رضي الله عنه : ما أَحْسَنَ القصدَ في الفقرِ ، وما أحسنَ القصدَ في الغِنى ، وما أحسنَ القصدَ في العِبادة .

وكان المطرفُ بنُ عبدِ الله بهن الشّخِيْر قد إجتهدَ في العِبَادَة فقال له

أبوه : خَيرُ الأمور أوسطها ، الحسنةُ بين السَيئتين ، وشرُ السَّير القَحْقَحَةُ أن يُلحَّ في شِدَّةِ السيرِ حتى تقومَ عليه راحلتُه وتَعْطَبُ فَيبقى مُنْقَطَعٌ بِهِ سَفَرُهُ ، إنتهى .

ويَشهدُ لهذا الحديثُ المروي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً : « إن هذا الدينَ مَتينٌ فأوْغلْ فيه برفقٍ ولا تُبغِضْ إلى نفسِكَ عِبادةِ الله ، فإن المنبتَّ لا سَفـرًا قَطَعَ ولا ظهراً أبقَىَ فاعملْ عَمَلَ إمرىءٍ يظنُّ أنه لن يموُت إلا هَرَماً وإحْذَرْ حَذَرَ إمرىءٍ يَخشىَ أن يموتَ غداً » أخرجه حميدُ بنُ زَنجوَية وغُيره .

وفي تكـرير أمـره بالقصدِ إشارةٌ إلى المداومةِ عليه فإنَّ شِدَّةَ السيرِ والاجتهادَ مَظِنَّةُ السآمةِ والانقطاع ، والقصدُ أقربُ إلى الدوامِ ، ولهذا جعل عاقبةَ القصدِ البلوغَ . قال أدلَجَ : بَلَغَ المنزلَ .

فالمؤمنُ في الدنيا يسيرُ إلى ربهِ حتى يبلُغَ إليه كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه ﴾ وقال تعالى : ﴿ وإعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ ، قال الحسن : يا قومُ : المداومةَ فإن الله لم يجعلُ لِعَملِ المؤمن أجلاً دونَ الموت ثم تَلَى هذه الآية .

وقـال أيضـاً : نُفـوسُكم مَطَايَاكُم فأصلحوا مَطَايَاكم تُبَلِّغكُم إلى ربكمْ عَزَّ وجل . وإصلاح المطايا ، الرفقُ بها وتعاهُدها بما يصلحها مِن قوتِها والرفْقُ بها في سيرِها ، فإذا أَحَسَّ بها بتَوَقّفٍ في السَّيرِ تعَاهَدَها تَارةً بالتَّشْويْقِ وتارةً بالتخويفِ حتى تسيرَ .

قال بعضُ السلفِ : الرَّجَاءُ قَائدٌ والخَوفُ سَائِقٌ ، والنفسُ بينهما ، كالدابةِ الحرون ، فمتى فَتَر قَائدُها وقَصرَّ سَائِقها وقَفَتْ فتحتاجُ إلى الرِّفْقِ بها والحُدُو لها حتى يَطِيْبَ لها السيرِ .

قال خُلَيْدُ العَصَرِيُ : إن كلَّ حَبيب يُحِبُ أن يَلْقى حَبْيبَـهُ فأحِبُو رَبَّكم وسـيَرُوا إليه مَسِيْراً جَمِيْلاً لا مُصْعِداً ولا مُمِيلاً ، فغايةُ السيرِ يُوصِلُ المؤمنَ إلى ربهِ ، ومَن لا يعْرِفُ الطريقَ إلى ربهِ لم يَسْلُكْ إليه فيه ، فهو والبهيمةُ سَواء .

قال ذُوْ النون : السَّفَلَةُ مَن لا يعرفُ الطريقَ إلى الله ولا يَتَعَرَّفُهُ . والطريقُ إلى الله هو سُلوكُ صِراطِهِ المستقيمِ الذي بَعثَ الله بِهِ رِسُولَهُ وأنزلَ بِهِ كِتَابهُ وأمَرَ الخلقَ كُلّهُم بسُلُوكِهِ والسَّيرِ فِيه .

قال إبن مُسعودٍ رضي الله عنه : الصراطُ المستقيمُ ، تَركَنا مُحمدٌ ﷺ في أدْنَاهُ وطَرَفُه في الجنةِ ، وعن يمينه جَوَادٌ وثَمّ رجالٌ يدعونَ مَنَ مَرَّ بهم ، فمَن أخذَ في تلك الجوَادِ إنتهتْ به إلى النار ، ومَن أخذ على الصِراطِ إنتهى به إلى الجنـة . ثم قرأ : ﴿ وأن هذا صِراطِي مستقيماً فاتبعـوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ خرجه إبن جرير وغيره .

فالـطريقُ المـوصلُ إلى الله واحدٌ ، وهو صراطُه المستقيمُ ، وبقيةُ السبلِ كُلُّها سُبلُ الشيطانِ ، مَن سلكَها قَطَعَتْ بِهِ عن الله ، وأوصَلَتْهُ دَارَ سَخَطِهِ وغَضَبِهِ وعِقابه ، فربما سَلكَ الإنسانُ في أولِ أمرِهِ على الصراطِ المستقيم ثم يَنْحَرِفُ عَنهَ آخِرَ عُمُرِهِ فيسلكُ بعضَ سُبُلَ الشيطانِ فيقطعُ عن الله فَيَهلكُ .

« إن أحدَكُم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراعٌ أو باعٌ فيعملُ بعملِ أهلِ النارَ فيدخلُ النارَ » وربما سلكَ بالرجل أولاً بعضَ سُبُلِ الشيطَان ثم تُدركُه السعادةُ فيسلكُ الصراطَ المستقيمَ في آخرِ عُمُرِهِ فيصلَ به إلى الله .

والشأنُ كُلَّ الشأنِ في الاستقامةِ على الصراطِ المستقيمِ مِن أول السير إلى الله ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ . ما أكثرَ مَن يرْجِعُ أثناءَ الطريق وينْقَطِعُ ، فإن القلوبَ بينَ إصبعين من أصابعِ الرحمنِ ﴿ يثبتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ .

خَلِيْلَيَّ قُطَّاعُ الطَّرِيقِ إلى الحِمَا كَثِيرٌ وأَمَّا الوَاصِلُونَ قَلِيْلُ

وفي الحديث الصحيح الإلهي (القدسي) يقول الله عز وجل : ﴿ مَن تَقَرَّبَ مني شِبراً تقَرَّبْتُ منه ذراعاً ، ومَن تَقرب مِني ذِراعاً تقَرَّبْتُ منه باعاً ومَن أتاني يمشي أتيتُه هَرْوَلَة » .

وفي المسند زيادة « والله أعلا وأجل والله أعلا وأجل » وفيه أيضاً : يقول الله : ﴿ إبنَ آدمَ قُمْ إليَّ وامْشِ إليَّ أهرولْ إليكَ ﴾ .

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا بِمُعافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ واحْفَظ جَوارِحَنا مِن مُخَالَفَة أَمْرِك واغْفِرْ لَنَا وَلِوالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المسلمين الأحياءِ منهم والمَيتين بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمين وَصَلَّى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصَحبِهِ

(فَصْلٌ)

وقال رحمه الله :

الوصولُ إلى الله نوعان : أحَدُهما في الدنيا ، والثاني في الآخِرَة .

فأما الوصولُ الدنيويُ فالمُرادُ به : أن القلوبَ تصل إلى مَعْرفَتِهِ ، فإذا عَرَفَتْهُ أحبته ، وأنِسَتْ بهِ ، فوَجَدْتُه منها قريباً ، ولِدُعَائِها مُجيباً ، كما في بعض الآثار : « إبنَ آدمَ أطلبني تجدني فإن وجَدتني وجدتُ كُلَّ شيءٍ ، وإن فِتُكَ فَاتكَ كُلّ شيءٍ » .

« الصراطُ المستقيمُ في الـدنيا يشتملُ على ثلاثِ درجاتٍ : درجةِ الإســلامِ ، ودرجـةِ الايمان ، ودرجـةِ الإحسـان . فمن سَلَكَ دَرَجَـةَ الإسلامِ إلى أن يَمُوتَ عليها مَنَعتْهُ مِن الخلودِ في النارِ ، ولم يَكُنْ له بُدٌّ مِن دُخولِ الجنة ، وإن أصابَهُ قبلَ ذلكَ ما أصابَهُ .

ومَن سَلَكَ على دَرَجَةِ الايمانِ إلى أن يموتَ عليها مَنَعَتْهُ مِن دخولِ النارِ بالكليةِ فإن الايمانِ يُطفىءُ لَهَبَ نارِ جهنم حتى تقولَ : يا مُؤْمَنُ جُزْ فقد أطفأ نُورُكَ لَهبي .

وفي المسند عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً : « لا يَبْقى بَرٌّ ولا فاجِرٌ إلا دَخَلَها فتكونُ على المؤمنِ بَرْداً وسَلَاماً كما كانَتْ على إبراهيم ، حتى إن لِلنّـارِ ضَجيْجاً مِن بَرْدِهِم ، هذا مِيْرَاثٌ ورثَـه المحبونه مِن حَالِ أبيهم إبراهيم عليه السلام » .

ومَن سلك على درجة إحسان إلى أن يموت عليها وَصلَ بعدَ الموتِ إلى الله : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ . وفي الحديث الصحيح : « إذَا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ نادَى مُناد يا أهل الجنةِ إن لكم عندَ الله مَوعداً يُريدُ أن يُنْجزَكُمُوهُ .

فيقولون ما هو؟ ألمْ يبيض وجوهنا ؟ ألم يثقل موازيننا ؟ فوالله ما أعـطاهُم الله شيئـاً أَحبَّ إليهم ، ولا أقرّ لأعينهم من النظر إليه ، وهو الزيادةُ ، ثم تلا : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ .

كُلُ أهلِ الجنة يَشتركُونَ في الرُوايةِ ولكن يَتفَاوتُون في القرُب في حال الـرؤيةِ . عُمُومُ أهـلِ الجنـةِ يروْنَ ربَّهم يومَ المـزيدِ وهـو يوم الجمعة ، وخواصُهم يَنْظُرونَ إلى وجه اللّهِ في كُلِ يَومٍ مَرتَين بكرةً وعَشِياً . العارفونَ لا يُسَلّيْهِم عن مَحبوبِهم قَصرٌ ولا يُرْويْهم دونَه نَهرٌ .

ويَرونَهُ سُبحانَهُ مِن فَوقِهِم نَظَر العِيانِ كما يُرىَ القَمَرانِ
هذا تَواتَر عن رسولِ اللَّهِ لم يُنكِرهُ إلا فَاسِدُ الايمانِ
وأتى به القرآنُ تَصريحاً وتَعْـ ـريضاً هُمَا بِسِيَاقِهِ نَوعانِ
وهيَ الزيادةُ قَدْ أتتْ في يُونُسٍ تفْسيرَ مَن قَدْ جاءَ بالقرآن
وهي المزيدُ كذاكَ فَسّرهُ أبو بكرٍ هو الصديقُ ذُو الايمان
وعليه أصحابُ الرسول تَتَابَعُو هم بعدهم تَبَعِيّةَ الإحسان

اللهم أمنُنْ علينَا باصْلاحِ عُيوبِنَا واجعلْ التقْوى زادَنا وفي دِيْنِكَ اجتِهادَنا وعليك توكّلنا واعتَمادُنا واغفرْ لنا ولوالِديْنَا ولجميعِ المسلمينَ الاحياءِ منهم والميتينَ برحمتك يا أرحمَ الراحمينَ وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبهِ أجمعين .

(فِصْـــــلٌ)

وفي المسند عن إبن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « أن أَدنَي أَهلِ الجنةِ مَنزلةً لَيَنْظُرُ في ملكه أَلفَي سنة يَرى أقصاه كما يرى أدناه ، يَنظرُ إلى أزواجِهِ وخَدَمِهِ ، وأن أفضَلهُم مَنزلةً لمن يَنْظُر إلى وجْهِ الله تبارَكَ وتَعالَى كُلّ يومٍ مَرَّتين » وخرجه الترمذي ، ولفظه « إن أدني أهل الجنة منزلةً لَمنْ يَنظُر إلى أزواجِهِ ونعيمِهِ وخَدَمِهِ وسُرُرِهِ مَسْيرَةَ ألف سنة » .

وأكرمُهم على الله من ينظرُ إلى وَجْهِهِ غُدْوَةً وعَشِيّاً ثم قرأ رسولُ الله ﷺ : ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ - إلى ربها ناظرة ﴾ ولهذا المعنى قال رسول الله ﷺ في الحديثِ الصحيح ، حديث جرير بن عبدالله البَجَلي « إنكم سَتَرونَ رَبَّكُم يومَ القيامةِ كما تَرونَ القمرَ ليلةَ البدرِ لا تُضامُونَ في رُؤْيَتِه » قال : « فان إسْتَطَعْتُم أَن لا تُغلَبُوا على صلاةٍ قبلَ طَلوعِ الشمسِ وصلاةٍ قَبلَ

غُروبِها فافْعَلُوا » . ثم قرأ ﴿ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ .

ولما كان هذانِ الوَقْتَانِ في الجنة وقتانِ للرؤية في خواص أهلِ الجنةِ ، خَصَّ ﷺ على المحافظة على الصلاة في هذين الوقتين في الدنيا فَمَنْ حَافَظَ على هاتين الصلاتين في الدنيا في هذين الوقتين وصلاهُما على أكْملِ وُجُوهِمَا وخُشُوعِهِمَا وحُضُورِهِما وأدَبِهما فإنه يُرجَى له أن يكونَ مِمن يَرَى الله في هذين الوقتين في الجنة ، لا سيما إن حافظ بعدَهُما على الذكر وأنواعِ العِبادات حتى تطلعَ الشمسُ أو تغربَ .

فإن وَصَلَ العبدُ ذلكَ بدُلجةِ آخر الليل فقد إجتمعَ له السيرُ في الأوقات الثلاثةِ وهي : الدُلْجَةُ ، والغَدوةُ ، والرَوْحَةُ ، فيوشكُ أن يَعْقِبَه الصِدقُ في هذا السيرِ الوصول الأعظم إلى ما يطلبه في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

مَن لَزِمَ الصِدق في طلبهِ أداهُ الصِدْقُ إلى مَقْعِد الصِدْق . ﴿ وبشر الذين آمنوا إن لهم قدَم صدقٍ عند ربهم ﴾ .

المحبُ لا يَقْطَعُ السؤالَ عَمَّنْ يُحِبُ ويَتَحَسَّس الأخبارَ ويَنْسِمُ الرِياحَ ويَسْتَدِلُ بآثار السلوكِ على الطريق إلى محبوبه .

لقد كَبُرتْ هِمَّةُ الله مُطلوبُها وشرفَتْ نفسُ الله مَحْبُوبُها ﴿ ولا تطرد الذين يدعون بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ .

ما للمحبِ سوى إرادة حِبه   إنّ المحبَّ بكُلِ بَرٍ يُصْرَعُ

قيمةُ كُلِ إمرىءٍ ما يَطْلُبُ ، فَمَن كانَ يَطْلُبُ الله فلا قيمةَ له من طَلَبَ الله فَهُو أجَلّ مِن أن يُقَوَّمَ . ومَن طَلَب غَيْرَهُ فهو أخَسُّ مِن أن يكونَ لهُ قِيْمَة .

قال الشبلي : مَن ركن إلى الدنيا أحْرَقَتْهُ بنارها فصارَ رماداً تَذْرُوْهُ الرياحُ ، ومَن ركن إلى الآخرةِ أحرقته بنورِها فصار سبيكةَ ذهبٍ ينتفعُ به ، ومَن ركن إلى الله أحرقه نُورُ التوحيد فصارَ جوْهَراً لا قيمة لَهُ .

اللّهُم هَبْ لَنا ما وهَبتهُ لأوْليائِكَ وتَوفّنا وأنتَ رَاضٍ عنّا وقَد قبِلْتَ اليَسيرَ منّا واجْعلنَا يا مْولانا مِنْ عِبادِكَ الذينَ لا خَوفٌ عَليهِمْ ولا هِمُ يَحزنُونَ واغْفرْ لنَا ولوالِديْنَا ولجَميع المسلمينَ برحمتكَ يا أرحمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فصْـــلٌ)

في قوله تعالى : ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونو يحتسبون ﴾ هذه الآية كانتَ تَشْتَدُ على الخائفين مِن العارفين ، فانها تَقتضِي أن من العباد مَن يَبْدُو له عندَ لِقاء الله ما لم يكن يحتسب ، مثل أن يكون غافلا عما بين يديه مُعْرضاً غير مُلتفتٍ إليه ولا يَحتسِبُ له ، ولهذا قال عمر رضي الله عنه : لو أن لِي مُلْكَ الأرض لافتديتُ به مِن هَوْلِ المطلعِ .

وفي الحديث : « لا تمنوا الموتَ فإن هولَ المطلعِ شديد ، وإن مِن سعادةِ المرءِ أن يطولَ عُمُره ويرزقه الله الإنابة » .

وقال بعضُ حكماء السلف : كم مَوقفِ خِزيٍ يومَ القيامةِ لم يَخطُر على بالـك قط . ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءَك فبصرك اليوم حديد ﴾ .

وإشتملَ على ما هو أعم مِن ذلك وهو أن يكون له أعمالٌ يرجو بها الخيرَ فتصيرُ هَباءً منثوراً وتبدلُ سيآت . وقد قال تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم

كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ﴾ .

وقال : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ .

وقال الفضيلُ في هذه الآية : ﴿ وبَدَا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ قال : عملوا أعمالاً وحسبوا أنها حسنات فإذا هي سيئآت . وقَرِيبٌ من هذا أن يعملَ الإنسانُ ذنباً يحتقِرُهُ ويَسْتَهونُ به فيكون هو سَبَبَ هلَاكِهِ . كما قال تعالى : ﴿ وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ﴾ .

وقال بعضُ الصحابةِ إنكم تعملون أعمالاً هي في أعينكم أدقُّ مِن الشعر ، كنا نعهدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات ، وأصعبُ مِن هذا من زُيِّنَ له سوءُ عمله فرآه حسناً . قال تعالى ﴿ قل هل نُنَبِئُكم بالأخسرين إعمالاً - الذين ضلّ سعُيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ﴾ .

قال إبن عيينة لَمَّا حَضَرَتْ مُحمدَ بنَ المنكدر الوفاةُ جَزِعَ فَدَعُوْا له أبا حازم فجاءَ فقال له إبن المنكدر : إن الله يقول : ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ فأخاف أن يبدوَ لي من الله ما لم أكن أحتسب . فجعلا يبكيان جميعاً . خرجه إبن أبي حاتم . وزاد إبن أبي الدنيا . فقال له أهله : دعوناك لتخفف عليه فزدته فأخبرهم بما قال .

وقال الفضيلُ بنُ عياض أُخبِرتُ عن سليمان التيمي أنه قِيلَ له : أنتَ أنتَ ومن مثُلك ؟ فقال مه لا تقولوا هذا لا أدري ما يَبدُو لي من الله . سمعتُ الله يقول : ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ .

وكان سفيان الثوري يقول عند هذه الآية : وَيْلٌ لأهْلِ الرياء مِن

هذه الآية ، وهذا كما في حديث الثلاثة الذين هم أولُ مِن تَسْعَّرُ بهم النار ، العالم والمتصدق والمجاهد . وكذلك مَن عَمِل أعمالاً صالحةً وكانت عليه مظالِم فهو يظن أن أعماله تنجيه فيبدو له ما لم يكن يحتسب ، فيقتسمُ الغرماءُ أعماله كلّها ثم يفضلُ لهم فضلٌ فيطرحُ مِن سيئاتهم عليه ثم يطرح في النار .

وقد يناقش الحساب فيطلب منه شكرُ النعم فتقوم أصغر النعم فتستوعب أعماله كلها وتبقى بقيةٌ فيطالب بشكرها فيعذب . ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : « مَن نوقش الحساب عذب أو هلك » . وقد يكون له سيئَات تحبط بعضَ أعماله أو أعمال جوارحه سوى التوحيد فيدخل النار .

وفي سنن إبن ماجة من رواية ثوبان مرفوعاً : « إن من أمتي مَنْ يجيء بأعمال أمثال الجبال فيجعلها الله هباءًا منثوراً » وفيه : « وهم قوم من جلدتكم ويتكلمون بألسنتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون من الليل ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله إنتهكوها » .

وخرج يعقوب بن أبي شعبة وإبن أبي الدنيا في حديث سالم مولى أبي حذيفة مرفوعاً : « ليجاءُ يوم القيامة بأقْوام معهم من الحسنات مثل جبال تهامة ، حتى إذا جيء بهم جعل الله أعمالهم هباءً ثم أكبهم في النار » .

قال سالم خشيتُ أن أكون منهم . فقال أما أنهم كانوا يصوُمون ويُصَلون ويأخذَون هُنَيهةً مِن الليل ، لعلهم كانوا إذا عَرَضَ لهم شيءٌ سرا حَراماً أخذوه فأدحضَ الله أعمالهم . وقد يحبط العمل بآفة من رِيَاءٍ خفي أو عُجُبٍ بِهِ ونحو ذلك ولا يشعر به صاحبه .

قال ضَيْغَمُ العابدُ : إن لم تأتِ الآخرةُ بالسرور لقد إجتمع عليه

الأمران هَمُّ الدنيا وشقاءُ الآخرةِ . فقِيل له : كيفَ لا تأتيه الآخرة بالسرور وهو يتعبُ في دار الدنيا ويَدأب ؟ قال : كيف بالقَبُول ، كيف بالسلامة .

ثم قال : كم مِن رجل يَرى أنه قد أصلحَ عَمَلَهُ يُجمَعُ ذلك كلّه يومَ القيامة ثم يضربُ به وَجْهَهُ ، ومِن هنا كان عامر بن عبد قيس وغيره يقلقون مِن هذه الآية : ﴿ إنما يتقبلُ الله مِن المتقين ﴾ .

وقال إبنُ عَون : لا تثق بكثرةِ العمل ، فانك لا تَدْري يُقبلُ منكَ أم لا ، ولا تأمنْ ذُنوبَكَ فانك لا تَدري هَلْ كفّرتْ عنكَ أم لا ؟ لان عَمَلَكَ عنكَ مُغَيَّب كُلُه لا تدري ما الذي صانع به . وبكى النخعيُ عندَ الموتِ وقال : أنتظرُ رَسُولَ رَبي ما أدري أيُبَشّرُني بالجنة أو النار ؟

وجزع غيرهُ عندَ الموتِ ، قِيل له تَجْزَع ؟ قال : إنما هي ساعةٌ ولا أدري أينَ يُسلكُ بي ؟ وجزعَ بعضُ الصحابة عندَ موته ، فَسُئِل عن حَالِهِ فقال : إن الله قبضَ خلقَه قَبضتين ، قبضةٍ للجنة وقبضةٍ للنار ولستُ أدري في أي القبضتين أنا ؟

ومَن تَأمَّل هَذا حَقَّ التأملِ أوجَب لَه القَلَقَ فإن إبنَ آدم مُتَعّرضٌ لأهوالٍ عظيمةٍ مِن ذِلك ، الوقوف بينَ يدي الله عَزَّ وجَلّ ودخولِ النارِ ويَخْشى على نفسِه الخلودَ فيها بأن يُسْلبَ إيمانهُ عندَ الموتِ ، ولم يأمَنْ المؤمن شيئاً مِن هذه الأمور ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ . فَتَحققُ هذا ، يمنع إبنَ آدم القَرار .

إذا افتكر اللبيبُ رَآى أموراً   تَردُ الضَّاحكات إلى الوجُومِ

رأى بعضهم قائلاً يقول له :

وكيـف تنـامُ العـينُ وهـي قـريـرةٌ ... ولـم تَـدرِ فـي أي المحلينِ تنزِلُ ؟

وسئل بعضُ الموتي وكان مجتهداً عن حاله ؟ فأنشد يقول :

وليس يَعـلَمُ مـا فـي القـبر داخـلهُ ... إلا الإلـهُ وسـاكُـن الأَجـداثِ

وقال غيره :

أمـا واللّـه لـو عـلم الأَنـامُ ... لِمَا خُلقُوا لَما غَفَلُوا ونَامُوا
لَقـدْ خُـلقُوا لِما لَـو أبصَـرَتْـه ... عُيونُ قُلُوبهم تاهُـوا وهَامُـوا
مَمـاتٌ ثـم قَـبْر ثـم حَشْـرٌ ... وتَـوبيخٌ وأهـوالٌ عِظَـامُ

اللّهُمَّ ثَبِّتْ إيْمَانَنَا بِكَ وَمَحبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الجِبَالِ الرّاسِياتِ واعْصِمْنَا يَا مَوْلَانا مِنْ جَمِيْعِ المُوبِقَاتِ وَوَفّقْنَا لِلْعَمَلِ بِالبَاقِياتِ الصَّالِحَاتِ وَارْفَعْ مَنَازِلَنَا فِي فَسِيْحِ الجَنَّاتِ وأرْزُقْنَا النَّظَرَ إلى وَجْهِكَ الكَرِيْمِ يا حَكِيْمُ يَا عَلِيْمُ يا حَيُّ يَا قَيُّومُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالدَيْنا ولِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ بِرحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلّى اللّهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين . . .

(فَصْلٌ فِيْ الرِّيَاءِ)

اعْلَمْ عَصَمَنَا اللهُ وايَّاكَ وجَمِيْعَ المسلمينَ أنَّ القُلُوبَ تُمْرَضُ كَمَا تُمرِضُ الأبدانُ بَلْ مَرَضُها أشدُ ومِن أمْرَاضِهَا الرِّياءُ وهو مِن أخْطَرِ أمْرَاضِ القُلُوبِ ومِن الأوْباء الأخلاقِيَّةِ الضارةِ التي تَحْتَاجُ إلى عِلاجٍ دائِمٍ وَيَقْظَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ وهُوَ مَأخُوذُ مَن الرؤْيَا لِأَنَّ المَرَائِي يُرِيَ النَّاسَ فِعْلَه لِلْخَيرِ لِيُثْنُوا عليه ويَحْمَدُوْه وَيأْمَنُوْهُ فَيَسْتَوْلِيْ بِذَلِكَ على قُلُوبهم فيَكونُ لَهُ سُلْطانٌ عليهم يَصِلُ به

إلَى لَذَتِهِ ويَسْتَعِيْنُ بِهِ على تَحْصِيْلِ شَهَوَاتِهِ وهذا الرِّياء إنَّما يَكُونُ مِن رَجُلٍ قَصُرَ نَظَرُهُ وَرَقَّ دِيْنُهُ فإن هذَا هُوَ الذي يَتَصَوَّرُ أنَّ الناسَ إذَا رَأَوْهُ يُصَلِّي كَثِيْراً أَوْ رَؤَهُ يُطِيْلُ الصلاةَ أو يَصُومُ النوافلَ أو يَحُجُ أو يَتَصَدَقُ أو يَفْعَلُ أيَّ فَعْلٍ مِن أفعالِ الخيرِ يُحْسِنُونَ بِهِ الظَنَّ ويُعَامِلُونَهُ مُعَامَلَةً خاصَّةً تَتْرُكُهُ في دُنياه في سرور .

شِعْرَا : كُنْ بِخُمُولِ النُفُوسِ قَانِعْ   لا تَطْلُبِ الذكْرَ في المَجَامِـــعْ
فَلَـنْ يَزَالَ الفَتَـى بِخَيْــــرِ   ما لم تُشِر نَحوَهُ الأَصَابِـــعْ

وأما العاقِلُ بَعِيْدُ النَّظَرِ صَادِقُ الايْمَانِ فإنَّهُ يَعْلَمُ عِلْماً يَقِيْناً لَا يَشُوْبُهُ الظنُ أنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ دُنْيَاً وَأخرَى لِلَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ وأَنَّ العَالَمَ كُلَّهُ أعْجزُ مِن أنْ يَدْفَعَ أَجَلاً أَوْ يُكْثِرَ رِزْقاً أو يُجِيْرَ مِن نائِبَةٍ تَنْزِلُ عَلَى الانسان كَمَا في حَدِيْثِ ابنِ عَبَاسٍ قولُهُ ﷺ واعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوْا على أَنْ يَنْفَعُوْكَ بشَيءٍ لم يَنْفَعُوكَ إلا بشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا على أنْ يَضُرُوْكَ بِشَيْءٍ لم يَضُرُوْكَ إلاَّ بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ فإذا كانَ الخَلْقُ بِهذا الضَّعْفِ فلا يَلْتَفِتُ لِمُرَاآتِهِمْ إلا مَنْ كَانَ سَخِيْفَ العَقْلِ وضَعِيْفَ الدِيْنِ على أنَّ رِياءَ المُرَائِي لاَ يَخْفِي حَتَّى عَلَى الخَلْقِ غَالِباً فَإِنَّ حَرَكَاتِهِ لا تَشْتَبِهُ بأعمالِ المُخْلِصِيْنَ الذين قَد اسْتَوَتْ ظَوَاهِرُهُم وبَوَاطِنُهُم على السَّوَاءِ .

قال عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ لِلْمُرَائِي ثلاثُ عَلامَاتٍ أولاً أَنَّهُ يَكْسَلُ إذا كَانَ وَحْدَهُ وَيَنْشَطُ إذَا كانَ فِي الناسِ ويَزِيْدُ فِي العَمَلِ إذا أُثْنِيَ عَلَيْهِ الناسُ وَيَنْقُصُ إذا ذُمَّ وقَد وَرَدَتْ آياتٌ وأحادِيثُ وآثارٌ تَدُلُّ على تَحْرِيْمِ الرِّيَاءِ وأنَّهُ مَمْقُوتٌ مِنْهَا قولُ اللهِ تعالى ﴿فويلٌ لِلْمُصَلِّيْنَ الذِيْنَ هُمْ عن صلاتِهِم ساهُوْنَ الذين هُم يُرَاؤُنَ الآية﴾ .

وقال تعالى ﴿والذينَ يَمْكُرُوْنَ السَّيِّئَاتِ لَهُم عذابٌ شديدٌ وَمَكْرُ أولَئِكَ هُوَ يَبُوْر﴾ .

قال مُجاهِدُهُمْ أَهْلُ الرِّيَاءِ وقال تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبه فليعمل

عملاً صالحاً ولا يشرك بِعِبَـادَةِ ربه أحداً﴾ نَزَلَ ذَلِكَ فِيْمَنْ يَطْلُبُ الأجرَ والحَمْدَ بِعِبَادَاتِهِ وأَعْمَالِهِ .

وأما الأحاديث فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ إنَّ أوَّلَ الناسِ يُقْضِي يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فأتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا قَال فَما عملتَ فيها قال قاتَلْتُ فِيْكَ حَتى اسْتُشْهِدْتُ قال كَذَبْتَ ولَكِنَّكَ قاتَلْتَ لِأنْ يُقَالَ هُوَ جَرِيءٌ فقدْ قِيْلَ ثم أمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ في النار .

ورَجلٌ تَعَلَّمَ العلمَ وعَلَّمَهُ وَقرأَ القُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ فَعرَفَهَا قال فما عَمِلتَ فِيها قال تَعَلَّمْتُ العِلمَ وَعلَّمْتُه وَقَرَأْتُ فِيكَ القرآنَ قال كَذَبْتَ ولكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِىءٌ فقد قِيْل ثُمَّ أمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ في النارِ ورَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْه وأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المالِ فأتَى بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قال فَمَا عَمِلْتَ فِيْهَا قال ما تَرَكْتُ مِن سَبِيْلٍ تُحِبُّ أنْ يُنْفَقَ فِيْهَا إلا أنْفَقْتُ فِيها لكَ قال كَذَبْتَ ولكنَّكَ فَعلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيْلَ ثم أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ في النار رواه مسلم والنسائي والترمذي وابن حبان .

وعن عبدِ الله بن عمرو بنِ العاصِ قال قُلْتُ يا رسولَ اللهِ أَخْبِرْنِي عَنِ الجِهَادِ والغَزْوِ فقال يا عَبْدَ اللهِ بنَ عَمْرٍو إنْ قَاتَلْتَ صَابِراً مُحْتَسِباً بَعَثَكَ اللهُ صَابِراً مُحْتَسِباً وإنْ قَاتَلْتَ مُرَائِياً مُكَاثِراً بَعَثَكَ اللهُ مُرَائِياً مُكَاثِراً يَا عَبْدَ اللهِ بنَ عَمْرٍو عَلَى أيِّ حَالٍ قاتَلْتَ أَوْ قُتِلْتَ بَعَثَكَ اللهُ على تِلْكَ الحالِ رواه أبو داود .

وعن أُبَيِّ بن كَعْبٍ قال قال رسول رسول الله ﷺ بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ بالسَّنا والرِفْعَةِ والدِيْنِ والتَّمْكِيْنِ في الأَرضِ فَمَنْ عَمِلَ مِنهم عَمَلَ الآخِرَةِ لِلدنيا لَمْ

يَكُنْ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَصِيْبٍ رواه أحمدُ وابنُ حِبانَ في صحيحِه والحاكمُ والبيهقيُ ، إذا فَهِمْتَ ذلكَ فأعْلَم أنَّ هُنَاكَ أمورٌ خَمْسَةٌ ١ ـ مُرَاءٍ وهو العابِدُ الذي يُظْهِرُ خِصَالَ الخَيْرِ ٢ ـ ومُرَاءَىَ وهُمُ الخَلْقُ الذِين يُظْهِرُ المُرَائِي لَهُم أعْمَالَهُ ٣ ـ ومُرَآءٌ لأجْلِهِ وهو الجَاهُ والمالُ والسلطانُ وحُبُّ الحَمْدِ وَكَرَاهَةُ الذَّمِ ورِيَاءٌ وهو قَصْدُ إظْهارِ العِبَادَةِ لِذَلِكَ الغَرضِ ، والمُراؤ ن بالعبادات أقْسَامٌ ، القِسْمُ الأولُ المُراؤ نَ فِي العَقَائِدِ الدِّيْنِيَّةِ وهم الذينَ يُظْهِرُوْنَ للنَّاسِ أنهم مُوَحِّدُونَ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إله إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ وهم يَعْتَقِدُونَ خِلافَ ذلكَ أوْ يُظْهِرُونَ لَهُمْ أنَّهم يُؤْمِنُونَ بالغَيْبِ مِن جَنَّةٍ أو نار ويُظْهِرُونَ للناسِ أنه يُؤمِنُونَ بالملائِكَةِ وَيُصَدِّقونَ بوُجُودِهِم ونحوِ ذلكَ مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ مِن الدِيْنِ بِالضَرُوْرَةِ وهُمْ يَعْتَقِدُونَ في قلوبهم غَيْرَ ذَلِكَ ولا رَيْبَ في ذَلِكَ أنه كُفْرٌ نَاقِلٌ عن المِلَّةِ الاسلاميَّةِ بالكُلِّيَّةِ لأنَّهُ تكذيبٌ للهِ ولِرسُولِهِ وصاحبُه إنْ لَم يَتُبْ فَهُوَ مُخَلَّدٌ في النار .

قال اللهُ تعالى ﴿ومِن الناسِ مَن يعجبكَ قَولُه في الحياة الدنيا ويُشْهِدُ اللهَ على ما في قلبه وهو ألدُ الخِصَامِ﴾ فهذا لِلْمُرائِي الشِرير الذَّلِق اللسانِ الذي إذا تكلم رَاقَ كَلامُهُ لِلسّامِعِ وظنه يَتَكَلَّمُ بِكَلامٍ نَافِعٍ ويُؤكد هذا المُرائِي ما يقول بأنهُ يُخْبِرُ أنَّ اللهَ يَعْلَمُ أن ما نَطَقَ به مُوَافِقٌ ومُطَابِقٌ لِمَا فِي قلبه وهو كَاذبٌ في ذلكَ لِأنَّهُ يُخَالِفُ قولُه فِعلَه .

وقال تعالى في الآية الأخرى ﴿وإذا لقُوا الذينَ آمنوا قَالُوا أَمَنَّا وإذا خَلَوا إلى شَيَاطِيْنِهِم قالُوا إنَّا مَعَكُم إنَّما نَحْنُ مُستهزؤون ﴾ .

وما أَكْثرَ أشْبَاهِ هَؤلآءِ في زَمَنِنا مِن مُنْكِرِيْ الجِنِّ والملائكةَ والبَعْثَ مِمَّن نَجِدُهُم يَجْبَنُونَ عندَ المُواجَهَةِ وَيتَظَاهَرُونَ بالايمانِ عندَ لِقَاءِ المؤمِنِينَ

ويَعْتَرِفُونَ بوُجُودِهِم لِيَتَّقُوا الأذى ولِيَتَّخِذُوا هَذَا السِّتَارَ وَسِيْلَةً لِلأذى وإِذَا انْفَرَدُوْا مَعَ أَوْلِيَائِهِم مِن شَيَاطِيْن الإِنْسِ صَرَّحُوْا بمُعْتَقَدَاتِ قُلُوبِهِم وتَفَكَّهُوا بأكلِ لُحُومِ المؤمنين وطعَنُوا في الدِّيْن وَحَمَلَتِهِ وصَرَّحُوْا بانْكَارِ الجِنِّ والملائكةِ وهَؤُلاَءِ كَفَرَةٌ مُنَافِقُونَ والرِّيَاءُ في العَقِيْدَة على هذا الوَجْهِ مِن أكبَرِ دَرَجَاتِ الرِّيَاءِ وأَشَدِّهَا أثراً وَضَرَراً .

القِسْمُ الثاني : المُرَاؤُنَ في الفَرَائِضِ والأَرْكَانِ الشرعيةِ هَؤُلاَء الذين يَفْعَلُونَ أركانَ الدِيْنِ مِن صلاةٍ وصِيَامٍ وزكاةٍ وحَجٍ أمامَ الناسِ مِن أجل غَرَضٍ مِن الأغراضِ التي ذَكَرتُ آنِفاً فإِذَا خَلاَ الوَاحِدُ مِنْهُم بِنَفْسِهِ لم يَعْمَلْ شَيْئاً فَلَولاَ الغَرَضُ الذي يُرِيدُ تَحْقِيْقَهُ مَا صَامَ وَلاَ صَلَّى ولا حَجَّ ولا زكَّى فهذا العَمَلُ باطِلٌ لِأنَّه لم يُرِدْ بِهِ وَجْهَ اللهِ فَعَن أَنسٍ رضي الله عنه قال رسولُ الله ﷺ تُعْرَضُ أعْمَالُ بَنِي آدَمَ بَيْنَ يَدَي اللهِ عَزَّ وجَلَّ يومَ القِيَامَةِ في صُحُفٍ مُخَتَّمَةٍ فَيَقُولُ اللهُ أَلْقُوا هَذَا واقْبَلُوا هَذَا فَتَقُولُ الملائكةُ يا رّبُّ واللهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُ إلا خَيْرَا فَيَقُولُ إن عَمَلَهُ كانَ لِغَيْرِ وَجْهِي ولا أَقْبَلُ اليومَ مِن العملِ إلا ما أرِيْدَ بِهِ وَجْهِي .

صاحِ اسْتَمِعْ نُصْحاً أتاكَ مُفَصَّلاً
كَتَفَصُّلِ العِقِيَانِ فَوقَ لَئَالِي
بادِرْ بَقَايَا عُمْرِكَ الفَانِي فَلاَ
تَصْرِفْهُ إلَّا فِي الرِّضَى المُتَوالِي
واشْغَلْ فُؤَادَكَ دَائِباً مُتَفَكِّراً
فِيْمَا يَلِيْقُ بِمَنْصِبِ الإِجْلاَلِ
واخْلِصْ عِبَادَتَكَ التي بَاشَرْتَها
فِي القَولِ والأَحْوالِ والأَفْعَالِ

واشْغَـلْ بـذِكْـرِ اللهِ قَلْبَـكَ لاَهِجـاً
بـصِفَـاتِـهِ الـعُـلْيَـا بِـلاَ إمْـلاَلِ
واجْعَـلْ مَمَاتَـكَ نَصْبَ عَيْنَيْـكَ إِنَّـهُ
أَوْلَـى الأُمُـورِ وأنـصَـحُ الأحْـوَالِ
واعْلَمْ بـأَنَّـكَ بَعْـدَ ذاك مُحَاسَبٌ
فـاضْبُـطْهُ لا تَـكُ فِيْـه ذَا إهْمَـالِ
واعْلَم بـأنَّـكَ بَعـدَ ذلِكَ صَـائِرٌ
إمـا إلـى بُـؤْسٍ أَوِ الإفْـضَـالِ
وادْأَبْ على حِفْظِ الشَّرِيْعَةِ سَالِكاً
سُبْـلَ الهُـدَى لاَ قَـالِياً أو غَـالِي
وابْـدَأْ بحِفْظِ القَلْبِ عن شُبُهَـاتِـهِ
واعْـرِفْ مَسَاوِيَهَـا على الإجْمَالِ
ثـم اسْقِـهِ مَـاءَ الـحياةِ بِـوَاعِظٍ
مِن مُحْكَمِ التَنـزِيـلِ في إجْـلاَلِ
واحْـرِسْ فَـرَاغَـكَ بالتَّـذَكُّـرِ إنَّـهُ
عُمُـرٌ إِذَا مَـا ضَـاعَ مِنْكَ لَغَـالِي
واحْفَظْ جَـوَارِحَـكَ الَّتِي أُوْتِيْتَهَـا
عن كـلِ مَـا يَقْضِي بكُـلِ نَكَـالِ
واعْلَمْ بـأنَـكَ مَـا خُلِقْتَ سَبَـهْللاً
فـاعْبُـد إلَـهَ العَـرْشِ بـالإقْبَـالِ
واجْعَـلْ سِلاَحَـكَ دَعْـوَةً بـإنَابَـةٍ
والْجَـأْ إلَى مَـوْلاَكَ غَيْـرَ مُبَـالِي
واسْـأَلْـهُ لا تَسْـأَمْ فـإنَّـكَ عَبْـدُهُ
فَهْـوَ الكَـرِيـمُ ورَبُّ كُـلِ نَـوَالِ

يا رَبُّ فاقْطَعْ عَن فُؤَآدِي كُلَّ مَا
أرجُـوْهُ إلا مِـنْـكَ مِـنْ آمَـالِ
واغْسِلهُ مِن دَرَنِ الـذُنُـوبِ فـأنَـهُ
مَرَضُ القُلُوبِ وَمُوجِبُ الاعْـلاَلِ
وأرِحْـهُ مِن مَرَضِ الـرِّيَاءِ فـإنَّـهُ
أصْـلُ الفَسَـادِ وأفْسَـدُ الأشْغَـالِ
وأخْتُم لَنَا بـالخَيْـرِ عَـاجِلِهِ الـذِي
تَـبْـدُوْ حَـلاَوةُ ذَوْقِـهِ بـمَـآلِ
واجْعَـلْ صَلاَتَـكَ دَائِمـاً تَتْـرَى عَلَى
كَنْـزِ المَعَـالِي السَّيـدِ المِفْضَـالِ
وكَـذَا عَـلَى آلٍ لَـهُ وَصَحَـابَـةٍ
أهْـلِ الـعُـلاَ والـعِـزِّ والإجْـلاَلِ

« فصل »

وأقْبَحُ أنْواعِ الرِّيَاءَ مَا فُعِلَ لِلْحُصولِ على لَذَّةٍ مُحَرَّمَةٍ كأَنْ يَحْتَالَ على الفِسْقِ بامْرَأةٍ أوْ يَسْتَعِيْنُ بِهِ عَلَى سَلْبِ مَالٍ ظُلْمَا وعُدْوَانَا أوْ يَتوسَّلُ بِهِ إلى ايْذَاءِ بَرِيْىءٍ في عِرْضِهِ أوْ مَالِهِ أوْ دِيْنِهِ وَصَاحِبُ هَذَا العَمَلِ مُعَرَّضٌ نَفْسَهُ لِلْمُجَازَاتِ على عَمَلِهِ أشَدَّ الجَزَاءِ والعِقَابِ عَلَيْهِ أسْوَأَ العِقَابِ في يَومٍ يُؤْخَذُ فيهِ المُجْرِمُوْنَ بالنَّوَاصِي إنْ لَمْ يَتُبْ مِن عَمَلِهِ ذلك توبةً نَصُوحاً .

ومِن أنْواعِ الرِّياءِ الرِّياءُ بالفَرائِضِ الدِيْنِيَّةِ لِلْحُصولِ على لَذَّةٍ مُباحَةٍ

شعرا : لا يَغُرَّنَّكَ تَعْوِيْجُ العُنُقْ   وَلِبَاسُ الصُّوْفِ وَالثَّوبِ الخَلَقْ
وَخُشوْعُ المَـرْءِ في ظَاهِـرِهِ   وَهُوَ في الخَلْوَةِ تِنِّيْنٌ حنِـقْ
يَبْلَـعُ الفِيْـلَ مُسِراً فإذَا   بَلَعَ الذَّرَّةَ في الجَهْـرِ إخْتَنَـقْ

وَمِنْ أنواعِ الرِّياءِ الرِّيَاءُ في الفَرائضِ الدِّيْنِيَّةِ لِلْحُصُوْلِ على لَّذةٍ مُبَاحَةٍ .

كأنْ يَحْتَالَ بأداءِ الفَرَائِضِ على الحُصُولِ عَلَى مَالٍ بِطرِيْقِ الهِبَةِ وَنَحْوِهَا وَلَوْلاَ هَذَا الغَرَضَ مَا قَامَ بأدَائِهَا وَهَذَا شِرْكٌ باللهِ بَلْ فِي الحَقِيْقَةِ عِبادَةٌ لِلشَّهْوَةِ لاَ لِلَّهِ ولو كانَ عِنْدَ صاحِبِ هَذَا العَمَلِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِن الأدَبِ والحَيَاءِ لَخَجِلَ مِن خَالِقِهِ الذِي يَجِبُ عَلَيْهِ أنْ يُخْلِصَ العِبَادَةَ لَهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ ولكِنَّهُ بَدَلاً مِن ذلكَ قَدْ جَعَلَ عِبَادَتَهُ وسِيْلَةً لاقْتِنَاصِ المَلاَّذِ والحُصُولِ عَلَى الشَّهَواتِ .

القسم الثالثُ : المُرَاؤُوْنَ بِالنَّوَافِلِ الّتِي يُؤَدُّوْنَهَا فِي حَضْرَةِ النّاسِ ويَتْرُكُوْنَها إذا خَلَوْا أَوْ يُجِيْدُوْنَ الفَرائِضَ ويُطِيْلُونَها فِي حَضْرَةِ النّاسِ وإذا انْفَرَدُوْا خَفَّفُوا وهذا أيضاً قَبِيْحٌ ولَكِنَّهُ دُوْنَ الأوّلِ وَوَجْهُ قُبْحِهِ أنَّ عِبادَةَ اللّهِ يَجِبُ أنْ تَكُونَ خَالِصَةً لَهُ لاَ يَشُوْبُهَا رِياءٌ أبَدَا فَمَنْ يُؤَدِّيْهَا لِغَرَضٍ مِنَ الأغْرَاضِ فَقَدْ أشْرَكَ فِيهَا مَعَ اللّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهُوَ غَبِيٌّ مَمْقُوْتٌ يَسْتَحِقُّ الذَّمَّ والعِقَابَ إنْ لَمْ يَتُبْ لأنَهُ قَدْ اسْتَهَانَ بِعِبادَةِ اللّهِ وَجَعَلَها وَسِيْلَةً لِلْحُصُولِ عَلَى الأغْرَاضِ الدُّنْيوِيَّةِ والشَّهَواتِ الجُسْمَانِيَّةِ مَعَ أنَّ النَّوَافِلَ مَثَلاً لَمْ تُشْرَعْ إلاّ لِلحُصُولِ على الثَّوابِ الكَثِيْرِ والدَّرجاتِ الرَّفِيعَةِ عِنْدَ اللّهِ تَعَالى فانْقَلَبَتْ عَلَى المُرائِي بِهَا شَرّاً وَوَبَالاً بِفِعْلِهَا رِياءً وأصْبَحَ يَسْتَحِقُّ عَلَيْها عِقاباً وذلك فَسَادٌ وخَلَلٌ عَظِيْمٌ فكَمْ مِنْ إنْسَانٍ يُرَائِي يَتَظَاهَرُ بالصّلاحِ ويَتَباعَدُ عن مُحقَّرَاتِ الذُّنُوبِ ونَفْسُهُ فاجِرَةٌ لاَ يَتَوَرَّعُ مِن أكْلِ أمْوالِ النّاسِ بالباطِلِ واسْتِحْلاَلِها بأدْنَى الوَسَائِلِ وعِنْدَ مُعَامَلَتِهِ فِي بَيْعٍ أوْ شِرَاءٍ أوْ اسْتِئْجارٍ يَظْهَرُ مَخْبَرُهُ عَكْسَ مَنْظَرِهِ على حَدِّ قَوْلِ الشاعر :

ما فِي الكَثِيْرِيْنَ إلَّا المَكْرُ والمَلَقُ ... شَوْكٌ إِذَا اخْتُبِرُوْا زَهْرٌ إِذَا رمِقُوْا
فَإنْ دَعَاكَ إلىَ قُرْبِ بِهِمْ قَدَرٌ ... فَدَارِهِمْ واقْتَربْ مِمَّنْ بِهِمْ تَثِقُ
هُمْ أُمُّ غَيْلانَ لاَ أَصْلٌ وَلاَ ثَمَرٌ ... وَلا نَسِيْمٌ ولا ظِلٌّ وَلا وَرَقُ
جَفُّوْا مِنَ اللؤمِ حَتَّى لَوْ أَصَابَهُمْ ... ضَوْءُ السُهَى فِي ظَلامِ اللَّيلِ لاحْتَرَقُوْا
لَوْ صَافحوا المُزْنَ مَا ابْتَلَتْ أَنامِلُهُمْ ... وَلَوْ يَخُوْضُوْنَ بَحْرَ الصِّيْنِ مَا غَرِقُوا

آخر : قومٌ هُموّا شرُ خَلْقِ الله كُلِّهِمُ وأَخْبَثُ الناسِ في الدُنيا وَفي الدِّيْن
هُمْ في الظَّوَاهِرِ زُهَّادٌ أو لوْ وَرَعٍ وَفي البَواطِنِ إِخْوَانُ الشَّيَاطِيْــــنِ
يُحَرِّمُوْنِ الّــذي حَلَّ الإلــهُ لَهُــمْ ويَسْتَبِيْحُونَ أمْــوَالَ المَسَــاكِينِ
يابِئْسَ مَا فَعَلُوا يَا بِئْسَ مَا تَرَكُوا وهُـمْ يُعِـدُّوْنَ فِينَـا بالمَلَايِيْــنِ

آخر : مِنْ أيّ نَواحِيْ الأرضِ أَلقَى رِضَاكُم وَأنتمُ أُنَـاسٌ مَا لِمَرْضَاتِهـمْ نحْــوُ
فلا حَسَنٌ نأْتِي بِهِ تَقْلِبُونَــــــهُ ولا إنْ أَسأْنَا كان عِنْدَكُمُ عَفْــوُ

ويقول الآخر فى المُرَائِيْنَ بأعْمَالِهم :

أَظْهَــرُوْا للنَّــاسِ زُهْــداً وَعَلى الدِّيْنَــارِ دَارُوْا
وَلَــهُ صَلَّــواْ وَصَامُــواْ وَلَــهُ حَجُّــواوَزَ ارُوْا
لَوْ يُرىَ فَوْقَ الثُّرَيّـــا وَلَهُــمْ رِيْشٌ لَطَــارُوْا

آخـــر :

إنَّ الجَلِيْسَ يَقُول الخَير تَحْسِبَهُ خَيْراً وهَيْهَاتَ فانْظُرْ ما بِهِ الْتَمَسَا

قالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللّهُ واعْلَمْ أَنَّ العَمَلَ لِغَيْرِ اللّهِ أقْسَامٌ فَتارَةً يكُونُ رِيَاءً مَحْضاً كَحَالِ المُنَافِقِيْنَ كَمَا قَال تَعالى ﴿وإذا قَامُوا إلى الصّلاةِ قَامُوا كُسَالى يُرَاؤ ن النّاسَ ولَا يذكُرونَ اللّهَ إلا قليلاً﴾ .

وهَذَا الرِّياءُ المَحضُ لا يكادُ يصدُرُ عَنْ مُؤْمِنٍ فِي فَرْضِ الصّلاةِ والصّيامِ وَقَدْ يَصْدُرُ فِي الصّدقَةِ أو الحجّ الواجِبِ أوْ غيرِهما مِنَ الأعمالِ الظّاهِرَةِ أو الّتي يَتعدّى نَفْعُها فإِن الإخلاصَ فِيها عَزيْزٌ وَهَذا العَمَلُ لَا يَشُكُّ مُسلمٌ أنّهُ حابطٌ وأن صَاحِبَه يَسْتَحِقُّ المَقْتَ مِنَ اللّهِ والعُقوبةِ وتَارةً يكونُ العَمَلَ لِلّهِ ويُشارِكُهُ الرِّياءُ فإِنْ شَارَكَهُ مِن أصْلِهِ فالنُّصُوصُ الصّحِيحَةُ تَدلُّ على بطلانِهِ أيضاً وحُبُوطِهِ .

شعــــرا :

دَعِ الرِّيَاءَ لِمَنْ لَذَّ الرِّيَاءُ لَـــهُ فَإِنَّه الشِّرْكُ فَاحْذَرْ زَلَّةَ القَـــدَمِ
وَمُتْ على المِلَّةِ السَمحَاءِ مَوْتَ فَتى رَآى المَمَاتَ عَلَيْهَا أَكْرَمَ الكَرَامِ

آخر : يُلْبِسُ اللهُ في العلانيةِ العَبْدَ الّذِي كَانَ يَخْتَفِى في السَّــرِيْرَهْ
حَسَناً كانَ أَوْ قَبِيْحاً سَيُبْدَى كُلُّ ما كانَ ثَمَّ مِنْ كُلِّ سِيرَهْ
فاسْتَحِ من الله أَنْ تُرائِى لِلناسِ فَإِنَّ الرِّياءَ بِئْسَ الذَّخِيْــرَهْ

وَفِي صحِيح مُسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللَّهُ عَنْه عَن النَّبيِّ ﷺ قالَ يَقُولُ اللّهُ تَبارَكَ وتَعالى أَنا أَغْنِيَ الشُّركَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَملاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ وخَرَجَهُ ابنُ ماجَه ولَفظه فأنا مِنْهُ برِيء وهُوَ للذي أشرك .

وخَرَجَ الإمام أحمد عن شَدّادِ بنِ أَوْسٍ عَن النّبيّ ﷺ قالَ مَنْ صَلّى يُرائِي فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرائِي فقَدْ أَشْرَكَ فَإِنَّ اللّه عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ أنا خَيْرُ قَسِيْمٍ لِمَنْ أَشْرَكَ بِي شَيْئاً فإن جِدَةِ عَمَلِهِ قَلِيْلِهِ وَكَثِيْرِهِ لِشَرِيْكِهِ الّذي أَشْرَكَ بِهِ أنا عَنْهُ غَنِيٌّ وَخَرَجَ الإمام أحمد والتِّرمِذي من حديث أبي سعيد ابن أبي فَضَالة وكان مِنَ الصَّحابَةِ قال قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا جَمَعَ الله الأولين والآخرين ليوم لا ريبَ فِيهِ نَادَا مُنَادٍ من كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمَلَهُ لِلّهِ فَيطْلُبُ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ عَزَّ وجَلّ فإن الله أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ انتهى والله أعلم

(فصـــل)

القِسم الرّابع : مِنَ المُرائِين المُتَحَدِّثُونَ بأَعمالِهِمْ بَعْدَ تَمامِهَا كأن يَقولَ الواحِدُ صَلّيْتُ كَذا وَصُمْتُ كَذا وحَجَجْتُ كَذا مِنْ أفعالِ الخَيْرِ وَهَذا وإنْ كَانَ لاَ يُحْبِطِ العَمَلَ الّذي تَمَّ عَلَى وَجْهٍ صَحِيْح إلّا أنَّهُ يُنْظَر إلى مَقْصَدِه مِن التَّحدُّثِ بِذَلِكَ فإن كَانَ فَساداً كَانَ مُحَرَّماً وإنْ كَانَ فِراراً مِن ذَمِّ النّاسِ وَرَغْبَةً فِي مَدْحِهِمْ بِدُونِ أنْ يَقْصُدَ مِنْهَا الوُصُولَ إلى غَرَضٍ غَيْر ذَلِكَ كَان مَلُوماً مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ وأنّهُ قَصَدَ رِيَاءَ النّاسِ بِطَاعَةِ اللّهِ وقَدْ عَلِمْتَ أنَّ ذَلِكَ لاَ يَجُوز .

القِسْم الخامسُ : المراؤونَ بالهَيْئَةِ والزِّي فَتَرى الوَاحِد مِنْ هَؤلاءِ يَتَكلَّفُ العَمَلَ على نُحُولِ بَدَنِهِ واصْفِرَارِ وَجْهِهِ كَيْ يَظْهَرَ بِمَظْهَرِ العَابِدِ الّذي أضْنَاهُ وأنْهَكَهُ السَّهَرُ وانحلَ جِسْمَهُ الصَّوْمُ وَمِنْهُمْ مَن يَتَكلَّفُ خَفْضَ صَوْتِهِ أَوْ يَلْبَسُ ثَوْباً يَخْتَلِفُ عن أَثْوابِ أَهلِهِ وبَنِي جِنْسِهِ لِيَلْفِتَ أنظَارَ النّاسِ إليْهِ وَهَذا النّوعُ مِنَ الرِّيَاءِ سَخِيْفٌ جِداً لَا يَتَأَثَّرُ بِهِ إلّا ضِعَافُ العُقُولِ صِغَارُ النُّفُوسِ وكُلُّ هَؤلاءِ مِن شِرَارِ النّاسِ الّذِيْنَ يَجِبُ على النّاسِ أَنْ يَحْذَرُوْا مِنْهُمْ وَيَمْقُتُوهُمْ ولا يُبالُوا بِهِمْ ولَا بِحِيَلِهِمْ وأزْيَائِهِمْ .

شعــــــرا :

تَقُومُ إذَا مَا قِمْتَ تَشْفَعُ خُطبَــةً ... تُخَوِّفُ فيهَا وَالدُمُوعُ تَرَيَّــــعُ
كَأَنَّكَ صَيَّادٌ تَسِيْلُ دُمُوعُـــــهُ ... مِنَ البَرْدِ والصَّيَّادُ يَفْرِي وَيَقْطَـــعُ
يَجُذُّ رِقَابَ الطيرِ من غيرِ رَحْمَةٍ ... وعَيْنَاهُ من بَرْدِ العَشيَّةِ تَدْمَـــعُ
تُزَهِّدُ في الدُنْيَا وَأَنْتَ بِنَهْبِهَـــا ... مُلِحٌّ على الدُنْيَا تكُدُّ وَتجْمَـــعُ

آخر :

أرَى الناسَ في الدنيا كَرَاعٍ تنكَّرَتْ ... مَراعِيهِ حَتَّى لَيْسَ فِيهِنَّ مَرْتَـــعُ
فَمَاءٌ بلا مَرْعَى ومَرْعَى بِغيرِ مَـــاء ... وحَيْثُ تَرى مَاءً فَمَرْعَى ومَسْبَعُ

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ النِّيّةَ عَلَيْهَا مَدَارٌ عَظِيْمٌ مَدارُ الثّوابِ والعِقَابِ فإِنَّ المَرءَ يَتَحدَّثُ بِعَمَلِهِ الصّالِحِ أَوْ يُظْهِرُهُ لِيَكُونَ قُدْوَةً صَالِحَةً لَهُمْ ومِثالاً حَسناً يَقْتَدُونَ بِهِ لَا يُرِيْدُ بِذَلِكَ إلّا وَجْهَ اللّهِ وابتِغاءَ مَرْضَاتِهِ بِنَشْرِ الفَضِيْلَةِ وإِحْيَائِهَا بَيْنَ النّاسِ مِنْ غَيْرِ أنْ يَنْظُرَ إِلى مَدْحِهِمْ لَهُ وَذَمِّهِمْ لَهُ فَلاَ يَثْنِيهِ شَيْءٌ عَن عَمَلِ الصّالِحَاتِ وَلاَ يُغْرِيْهِ عَلَيْها رِضَاءُ أَحَدٍ مِنَ النّاسِ على أن يَكُونَ يَقِظاً نَبِيْهاً لَا يَجْعَلُ لِلْغُرورِ والعُجْبِ إِلَيْهِ سَبِيْلا فإِنَّ عَمَلَهُ على ذلِكَ الوَجْهِ الحَسَنِ لا يكُونُ رِيَاءً بل رُبَّمَا يَكُونُ مُسْتَحِبّاً إنْ تأكَّدَ مِن اقْتداءِ النّاسِ بِهِ في عَمَلِهِ الصّالِحِ وكذَلِكَ تَنْظُرُ الشَّرِيْعَةُ الإسلامِيَّةُ الكريمةُ إِلى جَمِيْعِ الأَعْمَالِ فإِنْ تَرَتَّبَ على العَملِ فَسَادٌ كَانَ مَذْموماً وانْ تَرتَبَ عَلَيْهِ صَلاحٌ كَانَ مَمْدُوحاً فَجَمِيْعُ أحْكَامِهَا مَبْنِيَّةٌ على جَلْبِ المَصَالِحِ ودَرْءِ المَفَاسِدِ وكُلُّها تَرْمِي إِلى تَهْذِيْبِ النُّفُوسِ وتَطْهِيْرِ

القُلُوبِ وتَرْبِيَةِ النّوعِ الإنْساني أحسَنَ تَرْبِيَةٍ وتأدِيْبِهِ أفضَلَ الأَدبِ ويَكْفِي في ذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى ﴿إنَّ الله يأمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ وإيتاءِ ذِي القُربى ويَنْهَي عن الفحْشاءِ والمُنْكرِ والبَغي يَعِظُكم لعلّكُم تَذكُرُوْن﴾ .

وخِتاماً فَعَلَى العَاقِلِ أنْ يَتفكَّر ويَعْلَم مَضرَّةَ الرِّياءِ وَمَا يَفُوتُهُ مِن صَلاحِ قَلْبِهِ وَمَا يُحْرَمُ عَنْهُ مِن التَّوْفِيْقِ وَما يَتَعرَّضُ لَهُ مِن العِقابِ والمَقْتِ الشّدِيدِ والخِزْيِ الظّاهِرِ فَمَهْمَا تفكَّرَ الإنْسانُ وَقَابَلَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِن العِبَادِ والتَّزَيُّنِ لَهُمْ فِي الدُّنْيا بِمَا يَفُوتُهُ فِي الآخِرَةِ وبِمَا يَحبُطُ عَلَيْهِ مِنْ ثَوابِ الأعمالِ فإنَّهُ يَسْهَلُ عَلَيْهِ قَطْعُ الرَّغبَةِ عنْهُ كَمَنْ يَعْلَمُ أن العَسَلَ لَذِيْذٌ ولكِنْ إذا بَانَ لَهُ أَنَّ فِيهِ سُمّاً أعْرَضَ عَنْهُ ثُمَّ أيُّ غَرَضٍ لَهُ فِي مَدْحِهِمْ وإيْثارِ ذَمِّ اللّهِ لأجْلِ حَمْدِهِمْ وَلاَ يَزِيْدُهُ حَمْدُ النّاسِ رِزْقاً وَلا أجلًا ولا يَنفعُهُ يَوْمَ فَقْرِهِ وفاقَتِهِ .

وأمَّا الطَّمْعُ فِيْمَا فِي أَيْدِي النّاسِ فَبِأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللّهَ تَعالى هُوَ الرَّزَاقُ وهُوَ المُسَخِّرُ لِلْقُلُوبِ بالمَنْعِ والإعْطاءِ وأنَّ الخَلْقَ مُضْطرُّوْنَ فِيْهِ .

ولا رَازِقَ إلاّ اللّهُ ومَنْ طَمِعَ فِي الخَلْقِ لَمْ يَخْلُ مِنَ الذُّلِّ والخَيْبَةِ وإنْ وَصِلَ إلى المُرادِ لَمْ يَخْلُ عَن المِنَّةِ والمَهَانَةِ فَكَيْفَ يَلِيْقُ بعَاقِلٍ أنْ يَتْرُكَ مَا عِنْدَ اللّهِ بِرَجَاءٍ كَاذِبٍ وَوَهْمٍ فَاسِدٍ وَقَدْ يُصِيْبُ وَقَدْ يُخْطِيءُ وإذَا أصَابَ فَلا تَفِيْ لذَّتُهُ بِألَمِ مِنَّتِهِ ومَذلَّتِهِ .

شعرا :

أمِنْ بَعْدِ غوصِي فِي عُلُومِ الحَقائِقِ
وطُولِ انْبِسَاطِي في مَـوَاهِبِ خَالِقِي
وفِي حِيْنَ اشْـرَافِي عَلَى مَلَكُوتِـهِ
أرَى طَـالِبـاً رِزْقـاً إلَى غَيْـرِ رَازِقِ
وأيَّـامُ عُمْـرِ المَـرْءِ مُتْعَـةُ سَـاعَـةٍ
تَجِيءُ حَثِيْثـاً مِثْـلَ لَمْحَـةِ بَـارِقِ

وَقَـدْ آذَنَتْ نَفْسِي بتَقْـوِيْضِ رَحْلِهَـا
وأَسْرَعَ فِي سَوْقِي إِلَى المَوْتِ سَائِقِي
وإِنّي وَإِنْ أَوْغَلْتُ أَوْ سِـرْتُ هَـارِبـاً
مِنَ المَوْتِ فِي الآفَاقِ فالمَوْتُ لاَحِقِي

آخر : شَادَ الأنامُ قُصُورَهُمْ وتَحَصَّنُوا
مِن كُـلِّ طَالِبِ حـاجَـةٍ أَوْ رَاغِبِ
فـارْغَبْ إِلَى مَلِكِ المُلُوكِ ولا تَكُنْ
يـا ذَا الضَّـراعَـةِ طَـالِبـاً مِن طَـالِبِ

وَأَمَّا ذَمُّ الخَلْقِ لَهُ فَلاَ يَحْذَرْ مِنْهُ فَإِنَّهُ لاَ يَزِيْدُهُ ذَمُّهُمْ شَيئاً مَا لَمْ يَكْتُبْهُ اللّهُ عَلَيْهِ ولا يُعَجِّل أجلَهُ وَلاَ يُؤَخِّرُ رِزْقَهُ وَلا يَجْعَلُهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ إِن كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنّةِ ولا يُبَغِّضُهُ إِلى اللّهِ إِن كَانَ مِن الّذِينَ يُحِبُّهُم اللّهُ فَالعِبَادُ كُلُّهُمْ عَجزَةٌ لاَ يَمْلِكُوْنَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً ولا نَفْعاً فإذا قَرَّرَ في قَلْبِهِ آفَةَ هَذِهِ الأَسْبَابِ وضَرَرَهَا فَتَرَتْ رَغْبَتَهُ عَنِ الرِّيَاءِ وأَقْبَلَ عَلَى اللّهِ قَلبُهُ والعَاقِلُ لا يَرْغَبُ فِيمَا يُكْثِرُ ضَرَرَهُ ويُقِلُّ نَفْعَهُ فهذا دَوَاءُ نافِعٌ قَالِعٌ لِلرِّيَاءِ مِن أَصْلِهِ بإِذْنِ اللّهِ فَهَذا مِنْ الأَدْوِيَةِ العِلْمِيَةِ القَالِعَةِ مغَارِسَ الرِّيَاءِ بإذنِ اللّهِ وأَمَّا الدَّوَاءُ العَمَليُّ فَهُوَ أَنْ يُعَوِّدَ نَفْسَهُ إِخْفَاءَ العِبَادَاتِ وإِغلاقَ الأبوابِ دُوْنَهَا كَمَا تُغْلَقُ الأبوابُ دُوْنَ الفَوَاحِشِ فَلاَ تُنَازِعُهُ نَفْسُهُ إِلى طَلَبِ غَيرِ اللّهِ بِهِ .

وبالتالِي :

فَمَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ وعِلْمٍ وبَصِيْرَةٍ عَرَفَ شِدَّةَ حَاجَتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وشِدَّةِ فَقْرِهِ إِلَى صَافِي الحَسَنَاتِ فَخَشِيَ أَنْ يَأتِي ذَلِكَ اليَوْمَ بِصَلاةٍ أَوْ صِيامٍ أو حَجٍّ أو جِهَادٍ أَوْ نَحوِ ذَلِكَ مِنَ الأعْمَالِ لَمْ يُخْلِصْهُ لِلّهِ فَيَحْبَطَ عَمَلُهُ فَتَصِيْرَ حَسَنَاتُهُ أَنْقَصَ مِنْ سَيّئَاتِهِ وَلَوْ كَانَ أَخْلَصَ العَمَلَ لِلّهِ فِي الدُّنْيا لَرَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيّئَاتِهِ فَيَدْخُلُ الجَنّةَ فَلَمَّا فَاتَهُ ذَلِكَ الإِخلاَصُ فلا تَسْأَلْ عَن ذَهَابِ نَفْسِهِ

حَسَراتٍ فَيَخَافُ اللَّبِيْبُ ذَلِكَ فَيَغْلِبُ عَلَى عَقْلِهِ حَذَرُ الرِّيَاءِ والتَّصنُّعِ لِلْعِبَادِ ويُقْبِلُ عَلَى تَصْحِيْحِ عَمَلِهِ وتَنْقِيَتِهِ مِن شَوَائِبِ الرِّيَاءِ حَتَّى يُوافِيْ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ خَالصاً صَوَاباً .

« موعظــة » عِبَادَ اللّهِ أُوْصِيْكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللّهِ فالْزَمُوْهَا ، وأَحُثُّكُمْ على الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فاغْتَنِمُوْهَا ، إِنَّ الزَّمَانَ يَطْوِي بِكُمْ مَسَافَةَ الأعمارِ لا شَكَّ وأَنْتُمْ رَاحِلُونَ عنْ هَذِهِ الدَّارِ فيا مَعْشَرَ الشُّيُوخِ مَاذَا تَنْتَظِرُوْنَ بَعْدَ المَشِيْبِ وَهَلْ بَعْدَهُ إلا المَوْتُ فإِنَّ المَوْتَ قَرِيْبٌ إِنَّهُ لَيْسَ إِلَى البَقَاءِ مِنْ سَبِيْلٍ فَمَاذَا تَزَوَدْتُم لِلرَّحِيلِ وَيَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ أَنْفَقْتُم غُرَرَ الأَعْمَارِ عِنْدَ المِذيَاعِ والكُرَةِ وَنَحوِ ذَلِكَ مِمَّا يَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وعَنْ الصَّلاةِ ويَا مَعْشَرَ التُّجَارِ لَقَدْ ضَاعَتْ أَعْمَارُكُمْ فِي أَلُوْوكَمْ رَبِح فُلاَنٌ وَكَمْ بِيْعَ البَيْتُ الفُلاَنِيُّ والأَرْضُ الفُلاَنِيَّةُ وخُذْ هَذِهِ الجَرِيْدَةَ وأَعْطِنِي الأُخْرَى أَلاَ صَرَفْتُمْ بَعْضَ الوَقْتِ إِلى المُسَابَقَةِ إِلى غُرَفِ الجَنَّةِ وأَرَاضِيْهَا وأَنْفَقْتُمْ بَعْضَ مَا وَهَبَكُمْ اللّهُ مِنَ المَكَاسِبِ إِلى مَا يُرْضِيْ اللّهَ مِنْ تَفَقُّدِ الفُقَرَاءِ الّذِيْنَ لَيْسَ لَهُمْ مَوارِدُ لا قَلِيْلَةٌ وَلاَ كَثِيْرَةٌ مِمَّنْ يَسْتَعِيْنُونَ بِها عَلَى طَاعَةِ اللّهِ ومِن مَسَاجِدَ تَحْتَاجُ إِلى تَرْمِيْمٍ أَو فُرُشٍ وإِلَى إِنْشَاءِ مَسَاجِدَ عِنْدَ مَنْ لَيسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ مِنْهَا أَوْ إِلى طِبَاعَةِ مَصَاحِفَ طِبَاعَةً جَيِّدَةً فتوزِعُوْهَا عَلَى التالِينَ لِلْقُرآنِ آنَاءَ اللَّيْلِ والنَّهارِ أَوْ طَبْعِ كُتُبٍ دِيْنِيَّةٍ فِيها تَقْوِيَةٍ لِلشَّرِيْعَةِ ونَشْرِ لِمَحاسِنِ الإسلامِ كَكُتُبِ شَيْخِ الإِسْلامِ بنِ تَيْمِيَّةَ وتِلْمِيْذِهِ بْنِ القَيِّم وابنِ رَجَب وابنِ مُفْلِحٍ وابنِ كَثِيْرٍ والمُوفق والمَجْدِ والشَّيخِ المُجدِّدِ الشَّيخِ مُحَمَّد بنِ عبْدِ الوهاب ونَحْوِهِمْ مِنَ العُلَمَاءِ العَامِلِينَ بعِلْمِهِمْ المُصْلِحِينَ المُخْلِصِيْنَ الّذينَ لا تَأْخُذُهُم في اللّهِ لَومَةَ لائـم نَسأَلُ اللّهَ أَنْ يُيَسِّرَ لنا في هَذا الزَّمان أمثالَهم لنَصْرِ دينه إِنَّهُ القَادِرُ على ذَلِك .

شِعْــرًا :

نَصَحْتُكَ لاتَصْحَبْ سوى كُلِّ فَاضِلٍ ... كَرِيمِ السَّجَايَا بالتَّعَفُّفِ والظَّرْفِ
وَلا تَعْتمِدْ غَيْرَ الكِرَامِ فَوَاحِدٌ ... مِنَ النَاسِ إِنْ حَصَّلْتَ خَيْـرٌ مِنَ الأَلْفِ

شعرا :

الـمَــالُ يَــذْهَــبُ حِــلُّهُ وَحَــرَامُــهُ
طُــرّاً وتَـبْـقَــى فــي غَــدٍ آثَــامُـهُ
لَــيْسَ الـتَّــقِيُّ بـمُـتَّــقٍ لِإلاهِــهِ
حَـتَّى يَــطِيبُ شَــرَابُــهُ وطَعَــامُــهُ
وَيَــطِيبُ مَـا يَحْــوِي ويَكْسِبُ كَفُّهُ
ويَكُــوْنُ فِي حُسْنِ الحَدِيْثِ كَـلامُـهُ
نَــطَقَ الـنَّبِيُّ لَنَــا بِــهِ عَــنْ رَبِّــهِ
فَـعَلى الـنَّبِيِّ صَــلاَتُــهُ وَسَــلاَمُــهُ

اللّٰهُمَّ طهِّرْ قُلوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وعَمَلَنَا مِنَ الرِّياء وطَهِّر مَكْسَبَنا مِنَ الرِّبَا وألسُنَنَا مِنَ الكَذِبِ وَوَفِّقْنا لِمَصالِحِنَا واعصِمْنا عن ذُنوبنا وقبائحنا ولا تؤ اخذنا بِما انطوَتْ عَلَيْهِ ضمائِرُنا وأكنته سرائرنا مِن أنواعِ القبائح والمعائب واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الرّاحمين وصلّى الله على محمّد وعلى آلِه وصحبِه أجمعِين .

« فصل » في الكبر والعجب

اعْلَمْ وَفَّقَنا اللهُ وإيَّاكَ وجَمِيْعَ المُسلِمين أنَّ مِمَّا يَتأكَّدُ تَحرِيْمُهُ واجْتِنَابُه في رَمَضَانَ وَغيرِهِ الكِبْرُ والاعْجَابُ لِأنَّهُمَا يَسْلِبَانِ الفضائلَ ويَكْسِبَانِ الرذائل وليسَ لِمَنْ اسْتَوْلَيَا عليه قَبُوْلُ النُصْحِ ولا قَبُولُ التادِيْبِ لأنَّ المتكَبِرَ يَعْتَقِدُ في نفسِهِ أنه جَلِيْلٌ عَظِيْمٌ مُتَعَالٍ عن رُتْبَةِ المُتَعَلِّمِيْنَ والكِبْرُ فِي اللغة العِزَّةُ والعَظَمَةَ ومثلُه الكِبْرِياَء وقد فَسَّرَ ﷺ الكِبْرَ بأنه بَطَرُ الحقِ وغَمْطُ الناسِ والكِبْرُ والعُجْبُ مِن الصِفَاتِ النَّفْسِيَّةِ المَرْذُوْلَةِ التِي كَثِيراً مَا تُثِيْرُ الغَضَبَ والحِقْدَ وتُوْرِثُ العَدَاوَةَ والبَغْضَاءَ وَتُوْرِثُ الاحْتِقَارَ والازدِرَاءَ بالناسِ واغتيَابَهُم

وَيُجَافِي بَيْنَ الصِّدْق وكَظْمِ الغَيْضِ وقَبُولِ النُصْحِ ويُعْمِي المَرْءَ عن عُيوبِهِ ويَحُولُ بَيْنَهُ وبَينَ العِلْمِ والانقيَاد لِلْحَق .

والكِبْرُ نوعانِ أحَدُهُما التَّكَبُّرُ على الحَقِ وهُوَ رَدُّهُ وَدَفْعُهُ وعَدَمُ قَبُولِهِ وهو عالِمٌ به سَوَاءٌ كانَ مِن حُقُوقِ اللهِ أوْ مِن حُقُوقِ عِبَادِهِ فَمَعْنَى بَطَرُ الحقِ رَدُّهُ وَجَحْدُهُ وهُوَ عَالِمٌ بِهِ فكُلُّ مَنْ رَدَّ الحَقَّ فإِنَّهُ مُسْتَكْبِرٌ عنه بحَسَبِ مَا رَدَّ مِن الحَقِ ومَعْنَى غَمْطُ النَاسِ احتقارُهُم وتَنَقُّصُهُمْ وذلكَ نَاشِيءٌ عن عُجْبِ الانسانِ بِنَفْسِهِ وتَعَاظُمِهِ عَلَيْهِم فالعُجْبُ بالنفسِ يَحْمِلُ على التَّكَبُّرِ على الخَلْقِ واحتقارِهِم والاستِهْزَاءِ بِهِم وتنقيصِهِم بِقولِهِ وفعلِهِ وذلكَ أنَّ ذا العُجْبِ إِذَا مَدَّ نَظَرَهُ إلى مَنْ مِثْلِهِ أو فوقَهُ اعْتَقَدَ أنه مُمْتَازٌ عنه بمَا سَمَا بِهِ في نَظَرِ نَفْسِهِ وإِذَنْ يَرَى ذلكَ الغَيْرَ في دَرَجَةٍ مُنْحَطَّةٍ عن دَرَجَتِهِ فَيَعْتَقِدُ حِيْنَئِذٍ أنَّ مُسْتَوَاهُ فَوْقَ مُسْتَوَى غَيْرِهِ وذلكَ هُوَ الكِبْرُ بعَيْنِهِ فالعُجْبُ عَنه نَشَأَ الكِبْرُ وعَلَى أصْلِهِ تَفَرَّعَ .

ولِلْكِبْرِ أسْبَابٌ كَثِيْرَةٌ فَقَدْ تَكونُ عن صِفَةِ كَمَالٍ كَالعِلْمِ والنسبِ والجاهِ والسلطانِ وربما نشأ عن غُرورٍ وَوَهْمٍ بِحَيْثُ يَعْتَقِد أنَّهُ أكْمَلُ مِن غَيْرِهِ خَطأً وجَهْلاً وهَذَا بُرْهَانٌ عَلَى نَقْصِ عَقْلِهِ ولِذَا يَقُولُ محمدُ بن علي البَاقِرُ مَا دَخَلَ قلبَ امْرِءٍ شيءٌ مِن الكِبر إلا نَقَصَ مِن عَقْلِهِ مثل ما دخَلَ مِن ذلك قَلَّ أو كَثُرَ .

فإنْ كَانَ الكِبْرُ نَاشئاً عنِ العِلْم كانَ صَاحِبُهُ مِثَالاً سَيئاً وقُدْرَةً رَدِيْئَةً ، خُصوصاً إِذَا دَفَعَهُ الكِبْرُ إلى صِفَةٍ ذَمِيْمَةٍ كالحَسَدِ وَ الحِقْدِ ، أوْ أفْضَى بِهِ إلى ارْتِكَابِ مَظْلَمَةٍ مِن المَظَالِمِ بِيَدِهِ أو لِسَانِهِ ، فإِنَّ ضَرَرَ هَذَا لا يُقَدَّرُ ، لأَنَّ النَّاسَ يَقْتَدُوْنَ بالعُلَمَاءِ في أقْوَالِهِم وأَفْعَالِهِم ، فَيَسْتَسْهِلُونَ عِنْدَ ذَلِكَ ارْتِكَابَ الجرائمِ ، ويَسْتَبِيْحُونَ الاتصَافَ بالصِّفَاتِ الذَّمِيْمَةِ ، وفي هذا شرٌ عظيم ، وأيضاً فإن العالمَ المُتَكَبِّرَ يَنْصَرِفُ الناسُ عنه وَيَنْفَضُّوْنَ مِن حَوْلِهِ ، فلا يَنْتَفِعُ

بِعِلْمِهِ إلا مَنْ يُوَافِقُهُ عَلَى هَوَاهُ فلا يَرُدُّهُ عَن خَطأ ، ولاَ يُشِيْرُ عليه بحقٍ وَلاَ يُزَاحِمُه في غَرَضٍ ومثل هَذَا لا فَائِدَةَ مِن تَعْلِيمِهِ لِأَنَّهُ نَاقِصُ النَّفْسِ ضَعِيْفُ الارَادَةِ ومَنْ كَانَ هَذَا شَأْنُهُ فان عِلْمَهُ وَبَالٌ عليه .

أَمَّا العِلْمُ النَّافِعُ فَهُوَ الَّذِي يُرَبّيْ الأَنْفُسَ ، وَيُطَهِّرُهَا مِنَ الصِّفَاتِ الرَّدِيئَةِ ، وَيُعَرِّفُ العَبْدَ رَبَّهُ وَنَفْسَهُ وَخطَرَ أَمْرِهِ ، وهَذا يُوْرِثُ الخَشْيَةَ والتَّواضُعَ ، فَيَكُوْنُ صَاحِبُهُ مِثَالاً حَسَناً فِي النَّاسِ ، وقُدْوَةً صَالِحَةً في الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ .

وإِنْ كَانَ الكِبْرُ ناشِئاً عنْ النَّسَبِ فَإِنَّهُ رُبَّمَا يَكُوْنُ سَبَباً لِلطَّعْنِ في ذَلِكَ النَّسَبِ ، وحَمْلِ النَّاسِ على اعْتِقَادِ أَنَّهُ نَسَبٌ رَدِيءُ العُنْصِرِ ، خَسِيْسُ الأَصْلِ ، فإِنَّ النَّسَبَ الشَّرِيْفَ هُوَ الَّذي يَترَتَّبُ عَلَيْهِ آثَارٌ صَالِحَةٌ تَدلُّ عَلَى رِفْعَتِهِ وكَرَمِهِ ، أَمَّا مَنْ يَتَكَبَّرُ ويَظْلِمُ ويُؤْذِي عِبَادَ اللّهِ ويَحْتَقِرُهُمْ فإِنَّهُ لا يكونُ مِن عُنْصُرٍ طَيِّبٍ ، ولا مِنْ أَصْلٍ كَرِيم غَالِباً ، وَقَدْ يَتَّهِمُ النَّاسُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ بِأَنَّهُ وَلَدُ زِنَا ، وذلِكَ أَنَّ اللّهَ وَصَفَ النَّمامَ والفَاجِرَ والمَنَّاعَ لِلْخَيْرِ بالوَصْفِ الذَّمِيْمِ كَمَا تَقَدَّمَ وذَلِكَ لِأَنَّ الأَعْمَالَ الفاجِرَةَ تَتْبَعُ خُبْثَ المَنِيِّ غَالِباً ، مَا لَمْ يُيَسِّرَ اللّهُ لِوَلَدِ الزِّنَا بيْئَةً صَالِحَةً يَترَبَّى فِيْها ويَنْزِعُ مِنْ نَفْسِهِ تِلْكَ الصِّفَاتِ الرَّدِيْئَةِ الَّتي وَرِثَهَا مِن أَصْلِهِ واكْتَسَبهَا مِنْ وَالِدَيْهِ .

وإِنْ كَانَ الكِبْرُ نَاشِئاً عَن الجَاهِ والسُّلطانِ فإِنَّهُ غَالِباً يُفْضِيْ إِلَيّ شَرِّ أنواعِ الظُّلْمِ وانْتِهاكِ المَحَارِمِ مِن حُقُوقِ اللّهِ وحُقُوقِ خَلْقِهِ ، فَمَا تَرَتَّبَ عَلَيْهِ مَظْلَمَةٌ أَوْ ضَيَاعُ حَقٍّ فَهُوَ الكِبْرُ الضَّار .

وأَمّا العِزَّةُ الَّتي يَنْشَأُ عَنْها ما يَنْفَعُ النَّاسَ ، ومَا يَحْفَظُ كَرَامَةَ المَرْءِ وَعَدَالَتَهُ وَمَكَانَتَهُ ، مِثْلُ تَرَفُّعِ الحَاكِمِ عن مُخَالَطَةِ العَوامِ وَمُجَالَسَتِهِمْ وَمُجَامَلَتِهِمْ بِمَا يُسْقِطُ هَيْبَتَهُ أَوْ يُطْعِمُهُمْ فِي قَضَائِهِ أو يُسَهِّلُ لَهُمْ الإخلاَلَ بِمَا

يَقْتَضِيْهِ الشَّرْعُ ، فإنَّ مِثْلَ هَذَا لاَ يُعَدُّ تَكَبُّراً لأَنَّهُ إِذَا أَهْمَلَهُ الإِنسانُ لَم يَكُنْ جَدِيْراً بالحُكْمِ إنّمَا الكِبْرُ المَمْنُوعُ هُوَ أنْ لا يُبَالِي بِهِم فَلا يَسْمَعُ شَكْوَى ضَعِيْفِهِمْ ولا يَسْمَحُ لَهُ بالدُّنُو مِنْهُ لِيُعَبِّر عَن مَظَالِمِهِ ، أوْ يَحْقِد على مَنْ تَوَسَّعَ فِي الدِّفاعِ عنْ نَفْسِهِ بِما لاَ يُرْضِيْهِ ، أو أعْرَضَ عَنْ سَمَاعِ النَّصِيْحَةِ واسْتَكْبَر عن العَمَلِ بِالحَقِّ ، فإنَّهُ فِي هَذِهِ الحالةِ يكُونُ مُتكبّراً مَذْمُوْماً مَمْقُوْتاً .

لِكُـلِّ بَنِي الـدُّنْيـا مُـرَادٌ ومَقْصَـدُ
وإنَّ مُـرَادِي صِـحَّـةٌ وَفَـرَاغُ
لِأَبْلُغَ فِي عِلْمِ الشَّـرِيعَـةِ مَبْلَغـاً
يَكُـونُ بِـه لِي فِي الجِنَـانِ بَـلاَغُ
فَفِي مِثْلِ هَذَا فَلْيُنَافِسْ أُولِي النُّهَى
وَحَسْبِي مِن الـدُّنيا الغَـرُوْرِ بَـلاَغُ
فَمَـا الفَـوْزُ إلاَّ في نَعِيْمٍ مُـؤَبَّـدٍ
بِـهِ العَيْشُ رَغْـدٌ والشَّـرَابُ يُسَـاغُ

اللّهُمَّ إنّا نَسألك العفوَ والعافيةَ في دِيْنِنا ودُنْيانا وأهْلِنا وأمْوالِنا ونَسألُكَ أنْ تَغْفِرَ لَنا ولِوَالِدَيْنا وجميعِ المُسلمين برحْمتكَ يا أرحمَ الرّاحِمين وصلّى الله على مُحمّد وآلِه وصحبِهِ أجمَعين .

« موعظـة »

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ تَوَعَّدَ اللّهُ عِبَادَهُ الّذِيْنَ يُخَالِفُونَ أَمْرَهُ ويُعْرِضُونَ عَن مُرَاقبَتِهِ ويَنْصَرِفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وذِكْرِهِ ويَجْتَرِؤُنَ عَلَى مَعَاصِيْهِ بِشَدِيْدِ غَضَبِهِ وَعَظِيْمِ سَخَطِهِ وحَذَّرَهُمْ بَأسَهُ وانْتِقَامُهُ فَمَا بَالُ المُسْلِمينَ بَعْدَ القُرُوْنِ الأُوْلَى وَدُخُولِهِمْ فِي هَذِهِ الأَزمَانِ عَمَدُوا إلى مَحَارِمِ اللّهِ فارْتَكبُوهَا وَمَنْهِيَاتِهِ فاسْتَبَاحُوهَا وَمأْمُوْرَاتِهِ فاجْتَنَبُوها وَنَبَذُوْهَا وقَطَعُوا الأَسْبَابَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ خَالِقِهِمْ وَرَازِقِهِمْ

وَعَادُوْا بِمُرِّ الشَّكْوَى مِن تَغيُّرِ الأحْوَالِ وانْتِزَاعِ البَرَكَةِ مِنَ الأرْزَاقِ والآجالِ وَلَيْس الغَرِيْبُ أنْ تَذْهَبَ البَرَكَةُ مِن أرْزَاقِ العُصَاةِ وأمْوَالِهِمْ فَإِنَّ اللّهَ جَلَّ وَعَلا يَغارُ عَلَى أوَامِرِهِ أن تُجْتَنَبَ وَمَحَارِمِهِ أنْ تُرْتَكَبَ عِبَادَ اللّهِ إن المُحَافَظَةَ عَلَى أوامِرِهِ الّتِي أمَرَكُمْ بِهَا فِي كِتَابِهِ وَعَلى لِسَانِ نَبِيّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَنْزِلَةِ العَهْدِ والمِيْثَاقِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ تَعَالى أنْ يَحُوْطَكُمْ بِرَحْمَتِهِ ويُسْبِغُ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَباطِنَةً وأنْ يكُونَ مَعَكُمْ بالعَوْنِ وَالتَّوْفِيْقِ فإذا حَارَبْتُمُوْهُ بارْتِكابِ مَعَاصِيْهِ وإهْمَالِ أوامِرِهِ فقَدْ حَارَبْتُمْ بَدِيْعَ السَّمواتِ والأرْضِ ذَا القُوّةِ المَتِيْنِ وَلَسْتُمْ بِمُعْجزيْهِ أنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُم عَذاباً فِي الدُّنْيَا ولِعَذَابُ الآخِرَةِ أشَدُّ وأبْقى عِبَادَ اللّهِ اتّقُوا اللّهَ وَرَاقِبُوْهُ فِي سِرِّكُمْ وَجَهْرِكُمْ وإيَّاكُمْ أنْ تَظُنُّوا أنَ اللّهَ يُهْمِلُ المُسِيْءَ فَلاَ يُجَازِيْهِ وَلا يُحَاسِبُهُ عَلَى جُرْمِهِ وذَنْبِهِ الّذي اقْتَرَفَهُ وَمَنْ ظَنَّ ذلِكَ كَانَ مِن الّذينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالّذِينَ آمَنُوا وَما يَخْدَعُونَ إلاّ أنْفُسَهُمْ وَما يَشْعُرُوْنَ يا عِبَادَ اللّهِ قَدْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِن الأُمَمِ مَنْ اصْطَفَاهُمُ اللّهُ عَلَى عِلْمٍ عَلى العَالَمِيْن وآتاهُمْ مِنَ الآياتِ مَا فِيهِ بلاغٌ لِلعَابِدِيْن وأسْبَغَ عَلَيْهِم نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وباطِنَةً فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِها وَقالُوا نَحْنُ أبْنَاؤُ اللّهِ وأحِبَّاؤُهُ فَلَمَّا أفْسَدُوْا فِي الأرْضِ لَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ النُّذُرُ شَيْئاً وأخذَهُم اللّهُ أخْذَ عَزِيْزٍ مُقْتَدِرٍ قَالَ تَعالى ﴿وَكَذلكَ أخْذُ ربِّكَ إذا أخَذَ القُرى وهيَ ظالمةٌ إن أخْذَهُ أليمٌ شَدِيد﴾ وفي الحديث ان الله لَيُمْلِيْ لِلظَّالِمَ فإذا أخذه لم يفلته .

شعـــرا :

نَامَتْ جُفُونُكَ والمَظْلومُ مُنْتَبِـــهٌ　　　يَدْعُو عَلَيْكَ وعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَــــمِ

آخـــر :

وَمَا مِنْ يَدٍ إلاَّ يَدُ اللهِ فَوقَهَـــا　　　وَلا ظَالمٌ إلاَّ سَيُبْلَى بِظَالِـــمِ

آخـــر :

خَفِ اللّهَ في ظُلْمِ الوَرَى واحْذَرَنَّهُ　　　وخَفْ يَوْمَ عَضِّ الظّالِمينَ عَلَى اليَدِ
ولا تَحْسَبَنَّ اللّهَ عَن ذَاكَ غَافِلاً　　　ولكِنّه يُمْلِيْ لِمَنْ شَاءَ إلى الغَدِ

ولا تَغْـتَرِرْ بالحِلْم عن ظُلْم ظَالِم سَيأخُذُهُ أَخْـذاً وَبيْلاً وعـن يَـدِ

آخـــــــر :

إذَا المَرْءُ أحْمَى نَفْسَهُ كُلَّ شَهْوَةٍ لِصِحَّةِ أيَّامٍ تَبِيْــدُ وتَنْفَــدِ

فمَا بَالُهُ لا يَحْتمي عَنْ حَرَامِهَــا لِصِحَّةِ مَا يَبْقَى لَــهُ وَيُخلَّــدُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا على نَهْجِ الاسْتِقَامَةِ وَأَعِذْنَا مِنْ مُوْجِبَاتِ الحَسْرةِ وَالنَّدَامَةِ يَوْمَ القِيَامةِ وَخَفِّفْ عَنَّا ثُقْلَ الأَوْزَارِ ، وارْزُقْنَا عِيْشَةَ الابْرَارِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمْينَ برحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلى اللَّهُ على محمدٍ وعلى آلهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِين .

(وفي كتاب الأخلاق)

قَال : والكِبْرُ أنواعٌ وَأعْظَمُ أنْوَاعِ الكبر على اللهِ وَعَلى رُسُلِهِ ، وَهذا شَرُّ أنْواعِ الكِبْرِ ، لأنَّ الإنْسَانَ الضَّعِيْفَ المَخْلُوقِ مِن مَاءٍ مَهِيْنٍ ، الَّذي يَصْرَعُهُ أضْعَفُ الحَيَوانَاتِ إذا سَلَّطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ لا يَلِيْقُ بِهِ وَلا يَحِلُّ لَهُ أنْ يَتَكَبَّرَ على مَنْ خَلَقَهُ وأوجَدَهُ وَمِنْهُ يَسْتَمِدُّ بَقَاءَهُ وَيَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَفِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ .

وَمَنْ جَهِلَ قَدْرَ رَبِّهِ فَهُوَ مِنْ بَهِيْمَةِ الأنْعَامِ أوْ أَضَلُّ ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَمَّنْ اسْتَكْبَرُوْا عَلَيْهِ وَعَلى رُسُلِهِ ، وكَيْفَ يَجْهَلُ الإنْسانُ قَدْرَ إِلهِهِ القَادِرِ القَاهِرِ الَّذي أبْدَعَ العَالَمَ على أحْسَنِ إحْكَامٍ وأدَقِّ تَكْوِيْنٍ وَلَهُ سُبْحَانَهُ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ خَلْقِهِ شَاهِدٌ واضِحُ الدَّلاَلَةِ ، وحُجَّةٌ ظَاهِرَةُ البَيَانِ ، تَدُلُّ عَلى أنَّهُ هُوَ ذَلِكَ الصَّانِعُ الَّذِيْ ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيْعُ البَصِيْر﴾ فَمَنْ تَكَبَّرَ عَلى اللَّهِ فَلَمْ يُؤْمِنْ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ أوْ اسْتَكْبَرَ عن عِبَادَتِهِ فإنَّهُ سَيَرَى نَتِيجَةَ كِبْرِيَاتِهِ ذُلاًّ وَصَغَاراً وعذاباً أَلِيْمَا يَوْمَ البَعْثِ والنُّشُورِ ، فَضْلاً عَمَّا يُصِيْبُ كَثِيْراً مِنَ

المُتكبِّرِيْنَ عنْ عِبادَةِ اللّهِ مِن الانْتِقام الدُّنْيَوِيّ ، كما وَقَعَ لِلنَّمْرُوْدِ وفِرْعَوْنَ وغَيْرِهم مِنَ المُتكبرين .

وأمّا المتكبِّرُ على رُسُلِ اللّهِ فَهُوَ كالمُتَكَبِّرِ على اللّهِ فِي نَتِيْجَتِهِ فإنَّ جَزاءَهُ الخُلُودُ فِي نارِ جَهَنَّمَ ،لأنَّهُم إنَّما جاؤُوا بِتَوْحِيدِ اللّهِ وتَنْزِيهِهِ عن كُلِّ مَا لا يَلِيْقُ بِهِ ، وهِدَايَةِ النَّاسِ إِلَى سَبِيْلِ السَّعَادَةِ ، فَمَنْ اسْتَكْبَرَ عَلَيْهِم ولَمْ يُؤْمِن بِهِمْ فَقَدْ كفَرَ بِرَبِّهِ وخَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيْنا .

ولَقدْ قَالَ المستكبِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ ﴿لَوْلاَ نُزِّلَ هَذا القُرْآنُ على رَجُلٍ مِن القريتين عظِيم﴾ يُرِيْدُونَ الوليدَ بنَ المُغِيْرَةَ مِن مَكَّةَ وأبا مَسْعُودِ الثَّقفِيِّ مِن أهْلِ الطَّائِفِ ، دَفَعَهُمْ الكِبْرُ إلى أَنْ يَطْلُبوا مَنْ هُوَ عِنْدَهُمْ وفِي زَعْمِهِمْ أَعْظَمُ رِئاسَةً مِن المُصْطَفى ﷺ لأنّه غُلاَمٌ يَتِيْمٌ وإنْ كَانَ مِن أطْهَرِ أَصْلابِهِمْ وأشْرَفِ أنْسابِهِمْ فَرَدَّ اللّهُ عَلَيْهم بقَوْلِه ﴿أهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ ربِّكَ﴾ ، ذلِكَ أنَّهُمْ جَهَلَةٌ مُتَهَوِّرُوْنَ غِلاَظُ القُلُوبِ حَسَدَةُ لَمْ يُقَدِّرُوْا اللّهَ الّذِي خَلقَهُمْ وَالّذِينَ مِن قَبْلِهِم ، الحَكِيم الّذِي يَضَعُ الأشياءَ مَوَاضِعَهَا وَيُنَزِّلُ الأُمُور مَنازِلَهَا .

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ سَعْدِ بنِ أَبي وَقَّاصٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ فقَالَ المُشْرِكُونَ : اطْرُدْ هَؤُلاءِ عَنْكَ فإنَّهُمْ وَإنَّهُم ، قَالَ فكُنْتُ أنَا وابنَ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِن هُذَيْلٍ وبلالُ وَرَجلانِ نَسِيْتُ أَسْمِيْهِمَا ، قالَ فوقَعَ في نَفْسِ النَّبِيِّ ﷺ مِن ذَلِكَ مَا شَاءَ اللّهُ فحَدَّثَ بِهِ نَفسَهُ ، فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلاَ تطرد الّذِينَ يدعُون رَبَّهُم بالغداةِ والعشي يريدون وجهه﴾ وَرَوَى عن خَبابِ ابنِ الأرَتِّ ـ في سَبَبِ نُزُوْلِ هَذِهِ الآيَةِ ـ قَالَ جَاءَ الأقْرَعُ بنُ حَابِسٍ التَّمِيْمِي وعُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ الفَزَارِي فَوَجَدُوا النَّبِيَّ ﷺ قاعِداً مَعَ بِلاَلٍ وعَمَّارٍ وصُهَيْبٍ وخَبَّابٍ ، في نَاسٍ مِن الضُّعَفاءِ مِنَ المُؤْمِنِينَ ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ حَقَرُوْهُم ، فَخلوا بِهِ فقالُوا : إِنَّا نُحِبُّ أنْ تَجْعَلَ لنا مِنْكَ مَجْلِساً تَعْرِفُ لَنا بِهِ

العَرَبُ فَضْلَنَا ، فإنَّ وُفُودَ العَرَبِ تأتِيْكَ ، فَنَسْتَحيْ أن يَرانَا العَرَبُ قُعُوداً مَع هَذِهِ الأعْبُدِ فإذا نَحْنُ جِئْنَاكَ فأقِمْهُم عَنَّا ، فإذا نحْنُ فَرَغْنا فاقْعِدْهُم إن شِئْتَ ، قَالَ « نَعَمْ » ، قَالُوا : فاكْتُبْ لَنَا عَلَيْكَ كِتاباً ، فَدَعَا بالصَّحِيفَةِ ، لِيَكْتُبَ لَهُمْ ، وَدَعَا علياً لِيَكْتُبَ ، فَلَمَّا أَرادَ ذَلِكَ وَنَحْنُ قُعُودٌ فِي نَاحِيَةٍ ، إذْ نَزَلَ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فقالَ : ﴿وَلا تطْرد الّذين يدعُون ربّهُم بالغداة والعشي يريدُون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردَهُم فتكون مِنَ الظّالمين﴾ ثم ذَكَرَ الأقرعَ وصَاحِبَه فقال : ﴿وكَذَلِكَ فتنا بعضهم ببعْض لِيقولوا أهؤلاء مَنَّ الله علَيْهم مِن بيْننا أليسَ اللّهُ بأعلم بالشّاكِرين﴾ .

ثُمّ ذَكَرَنَا فقَال ﴿وإذَا جَاءَكَ الّذِين يؤ مِنُون بآياتنا فقُل سلام عليكم كَتَبَ ربُّكُم على نفسِهِ الرّحمة﴾ فرَمَى رسُولُ اللّهِ ﷺ بالصَّحِيْفَةِ وَدَعَانَا فَأَتَيْنَاهُ وهُوَ يَقُولُ ﴿سَلامٌ عَلَيكُم﴾ فَدَنَوْنَا مِنه حتَّى وَضَعْنَا رُكبَنا عِنْدَ رُكْبَتِهِ فكانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَجْلِسُ مَعَنا فإذا أَرادَ أنْ يَقُومَ قَامَ وتَرَكَنَا فأنزل الله ﴿وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عنْهُمْ تُريد زينةَ الحياةِ الدُّنْيا﴾ يقولُ لاَ تَعْدُ عَيناكَ عَنهُمْ تُجالِسْ الأشراف ﴿وَلاَ تطع مَن أغفلنا قلبه عن ذكْرنا واتّبع هَواهُ وكان أمرهُ فرطا﴾ أمّا الّذي أَغْفَلَ قَلْبُهُ عن الذِّكر فهو عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ والأقرَعُ ، وأمّا فرطا فهلاكا ، فإذا بلغْنا الساعةَ الّتِي كانَ يقومُ فِيها قُمْنَا وتركْنَاهُ حَتَّى يقُومَ ، وإلا صَبَرَ أبَدَا حتَّى نقُومَ ، رواه ابن شيبة ورواه أبو نعيم .

ومعنَى هَذَا أَنَّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ حَملَهُما الكِبْرُ والأنفَةُ علَى احتقارِ بَعْضِ هَؤلاءِ المُؤمنين لِضَعْفِهم مِن جِهَةِ المالِ والنَّسَبِ فَطَلَبَا مِنَ النَّبِيّ ﷺ أنْ يَخْتَصَّهُمْ بمَجْلسٍ لا يَشْملَ هؤلاءِ الضُّعَفاءِ وفي روايةٍ أنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بهِ إن فَعَلَ ذلِكَ وكان ﷺ حَريصاً عَلَى إيمانِ النّاسِ ، كَمَا ذَكَرَ اللّهُ عنْهُ بقوله ﴿لَعَلَّكَ باخِعٌ نفسَكَ أن لا يكُونوا مُؤمنين﴾ .

وقال ﴿فلا تَذْهَبْ نفسُكَ عليهِمْ حسراتٍ﴾ وقال ﴿فلعلّك باخعٌ نفسَكَ على آثارِهم إن لم يُؤ مِنُوا بِهذا الحديث أسفا﴾ وقال ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِم﴾ ورَأى أن هذا لا يَضُر أَصحابَهُ خُصُوْصاً بَعْدَ أن يَدْخُلَ هَذَانِ مَعَهُمَا ، فإن الدِّيْنَ كَفِيْلٌ بإِذْنِ اللّهِ في تَهْذِيْبِهِمَا فأجابَهُمَا إلى طَلَبِهِمَا .

شعـــــرا :

الدِّيْنُ رُوحٌ بِهِ تَحْيَا الأَنامُ كَمَـــا ... دَمَارُهَا أَبداً بالكُفْرِ يَنْحَتِـــــمُ
والكُفْرُ شَيْنٌ بِهِ الإِصْلاحُ مُنْعَدِمٌ ... والدِّيْنُ زَيْنٌ بِهِ الأَحْوَالُ تَنْتَظِـــمُ

ولكِنَّ اللّهَ تَعالى الّذي شَرَعَ الدِّيْنَ وَهُوَ الّذِيْ فَوْقَ عِبَادِهِ جَمِيْعاً أبى على نَبِيِّهِ ذلِكَ وأعْلَمَهُ أَنَّهُ لا يُبَالِي بالمُتَكبِّرين ، ولا يَحْفَلُ بدُخُولِهِمْ فِي دِيْنِهِ ، ما دَامَتْ أنفُسُهُمْ مُتأثِّرةً بالعِزَّةِ الكَاذِبَةِ واحْتِقَارِ المُؤْمِنِيْنَ لأنَّ دِيْنَهُ تعالَى قَدْ جَاءَ بِالقَضَاءِ عَلَى هَذِهِ الرَّذِيْلَةِ وَلَمْ يَجْعَلْ الاحْتِرَامَ وعُلُو الهِمَّةِ والمَنْزِلَةِ وَرِفْعَةِ القَدْرِ مُرْتَبِطاً بِرِفْعَةِ النَّسَبِ أوْ كَثْرةِ المالِ أوْ الجاهِ والسُّلطانِ، وإنَّمَا جَعَلَ ذلِكَ مُرْتَبِطاً بالعِلْمِ النّافِعِ وتَقْوى الله ، ولِذَا قالَ لِنَبِيِّهِ ﴿واصْبِرْ نفسَكَ مَعَ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَداةِ والعَشيِ يُرِيْدُونَ وَجْهَهُ ، ولا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيْدُ زِيْنَةَ الحَياةِ الدُّنْيا ولا تُطِعْ مَنْ أغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبعَ هَواهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ وقالَ ﴿وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَداةِ والعَشيِ﴾ ، الآية فصَدَعَ ﷺ بأمْرِ اللّهِ تَعالَى وبَلَّغَ ما أُوْحِيَ إلَيْهِ .

شعرا :

رغِبْتُ عَن الــدُّنْيـا لِعِلْمِيَ أنَّهـا
مَحَــلُّ حَيَـاةِ المَــرْءِ فِيْهَـا بَـلاَغُ
وقَدْ لاَحَ فِي فَوْدَيَّ شَيْبٌ على الرَّدَى
دَلِـيْــلٌ وفِـيْــهِ مَـا أَرَدْتُ بَــلاَغُ
وأمَّلْتُ مِن مَـوْلاَيَ نَـظْرَةَ رَحْمَـةٍ
يَكُـوْنُ بِهَـا مِنِّي إلـيْــهِ بَــلاَغُ

فـأحْظَى إذَا الأبْـرَارُ قِيْـلَ لَهُمْ غَـداً
هَلِمُّـوا إلى دَارِ النَّعِيمِ فَـرَاغُـوا
رَأيْتُ بَنَيْهـا مَـا رَمَتْهُمْ سِهَـامُهـا
فَـطَاشَتْ ولا حُمَّ الحِمَـامُ فَـرَاغُـوا
فَعُجِبْتُ إلـى دَارِ البَقَـاءِ بِهِمَّتِي
فَعِنْـدِيَ عَـنْهَـا رَاحَـةٌ وَفَـرَاغُ

اللّهُمَّ مَكِّنْ مَحبَّةَ القُرْآنِ في قُلُوبِنَا وَوفِّقْنَا لِتِلاوَتِهِ آناءَ اللّيلِ وَالنّهار اللّهُمّ وارْزُقنا العملَ بِهِ والدّعوةَ إلَيْهِ واجْعلهُ حُجّةً لنَا وقائِداً لنا إلى جَنّتِكَ وَاغْفِرْ لنا ولِوَالِديْنَا ولِجَمِيع المُسْلِمين برحمتِكَ يا أرحَمَ الرّاحِمِين وصلّى الله على مُحَمّد وآلِه وصَحْبِهِ أجمَعِين .

« موعظـة »

عِبَادَ اللّهِ إنَّمَا يَسْعَدُ المُسْلِمُونَ أنْ يَتَّبِعُوا الحَقَّ وَيَدْعُوْا إلَيْهِ ولا تَأخُذُهُمْ في اللّهِ لَوْمَةُ لائِمٍ وَيَقْبَلُوا النَّصِيْحَةَ مِمَّنْ يَنْصَحُهُمْ وَيَعْمَلُوا بِهَا رَاضِيَةً نُفُوسُهُمْ شَاكِرَةً ألْسِنَتُهُمْ غَيْرَ مُسْتَكْبِرِيْنَ وَلا مُتَعَنِّتِيْنَ وَلَمْ يُعْمِهِمُ الهَوَى عَن اتِّبَاعِ الحَقِّ إذْ ذَاكَ تَكمَلُ لَهُم السَّعَادَةُ ويَتمُّ لَهُمْ النَّعِيْمُ وقَدْ فَشَا في النّاسِ دَاءُ الكِبْرِ واسْتَحْكَمَ ولا أقْصُدُ بِذَلِكَ مِنَ الكِبْرِ الخُيَلاءَ والتَّبَخْتُرَ فَقَط وَإنَّما أقْصُدُ كِبْرَ المُتَكبِّرِ عن قَبُولِ نَصحِ النَّاصِحِ وارْشَادِ المُسْتَرْشِدِ فإنَّ الأَوَّلَ وإنْ كَانَ شَرّاً ولَكِنْ الثّانِي شَرٌّ مِنْهُ فإنَّ المَرْءَ إذا لَمْ يَقْبَلَ نَصِيْحَةَ النَّاصِحِ كان رَاضِياً عَن نَفْسِهِ وَمَتى رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ عَمِيَتْ عَن عُيُوبِهَا فَلا يُؤَثِّرُ فِيْهَا نُصْحٌ وَلاَ يَنْفَعُ مَعْهَا إرْشَادٌ لأنَّ الغُرُوْرَ مُتحَكِّمٌ فِيْهَا والشَّهَوَاتِ مُحِيْطَةٌ بِها فإذا أرادَ اللّهُ بِعَبْدِهِ خَيْراً بَصَّرَهُ بعُيُوبِ نَفْسِهِ فأَصْلَحَها واتَّهَمَهَا دَائماً بالنَّقْصِ وطَالَبَهَا بالكَمَالِ حَتَّى تَلْتَحِقَ بالنُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ والأرْوَاحِ الطَّاهِرَةِ وهكذا كان سَلفنا الصالِحُ

فَكَانَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ يَقُولُ رَحِمَ اللّهُ امْرأً أَهْدَى إليَّ عُيُوْبَ نَفْسِي وَكَانُوْا إذا أَرْشَدَهُمْ أَخٌ مِنْ إخْوانِهِمْ إِلَى عَيْبٍ في نُفُوسِهِمْ فَرِحُوا بِهَذَا التَّنْبِيْه وَطَهَّرُوْا نُفوسَهُمْ مِنْهُ وشَكَرُوْا مَنْ نَصَحَهُمْ وَجَعَلُوا نَصِيْحَتَهُ مِنَّةً لَهُ عَلَيْهِم وَلَمْ يأنَفُوا أو لَمْ يَسْتَكْبِرُوْا لأَنَّهم يَتَّهِمُونَ نُفُوسَهُمْ وَيَرَوْنَها نَاقِصَةً وَيَسْعَونَ إِلَى رِفْعَتِهَا إلى أَوْجِ الكَمَالِ وبهَذَا بَلَغُوْا مَا بَلَغُوا ونَالُوا مَا نَالُوا يا عِبَادَ اللّهِ كَيْفَ نَرْضى عنْ نُفُوسِنَا واللّهُ جَلَّ وعَلاَ يَقُولُ ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ عِبَادَ اللّهِ مَنْ مِنَّا بَلَغَ مِعْشَارَ مَا بَلَغَهُ عُمَرُ في كَمَالِ نَفْسِهِ وقُوَّةِ إِيْمَانِهِ وشِدَّةِ يَقِيْنِهِ وَقَدْ كَانَ يَقُوْلُ لأَصْحَابِهِ مَن رَأَى مِنْكُمْ فِيَّ اعْوِجَاجاً فَلْيُقَوِّمْهُ هَكَذَا كَانَ ظَنُّهُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ بنفْسِهِ على جَلاَلَةِ قَدْرِهِ وعُلُوِ مَنْزِلَتِهِ فِي دِيْنِهِ وكُلُّ مَا كَان أكْبَرَ كَانَ أقَلَّ اعْجَاجاً بِنفْسِهِ وأكثَرَ مُطَالَبَةً لَهَا بسُلُوكِ طَرِيْق الحَقِّ .

شعْراً: نَالُوا بِذَلِكَ فَرْحَةً وسُرُوْرَا ... وَسَعَوْا فأَصْبَحَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورَا
قَوْمٌ أَقَامُوْا لِلإِلَـهِ نُفُوسَهُمْ ... فَكَسَا وُجُوْهَهُمُ الوَسِيمَةَ نُوْرَا
تَرَكُوْا النَّعِيْمَ وطَلَّقُوا لَذَّاتِهِم ... زُهْدًا فَعَوَّضَهُمْ بِذَاكَ سُرُوْرَا
قامُوْا يُنَاجُوْنَ الإِلَهَ بأَدْمُعٍ ... تَجْرِيْ فَتَحْكِي لُؤْلُؤًا مَنْثُورَا
سَتَرُوْا وُجُوهَهُمُوْا بأَسْتَارِ الدُّجَى ... لَيْلاً فأَضْحَتْ فِي النَّهارِ بدُوْرَا
عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوْا فَجَادُوْا بالذِيْ ... وجَدُوْا فأَصْبَحَ حَظُّهُم مَوْفُورَا
وإِذَا بَدَا لَيْلٌ سَمِعْتَ أَنِيْنَهُمْ ... وشَهِدْتَ وَجْدًا مِنْهُمُوْا وزَفِيْرَا
تَعِبُوْا قَلِيلاً في رِضَا مَحْبُوبِهِم ... فَأَرَاحَهُمْ يَوْمَ المَعَادِ كَثِيْرَا
صَبَرُوا عَلى بَلْوَاهُمُوا فَجَزَاهُمُوْا ... يَوْمَ القِيَامَةِ جَنَّةً وحَرِيْرَا

اللهم اجعلنا من اهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك وَصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آله وَصَحْبِهِ اجمعين

(فَصْــــلٌ)

وأمَّا التَّكَبُّر عَلى خَلْقِ اللّهِ فَهُوَ مِنْ شَرِّ الرَّذَائِلِ وأسْوَءِ الصِّفَاتِ ، لأنَّهُ يَسْتَلْزِمُ مَظَالِمَ شَائِنَةً وجَرائِمَ مَمْقُوْتَةً وقدْ يُفْضِيْ بِهِ ذلِكَ إلى التَّكبُّرِ عَلَى اللّهِ وعَلى رُسُلِهِ لأنَّ اللّهَ تَعالى نَهى عَنْ ارْتِكَابِ تِلْكَ المَظَالِمِ ، وَحَذَّرَ عَاقِبَةَ شَرِّهَا ، فَلَمْ يُبَالِ بِهِ ولمْ يَخْشَى وَعِيْدَهُ ، ولمْ يَخفْ بَطْشَهُ ، وفي ذَلِكَ كِبْرٌ وعُتُوٌ وتَمرُّدٌ .

وأيضاً فإنَّ المُسْتَعْظِمَ عَلَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللّهِ لا يُصْغِيْ لِقَوْلِهِ مَهْمَا كَانَ حَقّاً مفْرُوْضاً ولاَ يَدَّخِرُ مَجْهُوْداً في رَدِّهِ بالباطِلِ وهَذا مِن أخْلاقِ الكَافِرِيْنَ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُوْنَ على اللّهِ فَمَنْ أجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ اللّهُ الكِبْرَ ونَهى عنْهُ نَهْياً شَدِيْداً ا هـ بتصرف .

وَقَدْ وَرَدَتْ آياتٌ وأحَادِيثُ في ذَمِّ الكِبْرِ والنَهْي عَنْهُ مِن ذَلِكَ آيَةُ سُوْرَةِ الأعْرَافِ المُشِيْرَةِ إلى حِرْمَانِ الحَقِّ وعَمَى القَلْبِ عَنْ مَعْرِفَةِ آياتِ اللّهِ تَعالى وفَهْمِ أحْكَامِهِ ، قَالَ تَعَالى : ﴿سأَصْرِفُ عن آياتِي الّذِينَ يَتكَبَّرُوْنَ فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وإنْ يَرَوْا كُلَّ آيةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا ، وإنْ يَرَوْا سَبِيْلَ الرُّشْدِ لا يَتّخِذُوْهُ سَبِيْلا وإنْ يرَوْا سَبِيْلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيْلا ، ذلِكَ بأنّهم كذَّبُوْا بآياتِنا وكانُوا عَنْها غَافِلين﴾ .

وقال تعالى ﴿كذَلِكَ يطْبعُ الله على كلّ قَلْبِ متكبر جبَّار﴾ وقال ﴿إنّه لا يُحِبُّ المُسْتَكْبِرِيْن وقال تعالى ﴿تِلْكَ الدّار الاخِرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا﴾ وقال ﴿وَلاَ تمشي في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾ وقال ﴿ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ وقال ﴿وَلاَ تُصعِّرْ خدَّك للناس ولا تمشي في الأرض مرحا﴾ وعن أبي هُريرَةَ رضيَ الله عنْهُ أن رسُول الله ﷺ قال : « لا

يَنْظُرُ اللّهُ يَوْمَ القِيامَةِ إلى مَن جَرَّ إزارَهُ بَطَرا » متفق عليه ، وعنْهُ أن رَسُولَ اللّهِ ﷺ قال : « بَيْنما رَجُلٌ يَمْشِي في حُلَّةٍ ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ رأْسَهُ ، يَخْتالُ فِي مِشْيَتِهِ خَسَفَ اللّهُ بِهِ فهُوَ يَتجلْجلُ في الأرضِ إلى يوْمِ القِيامَةِ متفق عليه .

وعن ثوبانَ رضِيَ اللّهُ عَنْهُ قال رسُولُ اللّهِ ﷺ « مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِن الكِبْرِ والغُلُولِ والدَّيْنِ دَخلَ الجَنَّةَ » رواه الترمذي واللفظ له والنسائي، وابنُ مَاجَه وابن حبان في صحيحه .

وعن أبي سعيد وأبي هُريرة رضي الله عنهما قال (قال رسولُ الله ﷺ « يقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجلَّ : العِزُّ إزارِي - والكِبْرياءُ رِدائِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي شَيْئاً مِنهُمَا عَذَّبْتُهُ » رواه مسلم بلفظ « يقُولُ اللّهُ عزْ وجلّ : العِزُّ إزارُهُ ، والكبْرِياءُ رِداؤُهُ ، فَمَن يُنازِعُني عَذَّبْتُهُ » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسولُ الله ﷺ « يقولُ اللّهُ جلّ وعلاّ : الكِبْرِياءُ رِدائي والعَظَمَةُ إزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ في النّارِ » رواه ابن ماجه واللفظ له وابن حبان في صحيحه .

وعن حارثةَ بنِ وَهْبٍ رضِيَ اللّهُ عنه قال سَمِعْتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقولُ : « ألا أخْبِرُكُم بأهلِ النّارِ؟. كُلُّ عتلٍ جواظٍ مُسْتَكْبِرٍ رواه البخاري ومسلم » .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول اللّهِ ﷺ قال : « مَنْ تَواضَعَ لِلّهِ دَرَجَةً يَرْفَعُهُ اللّهُ دَرَجَةً حَتّى يَجْعَلَهُ اللّهُ في أعْلَى عِلّيينَ - وَمَن تَكَبَّر عَلَى اللّهِ دَرَجَةً يَضَعُهُ اللّهُ دَرَجَةً ، حَتّى يَجْعَلَهُ فِي أسْفَلِ سَافِلِيْنَ ، وَلَو أنَّ أحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ صَمّاءَ لَيْسَ عَلَيْها بابٌ وَلاَ كُوَّةٌ لَخرَجَ ما غَيَّبَهُ لِلنّاسِ كائناً مَا كَانَ » رواه ابنُ ماجه وابنُ حبان في صحيحه .

وَعَنْ أبي سعيدٍ الخدري رضيَ اللّهُ عَنْهُ عن النّبيِّ ﷺ قال « احْتَجّتِ الجنّةُ والنّارُ فقالت النّارُ : فِيَّ الجَبّارُوْنَ والمتكبِّرُوْنَ ، وقالَت الجنّةُ : في

ضُعَفَاءُ المُسْلِمِينَ ومَسَاكِيْنُهُمْ ، فَقَضَى اللَّهُ بَيْنَهُمَا : إِنَّكَ الجَنَّةُ رحْمَتِي أرْحَمُ بِك مَنْ أشَاءُ ، وإنّكَ النّارُ عَذَابِي أُعذِّبُ بِك مَنْ أشَاءُ ، ولِكلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤها » رواه مسلم .

وعنْ أَبي سلمةَ بن عبدِ الرّحمنِ بنِ عَوْفٍ قال الْتقَى عَبْدُ اللّهِ ابنُ عُمَرَ وعَبْدُ اللّهِ بنُ عمْرَو بنِ العاص رضي اللّهُ عَنْهُمْ عَلَى المَرْوَة فَتَحَدَّثَا ثمّ مَضَى عَبْدُ اللّهِ بنُ عَمْرو وبَقِيَ عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ يَبْكِيْ فَقَالَ ـ لَهُ رَجُلٌ مَا يُبْكِيْكَ يَا أبَا عَبْدِ الرّحمنِ ؟ قال هذَا . يَعْنِي عَبْدَ اللهِ بنِ عَمْرو زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُوْلَ اللّهِ ﷺ يقُولُ « مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ كبَّهُ اللّهُ لِوَجْهِهِ فِي النّارِ » رواه أحمد ورواته رواة الصحيح . بلغ يا أخي هذا الحديث حاملي الماجستير والدكتوراه والبكالوريوس والعالمية ونحوهم من يرون الناس بعين الاحتقار والتنقص لما عندهم من الكِبْرِ والعُجْبِ والعَظمةِ .

شعـــرا :

لَوَ عَرَفَ الإنسانُ مِقْـــداره   لَمْ يَفْخَرِ المَوْلَى عَلى عبـــده
أَمْسَ الذي مَرّ عَلى قُرْبِــــهِ   يَعْجَزُ كُلُّ الخَلْـــق عن رَدِّه

آخـــر :

لا تفخَرنَّ بما أُوْتِيْتَ مِن نعَـــمٍ   عَلى سِوَاكَ وخَفْ مِن مَكْرِ جَبَّارِ
فأنْتَ في الأَصْلِ بالفخَّارِ مُشْتَبِهٌ   مَا أَسْرَعَ الكَسْرِ في الدُنْيا لِفَخَّارِ

آخر : اعْجَبْ لمُحْتَكِـرِ الـدُّنْيـا وبَـانِيْهَـا
وعن قَـرِيبٍ عَـلى كُـرْه يُخَـلّيْهَـا
دَارٌ عَـواقِبُ مَفْـرُوْحَـاتِهـا حَـزَنٌ
إِذَا أَعَـارَتْ أَسَـاءَتْ في تَقَـاضِيْهَـا
يـا مَنْ يُسَـرُّ بِـأَيَّـامٍ تَسِيْـرُ بِـهِ
إلـى الـفَـنَـاءِ وأَيَّـامٍ يُـقَـضِّيْـهَـا

قِفْ في مَنَـازِلِ أَهْلِ العِـزِّ مُعْتَبِـراً
وأنْـظُر إلَى أيِّ شَيءٍ صَـارَ أَهْلُوهَـا
صَـارُوا إلـى جَدَثٍ فِيْهِ مَحَـاسِنُهُـم
على الثَّـرَى ودِويُ الـدُّوْدِ يَعْلُوهَـا

اللهم يَسِّرْنَا لِلْيُسْرَى وجَنِّبْنَا العُسْرَى واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْن واغْفِر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« موعظة »

عِبادَ اللَّهِ لَقَدْ كَانَتِ القُلُوبُ مَوْضِعَ العِنَايَةِ التَّامَّـةِ عِنْدَ السَّلَفِ الصَّالِحِ لأَنَّهُمْ يَعلمون أنّها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَـدُ كُلُّهُ » وذلكَ لأَنَّهـا مَبْدأُ الحَـركَاتِ البَـدَنِيَّةِ ، والإِرادَاتِ النَّفْسانِيَّة ، فإن صَدَرَتْ مِن القُلُوبِ إرادَةٌ صَالِحَةٌ تحَرَّك البَدَنُ حَرَكَةً طاعة ، وان صَدَرَتْ عَنْهَا ارادَةٌ فَاسِدَةٌ تَحرَّكَ البَدَنُ حَركَةً فَاسِدَةً ، فَهُوَ كَمَلِكٍ والأعْضَاءُ كَالرَّعِيَّةِ ، ولا شَكَّ أَنَّ الرَّعِيَّةِ تَصْلَحُ بِصَلاحِ المَلِكِ وَتَفْسُدُ بِفَسَادِهِ ، وكانَ وَاجِباً عَلَيْنا أن نَكُونَ كَما كانَ سَلَفُنَا في العِنَايَةِ بِهاتَيْكَ القُلُوبِ لأنَّ بِهَا سَعَادَتُنَا بإِذْنِ اللهِ وَبِهَا شَقَاؤُنَا ، ولكن يَا لِلأَسَفْ مَا كَان مِن ذَلِكَ شَيْءٌ والذي كانَ مِنَّا أَنَّنَا أَهْمَلْنا قُلوبَنَا إهْمَالاً تَتَجرَّحُ لَهُ القُلُوبُ ، وَتَذُوْبُ لَهُ الأَكْبَـادُ وَلِذَلِـكَ نَشَأَ فِيْنَـا نَتِيجَةَ الإِهْمَـالِ كَثْرَةُ الأَمْرَاضِ فِي القُلُوبِ وَتَشَعَّبَتْ وَأَعْضَلَتْ وَصَعَبَ شِفَاؤُهَـا ، وانْعَدَمَ أَطِبَاؤُهَا وَمَنْ وَصِلَ إلى هَذَا الحَدِّ فَهُوَ في خَطَرٍ عَظِيْمٍ .

فَمِنْ الأَمْرَاضِ التِي أَزْمَنَتْ فِي قُلُوبِنَا مَرَضُ الرِّياءِ الذِي لا يَكَادُ يَسْلَمُ منه إلاَّ النَّوادِرُ ، وَمِنَ الأَمْرَاضِ التِي أُصِبْنَا بِهَا مَرَضُ العُجْبِ ، ولِهَذَا يَعْتَقِدُ

الصغيرُ مِنَّا والكبيرُ الكَمالَ في نَفْسِهِ ومَن اعْتَقَدَ ذلكَ في نَفْسِهِ هَوَى لأَنَّهُ لا يَلْتَفِتُ إلى مَا بِهِ كَمَالُ الرِّجَالِ ، وَمَرَضٌ يُنْتِجُ مَرَضاً آخَرَ هُوَ مَرَضُ الكِبْرِ وَصْفُ الأَنْذَالِ والأَرْذَالِ والجُهَّالِ ، والمُتَكَبِّرُ لا يُنْظَرُ إليه بعَيْنِ الرضَا والكِبْرُ يَنْشأُ عنه مَرَضُ الحَسَدِ والحَسُودُ يَتَمَنَّى زَوالَ نِعْمَةِ اللهِ عَن خَلْقِهِ ، والحَسَدُ يُوَلِّدُ الحِقْدَ الذي رُبَّمَا حَملَ صَاحِبَهُ على قَتْلِ مَنْ لا ذَنْبَ لَهُ إلَّا ما أَوْلاَهُ اللهُ مِن النِّعَمِ ، ولَيْسَ هَذَا كُلُّ مَا فِي قُلُوبِنَا مِن الأَمْرَاضِ بَلْ فِيْهَا مَرَضُ البُخْلِ وَالشُّحِّ الذِي وَصلَ بِنَا إلى مَنْعِ الزكاةِ أَو بَعْضِهَا ، وغيرُ ذَلِكَ كَثِيرٌ وَكُلُّهَا أَمْرَاضٌ مُهْلِكَاتٌ ، ونحنُ لا نَهْتَمُّ بقُلُوبِنَا ولا بأَمْرَاضِهَا وإِنَّمَا نَهْتَم بأَمْرَاضِ أَجْسَامِنَا ، ونُبَادِرُ في عِلاَجِهَا إلى المُسْتَشْفَيَاتِ ، وأَمْرَاضُهَا يَسِيْرَةٌ بَسِيْطَةٌ بِالنِّسْبَةِ إلى أمْرَاضِ القُلُوبِ ، ونَهْتَمُّ أَيْضاً بِجَمَالِ ظَوَاهِرِنَا فَنُبَالِغُ فِي تَحْسِيْنِ مَلاَبِسِنَا ومَرَاكِبِنَا ومَسَاكِنِنَا ومَجَالِسِنَا وأبْدَانِنَا ، أنْظُرْ إِلَيْنَا عِنْدَ الذَّهَابِ إِلَى مَقَرِّ العَمَلِ لِتَتَعَجَّبَ مِن تَغْفِيْلِنَا وانْخِدَاعِنَا ، ولَو كانَتْ عنَايَتُنَا بالقُلُوبِ كَعِنَايَتِنَا بالمَلاَبِسِ فَقَطْ مَا كُنَّا بِهَذِهِ الحَالاَتِ المحزنات .

شعـــرا :

تِفكَّرْتُ في الدنيا فابْصِرْتَ رُشْدَهَا   وذلَّلْتُ بالتَّقْوى مِن اللهِ حَـــدَّهَا
أسَأتُ بها ظناً فأَخْلَفْتُ وَعْدَهَــا   وأَصْبَحْتُ مَوْلاهَا وقد كُنْتُ عَبْدَهَا

آخر :

خَلِيْــلَيَّ قُومَا فـاحْمِلاَ لِي رِسَالَـةً
وقُــولاَ لِــدُنْـيـانَـا الَّتِي تَـتَـصَنَّـعُ
عَـرَفْنَاكِ يـا خَدَاعَـةَ الخَلْقِ فـاذْهَبِي
أَلَسْنَــا نَـرَى مـا تَصْنَعِيْنَ وَنَسْمَـعُ
فــلا تَـتَـجَلِّيْ لِلْعُيُـونِ بِـزِيْنَـةٍ
فــإنَّــا مَتَى مَـا تَسْفُـرِي نَـتَقَـنَّـعُ
نُغَـطِي بثَوْبِ اليَـأسِ عَنْكِ عُيُـونَنَـا
إِذَا لاَحَ يَـوماً مِن مَخَـازِيْكِ مَـطْمَعُ

رَتَعْنَا وجُلْنَا في مَـراعِيْكِ كُلِّهَـا
فلم يَهْنَنَـا فِيْمَـا رَعَيْنَـاهُ مَـرْتَـعُ

آخـر :

يَا آمِرِيْ باقْتِنَاءِ المَالِ مُجْتَهِداً   كَيْمَا أَعِيْشُ لِمَالِيْ في غَدٍ رَغَداً
هَبْنِيْ بِجَهْدِيَ قَدْ أصْلَحْتُ أَمْرَ غدٍ   فَمَنْ ضَمِيْنِيْ بِتَحْصِيْلِ الحَيَاةِ غَدَا

اللهم أرِنا الحقَّ حَقاً وارْزُقْنَا اِتِّبَاعَه ، وأَرنا الباطل باطلاً وجَنِبْنَا اِتِّبَاعَه ، واغفر لنا ولوالدينَا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل)

عن حذيفةَ رضي الله عنه قال كُنَّا مَعَ النبي ﷺ في جَنَازَةٍ قال : « أَلاَ أُخْبِرُكُم بشَرِّ عِبَادِ اللهِ ؟ : أَلفَظُ المُسْتَكْبِرُ ، ألا أُخْبِرُكُم بِخَيْرِ عِبَادِ اللهِ ؟ الضَعِيْفُ المُسْتَضْعَفُ لله ، ذُوْ الطِّمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَو أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ » رواه أحمد ورواته رواةَ الصحيح إلا محمدَ بنَ جابرٍ .

وعن عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ رضيَ اللهُ عنه أنه مَرَّ في السُّوْقِ وعليه حُزْمَةٌ مِن حَطَبٍ ، فَقِيْلَ لَهُ مَا يَحْمِلُكَ عَلَى هَذا ، وقَدْ أغْنَاكَ الله عن هَذا ؟ قال أَرَدْتُ أنْ أَدْفَعَ الكِبْرَ ، سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقولُ « لا يَدْخُلُ الجنةَ مَن في قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ مِن كِبْرٍ » رواه الطبراني باسناد حسن والاصبهاني إلا أنه قال ذَرَّةٍ مِن كبر .

وعن عمروِ بنِ شُعَيْبٍ رضي الله عنه عن أَبِيهِ عن جَدِّهِ قال قال رسولُ اللهِ ﷺ يَحْشَرُ المُتَكَبِرُونَ يومَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِ في صُوَرِ الرِجَالِ يَغْشَاهُم الذُلُّ مِن كُلِّ مَكَانٍ يُسَاقُونَ إلى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ بُوْلَس ، تَعْلُوهُم نارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِن عِصَارَةِ أهلِ النارِ طِيْنَةِ الخَبَال . رواه النسائي والترمذي واللفظ له

وقال حديث حسن وعن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي اللهُ عنه عن النبي ﷺ قالَ « لا يَدْخُلُ الجنةَ مَن كَانَ في قَلْبِه مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْر » فقالَ رجلٌ : إن الرَّجُلَ يُحِبُّ أن يَكُونَ ثوبُهُ حَسَناً ، ونَعْلُهُ حَسَنَة قال إن اللهَ جَمِيْلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وغَمْطُ الناسِ » رواه مسلم والترمذي .

وعن ابنِ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبِيَ ﷺ قال : « مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيلَاءَ لَم يَنْظُرِ اللهُ إليه يَوْمَ القِيَامَةِ فقال أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : يا رَسُوْلَ اللهِ إن إزاري يَسْتَرْخِيْ إلا أنْ أتعَاهَدَهُ . فقال لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ « إنكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خُيلَاءَ » رواه مالك والبخاري واللفظ له .

وعن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول : « مَنْ تَعظَّمَ في نَفْسِهِ واخْتَالَ في مِشْيَتِهِ لَقِيَ اللهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى وهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَان » رواه الطبراني في الكبير واللفظ له ورواته محتج بهم في الصحيح والحاكم بنحوه وقال صحيح علي شرط مسلم .

وعن خولةَ بنتِ قَيْسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال « إذا مَشَتْ أُمّتِيْ المُطَيْطَاَ ، وخَدَمَتْهُمْ فَارِسُ والرُّوْمُ ، سُلِّطَ بَعْضُهُم عَلَى بَعْضٍ » رواه ابنُ حِبَّانَ في صَحِيحِهِ وَرَواهُ التِّرمِذيُّ وابنُ حبّان أيضاً مِن حديث ابنِ عُمَرَ ، وَرُوِيَ عن أسماءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْها قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ واخْتَالَ ونَسِيَ الكَبِيْرَ المُتَعَالِي ، بِئْس العَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ واعْتَدَى ، وَنَسِيَ الجَبَّارَ الأعْلَى ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ سَهَا.ولَها ، وَنسي المَقَابِرَ والبِلَى ، بِئْسَ العَبْدُ عبْدٌ عَتى وَطغَى ، وَنَسِيَ المُبتَدَأَ والمُنْتَهى بِئْسَ العَبْدُعَبْـدٌيَخْتلُّ الدُّنْيا بالدِّين ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ يَخْتلُّ الدِّيْنَ بالشُّبُهاتِ ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ طَمِعٌ يَقُودُهُ ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ هَوَىً يُضِلُّهُ ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ رَغبٌ يُذِلُّهِ رواه التِّرمِذِيْ .

شعرا : لا تَبخَلَنَّ بِدُنَياً وَهْيَ مُقْبِلَةٌ   فَلَا يَضُرُّ سِوَى التَّبْذِيْرُ وَالسَّرَفُ
وَإِنْ تَولَّتْ فَأَحْرَى أَنْ تَجُودَ بِهَـــا   فَالشُّكْرُ مِنْهَـا إِذَا مَا أَدْبَـرَ خَلِـفُ

آخر : إنَّ المؤنَةَ وَالحِسَاب كِلَيْهِمَا قُرِنَا بِهَـذا الدِّرهـم المَذْمُـوْمِ
كَلِفَ الأنـامُ بِذمِّـهِ وَبِضمِّـهِ فَتَعَجَّبُـوا لِمُذَمّـمٍ مُضمُـوْمِ

وعَنْ أبي هُريرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَال قَال رسُولُ اللّهِ ﷺ « ثَلاثَةٌ لا يُكلِّمُهُمْ اللّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ولا يُزَكِّيهم وَلا يَنْظُرُ إلَيْهِم ولَهُمْ عَذابٌ ألِيم ، شَيْخٌ زَانٍ ، ومَلِكٌ كَذابٌ ، وعائِلٌ مُستكبر » راه مسلم والنسائي ، وعنهُ رضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ قَال رسُولُ اللّهِ ﷺ « أرْبَعَةٌ يُبْغِضُهُمْ اللّهُ البيَّاعُ الحَلاَّفُ والفَقِيرُ المُخْتَالُ ، والشَّيْخُ الزَّانِي ، والإمامُ الجَائِرُ » رواهُ النّسائي وابن حبّان في صحيحِهِ .

وعَنْهُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رسُولُ اللّهِ ﷺ « عُرِضَ عَليَّ أوَّلُ ثَلاثَةِ يَدْخُلونَ النَّارَ : أَمِيرٌ مُسَلَّطٍ ، وَذُوْ ثَرْوَةٍ مِن مَالٍ لا يُؤَدِّيْ حَقَّ اللّهِ فِيهِ ، وَفَقِيْرٌ فَخُورٌ » رواهُ ابن خُزيمة وابن حبّان في صحيحِهِ .

وأخْرَجَ ابنْ ماجَه والحاكِمِ وصحّح إسنادَه أنّ رسُول اللّه ﷺ بَصَقَ يَوْماً عَلَى كَفِّهِ وَوَضَعَ أصْبعَهُ عَلَيْهِ وَقال : « يَقُولُ اللّهُ تَعالى : ابنَ آدَمَ أتُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ ؟ حَتَّى إذَا سَوَيْتُكَ وَعَدَّلْتُكَ ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْين ، ولِلأَرْضِ مِنْكَ وَئِيْدٌ ، جَمَعْتَ وَمَنَعْتَ ، حَتَّى إذا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ، قُلْتَ أتَصَدّقُ ، وأنَّي أوَانُ الصَّدَقةِ » واللّهُ أعلم وصلّى الله على مُحمّد وآلِه وصَحبِهِ وسلّم .

شعـــرا :

دَعِ الكِبْرَ واجْنَحْ لِلتَّواضِعِ تَشْتَمِلْ وِدَادَ مَنِيعِ الوِدِّ صَعْبٌ مَراقُـهُ
وَدَاوِ بِلِيْنٍ مَا جَرَحْتَ بِغِلْظَـةٍ فَطِبُّ كَلام المَرءِ طِيْبُ كَلامِـهِ

آخـــر :

حَقيقَ بالتواضع مَنْ يَمُوتُ ويَكْفِي الْمَرْءَ مِن دُنْياهُ قوتُ
فما لِلْمرءِ يُصْبح ذَا هُمُوْمٍ وحِرْصٍ ليسَ يُدْرِكُهُ النُعوتُ
فيا هذا سَتَرْحَلُ عن قَرِيْبٍ إلى قَوْمٍ كَلَامُهُمُ السُكُوتُ

آخـــر :

تَذَلَّـلْ لِمَـنْ إنْ تَذَلَّـلْتَ لَهْ ... يَرَى ذَاكَ لِلْـفَضْلِ لا لِلْبَلَـهْ

وَجَـانِبْ صَدَاقَـةَ مَنْ لَمْ يَزَلْ ... عَلَى الأَصْدِقَاءِ يَرَى الفَضْلَ لَهْ

آخر : إذَا تَاهَ الصَّدِيْقُ عليكَ كِبْراً ... فَتِـهْ كِبْـراً عَلى ذَاكَ الصَّدِيْـقِ

فَايْجَـابُ الحُقُـوْقِ بِغَيْـرِ رَاعٍ ... حقُوقَكَ رَأسُ تَضْيِيْعِ الحقـوق

آخر : تَواضَعْ إذا مَا نِلْتَ في الناسِ رِفْعَةً ... فإنَّ رفِيْعَ القَومِ مَنْ يَتَواضَـعُ

وَدَاوِمْ على حَمْدِ الإلهِ وَشُكْرِهِ ... وذِكْرٍ لَهُ فَهْوَ الذِيْ لَكَ رَافِـعُ

آخـــر :

يا غافلاً عن سَاعَةٍ مَقْرُونَةٍ ... بنـوَادِبٍ وصَوَارِخٍ وثَوَاكِـلِ

قَـدِّمْ لِنفْسِكَ قَبْلَ مَوْتِـكَ صَالِحاً ... فـالمَوْتُ أَسْـرَعُ مِن نُزُوْلِ الهَـاطِلِ

حَتَّـامَ سَمْعُـكَ لا يَعِي لِمُـذَّكِـرٍ ... وصَـمِيْـمُ قَلْبِـكَ لا يَـلِيْنُ لِعَـاذِلِ

تَبْغي مِنَ الـدُّنْيـا الكَـثِيْـرَ وإنَّمَـا ... يَكْفِيْـكَ مِنْ دُنْيَاكَ زَادُ الـرَّاحِـلِ

آيُ الكِتـابِ يَهُزُّ سَمْعَـكَ دائِمـاً ... وتَصُمُّ عَنْهـا مُعْرِضـاً كـالغَـافِـلِ

كَمْ لِـلإِلـهِ علَيْـكَ مِن نِعَمٍ تُـرَى ... وَمَـواهِـبٍ وفَـوائِـدٍ وفَـوَاضِـلِ

كَمْ قَـد أَنالَـكَ مِن مَـوَانِـحِ طَـوْلِـهِ ... فـأَسْأَلْـهُ عَفْواً فهُـوَ غَـوثُ السَّـائِـلِ

اللّهُمَّ مَكِّنْ حُبَّكَ في قُلوبِنا وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ ووفّقْنا لامْتِثالِ طَاعَتِكَ وأَمْرِكَ واغْفِرْ لَنَا ولِوالِدِيْنَا ولجَمِيعِ المُسْلِمينَ بِرَحْمتِك يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِين وصلّى الله على مُحَمّد وآلِهِ وصحْبِهِ أجمَعِين .

موعظــة » عِبادَ اللّه مَن تَكَبَّرَ أَذَلَّهُ وَمَنْ تَواضَعَ لِلّهِ رَفَعَهُ اللّهُ والمُتَكَبِّرُوْنَ يُحْشَرُوْنَ يَوْمَ القِيامَةِ في صُوَرِ الذَّر تَطؤُهُمْ النّاسُ لِهَوانِهِمْ عَلى اللّهِ تعالى المُتَكَبِّرُوْنَ شِرارَ الخَلْقِ وأهلُ النّارِ كُلُّ جَعْظَرِيّ جَواظٍ مُسْتَكْبِرٍ ، المُتَكَبِّرُ يَشْمَخُ بأنْفِهِ إذا تَكَلَّمَ ، وَيُجافِي مِرْفَقَيْهِ عَن جَنْبَيْهِ لَاوِياً عُنُقَهُ، يُقارِبُ خُطاهُ إذا مَشى ، مُتَطاوِلاً عَلى إخْوانِهِ ، مُتَرفِّعاً على أقْرانِهِ ، يَنْظُرُ النّاسَ شَزَراً بمُؤخَّرِ العَيْنِ ، مُتَقَدِّماً عَلَيْهِم إذا مَشى ، مُحْتَقِراً لِلْعامَّةِ ، ولا فَرْقَ عِنْدَهُ بَيْنَهُم وَبَيْنَ الحَميرِ اسْتِجْهالاً مِنْهُ لَهُم ، فالمُتَكَبِّرُ لا يُحِبُّ لِلْمُؤْمِنينَ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، لأنَّهُ لا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، ولا يَقْدِرُ على التَّواضُعِ وَهُوَ رَأسُ أخْلاقِ المُتَّقِيْنَ ، وَلا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ الحِقْدِ ، وَلا يَقْدِرُ أنْ يَدُوْمَ عَلَى الصِّدْقِ ، ولا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ الغَضَبِ ، وَلا عَلَى كَظْمِ الغَيْظِ ، ولا يَسْلِمُ مِنَ الازْدِراءِ بالنّاسِ واحْتِقارِهِم ولَا يَسْلَمُ مِنْ اغْتِيابِهِمْ ، وتَنْقُصهِمْ ، لِأَنَّ فِيْهِ مِنَ العَظَمَةِ والعِزَّةِ والكِبْرِيَآءِ ، ما يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَما مِن خُلُقٍ ذَمِيْمٍ إلا وَصاحِبُ الكِبْرِ والعَظَمَةِ مُضطَّرٌ إلَيْهِ ، لِيَحْفَظَ بِهِ عِزَّهُ وَعَظَمَتُهُ ، وَما مِن خُلُقٍ مَحْمُوْدٍ إلّا وَهُوَ عاجزٌ عَنْهُ خَوْفاً مِن أنْ يَفُوتَهُ عِزُّهُ وعَظَمَتُهُ ، ولِذَلِكَ وَرَدَ فِي الحَدِيْثِ أنَّهُ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن فِي قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ ،ومِمَّا جاءَ فِي وَصِيَّةِ لُقْمانَ لابنِهِ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إنَّ اللّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُور » ومِن تَعالِيمِ رَبِّنا لِهَذِهِ الأُمَّةِ ونَبِيِّها عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، بقَولُ تَعالى :. ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إنّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ ولَنْ تَبْلُغَ الجِبالَ طُوْلَا﴾ فَيا أَيُّها المُتَكَبِّرُ النّاظِرُ فِي عِطْفَيْهِ ، المُتَعاظِمُ فِي نَفْسِهِ ، إنَّ شأنَكَ حَقِيْرٌ ، وَقَدْرُكَ صَغِيْرٌ وَلَسْتَ بمَحْسُوبٍ في العِيْرِ ، ولا في النَّفِيْرِ ، وَما لَكَ عِنْدَ عاقِلٍ مِنْ حِسابٍ ، ولا تَقْدِيْرٍ ، لَا قَلِيْلٍ ولا كَثِيْرٍ ، فَهَوِّنْ عَلَيْكَ ، وارْفُقْ بنَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ مَغْرُوْرٌ ، يا مِسْكِيْنِ وَتَدَبَّرْ كَلَامَ رَبِّ العالَمِيْنَ ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْتَكْبِرِيْنَ﴾ إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُوْنَ عَن عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِين ﴿قِيْلَ ادْخُلُوا أبوابَ جَهَنَّمَ خالِدِيْنَ فِيْهَا فَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرِيْنَ﴾ وذَمُّ الكِبْرِ في القُرآنِ كَثِيرٌ ، والمُتَكَبِّرُ

عَدُوٌّ لِلَّهِ ولِنَفْسِهِ ، ولِلّنَاس ، يُقَصِّرُ في الوَاجِبِ ويَدَّعِي مَا لَيْسَ لَهُ وَيَتَشَدَّقُ في الكَلاَم ، وَيَتَأَلَّقُ في اللِّبَاس ، وإنَّهُ لَثَقِيْلٌ فِي حَرَكَاتِهِ ، وسَكَنَاتِهِ ، بَغِيْضٌ في أمْرِهِ ونَهْيِهِ ، وَمُجَالَسَتِهِ ، ومُؤاكَلَتِهِ وَمُشَارَبَتِهِ ، والوَيْلُ كُلَّ الوَيْلَ لِمَنْ صَاهَرَهُ أوْ شَارَكَهُ أوْ رَبَطَتْهُ بِهِ صِلَةٌ ، لأنَّ دَاءَ الكِبْرِ يُعْدِي ويَسْرِي فَتَبْعُدُ السَّلاَمَةُ مِن المقْتَرِبِ مِنْهُ رَأى بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ مَنْ يَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ فَغَمَزَ جَنْبَهُ ، ثُمّ قَالَ لَيْسَتْ هَذِهِ مِشْيَةُ مَنْ فِي بَطْنِهِ خِراءٌ ، وكَيْفَ يَتَكبَّرُ مَنْ أوَّلُهُ نُطْفَةٌ مذِرَةٌ ، وَآخِرُهُ جِيْفَةٌ قَذِرَةٌ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَحْمِلُ البَوْلَ والعَذَرَة ، هَذَا أكْبَرُ بُرْهانٍ على أنَّهُ دَنِس جَاهِلٌ مَجْهُوْلٌ نَكِرَةٌ مُمْتَلِئاً كِبْراً وإعْجَاباً بِنَفْسِهِ وسُمْعَةً ، ورِيَاءً ، ولُؤماً وشُؤماً وشَرَهاً فَهُوَ أشْبَهُ شَيْءٍ بالدُّخَانِ يَمْلأُ الفَضَاءَ ويَتْكُ صُدُوْرَ النّاس وأصْلُهُ مِن القُمَامَاتِ والأوْسَاخِ المُبَعْثَرَةِ نَسألُ اللّهَ أن يُقَلِّلَ هَذَا النوعَ المُنْحَطَّ وأنْ يُكثِّرَ ضِدَّهُ مِنْ أهْلِ التَّوَاضُعِ واللِّيْنِ والعَطْفِ والحَنَانِ : قَالَ اللّه تعالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرة نَجْعَلُها لِلّذِينَ لاَ يُرِيْدُونَ عُلوا فِي الأرْضِ ولا فَسَاداً والعَاقِبَةُ لِلمتّقين﴾ : اللّهُمّ أنْظِمْنَا في سِلْكِ عِبادِكَ الأخْيار ونَجِّنَا بِرحْمَتِكَ مِن عَذَابِ النّارِ وأسكنّا الجَنّة مع أولِيائِكَ الأبرَار واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدِيْنَا ولِجَمِيع المُسْلِمينْ يا أرْحَم الرّاحِمين وصلّى الله على مُحَمّد وعلى آلِهِ وصَحبِهِ أجمَعِين .

(فَصْــلٌ)

ولِلْكِبْرِ آثارٌ تَظْهَرُ عَلَى الجَوارِحِ كُلُّهَا تَدُوْرُ حَوْلَ ذَلِكَ النَّظَر ، فَتَرى المُتَكبِّرَ إنْ سَمَحَ بِمَمْشَاهُ مَعَ النَاسِ يَكُونُ مُتقَدِّماً عَليهم ،حَرِيْصاً جِدَا أنْ يَكُونُوا كُلُّهُم خَلْفَهُ ، وتَراهُ إن جَلَسَ مَعَهُم ورَضِيَ أنْ يَكوُنُوا جُلَسَاءَهُ ، مُحْتَفِظاً بِصَدْرِ المَجْلِسِ مُسْتَقِلاً بِهِ وَيَسُرُّهُ أنْ يُصْغُوْا إلى كَلاَمِهِ ، ويُؤْلِمُهُ كَلاَمُ غَيْـرِهِ وتَجِدُهُ يَنْتَظِرُ مِن النَاسِ أنْ يَتلَقَوْا كَلاَمِهِ بالقَبُوْلِ والتَّصْدِيْقِ .

شعـرا : ومُسْتَعْبِـدٍ إخْوَانَـهُ بِثَرَائِـهِ ... لَبِسْتُ لَهُ كِبْراً أبَرَّ عَلَـى الكِبْـرِ

وقَـدْ زَادَنِـي تِيْهَـاً عَلَـى مُتكَبِّــرٍ ... أرانِـيَ أغْنَـى وإنْ كُنْتُ ذَا فَقْـرِ

آخر : حِجَابٌ وَإِعْجابٌ وَفَرْطُ تَصلُّفٍ   ومَـدُّ يَدٍ نَحْـوَ العُلَـى بِتَكَلُّـفِ
وَلـو كَانَ هَذا مِن وَرَاءِ كِفَايـةٍ   عَذَرْنَـا وَلَكَـنْ مِن وَرَاءِ تَخَلُّـفِ
آخر : يا قَليلَ القَدْرِ مَوْفورَ الصَّلَفْ   والـذي في التِيْـهِ قد حَازَ السَّرَفْ
كُنْ لَئيمـاً وتَـواضَعْ تُحْتَمَـلْ   أَوْ سَخِياً يُحْتَمَـلْ مِنْكَ الصَّلَـفْ
آخر :فَخَـرٌ بلا حَسَبٍ عُجْبٌ بلا أدَبٍ   كِبْـرٌ بلا نَشَبٍ هَذَا مِنَ العَـجَبِ
آخر : الْمَرءُ يُعْجِبُنِيْ ومَا كَلَّمْتُهُ   وَيُقَـالُ لِيْ هَذَا اللَبِـيْبُ اللَّهـذم
فإذَا قَدَحْتُ زِنَـادَهُ وَوَرَيْتَـهُ   فِي الكَفِّ زَافَ كَمَا يزيف الدرهـم

ومِنْ آثارِ الكِبْرِ تَصْعِيرُ الخدِّ ، والنَّظرُ شَزْراً ، واطْرَاقُ رَأْسِهِ ، وجُلُوسُهُ مُتَرَبِّعاً أَوْ مُتكِئاً .

وَتظْهَرُ آثارُ الكِبْرِ أَيْضاً في أَقْوالِ المُتَكَبِرِ حَتَّى في صَوْتِهِ ونَغْمَتِهِ وَصِيْغَةِ كَلَامِهِ في الإِيْرَادِ وقِيْلَ لإِحْمَقَ تَكَبَّرَ وقَامَ سَاخِطاً على اسْتَاذِهِ لِماذا قُمْتَ فقال دَخَلْتُ ولم يَحْتَرِمْنِيْ وَجَلَسْتُ فلم يُكْرِمْنِي ولم يَدْرِ مَنْ أَنَا واسْتَشْهَدَ بقولِ الشاعرِ (وَلَـوْ كَـانَ إِدْرَاكُ الـهُـدَى بِتَـذَلُّـلٍ
رَأَيْتُ الهُـدَى أَنْ لَا أَمِيْلَ إِلى الهُـدَى)

آخر : كالثَّورِ عَقْلاً ومِثْلُ التَّيسِ مَعْرِفَةً   فلا يُفَـرِّقُ بين الحَقِّ وَالْفَنَـدِ
الجَهْـلُ شَخْصٌ يُنَادِي فوق هَامَتِهِ   لا تَسْأَلِ الرَّبْعَ ما في الرَّبع من أَحَدِ
آخر :وَمَنْ أَمَنَ الآفَاتِ عُجْباً بَرأْيِـهِ   أَحَاطَتْ بِهِ الآفَاتُ مِنْ حَيْثُ يَجْهَلُ
آخر :وَمَا رَفَعَ النَّفسِ الوضِيْعَة كالتُقَى   ولا وَضَعَ النَّفسَ الرَّفِيْعَةَ كَالكُفْرِ

وَيظْهَرُ أَيْضاً أَثَرُ الكِبْرِ في مَشْيِهِ وَتَبَخْتُرِهِ وَقِيامِهِ وَجُلُوسِهِ وَحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَفِيْ تَعَاطِيْهِ لأَفْعَالِهِ ، وَفِيْ سَائِرِ تَقَلُّبَاتِهِ فِيْ أَحْوالِهِ وَأَقْوالِهِ وَأَعْمَالِهِ .

وفي كِتَابِ الخُمُولِ والتَّوَاضُعِ لابنِ أَبي الدُنْيا عن أَبِي بَكْرٍ الهُذَلِي قال : بَيْنَمَا نَحنُ مَعَ الحَسَنِ ، اذْ مَرَّ عَليهِ ابنُ الأَهْتَمِ يُرِيْدُ المَنْصُورَ وعليهِ جُبَابُ خَزٍ ، قد نَضَدَ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ على سَاقِهِ ، وانْفَرَجَ عَنْهَا قَبَاؤُهُ وهو

يَمْشِيْ وَيَتَبَخْتَرُ، إذْ نَظَرَ إلَيْهِ الحَسَنُ نَظْرَةً فقال: أُفٍّ أُفٍّ، شَامِخٌ بِأَنْفِهِ ثَانِي عِطْفِهِ، مُصَعِّرٌ خَدَّهُ، يَنْظُرُ في عِطْفَيْهِ أَيُّ حَمِيْقٍ يَنْظُرُ في عِطْفَيْهِ في نِعَمٍ غَيْرَ مَشْكُوْرَةٍ ولا مَذْكُوْرَةٍ، غَيْرَ المَأْخُوْذِ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيْهَا، ولا المُؤَدِيْ حَقَّ اللَّهِ مِنهَا واللَّهِ أَنْ يَمْشِيْ أَحَدُهُمْ طَبِيْعَتَهُ يَتَلَجْلَجُ تَلَجْلُجَ المجنون في كل عضو منه نِعْمَةٌ وللشيطان بها لعنة، فسمعه ابنُ الأَهْتَمِ، فَرَجَعَ يَعْتَذِرُ إليهِ، فقال لا تَعْتَذِرْ إلَيَّ وَتُبْ إلى رَبِّكَ، أما سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعالَى ﴿ ولا تَمْشِي في الأرضِ مَرَحاً إنك لَنْ تَخرِقَ الأرضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُوْلاً ﴾.

ورأى ابن عمر رجلا يخطر في مشيته فقال: إن للشياطين اخوانا.

ورُوِيَ عن عَلِي بن أَبِي طالبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَنَّهُ قَالَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إلى رَجُلٍ مِن أَهْلِ النارِ فلْيَنْظُرْ إلى رَجُلٍ قَاعِدٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ قَوْمٌ قِيَامٌ، وقال أَنَسٌ لم يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إليهم مِن رسول اللَّهِ ﷺ وكانُوا إذا رَأَوْهُ لم يَقُومُوْا لَهُ لِمَا يَعْلَمُونَ مِن كَرَاهَتِهِ لِذَلِكَ.

ومِنْ آثارِ الكِبْرِ أن المتكَبِّرَ يَحْرَصُ جِدَا عَلى أَنْ يَمْشِيْ مَعَهُ غَيْرُهُ ويَكُونُ الماشِي مَعَهُ خَلْفَهُ، وكانَ عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ لا يُعْرَفُ مِن بَيْنِ عَبِيْدِهِ إذْ كانَ لا يَظْهَرُ في صُوْرَةٍ ظاهرةٍ، وَمَشى قَوْمٌ خَلْفَ الحَسَنِ البَصْرِيْ فَمَنَعَهُم، وكان ﷺ في بَعْضِ الأوقاتِ يَمْشِي مَعَ بَعْضِ أَصْحَـابِهِ فَيَأْمُرَهُمْ بِالتَّقَدُمِ ويَمْشِي في غِمَارِهِم، إمَّا لِتَعْلِيْمِ غَيْرِهِ أَوْ لِيَنْفِي عن نَفْسِهِ وَسَاوِسَ الشيطانِ بالكِبْرِ والاعجابِ.

ومِنْ آثارِ الكِبْرِ أنْ يَسْتَنْكِفَ مِن جُلُوسِ غَيْرِهِ مَعَهُ بالقُرْبِ مِنْهُ إلَّا أنْ يَجْلِسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، والتَّوَاضُعُ خِلَافُهُ، ومِنهَا أنْ لا يَتَعَاطَى شُغْلاً في بَيْتِهِ، وقد كانَ النبيُّ ﷺ كَمَا رَوَتْ عَائِشَةُ ـ في مِهْنَةِ أَهْلِهِ يَعْنِي خِدْمَتِهِم، ومِن آثَارِ الكبر أَنْ لَا يَحْمِلَ مَتاعَهُ إلى بَيْتِهِ ولَو كَانَ لَا يُثْقِلُهُ، وَهُو خِلَافُ التَّواضِعُ، فقدْ كانَ ﷺ يَفْعَلُ ذلِكَ، وقال عليٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: لا يَنْقُصُ الرجلُ الكاملُ مِن

كَمَالِهِ مَا حَمَلَ مِن شيءٍ إلى عِيَالِهِ ، وكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَحْمِلُ سَطْلاً لَهُ مِن خَشَبٍ إلى الحَمَامِ وهو أَمِيْر .

وقال ثَابتُ بنُ مالكٍ : رَأَيْتُ أبَا هُرَيْرَةَ أَقْبَلَ مِن السُّوْقِ يَحْمِلُ حُزْمَةَ حَطَبٍ وهو يَوْمَئِذٍ خَلِيْفَةٌ لِمَرْوَانَ ، فقال أوْسِعْ الطرِيْقَ لِلأَمِيْرِ يا ابنَ مَالكٍ ، وعن الأصْبَغِ بنِ نَبَاتَةَ قال : كَأَنِّي أنْظُرُ إلى عُمَرَ رضيَ اللَّهُ عنه مُعَلِّقاً لَحْماً في يدِهِ اليُسْرَى وفي يَدِهِ اليُمْنَى الدُّرَةُ يَدُوْرُ في الأسْوَاقِ حتى دَخَلَ رَحْلَهُ ، وقال بَعْضُهُم رأيتُ علياً رضيَ اللَّهُ عنه قد اشْتَرى لَحْماً بِدِرْهَمٍ فَحَمَلهُ في مِلْحَفَتِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ أَحْمِلُ عَنْكَ يا أميرَ المؤمنينَ ، فقال لا ، أَبُوْ العِيَالِ أَحَقُّ أَنْ يَحْمِلَ .

ورُوِي أنَّ عُمَرَ بنَ عُبْدِ العَزيز أتاهُ لَيْلَةً ضَيْفٌ وكان يَكْتُبُ فكادَ السِرَاجُ يَطْفَأُ ، فقالَ الضَّيْفُ : أَقُومُ إلى المِصْبَاحِ فأُصْلِحُــهُ فقالَ : لَيسْ مِن كَرَمِ الرَجُلِ أنْ يَسْتَخْدِمَ ضَيْفَهُ ، قال . أَفَأُنَبِّهُ الغُلامَ ؟ فقالَ : هِيَ أوَّلُ نَوْمَةٍ نَامَهَا . فقامَ فأَخَذَ البَطَّةَ فَملأ المِصْبَاحَ زَيْتاً ، فقال الضَّيْفُ : قُمْتَ أنت بنَفْسِكَ يا أَمِيرَ المؤمنينَ ! فقال : ذَهَبْتُ وأنا عُمَرُ ورَجَعْتُ وأنا عُمَرُ ما نقصَ مِني شيءٌ وخَيْرُ الناسِ مَن كانَ عِندَ اللَّهِ مُتواضِعاً وَمِن آثارِ الكِبْرِ تطوْيْلُ الشَارِبِ الذِي يُسَمَّى شَنَبَاتٍ كأنّها رِيْشُ الجَعْلِ اذا ابتَـدأ بالطَّيَرانِ أوْ نَزَلَ قَبْلَ أن يُدْخِلَه ، قال الله تعالى ﴿أفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سوءُ عَمَلِهِ فرآهُ حَسَنا﴾ .

وكذَلك إمَالَةُ العِقَالِ إلى الجَبْهَةِ أَوْ إلى جَانِبِ الرأسِ .

ومِن آثارِهِ إسْبَالُ الثِيَابِ والتَّفَاخُرُ بها .

وحُكِيَ أنَّ مُطَرِّفَ ابنَ عبدِ اللَّهِ بنِ الشِّخِيْر نَظر إلى المُهَلَّبِ بنِ أبي صُفْرَةَ وعَلَيهِ حُلَّةٌ يَسْحَبُهَا ويَمْشِيْ الخُيَلاءَ ، فقالَ مُطَرِّفُ لِلْمُهلبِ يا عَبْدِ اللَّهِ مَا هَذِهِ المِشْيَةُ التِي يُبْغِضُهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ فقال المُهَلَّبُ : أَمَا تَعْرِفُنِي وَتَنْهَانِي مِمَّا رَأَيْتَ فَقَالَ بَلْ اعْرِفُكَ أَوَّلُـكَ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ وآخِرُكَ جِيْفَةٌ قَذِرَةٌ وحَشْوُكَ فِيْمَا بَيْنَ ذلكَ بَولٌ وَعَذِرَةٌ ، قال بعضهم .

شعرا : يا مَنْ تَلَبَّسَ أثْوَاباً يَتِيْهُ بِهَا   تِيْهَ المُلُوكِ عَلَى بَعْضِ المَسَاكِيْنِ
مَا غَيَّرَ الجُلُّ أَخْلَاقَ الحَمِيْرِ وَلَا   نَقْشُ البَرَاذِعِ أخْلَاقَ البَرَاذِيْنِ
آخر : مَلِءٌ بِبَهْرٍ والْتِفَات وسَعْلَةٍ   وَمَسْحَةِ عُثْنُوْنٍ وفَتْل الأَصَابِعِ
آخر : أَيُهَا المدعي الفِخَارَ دَعِ الفَخْ   رَ لِذِيْ الكِبْرِيَاءِ والجَبَرُوْتْ
نَسْجُ داوُوْد لَمْ يُفِدْ لَيْلَةَ الْغَا   رِوكان الفِخَارِ لِلْعَنْكَبُوتُ
وبَقَاءُ السَّمَنْدَلِ في لَهَبِ النَّا   رِ مُزِيْلٌ فَضِيْلَةَ اليَاقُوْتْ

يا مُظْهِرَ الكِبْرِ إعْجَاباً بِصُوْرَتِهِ
أُنظُرْ خَلاكَ فَإنَّ النَّتْنَ تَثْرِيْبُ
لو فَكَّرَ الناسُ فِيْمَا في بُطُونِهِم
ما اسْتَشْعَرَ الكِبْرَ شُبَّانُ ولا شِيْبُ
هَلْ في ابْنِ آدمَ مِثْلَ الرَّأْسِ مَكْرُمَةٌ
بأرْبَعٍ هُو فى الأقْدْارِ مَضْرُوْبُ
أَنْفٌ يَسِيْلُ وأُذْنٌ رِيْحُهَا سَهِكٌ
والعَيْنُ مُرْفَضَّةٌ والثَّغْرُ مَلْعُوْبُ
يا ابن التُرابِ ومأكُولَ التُرَابِ غَداً
اقْصُرْ فإنَّكَ مَأْكُوْلٌ ومَشْرُوْبُ

ومِن آثارِهِ جَعْلُ خاتَم ذَهَبٍ أَوْ سَاعَةٍ فيها ذَهَبٌ . ومِن آثارِ الكِبْرِ جَعْلُ الكَبَكَاتِ في أكمَامَ الثِّيابِ ، وقالَ زَيْدُ بنُ وَهْبٍ : رَأَيْتُ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رضِيَ اللّهُ عنه خَرَجَ إلى السُوْقِ ، وَبِيَدِهِ الدُرَّةُ ، وعَلَيهِ ازارُهُ فيهِ أرْبَعَ عَشْرَةَ رِقْعَةً بَعضُها مِنْ جِلْدٍ وعُوْتِبَ عليٌّ كرمَ اللّهُ وَجْهَهُ في إزَارٍ مَرْقُوْعٍ ، فَقالَ يَقْتَدِي بِهِ المؤمِنُ وَيَخْشَعُ لَهُ القَلْبُ . أَيْنَ هؤُلآءِ مِن أَهْلِ زَمَانِنَا المُظْلِمِ .

ومِنْ آثارِ الكِبْرِ الأكْلُ أو الشُرْبُ باليَسَارِ وهو خِلافَ السُنَّةِ والعَقِلِ والأدبَ .

فإنَّ اليَسَارَ لِمَا يُسْتَكْرَهُ كَالاسْتِجْمَارِ والاسْتِنْجَاءِ والتَّمَخُّطِ وإخْرَاجِ ما فِي الأنْفِ . أَوْ فِي الجُرُوْحِ مِن صَدِيْدٍ وَغسلِ الأوْسَاخِ والنجَاسَاتِ ، أَوْ لِمَا

يَحْرُمُ ويَسْتَقذَرُ كالدُّخَانِ والخَمْرِ ، واليُمْنَى على العَكْسِ لِلأَكِلِ والشَرَابِ والتَّسَوُّكِ والتَّطَيُّبِ ، وتَقْدِيمِهَا لِلسَّلامِ ولِلْمُنَاوَلَةِ ونَحْوِ ذلكَ مِمَّا هُوَ لائِقٌ بها .

شعرا : وَتَاهَ سَعِيْدٌ أَنْ أُفِيْدَ ولايَةً وقُلِّدَ أَمْراً لم يَكُنْ مِن رِجَالِهِ

وَأَدْبَرَ عَنِّيْ عِنْدَ إقْبَالِ حَظِّهِ وغَيَّرَ حَالِيْ عِنْدَهُ حُسْنُ حَالِهِ

وَضَاقَ عَلَى حَقِّي بِعُقْبِ اتِّسَاعِهِ فأَوْسَعْتُهُ عُذْراً لضِيْقِ احْتِمَالِهِ

وقد يَصِلُ الكِبْرُ ومِثْلُهُ العُجْبُ ـ بِصَاحِبِهِ إلى أَنْ يُوْرِدَهُ مَوارِدَ الكُفْرِ بربِ العالَمِين ، كَمَا حَصَلَ لِلْمُتَكبِرِ ينَ عَلى اللَّهِ ورُسُلِهِ ، فَمِنَ ذَلِكَ ما رُوِيَ أَنَّ رَجُلاً كان جَالِساً في طَرِيقٍ فَمَرَّتْ بِهِ امْرأَةٌ فقالَتْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ كَيْفَ الطَّرِيْقُ ؟ فَقالَ يَا هَنَاةُ أَمْثِلِيْ يَكُونُ مِنْ عَبِيدِ اللَّهِ ؟ وَخَطَبَ رَجُلٌ آخرُ في الناسِ ، فلمَّا انْتَهَى مِن خُطْبَتِهِ قَالَ لَهُ بَعْضُ الناسِ . أكْثَرَ اللَّهُ مِن أَمْثالِكَ فقال لَهُمْ : لَقَدْ كَلَفْتُمُ اللّه شَطَطَا . أَيْ أَمْراً بَعِيْداً ومُشِقاً نَعُوذُ باللَّهِ تعالى مِن حَالِهِ . وحَالَةِ أَمْثَالِهِ قَلَّلهُمُ اللَّهُ في المسلمين .

وآخرُ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ فالتَمَسَهَا فلَمْ يَجِدْهَا فَقَالَ إنْ لَمْ يَرُدَّ اللَّهُ إليَّ رَاحَلِتِي لا صَلَيْتُ لَهْ صَلاةً أبَداً ، فالتَمَسَهَا الناسُ فَوَجَدُوْهَا ، فقالُوا لَهُ : قَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ رَاحِلَتَكَ فَصَلِّ ، فَقَالَ إن يَمْيِنِي يَمِيْنُ مُصِرٍّ ، كَأَنَّهُ يُهَدِّدُ اللَّهَ ، نَعُوذُ باللَّهِ مِن ذَلِكَ وآخرُ دخلَ مَسْجِدَ البَصْرَةِ فَبَسَطَ ناسٌ لَهُ أرْدِيَتَهُمْ تَعْظِيْمَاً لَهُ ، فَمَشَى عَلَيْها وقَال لِرَجُلٍ يُمَاشِيْهِ : (لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُون) اقْتَبَاساً مِن آيةِ الصَّافاتِ ، إلى هذا الحَدِّ يَصِلُ الكِبْرُ بأهلِهِ قال ابن القيم رحمه الله :

وسَلِ العِيَاذَ مِنَ التَّكبرُ والهَوَى
فَهُمَا لِكُلِ الشَّرِ جَامِعَتَانِ
وهُمَا يَصُدَانِ الفَتَى عن كُلِ طُرْ
قِ الخَيْرِ اذْ في قَلْبِهِ يَلِجَانِ
فَتَراهُ يَمْنَعُهُ هَوَاهُ تَارَةً
والكِبْرُ أُخْرَى ثُمَّ يَجْتَمِعَانِ

والـلّهِ مـا فِـي الـنـارِ إلَّا تَـابـعٌ
آخـــر : هَـذَيْن فـاسْـأَلْ سَـاكِنِي النِيْـرَانِ

قد يِطْفَحُ اللُّؤْمُ حَتَّى إنَّ صَاحِبَهُ يَنْسَى الحَيَاةَ فَيَغْدُ يَدَّعِى الكَرَمَا
إنَّ الجَهَالَةَ إنْ كانَتْ قَذى بَصَرٍ رَأى الضَّلاَلَ هُدىً واسْتَسْمَنَ الوَرَمَا
كَمْ مِنْ أرَاذِلَ أَطْغَتْهَا سَفَهَاتُهَا حتى إدَّعَتْ وَهْيَ أَذْنَاباً لَهَا الشّمَمَا
إنْ عُدَّت الوَحْشُ ما عُدَّتْ ولا بَقَرٌ أوْ عُدَّت الطَّيْرُ مَا عُدَّتْ ولا رخَماً
والنَّاسُ كالناسِ في خَلْقٍ وبَيْنَهُمُوْا في الخُلْقِ بُوْنٌ فَذَا أرْضٌ وذَاكَ سَمَا

ونَصِيبُ المُتَكَبِّرْ مِن الناس أن يَزْدَرُوْهُ ويَحْتَقِرُوْهُ ويَمْتَهِنُوْهُ وَيَمْقُتُوْهُ ، ويَعْمُلَوا خِلافَ مَا يَفْهَمُونَ أنَّه يُحِبُّهُ مِنهم حَتَّى يَدَعُوْهُ يَغْلِي مِن مُعَامَلَتِهم غَيْظاً وحِقْداً ، ولوَ أَمْكَنَ الناسُ أَنْ يَجْعَلُوا المتكبرَ دَائِماً في غُمُومٍ وهُمُومٍ لَمَا تَأَخَّرُوْا عَن ذلكَ ، فالناسُ لَهُمْ كَرَامَةٌ يَفْعَلُونَ بِمَنْ يَكْرَهُوْنَهُ مِن أَجْلِ أَنَّه يَحْتَقِرُهُمْ ويَمْتَهِنُ كَرَامَتَهُم ويَرى نَفْسَهُ فَوْقَهُم فَهُم يُدْرِكُونَ أنَّه لَئِيْمٌ لا يَتوضَع إلا إذا أُهَنْتَهُ ولا يَعْرِفُ نَفْسَهُ إلا إذَا احْتَقَرْتَهُ وَعامَلْتَهُ مِثْلَ مُعَامَلَتِهِ وأنَّه يُنطَبِقُ عليه قولُ الشاعرِ :

فـي الـنـاسِ مَـنْ لا يُرْتَجَى نَفْعُـهُ إلَّا إذا مُـسَّ بِـأَضْـرَارِ
كالعُـودِ لا تَطْمَـعُ فِـي رِيْحِـهِ إلَّا إذا أُحْـرِقَ بالنـارِ

آخـر :
يـا مـن تَـبَرَّمَـتِ الـدنيـا بطـلعته كَمَـا تَـبَرَّمَـتِ الأَجفـانُ بالسُّـهُدِ
يَمْشِي على الأَرضِ مُخْتَالاً فأَحْسِبُهُ لِثِقْلِ طَلْعَتِهِ يَمْشِـي على كَبِـدِي

آخَرُ : لا تلْطَفَنَّ بذِي لُؤْمٍ فَتُطْغِيَهُ أَغْلَظْـهُ يَأْتِـيكَ مِطْواعـاً ومِذْعَانَـا
إنَّ الحَدِيْدَ تُلِيْنُ النَّارُ قَسْوَتَـهُ وَلَوَ صَبَبْتَ عَليهِ البَحْرَ مَا لَا نَـا

آخر : الكَلْبُ إنْ جاعَ لَمْ يُعْدِمْكَ بَصْبَصَةً وإنْ يَنَلْ شِبْعَةٍ يَنْبَحْ عَلَى الأَثَـرِ

آخـر :
أهِـنْ عَـامِـراً تَكْـرُمْ عَليهِ وإنَّمَـا أخُـوُ عَـامِـرٍ مَن مَسَّـهُ بهَـوَانِ

آخر : إنَّ ذا اللؤمِ إذَا اكْرَمْتَهُ   حَسِبَ الإكْرَامَ حَقاً لزمَك
فَأَهِنْهُ إنَّهُ مِنْ لُؤْمِهِ   إنْ تَسُمْهُ بِهَوَانٍ أَكْرَمَكْ
آخرُ : أثْنَانِ بُغْضُهُمْ غَالِبًا عِنْدَ الْكَثِير   مُتَكَبِرُ في نَفْسِهِ وَ بَخِيلْ

وأمَّا نَصِيْبُ المُتَكبرِ من اللَّهِ فكَمَا سَمِعْتَ مِن الآياتِ الكريمةِ ، والأحاديث الشريفةِ التي إذا سَمِعَهَا المتواضِعُ المُوَفَّقُ فَتَّش على نَفْسِهِ خَشْيَةَ أنْ يَكُونَ قد دَخَلَ عَليه الكِبْرُ وهو غَافِلٌ عنه .

عَجِبْتُ لِما تَتوقُ النفْسُ جَهْلاً   إليه وقَدْ تَصَرَّمَ لانْبَتَاتِ
وعِصْيَانِي العَذُوْل وَقَد دَعَانِي
إلى رُشْدِي وما فِيهِ نَجَاتِيْ
أُوَمِّلُ أنْ أعِيْش وكلُ يَوْم
بِسَمْعِي رَنَّةٌ مِن مُعْولاتِي
وأيْدِي الحَافِرِيْنَ تَكِلُّ مِمَّا
تُسَوِّيْ مِن مَسَاكِنَ مُوْحِشَاتِ
نُرَاعُ إذَا الجَنَائِزُ قَابَلَتْنَا
ونَسْكُنُ حِيْنَ تَخْفَي ذَاهِبَاتِ
كَرَوْعَةِ ثُلَّةٍ لِظُهُورِ ذِئْبٍ
فَلمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتِ
فإنْ أَمَّلْتَ أنْ تَبْقَى فَسَائِلْ
بِمَا أَفْنَي القُرُوْنَ الخَالِيَاتِ
فَكَم مِن ذِي مَصَانِع قَدْ بَنَاهَا
وشَيَّدَهَا قَلِيْلُ الخَوْفِ عَاتِي
قَلِيلُ الهَمِّ ذِيْ بَالٍ رَخِيٍ
أَصَمَّ عن النَّصَائحِ والعِظَاتِ

فَبَاتَ وما يُرَوَّعُ مِن زَوَالٍ
صَحِيْحاً ثُمَّ أَصْبَحَ ذا شِكَاتِ
فَبَاكَرهُ الطَّبِيْبُ فَرِيْعَ لَمَّا
رَآهُ لا يُجِيْبُ إلى الدُّعَاةِ
فَلَوْ أنَّ المُفَرِّطَ وهْوَ حَيٌّ
تَوخَّى البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ
لَفَازَ بِغِبْطَةٍ وَأَصَابَ حَظاً
ولم يَغْشَ الأُمُوْرَ المُوْبِقَاتِ
فَيَالَكِ عِنْدَهَا عِظَةً لِحَيٍ
ويَا لَكِ مِن قُلُوبٍ قَاسِيَاتِ
وكُلُ أخِيْ ثَرَاءٍ سَوْفَ يُمْسِي
عَدِيماً والجَمِيْعُ إلى شَتَاتِ
كأنْ لَمْ يُلْفَ شَيْءٌ ما تَقَضَّى
ولَيْسَ بفائِتٍ مَا سَوْفَ يَأْتِيْ

اللهم إنا نَعُوذُ بكَ مِن سوءِ القضاءِ وشماتَةِ الأعداءِ ، وعُضَالِ الدَّاءِ ، وخَيْبَةِ الرجاءِ وزوالِ النعمةِ وفَجْأَةِ النِقمةِ ، ونسألك أن تغفرَ لنا ولوالدينا ، ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فَصل ولِلْكِبْرِ علاجٌ قد ذَكرَهُ العُلَماءُ أولاً أن يَعْرفَ الانسانُ رَبَّهُ ويَعْرِفَ نفسَهُ ، فإنَّهُ إذا عَرفَ رَبَّهُ حَقَّ المَعْرِفَةِ عَلِمَ أنه لا تَلِيْقُ العظَمةُ والكِبْرِيَاءُ إلاّ باللّهِ ، وإذا عَرفَ نَفْسَهُ عَلِمَ أنه ضَعِيْفٌ ذَلِيْلٌ لا يَلِيْقُ به إلاَ الخُضوعُ لِلّهِ والتواضعُ والذِلةُ ، قال اللّهُ تعالى ﴿قتل الانسان ما أكفره ، من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء أنشره﴾ .

وقال تعالى ﴿هل أتى على الانسانُ حينَ من الدهر لم يكن شيئاً مذكُوراً﴾ ففي الآياتِ الاشارةُ إلى خَلْقِ الانسانِ وإلى آخِرِ أمْرِهِ وإلى وَسَطِهِ ، أما أوَّلُهُ فهو أنه لم يَكنْ شَيئاً مَـذكُـوراً وقدَ كانَ في حَيِّزِ العَدَم دُهُوْراً ، ثم خَلقَهُ العَزِيزُ الحَكِيم مِن تُرابٍ ثم مِن نطفةٍ ثُم مِن علقةٍ ثم مِن مُضْغَةٍ ثم جَعَلَهُ عِظَاماً ثم كَسَا العظامَ لحَماً ، فقد كان هذا بدايةُ وُجُودِهِ أولاً جَماداً لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُحِسُّ ولا يَتحَرَّكُ ولا يَنْطِقُ ولا يَبْطِشُ ولا يُدْرِكُ ولا يَعْلَمُ ، كذا خَلقَهُ اللّهُ .

ثم امْتَنَّ عليهِ فقال ﴿ثم السبيل يسره﴾ أيْ بَيَّنَهُ وَأَوْضَحَهُ وَسَهَّلَهُ ، كما في قوله تعالى ﴿انا هديناه السبيل﴾ فالله جل وعلا هو الذي أحيا الانسانَ بعدَ أن كانَ جَماداً مَيتاً ، تُراباً أولاً ونطفة ثانياً ، وأسْمَعَهُ بَعدَ أن كان أصَمَّ وبَصَّرَهُ بعدَ ما كان فاقدَ البَصَرِ ، وقَوَّاهُ بعدَ الضَعْفِ ، وعَلَّمَهُ بعدَ الجَهْلِ ، كَمَا قال تعالى ﴿واللّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً ، وجَعَلَ لَكُمْ السَّمعَ والأَبْصَارَ وَالأَفْئدَةَ لَعَلَكُمْ تُشْكَرُونَ﴾ .

فَمَنْ كان هَذَا أَولُهُ ، وهَذِهِ أَحْوَالُهُ، فَمِنْ أَيْنَ لَهُ البَطَرُ والأَشَرُ والكِبْرِيَاءُ والخُيَلاءُ ؟ وهو الضَّعِيفُ الحَقِيْرُ بالنسبةِ إلى قدرةِ البارِىء جلَّ وعَلاَ كما قال تعالى ﴿ألم نخلقكم مِن ماء مهين﴾ وقال ﴿كلا انا خلقناهم مما يعلمون﴾ وقال ﴿فلينظر الانسانُ مِمَّ خُلِقَ ، خُلِقَ مِن ماءٍ دافِقٍ﴾ فَلْيَتَأمَل العَاقِلُ هَلْ يَلِيْقُ الكِبْرُ بِمَنْ هذا أَوَّلُهُ ، وآخِرُهُ أَنَّه يُسْلَبُ رُوحُه وسَمْعُه وبَصَرُهُ وعِلْمُهُ وقُدْرَتَهُ وحِسُّهُ وادْرَاكَهُ وحَرَكَتُهُ وجَمَالُهُ وجَمِيْعُ أحْوالِهِ ، فَيَعُودَ كما كانَ أولاً جَماداً ، لا يَبْقَى إلاّ شَكْلُ أعضائِهِ وصُوْرَتُهِ فيه ولا حَرَكَةَ ، ثم يُوضَعُ في هذا التُرَابِ فَيَصَيْرُ جِيْفَةً مُنْتِنَاً ، كما كانَ في الأَوَّلِ نُطْفَةً مَذِرَةً ، تَبْلَى أَعْضاؤُهُ وَتَتَفَتَتُ أَجْزَاؤُهُ ، وتَنْخُرُ عِظَامُهُ وَيَصِيْرُ رَمِيْماً رُفاتاً ويَأكُلُ الدُوْدُ أَجْزاءَه ،

ويكونُ جِيفَةً يَهْرَبُ مِنه كُلُّ حَيَوَانٍ ويَسْتَقْذِرُهُ الانسانُ ، وأَحْسَنُ أَحْوَالِهِ أَنْ يَعُودَ تُراباً كَمَا كانَ ، ثُمَّ يُحْيِيْهِ الذي خَلقَهُ أولَ مَرَّةٍ فَيُقَاسِي البَلَاءَ والشَّدَائِدَ وأهوالَ المُزْعِجَاتِ ، فَيَخْرُجُ مِن قَبْرِهِ كَمَا أَخْبَرَ تَعَالى بقوله ﴿يومَ يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نُصُبٍ يوفضون﴾ فَيَنْظُر إلى قِيَامَةٍ قَائِمَةٍ ، وسَمَاءٍ مُنْفَرِجَةٍ مُشَقَّقَةٍ ، وأرضٍ مُبَدَّلَةٍ ، وجِبَالٍ مُسَيَّرَةٍ ، ونُجُومٍ مُنْكَدِرَةٍ ، وشَمْسٍ مُنْكَسِفَةٍ ، وأَحْوَالٍ مُظْلِمَةٍ ومَلائِكَةٍ غِلاظٍ شِدَادٍ ، وَجَهَنَّمَ تَزْفُرُ قال تعالى ﴿وجِيءَ يومئذٍ بجنهم ، يومئذ يتذكر الانسانُ وأنّى له الذِكْرى﴾ يَنْظُر إليهَا المجرمُ فَيَتَحَسَّرُ ، وَيَرى صَحَائِفَ مَنْشُوْرَةً ، فَيُقَالُ ﴿اقرأ كتابَك﴾ فِيْهِ جَمِيْعُ عَمَلِهِ مِن أَوَّلِهِ إلى آخِرِهِ . ﴿يُنبأ الانسانُ يومَئذٍ بما قدَّمَ وأخَّر﴾ قال تعالى ﴿فَمَنْ يعمل مثقال ذَرَةٍ خيراً يرهُ ، ومَنْ يعمل مِثقالَ ذَرَةٍ شراً يره﴾ وقال ﴿وان عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون﴾

فَمَا لِمنْ هَذا حَالُهُ ومَالَهُ والتَّكَبُّرُ والتَّعَاظُمُ والتَّجبُّرُ ، بلْ مَالَهُ ولِلْفَرحِ في لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَضْلاً عن الأشَرِ والبَطَرِ ، قال ﷺ : « لو تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَم ، لضَحِكْتُم قليلاً ولَبَكَيْتُمْ كَثِيْراً ولمَا تَلَذَذْتُم بالنِسَاءِ على الفُرُشِ » فَهَذَا مِن أَحْسَنِ الطُرُقِ لَتَذْلِيْلِ النَّفْسِ وَحَمْلِهَا عَلَى الخُضُوعِ والتَّواضُعِ لِلَّهِ الذي له الكِبْرِيَاءُ في السمواتِ والأرضِ وهو العزيز الحكيم .

وأما العِلاجُ الثاني فَهُوَ التَّواضُعُ لِلَّهِ بالفِعْلِ ولِسَائِرِ الخَلْقِ بالمُواظَبَةِ على أَخْلاقِ المُتَواضِعِينَ المُتَّبِعِيْنَ لِطَرِيْقَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ ومِن جُمْلَتِهَا مَا فِيْهَا مِن التَّوَاضُعِ بالمُثُوْلِ قائماً وبالرُكُوعِ والسُجُودِ « إنما أنا عَبْدٌ آكلُ كَمَا يَأْكُلُ العَبْدُ » وَقَدْ ذَكرنَا نَمُوذَجاً مِن تَوَاضُعِهِ صلى الله عليه وسلم في فَصْلِ التَّواضُعِ مَنْ أَحبَّ الزيَادَةَ فَيَرْجِعُ إليه قالَ بَعْضُ مَن رَضِيَ بالكفافِ وَقَنَعَهُ

اللَّهُ بِمَا آتَاهُ وَمَنَّ عَلَيْهِ بالتواضُعِ .

أيَا لائِمِي مَالِي سِوَى البَيْتِ مَوْضِعُ
أرَى فِيهِ عِزاً إنَّهُ لِيَ أنْفَعُ
فِرَاشِي ونَطْعِي فَرْوَتي فَرَجِيتي
لِحَافِي وَأكْلِيْ مَا يَسُدُ ويُشْبِعُ
وَمَرْكُوْبِيَ الآنَ الأتَانُ ونَجْلُهَا
لأخْلاقِ أهْلِ الدِيْنِ والعِلْمِ أتْبَعُ
وقَدْ يَسَر اللَّهُ الكَرِيمُ بفَضْلِهِ
غِنَى النَّفْسِ مَعْ شَيءٍ بهِ أتَقَنَّعُ
أُوفِرُهُ لِلأَهْلِ خَوفاً يَرَاهُم
عَدُوٌ بِعَيْشٍ ضَيِّقٍ فَيُشَنِّعُ
وأَصْبِرُ في نَفْسِي عَلَى ما يَنُوبُنِي
وأطْلُبُ عفْوَ اللَّهِ فالعَفْوُ أوْسَعُ
وما دُمْتُ أرْضَى باليَسِيْرِ فإنَّنِي
غَنِيٌّ لِغَيرِ اللهِ مَا كُنْتُ أخْضَعُ
ورَبِيَ قَد آتَانِي الصَّبْرَ والغِنَى
عن الناسِ في هذا لِيَ العِزُ أجْمَعُ
وقد مَرَّ مِن عُمْرِي ثَلاثٌ أعُدُّهَا
وسِتُونَ في رَوْضٍ مِن اللُّطْفِ أرْتَعُ
وَوَجْهِيَ مِن ذُلِّ التَّبَذُلِ مُقْفِرٌ
مُقِلٌ ومِن عِزِّ القَناعَة مُوْسَعُ

وَمِنْ حُسْنِ ظَنِّي أَنَّ ذَا يَسْتَمِرُ لِي   إلى المَوتِ إنَّ اللَّهَ يُعْطِي وَيَمْنَعُ
وَإِنِّيَ لاَ أَلْجَا إِلَى غَيرِ بَابِه   فَأَبْقَى كَمَا قَد قِيلَ والقَولُ يُسْمَعُ
نُرقِّعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِيْنِنَا   فَلا دِيْنُنَا يَبْقَى ولا مَا نُرَقِّعُ
فَطُوبَى لِعَبدٍ آثَرَ اللَّهَ رَبَّهُ   وجَادَ بِدُنْيَاهُ لِمَا يُتَوقَّعُ

اللهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وعَلِّمْتَنَا مَا يَنْفَعُنَا ، ووَفِّقْنَا للعمل بِمَا فَهَّمْتَنَا ، اللهُمَّ إنْ كُنَّا مُقَصرِيْنَ فِي حِفْظِ حَقِّكَ ، والوفاء بِعَهْدِكَ ، فأَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَنَا فِي رَجَاءِ رِفْدِكَ ، وخالص وُدِّكَ ، اللهُمَّ أنْتَ أعْلَمُ بِنَا مِنَّا ، فَبِكَمالِ جُوْدِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا ، وَاغْفِرْ لَنَا وِلوَالِدِيْنَا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، الأَحْيَاءِ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصلى الله على مُحَمَّدٍ وعلى آله وصَحْبِهِ أجمعين .

فصل : ولا يَتِمُّ التَّواضُعُ بَعْد بالمَعْرِفَةِ إلَّا بالعَمَلِ ، ولِذَلِكَ أُمِرَ العَرَبُ الذينَ تَكَبَّرُوْا على اللَّهِ ورسولِهِ بالايمان وبالصلاةِ جميعا ، وقِيْلَ الصَّلاةُ عِمَادُ الدين ، وفي الصلاةِ أسرارٌ لأجْلِهَا كانَتْ عِمَادَ الدِيْن ، ومِن جُمْلَتِهَا ما فِيْهَا مِنَ التَّواضُعِ بالمُثولِ قائماً وبالرُكُوعِ والسُجُودِ ، قَالَ حكيمُ بنُ حِزامٍ : بايَعْتُ النبيَّ ﷺ على أَن لآ أخِرَّ قائماً ، فبايَعَهُ ﷺ ثم فَقُهَ وكَمُلَ إيمانُهُ بعد ذلك ، فلَمَّا كانَ السُجُودُ عِندَهُمْ هُوَ مُنْتَهى الذلَّةِ والضَّعَةِ أُمِرُوْا بِهِ لِتَنْكَسِرَ بِذَلِكَ خُيَلاؤُهُم ، ويَزَوْلَ كِبْرُهُم ، ويَسْتَقِرَّ التَوَاضُعُ في قُلُوبِهِم ، وبه أمِرَ سَائِرُ الخَلْقِ ، فإنَّ الرُكُوعَ والسُجودَ والمُثُولَ قائما هُوَ الذي يَقْتَضِيهِ التَّواضُعُ فكذلكَ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ ، فَيَنْظُرُ كُلَّ ما يَتَقَاضَاهُ الكِبْرُ مِن الأفعالِ فَلْيُواظِبْ على نَقِيْضِهِ ، حَتَّى يَصِيْرَ التواضعُ لَهُ خُلُقَا ، فإنَّ القُلُوبَ لَا تَتَخَلَّقُ بالأخلاقِ المَحْمُوْدَةِ إلا بالعِلْمِ والعَمَلِ .

شعراً :

إِذَا المَرْءُ لم يَحْفَظْ ثَلَاثاً فَخَلِّهِ   وَرَى الظَّهْرِ وَاصْحَبْ طَالِباً لِلسَّلَامَةِ
فأَوَّلُهَا الإخلاصُ للهِ وَحْدَهُ   وثانيها تابِعْ مَن أَتى بالرِّسَالَةِ

وَثَالِثُهَا جنِّبْ هُدِيْتَ تَكَبُّراً لِتَسْلَمَ مِن نارِ الجَحِيمِ الْعَظِيْمَةِ

ومَنْ كانَ يَعْتَرِيْه الكبْرُ من جِهَة النَّسب ، فَلْيُدَاو قَلْبَهُ بأمْرَيْن أولاً : أنْ هَذَا جَهْلٌ مِن حَيْثُ أنَّهُ تَقوَّى وَتعَزُّز بِكمَالِ غَيْرِه وانَّما يَحْصُلُ لَهُ بكَمَالِهِ قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ ما الإنْسَانُ الا ابنُ يَومِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى يومُهَ لا ابنُ أمْسِهِ
وما الفَخْرُ بالعَظْمِ الرَّمِيْمِ وَإنَّمَا فِخَارُ الذي يَبْغِي الفِخَارَ بِنَفْسِهِ

وقال آخر فِيْمَنْ افْتَخَرَ بآبائه ذَوِي الشرَفِ مَعَ رداءَتِهِ في نَفْسِهِ :

لَئِنْ فَخَرْتَ بآباءٍ ذَوِي شَرَفٍ لَقَدْ صَدَقْتَ ولَكِنْ بِئْسَ مَا وَلَدُوا

آخر :

وإذا افتَخَرْتَ بأعْظَمٍ مَقْبُورةٍ فالناسُ بينَ مُكَذِّبٍ ومُصَدِّقِ
فاقِمْ لِنَفْسِكَ بانتسابِكَ شاهداً بحَدِيثِ مَجْدٍ لِلْقَدِيمِ مُحَقِّقِ

آخر :

إذا المرء لَم تَسْتَأنِفْ المَجْدَ نَفْسُه فلا خَيرَ في مَا أوْرَثْتهُ جُدُوْدُهُ

آخر :

وَمَا يُجْدِي افْتِخَارُكَ بالأوَالِي إذَا لَم تَفْتَخِرْ فَخْراً جَدِيْداً

الثاني أنْ يَعْرِفَ نَسَبَهُ الحَقِيْقِيْ ، فَيَعْرِفَ أباهُ وجَدَّهُ فإن أبَاهُ القَرِيْبَ نُطْفَةٌ قذرَةٌ ، وَجَدَّهُ البَعِيْدَ تُرابٌ ذَلِيْلٌ ، وقَدْ عَرَّفَهُ اللّهُ تعالى نَسَبَهُ فقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ الذي أحْسَنَ كلَّ شيءٍ وبدأ خَلْقَ الإنسانِ من طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ من ماءٍ مُهِيْنٍ ﴾ فَمِنْ أَصْلُهُ التُرابُ الْمَهِيْنُ الذي يُدَاسُ بالأقدام ثُمَّ خُمِّرَ طِيْنَهُ حَتَّى صَارَ حَمأً مَسْنُوناً كَيْفَ يَتَكَبَّرُ؟

شعرا : عَجِبْتُ مِن مُعْجَبٍ بِصُوْرَتِهِ وَكانَ بالأمْسِ نُطْفَةٌ مَذِرَهْ
وفي غَدٍ بَعْدَ حُسْنِ طَلْعَتِهِ يَصِيْر في اللَّحْدِ جِيْفَةً قَذِرَهْ
وَهْوَ عَلَى تِيْهِهِ ونَخْوَتِهِ ما بين جَنْبَيْهِ يَحْمِلُ العَذِرَهْ

آخر: إذاكَبُرَتْ نَفْسُ الفَتَى قَلَّ عَقْلُهُ وأمْسَى وَأضْحَى سَاخِطاً مُتَعَتِّبَا

وإنْ جَاءَ يستَقضِيْ مِن الناسِ حَاجةً ... يَرى أنَّها حَقٌّ عَليْهِمْ مُرَتَّبَا
وَإنْ طالبُوهُ أَوْ أَبُوهُ بِحَقِّهِمْ ... لَوى وجْهَهُ غَيْظاً عَلَيْهِمْ وقَطَّبَا
يَرَى أنَّ كل النَّاسِ قَدْ خُلقُوا لَهُ ... عَبِيْداً وفي كُلِّ القُلُوبِ مُحَبَّبَا
فلا يَرْتَضِيْ إنْ لَمْ يَكُنْ تَحْتَ أَمْرِهِ ... مِن الكَونِ يَجْرِي مَا أرادَ وَمَا أبَى

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وَصحبه وسلم .

(فَصل)

وإنْ كَانَ التَّكَبُر بالجَمَالِ فَدَوَاؤُهُ أَنْ يَنْظُر إلى بَاطِنَهُ نَظَرَ العُقَلاءِ ، ولا يَنْظُر إلى الظَّاهِرِ نَظَرَ البَهَائِمِ ، ومَهْمَا نَظَرَ إلى باطِنِهِ رَأى مِن القَبَائِحِ ما يُكَدِّرُ عَلَيهِ تَعَزُّزَهُ بالجَمَالِ ، فإنَّ الأقْذَار في جَمِيْعِ أَجْزَائِهِ ، فالرجِيْعُ في أمْعَائِهِ ، والبَوْلُ في مَثَانَتِهِ والمُخَاطُ في أنفِهِ ، والبُزَاق في فَمِهِ ، والوَسَخُ في أُذنَيْهِ ، والدَّمُ في عُرُوْقِهِ ، والصَّدِيْدُ تَحْتَ بشَرَتِهِ والصُّنَانُ تَحْتَ إبْطِهِ ، يَغْسِلُ الغَائِط بِيَدِهِ كُلَّ يوم مَرَّتَين أو ثلاثا لِيُخْرِجَ مِن باطِنِهِ ما لَوْ عَايَنَهُ لاَسْتَقْذَرَهُ ، فضلاً عَنْ أنْ يَمسَّهُ أو يَشُمَّهُ ، فَهَلْ يَلِيْقُ بِمَنْ هَذِهِ حَالُهُ الكِبْرُ والتَّعَاظُمُ . كَلاَّ مَا يَلِيْقُ بِهِ إلا التَّوَاضُعُ لِلَّذِي أَوْجَدَهُ .

وفي أَوَّلِ أَمْرِهِ خُلِقَ مِن النُّطفَةِ وفي بَطْنِ أُمِّهِ يَتَغذَّى بِدَمِ الحَيضِ ، وأُخْرِجَ مِن مَجْرَى البَوْلِ مَرَّتَيْنِ ، قال طَاوُوسُ لِعُمَرَ بن عَبْدِ العَزيزِ ـ قَبْلَ تَوَلِّيْهِ الخِلافَةَ وَزُهْدِهِ في الدُّنْيَا ـ ما هَذِهِ مِشْيَةُ مَنْ في بَطْنِهِ خِرَاءٌ ، إذْ رَآهُ يَتَبَخْتَرُ ، فإذا نَظَرَ إلى أَنَّهُ خُلِقَ مِن مَاءٍ مَهِيْنٍ ، وأسْكِنَ في أَقْذَارٍ ، وسَيَمُوتُ فَيَصِيْرَ جِيْفَةً لم يَفْتَخِرْ بَجَمَالِهِ الذِي هُوَ كَخَضْرَاءِ الدِّمَنِ ، كَيْفَ وَلَوْ كَانَ جَمَالُهُ بَاقِياً ، وجِسْمُه عن هذه الأشيآءِ خَالِياً ، لَكَانَ يَجِبُ عليهِ أنْ لا يَتَكَبَّرَ ، وَيَعْلَمَ أنَّ هذا عُرْضَةٌ لِلزَّوالِ بِمَرضٍ أَوْ حَرَقٍ أَوْ قَرْحَةٍ أَوْ بَرَصٍ أَوْ تَشْوِيْهٍ ، فَمَعْرِفَةُ هَذا تماماً تَنْزِعُ بإذنِ اللَّهِ مِن القَلْبِ دَاءَ الكِبْرِ والعُجْبِ لِمَنِ أَكْثَرَ تَأَمُّلَهَا .

شعرا : لَيْسَ الكَرِيمُ الذي إنْ نالَ مَكْرُمَةً ... أَوْ نَالَ مَالاً عَلَى إخْوانِهِ تَاهَا

الحُرُيَــزْ دَادُ لِلإِخْوَانِ مَرْحَمَــةً   إنْ نَالَ فَضْلًا مِنَ الرحمٰن أوجاهَا

وإنْ كَانْ التكبر بالقوةِ فالعلاج أنْ يعلم أنَّ القُوةَ لِلَّهِ جَمِيْعًا وَيَعْلَمَ ما سُلِّطَ عَلَيْهِ مَن العِلَلِ والأمْراضِ ، وأنَّهُ لَوْ أَصَابَهُ عُوْدٌ يَسِيْرٌ وَدَخلَ في لَحْمِهِ لأقْلَقَ رَاحَتَهُ ، وَأَقَضَّ مَضْجَعَهُ ولوَ وَجِعَ أُصْبُعٌ أو عِرْقٌ من عُرُوْقٍ بَدَنِهِ لَتَألَّمَ وَصَارَ أعْجزَ مِنْ كُلِّ عَاجِزٍ ، وَأَذَلَّ مِنْ كُلِّ ذَلِيْلٍ ، وَأَنَّ البَعُوضَةَ والجُرْثُوْمَةَ الدَّقِيْقَةَ إذا سُلِّطَتْ عليهِ أَهْلَكَتْهُ وَإنَّ حُمَّى سَاعَةٍ تُحَلِّلُ مِن بَدَنِهِ ما لا يَنْجَبِرُ بالمُدَةِ الكَثِيْرَةِ ، قال الشاعر :

ولا تَمْشِيْ فَوْقَ الأرْضِ إلَّا تَوَاضُعاً
فكَمْ تَحْتَهَا قَومٌ هُمُو مِنْكَ أَرْفَعُ
وإنْ كُنْتَ في عِــزٍّ رَفِيْــعٍ وَمِنْعَــةٍ
فكم مَاتَ مِنْ قَوْمٍ هُمُوا مِنْكَ أَمْنَعُ

فَمَنْ كَانَ هَذِهِ حَالُــهُ فَلَا يَلِيْقُ بِهِ الكِبْرُ ، ثُمَّ مِن البَهَائِمِ مَا هُوَ أَقْوَى بِكَثِيْرٍ مِنْهُ ، وَأَيُّ افْتِخَارٍ وَتَعَاظُمٍ في صِفَةٍ يَسْبِقُهُ فِيهَا الحِمَارُ . والبَغْلُ والثَّوْرُ والفِيْلُ .

وانْ كَانَ التَّكَبُّرُ بالمَالِ فبأنْ يَعْرِفَ وَيَعْلَمَ أَنَّهُ عَرَضٌ زَائِلٌ ، وفي مَعْنَاهُ التَّكَبُّرُ بكَثْرَةِ الأَتْبَاعِ والأَنْصَارِ ، ويُقَالُ لَهَا كَثْرَةُ الشَّعْبِيَةِ ، وكَذلكَ التَّكَبُّرُ بولَايَةِ السَّلاطِيْنِ والأُمَرَاءِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ تَكَبُّرٌ بأمْرٍ خَارِجي أيْ خَارِجٌ عن ذَاتِ الانسانِ ، وهَذَا أَقْبَحُ أنواعِ الكِبْرِ ، فإنَّ المُتَكَبِّرَ بمالِهِ أَوْ عَقَارِهِ لَوْ ذَهَبَ مَالُهُ أو انْهَدَمَ عَقَارُهُ أَوْ تَلِفَ لَعَادَ في لَحْظَةٍ ذَلِيْلًا مِن أَذَلِّ الخَلْقِ وَكُلُّ مُتَكَبِّر بأمْرٍ خَارِجٍ عَنْ ذَاتِهِ مِن أَجْهَلِ الخَلْقِ ، كَيْفَ والمُتَكَبِرُ بالمالِ لَوْ تأمل لَرَأى في اليَهُودِ النَّصَارَى وَغيرِهِم مِن الكَفَرَةِ مَنْ يَزِيدُ عَليهِ في المالِ والتَّجَمُّلِ والثَّرْوَةِ ، فأُفٍّ لِشَرَفٍ يَسْبِقُكَ بِهِ يَهُوْدِيٌّ وَنَحْوُهُ ، ويأخُذُهُ سَارِقٌ أَوْ نَحوُه في لَحْظَــةٍ ،

فَيَعُوْدُ صَاحِبُه ذَلِيْلاًحَقِيْرا مُفْلِسَا .

وإن كان الكِبْرُ بالعِلْمِ ـ وهو أَعْظَمُ الآفاتِ ، وأَغْلَبُ الأدْوَاءِ وأَبْعَدُهَا عن قَبْولِ العِلاجِ إلا بشِدَّةٍ شَدِيْدَةٍ ، وذَلِكَ لأنَّ العِلْمَ عَظِيْمٌ عندَ الناسِ ، وهو أَعظَمُ مِن قَدْرِ المالِ والجَاهِ ، ولِذَلِكَ قالَ عُمَرُ رضيَ اللَّهُ عنه : العَالِمُ إذا زَلَّ زَلَّ بزلَّتِهِ عَالَمٌ فَيَعْجِزُ العَالِمُ أنْ لا يَسْتَعْظِمَ نَفْسَه بالإضَافَةِ إلى الجَاهِلِ ـ ، لِكَثْرَةِ ما نَطَقَ بِهِ الشَّرْعُ مِن فَضَائِلِ العِلْمِ وأَهْلِهِ ـ فلا بُدَّ لِلْعَالِمِ من مَعْرِفَةِ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أنْ يَعْلَمَ أنَّ حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ العِلْمِ آكَدُ ، وأَنَّهُ يُحْتَمَلُ مِنْ الجَاهِلِ ما لا يُحْتَمَلُ مِن العَالِمِ ، قَالَ اللَّهُ تَعالَى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذينَ يعلمون والذين لا يعلمون﴾ فإنَّ مَنْ عَصَى اللَّهَ عَلىَ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ أَعْظَمُ جِنَايَةً مِمَّنْ عَصَى اللَّهَ على جَهْلٍ ، لإنَّ العَالِمَ لم يَقْضِ حَقَّ نِعْمَةِ اللَّهِ عليهِ ولِذلكَ قال النبيُّ ﷺ : « يُجَاءُ بالرَّجلِ يومَ القِيَامَةِ فَيُلْقَي في النارِ فَتَنْدَلِقَ أَقْتَابُهُ فَيَدُوْرُ بِهَا كَمَا يَدُوْرُ الحِمَارُ في الرَّحى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أهْلُ النارِ ، فَيَقُولُونَ يا فُلانُ مَا لَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بالمَعْرُوْفِ وَتَنْهَى عن المُنْكَرِ فيقولُ بَلَى كُنْتُ آمُرُ بالمَعْرُوْفِ وَلاَ آتِيْهِ ، وأَنْهَى عن المُنْكَرِ وآتِيْهِ » رواه البخاري ومسلم . فإذا تَفَكَّرَ فِيْمَا أَمَامَهُ مِن الخَطَرِ العَظِيْمِ وَعَلِمَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصالحُ الصحابةُ فَمَنْ بَعْدَهم مِن التَّواضعِ والخَوْفِ مِمَّا أَمَامَهُم مِن الأَهْوَالِ والكُرَبَاتِ والشَّدَائِدِ ، امْتَنَعَ بِإِذْنِ اللهِ مِن الكِبْرِ ، فَقَدْ كَانَ بَعْضُ الصحابَةِ يَقُولُ : لَيْتَنِيْ لَمْ تَلِدْنِي أُمِّيْ ، وَيَقُولُ الآخَرُ لَيْتَنِي شَجَرةٌ تُعْضَدُ وَيَأْخُذُ الآخرَ تِبْنَةً وَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِيْ كُنْتُ هَذِهِ التِّبْنَةَ ، وَيَقُولُ الآخَرَ : لَيْتَنِيْ كُنْتُ طَيراً أُوْكَلُ ، وَيَقُولُ الآخَرُ : لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً .

شعرا : لا يُدْرِكُ العَلْيَا عَلىَ التَّحْقِيْقِ إلاَّ مَنِ اسْتَقَامَ في الطَّرِيْقِ
وَجَنَّبَ التِّلْفَازَ والمِذْيَاعَ وَكُورةً وسَائِرَ المَلَاهِي

شعـــرا :

وأحسَنُ أخلاقِ الفَتى وَأجَلُّهَا تَوَاضُعُهُ للناسِ وهُوَ رَفِيعُ
وأقبَحُ شَيْءٍ أنْ يَرى المرءُ نَفْسَهُ رَفِيعاً وَعِنْدَ العَالَمِيْنَ وَضِيْعُ

الثاني أنَّ العَالِمَ يَعرِفُ أنَّ الكِبْرَ لا يَلِيْقُ إلاَّ باللّهِ عزَّ وَجَلَّ الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيْءٌ وهو السميعُ البَصِيْرُ﴾ وأنَّهُ إذا تكَبَّرَ صارَ مَمْقُوتاً عِنْدَ اللّهِ بَغِيْضا ، وقد أحبَّ اللّهُ منه أنْ يَتواضَعَ ، وأنْ يُفكِّرَ في خَطَرِ الخَاتِمَةِ ، فَكَمْ مِن إنْسَانٍ مُزْدَرى مُحتَقَرٍ لِكُفْرِهِ أوْ فِسْقِهِ فَتحَ اللّهُ عليه بابَ التوبةِ والانابةِ ، فأقبلَ على اللّهِ فَسَعِدَ بذلكَ وشُهِدَ له بالجنةِ كَعُمَرَ رضي اللّهُ عنه ، وبالعكس فكَمْ مِن انسانٍ عَمِلَ بَعَمَلِ أهلِ الجنةِ زَمَناً طويلاً وفي آخِرِ الأمْرِ عَمِلَ بعَمَلِ أهل النارِ فَيَدْخُلُهَا كَثَعْلَبَةَ وبِلْعَامَ ونَحوهِمَا مِمَّنْ ارتدَّ عن الاسلامِ وفي حَدِيثِ ابنِ مَسعودٍ قولُه ﷺ : « ان أحَدَكم لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهلِ الجنةِ حَتَّى ما يكونُ بينَهُ وبينَهَا إلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عليه الكَتابُ فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهل النارِ فَيَدْخلهَا ، وإن أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهلِ النارِ حتى ما يكونُ بينَهُ وبينَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عليه الكتَابُ فَيَعْملُ بعَمَلِ أهلِ الجنةِ فَيَدْخُلُهَا » متفق عليه .

فَمَهْمَا بَلَغَ المَرءُ مِن العِلْمِ والتُقى والوَرَعِ والزُهْدِ فَهُوَ في خَطَرٍ مِن سُوءِ الخَاتِمَةِ التِي عليها المَدَارُ ، فبِمُلاَحظَتِهَا يَتلاشَى الكِبْرُ بِإذْنِ اللهِ .

ومِن أضرِّ مَا عَلَى كَثِيْرٍ من عُلَمَاءِ هَذَا الزمانِ الشَّهَادَاتُ الحَالِيَّةُ التِي يُسَمُّونَهَا دُكْتُورَاه وماجِسْتِيْر وعَالِمِيَّةِ وبَكَالِرْيُوس ونحوِ ذلك لأنَّ مَنْ حَصَلَ عَلَيها رَأى مَنْ لم يَحْصُلْ عليهَا بعَينِ الاحتقارِ والامْتِهانِ والازْدِراءِ وَمَعَ ذلكَ فهِيَ عندَ بَعضِهِمْ مُضْعِفَةٌ لِلتَّوَكُلِ على اللّهِ مِن قِبَلِ الرزْقِ يُؤَيِّدُ ذَلِكَ ما يَجْرِيْ على أَلْسِنَةِ كَثِيْرٍ مِنهُم بقَوْلِهِم لِمَنْ لم يَحْصُلْ عليها أَمْنُ حَيَاتَكَ أحْصُلْ على شَهادَةٍ . وَنَسُوْا قَوْلَ اللهِ تَعالَىٰ ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ في الأَرْضِ إلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾ وقوله ﴿ وَمَنْ يَتوَكَّلْ على اللهِ فَهُوَ حَسْبُه ﴾ وقوله ﴿ وَعَلَى اللهِ

فَتوكّلُوا إنْ كُنْتُم مؤْمِنِين﴾. وكَثِيرٌ مِن أُولَئكَ أَهْمَلُوا التَّوكُل عَلَى اللهِ وتَوَكَّلُوا على الشَّهَادَةِ الْمَذْكُورةِ.

شعرا: سَعَى رِجَالٌ لِنَيْلِ الرزق واجْتَهَدُوْا   لابُـدَّ مِن سَبَبٍ للّـرْزقِ في الطَّـلَبِ
حُسْنُ الدُّعَاءِ مَفَاتِيْحُ الغِنَىَ وعَلَىَ   رَبِّ العِبَـادِ إِجَابَـاتُ المطَالِـــيْبِ

أَتَــطلبُ رزقَ الـلَّهِ مِـن عِــنـدِ غَـيْــرِهِ
وَتُـصْبِــحُ مِـن خَـــوْفِ العَــوَاقِـبِ آمِـنَـــا
وتَــرْضَى بِصَــرَّافٍ وإنْ كَــانَ مُشْــرِكــاً
ضَمِيْنــاً ولا تَــرْضَى بِــرَبِــكَ ضَــامِنَــا
كَــأَنَّــك لَـمْ تَقْــرأْ بِـمَــا في كِتَــابِــهِ
فَــأَصْبَحْـتَ مَنْحُــولَ اليَقِيْـنِ مُبَــايِنَــا

يُشِيْرُ إلى قَولِ اللَّهِ تعالى ﴿ومَا مِن دَابَةٍ في الأرضِ إلا على اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ وقوله ﴿إنَّ اللَّهُ هُوَ الرَّزَاقُ﴾ .

وَمَنْ أَمْعَنَ نَظَرَهُ في الناسِ وسَبَرَهُم وَجدَ ذلكَ بِكَثْرَةٍ ، وَوَجَدَ عِندَهُم مِن الطغيانِ والأُبَّهَةِ والكِبْرِ الشيءِ الكثيرِ ، يَظْهَرُ ذَلِكَ على ألسِنَتِهِم وهَيْئَآتِهِم نسأل اللَّه العصمة لنا ولاخواننا المسلمين .

بــاتُوا على قُلَلِ الأجْبَـالِ تَحرِسُهُمْ
غُلْبُ الــرجــالِ فَلَمْ تَنْفَعْهُم القُلَلُ
واسْتُنْـزِلُـوا بَعْـدَ عِـزٍ عن مَعَــاقِلِهِم
إلى مَقَـابِـرِهِمّ يا بِئْسَ مَـا نَــزَلُـوْا
نَـادَاهُـم صَـارِخٌ مِن بَعــدِمَـا دُفُنــوا
أيـْنَ الأَسِــرَّةُ والتِيْـجَــانُ والـحُـلَلُ
أَيْنَ الــوُجُـوهُ التِي كَــانَتْ مُحَجَّبَـةً
مِنْ دُوْنِهـا تُضْـربُ الأَسْتَـارُ والكِلَلُ

فـأفْصَـحَ القَبْـرُ عَنْهُم حِيْنَ سَـاءلَهُم
تِلْكَ الـوُجُـوهُ عَلَيـهـا الـدُوْدُ يَقْتَتِـلُ
قَـدْ طَالمَـا أكَلُوا فِيهَـا ومـا شَـرِبُـوا
فأصْبَحُوا بَعدَ طُولِ الأُكلِ قَدْ أُكِلُوا
وطَـالَمـا كَنَــزُوا الأَمْــوَالَ وادَّخَــروا
فَخَلَّفُــوهَـا عَلَى الأَعْــدْاءِ وارْتَحلُوْا
وطَــالَمــا شَيَّــدُوا دُوْراً لِتُحْـصِنَـهُـمْ
فَفَـارُقُـوْا الــدُوْرَ والأهْلِيْنَ وانْتَقلُوا
أَضْحتْ مَسَــاكِنُهُم وَحْشــاً مُعَــطَّلةً
وسَاكنُوهَـا إلى الأَجْدَاثِ قَـدْ رَحَلُوا
سَــلِ الخَلِيْـفَـةَ إِذْ وَافَتْ مَنِيَّتُــهُ
أيْنَ الجُنُـودُ وأَيْنَ الخَيْـلُ والخَــوَلُ
أيْنَ الكُنُـوزُ الَّتِي كـانَتْ مَفَــاتِحُهـا
تَنُـوءُ بـالعُصْبَـةِ المُقْـوِيْنَ لَـوْ حَمَلُوْا
أَيْنَ العَبِيـدُ الَّتِي أَرْصَــدْتَهُمْ عُـدَداً
أَيْنَ الحَـديـدُ وأينَ البِيْضُ والأَسَـلُ
أَيْنَ الفَـوارسُ والغِلْمَـانُ مـا صَنَعُـوا
أَيْنَ الصَــوارِمُ والخِـطِّيَـةُ الــذُبُــلُ
أَيْنَ الكمُــاةُ أَلَمْ يَكْفُــوا خَلِيْفَـتَهُـم
لمَّــا رَأوهُ صَــرِيْعــاً وَهْــوَ يَبْتَهِــلُ
أَيْنَ الكُمَاةُ الَّتِي ماجُوا لِمَا غَضِبُوا
أَيْنَ الحُمَاةُ الَّتِي تُحْمَى بِهَا الـدُوَلُ

أينَ الـرُماةُ أَلَمْ تَمْنَـعْ بـأَسْهُمِهِمْ
لَمَّا أَتَتْـكَ سِهَامُ الْمَـوْتِ تَنْتَصِـلُ
هَيْهَـاتَ ما كَشَفُـوا ضَيْماً ولا دَفَعُـوا
عَنْـكَ المَنِيَّـةَ إِذْ وَافَى بِـكَ الأَجَـلُ
ولا الـرُّشَى دَفَعَتْهَا عَنْـكَ لَو بَـذَلُـوا
ولا الـرُّقَى نَفَعَتْ فِيهَـا ولاَ الحِيَـلُ
مـا سَـاعَـدُوكَ ولا وَاسَـاكَ أَقْـرَبُهُم
بَـلْ سَلَّمُوكَ لَهَـا يَا قُبْـحَ مـا فَعَلُوْا
مَـا بَـالُ قَبْـرِكَ لا يَـأْتِي بـه أَحَـدٌ
وَلاَ يَـدُوْرُ بِـهِ مِـن بَيْنِهِـم رجُـلُ
مـا بَـال ذِكْـرِكَ مَنْسِيـاً ومُـطَّرَحـاً
وَكُلُّهُمْ بـاقْتِسَـامِ المَـالِ قَـدْ شُغِلُوْا
ما بَالُ قَصْرِكَ وَحْشاً لا أَنِيْسَ بـه
يَغْشَـاكَ مِن كَنَفَيـهِ الـرَوْعُ والـوَهَـلُ
لا تُنْكِـرَنَّ فَمَـا دامَتْ عـلى مَلِكٍ
إلاَّ أَنَـاخَ عليـه المـوتُ والـوَجَـلُ
وكَيْفَ يَـرجُـو دَوَامَ العَيْشِ مُتَّصِـلاً
وَرُوْحُـه بِحِبَـالِ المـوتِ مُتَّصِـلُ
وجِسْمُـهُ لِبُنَيَّـاتِ الـرَّدَى غَـرَضٌ
ومَـالُـه زَائِـلٌ عَـنْـهُ ومُنْـتَـقِـلُ

اللهم امْنُنْ علينا باصلاحِ عُيوبِنا واجعل التَّقْوَى زادَنا وفي دِيْنِك

اجْتهادَنا وعليكَ توكلنا واعتمادُنا اللهم ثَبِّتْنَا على نَهْجِ الاستقامة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

فصل في الغضب والتحذير منه »

إعْلَمْ وَفَّقَنا اللَّهُ وإيَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِينَ وَجَنَّبَنا وإيَّاك وإيَّاهُم كُلَّ خُلُقٍ رَذِيْلٍ أنَّ مِمَّا يَتَأكَّدُ اجْتِنَابُهُ فِي رَمَضَانَ وفي غَيْرِهِ الغَضَبُ إلاّ أنْ تَنْتَهِكَ مَحَارِمَ اللّهِ فَيُغْضَبُ لِمَا يُغْضِبُ اللّهَ وَيَمْلِكُ نَفْسَهُ فِيْمَا عَدَا ذَلِكَ إلا أنْ يُبْغى عَلَيْهِ وتَعْرِيْفُ الغَضَبِ أنَّهُ قُوَّةٌ أوْدَعَهَا اللّهُ فِي الإنْسَانِ تَثُوْرُ مِن بَاطِنِهِ فَتَحْمِلُهُ على الدِّفَاعِ عَمَّا يُحِبُّهُ مِن الأغْرَاضِ وتَدْفَعُهُ إلى البَطْشِ بِكُلِّ ما يُؤْذِيْهِ فإذا اعْتَدَى عَلَيْهِ مُعْتدٍ أوْ حِيْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أغْرَاضِهِ تَثُوْرُ تِلْكَ القُوَّةُ فَيَغْلي دَمُهُ وَيَنتَشِرُ في العُرُوْقِ ويَرْتَفِعُ إلى أعَالِي البَدَنِ فَيَظْهَرُ أثرُهُ عَلَى ظَاهِرِ الوَجْهِ والعَيْنَيْنِ .

والغَضَبُ مِن مَدَاخِلِ الشَّيْطانِ إلى قَلْبِ الإنْسانِ فإنَّ الغضَبَ غُولُ العَقْلِ وإذا ضَعُفَ جُنْدُ العَقْلِ هَجَمَ جُنْدُ الشَّيْطانِ وَمَهْمَا غَضِبَ الإنْسانُ لَعِبَ الشّيْطانُ بِهِ كَمَا يَلْعَبُ الصِّبْيانُ بالكُرَة .

وَلِلْغَضَبِ ثَلاثُ دَرَجاتٍ أوّلاً دَرَجَةُ الاعْتِدَالِ وذَلِك بأنْ يَغْضَبَ لِيَدْفَعَ عَنْ دِيْنِهِ أوْ نَفْسِهِ أوْ مَالِهِ أوْ يَغْضَبَ لِيُدَافِعَ عَنْ الحُقُوقِ العَامَّةِ ونُصْرَةِ المَظْلُومِيْنَ وَتِلْكَ الحَالَةُ هِيَ الّتِي مِن أجْلِهَا خَلَقَ اللّهُ الغَضَبَ فَهُوَ مَخْلُوقٌ لِحِكْمَةٍ وَلوْلاَ أنَّ اللّهَ جَعَلَ ذَلِكَ فِي الإنْسَانِ لَفَسَدَتْ الأرْض بانْتِشَارِ الفَوْضَى وتَقْوِيْضِ دَعَائِمِ النُّظُمِ الإجْتِمَاعِيَّةِ وَالدِّيْنِيَّةِ لِأنَّ مَن لا يَغْضَبُ لِعِرْضِهِ لا يَغَارُ لِنِسَائِهِ فَتَخْتَلِطُ الأنسَابُ وتَعُمُّ الفَوْضَى في ذَلِكَ البَابِ وَيُصْبِحُ الإنْسَانُ

كَالحَيَوانَاتِ الَّتِي يَسْطُو بَعْضُها على بَعْضٍ بِدُوْنِ غَيْرَةٍ ولاَ حَميَّةٍ وَلا مَعْرِفَةٍ لِمَا يَترتَّبَ عَلى ذَلِكَ مِن التَّناسُلِ الَّذِي بِه حَيَاةُ النَّوْعِ الانساني وَبقاءُ العُمْرَانِ إلى الأَجَلِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ الوُجُوْدِ .

ومَنْ لا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ فإنَّهُ يَكونُ مُعَرَّضاً لِلزَّوالِ مِنْ هَذَا الوُجُودِ أَوْ مُعَرَّضاً لِأَنْ يُسَخِّرَهُ غَيْرُهُ كَمَا تُسَخَّرُ الدَّوابُ الَّتِي لا تَغْضَبُ لِنَفْسِهَا .

ومَنْ لا يَغْضَبُ لِمالِهِ فَإِنَّهُ لاَ يَلْبَثُ أَنْ يَسْلُبَهُ النَّاسُ مِنْهُ ويُصْبِحُ فَقِيْراً مُعْدِماً وَإذا فَشَى سَلْبُ المَالِ فَإِنَّ نِظَامَ العَمَلِ يَتَعطَّلُ وتَبْطُلُ الأعْمالُ التِّجارِيَّةُ والصِّنَاعِيَّةُ والزِّرَاعِيَّةُ ويَعْتَمِدُ النَّاسُ عَلى سَلْبِ بَعْضِهِمْ بَعْضَا .

ومَنْ لاَ يَغْضَبُ لِدِيْنِهِ فَإِنَّهُ في الغَالِبِ لاَ يَسْتَقِرُّ عَلَى دِيْنٍ لِأَنَّ اخْتِلافَ طَبَائِعِ النَّاسِ واخْتِلافَ أَنْظَارِهِمْ مِنْ أَكْبَرِ البَوَاعِثِ على اخْتِلافِ مُعْتَقَدَاتِهِمْ فَمَنْ لا يَغارُ على دِيْنِهِ يَكُونُ عُرْضَةً لِتَقْلِيْدِ القَوِيّ في كُلِّ ما يَراهُ فَيَنْتَقِلُ مِنْ دِيْنٍ إلى دِيْنٍ .

وهَكذا فَخلق الله الغَضَبَ لِيَحْمِي النَّاسَ بعضهُمْ بعضاً فَيَسْتَقِرُّ النِّظَامُ ويَقِفُ كُلُّ واحِدٍ عِنْدَ الحَدِّ الَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ قَال الله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ ببعْضٍ لَفَسدتْ الأرض ولكن الله ذُو فَضْلٍ على العَالَمِين﴾ . وقال تعالى ﴿وَلَوْلا دَفْعُ الله النَّاسَ بعضَهم ببعض لهدمت صوامِعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يذكُر فيها اسم الله كثيراً﴾ .

ولِلْغضَبِ أَسْبابٌ كَثِيْرَةٌ تَخْتَلِفُ باخْتِلَافِ أَحْوَالِ النَّاسِ وطَبَائِعِهِمْ واسْتِعْدَادِهِمْ لِلتَّأَثُّرِ بالأشْياءِ فَنَذْكُرُ طَرَفاً مِنْها لِيَجْتَنِبَها الإنسانُ ، فمِنْهَا الجِدَالُ والمَزْحُ والسُّخْرِيَّةُ بالنَّاسِ نَعُوْذُ بِاللّهِ والاسْتِهْزَاءُ بِهِمْ واطلاقُ اللِّسانِ في

السَّبِ واللَّعْنِ والغَيْبَةِ وَمِن ذَلِكَ الكِبْرُ والعُجْبُ لِأَنَّ المُتَكَبِّرَ المُعْجَبَ بِنَفْسِهِ يَتَأَثَّرُ كُلَّمَا فَاتَهُ مَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُنَافِي عَظَمَتَهُ وخُيَلاءَهُ فإذا طَالَبَهُ أَحَدٌ بِحَقٍّ اهْتَاجَ غَضَبُهُ وهَكَذَا إِذَا نُهِيَ عَنْ رَذِيْلَةٍ لِأَنَّهُ مِنَ سَخَافَةِ عَقْلِهِ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ كَامِلٌ مِن كُلِّ وَجْهٍ فَلا يَصِحُّ لأحَدٍ عِنْدَهُ أنْ يَأْمُرَهُ أوْ يَنْهَاهُ أوْ يَقِفُ فِي سَبِيْلِهِ أوْ يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الوَاقِعِ نَاقِصٌ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ وَيُحَاوِلُ أَنْ يَجْبُرَ نَقْصَهُ بِكِبْرِيائِهِ وعَظَمَتِهِ وهُوَ مَغْرُوْر .

وَمَــن جَـهِـلَـتْ نَـفْـسُـهُ قَـدْرَهُ

رَأَى غَـيْـرُهُ مِـنْـهُ مَـا لا يَـرَى

ومِنْ أسبَابِ الغَضَبِ مُصَاحَبَةُ الأَشْرَارِ الّذِين لا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ المَمْدُوْحِ وَالمَذْمُوْمِ مِنَ الغضبِ فَيَحْسَبُونَ التَّهَوُّرَ والطَّيشَ شَجَاعَةً وَيَعُدُّوْنَ طُغْيَانَ الغَضَبِ المُوجِبِ لِلظُّلْمِ رُجُوْلَةً وَيَتَبَجَّحُوْنَ بِذَلِكَ فَيَقُولُ الواحِدُ مِنْهُمْ : أَنَا الّذِي لا أصْبِرُ عَلَى مَكْرُوْهٍ ، وَلاَ عَلَى مَكْرٍ وَلا أحْتَمِلُ مِن أحَدٍ أمْراً وَمَعْنَاهُ حَقِيْقَةً لا عَقْلَ فِيَّ وَلا حِلْمَ يُذْكَرُ فِي مَعْرِضِ الفَخْرِ بِالجَهْلِ فإذا سَمِعَهُ الجَاهِلُ رَسَخَ فِي ذُهْنِهِ حُسْنُ الغضَبِ وَحبُّ التَّشَبُّهِ بِالقَوْمِ فَيَقْوى بِهِ الغَضَبُ ، وَمَهْمَا اشْتَدَّتْ نَارُ الغَضَبِ وَقَوِيَ اضْطِرَامُهَا أعْمَتْ صَاحِبَهَا وأَصَمَّتْهُ عن كُلِّ مَوْعِظَةٍ فإذا وُعِظَ لَمْ يَسْمَعْ بَلْ زَادَهُ ذَلِكَ غَضَباً وإذا اسْتَنَارَ بِنُوْرِ عَقْلِهِ وَرَاجَعَ نَفْسَهُ لَمْ يَقْدِرْ إِذْ يَنْطَفِىءُ نُوْرُ العَقْلِ وَيَنْمَحِيْ فِي الحَالِ بِدُخَانِ الغَضَبِ والعِيَاذُ بِاللّهِ .

فإنَّ مَعْدَنَ الفِكْرِ الدِّماغُ وَيَتَصَاعَدُ عِنْدَ شِدَّةِ الغَضَبِ مِن غَلَيَانِ دَمِ القَلْبِ دُخانٌ مُظْلِمٌ إلى الدِّمَاغِ يَسْتَوْلِيْ عَلَى مَعَادِنِ الفِكْرِ وَرُبَّمَا يَتَعَدَّى إلى مَعَادِنِ الحِسِّ فَتُظْلِمُ عَيْنُهُ وَتَسْوَدُّ عَلَيْهِ الدُّنْيا وَيكُونُ دِمَاغُهُ عَلى مِثَالِ كَهْفٍ اضْطَرَمَتْ فِيهِ النَّارُ فاسْوَدَّ جَوُّهُ وحَمِيَ مُسْتَقَرُّهُ وامْتَلأَتْ بالدُّخانِ جَوَانِبُهُ وكَانَ

فِيهِ سِرَاجٌ فانْمَحَى أو انطفأ فلا تَثْبُتُ فِيهِ قَدَمٌ وَلا يُسْمَعُ فِيْهِ كَلامٌ وَلا يُرى فِيهِ صُوْرَةٌ وَلا يُقْدَرُ علَى إطْفَائِهِ لا مِن دَاخِلٍ وَلا مِنْ خَارِجٍ بَلْ يَنْبَغِي أنْ يُصْبَرَ إلَى أنْ يَحْتَرِقَ جَمِيْعُ مَا يَقبَلُ الاحْتِرَاقَ فكذَلِكَ يَفْعَلُ الغَضَبُ في القَلْبِ والدِّمَاغِ ، وَرُبَّما تَقْوى نَارُ الغضَبِ فتُفْنِي الرُّطُوبَةَ الّتِي فِيها حَيَاةُ القَلْبِ فَيمُوْتُ صَاحِبُهُ غَيْظاً كَمَا تَقْوى النّارُ في الغَارِ فَيتفكَّكُ وَتَهدَّمُ أعَالِيْهِ عَلَى أسْفَلِهِ وذَلِكَ لِأبْطَالِ النّارِ مَا فِي جوَانِبِهِ مِن القُوَّةِ المُمْسِكَةِ الجَامِعَةِ لأجْزَائِهِ فهكذا حَالُ القَلْبِ عِنْدَ الغَضَبِ نسألُ اللّهَ العَافيَةَ والسَّلامَةَ .

وبِالحَقِيْقَةِ فَالسَّفِيْنَةُ في مُتَلاطِمِ الأمْوَاجِ عِنْد اضْطِرَابِ الرِّيَاحِ في لُجَّةِ البَحْرِ أحْسَنُ حَالاً وأَرْجَى سَلاَمَةً مِنَ النَّفْسِ المُضْطَرِبَةِ غَيْظاً إذْ فِي السَّفِيْنَةِ مَنْ يَحْتَالُ وَيَتَسبَّبُ لِتَسْكِيْنِها وَتَدْبِيْرِها وَيَنْظُرُ لَهَا وَيَسُوْسُهَا بإِذْنِ اللّهِ وأَمَّا القَلْبُ فَهُوَ صَاحِبُ السَّفِيْنَةِ وَقَدْ سَقَطَتْ حِيْلَتُهُ إذْ أعْمَاهُ الغَضَبُ وأَصَمَّهُ إنْتَهى .

ومِنْ أسْبَابِ الغَضَبِ فَوَاتُ اللَّذاتِ والشَّهَواتِ مِن مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ وَمَسْكَنٍ ونحْوِ ذَلِكَ لكِنْ إنْ كَانَتْ هَذِهِ الأشْياءُ مَمْلُوكَةً لَهُ وحِيْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ، فإِن كَانَ بِدُوْنِ مُبَرِّرٍ شَرْعِي فَلَهُ أنْ يَغْضَبَ حَتَّى يَسْتَرِدَّهُ وَيكُونُ فِي هَذِهِ الحَالَةِ لَيْسَ مَذْمُوْماً ثُمَّ إنْ كَانَ الّذي فَاتَهُ ضَرُوْرِياً لَهُ كَانَ الغَضَبُ وَاجِباً مِنْ أجْلِهِ وانْ كَانَ كَمَالِياً كانَ الغَضَبُ مِنْ أجْلِهِ جَائِزاً وإن كَانَ حَرَاماً عَليْهِ أوْ غَيْرَ مَمْلُوكٍ لَهُ كَانَ الغَضَبُ مَذْمُوْماً .

شعرا : لا تَغْضَبَنَّ على امْرِىءٍ لَكَ مَانِعٌ ما في يَدَيْهْ
وَاغْضَبْ عَلَىَ الطَّمَعِ الذِيْ اسْتَدْعَاكَ تَطْلُبُ مَا لَدَيْهْ

ومِنْ أسْبَابِ الغَضَبِ الوِشَايَاتُ والنَّمَائِمُ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَغْضَبُ لِمُجَرَّدِ وِشَايَةٍ نُقِلَتْ إلَيْهِ عنْ بَعْضِ النّاسِ أوْ لِمُجَرَّدِ نَمِيْمَةٍ بَلَغَتْهُ مِن نَمَّام بِدُوْنِ أنْ يَتَثَبَّتَ في الأمْرِ فَيَعْتَدِي عَلى الأبْرِيَاءِ بِإِزَالَتِهِمْ عَنْ أعْمَالِهِمْ ، أوْ نَقْلِهِمْ عنْهَا إلى مَحلاّتٍ لا يَرْغَبُوْنَهَا ، أوْ يَتَسَبَّبُ لِقَطْعِ مَا هُوَ مَاشٍ لَهُمْ مِنْ

أرْزَاقٍ أوْ يُؤْذِيهِمْ فِي أَبْدَانِهِمْ أوْ يَقْدَحُ فِي أَعْرَاضِهِمْ أوْ يُنَشِّزْ الزَّوْجَةَ أوْ بالعَكْسِ بأنْ يُنشِزِ الزَّوْجَ إلى غيْرِ ذَلِكَ مِن الجَرَائِمِ التِي، تَتَرَتَّبُ على الغضبِ وَرُبَّمَا كَانَتِ الكَلِمَةُ التِي نُقِلَتْ إلَيْهِ على فَرْضِ صُدُوْرِهَا لا تُسَاوِيْ شَيْئاً مِنْ غَضَبِهِ ، وَذَلِكَ شَرُّ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى الغَضَبِ مِنَ الظُّلْمِ فعلى مَنْ كَانَتْ نَفْسُهُ تَتَأثَّرُ بِمِثْلِ ذَلِكَ أنْ يُعَالِجَهَا بِالتَّثَبُّتِ حَتَّى إذا تأكَّدَ مِنْ صِدْقِ مَا نُقِلَ إلَيْهِ كَانَ لَهُ الحَقُّ في أنْ يَدْفَعَ عَن نَفْسِهِ بِقَدْرِ مَا أصَابَهُ بِدُوْنِ بَغْيٍ وَلاَ عُدْوَانٍ والعَفْوُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الحَالَةِ أفْضَلُ خُصُوصاً إذا أنْكَرَ المَنْقُولُ عَنْهُ مَا نُسِبَ إليْهِ فإنَّ الإنكارَ اعْتِذَارٌ يَسْتَوجِبُ الرَّأفَةَ والرَّحْمَةَ وبالتَّالي فَمَنْ نَظَرَ الدُّنيا بِعَيْنِ البَصِيْرَةِ والاعْتِبَارِ هَانَ عَلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ وسَامَحَ أخَاهُ المُسْلِمَ وقَبِلَ مَيْسُوْرَ عُذْرِهِ وَاحْتَسَبَ الأجْرَ عِنْدَ اللّهِ والله لا يُضَيِّعُ أجْرَ مَنْ أحْسَنَ عَمَلاً .

شعرا :

سَكَنْتُكَ يَا دَارَ الفَنَاءِ مُصَدِّقَا
بِأنِّيْ إلَى دَارِ البَقَاءِ أصِيْرُ
وأعْظَمُ مَا فِي الأمْرِ أنّي صَائِرٌ
إلى عَادِلٍ فِي الحُكْمِ لَيْسَ يَجُوْرُ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ ألْقَاهُ عِنْدَهَا
وَزَادِي قَلِيْلٌ والذُّنُوبُ كَثِيْرُ
فَإنْ أكُ مَجْزِيَاً بِذَنْبي فَإنَّني
بِشَرِّ عِقَابِ المُذْنِبِيْنَ جَدِيْرُ
وَإنْ يَكُ عَفْوٌ ثَمَّ عَنّي وَرَحْمَةٌ
فَثَمَّ نَعِيْمٌ دَائِمٌ وَسُرُوْرُ

اللّهُمّ جُدْ عَلينا بكرَمِك ، وأفض علينا مِن نِعَمِك ، وتغمّدنا بِرحمَتِك وعامِلْنا بِرأفَتِكَ وَوفّقْنا لخدمَتِك واغْفِر لَنا ولِوالِدِيْنا ولِجيمع المُسلِمين ، بِرحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرّاحِمين ، وصلّى الله على محمّد وعلى آلــهِ وصحبِهِ أجمَعِين .

(فصــل)

ومِنْ أَسْبَابِ الغَضَبِ المُشَاحَّةُ فِي البَيْعِ والشِّرَاءِ فَيَغْضَبُ الوَاحِد إذا لَمْ تَكُنِ السَّوْمَةُ تُنَاسِبُ القِيْمَةَ أَوْ سَاوَمَهُ ولم يَشْتَرِ أَوْ لَمْ يُقْرِضْهُ أَوْ لَمْ يُعِنْهُ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ والغَضَبُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الأحْوالِ حَمَاقَةٌ لَا مُبَرِّرَ لَهَا لأنَّهُ مَا دَامَ لَمْ يَعْتَدِ عَلى حَقِّهِ فَلَيْسَ لَهُ أنْ يَغْضَبَ وَعَلَيْهِ أنْ يَعْتَدِلَ فِي بَيْعِهِ وَشِرائِهِ ، وأنْ يُمَرِّنَ نَفْسَهُ على احْتِمَالِ مَا يَقَعُ عَادَةً عِنْدَ البَيْعِ وَالشِّرَاءِ مِن النِّزَاعِ وأنْ يُمَرِّنَ نَفْسَهُ دَائِماً على التَّواضُعِ ويُذَكِّرَها بِعظَمَةِ اللّهِ ويُفَهِّمَهَا بِأنّهُ ضَعِيْفٌ مَخْلُوقٌ مِنْ مَاءٍ مَهِيْنٍ ، وأنّهُ صَائِرٌ إلى الفَنَاءِ ، وأنّهُ سَيَكُونُ عِظاماً بَالِيَة يُوطأ بِالأقدامِ كَمَا قِيْلَ :

يُــدَفِـنُ بَعْضُنَــا بَـعْضــاً وتَـمْشِي
أوَاخِــرُنَــا عــلى هَــامِ الأوَالــي

وَمَنْ كَانَ هَذَا شَأنُهُ فَلا يَلِيْقُ بِهِ التَّكَبُّرُ فَيَحْقِرُ خَلْقَ اللّهِ وَيَطْغَى عَلَيْهِمْ الّذِينَ رُبَّمَا رَفَعَهُمْ اللّهُ عَلَيْهِ قَال بعضُهم .

لا تَـحْقِــرنَّ أبَـيْتَ الـلَّعْنِ ذَا أدَبٍ
فَكَمْ وَضِيْــعٍ مِن الأقْوَامِ قَـدْ رَئِسَا

فَـرُبَّ قَـوْمٍ حَقَـرْنَـاهُمْ فَلَم نَـرَهُمْ
أَهْـلاً لِخِـدْمَتِنَـا كَـانُـوا لَنَـا رُؤَسَـا

فإذَا نَزَعَتْ نَفْسُهُ إلى التَّواضُع فَإِنَّهُ لَا يَتَأَلَّمُ لِتِلْكَ الاعْتِبَارَاتِ الَّتي يَتَأَلَّمُ مِنْهَا المُتَكَبِّرُوْنَ وبهذا بإذنِ اللهِ يَدْفَعُ عن نَفْسِهِ سُرْعَةَ الغَضَبِ إلى أنْ تَقِلَّ حِدَّتُهَا وَتَذْهَبَ ثَوْرَتُهَا وَهذا أهَمُّ مَا تُعَالَجَ به أنْفُسُ المُسْتَعِدِّيْنَ بِفِطْرَتِهِمْ لِلْغَضَبِ وأمَّا مَنْ كانَتْ سُرْعَةُ غَضَبِهِ لَيْستْ طَبِيْعَةً لَهُ وَلَكِنَّهَا اكْتُسِبَتْ بالعَادَةِ والمُخَالَطَةِ فإنَّهُ يُعَالَجُ بأُمُوْرٍ أوّلاً اجْتِنَابُ مُصَاحَبَةُ الأشْرَارِ والبُعْدِ عنْهُمْ ، ثَانِياً اجْتِنَابُ الأسْبَابِ المُثِيْرَةِ لِلْغَضَبِ آنِفاً ثَالِثاً تَعْلِيْمُهُ أنَّهُ لَيْس لِلإنْسَانِ أنْ يَغْضَبَ إلَّا مِنْ أجْلِ دِيْنِهِ أوْ نَفْسِهِ أو عِرْضِهِ أَوْ مَالِهِ وَمَا زَادَ عَلَى هَذَا فَهُوَ رَذِيْلَةٌ مَذْمُومَةٌ يَجِبُ عَلى العَاقِلِ أنْ يَتَنَبَّهَ لَهَا وَلا يَذَرهَا تَتَسَلَّطُ عَليْهِ فَتَضِيْعَ سُلْطَةَ العَقْلِ وَيُصْبِحُ الإنْسَانُ عُرْضَةً لِلْهَلَاكِ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ وحَسْبُكَ في ذَمِّ الغَضَبِ أن النَّبِيّ ﷺ خَطَبَ فِي النَّاسِ عصْرَ يَوْمٍ مِنَ الأيَّامِ فكَانَ مِمَّا قَالَهُ لَهُمْ « إن بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلى طَبَقاتٍ شَتَّى ألا وَإن مِنْهُمْ البَطِيءَ الغَضَبِ سَرِيْعَ الفَيءِ والسَّرِيْعَ الغَضَبِ سَرِيْعَ الفَيءِ والبَطِيءَ الغَضَبِ بَطِيءَ الفَيءِ فَتِلْكَ بِتِلْكَ ألا وإن مِنْهُمْ بَطِيءَ الفَيءِ سَرِيْعَ الغَضَبِ ألا وخَيْرُهُمْ بَطِيءَ الغَضَبِ سَرِيْعَ الفَيءِ وشَرُّهُمْ سَرِيْعَ الغَضَبِ بَطِيءَ الفَيءِ ألا وإنَّ مِنْهُم حَسَنُ القَضَاءِ حَسَنُ الطَّلَبِ ومِنْهُمْ سَيِّءُ القَضَاءِ حَسَنُ الطَّلَبِ ومِنْهُمْ سَيِّءُ الطَّلَبِ حَسَنُ القَضَاءِ فَتِلْكَ بِتِلْكَ ألا وإن مِنْهُمْ سَيِّءَ القَضَاءِ سَيِّءَ الطَّلَبِ أَلَا وخَيْرُهُمْ الحَسَنُ القَضَاءِ الحَسَنُ الطَّلَبِ وَشَرُّهُمْ سَيِّءُ الطَّلَبِ ألا وإن الغَضَبَ جَمْرَةٌ في قَلْبِ ابنِ آدَمَ أما رَأَيْتُمْ إلى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وانْتِفَاخِ أوْدَاجِهِ وَسَيِّئَاتُ الغَضَبِ كَثِيْرَةٌ وَنَتَائِجُهُ الوَخِيْمَة أكْثَرُ. فَمَنْ أحَسَّ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَلْصَقْ بِالأرْضِ » رواه التِّرمذِيّ .

ومِنْ سَيِّئَاتِهِ أَنَّ الطَّلاقَ غَالِباً يَحْدُثُ عَن غَضَبٍ ، ومِن سَيِّئَاتِهِ أَنَّ الفِرَاقَ بَيْنَ الأقارِبِ والأولادِ يَقَعُ غَالِباً عن غَضَبٍ .

ومِنْ سَيِّئَاتِهِ اتلافُ بَعْضِ المالِ أَوْ كُلِّهِ .

شعــــرا :

إذا المَرْءُ لَمْ يَغْلِبْ من الغَيْظِ سَوْرَةً فَلَيْسَ وإنْ فَضَّ الصَّفَا بِشَــدِيْدِ

ومن سيئاته أنه رُبَّمَا قَضَى على نَفْسِهِ أَوْ عَلَى أولَادِهِ بسَبَبِ غَضَبِهِ ومِن سيئات الغَضَبِ أنَّ الانسانَ إذا غَضِبَ أَطْلَقَ لِسَانَهُ بالقَذْفِ والغِيْبَةِ والنَّمِيْمَةِ والبَهْتِ والاسْتِهْزاءِ والسُخْرِيَّةِ والشَّتْمِ والسَّبِ وسائِرِ أنواعِ المَعاصِي التي تَقْضِيَ على حَسَنَاتِهِ إن كانَ له حَسَناتٌ وإلا فَتُوْقِرُهُ مِن سَيِئَاتِ عَدُوِّهِ ولو مَلَكَ نَفْسَهُ لَسَلِمَ مِن ذَلِكَ كُلِّهِ .

ومِن سَيِئَاتِهِ أنهُ يُفْضِيْ إلى المُهَاتَرَاتِ الشَّفَهِيَّةِ وتَبَادُلِ السِّبَاب بَيْنَ المُتَخَاصِمَيْنِ وهذا لا يَجُوزُ وكَمْ مِن مَعَارِكَ تُبْتَذَلُ فِيها الأعْرَاضُ وتَعْدُو الشَتَائِمُ المُحَرَّمَةُ على الحُرُماتِ البَعِيْدَةِ ولَيْس لِهذِه الآثامِ الغَلِيْظَةِ مِن عِلَّةٍ إلا تَسَلُّطُ الغَضَبِ ، وضَياعُ الأدَبِ ، ولِذَلِكَ كان ضَبْطُ النَّفْسِ عِنْدَ سَوْرَاتِهِ دَلِيْلُ قُدْرَةٍمَحْمُوْدَةٍورَزَانَةٍ عَقْلٍ وحَسْبُكَ دَلِيْلاً على ذلِكَ مَا وَرَدَ عن ابنِ مَسْعُوْدٍ قال قال رسول الله ﷺ « مَا تَعُدُّوْنَ الصُرَعَةَ فِيكم » ؟ قالوا : الذي لا تَصْرَعُهُ الرِجَالُ . قال « لا . ولكنِ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِندَ الغَضَبِ » رواه مسلم .

وقال رجلٌ للنبي ﷺ : أَوْصِنِيْ ولاَ تُكْثِرْ عَلَيَّ لَعَلِي لا أَنْسَى . قال « لا تَغْضَبْ » وَرَوَى أبو هريرة أن رَجُلاً قال : يا رسول الله مُرْني بعَمَلٍ وَأَقْلِلْ . قال « « لا تَغْضَبْ »ثم أَعادَ عليه فقال « لا تَغْضَبْ » ثم أعاد عليه فقال « لا تَغْضَبْ » رواه البخاري ، وقال ابنُ عمر : قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْ لِي قولاً وأَقْلِلْهُ ، لَعَلِي أَعْقِلَهُ . فقال « لا تَغْضَبْ » فأَعَدْتُ عليه مَرَّتَيْنِ ، كُلُّ ذلك

يَرْجِعُ إليَّ « لا تَغْضَبْ » اخرجه أبو يعلى بسند حَسَنٍ وقال أبُو هريرة قال النبي ﷺ « لَيْسَ الشَّدِيْدُ بالصُرَعَةِ ، وإِنَّمَا الشَّدِيْدُ الذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عند الغضبِ » متفق عليه ، وقال ابنُ عُمَرَ : قال النبي ﷺ « مَنْ كَفَ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ » أخرجه ابن أبي الدنيا .

وإليكَ بَعْضُ الآثارِ قال عبدُ الله بنُ مَسْعُودٍ انْظُرُوا إلى الرَّجُل عندَ غَضَبِهِ وأَمَانَتِهِ عندَ طَمَعِهِ وما عِلْمُكَ بحِلْمِهِ إذا لَمْ يَغْضَبْ وما عِلْمُكَ بأمَانَتِهِ إذا لَمْ يَطْمَعْ وكَتَبَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العزيز إلى عَامِلِهِ أنْ لَا تُعَاقِبَ عندَ غَضَبِكَ واذا غَضِبْتَ على رَجُلٍ فاحِبْسْهُ فإذا سَكِنَ غَضَبُكَ فأخْرِجْهُ فَعَاقِبْهُ على قَدْرِ ذَنْبِهِ وقال عَليُّ بنُ زَيْدٍ : أَغْلَظَ رَجُلٌ مِن قُرَيْشٍ لِعُمَرَ بن عَبدِ العِزيزِ القولَ فأطرقَ عُمُرُ زَمَاناً طَوِيْلاً ثُمَّ قالَ اردْتَ أنْ يَسْتَفِزُنِي الشيطانُ بِعِزِ السُلْطانِ فأنَالَ مِنْكَ اليومَ مَا تَنالُهُ مِنِّي غداً .

وقال بعضُهُم لابْنِهِ يا بُنَيَّ لا يَثْبُتُ العَقْلُ عندَ الغَضَبِ كَمَا لا تَثْبُتُ الرُوحُ في الحَي في التَنانِيْرِ المَسْجُوْرَةِ ومِمَّا يُرْوَى عن ذِي القَرْنَيْنِ أنه لَقِيَ مَلَكاً مِن المَلائِكَةِ فقال عَلِّمْنِي عَلْماً أَزْدَادُ بِهِ إِيْمَاناً وَيَقِيْناً قال لا تغْضَبْ فإنَّ الشَّيْطَانَ أقْدَرَ مَا يَكُونُ عَلَى ابْن آدمَ حِيْنَ يَغْضَبُ فَرُدَّ الغَضَبَ بالكَظْمِ وسَكِّنْهُ بالتُّؤَدَةِ وإِيَّاكَ والعَجَلَةَ وعن ابنِ عباس قال: لَمَا قدِمَ عُيَيْنَة بْنِ حِصْنٍ نَزَلَ على ابنِ أخِيْهِ الحُرِّ بنِ قَيْسٍ : وكانَ مِن النَّفَرِ الذِينَ يُدْنِيْهِمْ عُمَرُ ، إذْ كانَ القُرَّاءُ أصحَابَ مَجْلِسِ أمِيْرِ المؤمنينَ عُمَرَ ومشاورتِهِ كُهُوْلاً كانُوا أوْ شُبَّاناً فقال عُيَيْنَةُ يا ابْنَ أخِي اسْتَأذِنْ لِي عَلَى أُمِيْرِ المؤمِنِيْنَ فاسْتَأذَنَ لَهُ فلمَّا دَخَلَ قَالَ : هِيْهْ يا ابْنَ الخَطَّابِ فوَاللَّهِ ما تُعْطِيْنَا الجَزْلَ ولا تَحكُمُ بَيْنَنَا بالعَدْلِ فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوْقِعَ بِهِ فقال الحُرُّ يا أَمِيْرَ المؤمنين إنَّ اللَّهَ

يَقُولُ لِنبيّهِ ﷺ ﴿خُذِ العَفْوَ وأمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عن الجَاهِلِين﴾ وإنَّ هَذَا مِن الجَاهِلِين ، فَواللَّهِ مَا جَاوزَهَا عُمَرُ حِيْنَ تلاهَا عَلَيهِ وكان وَقَّافاً عند كِتَابِ اللَّهِ وإنَّما غَضِبَ عُمَرُ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ وهَمَّ بَرْدعِ الأعْرَابي لِتطَاوُلِ الأعْرَابِي عليهِ لِأنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ نَاصِحاً أوْ مُشيْراً بخَيْرٍ وإنَّمَا دَخَلَ عليه في سُلْطانِهِ لِيَشْتِمَه دُوْنَ مُبرَّرٍ ولِيَسْألَهُ عَطاءً جَزِيْلاً عَلَى غيْرِ عَملٍ فَلَمَّا ذُكِّرَ عُمَرُ بأنَّ هَذَا مِن الجَاهِلِين أعْرَضَ عنه وتركَهُ يَنْصرِفُ سَالِماً وفي الحديث « مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وهُوَ يَقْدِرُ أن يُنفِذَّهُ ، دَعَاهُ اللَّهُ يومَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤُوْسِ الخَلائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ في أيّ الحُورِ العِيْنِ . **شعـــرا :**

مَنْ لِيْ بِإنْسَانٍ إذا أغْضَبْتُــــه ... وجَهِلْتُ كانَ الحِلْمُ رَدَّ جوابِــهِ
وَتَراهُ يُصْغِي لِلْحَدِيْثِ بِسَمْعِـهِ ... وَبِعَقْلِهِ ولَعَلَّهُ أدْرَى بَــــهِ

شعـــرا :

إذَا مَا سَفيهٌ نَالنِي منه نَائِـــلٌ ... من الذَّم لم يَحْرُجْ بِموقِفِهِ صَدْرِي
أعُوْدُ إلى نَفْسِي فإنْ كانَ صَادِقاً ... عَتِبْتُ على نَفْسِي وَأصْلَحْتُ من أمْرِي
وإلا فَمَا ذَنْبِي إلى الناسِ إنْ طَغَى ... هَوَاهَا فما تَرْضَى بِخَيْرٍ ولَا شَـرِّ

تَنبـهْ قُبَيْـلَ المـوتِ إنْ كُنْتَ تَعْقِـلُ
فَـعَمَّـا قَـلِيْـلٍ لِلْمَـقَـابِـرِ تُنْـقَـلُ
وَتُـمْسِـي رَهِـيْـنـا لِـلْقُـبُـورِ وَتَـنْـثَـنِـيْ
لَـدَى جَـدَثٍ تَحْتَ الـثَّـرى تَـتَـجَـنْـدَلُ
فَـرِيـداً وحِيْـداً في التُّرابِ وإنَّمَـا
قَرِينُ الفَتَى في القَبرِ مَا كَانَ يَعَملُ
فَـوَا أَسَفاً مـا يَفْعَـلُ الـدُودُ والثَرَى
بِـوَجْـهٍ جَمِيـلٍ كـانَ لِلَّهِ يَخْجَـلُ
ومـا يَفْعَلُ الجِسْمُ الـوَسِيْمُ إذَا ثَوى
وَصَـارَ ضَجِيْـعَ القَبْـرِ يَعْلُوْهُ جَنْـدَلُ

وبَطْنِي بَدَا فيه الرَّدَى ثُم لَو ترى
دَقِيْقَ الثَّرَى في مُقْلَتِي يَتَهَرْوَلُ

أَعَيْنَايَ جُوْدَا بالدُّمُوعِ عَلَيْكُمَا
فَحُزْنِيْ عَلَى نَفْسِي أَحَقُ وأَجْمَلُ

ويا مُدَّعِي حُبِيْ هَلُمَ بِنَا إذا
بَكَى النَاسُ نَبْكِي لِلْفِرَاقِ ونُهْمِلُ

دَعِي اللَّهْوَ نَفْسِي واذْكُرِيْ حُفرةَ البِلَى
وكَيْفَ بِنَادُوْدُ المَقَابِرِ يَفْعَلُ

إلى اللَّهِ أَشْكُو لاَ إلى الناسِ حَالَتِي
إذا صِرْتُ في قَبْرِيْ وَحِيْداً أُمَلْمَلُ

اللهم يا حَيُ يا قيومُ يا عليُ يا عَظِيْم أبرم لهذه الأمةِ أمرَ رُشْدٍ يُعزُ فيه أهلُ طَاعَتِكَ وَيُذل فيه أهلُ معصيتِك ويُؤْمَرُ فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر اللهم بارك في أعمارنا وأصلح أَعْمَالَنَا ونِيَاتِنَا وذُرِّيَاتِنَا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ مِن عِبَادِ اللَّهِ مَنْ تَرَوْنَهُ سَيِءَ الخُلُقِ ، عَنِيْفاً شَرِساً في كُلِّ حَالٍ إنْ قَالَ فَعُنُفٌ قولُهُ يَنْطِقُ بالكَلِمَةِ فَلِعُنْفِهَا تُحْدِثُ مِن الشَّرِ مَالاً يَحْكِيْهِ المَقَالُ إنَّ مِثْلَ هَذَا لا تَطُوْلُ مَعَهُ عَشْرَةُ نِسَاءٍ ولا صَدَاقَةُ رِجَالٍ ولا يَجِدُ قَلْباً يَعْطِفُ عَلَيْهِ ولَو كَانَ في أَشَدِّ الأَحْوَالِ ولَوْ قِيلَ لَكَ إنَّ البَهَائِمَ تَنْفُرُ مَنْهُ لِعُنْفِهِ وشَرَاسِتِهِ فَصَدِّقْ هَذا المَقَالَ ولِلْناسِ عُذْرٌ وَاضِحٌ في نُفُوْرِهِمْ مِنْ هَذَا العَنِيْفِ السَّيِءِ الأَخْلاَقِ ولاَ لَوْمَ عَلَيْهِمْ إِذَا فَارَقُوهُ الفِرَاقَ الذِيْ لَيْس بَعْدَهُ مِن تَلاقٍ فَإنَّ

الطِّبَاعَ البَشَرِيَّةَ مُتَّفِقَةً على بُغْضِ العُنْفِ وَكَيفَ يُحِبُ الناسُ مَن يُؤْذِيهِمْ بأقْوالِهِ وأَفْعَالِهِ بِسَبَبٍ وبِغَيْرِ سَبَبٍ فَالعَنِيفُ شُؤْمٌ عَلَى نَفْسِهِ قَبلَ أَنْ يَكُوْنَ شُؤْماً عَلَى سِوَاهُ وَرُبَّمَا عَمَّ شُؤْمُهُ دُنْيَاهُ وأُخْرَاهُ قال ﷺ « مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ كُلَّهُ » رواه مسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجه ، وفي الحديثِ الآخر « إنَّ اللَّهَ تعالى رَفِيْقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ، ويُعْطِي عَلى الرِّفْقِ مَالاَ يُعْطِيْ عَلَى العُنْفِ رواه مسلم أَمَّا الرَّفِيْقُ فَهُوَ العَبْدُ الحَسَنُ الخُلُقِ الوَقُورُ الحَلِيمُ الذي أَيْنما كانَ وَمَتَى كانَ تَصْبُو إليهِ القُلُوبُ لإنَّهُ إنْ قالَ فَقَولُهُ حُلْوٌ لإنَّهُ أَدِيْبٌ حَكِيْمٌ وإنْ فَعَلَ فأفعالُهُ تُرْشِدُ إلى تَعَلُّمِ الأَدَبِ وَلَيْسَ بَنُوْ آدَمَ الذِيْنَ يُحِبُونَ الرِّفْقَ ، بَلْ يُشَارِكُهُمْ في ذَلِكَ سائِرُ الحَيَوانَاتِ ، وإن شِئتَ فَانْظُرْ مَبْلَغَ حَنِيْنِ تِلْكَ الحَيَوانَاتِ إِلَيْهِمْ فَكُنْ رَفِيْقاً أَيُّهَا المؤمِنُ تَجْمَعُ بَيْنَ حُبِّ اللَّهِ وحُبِّ عِبَادِهِ وَلَيْسَ بَعْدَ ذَلك لِذَوِيْ النُّهَي أَرَبٌ ، اللَّهُمَّ اخْتُمْ لَنَا بخاتِمَةِ السعادة واجعلنا ممن كتبت لهم الحسنى وزيادة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

فَصْلٌ في بَيَانِ تَحْرِيْمِ الحَسَدْ

إعلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وإيَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِينَ وَجَنَّبَنَا وإيَّاكَ وإيَّاهُم كُلَّ خُلُقٍ ذَمِيْمٍ أَنَّ مِمَّا يَتأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ في كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ الحَسَدُ إذْ هُوَ مِنَ الذُّنُوبِ المُهْلِكاتِ ، ومَعْنَى الحَسَدُ أنْ يَجِدَ الإنسانُ في صَدْرِهِ وقَلْبِهِ ضِيْقاً وحَرَجاً وكَرَاهِيَةً لِنِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى عَبْدٍ مِن عِبَادِهِ فِي دِيْنِهِ أَوْ دُنْيَاهُ حَتَّى أَنَّهُ لَيُحِبُّ زَوَالَها عَنْهُ ورُبَّما تَمَنَّى ذَلِكَ أَوْ سَعَى في إزَالَتِهَا وحَسْبُكَ بِذمِّهِ وقُبْحِهِ أنَّ اللَّهَ تعَالى أَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَتَعَوَّذَ مِن شَرِّ الحَاسِدِ كَمَا أَمَرَ بالاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ

الشَّيْطَانِ قالَ الله تعالى ﴿ومِن شَرِّ حاسدٍ إذا حَسد﴾ .

والحِرْصُ والحَسَدُ مِنْ مَدَاخِلِ الشَّيطَانِ إلى القَلْبِ فَمهْمَا كَانَ العَبْدُ حَرِيْصاً عَلَى كُلِّ شَيْءٍ أعْمَاهُ حِرْصُهُ وأصَمَّه قال ﷺ « حُبُّكَ للشيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ » ونُوْرُ البَصِيْرةِ هُوَ الَّذي يَعْرِفُ مَدَاخِلَ الشَّيْطانِ فإذا غَطَّاهُ الحَسَدُ والحِرْصُ لَمْ يُبْصِرْ فَحِينَئِذٍ يَجِدُ الشَّيْطانُ فُرْصَةً فَيُحَسِّنُ عِنْدَ الحَرِيْصِ كُلَّ مَا يوصِلُهُ إلى شَهَوَاتِهِ وإنْ كانَ مُنْكراً وَفَاحِشاً ، فبالحَسَدِ لُعِنَ إبْلِيْس وجُعِلَ شَيْطاناً رَجِيْمَا وأمّا الحِرْصُ فإنَّهُ أُبِيْحَ لآدَمَ الجَنَّةَ كُلَّهَا إلاّ الشَّجَرَةَ ، فأصَابَ حَاجَتَهُ إبليسُ مِن آدَمَ بالحِرْصِ فأكَلَ مِن الشَجَرَةِ الَّتي نَهاهُ اللَّهُ عَنْهَا .

ومِنْ أجْلِ أنَّ الحَسَدَ بِهذِهِ الدَّرَجَةِ وَرَدَ فِيهِ تَشْدِيْدٌ عَظِيْمٌ حَتَّى قال فِيهِ الرَّسُولُ ﷺ « الحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تأكُلُ النّارُ الحَطَبَ » رَواه أبو داود وابن ماجه ، وقال ﷺ : « لا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ عَبْدٍ غُبَارٌ في سَبِيلِ الله ، وفَيْحُ جَهَنَّمَ ولا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ عَبْدِ الإيْمَانُ والحَسَدُ » رواه ابن حبان في صحيحه ورواه البيهقي .

والَّذي يَجِبُ أنْ يُفْهَمُ مِنْ هَذَا الحَدِيْثِ أنْ الإيمانَ الصَّادِقَ الكَامِلَ الَّذي يَسْتَحْضِرُ صَاحِبُهُ أنَّ كُلَّ أفْعَالِ اللَّهِ لِحِكْمَةٍ لا يَجْتَمِعُ مَعَ الحَسَدِ الَّذي يُغْضِبُ مِن فِعْلِ اللَّهِ وقِسْمَتِهِ ويقُولُ ﷺ في الحَسَد « لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ ما لَمْ يَتَحَاسَدُوا » رواهُ الطَّبراني ، والمَعْنَى واللَّهُ أعلَمُ أنَّهُمْ إذا تَحَاسَدُوا ارْتَفَعَ الخَيْرُ مِنْهم وَكَيْفَ لا يَرْتَفِعَ مِنْهُمْ الخَيْرُ وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَتمَنَّى أن يَزُوْلَ الخَيْرُ الَّذي عِنْدَ أخِيْهِ ، وَنَهى ﷺ عن الحَسَدِ فقال « ولا تَحَاسَدُوا » والحَسَدُ نَتِيْجَةٌ مِنْ نَتائِجِ الحِقْدِ وثَمَرَةٍ مِنْ ثَمرَاتِهِ المُتَرَتِّبَةِ علَيْهِ فإنَّ من يَحْقِدُ عَلَى إنْسانٍ يَتمَنَّى زَوَالَ نِعْمَتِهِ ويَغْتَابُهُ وَيَنِمُ عَلَيْهِ وَيَعْتَدِي على عِرْضِهِ ، وَيَشْمُتُ فِيْهِ لِما يُصِيْبُهُ

مِنَ البَلاءِ ، وَغيْرُ ذَلكَ مِن الصِّفَاتِ المَذْمُوْمَةِ الّتِي لا تَليْقُ بالإنْسانِ وكَثِيْراً مَا تَرى الحَاسِدَ يُنقِّبُ عن مَسَاوي المَحْسُوْدِ فَيُبرزُهَا على صِفَةِ الذَّمِّ والتَّثريْب فَيَنْتَبهُ المَحْسُوْدُ لَهَا ويَتجنَّبُهَا فيكُونُ السَّبَبُ في إزَالَتِهَا عَدُوُّه الحَاسِدِ كَما قِيل :

عُـدَاتِـي لَهُـمْ فَضْـلٌ عَـليَّ ومِـنَّـةً
فـلا أذهَـبَ الـرّحمـنُ عَـنّي الأَعَـادِيَا
هُمُـوْا بَحَـثُـوْا عـن زَلَّـتي فـاجْـتَنَبْتُهَـا
وَهُـمْ نَافَسُـونِـي فاكْتَسَبْتُ المَعَـالِيَـا

ويقُول الآخـر :

وَإِذَا أَرَادَ الـلَّـهُ نَشْـرَ فَضِـيْـلَةٍ
طُـوِيَـتْ أَتَـاحَ لَهَـا لِسَـانَ حُسُـودِ
لـولا اشْتِعَالُ النّارِ في جَـزْلِ الغَضَـا
مـا كَـانَ يُعـرَفُ طِيبُ رِيحِ العُـودِ

آخـر :

مُحَسَّـدُوْنَ وشَـرُّ النـاسِ مـنزلـة
مَن عاشَ فِي النـاسِ يوماً غير مَحْسُودِ

آخـر :

إنّي حُسِـدْتُ فَزَادَ الـلّهُ في حَسَـدِي
لا عَـاشَ مَن عَاشَ يَوْماً غَيْرَ مَحْسُـودِ
مـا يُحْسَـدُ المَرءُ إلَّا مِـنْ فَضَائِلِـهِ
بالعِلْمِ والـظُّرْفِ أَوْ بالْبَأسِ والجُـودِ

آخر :

سُبْحَانَ مَنْ سَخَّرَ لِيْ حَاسِـدِي يُحْدِثُ لِي فِي غَيْبَتِيْ ذِكْـرَا
لَا أَكْرَهُ الغِيْبَةَ مِنَ حَاسِـدِيْ يُفِيْدُنِـي الشُهْـرَةَ وَالأَجْـرَا

وَكَفَى بالحِقْدِ ذمّاً أَنْ يَكُونَ الحَسَدُ ثَمرَةً مِن ثَمرَاتِهِ وأثراً مِنْ آثارِهِ .

شعرا : فَلَا تَحْسِدِنْ يَوْماً عَلى فَضْلِ نِعْمَةٍ فَحَسْبُكَ عَاراً أَنْ يُقَالَ حَسُـوْدُ

آخر : أَلَا قُلْ لِمَنْ كانَ لِيْ حَاسِداً أَتَـدْرِيْ عَلى مَنْ أَسَأْتَ الأَدَبْ
أَسَأْتَ عَلَى اللهِ فِي فِعْلِـهِ لِأَنَّكَ لَمْ تَرضَ لِيْ مَا وَهَبْ

وفِي الغَالِبِ أَنَّ الحَسَدَ يَكُونُ بَيْنَ النُّظراءِ والزُّملاءِ وأَرْبابِ الصِّنَاعَاتِ والمَرَاتِبِ والمَنَاصِبِ الحُكُومِيَّةِ فالتَّاجِرُ يَحْسُدُ التَّاجِرَ والصَّانِعُ يَحْسُدُ الصَّانِعَ والنَّجَارُ يَحْسُدُ النَّجّارَ والفّلاحُ يَحْسُدُ الفّلاحَ وأربابُ الجَاهِ يَحْسِدُوْنَ أَرْبَابَ الجَاهِ وذَوُوْ المَنَاصِبِ الحُكُومِيَّةِ يَحْسُدُ بَعْضُهُمْ بَعْضا ومِن الأمْثَالِ المُتداوَلَةِ قَوْلُهُمْ عَدُوُّ المَرْءِ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلَهُ ولِلْحَسَدِ أعاذَنَا اللّهُ وجَمِيعَ المُسلمينَ مِنْهُ مَرَاتِبُ .

أَحَدُهَا أَنْ يَتَمَنَّى زَوَالَ النِّعْمَةِ عَنْ الغَيْرِ ، ويَعْمَلَ وَيَسْعَى فِي الوَسَائِلِ المُحَرَّمَةِ الظَّالِمَةِ وَيَسْعَى في إِسَاءَتِهِ بِكُلِّ مَا يَسْتَطِيْعُ وَهَذا الغَايَةُ فِي الخُبْثِ والخَسَاسَةِ والنَّذَالَةِ وَهَذِهِ الحَالَةُ هِيَ الغَالِبَةُ في الحُسَّادِ خُصُوصاً المُتَزاحِمِيْنَ فِي صِفَةٍ وَاحِدَةٍ فإن مَن يَربحُ مِنْهُمْ رِبْحاً كَبِيْراً أَوْ يَظْفرُ بِلَذَّةٍ يَرْقبُها غَيْرُهُ فَإِنَّ ذَلِكَ الغَيْرَ يَحْسُدُهُ على مَا حَصَلَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَيَسْعَى فِي حِرْمَانِهِ فِي ذَلِكَ الرِّبْحِ لِيَظْفَرَ هُوَ بِهِ وَيَكْثُرُ ذَلِكَ فِي طُلَابِ المَنَاصِبِ والجَاهِ .

المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ : أَنْ يَتَمَنَّى زَوَالَ النِّعْمَةِ ، ويُحِبُّ ذَلِكَ ، وإِنْ كَانَتْ لا تَنْتَقِلُ إِلَيْهِ ، وهَذَا أَيْضاً فِي غَايَةِ الخُبْثِ ، وَلَكِنَّهَا دُوْنَ الأُوْلَى .

الثَالِثَةُ أَنْ يَجِدَ مِنْ نَفْسِهِ الرَّغْبَةَ في زَوَالِ النِّعْمَةِ عَن المَحْسُوْدِ سَوَاءً انْتَقَلَتْ إِلَيْهِ أَوْ إِلى غَيْرِهِ وَلَكِنَّهُ فِي جِهَادٍ مَعَ نَفْسِهِ وَكَفِّهَا عن مَا يُؤْذِي خَوْفاً مِنَ اللّهِ تَعَالى وكَرَاهِيَةً فِي ظُلْمِ عِبَادِ اللّهِ وَمَنْ يَفْعَلُ هَذَا يَكُونُ قَدْ كَفِي شَرَّ غَائِلَةِ الحَسَدِ ، وَدَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ العُقُوْبَةَ الأُخْرَوِيَّةَ وَلَكِنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُعَالِجَ نَفْسَهُ مِنْ هَذَا الوَبَاءِ حَتَّى يَبْرَأَ مِنْهُ .

الحَالَةُ الرَّابِعَةُ : أَنْ يَتَمَنَّى زَوَالَ النِّعْمَةِ عَنِ الغَيْرِ ، بُغْضاً لِذَلِكَ

الشَّخْصِ ، لِسَبَبٍ شَرْعِيٍّ ، كَأَنْ يَكُونَ ظَالِماً يَسْتَعِيْنُ على مَظَالِمِهِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ فَيَتَمَنَّى زَوَالَهَا لِيُرِيْحَ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ وَمِثْلُ أَنْ يَكُونَ فَاسِقاً يَسْتَعِيْنُ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ عَلى فِسْقِهِ وَفُجُوْرِهِ ، فَيَتَمَنَّى زَوَالَ المَغلِّ هَذا عَنْهُ لِيُرِيْحَ العِبَادَ والبِلاَدَ مِنْ شَرِّهِ القَاصِرِ والمُتعَدّيْ ، فَهَذَا لاَ يُسَمَّى حَسَداً مَذْمُوْماً وإِن كَانَ تَعْرِيْفُ الحَسَدِ يَشْمَلُهُ ، وَلَكِنَّهُ فِي هَذِهِ الحَالَةِ يَكُونُ مَمْدُوحاً لاَ سِيَّمَا إِذا كَانَ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ عَمَلٌ يَدْفَعُ هَذا الظُّلْمَ والعُدْوَانَ وَيَرْدَعُ هَذا الظَّالِمَ .

الحَالَةُ الخَامِسَةُ : أَنْ يُحِبَّ وَيَتَمَنَّى لِنَفْسِهِ مِثْلَهَا فإِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ مِثْلُهَا فَلاَ يُحِبُّ زَوَالَهَا عَن صَاحِبِهَا فَهذا لاَ بَأْسَ بِهِ إِنْ كَانَ مِنَ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ كَالمَالِ المُبَاحِ والجَاهِ المُبَاحِ وإِن كَانَ مِن النِّعَمِ الدِّيْنِيَّةِ كالعِلْمِ الشَّرْعِيِّ والعِبَادَةِ الشَّرْعِيَّةِ كَانَ مَحْمُوْداً كأَنْ يَغْبِطَ مِن عِنْدَهُ مَالٌ حَلالٌ ثُمَّ سُلِّطَ عَلى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ مِن واجب وَمُسْتَحَبٍّ فَإِن هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الأَدِلَّةِ عَلى الإِيْمَانِ ومِن أعظَمِ أنواعِ الإِحْسانِ وَكَذا مَنْ آتاهُ اللّهُ الحِكمَةَ والعِلْمَ فَوُفِّقَ لِنَشْرِهِ ، كَمَا فِي الحَدِيْثِ « لا حَسَدَ إلاّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٍ آتَاهُ اللّهُ مَالاً ، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللّهُ الحِكْمَةَ ، فَهُوَ يَقْضِيْ بِهَا وَيُعَلِّمُهَا » . فَهذانِ النَّوْعَانِ مِن الإحسانِ لا يُعادِلُهُما شَيْءٌ إِلاّ أنْ تَرتَبَ عَلَيْه وَسَاوِسُ شَيْطَانِيَّةٌ ، وَخَواطِرُ نَفْسَانِيَّةٌ تَجرُّ الإِنْسَان إلى مَوَاضِعِ الخَطَرِ الّتي تُفْسِدُ عَمَلَهُ كأنْ يَقُولَ في نَفْسِهِ أنا أَحَقُّ مِنه بِهذا فَهذَا اعْتِرَاضٌ على حِكْمَةِ اللّهِ وقِسْمَتِهِ ولا يَجُوزُ ذَلِكَ :

شعرا :

عَيْنُ الحَسُودِ عَلَيْكَ الدَّهْرَ حَارِسَةٌ ... تُبدِيْ المَسَاوِيَ والاحسانَ تُخْفِيْهِ

يَلْقَاكَ بالبِشْرِ يُبْدِيْهِ مُكَاشَرَةً ... والقلبُ مُضْطَغِنٌ فِيهِ الذِي فِيْهِ

إِنَّ الحَسُودَ بِلَا جُرْمٍ عَدَاوَتُهُ ... فَلَيْسَ يَقْبَلُ عُذْراً فِي تَجَنِّيْهِ

آخر : عَلَيْكَ أُخَيَّ بِالتُّقَى وَلُزُوْمِهِ ... وَلَا تُكْثِرنْ مَا فِيْهِ زَيْدٌ ولا عَمْرُو

فَزَهْـرَةُ ذِي الدُّنْيـا سَـرِيْعٌ ذُبُـولُهَا   وفـي نَهْـيِ طَـهَ لِلنَّبِيِّ لَنـا ذِكْـرُ
وكُنْ مُنْشِداً ما قَالَ بَعْضُ أُولي النُّهى   فَكَـمْ حِكْمَةٍ غَـرَّاءَ قَيَّدَهَا الشِّعْرُ
« إذا المَرْءُ جَازَ الأَرْبَعِيْنَ وَلَمْ يَكُنْ   لَـهُ دُوْنَ ما يَأتِـي حَيَـاءٌ ولا سِتْرُ »
« فَدَعْهُ وَلا تَنْفُسْ عَلَيْهِ الّذِي أَتَى   وإِن مَدَّ أَسْبَابَ الحَيَاةِ لَهُ العُمْرُ »

آخـر :

أأَقْصُدُ بالمَلَامَةِ قَصْدَ غَيْري   وَأَمْرِيْ كُلُّهُ بَادِي الخِلَافِ
إذا عَاشَ امْرُؤٌ خمسِينَ عَاماً   وَلَم يُرَ فِيهِ آثارُ العَفَافِ
فَلَا يُرْجَى لَهُ أَبَداً رَشَادٌ   فَقَدْ أَرْدَى بنِيَّتِهِ التَّجَافِي
ولِمْ لا أَبْذُلُ الإنْصافَ مِنِي   وأَبْلُغُ طَاقَتِي في الإنتِصَافِ
لِيَ الوَيْلاتُ إنْ نَفعتْ عِظَاتِي   سِوايَ ولَيْسَ لِيْ إلّا القَوَافِي

(فَصْـلٌ)

ثُمّ اعْلَمْ أَنَّ لِلْحَسَدِ أَسْبَاباً .

الأَوّلُ : العَدَاوَةُ والبَغْضَاءُ وَهَذَا أَشَدُّ أَسْبابِ الحَسَدِ .

الثّاني : التّعَزُّزُ والتَّرَفُّعُ وَهُوَ أنْ يَثْقُلَ عَلَيْهِ أنْ يَرْتفعَ عَلَيْه غَيْرُهُ فإذا أَصَابَ أحَدٌ زُملَائِه وِلَايَةً أَوْ مَالاً خَافَ أنْ يَتكَبَّرَ عَلَيْهِ وَهُوَ لا يُطِيْقُ تَكَبُّرَهُ وَافْتِخَارَهُ عَلَيْهِ .

السَّبَبُ الثّالثُ الكِبْرُ وَهُوَ أَنْ يكُونَ في طَبْعِه أَنْ يَتكَبَّرَ عَليْهِ ويَسْتَحْقِرَه وَيَسْتَصْغِرَهُ وَيَسْتَخْدِمَهُ فإذَا نَالَ وِلَايَةً خَافَ أنْ لا يَحْتَمِل تَكَبُّرَهُ ومِن التَّكَبُّرِ والتَّعزُّزِ كَانَ حَسَدُ أَكْثَرِ الكُفَّارِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إذْ قَالُوا : كَيْفَ يَتَقَدَّمُ عَلَيْنَا

غُلامٌ يَتِيْمٌ فَنُطأطِيءُ رُؤُوْسَنا لَهُ . فقالُوا ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِن القَرْيَتَيْن عَظِيْم﴾ .

السَّبَبُ الرَّابعُ التَّعجُّبُ كَمَا أخْبَرَ اللّهُ عن الأُمَمِ المَاضِيَة إذْ ﴿قالُوا ما أنتُم إلا بَشَرٌ مِثْلنا﴾ فَتَعجَّبُوا مِن أنْ يَفُوزَ بِرُتْبَةِ الرُّسُلِ والوَحْيِ والقُرْبِ مِنَ اللّهِ بَشَرٌ مِثْلُهم فَحَسَدُوْهُم وأحَبُّوا زَوالَ النِّعْمَةِ عَنْهُم .

الخَامِسُ الخَوْفُ مِن فَوتِ مَقْصَدٍ مِنَ المَقاصِدِ وَذَلِكَ يَخْتَصُّ بمُتَزاحِمِيْنَ عَلَى مَقْصُوْدٍ واحِدٍ وذَلِكَ مِثْلُ الضَّرّاتِ عِنْدَ زَوْجِهِنَّ وَالتَّلامِيْذِ عِنْدَ الأُسْتاذِ والإِخْوَةِ في التَّزاحم عَلى نيْلِ المَنْزلَةِ في قَلْبِ الأَبوَيْنِ لِيَتوصَّلَ بِهِ إلَى مَقاصِدِ الكَرَامَةِ والمَالِ وخُدّامِ المَلِكِ في نَيْلِ المَنْزِلَةِ مِنْ قَلْبِهِ .

السَّادِسُ حُبُّ الرِّيَاسَةِ وَطَلَبُ الجَاهِ لِنَفْسِهِ مِن غَيْرِ تَوصُّلٍ بِهِ إلى مَقْصُوْدٍ وَذَلِكَ كَالرَّجُلِ الّذِي يُرِيْدُ أنْ يَكُونَ عَدِيْمَ النَّظِيْرِ فِي فَنٍّ مِنَ الفُنُونِ إذا غَلَبَ عَلَيْهِ حُبُّ الثَّنَاءِ والمَدْحِ واسْتَفَزَّهُ الفَرحُ بِما يُمْدَحُ بِهِ ، فإنَّهُ لَوْ سَمِعَ بِنَظِيْرٍ لَهُ فِي أقْصَى أقْطَارِ الأرْضِ لَسَاءَه ذَلِكَ ، وَأحَبَّ مَوْتَهُ أوْ زَوالَ تِلْكَ النِّعْمَةِ الَّتِيْ عِنْدَ الّذي يُشَارِكُهُ بِهَا فِي المَنْزِلَةِ مِنْ شَجاعَةٍ أوْ عِلْمٍ أوْ صِنَاعَةٍ أوْ جَمَالٍ أوْ ثَرْوَةٍ أوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

السَّابِعُ : خُبْثُ النَّفْسِ وحُبُّهَا لِلشَّرِّ وشُحُّهَا بِالخَيْرِ لِعِبَادِ اللّهِ ، فَتَجِدُ المُتَّصِفَ بِذَلِكَ إذا ذُكِرَ لَهُ اضْطِرَابٌ وَنَكَبَاتٌ تُصِيْبُ النَّاسَ وإدْبَارُهُمْ وَفَوْتُ مَقَاصِدِهِمْ وَتَنْغِيْصَ عَيْشِهِمْ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ وَفَرِحَ بِهِ وَصَارَ يَبُثُّهُ وَرُبَّمَا أَتى بإشَاعَتِهِ فِي صُوْرَةِ التَّرَحُّمِ والتَّوَجُّعِ فَهُوَ أبَداً يُحِبُّ الإدْبَارَ لِغَيْرِهِ وَيَبْخَلُ بِنِعْمَةِ اللّهِ عَلى عِبَادِهِ كأنَّهُ يُؤْخَذُ مَا أعطاهُمْ اللّهُ مِن مَالِهِ وَخِزانَتِهِ ، عَلَى أنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ

وبَيْنَهُمْ عَدَاوَةٌ وَهَذا لَيس لَهُ سَبَبٌ إلاّ التَّعَمُّقُ فِي الخُبْثِ والرَّذَالَةِ والنَّذَالَةِ والخَسَاسَةِ فِي الطَّبْعِ اللَّئِيمِ ولِذَلِكَ يَعْسُرُ مُعَالَجَةُ هَذَا السَّبَبِ لأَنَّهُ جهولٌ ظَلُوْمٌ وَلَيْسَ يَشْفِي عِلَّةَ صَدْرِهِ وَيُزِيْلُ حَزازَةَ الحَسَدِ الكَامِنِ فِي قَلْبِهِ إلاَّ زَوَالُ النِّعْمَةِ فَحِيْنَئِذٍ يَتعَذَّرُ الدَّوَاءُ أوْ يَعِزُّ وَمِنْ هَذَا قول بعضهم .

وَكُلٌّ أُدَاوِيْهِ عَلى قَدْرِ دَائِهِ
سِوَى حَاسِدِي فَهْيِ الّتِي لاَ أَنالُهَا
وَكَيْفَ يُدَاوِيْ المَرؤُ حَاسِدَ نِعْمَةٍ
إذا كَانَ لا يُرْضِيْهِ إلاَّ زَوَالُهَا

قَالَ بَعْضُهُمْ رَأَيْتُ أَكْثَرَ النّاس إلا مَنْ عَصَمَ اللّهُ وَقَلِيْلٌ مَا هُمْ يَتعَجَّلُونَ الشَّقَاءَ والهَمَّ والتَّعَبَ لأنْفُسِهِمْ فِي الدُّنْيَا ويَحْتَقِبُونَ عَظِيْمَ الإِثْمِ المُوْجِبِ لِلنَّارِ فِي الآخِرَةِ بِمَا لاَ يُحْظَوْنَ مَعَهُ بِنَفْعٍ أصْلاً مِن نِيَّاتٍ خَبِيْثَةٍ يَحْرِصُوْنَ عَلَيْهَا مِن تَمَنِّي الغَلاءَ المُهْلِكَ لِلنَّاسِ وللصِّغَارِ وَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ وَتَمَنّى أَشَدَّ البَلاءِ لِمَنْ يَكْرَهُوْنَهُ وَقدْ عَلِمُوا يَقِيْناً أَنَّ تِلْكَ النِّيَاتِ الفَاسِدَةِ لا تُعَجِّلُ شَيْئاً مِمَّا يَتمَنُّونَهُ أَوْ تُوْجِبُ كَوْنَهُ وَأَنَّهُمْ لَوْ صَفَّوْا نِيَاتِهِمْ وَحَسَّنُوْهَا لَتَعَجَّلُوْا الرَّاحَةَ لأنْفُسِهِمْ وَتفرَّغُوْا بِذَلِكَ لِمَصَالِحِ أُمُوْرِهِمْ ، ولاَ اقْتَنَوْا عَظِيْمَ الأَجْرِ في المَعَادِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤَخِّرَ ذلِكَ شَيْئاً مِمَّا يُرِيْدُوْنَهُ أَوْ يَمْنَعَ كَوْنَهُ ، فَأَيُّ غَبْنٍ أعْظَمُ مِن هَذِهِ الحالِ الّتِي نَبَّهْنَا عَلَيْهَا اهـ .

وأَمَّا الأسبَابُ الأُخْرَى فَيُتصَوَّرُ إزالَتُها فِي المُعَالَجَةِ .

وَقَدْ تَجْتَمِعُ أَسْبَابُ الحَسَدِ المذْكُورةُ كُلُّهَا في شَخْصٍ وَاحِدٍ أَوْ أَكْثَرُهَا .

أَعْطَيْتُ كُلَّ الناسِ مِنْ نَفْسِي الرِضَا — إلاَّ الحَسُودَ فإنَّهُ أَعْيَانِي
لاَ أنَّ لِيْ ذَنْباً لَدَيْهِ عَلِمْتُهُ — إلاَّ تَظَاهرُ نِعْمَةِ الرَّحْمنِ

يَطْوِيْ على حُنْقٍ حَشَاهُ لِأَنْ رَآى عِنْدِيْ كَمالَ غِنىً وفَضْلَ بَيَانِ
مَا إنْ أَرَىَ يُرْضِيهِ إلاَّ ذِلَّتِـــي وذَهَابُ أَمْوَالِي وَقَطْعُ لِسَـــانِي

وَقَدْ ذَكَرَ العُلَمَاءُ لِلْحَسَدِ دَوَاءً فَأَوَّلاً أَنْ تَعْرِفَ أَنَّهُ ضَرَرٌ عَلَيْكَ فِي الدِّين والدُّنْيا ولاَ ضَرَرَ بِهِ عَلَى المَحْسُوْدِ لا فِي الدُّنْيَا ولا فِي الدِّين بَلْ يَنْتَفِعُ بِهِ فِيْهِمَا جَمِيْعاً أمَّا ضَرَرُهُ فِي الدِّيْنِ فلأَنَّهُ سُخْطٌ لِقَضَاءِ اللّهِ وَقَدَرِهِ ، وكَرَاهَةٌ لِنِعْمَتِهِ على عَبْدِهِ المُؤْمِنِ وانْضَمَّ إِلَيْهِ غِشُّ المُسْلِمِ وتَرْكُ نُصْحِهِ وَتَرْكُ العَمَلِ بقَوْلِهِ ﷺ « لا يُؤْمِنُ أحدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأخِيْهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » وانْضَمَّ أيْضاً إلى ذَلِكَ أنَّهُ شَارَكَ إبْلِيْسَ وهَذِهِ خَبَائِثُ تأكُلُ الحَسَنَات وأمَّا ضَرَرُهُ في الدُّنْيا فإِنَّهُ الألَمُ النَّقْدُ الحَاضِرُ والعَذابُ الدَّائِمُ .

وأَمَّا كَوْنُهُ لا ضَرَرَ عَلَى المَحْسُودِ فَوَاضِحٌ لأَنَّ النِّعْمَةَ لا تَزُوْلُ بالحَسَدِ وأمَّا مَنْفَعَتُهُ في الدُّنْيا لِلْمَحْسُودِ فَهُوَ أنَّ أهَمَّ مَقَاصِدِ أكْثَرِ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا إِيْصَالُ الضَّرَرِ والهَمِّ إلى أعْدَائِهِمْ وهُوَ مُتَوَفِّرٌ في الحَسَدِ وَقَدْ فَعَلَ الحَاسِدُ بِنَفْسِهِ مُرَادَهُمْ فأنْتَ بالحَقِيْقَةِ عَدُوٌّ لِنَفْسِكَ وصَدِيْقٌ لِعَدُوِّكَ وَمَعَ هَذا كُلِّهِ فَقَدْ أدْخَلْتَ السُّرُوْرَ عَلَى إبْلِيْسُ وهُوَ أعْدَى عَدُوٍّ لَكَ وَلِغَيْرِكَ وَلو عَقَلْتَ تَمَاماً لَعَكَسْتَ وَكَلَّفْتَ نَفْسَكَ نَقِيْضَ الحَسَدِ إِذْ أنَّ كُلَّ مَرَضٍ يُعَالَجُ بِضِدِّهِ فَمَثَلاً يُكَلِّفُ لِسَانَهُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ كَذبٍ ويُلْزِمُ نَفْسَهُ بِرَّهُ إنْ قَدِرَ فَهذِهِ الأفْعَالُ تعْمَلُ مُقَارَبَةً تُطَيِّبُ قَلْبَ المَحْسُوْدِ ويُحِبُّ الحَاسِدَ ويَصِيْرُ مَا يَتَكَلَّفَهُ أَوّلاً طَبْعاً آخِراً وَلاَ يَعْمَلُ بِوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ إنَّ هَذَا عَجْزٌ وَنِفَاقٌ وَخَوْفٌ لأنَّ ذَلِكَ مِنْ خِدَعِهِ وَمَكائِدِهِ فَهَذَا الدَّوَاءُ إلَّا أنَّهُ مُرٌّ قَلَّ مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ قَالَ تَعالى ﴿ادفع بالّتي هي أحْسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه ولي حميم﴾ الآية وبالتالي فإنَّ خَيْرَ مَا لِلْمَرْءِ أنْ يَكُونَ مُسْتَرِيْحاً فِي دُنْيَاهُ لَعَلَّ اللّهَ أنْ يَجْعَلَهُ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ فِي أُخْرَاهُ .

وفِي الدُّنْيَا فِي أمْنٍ وفِي رَغَدٍ هَذَا شَيْءٌ مُتَحَقَّقٌ وقَدِيْمَا قِيْلَ :

يا طالِبَ العَيْشِ في أمنٍ وفي دَعَةٍ
رَغْداً بلا قَتَرٍ صَفْواً بِلا كَدَرِ

خَلِّصْ فُؤادَكَ مِنْ غِلٍّ ومِن حَسَدٍ
فالغِلُّ في القَلْبِ مِثْلُ الغِلِّ في العُنُقِ

آخـر :

مَتى تَجْمَعِ الحَسْدَ العَمِيْقَ وغِيْبَةً وَنَماً وَكِذْباً تَخْتَطِبْكَ المَناصِبُ
وإنْ تَجمعَ الإخْلاصَ والزُهْدَ والتقى وعِلْماً وحِلْماً تَجْتَنِبْكَ المَراتِبُ

آخـر :

(لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أحْقِدْ عَلى أحَدٍ
أرَحْتُ نَفْسِيَ مِنْ هَمِّ العَدَوَاتِ)

(إنِّي أُحَيِّيْ عَدُوِّيْ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ
لِأَدْفَعَ الشَرَّ عَنِّيْ بالتَّحِيَّاتِ)

وقال آخر :

إلْقَ العَدوَّ بوَجْهِ لاَ قُطُوبَ بِهِ
يَكَادُ يقْطُرُ مِن مَاءِ البَشَاشَاتِ

فأَحْزمُ النَّاسِ مَن يَلْقى أعَادِيَهُ
في جِسْمِ حِقْدٍ وثَوْبٍ مِن مَوَدَاتِ

آخر :

أُجَامِلُ أقْواماً حَيَاءً وَقَدْ أرى
صُدُوْرَهُمُ بَادٍ عَلَيَّ مِرَاضُهَا

والطَّرِيْقُ الوحِيدُ أنْ تَعْلَمَ تَماماً أنَّ الخَيْرَ كُلَّهُ في أنْ لا يَكُونَ في نَفْسِكَ لأحَدٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ غِشٌ ولا تَحْسِدْ أحَداً عَلَى خَيْرٍ أعطاهُ اللّهُ إيَّاهُ ثُمَّ أيُّ ضَررٍ

يَحْصُلُ لَكَ لَوْ كَانَ غَيْرُكَ فَوْقَكَ فِي المال أو فِي المنصِبِ، إنَّهُ مِسْكِيْنٌ ، مَا نَقَصَ مِنْ دُنْيَاكَ ولا مِن آخِرَتِكَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ .

وإذَا رأيْتَ قَلْبَكَ صَافِياً مُحِبّاً لإخْوانِكَ مِن المُسْلِمِيْنَ الخَيْرَ كَارِهاً لَهُم ما تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ ، فَهَذِهِ بَشَارَةٌ لِلْمُسْتَقِيْم ، ولْيَسْمَعْ إلى ما وَرَدَ عَن أنَسِ بنِ مالِكٍ قَالَ كُنَّا جُلوساً عِنْدَ رسُولِ اللَّهِ ﷺ فقالَ « يَطْلَعُ الآنَ عَلَيْكُم رَجُلٌ مِنْ أهْلِ الجنَّةِ فَطلَعَ رَجلٌ مِن الأنصارِ تَنْطُفُ لِحْيَتُهُ مِن وُضُوئِهِ ، قَدْ عَلَّقَ نَعْلَيْهِ بِيدِهِ الشِّمَال .

فلَمَّا كَانَ الغَدُ قَالَ النَّبيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أيْضاً فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ على مِثْلِ حَالِهِ الأوَّلِ فلَمَّا قَامَ النَّبيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَمْرٍو أيْ تَبِعَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَقَالَ إنِّيْ لاحَيْتُ أبِيْ ، فأقْسَمْتُ أنِّيْ لا أدْخُلُ عَلَيْهِ ثَلاثاً ، فإنْ رَأيْتَ أن تُؤْوِيْنِي إلَيكَ حَتَّى تَمْضِيْ فَعَلْتَ قَالَ نَعَمْ قَال أنَسٌ فكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ الثَّلاثِ اللَّيالِي فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِن اللَّيْلِ شَيْئاً غَيْرَ أنَّهُ إذا تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجلَّ وكَبَّرَ ، حتَّى قَامَ لِصَلاةِ الفَجْرِ .

قَالَ عبْدُ الله غَيْرَ أنِّي لَمْ أسْمَعْهُ يَقُولُ إلاّ خَيْراً فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلاثُ اللَّيالِي وكِدْتُ أنْ أحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ يا عَبْدَ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وبَيْنَ أبِي غَضَبٌ وَلا هُجْرٌ ولكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلاثَ مَرّاتٍ يَطْلُعُ عَلَيْكُم الآنَ رَجُلٌ مِن أهْلِ الجنَّةِ فَطَلَعْتَ أنْتَ الآنَ فأرَدْتُ أنْ آوِيَ إلَيْكَ فأنْظُرَ عَمَلكَ فأقْتَدِيْ بِكَ فَلَمْ أرَكَ عَمِلْتَ كَبِيْرَ عَمَلٍ فَمَا الَّذي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال مَا هُوَ إلاّ ما رَأيْتَ فلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِيْ فَقالَ مَا هُوَ إلاّ مَا رَأيْتَ غَيْرَ أنِّي لا أجِدُ فِي نَفْسِي لأحَدٍ مِن المُسْلِمِيْنَ غِشّاً ولا حَسَداً على خَيْرٍ أعْطاهُ اللَّهُ إيَّاهُ فقَالَ عبدُ الله هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ رواهُ أحمد بإسناد صحيح .

شعرا : كُلُّ العَدَاوَتِ قَدْ تُرْجَى مَوَدَّتُهَا ... إلاَّ عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِن حَسَدِ
فإنَّهـا نُكْتَــةٌ في القَــلبِ ثابِتَــةٌ ... وَلَيْسَ يَدْفَعُها شَيءٌ سِوَى الصَّمَدِ
آخر : إنَّ العَرَانِيْنَ تَلْقَاهَا مُحَسَّدَةً ... وَلَا تَرى لِلِئَـامِ النَّـاسِ حُسَّادَا

آخر: ما ضَرِنِي حَسَدُ اللِّئَامِ وَلَمْ يَزَل ذُوْ الفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذَوُوْ النُّقْصَانِ
يَابُؤْسَ قَوْمٍ لَيْسَ جُرْمُ عَدُوِّهِمْ إِلَّا تَتَابُعُ نَعْمَةِ الرَّحْمَـــنِ

مَوْعِظَة: عِبَادَ اللّهِ إن دَاءَ الحَسَدِ مِن أعظَمِ الأَدْوَاءِ، والإِبْتِلاءُ بِهِ مِن أَشَدِّ البَلْوَى، يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى مَرْكَبٍ صَعْبٍ، ويُبْعِدُهُ عَنْ التَّقْوَى، ويُرْكِبُهُ الأَهْوَاءَ فَيَظَلُّ وَيَغْوَى، يَضِيْقُ صَدْرُ الحَسُوْدِ ويَنْفَطِرُ قَلْبُهُ إذا رأَى نِعْمَةَ اللّهِ عَلَى أخِيْهِ المُسْلِمِ فَيُعَانِي مِن البُؤْسِ واللأْوى، مَا لا يَسْتَطِيْعُ أنْ يَبُثَّ مَعَهُ مَا يَجِدُهُ مِن الحُزْنِ والقَلَقِ، وَلا يَقْدِرُ عَلَى الشَّكْوَى، إلّا إلَى الشَّيْطَانِ ونَفْسِهِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوْءِ أوْ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ في الحَسَدِ، فَقَاتَلَ اللّهُ الحَسُوْدَ لا يَفْعَلُ الخَيْرَ ولَا يُحِبُّهُ لإِخْوانِهِ المُسْلِمِين، غَايَةُ أُمْنِيَّتِهِ زَوَالُ نِعْمَةِ اللّهِ عن عِبَادِهِ إنَّهُ بعَمَلِهِ سَالِكٌ طَرِيْقَ إبْلِيْسَ لَعَنَهُ اللّهُ، فَمَا أوْقَعَ الشَّيْطَانُ في مَعْصِيَةِ اللّهِ إلّا حَسَدُهُ لِأَبِيْنَا آدَمَ وامْتِنَاعُهُ مِنَ السُّجُودِ بَعْدَ مَا أمَرَهُ اللّهُ، وَمَا حَمَلَ قَابِيْلَ عَلَى قَتْلِ هَابِيْلَ إلّا حَسَدُهُ لأخِيْهِ حَيْثُ تَقَبَّلَ اللّهُ مِنْهُ قُرْبَانَهُ الّذي أرَادَ بِهِ وَجْهَ اللّهِ والدّارَ الآخِرَةَ وَمَا مَنَعَ المُشْرِكِيْنَ والمُتْرَفِيْنَ مِن اتِّبَاعِ الرُّسُلِ إلّا الحَسَدُ والكِبْرُ، وَمَا حَمَلَ أهْلَ الكِتَابِ عَلَى كَرَاهَةِ الدِّيْنِ الإسلامِيِ وَصَرْفِ المُسْلِمِيْنَ عَنْ كِتَابِ اللّهِ والإِيْمَانِ بِسَيِّدِ الرُّسُلِ وَخَاتَمِهِمْ إلَّا مَا ذَكَرَهُ اللّهُ عَنْهُمْ ﴿وَدَّ كَثِيْرٌ مِن أهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوْنَكُم مِنْ بَعْدِ إيْمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الحَقُّ﴾ الآية، وقال ﷺ «الحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النّارُ الحَطَبَ» الحَاسِدُ لا يُضْمِرُ إلّا غَدْراً ولا يَعْمَلُ إلّا شَرّاً ولا يُدَبِّرُ إلّا مَكْراً وجُمْلَةُ القَوْلِ أنَّ الحَاسِدَ مُيَسَّرٌ لِلْعُسْرَى لا تُجْدِيْ مَعَهُ المَوَاعِظُ والنَّصَائِحُ وَقَدْ قِيْلَ إنَّ بضَاعَةَ إبْلِيْسَ خَمْسَةُ أصْنَافٍ يَبِيْعُهَا مِنْ قَوْمٍ مَعْرُوْفِيْن، وَهِيَ الحَسَدُ وأهْلُهُ العُلَمَاءُ، وأهْلُ الحِرْفَةِ الوَاحِدَةِ، أيْ كُلُّ مَنْ يَتَّفِقُ عَمَلُهُم مُسْلِمِيْن أوْ غَيْرَ مُسْلِمِيْن، والكِبْرُ وأهْلُهُ الأنْذَالُ والسَّفَلَةُ والسُّفَهَاءُ والحَمْقَاءُ ومَنْ لا خَيْرَ فيه مِنَ المُحْتَرِفِيْن المُنْحَرِفِيْن.

شعرا: لِكلّ امْرِىءٍ شَكْلٌ مِنَ الناسِ وَحْدَهُ فَأَرْجَحُهُم عَقْلًا أقلهُم شَكْلَا

وَكُلُّ أُنَاسٍ يعْرفُونَ بِشَكْلِهِمْ فَأَكْثرُهُمْ شَكْلًا أَقَلُّهُم عَقْلَا
وَإنَّ كَبِيْرَ العَقْلِ لَيْسَ بواجِدٍ لَهُ بَيْنَ أَلْفٍ حِيْنَ يَفْقِدُهُ مِثْلَا
وَكُلُّ سَفيْهٍ طَائِشٍ إنْ فَقَدْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ في كُلِّ زَاوِيَةٍ عِدْلَا
آخر: فَشَرطُ الفلاحَةِ غَرْسُ النَّبَاتْ وَشَرْط الرِّيَاسَةِ غَرْسُ الرِجَّال
فإنْ لَمْ تعَاشِرْ سِوَى كَامِلٍ بَقِيْتَ وَحِيْداً لِعِزِّ الكَمَالْ

والجَوْرُ والطُّغْيَانُ، وأهْلُهُ المُلُوكُ والأُمراءُ والوزَرَاءُ والعُظَمَاءُ، وأعْوانُهُمْ مِنَ الفَسَقَةِ والمُجْرِمِيْنَ، والكَيْدُ، وأهلُهُ النِّسَاءُ، والنَّمامِيْنَ والدَّلالِيْنَ، والمُتَسَبِبِيْنَ وبِئْسَتِ البِضَاعَةُ بِضَاعَةُ الشَّيْطانِ، ويا حَسْرَةَ المُشْتَرِيْنَ، وَيَا نَدَامتَهُم ﴿يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلىً عنْ مَوْلىً شَيْئاً وَلاَ هُمْ يُنْصَرُوْنَ﴾ ﴿ولا يَحِيْقُ المَكْرُ السّيِّءُ إلاَّ بأهْلِهِ﴾ قِيْلَ إنَّهُ كَانَ رَجُلٌ يَغْشَى أحَدَ المُلُوْكِ فَيَقُوْمُ بِحِذاءِ المَلِكِ فَيَقُولُ أَحْسِنْ إلى المُحْسِنِ بإحْسَانِهِ، فَإن المُسِيءَ سَيَكفِيْكَهُ إسَاءَتُهُ، فَحَسَدَهُ رَجُلٌ عَلَى ذَلِكَ المَقَامِ، والكَلام فَسَعَى بِهِ إلى المَلِكِ، فَقَالَ إنَّ هَذا الَّذي يَقُومُ بِحِذَائِكَ وَيقُوْلُ وَيقُوْلُ ما يَقُوْلُ يَزعُمُ أَنَّكَ أبْخرُ، فقالَ لَهُ المَلِكُ وَكَيْفَ يَصِحُّ ذَلِكَ عِنْدِي، قَالَ تَدْعُوْهُ إلَيْكَ فَإِنَّهُ إذَا دَنَا مِنْكَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى أنْفِهِ لِئَلا يَشُمُّ رَائِحَةَ البَخرِ، فَقَالَ لَهُ انْصَرِفْ حَتَّى انْظُرَ وأَتَحَقَّقَ ذَلِكَ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ المَلِكِ، فَدَعَا الحَاسِدُ ذَلِكَ الرَّجُلَ إلَى مَنْزِلِهِ فَأَطْعَمَهُ طَعَاماً فِيهِ ثُوْمٌ فَخَرَجَ الرَّجُلُ مِن عِنْدِهِ وَذَهَبَ إلَى المَلِكِ عَلَى عَادَتِهِ وَقَامَ بِحِذاءِ المَلِكِ فَقَال أحْسِنْ إلى المُحْسِنِ بإحْسَانِهِ فإنَّ المُسِيْءَ سَيَكْفِيْكَهُ إسَاءَتُهُ فَقالَ لَهُ المَلِكُ إدْنُ مِنّي، فَدَنَا مِنْهُ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى فِيْهِ، مَخافَةَ أنْ يَشُمَّ المَلِكُ مِنْهُ رَائِحَةَ الثُّوْمَ فَقالَ المَلِكُ فِي نَفْسِهِ مَا أرَى فُلَاناً إلاّ صَدَقَ، قَالَ وَكَانَ المَلِكُ لا يَكْتُبُ بخَطِّهِ إلاَّ بجَائِزَةٍ أوْ صِلَةٍ، فَكَتَبَ لَهُ كِتاباً بخطِّهِ إلى عامِلِهِ: قَالَ فِيْهِ إذَا أَتَاكَ حَامِلُ كِتَابِي هَذا فاذْبَحْهُ، واسْلَخْهُ، وأحْشُ جِلْدَهُ تِبْناً وابْعَثْ بِهِ إليَّ، وأخَذَ الكِتَاب وخَرجَ فَلَقِيَهُ الرَّجُلُ الَّذِي سَعَى بِهِ إلَى المَلِكِ وَكَذَبَ عَلَيْهِ، فَقالَ لَهُ مَا هَذا الكِتَابُ قالَ خَطُّ المَلِكِ لِي بِهِ صِلَةٌ فَقالَ هَبْهُ لِيْ فَقالَ هُوَ لَكَ

فأَخذهُ ، السَّاعِيْ ومضى بِهِ إلى عَامِلِ المَلِكِ ، فقَالَ لَهُ العَامِلُ : فِي كِتابَكَ أَنِّي أَذبحُكَ ، وأَسْلَخُكَ فقَالَ إنَّ الكِتَابَ لَيْسَ لِيْ ، فَاللَّهَ اللَّهَ ، فِي أمْرِي حَتَّى تُراجِعَ المَلِكَ فقَالَ لَيْسَ لِكِتَابِ المَلِكِ مُرَاجعَةٌ فَذَبحَهُ وَسَلَخَهُ وَحشى جِلْدَهُ تِبْناً ، وأَرْسَلَهُ لِلْمَلِكِ ، ثُمّ عَادَ الرَّجُلُ إِلَى المَلِكِ كَعَادَتِهِ وَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ ، فَتَعَجَّبَ المَلِكُ ، وَقَالَ لَهُ مَا فَعَلَ الكِتَابُ ، فَقَالَ لَقِيَنِيْ رَجُلٌ هُوَ فُلانٌ فاسْتَوْهَبَهُ مِنِّيْ فَوهَبْتُهُ لَهُ ، قَالَ لَهُ المَلِكُ إِنَّهُ ذَكَرَ لِيْ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنِّي أَبْخَرُ قَالَ مَا قُلْتُ ذَلِكَ ، قَالَ فَلِمَ وَضَعْتَ يَدَكَ عَلَى فِيْكَ قَال لأَنَّهُ أَطْعَمَنِيْ طَعاماً فِيْهِ ثُوْمٌ فَكَرِهْتُ أَنْ تَشُمَّهُ ، قَال صَدَقْتَ ، ارْجِعْ إِلَى مَكَانِكَ ، فَقَدْ كَفَى المُسِيءَ إِسَاءَتُهُ فانْظُرْ يَا أَخِيْ كَيْفَ دَارَتْ عَلى البَاغِي الدَّوَائِرُ واسْأَلْ رَبَّكَ أن يُعَافِيْكَ مِن هَذِهِ الأمراضِ الفتَّاكَةِ الَّتي رُبَّمَا قَضَتْ عَلى حَيَاتِهِ وَأَوْصَلَتْهُ فِي الآخِرَةِ نَارَ جَهَنَّمَ .

وخِتَاماً فَعَلى اللَّبِيْبِ أَنْ يَتَجَنَّبَ الحَسَدَ فإِنَّهُ مِن خُلُقِ الأَدْنِيَاءِ وصِفَةِ الجُهلاءِ فإِنْ أَبْصَرْتَ بقائِمٍ بالحَقِّ فاعْضُدْهُ وَيَسِّرْ لَهُ السَّبِيلَ حَسَبَ اسْتِطَاعَتِكَ وإِنْ رَأَيْتَ نِعْمَةً أَسْبَغَهَا اللَّهُ عَلَى عَبدٍ مِن عِبادِهِ فاسْعَ إِلَى مِثْلِهَا بِقَلْبٍ طَاهِرٍ وَوِجْدَانٍ نَقِيٍ لعلَّكَ أَنْ تَبْلُغَهَا بإِذْنِ اللَّهِ .

فَعَزِيْزُ النَّفسِ إِنْ أَبصرَ غَيْرَهُ فِي أَمْرٍ يُثْنَى عَلَيْهِ بِهِ ، أَوْ رَآهُ فِي مَنْزِلَةٍ يُغْبَطُ عَلَيْهَا فَلا يَجُوْلُ فِي وَهْمِهِ أَنْ يَحْسِدَهُ عَلى نِعْمَتِهِ أَوْ يَحُطَّ مِن مَنْزِلَتِهِ بَلْ يَسْعَى كُلَّ السَّعْيِ لِيَنَالَ مِثْلَ مَنالِهِ وَيَرْقَى مِثْلَ رُقِيِّهِ فإِنْ زَادَتْ فِيهِ عِزَّةُ النَّفسِ والإِباءِ فَلَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ إِلاَّ بِمَا فَوْقَ ذَلِكَ المَقَامِ :

شعرا :

أَسَأْتُ فَمَا عُذْرِيْ إِذَا انْكَشَفَ الغِطَا
وأَظْهَرَ رَبُّ العَرْشِ مَا أَنَا أَسْتُرُ

إذَا اللّهُ نَـادَانِي بِيَــوْمِ قِيَـامَــةٍ
تَعَدَّيْتَ حَدَّ العِلْمِ هَـلْ أَنْتَ تُوْجَـرُ
أَسَــأْتَ إِلَى خَلْقِي وَحَقِّي تَـرَكْتَــهُ
فَـأَيْنَ الحَيَـا مِنِّي فَـإِنِّي أَكْبَــرُ
دَعَـوْتَ إِلى عِلْمٍ وأَظْهَـرْتَ حِكْمَـةً
وأَنْتَ عَلى الـدُّنْيا عَكُــوفٌ مُشَمِّرُ
وَخَالَفْتَ ما قَـدْ قُلْتَ وازْدَدْتَ غَفْلَةً
وَقَلْبُــكَ لِـلَّذَاتِ والـغِشِّ يُـضْمِــرُ
ظَنَنْتَ بِــأَنِّي مُهْمِـلٌ لِإمْــرِءٍ عَصَى
كَـأَنَّـكَ لَمْ تَعْلَمْ بِــأَنَّــكَ تُحْشَــرُ
هُنَــالِـكَ يَمْتَــازُ المُسِيْؤُنَ كُلُّهُـمْ
فَــوَحَسْـرَتَــا إِنْ كُنْتُ مِمَّنْ يُحَسَّــرُ
فَيَـا حَيُّ يَـا قَيُّومُ يَـا خَيْــرَ رَاحِمٍ
ومَنْ هُــوَ لِلزَّلَّاتِ والـذَّنْبِ يَغْفِـرُ
عَصَيْتُكَ مِنْ لُؤمِي ونَفْسِي ظَلَّمْتُهَـا
وَذنْبِي فِي عُمْــرِي يَــزِيـدُ وَيَكْثُــرُ
وَلَـكِـنَّـنِي إنْ جِئْــتُ ذَنْبــاً وَزَلَّــةً
أُرَجِيْــكَ يَــا رَحْمَنُ لِلْوَهْنِ تَجْبُــرُ
وَتَغْفِــرُ لِي ذَنْبِـيْ وتُصْـلِحُ عِيْشَتِـيْ
وتَــرْحَــمُ آبَــائِي فَــإِنَّـكَ تَـقْـدِرُ
وَأَرْجُـوكَ يَـا رَحْمنُ إذْ مَـا سَتَرتَنِي
بِـدُنْيَـايَ فِي يَــوْمِ القِيَـامَـةِ تَسْتُـرُ

اللّهُمَّ حَبّبْ إلَيْنَا الإيْمانَ وَزَيِّنْهُ في قُلوبِنَا وكَرِه إليْنا الكُفْرَ والفُسوقَ والعِصْيانَ واجْعَلنا مِنَ الرّاشِدِين وَاغْفِرْ لَنا ولِوالِديْنا وجمِيْع المُسْلمين برحْمتِكَ يا أرحَمَ الرّاحِمِيْن وصلّى الله على محمّد وعلى آلهِ وصحبهِ أجمَعِين .

« موعظـــة »

إخْوَانِي إنّ فِي مَوَاعِظِ الأَيَّام واللَّيَالِي لَعِبْرَةً لِذَوِيْ البَصَائِرِ رَكَائِبُ أمْوَاتٍ تُزْعَجُ عن مَقْصُوْرَاتِ القُصُوْرِ ثُمَّ تُحْمَلُ إلَى مَضَائِقِ القُبُورِ ، فَكَمْ قَدْ شَاهَدْتُمْ مِنْ شَخْصِيَّاتٍ في الأَرْض ، قَدْ وُضِعَتْ ، وكَمْ قَدْ عَايَنْتُمْ مِنْ أبْدَانٍ نَاعِمَةٍ في الأكْفانِ قَدْ لُفَّتْ وإلَى مَضِيْقِ الأَلْحَادِ قَدْ زُفَّتْ فيا لَهَا مِنْ غَايَةٍ يَسْتَبِقُ إلَيْهَا العِبَادُ وَيَا لَهُ مِنْ مِضْمَارٍ يَتَنَاوَبُهُ جَوَادٌ بَعْدَ جَوَاد وَيَا لَهُ مِنْ هَوْلٍ شَدِيْدٍ يَعْقِبُهُ أَهْوَالٌ شِدَادٌ فِتْنَةُ قُبُوْرٍ وَحَشْرٌ في مَوْقِفٍ مَهِيْلٍ مَوْقِفٌ فِيهِ تَنْقَطِعُ الأَنْسَابُ وَتَخْضَعُ فِيهِ الرِّقَابُ وتَنْسَكِبُ فِيْهِ العَبَراتُ وتَتَصَاعَدُ فِيْهِ الزَّفَرَاتُ ذَلِكَ مَوْقِفٌ تُنْشَرُ فِيْهِ الدَّوَاوِيْنُ ، وتُنْصَبُ فِيْهِ المَوَازِيْنُ ، وَيُمَدُّ فِيْهِ الصِّرَاطُ ، وحِيْنَئِذٍ يَقَعُ الامْتِيَازُ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ومُكَرْدَسٌ في النّار .

دَخَلَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ رحِمَهُ اللّهُ على سابِقِ البَرْبَرِي وهُوَ يَتَمَثَّلُ بالأبْيَاتِ المَشْهُوْرَةُ مِن قَصِيْدَةِ الأعْشَى .

أجِــدَّكَ لَمْ تَـذْكُــرْ وِصَـاةَ مُحَمَّــدٍ
نَـبِيّ الإلٰــهِ حِيْنَ أوْصَـى وأشْهَــدَا
إذا أنْتَ لَمْ تَـرْحَلْ بِـزَادٍ مِنَ التُّقَى
وأبْصَرْتَ بَعْدَ المَوْتِ مَنْ قَدْ تَـزَوَّدَا

نَـدِمْتَ عَلَى أنْ لَا تَكُـوْنَ كَمِثْلِهِ
وَأَنَّـكَ لَمْ تُرْصِـدْ كَمَا كَـانَ أَرْصَدَا

فَغُشِيَ عَلَى عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَلَمَّا أفَاقَ قَالَ زِدْنَا فَقَالَ القَصِيْدَة الَّتِيْ تَلِي

بِسْمِ الَّذِي أنْزِلَتْ مِنْ عِنْدِهِ السُّوَرُ
الْحَمْـدُ لِلَّهِ أَمَّـا بَعْـدُ يَـا عُمَـرُ
إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَـا تُبْقِي وَمَـا تَـذَرُ
فَكُنْ عَلَى حَـذَرٍ قَـدْ يَنْفَـعُ الحَـذَرُ
واصْبِرْ عَلَى القَدَرِ المَقْدُوْرِ وارْضَ بِهِ
وإنْ أتـاكَ بِمَـا لَا تَشْتَهِي القَـدَرُ
فَمَـا صَفَى لامْـرِىءٍ عَيْشٌ يُسَـرُّ بِـهِ
إلَّا وأعْـقِبَ يَـوْمـاً صَـفْـوُهُ كَـدَرُ
قد يَرعَوِي الْمَرْءُ يـوْماً بَعْـدَ هَفْوَتِـهِ
وتُحْكِمُ الجَـاهِـلَ الأَيَّـامُ والعِبَـرُ
إنَّ الـتُّقَـى خَيْــرُ زَادٍ أَنْـتَ حَـامِلُهُ
والبِـرُّ أَفْضَـلُ مَـا تَـأْتِي وَمَـا تَـذَرُ
مَن يَطْلُبِ الجَوْرَ لَا يَـظْفُرْ بحَـاجَتِهِ
وطَالِبُ العَدْلِ قَدْ يُهْدَى لَـهُ الظَّفَـرُ
وفي الهُدَى عِبَرٌ تُشْفَى القُلُوبُ بِهـا
كـالغَيْثِ يَحْيَى بِهِ مِنْ مَـوْتِهِ الشَّجَـرُ
وَلَيْسَ ذُوْ العِلْمِ بـالتَّقْوَى كَجَـاهِلِهَا
ولا البَصِيـرُ كـأَعْمَى مَـالَـهُ بَصَـرُ

والذِّكْرُ فِيهِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ كَمَا
تَحْيَا البِلادُ إِذَا مَا جَاءَهَا المَطَرُ
والعِلْمُ يَجْلُو العَمَى عن قَلْبِ صَاحِبه
كَمَا يُجَلِّي سَوادَ الظُّلْمَةِ القَمَرُ
لا يَنْفَعُ الذِّكْرُ قَلْباً قَاسِياً أَبَدَا
وهَلْ يَلِيْنُ لِقَوْلِ الواعِظِ الحَجَرُ
ما يَلْبَثُ المَرْءُ أَنْ يَبْلَى إِذَا اخْتَلَفت
يَوْماً على نَفْسِهِ الرَّوْحَاتُ والبِكَرُ
والمَرْءُ يَصْعَدُ رَيْعَانُ الشَّبَابِ بِه
وكُلُّ مُصْعِدَةٍ يَوْماً سَتَنْحَدِرُ
وكُلُّ بَيْتٍ سَيَبْلَى بَعْدَ جِدَّتِهِ
ومِن وَرَاءِ الشَّبَابِ المَوْتُ والكِبَرُ
والمَوْتُ جِسْرٌ لِمَنْ يَمْشِيْ على قَدَم
إِلَى الأُمُورِ الَّتِي تُخْشَى وتُنْتَظَرُ
فَهُمْ يَمُرُّونَ أَفْوَاجاً وتَجْمَعُهُمْ
دَارٌ يَصِيْرُ إِلَيْهَا البَدْو والحَضَرُ
كَمْ جَمْعُ قَوْمٍ أشَتَّ الدّهرُ شَمْلَهُمْ
وَكُلُّ شَمْلٍ جَمِيْعٍ سَوْفَ يَنْتَشِرُ
وَرُبَّ أَصْيَدَ سَامَ الطَّرْفِ مُقْتَضِباً
بِالتّاج نِيْرانُه لِلْحَرْبِ تُسْتَعر
يَظَلُّ مُفْتَرِشَ الدِّيْبَاجِ مُحْتَجِباً
عَلَيْهِ تُبْنَى قِبَابُ المُلْكِ والحُجَرُ

إِلَى الفَنَـاءِ وإنْ طَـالَتْ سَـلاَمَتُهُمْ
مَصِيْـرُ كُـلِّ بَنِي أنثى وإنْ كَبُـرُوا
إذا قَـضَتْ زُمَـرٌ آجـالَـهـا نَـزَلَتْ
علَى مَنَـازِلِهِمْ مِنْ بَعـدِهَـا زُمَـرُ
أَصْبَحْتُمْ جُـزُراً لِلْمَـوْتِ يَـأْخُـذُكُمْ
كَمَـا البَهَائِمُ فِي الـدُّنْيـا لَكُمْ جُـزُرُ
أَبَعْـدَ آدَمَ تَـرْجُـونَ الخُلُودَ وهَـلْ
تَبْقَى الفُـروعُ إذا مَا الأصْـلُ يَنْعَقِـرُ
وَلَيْس يَـزْجُـرُكُمْ مَـا تُـوعَـظُونَ بِـه
والبَهْمُ يَـزْجُـرُهَـا الـرَّاعِي فَتَنْـزَجِـرُ
لا تَبـطُرُوْا واهْجُروا الـدُّنْيا فـإنَّ لَها
غِبـاً وخِيْمـاً وكُفْـرُ النِّعْمَـةِ البَـطَرُ
ثُمّ اقْتَدُوا بالأُوْلَى كَـانُوا لَكُمْ غُـرَراً
ولَـيْسَ مِـن أُمَّـةٍ إلاَّ لَـهَـا غُـرَرُ
مَتَى تَكُـونُـوا على مِنْهَـاجِ أَوَّلِكُمْ
وتَصْبِرُوا عَن هَوَى الدُّنْيَا كَمَا صَبَرُوا
مَـالِيْ أَرَى النَّـاسَ والـدُّنْيَـا مُـوَلِيَّـةٌ
وَكُـلُّ حَبْـلٍ عَلَيْهَـا سَـوْفَ يَنْبَتِـرُ
لا يَشْعُـرُونَ إذَا مَـا دِيْنُهُم نُقِصُـوا
يـوْمـاً وإنْ نُقِصَتْ دُنْيَـاهُم شَعِـرُوا
حَتَّى مَتَى أَكُ في الدُّنْيا أَخَا كَلَفٍ
في الخَـدِّ مِنِّي إلى لَـذَّاتِهـا صَعرُ

ولا أرى أثَراً لِلذِّكْرِ في جَسَدِي
والحَبْلُ في الحَجَرِ القَاسِي لَهُ أَثَرُ
لَوْ كَانَ يُسْهِر لَيْلِي ذِكْرُ آخِرتِي
كَمَا يُؤرِّقنِي لِلْعاجِلْ السَّفَرُ
إذاً لَداوَيْتُ قَلْباً قَدْ أضَرَّ بِهِ
طُولُ السِّقامِ وكَسْرُ العَظْمِ يَنْجَبِرُ
ثُمَّ الصَّلاةُ على المَعْصُومِ سَيِّدِنَا
ما هَبَّت الرِّيْحُ واهْتَزَّتْ بِهَا الشَّجَرُ

اللهم ثبت إيماننا ثبوت الجبال الراسيات واشرح صدورنا للإسلام وثبتنا عليه واجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فصل »

قال ابن القيم رحمه الله :

أركانُ الكُفْرِ أربعةٌ : الكِبْرُ والحَسَدُ والغضبُ والشّهوةُ فالكِبْرُ يَمْنَعُهُ الانْقِيادَ . والحَسَدُ يَمْنَعُهُ قَبُولَ النَّصِيْحَةِ وَبَذْلَهَا والغضبُ يَمْنَعُهُ العَدْلَ . والشَّهْوَةُ تَمْنَعُهُ التَّفَرُّغَ لِلْعِبَادَةِ فإن انْهَدَمَ رُكْنُ الكِبْرِ سَهُلَ عَلَيْهِ الانْقِيادُ وإذا انْهَدَمَ رُكْنُ الحَسَدِ سَهُلَ عَلَيْهِ قَبُولُ النُّصْحِ وَبَذْلُهُ وإذا انْهَدَمَ رُكْنُ الغَضَبِ سَهُلَ عَلَيْهِ العَدْلُ والتَّوَاضُعُ وإذا انْهَدَمَ رُكْنُ الشَّهْوَةِ سَهُلَ عَلَيْهِ الصَّبْرُ والعَفَافُ والعِبَادَةُ .

وَزَوَالُ الجِبَالِ عنْ أمَاكِنِهَا أيْسَرُ مِن زَوَالِ هَذِهِ الأَرْبَعَةِ عَمَّنْ بُلِيَ بِهَا ولا

سِيَّمَا إِذا صَارَتْ هَيْئاتٌ رَاسِخَةً ومَلَكَاتٌ وَصِفَاتٌ ثَابِتَةً فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَقِيْمُ لَهُ مَعَهَا عَمَلٌ البتّة . ولا تزْكُوْ نَفْسُهُ مَعَ قِيَامِهَا بِهَا ، وكُلَّمَا اجْتَهَدَ في العَمَلِ أَفْسَدَتْهُ عَلَيْهِ هَذِهِ الأَرْبَعَةُ وكُلُّ الآفاتِ مُتَوَلِّدَةٌ مِنْها وإذا اسْتَحْكَمَتْ في القَلْبِ أَرَتْهُ البَاطِلَ فِي صُوْرَةِ الحَقِّ والحَقُّ في صُوْرَةِ البَاطِلِ والمَعْرُوْفَ فِي صُوْرَةِ المُنْكَرِ والمُنْكَرَ في صُوْرَةِ المَعْرُوْفِ وَقَرَّبَتْ مِنْهُ الدُّنْيَا وبَعَّدَتْ مِنْهُ الآخِرَةُ .

وإذا تَأَمَّلْتَ كُفْرَ الأُمَمِ رَأَيْتَهُ نَاشِئاً مِنْهَا وَعَلَيْهَا يَقَعُ العَذَابُ وتَكُونُ خِفَّتُهُ وَشِدَّتُهُ بِحَسَبِ خِفَّتِهَا وَشِدَّتِهَا فَمَنْ فَتَحها على نَفْسِهِ فَتَحَ عَلَيْهِ أَبْوابَ الشُّرُوْرِ كُلِّهَا عَاجِلاً وآجِلاً ، ومَنْ أَغْلَقَهَا عَنْ نَفْسِهِ أَغْلَقَ عَنْهُ أَبْوابَ الشُّرُوْرِ ، فَإِنَّهَا تَمْنَعُ الانْقِيَادَ والإِخْلاَصَ والتّوبَةَ والإِنابَةَ وقَبُولَ الحَقِّ ونَصيحةَ المُسلمين والتّواضُعِ لِلّهِ ولِخَلْقِهِ .

(ومَنْشَأُ هَذِهِ الأَرْبَعَةِ) : مِنْ جَهْلِهِ بِرَبِّهِ وَجَهْلِهِ بِنَفْسِهِ فإِنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبَّهُ بِصِفاتِ الكَمَالِ ونُعُوتِ الجَلالِ . وَعَرَفَ نَفْسَهُ بالنَّقَائِصِ والآفاتِ ، لَمْ يَتَكَبَّرْ ولم يَغْضَبْ لَهَا ، ولَمْ يَحْسُدْ أَحداً عَلَى مَا آتَاهُ اللّهُ ، فَإِنَّ الحَسَدَ فِي الحَقِيْقَةِ نَوْعٌ مِن مُعَادَاةِ اللّهِ ، فإِنَّهُ يَكْرَهُ نِعمَةَ اللّهِ عَلَى عَبْدِهِ ، وَقَدْ أَحَبَّهَا اللّهُ ويُحِبُّ زَوَالَهَا عَنْهُ ، واللّهُ يَكْرَهُ ذَلِكَ ، فَهُوَ مُضادٌّ لِلّهِ فِي قَضَائِهِ وقَدَرِهِ ومَحَبَّتِهِ وَكَرَاهَتِهِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ إِبْلِيسُ عَدُوَّهُ حَقِيْقَةً ، لأَنَّ ذَنْبَهُ كَانَ عَن كِبْرٍ وَحَسَدٍ . فَقَلْعُ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ بمَعْرِفَةِ اللّهِ وَتَوْحِيْدِهِ ، والرِّضَا بِهِ وَعَنْهُ ، والإِنَابَةِ إِلَيْهِ - وَقَلْعُ الغَضَبِ بمَعْرِفَةِ النَّفْسِ ، وأنّها لا تَسْتَحِقُّ أَنْ يُغْضَبَ لَهَا ، وَيَنْتَقِمَ لَهَا فإِنَّ ذَلِكَ إِيْثَارٌ لَهَا بِالرِّضَا والغَضَبِ عَلَى خَالِقِهَا وَفَاطِرِهَا وأَعْظَمُ مَا تُدْفَعُ بِهِ هَذِهِ الآفَةُ أَنْ يُعَوِّدَهَا أَنْ تَغْضَبَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَرْضَى لَهُ فَكُلَّما دَخلَها شَيْءٌ مِنَ الغَضَبِ والرِّضَا لَهُ خَرَجَ مِنْهَا مُقَابِلُهُ مِنَ الغَضَبِ والرِّضَا لَهَا وكَذَا بالعَكْسِ .

وَقالَ رَحِمَهُ اللّهُ : أساسُ كُلِّ خيْرٍ أنْ تعْلَمَ أَنَّ ما شاءَ اللّهُ كانَ وَما لَمْ يَشأْ لَمْ يكُنْ ، فتيَقَّنْ حِيْنَئِذٍ أَنَّ الحَسَناتِ مِن نِعَمِهِ فتشْكُرُهُ علَيْها ، وَتتضَرَّعُ إلَيْهِ أنْ لا يقْطعَهَا عَنْكَ ، وأنَّ السَّيِّئاتِ مِن خُذْلانِهِ وعُقوبَتِهِ ، فَتبْتَهِلُ إلَيْهِ أنْ يَحُولَ بَيْنكَ وَبيْنَها ، وَلا يَكِلَكَ فِي فِعْلِ الحَسَنَاتِ وتَرْكِ السَّيِّئاتِ إلى نَفْسِكَ وَقَدْ أجْمعَ العَارِفُونَ على أنَّ كُلَّ خَيْرٍ أصْلُهُ بتَوْفِيْقِ اللّهِ لِلْعَبْدِ وَكُلُّ شَرٍّ أصْلُهُ خُذْلاَنُهُ لِعَبْدِهِ وأجْمعُوا عَلَى أَنَّ التَّوْفِيْقَ أنْ لاَ يَكِلَكَ اللّهُ إلى نَفْسِكَ وأنْ الخُذْلانَ هُوَ أنْ يُخَلِّيْ بَيْنَكَ وَبيْنَ نفْسِكَ فَإذا كَانَ كُلُّ خَيْرٍ فأصْلُهُ التَّوْفِيْقُ وهُوَ بِيَدِ اللّهِ لاَ بِيَدِ العَبْدِ فَمِفْتَاحُهُ الدُّعَاءُ والرَّغْبَةُ والرَّهْبَةُ إليْهِ فَمَتَى أعْطِيَ العَبْدُ هَذا المِفْتَاحَ فَقَدْ أرادَ أنْ يَفْتَحَ لَهُ وَمَتى أضَلَّهُ عَنْ المِفْتَاحِ بَقِيَ بَابُ الخَيْرِ مُرْتجاً دُوْنَهُ ، وَقَالَ أَمِيْرُ المُؤْمِنينَ عُمَرَ بنُ الخَطّابِ إنّي لاَ أَحْمِلُ هَمَّ الإجَابَةِ ولَكِنْ هَمَّ الدُّعَاء فإذا أُلْهِمْتَ الدُّعَاءَ فإنْ الإجَابَة مَعَهُ وَعَلى قَدْرِ نِيَّةِ العَبْدِ وهِمَّتِهِ ومُرادِهِ ورَغْبَتِهِ فِي ذَلِكَ يَكُوْن تَوْفِيْقهُ سُبْحانَهُ وإعَانَتُهُ فالمَعُوْنَةُ مِن اللّهِ تَنْزِلُ عَلَى العِبَادِ عَلَى قَدْرِ هِمَمِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ وَرَغْبَتِهِمْ وَرَهْبَتِهِمْ والخُذْلاَنِ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ فَاللّهُ سُبْحَانَهُ أَحْكَمُ الحَاكِمِيْنَ ، وَأَعْلَمُ العَالِمِيْنَ يَضَعُ التَّوْفِيْقَ فِيْ مَواضِعِهِ اللاَّئِقَةِ بِهِ والخُذْلاَن في مَوَاضِعِهِ اللاَّئِقَة بِهِ ، وَهُوَ العَلِيْمُ الحَكِيْمُ وَمَا أُتِيَ مَنْ أتِيَ إلاَّ مِنْ قِبَلِ إضَاعَةِ الشُّكْرِ وإهْمَالِ الافْتِقَارِ والدُّعَاءِ ولا ظَفِرَ بِمَشِيْئَةِ اللّهِ وَعَوْنِه إلاَّ بِقِيَامِهِ بالشُّكْرِ وَصِدْقِ الافتِقارِ والدُّعَاءِ وملاكُ ذَلِكَ الصَّبْرُ فَإنَّهُ مِن الإيمانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ فَإذا قُطِعَ الرَّأْسُ فلاَ بَقَاءَ لِلْجَسَدِ .

عَلَيْـكِ بِتقْوى اللّهِ يَـا نَفْسُ سَرْمَـدَا
ولا تُلْحِقِي بـالخَلْقِ ضُـرّاً تَعَمُّـدَا

وَلا تَحْسِدِي حَيّاً وَلَوْ جَارَ واعْتَدَى
عَلَيكِ فَمَا يَحْيَى البُغَاةُ مُخَلَّدَا
تَدُوْرُ عَلَى البَاغِي الدَّوَائِرُ عَنْوةً
ويحيى سَعِيْدَ ذُو الفَضِيْلةِ أَمْجَدَا
وكُلُّ حَسُودٍ يَنْخَرُ الحِقْدُ قَلْبَهُ
يَذُوْبُ كَشَمْعٍ فِي سَعِيْرٍ تَوَقَّدَا
يَعِيْشُ ونَارُ الغَيْضِ تُحْرِقُ كَبْدَهُ
وإن مَاتَ أضْحَى الجَمْرُ فيهِ مُجَدَّدَا
فجَازِ أخَا فَضْلٍ وَرَاعِ ذِمَامَهُ
وَسَامِح عَدُوّاً إن قَلاكَ وَنَدَّدَا
فَإنّي رَأَيْتُ الفَضْلَ خَيْرَ ذَخِيْرَةٍ
لِمَنْ رَامَ قَبْلَ المَوْتِ أَنْ يَتَزَوَّدَا

مَوْعِظَةٌ

أخْوانِي إنَّ الغفْلَةَ عَنْ اللَّه مُصِيبَةٌ عظِيْمَةٌ قَالَ تَعالى : ﴿ ولاَ تَكُوْنُوا كَالذِيْنَ نَسوا الله فأنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ فَمَنْ غَفَلَ عَنْ ذِكْرِ الله وَأَلْهَتْهُ الدُّنْيَا عَنْ العَمَلِ لِلدَّارِ الآخِرَةِ أنْسَاهُ العَمَلَ لِمَصَالحِ نَفْسِهِ فَلاَ يَسْعَى لَهَا بِمَا فِيْهِ نَفْعُهَا وَلاَ يَأْخُذُ فِي أَسْبَابِ سَعَادَتِهَا وَاصْلاَحِهَا وَمَا يُكَمِّلُهَا وَيَنْسَى كَذَلِكَ أَمْرَاضَ نَفْسِهِ وَقَلْبِهِ وَآلامَهُ فَلا يَخْطُرْ بِبَالِهِ مُعَالجَتُهَا وَلاَ السَّعْيُ فِي إِزَالَةِ عِلَلِهَا وَأَمْرَاضِهَا التِي تَؤُلُ إلى الهَلاَكِ وَالدَّمَارِ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ العُقُوْبَاتِ فَأيُّ عُقُوْبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عُقُوْبَةِ مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ وَضَيَّعَهَا وَنَسِيَ مَصَالحَهَا وَدَاءَهَا وَدَوَاءَهَا وَأَسْبَابَ سَعَادَتِهَا وَفَلاَحِهَا وَحَيَاتِهَا الأَبَدِيَّةِ فِي النَّعِيْمِ المُقِيْمِ وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا المَوْضِعَ تَبيَّنَ لَهُ أَنَّ كَثِيراً مِنْ الخَلْقِ قَدْ نَسُوْا أَنْفُسَهُم وَضَيَّعُوهَا وَأَضَاعُوا

حظَّها وباعُوْهَا بثَمنٍ بَخْسٍ بيْعَ المَغْبُونَ ويَظْهَرُ ذَلِكَ عِنْدَ المَوْتِ ويَتجلَّى ذَلِكَ كُلُّهُ يومَ التغابُن « يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُوْنَ » الآيةُ .

اَللَّهُمَّ ثَبِّتْ إيْمانَنا بِكَ ثُبُوتَ الجبالِ الرَّاسياتِ ونَوِّرْ قُلُوْبَنا بنُوْرِ الإيْمانِ واجْعَلْنا هُداةً مُهْتَدِيْنَ وأَصْلِحْ أَوْلاَدَنا واغْفِرْ لآبَائِنا وأُمَّهاتِنا واجْمَعْنا وإِيَّاهُمْ مَعَ عِبادِكَ الصَّالِحِيْنَ في جَنَّاتِ النَّعِيْمِ وَصلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(قال في منهاج القاصِدِيْنَ)

[فصل] إعْلَم أَنَّ القَلْبَ بأَصْلِ فِطْرَتِهِ قَابِلٌ لِلْهُدَى ، وبِمَا وُضِعَ فِيْهِ مِنَ الشَّهْوَةِ والهَوَى ، مَائِلٌ عنْ ذَلِكَ ،والتَّطارُدُ فِيْهِ بَيْنَ جُنْدِ المَلائِكَةِ والشَّياطِيْنِ دائِمٌ ، إلى أَنْ يَنْفتِحَ القَلْبُ لأَحَدِهِمَا فَيَتَمكَّنُ ، ويَسْتَوْطِنُ ، ويَكُونُ اخْتِيَارُ الثَّانِي اخْتِلاَساً ، كَمَا قَالَ تَعالى ﴿مِن شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ﴾ وهُوَ الَّذِي إذا ذُكِرَ اللَّهُ خنسَ وإذا وقَعتِ الغفْلَة انْبسَطَ ، ولا يَطْرُدُ جُنْدَ الشَّياطِيْنِ مِنَ القَلْبِ إلا ذِكْرُ اللهِ تَعالى ، فإنَّهُ لا قَرارَ لَهُ مَعَ الذِّكْرِ . واعْلَمْ أَنَّ مَثَلَ القَلْبِ كَمَثَلِ حِصْنٍ ، والشَّيطانُ عَدُوٌّ يُرِيْدُ أن يَدْخُلَ الحِصْنَ ويَمْلِكَهُ ويَسْتَوْلِي عَلَيْهِ ، ولا يُمْكِنُ حِفْظُ الحِصْنِ إلاَّ بحِرَاسَةِ أَبْوابِهِ ، ولا يَقْدِرُ عَلَى حِرَاسَةِ أَبْوابِهِ مَن لاَ يَعْرِفُهَا وَلاَ يُتَوصَّلُ إلى دَفْعِ ، الشَّيْطانِ إلاَّ بِمَعْرِفَةِ مَداخِلِهِ ، ومَداخِلُ الشَّيطان وأبوابُهُ . . صِفاتُ العَبْدِ ، وهِيَ كَثِيْرَةٌ إلاَّ أَنَّا نُشِيْرُ إلى الأَبْوابِ العَظِيْمَةِ الجَارِيَةِ مَجْرَى الدُّرُوْبِ الَّتِي لا تَضِيْقُ عن كَثْرَةِ جُنُوْدِ الشَّيْطانِ .

فَمِنْ أَبْوابِهِ العَظِيْمَةِ : الحَسَدُ ، والحِرْصُ . فَمَتَى كَانَ العَبْدُ حَرِيصاً علَى شَيْءٍ ، أَعْماهُ حِرْصُهُ ، وأَصَمَّهُ ، وغَطَّى نُورَ بَصِيْرَتِهِ الَّتي يَعْرِفُ بِهَا مَداخِلَ الشَّيْطانِ . وكَذَلِكَ إذا كَانَ حَسُوْداً فَيَجِدُ الشَّيطانُ حِيْنَئِذٍ الفُرْصَةَ ،

فَيُحسِّنُ عِنْدَ الحَرِيْصِ كُلَّ ما يُوصِلُهُ إلى شَهْوَتِهِ ، وإنْ كَانَ مُنْكراً أوْ فاحِشاً ، ومِنْ أبْوابِهِ العَظِيْمَةِ .

الغَضَبُ ، والشَّهْوَةُ ، والحِدَّةُ فإنَّ الغَضَبَ غُوْلُ العَقْلِ ، وإذا ضَعُفَ جُنْدُ العَقْلِ هَجَمَ حِيْنَئِذٍ الشَّيطانُ فَلَعِبَ بالإنْسانِ . وقَد رُوِيَ أنَّ إبْلِيْسَ يقُولُ : إذا كانَ العَبْدُ حَدِيْداً ، قَلَبْنَاهُ كَمَا يَقْلِبُ الصِّبيان الكرة .

ومِنْ أبْوابِهِ : حُبُّ التَّزَيُّنِ في المَنْزِلِ ، والأَثَاثِ فَلا يَزَالُ يَدْعُو إلى عِمَارَةِ الدّارِ ، وتَزْيينِ سُقُوفِها وحِيْطَانِها ، والتَّزَيُّن بالثِّيَابِ ، والأثاثِ ، فَيَخْسَرُ الإنْسانُ طُولَ عُمُرِهِ في ذلِكَ . ومِنْ أبْوابِهِ : الشِّبَع فإنَّهُ يُقَوِّي الشَّهْوَةَ ، ويُشْغِلُ عن الطَّاعةِ . ومِنْها الطَّمَعُ في النّاسِ ، فإنَّ مَنْ طَمِعَ في شَخْصٍ ، بالَغَ بالثَّناءِ عَلَيْهِ بِما لَيْسَ فِيهِ ، وداهَنَهُ ولَمْ يأمُرْهُ بالمَعْرُوْفِ ، ولَمْ يَنْهَهُ عنْ المُنْكَرِ . ومِنْ أبْوابِهِ : العَجَلَةُ ، وتَرْكُ التَّثَبُّتِ وقَدْ قَالَ النَّبيُّ ﷺ : « العَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطانِ ، والتَّأنِّي مِن اللّهِ تَعالى » . ومِنْ أبْوابِهِ : حُبُّ المَالِ ، ومَتى تَمَكَّنَ مِن القَلْبِ أفْسَدَهُ وحَمَلَهُ على طَلَبِ المَالِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ ، وأخْرَجَهُ إلى البُخْلِ وَخَوَّفَهُ الفقْرَ فَمَنَعَ الحُقُوقَ اللاّزِمَةَ . ومِنْ أبْوابِهِ : حَمْلُ العَوامِّ عَلى التَّعَصُّبِ في المَذاهِبِ ، دُوْنَ العَمَلِ بمُقْتَضَاهَا ومِنْ أبْوَابِهِ أيْضاً حَمْلُ العَوَّامِ عَلَى التَّفَكُّرِ في ذاتِ اللّه تعالَى ، وصِفَاتِهِ ، وفي أُمورٍ لا تَبْلُغُهَا عُقُولُهُمْ حتَّى يُشَكِّكُهمْ في أصْلِ الدِّيْنِ . ومِن أبْوابِهِ : سُوْءُ الظَّنِّ بالمُسْلِمِيْنَ فإنِ مَنْ حَكَمَ على مُسْلِمٍ بِسُوْءِ ظَنِّهِ ، احْتَقَرَهُ وأطْلَقَ فِيهِ لِسَانَهُ ، ورَأى نَفْسَهُ خَيْراً مِنْهُ . وإنَّما يَتَرَشَّحُ سُوءُ الظَّنِّ بِخُبْثِ الظَّانِ ، لأنَّ المُؤْمِنَ يَطْلُبُ المَعَاذِيْرَ لِلْمُؤْمِنِينَ والمُنَافِقَ يَبْحَثُ عن عُيُوبِهِمْ .

ويَنْبَغِي للإنْسَانِ أنْ يَحْتَرِزَ عَن مَوَاقِفِ التُّهَمِ ، لِئَلاَّ يُسَاءَ بِهِ الظَّنُّ ،

فهَذا طَرَفٌ مِنْ مَداخِلِ الشَّيْطانِ وعِلاجُ هَذِهِ الآفاتِ سَدُّ المَداخِلِ بِتَطْهِيرِ القَلْبِ مِنَ الصِّفَاتِ المَذْمُومَةِ ، وَسَيَأْتِيْ الكَلامُ عَلَى هَذِهِ الصِّفاتِ إن شَاءَ اللّهُ تَعالى مُفَصَّلاً .

وإذا قُلِعَتْ عَن القَلْبِ أصوْلَ هَذِهِ الصِّفات ، بَقِيَ لِلشَّيْطَانِ بالقَلْبِ خَطَرَاتٌ واجْتِيَازَاتٌ مِن غَيْرِ اسْتِقْرَارٍ فَيَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ ذِكْرُ اللّهِ تَعالَى ، وَعِمَارَةُ القَلْبِ بِالتَّقْوَى . وَمَثَلُ الشيطانِ كَمَثَلِ كَلْبٍ جَائِعٍ يَقْرُبُ مِنْكَ ، فإن لَم يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْكَ لَحْمٌ وَخُبْزٌ ، فإنَّهُ يَنْزَجِرُ بأنْ تَقُولَ لَهُ : إخْسأْ ، وإنْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ جائِعٌ ، لَمْ يَنْدَفِعْ عَنْكَ بِمُجَرَّدِ الكَلامِ ، فَكَذَلِكَ القَلْبُ الخَالِيْ عن قُوْتِ الشَّيْطَانِ يَنْزَجِرُ عَنْهُ بِمُجَرَّدِ الذِّكْرِ . فَأمَّا القَلْبُ الّذي غَلَبَ عَلَيْهِ الهَوَى فإنَّهُ يُرْفَع الذِّكْرَ إلى حَوَاشِيْهِ فَلا يَتَمَكَّنُ الذِّكْرُ مِنْ سُوَيْدائِهِ ، فَيَسْتَقِرُّ الشَّيْطَانُ في السُّوَيْداءِ . وإذا أرَدْتَ مِصْدَاقَ ذَلِكَ ، فَتَأَمَّلْ فِي صَلاَتِكَ ، وانْظُرْ الى الشَّيْطانِ كَيْفَ يُحَدِّثُ قَلْبَكَ في مِثْلِ ذَلِكَ المَوْطِنِ ، بِذِكْرِ السُّوْقِ ، وحِسَابِ العَالَمِيْنَ ، وتَدْبِيرِ أمْرِ الدُّنْيَا واعْلَمْ أنَّهُ قَد عُفِيْ عن حَدِيْثِ النَّفْسِ ويَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مَا هَمَمْتَ بِهِ ، ومَن تَرَكَ ذلِكَ خَوْفاً مِنَ اللّهِ تَعَالَى كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، وإنْ تَرَكَهُ لِعَائِقٍ رَجَوْنا لَهُ المُسَامَحَةَ ، إلا أنْ يَكُونَ عَزْماً ، فإنَّ العَزْمَ عَلَى الخَطِيْئَةِ خَطِيْئَةٌ بِدَلِيْلِ قَوْلِهِ ﷺ : « إذا التَقَى المُسْلِمَانِ بسَيْفيهِمَا فَالقَاتِلُ والمَقْتُولُ فِي النَّارِ ، قِيْلَ : ما بَالُ المَقْتُولُ ؟ قَالَ : إنه كَانَ حَرِيْصاً على قَتْلِ صَاحِبِهِ » .

وكَيْفَ لاَ تَقَعُ المُؤاخَذَةُ بالعَزْمِ ، والأَعْمَالُ بالنيَّةِ ، وهَلِ الْكِبْرُ والرِّيَاءُ إلَّا أُمُوْرٌ باطِنَةٌ ؟ وَلَوْ أنَّ إنْسَاناً رَأَى عَلَى فِرَاشِهِ أجْنَبِيَّةً ظَنَّهَا زَوْجَتَهُ لَمْ يَأْثَمْ بِوطْئِهَا ، ولَو رَأى زَوْجَتَهُ وَظَنَّهَا أجْنَبِيَّةً أثِم بِوطْئِها ، وكُلُّ هَذا مُعَلَّقٌ بِعَقْدِ القَلْبِ .

وقَدْ وَرَدَ فِي الحَديثِ أَنَّ النَّبِيَ ﷺ كانَ يَقُولُ « يا مُثَبِّتَ القُلُوْبِ ثَبِّتْ قلُوبَنا عَلَى دِيْنِكَ ، يَا مُصرِّفَ القُلُوْبِ اِصْرِفْ قُلُوْبَنا إلى طَاعَتِكَ » . وفي حديث آخرَ : « مَثَلُ القلْبِ كَمَثَلِ رِيْشَةٍ بأرْضٍ فَلاَةٍ تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحِ » واعْلَمْ أنَّ القُلُوبَ فِي الثَّبَاتِ عَلَى الخَيْرِ والشَّرِّ والتَّرَدُدِ بَيْنَهُمَا ثلاثةٌ : الأولُ قَلْبُ عَمَرَ بالتَّقْوَى ، وزَكي بالرِّيَاضَةِ ، وَطَهُرَ عَنْ خَبَائِثِ الأخْلاَقِ ، فَتَنْفَرِجُ فِيْهِ خَوَاطِرُ الخَيْرِ مِنْ خَزَائِنِ الغَيْبِ ، فَيَمُدُّهُ المَلَكُ بالهُدَى .

القَلْبُ الثَّانِي : قَلْبٌ مَخْذُوْلٌ ، مَشْحُوْنٌ بالهَوَى ، ودَنِيْسٌ بالخَبَائِثِ مُلَوَّثٌ بالأَخْلاقِ الذَّمِيْمَةِ فَيَقْوَى فيهِ سُلْطَانُ الشَّيْطَانِ لِاتِّسَاعِ مَكَانِهِ ، فَيَضْعُفُ سُلْطَانُ الايمانِ ، ويَمْتَلِىءُ القَلْبُ بِدُخَانِ الهَوَى ، فَيُعْدَمُ النُّورُ ، ويَصِيْرُ كَالعَيْنِ المُمْتَلِئَةِ بِالدُّخَانِ لاَ يُمْكِنُهَا النَّظر ؛ ولاَ يُؤثرُ عِنْدَهُ زَجرٌ ولا وَعْظ .

والقلبُ الثالثُ : قَلْبٌ يَبْتَدِىءُ فيه خَاطِرُ الهَوَى ، فَيَدْعُوهُ إلى الشَّرِ ، فَيَلْحَقُهُ خَاطِرُ الايمانِ ، فَيَدْعُوْهُ إلى الخَيْرِ . مِثَالُهُ ، أَنْ يَحْمِلَ الشيطانُ حَمْلَةً على العقلِ ، ويَقْوَى دَاعِيَ الهَوَى ، ويَقولُ : أَمَا تَرَى فُلاَناً وفُلاَناً كَيْفَ يُطْلِقُونَ أَنْفُسَهُم في هَوَاهَا حَتَّى يَعُدَّ جَمَاعَةً مِن العُلَمَاءِ ، فَتَمِيْلُ النَفْسُ إلى الشَّيْطَانِ ، فَيَحْمِلُ المَلَكُ حَمْلَةً على الشيطانِ ، وَيَقُولُ : هَلْ هَلَكَ إلاَّ مَنْ نَسِيَ العاقِبَةَ ، فَلاَ تَغْتَرَّ بِغَفْلَةِ الناسِ عن أَنْفُسِهم ، أَرَأيْتَ لَوْ وَقَفُوا في الصَّيْفِ في الشمسِ وَلَكَ بَيْتُ بَارِدٌ ، أَكُنْتَ تُوَافِقُهُم أَمْ تَطْلُبُ المَصْلَحَةَ ؟ أَفَتُخَالِفُهُم في حَرِّ الشَّمْسِ ، ولاَ تُخَالِفُهُم فِيْمَا يَؤُوْلُ إلى النارِ فَتَمِيْلُ النَّفْسُ إلى قَوْلِ المَلَكِ ، وَيَقَعُ التَّرَدُدُ بَيْنَ الجُنْدَيْنِ ، إلَى أَنْ يَغْلِبَ عَلَى القَلْبِ ما هُوَ أَوْلَى بِهِ ، فَمَنْ خُلِقَ لِلْخَيْرِ يُسِّر لَهُ وَمَنْ خُلِقَ لِلشرِ يُسِّرَ لَهُ قال تَعَالَى ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلاسلام ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّه يَجْعلْ صَدْرَهُ ضَيقاً حَرَجاً كأنما يَصَّعَّدُ في السماء﴾ اللهم وفقنا لما تحبه وتَرضَاهُ .

شِعْرًا :

إلَى كَمْ إذَا ما غِبْتُ تُرْجَى سَلامَتِي وقَدْ قَعَدتْ بي الحَادِثاتُ وقامَتِ
وَعُمِّمْتُ مِن نَسْجِ القَتِيْرِ عِمَامَةً رُقُـومُ البلَى مَـرْقُـومـةٌ بِعِمَـامَتِي
وَكُنْت أرَى لِي فِي الشَّبَابِ عَلامَةً فَصِرْتُ وَإِنِّـي مُنْكِـرٌ لِعَـلامَتِي
ومـا هِـيَ إلاَ أَوْبَــةٌ بَعــدَ غَيْبَــةٍ إلَى الغَيْبَـةِ القُصْـوَى فَثَـمَّ قِيَامَتِي
كَـأَنِّـيْ بِنَفْسِـي حَسْـرَةً وَنَـدَامَـةً تُقَـطَّعُ إذْ لَـمْ تُغْـنِ عَـنِيْ نَدامَـتِي

مُنَى النَّفْسِ مِمَّا يُوْطِىءُ المَـرْءَ عَشْـوَةً
إذَا النَّفْـسُ جَـالَتْ حَـوْلَهُنَّ وَحَـامَتِ
وَمَـنْ أَوْطَـأَتْـهُ نَفْـسُـهُ حَـاجَـةً فَقَـدْ
أَسَــاءَتْ إليْــهِ نَفْسُــهُ وَألاَمَــتِ
أَمَـا وَالـذِي نَفْسِـيْ لَهُ لَوْ صَـدَقْتُهَـا
لَـرَدَّدْتُ تَـوْبِـيْخِـي لَهَـا وَمَـلاَمَـتِي
فَلِلَّـهِـه نَفْـسٌ أَوْطَـأَتْـنِي مِن العَشَـا
حُـزُوْنـاً وَلَـوْ قَـوَّمْـتُهَـا لاَسْـتَقَـامَـتِ
وَلِــلَّـهِ يَــوْمٍ أَيَّ يَــومٍ فَظَــاعَــةً
وَأَفْــظَــعُ مِنْـهُ بَعْــدُ يَــومُ قِيَــامَـتِي
وَلِـلَّـهِ أَهْـلِي إذ حَبَـوْنـيْ بِحُـفْـرَةٍ
وَهُـمْ بِهَـوانِـي يَطْلُبُـونَ كَـرامَـتِي
وَلِــلَّـهِ دُنْيَــا لا تَــزَالُ تَـرُدُّنِـي
إبَاطِيْلُهَا فـي الجَهْـلِ بَعْـدَ اسْتِقَامَتِي

اللّهُمَّ ثَبِّتْ إيْمَانَنَـا بِكَ وَمَحَبَّتَـكَ في قُلُوبنا ثُبُوتَ الجِبَالِ الرَّاسِياتِ واعْصِمْنَا يَا مَوْلاَنا مِنْ جَمِيْعِ المُوبِقَاتِ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ

وَارْفَعْ مَنازِلَنا في فَسِيْحِ الجَنَّاتِ وأرْزُقْنا النَّظَرَ إلى وَجْهِكَ الكَريْمِ يا حَكِيْمُ يَا عَلِيْمُ يا حَيُّ يا قَيُّومُ وَاغْفِرْ لَنا وَلِوالِدَيْنا ولِجَميعِ المُسْلِمِينَ برحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ . .

(فصــــل)

تكلم أَحَدُ العلماء في بيان مداخل الشيطان إلى القلوب

فقال رحمه الله إعلم أَنَّ القلبَ مِثالُهُ مِثالُ حِصنٍ رَفِيعٍ والشّيطانُ عدوّ يُريدُ أَنْ يَدْخُلَ الحَصنَ ويملكه ويَستولي عليه .

ولا يُقْـدرُ على حِفْظِ الحِصنِ إلاَّ بحِـراسَـةِ أَبـوابِ الحِصنِ ومَداخله ومَواقِعِ ثُلَمِهِ ، ولا يَقْدِر على حِراسةِ أَبْوابِهِ مَنْ لا يَعْرِفُ أَبْوابَهُ .

وحِمَـايَةُ القلبِ عن فسـادِ الشّيطانِ فَرْضُ عَيْنٍ واجِبٌ على كُلِّ عَبْدٍ مُكَلَّف ، وما لا يُتَوصَّلُ إلى الواجِبِ إلا بِهِ فهو واجِبٌ .

ولا يُتـوصَّلُ إلى دَفْعِ الشيطانِ إلا بَمعْرِفَةِ مَداخِلِهِ ، فَصارَتْ مَعْرِفَةُ مَداخِلِ الشّيطانِ واجِبَةً .

ومَدَاخِلُ الشّيطانِ وأَبْوابُهِ صِفاتُ العبدِ نَحْوُ الشّهوةِ والغضبِ والحِدَّةِ والطّمَعِ وغَيرِها وهي كَثِيرة ، ولَكِنّا نُشِيْرُ إلى مُعْظِمِ وَسَائِلهِ في إغْواءِ الخلقِ وَتَسْلِطِهِ عليهم بها إن شاء الله .

وجملتها وَسَائِلُ عَشَرةٍ نَذْكُرُها ونَذْكُرُ كَيْفِيَّةَ عِلاَجِهَا والتَّخَلّصِ مِنها ، فَهذانِ تَقْريْرانِ .

التَّقْرِيْرُ الأَولُ : في ذِكْرِنا الوسيلةُ الأُولى الحَسَد والحِرْصُ ، فَمَنْ حَصَلَ فيه هَاتانِ الخِصْلَتَانِ عِميَ وصُمَّ ، وهُما مِن أَعْظِمِ مَدَاخِلِ الشيطان وأَكْبَرُ وَسائِلِهِ .

وقد روى أنَّ نوحاً عليه السّلامُ لمّا رَكِبَ الْبَحرَ وحَمَلَ في السّفينةِ مِن كُلِّ زَوْجَينِ اثْنَينِ كَما أُمِرَ فرأَى في السّفينةِ شَيْخاً لم يَعْرِفْهُ .

فقال له نوحٌ : مَن أدْخَلَكَ ؟ قال : دَخَلْتُ لأُصِيْب قُلُوبَ أصْحَابكَ فتكُون قُلُوبُهم مَعِيَ وأبْدَانُهم مَعَك .

فقـال نوحٌ : أُخْرُجْ يا عدوّ الله فإنكَ رَجيم ، فقال إبليسُ : خَمس أَهْلك بهنّ الناسَ وسأُحَدّثُك مِنْهُن بثلاث ، ولا أُحَدّثك باثنتين .

فأُوحَى إلى نُوح إنه لا حَاجَةَ لَكَ إلى الثلاثِ ، مُرْه يُحَدّثك بالاثنيْن .

فقـال : ما الاثنتان ؟ فقال : هُما اللتان لا تَكْذِباني ، هُمَا اللّتانِ لا تُخْلِفَاني بهمَا أهلكُ الناسَ الحِرْصُ والحَسَد .

فبالحَسَدِ لُعِنْتُ وجُعلتُ شيطاناً رَجيما ، والحِرْص أَصَبْتُ حَاجَتِي مِن آدمَ ، أُبيْحَ لِآدمَ الجنّةَ كُلّهَا إلاّ الشّجَرةَ التي عُرِّفَ بِهَا فَوَسْوَسْتُ لَهُ حتى أَكَلَهَا .

الوسيلةُ الثانيةُ : الشهوةُ والغضبُ فإنّهُما مِن أعظمِ المَكَايدِ للشيطانِ ، فَمهْـمَا غَضِبَ الإنسانُ لَعِبَ به الشيطانُ ، وعن بَعْضِ الأنبياءِ أنه قال لإبليس : بأيّ شيءٍ تَغْلِبُ ابنَ آدمَ ؟ قال : آخُذُهُ عندَ الغَضَبِ وعِندَ الهَوى .

وظَهَرَ إبليسُ لِراهِبٍ ، فقال : أيُّ أَخْلاقِ بَنِي آدمَ أَعْونُ لَكَ عَلَيْهم ؟ فقال : الحِدَّةُ ، إن العبدَ إذا كان حَدِيْداً قَلَبْنَاهُ كَمَا تَقْلِبُ الصِّبيانُ الكُرةَ .

وقيلَ لإبليس : كيْفَ تَقْلِبُ ابنَ آدمَ ؟ فقال : إذا رَضِيَ جِئْتُ حتى أكُونَ في قَلبِهِ ، وإذا غَضِبَ جِئْتُ حتى أكُونَ عَلَى رَأْسِهِ .

الوسيلةُ الثالثةُ : حُبُّ الشهواتِ والزينةِ في الدنيا في الثِياب والأثاثِ والدُورِ والمَراكِب ، فإنّ الشّيطانَ إذا رَأى ذلك غالباً على قلب إنسانٍ باضَ فيه وفَرَّخ .

فلا يَزالُ يَدْعُـوه إلى عِمارةِ الـدّنيا وتَزْيين سقوفِها وحِيْطانها وتَوْسِيْعِ الأبنية ، ويَدْعُوَه إلى التزيُن بالأثواب النفيسةِ ويَسْتَسخره طُولَ عُمْره .

فإذا أَوْقعَه فيها فقد اسْتَغنى عن معاودته فإنّ بعضَ ذلك يَجُر إلى بعض ، فلا يَزال يُؤدِّيه مِن شيء إلى شيء إلى أَنْ يُسْتَاق إليه أَجله فيَمُوتُ وهو في بَحْرِ الأَماني يَعُوم ، وفي سبيل الضَّلالِ يخوض ، ومِن ذلك يُخْشى سوءَ الخاتِمَةِ نعوذُ بالله منها .

الوسيلُة الرابعةُ : الطَّمعُ ، فإذا كان الطمعُ غالباً على القَلْبِ لم يزل الشيطانُ يُحَسِّن له التّصنّعَ لِمن طَمِع فيه حَتى يَصِيْر المطموعُ فيه كأَنّه مَعْبُوده .

وقد قال الرّسول ﷺ « إيّاكم واستشعار الطّمع فإنه يُشْرِبُ القلبَ شِدّة الحِرص وَيْختم على القلوب بطابع حبّ الدّنيا ، وهو مِفتاحُ كُلّ سيئة ، وسَبَب إحْبَاطِ كُلّ حَسَنَةٍ » .

هذا هو الغاية في الخسران والهلاك .

الوسيلةُ الخامسةُ : العَجَلَةُ في الأُمور وكَثْرَةُ الطَّيش والفَشَل ، وَرُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال « الأناةُ مِن اللَّه والعَجلةُ مِن الشّيطان » .

ورُوِيَ أنّه لَمَّا وُلِدَ عِيسى عليه السلامُ أَتَتِ الشياطينُ إبليسَ فقالوا : أَصْبَحَتِ الأَصنامُ قد نُكِّسَتْ رُؤُوسُهَا فقال : هذا حَادِثٌ قد حَدَثَ مَكَانَكُم فَطَارَ حتى جَاءَ خَافِقَي الأَرض .

فلم يجِدْ شَيْئاً فَوَجَدَ عِيْسَى عليه السلامُ قَدْ وُلِدَ . وإذا الملائكةُ قد حَفَّتْ حَوْلَهُ .

فقالَ لَهُم : إن نَبياً قَدْ وُلِدَ البَارِحة ، ما حَمَلَتْ أُنثَى قَطُّ ولا وَضَعَتْ إلَّا وأَنا بحَضْرَتِها إلا هذا فاسْتَيْأَسُوا مِن عبادة الأَصنام بَعْدَ هذِهِ الليلةَ ولكن ائتُوا بَني آدمَ مِن قِبَلِ الخِفَّةِ والعَجَلةِ .

عَصَمَنَا اللّهُ وإيَّاكُمْ مِنْ الزَّلَل ووَفَّقَنا لِصَالحِ العَمَل وَهَدَانَا بفَضْلِهِ

سَبيْلَ الرَّشَادِ وَطَريْقَ السَّدَادِ إنَّهُ جَلَّ شَأنُهُ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيْرِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فصـــل)

الوسيلةُ السادسةُ : الفِتْنَةُ بالدراهِمِ والدنانير وسائر أَصْنَافِ الأَموالِ والعَـرُوضِ والـدَّوابِ والعَقَارَات وكلِّ ما يكونُ فَضْلَةً على قَدْرِ الحاجَةِ والقوتِ فَهوَ مُسْتَقرُّ الشيطان .

وروى أَن الرسول ﷺ لمّا بُعِثَ ، قال أَبليسُ لِشَياطِينه : لقد حَدَثَ أَمْرٌ فانْظُرُوا ما هُو ، فانْطَلقُوا ثم جَاءوا وقالُوا : ما نَدْري قال إِبليسُ : أَنا آتيكم بالخَبَرِ .

فَذَهَبَ وَجَـاءَ ، قال : قد بُعِثَ مُحَمّـدَ ﷺ ، قال : فَجَعَـلَ يُرْسِلُ شياطِيْنـه إِلى أَصحـاب الـرسول ﷺ فَيَنْصَرِفُونَ خائبين ، فيقُولُون : ما صحِبْنا قوماً قَطُّ مِثْلَ هؤلآءِ ، نُصِيْبُ مِنهم ثم يقومون للصلاة فيمحَون ذلك .

فقال إِبليسُ : رُوَيداً بِهِم عَسَى الله نْ يَفْتَحَ لهم الدّنيا فهناك تُصِيْبُون حَاجَتكُم منهم .

الـوسيلةُ السّابعةُ : البُخْلُ وخَوفُ الفَقْرِ فإن البُخْلَ هُو أَصلٌ لِكلِّ خَطِيْئَة ، ورُوِيَ عن إِبليسُ لَعَنُه الله أَنّه قال : ما غلَبني ابنُ آدم فلن يَغْلِبني في ثلاث ، آمُرُهُ أَنْ يأْخذ المال من غير حقه ويُنْفِقهُ في غير حَقِّهِ ويَمْنَعُه مِن مُسْتَحِقْهِ .

وقال سفيانُ الثوري : ليسَ لِلشيطانِ سلاحُ على الإِنسانِ مِثلُ خَوْفِ الفَقْرِ ، فإِذا قَبل ذَلِكَ منه أَخذ في الباطِلِ ومَنَعُ مِن الحق وتَكَلَّم بالهوَى وظَنَّ بِرَبِّهِ السُوءِ ، وهُوَ مِن أَعظمِ الآفاتِ على الدِيْنِ .

الوسيلةُ الثّامنةُ : سُوءُ الظنِ بالمسلمين وقد قال تعالى ﴿ اجتنبوا كثيراً من الظن إنّ بعض الظنّ إثم ﴾ .

ومَن حَكم بشَيء على غيره بالظنّ فإن الشيطانَ يَبعُثه على أن يُطوّل فيه اللّسانَ بالغيْبَةِ فَيَهلِكَ ، أو يَقصِّرَ في القيامِ بحُقُوقهِ أو يَتوانى في إكْرَامِهِ أو يَنْظُرَهُ بعينِ الاحْتِقارِ أو يَرى نَفْسَهُ خَيْراً منه .

وكُـلُ ذلكَ مِن المُهْلِكاتِ ، فَمَهْمَا رأيتَ إنساناً يسيءُ الظَّنَّ بالنّاسِ طَالباً لعُيُوبِهم فاعْلَم أنه خَبيْثٌ في الباطِنِ ، فإنَ المؤمنَ يَطْلُبُ المعاذِيرَ ، والمنافِقَ يطلبُ العُيوبَ لِلْخلْقِ .

الوسيلةُ التّاسعةُ : الشّبعِ مِن الطعامِ والتَّأنقُ في المآكلِ الفَاخِرةِ ، فإن الشّبعَ يُقوّي الشهواتِ وهي أسْلِحَةُ الشّيطانِ التي بها يَصُولُ .

وروى أن إبليسَ ظَهَرَ يوماً لِيحيى بنِ زكرّيا عليه السّلام فرأى عليه معاليقُ مِن كلِ شيء ، فقال له يحيى عليه السلام : ما هذه المعاليق .

فقال : هذه هي الشهوات التي أصيبُ بها بنيَ آدم ، فقال : هلْ لي منها شيء ؟ فقال : ربما شبعَت فَتَثَاقَلْتَ عن الصّلاة وعن الذّكر .

فقال : هل غير ذلك ؟ قال : لا ، فقال يحيى : لِلّهِ عليّ أنْ لا أملأ بَطْني ، فقال إبليسُ : عَلَّ لِلَّهِ لا أنْصَحَ مُسْلِماً .

الوسيلةُ العاشرةُ : تَعاطِى العَوامّ الذِين لم يُمارِسوُا العلومَ ولم يَتَبَحَّروْا فيها بالتفكُرِ في ذات الله عزّ وجل وصفاته وفي الأمور التي لا تبلغها عقولُهم حتى يُؤدّى ذلكَ إلى الاعتقاداتِ الكُفْرّية وهم لا يَشْعُرون .

وهم في غاية ما يكونُونَ مِن الفرحِ والسّرورِ والاطمئنانِ إلى ما وَقَعَ في صُدُوْرِهم .

وهم في غاية الخطأ ويَظُنّونَ أنّ ما اعتَقَدوُه هُوَ العِلْمُ والبَصيرَةُ ، فما هذا حالهُ يَكُونُ مِن أعظم الأبْوابِ لِلشّيطانِ في اللّعِبِ بعُقُولهم وإيقاعِهم في الأمور المكْرُوهِهِ .

فَهٰذِهِ وَسَائِلُ الشيطانِ ومَدَاخِلُه إلى القلبِ وهي كَثِيرةٌ ، وفيما ذكرناه تَنْبِيْهٌ على ما وَرَائِها .

وبالجُمْلَةِ فليسَ في الآدمي صِفَةٌ مَذْمُومَةٌ إلاّ وهي سِلاَحٌ لِلشيطانِ وَمَدْخَلٌ مِن مَدَاخِلِهِ .

التقريرُ الثاني : في بَيَانِ العِلاجِ في دَفْعِهَا وإِزالَتِها ، اعلم أَنَّ عِلاَجَ هَذِه الأُمور وإزالَتَها إنما يكونُ بالدُعاءِ إلى اللَّهِ والالتجاءِ إليه في دَفْعِها وإزالتِها ، وبالاجتهاد في قَلْعِ هَذه الصفات المذمومةِ عَن القلب ، والعِناية في ذِكر اللَّهِ عزّ وجلّ ، فهذِه دَوافِعُ ثَلاثَةٌ نذكرها .

الدافعُ الأولُ : يكونُ باللَّجاءِ إلى اللَّهِ بالدُّعاءِ رَاجياً مِنْهُ تَحْصِيْلَ الأَلطاف الخفيّة في إبعادِ الشّياطين وإزالَتِهم ، وعن عبد الرّحمن بن أَبى ليلى ، قال : كَانَ شيطَانٌ يأتى الرّسولَ ﷺ وبيده شُعْلَةُ نارٍ فَيَقُومُ بينَ يَدَيْهِ وهو يُصلى فَيَقْرأُ وَيَتَعوَّذ فلا يَذْهَب .

فأَتَى جِبْرِيْلُ عليه السّلامُ إلى النبي ﷺ فقال لهﷺ : قُلْ أَعوذُ بكلماتِ الله التّاماتِ التي لا يجاوزهنّ بَرٌ ولا فاجرٌ مِن شَرِّ ما يَلِجُ في الأَرضِ وما يَخْرجُ منها وما ينْزِلُ مِن السماءِ وما يعرج فيها .

ومِن شر فِتَنِ الليّلِ والنّهار وطوارقِ الليلِ والنهارِ إلاّ طارقاً يطْرُقُ بِخيرٍ يا رَحْمن ، فطفِئَتْ شُعْلَتُهُ وخَرَّ وَجْهه .

وعن الحسن البَصرى أنه قال : نُبِّئْتُ أَنّ جبريلَ أَتَى إلى رسول الله ﷺ ، فقال : إن عِفْرِيتاً مِن الجنّ يَكِيْدُكَ فإذا أَوَيْتَ إلى فِراشِكَ فاقرأ آيةَ الكُرسي .

وعن الرسول ﷺ أنه قال : أَتانى شيطانٌ فنازَعَنى ثمّ نَازَعَنِى فأَخذتُ بحَلْقِهِ والذي بَعَثَنى بالحق ما أَرسَلْتُهُ حتى وَجَدْتَ بَرْدَ لِسَانِهِ على يَدِي ، ولولا دَعْوَةُ أَخِى سُلَيْمان لأَصْبَحَ طَرِيْحاً حتى تَنْظُروا إليه .

الـدافـع الثاني : العِنايةُ في إزالة هذه الصفاتِ المذمومة من القلوب وقَلْعِهَا منها فإنَّ الشَّيطانَ مِثْلُ الكَلْبِ في التَّسلُطِ على الإنسانِ .

فإذا كان الإنسانُ مُتَّصِفاً بهذه الصِّفاتِ الذَّمِيْمَةِ مِن الغَضَبِ والحَسدِ والحِرصِ والطَّمعِ وغيرها كان بمنزلةِ مِن يكُونُ بينَ يَدَيه خُبْزٌ ولَحْمٌ فإن الكلبَ لا مَحالة يَتهوّرُ عليه ويَتوثَّبُ ولا يَنْدَفعُ غالبا إلا بمشقةٍ شَديْدَة ، وإن لم يكن متصفاً بها لم يَطْمَعْ فِيه لأنَّه لا دَاعِي لَهُ هُنالِك ويكون دَفْعه بأَسْهل ما يكُون وأَيْسَرِهِ فإنّه يندفع بالنهر والخسا والزَّجرِ ، فَتُزَال بنَقَائِضِها .

فَيُزالَ الغضبُ بالـرّضاءِ والسّكينة ، ويُزَالُ الكِبْرُ بالتواضع ، ويُزال الحَسَدُ بمعرفةِ حق المحسود وأَنّ الذي اخْتص به فَضْلٌ من الله فلا يمكن دفعهْ .

ويُزَال الطمعُ بالورع والاكتفاءِ بما أَعطاه الله عزّ وجل ، ويزالُ الحرصُ بتحقيق حالِ الدّنيا وانْقطاعِها بالموتِ .

وهكذا تَفْعَلُ في كُلِّ خَصْلَةٍ مَذْمُوْمةٍ بالاجْتِهادِ في إزالتها .

الـدافـعُ الثالث : ذِكْرَ الله تعالى ، وإليه الإشارة بقوله تَعالى ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائفٌ من الشَّيطان تَذَكّروا فإذا هم مُبْصرون ﴾ .

والمعنى أَنهم إذا أَلَمَّ بقُلُوبهم شيءٌ مِن هذهِ الصفاتِ الذَمِيْمَةِ فزعُوا إلى ذِكر الله تعالى وتَذَكّرُوْه ، فعندَ ذلك يَحْصُلُ التبصّر لهم في عواقب أُمُورهم .

نَعم الـذّكْـرُ لا يكونُ طَارِداً للشّيطان إلّا إذا كانت القُلْوبُ مَعْمُورَةً بالخَوفِ والتقوى .

فأمّا إذا كانَتْ خَاليةً عن ذلك فربّما يكُونُ الذّكر غيرُ مُجْدٍ ، ومثالُ هذا مِن يَطْمَعُ في شُرب الدَّواءِ قَبْلَ الأَحْتِمى والمِعدةُ مَشْحُونَةٌ بِغَلِيظِ الطَّعام ويَطْمَعُ في أنّه يَنْفَعُهُ كما يَنْفَعُ الذي يَشْرَبُهُ بَعْدَ الأَحْتِمَى وتَخْلِيةِ المِعدةِ عن الأَطعمة .

فالذّكرُ هو الدُّواءُ والتّقوى هُوَ الأَحْتِمَى ، فإذا حَصَلَ الذّكُر في قَلْبٍ فَارِغٍ عن غَيرِ الذكرِ انْدفَعَ الشّيطانُ كما تَنْدفعُ العِلّةُ بِنُزُولِ الدّواءِ في مَعِدَةٍ خاليةٍ عن الأَطعمةِ كما أَشار إليه تعالى بقوله ﴿ إن في ذلك لذِكرَى لِمَنْ كان له قَلْبٌ ﴾ .

اللهم إنـا نسْـأَلُـكَ حَياةً طَيِّبةً ، ونَفْساً تَقِيَّة ، وعِيْشَةٍ نَقِيَّة ، ومِيْتَةً سَوِيَّة ، ومَرَداً غَيْرَ مُخْزي ولا فاضح .

اللَّهُم اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك يا رب العالمين .

« اللهم مالكَ الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تَشَـاءُ وتُعِز مَن تشاء وتُذِلُ مَن تشاء بِيَدِكَ الخيرُ إنكَ على كل شيءٍ قدير » .

يا وَدُوْدُ يَا ذَا العَرش المجيد يا مُبْدِىءُ يا مُعِيْدِ يا فَعَالٌ لما تُرِيدِ نسألك بنور وجهك الذي مَلأَ أركانَ عَرشك وبقُدرتك التي قدرت بها على جميع خلقـكَ وبـرحمتـك التي وسِعَت كل شيء لا إله إلا أنت أن تغفر ذُنُوبَنا وسَيئاتِنا وأنْ تبدلها لنا بحسنات إنك جوادٌ كريم رؤوفٌ رحيم .

اللهم افتـح لدعـائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فصـــل)

قال رَجُلٌ للحَسَنَ يا أبا سَعِيد أينامُ الشيطانُ فَتَبَسَّمَ وقال لَوْ نَامَ لاسْتَرَحْنَا .

فإذًا لاخـلاص لِلْمُؤْمن منه نَعَم له سَبِيْلٌ إلى دَفْعِهِ وتَضْعِيْفِ قُوَّتِهِ قال

النبي ﷺ إنَّ المُؤْمِنَ يُنْضِي شَيْطَانَهُ كما يُنْضِي أَحَدُكم بعِيْرَهُ في سَفَرِه .
وقال ابن مسعود شَيْطَانُ المؤمن مَهْزُوْل .
وقال قيسُ بنُ الحجاج قال لي شيطاني دَخَلْتُ فيكَ وأنا مِثلُ الجَزُوْر وأنا الآنَ مِثْلُ العُصْفُور قُلْتُ ولِمَ ذَاكَ قال تُذِيْبني بذكر الله تعالى .

وعن أبي بَكر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منهما فإن إبليْسَ قال أهْلكْتُ بَنِي آدَمَ بالذُنُوب وأهْلكوني بلا إلهَ إلا الله والاسْتِغْفَار .
فلما رأيتُ ذلك أَهْلَكْتُهُم بالأَهْـوَاءِ وهم يَحْسَبُون أنهم مُهْتَدُون رواه الحافظ أبو يعلي الموصلي وقال مُجَاهِد مَا مِن شيءٍ أَكْسَرُ لِظَهْرِ إبْلِيس مِن «لا إلَهَ إلاَّ الله» .
وقـال عباسُ الدَّوْري سَمِعْتُ يَحْيَى بن مَعِيْن يَقُوْلُ كُنْتُ إذَا دَخَلْتُ مَنْزِلي قَرَأتُ آيةُ الكُرْسِيْ مَرَّةً .
فَبَيْنَا أنا ذَاتَ لَيْلَةٍ أَقْرَؤُهَا فإذَا هَاتِفٌ يَقُولُ كَمْ تَقْرأُ هَذِهِ لَيْسَ أحَد يُحْسِنُ يَقْرَؤُها غَيْرُكَ .
فَقُلْتُ مُجِيْباً لَهُ وأَرَى هَذَا يَسُؤكَ واللَّهِ لأزِيْدَنَّكَ فَصِرْتُ أَقْرَؤُهَا في الليلة خَمْسِين مَرَةً أَوْ سِتِّيْنْ مَرَةً قال عَبَّاسُ فَحَدَّثتُ مُحَمَّد بنَ سَهْلٍ فقال كان جَرِياً على الإنس والجن أو كما قال .
وقال بشر بن منصور عن وُهَيْب بن الورد خَرَجَ رَجُلٌ إلى الجُبَانَة بعد ساعة مِن اللَّيل فَسَمِعَ حِسًا وأصْوَاتًا شديدة وجِيءَ بِسَرِيرٍ وجَاءَ شيءٌ جَلسَ عليه واجْتَمَعَ إليْهِ جُنُود .
ثم صَرَخَ مَنْ لِيْ بعُروَةِ بن الزُبَيْر فلم يُجِبْه أَحَدٌ حَتى تابَعَ مَا شاءَ الله مِن الأَصْوات فقال واحَدٌ منهم أنا أَكْفِيْكَهُ .

قال فَتوجَّهَ نحوَ المدِيْنَةِ وأنا أنْظُر ثم أوشَكَ الرَّجْعَةَ فقال لا سبيْلِ إلى عُرْوَة قال ويْلَكَ لِـمَ قال يَقُول كَلِماتٍ إذَا أصْبَحَ وإذا أمْسَى فلا يُخْلَصُ إليه .

قال الرجل فلما أصْبَحْتُ قُلْتُ لأهْلِي جَهِّزُوْني فأتَيْتُ المدِيْنَةَ فَسَألْتُ عنه حتى دُلِلْتُ عليه فإذَا شَيْخٌ فَقُلْتُ شَيْئًا تَقُولُه إذَا أصْبَحْتَ وإذا أمْسَيْتَ .

فأَبى أنْ يُخْبِرَني فأخْبَرْتُه بِما رأَيْتُ وبِما سَمِعْتُ فقال ما هُوَ غَيْرَ أنِّي أقُولُ إذَا أَصْبَحْتُ .

آمَنْتُ باللَّهِ العَظِيم وكَفَرْتُ بالجِبْتِ والطَّاغُوتِ واسْتَمْسَكْتُ بالعُروةِ الوُثْقَى لا انْفِصَام لها والله سميْعٌ عليم .

إذا أصْبَحْتَ قُلْتُ ثلاثَ مَرَّاتٍ وإذا أمْسَيْتُ قُلْتُ ثلاثَ مَرَّات .

وعن ابن عباس أنه قال إنَّ الشياطِينَ قالوا لإبليس يا سَيِدَنا إنا لنَفْرح بموت العَالِمِ ما لا نَفْرَحُ بِمَوْتِ العَابدِ والعَالِمُ لا نُصِيْبُ منه .

قال انْطَلِقُوا فانْطَلِقُوا إلى عَابِدٍ وأَتوهُ في عِبَادَتِهِ فقالوا نرُيْدُ أنْ نَسْألك فقال سَلْ .

فقال إبْلِيْسُ هَلْ يَقْدِرُ رَبُّكَ أنْ يَجْعَل الدنيا في جَوْف بَيْضَةٍ قال لا أدْرِي قال أتَرَوْنَهُ كَفَر في سَماعِه .

ثم جَاءَ إلَى رَجُلٍ عَالِمٍ في حَلْقَةٍ يُضَاحِكُ أَصْحَابَهُ فقالوا إنَّا نرُيْدُ أنْ نَسْأَلُك فقال سَلْ .

فقال هَلْ يَقْدِرُ رَبُّكَ أنْ يَجْعَل الدنيا في جوف بَيْضَةٍ قال نَعَمْ قال كَيْفَ .

قال يَقُولُ كُنْ فَيَكُون ، قال أَتُرَوْنَ ذَلِكَ لا يَعْدُوْ نَفْسَهُ هذا يُفْسِدُ عَلَيَّ عَالمًا كَثِيْرا .

حَيَاتُكَ فِى الدُّنْيَا قَلِيلٌ بَقَاؤُهَا ... ودُنْيَاكَ يَا هٰذَا شَدِيدٌ عَنَاؤُهَا

ولا خيْرَ فيهَا غيْرَ زَادٍ مِنَ التُّقَى ... يُنَالُ بِهِ جَنَّاتُ عَدْنٍ وَمَاؤُهَا

بَلَى إنَّهَا لِلْمُؤْمِنِينَ مَطِيَّة ... عَلَيْهَا بُلُوغُ الخيْرِ وَالشَّرُّ دَاؤُهَا

وَمَنْ يَزْرَعِ التَّقْوَى بِهَا سَوْفَ يَجْتَنِي ... ثِمَاراً مِنَ الفِرْدَوْسِ طَابَ جَنَاؤُهَا

نُؤَمِّلُ أَنْ نَبْقَى بِهَا غَيْرَ أَنَّنَا ... عَلَى ثِقَةٍ أَنَّ الْمَمَاتَ انْتِهَاؤُهَا

فَكُنْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ فِى الخَيْرِ رَاغِبًا ... يَلُوحُ مِنَ الطَّاعَاتِ فِيكَ بَهَاؤُهَا

وَجَانِبْ سَبِيلَ الغَيِّ وَاتْرُكْ مَعَاصِيًا ... يُذِيقُكَ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ لَظَاؤُهَا

فلا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَمُوتَ بِمَشْهَدٍ ... يُسَاعِدُ مَنْ نَاحَتْ عَلَيْكَ بُكَاؤُهَا

وَتَنْزِلَ قَبْراً ـ لَا أَبَالَكَ ـ مُوحِشًا ... تَكُونُ تُرَى أُمٌّ عَلَيْكَ ثَرَاؤُهَا

وَتَبْقَى بِهِ ثَاوٍ إِلَى الحَشْرِ وَالجَزَا ... وَنَفْسُكَ يَبْدُو فِى الْحِسَابِ جَزَاؤُهَا

فَإِمَّا تَكُونُ النَّفْسُ ثَمَّ سَعِيدَةً ... فَطُوبَى وَإِلَّا فَالضَّرِيعُ غِذَاؤُهَا

يُسَاقُ جَمِيعُ النَّاسِ فِى مَوْقِفِ القَضَا ... وَتُنْشَرُ أَعْمَالٌ يَبِينُ وَبَاؤُهَا

هُنَالِكَ تَبْدُو لِلْعِبَادِ صَحَائِفٌ ... فَتُوضَعُ فِى المِيزَانِ وَالذَّنْبُ دَاؤُهَا

وكَمْ مِنْ ذَلِيلٍ آخِذٍ بِشِمَالِهِ ... صَحِيفَتَهُ السَّوْدَا الشَّدِيدُ بَلَاؤُهَا

وآخَرُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ آخِذٌ ... صَحِيفَتَهُ البَيْضَاءَ طَابَ لِقَاؤُهَا

فَيَأْتِي نَبِيُّ اللهِ لِلرَّبِّ سَاجِداً ... فَيُثْنِي بِنَعْمَاءَ يَجِلُّ ثَنَاؤُهَا

فَيَدْعُوهُ رَبُّ العَرْشِ : سَلْنِي فَإِنَّنِي ... لِنَفْسِكَ بِالْمَحْبُوبِ عِنْدِي رِضَاؤُهَا

فقالَ : إِلٰهِي أُمَّتِي مِنْكَ تَرْتَجِي ... لأَشْفَعَ بَعْدَ الْإِذْنِ فَهْوَ مُنَاؤُهَا

فَيُعْطِيهِ مَوْلَاهُ الكَرِيمُ شَفَاعَةً ... لِأُمَّتِهِ الغَرَّاءِ طَابَ هَنَاؤُهَا

فيَرْجِعُ طٰهَ مُسْتَقِيمُ سُرُورُهُ | تَخَالُ بِهِ البُشْرَى جَلِيًّا ضِيَاؤُهَا
فَيَحْمَدُ مَوْلَاهُ الْجَلِيلَ ثَنَاؤُهُ | عَلَى نِعَمٍ لَا يُسْتَطَاعُ انْحِصَاؤُهَا
هُنَا لِكَ أُمُّ المصطفى جَنَّةَ الْعُلَا | وَأُمَّتُه تَقْفُوا كَذَا شُهَدَاؤُهَا
وَيَسْقِي رَسُولُ اللهِ مَنْ شَاءَ كَوْثَراً | بآنِيَةٍ عَدُّ النُّجُومِ اقْتِفَاؤُهَا
فَيَارَبِّ أَوْرِدْنَا جَمِيعاً لِحَوْضِهِ | لِتُرْوَى نُفوسٌ مِنْهُ طَالَ ظَمَاؤُهَا
وَأَتْمِمْ لَنَا حُسْنَ الْخِتَامِ إِذَا دَنَتْ | وَفَاةٌ وَحَانَتْ لِلْحَيَاةِ انْمِحَاؤُهَا
وَهَوِّنْ عَلَى الرُّوحِ المَمَاتَ فإِنَّهَا | تُحِبُّ الْبَقَا لكِنْ لِقَاكَ هَوَاؤُهَا
وَفِي الْقَبْرِ ثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الهُدَى | إِذَا سُئِلَتْ كَيْ يَسْتَقِيمَ بَقَاؤُهَا
وإِنْ نُفِخَتْ في الصُّورِ نَفْخَةُ بَعْثِنَا | فَقُلْ أَنْتُمُ أَهْلُ الْيَمِينِ أُولَاؤُهَا
فَنَحْنُ اعْتَمَدْنَا الفَضْلَ مِنْكَ مَعَ الرَّجَا | فَحَقِّقْ رَجَا نَفْسٍ لَدَيْكَ رَجَاؤُهَا
وَصَلِّ على المُخْتَارِ طٰهَ مُحَمَّدٍ | شَفِيعِ الْبَرَايَا يَوْمَ يَأْتِي نِدَاؤُهَا
وآلٍ وأصحابٍ مَدَى الدَّهرِ ما بَدَا | نَهَارٌ وما جَنَّ اللَّيَالِي دُجَاؤُهَا

إِنْتَهَى

اللهم إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وعَلَانِيَتَنَا وتَسْمَعُ كَلَامَنَا وتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى عَلَيكَ شيْءٌ من أَمْرِنَا نَحْنُ البُؤَسَاءُ الفُقَرَاءُ إِليكَ المستغيثونَ المستجيرون بك نَسْأَلك أَنْ تُقَيِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ ويُزِيلُ مَا حَدَثَ مِن البَدَعِ والمُنْكَرَاتِ ويُقِيْمُ عَلَمَ الجِهَادِ ويَقْمَعُ أَهْلَ الزَّيْغِ والكُفْرِ والعِنَادِ ونَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا ولِوَالِدِيْنَا وجميعِ المسلمين برحْمَتِكَ يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

مَوْعِظَة

إِخْوَانِي أَيْنَ أَحْبَابُكُم الذِينَ سَلَفُوا أَيْنَ أَتْرابُكم الذين رحَلُوا وانْصَرفوا ، أَيْنَ أَصْحَابُ الأَموالِ وَمَا خَلَّفُوا .

ندموا والله على التفريط يا لَيْتَهم عَرَفُوا هَوْلَ مَقام يَشِيْبُ منه الوليد ، إذا ﴿ وجاءَتْ سَكرةُ الموتِ بالحَقّ ذَلكَ مَا كُنْتَ منه تَحِيْد ﴾ .

فَوَاعَجَباً لَكَ كُلَّما دُعِيْتَ إلى اللَّهِ تَوانَيْتْ ، وكُلَّما حَرَّكَتْكَ المواعظُ إلى الخيراتِ أَبَيْتْ ، وعلى غيِّكَ وجَهْلِكَ تَمادَيْتْ ، وكم حُذِّرت مِن المَنُون فما التفَتَ إلى قول الناصِح وتَركْتَهُ وما بالَيْتْ .

يا مَن جَسَدُهُ حَيٌّ ولكن قلبه مَيْت ، سَتُعَاين عند قُدُوْم هَادِم اللَّذاتِ ما لا تَشْتَهِي وتُرِيْد ﴿ وجاءَتْ سَكْرَةُ الموت بالحق ذلك ما كُنْتَ منه تحيد ﴾ .

كم أَزْعَجَ الموتُ نُفُوْسًا من ديارِهَا ، وكم أَتْلَفَ البلَى مِن أجسادٍ مُنَعَّمَةٍ لم يُدَارِهَا ، وكم أذَلَّ في التُراب وجوها ناعِمَةً بَعْدَ رفْعَتِهَا واسْتِقْرارِها .

إنتبه يا أخي فالدنيا أضغاث أحلام ، ودارُ فَنَاءٍ لَيْسَتْ بدَارِ مَقام ، سَتَعْرِفُ وتفهم نُصْحِي لك بعد أيام .

وما غابَ عَنْكَ سَتَراه على التمام إذ اكُشفَ الغطاء عَنْكَ وصَارَ بَصَرُكَ حَديد ، وهناكَ تَنْدَمُ ولاتَ ساعَة ندم .

شعـــرا :

قُــلْ لِلَّــذِي أَلِفَ الذُّنُوبَ وأجْـرَمَـا	وغَـدَ عَـلَىَ زَلَّاتِـه مُتَنَـدِّمَـا
لا تَيْأَسَنْ واطلـب كـريمًا دائِمًـا	يُـوْلِي الجَمِيْل تَفَضُّـلاً وتَكَـرُّمَا
يا مَعْشَـرَ العَـاصِيْنَ جُـوْدٌ وَاسِـعٌ	عنـد الإلـه لِمَـنْ يَتُـوبُ ويَنْـدَمَـا
يا أَيُّهَـا العَبْـدُ المُسِيْء إلـى مَتَى	تُفْـنِي زَمَـانَـكَ في عَسَـى ولَرُبَّمَـا
بـادِرْ إلـى مَـوْلاكَ يا مَن عُمْـرُهُ	قَـدْ ضَـاعَ في عِصْيَـانِهِ وتَصَـرَّمَـا
واسْـأَلَهُ تـوفِيْقًـا وعَفْـوًا ثـم قُـلْ	يَا رَبِّ بَصِّـرْنِي وزِلْ عَـنِّيْ العَمَـا
ثـم الصـلاة على النبي أَجَلِّ مَـنْ	قَدْ خُصَّ بالتَّقْرِيْبِ مِن رَّب السَّما

وعلى صَحَابتِهِ الأَفـاضِـلِ كُلِّهِـم   ما سَبَّحَ الدّاعِـي الإِلـهَ وعَظَّمـا

اللَّهمَّ انـظِمْنـا في سِلكِ حزبِـكَ المُفلِحِـين ، واجْعلنـا مِنْ عبـادِكَ المُخْلِصين وآمِنَّا يومَ الفَزَعِ الأَكبرِ يومَ الدِين ، واحشُرْنا معَ الذين أنعمتَ عليهم مِـن النَبيين والصِّـديقـينَ والشُهداء والصالحينَ واغفِرْ لنا ولوالدِينا ولجميعِ المسلمينَ الأحياءِ منهم والميتينَ برحمتِكَ يا أَرْحَمَ الراحمينَ ، وصلى اللّهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين .

(فصـــل)

قال أَحَدُ العلماء :

إعلم أنَّ القلبَ كالحِصن وعلى ذلك الحِصْن سُوْرٌ ولِلسُّور أَبْوَابٌ وفيه ثُلَمٌ وسَـاكِنُهُ العَقْلُ والملائكة تَتَرَدَّدُ إلى ذلكَ الحِصْنِ وإلى جَانِبَ الحِصنَ رَبَضٌ (وهُوَ المَكانُ يُؤوَى إليهِ) .

وفيه الهَوَى والشَّياطِينْ تَخْتلفُ إلى ذلِكَ الرَّبَض مِن غَيرِ مَانِعٍ والحَرْبُ قائمٌ بَيْنَ أَهل الحِصْنِ وأَهْلِ الرَّبَض والشَّياطِينُ لا تَزال تَدُوْرُ حَوْلَ الحِصْنِ تَطْلُبُ غَفْلَةَ الحَارِسِ وَالعُبُورِ مِن بَعْضِ الثُلمِ وأن لا يَفْتَرَ عن الحِرَاسةِ لَحْظَة فإنَّ العَدُو لا يَفْتر .

ويَنْحَصِرُ شرُّ الشيطان في سِتَةِ أَجْنَاسٍ لا يَزَالُ بابْنِ آدمَ حتى يَنَالَ مِنه وَاحِدًا منها وأكْثَرَ .

أَحَدُهَا شرُّ الكُفْر والشرك .

ثانيا البِدْعَة .

ثالثاً كبائرُ الذنوب .

رابعاً الصغائر .

ثم الاشتغال بالمباحات عن الاستكثار مِن الطَّاعَاتِ .

ثم الاشتغال بالمفضول عن الفاضل .
والأَسْباب التي يَعْتَصِمُ بهَا العَبْدُ من الشيطانِ عَشَرة .
أولاً الاسْتِعَاذةُ بالله .
ثانياً قِراءة المعُوذَتين .
ثالثاً قِراءَة آيةِ الكُرسي .
رابعاً قِراءَة البقرة .
خامساً قراءَة أوَّلِ سُورةِ حَم المؤمن إلى « إليه المصير » .
سابعًا لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك والحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة .
ثامناً كِثرةُ ذِكر الله .
تاسعًا الوضوءَ مَعَ الصلاة .
عاشِرًا إمساكُ فُضولِ النظرِ والكلامِ والطعامِ ومخالطة الناس . انتهى

وخِتَامًا فأهْلُ التّقْوى لا يَتَعذرُ عليهم سَدُ أبْواب الشيطان وحِفْظُها بالحِرَاسَة أي الأَبْوَابِ الظاهرة والطُرقِ الجَلِيَّةِ التي تُفْضِي إلى المعَاصِي الظَاهِرةِ .

وإنَّمَا يَتَعَثرونَ في طُرقِهِ الغامِضَةِ فإنهم لا يَهْتَدُوْنَ إليها فَيَحْرسُوْنَهَا لأَنَّ الأَبوابَ المفْتوحَةَ إلى القلب لِلشيطان كثيرة .

وبابُ الملائكة بابٌ واحِدٌ وقَد التَبَسَ ذلكَ البابُ الواحدُ بهذِهِ الأَبْوَاب الكثْيْرَة ، فالعَبْدُ فيها كالمسافِرِ الذي يَبْقَى في بَادِيةٍ كَثِيْرةِ الطُرُقِ غَامِضَةَ .

المَسَالِكِ في لَيْلَةٍ مُظْلِمةٍ فلا يَكَادُ يَعْلَمِ الطَّرِيْقَ إلَّا بعَينِ بَصِيْرةٍ وطُلوعِ شَمْسٍ مُشْرِقَةٍ .

والعَيْنُ البَصِيْرة هَاهُنا هِي القَلْبُ المُصفِّى بالتَّقْوى والشَّمْسُ المُشْرِقَةُ هُوَ

العِلَم العَـزِيْزُ المُسْتَفَـادُ مِن كتابِ الله وسُنةِ رسوله ﷺ فيما يُهْتَدَى بِهِ إلى غَوامِضِ طُرُقه وإلا فَطُرُقُهُ كَثِيْرَةٌ وغامِضَةٌ .

قال عبدُ الله بن مَسْعُود رضي الله عنه خَطَّ لنا رسول الله ﷺ يومًا خطًا وقال « هذا سَبيلُ الله » ثم خَطَّ خُطُوطًا عن يَمِيْنِ الخطِ وعن شِمالِهِ ثم قال « هَذِه سُبُل على كل سَبِيْلٍ شَيْطَانٌ يَدْعُو إليه » .

ثم تَلَا ﴿ وأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيْمًا فاتَّبِعُوْهُ ولا تَتَّبِعُوْا السُبُل فَتَفَرَّقَ بكم عن سَبْيله ﴾ .

وقال أَحَدُ العُلَماءِ يَجِبُ على المؤمن أن يُحِبَّ العُلَماءَ العامِلِيْنَ بعلمهم حَقِيقةً البَعِيْدينَ عن الانهماك في الدنيا البعيدين عن الرياء وحُبِّ الشُهرةِ والظُهور والوقوع في أعْرَاضِ الناس الغَافلين .

السالمين من الحَسَدِ والكبر والعُجْبِ ويُلَازِمَ مَجالِسَهُم ويَسْألهم عَمَّا أشكل عليه ويَتَّعِظْ بِنُصْحِهم .

ويَجْتَنِبْ الأعـمالَ القَبيحـةَ ويَتَّخِذِ الشيطانَ عَدُوًا كما قال تعالى ﴿ إن الشيطان لكم عَدُوٌ فاتَّخِذُوْهُ عَدُوَا ﴾ .

أي فعَادُوْهُ بِطَاعَةِ الله تعالى ولا تطيعُوه في مَعَاصِي الله تعالى وكُونُوا على حَذَرٍ منه في جميع أحْوَالِكُم وأفْعَالِكم وعَقَائِدكم .

وإذا فَعَلْتُم فعلاً فَتَفَطَّنوا له فإنَّهُ رُبَّما يُدْخِل عليكم الرِّياء ، ويُزَيِّن لكم القبائحَ والفَواحِش واسْتَعِينُوا عليه برَبكم ، وتعَوذُوْا بالله منه .

المِهُم أَنَّكَ إذَا عَلِمْتَ أن الشيطانَ لَعَنه اللَّهُ لا يَغْفُلُ عنكَ أَبَدَاً فلا تَغْفُل عَمَّنْ ناصِيَتُكَ بِيَدِهِ وهُو اللَّهُ جَلَّ جَلالَهُ وتَقَدَّسَتْ أَسْماؤه وصِفَاتُه إلْزَمْ ذِكْرَهُ وحَمْدَهُ وشُكْرَهْ .

فالشيطانُ عَدُوٌ مُسَلَّطٌ على الإنسان ومُقْتَضَى ذلك أَنَّ لَا يُوْجَدُ مِنهُ غَفْلَةٌ ولا فَتْرَةٌ عن التَّزْيِيْنِ والإغْوَاءِ والإضْلال .

قال تعالى إخْبَارًا عَمَّا قَالَهُ إبليس ﴿ فبما أغْويتَني لأقْعُدنَّ لَهُم صِراطكَ المستقيم ثم لآتيَنَّهم مِن بين أيديهم ومن خلفهم وعَن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجدُ أكثرهم شاكرين ﴾ وقال ﴿ فبما أغْويتني لأزَينَنَّ لهم في الأَرضِ ولأغْوِيَنَّهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ .

اَللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأبْرار وأَسْكِنَّا مَعَهمُ في دار القرارَ ، اللَّهُمَّ وفقنا بحُسْن الاقبالِ عَليك والإِصْغَاءِ إليك ووَفّقنْا لِلتّعاوُنِ في طَاعَتِكَ والمُبَادَرَةِ إلى خِدْمَتِكَ وحُسْن الآداب في مُعَامَلَتِكَ والتّسليم لِأمْرك والرّضا بِقَضَائِكَ والصَّبرْ عَلى بَلائِك والشّكْرِ لِنَعْمَائِكَ ، واغفرَ لَنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتِكَ يا أرْحَمَ الراحمين وصلى اللَّهُ على محمد وآله أجمعين .

(فصـــــل)

قال تعالى ﴿ إن الشيطانِ لكم عدو فاتخذُوْهُ عَدُوَا ﴾ الآية .

إذا فَهِمْتَ ذلِــكَ فَعَلَيكَ بتحقيق العُبُـوديَّة لله ، والتـوكُـلِ عليه ، والافتقـار في كل أَحْوالِكَ إليه ، واسْتِعَاذتِكَ به مِن شرّ عَدُوّكَ وَعَدُوِّه ، فَبذلِكَ تَنْجُوْ مِن سَلْطَنَتِهِ ، وتَنْجُوْ مِن غَائِلته .

قال الله جل وعلا ﴿ إنَّ عِبَادِي لَيْسَ لكَ عَلِيهم سُلْطَانٌ وكَفَى بِرَبّكَ وَكِيْلا ﴾ وقال جل وعلا ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ .

فَمَنْ تَحَقق بهذه الصّفَاتِ العَلِيّة ، مِن الايمان بالله تعالى ، والعُبودِية لَهُ والتوكل عليه ، واللَّجَاءِ والافتقارِ إليه ، والاسْتعاذة ، والاسْتجارة به ، كَيْفَ يَكُونُ لِعَدُوّ اللّهِ عليه سُلطان ، والله حَبِيْبُه وَوَلِيُ حِفْظِهِ ونَصْرِه .

وفي وَصِيَّةِ رسول الله ﷺ لابن عباس « احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظك احْفَظِ الله

تَجِدْهُ أمامَكَ تَعَرَّفْ إلى الله في الرَّخَاء يَعْرِفْكَ في الشِدَّةِ » .

فالشأن في العبد يكون بينه وبين ربه معرفةٌ خاصة بقَلْبِهِ بَحَيْثُ تَجِدهُ قريبًا منه يَسْتَأنِسُ بِهِ في خلوتِهِ ويجدُ حَلاوَةَ ذِكْرِه ودُعَائِهِ وَمُناجَاتِهِ وخِدْمَتِهِ .

ولا يَجِدُ ذلِكَ إلاَّ مَن أطَاعَهُ في سِرِّه وعَلانِيَتِهِ ومَتَى وَجَدَ العَبدُ هذا فقد عَرُفَ رَبَّهُ وصَار بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَعْرِفَة خاصة .

فإذا سأله أعطاه وإذا دَعَاهُ أجَابه والعبدُ لا يَزَالُ في كَرْبٍ وشَدائِد ، في الدنيا ، وفي البَرْزَخ ، وفي الموقف ، فإذا كان بَيْنَهُ وبَيْنَ رَبِّهِ معرفة خاصة كفاه الله ذلك كله .

وهذا هو المشار إليه في وصية رسول الله ﷺ لابن عَباس تَعَرَّفْ إلى الله في الرَّخَاء يَعْرِفْكَ في الشِدة .

فالعِلْمُ النـافِعُ ما عَرَّفَ العَبْد بِرَبِّهِ ، ودَلَّهُ عليه حَتَّى عَرَفَهُ ، وَوَحَّدَه وأكْثَرَ مِن ذِكْرِهِ ، وحَمْدِهِ وشُكْرِهِ وأنِسَ بِهِ ، واسْتَحْيَا مِن قُرْبِهِ ، وعَبَدَهُ كأنَّه يَرَاه .

فالشَأن كله في أنَّ العبد يَسْتَدِلُ بالعِلْم على رَبِهِ ، فيَعْرِفه فإذا عَرَفَ ربِهِ فقد وجَدَهُ مِنْهُ قَرِيبًا ، ومَتى وجَدَهَ منه قرِيْبًا قَرَّبَهُ إليه وأجَابَ دُعَاءَهُ .

كما في الأثر الإسرائيلي ابْنَ آدم اطْلُبْني تجدْني ، فإنْ وَجَدْتَنِيْ وجَدْتَ كُلّ شيء .

فأصـل العِلْمُ العِلْمُ بالله الـذي يُوْجِبُ خَشْيَتَـهُ ومَحَبَّتَـهُ والقُرْبَ منه والأُنْسَ به ، ثُمَّ يتلوه العِلْمُ بأحكام اللَّهِ ، وما يُحبُهِ ويَرْضَاه مِن العبدِ مِن قولٍ أو عملٍ أوْ حالٍ أو إعتقاد .

فمن تحقق بِهَذيْن العِلْمَين كان علمُه عِلْماً نافِعا ، وحَصَل لَهُ العِلْمُ النافِعُ والقَلْبُ الخَاشِعُ والنفسُ القانِعَةُ والدُعاءُ المَسْمُوْعُ .

ومَن فاتَهُ هَذا العِلْمُ النافعُ وَقع في الأرْبَعِ التي اسْتَعَاذ منها النبي ﷺ ، وصَارَ عِلْمُهُ وبالاً وحُجَّةً عليه فلم ينتفع به .

لأنه لم يخشع قَلْبُهُ لِرَبِهِ ولم تَشْبَعْ نَفْسُهُ مِن الدنيا ، بل ازْدَادَ حِرصًا عليها وطلبًا لها ، ولَم يُسْمَعْ دُعَاؤُهُ ، لِعَدَمِ إمْتِثالِهِ لأوَامِرِ رَبِّهِ ، وعَدَمِ اجْتِنابِهِ لِمَا يُسْخِطُهُ ويكرَهُهُ .

هذا إن كان عَلْمُهُ عِلْمًا يمكن الانتفاعُ به وهو المُتَلقى عن الكتاب والسُنَّة .

فإن كان مُتَلقًى من غير ذلك فهو غير نافع في نفسه ولا يُمْكِنُ الانْتِفَاعُ به بل ضَرَره أكْثَرُ مِن نَفْعِهِ .

وعَلامَةُ هذا العلم الذي لا يَنْفَعُ أَنْ يُكسِبَ صاحِبَهَ الزَّهْوَ والفخرَ والخُيلاء وطَلَبَ العُلُو والرِّفْعَةِ في الدنيا والمُنَافَسَةِ فيها وطَلَبَ مُباهَاةِ العُلَمَاءِ ومُمَاراة السُّفهاء وصرف وجوه الناس إليه .

وقد ورد عن النبي ﷺ أنَّ مَن طَلَبَ العلم ليُجَارِى به العلماءَ أو ليماري به السُّفَهاءَ ويَصْرِفَ به وُجُوهَ النَّاسِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النار .

ولِبَعْضِ العُلماء :

يَقولُون لِيْ هَلاَّ نَهضتَ إلى العُلاَ فما لَذَّ عَيْشُ الصَّابِرِ المُتَقَنِّعِ
وَهلاَّ شَدَدْتَ العِيْسَ حَتى تَحُلَّها بِمِصْرٍ إلَى ظِلِ الجَنَابِ المُرَفَّعِ
فَفِيْهَا قُضَاةٌ لَيْسَ يَخفَى عَلَيْهِمُوا تَعَينُّ كَوْنِ العِلْمِ غَيْرَ مُضَيَّعِ
وفِيها شُيُوخُ الدِينِ والفَضْلِ والأُولَى يُشِيْرُ إِلَيْهِمْ بالعُلاَ كُلُّ أُصْبُعِ
وفِيْهَا وفِيْهَا والمَهَانَةُ ذِلَّةٌ فَقُمْ واسْعَ واقْصِدْ بَابَ رِزْقِكَ واقْرَعِ
فَقُلْتُ نعَمْ أَسْعَى إِذَا شِئتُ أَنْ أَرَى ذَلِيْلاً مُهَانًا مُسْتَخفًا بِمَوْضِعِي
وأَسْعَى إِذَا مَا لَذَّ لِيْ طُولُ مَوْقِفِي عَلَى بَابِ مَحْجُوْبِ اللِّقَاءِ مُمَنَّعِ

وأَسْعَى إذَا كانَ النِّفَاقُ طَرِيْقَتِي أَرُوْحُ وأَغْدُوْ في ثِيَابِ التَّصَنُّعِ
وأَسْعَى إذَا لَمْ يَبْقَ فِيَّ بَقِيَّةٌ أُرَاعِيْ بها حَقَّ التُّقَى والتَّوَرُّعِ
فكَمْ بَيْنَ أَرْبَابِ الصُّدُوْرِ مَجَالِسًا تُشَبُّ بَهَا نَارُ الغَضَى بَيْنَ أَضْلُعِيْ
وكَمْ بَيْنَ أَرْبَابِ العُلُومِ وأَهْلِهَا إذَا بَحَثُوْا في المُشْكِلاتِ بِمَجْمَعِ
مُنَاظَرةً تُحْمِي النُّفُوسَ فَتَنْتَهي وقَدْ شَرَعُوا فِيْهَا إلَى شَرِّ مَشْرَعِ
إلَى السَّفَهِ المُزْرِيْ بِمَنْصِبِ أَهْلِهِ أو الصَّمتِ عن حَقٍ هُنَاكَ مُضَيِّعِ
فَإِمَّا تَوَقَّى مَسْلَكَ الدِيْنِ والتُقَى وإِمَّا تَلَقَّى غُصَّةَ المُتَجَرِّعِ

آخـر :

أَنِسْتُ بِلأْوَاءِ الزمـانِ وذِلِّـهِ فيا عِزَّةَ الدنيا عليكِ سَلامُ
إلَى كَمْ أُعَانِي تِيْهَهَا ودَلَالَهَا أَلَمْ يَأْنِ عَنْهَا سَلْوةٌ وسَـآمُ
وقد أَخْلَقَ الأَيَّامُ جِلْبَابَ حُسْنِهَا وأَضْحَتْ ودِيبَاجُ البَهَاءِ مَسَـامُ
عَلَى حِيْنَ شَيْبٌ قَدْ أَلَمَّ بَمَفْرِقِي وعَادَ رُهَـامُ الشَّعْرِ وهُوَ ثَغَامُ
طَلائِعُ ضَعْفٍ قد أَغَارَتْ على القُوى وثَارَ بِمَيْدَانِ المِزاجِ قَتَـامُ
فَلا هِيَ في بُرْجِ الجَمَالِ مُقِيْمَةٌ ولا أَنَا في عَهْدِ المُجُونِ مُدَامُ
تَقَطَّعَتِ الأَسْبَابُ بَيْنِي وَبَيْنَها ولَمْ يَبْقَ فِينَا نِسْبَةٌ ولِئَـامُ
وعادَتْ قَلُوصُ العَزْمِ عَنِّي كَلِيْلَةً وقَدْ جُبَّ مِنْهَا غَارِبٌ وَسَنَامُ
كأَنِي بِهَا والقَلْبُ زُمَّتْ رِكَابهُ وقُوِّضَ أَبْيَـاتٌ لَهُ وخِيَـامُ
وسِيْقَتْ إلى دَارِ الخُمُولِ حُمُولهُ يَحُنُّ إليها والدُمُـوُعُ رُهَـامُ
حَنِينَ عَجُولٍ غَرَّهَا البَوُّ فانْثَنَتْ إليْهِ وفِيْهَـا أَنَّـةٌ وضُغَـامُ
تَوَلَّتْ لَيالٍ لِلْمَسَرَّاتِ وانْقَضَتْ لِكُلِ زَمَـانٍ غَـايَـةٌ وتَمَـامُ
فَسَرْعَانَ مَا مَرَّتْ وَوَلَّتْ وَلَيْتَهَا تَدُوْمُ وَلكِنْ مَا لَهُـنَّ دَوَامُ
دُهُورٌ تَقَضَّتْ بالمسَرَّاتِ سَـاعَةً ويَومٌ تَـوَلَّى بالمَسَـاءَةِ عَـامُ
فلِلَّهِ دَرُّ الغَمِ حَيثُ أَمَـدَّنِي بِطُولِ حَيَـاةٍ والهُمُومُ سِهَـامُ

أسيرُ بتَيْماءِ التَّحيُّرِ مُفْرَداً وَلي مَعَ صَحْبِيَ عِشْرَةٌ ونَدَامُ
وكَمْ عِشْرَةٍ ما أَوْرَثَتْ غَيْرَ عُسْرَةٍ وَرُبَّ كَلَامٍ في القُلُوبِ كُلَامُ
فما عِشْتُ لاَ أنسَى حُقُوقَ صَنِيْعِهِ وهَيْهَاتَ أنْ يُنْسَى لَدَيَّ ذِمَامُ
كَمَا اعْتَادَ أَبْنَاءُ الزَّمَانِ وَأُجْمَعَتْ عَلَيْهِ فِئَامٌ إثْرَ ذَاكَ قِيَامُ
خَبَتْ نَارُ أعْلَامِ المَعَارِفِ والهُدَى وشُبَّ لِنيرانِ الضَّلالِ ضِرَامُ
وكَانَ سَرِيرُ العِلْمِ صَرْحاً مُمَرَّداً يُنَاغِي القِبابَ السَّبْعَ وهْيَ عِظَامُ
مَتِيْناً رَفِيْعاً لا يُطَارُ غُرابُهُ عَزِيْزاً مَنِيْعاً لاَ يَكَادُ يُرَامُ
يَلُوحُ سَنَابَرْقِ الهُدَى مِن بُرُوْجِهِ كَبَرْقٍ بَدَا بَيْنَ السَّحَابِ يُشَامُ
فَجَرَّتْ عَلَيْهِ الرَّاسِيَاتُ ذُيُولَهَا فَخَرَّتْ عُرُوشٌ مِنْهُ ثُمَّ دَعَامُ
وسِيْقَ إلَى دَارِ المَهَانَةِ أَهْلُهُ مَسَاقَ أَسِيْرٍ لا يَزَالُ يُضَامُ
كَذَا تَجْرِي الأَيَامُ بَيْنَ الوَرَى عَلَى طَرَائِقَ مِنْهَا جائِرٌ وقَوامُ
فما كُلُ ماقَدْ قِيلَ عِلْمٌ وحِكْمَةٌ وما كُلُ أَفْرادِ الحَدِيْدِ حُسَامُ
ولِلْدَّهْرِ ثاراتٌ تَمُرُّ على الفَتَى نَعِيْمٌ وبُؤْسٌ ، صِحَّةٌ وسَقَامُ
ومَنْ يَكُ في الدُنيا فَلَا يَعْتِبَنَّهَا فَلَيْسَ عَلَيْهَا مَعْتَبٌ ومَلَامُ
أَجِدَّكَ ما الدنيا وماذَا مَتَاعُهَا وماذَا الذي تَبْغِيْهِ فَهْوَ حُطَامُ
تَشَكَّلَ فِيْهَا كُلُ شَيْءٍ بِشَكْلِ مَا يُعَانِدُهُ والنَّاسُ عَنْهُ نِيَامُ
تَرَى النَّقْصَ في زِيِ الكَمَالِ كَأَنَّمَا عَلَى رَأْسِ رَبَّاتِ الحِجَالِ عِمَامُ
فَدَعْهَا ونَعْمَاهَا هَنِيئاً لِأَهْلِهَا ولاتَكُ فِيْهَا رَاعِياً وسَوَامُ
تَعَافُ العَرَانِيْنُ السِمَّاطَ عَلى الخِوى إذَا ما تَصَدَّى لِلطَّعَامِ طَغَامُ
عَلَى أَنَّهَا لَا يُسْتَطَاعُ مَنَالُهَا لِمَا لَيْسَ فِيْهِ عُرْوَةٌ وعِصَامُ
ولَوْ أَنْتَ تَسْعَى إثْرَهَا أَلْفَ حَجَّةٍ وقَدْ جَاوَزَ الطِبْيَيْنِ مِنْكَ حِزَامُ
رَجَعْتَ وقَدْ ضَلَّتْ مَساعِيْكَ كُلُّها بِخُفَي حُنَينٍ لِاتَزَالُ تُلَامُ
هَبِ إنَّ مَقَالِيْدَ الأُمُورِ مَلَكْتَهَا ودَانَتْ لَكَ الدُنيا وأنْتَ هُمَامُ

وَمُتِّعْتَ باللَّذاتِ دَهْراً بِغِبْطَةٍ ... أَلَيْسَ بحَتْمٍ بَعْدَ ذَاكَ حِمَامُ
فَبَيْنَ البَرَايَا والخُلُودِ تَبَايُنٌ ... وبَيْنَ المنايَا والنُّفُوسُ لِزَامُ
قَضِيَّةٌ انْقادَ الأَنامُ لِحكْمِهَا ... وما حَادَ عَنْهَا سَيِّدٌ وغُلَامُ
ضرورِيةٌ تَقضْيِ العقولُ بصِدْقِهَا ... سَلِ إنِ كانَ فيها مِرْيَةٌ وخِصَامُ
سَلِ الأَرْضَ عن حالِ الملوكِ الَّتي خَلَتْ ... لهمِ فَوقَ ، فَوقَ الفرقدين مَقَامُ
بأبوابهم للوافدين تراكُمُ ... بأعتابِهم لِلعَاكِفِينَ زِحَامُ
تُجْبكَ عنأَسْرارِ السُيُوفِ التي جَرَتْ ... عَلَيْهم جَواباً لَيْسَ فيه كَلَامُ
بِأَنَّ المنايَا أَقَصْدَتْهمُ نِبَالُها ... وما طَاشَ عن مَرْمَى لَهُنَّ سِهَامُ
وَسِيقُوا مَسَاقَ الغابِرينَ إلى الرَدَى ... وأُقْفِرَ منهم مَنْزِلٌ ومَقَامُ
وحَلُوا مَحَلاً غَيْرَ ما يَعْهَدُوْنَهُ ... فَلَيْسَ لَهم حَتَّى القِيام قِيَامُ
أَلَمَّ بِهِمْ رَيبُ المَنُوْنِ فَغَالَهُم ... فَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِ الرُغَامِ رُغَامُ

اللَّهُمَّ خَفِّفْ عَنَّا الأَوْزَارَ وَأَرْزُقْنَا عِيْشَةَ الأَبْرَارِ وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ الأَشْرَارِ واعْتِقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبائِنَا وَأُمَّهاتِنَا مِنْ النَّارِ يَا عَزِيْزُ يَاغَفَّارُ يَا كَرِيْمُ يَا سَتَّارُ وَيَا حَلِيْمُ يَاجَبَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى الله عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(فصلٌ)

في فَضَائِل الاسْتِغْفَار

يُسْتَحَبُّ الإِكْثَارُ مِن الاسْتِغْفار في كُلِّ وَقْتٍ ، ويَتَأَكَّدُ في الزمَّانِ الفَاضِل ، والمكانِ الفاضِلْ ، قال تَعالى : ﴿ والمُسْتَغْفِرين بالأَسْحَار ﴾ وقال : ﴿ أفلاَ يَتُوبُون إلى اللهِ ويَستغفرونَهُ واللهُ غفورٌ رَحيم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ومَا كان اللهُ مُعذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغفِرون ﴾ ؛ وقالَ تعالى ، مُخْبِراً

عن نوح : ﴿ .. فَقُلت استغفروا رَبّكُم إنه كانَ غفّاراً يُرْسِلِ السّماءَ عليكم مِداراً وَيُمْدِدكُمْ بأمْوالٍ وَبَنِيْنَ وَيْجعل لَكُمْ جنّاتْ ﴾ الآيَـةْ ، وقَالَ تعالَى ﴿ والَّذِيْنَ إذا فَعَلوا فاحِشَةً أوْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ ذَكرُوا اللّهَ فاسْتَغْفرُوا لِذُنوبِهمْ ، ومَنْ يَغْفِرُ الذّنُوبَ الاّ اللّهْ ﴾. وقَالَ تَعالى : ﴿ وَمنْ يَعْمَل سُوءاً ويَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ ، يَجِدِ ، اللّه غَفُوراً رَحِيْما ﴾ .

وَعَنْ شَدّادِ بْنُ أوْسٍ ـ رَضْي اللّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النّبيّ صَلّى اللّهُ عليهِ وَسَلّمْ ، قالْ : « سَيِّدُ الاسْتِغفَارُ أنْ يَقُولَ العَبْدُ : اللّهُمّ أنْتَ رَبّي ، لَا إلهَ إلاّ أنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأنَا عَبْدُكَ ، وأنَا عَلى عَهْدِكَ ووَعدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْت ، أبوُءُ لَكَ بِنْعَمتِكَ عَلَيْ ، وأبُوء بِذَنبي ، فاغْفِرْ لِي ، إنَّهُ لاَ يَغْفُر الذُّنُوبَ إلا أنْتَ » .

وَعَنِ ابْنِ عُمَرْ ـ رَضْي اللّهُ عَنْهُما ـ قَالْ : إنّا كُنّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللّهِ صَلى اللّهُ عليهِ وَسَلّمْ في المَجْلِس يَقُولْ : « رَبِّ إغفِرْ لِي ، وتَبْ عَلَيْ ، إنّكَ أنْتَ التّوابُ الغَفُور » مِائةَ مَرّةْ .

وَعَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنُ بُسْرٍ ـ رَضْي اللّهُ عَنه ـ قالَ : قَالَ رسُولُ اللّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلّمْ : « طُوبَى لِمَنْ وُجِدَ في صَحِيْفَتِهِ : اسْتِغفَـارٌ كَثِيرْ »(٢) .

وعَنْ أبِي هَرَيْرَةَ ـ رَضْي اللّهُ عَنه ـ قَالْ : قَالَ رسولُ اللّهِ صَلّى اللهُ عليهِ وسَلّمْ : « انّ اللّهَ عَزّ وَجلْ لَيَرْفَعُ الدّرجَة لِلْعَبْدِ الصّالِحِ في الجَنّة فَيقُولُ : يَا رَبِّ ، أنّي لِي هَذِه ؟ فَيَقُولُ : باسْتِغْفارِ وَلَدِكَ لَكْ » .

وعَنْ ابْنُ عَبّاسٍ ـ رَضي اللّهُ عَنهُما ـ قَالْ : قَالَ رسولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عليهِ وسَلم : « مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جعَلَ اللّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرجَا وَمِنِ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجَا ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسَب »

وَعَن الأغَـرَ المُزَنِي ـ رَضي اللّهُ عَنْهِ ـ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عَلَيهِ وسَلّمْ : « إنَّهُ ليُغَانُ على قَلْبِي ، وَإنّي لأَسْتَغْفِرُ اللّهَ في اليوم مِائَةَ مَرَّةْ »

وَقَالَ حُذَيْفَةْ : كُنْتُ ذَرِبَ اللّسَانِ عَلَى اهْلِي ، فَقُلْتُ : يا رسولَ اللّهْ ، لَقَدْ خَشِيْتُ أنْ يُدْخِلنِي لِسَاني النّارْ ، فَقَالَ النّبيُّ صَلّى اللّهُ عليهِ وَسَلّمْ : « فأيْنَ أنْتَ مِنَ الاسْتِغْفَارْ ، فَإني لأسْتَغْفِرُ اللّهَ في اليوم مِائَةَ مَرّة » أخرْجَهُ النّسَائِي .

وَعَنْ زَيْدٍ مَـوْلـى رسولَ اللّه صَلّى اللّهُ عليهِ وَسَلَمْ ، أنّهُ سَمِعَ النّبِيَّ صَلّى اللّهُ عليهِ وَسَلّم يَقُولْ : « مَنْ قَالْ : أسْتَغْفِرُ اللّهَ الذي لا إلهَ إلاّ هُو ، الحَيّ القَيّومُ ، وأتُوبُ إليهِ غفَرَ لَهُ ، وإنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزّحْفِ » رواهُ أبو دَاوُدْ .

وَعَنْ أبي سَعِيدِ الخُدْرِي ـ رَضِي اللّهُ عَنه ـ عَنِ النّبي صَلّى اللّه عليهِ وسَلّم قال : « مَن قالَ حِينَ يأوِي الى فِرَاشِهَ : أسْتَغْفِرُ اللّهَ الذي لا إله الاّ هُو ، الحَيُّ القيومُ ، وأتوبُ اليْه ـ ثلاثَ مَرّاتْ ـ غُفِرَتْ لَهُ ذُنوبُه ، وانْ كانَت عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ ، وأنْ كانَتْ عَدَدَ أيامِ الدّنْيا » رواهُ الترمذي .

وَعَنْ أنَس ـ رَضِي اللّهُ عَنْه ـ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّه عليهِ وَسَلّمْ يقول : « قالَ اللّهُ تَعالى : يَا ابْنَ آدْم إنّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَني غَفَرْتُ لَكَ عَلى مَا كانَ مِنْكَ ولا أُبالي ، يا ابْنَ آدَم ، لو بَلَغَتْ ذُنوبُكَ عَنَانَ السَّماءِ ثُمّ اسْتَغْفَرتَني غَفَرَتُ لَكَ ولاَ أُبالي ، يا ابْنَ آدَمَ إنّكَ لَوْ أتَيْتَني بِقُرابِ الأرْض خَطَايَا ثُمّ لَقِيْتَني لا تُشرِكُ بِي شَيْئـا لأَتَيْتُـكَ بِقُرابِها مَغفَرةً » رواهُ التّرمذي . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصل : وَعَنْ أبي سَعِيْدٍ الخُدْري - رَضيْ اللّهُ عَنْه - عَن النَّبي ﷺ قَالْ : « قَالَ ابلِيْسُ : وَعِزّتكَ لا أَبْرَحُ أغْويْ عِبَادَكَ ما دَامَتْ أرواحُهُمْ في أجْسَادِهُم ، فَقَالْ : وَعِزّتِي وَجلاَلِي لا أزَالُ أغْفِرُ لَهُمْ ما اسْتَغْفَرُونِي » .

وَعَنِ الزُبَيْرِ - رَضي اللّهُ عَنْه - أنَّ رَسُولَ اللّه صَلّى اللّهُ عليه وسلم قال : « مَنْ احَبَّ انْ تَسُرَّهُ صَحِيْفَتُهُ فَلْيُكْثِر فِيها مِنَ الاسْتِغْفَارْ » .

وعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ - رَضِي اللّهُ عَنْه - عَنِ الرَّسُولِ صَلّى اللّهُ عليه وسَلَّمْ قالْ : « إنّ العَبْدَ إذَا اخْطأَ خَطِيئةً نَكَتَتْ في قَلْبِهِ نُكْتَةٌ ، فانْ هُوَ نَزَعَ واسْتَغْفَرَ صُقِلَتْ ، فَانْ عَادْ زِيْدَ فِيْها حَتى تَعْلُو قَلْبَهُ ، فذلِكَ الرّانُ الذِي ذَكَرُ اللّه تَعالى : ﴿ كَلّا بَلْ رَانَ عَلى قُلوُبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونْ ﴾ .

وَرُوِيَ عَنْ أنَسْ - رَضْي اللّهُ عَنْه - انّ رَسولُ اللّهِ صَلّى اللهِ عليهِ وسَلمْ قَالْ : « إنّ لِلْقُلوُبِ صَداً كَصَداِ النُّحَاسِ ، وجَلاَؤُهَا الاسْتِغْفَارُ » .

وَرُوِيَ عَنْ أنس بْنُ مَالِكَ - رَضْيَ اللّهُ عَنْه - قَالْ : كَانَ رسُولُ الله صلى الله عليهِ وسَلمَ في مَسِيْرَةٍ ، فَقَالْ : « اسْتَغْفِرُوا اللّهَ ، فاسْتَغْفَرْنا ، فَقَالَ : « أَتِمُوْهَا سَبْعِينَ مَرّةْ » فَأَتْمَمْنَاهَا ، فَقَالَ رَسولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عليهِ وَسَلّمْ : « مَا مِنْ عَبْدٍ وَلاَ أمَةٍ يَسْتَغْفِرُ اللّهَ في يَوْمِ سَبْعِيْنَ مَرّةً إلّا غَفرَ اللهُ لَهُ سَبْعُمِائَةَ ذَنْب ، وَقَدْ خَابَ عَبْدُ أو أمَة عَمِلَ في يَومٍ ولَيْلَةٍ أكْثَرُ مِنْ سَبْعِمائةِ ذَنْبٍ » .

وَعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ - رَضي اللّهُ عَنه - قَال : قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللهُ عَليهِ وسَلّم : « والّذي نَفْسِي بَيدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللّه تعالى بِكُمْ

وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللّهَ تعالى فَيَغْفِرُ لَهُمْ » رواهُ مُسْلِمٍ .

وَفِي حَدِيث سَلْمَانْ : « فاسْتَكْثِرُوا فِيه مَنْ خَصْلَتَيْنِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكَمْ وَخصلتين لا غِنَى لَكُمْ عَنْهُما ، فأمّا الخَصْلَتانِ اللّتَانِ تُرْضُونَ بهما رَبّكُمْ فَشهادَةُ أنّ لاّ إله إلاّ اللّهَ ، والاِسْتِغْفَارُ وَأَمّا التِي لاِ غِنَى بِكُمْ عَنْهُمَا فَتَسْألونَهُ الجَنّة وتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النّارْ » .

فَهذِهِ الخِصَالُ الأَرْبَعُ المذكُورَةِ في الْحَدْيثِ كُلّ مِنْهَا سَبَبٌ لِلْمَغْفِرةِ والعْتقِ مِنَ النارِ، فأمّا كَلِمَةُ الإخْلاصِ فإنّها تَهْدِمُ الذُّنُوبَ وتَمْحُوها مَحْواً ، ولاَ تُبْقى ذَنْباً ، ولاَ يَسْبِقُها عَمَلٌ ، وَهْيِ تَعْدِلُ عِتْقُ الرِّقَاب الّذِي يُوجِبُ الْعِتْقَ من النّارِ ، وَمَنْ أتى بِهَا حِيْنَ يُصْبِحُ وَحِيْنَ يُمْسِي أعْتَقَهُ اللّهُ مِنَ النّارْ ، وَمَنْ قَالها خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ حَرّمَهُ اللّهُ عَلَى النّارِ .

وَأَمّا كَلِمَةُ الاسْتِغْفَارُ فَمِنْ أعْظَمِ أسْبَابِ الْمَغْفِرَةْ . فَإِنَّ الاسْتِغْفَارَ دُعَاءُ بالمغْفِرَةْ ، وَدُعَاءُ الصّائِمِ إذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ الشّرُوطُ وانْتَفَتْ المَوانِعْ مُسْتَجَابٌ حَالَ صِيَامِهِ وعِنْدَ فِطْرِهْ .

وَفي حَدْيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ : « وَيَغْفِرُ اللّهُ إلاّ لِمَنْ أبَى ، قالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَمَنْ يَأبَى؟ قَالْ : يَأْبَى أنْ يَسْتَغْفِرَ اللّهْ » .

وَقَالَ لُقْمَانُ لابْنِهْ : يَا بُنَيَّ عَوِّدْ لِسَانَكَ الاسْتِغْفَارْ ، فَإِنَّ لِلّهِ سَاعَاتٍ لاّ يَرَدُّ فِيْهِ سَائِلاَ، وَقَدْ جَمَعَ اللّهُ بَيْنَ التّوْحِيْدِ والاسْتِغْفَارِ ، فيِ قَوْلِهِ : ﴿ فاعْلَمْ أنّهُ لا إلهَ إلاّ اللّهُ واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكْ ﴾ .

وَفي بَعْضِ الآثَارْ : أَنّ ابْلِيْس قَالَ : أَهْلَكْتُ النّاسَ بالـذنُوبِ وأهْلكُونِي بالاْستِغفارِ وَلاَ إلهَ إلاّ اللّهُ .

والاسْتِغْفَارُ خِتامُ الأعْمَالِ الصَّالِحَةِ كُلِّهَا فَيُخْتَمُ بِهِ الصَّلاةُ والحَجُّ والْقِيامُ في اللَّيْلِ وَيُخْتَمُ بِهِ المجَالِسُ ، فإنْ كانَتْ ذِكْراً كانَ كالطَّابَعِ عَلَيْهَا وإنِ كانَتْ لَغْواً كَانَ كَفَّارَةً لَها ، فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أنْ يُخْتَتَم صِيَامُ رَمَضانَ بالاسْتِغْفَارِ يُرَقِّعُ مَا تَخرَّقَ مِن الصِّيَامُ باللّغْو والرَّفَثِ « وَيَجتَهِدُ في الاكْثَارِ مِنَ الاعْمَالِ وَالتَّقَلُّلِ مِنْ شَواغِلِ الدُّنْيا والإقْبالِ على الآخِرَةِ ما دَامَ في قَيْدِ الحياةْ » .

تَضَرع إلَى رَبِّ العِزةِ والجلال :

اسْتَغفرُ الله عَمَا كَانَ مِن زَلَلٍ ... ومِنْ خَطَإٍ تَخطَّــا بالمُصِيْبَــاتِ
ولَيْسَ إلا إلى الرَّحمٰــنِ مُنْتجَعِــي ... فَهْوَ العَليمُ بأَحْوالِي ونِيّـاتِ
وهْوَ الرَّحيمُ ومَلْجَـا مَنْ يَلُوذُ بِهِ ... الكَاشِفُ الغَمِ القَاضِي لِحَاجَـاتِ
وقَدْ مَدَدْتُ حِبَـالِي رَاجِياً فَرَجاً ... ومُنْشداً قِيْلَ دَاعٍ ذِي امْتِحَـانَاتِ
فقُلْتُ مُشْتَكِياً مَـا قَالَ مُبْتَهِـلاً ... باللهِ مُرْتَجِياً تَفْـرِيجَ أزْمَـاتِ
فَصِلِ حِبَـالِي وأُوصَالِي بحَبلكَ يا ... ذَا الكِبْرِيَـاءِ وَحَقِّقْ فيكَ رَغْبَاتِي
أنَا الذَّلِيلُ أنَا المِسْكِينُ ذُو شَجَنٍ ... أَنَا الفَقِيرُ إلى ربِّ السـمواتِ
أَنَا الكَسِيرُ أنَا المُحْتَاجُ يَا أَمَلِي ... جُدْ لِي بِفَضْلِكَ واعْفُ عن خطيئاتِ
أَنَا الغَرِيبُ فلا أَهلٌ ولا وَطَنٌ ... أَنا الوَحِيْدُ فكُنْ لِي في مُلِمَّـاتِ
أَنا العُبَيْدُ الذِي مَا زِلتُ مُفْتَقِراً ... إليكَ يَا سَيدِي فِي كلِّ حالاتِ
لا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلْبَ مَنْفَعَةٍ ... ولا عَن النَّفْسِ لِي دَفْعَ المَضَـرَّاتِ
مَالِي سِوَاكَ ولا لِي عَنْكَ مُنْصَرَفٌ ... ذِكْرَاكَ في القَلْبِ قُرآنِي وآياتِ
أَنْتَ القَدِيْرُ عَلى جَبْرِي بوَصْلِك لِي ... أَنْتَ العليمُ بأَسْـرارِ الخَفِيّـاتِ
أُدعوكَ يَا سيِّدي يَا مشتكى حَزَنِي ... يَا جَابري يَا مُغيثي في مُهِمّاتِ
فانظر إلى غُربتي وارحَمْ ضَنَا جَسدي ... يَا رَاحمَ الخَلقِ يَا بَارِى البريّاتِ
وقَدْ دُهِيتُ فلم يُسْمَعْ وقُلْتُ فَمَا ... أَجْدَى لَدَى ناصِرِي فاسمعْ شِكَاياتِ

أنتَ المغيثُ وأنتَ المستعانُ ولا تَخْفى عليكَ إرادتِي وغـاياتِ
وناصِري غَاضَنِي بَلْ هَاضَنِي وشَفا أوغَارُ قَومٍ بَغَوا واعْظَمَ لَوعاتِ
يَا قَادِراً قاهِراً مَن كَانَ ذَا عَنَتٍ أنْتَ القَديرُ لِقَهرِ الظالِمِ العَاتِ
يَا ربِّ فاغفرْ لمن لَمْ يدرْ ماقَصدُوا وما أراد الأعادِي مِنْ مَعسـرّاتِ
وأنْتَ يَا سَيِدي يَا مُنْتَهى أمَلِي تَدْرِي وتَعْلمُ مَقْصدِي ونِيَّـاتِ
والرَّاحـمُ الكافلُ الكافي لآمِـلِهِ الماجِدُ الغَـافرُ المَاحِي لِزلَّاتِ
ومَا اقْترَحْتُ ومَا قَدْ كُنتُ مُجْتَرِحاً مِن الذُنوبِ فإني ذُو الخَطِيـآتِ
وإبْسُطْ بِفَضلِكَ لِي مَا كُنتُ آمِلُه يَا مَنْ له الفَضلُ مَحْضاً في البرِّياتِ
ومَن لَه الجُودُ والموجُودُ أجْمَعُهُ والخَلْقُ والأمرُ ثم الكَائِنُ الآتِي
وعبـدُكَ المشتكِي والمُرتَجِي فَرَجاً لاطِفْـه وارْحَمْه واحْفُفْ بالعِنَايَاتِ
وَصل يَا رَبِّ مَا هَبَّ النسيمُ ومَا غَنَّى الحمَامُ على أفنـانِ أيْكَاتِ
عَلى النَّبي الأمِينِ المُصْطَفى شَرف والآلِ والصحبِ أصحَابِ الكراماتِ

اللهُم يا عالمَ الخَفياتِ وَيَا سَامِعَ الأصْواتِ ويَا بَاعِثَ الأمْواتِ وَيَا مُجِيْبَ الدَعوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الحَاجَاتِ يَا خَالَق الأرْضِ والسَّمواتِ أنْتَ اللَّهُ الاحدُ الصمدُ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أحد الوَهَّابُ الذي لا يَبْخَلُ والحَـليمُ الذي لا يَعْجَـلُ لا رادَّ لامْـرِكَ ولا مُعَقِّـبَ لِحُكمِكَ نَسْـألُكَ أنْ تغفرَ ذونوبَنَا وتُنور قلوبنَا وَتُثَبِّتَ محبَّتَكَ في قُلوبِنا وَتُسْكِنَنا دَارَ كَرَامتِكَ إنكَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَديرٍ وَصَلَّى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

شِعْرًا : تَزوَّجَتِ البَطَالَةُ بِالتَّوانِيْ فَأوْلَدَهَـا غُلاماً مَعْ غُلامَـهْ
فَأمَّـا الإبْـنُ فَسَمَّـوْهُ بِفَقْـرٍ وَأمَّا البِنْتُ سَمَّوْهَا نَدَامَـهْ

حث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة

إذَا هَبَّتْ رِيـاحُك فاغْتَنِمْهَـا فإنّ لِكُـلِّ خَافِقَـةٍ سُكُـونُ
وإنْ دَرَّتْ نِيـاقُكَ فاحْتَلِبْهَـا فَمَا تَدْرِي الفَصِيْلُ لِمَنْ يَكُونُ

بسم الله الرحمن الرحيم

(خَاتِمَةٌ ، وَصِيَّةٌ ، نَصِيْحَةٌ

إِعْلَمِ وَفَّقَنَا الله وإِيَّاكَ وجَمْيعَ المسلمين لما يحُبُّهُ الله ويَرضَاهُ أَنَّ مِمَّا يَجِبُ الاعْتِنَاءُ بِهِ حفْظًا وعَمَلًا كلام الله جَلَّ وعَلَا وكَلام رسوله ﷺ .

وأنه يَنْبغِي لَمنْ وَفَّقَهُ الله تعالى أَنْ يَحُثَّ أَوْلَادَه على حفْظ القُرآن وما تَيَسَّرَ مِن أَحَاديث النبي ﷺ المتفق على صحَّتِهَا عنه كالبُخَاري و مُسْلم .

ومِن الفقه مختِصَر المقْنِع لِيَتَيَسَّرَ لَهُ استِخْرَاجُ المسائل ويَجْعَلُ لأوَلادِهِ مَا يَحُثُهُمِ على ذَلِكَ .

فَمَثَلًا يَجْعَلُ لِمِنْ يَحْفَظُ القُرآنَ على صَدْرِه حِفْظًا صَحِيْحًا عَشَرَةَ آلافِ أَوْ أَرْيَد أَوْ أَقل حَسَبَ حَالِهِ في الغنَى .

ومِن الأَحَادِيث عُقودَ اللُؤلؤ والمرَجَان فِيْماَ اتّفَقَ عَلَيْهِ الإمَامَانِ البُخَارِي ومُسلم ، يَجْعَلُ لَمِنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّةَ آلاف (٦٠٠٠) .

فإِنْ عَجزوا عن حِفْظِهَا فالعُمدة في الحديث يَجْعَلُ لِمَنْ حَفظها ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) أَوْ الأَربعِيْن النّواوِيَّة ويَجْعَل لمن يَحْفَظُهَا أَلْفاً (١٠٠٠) .

ويَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ مُخْتَصَرَ المقنع في الفِقه أَلْفَين (٢٠٠٠) مِن الريالات فالغَيبُ سَبَبٌ لحفظ المسائل وسَبَبٌ لسُرعَةِ استِخْرَاج ما أُرِيْدَ مِن ذَلِكَ وما أَشكَلَ مَعْنَاه أَوْ يُدَخِلهُم فى مَدَارِسِ تَحَفِيْظِ القُرآن في بُيُوتِ الله أو البُيُوتِ المُعَدَّةِ لِذَلِكَ فَمَدَارِسُ تَعْلِيْم القُرآنِ وَالسُّنَّةِ هِيَ مَدَارِسُ التَّعْلِيْمِ العَالِيْ الممْتَازِ البَاقِي النّافِعِ في الدُنْيَا والآخرِةِ أَوْ يُدْخِلهم في حَلقَاتِ تحفيظ القرآن الكَرْيم الموجودة في المَسَاجد .

فَمَنْ وَفَّقَهُ الله لِذَلِكَ وعَمِلَ أولادُهُ بذَلِكَ كان سَبَباً لحُصُولِ الأَجر مِن الله وسببَاً لِبرّهِم بهِ ودُعَائِهم لَهُ إذَا ذَكَروْا ذَلِكَ منه ولَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سبَباً مُبارَكاً يَعْمَلُ بِهِ أَوَلَادُهُ مَعَ أولادِهم فَيَزِيْدُ الأَجْرُ لَهُ ولَهُم نَسْأَلُ الله أَنْ يُوفِّقَ الجَميعَ لِحُسْنِ النّيَةِ إِنَّهُ القادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

وَلَمْ أرَى لِلْخَلائِقِ مِنْ مُـــرَبٍ كَعِلْمِ الشَّرعِ يؤخذ عن ثقـــاتٍ
بِبَيْتِ الله مَدْرَسَةِ الأوالِـــي لِمَنْ يَهْوَى العُلومَ الرَّاقِيَـــاتِ

(فصـــل)

النصيحة مرتان : فالأولى فرض وديانة ، والثانية تنبيه وتذكير ، وأما الثالثة فتوبيخ وتقريع إن أمكن ولم يحصل عليك ضرر ، والنصح سراً لا جهراً وبتعريض لا تصريح إلا أن لا يفهم المنصوح تعريضَك فلابد من التصريح ، ولا تنصح على شرط القبول منك فإن تعديت فأنت مخطىء .

مَن أردت قضاء حاجته بعد أن سألك إياها أو أردت إبتداءه بقضائها فلا تعمل إلا ما يريده هو لا ما تريده أنت وإلا فأمسك فإن تعديت هذا كنت مسيئاً لا محسناً .

لا تنقل إلى صديقك ما يؤلم نفسه ولا ينتفع بمعرفته ولا تكتمه ما يستضر بجهله ولا يسرك أن تمدح بما ليس فيكَ لأنه نقصكَ يُنَبِّهُ الناس عليه بل الذي ينبغي لكَ غمُكَ بذلك وقديماً قيل :

وَمَدْحُكَ الشَّخْصَ بالأخلاق يَعْدمُها لِلْحُرِّ ذِي اللُّبِ تَبْكِيْتٌ وتخجيل

ما شيئٌ أضْيَعُ وأضْعَفُ مِن عالِمٍ تَركَ الناسُ عِلْمَهُ لِفسادِ طَرِيْقَتِهِ وما شيئٌ أضيَعُ وأضعفُ مِن جَاهِلٍ أخذَ الناسُ بجَهْلِهِ لِنَظَرِهم إلى عِبَادَتِهِ .

وَرُوِي أن عُمَرَ أُتِي بشاهد عنده فقال له إئتني بمَنْ يَعْرِفُكَ فأتاه برجُل فأثنى عليه خَيْرًا ، فقال لَه عُمر أنتَ جارُه الأدْنَى الذي يَعْرِفُ مَدخله ومَخْرَجه .

قال لا قال فكنتَ رَفِيْقَه في السَّفَر الذي يُسْتَدَلُ به على مكارم الأخلاق ، قال لا قال فعَامَلْتَهُ بالدرهم والدينار ، قال لا .

قال أظُنُّكَ رَأيتَه قائماً في المسجد يُهَمْهِمُ بالقرآن يَخْفِضُ رَأسَه طورْاً ويَرفعُه أخرى .

قال نعمْ قال إذهَبْ فلستَ تَعْرفُه ثم قال للرجل إذهَب فأتني بمَنْ يَعْرفك».

من علامات الاستدراج العمى عن العيوب وصرف نعم الله في معاصيه وخير الرزق ما سلم من الاثم في الاكتساب والغش في الصناعة والسلامة من أثمان المحرمات كالمسكرات والدخان والتلفزيون والفيديو والكورة والورق التي يستعملها سُخَفاء العقول والبعيدون عن الدين ، أراح الله المسلمين منها ومنهم وجميع آلات المعاصي والملاهي والسلامة من الربا بجميع أنواعه .

من شغله طلب الدنيا عن الآخرة ذل ، إما في الدنيا وإما في الآخرة ، ومن نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال .

للانسان المفرط موقفان يندم الإنسان فيهما على ضياع الوقت ندامة عظيمة حيث لا ينفع الندم ، ولا يفيد التأسف والحزن .

الأول : ساعة الاحتضار حين يَسْتَدْبر الانسان الدنيا ويَسْتَقْبِلُ الآخرة ويتمنى لو أمهل بُرْهَةً من الزمن لِيَتلافى ويصلح ما أفسد وهيهات .

قال تعالى ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ﴾ .

والجواب على السؤال الذي قد فات أوانه ﴿ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ﴾ .

الموقف الثاني : في الآخرة قال تعالى ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ﴾ الآيات .

وقال تعالى ﴿ وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ .

وقال تعالى ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ الآيات .

وقال تعالى ﴿ أو لم نعمركم ما يتذكر فِيهِ من تذكر وجاءكم النذير ﴾ .

قال بعض العلماء : أفضل البكاء بكاء العبد على ما سلف من ذنوبه

ومعاصيه وعلى ما فات مِن أوقاته في غير طاعة الله جل وعلا وقال إنما يخاف المؤمن الموت لخوفه مِن الذنوب والانقطاع عن الأعمال الصالحةِ مِن ذكر الله وما والاه من جميع أفعال الطاعات والقربات وإلا فأحَبُّ شيء إليه لِقاءُ رَبِهِ جَلّ وعـــلاالواجب على الإنسانْ العاقل أن يحافظ على وقته أكثر من محافظته على ماله وأن يحرص على الاستفادة منه فيما ينفعه ويقربه إلى الله عز وجل .

ولقد كان السلف أحرص ما يكونون على أوقاتهم لأنهم يعرفون قيمتها ولذلك يقول الحسن البصري : أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم .

وقال يا ابن آدم إنما أنْتَ أيام مجموعة كلما ذهب يوم ذهب بعضك .

وقال آخر : الوقت إذا فات لا يستْدرك ولا شيء أعز منه .

وكانوا يحرصون كل الحرص ألا يمر زمن ولوْ يسيراً دون أن يتزود فيه بعمل صالح أو علم نافع أو مجاهدة للنفس أو إيصال نفع إلى قريب أو بعيد .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزدد فيه عملي .

وقال آخر : كل يوم يمر بي لا أزداد فيه علماً يقربني من الله عز وجل فلا بورك في طلوع شمس ذلك اليوم .

إذا مر بي يومٌ ولم أقْتَبِسْ هـــــدى ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري

من جهل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه يوم يعرف فيه قيمة الوقت ولكن بعد فوات الأوان ويتمنى أنه شغل وقته الماضي بالباقيات الصالحات من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير وقراءةٍ لكتاب الله وصلاة وصيام وزكاة وحج وبر وصلة رحم ونحْو ذلك مما يجده موفراً أحوج ما يكون إليه .

إذا أنـت لـم تـزرع وأبصـرت زارعـا نَدِمتَ على التفريط في زمن البذر

قيل لأحد العلماء ما بال كتب السلف وكلامهم ومواعظهم أنفع من كلامنا وكتبنا ومواعظنا ، قال لأنهم يتكلمون لِعزّ الإسلام ونفع المسلمين ورِضا الرحمن وإزالة ما يضر الإسلام والمسلمين .

ونحن نتكلم لِعِــزِّ النَّفْسِ وطلب الدنيـــا وقبولِ الخَلْقِ والشهرة والظهور والتَّصَنُّع والرِّيَاء . وطلب المدح والثناء .

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : اتق الله بطاعته وأطع الله بتقواه والتَخَفْ يَدَاكَ مِن دِماء المسلمين وبطنُكَ مِن أموالهم ولِسانُكَ مِن أعراضهم وحاسب نفسَك في كل خطوة وراقب الله في كل نفس . والله أعلم .

(فصـــــل)

وقال ابن القيم :

دافع الخَطْرة فإن لم تفعل صَارَتْ شَهوةً فإن لم تفعل صارَتْ عَزِيمةً وهمة فإن لم تدافعها صارت فعلا فإن لم تداركه بصده صار عادة فيصعب عليك الانتقال عنها .

واعلم أن كل علم اختياري هو الخواطر والأفكار فإنها توجب التصورات والتصورات تدعو إلى الارادات والارادات تقتضي وقوع الفعل وكثرةُ تكراره تعطي العادة .

فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار وفسادها بفسادها وصلاح الخواطر بأن تكون مراقبة لوليها وإلاهها صاعدة إليه دائرة على مرضاته ومحابه فإنه سبحانه به كل صلاح ومن عِنْده كل هدى ومن توفيقه كل رشد ومن توليه لعبده كل حفظ ومن تولى العبد عنه وإعراضه عنه كل ضلال وشقـــاء .

واعلم أن الخطرات والوساوس تؤدي متعلقاتها إلى الفكر فيأخذها الفكر فيؤديها إلى التذكر فيأخذها التذكر فيؤديها إلى الإرادة فتأخذها الإرادة فتؤديها إلى الجوارح والعمل فتستحكم فتصير عادة فَرَدُّهَا مِن مَبادِئها أَسْهَلُ مِن قطعِهَا بَعْدَ قُوتها وَتمامهَا .

ومعلوم أن الانسان لَمْ يُعْطَ إماتةَ الخَواطِرِ ولا القُوةَ على قطعِها فإنها تهجُم عليه هُجُومَ النفْسَ إلا أن قُوةَ الإيمانِ والعقل تُعِينُه على قبول أَحْسَنِها ورضاه به ومُسَاكنَتِهِ له وعلى دفع أقبحها وكراهته له ونفرته منه .

وقد خلق الله النَّفسَ شبيهةً بالرحى الدائرة التي لا تسكن ولابُدَّ لها من شيء تطحنُه فإن وُضِعَ فيها حَبٌّ طحَنَتْهُ وإن وضعَ فيها ترابٌ أو حَصَى طَحَنَتْهُ فالخواطر والأفكار التي تَجُولُ في النَّفْسِ هي بِمَنْزِلَةِ الحبِّ الذي يوضع في الرحى ولا تبقى تلكَ الرحى مُعَطَّلَةً قطُ بَل لابُدّ لها مِن شيء يُوضَعُ فيها .

فمن الناس مَن تطحنُ رَحَاهُ حَبًّا يَخْرُجُ دَقِيقاً يَنْفَعُ به نفسَه وغَيْرَهُ وأكثرهم يَطْحَنُ رَمْلاً وحَصَى وتبْنًا ونحو ذلك فإذا جاء وقتُ العَجْنِ والخَبْزِ تَبَيَّنَ له حَقِيْقَةُ طَحِيْنِهِ أ هـ قُلْتُ وبعضهم من يَطْحَنُ برحاه نجاسات كالزناة واللوطية واللصوص وأهل الملاهي وجميع الفسقة .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه إرض بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس واجتنب ما حرم الله عليك تكن من أورع الناس وأد ما افترض الله عليك تكن مِن أعبد الناس .

وقال ابن القيم رحمه الله : لله سبحانه على كل أحَدٍ عُبوديةٌ بحسب مرتبته سِوَى العبودية العامة التي سَوّىَ بينَ عباده فيها .

فعلى العالِمِ مِن عُبُودية نَشْرِ السُّنَةِ والعِلم الذي بَعَثَ الله به رسوله ﷺ ما ليس على الجاهلِ وعليه عُبوديةُ الصبر على ذلك ما ليس على غيره .

وعلى الحاكم مِن عبودية إقامة الحق وتَنفيذِهِ وإلزامِهِ مَن هو عليه بهِ والصبر على ذلك والجهاد عليه ما ليس على المفتي وعلى الغني مِن عبودية أداء الحقوق التي في ماله ما ليس على الفقير .

وعلى القادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيده ولسانه ما ليس على العاجز عنهما .

وقد غَرَّ إبليسُ كثيراً مِن الخلق بأن زَيَّنَ لهم الاقتصارَ على القيام بنَوع مِن الذِكْرِ والقِراءة والصلاة والصيام والزُهدِ في الدنيا والانقطاع عن الاختلاط بالناس وعَطَّلُوا القِيام بالعبوديات المتعدي نفعُها المتقدم ذكرها .

وإذا قُلْتَ لأحَدِهِم كيفَ حَالُكَ قال بخير وسرور وأي خير وسرور فيمن

يَرى مَحَارِمَ الله تُنْتَهَكُ وحُدُوْدَهُ تُضَاع والمنكرات والملاهي في البُيُوت والأسواق وهو بَارِدُ القَلْب مُداهنٌ سَاكِتٌ لا يشعر بهذا النقص العظيم وعند نقوص الدنيا يَشْتَغِل قلبُه ولسانُه وجسدُه ولله در القائل :

ما لِي أرىَ الناس والدنيا مُوَلِّيَةٌ وكُلُّ جمعٍ عليها سَوفَ يَنْتَثِرُ
لا يَشْعُرونَ إذا ما دِيْنُهم نُقِصُوا يَوماً وإن نُقِصَتْ دُنْيَاهُمُ شَعِرُوْا

آخر : وعِندَ مُرادِ الله تَفْنَى كَمَيْتٍ وعَند مُرادِ النَّفْس تُسْدِيْ وتُلْحِمُ

آخر : تَراه يَشفقُ مِن تضييع دِرْهَمِهِ وليس يَشفقُ مِن دِيْنٍ يضيعه

آخر : تفكر في نقصانِ مالكَ دَائِماً وتغفلُ عن نُقصان دينك والعُمْرِ
ويُلْهِيكَ خَوْفُ الفقْرِ عن كُلِّ طاعَةٍ وخِيْفَةُ حَالِ الفقرِ شَرٌ مِنَ الفقْرِ

قال بعض العلماء : إلزم الأدبَ وفارق الهوَى والغضبَ واعمل في أسباب التَّيَقُظِ واتَّخِذْ الرِّفْقَ حِزبًا والتَّأني صَاحِبَات والسلامةَ كَهْفًا والفراغَ غَنِيْمَةٍ والدُنْيَا مَطِيَّةً والآخرة مَنْزِلًا .

شعراً :

وأصبحتُ فيما كنتُ أبْغي من الغِنَى إلى الزُهْدِ في الدنيا الدنيةِ أحْوَجَا
وحَسَّبْتُ نفسي بَيْنَ بَيْتِي ومَسْجدي وقد صِرْتُ مِثْلَ النَّسْرِ أهْوَى التَّعَرُجا

وقال الحسنُ البصري إن الله لم يَجْعَلْ لِلْمؤمِن رَاحَةً دونَ الجنة . وقال فُضَيْلُ ليسَ الغَريبُ مَن يمشي مِن بلد إلى بلد ولكن الغَرِيْبَ صَالِحٌ بَيْنَ فُسَّاق قُلْتُ :

لَيس الغِريب غَريب الشَامِ واليمن إنَّ الغَريبَ تَقِيٌّ بَيْنَ فُسَّاقِ

وقال آخر : احْذَرِ الغفلةَ ومَخَاتِلَ العَدُو وطَرَبَاتِ الهَوى وأماني النفس وضراوةَ الشَّهْوَةِ قال ابنُ القيم واعلم أن الصبر على الشهوة أسهلُ مِن الصبر على ما تُوجِبُه الشَّهْوَةُ .

فإن الشهوةَ إما أنْ تكون توجِبُ ألماً وعُقوبة .
وإما أن تقطعَ لَذَةً أكملَ مِنها .
وإما أن تُضيِّعْ وقتاً إضاعَتُهُ حَسْرَةٌ ونَدَامَةٌ .

وأما أن تَثْلِمِ عِرْضاً تَوْفِيرُهُ أنفعُ لِلعبدِ مِن ثَلْمِهِ .

وإما أن تُذْهِبَ مَالاً بَقَاؤهُ خيرٌ مِن ذهابِهِ .

وإما تَضَعَ قدراً وجاهاً قيامُه خَيْرٌ مِن وَضْعِهِ .

وإما أن تسلبَ نِعْمَةً بقاؤها ألَذُّ وأطيبُ مِن قضاءِ الشهوة .

وإما أن تُطرّقَ لِوَضِيْعٍ إليكَ طَرِيْقاً لم يكُنْ يَجدُها قبلَ ذلك .

وإما أن تجلبَ هَماً وغماً وحُزْناً وخَوْفاً لا يُقَارِبُ لَذَّةَ الشهوة .

وإما أن تُنْسِيَ عِلْماً ذِكْرُهُ ألَذُّ مِن نَيْلِ الشهوة .

وإما أن تشمِتَ عَدُواً وتُحْزِنَ وَلِياً .

وإما أن تقطعَ الطرِيْقَ على نِعْمَةٍ مُقبلَةٍ .

وإما أن تُحْدِثَ عَيْباً يَبْقَى صِفَةً لا تَزُوْلُ ، فإن الأعمال تُورِثُ الصِّفاتِ والأخلاق أ هـ .

وقال المحاسبي رحمه الله : اطْلُبْ آثارَ مَن زَادهُ العِلْمُ خشْيَةً والعَمَلُ بَصِيْرَةً والعقلُ مَعْرِفَةً .

واعْلَمْ أنَّ في كُلِّ فِكْرةٍ أدَبا وفي كُلِّ إشارةٍ عِلْماً وإنما يُمَيِّزُ ذلكَ مَن فَهِمَ عن الله مُرادَهُ وجَنَى فوائدَ اليقين مِن خِطابه وعلامةُ ذَلك في الصادِقِ إذا نَظَرَ اعْتَبَرَ وإذا صَمَتَ تَفكَّرَ .

وإذا تكَلَّم ذَكَرَ وإذا مُنِعَ صَبَر وإذا أُعْطِي شَكَر وإذا أُبتُلِيَ اسْتَرْجَعَ وإذا جُهِلَ عليه حَلُمَ وإذا عَلِمَ تَواضَعَ وإذا عَلَّمَ رَفَقَ وإذا سُئِلَ بَذَل .

شِفَاءٌ لِلْقَاصِدِ وعَوْنٌ لِلْمُسْتَرشِد حَلِيْفُ صِدْقٍ وكَهْفُ بِرٍ قَرِيْبُ الرِضا في حَقِ نَفْسِهِ بَعِيْدُ الهِمَّةِ في حَقِ الله تعالى نِيَّتُهُ أفضَلُ من عَمَلِه وعَمَلُهُ أبلغُ مِن قولِهِ .مَوْطِنُه الحقُ ومَعْقِلُه الحَياءُ ومَعْلُومُهُ الوَرَعُ وشَاهِدُهُ الثِقَةُ لَهُ بَصائِرُ مِن النُور يُبصرُ بها وحقائِقُ مِن العلم ينطق بها ودلائلُ مِن اليقين يُعَبِّرُ عنها .

يَحْسِبُه الجَاهلُ صِمِّيْتاً عَيِيَا وحِكْمَتُهُ أصْمَتَتْهُ ويَحسِبُهُ الأحمقُ مِهْذَاراً والنَصِيْحَةُ لله أنْطَقَتْهُ ويَحسبُه الجاهلُ غنياً والتعَفُّفُ أغناه ويَحسبُه فَقِيْراً والتواضعُ أدناه .

لا يتعرض لما لا يَعْنِيه ولا يَتكلف فوقَ ما يكفيه ولا يأخذُ ما ليسَ بمُحْتاج إليه ولا يَدَعُ ما وُكّل بحِفْظِهِ الناسُ منه في راحة وهو مِن نفسِهِ في تَعَب قد أماتَ بالوَرَعِ حِرصه وحَسَمَ بالتُقى طَمَعَه وأماتَ بنُور العِلمِ شَهَوَاتِهِ .

فهكذا فكُنْ ولمِثْلِ هؤلآء فاصْحَبْ ولآثارهم فاتبع وبأخلاقهم فتأدَبْ واعْلَمْ وَسَّعَ الله بالفَهم قَلْبَكَ وأنارَ بالعِلم صَدْرَك وجَمَعَ باليقين هَمَّكَ أني وَجَدْتُ كُلّ بَلاءٍ دَاخِلٌ على القلب مِن نِتَاجِ الفُضُول وأصْلُ ذلك الدخُولُ في الدنيا بالجهلِ ونِسْيانِ المَعَادِ بعدَ العِلم .

والنجـــاةُ مِن ذلكَ تَركُ كُلِ مَجْهُولٍ في الـــوَرع وأخذ كل مَعْلُوم في اليقين أ هـ .

وإذا اشتبهَ عليكَ أمرٌ من الأمور أو خَفِيَتْ عليكَ قضيةٌ فارْجِعْ إلى الكتاب والسنة ولا تحتكِمْ فيها إلى العقلِ لأنه يَقْوَى ويَضْعُف أ هـ ويَتَأَثَّرُ بالمُؤثِرات .

قال ابن المبارك القلبُ مِثل المِـرآة إذا طالَتْ صَدِئَتْ وكالدابةِ إذا غَفَلَ عنها عَدَلَتْ عن الطريق .

وقال أحَدُ الحكماء : القلبُ مِثلُ بَيْتٍ له سِتّةُ أبواب ثم قِيْلَ إحْذَرْ ألا يَدْخُل عليكَ مِن أَحَدِ الأبوابِ شيءٌ فيُفْسِد عليكَ البَيْتَ .

والأبوابُ هي العَيْنانِ واللسانُ والسمعُ والبصرُ واليدانِ والرِجْلانِ فمتى انْفَتَحَ بابٌ مِن هذه الأبواب بغير علم ضاعَ البيت .

وفَرْض اللسان الصدق في الرضا والغضب وكفُ الأذى .

وفرضُ البصر الغَضُّ عن المحارم وتَرْكُ التطلع فيما حجُبَ وسُتِرَ .

وفَرضُ السمعِ تَبَعُ للكلام والنَّظر فكلُ ما لا يَحِلُ لكَ الكلامُ فيه والنظرُ إليه فلا يحل لكَ استماعُه ولا التلذُذُ به والبَحْثُ عمَّا كُتِمَ عَنْكَ تجسُسٌ .

وسماع اللهو والغناء وأذى المسلمين حرام كالميتة ، سُئِلَ القاسم عن سماع الغناء فقال : إذا مَيَّزَ اللّهُ بينَ الحقِ والباطلِ يومَ القيامةِ أيْنَ يَقعُ الغِنَاء قِيْلَ في حَوْزِ الباطلِ قال فأفْتِ نفسَكَ .

وفرض اليدين والرجلين أن يكفهما ولا يبسطهما إلى محرم ولا يقبضهما عن حق وفرض الأنف أن لا يشم ما لا يجوز له شمه . قلت وقد ترك بابا وهو أهمها وأخطرها وهو الفرج وفرضه حفظه عما عدا الزوجة والمملوكة قال تعالى ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ .

واعلم أن أنجى الطريق العمل بالعلم والتحرز بالخوف والغنى بالله عز وجل فاشتغل بإصلاح حالك وافتقر إلى ربك وتنزه عن الشبهات وأقلل حوائجك إلى الناس فإن كثير الحاجات مملول عند القريب والبعيد .

لا تَسْأَلَنَّ إلى صَـديق حَاجَـةً ... فيحول عنكَ كما الزمانُ يَحُـولُ
واستغن بالشيء القليل فإنَّـهُ ... مَا صَانَ عِرْضَكَ لا يُقَالُ قليـلُ
مَن عَفَّ خَفَّ على الصَّدِيقِ لقاؤهُ ... وَأخو الحَوائج وَجْهُـهُ مَمْلـُولُ
وأخُوكَ مَن وَفَّرتَ ما في كفِّـهِ ... ومَتى عَلِقْتَ بِهِ فَأَنْتَ ثقيـلُ

قيل لأحد الفقراء ما أفقرك فقال لو عَرَفْتَ راحَةَ الفقرِ لَشَغَلَكَ التوجعُ لِنَفْسِكَ عن التَّوَجُعِ لي فالفقرُ مَلِكٌ ما عليه مُحَاسَبَة وقيل له لما لا يرى أثر الحزن عليك فقال لأنَّني لم أتخذ شيئا يحزنني فقده .

وقال بعض الحكماء مَن أَحَبَّ أن تقلَ هُمومُه ومَصَائِبهُ فليُقْلِلْ قُنْيَتَهُ لِلخارجات مِن يده لأن أسبابَ الهمِ فوتُ المطلوبِ أو فقدُ المَحبوب ولا يسلم منهما إنسان قال الشاعر :

ومَـن سَرَّه أنْ لا يَـرى مَـا يَسُـوْؤُهُ ... فلا يَتَّخِـذْ شيئاً يَخَـافُ لـه فَقْدَا

وذكر أنه لما غَرقَتِ البَصْرَةُ أخَذَ الناسُ يَسْتَغِيثون لإخراج أموالهم فخرج الحسنُ رضي الله عنه ومَعَهُ قَصْعَتُه وعَصَاه فقال نجا المخفون وقِيْلَ لِأحَدِ الزُهَادِ أتَرضَى مِن الدنيا بهذه الحالة فقال ألا أدلك على مَن رضي بدون هذا قال نعم قال مَنْ رَضِي بالدُنْيَا بَدلاً مِن الآخرة .

وقيل لمحمد بن واسع رحمه الله أتَرضَى بالدُونِ فقال إنما رَضِيَ بالدُون مَن رَضِي بالدنيا بَدَلاً مِن الآخرة . وقال زَاهِدٌ لِمَلِكٍ أنْتَ عَبْدُ عَبْدِي لأنك

تعبد الدنيا لِرغبتك فيها وأنا مَوْلَاهَا لِرَغبتي عنها وزُهْدِي فيها . **شعراً** :

أنت الأميرُ على الدنيا لِزُهْدِك في حُطَامِها وطريقُ الحق مُسْلُوكَ
وأنْتَ عَبْدُ لها ما دُمْتَ تَعْشِقُها إن المُحِبَّ لمن يَهْواهُ مُمْلوكُ

آخر : أَرَى الدُّنْيَا لِمَن هِيَ في يَدَيْهِ عَذاباً كُلَّما كَثُرتْ لَدَيْهِ
تُهِيْنُ المُكْرِمِينَ لَها بصُغْر وتُكْرِمُ كُلَّ مَن هَانَتْ عليه
إذا اسْتَغْنَيْتَ عن شيء فَدَعْهُ وَخُذْ ما أنْتَ مُحْتَاجٌ إلَيْهِ

آخر : أَرَى أشْقياءَ الناسِ لا يَسْأمُونَهَا على أنَّهُم فيها عُراةٌ وجُوَّعُ
أراهَا وإن كانَتْ تُحَبُّ كأنَّهَا سَحَابَةُ صَيْفٍ عن قليلٍ تَقَشَّعُ

وقال مَالك بن أنس : كنا عندَ جَعفر بن محمد فدخل سفيان الثوري فقال له حَدِّثني رَحِمَكَ الله فقال يا أبا عبدالله أكثر من الحديث أعلِّمُكَ ثلاثاً خيرٌ لك من مال كثير يا سفيان إذا أنعم الله عليك نعمة فأكثر من الحمد لله فإن الله تعالى يقول ﴿ لَئِنْ شكرتُم لأزيدَنَّكم ﴾ .

وإذا قَلَّتْ نَفَقَتُكَ فعليكَ بالاستغفار فإنَه يَزِيْدُكَ من المال والولد والنعمة قال الله تعالى ﴿ استغفروا ربكم إنه كانَ غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾ وإذا اشْتَدَّ بك الكرب فعليك بلا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة فجعل سفيان يقولها ويعدها في يده ثلاثاً .

وقال رجل لعمر بن عبدالعزيز عليك بما يبقى لك عند الله فإنه لا يبقى لك ما عند الناس فبلغ ذلك الزهري فقال لقد وعظه بالتوراة والأنجيل والفرقان .

من أصعب الأشياء على الانسان مَعرفَتُه بعُيوبه والإمساك عن الدُخول فيما لا يَعْنِيْه . قُلْتُ والغيبة والكذب والرياء .

مما يَجبُ الابتعاد عنه والتحذير منه مُجَالسَةُ أهل الفسَاد لأنه يَعْلَقُ

بالانسان مِن مُجالَستِهم والاتصالِ بهم أضْعَاف ما يَعْلَقُ بهِ من مُجالَسة لعُقَلاء لأنَّ الفَساد أشَدُّ التِحاماً بالطِّباع والنَّفسُ والشيطان يُسَاعِدانِ على ذلك .

وما يَنْفَعُ الجَرْبَاءَ قُرْبُ صَحِيْحَةٍ إليْهَا ولَكِنَّ الصَّحِيْحَة تُجْرَبُ

العاقِل حَقِيقةً هُو مَن آثَرَ الطاعَةَ على المعصيةِ وآثر العِلْمَ على الجهل وآثر الدِينَ على الدُنيا وكَفَّ آذاهُ عن الناس والعالِمُ حَقِيْقَةً هو مَن خَشِيَ الله تعالى وعَمِلَ بما عَلِمَ . قال تعالى ﴿ إنما يَخْشَى الله من عِباده العلماء ﴾ .

(فـــــائدة)

إحَالَةُ الأعمال الصالحة إلى وُجود الفَراغ مِن أمور الدنيا مِن الحُمُق لِوُجوه منها إيثارُ الدنيا على الآخرة والله يقول ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ﴾ .

والثاني : أن تسوِيْف العمل إلى أوان فراغه دَليل على جَهْلِ الانسان وغَباوته لأنه قد لا يَجِدُ مُهْلَةً فربما اخْتَطَفهُ الموتُ قَبلَ ذلكَ وَرُبَّما يَزْدَادُ شُغْلُه لأنّ اشْغَالَ الدنيا يَجْذِبُ بَعْضُها بَعْضًا ولا تَنْتَهِي غالباً إلا بالموت .

قال الشاعر :

وما قَضَى أحــــدٌ منها لُبانَتَـــهُ ولا انْتَهى أرَبٌ إلا إلى أرَبَ

فالواجبُ على الانسانِ المُبادَرَةُ إلى الأعمال الصالحَةِ على أيِّ حالٍ كان وأن يَنْتَهِزَ فُرصَةَ الامكان قبلَ مُفاجأة هَادِمِ اللذات وأن يَتوكلَ على الله ويَطْلُبَ منه العَونَ في تَيْسِيْرِهَا إليه وصَرْفِ الموانِعِ الحَائِلة بَيْنَهُ وبَيْنَهَا .

قال الشاعر على اغتنام الوقت :

وخُذْ مِن قَرِيبٍ واسْتَجِبْ واجْتَنِبْ غداً وشمِرّ عَنِ السَّاقِ إجْتِهاداً بِنَهْضَـــةٍ

وكُنْ صارِماً كالْوَقْتِ فالمقْتُ في عَسَى وإيَّاك مَهْلاً فَهْيَ أخْطَرُ عِلَّـــةِ

وسِرْ زَمِناً وانْهَضْ كَسِيْراً فَحظّكَ الْ بَطَالَةُ ما أخَّرْتَ عَزْماً لِصِحَّـــةِ

وجُذَّ بسَيْفِ الْعَزْمِ سَوْفَ فإن تَجُدْ تَجِدْ نَفَساً فالنَّفْسُ إنْ جُدْتَ جَدَّتِ

قال الفضيلُ بنُ عياض : لو أن أهلَ العلم أكْرَمُوا أنْفُسَهم وشَحُّوا على دِينهم وأعَزُّوا العِلم وصَانُوه وأنزلُوهُ حَيثُ أنزلَهُ الله لخَضَعَتْ لهم رِقابُ الجبابرة وانقادَ لهم الناسُ وكانوا لهم تَبَعًا وعَزَّ الاسلامُ وأهلُه .

ولكنَّهم أذلُّوا أنفسَهُم ولم يُبالُوا بما نَقصَ مِن دِينِهم إذا سَلِمَتْ لهَم دُنياهُم فبذلُو عِلْمَهُم لأبناءِ الدُنيا لِيُصِيبُوا بذلكَ ما في أيدي الناسِ فذلُوا وهَانُوا على الناس . إنتهى

ولو أنَّ أهل العلم صانُوه صَانَهُم ... ولَو عَظّمُوهُ في النُّفوسِ لَعُظّمَا
ولَكِنْ أهانُوهُ فَهانُوا ودَنَّسُوْا ... مُحَيَّاهُ بالأطماعِ حَتَّى تَجهَّمَا
فإنْ قُلْتُ زَنْدَ العِلم كابٍ فإنَّما ... كَبى حَيْثُ لم تُحْمَى حِمَاهُ وأظلَمَا

آخر : اَعْمَلْ بِعِلْمِكَ تَغْنَمْ أيُّها الرَّجُلُ ... لا يَنْفَعُ العِلْمُ إنْ يَحْسُنِ العَمَلُ
والعِلْمُ زَيْنٌ وتَقْوى الله زِينَتُهُ ... والمُتَّقونَ لهُم في عِلْمِهِمْ شُغُلُ
وحُجَّةُ الله ياذا العِلْمِ بالغَةٌ ... لا المَكْرُ ينفَعُ فِيها لَا ولَا الحِيَلُ
تَعَلَّمِ العِلْمَ واَعْمَلْ ما استَطَعْتَ بهِ ... لا يُلْهِيَنَّكَ عنهُ اللَّهْوُ والجَدَلُ
وعَلِّمَ الناسَ واقصِدْ نَفْعَهُمْ أبداً ... إيَّاكَ إيَّاكَ أنْ يَعْتَادَكَ المَلَلُ
وعِظْ أخَاكَ بِرِفْقٍ عِندَ زَلَّتِهِ ... فالرِّفْقُ يَعْطِفُ مَن يَعْتَادُهُ الزَّلَلُ
وإنْ تَكُنْ بينَ قومٍ لا خَلاقَ لهُم ... فأمُرْ عليهِم بمَعْروفٍ إذا جَهِلُوا
فإنْ عَصَوْكَ فراجِعْهُم بلا ضَجَرٍ ... واَصْبِرْ وصَابِرْ ولا يَحْزُنْكَ ما فَعَلُوا
فكُلُّ شاةٍ برِجْلَيْهَا مُعَلَّقَةٌ ... علَيْكَ نفسَكَ إنْ جَارُوا وإنْ عَدَلُوا

والحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلواتُه على سيدِّنا محمد خاتم النَّبيين ، وآله الطاهِرين .

(فصـــل)

ومِن وَصَايَا أبِي حَنِيفة لأبي يُوسف : لَا تَتكَلَّمْ بينَ يَدَي العَامَّة إلا بِمَا تُسْأَلُ عَنه ، قُلْتُ أو (فيما يَعُوْدُ عَليهِم بِمَا ينفعهم وإم لم يَسْأَلُوا) .

ولا تكثر الخُروج إلى السوق ولا تكلم المراهِقِين فإنهم فتنة (قُلْتُ إلاَّ لِضَرُوْرَةٍ أوْ حَاجة) .

ولا تمش في قارعة الطريق مع المشايخ والعامة فإنك إنْ قَدَّمْتَهمُ إزْدُرِي بِعِلمِكَ وإن أخَرتَهُم ازْدُرِيْ بِكَ من حَيْثُ أنهم أَسَنُّ مِنْكَ .

قال النبي ﷺ « مَنْ لم يَرحَمْ صَغِيرَنا ولم يُوَقِّرْ كَبِيرنا فَلَيْسَ مِنَّا » .

ولا تَقْعُد على قَوارِعِ الطريق فإن دَعَاكَ ذلك فاقْعُدْ في المسجد .

ولا تأكل في الأسَواقِ والمساجِدِ قُلْتُ إلاَّ لِضَرورة أو حاجة .

ولا تَرْضَ لِنَفْسِكَ مِن العِبَادَاتِ إلاَّ بِأكثرَ ممَّا يَفْعَلهُ غَيْرُكَ وتَعَاطَاهَا فإن العامة إذا لم يَرَوْا الإقبالَ عليها أكثر ممَّا يَفْعَلُون اعْتَقَدُوا فِيكَ قِلَّةَ الرغبةِ واعتَقَدُوا أنَّ عِلْمَكَ لا يَنْفَعُكَ إلا ما نَفَعَهُم الجهل الذي هم فيه .

وإذا دَخَلْتَ بَلْدِةً فيها أهْلُ العِلْم فَلا تَتخِذْهَا لِنَفْسِكَ بَلْ كُنْ كَواحِدٍ مَن أهلها لِيَعْلَمُوا أنكَ لا تَقْصِدُ جَاهَهُمْ ولَا يَخْرُجُون عَليكَ بأجمعهم ويَطْعَنونَ في مَذْهَبِكَ وتَصِير مَطْعُوناً عندهم بلا فائدة .

وإن استفتوك فلا تناقشهم في المناظرة والمطارحات .

ولا تذكر لهم شيئا إلا عن دليل واضح .

ولا تطعن في أساتذتهم فإنهم يطعنون فيك . قلت إلا أن يكونـــوا يكونوا مبتدعين كالأشاعرة فيحذر عنهم .

وكن من الناس على حذر .

وكن لله تعالى في سرك كما أنت له في علانيتك .

ولا يصلح أمر العلم إلا بعد أن يجعل سره كعلانيته .

وإذا أولاك السلطان عملاً فلا تقبل ذلك منه إلا بَعْدَ أنْ تعلم أنه إنما يُوَلِّيْكَ ذلكَ لِعِلمك .

وإياك أن تتكلم في مجلس النظر على خوف ، فإن ذلك يُوْرِثُ الخَلل في الألفاظ ، والكلل في اللسان .

وإياك أن تكثر الضحك ، فإنه يميت القلب .

ولا تمش إلا على طمأنِيْنَة . قلت لقول الله تعالى ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾ .

ولا تكن عجُولاً في الأمور قلت إلا فيما حث الشارع على الإسراع والمبادرة فيـــه .

وإذا تكلَّمْتَ فلا تكثر التصويت ، ولا ترفع صَوْتَكَ . قلت لأنه يدل على قلة العقل قال الله تعالى ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ .

واتخذْ لِنَفسكَ السُكُوْنَ وقلةَ الحركة ، لِيَتَحَقَّقَ عند الناس ثباتُك . ولأنه يدل على رزانة العقل .

وأكثر من ذكر الله تعالى فيما بين الناس ، لِيَتَعَلَّمُوا ذلكَ منكَ . قُلْتُ وليكون له مثل أجورهم لحديث مَن دل على خير فله مثل أجر فاعله .

واتَّخذْ لِنَفسِكَ وِرْداً خَلْفَ الصلوات تَقْرَأُ فيه القرآن ، وتذكر الله تعالى وتحمده وتشكَره .

واتخذ أياماً مَعْدُوْدَةً مِن كل شهر تصوم فيها ، لِيقْتَدِي بكَ غيرك .

ولا تطمئن إلى دُنياكَ وإلى ما أنتَ فيه فإن الله سائلك عن جميع ذلك .

وإذا عرفت إنسانا بالشر فلا تذكره به بل اطلب منه خيرا فإذكره به .

إلا في باب الدين فإنك إنْ عَرفْتَ في دينه ذلك فاذكرهُ للناس كي لا يتبعوه وليحذروه ، قال عليه الصلاة والسلام «اذكروا الفاجر بما فيه حتى يحذره الناس» وإن كان ذا جَاه ومَنْزلة فإذكر ذلك ولا تُبَال من جاهه فإن الله تعالى مُعِيْنُكَ وناصِرك وناصر الدين .

فإذا فعلت ذلك مرة هابوك ولم يتجاسر أحد على إظهار البدعة في الـــدين .

ولا تجالس أحداً من أهل الأهواء إلا على سبيل الدعوة إلى الدين ولا تشـــاتم .

وإذا أذن المؤذن فتأهب لدخول المسجد لئلا تتقدم عليك العامة قلت بل للمبادرة إلى أداء الفريضة وليقتدى بك غيرك .

ولا تتخذ دارك في جوارك السلطان .

وما رأيت على جارك فاستره فإنه أمانة .

ولا تظهر أسرار الناس .

ومن استشارك في شيء فأشر عليه بما يقربك إلى الله تعالى .

وإياك والبخل فإنه تنقص به المروءة ولا تكن طماعاً ولا كذابا . قلت ولا جاسوساً ولا غياباً ولا نماماً ولا غشاشاً .

وأظهر غنى القلب مظهراً في نفسك قلةَ الحرصِ والرغبةِ وأظهر من نفسك الغنى ولا تظهر الفقر وإن كنت فقيرا .

وكن ذا همه فإن من ضعفت همته ضَعُفَتْ منزلته .

وإذا مشيت مع الطريق فلا تتلفت يمينا ولا شمالا بل داوم النظر في الأرض قلت إلا لضرورة أو حاجة .

ولا تماكس بالحبات والدوانق وحقر الدنيا المحقرة عند أهل العلم (أي علماء الآخرة العاملون بعلمهم لا علماء الدنيا) .

وَوَلِّ أمورَكَ غيركَ ليمكنكَ الإقبال على العلم وإياك أن تكلم المجانين ومن لا يعرف المناظرة والحجة من أهل العلم والذين يطلبون الجاه ويستغرقون بذكر المسائل فيما بين الناس فإنهم يطلبون تخجيلك ولا يبالون منك وإنْ عَرفُوك على الحق .

وإذا دَخلْتَ على قوم كِبَار فلا تَرْتَفع عليهم ما لم يَرْفَعُوكَ لئلا يَلْحَق بكَ منهم أذية .

وإذا كنتَ في قوم فلا تتقدم عليهم في الصــــلاة ما لم يقدموك على وجه التقدير . قلت إلا أن يكون أقرأهم لكتاب الله فيتقدم .

والله أعلم وصلى الله على محمد .

(فصــــل)

صُحْبةُ أهل الصلاح تُورثُ في القلب الصَّلاحَ وصحبةُ أهلِ الشر والفَسَاد تُورثُ في القلب الفساد .

أخُوكَ مَن عَرَّفَكَ العُيُوب وصَدِيْقُكَ مَن حَذَّركَ مِن الذُنُوب .

كان بعض العلماء لا يدع أحَداً يغتاب في مجلسه أحدا يقول إن ذكرتم الله أعَنَّاكُم وإنْ ذكَرتُم الناسَ تَركْنَاكُم .

وقال آخر : لا تكن وَلِياً لله في العَلانية وعَدُوَّهُ في السرِّ .

وقال كل ما شَغَلكَ عن الله عز وجل مِنْ أهلٍ ومالٍ وَوَلَدٍ فَهُو عَلَيْكَ شُــؤم .

إذا كانَتِ الآخرة بالقَلْب جَاءَتِ الدنيا تزاحُمها وإذا كانَتَ الدنيا بالقلب لم تزاحمها الآخرة لأنها كريمة فاجعل الآخرة في قلبك .

ومن أعطاه الله فضلاً في دُنيا فَليَحْمَدِ الله ، وليكثر من شكره وذكره ، ولا يفخَرَنَّ به على أخيه ، ولا يتداخله الكبْرُ والعُجْبُ والتعاظُمُ .

وقال : لا تبدر منكم عند الغضب كلمة الفحش ، فإنها تزيد العار والمنقصة ، وتلحقُ بكم العيب والهُجْنَة ، وتجر عليكم المآثم والعُقوبة .

وقال خيرُ الملوك شرفاً مَن بَدَّلَ سُنَّةَ السُوءِ في مملكته بالسنة الصالحةَ ، وشرهم مَن بَدَّلَ السُّنَةَ الصالحةَ الحَسْنَةَ بالسُنِة السُوء .

والدليل على غريزة الجود السماحةُ عند العُسْرَة ومَعْنَى العُسْرة (الضيق والشدة) .

والدليل على غريزة الوَرَع الصِّدْقُ عِنْد السّخط والبُعْد عن الشبهات ومَوَاضع الرِّيَب والإكثار ومن ذكر الله وحمده وشكره والتفتيش على المآكل والمشارب والملابس ونحوها بدقة .

والدليل على غريزة الحلم العفو عند الغَضَب .

ومِن أعظم الناسِ مُصِيْبَةً مَن لم يكن له عقل ولا حِكْمَةَ ، ولا لَهُ في الأدب رَغبــة .

شعرا : قَدْ مَضَى في اللَّهْــو عُمْرِي وتَنَاهى فِيــهِ أمْــرِي
شمَّرَ الأكيــاسُ وأنَــا وَاقِفٌ قَدْ شِيبَ أمْــرِي
بَانَ رِبْحُ النَّاسِ دُونــي ولِحِيْنِى بانَ خُسْــرِي
لَيتَني أَقْبَــلُ وَعْظِــي لَيْتَنِي أَسْمَــعُ زجْــرِي
كُلَّ يَومٍ أنَــا رَهْــنٌ بَيْنَ آثَــامِي وَوِزْرِي
لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أرَى لِيْ هِمَّةً في فَــكِّ أسْــرِي
أَوْ أرَىَ في ثَوبِ صِــدْقٍ قَبْلَ أنْ أنْزِلَ قَبْــرِي
وَيْحَ قَلْبِي مِنْ تَنَاسِـــيــهِ مُقَــامِي يَوْمَ حَشْرِي
واشتِغَــالِي مِنْ خَطَايَــا أَثْقَلَتْ واللهِ ظَهْــرِي

اللهم ارْحَمْ عِباداً غَرَّهُمْ طُوْلُ إمْهَالِكَ وأَطْمَعَهُمْ دَوَامُ إفْضَالِكَ وَمَدُّوْا أَيْدِيَهُمْ إلى كَرَمِ نَوَالِكَ وَتَيَقَنُوا أَنَّ لا غِنَى لَهُم عَن سُؤَآلِكَ وَجُدْ عَلَيْنَا وَعَليهِمْ بِرَحْمَتِكَ الوَاسِعَةِ واغفر لنا وَلَهُم وَلِجَمِيْعِ المسلمينَ ياربَّ العالمِينَ وصلى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجْمعين .

« موعظـــة »

عباد الله أين الذين سادوا وشادوا أوطانا ، وحكموا وأحكموا بنياناً ، وجمعوا فحشدوا أموالا وأعوانا عوضوا بأرباح الهوى خسرانا ، وبدلوا بإعزاز الكبر والتجبر هَوانا وأخرجوا من ديارهم بعد الجموع وحدانا ، وما استصحبوا مما جمعوا إلا أكفانا .

نَصِيبُكَ مِمَّا تَجْمَعَ الدَّهْرَ كُلَّهُ رِدَآنِ تُطْوَى فِيْهِمَا وحَنُــوْطُ
آخر : فما تزودَ مما كان يجمعــه سِوَى حَنوط غداة البين في خرق
وغير نِفحة أعوادٍ تشـــبُّ لــه وقَلّ ذلك مِــن زاد لمنطلـــق

يحْمَلُونَ على الأعناق ولا يُسَمَّونَ رُكبانا ، ويَنْزلُونَ بُطونَ الألحادِ ولا يُسَمَّونَ ضِيْفَانًا ، مُتقارِبين في القبور ولا يُسَمَّوْنَ جيرَانًا .

أو ليس قد رأينا كيفَ يُنْقَلُونَ ولا كَفَانَا ، فيا مَن قَد بَقِي مَن عُمُرهِ القَليلُ ولا يَدْرِي مَتى يَقَعُ الرحيل ، كنكَ بِطَرْفِكَ حِيْنَ الموت يَسِيْلُ والروحُ تنزعُ والكربُ ثقِيْل ، والنُّقْلَةُ قد قَربَتْ وأينَ المقيل ، أفي الجنةِ ونِعيمها والسَّلْسَبيلِ أم في الجحيم وأنكالِها وأغلالِها وبئسَ المقيل .

يا مَن تعدُ عليه أنفاسهُ استَدْركْها ، يا منَ ستَفُوتُه أيامُه أدْرِكْهَا ، إن أعَزَّ الخَلْق عَليكَ نَفْسُكَ فلا تُهْلِكْهَا كمَ أغْلقْتَ بَاباً على قبيحْ ، وكم أعْرَضْتَ عن قولِ المخلصِ النَّصِيْح ، أعظم الله أجرك في عمر قد مضى ما رزقت فيه العفو ولا الرضى .

إنقضت فيه اللذات كمن قضى ، وصارت الحسرات من الشهوات عوضا ، قال الله جل وعلا وتقدس **﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يُؤمنون﴾** وقال جل وعلا **﴿أن تقول نَفْسٌ ياحَسْرَتا على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ الله وإنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرين﴾** .

اللهمَّ نَجّنا برحمتِكَ مِن النارِ وعافِنا من دارِ الخِزْي والبَوَارِ وأدْخِلنَا بِفَضْلِكَ الجنةَ دارَ القَرارِ وعامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ ياكريمُ ياغفارُ واغْفِرْ لنا ولوالديْنَا ولجميعِ المسلمينَ الأحياءِ منهْم والميتينَ برحْمتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ وصَلّى الله على محمدٍ وعلى آله وصَحْبِهِ أجمعين .

(فصـــل)

وقال ابن القيم رحمه الله :

[العقبات التي يتدرج منها الشيطان لإغواء العبد]

« العقبة الأولى » :

عقبة الكفر بالله ولقائه وبصفات كماله وبما أخبرت به رسله عنه ، فإنه إن ظفر به في هذه العقبة بردت نار عداوته واستراح .

فإن اقتحم هذه العقبة ونجا منها ببصيرة الهداية وسلم معه نور الإيمان طلبه على :

« العقبة الثانيـــة » :

وهي عقبة البدعة إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه ، وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله ، من الأوضاع والرسوم المحدثة في الدِّين التي لا يقبل الله منها شيئاً .

والبدعتان في الغالب متلازمتان قل أن تنفك إحداهما عن الأخرى ، كما قال بعضهم : تزوجت بدعة الأقوال ببدعة الأعمال ، فاشتغل الزوجان بالعرس فلم يفجأهم إلاّ وأولاد الزِّنا يعيشون في بلاد الإسلام ، تضج منهم العباد والبلاد إلى الله تعالى .

وقال شيخنا : تزوجت الحقيقة الكافرة بالبدعة الفاجرة فتولّد بينهما خسران الدنيا والآخرة .

فإن قطع هذه العقبة وخلص منها بنور السنة واعتصم منها بحقيقة المتابعة وما مضى عليه السلف الأخيار من الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

وهيهات أن تسمح الأعصار المتأخرة بواحد من هذا الضرب ، فإن سمحت به نصب له أهل البدع الحبائل وبَغَوْه الغوائل وقالوا : مبتدع محدث ، فإذا وفقه الله لقطع هذه العقبة طلبه على :

« العقبة الثالثة » :

وهي عقبة الكبائر فإن ظفر فيها زيّنها له وحسّنها في عينه وسوّف به وفتح له باب الإرجاء وقال له : الإيمان هو التصديق نفسه فلا تقدح فيه الأعمال (أي أعمال الفسوق والعصيان) .

وربما أجرى على لسانه وأُذنِه كلمةً طالما أهلك بها الخلق وهي قوله : (لا يضر مع التوحيد ذنب كما لا ينفع مع الشرك حسنة) والظفر به في عقبة البدعة أحب إليه ، لمناقضتها الدين ، ودفعها لما بعث الله به رسوله .

وصاحبها لا يتوب منها ، ولا يرجع عنها بل يدعو الخلق إليها ، والاجتهاد على إطفاء نور السنة .

وتولية من عزله الله ورسوله ، وعزل من ولاه الله ورسوله ، واعتبار ما ردّه الله ورسوله ، ورد ما اعتبره ، وموالاة من عاداه ، ومعاداة من والاه وإثبات ما نفاه ، ونفي ما أثبته .

وتكذيب الصادق وتصديق الكاذب ، ومعارضة الحق بالباطل وقلب الحقائق بجعل الحق باطلاً والباطل حقاً ، والإلحاد في دين الله ، وتعميةُ الحق على القلوب وطَلَب العِوج لصراط الله المستقيم ، وفتح باب تبديل الدين جملة .

فإن البدع تستدرج بصغيرها إلى كبيرها ، حتى ينسلخ صاحبها من الدين كما تنسل الشعرة من العجين .

فمفاسد البدع لا يقف عليها إلاَّ أرباب البصائر ، والعميان ضالون في ظلمة العمى **﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾** .

فإن قطع هذه العقبة بعصمة الله أو بتوبة نصوح تنجيه منها طلبه على :

« العقبة الرابعـــة » :

وهي عقبة الصغائر فكَالَ له منها بالقُفزان وقال : ما عليك إذا اجتنبت الكبائر ما غشيت اللمم أو ما علمت أنها تكفَّر باجتناب الكبائر وبالحسنات ، ولا يزال يهوّن عليه أمرها حتى يصر عليها .

فيكون مرتكب الكبيرة الخائف الوجل النادم أحسن حالاً منه ، فالإصرار على الذنب أقبح منه ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار ، ولا صغيرة مع الإصرار .

وقد قال ﷺ : «إيَّاكم ومحقرات الذنوب» ثم ضرب لذلك مثلاً بقوم نزلوا بفلاة من الأرض فأعوزهم الحطب . فجعل هذا يجيء بعود وهذا بعود حتى جمعوا حطباً كثيراً فأوقدوا ناراً وأنضجوا خبزتهم .

فكذلك فإن محقرات الذنوب تتجمع على العبد وهو يستهين بشأنها حتى تهلكه .

فإن نجا من هذه العقبة بالتحرز والتحفظ ودوام التوبة والإستغفار وأتبع السَّيئة الحسنة طلبه على :

« **العقبة الخامسة** » :

وهي عقبة المباحات التي لا حرج على فاعلها ، فشغله بها عن الإستكثار من الطاعات ، وعن الإجتهاد في التزود لمعاده ثم طمع فيه أن يستدرجه منها إلى ترك السنن ، إلى ترك الواجبات .

وأقل ما ينال منه : تفويته الأرباح والمكاسب العظيمة والمنازل العالية ، ولو عرف السعر ما فوَّت على نفسه شيئاً من القربات ، ولكنه جاهل بالسعر .

فإن نجا من هذه العقبة ببصيرة تامة ونور هاد ومعرفة بقدر الطاعات والإستكثار منها وقلة المقام على الميناء وخطر التجارة وكرم المشتري ، وقدر ما يعوِّض به التّجارَ فبخل بأوقاته وضمنَّ بأنفاسه أن تذهب في غير ربح ، طلبه العدو على :

« **العقبة السادسة** » :

وهي عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات فأمره بها وحسّنها في عينه وزَيَّنَهَا له وأراه ما فيها من الفضل والربح ، ليشغله بها عما هو أفضل منها وأعظم كسباً وربحاً .

لأنه لمَّا عجز عن تخسيره أصل الثواب طمع في تخسيره كماله وفضله ، ودرجاته العالية ، فشغله بالمفضول عن الفاضل وبالمرجوح عن الراجح ، وبالمحبوب لله عن الأحبِّ إليه ، وبالمرضي عن الأرضى له .

ولكن أين أصحاب هذه العقبة ؟ فهم الأفراد في العالم . والأكثرون قد ظفر بهم في العقبات الأُوَلْ .

فإن نجا منها بفقه في الأعمال ومراتبها عند الله ومنازلها في الفضل ،

ومعرفة مقاديرها والتمييز بين عاليها وسافلها ومفضولها وفاضلها ورئيسها ومرؤوسها وسيدها ومسودها .

فإن في الأعمال سيداً ومسوداً ورئيساً ومرؤوساً وذروة وما دونها ، كما في الحديث الصحيح : « سيد الإستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربّي لا إلٰه إلاَّ أنت » الحديث .

وفي الحديث الآخر : « الجهاد ذروة سنام الأمر » وفي الأثر الآخر : « إن الأعمال تفاخرت فذكر كل عمل منها مرتبة وفضله وكان للصدقة مزية في الفخر عليهنَّ » .

ولا يقطع هذه العقبة إلاَّ أهل البصائر والصدق من أولي العلم السائرين على جادة التوفيق، قد أنزلوا الأعمال منازلها وأعطوا كل ذي حقٍّ حقّه .

فإذا نجا منها أحد لم يبق هناك عقبة يطلبه العدو عليها سوى واحدة لابد منها ، ولو نجا منها أحد لنجا منها رسل الله وأنبياؤه وأكرم الخلق عليه .

وهي عقبة تسليط جنده عليه بأنواع الأذى باليد واللسان والقلب على حسب مرتبته في الخير ، فكلَّما علتْ مرتبته أجلب عليه العدو بخيله وظاهر عليه بجنده ، وسلَّط عليه حزبه وأهله بأنواع التسليط .

وهذه العقبة لا حيلة له في التخلص منها ، فإنه كلما جدَّ في الإستقامة والدعوة إلى الله والقيام له بأمره جدَّ العدوُّ في إغراء السُّفهاء به ، فهو في هذه العقبة قد لَبِسَ لأْمَةَ الحرب ، وأخذ في محاربة العدوِّ لله وبالله .

فعبوديته فيها عبودية خواص العارفين وهي تسمى عبودية المراغمة ولا ينتبه لها إلاَّ أولُو البُصَائِرِ التَّامّة ، ولا شيءَ أحبُّ إلى الله مِن مُراغَمَةِ وليّه لعدوّه وإغاظته له أهـ .

شعــــرا :

ولَمَّا قَسَا قَلْبِي وضَاقَتْ مَذَاهِبِيْ ⁂ جَعلْتُ الرَّجَا مِنّي لِعَفْوكَ سُلَمَـــا

تَعَاظَمِني ذَنْبِيْ فَلمَّا قَرَنْتُـــــهُ ⁂ بِعَفْوكَ رَبي كَانَ عَفْوُكَ أعْظمـــا

فلِلَّهِ دَرُّ العَارف النَّــذْبِ إنَّــهُ ... تِسحُّ لِفَرْطَ الوَجْد أَجفانُهُ دَمَـا
يُقِيْمُ إذَا ما اللَّيْلُ مَدَّ ظَلامَــهُ ... على نَفْسِهِ مِن شِدَّةِ الخَوْف مأْتمَا
فَصِيْحاً إذا مَا كَانَ مِنْ ذِكْرِ رَبِّهِ ... وفِيْمَا سِوَاهُ في الوَرَى كانَ مُعْجَمَا
ويَذْكُرُ أيَّاماً مَضَتْ مِن شبابِــهِ ... وما كان فيها في الجَهالِةِ أجْرَمَـا
فصَارَ قَرِيْنَ الهَمِّ طُولَ نَهــارِهِ ... ويَخْدِمُ مَوْلاَهُ إذَا اللَّيل أَظْلَمَـا
يَقُولُ إلهِيْ أَنْتَ سُؤْلِي وبُغْيَتــي ... كَفَى بِكَ لِلرَّاجِيْنِ سُؤْلاً ومَغْنَمَا
فأنْتَ الذي غَذَّيْتَني وكَفَلْتَنــيْ ... وما زِلْتَ مَنَّاناً عَليَّ ومُنْعِمَـا

آخر: سَبِيلُ الخلقِ كُلِّهِم الفَنَــاءُ ... فَمَا أَحَدٌ يَدُوْمُ لَهُ البَقَــاءُ
يُقرِّبُنا الصَّباحُ إلى المَنَايَــا ... ويُدْنِينــا إليهِنَّ المَسَــاءُ
فَلا تُركَبْ هَوَاكَ وكُنْ مُعِدّاً ... فَلَيْسَ مُقدَّراً لكَ مَا تَشَــاءُ
أتَأمَلُ أنْ تَعِيْشَ وَأيُّ غُصْــنٍ ... عَلَى الأيامِ طَالَ لَهُ النَّمَــاءُ
تَراهُ أَخضَرَ العِيدَانِ غَضًّــا ... فَيُصْبحُ وَهْوَ مُسْوَدٌّ غُثَــاءُ
وَجَدْنَا هَذِه الدُنْيا غَرُوْراً ... مَتَى ما تُعْطِ يُرتَجِع العَطَــاءُ
فَلا تُرْكَنْ إليْهَا مُطْمَئِنًّــا ... فَلَيْسَ بِدَائِمٍ مِنْهَا الصَّفَــاءُ

اللَّهُم نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الإيْمَانْ وَثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابت ، في الحَيَاةِ الدُّنْيا وفي الآخِرَة ، وَيَسِّرْنا لِلْيُسْرَى وَجَنِّبْنَا العُسْرى ، واجْعَلْنَا هُداةً مُهْتَدِيْن واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلَجِمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فصــل)

الحكمة كالجواهر في الصدف في قعور البحار ، فَلَا تُنال إلاّ بالغَوّاصين الحُذَّاق .

العَاقِل لا تَدعُهُ عُيُوبُه يَفرح بما ظهر من محاسنه .

النصح بين الناس تقــريع .

إعادة الإعتذار تَذْكِيرٌ للذَنبِ ومَا عَفَا عَنِ الذنب مَن وبَّخ بِهِ .

رُبَّ كلام جَوَابُهُ السُكُوت ، ورُبَّ عَملٍ الكفُ عنه أفضلُ ، ورُبَّ خصومة الإعراض عنها أصْوَب .

الدنيا تُهينُ مَن كانَتْ تكْرِمُه ، والأرضُ تأكل مَن كانَتْ تطْعِمُه .

نَمِيْرُ مِن أمِّنَا الغَبْرَاءِ مِيْرَتَنَـــا وللْبَسِيْطَةِ مِن أجْسَادِ نَامِيَـــرُ

أمر الدنيا أقْصَرُ مِن أَن تَتَعَادَى فيه النفوس ، وأن تتفانا وأنْ تطاعَ فيه الضَّغَائِنِ والأحقاد .

وقال : لا يستطيع أحد أن يَجِدِ الخيرَ والحكمةَ إلا أنْ تُخْلِص نَفْسُه في المعاد ، ولا خلاصَ له ألَا أن تكون له ثلاثة أشياء : وزيرٌ ، وَوَليٌّ ، وصَدِيق .

فَوَزَيْره عَقْلُه ، وَوَلِيُّهُ عِفَّتُه ، وصَدِيقُه عَملُه الصالح .

الجُودُ هو أنْ تجود بمالك ، وتصُون نفسَكَ عن مَال غيرك ، وأقصى غاية الجود أن تجود بنفسك في سبيل الله .

يَجُوْدُ بالنَّفسِ إنْ ظَنَّ البخيلُ بها والجُوْدُ بالنَّفْسِ أقْصَى غَايَةِ الجُودِ

قابل غضبَك بحِلمك ، وجَهْلكَ بعِلمك ، ونِسْيَانَك بذكرك ، وتَزوَّدْ من الخَير وأنتَ مُقْبلٌ خيرٌ مَن أنْ تتزوَّدَ وأنتَ مُدْبر .

العَجَبُ مِمَّنْ يَحتمَي مِن المآكل الرَّدِيئة ولا يترك الذنوبَ مَخَافَةَ رب العالمين . ويَسْتَحِي من الخَلْق ولا يَسْتَحِي ممن لا تخفى عليه خافية . قال تعالى ﴿**يستخفون مِن الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم**﴾ .

العَمَى خيرٌ من الجهل ، لأن العَمى يُخافُ منه السُقوط في حُفْرة ، والجهلَ يُخَاف منه الوقوعَ في الهلاك .

ينبغي لِلرَّئِيس أن يَبْتَدِي بتقويم نفسِهِ قبلَ أنْ يَبْتَدي بتقويم رَعَايَاهُ .

وإلا كان بمنزلة مَن رَامَ استقامةَ ظلٍ مُعْوَجٌ قَبْلَ تقويمِ عُودِهِ الذي هَو ظِلٌّ لَهُ .

إبْدَأْ بِنَفْسِكَ فانْهَهَا عن غيِّهَـــا فإذا إنْتَهَتْ عنه فأَنْتَ حَكِيـــمُ

فهناكَ يُقْبَلُ ما تَقُولُ ويُقْتَـــدَى بالرَّأْيِ مِنْكَ ويَنْفَعُ التَّعْلِيـــمُ

استدامةُ الصحةِ تكون بإذن الله بتَرك التكاسُل عن التَّعب وبترك الامتلاء مِن الطعام والشراب وترتيب المآكل .

للقلب آفتان الهَمُّ والغَم ، فالغمُ يَعْرضُ مِنهُ النوم ، والهَمُ يَعْرضُ منه السهـــر .

العلم كثير والعمر قَصِيْر فخذ مِن العِلم أحْسَنَه وما بَلّغَكَ قليلُه إلى كثيره

ما حَوى العلم مِن الخلق أحـــد لا ولو حاولـــه ألف سَـــنَهْ

إنَّمَا العِلْمُ كَبَحْرٍ زاخـــــر فاتَّخِذْ مِن كُلْ شيءٍ أحْسَنَـــهْ

عَجباً لِمَنْ عَرَفَ الدُنْيا وأنَّها دَارُ فَنَاء كَيْفَ تُلْهِيهِ عنِ دَارِ البَقَاء التي فيها ما لا عينٌ رَأتْ ولا أذنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْب بَشَـــرْ .

إعطاءُ المرِيض مَا يَشْتِهيْهِ أنْفَعُ لَه من أخْذِهِ بِكُلِّ مَا لا يشتهيه .

الدُنْيا تنصَحُ تاركَها وتغشَ طالبها فنصيحتُها لتاركها ما تُريْهِ مِن تَغيُرها بأهلها وفتكَها بهم ونكدها وكدرها وغُمُوْمِهَا وهُمُومها .

وغشها لطالبها ما تُذِيْقه مِن لذة سَاعتها ثم تَعْقِبُهُ مَرارَة طَعْمِهَا وسُوء مُنْقَلِبَهَا .

طَالِبُ الدُنيا كَنَاظِر السَّراب يَحْسِبُهُ سَبَباً لريه فَيُتْعبُ نفسَه في طَلَبه فإذا جاءهُ خَانَه ظَنُّه وفَاته أمَلُه وبَقِي عَطَشُهُ وَدَامَتْ حَسْرتُه ونَدَامَتُهُ وخَسِرَ طُوْلَ عَنَائِهِ .

وقال آخر : الإنسان في الدنيا مُعَذَّبٌ بجميع أحْوَالِهَا غير باق عليه ما يَصِيْرُ إليه مِن أسْبَابِهَا .

قليل التهنِئَة بما يجَده مِن مَلاذها دائم النكدِ والكَبدِ والغُصَصِ بمفارقةِ أحبابه فيها .

يا هَذا الدنيا وراءَكَ والآخرةُ أمَامَكَ والطلبُ لما وَرَاءَكَ هَزِيْمَةٌ .

إنما يُعْجَبُ بالدنيا مَن لا فهم له الدنيا كأضْغَاثِ أحلام تَسرُّ النائم .

لُعَبُ خيال يحسبها الطفلُ حقيقةً فأما العاقل فيفهمها .

رَأَيْتُ خَيَالَ الظِل أَكْبَرَ عِبْـرةٍ   لِمَنْ هُو في علْمِ الحَقِيْقَةِ رَاقِـي
شُخُوصٌ وأَشْبَاحٌ تَمُـرُّ وتَنْقَضِى   جَمِيْعاً وتَفْنَى والمُحَرِّكُ بَـاقِ

قال ثابتُ بنُ قُرَّة : راحةُ الجسم في قلة الطعام ، وراحةُ الروح في قِلَّةِ الآثام ، وَرَاحَةُ اللسان في قلةِ الكلام قُلْتُ إلا بذكر الله وما ولاه .

والذنوب للقلب بمنزلة السُمومِ إنْ لَمْ تُهْلكْهُ أضْعَفَتْه ولابُدَّ ، والضَّعيفُ لا يَقْوَى على مُقَاوَمَة العَوَارِض . قال عبدالله بن المبارك :

رَأَيْتُ الذُنُوبَ تُمِيْتُ القُلـوب   وقد يُورِثُ الـذلَّ إدْمَانُهَـا
وتَرْكُ الذُنُوبِ حَيَاةُ القُلـوبِ   وخَيْرٌ لِنَفسِـكَ عِصْيَانُهَـا

كُلُ شَيء إذا كَثُرَ رَخُصَ إلا العِلم والعَقل كُلَّمَا كَثُرَ أَحَدُهُمَا غَـلا .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصـل في الحكمـة]

قال الله تبارك وتعالى **﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحِكْمَةَ فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألبابَ﴾** وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ما أَهْدَى المرءُ المسلمُ لأخيه هَدِيَةً أفْضَلَ مِنْ حِكمَةٍ يَزِيْدُهُ بهَا هُدَى ويَرُدُهُ بها عن رَدَى » أخرجه البيهقي في شُعْب الإيمانَ وأبُو نُعَيم في الحلية .

وقال عليه الصلاة والسلام « أوتِيْتُ جوامع الكلم واخْتُصِرَتْ لي الحكمةُ اخْتصَارا » .

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « بُعِثْتُ بجوامع الكلم » .

وعن ابن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حِكْمَةً فهو يقضي بها ويعلمها » رواه البخاري ومسلم .

وقيل إن في التوراة أن الله قال لموسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام [عَظِّم الحكمة فإني لا أجعل الحكمة في قلب عبد إلا وأردت أن أغفر له فتعلمها ثُم اعمل بها ثُم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والآخرة].

وخرج أبو يعلى الموصلي من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : إني أوتِيْتُ جَوَامِعَ الكلم وخَواتمه واختصر لي الكلام اختصارا وقال ﷺ : أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصارا .

وقال لقمـــان : إن القلب بالكلمة مِن الحكمـــة كما تحيا الأرضُ بوابل المطر .

وقَالَ أبَانُ بنُ سُليم : كلمةُ حِكمة مِن أخيك خيرٌ لك مِن مالٍ يُعْطِيك.

وقال بعضُ الحُكماء الحِكمةُ صديقةُ العقل ، وميزانُ العدل ، وعينُ البَيَان ، ورَوضَةُ الأرواح ، ومُزِيْحَةُ الهُمُوم عن النفوس بإذن الله .

وأنْسُ المستوحِش وأمْنُ الخائف ومتجَرُ الرابح وحَظُّ الدنيا والآخرة بإذن الله لمن وفقه الله .

وسلامة العاجل والآجل لمن وفقه الله .

وقال آخر : الحكمةُ نُورُ الأبْصَار ورَوضةُ الأفكار ومَطِيَّةُ الحِلْم وكفيلُ النَّجَـــاح .

وضمين الخير والرشـــد والداعية إلى الصـــواب والسفير بين العقل والقلوب .

لا تندرس آثارها ولا تعفو رُبُوعها كل ذلك لمن وفقه الله تعالى .

وروى عن الشعبي أنه قال : لو أن رجلاً سَافَرَ مِن أقْصَى الشام إلى أقْصَى اليمن لِيَسْمَعَ كلمة واحدة ينتفع بها فيما يُسْتَقْبَلُ من عمره ما رَأيْت أنَّ سَفَرَهُ قد ضاع .

وقال بَعْضُ العُلماء مَن تَفَرَّدَ بالعِلم لم تُوحِشْهُ الخَلْوَةُ ومَن تَسَلَّى

بالكُتُب لم تفُتْه سَلوة وإنَّ هذه القلوب تَملُ كما تمل الأبدان فابتغُوا لها طَرَائفَ الحِكْمَـــة .

والحِكمة مُوقِظةُ للقُلوب مِن سِنَةِ الغَفْلة ومُنْقِذَةٌ لِلْبَصائِر مِن سِنَةِ الحَيْرة ومُحْيِيَةٌ لها بإذْن الله من مَوْتِ الجَهَالِةِ ومُسْتَخْرِجَةٌ لَهَا مِن ضِيْق الضَّلالةِ لِمَنْ وَفَّقه الله تعالى .

[فـــائدة عظيمة النفع]

اعْلَمْ أنَّ مَن كان دَاؤُهُ المعصية ، فشفَاؤُهُ الطاعة ، ومَن كان دَاؤُهُ الغَفْلَةُ، فشِفاؤه اليَقَظة ، ومَن كان داؤه كثْرةُ الأشغال ، فشفاؤه في تفريغ المال .

فمن تَفَرَّغَ مِن هُموم الدنيا قلبُه ، قَلَّ تَعَبُه ، وتَوَفَّر مِن العِبَادة نصيبه ، واتصل إلى الله مَسِيْرُه ، وارتفع في الجنة مَصيره ، وتمكن من الذِكر والفكر والورع والزهد والإحتراس من وساوس الشيطان ، وغوائل النفس .

ومن كثر في الدنيا هَمُّه ، أظلم طريْقُه ، ونصَبَ بَدَنُه ، وضَاعَ وَقْتُه ، وتَشَتَّتَ شملُه ، وطاشَ عَقْلُه ، وانعقد لِسَانُه عن الذكر ، لِكَثْرة هُمومه وغمُومه ، وصار مُقَيَّدَ الجوارح عن الطاعة ، مِن قلبهِ في كل وادٍ شُعْبَة ، ومِن عُمرهِ لِكلِ شغل حِصَّـــة .

فاستعذ بالله من فضول الأعمال والهموم فكل ما شغل العبد عن الرب فهو مشئوم ، ومن فاته رضى مَولاه فهو محروم ، كل العافية في الذكر والطاعة، وكل البلاء في الغفلة والمخالفة ، وكل الشفاء في الإنابة والتوبة ، وانظر لو أن طبيباً نصرانياً نهاك عن شرب الماءِ البارد لأجل مَرضٍ في جَسَدِك لأطعتَه في ترك ما نهاك عنه ، وأنتَ تعلم أن الطبيب قَد يَصْدُق وقد يكذب وقد يُصِيْبُ وقد يُخطىء وقد يَنصَحُ وقد يَغشُ ، فما بالك لا تترك ما نهاك عنه أنصحُ الناصحين وأصدق القائلين وأوفى الواعدين لأجل مرضِ القلب الذي إذا لم تشفَ منه فأنتَ مِن أهْلَكِ الهالكين .

تَبْغي الوُصُولَ بسَيْرٍ فيه تَقْصِيْرُ   لا شَكَّ أنَّكَ فيما رُمْتَ مَغْـرُوْرُ
قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أبْطَالٌ فما وَصـلُوا   هَذا وفي سَيْرهم جـد وتشْمِيْرُ
يامُدَّعي الحُبَّ في شَرْعِ الغَرامِ وقَد   أقَامَ بَيِّنَـةً لَكِنَّهَـا زُوْرُ
أفْنَيْتَ عُمَركَ في لَهْو وفي لِعبِ   هَذا وأنْتَ بَعْيدُ الدارِ مَهْجُـوْرُ
لو كانَ قَلْبُكَ حَياً ذُبْتَ مِن كَمَدٍ   ما لِلْجِرَاحِ بجِسْمِ المَيْتِ تأثِيْرُ

اللهم إنا نسْألُكَ نَفْساً مُطْمَئنةً تُؤمِنُ بِلِقَائِكَ وتَرضَى بقَضَائك ، اللهم إنا نسألك باسْمِكَ الطاهِرِ الطَّيب المُبَارَك الأحَبِّ إليك الذي إذا دُعِيْتَ به أجَبْتَ ، وإذا سُئِلَتَ به أعْطَيْتَ ، وإذا اسْتُرْحِمْتَ به رَحِمْت ، وإذا استفرجْتَ به فَرَّجَتْ أن تَغفرَ سَيئاتنا وتبدِلها لنا بِحَسَنات ياأرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

وختاماً فالواجب على الإنسان المبادرة إلى الأعمال الصالحة ، وأنْ ينتهز فرصة الإمكان قبل هجوم هادم اللذات .

وأن يَستَعينَ بالله ويتوكل عليه ويسأله العَون في تَيْسِير الأعمال الصالحة وصرف الموانع الحائلة بينه وبينها .

وليحرص على حفظ القرآن ، وتدبره ، وتفهمه ، والعمل به ، وكذلك السنة ، ويحرص على أداء الصلاة في جماعة .

ويحرص على مجالس الذكر ، ويحفظ لسانه عن الغيبة والنميمة والسعاية والكذب وجميع الأعمال والأخلاق السيئة .

ويتهيأ للرحيل ، ويتفقد نفسه بما عليه ، وما له فإن كان عنده حُقُوقٌ لله كزكاة أو لِخَلْقِه كأمانات أو عَواري أو وصايا أداها بسُرْعَةٍ خَشْيَةَ أن يفْجَاءَهُ الموتُ وهي عنده .

فإذا لم تُؤدِها أنتَ في حَيَاتِكَ ، فَمَنْ بَعَدَكَ مِن أوْلاد أو إخوان يَبْعُدُ اهْتِمامُهم بذلك ، لأنهم يهتمون ويَشْتَغلونَ بما خَلَّفْتَهُ لهم وضَيَّعْتَ بسَببه نفسك .

فالله الله البَدارَ بالتَفتيش على النفس ، والمبادرة بالتوبة والإكثار من الاستغفار .

ومما يَحُثُك على ذلك ذكْرُ مَرارة الموت الذي سماه رسُول الله ﷺ هادم اللذات ، وتذكر شدة النزع. والتفكير في الموتى الذي حُبسُوا على أعمالهم ليُجَازَوا بها فليس فيهم من يَقْدِرُ على محو خَطِيئَةٍ ، ولا على زِيَادة حَسَنةٍ .

وعادَ بعضهم مريضاً فقال له كيف تجدُكِ ؟

قال : هو الموت . قال له : وكيف عَلِمْتَ أنه الموت ؟ قال : أجدُني أجْتَذَب اجْتِذَاباً ، وكأن الخَنَاجِرَ في جَوْفي ، وكأن جَوفي تَنُوّرٌ مُحْمىً يَتَلَهَّب .

قال له : فاعْهَدْ (أي أوْصى) ، قال : أرَى الأمرَ أعْجَلَ من ذلك فَدَعَا بِدَواة وصحيفة قال : فوالله ما أُتِي بِها حتى شَخَصَ بَصَرُهُ فمَاتَ .

وقال إبراهيم بن يزيد العبدي : أتاني رياح القيسي فقال : يا أبا إسحاق انطلق بنا إلى أهل الآخرة نُحْدِثُ بِقُربِهِمْ عَهْداً .

فانْطَلَقْتُ مَعَه ، فأتى المقابر فجلسنَا إلى بعض تلك القبور ، فقال : ياأبا اسحاق ما تَرى هَذا مُتَمَنِّياً لو مُنِّءَ ، قلت : أن يُرَدَّ والله إلى الدنيا فيَسْتَمتِعْ مِن طاعة الله ويُصْلِح .

قال : فها نَحْنُ ، ثم نَهضَ فجَدَّ واجْتَهَد ، فلم يَلْبَث إلا يَسْيِراً حتى مــــات .

ومما يَحُثُكَ على التأهب والاستعداد لهادم اللذات أنْ تُصَوِّر لِنَفْسِكَ عَرْضَهَا على رَبكَ وتَخْجِيْلِهِ إيَّاكَ بمَضِيْضِ العِتاب على فِعْلِ مَا نَهاكَ عنه قال جَلَ وعلا ﴿ وكلهم آتيه يوم القيَامة فردا ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ « ما منكم مِن أحد إلا سَيُكَلِّمُهُ ربه تبارك وتعالى ليس بينه وبينه ترجمان » .

وعن صفوان بن محرر قال : كنتُ آخذاً بيد ابن عمر إذ عَرَضَ له

رَجُل ، فقال كيف سَمِعْتَ رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة .

فقال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول « إن الله يُدْني المؤمن فيَضَعُ عليه كَنَفَه ، ويَسْتُره مِن الناس ، ويُقَرِّرُهُ بذُنُوبه .

ويقُولُ له أتَعْرِفُ ذَنْبَ كذا ، أتعرف ذنب كذا ، حَتَّى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك .

قال : فإني قد سَتَرْتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم .

ومما يَحُثُكَ على الاستعداد للموت والابتعاد عن المعاصي أن تَتَخايل وتَتَصَوَّر شَهَادَةَ المكان الذي تَعْصِي فيه عَليكَ يومَ القيامة .

فعن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله ﷺ ﴿ **يومئذ تحدث أخبارها** ﴾ فقال « أتدرون ما أخبارها ، أن تشهَدَ على كل عبد بما عمل على ظهرها ، أن تقول عَمِلَ كذا وكذا في يوم كذا وكذا ، فهو أخبارها » .

ومما يحثك على التأهب والإستعداد للموت والإبتعاد عن المعاصي أنْ تُمَثِّلَ نَفْسَكَ عند بعض زَلَلِكَ كأنه يُؤمَرُ بك إلى النار التي لا طَاقَةَ لمخلوق بها .

وتصور نفادَ اللذة وذهابَهَا وبَقَاءَ العارِ والعذاب .

تَفنى اللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ شَهْـوَتَهُ ... مِن الحَرَامِ ويَبْقى الإثم والعَـارُ
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوْءٍ في مَغَبَّتِهَـا ... لا خَيْرَ في لَذَّةٍ مِن بَعْدِهَـا النَّارُ

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « ناركم هذه ما يُوقِدُ بَنُوا آدَمَ جُزْءٌ واحدٌ مِن سَبْعِيْنَ جزءاً من حر جَهَنَّمْ » قالوا : والله إن كانت لكافية .

وقال بعض السلف : ربما مُثِّلَ لي رأسي بين جبلين من نار وربما رأيتني أهوى فيها حتى أبلغ قعرها فكيف تهنا الدنيا من كانت هذه صفته .

وكان عمر رضي الله عنه ربما توقد له النار ثم يدني يديه منها ثم يقول : يا ابن الخطاب هل لك على هذا صَبر .

ومما يحثك على الإستعداد وتفقد شؤنك وأمرك ذكر أحوال كثير من السلف الصالح الذي أقلقهم خوفُ الحساب والعذاب في البرزخ والنار .

لما أهْدِيَت مُعَاذَة العدوية إلى زوجها صِلة بن أشيم أدْخَلَه ابن أخيه الحَمام ثم أدخله بَيْتاً مُطَيَّبا فقام يصلي حتى أصبح وفَعَلَتْ زوجتُه مُعَاذَة مِثْلَه .

فلما أصبح عاتبةُ ابنُ أخيه على فعله ليلة الزواج فقال له : أدْخَلْتَنى بالأمس بَيْتاً ذَكَّرتني به النار ثم أدْخلتَني بَيْتاً ذَكَّرتني به الجنة فما زَالتَ فِكْرَتي فيهما حتى أصْبَحْتُ .

ونظر عمر بن عبدالعزيز إلى رجل عنده مُتَغَيِّرُ اللون ، فقال له : ما الذي بك ؟ فقال : إني ذُقْتُ حَلاوَةَ الدنيا فصَغُر في عيني زَهْرَتُها ومَلاعِبُهَا ، واستوى عِنْدِي حِجَارَتُهَا وذَهَبُهَا .

ورَأَيْتُ كأن الناس يُسَاقُونَ إلى الجنة ، وأنا أُسَاقُ إلى النار ، فأسْهَرْتُ لِذَلِكَ لَيْلي ، وأظمأتُ نَهارِي ، وكُلُ ذلك صغيرٌ حقيرٌ في جَنْبِ عَفو الله ، وثَوابه عز وجل وجَنْبِ عِقابه .

وقال إبراهيم التَّيْمِي مَثَّلْتُ نَفْسِي في النار آكلُ من زَقُومِها وأشْربُ مِن صَدِيدها وأعَالجُ سَلاسِلَها وأغْلالها .

فقلتُ لِنَفْسِي أيُّ شيءٍ تُرِيْدِين ، قالت أُرِيْدُ أنْ أُردَّ إلى الدنيا فأعْمَلَ صَالحاً ، قال : فقلتُ أنْتِ في الأمْنِيَّةِ فاعْمَلي .

وسمعَ عُمَرُ بن الخطاب رَجُلاً يَتَهجَّدُ في الليل ويَقْرأ سُورةَ الطَوْر ، فلما بلغ قوله تعالى ﴿ **إن عَذابَ ربك لواقع ما له من دافع** ﴾ .

قال عمر : قَسَم ورب الكعبة حق ، ثم رَجَعَ إلى بيته فمرضَ شهرا يَعُوده الناس ، ولَا يَدْرُونَ ما سَبَبُ مرضه .

وكان جماعة مِن السلف مَرِضوا مِن الخوف ولِزِمُوا مَنَازِلهم وبَعْضُهم صار صاحبَ فراش .

وكان الحسنُ يقول في وصف الخائفين : قد بَراهُم الخوفُ فَهم أمثالُ القِداح يَنظر إليهم الناظر فيقول مَرْضَى وما بهم مَرَضٌ ويقولُ قد خُولِطُوا وقد خَالَطَ القومَ مِن ذِكر الآخرةِ أمْرٌ عَظِيم .

اللهُمَّ يَا مُنَوِّرَ قُلُوبَ العَارفينَ ، يَا قَاضِي حَوَائجَ السَّائلِينَ يَا قَابِلَ تَوبَةِ التَّائبينَ ويَا مُفرِّجاً عن المَكْرُوبين والمغمُومِيْنَ ، تُبْ عَليْنَا واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا ولجَميع المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصَلَى الله على مُحمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ :

(فَصْـــلٌ)

عن بُرَيْدَةَ قال : سَمِعَ النبيُ ﷺ رجُلاً يقول : اللهم أني أسْأَلُكَ بأني أشْهَدُ أنَكَ أنْتَ الله لا إله إلا أنْتَ الأحَد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحـــد .

فقال رسول الله ﷺ : والذِي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجَابَ وإذا سُئِلَ به أعْطَى أخرجه أبو داود والترمذي .

وعن أنس رضي الله عنه قال : دعا رجل فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام يا حي يا قيوم .

فقال النبي ﷺ : أتدرون بما دعا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ، أخرجه أصحاب السُنَن .

عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ : « دعوة ذِى النون إذْ دَعَى وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إني كنت من الظالمين ».

فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له ، رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد .

وعن معاوية بن أبي سُفيان قال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول « مَن دَعَا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه (لا إله إلا الله والله أكبر لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله) رواه الطبراني بإسناد حسن .

وعن معاذ بن جبل قال : سمع رسول الله ﷺ رجلاً وهو يقــــول (ياذا الجلال والإكرام) فقال « قد استُجِيْبَ لَكَ فَسَلْ » رواه الترمذي .

اللهم اجعلنا مُكْثِرِينَ لِذِكرك مُؤَدِّيْنَ لحَقِّك حافظين لأمرك راجين لِوَعْدِكَ راضين في جميع حالاتنا عَنك .

راغبين في كُلِّ أمُورنا إليكَ مُؤَمِّلينَ لِفَضْلِك شاكرين لِنِعَمِك .

يا مَن يحب العفو والإحسان ، ويأمر بهما أعفُ عنا ، وأحْسِنْ إلينا .

فإنكَ بالذي أنت له أهلٌ من عَفوك أحق منا بالذي نحن له أهل مِن عُقُوبتك .

اللهم ثَبِّتْ رَجَاءَكَ في قلوبنا ، واقطعه عَمَّنْ سِوَاك ، حتى لا نَرْجُوا غيرَكَ ولا نستعين إلا إياك ، يا أرحم الراحمين ، ويا أكرم الأكرمين .

اللهم هب لنا اليقين والعافية ، وإخلاص التوكل عليك ، والإستغناء عن خلقك . واجعل خير أعمالنا ما قارب آجالنا .

اللهم أغننا بما وفقتنا له من العلم ، وزينا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وجَمِّلْنَا بالعافيــــة .

اللهم افتح مَسَامِعَ قلوبنا لِذِكرك وارزُقنا طاعتَك وطاعةَ رسولك ووفقنا للعمل بكتابك وسنة رسولك .

اللهم إنا نسألك الهدى ، والتُّقى والعَافِيَةَ والغِنى ، ونعوذ بكَ مِن دَرَكِ الشقَاءِ ، ومن جهْدِ البَلاء ومن سُوْءِ القَضاء ومن شَماتَةِ الأعداء .

اللهم لك الحَمْدُ كُلُّه ، ولك الملكَ كُلُّه ، وبيَدِكَ الخير كلّه ، وإليك يَرْجِعُ الأمر عَلانِيتُه وسِرُّه ، أهلُ الحمدِ والثناءِ أنْتَ ، لا إله إلا أنت سُبحانك إنك على كل شيء قدير .

اللهم اغفر لنا جميع ما سَلَفَ منا مِن الذنوب ، واعْصِمْنَا فيما بَقِى مِن أعمارنا ، ووفقنا لِعَمَلٍ صَالِحٍ تَرضَى به عنا .

اللهم يا سامع كل صوت ، ويا بارىء النفوس بعد الموت ، يا مَن لا

تشتبهُ عليه الأصوات ، ياعظيم الشأن ، يا واضح البرهان ، يا مَن هو كل يوم في شأن ، اغفر لنا ذنوبنا إنكَ أنتَ الغفور الرحيم .

اللهم ياعظيم العفو ، يا واسع المغفرة ، يا قريب الرحمة ، ياذا الجلال والإكرام ، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة .

اللهم ياحيُّ وياقيوُّم فرِّغنا لما خَلَقْتَنَا له ، ولا تُشْغِلْنَا بما تَكَفَّلْتَ لنا به ، واجعلنا ممَّن يُؤمِنُ بلقَائِك ، ويَرْضَى بقَضَائِك ، ويقنعُ بعطائك ، ويخشَاكَ حَقَّ خَشْيَتِك .

اللهم اجْعَلْ رِزْقَنَا رَغَدًا ، ولا تشمِتْ بنَا أحَدًا .

اللهم رَغِّبْنَا فيما يبقى ، وزهدنا فيما يَفْنى ، وهب لنا اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه ، ولا يُعَوَّلُ في الدين إلا عليه .

اللهم إنا نسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفينا شر ما أهَمَّنَا وما لا نهتم به وأن تعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

اللهم يا عليم يا حليم يا قوي يا عزيز ياذَا المن والعطا والعز والكبرياء يا مَن تَعْنُوْا له الوجُوه وتخشع له الأصوات .

وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شيءٍ قدير .

اللهم إنا نسألك رحمة مِن عندكَ تَهْدِي بها قُلُوْبَنَا ، وتَجْمعُ بها شَمْلَنَا ، وتَلمُ بها شَعَثَنَا ، وترفع بها شاهدنا ، وتَحفَظُ بها غائِبَنَا ، وتزكى بها أعمالنا ، وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم الراحمين .

اللهم إرزقنا من فضلك ، وأكفنا شر خلقك ، وأحفظ علينا دِيْنَنَا وصحةَ أبداننا .

اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ، ومُقِيْلَ عثرات العاثرين ،

نسألك أن تُلْحِقنا بعبادك الصالحين الذين أنعمتَ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين .

اللهم يا عالم الخفيات ،.ويا رفيع الدرجات ، يا غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .

نسألك أن تذيقنا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يا أرحم الراحمين وأرأفَ الرائفين وأكرمَ الأكرمين .

اللهم اعْتِقْنَا مِن رقِّ الذُنُوبْ ، وخَلِّصْنَا مِن أشَرِ النُّفوسْ ، وأذْهِبْ عَنَّا وَحْشَةَ الإسَاءَةْ ، وطَهِّرْنا مِن دَنَسِ الذنوب ، وباعِدْ بَيْنَنا وبَيْنَ الخَطَايَا وأجِرْنا من الشيطان الرجيم .

اللهم طَيِّبْنَا لِلقَائِكْ ، وأهِّلْنَا لِوَلائِكْ وأدْخِلْنَا مَعَ المَرْحُوْمِيْنَ مِن أوْلِيَائِكْ ، وتَوفَّنَا مُسْلِمين والحقنَا بالصالحين .

اللهم أعِنَّا على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتِكْ ، وتِلَاوَةِ كِتَابِكْ ، واجْعَلْنَا من حِزْبِكَ المُفْلِحِينَ ، وأيِّدْنَا بجُنْدِكَ المنْصُورِين ، وارْزُقْنَا مُرافَقَةَ الذيْنَ أنْعَمْتَ عليهم مِن النبيينَ والصِّدِيقين والشهداء والصَّالحين .

اللهم يا فالقَ الحب والنَّوى ، يا مُنْشِيء الأجْسَادِ بَعْدَ البلَى يامُؤْوِيْ المنْقَطِعِيْنَ إليه ، ياكافي المُتَوَكِّلينَ عليه ، انقطَعَ الرَّجَاءُ إلا مَنْكْ ، نَسْأَلُكَ أنْ تُمْطِرَ مَحْلَ قُلُوبِنَا مِن سَحَائِبِ بِرِّكْ واحْسَانِكْ وأن توفقنا لِموجِباتِ رحمتك وعَزَائِم مغفرتك إنكَ جواد كريم رؤوف غفور رحيم .

اللهم إنَّا نسألك قلباً سليماً ، ولساناً صادقاً ، وعملاً متقبلاً ، ونسألك بركة الحياة وخير الحياة ، ونعوذ بك من شر الحياة ، وشر الوفاة .

اللَّهُمَّ إنا نَسْأَلُكَ باسْمِكَ الأعْظَم الأغَرَّ الأجَلِّ الأكرم الذي إذا دُعِيْتَ به أجَبْتَ وإذا سُئِلْتَ به أعْطَيْتَ . أن تَغْفِرَ ذُنوبنا وتَسْتُرَ عُيُوْبَنَا .

ونَسْأَلُكَ بِوَجْهكَ الكَرِيْمِ أكْرَمَ الوُجُوه ، يا من عَنَتْ لَهُ الوُجُوهُ ،

وخَضَعَتْ لَهُ الرِقَابُ ، وخَشَعَتْ لَهُ الأَصْوَاتُ ، ياذا الجَلالِ والإكرامِ .

يا حَيُّ يا قَيُّومُ ، يا مَالكَ الملك ، يَا مَن هُوَ على كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ ، وبكل شيءٍ عَلِيمِ ، لا إله إلا أَنْتَ ، بَرحْمَتِكَ نَسْتَغِيْثَ ، ومِن عَذَابكَ نَسْتَجِير .

اللهم اجعلَنا نَخْشَاكَ حَتَّى كأننا نَرَاكَ ، واسْعِدْنا بتقْواك ، ولا تُشْقِنَا بِمَعْصِيَتك .

اللهَم إنك تسمعُ كلامَنَا ، وتَرى مَكاننا ، وتَعْلم سِرّنَا ، وعَلانِيَتَنا لا يَخْفَى عليكَ شيءٌ مِن أَمْرنا نحن البؤساءُ الفُقَراءُ إليك ، المُسْتَغِيْثُونَ المُسْتَجِيْرُونَ الْوجلُونَ المشفقُونَ المعترفُون بِذُنُوبِنَا .

نَسْأَلُكَ مَسألةَ المسكين ، ونَبْتهِلُ إليك إبْتِهَالَ المُذْنبِ الذَّلِيْل ، وندعك دُعَاءَ الخَائف الضرير .

اللهم يا مَن خَضَعَتْ لَهُ رِقَابُنا ، وفاضَتْ لَهُ عَبَارَاتُنَا ، وذَلَّت له أجْسَامُنَا ، ورَغِمَتْ لَهُ أُنُوفُنَا لا تَجْعَلْنَا بِدُعَائِك أَشْقِيَاءَ ، وكُنْ بنا رَؤُوفاً يا خَير المَسْؤُلين .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ نَفْساً مُطْمئِنَّةً ، تُؤمِنُ بلقَائِكْ وتَرْضَى بِقَضائِكْ ، وتَقْنَعُ بِعَطَائكْ ، يا أَرْأَف الرَّائِفِين ، وأَرْحَم الراحمين .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ التوفِيْقَ لما تُحِبُّه مِن الأعمال ، ونسأَلُكَ صِدْقَ التوكلِ عليكْ ، وحُسْنَ الظَنِّ بِكَ يَارَبَّ العالمين .

اللهم اجعلنا مِن عِبادكَ المُخْبِتِين ، الغُرِّ المُحَجَّلين الوَفْدِ المُتَقَبَّلين يَا أَرْحَم الرَّاحِمِيْن .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبةً ، ونَفْساً تَقِيَّة ، وعِيْشَةٍ نَقِيَّة ، ومِيْتَةً سَوِيَّة ، ومَرَداً غَيْرَ مُخْزِي ولا فاضح .

اللهم اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك يارب العالمين .

« اللهم ما لكَ الملك تؤتي الملك من تشاء وتُنزع الملك ممن تَشاء وتُعِز

مَن تشاء وتُذِلُ مَن تشاء بِيَدِكَ الخيرُ إنكَ على كل شيءٍ قدير » .

يا وَدُوْدُ يَاذا العَرش المجيد يا مُبْدِىءُ يا مُعِيْدِ يافَعَالٌ لما تُريد نسألك بنور وجهك الذي ملأ أركانَ عَرشك وبقُدرتِكَ التي قدرتَ بها على جميع خَلْقِكَ وبِرحْمَتِكَ التي وسِعَت كل شيء لا إله إلا أنت أن تَغْفِرَ ذُنُوبنَا وسَيئاتِنَا وأنْ تبدلها لنا بحسنات إنك جوادٌ كريم رؤوفٌ رحيم .

اللهم افتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين ،،،

فوائد عَظِيْمَة النَّفْــــع

وَاعَجَباً مِنْكَ يَضِيْعُ مِنْكَ الشَّيْءُ القَلِيْلُ وَتتكدّر وَتَتَأَسَّفُ ، وقَدْ ضَاعَ أَشْرَفُ الأشْياء عِنَدكَ وَهُوَ عُمُركِ الذي لا عِوضٍ لِهُ ، وأنْتِ عِنْدَ قَتَّالَاتِ الأَوْقَات ، الكُورة والتّلفاز والمِذْيَاع وَنَحْوِها مِن قُطَّاع الطَّرِيْقِ عَنِ الأَعْمَالِ الصَّالَحِةِ ، ولَكِنْ سَتَنْدمَ «يَوْمَ يُنَادِ المُنَادِي مِن مَكَانٍ قَرِيْب ، يَوْمَ يَسْمَعُوْنَ الصَّيْحَةَ بالحق ذلك يوم الخروج » .

شعرا : قال بعضهــــم :

أُقلّبُ كُتُباً طَالَمَا قَدْ جَمَعْتُهَــا   وَأَفْنَيْتُ فِيْهَا العَيْنَ وَالعَيْـنَ وَالْيَـدَا
وَأَصْبَحْتُ ذَا ظَنّ بِهَا وَتَمَسُّكٍ   لِعِلْمِيْ بِمَا قَدْ صُغْتُ فِيها مُنَضَّدَا
وَأحْذَرُ جُهْدِيْ أَنْ تُنَالَ بِنَائِلٍ   مَهِيْنٍ وَأَنْ يَغْتَالَهَا غَائِلُ الرَّدَى

وَأَعْلَمُ حَقاً أَنَّنِي لَسْتُ بَاقِيــاً فيا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ يُقَلِّبُهَا غَــدَا
آخر : أَتَطْمَعُ أَنْ تُخَلَّدَ لَا أَبالَكْ أَمِــنْتَ مِنَ المَنِيَّــةِ أَنْ تَنَــالَكْ
فَكُنْ مُتَوقِّعاً لِهُجُوْم مَــــوْتٍ يُشَتِّتُ بَعْدَ جَمْعِهِمُوْا عِيَــالَكْ
كَأَنِّيْ بِالتُّراب عَلَيْــكَ يُحْثَــى وَبالبَاكِيْــنَ يَقْتَسِمـــُونَ مَالَكْ
آخر : يا مَنْ سَيَنْــأَى عَن بَنِيْــهْ كما نَــآى عَنْــهُ أَبُـــوْهْ
مَثِّلْ لِنَفْسِــكَ قَوْلَهُـــمْ جاء اليَقِيْـــنُ فَوَجِّهُــــوْهْ
وَتَحَلَّلُــوْا من ظُلْمِـــهِ قِبْلَ الْمَمَـــات وحَلِّلُـــوْهْ

تمَّ هذَا الجُزْءُ بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيْقِهِ وَنسْأَلُ اللّهُ الحَيَّ القَيُّوْمُ العَلِيُّ العَظِيْمَ ذا الجَلَالِ والإِكْرَامِ الوَاحِدَ الأَحَدَ الفَرْدَ الصَّمَدَ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كفواً أَحَد أنْ يُعِزَّ الإسْلَامَ والمُسْلِمِيْنَ وأنْ يَخْذُلَ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِيْنَ وَأَعْوَانَهُمْ وأنْ يُصْلِحَ من في صلاحه صَلاحٌ للإسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَيُهْلِكَ منْ في هلَاكِهِ عز وصلاح للإسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَأَنْ يَلُمَّ شَعَثَ المُسْلِمِيْنَ وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ وَيُصْلِحَ أَولادَهُمْ وَيَشْفِ مَرْضَاهُمْ وَيُعَافِي مُبْتَلَاهُمْ وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ بِأَيْدِيْنَا إلى كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا وإيَّاهم مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظنا وإيَّاهم مِن كُلِّ ضُرٍ وأنْ يَغْفِرَ لنا ولوالدينا وجميع المسلمين بِرَحْمَتِهِ إنَّه أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلى الله على محمد وعلى آله وَصَحْبِهِ أجمعين .

والله المسئول أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به نفعاً عاماً إنه سميع قريب مجيب على كل شيء قدير .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين . ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً «عبدالعزيز المحمد السلمان»

فهرس الجزء الرابع من موارد الظمآن

فهرس الجزء الرابع من موارد الظمآن

فهرس الجزء الرابع من موارد الظمآن

فهرس الجزء الرابع من موارد الظمآن

فهرس الجزء الرابع من موارد الظمآن

فهرس الجزء الرابع من موارد الظمآن

فهرس الجزء الرابع من موارد الظمآن

فهرس الجزء الرابع من موارد الظمآن

فهرس الجزء الرابع من موارد الظمآن

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَن أرادَ طِبَاعَتِهِ إبْتِغَـاءَ وَجْه الله تَعَالىٰ لا يُرِيْدُ به عرضـاً مِن الدنيا ، فقد أُذِنَ لَه في ذلك وَجَزَى اللَّهُ خيراً مَن طَبَعَهُ وَقْفاً لله ، أَوْ أعانَ على طبعِهِ ، أَوْ تَسَـبَّبَ لِطَبْعِهِ وتوزيعه على إخوانه المسلمين .

مَوارِدُ الظَمآن لِدُرُوسِ الزمَان

خطب وَحكم وَاحكام وَقواعد وَمواعظ وآداب واخلاق حسان

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز المحمد السلمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء الخامس

الطبعة الثلاثون (٣٠)

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير

الموكل عنهم إبراهيم بن علي العودة

جزاهم الله كلهم خيراً

اللهم صلي على محمد وعلى آله وسلم

١٤٢٤ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فَوَائِدُ عَظِيمَةُ النَّفْعِ

وَقَفَ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوْا إِنَّا سَّائِلُوكَ أَفَمُجِبُنَا أَنْتَ قَالَ سَلُوْا وَلَا تُكْثِرُوْا ، فَإِنَّ النَّهَارَ لَنْ يَرْجِعَ والعُمُرَ لَنْ يَعُوْدَ ، والطَّالِبَ حَثِيْثٌ في طَلَبِهِ ، قَالُوْا فأَوْصِنَا ، قَال تَزَوَّدُوْا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ فإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أَبْلَغَ البُغْيَةَ ، ثُمَّ قَالَ الأَيَّامُ صَحَائِفُ الأَعْمَارِ فَخلِّدُوْهَا أَحْسَنَ الأَعْمَال ، فإِنَّ الفُرَصَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، وَالتَّوَانِيْ مِنْ أَخْلَاقِ الكُسَالَى وَالخَوالِفِ ، وَمَنِ اسْتَوْطَنَ مَرْكَبَ العَجْزِ عَثَرَ بِهِ ، وتَزَوَّجَ التَّوَانِيْ بالكَسَلِ فَوُلِدَ بَيْنَهما الخُسْرَانُ اهـ . قَال بَعْضُهُمْ :

شِعْرَا : تَزَوَجَتِ البَطَالَةُ بالتَّوَانِيْ ... فَأَوْلَدَهَا غُلَاماً مَعْ غُلَامَهْ
فأَمَّا الإِبْنُ سَمَّوْهُ بِفقرِ ... وَأَمَّا البنْتُ سَمَّوْهَا نَدَمَهْ

أَيُهَا الأَخ تَدَبَّرْ أَمْرَكَ فإِنَّكَ في زَمَنِ الرِّبْحِ وَوَقتِ البَذْرِ واحْذَرْ أَنْ يَخْدَعَكَ العَدُوَّ عن نَفِيْسِ هَذَا الجوهَرِ فَتُنْفِقُهُ بكَفِّ التَّبْذِير ، وَاللهِ لِئِنْ فَعَلْتَ لَتَغْرِسَنَّ شَجَرةَ النَّدامَة فَيَتَساقَطُ عَلَيكَ مِنَ كُلِّ فَنٍّ مِنْهَا حَسْرَةٌ وَنَدَامَة وَاحْذَرْ مِن إِخْتِلاسِ الأَعْدَاءِ لَهُ ، والأعداء أرْبَعَة إِبْلِيْسُ لَعَنَهُ الله ، وَالدنيا ، وَالنَّفس الأَمَّارة بالسُوْء ، والهَوَى .

شَعر : إني بُلِيْتُ بأَرْبَعٍ ما سُلِّطُوا ... إلاَّ لِأَجْلِ شَقَاوَتِي وَعَنَائِي
إِبْلِيْسُ وَالدُّنْيَا وَنَفسْيْ والهوَىَ ... كَيْفُ الخَلاصُ وَكُلُّهم أَعْدَائِي

بسم الله الرحمن الرحيم

مُلاحَظَة : لا يسمح لأي إنسان أنْ يَخْتَصِرَهُ أوْ يتعَرَّض له بما يُسَمُّونَه تَحقِيْقاً لأَنَّ الإختصار سَبَبٌ لتعطيل الأصْلِ والتحقيق أرَى أنَّهُ إتِهَامٌ لِلْمُؤلف ، ولا يُطْبَع إلا وقفاً لله تعالى على مَن ينتفع به من المسلمين .

(فائدةٌ عَظِيمَةُ النَّفَعْ لِمَنْ وَفَّقَهُ الله)

ما أَنْعَم الله على عَبْدٍ نعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أنْ عَرَّفَه لَا إلَهَ إلا الله ، وفَهَّمَهُ مَعْنَاهَا ، ووَفَّقَهُ لِلعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا ، والدَّعْوَةِ إليْهَا .

الذِّكْرُ أصْدَقُ قَوْلٍ فافْهَم الخَبَرَا ... لأنَّهُ قَوْلُ مَنْ قَدْ أنْشَأ البَشَرَا
فَاعْمَلْ بِهِ إنْ تُرِدْ فَهْماً ومَعْرِفَةً ... يَاذَا النُّهَى كَيْ تَنَال العِزَّ والفَخَرَا
وتَحْمدِ الله في يَوْمِ المَعَادَ إذَا ... جَاءَ الحِسَابُ وعَمَّ الخَوفُ وانْتَشَرَا
لله دَرُّ رِجالٍ عَامِلِيْنَ بِهِ ... فِيْمَا يَدِقُّ وَمَا قَدْ جَلَّ واشْتَهَرَا
آخر : جَمِيْعُ الكُتْبِ يُدْرِك مَنْ قَراهَا ... مِلالٌ أو فتُورُ أَوْ سَآمَهْ
سِوَى القرآنِ فافْهَمْ وَاسْتَمِعْ لي ... وقَوْلِ المُصْطَفَى يا ذَا الشَّهَامَهْ

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

اللَّيْلُ والنهارُ يَعْملان فِيْكَ فاعْمَلْ فيهما أَعْمالاً صَالِحَةً تَرْبَحَ وتحمَدِ العَاقِبَةَ الحَمِيْدِةَ إن شاء الله تعالى .

(٢)

الملائكةُ يكْتُبانِ ما تَلفَّظُ به فاحْرَصْ عَلَى أنْ لا تَنْطِقَ إلَّا بما يَسُرُّكَ يوم القِيامَةْ . أشْرَفُ الأشْياءِ قَلْبُكَ ، ووَقْتُكَ ، فإذا أَهْمَلْتَ قَلْبَكَ وَضَيَّعْتَ وَقْتَكَ ، فَماذا يَبْقى مَعَكَ ، كُلُّ الفَوائِدِ ذَهَبتْ .

شعرا : إنِّي أبُثُكَ مِن حَدِيْثي إنَّ الحَدِيْثَ لهُ شُجُوْنْ
غَيَّرْتُ مَوْضِعَ مِرْقدِيْ لَيْلاً فَفارَقَنِيْ السُّكُوْنْ
قُلْ لِيْ فَأَوَّلُ لَيْلَةٍ في القَبْرِ كَيْفَ تكُوْنْ

(٣)

إعْلَم أَنَّ قِصرَ الأمَلِ عليه مَدَارٌ عظيم ، وحِصْنُ الأمَلِ ذِكْرُ الموتِ ، وحِصْنُ حِصْنِهِ ذِكْرُ فَجْأَةِ الموتِ وَأَخْذُ الإنسانِ على غِرَّةٍ وغَفْلةٍ ، وهُوَ في غِرُرٍ وفُتُورٍ عن العملِ لِلآخِرَةِ . نَسْأَلُ الله أَنْ يُوقِضَ قُلوبَنَا إنه على كُلِ شيء قدير . اللهم صلى على محمد وآله وسلم .

شعرا : سَلِ اللَّهَ عَقْلاً نَافِعاً وَاسْتَعِذْ بِهِ مِن الجَهْلِ تَسْأَلْ خَيْرَ مُعْطٍ لِسَائِلِ
فَبِالعَقْلِ تَسْتَوْفِيْ الفَضَائِل كُلَّهَا كَمَا الجَهْلُ مُسْتَوْفٍ جَمِيْعَ الرَّذَائِلِ

فَائِدَةٌ عَظِيْمَةُ النّفْع

قَالَ أَحَدُ العُلَماءِ رَحِمِهُ اللهُ تَعَالى عَلَيْكَ يَا أَخِي بِمُحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ ، وَقَهْرِه ، وذَلِكَ لِخَصلَتَيْن أَحَدُهُمَا أَنَّهُ عَدُوٌ مُظِلٌ مُبين ، لَا مَطْمَعَ فِيهِ بِمُصَالحَةِ وَاتّقَاءِ شَرّهِ أبَدَا ، لِأَنَّهُ لَا يُرْضِيهِ وَيُقْنِعُهُ إلاَّ هَلَاكُكَ أَصْلًا فَلا وَجْهَ إذاً لِلأَمن من هَذَا الْعَدُوْ والْغَفْلَةِ عَنْه ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلا ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِيْ آدَمَ أن لا تَعْبُدوا الشيطان إنَّهُ لكم عَدُوٌ مُبِين** ﴾ وقال تعالى ﴿**إنَّ الشيطان لَكُمْ عَدُوٌ فاتَّخِذُوْهُ عَدُوّاً** ﴾ ، وَالخَصْلَةُ الثَّانيةُ أَنَّهُ مَجْبُولٌ عَلَى عَدَاوَتِكَ ، ومُنْتَصِبٌ لِمُحَارَبَتِكَ في اللَّيْلِ والنَّهَارِ يَرْمِيْكَ بِسِهَامِهِ ، وَأَنْتَ غَافِلٌ عَنْهُ ، ثُمَّ هُوَلَهُ مَعَ جَمِيعِ المُؤمِنِيْنَ عَدَاوَةٌ عَامَةٌ ، وَمَعَ المُجْتَهِدِ في العِبَادَة والعِلْم عَدَاوَةٌ خَاصَةٌ ، وَمَعَهُ عَلَيْكَ أَعْوَانٌ نَفْسُكَ الأمَارَّةِ بالسُّوْءِ ، والهَوَى ، وَالدُّنْيَا ، وَهُوَ فَارِغٌ وَأَنْتَ مَشْغُوْل ، وَهُوَ يَرَاكَ وَأَنْتَ لَا تَرَاه ، وأَنْتَ تَنْسَاهُ وَهَوَ لَا يَنْسَاكَ ، فَإِذَا لَابُدَّ مِنْ مُحَارَبَتِهِ ، وَقَهْرِهِ ، وَإلاَّ فَلَاتَأ مَنِ الفَسَادَ والهَلَاكَ وَالدَّمَار ، وَمَحَارَبَتُهُ بالإِسْتِعَاذَةِ باللهِ وَالإِكثارِ مِنْ ذِكِره .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِعْلَمْ وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ وجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ أَنَّهُ لَمْ يُؤثَرْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَتَابِعِيْهِمْ بِإِحْسَانٍ تَعْظِيْمَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ وَالمُوَالِيْنَ لِأَهْلِ البِدَعِ وَالمُنَادِيْنَ بِمُوَالاتِهِمْ ، لِأَنَّ أَهْلَ البِدَعِ مَرْضَى قُلُـوْب وَيُخْشَى عَلَى مَنْ خَالَطَهُمْ أو اتَّصَلَ بِهِمْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ مِنْ مَا بِهِمْ مِنَ هَذَا الدَّاءِ العُضَال ، لِأَنَّ المَرِيْضَ يُعْدِيْ الصَّحَيْحَ وَلَاعَكْس ، فَالْحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ جَمِيْعِ أَهْلِ البِدَعِ ، وَمِنْ أَهْلِ البِدَعِ الذِيْنَ يَجِبُ البُعْدُ عَنْهُمْ وَهِجْرَانُهُمْ ، الجَهْمِيَّةُ ، وَالرَّافِضَةُ ، وَالمُعْتَزِلَةُ ، والْمَاتُرِيْدِيَّةُ ، وَالخَوَارِجُ ، والصُّوْفِيَّةُ ، والأَشَاعِرَة ، وَمَنْ عَلَى طَرِيْقَتِهِمْ مِنَ الطَّوائِف المُنْحَرِفَةِ عَنْ طَرِيْقَةِ السَّلَفْ ، فَيَنْبَغِيْ لِلْمُسْلِم أَنْ يَحْذَرَهم وَيُحَذِّرَ عَنْهُمَ وصلى الله على محمد وآله وسلم .

فائدة عظيمة الْمَنْفَعَة

العِلْمُ بِمَا جَاءَ عن اللهِ جَلَّ جَلَالُه وتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهْ وَمَا جَاء عن رَسُولِهِ ﷺ خَيْرُ مِيْرَاث ، والتَّوفِيْقُ مِنَ الله خَيْرُ قَائِدِ ، والاجْتِهَادُ فِيْ طَاعَةِ الله خَيْرُ بَضَاعَة ولَا مَالَ أَحْسَنُ مِنَ عَمَلِ الرَّجُلِ فِي يَدِهِ ولا مُصِيْبَةَ أَعْظَمُ من الكُفْرِ بالله ، ولا عَوِيْنَ أَوْثق مِن الاعتمادِ عَلَىَ الله ، ثَمَ مُشاورة أَصْحَاب الرأي مِن المؤمنين ، ولا أَوحَشَ مِن الكِبْرِ والعُجْبِ والكُفْرِ والنِّفَاق .

[وقف لله تعالى]

« فَصْلُ في تَحْرِيْمِ النَّمِيْمَة »

وَيَجِبُ اجْتِنَابُ النَّمِيْمَةِ قال اللهُ تعالى : ﴿ولا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِيْنٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بنَمِيْمٍ﴾ وقال صلى اللهُ عليه وسلم ألا أُخْبِرُكُمْ بشِرَارِكُمْ قَالُوا بَلَى قال المَشَّاؤُوْنَ بالنَّمِيْمَةِ المُفَرِّقُوْنَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ البَاغُوْنَ لِلْبُرَّاءِ العَنَت رواه أحمد .

وقال صلى اللهُ عليه وسلم : « لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ » وعن ابنِ مَسْعُودٍ رضي اللهُ عنه ، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أَنبِئُكُمْ ما العَضةُ هِيَ النَّمِيْمَةُ ، القالةُ بَيْنَ الناسِ » رواه مسلم . وعن عبد الرحمنِ بن غُنْمٍ وأَسْمَاءِ بِنْتِ يَزِيْدَ رضي اللهُ عَنْهُم أَنَّ النبي صلى اللهُ عَلَيْه وسلم قال : خِيَارُ عِبَادَ اللهِ الذينَ اذا رُؤُا ذُكِرَ اللهُ وَشِرَارُ عِبَادِ اللهِ المَشَاؤُون بالنَّمِيْمَةِ المُفَرِّقُون بَيْنَ الأَحِبَّة البَاغُونَ البُرَاءَ العَنَت رواهما أحمد والبيهقي في شعب الايمان .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ ، فقال : « إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ في كَبِيْرٍ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فكانَ يَمْشِيْ بالنَّمِيْمَةِ ، وَأَمَّا الآخَرُ فكانَ لَا يَسْتَبْرِئُ مِن بَوْلِهِ » الحديث رواه البخاري .

فالنَّمِيْمَةُ نَقْلُ كَلَامَ بعضِ الناسِ لِبَعْضٍ لِقَصْدِ الافْسَادِ ، وإِيْقَاعِ العَدَاوَةِ والبَغْضَاءِ ، فالنَّمُ خُلُقٌ ذَمِيْمٌ لأَنَّهُ بَاعِثٌ لِلْفِتَنِ وَقَاطِعٌ لِلصِّلاتِ ، وَزَارِعٌ لِلْحِقْدِ ، وَمُفَرِّقٌ لِلْجَمَاعَاتِ ، يَجْعَلُ الصَّدِيْقَيْن عَدُوَّيْنِ ، والأَخَوَيْنِ أَجْنَبِيَّيْنِ ، والزَّوْجَيْنِ مُتَنَافِرَيْنِ ، فَهَذِهِ المَعْصِيَةُ مَعْصِيَةُ النَّمِيْمَةِ ،

ولا يَرْضَاهَا لِنَفْسِهِ إِلَّا مَنْ انحطَّتْ قِيْمَتُهُ وَدَنُؤَتْ نَفْسُهُ ، وكانَ عِنْدَهَا حَقِيْراً ، وَصَارَ كالذُّبَابِ يَنْقُلُ الجَرَاثِيْمَ .

وَأَمَّا مَن كَانَ يَشْعُرُ بِنَفْسِهِ ، فلا يَرْضَى لَهَا هَذِهِ الحَالَةَ ، وهي حَرامٌ بِجَمِيْعِ أَنْواعِهَا ، سَوَاءٌ كانَتْ بَيْنَ الأَصْدِقَاءِ والأَصحابِ أو عندَ أربابِ الجاهِ والسلطانِ ، وهي شَرُّ أَنْوَاعِ النَّمِيْمَةِ وَأَشَدُّ خَطَراً فإن هَذِهِ هِيَ السِّعَايَةُ ولا يَخْفَى مَا وَرَاءَ ذِلِكَ مِن المَفَاسِدِ العَظِيْمَةِ فَكَمْ جَرَّتْ مِنْ وَيْلَاتٌ عَلَى كَثِيْرٍ مِن الأَبْرِيَاءِ المؤمنينَ الغافِلِيْنَ طَاهِرِي القُلُوبِ سَلِيْمِي الصُدُوْرِ فَقَضَتْ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَكَمْ نَكَّلَتْ بِكَثِيْرٍ مِنْ العُلَمَاءِ فَأَخْرَجَتْهُمْ مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِم وَأَصْبَحُوْا عُرْضَةً لِلْمِحَنِ والنَّوَائِبِ وَكَمْ ضَرَّتْ بِصَالِحِيْنَ مُطْمَئِنِّيْنَ فَأَوْدَعَتْهُم السُجُونَ وَسَلَبَتْهُمْ الحُقُوْقَ ، وَجَعَلَتْ لِلْفَسَقَةِ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً ، وَكَمْ حَرَمَتْ أَطْفَالاً مِنْ قُوْتِهِمْ وَسَلَبَتْ مِنْهُمْ نَعِيْمَهُمْ بِدُوْنِ جِنَايَةٍ اقْتَرَفُوْهَا أَوْ كَانَتْ بَيْنَ زَوْجَيْنِ ، أَوْ بَيْنَ الأَهْلِ وَالأَقْرِبَاءِ ، وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ النَّمِيْمَةَ فِي هَذِهِ الحَالَةِ أَشَدُّ مِنَ النَّمِيْمَةِ بَيْنَ الأَصْدِقَاءِ والأَصْحَابِ ، لِإِفْضَائِهَا إِلى قَطِيْعَةِ الرَّحِمْ والطَّلاقِ غَالباً ، وَمِنْ ذَلِكَ النَّمِيْمَةُ بَيْنَ الجَمَاعَاتِ والإِفْسَادُ بَيْنَ القَبَائِلِ وَمِنْ ذَلِكَ النَّمِيْمَةُ لِرَفْعِ الثِقَةِ مِنْ مُزَاحِمٍ فِي تِجَارَةٍ أَوْ صِنَاعَةٍ أَوْ زِرَاعَةٍ وَمِنْ ذَلِكَ النَّمِيْمَةُ لانْزَالِ شَخْصٍ عَنْ مَكَانَتِهِ واحْتِرَامِهِ عِنْدَ فِئَةٍ مِن الناسِ . هَذَا مُعْظَمُ أَنْوَاعِ النَّمِيْمَةِ ، وَهِيَ كَمَا تَرَى مِنْ شَرِّ مَا مُنِيَتْ بِهِ الفَضِيْلَةُ وَرُزِئَتْ بِهِ الانْسَانِيَّةُ فَلْيَتَقِ اللهَ ذَوُوْا الأَلْسِنَةِ الحِدَادِ ولا يَنْطِقُوا إِلا بِمَا فِيْهِ الخَيْرُ لِخَلْقِ اللهِ ، وَيَكْفِيْكُم فِي هَذَا قَوْلُ المُصْطَفَى صلى اللهُ عليه وسلم « وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ.» رواه البخاري ومسلم .

فإذَا تَبيَّنَ أنَّ النَّمِيْمَةَ دَاءٌ وَبِيْلٌ ، وشَرٌّ خَطِيْرٌ تَتَرَتَبُ عَلَيْهِ كُلُ هَذِهِ الشُرُوْرُ والمَفاسِدُ فَعَلَى مَنْ نُقِلَتْ إليهِ النَّمِيْمَةُ مِثْلُ أنْ يُقَالَ لَهُ : قالَ فِيْكَ فُلاَنٌ كَذَا وكَذَا ، أَوْ فَعَلَ في حَقِّكَ كَذا وَنَحْوُ ذَلك أَنْ لا يُصَدِّقَ النَّاقِلَ لِأَنَّ النَّمامَ فَاسِقٌ لا يَصِحُّ الوُثُوقُ بِخَبَرِهِ .

ثانياً : أَنْ يَنْهَي النَّاقِلَ وَيَنْصَحهُ إن كان يَظُنُّ به خَيْراً وَيعْتَقِدُ أَنْ يَتأَثَرَ بالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ فَيَذْكُرُ لَهُ مَا يَتَرَتَّبُ على نِمَامَتِهِ مِن إيْذَاءِ الأبْريَاءِ وَظُلْمِ الناسِ في أَمْوَالِهِمْ وأَرْزَاقِهِمْ وَيُحَذِّرَهُ مِن عاقِبَةِ وَشَايَتِهِ وَأَنَّهُ رُبَّمَا يَنْكَشِفُ أَمْرُهُ عِنْدَ حَاكِمٍ عَادِلٍ فَيَقْتَصُ مِنْهُ شَرَّ قِصَاصٍ أَوْ يُظْهِرَ كَذِبَهُ عِنْدَ مَنْ يَنْقُلُ إليهِ فَيَنْعَكِسُ غَرَضُه وَأَنَّهُ رُبَّمَا نَمَّ على رَجُلٍ أَقْوَى مِنْهُ فَيَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ بِمَا لا قِبَلَ لَهُ بِهِ وَإِنَّ النَّمامَ سَاقِطُ المُرُوْءَةِ في أَنْظَارِ الناسِ ، مَبْغُوْضاً عِنْدَهُمْ حَتَّى أَقْرِبَائِهِ الذِيْنَ فِيْهِمْ خَيْرٌ وَصَلاحٌ ، فَرُبَّمَا يَرْتَدِعُ بذلك .

ثالثاً : أَنْ لا يَظُنَّ بأَخِيْهِ الغَائِبِ السُوْءَ وَخَيْرُ عِلاجٍ يَقْضِي عليهِ أَنْ يَنْصَرِفَ الناسُ عن النَّمَامِ ولا يَسْتَمِعُوْنَ لَهُ لأنَّه حَسُوْدُ وأَكْثَرُ مَنْ يُعَادِي أَهْلَ الفَضْلِ والدِين الحُسَّادُ لأنهم لَا يَرْضَوْنَ أعْمَاهم ، وتَجِدَ الحَسُودَ إذَا عَجِزَ أَنْ يَصِلَ إلى مَا وَصَلَ إليهِ الكِرَامُ يَعِيْبُهُمْ ويَتَنَقَّصُهُمْ .

قال الشاعر :

إِذَا بَعُدَ العُنُقُوْدُ عَنْهُ وَلَمْ يَصِلْ   إليه بِوَجْهٍ قَال مُرٌّ وَحَامِضُ

آخر :

وقد يَنبحُ الكَلْبُ السَّحَابَ ودَوْنَهُ   مَهَامِهُ تُعْشِي نَظْرَةَ المُتَأَمِلِ

قال الشاعر : (وَذُوْ النَّقْصِ في الدُنْيَا بِذِي الفَضلِ مَوْلَعُ)

ويقول الآخر :

لا يَسْلَمُ الشرّفُ الرّفِيْعُ مِن الْأذىَ   حَتّى يُرَاقَ عَلى جَوَانِبِهِ الـدَّمُ

ويقول الآخر :

وكذا المَنَايَا مَا يَطَأْنَ بِمَنْسَمٍ   إلَّا علَى أَعْنَاقِ أهْل السُّودَدِ

ويقول الآخر :

إنّ الوَرَى أعْدَاءُ مَنْ فَضَلَ الوَرَى

آخر :

الْمَرْءُ يُقْلَى إنْ عَلاَ   حَسَداً ويُهْوَى إنْ هَوَى
كالغُصْنِ يُرْجَمْ مُثمِّراً   أبَدَا ويُسْقَى إنْ ذَوَى

آخر : ومازالَتِ الاشراف تُهْجَى وتُمْدَحُ

ويقول الآخر :

ويَبِيْتُ قَومُ يُحسُدُونَ مُحَمدَّاً   وَذُوْ الفَضْل لاتَلْقَاهُ إلا مُحَسَّدَا

آخر :

وكأنّما شَرَفُ الشَّرِيفِ إذا انْتَمَى   جُرْمٌ جَنَاهُ عَلَى اللَّئِيمِ الرَّاضِعِ

آخر :

مَوْسُوْمَةٌ بالحُسْن ذاتُ حوَاسِد   إنَّ الحِسَانَ مَظَنَّةُ لِلْحُسَّدِ

آخر في التحذير عن النَمِيْمَة والغِيْبَةِ والْبَهْت الخ . . . .

تَنحَّ عن النَّمِيْمَةِ واجْتَنِبْهَا   فإنَّ النَّمَ يُحْبِطُ كُلَّ أَجْرِ
يُثِيْرُ أَخُوْ النَّمِيْمَةِ كُلَّ شَرٍ   وَيَكْشِفُ لِلْخَلائِقِ كُلَّ سِرِ
وَيَقْتُلُ نَفسَهُ وَسِوَاهُ ظُلْمَاً   وَلَيْسَ النَّمُ مِن أَفْعَالِ حُرِ

آخر :

وَيَحْرُمُ بُهْتُ وَاغْتِيَابُ نَمِيْمَةُ   وَإفْشَاءُ سِرّ ثُم لَعْنُ مُقَيَّدِ

آخـر :

وَصَاحِبُ النَّمِّ كالدَّاءِ العَيَـاءِ إِذَا ... مَا ارْفَضَّ في الجِلْدِ يَجْرِيْ هَاهُنَا وَهُنَا

يُبْدِ ي وَيُخْبِرُ عَنْ عَوْرَاتِ صَاحِبِهِ ... وَمَا يَرَى عِنْدَهُ مِن صَالِحٍ دَفَنَا

آخـر :

وَلِدّيَانَـاتِ أَهْـلُ يعرفـون بها ... ولِنّمامـةِ بيْـن النـاسِ فُسَّاقُ

رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عبدِ العزيزِ أنه دَخلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَذكَرَ عِنْدَهُ وَشَايَة في رَجُلٍ آخرَ فقالَ عُمَرُ إنْ شِئْتَ حَقَقْنَا هَذَا الأَمْرَ الذي تَقُوْلُ فِيْهِ وَنَنْظُرْ فِيْمَا نَسَبْتَه إليه .

فإنْ كُنْتَ كاذباً فأَنْتَ مِن أهل هذِهِ الآيةِ ﴿ إن جَآءَكُم فاسِقٌ بنبأ فتبينوا ﴾ وإنْ كُنْتَ صَادقاً فَأَنْتَ مِن أَهْلِ هَذِهِ الآيةِ : ﴿ هَمَّازٍ مشاء بنميم ﴾ وان شِئْتَ عَفَوْنَا عَنْكَ فقال : العَفْوَ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ لا أَعودُ إليهِ أَبَدًا .

إذَا وَاشٍ أَتَاكَ بِقَـوْلِ زُوْرٍ ... فَلا تَدَعِ الصَّدِيق لِقَولِ وَاشي

ولا تُخْـبرْ بسِـرِّكَ كُلَ سِـرٍّ ... إذَا مَا جَـاوَزَ الإِثْنَيْنِ فَـاشيْ

ولا تَصْحَـبْ قَرِيْنَ السُوْءِ وانْظُرْ ... لِنَفْسِكَ مَنْ تُقَـارِنُ أَوْ تُمَاشيْ

وَرَفَعَ إنسانٌ رِقْعَةً إلى الصَاحِبِ بنِ عَبَّادٍ يَحُثُّهُ على أَخْذِ مَالِ يَتِيْمٍ وكان له مَالٌ كَثِيْرٌ فَكَتَبَ عَلَى ظَهْرِ الرِّقْعَةِ : النَّمِيْمَةُ قَبِيْحَةٌ ، وانْ كَانَتْ صَحِيْحَة ، والميتُ رحِمَهُ اللهُ ، واليَتِيْمُ جبَرَهُ الله ، والمالُ ثَمَّرَهُ الله ، والسَّاعِي لَعَنَهُ اللهُ وقال الحسنُ البصري مَن نَقلَ إليكَ حَدِيْثاً فاعْلَمْ أَنَّهُ يَنْقُلُ إلى غَيْركَ حَدِيْثَكَ وَوَشَى رَجُلٌ برَجُلٍ إلى أَحَدِ الوُلاَة فقال أَتُحِبُ أَنْ نَقْبَلَ منكَ مَا قُلْتَ فيه على أَنْ نَقْبلَ منه ما قَالَ فِيكَ قال لا قال فَكُفَّ عن الشرِ يُكَفَّ عَنْكَ .

شِعْرَا : لا تُفْشِ سِراً ما اسْتَطعْتَ إلى امْرِئٍ
يُفْشِي إِلَيْكَ سَرَائِراً يَسْتَوْدِعُ
فَكَمَا تَرَاهُ بِسِرِ غَيْرِكَ صَانِعَاً
فَكَذَا بِسِرِّكَ لا أَبالَكَ يَصْنَعُ

آخر :
لِكُلِ دَاءٍ دَوَاءُ يُستَطَبُّ به   إلاَّ النَّمامَةَ والطَّاعُونَ والهَرَمَا

آخر : لا تَقْبَلَنَّ نَمِيْمَةً بُلِّغْتَهَا
وَتَحَفَظَنَّ مِنَ الَّذِيْ أَنْبَاكَهَا
إِنَّ الذِيْ أَهْدَى إِلَيْكَ نَمِيْمَةً
سَيَنِمُ عَنْكَ بِمِثْلِهَا قَدْ حَاكَهَا

وقال ابنُ المباركِ وَلَدُ الزنَا لا يَكْتُمُ الحَدِيْثَ أَشَارَ بِهِ إلى أَنَّ كُلَّ مَن لَمْ يَكْتُم الحديثَ ، وَمَشى بالنمِيْمَةِ دَلَّ على أَنَّهُ وَلَدُ زِنَا اسْتِنْبَاطاً مِن قولِهِ تعالى ﴿عُتُلٍ بعدَ ذَلِكَ زنيم﴾ والزنيمُ هو الدَّعِيُّ .

وروى انَّ بَعْضَ السلفِ زَارَ أَخَا لَهُ، وَذَكَرَ لَهُ عَن بَعْضِ إخوانِهِ شيئاً يَكْرَهُهُ ، فقال لَهُ : يا أَخِيْ أَطَلْتَ الغِيْبَةَ ، وأتيْتني بثلاثِ جِناياتٍ ، بَغَّضْتَ إلي أَخِي ، وَشَغَلْتَ قَلْبِي بِسبَبِهِ ، واتَّهمْتَ نَفْسَكَ الأمِيْنَةَ اهـ .

شعراً :

لِسَانُ الفَتى حَتْفُ الفتى حينَ يَجْهَلُ   وكُلُ امْرِيءٍ ما بَيْنَ فكَيْهِ مَقْتَلُ
إذا ما لِسَانُ المرءِ أَكْثَرَ هَذْرَهُ   فَذَاكَ لِسَانُ بِالبَلاءِ مُوَكَّلُ
وكَم فَاتِحٍ أبوابَ شرٍ لِنَفْسِهِ   إذَا لم يكنْ قُفْلٌ عَلَى فِيْهِ مُقْفَلُ
كَذَا مَنْ رَمَى يوماً شَرارَاتِ لَفْظِهِ   تَلَقَتْهُ نِيْرَانُ الجَوابَاتِ تَشْعَلُ
ومَنْ لَمْ يُقيِّدْ لَفْظَهُ مُتَحَمّلاً   سَيُطِقُ فِيْهِ كُلَّ ما لَيْسَ يَجْمُلُ
ومَنْ لم يكنْ فِي فِيهِ مَاءُ صِيَانَةٍ   فَمِنْ وَجْهِهِ غُصْنُ المَهَابَةِ يَذْبُلُ

فلا تَحْسَبَنَّ الفَضْلَ في الحِلْمِ وَحْدَهُ | بل الجهْلُ في بَعْضِ الأَحَايِيْنِ أفْضَلُ
ومَن ينْتَصِرْ مِمَّنْ بَغَى فَهْو مَا بَغَى | وشَرُّ المُسِيئين الذِي هُو أوَّلُ
وقَد أوجَبَ اللهُ القِصَاصَ بِعَدْلِهِ | ولِلَّهِ حُكْمُ في العُقُوباتِ مُنْزَلُ
فإِنْ كانَ قولٌ قد أصَابَ مَقَاتِلاً | فإِنَّ جوابَ القَوْلِ أدْهَى وأقْتَلُ
وقَد قِيْلَ في حِفْظِ اللسانِ وخَزْنِهِ | مَسَائِلُ مِن كُلِّ الفَضائِلِ أكْمَلُ
ومَنْ لَم يُقَرِّبْهُ سَلامَةُ غَيْبِهِ | فَقُربانُهُ فِي الوَجْهِ لا يُتَقَبَّلُ
ومَن يَتَّخِذْ سُوْءَ التَّخَلُّفِ عَادَةً | فليسَ عَليهِ في عِتَابٍ مُعَوَّلُ
ومَن كَثُرتْ مِنهُ الوَقِيعَةُ طالباً | بِها عِزَّةً فَهْوَ المَهِيْنُ المُذَلَّلُ
وعَدْلُ مُكَافَاةِ المُسِيْءِ بِفعْلِهِ | فماذا على مَن في القَضِيَّةِ يَعْدِلُ
ولا فَضْلَ في الحُسْنَى إلىَ مَنِ يُحِسُّهَا | بَلَى عِند مَن يَزكُو لَدَيْهِ التَّفَضُلُ
ومَن جَعَلَ التَّعْرِيضَ مَحْصُولَ مَزْحِهِ | فَذَاكَ علىَ المَقْتِ المُصَرَّحِ يَحْصُلُ
ومَن أمِنَ الآفاتِ عُجْباً بِرَأْيِهِ | أحَاطَتْ بِهِ الآفَاتُ مِن حَيْثُ يَجْهَلُ
أُعَلِّمكُمُ ما عَلَّمَتْنِي تَجَارُبِي | وقد قَالَ قَبلِي قَائِلُ مُتَمثِلُ
إذا قُلْتَ قَولاً كُنْتَ رَهْنَ جَوابِهِ | فحَاذِرْ جوَابَ السُوءِ إنْ كُنْتَ تَعْقِلُ
إذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيْداً مُسَلَّمَاً | فَدَبِّرْ وَمَيِّزْ ما تَقُولُ وَتَفعَلُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

« مَـوعظَـة »

عِبَادَ اللهِ إِنَّ صِفَاتِ الشَّرِ وَخِصَالِ السُوْءِ مَا وُجِدَتْ فِي قَوْمٍ إِلَّا كَانُوْا أَهْلًا لِغَضَبِ اللهِ وَسَخَطِهِ فَاسْتَحَقُّوْا الشَّقَاءَ والذِلَّ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ وإِنَّ مِن أَقْبَحِ الخِصَالِ وَأَشْنَعِ الخِلاَلِ الغِيْبَةَ والنَّمِيْمَةَ وقد انْهَمَكَ الناسُ فِيْهِمَا وَصَارَتْ مَجَالِسُهم لا تَعْمُرُ إِلَّا بِهِمَا يَسْمَعُ المَرْءُ مِن أَخِيْهِ الكَلِمَةَ لِيُفَرِّجَ بِهَا مِن كُرَبِهِ وَيُخَفِّفَ بِهَا مِن آلامِهِ فَيَنْقُلُهَا إِلى صَاحِبِهَا قَصْدَ الايقاعِ بِهِ والتَّفْرِيْقِ بَيْنَ المؤمِنِيْنَ هَذِهِ يَا عِبَادَ اللهِ غَايَةُ الدَنَاءَةِ ، وَمُنْتَهَى الخِسَّةِ والنَّذَالةِ واللآمَةِ، أَلاَشَهَامَةَ تَحْمِلُ النَّمامَ عَلَى كِتْمَانِهِ سِرَّ أَخِيْهِ أَلاَ مُرُوْءَةَ تَمْنَعُهُ مِن أَنْ يَنِمَّ عَلَى أَخِيْهِ المُسْلِمِ ، إِنَّ النَّمامَ لا يَعْرِفَ

لِلشَّهَامَةِ سَبِيْلاً ، ولا لِلْمُرُوْءَةِ طَرِيْقاً ، إِنَّ مَنْ يَنِمُّ عَلَى المُسْلِمِيْنَ لِيُبَدِّلَ الوِدَّ جَفَاً وَبُغْضاً والصَّفْوَ كَدَراً وَحِقْداً وَيَفْتَحَ أَبْوَابَ الشُّرُوْرِ وَالجِنَايَاتِ عَلَى مِصْرَاعَيْهَا بَيْنَ المؤمِنِيْنَ مِن أَكْبَرِ المَصَائِبِ ، وَاشَدِّ الرَّزَايَا عَلَى هَذَا المُجْتَمَعِ الإِنْسَانِي ، وَكَذَلِكَ الغِيْبَةُ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ الحَسَنَاتِ ، وَأَنْتَ إِذا قُلْتَ فِي أَخِيْكَ كَلِمَةً يَكْرَهُهَا فَأَنْتَ لَهُ بِهَا مُغْتَابٌ وَهُوَ لاَ يَكْرَهُ كَلِمَةً إِلاَّ إِذا كَانَتْ مُتَضَمِّنَةً عَيْباً ، ذَلِكَ العَيْبُ الذي أَنْتَ تُرِيْدُ أَنْ تَكْشِفَهُ لِلنَّاسِ تُرِيْدُ مِنْهُم أَنْ يَحْقِرُوْهُ وَيَزْدَرُوْهُ وَيَحْتَرِسُوْا مِنه أَنْ يَكُونَ يَوْماً لَهُم مِن الأَصْحَابِ أَنْتَ تُرِيْدُ مِنْهُم أَنَّهُ أَن خَطَبَ مِنْهُم مَنَعُوْهُ لِتَحْقِيْرِكَ إِيَّاهُ عِنْدَهُمْ تُرِيْدُ مِن غِيْبَتِكَ لَهُ أَنْ يُبْعِدَ مِنْهُمْ وَيَكُونَ مُنْطَوِياً عَنْهُم لِمَا لَقَنْتَهُمْ مِمَّا ذَكَرْتَهُ فِيْهِ وَيَكُوْنَ فِي وَحْشِيَةٍ مِنْهُمْ وَتُرِيْدُ مِن غِيْبَتِكَ أَنَّهُ إِذَا احْتَاجَ لاَ يُدْلِيْ عَلَيْهِم بِشَيْءٍ يَقْضِيْ فِيْهِ حَاجَتَهُ بَلْ تُرِيْدُ مِنْهُمْ أَنْ لاَ يَرُدُّوْا عَلَيهِ السلامَ إِذا سَلَّمَ لِمَا عِنْدَهُم لَهُ مِمَّا لَقَنْتَهُم مِن الازْدِرَاءِ والاحتقارِ وإِن كانَ صَانِعاً فَبِسَبَبِ غِيْبَتِكَ لَهُ أَنْ يَجْفُوا صَنْعَتَهُ فَتَقِفُ ، وَإِنْ كَانَ تَاجِراً فَتُرِيْدُ بِغَيْبَتِكَ أَنْ تَخْسَرَ تِجَارَتُهُ لإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ ، وَتُرِيْدُ أَنهُ إذا كَانَ لَهُ أَوْلاَدٌ أَوْ بَنَاتٌ يُرْغَبُ فِي تَزْوِيْجِهِمْ أَنْ يَأْنَفَ الناسُ مِنْهُم فَيَبُوْرُوْنَ ، هَذَا واللهِ شَيْءٌ يُؤْلِمُ النُّفُوسَ الزَّكِيَّةَ لأَنَّهَا مَضَارٌ عَظِيْمَةٌ جِداً تَنْزِلُ بِمَن تَغْتَابُهُ فَعَلَى العَاقِلِ أَنْ لاَ يُصَدِّقَ المُغْتَابَ وَأَنْ يَرُدَّهُ خَائِباً ولا يَظُنُّ بِأَخِيْهِ المُسْلِمِ إِلاَّ خَيْراً .

اللهُمَّ يا مَنْ بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمواتِ والأَرْضِ ، عَافِنَا مِنْ مِحَنِ الزَّمَانِ ، وَعوَارِضِ الفِتَنِ ، فإِنَّا ضُعَفَاءُ عن حَمْلِهَا ، وَانْ كُنَّا مِنْ أَهْلِهَا ، اللهُمَّ وَفقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جميعِ الأَهْوَالِ ، وَأَمِّنَّا مِنْ الفَزَعِ الأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزِّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

يُشَـارِكُـكَ المُغْتَـابُ فِي حَسَنَـاتِـهِ
وَيُعْـطِيْكَ أَجْـرَيْ صَـوْمِـهِ وَصَـلاتِـهِ

وَيَحْمِلُ وِزْراً عَنْكَ ظَنَّ بِحَمْلِهِ
عَنْ النُّجْبِ مِنْ أبْنَائِهِ وَبَنَاتِهِ
فَكَافِيْهِ بِالحُسْنَى وَقُلْ رَبِّ جَازِهِ
بِخَيْرٍ وَكَفِّرْ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَآتِهِ
فَيَا أيُّهَا المُغْتَابُ زِدْنِي فَإِنْ بَقِيْ
ثَوَابُ صَلاةٍ أوْ زَكَاةٍ فَهَاتِهِ
فَغَيْرُ شَقِيٍّ مَنْ يَبِيْتُ عَدُوُّهُ
يُعَامِلُ عَنْهُ اللهَ في غَفَلاَتِهِ
فَلاَ تَعْجَبُوا مِنْ جَاهِلٍ ضَرَّ نَفْسَهُ
بِامْعَانِهِ في نَفْعٍ بَعْضٍ عُدَاتِهِ
وَأعْجَبُ مِنْهُ عَاقِلُ بَاتَ سَاخِطاً
عَلى رَجُلٍ يُهْدِى لَهُ حَسَنَاتِهِ
وَيَحْمِلُ مِنْ أوْزَارِهِ وَذُنُوبِهِ
وَيَهْلَكُ في تَخْلِيْصِهِ وَنَجَاتِهِ
فَمَنْ يَحْتَمِلْ يَسْتَوْجِبِ الأَجْرَ وَالثَّنَا
وَيُحْمَدُ في الدُّنْيَا وَبَعْدَ وَفَاتِهِ
وَمَنْ يَنْتَصِفْ يَنْفَخْ ضِرَاماً قَدْ انْطَفَى
وَيَجْمَعُ أَسْبَابَ المَسَاوِيْ لِذَاتِهِ
فَلاَ صَالِحٌ يُجْزَي بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَلا حَسَنٌ يُثْنَى بِهِ في حَيَاتِهِ
يَظَلُّ أخُو الانْسَانِ يَأْكُلُ لَحْمَهُ
كَمَا في كِتَابِ اللهِ حَالَ مَمَاتِهِ

وَلَا يَسْتَحِيْ مِمَّنْ يَـرَاهُ وَيَـدَّعِي
بِـأَنَّ صِفَـاتِ الكَلبِ دُوْنَ صِفَـاتِـهِ

وَقَـدْ أَكَلَا مِنْ لحمٍ مَيْتٍ كِلَاهُمَا
وَلَكِنْ دَعَى الكَلْبَ اضْـطِرَارُ اقْتِيَاتِـهِ

تَسَاوَيْتُمَـا أَكْـلاً فَـأَشْقَـاكُمَـا بِـهِ
غَـداً مَنْ عَلَيْهِ الخَـوْفُ مِنْ تَبِعَـاتِـهِ

وَمَـا لِكَـلامٍ مَـرَّ كَـالـرِّيْـحِ مَـوْقِـعٌ
فَـيَبْـقَى على الانْسَـانُ بَـعْضُ سِمَـاتِـهِ

« فَصْـــلٌ »

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ البَاعِثَ على النَّمِيْمَةِ إِمَّا إِرَادَةُ السُّوْءِ بالمَحْكِيِ عنه ، أَوْ إِظْهَارُ الحُبِّ لِلْمَحْكِي لَهُ أَوْ التَفَـرُّجِ بالحـديث أو الخوضِ في الفُضُوْلِ ونحوِ ذَلِكَ وَمِنْ آفاتِ الكلامِ كلامُ ذِي اللِّسَانَيْنِ الذي يَتَكَلَّمُ لِكُلّ مِن المُتَعَادِيَيْنِ بِكَلامٍ يُوَافِقُهُ فَيُظْهِرُ لَهُ إِذَا قَابَلَهُ أَنَّهُ صَدِيْقُهُ الحَمِيْمُ الحَرِيْصُ على مَصْلَحَتِهِ السَّاعِي في مَنْفَعَتِهِ وَيُظْهِرُ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِعَدُوِّهِ وَأَنَّهُ حَرْبٌ عَلَيْهِ مِثْلَهُ فَيَغْتَرُّ بِقَوْلِهِ وَيَنْخَدِعُ بِوَشْيِهِ فَيُفْضِيْ إِلَيْهِ بِخَبِيئِهِ وَيَبُوْحُ لَهُ بِأَسْرَارِهِ وَيُحَدِّثُهُ عَنْ عَدُوِّهِ وَبِمَا نَقِمَ مِنْهُ ، وَمَا عَابَ عَلَيْهِ ، وما دَبَّرَهُ ضِدَّ عَدُوِّهِ أَو اتَّقَى بِهِ شَرَّهُ وَكَيْدَهُ ، وَمَكْرَهُ وَخِدَاعَهُ فإذَا فَارَقَهُ ذَهَبَ إلى عَدُوِّهِ وَأَعْلَمَهُ بِخَبِيءِ أَمْرِهِ وَبِمَكْتُومِ سِرِّهِ وَطَعَنَ في عِرْضِهِ وَنَالَ مِن شَرَفِهِ وَأَظْهَرَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لَهُ وَأَنَّهُ لَهُ الصَدِيْقُ الوَفِي فَتَطْمَئِنُ نَفْسُهُ إليهِ وَيَنْطَلِقُ في ذَمِّ الآخَرِ والنَّيْلِ مِن عِرْضِهِ ثم يُحَدِّثُ هَذا بِمَا فَكَّرَ فِيْهِ وَقَدَّرَ وَبَيَّتَ وَدَبَّرَ فَيَذْهَبُ به إلى الأَوَّلِ وَيَقُصُّهُ عليهِ قَصاً يُوْغِرُ صَدْرَهُ وَيُشْعِلُ في قَلْبِهِ نَارَ العَدَاوَةِ ، فَيَزْدَادُ العِدَا ، وَتَرْبُو البَغْضَآءُ والشَّحْنَآءُ ، وَهَكَذَا بَيْنَ الإِثْنَيْنِ والحِزْبَيْنِ فَمِثْلُ هَذا مُنَافِقٌ كَذَّابٌ نَمَّامٌ خَدَّاعٌ غَشَّاشٌ مَكَارٌ ظَالِمٌ .

شعرا :

صَافي الكَرِيْمَ وخَيْرُ مَن صَافَيْتَهُ ... مَن كَانَ ذَا دِيْنٍ وكَانَ عَفِيْفَا
إنَّ الكَرِيْمَ وَإنْ تَضَعْضَعَ حَالُهُ ... فالطَّبْعُ مِنْهُ لا يَزال شَرِيْفَا
واحْذَرْ مُؤآخَاةَ اللَّئِيْمِ فإنَّهُ ... يُبْدِيْ القَبِيْح وَيَكْتُمُ المَعْرُوْفَا
والنَّاسُ مِثْلُ دِرَاهِمٍ مَيَّزْتَهَا ... فَوجَدْتَ فِيْهَا فِضَّةً وَزُيُوْفَا

آخر :

لا تَمْدَحَنَّ إمْرأ حَتَّى تُجَرِّبَهُ ... فَرُبَّمَا قَامَ إنْسانٌ مَقَامَ فِئَةْ
فالدَّالُ والذَّالُ في التَّصْوِيْرِ وَاحِدَةٌ ... والدال أرْبَعَةٌ والذَّالُ سَبْعُمِائَةْ

يشار بذلك إلى الأعداد الأبجدية في قول فالدال أربعة والذال سبعمائة ورَسْمُهُمَا واحِد إلا أن الذال تتميز بنقطة فقط .

شعرا :

وَكَمْ مِن صَدِيْق وُدُّهُ بِلِسَانِهِ ... خَؤُوْنٍ بِظَهْرِ الغَيْبِ لَا يَتَذَمَّمُ
يُضَاحِكُنِي عُجْباً إِذَا مَا لَقِيْتُهُ ... وَيَصْدِفُنِي مِنْهُ إِذَا غِبْتُ أَسْهُمُ
كَذَدِلِكَ ذُوْ الوَجْهَيْنِ يُرْضِيْكَ شَاهِداً ... وفي غَيْبِهِ إنْ غَابَ صَابٌ وَعَلْقَمُ

آخر :

تطَلَّبْتُ في الدنيا خَلِيْلاً فلم أَجِدْ ... وَمَا أَحَدٌ غَيرِي لِذَلِكَ وَاجِدُ
فَكَمْ مُضْمِرٍ بُغْضاً يُرِيْكَ مَحَبَّةً ... وفي الزَّنْدِ نارٌوَ هْوَ في اللَّمْسِ بارِدُ

آخر :

تَنكَّر مَن كُنَّا نُسَرُّ بقُربه ... وصَار زُعَافاً بعد ما كان سَلْسَلا
وحُقّ لجَارٍ لَمْ يوُافِقْهُ جارُهُ ... وَلَا لَاأَمَتْهُ الدارُ أنْ يتحَوّلَا

آخر : لا أَشْتَكِيْ زَمَنِي هَذَا فَأَظْلِمُهُ ... وإنَّمَا أَشْتَكِي من أَهْلِ ذَا الزَّمَنِ
هُمُ الذِّيَابُ الَّتِي تَحتَ الثِيَابُ فَلا ... تَكُنْ إلى أَحَدٍ مِنْهُمْ بِمُؤتَمِنِ

آخر: مَنْ عَاشَ غَيْرَ مُدَاجٍ مَنْ يعاشره ... أساء عشرة أصْحاب وَإخْوانِ
كَمْ صَاحِبٍ يَتَمَنَّى لَوْ نُعَيْتُ لِهُ ... وإنْ تَشكَّيْتُ آخَانِيْ وفدَّانِ

وَمِن الآفاتِ المهلكةِ التي يَتَأَكَّدُ تَجنُّبُهَا في رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ المَدْحُ وَلَهُ سِتُ آفاتٍ أَرْبَعٌ في المَادِحِ واثْنَتَانِ في المَمْدُوْحِ : الأُوْلَى أَنَّهُ قَدْ يُفْرِطُ فَيَنْتَهِي بِهِ إلى الكَذِبِ . الثانِيَةُ أنهُ قَدْ يَدْخُلُهُ الرِيَآءُ إِذْ لَا يَكُونُ قَلْبُهُ كَذَلِكَ . الثالثَةُ أَنَّهُ قَد يَقُولُ ما لا يَتَحَقَّقُهُ ولا سَبِيْلَ لَهُ إلى الاطلاعِ عليهِ الرابعةُ أنه قَدْ يَمْدَحُ الظَّالِمَ والفاسِقَ والكَافِرَ والمُنَافِقَ وهذا أَمْرٌ عَظِيْمٌ الخامسةُ أَنَّهُ يُحْدِثُ في المَمْدُوحِ كِبْراً وَاعْجَاباً ، وَهُمَا مُهْلِكَتَانِ ، السادسةُ : أَنَّهُ يُحْدِثُ في المَمْدُوْحِ فُتُوراً وَرِضى عن نَفْسِهِ ، عِنْدَمَا يُثْنِي عَليهِ بالخَيْرِ ، وَيَحْصُل مَعَهُ فَرَحٌ وَسُرُوْرٌ ، فَيَقِل اجْتِهَادُهُ وَتَشْمِيْره عن العَمَلِ لأنه يَظُنُ أنه قَدْ أَدْرَكَ النِهَايَةَ وَقَدْ وَرَدَتْ أحادِيْثُ في ذَمِّ المَدْحِ في الوَجْهِ لِمَنْ خِيْفَ عَليهِ مَفْسَدَةٌ مِن إعْجَابٍ ونَحْو .

مِن ذَلِكَ ما وَرَدَ عن أبي مُوسى الأشعَرِي رضي اللهُ عنه قال سَمِعَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم رَجُلاً يُثْنِي على رَجُلٍ وَيُطْرِيْهِ في المَدْحِ فقال « أَهْلَكْتُم أَوْ قَطَعْتُم ظَهْرَ الرَّجُلِ » متفق عليه ، والاطراءُ المبالغةُ في المدح .

وقد بَالغَ بَعْضُ الشُعَرآءِ الذِيْنَ يَتَقَرَّبُوْنَ إلى أَسْيَادِهِم بما يُرْضِيْهِم ، طمعاً في الدنيا ، أو اتِّقَاءَ شَرِهِم ، ولولا التحذيرُ عن مِثلِهَا لما سُقْنَاهَا

نسأل الله العافيه : قال المتنبي :

يَا مَن أَلُوذُ به فِيمَا أُؤَمِلُهُ
وَمَن أعوذُ بِهِ مِمَّا أُحَاذِرُهُ

لا يَجْبُرُ الناسُ عَظْماً أنتَ كَاسِرُهُ
ولا يَهِيْضُونَ عظماً أَنْتَ جَابِرُهُ

ويقول الآخر نسأل الله العافيه :

مـا شِئْـتَ لا مـا شَـاءَتِ الأَقْـدَارِ
فـاحكُـمْ فـأَنْـتَ الـمَـالِـكُ القَـهَّـارُ

ولو اعْتَصَمَ باللهِ وَعَلِمَ أنه لا يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ إلَّا اللهُ جَلَّ وَعَلَا لأَغْنَاهُ وَكَفَاهُ ، وَحَالَ بَيْنَ مَنْ يَخْشَاهُ وَبَيْنَهُ ، قال تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُه ﴾ وقال ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ باللهِ فَقَدْ هُدِيَ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم ﴾ وَعلَامَ يَخْضَعُ المُؤْمِنُ أَوْ يَتَذَلَّلْ لِمَخْلُوْقٍ مِثْلَهُ، يَحْتَاجُ إلى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ .

شعــــرا :

الحَمدُ لله لَيسَ الرزق بالطلـــب ... ولا العطايا لذى عَقْلٍ ولا أَدَبِ
إنْ قَدَّرَ الله شيْئاً أنتَ طَالِبُـــهُ ... يَوماً وجَدْتَ إليه أقرب السَّـــبَبِ

آخـــــر :

صَرَفْتُ عَنِ الكَثْراتِ وَجْهَ تَوجَهُّي ... إلى وَحْدَةِ الوَجْهِ الكَرِيْمِ المُمَجَّدِ
فما خابَ مَصْرُوْفاً إلى الحقّ وجْهُهُ ... وقَدْ خابَ مَنْ أضحَى إلى الخَلْقِ يَجْتَدي

آخر : لَوْ أَنَّني خُيِّرْتُ كُلَّ فَضِيْلَةٍ ... مَا اخْتَرْتُ إلاَّ صَالِحَ الأَعْمَالِ
كُلُ الأُمورِ تَزُوْلُ عَنْكَ وتَنْقَضِيْ ... إلاَّ العَمَل لِلَّهِ فَهْوَ البَـاقي

آخــــر : مَـوْلاَكَ يَكْفِيْكَ فـالْـزَمْ بَـابَ طَاعَتِـهِ
فَـقَـدْ كَفَى الـنَّـاسَ أَحْيَـاءً وَأَمْـوَاتَـا
مَنْ يَعْتَمِـدْ غَيْـرَهُ يَـرْجِـعْ بِمَـخْـرَمَـةٍ
كَـالمُبْتَغِي بـالفَـلاَ الصَّحْـرَاءِ أَحْـوَاتَـا

نَصَحْتُكَ لا تَسْأَلْ مِنَ النَّاسِ والْتَمِسْ ... بِكَفَيْكَ فَضْلَ اللهِ فالرِزْقُ أَوْسَعُ
فَلَوْ سُئِلَ النَّاسُ التُرَابَ لأَوْشَكُوْا ... إذَا قِيْلَ هَاتُوا أنْ يَمَلُوْا ويَمْنَعُوْا

آخر : لا تَـخْضَعَـنَّ لِـمَـخْلُوقٍ عَـلى طَـمَـعٍ
فَـإِنَّ ذَلِـكَ نَـقْصٌ مِنْـكَ فـي الـدِّيْـنِ

واسْتَـرْزِقِ اللهَ مِمَّا في خَزائِنِهِ
فإنَّمَا الأَمْرُ بَيْنَ الكَافِ والنُّوْنِ

يشير إلى قول الله جَلَّ وعَلا «إنما أمره اذا أراد شيئاً أنْ يَقوُل له كُنْ فيكوُن» .

وعن أبي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم فأثْنَى عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْرًا فقال النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلم « وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ » يَقُوْلُهُ مِراراً « إنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحاً لَا مَحالَةَ فَلْيَقُلْ : أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا . إنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ ، وَحَسِيْبُهُ اللهُ ، ولا يُزَكِّيْ عَلَى اللهِ أَحَداً » متفق عليه .

وَعَن هَمَّام بنِ الحَارِثِ ، عَن المِقْدَادِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عنهُ فَعَمَدَ المِقْدَادُ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَجَعَلَ يَحْثُوْ في وَجْهِهِ الحَصْبَاءَ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : ما شَأْنُكَ ؟ فقال إنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ « إذَا رَأَيْتُمْ المَدَّاحِيْنَ فاحْثُوْا في وُجُوْهِهِم التُّرابَ » رواه مسلم .

وقَد ذَكَرَ شُرَّاحُ الحدِيْثِ أَنَّ المَدَّاحِيْنَ المَعْنِيِّيْنَ هُنَا هُمُ الذِيْنَ اتَّخَذُوْا مَدْحَ الناسِ عَادَةً يَسْتَأْكِلُونَ بِهِ فَأَمَّا مَنْ مَدَحَ عَلَى الأَمْرِ الحَسَنِ والفِعْلِ الجَمِيْلِ تَرْغِيْباً وَتَنْشِيْطاً وَتَحْرِيْضاً لِلنَّاسِ عَلَى الاقْتِدَاءِ بِهِ فَلَيْسَ بمَدَّاحٍ وخِتَاماً فإنَّ التَّمَدُّحَ مَدْرَجَةٌ إلى الكَذِب والمُسْلِمُ يَجِبُ أن يَكُونَ نَبِيْهاً حَذِراً حِيْنَمَا يُثْنَى عَلَى غَيْرِهِ فلا يَذْكُرُ إلَّا ما يَعْلَمُ مِن خَيْرٍ ولا يَجْنَحُ إلى المبالغةِ في المَدْحِ فَمَهمَا كَانَ المَمْدُوْحُ جَدِيْراً بالثَّنَاءِ فإن المُبَالَغَةَ في مَدْحِهِ ضَرْبٌ مِن الكَذِبِ عَلَى أَنَّ المَمْدُوْحَ إنْ كَانَ رَزِيْنَ العَقلِ انْتَقَدَ المُتَجَاوِزَ لِلْحَدِ فِيَ مَدْحِهِ كما قيل .

وَمَـدْحُـكَ الشَّخْصَ بـالأَخْـلاَقِ يَعْـدِمُهَـا
لِلْحُرِّ ذِي اللُّبِ تَبْكِيْتٌ وَتَخْجِيْـل

وقال الآخر :

إِذا المَـرْءُ لم يَمْـدَحْـهُ حُسْنُ فِعَـالِـهِ
فَمَـادِحُـهُ يَهْـذِيْ وإِنْ كَـانَ مُفْصِحَـا

وأجَابَ بعضُ الصُلَحَاءِ المُبَالِغَ في مَدْحِهِ بِقَوْلِهِ :

كُـفِيْـتَ أذىً يَـا مَن تَـعَـدُّ مَحَـاسِنِـي
عَـلانِيَـتِـيْ هَـذَا وَلَـمْ تَـدْرِ بَـاطِـنِـي

وأَجَابَ الآخرُ بقوله :

وَلَـوْ عَـلِمَ الـخَـلاَئِـقُ سُـوْءَ فِـعْـلِي
لَـمَـا رَدُّوْا إِلَـى مِـثْـلِيْ سَـلاَمَـا

وَحَيث أنَّ الشَّافِعِيَ لاَ يُحِبُّ الرِّيَاءَ والشهْرَةَ وَطَلَبَ المَدْحِ والثناءِ يَقُولُ :

أَرَى الغِـرَّ في الـدُنْيَـا إذَا قِيْـلَ فـاضِـلٌ
تَـرَقَّى عَلَى رُوْسِ الـرِجَـالِ ويَخْـطُبُ
وإِنْ كَـانَ مِـثْـلِي لا فَـضِـيْـلَةَ عِـنْـدَهُ
يقَـاسُ بِـطِفْـلٍ في الشَّـوَارِعِ يَلْعَبُ

وَأَمَّا الثناءُ مِن الإِنْسَانِ على نَفْسِهِ فَشَنَاعَةٌ وَفَظَاعَةٌ وقَدْ قِيْلَ لِحَكِيْمٍ ما الذِي لا يَحْسُنُ وإن كانَ حقاً فقال مَدْحُ الرَّجُلِ نَفْسَه وقَالَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللهُ عنه لِرَجُلٍ مَنْ سَيِّدُ قَوْمِكَ فقال أَنَا فَقَالَ لَوْ كُنْتَهُ لَمَا قُلْتَهُ قال بَعْضُهُمْ .

وَمَـا حَسَنَ أن يَمْدَحَ المَـرْءُ نَفْسَـهُ
وَلَـكِـنَّ أَخْـلاَقـاً تُـذَمُّ وَتُـمْـدَحُ

وَمَـا كُـلُ حِيْنٍ يَصْـدُقُ المَـرْءُ ظَنُّـهُ
ولا كُـلُ أَصْحَـابِ التِّجَـارَةِ يَـرْبَـحُ
ولا كُـلُ مَن تَـرْجُـوْ لِغَيْبِـكَ حَـافِـظاً
ولا كُـلُ مَن ضَـمَّ الـوَدِيْعَـةَ يَصْلَحُ

وَرُبَّمَا آلَ حُبُّ المَدحِ بِصَاحِبِهِ إلى أن يَصِيْرَ دَيْدَانُهُ مَدْحُ نَفْسِهِ إمَّا لَتَوهُّمِهِ أنَّ الناسَ غَفَلُوا عن فَضْلِهِ وأَخَلُوا بِحَقِهِ مِن المَدْحِ فَتَسُوْقُهُ المُنَافَسَةُ إلى مَدْحِ نَفْسِهِ وَفَتْحِ بَابِ الاسْتِهْزَاءِ عَلَيْهِ وَإمَّـا لِيَخْدَعَهُمْ بِتَدْلِيْسِ نَفْسِهِ بالمَدْحِ والاطْرَاءِ فَيَعْتَقِدُ الجُهَالُ أَنَّ قَوْلَهُ حَقٌ مُتَبَّعٌ وَصِدْقٌ مُسْتَمَعٌ وإمَّا لِتَلَذُذِهِ بِسَمَاعِ الثَّنَاءِ وَسُرُوْرِ نَفْسِهِ بالمَدْحِ ولأيِّ وَاحِدٍ مِن الثلاثةِ كان مَدْحُ النفسِ فَهُوَ الجَهْلُ الصَرِيْحُ والنَّقْصُ الفَضِيْحُ ، والكِبْرُ القبيحُ لأَنَّهُ ناشِيءٌ عن عَقْلٍ فَاسِدٍ .

وقد قال بعضُ الشعراء :

وَدَعْـوَةُ الـمَـرْءِ تُـطْفِيْ نُـوْرَ بَـهْجَتِـهِ
هَـذَا بِحَقٍ فَكَيْـفَ الـمُـدَّعِي زَلَـلاَ

وَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَسْتَرْشِدَ إِخْوَانَ الصِدْقِ الـذين هُمْ أَصْفِيَآءُ القُلُوبِ الذيْنَ يَثِقُ بِدِيْنِهم وأَمَانَتِهم فَهُم مَرَايَا المَحَاسِنِ والعُيوبِ لِيُنَبِّهُوْهُ على مَسَاوِيْهِ التِي صَرَفَهُ حُسْنُ الظنِ بِنَفْسِهِ عَنْهَا فإنهم أَمْكَنُ نَظَراً وَأَسْلَمُ فِكْرَاً وَيَجْعَلُونَ ما يُنَبِّهُوْنَهُ عَلَيْهِ مِنْ مَسَاوِيْهِ عِوَضاً عَنْ تَصْدِيْقِهِ المَدْحَ فِيْهِ .

قال الشاعر :

لا تَحْقِرنَّ الرَّأيَ وهو مُوَافِقٌ حُكْمِ الصَّوابِ وَلَو أَتَى مِنْ نَاقِصٍ
فالدُّرُ وَهْو أجَلُ شيء يُقْتَنَى ما حَطَّ قِيْمَتَـهُ هَـوَانُ الغائِصِ

آخر :

خَصَائِصُ مَنَ تُشَاوِرُهُ ثـلاثٌ ... فَخُذْهَا مِن لِسَانِي بالْوَاثِيْقَـةْ
ودَادُ خالِـصُ وَوَفُـورُ عَقْلٍ ... ومَعْـرِفَةٌ لِحَالِـكَ بالحَقِيْقَـةْ
فَإِنْ تَمتْ لَهُ هـذِي المَعَـاني ... فَتَابعْ أيَهُ وَاسْـلُكْ طَرِيقَـهْ

وقد رَوَى أَنَسُ بنُ مالكٍ عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم أنه قال « المُؤْمِنُ مِرْآةُ المُؤْمِن ، إذا رَأَى فيهِ عَيْباً أَصْلَحَهُ » وكان عُمُرُ رَضى اللهُ عنه يقُولُ رَحِمَ اللهُ امْرَأً أَهْدَى إِلَيْنَا مَسَاوِيْنَا لِنُصْلِحَهَا . وَقِيْلَ لِبَعْضِ الحُكَمَاءِ أَتُحُبُّ أَنْ تُهْدَى إليكَ عُيُوْبُكَ قال نَعَمْ مِمَّنْ يُرِيْدُ بَرَاءَتِي مِن العُيُوبِ لا مِنْ عَدُوٍ يَشْمُتُ بالذُنُوبِ .

وَمِمَّا يُقَارِبُ هَذَا القَوْلَ مَا رُوِيَ عَنْ عُمُرَ بنِ الخَطَّابِ رضي اللهُ عنه أنه قال لابن عَباسٍ مَنْ تَرَى نُوَلِّيْهِ حِمْصَ فَقَالَ رَجُلاً صَحِيْحَاً مِنْكَ لَا تَسُوءُ بِهِ الظنَّ بأنه لَيْسَ مِن أَهْلِ الكِفَايَةِ نَصِيْحاً لكَ مُخْلِصاً في طَاعَتِكَ قَالَ عُمَرُ تَكُونُ أَنْتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لا تَنْتَفِعُ بي مَعَ سُوْءِ ظَنِّكَ بِيْ لَمَّا حَمَلْتَ كَلَامِيْ عَلَى التَّعْرِيْضِ ، وَسُؤَالِ الوِلَايَةِ .

وَأَمَّا قَوْلُ يُوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ (اجْعَلْنِيْ عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ فَلأَنَّـه قَصَدَ بِذَلِكَ التَّنْبِيْهَ عَلَى اسْتِقْلالِهِ بِمَا سَأَلَ أَنْ يُفَوَّضَ إِلَيْهِ لِمَصْلَحَةٍ لا يَقُومُ بهَا غَيْرُه وَهِيَ العِلْمُ بِجَمِيْعِ الجِهَاتِ المُتَعَلِّقَةِ بِهَذِهِ الخَزَائِنْ مِنْ حُسْنِ الاسْتِخْرَاجِ وَحُسْنِ التَّصرُّفِ وَاقَامَةِ العَدْلِ الكامِلْ مَعَ الحِفْظِ التَّامِّ لِذَلِكَ فَهُوَ لَمَّا رَأَى المَلِكَ اسْتَخْلَصَهُ لِذَلِكَ وَجَعَلَهُ مُقَدَّماً عَلَيْهِ وفي المَحَلِّ العَالِيْ وَجَبَ عَلَيْهِ النَّصِيْحَةُ التَّامَّةُ لِلمَلِكِ والرَّعِيَّةِ ، وَأَمَّا طَلَبُ مَا يَحْصُلُ بِهِ الثَّنَاءُ مِنْ وَجْهٍ يُسْتَحَبُّ فَذَلِكَ مَحْمُودٌ ، وَهُوَ طَرِيْقُ ابْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ

والسَّلامُ حَيْثُ قَالَ (واجْعَلْ لِيْ لِسَانَ صِدْقٍ في الآخِرِيْنَ أيْ اجْعَلْنِيْ بِحَيْثُ أَفْعَلُ مَا إِذَا مُدِحْتُ بِهِ يَكُونُ مَادِحِيْ صَادِقاً وَلِذَلِكَ يَنْبَغِيْ للإِنْسَانِ إِذَا أُثْنِيَ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ اللهُمَّ اجْعَلْنِيْ خَيْراً مِمّا يَظُنّوْنَ ويُكثر من حمد الله وشكره شعرا :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَبْقَى مِن اللهِ نِعْمَةٌ   فَسَارِعْ إلى حَمْدِ الإلهِ وشُكْرِهِ
وَلا تَعْصِيَنَّ اللهَ فِيْمَا رُزِقْتَهُ   فَيَنْزِعُ عَنْكَ اللهُ وَاسِعِ رِزْقِهِ

آخر :

إِذَا رَبُّنَا أَعْطَاكَ دُنْياً فَجُدْ بِهَا   عَلَى النَّاسِ أهْلِ الدِّيْنِ قَبْلَ التَّفلُّتِ
فَلَا الجُوْدُ يُفْنِيْهَا إذَا هِيَ أقبلَتْ   وَلَا البُخْلُ يُبْقِيْهَا إذَا هِيَ وَلَّتِ

آخر :

تَبَارَكَ مَنْ سَاسَ الأُمُورَ بِعِلْمِهِ   وذَلَّ لَهُ أَهْلُ السمواتِ والأرْض
وَمَنْ قَسَّمَ الأَرْزَاقَ بَيْنَ عِبَادِهِ
وَفَضَّلَ بَعْضَ الناسِ فيها على بَعْضِ
فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الحِرصَ فيهِ يَزِيْدُهُ
فَقُولُوا لَهُ يَزْدَادُ في الطُوْلِ والعَرْضِ

آخر :

وَدَاوِ وَلَازِمْ قَرْعَ بَابٍ مُؤَمِّلاً
فَمَا خَيَّبَ المَوْلَى رَجَاءَ مُؤَمِّلِ
وَصَابِرْ فما نَالَ العُلَا غَيْرُ صَابِرٍ
وقُلْ وَاعِظَاً لِلنَّفْسِ عِنْدَ التَّمَلْمُلِ
مَعَ الصَّبْرِ إحْدَى حُسْنَيَيْنِ مُنَاكَ أَو
مَنَايَا كِرَام فَاصْبِرِيْ وَتَحَمَّلِيْ
وَدَاوِ لِسُقْمِ القَلْبِ واعْمُرْ خَرَابَهُ   بِذِكْرِكَ مَوْلَانَا فَسَبِّحْ وَهَلِّلِ

اللهم اكْتُبْ في قُلُوبِنَا الايمانَ وأَيِّدْنَا بنُوْرٍ مِنْكَ يا نُوْرَ السمواتِ والأَرض ، اللَّهُمَّ وافْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ والإِجَابَةِ وأَغْفِرْ لَنَاَ وارْحَمْنَاَ بِرَحْمَتِكَ الوَاسِعَةِ إنكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيم وصلى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبه أَجْمَعِين .

مَــوْعِظَــةٌ

أَيْنَ مَنْ عَمَرَ العَمَائِرَ وَالفِلَلَ وَاحْتَرَسْ ،أَيْنَ مَنْ عَمَرَ الحَدَائِقَ وَغَرَسْ وَنَصَبَ لِنَفْسِهِ سَرِيْرَ العِزِّ وَجَلَسْ وَبَلَغَ الغَايَةَ فِي العُتُوِّ وَالطغْيَانِ وَعَنْ الحَقِّ انْتَكَسْ وَظَنّ في نَفْسِهِ البَقاءُ وَلَكِنْ خَابَ الظَّنُّ في النَّفْس ، أَقْلَقَهُ خَوْفُ المَوْتِ وَاخْتُلِسْ وَأُنْزِلَ بالقَهْرِ عَنْ ظَهْرِ الفَرَسْ وَحُمِلَ إِلَى دَارِ البَلَاءِ فَانْطَمَسْ وَتَرَكَهُ في ظَلامٍ ظُلْمَةٌ مِنْ الجَهْلِ وَالدَّنَسْ فالعَاقِلُ مَن اغْتَنَمَ الوَقْتَ قَبْلَ أَنْ يُخْتَلَسْ وَصَبَّرَ نَفَسَهُ عَلَى طَاعَةِ مَوْلَاهُ إِلَى أَنْ تَنْتَهِيْ الحَيَاةُ شعرا :

وَيِنْقَطِعُ النَّفَسْ ، وأكثرِ مِن سُؤآل الله أن يُوفِقكَ ويُعِيْنَكَ .

شعرا :

إذَا كَانَ عَونُ اللهِ لِلْعَبْدِ مُسْعِفاً   تَهَيَا لَهُ فِي كُل أَمْرٍ مُرَادُهُ
وإنْ لَمْ يكُن عَونٌ مِن اللهِ لِلَّفَتى   فأَكْثَرُ مَا يَجْنِي عَليهِ اجْتِهَادُهُ

آخر :

فكابدْ إلَى أَنْ تَبْلُغ النّفْسُ عُذرْهَا   وَكُنْ فِي اقْتِبَاسِ العِلْم طلاع أَنجُدِ
ولَا يذْهَبَنّ العُمْرُ منْكَ سَبَهْللاً   ولا تُغْبَنَنْ بالِنّعْمَتَيْنِ بَل أجْهَدِ
فَمَنْ هَجَرَ اللَّذاتِ نَالَ المُنَى ومَنْ   أَكَبَّ على اللّذاتِ عَضَّ عَلى اليَدِ

شِــعْراً :

نَبْنِي وَنَجْمَــعُ والآثَــارُ تَنْــدَرِسُ
وَنَــأْمَــلُ اللُّبْثَ والأعمــارُ تُخْتَلَسُ

ذَا اللُّبِ فكِّرْ فَمَا في العَيْشِ مِن طَمَعٍ
لا بُـدَّ مـا يَنْتَهِي أَمْـرٌ وَيَـنْعكسُ
أَيْـنَ المُـلُوْكُ وَأَبْنَـاءُ الـمُلُوكِ وَمَـن
كانُوا إِذَا النَّاسُ قَامُـوا هَيْبَةً جَلَسُـوا
وَمَنْ سُيُـوفُهُم فـي كُـلِّ مُعْتَـرَكٍ
تُخْشَى وَدُوْنَهُم الحُجَّـابُ والحَـرَسُ
أَضْحَـوْا بِمَهْلَكَـةٍ في وَسْطِ مَعْـرَكَـةٍ
صَرْعَى وَصَارُوا بِبَطْنِ الأَرْضِ وانْطَمَسُوا
وَعَمَّهُم حَـدَثٌ وَضَـمَّهُـمْ جَـدَثٌ
بَاتُوْا فَهُم جُثَثٌ في الرَّمْسِ قَدْ حُبِسُوا
كَـأَنَّهُم قَطُّ مَـا كَـانُـوا وَمَـا خُلِقُـوْا
وَمَـاتَ ذِكْـرُهم بَيْنَ الـوَرَى وَنُسُـوْا
واللّهِ لَـو عَايَنَتْ عَيْنَـاكَ مَـا صَنَعَتْ
أَيْـدِي البِلَى بِهِمُـوا والـدُودُ يَفْتَـرِسُ
لَعَـايَنَتْ مَنْـظِراً تُشْجَى القُلُوبُ لَـهُ
وَأَبْصَـرَتْ مُنْكَـراً مِن دُوْنِـه البَلَسُ
مِن أَوْجُـهٍ نَـاظِـرَاتٍ حَـارَ نَـاظِـرُهَـا
في رَوْنَقِ الحُسْنِ مِنْهَا كَيْفَ يَنْطَمِسُ
وَأَعْـظُمٍ بَـالِيَـاتٍ مَـا بِهَـا رَمَقٌ
وَلَـيْسَ تَبْـقَى لِـهَـذَا وَهِيَ تُـنْتَـهَسُ
وَأَلْـسُـنٍ نَـاطِـقَـاتٍ زَانَـهَـا أَدَبٌ
مَا شَأْنُهَا شَانهَا في المَنْطِقِ الخَرَسُ

خَتَّامَ يَاذَ النُّهَى لَا تَـرْعَـوِي سَفَهـاً
وَدَمْـعُ عَيْنَيْـكَ لَا يَهْمِي وَيَنْبَـجِسُ

اللَّهُمَّ اهْدِنَا بِهُدَاكَ إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيْمِ وَوَفِّقْنَا لِلقِيَامِ بِحَقِّكَ عَلى الوَجْهِ المَطْلُوبِ يَا كَرِيْمُ وَاجْعَلْنَا يَا مَوْلَانَا مِمَّنْ أَتَاكَ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْـــلٌ »

وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ الشَّتْمُ وَهُوَ رَمْيُ أَعْرَاضِ النَّاسِ بالمَعَائِبِ القَبِيْحَةِ وَذِكْرِهِمْ بِقَبِيْحِ القَوْلِ حضَرًا أَوْ غَيْباً . عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم « مَنْ يَضْمَنْ لِيْ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ » رَوَاهُ البُخارِيّ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم : « سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوْقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ وَقَال صلى الله عليه وسلم : « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الايْمَانُ إِلَى قَلْبِهِ لا تَغْتَابُوا المُسْلِمِيْنَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فإِنَّ مَنْ يَتْبَعْ عَوْرَاتِ المُسْلِمِيْنَ يَتْبَعِ اللهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتْبَعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ » .

وَفي حَدِيْثِ المِعْرَاجِ : « وَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُوْنَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُوْرَهُمْ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيْلُ ؟قَالَ: هَؤُلاءِ الذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ لُحُوْمَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ » .

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ حُسَيْنٍ : ذَكَرْتُ رَجُلاً بِسُوءٍ عِنْدَ إِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَنَظَرَ فِي وَجْهِي وَقَالَ أَغَزَوْتَ الرُّوْمَ قُلْتُ لا قال أَغَزَوْتَ السِّنْدَ والهِنْدَ

والتّرْكَ قُلْتُ لا قالَ أَفَسلِمَ مِنْكَ الرُّوْمُ وَالسِّنْدُ والهِنْدُ وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْكَ أَخُوْكَ المُسْلِمَ قالَ فَلَمْ أَعُدْ بَعْدَهَا ، وَقَلَّ أَنْ تَجِدَ مُوْلَعاً بِلُحُوْمِ الغوافِلِ عَيَّاباً لِلناسِ إلاَّ وَفيه مِنْ العُيوبِ مَالَو اشْتَغَلَ بإِصْلاحِ بَعْضِهَا لَكَانَ أَوْلَى بِهِ ، وَأَحْفَظُ لِوَقْتِهِ ، وَأَسْلَمُ لِدِيْنِهِ ، وَأَسْلَم لِعِرْضِهِ فَإِنَّهُ إِذَا عَابَهُم عَابُوهُ وَأكثرُوا فِيْهِ ويَسْتمِروُنَ فى البذاءة والوَقَاحَةِ ولا يَمَل بَلْ يفرح .

شِعْرَاً : إذا أَنْتَ عِبْتَ النَّاسَ عَابُوا وَأَكْثَرُوْا
عَلَيْكَ وَأَبْدَوا فِيْكَ مَا كَانَ يُسْتَرُ
وَإِمَّا ذَكَرتَ النَاسَ فاتْرُكْ عُيُوبَهم
ولا عَيْبَ إلا مِثْلَ ما فيكَ يُذْكَرُ
فإنْ عِبْتَ قَوماً بالذِي فِيْكَ مِثْلُه
فَكَيْفَ يَعِيْبُ العُوْرَ مَن هُو أَعْوَرُ
وإنْ عِبْتَ قَوماً بالذي لَيْسَ فِيْهِم
فَذَلِكَ عِنْدَ الناسِ واللهِ أَكْبَرُ

آخر :

قَبِيْحٌ مِن الإنسْانِ يَنْسَى عُيُوبَهُ ... ويَذْكُرُ عُيْباً في أخِيْهِ قَد اخْتَفَى
ولَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَمَا عَابَ غَيْرَهُ ... وفِيْهِ عُيُوبٌ لَوْ رآهَا بِهَا اكْتَفَى

آخر :

ومَطْرُوْفَةٍ عَيْنَاهُ عن عَيْبِ نَفْسِهِ ... وإنْ بَانَ عَيْبٌ مِنْ أخِيْهِ تَبصَّرا

آخر :

أَتُبصِرُ في العَيْنِ مِنّيْ القَذَا ... وفي عَيْنِكَ الجِذْعُ لا تُبْصِرُ

وَلَا أَحْسَنَ مِن الإعْراضِ عن السَّفِيْهِ والدَّني قال بَعْضُهُمْ .

إذَا جَارَيْتَ في خُلقٍ دَنِيئاً ... فأَنْتَ ومَنْ تُجَارِيْه سَوَاء

آخــر :

وَمَنْ رَدَّ الكَـلامَ عَلَى سَفيـهٍ   كَمَـنْ دَفَـعَ السِّـلاحَ إلى عَـدُوٍ

آخـر :

لَوْ كُلُ كَلْبٍ عَوَى أَلْقَمْتَهُ حَجَراً   لَأصْبَحَ الصّخْرُ مِثْقَالاً بِدِيْنارِ

آخـر :

أَوَكَلّماَ طَنَّ الذُبَابُ زَجَرْتُـهُ   إنَّ الذُبابَ إذاً عَليَّ كَرِيْمُ

آخـر :

فَمَا كُلُ كَلْبٍ نابِحٍ يَسْتَفِزُّني   ولاَ كُلُ ما طَنَّ الذُّبـابُ أُرَوَّعُ

آخـر :

ولو كُلّماَ كَلْبُ عَوَى مِلْتُ نَحوهُ   أُجَاوِ بُهُ إنّ الكِلَابَ كَثِيْرُ

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِيْ بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ ، وَيُبَاعِدُنِيْ مِنْ النَّارِ . قالَ « لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيْمٍ وَإِنَّهُ لِيَسِيْرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عليهِ تَعْبُدُ اللهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، وَتُقِيْمُ الصَّلاةَ ، وَتُؤْتِيْ الزَّكاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَان ، وَتَحُجُّ البَيْتَ » ثمّ قالَ لَهُ « أَلاَ أَدُلّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ الصَّوْمُ جُنَّةٌ والصَّدَقَةُ تُطْفِيءُ الخَطِيْئَةَ كَمَا يُطْفِيءُ الماءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ في جَوْفِ اللَيْلِ » ثُمَّ تَلاَ : ﴿تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ المَضَاجِعِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ .

ثُمَّ قَالَ « أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُوْدِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ . قالَ « رَأْسُ الأَمْرِ الاسْلامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ » ثم قالَ « قَالَ ألا أُخْبِرُكَ بِمَلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ » قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ . فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ ثُمَّ قَالَ « كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا » قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، وَإِنَّا لمؤآخذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ فقَالَ « ثكِلَتْكَ أُمُّكَ ، وَهَل يَكُبُّ الناسَ في

النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ أَو قالَ : على وُجُوهِهِمْ إلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ .

شِعْرَا :

أَلَا احْفَظْ لِسَانَكَ إنّ اللِسّا نَ سَرِيْعُ إلى الَمْر فى قَتْلِهِ
وَإنّ اللّسَانَ دَلِيْلُ الفُؤادِ يَدُلُ الرّجَالَ عَلَى عَقْلِهِ

آخر : اغْمِدْ لِسَانَكَ لا يَنْسَلَّ عن فَمِهِ
فَإِنَّهُ في عُيُوبِ الخَلْقِ طَعَّانُ
لَوْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ يَأْجُوجَ اللِّسَانُ إذاً
لَمْ يُبْنَ مِن دونهِ كالسَّدِ أَسْنَانُ

آخر :

لِسَانُ المَرْءِ لَيْثُ فى كَمِيْن إذَا خَلَّى عليهِ لَهُ إغَارَةْ
فَصُنْهُ عن الخنَا بِلجَام صَمْتً يَكنْ لك من بَلِيَّاتٍ ستَارَهْ

آخر :

وإحْفَظْ لِسَانَك واحترزْ مِن لَفظِهِ
فالمرءُ يسلَمُ باللسانِ وَيَعْطَبُ

آخر :

إحْفَظْ لِسَانَكَ لَا تَقُولُ فَتُبْتَلَى إنّ البَلاءَ مُوَكّلُ بالمنْطِقِ

آخر :

لِسَانُكَ لَكَ المَمْلُوكُ ما دُمْتَ صَامِتاً
وَأَنْتَ لَهُ الْمَمْلُوكُ حِيْنَ تَكَلَّمُ

آخر :

يَكُب الفَتَى في النّارِ حَصْدُ لِسَانِهِ وإرْسَالُ طَرْفِ المَرْءِ أَنْكَى فَقَيّدِ

آخر : ما إنْ نَدِمْتُ على سُكُوتِيْ مَرَّة
وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى الكَلَامِ مِرَاراً

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ لَقِيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وسلم فقلْتُ : مَا النَّجَاةُ ؟ فقالَ « أمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ ، وَابْكِ عَلَى خَطِيْئَتِكَ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيّ ، وَخَرَّجَ البَزَّارُ مِنْ حَدِيْثِ أَبِي بُسْر أَنَّ رَجُلاً قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ دُلَّنِيْ عَلى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةِ قالَ « أمْسِكْ هَذَا » وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ ، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ وَقَالَ « ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ هَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ في النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » ، وَالمُرَادُ بِحَصَائِدِ الألسن جَزَاءُ الكَلَامِ المُحَرَّمِ وَعُقُوبَاتُهُ ، فَإِنَّ الإِنْسَانَ يَزْرَعُ بِقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ يَحْصُدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مَا زَرَعَ فَمَنْ زَرَعَ خَيْراً مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ حَصَدَ الكَرَامَةَ وَمَنْ زَرَعَ شَرّاً مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ حَصَدَ النَّدَامَة وفي حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِي صَلَّى اللهُ عليه وسلم « أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ الأَجْوَفَانِ الفَمُ وَالفَرْجُ » رَوَاهُ الامَامُ أَحْمَدُ والتِّرْمِذِيّ وَخَرَّجَ البُخَارِيّ وَالتِّرْمِذِيّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ قالَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ » .

وفي الحَدِيْثِ الآخر أنهُ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « أَتَدْرُوْنَ مَنْ المُفْلِسُ ؟ » قَالُوا : المُفْلِسُ فِيْنَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعٍ ، فقالَ إِنَّ المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِيْ يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِيْ وَقَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيَأْخُذُ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيْ ما عليه أخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ والتِّرْمِذِيّ وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُه الفُحْشُ وَهُوَ كُلُّ مَا اشْتَدَّ قُبْحُهُ مِنْ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِيْ وَكَذَالِكَ الرِّيَاء نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ من جَمِيع الذُنُوبْ .

شعرا: مَنْ شَاءَ عَيْشاً رَخياً يستَفِيْدُ بِهِ فِي دِيْنِهِ ثم في دُنياهُ إِقْبَالَا
فَلْيَنْظُرَنَّ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ بِتُقَى وَ الْيَنْظُرَنَّ إِلى مَنْ تَحْتَهُ حَالَا

عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عليه وسلم :

« مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّوْرِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلّهِ حَاجَةٌ في أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ » رَواهُ البُخَارِيّ وَأَبُو دَاوُدَ وَاللفْظُ لَهُ .

وَيُسَنُّ لِمَنْ شُتِمَ وَهُوَ صَائِمٌ أنْ يَقُولَ : « إِنِّيْ صَائِمٌ » سَوَاءٌ في رَمَضَانَ أَوْ غَيْرِهِ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلى الله عليه وسلم قالَ : « إِذَا كَانَ صَوْمُ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلا يَصْخَبْ فَإِنْ شَاتَمهُ أحَدٌ أو قاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّيْ صَائِمٌ » مُتّفَقٌ عَلَيْهِ .

شِـــعْراً :

تَــزَوّدْ مَــا اسْتَــطَعَتْ لِــدَارِ خُــلْدٍ
فَـخَيْــرُ الــزَّادِ زَادُ الــمُــتَــقِــيْــنَــا
ولا يَــغْــرُرْكَ فــي الــدُّنْــيَــا ثَــرَاءٌ
هُــنَــاكَ تَــرَى أُجُــوْرَ العَــامِلِيْنَــا
تَــبَــصَّــرْ يَــا هَــدَاكَ الــلهُ إِنَّــا
نَــسِيْــرُ عَــلَى طَــرِيْقِ الــسَّــابِقِيْنَــا
فَــإِنَّ المــوتَ غَــايَــةُ كُــلِّ حَيٍ
وَبَــطْنُ الأرضِ مَثْــوَى العَــالَمِيْنَــا
أَلَــمْ تَــعْــلَمْ بِــأَنَّ الــلاَّءَ كَــانُــوا
مُلُوكــاً في الــقُــرُونِ الغَــابِــرِيــنَــا
أَضَــاعُــوا العُمْــرَ في لَهْــوٍ وَظُلْمٍ
وَحَــادُوا عَــن طَــرِيْقِ الــمُتَّقِيْنَــا
وَلَمْ يَجِدُوا لِدَفْعِ المَوْتِ عَنْهُمْ   سَبِيْــلاً فَاسْتَكَانُــوْا صَاغِرِيْنَــا
نَعِيْمُ الْخُلْــدِ لا يَفْنَــى فَسَارِعْ   لأَعْمَــالِ العِبَادِ الصَّالِحِيْنَــا

اللهُم اخْتِمْ بالأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ لِبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ في جَمِيْعِ الأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الغَرْقَى وَيَا مُنْجِيَ الهَلْكَى وَيَا دَائِمَ الإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وأَنِلْنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَتِكَ في جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

مـوعظة

قَالَ ابْنُ الجَوْزِيّ رَحِمَهُ اللهُ : الحَذَرَ الحَذَرَ مِنَ المَعَاصِيْ فَإِنَّهَا سَيِّئَةُ العَوَاقِبِ ، والحَذَرَ الحَذَرَ مِنَ الذُّنُوبِ خُصُوصاً ذُنُوبُ الخَلَوَاتِ ، فَإِنَّ المبَارَزَةَ لِلّهِ تَعَالَىٰ تُسْقِطُ العَبْدَ مِنْ عَيْنِهِ سُبْحَانَهُ وَلاَ يَنَالُ لَذَةَ المَعَاصِيْ إِلَّا دَائِمُ الغَفْلَةِ ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ اليَقظَانُ فَإِنَّهُ لاَ يَلْتَذُّ بِهَا ، لأَنَّهُ عِنْدَ التِذَاذِهِ يَقِفُ بازائِهِ عِلْمُهُ بِتَحْرِيْمِهَا وَحَذَرُهُ مِنْ عُقُوبَتِهَا ، فَإِنْ قَوِيتْ مَعْرِفَتُه رَأى بِعَيْنِ عِلْمِهِ قُرْبَ النَّاهِي وَهُوَ اللهُ فَيَتَنغصُ عَيْشُهُ في حَالِ التِذَاذِهِ فَإِنْ غَلَبَهُ سُكْرُ الهَوى كَانَ القَلْبُ مُتَنَغِّصاً بِهَذِهِ المُراقَبَاتِ وَإِنْ كَانَ الطّبْعُ في شَهْوَتِهِ فَمَا هِيَ إلا لَحْظَةٌ ثُمَّ خِزْيٌ دَائِمٌ وَنَدم مُلاَزِمٌ وَبُكَاءٌ مُتَواصِلٌ وأَسَفٌ عَلَى مَا كَانَ مَعَ طُولِ الزَّمَانِ حَتَّى إِنَّهُ لَوْ تَيقَّنَ العَفْوَ وَقَفَ بإِزَائِهِ حِذَارَ العِتَابِ فَأُفٍّ لِلذُّنُوبِ مَا أَقْبَحَ آثَارَهَا وَأَسْوَءَ أَخْبَارَهَا انْتَهى .

شعرا : أَيَضْمَنُ لِيْ فَتى تَرْكَ الْمَعَاصِي ... وأَرْهَنُهُ الكَفَالَةَ بالخَلاصِ
أَطَاعَ اللهَ قَومٌ فاسْتَرَاحُوا ... ولَمْ يَتَجرعُوا غُصَصَ المَعَاصِي

آخر : خَلِيْلَيَّ إنّي مَا غَبَطْتُ سِوَى الذي ... أَتَى مُخْلِصاً لِلَّهِ رَبِّ البَرِيَّةِ
يَقُوْمُ طِوَالَ اللَّيْلِ تَجْرِيْ دُمُوعُهُ ... عَلَى مَا مَضَى مِن مُوْبقَاتٍ وَزَلَّتِي

آخر : مَنْ مِثْلُ رَبِّكَ تَعْصِيْه وتهْجُرُهُ ... ويُسْبِلُ السّتْرَ ياذَ الغَدْرِ فارْتَدِعِ
يا نَاقِضَ العَهْدِ يا مَن حَالُهُ قُبِحَتْ ... مَعَ الإِلهِ بلا خَوفٍ ولا جَزَعِ

ضَيَّعْتُ عُمْرَكَ تَسْوِيْفَاً بِلا عَمَلٍ ... تُمِسْي وُتَصْبِحُ بَيْنَ الحِرْصِ والطَّمَعُ
وتَسْمَعُ الوَعْظَ لاَتَنْهَــاكَ زاجرةُ ... بَلْ أَنْتَ في غَفْلَة عَنْ ذَاكَ فاسْتَمِع
فَقُمْ لِتَقْرَعَ بَاباً لِلّذِيْ كَثُرتْ ... لِلسّائِلِيْنَ عَطَاً ياهُ وأَنْتَ مَعِيْ
لَعَلّـهُ أَنْ يرَانَـا تَائِبِيْـنَ لَهُ ... يَمُنُّ بالعَفْوِ عن عِصْيَانِنا الشّنِعِ

والله أعلم وصلى الله على محمد واله وصَحْبِهِ وسلم .

فصل في « تحريم الظلم »

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ الظُّلْمَ مَرْتَعُهُ وَخِيْمٌ وَعَاقِبَتُهُ سَيِّئَة وَهُوَ مَنْبعُ الرَّذَائِلِ وَمَصْدَرُ الشُّرُوْرِ ، وَحَدُّ الظُّلْمِ انَّهُ وَضْعُ الشَّيْءِ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَهُوَ انْحِرَافُ عَنْ العَدَالَةِ وَمَتَى فَشَى وَشَاعَ في أُمَّةٍ أَهْلَكَهَا وَإِذا حَلَّ في قَرْيَةٍ أو مَدِيْنَةٍ دَمَّرَهَا . وَهُوَ وَالفَسَادُ قَرِيْنَانِ بِهِمَا تَخْرُبُ الدِّيَارُ وَتَزُولُ الأمْصَارِ وَتَقِلُّ البَرَكَاتِ وَيَحِلُّ الفَشلُ مَحَلَّهَا وَهُوَ ظُلُمَاتٌ تَزِلُّ الأَقْدَامُ في غَيَاهِبِهِ وتَضِل بِهِ الأفْهَامُ وَيَظْهَرُ الفَسَادُ وَيَنْتَشِرُ بِسَبَبِهِ الفَزَعُ بَيْنَ النَّاسِ .

وَأَعْظَمُ الظُلمِ وَأَشَدُّهُ وَأَخْبَثُهُ الشِّرْكُ باللّهِ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿إِن الشركَ لَظُلْمٌ عَظِيم﴾ وَقَال ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿مَا لِظَّالِمِيْنَ مِنْ مِنْ حَمِيْمٍ وَلَا شَفِيْعٍ يُطَاعُ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَسَيَعْلَمُ الذِيْنَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُون﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَلو تَرَىٰ إِذْ الظَّالِمُونَ في غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيْهِمْ أَخرِجُوا أَنْفُسَكُم اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُوْنَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُوْنَ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُوْنَ﴾ الآياتِ وَقَال ﴿وَيَوْمَ يَعُضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ الآية .

هَذَا مِمَّا وَرَدَ في القُرْآنِ الكَرِيْمِ في حَقِّ الظَّالِمِيْنَ وَأَمَّا السُّنَّةُ فَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم « الظُّلْمُ ظلماتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ » رَواهُ البُخَارِيّ وَمُسْلِمٌ والتِّرْمِذِيّ .

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ « اتقُوا الظُّلْمَ فَإنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإنَّ الشحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلُكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحلوا مَحارِمَهُم » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِيْ مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم « إنَّ اللهَ لَيُمْلِيْ لِلظَّالِمِ فَإذَا أَخذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَكَذَلِكَ أَخذُ رَبِّكَ إذَا أَخذَ القُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إنّ أخْذَهُ أَلِيْمٌ شَدِيْدٌ ﴾ رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِي .

وَأَظْلم أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ مُشْرِكاً ... بِرَبِّ الوَرَى فافْهَمْهُ فَهْمَ مُوَحِّدِ

وَظُلْمُ النَّاسِ أَنْوَاعٌ يَجْمَعُهَا قَوْلَهُ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إنَّ دِمَاءَكُمْ وَأمْوَالَكُمْ وَأعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ » .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبي صَلَّى اللهُ عَليه وسلم قَالَ « إنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أنْ يُعْبَدَ الأَصْنَامُ في أرْضِ العَرَبِ وَلَكِنَّهُ سَيَرْضَى مِنْكُمْ بِدُوْنِ ذَلِكَ بِالمُحَرَّمَاتِ وَهِيَ الموبِقَاتُ يَوْمَ القِيَامَةِ اتَّقُوا الظُّلْمَ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإنَّ العَبْدَ يَجِيءُ بِالحَسَنَاتِ يَوْمَ القِيَامَةَ يَرَى أنْهَا سَتُنْجِيْهِ فَمَا زَالَ عَبْدٌ يَقُولُ يَا رَبِّ ظَلَمَنِيْ عَبْدُكَ فَيَقُولُ امْحُوْا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَمَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ مَا يَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ مِنْ الذنوبِ » .

إنْ تمْطُلِ اليومَ الحُقُوقَ مَعَ الغِنَى ... فَغَداً تُؤَدِّيْهَا مَعَ الإفْـــلَاسِ
وَإذَا أَحَبَّ اللهُ يَوْماً عَبْـــدَهُ ... أَلْقَى عَليه مَحَبَّةً في النَّـــاسِ

« وَإنَّ مِثْلَ ذَلِكَ كَسَفَرٍ نَزَلُوا بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ لَيْسَ مَعَهُمْ حَطَبٌ فَتَفَرَّقَ القَوْمُ لِيَحْطِبُوا فَلَمْ يَلْبَثُوا أنْ احْتَطَبُوا فَاعْظَمُوا النَّارَ وَطَبَخُوا مَا أرَادُوا وكذلِكَ الذّنوبُ » رَوَاهُ أبو يَعْلَى مِنْ طَرِيْقِ ابْرَاهِيْمَ ابْنِ مُسْلِمٍ الهَجَرِيِّ عَنْ أبِيْ الأحْوَصِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَرَوَاهُ أحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيْ بِإسْنَادٍ حَسَنٍ نَحْوِهِ بِاخْتِصَارٍ .

وَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم قالَ «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيْهِ مِنْ عِرْضٍ أَوْشَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ مِنْ قَبْلِ أنْ لاَ يَكُونَ دِيْنَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ إنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدَرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ » رَوَاهُ البُخَارِيّ وَالتِّرْمِذِيّ .

وَعَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم قَالَ « أتَـدْرُوْنَ مَنْ المُفْلِسُ ؟ » قَالُوا : المُفْلِسُ فِيْنَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ . فَقَالَ « إنَّ المُفْلِسَ مَنْ أُمَّتِيْ مَنْ يَأْتِيْ يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مال هَذَا وسَفَكَ دمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أنْ يَقْضِيْ مَا عَلَيْهِ ، أُخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيّ .

وَعَنْ ابْنِ عُثْمَانَ عَنْ سَلْمَانَ وَسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ وَحُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ حَتَّى عَدَّ سِتَّةً أوْ سَبْعَةً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا إنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ صَحِيْفَةٌ حَتَّى يُرَى أَنَّهُ نَاجٍ فَمَا تَزَالُ مَظَالِمُ بَنِيْ آدَمَ تَتْبَعُهُ حَتَّى مَا يَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ وَيُحْمَلُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ رَوَاهُ البَيْهَقِيّ فِي الشُّعَبِ بِإسْنَادٍ جَيِّدٍ .

وَعَنْ أَبِيْ ذَرّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صلى اللهُ عَليه وَسلَّم فِيْمَا يَرْوِيْهِ عَنْ رَبِّهِ عزَّ وَجَلَّ . أنَّهُ قَالَ ﴿ يَا عِبَادِيْ إِنِّيْ حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِيْ وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فلا تَظالَمُوا ﴾ الحَدِيْث رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيّ وَابنُ ماجَهْ .

وَرُوِيَ عنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « لاَ تَظْلِمُوا فَتَدْعُوا فَلاَ يُسْتَجَابَ لكُمْ ، وَتَسْتَسْقُوات فَلاَ تَسْقَوْا ، وَتَسْتَنْصِرُوا فَلاَ تُنْصَرُوا » رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ .

اللهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وعَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، ووَفِّقْنَا للعمل بمَا فَهَّمْتَنَا ، اللهُمَّ إنْ كُنَّا مُقصرِّيْنَ في حِفْظِ حَقِّك ، والوفاء بعَهْدِكَ ، فأنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَنَا في رَجَاءِ رِفْدِكَ ، وخالِص وُدِّكَ ، اللهُمَّ أنْتَ أعْلَمُ بنا منَّا ، فبكَمالِ جُوْدِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا ، وَاغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدِيْنا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، الأَحْيَاءِ مِنْهُم والمَيِّتِيْنَ ، برَحْمَتَكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصلى الله على مُحَمَّدٍ وعلى آله وصَحْبِهِ أجمعين .

(مَوْعِظَة)

عِبَادَ اللَّهِ بِمَا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلاَ مَنَّ عَلَيْكُمْ بالإِسْلاَمِ فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحِبُّوهُ ، فَإِنَّه الذِيْ بِيَدِهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَة ، وَأَنْ تُحِبُّوا رَسُوْلَهُ ﷺ الذيْ لَوْلا اللَّهُ ثمَّ لَوْلاَهُ لَكُنْتُمْ مِنْ حَطَبِ جَهَنَّمَ تَلْتَهِبُ بِكُمْ أَبَد الآبِدِيْنَ ، وَأَنْ تُحِبُّوا أَحْبَابَ اللَّهِ ، وَأَحْبَابُه هُمُ الذينَ لَزِمُوا طَاعَةَ مَوْلاَهُمْ وَتَبَاعدُوا عَنْ مَعْصِيَتِهِ كَمَا يَتَبَاعَدَ الإِنْسَانُ عَمَّا يَقتُلُهُ مِنْ سُمّ وَنَحْوِهِ بَلْ السُّمّ أَهْوَنُ وَأَخَفُّ مِنْ كَثِيْرٍ مِنْ المَعَاصِيْ كَيْفَ لاَ وَالمَعَاصِيْ لاَ تُسْلِمُ فَاعِلَهَا إلاّ إِلَى العَذَابِ الأَلِيْمِ إنْ لَمْ يَتَجَاوَزْ عَنْهُ مَوْلاَهُ ، مَضَى فِي صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ أُنَاسٌ قَالَ اللَّهُ فِيْهِمْ ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ وَهُمْ الذِيْنَ كانُوا بِأَرْوَاحِهِمْ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ يَجُودُوْنَ ، وكانُوا يَرَوْنَ السَّعَادَةَ كُلَّ السَّعَادَةِ فِي ذَلِكَ الجُودِ وَإِذَا لَمْ يَسْتَطِيْعُوْا

كانُوا لِذَلِكَ يَحْزَنُوْنَ وَكَانَ هَؤُلَآءِ النَّاسُ يُحِبُّونَ رَسُولَهُمْ فَوقَ مَحَبَّتِهِمْ لأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَكَانَ حُبُّ أَحَدِهِمْ لأَخِيْهِ أَعْظَمَ مِن حُبِّهِ لآثاثِهِ وَمَالِهِ يُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَلِذَلِكَ كَانُوا فِي كُلِّ المَنَافِعِ لاَ يَعْرِفُوْنَ إلا خُلُقَ الإِيثارِ ، كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ، وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ سَلِ التَّارِيْخَ عَنهُمْ يُخْبِرْ عَنْهُمْ أخباراً مَا سَمِعْتَ قَطُّ بِمِثْلِهَا يُخْبِرْكَ أَنهُمْ كَانُوا سَادَةَ الدُّنْيَا يَعْتَرِفُ بِذَلِكَ العَدُوُّ قَبْلَ الصَّدِيْقِ اعْتِرَافَ إقْرارٍ وإذعانٍ يُخْبِرْكَ أَنَهُمْ كَانُـوا إِذَا اتَّجَهُوا لِغَزْوِ جِهَةٍ يَنْهَزِمُ أَهْلُهَا وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ مَسَافَةٌ عَظِيْمَةٌ وَكَيْفَ لاَ يُعِزُّهُمْ رَبُّهُمْ وَقُلُوبُهُمْ كَانَتْ وَقْفاً عَلَى حُبِّهِ وَحُبِّ رَسُوْلِهِ ﷺ وَحُبِّ كُلِّ مَا يُرْضِيْهِ مِنْ مَبارٍّ ، هَؤُلاءِ كَانُـوا عَبِيْدَ اللَّهِ عُبُوْدِيَّةً مَا رَأَتْ الدُّنْيَا عُبُوْدِيَّةً مِثْلَهَا فِي سَائِرِ العَبِيْدِ عَدَا الرُّسُلِ الكِرَامِ لِذَلِكَ كَانُوا يَحِنُّونَ لِطَاعَتِهِ حَنِيْناً لا يَنْقَضِي عَجَبُهُ وَهُوَ مُخْلِصٌ وَشَدِيْدٌ كَانُوا لا يَشْبَعُونَ مِنَ العِبَادَةِ بِالنَّهَارِ فَيَسْتَقْبِلُونَ اللَّيْلَ بِعَزَائِمِهِمْ بَعَثَتْهَا هِمَمٌ عَالِيَةٌ ، لاَ تَكِلُّ وَلا تَمَلُّ مِنَ العِبَادَةِ ، بَلْ هِيَ فِي العِبَادَةِ كَالسَّمَكِ فِي البَحْرِ ، وَاللَّيْلُ عَلَى ذَلِكَ شَهِيْدٌ وَمَنْ الذِيْ يَقُـولُ إِنَّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ هَؤُلاءِ الذِيْنَ هُمْ خِيْرَةُ اللهِ مِن خَلْقِهِ هُمْ سَلَفُنَا الصَّالِحُ ، فَيَنْبَغِيْ أَنْ نَقْفُوا آثَارَهُمْ ، وَنَكُونَ عَلَى مِثْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ المَحَبَّةِ الفَائِقَةِ وَالطَّاعَةِ الفَرِيْدَةِ لِمَوْلاَنَا .

قال بعضهم يصف السلف :

مُسْتَوْفِزِيْنَ عَلَى رَحْلٍ كَأَنَّهُمُ … رَكْبٌ يُرِيْدُوْنَ أَنْ يَمْضُوْا وَيَنْتَقِلُوا
عَفَّتْ جَوَارِحُهُمُ عن كُلِّ فَاحِشَةٍ … فَالصِّدْقُ مَذْهَبُهُمُ وَالخَوْفُ وَالوَجَلُ

آخـر :

تَنَعَّمَ قَومٌ بِالعِبَـادَةِ وَالتُقَـى … أَلَذَّ النَّعِـيْمِ لاَ اللَّذَاذَةَ فِي الخَمْرِ
فَقَـرَّتْ بِهِ طُـولَ الحَيَـاةِ عُيُونُهُمُ … وكَانَتْ لَـهُمْ زَاداً إلَى القَـبْرِ

آخــر :

دَعِ التكاسُلَ في الطَّاعَاتِ تَفْعَلُهَا فَلَيْسَ يَسْعَدُ بالطَّـاعاتِ كَسْلانُ
واشـدُدْ يَـدَيْكَ بِحَبْلِ اللّهَ مُعْتَصِماً فإنَّهُ الرُكْنُ إنْ خَانَتْـكَ أرْكَـانُ
مَنِ اسْـتَعَان بِغَيْرِ اللّهِ في طَلَبٍ فإنَّ ناصِرَهُ عَجْـزٌ وخُـذْلانُ
مَنْ يَزْرَعِ الشَّرِ يَحْـصُدْ في عَوَاقِبِهِ نَـدَامَة ولِحَصْـدِ الزَّرْعِ إبَّـانُ
مَنِ اسْتَنَامَ إلى الأشْـرَار نَامَ وَفي قمِيْصِـهِ منهُمُ صِـلٌّ وَثُعْبَـانُ
وكُلُ كَسْـرٍ فإنَّ اللّـهَ يَجْـبُرُهُ ومَا لِكَسْـرِ قَنَاةِ الدِيْـنِ جُـبْرَانُ

آخـر :

إعْلَمْ بأَنَّ طَرِيْقَ الحَقِ مُنْفَرِدُ والسّالِكُوْنَ طَرِيْقَ الحَقِ أفْرَادُ
لا يَطْلُبُونَ وَلا تُطْلَبُ مَسَاعِيهم فهم على مَهَل يَمْشُوْنَ قُصّادُ
والنّاسُ في غَفْلةٍ عَمّالَهُ قَصَدُوْا فجُلّهُمْ عن طَرِيْقِ الحَقّ رُقّادُ

آخـر :

يَا بَاغِـيَ الإحْسَانِ يَطْلُبُ رَبَّهُ لِيَفُـوزَ منـه بغَـايَـةِ الآمَـالِ
انْظُرْ إلَى هَـدْيَ الصَّحابَةِ والذي كـانُوا عليه فـي الزَّمـانِ الخَـالِ
واسْلُكْ طَـرِيْقَ القَـوْمِ أينَ تيَمَمُوا خُـذْ يَمْنَةً فالـدَّربُ ذاتُ شَـمَالِ
تَـاللهِ مَـا اخْتَـارُوا لأنْفُسِهِمْ سِوَى سُبْـلَ الهُدَى في القَـوْلِ والأَفْعَـالِ
دَرَجُـوا عَلَى نَهْجِ الـرَّسُولِ وَهَـدْيِهِ وَبِـهِ اقْتَـدَوْا في سَـائِرِ الأَحْـوَالِ
نِعْمَ الـرَّفِيْقُ لِطَالِبٍ يَبْغِي الهُـدَى فَمَـآلُـهُ في الحَشْـرِ خَيْرُ مَـآلِ
الـقَـانِتِيْنَ الـمُـخْبِتِيْنَ لِـرَبِّـهِـمْ النَاطِقِيْنَ بأَصْدَقِ الأَقْوَالِ

التَّارِكِيْنَ لِكُلِّ فِعْلٍ سَيِّءٍ
وَالعَامِلِيْنَ بِأَحْسَنِ الأَعْمَالِ

أهْوَاءُهُمْ تَبَعٌ لِدِيْنِ نَبِيِّهِمْ
وسِوَاهُم بالضِّدِ مِن ذِي الحَالِ

مـا شَابَهُمْ في دِيْنِهِم نَقْصٌ وَلاَ
في قَوْلِهِمْ شَطْحُ الجَهُول الغَالِ

عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا وَلَمْ يَتَكَلَّفُوا
فَلِذَاكَ مَا شَابُوا الهُدَى بِضَلاَلِ

وسِوَاهُمْ بالضِّدِ في أَحْوَالِهِمْ
تَرَكُوا الهُدَى وَدَعَوا إِلَى الإِضْلاَلِ

فَهُمْ الأَدِلَةُ لِلْحَيَارَى مَن يَسِرْ
بِهُدَاهُمُ لَم يَخْشَ مِن إِضْلاَلِ

وهُمُ النُّجُومُ هِدَايَةً وإِضَاءَةً
وعُلُوَ مَنْزِلَةٍ وَبُعْدَ مَنَالِ

يَمْشُوْنَ بَيْنَ النَاسِ هَوْنَاً نُطْقُهُمْ
بالحَقِّ لا بِجَهَالَةِ الجُهَّالِ

حِلْمَاً وَعِلْمَاً مَعْ تُقىً وَتَواضِعٍ
وَنَصِيْحَةٍ مَعْ رُتْبَةِ الإِفْضَالِ

يُحْيُونَ لَيْلَهُمْ بِطَاعَةِ رَبِهِمْ
بِتِلاَوَةٍ وَتَضَرُّعٍ وَسُؤالِ

وَعُيُونُهُمْ تَجْرِيْ بِفَيْضِ دُمُوْعِهِمْ
مِثْلَ انْهِمَالِ الوابِلِ الهَلاَّلِ

فِي اللَّيْلِ رُهْبَانٌ وعِنْـدَ جِهَادِهِمْ
لِعَـدُوِّهِمْ مِـن أَشْجَـعِ الأبْـطَالِ
وإذَا بَـدَا عَـلَمُ الـرِّهَـانِ رَأيْتَـهُـمْ
يَتَسَـابَقُـونَ بِصَـالِـحِ الأَعْـمَـالِ
بِوُجُوْهِـهِمْ أَثَـرُ السُّجُـودِ لِـرَبِّهِمْ
وَبِـهَـا أشِـعَّـةُ نُـورِهِ الـمُـتَـلاَلِ
وَلَقَـدْ أَبَـانَ لَـكَ الكِتَـابُ صِفَـاتِهِمْ
فِي سُـوْرَةِ الفَتْـحِ المُبِيْنِ العَـالِ
وبِـرَابِـعِ السَّبْـعِ الـطِّوَالِ صِفَـاتُهُمْ
قَـوْمٌ يُـحِـبُـهُـمُ ذَوُوْا اِدْلاَلِ
وَبَـرَاءَةٍ والـحَشْـرِ فِـيهَـا وَصْـفُهُـمْ
وبِـهَـلْ أَتَـى وبِـسُـورَةِ الأَنْـفَـالِ

اللَّهُمَّ أَذِقْنَا عَفْوَك وَغُفْرَانَكَ وَأَسْلُكْ بِنَا طَرِيْقَ مَرْضَاتِكَ ، وَعَامِلْنَا بِلُطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ وَاقْطَعْ عَنَّا مَا يُبْعِدُ عَن طَاعَتِكَ ، اللهم وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلوبِنَا وَقَوِّهَا وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسَّرْتَهُ لأَوْلِيَائِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُم وَالْمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فَصْلٌ

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ بَعَثَ مُعَاذاً إلَى اليَمَنِ فَقَال « اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللّهِ حِجَابٌ » رواهُ البُخَارِيَّ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه

وسلم « ثَلاثَةٌ لا تُردُّ دَعْوَتُهُمْ الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ،وَالامَامُ العَادِلُ ، وَدَعْوَةُ المَظْلُوْمِ يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُوْلُ الرَّبُّ : وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِيْنٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيّ وَحَسَّنَهُ وَابْنُ مَاجَهْ ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيْحَيْهِمَا وَالبَزَّارُ مُخْتَصَراً بِلَفْظٍ :

« ثَلاثٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يَرُدَّ لَهُمْ دَعْوَةً الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ وَالمَظْلُومُ حَتَّى يَنْتَصِرَ ، وَالمُسَافِرُ حَتَّى يَرْجِعِ » .

وفي رِوَايَةٍ لِلتِّرْمِذِيّ « ثَلاثُ دَعَوَاتٍ لاَ شَكَّ فِي إِجَابَتِهِنَّ ، دَعْوَةُ المظْلُومِ ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِه » وَرَوَىَ أَبُو دَاوُدَ هَذِهِ بِتَقْدِيْمٍ وَتَأْخِيْرٍ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ الله عَليه وسَلم « اتَّقُوا دَعْوَة المَظْلُومِ ، فَإِنَّهَا تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا شَرَارَةٌ » رَوَاهُ الحَاكِمُ وَقَالَ رُوَاتُهُ مُتَّفَقٌ عَلَى الاحْتِجَاجِ بِهِمْ إِلاَّ عَاصِمَ بْنَ كُلَيْبٍ فَاحْتَجَّ بِهِ مُسْلِمٌ وَحْدَهُ .

وَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيْ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّىٰ اللهُ عليه وسلمَ « دَعْوَةُ المَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ » وَإِنْ كَانَ فَاجِراً فَفُجُوْرُهُ عَلَى نَفْسِهِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ باسْنَادٍ حَسَنٍ ، وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا دَعْوَتَانِ لَيْسَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ دَعْوَةُ المَظْلُومِ وَدَعْوَةُ المَرْءِ لأَخِيْهِ ، بِظَهْرِ الغَيْبِ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ وَلَهُ شَوَاهِدٌ كَثِيْرَةٌ .

وَعَنْ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَليه وسلم « اتقُوا دَعْوَةَ المَظْلُومِ فَانَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الغَمَامِ ، يَقُولُ اللهُ وَعِزَّتِيْ وَجَلالِيْ لأَنْصُرَنَّكِ وَلوْ بَعْدَ حِيْنٍ » رَوَاهُ الطَّبَرانِي .

شعــــــرا :

وما مِن يَدٍ إلاَّ يَدُ الله فَوقَهَـــا ولا ظَالِمٌ إلا سَيُبْلَى بِظَـــالِمِ

آخر: وأظلم أَهْلِ الظُّلمِ مَن بَاتَ مُشْرِكاً بِخَالِقِهِ فاحْذَرْ هُدِيْتَ عَنِ الشِرْكِ

قَالَ بَعْضُهُم يَصِفُ دَعْوَةَ المَظْلُوم ِ وُهُو في الحَقِيْقَةِ لُغْزٌ .

وَسَائِرَةٍ لم تَسْرِ في الأرض ِ تَبْتَغِي
مَحَلاً وَلَم يَقْطَعْ بِهَا البِيْدَ قَاطِع
سَرَتْ حَيْثُ لم تَحْدَ الرِّكَابُ وَلَم تُنَخْ
لِوَرْدٍ ولم يَقْصُرْ لَهَا القَيْدَ مَانِعُ
تَمرُّ وَرَاءَ اللَّيل ِ واللَّيلُ ضَارِبٌ
بِجُثْمَانِهِ فَيْهِ سَمِيْرٌ وَهَاجِعُ
إذَا وَفَدَتْ لَم يَرْدُدِ اللّهُ وفْدَهَا
عَلَى أهْلِهَا وَاللهُ رَاءٍ وسَامِعُ
تَفَتَّحُ أبْوَابُ السَّمَاوَاتِ دُوْنَهَا
إذَا قَرَعَ الأَبْوَابَ مِنْهُنَّ قَارِعُ
وإنّي لأَرْجُو اللَّهَ حَتّى كَأَنَّما
أرَى بجَمِيْل ِ الظَّنِ مَا اللهُ صَانِعُ

آخر :

أَلا رُبَّ ذِي ظُلْم ٍ كَمَنْتُ لِحَرْبِهِ
فأَوقَعَهُ المَقْدُوْرُ أَيَّ وُقُوْع ٍ
وَما كَانَ لِي ِ إلاَّ سِلاحُ تُركَّع ٍ
وأَدْعِيَةٌ لا تُتَّقَى بِدُرُوْع ٍ
وَهَيْهَات أَنْ يَنْجُو الظَّلُومُ وَخلْفَهُ
سِهَامُ دُعَاءٍ مِن قِسِّي ٍ رُكُوْع ٍ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ أنّ رَسُولَ اللهِ صَلّىَ اللهُ عَليه وسَلم قالَ « المُسْلِمُ أخُو المُسْلِم لا يَظْلِمُهُ وَلا يَخْذلُهُ وَلا يَحْقِرُه ، التَّقْوى هَا

هُنَا التَّقْوَى هَا هُنَا » وَيُشِيْرُ إلَى صَدْرِهِ « بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِن الشَّرِ أنْ يَحِقْرَ أخَاه المُسْلِمَ ، كُلُّ المُسلِمِ عَلى المُسْلِمِ حَرَامٌ ، دَمُهُ وَمالَهُ وعِرضُهُ » رَوَاه مُسلِمٌ .

وَعَنْ أبي ذرّ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قُلت يا رسُولَ اللهِ ما كانت صُحُفُ إبْرَاهِيْمَ قالَ كانَتْ أمْثالاً كُلَّهَا ، أيُّها الملكُ المُسَلَّطُ المُبْتَلي المَغْرُوْرُ إنّي لم أبْعَثْكَ لِتَجْمَعَ الدُّنْيَا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ وَلكِنّي بَعَثْتُكَ لِتَرُدّ عَنّي دَعْوَةَ المظْلُومِ فَإنّيْ لا أرُدُّهَا وإنْ كانتْ مِنْ كَافِرٍ وَعلى العَاقِلِ مَا لَمْ يَكُنْ مَغْلُوباً عَلى عَقْلِهِ أنْ يَكُونَ لهُ سَاعَاتٍ فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيْهَا رَبَّهُ وسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيْهَا نَفْسَهُ وسَاعَةٌ يَتَفَكّرُ فِيْهَا في صُنْعِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وسَاعَة يخْلُو فِيْهَا لِحَاجَتِهِ مِنْ المَطْعَمِ وَالمشْرَبِ .

وَعلى العَاقِلَ أنْ لا يَكُوْنَ ظَاعِناً إلاّ لِثَلاثٍ تَزَوُّدٍ لمَعادٍ أوْ مَرَمَّةٍ لِمَعاشٍ أوْ لَذّةٍ في غَيْرِ مُحَرّمٍ وعلى العَاقِلِ أنْ يَكُونَ بَصِيْراً بِزَمَانِهِ مُقْبِلاً عَلى شَأنِهْ حَافِظاً لِلِسَانِهِ وَمَنْ حَسَبَ كَلاَمَهْ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلاَمُه إلاّ فِيْمَا يَعْنِيْهِ .

قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ فما كَانَتْ صُحُفُ مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ«كانَتْ عِبَراً كُلهَا ، عَجِبْتُ لِمَنْ أيْقَنَ بالمَوْتِ ثُمَّ يَفْرَحُ ، عَجِبْتُ لِمَنْ أيْقَنَ بِالنَّارِ ثم هُوَ يَضْحَكُ ، عَجِبْتُ لمنْ أيْقَنَ بالقَدَرِ ثُم هُوَ يَنْصَبُ ، عَجِبْتُ لِمَنْ رَأى الدُّنْيَا وَتَقَلُّبُهَا بِأهْلِهَا ثمَّ اطْمَأنَّ إلَيْهَا عَجِبْتُ لِمَنَ أيقنَ بالحِسَابِ غَداً ثُمَّ لَمْ يَعْمَلْ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أوْصِنِيْ . قَا « أوُصِيْكَ بِتَقْوَى اللّهِ ، فَإنَّهَا رَأسُ الأمْرِ كُلِّهِ » قُلْتُ : يا رَسْولَ اللهِ زِدْنِيْ . قالَ « عَلَيْكَ بِتلاوَةِ القُرْآنِ وَذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجلَّ ، فَإنَّه نورٌ لَكَ في الأرْضِ ، وَذِخْرٌ لَكَ في السَّمَاءِ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ زِدْنِيْ . قالَ « إيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ ، فَإنَّهُ

يُميْتُ القَلْبَ وَيذْهَبُ بنورِ الوَجْه » قلتُ :يَا رَسُولَ الله زِدْنِيْ . قَالَ « عَلَيْكَ بالجَهادِ فإنهُ رَهْبَانِيَّةُ أمَّتِيْ » قلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ زِدْنِيْ . قَالَ : « أحِبَّ المَسَاكِيْنِ وَجَالِسْهُمْ » .

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ زِدْنِي ، قَالَ « انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ تَحْتَكَ وَلاَ تَنْظُر إِلىَ مَنْ هُوَ فَوقَكَ ، فإنَّهُ أجْدَرُ أنْ لا تَزْدَرِيْ نِعْمَةَ اللّهِ عِنْدَكَ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللّهِ زِدْنِيْ . قَالَ « قُلْ الحَقَّ وَإنْ كَانَ مُرّاً قَلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ زِدْنِيْ . قَالَ « لِيَرُدَّكَ عَنْ النَّاسِ مَا تَعْلَمُهُ مِنْ نَفْسِكِ ، وَلا تَجِدُ عَلَيْهِمْ فِيْمَا تَأْتِيْ وَكفى بِكَ عَيْباً أَنْ تَعْرِفَ مِنْ النَّاسِ مَا تَجْهَلُهُ مِنْ نَفْسِكَ وَتَجِدُ عَلَيْهِمْ فَيْمَا تَأتِيْ » ثُمَّ ضَرَبَ بَيدِه عَلى صَدْرِيْ فَقَالَ « يَا أَبَا ذَرّ لا عَقْلَ كالتَّدْبِيْرِ ، وَلا وَرَعَ كالكفِّ ، وَلا حَسَبَ كحُسْنِ الخُلُقِ » رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ وَاللَّفْظُ لَهُ وَالحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيْحُ الاسْنَادِ .

اللّهُمَّ تَوَفّنَا مُسْلِمِينَ وأَلْحِقْنَا بِعِبادِكَ الصَّالحِيْنَ الّذيْنَ لاَ خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِديْنا وجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ

اللّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَيَسِّرْنَا لِلْيُسْرَى وَجَنِّبْنَا العُسْرَى واغْفِرْ لَنَا وِلِوَالِدَيْنَا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرحمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« **مَوْعِظَةٌ** » عِبادَ اللّهِ مَا للألْسُن عَنْ شُكْرِ نِعَمْ اللّه المُتَتالِيَةِ قَاصِرَةٌ ، وَمَا لِلعُيُونِ إلى زهْـرَةِ الحَيَاةِ الـدُّنْيا الفَـانِيَةِ نَاظِـرَةٌ ، وَمَا للأقْدَامِ عَنْ طَرِيْقِ الهِدَايَةِ الـوَاضِحَـةِ حَائِـرَةٌ ومـا للعَـزَائِمِ وَالهِمَمِ عَنْ العَمَلِ الصَّالِحِ فَاتِرَةٌ وَمَا للنُّفُوسِ لا تَتَزَوَّدُ مِنْ التَّقْوَى وَهِيَ مُسَافِرَةٌ ومَالها لا تَتَأَهَّبُ وَتَسْتَعِدُّ للنُّقلةِ إلىَ الـدَّارِ الآخِرَةِ ، أرُكُوناً إلى الدُّنْيا وَقَدْ فَرَّقَتْ الجُمُوعِ وَكَسَرتْ أعْنَاقَ الأكَاسِرَةِ وَقَصَّرَتْ آمَالَ القَيَاصِرَةِ وَأَدَارَتْ عَلى أهْلِهَا مِنْ تَقَلُّبِهَا الدَّائِرَةَ أمْ

اغْتِرَاراً بالاقامَةِ ، وَمَطَايَا الأَيَّام بكمُ في كلِّ لَحْظَةٍ سَائِرَةٍ أمْ تَسْوِيْفاً بالتَّوبَةِ وَالأَعْمَالِ فَهذَه واللَّهِ الفِكْرَةُ والصَّفقَةُ الخاسِرَةُ لقَدْ رَانَتْ عَلى القُلُوب قَبائحُ الأعْمَالِ ، وَضرَبَتْ عَلَيْهَا وَعَلى المَسامع مِنْ الذُّنُوب أقْفَالٌ فيا خَجْلَةَ مَنْ سُئِلَ فَعدِمَ الجَوابَ أوْ بجَوابٍ يَسْتَحِقُّ عَليْهِ أَلِيْمَ العَذاب ويَا حَسْرَةَ مَنْ نُوْقِشَ عنْ الدَّقيْقِ وَالجَلِيْلِ في الآخِرَةِ الحِسَابَ ، وَيا نَدامَةَ مَنْ لَمْ يَحْصُلْ إلاّ عَلَى الغَضَبِ مِنْ الكَرِيْمِ الوَهّاب ويَا خَيْبَةَ مَنْ مَآلهُ إلىَ نَار تَلْتَهبُ إلى إحْرَاقِهِ التِهابَا ، فمَتَى تُقْبِلُونَ عَلى اللَّهِ بِقُلوب صَادِقَةٍ لا تَنْتَهُونَ مِنْ مُفَارَقَةِ الذنُوب بعَزْمَةٍ صَادِقَةٍ ، لا في الصَّادِقِيْنَ تَيَقَّنُونَ أنَّهُ ثابتٌ لَكُمْ قَدمٌ ، وَلا في التَّائبِيْنَ صَحَّتْ لكمُ تَوْبَةٌ وَاقْلاعٌ وَعْزمٌ وَنَدَمٌ . ولا عِنْدَ تِلاَوَةِ كِتاب اللَّهِ تَقْشَعِرُّ مِنْكُمُ الجُلُودُ وَلا عَنْدَ سَمَاعِ المَوَاعِظِ تَرقُّ مِنْكُم القُلُوبُ ، التي هِيَ أقْسَى من الجُلْمُودِ فبِمَاذَا تَرْجُون لَحاقَ السُّعَدَاءِ وَكَيْفَ تَطْمَعُونَ في الفَوْزِ وَالنَّجاةِ مَعهُم غداً وَأَنْتُم تُتبعُونَ الخطَايَا بالخَطَايا وَتُبَارِزُونَ .

اللَّهَ بهَا في البُكْرِ والعشيا ، فَيَا حَسْرَةَ نُفُوس أطْمَأنَّتْ إلى الدُّنْيَا دَارِ الغُرورِ ، ويَا خَرَابَ قُلُوبٍ عُمِرَتْ بِأمَانيّ كُلُّهَا بَاطِلٌ وَزُوْرٍ ، وَيَا نَفَاذَ أَعمَارٍ يَنْقُصُ مِنْهَا كلَّ يَوْمٍ وَسَاعَةٍ وَلا يُزَادُ وَيَا خَيْبَةً مُسَافِرٍ يَسِيْرُ السَّيْرَ السَّرِيْعَ وَهُوَ بلا زَادٍ ، فَالبِدَارَ البِدَارَ عِبَادَ اللَّهِ بالتَّوْبَةِ البِدَارَ والغَنِيْمَةَ الغَنِيْمَةَ قَبْلَ خُرُوْجِ وَقْتِ الاخْتِيَارِ ، وَإِيْتَانِ وَقْتٍ لا تُقَالُ فِيْهِ العِثَارِ :

نَسِيرُ إلىَ الأجَالِ في كُلِ لَحْظَةٍ ... وأَيَّامُنا تُطْوَى وَهُنَّ مَرَاحِلُ
ولَم نَرَ مِثْلَ المَوت حَقاً كَأنَّهُ ... إذَا مَا تَخَطَّتْهُ الأَمَانِيُ بَاطِلُ
تَرَحَّلْ مِن الدُنْيَا بزَادٍ مِنَ التُقَى ... فَعُمْرُكَ أيَّامٌ تُعَدُّ قَلائِلُ

آخر : هِيَ الدُنْيَا حَقِيْقَتُهَا مُحَالٌ ... تَمُرُ كَمَا يَمُرُّ بِكَ الخَيَالُ
وَكَم قَدْ غَرَّ زُخْرُفُهَا رِجَالاً ... غُرُوْرَ ذَوِيْ الظَّمَا بالقَاعِ آلُ

آخر : سَوَاءٌ مَنْ أقَلَّ التُّرْبُ مِنَّا ومَنْ وَارَى مَعَالِمَـــهُ التُّرَابُ
وإنَّ مُزَايِلِ العَيْشِ إخْتِصَـــاراً مُسَاوٍ لِلَّذِيْنَ بقُوا فَشَــابُوْا
وأوَّلُنَا العَنَاءُ إذَا طَلَعْنَـــا إلى الدنيا وآخِرُنَا الذَّهَـــابُ

آخـــر :
قَدْ نَادَتِ الدُنْيَا على نَفْسِهَا لو كان في العَالَم مَنْ يَسْمَعُ
كَمْ آمِلاً خيّـبْتُ آمَالَــهُ وجَامِعٍ بَدّدْتُ ما يَجْمَـعُ

آخــر : خَـرَجْـتُ مِن الـدُنْيَا كَأنِـيّ لَمْ أكُـنْ
دَخَلْـتُ إليْهَا قَـطُّ يَوْمَـاً مِـن الـدَّهْـرِ
تَبَلَغْــتُ فَيهـا بالـيَسِــيْرِ وَقَـدْ كَفَـي
وَحَصَّلْتُ فَيهَا مَـا عَمَـرْتُ بـه قَـبْرِي
يُـؤنسُـــنِي فِيــه إذَا مَــا سَــــكَنْتُــهُ
وَنِعْـم رِفيْقٌ صَاحِـبٌ لي إلى الحشـر
فيـا عامِـرَ الـدنيـا رُوَيْـدَكَ فـاقْتَصِـرْ
فَإنّ سِهَامَ المـوتِ تَأتِيْ ومَـا تَدْرِي
وإيَّــاكَ والـتَّفِـرْيْطَ فــالـغَبْـنُ كُـلُّهُ
لِمن مُنِـحَ الـدُنْيَا وَرَاحَ بـلا أجْـرِ

آخـــر :
عَلَى مِثْلِ هَذَا كُلُّ جَمْعٍ مَآلُهُ وصَالُ وتَفْرِيـقُ يسر وَيُؤْلِـمُ
وَإنْ مُنِعَ الغُيَّابُ أنْ يَقْدَمُوْا لنَا فانّا عَلَى غُيّابِنَا سَوْفَ نَقْدَمُ

آخر : يا مَنْزِلاً لَعِبَ الزَّمَانُ بِأهْلِهِ فَأَبَادَهُمْ بِتَفَـرُّق وَسَيجُمَعُوْا
ذَهَبَ الذَيْنَ يُعَــاشُ في أكْنَافِهِمْ وبَقَى الذِيْنَ حَيَاتُهُم لا تَنْفَعُ

آخــر :
وَعَضَتْكَ أجْدَاثٌ وَهُنَّ صُمُوْتُ وَأصْحَابُهَا تَحتَ التُّرابُ خُفُوْتُ
أيَا جَامِعَ الدُنْيَا لِغَيْرِ بَلاَغِـهِ لِمنْ تَجْمَعِ الدُنْيَـا وأنْتَ تَمُوْتُ

آخــر :

يَا نَفْسُ مَا هِيَ إلاَّ صَبْرُ أيَّامِ كَأَنَّ مُدَّتَهَـا أضْغَـاثُ أحْـلاَمِ
يَا نَفسُ جُوْزِيْ عن الدُنْيا مُبَادِرَةً وخَلِّ عَنْهَـا فإنَّ العَيْـشَ قُـدَّامِ

آخــر :

تَفنَ اللَّذَاذَةُ ممَّنْ نَا لَـذَّتَهَـا مِن الحرامِ وَيبْقَى الاثْـمُ وَالعَـارُ
تَبْقَى مَغَبَّةُ وُسُـوْءِ مِن تَطَـلُّبِهَـا لاَ خَيْرَ في الَّذَّةِ مِنْ بَعْدِها النَّارُ

آخــر :

بَنِيْ الدُنَيا أَقِلُـوا الهَـمَّ فِيْهَـا فَمَا فِيهَا يَؤوْلُ إلَى الفَـوَات
بناءٌ لِلْخَرَاب وجَمْـعُ مَـالٍ لِيَفْنَـى وَالتَوَالُـدُ لِلْمَمَـاتِ

اللهم وَفِّقْنَا لِلإسْتِعْدَادِ لِمَا أَمَامَنَا واهْدِنا سَبِيْلَ الرَّشَاد وَوَفِّقنَا لِلْعَمَلِ الصَالِحِ لِيومِ المِعَاد واغْفر لَنَا ولِوَالِدِينا ولِجَمِيع المُسْلِمين الأَحْياءِ منهم والميتين برحمتِكَ يا أَرْحَم الراحمين وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبهِ أجمعين .

(فصــل)

وَعَنْ أنس رضْيَ اللهُ عَنه قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « انْصُرْ أخَاكَ ظَالِماً أو مَظْلُوماً » فقالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ أنْصَرُهُ إذَا كَان مَظْلُوماً ؛ أفرأيْتَ إنْ كَان ظَالماً كيْفَ أنْصُره ؟ قالَ « تَحجِزُهْ أو تَمْنَعُه عن الظُّلْمِ فانّ ذلك نَصْرُه » رواهُ البُخَاري .

فالمظْلُومُ في حَقِّهِ أو مَالِهِ يُمْنَعُ عنه الظلمَ ويُرْفَعُ عنه الحَيْفَ بكُلِّ ما يُسْتَطاعُ من الوَسَائِلِ والقَصْدُ أنْ تكونَ اليدُ مَعَ يَدِ المظلوم حتى يَأخَذَ حَقَّه وأمَّا نَصْرُ الظَّالِمِ فَمَنْعُه عن الظلمِ فانْ أرَادَ اسْتِلاَبَ مالٍ حُلْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وأَخذْتَ بِيَدِهِ .

وَإنْ أرَادَ البَطْشَ بِبَريْءٍ ضَرَبْتَ علىَ يَدِه إنْ كَانَتْ يَدُكَ أقْوَى مِنْ يَدِه وَتُرَاعِيْ الحِكْمَةَ لِئَلاَّ يَنْقَلِبَ ظَالِماً لك وَإنْ كَانَتْ النَّصِيْحَةُ رَادِعَةً

سَلكتَها وَإلاّ فَتَسْتَعْمِلُ معَهُ القُوَّةَ حَتَّى يَرْجِعَ إلىَ الحَقّ ، وطُرُقُ الظُّلْمِ كَثِيْرَةٌ جدّاً وَوَسَائِلُه جَمَّةٌ وَكُلُّ المُسْلِمِ عَلى المُسْلِم حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ .

وَلا يَخْتَصُّ الظُّلْمُ بِأرْبَابِ الوَظَائِفِ وَالمناصِبِ وَأرْبَابِ الحُكْمِ وَالسُّلْطَانِ ، حَيْثُ أنَّ كلا مِمَّنْ عَدا هَؤُلاءِ رَبُّ بَيْتٍ أو بُيُوتٍ ، وَزَعِيْمُ أسْرَةٍ وفِي الأسْرَةِ الكَبْيرُ وَالصَّغِيْرُ وَالقَوِيُّ وَالضَّعِيْفُ وَالخادِمُ وَالأجِيْرُ وَلِكلٍّ وَاحِدٍ منْ هَؤُلاءِ حُقوقُ في أعْنَاقِ المَسْؤُلِيْنَ وَسَيُسْألُون عنها بَلْ إنَّ الانْسَانَ لَيُعَدُّ ظالِماً اذا تَعَدَّى على حُقُوقِ نَفْسِهِ الشَّخْصِيةِ فَقدْ يَكُونُ مُبَذِّراً وَحَالَتُهُ تَدْعُو إلَى الاقْتِصَادِ وَقَدْ يَكُوْنُ مُقتِّراً وحَـالتُهُ تَدْعُو إلى التَّيْسِيْر فَمِنْ ظُلِمْ الانْسَانِ لِأهْلِهِ سِيَاسَتُهُم بالقَسْوَةِ كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُهُمْ ظَنَّاً مِنْهُ أنَّهُ مَدْعَاةٌ لِاحْتِرَامِهِمْ لَهُ أوْ يَبْخَلُ عَلَيْهِمْ فَلا يُنْفِقُ النَّفَقَةَ الوَاجِبَةَ كَأمْثَالِهِمْ أوْ لاَ يُحْسِنُ مُعَاشَرَتَهُم فَقَدْ ذُكِرَ أنَّ عُمَرَ رَضْيَ الله عَنْهُ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ مُسْتَلقِياً عَلَى ظَهْرِهِ في بَيْتِهِ وَصِبْيَانُهُ يَلْعَبُونَ حَوْلَهُ فَدَخَلَ عَلَيهم .

أَحَدُ عُمَّالِهِ فَأنكَرَ ذَلكَ عَلَيْهِ فقالَ له عُمَرُ: كَيْفَ أنْتَ مَعَ أهْلِكَ ؟ فَقَالَ : إذا دَخَلْتُ سَكتَ النَّاطِقُ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ اعْتزِلْ عَملنَا فَإنَّكَ لا تَرْفُقُ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ فَكَيْفَ تَرْفُقُ بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسَلم ومِنْ ظُلْمِهِ لَأوْلادِهِ أَنْ يَتْرُكَهُمْ بلا أَمْرٍ وَلا نَهْيٍ وَلا تَوْجِيْهٍ ومع هذا فَرُبَّمَا وَجَدْتَهُ يَأمُرُ الناسَ البَعِيْدِيْن عنه بالمعروفِ ويَنْهَاهُم عن المنكر وقد صدق عليه المثل شِعْرًا :

كُمْرضِعَةٍ أَولَادَ أُخرى وضَيّعَتْ بَنِيْ بَطْنِهَا هَذَا الضَّلَالُ عن القَصْدِ

آخــر :

كَتَارِكَــةٍ بَيْضَهَــا بالعَــرَاءِ ومُلْبِسَةٍ بَيْضَ أُخْرَى جَنَاحَا

وَمَنْ ظُلْمِهِ لِجيْرانِهِ أنْ لا يَقُوْمَ بحَقِّ الجِوَارِ لَهُمْ ، ولا يُوَاسِيْهِمْ بَلْ وَلَا يَكُفَّ شَرَّهُ وَشَرَّ أوْلادِهِ وَأهْلِهِ وَلَقَدْ أَوْصَى الله بالجَارِ فَقَالَ (وَالجَارِ ذِيْ القُرْبَى ، وَالجَارِ الجُنُبِ) وَأوْصَى رَسولُ الله صَلى الله عليه وسلم به فَقَالَ «مَا زَالَ جِبْرِيْلُ يُوْصِيْنِيْ بالجَار ، حَتَّى ظَنَنْتُ انَّهُ سَيُوَرِّثُهُ» وَقِيْلَ إنَّ فُلانَةَ تَصُوْمُ النَّهارُ وَتَقُومُ اللَّيْلَ وَهِيَ سَيِّئَةُ الخُلُقِ ، تُؤْذِيْ جِيْرَانَها بِلِسَانَهَا .

فَقَالَ صَلَّىْ اللهُ عليه وسَلم «لا خَيْرَ فيْهَا ، هِيْ مِنْ أهْلِ النَّارِ»

شعرا :

يلُومُونَنِي إنْ بعْتُ بالرخُص مَنْزِلِي وَلم يَعْلمُوْا جاراً هُنَاكَ يَنَغِصُ

فَقلْتُ لَهُمْ كَفُوْا المَلاَمَ فإنّمَا بجِيْرانِهَا تغلو الدّيَارُ وتَرَخُصُ

وَمِنْ ظُلْمِ القُضَاةِ الحَيْفُ مَعَ أحَدِ الخَصْمَيْنِ أوْ شَهَادَةِ الشُّهُودِ وشَرُّ أنْوَاعِ الظُّلْمِ ظُلْمُ وُلاةِ الأمُور لِرَعِيَّتِهِمْ وَاذَا انْتشَرَ الظُّلْمُ في أُمَّةٍ سُلِبَتْ الأمْنَ عَلَى الأرْوَاحِ وَالأمْـوَالِ وَالأعْرَاضِ وَانْتَشَـرَتْ فِيْهَا المفَـاسِـدُ وسُـوْءُ الأخْلاقِ ، وَفَشَتْ فِيْهَا العَداوَةُ وَالبَغْضَاءُ وَأكَلُ القَويّ الضَّعِيْفَ ، وَقَلَّتْ فِيْهَا اليَدُ العَامِلَةُ ، وَاتَّسعَ نِطَاقُ الجَهْل وَتَـذْهَبُ مِنْ الأُمَّةِ الشَّجَـاعَةُ وَالحَمِيَّةُ ، وَيَحِلُّ مَحلَّهَا النِّفَاقُ وَالمَلَقُ ، وَيُثْمِرَانِ النَّمِيْمَةَ وَنقْلَ الكلامِ والغَضَبِ وَالسَّرقَةِ وَالاخْتِلاسِ ونَهْبَ أمْوَالِ النَّاسِ وَالرِّبا وَالتَّطْفِيْفَ في المكاييْلِ وَالمَوازِيْنِ وَالتَّغرِيْرَ بالعامل وَالغِشَّ وَالخِيَانةَ لِلْوَدِيْـعِ والأجِيْرِ وَالجَعِيْلِ وَالمُقَارِضِ وَالشَّرِيْكِ وَالوَكِيْلِ وَهَذِا كُلُّهُ مِنْ الظُّلْمِ الذِيْ توعّدَ اللهُ أهْلَهُ ، وقَالَ فِيْهِمْ ﴿ألا لَعْنَةُ اللهِ عَلى الظَّالِمِيْنَ﴾ وَلَكِنَّهَا دَرجَاتُ مُتَفَاوِتَةٌ والجَزَاءُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ وَلَقَدْ وَصلَ النَّاسُ اليَوْمَ في ظُلمِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً إلىَ حَدٍّ تَقْصُرُ عَنْ شَرْحِهِ العِبَارَةُ وَذَلكَ أنَهُمْ لا يَتَهَيَّبُونَ ظُلْماً إلاّ إذا رَأَوْا بِجَانِبِه إقَامَةَ الحَدِّ الشَّرْعِيّ فَاذَا أَمِنَ أحَدُهُمْ مِنْ العُقُوبَةِ

الشَّرْعِيَّةِ بَطْشَ بَطْشِ الجَبَّارِيْنَ ، فَإذَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ قَذْفَ شَخْصٍ قَذفَهُ ، مَهْمَا كان نَقِيَّ العِرْضِ وَاذَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ سَبَّ انْسَانٍ وشَتْمَهَ سَبَّهُ وَشَتَمَهُ بَلْ ولَعْنَه وَالعِيَاذُ باللّهِ وَاذَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ غِيْبَةَ غَافِلٍ أوْ بَهْتَهُ إغْتَابَهُ وَبَهتَهُ وَإذَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ ضَربَهُ مَالَ عَلَيْهِ وَضَرَبَهُ ضَرْباً لا رَحْمَةَ مَعَهُ وَاذَا هَمَّتْ بِأكْلِ مَالِهِ نَفَّذَ ذَلكَ بِغَايَةِ الجُرْأةِ وَالوَقَاحَةِ وَبِطُرقٍ شَتَّى مَسْلكُهَا يهُونُ وَانْ سَوَّلَتْ لهُ نَفْسُهُ أنْ يَطْعَنَ بنَسَبِ انْسَانٍ وَحَسَبِهِ طَعَنَ طَعْناً تَقْشَعِرُّ مِنْهُ الأبْدَانُ وَاذا زَيَّنَتْ لهُ نَفْسُهُ أنْ يَقْتُلَ إنْساناً أرَاقَ دَمَهُ في الحَالِ غَيْرَ مُفكِّرٍ وَغَيْرَ مُتَنَدِّمٍ وَهكَذَا مَنْ تَوغلَ في الظُّلْمِ وَأمِنَ العُقُوبَةَ لا يَقُومُ فى نَفْسِهِ لَوْنٌ مِنْ الظُّلْمِ إلاّ نَفَّذَهُ مُسْرِعاً كانهُ لا يُؤْمِنُ بالبَعْثِ وَلا بالمَوْتِ وَلا بأنَّ الجَزَاءَ واقِعٌ عَلى الاعْمَالِ وَلذلكَ تَرى نِيْرَانَ الظُّلْمِ تَلْتَهِبُ في أنْحَاءِ الدُّنيا بحَالةٍ تُزْعِجُ النَّاظِرِيْنَ وَلقدْ غفَلَ النَّاسُ عَن عَوَاقِبِ الظُّلْمِ دُنْياً وَأُخْرَى وَلَوْ عَلِمُوا أنَّ شَقَاءَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلِيْدُ الظلْمِ وَأثَرٌ مِمَّا لهُ مِنْ آثارٍ مَا دَنَا مِنْ الظُّلْمِ أحدٌ وَلَوْ لِبَهِيْمٍ لا يُحْسَبُ لَهُ أدْنَى حِسَابٍ فالظُّلْمُ يَتغَيَّرُ مِنْهُ قَلْبُ المظلُومِ ويتَفَاوَتُ التَّغَيُّرُ بتَفَاوُتِ مَا لِلظلمِ مِنْ مِقْدَارٍ وَعَلى قَدْرِ ذلكَ الظُّلْمِ يكُونُ الغضَبُ وَالانْتِقَامُ ، خُصُوصاً إذَا كَانَ المظلُومُ ضَعِيْفاً لا نَاصِرَ لهُ .

شِعْرَا :

خَفِ اللهَ في ظُلْمِ الوَرَى وَاحْذَرَنَّهُ ... وخَفْ يَوْمَ عَضّ الظّالِمِيْنَ على اليَدِ
ولَا تَحْسَبَنّ اللهَ يُهمِلُ خَلْقَهُ ... ولَكِنّهُ يُمْلِيْ لِمَنْ شَاءِ إلَى الغَدِ

آخر :

إذَا مَا الظَّلومُ اسْتَحْسَنَ الظُّلْمَ مَذْهَباً ... ولَجَّ عُتُواً في قَبِيْحِ اكتِسابِهِ
فكِلْهُ إلَى صَرْفِ اللَّيَالِي فإنَّهَا ... سَيَبْدُوْ لَهُ مَا لَمَ يَكُنْ في حِسابِهِ
فَكَمْ قَدْ رَأيْنَا ظَالماً مُتمَرِّداً ... يَرَى النَّجْمَ تِيْهاً تَحْتَ ظِلِ رِكَابِهِ

فَعمَّا قَلِيْلٍ وَهْوَ فِي غَفَلاَتِهِ أَنَاخَتْ صُرُوفُ الحَادِثَاتِ بِبَابِهِ
فأصْبَحَ لا مَالٌ ولا جَاهَ يُرتَجى ولا حَسَنَاتٌ يَلْتَقِي فِي كِتَابِهِ
وجُوْزِيَ بالأَمْرِ الذِي كَانَ فَاعِلاً وَصَبَّ عَليهِ اللَّهُ سَوْطَ عَذَابِهِ

شِعْرا :

يا غَافِلَ القَلبِ عن ذِكْرِ المَنِيَّاتِ عَمَّا قَلِيْلٍ سَتُلقَى بَيْنَ أَمْوَاتِ
فاذْكُرْ مَحلَّكَ مِن قَبْلِ الحُلُولِ به وتُبْ إلى اللَّهِ مِن لَهْوٍ ولَذَّاتِ
إنَّ الحِمَامَ لَهُ وقْتٌ إلى أجَلٍ فاذْكُرْ مَصَائِبَ أيَّامٍ وساعاتِ
لا تَطْمَئِنَّ إلى الدنيا وزِينَتِهَا قد آن لِلْمَوْتِ ياذَ اللُّبِّ أنْ يأتِي

اللّهُمَّ اجْعلنا مِمَّنْ أفاقَ لِنَفسه وفاقَ بالتّحفظِ أَبناءَ جنسِهِ وأَعَدَّ عُدَّةً تَصْلَحُ لِرَمْسِهِ واسْتَدْرَكَ في يَومِه ما ضَيَّعَهُ في أَمْسِهِ ، واغفِر لنا ولِوَالِدِيْنا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْن اللهُمَّ احْفَظْنَّا مِن المُخَالَفَةِ وَالعِصْيَانِ وَلا تُؤَاخِذْنَا بِجَرَائِمَنَا وَمَا وَقَعَ مِنَّا مِن الْخَطأ وَالنِّسْيَانِ وَاغْفِرْ لنا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمين الأَحْياءِ مِنْهُم وَالمَيِّتيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَى اللّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِه أَجمَعِيْنَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ امْتَلأَتْ الأَرْضِ مِنْ الشَّرِّ وَوَسَائِلِهِ . وَضَجَّتْ وَمَا فِيْهَا مِمَّا وَصَلَ إليْهِ مِنْ المَعَاصِيْ الانْسَانَ وَإنْ شِئْتَ فَزُرْ أيْ جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ العَالَمِ تَرَى مَا يَتَقطَّعُ لهُ قَلْبُكَ حَسَرَاتٍ افْتَتَنَ النَّاسُ بِزخارِفِ الدُّنيا فاسْتَوْلَتْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَمَلَكَتْهَا فنسُوا يَوْمَ الحِسَابِ وأصْبَحَتْ المَعَاصِيْ أَمْراً مَأْلُوفا عِنْدَ كَثِيْرٍ مِنْ النَّاسِ وَغُلِبَ المَسْتَقِيْمُوْنَ عَلَى أمْرِهِمْ فَلَمْ يَسْتَطِيْعُوا إزالَتَهَا فَتَمادىٰ المُجْرِمُوْنَ عَلَى انْتِهَاكِ الآدابِ فتَفَاقَمَ الخَطْبُ ثُمَّ تفَاقَمَ إلىَ أنْ التَهَبَتْ الدُّنْيا بالموبقَاتِ خَفَّ الزِّنَى الذِيْ هُوَ مِنْ كبَائِرِ الذنُوبِ حَتَّى صَارَ الغَيُورُ المنْكِرُ لهُ المقَبِّحُ يُسَمّى رَجْعِيّاً لا يَعْرِفُ الحُرِّيَّةَ

مَعَ أنَّ الزِّنَى مِنْ بَيْنِ المَعَاصِيْ عَارٌ تَسْوَدُّ لهُ الوُجُوْهُ ، وَتَنْتَكِسُ لـهُ الرُّؤوْسُ ، وَتَنْهَدِمُ بِهِ بيُوتُ المَجْدِ العَالِيَةِ ، وهَانَ التَّعَامُلُ بالرِّبَا مَعَ أنهُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ المعَاصِيْ قَدْ تَوَعَّدَ اللهُ فَاعِلَه المُسْتَمِرُّ عَلى التعَامُلِ به بالحَرْبِ وقارَفَ كثِيْرٌ مِنْ النَّاسِ المُسْكِرَاتِ مَعَ أنَّ الخَمْرَ أُمُّ الخبَائِثِ وَهَذِهِ شَهَادَةُ الزُّوْرِ قَدْ هَانَتْ مَعَ أنها مِنْ عَظَائِمِ الذُّنُوبِ وهذِه فاحِشَةُ اللُّوَاطِ قَدْ انْتَشَرَتْ انْتِشَارَ الوَبَاءِ ، مَعَ أنَّ القُرْآنَ يَحْكِيْ عَنْ أمَّةٍ كانَتْ تَفْعَلُ ذلِكَ أنها خُسِفَ بِهَا ، وَأمْطِرَتْ عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيْلٍ وَأَمَّا الأَرْضُ فَهَانَ اغْتِصَابُهَا مَعَ أَنَّ المُغْتَصَبَ يَكُوْنُ طَوْقاً لمغْتَصِبِه في دَارِ الانْتِقَامِ ، وأمَّا الأمْوَالُ والأعْرَاضُ فَحدِّثْ عَنْ الاسْتِخفافِ بها وَانْتِهَاكِهَا وَلا حَرَجَ وهَذَا الغِشُّ قدْ صَارَ عَادَةً لا يَكادُ يَسْلِمِ مِنْهُ مُعَامِلٌ مَعَ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قالَ « مَنْ غَشَّنا فَلَيْسَ مِنَّا » وَهَذا حَلْقُ اللِّحْيَةِ قَدْ أَصْبَحَ عِنْدَ كثِيْرٍ مِنْ النَّاسِ كَأنهُ وَاجِبٌ مَعَ أمْرِ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عليه وسلم باعْفَائِهَا هَذَا وَأضْعَافُ أضْعَافِهِ حَاصِلٌ في هَذَا العَصْرِ المُظْلِمِ الحَالِكِ الذي عَادَة فيه غُرْبَةُ الدِّيْن .

شعْراً :

سَمَّوْكَ يـا عَصْـرَ الظَّلَامِ سَفَـاهَةً
عَصْـرَ الضِيـاءِ وَأَنْتَ شَـرُّ الأَعْصُـرِ
وَتَقَـدَّمَتْ فِيْـكَ الحَضَـارَةُ حَسْبَمَـا
قَـالُـوا فَيَـا وَحْشِيَّـةَ المُتَحَضِّـرِ
والـعِلْمُ قَـدْ يَـأتِـي بكُـلِّ بَـلِيَّـةٍ
وَيَسِيرُ نَحْوَ المَـوْتِ بـالمُسْتَبْصِـرِ

آخــــــر :

ولا خير في الدُنْيا ولا في نَعِيْمِهَا   إذَا انْحَطَّتِ البَازَاتُ وارْتَفَعَ البَطُّ

آخــر :

لَقَدْ أُخِّرَ التَّصْدِيْرُ عن مُسْتَحِقِّهِ   وقُدِّمَ غَمْرٌ جَامِدُ الذِّهْنِ خامِدُهْ

آخــر :

إذَا لَمْ يَكُنْ صَدْرُ المجَالِسِ سَيِّداً   فَلاَ خَيْرَ فِيْمَنْ صَدَّرَتْهُ المَجَالِسُ
وكَمْ قائِلٍ مَالِيْ رَأيْتُكَ رَاجِلاً   فَقُلْتُ لَهُ مِنْ أجْلِ أَنَّكَ فارِسُ

آخــر :

لا يَغُــرَنَّكُمْ عُلُوٌّ لَئِيــْم   فَعُلُوْهُ لاَ يَسْتَحِقُّ سِفَـالْ
فارْتِفَاعُ الغَرِيْق فِيْهِ فُضُوحٍ   وعُــلُو المَصْـلُوب فيــه نَكَـالْ

آخـر :

هذا الزَّمان عَلَى ما فيه مِنْ عِوَجٍ   حَكَى انْقِلَابَ لَيَالِيْهِ بأَهْلِيْـهِ
غَـدِيْرَ مَـاءٍ تَـــرَآ في جَـــوَانِبِهِ   خَيَالُ قَومٍ تَمَشَّوْا في نَوَاحِيْهِ
فالرَّأْسُ يُنْظَرُ مَنْكُوْساً أَسَافِلُهُ   وَالرِّجْلُ تُنْظَرُ مَرْفُوْعاً أَعَالِيْهِ

آخــر :

وعَاشَ بِدَعْوَى العِلْمِ نَاسُ وما لَهُمْ   مِن العِلْمِ حَظُ لا بِعَقْلٍ ولا نَقْلِ

آخـر :

وَقْتٌ عَلَا قَدْرُ الوَضِيـعِ به   وغَدَا الشريفُ يَحُطُّهُ شَرَفُـهْ
كالبَحْرِ يَرْسُبُ فيـه لُؤْلُـؤُهْ   سِفْـلاً ويطْفـُو فوقَـهُ جِيَفُـهْ

اللهم أرزقنا حُبّكَ وحَبَّ مَن يَحُبّكَ وحبَّ العَمَل الذي يُـقرُبـنا إلى حُبكَ وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرِكَ وَوَفِّقْنَا لِلقِيَامِ بحقِك وخَلِصنَا مِن حقوقِ خَلقِكَ وَرَضّنَا باليسير مِن رزقَكَ يا خَيرَ مَنْ دَعَاه دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رجَاهُ راج ، يا قاضي الحاجات ومجيب الدعوات هَب لنا مَاسَأَلْناه وحَقق رجَاءَنَا فِيمَا تمنيناهُ يَا مَن يَملِكَ حَوائجَ السائلين ويَعْلم ما فِي صَدُور الصامِتِيْنَ

أذِقنَا برْدَ عَفوِكَ وحَلاوَةَ مَغْفِرَتِكَ واغفر لَنَا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمينُ وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فَصْلٌ

قَالَ شَيْخُ الاسْلامِ رَحِمَهُ اللّهُ وَالظُّلْمُ لا يُبَاحُ بحَالٍ حَتَّى أنَّ اللّهَ تَعالَى قَدْ أوْجَبَ عَلى المؤْمِنِيْنَ أنْ يَعْدِلُوا عَلى الكُفَّارِ في قَوْلِهِ ﴿كُونُوا قوَّامِين لله شُهَداءَ بالقِسْطِ ولاَ يَجْرِمَنَّكُم شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى ألاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ وَالمؤمِنِيْنَ كَانُوا يُعَادُونَ الكُفارَ بِأَمْرِ اللّهِ فقَالَ تَعالى لا يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضُكُمْ لِلكُفَّارِ عَلى أنْ لا تَعْدِلُوا بَلْ اعْدِلُوا عَلَيْهِمْ فَإنَّهُ أقربُ لِلتَّقْوَى وَحِيْنَئِذٍ فَهَؤُلاَءِ المُشْرِكِيْنَ لَيْسَ لِبَعْضِهِمْ أنْ يَفْعَلَ مَا بِهِ يُظْلَمُ غَيْرُهُ بل إمّا أنْ يُؤَدِّيْ قِسْطهُ فَيَكُونُ مُحْسِناً وَلَيْسَ لَهُ أنْ يَمْتَنِعَ عَنْ أَدَاءِ قِسْطِهِ مِنْ ذَلِكَ المالِ امْتِنَاعاً يُؤْخَذُ بِهِ قِسْطُهُ مِنْ سَائِرِ الشُّرَكاءِ فَيَتَضَاعَفُ الظُّلْمُ عَلَيْهِمْ .

فانَّ المالَ إذَا كانَ يُؤْخذُ لا مَحَالَةَ وَامْتَنَعَ بجَاهٍ أو رِشْوَةٍ أو غَيْرِهِمَا كانَ قد ظَلَمَ مَنْ يُؤْخَذُ مِنْهُ القِسْطُ الذي يَخُصُّهُ ، وَلَيْسَ هَذا بمَنْزِلَةِ أنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ الظُّلْمَ مِنْ غَيرِ ظُلْمٍ لِغَيْرِهِ فَإنَّ هَذا جَائِزٌ ، مِثْلَ أنْ يَمْتَنِعَ عنْ أدَاءِ مَا يَخُصُّهُ ، فَلا يُؤخَذُ ذلك مِنْهُ ولاَ مِنْ غَيْرِهِ . .

وَهَذا كالوَظَائِفْ السُّلْطَانِيَّةِ التِيْ تُوْضَعُ عَلى القُرَى ، مِثْلَ أَنْ يُوْضَعَ عَلَيْهِمْ عَشَرَةُ آلافِ دِرْهَمٍ فيَطْلُبُ مَنْ لهُ جَاهٌ بِأمْرَةٍ أو مَشْيَخةٍ أو رِشْوَةٍ أو غَيْرِ ذَلِكَ أنْ لا يؤخَذَ مِنْهُ شَيْءٌ وَهُمْ لا بُدَّ لَهُمْ مِنْ أخْذِ جَمِيْعِ المَالِ واذَا فَعَلَ ذلِكَ أُخِذَ مَا يَخُصُّهُ مِنْ الشُّرَكاءِ فَيَمْتَنِعُ مِنْ أخْذِ مَا يَنُوبُهُ وَيُؤْخَذُ مِنْ سَائِرِ الشُّرَكاءِ فانَّ هَذا ظُلمٌ مِنهْ لِشُرَكَائِهِ لأنَّ هَذا لَمْ يَدْفعْ الظُّلَمَ عَنْ نَفْسِهِ إلاَّ بِظُلْمِ شُرَكائِهِ وَهَذا لا يَجُوْزُ .

وَلَيْسَ لهُ أنْ يَقُولَ أنَا لَمْ أَظْلِمْهُمْ بَلْ ظَلْمُهُمْ مِنْ أخَـذَ مِنْهُمْ الحِصَّتَيْنِ لأَنَّهُ يُقَالُ أَوّلاً هَذَا الطَّالِبُ قَدْ يَكُوْنُ مَأْمُوراً مِمَّنْ فَوْقَهُ أنْ يَأْخُذ ذَلِكَ المالَ فلا يُسْقِطُ عَنْ بَعْضِهِمْ نَصِيْبَهُ إلا إذَا أخذَهُ مِنْ أَخْذِهِ مِنْ نَصِيْبِ الآخَرِ فَيَكُونُ أمْرُهُ بأنْ لا يَأخِذَ أمْراً بالظُّلْمِ .

الثّانِيْ أنهُ لو فُرِضَ أنّهُ الآمِرُ الأَعْلَى فعَلَيْهِ أنْ يَعْدِلَ بَيْنَهُمْ فِيْمَا يَطْلِبُه مِنْهُم وَإنْ أصْلُ الطَّلَبِ ظُلْماً فعَلَيْهِ أنْ يَعْدِلَ في هَذا الظُّلْمِ وَلا يَظْلِمَ فِـيْهِ ظُلْماً ثانِياً فَيَبْقَى ظُلْماً مُكرَرّاً فإنَّ الوَاحِدَ مِنْهُمُ إذَا كانَ قِسْطهُ مائةً فطُوْلِبَ بمائتَيْنِ كانَ قَدْ ظُلِمَ ظُلْماً مُكَرّراً بخِلافِ مَا إذَا أُخِذَ مِنْ كُلّ قِسْطُهُ ، وَلأنَّ النُّفُوْسَ تَرْضَـى بالعَدْلِ بَيْنَها بالحِرْمَانِ وفِيْمَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ظُلْما وَلا تَرْضَى بأنْ يُخَصَّ بَعْضُهَا بِالعَطاءِ أوْ الاعْفَاءِ .

الثَّالِثُ أنّهُ إذا طَلَبَ مِنْ القَاهِرِ أنْ لا يَأْخُذَ مِنْهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَضَعُ قِسْطهُ عَلى غيْرِهْ فقَدْ أَمَرَهُ بمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يَظْلِمُ فِيْهِ غَيْرَهُ .

وَلَيْسَ للإِنْسَانِ أنْ يَطْلُبَ مِنْ غَيْرِه مَا يُظْلَمُ فِيْهِ غَيْرُهُ وَإنْ كَانَ هُوَ لَمْ يَأْمُرْهُ بالظُّلْمِ كَمَنْ يُوَلِّي شَخْصاً وَيَأمُرهُ أنْ لا يَظْلِمَ وَهُوَ يَعْلَمُ أنَّهُ يَظْلِمُ فَلَيْسَ لهُ أنْ يُوَلِيْهِ وَكذلكَ مَنْ وَكَّلَ وَكِيْلاً وَأمَرهُ أَنْ لا يَظْلِمَ وَهُوَ يَعْلَمُ أنهُ يَظلِمُ فليْسَ لَهُ أنْ يُوَلِيْهِ وَمَنْ طَلَبَ مِنْ غَيْرِهِ أنْ يُوفِيْهِ دَيْنَهُ مِنْ مَالِهِ الحَلالِ وَهُوَ يَعْلَمُ أنهُ لا يُوْفِيَهِ إلا مِمَّا ظلَمَهُ مِنْ النَّاسِ وَكذلِكَ إذَا طَلَبَ مِنْهُ أنْ يُعْفِيْهِ مِنْ الظّلْمِ وَهُوَ يَعْلَمُ أنهُ لا يُعْفِيْهِ إلاّ بِظُلْمِ غَيْرِهِ فَلَيْسَ لهُ أنْ يَطْلُبَ مِنْهُ ذَلِكَ ا هـ .

وقَالَ في تَنْبِيْهِ الغَافِلِيْنَ عَنْ أَعْمَالِ الجاهِلِيْنَ لَمَّا عَدَّ بَعْضَ الكَبائرِ قالَ وَمِنْهَا الدُّخُولُ عَلى الظلمَةِ بِغَيْرِ قَصْدٍ صَحِيْحٍ بَلْ إعَانةٌ لهُم وَتَوْقِيْراً

وَمَحَبَّةً ، قَالَ اللهُ تَعالى ﴿وَتعاوَنُوا عَلى البِرِّ وَالتَّقْوى وَلا تَعاوَنُوا عَلى الأثْمِ والعُدْوَانِ﴾ وقالَ تعالَى ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلى الذِيْنَ ظَلَموا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمالكُمْ مِنْ دُوْنِ اللّهِ مِنْ أوْلِيَاءَ ثم لا تُنْصَرُونَ وَعَنْ جابرِ رَضِيَ اللهُ عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قالَ « سَتَكُونُ أُمَراءُ ، مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فأعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَصَدَّقَهُمْ بكذِبِهِم ، فَلَيْسَ مِنِّيْ ، وَلَسْتُ مِنْهُ، ولَنْ يَرِدَ عَلى الحَوْضِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ والبَزَّارُ باسْنَادٍ رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيْحِ وَابْنُ حِبَّانٍ في صَحِيْحِهِ وَهَذَا لفظُهُ وَسَاقَ غَيْرَ هَذا الحَدِيْثِ حَوْلَ هَذا المَوضُوعِ ثمَّ قالَ قَدْ يَقُولُ مَنْ اعْتَادَ الدُّخُولَ على الملُوكِ الظَّلَمَةِ وَالقضَاةِ الخَونَةِ إنَّمَا قَصْدِيْ بِذَلِكَ نَصْرُ مَظْلُومٍ أو مُسَاعَدَةُ ضَعِيْفٍ أو دَفْعُ ظُلامَةٍ أَو التَّسَبُّبُ في مَعْرُوفٍ وَنَحْوُ ذَلِكَ وَهَذا لا يَخْلُو إمَّا أنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَتَنَاوَلُ مِنْ مَآكِلِهِمْ ومشَارِبِهِمْ ، وَيُشَارِكُهم في مَقَاصِدِهِمْ وَمَآرِبِهِمْ ، وَيَقبَلُ مِنْ أمْوَالِهِم التِيْ اكْتَسَبُوهَا مِنْ الجِهَاتِ المحَرَّمَاتِ أو وُجُوْهِ المَظَالِمِ وَالمُكُوسِ وَالمُصَادَرَاتِ ، وَيُدَاهِنُهُم فِيْمَا يَرَاهُ عِنْدَهُمْ مِنْ المُنْكَرَاتِ ، فَهذا لا يَحْتَاجُ النَّظَرُ في سُوْءِ حَالِهِ إلى دَلِيْلٍ إذْ يَشْهَدُ كُلُّ ذِيْ بصِيْرَةٍ أنَّهُ ضَالٌّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيْلِ ، وَأنَّهُ مِنْ ﴿الاخسَرِيْنَ أعْمَالاً ، الذِيْنَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ في الحَيَاةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ وَيَزْعُمُونَ أنَّهُمْ ﴿مُصْلِحُونَ ، أَلا إنَّهُمْ هُمْ المُفْسِدُوْنَ ، وَلكِنْ لا يَشْعُرُوْنَ﴾ ثُمَّ قَالَ لَيْتَ شِعْرِيْ كَيْفَ يُمْكِنُ مَنْ يَأكُلُ مِنْ أمْوَالِهِمْ ، أنْ يُنْكِرَ قَبِيْحِ أفْعَالِهِمْ ، وَأنَّى يَرْجِعُ الظَّالِمُ مِنْهُمْ إليْهِ ، وهُوَ يَرى مِنَّتَهُ في الصُّحْبَةِ واللُّقمةِ عَلَيْهِ ، وَكَيْفَ يَقْبَلُ مِنْهُ الكَلامُ وَبَاطِنُهُ قَدْ امْتَلأَ مِنْ مَالِهِ الحَرَامُ . وَاخْتِصَارُ الكَلاَمُ في مِثْلِ هَذا أَلْيَقُ وَالسَّلامُ وَإنْ كَانَ مِمَّنْ يَعِفُّ عَنْ مَآكِلِهِمْ وَمَشَارِبِهِم ولا يَقْبَلُ منهُمْ إدْرَاراً وَلَا صِلَةً وَيُنْكِرُ عليهم مَا قَدْ يَرَاهُ عِنْدَهُم مِنْ المُنْكرِ

فَهذا في مَحَلِّ اشْتِبَاهٍ وَالحَالةُ مِيْزَانٌ يُعْلَمُ بِهَا صِحَّتُهُ مِنْ سِقَمِهِ وَهُوَ أنْ يَرىٰ أنّهُ كَالمُكْرَهِ في دُخُولِهِ عَلَيْهِمْ وَكلامِه مَعَهُم وَيَوَدُّ أنْ لَوْ كُفِيَ بغَيْرِهِ وَلَوْ انْتَصَرَ المظْلُوم بِسِوَاهُ وَلا يَتَبَجَّحُ بصُحْبَتِهِمْ وَلا بالاجْتِمَاعِ عَلَيْهِم وَلَا في فلتَاتِ لِسَانِهِ قُلْتُ للسُّلْطَانِ وَقَالَ لِيْ السُّلْطَانُ وَانتصر بِيْ فُلانٌ فنصَرْتُهُ وَطَلَبَ مِنّيْ المُسَاعَدَةُ فلانٌ فَسَاعَدْتُهُ وَنَحْو ذلِكَ وَلَوْ قَدَّمَ السُّلْطَانُ عَلَيْهِ أحداً أو قَرَّبَهُ وَاعْتَقَدَهُ وَقامَ بِمَا كَانَ هُوَ قَائِمٌ بهِ مِنَ السُّلْطَانُ المَعْرُوفِ لما شَقَّ عَلَيْهِ ذلكَ ، بَلْ يَجِدُ عِنْدَهُ انْشِرَاحاً بذلِكَ وَفَرَحاً بِهِ إذْ كَفَاهُ اللهُ التَّعَرُّضَ إلى هَذَا الخَطَرِ العَظِيْمِ بمَا لا يَثِقُ بِصِحَّةِ قَصْدِهِ فيْهِ ، وَلا يَقْطَعُ باخْلاصِ نِيَّتِهِ فِي القِيَامِ بهِ انْتَهىٰ .

يا طَالِبَ العِلْمِ مَهْلاً لا تُدَنِّسُهُ ... بالمُوْبِقَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَلَفِ
العِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتاً لاَ عِمَـادَ لَهُ ... وَالجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ العِزِ والشَّرَفِ

آخــر :

فَمَـا لَكَ والبَقَـاءَ بَدَارِ ذُلٍ ... وأرْضُ اللهِ وَاسِـعَةُ الفَضَـاءِ
إذَا خَـانَ الأَمِـيْرُ وَكَاتِبَـاهُ ... وقاضِي الأرضِ دَاهَنَ في القَضَاءِ
فَوَيْلٌ ثُمَّ وَيْـلٌ ثُمَّ وَيْـلٌ ... لِقَاضِي الأرْضِ مِن قَاضِي السَّماءِ

آخــر :

عَنَـوا يَـطْلُبُـونَ العِلمَ في كُـل بَلْدَةٍ ... شَبَـابـاً فَلَمَّـا حَـصَّلُوهُ وَحَشَّـرُوا
وَصَـحَّ لَـهُـم اسْـنَـادُهُ وأُصُـولُـهُ ... وصَـارُوا شُيُـوخـاً ضَيَّعُـوهُ وأدبـرُوْا
وَمَـالُوا عَلى الـدُّنْيَا فَهُم يَحْلُبُـونَهَا ... بـأخْـلافِهَـا مَفْتُـوحَـةً لا تُصَـرَّرُوْا

فَيَـا عُلَمَـاءَ السُـوءِ أَيْنَ عُقُـولُكُمْ
وأَيْنَ الحَـدِيْثُ المُسْنَـدُ المُتَـخَيِّـرُ

آخـر :

رَأَيْتُ فَقِيْهَ الشَّكْلِ لاَ عِلْمَ عِنْدَهُ ويَقْنَعُ مِن حَالِ الفَقَاهَةِ بالإسْمِ
فَقُلْتُ وقَدْ وَافَى بِتَضْلِيْعِ عِمَّةٍ تَضَلَّعَ جَهْلاً مَا تَضَلَّـعَ بِالعِلْمِ

آخـر : عَجِبْتُ لِأَهْـلِ العِلْمِ كَيْفَ تَشَاغَلُوا
عَنِ العِلْمِ واسْتَغْشَوْا ثِيَابَ المَمَالِكِ
يَـطُوفُـونَ حَـولَ الـظَّالِمِينَ كَـأَنَّمَـا
يَطُوفُونَ حَوْلَ البَيْتِ وَقْتَ المَنَاسِـكِ

آخـر :

دَعِ المَنَاصِبْ لنَاسٍ يُشْغَفُوْنَ بَها واضْرِبْ على النَّفْسِ لا تَسْمَعْ دَعَاوِيْهَا
لا يَعْرِفُ الزُّهْدَ إلاَّ كُلُّ مَنْ عَزَفَت نَفْسٌ لَهُ عن هَوىَ الدُنْيَا وطَارِيْهَا
واسْتَدْرَكَ العُمْرَ في القُرْآنِ يَقْرَؤُهُ وفِي الصَّحِيحَيْنِ مَعْ كُتُبٍ تُدَانِيْهَا

اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ مُوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِم مَغْفِرَتِكَ وَالعَزِيْمَةِ عَلى الرُّشْدِ وَالغَنِيْمَةِ مِنْ كُلِّ بِرٍّ والسَّلامَةِ مِنْ كلِّ إثْمٍ وَنَسْألكَ أنْ تَغْفِرَ لَنا

اللهم ثَبِّتْ قَوَاعِدَ الايمانِ في قُلوبنا وَشَيِّدْ فِيْهَا بُنْيَانَهُ وَوَطِّدْ فِيها أرْكَانَهُ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وَوَفِّقْنَا بِطَاعَتِكَ وامْتثال أَمْرِكَ وآتِنَا في الدُنْيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنَا عَذَابَ النارِ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالدينا وجَميعِ المُسلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرحَم الراحمين وصلى اللّٰهُ على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فَصْلٌ

إذَا فَهِمْتَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ شَنَاعَةِ الظُّلْمِ وَقُبْحِ عَاقِبَتِهِ وَمَا وَرَدَ مِنْ

الوَعِيْدِ الشَّدِيْدِ عَلى مُرْتَكبِهِ وَأنَّ مَنْ مَاتَ قَبْلَ رَدِّ المَظَالِمِ أحَاطَ بهِ يَوْمَ القِيَامَةِ خُصَمَاؤُهُ فَهَذَا يَأخُذُ بيَدِهِ وَهَذا يَقْبِضُ على نَاصِيَتِهِ وَهَذا يُمْسِكُ يَدَهُ وَهَذَا يَتعَلَّقُ بِلبَبِهِ وَهَذَا يَتعَلَّقُ بِرقَبَتِهِ هَذَا يَقُولُ ظَلَمَنِي فَغَشَّنِيْ وَهَذا يَقُولُ ظَلَمَنِيْ فَبَخَسَنِيْ وَهَذا يَقُولُ خَدَعَنِيْ وَهَذا يقُولُ قَذفَنِيْ وَهَذا يَقُولُ أكلَ مَالِيْ وَهَذا يَقُول شَتَمَنِيْ وَهَذا يَقُولُ اغْتَابنِيْ وَهَذا يَقُولُ كَذَبَ عَلَيَّ وَهَذَا يَقُولُ قَطَعَ رَحِمِيْ .

وَهَذَا يَقُوْلُ جَاورنِي فَأَسَاءَ مُجَاوَرَتِيْ ، وهَذَا يَقُوْلُ رَآنِيْ مَظْلُوماً فَلَمْ يَنْصُرْنِيْ وَهَذا يَقُوْلُ رَآنِيْ علىَ مُنْكَرٍ فَلَمْ يَنْهَنِيْ وَهَذا يَقُولُ جَحَدَ مَالِيْ وَهَذا يَقُوْلُ مَطَلنِي بحَقِّي وَهذا يَقُولُ جَحَد وَدِيْعَتِيْ وَهَذا يَقُولُ بَاعَنِيْ وَأخْفَى عَنِّيْ عَيْبَ السِّلعَةِ وَهَذا يَقُولُ سَرَقَ مَالِيْ وهَذا يَقُولُ قَطعَ مِنْ مُلكِيْ .

وَهَذا يقُولُ شَهِدَ عَلَيَّ بالزُّورِ وهَذا يَقُولُ سَخِرَ بِيْ وهَذِهِ زَوْجَة تَقُولُ لَمْ يَعْدِلْ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوجَتِهِ الأخْرَى وَهَذِهِ تقُولُ أكلَ صَدَاقِيْ وَهَذا يَقُولُ تَعَدّى على محَارِمِيْ ، وهَذَا يَقُولُ نَشَّزَ زَوْجَتِيْ ، وَهَذِه تَقُولُ نَشَّزَ زَوْجِيْ .

وهَذا يَقُولُ غَدَرَ بِيْ وَهَذا يَقُولُ خَانَنِيْ وَهَذَا يَقُولُ دَلَّسَ عَلَيَّ وَهَذا يَقُولُ نَجَشَ عليَّ في السِّلعَةِ التِي أُرِيْدُ شِرَاءَهَا ، وهَذَا يَقُولُ كَاذَبَنِيْ وَهَذا يَقُولُ مَنعنِي النَّوْمَ بِمَلاهِيْهِ مِنْ مِذْيَاعٍ وَتلفِزْيُونه وبَكمِهِ وَسِيْنَمَائِهِ فَبَيْنَما أنْتَ عَلى تِلْكَ الحالِ المُخِيْفَةِ التِي لا يُرَى فِيْهَا بَعْضُكَ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ تَعَلَّقَ بكَ مِنْ الغُرَمَاءِ، الذَيْنَ أنشبُوا فِيْكَ مَخالِبَهُم وَأحْكَمُوا في تَلابِيْبكَ أيْدِيَهُم وَأنْتَ مَبْهُوتٌ مُتَحَيِّرٌ مُضْطَرِبُ الفِكْرِ والعَقْلِ مِنْ كَثْرَتِهِمْ وَمُطَالَبَتِهِمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِمَّنْ جَالَسْتَهُمْ أوْ عَامَلْتَهُمْ أوصَاهَرْتَهُمْ أوْ شَارَكْتَهُمْ وَلو

مُدَّةً قَلِيْلَةً إلاّ وَقَدْ اسْتَحقَّ عَليْكَ مَظْلمَةً وَقَدْ ضَعُفْتَ عَنْ مُقاوَمَتِهِمْ وَمَدَدْت عُنُقَ الرَّجَاءِ إلىَ سَيِّدِكَ وَمَوْلاكَ لعَلَّهُ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ أيْدِيْهِمْ .

إذْ قَرَعَ سَمْعَكَ نِدَاءُ الجَبَّارِ جَلَّ وَعَلا وَتَقَدَّسَتْ أسْمَاؤُهُ (اليَوْمَ تُجْزِيَ كُلُّ نفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، لا ظُلْمَ اليَوْمَ) فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْخَلِعُ قَلبُكَ وَتَضْطَرِبُ أعْضَاؤُكَ مِنْ الهَيْبَةِ وَتُوقِنُ نَفسُكَ بالبَوَارِ وَتَذَكَّرُ مَا أنذرَكَ اللهُ اللهُ تَعالَى بِهِ عَلى لِسَانِ رُسُلِهِ ، حَيْثُ قالَ ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إنّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيْهِ الأبْصَارُ مُهْطِعِيْنَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِم لا يَرْتَدُّ إلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأفْئِدَتُهم هَوَاءٌ﴾ .

وقَوْلُه ﴿ وَترى الظَّالِمِيْنَ لمَّا رَأوْا العَذَابَ يَقُولونَ هَلْ إلىَ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيْلٍ وتَرَاهُم يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِيْنَ مِنْ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ الآيَةِ ، فَيَالَهَا مِنْ مُصِيْبَةٍ ، ومَا أشَدَّهَا مِنْ حَسْرَةٍ في ذلكَ اليَوْمَ ، إذَا جَاءَ الرَّبُّ جَلَّ وَعلا لِلفَصْل بَيْنَ عِبادِهِ بحُكْمِهِ العَدْلِ وَشُوْفِهِ الظَّالِمُ بالخِطاب وَعَلِمَ أنَّهُ مُفْلِسٌ فقِيْرٌ عَاجِزٌ مَهِيْنٌ لا يَقْدِرُ على أنْ يَرُدَّ حَقّاً أو يُظْهِرَ عُذْراً .

فعِنْدَ ذلِكَ تُؤْخذُ حَسَنَاتُه التِي تَعِبَ عَلَيْهَا في عُمْرِهِ ، لَيْلاً وَنَهارا حَضَرا وَسَفَرا وَتُنْقَلُ إلىَ الخُصَمَاءِ عِوَضاً عَنْ حُقوقِهِمْ وَتَقَدَّم حَدِيْثُ أبي هُرَيْرَةَ في بَيَانِ المُفْلِسِ مِنْ الأُمَّةِ ، فلْيَنْظُرِ العَاقِلُ إلىَ المُصِيْبَةِ في مِثْلِ ذلِكَ اليَوْمَ الذِي رُبَّمَا لا يَسْلَمُ لَهُ فِيْهِ شَيْءٌ مِنْ الحَسَنَاتِ فَإنْ سَلِمَ شَيْءٌ ابْتَدَرَهُ الغُرَمَاءُ وَأخَذُوهُ فَكَيْفَ تكوُن حَالُ مَنْ رَأى صَحِيْفَتهُ خَالِيَةً مِنْ حَسَنَاتٍ طَالمَا تَعِبَ فِيْهَا ، فَاذا سَأَلَ عَنْهَا قِيْلَ لهُ نُقِلَتْ إلىَ صَحِيْفَةِ خُصَمَائِكَ الذِيْنَ ظَلَمْتَهُم وَيَرى صَحِيْفَتَهُ مَشْحونَةً بسَيِّئَاتٍ لَمْ يَعْمَلْهَا ،

فَاذا سَألَ عَنْهَا وَمِنْ أيْنَ جَاءَتْ إلَيْهِ ؟ قِيْلَ : هَذه سَيِّئَاتُ القَوْمِ الذِيْنَ طَالَما تَمضَمضَتْ بِهتْكِ أعْرَاضِهِمْ وَتناوَلْت أمْوالَهُمْ وَقَذَفْتَهُمْ وَشَتَمْتَهُمْ وَقَصَدْتَهُمْ بِالسُّوْءِ وَخُنْتَهُمْ فِيْ المُبَايَعَةِ وَالمُجَاوِرَةِ وَالمُعَامَلَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ : اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا ، بِكَ ، وَبِمَلَائِكَتِكَ ، وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ ، وَباليَوْمِ الآخِرِ ، وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، وَثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدنْيَا وفِي الآخِرة ، وصلى الله عَلَى مُحَمدٍ وعلى آلِهِ وصَحبِهِ أَجْمَعِيْن .

شِعْرًا : وفي النَّاسِ مَن ظُلْمُ الوَرى عَادَةٌ لَهُ

وَيَنْشُرُ أَعْذَاراً بِهَا يَتَأَوَّلُ

جَرِيءٌ عَلَى أَكْلِ الحَرامِ وَيَدَّعِي

بِأَنَّ لَهُ فِي حِلِّ ذَلِكَ مَحْمَلُ

فَيَا آكِلَ المَالِ الحَرَامِ إِبْنْ لَنا

بِأَيِ كِتَابٍ حَلَّ مَا أنْتَ تَأكُلُ

أَلَمْ تَدْرِ أنَّ اللهَ يَدْرِي بِمَا جَرَى

وبَينَ البَرايَا في القِيَامَةِ يَفْصِلُ

حَنَانَيْكَ لا تَظْلِمْ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ

وبالبَعْثِ عَمَّا قَدْ تَولَّيْتَ تُسْأَلُ

وتُوقَفُ لِلْمَظْلُومِ يَأْخُذُ حَقَّهُ

فَيَأخُذُ يومَ العَرْضِ مَا كُنْتَ تَعْمَلُ

ويَأْخُذُ مِن وِزْرٍ لِمَنْ قَدْ ظَلَمْتَه

فَيُوْضَعُ فَوقَ الظهْرِ منكَ ويُجْعَلُ

فَيَأْخُذُ مِنْكَ اللهُ مَظْلَمَةَ الذي

ظَلَمْتَ سَرِيعاً عَاجِلاً لا يُؤَجَّلُ

تَفِـرُّ مِن الخَصْمِ الذِي قَدْ ظَلَمْتَهُ
وَأَنْتَ مَخُوفٌ مُوجَفُ القَلْبِ مُوْجَلُ
تَفِـرُ فَـلاَ يُغْنِي الفِـرَارُ مِن القَضَـا
وإِنْ تَتَـوجَّـلْ لاَ يُفِيْـدُ التَّـوَجُـلُ
فَيَقْتَصُ مِنْـكَ الحَقَ مَن قَدْ ظَلمْتَـهُ
بِـلاَ رَأْفَـةٍ كَـلاَ وَلا مِنْـكَ يَخْجَـلُ

وَحُكِيَ أَنَّ الرَّشِيْدَ حَبَسَ أبَا العَتَاهِيَةَ فكَتَبَ عَلى جِدَارِ الحَبْسِ

أمَـا والـلَّهِ إِنَّ الـظُّلْمَ شُـؤْمٌ
ومَـا زَالَ الـمُسِـيْءُ هُـوَ الـظَّلُومُ
إِلَى الـدَّيَـانِ يَـوْمَ الـدِّيْنِ نَمْضِيْ
وعـنـد اللهِ تَـجْـتَـمِـعُ الـخُـصُـوْمُ
سَتَعْلَمُ فِي الحِسَـابِ إِذَا الْتَقَيْنَـا
غَـداً عِـنْـدَ المَلِيْـكِ مَنْ الـظَّلُوْمُ
تَـنَـامُ ولم تَـنَمْ عَـنْـكَ المَـنَـايَـا
تَـنَـبَـهْ لِـلْمَـنِـيَّـةِ يَـا نَؤُوْمُ
لَـهَـوْتَ عَن الـفَنَـاءِ وَأَنْـتَ تَفْـنَـى
وَمَـا حَيٌّ عَـلَى الـدُنـيـا يَـدُوْمُ
تَـرُوْمُ الـخُـلْدَ فـي دَارِ الْـمَـنَـايَـا
وَكَـمَ قَـدْ رَامَ غَـيْـرُكَ مَـا تَـرُوْمُ
سَـلِ الأَيَـامَ عَـن أُمَـمٍ تَـقَـضَّـتْ
سَتُخَبِـرُكَ المَـعَـالِـمُ والـرُّسُـوْمُ

فَأُخبِرَ الرَّشِيْدُ بذَلِكَ فَبكى بُكاءً شَدِيْدا ودَعا أبا العَتاهِيَةَ فَاسْتَحَلَهُ وَوَهَبَ لَهُ أَلْفَ دِيْنَارٍ لِحَبْسِهِ مِنْ غَيْرِ مُوْجِبٍ شَرْعِيٍّ .

آخـر :

مَا دَارُ دُنْيـاً لِلْمُقِيـمِ بِدَارِ ... وبِهَا النُفوسُ فَرِيْسَـةُ الأَقْـدارِ
مَا بَيْنَ لَيـلٍ عاكفٍ ونَهـارِهِ ... نَفَسَـانِ مُرْتَشِـفَانِ لِلأَعْمَـارِ
طُولُ الحياةِ إذا مَضَى كَقَصِيْرِهَا ... واليُسْرُ لِلأَنْسَـانِ كَالإِعْسَـارِ
والعَيشُ يَعْقِبُ بالمرارَةِ حُلْـوَهُ ... والصَّفْـوُ فِيه مُخَلَّفُ الأَكْـدَارِ
وكأنما تَقْضِيْ بُنَيَّـاتُ الرَّدَى ... لِفَنَائِنَا وَطَـراً مِن الأَوْطَـارِ
والمَرْءُ كَالطَّيْفِ المُطِيْفِ وعُمْرُهُ ... كَالنَّوم بَيْنَ الفَجْـرِ والأَسْحَارِ
خَطْبٌ تَضَاءَلَتَ الخطُـوبُ لِهَوْلِهِ ... أَخْطَـارُهُ تَعْلُو عَلَى الأَخْطَـارِ
نُلْقِي الصَّوارِمَ والرمَاحَ لِهَـولِهِ ... ونَلُوْذُ مِن حَـرْبٍ إلى اسْـتِشْعَارِ
إنَّ الذينَ بَنَوا مَشيْداً وانْثَنُوْا ... يَسْعَونَ سَعْيَ الفاتِكِ الجَبَّـارِ
سُلُبوا النَّضَارَةَ والنَّعِيْمَ فأَصْبَحُوا ... مُتَوَسِّدِيْنَ وَسَـائِدَ الأَحْجَـارِ
تَركُوا دِيارَهُمُ علَى أعْدَاهِـم ... وتَوسَّدُوا مَـدَراً بِغَيرِ دِثَـارِ
خَلَطَ الحِمَامُ قَوِيَّهُمُ بِضَعْيفِهم ... وغَنِيَّهُمُ سَـاوَى بذي الأَقْتَـارِ
والخَوْفُ يُعْجِلُنا عَلَىَ آثارِهِـم ... لا بُدَّ مِن صُبْحِ المُجِـدِّ السَّارِي
وتَعاقُبُ المَلَوَيْنِ فِينَـا نـاثِـرٌ ... بأَكَرِّ مَا نَظَمَا مِن الأَعْمَـارِ

اللهُم يا عالمَ الخَفياتِ وَيَا سَامِعَ الأَصْواتِ ويَا بَاعِثَ الأَمْواتِ وَيَا مُجْيبَ الدَعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الحَاجَاتِ يَا خَالَق الأَرْض والسَّمواتِ أَنْتَ اللهُ الأَحدُ الصمدُ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحد ، الوَهَّابُ الذي لا يَبْخَلُ والحَليمُ الذي لا يَعْجَلُ لا رَادَّ لأَمْرِكَ ولا مُعَقِّبَ لِحكَمِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تغفرَ ذنوبَنَا وتُنورَ قُلوبنا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ في قُلوبِنا وَتُسْكِنَنا دَارَ كَرَامَتِكَ إنكَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِير وَصَلَّى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللهِ لَقَدْ تَوعَّدَ اللهُ الذِيْنَ يُخالِفُونَ أمْرَهُ وَيَنْصرِفُونَ عَنْ ذِكرِهْ وَيَجْترؤُنَ على مَعَاصِيْهِ بشَدِيْدِ غَضَبِهِ وَعَظِيْمِ سَخَطِهِ وَحَذّرَهُمْ بأسَهُ وَانْتِقامَهُ فمَا بَالُ كَثيْرٍ مِنْ النَّاسِ بَعْدَ القُرُوْنِ الأوْلى عَمدُوا إلى مَحَارِمِ اللّهِ فارْتَكبُوهَا وَمَأمُوْراتِهِ فَاجْتَنبُوهَا ثُمَّ عَادُوا بمُرِّ الشَّكْوى مِنْ تَغَيُّرِ الأحْوَالِ وَانْتِزَاعِ البَرَكَةِ مِنْ الأرْزَاقِ والأمْوالِ .

أحَسِبْتَ أنَّكَ يَا ابْنَ آدَمَ تُهْمَلُ وَتُتْرَكُ فَلا تُعَاقَبْ ، وَتَظْلِمُ وَتَتَقَلَّبُ في النَّعِيْمِ كَيْفَ شِئْتَ وَلا تُحَاسَبْ أنَسِيْتَ قَوْلَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم « إنَّ اللهَ لَيُمْلِيْ لِلظَّالِم حَتَّى إذَا أخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » كُلُّ هَذا مِنْ جَهَالَتِكَ وَانْطِمَاسِ بَصِيْرتِكَ وَلكِنْ اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَسَيرىٰ اللهُ عَمَلكَ ثُمَّ تَرُدُّ إليْهِ وَيُجازِيْكَ بِمَا تَسْتَحِقُّ ، جَهِلْتَ في حَالِ النَّعِيْمِ وَكَانَ الواجِبُ عَلَيْكَ أنْ تَتعرَّفَ إلىَ اللّهِ في الرَّخاءِ لِيَعْرِفَكَ في الشِّدَّةِ ، وَلكِنْ لَمْ تَفْعَلْ ، وَأصْبَحتْ بَعْدَ زَوَالِهَا مِنْكَ تَشْكُوْ لِمَنْ ؟ تَشْكُوْ لِمَنْ عَصَيْتَهُ بالأمْسِ تَشْكو لِمَنْ خَالَفْتَ أوامِرَهُ وَفعلْتَ نَواهِيْهِ مَعَ عِلْمِكَ إنَّهُ المُنْتَقِمُ الجَبَّارُ تَشْكُوْ لِمَنْ حَارَبْتَهُ بالمعَاصِيْ المُتَنوِّعَةِ وَقَدْ أسْبَغَ عَلَيْكَ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَلَو شَاءَ لَمَنعَها عَنْكَ لإنَهُ الفَعَّالُ لِمَا يُرْيدُ تَشْكُو لِمَنْ تَأكُلُ نِعَمَهُ في أرْضِهِ مُسْتَعِيْناً بهَا على مَعَاصِيْهِ ألَيْسَ عَمَلُكَ هَذا في مُنْتَهَى اللآمَةِ وَالخَسَاسةِ يُمِدُّكَ بالنِّعَمِ وَتبارِزُهُ بالمعـاصِيْ ، ألَكَ صَبْرٌ عَلَى جَهَنَّمَ وَزَمْهَرِيْرِهَا ، ألَكَ طَاقَةٌ بالوَيْلِ والغَسَّاقِ وَالزَّقُّومِ وَالحَمِيْمِ وَالضَّرِّيْعِ ، عِبَادَ اللهِ هَذا الذي نحنُ فيه مِنْ الانْهُماكِ في الدنيا وقَتْلِ كلِّ الوَقْتِ في جَمْعِهَا وَالابْتِعَادِ عَنْ الآخِرَةِ وَانْتِشَارِ المَعاصِيْ بسُرْعَةٍ هَائِلَةٍ ما هُوَ والله

إلاّ بِمَا كَسَبَتْ أيْدِيْنا، قالَ تَعالى ﴿ظَهَرَ الفَسَادُ في البَرِّ وَالبَحْرِ، بِمَا كَسَبَتْ أيْدِيْ النَاسِ﴾ الآيَـةِ. عِبَـادَ الله إنَّ غَـلاء الأسْعَـارِ، وانْتِشَـارَ الأمْرَاضِ، ومَا رَأيْتُم مِنْ الفِتَنِ وَالتَّعْقِيـدِ في المُمْتَلَكَاتِ وَالتَّقـاطُعِ وَالعُقُوقَ، مَا هُوَ واللهِ إلاّ جَزاءُ عَمَلِنا وَمَا هُوَ إلاَّ قَلِيْلٌ مِنْ كَثِيْرٍ فَقَدْ تَمادَيْنا في المَعَاصِي. وَاللهُ يَغارُ عَلَى أوَامِرِهِ أنْ تُجتَنَبْ ومَحَارِمِهِ أنْ تُرْتَكَبْ قَالَ صلىَّ اللهُ عليه وسلم «لا أحَدَ أغْيَرُ مِنْ الله» الحَدِيْث.

تَـيَـقَـنْـتُ أنِّـي مُـذْنِـبٌ وَمُحَـاسِبٌ
ولم أدرِ هَلْ نَاجٍ أنـا أو مُعَاقَبُ
ومَـا أنَـا إلاَّ بَـيْنَ أمْـرَيْـنِ وَاقِـفٌ
فَـإمَّا سَعِيْـدٌ أمْ بِـذَنْبِي مُـطَالَبُ
وقـد سَبَقْتَ مِنّي ذُنُـوبٌ عَـظِيْمَـةٌ
فَيا لَيْتَ شِعْرِي مـا تَكُونُ العَـوَاقِبُ
فَيَـا مُنْقِذَ الغَـرْقَى وَيا كَـاشِفَ البَلا
وَيـا مَنْ لَـهُ عِنـدَ الْمَمَـاتِ مَـوَاهِبُ
أغِثْنَـا بغُفْـرانٍ فَـإنَّـكَ لَـم تَـزَلْ
مُجِيْبـاً لِمَنْ ضَاقَتْ عليـهِ المَـذَاهِبُ

اللهم أحْينا في الدنيا مؤمنينَ طائعينَ وتوفنا مسلمينَ تائبينَ واغفر لنا ولوالِديْنا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحمَ الراحمينَ وصلى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

فصل

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لما نزلتَ هَذِه السُّورةُ عَلى رَسُولِ اللهِ صلىَّ اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ ﴿إنَّكَ مَيِّتٌ وَإنَّهُم مَيِّتُونَ، ثُمَّ إنَّكُم يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُم تَخْتَصِمُونَ﴾ قالَ الزبَيْرُ

رَضِيَ اللهُ عَنهُ أيْ رسُولَ اللهِ أيُكَرَّرُ عَلَيْنَا مَا كَان بَيْنَنَا في الدُّنيا ، مَعَ خَوَاصِّ الذنوبِ ؟ قَالَ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ « نَعَمْ لَيُكَرَّرنَّ عَلَيْكُم حَتَّى يُؤَدِّيْ إلَى كُلِّ ذِيْ حَقٍّ حَقَّهُ » قالَ الزُّبَيْرُ : وَاللهَ إنَّ الأمْرَ لشَدِيْدٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ أبِي سَعِيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم « وَالذِي نَفْسِي بيدِهِ إنَّهُ لَيَخْتَصِمُ حَتَّى الشَّاتَانِ فِيْمَا انْتَطحَتَا » تَفَرَّدَ بِهِ أحْمَدُ رحِمَهُ اللهُ ، وفي المُسْنَدِ عَنْ أبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنه أنهُ قَالَ رأى النبي صَلى اللهُ عليه وسلم شَاتَيْنِ يَنْتَطِحَانِ فَقَالَ « أتدْرِيْ فِيْمَا يَنْتَطِحَانِ يَا أبَا ذَرّ » ؟ قُلْتُ : لا قالَ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « لكِنَّ اللهُ يَدْرِي ، وَسَيَحْكُمُ بَيْنَهُمَا » .

فتَفَكَّرْ الآنَ في نَفْسِكَ إنْ خَلَتْ صَحِيْفَتُكَ عَنْ المَظَالِمِ وَعفى اللهُ عَنكَ وَرَحِمَكَ فَأيْقَنْتَ بسَعَادَةِ الأبَدِ كَيفَ يَكُونَ سُرُوْرُكَ وَاغْتِبَاطُكَ في مُنْصَرفِكَ مِن فَصْلِ القضَاءِ وَقد خَلَع عليْكَ خِلْعَةَ الرِّضَا وَعُدَتُ بسَعَادةٍ لَيْسَ بَعْدَها شَقَاءٌ ونَعُمَ بَدنُكَ بنَعِيْمٍ لا يَدُوْرُ بحَوَاشِيْهِ الفَنَاءُ وعنْدَ ذلكَ طَارَ قَلْبُكَ سُرُوراً وَأُنْساً وَابْتِهَاجاً وفرَحاً وَصِرْتَ مِنْ الحِزْبِ الذِيْنَ ابْيَضَّتْ وُجُوْهُهُمْ وَاسْتَنَارَتْ وَأشْرقَت فَتصَوَّرْ مَشْيُكَ بينَ الخَلائِق رَافِعاً رَأْسَكَ خَالِياً مِنْ الأوزَارِ ظَهْرُكَ ، يُعْرَفُ في وَجْهِكَ نَضْرَةُ النَّعِيْم ، وَالخَلْقُ يَنْظرُونَ إليْكَ وَإلىَ حَالِكَ وَيغْبِطُونَكَ في حُسْنِكَ وَجَمَالِكَ وَالملائكةُ يُمَشُّوْنَ بين يَديْكَ يُبَشِّرونَكَ بِمَا يَسُرُّكَ .

وإن تَكُنْ الأخْرَى وَالعِيَاذُ باللهِ بِأنْ خَرجَتْ الصَّحِيْفَةُ مَمْلُوْءَةً مِنْ المظَالِمِ وَمَقتَهُ اللهُ ولَعنَهَ ونَكَّسَ هذا المُجْرِمُ رَأسَه مُسْوَدًّا الوَجْهِ أزرقَ

العَيْنين وَأخَذَتْهُ الزَّبَانيةُ بناصِيَتِه يَسْحَبُونَهُ على وَجْهِهِ عَلى مَلاءٍ مِنْ الخلقِ وهُمْ يَنْظُرُونَ إليْهِ ،وهُوَ يُنَادِي بالويْلِ وَالثبُورِ وَيُقَالُ لهُ وَلأمْثَالِهِ (لا تَدْعُوا اليَوْمَ ثبُوراً واحِداً وَادْعُوا ثُبُوْراً كثِيْرا فمَا أعْظَم جُرْمَ مَنْ يَسْتَتِرُ وَيحْتَرِزُ عنْ مَلاءٍ مِنْ الخَلْقِ خَشيَة الافْتِضَاحِ عندَهُم في هذه الدنيا المُضْمَحِلَّةِ المنقَرضَةِ ثُمَّ لا يَخْشَى مِن الافتضَاحِ عندَ عَلاّمِ الغُيُوبِ وفي ذلك المَلاءِ العَظِيْمِ مَع التَّعَرُّضِ لِسَخَطِ بَدِيْعِ السَّموات وَالأرْضِ فالقِ الحَبِّ والنّوىَ

شعرا :

تَـوَارَى بجُدْرَانِ البُيُـوتِ عَن الوَرَى
وأنتَ بعَيْنِ الـلهِ لـو كُنْتَ تُنْـظَرُ
وَتَخْشَى عُيُونَ الناسِ أنْ يَنْظُرُوَا بِها
ولم تَخْشَ عَيْنَ الـلهِ واللهُ يَـنْـظُرُ

آخر :

يـا مَن يَرَى مـدَّ البَعُوضِ جَنَـاحَهَا
في ظُلْمَـةِ اللَّيـلِ البَهِيْمِ الأَلْيَـلِ
ويـرى مَنـاطَ عُـرُوقهَـا في نَحْـرِهـا
والمُـخَّ في تِلكَ العِظَامِ النُّحَـلِ
وَيَـرى مكـانَ الـدَّمِ مِن أعْضَـائِهـا
مُتَنَقِـلاً مِن مَفْصِـلٍ في مَفْصِـلِ
ويَـرى مَكَـانَ المَشْيِ مِن أقْـدَامِهـا
وخَـطِيْـضَهَـا في مَشْيِهَـا المُسْتَعْجِـلِ
ويرَى ويَسمَعُ حِسَّ مـا هُـو صَـوْتُهَا
فَي قعْـرِ بَحْـرٍ غَـامِضٍ مُتَجَـدْولِ

أَصْـوَاتُهـا مَـرفُـوعَـةٌ عِنْـدَ الـنِـدَا
أَرْزَاقُـهـا مَقْـسُـسـومْـةٌ لِسُّـؤلِ
اغْـفِـرْ لِعَبْـدٍ تَـابَ مِـن فَـرَطَـاتِـه
مـا كَـانَ منه فـي الـزَّمـان الأَوَّلِ
آخـر :
إنَّ الـقُـلُوبَ يَـدُ البْـاري تُقَـلِّبُهَـا
فاسْـأل مِـن الـلَّـهِ تـوفِـيْقـاً وتَثْبيتـاً
مَـن يُظْـلِلِ اللَّـهُ لا تَهْـدِيْـه مَـوْعِظَةُ
وانْ هَـدَاهْ فـلَوْ قـد كَـان عِنْتيْتـاً

فَهَـذِه غُـربَـةُ الإسـلام أَنتَ بهَـا — فكُـنْ صَبُـوْرا إذَا في اللَّهِ أُوْذِيتَـا
واسَـألَهُ مِن فَضـلِهِ خَـيْراً يَمُنَّ به — عَليكَ واصْبرْ ولو في الدِّين عُوْدِيتَا
واعْـلم بـأنَّـك مَخْـلوقٌ لِطَـاعَتـه — فَـإنْ أجَبْتَ فلِلخَيْراتِ أُوْتيْنَـا
وَسَوفَ تَرضَى غَداً إنْ كنْتَ مُعْتَصِماً — بالوَاحدِ الفرْدِ لا بالِشرْكِ إن جِيْتَا

اللّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بنُورِ الإيْمانِ وَثَبِّتْ مَحبَّتَكَ فِيْهَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذكْرَكَ وَشُكْـرَكَ وَأَرْزُقْنَا حُبَّ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أعْدَائِكَ وَآتِنا في الدُّنْيا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِديْنا وَجَمِيْعَ المُسْلِميْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلّى اللَّهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِه وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« مَوْعِظَةٌ في الحَثِّ عَلى الأقْبَالِ عَلى الآخِرَةِ »

اخْوَانِيْ أَيْنَ رُفَقَاؤُنَا وَاخْوَانُنَـا أَيْنَ ذَهَبَ مَعَارِفُنَـا وَجِيْرَانُنَـا أَيْنَ أَصْدِقَاؤنَا أيْنَ زُمَلاؤُنا وَأقْرانُنا أيْنَ عُلَمَاؤُنَا العَامِلُوْنَ بِعِلمهم أيْنَ آبَاؤُنَا

وَأَجْدَادُنَا رَحَلُوا وَقَلَّ والله بَعْدَهُمْ بَقَاؤُنَا. هَذِهِ مَسَاكِنهُم فِيْهَا غَيْرُهُمْ قَدْ نَسِيْنَاهُم وَنَسِيَهُم مُحِبُهم وَجَفَاهُم. أيْنَ أصْحَابُ القُصُوْرِ الحَصِيْنَةِ، وَالانْسَابِ العَالِيَةِ الرَّصِيْنَة وَالعُقُولِ الرَّاجِحَةِ الرَّزِيْنةِ، قَبَضَتْ عَلَيْهِمْ يَدُ المنَايَا فظَفِرَتْ، وَنُقِلُوا إلَى أجْداثٍ مَا مُهِّدَتْ إذْ حُفِرَتْ وَرَحِلُوا بذُنُوبِ لا يَدْرُونَ هَلْ غُفِرتْ أو بَقِيَتْ فالصَّحِيْحُ مِنْهُم بالحَزَنِ قد سَقِمْ وَالمَدْعُو إلَى دَارِ البَلَى أَسْرَعَ وَلَمْ يُقِمْ والكتابُ قد سُطِّرَ بالذنوبِ فَرُقِمْ. وَلَذِيْذُ عَيْشِهم بالتَّنْغِيْصِ قَدْ خُتِمَ وفِرَاقُهم لِأحْبَابِهم وَأمْوَالِهِمْ قد حُتِمَ وَالولدُ قد ذَلَّ وَيَتِمْ، فتَفكّرُوا في القوْمِ كَيْفَ رَحَلُوا، وتَذكَرُوا دِيَارَهُم أيْنَ نَزَلُوا، وَاسْألُوا مَنَازِلَهم عَنْهُم مَاذَا فَعَلُوا فانْتَبِهْ مِنْ رُقادِكَ قبْلَ أنْ تصَلِ مَا وَصِلُوا يَا مَنْ غَفَلَ وَسَهَى وَلَهَى وَنَسِيَ المَقَابِرَ وَالبِلَى.

شِعْرا:

إنَّ الحَبِيْبَ مِن الأَحْبَابِ مُخْتَلَسُ — لا يَمْنَعُ الموتَ بَوّابٌ ولا حَرَسُ
فكَيْفَ تَفْرَحُ بالدنيا ولَذّتِهَا — يَا مَنْ يُعَدُّ عليه اللّفْظُ والنَّفَسُ
أصبَحْتَ يَاغَافِلاً في النَّقْصِ مُنْغَمساً — وأَنت دَهْرَكَ في اللّذَّاتِ مُنْغَمِسُ
لَا يَرْحَمُ الموتُ ذَا جَهْلٍ لِغِرَّتِهِ — ولا الذِي كان مِنْهُ العِلمُ يُقْتَبَسُ
كَمْ أخْرَسَ الموتُ في قَبْرٍ وقَفْتُ بِهِ — عن الجَوابِ لِسَانا ما بِهِ خَرَسُ
قَدْ كَانَ قَصْرُكَ مَعْمُورٌ لَهُ شَرَفٌ — وقبْرُكَ اليَومَ في الأَجْدَثِ مُنْدَرِسُ

آخر:

لَنَا كُلَّ يَوْمٍ رَنَّةٌ خَلْفَ ذَاهِبٍ
ومُسْتَهْلَكٌ بينَ النَّوى والنَوَائِبِ

وقَلْعَةُ إخْوَانٍ كَأنَّا وَرَاءَهُمْ
نُرَامِقُ أعْجَازَ النُّجُومِ الغَوَارِبِ

نُـوَادِعُ أَحْـدَاثَ اللَّيـالِي عَلى شَفَـا
مِن الحَرْبِ لَوْ سَالمنَ مَنْ لَمْ يُحَارِبِ
وَنـأْملُ مِن وَعْـدِ المُنَى غَيْرَ صَـادِقٍ
وَنـأملُ مِن وَعْـدِ الرَّدَى غَيْـرَ كاذِبِ
إلى كَمْ نُـمَنَّـى بـالغُـرُورِ ونَـنْثَنِي
بـأعْنَاقِنَـا لِلْمُـطْمِعَـاتِ الكَـواذِبِ
نُـراعُ إذا مَا شِيْـكَ أَخْمُصُ بعْضِنَـا
وأقْـدامُنـا مَـا بَينَ شَـوْكِ العَقَـارِبِ
وَنَمْشِـي بـآمَـالٍ طِـوَالٍ كَـأنَّنَـا
أَمِنَّـا بَنَـاتِ الخَـطْبِ دُونَ المَـطَالِبِ
نَعَمْ إنَّهَـا الـدُنيـا سُمُـومٌ لِـطَاعِمٍ
وَخَـوْفٌ لِـمَـطلوبِ وَهَمٌ لِـطَالِـبِ
وَإنَّـا لَنَهْـواهَـا مَـعَ الغَـدرِ والقِلا
ونَمْـدَحُهَا مَـعْ عِلْمِنَا بـالمَعـائِبِ
ومَن كـانتِ الأَيَّـامُ ظَهْـراً لِـرَاحِلَهِ
فَيَـا قُرْبَ مَـا بَينَ المدَى والـرَّكَائِبِ
تَحِـلُ الـرَّزَايَـا بـالـرِّجـالِ وتَنْجَلِي
ورُبَّ مُصَـابٍ مُقْلِعٍ عن مَـصَـائِبِ

آخـر :

عَزّى بَعضُهم أَخـا فقال :

تَصبَّرْ فإِنَّ الأَجْرَ أَسْنَى وأَعْظَمُ   وَلَازِمْ لِماَ يَهْدِي لِماَ هُوَ أَقْوَمُ
ولَوْ جَازَ فَرْطُ الحُزْنِ لِلْمِرْءِ لَمْ يُفِدْ   فَمَا بالنَا لا نَسْتَفِيدُوَ نأثَـمُ

وإنِّيَ عَنْ نَدْبِ الأحِبَّـــةِ ساكِتٌ وإنْ كانَ قَلْبِـــيْ بالأَسَى يتكلَّـــمُ

وقال آخر مَاتَ لَهُ طِفْلٌ :

فَإنْ كُنْتَ تبكيْـهِ طِلابــاً لِنَفْعِــهِ فقد نَالَ جَناتِ النّعِيْـمِ مُسَارِعـاً
وَإنْ كُنْت تَبْكِـي أنَّـهُ فَاتَ عَوْدُهُ عَلَيْكَ بِنَفْـعٍ فَهْـوَ قدْ صَارَ شافِعـاً

آخـر :

جَاوَرْتُ أعْـدَائي وَجَـاوَرَ رَبّـهُ شَتّـانَ بَيْـنَ جِوارِه وَجِـوَارِيْ

اللَّهم يَا حيُ يا قَيُّومُ يا مَن لا تأخذُه سِنَةٌ ولا نَومٌ يا ذا الجلالِ والاكرامِ يَا وَاحِدُ أحَد يا فَرْدُ صَـمَدُيا بَدِيْعَ السمواتِ والأرضِ نَسْأَلُكَ أن تَنْصُرَ الاسلامَ والمُسْلِمينَ وأن تَعْلُى كلَمةَ الحَقِ والدِّيْنِ وأن تَشمَلَ بعنَايَتكَ وَتوفيقِكَ كُلَّ مَنْ نصَر الدِّينَ وأن تَملأ قُلوُبَنَا بمَحبَّتكَ ومَحَبَّةِ رُسُلِكَ وَأوْلِيَائِكَ وَأنْ تُلْهِمَنَا ذِكرُكَ وشُكْرَكَ وَأنَ تَأخُذُ بنَواصِينا إلى مَا ترضَاهُ وأنْ ترزُقَنَا الاسْتِعْدَادَ لِمَا أمَامَنَا وأنْ تُهوِّنَ أمرَ الدّنْيا عَلَينَا وأن تغفِرَ لَنَا ولِوَالِدَينَا وجَمِيْعِ المُسْلِمين الأحياءِ مِنهم والمَيِّتِيْنَ برَحمتِكَ يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فَصْلٌ » في تَحْرِيْمِ القَتْلِ وَإثْمِ القَاتِلِ

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللّهُ وَيَّاكَ وَجمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ أَنَّ القَتْلَ مِنْ أَكْبَرَ الكَبَائِرِ وَأَعْظَمِ الذُّنُوبِ وَأشَدِّ الآثامِ بَلْ هُوَ أَغْلَظُهَا جَمِيْعاً بَعْدَ الاشْرَاكِ باللهِ وَمَا زالَ النَّاسُ مُنْذُ تَكَوَّنُوا جَماعَاتٍ وَظَهَرَ فِيْمَا بَيْنَهُم تَعارُضُ الرَّغَباتِ وَالشَّهَوَاتُ وَتَمَكَّنَتْ بِهَا في النُّفُوسِ بَوَاعِثُ التَّعَدِّيْ يَرَوْنَ أنَّ جَرِيْمَةَ القَتْلِ مِنْ أكْبَرِ الجَرائِمِ وَذَلِكَ أنَهَا سَلْبٌ لِحَيَاةِ المَجْنِيِّ عَلَيْهِ بغَيْرِ حَقٍّ وتَيْتِيْمٌ لِأَوْلادِهِ وَتَرْمِيْلٌ لِنسائِهِ وَحِرْمَانٌ لِأَهْلِهِ وأقارِبِهِ، وإضَاعَةٌ لِحُقُوقِهِ ،

وَقَطْعٌ لأعْمَالِ حَيَاتِهِ ، وَالحَيْلُولةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ وَالوَصَايَا وَغَيْرِ ذلِكَ وَإِيْصَالُ النَّاسِ حُقُوقَهُم إنْ كانَ عَلَيْهِ لهُمْ شَيْءٌ وَأَنْتَ إذا تتَبَعْتَ المَعاصِيْ مَعْصِيَةً مَعَصْيِة لا تَجِدُ لوَاحِدَةٍ مِنْهَا فَسَاداً يُسَاوِيْ فَسَادَ القَتْلِ لأنَّ الانْسَانَ إذا مَاتَ وَمُحِيَ مِنْ الوُجُودِ ذَهَبَ كلُّهُ وَلَمْ يَبْقَ ناحِيَةٌ مِنْ نَوَاحِيْهِ ولَيْسَ ذَلكَ المعْنَى في أيِّ مَعْصِيَةٍ وَلِذَلِكَ كَانَتْ هَذِهِ الكَبِيرةِ تِلي الشِّرْكَ باللَّهِ وَوَرِدَ عَنْ أبي مُوسَى رضْيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النّبي صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَم قالَ « اذا أصْبَحَ ابْلِيْسُ بَثَّ جُنُودَهُ فَيقول مَنْ أضَلَّ اليَوْمَ مُسْلِماً أَلْبَسْتُهُ التاجَ قالَ فَيَجِيءُ هَذا فيَقولُ لمْ أزَلْ بِهِ حَتَّى طلَّقَ أمْرَأتَهُ فَيقُولُ يُوْشِكُ أنْ يتَزَوَّجَ وَيَجِيءُ هَذا فيَقُولَ لمْ أَزَلْ به حتَّى عَقَّ وَالِدَيْهِ فَيقُولُ يُوْشِكُ أنْ يَبَرَّهُما وَيَجِيْءُ هَذا فيَقُولُ لم لم أزَلْ بِهِ حَتَّى أشْرَكَ فَيقولُ أنْتَ أنْتَ ويَجيءُ هَذا فيقُولُ لم أزَلْ به حَتَّى قَتَلَ فيقولُ أَنْتَ أَنْتَ ويُلْبِسُه التّاجَ » رواهُ ابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِه وَالحَاكِمُ في مُسْتَدْرَكِهِ .

وَأيْضاً تَحدٍّ لِشُعُورِ الجمَاعَةِ البَشَرِيَّةِ الذِيْ فُطِرَتْ عَلَيْهِ مِنْ اعْتِقَادِ أنَّ الحَياةَ جعَلَها اللهُ حَقّاً لِكُلِّ حَيٍّ يَتَمَتَّعُ بِه ولا يَجُوْزُ انْتِزاعُهُ مِنْهُ إلاَّ بحَقٍّ شَرْعِيّ .

وأيضاً جَرِيْمَةُ القَتْلِ مُزَعْزِعَةٌ لِمَا تَرْجُو هَذهِ الجَمَاعَةُ ، مِنْ هُدُوءِ الحَيَاةِ وَاسْتِقْرَارِها وَأيضاً هَدْمٌ لِعَمَارَةٍ شادَهَا اللهُ تَتَكَوَّنُ مِنْهَا وَمِنْ أمْثَالِهَا العِمَارَة لِهَذَا الكَوْنِ .

وَهَذا القُرْآنُ الكرِيْمُ يُحَدِّثُنا عَنْ أَوَّلِ اعْتِداءٍ وَقَعَ مِنْ الأنْسانِ عَلَى أخِيْهِ ، وَيُصَوِّرُ لَنا كَيْفُ كانَ القَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ كِلاَهُمَا يَعُدَّانِ القَتْلَ جَرِيْمَةً آثِمَةً تَسْتَوْجبُ غضَبَ اللهِ وعِقَابَهُ وَأنَّ القَاتِلَ لِشُعُورهِ بهَذا كانَ يُعَالِجُ في

نَفْسِهِ الأقْدَامَ عَلى هذِهِ الجَرِيْمَةِ عِلاجَ الكارِهِ المُتَحَرِّجِ ، حَتَّى ﴿طَوَّعَتْ لهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أخِيْهِ فقَتَلَهُ فأصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِيْنَ﴾ .

وَقَالَ بَعْضُ المفَسِّرِيْنَ عَلى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِيْ اسْرَائِيْلَ أنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ فكأنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جمِيْعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فكَأنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جمِيعاً﴾ مِنْ أَجْلِ الاعْتِداءِ الذِي لا مُوْجِبَ لهُ ولاَ مُبَرِّرَ عَلَى المُسَالِمِيْنَ الوَادِعِيْنَ الذِيْنَ لا يُرِيْدُونَ شَرّاً وَلا مُدافعَةً . . ﴿مِنْ أجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا على بَنِـي اسْرَائِيْلَ﴾ أَنَّ جَرِيمَةَ قَتْلِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ بلا مُبَرِّر مِنْ قِصَاصٍ أو دَفْعٍ لِفَسَادٍ عَامٍّ كجَرِيْمَةِ قَتْلِ النَّاسِ جَمِيعاً ، وَأنَّ حِمَايَةَ نَفْسٍ وَاحِدةٍ وَاسْتَحْيَاءَهَا بهَذِهِ الحِمَايَةِ في أيّةِ صُوْرَةٍ مِنْ صُوَرِهَا وَمِنْهَا القِصَاصُ كأنَّها اسْتِحياءُ لِلنَّاسِ جَمِيْعاً .

ذلِكَ أنَّ الاعْتِداءَ عَلى نَفْسٍ وَاحِدةٍ هُو اعْتِدَاءٌ عَلَى حَقِّ الحَياةِ الذِي يَصُونُ لِلنَّاسِ جمِيْعاً حَياتَهمُ فَالاسْتِهْتَارُ بهَذا الحَقّ اعْتِداءٌ عَلى كُلِّ مَنْ يُدْلِي بِهِ وَيَتَحصَّن به والمُحَافَظةُ عَلَيْهِ مُحافظةٌ عَلَى الحَقِّ الذِي تُصَانُ به دِمَاءُ النَّاسِ وَأرْوَاحُهُم فَلَيْسَتْ نَفْسٌ مُفْرَدَةٌ هِيَ التِيْ تُقْتَلُ إنَّمَا هُوَ حَقُّهَا فِي الحَيَاةِ التِيْ يُشَارِكُها فِيْهَا النَّاسُ ، وَلَيْسَتْ نَفْسٌ مُفْرَدَةٌ هِيَ التِي تُصَانُ إنَّمَا هِيَ كلُّ نَفْسٍ مُسْتَحِقَّةٍ لِلصِّيَانَةِ بمَا اسْتَحقتْ بهِ تِلْكَ النَّفْسُ الوَاحِدَةُ اهـ .

وقدْ اخْتَلَفَ العُلمَاءُ هَلْ للقَاتِلِ مِنْ تَوْبَةٍ أم لا فرَوَىٰ البُخَارِيّ عَنْ سَعِيْدِ بْنِ جُبَيّر قَالَ اخْتَلَفَ عُلَمَاءُ الكُوْفَةِ فيْهَا فَرَحَلْتُ إلَى ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، فَسَألْته عَنْهَا ، فَقَالَ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيةُ ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّم﴾ الآيةَ وَهِيَ مِنْ آخِرِ مَا نَزَلَ ، وَمَا نَسَخَها شَيْءٌ .

وَعَنْ سَالِمْ بْنِ أبي الجَعْدِ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ بَعْدَ مَا كَفَّ بَصَرُه فأتاهُ رَجُلٌ فنادَاهُ يَا عَبْدَ اللهِ بْنِ عَبّاسٍ ما ترى في رَجُلٍ قَتَلَ مُؤمناً مُتُعَمِّداً ؟ فقَالَ ﴿جَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِدا فيهَا ، وَغضِبَ الله عليه ، ولعَنَهُ ، وَأعدَّ لهُ عَذابا عظِيْما﴾ . قال : أفرأَيْتَ إنْ ﴿تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ صَالِحاً ثمَّ اهْتَدَى﴾ قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ وَأنَّى لهُ التّوبَة والهُدَى والذِي نَفْسِي بيَدِهِ ، لقَدْ سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ صَلى اللهُ عليه وسلم يقُولُ « ثكِلَتْهُ امهُ ، قاتِلُ مُؤْمِنٍ مُتَعَمِّداً ، جَاءَ يومَ القِيَامَةِ آخذُه بيَمينِه أو بشِمَالِه ، تشْخَبُ أوداجُـه في قِبَلِ عَرْشِ الرَّحْمَن يلْزَمُ قاتِلَهُ بِشمَاله وبيَدِهِ الأخْرَى رَأسُه يقُولُ يَا رَبِّ سَلْ هذا فِيْمَا قَتَلَنِي ؟ » وَأيْمُ الذِي نفْسُ عَبْدِ الله بِيَدِه لقَدْ أُنْزِلَتْ هَذه الآيَةِ فمَا نَسَخَتها مِنْ آيَةٍ حَتَّى قُبِضَ نَبيكُم صلى اللهُ عليه وسلم وما نَزَلَ بعدَها مِنْ برهَانٍ .

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يَجيءُ المقتُولُ مُتَعَلِّقاً بقاتِله يومَ القِيَامَةِ آخذٌ رَأْسَهُ بيَدِهِ فيَقُولُ يا رَبِّ سَلْ هَذا فيمَ قَتلني قالَ فيقُولُ قَتَلْتهُ لِتَكُونَ العِزَّةُ لِفلانٍ قال فإنَّهَا لَيْسَتْ لَهُ بُؤْ بإِثمِهِ قالَ فيَهْوِى في النارِ سَبْعِيْنَ خَرِيْفاً » .

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ رَضْيَ اللهُ عنه قالَ سَمعْتُ رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقُولُ « كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أنْ يَغْفِرَهُ إلاّ الرَّجُلُ يَمُوتُ كافِرا ، أو الرَّجُلُ يَقتُلُ مؤمِناً متعَمِّداً » رَوَاهُ أحْمَدُ وَالنسَائِيّ ، ولأبي دَاوُد من حَدِيْثِ أبي الدَّرداءِ كذلكَ وعَنْ أبيْ هُرَيْرَة رضْيَ الله عنه قالَ قالَ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « مَنْ أعانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ بشَطْرِ كلَمَةٍ ، لَقِيَ اللهَ مكتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ » .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا وَشَرِّ الدُّنْيَا وَالهَوَى وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيْمِ وَنسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فصل

أَخْرَجَ الطَّبَرانِيّ في الكَبِيْرَ والضِّيَاءُ في المُخْتَارَةِ عَنْ أنَس بن مَالِكٍ رضيَ اللهُ عنه . أنَّ النبي صلى اللهُ عليه وسلم قالَ « أبى اللهُ أنْ يَجْعَلَ لِقَاتِلِ المُؤْمِنِ تَوْبَةً » .

ورُوِيَ عَنْ البَراءِ بنَ عَازِبٍ رضْيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللّهِ صَلى الله عليه وسلم قالَ « لزَوَالُ الدنْيا أهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بغَيْرِ حَقٍّ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ باسْنَادٍ حَسَنٍ ، وَرَوَاهُ البَيهقِيّ وَالأصبَهانِيّ ، وزادَ فِيْهِ « وَلَوْ أنّ أهْلَ سمواتِه وَأهْلَ أرْضِهِ اشْتركُوا في دَمِ مُؤْمِنٍ لأدْخَلَهَمُ اللهُ النَّارَ » .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو رَضْيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلم قالَ « لزَوَالُ الدُّنْيَا أهْوَنُ عِنْدَ اللهِ من قتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيّ وَالتِّرمِذِيّ مَرْفُوعاً وَمَوْقُوفا وَرَجَّحَ المَوْقُوْف .

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم« أوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ في الدِّمَاءِ»رَوَاهُ البُخَارِي وَمُسْلِم وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « لنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ في فُسْحَةٍ مِنْ دِيْنِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَماً حَراماً » وقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا · إنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الأُمُورِ التِيْ لا مَخْرَجَ لِمَنْ أوْقَعَ نَفْسَهُ فِيْهَا سَفْكُ الدَّمِ الحَرَامِ بغَيْرِ حِلّهِ رَوَاهُ البُخَارِيّ وَالحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيْحٌ عَلى شَرْطِهما وَرَوى ابْنُ مَاجَه عنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو قالَ رَأيتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهِ عليه وسلم يَطُوفُ بالكعبة ويقولُ ما أَطْيَبكِ وَمَا أطْيَبَ رِيْحُكَ مَا أَعْظَمكِ ومَا أَعْظَمَ حُرْمَتَكَ وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِه لحُرْمَةُ المُؤْمِن عندَ اللهِ أَعْظَمُ مِن حُرْمَتِكَ مالُه ودمُه . وعن أبي سَعيدٍ وأبي هُريرة رضي اللهُ عنهُمَا عنْ رسُولِ اللهِ

صلى اللهُ عليه وسلم « لَوْ أنَّ أهْلَ السَّمَاءِ وَأهْلَ الأرْضِ اشْترَكُوا في دَمِ مُؤْمِنٍ لأكَبَّهُم اللهُ في النَّارِ » رَوَاهُ التِّرْمِذيّ ، وقالَ حَدِيْثٌ حَسَنٌ غَرِيْبٌ وروَى الطَّبَرانِي في الصَّغِيْرِ مِنْ حَدِيْثِ أَبِيْ بَكرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ « لَوْ أنَ اهْلَ السَّمواتِ وَالأرضِ اجْتَمَعُوا عَلى قَتْلِ مُسْلِمٍ لَكَبَّهُم اللهُ جَمِيْعاً عَلى وُجُوْهِهِمْ في النَّارِ » .

وَعَنْ جُنْدِبِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم « مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أنْ لا يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ مِلْءُ كَفٍّ مِنْ دَمِ امْرِىءٍ مُسْلِم أنْ يُهْرِيْقَهُ ، كَما يَذْبَحُ بِهِ دَجاجَةً ، كُلَّمَا تَعرَّضَ لِبَابٍ مِنْ أبْوابِ الجنةِ حَالَ اللهُ بيْنَهُ وَبيْنَهُ وَمَنْ اسْتَطاعَ مِنْكُم أنْ لا يَجْعَلَ

في بَطْنِهِ إلاّ طَيِّباً فَلْيَفْعَلْ فإنَّ أوَّلَ مَا يُنْتِنُ مِنْ الانْسَانِ بَطْنُه » رَوَاهُ الطَّبَرانِيّ وَرُوَاتُه ثِقاتٌ .

وقَالَ عَبْدُ المَلِكَ بْنِ مَرْوَانَ كُنْتُ أُجَالِسُ بَرِيْرَةٍ بالمَدِيْنَةِ فَكَانَتْ تَقُولُ لِيْ : يَا عَبْدَ الملكِ إِنِّيْ أرَى فِيْكَ خِصَالاً ، وَإِنَّكَ لخَلِيْقٌ أَنْ تليَ الأمْرَ فَإنْ وَلِيْتَه فاحْذَرْ الدنيا فإني سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلمَ يَقُولُ « إنَّ الرَّجُلَ لَيُدْفَعُ عَنْ بَابِ الجَنَّةِ بَعْدَ أنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا ، بِمِلءِ مِحْجَمَةٍ مِنْ دَمٍ يُهْرِيْقُهُ مِنْ مُسْلِم بغَيْرِ حَقّ » انْتَهى .

وَعَنْ ابْنِ عَبّاسٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ النبي صَلى اللهُ عليه وسلم قالَ « أبغَضُ النَّاسِ إلَى اللهِ ثلاثةٌ مُلْحِدٌ في الحَرَمِ ، ومُبْتَغٍ في الاسْلام سُنَّةَ الجَاهِلِيّةِ ، وَمُطَّلِبُ دَم امْرِىءٍ بغَيْرِ حَق لِيُهْرِيْقَ دَمَهُ » رواهُ البُخاريّ ،

قالَ شَيْخُ الاسْلام : أخبرَ صلى اللهُ عليه وسَلَّمَ أن أبغَضَ الناسِ إلى الله هَؤُلاءِ الثلاثةِ وَذلِكَ لِأَنَّ الفَسَادَ إمَّا في الدِّيْنَ وإمَّا في الدنيا فأعْظَمُ فَسَادِ الدنيا قَتْلُ النُّفُوسِ بغَيرِ حَقّ ، ولهذا كانَ أكْبَرُ الكبَائِرِ بَعْدَ أعْظَمِ فسَادِ الدِّيْنِ الذِيْ هُوَ الكُفْرُ .

وَعَنْ أبي الدَّرْدَاءِ رَضْيَ اللهُ عنهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقُولُ « كلُّ ذَنْبٍ عَسى اللهُ أنْ يَغْفِرَهُ إلا الرَّجُلَ يَمُوتُ مُشْرِكاً ، أو يَقْتُلُ مُؤْمِنا مُتعَمِّداً » رَوَاهُ أبُو دَاوُدَ وابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِه وَالحَاكِمُ وقالَ صَحِيْحُ الاسْنَادِ وَعَنْ أَبِيْ مُوْسَى رضْيَ اللهُ عنه عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم قالَ « إذا أصْبَحَ إبْلِيْسُ بَثَّ جُنُودَهُ ، فيَقولُ مَنْ أضَلَّ مُسْلِماً ألْبَسْتُهُ التَّاجَ ، قَالَ فَيَجيْءُ هَذا فيَقُولُ : لَمْ أزَلْ به حَتَّى طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فيَقُولُ يُوْشِكُ أنْ يَتزَوَّجَ ، وَيَجيْءُ هَذا فيَقُولُ : لَمْ أزلْ به حَتَّى عَقَّ وَالدِيْهِ ، فَيقُولُ : يُوْشِكُ أنْ يَبَرَّهُمَا ، وَيَجيْءُ هَذا : فيَقُولُ لَمْ أزَلْ بِهِ حَتَّى أشْرَكَ ، فيقُولُ : أنْتَ أنْتَ ، وَيَجيْءُ هَذا فيَقُولُ لَمْ أزَلْ بِهِ حَتَّى قَتَلَ . فَيُقُولُ : أَنْتَ أنْتَ وَيُلْبِسُهُ التَّاجَ » رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ .

وعَنْ أبيْ سَعِيدٍ رضْيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبي صَلى اللهُ عليه وسلم قال « يَخْرُجُ عَنَقٌ مِن النَّار يَتكَلَّمُ يقُولُ : وُكِّلْتُ اليَوْمَ بثلاثَةٍ ، بكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيْدٍ وَمْن جَعَلَ مَعَ اللهِ إلهَا آخرَ وَمَنْ قَتَلَ نَفْساً بغيرِ حَقٍ فَيَنْطوِي عَلَيْهم فيَقْذِفُهم في حَمْرَاءِ جَهَنَّمَ » رَوَاهُ أحْمَدُ وَالبَزارُ .

فـإيـاكَ قَتْـلُ النَّفْسِ ظُلمـاً لِمُؤمِنِ
فـذلكَ بَعْـدَ الشِّـركِ كُبْرى التَفسُّـدِ
كَفَى زَاجِـراً عـنـهُ تـوعُّـدُ قَـادِرٍ
بنـارٍ ولَـعْـنٍ ثـم تَخْـلِيْدِ مُعْتَـدِ
فقدْ قَالَ عَبدُ اللهِ ذُو العِلمِ والتُـقَى
بنَفيْ مَتَـابِ القـاتِـلِ المُـتَعَـمِّـدِ

اللهم يا مَنْ لا تَضُرُّهُ المعصيةُ ولا تَنْفَعُهُ الطاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَومِ الغَفْلَةِ وَنَبِّهْنا لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا واعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا ولا تُؤآخِذْنا بِمَا انْطَوَتْ عَليهِ ضَمائِرُنا وأَنَّتْهُ سَرائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ القَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعْلَمُهَا مِنَّا ، وأْمُنْ عَلَينَا يَا مَوْلَانَا بتَوْبَةٍ تَمْحُوْ بِهَا عَنَّا كُلَّ ذَنْبٍ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدِيْنا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِين الأَحْيَاءِ منهم والميتينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين .

« فَصْــلٌ »

وَمِمَّنْ يَرى أنهُ لا تَوْبَةَ لِقَاتِلِ المُؤْمِنِ عَمْداً أَبُو هُرَيْرَة وَعَبْدُ اللهِ ابنُ عَمْرو وأَبُو سَلمَة وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْر وَالحَسَنُ والضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِم نقلهُ ابْنُ أبي حَاتِم عَنْهُم ، وبالتالِيْ فَلَو لَمْ يَرِدْ في بَيَانِ ضَخَامَةِ هَذا الذَنْبِ ذَنْبُ القَتْلِ ، وَعِظمِهِ الذِي لا يتَناهَى، إلا قَولُهُ تَعَالى ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤمِناً ، مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُه جَهَنَّمُ خَالِداً فيها، وَغَضِبَ اللهُ عليهِ ، وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيْما ﴾ .

لكانَ فِيْهَا كِفايةٌ وَمَوْعِظَة وَزَجْرٌ ، فَفِيْهَا مِنْ الوَعِيْدِ الشَّدِيْدِ الذي تَرْجُفُ مِنْهُ القلوبُ وتَنْصَدِعُ له الأفئِدَة وَيَنْزَعِجُ مِنْهُ أولُوُ العُقول ، فقرَنَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى القَتْلَ بالشِّرْك ، وَبينَ أَنَّ جَزَاءَهُ جَهَنَّمُ وَأَنَّهُ خَالِدٌ فِيْهَا وَأَنَّ مَعَ ذَلِكَ العَذَابِ والخُلُودِ غَضَبُ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلا وَلَمْ تَسْكُتْ الآيَةُ ، بَلْ أَضَافَتْ إلى ذَلِكَ اللَّعْنَ ، وَهُوَ الطَّرْدُ والابْعَادُ عَنْ الرَّحْمَةِ وَلَمْ تَنْتَهِ الآيَةُ إِلَى هَذَا الحَدِّ مِنْ بَيانِ عِظَمِ جَزاءِ القَاتِلِ بَلْ صَرَّحَتْ تَصْرِيْحاً لاخفاءَ فيه بأَنَّ عَذَابَ ذلك القَاتِلِ سَيَكُونُ نَوعاً وَحْدَهُ في الشدَّةِ لا يُمَاثِلُه عَذَابُ أَيِّ مَعْصِيَةٍ ما عَدَا الشِّرْك، فَذَنْبُه أعْظَمُ الذُّنُوبِ وَعُقُوبَتُهُ أشدُّ العُقوبَاتِ هَذا مِمَّا وَرَدَ في قَتْلِ الانْسَانِ غَيْرَهُ وَأَمَّا قَتْلُ الانْسَانِ نَفْسَهُ المَعْرُوفُ عِنْدَنَا اليَوْمَ بالانْتِحَارِ فَهُوَ نَوْعٌ مِنْ قَتْلِ النَّفْسِ التِيْ حَرَّمَ اللهُ وَهُوَ جَدِيْرٌ بأنْ يَكُونَ أَفْظَعُ أَنْوَاعِ القَتْلِ لِأَنَّ حِرْصَ الانْسَانِ عَلى حَيَاتِهِ أَمْرٌ فِطْريّ يَبْعُدُ

كُلَّ البُعْدِ أَنْ تَثُورَ عَلَيْهِ عَوَامِلُ الغَضَبِ والانتِقَامِ .

وَنفْسُ الانْسَانِ لَيْسَتْ مِلْكاً لَهُ فَهُوَ لَمْ يَخْلُقْ نَفْسَهُ ولا عُضْواً مِنْ أَعْضَائِهِ ، بَلْ وَلاَ خَلِيَّةً مِنْ خلاَيَاه ، وَإِنَّما نَفْسُه وَدِيْعَةٌ وَأَمانـة عِنْدَهُ اسْتَوْدَعَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا ، فلا يَجُوزُ لَهُ التَّفرِيْطُ فِيْهَا وَلا التَّصرُّفُ فِيْهَا إلَّا عَلَى وِفْقِ الشَّرْعِ فَكَيْفَ بالاعْتِدَاءِ عَلَيْهَا بالتَّخَلُّصِ مِنْهَا قالَ تَعالَى ﴿ ولا تَقْتُلوا انْفُسَكُم إِنَّ اللهَ كانَ بِكُمْ رَحِيْمَا ﴾ فالمُسْلِمُ يُرَادُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ صَلْبَ العُوْدِ قَوِيَّ العَزْمِ في مُوَاجَهَةِ الشَّدَائِدِ وَلَمْ يُبَحْ لَهُ أن يَهْرُبَ مِنْ الحَيَاةِ ، وَيَخْلَعَ ثوْبَهَا لِبَلاَءٍ نَزَلَ به ، أَوْ أَملٍ كانَ يَحْلُم بِهِ فخابَ أَمَلُهُ فإِنَّ المؤمِنَ خُلِقَ لِلْجِهَاد لا لِلْقُعُودِ وَلِلْكِفَاحِ لا لِلْفِرار ، وَإِيْمَانُه باللهِ وَخُلُقُهُ يَأبيانِ عَلَيْهِ أَنْ يَفِرَّ مِنْ مِيْدَانِ الحَيَاةِ وَمَعَهُ السّلاحُ الذِي لا يُفَلُّ ، والذخِيْرَةُ التِي لا تنْفَدُ ، سِلاحُ الايْمَانِ المكِين ، وذخيْرَةُ الخُلُقِ المَتِيْنِ الذِي اسْتَمَدَّهُ مِنْ كتابِ اللهِ وَسُنةِ رَسُولِهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ تعَالَى ﴿ فاسْتَمْسِكْ بالذِي أُوْحِيَ إِلَيـكَ إِنَّكَ عَلَى صِـرَاطٍ مُسْتَقِيْم ﴾ وَفقَنَا اللهُ وَجَمِيْـعَ المُسْلِمِيْنَ إِلَى الاقتداءِ بِهِمَا والتمَسُّكِ بِهما عِلْماً وَعَمَلاً .

وَإِذَا كَانَ جَزَاءُ قَاتِلِ المؤمِن عَمْداً مَا سَمِعْتَ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يُصَوِّرُ لنا جَزاءَ قَاتِلِ نَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُه صَلى اللهُ عليه وسلم « مَنْ تردَّىٰ مِنْ جَبَلٍ فَقتَلَ نَفْسَهُ ، فَهُوَ في نَارِ جَهنَّمَ يَتَردَّىٰ فِيْهَا خَالِداً مُخَلَّداً فِيْهَا أَبَدَاً ، وَمَنْ تَحسَّى سُمّاً فَقتَلَ نَفْسَهُ ، فَسُمُّهُ في يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ في نَارِ جهنَّمَ ، خَالِداً مُخلَّداً فِيْهَا أَبدا ، وَمَنْ قَتلَ نَفْسَهُ بِحَدِيْدَةٍ فَحَدِيْدَتُه في يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا في نارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً فِيْهَا أَبداً » رَوَاهُ البُخَارِيْ وَمُسْلِمٌ والتِّرمِذيّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيّ ، فَهَذَا الحَدِيْثُ يُصَرِّحُ بالخُلُودِ المؤبَّدِ في حَقِّ قاتِلِ نَفْسِه وَيُفِيْدُ أَنَّ قاتلَ نَفْسِهِ في أيِّ آلةٍ مِنْ

الآلاتِ القَاتِلةِ يُعَذّبُ نَفْسَه بِتِلْكَ الآلةِ في نَارِ جَهَنَّم فَيَسْتَعْمِلُهَا هُنَاكَ كَمَا اسْتَعْمَلَهَا هُنَا عِنْدَمَا قتَلَ نَفْسَهُ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ عَذَابَانِ عَذَابُ النَّارِ وَعَذَابُ الآلَةِ المَذْكُوْرَةِ نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ في الدنيَا والآخِرَةِ وعن أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « الذِي يَخْنِقُ نَفْسَهُ يَخْنِقُهَا في النَّارِ ، والذِي يَطْعَنُ نَفْسَه يَطْعَنُ نفسَه في النَّارِ ، وَالذِي يَقْتَحِمُ يَقْتَحِمُ في النَّارِ » رَوَاهُ البُخَارِيّ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فقالَ لِرَجُل مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ « هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ » فلمَّا حَضَرَ القِتَالُ قاتلَ ذلكَ الرَّجُلُ قِتَالاً شَدِيْدَاً فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَة فَقِيْلَ يَا رَسُولَ اللهِ الذِي قُلْتَ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ قد قَاتلَ قِتَالاً شَدِيْدَاً وَقَدْ مَاتَ فقالَ صلى اللهُ عليه وسلم « إلى النَّارِ » فكادَ بَعْضُ المسلمِيْنَ أنْ يرْتَابَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذلك ، إِذْ قِيْلَ لَهُ إِنَّهُ لم يَمُتْ وَلَكِنْ بِهِ جِرَاحَة شَدِيْدَةٌ فَلَمَّا كَانَ مِنْ اللَيْلِ لَم يَصْبِرْ عَلَى الجِرَاحِ فَأَخَذَ ذُبَابَ سَيْفِهِ فَتَحَامَلَ عليهِ فقتلَ نَفْسَهُ فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فقَالَ « اللهُ أَكْبَرُ ، أَشْهَدُ أَنِّيْ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه » ثُمَّ أَمَر بلالا فَنَادَى في النَّاسِ « إِنَّهُ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ، وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِيْنَ بالرَّجُل الفَاجِرِ » وَعَنْ جُنْدبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ البَجَلِيّ عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم قالَ « كانَ مِمَّن كانَ قبْلَكُم رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ ، فَجزِعَ فَأَخذَ سِكّيْناً فَحزَّ بِهَا يَدَهُ ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ فقالَ اللهُ بادَرَنِيْ عَبْدِي بِنَفْسِهِ فَحَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ » وَعَنْ جابرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ رَجُلاً كَانَتْ بِهِ جِرَاحَةٌ فأتَى قَرْنَاً لَهُ فَأَخذَ مِشْقَصاً فَذَبَحَ بِهِ نَفْسَهُ فَلَمْ

يُصَلِّ عليه النبي صلى اللهُ عليه وسلم ، رَوَاهُ ابنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ .

وَعَنْ أَبِيْ قُلَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ ثَابِتَ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَخبَرَهُ بأنهُ بَايَعَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم تَحْتَ الشَّجَرَةِ وأنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِيْنٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الاسْلامِ كاذِباً مُتَعَمِّداً فَهُوَ كَمَا قَالَ وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَه بِشَيْءٍ عُذِبَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فِيْمَا لا يَمْلِكُ وَلَعْنُ المؤمِنِ كَقَتْلِهِ وَمَنْ رَمَى مُؤْمِناً بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ وَمَنْ ذَبَحَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ » رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلِمٌ .

وَجَاءَ في تَرْوِيْعِ المُسْلِمِ عِدَّةُ أَحَادِيْثَ كَقَوْلِهِ صَلَى اللهُ عليه وَسَلَّمَ « مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيْهِ بِحَدِيْدَةٍ فإنَّ الملائِكة تَلْعَنَهُ حَتَّى يَنْتَهِيْ ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيْهِ وَأُمِّهِ » .

وَقَالَ ﷺ « مَنْ نَظَرَ إلى مُسْلِمٍ نَظْرَةً يُخِيْفُه فِيْهَا بِغَيْرِ حَقٍّ ، أَخَافَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ » .

وقالَ ﷺ « مَنْ أَخَافَ مُؤْمِناً كَانَ حَقّاً عَلَى اللَّهِ أَلَّا يُؤَمِّنَهُ مِنْ أَفْزَاعِ يَوْمِ القِيَامِةِ » .

شِعْراً :

فَيَا عَجَباً نَدْري بِنَارٍ وَجَنَّةٍ ... وَلَيْسَ لِذي نَشْتَاقُ أَوْ تِلْكَ نَحذَرُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ خَوْفٌ وَشَوْقٌ وَلاَ حَيَا ... فمَاذا بَقِي فِيْنَا مِن الخَيْرِ يُذْكَرُ
وَلَيْسَ لِحَرِّ صَابرِيْنَ ولا بِلَى ... فكيفَ على النِّيْرَانِ يا قَوْمُ نَصْبِرُ
وَفَوْتُ جِنَانِ الخُلْدِ أَعْظَمُ حَسْرَةً ... عَلَى تِلْكَ فَلْلَيْسْحسِرِ المُتَحَسِّرِ
فَأُفٍ لَنَا أفٍ كِلَابُ مَزَابِلٍ ... إِلى بِتْنِهَا نَغْدُوا ولا نَتَذَبَّرُ
نَبِيْعُ خَطِيْراً بالحَقِيْرِ عِمَايَةً ... وَلَيْسَ لَنَا عَقْلٌ وَلُبٌ مُنَوَّرُ

قَطُوْبي لِمَنْ يُؤْتى القَناعَةَ والتُقى وَأَوْقَاتُهُ في طَاعَةِ اللّهِ يَعْمُرُ

آخر: تَوَرَّعْ وَدَعْ ما أنْ يَرِيْبُكَ كلّهُ جَمِيْعاً إِلَى مَالاً يَرِيْبكَ تَسْلَمِ

وَحَافظ على أعْضَائِكَ السَّبْعِ جُمْلَةً وَرَاعِ حُقُوْقَ الله في كُلّ مُسْلِم

وَكُنْ راضِياً بِاللهِ رَباً وحَاكِماً وفَوّضْ إِلَيْهِ في الأمُورِ وَسَلّم

آخر:

لكَسْرَةٌ مِن رَغِيْف الخبْزْ تُشْبِعُنِيْ وشَرْبَةٌ مِن قَرَاحِ الماء تُرْوِيْنِيْ

وخِرْقَةٍ من خَشِيْنِ الثَّوْبِ تَسْتُرُنِي حَياً وَإِنْ مِتُ تَكْفِيْنِي لِتَكْفِيْنِيْ

لَا أَبْتَغِيْ وَصْلَ مَن يَبْغِيْ مُفَارَقَتِيْ وَلاَ أَلِيْنُ لِمَنْ لا يَبْتَغِيْ لِيْنِيْ

آخر:

قَنِعْتُ بالقُوْتِ في زَمَانِي وصُنْتُ نَفْسِيْ عَنْ الهَوَانِ

خَوْفاً مِن النَّاسِ أَنْ يَقُوْلُوا فَضْل فُلانٍ عَلَى فُلانِ

مَنْ كُنْتُ عَنْ مَالِهِ غَنِياً فلا أُبَالِي إذا جَفَانِيْ

ومَنْ رَآنِي بِعَيْنِ نَقْصٍ رَأَيْتُه بالذِيْ رَآنِيْ

ومَنْ رَآنِيْ بِعَيْنِ تَمّ رَأَيتُهُ كَامِلَ الْمَعَانِي

اللّهُمّ أَلْهِمْنَا ذِكركَ وشكرك وَوَفِّقْنَا لامْتِثَال أَمْرِكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلّى الله على مُحَمدٍ والِهِ وَسَلّمْ

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللهِ طَلَبُ الرِّزْقِ الحَلاَلِ فَرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَالْتَمِسْ الرِّزْقَ أَيُّهَا المُسْلِمُ مِنْ حِلِّهِ وَإِيَّاكَ وَمَا نَهاكَ اللهُ عَنْهُ وَحَرَّمَهُ فَمَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيْلٌ ؛ أَيُّهَا المُسْلِمُ إِنَّ جَمْعَكَ لِلْمَالِ مِنْ حِلِّهِ عِبَادَةٌ إِذَا كُنْتَ تُرِيْدُ بِهِ إِعْفَافَ نَفْسِكَ ، وَالقِيَامَ بِمَا أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ مِنَ الحُقُوْقِ ، واحْذَرْ مِنَ

تَرْكِ العَمَلِ ، وَافْعَلْ الأَسْبَابَ التِيْ بِهَا يَحْصُلُ الرِّزْقَ بِإِذْنِ اللّهِ ، واعْلَمْ أَنَّ مَنْ تَرَكَ العَمَلَ وَغلَبَ عَلَيْهِ الكَسَلُ حَتَّى صَارَ كَلاً عَلَى الخَلْقِ يَعُدُّهُ أَهْلُهُ ثُقْلاً وَيَرَاهُ صَاحِبُهُ بَغِيْضاً ، وَلاَ يَلْقَاهُ أَحَدٌ إلاَّ وَكَرِهَ لُقْيَاهُ قَالَ تَعَالَى حَاثاً عَلَى طَلَب الرِّزْقِ ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلاةُ فانْتَشِرُوا في الأَرْضِ وابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيْهُم تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ والمُؤْمِنُ المُحْتَرِفُ الكَسُوْبُ الذِيْ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ مُكْرَمٌ مَحْبُوبٌ مُحْتَرَمٌ ، عِنْدَ أَهْلِهِ ، وَالأَوْلاَدُ ، وَكَانَ نُوحٌ وَدَاوُدُ يَحْتَرِفَانِ التِّجَارَةَ وَمُحَمَّدٌ صَلى اللهُ عليه وَسَلَّمَ رَعَىٰ الغَنَمَ ، وَمُوْسَى كَانَ أَجِيْراً عِنْدَ صَاحِبِ مَدْيَنَ وَكَانَ ادْرِيْسُ خَيَّاطاً ، وَمَا أَبْعَدَ هَذِهِ الأَعْمَالِ الشَّرِيْفَةِ عَنْ الكَسَلِ وَالبَطَالَةِ وَكَانَ السَّلْفُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عُمَّالاً مُكْتَسِبِيْنَ ، فَكُلُّهُمْ مَا بَيْنَ غَنِيِّ شَرِيْفٍ وَفَقِيْرٍ شَرِيْفٍ عَفِيْفٍ ، لاَ تَشْغَلُهُمْ الدُّنْيَا عَنْ الآخِرَةِ وَلا يَمْنَعُهُمْ الدِّيْنُ عَنْ طَلَبِ الكَسْبِ ، وَالقِيَامِ بالوَاجِبَاتِ ، وَهُمْ مَعَ هَذَا مِنْ أَقْوَى النَّاسِ تَوَكُّلاً عَلَى اللّهِ وَرِضىً بِمَا قَدَّرَ اللَّهُ وَقَضَاهُ وهَـذا أَمَرَ الله بِهِ ورضيه .

شِعْرٌ :

لِمَنْ تطلُبَ الدُنْيَا إذَا لَم تُرِدْ بِهَا رِضَى المَلكِ القُدُوْسِ رَبّ البَرِيَّـةِ

آخـر : وَكُنْ بـالـذي قَـدْ خُطَّ بـاللَّوحِ راضِيـاً

فـلا مَـهْـرَبٌ مِـمَّـا قَـضَـاهُ وَخَـطَّهُ

وإنَّ مَـعَ الـرِّزْقِ اشْـتِـرَاطُ التِمَـاسِـهِ

وَقَـد يَـتَـعَـدَّى إنْ تَـعَـدَيْـتَ شَـرْطَـهُ

فَلَوْ شَـاءَ أَلْقَى في فَمِ الـطَّيْـرِ قُـوتَـهُ

ولـكـنَّـه أَوْحَـى إلـى الـطَّيْـرِ لَـقْـطَهُ

آخـر :

وَمَا طَلَبُ المعيشـةِ بالتَّمَـنِي ولَكِنْ أَلْقِ دَلْوَكَ بالـدِّلاَءِ
تَجِيءُ بِمِلْئِهَا طَـوْراً وطَوْراً وتَجِيءُ بِحَمْـأَةٍ وَقَلِيْلِ مَـاءِ

آخـر :

لَا تَـقْعُـدَنَّ بِكَسْـرِ البَيْـتِ مُـكْتَئِبـاً
يَفْنَـى زَمَـانُـكَ بَيْـنَ اليَـأْسِ وَالأَمَـلِ
وَاحْتَـلْ لِنَفْسِـكَ فـي رِزْقٍ تَعِيْشُ بِـهِ
فَـإِنَّ أَكْثَـرَ عَيْشِ النـاسِ بـالحِيَـلِ
وَلا تَـقُـلْ إِنَّ رِزْقِي سَـوْفَ يُـدْرِكُـنِي
وإنْ قَـعَـدَتُ فَلَيْسَ الـرِّزْقُ كَـالأَجَـلِ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلاَ تُعَذِّبْنَا وَوَفِّقْنَا وَلاَ تَخْذُلْنَا وَلاَ تَسْلِبْ الأَيْمَانَ مِنَّا لا مَلْجَأَ لَنَا إلا إِلَيْكَ وَلاَ مُعَوَّلَ لَنِا إِلَّا عَلَيْكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فصل في التحذير من الزنا وآثاره في الدنيا والآخرة

اعْلَمْ وَفقنَا اللهُ وايَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ لما يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلا مِنْ حِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ رَكَّبَ في الانْسَانِ شَهْوَةَ الفَرْجِ تَرْكِيْباً قَوِيْاً وَجَعَلَ لَهَا عَلَيْهِ سُلْطَةً شَدِيْدَةً فإِذَا هَاجَتْ كانَتْ أَشَدَّ الشَّهَوَاتِ عِصْيَاناً عَلَى العَقْلِ فَلاَ تَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفاً وَلاَ عَدْلاً فمَنْ لَمْ يَجْعَلْهُ اللهُ قَوِيَّ الارَادَةِ شُجَاعاً انْقَادَ لَهَا صَاغِراً وَأَطَاعَهَا ذَلِيْلاً وَلَوْلاَ قُوَّةُ هَذِهِ الشَّهْوَةِ التِيْ جَعَلَهَا اللهُ ، وَشِدَّةَ سُلْطَانِهَا عَلَى الانْسَان ، لأَبَى أنْ يَحْتَمِلَ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ

مَشاقّ البَيْتُوتَةِ وَتكاليْفِ الزَّوْجِيَّةِ وَتَرْبِيَةِ الأوْلَادِ وَالكَدِّ وَالتَّعَبِ مِنْ أَجْلِهِم وَالرِّضَى بالآلَامِ التِيْ تَنْتَابُهُ إذَا مَرِضُوا أَوْ أُصِيْبُوا بِمَكْرُوْهٍ .

فَخَلْقَ اللهُ هَذِهِ الشَّهْوَةَ مِنْ القُوَّةِ مِنْ أَوْضَحِ الدَّلالَةِ عَلى قُدْرَةِ الخَالِقِ وَكمالِ عِلْمِهِ وَخِبْرَتِهِ وَجليْلِ حِكْمَتِهِ فَإِنَّ الإنْسَانَ مَسْوقٌ إِلَى التَّنَاسُلِ رَغْمَ أَنْفِهِ وَمُسَخَّرٌ على احْتِمَالِ كُلِّ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ النَّصَبِ وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ رَاضٍ كُلَّ الرِّضا .

وَكَذَلِكَ المَرْأَةُ لَوْلَا مَا جَعَلَ اللهُ فِيْهَا مِنْ هَذِهِ الشَّهْوَةِ القَوِيَّةِ مَا كَانَتْ تَسْتَطِيْعُ حَمْلَ عِبْءِ الوِلَادَةِ وَالحَمْلِ وَمَشاقَّ تَرْبِيَةِ الأوْلَادِ وهُمْ صِغارٌ وَالسَّهَرَ في اللياليْ والقِيَامَ عَلَى حِراسَتِهِمْ وَدَفْعِ الأضْرارِ المَكْرُوْهَةِ عَنْهُم وَهُمْ أَطفَالٌ صِغَارٌ وَاحْتِمَالَ مَا يَعْتَرِيْهِمْ مِنْ الآلام وَعَدَمِ الرَّاحَةِ وَأَيْضاً فَإِنَّ اللهَ قَدْ خَلَقَ النِّسَاءَ عَلَى حَالةٍ مِنْ الضَّعْفِ لا يَقْدِرْنَ مَعَها عَلَى احْتِمالِ تَكَاليْفِ الحَياةِ وَمَشاقِّ الجِهَادِ في مُعْتَرَكِهَا .

فَسَخَّرَ اللهُ لَهُنَّ الرِّجَالَ يَحْمِلُونَ عَنْهُنَّ كُلَّ مَا يَعْجَزْنَ عَنْ احْتِمَالِهِ في سَبِيْلِ حَيَاتِهِنَّ بدَافِعِ هَذِهِ الشَّهْوَةِ القَوِيَّةِ التِيْ أَوْدَعَهَا العَزِيْزُ الحَكِيْمُ جَلَّ وَعَلا ، وَلَوْلَاهَا لما كَانَ لِلنِّسَاءِ هذا السُّلْطَانُ عَلَى النُّفُوسِ .

وإذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ مِنْ أَنَّ شَهْوَةَ الفَرْجِ لَهَا مِنْ القُوَّةِ وَالتَّأْثِيْرِ هَذِهِ المكانَة وَأَنَّها إِنَّما خُلِقَتْ لِحِكْمَةٍ أَرَادَها اللهُ فاعْلَمْ أَنَّ العَقْلَ مَسْئُولٌ عَنْ تَصْرِيْفِ هَذِهِ الشَّهْوَةِ ، وَالوُقُوفِ مَعَهَا عِنْدَ الحَدِّ الذِيْ خُلِقَتْ مِنْ أَجْلِهِ وَلَا يَتْرُكُهَا تَهِيْجُ بالوَسَائِلِ المُخْتَلِفَةِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُبْعِدَ عَنْ كُلِّ المَنَاظِرِ والأَسْبَابِ التي تُحَرِّكُهَا وَتَبْعَثُها إِلَى مَا هُو مَمْنُوعٌ شَرْعاً . والأَسْبَابُ التِي

تُثِيْرُ هَذِهِ الشَّهْوَةَ وَتهيُّجهَا ، مِنْهَا النَّظرُ والخَلْوَةُ بالأجْنَبِيَّةِ ، وَحَدِيْثُ النَّفْسِ ، وَتَقَدَّمَ الكَلامُ عَلَى النَّظرِ وَالخلوةِ .

وَشَرُّ مضَارِّ شَهْوَةِ الفَرجِ الزِّنَا وَاللُّوَاطِ فَالزِّنَا أكْبَرُ الكَبَائِرِ بَعْدَ الشِّرْكِ وَالقتْلِ وَهُوَ فَاحِشَةٌ مُهْلِكَةٌ وَجَرِيْمَةٌ مُوْبِقَةٌ وَفَسَادٌ لا تَقِفُ جَرَائِمُه عِنْدَ حَدٍّ ولا تَنْتَهِي آثارُهُ وَنَتَائِجُهُ إِلَى غَايَةٍ وَهُوَ ضَلالٌ في الدِّيْنِ وَفَسَادٌ في الأَخْلاَقِ وَانتِهَاكٌ لِلْحُرُمَاتِ والأعْرَاضِ وَاسْتِهْتَارٌ بالشَّرَفِ والمُرُوْءَةِ ، وَدَاعِيَةٌ لِلْبَغْضَاءِ وَالعَدَاوَةِ .

وَإِلَيْكَ مَا قَالَ أَحَدُ المُتَكَلِّمِيْنَ عَنْهُ : عَارُهُ يَهْدِمُ البُيُوْتَ الرَّفِيْعَة وَيُطَأْطِيءُ الرُّؤُسَ العَالِيَةِ وَيُسَوِّدُ الوُجُوْهَ البِيْضَ وَيَصْبَغُ بِأسْوَدَ مِنَ القَارِ أَنْصَعَ العَمَائِمِ بَيَاضاً وَيُخْرِسُ الألْسِنَةَ البَلِيْغَة وَيُبَدِّلُ أَشْجَعَ الناسِ مِنْ شَجَاعَتِهِمْ جُبْناً لا يُدَانِيْه جُبْنٌ وَيَهْوِيْ بِأَطْوَلِ النَّاسِ أَعْنَاقاً وَأَسْمَاهُم مَقَاماً وَأَعْرَقُهم عِزّاً إِلَى هَاوِيَةٍ مِنْ الذلِّ والازدِرَاءِ والحَقَارَةِ لَيْس لَهَا مِنْ قَرَارٍ .

وَهُوَ أَقْدَرُ أَنْوَاعِ العَارِ عَلَى نَزْعِ ثَوْبِ الجَاهِ مَهْمَا اتَّسَعَ وَنَبَاهَةِ الذِّكْرِ مَهْمَا بَعُدَتْ وَإلبَاسِ ثَوْبٍ مِنْ الخُمُولِ يَنْبُو بالعُيونِ عَنْ أَنْ تَلْفِتَ إِلَى مَنْ كَانَ في بُيُوتِهم لَفْتَةَ احْتِرَامٍ وَهُوَ أَيْ الزِّنَا لُطْخَةٌ سَوْدَاءَ إِذا لَحِقَتْ تَارِيْخَ أَسْرَةٍ غَمَرتْ كُلَّ صَحَائِفِهِ البِيْضِ وَتَركَتْ العُيُونَ لا تَرى مِنْهَا إِلَّا سَوَاداً حَالِكاً .

وَهُوَ الذَّنْبُ الظَّلُومُ الذيْ إِنْ كانَ في قَوْمٍ لا يَقْتَصِرُ عَلَى شَيْنِ مَنْ قَارَفَتْهُ مِنْ نِسَائِهِم بَلْ يَمْتَدُّ شَيْنُه إلى مَنْ سِوَاهَا مِنْهُم فَيَشِيْنُهُنَّ جَمِيْعاً شَيْناً يَتْرُكُ لَهُنَّ مِنْ الأثرِ في أَعْيُنِ النَّاظِرِيْنَ مَا يَقْضِيْ عَلَى مُسْتَقْبَلِهِنَّ النِّسَوِيْ وَهُوَ العَارُ الذِي يَطُوْلُ عُمْرُه طُوْلاً فقاتَلَهُ اللهُ مِنْ ذَنْبٍ وَقَاتَلَ فاعِلِيْهِ اهـ .

وَقَالَ آخَرُ إِنَّ الزَّانِيْ يَحُطُّ نَفْسَهُ مِنْ سَمَاءِ الفَضِيْلَةِ إِلَى حَضِيْضِ الرَّذِيْلَةِ وَيُصْبِحُ بِمكانٍ مَنْ غَضبِ اللهِ وَمَقْتِهِ عَظِيْمٍ وَيَكُونَ عِنْدَ الخَلْقِ

مَمْقُوتاً وفي دُنْيَاهُ مَهِيْنُ الجَانِب عَدِيْمَ الشَّرفِ مُنْحطٌّ الكَرَامَةِ سَاقِطَ العَدَالَةِ تَزْدَرِيْهِ العَامَّةُ مِنَ الفَاسِقِيْنَ وَإِنْ كَانَ عَلَى أَخْلاَقِهِمْ وَيَسِيْرُ في رِكَابِهِمْ .

وَتَبْعُدُ عَنْهُ الخَاصَّةُ مِنْ ذَوِي المُرُوْءَةِ وَالكَرَامَةِ وَالشَّرفِ ، مَخَافَةَ أَنْ يُلَوِّثَهُم وَيُعْدِيْهِم بِجَرَبِهِ وَلاَ تُقْبَلُ رِوَايَتُه وَلاَ تُسْمَعُ شَهَادَتُه وَلاَ يُرْغَبُ في مُجَاوَرَتِهِ بَلْ يُبْتَعَدُ عَنْهُ كُلَّ البُعْدِ وَيكُونُ مُتَّهماً في حَرَكاتِه وَسَكَنَاتِهِ وَجَمِيْعِ حَالاتِه وَلاَ يُرْغَبُ في مُصَادَقِته وَمُخَالَطَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ .

إِنْ سَارَ قَالَ النَّاسُ أَيْنَ يَذْهَبُ هَذَا المُجْرِمُ وَإِنْ قَعَدَ قَالُوا لِمَ قَعَدَ هَذَا الفَاسِقُ في هَذَا المكان وَإِنْ صَاحَبْتَهُ أو عَامَلْتَهُ أَخَذُوْكَ بِذَنْبِهِ وَرَمُوْكَ بِمَا رَمَوْهُ بِهِ غَالِباً وَإِنْ جَاوَرْتَهُ فَأَعْظَمُ النَّاسِ إِخْلاصاً لكَ وَمَعْرِفَةً بِكَ شَكَّ في نَزَاهَتِكَ وَأَبْعَدَ عَنْ زِيَارَتِكَ يَخْشَى أَنْ يُظَنَّ أَنَّهُ يُرِيْدُ بَيْتَ هَذَا الفَاسِقِ وَلَوْ جَاءَ إِلَيْهِ لأَمْرٍ ضَرُورِيّ أَكْثَر التَّلَفُّتَ عَسَى أَنْ لاَ يَرَاهُ أَحَدٌ وَهُوَ حَوْلَ بَابِ هَذَا الدَّنسْ النَّذِلِ المُجْرِمِ .

وَإِنْ مَشَتْ مَعَهُ أُنْثَى مِنْ أَقَارِبِهِ ظَنُّوْهَا أَجْنَبِيَّةً مِنْهُ جَرْيَاً عَلَى مَا اشْتَهَرَ بِهِ وَعُلِمَ عَنْهُ وَإِنْ جَاءَ إِلَى بَيْتِ إِنْسَانٍ شَرِيْفٍ لأَمْرٍ ضَرُورِيّ إِشْمَأَزَّ مِنْهُ وَحَرِصَ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْهُ بِسُرْعَةٍ لا يَرَاهُ أَحَدٌ وَهُوَ عِنْدَ بَابِهِ وَإِنْ مَشَى مَعَ شَرِيْفٍ لِحَاجَةٍ في النَّهَارِ وَدَّ الشَّرِيْفُ أَنَّهُ كانَ بالليل لِئَلا يَرَاهُ أَحَدٌ وَهُوَ يَمْشِيْ مَعَ هَذَا الدَّنسِ العِرْضِ السَّاقِطِ نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ .

اللهم إِجْعلنَا لِكِتَابِكَ مِنْ التَّالِينِ ولكَ بِهِ مِنْ العَامِلينَ وبِمَا صرَّفْتَ فيهِ مِن الآياتِ مُنْتَفعين ، وإلى لذيذِ خِطَابه مُسْتَمِعينَ ، ولأَوَامِرِهِ ونَواهِيهِ خَاضِعِين وبالأعمالِ مُخْلِصِين ، واغْفِرْ لَنَا وَلوالِدِينا ولِجميع المُسْلِمينَ الأحياءَ مِنْهم والميتينَ بِرَحْمَتِك يا أرحمَ الرَّاحِمينَ ، وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين .

شِـعْراً :

رَأَيْتُـكَ فِيْمَـا يُخْطِىءُ النَّـاسُ تَنْـظُرُ
ورأسُـك مِن مَـاءِ الخَـطِيْئَـةِ يَقْـطُرُ
تَـوَارَي بِجُدْرَانِ البُيـوتِ عن الوَرَى
وأنتَ بِعَيْنِ اللهِ لَـوْ كُنْـتَ تَشْـعُـرُ
وَتَخْشَى عُيُونَ النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوْا بِهَا
ولم تَخْشَ عَـيْنَ الـلهِ وَاللهُ يَـنْـظُرُ
وَكَمْ مِن قَبِيْـحٍ قَدْ كَفَىَ اللهُ شَـرَّهُ
أَلَا إنـهُ يَعْفُـو الـقَبِيْـحَ وَيَسْـتُـرُ
إِلَى كمْ تَعَامَى عَنْ أُمورٍ مِنْ الهُدَى
وَأَنْتَ إذَا مَـرَّ الهَـوى بِـكَ تُبْصِـرُ
إِذَا مَا دَعَاكَ الـرُّشْدُ أَحْجَمْتَ دُوْنَـهُ
وَأَنْتَ إِلَى مَـا قَـادَكَ الغَيُّ تَـبْـدُرُ
وَلَيْسَ يَقُـومُ الشُّكْرُ مِنْـكَ بِنِعْمَـةٍ
ولكن عَلَيْكَ الشُّكرُ إنْ كُنْتَ تَشْكُرُ
وَمَا كُلُّ مَا لَمْ تَأْتِ إِلَّا كَمَـا مَضَى
مِن اللَّهْوِ في اللذَّاتِ إِنْ كُنْتَ تَذْكُرُ
وَمَـا هِيَ إلا تَـرْحَـةٌ بَعْدَ فَـرْحَةٍ
كَذَلِكَ شُـرْبُ الدَّهْـرِ يَصْفُو وَيَكْـدُرُ
كَـأَنَّ الفَتَى المُغْتَـرَّ لم يَـدْرِ أَنَّـهُ
تَـرُوحُ عليـهِ الحَـادِثَـاتُ وَتُبْكِـرُ
أَجِـدَّكَ أَمَّـا كُنْتَ وَالْلَّهْـوُ غَـالِبٌ
عَلَيْـكَ وَأَمَّـا السَّهْـوُ مِنْكَ فَيَكْثُـرُ

وَأَمَّـا بَنُو الـدُّنْيَـا فَفِيْ غَفَـلاتِهِمْ
وَأَمَّـا يَـدُ الـدُنْيَا فَتَفْـرِي وَتَجْـزُرُ
وَأَمَّـا جَمِيْـعُ الخَلْقِ فِيْهَـا فَمَيِّتٌ
وَلَـكِـنَّ آجَـالاً تَـطُوْلُ وَتَـقْـصُـرُ
لَهَـوْتَ وَكَمْ مِن عَبْرَةٍ قـد حَضَرْتَهـا
وَأَنْتَ تَـرَى في ذَاكَ أَنَّـكَ تَتْجُـرُ
خُـدِعْتَ عن السَّاعَـاتِ حَتَّى غُبْنْتَها
وَغَـرَتْـكَ أَيَّـامٌ قِـصَـارٌ وَأَشْـهُـرُ
فَيَـا بَـانِيَ الـدُّنْيَـا لِغَـيرِكَ تَبْتَنِي
وَيَـا عـامِـرَ الـدنيـا لِغَيْرِكَ تَعْمُـرُ
وَمَـالَـكَ إِلاَّ الصَّبْـرُ والبِـرُّ عُـدَّةٌ
وَإِلاَّ اعْـتِـبَـارٌ ثَـاقِـبٌ وَتَـفَـكُّـرُ

وَارْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصُحْبِهِ أَجمَعِيْنَ .

مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللهِ إِنَّ التَّوْبَةَ مِنْ الذُّنُوبِ مِفْتَاحُ السَّعَادَةِ في هَذِهِ الدَّارِ وفي دَارِ القَرَارِ ، وَانَّمَا كَانَتْ التَوْبَةُ كَذَلِكَ لأَنَّ بِهَا يَغْفِرُ اللَّهُ الذُنُوبَ جَمِيْعاً لا فَرْقَ بَيْنَ صِغَارِهَا والكِبَارِ وَلأَنَّ التَّائِبَ إِذَا صَحَّتْ تَوْبَتُهُ بِأَنْ اجْتَمَعَتْ شُرُوْطُهَا وَانْتَفَتْ المَوَانِعُ يُصْبحُ بِالتَّوْبَةِ أَمِيْناً عَلَى دِيْنِهِ لاَ يُخِلُّ بِوَاجِبٍ مِنْ وَاجِبَاتِ الإِسْلاَمِ فَتُوبُوا عِبَادَ اللهِ تَوْبَة نَصُوحاً لِتَسْتَنِيْرَ قُلُوبُكُم وَأَبْدَانُكُم بَدَلَ ظُلُمَاتٍ كَانَتْ مُخَيِّمَةً عَلَيْهَا تُثْقِلُكُمْ عَنْ طَاعَةِ مَوْلاَكُمْ وَسَتَجِدُوْنَ بِإِذْنِ اللهِ انْشِرَاحاً في صُدُوْرِكُمْ بَدَلَ انْقِبَاضِهَا وَضِيْقِهَا فإِنَّ الذُنُوبَ تُؤَثِّرُ عَلَى

القُلُوبِ وَالأبْدَانِ انْقِبَاضاً يَشْتدُّ عَلَى المُصِرِّ عَلَى الذنُوبِ حَتَّى يَضِيْقَ بِهِ فَسِيْحُ الأَرْجَاءِ وَلَكَ أَيُّهَا التَّائِبُ العَامِلُ بالطَّاعَاتِ الأَمَلُ القَوِيّ بتَوَالِيْ الطَّاعَاتِ لأنَّ الخَيْرَاتِ تُنْتِجُ بإذْنِ اللّهِ بَعْضُهَا بَعْضاً وَلَكَ الأمَلُ القَوِيّ بأَنْ تَنْقَادَ لَكَ الأرْزَاقُ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُمْتَنِعَةً فَتُصْبِحُ فِي يُسْرٍ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ فِي اعْسَارٍ وَلَكَ الأمَلُ فِي أَنْ العَدَاوَاتِ التِيْ كَانَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الخَلْقِ تُصْبِحُ بِإذْنِ اللَّهِ حبّاً يَلْفِتُ الأَنْظَارَ ذَلِكَ أَنَّ الذُنُوبَ وَالمَعَاصِيْ هِيَ أَسْبَابُ الشُّرُوْرِ وَالعُقُوبَاتِ المُؤْلِمَاتِ وَأَنَّ المَرْءَ بالتَّوْبَةِ مِنْهَا يُرْضِيْ بَدِيْعَ الأرْضِ وَالسَّموَاتِ فَتَأَكَّدْ أَيُّهَا الأَخُ أَنَّ التَّوْبَةَ هِيَ اليَنْبُوعُ الفَيَّاضُ لِكُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلاَ تَشُكُّ فِي أنَّ اللهَ تَعَالَى يُفِيْضُ مِنْ فَضْلِهِ وَجُوْدِهِ مَا يُفِيضُ عَلَى مَنْ أَخْلَصَ العَمَلَ لِجَلاَلِهِ فَتُبْ أَيُّهَا الأخُ وَاصْدُقْ فِي التَّوْبَةِ وَاسْأَلْهُ أَنْ يُبَلِّغَكَ بِهَا رِضْوَانَهُ وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِنْ حِزْبِهِ المُفْلِحِيْنَ الذِيْنَ ﴿ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فَتَعِيْشُ وَتَمُوتُ وَتُبْعَثُ فِي رِعَايَةِ رَبِّكَ وَلُطْفِهِ وَغَيْرُكَ مِمَّنْ لَمْ يَتُوبُوا فِي اهَانَتِه البَالِغَةِ يَتَقَلَّبُونَ فَعَلَيْكَ بِالاعْتِمَادِ عَلَى اللهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَاللَّجاءِ إلَيْهِ دَائِماً مُتَضَرِّعاً مُتَمَلِّقاً خصوصاً فِي آخر اللَّيل.

شِعْراً :

إذا وَجَدَ الإنْسَانُ لِلْخيرِ فُرْصَةً ... ولَمْ يَغْتَنِمْهَا فَهْوَ لاشَكّ خَاسِرُ
وَهَلْ مِثْلَ تَالِي اللّيلِ لِلعَفْوِ مَوْسِمُ ... وَلَكِنْ فأَيْنَ العَامِلُ المَتَبَادِرُ

شِعْرَاً :

لَبِسْتُ ثَوْبَ الرَّجَا وَالنَّاسُ قَدْرَقَدُوْا
وَبِتُّ أَشْكُوْ إِلَى مَوْلاَيَ مَا أَجِدُ
فَقُلْتُ يَا أَمَلِيْ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
وَمَنْ عَلَيْهِ لِكَشْفِ الضُّرِ أَعْتَمِدُ

أَشْكُــو إِلَيْكَ أُمُــوراً أَنْتَ تَعْلَمُهَــا
مَــالِي إِلَى حَمْلِهَا صَبْــرٌ ولا جَلَدُ
وَقَـدْ مَـدَدْتُ يَـدِيْ بالـذُّلِّ مُبْتَهِـلاً
إِلَيْكَ يا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إِليهِ يَـدُ
فَـلاَ تَـرُدَنَّـهـا يَـا ربُّ خَـائِبَـةً
فَبَحْـرُ جُـوْدِكَ يُـرْوِيْ كُـلَّ مَنْ يَـرِدُ

آخر :

عَطَاءُ ذِي العَرْش خَيْـرٌ مِن عَطَائِكُمُ
وَسَيْبُـهُ واسِـعٌ يُـرْجَـىٰ وَيُـنْـتَـظَرُ
أَنْتُمْ يُكَـدِّرُ مـا تُعْـطُونَ مِنَّتُكُم
والـلهُ يُـعْـطِيْ وَلَا مَـنٌّ ولا كَـدَرُ
لَا حُكْمَ إلَّا لِمَن تَمْضِـيْ مَشِيْئَتُـهُ
وَفِيْ يَـدَيْـهِ عَلَى مَـا شَـاءَهُ القَـدَرَ

آخر :

شَـادَ المُلُوكُ قُصُـورَهُم فَتَحَصَّنُـوا
عَنْ كُلِّ طَالِبِ حَـاجَـةٍ أَوْ رَاغِبِ
غَـالَـوْا بـأَبْـوَابِ الحَـدِيْـدِ لِعِـزِّهَـا
وَتَـنَـوقُـوا في قُبْـحِ وَجْـهِ الحَـاجِبِ
فَـإِذَا تَلَطَّفَ في الـدُّخُـولِ عَلَيْهِم
رَاجٍ تَـلَـقَّـوْهُ بِـوَعْـدٍ كَـاذِبِ
فَـاقْصِـدْ إِلَى مَلِكِ المُلُوكِ وَلَا تَكُنْ
يَـاذَا الضَّـرَاعَـةِ طَـالِبـاً مِنْ طَـالِبِ

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِلتَّوْبَةِ النَّصُوحِ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَغْدُوْ مُشَمِّراً في طَاعَتِكَ

وَيَرُوحُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِـدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنُ وصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فصل

(أدِلَّةٌ عَلَى تَحْرِيْمِ الزِّنَا)

قَال اللهُ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيْلًا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ والذِيْنَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بالحَقِّ وَلَا يَزْنُوْنَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أثامًا .

وَمِنْ السُّنَّةِ مَا وَرَدَ عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم قَال «لا يَزْنِيْ الزانِيْ حِيْنَ يَزْنِيْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» الحَدِيثُ رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لا يَحِلُّ دَمُ امْرِيِ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللهَ وَأنّي رَسُولُ اللهِ الا باحْدَى ثَلاثٍ الثَّيِّبِ الزَّانِيْ وَالنَّفْسِ بالنَّفْسِ وَالتَّارِكِ لِدِيْنِهِ ، المفَارِقُ لِلجَمَاعَةِ » رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها ، أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم قال « لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِىءٍ مُسْلِمٌ ، يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا الله ، وَانَّ مُحَمَّداً رسُولُ اللهِ الا في احْدى ثلاثٍ زِناً بَعْدَ احْصَانٍ فانَّهُ يُرْجَمُ وَرَجُلٌ خَرَجَ مُحَارِبَاً لِلهِ وَلِرَسُولِهِ ، فإنَّهُ يُقْتَلُ ، أو يُصْلَبُ ، أو يُنْفَى مِنَ الأرْضِ ، أو يَقْتُلُ نَفْساً فيُقْتَلُ بِهِا » رَوَاهُ ابُو دَاوُدَ وَالنَّسائِيّ .

وَعَنْ عُثْمَانَ بْن أَبِيْ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، عَنْ رَسُولِ اللهِ

صلى اللهُ عليه وسَلَّمَ قَالَ «تُفْتَحُ أبْوَابُ السَّمَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ فَيُنَادِي مُنادٍ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابَ لَهُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى هَل مِنْ مَكْرُوبٍ فَيُفَرَّجُ عَنْهُ فَلاَ يَبْقَى مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إلاّ اسْتَجَابَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لهُ ، إلاَّ زَانِيَةً تَسْعَى بِفَرْجِهَا أوْ عَشَّاراً » وفي رِوَايَةٍ « إنَّ اللهَ يَدْنُو مِنْ خَلْقِهِ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَسْتَغْفِر الا لِبَغِيّ بِفَرْجِهَا أوْ عَشَّارٍ » رَوَاهُ أحْمَدُ وَالطَّبَرانِيّ .

وَعَنْ أبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم يَقولُ - حِيْنَ نَزَلَتْ آيَةُ الـمُلاَعَنَةِ - « أيُّمَا امْرَأةٍ أدْخَلَتْ عَلَى قَوْمٍ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ فَلَيْسَتْ مِنَ اللّهِ في شَيْءٍ وَلَنْ يُدْخِلَهَا اللهُ جَنَّتَهُ وأيُّمَا رَجُل جَحَدَ وَلَدَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ إلَيْهِ احْتَجَبَ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَفَضَحَهُ عَلَى رُؤُوسِ الأوَّلِيْنَ وَالآخِـرِيْنَ » رَوَاهُ أبُو دَاوُدَ وَالنَّسَـائِيُّ وَابْنُ حِبَّـانَ في صَحِيْحِهِ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيُّ الذَنْبِ أعْظَمُ عِنْدَ اللهِ ؟ قالَ « أنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدّاً وَهُوَ خَلَقَكَ » قُلْتُ : إنَّ ذَلِكَ لَعَظِيْمٌ ، ثُمَّ أيٌّ ؟ قالَ « أنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أنْ يَطْعَمَ مَعَكَ » قُلْتُ : ثُمَّ أيٌّ ؟ قال « أنْ تُزَانِي حَلِيلَةَ جَـارِكَ » رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلِمٌ وَرَوَاهُ الترمِذيّ والنَّسَائِيّ .

وَعَنْ المِقْدَادِ بْنِ الأسْوَدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصْحَابِهِ « مَا تَقُولُونَ في الزِّنَا ؟ » قَالُوا حَرَامٌ حَرَّمَهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ وَرَسُولُهُ فَهُوَ حَرَامٌ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابِهِ «لأنْ يَزْنِيْ الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ ، أيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أنْ

يَزْنِيْ بامْرَأةِ جَارِهِ » رَوَاهُ احْمَدُ ، وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ وَالطَّبَرَانِيّ في الكَبِيْرِ وَالأَوْسَطِ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم يُحَدِّثُ عَنْهُمَا لَوْ لَمْ اسْمَعْهُ إلاَّ مَرَّةً أو مَرَّتَيْنِ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ أكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَقُولُ « كَانَ الكِفْلُ مِنْ بَنِيْ اسْرَائِيْلَ ، وَكَانَ لا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ فأتَتْهُ امْرَأةٌ فأعْطَاهَا سِتِّيْنَ دِيْنَاراً عَلَى أنْ يَطاها فلمّا أرَادَها عَلَى نَفْسِهَا ارْتَعَدَتْ وَبَكَتْ فَقَالَ مَا يُبْكِيْكِ قَالَتْ لأنَّهُ عَمَلٌ مَا عَمِلْتُهُ وَمَا حَمَلَنِيْ عَلَيْهِ إلا الحَاجَةُ فَقَالَ تَفْعَلِيْنَ أنْتِ هَذَا مِنْ مَخَافَةِ اللهِ فَأنَا أحْرَى اذْهَبِيْ فَلَكِ مَا أعْطَيْتُكِ وَوَاللَّهِ لاَ أعْصِيهِ بَعْدَهَا أبداً فمات مِنْ لَيْلَتِهِ فَأصْبَحَ مَكْتُوْباً عَلى بَابِهِ إنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ للكِفْلِ ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِك » رَوَاهُ التِّرْمِذيّ ، وَقَالَ : حَدِيْثٌ حَسَنٌ . وَابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ وَالحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيْحُ الإسْنَادِ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ الله صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا في قَوْمٍ ، فَقَدْ أحَلُّوا بِأنْفُسِهِمْ عَذَاباً » رَوَاهُ الحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيْحُ الأسْنَادِ .

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسول اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « حُرْمَةُ نِسَاءِ المُجَاهِدِيْنَ عَلَى القَاعِدِيْنَ كَحُرْمَةِ أمَّهَاتِهِمْ ، مَا مِنْ رَجُلٍ مِنْ القَاعِدِيْنَ يَخْلِفُ رَجُلاً مِنْ المُجَاهِدِيْنَ في أهْلِهِ فَيَخُونُهُ إلا وَقَفَ لَهُ يَومَ القِيَامَةِ ، فَيَأْخُذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شَاءَ ، حَتَّى يَرْضَى » ثُمَّ الْتَفَتَ إلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَال « فَمَا ظَنُّكُم ؟ » رَوَاهُ مُسْلِمُ وَأبُو دَاوُد .

وَرَوَى أَبُو يَعْلَى وَأَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيْحِهِ وَالحَاكِمْ وصححه أن النبي صلى الله عليه وسَلَّم قال من حديث وَمَن مَاتَ مُدْمِنُ خَمْرْ سَقَاهُ اللّٰهُ مِنْ نَهْرِ الغُـوطَةِ قِيلَ وَمَا نَهْرُ الغُوطَةِ قال نَهْرٌ يَجْرِي مِن فُرُوْجِ المَومِسَاتِ يُؤذِي أهلَ النَّارِ رِيحُ فُرُوْجِهِمْ .

شِعْرًا :

تَبِيتُ على المَعَاصِي والمَسَاوِي فأَنْتَ بِغَفْلَـةٍ واللهِ بِتَّـا
يُدِيْمُ عَلَيْكَ إِحْسَاناً وفَضْلًا وأَنْتَ تُديمُ لُؤْماً أَيْنَ كُنْتَا
وبالعِصْيَانِ تَخْطُـر باخْتِيَـالٍ سَكِرْتَ مِنَ الغُرُور وَمَا صَحَوْتَا
أَفِقْ مِنْ غَفْلةٍ وأَنِبْ لِرَبَّ تَنَلْ منهُ السَّمَاحَ إذا أَنَبْتَا
وتَظْفَـرُ بالقَبُـولِ وبالأَمَانِـي وفي الدَّارَيْنِ بالإِسْعَادِ فُزْتَا

اللّٰهُمَّ أرْحَمْ غُرْبَتَنَا في القُبُورِ وَآمِنَّا يَوْمَ البَعْثِ وَالنُّشُوْرِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ

فَصل

عِبَادَ اللهِ كُلُّنَا يَعْلَمُ أَنَّ الزِّنَا مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ وَأَنَّ فِيْهِ فَسَاداً لِلزَّانِي وَالزَّانِيَةِ أمَّا فَسَادُهُ لِلزَّانِيَةِ فَهُوَ وَاضِحٌ لأَنها بِذَلِكَ الجُرْمُ العَظِيْمُ ـ جُرْمُ الزِّنَا ـ تَجِدُ حَلَاوَةً ، فَتُفْسِدُ كُلَّ مَنْ اتَّصَلَ بِهَا ، فَيُصْبِحُوْنَ في تَعَلُّقِهِم بِالنِّسَاءِ كالكَلْبِ المَسْعُورِ هَذَا مِنْ جِهَةٍ وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى تُفْسِدُ فِرَاشَ زَوْجِهَا إِنْ كَانَتْ ذَاتَ زَوْجٍ وَرُبَّمَا ادْخلَتْ عَلَيْهِ أَوْلَاداً مِنَ الزُّنَاةِ يُنْفِقُ عَلَيْهِمْ طُوْلَ حَيَاتِهِ وَيرِثُوْنَ مِنْهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، وَيَتَفَوَّظُونَ حَرَمَ الزَّوْجِ ، وَرُبَّمَا تَوَلَّوا عَقْدَ نِكَاحٍ لَهُنَّ ، أَوْ صَارُوا مَحَارِمَ لَهُنَّ في حَجٍّ أو نَحْوِ ذَلِكَ نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَمِنْ جِهَةِ فَسَادِ الزَّانِيْ ، فَإِنَّهُ بِالزِنَا يَنْكَلِبُ ، وَيَتَوَلَّعُ فِيْهِ ، وَكُلُّ أُنْثَى يَتَعَدَّىٰ عَلَيْهَا يَحْلُو لَهَا هَذَا السِّفَاحُ فَتَفْسدُ كالأُولى كَثِيْرِيْنَ مِنَ النَّاسِ

تَنبَّهُوا بَعْدَ أنْ كَانُوا غَافِلِيْنَ فَيُفْسِدُونَ مِنْ النِّسَاءِ كَثِيْرَاتٍ وَهكَذَا فَالزَّانِيْ لِصٌّ يَسْرِقُ ثَرْوَةَ النَّاسِ في حَيَاتِهِمْ وَبَعْدَ المَمَاتِ بِمَا يُدْخِلُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ أوْلَادٍ يَعُولُونَهُم ، وَإنْ كانَتْ المَرْأَةُ التِيْ تَعَدَّى عَلَيْهَا غَيْرُ مُتَزَوِّجَةٍ ، فَقَدْ أفْسَدَ حَيَاتَها ، بِهَتْكِ عِرْضِهَا ، وَصَرْفِ أنْظَار رَاغِبِيْ الزَّوَاجِ عَنْهَا ، فَتَعِيْشُ بَعْدَ جُرْمِ الزِّنَا عِيْشَةَ ذُلٍّ وَهَوَانٍ لَا زَوْجَ يُحَصِّنُهَا وَلَا عَائِلَ يَعُولُهَا هَذَا مُضَافاً إلَى سُوْءِ السُّمْعَةِ وَإلَى الجِنَايَةِ عَلَى شَرَفِهَا وَأهْلِهَا فَيقِفُونَ مِنْهُ مَوْقِفَ الأنْتِقَامِ غَالِباً وَرُبَّمَا قَضَوْا عَلَيْهِ أوعَلَى إبنتِهِمْ وَانْ لَمْ يَقْضُوا وَثَبَتَ ذَلِكَ بِطَرِيْقِ الشَّرْعِ فَإمَّا جَلْدُ مِائةٍ ، وَإمَّا رَجْمٌ يُؤَدِّيْ بالنَّفْسَيْنِ ، هَذَا عَاقِبَةُ هَذِهِ الكَبِيْرَةِ عَصَمَنَا اللهُ وَايَّاكُمْ مِنْهَا وَمِنْ جَمِيْعِ المَعَاصِيْ فَعَلَى الأنْسَانِ أنْ يُفَكِّرَ ويَعْرِفَ عَوَاقِبَ الجِنَايَاتِ عَلَى الأعْرَاضِ لِيَحْذَرَ وَيُحَذِّرَ عَنْهَا أجْنَبِيَّةً أو قَرِيْبَةً وَلَا أدرِيْ كَيْفَ يُقْدِمُ الزَّانِيْ عَلَى الزِّنَا وَهُوَ يُؤْمِنُ أنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ لا تَخفَى عَلَيْهِ مِنهُ خَافِيَةٌ وَأنَّ جَزَاءَهُ إنْ لَمْ يَتُبْ تَوْبَةً نَصُوحاً الهَاوِيَةُ نَسْأَل اللهَ السَّلَامَةَ مِنها وَلا أَدْرِيْ كيفَ يَزْنِيْ وَهُوَ لَا يَشُكُّ انهُ سَيُجَازَى عَلَى فِعْلِهِ في الدنيا قَبْلَ الآخِرَةِ ، وَمَنْ كان الزِّنَا مِنْ أعْمَالِهِ فَلَا يُؤْمَنُ حَتَّى عَلَى مَحَارِمِهِ وَلَا يُرْغَبُ فيمُصَاهَرَتِهِ وَلَا مُجَاوَرَتَهِ وَلَا مُشَارَكَتِهِ وَلَا مُعَامَلَتِهِ وَلَا الأجْتِمَاع مَعَهُ في مَحَلِّ عَمَلِهِ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إنَّهُ كانَ فَاحِشَةً، وَسَاءَ سَبِيْلَا ﴾ وَقَالَ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ﴿ اذا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا في قَرْيَةٍ ، فَقَدْ أحَلُّوا بِأنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللهِ ﴾ رَوَاهُ الحَاكِمُ اللَّهُمَّ احْمِنَا مِنْ الفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَن وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

مُحَمَّد اللهم اكْتُبْ في قُلُوبِنَا الايمانَ وأَيِّدْنَا بنُوْرٍ مِنْكَ يا نُوْرَ السمواتِ والأرضِ اللهم وافْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ والاجَابَةِ وأغفر لنا وارحمنا

برحمتك الواسعة انك انت الغفور الرحيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

فصـــل

وَمنْ مَضارِّ الزِّنَا وَآثَارِهِ السَّيِّئَةِ في المُجْتَمع الإنْسَانِيّ ضَيَاعُ النَّسْلِ وَالجِنَايَةِ عَلَيْهِ فالزَّانِيْ وَالزَّانِيَةُ لَوْ أدْرَكا مَا قد يَتَرَتَّبُ عَلَى زَنْيَتِهما التِي تَنْقَضِيْ عَلَى الفَوْرِ مِنْ الآثامِ والشُّرُورِ لهَانَ عَلَيْهِمَا أنْ يَفْنَيا مِنْ الوُجُودِ وَلاَ يَرْتَكِبا تِلْكَ الجَرِيْمَةَ الشَّنْعَاءَ فَقَدْ يَتَرَتَّبُ عَلَى عَمَلِهِمَا وُجُودُ وَلَدٍ قَدْ تَخْنُقُهُ تِلْكَ الفَاسِقَة في مَهْدِهِ وقد تُسْقِطُهُ جنِيْناً .

وَقَدْ تَلدُه انْسَاناً كامِلاً ثُمَّ تَطْرَحُه في شَارِعٍ أو مَسْجِدٍ أو نَحْو ذَلِكَ مُعَرَّضاً لِمحَنِ الحَيَاةِ وَمَصَائِبِ اللَيَالِيْ والأيَّامِ لا يَعْرِفُ، لَهُ أمّاً تَحْنُو عَلَيْهِ ، وَلاَ أباً يَرْحَمُ طُفُولَتَهُ ، وَيَحْفلُ بتَرْبِيَتِهِ ، وَقَدْ يَؤُولُ إلَى حَضَانَةِ إنْسَانٍ غَيْرِ مُسْتَقِيْمٍ فَيُرَبِّيْهِ على غَيْرِ دِيْنِ الاسْلامِ أو عَلى أخلاقٍ فاسِدَةٍ فَيَنْشأَ عضْواً ضَارّاً بالمُجْتَمعِ الانْسَانِيّ وَذَلِكَ بَلاءٌ عَظِيْمٌ وَضَرَرٌ مُبِيْنٌ .

فَإنْ كَانَتْ المَزْنِيُّ بِهَا ذَاتَ زَوْجٍ كَانَتْ خِيَانَتُهَا أَشَدَّ وَجنَايَتُها أعْظَمَ فَإنَّها تُدخِلُ عُنْصُراً غَرِيْباً بَيْنَ أبْنَائِهَا تَغِشُّ بِهِ زَوْجِهَا فَيُرَبِّى غَيْرَ بَنِيْهِ يَكِدُّ يَوْمَهُ وَيَسْهَرُ لَيْلَهُ لِيُنْفِقَ عَلَى مَنْ ظَنَّه لَهُ وَلَدا وَهُوَ في الحَقِيْقَةِ لَيْسَ لَهُ أَبا وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الوَلَدُ الذِي أُدْخِلَ عَلَى هَذَا الانْسَانِ نَكْبَةً عَلَى الأُسْرَةِ بتَمَامِهَا فَإنَّهُ قَدْ يَنْزَعُ إلَى أَبِيْهِ الحَقِيْقِيِّ وَيَتَّبِعُه في أَخْلاَقِهِ وَفَسَادِهِ وَاجْرَامِهِ فَيُفْسِدُ عَلَى الإنْسَانِ الأسْرَةَ بِأَكْمَلِهَا .

وَإنْ كَانَتْ غيْرَ مُتَزَوِّجَةٍ ، فَإنَّ هَذَا الفَاسِقَ المُتَعَدِّي ، تَعَدَّى عَلَى شَرَفِهَا ، وَعَائِلَتِهَا وَأَقَارِبِهَا ، فَأَفْسَدَ حَيَاتِهِم ، وَأَهَانَ كَرَامَتِهَا ، وَأَسَـاءَ

سُمْعَتَهَا وَسُمْعَتَهُم وَعَرَّضَهَا لِلقتلِ أوْ لِلعُقُوبَةِ الشَّدِيْدَةِ أَو عَرَّض عِرْضَها لِلسُّقوطِ فِي بُوْءَةٍ لا يُنْقِذُهَا منْهَا إِلَّا المَوْتُ فَإِنْ قُتِلَتْ فَهُوَ السَّبَبُ الأَوَّلُ في قَتْلِهَا ، وَإِنْ أُسقَطَتْ فَهُوَ الجَانِيْ ، وَالاثمُ أَوَّلَهُ وَآخِرُهُ ، قَدْ نَالَ مِنْهُ ذَلِكَ الغَادِرُ المُعْتَدِيْ الحَظَّ الأَوْفَرَ .

وَلَوْ قِيْلَ لِهَذَا المُجْرِمِ الفَاسِقِ الزَّانِيْ هَلْ تَرْضَى عَمَلَكَ أَنْ يُعْمَلَ بِبَنَاتِكَ وَأَخَوَاتِكَ وَزَوْجَاتِكَ لَبَطَشَ بالقَائِلِ إِنْ كَانَ ضَعِيْفاً يَقْدِرُ عَلَى الانْتِقَامِ مِنْهُ ، والنبي صلى الله عليه وسلم يَقُوْلُ « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » رَوَاهُ البُخَارِيّ فَمَا أَبْعَدَ هَذَا المُعْتَدِيْ عَنْ العَمَلِ بِهَذَا الحَدِيْثِ .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ فتىً شَاباً أَتَى النَّبي صَلى اللهُ عليه وَسَلم فقالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِيْ في الزِّنا ، فَأَقْبَلَ القَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوْهُ وَقَالُوا : مَهْ مَهْ ؟ فقالَ « أُدْنهُ » فَدَنا مِنْهُ قَرِيْباً ، فقالَ « اجْلِسْ » فَجَلَسَ ، فقالَ « أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ ؟ » قَالَ : لَا وَاللهِ جَعَلَنِيْ اللهُ فِدَاكَ . قَالَ « ولَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهاتِهِمْ » قَالَ « أَفَتُحِبُّهُ لإِبْنَتِكَ ؟ » قَالَ : لَا واللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِيْ اللهُ فِدَاكَ . قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِم . قَالَ « أَفَتُحِبُّه لأُخْتِكَ ؟ » قَالَ : لا واللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ . قَالَ « وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونه لأخواتِهم » قَالَ «أَفَتُحِبُّه لِعَمَّتِكَ ؟ » قَالَ : لَا وَاللهِ جَعَلَنِيْ اللهُ فِدَاكَ . قَالَ « وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِم » قَالَ « أَفَتُحِبهُ لِخَالَتِك؟ »قَالَ : لَا واللهِ قَالَ « وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونهُ لِخَالَاتِهِم » قَالَ . فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ « اللهُمّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ » قَالَ : فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ يَلتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ ، وَوَرَدَ عَن النَّبي صَلى اللهُ عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ « مَا مِنْ ذَنْبٍ بَعْدَ الشِّرْكِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ نُطْفَةٍ وَضَعَهَا رَجُلٌ في رَحِمٍ لا يَحِلُّ لَهُ » .

وَمِنْ مَضّارِ الزنا أَنَّ هَذا الوَلَدَ المُدْخَلَ عَلى البَرِيْءُ مِنْهُ يَرِثُ مِنْ مَالِهِ وَيَكُونُ مُحَرِّماً لِبَنَاتِهِ وَزَوْجَاتِهِ وَلَا يَحْتَجِبْنَ عَنْهُ .

وَمِنْ مَضَارِّهِ أَنَّهُ إضاعَةٌ لِلْمَالِ الذيْ نُهِيَ عَن إضَاعَتِهِ .

وَمِنْ مَضَارِّهِ إخْتِلَاطُ الأنْسَابِ وَإِفْسَادُ الأخْلَاقِ وَأَنَّهُ يُفْضِيْ إلَى فَنَاءِ الأمَّةِ وَأَنَّهُ يَدْعُو إلَى الشِّقاقِ والفَسَادِ وأنَهُ يُوْقِعُ في الأمْرَاضِ وَيَنْشُرُهَا وَمِنْ آثَارِهِ السَّيِّئَةِ عَلَى البَدَنِ السَّيَلَانُ والسَّلُّ الرِّئويّ ، وَالزُّهْرِيّ والتشْوِيْش والقُرُوحُ الأكالةُ .

وَمِنْ آثَارِةِ السَّيِّئَةِ أَنَّهُ يَصْرِفُ القَلْبَ عن صِحَّتِهِ واسْتَقَامَتِهِ إلَى مَرَضِهِ وَانْحِرَافِهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يُعْمِيْ القَلْبَ وَيَطْمِسُ نُوْرَهُ وَأَنَّهُ يُحَقِّرُ النَّفْسَ وَيَقْمَعُهَا وأنهُ يُسْقِطُ كَرَامَةَ الإنْسَانِ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ وَأَنَّهُ يُؤَثِّرُ في نُقْصَانِ العَقْلِ وَأَنَّهُ يَمْحَقُ بَرَكَةَ العُمْرِ وَأَنَّهُ يُضْعِفُ في القَلْبِ تَعْظِيْمَ اللهِ ، وَمِثْلُهُ سَائِرُ المَعَاصِيْ ، نَسْأَلُ اللهَ العَفْوَ والمُعَافَاةَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهُ .

وَالسِّرُّ في كَثْرَةِ الزِّنَا إِلَى هَذَا الحَدِّ مَوْتُ غَيْرَةِ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ عَلَى نِسَائِهِم ، لا يُبَالُونَ بِهِنَّ ، ولاَ تَتَحَرَّكُ مِنْهُمْ شَعْرَةُ غَيْرَةً وَحَمِيَّةً ، يَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ يَرَىٰ امْرَأَتَهُ بِعَيْنِهِ تَتَزَيَّنُ وَتَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ ، إِلَى حَيْثُ لَا يَعْلَمُ لَيْلاً وَنَهَاراً ، وَتَرْكَبُ مَعَ أَيِّ سَائِقٍ شَاءَتْ ، وَتَدْخلُ عَلَى أَيِّ خَيَّاطٍ أَرَادَتْ وَتَذْهَبُ إِلَى أَيِّ دُكْتُورٍ بِاسْمِ الكَشْفِ وَالعِلَاجِ وَزَوْجُهَا مَشْغُولٌ بِدُنْيَاهُ لا يَهْتَمُّ لَهَا تَرى في خُرُوجِهَا رِجَالاً أَجْمَلَ مِنْهُ وَأَقْوَى مِنْهُ وَأَنْظَفَ مِنْهُ .

وَمِنْهُمْ الأَفْصَحُ الأَحْلَى كَلاماً مِنْهُ وَهَذَا يُحَادِثُهَا وذاكَ يُسَامِرُهَا وَقُلْ ـ

وَلاَ تُبَالِ ـ : إِنَّ بَعْضَهُم يُغَازِلُهَا ، وَكَثِيْراً مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهَا الأَيْدِيْ الخَائِنَةِ فَهَلْ هِيَ حَجَرٌ كَلاَّ إِنَّهَا بَشَرٌ وناقِصَةُ عَقْلٍ وَدِيْنٍ فَقَلَّ مَنْ تَقْوَى عَلَى الوُقُوفِ أَمَامَ شَهْوَاتِهَا فلا تَقِفُ مَخَافَةُ اللهِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ هَيَجَانِهَا الحَيَوانِيِّ .

بَلْ الرَّجُلُ الذي هُوَ أَقْوَى مِنْهَا عَقْلاً وَدِيْناً لا يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَقِفَ أَمَامَ نَفْسِهِ إِذَا هَاجَتْ ، وَطَلَبَتْ هَذَا الشَيْءَ وَأَصْبَحَتْ تَشْعُرُ بِلَذةٍ لَمْ تَشْعُر بِهَا في حَيَاتِهَا . أَمَّا البِكْرُ فَوَاضِحٌ وَأَمَّا المُتَزَوِّجَةُ فَإِنَّ لَذَّةَ الحَلاَلِ عِنْدَهَا نَاقِصَةٌ لاَ تُسَاوِيْ لَذَّةَ الحَرَام وَلاَ تُدَانِيْهَا فَإِنَّ المَمْنُوْعَ أَحَبُّ وَأَلَذُّ كَمَا قِيْلَ :

وزَادنِـي كَلفَـاً فـي الـحُـبِ أَنْ مَـنـعَـتْ
أَحَـبُ شَيءٍ إِلَـى الإِنسـانِ مـا مُـنِـعَـا

لا سِيَّمَا وَابْلِيْسُ يُسَاعِدُ عَلَيْهِ وَالنَفْسُ الامَّارَةُ بالسُّوءِ وَالهَوى . فَإِذَا ذَاقَت هَذِهِ اللذَّةَ الجَدِيْدَةَ اشْتَدَّ حِرْصُهَا عَلَيْهَا كُلَّ وَقْتٍ وَحِيْنئِذٍ تكُونُ هِيَ الطَّالِبَةَ لا المَطْلُوبَة فَتُصْبِحُ تَفْتِكُ بِـالرِّجَـالِ فَتْكاً وَكُـلُّ رَجُلٍ يَـزْنِي يَنْكَلِبُ فيفْتِكُ بالنِّسَاءِ .

وَكُلُّ امْرَأَةٍ يَفْتِكُ بِهَا الرَّجُلُ تَنْكَلِبُ فَتَفتِكُ بالرِّجَالِ وَيَكُونُ في هَذَا مِنْ الفَسَادِ في الأَرْضِ مَا لا يَعْلَمُ مَدَاهُ إِلاَّ اللهُ وفي هَذِهِ الجُيُوشِ الفَاسِدَةِ الجُرَبُ مِنْ الأَمْرَاضِ المُخْتَلِفَةِ وَالأَوْبَاءِ الكَثِيْرَةِ مَا لاَ يُعْلَمُ لَهُ قَدْرٌ وَلاَ حَصْرٌ وَباخْتِلاَطِهِم وَالحَالُ هَذِهِ تَسْرِي أَمْرَاضُهم إِلَى الأَصِحَّاءِ نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَعْصِمَنَا وَإِخْوَانِنَا المُسْلِمِيْنَ مِنْهَا وَأَن يَقْمَعَ أَهْلَهَا والرَّاضِيْنَ بِهَا والقَادِرِينَ على إِزالَتِها ولَمْ يُزِيْلُوْهَا .

اللَّهُمَّ قَوِّي إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلاَئِكَتِكَ وبِكُتُبِكَ وبِرُسُلِكَ وبِاليَوْمِ الآخِرِ وبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِلهِدَايَةِ وَجَنِّبْنَا أَسْبَابَ الجَهَالَةِ والغِوَايَةِ اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى الإِسْلامِ والسُّنَّةِ وَلاَ تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّاب ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِديْنَا وجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ الأحيَاءِ مِنْهُمْ والمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْن .

« فَصْــلٌ »

إذا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الزِّنَا أَعَاذَنا اللهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْن مِنْهُ تَخْتَلِفُ دَرَجَاتُهُ في غِلَظِه فَلَيْسَ الزِّنا في امْرَأَةِ الكَافِرِ المُحَارِبِ مِثْلَهُ في امْرَأَةِ المعاهَدِ ، وَلَيْس هُوَ في امْرَأَةِ المَعَاهَدِ ، مِثْلَهُ في امْرَأَةِ المُسْلِم وَلَيْسَ هُوَ في امْرَأَةِ المُسْلِم الذِيْ لَيْسَ لَكَ بِجَارٍ مِثْلُهُ في أَمْرَأَةِ الجَارِ وَلَيْسَ هُوَ في امْرَأَةِ الجَارِ مِثْلُهُ في امْرَأَةِ الجَارِ القَرِيْبِ مِنْكَ وَامْرَأَةُ الأَقْرَبِ أَشَدُّ مِنْ امْرَأَةِ القَرِيْبِ وَامْرَأَةُ المجَاهِدِ أَشَدُّ مِنْ امْرَأَةِ غَيْرِهِ وَغَيْرُ ذَاتِ الزَّوْجِ لَيْسَ الزنَا بِهَا كَالزِّنَا بِذَاتِ الزَّوْجِ وَهَكَذَا تَتَفَاوَتْ دَرَجَاتُه.

وَقَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ : وَأَعظَمُ أَنْوَاعِ الزِّنَا أَنْ يَزْنِيْ بِحَلِيْلَة جَارِهِ فإِنَّ مَفْسَدَةَ الزِّنَا تَتَضَاعَفُ بِتَضَاعُفِ مَا يَنْتَهِكُه مِنْ الحُرْمَةِ ، فَالزِّنَا بالمَرْأَةِ التِيْ لَهَا زَوْجٌ ، أَعْظَمُ إِثْماً وَعُقُوبَةً مِنْ التِيْ لا زَوْجَ لَهَا إِذْ فِيْهِ انْتِهَاكُ حُرْمَةِ الزَّوْجِ وَإِفْسَادُ فِرَاشِهِ وَتَعْلِيْقُ نَسَبِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ أَذَاهُ فَهُوَ أَعْظَمُ إِثْماً وَجُرْماً مِنْ الزِّنَا بِغَيْرِ ذَاتِ البَعْلِ ، فَإِنْ كَانَ زَوْجُهَا جَاراً لَهُ انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ سُوْءُ الجِوَارِ .

وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عليه وَسَلم أَنَّهُ قَالَ « لاَ يَدْخُلُ الجَنَّة

مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ » وَلَا بَائِقَةَ أَعْظَمُ مِنْ الزِّنَا بِامْرَأَتِهِ فَالزِّنَا بِمِائَةِ امْرَأَةٍ لَا زَوْجَ لَهَا أَيْسَرُ عِنْدَ اللّهِ مِنْ الزِّنَا بِامْرَأَةِ الجَارِ ، فَإِنْ كَانَ الجَارُ أخا لَهُ ، أو قَرِيْباً مِنْ أَقَارِبِهِ ، انْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ قَطِيْعَةُ الرَّحِمِ فَيَتَضَاعَفُ الأَثْمُ فَإِنْ كَانَ الجَارُ غَائِباً في طَاعَةِ اللهِ كالصَّلَاةِ وَطَلَبِ العِلْمِ وَالجِهَادِ تَضَاعَفَ الأَثْمُ .

حَتَّى إِنَّ الزَّانِيْ بِامْرَأَةِ الغَازِيْ في سَبِيْلِ اللهِ يُوْقَفُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيُقَالُ خُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ قَالَ النَّبِي صَلى اللهُ عليه وسلم « فَمَا ظَنُّكُم ؟ » أَيْ مَا ظَنُّكُم أَنْ يَتْرُكَ لَهُ مِنْ حَسَنَاتٍ قد حُكِّمَ في أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا مَا شَاءَ عَلَى شِدَّةِ الحَاجَةِ إِلَى حَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ حَيْثُ لَا يَتْرُكُ الأَبُ لابْنِهِ وَلَا الصَّدِيْقُ لِصَدِيْقِهِ حَقّاً يَجِبُ عَلَيْهِ .

فَإِنْ اتَّفَقَ أَنْ تَكُون المَرأَةُ رَحِماً مِنْهُ انْصَافَ إِلَى ذَلِكَ قَطِيْعَةُ رَحِمها ، فإِنْ اتّفَقَ أنْ يَكُونَ الزَّانِيْ مُحْصَناً ، كانَ الاثْمُ أَعْظَمَ فإِنْ كَانَ شَيْخاً كانَ أَعْظَمَ إِثْماً ، وَهُوَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ الذِيْنَ ﴿ لا يُكَلِّمُهم اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيْهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيْمٌ ﴾ فَإِنْ اقترَنَ بِذَلِكَ وُقُوعُه في شَهْرٍ حرامٍ ، أَو بَلَدٍ حَرَامٍ ، أَو وَقْتٍ مُعَظَّمٌ عِنْدَ اللهِ ، كأَوْقَاتِ الصَلَوَاتِ وَأَوْقَاتِ الاجَابَةِ تَضَاعَفَ الاثْمُ وَالعُقُوبَةِ وَاللهُ المُسْتَعانُ واللهُ اعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَسَلَّمَ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ : وَمَفْسَدَةُ الزِّنَا مُنَاقِضَةٌ لِصَلاحِ العَالَمِ ، فَإِنَّ المَرْأَةَ إذا زَنَتْ أَدْخَلَتْ العَارَ عَلَى أَهْلِهَا وَزَوْجِهَا وَأَقَارِبِها وَنَكَسَتْ رُؤُوسَهُم بَيْنَ النَّاسِ ، وَإِنْ حَمَلَتْ مِنْ الزِّنَا ، فَإِنْ قَتَلَتْ وَلَدَهَا جَمَعَتْ بَيْنَ الزِّنا وَالقَتْلِ وَإِنْ أَبْقَتْهُ حَمَلَتهُ عَلَى الزَّوْجِ فَأَدْخَلَتْ عَلَى أَهْلِهَا وَأَهْلِهُ

أَجْنَبِيّاً لَيسَ مِنْهُم فَورِثَهُم وَلَيْسَ مِنهُم وَرَآهُم وَخَلا بهم وانْتَسَبَ إِليهم وَلَيْسَ مِنهُم وَأَمَّا زِنَا الرَّجُلِ فانهُ يُوجِدُ اختِلاطَ الانْسَابِ أيْضاً وَافْسَادَ المَرْأَةِ المُصَونَةِ وَتَعْـرِيْضِهَا لِلتّلفِ وَالفَسَـادِ فَفِيْ هَذِهِ الكَبِيْـرَةِ خَرَابُ الـدُّنْيَا والدِّيْنِ .

وَمِنْ خَاصِّيَّتِهِ أَنَّهُ يُوْجِبُ الفَقْرَ وَيُقَصِّرُ العُمْرَ وَيَكْسُو صَاحِبُه سَوَادُ الوَجْهِ وَثَوْبُ المَقْتِ بَيْنَ النَّاسِ .

وَمِنْ خَاصِّيَّتِهِ أَيضاً أَنَّهُ يُشَتِّتُ القَلْبَ ، وَيُمْرِضُهُ ، وَيَجْلِبُ الهَمَّ وَالحَزَنْ والخَوْفَ وَيُبَاعِدُ صَاحِبُهُ مِنْ المَلَكِ وَيُقَرِّبُهُ مِنْ الشَّيْطَانِ فَلَيْس بَعْدَ مَفْسَدَةِ القَتْلِ أَعْظَمَ مِنْ مَفْسَدَتِهِ وَلِهَذَا شُرِعَ فِيْهِ القَتْلُ عَلى أَشْنَعِ الوُجُوهِ وَأَفْحَشِهَا وَأَصْعَبِهَا وَلَوْ بَلَغَ العَبْدُ أَنَّ امْرَأَتَهُ أو حُرْمَتَه قُتِلَتْ كَانَ أَسْهَلَ عَلَيْهِ مِنْ أَن يَبْلُغَهُ أَنَّهَا زَنَتْ .

وَفي الصَّحِيْحَيْنِ مِنْ خُطْبَةِ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَمَ في صَلَاةِ الكُسُوفِ أَنَّهُ قالَ « يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ، وَاللهِ إِنَّهُ لا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنْ اللهِ ، أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُه أو تَزْنِيْ أمَتُهُ ، يا أُمَّةَ مُحمدٍ ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ ، لَضَحِكْتُم قَلِيْلاً ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيْراً » ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ « اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ » .

وفي ذِكْرِ هَذِهِ الكَبِيْرَةِ بِخُصُوصِهَا عَقِبَ صَلَاةِ الكُسُوفِ سِرٌّ بَدِيْعٌ لِمَنْ تَأَمَّلهُ فَظهُورُ الزِّنَا مِنْ أَمَارَاتِ خَرَابِ العَالَمِ وَهُوَ مِنْ اشْرَاطِ السَّاعَةِ كَمَا في الصَّحِيْحَيْنِ عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنهُ قَالَ لأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيْثاً لَا يُحَدِّثُكُموهُ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِي صَلى اللهُ عليه وَسَلم يَقُولُ « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ وَيُشْرَبُ الخَمْرُ وَيَظْهَر الزِّنَا وَيَقِلُّ الرِّجَالُ وَتَكْثِرُ النِّسَاءُ ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِيْنَ امْرَأةِ القَيِّمُ الوَاحِدُ وَقَدْ جَرَتْ سُنَّةُ اللهِ سُبْحَانَهُ في خَلْقِهِ أَنهُ عِنْدَ ظُهُور الزِنا يَغْضَبُ

اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَيَشْتَدُّ غَضَبُه فلا بُدَّ أَنْ يُؤثِّرَ غَضَبُه في الأرْضِ عُقُوبَة » .

وَخصَّ سُبْحَانَهُ حَدَّ الزِّنَا مِنْ بَيْنَ سَائِرِ الحُدُودِ بِثَلاثِ خصَائِصَ ، أَحَدُهَا القَتْلُ فِيْهِ بِأَشْنَعِ القَتَلاتِ وَحَيْثُ خَفَفَهُ فَقَدْ جَمعَ فِيْهِ بَيْنَ العُقُوبَةِ على البَدَنِ بالجَلدِ وَعَلَى القَلْبِ بِتَغْرِيْبِهِ عَنْ وَطَنِهِ سَنَةً ، الثَّانِيْ أَنَّهُ نَهَى عِبَادَهُ أَنْ تَأْخُذَهُم بالزُّناةِ رَأْفَةٌ في دِيْنِهِ بِحَيْثُ تَمْنَعُهُمْ مِنْ اقامَةِ الحَدِّ عَلَيْهِمْ .

الثَّالِثُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَمرَ أَنْ يَكُونَ حَدُّهُمَا بِمَشْهَدٍ مِنْ المُؤْمِنِيْنَ فَلاَ يَكُونُ في خَلْوَةٍ حَيْثُ لاَ يَرَاهُمَا أَحَدٌ وَذَلِكَ أَبْلَغُ في مَصْلَحَةِ الحَدِّ وَحِكْمَةِ الزَّجْرِ .

وَمِنْ الأَسْبَابِ التِيْ رُبَّمَا تَكُونُ سَبَباً إِلَى الوُقُوعِ في هَذِهِ المَعْصِيَةِ خُرُوْجُ النِّسَاءِ إِلَى الأَسْوَاقِ مُتَبَرِّجَاتٍ لِسَانُ حالِهِنَّ يَدْعُو إِلَيْهِنَّ الفَسَقَةَ فَخُرُوجُهُنَّ في هذا الزَّمَانِ إِلَى الأَسْوَاقِ خَطَرٌ عليْهِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الأَخْطَارِ فَقَلَّ أَنْ تَسْلَمَ المَرْأَةُ مِنْ التَّعَرُّضِ لها إِذَا خَرَجَتْ قَوْلاً أَوْ فِعْلاً وَقَدْ يَكُونُ مَعَها أَبُوهَا أو أَخُوهَا ولا تَسْلَمُ مِنْ الاعْتِدَاءِ .

وَمِنْ الأَسْبَابِ دُخُولِ الأَجَانِبِ عَلَى المَرْأَةِ فَإِنَّ الأَجْنَبِيْ إِذَا وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى المَرْأَة فَأَعْجَبَتْهُ أَوْ أَعْجَبَهَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ الأُمُورُ التِيْ تُخْشَى عَواقِبُها وَأَخْطَرُ الأَجَانِبِ عَلَى المَرْأَةِ أَقَارِبُ زَوْجِهَا وَأَقَارِبُ أَبَوَيْهَا فَإِنَّهُم يَتَرَدَّدُوْنَ غَالِباً وَرُبَّمَا كَانَ يَجْمَعُهم بَيْتٌ وَاحِدٌ وَتَارَةً تَكُونُ وَحْدَهَا في البَيْتِ عِنْدَ دُخُولِ أَحَدِهِمْ .

وفي ظِلِّ ذَلِكَ التَّرَدُّدِ والتَّزَاوُرِ وَالاجْتِمَاعِ يَكُونُ مَا يَكُونُ مَعَ الدَّوَامِ

وَالاسْتِمْرَارِ .ومن الأَسْبَابِ وُجُودُ الخَدَّامِيْنَ والخَدَّامَاتِ والمُرَبِّيَاتِ والسَّواقِيْنَ والطَّبَّاخِيْنَ والخَيَّاطِيْنَ والخياطات ونحو ذلك .

وَمِنَ الأَسْبَابِ تَأْخِيْرُ مَنْ بَلَغَ مِنَ الشَّابَّاتِ وَالشُّبَّانِ فَإِنَّهُ بِمُجَرَّدِ بُلُوغِه تَهِيْجُ عَلَيْهِ الشَّهْوَةُ هَيَجَانَ النِّيْرَانِ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِجَانِبِهِ حَلالٌ يُطْفِىءُ ذَلِكَ الهَيَجَانُ رُبَّمَا أَطْفَأَهُ بِمَا يُعْقِبُ لَهُ العَارَ في الدنيا وَيُعْقِبُه في الآخِرَةِ إِنْ لَمْ يَتُبْ النَّارَ .

وَمِنْ تِلْكَ الأَسْبَابِ إِعْوِجَاجُ الأَزْوَاجِ وَخِيَانَتُهم بالاتِّصالِ بِغَيْرِهِنَّ عَلَى غَيْرِ الوَجْهِ الشَّرْعِيِّ فَإِنَّ المَرْأَةَ إِذَا عَلِمَتْ أَنَّ زَوْجَهَا أَصْبَحَ لِغَيْرِهَا أَصْبَحَتْ لِغَيْرِهِ مُقَلِدَةً لَهُ في ذَلِكَ وَمُتبعَةً لِطَرِيْقَتِهِ فَتسَفُلتْ فَبَاعَتْ عِرْضَها تَسَفُّلاً مِنْهَا وَانْتِقاماً مِنْ زَوْجِهَا الذِيْ فَتَحَ أَمَامَهَا بَابَ الاثْمِ وَسَارَ أَمَامَهَا في مَهَاوِي الخَطِيْئَةِ وَالمَرْأَةُ غَالِباً عَلَى دِيْنِ زَوْجِهَا ، أَفَلا يَكُونُ هَذَا الرَّجُلُ هُوَ الفَاسِقُ الآثِمُ لأَنَّهُ الذي سَنَّ لَهَا هَذِهِ السُّنَّةَ السَّيِّئَةَ وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَرُبَّمَا كَانَ مِثَالاً سَيِّئاً يُقْتَدَى بِهِ في ذَلِكَ وَرُبَّمَا قَلَّدَتْهُ بَنَاتُهُ وَأَوْلادُه وَأَخَواتُه وَقَدِيْماً قِيْلَ في الزوْجَةِ .

لا تَطَّلِعْ مِنْكَ عَلَى رِيْبَةٍ
فَيَتْبَعُ المَقْرُوْنُ حَبْلَ القَرِيْنِ

آخر :

ولا تَجْلِسْ إِلَى أَهْلِ الدَّنَايَا فإِنَّ خَلائِقَ الفُسَّاقِ تُعْدِي

وَرَوَى القَاسِمُ بْنُ بِشْرٍ في أَمَالِيْهِ وَابْنُ عَدِيّ عَنْ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعَاً « عُفُّوا تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ » وَرَوَى ابْنُ مَاجَهْ باسْنادٍ حَسَنٍ عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ « من سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيْهِ ، سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَة

أَخِيْهِ المُسْلِمِ كَشَفَ اللهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحْهُ بِهَا » قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَـا هَـاتِكـاً حَـرَمَ الـرِّجَـالِ وَتَـابِعـاً
طُـرُقَ الـفَسَـادِ فَـأَنْتَ غَيْـرُ مُكَـرَّمِ
مَـنْ يَـزْنِ فِـي قَـوْمٍ بِـأَلْـفَيْ دِرْهَـمٍ
فِـي أَهْلِهِ يُـزْنَـي بِـرُبْـعِ الـدِّرْهَـمِ
إِنَّ الـزِّنَـا دَيْـنٌ إِذَا اسْـتَـقْـرَضْـتَـهُ
كَـانَ الـوَفَـاءُ مِن أَهْـلِ بَيْتِـكَ فـاعْلَمِ

وَإِنَّهُ لَيَنْدُرُ جِدّاً أَنْ تَرَى فَاجِراً مِنْ بَيْتٍ عَفِيْفٍ أَو عَفِيْفاً مِنْ بَيْتٍ فاجِرٍ وَإِنْ وُجِدَ ذَلِكَ على نُدْرَتِهِ فَلاَ بُدَّ وَاللهُ أَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تَأْثِيْرِ بِيْئَةٍ أُخْرَى غَيْرِ بِيْئَةِ المَنْزِلِ التِيْ هِيَ المَزْرَعَةُ الأَوْلَى لِبُذُورِ الأَخْلاَقِ .

شعرا :

أَرَى صَاحِبَ النِّسْوَانِ يَحْسَبُ أَنَّهَا سَوَاءٌ وبُوْنٌ بَيْنَهُنَّ بَعِيْـدُ
فَمِنْهُـنَّ جَنَّاتٌ يَفِيءُ ضِـلالُهَـا ومِنْهُـنَّ نِيْرَاةٌ لَـهُنَّ وَقُـوْدُ

آخـر :

بَعْضُ النِّسَاءِ وإِنْ عُرِفْنَ بِعِفَّـةٍ جِيَـفٌ عَلَيْهِـنَّ النُّـسُورُ الحُـوَّمُ
اليَومَ عِنْدَكَ جِيْـدُهَا وحَـدِيثُهَا وَغَـداً لِغَيْرِكَ عَطْـفُهَا وَالْمُعْـصَمُ
كَالخَـانِ تَنْزِلُـهُ وتُصْـبِحُ رَاحِلاً عَنْـهُ ويَنْـزِلُ فِيْـهِ مَنْ لا يَعْـلَمُ

وَأَوْلَى النَّاسِ بالعِفَّةِ وَالحِرْصِ عَلَى التَّحَلِّيْ بِفَضِيْلَتِهَا والابْتِعَادِ عَنْ مَوَاقِعِ الرِّيَبِ هُمْ العُلَمَاءُ وَالعُظَمَاءُ لِأَنَّهُمْ قُدْوَةٌ يُقْتَدَى بِهِمْ .

أَقْوالُهم مَأْثُوْرَةٌ ، وَأَفْعَالُهم مَنْظُوْرَةٌ ، وَهَفَواتُهم عَظَائِمٌ ، وَزَلاَّتُهم مِنْ أَكْبَرِ الجَرَائِمِ فَعَلَيْهِم أَنْ يَعْرِفُوا أَقْدَارَ أَنْفُسِهِمْ ويَقْدِروا لَهَا مَوْضِعَهَا مِنَ الكَرَامَةِ .

أدْرِكُوْا العِلْمَ وَصُونُوا أَهْلَهُ   عَنْ ظَلُومٍ حادَ عَن تَبْجِيْلِهِ
إنما يَعْرِفُ قَدْرَ العِلْمِ مَنْ   سَهِرَتْ عَيْنَاهُ في تَحْصِيْلِهِ
آخر : يا خائفَ الموتِ لَو أَمْسَيْتَ خَائِفَهُ
كأنَتْ دُمُوعُكَ طُوْلَ الدَّهْرِ تَنْبَجِسُ
أَمَا يَهُوْلُكَ يَومٌ لا دِفَاعَ لَهُ
إذْ أَنْتَ في غَمَرَاتِ المَوْتِ مُنْغَمِسُ
أَمَا تَهُوْلُكَ كَأْسٌ أَنْتَ شَارِبُهَا
والعَقْلُ مِنْكَ لِكُوبِ الموتِ مُلْتَبِسُ
لِلْمَوْتِ ما تَلِدُ الأَقْوَامُ كُلُّهُمُ
ولِلْبِلَى كُلُّ ما بَنَّوا وَمَا غَرَسُوا
إِيَّاكَ إِيَّاكَ والدُنْيَا وَلَذَّتَهَا
فالموتُ فِيْهَا لِخَلْقِ اللهِ مُفْتَرِسُ
إِنَّ الخَلَائِقَ في الدُنْيَا لَوِ اجْتَهَدُوا
أَنْ يَحْبَسُوا عنكَ هذا الموتَ ما حَبَسُوا
إِنَّ المَنِيَّةَ حَوْضٌ أَنْتَ تَكْرَهُهُ
وأَنْتَ عَمَّا قَلِيْلٍ سَوفُ تَنْغَمِسُ
مَالِيْ رَأَيْتُ بَنِي الدُنْيَا قَدْ افْتَتَنُوا
كَأَنَّمَا هَذِهِ الدُنْيَا لَهُمْ عُرُسُ
إِذَا وَصَفْتَ لَهُمْ دُنْيَاهُم ضَحِكُوا
وَإِنْ وَصَفْتَ لَهُمْ أُخْرَاهُم عَبَسُوا
مَالِيْ رَأَيْتُ بَنِيْ الدُنْيَا وإخْوتِهَا
كَأَنَّهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ مَادَرَسُوا

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوكِ مَنَاهِجِ المتقين وَخصَّنَا بالتّوفِيق المُبين واجْعَلْنَا بِفَضْلِكَ مِنْ المُخْلِصِيْن الذِيْنَ لا خَوْفَ عَلَيْهم ولا هُمْ يَحْزَنُونَ .

اللَّهُمَّ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمِلِ بِمَا يُرْضِيْكَ وَجَنِّبْنَا أَسْبَابَ سَخَطِكَ وَمَعَاصِيْكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فصل في إثم فاحشة اللِّوَاط

إعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ لما يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ وَجَنَّبنا وَإِيَّاكَ مَا يَكْرَهُهُ وَلاَ يَرْضَاهُ أَنَّ اللُّوَاطَ رَذِيْلَةٌ مِنْ أَسْوءِ الرَّذَائِلِ وَخَصْلَةٌ مِنْ شَرِّ الخِصَالِ التِيْ لاَ تَلِيْقُ بالإِنْسَانِ فإِنَّ اللهَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلَ الأُنْثَى مَحَلاً لَقضَاءِ تِلْكَ الشَّهْوَةِ وَمَكَاناً لِذَلِكَ العَمَلِ الخَاصِّ فَهُوَ مَسُوقٌ بِفِطْرَتِهِ إِلَى ذَلِكَ المَعْنَى .

وَاللِّوَاطُ ـ أَعَاذَنَا اللهُ وَإيَّاكَ مِنْهُ ـ خُرُوْجٌ عَنْ ذَلِكَ ، وَاعْتِدَاءٌ صَرِيْحٌ عَلَى الطَّبِيْعَةِ التِيْ رَكَّبَها اللهُ وَذَلِكَ شَرٌّ وَبِيْلٌ وَفَسَادٌ كَبِيْرٌ وَفِيْهِ عَارُ الزِّنَا وَاثمُهُ وَعِقَابُه بَلْ هُوَ أَشَدُّ عَاراً وَأَعْظَمُ جُرْماً وَنَحْنُ بالبَدَاهَةِ نُدْرِكُ أَنَّ عَارَ امْرَأةٍ يُزْنَى بِهَا لَيْسَ كَعَارِ رَجُلٍ يُلاطِ بِهِ كَمَا أَنَّ احْتِقَارَنَا وَبُغْضَنا إيَّاهَا مَهْمَا كانَ شَدِيْدَاً أَخفُ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ نُفْرَتِنَا مِنْ اللّوُطِيِّ وَمَقْتِنا لَهُ .

وَالسَّبَبُ في هَذَا أَنَّ الزِّنَا وَإِنْ خَالَفَ مُقْتَضَى الشَّرِيْعَةِ لَمْ يُخَالِفْ مُقْتَضَى الطَّبِيْعَةِ التِيْ رَكَّبَهَا اللهُ في الإِنْسَانِ بِخِلاَفِ اللوَاطِ فَقَدْ خَالَفَ مُقْتَضَى الشَّرِيْعَةِ وَالطَّبِيْعَةِ مَعاً . وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ العِلْمِ عَلَى تَحْرِيْمِ اللوَاطِ وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ تَعَالَى في كِتَابِهِ وَعَابَ مَنْ فعلهُ وَذَمَّهُ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلم .

قالَ اللهُ تَعالى ﴿ وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ : أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ العَالَمِيْنَ ، أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُوْنِ النِّسَاءِ ،

بَلْ أنْتَمُ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾ وفي قِصَّةِ قَوْم لُوْطٍ يَبْدُو انحِرَافُ الفِطْرَةِ وَاضِحاً حتَّى انَّ لُوطاً لَيُجِيْبُهم بأنهُم بِدْعٌ دُوْنَ خَلْقِ اللهِ فِيْهَا وَأَنَّهُم في هذَا الانْحِرَافِ الشَّنِيْعِ غير مُسَبْوُقِينَ .

قَالَ عَمْرُو بْنُ دِيْنَارٍ في قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ العَالَمِيْنَ ﴾ قالَ : مَا نزا ذكرٌ عَلَى ذَكَرٍ ، حَتَّى كَانَ قَوْمُ لُوْطٍ ، وَقَالَ الوَلِيْدُ ابْنُ عَبْدِ الملكِ لَوْلَا أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَصَّ عَلَيْنَا خَبَرَ قَوْمِ لُوْطٍ مَا ظَنَنْتُ أَنّ ذكراً يَعْلُو ذكراً .

وَعَجَبٌ أَنْ نَرَى تِلْكَ العَادَةَ الشَّائِنَةِ القَبِيْحَةِ تَنْتَقِلُ مِنْ أُوْلَئِكَ الأَشْرَارُ الذِيْنَ خَسَفَ اللهُ بِهِمْ - إِلَى غَيْرِهِمْ مِنْ النَّوْعِ الإِنْسَانِيِّ مَعَ إِنَّهَا لَمْ تَكَدْ تُوْجَدُ في الحَيواناتِ الأخرى ، فإنّكَ لا تكادُ تجِدُ حَيواناً مِنْ الذُّكُورِ يَأْتِيْ ذكراً مِثْلَهُ اللهُمَّ إِلَّا قَلِيْلاً نَادِراً كَبَعْضِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ وَإِلَى ذَلِكَ تُشِيْرُ الآيَةُ الكَرِيْمَةُ فَإِنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ لَهُم : إِنَّ تِلْكَ الفَاحِشَةِ لَمْ يَسْبِقْكُم بِهَا أَحَدٌ مِنْ العَالَمِيْنَ وَالعَالَمْ كُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ فَيَشْمَلُ الانْسَانَ والحَيَوانَ قَالَ في كِتَابِ الأَخْلَاقِ الدِّينيَّةِ . .

وَإِذَا كَانَ الإِنْسَانُ تَسُوقُهُ شَهْوَتُهُ إِلَى أَنْ يَفْعَلَ مَا تَـأْبَاهُ نُفُـوسُ الحَيَوانَاتِ العَجْمَاءِ فَمَاذَا يَكُونُ حَالهُ أَلَيْسَ مِنْ أَكْبَرِ المَصَائِبِ أَنْ تَنْحَطَّ دَرَجَةُ الإِنْسَانِ في شَهْوَةِ الفَرْجِ عَنْ دَرَجَةِ الحَيْوانِ .

اللهُمَّ ان في ذَلِكَ مِنْ الخِزْيِ وَالعَارِ مَا لاَ تُطِيْقُهُ النُّفوسُ الكَرِيْمَةُ وَلَا تَحْتَمِلُه الطِبَاعُ السَّلِيْمَةُ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ في رَذِيْلَةِ اللوَاطِ سِوَى ذَلِكَ لَكَفى بِهَا ذَمَّاً يَصْرِفُ النّاسَ عَنْهَا وَيُزَهِّدُهُم فِيْهَا وَلَكِنَّها فَوْقَ ذَلِكَ يَتَرتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ المَضَارِّ وَالمَفَاسِدِ مَا يُؤْذِيْ المُجتَمَعَ الانْسَانِيْ .

وَإِلَيْكَ البَيَانُ أَوَّلاً إِذَا فَشَتْ تِلْكَ العَادَةُ في أُمَّةٍ مِنْ الأُمَمِ وَأَصْبَحَتْ

دَاءً خُلُقِيّاً فِيْهَا لا تَلْبَثُ أَنْ تَتَعَرَّضَ لِلفَنَاءِ بانْقِرَاضِ نَسْلِهَا ، وَلَوْ بَعْدَ حِيْن ، لِأَنَّ الرِّجَالَ فِيْهَا تَنْصَرِفُ عَنْ النِّسَاءِ ، فَيَقِلُّ النَّسْلُ تَدْرِيْجِيّاً وَتَنْقَرِضُ الأُمَّةُ في وَقْتٍ مَا .

ثانياً أَنَّ اللائِطَ يسْتَغْنِيْ بالذَّكَرِ عَنْ المَرْأَةِ فَإِنْ كَانَ مُتَزَوِّجاً يُهْمِلُ زَوْجَتَهُ ، فَيُعَرِّضُهَا لِلْخَنَا وَالفَسَادِ ، وَإِنْ كَانَ أَعْزَبَ ، لَمْ يُفَكِّر في الحُصُولِ عَلَى زِوَاجٍ وَإِذا عَمَّتْ اللوَاطِيَّةُ أَمَّةً اسْتَغْنَتْ رِجَالُهَا عَنْ نِسَائِهَا وَأَصْبَحَتْ النِّسَاءُ ضَائِعَاتٍ لَا يَجِدْنَ مَوْئِلاً وَلاَ يَظْفَرْنَ بِمُعِيْنٍ يَرْحَمُ ضَعْفَهُنَّ وفي ذَلِكَ مِنْ الخَطَرِ الإِجْتِمَاعِيّ وَالعُمْرَانِيّ مَا فِيْهِ .

وَقَالَ فَدَاءُ اللّوْطِيَّةِ مَآلُهُ الانْصِرَافُ عَنْ النِّسَاءِ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ اتْيَانَ النِّسَاءِ في غَيْرِ مَحَلِّ الوِلاَدَةِ عَادَةٌ مَرْذُوْلَةٌ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا ضَيَاعُ النَّسْلِ كَمَا قَدَّمْنَا .

ثالثاً : أَنَّ اللائِطَ لَا يُبَالِي أَن يَسْتَهْوِيْ الأَحْدَاثَ الذِيْنَ لا يُدْرِكُوْنَ العَارَ وَلَا يَعْرِفُونَ الفَضِيْحَةَ فَيُمَرِّنُهُم عَلَى فَسَادِ الأخلاقِ وَيُوَلِّدُ عِنْدَهُمْ ذَلِكَ الدَّاءَ فَإِذَا مَا بَلَغُوا حَدَّ الرُّجُولَةِ وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ مُنْغَمِسِيْنَ فِي الرَّذِيْلَةِ فَيَضِيْعُ الحَيَاءُ مِنْ وُجُوهِهِمْ وَلَا يُبَالُوْنَ بِارْتِكَابِ الجَرَائِمِ الأَخْلَاقِيَّةِ ، وَلَا يَتَعَفَّفُونَ عَنْ المُحَرَّمَاتِ الدِّيْنِيَّةِ وَيَكُونُ ذَلِكَ الوِزْرُ في عُنُقِ اللائِطِ الذِيْ عَمِلَ عَلَى إِفْسَادِ أَخْلَاقِهِم وَكَانَ سَبَباً فِي انْتِزَاعِ مَاءِ الحَيَاءِ مِنْ وُجُوهِهِمْ وذلكَ عَظِيْمٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى وَمَنْ يَفْعَلَهُ يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ لأَنَّ عَلَيْهِ وِزْرَيْنِ وِزْرُ ذَلِكَ العَمَلِ الشَّائِنِ وَوِزْرُ افْسَادِ الغُلَامِ الذِيْ لَمْ يُكَلفْ لِتِلْكَ الشَّهْوَةِ الفَاسِدَةِ التِيْ تُخَلِّفُ وَرَاءَهَا ذَلِكَ البَلَاءِ المُبِيْنِ اهـ . واللهُ أَعْلَمُ وَصلَّى

اللهم يا مَنْ لا تَضُرُّهُ المعصية ولا تنفعُهُ الطاعَةَ أَيقظْنَا مِنْ نَومِ الغَفْلَةِ وَنَبِّهْنا لِاغْتِنَام أُوقَاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقنَا لِمَصَالِحِنَا واعْصِمْنا مِن قَبائِحِنَا ولا تُؤآخِذْنا بما انْطَوَاتْ عليهِ ضمائِرُنا وأَكَنَّتْهُ سَرائِرُنا مِن أَنواع القَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تعلمها منا ، وأمنُن علينا يَا مَوْلَانَا بتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَ ذَنْبٍ واغْفِرْ لنا ولِوَالِدِيْنا

ولجميعِ المسلمين الأَحياءِ منهم والميتينَ بِرحْمتِكَ ياأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلى الله على محمدٍ وآلِهِ وصَحْبهِ أجمعين .

فصل : والدَّليْلُ مِنَ السُّنَّةِ عَلى تَحْرِيْمِ اللِّوَاطِ وَعِظَمِ جُرْمِهِ وعُقُوْبَةِ فَاعِلِهِ قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم « مَنْ وَجَدْتُموهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوْطٍ فاقتُلوا الفاعِلَ وَالمَفْعُولَ بِهِ » رَوَاهُ أَبُو داوُدَ وَالتُّرمِذِيّ وَابْنُ مَاجَه وَالبَيْهَقِيّ .

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه التِّرْمِذِيّ ، وَقَالَ : حَدِيْثٌ حَسَنٌ غَرِيْبٌ ، والحَاكِمُ وَقَالَ : صَحِيْحُ الاسْنَادِ ، وَقَالَ صلى اللهُ عليه وسلم « لَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوْطٍ ، لَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوْطٍ ، لَعَنَ اللهُ من عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ » رَوَاهُ النَّسَائِيّ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ « لاَ يَنْظُرُ اللهُ إِلَى رَجُل أَتَى رَجُلاً ، أَوْ امْرَأَةً في دُبُرِهَا » رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ والنَّسَائِيّ وابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ ، وَمِمَّا جَاءَ في اتْيَانِ النِّسَاءِ في أَدْبَارِهِنَّ مَا يَلِيْ .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وَسلم قَالَ هِيَ اللُّوْطِيَّةُ الصُّغْرَى يَعْنِيْ الرَّجُلُ يَأْتِيْ امْرَأَتَهُ في دُبُرِهَا وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنه قالَ قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلم اسْتَحْيُوا فَإِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحِيْ مِنْ الحَقِّ وَلاَ تَأْتُوا النِّسَاءَ في أَدْبَارِهِنَّ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالبَزَّارُ ، وَرَجَالهما رِجَال الصَّحِيْحِ .

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قالَ عَشْرُ خِصَالٍ مِنْ أَعْمَالِ قَوْمِ لُوطٍ تَصْفِيْفُ الشَّعْرِ ، وَحَلُّ الأزارِ وَرَمْيُ البُنْدُقِ وَالخَذْفُ بالحَصَا ، واللعِبُ بالحَمَامِ الطَّيَّارةِ وَالصَّفِيْرُ بالأصَابع ، وَفَرْقَعَةُ الأكْعُبِ وَاسْبَالُ الأزارِ وَحَلُّ أَزْرِ الأَقْبِيَةِ وَادْمَانُ شُرْبِ الخَمْرِ وَاتْيَانُ الذُّكُورِ وَسَتَزِيْدُ

عَلَيْهَا هَذِهِ الأُمَّةِ مُسَاحَقةُ النِّسَاءِ في أَدْبَارِهِنَّ » رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى باسْنَادٍ جَيِّدٍ وَرُوِيَ عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « ثلاثَة لا تُقْبَلُ لَهُم شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله الرَّاكِبُ وَالمَرْكُوبُ وَالرَّاكِبَةُ وَالمَرْكُوبَةُ وَالامَامُ الجَائِرُ » حَدِيْثٌ غَرِيْبٌ جِدّاً رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ في الأَوْسَطِ وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النبيَّ صَلى اللهُ عليه وَسَلم نَهَى عَن مَحَاشِّ النِّسَاءِ . رَوَاهُ الطبرَانِي في الأَوْسَطِ وَرُوَاتُه ثِقَاتٌ وَرَوَى ابْنُ مَاجَةْ وَالبَيْهَقِيّ كِلَاهُمَا عَنْ الحَارِثْ بْنِ مَخْلَدَةَ عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلم قالَ « لَا يَنْظُر اللهُ إِلَى رَجُلٍ جَامَعَ امْرَأَةً في دُبُرِهَا » وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم قَالَ « مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَةً في دُبُرِهَا » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ ، وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم قَالَ « مَنْ أَتَى حَائِضاً ، أو امْرَأَةً في دُبُرِهَا ، أو كاهِناً فصَدَّقَهُ ، كفَر بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلى اللهُ عليه وسلم » وَعَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ قالَ مَنْ أَتَى صَبِيّاً فَقَدْ كَفَر .

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم « مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوْطٍ نقَلهُ اللهُ تَعَالَى إِلَيهم ، حَتَّى يَحْشُرَهُ مَعَهم » وَخَرَّجَ الطبَرانِيّ مِنْ حَدِيْثِ جَابِر رَضِيَ اللهُ عنه ، عَنْ النبي صلى اللهُ عليه وسَلَّمَ قَالَ فيهِ « وَإِذا كَثُرَ اللُّوطِيَّةُ رَفَعَ اللهُ يَدَهُ عَنْ الخَلْقِ ، فلا يُبَالِيْ في أَيِّ وَادٍ هَلَكُوا » وَاللهُ اعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فصل

وَلَمَّا كَانَتْ فَاحِشَةُ اللُّوَاطِ شَأْنُهَا في القَبْحِ كَمَا ذُكِرَ اخْتَلَفَ أَئِمَّةُ الإِسْلامِ في عُقُوبَتِهَا لِمَنْ ثَبَتَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ قَوْمٌ إِنَّهَا كالزِّنَا تَماماً أي يُرْجَمُ فِيْهَا المُحْصَنُ ، وَيُجْلَدُ غَيْرُهُ مائةَ جَلْدَةٍ وَيُغَرَّبُ ، وَقَالَ آخَرُونَ يُرْجَمُ

الفَاعِلُ وَالمَفْعُولُ بِهِ عَلَى أَيِّ حَالٍ كانُوا عَمَلًا بالجَدِيْثِ المُتَقَدم قولُه صلى اللهُ عليه وسلم « فَاقتُلوا الفَاعِلَ والمَفْعُولَ بِهِ » .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ وَقَدْ أَطْبَقَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم على قَتْلِهِ لم يَخْتَلِفْ فِيْهِ مِنْهُم رَجُلانِ وَإِنَّمَا اخْتَلَفَتْ أَقْوَالُهم في صِفَةِ قَتْلِهِ .

وَمَنْ تَأَمَّلَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ، إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيْلًا ﴾ وَقَوْلَه في اللوَاطِ ﴿ أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ ، مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ العَالَمِيْنَ ﴾ تَبَيَّنَ لَهُ تَفَاوُتَ مَا بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ نَكَّرَ الفَاحِشَةَ في الزِّنَا أَيْ هُوَ فَاحِشَةٌ مِنْ الفَوَاحِش ، وَعَرَّفَهَا في اللِّوَاطِ ، وَذلِكَ يُفِيْدُ أَنَّهُ جَامِعٌ لِمَعَانِي اسْمِ الفاحِشَةِ كَمَا تَقُولُ زَيْدٌ الرَّجُلُ وَنِعْمَ الرَّجُلُ زَيْدٌ أَيْ أَتَأْتُونَ الخَصْلَةَ التِي اسْتَقَرَّ فُحْشُها عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ فَهِيَ لِظُهُورِ فُحْشِهَا وَكَمَالِهِ غَنِيَّةٌ عَنْ ذِكْرِهَا ، بِحَيْثُ لَا يَنْصَرِفُ الاسْمُ إلى غَيْرِهَا ، ثُمَّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ شَأْنَ فُحْشِهَا بِأَنَّها لَمْ يَعْمَلْهَا أَحَدٌ مِنَ العَالَمِيْنَ قَبْلَهُمْ ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ العَالَمِيْنَ ﴾ .

ثُمَّ زادَ في التأكِيْدِ بِأَنْ صَرَّحَ بِمَا تَشْمَئِزُ مِنْهُ القُلُوبُ وَتَنْبُو عَنْهُ الأَسْمَاعُ وَتنْفُرُ مِنْهُ أَشَدَّ النُّفُورِ وَهُوَ اتيَانُ الرَّجُل رَجُلًا مِثْلَهُ يَنْكَحُه كَمَا يَنْكَحُ الأُنْثى ، فقَالَ ﴿ إِنَّكُم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ﴾ ثُمَّ نَبَّهَ عَلى اسْتِغْنَائِهِم عَنْ ذَلِكَ .

وَأَنَّ الحَامِلَ لَهُم عَلَيْهِ لَيْسَ إلا مُجَرَّدُ الشَّهْوَةِ لا الحَاجَةُ التِي لِأَجْلِهَا مَالَ الذَّكَرُ إِلَى الأُنْثَى مِنْ قَضَاءِ الوَطَرِ وَلَذَّةِ الاسْتِمْتَاعِ وَحُصُولِ المَوَدَّةِ والرَّحْمَةِ التِي تَنْسَى المَرْأَةُ لَهَا أَبَوَيْهَا ، وَتَذْكُرُ بَعْلَهَا ، وَحُصُولِ النَّسْلِ الذِي هُوَ حِفْظُ هَذَا النَّوْعِ الذِيْ هُوَ أَشْرَفُ المَخْلُوقَاتِ وَتَحْصِيْنِ المَرْأَةِ .

وَقَضَاءِ الوَطَر وَحُصُولِ عِلَاقَةِ المُصَاهَرَةِ التِيْ هِيَ أُخْتُ النَّسَبِ وَقِيَامِ الرَّجُلِ عَلَى النِّسَاءِ وَخُرُوجُ أَحَبِّ الخلقِ إِلَى اللهِ مِنْ جِمَاعِهِنَّ

كالأنْبِيَاءِ والأوْلِيَاءِ وَالمؤ مِنِيْنَ وَمُكَاثَرَةِ النبيّ صَلى اللهُ عليه وَسلم الأنبيَاءَ بأمَّتِهِ إلَى غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحْ النِكَاحِ .

والمفْسَدَةُ التِي في اللوَاطِ تُقَاوِمُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَتُرْبِيْ عَلَيْهِ بِمَا لَا يُمْكِنُ حَصْرُ فَسَادِهِ وَلَا يَعْلَمُ تَفْصِيْلَهُ إلا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ أكَّدَ سُبْحَانَهُ قُبْحَ ذَلِكَ بِأَنَّ اللّوْطِيَّة عَكَسُوا فِطْرَةَ اللَّهِ التِيْ فَطَرَ اللهُ عَلَيْهَا الرِّجَالَ وَقَلَبُوا الطبِيْعَةَ ، التِيْ رَكَّبَهَا اللهُ في الذُّكُورِ وَهِيَ شَهْوَةُ النِّسَاءِ دُوْنَ الذُّكُورِ ، فَقَلبُوا الأَمْرَ ، وَعَكَسُوا الفِطْرَةَ والطبِيْعَةَ ، فَأَتوا الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُوْنِ النِّسَاءِ .

وَلِهَذَا قَلبَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِم دِيَارَهُم ، فَجَعَلَ عَالِيَهَا سَافِلهَا ، وَكذلكَ قُلِبُوا هُمْ وَنُكِّسُوا في العَذابِ عَلَى رُؤُ سِهِمْ ثُمَّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ قُبْحَ ذَلِكَ ، بِأَنْ حَكَم عَلَيْهِم بالاسْرَافِ ، وَهُوَمُجَاوَزَةُ الحَدِّ ، فقالَ﴿ بَلْ أَنْتُم قَومٌ مُسْرِفُون ﴾ فَتَأَمَّل هل جَاءَ مِثْلُ ذَلِكَ أو قَرِيْبٌ مِنْهُ في الزنَا ؟ .

وَأَكَّدَ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِم ذَلِكَ بِقَوْلِهِ ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ القَرْيَةِ التي كَانَتْ تَعْمَلُ الخَبَائِثَ ﴾ ثمّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِم الذمَّ بِوَصْفَيْنِ في غَايَةِ القُبْحِ ، فَقَالَ ﴿ إنَّهُم كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِيْنَ ﴾ وَسَمَّاهُمْ مُفْسِدِيْنَ في قَوْلِ نَبِيِّهِم ﴿ قَالَ ربِّ انْصُرْنِيْ على القومِ المُفْسِدِيْنَ ﴾ وَسَمَّاهُم ظالِمِيْنَ في قَولِ الملائِكَةِ لِإبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ﴿ إنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ القَرْيَةِ ، إنَّ أَهْلِهَا كَانُوا ظَالِمِيْنَ ﴾ فَتَأَمَّلْ مَنْ عُوْقِبَ بِمِثْلِ هَذِهِ العُقُوبَاتِ وَمَنْ ذَمَّهُ اللهُ بِمِثْلِ هَذِهِ المَذَمَّاتِ وَلَمَا جَادَلَ فِيهِم خَلِيْلُه ابْرَاهِيْمُ الملائِكَةَ وَقَدْ أَخْبَرُوه بِإهْلَاكِهِم ، قِيْلَ له ﴿ يَا ابْرَاهِيْمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ، إنَّهُ قد جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَإنَّهُمْ آتِيهِم عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُوْد ﴾ .

شِعْراً :

وكُنْ نَاصِحاً لِلْمُسْلِمِيْنَ جَمِيْعِهِمْ
بِإرْشَادِهِمْ لِلْحَقِّ عِنْدَ خَفَائِهِ

وَمُرْهُمْ بِمَعْرُوف الشرِيْعَةِ وَانَهَهُمْ
عن السُوءِ وَازْجُر ذَا الخَنَا عن خَنَائِهِ

وَعِظْهُمْ بآياتِ الكِتَابِ بِحِكْمَةٍ
لَعَلَّكَ تُبْرِيْ دَاءَهُمْ بِدَوائِهِ

فَإنْ يَهْدِ مَوْلَانَا بِوَعْظِكَ وَاحِداً
تَنَلْ مِنْهُ يَوْمَ الحَشْرِ خَيْرَ عَطَائِهِ

والاَّ فَقَدْ أَدَّيْتَ مَا كَانَ واجِباً
عَلَيْكَ وما مُلِّكْتَ أَمْرَ اهتدائِهِ

اللهمّ اجْعلَنا مِن حِزْبِكَ المفْلِحينَ وَعِبادِكَ الصّالحينَ الذين أَهّلتهم لِخدمَتِكَ وَجعلتهُم مِمّن قَبِلَت أَعمَالَه يا ربَّ العَالمينَ وصلّى الله على مُحمّدٍ وآلِهِ وَصَحْبه أجْمعين .

موعظة

عِبَادَ اللهِ ذَنْبُ اللُّوَاطِ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ يُغْضِبُ رَبَّ العِبَادِ إنَّهَا لفاحِشَةٌ يَضِيْقُ بِهَا الفَضَا وَتَعِجّ لهَا السَّمَاءُ وَيَحِلُّ بِهَا البَلَاءُ فَكَشْفُ حَالٍ ، وَسُوءُ مآلٍ ، وَدَاءٌ عُضَالٌ وَقُبْحُ أَفْعَال وَعَيْبٌ دُوْنَهُ سَائِرُ العُيُوبِ ، عَيْبٌ تَمُوتُ بِهِ الفَضِيْلَةُ ، وَتَحْيَا بِهِ الرَّذِيْلَةُ وَتَتَفَتَّتُ عَلَى أَهْلِهَا الأكْبَادُ ، وَتَذُوبُ مِنْ أَجْلِهَا حَيَاةُ القُلُوبِ ، فَعَمَلٌ مَسْبُوبٌ ، وَوَضْعٌ مَقْلُوبٌ ، وَفَاعِلٌ مَلْعُونٌ ، وَمَفْعُولٌ بِهِ عَلَيْهِ مَغْضُوبٌ ، وَخُلُقٌ فاسِدٌ ، وَشَرَفٌ مَسْلُوبٌ ، وَعِرْضٌ مُمَزَّقٌ ، وَكَرَامَةٌ مَعْدُومَةٌ ، وَزُهْرِيٌّ ؛ وَجَرَبٌ ، ذُوْ أَلْوانٍ ، وَقَذَرٌ وَانْتَانٌ ، وَسَاخَةٌ دُوْنَهَا كُلُّ وَسَاخَةٍ ، اللهُمَّ إنَّ في هَذِهِ

الفِعْلَةِ الشَّنِيْعَةِ مِنْ الخِزْيِ والعَار مَا لا تُطِيْقُهُ الطِّبَاعُ السَّلِيْمَةِ ، كَانَتْ أُمَّةٌ قَدِيْمٌ عَصْرُهَا ، بَاقٍ ذِكْرُهَا ، كَثِيْرٌ شَرُّهَا تَسْكُنُ بَيْنَ الحِجَازِ وَالشَّام ، تَرْتَكِبُ هَذِهِ الفاحِشَةَ الشَّنِيْعَةَ ، وَالجَرِيْمَةَ الفظيعةَ عَلناً ، في نَوَادِيْهِم وَيذرُونَ مَا خَلقَ اللهُ مِنْ أَزْوَاجٍ ، وَلاَ يُبَالُونَ بِمَنْ يَعْتَبُ عليهم ، وَيُشَنِّعُ عَليهم وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ اللُّوَّام ، فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِم لُوْطاً عَلَيْهِ وَعَلى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلام فَدَعَاهُم إِلى التَّوْحِيْدِ ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الأَصْنَام وَحَذَّرَهُمْ مِنْ فِعْلِ فَاحِشَةِ اللوَاطِ ، وَبَالَغَ في انذارِهم ، وَتَحْذِيْرِهِم ، وَكَانَ الجَزَاءُ والجَوابُ مِنْهُم عَلَى هَذِهِ النَّصِيْحَةِ أَنْ قَالُوا « أَخرِجُوا آلَ لُوْطٍ مِنْ قَرْيَتِكُم إِنَّهُم أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ » وَمَقْصُودُ هَؤُلاَءِ الأَشْقِيَاءِ بِهَذَا الوَصْفِ السُّخْرِيَةِ ، وَالتَّهكم ، بِلُوطٍ وَمَنْ مَعَهُ ، وَهَذَا كَمَا يَقُولُه الفُسَّاقُ والْمَرَجَةُ المُعَاصِرُونَ ، لِبَعْضِ الصُّلَحَاءِ إذا أَنْكَرُوا عَلَيْهِم ، وَوَعَظُوهُم ، أَخرِجُوا عَنَّا هَذَا المُتَدَيِّنُ ، أَوْ هَذَا المُتَزَهِّدْ ، وهذا بُرْهَانٌ واضِحٌ على أَنَّ قُلُوبَهُم مُمْتَلِئَنة من الحِقْدِ والحَسَدِ والغَيْظ على المؤمنين فَلْيَمُوتوا بِغَيْضِهِمْ وللهِ دَرُّ القائل :

إذَا بَعُدَ العُنقُودُ عَنْهُ ولَمْ يَصلْ ... إليهِ بِوَجْهٍ قال مُـرٌّ وحَامِضُ

ويقول الآخر :

دَعِ الحَسُوْدَ وَمَا يَلْقَاهُ من كَمَدٍ ... كَفَاكَ مِنْهُ لَهِيْبُ النَّارِ في كَبِدِهْ
إنْ لُمْتَ ذَا حَسَدٍ نَفَّسْتَ كُرْبَتَهُ ... وإنْ سَكَتَّ فَقَدْ عَذَّبْتَهُ بِيَدِهْ

آخر :

ضَارِي الطِّباعِ سُرُوْرُ النَّاسِ يُحْزِنُهُ ... ولا انْشِرَاحَ لَهُ إلاَّ إذَا آذَى

آخـر :

فَذمٌ يَذُمُّ فُنُونَ العِلْمِ مُحْتَقِـراً ... بِهَا وَمَنْ جَهِلِ الأَشْيَاءَ عَادَاهَا

آخـــر :

أَصَمَّكَ سُوْءُ فَهْمِكَ عن خِطَابِي وأَعْمَاكَ الضَّــلالُ عَن اهْتِــدَائِي

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا باللَّهِ العَزِيْزِ الحَمِيْدِ ﴾ .

وقال آخر :

ولا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْــرَ أَنَّ سُيُــوفَهُــم

بِــهِنَ فُـلُولٌ مِن قِــرَاعِ الـكتَــائِــبِ

فَقُلِبَتْ مَدِيْنَتُهُم أيْ قوم لُوْط وَأُتْبِعُوا بِحجَارَةٍ مِنْ سِجِّيْل مُسَوَّمَةً عِنْدَ الله لِلمُسْرِفِيْنَ أَيُّهَا المُسْلمُ أتدْرِيْ لِماذا ذَكَرَ اللهُ أخبَارَهُم في كِتَابِهِ العَظِيْمِ وعلى لِسَانِ نَبِيِّهِ الكَرِيْمِ إِنَّهُ واللهُ أعْلَمُ لِنَعْتَبِرَ بِمَا أَصَابَهُمْ ، وَنَحْذَرَ كُلَّ الحَذَرِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الحَالِ ، وَقُبْحِ الفِعَالِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى « وَمَا هِيَ مِنْ الظَّالِمِيْنَ بِبَعِيْد » سُبْحَانَ اللهِ كَيْفَ يَقَعُ ذَكَرٌ عَلَى ذَكر وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلاَ يَرَاهُ . وَقَدْ نَهَاهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ مُخَالَفَةِ العَقْلِ ، وَالدِّيْنِ ، وَمَا فِيْهِ مِنْ مَرَض خَطِيْرٍ ، وَشَرٍّ مُسْتَطِيْرٍ ، وَخِزْيٍ ، وَعَارٍ ، هَذَا بِالحَقِيْقَةِ فِعْلٌ تَتَرَفَّعُ عَنْهُ طِبَاعُ الكِلاَبِ . وَالبِغَالِ ، وَالحَمِيْرِ بَلْ وَالقِرَدَةِ وَالخَنَازِيْرِ ، وَما ظَهَرَ اللِّوَاطُ في أُمَّةٍ إلاَّ أُذِلَّتْ وَأُخْزِيَتْ ، وَسُلِبَ عِزُّهَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِهْلاَكَ قَرْيَةٍ فَسَقَ فِيْهَا المُتْرَفُونَ فاسْتَحَقَّتْ الخَرَابَ وَالدَّمَارَ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيْهَا فَفَسَقُوا فِيْهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيْرًا ﴾ فَانْتَبِهُوا أيُّها الأخْوَانُ وَتَنَاصَحُوا وَاحْفَظُوا أَوْلاَدَكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مَسْئُوْلُون عَنْهُمْ وَعَنْ هَمَالِكُمْ لَهُمْ احْرِصُوا عَلَيْهِمْ فَوْقَ حِرْصِكُمْ عَلَى أَمْوَالِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَنْجُوا مِنْ التَّبُعَاتِ وَتَسْلَمُوا مِنْ العُقُوبَاتِ جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ إذَا خُوِّفَ باللهِ نَدِمَ وَخَافَ

وَرزَقَنا وَإيَّاكُمْ مِنْ الانَابَةِ وَالأنْصَافِ مَا يُلْحِقُنَا بِصَالِحِ الأَسْلاَفِ وَغَفَرَ لَنَا وَلَكُمْ وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ إنَّهُ جَوَادٌ كَرِيْمٌ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

« فَصْــلٌ »

وَتَأَمَّلْ خُبْثَ اللُّوْطِيَّةِ وَفَرْط تَمَرُّدِهِمْ عَلَى اللّهِ حَيْثُ جَاؤُوا نَبِيَّهُمْ لُوْطَاً ، لَما سَمِعُوا بأنه قد طَرَقَهُ أضْيَافٌ هُمْ مِنْ أحْسَنِ البَشَرِ صُوَرَاً فاقْبَلَ اللوْطِيَّةُ إلَيْهِ يَهْرَعُوْنَ ، فَلَمَّا رَآهُمْ قالَ لَهُمْ ﴿ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أطْهَرُ لَكُمْ ﴾ ففَدَى أضْيَافَهُ بِبَنَاتِهِ يُزَوِّجُهُم بِهِنَّ ، خَوْفَا عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى أضْيَافِهِ مِنْ العَارِ الشَّدِيْدِ .

فقالَ ﴿ يَا قَوْمِ هَؤلاءِ بَنَاتِيْ ، هُنَّ أطْهَرُ لَكُمْ ، فَاتَّقُوْا اللّهَ ، وَلاَ تُخْزُونِ في ضَيْفِيْ ، ألَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيْدٌ ﴾ فَرَدُّوا عَلَيْهِ وَلَكِنْ رَدَّ جَبَّارٍ عَنِيْدٍ ، (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لنا في بناتِكَ مِنْ حَقٍّ وَانَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيْد) فَنَفَثَ نَبِيُّ اللهِ نَفْثَةَ مَصْدُورٍ ، خَرَجَتْ من قَلْبٍ مَكْرُوْبٍ ، فَقَالَ (لَوْ أنَّ لِيْ بِكُمْ قُوَّةً ، أوْ آوِيْ إلَى رُكن شَدِيْدٍ) .

فَكَشَفَ لَهُ رُسُلُ اللهِ عَنْ حَقِيْقَةِ الحَالِ وَأعْلَمُوهُ أنَّهُمْ مِمَّنْ لَيْسَ يُوْصَلُ إلَيْهِمْ وَلاَ إليهِ بِسَبَبِهِمْ فَلا تَخَفْ مِنْهُمْ وَلاَ تَعْبَأ بهم وَهَوِّنْ عَلَيْكَ فَقَالُوا ﴿يَا لُوطُ إنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ، لَنْ يَصِلُوا إلَيْكَ﴾ وَبَشَّرُوهُ بِمَا جَاؤا بهِ مِنْ الوَعْدِ لَهُ ، وَمِنْ الوَعِيْدِ المُصِيْبِ لِقَوْمِهِ فقالُوا ﴿فَأسْرِ بأهْلِكَ بِقِطَعٍ من اللَيْلِ ، وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُمُ أحَدٌ إلا امْرَأتَكَ إنَّهُ مصِيْبُها مَا أصابَهُمْ إنَّ مَوْعِدَهُمْ الصُّبْحُ﴾ فاسْتَبْطَأ نَبِيُّ اللهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مَوْعِدَ هَلاَكِهِمْ ، وقَالَ : أرِيْدُ أعْجَلَ مِنْ هَذَا فَقَالَتْ الملائِكَةُ ﴿أليْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيْبٍ﴾ .

فَواللهِ ما كَانَ بَيْنَ اهْلاَكِ أعْدَاءِ اللهِ وَنَجاةِ نَبِيِّهِ وَأَوْلِيَائِهِ إلا مَا بَيْنَ السَّحَرِ وَطُلُوْعِ الفَجْرِ وَإذا بِدِيَارِهِمْ قَدْ اقْتُلِعَتْ مِنْ أُصُولِهَا وَرُفِعَتْ نَحْوَ السَّمَاءِ حَتى سَمِعَتْ المَلاَئِكَةُ نِبَاحَ الكِلاَبِ وَنَهِيْقَ الحَمِيْرِ ، فَبَرزَ المَرْسُوْمُ الذِي لاَ يُرَدُّ ، مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ الجَلِيْلِ ، عَلَى يَدَيْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ جِبْرِيْلُ بأنْ يَقلِبَهَا عَلَيْهِمْ ، كَمَا أخْبرَ بِهِ في مُحْكَمِ التَّنْزِيْلِ .

فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ فَلَمَا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً ﴾ فَجَعَلَهُمْ آيَةً لِلْعَالَمِيْنَ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِيْنَ وَنِكَالاً وَسَلَفاً لِمَنْ شَارَكَهَا في أعْمَالِهِم مِنَ المُجْرِمِيْنَ وَجَعَلَ دِيَارَهُمْ بِطَرِيْقِ السَّالِكِيْنَ ﴿ إنَّ في ذَلِكَ لآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِيْن﴾أُخِذُوا عَلَى غِرَّةٍ وَهُمْ نَائِمُوْنَ ، وَجَاءَهُمْ بأسُهُ وَهُمْ في سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ فَمَا أغنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ تَقَلَّبُوا عَلَى تِلْكَ اللذاتِ طَوِيلاً فأصْبَحُوا بِهَا يُعَذَّبُونَ .

مَـآرِبَ كـانَتْ في الحَيَـاةِ لأَهْلِهَـا
عِـذَاباً فَصَـارَتْ في المَمَاتِ عَـذَاباً

ذَهَبَتْ اللَّذَاتُ وَأَعْقَبَتْ الحَسَـرَاتُ وَانْقَضَتَ الشَّهَـوَاتُ وَأَوْرَثَتْ الحَسَرَاتِ تَمَتَّعُوا قَلِيْلاً وَعُذِّبُوا طَوِيْلاً رَتَعُوا مَرْتَعاً وَخِيْماً فَأَعْقَبَهُمْ عـذاباً أَلِيْماً أسْكَرَتْهُمْ خَمْرَةُ تِلْكَ الشَّهَوَاتِ فَمَا اسْتَفَاقُوا مِنْهَا إلاَّ وَهُمْ في مَنَازِلِ الهَالِكِيْنَ فَنَدِمُوا وَاللهِ أشَدَّ النَّدَامَةِ حِيْنَ لاَ يَنْفَعُ النَدَمُ وَبَكوا عَلَى مَا أسْلَفُوهُ بَدَلَ الدُّمُوعِ بالدَّمِ فَلَوْ رَأَيْتَ الأعْلَى وَالأسْفَلَ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ وَالنَّارُ تَخْرُجُ مِنْ مَنَافِذِ وُجُوهِهِم وَأبْدَانِهِمْ وَهُمْ بَيْنَ أطْبَاقِ الجَحِيْمِ ، وَهُم يَشْرَبُوْنَ بَدَلَ لَذِيْذِ الشَّرابِ ، كُؤوْسَ الحَمِيْمِ ، وَيُقَالُ لَهُمْ وَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِم يُسْحَبُونَ ﴿ ذُوقوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُوْنَ ﴾ ﴿ إصلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُم إنَّمَا تُجزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وَلَقَدْ قَرَّبَ سُبْحَانَه

مَسَافَة العَذَابِ بَيْنَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَبَيْنَ إِخْوَانِهِم في العَمَلِ ، فَقَالَ مُخَوِّفاً لهُم ﴿ وَمَا هِيَ مِنْ الظالِمِيْنَ بِبَعِيْدٍ ﴾ انْتَهى .

وَمِنْ الأَسْبَابِ التِيْ رُبَّمَا تَكُونُ سَبَباً إلَى هَذِهِ المَعْصِيَةِ النَّظَرُ إلَى الأَمْرَدِ ، فَعَلَى الأنْسَانِ أَنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَدْ صَحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلَّم أنهُ « قال زِنَا العَيْنِ النَّظَرُ وَزِنَا الِلّسَانِ النُّطْقُ ، وَزِنَا اليَدِ البَطْشُ ، وَزِنَا الرِّجْلِ الخُطَا ، وَزِنَا الأُذُنِ الاسْتِمَاعُ ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِيْ ، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ » وَلأَجْلِ ذَلِكَ بَالَغَ الصَّالِحُونَ في الأعْرَاضِ عَنْ المُرْدَانِ وَعَنْ النَّظَرِ إلَيْهِمْ وَعَنْ مُخَاطَبَتِهِمْ وَعَنْ مُجَالَسَتِهِمْ قَالَ الحَسَنُ بْنُ ذَكْوَانَ لاَ تُجَالِسُوا أَوْلاَدَ الأَغْنِيَاءِ فإِنَّ لهُم صُوَراً كَصُوَرِ العَذَارَى فَهُمْ أَشَدُّ فِتْنَةً مِنْ النِّسَاءِ وَقَالَ بَعْضُ التَّابِعِيْنَ مَا أنا بِأَخْوَفَ عَلَى الشَّابِّ النَّاسِكِ مع سَبُعٍ ضَارٍ مِنْ الغُلاَمِ الأَمْرَدِ يَقْعُدُ إلَيْهِ وَكَانَ يُقَالُ لا يَبِيْتَنَّ رَجُلٌ مَعَ أَمْرَدٍ في مَكَانٍ وَاحِدٍ وَحُرِّمَ قِيَاساً عَلَى المَرْأةِ لِأَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَا خَلاَ رَجُلٌ بِامْرَأةٍ إلاَّ كَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثُهُمَا » وَفِي المُردان مَنْ يَفُوقُ النِّسَاءَ بِحُسْنِهِ فَالفِتْنَةُ بِهِ أعْظَمُ وَأَنهُ يُمْكِنُ فِي حَقِّهِ مِنْ الشَّرِّ مَا لاَ يُمْكِنُ في حَقِّ النِّسَاءِ ، وَيَسْهُلُ في حَقِّهِ مِنْ طَرِيْقِ الرِّيْبَةِ وَالشَّرِّ مَا لاَ يَتَسَهَّلُ فِي حِقِّ المَرْأةِ ، فَهُوَ بالتَّحْرِيْمِ أوْلَى ، وَأقوالُ السَّلفِ في التَّنْفِيْرِ مِنْهُمْ وَالتَّحْذِيْرِ مِنْ رُؤْيَتِهِمْ أكثَرُ مِنْ أنْ تُحْصَرَ .

شِعْراً :

صُنِ الحُسْنَ بالتَّقْوَى وإلاَّ فَيَذْهَبُ
فَنُورُ التُقَى يَكْسُو جَمَالاً وَيكْسِبُ
وَمَا يَنفَعُ الوَجْهَ الجَمِيْلَ جَمَالُهُ
وَلَيْسَ لَهُ فِعْلٌ جَمِيْلٌ مُهَذَّبُ

فَيـا حَسَنَ الـوَجْـهِ اتَّقِ اللّهَ إنْ تُـرِدْ
دَوَامَ جَـمَـالٍ لَيْسَ يَـفْـنَـى وَيَـذْهَـبُ
يَـزِيْدُ التُقى ذَا الحُسنِ حُسْنَـاً وَبهْجَـة
وَأمـا الـمَعَـاصِي فَهْيَ لِلْحُسْنِ تَسْلِبُ
وَتَكْسِفُ نُـورَ الـوَجْـهِ بَعدَ بَـهَـائِـهِ
وَتَكسُـوهُ قَبْحَـاً ثـم لِلْقَلْبِ تَـقْلِبُ
فَسَـارِعْ إلَى التَّقْـوَى هُنَـا تَجِـدِ الهَنَـا
غَـدَاً في صَفَـا عَيْشٍ يَـدُوْمُ وَيَعْـذُبُ
فَمَا بَعْدَ ذِيْ الـدُّنْيَا سِـوَى جَنَّةٍ بِهَـا
نَـعِيْـمٌ مُقِـيْـمٌ أوْ لَـظَىً تَـتَـلَهَّـبُ

وَاللهُ أَعْلَمُ وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحمد وآله وسلم .

موعظـة رَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وسَلم « تَفَرَّغُوا مِنْ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا أكْبَرَ هَمِّهِ ، فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أمْرَهُ وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ أكْبَرَ هَمِّهِ جَمَعَ اللهُ لَهُ أُمُورَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ في قَلْبِهِ وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بِقَلبِهِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا جَعَلَ اللهُ قُلُوبَ المُؤْمِنِيْنَ تَفِدُ إليه بِالوِدِّ وَالرَّحْمَةِ وَكَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ بِكُلِّ خَيْرٍ أَسْرَعُ » وَلَمَّا دَخَلَ أبو الدَّرْدَاءِ الشَّامَ قَالَ يا أَهْلَ الشَّام اسْمَعُوا قَوْلَ أَخٍ ناصِحٍ فاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ مَا لِيَ أرَاكُمْ تَبْنُونَ مَا لا تَسْكُنُونَ وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ وَتُؤَمِّلُونَ مَا لَا تُدْرِكُوْنَ إِنَّ الذِينَ كَانُوا قَبْلَكُم بَنَوا مَشِيْدَا وَأَمَّلُوا بَعِيْداً وَجَمَعُوا عَتِيْدَا فَأَصْبَحَ أَمَلُهُم غُرُوْرَا وَمَسَاكِنُهُمْ قُبُورا: وَقَالَ بعضهم :

أَجِدّكَ ما الدنيـا وماذا نَعِيمُهَا   وهَلْ هِيَ إلاَّ جَمْرَةٌ تَتوقَّـدُ
لَعَمري لَقَدْ شاهَدتُ فيها عَجَائِباً   وصَاحِبَني فيهـا مَسوْدٌ وسَـيِّدُ
رَأَيْتُ بِهَا أَهْلَ المَواهِبِ مَـرَّةً   وقد طَابَ عَيْشٌ والسُرُوْرُ يُجَـدِّدُ

فما رَاعَهمُ إلّا الرِّزاديا ثَوابِـــتٌ عليهم وقامَتْ في أذاهُــم تُحَشِّدُ
وأسْقَتْهُمُوْا كاساً مِن الذُلِ مُتْرَعاً وكانَ لهُم فَوقَ السِّمَاكَينِ مَقْعَدُ
ودَانَتْ لمِنْ ناوَاهُمُ بَعضَ بُرهَــةٍ على نَكَدٍ في كُلِّ يَومٍ يُجَــدَّدُ

آخــر :

أُأَمِّـلُ أَنْ أُخَـلَّدَ والمَنَـايَـا تُدوُرُ عليَّ مِن كُلِّ النَّـواحِي
ومَا أدْرِي وَإِنْ أَمْسَيْتُ يَوْما لَعَلِّيْ لا أعِيْشُ إلى الصَّبَـاحِ

إنَّ كُلَّ يَوْمٍ يَمُرُّ بِكُمْ يَحْمِلُ مَا ثَبتَ فِيْهِ مِنْ خَيْرٍ أو شَرّ ثُمَّ يَمْضِيْ فَلاَ يَعُودُ أبَداً فإنْ قَدرْتُمْ أَنْ تَحْظَوا كُلَّ يَوْمٍ بِمَكْرُمَةٍ وَتُثَبِتُوا فِيْهِ حَسَنَةً فَلاَ تُؤْخِّرُوا فإنَّ الأَيَّامَ صَحَائِفُ فَخَلِّدُوا فِيْهَا الجَمِيْلَ فَقَدْ رَأيْتُمْ حِفْظَهَا لِمَا اسْتودعتْ مِنْ المَحَامِدِ والمَحَاسِنِ وَالمَكَارِمِ فِي قَدِيْمِ الدَّهْرِ وَحَدِيْثِهِ.

شِعْراً :

لَيْسَ الغَرِيْبُ غَرِيْبَ الشامِ واليَمَنِ
إِنَّ الغَـرِيْبَ غَـرِيْبُ اللَّحْـدِ والكَفَنِ
تَمُـرُ سَـاعَـاتُ أَيَّامِيْ بِـلاَ نَـدَمٍ
ولا بُكَـاءٍ ولاَ خَـوفٍ ولا حَـزَنِ
سَفَـرِيْ بَعِـيْـدٌ وَزَادِيْ لا يُبَـلِّغُنِـي
وَقِسْمَتِي لم تَـزَلْ والمـوتُ يَـطْلُبُنِي
مَـا أَحْلَمَ اللهَ عني حَيْثُ أَمْهلَنِـي
وَقَـد تَمَـادَيْتُ في ذَنْبِي وَيَسْتُـرنِي
أَنَـا الـذِي أُغْلِقُ الأَبْـوَابَ مُجْتَهِـدَاً
عَلَى المَعَـاصِي وَعَيْنُ اللهِ تَنْـظُرُنِي
يـا زَلـةً كُتِبَـتْ يـا غَفْلَةً ذَهَبَتْ
يـا حَسْرَةً بَقِيَتْ في القَلْبِ تَقْتُلُنِي

دَعْ عَنْكَ عَذْلِيَ يا مَن كَانَ يَعْذِلُنِي
لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا بِي كُنْتَ تَعْذُرُنِي
دَعْنِي أَنُوْحُ على نَفْسِي وَأَنْدِبُهَا
وَأَقْطَعُ الدَّهْرَ بالتَّذْكَارِ والحَزَنِ
دَعْنِي أَسِحُّ دُمُوعاً لا انقطاعَ لَهَا
فَهَلْ عَسَى عَبْرَةٌ مِنْهَا تُخَلِّصُنِي
كَأَنَنِي بَيْنَ تِلْكَ الأَهْلِ مُنْطَرِحَاً
على الفِرَاشِ وَأَيْدِيْهِمْ تُقَلِّبُنِي
وَقَدْ أَتَوْا بِطَبِيْبٍ كَيْ يُعَالِجُنِي
وَلَم أرَ مِن طَبِيْبِ اليَوْمِ يَنْفَعُنِي
وَاشْتَدَّ نَزْعِي وَصَارَ المَوتُ يَجْذِبُها
مِن كُلِّ عِرقٍ بِلاَ رِفْقٍ وَلاَ هَوَنِ
وَاسْتَخْرَجَ الرُوْحُ مِنِّيْ في تَغَرْغُرِهَا
وصَارَ في الحَلْقِ مُراً حِيْنَ غَرْغَرَنِي
وَغَمَّضُونِي وَرَاحَ الكُلُّ وَانْصَرَفُوا
بَعدَ الإِيَاسِ وَجَدُّوا في شِرَا كَفَنِي
وَقَامَ مَنْ كَانَ أَوْلَى الناسِ في عَجَلٍ
إلى المُغتَسَلِ يَأْتِيْنِي يُغَسِلُنِي
وقَال يا قَوْمُ نَبْغِي غَاسِلاً حَذِقَاً
حُراً أَدِيْبَاً أَرِيباً عَارِفَاً فَطِنِي
فَجَاءَنِيْ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَرَدَنِي
مِن الثِّيَابِ وَاعْرَانِي وأَفْرَدَنِي
واطَّرَحُونِي عَلَى الأَلْواحِ مُنْفَرِدَاً
وَصَارَ فَوْقِي خَرِيْرُ المَاءِ يُنْظِفُنِي

وَأسْكَبَ المَـاءَ مِن فَـوقِي وَغَسَّلَنِي
غَسْـلاً ثَلاثَـاً وَنَادَى القَـوْمَ بِـالكَفَنِي
وَألْبَسُـونِي ثِيَـابَـاً لا كُمُـومَ لَهَـا
وَصَـارَ زَادِي حَنُـوطَـاً حِيْنَ حَنَّـطَنِيْ
وَقَدَّمُونِي إلى المِحْرَابِ وانْصَرَفُـوا
خَلْفَ الأمَـامِ فَصَلَّى ثُمَّ وَدَّعَـنِيْ
صَلَّوا عَلَيَّ صَـلاَةً لا رُكُـوعَ لَهَـا
ولا سُجُـوْدَ لَعَـلَّ اللهَ يَـرْحَمُنِي
وَأنْـزَلُـونِي في قَبْـرِي عَلَى مَهَـلِ
وأنْـزَلُـوْا واحِـداً منهم يُلَحِّـدُنِـيْ
وَكَشَّفَ الثَـوْبَ عن وَجْهِي لِيَنْظُرنِي
وأسْبَلَ الدَّمْـعَ مِن عَيْنَيْـهِ أغْـرَقَنِيْ
فَقَـامَ مُحْتَـرِمَـاً بِالعَـزْمِ مُشْتَمِـلاً
وَصَفَّفَ اللَّبِنَ مِن فَـوقِي وَفَـارَقَـنِي
وَقَـالَ هُلُّوا عَلَيْـهِ التُّـرْبَ واغْتَنِمُـوا
حُسْنَ الثَّوَابِ مِن الرحمنِ ذِي المِنَنِ
في ظُلْمَـةِ القَبْـرِ لاَ أُمٌّ هُنَـاكَ ولا
أبٌ شَفِـيْـقٌ ولا أخٌ يُـؤَنِّـسُـنِـيْ
وَأوْدَعُـونِي وَلَجُـوا في سُـؤِ الهُمُـوا
مَـا لِي سِـوَاكَ إلَهِي مَن يُخَلِّصُنِيْ
وَهَالَنِي صُـوْرَةٌ في العَيْنِ إذْ نَظَرَتْ
مِن هَوْلِ مَطْلَعِ مَا قَدْ كَان أدْهَشَنِي

مِن مُنْكَـرٍ وَنَكِيْـرٍ مَـا أَقُـولُ لَهُم
إذْ هَالَنِي مِنْهُمَـا ما كَـانَ أَفْـزَعَنِي
فَـامْنُن عَلَيَّ بِعَفْـو مِنْـكَ يَـا أَمَلِي
فَـإنَّنِي مُـوثَقٌ بِـالـذَّنْب مُـرْتَـهَنِ
تَقَاسَمَ الأَهْلُ مَالِيْ بَعْدَمَـا انْصرَفُـوا
وَصَـارَ وِزْرِي على ظَهْـرِيْ فَـأَثْقَلَنِي
فَـلا تَغُـرَّنَّـكَ الـدُّنْيَـا وزِينَتُـهـا
وَانْظُرْ إلَى فِعْلِهَا فِي الأَهْلِ والوَطَنِ
وانْظُر إلى مَن حَوَى الدنيا بأجْمَعِهَا
هَـلْ رَاحَ منهـا بغَيْـرِ الـزَّادِ والكَفَنِ
خُـذِ القَنَاعَةَ مِن دُنْيَـاكَ وارضَ بها   لَـوْ لَـمْ يَكُـنْ لَكَ إلاَّ رَاحَـةُ البَـدَنِ
يَا نَفْسُ كُفِّيْ عَنِ العِصْيَانِ واكْتَسِبي   فِعْـلاً جَمِيْـلاً لَعَـلَّ اللَّـهَ يَرْحَمُـني

اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَـا مِنْ غَفْلَتِنَـا بفَضْلِكَ وَاحْسَانِكَ وَتَجاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بعَفْوكَ وَغُفْرَانِكَ وَأَلْحِقْنَا بالذِيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمَ في دَارِ رضْوَانِكَ وَارْزُقْنَا كَمَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ لَذِيْذِ مُنَاجَاتِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى محمد وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

فصل في التَّحْذِيرِ عَنْ تعَاطِيْ المُسْكِرَاتِ وَالمُخَدِّرَاتِ

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإيَّاكَ وجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ لِمَا يُحِبُّه وَيَرْضَاهُ أَنَّ مِنْ أشْرَفِ هِبَاتَ اللَّهِ لِلإِنْسَانِ عَقْلُه وَقدْ رُوِيَ عنْ ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما ، أنهُ قَالَ في قَوْلِ اللَّهِ تَعَـالَى ﴿ ولقدْ كَرَّمْنَا بَنِيْ آدم ﴾ : أَيْ في العَقْلِ ، وَوَرَدَ عَنْ المُصْطَفَى ﷺ أنّهُ قالَ « مَا اكْتَسَبَ مُكْتَسِبٌ مِثْلَ فَضْلِ عِلْمٍ يَهْدِيْ صَاحِبَهُ إلَى هُدَى ، أو يَرُدُّهُ عَنْ رَدَى ، ولا اسْتَقَامَ دِيْنَه حتَّى يَسْتَقِيْمَ عَقْلُهُ » .

فالعَقْلُ جعَلَهُ اللَّهُ لِلإِنْسَانِ لِيَميْزَ بِه النَّافعَ مِنْ الضَّارّ ويَفْهَم عَنْ اللَّه شَرْعَهُ وَيَفْهَم لِمَاذا حَسُنَ الحَسَنُ وَقَبُحَ القَبيْحُ وَيَفْهَم مَا لِلَّهِ مِنْ الحُقُوقِ وما لِرُسُلِهِ وَمَا يَنْبَغِيْ نحْوَ عِبَادِ اللَّه .

فهُوَ الجَوْهَرَةُ التيْ دُوْنَ قَدْرِهَا الأَثْمَانُ وَمَا يُقَدَّرُ بالأَثْمَانِ بَلْ الدّنْيَا بأسْرِهَا لا قِيْمَةَ لَهَا بجَانِبِ هَذا العَقْلِ العَظِيْمِ الشَّأْنِ الذي رَفعَ اللَّهُ دَرجَة بنِيْ آدَمَ إلى أَنْ خَاطَبَهُم جَلَّ وَعَلا وَهُوَ الذِيْ صَلُحَ لأَنْ يَكُونَ مِنْ خَدَمِهِ تَعَالَى يُؤَدِّيْ مَا لهُ مِنْ وَاجِبَاتٍ .

وَهُوَ الذي بِهِ يَكُونُ أَهْلاً لأَنْ يَكُونَ مِنْ ضُيُوفِهِ تَعَالَى فِي دَارِ الكَرَامَاتِ ، بَلْ هُوَ الذِي سَمَا بِهِ إلى أن يَرى رَبَّهُ تَعالَى فِي دَارِ الرِّضْوَانِ ، إنَّ قِيْمَةَ كلِّ شَيْءٍ إنَّمَا تُقَدَّرُ بقَدْرِ مَا لَهُ مِنْ آثَارِ العَقْلِ ، لا يُدَانْيِه فِيْهَا غيْرُهُ ، مَهْمَا كانَ لذلك الغَيْرِ مِنْ مقدارٍ ، إذْ هو أَجَلُّ مِنحَةٍ مَنَحَهَا اللَّهُ ابْنَ آدمَ في هَذِه الدَّارِ بَلْ لا تكُونُ الجَنَّةُ جَنَّةً إذا سُلِبَ العَقْلُ فِيْهَا مِنْ الإِنْسَانِ .

إِذَا عَلِمْتَ ذلكَ فَاعْلَمْ أَنّ النَّاسَ يَتَفَاوَتُونَ فِي الدَّرجَاتِ بتَفَاوُتِ مَا لَهُم مِنْ عُقُولٍ فكُلَّمَا كانَ العَقْلُ أقْوَى كانَ أَقْدَرَ عَلَى دَفْعِ النَّفْسِ عَمّا لَهَا مِن فُضُولٍ ومِنْ هَذا نَسْتَطِيْعُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ أَعْقلَ المُؤمِنْيْنَ أتْقَاهُم للَّهِ أمَّا ضَعِيْفُ العَقْلِ فيَضْعَفُ دَفْعُهُ لِلنَّفْسِ عَنْ مَا لَهَا مِن شَهَوَاتٍ .

هُوَ مِنْ الأَشْيَاءِ التِيْ تُشِيْرُ أَسْمَاؤُهَا إِلَى مَعْنَاهَا سُمِّيَ عَقْلاً لأَنّهُ يَعْقِلُ صَاحِبَهُ غالِباً عَمَّا لا يَنْبَغِيْ وَلِذَلِكَ إِذَا جُنَّ الإِنْسَانُ رَأيْتَهُ كالوَحْشِ الضَّارِيّ يَبْطِشُ بكلِّ مَا قَابَلَهُ .

مَا وَهَبَ اللَّهُ لامْرِىءٍ هِبَهْ … أَشْرَفَ مِن عَقْلِهِ ومِن أَدَبِهْ
هُمَا حياةُ الفَتى فَإِنْ فُقِدا … فَإِنَّ فَقْدَ الحَيَاةِ أجْمَلُ بِهْ
آخر : يَزِيْنُ الفَتى في الناسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ … وإنْ كان مَحْظُورًا عليه مكاسِبُهْ

وإن كَرُمَتْ أعْرَاقُه ومَنَاسِبُهْ ويُرزي به في الناسِ قِلةُ عَقْلِهِ
ولَيْسَ مِن الخَيْرَات شَيءٌ يُقَارِبُهْ وأَفْضَل قَسْمِ اللهِ لِلْمَرء عَقْلَهُ
فقد كَمُلَتْ أَخْلاقُهُ وضَرَائِبُـــهْ إذا أَكْمَلَ الرحمنُ لِلْمَرءِ عَقْلَهُ
آخر: إذاكُنْتَ ذَا عِلْمَ ولم تَكُ عَاقِلاً فَأَنْتَ كَذِيْ نَعْلٍ ولَيْس لَهُ رِجْلُ
أَلا إِنَّمَا الإنسانُ غِمْــدٌ لِعَقْلِهِ ولا خَيْرَ كَذِيْ نَعْلٍ ولَيْس لَهُ رِجْلُ
أَلا إِنَّمَا الإِنسانُ غُمْدٌ لِعَقْلِهِ ولا خَيْرَ في غِمْدٍ إذا لم يكُنْ نَصْلُ

وَالمَقْصُودُ مِنْ سِيَاقِ هَذه المقدِّمَةِ حَوْلَ العَقْلِ ، هُوَ أنَهُ يُوْجَدُ قِسْمٌ مِنْ النَّاسِ قد عَمِيَتْ بَصَائِرُهُم وَأسْقَطُوا أنْفُسَهُم مِنْ دَرجَةَ الكمالِ الذِي أعَدَّهُمْ اللهُ لهُ ، وَأنزَلُوا أنْفُسَهُمْ إلَى مَرْتَبَةِ الحَيَوانِ أو أنْزَلَ ، وَرَضُوا بأَنْ يَكوُنُوا مَعَاوِلَ لِهَدْمِ الفَضِيْلَةِ وَيَداً عَامِلةً لِنَشْرِ الرَّذِيْلةِ وَهؤلآءِ قد اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِم الشَّيْطَانُ وَلعِبَ بهِمْ وَزَيَّنَ لهُم أنْ يُفَارِقُوا عُقُولَهُم زَمَناً بتَنَاوُلِ المُخَدِّرَاتِ وَتَعاطِيْ المُسْكِرَاتِ وَلَيْسَ هَذا الاعْتِدَاءُ عَلَى العَقْلِ الذِيْ شَرَّفَهُم اللهُ بهِ في العُمْرِ مَرَّةً بَلْ ولا في السَّنَةِ مَرَّةً لكِنَّهُ عِندَهُمْ دَواماً نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ أمَا عَلِمَ أُولئِكَ التُّعَسَاءُ أنَّ الخمْرَ أمُّ الخَبَائِثِ وَرَأْسُ المُنْكَرِ كُلِهِ وَطَرِيْقُ الفَسَادِ العَامّ .

فَسَادِ الدِّيْنِ وَفَسَادِ الأَخْلاَقِ وفَسَادِ العَقْلِ وَفَسَادِ الجْسمِ وَفَسَادِ المالِ وَفَسَادِ الذُّرِّيَةِ وَلهَذا قَال صلى اللهُ عليه وسَلَّمَ « اجْتَنِبُوا الخَمْرَ فإنَّهَا مِفْتَاحُ كلِّ شَرّ » رَواهُ الحَاكِمُ ، وَقال صَحِيْحُ الاسْنادِ ، فَالخَمْرُ مُحَرَّمَة بالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالاجْمَاعِ .

أمَّا الكِتَابُ فقوْلُه تَعَالى ﴿ يَا أَيّها الذِيْنَ آمَنُوا إنمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالانْصَابُ وَالازْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعلكُم تفلحُون ﴾ إلَى قَوْلِه ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُنْتَهُونَ ﴾ .

اللَّهُمَّ قَوِّي إيمَانَنَا بِكَ وَنَوِّر قُلُوبَنَا بِنُورِ الأيمانِ واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ

اللَّهمَّ يا مُقلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا على دِينِكَ وَالْهِمْنا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وأمِّنَّا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وجميع المسلمينَ بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمين . وصلى اللهُ عَلَى محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين .

(فَصْــلٌ)

وَأمَّا السُّنَّةُ ، فقَوْلُ النَّبيِّ صَلى اللهُ عليه وسَلم « كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ ، وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ » رَوَاهُ أبو دَاوُدَ وَالامَامُ أحْمَدُ وَرَوى عَبْدُ اللهِ بنْ عُمَر ، أنَّ النَّبِيَّ صَلى اللهُ عليه وَسَلمَ قَالَ « لَعَنَ اللهُ الخَمْرَ ، وَشَارِبَها ، وسَاقِيَها ، وبَائِعَها ، ومُبْتَاعَها ، وعَاصِرَها ومُعْتَصِرَهَا ، وحَامِلَها والمَحْمُولَةَ إلَيْه » رَوَاهُ أبُو دَاوُدَ .

وَقَالَ صَلى اللهُ عليه وسلم « مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ في الدُّنْيَا ، ومَاتَ وَلَمْ يَتُبْ مِنْهَا ، وَهُوَ مُدْمِنٌ لهَا ، لَمْ يَشْرَبْهَا في الآخِرَةِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَرَوى مُسْلِمٌ عَنْ جَابر رَضِيَ اللهُ عنه ، قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « إنَّ عَلَى اللهِ عَهْداً لمَنْ شَرِبَ المُسْكِرَ ، أنْ يُسْقِيَهِ اللهُ مِنْ طِينَةِ الخَبَالِ » قِيْلَ : يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا طِيْنَةُ الخَبَالِ ؟ قَالَ « عَرَقُ أهْلِ النَّارِ » .

وَفي الصَّحِيْحَيْنَ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم قَالَ « مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ في الدُّنْيَا ، يُحْرَمْهَا في الآخِرَةِ » وَوَرَدَ أن مُدْمِنَ الخَمْر ، كعَابِدِ وَثَنٍ وَرَوىَ النَّسَائِي من حَدِيْثِ عُمَرَ أنَّ رَسُولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم قالَ لا يَدْخلُ الجَنَّةَ عَاقٌّ ، وَلا مُدْمِنُ خَمْرٍ » وَفي رِوَايَةٍ « ثلاثَة لا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ ، مُدْمِنُ الخَمْر ، وَالعاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، وَالدَّيُّوثُ ، وَهُوَ الذِي يُقِرُّ السُّوْءَ في أهْلِه » .

وَعَنْ أبي هُرَيْرَة عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم قالَ « لَا يَزْني الزَّانِي حَين يزني وهو مؤمن ولا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِيْنَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤمِنٌ وَلا يَشْرَبُ الخَمْرَ حين يَشْرَبُها وَهُو مُؤمِنٌ ، وَالتَّوبَةُ مَعْروضَةٌ بَعْدُ » رَوَاهُ البُخَارِيّ ،

وفي الحَديْثِ « مَنْ زَنَى أو شَرِبَ الخَمْرَ ، نَزَعَ اللهُ مِنْهُ الايْمانَ ، كَما يَخْلَعُ الانسان القَمِيْصَ مِنْ رَأْسِه» وَفيهِ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهُ قالَ « انَّ رائِحَةَ الجَنَّةِ لتُوجَدُ مِن مَسِيْرَةِ خَمْسُمَائةِ عَامٍ وَلا يَجِدُ رِيْحَهَا عَاقٌ وَلا مَنَّانٌ وَلا مُدْمِنُ خَمْر وَلا عَابدُ وَثنٍ » .

وَرَوَى الامَامُ أحْمَدُ مِنْ حدِيْثِ أبي مُوْسَى الأَشْعَرِيّ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم « لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مُدْمِنُ خَمْر وَلا مُؤْمِنٌ بسِحْرٍ وَلا قَاطِعُ رَحِم ومَن مَاتَ وَهُوَ يَشْرَبُ الخَمْر سَقَاهُ اللهُ مِنْ نَهرِ الغُوطَةِ وَهُوَ مَاءٌ يَجْرِيْ مِنْ فُرُوجِ المُومِسَاتِ ـ أي الزَّانِيَاتِ ـ يُؤْذِي أهْلَ النَّارِ ريْحُ فرُوجِهنَّ .

وَقالَ ابْنُ عُمَر أمَرنِيْ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم أَنْ آتِيَهُ بمُدْيَةٍ وَهِيَ الشَّفْرَةُ فأتَيْتُهُ بهَا فَأرْسَلَ بِهَا فَأُرْهِفَتْ ثُمَّ أعْطَانِيْهَا وَقالَ « اغْدُ عَليَّ بِهَا » فَفَعَلْتُ ، فَخَرَجَ بأصْحَابِهِ إلى أسْوَاقِ المدِيْنَةِ ، وفَيْهَا زِقَاقُ الخَمْرِ قَدْ جُلِبَتْ مِنْ الشَّامِ فأخذَ المُدْيَةَ مِنّي فَشَقَّ مَا كانَ مِنْ تِلْكَ الزِّقَاقِ بحَضْرَتِهِ ثُمَّ أعْطَانِيْهَا وَأمَر أصْحَابَهُ الذِيْنَ كانُوا مَعَهُ أنْ يَمْضُوا مَعِيْ وَأنْ يُعَاوِنُونِيْ وَأمَرنِيْ أنْ آتِيْ الأسْوَاقَ كُلَّهَا فلا أجدُ فِيْهَا زِقّ خَمْرٍ إلاّ شَقَقْتُهُ ففَعلْتُ فَلَمْ أترُكْ في أسْوَاقِهَا زِقاً إلاّ شَقَقْتُه .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو ، قَالَ إنَّ هَذِهْ الآيَةِ التِي في القُرْآنِ ﴿ يَا أيُّها الذِيْن آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ والأنصابُ وَالأزلامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوُهُ لَعلكم تُفْلِحُون ﴾ قَالَ : هِيَ في التَّوْرَاةِ : إنَّ اللهَ أنْزَلَ الحَقَّ لِيُذهِبَ بهِ البَاطِلَ وَيُبْطِلَ بهِ اللعِبَ وَالمزامِيْرَ وَالزَّفْنَ ، وَالكُبَارَاتِ يَعْنِي البَرَابِطَ ، وَالزُّمَّارَاتِ ، يَعْنِيْ به الدُّفَّ وَالطَّنَابِيْرَ وَالشِّعْرَ ، وَالخَمْرَ مرة لِمَن طَعِمَها أقْسَمَ اللهُ بيَمِيْنِهِ وَعِزَّتِهِ مَنْ شَرِبَها بَعْدَ مَا حَرَّمْتُها لأعَطِّشَنَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَمنْ تَرَكَها بَعْدَ مَا حَرَّمْتُها لأُسْقِيَنَّهُ إيَّاها في حَظِيْرَةِ القُدْسِ » .

اللهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنا حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَاعْفُ عَنْ تَقْصِيْرِنَا فِي طَاعَتِكَ وَوَفِّقْنَا لِلزُوم الطَّرِيْقِ المُوصِلَةِ إِلَيْكَ وَثَبِّتْنَا عَلَيْهَا حَتَّى الْمَمَاتْ اللّهُمّ طهِّرْ قُلوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وعَمَلَنَا مِنَ الرِّياء وطَهِّر مَكْسَبَنا مِنَ الرِّبَا وألسُنَنَا مِن الكَذِب وَوَفّقنا لِمَصالِحِنَا واعصِمْنا عن ذنُوبنا وقبائحنا ولا تواخذنا بِما انطوَاتْ عِليْهِ ضمائِرُنا وأكنته سرائرنا مِن أنواعِ القبائح والمعائب واغفر لنا وَوَالِدِينا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

قصيدة تحتوي على حِكَم وَمَواعظ

تَأَوَّبَنِـي هَـمٌّ كَثِيـرٌ بَلاَبِـلُهْ ... طَرُوُقـاً ، فَغَالَ النَّوْم عَنِّي غَوَائِلُهْ
فَوَيْحِي مِن الموتِ الذِي هُوَ وَاقِعٌ ... وَلِلْمَوْتِ بَابٌ أَنْتَ لاَبُدَّ دَاخِلُهْ
أَيَأْمَنُ رَيْبَ الدَّهْـرِ يَا نَفْسُ وَاهِنٌ ... تَجِيْشُ لَهُ بالمُفْظَعَاتِ مَرَاجِلُهْ
فَلَمْ أَرَ فِي الدنيا وَذُو الجَهْلِ غافِلٌ ... أَسِيراً يَخَافُ القَتْلَ واللَّهْوُ شَاغِلُهْ
فَمَا بَالُهُ يَفْدِي مِن الموتِ نَفْسَهُ ... وَيَأْمَنُ سَيْفَ الدَّهرِ ، والدَّهْرُ قاتِلُهْ
ولاَيَفْتَدِي مِن مَوقِفٍ لَوْ رَمَى الرَّدَى ... بِهِ جَبَلاً ، أَضْحَتْ سَرَابا جَنَادِلُهْ
وَبَعْدَ دُخُولِ القَبْرِ يَانَفْسُ كُرْبَةٌ ... وَهَوْلٌ تُشِيبُ المُرْضِعِينَ زَلاَزِلُهْ
إِذَا الأَرضُ خَفَّتَ بَعْدَ نَقْلِ جِبَالِهَا ... وَخلَّى سَبيلَ البَحْرِ يَانَفْسُ سَاحِلُهْ
فَلاَ يَرْتَجِي عَوْناً عَلَى حَمْلِ وِزْرِهِ ... مُسِيءٌ، وَأَولَى الناسِ بالوِزْرِ حَامِلُهْ
إِذَا الجَسَدُ المَعْمُورُ زَايَلَ رُوحَـه ... خَوَى وجَمَالُ البَيْتِ يَانَفْسُ آهِلُهْ
وقَدْ كَانَ فِيْهِ الرُوحُ حِيناً يَزِينُهُ ... وَمَا الغِمْدُ لَوْلاَنَصْلُهُ وَحَمـائِلُهْ
يُزَايِلُنِيْ مَالِي إِذَا النَّفْسُ حَشْرَجَتْ ... وأَهْلِي وكَدْحِي لازِمِي لاَ أُزَايِلُهْ
إِذَا كُلَّ عِنْدَ الجُهْدِ يَانَفْسُ مُنْطِقِي ... وَعَايَنْتُ عِنْدَ الموتِ مَا لاَ أُحَاوِلُهْ
ويَغْسِلُ ما بالجلدِ مِن ظَاهِرِ الأَذَى ... ولايَغْسِلُ الذَّنْبَ المُخَالِفَ غَاسِلُهْ
وَمَنْ تُفْلِتِ الأمراضُ يَوماً فِإِنَّهُ ... سَيُوشِكُ يَوْماً أَنْ تُصَابَ مَقَاتِلُهْ

وقد تُفْلِتُ الوَحْشَ الجبالُ وَرُبَّمَا … تَقَبَّضَتِ الوَحْشِيَّ يَوْماً حَبائِلُهْ
إِذَا العِلمُ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ صَارَ حُجَّةً … عَلَيْكَ، وَلَمْ تُعْذَرْ بِماأَنْتَ جَاهِلُهْ
وَقَدْ يُنْعِشُ الذِّكْرُ القُلُوبَ، وإنَّما … تَكُونُ حَيَاةُ العُودِ فِي الماءِ وَابِلُهْ
أَرَى الغُصْنَ لا يَنْمِي إذَا جَفَّ أَصْلُهُ … وَلَيْسَ بِبَاقٍ مَنْ أُبِيحَتْ أَوْئِلُهْ
فإنْ كُنْتَ قَدْ أَبْصَرْتَ هَذَا فإنَّما … يُصَدِّقُ قَوْلَ المَرْءِ مَا هُوَ فَاعِلُهْ
ولا يَسْتَقِيمُ الدهرَ سَهْمٌ لِوَجْهِهِ … بِهِ مَيلٌ حَتَّى يُقَـوَّمَ مَائِـلُهْ
وفِيكَ إِلَى الدُنيا اعْتِرَاضٌ ، وإنَّما … تُكَالُ لَدَى المِيزانِ ما أَنْتَ كَائِلُهْ
فلاتَنْتَكِثْ بَعْدَ الهَوَى عَن بَصِيرَةٍ … كَمَا نَكَثَ الحَبْلَ المُضَاعَفَ فَاتِلُهْ
وتَطْلُبُ فِي الدُنيا المَنَازِلَ والعُلاَ … وتَنْسَى نَعِيماً دَائِماً لا تُزَايِلُهْ
كَمَنْ غَرَّهُ لَمعُ السَّرَابِ بِقِيعَةٍ … فَقَصَّرَ عن وِرْدٍ تَجِيشُ مَنَاهِـلُهْ
وقَدْ خَانَتِ الدُنْيَا قُرُوناً تَتَابَعُوا … كَما خَانَ أَعْلَى البَيْتِ يَوْماً أَسَافِلُهْ
وتُصْبِحُ فيها آمِناً ثُمَّ لَمْ تَكُنْ … لِتَأْمَنَ فِي وَادٍ بِهِ الخَوْفُ نَازِلُهْ
وقد خَتَلَتْنَا باللَّطِيفِ مِهَ الهَوَى … كَمَا يَخْتِلُ الوَحْشِيَّ بالشَّيءِ خَاتِلُهْ
رَضِيْنَا بِمَا فيها سَفَاهاً وَلَمْ يَكُنْ … يَبِيْعُ سَمِيْنَ اللَّحمِ بالغَثِّ آكِلُهْ
وعاقبةُ اللَّـذاتِ تُخْشَى وإنَّما … يُكَدِّرُ يَوْماً عَاجِلَ الأَمْرِ آجِلُهْ
وإنْ فَرِحَتْ بالمرءِ يَوْماً حَلائِلٌ … فَلاَبُدَّ يَوْماً أَنْ تُرِنَّ حَلائِلُهْ
فَكَمْ مِنْ فَتى قَدْ كَانَ فِي شِرَّةِ الصِّبَا … فأقْصَرَ بَعْدَ العَذْلِ عَنْـهُ عَوَاذِلُهْ
إذَا مَا سَـمَا حَقٌّ إِلَيْكَ وَبَاطِلٌ … عَلَيْكَ فَلاَ يَذْهَبْ بِحَقِّكَ بَاطِلُهْ
وقَدْ يَأْمُلُ الرَّاجِيْ فَيَكْذِبُ ظَنَّهُ … أُمُوْرٌ ،ويَلْقَى الشَّيْءَ مَا كَانَ يَأْمَلُهْ

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا في سِلْكِ الفَائِزِيْنَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ المُتَّقِيْنَ الذِيْنَ أعْدَدْتَ لَهُمْ فَسِيْحَ جَنَانِكَ ، وأَدْخِلْنَا بِرَحمَتِكَ في دَارِ أَمَانِكَ وعافنا يا مَولَانَا في الدنيا والآخِرةِ مِن جَمِيْعِ البَلاَيَا وأجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهِبَاتِكَ وَمَتِّعْنَا بالنَّظَر إلى وَجْهِكَ الكَرِيْمِ مَعَ الذِيْنَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّيْنَ والصِّدِّيْقِيْنَ والشُّهَدَاءِ والصَّالِحِيْنَ ، واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ

الأَحْياء مِنْهُمْ وَالمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْــلٌ »

وَأَجْمَعَتْ الأُمَّةُ عَلَى تَحْرِيْمِ الخَمْر ، وَقَلِيْلُ الخَمْرِ وَكَثِيْرُهُ كُلُّهُ حَرامٌ لما أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالطَحَاوِيّ عن سَعْدِ بْن أبي وَقَاصٍ رَضْيَ اللهُ عنه انَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسَلم قالَ « أنْهَا كُمْ عَنْ قَلِيْلِ مَا أسْكَر كَثِيْرُهُ » .

وَرَوَى أحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ وَالدَّارَقُطْنِي وَصَحَّحَهُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا ، عَنْ النَّبي صَلى اللهُ عليه وسَلم قَالَ « مَا أسْكَر كَثِيْرُهُ فَقَلِيْلُهُ

وَرَوَىَ أحْمَدُ في مُسْنَدِهِ ، وَأَبُو دَاوُدَ في سُنَنِه ، بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ عَنْ أُمِّ سَلمَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهَا قَالتْ نَهى رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسَلم عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَترٍ وَلَمْ يَكْتَفِ الشَّارِعُ بِتَحْرِيْمْ شُرْبِ قلِيْلِهَا وَكَثِيْرِهَا ، بلْ حَرَّمَ الاتّجَارَ بهَا وَلَوْ مَعَ غَيْرِ المسلِميْنَ فلا يَحِلُّ لمسْلِم يُؤمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أنْ يَعْمَلَ مُسْتَوْرِداً أو مُصَدِّراً أوْ صاحِبَ مَحَلٍّ لِبَيْعِ الخَمْرِ او عَامِلاً في هَذا المحَلِّ كَيْفَ وَقَدْ لَعَن النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم عَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَشَارِبَها وحَامِلَها وَالمحْمُولَةَ اليْهِ وسَاقِيْهَا وَبَائِعَهَا وَآكِلَ ثَمَنِهَا وَالمُشْتَرِيْ لهَا وَالمُشْتَرَاةَ لهُ .

وَكَذا يَحْرُمُ إهْدَاؤُهَا فَقَدْ رُوِيَ عَنْ جَابِر بْنِ عَبْدِ اللهِ قالَ كَانَ رَجلٌ يَحْمِلُ الخَمْرَ مِنْ خَيْبَر إلى المَدِيْنَة فيبيْعَهَا مِنَ المُسلِميْنَ فَحمَلَ مِنْهَا بمَالٍ فقدِم بهَا المدِيْنَة فلقِيَهُ رَجلٌ مِنْ المُسْلِمْينَ فقالَ يَا فُلانُ إنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ فَوَضَعَها حَيْثُ انْتَهَى عَلَى تَلٍّ وَسَجَّى عَليْهَا بأَكْسِيَةٍ ثم أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقالَ يَا رَسُولَ اللهِ بَلغَنِيْ أنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ قالَ « أجلْ » قالَ: لِيْ أنْ أرُدَّهَا عَلى مَنْ ابتعْتُها مِنْهُ ؟ قال « لا يَصِحُّ رَدُّهَا » قال : لِيْ أنْ

أُهْدِيْهَا إلى مَنْ يُكَافِئِنِيْ مِنْهَا ؟ قالَ «لا » قالَ: فَانَّ فِيْهَا مَالاً لِيَتَامَى في حَجْرِيْ . قالَ « اذا أتانَا مَالُ البَحْرِيْنِ فَانَّا نُعَوِّضُ أيْتَامَكَ مِنْ مَالِهِم » ثُمَّ نَادَى بالمدِيْنَةِ فَقَالَ رجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ الأوْعِيَةُ يُنْتَفَعُ بهَا ؟ قَالَ « فحُلُّوا أوْكِيَتَها » فانْصَبَّتْ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ في بَطْنِ الوَادِيْ .

ويَجبُ مُقَاطَعَةُ مَجَالِس الخَمْرِ وَشَارِبْيهَا فعَنْ عُمَرَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ « مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْم الآخِرِ ، فلا يَقْعُدْ على مَائِدَةٍ تُدَارُ عَلَيْهَا الخَمْرُ » رَوَاهُ أحْمَدُ ومَعْنَاهُ عَندَ التِّرْمِذِيِّ . وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزيز أنَّهُ كانَ يَجْلِدُ شَارِبْي الخَمْرَ ، ومَنْ شَهِدَ مَجْلِسَهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَشْرَبْ ، وَرَوَوْا عَنْهُ أنهُ رُفِعَ إلَيْهِ قَوْمٌ شَربُوا الخَمْرَ فأمَر بجَلدِهِم ، فَقِيْلَ إن فِيْهِم فُلاناً ، وَقدْ كَانَ صَائِماً ، فَقَالَ : بِهِ ابْدَئوا ،أمَا سَمْعَتُم قَوْلَ اللهِ تَعالى ﴿ وَقَدْ نُزِّلَ عَلَيْكُم في الكِتَابِ أنْ إذَا سَمِعْتُم آياتِ اللهِ يُكْفَرُ بهَا ، وَيُسْتَهْزأ بها ، فلا تَقْعُدوا مَعَهُم ، حَتى يَخُوضُوا في حَديثٍ غَيْرِه ، إنكمْ إذاً مِثْلُهم ﴾ .

وَرُوى عَنْ عُثْمَانَ بن عفان أنَهُ كان يَقُولُ اجْتَنِبُوا الخَمْرَ فَإِنَّهَا أمُّ الخَبَائِثِ إنهُ كانَ رَجُلٌ فِيْمَنْ كَان قَبْلكُم يَتعَبَّدُ وَيَعْتَزِلُ النَّاسَ فَعَلِقَتْهُ امْرأةٌ غَوِيَّةٌ فأرْسَلتْ إليهَ جَارِيَتَها أن تَدْعُوَهُ لِشَهَادَةٍ فَدَخل مَعَها فَطفِقَتْ كُلَّمَا دَخلَ بَاباً أغْلَقَتْهَ دُوْنَه حَتَّى أفْضَى إلى امْرأةٍ وَضِيْئَةٍ عِنْدَهَا غُلاَمٌ وبَاطِيَةُ خَمْرٍ فقالَتْ إنِّي واللهِ ما دَعَوتُك لِشَهادةٍ ولكِنْ دَعَوْتُك لِتَقَعَ عَليَّ أوْ تَقْتُلَ هَذا الغُلامَ أوْ تَشْرَبَ هَذا الخَمْرَ فسقَتْهُ كأساً فقالَ زِيْدونِيْ فَلمْ يَزلْ حَتَّى وَقَع عليْها وقَتَل النَّفْسَ فاجْتَنِبُوا الخَمْرَ فأنَّها لا تَجْتَمِعُ هِيَ وَالايْمَانُ أبَداً إلاّ أوْشَك أحَدُهُما أنْ يُخْرِجَ صَاحِبَهُ رَواهُ البيهقي .

ورَوى الطَّبَراني بسَنَدٍ صَحِيْح وَالحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيْحٌ علَىَ شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ ابنِ عُمَرَ رضْيَ اللهُ عنْهُما : أنَّ أبَا بَكرٍ وعُمَرَ وَنَاساً جَلَسُوا بَعْدَ

وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسَلم فذَكَروا أعْظَمَ الكبائِرِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدُهُم فِيْهَا عِلْمٌ فَأَرْسَلُونِي إلى عَبْدِ اللهِ بْن عمْرٍو أَسْأَله فأخبرنِي أنَّ أعْظَمَ الكبَائِر شُرْبُ الخَمْر فَأتيتُهم فأخبَرْتُهم فأنْكرُوا ذَلك وَوثَبُوا إليْهِ جَمِيْعاً حَتَّى أتوْهُ في دَارِهِ فَأخْبَرهُم أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسَلم قالَ « إنَّ مَلِكاً مِنْ مُلُوكِ بَنِي اسْرائِيْلَ أخذَ رَجُلاً فَخيَّرهُ بيْنَ أنْ يَشْرَبَ الخَمْرَ أو يقْتُلَ نفساً أو يزْنِيْ أوْ يَأكُلَ لَحْمَ خنزير أَوْ يَقْتُلُوه فاخْتَارَ الخَمْرَ وَأنَّهُ لمَّا شَرِبَها لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ شَيْءٍ أرَادُوهُ مِنْهُ » .

وَإنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ « مَا مِنْ أحَدٍ يَشْرَبُهَا فَتُقْبَلُ لهُ صَلاةٌ أرْبَعِيْنَ ليْلَةً ، وَلا يَمُوتُ وفي مَثَانَتِهِ مِنْهَا شَيْءٌ إلا حُرِّمَتْ بهَا عليْهِ الجَنَّةُ ، فاذَا مَاتَ في أرْبَعِيْنَ ليْلة مَاتَ مِيتةً جَاهِلِيَّةً » .

وفي تَصوْير اثْمِ الخَمْرِ يَقُولُ : أمْيْرُ المُؤْمِنين عليّ بْنُ أبِيْ طَالِبٍ رضْي اللهُ عَنْهُ لَوْ وقَعتْ قَطْرَةٌ مِنهَا في بئْرٍ فبُنِيَتْ عَليْهِ مَنَارةٍ لَمْ أؤذنْ عليْهَا ، وَلَوْ وَقَعَتْ في بَحْرٍ فَجفَّ فنبتَ الكَلأُ لَمْ أرْعَهُ .

وَقَال ابْنُ عُمَرَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا لَوْ دَخلَتْ أصْبُعِيْ فِيْهَا لَمْ تَتْبَعْنِي

قال بَعْضُهم مُحذِراً عن الخَمر :

إلَامَ وأنْتَ فِي زَهْوٍ وَلَهْوٍ — وإنَّ العُمْرَ مُعْظَمُهُ تَقَلَّصْ
تُعاقِرُ خَنْدَرِيْسَ السُّوءِ دَوْماً — نَدِيْمُكَ مَنْ إلىُ الفَحْشَا تَرَبَّصْ
وتَهْجُرُ كُلَّ ذِي هَدْيٍ قَوِيْمٍ — وَتُوْصِلُ كُلَّ سِكِيْرٍ تَمَلَّصْ
بِذا أطْفَأْتَ نُورَ العَقْلِ حتى — ضَلَلْتَ عنِ الهِدَايةِ يا مُنَغَّصْ
أنِرْ بِإنابَةٍ للهِ عَقْلاً — لَهُ نُورُ الهُدَى بالحقِّ حَصْحَصْ

اللهُمَّ ثبِّتْ لَنَا قُلوبَنَا عَلىَ دِيْنك وألهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكرَكَ واخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَة واغفِرْ لَنَا ولوالِدَيْنَا وَجَميع المسلمينَ برَحْمِتَكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلَّى اللهُ على محمدٍ وَعَلَى آله وَصَحْبه أجْمَعِيْنَ .

موعظة : عِبَادَ اللهِ انَّمَا حَرَّمَ اللهُ عليْكُمْ الخَمْرَ ، لِمَا فِيْهِ مِنَ الأَضْرَارِ وَالأَخْطَارِ ، وَمَا مَنَعَكُمْ مِنْ شُرْبِهَا إلا لما يَنْشأُ عَنْ ذَلكَ مِنَ المفَاسِدِ

والشُّرُوْرِ والأضرار، فشَارِبُ الخَمْرِ مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ نبيِّكُمْ مُحَمَّد صَلى اللهُ عليه وسلم ، وبَائِعُهَا ، وشَارِبُهَا ، وعَاصِرُهَا وَمُعْتَصِرُهَا ، وسَاقِيْهَا ، وحامِلُهَا ، وَالمحَمُوْلَةِ إِلِيْهِ ، وَمُدْمِنُ شُرْبِهَا لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ ، بَلْ يَدْخُل النَّارَ وَيُسْقَى مِنْ طِيْنَةِ الخَبَالِ ، عَرقُ أهْلَ النَّارِ ، وَورَدَ أنَّ مُدْمِنُ الخَمْرِ كَعابِدِ وَثَنٍ فشَارِبُ الخَمْرِ مُفْسِدٌ لدِيْنِهِ ، وَمُفْسِدٌ لِجسْمِهِ ، وَصِحَتِهِ ، وَجَانٍ عَلَى نَفْسِهَ ، وعَلى أوْلَادِهِ ، وَأقَارِبِهِ ، وَأهْلِهِ وَجيْرَانِهِ وَمُفَرِّطٌ في مَالِهِ وَمُسْرِفٌ فِيْهِ وَعَابِثٌ بكَرامَتِهِ ، وَسَاعٍ إلَى الشَّرِّ وَالَفسَادِ بيَدِهِ ، وَرِجْلِهِ ، وَلِسَانِهِ ، وَصَائِلٌ ، خَبِيْثٌ ، عَلَى الأَخْلاَقِ وَالأدْيَانِ شَارِبُ الخَمْر عُضْوٌ مَسْمُومٌ في جِسْمِ مُوَاطِنِيْهِ ، إذَا لَمْ يُبَادِرُوهُ بالعِلاج أو يَقطِعُوهُ أصابَهُم ضَرَرُهُ ، شَارِبُ الخَمْرِ يُزَيِّنُ الشَّرَّ وَيُحَسِّنُه ، لِبَنِيْهِ ، وَبَنَاتِهِ ، وَأصْدِقَائِهِ وَيَدْعُوهُم بلِسانَ حالِهِ وَمَقالِهِ ، وَأنْتُم تَعْلَمُونَ أنَّ دَاعِيْ الفَسَادِ مُجَابٌ في كُلِّ زَمَانٍ ومَكَانٍ وأنْصارُه بلا عَدٍّ وَلا حُسْبَان ، وَاذا دَبَّتْ الخَمْرُ في رَأسِ شَارِبَها فَقَدَ شُعورَه ، وَزنَى ، وَلاطَ ، أو لِيْطَ به ، وَجاء بأنْوَاعِ الفُحْشِ ، وَالفُجُورِ ، وَسَبَّ وَشَتَمَ ، وَقَذَفَ ، ولَعَنَ ، وَطَلَّقَ وَسَبَّ الدِّيْنَ وَالمُسْلِمْينَ ، بَلْ رُبَّما وَقَع على أمِّهِ ، أو بِنْتِهِ أو أُخْتِهِ أو عَلَى نِسَاءِ جيرانِه، أو عَلَى بهائِمِهِ ، وَرُبَّمَا كَفَر باللهِ وَارتَدَّ عنْ الاسْلام ، وَتَرَكَ الصَّلاةَ ، وأفْطَرَ في رَمَضَانَ ، وَسَبَّ القُرْآنَ ، وبالجُمْلَةِ أنَّ مَنْ تَعاطَى الخَمْرَ سَقَطَ مِنْ شَاهِقِ مَجْدِه إلَى مُسْتَوَى الخَنَازِيْرَ، والقِرَدَةِ يُصَدِّقُ بِهَذا مَنْ عَايَن شَارِبَ الخَمْرِ وَقَدْ اسْتَولَى عَليْهِ الشَّرَابُ وَغَطَّى عَقْلَهُ فَترى مَنْ يَقُودُهُ مُتْعَبٌ ، يَجُرُّهُ كما يَجُرُ الدَّابَّةَ الحَرُونْ بَلْ الدَّابَّةُ تَمْشِيْ أحْيَاناً هَادِئَةً إذَا جُرَّتْ لا تُتْعِبُ القَائِدَ دَائِماً ، وَأمَّا السَّكْرانُ فَيمِيْلُ بقَائِدِهِ هَكذا وَهَكَذا ، حَتَّى يكَلِّفَهُ مَتَاعِبَ عَظِيْمَةٍ ، وَالدَّابَّة إذَا رَأتْ حُفْرَةً امْتَنَعَتْ عَنْهَا وَتَباعَدَتْ عَنْهَا ، أمَّا شَارِبُ الخَمْرِ فَتَكُونُ الحُفْرَةُ أمَامَهُ ، وَيَسْقُطُ فِيْهَا ، وَالدَّابَّةُ رُبَّمَا دَافَعَتْ عَنْ طَعَامِهَا وَشَارِبُ الخَمْرِ تُسْلَبُ مِنْهُ النُّقودَ ، وَلا

يَحْصُلُ مِنْهُ أدْنَى مُمَانعَةً ، وَمَعنَى هَذا أنَّ البَهيْمَةَ أرْجَحُ وأحْسَنُ حالاً مِنْهُ ، وَقَدْ قَالَ الخَبيْرُ بأحْوالِ شُرَّاب الخَمْرِ ، مَنْ أرادَ أنْ يَعْرِفَ قَدْرَ السِّكِّيْرِ ، فَلْيَنْظُرْ إلى قَهْقَهته ، وضَحِكِهِ ، وَالخَمَّارُ يُوَالِيْ الصَّفَعَاتِ عَلَى قَفَاهُ ، وَلْيَنْظُرْ رَقْصَهُ أمَامَ البُزُوْر ، كأنَّهُ قِرْدٌ يُرَقِّصُهُ صَاحِبُه ، لِيَضْحَكَ مَنْ يَراهُ ، وَلْيَنْظُرْهُ وهُوَ يَجْرِيْ وَرَاءَ أمِّهِ ، أو بنْتِهِ ، لِيَقْضِيْ مِنْهَا حَاجَتَهُ ، وَمُنَاهُ ، وَلِيَنْظُرْه وَامْرَأتُهُ تَكْنِسُ مَلا بسَهُ ، وَتمْسحُها مِنْ الأوْسَاخِ ، التِيْ يَقْذِفُها عَلَى ثِيَابهِ ، وَالقاذُوراتِ ، هَذا قَدْرُ شَارِبِ الخَمْرِ عندنَا ، أمّا عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فهُوَ كعابدِ وَثَنٍ مَلْعُونٌ ، نَسْألُ اللهَ جَلَّ وَعَلا أنْ يَعْصِمَنا وَاخوَاننا المسلِمْينَ منها ومَنْ سَائِرِ المعَاصِيْ وَأنْ يَلْطُفَ بِنَا ويُوَفِّقَنا شِعْرًا :

أتَعصِى اللَّهَ وهو يَراكَ جَهْرًا ... وتَنْسَى في غَدٍ حَقًا لِقَاهُ
وَتَخْلُوا بالمَعَاصِي وَهْوَ دَانٍ ... إلَيْكَ ولَسْتَ تَخْشَى مِن سُطَاهُ
وَتُنكِرُ فِعْلَهَا ولَهُ شُهُوْدٌ ... عَلَى الأنْسَانِ تَكْتُبُ مَا حَوَاهُ
فَوَيْلُ العَبْدِ مِن صُحْف وفيها ... مَسَاويْهِ إذَا وَافَى مَسَاهُ
وَيَا حَزَنْ المُسِيءِ لِشُؤْمِ ذَنْبٍ ... وبَعْدَ الحُزْنِ يَكْفِيهِ جَوَاهُ
ويَنْدَمُ حَسْرةً مِن بَعْدِ فَوْتٍ ... ويَبْكِي حَيْثُ لا يُجْدِيْ بُكَاهُ
يَعَضُ يَدَيْهِ مِنْ أَسَفٍ وحُزْنٍ ... ويَنْدَمُ حَسْرةً مِمَّا دَهَاهُ
فَكُنْ باللَّهِ ذَا ثِقَةٍ وَحَاذِرٍ ... هُجُومَ الموتُ مِنْ قَبْلِ أنْ تَرَاهُ
وبَادِرْ بالمَتَابِ وأنتَ حَيٌّ ... لَعَلَّكَ أنْ تَنَالَ بهِ رِضَاهُ
وَتَقْفُ المُصْطَفَى خَيْرَ البَرَايَا ... رَسُوْلاً قَدْ حَبَاهُ واجْتَبَاهُ
عَلَيه مِن المُهَيْمِنِ كُلَّ وَقْتٍ ... سَلامٌ عَطَّرَ الدُنْيَا شَذَاهُ

اللهم يا عظيمَ العفوِ ، ياوَاسِعَ المغفرةِ ، يا قريبَ الرحمة ، يا ذا الجلالِ والاكرام اللهُمَّ أذِقْنا عفْوَكَ وَغُفْرَانَكَ وَاسْلُكْ بنا طريْقَ مَرْضَاتِكَ . وَعامِلْنا بلُطْفِكَ وَاحْسَانِكْ وَاقْطَعْ عَنَّا ما يُبْعِدُ عَنْ طَاعَتِكَ اللهُمَّ وَثَبِّتْ محبَّتَك في

قُلُوبنَا وَقوِّهَا وَيَسِّرْ لنا مَا يَسَّرْتَهُ لأَوْلِيَائِك وَاغْفِرْ لنا وَلِوَالِدَيْنَا وَلجمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ الأحْيَاءِ مِنْهُمْ والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلىَّ اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينْ .

فَصْلٌ: وَاعْلَمْ أنَّ الخَمْرَ نَجِسَةٌ يُغْسَلُ مَا أَصَابَتْهُ مِنْ بَدَنٍ أَوْ ثَوْبٍ أو إنَاءٍ وَيُصَبُّ عَلَى مَا أَصَابَتْهُ مِنَ الأَرْضِ مَاءٌ كنجاسَةِ البَوْلِ لِماَ في حَدِيْثِ أبي ثَعْلَبة الخُشَنِيّ أنَّهُ قالَ يَا رَسُولَ اللهِ إنَّا بأرْض قَوْمٍ أهْلُ كِتَابٍ يَأْكُلون الخِنْزِيْرَ وَيَشْرِبُونَ الخَمْرَ أفنأْكُلُ في آنيتهم قَال « لا ، إلا أنْ تَجِدُوا غَيْرَها ، فاغسِلُوهَا ثُمَّ كُلُوْا فِيْها » .

وَلَا يَجُوزُ التَّدَاوِيْ بالخَمْرِ لما في صَحِيْح مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ سُوَيْدِ الجَعْفِيّ أنّهُ سَألَ النبي صلى الله عليه وسلم عَنْ الخَمْرِ فنهاهُ أو كَره أنْ يَصنَعَهَا فقالَ أصْنَعُها للدَّواءِ فقَال « انه لَيْسَ بدَوَاءٍ ، وَلكنَّهُ دَاءٌ » وَرَوَى أبُو دَاوُدَ في سُنَنِهِ مِنْ حَدِيْثِ أبِيْ الدَّرْدَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم « إنَّ اللهَ أنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَتَدَاوَوْا وَلا تَتداوَوْا بالمُحَرَّمِ » .

وَذَكر البُخَارِيّ في صَحِيْحِه عَنْ ابْنِ مَسْعُود أنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءكُم فِيْمَا حَرَّمَ عَلَيْكُم وفي السُّنَنِ عَنْ أبِيْ هُرَيْرَة قَالَ نَهى رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم عَن الدَّوَاءِ الخَبِيْثِ وفي السُّنَنِ أنهُ صَلى اللهُ عليه وسَلم سُئِلَ عَنْ الخَمْرِ يُجْعَلُ في الدَّوَاءِ ؟ فقالَ « إنَّهَا دَاءٌ ، وَلَيْسَتْ بالدَّواءِ » رَوَاهُ أبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيّ ، وَيُذْكَرُ عَنْهُ صَلى اللهُ عليه وسَلم أنهُ قالَ « مَنْ تداوَى بِالخمْرِ فَلا شَفَاهُ اللهُ » .

وَقَدْ نَبَّهَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ عَلَى جَانِبٍ نَفْسِيّ هَامّ ، فَقَالَ : **وَهُهَنَا سِرٌّ لَطِيْفٌ في كَوْنِ المُحَرَّمَاتِ لا يُسْتَشْفَى بهَا فَإِنَّ شَرْطَ الشِّفَاءِ بالدَّوَاءِ تَلَقِّيهِ بالقَبُولِ وَاعْتِقَادِ مَنْفَعَتِهِ وَمَا جَعَلَ اللهُ فِيْهِ مِنْ بَرِكَةِ الشِّفَاءِ فَانَّ**

النَّافِعَ هُوَ المبَارَكُ وأنفعُ الأشْيَاءِ أبْركُهَا والمبَارَكُ مِنْ النَّاسِ هُوَ الذِي يُنْتَفَعُ بِهِ حَيْثُ حلَّ وَمَعْلومٌ أنَّ اعْتِقَادِ المُسْلِمِ تَحْرِيْمُ هَذِهِ العَيْنِ مِمَّا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اعْتِقَادِ بَرَكَتِهَا وَمَنْفَعَتِهَا وَبَيْنَ حُسْنِ ظَنِّهِ بهَا وَتلقِّيْ طَبْعِهِ لَها بالقَبُولِ بَلْ كُلمَا كَانَ العَبْدُ أعْظَمْ إيْمَاناً كانَ أكْرَهَ لهَا وَأسْوأَ اعْتِقَادًا فِيْهَا وَطَبْعُهُ أكْرَه شَيْءٍ لهَا ، فَإذَا تَنَاوَلهَا في هَذِهِ الحَالِ كَانَتْ دَاءً لا دَوَاءً ، إلا أنْ يَزُوْلَ اعْتِقَادُ الخُبْثُ فيْهَا وَسُوْءُ الظَّنِّ وَالكَرَاهَةِ بالمَحَبَّةِ وَهَذا يُنَافِيْ الايْمَانَ فلا يَتَنَاوَلَهُا المؤمِنُ قطّ إلا عَلى وَجْهِ أنها دَاءٌ انْتَهى .

وَمِنْ ذلكَ تِلْكَ المَوادِ التِيْ تُعْرَفُ باسْمِ المُخَدِّرَاتِ مِثْلِ الحَشِيْشِ ، وَالكوُكَايين ، وَالأفْيُونِ وَنَحْوِهَا ، مِمَّا عُرِفَ أثرُهُا عِنْدَ مُتَعاطِيْهَا أنهَا تُؤثرُ في العَقْلِ فَيرى البَعِيْدَ قَرِيْباً وَبالعَكسِ القَرِيْبَ بَعِيْداً وَيَذْهَلُ عَنْ الوَاقِعَ وَيَتَخَيَّلُ مَا لَيْسَ بوَاقِعَ وَيَسْبَحُ فِي بَحْرٍ مِنْ الأوْهَام وَالأحْلامِ وَهَذاَ مَا يُرِيْدُ مُتَعاطِيْهَا لأجْلِ أنْ يَذهَلُوا أنفُسَهُم وَيَنْسَوا دِيْنَهُم وَدُنْيَاهُم وَيَهِيْمَوا في أوْدِيَةِ الخَيالِ .

وَهَذا غَيْرُ مَا تُحْدِثُهُ مِنْ فُتُورٍ في الجِسْمِ وَخَدرٍ في الأعْصَاب ، وَهُبُوطٍ في الصِّحَّةِ وَفوْقَ ذَلكَ مَا تُحْدِثُهُ مِنْ خَورٍ في النَّفْسِ وَتحلّلِ الارَادَةِ ، وَتَمْيِيْعٍ لِلْخُلُقِ وَتَضْعِيْفٌ لِلشُّعُورِ بالوَاجِبِ مِمَّا يَجْعَلُ هَؤُلاءِ التُّعَسَاءَ المُدْمِنيْنِ لهَا أعْضَاءً مُضِرَّةً بالمُجْتَمعِ فَضْلاً عَمَّا وَرَاء ذلِكَ مِنْ إتْلافِ الأمْوَالِ وَخرابِ البُيُوتِ .

وَقَالَ شَيْخُ الاسلامِ ابْن تَيْمِيَّةَ في فَتَاوِيْهِ مَا خُلاصَتُهُ : إنَّ هَذه الحَشِيْشَةِ الملْعونَةِ هِيَ وَآكِلُوهَا وَمُسْتَحِلُّوهَا المُوجِبَةِ لِسَخَطِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَسَخطِ عبادِهِ المؤمِنِيْنَ المعَرَّضَةِ صَاحِبَهَا لِعُقُوْبَةِ اللهِ تَشْتَمِلُ على ضَررٍ في دِيْنِ

المرءِ وَعَقْلِهِ وَخُلقِهِ وَطَبْعِهِ وَتُفْسِدُ الأمْزِجَةَ ، حَتَّى جَعَلْت خَلقاً كَثِيراً مَجَانِينَ ، وَتُوْرِثُ مِنْ مَهانَةِ آكِلِهَا وَدَناءَةِ نفسْهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

فضَرَرُهَا مِنْ بَعْضِ الوُجُوهِ أعْظَمُ مِنْ الخَمْرِ وَلهَذا قَالَ الفُقَهاءُ إنهُ يَجبُ فِيْهَا الحَدُّ كَما يَجِبُ في الخَمْرِ ، وَالسُّكْرُ مِنْهَا حَرامٌ باتّفَاقِ المُسْلِمْينَ .

وَمَنْ اسْتَحلَّ ذَلَكَ وَزَعَمَ أنَّهُ حَلالٌ فَإنَّهُ يُسْتَتَابُ فَإنْ تَابَ وَإلا قُتِلَ مُرْتَدّاً لا يُصَلَّى عليهْ وَلا يُدْفَنُ في مَقابِرِ المُسْلِمِيْنَ .

إلَى كَمْ ذَا التَّمادِي بالدَّسَائِسْ ... وأنْتَ بِحَمْأةِ البُهْتَانِ غَاطِسْ
تُسَاعِدُ كُلَّ نَمَّامٍ بإفْكٍ ... وتَغْتَالُ الأكَارِمَ والأَوانِسْ
تُسَابِقُ كُلَّ شَيْطانٍ رَجيْمٍ ... بِمَا تُبْدِيْهِ مِنْ فِتَنِ الوَسَاوِسْ
أضَعْتَ العُمْرَ في زُوْرٍ وَوِزْرٍ ... وَلَهْوٍ مَعْ ذَوِي الغَدْرِ الأَبَالِسْ
فعَجِّلْ بالْمَتَابِ لِنَيْلِ عَفْوٍ ... لِتُحْبَى مِنْ جَنَا مَا أَنْتَ غَارِسْ

وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ اجمعِين .

فصل في بعض مضار الخمر

وَنَسُوقُ إلَيْكَ نُمُوذَجاً مِنْ مَضَارِّ الخَمْرِ مِمَّا ذَكَرَهُ العُلَمَاءُ وَالأَطِبَّاءُ :

١ ـ أنَها فسَادٌ في الدِّيْن .

٢ ـ أنها فسَادٌ في الأخْلاقِ .

٣ ـ أنهَا فسَادٌ في العَقْل .

٤ ـ أنهَا فَسادٌ في الجِسْمِ تُحَطِّمُ قُوَّتَهُ وَتَهْدِمُ بِنْيَتَهُ وَتُسْقِمُ الجَسَدَ .

٥ ـ أنَها فسَادٌ في الذُّرِّيَّةِ .

٦ ـ أنهَا جنَايَةٌ علىَ الشَّرَفِ .

٧ ـ أنَّ الخَمْرَ رجْسٌ مِنْ عمل الشَّيْطَانِ .

٨ ـ أنَّها نَجسةٌ ، تُنَجِّسُ مَا اتَّصلَتْ بِهِ .

٩ ـ أنها تُوْرِثُ الذُّلَّ وَالمَهَانَةَ .

١٠ ـ أن ضَرَرهَا مُتَعَدٍّ .

١١ ـ أنهَا تَضُرُّ اقْتِصَادِّياً .

١٢ ـ مَا فِيهَا مِنْ الضَّرَرِ الاجْتَماعِيْ .

١٣ ـ أنَّ الجهاز الهَضْمِيّ يُصَابُ بالنَّزْلَةِ المِعَوِيَّةِ الحَادَّةِ فَيَحْصُلُ فَسَادٌ في الهَضْمِ وَخمُودٌ في المَعِدَةِ وَالتِهَابٌ في الأَمْعَاءِ وَاسْتِحَالةٌ في مَنْسُوجِ الكَبدِ وَتيبَسٌ وَالتِهَابٌ وَتغيُّرٌ فِيْهِ وَأخْيراً تَفتَّتُ الكبِد وَتتلَفُ وَتنْتَهِي حَيَاتَهُ .

١٤ ـ أن الجهَازَ البَوْلِي وَالتَّناسُلِيّ يُحْصُلُ فيهِ تَنَبُّهٌ ، يَنْشَأُ عَنْهُ التِهَابُ الكِلَى وَفَسادُ مَنْسُوجِهَا وَضَعْفُ الانعَاظِ وَضَياعُ مُحَصَّلِ النَّسْلِ .

١٥ ـ الجَهازُ العَصِبيّ : يُصَابُ المُخُّ باضْطِرَابٍ يَكُوْنُ منْهُ الجُنُونُ السُّكَرِيْ وَالخَوْفُ وَالخَيالاتُ المُختَلِفَةِ كرُؤْيَةِ الهَيْئَآتِ الشَّنِيْعَةِ وَالارْتِعَاشِ وَفَقْدِ الاحْسَاسِ وَالشَّلِلِ المَحْدُودِ الذِيْ يَؤُوْلُ إلى شَللٍ عُمُومِيّ ، وَقَدْ تُؤدِّيْ الخَمْرُ إلىَ الصِّراعْ ، وَالتَّشَنُّجِ وَاسْتِحَالةِ المَرَاكِزِ العَصَبِيَةِ المُخِّيَّةِ الشَّوْكِيَّةِ وَعَلى العُمُومِ يَحْصُلُ في البِنْيَةِ اضْطِرَابٌ تَضْعُفُ أمَامَه عَنْ مُقَاوَمَةِ المُؤثِراتِ الخَارِجيَّةِ .

١٦ ـ أنَّهُ يَعْتَرِيْ القَلْبَ الضُّمُورُ وَالاسْتِحَالَةُ الشَّحْمِيَّةَ فَيَنْشَأُ عَنْ ذَلكَ إبْطَاءٌ في الدَّوْرَةِ الدَّمَوِيَّةِ بالرِّئَةِ تَحْدُثُ عَنْهُ النُّزَلُ الشَّعْبِيَّةِ وَمَوْتُ الفُجْأةِ .

١٧ ـ أنَّهُ يُسَبِّبُ انْسِدَاد في بَعْضِ أوْعِيَةِ الرِّئَةِ وَذَلكَ ما تُعْرَفُ أعْرَاضُهُ بالسُّعَالِ .

١٨ ـ أنَّهَا تُعَرْقِلُ هَضْمِ الطَّعَامِ فَيَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ التُّخَمُ وَالحُمُوضَةُ في المَعِدَةِ وَالقَيءُ .

١٩ ـ تُضْعِفُ المَنَاعَةَ ، وَتُخَدِّرُ الكُرَاتِ الدَّمَوِيَّةَ البَيْضَاءَ التِيْ جَعَلَهَا اللهُ حَارِسَةً لِجِسْمِ الانْسَانِ .

٢٠ ـ التَّعْرِيْضُ لِفَجأةِ ذَهَابِ البَصَرِ .

٢١ ـ مُبادرةُ انْقِطَاعِ شَهْوَةِ الجِمَاعِ وَسُرْعَةِ وُقُوفِ النَّسْلِ .

٢٢ ـ أنَّ أكثَرَ حَوَادِثِ السَّيَّارَاتِ مِن شُرَّابِ الخَمْرِ وَالمخَدِّرَاتِ وَبالحَقِيْقَةِ أنَّ الشَّيْطَانَ يَصُدّ الشَّارِبَ عن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنْ الصَّلاةِ ويُوقِعُهُ في مَعْصِيَةِ اللهِ وَسَخطِهِ وَيُعَرِّضَهُ لِخزْيِ الدُّنْيَا وَعَذابِ الآخِرَةِ يَرْتَكِبُ الكبَائِرِ وَيَقْتَرِفُ الجَرائِمَ وَالآثامِ ، وَيَخْبِطُ في الحَرَامِ ، وَيَتَجَنَّبُ مَا وَجَبَ عَليهُ مِنْ الأحْكَامِ ، فَيَفْعَلُ نُكْراً وَيَنْطِقُ بالعَظائِمِ مِنْ القَوْلِ وَالزُّورِ وَيَسُبُّ رَبَّهُ وأمَّهُ وأبَاهُ ويُطَلّقُ ويَزنِيْ ويَلُوطُ ويَعْبَثُ بالأعْرَاضِ وَالكرَامَاتِ وَيُتْلِفُ أثاثَهُ وأمْوَالَهُ ويُوَسِّخُ ثِيَابَهُ ويَبُولُ عَلى نَفْسِهِ وَيَبْكِيْ بلا سَببٍ وَيَضْحَكُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ فَتَهْزَأُ بِهِ الصِّبْيَانُ وَيَعْبَثُ بِهِ الفُسَّاقِ ويَسْخَرُ بِهِ السُّفَهاءُ وَيَمْقُتُه العُقَلاءُ ويُبْغِضُه أهْلَهُ لِلْخطَرِ المُتَوَقَّعُ مِنْهُ في سُكرِهِ لَيْلاً ونَهاراً وَيَمْقُتُه

جِيْرانُه ولا يأمَنُونَ من وَثَبَاتِهِ إذا سَكِرَ ولا شَكَّ أنَّ فَتْكَ أمِّ الخَبَائِثِ الخَمْرِ أشَدُّ مِنْ فَتْكَ الطَّاعُونِ وَالحَرْبِ وَالمَجَاعَاتِ وَالعَاهَاتِ لإنَّ ضَرَر الخَمْرِ اقْتِصَادِيّ وَصَحِّيْ ونفْسِيْ وَاجْتِمَاعِيْ وَأخْلاقِيّ .

فَشَارِبُهَا عُضْوٌ مَسْمُومٌ في جِسْم أُمَّتِه وَمُواطِنِيْه إنْ لَمْ يُعَالَجْ أو يُسَوى لهُ عَملِيَّةٌ وَيُقْطَعْ ، سَرَى سُمُّهُ وَدَاؤهُ الفَتَّاكُ إلَى سَائِر الأعْضَاءِ وأثَّر عَلَى الجِسْمِ كُلِّهِ : -

وَقِيْلَ لِعَدِيِّ بْنِ حَاتَمَ : مَالكَ لا تَشْرَبُ الخَمْرَ . فَقَال: مَا أُحِبُّ أنْ أُصْبحَ حَكِيْمَ قَوْمِيْ وأُمْسِيَ سَفِيْهَهُمْ وَكانَ بَعْضُ المُلُوكِ يَجْمَعُ أفاضِلَ دَولتِه ويُلْقِيْ عَليْهم أسْئلَةً عِلْمِيَّةً يَتَعَرَّفُ بهَا فَضْلَهُم فَيوماً حَضَر هَذا المجْلِسَ رَجُلٌ رثُّ الهَيْئَةِ فكَانَ إذَا انْتَهى العُلَماءُ مِنْ اجابَتِهم تَكلَّمَ بمَا لم يَحُمْ حَوْلَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمَ وَكانَ ذلك حَالهُ في كُلِّ سُؤَالٍ ولَمَّا انْصَرفَ العُلَماءُ أرَادَ أنْ يَنْصَرفَ هُوَ أيْضاً فأشَارَ إلَيْه المَلِكُ أنْ لا يَنْصَرِفَ فَلَمَّا خليَا أدْنَاهُ الملِكُ ثُمَّ أدْنَاهُ حَتَّى أجْلسَهُ إلَى جَنْبِهِ ثم عَرَضَ عَليْهِ كأْساً مِنْ الخَمْرِ فاسْتَعْفِى فَألحَّ عليه أنْ يَشْرَبَها فاسْتَعْفَى وَأخْبَرَهُ أنَّهُ لا يُرِيْدُهَا ثُمَّ قَالَ لِلمَلِكِ أيُّها المَلِكُ إنِّي الآنَ في مَجْلِس يَحْسِدُنِيَ عليْهِ النَّاسُ جَمِيْعاً وَهُوَ إحْسَان وَمكانٌ عظِيْمٌ لم يُوْصِلْنِيْ إليْهِ إلا عَقْلِيْ فَلا أسِيْءُ إلىَ عَقْلِي أبَداً باحْتِسَاءِ كأسٍ مِنْ الخَمْرِ يَقْضِيْ عَليْه فَازدَادَ اعْجَابُ المَلِكِ بهِ وَازْدَادَ فضْلاً عنْدَهُ عَلى فَضْلِهِ وَلعَلّهُ كانَ يَخْتَبِرْه بذَلِكَ .

وخِتَاماً فَإنَّ الفلاحَ مَرْجُوٌّ حُصُولُهُ باجْتِنَابِهَا قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ إنَّمَا الخَمْرُ وَالميْسِرُ وَالانْصَابُ والأزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، فاجْتَنِبُوهُ لَعلّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

نَسْألُ اللَّهَ أن يُوْقِظ ولاتَنَا فَيأخُذُوا على أيْديْ السُّفَهَاءِ منَّا ويُزيْلَ مَا حَدَث مِنْ هَذِهِ المُنْكَرَاتِ ، وأنْ يُوَفقنا وَجَمِيْع المُسلِمين لطاعته ، ويتوفّانا

مُسْلِمِينَ ، وَيُلحِقَنا بعبَادِه الصَّالِحِينَ ، ويَغْفِرَ لنَا ولوَالِدِيْنَا وَلجميع المسلمينَ ، ويَرْحَمَنا برحْمَتِه أنَّهُ أرْحَمُ الرَّاحِمين ، وصَلَّى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ

« فصل في التحذير عن المسكرات »

وَإيَّاكَ شُرْباً لِلْخُمُورِ فَإنَّهَا
تُسَوِّدُ وَجْهَ العَبْدِ في اليَوْمِ مَعْ غَدِ
ألاَ إنَّ شُرْبَ الخَمْرِ ذَنْبٌ مُعَظَّمٌ
يُزِيْلُ صِفَاتِ الآدَمِي المُسَدَّدِ
فَيُلْحَقُ بالأنْعَامِ بَلْ هُو دُونَهَا
يُخَلِّطُ في أفْعَالِهِ غَيْرَ مُهْتَدِ
وَيَسْخَرُ مِنْهُ كُلُّ رَاءٍ لِسُوْءِ مَا
يُعَايِنُ مِن تَخْلِيْطِهِ وَالتَّبَدُّدِ
يُزِيْلُ الحَيَا عَنْهُ وَيَذْهَبُ بالغِنَا
وَيُوقِعُ في الفِحْشَا وَقَتْلِ المُعَرْبَدِ
وَكُلُّ صِفَاتِ الذَّمِ فِيْهَا تَجَمَّعَتْ
كَذَا سُمِيَتْ أُمَّ الفُجُوْرِ فَاسْنِدِ
فكَمْ آيَةٍ تُنْبِي بِتَحْرِيْمِهَا لِمَنْ
تَدَبَّرَ آياتِ الكِتَابِ المُمَجَّدِ
وَقَدْ لَعَنَ المختارُ في الخَمْرِ تِسْعَةً
رَوَاه أبُو داود عن خَيْرِ مُرْشِدِ
وَأقْسَمَ رَبُّ العَرْشِ أنْ لَيُعَذِبَنْ
عَلَيْهَا رَوَاهُ أحْمَدٌ عن مُحَمَّدِ
وَمَا قَدْ أتى في حَظْرِهَا بالِغٌ إذَا
تَأمَلْتَهُ حَدَّ التَّوَاتُرِ فَاهْتَدِ

واجْمَعْ على تَحْرِيْمِهَا الناسُ كُلُهُم
فَكَفِـرْ مُبِيْحِيْـهَـا وفي النَّـارِ خَلِّدِ
وإدْمَـانُهـا إحْـدَى الكَبَـائِـرِ فـاجْتَنِبْ
لَعَلَّكَ تُحْـظَى بـالفَـلاَحِ وَتَهْتَـدِي
وَيَحْـرُمُ مِنْهَـا النَّـزْرُ مِثْـلُ كَثِيْـرِهَـا
وَلَيْسَتْ دَوَاءً بَـلْ هِيَ الدَّاءُ فـابْعِـدِ
فَمَـا جَعَـلَ اللهُ العَـظِيْمُ دَوَاءَنَـا
بِمَـا هُـوَ مَحْـظُورٌ بِـمِلَّةِ أَحْـمَـدِ
وَكُـلُ شَـرَابٍ إنْ تَكَـاثَـرَ مُسْكِـرٌ
يُحَـرَّمُ مِنْـهُ النَّـزْرُ بـالخَمْـرِ فـاعْـدِدِ
ومِنْ أيِّ شَيْءٍ كَـانَ يَحْرُمُ مُـطْلَقـاً
وَلَـو كَـانَ مَـطْبُـوْخـاً بِغَيْـرِ تَقَيُّـدِ
فَسِيَّـانِ مِـن بُـرٍ وَمِنْ ذُرَةٍ ومِـنْ
شَعِيْـرٍ وَتَـمْـرٍ أيْ وكُـلِ مُـعَـوَّدِ
سِوَى لِظَمَا المُضْطَرِ إنْ مُزِجَتْ بِمَا
يُـرَوِّيْ ولِلْمغْتَصِ اجْمَـاعـاً ازْرُدَ
ثَمَـانِيْنَ فاجْلِدْ مُسْلِمَـاً شَارِبَـاً رِضَى
عليهـا بـاسْكَـارِ الكَثِيْـرِ المُـزَبِّـدِ
وَمَن مَـاتَ في حدٍ بِغَيْـرِ تَـزَيُّـدِ
فَـلا غُـرْمَ فِيْـهِ وَلْيُغَسَّـلْ وَيُلْحَـدِ

موعظة

عِبَادَ اللّهِ إنَّ مِفْتَاحَ سَعَادَةِ المَرءِ في دُنْيَاهُ وأُخْرَاهُ أَنْ يُرَاقِبَ مَوْلاَهُ

بِحَيْثُ يَكُونُ في كُلِّ حالٍ مِنْ أحْوالِهِ مُسْتَحْضِراً عَظَمَةَ رَبِّهِ وَجلاله ولا يَنْساهُ مُؤْمِناً بأنهُ تعالَى يَراهُ أيْنَما كانَ وَيَعْلَمُ سِرَّهُ وَنَجْواهُ فَمَنْ كانَ هَكَذا أَوْرَثَهُ ذَلِكَ خَشْيَةَ رَبِّهِ في سِرِّهِ وَعَلانِيَتِهِ ، فإذا خافَ الأنْسانُ رَبَّهُ خَوْفاً صَحِيْحاً وَقَفَ وَلا بُدَّ عِنْدَما حُدَّ لَهُ مِن حُدُودٍ يَفْعَلِ أوامِرَهُ وَيَجْتَنِبُ نَواهِيْهُ ، لا يَحْمِلُهُ عَلَى ذَلِكَ إلاّ إجْلالُهُ لِرَبِّهِ ، وَمِنْ أبْعَدِ البُعْدِ أنْ يَقْرَبَ المَعْصِيَةَ مَنْ كانَ هَكَذا ، لأنَهُ يَسْتَحْضِرُ أنَّ اللهَ تَعالَى يَراهُ ، ويُوْقِنُ أنَّ اللهَ تَعالَى يُجازِيْهِ عَلَى كُلِّ ما قَدَّمَ مِنْ طَاعَةٍ أو مَعْصِيَةٍ فإذا وَصَلَ العَبْدُ إلى هَذِهِ الحَالَةِ كانَ مَعَ تَوْفِيْقِ اللهِ لهُ مِنْ صَفْوَةِ خَلْقِ اللهِ المتَّقِيْنَ الذِيْنَ لِلّهِ تَعالَى بِهِمْ عِنايَة فوْقَ مَا يَتَصَوَّرُه المُتَصَوِّرُونَ هُوَ أنهُ تعالَى أخْبَرَهُ عن مَبْلَغِ هَذِهِ العِنايَةِ في الكِتابِ المُبِيْنِ أخْبَرَ تَعالَى أنَّهُ مَعَهُم لِمَا هم عليه ممّا وَفَّقَهُمْ لَهُ مِنْ تَقْوَى وَاحْسَانٍ ، وإذا كانَ الأمرُ هَكَذا . فَمنْ يَغْلِبُ التَقِيَّ وَمَعَهُ القاهِرُ الغَلاَّبُ وَمَنْ يُذِلُّهُ وَمَعَهُ مَنْ بِيَدِهِ نَاصِيَةَ كُلِّ مَخْلُوقٍ وَمَنْ يُحْوِجُهُ وَمَعَهُ مَن كُلُّ العَوالِمِ تَتَقلبُ في بَحْبُوْحَةِ جُودِهِ وكَرَمِهِ البَاهِرْ ، وَمَنْ يُشْقِيْهِ وَمَعَهُ مَنْ لا سَعَادَةَ إلا وهِيَ مِنْ فَيْضِ كَرَمِهِ وإحْسَانِهِ . فَعَلَيْكَ بِلُزُوْمِ تَقْوَىْ اللهِ وَطاعَتِهِ تَنلْ السَّعادَةَ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، قَالَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أفْضَلُ الأيْمَانِ أنْ تَعْلَمَ أنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ » رَواهُ الطَبَرَانِيّ وَصَلّى اللهُ عَلى نَبِيِّنَا مُحَمّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرَا : قصيدة وَعْظِيّة زُهْدِيَّة أَلْقِ لها سَمْعَكَ .

أَعَارَتْكَ دُنْيَاً مُسْتَرَدٌّ مُعارُهَا ... غَضَارَةَ عَيشٍ سَوْفَ يَذْوِى اخْضِرَارُها
وهَلْ يَتَمَنَّى المُحْكَمُ الرأى عِيْشَةً ... وقد حَانَ مِن دُهمِ المَنَايا مَزارُهَا
وكَيفَ تَلذُّ العَينُ هَجْعَةَ سَاعَةٍ ... وقد طَالَ فِيهَا عَايَنَتْهُ اعْتِبَارُهَا
وكَيفَ تَقِرُّ النَّفْسُ في دَارِ نُقْلَةٍ ... قد اسْتَيقَنَتْ أنْ لَيسَ فيها قَرارُهَا

وأنّيَ لَهَا في الأَرضِ خَاطِرُ فِكْرَةٍ ... ولَمْ تَدْرِ بَعْدَ الموتِ أَيْنَ مَحارُهَا
أَلَيسَ لَهَا في السَّعْيِ لِلْفوزِ شَاغِلٌ ... أَمَا في تَوَقِّيهَا العَذابَ ازْدِجَارُهَا
فَخَابَتْ نُفُوسٌ قَادَهَا لَهُو سَاعَةٍ ... إلَىَ حَرِّ نَارٍ لَيْس يَطْفَى أُوَارُهَا
لَهَا سَائِقٌ حَادٍ حَثِيْثٌ مُبَادِرٌ ... إلَى غَيرِ ما أَضْحَى إليهِ مَدَارُهَا
تُرادُ لأَمْرٍ وهْيَ تَطْلُبُ غَيرَهُ ... وَتَقْصِدُ وَجْهاً في سِوَاهُ سِفَارُهَا
أمُسْرعَةً فِيمَا يَسُوءُ قِيامُهَا ... وقَدْ أَيْقَنتْ أنَّ العَذَابَ قُصَارُهَا
تُعطِّلُ مَفْرُوْضاً وتَعْنَى بِفَضْلَةٍ ... لَقَدْ شَفَّهَا طُغْيَانُها واغْترارُها
إلى مَا لَهَا مِنْهُ البَلاءُ سُكُونُها ... وعَمَّا لَهَا مِنهُ النَّجَاحُ نِفَارُهَا
وتُعْرِضُ عن رَبِّ دَعَاهَا لِرُشْدِهَا ... وتَتَبعُ دُنْياً جَدَّ عنها فِرَارُهَا
فيأَيُها المَغْرُوْرُ بادِرْ برَجْعَةٍ ... فَلِلَّهِ دَارٌ لَيْسَ تَخْمُدُ نَارُهَا
ولا تَتَخيَّرْ فَانياً دُوْنَ خَالِدٍ ... دَلِيلٌ على مَحْضِ العُقول اخْتِيَارُهَا
أَتَعْلَمُ أنَّ الحقَّ فِيْمَا تَركْتَهُ ... وتَسْلُكُ سُبْلاً لَيسَ يَخْفَى عِوارُهَا
وتَتْرُكَ بَيْضَاءَ المَنَاهِجَ ضِلَّةً ... لِبَهْمَاءَ يُؤْذِيْ الرِّجْلَ فيها عِثَارُهَا
تُسَرُّ بِلَهْوٍ مُعْقِبٍ بِنَدَامَةٍ ... إذا مَا انْقَضَى لا يَنْقَضِيْ مُسْتَشَارُهَا
وتَفْنَى اللَّيَالِي والمَسرَّاتُ كُلُّهَا ... وتَبْقَى تِباعَاتُ الذُّنوب وعَارُهَا
فَهَلْ أَنْتَ يا مَغْبُونُ مُسْتَيْقِظٌ فَقَدْ ... تَبَيَّنَ مِن سِرِّ الخُطُوبَ اسْتِتَارُهَا
فَعَجِّلْ إلىَ رِضْوانِ رَبِّكَ واجْتَنِبْ ... نَوَاهِيَهُ إذْ قَدْ تَجَلَّى مَنَارُهَا
تَجِدُّ مُرُوْرُ الدهرِ عَنْكَ بلاَعِبٍ ... وتُغْرِي بِدُنيا سَاءَ فِيْكَ سِرَارُهَا
فكَمْ أُمَّةٍ قَدْ غَرَّهَا الدَّهْرُ قَبْلَنَا ... وهَاتِيْكَ مِنها مُقْفِرَاتٌ دِيَارُهَا
تَذَكَّرْ عَلَى مَا قَدْ مَضَى واعْتَبِرْ بِهِ ... فَإِنَّ المُذَكِّيْ لِلْعُقُولِ اعْتِبَارُهَا
تَحَامَى ذُرَاهَا كُلُّ بَاغٍ وطَالِبٍ ... وكَانَ ضَمَانَاً في الأَعَادِي انْتِصَارُهَا
تَوَافَتْ بِبَطْنِ الأَرضِ وانْشَتَّ شَمْلُهَا ... وعَادَ إِلَى ذي مُلْكَةٍ مُسْتَعَارُهَا
وكَمْ رَاقِدٍ في غَفْلَةٍ عَنْ مَنِيَّةٍ ... مُشَمِّرَةٍ في القَصْدِ وهْوَ سِعَارُهَا

وَمَظْلَمَـةٍ قَـدْ نَـالَهَـا مُتَسَـلِّطٌ ... مُـذِلٌّ بأَيْـدٍ عِنْدَ ذِي العَرشِ ثَارُهَا
أَرَاكَ إذَا حَـاوَلْـتَ دُنْيَـاكَ سَـاعِيـاً ... عـلى أَنَّهَا بَـادٍ إليْـكَ أَزْوِرَارُهَـا
وفـي طَـاعَةِ الرحمـن يُقْعِدُكَ الوَنَى ... وتُبْـدِيْ أَنَـاةً لا يَصِـحُّ اعْتِـذَارُهَـا
تُحَـاذِرُ إخْـوَانـاً سَـتَفْنَى وتَنْقَضِـي ... وتَنْسَـى الَّتِي فَرْضٌ عَلَيْكَ حِـذارُهَا
كَأَنِّي أَرَى مِنْـكَ التَّـبَرمَ ظَـاهِـراً ... مُبِيْنـاً إذَا الأَقْـدَارُ حَـلَّ اضْطِرَارُهَا
هُنَاكَ يَقُولُ المـرءُ مَن لِي بأَعْصُـرٍ ... مَضَتْ كَانَ مِلْكاً في يَدَيَّ خِيَارُهَا
تَنَبَّـهْ لِيَـوْمٍ قَـدْ أَظَـلَّكَ وِرْدُهُ ... عَصِيْبٍ يُوافِي النَّفْسَ فِيْهِ احْتِضَارُهَا
تَـبَرَّأُ فِيـه مِنْـكَ كُـلُّ مُخَـالِطٍ ... وَإِنَّ مِـنَ الآمَـالِ فيـهِ انْهِيَـارُهَـا
فَأُوْدِعْـتُ في ظَـلْمَا ضَنْكٍ مَقَـرُّهَا ... يَلُـوْحُ عَلَيْهَا لِلْعُيُـونِ اغْبِرَارُهَـا
تُنَـادَى فلا تَـدري المُنَادي مُفْـرداً ... وقَـد حُطَّ عن وَجْـهِ الحَيَـاةِ خِمَـارُهَا
تُنَـادَى إلى يـومٍ شَـدِيْدٍ مُفَـزِّعٍ ... وسَـاعة حَشْرٍ لَيْسَ يَخْفَي اشْتِهَارُهَا
إذا حُشرتْ فيه الوُحُوشُ وَجُمِّعَتْ ... صَحَـائِفُنَا وانْثَـالَ فِيْنَـا انْتِشَـارُهَا
وزُيِّنَت الجنَّـاتُ فيـه وأُزْلِفَـتْ ... وأُذكِيَ مِن نَـارِ الجحـيم اسْتِعَارُهَا
وكُـوِّرتِ الشَّمْسُ المُنِيْرَةُ بالضُّحَى ... وأُسْرِعَ مِن زُهْـرِ النُّجُومِ انْكِدَارُهَا
لَقَـدْ جَـلَّ أَمْـرٌ كـانَ منـه انْتِظَامُهَا ... وقَدْ عُطِّلَتْ مِن مَـالِكِيْهَا عِشَارُهَا
فإِمَّا لِـدَارٍ لَيْسَ يَفْنَى نَعِـيْمُهَا ... وإمَّـا لِـدَارٍ لا يُفَـكُّ إسَـارُهَـا

بحَضْرَةِ جَبَّـارٍ رَفِيْـقٍ مُعَـاقِـبٍ ... فَتُحْصَى المَعَـاصِي كُبْرُهَا وصِغَارُهَا
ويَنْـدَمُ يَـومَ البَعْثِ جَـاني صغَارِهَا ... وتُهْلِكُ أَهْلِيْهَا هُنَـاكَ كِبَـارُهَـا
سَتُغْبَـطُ أَجْسَـادٌ وتَحْيَا نُفُـوسُهَا ... إذا ما اسْتَوَى أَسْـرَارُهَا وجِهـارُهَا
إِذَا حَفَّهُـمْ عَفْـوُ الإِلـهِ وفَضْـلُهُ ... وأَسْـكَنَهُم دَاراً حَلاَلاً عَقَـارُهَـا
يَفـزُّ بَنُـو الدنيـا بدُنْيـاهُـم الَّتِي ... يُظَنُّ على أهلِ الحظوظ اقْتِصَارُهَا
هِيَ الأُمُّ خَـيرُ الـبرِّ فيها عقُـوقُهَا ... ولَيْسَ بغَير البَذلِ يُحْمَى ذِمارُهَا

فمـا نَـالَ منهـا الحـظَّ إلا مُهيْنُها ... ومَـا الهُلْكُ إلَّا قُـربُها واعْتِمـارُهَا
تَهـافَتَ فيهـا طَـامِـعٌ بَعْدَ طَامِـعٍ ... وقـد بـانَ لِلُّـبِ الـذَّكِيّ اخْتِبَارُهَا
تَطَامَنْ لِغَمْرِ الحادِثاتِ ولا تَكُنْ ... لَهَا ذَا اعْتِمـارٍ يَجْتَنِبْكَ غِمَـارُهَـا
وإِيَّـاكَ أَنْ تَغْـتَّرَ منهـا بمـا تَـرَى ... فَقَدْ صَـحَّ في العقل الجَلي عِيَارُهَا
رَأَيْتُ مُلُوكَ الأرضِ يَبْغُـونَ عُـدَّةً ... ولَـذَّةِ نَفْـسٍ يُسْـتَطابُ اجْـترارُهَا
وخَـلَّوا طَـرِيْقَ القَصْدِ في مُبْتَغَاهُمُ ... لِمُتْبَعَةِ الصِفـارُ جَـمٌّ صِغَـارُه
وإن الَّتِي يَبغُـون نَهْـجَ بَقِيَّـةٍ ... مَكِيْنٌ لِطُلاب الخَلاص اخْتِصَارُهَا
هَل العِـزُّ إلَّا هِمـةٌ صَـحَّ صَـوْنُها ... إذا صَـانَ هَمَّاتِ الرجـالَ انْكسَارُهَا
وهَــلْ رَابـحٌ إلا امْــرُؤٌ مُتَـوكِّـلٌ ... قَنُـوعٌ غَنِـيُّ النَّفْـسِ بـادٍ وَقـارُهَـا
ويَلْقَـى وُلاةُ المُلْكِ خَـوفـاً وفكـرةً ... تَضِيْقُ بها ذَرْعـاً ويَفْنَى اصْطِبَارُهَا
عِيـاناً نَـرَى هـذا ولَكِـنَّ سَـكْرَةً ... أَحَـاطَتْ بنـا مَا إن يُفيْقُ خُمَـارُهَا
تَدَبَّرْ مَن الباني عَلَى الأَرضِ سَقْفَهَا ... وفـي عِلْمِهِ مَعْمُـورُهَا وقِفَـارُهَـا
ومَن يُمْسِكُ الأجرامَ والأَرضَ أَمْرُهُ ... بـلاَ عَمَـدٍ يُبْـنَي عَلَيـهِ قَـرارُهَـا
ومـنَ قـدَّرَ التَّـدبـيْرَ فِيهـا بِحِكْمَةٍ ... فَصَـحَّ لَـدَيْهَـا لَيْلُهـا ونَهـارُهَـا
ومَنَ فَتقَ الأمـواهَ في صَفْحِ وَجْهِهَا ... فَمِنهـا يُغَـذِّي حَبُـها وثِمـارُهَـا
ومـنَ صَـيَّرَ الألـوانَ في نَـوْرِ نَبْتِها ... فأشـرقَ فيهـا وَرْدُهَـا وبَهَـارُهَـا
فَمِنْهـنَّ مُخْضـرٌّ يَـرُوقُ بَصِيْصُـهُ ... ومِنْهنَّ مَـا يَغْشَى اللِّحَاظَ احْمِرارُهَا
ومَـن حَفَـرَ الأنهـارَ دُوْنَ تَكلُّـفٍ ... فَثَارَ مِن الصُـمِّ الصِّلابِ انْفِجارُهَا
ومَن رتَّبَ الشمسَ المنير ابْيِضَاضُهَا ... غُـدوّاً ويَبْـدُو بالعَشِـيّ اصْـفِرارُهَا
ومَن خَلـقَ الأفـلاكَ فامْتـدَّ جَـرْيُهَا ... وأَحْكَمَهَا حتى اسْـتَقَامَ مَـدَارُهَا
ومَـن إنْ أَلمتْ بالعُقُـول رَزِيَّـةٌ ... فَلَيْسَ إلى حَيٍ سِواهُ افْتِقَـارُهَا
تَجِـدْ كُلَّ هَذا رَاجِـعٌ نَحْـوَ خَـالِـقٍ ... لَـهُ مُـلْكُهَا مُنْقَـادَةً وائْتِمَـارُهَا

أَبَانَ لَنَا الآيَات فِي أَنْبِيائِهِ ... فَأَمْكَنَ بَعْدَ العَجْزِ فيها اقْتِدارُهَا
فَأَنطَقَ أَفْواهاً بِأَلْفَاظِ حِكْمَةٍ ... ومَا حَلها إثْغَارُهَا واتِّغارُهَا
وأبرزَ مِن صُمّ الحِجَارةِ ناقَةً ... وأَسْمَعُهُم في الحِين منها خُوارُها
لِيُوقِنَ أقوامٌ وتكفُر عُصبةٌ ... أتاهَا بأسْبَابِ الهَلاكِ قِدَارُهَا
وشَقَّ لِموسىَ البَحْرَ دُونَ تَكَلُّفُ ... وبَانَ مِن الأمواجِ فيه انْحِسَارُهَا
وسَلَّم مِن نارِ الأَنوق خَلِيْلَهُ ... فَلَمْ يُؤذِهِ إحْراقُهَا واعْتِرَارهُا
ونَجّىَ مِن الطوفان نُوحاً وقد هَدَتْ ... بِهِ أُمةً أبْدَى الفُسُوقَ شِرارُهَا
ومكَّنَ دَاوُداً بأَيْدٍ وإبْنَهُ ... فَتَعْسيرهَا مُلْقَى لَهُ وبِذَارُهَا
وذلَّلَ جبَّارَ البلادِ بِأُمْرِهِ ... وَعَلَّمَ طَيْراً في السماءِ حِوَارُهَا
وفَضَّلَ بالقُرآن أُمَّةَ أَحْمَدٍ ... ومَكَّنَ في أَقْصَى البلادِ مُغَارُهَا
وشَقَ لَهُ بَدْرَ السَمَاءِ وخَصَّهُ ... بآياتٍ حَقٍ لا يُخَلُ مُعَارُهَا
وأنْقَذَنَا مِن كفُرٍ أربابنا بِهِ ... وقد كان مِن قُطْبِ الهلاكِ مَنارُهَا
فَما بالُنا لا نَتْرُكُ الجهلَ ويحَنَا ... لِنُسْلَمُ مِن نارٍ تَرامَى شَرَارُهَا

اللهُمَّ تُبْ عَلَيْنَا قَبْلَ أَنْ تَشْهَدَ عَلَيْنَا الجَوارِحُ وَنَبِّهْنَا مِنْ رَقَدَاتِ الغَفلاَتِ وَسَامِحْنَا فَأَنْتَ الحَلِيْمُ المُسَامِحُ وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَعَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا فَمِنْكَ الفَضْلُ وَالمَنَائِحُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحمدٍ وَعَلَى آلِهِ أجْمَعِيْنَ .

فَصْلٌ فِي تَحْرِيْمِ حَلْقِ اللِّحْيَةِ

وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ وَالبُعْدُ عَنْهُ ، وَالتَّحْذِيْرُ مِنْهُ في رَمَضَانَ وَفِي غَيْرِهِ حَلْقُ اللحْيَةِ وَقَصُّهَا وَنَتْفُها ، لِمِا يَأْتِي مِنْ الآيَاتِ وَالأَحَادِيْثِ .

. . . قَالَ اللهُ تَعالَى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيْ آدَمَ ﴾ قَالَ البَغَوِيّ رَحِمَهَ اللهُ : قِيْلَ الرِّجَالُ باللحى ، وَالنِّسَاءَ بالذَّوائِب ، وَقَالَ اللهُ تَعالَى ﴿وأطيعوا اللهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ وقَالَ ﴿مَا آتاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهاكُمْ عنهُ فَانتَهُوا ﴾ وَقَالَ ﴿فَلْيَحْذَرِ الذِيْنَ يُخالِفُونَ عَنْ أمْرِهِ أنْ تُصِيْبَهُم فِتْنَة ، أو يُصِيْبَهُم عَذابٌ أليْمٌ﴾ .

وَقَالَ تعالَى ﴿ وَلاَ تَكُونوا كالذِيْنَ نَسُوا اللهَ ، فَأنْسَاهُمْ أنْفُسَهُم ﴾ وَقَدْ رأَىَ النبي صَلى اللهُ عليه وسلم عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ « إنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الكُفَّارِ فَلا تَلْبَسْهَا » رَواهُ مُسْلِمٌ ، فَالعَاقِلُ المُتَدَيِّنُ البَصِيْرُ الوَرِعُ يَبْعُدُ كُلَّ البُعْدِ عَن تَقْلِيْدِهِمْ ، وَالتَّشَبُّهِ بِهِم ، وَالدُّنُو إلَى مُسْتَوَاهُمْ المُنْحَطِّ الشَّاذِّ ، وَإلَيْكَ مَا وَرَدَ في التَّحْذِيْرِ عَنْ التَّشَبُّهِ بِهِمْ ، وَالأمْرِ بِمُخالَفَتِهِم ، لِتَكُوْنَ عَلَى بَصِيْرَةٍ مِنْ ذلِكَ ، وَتَفْهَمَ الأدلَّةَ وَتَنْصَحَ مَنْ رَأيْتَهُ يُقَلِّدُهُم وَيَتَشَبَّهُ بِهِم ، وَتُبَيِّنُ لَهُ أنَّهُ قد أمَرَ صلى الله عليه وَسَلَّمَ بإعْفَاءِ اللحْيَةِ ، وَمُخَالَفَةِ المُشْرِكِيْنَ ، فَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم . « جُزُّوا الشَّوَارِبَ وَأرْخُوا اللِّحَى ، خَالِفُوا المَجُوسَ » رَوَاهُ أحْمَدُ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النبي صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « خَالِفُوا المُشْرِكِيْنَ ، وَفِّرُوا اللِّحَى ، وَأحْفُوا الشَّوَارِبَ » مُتَفقٌ عَلَيْهِ ، وَرَوَى الأمَامُ أحْمَدُ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أعْفُوا اللحَى ، وَجُزُّوا الشَّوَارِبَ ، ولاتَشَبَّهُوا باليَهُودِ وَالنَّصَارَى » وَلِلْبَزَّارِ ، « لاَ تَشَبَّهُوا بالأعَاجِمِ ، أعْفُوا اللِّحَى » .

وَرَوَى ابْنُ عُمَرَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُم » رَوَاهُ أحْمَدُ وأبو دَاوُدَ .

وَقَالَ أيْضاً « إنَّ اليَهُودَ والنَّصارَى لا يَصْبَغُونَ فَخَالِفُوهُمْ » رَوَاهُ البُخارِيّ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيْهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قالَ : « لَيْسَ مِنَّا من تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا ، لا تَشَبَّهُوا باليَهُودِ وَلاَ النَّصَارَى » ورُوِيَ عَنْ ابْنِ عُمَر « مَنْ تَشَبَّـهَ بِهِمْ حَتَّى يَمُوتَ حُشِـرَ مَعَهُمْ » .

وفي كِتَابِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ ، إلَى عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدَ : وَإِيَّاكَ وَزِيّ أَهْلِ الشِّرْكِ . رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلِم .

قَالَ ابْنُ عَقِيْل رَحِمَهُ اللهُ : النَّهْي عَنْ التَّشَبُّهِ بِالعَجَمَ لِلتَّحْرِيْمِ .

وَقَالَ شَيْخُ الاسْلاَمِ أَبُو العَبَّاسِ بْنُ تَيْمِيّةَ رَحِمَهَ اللّهُ :

التَّشَبُّهَ بالكُفَّارِ مَنْهِيّ عَنْهُ بِالأجْمَاعِ . وَقَالَ عَلَى حَدِيْثِ ابْنُ عُمَرَ « مَنْ تَشَبَّهَ بقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُم » : وَقَدْ احْتَجَّ الأمَامُ أحْمَـدُ وغيره بِهَـذَا الحَدِيْثِ ، قَالَ : وَهَذَا أَقَلُّ أحْوالِهِ أنَّهُ يَقْتَضِي تَحْرِيْم التَّشَبُّهِ بِهِم ، وَإِنْ كانَ ظَاهِرَهُ يَقْتَضِي كُفْرَ المُتَشَبِّهِ بِهِمْ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعالَى ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُم فإنَّهُ مِنْهُم ﴾ انتَهَى .

وَقَدْ جَاءَ في حَدِيْثٍ رَوَاهُ ابْنُ اسْحَاقَ وَابْنُ جَرِيْرٍ أنـه صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ « إنَّ اللهَ أمَرَنِيْ باعْفَاءِ لِحْيَتِيْ وَقَصِّ شَارِبِيْ » .

وَمِنْ الأدِلَةِ عَلَى تَحْرِيْمِ حَلْقِ اللحْيَةِ قَوْلهُ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِيْ فَلَيْسَ مِنِّيْ » : وَمِنْ سُنَّتِهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم

اعْفَاءُ اللحْيَةِ ،وَرَوَى الامامُ أحْمَدُ في زَوَائِدِ المُسْنَدِ بأَسَانِيْدِ جَيِّدَةٍ ، عَنْ عَلِيّ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَظِيْمَ اللحْيَةِ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أنّهُ كَانَ يُعْفِيْهَا ، وَلَا يَأخُذُ مِنهَا شَيئاً ، وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ جابر رَضْيَ اللهُ عَنْهُ : قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيْرَ اللحْيَةِ وَعَنْ أنسٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لِحْيَتُه قَدْ مَلأتْ مِنْ هَا هُنا وَأمر يدَهُ على عَارِضِهِ .

وعن عَائِشَةِ رضْيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ كَانَ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلمَ كثَّ اللِحْيَةِ ، تَمْلأُ عَارِضَيْهِ ، وَقَال أبُو مَعْمَر : قُلْنَا لخبَّابِ ابْنِ الأرَتِّ أكانَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسَلم يَقْرَأُ في الظُّهرِ وَالعَصْرِ ؟ قالَ : نعَمْ ، فَقُلْنَا لهُ : بِمَ كُنْتُم تعْرِفُوْنَ قِراءَتَهُ قالَ : باضْطِرَاب لِحْيَتِه . رَوَاهُ البُخَارِيّ ، وسُئِلَ ابْنُ عُمَرَ رضْيَ اللهُ عَنْهُمَا : كيْفَ كُنْتُم تَعْرِفُون قِراءةَ رسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسَلم في السِّرِّيَّةِ ؟ قالَ : باضْطِرَابِ لحْيَتِه .

وَعن عُثْمَانَ رضْيَ اللهُ عنه أنّ النبي صلى اللهُ عليه وسَلم كان يُخللُ لحيَتَه . رَواهُ ابْنُ مَاجَهْ والترمذي وصَحَّحَهُ ، فَهَذا يَدُلُ على عِظمِهَا وطُوْلِهَا ، وعن أنسٍ أنّ النبي صلى اللهُ عليه وسلم كانَ إذَا تَوضّأ ، أخذَ كفاً مِن ماءٍ فأدْخَله تَحْتَ حَنكِهِ ، فَخَلّلَ بهِ لِحْيَتُه ، وقَالَ « هَكذا أمَرنِي رَبّي » رَواهُ أبُو دَاوُدَ ، وعَنْ عَمْروِ بنِ شُعَيْبٍ رضْيَ اللهُ عنهُ ، عنْ أبيْهِ عَنْ جَدِّهِ ، أنَّ النّبيّ صَلى اللهُ عليه وسَلم قالَ « لا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ ، فإنّه نُورُ المسلمِ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَشِيْبُ شَيْبَةً في الاسْلام إلا كتَبَ اللهُ لهُ بهَا حَسَنةً وَرَفع لهُ بهَا درجَةً ، وحَطَّ عنهُ بهَا خَطِيْئَةً » رَواهُ أحْمَدُ وَأبُو دَاودُ .

وَالذِيْ يَحْلِقُها قَدْ كَرِهَ الشَّعْرَ الأَسْوَدَ ، فَضْلاً عَنْ الأَبْيَضِ الذِي هُوَ نورُ المَسلِم ، وقد أَخْرَجَ مُسْلِمٌ في الصَّحِيْحِ مِن حَدِيْثِ قتاده ، عن أنسِ بن مالكٍ ، قالَ : كنّا نكرَهُ أنْ ينتِفَ الرَّجُلُ الشَّعْرَةَ البَيْضَاءَ مِن رأسِه ولِحْيَتِه .

وكانَ أبُو بَكرٍ رضْيَ اللهُ عنه كَثَّ اللحْيَةِ ، وكَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَقِيْقَ اللِّحْيَةِ ، وكَانَ عليٌّ عَرِيْضَ اللحْيَةِ ، وَقَدْ مَلأتْ مَا بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ ، وَقدْ قالَ صَلَّى اللهُ عَليْهِ وسَلم « عَليْكُم بسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِيْ ، عَضُوا عَليْهَا بالنَّواجِذِ ، وَإيَّاكُمْ وَمُحْدثَاتُ الأمُورِ ، فَإنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بَدْعَةٌ » الخ ومِنْ الأدِلَّةِ على تَحْرِيْمِ حَلْق اللحْيَةِ - مَعَ مَا تقدَّمَ ، وَانَّهُ تَشَبُّهُ بأعْدَاءِ اللهِ اليَهُودِ والنَّصَارَىٰ - أنَّهُ أيْضَاً تَشَبُّهٌ بالنِّسَاءِ .

وَبالأمْرَدِ في عَدَمِ الشَّعْرِ بالوَجْهِ ، وَقَدْ وَرَدَ اللَّعْنُ للمُتَشَبِّهِيْنَ مِنْ الرِّجَالِ بالنِّسَاءِ ، وَالمُتَشَبِّهاتِ منْ النِّسَاءِ بالرِّجَالِ ، في عِدَّةِ أحَادِيْثٍ تَقدَّمَتْ في فَصْلٍ مُفْرَدٍ لهَا .

وَأيْضاً فَحلْقُ اللحْيَةِ تَغْييْرٌ لِخَلْقِ اللهِ وَتَمْثِيْلٌ بالشَّعْرْ ، وَقدْ وَرَدَ عَنْ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ رسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسَلم قالَ « مَنْ مَثَّلَ بالشَّعْر فليْسَ لهُ عَنْدَ اللهِ خَلاَقٌ » رَوَاهُ الطبراني . قَالَ أهْلُ اللغَةِ : مَثَّل بالشَّعْرِ : صَيَّرَهُ مُثْلَه ، بأنْ حَلَقَهُ مِنْ الخُدُودِ أوْ نَتَفَهُ ، أوْ غَيَّرَهُ بالسَّوادِ .

وَقَدْ عَمَّتْ هَذِه البدْعَةُ في زَمَنِنَا ، وَانْتَشَرَتْ انْتِشَاراً يُؤْلِمُ قَلْبَ كُلِّ

مُؤْمِنٍ ، فإنهُ اذا الْتَفتَ إلىَ وُجُوه مَنْ حَوْلهُ مِنْ الرِّجَالِ وَجَدَ الأكْثَر مِنْهُم مُغيِّراً لِمَا جَمَّلَهُ اللهُ بهِ ، وجَعلهُ - لَوْ أبْقاهُ - دَاعِياً إلىَ وَقارِهِ وَاحْتِرَامِه وَهَيْبَته ، ويَنْدُر جِدّاً أنْ تَرى وَجْهَ الْمُتَأدِّبِ بآدَابِ الشَّرِيْعَةِ ، الذِي لا يَتعَرَّضُ للِحَيته بحَلْقٍ ولا قَصٍّ وَلا نَتْفٍ ، ولا تَسْوِيدٍ للشَّعْرِ الأبْيَضِ ، عَليْهِ مَا زيَّنَهُ اللهُ بهِ مِنْ سِيْمَا الرُّجُولةِ والوَقار حَيْثُ أبْقاهَا ، إذْ هُوَ بحَلْقِهَا يُزيْلُ جَمالَهُ الشاهد في بَقَائِها ويُنفِقُ مالَهُ في حَلقِهَا وسَيُسْأل عَنْهُ يوم القِيَامَة ويَهدِمُ رُجُولتَهُ ، ويُعْدِمُ هَيْبَته وَوَقارَهُ ، ويَرْضَى لِنفسِهِ أن يَعيش طُوْلَ حَيَاتِه مُتَشَبِّهاً بأعْدَاءِ الاسْلامِ الافرَنْجَ ، فإنَّ حَلْقَها علامَتُهُم جَميعاً في هَذا الزَّمَانِ كَما نُشَاهِدُ وأمَّا اعْفَاءُ اللحْيَةِ فعَلاَمَةُ المرُسْلِينَ وأتْبَاعِهم وأحِبَّائِهِمْ السَّائِريْنَ عَلى مِنْهَاجِهِمْ عِبَادِ الله الصَّالِحِيْنَ . نسألُ اللهَ أن يوفقنا لِسُلُوْكِ مِنهاجِهِم إنه القادِرُ على ذلك .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ : ثُمَّ تَأمَّلْ لِمَ صَارَتْ المَرْأةُ والرَّجُلُ إذَا أدْرَكَا اشْتَرَكا في نباتِ العانَةِ ثم يَنْفرِدُ الرَّجُلُ عَنْ المرْأةِ باللحِيْةِ ، فَإنَّ اللهَ عَزَّ وَجلَّ لمَّا جَعَلَ الرَّجُلَ قَيِّماً عَلَى المرْأةِ ، وَجَعلهَا كالخَوَلِ وَالعَانِيْ في يَديْهِ ، مَيَّزَهُ عَليْهَا بمَا فِيْهَ لَهُ المَهَابَةُ وَالعِزُّ وَالوَقارُ والجَلالةُ ، لِكَمالِه وَحَاجَته إلىَ ذلِكَ ، وَمُنِعَتْهَا المرْأة لِكَمالِ الاسْتِمْتَاعِ بهَا وَالتَّلذُّذِ ، لِتبْقَى نَضَارَةُ وَجْهِهَا وَحُسْنِهِ لا يَشِيْنُهُ الشَّعْرُ . انْتَهَى .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فَصل :وَقالَ في الدَّرِّ المُخْتَارِ وَأمَّا الأخْذُ مِنْهَا وَهِيَ دُوْنَ القَبْضَةِ كَما يَفْعَله بَعْضُ الْمغَارِبَةِ وَمُخَنَّثَةِ الرِّجَالِ فلَمْ يُبحه أحَدٌ ا هـ وَرَدَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضْيَ اللهُ عنه وَابْنُ أبِي لَيْلىَ قاضِي المدِيْنَةِ شَهَادَةَ مَنْ كَانَ يَنْتِفُ لِحْيَتَهُ وَالحَلْقُ أعْظَمُ بكثِيرٍ ، لِأنَّه لا يُبْقِيْ شَيْئاً مِنْهَا .

وَقَال أبُو شَامَة وَقَدْ حَدَثَ قَوْمٌ يَحْلقِونَ لِحَاهُمْ وَهُوَ أشَدُّ مِمَّا نُقِلَ عَنْ المَجُوسِ مِنْ أنَّهُم كانُوا يَقُصُّونَها وَقَال في التَّمهْيِدِ وَيَحْرُمُ حَلْقُ اللحْيَةِ ولا يَفْعَلهُ إلاَّ المُخَنَّثُونَ مِنْ الرِّجَالِ ا هـ .

قال بعضهم :

أَلا أَيُّهاَ الْمَغْرُوْرُ في جَرِثَـــوْ بِهِ ... وجَزِّ لِبَعْضِ الرَّأْسِ فِعْلَ الأَسَافِلِ
فما العِزُ في حَلْقِ اللَّحاَ أَوْ خَنافِسِ ... ولَا شُرْبِ دَخَّانٍ هَوَتْهُ الأَسَافِلُ
ولَكِنَّهُ بالعِلْمِ والزُّهْـدِ والتُّقَـى ... وجُودٍ وَحِلْم واقْتِنَاءِ الفَضَائِـلِ

آخـر :

لَيْسَ السَّيِّـادَةُ أَشْنَابـاً مُفَتَّلَـةً ... وَلَا لِحاً أُنْهِكَتْ بالمُوْسِ وَالنِّيـرِ
لَكنَّهـا بالتُّقَى والزُهْـدِ يَعْرِفُهَـا ... مَنْ بالفَضائِل مَشْهُوْراً لَدَى البَشَرِ

آخـر :

لَعَمْرُك ما الإنْسَانُ إلاَّ ابنُ دِيْنِهِ ... فَلاَ تَتْرُكِ التَّقْوَى إتِّكَالاً عَلَى النَّسَبْ
فَقَدْ رَفَعَ الإسْلَامُ سَلْمَانَ فارِسٍ ... وقَدْ وضَعَ الشِّرْكُ الشَّقِيَّ أبا لَهَبْ

آخـر :

لِكُلِّ شَيءٍ زِيْنَـةٌ في الْوَرَى ... وزَيْنَـةُ المَـرْءِ بِتَوْحَيْـدِهِ
قَدْ يُرفَـعُ المَـرْءُ بِتوحِيْـدِهِ ... فِيْنَا وإنْ كَانَ وَضِيْـعَ النَّسَبْ

وفي اللحْيَةِ خِصَالٌ نَافِعَةٌ : أوّلاً مُخَالَفَةُ المشْرِكِيْنَ .

ثانياً تَمْيْيزُ الرَّجُل عَنْ المَرْأةِ : ثالثاً : تَمْييزُ الرَّجُلِ عَنْ الصَبيِّ وَتغطيةِ ما في منبتِهَا مِن تشويه أو تَثَنٍّ لا سيَّما في الكِبَر رَابعاً تَعْظِيْمُ الرَّجُل الذِيْ يُعْفِيْها وَتَوْقِيْرُه . خامِساً : أنَّ إعْفَاءَها مِنْ سُنَن المرْسَلِيْنَ . سَادِساً أنَهُ يُنْظَرُ إلىَ مُعْفِيْهَا بعَيْن التعظيم والإجْلال وَالتَّقْدير . سَابِعاً :

تَقْديْمُ مَنْ يُعْفِيْهَا عَلَى الجَماعَةَ وتَعْقيْله وَالسلامَة من تضييع قِطعةٍ مِنْ العُمرِ في حَلقِها أو قصِّها ثامِنا : صِحّة إِمَامَتِه بالجَماعَةِ . تاسِعاً : إبْعَادُه عَنْ مُشَابَهَةِ النُسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ، وَاليَهُودِ والنَّصارى والمَجُوسِ والمَخَنَّثِيْنَ.

وَوَصَفَ بَعْضُ بَنِيْ تَمِيْم من رَهْطِ الأحْنَفِ بن قِيْسٍ ، قالَ : وَدِدْت أنّا اشْتَرَيْنا لِلأحْنَفِ لِحْيَةً بعِشْرِيْنَ ألفاً ، فَلمْ يَذْكُرْ حَنَفَه ولا عَورُهُ ، وَذكرَ كَرَاهِيَةَ عَدَمَ اللحْيَةِ ، لإنَّ مَنْ لا لِحْيَةَ لهُ يُرى عنْدَ العُقَلاءِ نَاقِصاً ، وَكانَ الأحْنفُ عَاقِلاً حَلِيْماً ، يُضْرَبُ بهِ المثَلُ في الحِلْمِ ، وَذُكِرَ عَنْ شُرَيْحٍ القَاضِيْ ، قالَ: ودِدْتُ أنَّ لِيْ لِحْيَةً بعَشَرةِ آلافِ دِرْهَمٍ وَأهْلُ زَمننا بَعْضُهُم يودُّ لَوْ عَدِمَهَا وسَاق آلافاً مِنْ الوَرِقْ وَلا تُفِيْدُ مَعَهُ النَّصائِحُ مَهْمَا أُيِّدَتْ بالآياتِ وَالأحادِيْثِ ، وَذكرَ العُلَماء أنَّ في اللحْيَةِ إذا أزِيْلَتْ بالكُلِيّةِ وَلمْ تَعُدْ الدِّيَة كَامِلةً ، وَهؤلآءِ المُجاهِرُونَ بهَذه المعْصِيَةِ العَظِيْمَةِ ، المعَاكِسُونَ لهَدْيِ المُصْطَفَى صلى اللهُ ليه وسلم في إبْقَائِهَا وَإكْرَامِهَا ، المُتَشَبِّهُونَ باليَهُودِ وَالنَّصَارى في حَلْقِهَا ، يَروْنَ الجَمَالَ وَالتَّمَدُّنَ بالقَضَاءِ على أعْظَمِ الفوارِق بَيْنَ الذَّكر والأُنْثى وَهُوَ اللحْيَةُ عَكْسُ رَأيْ أهْل الدِّيْنِ والصَّلاحِ ، قالَ اللهُ تَعالى ﴿ أفمَنْ زُيِّنَ لهُ سُوْءُ عَملِهِ فرَآه حَسناً ﴾ .

وَأكْثَرُ حَالِقِي لِحَاهُمْ وَصَلَ بهم التَّشَبُّهُ إلىَ حَدٍّ أنْ أبْقوا شَوَارِبَهُم وَاقفَةً ليْسَ فِيْهَا قَصِيْرٌ ، وَكأنَّهُم بفعْلِهِمْ هَذا يُعَانِدُوْنَ المُصْطَفَى صَلى اللهُ عليه وسلم وَيُعَاكِسُونَهْ ، حَيْثُ أنَّهُ يَأمُرُ بابْقَاءِ اللِّحى وَاحْفَاء الشَّوارِبَ ، وَزِيادَةً عَلى هَذا يَجْعَلُون مَا يُسَمَّى بالتَّـوَالِيْت وَيَفْرِقُـونه ويُكـدِّدونَهُ ، وبَعْضُهُم يَزيْدُ وَيُخنَفِسُ ، فهَلْ هَذا التَّشَبُّهُ وَالتَّتَبُّعُ لِسَفَاسِف الأخْلاق إلاَّ مِنْ الانتِكَاسِ وَعمىَ البَصيرة والتَّقليدِ الأعمىَ ولا يفهمُ أنَّ هذَا إزالةُ

للجَمالِ وَالرُّجُولةِ وَالهَيْبَةِ وَالوَقارِ وَالكَمالِ ، نَعُوذُ باللهِ مِنْ الانْتِكَاسِ وَهذا مِنْ نَتِيْجَة تقْلِيْد الأجانِب ، وَلهذا ترَى كثِيْراً من النّاسِ أهْمَلُوا أمْرَ الدّين وَاسْتَهانُوا بحُقوقِه ، وَعَبَثُوا بوَاجَبَاتِهِ وَانْتَهَكُوا حُرُمَاتِ اللهِ ، وَلَمْ يُبالُوا بارْتِكَابِ ما لا يَرْضَاهُ اللّهُ مِنْ الشُّرُور وَالمنْكَراتِ وَالقَبائِحِ ، سَائِرٌ كلٌّ مِنْهُم وراءَ شَهْوَتِهِ وَهواهُ ، ونفْسِهِ الأمّارَةِ بالسُّوءِ .

قالَ تَعَالى ﴿ وَمَنْ أضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغَيْرِ هُدَى مِنْ اللّهِ ، إنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِين ﴾ وقال تعالى ﴿ أفمن زُيّنَ لَهُ سُوْءُ عَمَلِهِ فرآه حَسَنا ﴾ وَيا لَيْت أنَّهمُ قلَدوا الأجانِبَ فِيْمَا يُفِيْدُ وَيَنْفَعُ مِنْ الصِّنَاعَاتِ .

وَكُلُّ مَا يُـرَقِّيْ شَؤُونَهُم ، مِنْ الفُنُونِ التِي تَعُـودُ إلىَ مَصْلَحَةِ الاسْلامِ وَالمُسلِمْينَ ، لكِنْ قلّدُوهُم فِيْمَا يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ ، في حَلْقِ اللِّحَى وشُرْبِ الدّخانِ ، ولَعِبِ القِمَارِ والمسكراتِ ، والرِّبَا في البُنُوكِ وغيرَها ، وفي التأمِيْناتِ ، وفي الملاهِي بأنواعها ، وفي التَّصْوِيْر والتَّبَرُّجِ والتَّهَتُّك واللَّعِب بالكُرَةِ ، وضَيَاعِ العُمْرِ عندَ المِذيَاعِ والتَّلفِزْيُونِ والسِّيْنَمَاءِ ، وسَـائِر أنْـوَاعِ المُحَرَّمـاتِ التي قَضَتْ على العُمُر والـوَقْتِ والمـالِ والأخلاقِ ، فيَا للأسفِ عَلى ذِهابِ العُمْرِ النَّفِيْسِ الذي لا قِيْمَة له ولا خَطَرَ ، ولا يُعَادِلُهُ جَوْهَرٌ ولا ذَهَبٌ ولا فِضَّةٌ ولا دُرٌّ ولا مُرْجَان ، ولا لُؤلُؤٌ ولا عُقْيانٌ عِندَ الملاهِي والمُنْكَرَاتِ التِي سَوفَ يَعُضُونَ أيْدِيَهُمْ على ضَيَاعِ الوقتِ عندها إذا نُوْدُوْا لِلْوُقوفِ بَينَ يَدَي العَزِيزِ الجبار.

اللّهُمَّ اجْعَل الأيمانَ هادِماً للسيئآت ، كَمَا جَعَلْتَ الكُفْرَ عَادِماً لِلْحَسَنَاتِ وَوَفّقْنَا لِلأَعْمَالِ الصَّالِحاتِ ، واجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوكَّلَ عَليكَ فَكَفَيْتَهُ ، واسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فأجبْتَهُ ، واغفر لنا ولِوَالِدَيْنا ولِجَمِيع المسلمين الأَحياءِ منهم والميتين برحمتك ياأرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

شِعْرَا: أعُوْذُ بِرَبِّ العَرْشِ مِن كُلِّ فِتْنَةٍ وَأسْألُهُ عَفـواً لِكُـلِّ خَطِيْئَـةٍ

وحفْـظاً لِـدِيْني ثمُ دُنْيَـايَ ثمُ مَـا
أُكِنُّ ومَـا أُبْدِيـهِ مَـعْ حُسْنِ نِيَّـةِ

فَـأحْيَـا مِـحِبَّـا لِلنَّـبي وآلِـهِ
وأَصْحَـابِهِ في خَيْـرِ هَـدْيٍ وسُنَّـةِ

فمِنْ هَدْيِ خَيرِ الْخَلْقِ إِعْفَـاءُ لِحْيَةٍ
ومِنْ هَـدْيِـهِ يـا صَاحِ لُبْسُ لِعِمَّـةِ

وقـد جَـاءَ أقْـوَامٌ عُتَـاةٌ تَجَـاسَـرُوْا
على هَـدْمِ أَعْلامِ الهُـدَى بِوَقَـاحَـةِ

ويَـاليْتَهُمُ لمَّـا عَنِ الحَق أعْـرَضُـوا
بـأفْعَـالِهِم مَـا عَـارَضُـوا بَصَـراحَـةِ

هُمُ مَثَلوُا مِن جَهْلِهِمِ بُـوجُـوهِهِمْ
لقَـدْ بلَغُـوا في ذَاكَ حَـدَّ الشَّنـاعَـةِ

أقُـولُ لِمَنْ أمْسَى عن الدِّينْ نَـاكِبـاً
مُعَـانِـدَ أَعْـلامَ الهُـدَى لِلشـرِّيعَـةِ

يُجَـاهِـرُ في نُكْـرٍ ويُبْـدِيْ تَشبُهـاً
بـأعْـدَاءِ دِينٍ يـا لَهَـا مِن خَسَـارَةِ

يُـمَثَّـلُ فـي وَجْـهٍ بحَـلْقٍ لِلِحْيَـةِ
لعَمْـرِي لقَـدْ سَـاوَى لِـوَجْهٍ بِعَـانَـةِ

فـأَصْبَحَ مِنْـهُ الـوَجْـهُ أُسْتـاً مَشـوَّهـاً
لَدَى كُلِّ ذِيْ عَقْـلٍ بأقْبَـحِ صُوْرَةِ

تَـعَـوَّدَ هَـذَا الخُـلْقَ طَبْعـاً لِأنَّـهُ
يُـلائِمُ مـا يَعْتَـادُهُ مِن خَـلاعَـةِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِن المتقينَ الأبْرارِ وأسْكِنَّا مَعَهمُ في دارِ القرارَ ، اللهم وفقنا بِحُسْن الاقبالِ عليك والإِصْغَاءِ إليك ووَفّقنا لِلتّعاوُنِ في طَاعَتِكَ والمُبادَرَةِ إلى خِدْمَتكَ وحُسْن الآداب فى مُعَامَلَتِكَ والتّسليم لِأمْرك والرِّضا بِقَضَائِكَ والصَّبْرَ عَلى بَلائِكَ والشّكْرِ لِنَعْمَائِكَ ، واغفرَ لَنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتِكَ يا أرْحَمَ الراحمين وصلى الله على محمدٍ وآلِهِ أجمعين .

أخيَّ استْمَعْ مِنّي هُدِيْتَ نَصِيْحَةٍ ... بِقَوْلٍ حَرِيٍّ بالصَّوابِ ونَافِـــعِ
أتَتْ من أخِي وِدٍ شَفِيْقٍ عَلى الذي ... عن الكِبْرِ ناءٍ مَائِلٍ لِلتَّواضِــعِ
إذَا أبْصرَتْ عَيناكَ مَخْلُوقَ لِحْيَةٍ ... مُقَلِّدَ أهْلِ الغَرْبِ صُهْبَ المَفَـارِعِ
فَلِلَّهِ فالجأً حَامِداً مُتَضرِّعــاً ... وقُلْ مَا أتَى عَمَّنْ أتَى بَالشَّــرَائِعِ
لَعلَكَ أنْ تَحَيا سَعِيْداً مُنَابِــذاً ... لِأَخْلاقِهِم تُحْضَى بِأَعْلَى المواضِعِ
وتَعْنَى بِأخْلاقِ النِبِي وصَحْبِــهِ ... مُعفِّي اللِّحَا أهْلِ العُلومِ الجَوَامِــعِ
فكم بَيْنَ مَنْ قَدْ شَابَهوا خَيرَ مُرسَلٍ ... بِإعْفَائِهَا أكْرِمْ بِهِم مِن مُتَابِــعِ
ومَنْ رَدَّ أمْرَ المُصطَفَى فاغْتَدَى لَهَا ... بِحَلْقٍ لها أَوْ نَتْفِهَا بالأَصَـــابِعِ
أَوِ القصِّ أَوْ تَحْرِيْقِهَا أَوْ بِكَيِهَـــا ... يَرى تَركَهَا مِن مُعْظَمَاتِ الفضَائِعِ
يُغَيِرُ عَلَيهَا كُلَّ صُبْحٍ بِمَا حـــقٍ ... إذَا مَا بَدَا شَعْرٌ عَلاهُ بِقَاطِــعِ
كَأَنَّ لَهُ ثأراً عَلَيهَا مُضَاعَفــاً ... فَمَا ناصِحٍ مُغْنٍ ولا شَفْعُ شَــافِعِ
مُهَدَّةٌ في كُلِّ صُبْحٍ وَرَوْحَـــةٍ ... فَمَا أمْنُهَا إلاَّ بِجَلدٍ مُمَانِــعِ
إذَا قُلْتُ لِمْ تَعصِ النبيَّ مُحَمَّـداً ... فَتَحْلِقُهَا حَلْقَ العَنِيْدِ المُدَافِــعِ
أَمَا أوْجَبَ الرحمنُ طَاعَةَ أحْمَــدٍ ... عَلَيْنَا وعِصيَانَ العَدُوِّ المُقَاطَــعِ
أَمَا قَالَ أَرْخُوا لِلّحَــاءِ وَوَفِّرُوْا ... فَوَفِّرْ تَكُنْ لِلْمُصْطَفَى بِمُتَـــابِعِ
فاطْرَقَ حَتَّى أنْ ظَنَنْتُ بِأنَّـــهُ ... سَيَرجِعُ عَنْ إتلافِهَــا بِمُسَـــارِعِ
ويَنْدَمُ عمَّا قَدْ مَضَى مِنْهُ أوَّلاً ... وَيَعْزِمُ في جِدٍّ مِنَ الجَزْمِ قَاطِــعِ
فقال بما قَالَ الكَثِيرُ مُعَـــانِداً ... ألَسْتَ تَرى غَيْرِي فَلَسْتُ بِسَامِعِ
فَقُلْتُ أَلَيسَ الأَكْثَرُوْن عن الهدى ... تَوَلَّوْا فَضَلّوا في وَخِيمِ البَلاقِــعِ

وفي تَافهةَ الأَشْيَاءِ لِلضِّدِّ قَلَّــدُوْا وفَي الدِيْنِ والأَخلاقِ صُفْرُ البَضائِعِ
فَيا بُعْدَ مَا بَيْنَ الفِريقين عِنْدَمَـــا تُقَارِنُ في عَدْلٍ عَن الجَورِ شَاسِعِ
وأَخْتِمُ قَولِي حَوْلُ مَا قُلْتُ أَوَّلاً فما في يَدِي حَوْلٌ ولَسْتُ بِدَافِعِ
سلامٌ على مُعْفِي اللِّحَاكُلَّ مَا بَدَا لَنَا شَعْرُهَا مَا بَيْنَ سُوْدٍ وَنَاصِــعِ
وصَلى إلهي كل ما ذَرَّ شَــارِقٌ على أَحْمَدِ المُخْتَار جَمِّ المَنافِــعِ

وبالتالي فلو لم يَكن في حَلِقها إلاّ أَنَّهُ اعِتَراضَ عَلى حِكمةِ اللهِ حيث جَعَلها مِيزَةً للرَّجُلِ عنَ الأنثى ثانياً أَنَّ مِن نواقِضِ الاسلامِ كَرَاهةَ ما جاء عن اللهِ أو عن رسولِهِ ويُخشى على حالِقِهَا مِن ذلكَ . ثالثاً أنَّ حَلِقَها مَعْصِيَةٍ لِله ولرسُولِهِ لقولَه تعالى مَن يُطِع الرَسُول فقد أطاع اللهَ وقد أَمَرَ الرسُولُ بإعفائِها رابعاً أن حَلقَها تَمْثِيلٌ بالشعرِ وتقدَمَ حديثُ مَنَ مَثَّلَ بالشعرِ فليسَ لهُ عندَ الله خلاقٌ خامساً أنه تَشَبُّهٌ باليَهُودِ سادساً أنه تَشَبُّهٌ بالنَّصَارَى سابعاً أنه تَشَبُّهٌ بالمَجُوس . ثامناً أنه تشبهٌ بالنَساءِ تاسعاً أنه تَشَبُّهٌ بالمرُدْ عاشراً أنه دَليل على أن حَالِقَها يَمِيْلَ إلى غَيْرِ أمتِّهِ . الحادي عَشر أَنَّ مَنْ حَلَقَها أَو قَصَّ منها لِرِضَاء الزَّوْجَةِ أو الزُّمَلاَءِ مُلْتَمِسٌ رضا الناس بِسَخَطِ اللهِ لِأَنَّ مَنْ عَصَى أَمْرَ الرسُولَ صلى الله عليه وسلم فقد عَصَى الله.

اللّهُمَّ ثَبِّتْ وَقَـوِّ مَحَبَّتَكَ في قُلوبنا واشْرَحْ صُدُورنَا وَنوِّرْها بنُور الإِيْمانِ واجْعَلنا هُداةً مُهْتَدين وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ واجْعَلنا مِمَّنْ يفُوزُ بالنَّظَرِ إلَى وَجْهِكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَا حَليمُ وَيَا كَريمُ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدِينا ولِجَميع المُسْلِمِـينَ الأحياءِ منهُم والمَيّتين برَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرّاحمينَ وصلّى اللَّهُ عَلَى مُحمَّدٍ وَعَى آلِهِ وَصَحْبه أجْمَعِين .

موعظة:عِبَادَ اللهِ مَا بَالُ الكَثِيْرِ اليَوْمَ لا يَسْمَعُونَ ، وَإِذَا سَمِعُوا لا يَنْتَفِعُون ، أَفِي آذانِهم صَمَمٌ ، أَمْ هُمْ في الأَمْرِ مُتَهاوِنُوْنَ، وَلأيّ شَيْءٍ يَجْتَمِعُونَ ، وَيَقُومُ فِيْهِمْ الخُطَبَاءِ المُجِيْدُونْ ، وَالوُعَّاظُ المُبلغُونَ ، وَيُذكِّرونَهُمْ أَيَّامَ

اللهِ فلا يَخْشَعُ الوُعَاظُ وَلا المُوعُظُونَ ، ويُرَغِّبُونَهم في الخَيْرِ فلا يُسَارِعُونَ ، وَيُنْذِرُونَهُم عَوَاقِبَ السُّوْءِ فلا يَتأثَّرُونَ « فَسُبْحَانَ الذِيْ بَيده مَلكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإليْهِ تُرْجَعُونَ » لقَدْ كَانَ السَّلفُ الصَّالِحُ إذا وَعَظوا تأثَّرَ المُستمِعُ لهُمْ تأثّراً عَظِيْماً ، وفَارَقَ مَا عِنْدَهُ مِنْ المُنْكرَاتِ ، وَالمُحَرَّمَاتِ ، وَفَارَقَ مَنْ أصَرَّ عَليْهَا مِنْ أقَارِبِه ، وَأوْلَادِهِ ، وَإخْوَانِهِ ، وآبَائِهِ ، وَجَدَّدَ تَوْبَة نَصُوْحاً ، عَمّا سَلفَ لـهُ مِنَ الأعْمَالِ ، التِيْ لا يَرْتَضِيْها الدِّيْنَ الاسْلامِيّ ، فَأيْنَ أُوْلئكَ مِنْ هَؤلاَءِ الخَلَفُ ، الذِيْنَ ضَيَّعُوا تَعالِيْمَ الدِّيْنَ الاسْلامِي ، وَضَيَّعُوا العَمَل بِهِ ، وتَركُوا الانْقيَادِ لِكِتَابِ الله ، وَسُنَّةِ رَسُولِه صَلَّى اللهُ عليه وسَلم ، تَأمَّل كيْفَ ترى أكثرهَم أضاعُوا الصَّلاةَ ، وَعَطَّلوا الأحْكَام ، وتَسَاهَلوْا بأمْرِ الحَرام ، يَمُرُّوْنَ بالمساجدَ ، وَقْتَ الصَّلاةِ ، فـلا يُعِيْرونَهَا أيَّ اهْتِمَامٍ أمَّـا الملاهِيْ وَالمُنْكَراتِ فإليْهَا يُسْرِعُونَ وعَليْهَا يَعْكُفُون وَإلَى ما فِيْهَا مِنْ الأغَانِيْ وَالمجُونِ والسُّخْفِ يَتسابَقُونَ فإنّا للهِ وَإنّا إليْه راجِعُونَ ، أيْنَ الخوفُ مِنْ الجَبَّارِ ، أيْنَ الحَيَا مِنْ فَاطِرِ الأرضِ وَالسَّموَاتِ ، أيْنَ المُروَءَةُ وَالاعْتِصَامُ بالقُرْآن ، ومَا كانَ عليْهِ آبَاؤكُم وَأجْدَادُكُم العُبَّاد الكِرَامُ ، الذِيْنَ كانَتْ المَسَاجِدُ تغُصُّ بِهِمْ شُيُوخاً وشُبَّانا ، وَكانَتْ تَعُجُّ بأصْواتِهم تَسْبيْحاً ، وَتحْمِيْدا وتَهْلِيْلاً ، وَتكبيرَا ، وَاستغْفَاراً ، وقُرْآناً ، وكَانوا يَؤمُّونَ المساجَد قَبْلَ الآذانِ زُرَافَاتٍ وَوَحْدانَا ، ولاَ يَتَخلَّفُ مِنهُم إلا مَعْذُورٌ ، إمَّا مَرِيضٌ أو غَائِبٌ ، أو نَحْو ذلِكَ ، وكَان المارُّ بِبُيُوتِهم لَيْلاً يَسْمَعُ زَجَل التسبيح ،

والتَّهلِيْل ، وَالبُكَاءِ والأنِينَ والتَّضرُّعِ إلىَ بَدِيْعِ السَّمَواتِ وَالأرْضِ ، وَالألحَاحِ بدُعَائِهِ ، وَالالتِجَاءِ إليْهِ وَالانَـابَةِ ، عَكْسُ مَا عَليْهِ هَؤلاَءِ الخَلَفِ ، الذِيْنَ صَدَقَ عليْهِمْ قَوْلُ اللهِ تَعالَى « فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهم خَلْفٌ

أضاعُوا الصَّلاةَ وَاتّبَعُوا الشَّهواتِ فسَوْفَ يلقَونَ غيّا ﴾ الذيْنَ إنْ بَحَثْتَ عَنْهُم في الليْلِ ، وَجدْتَهُم حَوْلَ الملاهِيْ وَالمُنْكراتِ ، مُتربِّعْينَ أمَامَ التّلفزْيُونِ ، وَغِنَاءِ المُطْربْيَن ، وَإنْ بَحَثْتَ عَنْهُم في صلاةِ الفَجْرِ وَجَدْتَهُم في فُرُشِهم ، إثر سَهَرِهِم حَوْلَ تِلْكَ المُنْكَراتِ ، وَانْ بَحَثْتَ عَنْهُم وَقْتَ صَلاةِ الظهْر ففِي شؤون الدُّنْيَا ، ومَا يَتَعَلَّقُ بهَا ، وَإنْ أرَدْتَهُم في صلاةِ العَصْرِ ، وَجَدْتَ بَعْضَهُم عِنْدَ الكُورَةِ ، وَالبَعْضَ عِنْدَ التّلفِزْيُون ،وَالبَعْض عِنْدَ المذْيَاع ، وَأَغَانِيْهَ وَمَلاهِيْهِ ، وَإنْ سَألتَ عَنْهَم وَقْتَ صلاةِ المَغْرب ، وَجَدْتَ بَعْضَهُم يَمْشِيْ مُتَردداً،والبَعْضُ في المَلْعَب ، وَالبَعْضُ عِنْدَ التلفِزْيُونِ،أوِ المذْيَاع، وَأمّا العِشَاءُ الآخِرَة فَتِلْكَ هُمْ فيْها أَقْسَامٌ اكثَرُهم حَوْلَ التّلفِزْيون أو في الأسْواقِ ، أو يَلْعَبُونَ ورَقَةً ، أو نْحو ذَلكَ مِنْ المُنْكَراتِ وَهكذا قَتلوا أوْقَاتَهُمْ الثَّمِيْنَةَ ، وَضَيَّعُوهَا، وَقضَوْا عَلَى مُسْتَقْبَلِهِمْ ، فَإنَّا للهِ وإنَّا إليهِ رَاجِعُونَ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّة إلاّ باللّهِ وَاللهُ أعْلَمُ بِمَا أرَادَهُ بعِبَادِهِ ، قَالَ تَعَالى ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ في البَرِّ وَالبَحْرِ بمَا كَسَبَتْ أيْدِيْ النَّاسِ لِيُذِيْقَهُم بَعْضَ الذِيْ عَمِلُوا لَعلَّهُم يَرْجِعُون ﴾ وَالحالة هَذِه مُخِيْفَة لِذَوِيْ العُقُولِ وَالفُهوم ، لا سِيَّمَا وَقد تَوالتْ أسْبَابُ الهَنَاءِ وَالرَّاحَةِ ، وَالسُّرُورِ ، وَالاطْمِئنَانِ ، وَقَدْ قِيْلَ إذا رَأيْتَ اللهَ تَعالَى أنْعَمَ على عَبْدٍ وهُو مُقِيْمٌ على مَعْصِيَتِه فَاعْلَمْ أنَّهُ مُسْتَدرَجٌ وَرَوَى عُقبَةُ بنُ عامرٍ أنَّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قالَ إذا رَأيْتَ اللهَ يُعْطِيْ العَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُو مُقِيْمٌ على مَعْصِيَتِهِ فإنَّما ذلكَ اسْتِدْرَاجٌ ثُمَّ تَلا ﴿ فَلما نَسُوا مَا ذُكِروُا به فتَحْنا عليهم أبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتّى إذَا فَرِحُوا بمَا أوتُوا أخَذناهُم بغتَةً فاذا هم مُبْلِسُونَ ﴾ وَقال قتادةُ ما أخذَ اللهُ قَوْماً إلاّ عِنْدَ سَكرتِهم وغِرّتِهم ، ونِعْمَتِهم ، فلا تَغْتَرّوا باللهِ ، فإنَّهُ لا يَغترُّ بالله إلا القومُ الفاسِقُونَ .

شعرا : كُلُ المَصَائِبِ قدْ تَمرُّ عَلَى الفَتَى فَتَهُونُ غَيْرَ مُصِيْبَةٍ في الدين

وقَالَ ابْنُ الجَوْزِيّ رَحِمَهُ اللَّه : الحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ المَعَاصِيْ فَإِنَّهَا سَيِّئَةُ العَواقِب ، والحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ الذُّنُوب خُصُوصاً ذُنُوبُ الخَلَوَاتِ ، فَإِنَّ المبَارَزَةَ لِلَّهِ تَعَالَى تُسْقِطُ العَبْدَ مِنْ عَيْنِهِ سُبْحَانَهُ وَلاَ يَنَالُ لَذَةَ المَعَاصِيْ إلاَّ دَائِمُ الغَفْلَة .

فأَمَّا المُؤْمِنُ اليَقظَانُ فَإِنَّهُ لا يَلْتَذُّ بِهَا ، لأَنَّهُ عِنْدَ التَذَاذِهِ يَقِفُ بازائِهِ عِلْمُهُ بتَحْريْمِهَا وَحَذَرُهُ مِنْ عُقُوبتِهَا ، فَإِنْ قَوِيتْ مَعْرفَتُه رَأَى بِعَيْنِ عِلْمِهِ قُرْبَ النَّاهِيْ وَهُوَ اللَّهُ).

تَوارَى بِجُدرَانِ البُيُوت عن الوَرَى وأنت بعَيْنِ الله لاشَكَّ تُنْظَرُ

فَيَتَنَغَصُ عَيْشُهُ في حَالِ التَذاذِهِ فَإِنْ غلَبَهُ سُكْرُ الهَوى كَانَ القَلْبُ مُتَنَغِّصاً بِهَذِهِ المُراقَبَاتِ وَإِنْ كَانَ الطّبْعُ في شَهْوَتِه فَمَا هِيَ إِلا لحظَةٌ ثُمَّ خِزْيٌ دَائِمٌ وَنَدَم مُلازمٌ وبُكَاءٌ مُتَواصِلٌ وأَسَفٌ عَلَى مَا كَانَ مَعَ طُوْلِ الزَّمَانِ .

حَتَّى إِنَّهُ لَوْ تيقَّنَ العَفْوَ وقَفَ بِإِزَائِهِ حِذَارَ العِتَابِ فَأُفٍّ لِلذُّنُوبِ مَا أَقْبَحَ آثَارَهَا وَأَسْوَءَ أَخْبَارَهَا أنْتَهَى كلامه .

أَمَا آنَ الرُجُوعُ إلى الصُّفُوحِ عَنِ الزَّلاَّتِ والفِعْلِ القَبِيْحِ
تُبَادِرُهُ بِقُبْحِ الفِعْلِ سِراً ولا تَخْشَاهُ بالقَوْلِ الصَّرِيْحِ
هَذاكَ إلى صِراطٍ مُستقِيم وأنْتَ ضَلَلْتَ عَنْ هذا الصَّحِيْحِ
وَفي دُنياكَ تُؤثِرُ كُلَّ فانٍ عنِ البَاقِي المُعَزِّزِ والمَلِيْحِ

آخـر :

يا طَالبَ الطِّبِ مِن دَاءٍ تَخَوَّفَهُ إنَّ الطَّبِيْبَ الذي أبْلاَكَ بالدَّاءِ
هُوَ الطَّبِيْبُ الذي يُرْجَى لِعَافيةٍ لاَ مَن يُذَيْبُ لَكَ التِّريَاقَ بالمَاءِ

اللّهُمّ يَا مَنْ لاَ تَضرُّهُ المعصيَةُ ولاَ تَنْفَعُه الطَّاعَةُ أيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الغَفْلَة وَنَبِّهنَا لاغْتِنَام أوْقَاتِ المُهْلَة وَوَفِّقْنَا لِصَالِحِنَا واعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحنَا وذُنُوبنا ولا تُؤاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عليْهِ ضَمَائِرُنا واكَنَّتْهُ سَرَائِرُنا مِنْ أنْواعِ القَبَائِحِ

والمَعائِبِ التي تَعْلَمُها مِنّا واغْفِرْ لَنا ولِوَالِدَيْنا ولجميعِ المُسْلِمينَ الاحْيَاءِ مِنهُمْ والميتِين بِرَحْمَتِكَ يا أرحَمَ الرَّاحِمِينَ وصَلى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعين .

فصل في الحثّ عَلَى صِيَانَةِ الوَقْتِ

وَصَرْفِهِ فِيْمَا فِيْهِ النفْعُ مِنْ صَلاَةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وتَسْبِيْحٍ وَتَهْلِيْلٍ وَتَكْبِيْرٍ، وَسَائِر أنوَاعِ القُرُبَاتَ لِلّهِ، التي هي عَمَارَة بَيْتِهِ الذي سِيَسْكُنُهُ طَوِيلا.

وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ وَالتَّحْذِيْرُ مِنْهُ فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ الجُلُوسُ في المَجَالِسِ التِيْ هِيَ كَفِيْلَةٌ بالخُسْرَانِ وَالنَّدَامَة ، كَمَجَالِسِ آلاَتِ اللهَوِ مِنْ الأَسْطُواناتِ وَالمَذْيَاعِ وَأعظَمُ مِنْ ذَلِكَ السِّيْنَما وَالتّلْفِزْيُونَ والفديو والكُرَة.

أمّا المِذْيَاعُ فَلأَنّهُ آلةُ لَهْوٍ مُحَرَّم ، لِدُخُولِهِ في قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِيْ لَهْوَ الحَدِيْثِ ﴾ الآيَة وَقَدْ فَسَّرَ لَهْوَ الحَدِيْثِ ، كَثِيْرٌ مِنْ السَّلَفِ ـ مِنْ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِيْنَ ـ بالغِنَاءِ وَالمَزَامِيْر ، وَفسَّرَهُ بَعْضُهُم بالأَسَاطِيْرِ وَالقَصَصِ مِنْ أخْبَارِ مُلُوكِ الأعَاجِمِ وَالرُّوْمِ ، وَبَعْضُهُم فَسَّرَ لَهْوَ الحَدِيْثِ بِكُلِّ بَاطِلٍ يُلْهِي وَيُشْغِلُ عَن الخَيْرِ ، فَإِنْ فُسِّرَتْ هَذِهِ الآيَةِ بالغِنَاءِ وَالمَزَامِيْرِ فَهُو رَأْسُ الملاهي كُلِّها ، وإنْ فُسِّرَتْ بِمَا يَجْمَعُ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ بَاطِلٍ يُلْهِي وَيُشْغِلُ عن الخَيْرِ فَهُوَ الجَامِعُ لِذَلِكَ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ الوَصْفِ ، ومِنْ المَعْلُوْمِ لَدَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ سَلِيْمٍ مُنْصِفٍ أنَّ الرَّادْيُو المَقْصُودُ الأصْلِيّ مِنْهُ اللهْوُ وَالغِنَاءُ ، والاشْغَالُ عَنْ طَاعَةِ اللهِ .

وفي المِذْيَاعِ يُجْمَعُ بَيْنَ كَلاَمِ اللهِ والغِنَاءِ ، وهذَا مِنْ أَعْظَمِ التَّنَقُّصِ وَالامْتِهَانِ لِكِتَابِ اللهِ ، ومن جِهَةٍ أُخْرَى فَهُوَ اسْتِهْزَاءٌ وَاسْتِخْفَافٌ بِكِتَابِ اللهِ وقَدْ قالَ جَلَّ وَعَلاَ وَتَقَدَّسَ ﴿ وَقد نَزَّلَ عَلَيْكُمْ في الكتابِ : أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آياتِ اللهِ يُكفَرُ بها ويُسْتَهْزأُ بِهَا فَلا تَقعُدُوا معهم ﴾ وَعَدَمُ

تَنْزِيْهِ كِتَابِ اللهِ عَن مَزَامِيْرِ الشَّيْطَانِ مِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ وَأَقْبَحِهِ، ، وَأَجْوَرِ الجَوْرِ وَأَشْنَعِهِ وربما أُغْلِقَ المذاعَ كراهةً للقران وهَذَا رِدَّةٌ قال تعالى ﴿ذلكَ بأَنَّهُمْ كَرِهُوا ما أَنْزَلَ اللهُ فأَحْبَطَ أعمالَهُم﴾.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللّهُ في كِتَابِهِ إِغَاثَةُ اللهْفَانِ : وَأَمَّا سَمَاعهُ أَيْ الغِنَاءُ ، مِنْ المَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ أَوِ الأَمْرَدِ ،فَمِنْ أَعْظَمِ المُحَرَّمَاتِ ، وَأَشَدُّهَا فَسَاداً لِلدِّيْنِ .

قَالَ الشَّافِعِيّ رَحِمَه اللهُ : وَصَاحِبُ الجَارِيَةِ إِذَا جَمَعَ النَّاسَ لِسَمَاعِهَا فَهُوَسَفِيهٌ ، تُرَدُّ شَهَادَتُهُ ، وَغَلَّظَ القَوْلَ فِيْهِ ، وَقَالَ : هُوَ دِيَاثَةٌ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ دَيُّوثاً قَالَ القَاضِيْ أَبُو الطَّيِبْ وَإِنَمَا جُعِلَ صَاحِبُهَا سَفِيْهاً لِأَنَّهُ دَعَا النَّاسَ إلى البَاطِلِ وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إلى البَاطِلِ كانَ سَفِيْهاً فَاسِقاً ، قُلْتُ فَكَيْفَ لَو رَأى الرَّادْيُو ، وَمَا يَأْتي مِن الخَلاعَةِ وَالغِنَاءِ ، وَالمنْكَرَاتِ العَظِيْمَةِ ، التِي أنبَتَتْ النِّفَاقَ ، وَمَكَّنَتْهُ من قُلُوبِ الأولادِ وَالشَّبَابِ وَالكُهُولِ وَالشُّيُوخِ ، إلا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ ، وَكَذَلِكَ لَو رَأَى التَّلْفِزْيُونَ أَوَالسِّيْنَمَا أَوالمَجلاتِ الخَلِيْعَةِ ، ومَا فِيْ ذَلِكَ مِنَ المَفاسِدِ والصُّوَرِ والمُنْكَرَاتِ والشرورِ والخلاعَاتِ فَياللهِ للمُسْلِمِيْنَ .

وقَالَ : كَانَ الشَّافِعِيّ يَكْرَهُ التَّغْبِيْرَ ، وَهُوَ الطَّقْطَقَةُ بالقَضِيْبِ ، ويَقُولُ : وَضَعَتْهُ الزَّنَادِقَةُ لِيُشْغِلُوا بِهِ عَنْ القُرْآنِ قَالَ : وأمّا العُودُ والطُّنْبُورُ وَسَائِرُ المَلَاهِيْ فَحَرَامٌ ، وَمُسْتَمِعُهُ فَاسِقٌ .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ : وَأَمَّا تَسْمِيَتُهُ رُقيَةَ الزِّنَا : أَيْ الغِنَاءُ ، فَهُوَ اسْمٌ مُوافِقٌ لِمَسَمَّاهُ وَلَفْظٌ مُطَابِقٌ فَلَيْس في رُقْيِهِ الزِّنَا أَنْجَعُ مِنْهُ ، وَهَذِهِ التَّسْمِيَةُ مَعْرُوْفَةٌ عَنْ الفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ ، قَالَ ابراهِيْمُ بْنُ مَحمَّدِ المَرْوَزِيّ ، عَنْ

أَبِي عُثْمَانَ اللَيْثِيّ ، قَالَ قَالَ يَزِيْدُ بْنُ الوَلِيْدِ : يَا بَنِي أميَّةَ إيَّاكُمْ وَالغِنَاءَ ، فَإِنَّهُ يُنَقِّصُ الحَيَاءَ وَيَزِيْدُ في الشَّهْوَةِ ، وَيَهْدِمُ المرُوءةَ ، وانهُ لَيَنُوبُ عَن الخَمْرِ ، وَيَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ السُّكْرُ ، فإنْ كنتُم وَلاَ بُدَّ فاعِلُون فَجَنِّبُوهُ النِّسَاءَ فَإِنَّ الغِنَاءَ دَاعِيَةُ الزِّنَا ، قَالَ : وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الفَضْلِ الأَزْدِيّ قَالَ : نَزَلَ الحُطَيْئَةُ برجُل مِنْ العَرَبِ ، وَمَعَهُ ابنَتُهُ مُلَيكةُ ، فَلَمَّا جَنَّ اللَيْلُ سَمِعَ غِنَاءً فَقَالَ لِصَاحِبِ المَنْزِلِ : كُفَّ هَذَا عَنِّي ، فَقَالَ وَمَا تَكْرَهُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : إنَّ الغِنَاءَ مِنْ رَادَةِ الفُجُورِ ، وَلاَ أُحِبُّ أنْ تَسْمَعَهُ هَذِهِ ، يَعْنِيْ ابْنَتَهُ ، فَإِنْ كَفَفتَهُ وإلا خَرَجْتُ عَنْكَ ، ثُمَّ ذَكَرَ عَنْ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : كُنَّا في عَسْكَرِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ ، فَسَمِعَ غِنَاءً مِنْ اللَيْلِ ، فَأَرْسَلَ إلَيْهِمْ بُكْرَةً ، فَجِيْءَ بِهِمْ ، فَقَالَ : إنَّ الفَرَسَ لَيَصْهَلُ فَتَسْتَوْدِقُ لَهُ الرَّمَكَةَ ، وإنَّ الفَحْلُ لَيَهْدِرُ فَتَضْبَعُ لَهُ النَّاقَةُ ، وَإنَّ التَّيْسَ لَيَنِبُّ فَتَسْتَحْرِمُ لَهُ العَنْزُ ، وَإنَّ الرَّجُلَ لَيَتَغَنَّى فَتَشْتَاقُ لَهُ المَرْأةُ ، ثُمَّ قَالَ : اخْصُوْهمْ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيْزِ : هَذَا مُثْلَةٌ فَلاَ يَحِلُّ فَخَلَّى سَبِيْلَهُمْ .

فَإِذَا كانَ الشَّاعِرُ المَفْتُوقُ اللسَانُ ، الذِي هَابَتْ العَرَبُ هِجَاءَهُ ، خَافَ عَاقِبَةَ الغِنَاءِ ، وَأنْ تَصِلَ رُقْيَتُهُ إلَى حُرْمَتِهِ ، فَمَا الظَنُّ بِغَيْرِهِ ، وَلاَ رَيْبَ أنَّ كُلَّ غَيُورٍ يُجَنِّبُ أهْلَهُ سَمَاعَ الغِنَاءِ ، كَمَا يُجَنِّبُهُنَّ أسْبَابَ الرِّيَبِ .

وَمَنْ طَرَّقَ أهْلَهُ إلَى سَمَاعِ رُقْيَةِ الزِّنَا فَهُوَ أَعْلَمُ بالإِثْمِ الذِيْ يَسْتَحِقُّهُ ، وَمِنْ الأَمْرِ المَعْلُوْمِ عِنْدَ القَوْمِ أنّ المرأة إذا استَعْصَتْ على الرجل اجْتَهَدَ أنْ يُسْمِعَها صَوتَ الغِنَاءِ ، فَحِيْنَئِذٍ تَعْطِيْ اللَّيَانَ ، وَهَذَا لأنَّ المَرْأَةَ سَرِيْعَةُ الانْفِعَالِ لِلأَصْوَاتِ جِداً ، فإذا كَانَ الصَّوْتُ بِالغِنَاءِ كَانَ انْفِعَالُها مِنْ وَجْهَيْنِ ، مِنْ جِهَةِ الصَّوْتِ ، وَمِنْ جِهَةِ مَعْنَاهُ ، وَلِهَذَا قَالَ

النبي صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنْجَشَةِ حَادِيْهِ « يَا أنْجَشَةُ رُوَيْـدَكَ رِفْقاً بالقَوَارِيْرِ » يَعْنِي النِّسَاءَ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ إِلَى هَذِهِ الرُّقْيَةِ الدُّفُّ والشَّبَابَة والرَّقْصُ بالتَّخَنُّثِ وَالتَّكَسُّرِ فَلَوْ حَبلَتْ المرأةُ مِنْ غِنَاءٍ حَبلَتْ مِنْ هَذَا الغِنَاءِ . فَلَعَمْرُ اللهِ كَمْ مِنْ حُرَّةٍ صَارَتْ بِالغِنَاءِ مِنْ البَغَايا ، وَكَمْ مِنْ حُرٍّ أصْبَحَ به عَبْدَاً لِلصِّبْيَانِ وَالصَّبَايا ، وَكَمْ مِنْ غَيُورٍ تَبَدَّلَ بِهِ اسْماً قَبِيحاً بَيْنَ البَرَايَا ، وَكَمْ مِنْ ذِيْ غِنىً وَثَرْوَةٍ أصْبَحَ بِسَبَبِهِ عَلَى الأرْضِ بَعْدَ المَطَارِفِ وَالحَشَايَا ، وَكَمْ مِنْ مُعَافَى تَعَرَّضَ لَهُ فَأمْسَى وَقَدْ حَلَّتْ بِهِ أنْواعُ البَلاَيَا ، وَكَمْ أهْدَى للمَشْغُوفِ مِنْ أشْجَانٍ وَأحْزَانٍ ، فَلَمْ يَجِدْ بُدّاً مِنْ قَبُولِ تِلْكَ الهَدَايَا ، وَكَمْ جَرَّعَ مِنْ غُصَّةٍ ، وأزالَ مِنْ نِعْمَةٍ ، وَجَلَبَ من نِقْمَةٍ ، وَذَلِكَ مِنْهُ مِنْ إحْدَى العَطَايَا ، وَكَمْ خَبَّأَ لأهْلِهِ مِنْ الآمٍ مُنْتَظَرَةٍ ، وَغُمُومٍ مُتَوَقَّعَة ، وَهُمُومٍ مُسْتَقبَلة .

قَالَ : وَأمَّا تَسْمِيَتُهُ مُنْبِتُ النِّفَاقِ فَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قـالَ : الغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفاقَ في القَلْبِ ، كَمَا يُنْبِتُ الماءُ الزَّرْعَ ، وَالذِّكْرُ يُنْبِتُ الأيْمَانَ في القَلْبِ ، كَمَا يُنْبِتُ الماءُ الزَّرْعَ ، فإنْ قِيْلَ : فَمَا وَجْهُ انْبَاتِهِ لِلنِّفَاقِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ المَعَاصِيْ ؟ قِيْلَ : هَذَا مِنْ أدَلِّ شَيْءٍ عَلَى فِقْهِ الصَّحَابَةِ في أحْوالِ القُلُوبِ وَأعْمـالِها ، وَمَعـرِفَتِهِمْ بِأدْوِيَتِهـا وَأدْوَائِهـا ، وَأنَّهُم هُمْ أطِبَّـاءُ القُلُوبِ ، دُوْنَ المنْحَرِفِيْنَ عَنْ طَرِيْقَتِهِم ، الذِيْنَ دَاوَوْا أمْرَاضَ القُلُوبِ بِأعْظَمِ أدْوَائِهَا ، فَكَانُوا كالمُدَاوِيْ مِنْ السُّقْمِ بالسُّمِّ القَاتِلِ ، وَهَكَذَا واللهِ فَعَلُوا بِكَثِيْرٍ مِنْ الأدْوِيَةِ التِيْ رَكَّبُوهَا أو بِأكْثَرِهَا ، فَاتَّفَقَ قِلَّةُ الأطباءَ وَكَثْرَةُ المَرْضَى ، وَحُدوثُ أمْرَاضٍ مُزْمِنَةٍ لَمْ تَكُنْ في السَّلَفِ ، وَالعُدُولُ عَنْ الدَّوَاءِ النَّافِعِ الذِي رَكَّبَهُ الشَّارِعُ ، وَمَيْلُ المَرِيْضِ إلَى مَا يُقَوِّي مَادَّةَ

المَرَضِ ، فَاشْتَدَّ البَلاءُ ، وَتَفاقَمَ الأمْرُ ، وَامْتَلأَتْ الدُّوْرُ والطُّرُقُ وَالأَسْوَاقُ مِنْ المَرْضَى ، وَقَامَ كُلُّ جَهُولٍ يَطِبُّ النَّاسَ .

وقال : فَاعْلَمْ أنَّ لِلغِنَاءِ خَواصَّ لَهَا تَأْثِيْرٌ في صَبْغِ القُلُوبِ بِالنِّفَاقِ وَنَبَاتِهِ كَنَبَاتِ الزَرْعِ بِالمَاءِ ، فَمِنْ خَواصِّهِ أَنَّهُ يُلْهِي القَلْبَ وَيَصُدهُ عَنْ فَهْمِ القرآنِ وَتَدَبُّرِه ، والعَمَلِ بِمَا فِيْهِ ، فَإنَّ القُرْآنَ وَالغِنَاءَ لاَ يَجْتَمِعَانِ في القَلْبِ أَبَدَاً ، لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّضادِ فإنَّ القُرْآنَ يَنْهَى عَنْ اتِّبَاعِ الهَوَى ، ويَأْمُرُ بالعِفَّةِ وَمُجَانَبَةِ شَهوَاتِ النَّفْسِ وَأَسْبَابِ الغَيِّ ، وَيَنْهَى عن اتبَاعِ خُطُوَاتِ الشيطَانِ ، وَالغِنَاءُ يَأمُرُ بِضِدِّ ذلكَ كُلِّهِ وَيُحَسِّنُهُ ، وَيُهَيِّجُ النُّفُوسَ إلى شَهَوَاتِ الغَيِّ ، فَيُثِيرُ كامِنَها ، ويُزْعِجُ قَاطِنَها ، وَيُحَرِّكُهَا إلَى كلِّ قَبِيْحٍ وَيَسُوقُهَا إلى وَصْلِ كُلِّ مَلِيْحَةٍ وَمَلِيْحٍ ، فهُو والخَمْرُ رَضِيْعَا لِبَانٍ وفي تَهْيِيجِهَا عَلَى القَبَائِحِ كَفَرسَيْ رِهَانٍ ، فإنَّهُ صِنْوُ الخَمْرِ وَرَضِيْعُهُ ، وَنَائِبُهُ وَحَلِيْفُهُ ، وَحَدِيثُهُ وَصَدِيْقُهُ ، عَقَدَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمَا عَقْدَ الإِخَاءِ الذِي لا يُفْسَخُ .

وَهُوَ جَاسُوسُ القُلُوبِ ، وَسَارِقُ المُرُوْءَةِ ، وَسُوْسُ العَقْلِ ، يَتَغَلْغَلُ في مَكَامِنِ القُلُوبِ ، وَيَطَّلِعُ عَلَى سَرَائِرِ الأفئِدَةِ ، وَيَدِبُّ إلى مَحِلِّ التَّخيِيل ، فَيُثِيْرُ مَا فِيْهِ مِنْ الهَوَى وَالشَّهْوَةِ وَالسَّخَافَةِ وَالرِّقَاعَةِ وَالرُّعُونَةِ وَالحَمَاقَةِ ، فَبَيْنَمَا تَرَى الرَّجُلَ وَعَلَيهِ سِمَةُ الوَقَارِ ، وَبَهَاءُ العَقْلِ ، وَبَهْجَةُ الأيْمَانِ ، وَوَقَارُ الإِسْلامِ ، وَحلاَوَةُ القُرْآنِ ، فإذا سَمِعَ الغِنَاءَ وَمَالَ اليْهِ ، نَقَصَ عَقْلُهُ ، وَقَلَّ حَيَاؤُهُ وَذَهَبَتْ مُرُوءَتُهُ، وفارَقَهُ بَهَاؤُهُ ، وَتَخَلَّى عَنْهُ وَقَارُه ، وَفَرِحَ بِهِ شَيْطَانُه ، وَشَكَا إِلَى اللهِ إِيْمَانُه ، وَثَقُلَ عَلَيْهِ قُرْآنَهُ ، وَقَالَ : يَا رَبِّ لا تَجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ قرآنِ عَدُوِّكَ في صَدْرٍ وَاحِدٍ .

اللهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ في الأمْرِ والعَزِيْمَةَ عَلَى الرُّشْدِ وَنَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ وَنسْأَلُكَ قَلْبَاً سَلِيْمَاً وَلِسَاناً صَادِقاً وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا

تُعْلَمُ ونَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ وَلِلَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

مِنَ النُّونِيِّةِ فِي سَمَاعِ أَهْلِ الجَنْةِ .

قَالَ ابنُ عباسٍ وَيُرْسِلُ رَبُّنَا
رِيْحاً تَهُزُّ ذَوَائِبَ الأَغْصَانِ
فَتُثِيْرُ أَصْوَاتاً تَلَذُّ لِمَسْمَعِ الْـ
إِنْسَانِ كَالنَّغَمَاتِ بِالأَوْزَانِ
يَا لَذَّةَ الأَسْمَاعِ لَا تَتَعَوَّضِي
بِلَذَاذَةِ الأَوْتَارِ وَالعِيْدَانِ
أَوْ مَا سَمِعْتَ سَمَاعَهُم فِيْهَا غِنَا
ءَ الحُوْرِ بِالأَصْوَاتِ والأَلْحَانِ
وَاهاً لِذَيَّاكَ السَّمَاعِ فَإِنَّهُ
مُلِئَتْ بِهِ الأُذانِ بِالإِحْسَانِ
وَاهاً لِذَيَّاكَ السَّمَاعِ وطِيْبِهِ
مِن مِثْلِ أَقْمَارٍ على أَغْصَانِ
وَاهاً لِذَيَّاكَ السَّمَاعِ فَكَمْ بِهِ
لِلْقَلْبِ مِن طَرَبٍ ومِن أَشْجَانِ
وَاهاً لِذَيَّاكَ السَّمَاعِ وَلَمْ أَقُلْ
ذَيَّاكَ تَصْغِيْراً لَهُ بِلِسَانِ
ما ظَنَّ سامِعُه بِصَوْتٍ أَطْيَبَ الْـ
أَصْواتِ مِن حُوْرِ الجِنانِ حِسَانِ
نحنُ النَّواعِمُ والخَوَالِدُ خَيِّراً
تُ كامِلاتُ الحُسْنِ والإِحسَانِ

لسَنَا نَمُوتُ ولا نَخَافُ ومالَنَا
سَخَطٌ ولا ضَغَنٌ مِنَ الأضْغَانِ
طُوبى لِمنْ كُنَّا لَه وكَذَاكَ طُوْ
بيَ لِلذَّي هُوَ حظُنَا لَفْظَانِ
نَزِهْ سَمَاعَكَ إنْ أرَدْتَ سَمَاعَ
ذَيَّاكَ الغِنَا عَن هَذه الألْحَانِ
لا تُؤْثِر الأدْنَى على الأعْلَى فَتُحْ
رَمَ ذَا وَذَا يَا ذِلَّةَ الحِرْمَانِ
إنَّ اخْتَيَارَك للسَّماعِ النازلِ الْ
أدْنَى على الأعلى مِن النُقْصَانِ
واللهِ انَّ سَمَاعَهم في القَلْب واكْ
إيمانِ مِثْلُ السُّمِّ في الأبْدَانِ
واللهِ ما انْفَكَ الذي هُوَ دَأبُهُ
أبداً مِن الاشْرَاكِ بالرَّحْمنِ
فالقَلْبُ بَيْتُ اللهِ جَلَّ جلالُه
حُباً وإخْلاَصاً مَعَ الاحْسَانِ
فإذَا تَعَلَّقَ بالسَّمَاعَ أصَارَهُ
عَبْداً لِكُلِ فُلاَنَةٍ وَفُلاَنِ
حُبُّ الكِتَابِ وَحُبُّ ألْحَانِ الغِنَا
في قَلْبِ عَبدٍ ليَسَ يَجْتَمِعَانِ
ثَقُلَ الكِتَابُ عَلَيْهُموا لَمَّا رَأوَا
تَقيْيدَهُ بشَرائعِ الإيمانِ

واللَّهْـوُ خفَّ عَـلَيْهِـمُ لَـمَّـا رَأوا
مـا فيـه مِن طَـربٍ ومِن ألْحَـانِ
قُوتُ النُّفوسِ وانَّمـا القُـرْآنُ قُـوتُ
الـقَلْبِ أنَّـى يَـسْتَـوِي الـقُـوتَـانِ
ولِـذَا تَـرَاهُ حَظُ ذِي الـنُّـقْصَانِ كَالْـ
جُهَّـالِ والصِبيـانِ والنِّسـوانِ
وألـذُهُم فِيـه أقلُهُم مِن الْـــ
عَقْـلِ الصحيـح فَسَلْ أخا العِرْفانِ
يَا لَذَّةَ الفُسَّاقِ لَسْتِ كَلَذَّةِ الْـ أَبْرَارِ في عَقْلٍ وَلَا قُـرْآنِ

نَسأَلُ اللّهَ أنْ يُلْهِمَنَا رُشْدَنَا ويُبَصِّرَنا بعُيُوبِ أنفُسِنَا ويَشْغَلَنَا بإِصلاحِها ويُوفّقنَا لِقَبول نُصْحِ النَّاصِحِ وإِرشادِ المُرْشِدِ واللهُ أعلَمُ وصلّى اللهُ علَى مُحمّد وآلِهِ وسَلّمْ .

موعظة

عِبَادَ اللهِ اعْتَادَ النَّاسُ أنَّ مَنْ طَلَبَ شَيْئاً مِنْ نَفائِسِ الدُّنْيا لا يَهْدَأ ولا يَنَامُ ، بَلْ يَسْعَى لِلْوصُولِ إلَيْهِ ، لَيْلَهُ ، ونَهـارَهُ ، سعْيَ النَّشِيْطِ الهُمَامِ ، وَكُلمَّا سُدَّ في وَجْهِهِ بَابٌ ، قَرَع بَاباً آخَرَ ، وَانْ تعدَّد الأبْوابُ ، كمَا هُوَ دأْبُ الحَرِيْصِ المِقْدامِ ، وَكُلَّمَا نَظَرَ إلىَ قَدْرِ مَا يَطْلُبُ هَانَ عَليْهِ السَّعَيْ ، وَما يلقَاهُ مِنْ مصَاعِبَ وَمتاعِبَ وَالآمٍ وَالعَجِيْبُ أنَّهُ لا يَملُّ ولا يَسْأَمُ ، وَإنْ وَاصَلَ السَّعْيَ سِنِيْنَ، وَأعَجبُ مِنْ ذَا أنَّهُ لا يَنْثَنِي عَنْ مَطْلوُبهِ ، وَإنْ مُسَّ شرَفُهُ وَأُهِيْنَ ، وَإنْ اسْتَصَعَبَ عليْهِ الوُصُولُ ، اسْتَعان بذِوِيْ الوَجَاهَةِ المُحْتَرَمِيْن ، وَلا يَزالُ هَذا يَوْاصِلُ السَّعْيَ حَتَّى يَصِل مُبْتَهجاً إلى مَالَهُ مِنْ مَرَامٍ . أنْتَ تَطْلُبُ الجَنَّةَ يا هَذا ولا نَفِيْسَ أنْفَسَ مِنْهَا لإنَّها لا تفنَى وَلا تَبِيْدُ ، وَلأنَّ لكَ فِيْهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلذَّتْ عَيْنُكَ

دُوْنَ أيِّ تَقْيِيدِ ، وَلأنَّكَ خَالِدٌ فِيْهَا أبَداً دُوْنَ أنْ يُكدِّرَ ، بأيِّ مُكَدِّرٍ ، ذلِكَ العَيْشُ الرَّغِيْدُ فَهلْ شَمَّرْتَ عَنْ سَاقٍ وَسَعَيْتَ لِلْوُصُولِ إليْهَا ، كمَا تَسْعَى فَقطْ لِذَلكَ الفَانِيْ مِنْ الحُطَامِ ، المُشَاهَدُ أنَّكَ لا تَسْعَى لِتِلْكَ الجَنَّة وَلا يَخْطُرُ لَكَ السَّعْيُ إليْهَا عَلَى بَالٍ ، وَلوْ أنَّكَ سَاوَيْتَها في السَّعْي إليْها بأيِّ مَطْلُوبٍ دُنْيَوِيّ لَكُنْتَ مِنْ عُظَمَاءِ الرِّجَالِ ، وَلكِنْ يَا للأسْفِ لمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، وَالسَّعْيُ لِلجَنَّةِ لا يَكُوْنُ بالكَلامِ ، وَلا بالأمَانِيِّ وَالأحْلامِ ، وَلكِنْ بصالِحَاتِ الأعْمَالِ ، وَهَلْ تَزَهَّدْتَ أنْتَ في شَيْءٍ كَمَا تَزَهَّدْتَ في تِلْكَ الأعْمَالِ الفِخَامِ ، وَلِذَلِكَ أجْرَى اللهُ العَادة أنَّ مَنْ خَافَ شَيْئا مِنْ مَؤْلِمَاتِ الدُّنَيا يُبْعِدُ عَنْهُ وَيفِرُّ ، كُلَّ الفِرَار ، وَيذْهَبُ هُدُوْءُهُ وَطَمَأنِيْنُتُهُ ، وَرُبَّمَا ذَهَبَ نَوْمُهُ اضْطِرَاراً لا اختِيَاراً وَلا يَطْمَئِنُّ بَعْضَ الاطْمِئنَانِ إلا إذَا احْتَرَسَ مِنْهُ بكلِّ مَا يَقْدِرُ عَليْه مِنْ أعْوَانٍ ، وَأنْصَارٍ ، يَفْعَلُ كُلَّ ذَلِكَ لِئلاّ يَصِلَ إليْهِ منْ الأذى مَا يُكدِّرُ عليْه حَيَاتَهُ ، وَصَفوَهَا جَهَنَّمُ يَا هَذَا أعْظَمُ مخُوْفٍ فَهلْ عَمِلْتَ الاحْتِيَاطَ لهَا كَمَا تَحْتَاطُ لِمُخَوِّفاتِ هذِه الدَّارِ .

الذِيْ يَتَبَادَرُ مِنْكَ وَيَظْهَرُ أنَّ إيْمَانَكَ بهَا ضَعِيْفٌ ، وَأنَّكَ لَمْ تَعْمَلْ أيَّ احْتِيَاطٍ لهَا ، فلوْ كَانَ ايْمَانُكَ قَوِيٌّ في قَوْلِهِ تَعالَى ﴿ وَجِيْءَ يَوْمَئِذٍ بجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الانْسَانُ وأنَّى لهُ الذِّكْرَىٰ ﴾ لَسَعيْتَ جُهْدَكَ في الأعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، التِيْ تَحُولُ بَيْنَك وبَيْنَها وَلأزْعَجَكَ وأقْلَقَكَ وَلَمْ تَهْنَأ بنَوْمٍ وَلا طَعَامٍ وَشَرابٍ ، وأمَامَك تِلْكَ العَقَباتِ ، شِعْراً :

آخـر :

وَكَيْفَ تَنامُ العَيْنُ وهْيَ قَرِيْرَةٌ ... وَلمْ تَدْرِ في أيِّ المَكَانَيْنِ تَنْزِلُ

آخر: تَذَكَّرْتُ أيَامِيْ وما كَان في الصِّبَا ... مِن الذَّنْبِ والعصْيَانِ والجَهل والجَفَا

وكَيْفَ قَطَعْتُ العُمْرَ سَهْواً وغَفْلَةً ... فأسْكَبْتُ دَمْعِي حَسْرَةً وَتَلَهُّفَا

ونادَيْتُ مَنْ لَا يَعْلمُ السِّرَّ غَيْرُهُ ... وِمَن وَعَدَ الغُفْرَانَ مِنْ كَانَ قد جَفَا

وتابَ إليهِ مِن كِبَارِ ذُنُوبهِ فَجادَ عَليه بالجَمِيلِ تَعَطُّفَا
أغِثْني إلهي واعْفُ عَني فإنَّني أُتَيْتُ كَئِيباً نادماً مُتَلَهِّفَا
وخُذْ بِيَدِيْ مِن ظُلْمَةِ الذَّنبِ سَيِّدي وجُدْ لي بما أَرجُوهُ مَنكَ تَلَطُّفاَ

اللهُمَّ وَفِّقْنَا لاتِّباعِ الهُدَى وَجَنِبْنَا أَسْبَابَ الهلاكِ والشَّقَا واغْفِرْ لَنَا ولوالدينا ولِجَمِيْعِ المسلمين برحمتِكَ ياأَرْحَم الراحمين وصلى الله على مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أَجْمَعِيْن .

وَقَالَ بَعْضُ العَارِفْينَ : السَّمَاعُ يُوْرِثُ النِّفَاقِ في قَوْمٍ ، وَالتَّكذِيْبَ في قَوْمٍ ، وَالفُجورَ في قَوْمٍ ، وَالرُّعُونَةَ في قَوْمٍ ، وَأكثَرُ مَا يُوْرِثُ عِشْقَ الصُّورِ ، وَاسْتِحْسَانَ الفَواحِشِ ، وَادْمَانُه يُثْقِلُ القُـرْآن عَلى القَلْبِ ، وَيُكَرِّهُهُ إلى سَمَاعِهِ بالخَاصَّةِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذا نِفَاقاً فَمَا لِلنِّفاقِ حَقِيْقَةٌ ، وَسِرُّ المَسْأَلةِ أنهُ قُرْآنُ الشَّيْطَانِ كمَا سَيأْتِيْ ، فَلا يَجْتَمِعُ هُوَ وَقُرْآنُ الرَّحْمَنِ في قَلْبٍ أبداً ، وَأيْضاً فَإنَّ أَساسَ النِّفَاقِ أنْ يُخالِفَ الظَّاهِرُ البَاطِنَ ، وَصَاحِبُ الغِنَاءِ بَينَ أمْرَيْنِ : إمَّا أنْ يَتَهتَّكَ فيكُونُ فاجِراً ، أوْ يُظْهِرَ النُّسُكَ فيكُونُ مُنَافِقاً ، فإنَّه يُظْهِرُ الرَّغْبَة في اللهِ وَالدَّارَ الآخِرَة ، وَقَلْبُه يَغلِيْ بالشَّهَواتِ ، وَمَحبَّةِ مَا يَكْرَهُه اللهُ ورَسُولُهُ مِنْ أَصْوَاتِ المَعازِفِ وَآلاتِ اللهْوِ ، وَما يَدْعُو إليْهِ الغِنَاءُ وَيُهَيجُه ، فقَلبُهُ بذلِكَ مَغْمُورٌ ، وَهُوَ مِنْ مَحَبَّةِ مَا يُحِبُّهُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَكَراهَةِ مَا يَكْرَهُهُ قَفْرٌ وَهَذا مَحْضُ النِّفَاقِ .

وَأَيْضاً فَإنّ الايْمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ الحَقِّ وَعَمَلٌ بالطَّاعَةِ وَهَذا يَنْبُتُ عَلَى الذكر وَتِلاوةِ القُرْآنِ ، وَالنِّفَاقُ قَوْلُ البَاطِلِ وَعَملُ الغَيّ ، وَهَذا يَنْبُتُ علىَ الغِنَاءِ ، وَأَيْضاً فمِنْ عَلامَاتِ النِّفَاقِ قلة ذِكْر اللهِ ، والكسَلُ عند القِيَامِ إلىَ الصَّلاةِ ، وَقَلَّ أنْ تجدَ مَفتوناً بالغِنَاءِ الَّا وهَذا وَصْفُه ، وأيضاً فإنَّ النِّفَاقَ مُؤسَسٌ عَلَى الكذِبَ ، وَالغِنَاءُ مِنْ أكذَبِ الشِّعْرِ ، فإنَّه

يُحسِّنُ القَبِيْحَ وَيُزينُه ويأمرُ بهِ ، ويُقَبِّح الحَسَنَ وَيُزهِّدُ فيه ، وذلكَ عَيْنُ النِّفاقِ وَأيضاً فإنَّ النِّفاقَ غِشٌ ومكرٌ وَخِداعٌ ، وَالغِنَاءُ مُؤَسَّسٌ على ذلكَ ، وأيْضاً فإنَّ المُنافِقَ يُفْسِدُ مِنْ حَيْثُ يَظنُّ أنهُ يُصْلِحُ ، كمَا أخْبَر اللهُ سُبْحانَه بذلك عَنْ المُنافِقينَ ، وَصَاحِبُ السَّمَاعِ يُفْسِدُ قَلبَه وحَالَهُ ، مِن حَيْثُ يظُنّ أنهُ يُصْلِحهُ ، وَالمُغنِّي يَدْعُو القلُوبَ إلى فِتْنَةِ الشَّهواتِ ، وَالمُنافِقُ يدْعُوهَا إلى فِتْنَةِ الشُّبهاتِ قالَ الضَّحاكُ : الغِنَاءُ مَفْسَدةٌ لِلْقَلْبِ ، مَسْخَطة للرَّبِّ ، وَكتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيْزِ إلىَ مُؤَدِّبِ وَلَدِهِ : لِيكُنْ أوَّلُ مَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أدَبكَ بُغض اَلْمَلاهِي ، التِي بَدْؤها مِنْ الشَّيْطَانِ وَعاقِبَتُها سَخَطُ الرَّحْمَن ، فإنهُ بلغَنِي عَن الثِّقاتِ مِنْ أهْلِ العِلمِ أنَّ صَوْتَ المَعَازِفِ وَاسْتِمَاعَ الأغَانِيْ ، وَاللَّهَجَ بِهَا، يُنْبِتُ النِّفَاقَ في القَلْبِ ، كمَا يَنْبُتُ العُشْبُ على الماءِ ، فالغِنَاءُ يُفْسِدُ القَلْبَ ، وَإذا فَسَدَ القَلْبُ هَاجَ فيهِ النِّفَاقِ .

قالَ : وَأما تَسْمِيَتُه قُرْآنَ الشَّيْطَانِ . فمَأْثُورٌ عَنْ التَّابعِيْنَ . وَعَن أبي أُمَامَة عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسَلم قَالَ « إنَّ ابْلِيْسَ لَمَّا أُنْزِلَ إلىَ الأرْضِ قالَ: يَا رَبِّ أنْزَلْتَنِيْ إلىَ الأَرْضِ وَجَعلْتَنِي رَجيماً ، فاجْعَلْ لِيْ بَيْتاً ، قال: الحَمّامُ . قالَ: فاجْعَلْ لِيْ مَجْلِساً . قالَ: الأسْواقُ ومَجَامِعُ الطُّرُقِ، قالَ: فاجْعَلْ لِيْ طَعاماً ، قالَ: كُلُّ مَا لَمْ يُذكَرْ اسْمُ اللهِ عَليهِ ، قالَ: فاجْعَلْ لِيْ شَراباً : قَالَ: كُلُّ مُسْكِرٍ ، قَال: اجْعَلْ لِي مُؤَذِناً ، قالَ: المِزْمَارَ قَالَ: اجْعَلْ لِيْ قُرْآناً، قَالَ: الشِّعْرُ. قَالَ: فَاجْعَلْ لِيْ كِتَاباً ، قَالَ: الوَشْمُ ، قَال: اجْعَلْ لِيْ حَدِيْثاً ، قَالَ: الْكَذِبُ ، قال: اجْعَلْ لِيْ رُسُلاً ، قَالَ: الكَهَنَةُ. قَالَ: اجْعَلْ لِيْ مَصَائِدَ، قَال: النِّسَاءُ .

اللهم خَفِّفْ عَنَّا الأَوْزَارَ وأرْزُقْنَا عِيْشَةَ الأَبْرَارِ واصْرِفْ عَنَّا شَرَّ الأَشْرَارِ وأَعْتِقْ رِقَابَنا ورِقَابَ آبائِنَا وأُمَّهاتِنَا مِن النَّارِ يا عَزِيْزُ يا غَفَّارُ ويا كَرِيْمُ ويَا سَتَّارُ

ويا حَلِيْمُ ويا جَبَّارُ واغفّر لنـا ولـوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

شِعْرا :

قَدْ أَشْرَقَتْ «رَايَةُ الاسلامِ» والأدَبِ فَحَيّهـا مُعْلنـاً بالشعْـر والخُــطَب
وأهْجُرْ سَبيل الأُوْلَى جَادُوا بشِعْرِهِمُ لِمَنْـزِلٍ دَارسِ الاطـلالِ من نُوَبِ
يُشْجِيْهِـمُ ذِكْــرُ آرام نَعِمْــنَ بِهِ تَسُومُ بِنْتُ الرُبَى فى مأمَنَ خَصَبِ
وذِكْـرُ رِعْينٍ لهَـاَ فى القَـلْبِ مَنْزِلـةٌ تَلْقَى قُلُوب أُوْلى الأَحْلامِ فِي كُرَبِ
كَمِثْلِ رِيْمِ يَمِينِ الرّنْدَ قَدْ عَرَضَتْ أَلقَتَ إليَّ سهَامَ الحُـزْنِ والشّجَبِ
عِيْنُ المَهاةِ رَمَتنِيْ وهْـيَ مُعْـرِضَةٌ فَصِرتُ ذَا حَيْرَة فِي كَفّ مُسْتَلِبِ
لَمـاّ تَوَلّتْ بقَلْبيْ قُلْتَ وَآسَفِــيْ هَلْ مِن جَناحٍ فأقْفُو مُنْتَهى طَلَبِيْ ؟
لَوْلاَ التَّجَلُدُ مَا أَمْسَيْتُ فى سَكـنٍ وكُنْتُ فى البِيدِ بَيْنَ الوَحْشِ لَم أثِبِ
لَعَلَ رِيْـحُ الصبّاَ تأتِي برَائِحَــةٍ مِن نَفْحِ عَنْبَرِهَا يَشْفِيْ لِذِي الوَصَبِ
ما كُنْتُ أعْرِفُ قبْلَ اليومِ ما وَصَفتْ أَهْلُ النّسيْبِ من الأشجانِ والكَأَبِ
لَمـاّ بُليْتُ أقَمْتُ العُـذْرَ دُوْنَهُـمُ عُذْرَ الخَبِيْرِ بِسَهْمِ الفَاتِكِ الأَرِبِ
فَلَيْتَ ذَا العَقْلِ يَرثِي لِيْ ، ويَعْذُرُني وَلَيْتَ أَهْلَ النُهَى والدِيـن والأَدَبِ
إذْ يَعْذِلُــونَ لِصَبٍ يأتِ مُكْتئِبـاً يَلْقونِ مثْلَ الذَى أَلْقَى مَن النّصبِ
أَوْ يَرْجِعُـونَ إلـى نُصْحٍ وَموعِظَـةٍ مِن الكِتابِ وَتذْكِيْـرٍ بِهَـدْيِ نَبِيْ
كَيْمَا يَكُوْنُ مَرِيْض القلَبِ مِن سَفَهٍ أَوْ غَفْلَـةٍ بَيْنَ خَوفِ اللهِ والرَّغَب
نِعْـمَ الشِفَـاءُ كِتَابُ اللهِ مَعَ سُنَـنِ كَمْ أَبْرءآ دَنِفِ التّشْكيْكِ والريبِ
فَأَدْمِنَ الوَعْـظَ والإِرشادَ مُجْتَهِـداً وانْشُرْ مَحَاسِنِ هَذَا الدِيْنِ فى دَأَبِ
أمَاَ تَرَى النّشْءَ قدَ حَادَتْ رَكَائِبُهُمْ عَنِ التّقَـدُمِ لِلْعَالـي مِن الرُتَبِ ؟
وَغرّهُمْ صَوتُ مِذْيَاعٍ قد امْتلأتْ مِنْهُ المَسَامِعُ فِي تَمْجِيدِ كُلّ غَبِيْ ؟
بَثُوْا الدِعَايَـةَ لِلدُنيَـا وزُخْرفِهَــاَ وَلِلتَنُــافُس بِالأَمْــوَال والــنّشَبِ
وضَلّلوُا الــنّشْءِ بالآرَاء خَادِعَــةً وضيِعُواْ الوَقْت فى مَلْهَى وفى طَرَبِ

ولَقّبـُوا الحقّ الْقَابــاً مُشَوّهَــةً   لِصَدّهِمْ عن سَبِيْلِ الله باللّــقَبِ
وحَارَبُوا الدِيْنَ ، والأَخْلاقَ جُهْدَهُمُ   يَا بِئْسَ مَا وُعِدُوْا فِي شَرِ مُنْقَلَب
وحَسّنُوا السُّبُلَ اللاّتي يَهيْمُ بِهَا   قَومٌ يَرَوْنَ العُلى بالمِقْول الذّرِبِ
ما العِلمُ سَبْكٌ ، وتَنْمِيْقٌ ، وشَقْشَقَةٌ   مِن دُوْن نُورٍ مِن الوَحْيَين مُصْطَحِب
أغَايَةُ العِزِ أَنْ تُقلُوا مَبادئكَمْ ؟   وَتَتْرُكُوا مَجْدَكُم نَهْباً لِمُنْتَهِب ؟
وَهَلْ يُعدُ عَزِيزاً مَن نِهَايَتُـــهُ ؟   قَعْرَ الجحيمِ مَعَ الطّاغِي أَبِي لَهَب ؟
وكَمْ غَبيٍ يَرىَ الاسلامَ أَخرّنَا !   وَالكَفَرَ قَدّمِ أَهْلَ الغربِ والعَجَمِيْ
يَرىَ التّقَدمُ فى تَركِ التّدَيُّــنَ لَمْ   يَنْظُرْ لِصَفْوتِنَا فى سَالَف الحقُبُ
لِذَاك عَابَ عَلىَ الاسلامِ يَهْدِمُـــهُ   بالقَولِ ، والفعْلِ ، والتّعظِيمِ للصُّلُبِ
مِثْلُ الغُرابِ الذى يَهْوَىَ وَيُعجْبُهُ   مَشْىُ الحمَامَةِ فى حُسْنٍ وفى خَبَبِ
فَحَاوَلَ الغُمْرُ أَنْ يَحكِي لِمَشيَتَهَا   فَضَلّ مِشْيَتَهُ الأُوْلَــىَ وَلم يُصِبِ
«لا تَظْلمُوا الدِيْنَ اذْ كَلّتْ عَزَائمكمُ»   وَتُلْصِقُوا كُلَّ عَيْبٍ فيه بالكَذِبِ !
تَعَلّمُ الطِبِ لَيسَ الشرعُ يَمْنَعُـــهُ   ولَا الصّنائِعُ فى نَفْعٍ لِمكْتَسبِ
وإنّمَـا حَرّمَ الشرْعُ الأمُـــورُ إذا   أَدّتْ لِمَعْصَيَةِ تُلْقِيْكَ فِى العَطَبِ
بَلْ جاءَنَا النّصُ فى إعْدَادِ قُوتِنِا   كَيْمَا يَكُونُ عَدُوُ الدّيْنِ فى رَهَبِ !
وَمَـــْن أَرادَ رُقِيــاً ، أوْ مُغَالَبَـــةً   مِن دُونِ دِيْنٍ فمَا أَوْهَاهُ مِن سَبَبِ !
مَهْلاً بَنِي يَعْربٍ ، لا تُخْلدُوْا كَسَلاً   وَشَجعُوا النّشْءَ مِن أَبْنَائِنا النُجُبِ
على اقتِحَامِ العُلَى فِي كُلِّ آوِنَةٍ   وحَاذِروْا سَكْرةَ اللذَاتِ واللّعِبِ
كَيْمَا تَعُوْدُ إلى الاسْلامِ عِزتُـــهُ!   ويُصْبِحُ الجهلُ والكفُرانُ فى نَصَبِ
أَفِتْيَةُ الدينِ ، والعِلْم الصّحيْح لَكُمْ   مَنَاهِلُ عَذُبَتْ ، أَحْلَى مِن الضّرَبِ
وطَالِبُ العِلْمِ ، مَأمُوْلٌ لهُ أبَدَا   مُسْتَقْبَلٌ شَامِخٌ أَعْلى مِن الشُهُبِ
والمجدُ والعِلمُ مقْرُونَانِ فى قَرَنٍ   لَكِنّمَا العِلْمُ لا يُجْنَى بِلاً تَعَبِ

***

يا فِتْيَةَ الضّادِ ، إنّ العِزّ أَجْمَعُهُ   فى الدينِ والخُلقُ المَمْدُوحِ فى الكُتُبِ

ما بَارَزَ المُصْطَفىَ قَوماً بِعِدّتِـهِ ... ولا العَدِيْدِ ولكن صِدْقُ مُحْتسَبِ
ولا الصحابةُ مَن خَافَتْ جُمُوعُهُمُ ... أَهْلُ البسِيْطَةِ مِن نَاءٍ ومُقْتَـرِبِ
هُمْ دَوّخُواكُـلَّ جَبّـارٍ وذِيْ أَشَرٍ ... بِعَزمَـةِ الصِدْقِ ثم العَـزْمُ بالـقُضُبِ
تِلْكَ الغَطَارفَـة الأَمْجَادُ لَمْ يهِنُوْا ... يَوْماً ، عَلى شِدّةِ الضّراءِ والسّغَبِ
حَدَاهُـمُ الشَّوقُ لِلموَعُـودِ فى زبُـرُ ... حَتَّى استَوَوْا فوق مَتْنِ العِزِ بالغَلَبِ
وأَنْزَلوُا الفُرْسَ عن دِيْوَانِ مَمْلَكَـةٍ ... مَنْيعَةٍ ، شَمَخَتِ عن كُلِّ مُغْتصِبِ
ولم يَعُدْ مَجْدُهَـا مِن بَعْدِهِـمْ أَبَـدا ... وكَانَت الفُرسُ تَحْتَ الذُلِ لِلْعَرَبِ
وقَـيْصَرٌ قصَّرَتْ أَيَامُـهُ وغَـدَا ... تَحْتَ السّنَابكِ فى وَيْلٍ وفى حَرَبِ
أَمَا سَمِعْتَ بِجُنْد اللهِ كَمْ نُصرُوا ؟ ... وَمزّقُوا الرُوْمَ بالحَمْلاتَ والرُعُبِ ؟
وفى «الأَبِلة» و «اليَرْمُوكِ» ما فَعَلوُا ... و «القَادِسِيّة» يوم الجَحْفَل اللّجبِ
وَكَمْ بأنْـدَلسٍ مِن وَقَعَةٍ عَظُمَتْ ... فنالَتِ العُرْبُ فِيْهَا مُنْتَهَـيِ الأَرَبِ
وأصبَـحَ الحقُّ فى الآفاقِ مُنبعثـاً ! ... كالشمسِ ، لَكِنهُ أَبْهَىَ ، ولمْ يَغِبِ
ثم الصلاةُ على أَزْكَى الوَرَى شَرَفاً ... أَكْرِمْ بِهِ خَيْرَ مَبْعُوثٍ ومُنْتَخَبِ !

عَصَمَنَا اللّهُ وإيَّاكُم مِنْ الزَّلَلِ وَوَفَّقَنا لِصَالح العَمَل وَهَدَانَا بفَضْلِهِ

اللهمُ تَوَفَّنَا مُسْلِمينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلى اللهُ عَلى مُحمد وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ اَجْمَعِيْنَ .

فَصل : وَأَمَّا تَسْمِيَتُهُ بِالصَّوْتِ الأَحْمَقِ وَالصَّـوْتِ الفَاجِـرِ ، فَهِيَ تَسْمِيَةُ الصَّادِقِ المَصْدُوقِ ، الذِي لا يَنْطِقُ عَنْ الهَوَى ، فَرَوَى التِّرْمِذِي مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى ، عَنْ عَطَاءِ عَن جَابر رَضْيَ اللهُ عَنه قالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ إِلَى النَّخْلِ ، فاذَا ابْنُهُ ابْرَاهِيْمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَوَضَعَهُ في حَجْرِهِ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ، فَقَالَ

عبدُ الرَّحمَن : أتبْكِيْ وَأنْتَ تَنْهَى النَّاسَ؟ قال : « إنّي لَمْ أنْهَ عَنْ البُكَاءِ ، وانَّمَا نَهيْتُ عَنْ صَوْتَيْن أحْمقَيْنِ فاجِرَيْنَ ، صَوتٍ عِنْدَ نَغْمَةِ لَهْوٍ وَلَعِبٍ ومَزَامِيْرِ شَيْطَانٍ ، وَصَوْتٍ عِنْدَ مُصِيْبَةٍ ، وَخَمْشِ وَجُوهٍ ،

وَشَقِّ جُيُوبٍ ، وَرنَّةٍ ، وَهَذِهِ رَحْمَةٌ ، وَمَنْ لاَ يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ ، لَوْلاَ أنهُ أمْرٌ حَقٌّ ، وَوَعْدُ صِدْقٍ وَأنّ آخِرَنَا سَيَلْحَقُ أوَّلَنَا لَحزِنّا عَلَيْكَ حَزناً هُوَ أشدُّ مِنْ هَذَا ، وإنَّا بكَ لَمحْزُونُونَ ، تَبْكِيْ العَيْنُ ، وَيَحْزَنُ القَلْبُ ، وَلاَ نقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ » قالَ التِّرْمِذِيّ هَذَا حَدِيْثٌ حَسَنٌ فانْظُرْ إلَى هَذا النَّهيِ المُؤكَدِ بتَسْمِيَتِهِ صَوْتَ الغِنَاءِ صَوْتاً أحْمَقَ ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلى ذَلِكَ حَتَّى وَصَفَهُ بالفُجُورِ وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى سَمَّاهُ مِنْ مَزَامِيْرِ الشيطان، وأمَّا تَسْمِيَتُهُ صوتَ الشَّيْطان فقَدْ قَالَ تَعالَى لِلشَيْطَانِ وَجِزْبِهِ ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ ﴿واسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ كُلُّ دَاعٍ إلَى مَعْصِيَةٍ ، ومِنْ المَعْلُومِ أنّ الغِنَاءَ مِنْ أعْظَمِ الدَّوَاعِي إلَى المَعْصِيَةِ ، وَلِهَذَا فُسِّرَ صَوْتُ الشَّيْطَانِ بِهِ انْتهَى بتَصَرُّفٍ يَسِيْرٍ .) إنْتَبِهْ وألْقِ سَمْعَكَ وحَضّرْ قَلْبَكَ لِكَلاَمِ شيخ الاسلام .

وَقَالَ شَيْخُ الاسْلاَمِ رَحِمَهُ اللهِ عَلَيْهِ : وَالشَّرَائِعُ هِيَ غِذَاءُ القُلُوبِ وقُوْتُها ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ ـ ويُرْوَى مَرْفُوعاً ـ « إنَّ كُلَّ آدِبٍ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى مَأدُبَتُهُ ، وَأنَّ مَأدُبَةَ اللّهِ هِيَ القُرْآنُ » وَمِنْ شَأْنِ الجَسَدِ إذا كَانَ جَائِعاً فَأَخذَ مِنْ طَعَامٍ حَاجَتَهُ اسْتَغْنَى عَنْ طَعَامٍ آخرَ ، حَتَّى لا يَأْكُلهُ ـ إنْ أكَلَ مِنْهُ ـ إلا بِكَرَاهَةٍ وَتَجشُّمٍ ، وَرُبَّمَا ضَرَّهُ أَكْلُهُ ، أَوْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ ، وَلَمْ يكُنْ هُوَ المُغذِّي الذي يُقِيْمُ بَدَنَهُ ، فالعَبْدُ إِذَا أَخذَ مِنْ غَيرِ الأعْمالِ المَشْرُوْعَةِ بَعْضَ حَاجَتِهِ ، قَلَّتْ رَغْبَتُهُ في المَشْرُوعِ وَانتِفاعُه بِهِ ، بِقَدْرِ مَا اعْتَاضَ مِنْ غَيره ، بخِلافِ مَنْ صَرفَ نَهْمتَهُ وهِمَّتَهُ إلَى المشْرُوعِ ، فَإنَّهُ تَعْظُمُ مَحَبَّتُهُ لَهُ وَمَنْفَعَتُهُ بِهِ ، وَيَتِمُّ دِيْنُهُ بِهِ ، وَيَكْمُلُ إسْلاَمُهُ .

وَلِهَذَا تَجِدُ مَنْ أَكْثَرَ مِنْ سَمَاعِ القَصَائِدِ لِطَلَبِ صَلاحِ قَلْبِهِ تَنْقُصُ رَغْبَتُهُ في سَمَاعِ القُرْآنِ ، حَتَّى رُبَّمَا كَرِهَهُ ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنَ السَّفَرِ إِلَى زِيَارَةِ المَشَاهِدِ وَنَحْوِهَا ، لَا يَبْقَى لِحجِّ البَيْتِ المُحَرَّمِ في قَلْبِهِ مِنَ المَحبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ مَا يكونُ في قلْبِ مَنْ وَسِعَتْهُ السُّنَّةَ ، وَمَنْ أَدْمَنَ عَلَى أَخْذِ الحِكْمَةِ وَالآدَابِ مِنْ كَلَامِ حُكَمَاءِ فَارِسَ وَالرُّومِ ، لا يَبْقَى لِحِكْمَةِ الاسْلَامِ وَآدَابِه في قَلْبِهِ ذَاكَ المَوْقِعُ ، وَمَنْ أَدْمَنَ عَلَى قِصَصِ المُلُوكِ وَسِيَرِهِمْ ، لَا يَبْقَى لِقِصَصِ الأَنْبِيَاءِ وسِيَرِهِم فِي قَلْبِهِ ذَاكَ الاهْتِمَامُ وَنَظَائِرُ هَذِهِ كَثِيْرَةٌ .

وَلِهَذَا عظمَتْ الشَّرِيْعَةُ النَّكِيْرَ عَلَى مَنْ أَحْدَثَ البِدَعَ وَحَذَّرَتْ مِنْهَا ، لِأَنَّ البِدَعَ لَوْ خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْهَا كَفَافاً لا عَلَيْهِ وَلَا لَهُ لكَانَ الأَمْرُ خَفِيْفاً ، بَلْ لا بُدَّ أَنْ تُوْجِبَ لهُ فَسَاداً في قَلْبِهِ وَدِيْنِهِ ، يَنْشَأُ مِنْ نَقْصِ مَنْفَعَةِ الشَّرِيْعَةِ في حَقِّهِ ، إِذْ القَلْبُ لا يَتَّسِعُ لِلعِوَضِ وَالمُعَوَّضِ عَنْهُ ، وَلِهَذَا قَالَ النبي صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العِيْدَيْنِ الجَاهِلِيِّين « إِنَّ اللهَ قد أَبْدَلكُم بِهِمَا يَوْمَيْنِ خَيْراً مِنْهُمَا » فَيَبْقَى اغْتِذَاءُ قلبهِ من هَذِهِ الأَعْمَالُ المُبْتَدِعَةَ مَانِعاً مِنْ الاغْتِذَاءِ ، أو مِنْ كَمَالِ الاغْتِذَاءِ بِتِلْكَ الأَعْمَالِ النَّافِعَةِ الشَّرْعِيَّةِ ، فَتَفْسُدُ عَلَيْهِ حَالُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ كَمَا يَفْسُدُ جَسَدُ المُغْتَذِي بالأَغْذِيَةِ الخَبِيْثَةِ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُ ، وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ لَكَ بَعْضُ ضَرَرِ البِدَعِ أ هـ قُلْتُ لِلهِ دَرُّهُ مِنْ إِمَامٍ مَا أَعْلَمَهُ وَأَبْصَرَهُ بِأَمْرَاضِ القُلُوبِ وعِلَاجِهَا فَتَدَبَّرْ كَلَامَهُ رَحِمَهُ اللهُ بِحُضُوْرِ قَلْبٍ لَعَلَّ اللهَ يَنْفَعُكَ بِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ .

اللهم ثبت قلوبنا على الإيمان ووفقنا لصالح الأعمال ، اللهم تفضل علينا بالقبول والإجابة وارزقنا صدق التوبة وحسن الإنابة ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

اللهم اعْتِقْنَا مِن رِقِّ الذُنُوبْ ، وخَلِّصْنَا مِن شَرِّ النُّفوسْ ، وأذْهِبْ عَنَّا وَحْشَةَ الإِسَاءَةْ ، وطَهِّرْنا من دَنَسِ الذنوب ، وباعِدْ بَيْنَنا وبَيْنَ الخَطَايَا وأجِرْنا مِن الشيطان الرجيم وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وَمِنْ الأَدِلَّةِ عَلَى تَحْرِيْمِ الغِنَاءِ مَا رَوَى سَعِيْدُ بْنُ أبيْ زَيْدٍ عَنْ أخِيْهِ عَنْ لَيْثِ بْنِ أبيْ سُلَيْمٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سابِطْ عَنْ عائِشَة رضْيَ اللهُ عَنْهُمَا ، عَنْ النبي صَلى اللهُ عليَه وسَلم أنَّهُ قَالَ « إنَّ اللهَ حَرَّمَ المغَنِّيَةَ وَبَيْعَها ، وثَمَنهَا وتَعْلِيْمَها وَالاسْتِمَاعِ إلِيْهَا » .

وَرَوَى لاحِقُ بْنُ حُسَيْنٍ بْنُ عُمَرَ ، أنَّ ابْنَ أبِيْ الوَرْدِ المَقْدِسِيّ قَالَ : حَدَّثَنَا أبُو المَرْجِيْ ضِرَارُ بنُ علي بن عُمَيْر القَاضِيْ الجِيْلانِيّ حَدَّثَنا أحْمَدُ بْنُ سَعِيْد ، عن محمدِ بنِ كَثيرِ الحِمْصِي ، حَدَّثَنَا فرجُ ابْنُ فَضَالَةَ ، عَن يَحْيَى بنِ سَعِيْد ، عَن مُحَمَّدِ بنِ الحَنَفِيَّةِ ، عَن علي ابن أبي طَالب قالَ : قَال رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إذا عَمِلَتْ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خُصْلَةَ حَلَّ بِهَا البلاءُ ، إذَا كَانَ المالُ دُوَلاً ١ والأمَانَةُ مَغْنَماً ٢ وَالزَّكَاةُ مَغْرَماً ٣ وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ ٤ وَعَقَّ أُمَّهُ ٥ وَجَفَا أبَاهُ ٦ وَارْتَفَعَتْ الأصْوَاتُ في المسَاجِدِ ٧ وكَانَ زَعِيْمُ القَوْمِ أرْذَلَهُم ٨ وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ مَخافَةَ شَرِّهِ ٩ وَلُبِسَ الحَرِيْرُ ١٠ وَاتُّخِذَتْ القَيْنَاتُ ١١ وَالمَعَازِفُ ١٢ وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَهَا ١٣ فَلْيَتَوَقَّعُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيْحَاً حَمْرَاء وَمَسْخَاً وَخَسْفَاً وَعَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ تِسْع ، وأنا أنْهَاكُم عَنْهُنّ ، ألا إن مِنهُنّ الغِنَاءُ وَالنَّوْحُ والتَّصَاوير الحَدِيْثُ ، وَعَنْ أبِي أُمَامَة قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « لاَ يِحِلُّ تَعْلِيْمُ

المغنِّيَاتِ ، وَلاَ شِرَاؤُهُنَّ وَلاَ بَيْعُهُنَّ ، وَلاَ اتخَاذُهُنَّ ، وَثَمَنُهُنَّ حَرامٌ ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيْثِ ﴾ الآية وَالذيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ مَا رَفَعَ رَجُلٌ عَقِيْرَتَهُ بِالغِنَاءِ إلاَّ ارْتَدَفَهُ شَيْطَانَانِ يَضرِبَانِ بِأَرْجُلِهِمَا صَدْرَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى يَسْكُتَ .

وَعَنْ أَبِيْ أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إنَّ اللهَ حَرَّمَ تَعْلِيْمَ المُغَنِّيَاتِ ، وَشِرَاءَهُنَّ وَبَيْعَهُنَّ ، وَأَكْلُ أَثْمَانِهِنَّ وَذَكَرَ البُخَارِيُّ عَنْ أبي مَالِكٍ الأشْعَرِيُّ ، أنهُ سَمِعَ رسُولَ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَتِيْ قَوْمٌ يَسْتَحِلُّوْنَ الحِرَ وَالحَرِيْرَ وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ » ، وَعَنْ أنسٍ قَال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ جَلَسَ إلى قَيْنَةٍ ، صُبَّ في أُذُنَيْهِ الآنكُ يَوْمَ القِيَامَةِ » وَعَنْ ابْنِ عَبّاسٍ في قَوْلِ الله عزَّ وَجلَّ ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِيْ لَهْوَ الحَدِيْثِ ، لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ ﴾ قَالَ الغِنَاءُ ، وَعَنْ أَبِيْ مَالِكٍ الأَشْعَرِيَ أنهُ سَمِعَ رسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ « يَشْرَبُ ناسٌ مِن أمّتِيْ الخَمْرَ يُسَمُّونَها بِغَيرِ اسْمِها ، تُضْربُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ المَعَازِفُ وَالقَيْنَاتُ ، يَخْسِفُ اللّهُ بِهِمْ الأرْضَ » .

قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ اليَمَانِ رَضِيَ اللهُ عنه : قَالَ رسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « تُعْرَضُ الفِتَنُ على القُلوبِ ، كَعَرْضِ ، الحَصِيْرِ عُوْداً عُوْداً ، فأيُّ قَلْب أشْرِبَهَا نَكَتَتْ فِيْهِ سَوْدَاءُ ، وأيُّ قَلْب أنْكَرَهَا نَكتَتْ فِيْهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتّى تَعُودَ القُلوبُ على قَلْبَيْنِ أسْوَدُ مُرْبَدّاً كالكُوزِ مُجَخِيًا ، لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفاً وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرا إلا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ ، وَقَلْبٌ أبيَضُ ، فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَة مَا دَامَتْ السَّمواتُ والأرْضُ » قَالَ ابْنُ

القيّمِ : فَشَبَّهَ عَرْضَ الفِتَنِ عَلَى مَـا القُلُوبُ شَيْئاً فَشَيْئاً كَعَرْضِ عِيْدَانِ الحَصِيْرِ وَهِيَ طَاقَاتُها شَيئاً فَشَيْئاً ، وَقَسَّمَ القُلُوبَ عند عَرْضِهَا عَلَيْهَا إلَى قِسْمَيْنِ : قَلْبٌ إذا عُرِضتْ عَلَيْهِ فِتْنَةٌ أُشْرِبَهَا ، نُكِتَتْ فِيْهِ نكتَة سَوْدَاءُ ، كَمَا يَشْرَبُ الأَسْفَنْجُ الماءَ ، فَتُنْكَتُ فِيْهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فَلاَ يَزَالُ يَشْرَبُ كُلَّ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَيْهِ ، حَتَّى يَسْوَدَّ وَيَنْتَكِسَ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ « كالكـوز مَجْخِيًّا » أيْ مَنْكُوسا .

فَإذَا اسْوَدَّ وَانْتَكَسَ ، عَرَضَ لَهُ مِنْ هَذَيْنِ الآفَتَيْنِ خَطَرَانِ متراميان به إلَى الهَلاَكِ ، أَحَدُهُمَا اشْتِبَاهُ المَعْرُوْفِ عَلَيْهِ بِالمُنْكَرِ فَلا يَعْرِفُ مَعْرُوْفَاً وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكراً وَرُبَّمَا اسْتَحْكَمَ عَلَيْهِ هَذَا المَرَضُ ، حَتَّى يَعْتَقِد المَعْرُوفَ مُنْكَراً ، وَالمُنْكَرَ مَعْرُوفاً ، وَالسُّنَّةَ بْدعَةً ، وَالبِدْعَةَ سُنَّةً ، وَالحَقَّ بَاطِلاً ، وَالبَاطِلَ حَقّاً .

الثَانِيْ تَحْكِيْمُهُ هَواهُ عَلَى مَا جَاءهُ بِهِ الرَّسُولُ صلى اللهُ عليه وسَلم، وَانْقِيَادُهُ للهَوى وَاتّبَاعُهُ لَهُ .

وَقلبٌ أبْيَضُ ، قد أشْرَقَ فيه نُورُ الايْمَانِ وأزْهر مِصْبَاحُهُ ، فاذا عُرِضَتْ عليه الفِتْنَةُ أنكرهَا وردَّهـا ، فازدَادَ نُورُه وَاشْرَاقُهُ وَقُوَّتُه ، وَالفِتْنَةُ التي تُعْرَضُ عَلى القُلوبِ هيَ أسْبَابُ مَرضِهَا ، وهيَ فِتَنُ الشهَواتِ، وفِتَنُ الشُّبُهَاتِ، فِتَنُ الغيّ والضّلال ، فِتَنُ المعَاصِيْ والبدَعِ ، فِتَنُ الظلمِ وَالجَهْلِ ، فالأُولَى تُوجِبُ فَسَادَ القَصْدِ والارَادةِ ، والثانيةِ توجِبُ فَسَادَ العِلْمِ وَالاعْتِقَادِ أ هـ والله أعلمُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ

فَصْلٌ

فَالقُلُوبُ نَوْعَانِ قَلْبٌ اذا عُرِضَتْ عليْهِ الفِتْنَةُ أُشْرِبهَا وَأحَبَّهَا ومَالَ

اليْهَا وَأَيَّدَهَا ، وقَلْبٌ يُنْكِرُهَا وَيَنْفُر منها وَيحَذِّرُ عَنْهَا ، فَذلِكَ القلبُ الأبْيَضُ الذِي أشْرَق بنُورِ الايْمَانِ، وَهُوَ مَعْنَى مَا تَقدّمَ في حَدِيْثِ حُذْيفةَ ، وقَال أيْضاً : وَمِنْ حِيَلِ الشَيْطَانِ وَمَكَائِدِهِ الكَلامُ البَاطِلُ ، وَالآرَاءُ المُتَهَافِتَةِ ، وَالخَيَالاتِ المُتَناقِضَةِ ، التِيْ هِيَ زبَالةُ الأذهَانِ، وَنُحاتَةُ الأفكارِ، وَالزَّبَدُ الذِيْ تَقْذِفُ بهِ القلوُبُ المُظَلِمَةُ المُتَحَيِّرَةُ ، التِي تَعْدِلُ الحَقَّ بالبَاطِل ، وَالخطأ بالصَّوابِ، وقَدْ تَقَاذَفَتْ بهَا أَمْوَاجُ الشُّبُهاتِ ، ورَانَتْ عَليْهَا غُيُومُ الخَيَالاتِ ، فمَرْكَبُهَا القِيْلُ وَالقَالُ ، وَالشّكُ وَالتَّشْكِيْكُ ، وكَثْرَةُ الجِدَال ، ليْسَ لهَا حَاصِلٌ مِنْ اليَقِيْن يُعَوَّلُ عليْهِ ، وَلا مُعْتَقَدٌ مُطَابِقٌ لِلحَقِّ يُرْجَعُ إليْهِ ﴿ يُوْحِي بعْضُهم إلىَ بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورا ﴾ وَقدْ اتُّخِذَ لِذَلِك القرْآنُ مَهْجُوراً .

ومِمّا وَرَدَ في النَّهْيِ عَمّا يَلهُو بهِ الرَّجُلُ إلَّا مَا اسْتُثْنِيَ : ما وَرَدَ عَنْ عُقَبْة بنْ عامِر رَضْيَ اللهُ عنْهُ ، أنّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ « كلُّ مَا يَلْهُو بهِ الرَّجُلُ المُسْلِمُ بَاطِلٌ ، إلا رَمْيُهُ بقَوْسِهِ وَتَأدِيْبُهُ فَرَسَهُ ، وَمُلاعَبَتُه أهْلَهُ ، فَانَّهُنَّ مِنْ الحَقّ » فَفِيْ الحَدِيْثِ دَلْيلٌ عَلى أنَّ كُلَّ مَا يَلْهُو بِهِ الانْسَانُ فهُو بَاطِلٌ ، أي مُحَرَّمٌ مَمْنُوعٌ مَا عَدا هَذِهِ الثَّلاثِ التِيْ اسْتَثْنَاهَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهِ عليه وسَلمِ ، فانَّهُنَّ مِنْ الحَقّ أَوْ وَسِيْلَةٌ إلىَ الحَقِّ .

وَقَالَ شَيْخُ الاسْلاَمِ رَحِمَهُ اللهُ في الكَلاَمِ عَلَى حَدِيْثِ عُقْبَةَ : « كُلُّ لَهْو يَلْهُوْ بِهِ الرَّجُلُ فَهُوَ بَاطِلٌ » الحَدِيْث مَا مَعْنَاهُ : البَاطِلُ ضِدُّ الحَقّ ، فَكُلُّ ما لَمْ يَكُنْ حَقّاً ، أو وَسِيْلَة إليه ، وَلَمْ يَكُنْ نَافِعاً فَانّهُ بَاطِلٌ ، مُشْغِلٌ لِلْوَقْتِ ، مُفَوِّتٌ عَلَى الأنْسَانِ ما يَنْفَعُهُ في دِيْنِهِ وَدُنْيَاهُ ، فَيْسَتَحِيْلُ عَلَى الشَّرْعِ أَبَاحَةُ مِثْلِ هَذَا . ا هـ .

اللهم اكْتُبْ في قُلُوبِنَا الايمانَ وأَيِّدْنَا بنُوْرٍ مِنْكَ يا نُوْرَ السمواتِ والأرضِ اللهم وافْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ والاجَابَةِ وأغفر لنا وارحمنا

بِرَحْمَتِكَ الوَاسِعَةِ إِنَّكَ أَنتَ الغَفُور الرَّحِيم وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْن .

فَصل : وَقَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ : إذا أشْكَلَ حُكْمَ شَيْءٍ هَلْ هُوَ لِلاباحَةِ أو لِلتَّحْرِيْمِ ؟ فَلْيُنْظَرُ إِلَى مَفْسَدَتِهِ ، وَثَمرَتِهِ وَغَايَتِهِ ، فَإِنْ كَانَ مُشْتَمِلاً عَلَى مَفْسَدَةٍ رَاجِحَةٍ ظَاهِرَةٍ ، فَإِنَّهُ يَسْتَحِيْلُ عَلَى الشَّارِعِ الأَمْرُ بِهِ أَوْ إِبَاحَتِهِ ، بَلْ العِلْمُ بِتَحْرِيْمِهِ مِنْ شَرْعِهِ قَطْعِيّ وَلاَ سِيَّمَا إِذَا كَانَ مُفضِياً إِلَى مَا يُغْضِبُ اللهَ وَرَسُوْلَهُ وقال شَيْخُ الإِسْلاَمِ : لاَ يَجُوزُ اللَّعِبُ بِالطَّابِ وَالمَنْقَلَةِ ، وَكُلُّ ما أَفْضَى كَثِيْرُهُ إِلَى حُرْمَةٍ ، وإذا لَمْ يَكُنْ فِيْهِ مَصْلَحَةٌ رَاجِحَةٌ ، لأَنَّهُ يَكُونُ سَبَباً لِلشَّرِّ وَالفَسَادِ ، وَمَا أَلْهَى أَو شَغَلَ عَنْ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ فَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يُحَرَّمْ جِنْسُهُ كَالبَيْعِ وَالتِّجَارَةِ ، وَسَائِرِ مَا يَلْهَى بِهِ البَطَّالُونَ مِنْ أَنْوَاعِ اللَّهْوِ وَسَائِرِ ضُرُوْبِ اللَّعِبْ ، مِمَّا لاَ يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى حَقٍّ شَرْعِيّ ، فَكُلّ ذَلِكَ حَرَامٌ اهـ .

وَكَذا يَنْبَغِي أَنْ يَحْذَرَ مِمَّا يَعُوقُ سَيْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَالدَّارِ الآخِرَةِ ، كالمُطَالَعَةِ في المَجَلاَّتِ وَالصُّحُفِ ، وَالكُتُبِ التِيْ لاَ يَعُودُ عَلَى صَاحِبِهَا مِنْهَا إلا الضَّرَرْ ، وضَيَاعُ عُمْرِهِ الذيْ هُوَ رَأسُ مَالِهِ فِيْهَا . قَالَ بَعْضُهُمْ .

آخر : إذَا كَانَ رَأسُ المال عُمْرُكَ فَاحْتَرِزْ عَلَيْهِ مِنَ الإِنْفَاقِ في غَيْرِ وَاجِبِ

آخر : وَأَسْوَأُ النَّاسِ تَدْبِيْراً لِعَاقِبَةٍ مَنْ أَنْفَقَ العُمْرَ فِيْمَا لَيْسَ يَنْفَعُهُ

وَسَوْفَ يُسْأَلُ الإِنْسَانُ عَمَّا أَفْنَاهُ فِيْهِ . فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : « لاَ تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدمَ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ : عَنْ عُمُرِهِ فِيْمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَا أَبْلاَهُ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيْمَا أَنْفَقَهُ ، وَمَاذَا عَمِلَ بِمَا عَلِمَ » .

فَالعَاقِلُ مَنْ كَانَ مِلْءُ قَلْبِهِ ، وَمَالِكُ لُبِّهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيْلٌ ، وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى ، وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيْلا ﴾ فَسَارِعْ فِي الخَيْرَاتِ ، وَبَادِرْ إِلَى الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، عَامِلاً بِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعاً هَلْ تَنْتَظِرُوْنَ إِلاَّ فَقْراً مُنْسِياً ، أَوْ غِنَىً مُطْغِياً ،

أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً ، أَوْ هَرَمَاً مُفْنِداً ، أَوْ مَوْتَاً مُجهِزاً ، أو الدَّجَّالَ فَالدَّجَّالُ شَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ ، أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أدْهَى وَأَمَرّ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ .

شِعْرَاً :

نَخْطُوا وما خَطْوُنَا إلَّا إلَى الأَجَلِ
وَنَنْقَضِيْ وَكَأَنَّ العُمْرَ لَمْ يَطُلِ
وَالعَيْشُ يُؤْذِنُنَا بِالمَوْتِ أَوَّلُهُ
وَنَحْنُ نَرْغَبُ في الأيَّامِ وَالدُوَلِ
يَأْتِيْ الحِمَامُ فَيُنْسِي المَرءَ مُنْيَتَهُ
وَأعْضَلُ الدَّاءِ مَا يُلْهِيْ عَنْ الأَمَلِ

آخر :

تُرْخِي النَّوائِبُ عن أعْمَرِنَا طَرَفاً وَنَسْتَقِرُ وَقَدْ أُمْسِكْنَ بالطَّوْلِ
لا تَحْسَبِ العَيْشَ ذَا طُولٍ فَتَتْبَعُهُ يا قُرْبَ مَا بَيْنَ عُنُقِ المَرْءِ وَالكَفَلِ
سَلَّى عَنْ العَيْشِ أنَّا لا نَدُومُ لَهُ وَهَوَّنَ المَوتَ مَا نَلْقَى مِنْ العِلَلِ
لَنَا بِمَا يَنْقَضِيْ مِنْ عُمْرِنَا شُغُلٌ وَكُلُنَا عَلِقُ الأَحْشَاءِ بِالغَزَلِ
وَنَسْتَلِذُ الأمَانِيْ وَهْيَ مُرْدِيَةٌ كَشَارِبِ السُّمِّ مَمْزُوْجاً مَعَ العَسَلِ
ما هذه الدنيا بِدارِ مَسَرَّةٍ فَتَخوفُوا مَكْراً لَهَا وخِدَاعَا
بَيْنَا الفَتى فِيْهَا يُسَرُّ بِنَفْسِهِ وبِمَالِهِ يَسْتَمْتِعُ اسْتِمْتَاعَا
حَتّى سَقَتْهُ مِن المنيَّةِ شَرْبَةً وحَمَتْهُ فيه بَعْدَ ذَاكَ رَضَاعَا
فَغَدَا بما كَسَبَتْ يَدَاهُ رَهِيْنَةً لَايَسْتَطِيْعُ لِماَ عَرَتْهُ دِفَاعَا
لَوْ كَانَ يَنْطِقُ قَالَ مِنْ تَحْتَ الثَّرىَ فَلْيُحْسنِ العَمَل الفَتَى مَا اسْطَاعَا

آخر :

يُسِيء إمرؤُمنَّا فَيُبْغَضُ دائمَا وَدُنْيَاكَ مازَالَتْ تُسِيْء وتُومَقُ
أَسَرَّ هَوَاهَا الشيخُ والكَهْلُ وُالفَتى بِجَهْلٍ فَمِنْ كلِ النَّواظِر تُرْمَقُ

وَمَا هِيَ أَهْلٌ أَنْ يُؤهّلَ مِثْلُهَا لِوُدٍ ولَكِنَّ ابْنَ آدَمَ أَحْمَقُ

اللَّهُمَّ لاَ تُشْغِلْ قُلُوْبَنا بِمَا تَكَفَّلْتَ لَنَا بِهِ ، وَلاَ تَجْعَلْنَا في رِزْقِكَ خَوَلاً لِغَيْرِكَ ، وَلاَ تَمْنَعْنَا خَيْرَ مَا عِنْدَكَ بِشَرِّ مَا عِنْدَنَا ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

مَوْعِظَةٌ

قَال بَعْضُ العُلُمَاءِ بَعْدَ سِيَاقِهِ لِقَوْلِهِ تعالى ﴿إنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوْامَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ : أَيُهَا النَّاسُ لَقَدْ كَانَتْ الأُمَّةُ الأَسْلاَمِيَّةُ فِيْمَا مَضَى مُتَمَسِّكَةً بِكِتَابِ اللهِ ، عَامِلَةً بِسُنَّةِ نَبِيِّهَا صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، صَحِيْحَةً في عَقَائِدِهَا ، صَالِحَةً في أعْمَالِهَا حَسَنَةً في مُعَامَلاَتِهَا وَعَادَاتِهَا ، كَرِيْمَةً في أَخْلاَقِهَا بَصِيْرَة في دِيْنِهَا رَاقِيَةً في آدَابِهَا وَعُلُوْمِهَا ، فَكَانَتْ عَزِيْزَةَ الجَانِبِ ، قَوِيَّةَ الشَوْكَةِ ، جَلِيْلَةً مَهِيْبَةً ، صَاحِبَةَ السُّلْطَانِ وَالصَّوْلَةِ عَلَى مَنْ عَدَاهَا ، وَاليَوْمَ تَغْيّرَ أمْرُهَا ، وَتَبَدَّلَ حَالُهَا ، اخْتَلَّتْ عَقَائِدُهَا وَفَسَدَتْ أَعْمَالُها ، وَسَاءَتْ مُعَامَلاَتُهَا وَعَادَاتُها ، وَتَدَهْوَرَتْ أَخْلاَقُهَا ، وَجَهِلَتْ أَمْرَ دِيْنِهَا وَدُنْيَاهَا ، وَتَأَخَّرَتْ عُلُوْمُهَا وَصَنَائِعُهَا فَصَارَتْ ذَلِيْلَةَ الجَانِبِ ، ضَعِيْفَةَ الشَّوْكَةِ ، سَاقِطَةَ الكَرَامَةِ ، فاقِدةَ الهَيْبَةِ مَغْلُوْبَةَ عَلَى أَمْرِهَا ، مُتَأَخِّرَةً في مَرَافِقِ حَيَاتِهَا تَتَخَبَّطُ في ظُلُمَاتِ الجَهْلِ ، وَتَنْقَادُ لِلْخُرَافَاتِ وَالأَوْهَامِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ ، وَلَكِنْ كَانُوا أنْفُسُهُمْ يَظْلِمُوْنَ ﴾ وَمَا ذَاكَ إلاَّ لأَنَّهَا خَالَفَتْ كِتَابَ رَبِّهَا ، وَانْحَرَفَتْ عَنْ طَرِيْقِ الهَادِيْ نَبِيِّهَا ، وَسَارَتْ وَرَاءَ هَوَاهَا ، وَفُتِنَتْ بِزَخَارِفِ الحَضَارَةِ المُزَيَّفَةِ ، والمَدَنِيَّةِ الكَاذِبَةِ وَظَنَّتْ الإِبَاحِيَّةَ حُرِيَّةً وَالخَلاَعَةَ رُقِيّاً ، فَتَعَدَّتْ حُدُوْدَ الدِّيْنِ وَالعَقْلِ .

وَأغضَبَتْ خَالِقَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ فَسَاءَتْ حَالُهَا ، وَسُلِّطَ عَلَيْهَا عَدُوُّهَا ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ فَلْيَحْذَر الذِيْنَ يُخَالِفُوْنَ عن أمرِهِ أن تَصِيْبَهُمْ فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ أيها الناس لقد ذَاقَتْ الأُمَّةُ وَبَالَ أَمْرِهَا ، وَعُوْقِبَتْ بِشَرِّ أَمْالِهَا ، وَتَجَرَّعَتْ مَرَارَةَ الذُّلِ والهوانِ ، وَالتَّفَرُّق والأنْحِلاَل ، كُلُّ ذَلِكَ نَتِيْجَةٌ لاَزِمَةٌ لِعَدَمِ اسْتِقَامَةِ الأمَّةِ، وَانْحِرَافِهَا عَنْ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ ، ﴿ صِرَاطَ اللهِ الذي لَهُ مَا في السَّموَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ، ألا إلَى اللهِ تَصِيْرُ الأمُورُ ﴾ كُلُّ ذَلِكَ نازِلٌ بِنَا وَوَاقِعٌ عَلَيْنَا ، وَنَحْنُ لا نُفِيْقُ مِنْ سَكْرَتِنَا ، وَلاَ نَنْتَبِهُ مِنْ غَفْلَتِنَا ، وَلاَ نَنْزَجِرُ بِالمِحَنِ وَالبَلاَيَا ، وَلاَ نَعْتَبِرُ بِحَوَادِثِ الأيّامِ فَلو كَانَتْ لنا نُفُوسٌ حَيَّةٌ وقُلُوْبٌ يَقِظَةٌ وشُعُورٌ حَيٌ واحْسَاسٌ قَوِيٌّ ، لَنَبَّهَتْنَا البَلاَيَا ، وَأيْقَظَتْنَا المُؤْلِمَاتِ ، أيُّهَا المسلمُ : الدِّيْنُ عَقِيْدَةٌ صَحِيْحَةٌ ، وَعِبَادَةٌ قَوِيَّةٌ ، وَمُعَامَلاَتٌ حَسَنَةٌ عَادِلَةٌ ، وَأخلاَقٌ كَرِيْمَةٌ ، فَانْظُرُوْا وَفَكِّرُوا ، وَفَتِّشُوا عَلَى أنْفُسِكُمْ ، هَلْ أَنْتُمْ سَائِرُوْنَ في أعْمَالِكُمْ وَأحْوَالِكُمْ عَلَى مَنْهَجِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ ، أمْ أنْتُمْ مُنْحَرِفُوْنَ عَنْهَا ، فَألْزِمُوْهَا السَّيْرَ عَلَى الطَّرِيْقِ القَوِيْمِ ، وَفَّقَنَا اللهُ وَإيَّاكُمْ للأسْتِقَامَةِ ، وَأمَّنَنَا وَإيَّاكُمْ مِنْ أهْوَالِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَوَقَانَا وَإيَّاكُمْ شَرَّ الحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ ، وَغَفَرَ لَنَا وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِهِ إنَّهُ أرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فَصْلٌ في تَحْرِيْمِ الدُّخَانِ وَذِكْرِ مَفَاسِدِهِ

وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ وَالتَّحْذِيْرُ عَنْهُ الدّخَانُ ، لِدُخُوْلِهِ في قِسْمِ المُحَرَّمَاتِ ، وَمِنْ الأَدِلةِ عَلَى تَحْرِيْمِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى في حَقِّ رَسُولِهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ يُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِم الخَبَائِثَ ﴾ وَلاَ

يَمْتَرِيْ عَاقِلٌ في دُخُولِهِ في الخَبَائِثِ ، وورد عَنْهُ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انهُ قَالَ « مَا أَسْكَرَ كَثِيْرُهُ فَقَلِيْلُهُ حَرامٌ » وَعَنْ أمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : قالَتْ : نَهى رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرْ .

وَفِي الحَيْثِ الآخَر « مَا أَسْكَرَ الفَرقُ مِنْهُ ، فَمِلْءُ الكَفِّ مِنْهُ حَرَامٌ » فَهَذِهِ الأدِلَّة تَدُلُّ عَلى حُرْمَتِهِ ، فَإِنَّهُ تَارَةً يُسْكِرُ ، وَتَارَةً يُفَتِّرُ ، وَمِنْ الأدِلَّةِ المؤَيِّدَةِ لِمَا سَبَقَ ، أَنَّهُ ثَبَتَ طِبِّيّاً أنّ التَّبْغَ يُفَتِّرُ وَمِنْ الأدِلَةِ المؤَيِّدَةِ لِما سَبَقَ ، أنّهُ ثَبتَ طِبِّياً أنّ التَّبغَ يَحْتَوِيْ عَلَى كَمِّيَةٍ كَبِيْرَةٍ مِنْ مَادَّةِ النِّيْكُوتِيْن السَّامَةِ ، وَأَنَّ شَارِبُهُ يَتَعَرَّضُ لِأمْرَاضٍ خَطِرَةٍ في بَدَنِهِ أوّلاً ، ثُمَّ تَدْرِيْجِيّاً فَيَضْطَرِبُ الغِشَاءُ المُخَاطِيُّ وَيَهِيْجُ وَيَسِيْلُ مِنْهُ اللُّعَابُ بِكَثْرةٍ ، وَيَتَغَيَّرُ ، وَيَتَعَسَّرعَلَيْهِ هِضْمُ الطَعَامِ ، وَأيْضاً يُحدِثُ التِهَاباً فِي الرِّئَتَيْنِ ، يَنْشَأُ عَنْهُ سُعَالٌ ، وَيَتَسَبَّبُ عَنْ ذَلِكَ تَعْطِيْلٌ لِلشَّرَايينِ الصَّدْرِيَّةِ ، وَعُرُوضُ أمْرَاضٍ صَدْرِيَّةٍ ، رُبَّمَا يَتَعَذَّرُ البُرْءُ مِنْهَا وَمَا يَجْتَمِعُ عَلَى بَاطِنِ القَصَبَةِ مِنْ آثَارِ التَّدْخِيْن ، يَجْتَمِعُ مِثْلُهُ عَلى عُرُوقِ القَلْبِ ، والقلبُ يَضْغَطُ عَلَى فَتَحاتِهِ فَيَحْصَلُ عُسْرٌ فِي التَّنَفُّسِ ،وَيُؤَثِّرُ عَلى القَلْبِ بِتَشْوِيْشِ انْتِظَامِ دَقَاتِهِ،وَرُبَّمَا أَدَّى بِشَارِبِهِ إِلَى المَوْتِ ، فَيَكُوْنُ شَارِبُهُ قَدْ تَسَبَّبَ لِقَتْلِ نَفْسِهِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ مُحَرَّمٌ مِنْ الكَبَائِرِ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ وَقَالَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم « مَنْ قَتَلَ نَفْسُهُ بِحَدِيْدَةٍ ، فَحَدِيْدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدَاً مُخَلَّدَاً فِيْهَا أَبَدَا » .

وَمِنْ الادلّة عَلى تَحْرِيْمِهِ أَنَّهُ إِسْرَافٌ ، وَلَيْسَ فِيهِ مُبَاحٌ ، بَلْ هُوَ مَحْضُ ضَرَرٍ ، بِاخْبَارِ أَهْلِ الخِبْرَةِ مِنْ شَارِبِيْهِ وَغَيْرِهِمْ ، وَقَدْ حَرَّمَ اللهُ الإسْرَافَ ، وَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلاَ : أنهُ لا يُحِبُّ المسرفين ، قَالَ تعالَى ﴿ وَلاَ

تُسْرِفُوا إنهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِيْنَ ﴾ وَقَالَ ﴿ إنَّ المُبَـذِّرِيْنَ كانُوا اخْوَانَ الشَّيَاطِيْنَ .

وَالتَّبْذِيْرُ هُوَ الذِي يُنْفِقُهُ الأنْسَانُ في غَيْرِ طَاعَةٍ وَفِيْمَا لا مَنْفَعَةَ فيْهِ وَقَالَ مُجَاهِدْ لَوْ أَنْفَقَ مَالَهُ في الحَقِّ ما كَانَ تَبْذِيْرا وَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُوْدٍ عَنْ التَّبْذِيْرِ فَقَالَ إنفاقُ المالِ في غَيْرِ حَقِّهِ وَقَالَ ابْنُ عَبّاسٍ إنْفَاقُ المالِ في غَيْرِ مَنْفَعةٍ وَقَالَ بَعْضُهُمْ الأسْرَافُ الأنْفَاقُ في مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى وَإنْ قَلَّتْ . فَيَتَبَيَّنُ لكَ مِمَّا مَضى وَمِمَّا يَأْتِي أنَّ هَذَا الدُّخَانَ الخَبِيْثَ المُحَرَّمَ عَيْنُ الأسْرَافِ وَالتَّبْذِيْرِ وَقَالَ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ وَهَذَا في الجَارِ الذِي بَيْنَك وَبَيْنَهُ جدارٌ وَقَالَ فِيْهِ أيضاً : مَا زَالَ جِبْرِيْلُ يُوصِيْنِي بالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ . فَكَيْفَ بالجِيْرَانِ الطَّيِّبِيْنَ الكِرَامِ الكَاتِبِيْنَ الذِيْنَ عَنْ اليَمِيْنِ وَعَنْ الشِّمالِ قَعِيْدٌ وَهُمْ الذينَ يَكْتُبُوْنَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّآتِ فَالمُدَخِّنُ يُؤْذِيْهِم نَعُوذُ باللهِ مِنْ حَالَه وَالمفْرُوْضُ أنَّهُ يَسْتَعْمِلُ المِسْوَاكَ طَيِّبَ الرائحةِ بَدَلاً مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الخَبِيْثَةِ وَمِنْ خَصَائِصِ هَذَا الدُّخَانِ انّهُ يُنفرُ عَنْ الطَّاعَةِ وَعَنْ قِرَاءَةِ القُرْآنِ وَالمُكْثُ في المَسَاجِدِ وَمَحبَةِ أهْلِ الدِّيْنِ وَالصَّلاحِ الخ .

وَنَهى الشَّارِعُ عَنْ إضَاعَةِ المالِ ، وَكَمْ مِنْ حَرِيْقٍ التَهَمَ نُفُوساً وَأمْوالاً ، سَبَبُهُ الدُّخَانُ ، وَكَمْ مِنْ بَرِيْء اتّصَلَ بشَارِبِهِ فَصَارَ مِثْلُهُ ، وَكَمْ مِنْ مَلايِّيْنِ مِنْ الأثْمَان يَوْمِيّاً تحرق وتتلف في هذا الدخان الخبيث الكريه، فنضرب لذلك مثلاً لما يُتْلَفُ يَـوْمِيّاً مِنْ الفُلُوس بِسَبَبِ شُـرْبِ الدُّخَانِ ، فإذا كانَتْ الدَّوْلَةُ عِشْرِيْنَ مِلْيُوناً ، وَثلاثَةُ أرْبَاعِهِمْ يَشْرَبُونَهُ ، أَي

خَمْسَةٌ وسَبْعُونِ في المائةِ ، وَقُلْنَا أدْنى مَصْرفٍ لِلْواحِدِ يَوْمِيّاً في الدُّخَانِ رِيَالٌ ، فَمَعْنَاهُ أنَّ الذِي يَتْلَفُ عَلىَ الجَمِيْع يَوْمِيّاً خَمْسَةَ عَشَرَ مِلْيُوناً مِنْ الرِّيالاتِ وَفي الشّهْر يَكوُن الذِي يُتْلَفُ في سَبِيْلِ هَذا الدُّخَانِ الخَبيْث أرْبَعَمائةٍ وخَمْسِيْنَ مَلْيُوناً ، وَفي السَّنةِ خَمْسَةُ آلافٍ مِلْيُون وَأرْبَعُ مَائةِ مَلْيُون مِنَ الرِّيَالاَت . نسألَ اللَّهَ أن يَعْصِمَنَا وَاخوَانَنا المسْلِمِينَ مِنهُ ومن سَائِر المعَاصِي اللهم صل على مُحمد وآله وسلم وَمِنَ الأدِلة على تَحْرِيمِ الدُّخَانَ كَوْنَ رائِحَتِه كريهَة ، تُؤذِي النّاسَ الذِيْنَ لا يَسْتَعْمِلُونَهُ ، وَتؤْذِيْ الكِرَامَ الكاتِبيْنَ ، وَتَؤذِيْ المُعقِّبَاتِ ، وَبالخُصُوصِ أذِيَّتُهُ في مَجَامِعِ الناسِ ، كاجتماعِهِمْ لِصَلاةِ الجَماعَةِ ، وَلصَلاةِ التَّرَاوِيْحِ ، ان وُجدَ مِنْ شَاربيْهِ أحَدُ يُصَلِّيْ التَّرَاوِيْح ، وَكذا يُؤذِي زُمَلاءَهُ ، إنْ كَانَ أسْتَاذاً أوْ كَانَ تِلْمِيْذَا ، ويُؤذِي زَوْجَتَه ، وَيَسْرِي إلىَ أوْلادِه ، لأنهُ اذا شَربَهُ عندهُم صَار تَعلِيماً فِعْلِيّاً لهُم ، وَمَا نالهُم مِنْ الضَّرَرِ النَّاشِيءِ عَنْ الدّخَانَ الذِي صَار هُو السَّبَبُ في شُرْبهِم له فلا يسلمُ وَاللهُ أعلمُ مِنْ الاثم ، وَكذلكَ يَسْرِي لِقَرابتِهِ وَأصْدِقَائهِ ، وجيْرَانِهِ وَزُمـلائِهِ أحْيَـاناً ، وَإيْصَالُ الضَرَّرِ إلىَ المسلم حَرَامٌ ، وَأذِيَّتُهُ حَرَامٌ وَقد وَرد عنه صلى اللهُ عليه وسَلم ، أنّهُ قَالَ « مَنْ أكلَ ثُـوْماً أوْ بَصَـلاً فَلْيَعْتزلْنَـا ، وَلْيَعْتَزِلْ مَسْجَدَنَا ، وَلْيَقعُدَ في بَيْتِه » وَوَرَدَ عَنْهُ صَلى اللهُ عليه وسلم أنهُ قَالَ « إنَّ الملائِكةَ تَتَأذى مِمّا يَتأذّى منْهُ النَّاسُ » وفي الحَدِيْثِ الآخَر « مَنْ آذَى مُسْلِماً فقَدْ آذانِيْ ، ومَنْ آذَانِيْ فقَدْ آذَى اللهَ » وأذِيَةُ المُسْلِم مُحَرَّمَةٌ ، وَمِنْ المَعْلُومِ عِنْدَ كُلِّ عَاقِلٍ مُنْصِفٍ ، أنَّ رَائِحَةَ الدُّخَانِ ، لا تَقِلُّ كَرَاهَتُها وَأذِيتُها عَنْ كرَاهِيةِ رَائِحَةِ الثُّومِ وَالبَصَلِ وَالكُرَّاثِ » . بل هي عند بعضهم أعظَمُ كَراهةً وهَذا الدُّخانُ مِنْ العَاداتِ القَبِيْحَةِ ، المُضِرَّةِ بالشَّارِبِ وَغَيْرِهِ فترَى الشَّابَّ تَمِيْلُ نَفْسُهُ إليْهِ ، ويَمِيْلُ بهِ هَواهُ إلى مُشَابهَةِ غَيْرِهِ في تَعاطِيْهِ ، ورُبَّمَا عَدَّهُ تَظرُّفاً ، وَظنَّه مَدنِيَةً وتَرَفاً ، فإذَا قَدَّمَ لَهُ أحَدُ

زملائهِ أَو أتْرَابهِ أو غَيْرُهُم هَذا الدخانَ لأوَّلِ مَرَّةٍ ، وبَدأ يَسْتَنْشِقُ دُخَانَهُ السَّامَّ ، وَلا يَلْبَثُ إلا قَلِيْلاً حَتَّى يَأْخُذَ في الإِكْثَارِ مِن تَناوُلِ هذَا السُّمِّ النَّاقِعِ ، فيُصْبحُ لهُ عَادَةً لا يَسْتَطِيْعُ إِلىَ تَرْكِهَا سَبِيْلا ، وَاذا طَالَ الزَّمَنْ ، ومَكَثَ عَلَى ذلِكَ مُدَّةً : اسْتَحْكَمَتْ في نَفْسِهِ هَذِه العَادَةُ القَبْيحَةُ السَّيِّئَةُ ، وَبَدَأَتْ صِحَّتُهُ تَضْعُفُ ، وَقوَتَّهُ تَنْقُصُ ، وَشَهيَّته للطَّعَامِ تَقِلُّ ، ورَغْبَتُهُ في المشْيْ ومَا يُقوِّي البَدَنَ تَضْعُفُ ، وَاذا ذَلِكَ الوَجْهُ النَّاظِرُ الحَسَنُ المشْرِقُ ، وَذلكَ الجِسْمُ المُمْتَلِىءُ عافِيَةً ، وَالشَّبَابُ الغَضُّ قَدْ تَغَيَّرَ وَعراهُ الذُّبولُ ، وتمَكَّنَ مِنْهُ النُّحُولُ ، فَترى جِلْدُهُ يَسْترخِيْ ، وَبَصُرُهُ يَضْعُفُ ، وسَمْعُـهُ كذلكَ يَضْعُفُ ، وَقُوَّةُ الشَّهْوَةِ تَضْعُفِ جِدّاً ، وَعَقْله يَضْعُفُ باذْنِ اللهِ تَبَعاً لِلْجِسْمِ ، وَيُصْبحُ بَعْدَ غَضَارَتِه وَنَضارته ذَابلاً ، وَجِسْماً نَاحِلاً ، يَأْخُذهُ سُعَالٌ مُؤْلِمٌ ، وَيُحِسُّ بخَفقَانِ قلبِهِ ، وَدَقِّهِ وَفُتُورِ جِسْمِهِ ، وَيَتَمَنّى بَعْدَ ذَلكَ لَو يُقاسِمُه انْسَانٌ مَالَهُ ، ويَتَسَبَّبُ لهُ في مَنعِهِ مِنْ هَذِهِ العَادَةِ السَّيِّئةِ الخَبيْثَةِ ، ولكنْ أنَّى لهُ بذلِك ، هَيْهات إلا أنْ يشاء اللهُ جَلَّ وعَلا ، فاللهُ عَلى كلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ، لا يُعْجِزُه شَيْءٌ في الأَرْضِ وَلا في السَّماءِ ، ثُم هَذا الشَّارِبُ لِلدخَّانِ يَفقِدُ بشَاشَتَهُ ، وَيُحْرَمُ صَفاءَ نَفْسِه ، وَقُوَّةَ فِكْرِهِ ، فَتَتَغَيَّرُ أخْلاقُهُ وتَتَبَدلُ صِفاتُهُ ، وَتراهُ إذا أَعوزَهُ الدُّخانُ أَحيَاناً ، يُذْهَلُ نَفْسَهُ وَيُنَكِّسُ رَأْسَهُ ، كَأَنَّمَا هُوَ في هَمٍّ نَاصِبٍ ، وَعَنَاءٍ وَتَعَبٍ ، وَقَدْ تَتَغيَّر سَجَايَاهُ ، فإذا ذَلكَ الحَلِيْمُ الهَادِىءُ الأَعْصَـابِ ، غَضُوبٌ جَمُوحٌ ، وَاذا ذلكَ السَّاكِنُ هَائِجٌ وَثَائِرٌ ، يَظْهَرُ منْهُ فلتَاتُ كلامٍ يَتَعَجَّبُ مِنهَا مَنْ يَعْرِفُه أوّلاً ، وَتَراهُ يَلجأ إلىَ تَنَاوُلِ الدُّخَانِ ، لِتَسْكِيْنِ غضبهِ ، وَتَهْدِئة ثَائِرَة نَفْسِه . فعلى العَاقِلِ أَنْ يَبْتَعِدْ عن هَذا وَأمثالِهِ من الفَسَقَةِ قال بعضهم :

تَبَاعَـدْ عن الـفُسَّاقِ لا تَقْرَبَّنَهُـمْ ... فَقُرْبُهُمْ يُعْدِي الصَّحِيْحَ وَيُعْطِبُ

فكَمْ من صَحِيْحٍ صارَ بالقُرْبِ مِنْهُمُوْا ... أَخَا عِلَلٍ مِمَّا بِهِم فَهْوَ أَجْرَبُ

آخر: صَاحِبْ أخَا الدِين كي تُحْظَى بصحْبَتِهِ فالطبعُ مكتَسَبٌ مِن كُل مَصْحُوب
كالريحِ آخِـذَةٌ مِمَّا تَمُـرُّ به نَتْناً مِنَ النَّتْنِ أوْ طيْباً مِن الطِّيْبِ

وَختَاماً فعلى الأنْسَانِ أنْ يَتعاهَدَ أبْنَاءَهُ ، وَكَذلِكَ عَلى المُعَلِّمِ أنْ يَتعاهَدَ الطُّلابِ بالنُّصْحِ وَالتَّحْذِيْرِ مِنْ هَذَا الوَباءِ الفَتَّاكِ ، وَعَليْهِ أنْ يُرَاقِبَهُم في كلِّ وَقْتٍ ، وَبالأخِصِّ في أوْقَاتِ الفَرَاغِ ، وَأنْ يَحْرِصَ كلَّ الحِرْصِ عَلى أنَّهُم لا يَتَّصِلُونَ بمَنْ يشْرَبُ الدُّخَانَ لِيَحفَظَ عَليهم صِحَّتَهم وَرَاحَتَهُم ، وَيَدْفَعَ عَنْهُم شَرَّ هَذا المَرضِ وَيَصُوْنَ أمْوالَهِم عَنْ الضَّياعِ حَتَّى إذا عقلُوا عَرَفُوا لِوَلِيِّهم ذلكَ الجَمِيْلِ الذِيْ أسْدَاهُ إلَيْهِم .

تُعالِجُ بالتَّطَبُّبِ كُلَّ داءٍ وليسَ لِدَاءِ ذَنْبِكَ مِن عِلاَجِ
سِوىَ ضَرَعٍ إلى الرَّحْمَن مَحْضٍ بِنِيَّةِ خَائِفٍ وَيَقِيْنِ رَاجِ
وَطُولِ تهَجُّدٍ بِطِلابِ عَفْوٍ بِلَيْلٍ مُدْلَهِمِّ السِّتْرِ داجِ
وإظْهَارِ النَّدامةِ كُلَّ وقْتٍ على ما كُنْتَ فِيهِ من اعْوِجَاجِ
لعَلَّكَ أنْ تَكُونَ غَداً عَظِيْماً ببُلْغَةِ فَائِزٍ مَسْرُورٍ نَاجِ

اللهم يا هادي المُضلين ويا رَاحِم المذنبين ، ومُقِيْلَ عَثَرات العَاثِرين ، نَسْألُك أنْ تُلْحِقنا بعِبَادِكَ الصَّالحِين الذين أنْعَمْتَ عليهم مِن النبيين والصديقين والشُهدَاءِ والصالحين وحسن أولَئك رفيقا والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فَصْلٌ

سُئِلَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحمّدٍ رَحِمَهُما اللهُ عن التَّنْبَاكِ الذِي اعْتَادَ شُرْبَه كثيرٌ مِن النَّاسِ ؟ فأجَابَ رَحِمَهُ اللهُ . لا رَيْبَ أنَّ اللهَ تَعالى بَعَثَ مُحمَّداً صلى اللهُ عليه وسَلم بجَوامِعِ الكَلِم ، وهِيَ منْ خَصَائِصِه التِي خَصَّهُ اللهُ بهَا من بَيْنِ الأنبيَاءِ ، كَما ثَبَتَ أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ في ذِكرِ خَصائِصِه « وَأوْتِيْتُ جَوامِعَ الكَلِم » وهي أن يقوَلَ الكلِمَاتِ اليَسِيْرَةِ ، الجَامِعَةِ لِأحْكامٍ كَثِيْرَةٍ ، لا تُعَدُّ وَلا تُحْصَى ، ومن

ذلك قولُه صلى اللهُ عليه وسَلم « كُلُّ مسْكرٍ حَرامٌ » فدَخَلَ في هَذه الكَلِمَة جَميْعُ المُسْكِرَاتِ ، التِي تُسْكِرُ وَتزيلُ العَقلَ ، مِنْ الأطعِمَةِ وَالأشْربَةِ المَوجُودةِ في زمانِهِ وَالحادِثِةِ بعْدَهُ صَلى الله عليه وسَلم إلىَ يَوْمِ القِيامَةِ ، وَقَدْ تواتَرتْ الأحادِيْثُ عَنْ النبي صَلى اللهُ عليه وسلمَ بالنَّهْي عَنْ المسْكِرِ ، وَهُو الخَمْرُ الذِي يُغَطِّيْ العَقْلَ ويُزيْلُهُ ، كَمَا في الصَّحِيْحِ عَنْ ابنِ عُمرَ رضْيَ اللهُ عنهُما ، عَنْ النَّبِي صلى اللهُ عليهِ وسَلم قَالَ « كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ ، وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ » وَلَفْظُ مُسْلِم « وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ » وَعَنْ عَائِشَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهَا أنَّهُ صَلى اللهُ عليه وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ البِتْعِ ؟ فقالَ « كلُّ شَرَابٍ أسْكَر فهُوَ حَرامٌ » وفي رِوَايَةٍ لمُسْلِم « كلّ شَرَابٍ مُسْكِرٍ حَرَامٌ » وَنَقلَ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ اجْمَاعَ أهْلِ العِلْم بالحَدِيْثِ عَلَى صِحَّتِهِ ، وَأنه أثْبَتُ شَيْءٍ في تَحْرِيْمِ المُسْكِر ، وجَاءَ التَّصْرِيْحُ بالنَّهْي عَنْ قَلِيْل مَا أسْكَر كَثِيْرُه ، إذا تَقرَّرَ هَذا . فاعْلَمْ أنَّ المُسْكِرَ الذِي يُزيْلُ العَقْلَ نَوْعَانِ (أحَدُهُمَا) مَا كانَ فِيْهِ لَذَّةٌ وَطربٌ ، قالَ العُلَماءُ : وَسَوَاءٌ كانَ مِنْ حَبٍّ أو مِنْ تَمْرٍ أو لبَنٍ أو غَيْرِ ذلكَ ، وَأدْخلُوا في ذَلكَ الحَشِيْشَةَ التي تُعْمَلُ من وَرَقِ العِنبِ أوَ غيرِهَا ، مِمَّا يؤْكلُ لأجْلِ لَذتِهِ وَسُكرِهِ (والثَّانِيْ) مَا يُزِيْلُ العَقْلَ وَيُسْكِرُ ، وَلا لَذَّةَ فيه وَلا طَرَبَ ، كَالبَنجِ وَنحْوِهِ ، وَأكثَرُ العُلَمَاءِ الذِيْنَ يَرَوْنَ تَحْرِيْمِ مَا أسْكَرَ كَثيْرُه ، يَرْوِنَ حَدَّ مَنْ شَرِبَ مَا يُسْكِرُ كَثِيْرُه ، وَإنْ اعْتَقَدَ حِلَّهُ مُتَأوِّلاً ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ وَأحْمَدُ .

قَالَ : وَبِمَا ذَكَرْنَا مِنْ كَلامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلم وَكَلامِ أهْلِ العِلْمِ يَتَبَيَّنُ لكَ بيانُ تَحْرِيْمِ التِّتِنِ ، الذِي كَثُرَ في هَذا الزمَانِ اسْتِعمالهُ ، وَصَحَّ بالتّواترُ عِنْدَنَا والمُشاهَدَة اسْكَارُه في بَعْضِ الأوْقَاتِ ، خُصُوصاً إذا أكْثَرَ منهُ ، أو تَرَكَهُ يَوْماً أو يَوْمَين لا يَشْرَبُه ثم

شَرِبَهُ ، فإنَّه يُسْكِرُ ويُزيْلُ العَقْلَ ، حَتّى إنَّ صَاحِبَهُ يُحْدِثُ عنْدَ النَّاسِ وَلا يَشْعُر بذلك ، نعوُذ باللهِ مِنْ الخِزْيِ وَسُوءِ البَأْسِ ، فَلا يَنبَغِي لمن يُؤ مِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أن يَلْتَفِتَ إلى قَوْلِ أحَدٍ مِنْ النَاسِ إذا تبيَّنَ لهُ كَلامُ اللهِ ، وَكلامُ رسُولِهِ في مِثِله مِنْ المسَائِلِ ، وذلكَ لِأنّ الشَّهادَةَ بأنَّهُ رَسُولُ اللهِ تَقْتَضِيْ طاعتَه في مَا أمرَ ، وَالانْتِهَاءَ عَمّا عنهُ نَهى وَزَجَرَ ، وتَصْدِيْقَهُ فيْمَا أخْبَر ، وَأنْ لا يُعْبَد اللهَ إلا بمَا شَرَعَ وَأنْ يُقَدِّمَ أمْرُهُ على قَوْلِ كُلِّ أحَدٍ مِنْ النَّاسِ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ : وَالذِيْ يَشْرَبُ التَّنْبَاكَ إنْ كَانَ شُرْبُه لَهُ بَعْدَ مَا عَرفَ أنَّهُ حَرَامٌ فَيُضْرَبُ ثمَانِيْنَ جَلْدَةً ، ضَرْبَاً خَفِيْفاً مَا يَضُرُّهُ ، فانْ كَانَ شَرِبَهُ وَهُوَ جَاهِلٌ فلا حَدُّ عَليْهِ ، وَيُؤْمَرُ بالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ ، وَالذِي يَقُولُ لكُمْ مِنْ عُلَماءِ تُهَامَة إنَّ التِتنَ لَيْسَ حَرَاماً وَلا حَلالا فهَذا جَاهِلٌ ، مَا يَعْرفُ مَا يَقُولُ ، وَلا يُلْتَفَتُ لقَوْلِهِ وَفي الحَدِيْثِ عَنْ النبي صَلى اللهُ عليه وسَلم « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ » وَمَا أسْكَر كثِيْرُه حَرُمَ قَلِيْلُه » .

وَأجَابَ أيْضاً : إذا شَهِدَ اثْنَانِ عَلى رِيْحِ التِّتْنِ مِنْ فَمِ رَجُلٍ جُلِدَ ثَمَانِيْنَ جَلْدَةً .

وَأجَابَ أيْضاً : وَأَمَّا شَارِبُ التِّتَنَ إذَا شَهِدَ عَلَيْهِ شَاهِدَانِ أنَّهُم رَأوْهُ يَشْرَبُهُ فيُجْلدُ أرْبَعِينَ جَلْدَةً .

وَأجَابَ أيْضاً : وَأمّا شَارِبُ التِّتْنِ فَيُؤَدَّبُ بِأرْبَعِيْنَ جَلْدَةً ، فَإنْ لمْ يَنْتَهِ بذلِكَ أُدِّبَ بثمانِيَنَ .

وَأجَابَ أيْضاً : وَالذِيْ زرَعَ التُّنْبَاكِ يُؤَدَّبُ ، أوْ يُوْجَدُ في بَيْتِه أو مَتَاعِهِ أو يَشْرَبُهُ يُؤدَّبُ .

وأجابَ أيْضاً : إذا شَهِدَ اثْنَانِ عَلَى رِيْحِ التِّتْنِ مِن فَمِ رَجُلٍ يُحَدُّ ، لِأَن الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم حَدُّوا على رِيْحِ الخَمْرِ ، وهَذا خَمْرٌ ، لِأنَهُ مُسْكِرٌ ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ .

وَسُئِلَ الشَّيْخُ حَمَدُ بْنُ نَاصِرِ بنِ مَعمَّرٍ عَنْ التُّتْنِ ؟ فَأجَابَ : هُوَ حَرامٌ لقَولِ النَّبِي صلى اللهُ عليه وسَلم « كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٍ » وَفي لَفظٍ « حَرَامٌ » وفي لفظٍ « مَا أسْكَر كثِيْرُهُ ، فمِلءُ الكفِّ مِنْهُ حَرامٌ وَهَذا عَامٌ في كلِّ مُسْكِرٍ ، فَانَّ النَّبِيّ صَلى اللهُ عليه وسَلم قَدْ أُوتِيَ جَوَامِعَ الكَلِمِ ، وقد نَصَّ العُلمَاءُ عَلَى ذلكَ .

وَسُئِلَ عَنْ شَارِبِ التِّنْبَاكِ ؟ فأجَابَ : وَأمَّا شَارِبُ التِّنْباكِ فَيُجْلَدُ أرْبَعِيْنَ جَلْدَةً .

وَقَدْ سُئِلَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ أبَا بُطَيْنٍ عَنْ التُّنْبَاكِ ؟ فأجَابَ بقَوْلِهِ : الذِي نرَى فيْهِ التَّحْرِيمَ ، لِعِلَّتَينِ (أحَدُهُمَا) حُصُولُ الأسْكَارِ فِيْمَا إذا فَقدَهُ شَارِبُهُ مُدّةً ثمَّ شَرِبَهُ ، أو أكْثَر مِنْهُ ، وإنْ لَمْ يَحْصُلْ إسْكَارٌ حَصَلَ تَخْدِيْرٌ وَتَفْتِيْرٌ ، وَرَوَى الامَامُ أحْمَدُ حَدِيثاً مَرْفُوعاً أنَهُ صَلى اللهُ عليه وسَلم : نَهى عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرٍ (وَالعِلَّةُ الثَّانِيَةُ) أنَّهُ مُنْتِنٌ مُسْتَخبَثٌ عِنْدَ مَنْ لَمْ يَعْتَدْهُ .

وَاحْتَجَّ العُلَماءُ بقَولِهِ تَعالَى (يُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتُ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الخَبَائِثُ ﴾ وَأمّا مَنْ ألِفَهُ وَاعْتَادهُ فلا يَرَى خُبْثَهُ ، كَالجُعْلِ لا يَسْتَخْبِثُ العَذِرَةَ وكالخنزِيرِ يَتْرُكُ الطَّيِبَاتِ وَيَأكُلُ النَّجاسَاتِ وكالهُدْهُدِ يَأكُلُ العَذِرَةَ.

وَأجَابَ الشَّيْخُ خَالِدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ أَحْمَدَ مِنْ فقَهَاءِ المَالِكيَّةِ بقَوْلِهِ : لا تجوُزُ إمامَةُ شَارِبِ التُّنْبَاكِ، وَلا يَجُوزُ الاتّجَارُ بهِ وَلا بِمَا يُسْكِرُ .

وَمِمَّنْ حَرَّمَ الدُّخَانَ وَنَهَى عَنْهُ مِنْ عُلمَاءِ مِصْرَ الشَّيْخِ أحْمَدُ السَّنْهُورِيّ البُهُوتِي الحَنْبَليّ ، وَشَيْخُ المالِكيّةِ اللقَانِيّ ، وَمِنْ عُلمَاءِ دِمَشْقَ النَّجْمُ الغزِّيّ العَامِرِيّ الشَّافِعِيّ ، وَمِنْ عُلمَاءِ اليَمَنِ الشَّيْخُ ابْرَاهِيْمُ بْنُ جَمْعَانَ ، وَكثيْرٌ مِنْ العُلَمَاءِ المعَاصِرِيْنَ في المملكةِ العَرَبيْةِ السُّعُودِيَّةِ ، كالشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرْ السِّعْدِي ، وَالشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ ابْرَاهِيْمَ ، وَالشَّيْخ عَبْدِ العَزيزِ بْنِ بَازٍ ، وَالشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ حُمَيْدٍ ، وَعُلماءُ كَثِيْرونَ يَطُولُ عَلَيْنَا تَعْدادُهم ، فَنكَتفِي بمَنْ ذَكرْنا ، وَمَنْ أرَادَ زِيَادَةً عَلى هؤلاءِ فَلْيَسْأَلْ ، وَلا أَظُنُّ يُفْتِي بحِلّهِ عَالِمٌ عَاقِلٌ ، يَعْلَمُ مَضارَّهُ دِيْنِيّاً وَاقْتِصَادِيّا وَاجْتِمَاعِيًا وَخُلُقِيًا وَصِحّياً ، بلْ وَلا أظُنُّ عَالِماً يَتوقفُ بالقَوْلِ بتحْريْمِهِ ، حَتّى وَلوْ أنّهُ مِمَّنْ ابْتُلِيَ بِشُرْبهِ لِوُضُوحِ مَضَارّهِ ، وبالأخصّ لِشُرَّابِه ، وَانْ شَكَكْتُ فاسْأَلْ مُنْصِفِيهِم يُخْبُرونَكَ وَيحُذِروكَ ، اللهُمَّ اعْصِمْنَا مِنْ جَمِيْعِ المَعاصِيْ ، وَامْنُنْ عَليْنا يَا مَوْلانَـا وَجَمِيعْ المسلِمْينَ بالتَّوفِيْقِ لِلعَملِ الصَّالِح ، وَالاسْتِقَامَةِ عَلى الطريْقِ ، وَاغفِرْ لَنا وَلِوَالِدِيْنَا ولِجَميعِ المسلِمْين ، برَحمْتِكَ يا أرْحمَ الرّاحِمِيْنَ ، وصَلَّى اللهُ عَلى مُحمّدٍ وَعلى آلهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

« فصل »

وَقَالَ في تَبْصِرَةِ الأخْـوَانِ : وَقَدْ أَشْغَـلَ جَهابِـذَةُ الأَطِبَاءِ قُـوَّةَ أفْكَـارِهِمْ ، وَدَقَّقُوا النَّـظَرَ غَايَـةَ في اكْتِشَافِ أَضْـرَارِ التَّبْـغِ بِنَـوْعَيْـهِ المَعْلُوْمَيْنِ ، وَشَحذُوا أقْلَامَهُمْ فِي بَيَانِ مَا ظَهَرَ لَهُمْ فِيْهِ ، بَعْدَ التَّحْقِيْقِ وَالتَّدْقِيْقِ التَّامَّيْنِ ، فَذَكَرُوا (أَوَّلاً) أنّهُ مِنَ الفَصِيْلَةِ البَاذِنْجَانِيَّةِ التِي تَشْتَمِلُ عَلَى أَكْثَرِ النَّبَاتَاتِ السَّامَةِ ، كالبَلَادُوْنَا وَالبَـرْشِ وَالبَنْجِ ، قَـالُوا وَهُـوَ

نَوْعَانِ ، تُوْتُونْ وَتِنْبَاكْ ، وَلاَ يَخْتَلِفُ أَحَدُهُمَا عَنْ الآخَرِ فِي تَرْكِيْبِهِ الكِيْمَاوِيِّ إلاَّ قَلِيْلاَ ، فَانَّهُمَا مُرَكَّبَانِ مِنْ أَمْلاَحِ البُوْتَاسْ وَالنُّوشَادِرْ ، وَمِنْ مَادَّةٍ صَمْغِيَّةٍ ، وَمَادَّةٍ أُخْرَى مُرَّةٍ حَرِّيْفَةٍ ، تُسَمَّى نِيْكُوْتِيْن ، قَالُوا وَهِيَ سُمٌّ مِنْ أَشَدِّ السُّمُومِ فِعْلاً ، بِحَيْث أَنَّهُ لَوْ وُضِعَتْ نُقْطَةٌ مِنْهَا عَلَى لِسَانِ كَلْبٍ لمات في أَقْرَبِ زَمَنٍ ، مَعَ أَنَّ الكَلْبَ أَقْوَى تَحمُّلاً لِلسُّمُوْمِ مِنْ الأنْسَانِ ، وَمِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ الحَيَوَانِ ، وَذَكَرُوا أَنَّ الدُّخَانَ الذِيْ يَتَصَاعَدُ عَنْ أَوْرَاقِ التِّبْغِ المُحْتَرِقَةِ ، يَحْوِيْ كَمِّيَّةً وَافِرَةً مِنْ المَادَّةِ السَّامَةِ هِيَ النِّيْكُوْتِيْنْ ، فَإذَا دَخَلَ الفَمَ والرِّئتَيْنِ أَثَّرَ فِيْهِمَا تَأْثِيْراً مَوْضِعِيّاً وَعُمُومِيّاً لأَنَّهُ عِنْدَ دُخُولِهِ الفَمَ تُوَتِّرُ المَادَّةُ الحَرِّيْفَةُ السَّامَّةُ التِيْ فِيْهِ - وَهِيَ النِّيْكُوْتِيْن - في الغِشَاءِ المُخَاطِيِّ فَتُهَيِّجُهُ تَهْيِيْجاً قَوِيّاً ، وَتَسِيْلُ مِنْهُ كَمِّيَّة زَائِدَةً مِنْ الطَّعَامِ وَتُغَيِّرُ تَرْكِيبَهُ الكِيْمَاويّ ، بِحَيْثُ تُقَلِّلُ فِعْلَهُ في هَضْمِ الطَّعَامِ وَكَذَلِكَ تَفعَلُ في مُفرَزِ المَعِدَةِ ، مثلَ مَا فَعَلَتْ في مُفرَزِ الفمِ ، فَيَحْصُلُ حِيْنَئِذٍ عُسْرٌ في مُفْرَزِ الهَضْمِ ، وَعِنْدَ وُصولِ الدّخَانِ إلَى الرِّئتين عَلَى طَرِيْقِ الحُنْجَرَةِ ، تؤثر فِيْهِمَا التِهَابَاً قَوِيّاً مُزْمِناً ، فَتُهَيْجُ السُّعَالَ حِيْنَئِذٍ ، لِأخْرَاجَ ذَلِكَ المُفْرَزِ الغَزِيْرِ ، الذي هُوَ البَلْغَمُ المَعْرُوفُ وَيَتَسَبَّبُ عَنْ ذَلِكَ تَعْطِيْلُ الشَّرَايِينِ الصَّدْرِيَّةِ وَعُرُوضُ أمْرَاضٍ صَدْرِيَّة يَتَعَذَّرُ البُرءُ مِنها .

وَبِالجُمْلَةِ فقد تَحقَّقَ عند عَامَّةِ المُحققِيْنَ ، مِنْ أَئِمَّةِ الطِّبِّ ، أنّ مَضارّ الدّخَانِ - أعَمُّ مِنْ أنْ يكونَ تُوتوناً أو تِنْبَاكَاً - كَثِيْرَةٌ ، قَالُوا : وَيَشْعُرُ بِأَعْرَاضِهَا الجُزْئِيَّةِ كُلُّ مَنْ يُبَاشِرُ اسْتِعْمَالهُ قَبْلَ الإعْتِمَادِ علَيْهِ ، وَهِيَ دَوَرَانٌ وِغَثَيَانٌ ، وَقَيْءٌ وَصُدَاعٌ ، وَارْتِخَاءُ العَضَلاَتِ أَيْ الأعْصَابِ ، ثُم سُبَاتٌ أَيْ رَاحَةٌ وَهُوَ كَنَايَةٌ عَنْ حَالَةِ التَخْدِيْرِ الذي هُوَ مِنْ لَوَازِمِ التَّبْغِ ، وَماذُكِرَ

مِنْ الأعْرَاضِ النَّاشِئَةِ عَنْهُ ، فِي بَدْءِ اسْتِعْمَالِهِ قَبْلَ الأعْتِمَادِ عَلَيْهِ ، لِمَا يَحْوِيْهِ مِنْ المادَّةِ السَّامَّةِ التي هِيَ النِّيْكُوتِيْن ، وَيَجِدُ فَسَادَ الذَّوْقِ وَعُسْرَ الهَضْمِ ، وَقِلَّةَ القَابِلِيَّةِ لِلطعام ، وَهَذِهِ الأشْيَاءُ كُلُّهَا تَحْدُثُ مِنْ تَخَللِ الدُّخَانِ في اللُّعَابِ ، فَيُسَبِّبُ اضْطِراباً مَعِدِيّاً ، وَكَثِيْراً ما يَحْدُثُ المَرَضُ المَعْرُوْفُ بالبَيْرُوسِسْ ، وَهُوَ الحُرْقَةُ المَعْدِيَةُّ ، وَهَذَا كُلُّه في اسْتِعْمَالِهِ على سَبِيْل القِلّةِ والأعْتِدَالِ ، وَأمّا الأكْثَارُ مِنْهُ فَهُوَ مُفْضٍ إلى عَطبٍ لَيْسَ لَه زَوَالٌ ، وَمِنْ المَعْلُومِ الثَّابِتِ شَرْعَاً أنَّ كُلَّ مَا أُضَرَّ بالصِّحَّةِ يَحْرُمُ تَعَاطِيْهِ قَطْعَاً ، وَلِذَلِكَ حَرُمَ الأكْلُ فَوْقَ الشِّبَعِ ، وَأكْلُ الطّيْنِ ، لِمَا فيهِمَا مِنْ الأضْرَارِ بِالصِّحَّةِ ،قال عليه الصَّلاةُ والسَّلاَمُ « مَنْ أكَلَ الطِّينَ فَكأنَّمَا أعَانَ على قَتْلِ نَفْسِهِ » ، وفِي رِوَايَةٍ « فَإنَّمَا أعانَ عَلَى قَتلِ نَفْسِهِ » وَلَيْسَ التَّدْخِيْنُ أَقَلُّ ضَرَرَاً مِنْ أكلِ الطِّيْنِ ، بَلْ هُوَ أَشَدُّ ضَرَرَاً مِنْهُ بِكَثِير ، قَالَ : وَقَد سَألْتُ عِدَّةً مِنْ الأطِبّاءِ المَوْثُوقِيْنَ بِهِمْ عَن تَفَاوُتِهِمَا فِي الضَّرَرِ ؟ فَأجَابُوا : بِأنّهُ لا نِسْبَةَ بَيْنَهَا فِي الضَّرَرِ تَفاوُتَاً كُلِيّاً ، حَيْثُ أنّ الجُزْءَ الفعّال ، الذِي يَنْشَأ عن التّدْخِيْنِ وَهُوَ النِّيْكُوتِين ، لاَ يُعَادِلُهُ شَيْءٌ في الأضْرَارِ ، كَمَا هُو ظَاهِرٌ لَدَى الامْتِحَان ، فَيَكُونُ نَهْيِ الشَّارِعِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أكْلِ الطّينِ ، لِمَا فِيْهِ من الضَّرَرُ ، شَامِلاً لِفِعْلِ التَّدْخِيْنِ بالأوْلَوِيّةِحَيْثُ كَانَ الضَّرَرُ فِيْهِ أشَدُّ وَأعْظَمُ ،كَمَا عَلِمْتَهُ ، قَالَ وَقد ذَكَرَ جَمْعٌ مِن أكابِرِ العُلَمَاءِ ، وَجهابِذَةِ الأطِبَّاءِ ، أَنَّ مِنْ العَقْلِ ـ فَضْلاً عَنْ الشَّرْعِ ـ وَجُوبُ اجْتِنَابِ التّدْخِيْن ، حِفْظاً لِلصِّحَّةِ ، التِي هِيَ مِن اللهِ تَعَالَى مِنَّةٌ وَمِنْحَةٌ ، وَدَفْعَا لِدَوَاعِيْ الضَّعْفِ الذِي هُوَ مِنْ مُقَدِّمَاتِ الهَلاَكِ وَالدَّمَارِ ، كَمَا هُوَ مَعْلُوْمٌ لِذَوِيْ الأسْتِبْصَارِ كَيْفَ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَلاَ تُلقُوا بأيديكم إلَى التَّهْلُكَة ﴾ عَلَى أَنَّهُ لاَ يَقْتَصِرُ ضَرَرُ التَّدْخِيْنِ عَلَى المُدَخِّنِ وَحْدَهُ ، بَلْ يَعُمُّ جُلَسَاءَهُ في المَكَانِ ، لأنهُ يُفْسِدُ الهَوَاءَ ، فَيَتَعَيَّنُ الفِرَارُ حِيْنَئِذٍ مِنْ الجُلُوسِ في أمَاكِنِ التَّدْخِيْنِ ، وَلاَ سِيَّمَا إذَا كانَتْ مُغْلَقَة

الأبْوَابِ قَالُوا : وَيَسْرِي الضَّرَرُ أيْضاً إِلَى نَسْلِهِ ، فَيَجْعَلُهُ ضَعِيفَ البِنْيَةِ ، شَاحِبَ اللوْنِ ، فَاسِدَ المِزَاجِ ، لِتَمَكُّنِ سُمِّ التبغ في جِسْمِ الوَالِدِ أمَّا سَرَيَانُ الضَّرَرِ قَبْلَ الوِلَادَةِ ، فِيمَا إذا كَانَتْ الأُمُّ تَشْرَبُ أيْضاً كالأبِ ، فَمِنْ تَغْذِيَتِهِ حَالَ كَوْنِهِ جَنِيْنَاً ، مِنْ دَمِ أُمِّهِ الفَاسِدِ بِسُمِّ التَّبغ ، الذِيْ هُوَ النِيْكُوْتِيْنْ ، حَيْثُ أَنَّهُ يَفْعَلُ عَلَى الحُوَيْصِلاَتِ العَصَبِيَّةِ فِعْلاً مُؤثِراً ، يَتَّصِلُ بالجَنِيْنِ .

وَأَمَّا سَرَيَانُ الضَّرَرِ عَلَيْهِ بَعْدَ الوِلَادَةِ ، فَمِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ (أَحَدُهُما) تَغَذِيْهِ مِنَ اللَّبَنِ المُتَحَمِّلِ سُمُومَ التَّبْغِ ، المُفْسِدَةِ لِلْمَوادِ الغِذَائِيَّةِ ، (ثانِيْهَا) استنشاقُه الهَوَاءَ الفاسِدَ بِتَدْخِيْنِ الأَبَوَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا ، (ثالِثُهُما) صَيْرُورَةِ الأَبَوَيْنِ سَبَبَاً حامِلاً لِلوَلَدِ عَلَى سُلُوكِ تِلْكَ العَادَةِ الوَخِيْمَةِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الطِّفْلَ مِنْ طَبْعِهِ التَّقْلِيْدُ وَالتَّشَبُّهُ بِمَنْ يَرَاهُ ، فاذَا نَظَرَ أبَوَيْهِ يُدَخِّنَانِ ، وَعَلَى فَرْضِ أنهُمَا يَنْهيَانِهِ عَنْ ذَلِكَ فَنَظَرَ لِكَوْنِهِ لا يَفْهَمُ سِرَّ النَّهْيِ لا يَنْتَهِيْ مِنْ غَيْرِ مُبَالَاةٍ ، إِلَى أَنْ يَصِيرَ التَّدْخِيْنُ عَادَةً لازِمَةً ، فَإذَا اعْتَادَ هَذَا المِسْكِيْنُ التَّدْخِيْنَ مِنْ مَبدَأ نَشأتِهِ ، فَهُنَاكَ الطَّامَّةُ الكُبْرَى ، وَالبَلِيَّةُ العُظْمَى ، لِأَنَّهُ لا يَلبَثُ قَلِيْلاً إلاَّ وَيَشْكُو مِنْ قِلَّةِ القَابِلِيَّةِ وَوَجَعَ الصَّدْرِ ، وَيَصْحَبُهُ أيْضاً سُعَالٌ قَوِيٌ ، مُزْعِجٌ لِلصَّدْرِ، وَلَا يَزَالُ يَزْدَادُ ضَعْفَاً عَلَى ضَعْفٍ ، وَسَقَماً عَلَى سِقَمٍ إِلَى أَنْ يَمْضِيْ عُمْرُهُ في الأسْقَامِ وَالآلامِ وَاللهُ أعلمُ .

اللّهُمَّ اجْعَلِ الأيمان هادِماً لِلسَّيِّئاتِ ، كَمَا جَعَلْتَ الكُفْرَ عَادِمَاً لِلْحَسَنَاتِ وَوَفقنا لِلأَعْمَالِ الصَّالِحاتِ ، واجْعَلْنَا مِمَّنْ تَوكَّلَ عَليكَ فَكَفيْتَهُ ، واسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فأَجَبْتَهُ ز اغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدِينا ولِجَمِيع المُسْلِمِين الأَحياءِ منهم والمَيتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فصل)

قَالَ : وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ عَادَةَ التَّدْخِيْنِ مِنْ أَقْبَحِ العَوَائِدِ ، لِأَنَّهَا تَسْتَعْبِدُ مُتَّبِعِيْهَا ، وَتُقَيِّدُهُمْ بِسَلَاسِلَ وَأَغْلَالٍ ، بِحَيْثُ أَنَهُمْ إِذَا أَرَادُوا التَّخَلُّصَ لا يَجِدُوْنَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيْلَا ، وَهِيَ عَادَةٌ لَوْ لَمْ يَتَّبِعْهَا الأنْسَانُ في زَمَنِ صِبَاهُ - الذِيْ هُوَ زَمَنُ جَهْلِهِ ، وَعَدَمِ تَبَصُّرِهِ بِالعَوَاقِبِ - لكانَتْ قَلِيْلَةً جِدّاً بَيْنَ أَفْرَادِ النَّوْعِ الأنْسَانِيّ وَالبُرْهَانُ عَلَى ذَلِكَ مَا تَرَاهُ مِنْ غَيْرِ المُدَخِّنِ ، فَإِنهُ إِذا شَبَّ وَصَارَ بِتَمَامِ التَّمْييزْ ، وَتَحقَّقَ مَضَارَّ الدُّخَانِ الصِّحِّيَّةِ والمالِيَّة ، وَالأخْلَاقِيَّةِ وَالأجْتِمَاعِيَّةِ ، عَنْ طَرِيْقِ الأسْتِقْصَاءِ وَالنَّظَرِ أو عَنْ طَرِيْقِ التَّوَاتُرِ وَالخَبَرِ ، حَمِد اللهَ تَعالَى حَمْداً كَثِيْراً ، عَلَى عَدَمِ دُخُوْلِهِ تَحْتَ سَيْطَرَةِ تِلْكَ العَادَةِ الوَخِيْمَةِ ، وَمَنْ تَكُنْ هَذِهِ حَالَتُهُ فَإِنّهُ يَتَبَاعَدُ بِلَا شَك عَنْ السُّلُوكِ في هَذَا الطَّرِيْق ، الذِيْ يُوصِلُهُ إلى فِرَاشِ التَّمْرِيْضِ ، بِسَلْبِ الصِّحَّةِ التِيْ يُقَدِّرُ قَدْرُهَا .

قَالَ : هَذَا وَإِنَّ التَعوُّدَ عَلَى التَّدْخِيْنِ لا يَحْصَلُ غَالِبَاً إلا فِي أَيَّامِ الصِّبَا، كَمَا عَلِمْتَهُ آنِفَا ، حَيْثُ يَكُونُ الأنْسَانُ حِيْنَئِذٍ بِتَمَامِ الأسْتِعْدَادِ لِلتَّقْلِيْدِ ، فِيْمَا يَرَاهُ وَيَسْمَعُهُ مِنْ سِوَاهُ ، فَتَرَى الصَّبِيَّ يُدَخِّنُ تَشَبُّهاً بِغَيْرِهِ ، رَغْماً عَنْ اسْتِكْرَاهِهِ لِرَائِحَةِ الدّخَانِ ، وَمَرَارَةِ طَعْمِهِ مُتَكَلِّفَاً تَحمُّلَ أثْقَالِ أَعْرَاضِهِ المُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ ، مِنْ دَوَرَانِ الرَّأْسِ وَصُدَاعِهِ ، وَغثَيَانِ الصَّدْرِ وأوجَاعِهِ فَاذَا تَعوَّدَهُ بَعْدَ طُوْلِ المُكَابَدَةِ ، وَتَحمَّلِ المَشَاقّ ، وَتعلَّقَ قَلْبُهُ بِهِ لَا يَجِدُ له غِنَىً عَن تَعَاطِيْهِ ، لَكِنَّهُ كُلَمَا كَبُرَ سِنُّهُ ، وَزَادَ لَا يَقْرِنُ القَولَ بالفِعْلِ ، إلى أنْ يَتمكَّنَ مِنْهُ الدَّاءُ ، وَيَصِلُ إِلَى حَالَةٍ لَا يَنْفَعُهُ الدَّوَاءُ فَيَبْقَى هَذَا المِسْكِيْنُ مُدَّةَ حَيَاتِهِ في مُقَاسَاتِ الآلامِ وَشِدَّة الأسْقَامِ ، يَغْبِطُ

الأَصِحَّاءَ ، عَلَى التَّوَسّدِ في الفِرَاشِ وَطِيْبِ المَنَامِ وَيُكْثِرُ مِن التأَوُّهِ والأَنِين ، وَيَتأسَّفُ عَلَى فَقْدِ الصِّحَّةِ التِي بَاعَهَا بِلِذَّةِ التَّدْخِيْنِ ، فَالحَذَرَ الحَذَر ، وَالفِرَارَ الفِرَارَ ، مِنْ لِذَةٍ تُوْجِبُ البَوَارَ وَالدَّمَارَ ، قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الدِّرَايَةِ في هَذَا الشَّأْنِ ، مِنْ أَطِبّاءِ الزَّمَان ، مَا نَصُّه : أَمّا التَّـدْخِيْنُ بالتُوتُون والتِّنْبَاكِ فانَّهُمَا مُحْتَوِيَانِ عَلَى مَادَّةٍ سُمِّيَّةٍ ، عَظِيْمَةِ التَّأْثِيْرِ ، تُسَمَّى نِيْكُوْتِيْنْ ، فَلَوْ استُخْلِصَتْ وَحْدَهَا ، وَجُرِّبَ فِعْلُهَا ، بِوَضْعِ جُزْءٍ يَسِيْرٍ مِنْهَا عَلَى لِسَانِ كَلْبٍ ، لَقَتَلَتْهُ حَالاً بأَسْرَعِ مَا يُمْكِنُ ، وَهَذَا السُّمُّ تَحْتَ رِدَاءٍ رقِيْقٍ ، بِوَاسِطَةِ التَّدْخِيْنِ المُسْتَعْمَلِ عُمُوماً : وَقَدْ قِيْلَ

تَـرُوْمُ الشَّهْـدَ مِنْ أَنْيَـابِ أَفْعَى ... وَطَعْمَ الدِّبْسِ مِنْ مُرٍّ غَرِيْزِي
كِلَا الأَمْرَيْنِ لَمْ يَطْلُبْهُ إِلَّا ... جَهُولُ جَهْلُه المُرْدِي غَرِيزِي
لِـذَاكَ سـرَيْتَ بـالإِفْسَادِ تَـرجُـو ... صَلاحَ الحَـالِ مِن مَلِكٍ عَـزِيْـزِ
رُوَيْـدَكَ غَـرَّكَ الشَّيْـطَانُ حتَّى ... ضَلَلْتَ عنِ الحَقيقَـةِ يـا عَـزِيـزِي
إذا رُمْـتَ الـصَّـلاحَ أنِبْ لِـرَبٍّ ... تَفُـزْ بـالخَيْـرِ والحِرْزِ الحَـرِيـزِ

آخـر :

إنَّ الأَفَـاعِيْ وَإنْ لَانَتْ مَـلَامِسُهَـا
عِنْـدَ التَّقَلُّبِ في أَنْيَـابِهَـا العَـطَبُ

فَمِنْ مَضَرَّاتِهِ الكُلِّيَّةِ ، تَخْرِيْبُ كُرَيَّاتِ الدَّمِ ، وَمِنْهَا التَّأْثِيْرُ عَلَى القَلْبِ ، وَمِنْهَا مُعَارَضَتُهُ ، لِشَهْوَةِ الطَّعَامِ ، وَمِنْهَا انْحِطَاطُ القُوَى العَصَبِيَّةِ عَامَّةً ، وَيَظْهَرُ هَذَا بالخُدُوْرِ وَالدَّوَرَانِ الذيْ يَحْصُلُ حُدُوْثُهُ عقِبَ اسْتِعْمَالِ التَّدْخِيْنِ لِمَنْ لَمْ يَأْتَلِفَهُ ، ولِمَنْ كَانَ مُؤْتَلِفاً وَانْقَطَعَ عَنْهُ مُدَّة عَشْرِ سَاعَاتٍ تَقْرِيْباً ، وَمِنْ مَضَرَّاتِهِ إِحْدَاثُهُ للجُنُونِ التُوتُونِيِّ .

قَالَ : وَقَدْ اطَّلَعْتُ عَلَى رِسَالَةٍ لِلْمُحَقِّقِ مُحَمَّد فِقْهِيْ العَيْنِيِّ نَزِيْلُ

الأستَانَة العَلِيَّةْ ، وَهُوَ مِنْ فُقَهَاءِ الحَنَفِيَّةِ ، ذَكَرَ فِيْهَا تَحْرِيْمَ الدّخَانِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ (أَحَدُه)) كَوْنُهُ مضـــرا بالصِّحَّةِ بأَخْبَارِ الأطِبَّاءِ المُعْتَبِرِيْنَ ، وَكُلُّ مَا كَانَ كَذَلِكَ يَحْرُمُ اسْتِعْمَالهُ اتِّفَاقاً (ثَانِيْهَا) كَوْنُهُ مِنَ المُخَدِّرَاتِ ، المُتَّفَقُ عَلَيْهَا عِنْدَهُمْ ، المَنْهِيّ عَنْ اسْتِعْمَالِهَا شَرْعَاً ، لِحَدِيْثِ أَحْمَدَ ، عَنْ أُمِّ سَلمَةَ : نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفتِرٍ ، وَهُوَ مُفتِّرٌ باتِّفَاقِ الأَطِبَّاءِ ، وَكَلامُهُمْ حُجّة في ذَلِكَ وَأمثَالِهِ ، باتّفَاقِ الفُقَهَاءِ ، سَلَفَاً وَخَلَفَاً (ثَالِثُهُمَا) كَوْنُ رَائِحَتِهِ الكَرِيْهَةِ تُؤذِيْ النَّاسَ الذِيْنَ لا يَسْتَعْمِلُونَهُ ، وَعَلَى الخُصُوصِ في مَجَامِعِ الصَّلاَةِ وَنَحْوِهَا بَلْ وَتُؤْذِيْ الملائِكَةَ المُكَرَّمِيْنَ ، وَقَدْ رَوَى الشَّيْخَانُ في صَحِيْحِهِمَا عَن جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنه مَرْفُوعاً (مَنْ أكلَ ثُوماً أو بَصَلاً فليعْتَزِلْنَا وَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدنَا ، وَلْيَقْعُد في بَيْتِهِ) وَمَعْلُوْمٌ أنَّ رَائِحَة التَّدْخِيْنِ ، لَيْسَتْ أَقَلَّ كَرَاهَةً مِنْ رَائِحَةِ مَا ذُكِرَ مِنْ الثُّوْمِ وَالبَصَلِ .

وَفي الصَّحِيْحَيْنِ أيْضاً عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللهُ عنهُ ، « إنَّ المَلائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأذى مِنْهُ النَّاسُ » وفي الحَدِيْثِ عَنْهُ صلى اللهُ عليه وسلم ، أنهُ قالَ « مَنْ آذَى مُسْلِماً فقَدْ آذانِيْ ، وَمَنْ آذانِي فَقَدْ آذَى اللهَ » رَوَاهُ الطَبَرانِيّ في الأوْسَطِ ، عَنْ أَنسٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ (رَابعُها) كونُه سَرَفاً إِذْ لَيْسَ فيْهِ نَفعٌ مُبَاحٌ ، بلْ فِيْهِ الضَّرَرُ المُحَقَّقُ ، بإِخبَارِ أَهْلِ الخِبْرَةِ كمَا تَقدَّمَ ، وَحُرْمَةُ مَا فيْهِ السَّرَفُ وَالضَّرَرُ ، ثَابِتَةٌ شَرْعاً وعَقْلاً ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بيانُهُ مُفَصَّلاً .

قالَ : وقَدْ نُصَّ في (نِصَابُ الاحْتِسَابَ) وَغَيْرِهِ مِنْ المُعْتَبراتِ الفِقْهَيَّةِ ، عَلى أَنَّ اسْتِعَمالَ المُضِرِّ حَرَامُ اتفاقاً .

قالَ: وقَالَ العَلامَةُ أحْمَدُ العَبجيّ الحَلَبِيّ ، في كِتَابِ الأشْرِبَةِ مِنْ

شَرْحِهِ عَلى « الدُّرِّ المُخْتَارِ ، شَرْحُ تَنْوِيرِ الأبْصَارِ » بَعْدَ نَقْلِ الشَّارِحِ تَحْرِيْمُ الدُّخَانِ ، عَن شَيْخِهِ النَّجْمُ الغَزِّيْ : وقَدْ أوْضَحْنَا تَحْرِيْمه في رِسَالةٍ لمْ تُسْبَقْ بنَظِيْر ، أدْخَلْنا تَحْرِيْمَهُ فِيْهَا تَحْتَ الأصُولِ الأربَعةِ ، ورددْنَنا كلَّ ما نافاهُ مِنْ كَلَامِ الغَيْر ، رَدّاً جَامِعاً مَانِعاً ، مُؤَيَّداً بالحُجَج

اللَّهُمَّ الْهِمْنَا ذَكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِطَاعَتِكَ وامْتِثَالِ أمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْن بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِين .

شِعْرَا : يَـا مَن يَروُمُ التُّقَى مِنْ كُـلِّ مَأْثَمَـةٍ
أُسْلكْ سَبيلَ الهُدَى وَامْشِ عَلى السُنَنِ

ولا تَحُدْ أبداً عن ذِي الـطرِيقِ تَفُزْ
وخالِفَ النَّفْسَ واقْهَرْهَـا عن المِحَنِ

إيَّـاكَ مِن مِحْنَـةٍ تُلْقِيْـكَ في عَـطَبٍ
لا سِيَّما ما فَشَى في الناسِ مِن تُتُنِ

مُخَــدرٌ الجِسْمِ لا نَفْـعٌ بِـهِ أبَـدَا
بل مُوْرِثُ الضُرِّ والأسْقَامِ في البَدَنِ

وحَيْثُ قـد ثَبَتَتْ هَذِي الصّفـاتُ لَهُ
فـاجْزِمْ بتَحْـرِيْمِهِ إنْ كُنْتَ ذَا فِـطَنِ

وإنْ تـرُدْ ثِقَـةٍ فِيْمَـا أقُـوُلُ فَسْــلْ
بِهِ الخَبيْرَ تَنَلْ مِن عِلْمِهِ الحَسن

وقال آخر :

كَمْ في الـــدُخَـانِ مَعَــائِبٌ ومَكَـارِهٌ
دَلَّــتْ رَذَائِــلُه عــلى إنْـكَــارِهِ

سَـأُرِيـكَ بَعْضـاً مِن مَعَـائِبِ شُـرْبِـهِ
يـا صَـاحِبي أحْبَبْتَنِـي أمْ كَـارِهِ
يُؤْذِي الكِـرَامَ الـكَـاتِبِيْنَ بِنَتْنـهِ
وأمَـامَ وَجْهِـكَ شُعْلَةٌ مِـن نَـارِهِ
كَمْ مِن نُقُـودٍ يَـا فَتى ومَـلاَبِسٍ
أتـلفَـتَـهـا بِـشِـرائِـهِ وشَـرَارِهِ
وبِـهِ الثَّنَـايَـا اللُؤْلُؤِيَـةُ أفْسِـدَتْ
بِقَبِيْـحِ لَـوْنِ سَـوَادِهِ وصَـفَـارِهِ
كَـانَتْ كَمِثْـل الـدُرِ حُسْناً شَـانَهَـا
مِن نَفْخِهَـا الشِـدْقَينِ في مِـزْمَـارِهِ
وتَـرا الصَّفَـارَ على شَـوَارِبِـهِ بَـداً
مِن جَذْبِـهِ الـدُخَانَ مِن مِنْخَـارِهِ
وتَـرَى الَّـذِي فِي شُـرْبِـهِ مُتَـولِهـاً
يلْتَـذُ في الصُهْـرُوْجِ بـاسْتِكْثَـارِهِ
وتَـرَا الـهَـوامَ إذَا أحَسَّ بِـرِيْحِـهِ
تَـرَكَ الـمَكَـانَ وفَـرَّ مِـنْ أوْكَـارِهِ
وَالـنَّحْـلُ لا تَـلْوِي إليـه لِخُبْثِـهِ
أبـداً ولا تَـدْنُـو إلـى أزْهَـارِهِ
ولَـنَتْنِـهِ ولِقُبْحِهِ فـي طَعْمِـهِ
لم تَـدْنُ سَـائِمَـةُ إلى أشْجَـارِهِ
انْ خَـالَطَ المَـأْكُـوْلَ مِنْـهُ دُرَيْهِمُ
غَـلَبَتْ خَبَـائِثُـه عَـلَى قِنْـطَارِهِ

وَإذا تَنَـاوَلَ سَـاخِنـاً مِن مَـأْكَـلٍ
سَـالَ انْـفُـهُ وأنِفْـتَ مِـن أقْـذَارِهِ
فَـإنْ انْتَهَيْتَ ومَـا أَظُنَّـكَ تَنْتَهِي
ورَغِبْتَ عنـه نَجـوتَ مِن أَوْعَـارِهِ
وأَرَحْتَ نَفْسَـكَ مِنْ عَنـا تَحْصِيْلِهِ
وحَفِظتَ مَالِـكَ مِن مُصَابِ خَسَـارِهِ

وقال آخر :

يـا شَـارِبَ التِّنْبَـاكَ مَـا أَجْـرَاكَـا
مَن ذَا الـذِي في شُرْبِهِ أَفْتَـاكَـا
أَتَـظُنَّ أنَّ شَـرابَـه مُـسْتَـعْـذَبٌ
أَمْ هَـلْ تَظُنُّ بِـأَنَّ فِيْـهِ غِـذَاكَـا
هَـلْ فيهِ نَفْعٌ ظَـاهِرٌ لَـكَ يَـا فَتَى
كَـلاَ فَـلاَ فِيـهِ سِـوى إيْـذَاكَـا
وَمَـضَـرَّةٌ تَـبْـدُو وخُـبْـثُ رَوَائِـحٍ
مَكْـرُوْهَـةٍ تُؤذِي بِـهَـا جُلَسَـاكَـا
وفُتُـورُ جُسْمٍ وارْتُخَاءُ مَفَـاصِـلٍ
مَـعْ ضِيْقِ أنْفَـاسٍ وضُعْفِ قُـواكَـا
وتَـلاَفُ مـالٍ لا تَجِدْ عِـوَضـاً لَـهُ
إلا دُخَـانـاً قَـدْ حَشَى أَحْشَـاكَـا
وَرَضَيْتَ فيـه بِـأَن تَكُـوْنَ مُبَـذِّراً
وأخُـو المُبَـذِرِ لَمَ يَكُنْ يَخْفَـاكَـا

فـإذا حَضَـرْتَ بِمَجْلِسٍ وَاسْتَنْشَقُـوا
مِن فِيـكِ رِيحـاً يَكْـرَهُـون لِقَـاكَـا
يَكْفِيـْكَ ذَماً فِيـه أنَّ جميـعَ مَن
قـد كـان يَشْـرَبُـهُ يَـودُفِكَـاكَـا
فـارْفُقْ بِنفسِـكَ واتَّـبِـعْ آثـارَ مَن
أهْـدَاكَ لامَن فِيـه قَـدْ أغْـوَاكَـا
إنْ كُنتَ شَهْمـاً فـاجْتَنِبْـهِ ولا تَكُنْ
فـي شُـرْبِـهِ مُسْتَتْبِعـاً لِـهَـواكَـا
إِنيِّ نَصَحْتُـكَ فـاسْتَمِـعْ لِنصِيْحَتِي
ونَهَيْتُ فـاتْبَعْ قَـولَ مَن يَنْهَـاكَـا
وبَـذَلْتُ قَولِي نـاصحاً لَـكَ يـا فَتى
فعسَـاكَ تَقْبَـلُ مـا أقُـولَ عَسَـاكَـا

وَقَالَ الشَّيْخُ العَلاَّمَةُ الفَقِيهُ ، مَحُمَّدُ الطَّرَابِيْشِيّ الحَلَبِيّ المالِكيّ ، بَعْدَ كَلامٍ لهُ طَوِيْلٍ عَلى الدُّخَانِ مَا لَفْظُهُ : وَبالجُمْلَةِ فَقَدْ تَحَرَّرَ ، مِنْ مَجْمُوعِ مَا تَقرَّرِ ، الحُكْمُ عَلى الدُّخَانِ المَشْهُورِ ، بـأنَّهُ من جُمْلَةِ المُخَدِّرَاتِ ، التِيْ يَحْرُمُ اسْتِعْمَالهُا ، وَأَنهُ مُضِرٌّ بالصِّحَّةِ ضَرَراً بَيِّنَاً ، وَكُلُّ ما كانَ كذلكَ فَهُوَ حَرَامٌ بالاتِّفَاقِ ، ولِذَلِكَ ـ أيْ لِمَا ذُكِرَ مِنْ مَضَرَّاتِهِ الوَخِيْمَةِ ـ حَرُمَ شُرْبُهُ دِيناً ـ أي مِنْ جِهَةِ الدِّيْنِ ـ عِنْدَ الأئِمَّةِ المحَققيْنَ ، كَما حُرِّمَ طِبّاً ، إلىَ أنْ قَالَ: وَالنَّصُّ عَلى المنْعِ مِنْ شُرْبهِ وبَيْعِه يَقْتَضِي تحْرِيْمَهُمَا ، إِذْ مُفَادُ المنَعِ التَحْرِيْمُ ، وَحَيْثُ حَرُمَ بَيْعُه لِحُرْمَةِ شُرْبِهِ ، حَرُمَ شِرَاؤهُ أيْضاً لِأَنَّ كُلَّ ما يَحْرُمُ بَيْعُهُ يَحْرُمُ شِرَاؤهُ ، كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ في مَحَلِهِ فَفِفْ عَندَ هَذه الفُتْيَا لِهَذا المالِكِي ، وعِنْدَ فُتْيَا الحَنَفِيِّ الَتِيْ قَبْلَها تَعْرِفُ كَلامَ المُحَقِقِيْن رَحْمَةُ اللهِ عَلَى أَهْلِ العِلْمِ .

اللّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوْبَنَا بِنُوْرِ الإِيْمَانِ وَثَبِّتْ مَحبَّتَكَ فِيْهَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا حَمْدَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا حُبَّ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّار وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِك يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينْ ، وَصَلّى اللهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمعِيْنَ .

فصل : في بَيَانِ تَحْرِيْمِ التَّصْوِيْر وَاسْتِعْمَالِه وَاتّخِاذِه

اعْلَمْ وَفّقنا اللهُ وإيَّاكَ وَجمِيْعَ المسلِمْينَ لما يُحِبّه اللهُ ويَرْضَاهُ وَجَنَّبْنَا وَأَيَّاكَ وجَمِيْعَ المُسْلِمْينَ مَا يَكْرَهُهُ ولا يَرْضَاهُ ، أَنَّ مِمَّا يَتَأَكّدُ اجْتِنابُهُ وَالتّحْذِيْرُ عَنْهُ ـ في رَمَضَانَ وَغيْرِهِ ـ التَّصْوِيْرُ لِذَوَاتِ الأَرْوَاحِ ، مُجَسَّدةً أوْ غَيْرَ مُجَسَّدَةٍ ، وَقَدْ كَانَ بِسَبَبِهِ حَدَثَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ في بَنِيْ آدَمَ ، كَما قَالَ ابْنُ جَرِيْر : حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، حَدَّثنا مِهْرَانُ ، عَنْ مُوْسَى ، عَنْ مُحَمَّدِ بْن قَيْسٍ ، في قَوْلِهِ تَعالَى ﴿ وَلا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرًا ﴾ قَالَ : كَانُوا قَوْماً صَالِحِيْنَ بَيْنَ آدَمَ ونُوحٍ ، وَكانَ لَهُمْ أَتْبَاعٌ يَقْتَدُونَ بِهِم ، فلمَّا مَاتُوا قَالَ أَصْحَابُهُم الذِينَ كَانُوا يَقْتَدُونَ بِهِمْ : لَوْ صَوَّرْنَاهُمْ كانَ أَشْوَق لَنا إلى العِبَادةِ إذَا ذَكَرْنَاهُمْ ، فَصَوَّرُوْهُمْ .

فَلَمَّا مَاتُوا جَاءَ آخَرُونَ ، دَبَّ إِلَيْهِم إبْلِيسُ ، فَقَالَ: إنَّمَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُم ، وَبِهِمْ يُسْقَوْنَ المَطَرَ ، فَعَبَدُوهُم ، وَقالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ في قَوْلِه تَعالَى ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُم ، وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعا . وَلا يَغُوْثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾ : هذه أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِيْنَ مِنْ قَوْمِ نُوْحٍ وَلما هَلَكُوا صَوَّرَ قَوْمُهُم صُوَرَهُمْ ، ثمّ طَالَ عَلَيهِم الأَمدُ فَعَبَدُوهُمْ .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتَم بِسَنَدِهِ عن أبي المُطَهِّرِ قَالَ: ذَكَرُوا عِنْدَ أَبي جَعْفر ـ وَهُو قَائِمٌ يُصَلِّي ـ يَزِيْدَ بْنَ المهَلبِ ، قَالَ فلمّا انْفَتَلَ مِن صَلاتِه ،

قَال: ذكَرْتُمْ يَزِيْدَ بنَ المهَلَّبِ أمَا إنّه قُتِلَ في أوَّلِ أرْضٍ عُبِدَ فِيْهَا غَيْرُ اللهِ ، قالَ: ثم ذَكَرُوا رَجُلاً مُسْلِماً ، وَكان مُحَبَّبًا في قومِهِ ، فلمْا مَاتَ اعْتكَفُوا حَوْلَ قَبْرِهِ في أرْضِ بَابِلَ، وجَزِعُوا عليْهِ فَلمّا رَأى ابْلِيْسُ جَزَعَهُم عَليْهِ ، تَشَبَّه في صُوْرَةِ إنْسَانَ ثمّ قَالَ: إنّيْ أرى جَزَعَكُم عَلَى هَذا الرَّجلِ ، فَهْل لَكُم أنْ أصُوِّرَ لكُم مِثْلَهُ فيكونُ في نَادِيْكُم ، فتذْكُرْونَهُ . قَالُوا : نَعَمْ . فصَوَّرَ لهُم مِثْلَهُ قالَ: وَوَضَعُوه في نَادِيْهِمْ ، وَجَعلُوا يَذكُرونَهْ .

فَلَمَّا رَأىَ مَا بِهْمَ مِنْ ذِكْرِهْ ، قَالَ لَهُمْ : هَلَّ لَكُمْ أنْ أجْعَلَ فِي مَنْزِلِ كَلِّ رَجُلٍ مِنْكُمَ تِمْثَالاً ، فَيَكُونَ لَهُ في بَيْتِهِ فَتذكُرُونَهُ ، قَالُوا نَعَمْ . قَالْ فَمَثّلَ لِكُلِّ أهْل بَيْتٍ تِمَثالاً مِثْلهْ ، فَاقْبَلَوا فَجعلُوا يَذْكُرُونَهُ بهْ ، قَالْ: وأدْرَكَ أبْنَاؤُهُم ، فَجَعلوا يَرَوْنَ مَا يَصْنَعُونَ بِهْ ، قَالْ: وَتَنَاسَلُوا وَدَرسَ أمْرُ ذِكْرِهْمَ ايَّاهْ ، حَتَّى اتَّخَذُوْهُ إلهاً يَعْبُدُونَهُ مِنْ دونِ اللّهِ ، وَأوْلادُهُمْ ، كَانَ أوَّلَ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللّه وُدُ الصَّنَمُ الَّذِي سَمَّوْهُ وَدًّا ا هـ .

وَعَنْ هَذَا انْتَشَرِتَ الْوَثَنِيَّةْ ، وَاسْتَفْحَلَ أمْرُهَا في كُلِّ زَمَانٍ وَمَكانْ ، وَفي هَذا التَّصْوِيرِ مَعْنىً في غَاية القُبْحِ وَالْبَشَاعَةْ ، وَهْوَ التَّشَبُّه بِالخَالِقِ الْحَكِيْم ، فَإنَّ الْمُصَوِّرَ بِيَدِهِ أوْ بآلَةَ ، يَرْسِمُ الصُّوْرَة رَسْماً يُشْبِهُ الحَقِيْقَةَ ، وَلِذَا « يُقَالُ لِلْمُصَوِّرِيْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةْ : أحْيُوا مَا خَلَقْتُم » ، وَيُكَلِّفَ أنْ يَنْفَخَ فِي الصَّوْرَةِ الرُّوُحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ أبَدا ، فَيَسْتَمِرُّ الْعَذابْ نَسْأَلُ اللهَ العَافية .

فَصل : وَإلَيْكَ الأدِلَّةُ الدَّالَةُ عَلَى تَحْرِيْمِ التَّصْوِيْرِ ، وَمَشْرُوْعِيَّـةِ طَمْسِ الصُّوْرِ ، سَوَاءً كَانَ مُجَسَّدَةً أوْ غَيْرَ مُجَسَّدَةْ ، وَفي عَمَلِها الْوَعِيْدُ الشَّدِيْدُ لِلْمُصَوِّرِيْن ، والأخْبَارُ بأنَّ الْمَلائِكَةَ لا تَدْخُلُ بَيْتاً فِيه صُوْرَة .

وأنّ التَّصْوِيُرَ مِنْ سُنَنِ النَّصارَى .

قَالَ اللّهُ تعالى ﴿ إنَّ الَّذِين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ﴾ قال عِكْرِمَـة : هُمُ الّذْينَ يَصْنَعُونَ الصُّوَرْ .

وَعَنْ أبِيَ هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللّه عَنْه ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْه وَسَلّم « قَالَ اللّه تَعالى وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي ، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أوْ لِيَخْلُقوا حَبَّةً ، أوْ لِيَخْلُقوا شَعِيْرَةً » أخْرَجَاهْ .

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضْيَ اللّهُ عَنْهُما ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صلى اللّهُ عليهِ وسَلّمَ يقولْ « كُلُّ مُصوّرٍ في النّارْ ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُوْرَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ فَيُعَذّبُهُ في جَهَنَّمْ » .

وعَنْهُ قَالْ: سَمِعْتُ رَسْولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عليهِ وَسَلم يَقُولْ « مَنْ صَوَّرَ صُوْرَةً في الدّنْيَا ، كُلِّفَ أنْ يَنْفَخَ فِيْهَا الرّوْحَ يَوْمَ القِيَامَة ، وَلَيْسَ بِنافِخْ » مُتّفَقٌ عَلَيْه .

وَعَنْ عائشةَ رَضْيِ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ : دَخَلَ عَليَّ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللهُ عليهِ وَسَلّمْ ، وأنّا مُسْتَتِرَةٌ بِقَرامٍ فِيْهِ صُوْرَةٌ ، فَتَلَّوَن وَجْهُ رَسْولِ اللّه صَلّى اللهُ عَلَيْه وَسَلمْ ، ثُمَّ تَناوَلَ السّتْرَ فَهَتَكَهُ ثُمَّ قَالْ « إنَّ مِنْ أشَدِّ النّـاسِ عذَابـاً يَوْمَ القِيـامَةْ الّـذِيْنَ يُشَبّهُـونَ بِخَلْقِ اللّهْ » رَوَاهْ مُسْلِمُ وَالنَّسَائِي ، وهَذا لَفْظُ مُسْلِمْ .

وَعَنْهَا رَضْيَ اللّهُ عَنْهَا ، أنّها أخْبَرَتْـهُ أنَّها اشْتَـرَتْ نَمْرُقَـةً فِيْها تَصَاوِيْرِ ، فَلَمَّا رآها رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمُ قَامَ على الْبَابْ ،

فلَمْ يَدْخُلْ ، فَعرفْتُ في وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةْ ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللّهْ أتوُبُ إلى اللّه وإلى رَسُولِهْ ، مَاذا أذنْبَتُ ؟ قالْ « مَا بَالُ النّمْرُقَةْ ؟ » فَقَالتْ : اِشْتَرْيتُهَا لِتقْعُدَ عَلَيْهَا وَتوَسَّدَها ، فَقَال رَسُولَ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلم « إنَّ أصْحَابَ هَذِهِ الصّوَرِ يُعذّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةْ ، وَيُقَالُ لَهُمْ ، أحْيَوا مَا خَلَقْتُمْ » .

وَقَالْ « اِنَّ الْبَيْتَ الّذِي فِيْهِ الصُّورْ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلائِكَةْ » رَوَاهُ مَالِك والشّيَخانْ ، وفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِي : أنَّ النَّبِيَّ صَلّى اللهُ عَلَيْه وَسَلّم لَمَّا رَأى التَّمَاثِيْلِ قَامَ بَيْنَ الْبَابَيْن، وجَعَلَ يَتَغيّرُ وَجْهُهْ .

وَلِمُسْلِمِ عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ قَالْ: قَال لِي عَلِيْ: أَلا أبْعثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عليهِ وَسلّمّ ؟ أنْ لَّا تَدَعَ صُوْرَةً إلّاَ طَمَسْتَها ، وَلَا قَبْراً مُشْرِفاً إلا سَوَّيْتَهْ .

وَعَنْ أبي طَلْحَةَ رَضْيَ اللّهُ عَنْهُ ، أنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمْ قَالْ (لا تَدْخُلُ الْملائِكَةُ بَيْتاً فِيْهِ كَلْبٌ وَلَا صُوْرَةْ) مُتّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَأخْرَجَ التِّرمِذِي وَقَالْ : حَسَنٌ صَحِيْحٌ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضْيَ اللهُ عَنْه ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةْ ، لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا ، وَأُذُنَانِ يَسْمَعَانْ ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ ، يَقُولُ : إنّي وُكِّلْتُ بِثَلاثَةٍ ، بِمَنْ جَعَلَ مَعَ اللّهِ إلَهاً آخرْ ، وَبِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيْدٍ ، وَبِالْمُصَوّرِ » وَفِي الْبُخَارِيْ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الدَّمْ ، وَثَمَنِ الْكَلْبِ ، وَكَسْبِ الْبَغْيْ ، وَلَعَنَ آكِلَ الرِّبَا وَمَوْكِلَهُ ، وَالْواشِمَةَ والمُسْتَوْشِمَةَ ، والمُصَوِّرَ .

اللهم إنا نعوذُ بكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ وَعَمَلٍ لا يُرْفَعُ وَدُعَاءٍ لا يُسْمَعُ واغْفِرْ لنا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلمينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلَّى اللهُ على محمدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فصل

وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَـةَ ، أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ الْمُصَوِّرِيْنَ ، رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَد .

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : لَمَّا اشْتَكَى النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ذَكَرَ بَعْضُ نِسَائِهِ كَنِيْسَةً يُقَالَ لَهَا مارِيَةُ ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأُمُّ حَبِيْبَةَ أَتَيَا أَرْضَ الحَبَشَةِ ، فَذَكَرَتَا مِنْ حُسْنِهَا وتَصَاوِيْرِ فِيْهَا ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالْ « أولَئِكَ إذَا مَاتَ فِيْهِمَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنوا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً، ثُمَّ صَوَّرُوا فِيْهِ تِلْكَ الصُّوَرْ ، أولَئِكَ شِرَارُ خَلْقِ اللهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالْ : قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ « إنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذاباً يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَتَلَ نَبِياً أَوْ قَتَلَهُ نَبِي ، أَوْ قَتَلَ أَحَدَ وَالِدَيْهِ ، والمُصَوِّرُونَ ، وَعَالِمٌ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ » رَواهُ البَيْهَقِي في شُعَبِ الأيْمَانْ .

وَعَنْ عليٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالْ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جَنَازَة ، فَقَالْ « أَيّكُمْ يَنْطَلِقُ إلى المَدِينَة ، فَلَا يَدَعُ بِهَا وَثَناً إلاّ كَسَرَهُ ، وَلاَ قَبْراً إلاّ سَوَّاهُ ، وَلاَ صُوْرَةً إلاّ لَطَّخَهَا » فَقَالَ رَجُلٌ : أنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، فَانْطَلَقَ فَهَابَ أَهْلَ المدِيْنَةَ فَرَجَعْ فَقَالَ عَلِيٌ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَا أَنْطَلِقُ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالْ : فانْطَلَقَ ثُمَّ رَجَعَ ، فَقَالْ : يَا رَسُولَ اللهُ لَمْ أدَعْ بِهَا وَثَناً إلاّ كَسَرْتُهُ ، وَلاَ قَبْراً إلاّ سَوَّيْتَه ، وَلاَ صُوْرَةً إلاّ لَطَخْتُها ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ عَادَ لِصَنْعَةِ شَيءٍ مِنْ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَد ، وَابْنُهُ عَبْدُ اللهِ في زَوَائِدِ المُسْنَد ، وَأَبُو دَاوُد الطَّيَالِسي في مُسْنَدِهِ .

وعَنْ أُسَامَةَ بْنُ زَيْدٍ رَضْيَ اللهُ عَنهُمَا قَالْ : دَخلْتُ عَلَى رَسُولُ اللّهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ في الكَعْبَة وَرَأى صُوَرا ، قَالْ فَدَعَا بَدلْوٍ مِنْ مَاءَ ، فَأَتَيْتُه بِهْ، فَجَعَلَ يَمْحُوْهَا وَيَقُوْلْ « قَاتَل اللّهُ قَوْماً يُصَوِّرُونَ مَا لاَ يَخْلُقُونَ » رواهُ أَبُو دَاود الطَّيالِسِي في مُسْنَدِهِ باسْنَادٍ جَيِّدْ .

وأَصْلُ الحَزمِ أنْ تُضْحِي وتُمْسِي وَربُّكَ عَنْكَ في الحَالاتِ رَاضِ
وأنْ تَعْتَاضَ بالتَخَايطِ رُشْداً فإنَّ الرُّشْدَ مِن خَيْرِ اعْتِيَاضِ
وَدَعْ عَنْكَ الذِي يُغْوِي ويُرْدِي ويُورِثُ طُولَ حُزْنٍ وارْتِمَاضِ
وَخُذْ باللَّيلِ حظَّ النفسِ واطْرُدْ عنِ العَيْنَيْنِ مَحْبُوبَ الغِمَاضِ
فإنَّ الغَافِلينَ ذَوي التَّوانِي نَظَائِرُ للبَهَائِمِ في الغِيَاضِ

اللَّهُمَّ وَفّقْنَا لِصَالحِ الأَعْمَالَ ، ونَجِّنا مِن جَميعِ الأَهْوَالِ ، وأَمِّنَا مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ يومَ الرَّجْفِ والزلْزَالْ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ منهم وَالميتين بِرَحْمَتِك يا أرحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصَلى اللّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبه أجمعين .

(فَصْلُ فِيمَا فِي الأحَادِيْثِ الْمُتقدِّمَةِ مِنَ الْفَوَائِدْ)

فَفِي الْحَدِيْثِ الأَوَّلِ مِنَ الْفَوَائِدِ (أَوَّلاً) تَحْرِيْمُ التَّصْوِيْرِ ، لِمَا فِيْهِ مِنْ الْمُضَاهَاةِ بِخَلْقِ اللهِ . (ثانياً) أَنَّهُ لاَ أَحَدَ أَلْأَمَ مِنَ الْمُصَوِّرْ (ثالثاً) التَّحْذِيْرُ وَالتَّنْفِيْرُ عَنْ التَّصْوِيْرِ (رَابعاً) أَنَّ الْمُصَوِّرِيْنَ عِنْدَهُمْ مِنْ قِلَّةِ الْحَيَاءِ ، وَسَخَافَةِ الْعُقُوْلِ ما لاَ يُوْجَدُ عِنْدَ غَيْرِهِمْ حَيْثُ أَنَّهُمْ بِفِعْلِهِمْ يُضَاهؤُنَ بَدِيعَ السَّمواتِ والأرْضِ (خَامِسَاً) تَحَدِّيْهِم في أَنْ يَخْلُقُوا ذَرَّة أَوْ حَبَّة ، وَبَيَانِ عَجْزِهِمْ وَحَقَارَتِهِمْ (سَادِساً) أَنهُ لاَ فَرْقَ بيْنَ الصّوْرَةِ المُجَسَّدَةَ ، وَغَيْرِ المُجَسَّدَة وَهْيَ الَّتِي لاَ ظِلَّ لَهَا .

(وَالْعِلَّةُ) في تَحْرِيْمِ التَّصْوِيْرِ هِيَ الْمُضَاهَاةُ بِخَلْقِ اللّهِ تَعَالَى

وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ ، (وَالعِلَّةُ الثَّانِيَةُ) لِلتَّحْرِيْمِ هِيَ أَنَّ التَّصْوِيْرَ وَسِيْلَةٌ إلى عِبَادَةِ الصُّوَرْ ، كَمَا وَقَعَ لِقَوْمِ نُوحٍ ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ المشْرِكِيْنَ والنَّصَارَى ، وَالْوَسَائِلُ لَهَا أَحْكَامُ المَقَاصِدِ ، وَلَهُ (عِلَّةٌ ثَالِثَةٌ) وَهِيَ التَّشَبُّهُ بِالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِيْنَ ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهْوَ مِنْهُمْ » وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ العِلَلِ الثَّلاثِ تَكْفِي في تَحْرِيْمِ التَّصْوِيْرِ .

وَحَدِيْثُ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيْهِ دَلِيْلٌ عَلَى تَحْرِيْمِ التَّصْوِيْرِ ، وَأَنَّهُ مِنْ كَبَائِرِ الذّنُوبِ؛ لِلْوَعِيْدِ عَلَيْهِ بالنَّارْ ، وَأَنَّ التَّحْرِيْمَ عَامْ ، فِي كُلِّ صُوْرَةٍ مِنْ صُوَرِ ذَوَاتِ الأَرْوَاحِ ، وَأَنَّهُ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُوْرَةٍ نَفْسٌ فَيُعَذِّبُهُ في جَهَنَّمَ، وَفِي الحَدِيْثِ إِثْبَاتُ الْبَعْثِ وَالحِسَابِ ، وَالْجَزَاءِ عَلَى الأَعْمَال وفي الحَدِيْثِ التَّحْذِيْرُ والتَّنفِيْرُ عَنِ التَّصْوِيْرِ .

وَالحَدِيْثُ الَّذِي بَعْدَهُ فِيْهِ دَلِيْلٌ عَلَى تَحْرِيْمِ التَّصْوِيْرِ ، وَأَنَّهُ مِنَ الْكَبَائِرْ وأَنَّ الْمُصَوِّرَ في الدُّنْيَا يُكَلَّفُ أَنْ يَنْفَخَ في الصُّوْرِ الَّتِي صَوَّرَهَا الرُّوْحَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَهَذَا الأَمْرُ يُرادُ بِهِ إِهَانَتَهُمْ ، وَتَعْجِيْزَهُمْ وَتَحْقِيْرَهُمْ ، وفي الْحَدِيْثِ إِثْبَاتُ الْبَعْثِ والحِسَابْ ، والْجَزَاءِ عَلَى الأَعْمَالِ .

وحَدِيْثُ ابْنُ مَسْعُودٍ فِيْهِ دَلِيْلٌ أَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ ، وَدَلِيْلٌ عَلَى تَحْرِيْمِ التَّصْوِيْرِ، وَأَنَّهُ مِنَ الْكَبَائِرِ ، وَإِثْبَاتِ الْبَعْثِ وَالحِسَابْ ، وَالجَزَاءِ عَلَى الأَعْمَالِ

وَحَدِيْثُ ابْنُ عُمَرَ فِيْهِ دَلِيْلٌ عَلَى تَحْرِيْمِ التَّصْوِيْرِ ، وَأَنَّهُ مِنَ الكَبَائِرِ ، وَعَلَى اسْتِمْرَارِ تَعْذِيْبِ المُصَوِّرِيْنَ ، لِأَنَّهُمْ لا يَقْدِرُوْنَ عَلَى إِحْيَاءِ

الصَّوَرْ الْمَطْلُوْبِ مِنْهُمْ إحْيَاؤُهَا ، وَإِثْبَاتُ الْبَعْثِ والْحِسَابْ ، والْجَزاءِ عَلَى الأعْمَالِ .

وَحَدِيْثُ عائِشَة (أوَّلاً) فِيْهِ دَلِيْلٌ عَلى تَحْرِيْمِ التَّصْوِيْرِ ، يُسْتَفَادُ مِنْ إنْكَارِ النَّبيّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَصْبِ السِّتْرِ ، وَتَلَوُّنِ وَجْهِهِ ، وَهَتْكِهِ لَهُ ، وَمِنَ الْوَعِيْدِ الشَّدِيْدِ لِلْمُصَوِّرِيْنَ .

(ثَانياً) أَنَّهُ مِنَ الْكَبَائِرِ ، لِمَا جَاءَ فِيْهِ مِنَ الْوَعِيْدِ الشَّدِيْدِ .

(ثالثاً) أَنَّ الْمُصَوِّرِيْنَ مِنْ أشَدِّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ .

(رابعاً) أَنَّ عِلَّةَ التَّحْرِيْمِ هِيَ الْمُضَاهَاةُ بِخَلْقِ اللّهِ .

(خامساً) أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ الصُّورَةَ مُجَسَّدَةً أَوْ غَيْرَ مُجَسَّدَةْ ، لِأَنَّ الَّتِي أَنْكَرَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ مُجَسَّدَةْ .

(سَادساً) الْغَضَبُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْمُنْكَرْ وَتَمَعُّرِ الْوَجْهِ .

(سابعاً) كَرَاهَةُ دُخُولِ البَيتِ الَّذِي فِيْهِ صُوْرَةْ .

(ثامناً) إنْكَارُ الْمُنْكَرْ بِحَسَبِ الاسْتِطَاعَةِ والْقُدْرَةِ ، فَمَنْ قَدِرَ بِيَدِهِ .

فَهْوَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ ، كَمَا فَعَلَ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هَتَكِ السِّتْرِ بِيَدِهِ الْكَرِيْمَةِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ .

(تَاسعاً) أَنَّهُ يُكَلَّفُ أَنْ يَنْفخَ الرُّوْحَ فِيْهَا ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي قُدْرَتِهْ .

(عاشراً) دَلِيْلٌ عَلَى اسْتِمْرَارِ عَذَابِ الْمُصَوِّرِ ، وَإِثْبَاتِ الْبَعْثِ وَالحِسَابِ ، والجَزاءِ عَلَى الأَعْمَالِ .

اللَّهُمَّ اخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ واجْعَلْنا مِمَّنْ كَتَبْتَ لَهُمُ الحُسْنى وَزِيادَة واغْفِرْ لَنَا وَلِوالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلَى آله وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(حادِي عَشَرْ) أنَّ البَيْتَ الّذِي فِيْهِ صُوْرَةٌ لا تَدْخُلُهُ الملائِكَةُ .

وَحَدِيثُ أَبِي الهَيَّاجِ فِيْهِ دَلِيْلٌ عَلَى طَمْسِ الصُّـوَرِ ، وَهَدْمِ الْقُبُورِ الْمُشَرَّفَةِ ، وَفِيْهِ أَنَّهُ لاَ فَرْقَ بَيْنَ المُجَسَّدَةِ وَغَيْرِهَا ، وفِيْهِ دَلِيْلٌ عَلَى إنْكَارِ الْمُنْكَرْ ، والرَّدِّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أنَّ المَنْعَ خَاصٌّ بِالصُّوَرْ الْمُجَسَّدَةِ فَإنَّ الصُّوْرَةَ الَّتِي أمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَحْوِهَا غَيْرُ مُجَسَّدَةٍ .

وَحَدِيْثُ أَبِي طَلْحَةَ فِيْهِ دَلِيْلٌ عَلَى أَنَّ الْمَلاَئِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتَاً فِيْهِ صُوْرَةٌ وَلاَ كَلْبٌ ، وَالْمُرَادُ الْمَلاَئِكَة الّـذِيْنَ يَنْزِلُـونَ بِالـرَّحْمَةِ والْبَـرَكَةِ الْمُسْتَغْفِـرُونَ لْلعَبْدِ ، الْمُصَلّونَ عَلَيْـهِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إلاَّ فَـوَاتِ هَذِهِ الْغَنَائِمْ ، لَكَانَ الْعَاقِلُ يَحْزَنُ لِذَلِكَ ، فَكَيْفَ إذَا كَانَ هُنَاكَ آثَامٌ ، وَسَبَبُ إمْتِنَاعِ دُخُوْلِ الْمَلاَئِكَةَ الْبَيْتَ الّذِي فِيْهِ صُوْرَةٌ ، كَوْنُها مَعْصِيَةٌ فاحِشَةٌ ، وفِيْهَا مُضَاهَاةٌ بِخَلْقِ اللهِ ، وَأَمَّا الكَلْبُ فَلِكَوْنِهِ نَجِسَاً ، وَلِكَثْرَةِ أكْلِهِ النَّجَاسَةَ ، وَلِقُبْحِ رَائِحَتِهِ ، وَلأَنَّهُ مَنْهِيٌّ عن اتِّخَاذِهَا إلا لِحَرْثٍ أَوْ صَيْدٍ أَوْ مَاشِيَةٍ .

وَحَدِيْثُ أَبِي هُرَيْرَةَ « يَخْرُجُ عَنَقٌ مِن النَّارِ » فِيْهِ دَلِيْلٌ عَلَى تَحْرِيْمِ التَّصْوِيْرِ ، وأنهُ مِن كَبَائِرِ الذُنُوْبِ، لِشِدَّةِ الوَعِيْدِ ، وإنْ مَصِيْرَ المُصَوِّرِيْنَ إلى النَّارِ ، مَعَ الجَبَابِرَةِ والمشْرِكِيْنَ ، وأَنَّهُ لا فَرْقَ بَيْنَ مَا لَهُ ظِلٌّ وما لا ظِلَّ لَهُ ، وأنَّ هَذَا الجُزءَ الخَارِجَ مِن النارِ المُوَكَّلِ بالمُصَوِّرِ والمُشْرِكِيْنَ والجَبَّارِ لَهُ عَيْنَانِ ولِسَانٌ ، وأنهُ يَنْطِقُ وفيهِ دَلِيْلٌ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ ، وعَلَى البَعْثِ والحِسَابِ ، والجَزَاءِ عَلَى الأعمالِ ، واثْبَاتِ النارِ ، ثم تَأَمَّلْ واسْأَلْ رَبَّكَ العَافِيَةَ كَيْفَ قَرَنَ المُصَوِّرَ بالجَبَّارِ العَنِيْدِ ، وبِمَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إلهاً آخَرَ ، تَفْهَمُ كَيْفَ قَدْرِ المُصَوِّرِ ، وَكَيْفَ يَكُونُ عَذَابُهُ ، والحَدِيْثُ

الذي سَبَقَ تُؤكِّد عِبارَتُهُ إن أشَدَّ الناسِ عَذاباً يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُوْنَ ، والحَدِيْثُ السابِقُ أيضاً يُفْهِمُكَ أنَّ الذنبَ كَبِيْرٌ جِداً ، ولِذَلِكَ يُكَلَّفُ فاعِلُهُ وَهُوَ في النارِ أَنْ يَنْفَخَ فِيْمَا صَوَّرَ الرُّوْحَ ، ولَيْسَ في إمْكَانِهِ ، فَيسْتَمِرُ التَّبْكِيْتُ والتَّعْذِيْبُ . كَمَا وَرَدَ في خَائِنِ الأَمَانَةِ والمُتَحَلِّمِ بِمَا لَمْ يَرَ من أنَّهُ يكلف إخراجها بعد سقوطها في النار .

والحَدِيْثُ الذي بَعْدَهُ فِيْهِ لَعْنُ آكِلِ الرِّبَا ومُوْكِلِهِ ، والوَاشِمَةِ والمُسْتَوْشِمَةِ ، والمُصَوِّرِ ؛ وفيه دَليلٌ على تَحرِيْمِ التَّصْوِيْرِ ، وأَنَّهُ مِن الكبائر ، لِأَنَّ اللَّعنَ لا يَكُونُ إلاَّ على كَبِيْرَةٍ ، وفيه شِدَّةُ الوَعِيْدِ لِلْمُصَوِّرِيْنَ ، لأنَّ اللَّعْنَ هُوَ الطَّرْدُ والإبْعَادُ مِن رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى ، وفِيهِ أنَّ التَّحْرِيْمَ عَامٌ لِمَا لَهُ ظِلٌ وَلِمَا لا ظِلَّ لَهُ مِن صُوَرِ ذَوَاتِ الأَرْوَاحِ .

وَكَذَا حديثُ أبي جُحَيْفَةَ فِيهِ لَعْنُ المُصَوِّرِ ، وانَّ التَّصْوِيْرَ مِن الكَبَائِرِ لِلْوَعِيْدِ الشَّدِيْدِ .

وحَدِيثُ أُمِّ سَلَمَةَ وأُمِّ حَبِيْبَةَ وَمَا بَعْدَهُ وَاضِحُ المَعْنَى .

قَالَ الأمَامُ النَّوَوِيُّ رحِمَه اللهُ : قَال أصحَابُنَا وغيرُهُمْ مِن العلماء : تَصْوِيْرُ صُورَةِ الحَيَوَانِ حَرَامٌ ، شَدِيْدُ الحُرْمَةِ ، وهُوَ مِن الكَبَائِرِ ، لأنهُ مُتَوَعَّدٌ عَلَيْهِ بِهَذَا الوَعِيْدِ الشَّدِيْدِ، المذكورِ في الأحادِيْثِ ، وَسَواءٌ صَنَعَهُ بِمَا يُمْتَهَنُ أو بِغَيْرِهِ، فَصَنْعَتُهُ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ ، لِأنَّ فِيْهِ مُضَاهَاةٌ بِخَلْقِ اللهِ ، وَسَوَاءٌ مَا كَانَ فِي ثَوْبٍ أو بَسَاطٍ ، أو دِرْهَمٍ أَوْ دِيْنَارٍ ، أَوْ فِلْسٍ أَوْ إنَاءٍ ، أَوْ حَائِطٍ أَوْ غَيْرِهَا ، قال : وَلَا فَرقَ في هذَا كُلِّهِ بَيْنَ مَا لَهُ ظِلٌ وما لا ظِلَّ لَهُ ، هَذَا تَلْخِيْصُ مَذْهَبِنَا في المَسْأَلَةِ ، وَبِمَعنَاهَا قَالَ جَمَاهِيْرُ العُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِيْنَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ وَهُوَ مَذْهَبُ الثَّوْرِيِّ وَمالِكٍ وأَبِي حَنِيْفَةَ وغَيْرِهِمْ .

شِعْراً :

فَلاَ تَرْجُ إلاَّ اللهَ في كُلِّ حَادِثٍ
فَأَلْقِ إليهِ بَثَّ شَكْوَاكَ تُحْمَدِ
لَهُ الْمُلْكُ بالأَكْوَانِ لاَ بِمُؤَآزِرِنْ
وَلاَ بِنَصِيْرٍ في الدِّفَاعِ لِمُعْتَدِ
قَرِيْبُ ولَكِنْ بالذُّنُوْبِ تَبَاعَدَتْ
مَسَائِلُنَا عَنْ رَوْضِ إحْسَانِهِ النَّدِي
فَقُمْ قَارِعَاً لِلْبَابِ والنَّابِ نَادِمَاً
عَلَى ما جَرَى وَارْفَعْ دُعَاءكَ يَصْعَدِ
وَقُمْ سَائِلاً وَالدَّمْعُ في الخَدِّ سَائِلٌ
تَجِدْ مَا تَشَا مِن لُطْفِهِ وَكَأنْ قَدِ
وَقُمْ زُلَفاً في اللَّيْلِ إن نَشَرَ الدُجَى
جَنَاحَ غُدافٍ يُلْبِسُ الكَوْنَ عَن يَدِ
وَرُدَّ ظَلاَمَ اللَّيْلِ بالذِّكْرِ مُشْرِقاً
فَقَدْ فَازَ مَن بالذِّكْرِ يَهْدِي وَيَهْتَدِي
وَأَمَّا بَنُو الدُنْيَا فَرَ تَرْجُ نَفْعَهُمْ
فَلاَ مُنْجِدٌ فِيْهِمْ يُرَجَّى لِمُجْتَدِ
فَإنِّيْ تَتَبَعْتُ الأنَامَ فَلَمْ أَجِدْ
سِوَى شَامِتٍ أَوْ حَاسِدٍ أَوْ مُفَنِّدِ
وَقَدْ رَضَعُوا ثَدْيَ المَهَابَةِ كُلُّهُمْ
وَكُلٌ بذَيْلِ الذُّلِ أصْبَحَ مُرْتَدِ
فَلَم أَرَ أَرْمَى بالسِّهَامِ مِن الدُعَا
إلى مَقْتَلِ الأعْدَاءِ مِن قَوْسِ مِذْوَدِ

وَعَن مَا قَلِيْلٍ يُدْرِكُ السَّهْمُ صَيْدَهُ
فَكَمْ صَادَ سَهْمُ اللَّيْلِ مُهْجَةَ أَصْيَدِ
وأُوْصِيْكَ بالتَّقْوَى لِرَبِّكَ إنَّهُ
سَيَحْمِدُ تَقْوَاهُ المُوفَّقُ في غَدِ
وَخُذْ لَكَ مِن دُنْيَاكَ زَاداً فإنَّمَا
أقَامَكَ في الدُّنْيَا لأَخْذِ التَّزَوُّدِ
وَعَنْ مَا قَلِيلٍ قَدْ أَنَاخَ رِكَابُنَا
بِقَصْرٍ خَلِيٍّ مُظْلِمِ الجَوِّ فَدْفَدِ
فَإنَّ اللَّيَالِي كَالمَرَاكِبِ تَحْتَنَا
تَرُوْحُ بِنَا فِي كُلِّ حِيْنٍ وَتَغْتَدِي
فَيَا حَبَّذَا جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإنَّهَا
تَحُطُّ رِحَالَ القَادِمِ المُتَزَوِّدِ
وَلَيْسَ لَنَا إلاَّ الرَّجَاءُ فَإنَّهُ
يُبْلِغُنَا مِن فَضْلِهِ خَيْرَ مَقْعَدِ

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا مَنَاهِجَ السَّلامَةِ وَعافِنَا مِنْ مُوْجبَاتِ الحَسْرَةِ والنَّدَامَةِ وَوَفِّقْنَا لِلاسْتِعْدَادِ لِما وَعَدْتَنا وَأَدِمْ لَنَا احْسَانَكَ وَلُطْفَكَ كَمَا عَوَّدْتَنا وَاتْمِمْ عَلَيْنَا مَا بِهِ اكْرَمْتَنَا برَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وصَلى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين

مَوْعِظَةٌ

خَطَبَ عَليٌّ رَضْيَ اللَّهُ عَنْهَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ في خُطْبَتِهْ : اتَّقُوا اللَه عِبَادَ اللَّهْ ، وَبَادِرُوا آجالَكُمْ بأعْمَالِكُمْ ، وَابْتَاعُوا مَا يَبْقى بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ ـ أيْ اشْتَرُوا مَا يَبْقَى مِنَ النَّعِيْم الأَبدِيْ ، مِمَّا لاعَيْنٌ رَأتْ ، وَلا

أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطر على قَلْبِ بَشَرْ ، بِمَا يَفْنِي مِنْ لذّة الْحَيَاةِ الدّنْيَا ، وَشَهَواتِها الزّائِلَةْ ، وَترحلُوا فَقَدْ جَدَّ لَكُمُ الانْتِقَالُ ـ أيْ حُثِثْتُمْ وأُزْعِجْتُمْ إلى الرَّحِيْل ـ وَاسْتَعِدّوا فانْتَبِهُوا وَاعْلَمُوا أنّ الدُّنْيا لَيْسَتْ بِدَارِ إقامةٍ ، فَاسْتَبْدِلُوهَا بِدَارِ الآخِرَةْ فَإنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ، وَلَمْ يَترُكْكُمْ سُدَى ـ أيْ مُهْمَلِيْن ، بلا رَاعٍ يزْجُرُكُمْ عَمَّا يَضُرُّكُمْ ، وَيسُوقكُمْ إلى مَا يَنْفَعُكُمْ ـ وما بَيْنَ أحدِكُمْ وَبينَ الْجَنّة أو النَّارِ إلاّ الْموتُ أنْ يَنزِلَ بِهْ ، وَإنَّ غَايةً هِيَ الأجَلُ ، تَنْقُصُهَا اللَّحْظةُ ، وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ ، لَجَدِيْرَةٌ بِقِصَرِ المُدَّةِ ، وَإنَّ غَائِباً يَحْدُوْهُ الْجَدِيْدَانِ اللّيْلُ وَالنَّهارُ لَحرِيٌّ بِسُرْعَةِ الأوْبَةِ ، وَإنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بالْفَوْزِ أوِ الشَّقْوَةِ ، لَمُسْتَحِقٌّ لِافْضلِ الْعُدَّةْ فَتزَوَّدُوا في الدُّنْيَا مِنَ الدّنْيا ، مَا تُحرِزُون به أنْفُسَكُم غداً ، فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ ، نَصحَ نَفْسَهُ ، قَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَغلَبَ شَهْوَتَهُ ، فَإنَّ أجَلَهُ مَسْتورٌ عَنْهُ ، وَأمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ ، والشَّيْطانُ مُوَكَّلٌ بِـه ، يُزَيْنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا وَيمَنِّيْهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوفِهَا حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيّتَهُ عَلَيْه ، أغْفَلُ مَا يَكُونَ عَنْهَا .

قَلَبَ الزَّمَانُ سَوَادَ رَأسِكَ أبْيَضَا ونَعَاكَ شَيْبُكَ كُلُّه فَتَيقَضَـا
وعَرَفْتَ نَفْسَكَ فِي سُكُوْنِكَ قاعِداً وعَرَفْتَ نَفْسَكَ إذْ هَمَمْتَ لِتَنْهَضَا
فَلئِنْ عَجِبْتُ لَأَعْجَبَنَّ لِغَافِلٍ يُمْسِي ويُصْبِحُ لِلْحَوَادِثِ مُعْرَضَا

آخر : جَهُولٌ لَيْسَ تنهاهُ النَّوَاهِي ولا تَلْقَاهُ إلاَّ وهْوَ سَاهِيْ
يُسَرُّ بِيومِه لَعِباً ولَهْـواً ولا يَدْرِى وفي غَدِه الدَّوَاهِيْ
مَرَرْتُ بِقَصْرِهِ فَقُلْتُ مَنْ ذَا عَجِيْباً فِيهِ مُزْدَجَرٌ وَنَاهِيْ
رَأيْتُ بِبَابِهِ سُودَ الجَوارِى فقالوا : ذلكَ المَلِكُ المُبَاهِيْ
تَبَيَّنْ أيَّ دارٍ أنْتَ فِيهـا وَلَا تَسْكُنْ إلَيْهَا وَادْرِ مَا هِيْ

اللهمّ اعْصِمْنَا عَن المَعَاصِي وَالزَّلّات وَوَفّقْنَا للعَمَلِ بالبَاقِيَاتِ الصَالِحَاتِ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِينْ الأحياءِ مِنْهُم والميّتين بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَم الرَّاحِمينَ وَصَلَى الله على محمدٍ وعَلَى آلهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْن .

فَصْل فِي تَحْرِيْم الرِّشْوَةْ

اَعْلَمْ وَفَّقنا اللهُ وإيَّاكَ ، وَجَمِيْع الْمُسلِمِيْن ، لِما يُحِبُّهُ وَيَرْضَاه ، أنّ الرِّشْوَةَ دَاءٌ مِنْ أخْطَرَ الأَدْوَاءِ فَتْكاً بالْمُجْتَمعاتِ ، ذَلِكْ أنَّها لَا تَشِيْعُ في مُجْتَمعٍ ، إلاَّ تَداعَتْ أرْكانُهْ ، وَهَبَطَ في مُسْتَواهُ الْخُلُقي إلىالحَضِيضِ، وَسَيْطرَتْ فِيْهِ الْمَادَّةُ الْجَشِعَةُ عَلَى الْحُكّام والمَحْكُومِيْن ، فَيَصِبحُ صَاحِبُ الْحَقِّ في قَلَقٍ ، لأنَّهُ لَا يُمْكِنُهَ الْحُصُولُ علىَ حَقِّهِ إلاَّ إذَا قَدَّمَ جُعْلاً لِمَنْ عِنْدهُ ، وَسِيْلةً لِلْحُصُولِ عَلَيْه .

وَلا تَرَى صَاحِبُ ظَلَامَةٍ يَطْمَعُ في رَفْع ظَلَامَتِه عَنْه ، إلاَّ أَنْ يَرْشِي مَنْ لَهُ قَدْرَةٌ عَلى رَفْعِها ، وَقد يَبْلُغُ الأَمْرُ بالْمُرتَشِي إلى أنْ يُمَاكِسَ الرَّاشِي في مِقْدَارِ الرِّشْوَةِ ، وَرُبَّما كَان ذَلِك جَهْراً ، بِلا حَيَاءٍ وَلا خَجَلْ .

وَلَا تَسْأَلْ عَنْ مَا يَنْتُجُ عَنْهَا مِنَ الأَضْرَارِ ، الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى ، مِنْ ضَيَاعِ الْكَرَامَةِ ، وَهَضْمِ الْحُقُوقِ ، وَقَبْرِ النُبُوغْ وتلاشِي الْجِدِّ فِي الْعَمَلِ ، وَاضْمِحْلَالُ الْغَيْرَةِ عَلَى أداءِ الْواجِبْ ، وتَرْكِ العَامِلِيْن ، كُلُّ ذَلِكَ يَذْهب، وَلَا تَجِدْ لَهُ أثرَا ، وَيَحِلُّ مَكانَهُ الخُمُولُ وَالضَّعْفُ ، وَالْغِشُّ وَالْخِيَانَةْ ، وَمَا إلى ذَلِكْ .

إذا رُشْـوَة مِـن سُـوْرِ بَيْـتٍ تَـقَـحَّـمَـتْ
لِـتَـسْـكُـنَ فِـيـه والأَمَـانَـةُ فِـيـهِ
سَـعَـتْ هَـرَبـاً مِـنْـهُ وَوَلَّـتْ كَـأنَـهَـا
حَـلِيْـمُ تَـوَلَّـى عـن جَـوابِ سَـفِـيـهِ

وَتُصَابُ مَصَالِحُ الأمةِ بالشَّلَلْ ، وَعُقولِ النَابِغِين بالْعُقْمِ وَمَواهِبُ الْمُفَكِّرِيْنَ بالجُمُودِ ، وَعَزائِمُ المُجِدِّيْنَ وَهِمَمُهُمْ بَالخَورِ وَالْفُتُورْ ، وَأيُّ خَيْرٍ

يُرْجَى مِنْ يَوْمٍ يَكُونُ مِقْيَاسُ الكَفَاءَة فِيْهم مَا يَتَقَرَّبُ الْمَرْؤوسُ بهِ مِن قُرَابِيْن ، وَأيُّ ثَمرةٍ مِنْ عَمَلٍ لا يُوْصَلَ إلَيْهِ إلاّ بالرُّشَا وَالمطامِعْ .

وَقَدْ تُلْبسُ الرِّشْوَةُ ثوباً مُسْتَعاراً وَلَكِنَ يَشِفُّ عَنْ حَقِيْقَتِها كَمَا قِيْل :

ثَــوْبُ الــرِّيَــاءِ يَشِّـفُ عَـمَّــا تَـحْـتَـهُ
فَــإذَا الـتَـحَــفْـتَ بــه فــإنَّــكَ عَــارِي

فَقَدْ تَكُونُ الرِّشْوَةُ في صُوْرَةِ تُحْفَةٍ أوْ هَدِيَّة ، أوْ مُحَابَاةٍ في بَيْعٍ أوْ شِرَاء ، أوْ إبْرَاءً مِنْ دَيْن ، أوْ يُشْركهُ في أرْضٍ أوْ يَتَوسّطُ له في شَيءٍ مِنْ ذلِكْ ، وَنَحْوِ ذَلِكْ وَكُلُّ هَذِهِ الحِيَلِ لا تُزِيْلُ الحَقَائِق.

وَهْي فِي جَمِيْعِ الصُّوَرِ رُشْوَةْ ، بَشِعَةُ الْمَنْظَرُ ، سَيِّئَةُ الْمَخْبَرْ كَرِيْهَـةُ الرَّائِحَةِ ، مُلَوِثَةٌ لِلشَّرفِ ، مُضَيِّعَةٌ لِلْعفَّةِ وَالكرَامَةِ وَالمْهَابَةِ وَلـذا كَانَ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي مَلْعُونَيْن ، لِأنَّ الرَّاشِي يُسَاعِدُ الْمُرْتَشِي عَلى تَضْييعِ الْحُقوقْ ، وَيُسَهِّلُ لَهْ أكْلَ أمْوَالِ النَّاسِ بالْبَاطِلْ ، وَيُنَمِّي فيهِ الْخُلُقَ الذَّمِيْم ، وَيُيَسِّرُ لَهُ التَّحكُمَ فِيْمَا هُوَ حَقٌّ لِغيرِهْ ، فَيَسْتَمْرِىءُ هَذا الْمرعى الْوَخِيْم ، وَالمُرْتَشِي قَدْ أخَذَ مَالَ غَيْرِه ، وَمَنَعَ الحَقَّ عَنْ صَاحِبِه حَتَّى يَأخُذُ الرُشْوة مِنْهُ .

والرُّشْوَةُ الْمُحَرَّمَةُ هَيِ مَا تُوْصِلُ بهِ إلى إبطالِ حَقْ ، أوْ تَمْشِيَةُ باطِلْ ، أمَّا مَا وَقعُ لِلتَوَصُّلِ لِحَقٍ ، أوْ دَفْعِ ظُلْمٍ ، فَلَيْس بِرُشْوَةٍ مَنْهِيَّةٍ ، قَال في الْمُغْنِي : فأمَّا الرُّشْوَة في الْحُكْمِ ، ورُشْوَةُ الْعامِلِ ، فَحَرامٌ بِلاَ خِلاَفْ .

قَالَ تَعالى ﴿ أكَّالُون لِلسُّحْت ﴾ قَالَ الْحَسنُ وَسَعِيْدُ بْنُ جُبَيْر في تَفْسِـيْره : هُوَ الرِّشْوَة . وَقَال : فَأمَّا الرَّاشِي ، فإنْ رَشَاهُ لِيَحْكُمَ لَـهُ

بِبَاطِلٍ ، أوْ يَدْفَعُ عَنْهُ حَقًا ، فَهُو مَلْعونٌ ، وَإِنْ رَشَاهُ لِيَدْفَعَ ظُلْمَهُ ، وَيَجْزِيَهُ عَلى وَاجِبِه ، فَقَدْ قَالَ عَطَاءُ وَجابِرُ بنُ زَيْد وَالْحَسَنْ : لاَ بَأس أنْ يُصَانِعَ عَنْ نَفْسِهِ : قَال : وَلإِنَهُ يَسْتَنْقِذُ مالَهُ ، كَما يَسْتَنْقِذُ الرَّجُل أسِيرَه . انتهى .

قَالَ اللّه تَعالى ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أمْوَالَكُم بَيْنَكُم بالباطِل ، وَتُدلُوْا بَهَا إلى الحُكَّامِ ، لِتَأكُلُوا فَرِيْقاً مِن أمْوَال النَّاس بالاثم وَأنْتُمْ تعلمون ﴾ .

وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ قَال رَسُولُ اللّه صَلَّى الله عليه وسلم « لَعَنَ اللهَ الرَّاشِيَ والمرْتَشِيَ في الحُكْم » أَخْرَجُه التِّرمذي ، وقَالْ :حَدْيثُ حَسَنْ . أمَّا الْحَدِيْثِ فوَجْه الاسْتِدْلاَلُ بِه عَلَى تَحْرِيْمِ الرِّشْوَةِ وَاضِحْ ، إذْ لاَ يَسْتَحِقّ لَعْنَةَ اللّهِ إلاَّ فَاسِقٌ أوْ كَافِرْ ، وأمَّا الآيةُ فقِيلَ إنَّ مَعْنَاها : لاَ تُدلُوا بِأَمْوَالِكُمْ إلى الْحَكَّامْ ، أيْ لا تُصَانِعُوهُم بِهَا ، وَلاَ تَرْشُوُهُمْ لِيَقْطَعُوا لَكُمْ حَقّاً لِغيْرَكُمْ ، وَإنْتُمْ تَعْلَمُونَ أنهْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ ، فالآيةُ تَنِهْي المسلمينَ عنْ أَن يَأكُلوا أمْوالَهُمْ بيْنَهُم بالباطِلْ ، والرُّشْوَةُ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوب هَذا الأَكْل الْمنْهِي عَنْهُ . قال بَعضُهم يَصِف المُحَابِيْن لأَصْدِقَائِهم :

قال الشاعر :

إذا حَاوَلُوْا أمْراً لِشَخْصٍ يَهُمُهُمْ   تَنَاسَوْا أُمُوْرَ الشَّرع فيه وَلَفّقُوْا
وإلّا رَمَوْا أوْرَاقَهُ عِنْدَ وَجْهِهِ   وقالَوا لَه خُذْ مَا تَراهُ وَأَطْرَقُوْا

آخـر :

وَالِي اليَقِيْنَ وَعَـادِ الشَّـكَ أَجْمَعَـهُ
عَـظِّمْ إلهَكَ لا تَـرْكَنْ لِمَنْقِـودِ
فـالخَـطْبُ عَمَّ وَصـارَ النـاسُ كُلُهم
مُـعَـظِمِـيـنَ لِبِـدْعِـيٍ وَمَـرْدُوْدِ
هَـذَا الزَّمَـانُ الـذي كُنَّـا نُحَاذِرُهُ
في قَوْلِ كَعْبٍ وفي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودِ

فَصَاحِبُ الدِّيْنِ مَمْقُوتٌ وَمُنْكَتِمٌ
وصاحبُ الفِسْقِ فِيهم غيرُ مَظْهُودِ

كُلٌّ يُقَلِّدُ في الأهواءِ صَاحِبَهُ
حتى البلادَ لهَا شَأنٌ بتَقْلِيْدِ

والأمرُ بالعُرْفِ ثم النَّهْيُ عن نُكُرٍ
صَارَا لَدَيْنَا بلا شَكٍ كَمَفْقُودِ

إذَا نَصَحْتَ لِشَخْصٍ قَالَ أنْتَ كَذَا
فِيْكَ العُيوبُ لَدَيْنَا غَيْرَ مَحْمُودِ

إذَا رَأوا صَالِحاً يَدْعو لِنَهْجِ هُدىً
تَأنَّبُوهُ بإيْذَاءٍ وتَبْعِيْدِ

حُكْمُ القَوانِينِ قَالُوا فيه مَصْلَحَةٌ
وفي الرِّبَا سَاعَدَتْ شِيْبٌ لِمَوْلودُ

أهْلُ الهَوى والرَّدَى مَالُوا لِمُحْدَثَةٍ
قَالوا الشَّرِيْعَةَ لا تَكفِي لمَقْصُودِ

قُولُوا لَهَمْ قَوَلَ نُصْحٍ مَا به شَطَطٌ
مَقَالَةٌ صَاغَهَا حَبْرٌ بتَسْدِيْدِ

مُخَالِفُ الشَّرْعِ لَمْ يَظْفُرْ بحَاجَتِهِ
لَو نَالَ خيراً قُصَارَاهُ لِتَبْدِيدِ

إنْ دَامَ هذَا ولم يَحْصُلْ لهَ غِيَر
لَمْ يُبْكَ مَيْت ولَمْ يُفْرَحْ بمولُودِ

اللهمَّ انا نسألكَ العافية في الدُّنيا والآخرَةِ اللهُمَّ انَّا نَسْأَلُكَ العَفو والعَافيةَ في دِينِنَا ودُنيانَا وآخِرَتِنا وَأَهلِنا وَمَالِنَا اللهمَّ اسْتُر عَوراتِنا وَأمنِ روعاتِنا واحْفَظنا مِن بين أيدينا ومنِ خَلفنا وَعن أيمانِنَا وعن شَمائِلنا ومن

فوقِنا ونعُوذ بعَظمتِكَ أن نُغتَالَ من تَحتِنا واغفِرْ لنا وَلِوَالِـدَيْنَا ولجميعِ المسلمينَ برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنا مَنَاهِجَ السَّلامَةِ وَعافِنَا مِنْ مُوْجِبَاتِ الحَسْرَةِ والنَّدامَةِ وَوَفِّقْنَا لِلاسْتِعْدَادِ لِمَا وَعَدْتَنا وَأَدِمْ لَنَا احْسَانَكَ وَلُطْفَكَ كَما عَوَّدْتَنا وَاتْمِمْ عَلَيْنا مَا بِهِ اكْرَمْتَنَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين

« فصل »

قَالَ الْعُلَماءُ : الرَّاشِي هُوَ الَّذِي يُعْطِي الرِّشْوَةُ ، وَالمُرْتَشِي هُوَ الَّذِي يَأْخُذُ الرِّشْوَة ، قالُوا : وانَّما سُمِّي مِنْحَةُ الْحُكَامِ رِشْوة لأَنَّها وُصْلَةٌ إلى الْمَقْصُودْ ، بِنَوْعٍ مِنَ التَّصْنِيْع ، مأْخُوذٌ مِنَ الرِّشاء ، وهْوَ الْحَبْلُ الَّذِي يُتَوَّصل بِهِ إلى نَزْحِ المَاءِ .

قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَلِيْتُ الحُكْمَ خَمساً بَعْدَ عَشْرٍ
لَعَمْرِي والصِّبَا في العُنْفُوانِ
فَلَمْ تَضِعِ الأَعَادِي قَدْرَ شَانِي
ولا قَالُوا : فُلانٌ قَدْ رَشَانِي

وَقَدْ رُوِيَ في حَدِيْث آخرْ : أنَّ اللَّعْنَة عَلى الرَّائِشَ أيْضاً ، وَهْوَ السَّاعِي بَيْنَهُمَا ، وَهْوَ تَابِعٌ لِلرَّاشِي في قَصْدِهْ ، إنْ قَصَدَ خَيْراً لَمْ تَلْحَقْه اللَّعْنَةِ ، وَإلاَّ لَحِقْتَهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوى أبُو دَاوُدَ في سُنَنِهْ ، عَن أبي أُمامَةَ البْاهِلِيّ رَضِيَ اللهُ عنهُ ، قَالَ قَالَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « مَنْ شَفَعَ لِرَجُلٍ شَفَاعَةً ، فأهْدَى لَهُ هَدَّيةْ ، فَقَدْ اتى بَاباً مِنْ أبْوابِ الرِّبَا » وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالْ : السُّحْتُ أنْ تَطْلُبَ لأخِيْكَ الْحَاجَةَ ، فَتَقْضِيّ فَيُهْدِي إلَيْكَ هَدِيَّةً فَتَقْبَلُها مِنْه .

وَعَنْ مَسْرُوقٍ أنَّهُ كَلَّمَ ابْنَ زِيَادٍ في مَظْلَمَةٍ فَرَدَّهَا ، فَأهْدَى إلَيهِ

صاحبُ الْمَظْلَمَةِ وَصِيفاً ، فَرَدَّهَا وَلَمْ يَقْبَلْها وقَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُول: مَن رَدَّ عنْ مُسْلِمٍ مَظْلَمَةٍ ، فَأعطاهُ عَلَيْها قَلِيْلاً أَوْ كَثِيْراً فَهْو سُحْتٌ ، فَقَالَ الرَّجُلْ : يَا أَبَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ مَا كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ السُّحْتَ إِلاّ الرِّشْوَةَ في الْحُكْم ، فقَالْ : ذَلِكَ كُفْر نَعُوذُ باللّهِ مِنْه .

قَالَ الْعُلَمَاء : وَيَحْرُمُ عَلَى الْقَاضِي قَبُولُ هَدِيَّة إِلاَّ مِمَّنْ كَانَ يُهَادِيْهِ قَبْلَ وِلاَيتِه ، إذَا لَمْ تَكُنْ لَهْ حُكُومَةٌ ، لِمَا رَوَى أَبُو سَعِيْدٍ قَالْ: بَعَثَ النَّبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ يُقالُ لَهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلى الصَّدَقَةِ ، فَقَالْ: هَذَا لَكُمْ ، وهَذَا أُهْدِي إِليَّ ، فَقَامَ النَّبي صلى اللهُ عليه وسلَّم ، فَحَمِدَ اللّهَ وأثْنَى عَلَيْه ، ثم قال « ما بالُ العَامِلِ نَبْعثُهُ ، فيجيء فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ ، وهَذَا أُهْدِيَ إِليَّ أَلاَ جَلَسَ في بَيْتِ أَبيْه ، فَيَنْظُرَ أَيُهدَيَ إِلَيْه أمْ لاَ ، وَالذِي نَفْسُ مَحَمَّدٍ بيدِهِ لاَ نَبْعَثُ أحداً مِنْكُمْ ، فَيَأْخذ شيْئا إلاّ جَاء بِه يومَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُه ، إِنْ كَانَ بَعِيْراً لَهْ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوارٌ ، أوْ شاةً تَيْعَرْ » ثُم رَفَع يَدَه حَتَّى رَأيْتُ عُفْدَةَ إِبْطَيْه ، فَقَالْ « اللّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ » ثلاثاً . متفق عليه .

شعر :

لا يَـأمَنِ الوَقْتَ إِلاَّ الخَـائِنُ البَـطِرُ
مَن لَيْسَ يَعْقِـلُ مَا يَـأتِي ومـا يَـذَرُ
ما يَجْهَلُ الرُّشْدَ مَن خَافَ الإِلَه ومَن
أمْسَيْ وهِـمَّتُـه فـي دِيْنِـهِ الـفِكَـرُ
فِيْمَـا مَضَى فِكْـرَةٌ فِيْهَـا لِصَاحِبَهـا
إنْ كَـانَ ذا بَصَـرٍ بـالـرَّأيِ مُعْتَبِـرُ
أيْنَ القُـرُوْنُ وأيْنَ المُـبْتَنُـونَ لَنَـا
هَـذِي المَدَائِنُ فِيْهَـا الْمَاءُ والشَّجَرُ

وأيْنَ كِسَرى أنُو شُرْوانَ مَالَ بـه
صَرَفُ الـزَّمـانِ وأفْنَى مُلْكَـهُ الغِيَـرُ
بَلْ أيْنَ أهلُ التُّقَى بَعْـدَ النَّبِي ومَن
جَـاءَتْ بفَضْلِهُم الآيـاتُ والسُّـوَرُ
أعْـدُدْ أبَـا بَكْـرٍ الصِّـدِيقَ أوَّلَهُمْ
ونادِ مِن بَعدِه في الفَضْـلِ يَا عُمَرُ
وَعُـدَّ مِن بَعْدِ عُثْمـانٍ أبَا حَسَنٍ
فـإن فَضْلَهُـمَـا يُـرْوَى ويُـذَّكَـرُ
لم يَبْقَ أهـلُ التُقَى فِيْهَـا لِبِّـرِهُمُ
ولا الجَبَابِرَةُ الأمـلاكُ مـا عَمَـرُوا
فـاعْمَلْ لِنَفْسِـكَ واحْذرْ أنْ تُـورِّطَهَا
في هُـوَّةٍ مَـالَهَـا وِرْدٌ ولا صَـدِرُ
مـا يَحْذَرُ اللهَ إلاَّ الـرَّاشِـدُونَ وقَـدْ
يُنْجِي الرَّشِيْدَ مِنَ المَحْـذُوْرَةِ الحَذَرُ
والصَّبْـرُ يُعْقِبُ رِضْـوانـاً وَمَغْفِـرةً
مَعَ النَّجاحِ وَخَيرُ الصُحْبَةِ الصَبـرُ
النـاسُ في هذِه الـدُنيا عَلَى سَفـرٍ
وعن قَـرِيبٍ بِهِم مَا يَنْقَضِي السَّفَـرُ
فَمِنْهُمْ قَـانِـعٌ رَاضٍ بـعِـيْشَتِـهِ
ومِنْهُـمُ مُـوسِـرٌ والقَـلْبُ مُفْـتَـقِـرُ
ما يُشْبِعُ النَّفْسَ إنْ لَمْ تُمْسِ قَانِعةً
شَيءٌ ولَـو كثُرَتْ في مُلْكِهَـا البِـدَرُ

والنَّفْسُ تَشْبَـعُ أَحْيَـانـاً فَيُـرْجِعُهَـا
نَحْـوَ المجَاعَـة حُبُّ العَيْشِ والبَطَرُ
والمَرْءُ ما عَـاشَ في الدُنْيَـا له أَثَـرٌ
فَمَـا يَمُـوتُ وفي الـدُنْيَا لَـهُ أثَـرُ

اللهم مَكِّنْ مَحبَّتَكَ في قُلوبِنَا وقَوِّهَا ونَوِّر قُلوبَنَا بنُوْرِ الايمان وثَبِّتْنَا على قَولِكَ الثابتِ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ وزَحْزِحْنَا عنَ النار وأدخِلْنا الجنة دارَ القَرار ومَتِّعْنَا بالنظرِ إلى وجْهِكَ يا أكرم الأكـرمين وأرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهْ : لَقَدْ نَهانا رَبُّنَا جَلَّتْ قُدْرَتُه عَنْ أكْلِ أمْوالِ النَّاسِ بالْبَاطِلْ ، وَاسْتِحْلاَلِها بُدونَ حَقٍ ، وَأخْذِهَا بَوْجْهٍ لَمْ يُبْحْهُ الدِّينْ وَلَمْ يَشْرَعْهُ ، يَنْهَانَا عَنْ رَفْعِ الدَّعَاوِي الكاذِبَةِ ، وَالإِدْلاَءِ بِالْقَضَايَا الْمُخْتَلِقَةِ الْمُلَفَّقَةِ ، وَتَقْدِيْمِ صَفَحَاتِها إلى الْقُضَاةْ ، رَجَاءَ الْفَصْلِ فِيْها بالْبَاطِلْ ، اسْتِناداً إِلَى الْيَمِيْنَ الْغَمُوسِ الْكـاذِبَةِ ، وَارْتِكَـاناً على شَهَـادَةِ الزُّورِ الْفَاجِرَةِ ، أوْ اعْتِمَاداً عَلى الشَّفَاعَاتِ والْوَسَـائِطْ ، واسْتِظْهَـاراً بِتلْكَ الرَّشَاوَي الَّتِي تُقَدَّمُ باسْمِ الْهَدَايَا ، إلى مَنْ لاَّ خَلاَقَ لَهُمْ ، فَيَتَخَطُّونَ العَدَالَة لِقَاءَ هَذَا ، وَيَجُورُونَ في الْحُكَومَةَ والْقَضَاءِ .

إِنَّ أمْوالَ النَّاسِ الَّتِي تَؤْكَلُ بالْبَاطِلِ قَبَسٌ مِنْ نَارْ، وَأتُونٌ مُسْتَعِرَةٌ بِالَّلظَى ، وتَنُورٌ مَسْجورٌ ، مُوقِد إِنّ أمْوالَ النَاسِ التي تُؤْكَلُ بالْباطِلْ ، جَذْوَةٌ مِنْ لَهِيبٍ ، وشُعْلَةٌ مُتَوهِجَةٌ ، إنّ أمْوالَ النّاسِ الَتِي تُؤْكَلُ بالْباطِلِ آفةُ مُهْلِكَةٌ ، تأكُلُ الأخْضَرَ وَالْيَابِسْ وَتَأتِي عَلَى الْغضِّ والْهَشِيْم، هَذا إِذَا فَنِيَتْ وَزَالَتْ ، وَأمَّا إذا بَقِيَتَ وَدَامَتْ ، وَرَبَتْ وَنَمَتْ ، وَزَادَتْ وَكَثُرت ،

وَشَبَّ عَلَيْها جِسْمُهُ ، وَنَما عَلَيْها عَظْمُهُ وَلَحْمُهُ ، فالوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْلُ لآكِلِ الْحرَامْ ، الْتَفِتوا أيُّها الإِخْوَةُ يَمِيْناً وشِمَالاً تَرَوْا إِنَّ أمْوَالَ النّاسِ الّتِي أُكِلَتْ حَرَاماً مَا أغْنَتْ آكِلِيْها ، ومَا أجْدَتْ عَلَى غَاصِبِيْها ونَاهِبِيُهَا ، بَلْ عَلى الْعَكْس مِنْ ذَلِكْ ، أتَتْ عَلى بُيُوتِهِمْ فَخَرّبَتْها ، وَدَكّتْ صُرُوحَ عِزِّهِمْ وَمَجْدِهِمْ فهدَّمَتْهَا ، فَلَيْتَ شِعْرِي بِمَاذَا يَكُونْ . الْجَوابُ ، إذَا وَقَفُوا غَداً بَيْنَ يَدْي أَحْكَمِ الْحَاكِمِيْنَ ، وَسألَهُمْ عَنْ هَذِهِ الأمْوَالْ ، بأيِّ وَجْهِ أخَذُوهَا ، وَعَلى أيِّ دِيْنٍ اسْتَبَاحُوهَا ، وبأي شيءٍ يَنْطِقُونَ إذَا شَهَدَتْ عَلَيْهِمُ الْجَوَارِحُ وَوَاجَهَتْهُمُ الأعْضَاءُ بالْحَقائقِ ، فقالَ اللّسانُ : بِيَ نِطقَ كَذِباً وَبُهْتاناً ، وَقالتْ الْيَدَانِ : بِيَ أخَذَ الْمالَ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ، وَأنْفَقَهُ فِي غَيْرَ مَحَلّهِ وَقالَت الرِّجْلَانْ : بِيَ سَعَى الأثِيْمُ إلى دَارِ الْقَضَاء يَطلبُ الْأنْصَافَ ، كَأنَّهُ مَغْبُونٌ وَمظْلُومْ ، وَقَالْتِ الرِّجْلَانْ : أيْضا بِيَ مَشَى إلى الزِّنا أوِ اللِّواطْ ، أوِ السَّرِقَةِ أوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الجَرائِمْ .

آكِلُ الْحرامِ فَتِّشْ حوالَيْكَ ، تَجِدُ الْحَرامَ لَا يَنْفَعْ ، قَلِّبْ النَّظرَ مَلِيّاً تَرَى الْمُبْطِلُ لَا يَتقَدَّمْ ، تأمَّلْ قَلِيْلاً ، وَفكِّرْ في الْعَاقِبَةِ ، فَإنَّ الْعَافِيَةَ تَزُولُ ، ارْجِعْ النَّظَرَ كَرَّاتٍ وَرَدِّدِ الْبَصَرِ مَرَّاتٍ ، تُجبْكَ الْحَوادِثُ بِلَهْجَةِ الخَبِيْرِ ، بأَنَّ الْعُمُرَ وَإنْ طَالَ قَصِيْر ، وَإنْ الْحِسَابَ عَسيْرٌ وَشَدِيْدٌ ، وَأنَّ الْمَوقِفَ رَهِيْبٌ وَشَاقٌّ ، وَأنَّ الْمَصِيرَ إمَّا إِلى الْجَنَّةِ وَإمَّا إلى النَّارِ .

إيُّها النَّاسُ أيْقِنُوا بِأَنَّ الأحْكَامَ الَّتِي تُؤْخَذُ في الدُّنْيا بالسَّفْسَطَةِ والتَّدْلِيْسِ لَا تَرْفَعُ الاثْمَ ، وَلا تَرُدُّ الْعِقَابْ ، لِإنَّ الْحُكَومَةَ سَتُعَادُ ، والشُّهُودَ عِيَانٌ ، والْقَضاءُ بالقِسْطَاسِ ، والْقَاضِي الْحَكَمُ الْعَدْلُ ، قَال تَعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمِ اللهُ دِيْنَهُمُ الحق ، ويَعْلَمُون أن الله هو الحق المبين ﴾ . وقال «وقُضِيَ بَيْنَهُم بالْحَقِّ وقِيل : الحمدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْن » .

وَاعْلَمُوا أنَّ هَذِهِ الْحَاجِيَّاتِ الَّتِي تُؤْخَذُ خِلْسَةً وَتُخْتَطَفُ فِي غَفْوَةٍ ، أَوْ تُؤْخَذُ رَغْماً وَكُرْهَاً في صَحْوٍ وَيَقَظَةٍ ، بَاقِيَةٌ لِإِصْحَابِهَا سَتقْضُونَها مِنْ حَسَناتِكُمْ ، وتُؤَدُّونَها مِنْ مَبُرّاتِكُمْ ، إنْ كانَتْ لَكُمْ حَسَناتٌ وَمَبَراتٌ ، فإنْ لَمْ يَكُنْ أُخِذَ مِنْ خَطَايَا أَصْحَابِهَا فطُرِحَتْ عَلَيْكُمْ ، ثُمّ تُلْقَوْنَ بِهَا في النَّارْ ، فاتَّقوا اللهَ ، وتَحَرَّوا الْكَسْبَ الطَّيِّبْ ، فَقَدْ قَالَ صلى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلّم « أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ؟ » قَالُوا : المُفْلِسْ فِيْنَا مَنْ لاَدِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعٌ ، فَقَالْ « إنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أمتّي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأتِي وَقَدْ شَتَم هَذا ، وَقَذَفَ هَذا ، وأكلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذا مِنْ حَسَناتِهِ ، وَهَذاَ مِنْ حَسَنَاتِهْ ، فإنْ فنِيْت حَسَناتُه قَبْلَ أنْ يُقْضَى مَا عَلَيْه ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عليهِ ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ » .

شعرا : خَفِ اللهَ وانْظُرْ في صَحِيْفَتِكَ الَّتِي
حَـوَتْ كُلَّمَـا قَـدَّمْتَـهُ مِنْ فِعَـالِكَـا
فَقَـدْ خَطَّ فِيْهَـا الكَـاتِبَـانِ فـأكْثَـرَا
وَلَمْ يَبْـقَ إلا أنْ يَقُـوْلاَ فَـذَالِكَـا
وَوَاللهِ مَـا تَـدْرِي إذَا مَـا لَقِيْتَهَـا
أتُـوْضَعُ في يُمْنَـاكَ أوْ فِي شِمَالِكَـا
ولا تَحْسَبَّنَ الـمَـرْءَ يَبْـقَى مُـخَلَّداً
فما النَّاسُ إلا هَـالِكٌ فـابْكِ هَـالِكا
آخر : إذَا انْقَطَعَتْ أعْمَالُ عَبْدٍ عَنِ الوَرَى
تَـعَلَّقَ بـالـرَّبِ الكَـرِيْمِ رَجَـاؤُهُ

فَـأَصْـبَـحَ حُـراً عِـزَّةً وَقَـنـاعَـةً
عـلى وَجْـهِـهِ أنْـوَارُهُ وضِـيَـاؤُهُ
وإنْ عَلِقَتْ بـالخَلْقِ أطْمَـاعُ نَفْسِـهِ
تَبـاعَـدَ مَـا يَـرْجُـوْ وطَـالَ عَنَـاؤُهُ
فَـلا تَـرْجُ إلاَّ اللهَ لِلْخَـطْبِ وَحْـدَهُ
ولـو صَحّ في خِـلِّ الصَّفَاءِ صَفَـاؤُهُ

اللهم اجْعَلْ قُلُوبَنَا مَمْلوُءَةً بحُبِّكَ وألْسِنَتَنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكْ ونُفُوْسَنَا مُطِيعَةً لأمْرِكَ وأمِّنَّا مِن سَطوَتِكَ ومَكْرِكْ ، اللهم إنا نَسْأَلُكَ العَافِيَةَ في دينِنا ودُنْيَانَا وأخرانَا وأهلِنا وما لنا اللَّهمَ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وأمِّنْ رَوْعاتِنَا واحْفَظْنَا مِن بَيْنَ أيْدِيْنَا ومِن خَلْفِنَا وعن أيْمَانِنَا وعَنْ شَمائِلنَا ومِنْ فَوقَنا ونعوذ بعظَمتِكَ أن نغتال من تحتنا واغفر لنا ولوالدينا وجَميع المُسْلمين برَحْمَتِكَ يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمدٍ وعلى آلهُ وصَحْبِهِ أجمعِيْن .

« فصل في حكم التأمين »

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللّهُ وَايَّاكَ وَجَمِيْعَ الْمُسلِمينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاه وَجَنَّبنا وايَّاكَ وَجَمِيْع المسلمينَ ما يَكْرَهه ولا يرْضَاه أنَّ مِمَّا حَدَث في هَذا الزَّمَانْ ، وانْتَشر في الأرضْ انْتِشَارَ الْوَبَاءِ الْفَتَّاكْ ، مَا يُسَمّى بالتَّأمِيْن عَلى الْحَيَاةِ وَعَلى الأمْوالْ ، وَهْوَ عَقْدُ بَيْنَ طَرَفَيْن ، أحَدُهُما مُؤَمِّنٌ ، والآخر مُؤَمَّنٌ ، يَلْتَزِمُ فيه المُؤمِّنُ ، أنْ يُؤَدِّي إلى المُؤَمِن مَبْلَغاً مِن المال ، أو شَيئاً مُرَتباً ، عِنْدَمَا يَحصُل ضَررٌ أوْ حَادِثْ، وذَلِكَ في مُقَابل قِسْطٌ ، أوْ أيَّةِ دُفْعَةٍ ماليَّةٍ أُخْرَى ، يُؤَدِّيْها الْمؤَمِّنُ إلى الْمُؤَمَّنِ .

وَفي الْغَالِبْ أنَّ الَّذِي يَقُومُ بالتَّأمِينِ شَرِكَاتٌ مُسَاهِمَةٌ كَبِيْرَةٌ مُهِمَّتُها

الّتِي مِنْ أجْلِها أنْشِئَتْ : التَّأمِيْنُ عَلى الْحَيَاة . فِيْمَا زَعَمُـوا ، وَعَلى الأمْوَالِ أي ضَمَانِهَا ، وَدَفْع ثَمَنهَا إِذا تَلَفَتْ ، فانْكَبَّ النَّاس عَلَيْها انْكِبَاباً عَظِيْماً ، وَلَمْ يُفكِّروا وَلَمْ يَفْحَصُوا ، وَلَمْ يَسْألوا عَنْ حِلِّها وَحُرْمَتِهـا وَضَرَرِها ، عَاجِلًا وآجِلا .

فأمّا التَّأمِيْنُ على الْحَياةِ فَطَرِيْقَتُهم فَيْها أنّهُ إذَا أرَادَ الانْسَانُ أنْ يُؤَمِّن عَلَى حَيَاتِهْ ، فَعَلَيْهِ أنْ يَذْهَبَ إلى مَرْكَزِ شَرِكَةِ التَّأمِينْ ويُفْهِمُهَا أنَّهُ يُرِيْدُ أنْ يَدْفَعَ مِنْ الأمْوَالِ كَذَا ، لِتَضْمَنَ لَهُ حَيَاتَهُ . كَذا مِنَ السِّنِيْن ، وَاذِنْ هِيَ تُحْضِرُ حُكَمَاءَهَا الْبَارِعينَ فِيْما زَعَمْتَ ، وَيَبحَثُونَ جِسْمَهُ بَحْثا دَقِيْقاً ، ثُمَّ يُعْطُونَ الشَّرِكَةَ رَأيَهُمْ في مَبْلَغ صِحَّتَهُ عِنْدَهم ، وَفي سِنِّهِ التّي هُوَ فِيْها إذْ ذَاكْ ، فَإذَا أحَاطَ رِجَالُ الشَّرِكَةِ الْعامِلِونَ بِمقْدَارِه ، أصْدرُوا أمْرَهُمْ بِضَمانِ حَيَاتِه عَشْرَ سِنِيْن أوْ عَشْرِيْن ، أوْ ثَلاثِيْن أوْ أرْبَعين أوْ خَمْسِينْ ، وَلَيْسَ كُلُّ شَخْصٍ ، بَلْ المُراد عِنْدَهُم الصَّحِيْحُ ، أمّا الْمَرِيْضِ أوْ مَنْ يَتَعاطَى الأشْيَاءِ الْتي تَجْلِبُ الأمْرَاضْ ، فَيُقَدَّرُ لَهُ عَلَى قَدْرِ حَالِهِ فِيْما يَرَوْنَ ، فَاذا انْتَهى تَسَلَّمُوا أوّلَ قِسْطِ مِنَ الأقْسَاطِ التي اتفقوا عَليها مَعَ الْمُتَعاقِدْ .

وَهَذِهِ الأقْسَاطْ مَعَ الْمَدَّةِ الْمَعْلُومَةْ تَكُونُ مَكْتُوبَةً في وَثِيْقَةً يُمْضِي عَلَيْهَا مُمَثِّلُ الشَّرِكَةِ والْمُتَعاقِدْ ، وَبِيدِ كُلٍّ مُنْهُمَا نُسْخَة مِنْهَا ، تكونُ سَنَداً لَهُ عَلَى الآخَرِ عِنْدَ اللّزُوم ، وَتَلْتَزِمُ الشَّرِكَةِ فِي هَذِهِ الْوثِيْقَة ، إنَّ الْمُتعاقِدْ مَعهَا لَوْ مَاتَ في الْيَوْمِ الذي حَصَلَ فِيْهِ الْعَقْدِ ، تَدْفَعُ لِوَرَثَتِه مِنْ بَعْدِهْ ، أوْ لِمَنْ يُعَيِّنَهُ في الْوثِيْقَة ـ وَإنْ كَانَ لَا يَقْرَبُ لَهْ ، وَلَا لَهُ بِهِ صِلةْ ، وَلَوْ أنَّهُ خَادِمٌ عِنْدَهُ ، أوْ عِنْد غَيْرِه ـ تَدْفَعُ مَبْلَغاً ، يُوازِنُ أوْ يَزِيْدُ عَنِ الْمَبْلَغِ الّذِي ذَكَرَ الْمُتَعاقِدْ أنَّهُ يَدْفَعُهُ لِلشَّرِكَةْ ، في الْمَدَّةِ الْمُتَّفِق عَلَيْهَا ، لَكِنْ يَشْتَرِطُ

هَؤلآءِ الْوَضِيْعُونْ أنْ يَكُونَ الْموتُ عَادِيّاً ، لَيْسَ بِجنَايَةٍ مِنَ الْوَرَثَةِ وَلِهَذا : الشَّرِكَةْ لاَ تَدْفَعُ الْمَبْلَغ بِمُجَرّدِ أَنْ يُقَالُ لها إنّهُ مَاتْ ، بَلْ لَهَا أبْحَاثٌ وَمُناقَشَاتٌ تَطُوْلُ وتَدُق ، يَكْتَشِفُونَ بِهَا كَيْف مَات ، رُبَّما يَنْشَأ عَنْ هَذِهِ الْفُحُوص سَبُّ المَيّتِ ولَعْنهُ وأعْمَالِهِ وَما أَرَّثْ وَإنْ قِيْلِ لَهُمْ ، أوْ ظَنّوا أنّ الْموتَ يُرَادَ بِه الْوَصُولِ إلى الْمَبْلغِ المعلوم ، فانْظُرْ كَيْفَ يَعْمَلُونْ . عافانا الله وإيَّاكَ مِنْ أعْمَالِهِمْ .

وَعِنْدَ هَؤلآءِ الْوضعِيْينَ فِيْمَا ذُكْرَ أنَّهُ لَوْ دَفَعَ بَعْضَ الأَقْسَاطِ ثُمَّ عَجِزَ عَنْ الْبَاقِي ذَهَبَ عَلَيْه كُلُّ الّذِي دَفَعَهُ ، وفِيْهِ شُرُوطٌ أُخْرَى ، مِنْهَا كَوْنُ الشرّكَة تَشْترِطُ عَلَى نفْسِهَا أنْ تَدْفَعَ رِبْحاً خَمْسَةً فِي الْمِائَةِ فِي حَالَةِ اسْتِمَرارِ عَقْدِ التّأمِيْن ، وَهَذا عَقْدٌ بَاطِلٌ بِلاَ شَكْ .

وَمِنْ ذَلِكَ أنَّهَا تَسْلِيْمُ دَرَاهِمُ مُقَسَّطَةٌ فِي دَرَاهِمَ أَكْثَرَ مِنْهَا مُؤَجَّلَةً ، قَدْ يَتَحَصَّلُ عَلَيْها ، وَقَدْ تَفُوتُ عَلَيْه فِي حَالَةِ عَجْزِهِ عَنْ بَعْضِ الأَقْسَاطِ ، فَحَقِيْقَتُها شِرَاءُ دَيْنٍ بِدَيْنٍ وَهْوَ مَمْنُوعَ ، وشِرَاءُ دَرَاهِمٍ بِدَرَاهِمَ أكْثَرَ مِنْهَا وَهْوَ مَمْنُوع .

وَمِنْ جِهَةْ فَهِيَ تُشْبِهُ بَيْعُ الآبِقِ الّذِي لاَ يَصِحُّ بَيْعُه ، فِي حَالَةِ جَهَالَةِ الْحُصُولْ عَلى الْعِوَضِ المَشْرُوطِ ، وَقَدْ يَفُوتُ عَلَيْهِ مَعَ رَأسْ مَالِه ، وَمَعَ مَا فِيْهِ مِنْ الرِّبَا .

وَبَهَذا يَتَبَيَّنْ أنَّ مَسْألَةَ التَّأْمِيْنِ عَلَى الْحَياةْ ، هِيَ مِنَ الْمَعامَلاتِ الْفَاسِدَةْ ، وَلِمُشَابَهتِهَا لِعَقْدِ الْمَيسِرْ حَقِيْقَةً وَمَعْنَى ، قَال تَعالى ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ .

اللهُمّ اجْمَعْ قُلُوبَ المُؤمِنِينَ على مَحَبَّتِكَ وَطَاعَتِكَ ، وَأزِلْ عَنْهُم مَا حَدَثَ مِنْ المنْكَراتِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمين ، وَصَلى اللهُ على مُحمدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

فصل : وَأمَّا التَّأمِيْنُ عَلى الأمْوالْ ، فَأنَا أوَضِّحُ لكَ خطَرَهُ وَضررَهْ ، وَأُمَثِّلُ لَهْ ، وَأذْكُرُ مَا تَيسَّرَ مِنَ الأدِلَّةِ عَلى تَحْرِيْمِهِ ، وَذَلِكَ أنَّهُ لَوْ دَفَعَ انْسَانٌ إلَى شَرِكَةِ التَّأمِيْنَ مَثلاً عَشَرةَ آلافِ رِيَالٍ ، لِتأمِيْنِ بِضَاعَتِهِ الَّتِي قِيْمَتُها نِصْفُ مَلْيُونٍ ، أوْ لِتَأمِين مكْتَبَتِه أوْ مَطْبَعَتِه الّتِي تُسَاوِي نِصْفَ مِلْيُون مَثلاً ، ثُمَّ تَلِفَتْ ، فَالزَّائِدةُ عَلى مَا دَفعَه لِلشَّرِكَةِ عَلى أيِّ وَجْهٍ تَحِلُّ لَهْ ، ألَيْس يَقُولُ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم « لَوْ بِعْتَ مِنْ أخِيْكَ ثَمراً فأصَابَتْهُ جَائِحةٌ ، فَلاَ يَحلُّ لَكَ أنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئا ، بِمَ يَأخُذُ أحَدَكُمْ مَالَ أخِيْهِ بِغَيْرِ حَقْ ؟ » رَواهُ مُسْلِمْ .

وَإذَا سَلِمَتْ الْبَضَاعَةُ الْمُؤَمَّنَةُ ، أوْ الْمَطْبَعَةُ أوِ الْمَكْتَبَةُ أوْ الْبَيْتُ ، فَبِأيِّ وَجْهٍ يَحِلُّ لِلشَّرِكَةِ أكْلُ مَا دَفعَهُ لَهَا مُقَسَّطاً أوْ دُفْعَةً وَاحِدَةً ، لا هِبَةً وَلا مِيْرَاثاً وَلا وَقْفا ، ألَيْسَ بِدُونَ مُقابِلْ ، ألَيْس اللّهُ جَلَّ وَعَلا يَقُولْ ، وَهْوَ أصْدَقُ قَائِلْ ﴿ وَلا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ مَعَ الحَدِيْثِ المُتَقَدِّمْ « بِمَ يَأخُذُ أحَدُكُمْ مَالَ أخِيْهِ بِغَيْرِ حَقٍّ » ألَيْسَ هَذَا الْعَمَلُ فِيْهِ مِنْ الغَرَرِ وَالْجَهالَةِ مَالا يَخْفَى .

وَقَدْ وَرَدَتْ أحَادِيْثُ فِي النَّهْيِ عَنِ الْغَرَرِ ، مِنْ ذَلِكَ حَدِيْثُ أبِي سَعِيدٍ ، أنَّ النَّبِيَّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلَّمْ نَهَى عَنِ الْمُنَابَذَةِ، وَهِيَ طَرْحُ الرَّجُلِ ثَوْبَهُ بِالْبَيْعِ إلى الرَّجُلِ ، قَبْلَ أنْ يُقَلِّبَهُ أوْ يَنْظُرُ إلَيْه .

وَنَهَى صَلّى اللهُ عليْه وسلّمَ عَنِ الْمُلاَمَسَةِ ، وَهْي لَمْسُ الرَّجَلِ الثَّوْبَ لاَ يَنْظُرُ إليْه ، ونَهى صَلّى اللهُ عَلَيْه وَسَلمّ عَنْ بَيْعِ الْحَصَاةِ ، وَعَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ .

شعرا: لَيْسَ الظَّرِيْـفُ بِكَامِـلٍ فِي ظَرْفِهِ حَتَّـى يَكُـوْنَ عَن الحَـرام عَفِيْفَـا
فَإِذَا تَوَرَّعُ عن مَحَـارِمِ رَبِّـــهِ فَهُنَـاكَ يُدْعَى في الأَنامِ ظَرِيْفَـــا

وَقَالَ « لاَ تَشْتَرُوا السَّمَكَ فِي الْمَاءِ فإِنَّهُ غَرَرٌ » وَنَهى عَنْ بَيْعِ حَبْلِ الحَبْلَةِ .

وَنَهى عَن ضَرْبَةِ الفائص ، وَهُوَ ما سَيُخْرِجُهُ الغَائِصُ ، وَنَهى عَن شِرَاءِ الصَّدَقَاتِ حتى تُقْبَضَ ، وَنهىَ عَن بَيْعِ المَغَانِمِ حَتَّى تُقْسَم ، وَنَهى عَن بَيْعِ المَضَامِيْنِ ، وَهُوَ مَا يَنْتُجُ مِن أَصْلاَبِ فُحُولِ الأبل الأَصْلِيَّةِ مِن نِتَاجٍ ، لِمَا في ذَلِكَ مِن الغَرَرِ والجَهَالَةِ .

وَقَالَ العُلَمَاءُ ، وَلاَ يَجُوزُ بَيْعُ الآبِقِ والشَّارِدِ ، وَلاَ الطَّيْرِ في الهَوَاءِ لأَنَّهُ تَرَدَّدَ بَيْنَ الحُصُولِ وعَدَمِهِ ، وَكُلُّ هَذِهِ النَّوَاحِي تَدُلُّ عَلَى تَحْرِيْمِ التَّأْمِيْنِ ، عَلَى أَنَّهُ مِن جِهَةٍ أُخْرَى دَاخِلٌ في القَرْضِ الذي يَجُرُّ نَفْعاً ومِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى فَهُوَ قِمَارٌ ، لِأَنَّ المُتَقَامِرَيْنِ الأَصْلِيَيْنِ حِيْنَ المُقَامَرَةِ لاَ يَدْرِي كُلٌّ مِنْهُمَا لِمَنْ تَكُوْنُ الغَلَبَةُ ، حَتَّى يَكُونَ المالُ الذي اتَّفَقَا أَنْ يَدْفَعَهُ المَقْمُورُ وهكذا الحَالُ هُنَا وَمَا يُرَى مِن أَخْذِ الشَّرِكَةِ مَالَ المُتَعَاقِدِ أَوَّلاً لا عِبْرَةَ بِهِ ، فَقَدْ يَنْقَلِبُ الأَمْرُ ، وتكُونُ هيَ الدَّافِعَةُ ، وكَمَا أَنَّ المُقَامِرَ يَعْتَمِدُ كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى حَظِّهِ ، وَيَنْتَظِرُ مَا يَنْكَشِفُ مِمَّا غُيِّبَ لَهُ أو لِصَاحِبِهِ ، فكَذَلِكَ الأَمْرُ هُنَا ، لاَ مُرَجِّحَ لِأَحَدِهِمَا على الآخَرِ في الأَخْذِ أَوْ الدَّفْعِ ، وما تَرَاهُ مِن الرُّجْحَانِ في جَانِبِ الشَرِكَةِ ، قَدْ يَنْقَلِبُ مَرْجُوْحَاً .

وَكَمَا أَنَّ المُشْتَغِلِيْنَ بِاللّعِبِ بالقِمَارِ، لم يَعْمَلْ أَحَدُهُمَا عَمَلاً يُفِيْدُ صَاحِبَهُ ، أَيْ فَائِدَةً يَسْتَحِقُ بِهَا المَبْلَغَ الذي يَأْخُذُهُ مِنْهُ لَوْ غَلَبَهُ ، فَالأَمْرُ في هَذِهِ الشَّرِكَاتِ ، وَمَنْ يَتَعَاقَدُ مَعَهَا كَذَلِكَ ، وكما أَنَّ الدَّفْعَ في القِمَارِ يَكونُ مِن جَانِبٍ وَاحِدٍ ، وهو الجَانِبُ المَغْلُوبُ فالأمرُ هُنَا كَذَلِكَ .

وَكَمَا أنَّ المُشْتَغِلِيْنَ بِلَعِبِ القِمَارِ ، لم يَعْمَلْ أحَدُهُمَا عَمَلاً يُفِيْدُ مِنْهُمَا ، وبِنَاءً عَلَيْهِ يَدْفَعُ المالَ المَشْرُوْطَ ، فَكَذَلِكَ هُنَا ، تَقُولُ الشَّرِكَة لَهُ إنْ احْتَرَقَ البَيْتُ ، أَوْ المُسْتَوْدَعُ ، أو المَكْتَبَةُ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، أَخَذْتَ مِنِّي قِيْمَتَهُ بالغاً مَا بَلَغَ ، وانْ لَمْ يَحْتَرِقْ ، أَسْتَمِرُ أَنَا آخُذُهَا ما نَدْفَعُهُ لِي ، إن كانَ مُقَسَّطاً ، في مُقَابِلِ ذَلِكَ الضَّمان .

وَكَمَا أنَّ المُتَقَامِرَيْنِ يَكُونُ كُلُّ مِنْهُمَا في وَجَلٍ ، مِن ظُهُورِ الغَلَبَةِ في جَانِبِ صَاحِبِهِ ، وَيُسَرُّ كُلَ السُّرُوْرِ وإذا ظَهَرَتْ نَتِيْجَةُ اللَّعِبِ في نَاحِيَتِهِ ، كذَلِكَ الحَالُ هُنَا ، فالشَّرِكَةُ مَا دَامَ هَذَا المَغْرُوْرُ - الذي هُوَ صَاحِبُهَا - يَدْفَعُ ، وفي جَانِبِهَا الأطمِئْنَانُ عَلَى المَنْزِلِ في سُرُوْرٍ ، إلا أنَّها مِن نَاحِيَةٍ أخْرَى ، مَمْلُوْءَةً رُعْباً وَخَوْفاً ، مِنْ أنْ يَطْرَأَ الطَّارِئُ المَخُوْفُ ، الذي به تُصْبِحُ مُكَلَّفَةً بِدَفْعِ الضَّمَانِ والمُتَعَاقِدُ دَائِمَاً في أَلَمٍ وَهَمٍّ ، مِن دَفْعِهِ مَا هُوَ مُكَلَّفٌ نَفسَهُ بِهِ ، لأنه في هَذِهِ الحَالَةِ في مَظْهَرِ المَغْلُوْبِ ، لَكِنْ لَوْ حَدَثَ بالمَنْزِلِ حَرِيْقٌ يُفزِعُهُ لَوْ حَصَلَ وَلاَ ضَمَانٌ - تَرَاهُ في مُنْتَهَى الفَرَحِ والسُّرُوْرِ ، لأنهُ في اطْمِئْنَانٍ على قِيْمَةِ المَنْزِلِ ، كأنَّهَا في جَيْبِهِ ، وَعَلَى كُل فإنَّ غُلِبَتِ الشَرِكَةُ فَهي تَغْلِبُ مَرَّاتٍ لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى ، وايضاً فالشَرِكَةُ غَالِباً تُعامِلُ بِالرِّبَا ، لأنَّهَا تُعْطِي الأموالَ بِفَوَائِدَ ، فالمالُ باختِلاَطِهِ بالأمْوالِ الرِّبَوِيَّةِ ، وبِاسْتِعْمَالِهِ في الرِّبَا ، أَصْبَحَ خَبِيْثاً مُلَوَّثاً ، ثُمَّ يِرَد مَبْلَغٍ مِن الرِّبَا ، مَعَ المَبْلَغِ الأصْلِي ، يَزِيْدُ خُبْثاً عَلى خُبْثِهِ ، فيكون الدَّافِعُ لِلشَّرِكَةِ - الذي هُوَ المُؤَمِّنُ - قَدْ أَعَانَ عَلَى فُشُوِ الرِبا ، والله تَعَالَى يقولُ ﴿ ولا تَعاوَنوا عَلَى الأثمِ والعدوانِ ﴾ ويقولُ جل وعلا وتقدس ﴿ يا أيهَا الذين آمِنُوا اتَّقوا اللهَ وَذروا ما بَقِيَ مِن الربا إن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، فان لَمْ تَفْعَلوا فاذنوا بحربٍ مِن اللهِ ورسوله ﴾ .

شعرا : زِيَادَةُ المالِ مِن رِبْحِ البُنُوكِ وما ضاهَى البُنُوْكَ مِن الأَرْبَاحِ خُسْرَانُ
فاحْذَرْ مَكَاسِبَهَا إنْ كُنْتَ ذَا وَرِعٍ فَفِي الحَلالِ لأَهْلِ الدِّين غُنْيَانُ

آخـــر :

فـإيَّـاكَ إيَّـاكَ الرِّبَـا فَلَـدِرْهَـمٌ أشَـدُّ عِقَـابًا مـن زِنَـاكَ بنُهَّـدِ
وتُمْحَـقُ أمْـوَال الـرِبَـاءِ وإن نَمتْ ويَرْبُوْ قَلِيْل المَالِ في صِـدْق مَوْعِدِ

آخر : وقائِلَةٍ مَا لِي أراكَ مُجَانِبَاً أُمُـوراً وَفِيْهَـا لِلتِّجَـارَةِ مَـرْبَـحُ
فَقُلْتُ لَهَا كُفِيْ مَلاَمَكِ واسْمَعِيْ فَنحْنُ أناسٌ بالسَّـلاَمَـةِ نَفْـرَحُ

اللَّهُمَّ ثَبت مَحبَّتَكَ في قَلوبنا وَقَوِّهَا ووفقنا لِشُكركَ وذكرك وارزقنا التأهُّبَ والاسْتِعْـدَادِ لِلِقَـائِـكَ واجْعَـلْ خِتَـامَ صَحَائِفِنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فصلٌ »

وأما التأمينُ على السَّيَّاراتِ وَحَوَادِثِهَا ، فَهُوَ أعْظَمُ خَطَراً ، وأكْثَرُ جَهَالَةً مِن مَا مَثَّلْنَا فيه (أوَلًا) لِأنَّ السَّيَّارَةَ كَمَا يَأْتِي يَفُوتُ فِيْهَا نُفُوسٌ وأمْوَالٌ لا تَقَعُ في الحِسْبَانِ ، وصِفَةُ التَّأمِيْنِ لَهَا : هُوَ أنْ يَتَّفِق الشَّخْصُ الذي يُرِيْدُ التَّأمِيْنَ لَهَا مَعَ شَرِكَةِ التَّأمِيْنِ ، سَواء كَانَ كَامِلاً أوْ ضِدَّ الغِيرِ أو الغَيَارِ ، فَيَدْفَعُ قَدْراً مَعْلُوْمَاً مِن المالِ ، على تأمِيْنِهَا مُـدَّةً مَعْلُوْمَةً ، بِشُرُوْطٍ والتِزَامَاتٍ مَعْلُوْمَةٍ عِنْدَ الجَمِيْعِ ، وَمَهْمَا حَصَلَ عَلَى هَذِهِ السَّيَّارَةِ المُؤَمَّنَةِ مِن إصَابَاتٍ أوْ أصَابَتْ غَيْرَهَا ، وغَرِمَ صَاحِبُهَا أمْوَالاً بِسَبَبِ مَا أتْلَفَتْ ، مِنْ نُفُوْسٍ وَأمْوَالٍ ، أوْ تَلِفَ بِهَا في خِلاَلِ هَذِهِ المُدَّةِ المُتَعَاقَدِ عَلَيْهَا ، فَإنَّ شَرِكَةِ التَّأمِيْنِ مُلْزَمَةٌ بِضَمَانِهِ ، بالغاً فِيْهَا مَا بَلَغَ فَمَثَلاً لَوْ أمَّنَ سَيَّارَتَهُ الكَبِيْرَةَ بِخَمْسَةِ آلافٍ، وَتَلِفَ فِيْهَا مائَةُ نَفْسٍ ، وَاحْتَرَقَتْ هِيَ ، وَبِهَا نَقُودٌ كَثِيْرَةٌ احْتَرَقَتْ مَعَهَا ، فَالشَّرِكَةُ مَلْزَمَةٌ بِضَمَانِ ذَلِكَ كُلِّهِ ، فَالزَّائِدُ عَلَى خَمْسَةِ آلاَفٍ مِن دِيَاتٍ وَأمْوَالٍ مَا المُسَوِّغُ لِصَاحِبِهَا أنْ يَأخُذَهُ مِن الشَّرِكَةِ ؟ ألَيْس بِدُوْنِ مُقَابِلٍ ؟ وَقَدْ مَرَّتْ الآيَةُ الكَرِيْمَةُ ، والأحَادِيْثُ

الشَّرِيْفَةُ في الفَصْلِ الذِي قَبْلَ هَذا فَنكْتَفِي بِذلِكَ عن التَّكْرَارِ والإطَالَةِ وبالتَّالِي فَلَوْ لَمْ يَحْصُلْ مِن أضْرَارِ التَّأمِيْنِ إلاَّ أنَّ أكْثَرَ المُؤْمِنِيْنَ لِسَيَّارَاتِهِمْ أدَّى بِهِمْ ذَلِكَ إلى أنْ تَهَوَّرُوْا في السُّرْعَةِ في السِيَاقَةِ لِلسَّيَّارَةِ لِعِلْمِهِمْ أنَّ الشَّرِكَةَ سَتَقُومُ بِدَفْعِ ما نَتَجَ عَن ذَلِكَ وَقَد اقتدى بهم غيرهم في السُّرْعَةِ فَحَصَلَ بِذَلِكَ أَضْرَارٌ عَظِيْمَةٌ لاَ يَعْلَمُ مَدَاهَا إلاَّ اللهُ جَلَّ وَعَلاَ فَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العَلِي العَظِيْمِ وصلى اللهُ عَلَى محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحبِهِ أجمعين .

موعظة

أَيُّهَا الإِخْوَانُ لَقَدْ ذَهَبَ أَكْثَرُ عَامِكُمْ وَفَاتَ ، وَتَقَضَّتْ أَيَّامُهُ ولَيَالِيْهِ وَأَنْتُمْ مُنْهَمِكُونَ في اللَّذَّاتِ ، فَمَا أَسْرَعَ مَا تَصَرَّمَتْ مِنْهُ الأوقَاتُ، وَمَا أَكْثَرَ مَا خَطَبَكُمْ لِسَانُ حَالِهِ بِزَوَاجِرِ العِظَاتِ، وما أَطْوَلَ مَا نَادَى بكُم مُنَادِي الشَّتَاتِ .

أبَنِي أبِيْنَا نَحْنُ أهْلُ مَنَازِلٍ
أَبَداً غُرَابُ البَيْنِ فِيهَا يَنْعِقُ

آخر :

يُسَاقُ بَنِي الدُنْيَا إلى الحَتْفِ عَنْوَةً ... ولا يَشْعُرُ البَاقِي بِحَالَةِ مَن يَمْضِيْ
كأنَّهُمُ الأنْعَامُ في جَهْلِ بَعْضِهَا ... بمَا تَمَّ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ عَلَى بَعْضِ

فَطُوْبَى لِمَنْ تَدَارَكَ الهَفَوَاتِ ، وَبُشْرَى لِمَنْ لاَزَمَ تَقْوَى اللهِ ، وَعَمِلَ بِالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، وَهَنِيْئاً لِمَنْ أَذْهَبَ السَّيِّئَاتِ بالحَسَنَاتِ ، وَيَا خَيْبَةَ مَنْ شَغَلَتْهُ المَلاَهِيْ والمُنْكَرَاتِ ، عن طَاعَةِ رَفِيْعِ الدَّرجَاتِ، وَمَا أَعْظَمَ خَسَارَةَ من بَاعَ نَفِيْسَ آخِرَتِهِ بِخَسِيْسِ دُنْيَاهُ ، وَحَسْرَةً لَهُ يَوْمَ ﴿ تَقُولُ نَفْسٌ يا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ ﴾ وَتَعْسا وَجَدْعاً لَهُ ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ :

هُوَ الموتُ مَا مِنْهُ مَلاذٌ وَمَهْرَبُ ... مَتَى حُطَّ عَنْ نَعْشِهِ ذَاكَ يَرْكَبُ

نُشَاهِدُ ذَا عَيْنَ اليَقِيْنِ حَقِيْقَةً
عَلَيْهِ مَضَى طِفْلٌ وَكَهْلٌ وَأَشْيَبُ
وَلَكِنْ عَلاَ الرَّانُ القُلُوبَ كَأَنَّنَا
بِمَا قَدْ عَلِمْنَاهُ يَقِيْنَاً نُكَذِّبُ
نُؤَمِلُ آمَالاً وَنَرْجُو نِتَاجَهَا
وَعَلَّ الرَّدَى مِمَّا نُرَجِيْهِ أَقْرَبُ
وَنَبْنِي القُصُورَ المُشْمَخِراتِ في الهَوَى
وفي عِلْمِنَا أَنَّا نَمُوتُ وَتَخْرِبُ
وَنَسْعَى لِجَمْعِ المَالِ حِلاً ومأْثماً
وَبالرَّغْمِ يَحْوِيْهِ البَعِيْدُ وأَقْرَبُ
نُحَاسَبُ عَنْهُ داخلاً ثُم خَارِجَاً
وَفِيْمَا صَرَفْنَاهُ وَمِنْ أَيْنَ يُكْسَبُ
ويُسْعَدُ فِيهِ وَارِثٌ مُتَعَفِفٌ
تَقِيٌ وَيَشْقَى فيه آخَرُ يَلْعَبُ
وَأَوَّلُ مَا تَبْدُو نَدَامَةُ مُجْرِمٍ
إِذَا اشتَدَّ فيه الكَرْبُ والرُّوحُ تُجْذَبُ
وَيُشْفِقُ مِنْ وَضْعِ الكِتَابِ وَيَمْتَنِي
لَوْ أَنْ رُدَّ لِلدُّنْيَا وَهَيْهَاتَ مَطْلَبُ
وَيَشْهَدُ مِنَّا كُلُّ عُضْوٍ بِفِعْلِهِ
وَلَيْسَ على الجَبَّارِ يَخْفَى المُغَيَّبُ
إذا قِيْلَ أَنْتُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ فَمَا الذي
عَمِلْتُمْ وَكُلٌ في الكِتَابِ مُرَتَّبُ

وَمَـاذَا كَسَبْتُمْ في شَبَـابٍ وصِحَّـةٍ
وفي عُمُـرٍ أنْفَـاسُكُمْ فِيـهِ تُحْسَبُ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِيْ ما نَقُولُ ومـا الذي
نُجِيْبُ بـه والأمْـرُ إذْ ذَاكَ أصْعَبُ
إلى اللهِ نَشْكُـو قَسْـوَةً في قُلُوبِنَـا
وفي كُلِّ يَوْمٍ وَاعِظُ المَـوْتِ يَنْدُبُ
ولِـلهِ كَـمْ غَـادٍ حَـبِيـبٍ ورائِـحٍ
نُشَيِّعُـهُ لِلْقَبْـرِ والـدَّمْـعُ يَسْـكُبُ
أَخٌ أَوْ حَـمِيـمٌ أو تقـيٌ مُـهَـذَّبٌ
يُـوَاصِـلُ في نُصْـحِ العِبَـادِ وَيَدْأب
نُهَيْـلُ عليـهِ التُرْبَ حَتَّى كَـأنَّـهُ
عَـدُوٌ وفـي الأحْشَاءِ نَـارٌ تَـلَهَّبُ
وَما الحالُ إلاّ مِثْلُ مَا قَالَ مَنْ مَضَى
وَبِـالجُمْلَةِ الأمْثَالُ لِلنَّاسِ تُضْـرَبُ
لِكُـلِّ اجْتِمَـاعٍ مِن خَلِيْلَيْنِ فِـرْقَةٌ
وَلَـوْ بَيْنَهُمْ قَدْ طَـابَ عَيْشٌ وَمَشْرَبُ
وَمِن بَعْـدِ ذَا حَشْـرٌ وَنَشْـرٌ وَمَـوْقِفٌ
وَيَوْمٌ بِهِ يُكْسَى المَذَلَّـةَ مُـذْنِـبُ
إذا فَـرَّ كُـلٌّ مِـن أبِـيْـهِ وَأُمِّـهِ
كَـذَا الأُمُّ لَم تَنْـظُرْ إليـهِ ولا الأبُ
وَكَمْ ظَـالِمٍ يَدْمَيَ مِن العَضِّ كَفُّـهُ
مَقَـالَتُـهُ يـا وَيْـلَتِـي أَيْـنَ أذْهَـبُ

إذَا اقْتَسَمُوْا أَعْمَالَهُ غُرَمَاؤُهُ
وَقِيلَ لَهُ هَذَا بِمَا كُنْتَ تَكْسِبُ
وَصُكَّ لَهُ صَكٌ إِلَى النَّارِ بَعْدَ مَا
يُحَمَّلُ مِنْ أَوزَارِهِمْ وَيُعَذَّبُ
وَكَمْ قَائِلٍ واحَسْرَتَا لَيْتَ أَنَّنَا
نُرَدُّ إِلَى الدُّنْيَا نُنِيْبُ وَنَرْهَبُ
فَحُثُوْا مَطَايَا الأرْتِحَالِ وَشَمِّرُوْا
إلى اللَّهِ والدَّارِ التِيْ لَيْسَ تَخْرُبُ
فَمَا أَقْرَبَ الآتِي وأَبْعَدَ مَن مَضَى
وَهَذَا غُرابُ البَيْنِ بالدَّارِ يَنْعُبُ
وَصَلِ إِلٰهِي ما هَمَا الودْقُ أَوْ شَدَا
عَلَى الأَيْكِ سَجَّاعُ الحَمَامِ المُطَرِّبُ
عَلَى سَيِّدِ السَّادَاتِ والآلِ كُلِّهِم
وأَصحابِهِ ما لاحَ في الأُفُقِ كَوْكَبُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقَوِّي إِيْمَانَنَا بكَ وَمَلائِكَتِكَ وَكُتُبِكَ وَرُسُلِكَ وَاليَوم الآخِرِ وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، اللهُم نَوِّرْ قُلُوبنَا بِنُورِ الايْمَانِ وَاشْرَحْ صُدُوْرِنَا وَاجْعَلنا هُدَاةً مهتَدِيْنَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المسلمين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وصلى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فصل في التَّحْذِيْرِ مِن الغِشِّ »

إعْلَمْ وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ مِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ ، والتَّحْذِيْرُ عَنْهُ وَإِنْكَارُهُ ، الغِشُّ والخِدَاعُ في المُعَامَلاتِ ،

فَإِنَّ الاسْلَامَ يُحَرِّمُ ذَلِكَ بِكُلِّ صُورَةٍ ، في بَيْعٍ وَشِرَاءٍ وَفِي سَائِرِ أَنْوَاعِ المُعَامَلَاتِ الانْسَانِيَّةِ ، والمُسْلِمُ مُطَالَبٌ بالتِزَامِ الصِّدْقِ في كُلِّ شُؤُونِهِ ، والنَّصِيْحَةُ في الدِّيْنِ أغلاَ مِن كُلِ كَسْبٍ قَالَ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الدينُ النَّصِيْحَةُ » .

وقال عليه أَفْضَلُ الصلاةِ والسلامِ « البَيِّعَانِ بالخِيَارِ ما لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُوْرِكَ لَهُمَا في بَيْعِهَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا » وَمَرَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ يَبِيْعُ طَعَاماً ، فَأَعْجَبَهُ ظَاهِرُهُ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيْهِ ، فَرَأَى بَلَلاً فَقَالَ « مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ » قال : أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ (أي المطر) فقال صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فَهلّا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ الناسُ ، مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » .

وفي رِوَايَةٍ أَنَّهُ مَرَّ بِطَعَامٍ وَقَدْ حَسَّنَهُ صَاحِبُهُ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِيْهِ ، فَإِذَا طَعَامٌ رَدِيءٌ ، فَقَالَ « بِعْ هَذَا عَلَى حِدَةٍ ، وَهَذَا عَلَى حِدَةٍ مَن غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » .

فَانْظُرْ بِمَاذَا حَكَمَ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مَنْ غَشَّ في الطَّعَامِ ، وَالطَّعَامُ مَادَّةٌ يَنْقَضِي أَثَرُهَا بِسُرْعَةٍ ، فَكَيْفَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ وأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، فالأيْمَانُ الصَّحِيْحُ الكامِلُ يَقْتَضِيْ الصِّدْقَ والاخلاَصَ ، والتَّقْوَى والنَّصْحَ ، وأَنْ يُحِبَّ لِأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .

فاذا سَأَلَكَ انسَانٌ مُؤْمِنٌ عِنِ حَالِ رَجُلٍ وَأَخْلاَقِهِ ، وَأَمَانَتِهِ ودِيْنِهِ ، فَأَجَبْتَهُ بِغَيْرِ مَا تَعْرِفُ وَتَعْلَمُ ، كَأَنْ كَانَ فَاسِقاً فَقُلْتَ : إِنَّهُ صَالِحٌ ، أَوْ كَانَ صَالِحاً فَقُلْتَ : إِنَّهُ مِن المُفْسِدِيْنَ ، فَقَدْ غَشَشْتَهُ وَفي الحَدِيث « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » واذا سَأَلَكَ أَخُوكَ المُؤْمِنُ عنِ امْرَأَةٍ يُرِيْدُ أَنْ يَتَزَوَّجَها ، تَعْرِفُهَا

وَتَعْلَمُ صِفَاتِهَا ، وَأخْلاَقَهَا وأهْلِهَا ، فَلَمْ تَصْدِقُهُ الحَقِيْقَة ، وَلَمْ تَذْكُرْ لَهُ الحَقَّ الذِي تَعْرِفُهُ ، فَقُلْتَ لَهُ : إنَّ شَكْلَهَا جَمِيْـلٌ ، وهيَ قَبِيْحَةٌ ذَمِيْمَةٌ ، أَوْ قلْتَ لَهُ : ذَمِيْمَةٌ ، وهي جَمِيْلَةٌ ، أَوْ اجَبْتَهُ أنَّ أخلاقَهَا وَسِيْرَتَهَا غَيْرُ حَمِيْدَةٍ وَالأمْرُ بِخِلاَفِ ذَلِكَ ، فَقَدْ كَذَبْتَ وَغَشَشْتَ وَكُنْتَ مِن الخَائِنِيْنَ واذا سَألَكَ أخُوكَ عَنْ تاجرٍ وَمُعَامَلَتِهِ لِلنَّاسِ ، فَقُلْتَ غَيْرَ الحَقِ ، وعَميَّت عَلَيْهِ أمْرَهُ ، فَمَدَحْتَهُ وَهُوَ مَذْمُومٌ ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ بِذَلِكَ جَمَعْتَ بَيْنَ الغِشِّ والكَذِبِ .

وإن مِن أَعظَمِ الغِشِ لِلنَّفْسِ والأَهَلِ والمُجْتَمَعِ الاسلامي الاتيانُ بكُفَارِ خَدَّامِين أَو سَوَاقِين أَو طَبَّاخِين أَوْ خَياطِينَ أَوْ نحو ذلك لأَنهم أَعْدَاءُ اللهِ ورَسُلِهِ والمؤمنين ولا يألون جُهْداً عن السعي في ضرر الاسلام والمسلمين فيجب البعد عنهم مهما أمكن والله المستعان .

شِعْرا :

حَتَّى مَتَى لا تَرَى عَدْلاً تُسَرُّ بِهِ ... ولا تَرَى لِدُعَاةِ الحَقِّ أعْوَانَا
مُسْتَمْسِكِيْنَ بِحَقٍ قَائِلِين بِهِ ... إذا تَلَّونَ أَهْلُ الشَّـرِ أَلْوَانَـا
يا للرِّجال لِدْاءٍ لاَ دَوَاءَ لَـهُ ... وقائِدُ القومِ أَعْمَى قَادَ عُمْيَانَا

آخـر :

بَذَلْتُ لَهُمْ نُصْحِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوىَ ... فَلَمْ يَسْتِبْينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ

آخـر : لَقَـدْ أَبَاحَـكَ غِشَـاً فِي مُعَـامَلَةٍ
مَنْ كُنْتَ مِنْـهُ بِغَيْـرِ الصِّدْقِ تَنْتَفِـعُ

ومَحَلُّ ذَلِكَ كُلِّهِ فيما تَقَدَّمَ إذَا كَانَ السَّائِلُ لَهُ مَصْلَحَةٌ تَتَعلَّقُ بِمَنْ يَسْألُكَ عَنْهُمْ ، فَيَلْزَمُكَ دِيَانَةً وإِنْسَانِيَّةً أَنْ تَصْدِقَهُ الخَبَرَ ، وَأَن تَبْذِلَ لَهُ النَّصِيْحَةِ ، خَالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى ، أمَّا إذا كَانَ السَّائِلُ مِنَ الذينَ يَبْحَثُونَ عَن أَحْوَالِ النَاسِ ، وَيَتْبَعُونَ عَوْرَاتِهِمْ وَهَفَوَاتِهِمْ ، لِلتَّشْهِيْرِ بِهِمْ ، وَالقَدْحِ فِي أعْرَاضِهِمْ وَتَنَقُّصِهِمْ فَلْيَكُنْ جَوَابَكَ لَهُ عَلَى كُلِ سُؤَالٍ ، قَوْلَ النبي

صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مِن حُسْنِ اسْلَامِ الْمَرْءِ تركُهُ مَا لَا يَعْنِيْهِ » وقُلْ لَهُ : الأَوْلَى بِكَ أَنْ تُفَتِّشَ عَلَى نَفْسِكَ وَعُيُوبِهَا ، وَتَسْعَى فِي اصْلَاحِهَا واحْذَرْ أَنْ تَتَّصِفَ بِمَا قَالَ الشَّاعِرُ

شَرُّ الوَرَى مَن بِعَيْبِ النَاسِ مُشْتَغلاً
مِثلُ الذُبَابِ يُرَاعِي مَوْضِعَ العِلَلِ

واعْمَلْ بِمَا قَالَ الآخَرُ

عَلَيْكَ نَفسَكَ فَتِشْ عن مَعَائِبِهَا
وَخَلِّ مِن عَثَراتِ النَاسِ لِلنَّاسِ

وإِذَا كَانَ الغِشُّ ـ وهُوَ تَقْدِيْمُ الباطِلِ فِي ثَوْبٍ مِنَ الحَقِّ ـ يَكُوْنُ فِي الرَّأْيِ والعَمَلِ ، والفَتْوَى والارْشَادِ ، والتَّوْجِيْهِ والوَظِيْفَةِ ، فَإِنَّ غِشَّ الطَّعَامِ فِي الإِفْسَادِ ، أَقَلُّ بِدَرَجَاتٍ مِن الغِشِّ فِي هَذِهِ النَّوَاحِيْ ، المُمْتَدُّ أَثرُهَا الشَّامِلُ ضَرَرُهَا ، وَلِهَذَا لَمَّا كَان السَّلَفُ يَفْهَمُوْنَ مَدَى ضَرَرِ الغِشِّ ، وَيُطَبِّقُوْنَ أَحَادِيْثَ المُصْطَفَى صلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، كَانُوا يُبَيِّنُوْنَ ما فِي المَبِيْعِ مِن عَيْبٍ وَلَا يَكْتُمُوْنَ ، وَيَصْدُقُونَ ولا يَكْذِبُوْنَ ، وَيَنْصَحُوْنَ ولا يَغُشُّوْنَ ، قَالَ صَلَّى اللهُ عليه وسلم « لا يَحِلُ لِامْرِئٍ مُسْلِمٍ يَبِيْعُ سِلْعَةً يَعْلَمُ بِهَا دَاءً إلا أَخْبَرَ بِهِ » .

وَبَاعَ ابنُ سِيْرِيْنَ شَاةً ، فَقَالَ لِلْمُشْتَرِي : أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِن عَيْبٍ فِيْهَا ، إِنَّهَا تَقْلِبُ العَلَفَ بِرِجْلِهَا ، وَبَاعَ الحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ جَارِيَةً ، فَقَالَ لِلْمُشْتَرِيْ : إِنَّهَا مَرَّةً عِنْدَنَا تَنَخَّمَتْ دَماً ، وَمَعَ هَذَا يَأبَى ضَمِيْرُ المُؤْمِنِ إلَّا أَنْ يَذْكُرَ العَيْبَ ، وإِنْ نَقَصَ الثَّمَنُ ، وَتَتَأَكَّدُ الحُرْمَةُ إِذَا قَوَّى غِشَّهُ بِيَمِيْنٍ كَاذِبَةٍ ، قَالَ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم « الحَلِفُ مَنْفَعَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ » .

شعرا : كُلْ واشْرَب الناسَ على خِبْرَةٍ فَهُمْ يَمُرُّوْنَ ولا يَعْذُبُوْنْ
ولا تُصَدِّقْهُم إذا حَدَّثُوْا فَإِنَّنِي أَعْهَدُهُمْ يَكْذِبُوْنْ
وَإِنْ أَرَوْكَ الوِدَّ عن حَاجَةٍ فَفِي حِبَالٍ لُهُمْ يَجْذِبُوْنْ

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شيء قدير وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فَصْلٌ : عِبَادَ اللهِ قَدْ أَصْبَحَ الغِشُّ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ البَاعَةِ رُكْناً وَيَنْدُرُ وُجُودُ بَائِعٍ غَيْرِ غَاشٍ ، فَيَنْبَغِيْ لِلأَنْسَانِ في هَذَا الزَّمَانِ الذي سَادَ فِيْهِ الغِشُّ وَعَمَّ وَطَمَّ ، وَقَلَّ فِيْهِ الرَّدْعُ ، والضَّرْبُ عَلَى أَيْدِي الغَشَّاشِيْن ، أَنْ يَتَحفَظَ بِكُلِّ مَا يُمْكِنُ مِن تَحَفُّظٍ ، وَيَنْتَبِهِ كُلَ الأنْتِبَاهِ لِكَلاَمِهِمْ ، وَحَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ سُرِقَ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ .

وَلِهَذَا تَجِدُ رِجَالاً يُقْبِلونَ عَلَى البَاعَةِ ، وَهُمْ قَلِيْلُوا الخِبْرَةَ ، سَرِيْعُوا التَّصْدِيْقِ لِمَا يُقَالُ لَهُمْ ، فَيَلْعَبُ بِهِمْ هَؤُلاَءِ الغَشَّاشُوْنَ وَيَسْتَغِلُّوْنَ سَذَاجَتَهُمْ ، في كَسْبٍ مُضَاعَفٍ ، أَوْ تَغْطِيَةِ عَيْبٍ وَقَدْ قَالَ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم « كَبُرَتْ خِيَانَةً ، أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيْثاً هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ ، وَأَنْتَ لَهُ كَاذِبٌ » .

وَلَعَلَّكَ فَهِمْتَ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الغِشَّ لَيْسَ مَحْصُوْراً في السُّوْقِ بَلْ يَقَعُ في كُلِّ مَكَانٍ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُ في السُّوْقِ ، لأَنَّهُ مَحَلُّ الأَخْذِ والإِعْطَاءِ وَالبَيْعِ والشِّرَاءِ والعُقُودِ غالباً ، المُهِمُّ أَنَّكَ تَتَحفَّظُ مِن هَؤُلاَءِ الغَشَّاشِيْنَ السُّرَّاق ، وإِنَّمَا قُلْنَا سُرَّاقاً لِأَنَّ السَرِقَةَ الأَخْذُ عَلَى وَجْهِ الأخْتِفَاءِ ، وهُوَ مُنْطبِقٌ على الغَشَّاشِ .

تَذْهَبُ إِلى المَأكُوْلِ أَوِ المَشْرُوْبِ ، أَوْ مَا يُجْعَلُ في أَحَدِهِمَا ، فَتَجِدُ أَعْلاَهُ نَظِيْفَاً طَيِّباً مُنَقَّى ، تَشْتَاقُ إِلى شِرَائِهِ ، وَعِنْدَمَا تَأْخُذُهُ ، وَتُسَلِّمُ الفُلُوسِ ، وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ بِدقَّةٍ تَجِدُهُ مُخْتَلِفَاً عَمَّا نَظَرْتَ إِلَيْهِ أَوَّلاً ، بِرَدَاءَةٍ ، وَإِنْ ذَهَبْتَ إِلى بَاعَةِ المَلاَبِسِ ،قَدَّمَ لَكَ البائِعُ ثَوبَاً رَدِيْئاً باسْمِ أَجْوَدِ المَلاَبِس ، وَيُعْلِمُكَ بِثَمَنٍ زَائِدٍ جِداً عَنِ ثَمَنِهِ الحَقِيْقِي فِإِنْ لَمْ تَكُنْ

مُنْتبِهاً ، وَصَدَّقْتَ البَائِعَ كُنْتَ مَسْرُوْقاً بِذَلِكَ الفرْقِ الكَبِيْرِ ، وَإِنْ نَاقَشْتَهُ القَوْلَ ، عَاجَلَكَ بأغْلَظِ الأيْمَانِ ، بأنَّهُ يَنْتَقِي لَكَ الجَيِّدَ ، لِيَخْدِمَكَ ولِتَتَعَرَّفَ بِمَحَلِّهِ ، لِتَكُوْنَ زَبُوْناً لَهُ ، حَتَّى رُبَّمَا أنَّكَ لاَ تَشُكُّ في أنَّهُ صَادِقٌ مِنْ كَثْرَةِ الأيْمَانِ التِي لَفَظَهَا فُوْهُ ، وَسَوَّدَ بِهَا صَحِيْفَتَهُ ، وإذَا أتَيْتَ إلى تَاجِرِ الدَّقِيْقِ ، حَلَفَ لَكَ أنَّ هَذَا مِن أحْسَنِ البُرِّ ، وَهُوَ مَجْمُوْعٌ مِنْ شَعِيْرٍ وَبُرٍّ مُنْخِسٍ ، قَدْ أكَلَ الدُوْدُ لُبَّهُ ، ألاَ يَعْلَمُ أنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلاَ شَاهِدٌ رَقِيْبٌ ، وَأنَّهُ أعَدَّ لأمْثَالِهِ مِن الغَشَّاشِيْنَ أنْوَاعَ العُقُوْبَاتِ إنْ لَمْ يَتُوْبُوا إليهِ ، وتاجِرُ المَاشِيَةِ تَجِدُ حَوْلَهُ لَفِيْفاً مِن النَّجَاشِيْنَ ، الذِيْنَ يَكْتَنِفُوْنَ المَشْتَرِي مِن كُلِّ جَانِبٍ فَهَذَا يَزِيْدُ كاذِباً ، وَذَاكَ يَحْلِفُ آثِماً ، إلَى أنْ يَقَعَ في الشَّرْكِ المِسْكِيْنُ ، إذَا كَانَ شَارِياً ، أمَّا إذَا كَانَ بَائِعاً زَهَّدُوْهُ فِيْمَا يُرِيْدُ بَيْعَهُ ، وَأحَاطُوا بِهِ وَكُلٌّ يُرذِّلُ سِلْعَتَهُ مِن جِهَةٍ ، إلى أنْ تَسْقُطَ مِن عَيْنِ صَاحِبِهَا ، فَيَبِيْعُهَا لَهُمْ بِثَمَنٍ بَخْسٍ .

وإذَا أتَيْتَ إلى بَائِعِ الخُضَرِ وَجَدْتَ الأعْلاَ زَيْناً والوَسَطَ فَاسِداً مُمَرِّضاً لِلْبَدَنِ وَتَدْخُلُ إلى مَنْ عِنْدَهُ السَّمْنُ والزُّبْدُ والعَسَلُ ، فَيَبِيْعُكَ بِاسْمِ الجَيِّدِ ، واذا عَرَضْتَهُ عَلَى أهْلِ الخِبْرَةِ أهْلَ الصِّنْفِ قَالُوا لَكَ هَذَا غَيْرُ الذِي تُرِيْدُ ، أوْ مَخْلُوطاً مَعَهُ غَيْرُهُ . ومثله القهوة المحموسة يَخْلِطُوْنَ مَعَهَا غَيْرَهَا

وَإذَا ذَهَبْتُ إلى مَبِيْعِ السَّيَّارَاتِ رَأيْتَ مَا يُزْعِجُكَ وَيُشَتِّتُ ذِهْنَكَ مِنْ كَثْرَةِ النَّجَاشِيْنَ والغَشَّاشِيْنَ المُعَمِّيْنَ لِلْعُيُوْبِ الذينَ قَدْ مَهَرُوا في المَكْرِ والخِدَاعِ والمَلَقِ والنِّفَاقِ .

وَإذَا أتَيْتَ أهْلَ الاَوَانِيْ وَالغَضَارِ والصَّنَادِيْقِ وَجَدْتَ الأصْبَاغَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ لِتَغْطِيَةِ العَيْبِ عن المُشْتَرِي .

وإن ذَهَبْتَ إلَى أرْبَابِ الصَّنَائِعِ ، وَجَدْتَ أكْثَرَهُمْ عِنْدَهُ مِن الغِشِّ

وإخْلَافِ الوَعْدِ الشَّيْءَ الكَثِيْرَ ، ولا فَرْقَ في هَذَا بَيْنَ نَجَّارٍ وَحَدَّادٍ ، وَخَيَّاطٍ وَصَبَّاغٍ وصَائِغٍ وَطَبَّاخٍ ، وَسَبَّاكٍ وَبَنَّاءٍ وَنَقَّاشٍ وَخَرَّازٍ ، وَسَاعَاتِي وَحَبَّاكٍ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، كُلُّهُمْ فِيْ حِرْصٍ تامٍ على أَخْذِ الفُلُوْسِ ، وَلَوْ بِلَا عَمَلٍ يُقَابِلُهُ . فانْتبِه لهم .

وإنْ ذَهَبْتَ إلى بَائِعِيْ مَوَادِّ البِنَاءِ ، وَجَدْتَ أَكْثَرَهُمْ عِنْدَهُ مِنْ الوَانِ الغِشِّ أَشْيَاءَ كَثِيْرَةً، يَعْرِفُهَا أَهْلُ الخِبْرَةِ بِذَلِكَ .

وَبِهَذَا صَارَ جَوُّ التِّجَارَةِ ، المِهْنَةِ الشَّرِيْفَةِ ، التِّيْ لَوْ صَدَقَ صَاحِبُهَا لَحَلَّتْ عَلَيْهِ البَرَكَةُ ، جَواً وَبِيْئاً ، مُشْبَعَاً بالكَذِبِ والأَيْمَانِ الآثِمَةِ ، مَلِيْئاً بالتَّغْرِيْرِ ، والغِشِّ والتَّدْلِيْسِ ، واخْفَاءِ العُيُوْبِ ، وما إلى ذَلِكَ ، وَقِسْ عَلَى ذَلِكَ بَاقِي أَهْلِ الأعْمَالِ والصَّنَائِعِ ، والمُقَاوِلِيْنَ والمُقَاوِلِيْنَ وَغَيْرِهِم ، ومِن أَلوَانِ الغِشِّ تَطْفِيْفُ المِكْيَالِ والمِيْزَانِ ، وقَدْ اهْتَمَّ القُرآنُ بِهَذَا الجَانِبِ مِن المُعَامَلَةِ ، وَجَعَلَهُ مِن وَصَايَاهُ العَشْرِ في آخِرِ سُوْرَةِ الأنْعَامِ ، قَال الله تعالى ﴿ وأَوْفُوا الكيلَ والميزانَ بالقِسْطِ ﴾ وقال ﴿ وأوفوا الكيلَ إذا كِلْتُم ، وزِنُوا بالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيْمِ ﴾ وقال تعالَى ﴿ وَيْلٌ للمطففِينَ ، الذين اذا اكتالوا على الناسِ يَسْتَوْفُونَ ، وإذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوْهُمْ يُخْسِرُوْنَ ، أَلا يَظُنُّ أولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوْثُون لِيَوْمٍ عظيمٍ ، يومَ يقوم الناسُ لربِ العالمين ﴾ .

وَلَقَدْ بَعَثَ الله شُعَيْبَاً عليه السلامُ يَدْعُو قَوْمَهُ أَوَّلاً إلى تَوْحِيْدِ اللهِ ، وَيُتْبِعُهُ بالنَّهْي والتَّحْذِيرِ عن نَقْصِ المِكْيَالِ والمِيْزَانِ مُبَيِّناً أن ذَلِكَ إفْسَادٌ في الأرضِ بَعْدَ إصْلَاحِهَا ، قَال تعالى ﴿ وَإلى مَدينَ أخاهُم شُعَيْبَاً ، قَال يا قومِ اعبُدوا اللهَ مالكم مِن إله غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّكُم فأوفُوا الكَيْلَ والمِيْزَانَ ، ولا تَبْخَسُوا الناسِ أَشْيَاءَهُم ، ولا تُفْسِدُوا في الأرْضِ بعدَ إصْلَاحِهَا ، ذَلِكُم خيرٌ لكم إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنِ ﴾ .

شعراً :

يا مُنْفِقَ العُمْرِ في حِرْصٍ وفي طَمَعٍ
إلَى مَتَى قَدْ تَولَّى وانْقَضَى العُمُرُ
إلى مَتَى ذَا التَمادِي في الضَّلاَلِ أَمَا
تَثْنِيكَ مَوْعِظَةٌ لَوْ يَنْفَعُ الذِكَرُ
بادِرْ مَتَاباً عَسَى مَا كَانَ مِن زَلَلٍ
وَمَا اقْتَرَفْتَ مِن الآثَامِ يُغْتَفَرُ
وجَنِّبْ الحَرْصَ واتْرُكْهُ فَمَا أَحَدٌ
يَنَالُ بالحِرْصِ مَا لَمْ يُعْطِه القَدَرُ
وَلا تُؤْمِلْ لِمَا تَرْجُو وَتَحْذَرُهُ
مَن لَيْسَ فِي كَفِّهِ نَفْعٌ وَلاَ ضَرَرُ
وَفَوِّضِ الأَمْرَ لِلرَّحْمٰنِ مُعْتَمِداً
عَلَيْهِ في كُلِ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ
واحْذَرْ هُجومَ المَنَايَا واسْتَعِدَّ لَهَا
مَا دَامَ يُمْكِنُكَ الإِعْدَادُ والحَذَرُ

اللّٰهُمَّ ارْزُقْنَا عِلْماً نَافِعاً وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً وَرِزْقاً وَاسِعاً نَسْتَعِيْنُ بِهِ عَلَى طَاعَتِكَ ، وَقَلْباً خَاشِعاً ، وَلِسَاناً ذَاكِراً ، وَإِيْمَاناً خَالِصاً ، وَهَبْ لَنَا إِنَابَةَ المُخْلِصِيْنَ ، وَخُشُوْعَ المُخْبِتِيْنَ ، وَأَعْمَالَ الصَّالِحِيْنَ ، وَيَقِيْنَ الصَّادِقِيْنَ ، وَسَعَادَةَ المُتَقِيْنَ ، وَدَرجَاتِ الفَائِزِيْنَ ، يَا أَفْضَلَ مَنْ رُجِيَ وَقُصِدَ ، وَأَكْرَمَ مَنْ سُئِلَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فصل »

واعْلَم أَنَّ انْتِقاصَ الحُقُوقِ عَلَى أَيِّ طَرِيْقٍ كَانَ أَساسٌ كَبيْرٌ لِزَعْزَعَةِ الثِّقَةِ في المُجْتَمَعِ ، وسَبِيْـلٌ إلى قَطْعِ الصِّـلاتِ وإثَارَةِ الأحْقَـادِ ، والبَغْضَاءِ والعَدَاوَةِ بَيْنَ الناسِ ، ولِذَلِكَ يَنْتَشِرُ الفَسَادُ في الأَرْضِ ، وتَضِيْعُ المَصَالِحُ ، فالقِصَّةُ يُفْهَمُ مِنْهَا ـ كَمَا ذَكَرَهُ بَعْضُ العُلَمَاءِ ـ أَنَّ الهَدَفَ هُوَ اقْتِلاعُ الخُلُقِ الذِي يَدْفَعُ الانسانَ إلى انْتِقاصِ الحُقُوقِ ، والكَيْدِ لِأَصْحَابِهَا ، عَن طَرِيْقِ الغِشِّ والخَدِيْعَةِ ، وعن طَرِيْقِ تَسْخِيْرِ الْمَنافِعِ العَامَّةِ ، وحُقُوْقِ الناسِ ، في سَبِيْلِ الحُصُولِ على المَنَافِعِ الخَاصَّةِ ، وَهَذَا هُوَ الذي يَعْقِبُ حَقاً الافْسَادَ في الأَرْضِ ، وزَلْزَلَةَ الحَيَاةِ العَامَّةِ عَلَى أَصْحَابِهَا .

قَـالَ: ومِنْ هُنَا يَجْـدُرُ بالمُـوظَّفِ والكُتَّابِ والمُـوجِّهِ والمُشْيـرِ والمُعَلِّمِ ، أنْ يَأخُذُوا لأنْفُسِهِم مِن تَخْصِيْصِ المِكْيَالِ والمِيْزَانِ في رِسَالَةِ شُعَيْبٍ ، وقَرْنِهَما بِعبَادَةِ اللهِ ، واعْتِبَارِ انْتِقاصِهِمَا إفْسَاداً في الأرضِ ـ يَجْدُرُ بِهِم جَمِيْعاً أنْ يَأخُذُوا لِأَنْفُسِهِم أعْظَمَ عِظَةً ، وأجْدَى عِبْرَةً ، وإنَّ انتقاصَ الكَيْلِ والمِيْزانِ ـ فِيْمَا وَرَاءَ السِّلَعِ الماديَّةِ ـ لأشَدُّ خَطَراً ، وأقْبَحُ أثراً ، وأعْظَمُ ضَرَراً مِن انْتِقاصِ حَفْنَةٍ مِن قَمْحٍ ، أوْ أوْقِيَّةٍ مِن رِطْلٍ .

إنَّ مِن حَقِّ الانسانِ في هذِهِ الحَياةِ أنْ يَتَمَتَّعَ بحَقِّهِ كَامِلاً غَيْرَ مَنْقُوصٍ ، ومِن حَقِّ الْمُؤمِن على أخِيْهِ المُؤمِنِ أنْ يُمَكِّنَهُ مِن حَقِّهِ ، ويُعَاوِنه في الحُصول عليه ، ومِن حَقِّهِ أنْ يرشِدَهُ إذا اسْتَرْشَدَهُ ، وأنْ يَمْحَضَهُ النُّصْحَ إذا اسْتَنْصَحَهُ ، وأنْ يَفِيْ لَهُ إذا عَاهَدَهُ ، وأنْ يَصْدُقَهُ إذا حَدَّثَهُ أوْ وَعَدَهُ ، إنَّها مُبَادَلَةٌ ولكِنْ لَيْسَت في السِّلَعِ ولا فِي الطَّعامِ ، ولا في الشَّرَاب ، وإنَّما هِيَ في الخُلُق والمُرُوءَةِ والصدق والايمان ، والانْحَرافُ

فِيْهَا عن مُقابلة الخَيْرِ بالخَيْرِ ، تَطْفِيْفُ في الكَيْلِ ، وانْتِقَاصُ لِلْحُقُوقِ .

وقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلامَةً مِن عَلَامَاتِ التَّكْذِيْبِ بيَوْمِ الدِّيْنِ ، وأَنْزَلَ في شَأْنِه سُوْرَة كاملة ، هي سورة اسْتَهَلَهَا بقولِه ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِيْنَ ، الذينَ إذا اكْتَالُوا عَلَى النَّاس يسْتَوْفُونَ ، وإذا كالُوهُمْ أوْ وزَنُوهُمْ يُخْسِرُوْنَ ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُوْنَ لِيومٍ عَظِيْمٍ يومَ يَقومُ الناسُ لِرَبِّ العَالِمين ﴾ انتهى .

ولَقَدْ صَارَ الغِشُّ في كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى اللَّبَنَ في ضَرْعِ الحَيوانِ وحَتَّى في الشُعَورِ ، جَعَلُوا يَصْبغُونَهَا بالسَّوادِ غِشا وتَدْلِيْسَا .

شـــعرا :

قَالَتْ أَرَاكَ خَصَبْتَ الشَّيْبَ قُلْتَ لَهَا ... سَتَرتُه عَنكِ يا سَمْعِي ويَا بَصَرِي

فَقَهْقَهَتْ ثُـمَّ قَالَتْ إنَّ ذَا عَجَبٌ ... تَكَـاثَـرَ الغِشُ حَتَّى صَارَ في الشَّعَرِ

آخر : إنَّ السَّوادَ لَتَدْلِيْسٌ يُغَشُ به ... كالثَّوب في السُّوقِ مَطْويًا على خِرَقِ

آخـر :

أُسَوِّدُ أَعْلَاهَا وَتَأْبَى أُصُوْلُهَا ... فَيَالَيْتَ مَا يَسْوَدُّ مِنْهَا هُوَ الأَصْلُ

ولا خَيْرَ في فرعٍ إذا فَسَدَ الأَصْـلُ

آخـر :

يا أَيُّهَا الـرجُـلُ المُسَوِّدُ شَعْرَه ... كَيْمَا يُعَـدُّ بـه مِـن الشُـبَّانِ

أَرْفُـقْ فَلَـوْ سَـوَّدْتَ كُـلَّ حَمَامَـةٍ ... بَيْضَـاءَ مـا عُـدَّتْ مِـن الغِـرْبـانِ

آخـر :

فإنْ تَسْأَلِيْنِي عَن خِضَابِي فانَّني ... لَبِسْتُ على فَقْدِ الشَّبَابِ حِدَادَا

آخــــر :

دَعْنِي فإنَّ غَرِيْمَ الشَّيْبِ لازَمَنــــي ... وَذَا زَمَانُكَ فأمرحْ فيهِ لَازَمَنــــي

مضَى الشَبَابُ بِمَا أَحْبَبْتُ مِنْ مِنح ... والشَيْبُ وَافَى بِمَا أَبْغَضْتُ مِن محَنٍ

فما كَرِهْتُ ثوى عِندي وعَنَّفَني ... وما حَرِصْتُ عَلَيْهِ مُنْذُ عَنَّ فَنِي

آخـر : يَاخَاطِب الشَّيْبِ بالحِنَـاءِ تَسْتُرُهُ ... سَلِ الإِلٰـهَ لَهُ سِتْـراً مِنَ النَّــارِ

لَنْ يَرْحَلِ الشَّيْبُ مِنَ دَارٍ يُلِمُّ بِهَا ... حَتَّى يَرْحَلَ عنها صَاحِبَ الـدَّارِ

آخر : قَصَرَ اللَّيَالِيْ خَطْوَهُ فَتَدانَي ... وحَنَوْنَ قائِـمَ صُلْبِـهِ فَتَحانَـا
وَالْمَوْتُ يَأتِي بَعْد ذَلِكَ كُلِّـهِ ... وَكَأنَّمـا يَعْنِـيْ بِذاكَ سِوانَـا
آخر : لِأَمْرٍ ما بَكَيْتُ وهَاجَ شَـوْقِي ... وقَدْ سَجَعَتْ على الأيْكِ الحَمَـامُ
لِأَنَّ بَيَاضَهَا كَبَيَاضِ شَـيْبِيْ ... فَمَعْنَى شَجْوِهَا قُرْبُ الحِمَـامِ

آخر :

لِلْضَّيْفِ أَنْ يُقْرَا وَيُعْرَفَ حَقُّهُ ... والشَّيْبُ ضَيْفُكَ فاقْرِهِ بِخِضَابِ
وَافِي بِأَكْذَبَ شاهِدٍ ولَرُبَّمَا ... وَافَى المَشيْبُ بِشَاهِدٍ كَذَّابِ
فافْسَخْ شَهَادَتَهُ عَلَيْكَ بِخَضْبِهِ ... تَنْفِي الظُّنُونَ بِهِ عَنِ المُرْتَابِ
فإِذادَ دَنَاوَقْتُ المشيْبِ فَخَلِّهِ ... والشَّيْبُ يَذْهَبُ فيه كُلَّ ذَهَابِ

آخر: لمَّا سَئِمْتُ مِن المَشيْبِ أَجَبْتُهُـم ... قَوْلَ أمْرِءٍ في أَمْرِهِ لَمْ يَمْـذِقِ
طَحَنَ الزَّمَانُ بِرَيْبِهِ وصُرُوْفِـهِ ... عُمْرِيْ فَثَارَ غُبَارَهُ في مَفْـرِقِي

آخـر :

لَمَّا رَأَتْ شَيْبِيْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ... وَرَأَتْهُ مُحْتَجِباً وَرَاءَ حِجَابِ
قَالَتْ خَضبْتَ فَقُلْتُ شيْبِيْ إنَّمَا ... لَبِسَ الحِدَادَ عَلَى ذَاهَابِ شَبَابِيْ

وبالتَّالي فإنَّ الغِشَّ مَعْصِيَةٌ لِلَّهِ ولِرَسُولِهِ ، وأنَّهُ لا يَفِيْدُ صَاحِبَهُ إلَّا الوِزْرَ ، والخِزْيَ العَاجِلَ والآجِلَ إنْ لم يَتُبْ ، والعارْ (ثالثا) أنَّ الغشَّ يُضَيِّعُ الثِقَـةَ ، وأنـهُ مِمَّا يَجْلِبُ الهَمَّ والغَمَّ ، وأنَّـهُ حَجَرٌ في طَرِيْقِ تَقَدُّمِ صَاحِبِ العَمَلِ ، وأنَّ الناسَ إذا عَرَفُوه بِذلَكَ انْصَرَفُوا عَنْهِ ، وأُغْلِقَ في وَجْهِهِ أبْوابُ الرِبْحِ .

ومِنْ جِنَايَاتِ الغِشِّ عَلَى صَاحِبِه أنَّ البَرَكَةَ تَذْهَبُ مِن عَمَلِ يَدَيْهِ ، ورُبَّمَا دَارَتْ عَلَيهِ أوْ عَلى ذُرِّيَتِهِ الدَّوائِرْ .

ومِنْ ذَلِك أنَّهُ دَلِيْلٌ على أنَّ نَفْسَ صَاحِبِه خَبِيْثَةٌ طَاغِيَةٌ .

ومِنْ ذَلِكَ أنَّ صاحَبُه يُعْتَبَرُ مِمَّنْ يَأْكُلُ أمْوَالَ الناسِ بالباطِلِ .

ومِنْ ذلكَ أنَّهُ دَلِيْلٌ على أنَّ صَاحِبَهُ مَا عِنْدَهُ رَأفةٌ وَرَحْمَةٌ لإخْوَانِهِ المُسْلِمْينَ ، وأنَّهُ مَا يُحِبُّ لهُم مَا يُحِبُّ لنَفْسِهِ .

ومِنْ ذَلِكَ كَمَا تَقدَّمَ أنَّهُ سَبَبٌ لِقَطْعِ الصِّلاتِ ، وَزَعْزَعَةِ الثِّقَةِ في المُجْتَمَعِ ، وأنَّهُ سَبَبٌ لإثَارَةِ الأحْقَادِ والبَغْضَآءِ بَيْنَ الناسِ وأنهُ سَبَبٌ لِنْشَرِ الفَسَادِ وتَضْييعْ المَصَالِحِ .

وأنّهُ مَانِعٌ لِلانِسَانِ مِن تَمَتُّعِهِ بِحَقِّهِ كَامِلاً ، وأنَّهُ مُنَاقِضٌ لِمَا هُوَ مَطْلُوبٌ مِنْهُ ، مِن أنَّهُ يُمَكِّنُ أخَاهُ مِن حَقِّهِ ، ويُعَاوِنُهُ في الحُصُولِ عليه .

وأنَّهُ مُنَاقِضٌ لِلنَّصِيْحَةِ .

وإنَّهُ يُعْتَبَرُ مِن عِدَادِ الكَذَّابِيْنَ وَالخَوَنَةِ والظَّلَمَةِ وأنَّـهُ بَعْيْدٌ عن الاخلاصِ .

وأنَّ صَاحِبَهُ يَكُونُ مَرْمُوْقاً بِعَيْنِ الاحْتِقَارِ والازْدِرَاءِ عَكْسَ المُخْلِصِ في عَمَلِهِ .

وأنَّ الغِشَّ أكْبَرُ بُرْهَانٍ عَلَى أنَّ صَاحَبَهُ لَا يُزَكِّيْ وأنَّهُ لا يَتَنَسَّخِ مِن الحُقوقِ الوَاجِبَةِ لأن مَنْ يأخُذُ أمْوَالَهم يَبْعِد جِدَا أنْ يُعْطِيَهُمْ .

وأنَّ الغِشَّ بُرْهانٌ عَلَى أنَّ عِنْدَ صَاحِبِه منَ الطَّمَعِ وَالشُّحِ والبُخْلِ والهَلَعِ الشَّيْءُ الكَثِيْرُ بدلِيلِ عَدَمِ اكتِفائِه بمَا أعْطَاهُ اللهُ .

وأنَّهُ دَلِيْلٌ عَلَى ضَعْفِ إيْمَانِ صَاحِبه ، وعَدَمِ احْتِرَامِه لأحَادِيْثِ المُصْطَفَى صلى اللهُ عليه وسلم لِمُعَاكَسَتِهِ لهَا مَعَ عِلمِهِ بِهَا .

ومِنْ جِنَايَاتِ الغِشِّ أنَّهُ يُوْقِعُ صَاحِبَهُ في طُوْلِ الموقِفِ والحِسَابِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وكَثْرَةِ الخُصَمَاءِ الذِيْنَ أخَذَ أمْوَالَهُم بغير حَقٍ .

وأَنَّهُ سَبَبٌ لإِضَاعَةِ حَسَناتِهِ ، أوْ لِحَمْلِ سَيِّئَاتِ غَيْرِهِ مِمَّنْ غَشَّهُمْ ، وأخذَ أمْوَالَهُمْ على وَجْهُ الاخْتِفاءِ لِجَنايَتِهِ على نَفْسِهِ بالغِشِّ .

ومِن مَضَّارِ الغِشِّ أنَّ صَاحِبَهُ يُسِيْءُ إلى أوْلَادِهِ وأسُرْتِهِ إذَا اشْتَهَر بِهِ ، لإِنَّهُ يُلوثُهُمْ بِهذه السُّمْعَةِ السَّيئَةِ ، والفَائِهَةِ القَبِيْحَةِ ، ويَحْمِلُ الناسَ عَلى أنْ يَقُولُوا لَهُمْ عَائِلة الغَشَّاشِ وأعْظِمْ بِهَا مِن أذيَّةٍ لِلْمُسْتَقِيْمِيْنَ ، وأذِيَّةُ الغَشَاشِ لِإوْلَادِهِ خَاصَّةً ، أشَدُ بِكَثِيْرٍ مِن أذَيَتِـهِ لِبَاقِي الأُسْـرَةِ البَعِيْدِيْنَ مِنْهُ ، لأنَّ الأبْنَاءَ حَوْلَ أبيْهِمْ ، يأخُذُوْنَ عنهُ ، ويَنْشَئُونَ على أخْلَاقِ أبِيْهِمْ غَالِبَاً فإنَّهُمْ إذَا نَشئُوْا عِنْدَهُ لاَ بُدَّ أنْ يَأخُذُوْا مِنْ طِبَاعِهِ ، ويُوْشِكُ أنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ غَشَّاشِيْنَ بَعْدَ مَا يَبْلُغُوا مَبْلَغ الرُّجُوْلَةِ ، فيَكُونُ أبُوْهُمْ سَبَباً في وُقُوعِهِمْ في ضَررِ الدُنْيَا والآخِرَةِ ، وإنْ تَحرَّجُوْا ولا سَلَكُوا طَرِيْقَةَ أبِيْهِم بـالغِشِ فَمَا مِن سَـلاَمَة ، يُعَيِّـرُهُمُ الناسُ ويقُـولُون لَهُمْ : يَـا أوْلَادَ الغَشَّاشِ ، وهَذِه أذِيَّةٌ عَظِيْمَةٌ ، تُؤَدِيّ إلى التَّشَاجُرِ والتَّقَاطُعِ والتَّهَاجُرِ وتَبَادُلِ السِّبَابِ .

وأمَّا أذِيَّةُ الغَشَّاشِ لجَمَاعَتِهِ وأهْلِ بَلَدِهِ فَوَاضِحَةٌ ، لإنَّهُ يَكُوْنُ لَهُمْ قَدْوَةً سَيئَةً ، يُسَمُّونَهُم قَوْمَ الغَّشَاشِ ، وجَمَاعَةَ الغَشَّاشِ ، والطِّبَاعُ سَرَّاقَةٌ مِن حَيْثُ يَشْعُرُ أصْحَابُهَا ومِن حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ ، فَيَسْرِي إلَيْهِمْ هَذَا الطَّبْعُ والخُلُقُ الذي هُو الغِشُ ، فإنْ لَمْ يُصِبِ الجَمِيْعَ تأثَرَ بِهِ البَعْضُ كالجَرَبِ .

وبهَذَا تُنْسَبُ الجَمَاعَةُ والسَّاكِنُونَ في بَلَدِهِ إلى الغشِّ ، نَظَرَاً لِذلِكَ الغَشَّاشِ ، ويُقَالُ بَلدُ الغَشَّاشِيْنَ ، كَمَا يُقَالُ بِلادُ الفَرَاعِنَةِ ، وهَذِهِ مُصِيْبَةٌ عَظِيْمَةٌ ، ودَاهِيَةٌ دَهْيَا .

وأمَّا ضَرَرُ الغَشَّاشِ وَأذِيَّتُهُ لِلدِّيْنِ ، فَيَالَهَا مِنْ مُصِيبَةٍ فَادِحَةٍ ، وَعَقَبَةٍ كَؤُوْدٍ ، ضِدَّ القَائِمِيْنَ بالدَّعْوَةِ إلى الاسلامِ ، ونَشْرِ مَحَاسِنِه ، والحَثِّ

عَلى التَّخلُقِ بأخْلاقِ المُسْلِمِيْنَ ، والتّأدُبِ بآدَابِهِم ، لأَنَّ أعْدَاءَ الاسلامِ إذَا نَظَرُوْا إلى هَؤُلَاءِ الغَشَّاشِيْنَ ، يَرْمُوْنَ الدِيّنْ الاسْلامِي بالنقصِ ، ولا يَقُوْلُونَ إنَّ النَّقْصَ في الناسِ ، لِعَدَمِ تَمَسُّكِهِمْ بالدِّيْنِ ، وعَدَمِ تَطْبِيْقِهِمْ لِإحْكَامِهِ ، بَلْ يُلْصِقُونَ النَّقْصَ وَالعَيْبَ بالدِّيْنِ الاسلامِي ، وذلكَ صَدٌّ عَن اتِّباعِ الدِيْنِ الحَقِّ ، وهَذَا قَلْيْلٌ مِن كَثِيْرٍ ، مِمَّا يَنْشأُ عَن الغِشِّ مِن الأضْرَارِ والأذَايَا ، اقْتصَرْنَا عَلَيهِ خَشْيَةَ الأطَالَةِ ، والا هُوَ يَسْتَدِعي مُصَنَّفاً وَحْدَهُ .

وبالتَّالِي فمَا الدَّاعِي إلى ذلكَ أيُّهَا المُسْلِمُونَ ؟ أهُوَ القُوْتُ الذي تَكَفَّلَ بِهِ الحَيُّ الذي لا يَمُوْت ؟ وما رَأيْنَا تَقِيّاً مَاتَ جُوْعَاً ، أوْ مُؤْمِناً وَرِعاً قَضَى غَرْثَانا طَاوِياً ، أمْ هُوَ الجَشَعُ والطَّمَعُ ، وشَرَهُ النُفُوسِ في جَمْعِ الحُطَامِ الفَانِي ؟ وَقَدْ أُمِرْنَا بمُجَاهَدَةِ النُفُوسِ ، وَتَقْوِيْمِهَا حتى تَرْعِوَيْ وَتَسْتَقِيْمَ ، امْ إنَّ ذلكَ المُشْتَرِيْ قد ارْتَكَبَ مِن الوِزْرِ مَا يَسْتَحِقُ بِهِ العُقُوْبَةَ .

أيُّهَا التُّجار مَا هَكَذَا يَكُونُ الرِبْحُ ، وما هَكَذَا يَكُونُ المُكْسَبُ وما بِتْلْكَ الأسَالِيْبَ تَتَكَوَّنُ الثَّرْوَةُ ، ويُجْمَعُ المَالُ ، ولَكِنْ بالصِّدْقِ والأمَانَةِ والذِمَّةِ والشَّرَفِ ، والعِفَةِ عن الحَرامِ ، فَكِرُوْا في مَصِيْرِ ما أتْعَبْتُمْ نُفُوسَكُم وأبْدَانَكُمْ في جَمْعِهِ ، وفَكِّرُوْا في المُنَاقَشَةَ يَوْمَ القِيامَةِ عَنْ دُخُولِهِ وخُرُوجِهِ ، وأنَّكُم مُفَارِقُوهُ عن قَرِيبٍ رَغم أنوفِكُمْ لأناسٍ يُضَيِّعُوهُ في الملاهِي والمنكرات كالتلفزيون والفيديو والسينماء والمَذَاييْع والسَّفرِ لِبلادِ الكُفْرِ . وبعضهم يُنْفِقُونَهَا في دِراسَتِهم على الكَفَرةِ والعياذُ بالله ، ويأتون بشَهَاداتٍ مِن الكفار يأكلون بها نسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ مما ابْتُلُوا بِهِ .

اللهُمَّ احْفَظْنَا مِن المُخَالَفَةِ وَالعِصْيَانِ وَلا تُؤَاخِذْنَا بِجَرائِمَنَا وَمَا وَقَعَ مِنَّا مِن الخَطأ وَالنِّسْيَانِ وَاغْفِر لَنَا وَلوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمين الأحْيَاءِ

مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا ارْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

شِعْرا : أَبَعْدَ بَيَاضِ الشَّيْبِ أَعْمُرُ مَنْزِلاً
سِوى القَبْرِ إِنِّي إِنْ عَمَرتُ لأَحْمَقُ
يُخَبِّرُنِي شَيْبِيَ بِأَنِّيَ مَيِّتٌ
وَشِيْكاً فَيَنْعَانِيْ إِليَّ وَيَصْدُقُ
يُخَرِّقَ عُمْرِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
فَهَلْ مُسْتَطَاعٌ رَقْعُ مَا يَتَخَرَّقُ
كَأَنِّيْ بِجِسْمِي فَوْقَ نَعْشِي مُمَدَّداً
فَمِنْ سَاكِتٌ أَوْ مُعْوِلٍ يَتَحَرَّقُ
إِذَا سُئِلُوْا عَنِّيْ أَجَابُوا وَأَعْوَلُوا
وَأَدْمُعُهُم تَنْهَلُ هَذَا المُوَفَّقُ
وَغُيِّبْتُ فِي صَدْعٍ مِنَ الأَرْضِ ضَيِّقٍ
وَأُوْدِعْتِ لَحْداً فَوقَهُ الصَّخْرُ مُطْبَقُ
وَيَحْثُوْ عليَّ التُّربَ أَوْثَقُ صَاحِبٍ
وَيُسْلِمُنِي لِلْقَبْرِ مَن هُوَ مُشْفِقُ
فَيَا رَبُّ كُنْ لِي مُؤْنِساً يَوْمَ وَحْشَتِي
فَإِنِّي بِمَا أَنْزَلْتَهُ لَمُصَدِّقُ
وَمَا ضَرَّنِي أَنِيَ إِلىَ اللَّهِ صَائِرٌ
وَمَن هُوَ مِن أَهْلِيْ أَبَرُّ وَأَرْفَقُ

آخر :

نَرْضَى بِمَا قَدَّرَ الرحمنُ مَوْلَانَا
وَمَا يَكُونُ وَمَا مِنْ أَمْرِهِ كَانَا

وَالحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدَ الحَامِدِيْنَ لَـهُ
حَمْداً كَثِيْراً كَمَا يُرضِيهِ رِضْوانَا
ألاَ فَإنَّا لَـهُ مَاضٍ تَصَرُّفُهُ
فِيْنَا لَعَمْرِي ألاَ إلَيْهِ رُجْعَانَا
قَضَى وَقَدَّرَ أَنَّ المَوْتَ دَائِرَةٌ
كُؤوسُهُ في الوَرَى لَمْ تُبْقِ إنْسَانَا
فَأيْنَ عَادٌ وكِسْرَى وابنُ ذِي يَزَنٍ
ومَن يُوَازِرُهُمْ ومَن لَهُمْ عَانَا
لَمْ يَمْنَعِ الموتَ عنهم حَاجِبُونَ وَلَمْ
يُبْقِ البِلَى لَهُمُ صَرْحاً وإيْوَانَا
بَلْ أيْنَ صَفْوَةُ خَلْقِ الله قَاطِبَةً
وأرْجَحَ الناسِ عِند اللهِ مِيْزَانَا
تَجرَّعَ الكُلُّ كَأْسَ المَوْتِ وانْتَقلُوا
عن هَذِهَ الدَّارِ شِيْبَاناً وشُبَّانَا
فَتِلْكَ مَوْعِظَةٌ لِأَنْفُسٍ فُجِعَتْ
أضْحَتْ وقَدْ لَقِيْتَ هَمَّا وَأحْزَانَا

اللهم ثَبِّتْ وقَوِّي إيمانَنَا بِكَ وبمَلائِكَتِكَ وبكُتُبِكَ وبِرُسُلِكَ وباليومِ الآخرِ وبالقدرِ خيرِه وشَرِّهِ اللهم أصلحْ أحوالَنا وأكِفنا شَرَّ أشرارِنا واحْفَظْنَا مِن بينِ أيدينا ومِن خلفنا ونعوذُ بَعظَمَتِكَ أن نُغْتَالَ مِن تَحْتِنَا ونسألك أن تغفرَ لنا ولِوَالِدِينا وجميعِ المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى

اللَّهُمَّ انَّ نَوَاصِيْنَا بِيَدَيْكَ وَأُمُوْرُنَا تَرْجِعُ الَيْكَ وَأَحْوَالُنَا لاَ تَخْفَي عَلَيْكَ ، وأَنْتَ مَلْجَؤُنَا وَمَلاذُنَا ، وَإِلَيْكَ نَرْفَعُ بَثَّنَا وَحُزْنَنَا وَشِكَايَتَنَا ، يَا مَنْ يَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلاَنِيَتَنَا نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتَهُ واسْتَهْدَاكَ

فَهَدَيْتَهُ وَهَبْ لَنَا مِنْ فَضْلِكَ العَظِيْمِ وَجُدْ عَلَيْنَا بإحْسَانِكَ العَمِيْمِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَا مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلى اللهُ عَلَى مُحمد وعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

موعظة :عِبَادَ اللهِ فَتِشُوْا قُلُوْبَكُم بتَأَنٍّ واتِّئَادٍ ، وابْحَثُوْا عَمَّا تَغَلْغَلَ فِيْهَا مِن الأَضْغَان والأَحْقَادِ ، فَاذا وَجَدْتُمْ شَيْئاً مِن ذَلِكَ فاجْتَهِدُوْا وَاعْمَلُوا عَلَى سُرْعَةِ إزَالَتِهِ وَمَحْوِهِ بِجِدٍ واجْتِهَادٍ وأَعْرِضُوْا بِكُلِّيَتِكُم عن وَحْي الشيطانِ وَوَساوِسِهِ ، واسْتَعِيْذُوا باللهِ القَوِي القَدِيرِ مِن هَمَزَاتِهِ وهَوَاجِسِهِ ، فانَّهُ لا يُرِيْدُ إلَّا إيقَاعَكُم في البَلاَ ، وَتَعْرِيْضَكُم لِسَخَطِ اللهِ ومَقْتِهِ الشَّدِيدِ ، مَاذَا يَضُرُّكُم إنْ تَنَازَلْتُمْ عَنْ بَعْضِ حُقُوقِكُم ، وتَجَاوَزْتُمْ وصَفَحْتُمْ عَمَّنْ أَسَاءَ إلَيْكُم مِن إخْوانِكُم ، وقَصَدْتُمْ وَجْهَ اللهِ وثَوابَهُ في صَفْحِكُم وتَنَازُلِكُم ، وبذَلِكَ تكُونُونَ قَدْ أَرْضَيْتُمْ اللهَ رَبَّ العَالَمِيْن ، وأَبْعَدْتُمْ شَبَحَ الشَّرِ عَنْكُم . وعَنْ إخْوَانِكُم المُسْلِمِيْن وكُنْتُم أَصْحَابَ الفَضْلِ والمِنَّةِ ، يَشْكُر اللهُ والناسُ لكُم هَذَا الخُلُقَ الطَّيِّبَ الحَمِيْدَ ، أَلَا فاحْرِصُوْا عِبادَ اللهِ على الفَضْلِ العَظِيْمِ ، وأَقْبِلُوا سِرَاعاً إليْهِ ، واكْظِمُوا غَيْظَكُم ، وابْذِلُوا جُهْدَكُم في التَّغَلُّبِ عليهِ ، واعْلَمُوا أَنَّ الجَزَاءَ مِن جِنْسِ العَمَلِ ، فاللهُ يَغْفِرُ مِن ذُنُوبِ العَافِيْنَ عن الناسِ ، وَيُمَجِّدُ الكَاظِمِيْنَ الغَيْظَ ، ويَتَوَلاَهُمْ بالفَضْلِ والكَرَامَةِ ، ويُزَوِّجُهُم مِن حُوْرِ الجِنَانِ ما يَشَاؤُونَ يومَ القِيَامَةِ ، ويَدْعُوْهُمْ يومَ القِيَامَةِ على رُؤُوسِ الخَلائِقِ إلى تِلْكَ الكَرَامَةِ ، لِيَعْلَمَ فَضْلَهُمْ ، ويَشْهَدَ مَجْدَهُمْ القَرِيبُ والبَعِيْدُ . فاذَا مَا عَلِمْتُمْ هَذَا فَقَارِنُوْا بيْنَهُ وبَيْنَ مَا يُعَامِلُ اللهُ به المُشَاحِنَ الحُقُوْدَ الحَسُوْدَ ، الذِيْ أَجَابَ دَاعِيَ الشَّيْطَانِ ، وأَعْرَضَ عَنْ نَصِيْحَةِ رَبِّهِ الذِي خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ ، وَيَسَّرَ لَهُ أُمُورَهُ ، وأَصَرَّ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِن التَّقَاطُعِ والشَّحْنَاءِ والصُّدُوْدِ ، وسَتَرَوْنَ أنَّهُ بعِنَادِهِ وَإبَائِهِ واسْتِكْبَارِهِ قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ عَرَّضَ نَفْسَهُ في الدُّنْيَا لِنِقَمِ اللهِ

المُتَعَاقِبَةِ ، وأبقى لَهَا بَعْدَ المَوتِ جَهَنَّمَ يَلْقَى فِيْهَا العَذابَ الأَلِيْمَ ، وَقَدْ وَرَدَ عَن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم : أَنَّ المُتَهَاجِرَيْنَ المُتَشَاحِنَيْنِ ، يُعْرِضُ اللهُ عنهما ، وَإِذَا أَفَاضَ عَلَى خَلْقِهِ رَحْمَتَهُ كَانَ الحِرْمَانُ نَصِيْبَهُمَا ، ولا يَزَالانِ هكذا . حَتَّى يُزِيْلَا مَا بَيْنَهُمَا مِن الخِصَامِ ، وَيَعُوْدَا إِلَى ما كانَا عَلَيْهِ مِن قَبْلُ مِن الصَّفَاءِ والوِئَامِ ، واللهُ سبحانه وتعالى عَفُوٌ غَفُوْرٌ : تَفَهَّمُوْا يا إِخْوَانِي جَيِّداً ، واقْرَعُوْا قُلُوبَكُمْ بِمَا سَمِعْتُمْ مِن الزَّوَاجِرِ والعِظَاتِ ، واعْلَمُوْا أَنَّ أَقْرَبَ المُتَصَافِيَيْنِ إلى اللهِ أَسْبَقُهُمَا إلى الصَّفْحِ ، وتَنَاسِيْ مَا فَاتَ ، وأَعْظَمَهُمَا أجراً مَن بَدَأَ بالسَّعْيِ إِلَى إِزَالَةِ الأَضْغَانِ والأَحْقَادِ ، فإنْ اسْتَجَابَ خَصْمُهُ لِلصُّلْحِ ، ولَمْ يَتَأخرْ ، فَبِهَا وَنِعِمَتْ ، واسْتَحَقَّ نَصِيْبَهُ مِنَ الأَجْرِ والثَّوَابِ ، وَإِن أَبَى وامْتَنَعَ فَقَدْ احْتَمَلَ الاثمَ والعِقَابَ فاتقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ ، واعْمَلُوا بهذِهِ النَّصِيْحَةِ ، وسَارِعُوا بالاعتذارِ إلى رَبِكُم ، واسْتَجِيْبُوا إلى دَاعِي الهُدَى والرَّشَادِ ، وأَصْلِحوا ذاتَ بَيْنِكُم ، وهَلُمُوا سِراعاً إلى مُصَافَاةِ مَن خَاصَمْتُمْ مِن إخْوانِكُم ، وبذلكَ تَصُونُونَ بُيُوتَكُم مِن الخَرَابِ ، وتَحْفَظُونَ أَمْوالَكُم مِن التَّلاشِيْ والذَّهَابِ ، وتَرْجُونَ رِضَا رَبِكُم وَعَفْوَهُ يومَ البَعْثِ والحِسَابِ ، ﴿ يومَ لا يَنْفَعُ مَالٌ ولا بَنُونَ ، إلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بقَلْبٍ سَلِيْم ، ﴾ ، ﴿إن في ذلك لَذِكْرَى ، لِمَنْ كانَ له قلبٌ ، أَوْ أَلْقَى السمعَ وهو شهيد﴾ رَوَى أبو دَاوُدَ عن أبي هريرة رضي الله عنهُ أَنَّ رسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم قال « لا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِناً فَوْقَ ثَلاثٍ ، فإنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلاثٌ فَلْيَلْقَهُ فليُسَلِّمْ عَلَيهِ ، فإن رَدَّ عليهِ السلامَ فَقَد اشْتَرَكَا في الأَجْرِ ، وإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ باءَ بالاثِم وَخَرَجَ المُسَلِّمُ مِن الهَجْرِ » وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال .

« تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يومَ الاثْنَيْنِ والخَمِيْسِ ، فَمِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرُ لَهُ ، ومِن تَائِبٍ فيُتَابُ عَلَيْهِ ، وَيُرَدُّ أَهْلُ الضَّغَائِنِ بضَغَائِنِهِم حتى يَتُوبُوا » وَوَرَدَ عنهُ صلى اللهُ عليه وسلم انَّهُ قال « مَن كظَمَ غَيْظاً وهُوَ قَادِرٌ أن يُنَفِّذَهُ ، دَعَاهُ اللهُ يومَ القِيَامَةِ على رُؤُوسِ الخَلائِق ، حتى يُخَيِّرَهُ مِن الحُوْرِ العِيْنِ مَا شَاءَ» اللهم أَعِذْنَا مِن الهَمِّ والحَزَنِ والعَجْزِ والكَسَلِ والجُبْنِ والبُخَلِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمين وصَلَّى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ .

شعرا :

أَجِدُّكَ ما الدُّنْيَا وَمَاذَا نَعِيْمُهَا
وهَلْ هِيَ إلاَّ جَمْرَةٌ تَتَوَقَّدُ
إذَا نَالَ مِنْهَا طَالِبٌ مَا يَرُومُهُ
وَسَاعَدَهُ المَقْدُوْرُ فَالمَرْءُ يَسْعَدُ
أَتَاهُ غداً مِن خَطبِهَا كُلُّ فَادِحٍ
ويلْقَاهُ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ يُنَكِّدُ
لَعَمْرِي لَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْهَا عَجَائِباً
وَصَاحَبَنِي فِيْهَا مَسُودٌ وَسَيِّدُ
رَأَيْتُ بِهَا أَهْلَ المَوَاهِبِ مَرَّةً
« وقَدْ طَابَ عَيْشٌ والسُّرُوْرُ يُجَدَّدُ »
فَمَا رَاعَهُم إلاَّ الرَّزايا ثَوابِتٌ
عَلَيْهِمْ وَقَامَتْ في أَذَاهُمْ تَحَشَّدُ
وَأَسْقَتْهُم كَأْساً مِنَ الذُّل مُتْرَعاً
وكَانَ لَهمْ فَوقَ السِّمَاكَيْنِ مَقْعَدُ

وَدامَتْ لِمَنْ نـاوَاهُم بَعْضَ بَرْهَـةٍ
عَلَى نَكَـدٍ في كُـلِّ يَـوْمٍ يُجَـدَّدُ
وَقَدْ شاهَدَتْ عَيْنَاكَ مَن كَانَ بَعْدَهُم
فَمَـالِي وَوَصْفِي لِلّذِي أَنْتَ تَشْهَـدُ

اللهمَّ أَرِنَا الحَقَّ حَقّاً وارزُقْنا اتِباعَهُ وَأَرِنَا الباطِلَ باطلاً وارزُقْنا اجْتِنَابَهُ واغْفِـرْ لَنَا ولِـوالدِينـا ولجَمِيعِ المسلمينَ بِـرَحْمَتِكَ يـا أرْحَمَ الراحمينَ وصلَّى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين .

« فَصْـــلٌ »

اعْلَمْ وَفَّقَنَا اللهُ وإِيَّاكَ وجَمِيْعَ المُسْلِمِيْن لِمَا يُحِبُّهُ ويَرْضَاهُ ، أَنَّ مِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ اليَمِيْنُ الغَمُوْسُ ، قالَ الله تعالى ﴿إن الذِينَ يَشْتَرُوْنَ بعَهْدِ اللهِ وأيْمَانِهِمْ ثَمناً قَلِيْلاً ، أُولَئِكَ لاخَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ ، ولا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ ، ولا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ ، ولا يُـزَكِيْهِمْ ولَهُمْ عذابٌ أليم﴾ قِيْلَ نَزَلَتْ في رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا إلى رَسُوْلِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم. في ضَيْعَةٍ ، فَهَمَّ المُدَّعي عَلَيْهِ أنْ يَحْلِفَ ، فَأَنزَلَ اللهُ هَذِه الآيَةَ ، فَنَكَلَ المُدَّعَي عَلَيهِ عن اليَمِيْن ، وأَقَرَّ لِلْمُدَّعِي بحَقِّهِ ، وعَن أَبِيْ أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال « مَن اقْتَطَع حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِيْنِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لهُ النارَ ، وحَرَّمَ علَيْهِ الجَنَّة » فقال رجلٌ : وإن كانَ شَيْئاً يَسِيْراً يا رَسُوْلَ اللهِ ؟ قال « وإِنْ كَانَ قَضِيْباً مِن أَرَاكٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وعن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ، قال قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « مَنْ حَلفَ على يَمِيْنٍ وَهُوَ فِيْهَا فَاجِرٌ ، لِيَقْطَعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ ، لَقِيَ اللهَ تعالى وهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ » ، إِذَا فَهِمْتَ ذلِكَ فاعْلَمْ أَنَّ

اليَمِيْنَ الغَمُوْسَ لَيْسَ بالأَمْرِ الهَيِّنِ ، فإنَها إنَّمَا سُمِيَتْ غَمُوساً لأنها تَغْمِسُ الحَالِفَ في النارِ ، وكَيْفَ لا يَكُونُ كَذَلِكَ ، وهُوَ يَتقَدَّمُ بِلاَ اكْتِرَاثٍ ولا مُبَالاةٍ ، إلى أَحَدِ الأسْمَاءِ الحُسْنَى ، فَيَحْلِفُ بِهَا ، مُؤَكِّداً قولَهُ عِنْدَ السَّامِعِ بِهَذَا الحَلِفِ ولا يُفَكِّرُ أنَّ هَذَا القَسَمُ العَظِيْمُ ، إذَا لَمْ يَتُبْ مِن ذَلِكَ تَوْبَةً نَصُوْحاً ، ويُقْلِعَ إلى اللهِ وَيَنْدمَ على مَا فَعَلَ فانه يَضُرُّهُ في الدنيا والآخرَةِ ، أما ضَرَرَهُ في الدُنْيَا فيكونُ سَبَباً لِمَحْقِ البَرَكَةِ لَهُ فِيْمَا يَتَعَاطَاهُ ، وإذا انْتُزِعَتِ البَرَكَةُ حَلَ مَحَلَّهَا الفَشَلُ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّهُ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُوْلُ « الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ » متفق عليه، ورَوَى البَزَّارُ أنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قال « اليَمِيْنُ الفَاجِرَةُ تُذْهِبَ المَالَ ـ أَوْ قَالَ ـ تَذْهبُ بالمالِ » وإذا ذَهَبَ المالُ خَرِبَ البَيْتُ ، وأَصْبَحَ صَاحِبُهُ في عِدَادِ الفُقَرَاءِ ، وأَمَّا في الآخرةِ فَحَسْبُ الحَالِفِ أنْ يَسْمَعَ ما وَرَدَ عن عبدِ اللهِ بن عَمْرِو بنِ العاصِ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال « الكبائرُ الاشراكُ باللهِ ، وعقوقُ الوالدين ، وقَتْلُ النَّفْسِ ، واليَمِيْنُ الغَمُوسُ » وقوله صلى الله عليه وسلم « لَيْسَ شَيءٌ مِمَّا عُصِيَ اللهُ بهِ هُوَ أَعْجَلُ عُقُوبَةً مِنَ البَغْيِ ، وَمَا مِن شَيءٍ أُطِيْعَ اللهُ بِهِ أسْرَعَ ثَوَابَا مِن الصِّلَةِ ، واليَمِيْنُ الفَاجِرَةُ تَدَعُ الدِّيَارَ بَلاقِعَ » رواه البيهقي .

ثُمَّ إن الحَلِفَ باللهِ كَذِباً اسْتِخْفَافاً باسمِ اللهِ واسْتِهَانَةً بِهِ ، وتَشَبُّهٌ بحَالِ المُنَافِقِيْنَ، الذين أَخْبَرَ اللهُ عَمَّا قالُوا بقَولِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وسَيَحْلِفُونَ باللهِ لَو اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إنَّهُمْ

لَكَاذِبُون ﴾ فأخْبرَ تَعَالَ أَنَّهُمْ بِهَذَا الحَلِفِ ، وبهذا الكَذِبِ الذِي يُخَيَّلُ إليْهِمْ أنَّهُ سَبِيْلُ لِلنَّجَاةِ عِنْدَ النـاسِ ، يُهْلِكُون أَنْفُسَهُمْ ، واللهُ يَعْلَمُ الحَقَّ ، ويَكشِفُهُ لِلنّاسِ ، فَيَهْلِكَ الكاذِبُ في الدُنْيَا بكَذِبِه ، ويَهْلِكُ في الآخِرَةِ يومَ لا يُفِيْدُهُ انْكَارُهُ شَيْئاً ، وكَفَى بالحَلِفِ الكَاذِبِ شُؤْماً ولُؤْماً أنّهُ فِعْلُ المُنَافِقِيْنَ ، وأنَّ فَاعِلَهُ مِن المؤمِنِيْنَ إنّمَا يَفْعَلُ فِعْلاً يُشابِهِ فِيْهِ أهْلَ النِّفَاقِ ، أَخْبَثَ الكُفَارِ ، الذينَ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ أنّهُم رِجْسٌ وانّهُمْ في الدّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النارِ ، وانْطَبَقَ عَلَى كَثِيْرٍ مِن أهْلِ هَذَا العصر قول الشاعر :

زَمَانُ كُلُ حِبٍّ فيه خَبُّ وطَعْمُ الخِلِ خَلُّ لَوْ يُذَاق
لَهُـمْ سُوْقُ بِضَاعَتُـهُ النِّفَـاقُ فَمَنْ ناقٌ يَكوُنْ لَهُ نَفَـاقُ

آخـر :

أَمْسَى النِّفَاقُ دُرُوعاً يُسْتَجَنُّ بها عن الأَذَى ويُقَوّيِ سَرْدَهَا الحَلِفُ

ويَعْظُمُ الإثْمُ إذا كَانَ الحَلِفُ الكَاذِبُ تَرَتَّبَ عَلَيْهِ اقْتِطَاعُ مالِ عَبْدٍ مُسْلمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ ، لِلْحَدِيْثِ السَّابِقِ « مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ بغيرِ حَقٍ لَقِيَ اللهَ وهُوَ عَلَيهِ غَضْبَانٌ » ومَنْ يُطِيْقُ أنْ يَلْقَى خَالِقَ السَّمواتِ والأَرْضِ وهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَـانٌ ، الذِي السمـوات والأَرْضُ قَبْضَتُهُ يَـومَ القِيَامَةِ ، والآية التي قَرَأَهَا المُصْطَفَى صلى اللهُ عليه وسلم إثْرَ الحَدِيْثِ ، مِصْدَاقاً لما أَخْبَرَ تُفِيْدَ أن غَضَبَ اللهِ عَظِيْمٌ ، فإنَّهَا تُخْبِرُ عن الذين يَشْتَرُوْنَ بعَهْدِ اللهِ وأَيْمَانِهِم ثَمَناً قَلِيلاً ، بأنَّه لا خَلاَقَ لَهُم في الآخرةِ ، ومَعْرُوْفٌ أنَّ الذي لا نَصِيْبَ له في الآخِرَةِ الكافِرُ والعِيَاذُ باللهِ ، وإلاّ فالذي لا عَمَلُ لَهُ إلا الايمانُ والعملُ الصالحُ لا يَسْتَطِيْعُ أحدٌ أن يَقولَ :

إِنَّهُ لا خَلاقَ في الآخِرَةِ ، ومَعَ أنهُ لا خلاقَ لَهُ في الآخِرَةِ فلا يُكَلِّمَهُ الله ولا يَنْظُرُ إليهِ يَوْمَ القِيامَةِ ، ولا يُزَكِّيْه ، ولهُ عَذابٌ اَلِيْمٌ فَلْيَتَأمَلِ العاقِلُ اللَّبِيْبُ ما في هذهِ مِن الوَعِيدِ الشَدِيْدِ ، ولْيَحْذَرْ أنْ يَكُونَ مِمَّنْ اتَّصَفَ بذَلِكَ ، نعوذُ باللهِ مِن غضبه .

ولَقَدَ بَلَغَ تَهاوُنُ كَثِيْرٍ مِن النَّاسِ بالأَيْمَانِ الكاذِبَةِ إلَى ما تَقْشَعِرُّ مِنْهُ الجُلُودُ ، حَتى في حَدِيْثِهِمْ في بُيُوتِهِمْ ، وفي مَجالِسِهِمْ الخَاصَّةِ ، وفي أَسْوَاقِهِم ، وفي مُعامَلاتِهِمْ ، وفي أَوْعَادِهِمْ ويَأْتِيْ بالقَسَمِ بهَذَا اللَّفْظِ (واللهِ العَظِيْمِ) يُؤَيِّدُوْنَ ما يتكلَّمُوْنَ به مِنْ مَوَاعِيْدِ وهُمْ في ذَلِكَ ، مُتَّهَمُوْنَ في إخْلَافِ الوَعْدِ ، كَمَا قِيْل :

وفِي اليَمِيْنِ عَلَى مَا أَنتَ فَاعِلُه
مَا دَلَّ أَنَّكَ في المِيْعَادِ مُتَّهَمُ

واسْتَمِعْ لَهُمْ وخُصُوصاً عندَ البَيعِ والشِّرَاءِ ، لِيَبِيْعُوْا مَا مَعَهُم بسُرعَةٍ مِن نَاحِيَةٍ ، ومِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى لِيَكْثُرَ رِبْحُهُمُ في زَعْمِهِم ، فَعَلَى الانسانِ أنْ يَكُونَ حَذِراً مِنْهُم ، ولَوَ حَلَفُوْا أَمَامَه فقد أَصْبَحَ الحَلِفُ عِنْدَهُمْ عَادَةً ، ولِهَذَا أَكْثَرُ الناسِ إذا حَلَفُوا لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يسْمَعهُمْ يَحْلِفُونَ ، ولْيَبْشِرُوْا مَعْشَرَ الحَالَفِيْنَ على سِلَعِهِم كَذِباً وَتَروِيْجاً أن رِبْحَهُمْ مَهْمَا كَثُرَ مَصِيْرُهُ لِلزَّوَالِ ، فَإنَّهُ لا بَرَكَةَ فِيْهِ ، وكَيْفَ يُبارَكُ في رِبْحٍ لم يَجِيءْ إلا مَن غِشٍ وتَدْلِيْسٍ وكَذِبٍ ومَعْصِيَةٍ لِلهِ ولِرَسُولِهِ صلى اللهُ عليه وسلم .

وعن أبي ذَرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ولا يُزَكِّيْهِمْ ، ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ » فَقَرَأَ رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ثلاث

مَرَاتٍ ، فقال أبو ذر . خَابُوْا وخَسِرُوْا يَا رَسُولَ اللهِ ، مَنْ هُمْ ؟ قال « المُسْبِلُ والمَنَّانُ والمُنَفِّقُ سِلعَتَهُ بالحَلِفِ الكَاذِبِ » ولا يَجُوْزُ الحَلِفُ بِغَيْرِ اللهِ لا بِكَعْبَةٍ ولا بِنَبِيٍ ولا مَلَكٍ ، لِقَوْلِهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ « فَمَنْ كَانَ حَالفاً فَلْيَحْلِفْ باللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ » متفق عليه ، ولِمَا وَرَدَ عَن ابن عُمَرَ رَضِي اللهُ عنهما أنَّهُ سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ : والكَعْبَةِ . فَقَال لا تَحْلِفْ بِغَيْرِ اللهِ ، فانِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقولُ « مَنْ حَلَفَ بغيرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ » رواه الترمذي وحسنه ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهم ، ولا يَجُوزُ الحَلِفُ بالأَمَانَةِ لِمَا رَوَى أبو داودَ عن بُرَيْدَةَ مَرْفُوعا قال « لَيْسَ مِنّا مَن حَلَفَ بالأَمَانةِ » ورِجالُهُ ثِقات .

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكركَ وشكرك وَوَفِّقْنَا لامْتِثَال أَمْرِكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِـوَالِدَيْنَـا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ

تَدَبَّرْ كِتَابَ اللهِ يَنْفَعْكَ وَعْظُـــهُ
فإنَّ كِتَــابَ اللهِ أَبْلَــغُ واعِــــظِ

وبِـالعَيْنِ ثم القَلْبِ لاحِـظْهُ واعْتَبِـرْ
مَعَـانِيَـهُ فَهْـوَ الهُـدَى لِلْمُـلاحِظِ

وأَنْـتَ إذَا أتْقَـنْتَ حِـفْظَ حُـرُوْفِـهِ
فَـكُنْ لِـحُـدوْدِ اللَّهِ أقْـوَمَ حَـافِظِ

ولا يَنْفَـعُ التَّجْـوِيْـدُ لاَفِظَ حُكْمِـهِ
وإنْ كـانَ بـالقُـرْآنِ أفْصَـحَ لاَفِظِ

ويُـعْـرَفُ أهْلُوْهُ بـإحْيَـاءِ لَـيْـلِهِمْ
وصَوْمِ هُجَيْرِيْ لاهِجِ القَيْضِ قَائِظِ

وغَضّهِمْ الأَبْصَارَ عن كُلِ مَأْثَمٍ
يَجُرُّ بتَكْرِيْرِ العَيُوْنِ اللَّواحِظِ
وكَضْمهِمُوْا لِلْغَيْظِ عِنْدَ اسْتعارِهِ
إذَا عَزَّ بَيْنَ الناسِ كَظْمُ المَغَائِظِ
وَأَخْلاَقُهُم مَحْمُودَةٌ إنْ خَبَرْتَهَا
فَلَيْسَتْ بِأخْلاقٍ فِظَاظٍ غَلائِظِ
تَحَلَّوْ بِآدابِ الكِتَابِ وأَحْسَنُوا التَّ
تَفكُّرَ في أَمْثَالِهِ والمَوَاعِظِ
فَفَاضَتْ على الصَّبْرِ الجَمْيلِ نُفُوْسُهُمْ سَلاَمٌ عَلَى تِلْكَ النُّفوسِ الفَوَائِضِ

اللهُمَّ حَبِّبْ إلَيْنَا الإيْمَانَ وَزَيِّنْهُ في قُلُوبِنَا واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْن وصلى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْن **موعظة**

موعظة

عِبَادَ اللهِ إنَّ مِن أعْجَبِ العَجَبِ أَنْ يَعْصِي الرَّجُلُ مَوْلاَهُ وَإنَّمَا كَانَ ذَلِكَ عَجباً لأَنَّ المُؤْمِنَ يَتَيقَّنُ يَقِيْناً لا شَكَّ فِيْهِ أَنْ مَوْلاَهُ جَلَّ وَعَلاَ يَرَاهُ ، وَيَعْلَمُ سِرَّهُ وَنَجْوَاهُ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الانْسَانَ يَسْتَحِيي أَنْ يَفْعَلَ مَا يُغْضِبُ أَخَاهُ وَهُوَ يَرَاهُ ، مَعَ أَنَّهُ لاَ يَمْلِكُ لَهُ ضَرّاً ولا نَفْعَاً في هَذِهِ الدَّارِ ، ولا في دَارِ القَرارِ ، وإِذَا كَانَ هَذَا حَالُهُ مَعَ هَذَا المَخْلُوقِ فَعَجِيْبٌ جِداً أَنْ لاَ يَكُونَ أَشَدَّ احْتِرَاماً وَحَياءً مَعَ فَاطِرِ الأَرْضِ والسَّمواتِ ، مَعَ أَنَّهُ تعالَى هُوَ الذِي أَوْجَدَ الجَمِيْعَ مِن العَدَمِ وَهُوَ الذِي يَحْفَظُ عَلَيْكَ الحَيَاةَ وَهُوَ الذِيْ أَسْبَغَ عَلَيْكَ النِّعَمَ ظَاهِرَةً وباطِنَةً ، وَأَدَامَ ذَلِكَ عَلَيْكَ وَوَالاَهُ ، وَلَوْ شَاءَ لَسَلَبَكَ كُلَّ نِعْمَةٍ ، وَأَحَلَّ بِكَ كُلَّ نِقْمَةٍ ، وَجَعَلَكَ في هَذَا الوُجُوْدِ عِبْرَةً لأولي الأَبْصَارِ ، أَضِفْ إلى ذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الذِيْ يُمِيْتُكَ ، وَيُعَامِلُكَ في قَبْرِكَ

بِمَا يُنَاسِبُ مَالَكَ مِن أَعْمَالٍ ، وَهُوَ الذِيْ يَبْعَثُكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ، وَيَسُوْقُكَ إلى ذَلِكَ المَوقِفِ الذِيّ هَوْلَهُ يُشِيْبُ الأَطْفَالَ ، وَهُوَ الذِيْ يُحَاسِبُكَ عَلى مَا كَانَ مِنْكَ فِي حَيَاتِكَ الأُوْلَى مِن الأَفْعَالِ ، وهُوَ الذِيْ يَأْمُرُ بِكَ إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ وَإِمَّا إِلى النارِ ، نَعَمْ إِنَّهُ مِن أَعجَبِ العَجَبِ أَنْ يُجَاهِرَ المُؤْمِنُ رَبَّهُ بالمَعْصِيَةِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَالِكُ دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ ، إِن البُرْهَان الذِيْ لا مَغْمَزَ فِيْهِ على أَنَّكَ تَسْتَحِيْي مِن رَبِّكَ أَيُّهَا المُؤْمِنُ ، أَنْ تَكُونَ بَعِيْداً كُلَّ البُعْدِ دَائماً عن مَعَاصِي اللهِ ، فَتَحْبِسْ لِسَانَكَ عن القَذْفِ والكَذِبِ والنَّمِيْمَةِ والغِيْبَةِ ، والخُلْفِ في الوَعْـدِ ، وعن المِرَاءِ وَالجِـدالِ والاسْتِهْزَاءِ ، والسُّخْرِيَّةِ بالناسِ ، واللَّعْنِ والفُحْشِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُحَرَّمٌ شَرْعاً أَوْ مَكْرُوْهٌ ، لأَنَّ اللِّسَانَ إِنَّمَا خُلِقَ لِتِلاَوَةِ كِتَابِ اللهِ وَذِكْرِهِ ، وَلِتَرْشِدَ بِهِ خَلْقَ اللهِ ، وَتُظْهِرَ بِهِ مَا فِي ضَمِيْرِكَ مِنْ حَاجَاتِ دِيْنِكَ وَدُنْيَاكَ ، وَتُدَافِعُ بِهِ عَنْ دِيْنِكَ وَنَفسِكَ وَأَهْلِكَ ، فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ في غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ كَانَ وَبالاً عَلَيْكَ ، وَتَحْبِسُ عَيْنَكَ ، لأَنَّها إِنَّمَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَهْتَدِي فِي الظلماتِ ، وَتَسْتَعِيْنُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ الحاجاتِ ، وَتَنْظُرُ بِهَا بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ الى عَجَائِبِ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَتَعْتَبِرَ بِمَا فِيْهَـا مِنْ الآيَاتِ البَـاهِرَاتِ ؛ فاحْفَظْهَا عنْ النَّظَرِ إِلَى المُحَرَّماتِ ، مِنْ نَظَرٍ إِلَى غَيْرِ مَحْرَمٍ مِنْ النِّسَاءِ ، أَوْ إِلى مُسْلِمٍ بِعَيْنِ الاحْتِقَارِ والازدِرَاءِ ، أَوْ إِلَى تِلْفِزْيُونٍ أو الى سِيْنَماءٍ ، أو الى صُورَةٍ مَلِيْحَةٍ بِشَهْوَةٍ ، أو تَطَّلِعَ بِهَا على عَيْبِ مُسْلِم ، أو الى بَيْتِ جَارٍ أو غيْرِ جَارٍ مِمَّنْ لا يَرْضَى بِذَلِكَ ، أو نَحْوِ ذَلِكَ مِنْ المُحَرَّمَاتِ .

وَأَمَّا الأُذُنُ فَاحْفَظْهَا عَنْ أَنْ تُصْغِيْ بِهَا إِلَى اسْتِمَاعِ المَـلاَهِيْ وَالمُنْكِرَاتِ ، أو إِلَى بِدْعَةٍ أو إِلَى غِيْبَةٍ أَو فُحْشٍ ، أو قَذْفِ مُسْلِمٍ أَو

حَدِيْثِ قَوْمٍ وَهُمْ لاستِمَاعِكَ كَارِهُوْنَ ، أَوْ إِلَى الخَوْضِ بِالبَاطِلِ ، أو ذِكْرِ مَسَاوِيءِ النَّاسِ ، لأَنَّهَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَسْمَعَ بِهَا كلامَ اللهِ وَسُنَةَ رَسُولِهِ ، وَمَا يَنْفَعُكَ في دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ وَلِتَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى الاسْتِفَادَةِ مِنَ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ ، المُوصِلةِ إلَى مَرْضَاةِ اللهِ والنَّعِيْمِ المَقِيْمِ ، الدَّائِمِ في جِوَارِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، فإذا أَصْغَيْتَ بِهَا إِلَى شَيْءٍ مِنَ المُحَرَّمَاتِ أَوْ المكرُوهَاتِ ، صَارَ ما كانَ لَكَ عَلَيْكَ ، وانقلبَ مَا كَانَ سَبَبَ فَوْزِكَ سَبَبَ هَلاَكِكَ ، وَهَذا غَايَةُ الخُسْرَانِ ، وَلاَ تَظُنَّ أَنَّ الإِثْمَ يَخْتَصُّ بِهِ القَائِلُ دُوْنَ المُسْتَمِعِ إِلاَّ إِنْ أَنْكَرَ بِلِسَانِهِ ، أَوْ بِقَلْبِهِ انْ خافَ ، وَانْ قَدِرَ عَلَى القِيَامِ وَالابْتِعَادِ عَنْهُم ، أَو قَدِرَ عَلَى قطع الكلامِ بِكلامٍ آخرَ فلَمْ يَفْعَلْ فَهُو آثِمٌ ، وَكَذَلِكَ يَكُفُّ البَطْنَ وَالفَرْجَ عَنْ المُحَرَّمَاتِ ، وَاليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ وَحَاسَّةَ السَّمْعِ والبَصَرِ .

شِعْرا : أَأَحْبَابَنَا نُوَبُ الزّمان كَثِيْرَةُ ... وَأَمَرُّ مْنهَا رِفْعَةُ السُّفَهَاءِ

هَلْ يَسْتَفِيْقُ الناسُ مِنْ سَكَرَاتِهِمْ ... وَنَرَى النُّذُوْلَ بِذِلةٍ وبَلاءِ

آخر : وَقَائِلَةٍ شِبْتُمْ فَقُلْتُ لَهَا شِبْنَا

وفي هَذِه الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ أُنْشِبْنَا

وَيَا لَيْتَنَا لَمَّا تَقَضَّى شَبَابُنَا

خَلَصْنَا وَأَخْلَصْنَا وَلَكِنَّنَا شِبْنَا

فيا عَجَباً مِنَّا على اللهِ نَجْتَرِي

وَتَهْوِي سَوافِي الرِيْحِ أَرْوَاحَنَا جُبْنا

وَكَيْفَ أَضَعْنَا بَاقِياً لِمُعَجَّلٍ

سَيَفْنَى لَقَدْ نِلْنَا بِصَفْقَتِنَا غَبْنَا

وَكَمْ صَرَفْتَنَا بَيْنَ مَلْهَى وَمَلْعَبٍ

فَمَا إِنْ نَكَرْنَا قُبْحَ ذَاكَ وَمَا عِبْنَا

وَنَـادِي سَفَـاهٍ قَــدْ حَضَـرْنَـا وَإِنَّمَـا
عَنْ الـرُشْـدِ وَالتَّـوْفِيْقِ يَـوْمَئِـذٍ غِبْنَـا
فَيَـا لَيْتَ شِعْرِي مَـا يَكُونُ جَـوَابُنَـا
إذا نَحْنُ في وَفْـدِ القُبورِ غَـداً أُبْنَـا
أَيَنْفَـعُ إنكـارٌ وَذُو العَــرْشِ عَــالِمٌ
بِمُوْدَعَــةٍ صَــدْراً وَمُـلْزَمَــةٍ ضِبْنَـــا
أَلا لَـيْسَ إلَّا عَفْــوُه عــن ذُنُـــوبِنَــا
فَـإِن يَخِبِ التَّقْدِيْـرُ فِيْـهِ فَقَـدْ خِبْنَـا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ في الحَيَاةِ وَبَعْدَهَا ، واجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ المُفْلِحِيْنَ الذِيْنَ نَوَّرْتَ قُلُوبَهُم بِمَعْرِفَتِكَ ، وَأَهَّلْتَهُم لِخِدْمَتِكَ ، وَحَرَسْتَهُم مِنْ عَدُوِّكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فَصْلٌ في القَذْفِ

اعْلَمْ ـ وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ لِمَا يُحِبُّه وَيَرْضَاهُ أَنَّ القَذْفَ ـ الذِيْ هُوَ الرَّمْيُ بالزِنَا ـ مُحَرَّمٌ بالكِتَابِ وَالسّنةِ والاجْمَاعِ ، أَمَّا الكتابُ فَقَوْلُه تَعَالَى ﴿ والذِيْنَ يَرْمُونَ المُحْصِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فاجْلِدُوهُم ثَمَانِيْنَ جَلْدَةً ، وَلَا تَقْبَلُوا لَهُم شَهَادَةً أَبَداً ، وَأُولَئِكَ هُمْ الفَاسِقُونَ ﴾ وقَـالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الـذِيْنَ يَرْمُـونَ المُحْصناتِ الغـافِلاتِ المؤْمِنَاتِ لُعِنُوا في الدُّنْيَا والآخِرةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ ﴾ وَقَال صلى الله عليه وَسَلم « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ » وَعَدَّ مِنْهَا « قَذْفَ المحْصَنَاتِ »

الحَدِيْثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَلما عَظَّمَ جَلَّ وَعَلا أَمْرَ الزَّانِي بوُجُوبِ جَلْدِهِ ، وَكَذَا رَجْمِهِ انْ كَانَ مُحْصَناً ، وَأَنَّهُ لا تَجُوز مقارَنَته وَلاَ مُخَالَطَتَهُ عَلى وَجه لا يَسْلَمُ فِيْهِ منْ الشَّرِّ ، بَيَّنَ تَعَالَى تَعْظِيْمَ الاقْدَامِ عَلى رَمْي الأعْرَاضِ المُحصَنَةِ العَفِيْفَةِ بالزِّنَا ، وَشَدَّد في عُقُوبَتِهِ ، فَأَوْجَبَ عَلَى القَاذِفِ إِذَا لَمْ يُقِمْ البَيِّنَة على مَا قالَ ثَلاَثة أَحْكَامٍ .

(أَحَدُهَا) أَنْ يُجْلَدَ ثَمَانِيْنَ جَلْدَةً (الثَّانِيْ) أَنْ تُرَدَّ شَهَادَتُه ، فَيَكُونُ سَاقِطَ الاعْتِبَارِ في النَّاسِ ، مُلْغَى القَولِ ، لاَ تُسْمَعُ لَهُ كَلِمَةٌ ، وَلاَ تُقْبَلُ شَهَادَتُه ، وَلَوْ حُدَّ لِلْقَذْفِ حَتَّى يَتُوبَ (الثالِثُ) أَنَهُ يَكُونُ فَاسِقَاً ، لَيْسَ بِعَدْلٍ عِنْدَ اللهِ وَلاَ عِنْدَ الناسِ ، ذَلِكَ انهُ يَعْمَدُ إلى امْرَأَةٍ مُتَمَتِّعَةً بالحصَانَةِ والعِفَّةِ والنَّزَاهَةِ، بَعِيْدَةً عَنْ الرِّيْبَةِ ، رُبَّمَا أَنَّهَا لاَ تَخْطُرُ لَهَا بِبَالٍ ، ولا تُحَدِّثُ بِهَا نَفْسَهَا وَرُبَّمَا كَانَتْ ذَات دِيْنٍ ، غَافِلَةً عَنْهُ ، مُقضِّيَةً وَقْتَهَا في اصْلاَحِ شَأْنِهَا ، وَتَدْبِيْرُ بَيْتِهَا ، وَتَرْبِيَةِ أَوْلاَدِهَا ، وَتطْهِيْرِ نَفْسِهَا ، فَيَرْمِيْهَا بِالزِّنَا الذيْ يَثْلِمُ بِهِ عِرْضَهَا ، وَيَجْرَحُهُ ، وَيُشِيْعُ الفاحِشَةَ عَلَيْهَا ، وَيُشَوِّهُ بِهِ سُمْعَتِهَا وَتَسُوءُ بِهِ حَالُهَا ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ سَيِّءِ الآثَامِ مَا يُجْلِبُ الهُمُومَ وَالغُمومَ والإِنْكَادَ والأَحْزَانَ وَمَاذا تَكونُ نَظْرَةُ النَّاسِ بعدَ ذَلِكَ إِلى المَقْذُوفِ وَأُسْرَتِهِ ، وَمَاذَا يَكُونُ غَضَبُهُم عَلَى القَاذِفِ وَمَنْ سَاعَدَهُ وَنَشَرَ مَعَهُ الفَاحِشَةَ ، نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ .

وَقالَ سَيِّدُ قُطْب عَلَى هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيْمَةِ : إِنَّ تَرْكَ الأَلْسِنَةِ تُلْقِيْ التُّهَم عَلى المُحْصَنَاتِ ـ وَهُنَّ العَفِيْفَاتِ الحَرَائِرِ ثَيِّبَاتٍ أو أبْكاراً ـ بِدُونِ دَلِيْل قَاطِع يَتْرُكُ المَجَالَ فَسِيْحاً لِكُلِّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَقْذِفَ بَرِيْئَةً أَوْ بَرِيْئاً بِتِلْكَ التُّهْمَةِ النَّكْرَاءِ ، ثُمَّ يَمْضِيْ آمِناً فَتُصْبِحُ الجَمَاعَةُ وَتُمْسِيْ وَاذَا أَعْرَاضُهَا

مُجَرَّحَةً ، وَسُمْعَتُها مُلَوَّثَةٌ ، وَإِذا كُلُّ فَرْدٍ فِيْهَا مُتَّهَمٌ أو مُهَدَّدٌ بالإتِّهامِ ، وَإِذا كُلُّ زَوْجٍ فِيْهَا شَاكٌّ في زَوْجِهِ ، وَكلُّ رَجُل فِيْهَا شَكٌّ في أَصْلِهِ ، وَكُلُّ بَيْتٍ فِيْهَا مُهَدَّدٌ بالانْهِيَارِ ، وَهِيَ حَالَة مِنْ الشَّكِّ والقَلَقِ والرِّيْبَةِ لا تُطَاقُ ، ذَلِكَ إِلَى إِنَّ أطِّرَادِ سَمَاعِ التُّهَم يُوْحِيْ إِلَى النُّفُوسِ المتَحَرِّجَةِ مِنْ ارْتِكَابِ الفِعْلَةِ أَنَّ جوَّ الجَمَاعَةِ كُلُّهُ مُلَوَّثٌ ، وَأَنَّ الفِعْلَةَ فِيْهَا شَائِعَةٌ ، فَيُقْدِمُ عَلَيْهَا مَنْ كَانَ يَتحَرَّجُ مِنْهَا ، وَتَهُونُ في حِسِّهِ بِشَاعَتُهَا ، بِكَثْرَةِ تَرْدَادِهَا وَشُعُورِهِ بِأَنَّ كَثِيْرِيْنَ غَيْرُهُ يَأْتُونَهَا، وَمِنْ ثَمَّ لا تُجْدِي عُقُوبَةُ الزِّنَا في مَنْع وُقُوعِهِ ، وَالجَمَاعَةُ تُمْسِي وَتُصْبِحُ وَهِيَ تَتَنَفَّسُ في ذَلِكَ الجَوِّ المُلَوَّثِ ، المُوحِيْ بِارْتِكَابِ الفَحْشَاءِ ، لِهَذَا وَصِيَانَة للأعْـرَاضِ مِنْ التَّهَجُّمِ وَحِمَايَة لأصْحَابِهَا مِنْ الآلامِ الفَظِيْعَةِ التِي تُصَبُّ عَلَيْهِم ، شَدَّدَ القُرْآنُ الكَرِيْمُ في عُقُوبَةِ القَذْفِ ، فَجَعَلَهَا ، قَرِيْبَةً مِنْ عُقُوبَةِ الزِّنَا . . ثَمَانِيْنَ جَلْدَةً . . مَعَ اسْقَاطِ الشَّهَادَةِ وَالوَصْمِ بِالفِسْقِ . . والعُقُوبَةُ الأُوْلَى جَسَدِيَّةٌ . وَالثَّانِيَةُ أَدَبِيَّـةٌ في وَسَطِ الجَمَاعَـةِ ، وَيَكْفِيْ أَنْ يُهْدَرَ قَـوْلُ القَاذِفِ فَلاَ يُؤْخَذُ لَهُ بِشَهَادَةٍ ، وَأَنْ يَسْقُطَ اعْتِبَارُهُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَمْشِيْ بَيْنَهُم مُتَّهماً لاَ يُوْثَقُ لَهُ بِكَلامٍ .

وَالثَّالِثَةُ دِيْنِيّـةٌ فَهُوَ مُنْحَرِفٌ عَنْ الإِيْمَانِ ، خَـارِجٌ عَنْ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْم . . ذَلِكَ إلَّا أَنْ يَأْتِيْ القَاذِفُ بأَرْبَعَةٍ يَشْهَدُونَ بِرُؤْيَةِ الفِعْلِ ، أَوْ بِثَلاثَةٍ مَعَهُ إِنْ كَانَ قَدْ رَآهُ ، فَيَكُونُ قَوْلُه إذاً صَحِيْحاً ، وَيُوْقَعُ حَدُّ الزِّنَا عَلَى صَاحِبِ الفِعْلَةِ ، وَالجَمَاعَةُ المُسْلِمَةِ لاَ تَخْسَرُ بِالسُّكُوتِ عن تُهْمَةٍ غَيْرِ مُحَقَّقَةٍ ، كَمَا تَخْسَرُ بِشُيُوعِ الإتِّهَامِ وَالتَّرَخُّصِ فِيْهِ ، وَعَدَمِ التَّحَرُّجِ مِنْ الإِذَاعَةِ بِهِ وَتَحْرِيْضِ الكَثِيْرِيْنَ مِنَ المُتَحَرِّجِيْنَ عَلَى ارْتِكَابِ الفِعْلَةِ

التِيْ كَانُوا يَسْتَقْذِرُونَها ، وَيَظُنُّونَهَا مَمْنُوعَةً في الجَمَاعَةِ أو نَادِرَةً ، ذَلِكَ فَوْقَ الآلامِ الفَظِيْعَةِ التِي تُصِيْبُ الحَرَائِرَ الشَّرِيْفَاتِ ، والاحْرَارِ الشُّرَفَاءِ ، وَفَوْقَ الآثَارِ التِيْ تَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا في حَيَاةِ النَّاسِ ، وَطُمَأْنِيْنَةِ البُيُوتِ . انْتَهَى

اللهم اكْتُبْ في قُلُوبِنَا الإيمانَ وأَيِّدْنَا بِنُورٍ مِنْكَ يا نُورَ السمواتِ والأرضِ ، اللهم وافْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ والاجَابَةِ وأغفر لنا وارحمنا برحمتك الواسعة إنك أنت الغفور الرحيم وصَلَّى اللهُ على محمد وآله وصحبه أجمعين

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللهِ : سُنَّةُ اللهِ في خَلْقِه أنْ لَا يُؤَاخِذَ مُذْنِباً بذَنْبٍ اقْتَرَفَهُ ، أو جَرِيْمَةٍ اجْتَرَمَها ، أو جَرِيْرَةٍ ارْتَكَبَها إلا بَعْدَ أنْ يُبَيِّنَ لهُم ما يَنْبَغِيْ أنْ يَتَّقُوه مِنْ مَحارِمِه ، ويَجْتَنِبُوهُ مِنَ المُوبِقَاتِ ، الْمُؤَدِّيَةِ بهم إلَى هُوَّةِ الهَلاكِ والدَّمَارِ ، وقَد أَرْسَلَ اللهُ جَلَّ وعَلا إلَى هَذِهِ الأمَّةِ الاسْلامِيَّةِ مُحَمَّداً رَسُولَه صلى اللهُ عليه وسَلَّمَ النَّبِيِّ الأمِّيِّ ﴿ الذيْ يَجِدُونَهُ مَكتُوباً عِنْدَهُم في التَّوْرَاةِ والانْجِيْلِ يَأْمُرهُم بالمعْرُوفِ ويَنْهَاهُمْ عَنْ المنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمْ الطَّيِّبَاتِ ويُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الخبائِثُ ﴾ وَأنْزَلَ عَليْهِ كِتَابَهُ الكرِيْم ، ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عَوجٍ لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ ﴾ ﴿ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ ﴾ فَيْهِ هُدىً ، وَتِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَحْتَاجُ إلَيْهِ النَّاسُ في دُنَيَاهُم وأُخْرَاهُم ، فاسْتَمْسَكَ المُسلِمُون مُدَّةً مِنْ الدَّهْرِ بهَدْيِهِ ، وَتَخَلَّقُوا بآدَابِهِ ، فَكَانُوا في ذَلِكَ الحِيْنِ أهْلَ الحَوْلِ وَالطَّوْلِ وَالقُوَّةِ وَالمَنَعَةِ ، تَعْنُو لهُم الوُجُوهُ ، وَتَخْضَعُ لَهُم الرِّقَابُ فَلَمْ يَقُمْ لَهُم مُنَازِعٌ الا ابْتَزُّوا مُلكَهُ ، وَاسْتَبَاحُوا مَكانَ العِزَّةِ منْهُ ، وَاخذُوا بطَرَفي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ ، وَكانُوا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، يَأْمُرُونَ بالمعْرُوفِ وَيَنْهَونَ عَنْ المُنْكَرِ ، وَيُؤْمِنُونَ باللهِ ، كانُوا في تِلْكَ الأزْمَانِ يَعْمَلُونَ بطَاعَةِ اللهِ وَيَتَّقُونَهُ ، وَيُحْسِنُونَ في عِبَادتِهِ وَإِلى عِبَادِه ، وَيَصْبِرُونَ عَنْ مَعَاصِيْه ، وَعلى أقدارِهِ ، فكانَ اللهُ معهم بعَوْنِهِ

وتوْفيْقِهِ ، وَنَصْرِهِ وَتأييدِه وتَسْدِيْدِه ، يَا عَبَادَ اللهِ كَانَ كُبَراءُ النّاس وسَادَتُهم في الصَّدْرِ الأوّلِ أشَدُّ النَّاسِ ظُهُوراً بالتَّمَسُّكِ بالدِّيْنِ تَقْتَدِي بِهِم العَامَّةُ في توحِيْدِهم وعَبَادَاتِهم ومُعَامَلاتِهم ، فانْعَكَستْ عَلَيْنَا الآنَ القَضِيَّةُ ، وصَارَ العَامّةِ أشَدُّ تمَسُّكاً بالدِّيْنِ ، وَأرْسَى عقِيْدَةً ، من أولئِكَ ، وأَصْبَحَ كَثِيْرٌ مِنْ المتعَلِّمِيْنَ الذِين يَزعُمونَ أنهُم مُثقَّفُونَ ، يَحْمِلُونَ المؤهِّلَاتِ المعْرُوفَةِ أزهَدَ النَّاسِ في الدِّيْنِ ، وأبْعَدَهم عَنْ تَعالِيْمِهِ ، نَبَذُه كثِيْرٌ منهُم كَمَا تُنْبَذُ النَّواةُ ، لا لأنهُم وَقفُوا عَلى عَيْبٍ في الدِّيْنِ ، أو هَفْوَةٍ في أصُولِه ، وَلكنَّهم مُقَلِّدُون في هَذا الضّلالِ لِقومٍ عَرَفُوْا ﴿ ظَاهِراً مِنْ الحياةِ الدُّنْيَا ، وهُم عن الآخِرةِ هُم غافِلُون ﴾ وَرَأوا تكالِيْفَ الدينِ وتعَالِيْمهُ لا تَتَّفِقُ مَعَ شَهَواتِهم ومَلاذِّهِم ، فاتَّخذُوا الخُرُوْجَ عَنْ تَكاليفِهِ لِلْحُصولِ على مَلاذِّ الحَياةِ ، ﴿ ومَا الحيَاةُ الدُّنيا الا مَتاعُ الغُرورِ ﴾ .

شِعْرًا :

يَقُولُونَ في الاسلامِ ظُلْماً بأنّهُ ... يَصُدُّ ذَوِيْهِ عن طَرِيْقِ التَّقَدُّمِ
وَلَوْ كانَ ذا حَقاً فكَيْفَ تَقَدّمَتْ ... أوَائِلُهُ في عَهْدِهَا المُتَقَدِّمِ
وَإنْ كان ذَنْبَ المُسْلِمِ اليومَ جَهْلُهُ ... فماذَاَ على الاسْلامِ مِن جَهْلِ مُسْلِمِ
هَلِ العِلمُ في الاسلامِ إلاَّ فَرِيْضَة ... وهَلْ أُمَّةٌ سَادَتْ بِغَيرِ التَّعَلُّمِ
لَقَدْ أيْقَظَ الاسلامُ لِلْمَجْدَ والعُلَى ... بَصَائِرَ أقْوامٍ عَنِ المَجْدِ نُوَّمِ
فأشْرقَ نُورُ العِلْمِ مِن حُجُرَاتِهِ ... عَلَى وَجْهِ عَصْرٍ بالجَهَالَة مُظْلِمِ
ودَكَّ حُصُوْنَ الجَاهِلِيّةِ بالهُدَى ... وقَوَّضَ أطْنَابَ الضّلالِ المُخَيِمِ
وَانْشَطَ بالعِلمِ العَزَائِمَ وابْتَنَى ... لِأَهْلِيْهِ مَجْداً لَيْسَ بالمُتَهَدِّمِ
وأطْلَقَ أذْهَانَ الوَرَى مِن قُيُوْدِهَا ... فَطَارَتْ بأفْكَارٍ على المَجْد حُوَّمِ
وفَكّ أُسَارَ القَومِ حَتّى تَحَفّزُو ... نُهوُضاً إِلَى العَلْياءِ مِن كُلِّ مُجْثِمِ
فَخَلّوا طَرِيْقاً لِلْبَدَاوةِ مَجْهَلاً ... وسَارُوْا بِنَهْجٍ لِلْحَضَارَةِ مُعْلمِ

فَدَوّتْ بِمُسْتَنّ العُلَى نَهضَاتُهمْ كَزَعْزَعِ رِيْحٍ أَوْ كَتَيَارِ غَيْلَمِ
وعَمَّا قَلِيلٍ طَبّقَ الأرْضَ حُكْمُهُ بِأَسْرَعَ مِن رَفْعِ اليَدَيْنِ إِلَى الفَمِ
وقد حَاكَتَ الأفكَارُ عندَ اصْطِدَامها تَلأْلُؤَ بَرْقِ العَارِضِ المُتهَزّمِ
ولاحَتْ تَباشِيْرُ الحَقَائِقِ فانْجَلَتْ عَن الناسِ في الدُنْيَا شُكَوكُ التّوَهُمِ
فَلَيسَ لِمُثْرٍ نَقْصُهُ حَقّ مُعْدِمٍ ولا عَرَبي بَخْسُهُ فَضْلَ أَعْجَمِ
ولا فَخْرَ لِلانْسَانِ إلاَّ بِدِيْنِهِ ولا فَضْلٌ إلا بالتُّقَى والتّكَرُمِ

آخـر :

هُوَ الموتُ فاصْنَعْ كُلَّ ما أَنْتَ صَانِعُ
وأَنْتَ لِكَأْسِ الموتِ لا بُدَّ جَارِعُ
ألاَ أيهُا المَرْءُ المُخَادِعُ نَفْسَه
رُوَيْداً أتَدْرِي مَن أَرَاكَ تُخَادِعُ
ويا جَامِعَ الدُنْيَا لِغَيرِ بَلاغِهِ
سَتَتْرُكُها فانْظُرْ لِمَنْ أنْتَ جَامِعُ
فَكَمْ قَد رأيْتُ الجَامِعِيْنَ قَد أَصْبَحتْ
لَهُمْ بَينَ أَطْبَاقِ التُرَابِ مَضَاجِعُ
لَوْ أنَّ ذَوِي الأَبْصَارِ يَرعَونَ كُلمَّا
يَرَوْنَ لَمَا جَفَّتْ لِعِينٍ مَدَامِعُ
طَغَى الناسُ مِن بَعْدِ النَّبِي مُحَمَّدٍ
فَقَدْ دَرَسَتْ بَعَدَ النبي الشَّرَائِعُ
وصارتْ بطونُ المُرْملاتِ خَمِيْصَةً
وأَيتَامُها مِنهم طَرِيدٌ وجَائِعُ
وإنَّ بُطُونَ المُكْثِرينَ كَأنَّمَا
يُنَقْنِقُ في أَجْوافِهِنَّ الضَّفَادِعِ

فما يَعرفُ العَطْشَانَ مَن طَالَ رِيُّهُ
ولا يَعِرْفُ الشَّبْعَانُ مَن هُوَ جَائِعُ
وتَصْرِيفُ هذا الخلقِ لِله وَحْدَهُ
وَكُلُ إليهِ لا مَحَالَةَ رَاجِعُ
ولِلهِ في الدنيا أعَاجِيْبُ جَمَّةٌ
تَدلُ على تَدْبِيرِهُ وبَدَائِعُ.
ولِلهِ أسرارُ الأُمورِ وإنْ جَرَتْ
بها ظاهراً بينَ العِبَادِ المَنَافِعُ
ولِلهِ أَحكَامُ القَضَاءِ بعِلْمِهِ
ألاَ فَهْوَ مُعْطٍ مَا يَشَاءُ ومَانِعُ
إذا ظَنَّ مَن تَرجُو عليكَ بنَفْعِهِ
فدَعْهُ فإنَّ الرزقَ في الأَرضِ واسِعُ
ومَن كانَتِ الدنيا مُنَاهُ وهَمُّهُ
سَبَتْهُ المُنَى واسْتَعْبَدَتْهُ المَطَامِعُ
ومَن عَقَلَ اسْتَحْيى وأكْرَمَ نَفْسَهُ
ومَن قَنِعَ اسْتَغْنَى فَهَلْ أَنْتَ قَانِعُ
لِكُلِ امْرءٍ رَأيَانِ رَأْيٌ يكُفُهُ
عن الشَّرِ أَحْيَاناً ورَأْيٌ يُنَازِعُ

اللهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، يَا بَدِيْعَ السَّمَواتِ وَالأرْضِ ، نَسْأَلُكَ أنْ تَكْفِيْنَا مَا أهَمَّنا ومَا لا نَهْتَمُّ بهِ ، وأنْ تَرْزُقَنَا الاسْتِعدَادِ لمَا أمَامَنَا ، وأنْ تَغْفِرَ لنَا وَلوَالدَيْنَا وَلجَمِيْعِ المسلمينَ ، الأحياءِ مِنْهُم وَالميِّتِيْنَ ، برَحْمَتِكَ

اللهم كَمَا صُنْتَ وُجُوهَنَا عن السُّجُودِ لِغَيْرِكَ فَصُنْ وُجُوْهَنَا عَنِ المَسْأَلَةِ لِغَيركَ ، اللَّهُمَ مَنْ كَانَ عَلى هَوَى وَهُوَ يَظُنُ أَنَّهُ على الْحَقِ فَرُدَّهُ إِلَى الحَقِ حَتَّى

لَا يَظَلُّ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ اللَّهُمَّ لا تَشْغَلْ قُلُوبَنَا بِمَا تَكَفَلْتَ لَنَا بِهِ وَلَا تَجْعَلْنَا فِي رِزْقِكَ خَوَلًا لِغَيْرِكَ وَلَا تَمْنَعْنَا خَيْرَ مَا عِنْدَكَ بِشَرِ مَا عِنْدَنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ منهم والمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

« **فصل** »وَصَرِيْحِ القَذْفِ أنْ يَقُولَ : يَا زَانِيْ ، أو يَقُولُ لَهُ : يَا لُوطِيّ ، أو يَا عَاهِرُ ، أو يَقُولُ لهُ : إنكَ قد زنَيْتَ ، أو زنى فرْجُكَ ، أو يَا مَنْيُوكُ أو يا وَلَدَ الزَّانِيْ ، أو يَا وَلَدَ الزَّانِيَةِ فَفِيْ الأَوَّلِ قَذْفٌ لهُ ، وفي الأخِيْرَتَيْن قَذفٌ لأَبيْهِ وأُمِّهِ ، أَوْ يَقُولُ لابنتِهَا يَا ابْنَةَ الزَّانِيَةِ وكِنَايتُه أي القَذْفُ أن يَقُولَ ، يا قَحْبَةٌ ، أو يَا فَاجِرَةٌ ، أو يَا خَبِيْثَةُ ففي الصَّرِيْحِ - اذا اجْتَمعتْ الشُّرُوطُ - يُحَدُّ ثَمانِيْن ، وفي الكِنَايَةِ اذا فسَّرَهَا بذَلِكَ .

والشُّرُوطُ المعْتَبَرَةُ لإِقَامَةِ الحَدِّ (أَحَدُهُمَا) مُطَالَبَةُ المَقْذُوفِ لِلْقَاذِفِ بحَقِّهِ ، وَاسْتِدَامَةِ الطَّلَب إلَى اقامَةِ الحَدِّ ، بأنْ لا يَعْفُو ، (والثَّانِيْ) أنْ لا يَأْتِيْ بِبيِّنَةٍ عَلَى مَا قذفَهِ بهِ ، لِمَفْهُومِ قَوْلِهِ تعالَى ﴿ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بأَرْبَعةِ شُهَدَاء ﴾ والشَّرْطِ (الثَّالِثُ) أنْ لا يُصَدِّقَهُ المَقْذُوف، فانْ صَدَّقهُ لمْ يُقَمْ عَليْهِ الحَدُّ ، لِأنَّ تَصْدِيْقَهُ لَهُ أبْلَغُ مِنْ إقامَةِ البَيِّنَةِ ، ويُشْتَرطُ أنْ لا يُلاعِنَ القَاذِفُ المَقْذُوفَ ، إنْ كانَ القَاذِفُ زَوْجاً ، فإنْ لاعنَ سَقَطَ عنه الحَدُّ ، ويُعَزَّرُ بِقَولِهِ يَا كافِرُ يا مُنَافِقُ ، يَا سَارِقُ يا فَاسِقُ يَا فَاجُر يا حِمَارُ يَا تَيْسُ يَا رَافِضِيّ يا عَدُوَّ اللهِ يا جائِرُ ، يا شَارِبَ الخمْرِ يَا كَذَّابُ أو كاذِبٌ أو يا ظَالِمُ أو يَا خائِنُ ، أو يَا مُخَنَّثُ أو يا قَوَّادُ أو دَيّوثُ . والديُّوثُ هُوَ الذِي يُقِرُّ الفَاحِشَةَ على أهْلِهِ ، وَالقَوَّادُ هو السِّمْسَارُ في الزِّنَا وباللُّغة الشَّعْبِيَّةِ الجَرَّارُ وكثِيرٌ مِنْ النَّاسِ وَاقِعُونَ في القَذْفِ الذِي في الحَقِيْقَةِ عليهم عُقُوبَتُهُ دُنْياً وَأُخْرَى . والسَّبَبُ في ذلكَ أنَّ النَّاسَ لا يقِيْمُونَ لهَذا القَوْلِ وَزْناً ، فلهَذا لَا يُسْمَعُ لِهَذا الحَدِّ ذِكَرٌ ، ولا للمُطالَبَةِ به ، وهَذا غَلطٌ ، بَلْ يَنْبَغِيْ للانْسَانِ أنْ يُحافِظَ على كرَامَتِه ، وَيُطَالِبَ بحقِّهِ ، لا سِيَّمَا وفَي المطَالَبَة في مِثْلِ حَدِّ

القَذِف رَدْعٌ لهؤلاءِ المُطْلِقِينَ لأَلْسِنَتِهِم العِنَانُ في الفُحْشِ وَالسَّبِّ ، ونَشْرِ هَذِه الأَخْلاقِ السَّيِّئَةِ التي تَضُرُّهُم وتَضُرُّ غَيْرَهُم ، ففِي الصَّحِيْحَيْنِ عنْ رَسُولِ الله صَلى اللهُ عليه وسَلم أنَّه قَالَ « إنَّ الرَّجُلَ لَيَتكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مَا يَتَبيَّنُ فيْهَا ، يَزِلُّ بهَا في النَّارِ أبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المشْرِقِ والمغربِ » وَقَال لَهُ مَعاذُ بْنُ جَبَلُ : يَارسُولَ اللهِ ، وَانا لَمؤآخذون بَما نَتكَلّمُ بهِ ؟ فَقَالَ « ثكِلتْكَ أُمّكَ يَا مُعَاذُ ، وَهَلْ يَكُبُّ الناسَ في النَّارِ على وُجُوهُهُم إلا حصَائِدُ ألسِنَتِهِم » وفي الحَدِيْثِ « منْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرَ فَلْيَقُلْ خَيْراً أو لِيَصْمُتْ » وقَالَ اللهُ تَعالى ﴿ مَا يَلفِظُ من قَوْلٍ إلا لَدَيْهِ رَقِيْبٌ عَتِيْدٌ ﴾ وقَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِر : مَا النجاةُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قال« أمْسِكَ عَليْكَ لِسَانَكَ ، وَلْيَسَعُكَ بَيْتُكَ ، وَابْكِ عَلى خَطِيْئتِكَ » « وَانَّ أبعَدَ النَّاسِ إلىَ اللهِ القَلْبُ القاسِيْ » إذا فهِمْتَ ذَلكَ فاعْلَمْ أنَّ لِلكَلامِ شروطاً لا يَسْلَمُ المتكلّمُ مِنْ الزَّللِ إلا إذا عمِلَ بها باذْنِ اللهِ ، ولاَ يَعْرَىْ مِنْ النَّقْصِ إلاّ بَعْدَ أنْ يَسْتَوْفِيَها باذْنِ اللهِ ذكرَها العُلمَاءُ وهِيَ أربَعَةٌ .

الشَّرْطُ الأوَّلُ ـ أنْ يَكُونَ الكَلامُ لِدَاعٍ يَدْعُو الَيْهِ أمّا الذِيْ لا دَاعِيَ لَهُ مِن جَلْبِ نَفعٍ أو دَفْعِ ضَرَرٍ فَتَركُهُ أوْلَى .

وَالشَّرْطُ (الثّانِي) أنْ يَأتِي بهِ في مَوْضِعِه ، ويَتوخَّى بهِ إِصَابَةَ فُرْصَتِه ، بأنْ يترقَّبها ويَتحَرَّاهَا .

وَالشّرْطُ (الثّالِثُ) أنْ يَقْتَصِرَ منْهُ على قَدْرِ الحَاجَةِ .

وُالشَّرْطُ (الرَّابعُ) أن يَتخَيَّرَ اللفْظَ الذِي يَتكَلَّمُ بهِ ، فَأمَّا الذِي لا دَاعِي لهُ منْ جَلْبِ نَفْعٍ أو دَفْعِ ضَرَرٍ هَذَيانٌ ، ومَا لا سَبَبَ لهُ هَجْرٌ ، ومن سَامَحَ نَفْسَه في الكلامِ اذا عرَضَ لهُ وهَبَّ في خَاطِرِه ، ولم يُرَاعِ صَحةَ دَواعِيْهِ ، واصَابَةِ مَعَانِيْهِ ، كانَ قَوْلُهُ مَرْذولاَ ، ورَأيُه مَعْلُولاَ ، كَما حُكِيَ أنَّ

شَاباً كانَ يُجَالِسُ الأحْنَفَ وَيُطِيلُ الصَّمْتَ ، فاعْجَبَ ذلك الأحنَف ، فَخَلْتِ الحَلقَةُ يوماً مِنْ المتكلمين ، فَقَال الأحنَف: تَكَلّمْ يَا أبْنَ أخِي . فقَالَ : يَا عَمِّ لو أنَّ رجُلاً سَقطَ منْ شَرفِ هذَاالمَسْجِدِهَلْ يَضُرُّهُ شَيْءٍ؟ فقال : يَا ابْنَ أخِي لَيْتَنا تَرَكْنَاكَ مَسْتُوراً .

ثم تَمَثَّلَ الأحْنَفُ بقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وكَـائِنْ تَـرى مِنْ صَـامِتٍ لَـكَ مُعْجِبـاً
زَيـادَتُـهُ أو نَـقْصُـهُ فـي التَّـكَـلُّمِ
لِسَـانُ الفَتَـى نِصْـفٌ ونَـصْـفٌ فُـؤادُه
فـلمْ يَبْـقَ إلَّا صُـوْرَةُ الـلَّحْـم وَالـدَّمِ

فَلِسَانُ العَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ ، فاذا أرَادَ الكلامَ رَجَعَ إلِيَ قَلْبَهِ ، فَانْ كَانَ دِيْناً أو دُنْيَا تَكَلَّمَ ، وَانْ كَانَ عليْهِ كَالقَذْفِ وَالكذِب وَالنَّمِيْمَةِ أمْسَكَ ، فلا يُخْرِجُه ، وقَلْبُ الجَاهِلِ منْ وَرَاءِ لِسَانِهِ ، يَتَكَلَّمُ بكُلِّ مَا عَرَضَ لهُ ، فالعَاقِلُ يَتفكَّرُ وَيزنُ كَلامَهُ ثم يَتكلَّمُ بمَا يرَى أنَّ فِيْهِ لهُ مَصْلَحةً ، ولا مَضَرَّةَ فيْهِ عَلَيْهِ ، وقَال عُمَرُ بْنُ عبدِ العَزيز : مَنْ لَمْ يَعُدَّ كلامَهُ مِنْ عَمَلِه كَثُرَتْ خَطَايَاهُ . وقَالَ بَعْضُ البُلَغاء : احْبسْ لسَانَكَ قَبْلَ أنْ يَحْبسَكَ أو يُتْلِفَ نَفْسَكَ . وقَالَ النّبي ﷺ لمُعَاذ « وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ عَلى مَناخِرِهِمْ إلَّا حَصَـائِدُ الْسِنَتِهِمْ » وقَالَ بَعْضُهُم : مَنْ كَثُرَ كَلامُهُ ، كثُرَتُ آثامُهُ . فعليك بطريق السلف الذين عمروا أوقاتهم بتقوى الله .

قُلُوبٌ بتقوَى اللّهِ والـذكـر تَعْـمر وَأوجُهُهُـمْ بالقـرب والبِشْـر تَـزْهُـرُ
يُنَاجُـوْنَ مَـوْلاهُم بَفْـرطِ تضَـرُعٍ وَأدْمُعُهُمْ مِـن خَشْيَةِ اللَّهِ تَقْطُـرُ

آخـر : صَلَّى الالَـهُ عَلى قَـوْمٍ شَهِـدتُهُم
كـانُوا إذا ذَكَـرُوْا أوْ ذُكّـرُوْا شَهِقُـوا

كَـانُوا إِذَا ذَكَـرُوا نارَ الجَحِيْمَ بَكَـوْا
وإنْ تَـلا بَعْضُهُم تَخْـوِيْفَهَـا صَعِقُـوا
مِنْ غَيرِ هَمْزٍ مِن الشَّيطانِ يَأْخُـذُهُمْ
عِنْـدَ التِلاوَةِ إلاَّ الخَـوفُ والشَّفَقُ
صَرْعَى مِن الحُزْنِ قَدْ سَجُّوْا ثِيَابَهُمُ
بَـقِيَّـةُ الـرُوْحِ فـي أوْدَاَجِهِـمْ رَمَقُ
حَتَّى تَخَـالهُمُ لَـو كُنْتَ شَـاهِدَهُم
مِن شِدَّةِ الخَوْفِ والاشْفاقِ قَدْ زَهَقُوا
صانُوا العُيُونَ عن العَوراتِ جُهْدَهُمُ
وفي لُحُومِ الوَرَى والكِذْبِ ما نَطَقُوْا

اللهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتك في قُلوبِنَا ثُبُوتَ الجبالَ الرَّاسِيَاتِ وَوَفِّقنَا للعَملِ بالبَاقِيَاتِ الصَّالِحاتِ وَاعْصِمْنَا مِنْ الذُّنُوبِ المُوبِقاتِ واجْعَلْنَا مِمَّنْ تَتلَقَّاهُم الملائِكةُ بالبَشَاراتِ ومتِّعنا بالنَّظرِ الى وجْهِكَ الكريم في رَوْضاتِ الجَنَّاتِ وصلى اللهُ على محمدٍ وآلهِ وسَلم .

موعِظَةٌ

عِبَادَ اللّهِ لَقَدْ ضَاعَتْ أَعْمَارُنَـا في القِيْلِ وَالقَـالِ ، وَالغِيْبَـةِ وَالنَّمِيْمَةِ ، والمَدَاهَنَةِ ،والأنْهَمَاكِ في الدنيَا ، إلى أنْ اسْتَلحَقَ كَثِيْرٌ مِنْ الـنَّاسِ جُزْءاً مِنْ الليلِ مُضَافَاً إلَى النَّهَارِ ، وَكأَنَّنا لَمْ نُخْلقْ إلا لِهَذِهِ الأعْمَالِ ، أَفَلاَ نَسْتَيْقِظُ مِنْ غَفْلَتِنَا ، وَنَحْفَظُ ألْسِنَتِنَا عن نَهْشِ أعْرَاضِ الغَوَافِلِ ، وَالطَّعْنِ فِي الأحْسَابِ والأنْسَابِ ،وَنَصْرِفَ جُلَّ الأوْقَاتِ ، إلَى البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، التِي هِيَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّنَا ثَوَابَاً وَخَيرٌ مَرَدّا ، وَنَذْكُر

مَولَانَا الذِي فَضْلُهُ عَلَيْنَا مِدْرَارٌ ، فَانَّ الذِّكْرَ عَاقِبَتُهُ الجَنَّةُ دَارُ الكَرَامَةِ والقَرَارِ ، مَعَ رِضَى رَبِّنَا الذِي دُوْنَهُ كُلُّ ثَوَابٍ ، تاللهِ لو عَرَفْتُم قِيْمَةِ هَذِه النَّصِيْحَةِ لَبَادَرْتُمْ إلى العَمَلِ بِهَا كلَّ البِدَارِ ، فَانَّكَ وَأَنْتَ تَذْكُرُ اللهَ أَفْضَل مِمَّنْ يُفَرِّقُ الذَهَبَ وَالفِضَّة وسَائِرَ الأَمْوَالِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ أَنْ تُجَاهِدَ العَدُوَّ فَيَضْرِبَ عُنُقَكَ ، أو تَضْرِبَ عُنُقَهُ ، وَتَكُونَ مِنَ الشُّهَدَاءِ الأَبْرَارِ ، كَيْفَ لا وَالذِّكْرُ خَيْرُ الأَعْمَالِ وَأزكاها ، وأرْفَعهَا لِلدَّرَجاتِ عِنْدَ مَوْلَانَا الوَهَّابُ حَسْبُ الذَّاكِرِ : أَنْ تَحُفَّهُ الملائِكَةُ ، وَتَنْزِلُ عَلَيْهِ السَّكِيْنَةُ ، وَتَغْشَاهُ الرَّحماتُ ، ومَنْ في الوُجُودِ مِثْلُ الذاكِرُ ، وهُو وقْتُ ذِكْرِهِ للهِ يَذكُرُهُ بَارِيءُ الكائِنَاتِ ، وَمَنْ مِثْلُهُ فِي الدُّنْيَا وهُوَ بالذِكْرِ في حِصْنٍ حَصِيْنٍ ، يَحفَظُهُ مَنْ الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسِهِ الفَاتِنَاتِ ، وَمَنزلَةُ الذاكِرِ بَيْنَ الغَافِلِيْنَ كَمَنْزِلَةِ الحَيِّ بَيْنَ المَيِّتِينَ ، ذِكْر اللهِ يُنِيْرُ القلبَ ، ويُوْقِظُهُ ويُحْيِيهِ ، ويُزِيْلُ رَانهُ ويَهْدِيْهِ إلَى الحَقِّ .

شعرا : وَإِنَّ أَحْسَنَ قَوْلٍ أنتَ سَامِعُهُ ... قَوْلٌ تَضَمَّنَ تَوْحِيْدَ الذي خَلَقَا

آخـر : لاَ يُدْرِكُ المَجْدَ إلاَّ مُخْلِصٌ فَطِنٌ ... يُرْضِي الإِلَـٰهَ باتْقَانِ العِبَادَاتِ

آخـر : رَجَاءُ إلهِ الخَلْقِ عِنْدِي ذَخِيْرَةٌ ... وَلِشِدَّةِ العُظْمَى تُعَدُّ الذَّخَائِرُ

آخـر : عَلَيْكَ بذِكْرِ اللهِ في كُلِّ لَحْظَةٍ ... فما خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَذْكُرُ

وصَلِّى عَلى خَيْرِ الأَنَامِ مُحَمَّدٍ ... وأصْحَابِهِ والآلِ ما دُمْتَ تَقْـدِرُ

شِعْراً : وَالـذِّكْـرُ فيـهِ حَـيَاةٌ للقُلُوبِ كَمَـا ... تَحْـيَا البلادُ اذا مَـا جَـاءَهـا المَـطَرُ

وقَالَ الآخَرُ : وَخَيْـرُ مَقَـامٍ قُمتَ فِيْـهِ وَخَصْـلَةٍ ... تَحَلَّيْتَهـا ذِكْـرُ الالـهِ بِمَسْجِـدِ

آخر :

« احِنُّ اشْتِيَـاقـاً لِلمَسَـاجِـدِ لا إلى» قُصُـوْرٍ وفُرْشٍ بـالـطِّرَازِ مُـوَشَّـحُ

وأمْنَـــحُ وُدّيْ لِلمَسَـــاكِيـنِ صَـــافيـاً

أُجَـالِسُهُم والهَجْـرَ لِلْغَيْـرِ أمْنَـحُ

فَفِي ذُلّ نَفْسِيْ عِـزُّهَـا وَبِمَـوْتِهَـا

حَيـاةٌ لِأَجلِ الغَـالِي بالـدُونِ أَسْمِحُ

« لَنَا باعْتِزَالٍ لَذُّ في جَانِبِ الهَوَىٰ

مُجَـاوَرَةُ الأسْفَـارِ لِلْصَّـدْرِ تَشْـرَحُ »

« فَـإنْ شِئْتَ تَفْسِيْـراً مُـرَادَ مُحَقِّقٍ

وإن شِئْتَ تَوْحِيْدَاً بِهِ المرءُ يُفْلِحُ »

« وان رُمْتَ كُتْباً لِلحَدِيْثِ وشَـرْحِـهِ

وَجَـدَتَ ولِمْ يَعْدُوْكَ أُنْسٌ وَمَـرْبَحُ »

« وان رُمْتَ آدَاباً وَتَارِيْـخَ مَنْ مَضَى

وَجدْتَ وَفَاتَ الوَقْتُ والفِكْرُ يَسْرَحُ »

« وإن رُمْتَ كُتْبَ الفِقْهِ أَوْ كُتْبَ أَصْلِهِ

تَنَـاوَلْتَ أحْكَـامَـاً بِهَـا القَلْبُ يَفْـرَحُ

وَتَسْلَمُ مِن قِيْـلٍ وَقَـالَ ومِـن أَذَى

جَـلِيْسٍ ومِن واشٍ يَـنِمُ ويَـجْـرَحُ

اللّهُمَّ أَيْقِظْ قُلُوْبَنَا وَنَوِّرْهَا بِنُوْرِ الأيْمَانِ وَثَبِّتْ فِيْهَا مَحَبَّتَكَ ثُبُوْتَ الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَوَفِّقْنَا لِلعَمَلِ بِالباقِيَاتِ الصَّـالِحَاتِ وَجَنِّبْنَـا جَمِيْعَ المُوْبِقَاتِ وَلَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بعدَ اذ هَدَيْتَهَا وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ ، اللهُم افْتَح لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ والاجَابَةِ اللهُمَّ صَلِّى عَلَى مُحَمدٍ وآلِهِ وسَلَّم .

اللّهُمَّ اعْطِنَا مِنَ الخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُوْ وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ السُّوْءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ . اللّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوْبَنا بِرَجَائِكَ وَاقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللّهُمَّ إنَّكَ

تَعْلَمُ عُيُوْبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمَ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيْرًا يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوْكِ سَبِيْلِ عِبَادِكَ الأَخْيَارِ وَاغْفِرْ لَنَا

« **فصل** » عِبَادَ اللهِ لَقَدْ أَخْبَرَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلاَ أَنَّ حَيَاةً أُخْرَى ، نُجَازَىٰ فِيْهَا عَلَى مَا كَانَ مِنَّا مِنْ أَعْمَالٍ ، وَلاَ شَكَّ فِي تِلْكَ الحَيَاةِ ، الثَّانِيَةِ ، لأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَخْبَرَ بِهَا فِي كِتَابِهِ ، وَاخْبَرَ بِهَا جَمِيْعُ الرُّسُلِ ، وَأَخْبَرَ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِعَلاَمَاتٍ دَالَّةٍ عَلَى إِقْتِرَابِهَا ، يَزْدَادُ بِهَا ايْمَاناً ذُو القَلْبِ السَّلِيْمِ ، وَهَذِهِ العَلاَمَاتُ تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلاَثَةِ أَقْسَامٍ ، قِسْمٌ ظَهَرَ وَانْقَضَى ، وَهِيَ الامَارَاتُ البَعِيْدَةُ ، وقِسْمٌ ظَهَرَ وَلَمْ يَنْقَضِ ، بَلْ لا يَزَالُ في ازْدِيَادٍ حَتَّى إذا بَلَغَ الغَايَةَ ظَهَرَ ، وَالقِسْمُ الثَّالِثُ وهي الامَارَاتُ القَرِيْبَةُ الكَبِيْرَةُ التِيْ تَعْقُبُهَا السَّاعَةُ ، فَإِنَّهَا تَتَابَعُ كَنِظَامٍ خَرزَاتٍ انْقَطَعَ سِلْكُهَا .

فَالأَوْلَى التِي ظَهَرَتْ وَمَضَتْ ، مِنْهَا بِعْثَةُ النَّبِيِّ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَوْتُهُ ، وَفَتْحُ المقْدِسِ ، وَقَتْلُ أمِيْرِ المؤمِنِيْنَ عُثْمَانُ رَضْيَ اللهُ عَنه ، ومِنْهَا وَقْعَةُ الجَمَلِ وَصِفِّينَ ، فَقَدْ صَحَّ عَنْ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسَلَّم أَنَّهُ قَالَ « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلُ فِئَتَانِ عَظِيْمَتَانِ ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيْمَةٌ ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ » وَمِنْهَا قَوْلُهُ صلى اللهُ عَلَيْه وسَلَّم « إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ،وَسَيُصْلِحُ اللهُ بِهِ بين فِئَتَيْنِ عَظِيْمَتَيْنِ مِنَ المُسلِمِيْنَ » وَمِنْهَا مُلْكُ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَمَا جَرَى عَلَى أَهْلِ البَيْتِ فِي أَيَّامِهِمْ مِنَ الأَذِيَّةِ ، كَقَتْلِ الحُسَيْنِ ، وَرَمْيِ الكَعْبَةِ بالمُنْجَنِيْقِ ، وَنَارُ الحِجَازِ التِيْ أَضَاءَتْ لَهَا أَعْنَاقُ الإِبِلِ بِبُصْرَى ، وَمِنْهَا خُرُوجُ كَذَّابِيْنَ كُلُّ مِنْهُمْ يَدَّعِي أَنَّهُ نَبِيِّ ، وَمِنْهَا كَثْرَةُ المَالِ ، وَكَثْرَةُ الزَّلاَزِلْ .

الثَّانِيَةُ العَلاَمَاتُ المُتَوَسِّطَةِ ، مِنْهَا قَوْلُهُ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونُ أَسْعَدُ النَّاسِ بالدنيا لُكَعَ بْنَ لُكَع » وَاللكَعُ العَبْدُ

الأحْمَقُ وَاللئِيمُ ، وَالمَعْنَى : لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ اللئَامُ وَالحَمْقَى وَنَحْوُهُم رُؤَسَاءُ النَّاسِ ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ عَلَى دِيْنِهِ ـ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ أنسٍ ، وَقَوْلَهُ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم « يَكُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عُبَّادٌ جُهَّالٌ وَقُرَّاءُ فَسَقَةٌ » وفي لَفْظٍ « فُسَّاقٌ » رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَالحَاكِمُ عَن أَنَسٍ ، وَمِنْهَا أَنْ يُرَى الهِلاَلُ سَاعَةَ يَطْلُعُ ، فَيُقَالُ : لِلِيْلَتَيْنِ لِكِبَرِهِ ، رَوى مَعْنَاهُ الطَّبَرَانِيّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وفِي لَفْظٍ « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ انتِفَاخُ الأهِلَّةِ » أي عِظَمُهَا .

وَمِنْهَا انْحِسَارُ الفُرَاتِ عن جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ نَوْفَلَ قَالَ كُنْتُ وَاقِفاً مَعَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ « لا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفَةً أعْنَاقُهُم فِيْ طَلَبِ الدُّنْيَا » قُلْتُ : أجَلْ قَالَ : انِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقُولُ « يُوشِكُ الفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إليهِ ، فَيَقُولُ مَنْ عِنْدَهُ لَئِنْ تَرَكنَا النَّاسُ يَأْخُذُوْنَ مِنْهُ لَيُذْهَبَنَّ بِهِ كُلِّهُ » قَالَ « فَيَقْتَتِلُوْنَ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُوْنَ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، ومنها ما في حَدِيْثِ ابنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنه ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ تَسْلِيْمُ الخاصَّةِ وفُشُوّ التِّجَارَةِ ، حتى تُعِيْنَ المرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ » رَوَاهُ احْمَدُ والبُخَارِيّ ، وَعَنْهُ أَيْضاً أَنَّ النبي صلى اللهُ عليه وَسَلَّمَ قَالَ « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَكُونَ السَّلاَمُ على المَعْرِفَةِ» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ ، وَعَنْ حُذَيْفَة قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسلم « مِنْ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ مُشَا ركَةُ المرْأةِ زَوْجَهَا في التِّجَارَةِ ، وَالتَّسْلِيْمُ لِلمَعْرِفَةِ » أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ ، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رسول اللهِ صَلَى الله عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ « إنَّ مِنْ أشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ ، لاَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ الا لِلمَعْرِفَة » رَوَاهُ أحْمَدُ ، وعنهُ أيضاً أنَّ النبيَ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم قال « انَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ تَسْلِيْمُ الخَاصَّةِ ، وَفشُوّ التِّجَارَةِ ، حَتَّى تُعِيْنَ المَرْأةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ ، وَشهَادَةُ الزُّوْرِ ، وَظُهُوْرُ القَلَمِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَمِنْهَا مَا في حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إذَا رَأيْتُم الصَّدَقَةَ كُتِمَتْ وَغُلَّتْ، وَاسْتُؤْجِرَ عَلى الغِزْوِ ، وأخْرِبَ العَامِرُ ، وَعُمِرَ الخَرَابُ ، وَرَأيْتَ الرَّجُلَ يَتمَرَّسُ بأَمَانَتِهِ ، فَأنَّكَ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ » رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم « مِنْ اشْرَاطِ السَّاعَةِ أنْ يكتنى المَسَاجِدَ ، ويُعْمَرَ خَرَابٌ ، وَيُخَرَّبَ عُمْرَانٌ » الحَدِيْثُ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ ، وَعَنْ عَلِيّ بْنِ أَبِيْ طَالِب رَضْيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مِنْ أشْرَاطِ السَّاعَةِ سُوْءُ الجِوَارِ ، وَأَنْ تُجْلَبَ الدُّنْيَا بِالدِّيْنِ ، والتَّعْلِيْمَ لِغَيْرِ اللّهِ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالحَاكِمُ .

وَمِنْهَا تَقْلِيْدُ الأَجَانِبِ ، وَقَدْ وَقَعَ ، حَتَّى أنَّ أكْثَرَ النَّاسِ تَرَكُوا الدِّيْنَ ، وَلاَ سِيَّمَا بَعْضَ المُتَدَيِّنِيْنَ ، وَرَأَوْا التَّقَدُّمَ في تَقْلِيْدِ الكَفَرَةِ وَرَبَائِبَ الكفَرَةِ ومِنْهَا لَعْنُ آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَهَا ، وقَدْ حَصَلَ ، وَمِنْهَا اتِّخَاذُ المَسَاجِدِ طُرُقَاً ، وَمِنْهَا مَا قَدْ صَحَّ عَنْ ابْنِ مَسْعُوْدٍ مَوْقُوفاً ، وَهُوَ مَرْفُوعٌ إلى النبي صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُكْمَاً ، أنَهُ قَالَ « كَيْفَ أَنْتُم إذا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ ، يَهْرَمُ فِيْهَا الكَبِيْرُ وَيَرْبُو فِيْهَا الصَّغِيْرُ ، وَيَتَّخِذَها النَّاسُ سُنَّةً ، إذا تُرِكَ مِنها شَيْءٌ قِيْلَ تُرِكَتْ السُّنَّةُ » قَالُوا وَمَتَى ذَاكَ ؟ قَالَ « إذَا ذَهَبَتْ عُلَمَاؤُكُم ، وَكَثُرَت قُرَّاؤُكُم ، وَقَلَّتْ فقهَاؤُكم ، وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُم وَقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُم ، وَالْتُمِسَتْ الدنيا بِعَمَلِ الآخِرَةِ ، وتُفُقِّهَ لِغَيْرِ الدِّيْنِ »

قُلْتُ وَكَثِيرٌ من الناس اليومَ يَتَعَلَّمون لأَجْل الحُصُوْلَ عَلَى شَهَادَةَ الماجِسْتِير أو الدكتوراه أَوْ البَكارِيُوس أو نَحوَ ذَلِكَ لاَ لأَجْلِ إِزَالَةِ الجهل عن نفسِهِ ونَفْع المسلمين بتَعْلِيمهم بل لِأَجلِ الدُنْيا فَهْوَ تَعَلُّمٌ لِغَيرِ الدِين نسأل الله العافية وهولاء يَنْطَبِقُ عليهم قول الشاعر :

هَوِّنْ عَلَيْكَ فَمَا تَعْدُ شَهَادَتُهُمْ جَوازَ سَفْرٍ إلى نَيْلِ الوُرَيْقَاتِ

فَهَذَا الحَدِيْثُ عَلمٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصِدْقِ رِسَالَتِهِ ، فأَنَّ كُلَّ فَقَرَةٍ مِن فَقَراتِهِ قَدْ تَحَقَّقَتْ في العَصَر الحَاضِرْ عَصْـرُ المَـلاهِي والمنكراتِ والفِتَنِ والشُّرُوْرِ ، والسُّفُورِ والتلفزيون والفِيْدِيُواتِ والمذَايِيْعِ والكُراتِ ونحوِ ذلكَ مِمَّا أَلْهَى وَأَشْغَلَ عَن طَاعَةِ اللهِ .

شعرا :

يَـا مَـنْ بِـدُنْـيَـاهُ اشْـتَـغَـلْ
قَـدْ غَـرَّهُ طُـوْلُ الأَمَـلْ
الـمَـوْتُ يَـأْتِـي بَـغْـتَـةً
والـصَّـدْرُ صُـنْـدُوْقُ الـعَـمَـلْ

قال الله جَلَّ وعَلا : ﴿ وحُصِلَ ما في الصدور ﴾ .

وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ الأَمَامُ أَحْمَدُ ، وَعَبْدُ بْنُ حَمَيْدٍ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عن سُلَيْمَانَ مَوْقُوفاً ، وَالحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ ، وَابْنُ عَسَاكِرَ مَرْفُوْعَاً ، « اذَا ظَهَرَ القَوْلُ ، وَخُزِنَ العَمَلُ ، وَائْتلَفَتْ الأَلْسُنُ ، وَاخْتَلَفَتْ القُلُوبُ ، وَقَطَعَ كُلُّ ذِيْ رَحِمٍ رَحِمَهُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ لَعَنَهُمْ اللهُ فَأَصَمَّهُم وَأَعْمَى أَبْصَارَهُم » ومنها مَا أَخْرَجَهُ الأَمَامُ أَحْمَدُ وَالحَاكِمُ وَابْنُ مَاجه ، عَنْ أَنْسٍ رَضْيَ اللهُ عنهُ

مَرْفُوعَاً « إِذَا كَانَتْ الفَاحِشَةُ في كِبَارِكُم ، والمُلْكُ في صِغَارِكُم، والعِلْمُ في مُرَّادِكُمْ ، والمُدَاهَنَةَ في خِيَارِكُم ، يَعْنِيْ فَتَقْرُبُ إِقَامَةُ السَّاعَةِ .

وَمِنْهَا ما في صَحِيْحِ البُخَارِيْ وغَيْرِهِ ، مِنْ حَدِيْثِ أَنسٍ رَضْيَ اللهُ عَنه أَنَّهُ قَالَ : أَلا أُحَدِّثَكُم بِحَدِيْثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يُحَدِّثُكُم بِهِ أَحَدٌ غَيْرِي ؟ سَمِعْتُ رَسُول اللهِ صَلى الل عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ ، وَيَكْثُرَ الجَهْلُ ، وَيَكْثُر الزِّنَا ، ويَكْثُر شُرْبُ الخَمْرِ ، وَيَقِلُّ الرِّجَالُ ، وَيَكْثُرُ النِّسَاءُ ، حَتَّى يكونَ لِخَمْسِيْنَ امْرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ » وَمِنْ أَمَارَاتِهَا تَضْيِيْعُ الأَمَانَةِ ، وَاضَاعَتُها تَوْسِيْدُ الأَمْرِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَمِنْهَا فُشَوّ الرِّبَا ، وَقَدْ عَمَّ

وقال أَحَدُ العُلماء رحمه الله تعالى في معرض كلام له :

وإِنْ تَشَوَّقْتُمْ إِلى سَمَاع الأَعْذَار ، وتَشَوَّقْتُمْ إِلى جِمَاع الأَمْرِ الذي هُوَ سَبَبٌ لِقَولِي حَذَارِ حَذَارِ ، فأَلْقُوا السَّمْعَ لِمَّا أَقُول ، وتَدَبَّرُوا مَا أَوْرَدْتُهُ من الشواهِدِ والنُّقُول ، أَلَيْسَ هَذا زَمَانُ الصَّبر ، الصَّابُر فيه كَقَارِضٍ على الجَمْرِ ، رأَيْنَا فيْه ما أنذر به الرسول ﷺ وصَحَت به الأَحَادِيْثُ والنُّقُولُ لِكُلِ سُؤُوْل ، آياتٍ وعَلاماتٍ ما كَانَتْ تَقَعُ فِيْمَا مَضَى مَنَامَاتٍ ، ويَوَدُّ كُلٌ لَو أَنَّهُ عنْدَ المُنى مَاتَ ،، وقد أمر النبي ﷺ بأَنْ يَلْزَمَ العَالِمُ عِنْدَهَا خَاصَّةَ نَفْسِهِ ويَدَعِ العَوَامْ ، مِن ذَلِكَ الشُحُّ المُطَاعُ وَدُنْياً مُؤْثَرَةْ ،وهَوَى لَهُ ذُو اتِّبَاع ، وإِعْجابُ كُلُ ذِيْ رَأْيٍ بِرَأْيِهِ وذلك عَينِ الابتداع ، قَدْ مَرجَتِ الأَمانَاتُ والعُهُود ، وَكَثُرُ القَائِلُونَ بالزُوْرِ والشُهُود ، وجَمَّ الاختلافُ ، وقَلَّ الائْتِلافُ ، وكذِّبَ الصَّادِقُ ، وصدِّقَ الكَاذِبُ ، وخُوِّنَ الأَمِيْنُ ، وأَتُمِنَ الخَائِنُ ، ونَطَقَ الرُوَيْبِضَةَ ، وتكلم الرجُل التافِهُ في أَمْرِ العَامَّةْ ، وتَعَلَّمَ المُتَعَلِّمُ لِغَير العَمل ، وكان التَّفَقُهُ للدُنيا وَلَيْسَ لَهُ في الآخِرَةِ أَمَل ، وأُهِيْنَ الكَبِيْرُ ، وقدِّمَ الصَّغير ، ورُفِعَتِ الأَشْرَارُ ،

ووُضِعَتِ الأخيار ، فلا يُتَّبَعُ العَليم ، ولا يُسْتَحْىَ مِن الحليم ، واتُخِذَتِ البدعة سُنَّة فلا يُغَيِّرها مَنْ مَرَّ ، وصَار الموت إلى العلماء أحَبُّ مِن الذهب الأحْمَر ، واسْتَعْلَى الجُهَالُ على العُلماء ، وقَهَرَ السُّفهاءُ الحُلماءَ ، وَوُلِيَّ الدِيْنُ غَيْرَ أَهْلِهِ ، وظَهَرَ الفُحْشُ مِن كُلِّ جَاهِلٍ على قَدْرِ جَهْلِهِ ، إنتهى .

اللهُ أكبَرُ في الدِفَـاعِ سَـأَبْتَـدِيْ   وَهُوَ المعُيْنُ عَلَى نَجاحِ المَقْصَدِ

وهو الذي نَصَـرَ النبيَّ مُحَمَّـداً   وسَيَنْصُـرُ المُتَّبِعِيْنَ لِأَحْمَـدَ
وَبِهِ أَصُـولُ علىَ جَميعِ خُصُومِنَا   وأُعِدُّهُ عَوْناً عَلَى مَنْ يَعْتَـدِيْ
سَأَسُلُ سَهْماً في كِنَانَةِ وَحْيِـهِ   وبِهِ أَشُدُ عَلَى كتائبِ حُسَّـدِي
وبه سَأَجْدَعُ أَنفَ كُلِ مُـكَابرٍ   وبه سَأَرْصُدُ لِلْـكَفُورِ المُلْحِـدِ
وسَأَسْتَجِيْرُ بذِى الجَلالِ وذى العُلاَ   فَلَنْ أُضَامَ إذا اسْتَجَرْتُ بِسَـيِّدِي
وسَأَسْتَمِدُّ العونَ مِنهُ عَلَى الذي   لَمَزَ الأَحِبَّةَ بالكَلامِ المُفسِـدِ
حَـتَّى أُشَتِّتَ شَمْلَهُمْ بأدِلَّةٍ   مِثْلَ الصَّواعِقِ في السَّحَابِ الأَسْوَدِ
وبِنُوْرِ وَحْيْ اللهِ أَكْشِفُ جَهْـلَهُمْ   حَتّى يَبَيْنَ عَلَى رُءُوسِ المَشْهَـدِ
لاَ تَلْمِزُونَا يا خَفَافِيْشَ الدُجا   بِتَطرُفٍ وتَسَـرُّعٍ وتَشَـدُّدِ
لاَ تقْـذِفُونَا بالشُـذُوذِ فإنَّنَـا   سِـرْنَا عَلَى نَهْـجِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
ولِـكُلِ قَـوْلٍ نَسْتَـدِلُ بِـآيَةٍ   أَوْ بالحَدِيْثِ المُسْتَقِـيمِ المُسْنَدِ
والنَّسْخَ نَعْـرِفُ والعُمُومَ وأنَّنَا   مُتَفَطِّنُونَ لِمطْلَـقٍ ومُقَيَّـدِ
ونُصُوصُ وَحْيِ اللهِ نُتْقِـنُ فَهْمَهَا   لا تَحْسِبُونَ الفَهْمَ كالرأْيِ الرَّدِي
وإذا تَعَـارَضَتِ النُصُوصُ فإنَّنا   بأُصُولِ سَادَتِنَا الائمـةِ نَهْتَدِي
ونُحَارِبُ التَّقْلِيْدَ طُـوْلَ زَمَانِنَا   مَعْ حُبِّنَا لِلْعَـالِمِ المُتَجَـرِّدِ
وكَذَا الأَئِمَةُ حُبُّهُـم مُتَمَـكِّنٌ   مِن كُلِّ نَفْسٍ يا بَرِيَّةُ فاشْهَدِي
وتَرِقُّ أنْفُسُنَا لِرُؤْيـةِ مَن غَدَا   في رِبْقَةِ التَّقْلِيْدِ شِبْهَ مُقَيَّـدِ

إنَا نَرَى التَّقْلِيْدَ دَاءً قَاتِلاً — حَجَبَ العُقُولَ عن الطَّرِيْقِ الأَرْشَدِ
جَعَلَ الطَّرِيْقَ عَلَى المُقَلِّدِ حَالِكاً — فَتَرَى المُقَلِّدَ تَائِهاً لا يَهْتَدِي
فَلذَا بَدَأْنَا فِي اجْتِثَاثِ جُذُوْرِهِ — مِن كُلِّ قَلْبٍ خَائِفٍ مُتَرَدِّدِ
ولَسَوفَ نَدْمُلُ دَاءَهُ وجِراحَهُ — بِمَرَاهِمِ الوَحْيِ الشَّرِيْفِ المُرْشِدِ
نَدْعُو إلى التَّوحِيْدِ طُوْلَ حَيَاتِنَا — فِي كُلِّ حِيْنٍ فِي الخَفَا والمَشْهَدِ
ونُحَارِبُ الشِّرْكَ الخَبِيْثَ وأَهْلَهُ — حَرْباً ضَرُوْساً باللِّسانِ وباليدِ
وكَذَلِكَ البِدَعُ الخَبِيْثَةُ كُلُّهَا — نَقْضِيْ عَلَيْهَا دُوْنَ بَابِ المسْجِدِ
هَذِيْ طَرِيقَتُنَا وهَذا نَهْجُنَا — فَعَلامَ أَنْتُم دُوْنَنَا بالمَرْصَدِ
لِمَا تَطْعَنُونَا وتَلْمِزُوْنَا كَأَنَّنَا — جِئْنَا بِرَأْيٍ للعَقِيْدَةِ مُفْسِدِ
أَلِمَذْهَبٍ ولِعَادَةٍ وحُكُوْمَةٍ — تَتَهَرَّبُونَ مِن الحَدِيْثِ المُسْنَدِ
هذا الحَدِيْثُ تَلأْلأَتْ أَنْوَارُهُ — رَغْمَ الجَهُولِ وَرَغْمَ كُلِّ مُقَلِّدِ
إنْ كُنْتُم تَتَضَرَّرُوْنَ بِنُوْرِهِ — فالشَّمْسُ تَطْلَعُ رَغْمَ أَنْفِ الأَرْمَدِ
باللهِ قُولُوا مَا الذِي أَنْكَرتُمُوا — عَلَّ البَرِيَّةَ لِلْحَقِيْقَةِ تَهْتَدِي
هَدَّدْتُمُونَا بالمذاهِبِ بَعْدَ ما — وَضَحَ الدَلِيلُ فَبِئْسَ مِن مُتَهَدِّدِ
وَيَهْتُمُوْنَا بالقَبَائِحِ كُلِّهَا — وعَرَضْتُمُونَا بالقِنَاعِ الأَسْوَدِ
وَرَفَعْتُمُونَا لِلْوُلَاةِ تَشَفِّياً — وَفَرِحْتُمُوْا بِتَهَدُّدٍ وَتَوَعُّدِ
لَاكِنَّنَا لُذْنَا بِبَابِ إلهِنَا — فَأَرَاحَنَا مِن كُلِّ خَصْمٍ مُعْتَدِ
وَجَلاَ الحقيقةَ لِلْمَلأ فَخَسَأْتُمُوا — والسُوءُ يَظْهَرُ مِن خَبِيْثِ المَقْصَدِ
يامَعْشَرَ الإِخْوَانِ سِيْرُوْا وَابْشُرُوْا — وثِقُوْا بِنَصْرِ الوَاحِدِ المُتَفَرِّدِ
ولِتُعْلِنُوهَا لِلْبَرِيَّةِ كُلِّهَا — أَنَّا بِغَيْرِ مُحَمَّدٍ لا نَقْتَدِيْ
لاَ نَطلُبُ الدُنْيا ولا نَسْعَى لَهَا — اللهُ مَقْصَدُنَا وَنِعْمَ المَقْصَدِ
لَيْسَ المَنَاصِبُ هَمَّنَا ومُرَادُنَا — كَلاَّ ولا ثَوْبَ الخَدِيْعَة نَرْتَدِيْ
إِنَّا لنَسْعَى في صَلَاحِ نُفُوسِنَا — بِعِلَاجِ أَنْفُسِنَا المَرِيضَةِ نبتدي

ونُحِبُّ أن نهْدِيْ البَرِيَّةِ كُلَّهَا ... نَدع القريب قبيل نصح الأبعد
وبِوَاجِبِ المعروفِ نأمر قَوْمَنَا ... ونَقُومُ صَفاً في الطَّرِيْقِ المُفْسِدِ
لَو تُبْصِرُ الأَخوانَ في حَلَقَاتِنَا ... مِن عَالمٍ أوْ طالب مسترشِدِ
لَرَأيْتَ عِلْماً وأتْبَاعاً صَادِقاً ... لِلسُنَّةِ الغرَّاءِ دُونَ تَرَدُّدِي
أنْعِمْ بطلاب الحديثِ وأهْلِهِ ... وأجِلُهُم عن كل قَوْلٍ مُفْسِدِ
هَمْ زِينةُ الدُنْيَا مَصَابِيْحُ الهُدَى ... طَلَعُوا عَلَى الدُنْيَا طُلُوْع الغَرْقَدِ
وَرِثُوا النَّبِيَّ فأحْسَنُوا في إرْثِهِ ... وحَمَوْه مِن كَيْدِ الخَبِيْثِ المُعْتَدِي
سَعِدُوا بِهَدْى مُحَمَّدٍ وكَلامِهِ ... وسَوِاهُمُ بِكَلامِهِ لم يَسْعُدِ
والدِينُ قَال اللهُ قَالَ رسولُه ... وهُمُ لِدِيْنِ اللهِ أفْضَلُ مُرْشِدِ
والفِقْهُ فَهْمُ النَّصِ فَهْماً واضحاً ... من غَيْرِ تَحْرِيْفٍ وتَأْوِيْل رَدِيْ
لا تَحْسَبَنَّ الفقْه متْناً خَالِياً ... مِن كُلِ قولٍ لِلْمُشَرعِ مُسْنَدِ
فَعَلَيْكَ بالوَحْيَيْنِ لا تَعْدُوْهُمَا ... واسْلُكْ طَرِيْقهُمَا بِفهْمٍ جَيِّدَ
فإذا تَعَذَّرَ فَهْمُ نَصٍ غَامِضٍ ... فاسْتَفْتِ أهْلَ الذِكْرَ كالْمسْتَرشِدِ
بالبِّيِنَاتِ والزُّبُوْرِ فإنَّهُ ... مِنْ أمْرِ رَبِّكَ في الكتابِ فَجوِّدِ
واعلم بأنَّ مَن اقْتَدَى بِمُحَمَّدٍ ... سَيَنَالُهُ كَيْدُ الغُوَاةِ الحُسَّدِ
ويَذوق أنْوَاعَ العَدَاوةِ والأَذَى ... مِن جَاهِلٍ وَمُكَابِرٍ ومُقَلِّدِ
فاصْبِرْ عَلَيْهِ وكُنْ بِرَبِّكَ وَاثِقاً ... هَذَا الطَّرِيْقُ إلى الهُدَى والسُؤْدَدِ

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللّهِ انْتَبِهُوا وَبَادِرُوا بالأعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، فَإنَّ أَعْمَارَكُم سَرِيْعَةُ الانْصِرَامِ ، وَالأيَّام وَالليَالِي تَمُرُّ بكم مَرَّ السَّحَابِ ، والدّنْيَا إذا تَأمّلهَا اللبِيْبُ رَآهَا كالسَّرَابِ ، وَصَدَقَ القَائِلُ في وَصْفِهَا حَيْثُ قَالَ :

شعرا :

حَيَاةٌ وَمَوْتٌ وانْتِظارُ قِيَامَةٍ ... ثلاثٌ أفَادَتْنَا أُلُوْفَ مَعَانِ
فَلا تَمهَرَ الدُنْيَا الدَّنِيَّةَ إنهَا ... تُفَارِقُ أهْلِيْهَا فِرَاقَ لِعَانِ

ولا تطلُبَاهَا مِن سَنَانٍ وصَـــارِمٍ بِيَومِ ضِرَابٍ أو بِيَومِ طِعَـــانِ
فإنْ شِئتُمَا أنْ تَخْلصَا مِن أذاتِهَـــا مُحِطـاً بها الأثْقَالَ واتبعـــانِ

وقال آخر :

الَا كُـلُّ حَيٍّ هَـالِـكٍ وَابْنُ هَـالِـكِ
وَذُو نَـسَـبٍ فـي الـهَـالِـكِيْـنَ عَـرِيْـقُ
إذَا امْـتَحَـنَ الـدُّنْيَـا لَـبِيْـبٌ تَـكَـشَّـفَـتْ
لَـهُ عَـنْ عَـدُوٍّ فـي ثِـيَـابِ صَـدِيْـقِ

آخـر :

هِيَ الدُنيا تَقُولُ بِمِلْءِ فِيْهَا حَذَارِ حَذَارِ مِنْ فَتْكِي وَبَطْشِي
فَلا يَغْرُوْكُمَا مِنّيْ إبْتِسَـامٌ فَقَوْلِي مُضْحِـكٌ والفعْلُ مُبْكِيْ

آخـر :

أقُولُ ويَقْضِي اللهُ مَا هُوَ قَاضِي وإنِّي بِمَا يَقْضِي الإلٰهُ لَرَاضِيْ
أرَى الخَلْقَ يَمْضِي وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ فَيَالَيْتَنِي أدْرِيْ لِمَـا أنَا مَاضِــيْ
كَأنْ لَمْ أكُنْ حَياً إذَا حُثَّ غَاسِلِيْ وأسْرَعَ لفَّيْ فِيْ ثِيَابِ بَيَــاضِي

أعْوَامٌ سَرِيْعَةُ المُرُوْرِ ، وَشُهُورٌ تَقْتَفِيْ إثْرَ شُهُورٍ وَعِبَرٌ بَيْنَ ذَلِكَ تَتْرَى ، فَعَلامَ الغُرُورُ ، فلا تَغْتَرّوُا بالدُنْيَا فَقَدْ نَهَاكُم اللهُ عَنْ الاغْتِرَارِ بهَا ، وَضُرِبَتْ لَكُم بِأخْذِ أمْثَالِكُم الامْثَالُ ، أرَتْكُمْ عِيَاناً كَيْفَ تَقَلَّبَتْ بِأهْلِهَا الأحْوَالُ ، وَخَدَعَتْهُم الآمَالُ ، حَتَّى انْتَهَتْ لَهُمْ الآجَالُ ، قَبْلَ أنْ يَحْصُلُوا عَلَى مَا سَيَتَمَنَّوْنَهُ مِنْ صَالِحِ الأعْمَالِ ، فَاسْتَيْقِظُوا مِنْ نَوْمِكُم ، وَحَاسِبُوا أنْفُسَكُم على مَا اكْتَسَبَتْهُ مِنْ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِيْ الثقالِ ، فَأيُّ نَفْسٍ مِنَّا لَمْ تَحْمِلْ ظُلماً ، وَأيُّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِنا لَمْ تَقْتَرِفْ إثْماً ، وَأيُّ عَمَلٍ مِنْ أعْمَالِنَا يَلِيْقُ بِذَلِكَ المقام ، وَأيّ وَقْتٍ مِنْ أوْقَاتِنا تَمَحَّضَ لِلطَّاعَةِ وَخَلا مِن الآثامِ ، لَقَدْ جَنَيْنَا عَلى أنْفُسِنَا بالذُّنُوبِ جِنَايَة عَظِيْمَةً ،

فَلَيِّنُوا قُلوبَكُم بِذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ ، لَعَلَّهَا تَلِيْنُ ، وَعِظُوهَا بِذِكْرِ القَبْرِ وَفِتْنَتِهِ فإِنَّهُما لَحقُّ اليَقِيْن ، وَذَكِّرُوْهَا ﴿ يومَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِيْن ﴾ ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ المرءُ ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً ﴾ ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عن نَفْسِهَا ، وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُوْنَ ﴾ .

شِعْرَ : وفي دُوْنِ ما عَايَنْتَ مِن فَجَعَاتِهَا
إلى دَفعِهَا دَاعٍ وبالزُّهْدِ آمِرُ
فَجُدَّ ولا تَغْفُلْ وَكُنْ مُتَيَقِّظاً
فَعَمَّا قَلِيْلٍ يَتْرُكُ الدَّارَ عَامِرُ
وَشَمِّرْ ولا تَفْتُرْ فَعُمْرُكَ زَائِلٌ
وَأَنْتَ إلى دَارِ الإقَامَةِ صَائِرُ
وَلاَ تَطْلُبِ الدُّنْيَا فإنَّ نَعِيْمَهَا
وان نِلْتَ منها غِبُّهُ لَكَ ضَائِرُ
أَمَا قَدْ نَرى في كُلِّ يومٍ وليلةٍ
يَرُوْحُ عَلَيْنَا صَرْفُهَا وَيُبَاكِرُ
تَعَاوَرَنا آفَاتُهَا وَهُمُومُهَا
وَكَمْ قَدْ نَرَى يَبْقي لَهَا المُتَعَاوِرُ
فَلاَ هُوَ مَغْبُوطٌ بِدُنْيَاهُ آمِنٌ
وَلا هُوَ عن تَطْلاَبِهَا النَّفْسَ قَاصِرُ

اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ سِنَةِ الغَفْلَةِ ، وَوَفِّقْنَا لاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ المُهْلَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى

اللهم اجْعلنَا لِكِتَابِكَ مِنَ التَّالِينَ ولكَ بهِ مِن العامِلينَ وبِمَا صَرَّفْتَ فيهِ مِن الآياتِ مُنْتَفعين ، وإلى لذيذِ خِطَابِه مُسْتَمِعينَ ، ولِأوَامِرِهِ ونَوَاهِيهِ

خاضِعين وبالأعمالِ مُخْلِصِين ، واغْفِرْ لَنَا وَلِوالِدِينا ولِجميعِ المُسْلِمينَ الأحياءَ مِنْهُم والميتينَ بِرَحْمَتِك يا أرحمَ الرَّاحِمينَ ، وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين .

« فَصْــلٌ »وَمِنْ عَلاَمَاتِ السَّاعَةِ المُتَوسِّطَةِ مَا أَخْبَرَ بِهِ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ مِنَ الفِتنِ التِيْ تَقَعُ في آخِرِ الزَّمَانِ ، فَعَن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه قالَ قالَ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم « والذِي نَفْسِ بِيَدِهِ لا تَذْهَبُ الدُّنيا حَتَّى يَمُرُّ الرَّجُلُ على القَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِيْ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا القَبْرِ ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّيْنُ إلا البَلاَءُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

شِعْرَا :يَبْكِيْ رِجَــالٌ عَلَى الحَيَاة وَقَــدْ إشْتَقْتُ يَا قَومِيْ إلى قُرْبِ الأَجَــلْ

مِنْ قَبْلِ أنْ تَعْرِضْ لِقَلْبِي فِتْنَـــةٌ فَتَصرِفُهُ عَنْ طاعَةِ الْمَوْلَـى الأَجَــلْ

وَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنه قالَ قَالَ النبي صلى اللهُ عليه وسلم « والذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يَدْرِيْ القَاتِلُ في أَيِّ شَيْءٍ قَتلَ ، وَلاَ المقتُولُ على أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ » وَعَنْ أَبِي قتادَةَ العَدويّ ، عَنْ يَسِيْر بْنِ جَابِرٍ قالَ · هَاجَتْ رِيْحٌ حَمْرَاءُ بالكُوفَةِ ، فَجَاء رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هُجيْرَا إلاَّ : يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودِ جَاءَتْ السَّاعَةُ قالَ : فَقَعَدَ وَكَانَ متَّكِئاً ، فقالَ : إنَّ السَّاعَةُ لا تَقُومُ حَتَّى لا يُقْسَمَ مِيْرَاثٌ ، ولا يُفْرَحُ بِغَنِيْمَةٍ ، ثُمَّ قالَ بِيَدِهِ هَكذا ، ونحَّاهَا نَحْوَ الشَّام ، فقالَ : عَدُوٌّ يَجْتَمِعُوْنَ لِأَهْلِ الإسْلاَمِ ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الإسلامِ . قُلْتُ الرُّوْمُ تَعْنِيْ ؟ قالَ : نَعَمْ وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُم القِتَالَ رِدَّةٌ شَدِيْدَةٌ ، فَيَشْتَرِطُ المُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْموتِ ، لا تَرْجِعُ إلاَّ غَالِبَةً ، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُم الليْلُ ، فَيَفِيْءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِب ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ، ثم يَشْتَرِطُ المُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ ، لاَ تَرْجِعُ إلاَّ غَالِبَةً ، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجزَ بَيْنَهم اللَّيْلُ ، فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ كلٌّ غَيْرُ غَـالِبِ ، وَتَفْنَى الشَّرْطَـةُ ، ثم يَشْتَرِطُ المسلِمُوْنَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ ، لا تَرْجِعُ إلَّا غَالِبَةً ، فَيَقْتَتِلُونَ حتى يُمْسُوا ،

فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ كلُّ غيرُ غَالِبٍ ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ، فإذا كَانَ الْيَوْمُ الرَّابعُ نَهدَ إلَيْهِم بَقِيَّةُ أَهْلِ الإسْلامِ ، فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبرَةَ عَلَيْهِم ، فَيَقْتَتِلُونَ مَقْتَلَةً إمَّا قالَ : لا يُرَى مِثْلُهَا . وَإمَّا قالَ : لَم يُرَ مِثْلُهَا ، حَتَّى إنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنباتِهِم ، فمَا يَخْلِفُهم حَتَّى يَخِرَّ مَيِّتًا فَيَتَعَادُّ بَنُو الأَبِ كَانُوا مائةً ، فَلاَ يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إلاَّ الرَّجُلُ الوَاحِدُ ، فَبَأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ ، أَوْ أَيِّ مِيرَاثٌ يُقَاسَمُ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ ، فَجَاءَهُم الصَّرِيْخُ إنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُم في ذَرَارِيْهِمْ ، فَيَرْفُضُوْنَ مَا في أَيْدِيْهِمْ ، وَيُقْبِلُونَ ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيْعَةً ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسَلم « إنِّيْ لأعْرِفُ أَسْمَاءَهُم وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِم ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ ، عَلَى ظَهْرِ الأرْضِ يَوْمَئِذٍ ، أو مِنْ خَيْرِ فَوَارِس عَلَى ظَهْرِ الأرْضِ يَوْمَئِذٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

شعر :

نَنْسَى المنايا عَلَى أَنَّا لَهَا غَرَضٌ
فَكَمْ أُنَاسٍ رَأَيْنَاهُم قَدْ انقَرَضُوْا
إنَّا لَنَرْجُو أُمُوْراً نَسْتَعِدُّ لَهَا
والموتُ دُوْنَ الذِيْ نَرجُوهُ مُعْتَرِضُ
لِلهِ دُرِ بَني الدُنْيَا لَقَدْ غُبِنُوْا
لِمَا اطْمَأَنُوا بِهِ مِن جَهْلِهِم وَرَضُوْا
مَا أَرْبَحَ اللهُ في الدُنْيَا تِجَارَةَ إنْ
سَانٍ يَرى أَنَّها مِن نَفْسِه عِوَضُ
لَبِئْسَتِ الدارُ داراً لا نَرَى أَحَداً
مِن أَهْلِهَا نَاصِحاً لَم يَغْدُهُ غَرَضُ

ما بَالُ مَنْ عَـرَفَ الدُّنْيَـا الدَّنِيَّـةَ لا
يَنْكَفُ عن عَـرَضِ الـدُّنْيَا وَيَنْقَبِضُ
تَـصِـحُّ أَقْـوَالُ أَقْـوَامٍ بِـوَصْفِـهِمُ
وفي القُلُوبِ إذا كَشَّفْتَهَـا مَـرَضُ
والنَـاسُ في غَفْلَةٍ عَمَّا يُـرَادُ بِهِم
وَكُلُّهُمْ عن جَدِيْدِ الأَرْضِ مُنْقَـرِضُ
والحَـادِثَـاتُ بِهَـا الأَقْـدَارُ جَـارِيَـةٌ
وَالمَـرْءُ مُـرْتَفِـعٌ فِيْهَـا وَمُنْخَـفِضُ
يَا لَيْتَ شِعْرِيْ وَقَدْ جَدَّ الرَّحِيْلُ بِنَا
حَتَّى مَتَى نَحْنُ في الغِرَّاتِ نَرْتَكِضُ
نَفْسُ الحَكِيْمِ إلى الخَيْرَاتِ سَاكِنَـةٌ
وَقَلْبُـهُ مِن دَوَاعِي الشَّـرِ مُنْقَبِضُ
إصْبِـرْ على الحَقِ تَسْتَعْـذِبْ مَغَبَّتَـهُ
والصبـرُ لِلْحَقِ أَحْيـانـاً لَـهُ مَضَضُ
ومـا اسْتَـرَبْتَ فكُنْ وَقَّـافَـةً حَـذِراً
قَـد يُبْـرَمُ الأَمْـرُ أَحْيَـانـاً فَيَنْتَقِضُ

مَوْعِظَة

عِبَادَ اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهِ وَبَادروا بالتَّوْبَةِ قبل أنْ يُغْلَقَ عنكُم البَابُ ، وابتدروا الأَوبَةَ قَبْلَ أَنْ يُرْخَى دُوْنَكُم حِجَابُهَا ، وَانْتَهزوا فُرَصَ الحَيَاةِ فَقَدْ اقتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَتَضَاعَفَ اقْتِرَابُهَا ، قال اللَّهُ تعالى ﴿ اقْتَـرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابَهُم وهم في غَفْلَةٍ مُعْرَضون ﴾ فيَا عِبَادَ اللهِ تَذَكَّروا مَوَاقِفَ الخَلاَئِق بَيْنَ يَدَي العَزِيْزِ الجبَّارِ في يَوْم يُحَرَّرُ فِيهِ الحسَاب ، وَأَعِدُّوا لِلحسَابِ صَوَابَ الجَوَاب ، فَلاَ بُدَّ أَن يُطْلَبُ مِنكمُ على كُلُّ مسأَلَةٍ جَوَابُهَا ،

واجتَنبُوا التَّسوِيْفَ ، فإنَّ سُيُوفَ المنِيَّةِ قاطعَةَ ، يا مَعْشَرَ المُسَوِّفِيْنَ أَظنَنْتم أنكمُ في الدنيا مُخَلَّدون ، وأنتمُ مَعَ العَاصِيْنَ قَاعِدُوْن ، كم مَرَّتْ بكمُ مَوَاسِمُ الطَّاعَاتِ ، وأنتمُ عن استِغْلالِها بالباقِيَاتِ الصالحات راقدون ، فما فما بالُكَ أيُّهَا الغَافِلُ تُسارِعُ في مُتابَعَةِ هَوَاك ، مَعَ أنكَ في العِبَادَةِ مُتكاسِل ، وَتُتْلَى عَلَيْكَ آياتُ مَوْلاَكَ وَأَنْتَ عنهَا مُعْرضٌ إعْرَاضَ الجَاهِلِ تَسْمَعُ الملاهِيَ فتمِيلُ إليها بقَلْبكَ وَتُبْصِرُ المَنَاهِيَ مِن تِلفزيُون وَفِديو وَسينماء وَسَافراتٍ وصُور فلا تَتَحرَكُ ولاَ تَتمعَرَّ ، هَل أَنْتَ مُكَذِّبٌ بالتَّحْرِيْم ، أو مُتَشَكِّكٌ فِي البَعْثِ وعَذَاب القَبْرِ والحِسَاب والصِرّاط والمِيْزَان ، فيا مُؤمنا بيَوم الحِسَاب تَهيأْ لِلْمُحاسَبَةِ ، وَيَا مُذعِناً بحُقوقِ الرَّب اسْتَعِدَّ للمُطَالَبَةُ وَيَا طَوِيلَ الأَملِ كَمْ آمالٍ أصبَحَتْ خائبة ، فكأنَّكَ بالموتِ وقَدْ نَزَلَ بسَاحَتِكَ وَنَزَلْتَ فِي القَبْرِمَع عَمَلِكَ وَحُشَرْتَ وَعُرِضْتَ على عالم سريْرتكَ وعلانَيتكُ وكَأَنكَ بالحَشْرِ والنشْرِ والحِسَاب بَيْنَ يَدَي اللَّهِ عزَّ وجَل ، وكأَنَّكَ بالأَهْوالِ والمَخاوِفِ وقد أَحاطَتْ واشتدَّ الخوفُ والوجَلُ وكأَنَّكَ بالجَحِيمِ وقد سُعِرَتْ وبالجنةِ وقد أُزلِفَتْ ، فَالبَدَارَ قبلَ انقضاءِ الأعمارِ .

شِعرا : يَا وَيْحَ مَن أَنْذَرَهُ شَيْبُهُ ... وهُو عَلَى غَيّ الصِّبا مُنْكَمِش
يَعْشُوْ إلى نارِ الهَوَى بَعْدَمَا ... أصْبَحَ مِن ضُعْفِ القُوَى يَرْتَعِشْ
لم يَهَبِ الشيْبَ الذِي مَا رَأى ... نُجُومَهُ ذُوْ اللُّبِ إلاَّ ارْتَعَشْ
فَذَاكَ إنْ مَاتَ فَسُحْقاً لَهُ ... وَإنْ يَعِشْ عُدَّ كَمَنْ لم يَعِشْ
فهَاكَ كأسُ النُصْح فاشْرَبْ وجُدْ ... بفَضْلَهِ الكَأسِ عَلَى مَنْ عَطِشْ

آخر : تَجَرَّدْ مِن الدنيا فإنَّكَ إنَّمَا ... خَرَجْتَ إلَى الدنيا وأنْتَ مُجَرَّدُ
وتُبْ مِن ذُنُوبٍ مُوْبقاتٍ جَنيتَهَا ... فَمَا أنْتَ في دُنْيَاكَ هَذِيْ مُخَلَّدُ

آخر : ومَنْ عَجَبِ الدُنيا رُكُوني وصَبْوتي ... إلَيْهَا عَلَى سنِّيْ كَأَني وَلِيْدُهَا
أُجَارِيْ اللَّيَالِيْ لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ ... مُشِيْحاً كأَنِّي تِرْبُهَا وَطَرِيْدُهَا

اللهم اهْدِنَا إلى سَوَاءِ السَّبِيْلْ، وَوَفِّقْنَا لِلْفِقْهِ في دِيْنِكَ القَوِيْمِ ،

واجعلنا مِن العَامِلِينَ بهِ قولاً ، وفِعْلاً الدّاعِيْنَ إليهِ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياءِ منهم والميتين برحمتك يا أرحمَ الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

موعـظة عبَادَ اللَّه ما ندمَ مَنْ أَطَاعَ اللَّه في أَيِّ وقْت كَانَ ، ولاَ عَادَتْ الطاعاتُ على صَاحِبِهَا إلَّا بالخَيْرِ والبَرَكَةِ في كُلِّ آنٍ ، والعُصَاةُ في كُلِّ زَمَنٍ هُمْ المَمْقُوْتُونَ مَهمَا ابْتَسَمَتْ لَهُم الدُّنْيَا وقَضوُا فِيْهَا بَعْض مآرِبِهِم ، وَمَهْمَا هَامُوْا بِحُبِّهَا وَأَحْكَمُوا أَسَالِيْبَ جَمْعِهَا ، فإنَّ الدُّنْيَا لا تَبْتَسِمُ لِفاسِقٍ إلَّا لِتَسْحَقَهُ ، ولا تَفْتَحُ ذِرَاعَيْهَا لِمُقْبِلٍ عَلَيْهَا إلا لِتُحْرِقَهُ ، قال اللهُ تعالى ﴿ فلا تَغُرنكم الحياةُ الدنيا ولا يَغرنكم باللهِ الغَرُوْر ﴾ فَمَاذَا غَرَّكَ فِيْهَا أَيُّهَا المِسْكِيْنُ ، إن كانَ الذي غَرَّكَ فِيْهَا كَثْرَةُ النَّقْدَيْنِ أَوْ مَا نَابَ مَنابَهُمَا مِن أوْرَاقٍ ، فإنَّ الجَنَّةَ حَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفرانُ ، وبِنَاؤُهَا الذَّهَبُ والفِضَّةُ ، والدُّرُ واليَاقُوتُ ، وإنْ كَانَ الذي غَرَّكَ مِنْهَا فَوَاكِهُهَا وَمَطْعُوْمَاتُهَا وَمَا حَوَتْ مِن مَتَاعٍ ، فإنَّ في الجَنَّةِ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وانْ كانَ الذي غَرَّكَ جَمَالُ نِسَائِهَا ، فإنَّ في الجَنَّةِ ﴿ قاصِرَاتُ الـطَّرْفِ ، لم يَطْمَثِهُنَّ إنسٌ قَبْلَهُم ولا جَانٌّ ﴾ ﴿وكَواعِبَ أترابا ﴾ لَوْ ظَهَرَ بَنانُ إحْدَاهُنَّ عَلَى الدُّنيَا لأضَاءَتْ مَا بَيْنَ السماءِ والأَرْضِ يَنْظُرُ إلى وَجْهِه في خَدِّهَا أَصْفَى مِن المِرْآةِ ، وَتُسَرُّ بِمُشَاهَدَتِهَا سُرُوْراً لاَ يَعْلَمُ قَدْرَهُ إلَّا اللهُ ، لا تَنْظُرُ إلَّا إلَيها ولا تَنْظُرُ إلَّا إلَيْكَ ، لاَ تَتَكَلَّمْ إلَّا بِمَا يَسُرُّكَ ، تَأْمُرُهَا فَتَخْضَعُ ، وَتُحَدِثُهَا فَتَسْمَعُ ، إذا تَكَلَّمَتْ أَطْرَبَتْ ، لاَ تَفْتَخِرُ عَلَيْكَ بِحُسْنِهَا وَجَمَالِهَا ، ولاَ تَمُنُّ بِجَمِيْلِ صُنْعِهَا ، لا تَنْفُرُ مِنْكَ وَلاَ تَغْضَبُ ، وَلاَ تَلْهُو عَنْكَ وَلاَ تَصْخَبُ ، الجَمَالُ كِسَاؤُهَا ، والكمالُ رِدَاؤُهَا ، والوُدُّ والوَفاءُ مِن طَبْعِهَا ، لا يَعْلُوُ صَوْتُهَا على صَوْتِكَ ولا تَجْتَهِدُ إلَّا في مَرْضَاتِـكَ ، هَادِئَـةٌ ، سَاكِنَـةٌ رَاضِيَةٌ تِلْكَ وَأَمْثَـالُهَا لِلْمُؤْمِنِيْنَ المُعْلُومِيْنَ ، مِن قوله تعالى ﴿ قد أَفْلَحَ المؤمنونَ الذين هُم في صلاتِهِمْ

خاشعُون ﴾ إلى قوله ﴿ أولئكَ هُمُ الوَارِثُونَ الذِيْنَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هم فيها خالدون ﴾ أيُّهَا المسلمونَ ، لَقَدَ فازَ والله مَنِ اجْتَهَدَ فِيْمَا يُنَجِيْهِ ، وَخَابَ مَن أَتْعَبَ نَفْسَهُ فِيْمَا يُخْزِيْهِ ، وَأَنْتُم الآنَ في فُسْحةٍ مِنْ أَجَلِكُم ، وَصِحَّةٍ مِنْ أَبْدانِكُم ، وَاكْتِمَالٍ مِن عُقُولِكُم ، وَآخِرُ الأجلِ غَائِبٌ عَنْكُم ، ولا تَدْرُون كَيْفَ حَالُكُم بَعْدَ يَومِكم فَسَارِعُوا ﴿ إلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُم وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ مِن قَبْلِ أَنْ يَفْقِدَ البَدنُ صِحَّتَهُ ، وَيَقُولُ الحَقُّ كَلِمَتَهُ ، فَينقضِيْ الأجَلُ ، وَيُخْتَمُ عَلَى العَمَلِ ، فلا يُنْقَصُ فيهِ ولا يُزَادُ ، ولا يُعَدَّلُ فِيْهِ شَيْءٌ إلَى المَعَادِ ، تَقُولُ لَيْتَنِي أَطَعْتُ ، وَمَا هِيَ بِنَافِعَةٍ ، وَلَيْتَنِيْ مَا عَصَيْتُ ، وَلَيْسَتْ بِدَافِعَةٍ ، إذاً فَأَضْيَعُ النَّاسِ وَأَخْسَرُهم صَفْقَةً مَنْ سَوَّفَ في طَاعَةِ رَبِّهِ ، وأَشَدُّهُم خُسْرَاناً مَنْ لَمْ يُبَادِرْ فِيْ التَّوْبَةِ مِنْ ذَنْبِهِ ، قالَ تَعَالَى ﴿فأَمَّا مَنْ تَابَ وآمَن وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ المُفْلِحِيْنَ ﴾ وفي الحَدِيْثِ « أحَبُّ الأعْمَالِ إلى اللهِ أَدْوَمُها وانْ قَلَّ » رَوَاهُ البُخارِيّ .

إلى اللهِ تُبْ قَبْلَ انْقِضَا زَمَنِ العُمْرِ
أُخَيَّ ولا تَأْمَنْ مُسَاوَرَةَ الدَّهْرِ
لَقَدْ حَدَّثَتْكَ الحَادِثَاتُ نُزُوْلَهَا
وَنَادَتْكَ إلَّا أَنَّ سَمْعَكَ ذُو وَقْرِ
تَنُوحُ وَتَبْكِيْ لِلأَحِبَّةِ أَنْ مَضَوْا
وَنفسَكَ لاَ تَبْكِي وَأَنْتَ عَلَى الأَثْرِ

آخر :

وَمَا حَالاَتُنَا إلاَّ ثَلاَثُ شَابٌ ثُم شَيْبٌ ثم مَوْتُ
وآخِرُ مَا يُسَمَّى المَرْءُ شَيْخاً ويَتْلُوهُ مِن الأَسْمَاءِ مَيْتُ

آخر : إنِّيْ أُبُثُكَ مِنْ حَدِيْثي والحَدِيْثُ لَهُ شَجُوْنْ
غَيَّرْتُ مَوْضِعَ مَرْقَدِيْ لَيْلاً فَفَارَقَنِيْ السُّكُوْنْ

قُلْ لِيْ فَأَوَّلُ لَيْـلَـــــةٍ   في القَبْـرِ كَيْـفَ تَـرَى تَكُـوْنُ

آخر : فبادرْ إلى الخَيْراتِ قَبْلَ فَواتِهَـا   وخَالِفْ مُرادَ النِفْسِ قبلَ مَمَاتِهَـا

سَتَبْكِيْ نُفُوسٌ في القِيَامِةِ حَسْرَةً   على فَوْتِ أَوْقَاتِ زمَانَ حَيَاتِهَـا

فلا تَغْتَرِرْ بالعِزّ والمالَ والمُنَـى   فكم قد بُلِيْنَا بانْقِلَابِ صِفَاتِهَـا

آخر : إذا مَـرِضْنَـا نَـوَيْنَـا كُـلَّ صَـالِحـةٍ   وانْ شُـفِيْنَـا فَمِنَّـا الـزَّيْـغُ والـزَّلَـلُ

نُـرْضِـي الإلَـهَ إذَا خِفْـنَـا وَنُـسْخِـطُهُ   إذَا أَمِـنَّـا فَـمَـا يَـزْكُـوْ لَـنَـا عَـمَـلُ

اللهُمَّ وَفِّقْنَا لِسَبِيْلِ الطَّاعَةِ ، وَثَبِّتْنَا عَلَىٰ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ عَرفَ الحقَّ وَأَضاعَهُ ، وَأَخْتِمْ لَنَا بِخَيْرٍ مِنْكَ يا كَرِيْمُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأحْيَاءِ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فصل »

في ذكر بعض الأحاديث التي وردت في الفتن وما يقع في آخر الزمان

عن حُذَيفةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنهُ قَالَ: اذا أَحَبَّ أَحَدُكم أنْ يَعْلَم أَصَابَتْهُ الفِتْنَةُ أمْ لا ؟ فَلْيَنْظُرْ فإنْ كانَ رَأَىَ حَلالاً كَانَ يَرَاهُ حَراماً فَقَدْ أَصَابَتَهُ الفِتْنَةُ ، وَانْ كَانَ يرَى حَـراماً يَـراهُ حَلالاً فقدْ أَصَابَتْهُ . رواهُ الحَاكِمُ .

وَعَنْ زَيْنَبَ بنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم يَوْماً فَزِعاً ، مُحْمَرّاً وَجْهُهُ ، يَقُوْلُ « لا إلهَ إلا الله ، وَيْلٌ للعَرِبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقتَرَبَ ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأجُوجَ ومَأجُوجَ مِثْلُ هَذه » وَحلّقَ بأصْبُعِه الابْهَامَ وَالتِي تَلِيْها ، قَالَتْ : فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ

أنَهْلَكُ وفِيْنَا الصَّالِحُونَ ؟ قالَ « نَعمْ اذا كَثُر الخَبثُ » رَواهُ أحْمَدُ وَالبُخَارِيّ ومُسْلِمٌ وَالتِّرمِذيّ وَابْنُ مَاجَهْ .

وَعن أبي هُريرَةَ رَضيَ اللهُ عنهُ ، قَالَ قَالَ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم « ويْلٌ للعَربِ منْ شَرٍّ قد اقْتَربَ ، فِتناً كقِطَعِ اللّيْل المظْلمِ ، يُصْبحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيمْسِيْ كافِراً ، يَبِيْعُ قَوْمٌ دِيْنَهُم بعرَضٍ منْ الدّنْيا » رَواهُ الامَامْ أحْمَدُ ومُسْلِمٌ .

وَعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا أنْ رسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسَلم قَالَ « سَتكوُنُ فِتنٌ يُفارِقُ فِيْهَا الرَّجُلُ أباهُ وأخَاهُ ، تَطيْرُ الفِتْنَةُ في قُلُوبِ رجَالٍ مِنْهُم إلى يَوْمِ القِيَامَةِ ، حَتَّى يُعَيَّرَ الرَّجُلُ فِيْهَا بصَلاتِه ، كَمَا تَعيَّرُ الزَّانِيَةُ بزِنَاهَا » رَواهُ الطَّبَراني .

قُلتُ وهَذا الحَديْثُ فيهِ عَلمٌ من أعْلام نُبُوَّتِهِ صلى اللهُ عليه وسَلم وصِدْقَ رسَالَتِهَ ، فأنَه في هَذا العَصْرِ قَدْ وَقَعَ مَا ذُكِرَ فَفَارقَ رجَالٌ آبَاءهُم بسَبَبِ فِتْنَة التلفزيون، وبسَبَبِ فتْنَةِ الكُرَةِ ، فَارَقَ رجَالٌ آبَاءهمْ وَاخْوَانهُم وزَوجْاتِهِم ، نسْألُ اللهَ أنْ يَعْصِمَنَا مِنْهَا ، وَوَقعَ في زمَنِنَا أيْضاً أناسٌ ، يَتَهكّمُونَ وَيَسْخرُوْنَ بالمُصَلِّيْنَ ، وَمَنْ عَليْهِمْ سِيْمَا الصَّالِحْينَ ، مِنْ إعْفَاءِ لِحْيَةٍ ، وَاقْتِنَاء كُتُبِ السَّلف ، وَكَثرةِ تلاوَةٍ لِكَلام الله ، وَالبُخَارِيّ وَمُسْلِم ، ويَرْمُوْنَهُم بأنَّهُم رَجْعِيُّونَ ومَتأخِرُون ومَنْحُطُّونَ ، وضِدَّهُمْ مِمَّنْ لا يَشْهَدْونَ الصَّلاةَ ، حَالِقِي اللِّحى ، شُرَّابِ الدخانِ ، أهْلِ الخَنَافِسِ وَالتَّوالَيْتَ ، يُسَمُّونَهُم المُتَمَدِّنِيْنَ المُثَقَّفِيْن ، و هذَا انْعِكَاسٌ نَسْألُ اللهَ العَافِيَةَ وَالثَّبَاتَ عَلى الاسْلام ﴿ وَإنْ يُهْلِكُونَ إلا أنْفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونْ ﴾ ﴿ ألا إنَّهُم هُمْ السُّفَهَاءُ وَلكِنْ لاَ يَعْلَمُون ﴾ .

وَعَنْ أبي سَعِيْدٍ الخُدْرِيّ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ: بَيْنَا أعرابيٌ في بعضِ نَواحِي المدينةَ في غَنمٍ لهُ ، عَدا عَليهِ الذئبُ فأخذ شاةً من غَنَمِهِ ، فأدْرَكَهُ الأعْرَابيِ فاسْتَقذَهَا مَنْهُ ، وهَجْهَجه فَعَانَدَهُ الذئبُ يَمْشِيْ ، ثم أَقْعَى مُسْتَثْفِراً بذَنَبِهِ يُخَاطِبُه ، فقالَ: أخَذْتَ رِزْقاً رَزقَنِيْهِ اللهُ ، قَال: وَاعجَباً مِنْ ذِئْبٍ مُقْعٍ مُسْتَثْفِرٍ بذَنَبِهِ يُخاطِبُنِيْ ، فقالَ: وَاللهِ انَّكَ لتَتْرُكُ أعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ: ومَا أعْجَبُ مِن ذلِكَ ؟ فقالَ: رَسُول اللهُ صلى الله عليه وسلم في النَّخْلتَيْنِ ، بَيْنَ الحَرَّتَيْنِ ، يُحَدِّثُ النَّاسَ عَنْ نبأِ مَا قَدْ سَبَقَ ، ومَا يَكونُ بَعْدَ ذَلِكَ ، قَال: فَنعق الأعْرَابِيّ بغَنَمِه ، حَتَّى الْجَأهَا إلَى بَعْضِ المدِيْنَةِ ، ثم مَشَى إلى النبي صلى اللهُ عليه وسَلم حتى ضرَب عليه بَابَهُ ، فلمّا صلى النبي صلى اللهُ عليه وسلم قالَ « أيْنَ الأعْرابيْ صَاحِبُ الغَنَمِ » فَقَامَ الاعْرَابيّ ، فَقَالَ النبي صلى اللهُ عليه وسلم « حدِّثْ النَّاسَ بمَا سَمِعْتَ ، وبمَا رَأَيْتَ » فَحَدّثَ الأعْرَابيّ النّاسَ بمَا رأىَ مِنْ الذّئبِ ، ومَا سَمِعَ مِنْهُ ، فقَال النبي صلى الله عليه وسلم عِنْدَ ذلك « صَدَقَ آياتٌ تكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ ، والذِي نَفْسِيْ بيَدِه لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ أحَدُكُم مِنْ أهْلِهِ فيُخبرُه نَعْلُه أوْ سَبُوطُهُ أو عَصَاهُ بمَا أحْدَث أهْلهُ بعْدَهُ » رَوَاهُ الامامُ أحْمَدُ ورُواتُه ثِقَاتٌ ، وعَنْ سَهْل بْنِ سَعْدٍ السَّاعِديّ رضْيَ اللهُ عنه أنّ رسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم قَال « اللهمّ لا يُدرِكْنِيْ زَمانٌ أو لا تُدْرِكُوا زمَاناً لا يُتَّبَعُ فِيْهِ العَلِيْم ، ولا يُسْتَحْيَ فيهِ مِن الحَليْم قُلُوبُهُم قُلُوبُ الأعَاجِمِ ، وألسِنَتُهُم ألْسنَةُ العَرَبِ » رواه أحمدَ .

وَعن حذيفَة قال سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقول « تُعْرَضُ الفِتْنَةُ عَلىَ القُلُوبِ كالحصيْر عُوْداً عُوْدا ، فأيْ قَلْبٍ أشْرِبَهَا

نَكَتَتْ فِيْهِ نَكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وأيُ قَلْبٍ أنْكَرَهَا نَكَتَتْ فيه نَكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتى تَصيْرَ عَلَى قَلْبَيْن، عَلَى أبْيَضَ مِثْلَ الصَّفاءِ فلا تَضُرُهُ فِتْنَةٌ مَا دَامتِ السَّمواتُ والأرضُ ، والآخَرُ أسْوَد مِرْبَادٌ ، كالكَوزِ مُجَخِّياً ، لا يَعْرِفُ مَعْرُوفاً ، ولا يُنْكِرُ مُنْكَراً إلا ما أشْرِبَهُ مِن هَوَاهَ » رواه مسلم وأحمد .

وعن عبدِ اللهِ بن عُمَرَ رَضي اللهُ عنهما قال كُنَّا قُعُوداً عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فَذَكَرَ الفتنَ فأكْثَرَ في ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الأَحْلاسِ ، قال « هِيَ هَرَبٌ وحَرْبٌ » ثمَّ فِتْنَةُ السَّراءِ « دَخَنُهَا مِن تَحتِ قَدَمِيْ رَجُلٍ مِن أهْلِ قَرَيَتِي ، يَزْعُمُ أنَّهُ مِنِّيْ ، ولَيْسَ مَنِيّ ، وإنّما أوْلِيَائي المُتقُون ، ثم يَصْطَلِحُ الناسُ عَلى رَجُلٍ كَوَرْكٍ على ضَلَعٍ ، ثم فتنَةُ الدُهَيْمَاء ، لا تَدَعُ أحداً من هَذِه الأمةِ إلاَّ لَطَمْتَهُ لَطْمَةً ، فإذَا قِيْلَ انْقَضتْ تَمَادَتْ ، يُصْبَحُ الرجلُ فِيها مُؤْمِناً ويُمْسِيْ كافراً ، حتىًّ يَصيْرَ الناسُ عَلَى فِسْطَاطَيْنِ ، فِسْطَاطِ إيمانٍ لاَ نِفاقَ فِيهِ ، وفِسْطَاطَ نِفَاقَ لا إيمانَ فِيه ، فإذا كانَ ذاكُمْ فانْتَظُروا الدَّجالَ مِن يَوْمِهِ أوْ غَدِهِ » رواه أحمدُ وأبو دواد والحاكم .

وعن أبي هُريرَةِ رضي اللهُ عنه أن رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم قال « لا تَقُومُ الساعةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتانِ عَظِيْمَتانِ ، وتكونَ بَيْنَهُما مَقْتَلة عَظِيْمَةٌ، ودَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ » متفق عليه .

وعن أبي سَعيدٍ رَضي اللهُ عنهُ قال : كُنَّا نَنْقُلُ لَبِنَ المَسْجَد لبنة لَبنةً ، وكانَ عَمَّارَ يَنْقَلُ لِبنَتين لَبنَتَيْنِ ، فمَرَ بهِ النبيْ صَلى اللهُ عليهِ وسَلَّمِ ، ومَسَحَ عن رأسَهِ الغُبَارَ ، وقال « وَيْحَ عَمَّارٌ تَقْتُله الفِئَةُ البَاغِيَةُ ، عَمَّارٌ يَدْعُوهُم إلى اللهِ ، ويَدْعُوْنَهِ إلَى النَّار » رَوَاهُ البُخارِيّ .

وعن حَبَّةَ العُرَنِيّ قال: دَخلْنا مَعَ أبي مَسْعُودٍ الأَنْصارِيّ عَلَى حُذَيفَةَ بْنِ اليَمَانِ رَضْيَ اللهُ عنه، أسْأله عَنْ الفِتَنِ، فقالَ دُوْرُوا مَعَ كِتَابِ اللهِ حَيْثُ مَا دَارَ، وانْظُرُوا الفِئَة التِيْ فيْها ابْنُ سُمَيَّةِ فاتبعُوهَا، فإنهُ يُدوُرُ معَ كِتَابِ اللهِ حيثُ مَا دارَ، قالَ فقُلْنَا لهُ ومَنْ ابْنُ سُمَيَّةَ؟ قالَ: عَمَّارُ، سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم يقُول «لَنْ تَمُوتَ حتى تَقْتُلُكَ الفِئَةُ الباغِيَةُ تَشْرَبُ شَرْبَة ضِيَاحٍ، تكنْ آخِرَ رِزْقَكِ مِنْ الدُّنْيَا» رَواهُ الحاكِمُ في مُسْتَدرَكِهِ وقَالَ صَحِيْحٌ.

وَعنْ ابْن مَسْعُودٍ رَضْيَ اللهُ عنه عن النبي صلى اللهُ عليه وسَلم قال «إذا اخْتَلفَ النَّاسُ فابْنُ سُمَيَّةَ مَعَ الحقِّ» رَواهُ الطَّبَرانِيّ وَالبَيْهَقِيّ.

وعنْ أبي هُريرةَ رَضْيَ اللهُ عنهُ، قَالَ قَال رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم «أبْشِرْ يَا عَمَّارُ، تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ» روَاه التِّرْمِذِي وقَال هَذا حَدِيْثٌ حسَنٌ غَرِيْبٌ.

قُلْتُ وفي هَذِه الأحَادِيْثِ عَلمٌ مِنْ أعلامِ نُبُوتِّهِ صلى اللهُ عليه وسَلم، وصِدْقِ رِسَالتِهَ ومَزِيَّةٌ لِعَلِيّ ولعَمَّارٍ رَضْيَ اللهُ عنْهُما وهُوَ أنَّهُمَا مَع الحقِّ وعَنِ اسْرَائِيْلَ بْنَ أبي مُوْسَى، قالَ سَمِعْتُ الحَسَنَ - يَعْنِي البَصْرِيّ يَقُولُ: اسْتَقْبَلَ واللهِ الحَسَنُ بْنُ عَلِيّ مُعَاوِيَة بِكتَائِبَ أمْثَالَ الجِبَالِ، فَقَال عَمْرُو ابْنُ العاصِ إنِّيْ لأرَى كَتَائِبَ لا تُوَلِّيَ حَتّى تَقْتل أقْرَانَها، فقَال لَهُ مُعَاوِيةُ - وَكانَ وَالله خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ -: أيْ عَمْرُو إنْ قَتل هَؤُلاءِ هَؤُلاء، وهَؤُلآء هَؤلآء، مَنْ لِيْ بأمُورِ النَّاسِ مَنْ لِيْ بنِسَائِهم، مَنْ لِيْ بضَيْعَتِهم فَبَعَثَ إليْهِ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْش، مَنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، عَبدِ الرَّحْمَنَ بْنِ سَمُرة، وعَبْدِ اللهِ بن عامِرِ بنِ كُرِيز، فقالَ: اذْهَبَا إلىَ هَذا الرَّجُل

فاعْرِضا عَلْيهِ ، وَقُولاَ لهُ ، واطْلُبَا إليْهِ ، فأتيَاهُ فدَخلا عليهِ فَتكَلّما ، وقالاَ له: وطَلَبا إليْهِ ، فقَال لهُمَا الحَسَنُ بْنُ عَليٍّ : إنَّا بَنُو عَبْدِ المُطَّلِبِ قد أصَبْنِا مِنْ هَذا المالِ ، وإنَّ هَذِهِ الأمَّة قَدْ عاثَتْ في دِمَائِهَا ، قَالاَ فإنَّهُ يَعْرِضُ عَلْيكَ كَذا وَكَذا ، ويَطْلُبُ إليكَ ، ويَسْأَلُكَ ، قالَ: فمَنْ لِيْ بهَذا ؟ قالا : نَحْنُ لك به، فمَا سَألَهُما شَيْئاً إلا قالا : نَحْنُ لك بهِ . فَصَالحَهُ ، فقَالَ الحَسنُ ـ أي البَصْرِيّ ـ : ولَقَدْ سَمِعْتُ أبا بَكْرَة رَضْيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عَلى المْنَبرِ والَحسَنُ بنُ عليّ رضْيَ اللهُ عنهما إلى جَنْبه ، وهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النّاسِ مَرَّةً ، وعليْهِ أخُرى ، ويقُولُ « إنَّ ابْنِيْ هذَا سَيِّدٌ ، وَلَعلَّ اللهَ أنْ يُصْلِحَ بهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيْمَتَيْنِ مِنْ المُسْلِميْن » رَواهُ أحْمَدُ وَالبُخارِيّ ، وفي هَذا الخبرِ أيْضاً مُعْجزَةٌ ، حَيْثُ وَقَعَ مِصْدَاقُهُ بِمَا كَانَ مِن اصْلاحِ الحَسَنِ بَيْنَ أهْلِ العِرَاقِ وَأهْلِ الشَّامِ .

شعرا

نَهـارُكَ في بَحْـرِ السَّفَـاهَـةِ تَسْبَـحُ
وَلَيْلُكَ عن نَـوْمِ الـرَّفَـاهَـةِ يُصْبِـحُ
وفي لَفْـظِكَ الدَّعْـوَى ولَيْسَ إزَاؤُهَا
مِن العَمَـلِ الـزَّاكِي دَلِيْـلٌ مُصَحَّـحُ
إذَا لَمْ تُـوافِقْ قَـولَـةً مِنْـكَ فِعْلَةٌ
فَفي كُلِ جُزْءٍ مِن حَـدِيْثِك تُفْضَـحُ
تَنَـحَّ عن الغَايَـاتِ لَسْتَ مِن أهْلِهـا
طَـرْيقُ الهُوَيْنَـا في سُلُوكِكَ أوْضَـحُ

إذَا كُنْتَ في سِنّ النّهى غَيْرَ صَالِحٍ
فَفِيْ أيّ سِنٍّ بَعدَ ذَلِكَ تَصْلَحُ

اللَّهم افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ والإجَابَة وَأرْزُقْنَا صِدْقَ التوبةِ وحُسْنَ الانابَة ، ويَسّرْنَا لِلْيُسْرَى وجَنّبْنَا العُسْرَى وَآتِنَا في الدنيا حَسَنةً وفي الآخِرَةِ حَسَنةً وقِنَا عَذَابَ النارِ واغفر لنا ولِوَالِدِيْنا ولِجَمْيعِ المُسْلِمِين برَحْمَتِكَ يا أرحَمَ الراحمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

خطبة في ذَمِ الفِتن لِأَحَدِ العُلماء رَحْمَةُ الله عليه

الحمد لله الذي ألبس من شاء من عباده ملابس الهداية والتوفيق وألزمهم كلمة التقوى فصارت الطاعة لهم خير أنيس ورفيق . وألهمهم شغل أوقاتهم بالخير فصرفوا كل وقت لما هو به خليق أحمده سبحانه وتعالى حمداً تفرج به الكُرُوْب ويتسع به المضيق وأشكره شكر عبد إذا سمع المواعظ يفيق .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد لاذ بجنابه فنجاه من كل كرب وضيق وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل الخلق ذا النسب العريق اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه خير عشيرة ورفيق .

أما بعد : أيها الناس اتقو الله تعالى واعلموا أن الفتنة نار شديد حزامها جائرة أحكامها مسمومة سهامهاممقوتة أيامها داعية إلى الشرك أعلامها تغير النعم وتعجل النقم وتقطع التواصل وتُصَيّرُ أَهْلَهَا إلى التَّباغَضِ والتدابرُ أو التَّخاذُلِ يُطْلِعُ الشيطان فيها رأسَهَ وَيَبُثُ بها في القلوب وسْوَاسَه فَيَجْعَلُ الآراءَ حائِرَةْ والأَحكامَ جائِرَةْ

والأهواءَ مُختلفَةٌ والأحقادَ مكتَنِفَةٌ وجَمَراتِ الفُؤَآدِ مُوَقَّدَةٌ وطُرقُاتِ الرشادِ مُؤْصَدَةٌ حتى يكون القريب بعيداً وَذُوْ الأهل والعشيرة وحيداً .

وهل هي إلاَّ نار وقودها الغضب ومذكيها الهوى وطاعة الشيطان والصّخب وقادحها الجهل واللعب ومؤججها العناد والكذب وموقدها الأديان والأنفس والأموال ومآل أهلها أشر مآل تصير الدِّيَارَ بلاقع وتعجز خروقها الراقع موقظها ملعون وقاتلها ومقتولها إلى النار والهون تطمع العدو في أهلها وتقطع المودة من أصلها تقطع سبل الولد والمال وتصير أهلها إلى سوء حال ليلهم سهر ونهارهم كدر .

فالله عباد الله أن يوري الشيطان بينكم زنادها أو يورد قلوبكم أقبح ميرادها فيظفر منكم بخبث السرائر ويطحنكم بدواهي الدوائر ثم تبوءوا في الدنيا بعارها وشنارها وفي الآخرة بخسارتها ونارها ولا تلتذوا في العاجلة بشرب عقارها فتندموا في الآخرة غب إخمارها واحذروا أن تَسْلُكُوا من الفتن سبلها وألزموا كلمة التقوى .

وكونوا أحق بها وأهلها وذروا نخوة الحمية ودعوة الجاهلية فقد جعلكم الله بالإسلام إخوانا وأمركم أن تكونوا على البِرِ والتقوى أعوانا ولا تكونوا كالذين أرجأوا العمل بسوف وحتى بأسهم بَيْنَهُمْ شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى فقد سمعتم ما وصف الله به نبيه المختار وأصحابه الخيرة الأبرار حين ضرب لهم في كتابه مثلا وأمركم باتباعه قولاً وعملاً فقال جل جلاله : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ .. إلخ الآية .

وقال ﷺ : « إن من الناس أناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر ومن الناس أناساً مغاليق للخير مفاتيح للشر فطُوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير وويل لمن كان مغلاقاً للخير مفتاحاً للشر » وقال ﷺ : «الفتنة راقدة لعن الله موقظها » وقال ﷺ :

«إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال : إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » .

وقال ﷺ : « يأتي المقتول يوم القيامة تشخب أوداجه دماً متعلقاً بالقاتل يقول يا رب سَل عبدك هذا فيم قتلني » .

وقال ﷺ في حديث أبي موسى الأشعري : « يكون في آخر الزمن فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويُمْسِي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا » .

إن الفتنة أشد من القتل فهي داء ممزوج بالمرارة شاربها وسفينة غارقة في الهلاك راكبها ونار محرقة بلهيبها موقدها ما تحملها قوم إلا ندموا عليها ولا أضرم نارها أحد إلا وقع فيها وهل يضرمها إلا كل سفيه جاهل ولا يصطليها إلا كل حليم عاقل .

فتأكل بلهبها أموالهم وتسلم إلى المقابرأبْطَالَهُمْ يهرع إلى أهلها من كل دار شيطانها ويصيح لهم في كل رأس أجواؤها فحينئذ تكون الغلبة للشياطين وتكون الظلمة عليهم سلاطين فيؤمِّرون سفهاءهم فيضلون ويخالفون رأي عقالهم فيهلكون أو يَضْمَحِلُّون .

جعلني الله وإياكم ممن أفاق لنفسه وفاق بالتحفظ أبناء جنسه وأعد عدة تصلح لرمسه واستدرك في يومه ما ضيعه في أمسه إن أحلى ما وعظ به الواعظون وتلذذ لخطابه المستمعون كلام من نحن لعفوه وكرمه مؤملون والله تعالى يقول وبقوله يهتدي/المهتدون وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بَيْنَهُمَا﴾ الآيات بارك الله لي ولكم .

اللَّهُم هَبْ لَنَا ما وهَبتهُ لأوْلِيائكَ وتوفّنا وأنتَ رَاضٍ عنّا وقَد قَبِلْتَ اليَسيرَ منّا واجْعلنَا يامْولانا مِنْ عِبادِكَ الذينَ لا خَوفٌ عَليهِمْ ولا هُمْ يَحزنُونَ واغْفرْ لنَا ولوالِدِيْنَا ولجَميعِ المسلمينَ برحمتكَ ياأرحَمَ الرَّاحِمِيْنَ . وصلى الله على محمدٍ وعلى آلهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

موعظة

عِبَادَ اللّهِ لَقَدْ أصْبَحَ النَّاسُ وَمَا يَتَعَلَّقُ بالدُّنْيا أهَمُّ عِنْدَهُمْ بكَثِيْر مِمَّا يَتَعَّلقَ بالدِّيْن ، فإنَّا لِلّهَ وإنّا إليْه رَاجِعُونَ ، في لَيْلِهْم ونهارِهم مَشْغُولِيْنَ شُغْلَ العَاشِقِيْنَ المُسْتَغْرِقيْنَ ، كأنّهُم مَا خُلِقْوا إلا لَها ، وأمّا الدِّيْنُ فلا يَخْطُرُ عَلى بَالِهم ، وإنْ خَطَر فَطيفٌ يَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، أثَّـر بَعْضُهُـمْ عَلَى بَعْضٍ في هَذا الإنْهِمَاكِ العَظِيْمْ ، وَذَلِكَ أنَّ الشّيطانَ بَلَغ في تَهْوِينْ الدِّيْنَ عِنْدَهُم الغَايَةَ ومِمَّا يَدُلُّكَ عَلى ذَلك أنكَ تَرى الشَّخْصَ يَرْتَدُّ عَنْ الدِّيْنِ فَلا يُسْأَلُ ولا يُنَاقَشُ ، ولذلكَ نُزِعَتْ البَرَكَةُ مِنْ أعْمَارِنَا وأعْمَالِنَا وأمْوَالِنَا وأوْلاَدِنَا ، وَأصْبَحْنَا وقَدْ ضَرَبَ الذلُّ عَليْنا سُرَادِقَهُ ونَحْنُ كأنَّا لسْنا مِنْ الأحْيَاءِ ، أمَّا عَدَمُ البرَكِةِ في أعْمَارِنَا ، فلأنَّ أحَدُنا يَمُرُّ عَليْهِ الشَّهْرُ وَالعامُ لا تَرى لِحَيَاتِهِ مِنْ أثرَ ، في الاصْلاحِ وَتَوْجِيْهِ المُنْحَرفِيْنَ ، وَالقِيَامِ التَّامِّ المثْمِر بالأمْرِ بالمعَروفِ وَالنَّهْي عَنْ المنْكَرِ وَالسَّعْي في ازالَةِ مَا يَمَسُّ الدِّيْنَ مِمَّا حَلَّ في بلادِ المسْلِمْين مِنْ المُنْكَراتِ والمفاسِدِ والشُّرُورِ ، وَلَوْ سَألْتَ أحَدُنا هَلْ لكَ مِنْ حَياتِكَ أثرٌ نافِعٌ لَتَلْجلَجَ في الكلامِ ، يَنْظُرُ وَراءَهُ فلا يَرى أثراً ، وَيَتَبيَّنُ لهُ أنَّ الأيَّامَ مرَّتْ سُدَى تَتْلُوْها الأيَّامُ ، هَذا مِنْ عَدَمِ البَركةِ في أعْمَارِنَا وأمّا عَدَمُ البَركَةِ في أعْمَالِنا فلأنَّ أحدُنا مَا دَامَ مُسْتَيْقِظاً يَتحَرَّكُ وَلا تَنْقَطعُ أقوالُه ولاَ أفْعَالهُ ، وَلكنَّها تَدُور بَيْنَ حرامٍ أو مَكرُوهٍ ، أو عَبَثٍ لا يَلِيْقُ أن يَصْدُرَ مِنْ الرِّجَالِ ، فَتجِدُ الكذِبَ وَالنَّمِيْمَةَ وَالقَذْفَ وَالغِيْبَة وَالتَّملُّقَ والنِّفَاقَ والرِّيَاءَ وَتَعْظِيْمَ العُصَاةِ المُجَاهِرِيْنَ بهَا ونحْو ذلكَ ، وأمَّا عَدمُ البَرَكَةِ في أمْوالِنَا فلأَنَّ أحَدَناَ يكُونُ عِنْدَه المالُ الكثِيْرُ فَتراهُ يُبَعْثِرُهُ في سَبِيْلِ شَهَواتِهِ ومَلذَّاتِهِ الفَاجرَةِ أو يَكْنِزهُ ولا يُخْرِجُ

منهُ الزَّكَاةَ ، وانْ عَرضْتَ عليْهِ مَشْرُوعاً دِينِيّاً فرَّ مِنْكَ مذعُوراً فأيُّ بَركَةٍ تكوُن في مِثْلِ هَذا المالِ ، وأمّا عدمُ البركَةِ في أوْلادِنَا فلأنَّهُم في صِغَرِهِم يكونُونَ شَيَاطِيْن يُتْعِبُونَ في التَّرْبِيَةِ آباءَهُم وَأُمهاتِهِم ، فإذا شَبُّوا شُغِلُوا بِشَهواتِهِم عَمَّا يَجبُ عليهم لِلْوالدَيْنِ مِنْ صُنُوفِ البِرِّ وأكثَرُهُم يَكونُ طُوْلَ حَياتِهِ حَرْباً على وَالِدَيْهِ يُرِيْهِما أنْوَاعَ الاهَانَاتِ ، وَالأذَايَا وأيُّ بَركة في أوْلادٍ هَذا حالهُم مَع وَالديْهِم وَاللهُ أعْلمُ انَّ نَزْعَ البَركَةُ مِنْ كلِّ ذلكَ عقُوبَةٌ لنَا على إِقْبَالِنَا عَلى الدُّنيا وإعْرَاضِنَا عَنْ الدِّيْنِ فلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاّ باللهِ العِليِّ العَظِيْمِ .

شِعْرَا : زَمَانُ كُلُّ حِبِّ فيه خَبُّ ... وطَعْمُ الخَلِّ خَلُّ لَوْ يُذَاقُ
لَهُمْ سُوْقٌ بِضاعَتهُ النِّفَاقُ ... فَمَنْ نَاقَ يَكُوْنُ لَهُ نَفَاقُ

آخر :
خَمْسُونَ عاماً تَولَّتْ في تَصرُّفِهَا ... عُسْرٌ ويُسْرٌ على الحَالين أشْهَدُهُ
لَمْ أبكِ مِن زَمَنٍ صَعْبٍ فُجِعْتُ بِهِ ... إلاَّ بَكَيْتُ عَليه حِيْنَ أفْقِدُهُ
ومَا جَزِعْتُ على مَيْتٍ فُجِعْتُ بِهِ ... إلاَّ ظَلَلْتُ لِسَتْرِ القَبْرِ أحْسُدُهُ
وما ذَمَمْتُ زَمَاناً فِي تَقَلُّبِهِ ... ألّا وَفِي زَمَنِي قَدْ صِرْتُ أحْمَدُهُ

آخر :
أَحُنُ إلى وَقْتٍ مَضَى بِغَضَارة ... إذِ العَيْش رَطبٌ والزمانُ مُوَاتي
وأبكى زماناً صَالِحاً قَدْ فَقَدتُهُ ... يُقَطِّعُ قَلْبِي ذِكْرُهُ حَسَراتِ

آخر : هَذَا الزَّمَانُ الذِيْ كُنَّا نُحَاذِرُهُ
في قَوْل كَعْبٍ وفي قَوْلِ ابنِ مَسعُودِ
وَقْتٌ بِهِ الحَقُّ مَرْدُوْدٌ بِأَجْمَعِهِ
وَالظُّلْمُ والبَغْيُ فيه غَيْرُ مَرْدُودِ
إنْ دَامَ هَذا ولَمْ يَحْصُلَ لَهُ غِيَرٌ
لَمْ يُبْكَ مَيْتٌ ولَمْ يُفْرَحْ بِمَوْلُودِ

زَعَمُوا لَبِيْدا قَالَ في عَصْرٍ لَـهُ
وبَقِيْتُ في خَلَفٍ كَجِلْدِ الأَجْـرَبِ
وَأَرَاهُ أعْـدَى خَلْفُـه مَـن خَلْفَـهُ
جَـرَباً وأعْيَـا الـدَّاءُ كُـلَّ مُجَـرِّبِ
وتَضَـاعَفَ الجَربُ الـذِي عَـدْواهُ لا
تَـنْفَـكُ عـن مَـاضٍ ولاَ مُتـعَقِّـبِ
وتَضَـاعَفَ الـدَّاءُ العُضَـالُ فَخَلْفَنَا
بَلغَ الجُـذَامَ وعَصْـرُنَـا عَصْـرٌ وَبِي

اللهُمَّ أشْرِبْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبَنَا وَوَفِّقْهَا لِلتَّفَكُّرِ في عَظِيْم نِعَمِكَ عَلَيْنَا لِتَقْوَى وتَزْدَادَ وارْزُقْنا حُبَّ أحْبَابكَ وبُغْضَ اعْدَائِكَ اللهُمَّ وثَبِّتْ قلُوبنا على دِيْنِك ولا تُزِغْها بَعْد إذْ هْدَيْتَنا وَهَبْ لنَا مِنْ لَدُنْك رَحْمَةً إنَّكَ أنْتَ الوَهَّابُ وصَلَّى اللهُ على مُحَمّدٍ وآله وسَلمَ .

« فصل »

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيْدٍ ـ يَعْنِي ابْنُ رُمَّانَةَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ رَضْيَ اللهُ عَنهُ لما حَضَرهُ المَوْتُ قالَ لَيزيد بْنِ مُعَاوِيَةَ ، قَدْ وَطَّأْتُ لَكَ البِلاَدَ ، وَفَرشْتُ لك النَّاسَ ، وَلَسْتُ أخَافُ عَلَيْكُم إلاَّ أَهْلَ الحِجَازِ ، فانْ رَابَكَ مِنْهُمْ رَيْبٌ ، فوجِّهْ إلَيهِمْ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ المرِّيّ ، فإنّي قَدْ جَرَّبْتَهُ غَيْرَ مَرَّةٍ ، فلمْ أجدْ لَهُ مَثلاً لِطَاعَتِهِ وَنَصِيْحَتِه ، فلمَّا جَاءَ يزيْدُ خِلافُ ابْنِ الزبَيْر وَدُعَاؤهُ إلَى نَفْسِهِ دَعَا مَسْلِمَ بْنِ عُقْبَةَ المريّ ـ وَقَدْ أَصَابَهُ الفَالِجُ ـ وَقَالَ : إنّ أمِيْرَ المؤْمِنْين عَهِد إليَّ في مَرضِهِ : إنْ رَابنِي مِنْ أهْلِ الحِجَازِ رَائِبٌ أنْ أُوَجِّهكَ إلَيْهِمْ ، وَقدْ رَابنيْ فقَالَ : إنيْ كَما ظَنَّ أمِيْرُ المؤمِنِيْنَ اعْقِدْ لِيْ ، وَعَبَّ الجُيُوشَ ، قالَ : فَورَدَ المدِيْنَةَ فَابَاحَهَا ثَلاثَاً ، ثُمَّ دعَاهُم إلَى بَيْعَةِ يزيْدَ ،

أنَّهم أَعْبَدٌ لَهُ قِنٌّ في طَاعَةِ اللهِ وَمَعْصِيَتِهِ ، فأجَابُوهُ إلَى ذَلِكَ إلا رَجُلاً وَاحِداً مِنْ قُرَيْشٍ أُمُّهُ أمٌّ وَلدٍ فقالَ لَهُ بَايعْ يزيْدَ عَلَى أنَّكَ عَبْدٌ في طَاعَةِ اللهِ ومَعْصِيتِهِ قَالَ : لا بَلْ في طَاعَةِ اللهِ ، فأبَى أنْ يَقْبَلَ ذَلِكَ مِنْهُ وَقَتَلَهُ ، فأقْسَمَتْ أمُّه قسَماً لئِنْ أمْكَنَها اللهُ مِنْ مُسْلِمٍ حَيًّا أو مَيِّتاً أنْ تُحْرِقَهُ بالنَّارِ ، فَلمَّا خَرجَ مُسْلِمُ بْنُ عُقَبَةَ مِنَ المدِيْنَةِ اشْتَدَّتْ عِلَّتُهُ فمَاتَ ، فخَرَجَتْ أمُّ القُرَشِيِّ بأعْبُدٍ لهَا إلى قَبْرِ مُسْلِمِ بْن عُقْبَةَ ، فأَمَرَتْ به أنْ يُنْبَشَ مِنْ عِنْدَ رأسِه ، فلمَّا وَصَلُوا اليْهِ إذَا ثُعْبَانٌ قَدْ الْتَوى على عُنُقِه ، قابضاً بأرْنَبةِ أنْفِه يمُصُّهَا ، قالَ: فكاعَ القَوْمُ عنهُ . وقَالُوا يا مَولاتِنَا انْصَرِفِيْ فقدْ كَفَاكِ اللهُ شَرَّهُ ، وأخْبَرُوهَا ، قالتْ: لَا أوْ أوفِي لِلَّهِ بِما وَعَدْتُهُ ، ثُمَّ قَالَتْ انبشُوا مِنْ عِنْدَ الرِّجْلَيْنِ ، فَنَبشُوا فإذَا الثُّعْبَانُ لاوِياً ذَنْبَه بِرِجْلَيْه ، قَال فَتَنَحَّتْ فَصلَّتْ ركْعَتَيْنِ ، ثمَّ قَالَتْ : اللهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ إنَّمَا غَضِبْتُ عَلى مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ اليَوْمَ لَكَ ، فخلِّ بَيْنِي وَبَيْنَه ، ثُمَّ تناوَلَتْ عُوْدا فمَضَتْ إلىَ ذَنبِ الثُّعْبَانِ ، فانْسَلَّ مِنْ مُؤَخِرِ رَأسِه ، فخَرَجَ مِنْ القَبْرِ ، ثمَّ أمرَتْ بِهِ فَاخرِجَ مِنْ القَبْرِ ، فَأُحْرِقَ بالنَّارِ ، رَواهُ الطَّبَرانِيّ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الّلهِ صَلى اللهُ عليه وسَلم يَقُول « إنَّ في ثَقِيْفَ كَذَّاباً ومُبِيْرا » رواهُ أحْمَدُ وَالتِّرْمذِيّ .

وَقَال النَّووِيّ : اتَّفَقَ العُلَمَاءُ عَلىَ أَنَّ المُرَادَ بالكَذَّابِ هُنَا المُخْتَارُ بنُ أبِيْ عُبَيْدٍ ، وَبالمِبِيْر الحَجَّاجُ بْنُ يُوْسُفَ .

وَعَنْ أبِيْ نَوْفَلَ قَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا عَلىَ عقبَةِ المدِيْنَةِ ، قَالَ: فَجَعَلَتْ قُرَيْش تَمُرُّ عَليْهِ وَالنَّاس حَتَّى مَرَّ عليْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمر رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا ، فوَقَف عَليْهِ ، فقالَ: السَّلامُ عَليْكَ أبا خُبَيْبٍ ، السَّلامُ عَليْكَ أبَا خُبَيْبٍ ، السَّلامُ عَليْكَ أبا خُبَيْبٍ ، أمَا واللّهِ لقَدْ

كُنْتُ أنهَاكَ عَنْ هَذا ، أمَا والله إنْ كُنتَ مَا عَلمْتُ صَوّاماً قوّاماً ، وَصُولاً لِلرَّحِمِ ، أمَا وَاللّهِ لأُمَةٌ أنْتَ أشرُّها لأُمَّةُ خَيْرٍ ، ثم نَفذَ عَبْدُ اللهِ بْنِ عُمر رَضْيَ اللهُ عَنهُمَا ، فَبلَغ الحَجَّاجُ مَوْقِفُ عَبْدِ اللهِ ، وَقَوْلَهُ فأرسَلَ إليْهِ ، فأُنْزِلَ عَنْ جِذْعِهِ ، فأُلْقِيَ في قُبُورِ اليَهُودِ ، ثُمَّ أرْسَلَ إلى أمِّهِ أسْماءَ بنْتَ أبي بَكرٍ رَضْيَ الله عنهما فأبَتْ أنْ تَأتِيَهُ ، فأعَادَ عليْها الرَّسَولُ لتَأتِيَنِّيْ ، أوْلا لأُبعَثَّنَ إليْكِ مَنْ يَسْحبُكِ بقُرُونكِ قَال فأبتْ وقَالَتْ ، واللهِ لا آتِيْكَ حَتَّى تبْعَثِ إليَّ مَنْ يَسْحَبُنِي بقُرُونِيْ ، قَال فقَال أَرُونِيْ سَبْتِي فأخذَ نَعْلَيه ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَتوذَّفُ ، حَتَّى دَخَل عَلَيْها ، فقالَ: كَيْفَ رَأيْتِنِي صَنَعْتُ بعَدُوِّ اللهِ ، قالَتْ : رَأيْتُكَ أفْسَدتِ عَليْه دُنْيَاهُ، وَأفْسَد عَليْكَ آخِرَتَكَ بَلَغِنِي أنَّكَ تقُولُ: يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ . أنَا واللهِ ذاتُ النّطاقَيْنِ . أمَّا أحَدُهما فكنُتُ أرْفَعُ به طَعَامَ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وطَعَامَ أبي بَكر مِنْ الدَّوابِّ ، وأمَّا الآخَرُ فنِطاقُ المَرْأةِ التي لا تَسْتَغْنِيْ عنهُ أما إنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسّلم حَدّثَنا « أنَّ في ثَقِيْفَ كَذّاباً ومُبِيْراً » فامَّا الكذابُ فرَأيْنَاهُ ، وأمّا المُبيْرُ فلا إخالُكَ إلا إيَّاهُ ، قال فقامَ عنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا ، رَواهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أبي الصِّدِّيْقِ النَّاجِي قَالَ : لَمَّا ظَفِرَ الحَجَّاجُ بابْنِ الزُّبَيْرِ فقَتَلَهُ، ومَثّلَ بِهِ،ثمّ دَخل على أُمِّ عَبْدِ االلهِ وَهِيَ أسْمَاءُ بنتُ أبي بَكر رضْيَ اللهُ عَنْهُمَا : فقَالَتْ : كيفَ تَسْتأذِنُ عليَّ وقَدْ قَتلتَ ابْنِي ، فقالَ: إنّ ابْنَكَ ألْحدَ في حَرَمِ اللهِ ، فقَتَلتُهُ مُلْحِداً عَاصِياً ، حَتّى أذاقَهُ عَذاباً ألِيْماً ، وفَعَل به وفَعَلَ، فقَالَتْ : كَذبْتَ يَا عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّ المسلِمْينَ، واللهِ لقَدْ قَتلتَ صَوَّاماً قوَّاماً بَرّاً بِوَالِدَيْه حَافِظاً لِهذا الدِّيْن ، ولِئْنَ أفْسَدْتَ عليْهِ دُنْيَاهُ لقَدْ أفْسَدَ عَليْكَ آخِرَتَكَ ، ولقَدْ حَدّثَنَا رَسْولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « أنهُ يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيْفٍ كَذّابانِ الآخِرُ مِنْهُمَا أشرُّ مِنْ الأوّلِ وهُوَ المُبْيرُ » وَمَا

هُوَ إلاَّ أنْتَ يَا حَجَّاجُ . رَوَاهُ أحْمَدُ وأبو يَعْلَى ، وَالحَاكِمُ وهَذا لفْظُهُ ، وقَيْلَ إنَّ الحَجَّاجَ قَالَ لها : صَدَقَ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلمَ وصَدَقْتِ أنا المُبِيْرُ .

وَعَنْ الحَسَن قَالَ قَالَ عَليّ رَضيَ اللهُ عَنهُ لأهْلِ الكُوفَةِ : اللهُمَّ كَما أئِتَمَنْتُهم فخَانُوني ، ونَصَحْتُ لهمُ فَغَشْوني ، فَسَلِّطْ عَليْهم فتَى ثَقِيْف الذَيَّالُ المَيَّالُ ، يأكُلُ خُضْرَتَها ، وَيَلْبُسُ فَرْوتَها ويَحْكمُ فِيْهِم بحُكْمِ الجَاهِلِيّةِ . قالَ الحَسَنُ : وَمَا خَلَقَ اللهُ الحَجَّاجَ يوْمَئِذٍ . رَواهُ عبدُ الرَّزَاقِ والبَيْهقِي في الدَّلائِلِ وهُوَ مُنقَطِعٌ . قالَ البَيْهَقِيّ : وَلا يَقُولُ علي ذَلِك إلا تَوْقِيْفاً .

وعَنْ هِشَامِ بْنِ حَسّانَ قَالَ : أحْصَوْا مَا قَتَلَ الحَجَّاجُ صَبْراً ، فَبلغ مائَةَ الْفِ وعِشْرِيْنَ ألْفِ قَتِيْلٍ . رواهُ التِّرْمِذِيّ .

وقَالَ الأصْمَعِيّ حَدَّثَنا أبو عَاصِم عَنْ عُبَادَةَ بْنِ كَثِيْرٍ عَنْ قَحْذَمٍ ، قَالَ أطْلَقَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الملكِ في غَداةٍ وَاحِدةٍ واحدا وَثمانِيْنَ ألْفِ أسِيْرٍ كانُوا في سِجْنِ الحَجَّاجِ ، وَقيْلَ إنهُ لبِثَ في سِجْنِه ثَمانُونَ ألفاً ، مِنْهُم ثلاثُونَ ألْفَ امْرأةٍ ، وعُرِضَتْ السُّجُونُ بَعْدَ الحَجَّاج ، فوَجَدُوا فِيْها ثَلاثَةً وثلاثِيْنَ ألْفاً لَمْ يَجبْ عَلى أحَدٍ منهُمِ قَطْعٌ ولا صَلْبٌ . وقالَ الرِّيَاشِي : حَدَّثَنا عَبّاسُ الأزْرَقُ عنْ السَّرِيّ بْن يَحْيَى قَالَ : مَرَّ الحجَّاجُ في يَوْمِ جُمُعَةٍ ، فَسَمِعَ اسْتِغَاثَةً ، فقَالَ : مَا هَذَا ؟ فقِيْلَ : أهْلُ السُّجُونَ يَقُولُونَ قَتَلَنا الحَرُّ ، فقالَ : قُولُوا لهُم ﴿اخْسَؤا فِيْهَا ولا تُكَلمُون﴾ قال : فمَا عَاشَ بعْدَهَا إلا أقَلَّ مِنْ جُمُعَةٍ حتّى قصَمَهُ اللهُ قَاصِمُ كلِّ جَبَّارٍ .

وعَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ قَالَ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيْزِ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى : لَوْ أنَّ الأُمَمَ تَخابَثَتْ يَوْمَ القِيامَةِ ، فأخْرَجَتْ كُلُّ أُمَّةٍ خَبِيْثَها ، ثُمَّ أَخْرَجْنَا الحَجَّاجَ لَغَلَبْنَاهُم . رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ في الحِلْيَةِ .

وقَالَ في الرَّوْضَةِ النَّدِيَّةِ شَرْحُ الدُّرَّةِ البَهِيَّةِ : وقَدْ أُحْصِيَ الذِيْنَ قَتَلَهَم الحَجَّاجُ مِنْ الصَّحابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ ، فَبلغُوا مِائَةَ ألفٍ وعِشْرِيْنَ ألفَا (١٢٠٠٠٠) .

وَعَنْ أبي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ قَالَ قَالَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليْهِ وسَلَّمَ « لا يَزالُ أَمْرُ أُمَّتِيْ قائِماً بالقِسْطِ ، حَتَّى يكُونَ أوَّلُ مَنْ يَثْلِمُه رجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يُقَالُ لهُ يَزِيْدُ » رَواهُ أَبُو يَعْلَى وَالبَزَّارُ .

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنه قالَ وُلِدَ لأَخِي أُمِّ سَلِمَةَ زَوْجِ النَّبي ﷺ غُلامٌ ، فسَمَّوهُ الوَلِيدُ ، فقَالَ النبي ﷺ « سَمَّيْتُموهُ بأسْماءِ فَراعِنَتِكُم ، لَيَكُونَنَّ في هذِهِ الأُمَّةِ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ الوَلِيدُ ، لَهُوَ أشَرُّ على هَذه الأُمَّةِ مِن فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ » رَواهُ الامَامُ أَحْمَدُ ، قَالَ الهَيْثَمِيّ : وَاسْنَادُه حَسَنٌ وَقالَ في مَوْضِعٍ آخَرُ : رِجَالُه ثِقَاتٌ .

شِعْراً :

خَفِ اللَّهَ في ظُلْمِ الوَرَى واحْذَرَنَّهُ ... وَخَفْ يَوم غَضِّ الظَّالِمِينَ على اليَدِ
ولا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ عن ذاكَ غافِلاً ... ولَكِنَّهُ يُمْلِي لِمَنْ شَا إلى الغَدِ
فلا تَغْتَرِرْ بالحِلْمِ عن ظُلْمِ ظَالِمٍ ... سَيَأْخُذُه أَخْذاً وبِيْلاً وعَنْ يَدِ

اللهم اجْعَلْ رِزْقَنَا رَغَدًا ، ولاَ تشمِتْ بنَا أَحَدًا . اللهم رَغِّبْنَا فيما يبقى ، وزهدنا فيما يَفْنى ، وهب لنا اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه ، ولا يُعَوَّلُ في الدين إلا عليه . اللهم إنا نسألك بعزك الذي لا يرام وملك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفينا شر ما أهمنا وما لا نهتم به وأن تعيذنا

من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . اللهم يا عليم يا حليم يا قوي يا عزيز يا ذا المن والعطا والعز والكبرياء يا مَن تَعْنُوْا له الوجُوه وتخشع له الأصوات . وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شيءٍ قدير . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

موعـظة : عِبَادَ اللَّهِ أنَّ النَّاسَ لم يُقَدِّرُوْا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَلَمْ يَعْرِفُوهُ المَعْرِفَةَ التِي تَلِيْقُ بِجَلاَلِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَلَو عَرَفُوهُ هَذِهِ المَعْرِفَةَ وَقَدَّرُوْهُ مَا صَدَّقَ العَقْلُ أنْ يَكُونُوا بِهَذِهِ الحَالِ ، إنّ العَارِفَ بِاللَّهِ تَعَالَى يَخْشَاهُ ، فَتَعْقِلُهُ هَذِهِ الخَشْيَةُ عَمَّا لاَ يَنْبَغِي مِنْ الأفْعَـالِ كَيْفَ لاَ وَهَذَا القُرْآنُ يَقُولُ الله فيه ﴿ إنَّمَا يخشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ﴾ العَارِفُ باللهِ تَعَالَى لَا يَجْرُؤُ أنْ يُحَرِّكَ لِسَانَهُ بِكَلِمَةٍ مِنَ المُنْكَرَاتِ لِأنَّهُ يُؤْمِنُ أنَّ اللهَ تَعَالَى يَسْمَعُ السِّرَّ وَالنَّجْوَى، وَلَا يَجْرُؤ أنْ يَسْتَعْمِلَ عُضْوَاً مِنْ أعْضَائِهِ في عَمَلٍ لَيْسَ بِحَلاَلٍ ، لِأنَّهُ يُؤْمِنُ أنَّ الله تَعَالَى يَرَاهُ مَهْمَا اخْتَفَى وَاجْتَهَدَ في الاخْتِفَاءِ ، وَكَذَلِكَ لا يُقْدِمُ وَيَعْزِمْ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ مِنْ المُحَرَّمَاتِ ، لِأنَّهُ يُؤْمِنُ بِوَعِيْدِ اللهِ عَلَى مَنْ اجْتَرَأَ وَانْتَهَكَ المَحْظُوراتِ ، العَارِفُ باللهِ حَقّ المَعْرِفَةِ لا يَنْطَوِيْ عَلَى رَذِيْلَةٍ كالكِبْـرِ والعُجْبِ وَالحِقْـدِ وَالنِّفَـاقِ وَغَيْـرِ ذَلِـكَ مِنَ الـرَّذَائِـلِ المَمْقُوتَاتِ ، لِأنَّهُ يُؤْمِنُ أنّ مَا فِي قَلْبِهِ لَا يَخْفَىٰ عَلَى مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأرْضِ وَلَا فـي السَّمَـاءِ، فَلَا يَسْتَرِيْحُ حَتَّى يَكُونَ بَاطِنُهُ كَظَاهِرِهِ مُطَهَّراً مِنَ الفَوَاحِشِ ، وَكَذَلِكَ لا يَتَعَامَلُ بالرِّبا وَيَبْتَعِدُ كُلَّ البُعْدِ عَنْ الرِّيَاءِ وَنَحْوِهِمَا مِنْ المُحَرَّمَاتِ ، وَكَذَلِكَ لَا تَسْمَعُ مِنْ فَمِهِ عِنْدَ نُزُولِ البَلَا إلا الحَسَنَ الجَمِيْلَ ، فَلَا يَغْضَبُ لِمَوْتِ عَزِيْزٍ أوْ فَقْدِ مَالٍ ، أوْ مَرَضٍ شَدِيْدٍ ، لأنَّهُ يَعْلَمُ أنَّ غَضَبَهُ يَتَوَجَّهُ إلَى الحَكِيْمِ العَلِيْمِ اللَّطِيْفِ

الخَبِيْرِ ، وَلَا يَصْدُرُ مِنْ العَارِفِ باللهِ حَسَدٌ لِخَلْقِ اللهِ عَلَى مَا أَوْلَاهُم مِنْ نِعْمَةٍ ، لأَنَّهُ يُؤْمِنُ أنَّ اللهَ قَسَّمَ النِّعَمَ بَيْنَ عِبَادِهِ وَلَيْسَ لِقِسْمَتِهِ رَادٌّ ، وَكَذَلِكَ العَارِفُ لَا يَيْأَسْ مِنْ زَوَالِ شِدَّةٍ مَهْمَا تَعَقَّدَتْ وَاسْتَحْكَمَتْ ، وَلَا يَيْأَسُ مِنْ حُصُولِ خَيْرٍ مَهْمَا سَمَا وَابْتَعَدَ ، لأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ الأُمُورَ كُلهَا بيد اللهِ الذِي إِذَا أَرَادَ شَيْئاً قَالَ لَهُ كُنْ فَكَانَ ، العَارِفُ باللهِ لَا يُقَنِّطُ المؤمِنُ العَاصِيَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، وَلَا يُؤَمِّنُ المُحْسِنَ ، لَكِنَّهُ يَرْجُوْ لِلْمُحْسِنِ وَيَخَافُ عَلَى المِسيءِ، العَرِفُ بالله لا يَغُشُّ مُؤْمِناً ، وَلَا يُسِيءُ إِلَى الجَارِ العَارِفُ بالله يمُيِّزُ بَيْنَ الأَصْدِقاءِ المخْلصين مِن المُبهْرِجيْن المُزيفِينْ لكثرة تَفرُسه فيهم قال بَعْضُمْ.

أَلَمْ تَعْـلَمْ بأنِـي صَـيْرَفِيٌّ   أُحُكُ الأَصْدِقَاءَ عَلى مَحَكٍّ
فَمِنْهُم بَهْرَجُ لا خَير فِيْه   ومِنهُمْ مِنْ أُجَوِّزُهُ بِشَكٍّ
وَمِنْهُم خالِصُ الذَّهَب المُصَفَّى   بتَزْكِيتِي ومِثْلِيْ مَنْ يُزَكِيْ

اللهم أَعِذْنَا بمُعَافَاتِكَ مِن عُقُوبَتِكْ ، وبرِضاكَ مِن سَخَطِكْ ، واحْفَظْ جَوَارِحَنَا مِنت مُخَالَفَةِ أَمْرِكْ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

« **فَصْـلٌ** » وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : حَجَّ النبي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّةَ الوَدَاعِ ، ثُمَّ أخذَ بِحَلْقَةِ بَابِ الكَعْبَةِ فَقَالَ « أَيُّهَا النَّاسُ أَلا أُخْبِرُكُمْ بأَشْرَاطِ السَّاعَةِ ؟ » فَقَامَ إِلَيْهِ سَلمانُ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ : أَخْبِرْنَا فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : « انَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ إِضَاعَةُ الصَّلاَةِ ، وَالمَيْلُ مَعَ الهَوَى وَتَعْظِيْمُ رَبِّ المالِ » فَقَالَ سَلْمَانُ : وَيَكُونَ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ « نَعَمْ والذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ تَكُونُ الزَّكَاةُ مَغْرَمَا ، وَالفَيْءُ مَغْنَماً ، وَيُصَدَّقُ الكاذِبُ ، وَيُكَذَّبُ الصَّادِقُ ، وَيُؤْتَمَنُ الخَائِنُ ، وَيُخَوَّنُ الأَمِينُ ، وَيَتَكَلَّمُ الرُّوَيْبِضَةُ » قَالُوا :

وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ ؟ قَالَ « يَتَكَلَّمُ فِي النَّاسِ مَنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ ، وَيُنْكِرُ الحَقَّ تِسْعَةُ أَعْشَارِهِمْ ، ويَذْهَبُ الاسْلاَمُ فَلاَ يَبْقَى إلا اسْمُهُ ، وَيَذْهَبُ القُرْآنُ فَلاَ يَبْقَى إلا رَسْمُهُ ، وَتُحَلَّى المَصَاحِفُ بِالذَّهَبِ ، وَتَتَسَمَّنُ ذُكُورُ أُمَّتِي ، وَتَكُونُ المَشُوْرَةُ لِلإِمَاءِ ، وَيَخْطُبُ عَلَى المَنَابِرِ الصِّبْيَانُ ، وَتَكُونُ المُخَاطَبَةُ لِلنِّسَاءِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تُزَخْرَفُ المَسَاجِدُ كَمَا تُزَخْرَفُ الكَنَائِسُ وَالبِيَعُ ، وَتُطَوَّلُ المَنَابِرُ ، وَتَكْثُرُ الصُّفُوفُ ، مَعَ قُلُوبٍ مُتَبَاغِضَةٍ ، وَأَلْسُنٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَأَهْوَاءٍ جَمَّةٍ » قَالَ سَلْمَانُ : وَيَكُونُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ « نَعَمْ وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، عِنْدَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ يَكُونُ المُؤْمِنُ أَذَلَّ مِنَ الأَمَةِ ، يَذُوبُ قَلْبُهُ فِي جَوْفِهِ كَمَا يَذُوبُ المِلْحُ فِي المَاءِ ، مِمَّا يَرَى مِنَ المنْكَرِ فَلاَ يَسْتَطِيْعُ أَنْ يُغَيِّرَهُ ، وَيَكْتَفِي الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ ، وَالنِّسَاء بِالنِّسَاءِ ، وَيُغَارُ على الغِلْمَانِ كَمَا يُغَارُ عَلَى الجَارِيَةِ البِكْرِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ يَكُونُ أُمَرَاءُ فَسَقَةٌ ، وَوُزَرَاءُ فَجَرَةٌ ، وَأُمَنَاءُ خَوَنَةٌ ، يُضَيِّعُوْنَ الصَّلاَةَ ، وَيَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ ، فَإِنْ أَدْرَكْتُمُوْهُم فَصَلُّوا صَلاَتَكُم لِوَقْتِهَا عِنْدَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ يَجِيْءُ سَبْيٌ مِنَ المشْرِقِ ، وَسَبْيٌ مِنَ المَغْرِبِ جُثَاؤُهُم جُثَاءُ النَّاسِ ، وَقُلُوبُهم قُلُوبُ الشَّيَاطِيْنِ ، لاَ يَرْحَمُونَ صَغِيْراً ، وَلاَ يُوَقِّرُونَ كَبِيْراً ، عِنْدَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ يَحُجُّ النَّاسُ إِلَى هَذَا البَيْتِ الحَرَامِ ، تَحُجُّ مُلُوْكُهُم لَهْواً وَتَنَزُّهاً ، وَأَغْنِيَاؤُهُم لِلتِّجَارَةِ ، وَمَسَاكِيْنُهم لِلمَسْأَلَةِ وَقُرَّاؤُهُمْ رِيَاءً وَسُمْعَةً » قَالَ : وَيَكُونُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ « نَعَمْ وَالذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ ، عِنْدَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ يَفْشُو الكَذِبُ ، وَيَظْهَرُ الكَوْكَبُ لَهُ الذَّنَبُ ، وَتُشَارِكُ المَرْأَةُ زَوْجَهَا فِي التِّجَارَةِ ، وَتَتَقَارَبُ الأَسْوَاقُ » قَالَ : وَمَا تَقَارُبُها ؟ قَالَ « كَسَادُهَا ، وَقِلَّةُ أَرْبَاحِهَا ، عِنْدَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ يَبْعَثُ اللهُ رِيْحاً فِيهَا حَيَّاتٌ صُفْرٌ ، فَتَلْتَقِطُ رُؤَسَاءَ العُلَمَاءِ لَمَّا رَؤا المنكر فَلَمْ يُغَيِّرُوْهُ » قَالَ : وَيَكُونُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ « نَعَمْ وَالذِيْ بَعَثَ مُحَمَّداً بِالحَقِّ » رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ .

وَعَنْ ابنِ مَسْعُودٍ رَضيَ اللهُ عَنهُ أنهُ كَانَ يقُولُ كُلَّ عَشِيَّةِ خَمِيْس : سَيَأتي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تُمَاتُ فِيْهِ الصَّلاَةُ ، وَيُشْرَفُ فيه البُنْيَانُ ، وَيَكْثُرُ فيهِ الحَلَفُ والتَّلاعُنُ ، ويَفْشو فِيْهِ الرُّشا والزِّنَا ، وَتُبَاعُ الآخِرَةُ بالدُّنْيَا ، فَإِذَا رَأيْتَ ذَلِكَ فَالنَجا النَّجَا . قِيْلَ : وَكَيْفَ النَّجا ؟ قَال : كُنْ حِلْساً مِنْ أحْلاَسِ بَيْتِكَ ، وَكُفَّ لِسانَكَ وَيَدَكَ . رَوَاهُ ابْنُ أَبي الدُّنْيَا .

وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عنهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم « مِنْ أشْرَاطِ السَّاعَةِ سُوْءُ الجِوَارِ ، وقَطِيْعَةُ الرَّحِمِ ، وَأَنْ يُعَطَّلَ السَّيْفُ مِنْ الجِهَادِ ، وَأَنْ تُخْتَلَ الدُّنْيَا بالدِّيْنِ رَوَاهُ ابنُ مَردَوَيْهِ والدَّيْلَمِيّ .

وَعَنْ ابْن مَسْعُوْدٍ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ أنَّهُ قَالَ : إِنَّكُمْ في زَمَانٍ الصَّلاَةُ فيهِ طَوِيْلَةٌ ، والخُطْبَةُ فِيْهِ قَصِيْرَةٌ ، وَعُلَمَاؤُه كَثِيْرٌ ، وَخُطَبَاؤُهُ قَلِيْلٌ ، وَسَيأْتِيْ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّلاةُ فِيْهِ قَصِيْرَةٌ والخُطْبَةُ فِيْهِ طَوِيْلَةٌ ، خُطَبَاؤُهُ كَثِيْرٌ ، وَعُلَمَاؤُهُ قَلِيْلٌ ، يُؤَخِرُونَ الصَّلاةَ ، صَلاَةُ العَشِيّ إِلَى شَرْقِ المَوْتَى ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ فَلْيُصَلِّ الصَّلاةُ لِوَقْتِهَا ، وَلْيَجْعَلْهَا مَعَهُم تَطَوُّعاً . رَوَاهُ الطَّبَرَانِيْ قالَ الهَيْثَمِيّ : وَرِجَالُه رِجَالُ الصَّحِيْحِ ، وَرُوِيَ الإِمَامُ مَالِكٌ في مُوَطَّئِهِ عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيْدٍ ، أَنَّ عَبْد اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ لإِنْسَانٍ : إِنَّكَ في زَمَانٍ كَثِيْرٌ فُقَهَاؤُهُ ، قَلِيْلٌ قُرَّاؤُهُ ، تُحْفَظُ فِيْهِ حُدُوْدُ القُرْآنِ ، وَتُضَيَّعُ حُرُوْفُهُ ، قَلِيْلٌ مَنْ يَسْأَلُ ، كَثِيْرٌ مَن يُعْطِىٰ ، يُطِيْلُونَ فِيْهِ الصَّلاَةُ ، وَيُقَصِّرُونَ الخُطْبَةَ ، يُبْدُونَ أَعْمَالَهُمْ قَبْلَ أَهْوَائِهِمْ .

وَسَيأْتِيْ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قَلِيْلٌ فُقَهَاؤُهُ ، كَثِيْرٌ قُرَّاؤُهُ ، تُحْفَظُ فِيْهِ حُرُوف القُرْآنِ ، وَتُضَيَّعُ حُدُودُه ، كثِيْرٌ مَنْ يَسْأَلُ قَلِيْلٌ مَنْ يُعْطِى ، يُطِيْلُون فِيْهِ الخُطْبَةَ ، وَيُقَصِّرُونَ الصَّلاَةَ ، يُبْدُونَ فِيْهِ أَهْوَاءهُم ، قَبْلَ أَعْمَالِهِم .

قُلْتُ وفيَ هَذَا الخَبرِ أُمورٌ وَقعَتْ في زَمَنِنَا ، مِنْهَا قِلَّةُ الفُقهَاءِ بِمَعْنَى الكَلِمَةِ ، أمَّا المُتسمُوْنَ فَمَوْجُودُوْنَ بدُونِ مَعَنَى ، وَمِنْهَا مَا وُجِدَ مِن كَثِيْرٍ من المُجيْدِيْنَ للقرَاءَةِ ، المُضَيِّعِيْنَ لِلْعَمَلِ ، تَسْمَعُهُ مِنْهُمْ غَضّاً طَرِيّاً بِتَجْوِيْدٍ وَفَصاحَةٍ ، ومِنْهَا إطَالَةُ الخُطْبَةِ عِنْدَ كَثِيْرٍ مِنْ أهْلِ زَمَنِنَا وَتقْصِيْرُ الصَّلاةِ ، وهَذَا خِلاَفُ السُّنَّةِ ، وَمِنْهَا كَثْرَةُ سُؤآلِهم ، وقلةُ إعْطآئِهم ، فَهؤُلاَءِ طَرِيْقَتُهُم ضِدُّ طَرِيْقَةِ السَّلَفِ ، نَعُوذُ باللهِ مِنَ الأنْتِكَاسِ ، وعن عَليِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قَالَ : يَا حَمَلَةَ العِلْمِ اعْمَلُوا بِهِ ، فَإنَّمَا العَالِمُ مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ ، وَوَافَقَ عِلْمَه عَمَلُه ، وَسَيكُونُ أقْوَامٌ يَحْمِلُونَ العِلْمَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهِمْ ، يُخَالِفُ عَمَلُهُم عِلْمَهُم ، وَتُخَالِفُ سَرِيْرَتُهم عَلاَنِيَتَهُمْ يَجْلِسُونَ حِلَقاً ، فَيُبَاهِي بَعْضُهُم بَعْضاً ، حَتَّى أنَّ الرَّجُلَ لِيَغْضَبُ عَلَى جَلِيْسِه أنْ يَجْلِسَ إلَى غَيْرِهِ ويَدَعَهُ ، أُوْلَئِكَ لاَ تَصْعَدُ أعْمَالُهُم في مَجَالِسِهِم تِلْكَ إلَى اللهِ . رَوَاهُ الدَّرِامِيّ .

قَالَ العُلَمَاءُ : وَهَذَا الأثَرُ لَهُ حُكْمُ المَرْفُوْعِ ، لِأنَّهُ إخْبَارٌ عَنْ أمْرٍ غَيْبِيّ ، فَلاَ يُقَالُ الاَّ عَنْ تَوْقِيْفٍ .

وَعَنْ أبي الزَّاهِرِيَّةِ ـ واسْمُهُ حُدَيْرُ بنُ كُرَيْبٍ ـ يَرْفَعُ الحَدِيْثَ « إنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ : أَبُثُّ العِلْمَ في آخِرِ الزمَانِ ، حَتَّى يَعْلَمَهُ الرَّجُلُ والمَرْأةُ ، والعَبْدُ والحُرُّ ، والصَّغِيْرُ والكَبِيْرُ ، فَإذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ بِهِمْ ، أخَذْتُهُم بِحَقِي عَلَيْهِمْ » رَوَاهُ الدّارِمِيّ وأبُو نُعَيْمٍ في الحِلْيَةِ قُلْتُ وَفِي هَذَا الحديْثِ مُعْجزَة وقَعَتْ طِبْقَ مَا ذكر

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « إنَّ مِنْ أشْرَاطِ السَّاعَةِ أنْ يَكْثُرَ التّجّارُ ، وَيَظْهَر

القَلَمُ » رَوَاهُ أبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيّ في مُسْنَدِهِ .

شعرا : أَلَمْ تَـرَ أنَّ المَرْءَ يُـوْدِي شَبَابُـهُ
وأنَّ الـمَنَـايَـا لِـلرِجَـالِ تُـشَـعِّبُ
فَمِنْ ذَائِقٍ كَـاسـاً مِن المَـوْتِ مُـرَّةً
وآخَـرُ أُخْـرَى مِـثْلَهَـا يَـتَـرَقَّـبُ
لَـهَـا مِنْهُمُ زَادٌ حَثِيْثٌ وَسَـائِقٌ
وَكُلٌ بكَأْسِ المَـوْتِ يَوْمَـاً سَيَشْرَبُ
وَمَـا وَارِثٌ إلاَّ سَـيُـوْرَثُ مَـالُـهُ
ولا سَـالِبٌ إلاَّ قَـرِيْبـاً سَيُسْـلَبُ
وَلاَ آلِـفٌ إلاَّ سَـيَـتْـبَـعُ إلـفَـهُ
ولا نِـعْمَـةٌ إلاَّ تَـبِـيْـدُو وَتَـذْهَـبُ
ومـا مِن مُعَانٍ في المَصَـائِب جَمَّـةٌ
يُعَـاوِرُهَـا العَصْـرَانِ إلا سَيَعْـطَبُ
أرَى النـاسَ أصْنَافـاً أقَـامُـوا بِغُـرْبَـةٍ
تُـقَـلِبُـهُـمْ أَيَـامُـهَـا وَتَـقَـلَّبُ
بِـدَارِ غُـرُوْرٍ حُلْوَةٍ يَـعْـمُـرُوْنَـهَـا
وَقَـدْ عَـايَنُـوا فِيهَـا زَوَالاً وَجَـرَّبُـوا
يَـذُمُـونَ دُنْيَـاً لا يَـرِيْحُـونَ دَرَّهَـا
فَلَمْ أرَ كَـالدُّنْيَـا تُـذَمُ وَتُـحْلَبُ
تَسُرهُمُ طَوْراً وَطَوْراً تُذِيْقُهُـمْ مَضِيضَ مَكَـا وحَرّهـا يَتَلَـهَّبُ

اللهم اعْتِقَنَا مَن رِقّ الذُنُوبْ ، وخَلِّصْنَا مِن شَرِّ النُّفوسْ ، وأذْهِبْ عَنَّا وَحْشَةَ الإِسَاءَةْ ، وطَهِّرْنَا من دَنَسِ الذنوب ، وباعِدْ بَيْنَنا وبَيْنَ الخَطَايَا وأجرْنَا مِن الشيطان الرجيم .

اللَّهُمَّ رَضِّنَا بقضَائِكَ وَأَعِنَّا عَلى الدُّنْيَا بالعِفَّةِ وَالزُّهْدِ وَالقَنَاعَةِ وَعَلى الدِّيْنِ بالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَطَهِّرْ أَلْسِنَتَنَا مِن الكَذِبِ وَقُلُوْبَنَا مِن النِّفَاقِ وَأَعْمَالَنَا مِن الرِّيَاءِ وَاحْفَظْ أَبْصَارَنَا مِن الخِيَانَةِ فَإنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُوْر

اللَّهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا وَالشَّيْطَانِ وَالدُّنْيَا وَالهَوَى وَنَسأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى الله على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

مَوْعِظَةٌ

قَالَ اللهُ تَعالَى ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدنَيا قَلِيْلٌ والآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيْلا ﴾ وَقَال ﴿ ومَا الحَيَاةُ الدنيَا إلا مَتَاعُ الغُرورِ ﴾ عِبَادَ اللهِ يَعِيْشُ ابْنُ آدمَ مَا قَدَّرَ اللهُ لَهُ أنْ يَعِيْشَ، ويَمْشِيْ الانْسَانُ في هَذِه الأَرْضِ وَيَتَقَلَّبُ فِيْهَا ، ويَرَى حُلْوَهَا وَمُرَّهَا وَسُرُوْرَهَا وَأحْزانَها ، وَيَأخُذُ فيها حَظَّهُ مِنْ الشَّقَاءِ وَحَظَّهُ مِنْ السَّعَادَةِ ، بِمْقدارِ مَا قَدَّرَهُ اللهُ لهُ ومَا قَدَّرَهُ عَليْهِ ، وَلِكْن لِكُلِّ هَذا نِهَايَةٌ ، وَلِكُلِّ ذَلكَ غَايَةٌ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلا ﴿ كلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ﴾ وَقَال لِنَبِّيهِ صلى اللهُ عليه وسَلم ﴿ وَمَا جَعَلْنا لِبَشرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلدَ افَئِنْ مِتَّ فهُم الخَالِدونُ ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ﴾ وقَال: ﴿ إنَّكَ مَيِّتٌ وَانَّهم مَيِّتُونَ ﴾ فَسبِيْلُ الموتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ ، وَالخُلُودُ في دَارِ الفَناءِ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، أَيُّها المسْلِمُ عِشْ مَا شِئْتَ فإنَّكَ مَيِّتٌ ، وَأحْبِبْ مَا شِئْتَ فإنكَ مُفَارِقُهُ .

شِعْرَا : قال بعضهم في ابن له مَات :

وهَوَّنَ ما أَلْقَى مِنَ الوَجْدِّ أَنَّنِي أُجَاوِرُهُ في دَارِهِ اليَوْمَ أَوْ غَـدِ

آخر : لَعَمـرُكَ مَا الدُّنْيَـا بِدَارِ إقَامَـة إذَا زَال عَنْ عَيْنِ البَصِيـرِ غِطَاؤُهَا

آخر : كَمْ رأَيْنَا مِنْ أُنَاسٍ هَلَكُوا وَبَكَـى أَحْبَابُهُـمْ ثُمَّ بَكَـوْا

تَركُوا الدنيا لمَنْ جَا بَعْدَهُمْ ... وُدُّهُمْ لَوْ قَدَّمُوْا مَا تَرَكُوْا
كَمْ رَأيْنَا مِنْ مُلُوْكٍ سُوَقَةْ ... وَرَأَيْنَا سُوَقَةً قَدْ مَلَكُوْا

آخر: وكُلُّ أُمٍّ وإنْ سُرَّتْ بِمَا ولَدَتْ ... يَوْماً سَتُثْكَلُ مَا رَبَّتْ مِنَ الوَلَدِ

آخر: وكَيْفَ بَقَاءَ النَّاسِ فِيْهَا وإنَّما ... يُنَالَ بأسْبَابِ الفَنَاءِ بَقَاؤُهَا

آخر: حَسْبُ الخليْلَيْنِ نَأْيُ الأرضِ بيْنَهُمَا ... هذا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحتْهَا بَالِيْ
سَلام عَلَى دَار الغُرُوْرِ فإنَّهَا ... مُنَغَّصَةٌ لَذَاتُهَا بالفَجَائِعِ
فإنْ جَمَعَتْ بَيْنَ المُحِبِّينَ سَاعَةً ... فَعَمَّا قَلِيْلٍ أرْدَفَتْ بالموانِعِ

آخر:

عَلَى مِثْلِ هَذا كُلُّ جَمْعٍ مَآلُهُ ... وِصَالٌ وتَفْرِيْقٌ يَسُرُّ ويُؤْلِمُ
وإنْ مُنِعَ الغُيَّابُ أنْ يَقْدَمُوْا لَنَا ... فإنَّا عَلَى غُيَّابِنَا سَوْفَ نَقْدَمُ

فَالْبَقَاءُ في الدُّنْيَا مُحَالٌ ، هَذِه الدُّنْيَا جِسْرٌ ، هَذِه الدّنْيَا مَمَرٌّ ومَعْبَرٌ وطَرِيْقٌ إلىَ الآخِرَةِ ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَخَبَّطُ في هَذِه الطَّرِيْقَ ويَتَعَثَّرُ فيهَا ولا يَهْتَدِيْ ، ومِنْ النّاسِ مَنْ يُوَفِقُهُ اللهُ فَيَسْلُكُها مُسْتَقِيْما لا يَلْوي عَلى شَيْءٍ إلَّا عَلَى زادِ الآخِرَةِ ، وَأَمَلٍ يَهْدِفُ اليْهِ ، في تِلْكَ الدّارِ البَاقِيَةِ ، ذلك الهَدَفُ هو رِضَى رَبِّ العِزَّةِ وَالجَلالِ ، الذِي فيهِ كُلُّ نَعِيْمٍ ، الذِي فيْهِ الهُدُوءُ وَالاطْمَئْنَانُ ، وَالذِي فيهِ الفَوْزَ والنّجاةُ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ، تِلْكَ حال مَنْ اتّعَظَ وَاعْتَبَرَ فَنفَعْتُه العِبْرَةُ ، ولَمِسَ المَوْعِظَةُ مِن دُروسِ الحَياةِ وَأحْدَاثها فاهْتَدى ، وَزَادَهُ اللهُ هُدى ، تِلْكَ حَالٌ مَن اعتبروا ، فَنَفعتْهُمُ العِبْرَة ، وجَعَلوا التّقوى إلى اللهِ أمَامَهُم لاَ يَحِيْدونَ عنْهَا ، يَخافُوْنَ رَبَّهُم وَيَخْشَونَ سُوءَ الحِسَابِ . ﴿ ومَنْ يُطِعِ اللهَ وَرسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فأولَئِكَ هُمْ الفَائِزُونَ ﴾ .

أيُّها المُسْلِمُ لقَدْ خَرجْت مِنْ ظُلمَاتٍ ، وسَتَنْتَهِي إلى ظُلُماتٍ خَرجْتَ مِنْ ظُلماتِ الأرْحامِ ، وتنْتَظِرُكَ ظُلُماتُ القُبُورِ، خَرجْتَ مِنْ

أحْشَاءِ أُمِّكَ ، واستَقْبَلكَ أحْشَاءُ أُخْرَى ، أقْوَى وَأعْظَمُ ، قالَ تَعالى ﴿ مِنْهَا خَلقْنَاكُم وفيها نُعِيْدكم ، ومِنْهَا نُخْرِجُكم تَارةً أُخْرَى ﴾ دَفعكَ جَوْفٌ يَحِنُّ عَلَيْكَ ، إلىَ جَوْفِ الأرض ، وبَيْنَ الجوفَيْنِ أمُورٌ وأمُوْرٌ ، فَفِي الدُّنْيَا السَّرَّاءُ والضَّرَّاءُ والسَّعادةُ وَالشّقاءُ إنكَ تخْرُجُ مِنْ شِدةٍ إلى رَخَاءٍ ، ومِنْ رَخَاءٍ إلى بَلاءٍ ، وتُصَادِفُكَ عقَبَاتٌ في طَرِيْقِكَ ، بعْدَ عقَباتٍ ، وَتتغيّرُ أحْوالُكَ مِنْ حَالاتٍ إلى حالاتٍ ، فمِن ذُلٍّ إلىَ عِزٍّ ، ومِنْ عِزٍّ إلى ذُلٍّ ، ومِنْ غِنىً إلى فقْرٍ ومِنْ فَقْرٍ إلى يُسْرٍ ، ومِن صِحَّةٍ إلى مَرضٍ ، ومِنْ مَرضٍ إلىَ عَافِيَةٍ ، ومِن رَاحَةٍ إلى تَعبٍ ، هَذهِ هِيَ الدُّنْيَا وهَذِهِ أحْوالُهَا ، عِزُّهَا لا يَدُومُ ، ورخَاؤُهَا لا يَبْقَى ، قالَ اللهُ تعالَى ﴿ قُلْ اللهُمَّ مَالِكَ المُلكِ ، تُؤْتي الملكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الملكَ مِمَّنْ تشاءُ ، وتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ ، بيدِكَ الخَيْرُ إنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ﴾ فحَاسِبْ نَفْسكَ أيُّهَا المُسْلِمُ ، قَبْلَ أنْ تُحَاسَبَ ، وَزِنْ أعْمَالَكَ قَبْلَ أنْ تُوْزَنَ عَلَيْكَ ، ورَاقِبْ مَوْلاَكَ الذِي لا يَخْفَى عَليهِ شَيْءٌ في الأرْضِ ولا في السَّمَاءِ ، وَتُبْ إليْهِ تَوْبَةً نصُوحاً ، قَالَ تَعالَى ﴿ وَإنِّي لغفَّارٌ لمَنْ تَابَ وَآمَنَ وعَمِلَ صالِحاً ثُمّ اهْتَدَى ﴾ .

تَورَّعْ وتُبْ وازْهَدْ وصَلِّ وصُمْ ولا ... تَنَمْ واعْتزِلْ واصْمُتْ ورَاقِب وَأيْقِنِ
وكُنْ دائماً في الذِكْرِ والشُكْرِ قائماً ... على الصِّدْقِ والإخلاصِ في كلِّ مَوْطِنِ

آخــر :

يَـلَذُّ بهـذا العَيش مَن لَيسَ يَعْقِلُ ... ويَـزْهَـدُ فيـه الأَلْمَعِيُّ المُحَصِّـلُ
وما عَجبٌ نَفْسٌ تَرى الرَّأيَ إنَّما الْ ... عَجِيْبَةُ نَفسُ مُقْتَضَى الرَّأيِ تَفْعَلُ
إلَـى اللَّـهِ أشْكَـوْ هِمَّـةً دُنْيَـوِيَـةً ... تَـرَى النَّـصَ إلاَّ أنَّهَـا تَتَـأوَّلُ

آخر: وَالمَرْءُ مِثْلُ هِلاَلٍ حيْنَ تُبْصِرُهُ ... يَبْدُو ضَعِيْفاً ضَئِيــلاً ثُمَّ يَتَّسقُ
يَزْدَادُ حتَّــى إذَا مَا تَمَّ أعْقَبَــهُ ... كَرُّ الجَدِيْدَيْنِ نَقْصاً ثم يَنْمَحِقُ

يُنَهْنِهَا مَوْتُ النَّبِيهِ فَتَرْعَوِي
وَيَخْدعُهَا رُوحُ الحَيَاةِ فَتَغْفُلُ
وفي كُلِّ جُزْءٍ يَنْقَضِي مِن زَمَانِهَا
مِنَ الجِسْمِ جُزْءٌ مِثْلَهُ يَتَمَلْمَلُ

شعرا : أَمَامَكَ أَيُّهَا المَغْرُورُ يَوْمٌ تَشِيبُ لِهَوْلِهِ سُوْدُ النَّوَاصِي
وأَنْتَ كَمَا عَهِدْتُكَ لا تُبَالِيْ بِغَيْرِ مَظَاهِرِ العَبَثِ الرِّخَاصِ

آخــر :
عِشْ مَا بَدَالَكَ هَلْ تَرَاكَ تَعِيْشُ أَتَظُنُّ سَـهْمَ الحادثَات يَطِيْـشُ
عِشْ كَيْفَ شِئْتَ لَتَأْتِيَنَّكَ وَقْعَةٌ يَوْماً وَلَا لِجَنَاحِ جِسْمِكَ رِيْشُ

آخر :
إِذَا الشَّيْبُ لَاحَتْ لَمْحَةٌ مِن ثَغَامِهِ فَعَصْرُ الصِّبَا لَمْ يَبْقَ غَيْرُ رِسَامِهِ
أَلاَ كُلُّ إِنْسَانٍ وإِنْ طَالَ عُمْرُهُ إلى الحَتْفِ مَأْخُوذٌ بِفَضْلِ زِمَامِهِ
أَلا كُلُّ حَيٍّ لِلْحِمَامِ طَرِيْدَةٌ وَكُلُّ فَقِيْدٍ مِنْ رَمَايَا سِهَامِهِ
تَمُرُّ اللَّيَالِيْ بُؤْسُهَا ونَعِيمُهَا كَطَيْفٍ يَرَاهُ حَالِمٌ فِي مَنَامِهِ

اللهُمَّ يَا مَنْ فَتَحَ بَابَهُ لِلطَّالِبِيْنَ ، وَأَظْهَرَ غِنَاهُ لِلرَّاغِبِيْنَ نَسْأَلُكَ انْ تَسْلُكَ بِنَا سَبِيْلَ عِبَادِكَ الصَّادِقِيْنَ ، وَأَنْ تُلْحِقَنَا بعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ، اللهُمَّ أَحْيِ قُلُوباً أَمَاتَهَا البُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، ولا تُعَذِّبْهَا بأَلِيْمِ عِقَابِكَ ، يَا كَرِيْمُ يَا مَنَّانُ ، يَا مَنْ جَادَ عَلَى عِبَادِهِ بِالانْعَامِ وَالافضَالِ ، اللهُمَّ أَيقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ واحْسَانِكَ وتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمنا بعَفْوِكَ وغُفْرَانِكَ ، وارْزُقْنَا مَا رَزَقْتَ أَوْلِيَاءَكَ ، مِنْ نَعِيْمِ قُرْبِكَ ، وَلَذَّةِ مُنَاجَاتِكَ ، وصِدْقِ حُبِّكَ ، واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدِيْنَا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلى اللهُ على محمَّدٍ وَآله وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

« فصل »

وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه

وسلم « يخرجُ في آخرِ الزّمَانِ رجالٌ يَخْتِلُونَ الدّنْيا بالدِّيْن يَلْبَسُونَ لِلنّاسِ جُلودَ الضَّأنِ مِنْ اللّينِ ، ألسِنَتُهم أحْلى مِنَ السُّكر ، وَقُلوبِهم قلوبُ الذّئابَ ، يَقُولُ اللهُ : أبِي تغتَرُّون أم عَليَّ تَجْترؤُنَ ، فَبيْ حَلَفْتُ لأَبْعَثَنّ علىَ أوْلَئِكَ منْهُم فِتْنَةً تَدعُ الحَلِيْم مِنْهُم حَيْرَان » رَواهُ التّرْمذِيّ .

وعَنْ أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عنهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم قال « لَيَأتِيَنَّ على النّاسِ زَمانٌ لا يُبَالِيْ المرْءُ بمَا أخَذَ المالَ، أمِنْ حَلالٍ أمْ مِنْ حَرامٍ » رواهُ أحْمَدُ وَالبُخَارِيّ وَالدّرامِيّ .

وَعَنْ ابْن عُمَرَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم قالَ « وَالذِي بَعَثَني بالحَقِّ لتَكُونَنَّ بَعْدِي فَتْرَةً في أُمّتِيْ ، يُبْتَغَى فيهَا المَالُ مِنْ غيْرِ حِلِّهِ ، وَتُسْفَكُ فِيْهَا الدّمَاءُ ويُسْتَبْدَلُ فيهَا الشِّعْرُ بالقُرْآنِ » رواهُ الدّيْلَمِيّ .

وَعَنْ الحَسَنِ عن أبي هُرَيرةَ رضْيَ اللهُ عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم قالَ « لَيَأتِيَنَّ عَلَى النّاسِ زَمانٌ لا يَبْقَى مِنْهُم أحَدٌ إلاَّ أكَلَ لرِّبَا ، فمَنْ لم يَأكُلْهُ أصَابَهُ مِنْ غُبَارِهِ » رَوَاهُ أحْمَدُ وأبُو دَاوُدَ وَالنّسَائِي وَابْنُ مَاجَهْ .

وعَنْ مُعَاذِ بن أنَس رضْيَ اللهُ عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قالَ « لا تزالُ الأُمةُ على الشَّرِيْعَةِ مَا لم تَظْهَرَ فِيْهِم ثَلاثٌ ، مَا لَمْ يُقْبَضْ منهم العِلْمَ ، وَيَكْثُرَ فِيْهِمْ ولدُ الحِنْثِ ، وَيَظْهَرُ فِيهم الصَّقَّارُون » قَالوا : ومَا الصَّقَارُونَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قالَ « نشْءٌ يكونُـونَ في آخِرِ الزّمانِ ، تكوُنُ تِحيَّتُهم بيْنَهُم التَّلاعُنُ » رَوَاهُ أحْمَدُ وَالطبَرانِيّ .

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَل رَضْيَ اللهُ عنه أنَّ النبي صلى اللهُ عليه وسَلَم قالَ « يَكُونُ في آخرِ الزمانِ أقْوامٌ إخْوَانُ العَلانِيَةِ ، أعْدَاءُ السَّرِيْرَةِ » فَقِيْلَ :

يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَكُونُ ذلكَ ؟ قَالَ « ذَلِكَ بِرَغْبَةِ بَعْضهم إلىَ بَعْضٍ وَرَهْبَةِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ » رَوَاهُ الامامُ أَحْمَدُ وَالبَزَّارُ وَالطبَرانِيّ وَأبو نَعيْم في الحِلْيَةِ .

وعَنْ أبي سَعِيْدٍ رَضْيَ اللهُ عنْهُ قالَ قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم « تمْرُقُ مارقَةٌ عند فِرْقَةٍ مِنْ المُسْلِمْينَ ، يَقْتُلَها أوْلَى الطّائِفَتَيْنِ بالحَقّ » أخْرَجَهُ أبُو دَاوُدَ .

وَعنْ طَارِقِ بْنِ زيادٍ قالَ: خَرجْنَا مَعَ عَلِّي رَضْيَ اللهُ عنْهُ إلى الخَوارِجِ ، فَقَتلَهُم ثم قَال : انْظُروا فانَّ نبيَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم قالَ « إنّهُ سَيْخرُجُ قَومٌ يَتكَلّمُونَ بالحَقِّ لاَ يُجَاوِزُ حُلوقَهم ، يَخْرُجُونَ مِنَ الحَقِّ كَمَا يَخُرجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، سِيْمَاهُم إنَّ مِنْهُم رَجُلاً أسْوَدَ ، مُخدَّجَ اليَدِ ، في يَدِه شَعَراتٌ سُودٌ ، إنْ كَانَ هُوَ فقدَ قَتَلْتُم شَرَّ الناسِ ، وإنْ لم يَكُنْ هُوَ فقَدْ قَتلتُم خَيْرَ النَّاسِ . فَبَكْينا . ثُمَّ قَال: اطْلُبوا ، فطَلَبْنا فَوجَدْنَا المُخَدَّجَ ، فَخرَرْنا سُجوداً ، وَخَرَّ عَلِيّ رَضْيَ اللهُ عنْهُ مَعَنا سَاجِداً . رَوَاهُ أحْمَدُ وَالنَّسَائِيّ .

وعَنْ أبي جُحَيْفَة رَضْيَ اللهُ عنهُ قَالَ قَالَ عَليّ رَضْيَ اللهُ عنه حِيْنَ فرِغَ مِن الحَرُورِيَّةِ : إنَّ فيهم رَجُلاً مُخَدَّجَ اليَدِ ، لَيْسَ علىَ عَضُدِه عَظمٌ ، في عَضُده حَلمَةٌ كَحلمَةِ الثَّدْي ، عَلَيْهَا شَعَرَاتٌ طِوَالٌ عُقْفٌ ، فالتَمِسَ فَلمْ يُوْجَدْ ، قَال: وَأنا فِيْمَن يَلْتَمِسُ ، فمَا رَأيْتُ عَلِيّاً رَضْيَ اللهُ عنه جَزِعَ قطُّ أشَدَّ مِنْ جَزعِهِ يَوْمَئِذٍ ، قَالُوا : مَا نَجِدُهُ يَا امِيْرَ المُؤْمنين. قَالَ: مَا اسْمُ هَذا المكَانَ ؟ قَالُوا : النَّهْروانِ . قَالَ: كَذبْتُم إنَّهُ لَفِيْهم ، فَالْتَمِسُوهُ . قَالُوا فثَوَّرْنَا القَتْلىَ فلمَ نَجِدْهُ ، فعُدْنا إليْهِ ، فقُلْنَا : يَا أمِيْرَ المؤْمِنْينَ مَا نَجِدُهُ ، قَالَ: مَا اسْمُ هَذا المكَان ؟ قُلْنَا : النَّهْرَوان . قَالَ:

صَدَقَ اللهُ وَرَسُولهُ وَكَذبْتُم ،إنه لَفِيْهِم فَالْتَمِسُوهُ ، فالْتَمَسْنَاهُ فَوَجَدْنَاهُ في سَاقِيَةٍ ، فَجِئْنَا بِهِ فَنَظَرتُ إلى عَضُدِهِ لَيْسَ فِيْهَا عَظمٌ ، وعَلَيْها كَحَلمَةِ ثَدْي المرْأةِ ، عَلَيْها شَعَراتٌ طِوَالٌ عُقْفٌ رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنِ الامَامِ أحْمَد في كِتَابِ السُّنَّةِ .

وَعَنْ أنس رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم « لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يَتَقارَبَ الزَّمَانُ ، فَتَكُونُ السَّنَةُ كالشَّهْرِ ، وَالشَّهْرُ كالجُمُعَةِ ، وتَكونُ الجُمُعَةُ كاليَوْمِ ، وَيَكونُ اليَوْمُ كالسَّاعَـةِ ، وتكوُنُ السَّاعَةُ كالضَّرْمَةِ بالنَّارِ » رَواهُ التِّرمِذِي .

وعَن أبي هُرَيْرَة قَالَ قَالَ رسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسَلم « سَيَأتِي عَلى النَّاسِ سَنَواتٌ خَدَّاعَاتٌ ، يُصَدَّقُ فيْهَا الكاذِبُ ويُكَذَّبُ فيْهَا الصَّادِقُ ، ويُؤْتَمَنُ فيْهَا الخِائِنُ ، ويَخُوَّنُ فيْها الأمْيَنُ ، وينْطِقُ فيهـا الرُّوَيْبَضَةُ » قِيْلَ : ومَا الرُّوَيْبَضَةِ ؟ قَالَ « الرَّجُلُ التَّافِهُ ، يَتَكلَّمُ في أمْرِ العَامَّةِ » وَعَنْ أنَس رضْيَ اللهُ عنه أنَّ رسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم قالَ « لا يَزدَادُ الأمْرُ ، إلاَّ شِدَّةً ولا الدُّنْيَا إلاَّ إدْباراً وَلا النَّاسُ إلاَّ شُحّاً ، ولا تَقُومُ السَّاعَةُ إلا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ ، ولا المهْدِي إلا عِيْسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ » رَوَى الحَدِيْثَيْنَ ابْنُ مَاجَهْ .

وَعن سَالِمَ بْنِ أبي الجَعْدِ ، عَنْ زِيَادِ بْنِ لَبْيدٍ قَالَ: ذَكَرَ النَّبي صَلى اللهُ عليه وسَلم شَيْئاً فقالَ « ذَاكَ عِنْدَ أوَانِ ذَهَابِ العِلْمِ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ وكَيْفَ يَذْهَبُ العِلْمُ ، ونَحْنُ نَقْرأُ القرْآنَ ، ونُقْرِؤُه أبْنَاءَنَا ، وَيُقْرِؤُهُ أبْنَاؤُنَا أبْنَاءَهُم إلىَ يَوْمِ القِيَامَةِ ؟ قَالَ « ثَكِلَتْكَ أمُّكَ يَا زِيَادُ ، إنْ كُنْتُ لأرَاكَ مِنْ أفْقَهِ رَجُلٍ بالمدِيْنةِ ، أوَ لَيْسَ هَذه اليهُودُ وَالنَّصَارى يَقْرَؤ نَ التَّوْرَاةَ وَالانجِيْلَ لا يَعْمَلُونَ بشَيْءٍ منْهُما » ؟ رَواهُ ابْنُ مَاجَهْ .

وعنْ سَلامَة قالَ قَالَ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم « مِنْ أشْرَاطِ

السَّاعَةِ أنْ يَتدافَعَ أهْلُ المَسْجِدِ ، فلا يَجِدُونَ إماماً يُصَلِّي بِهِمْ » أخرجَهُ أَبُو دَاوُدَ. قُلْتُ وهذا الحديثُ عَلَمٌ مِن أعْلامِ النُّبُوةِ وصِدْقِ الرِّسَالَةِ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ النبي صلى اللهُ عليْهِ وسَلم ذَكَر مِنْ أشَراطِ السَّاعَةِ أنْ يكُونَ المُؤْمِنُ فيهم أذلَّ مِنَ الأمَةِ ، يَذُوبُ قلبُه في جَوْفِه ، كما يَذُوبُ المِلْحُ في الماءِ ، مِمَّا يَرى مِنَ المنكَرِ فلا يَسْتَطِيعُ أنْ يَغيِّرَهُ ، رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْه والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم

« فصل » وَعَنْ جابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلَّمَ « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زمانٌ يَسْتَخْفِيْ المُؤْمِنُ فِيْهِم ، كَمَا يَستخفِي المنافِقُ فِيْكم » رَواهُ ابنُ السُّنِّيْ ، وعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم « مِنْ أشرَاطِ السَّاعَةِ أنْ يَمُرَّ الرَّجُلُ بالمسجِدِ فلا يَرْكَعُ رَكْعَتَيْن» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ « يَأتِيْ دُعَاةٌ عَلَى أبْوابِ جَهَنَّمَ » وَوَصَفَهُم رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم أنَّهُمْ « مِنْ جِلْدتِنَا ، ويَتكلَّمُونَ بِألْسِنَتِنا» قال : فمَا تأمُرني إنْ أدْرَكتُ ذلكَ ؟ قالَ « تلزَمُ جماعَةَ المُسْلِمِيْنَ وإمَامَهُم » قال : فانْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جماعَةٌ ولا إمَامٌ ؟ قالَ «اعْتزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أنْ تَعُضَّ بأصْلِ شَجَرةٍ حَتَّى يَأتِيْكَ المَوتُ وأنْتَ على ذلك » رَواه البُخَاري ومُسْلمٌ .

شعرا : إنَّ الجَمَاعَةَ حَبْلُ اللهِ فاعْتَصِمُوْا بِهَا إنَّهَا العُروةُ الوُثْقَى دَانَا
اللهُ يَدْفَعُ بالسُّلطَانِ مُعْضِلَةً عنْ دِيْنِنَا رَحْمَةً مِنْهُ ورِضْوَانَا
لَوْلاَ المُهَيْمِنُ لَمْ تَأْمَنْ لَنَا سُبُلٌ وَكَانَ أضْعَفُنَا نَهْباً لِأقْوَانَا

وَعَنْ الضَّحَّاكِ أنَّهُ قالَ : يَأْتِيْ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَكْثُرُ فِيْهِ الأَحَادِيْثُ ، حَتَّى يَبْقَى المُصْحَفُ عَلَيْهِ الغُبَارُ لا يُلْتَفَتُ إلَيْهِ . قلت وهذه مُعْجِزَةٌ وَقَعَتْ فإنَّ المُصْحَفَ مَهْجُور والاقبال على الملاهي والمنكرات والجرائد والمجلات فَلَا حَوْل ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ العَلِي العَظِيم وَهُوَ حَسْبُنا وَنِعْمَ الوَكِيْل .

فصْل

وعن وَابصَةَ الأسَدِي عَنْ أبِيْهِ أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللهِ بن مَسْعُودٍ قَالَ : مَتَى تكونُ أيَّامُ الهَرْجِ ؟ قالَ : حيْنَ لَا يَأْمَنُ الرَّجُلُ جَلِيْسَهُ . قَالَ : فَمَا تَأْمُرُنِي ؟ قالَ : اكْفُفْ نَفْسكَ وَيَدَكَ ، وَادْخُلْ دَارَكَ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَفي المُسْنَدِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم ، « يَخْرُجُ قَوْمٌ في آخِرِ الإسْلَامِ ، سُفَهَاءُ الأَحْلامِ ، حُدَثَاءُ الأسْنَانِ ، - أو قال - أَحْدَاثٌ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ النَّاسِ ، يَقْرَؤُنَ القُرْآنَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ، لا يَعْدُوْ تَرَاقِيْهِم ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، فَمَنْ أَدْرَكَهُم فَلْيَقْتُلْهُم ، فَإِنَّ في قَتْلِهِمْ أُجْراً عَظِيْماً عِنْدَ اللهِ». قُلْتُ هذا الحديث والذي قَبْلَهُ فِيهِمَا عَلَمٌ مِن أعلامِ النبوةِ.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وَسَلَّمَ « مِنْ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ الحَلِفُ بِغَيْرِ اللهِ ، والشَّهَادَةُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَشْهَدَ ، وَكَثْرَةُ الطَّلَاقِ ، وَمَوْتُ الفُجْأَةِ » . أَخرَجَهُ أَبُو نُعَيم في الحِلْيَةِ ، قُلْتَ : وَهَذَا الحَدِيْثُ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ ، وَصِدْقِ الرِّسَالَةِ ، فإِنَّ كُلَّ فقْرَةٍ مِنْ فقَرَاتِهِ قَدْ تحقَّقَتْ في العَصْرِ الحَاضِرِ ، فَتَأَمَّلْهُ بِدِقَّةٍ .

فَإِنَّ الحَلِفَ بِغَيرِ اللهِ قَدْ كَثُرَ جِدّاً ، وَكَذَلِكَ الشَّهَادَةُ يَبْذُلُهَا كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ بِدُوْنَ طَلَب ، وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الطَّلَاقِ ، وَهَذِهِ تَدُلُّ على ضَعْفِ إِيْمَانِ هَؤُلَاءِ ، وَأَمَّا مَوْتُ الفُجْأَةِ فَكَثِيْرٌ ، فَمِنْهُ السَّكْتَةُ القَلْبِيَّةِ ، والجَلْطَةُ الدَّمَوِيَّةِ ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْ انْقِلَابِ السَّيَّارَاتِ وَتَصَادُمِهَا ، وَسُقُوطُ الطَّائِرَةِ ، والانْفِجَارَاتِ ، فَكُلُّهَا يَصْدُقُ عَلَيْهَا مَوْتُ الفُجْأَةِ ، اللهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ على مَنْ لا يَنْطِقُ عَنْ الهوى ، وَكُلُّ الأحَادِيْثِ التِي تَقَدَّمَتْ ، وَالتِي تَأْتِي ، تَأَمَّلْهَا وَطَبِّقْهَا ، ولا حَاجَة إلى شَرْحِهَا ، لِأَنَّهُ شَيْءٌ وَاضِحٌ وَاقِعٌ ، وَلكِنَّ

النَّاسَ في غَفْلَةٍ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ، وَمُنْهَمِكُونَ في طَلَبِ الدُّنيا وَجَمْعِهَا وَالتَّكاثُرِ فِيْهَا. والاشتغال بما يلهي ويصد عن ذكر الله فتأمَّلْ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلم « يَأْتِيْ عَلىٰ النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يَسْلَمُ لِذِيْ دِيْنٍ دِيْنَهُ إلاَّ مَنْ هَرَبَ بِدِيْنِهِ مِنْ شَاهِقٍ إلَى شَاهِقٍ ، وَمِنْ جُحْرٍ إلَى جُحْرٍ فَإذا كَانَ كَذٰلِكَ لَمْ تُنَلْ المَعِيْشَةُ إلاَّ بِسَخطِ اللهِ ، فَإذَا كَانَ ذٰلِكَ ـ كَانَ هَلاَكُ الرَّجُلِ عَلَىٰ يَدَيْ أَبَوَيْهِ ، فَإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبوانِ كَانَ هَلاَكُه عَلى يَدَيْ قَرَابَتِهِ أَوِ الجِيْرَانِ » قَالُوا : كَيْفَ ذٰلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ « يُعَيِّرُونَهُ بِضِيْقِ المَعِيْشَةِ ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يُوْرِدُ نَفْسَهُ المَوَارِدَ الَّتِي يُهْلِكُ فِيْهَا نَفْسَهُ » رَوَاهُ البَيْهَقِيّ كَمَا في كِتَابِ الزُّهْدِج ٣ ، ص ٤٤٤ مِنْ كِتَابِ التَّرْغِيْبِ وَالتَّرْهِيْبِ .

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ بَيْعُ الحُكمِ ، وَكَثْرَةُ الشُّرَطِ » أَخْرَجَهُ أَبو نَعِيْمٍ في الحِلْيَةِ. قُلْتُ هذا الحديث والذي قَبْلَهُ فِيهِمَا أَعْلاَمٌ مِن أَعْلاَمِ النبوةِ فتأمَّلْ.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم قَالَ « انَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ ظُهُوْرُ شَهَادَةِ الزُّوْرِ ، وَكِتْمَانُ الحَقّ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالبُخَارِيّ قُلْتُ هذا الحديث فيه عَلَمٌ مِن أعلامِ النبوةِ.

شِعْراً : تَخَيَّرْ قَرِيناً مِن فِعَالِكَ إنَّمَا
يَزِيْنُ الفَتَىٰ في القَبْرِ مَا كَانَ يَفْعَلُ
فَإن كُنْتَ مَشْغُولاً بِشَيْءٍ فَلا تَكُنْ
بِغَيْرِ الذِيْ يَرْضَى بِهِ اللهُ تَشْغَلُ
فَلا بُدَّ بَعْدَ القَبْرِ مِن أَن تُعِدَّهُ
لِيَومٍ يُنَادَيَ المَرْءُ فِيْهِ فَيُسَأَلُ

فَلَنْ يَصْحَبِ الإنْسَانَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ
وَلَا قَبْلَهُ إلا الَّذِيْ كَانَ يَعْمَلُ
أَلَا إنَّمَا الانْسَانُ ضَيْفٌ لِأَهْلِهِ
يُقِيْمُ قليلاً عِنْدَهُم ثُمَّ يَرْحَلُ

آخر :

مَا دُمْتَ حَياً فَطِعْ للهِ مُجْتَهِداً فإنَّما أنْتَ في دَارِ العِبَادَاتِ
وَأَكْثِرِ الذِكْرَ لِلْمَوْلَى وكُنْ حَذِراً مِن غَفْلَةِالنَّفْسِ عَنْ ذِكْرِ المَنِيَّاتِ
فالمَوْتُ يَأتِي بِوَقْتٍ لَسْتَ تَعْلَمُهُ فكُنْ لَهُ مَسْتَعِداً قَبْلَ أَنْ يَاتِيْ
كَمْ مَنْ صَحِيْحٍ غَدا مِن بَيْتِهِ سَحَراً وبالمَسَاءِ غَدَا جَاراً لِأَمْواتِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم

« فصل »

الأَمَارَةُ الثَّالِثَةُ مِنْهَا خُرُوْجُ الدَّجَالِ ، وقَدْ أَنْذَرتْ بِهِ الأنْبِيَاءُ قَوْمَهَا ، وَحَذَّرَتْ مِنْهُ أُمَمَها ، وَنَعَتَتْهُ بالنُّعُوتِ الظَّاهِرَةِ ، وَوصفَتْهُ بالأَوْصَافِ البَاهِرَةِ ، وَحَذَّرَ مِنْهُ المُصْطَفَى صلى اللهُ عليه وسَلمَ وَأَنْذَرَ ، وَنعَتَهُ لأُمّتِه نُعُوتاً لا تَخْفَى عَلى ذِي بَصَرٍ ، فَعَنْ نَافِع عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، أَنَّ رسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ذَكَرَ الدجَالَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ النَّاسِ فقَالَ « إنّ اللهَ تعالَى لَيْسَ بأعْوَرٍ ، أَلَا وَإنَّ المَسِيْحَ الدَّجَّالَ أعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِئَةٌ » رواهُ البُخاري وَمُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ .

وعَن أَنَس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النبي صلى اللهُ عليه وسَلمَ قالَ « مَا بُعِثَ نَبيٌّ إلا قَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الدّجَّالَ الأعْوَرَ الكَذابَ ، أَلَا وإنّهُ أَعْوَرُ ، وَإنَّ رَبَّكُم لَيْسَ بأَعْوَرَ ، وَإنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكتُوبٌ كافِرٌ » وفي رِوَايَةٍ « يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضْيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ قال « إنِّي حَدَّثْتُكم عَنْ الدَّجَّالِ ، حَتَّى خَشِيْتُ أَنْ لا تَعْقِلُوا إنَّ مَسِيْحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيْرٌ أَفْحَجُ جَعْدٌ ، أَعْوَرُ مَطْمُوسُ العَيْنِ ، لَيْسَتْ بنابِئَةٍ وَلَا حَجْرَاءَ ، فإنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُم فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبكم لَيْسَ بأعْورَ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وعَن أبي هُرَيْرَةَ رضْيَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إن مَسِيْحَ الضَّلالَةِ أعوَرَ العَيْنِ أجْلَى الجَبْهَةِ عَرِيضَ النَّحرَّ ، فيهِ دَفأ ، كأنَّهُ قَطَن بنْ العَزَّى » فقال قطن ، هل يَضُرُّنِي شَبَهُهُ ؟ قَالَ « لا أَنْتَ مُسْلِمٌ وهُوَ امْرُؤ كافِرٌ » رَوَاهُ أحْمَدُ .

وعَنْ ابْنِ عَبّاسٍ رَضْيَ اللهُ عنهُ أنَّ النَّبي صلى اللهُ عَلَيْهِ وسَلم قال « لما أُسْرِيَ بي رَأيْتُ الدَّجَّالَ في صُوْرَتِهِ ، رُؤْيَا عَيْنٍ ، لَيْسَ رُؤْيَا مَنَام » فَسُئِلَ عنْهُ فَقَالَ « أقْمَرُ هَجَّانَا فَيْلمَانِيَّاً ، احْدَى عَيْنَيْهِ قائِمَةٌ ، كأنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌ ، كأنَّ شَعْرَهُ أغْصَانُ شَجَرَةٍ » رَوَاهُ أحْمَدُ .

وَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ رَضْيَ اللهُ عنهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « إنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ مِن خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالعِرَاقِ ، فعَاثَ يَمِيْناً وَشِـمَالاً ، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا » رواهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهْ .

وعَنْ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : حَدَّثَنا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلَّم أنّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْ أرْضٍ بِالمَشْرِقِ يُقَالُ لها خُرَاسَانُ ، يَتْبَعُه أقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوْهَهُم المَجَانُّ المُطْرَقَـةُ . رَوَاهُ ابْنُ مَاجـهْ وَأحْمَدُ وَالحَاكِمُ .

وعَن جَابر رَضْيَ اللهُ عنهُ أنَّ النَّبيَّ صَلى اللهُ عليه وسَلمَ قَالَ « إنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ في خِفَّةٍ مِنْ الدِّيْنِ ، وَإِدْبَارٍ مِنْ العِلْمِ » رَوَاهُ أحْمَدُ وابْنُ خَزَيْمَة .

وعَنْ حُذْيفةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صَلى اللهُ عليه وسَلمَ « مَكْتُوبٌ بيْنَ عَيْنَيْهِ : كافِرٌ ، يَقْرَؤُهَا كُلُّ مُؤْمِن ، كاتِبٌ وَغَيْرُ كاتِبٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، ورَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ عَنْ أبي أُمَامَةَ بِهَذا اللفْظِ .

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ قالَ قالَ رسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وسَلمَ « ألاَ أُخْبِرُكُم عَنْ الدَّجَّالِ حَدِيْثاً مَا حَدّثَهُ نَبيٌّ قَوْمَهُ ؟ إنَّهُ أعْوَرُ ، وَإِنَّهُ يَجيْءُ مَعَهُ مِثْلُ الجَنةِ وَالنَّارِ ، فَالَّتِيْ يَقُولُ إنّها الجَنّةُ هِيَ النّارُ » رَوَاهُ البُخارِيّ وَمُسْلِم .

وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضْيَ اللهُ عنه أن النبي صلى اللهُ عليه وسَلم قالَ في الدجّالِ « انّ مَعَه نارٌ ومَاءٌ ، فنَارُه ماءٌ بارِدٌ ، ومَاؤُه نارٌ ، فلاَ تَهْلِكُوا » قالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : وأَنَا سَمِعْتُه مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلَمَ . وعَنْهُ أنَّ النبي صلى اللهُ عليه وسلمَ قالَ « إنَّ الدّجّالَ يَخْرُجُ ، وَإِنّ مَعَهُ مَاءٌ ونَارٌ ، فأمّا الذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءٌ فنَارٌ تُحْرِقُ ، وأمّا الذِي يَراهُ النّاسُ ناراً فمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ » فقالَ عُتْبَةُ : وَأنَا سَمِعْتُه تَصْدِيْقاً لقَوْلِ حُذَيْفَةَ .

وعَنْ حُذَيْفةَ رَضْيَ اللهُ عنه قالَ قَالَ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم « لأَنَا أعْلَمُ بمَا مَعَ الدّجَّالِ مِنْهُ مَعَهُ نَهْرَانِ يَجرِيَانِ ، أَحدُهُمَا رَأْيَ العَيْنِ مَاءٌ أبْيَضٌ ، وَالآخَرُ رَأْيَ العَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ فأما إن أَدْرَكْنَ أحدا ، فلْيَأْتِ النَّهْرَ الذِي يَرَاهُ نارا ، وَلْيُغْمِضْ ثُمَّ لِيُطَأْطِيءْ رَأسَهُ فيَشْرَبْ مِنْهُ ، فإنّهُ مَاءٌ بَارِدَا ، وَإنّ الدّجَالَ مَمْسُوحُ العَيْنِ ، عَليْها ظَفْرَةٌ غلِيْظَةٌ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وعن النّوّاسِ بْنِ سِمْعَانَ رَضْيَ اللهُ عنه قالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ الدَّجَّالَ فخفَضَ فيْهِ وَرَفَعَ ، حتّى ظَنَنّا أنَّهُ في طائِفَةِ

النَّخْلِ ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَى رسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم عرَفَ ذلك فِينَا ، فقالَ « مَا شأْنُكم » ؟ فقُلْنَا : يا رَسُولَ اللهِ ذكَرْتَ الدَّجَّالَ الغَدَاةَ ، فَخَفَضْتَ فِيْهِ ثُمَّ رَفَعْتَ ، حَتَّى ظَنَنَّا أنَّهُ في طَائِفَةِ النَّخْلِ ، قَالَ « غَيْرُ الدَّجَّالِ أخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ ، إنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيْكُم فأنا حَجِيْجُه دُوْنَكُم ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيْكُمْ فامْرُؤٌ حَجِيْجُ نَفْسِهِ ، واللهُ خَلِيْفَتِيْ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، إنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ ، عَيْنُه قَائِمَةٌ » الحَدِيْثُ وفِيْهِ : قالَ « فيَأتِي القَوْمَ فيَدْعُوْهُمْ فَيَسْتَجِيْبُوْا لَهُ ، ويُؤْمِنُونَ بِهِ ، فيأمُر السَّماء أنْ تُمْطِرَ ، ويَأمُرُ الأرْضَ أنْ تُنْبِتَ فتُنْبتُ ، وتَروُحُ عَليهم سَارِحَتُهم أَطْوَلَ مَا كانَتْ ذُرَى ، وأسْبَغَهُ ضُرُوعا ، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ ، ثمّ يَأتِي القَوْمَ فيَدْعُوهُم ، فَيَرُدُّونَ عليهِ قَوْلَهُ ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُم ، فيُصْبِحُوا مُمْحِلين ، مَا بأيْدِيْهِمْ شَيْءٌ ، ثمّ يَمُرُّ الخَرِبَةَ فَيقُولُ لهَا : أخْرِجِيْ كُنُوزَكِ . فَيَنْطَلِقُ ، فَتَتْبَعُه كُنُوزُهَا كيَعَاسِيْبِ النَّحْلِ » الحَدِيْثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهْ .

وعَنْ أنسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسَلم « يتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أصْبَهَانَ سَبْعُونَ ألفاً عَلَيْهِم الطَّيَالِسَةُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ اللهمَّ أعفُ عنْ تقْصيرنَا في طَاعَتِك وشُكْرِكَ وأَدِمْ لَنا لُزومَ الطَّريقِ إلى مَا يُقرِّبُنَا إليكْ وَهبْ لَنا نوراً نَهْتَدِيَ بِهِ إليكَ ويَسِّرْ لَنا ما يسَّرتَهُ لِأهْلِ محبّتِكَ وأيْقِظْنا مِن غفْلاتِنا وألهِمْنَا رُشْدَنا واسْتُرْنا في دُنْيَانَا وآخِرتَنا واحْشُرْنَا في زُمْرَةِ المتقين وألْحِقْنَا بعبادِكِ الصالِحينْ واغفرْ لنا ولوالِدينا ولجميع المسلمين الأحياءِ منهم والميتينَ برَحمَتِكِ يا أرحم الراحمينَ وصلى اللّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ .

(فصــل)

عن النَّوَاسِ ابْنِ سِمْعَان رضي الله عنه قال : قال رَسُولُ الله ﷺ « أدْرَكَ الدَّجَّالَ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَواتِحَ سُوْرَةِ الكَهْفِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وعن أبي الدَّرْدَاءِ رَضْيَ اللهُ عنهُ عنْ النبي صَلى اللهُ عليه وسَلم أنهُ قالَ « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أوَّلِ سُوْرَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ » رَوَاهُ أبو دَاوُدَ .

وَعَن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلم « مَنْ سَمِعَ بالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ ، فواللهِ إنَّ الرَّجُلَ ليَأتِيهِ وهُوَ يَحْسَبُ أنَّه مُؤْمِنٌ فيَتْبَعُه ، مِمَّا يَبْعَثُ بهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ ، أوْ لِمَا يَبْعَثُ بهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ » رَوَاهُ أبو دَاوُد ، وَعَنْ أمِّ شَرِيْكٍ رضْيَ اللهُ عَنْهُما قالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسَلمَ يَقُولُ « لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنْ الدَّجَّالِ في الجِبَالِ » قالَتْ أمُّ شَرِيْكٍ : يَا رَسُولَ اللهِ فأيْنَ العرَبُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ « هُمْ قَلِيْلٌ » رَواهُ مُسْلِمٌ .

وَأمَّا قَدْرُ لُبْثِه في الأَرْضِ فعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ رَضْيَ اللهُ عنهُ قالَ : قُلنا يَا رَسُولَ اللهِ ومَا لُبْثُهُ - أيِ الدَّجَّالُ - في الأَرْضِ ؟ قَالَ « أرْبَعُونَ يَوْماً ، يَوْمٌ كَسَنَةٍ ، ويَوْمٌ كشَهْر ، ويَوْمٌ كَجُمُعَةٍ ، وسَائِرُ أيَّامِهِ كَأَيَّامِكُم » قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ فذلِكَ اليَوْمُ الذي كَسَنَةٍ أتَكْفِيْنا فِيْهِ صَلاةُ يَوْمٍ ؟ قالَ « لا ، اقْدِرُوا لهُ » قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ومَا إسْرَاعُه في الأرْضِ ؟ قَالَ « كالغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيْحُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهْ .

وعَنْ أسْمَاءَ بنْتِ يَزِيْدَ قَالَتْ قَالَ النبي صلى اللهُ عليه وسَلَّمَ « يَمْكُثُ الدَّجَّالُ في الأَرْضِ أرْبعِيْنَ سَنةً ، السَّنَةُ كالشَّهْرِ وَالشَّهْرُ كالجُمُعَةِ ، والجُمُعَةُ كاليَوْمِ ، واليَوْمُ كاضْطِرَامِ السَّعْفَةِ في النَّارِ » رَوَاهُ البَغِويّ في شَرْحِ السُّنَّةِ .

وَعَن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه انّ رَسُولَ اللهُ صلّى اللهُ عليه وَسَلَمَ قالَ « لا تَقُومُ السّاعةُ حَتّى يَنْزِلَ الرُّوْمُ بالأعْمَاقِ أو بِدَابِقَ ، فَيَخْرُجُ إلَيْهِم جَيْشٌ مِنْ المَدِيْنَةِ ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ ، فإذا تصافّوا قَالَتْ الرَّوْمُ : خلُّوْا بَيْننَا وَبَيْنَ الذِيْنَ سَبَوْا مِنّا نُقَاتِلُهم ، فَيَقُولُ المُسْلِمُونَ : واللهِ لا نُخْلِيْ بَيْنكُمْ وَبَيْنَ اخْوَانِنَا ، فَيُقَاتِلُوهُم ، فَيَنْهَزِمُ ثلثٌ لا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِ أَبَدًا وَيُقْتَلُ ثُلُثٌ هُمْ أفْضَلُ الشُّهَداءِ عِنْدَ اللهِ تَعالَى ، وَيَفْتَحُ الثّلُثُ لا يُفْتَنُوْنَ أَبَدا ، فَيَفْتَحُونَ القُسْطَنْطِيْنِيَّة ، فَبَيْنَما هُمْ يَقْتَسِمُونَ الغَنَائِمَ ، وَقَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُم بالزَّيْتُونِ ، اذْ صَاحَ فِيْهِم الشَّيْطَانُ إِنَّ المَسِيْحَ قد خَلَفَكُم في أَهْلِيْكُم ، فَيَخْرُجُونَ وذاكَ باطِلٌ ، فإذا جَاؤُا الشّامَ خَرَجَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّوْنَ لِلْقِتَالِ ، يُسَوُّوْنَ الصُّفُوفَ ، إذْ أُقِيْمَتِ الصَّلاةُ ، فَيَنْزِلُ عِيْسَى بْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُم ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوْبُ المِلْحُ في الماءِ ، فلو تَرَكَهُ لانْذَابَ حَتّى يَهْلِكَ ، وَلَكِنْ يَقْتُلُه اللهُ بِيَدِهِ ، فَيُرِيْهِم دَمَهُ في حَرْبَتِهِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم « لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إلاّ سَيَطَؤُه الدَّجَّالُ إلاّ مَكّةَ والمدِيْنَةَ ، وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إلاّ عَلَيْهِ مَلائِكَةٌ صَافّيْنَ تَحْرسُهَا ، فَيَنْزِلُ بالسَّبْخَةِ ، فَتَرْجُفُ المَدِيْنَةُ ثلاثَ رَجَفَاتٍ ، يَخْرُجُ إلَيْهِ كُلُّ كافِرٍ وَمُنَافِقٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

اللهم اكْتُبْ في قُلُوبِنَا لايمانَ وأيِّدْنَا بنُوْرٍ مِنْكَ يا نُوْرَ السمواتِ والأرضِ اللهم وافْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ والاجَابَةِ وأغفر لنا وارحمنا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتِكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا القِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ نِيّاتِنَا وَذُرِّيَاتِنَا وَأَعِذْنَا مِنْ شَرِّ نُفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَأَعِذْنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانَا تَبَعاً لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ صَلى اللهُ عليه

وسلِّم وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ صَلى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

إنْ أَبطَأَتْ صِلَةُ الأَرْحَامِ وابْتَعِدتْ　　عَنَّا فأَقْرَبُ شَيء رَحْمَةُ اللهِ
لايُرْتَّجَى كَشْفُ ضَرَّاء ونازِلَةٍ　　في كُلِّ حَادِثَةٍ إلاَّ مِنَ اللَّهِ
فَثِقْ بِرَبِّكَ في كُلِّ الأُمُوْرِ وَلَا　　تَجْعَل يَقِيْنَكَ يَوْماً إلاَّ بالله
لِهُ عَلينا جَزِيْلُ الشُكْرِ مُنْتَشِراً　　في كُلِّ حَادِثَةٍ فَضْـلٌ من الله
كِمْ مْنِ لَطَائِفَ أَوْلَاهَا العَبادَ وَكَمْ　　أَشْيَا لَا تَنْحِصِيْ فَضْـلاً من اللهِ
فاضْرَعْ بِقَلْبٍ كَئِيْبٍ مُخْبِتٍ وَجل　　مُسْتَعْطِفٍ خَائِفٍ من خَشْيَةِ اللهِ
وقُلْ إذا ضَاقَتِ الحالاتُ مُبْتَهِلاً　　يارَبِّ يارَبِّ واسْأَلْ رَحْمَةَ اللهِ
مَالِيْ مَلَاذٌ وَلَا ذُخْرٌ أَلُوْذُ بِهِ　　وَلَا عِمَادٌ ولا رُكْنٌ سِـوَى اللهِ
رَبٌّ تَفَرَّدَ في مُلْكِ لَهُ وَعَلا　　وفَضْلُهُ واسِعٌ والحَمْـد لِلِهِ
أَرْجُوْهُ سُبْحَانَهُ أَنْ لَا يُخيِّبَ لِيْ　　ظَناً فَحَسْبِيْ مَا أَرْجُوْهُ مِنَ اللَّهِ
فَقُمْ وَحُثَّ التمادِي كَمْ عَسَىَ ومَتَى　　كَمْ أَيُّها النَّفْسُ إعْـرَاضٌ عن اللهِ
آه على زَمَنٍ مِنِّيْ مَضَـى فُرُطاً　　سَبَهْلَلاً لَمْ يَكُنْ في طَاعَةِ اللهِ
أَفْرَحْ لِنَفسي وقَلْبِي كُلَّمَا رَجَعَا　　عن المَعَاصِيْ بِتَوْفِيْقٍ من اللهِ
ورُبَّمَا بَكَيَـا خَوْفَ الذُنُوبُ وَمَا　　قَدْ أَسْلَفَا مِن خَطِيْئآتٍ إلى اللهِ
ثم الصـلاة على المختـار سَـيِّدنا　　مُحَمَّدِ المُصْطَفَى المُرْسَلْ مِنَ اللهِ

« خطبة عظيمة كُلُها أَمْثَالٌ وحِكَمٌ لِلنَّبي صلى اللهُ عليه وسلم »

فبَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللهَ وأَثْنى عليهِ قالَ ، أمّا بَعْدُ فإنَّ أصْدقَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ تعَالَى ، وَأَوْثَقَ العُرى كَلِمَةُ التَّقْـوَى ، وَخَيْرَ المِلَلِ مِلَّةُ ابراهِيمَ ، وخيرَ السُّنَنِ سُنَّةُ محمدٍ ، وأشْرَفَ الحَدِيْثِ ذكرُ اللهِ ، وأحسَنَ القَصَص هَذا القُرآنُ ، وخيرَ الأمُورِ عَوازِمُهَا وَشَرَّ الأمُور مُحْدثاتُهـا ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ الأنْبياءِ ، وأشْرَفَ المَوتِ قَتْلُ الشَّهِيْدِ ، وَأَعْمَى

العَمَى الضَّلالةُ بعْدَ الهُدى ، وخَيْرَ العِلْمِ ما نفعَ ، وخيرَ الهَدى ما اتُّبِعَ ، وشرُّ العَمَى عَمَى القَلْبِ وَاليَدُ العُلْيَا خيرٌ مِنْ اليَدِ السُّفْلَى ، وَمَا قَلَّ وَكَفى خيْرٌ مِمَّا كثُرَ وَأَلْهى ، وشَرُّ المَعْذِرَةِ حيْنَ يَحْضُر الموتُ ، وشرُّ النَّدامَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ لا يَأتِيْ الصَّلاةَ إلاّ دُبُراً ، ومِنْهُمْ مَن لا يذكُرُ اللهَ إلاَّ هُجْرَا ، وَأَعْظَمُ الخطَايَا اللِّسَانُ الكذُوبُ ، وخَيْرُ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ ، وَخيْرُ الزَّادِ التَّقْوَى ، ورَأْسُ الحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللهِ ، وخيْرُ ما وقَرَ في القلْبِ اليَقِيْنُ ، وَالارْتيَابُ مِنْ الكُفْرِ وَالنِّيَاحَةُ مِنْ عَمَلِ الجَاهِلِيّةِ ، والغُلُولُ مِن جُثَا جَهَنَّم ، وَالكَنْزُ كيٌّ مِنْ النَّارِ ، وَالشِّعْرُ مِنْ مَزَامِيْرِ ابْلِيْسَ ، وَالخَمْرُ جِمَاعُ الاثْمِ ، وَالنِّسَاءُ حِبَالَةُ الشَّيْطَانِ ، وَالشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنْ الجُنُونِ ، وشَرُّ المكَاسِبِ كَسْبُ الرِّبَا ، وشَرُّ المَآكِلِ مَالُ اليَتِيْمِ ، وَالسَّعِيْدُ مَنْ وُعِظَ بغَيْرِهِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ في بَطْنِ أمِّهِ ، وَإنَّمَا يَصِيْرُ احَدُكم إلى مَوْضِعِ أَرْبعَةِ أَذْرُع ، وَالأَمْرُ بآخِرِهِ ومِلاكُ العَمَلِ خَوَاتِمُه وَسِبَابُ المؤْمِنِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُ المُؤْمِن كُفْرٌ ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ ، وحُرْمَةُ مَالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ ، ومَنْ يَتَأَلَّ عَلى اللهِ يُكْذِبْهُ ، وَمن يَغْفِرْ يَغْفِرْ اللهُ لهُ ، ومَن يَعْفُ يعْفُ اللهُ عنه ، ومَن يَكْظِمْ الغَيْظَ يَأجُرْهُ اللهُ ومن يَصْبِرْ على الرَّزِيَّةِ يُعَوِّضْهُ اللهُ ، ومَن يَتْبَعْ السُّمْعَة يُسَمِّعْ اللهُ بِهِ ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُضْعِفُ اللهُ لَهُ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ يُعَذِّبْهُ اللهُ ، اللهم اغْفِرْ لِيْ وَلامَّتِي ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِيْ وَلأمَّتِي ، اسْتغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلكُم » انتهى .

شعرا :

سَبَقَ القَضَاءُ بكُلِّ مَا هُوَ كَائِنٌ
واللهُ يَا هَذَا لِرِزْقِكَ ضَامِنٌ
تَعْنَى بِمَا تُكْفَى وتَتْرُكُ مَا بِهِ
تُعْنَى كَأنَّكَ لِلْحَوَادِثِ آمِنٌ

أو مَا تَرى الـدُنيا ومَصْـرَعَ أَهْلِهـا
فـاعْمَـلْ لِيـومِ فِـراقِهَـا يَـا خَـائِنُ
واعْلَمْ بـأَنَّكَ لا أَبَـا لَكَ في الـذي
أَصْبَحْـتَ تَجْـمَعُـهُ لِـغَيـرِكَ خَـازِنُ
يـا عامِرَ الـدُنيـا أَتَعْمُـرُ في الـذي
لم يَبْقَ فِيـه مَـعَ المنيَّـةِ سَـاكِنُ
الـمَـوتُ شَيْءٌ أَنْتَ تَعْـلَمُ أَنّـهُ
حَـقٌّ وأَنْـتَ بِـذِكْـرِهِ مُـتَـهَـاوِنُ
إنَّ الـمَنِـيَّـةَ لا تُـؤَآمِـرُ مَـنْ أَتَـتْ
في نَفْسِـهِ يَـومـاً ولا تَـسْتَـأْذِنُ

اللهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ والإجَابَةِ وَوَفِّقْنَا لِلتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَالانابَةِ وَثَبِّتْ مَحبَّتَكَ في قُلوُبِنَا تثبِيتَ الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ ، وَأَلْهِمْنا ذِكرَكَ وشُكْرَكَ آناءَ اللَيْلِ وَالنَّهارِ ، وثَبِّتْنَا عَلى قَوْلِكَ الثَّابتِ في الحَياةِ الدُّنْيَا وَفي الأخِرَةِ ، واغْفِرْ لنَا وَلِوَالدَيْنَا وجَمِيْعِ المسْلِمين برَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِيْنَ وصَلَّى اللهُ على مُحَمّدٍ وعلى آلهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْلٌ »

وَمِنْ عَلامَاتِ السَّاعَةِ العُظْمَى المَسِيحُ عِيْسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، ونَزُولهُ ثَابِتٌ بالكِتَابِ وَالسُّنّةِ واجْمَاعِ الأمّةِ ، أمّا الكِتَابُ فَقَوْلُه تَعالى ﴿ وَإنْ مِنْ أهْلِ الكِتَابِ إلا ليُؤْمِنَنَّ بهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ أي لَيُؤْمِنَنَّ بِعِيْسَى قَبْلَ مَوْتِ عيْسَى ، وذلك عندَ نُزُوْلِه مِنْ السَّمَاءِ آخِرَ الزّمَانِ ، حَتّى تكوُن المِلّةُ وَاحِدَةً ، مِلّةُ ابْرَاهِيْمَ عليهِ السَّلامُ .

وأمَّا السُّنَّةُ ففِي الصَّحِيْحَيْن وَغَيْرِهِمَا عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عنه قَالَ قَالَ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم « والذِيْ نَفْسِي بيدِهِ ليُوْشِكّن أنْ يَنْزِلَ فيْكُم ابْنُ مَرْيَمَ ، حَكَماً عَدْلاً ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيْبَ ، وَيَقْتُلُ الخِنْزِيْرَ ، وَيَضَعُ الجزْيَةَ ، وَيَفِيْضُ المالُ حَتَّى لا يَقْبَله أحَدٌ ، حَتّى تكوُنَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْراً مِنْ الدنْيَا ومَا فِيْهَا » .

وَأمّا الاجْمَاعُ فقدْ أجْمعَتْ الأُمَّةُ عَلَى نُزُوْلِه ، وَلَمْ يُخَالِفْ فِيْهِ أحَدٌ مِنْ أهْلِ الشَّرِيْعَةِ ، وَقَدْ انْعَقَدَ الاجْمَاعُ عَلَى أنّهُ يَنْزِلُ ، ويَحْكمُ بهَذِه الشَّرِيْعَةِ المحَمَّدِيَّةِ .

وعن عائِشَة رضْيَ اللهُ عنهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسَلمَ « يَنْزِلُ عيْسَى بْنُ مَرْيَمَ ، فيَقْتُلُ الدَّجَّالَ ، ثُمَّ يَمْكُثُ في الأرْضِ أرْبَعْينَ سَنةً ، إمَاماً عَادِلاً وحَكماً مُقْسِطاً » رَوَاهُ أحْمَدُ وَابْنُ عَساكِرَ وأبُو يَعْلَى .

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عنهُ قَالَ « يَمْكُثُ عِيْسَى أرْبَعْينَ سَنَةً ، ثُمّ يُتَوفَّىٰ ويُصَلِّيْ عليْهِ المُسْلِمُونَ ، ويُدْفنُ عنْدَ نَبِيِّنَا صَلى اللهُ عليه وسلم » رواهُ أحْمَدُ وأبُو دَاوُدَ وابْنُ حِبّانَ وعَنْ أبِيْ هُـرَيْرَةَ أنّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم قالَ « لَيُهِلَّنَّ عِيْسَى بْنُ مَرْيَمَ بفَجِّ الرَّوْحَاءِ بالحَجِّ أو العُمْرَةِ ، أوَ لَيُثَنِّيَنَّهَا جَمِيْعاً » وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ أنّ النبي صلى اللهُ عليه وسَلمَ قَالَ « الأنَبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلّاتٍ ، أمَّهَاتُهم شَتّى وَدِيْنُهم وَاحِدٌ ، وَإنّي أوْلَى النَّاس بِعِيْسى بْنِ مَرْيَمَ ، لأنّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَإنَّهُ نَازِلٌ ، فَإذا رَأيْتُموهُ فاعْرِفُوُه ، رَجُلٌ مَرْبُوعٌ ، إلى الحُمْرَةِ وَالبياضِ ، عليْه ثَوبَان مُمَصَّرَانِ ، كَأنَّ رَأسُهُ يَقْطِرُ ، وَإنْ لَمْ يُصِبْهُ بَللٌ ، فيَدُقُّ الصَّلِيْبَ ، وَيَقْتُلُ

الخِنْزِيرَ وَيَضعُ الجِزْيَةَ ، وَيَدْعُو النَّاسَ إلىَ الاسْلامِ ، ويُهْلِكُ الله في زَمانه المِلَلَ كُلَّهَا إلاَّ الاسْلامَ ، ويُهْلِك اللهُ في زَمانِه المسيحَ الدّجالَ ، ثُم تقعُ الأمانَةُ علَى الأرْضِ ، حَتّى تَرْتَعَ الأُسُودُ مَع الابل ، والنُّمَارُ مع البَقَرَ وَالذِئـآبُ مَعَ الغَنَمِ ، ويَلعَبُ الصِّبْيَانُ بالحَيَّاتِ لا تضُرُّهُم » الحَدِيْث .

وَمِنْ عَلامَاتِ السَّاعَةِ العُظْمَى خُرُوجُ يأجُوجَ ومَأجُوج ، وَهُوَ ثَابِتٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ والاجْمَاعِ ، أمّا الكتَابُ فقولُه تَعالى ﴿ حَتّى اذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمأْجُوج ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، وَاقْتَرَب الوَعْدُ الحَقُّ ﴾ وَأمَّا السّنَةُ فِفي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ من حَدِيْثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللهُ عنه عن النبي صلى اللهُ عليه وسَلم أنَهُ قَالَ « إنَّ اللهَ تَعالى يُوْحِيْ إلَى عِيْسَى بْنِ مَرْيَم عَليْهِ السَّلامُ ، بَعْدَ قَتْلِهِ للدَّجالِ ، إنّي قد أخرَجْتُ عِبَاداً لِيْ لا يَدَانَ لأحَدٍ بقِتَالِهِمْ ، فَحرِّزْ عِبَادِي إلى الطُّوْرِ ، ويَبْعَثُ اللهُ يأجُوْجَ ومأجُوجَ ، وهُمْ مِن كُلِّ حَدبٍ يِنسِلُونَ ، فَيَمُرُّ أوَلُهم على بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ ، فَيَشْربُونَ مَا فِيْهَا ، ويَمُرُّ آخِرهُمْ فَيَقُولُونَ: لقدْ كَانَ بِهَذِهِ مَاءٌ ، ويَحْصُرُونَ عِيْسَى وَأصْحَابَهُ حَتّى يَكُونَ رَأسُ الثَّورِ لِأحَدِهم خَيْراً مِنْ مِائَةِ دِيْنَارٍ » .

وَقَالَ صلى اللهُ عليه وسلمَ « لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتّى يَكُونَ عَشْرُ آيَـاتٍ ، طُلُوعُ الشَّمْسِ من مَغْرِبَهـا ، وَالدُّخَـانُ ، وَالدَّابَـةُ ويَأجُـوجُ ومَأجُوجُ ، ونُزولُ عِيْسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وثَلاثَةُ خُسُوفاتٍ وَنارٌ تخرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ » الحديث ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ من حَدِيْثِ حُذَيفَةَ بْنِ أُسَيْدٍ ، وهُوَ في مُسْلِم وذكَر فيهِ « خسْفٌ بالمشْرِقِ ، وخَسْفٌ بالمغْرِبِ ، وخَسْفٌ بجَزيرَةِ العَرَبِ » .

وَعَنْ أبي سَعِيْدٍ : قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صَلى اللهُ عليـهِ وسَلم « لَيُحَجَّنَّ هَذا البَيْتَ وَلَيُعْتَمرَنَّ بعْدَ خُرُوجِ يأجُوجَ ومَأْجُوجٌ » أخْرَجَهُ البُخارِيّ .

وَمِنْ العَلَاماتِ العُظْمَى هَدْمُ الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ ، أخْرَجَ ، البُخارِيّ ومُسْلِمٌ مِنْ حَدِيْثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عنْهُ عَنْ النَّبي صلى الله عليه وسلمَ أنَّهُ قَالَ « يُخَرِّبُ الكَعْبَةَ ذُوْ السُّوَيْقَتَيْنِ مِنْ الحَبَشَةِ » وَأخْرَجَ الامَامُ أحْمَدُ مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا نَحوَهُ وَزَادَ « وَيَسْلِبُها حُلِيُّهَا ، ويُجرِّدُهَا مِنْ كِسْوتِهَا ، فَلَكَأنِّيْ أنْظُرُ إليْهِ ، أُصَيْلِعُ أفيْدِعُ ، يَضْرِبُ عَليْهَا بِمِسْحَاتِهِ أو مِعْوَلِه » وعَن ابْنِ عَباسٍ أنَّ النبي صلى اللهُ عليه وسلمَ قالَ « كأنِّيْ أنْظُرُ اليْهِ » ـ يَعْنِيْ ذَا السُّوَيْقَتَيْنِ ـ « أسْوَدَ افْحَجَ يَنْقُضُهَا حَجَراً حَجَراً » يَعْنِيْ الكَعَبَة رَوَاهُ أحْمَدُ .

وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلَم « في آخِرِ الزمَانِ يَخْرُجُ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ عَلَى الكَعْبَةِ » قَال: حَسِبْتُ أنُه قَالَ « فيَهْدِمُهَا » رَوَاهُ أحْمَدُ .

وَرَوَى البَزَّارُ عَنْ أبي سَعِيْدٍ عن النبي صَلى اللهُ عليه وسَلمَ « لا تَقُومَ السَّاعَةُ حتَّى لا يُحَجَّ البَيْتُ » .

وَمِنْ علاَمَات السَّاعَةِ العُظْمَى الدُّخانُ ، قَالَ العُلَماءُ آيَةُ الدُّخَانُ ثَابتَةٌ بالكتابِ وَالسّنَةِ ، أمَّا الكتَابُ فَقَوْلُهُ تَعالَى ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأتِي السَّمَاءُ بدُخَانٍ مُبِيْنٍ ﴾ قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ وَابْنُ عُمَرَ وَالحَسَنُ وَزيدُ بنُ عَليّ رَحِمَهُم الله تَعالَى : هُوَ دُخَانٌ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ ، يَدْخُلُ في أسْمَاعِ الكُفَّارِ وَالمنَافِقِينَ ، ويَعْتَرِيْ المُؤْمِنَ كَهيئَةِ الزُّكَامِ ، وتكوْنُ الأرْضُ كُلُّها كَبيْتٍ

أَوْقَدَ فيْهِ ، وأمَّا السُّنَّةُ فأخْرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيْثِ حُذَيفَةَ رَضْيَ اللهُ عنه قَالَ طَلَعَ علينَا رسُولُ الله صلى الله عليه وسَلم ، ونحنُ نتذاكَرُ ، فقالَ « ما تَذَاكَرُونَ » قَالُوا : السَّاعَةَ يَا رسُولَ الله . . قالَ « إنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا فِيْهَا آيَاتٍ » فذَكَر مِنهَا الدُّخانُ . وَرَوَاهُ التّرمِذّي وَابْنُ مَاجَهْ ، وَانَّهُ يَمْكُثُ في الأَرْضِ أرْبَعِيْنَ يَوْماً ، وفي حَدِيْثِ حُذَيْفَة بْنِ اليَمانِ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ « إنّ مِنْ أشْرَاطِ السَّاعَةِ دُخَانَا يمْلأ مَا بَيْنَ المشْرِقِ وَالمغْرِبِ ، يَمْكُثُ في الأَرْضِ أرْبَعِيْنَ يَوماً ، فأمّا الُمؤْمِنُ فيُصِيْبُه مِنْهُ شِبْهُ الزّكام ، وأما الكافِرُ فيَكونُ بمَنْزلَةِ السّكْرَانِ يَخرُجُ الدُّخَانُ مِنْ فيْهِ ومِنْخَرِيْهِ ، وعَيْنَيْهِ وَأُذنَيْهِ ، وَدُبُرهِ » رَواهُ الطَبَرانِيّ .

ومنْ عَلاَمَاتِ السَّاعَةِ العُظْمَى رَفْعُ القُرْآنِ العَظِيْمُ مِنْ الصُّدُورِ والسُّطُورِ ، وهِيَ مِنْ أشَدّ مُعْضِلاتِ الأمُورِ ، فأخَرج الدّيْلَمِي مِنْ حَدِيْثِ أبي هُرَيْرة رَضْيَ اللهُ عنْهَ مَرْفُوعاً « يُسْرَى عَلَى كتابِ اللهِ لَيْلاً ، فيُصْبحُ النَّاسُ وَلَيْسَ مِنْهُ آيَةٌ ولا حَرْفٌ في جَوْفٍ إلا نُسِخَتْ » وَعِنْدَ الدّيْلَمِيّ مِنْ حَديْثِ ابْنِ عُمَرَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُما « لا تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى يَرْجَع القُرْآن منْ حَيْثُ جَاءَ ، لهُ دَوِيٌّ حَوْلَ العَرْشِ كَدوِيِّ النَّحْلِ ، فيَقُولُ اللهُ عز وجَلّ : مَا لكَ ؟ فيَقُولُ: مِنْكَ خَرجْتُ وإليكَ أعُوْدُ ، أُتْلَى فلا يُعْمَلُ بي » وَأخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيْثِ حُذَيْفَة رَضْيَ اللهُ عنْهُ مَرْفُوعاً « يَدْرَسُ الاسْلامُ ، حتّى لا يَدْرُونَ مَا صِيَامٌ ولا صلاةٌ ولا نُسُكٌ وَلا صَدَقَةٌ ، ويُسْرَىْ على كِتَابِ اللهِ في لَيْلةٍ ، فلا يَبْقَى في الأرْضِ مِنْهُ آيَةٌ » .

فعليك يا أخي بالاكثار من تِلاوَتِهْ قَبْلَ أن يرفع .

شِعْرا :

أعَزُّ مَكانٍ في الدنا بَيْتُ رَبِنَا   وخَيْرُ جَليْسٍ في الزّمَانِ كِتَابُهُ

آخـــر :

عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ في كُلِ سَاعَـةٍ   فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَذْكُـرُ

اللهم وَفقنا لِمَا وَفقت إليه القوم وأيقظنا مِن سِنَةِ الغفلة والنوم وأرزقنا الاستعداد لِذَلِك اليوم الذي يَرْبَحُ فيه المتقونَ اللهم وعاملنا بإحسانك وَجُدْ علينا بفضلكِ وامتنانك واجعلنا مِن عِبادِكَ الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يَحزنون اللهم ارْحَمْ ذَلنا بين يديك واجعل رغبتَنَا فيما لديك ولا تحرمنا بذنوبنا ولا تطردنا بعُيُوبنا واغفر لنا ولوالدينا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيَن الأَحْياءِ منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وَصَحْبِهِ أَجْمَعين .

(فَصْــلٌ)

وَمِنْ عَلاَمَاتِ السَّاعَةِ وَاشْرَاطِهَا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا قَالَ العُلَمَاءُ رَحِمَهُم اللهُ : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ثَابِتٌ بالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً ايْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أو كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْراً .

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا عِدَّةُ أَحَادِيْثَ ، مِنْهَا ما أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ في صَحِيْحِهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ أوّلَ الآياتِ خُرُوْجاً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَخُرُوْجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى ، وأَيَّتُهُمَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالأُخْرَى عَلَى أَثَرِهَا ، قَرِيْبَاً مِنْهَا ، وَأخرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيْثِ أَبِيْ ذَرٍّ الغِفَارِيّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْما « أَتَدْرُوْنَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ ؟ » قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُه اعْلَمُ . قَالَ « إنّ هَذِهِ تَجْرِيْ حَتَّى تَنْتَهِي إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ العَرْشِ ، فَتُخِرُّ سَاجِدَةً ، فَلاَ تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالُ لَها ارْجِعِيْ مِنْ حَيْثُ جِئْتِ ، فَتَرْجِعُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا تَجْرِيْ لاَ يَسْتَنْكِرُ النَاسُ مِنْهَا شَيْئاً ، حَتَّى تَنْتَهِي إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَلِكَ تَحْتَ العَرْشِ ، فَيُقَالُ لَهَا ارْجِعِي

ارْتَفِعِيْ ، اصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا » ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ « أتَدْرُون مَتَى ذَلِكُم ؟ » حِيْنَ ﴿لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيْمَانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ الآيَة .

وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها ، فاذا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا جَمِيْعَاً ، فَذَلِكَ حِيْنَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيْمَانُهَا » أخرَجَهُ البُخَارِيّ .

وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسَلم « إنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَاباً مَفْتُوحاً عَرْضُهُ سَبْعُوْنَ سَنَةً ، فَلاَ يَزَالُ ذَلِكَ مَفْتُوْحَاً لِلتَّوْبَةِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن نَحْوِهِ ، فَإِذا طَلَعَتْ مِنْ نَحْوِهِ ﴿لاَ يَنْفَعُ نفساً ايْمَانُها لم تكنْ آمَنَتْ من قَبْلُ ، أو كَسَبَتْ في أيْمَانِهَا خَيْراً﴾ أخرَجَهُ ابنُ ماجَهْ .

وَعَنْ أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عنه قال قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تطلُعَ الشَّمْسُ من مَغْرِبِهَا فاذا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أجْمَعِيْنَ ، فَذَلِكَ حِيْنَ ﴿لاَ يَنْفَعُ نَفْساً ايْمَانُها لم تكُنْ آمَنَتْ من قَبْلُ﴾ فقَرَأ الآيَةَ أخرَجَهُ أبو دَاوُدَ .

وَالمَقْصُودُ أنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْ قَبْلُ أَنْ يَأتِي بَعْضُ الآيَاتِ ، لا يَنْفَعُهُ إِيْمَانُهُ إنْ آمَنَ بَعْدَ إتيانِها ، وَلاَ يَحْصُلُ لِلْمُؤْمِنِ المُقصِّرِ أنْ يُزَادَ خَيْرُهُ بعدَ ذَلِكِ ، بَل يَنْفَعُه مَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الأيْمَانِ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَمَا كَانَ لَهُ مِنْ الخَيْرِ المَوْجُودِ قَبْلَ أنْ يَأتِي بَعْضُ الآيَاتِ ، وَالحِكْمَةُ ظَاهِرَةٌ ، فإنه إنّما كانَ الأيْمَانُ يَنْفَعُ إذا كانَ بالغَيْبِ وَكَانَ اخْتِيَارًا مِنْ العَبْدِ ، فَأمَّا بَعْدَ وُجُودِ الآياتِ فَيَصِيْرُ الأمْرُ شَهادَةً ، وَلَمْ يَبْقَ للأيْمَانِ فَائِدَةٌ ، لِأنَّهُ يُشْبِهُ الأيْمَانَ الضَّرُوْرِيّ ولِهَذا لَمّا أدْرَكَ فِرْعَوْنَ الغَرَقُ ، وَجَزَمَ بالهَلاَكِ ، ﴿قَالَ

آمَنْتُ أنَهُ لا إلَهَ الا الذي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا اسْرَائِيلَ وَأنا مِنْ المُسْلِمِيْنَ ﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَى مُبَيّناً أنَّ هَذَا الأيْمَانَ فِي هَذِهِ الحَالَةِ غَيْرُ نَافِع . ﴿ الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنْ المُفْسِدِيْنَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى مُخْبِراً عَن أمْثَالِ فِرْعَوْنُ مِمَّنْ عَايَنُوْا بأسَ اللهِ ، وَأدْرَكُوا الغُرُورَ ، وَاعْتَرَفُوا بِمَا كَانُوا يُنْكِرُون ، وَأقَرُّوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ ، وَكَفَرُوا بِشُرَكَائِهِم مِن دُوْنِهِ ، وَلَكِنْ الأوَانَ كَانَ قَدْ فَاتَ ﴿ فَلَمَّا رَأوْا بأسَنَا قَالُوا آمَنَّا باللهِ وَحْدَهُ ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِيْنَ ، فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُم ايْمَانُهم لما رَأوْا بَأسَنَا ، سُنَّةَ الله التي قَدْ خَلَتْ في عِبَادِهِ﴾ ذَلِكَ أن سُنّةَ اللهِ قَد جَرَتْ عَلَى أنْ لَا تُقْبَلَ التَّوْبَةُ بَعْدَ ظُهُوْرِ بأسِ اللهِ فَهِيَ تَوْبَةُ فَزَعٍ وَخَوْفٍ ، لَا تَوْبَةُ إِيْمَانٍ صَحِيْحٍ .

شعرا : وَلَمَّـا دَنَى مِنِّيْ السِّيَـاقُ تَـعَـطَّفَتْ
عَلَيَّ وَعِنْـدِي عَنْ تَعَـطُفِهَـا شُغْـلُ
أَتَتْ وحِيَاضُ المَـوْتِ بَيْنِيْ وبَيْنِها
وَجَادَتْ بِوَصْلٍ حِيْنَ لا يَنْفَعُ الْوَصْلُ

وَهَذِهِ سُنَّةُ اللهِ في جَمِيْعِ الكُفَّارِ ، إذَا وَصَلُوا إلَى هَذِهِ الحَالَةِ الأضْطِرَارِيَّةِ ، أنَّهُ لَا يَنْفَعُهُم الأيْمَانُ ، لِأنَّ إِيْمَانهُم صَارَ مُشَاهَدَاً ، كَأيْمَانِ الـوَارِدِيْنَ عَلَى القِيَامَـةِ ، والذي يَنْفَـعُ الأيْمَـانُ بـالغَيْبِ كما قـالَ تعالىَ ﴿ الذِيْنَ يُؤْمِنُونَ بالغَيْبِ ﴾ فالشَّأنُ في الايْمانِ بالغَيْبِ الذي لَمْ يُرَ وَلَمْ يُشَاهَدْ وَإنَّمَا نُؤْمِنُ بِهِ لِخَبَرِ اللهِ وَخَبَرِ رَسُولِهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَعَنْ أَبِي العَالِيَةِ في قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ يُؤْمِنُوْنَ بالغَيْبِ ﴾ ، قَالَ : يُؤْمِنُوْنَ باللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ، وَجَنَّتِهِ وَنَارِهِ ، وَلِقَائِهِ ، وَيُؤْمِنونَ بِالحَيَاةِ بَعْدَ المَوْتِ ، وبِالبَعْثِ فَهذَا غَيْبٌ كلُّهُ . ا هـ قَالَ في لَوَائِح الأنْوَارِ : فَيَتَلَخَّصُ مِنْ مَجْمُوْعِ الأحَادِيْثِ المَذْكُوْرَةِ ، وَمَا

في مَعْنَاهَا مِمَّا هُوَ مُسطَّرٌ في الدُّرِّ المَنْثُورِ لِلسُّيُوطِيّ ، أَنَّ الشَّمْسَ إذا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا لا يَنْفَعُ الإِيْمَانُ المُحْدَثُ في ذَلِكَ اليَوْمِ لِمَنْ كَانَ كافِراً أَوْ مُشْرِكَاً، وَلَا التَّوْبَةُ المُحَدَثَةُ فِيْهِ لِمَنْ كَانَ مُخَلِّطاً ، ولَا أَعْمَالُ البِرِّ المُحْدَثَةِ فِيْهِ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْمَلَهَا قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مُؤْمِنَاً فَانَّ الأَيْمَانَ المُجَرَّدَ عَنْ الأَعْمَالِ السَّابِقَةِ عَلَى ذَلِكَ اليَوْمِ يَنْفَعُ صَاحِبَهُ ، لأَجْلِ نَجَاتِهِ وَايْمَانِهِ المُتَجَدِّدِ يَوْمَئِذٍ يَنْفَعُهُ أَيْضَاً لأَنَّهُ نُورٌ على نُورٍ ، وَإِنْ لَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ عَنْ سَيِّئَآتِهِ ، وَأَنَّ الأَيْمَانَ السَّابِقَ مَعَ التَّخْلِيْطِ يَنْفَعُهُ ، مَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ التي كَانَ يَعْمَلُهَا ، وإِنَّمَا الممنُوْعُ قَبُولُ تَوْبَتِهِ عَنْ تَخْلِيْطِهِ ، وَقَبُولُ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَّصِفاً بِهِ مِنْ الأَيْمَانِ وأَعْمَالِ البِرِّ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ ،وَالضَّابِطُ أنَّ كُلَّ بِرٍّ مُحْدَثٍ يَكُونُ السَّبَبُ في إِحْدَاثِهِ رُؤْيَةَ الآيَةِ ، وَلَمْ يَسْبِقْ مِنْ صَاحِبِهِ مِثْلُهُ ، لَا يَنْفَعُ سَوَاءٌ كَانَ مِنْ الأُصُولِ أَوْ الفُرُوعِ ، وَكُلُّ بِرٍّ لَيْسَ كَذَلِكَ ، لِكَوْنِ صَاحِبِهِ كانَ عَامِلاً بِهِ قَبْلَ رُؤْيَةِ الآيَةِ يَنْفَعُ ، وَهَذَا التَّحْقِيْقُ نَبَّهَ عَلَى مِثْلِهِ الأَمَامُ المُحَقِّقُ العَلاَّمَةُ ابْنُ مُفْلِح في الاداب ، قَالَ في قَوْلِهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إذا طَلَعَتْ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا طَبَعَ اللهُ عَزَّ وَجلَّ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيْه ، وَكَفَى النَّاسُ العَمَلُ » : لَيْسَ المرَادُ بِهَذَا الخَبَرِ تَرْكُ مَا كَانَ يَعْمَلُهُ مِنْ الفَرَائِضِ - أَيْ وَكَذَا مِنْ النَّوَافِلِ - قَبْلَ طُلُوْعِ الشَّمْسِ مِنْ المَغْرِبِ ، فَيَجِبُ الأَتْيَانُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُهُ مِنْ الفَرَائِضِ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَيَنْفَعُهُ مَا يَأتِيْ بِهِ مِنْ الأَيْمَانِ الذِيْ كَانَ يَأتِيْ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَكَفَى النَّاسَ العَمَلُ ؛أَيْ عَمَلا لم يكونوا يَعْمَلُونَهُ ، وحَكَى ابْنُ الجَوْزِيّ عَنْ الضَّحَّاكِ أَنَّ مَنْ أَدْرَكَهُ بَعْضُ الآياتِ وَهُوَ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ مَعَ إِيْمَانِهِ قُبِلَ مِنْهُ كَمَا يُقْبَلُ مِنْهُ قَبْلَ الآيَةِ ، قَالَ ابْنُ مُفْلِحٍ : فَالعَمَلُ الصَّالِحُ الذِي سَبَبُهُ ظُهُورُ الآيَةِ اضْطَرَّتْهُ إِلَيْهِ،وَأَمَّا مَا كَانَ يَعْمَلُهُ فظُهُوْرُ الآيَةِ لا تأثِيْر لَهَا فِيْهِ،فَبَقِيَ الحُكْمُ كَما قَبْلَ الآيَةِ .

اللهُمَّ قَوِّ إيْمَانَنَا بِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِمَلاَئِكَتِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وبالقدرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . اللهُمَّ ثَبِّتْنَا على قَوْلِكَ الثَّابِتِ في الحَيَاةِ الدنيا وفي الآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

شعرا : كُل يَزُوْلُ وَكُلٌّ هَالِكٌ فَانِ
إلا الالهُ وَمَا لِلهِ مِن ثَانِ
قَضَى وَقَدَّرَ تَقْدِيْراً فَأتْقَنَهُ
سُبْحَانَهُ هُوَ ذُو عِزٍ وسُلْطَانِ
فَارْضَوا بِمَا قَدَّرَ الجَبَّارُ واحْتَسِبُوا
إنَّ الرِّضَا بالقَضَا حَقٌّ لِديَّانِ
وَبَادِرُوْا بِثَنَاءِ اللهِ وارْتَجِعُوْا
عِنْدَ المَصَائِبِ في سِرٍ وَإعْلاَنِ
لا تَأسَفَنَّ عَلَى مَا فَاتَ مِن عَرَضٍ
فَالرَّبُ يَخْلِفُهُ فَضْلاً بِاحْسَانِ
هَذِيْ الحَيَاةُ وَرَبي صَفْوُهَا كَدَرٌ
لاَ بُدَّ زَائِلَةٌ عَن كُل إنْسَانِ
يَشْقَى اللَّبِيْبُ وَيُمْسِي فِيْهَا ذَا عَطَبٍ
تَبّاً لَهَا دَارُ أكْدَارٍ وأَحْزَانِ
إنَّ المُصَابَ الذِي يَأتِي بِلاَ عَمَلٍ
يومَ المَعَادِ وَمَنْ يُجْزَى بِحِرْمَانِ
وما أَصَابَ جَمِيْعَ الناسِ مِن ضَرَرٍ
إلاَّ بِظُلْمِهُمُوا شُؤْمٍ وعِصْيَانِ

نَسْتَغْفِـرُ اللهَ قَدْ بَـانَتْ جَرَاءَتُنَـا
عَلَى الا إِلَـهَ ولم نَسْخَطْ لِشَيْـطَانِ
نَحْنُ المُسِيْؤُونَ نَحْنُ التَّابِعُوْنَ هَوَى
نَحْنُ الأُلَى خَلَطُوا ذَنْبَـاً بِعِصْيَـانِ
وَنَحْنُ في غَفْلَةٍ عَمَّـا أُرِيْـدَ بِنَـا
وَالكُـلُّ في سَكْـرَةٍ وَيْحَـاً لِسَكْـرَانِ
ولم نُـرَاقِبْ إِلهَ العَـرْشِ في عَمَلٍ
وَذَا وَرَبِّـكَ مِنَّـا ضُعْفُ إِيْمَـانِ

اللَّهُمَّ ثَبت مَحَبَّتَكَ في قَلوبنا وَقَوِّهَا ووفقنا لِشُكركَ وذكرك وارزقنا التأهُبَ والاسْتِعْدَادِ لِلِقَـائِـكَ واجْعَـلْ خِتَـامَ صَحَائِفِنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ واغفر لنا

اللهُمَّ ثَبِّتْ مَحبَّتَكَ وَمَحَبَّةَ كُتُبِكَ وَمَلائِكَتِكَ وَرُسُلِكَ وَأَوْلِيائِكَ فِي قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُوْرِ الإِيْمانِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَجميع المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنا مُحمَّد وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِين .

« فَصْـلٌ »

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ وَأَشْـرَاطِهَا خُـرُوجُ الدَّابَّـةِ مِنَ الأَرْضِ ، وَخُرُوجُهَا ثابتٌ بالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، قالَ اللهُ تَعالَى ﴿ وَاذا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِم أَخْرَجْنَا لَهُم دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ ، تُكَلِّمُهم أَنَّ النَّاسَ كَـانُوا بِـآيَاتِنـا لا يُوْقِنُونَ ﴾ وَهَذِهِ الدَّابَّة تَخْرُجُ في آخِرِ الزَّمَانِ ، عِنْدَ فَسَـادِ النَّاسِ ، وَتَرْكِهم أَوَامِرَ اللهِ ، وَتَبْدِيْلِهم الدِّيْنَ الحَقَّ وَتُكَلِّمَهُم ، وَالـدَّلِيْلِ مِنَ السُّنَّةِ مَا وَرَدَ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أُسَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسَلم قالَ « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آياتٍ » فذكَرَ مِنْهَا الدَّابَّةَ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَنس أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلَّمَ قالَ « بَادِرُوا بالأعْمَالِ سِتّا » فَذَكَرَ « وَدَابّةَ الأَرْضِ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ ، وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُمَرَ، في حَدِيْثٍ طَوِيْلٍ جَاءَ فِيْهِ: قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الدَّابَّةَ فقالَ « لَهَا ثلاثُ خَرَجَاتٍ فِي الدَّهرِ فَتَخْرُجُ خَرْجَةً مِنْ أَقْصَى البَادِيَةِ ، وَلَا يَدْخُلُ ذِكْرُهَا القَرْيَةَ ، أَعْنِي مَكَةَ ، ثم تكْمُنُ زَمَناً طَوِيْلاً ، ثم تَخْرُجُ خَرْجَةً أُخْرَىٰ دُوْنَ تِلْكَ ، فَيَعْلُو ذِكْرُهَا في أَهْلِ البَادِيَةِ ، وَيَدْخُلُ ذِكْرُهَا القَرْيَةَ ، يَعْنِيْ مَكَّةَ قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « ثُمَّ بَيْنَمَا النَّاسُ فِي أَعْظَمِ المَسَاجِدِ وَأَكْرَمِهَا المَسْجِدِ الحَرَامِ ، لَمْ يَرُعْهُم إِلَّا وَهِيَ تَرْغُوْ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالمقامِ ، تَنْفُضُ عَن رَأْسِهَا التُّرَابَ فَارْفَضَّ النَّاسُ عَنْهَا شَتَّى وَمَعا ، وَتَثْبُتُ عِصَابَةٌ مِنْ المُؤْمِنِيْنَ وَعَرَفُوا أَنَّهُم لَمْ يُعْجِزُوا اللهَ ، فَبَدَأَتْ بِهِمْ فَجَلَتْ وُجُوْهَهُم حَتَّى جَعَلَتْهَا كالكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ ، وَوَلَّتْ في الأَرْضِ لَا يُدْرِكُهَا طَالِبٌ ، وَلَا يَنْجُو مِنْهَا هَارِبٌ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَعَوَّذُ مِنْهَا في الصَّلاةِ ، فَتَأْتِيْهِ مِنْ خَلْفِهِ فَتَقُولُ : يَا فُلَانُ الآنَ تُصَلِيْ ، فَيُقْبِلُ عَلَيْهَا فَتَسِمُه في وَجْهِهِ ، ثُمَّ تَنْطَلِقُ ، وَيَشْتَرِكُ النَّاسُ في الأَمْوَالِ وَيَصْطَحِبُونَ في الأَمْصَارِ ، يُعْرَفُ المُؤمِنُ مِنْ الكافِرِ ، حَتَّى إِنَّ المُؤمِنَ لَيَقُولُ يَا كَافِرُ اقْضِنِيْ حَقِّيْ ، وَحَتَّى إِنَّ الكافِرَ يَقُولُ يَا مُؤْمِنُ اقْضِنِيْ حَقِّيْ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وَسَلم « تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ ، وَعَصَا مُوْسَى بْنِ عُمْرَانَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ ، فَتَجْلُو وَجْهَ المُؤمِنِ بالعَصَا ، وَتَخْطِمُ أنفَ الكَافِرِ بالخاتَمِ ، حَتّى إِنَّ أَهْلَ الخِوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ ، فَيَقُولُ هَذَا : يَا مُؤْمِنُ . وَيَقُولُ هَذَا : يَا كَافِرُ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَأَحْمَدُ .

وَمِنْ عَلاَمَاتِ السَّاعَةِ خُرُوجُ النَّارِ التِي تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنْ تَحْشُرُ النَّاسَ إلى مَحْشَرِهِم ، تَبِيْتُ حَيْثُ باتُوا ، وَتَقِيْلُ حَيْثُ قَالُوا ، وَقَدْ ثَبَتَ ذَلِكَ بالسُّنَّةِ ، فَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قالَ قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم « يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلاَثِ طَرَائِقَ ، رَاغِبِيْنَ وَرَاهِبِيْنَ ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيْرٍ ، وَثَلاَثَةٌ عَلى بَعِيْرٍ ، وَعَشْرَةٌ عَلَى بَعِيْر ، وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُم النَّارُ ، تَقِيْلُ مَعَهُم حَيْثُ قَالُوا ، وَتَبِيْتُ مَعَهُم حَيْثُ بَاتُوا ، وَتُصْبِحُ مَعَهُم حَيْثُ أَصْبَحُوا ، وَتُمْسِيْ مَعَهُم حَيْثُ أَمْسُوْا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أُسَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلم « لَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ وَمِنْهَا « نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمن ، تَطْرُدُ النَّاسَ إلى مَحْشَرِهِم » رَوَاهُ السِّتَّةُ الا البُخَارِيّ ، وَعَنْ أَنَس رَضِيَ اللهُ عنهُ ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنِ سَلاَمَ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلم عَنْ أَوَّلِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ . فقالَ « نارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إلَى المَغْرِبِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ، أَوْ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ ، تَحْشُرُ النَّاسَ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا تَأْمُرنَا ؟ قالَ « عليْكُم بالشَّامِ » أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ والتِّرْمذيّ .

تَنْبِيْهٌ :

وَرَدَ عَن النبي صلى اللهُ عليه وَسَلمَ أَنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ إلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ ، فَقَدْ أَخْرَجَ الإمَامُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيْثِ ابن عُمرَ رَضِي اللهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلمَ « تَجِيْءُ بَعدَ عِيْسَى عليهِ السَّلامُ رِيْحٌ بَارِدَةٌ مِنْ قِبَلِ الشَّامِ ، فلا تُبْقِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحداً في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَةٍ مِنَ الإيْمَانِ إلا قَبَضَتْهُ ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُم دَخلَ

في كَبَدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ ، فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ ، وَأَحْلاَمِ السِّبَاعِ ، لاَ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفاً ، وَلاَ يُنْكِرُونَ مُنْكَراً فَيَتَمَثَّلُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ ، فَيَقُولُونَ مَا تَأْمُرنَا ؟ فَيَأْمُرَهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ فَيَعْبُدُونَهَا وَهُم في ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهم، حَسَنٌ عَيْشُهُم ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّوْرِ » وَأَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ أَيْضاً وَالتِّرْمذِيّ مِنْ حَدِيْثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ « فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيْحاً طَيِّبَةً ، فَتَأْخُذُ تَحْتَ آبَاطِهِم ، فَتَقْبِضُ رُوْحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِم ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ تَهَارُجَ الحُمُرِ » ـ أَيْ يَتَسَافَدُونَ تَسَافُدَ الحُمُرِ جَمْعُ حِمَارٍ ـ « فَعَلَيْهِم تَقُومُ السَّاعَةُ » .

وفي حَدِيْثِ أبي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الحَاكِمْ « أَنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيْحَاً مِنَ اليَمَنِ ، أَلْيَنُ مِنْ الحَرِيْرِ ، فَلاَ تَدَعُ أَحَداً في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبّةِ خَرْدَلٍ مِنْ ايْمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ » .

وَقَالَ السَّفَارِيْنِي نَاظِماً لِلْعَلاَمَاتِ العِظَامِ ، وَالأَشْرَاطِ الجِسَام ، التِي تَعْقِبُهَا السَّاعَةُ .

وما أتى بالنص مِن اشْرَاطِ
فكُلُّهُ حَقٌّ بلا شِطَاطِ
منها الامامُ الخاتِمُ الفَصِيْحُ
مُحَمَّدُ المَهْدِيُ وَالمَسِيْحُ
وأنه يَقْتُلُ لِلدَّجَالِ
بِبَابِ لِدُّخلِّ عن جِدَالِ
وَأَمْرَ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ أَثْبِتِ
فَإِنَّهُ حَقٌّ كَهَدْمِ الكَعْبَةِ

وَأَنَّ مِـنْـهَـا آيَـةُ الـدُّخـان
وأنَّـهُ يُـذْهَـبُ بِـالـقُـرآنِ
طُـلُوعُ شَمْسِ الأُفْـقِ مِن دَبُـورِ
كَـذَاتِ أَجْيَـادٍ على الـمَشْهُـوْرِ
وآخِـرُ الآيـاتِ حَـشْـرُ الـنَّـارِ
كَمَـا أَتَى في مُحْكَمِ الأَخْبَـارِ
فَـكُـلُّهَـا صَـحَّتْ بهـا الأَخْبَـارُ
وَسَـطَّرَتْ آثَـارَهَـا الأَخْـيَـارُ

وقَال القَحْطَاني:

أَيْقِنْ بـأشِـراط القِيَـامَـةِ كُـلِّهَـا
واسْمَـعْ هُـدِيْتَ نَصِيْحَتِي وَبَيَـانِيْ
كالشَّمسِ تطلَعُ مِن مَكَان غُرُوبِها
وَخُـرُوجِ دَجَّـالٍ وَهَـوْلِ دُخَـانِ
وَخُـرُوْجِ يَـأْجُـوْجٍ وَمـأْجُـوجٍ معاً
مِن كُلِّ صَقْـعٍ شـاسِـعٍ وَمَكَـانِ
« ونُـزُوْلِ عِيْسَى قـاتِـلاً دَجَّـالَهُمْ
يَقْضِيَ بِحُكْمِ العَـدْلِ والإحسـانِ »

اللهم يَا مُصْلِحَ الصَّالِحِيْنَ أَصْلِحْ فَسَادَ قُلُوْبِنَا واسْتُرْ في الدُّنْيَا والآخِرَة عُيُوْبَنَا واغْفِرْ بِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ ذُنُوْبَنَا ، وَهَبْ لَنَا مُوْبِقَاتِ الجَرَائِرِ واسْتُرْ عَلَيْنَا يَا مَوْلاَنَا فَاضِحَاتِ السرائِر ، ولا تُخْلِنَا في مَوْقِفِ القِيَامَةِ من بَرْدِ عَفْوك وَغُفْرَانِك ولا تَتركْنَا مِنْ جَمِيْلِ صَفْحِكَ وَاحْسانِكَ وآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنةً وَقِنَا عَذَاب النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلوالدينا ولجميع المُسْلِمِيْن بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الراحِمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فَصْــلٌ »

اعْلَمْ وَفَّقَنا اللهُ وَإيَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى خَلَقَ الخَلْقَ لِيَعْبُدُوْهُ، وَيَعْرِفُوْهُ وَيَخْشَوْهُ وَيَخافُوهُ، وَنَصَبَ لَهُم الأدِلَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ لِيَهَابُوْهُ، وَيَخافُوهُ خَوْفَ إجْلالٍ، وَوَصَفَ لَهُم شِدَّةَ عَذَابِهِ، وَدَارَ عِقَابِهِ التِيْ أَعَدَّهَا لِمَنْ عَصَاهُ، لِيَتَّقُوهُ بِصَالِحِ الأعْمَالِ، وَلِهَذَا كَرَّرَ سُبْحَانَهُ وَتَعالَى في كِتَابِهِ ذِكْرَ النَّارِ وَمَا أَعَدَّهُ فِيْهَا لأعْدَائِهِ مِنْ العَذَابِ والنَّكالِ وَالاغْلالِ، وَمَا احْتَوتْ عَلَيْهِ مِنْ الضَّرِيْعِ والزَّقُّومِ والحَمِيْمِ وَالسَّلاسِلِ والغَسَّاقِ وَالغِسْلِيْنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِيْهَا مِنَ الأهْوَالِ وَالفَضَائِعِ وَالعَظَائِمِ، وَدَعَا عِبَادَهُ بِذَلِكَ إلَى خَشْيَتِهِ وَتَقْوَاهُ، وَالمُسَارَعَةِ الى امْتِثالِ ما يَأْمُر بِهِ وَيُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَاجْتِنَابِ مَا يَنْهَى عَنْهُ وَيَكْرَهُه وَيَأبَاهُ، وَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلا بِأَنَّ الخَلْقَ وَارِدُوْهَا قالَ تَعالَى ﴿ وَإِنْ مِنْكُم إلَّا وَارِدُهَا، كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا، ثم نُنَجِّيْ الذِيْنَ اتقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِيْنَ فِيْهَا جِثِيًّا ﴾ فأنْتَ مِنْ الوُرُودِ على يَقِيْنٍ، وَمِنْ النَّجَاةِ في شَكٍّ، فَيَا أَيُّها الغَافِلُ السَّاهِيْ عَنْ نَفْسِهِ، المَغْرُورُ بِمَا هُوَ فِيْهِ مِنْ الاشْتِغَالِ بِعَمَائِرِهِ وَأَرَاضِيْهِ وَسَيَّـارَاتِهِ، وَشَـركَاتِـهِ وَمُقَاوَلَاتِـهِ وَزَوْجَاتِـهِ وَأَوْلَادِهِ، وَكُلِّ ما يُلْهِيْهِ عنْ ذِكْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، والالتِفَاتِ الى دَارِ القَرَارِ، دَعْ التَّفكُّرَ وَقَتْلَ الوَقْتِ فِيْمَا أَنْتَ مُرْتَحِلٌ عَنْهُ، وَجَـادَّ في السَّيْرِ عَنْهُ، وَاصْرِفْ فِكْرَكَ فِيْمَا أَمَامَكَ فَاسْتَشْعِرْ في قَلْبِكَ هَوْلَ ذَلِكَ المَوْرِدِ، لَعَلكَ تَسْتَعِدّ لِلنَّجاةِ مِنْهُ وَتَأَمَّلْ في حَالِ الخَلْقِ وَقَد خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِم حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ﴿ مُهْطِعِيْنَ إلَى الدَّاعِ يَقُولُ الكافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ تَفَكَّرْ في ازْدِحَامِ الخَلائِقِ وَقَدْ صَهرَتْهُم الشَّمْسُ، إلَّا مَنْ أَظَلَّهُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ الا ظِلُّهُ، وَاشْتَدَّ الكَرْبُ وَالغَمُّ من الوَهَجِ، وتدافَعَتْ الخلائقُ لِشِدَّةِ

الزِّحَامِ ، وَاخْتِلَافِ الاقْدَامِ ، وَانْضَافَ إلى ذَلِكَ شِدَّةُ الخَجَلِ والحَيَاءِ ، والخَوْفِ مِنْ الفَضَائِحِ وَالاخْتِزَاءِ عِنْدَ العَرْضِ عَلَى الجَبَّارِ ، وَقُرْبُ الشَّمْسِ مِنْ الخَلْقِ فَيَبْلُغُ عَرَقُهم في الأَرْضِ سَبْعِيْنَ ذِرَاعاً ، كَمَا في حَدِيْثِ أَبِيْ هُرَيْرَةَ الذِيْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ :

قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلم « يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُم في الأَرْضِ سَبْعِيْنَ ذِرَاعاً » .

شِعْرَا :

يَضْحَكُ المرءُ والبُكَاءُ أَمَامَهْ ... ويُرُوْمُ البَقَـاءَ والموتُ رَامَـهْ
ويَمْشِي الحَدِيْثُ في كُلِّ لَغْوٍ ... ويُخْـلَى حَدِيْثُ يَومِ القِيَـامَةْ
ولأَمْـرٌ بَكَـاهُ كُلُّ لَبِيْبٍ ... وَنَفَى في الضَّـلامِ عَنْهُ مَنَـامَهْ
صَاحِ حَدِّثْ حَـدِيْثَهُ واخْتَصِرْهُ ... فَمُحَـالٌ بِأَنْ تُطِيْـقَ تَمَـامَهْ
عَجِزَ الوَاصِفُوْنَ عَنْـهُ فَقَـالُوْا ... لَمْ نَجِى مِن بِحَـارِهِ بِكُضَـامَهْ
فلْتُحَدِّثْـهُ جُمْلَـةً وَشَتَاتـاً ... ودَعِ الآنَ شَرْحَهُ ونِظَامَهْ

آخــر :

وَكَيْفَ يَلَذُ العَيْشَ مَنْ هُوْ مُوْقِنٌ ... بِمَوْقِفِ عَدْلٍ يَوْمَ تُبْلَى السَّـرائِرُ
كَأَنَّا نَـرَى أَنْ لَا نُشُوْرَ وَأَنَّنَا ... سُدَىً مَالَنَا بَعْدَ المَمَاتِ مَصَادِرُ
أَلِا لَا وَلَكِنَّـا نَغُـرُّ نُفُوسَنَا ... وَتَشْغَـلُنَا اللَّذاتُ عَمَّـا نُحَـاذِرُ

فَصل : وَتَأَمَّلْ صِفَةَ يَوْمِ القِيَامَةِ وَدَوَاهِيْهِ ، لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَعِدَّ لَهُ قَبْلَ أَنْ تُفَارِقَ الرُّوْحُ البَدَنَ ، وَيُحَالُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَتَنْدَمْ حِيْنَ لَا يَنْفَعُكَ النَّدَمُ ،فَإِنَّ في ذَلِكَ اليَوْمِ الرَّهِيْبِ تَنْفَطِرُ السَّمَاءُ وَالكَوَاكِبُ تَنْتَثِرُ ، وَالبِحَارُ تُفَجَّرُ ،وَالنُّجُومُ تَنْكَدِرُ ،وَالشَّمْسُ تُكوّرُ ،وَالجِبَـالُ تُسَيَّرُ ، وَالعِشَارُ

تُعطِّلُ ، والوُحُوشُ تُحشَرُ ،وَالنفُوسُ تُزوَّجُ ،وَالجَحِيمُ تُسعَّرُ وَالجَنَّةُ تُقرَّبُ ، وَالأَرْضُ تُمَدُّ يَوْمَ ترى الأرْضَ قَدْ زُلْزِلَتْ ، وَأَخرَجَتْ أَثْقَالِهَا ، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوا أَعْمَالَهُم ﴾ يَوْمَ تُحْمَلُ ﴿ الأَرْضُ وَالجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتْ الوَاقِعَةُ ، وَانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهيَةٌ ، والملكُ على ارْجَائِها وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُم يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ ، يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخفَى مِنْكُم خَافِيَة ﴾ ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بالغَمامِ، وَنُزِّلَ الملائِكَةُ تَنْزِيلا ﴾ ﴿ يَوْمَ يَفِرّ المَرْءُ مِنْ أخِيْهِ ، وَأُمِّه وَأَبِيْهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيْهِ ، لِكُلِّ امْرِىءٍ منهُم يومَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيْهِ ﴾ ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كالفَرَاشِ المَبْثُوث ، وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالعِهْنِ المَنْفُوشِ ﴾ ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجِبَالُ وَتَرَى الأرْضَ بَارِزَةً ﴾ يوْمَ تُرَجُّ الأرْضُ رَجّا ، وَتُبَسُّ الجَبالُ بَسًّا ، يَوْمَ ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كلُّ ذاتِ حَمْل حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكارَى وَما هُمْ بِسُكارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيْدٌ ﴾ ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ ، وَالسَّمواتُ ، وَبَرزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ ﴾ يَوْمَ يَنْسِفُ اللهُ الجِبَالَ ﴿ نَسْفًا فَيَذرُهَا قاعاً صَفْصَفا ، لا ترى فيها عِوَجاً ولا أَمْتا ﴾ يَوْمَ ﴿ تَرى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ يَوْمَ تَنْشَقُّ فِيهِ السَّماءُ فَتَكُونُ ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَفْسِهَا ، وَتُوَفَّى كلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

شِعْرا :

وَبَعْدَ دُخُولِ القَبْرِ يَا نَفسُ كُرْبَةٌ — وَهَوْلُ تُشِيْبُ المُرْضِعِيْنَ زَلَازِلُهْ
إِذَا الأَرْضُ خَفَّتْ بَعْدَ ثِقْلِ جِبالِهَا — وخَلى سَبَيلَ البَحْرِ يَا نَفْسُ سَاحِلُهْ
فَلاَ يَرْتَجي عَوْناً عَلَى حَمْلِ وِزْرِهِ — مُسيءٌ وَأَوْلَى النَّاسِ بالوِزْر حَامِلُهْ
إِذَا الجَسَدُ المَعْمُوْرُ زَايل رَوْحَهُ — خَوَى وجَمَالُ البَيْتَ يَا نَفْسُ آَهِلُهْ

وَقَدْ كَانَ فِيْهِ الروحُ حَياً يَزِيْنُـهُ   ومَا الغِمْدُ لَوْلاَ نَصْـلُهُ وحمـائِلُهُ
يُزَايِلُنِي مَالِيْ إِذَا النَّفس حَشْرَجَتْ   وأَهْلِيْ وكَدْحِيْ لازِمِيْ لا أُزَايِلُهْ

وقَالَ تَعَالَى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِيْ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً ، وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ، ولا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ، وَلاَ هُمْ يُنْصَرُوْنَ ﴾ وَقَالَ ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيْهِ وَلاَ خُلَّةٌ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيْهِ إِلَى اللهِ ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿ يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً ﴾ الآيَة ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوْءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَه أَمَداً بَعِيْداً ﴾ ﴿ يَوْمَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ يَوْمٌ تَعْلَمُ فِيْهِ كُلُّ نَفْسٍ مَا أَحْضَرَتْ وَتَشْهَدُ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ، يَوْمٌ تَخْرُسُ فِيْهِ الأَلْسُنُ ، وَتَنْطِقُ فِيْهِ الجَوَارِحُ ، يَوْمٌ شَيَّبَ ذِكْرُه سَيِّدَ المُرْسَلِيْنَ ، قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَم « شَيَّبَتْنِي هُوْدٌ وَالوَاقِعَةُ والمُرسَلاتُ ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ » أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ ، وَأَخْرَجَهُ التِّرمِذيّ وَحَسَّنَهُ .

شِعْرا : لِأَمْرٍ مَا تَصَدَّعَتِ القُلُـوبُ   وَبَـاحَ بِسِرِّهَـا دَمْـعٌ سَكِـيْبُ
وَبَاتَتْ فِي الجَوَانِحِ نَارُ ذِكْرَى   لَهَـا من خَارِجٍ أَثَرٌ عَجِيْبُ
وَمَا خَفَّ اللَّبِيْبُ لِغَيْر شيءٍ   ولا أَعْيَا بِمَنْطِقِـهِ الأَرِيْبُ
ذَرَاهُ لَائِمَـاهُ فَلَا تَلُوْمَـا   فَرُبَّتَ لَأَئِمٍ فِيْـهِ يَحُـوْبُ
رَأَى الأَيَّامَ قَدْ مَرَّتْ عَلَيـهِ   مُرُوْرَ الرِيْحِ يَدْفَعُهَا الهُبُوْبُ
وَمَا نَفَسٌ يَمُـرُّ عَلَيـه إِلاَّ   ومِنْ جُثْمَانِهِ فِيْـهِ نَصِيْبُ
وبَيْـنَ يَدَيْـهِ لَوْ يَدْرِي مَقَامٌ   بِهِ الوِلْدَانُ مِنْ رَوْعٍ تَشِيْبُ
وَهَـذَا الموتُ يُدْنِيْـهِ إِلَيْـهِ   كَمَا يُدْنِي إِلَى الهَرَمِ المَشِيْبُ
مَقَـامٌ تُسْتَلَـذُ بِهِ المَنَايَـا   وتُدْعَى فِيْهِ لَوْ كَانَتْ تُجِيْبُ
وماذا الـوَصْفُ بَالِغُهُ ولَكِـنْ   هِيَ الأَمْثَالُ يَفْهَمُهَا اللَّبِيْبُ

اللهُمّ اقْبَلْ تَوْبَتَنا واغْسِلْ حَوْبَتَنا وَأجِبْ دَعْوَتَنا وَثَبِّتْ حُجَّتَنا وَاهْدِ قلُوبَنا وَسَدِّدْ ألْسِنَتَنا وَاسْلُلْ سَخِيْمَةَ قُلُوْبِنَا واجْعَلنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدينا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمينَ برَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(فصـــــل)

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أفْوَاهِهِم ، وَتُكَلِّمُنَا أيْدِيْهِم وَتَشْهَدُ أرْجُلُهم بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ وقَالَ تَعَالَى ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهم لِمَ شَهِدْتُم عَلَيْنَا ؟ قَالُوا : انطَقنَا اللهُ الذِي انْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ وقالَ ﴿ بَلْ الانْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيْرَةٌ ﴾ قَالَ المُفَسِّرُوْنَ : إنَّهُم يُنْكِرُوْنَ الشِّرْكَ وَتَكْذِيبَ الرُّسُلِ ، فَيَخْتِمُ اللهُ عَلَى أفْوَاهِهِمْ خَتْماً لَا يَقْدِرُوْنَ مَعْهُ عَلى الكَلَامِ ، وَتَكَلَّمُ أيْدِيْهِم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُوْنَهُ ، وَتَشْهَدُ أرْجُلهُم عَلَيْهِم بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَهُ باخْتِيَارِهِمْ ، بَعْدَ اقْدَارِ اللهِ تَعَالَى لَهَا عَلى الكَلام ، لِيَكُونَ أدَلَّ عَلَى صُدُورِ الذَّنْبِ مِنْهُمْ ، وَأخْرَجَ مُسْلِمٌ وَأحْمَدُ والنَّسَائِيّ وَالبَزَّارُ وَغَيْرُهُم عَنْ أنَسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أفْوَاهِهِم ﴾ الآيَةِ قالَ : كُنَّا عِنْـدَ النبي صلى الله عليه وسلم ، فَضَحِـكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، قَالَ « أتَدْرُوْنَ مِمَّ أضْحكُ ؟ » قُلْنَا : لَا يَا رَسُولَ اللهِ . قالَ « مِنْ مُخَاطَبَةِ العَبْدِ رَبَّهُ ، يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِيْ مِنْ الظُّلْمِ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، فيَقُولُ : إِنِّيْ لا أُجِيْزُ عَليَّ إلَّا شَاهِدا مِنِّيْ ، فَيَقُولُ ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ اليَومَ عليك حَسِيْبا ﴾ وَبالكِرَامِ الكاتِبِينَ شُهُوداً ، فَيُخْتَمُ على فِيْهِ وَيُقالُ لِأرْكانِهِ انْطِقي ، فَتَنْطقُ بِأعْمَالِهِ ، ثم يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَلَامِ ، فَيَقُولُ : بُعْداً لَكُنَّ وَسُحْقاً فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ » وَأخْرَجَ مُسْلِمٌ والتِّرْمِذيّ عَنْ أبي سَعِيْدٍ وَأبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالا قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « يَلْقَى العَبْدُ رَبَّهُ ، فَيَقُولُ اللهُ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الابلَ ، وَأذَرُكَ تَرَأسُ وَتَـرْبَعُ ؟ فَيَقُـولُ : بَلَى أيْ رَبِّ .

فَيقُولُ : أفظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ ؟ فَيقُولُ : لا ، فَيُقالُ : إِنّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيْتَنِي ، ثم يَلْقَى الثَّانِيْ فَيقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَرَسُولِكَ ، وَصَلَيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ ، فَيَقُولُ ألا نَبْعَثُ شَاهِداً عَلَيْكَ ؟ فَيُفكِّرُ في نَفْسِهِ : مَنْ الذيْ يَشْهَدُ عَليَّ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيْهِ ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ انْطِقِيْ ، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَفَمُهُ وَعِظَامُه بِعَمَلِهِ مَا كانَ ، وَذَلِك لِيُعْذَرَ مِنْ نَفْسِهِ ، وذَلِكَ المنَافِقُ وَذَلِكَ الذي يُسْخَطُ عَلَيْهِ » .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في ذِكْرِ بَعْضِ أهْوَالِ يَوْمِ القِيَامَةِ :

وَتَحَـدِّثُ الارضُ الَّتِـيْ كُنَّـا بِـهَـا
أَخْبَـارَهَـا فِي الحَشْـرِ لِـلرَّحْمَـانِ
وَتـظلُ تَشْهَـدُ وهْيَ عَـدْلٌ بِالـذي
مِن فَـوقِها قـد أَحـدَثَ الثَّقـلانِ
وتُمَـدُّ أيضـاً مِـثْـلَ مَـدِّ أدِيْمِنَـا
مِـن غَـيْـرِ أَوْدِيَـةٍ ولا كُـثْـبَـانِ
وتَقِيْءُ يـومَ العَـرضِ مِن أَكْبَـادِهَـا
كَـالأُصْـطِوَانِ نَـفَـائِسَ الأَثْـمَـانِ
كُـلٌّ يَـراهُ بِـعَـيْـنِـهِ وعِـيَـانِـهِ
مَـا لاِمْـرِئٍ بِـالأَخْـذِ منـه يَـدَانِ
وكَـذَا الجِبالُ تُفَتُّ فَتـاً مُحْكَماً
فَتَعُـوْدُ مِـثْـلَ الـرَّمْـلِ ذِي الكُثْبَـانِ
وَتكُـونُ كَـالْعِهْنِ الـذي أَلْـوانُـهُ
وصِـبَـاغُـه مِـن سَـائِـرِ الأَلْـوَانِ

وتُبَسُّ بَسـاً مِثْـلَ ذاكَ فَتَنْثَنِي
مِثْـلَ الهَبَـاءِ لِنَـاظِـرِ الإِنسـانِ
وكَـذَا البِحَـارُ فـإِنَّهـا مَسْجُـورَةٌ
قـد فُجِّـرتْ تَفْجِيـرَ ذِي السُلطَانِ
وَكَـذَا لَـكِ القَمـرَانِ يَـأْذَنُ رَبُّنَـا
لَهُمَـا فَيَجْتَمِعَـانِ يَلْتَقِيَـانِ
هَـذِيْ مُـكَـوَّرةٌ وَهَـذا خَـاسِـفٌ
وكِـلاَهُمَـا في النـَارِ مَـطْرُوحَـانِ
وكَـواكِـبُ الأَفْـلاكِ تُنْتَـثَـرُ كُلُّهَـا
كَـلآلِـيءٍ نُثِـرَتْ عَـلى مَيْـدَانِ
وَكَذَا السمـاءُ تُشَقُّ شَقـاً ظـاهِـراً
وتَـمُـورُ أَيْـضـاً أَيـمَـا مَـوَرَانِ
وتَصِيرُ بعدَ الانْشِقَاقِ كمِثْلِ هَذا المُهْلِ أَوْ تَكُ وَرْدَةً كَدِهَانِ
وقال القطحاني رحمه الله :
يَـوْمُ القِيَامَـةِ لَـوْ عَلِمْتَ بِهَـوْلِـهِ
لَفَـرَرْتَ مِن أَهْـلٍ ومِـن أَوْطَـانِ
يَـومٌ تَشَقَّـقَتِ السَّمَـاءُ لِهَـوْلِـهِ
وتَشِيْـبُ مِنـه مَفَـارِقُ الـوِلْـدَانِ
يَـومٌ عَـبُـوسٌ قَـمْـطَرِيْـرٌ شَـرُّهُ
في الخَلْقِ مُنْتَشِـرٌ عَـظِيْمُ الشَّـأنِ
يَـوْمَ يَجِيءُ المُتَقُـونَ لِـرَبهـم
وَفْـداً عَـلَى نُجُـبٍ مِن العِقْيَـانِ

وَيَجيء فِيْهِ المُجْرِمُونَ إِلَى لَظَى
يَتَلَمظُونَ تَلَمُظَ العَطْشَان

« موعظة »

فَيَا أَيُّهَا المُهمِلُونَ الغَافِلُون تَيَقَّظُوا فَإِلَيْكُم يُوجّهُ الخَطَابُ وَيَا أَيُّها النَّائِمونَ انْتَبِهُوا قَبْل أنْ تُنَاخَ لِلَرحيْلِ الركابُ قَبْلَ هُجُوم هَادِمِ اللذَّاتِ وَمُفَرِقَ الجَمَاعَاتِ وَمُذِلّ الرِّقَابِ وَمُشَتِّتِ الأحْبَابِ فَيَا لَهُ مِنْ زَائِرٍ لا يَعُوقُهُ عَائِق ولا يُضْرَبُ دُوْنَهُ حِجَاب ، وَيَالَهُ من نَازِلٍ لا يَسْتَأذِنُ على المُلوُكِ ولا يَلِجُ مِنْ الأبْوَابِ ، ولا يَرْحَمُ صَغِيراً ولا يُوَقِرُ كَبْيراً ولا يَخافُ عَظِيماً ولا يَهَابُ ألا وانَّ بَعْدَهُ مَا هُوَ أعْظَمُ مِنْهُ مِنْ السُؤَآلِ والْجَوَابِ ، وَوَرَاءَهُ هَوْلُ البَعْثِ والحَشْرِ وأَحْوَالِهِ الصِّعَاب مِن طُوْل المَقَامِ والازدِحَامِ في الأجْسَامِ والمِيْزانِ والصِّراطِ والحِسَابِ ،

نظم في البعث بعد الموت والجزاء

وانَّ نَفْخَةَ اسرافِيْلَ ثانيةً ... في الصُورِ حقاً فَيَحْيَى كُلُ مَن قُبِرَا
كما بَدا خَلْقَهُم رَبي يُعِيْدُهُمُ ... سبحانَ من أنشأَ الأرواحَ والصُوَرا
حتى إذا ما دَعَا لِلْجَمْعِ صَارِخُهُ ... وكُلُ مَيْتٍ مِن الأمواتِ قَد نُشِرَا
قَالَ الإلهُ : قِفُوهُم لِلسُؤَآل لِكَيْ ... يَقْتَصُ مَظْلُومُهُم مِمَّنْ لَهُ قَهَرا
فَيُوقَفُونَ أُلُوفاً مِن سِنِيْنِهِم ... والشمسُ دانيةَ وَالرشحُ قَدْ كَثُرا
وجاءَ رَبُّكَ والاملاكُ قَاطِبَةً ... لَهُم صُفُوفُ أحَاطَتْ بالوَرَى زُمَرا
وجيءَ يَوْمَئِذٍ بالنارِ تَسْحَبُهَا ... خُزَّانُها فأهَالتْ كُلَّ مَنْ نَظَرا
لَهَا زَفِيْرٌ شَدِيْدٌ مِن تَغَيُّظِهَا ... على العُصاةِ وتَرْمي نَحْوَهُم شَرَرَا
ويُرسلُ اللَّهُ صُحْفَ الخَلْقِ حَاويةً ... أعْمَالَهُم كُلُ شَيءٍ جَلَّ أَوْ صَغُرا
فَمَنْ تَلَقْتُه باليُمْنى صَحِيْفَتُهُ ... فَهو السعيدُ الذي بالفوزِ ظَفِرَا
وَمَنْ يكُنْ باليدِ اليُسَرى تناوَلَهَا ... دَعَا ثُبُوراً وللنّيرانِ قَدْ حُشِرَا

وَوَزْنُ أَعْمَالِهِم حَقاً فإِنْ ثَقُلَتْ بالخَيرِ فازَ ، وانْ خَفَّتْ فَقَدْ خُسِرَا
وأن بالمثل تُجْزَى السَّيئَات كَمَا يَكُونَ في الحَسنَاتِ الضِّعْفُ قَدْ وَفرا
وكُلُ ذَنْبَ سِوَى الاشراكِ يَغْفِرُهُ رَبي لمن شَاء وليَسَ الشرَكُ مُغْتَفرَا
وَجنةُ الخُلْدِ لا تَفْنَى وسَاكِنُها مُخَلَّدَ ليسَ يَخْضَى الموتَ والكبرَا
اَعَدَّهَا اللَّهُ دَاراً لِلْخُلودِ لِمَنْ يَخْشَى الإِلهَ وللنَّعْماءَ قَدْ شَكَرَا
وَينظرونَ إلى وَجْهِ الإلهِ بها كَما يَرى الناسُ شَمْسَ الظهْرْ والقَمرا
كذلك النَارُ لا تَفْنَى وسَاكِنُها اعَدَّها اللَّهُ مَوْلانَا لِمَنْ كَفَرَا
ولا يُخَلَّدُ فِيهَا مَن يُوحِّدُهُ ولَوَ بسَفْكِ دَم المَعصُومِ قَدْ فَجَرا
وكم يُنَجّيْ إلهي بالشفاعَةِ مِنْ خَيرِ البَرِّيةَ مِنْ عَاص بهَا سُجِرا

اللَّهُمَّ أيقَظنا مِن نَوْم الغفْلَةِ ونبِّهْنَا لاغتَنام أوقاتِ المُهْلَةِ وَوفقْنَا لِمَصَالِحنا واعْصِمنَا مِنْ قَبَائِحنا وذُنُوبنَا ولا تواخِذْنَا بهَا انَطوتْ عليه ضمائرنا

اللهمَّ اعصِمْنَا عَنِ المخالفةِ والعصيانِ وألْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ يا كريمُ يا مَنّان واغفر لنا ولوالدَينا ولجميعِ المسلمينَ الأحياءِ منهم والميتينَ برحمتكَ يا أرحمَ الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« **فصل** » ثُمَّ تَأمَّلْ في المِيزَانِ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ مِيزَانٌ حَقِيْقِيّ ، لَهُ كِفَّتَانِ وَلِسَانٌ ، تُوْزنُ بهِ أعْمَالُ العِبَادِ ، قالَ اللهُ تعالى ﴿فَمنْ ثَقُلَتْ مَوازِيْنُه فَأولئِكَ هُمْ المفْلِحُونَ﴾ وقَالَ تَعالَى ﴿وَنَضعُ المَوازِيْنَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ ، فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ، وَانْ كانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ من خَرْدلٍ أتيْنَا بها ، وَكَفَى بنَا حَاسِبِيْنَ﴾ وقَالَ تَعالَى ﴿فأمّا مَنْ ثَقُلتْ مَوازِيْنُه فهُو في عِيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ، وأمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِيْنُه فأمّه هَاوِيَةُ ، ومَا أدْرَاكَ مَا هِيَهْ نارٌ حَامِيَة﴾ .

وَفي الصَّحِيْحَيْنِ عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « كَلِمَتانِ خفِيْفَتانِ على اللسَانِ ، ثِقْيلتَانِ في المِيْزَانِ ، حَبِيْبَتان إلى

الرَّحْمَنِ ، سُبْحَانَ اللهِ وبحمْدِه ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيْمِ » الأَكثرُ على أنهُ مِيْزَانٌ وَاحِدٌ ، لِجَمِيْعِ الأمَمِ وَلِجَمِيْعِ الأعْمَالِ ، وَإِنَّمَا جُمِعَ باعْتِبَار تَعَدُّدِ الأعْمَالِ المَوْزُونَةِ ، أو باعْتِبَارِ الاشْخَاصِ ، أو لِلتَّفخِيْمِ ، كمَا في قَوْلِهِ تَعَالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ المُرْسَلِيْن﴾ مَعَ أنّهُ لَم يُرْسَلْ إِلَيْهِم إلا وَاحِدٌ ، وَقِيْلَ لِأنّ المِيْزَانَ يَحْتَوِي على لِسَانٍ وَكِفَّتَيْنِ وشَاهِيْنَ ، ولا يَتِمُّ الوَزْنُ إلا باجْتِمَاعِهَا ، ورُوِيَ أنّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ سَأَلَ رَبَّهُ أنْ يُرِيَهُ المِيْزَانَ ، فأرَاهُ كُلَّ كِفَّةٍ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمغْرِبِ ، فغُشِيَ عَلَيْهِ ثُمّ أفاقَ، فقَالَ : يَا إِلهِيْ مَنْ الذِيْ يَقْدِرُ أنْ يَمْلأَ كِفّتَهُ حَسَنَاتٍ ؟ فقالَ : يَا دَاودُ إِني إذا رَضِيْتُ عَن عَبْدِي مَلأْتُها بِتَمْرَةٍ .

وَأخرَجَ البَزّارُ والبَيْهَقِيّ في البَعْثِ عن أنَس بنِ مَالكٍ رَضْيَ اللهُ عنه ، عن النبي صلى اللهُ عليه وسلمَ قالَ « يُؤتَى بابنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فيُوقفُ بَيْنَ كِفَّتَيْ المِيْزَانِ ، وَيُوَكَّلُ بهِ مَلكٌ ، فإنْ ثَقُلَ ميزانُه نادَى المَلَكُ بصَوْتٍ يُسْمِعُ الخَلائِقَ : سَعُدَ فُلانُ بْنُ فلانٍ ، سَعَادَةً لا يَشْقَى بَعْدَها أبَدًا ، وَانْ خَفَّ مِيْزَانُه نَادَى المَلَكُ بصَوْتٍ يُسْمِعُ الخَلائِقَ : ألا شَقِيَ فُلانٌ شَقاوَةً لا يَسْعَدُ بَعْدَها أبَدا » وعَنْ عائِشَة رضْيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ ذَكَرْتُ النَّارَ فَبكَيْتُ ، فقَالَ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلمَ « مَا يُبْكِيْكِ ؟ قُلتُ : ذكرْتُ النّارَ فَبكيْتُ ، فَهَلْ تذكُرونَ أهْلِيْكُم يَوْمَ القِيَامَةِ فقَالَ « أُمّا في ثلاثِ مَواطِنَ فلا يَذكرُ أحَدٌ أحَدًا ، عندَ المِيْزانِ ، حتّى يَعْلَمَ أيَخِفُّ مِيْزَانُه أَمْ يَثْقُلُ ، وعنْدَ تَطايرِ الصُّحُفِ ، حَتَّى يَعْلَمَ أيقَعُ كِتابَه في يَمِيْنِه أمْ في شِمَالِهِ ، أمْ ورَاءَ ظَهْرِهِ ، وعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ ، حَتَّى يَجُوزَ » رَواهُ أبو دَاوُدَ .

فلا تَغْفَلْ عن المِيْزَانِ ، بَلْ فَكّرْ فِيْهِ وَخَطَرِهِ ، وَأنَّ الأعْيُنَ شَاخِصَةٌ إلَى لِسَانِهِ ، وَاعْلَمْ أنّهُ لَا يَنْجُو مِنْ خَطَرِهِ الا مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ في الدّنيا ،

وَوزنَ أَعْمالُهُ فِيْهَا بِمِيْزَانِ الشْرعِ ، وَتَتَبَّعَ أَقْوالَهُ وَأَفْعالَهُ وَخطَراتِهِ وَلَحظَاتِهِ ، كَمَا قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : حَاسِبُوا أَنْفُسَكُم قَبْلَ أنْ تُحَاسَبُوا ، وَزِنُوهَا قَبْلَ أَن تُوْزَنُوا ، وَاعْلَمْ أَنَّ مِمَّا يَجِبُ الإِيْمَانُ بِهِ كَالمِيْزَانِ الصُّحُفُ ، وَهِيَ صُحُفُ الأَعْمَال ، قالَ اللهُ تَعالَى ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ وَقَالَ تَعالَى ﴿ وَكُلَّ انْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ في عُنُقِهِ ، وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوْرا ، إِقرأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيْبًا ﴾ فَيُجْمَعُ لَهُ عَمَلُهُ كُلُّهُ في كِتَابٍ يُعْطَاهُ يَوْمَ القِيَامَةِ حِيْنَ البَعْثِ وَالحِسَابِ ، يَلْقَاهُ مَفْتُوحاً غَيْرَ مطْوِيّ ، يَقْرَؤُه ، فِيْهِ جَمِيْعُ عَمَلِهِ مِنْ أَوَّلِ عُمْرِهِ إِلَى آخِرِهِ ، قالَ تَعالَى ﴿ يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخرَ ، بَلْ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيْرَةٌ ، وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيْرَهُ ﴾ وَقَالَ تَعالَى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُم لَحَافِظِيْنَ ، كِراماً كَاتِبِيْنَ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ ﴾ وَقَالَ ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيْبٌ عَتِيْدٌ ﴾ وَقَالَ ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُم وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ ، وَرُسُلُنَا لَدَيْهِم يَكْتُبُونَ ﴾ وَقَالَ تَعالَى ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ ﴾ .

فَلَيْسَ بِمُهْمَلٍ بَلْ لَهُ مَلائِكَةٌ يَتَعَاقَبُونَ عَلَيْهِ ، حَرَسٌ باللَّيْلِ وَحَرَسٌ بالنَّهَار ، وَيَحْفَظُوْنَهُ مِنَ الأَسْوَاءِ وَالحَادِثَاتِ ، كَمَا يَتَعاقَبُ مَلائِكَة آخَرُونَ لِحِفْظِ الأَعْمَالِ مِنْ خَيْرٍ أو شَرٍّ ، مَلائِكَةٌ بِاللَيْلِ ، وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهارِ ، فاثْنانِ عَنْ اليَمِيْنِ وَالشِّمالِ يَكْتُبَانِ الأَعْمَالَ ، صَاحِبُ اليَمِيْنِ يَكْتُبُ الحَسَنَاتِ ، وَصَاحِبُ الشِّمَالِ يَكْتُبُ السَّيِّئَآتِ ، وَمَلَكَانِ آخرانِ يَحْفَظَانِهِ وَيَحْرسَانِه ، وَاحِدٌ مِنْ وَرَائِهِ ، وَآخَرُ مِنْ قُدَّامِهِ ، فَهُوَ بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَمْلاكٍ بالنَّهارِ ، وَأَرْبَعَةٍ آخرِيْنَ باللَيْل بَدَلاً ، حَافِظانِ وَكَـاتِبَانِ ، كَمَا فِي الحَدِيْثِ الصَّحِيْـح « يَتَعَاقَبُونَ فِيْكُم ، مَلائِكَةٌ باللَيْلِ ، وَمَلائِكَةٌ بالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ في

صَلاَةِ الصُّبحِ ، وَصَلاَةِ العَصْرِ ، فَيَصْعَدُ إِلَيْهِ الذِيْنَ بَاتُوا فِيْكُم ، فَيَسْأَلُهم وَهُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ : كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِيْ ؟ فَيَقُوْلُونَ: أَتَيْنَاهُمْ وَهُمَ يُصَلُّوْنَ ، وَتَرَكْنَاهُم وَهُمْ يُصَلُّوْنَ » وفي الحَدِيْثِ الآخر « إِنَّ مَعَكُم مَنْ لاَ يُفَارِقُكُم إِلَّا عِنْدَ الخَلاَءِ وَعِنْدَ الجِمَاعِ ، فاسْتَحْيُوهُم وَأَكْرِمُوهُمْ » .

شِعْرَاً :

إِنْ سَـرَّكَ الشَّرَفُ العَـظِيْمُ مَـعَ الغِنَى
وَيَـكُـونُ يَـوْمَ أَشَـدِّ خَـوْفٍ وَابِـلاَ
يَـوْمَ الحِسَـابِ إِذَا الـنُّفُـوسُ تَـثَـاقَلَتْ
فِي الـوَزْنِ إِذْ غَـبَطَ الأَخَـفُ الأَثْـقَـلاَ
فـاعْمَـلْ لِمَـا بَعْـدَ المَمَـاتِ ولا تَكُنْ
عن حَظِ نفسِـك في حَيَـاتِـكَ غَـافِـلاَ

اللهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ المفلِحِيْنَ وأَلْبِسْنَا خِلَعَ الإيمانِ واليَقِيْنَ وخُصَّنَا مِنْكَ بالتوفِيْقِ المُبِيْن وَوَفِّقْنَا لِقَوْلِ الحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلِّصْنَا مِن البَاطِلِ وابْتِدَاعِهِ وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدا ولا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشَاً رَغَدَا ولا تُشْمِتْ بِنَا عَدُواً ولا حَاسِدَاً وَارْزُقْنَا عِلْماً نَافِعا وَعَمَلاً مُتَقَبَّلا وَفَهْماً ذَكِياً وَطَبْعَاً صَفِياً وَشِفَاءً مِن كُلِّ دَاءٍ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ولِجَمِيْعِ المسلمين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وصحبه أجمعين .

« فَصْـلٌ »

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ ، وَأَنَّكَ غَيْرُ مَتْرُوكٍ سُدَى ، فَالوَاجِبُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ عاقِلاً تُرِيْدُ نَجاةَ نَفْسِكَ أَنْ لاَ تَغْفَلَ وَلاَ سَاعَةً ، وَأَنْ تَكُونَ دَائِماً على حَذَرٍ ، وَتَفَكَّرْ فِيْمَا امامَكَ مِنَ العَقَبَاتِ ، وَالأَهْوَالِ المُزْعِجاتِ ، وَاذْكُرْ

تَطايُرَ الصُّحُفِ إِلَى الأيْمانِ وَالشَّمائِل ، قالَ تَعَالَى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِيْنِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُا كِتَابِيَهْ ﴾ الآيَاتِ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمالِهِ فَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ، يَا لَيْتَهَا كَانَتْ القَاضِيَهْ . مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ، هلَكَ عني سُلْطانِيَهْ ، خُذُوهُ فَغُلوهُ ، ثُمَّ الجَحِيْمَ صَلُّوهُ ، ثم في سِلْسِلةٍ ذرعُها سبعُونَ ذِرَاعــاً فاسْلكُوهُ ﴾ وقالَ جلَّ وعَلا ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِيْنِهِ فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِسَاباً يَسِيْرا وَيَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُورا ، وَأَما مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوْرَا وَيَصْلَى سَعِيْرَا ﴾ .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : يُؤْتَى بالعَبْدِ أَوِ الأمَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَيُنَادِيْ مُنَادٍ على رُؤُسِ الأَوَّلِيْنَ والآخِرِيْنَ : هَذَا فلانُ بنُ فلانٍ مَنْ كَانَ لَهُ حَقٌّ فليأتِ إلى حَقِّهِ ، فَتَفْرَحُ المَرْأَةُ أَنْ يَكُونَ لَهَا الحَقُّ عَلَى أَبِيْهَا أَوْ أُمِّهَا أَوْ أَخِيْهَا أَوْ زَوْجِهَا ، ثم قَرَأَ ﴿ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُم يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَساءَلُونَ ﴾ فَيَغْفِرُ اللهُ مِنْ حَقِّهِ مَا يَشَاءُ ، وَلاَ يَغْفِرُ مِنْ حُقُوقِ النَّاسِ شَيْئاً فَيُنْصَبُ لِلنَّاسِ ، فَيَقُولُ ائْتُوا إِلَى النَّاسِ حُقُوقَهُم ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ فَنِيَتْ الدّنيَا ، مِنْ أَيْنَ أُوتِيْهِم حُقُوقَهُم ؟ فَيَقُولُ : خذُوا مِنْ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ ، فَأَعْطُوا كُلَّ ذِيْ حَقٍّ حَقَّهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، فإِنْ كَانَ وَلِيّاً لِلّهِ ، فَفَضَلَ لَهُ مِثْقَالَ ذَرةٍ ضَاعَفَهَا اللهُ لَهُ حَتَّى يُدْخِلَهُ بِهَا الجَنَّةَ ، ثم قَرَأَ ﴿ انَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، وانْ تكُ حَسَنَةً يُضاعِفْهَا ﴾ وَانْ كَانَ عَبْداً شَقِيّاً قالَ الملَكُ : رَبِّ فَنِيَتْ حَسَنَاتُه وَبَقِيَ طَالِبُونَ كَثِيْرٌ ، فَيَقُولُ خُذُوا مِنْ سَيِّئَآتِهم فَأَضِيْفُوهَا إِلَى سَيِّئَآتِهِ ، ثم صُكُّوا لَهُ صَكّاً إِلَى النار .

وَعَنْ أَنَس أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلمَ قَالَ « إِنَّ اللهَ لاَ

يَظْلِمُ المؤمِنَ حَسَنةً ، يُثَابُ عَلَيْهَا الرِّزْقَ في الدُّنيا، وَيُجْزَى بِهَا في الآخِرَةِ ، وأَمَّا الكافِرُ فَيُطْعَمُ بِهَا في الدُّنْيَا ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ » .

وقالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وعِكْرِمَةُ وَسَعِيْدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالحَسَنُ وَقُتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ ، في قَوْلِهِ ﴿ وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً ﴾ يَعْنِيْ الجَنَّةَ ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُسْكِنَنَا وَإِخْوَانِنَا المُسْلِمِيْنَ الجَنَّةَ .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرُو بْنِ العَاصِ أَن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ قَالَ « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُخَلِّصُ رَجُلا مِنْ أُمَّتِيْ عَلَى رُؤُوسِ الخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلاًّ كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِيْ الحافِظُوْنَ ؟ فَيَقُولُ : لاَ يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : أَفَلَكَ عُذْرٌ . فَيَقُولُ : لاَ يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ تَعَالَى : بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً ، فإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ ، فَيُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيْهَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ : احْضُرْ وَزْنَكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِه السِّجِلاَّتِ ؟ فَقَالَ : فإِنَّكَ لا تُظْلَمُ فَتُوضَعُ السِّجِلاَتُ في كِفَّةٍ ، وَالبِطَاقَةُ في كِفَّةٍ ، فَطَاشَتْ السِّجلاتُ ، وَثَقُلَتْ البِطَاقَةُ ، وَلاَ يَثْقُل مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ » أَخْرَجَهُ التِّرمِذْيّ .

وَخُصَّ مِمَّنْ يُحَاسَبُ وَتُوْزَنُ أَعْمَالُهم طَائِفَتَانِ ، فَمِنْ الكُفَّارِ مَنْ لَيْسَ لَهُم حَسَنَةٌ ، فَهؤُلاَءِ يَقَعُوْنَ في النَّارِ مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ ولا مِيْزانٍ ، وَمِنْ المؤمِنِيْنَ مَنْ لاَ سَيِّئَةَ لَهُ وَلَهُ حَسَنَاتٌ كَثِيْرَةٌ زَائِدَةٌ على مَحْضِ الإِيْمَانِ ، فَهَذَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِغَيْبِ حِسَابٍ ، كَمَا في قِصَّةِ السَّبْعِيْنَ أَلْفاً ، وَمَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يُلْحِقَهُ بهم ، وَهُمْ الذِيْنَ يَمُرُّوْنَ على الصِّرَاطِ كَلَمْحِ

البَصَرِ ، وكَالبَرْقِ الخَاطِفِ ، وكالرِّيحِ ، وَكَأَجَاوِدُ الخَيْلِ ، وَمَنْ عَدَا هَذَيْنِ مِنَ المؤمِنِيْنَ والكُفارِ يُحَاسَبُونَ ، وَتُعْرَضُ أَعْمَالُهم على المَوازِيْنِ .

وَقَالَ أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه - في قَولِهِ تَعَالَى ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ ، وَلَا طَائِرٍ يَطِيْرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ : إِنَّهُ يَحْشُرُ الخَلَائِقَ كُلَّهُم يَوْمَ القِيَامَةِ ، البَهَائِمَ والدَوَابَّ والطَّيْرَ وَكُلَّ شَيْءٍ ، فَيَبْلُغُ مِنْ عَدْلِ اللهِ يَوْمَئِذٍ أَنْ يَأْخُذَ لِلجَمَّاءِ مِنْ القَرْناءِ ، ثُمَّ يَقولُ كُوْنِي تُراباً ، فلذلِكَ ﴿ يَقُولُ الكافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ فَتَفَكَّرْ في صَحِيْفَتِكَ ، وَكُنْ عَلى حَذَرٍ خَشْيَةَ أَنْ تَخْرُجَ مَمْلُوءَةً بالسَّيِّئاتِ . وَاللهُ أَعْلَمُ ، وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

عَلَامَةُ صِحَّةٍ لِلْقَلْبِ ذِكْرٌ
لِذِي العَرْشِ المُقَدَّسِ ذِي الجَلَالِ
وَخِدْمَةُ رَبِّنَا في كُلِّ حَالٍ
بِلَا عَجْزٍ هُنَالِكَ أو كَلَالِ
ولا يَأْنَسْ بِغَيْرِ اللهِ طُرّاً
سِوَى مَن قَد يَدُلُّ إلى المَعَالِي
وَيَذْكُرُ رَبَّهُ سِراً وَجَهْراً
وَيُدْمِنُ ذِكْرَهُ في كُلِّ حَالِ
وفيها وَهُوَ ثَانِيْهَا إِذَا مَا
يَفُوتُ الوِرْدُ يَوماً لاشْتِغَالِ
فَيَأْلَمُ لِلْفَواتِ أَشَدَّ مِمَّا
يفوتُ على الحريصِ مِن الفِضَالِ

ومنها شُحُهُ بالوقْتِ يَمْضِي
ضياعاً كالشَّحِيْحِ بِبَذْلِ مَالِ
وأيضاً مِن عَلاَمَتِهِ اهْتِمَامٌ
بِهَمٍ واحدٍ غَيْرِ انْتِحَالِ
فَيَصْرِفُ هَمَّه لِلهِ صِرْفاً
وَيَتْرُكُ مَا سِوَاهُ مِنْ المَوَالِ
وأيضاً مِن عَلاَمَتِهِ إذَا مَا
دَنَا وَقْتُ الصلاةِ لِذِي الجَلاَلِ
وَأَحْرَمَ دَاخِلاً فِيْهَا بِقَلْبٍ
مُنِيْبٍ خَاضِعٍ في كُلِّ حَالِ
تَنَاءَى هَمُّهُ والغَمُّ عَنْهُ
بِدُنْيَا تَضْمَحِلُ إلَى زَوَالِ
وَوَافَى رَاحَةً وَسُرُوْرَ قَلْبٍ
وَقرَّةَ عَيْنِهِ وَنَعِيْمَ بَالِ
وَيَشْتَدُ الخُرُوجُ عَلَيْهِ فِيْهَا
فَيَرْغَبُ جَاهِداً في الابْتِهَالِ
وَأَيْضَاً مِن عَلاَمَتِهِ اهْتِمَامٌ
بِتَصْحِيْحِ المَقَالَةِ والفِعَالِ
وَأَعْمَالٍ وَنِيَّاتٍ وَقَصْدٍ
عَلى الاخْلاَصِ يَحرصُ بالكَمَالِ
أَشَدَّ تَحَرُصاً وَأَشَدَّ هَمّاً
مِن الأَعْمَالِ تَمَّتْ لاَ يُبَالِي

بِتَفْرِيْطِ المُقَصِر ثُمَّ فِيْهَا
وإفْرَاطٍ وَتَشْدِيْدٍ لِغَالِي
وَتَصْحِيْحِ النُّصِيْحَةِ غَيْرَ غِشٍ
يُمَازِجُ صَفْوَهَا يَوْماً بِحَالِ
وَيَحْرِصُ في اتِّبَاعِ النَّصِّ جَهْداً
مَعَ الاحسانِ في كُلِّ الفِعَالِ
وَلَا يُصْغِي لِغَيْرِ النَّصِ طُراً
ولا يَعْبَأ بآرَاءِ الرِّجَالِ
فَستُ مَشَاهِدٍ لِلْقَلْبِ فِيْهَا
عَلَامَاتٌ عن الدَّاءِ العُضَالِ
وَيَشْهَدُ مِنْهُ لِلرَّحْمٰنِ يَوْماً
بِمَا أَسْدَى عَلَيْهِ مِنْ الفِضَالِ
وَيَشْهَدُ مِنْهُ تَقْصِيْراً وَعَجْزاً
بِحَقِ اللهِ في كُلِّ الخِلَالِ

فَقَلْبٌ لَيْس يَشْهَدُهَا سَقِيْمٌ
وَمَنْكُوسٌ لِفِعْلِ الخَيْرِ قَالِي
فَإِنْ رُمْتَ النَّجَاةَ غَداً وَتَرْجُو
نَعِيْماً لا يَصِيْرُ إلى زَوَالِ
نَعِيْمٌ لا يَبِيْدُ وَلَيْسَ يَفْنَى
بِدَارِ الخُلْدِ في غُرَفٍ عَوَالِ
فَلا تُشْرِكْ بِرَبِّكَ قَطُّ شَيْئاً
فَإِن اللهَ جَلَّ عَن المِثَالِ

عَـلا بالذَّاتِ فَوقَ الـعَرْشِ حَقـاً
بـلا كَـيْـفٍ ولا تـأْوِيْـلِ غَـالِ
عُـلُوُّ الـقَـدْرِ والـقَـهْرِ الـلَّذَانِ
هُـمَـا للهِ مِن صِـفَـةِ الكَـمَـالِ
بِـهَـذَا جَـاءَنَـا فـي كُـلِّ نَصٍّ
عن المَـعْصُـومِ في صَحْـبٍ وَآلِ
وَيَـنْـزِلُ رَبُـنَـا فـي كُـلِّ لَـيْـلٍ
إلَى أَدْنَـى الـسَّـمـواتِ الـعَـوَالِي
لِثُلْثِ الـلَّيْـلِ يَنْـزِلُ حِيْنَ يَبْقَى
بِـلا كَـيْفٍ عَلى مَـرِّ اللَّيـالِـي
يُـنَـادِيْ خَلْقَـهُ هَـلْ مِن مُـنِـيْبٍ
وَهَـلْ مِن تَـائِبٍ في كُـلِّ حَـالِ
وَهَـلْ مِن سَـائِـلٍ يَـدْعُـو بِقَلْبٍ
فَـيُعْـطَى سُؤْلَـهُ عِـنْـدَ السُّـؤَالِ
وَهَـلْ مُـسْـتَـغْـفِـرٍ مِـمَّـا جَـنَـاهُ
مِـن الأَعْـمَـالِ أَوْ سُـوءِ الـمَقَـالِ
وَيَـشْـهَـدُ أَنَّـمَـا القُـرآنُ حَـقَّـاً
كَـلامُ اللهِ مِنْ غَـيْـرِ اعْـتِـلالِ
وَلا تَـمْـوِيْـهِ مُـبْـتَـدِعٍ جَـهُـولٍ
بِخَلْقِ القَـولِ عَن أَهْـلِ الضَّـلالِ
وآيـاتُ الـصِـفَـاتِ تُـمَـرُّ مَـراً
كَـمَـا جَـاءَتْ عَلَى وَجْـهِ الكَـمَـالِ

إِلَـهٌ وَاحِـدٌ أَحَـدٌ عَـظِيْـمٌ
عَـلِيْمٌ عَـادِلٌ حَـكَمُ الـفِعَـالِ
رَحِـيْـمٌ بـالـعِـبَـادِ إِذَا أَنَـابُـوا
وتَـابُـوا عـن مُتَـابَعَـةِ الضُّـلَالِ
شَـدِيْـدُ الانْـتِقَـامِ لِـمَنْ عَـصَـاهُ
وَيُصْلِيْـهِ الـجَحِيْـمَ ولا يُـبَـالِي
فَبَـادِرْ بـالـذِيْ يَـرْضَـاهُ تُحْـظَى
بِـخَيْـرٍ في الحَـيَـاةِ وفي المَـآلِ
ولازِمْ ذِكْـرَهُ فـي كُـلِّ وَقْـتٍ
ولا تَـرْكَـنْ إِلَـى قِـيْـلٍ وَقَـالِ
وأَهْـلُ العِلْمِ نَـافِسْهُمْ وَسَـائِـلْ
وَلَا يَـذْهَبْ زَمَـانُـكَ في اغْتِفَـالِ
وَأَحْسِـنْ وانْبَسِطْ وارْفُقْ وَنَـافِسْ
لِأَهْـلِ الخَيْـرِ في رُتَبِ المَعَـالِي
فَحُسْنُ البِشْـرِ مَنْـدُوْبٌ إِلَيْـهِ
وَيَـكْـسُـو أَهْلَهُ ثَـوْبَ الـجَمَـالِ
وَأَحْبِبْ فـي الإِلَـهِ وَعَـادِ فِيْـهِ
وَابْـغِضْ جَـاهِـداً مِـنْـهُ وَوَالِ
وَأَهْـلَ الشِـرْكِ بَـايِنْـهُم وَفَـارِقْ
وَلَا تَـرْكَـنْ إِلَى أَهْـلِ الضَّـلَالِ
وَتَشْهَـدُ قَـاطِعـاً مِن غَيْـرِ شَـكٍّ
بِـأَنَّ الـلهَ جَـلَّ عَـن الـمِـثَـالِ

وَرُؤْيَـا الـمُؤْمِنِيْنَ لَـهُ تَعَـالَى
عِيَـاناً فِي القِيَـامَةِ ذِيْ الجَـلاَلِ
يُرَى كَالبَـدْرِ أَوْ كَـالشَّمْسِ صَحواً
بـلا غَـيْـمٍ وَلاَ وَهْـمٍ خَـيَـالِ
وَمِيْـزَانُ الحِسَـابُ كَـذَاكَ حَقـاً
مَعَ الحَوْضِ المُطَهَّرِ كَـالزلاَلِ
وَمِعْـرَاجُ الـرَّسُـوْلِ إِلَيْـهِ حَقـاً
بِـنَصٍّ وَارِدٍ لِـلشَّـكِ جَـالِـي
كَـذَاكَ الجَسْـرُ يُنْصَبُ لِلبَـرَايَـا
على مَتْنِ السَّعِيْـرِ بـلا مُحَـالِ
فَـنَـاجٍ سَـالِـمٍ مِـن كُـلِ شَـرٍ
وَهَـاوٍ هَـالِـكٍ لِـلنَّـار صَـالِـي
وَتُـؤْمِنُ بـالـقَضَـا خَيْـراً وَشَـراً
وبـالمقْـدُورِ في كُـلِّ الفِـعَـالِ
وأنَّ الـنـارَ حَـقٌ قَـدْ أعِـدَتْ
لِأَعْـدَاءِ الـرُسُـولِ ذَوِي الـضَّـلالِ
بـحِـكْـمَـةِ رَبِـنَـا عَـدْلاً وَعِـلْماً
بـأحْـوَالِ الـخَـلائِـقِ فـي الـمَـآلِ
وأَنَّ الـجَـنَّـةَ الـفِـرْدَوْسَ حَـقٌ
أُعِـدَتْ لِـلْهُـدَاةِ أُوْلِـي الـمَـقَـالِ
بِفَضْـلٍ مِنْـهُ إِحْسَـانـاً وَجُـوداً
بـلا شَـكٍ هُـنَـالِـكَ لِـلسُّـؤَال
وكُـلٌ في المَقَـابِـرِ سَـوْفَ يُلْقَى
وَتكْـرِيْمـاً لَهُمْ بَعْـدَ الـوِصَـالِ

نَـكِيْـراً مُـنْـكَـراً حَـقـاً بِهَـذَا
أَتَـانـا النَّقْـلُ عن صَحْبٍ وَآلِ
وَأَعْـمَـالاً تُـقَـارِنُـهُ فَـإِمَّـا
بِـخَيْـرٍ قَـارَنَـتْ أَوْ سُـوءِ حَـالِ

(موعظـــة)

إِسْتَلِبْ زَمَانَكَ يا مَسْلُوبْ ! وغَالبِ الهَوى يَا مَغْلُوبْ ! وَحَاسِبْ نَفْسَكَ فَالعُمَرُ مَحْسُوبْ ، وامْحِ قَبِيْحَكَ فالقَبِيْحُ مَكْتُوبْ ، وَاعَجَباً لِنَائِمٍ وهُوَ مَطْلُوبْ ، ولِضَاحِكٍ وعَليهِ ذُنُوبْ .

أَلَا ذَكِّرَانِي قَبْلَ أَنْ يأْتِي المـوتُ ويُبْنَي لِجُثْماني بدارِ البِلَى بَيْتُ
وَعَرَّفَنِي رَبِي طَرِيقَ سَلَامَتِي وبَصَّرَنِي لكِنَّنِي قَدْ تَعَامَيْتُ
وقالُوا مَشِيْبُ الرأسِ يَحْدُوْ إلى البِلَا فَقُلْتُ أَرَانِي قَدْ قَرُبْتُ فأَدْنَيْتُ

أَينَ الدموعُ السواجِمْ ؟ قَبْلَ المنايا الهَواجِمْ ، أَيْنَ القَلَقُ الدائِم ؟ لِلذُنُوبِ القَدايِم ، أَتَرَى أَثَّرتِ المَلاوِمْ ؟ في هذه الأَقَاوِمْ ، أيُها القاعِدُ والموتُ قَائِمْ أَنائمٌ أَنتَ عن حَدْيِثِنَا أَمْ مُتَنَاوِمْ ؟ لابُدَّ والله من ضَرْبَةٍ لازِمْ ، تَقْرُعُ لَهَا سِنَّ نادِمْ ، لابُدَّ مِن مَوْجِ هَوْلٍ مُتَلاطِمْ ، يُنَادِي فيه نوحُ الأَسَى لا عَاصِمْ ، لابُدَّ مِن سَقَمِ السَالِمْ بَنْسَى فيه يَا أُمَّ سَالِمْ .

يا مَنْ سَيَنْأَى عَن بَنِيـهْ كَمـا نأى عَنْهُ أَبُـوْهْ
مَثِّلْ لِنَفْسِكَ قَـوْلَهُمْ جَـاءَ اليَقِيْنُ فَوَجِّهُـوْهْ
وتَحَلَّلُـوا مِن ظُلْمِـهِ قَبْلَ الممـاتِ وحَلِلُـوْهْ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، يَا بَدِيْعَ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَكْفِيْنَا مَا أَهَمَّنا ومَا لا نَهْتَمُّ بِهِ ، وأَنْ تَرْزُقَنَا الاسْتِعْدَادِ لِمَا أَمَامَنا ، بِرَحْمتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمينَ ، وصلى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْــلٌ »

وَمِمَّا يَنْبَغِي ايْرَادُه في هَذَا المَقَامِ بَعْضُ المَعَاصِي التِي قَدْ تَلَبَّس بِهَا أَوْ بِبَعْضِهَا بَعْضُ النَّاسِ ، لِيَبْتَعِدَ عَنْهَا ، وَعَنْ مَنْ يُقَارِفُهَا ، وَيَنْصَحُ عَنْهَا ، وَيُبَيِّنُ أَنَّها أَمْرَاضٌ فَتَّاكَةٌ ، أَعْظَمُ وَأَخْطَرُ مِنْ أَمْرَاضِ الأَبْدَانِ ، لأَنَّهَا تُذْهِبُ الحَسَنَاتِ ، وَرُبَّمَا أَدَّتْ بالإِنْسَانِ إِلَى الهَلاكِ الأَبَدِيِّ ، والعَذَابِ السَّرْمَدِيِّ ، مِنْ ذَلِكَ أَكْلُ الحَرَامِ ، أَوْ رِيَاءٍ أو رِبَا ، أَوْ إِصْرَارُ على مَنْع زَكَاةٍ ، أَوْ عَدَمُ تَنَزُّهٍ مِنْ بَوْلٍ ، أَوْ تَرْكُ حُضُورِ جُمُعَةٍ أو جَمَاعَةٍ ، أَوْ غِيبَةٌ أَوْ نَمِيمَةٌ او حَسَدٌ ، أو مَنْعُ حُقُوقٍ وَاجِبَاتٍ ، أو كَذِبٌ عَلَى اللهِ أَوْ أَذِيَّةُ جَارٍ ، أَوْ قَرِيبٍ ، أَوْ كَثْرَةُ أَيْمَانٍ لِتَرْوِيجِ سِلعٍ ، أَوْ غِشٌّ فِي بَيْعٍ أَوْ شِرَاءٍ، أَوْ تَدْلِيسٌ أَوْ اقْتِطَاعُ شَيْءٍ مِنْ أَرَاضِي المُسْلِمِيْنَ، أَوْ اسْتِعْمَالُ آلاتِ اللهْوِ وَالطَّرَبِ، كالعُودِ والبَكمِ والتِّلِفِزْيُونِ والمِذْيَاعِ والفِيدِيو، أَوْ تَغْيِيْرُ مَنَارِ الأَرْضِ ، أَوْ لُبْسُ الرِّجَالِ لِلحرِيْرِ ، أَوْ الذَّهَبِ ، أَوْ تَشَبُّهٍ بِنِسَاءٍ ، أَوْ نَظَرٌ إلى مُحَرَّمٍ ، أَوْ إِعَانَةُ ظَالِمٍ ، أَوْ تَرْكُ نَصْرِ مَظْلُومٍ يَقْدِرُ عَلَى نَصْرِهِ ، أَوْ شَهَادَةٌ بِزُورٍ ، أَوْ نَجْشٌ لِإِيْذَاءِ مُؤْمِنٍ ، أَوْ تَرْكُ الوَلاءِ وَلْبَراءِ ، بِمُجَالَسَةِ العُصَاةِ ، ومُوَاكلتهم ، وَتَرْكُ هَجْرِهِم ، أَوْ تَدْلِيسٌ ، أَوْ غِشٌّ أَوْ مُجَاهَرَةٌ بالمَعَاصِيْ ، كَحَلْقِ اللحْيَةِ ، وَشُرْبِ الدُّخانِ ، وَتَشَبُّهٍ بأَعْدَاءِ الإِسْلامِ ، بِجَعْلِ خَنَافِسَ وَتَوَالَيْتٍ ، وَكَخَلْوَةٍ بامْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ ، أَوْ يُرْكِبُهَا مَعَهُ ، وَلَا مَحْرَمَ مَعَهَا ، وَالعِيَاذُ باللهِ ، أَوْ تَصْوِيرُ ذَوَاتِ الأَرْوَاحِ ، أَوْ شِرَائُهَا ، أَوْ الرِّضَى بِهَا وَعَدَمُ اتْلَافِهَا ، أَوْ مَيْلٌ مَعَ بَعْضٍ مَنْ يَجِبُ العَدْلُ بَيْنَهُم ، أَو تَنْشِيْزُ زَوْجَةٍ عَلَى زَوْجِهَا ، أَوْ بالعَكْسِ ، بِأَنْ يُنَشِّزَ الزَّوْجَ عَنْهَا ، أَوْ اضْرَارٌ لِتَفْتَدِي مِنْهُ ، أَوْ جَعْلُ يَدٍ على قَرِيبَةٍ لَهُ وَمَنْعُهَا مِن الزَّوَاجِ إِلَّا لَهُ أَوْ لِمَنْ يُرِيْدُهَا لَهُ ، أَوْ مُسَاعَدَةٌ لِصَاحِبِ مَعْصِيَةٍ ، أَوْ يُؤْوِيَ مُحْدِثاً ، أَوْ عُقُوقٌ لِوَالِدٍ أَوْ وَالِدَةٍ، أَوْ قَطِيْعَةُ رَحِمٍ ، أَوْ وَالعِيَاذُ باللهِ

زِنَى أَوْ لِوَاطٍ ، أَوْ اتْيَانُ مَنْ حَاضَتْ ، أَوْ اتْيَانُهَا في الدُّبُرِ ، أو اتْيَانُ بَهِيْمَةٍ ، أَوْ دِيَاثَةٌ . أَوْ كتْمُ شَهَادَةٍ ، أَوْ خِيَانَةٌ ، أَوْ تَكْذِيْبُ بالمَلاَئِكَةِ ، أَوْ بالجِنِّ ، أَوْ بالبَعْثِ وَالنُّشُورِ ، وَالجَزَاءِ عَلَى الأعْمَالِ ، وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ ، أَوْ حَلِفٌ بِغَيْرِ اللهِ ، أَوْ قَذْفُ مُحْصَنٍ أَوْ شُرْبُ مُسْكِرٍ ، أَوْ سُجُودٌ لِغَيْرِ اللهِ ، أَوْ أَنْ تُلْحِقَ المَرْأَةُ أَوْلاداً بِزَوْجِهَا ، وَكَذَا الزَّانِيْ إذَا أَدْخَلَ أَوْلاداً عَلَى غَيْرِهِ ، أَوْ أَخْذُ مَكْسٍ أَوْ اعَانَةٌ عليه ، أَوْ وَشْمٌ ، أَوْ نَمْصٌ ، أَوْ مَحَبَّةُ قِيَامٍ لَهُ ، أَوْ مُخَاصَمَةٌ بِبَاطِلٍ ، أَوْ جَوْرٌ في وَصِيَّةٍ ، أَوْ اتِّخَاذُ مَسَاجِدَ على القُبُورِ أَوْ إِسْرَاجُهَا ، أَوْ سَرِقَةٌ ، أَوْ جَحْدُ عَارِيَّةٍ ، أَوْ كَذِبٌ عَلَى النبي صلى اللهُ عليه وَسَلمَ ، أَوْ غَصْبُ مَالِ مُسْلِمٍ ، أَوْ أَكلُ مَالِ يَتِيْمٍ ، أَوْ فِطْرٌ في رَمَضَانَ ، أَوْ خِيَانَةٌ في كَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ أَوْ ذَرْعٍ ، أَوْ تَقْدِيْمُ الصَّلاةِ عَلَى وَقْتِهَا ، أَو تَأْخِيْرُهَا عن وَقْتِهَا ، أو ضَرْبُ مُسْلِمٍ بلا حَقٍّ ، أَوْ تَرْوِيْعُهُ ، أَوْ سَبٌّ للصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ، أَوْ رِشْوَةٌ في الحُكْمِ ، أَوْ قِيَادَةٌ ، أَوْ نِسْيَانٌ للقُرْآنِ ، أَوْ تَحْرِيْقُ حَيوانٍ بالنَّارِ أَوْ تَرْكُ الأمْرِ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ، أَوْ يَأْسٌ من رَحْمَةِ اللهِ ، أَوْ أَمْنٌ مِنْ مَكْرِ اللهِ ، أَوْ وَقِيْعَةٌ في أَهْلِ العِلْمِ وَالقُرْآنِ ، أَوْ سِحْرٌ ، أو بَهْتُ مُسْلِمٍ ، أو تَهَاوُنُ القَادِرِ بالحَجِّ إِلَى أَنْ يَمُوتَ ، أَوْ تَكْذِيْبٌ بالقَدَرِ ، أَوْ هَجْرُ مُسْلِمٍ فَوْقَ ثلاثٍ ، إلَّا لِعُذْرٍ في المَهْجُورِ كَتَظَاهُرِهِ بالفِسْقِ ، أَوْ يَكُونُ صَاحِبَ بِدْعَةٍ ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، أَوْ بَيْعُ حُرٍّ ، وَأَكْلُ ثَمَنِهِ ، أَوْ منْعُ أَجِيْرٍ أُجْرَتَهُ ، بَعْدَ اسْتِيْفَاءِ العَمَلِ مِنْهُ ، أَوْ اتْيَانُ كاهِنٍ ، أَوْ اتخاذ شَيْءٍ فِيْهِ الرُّوْحُ غَرَضاً ، أَوْ لَعْنُ مُسْلِمٍ ، أَوْ التَّسَبُّبُ في لَعْنِ الوَالِدَيْنِ ، أَوْ يَقُولُ في يَمِيْنِهِ : وَإِلَّا كُنْتُ يَهُودِيّاً ، أو نَصْرَانِيّاً ، أو كافِراً وَنَحْوَ هَذَا وَالعِيَاذُ باللّهِ ، أَوْ يَتَتَبَّعُ عَوْرَاتِ المُسْلِمِيْنَ ، أَوْ يُنَابِزَ بالألْقَابِ المكرُوهَةِ عِنْدَ مَنْ لُقِّبَ بِهَا مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ ، أَو يَنْتَسِبَ إِلَى غَيْرِ أَبِيْهِ ، أو يَطْعَنَ في الأنْسَابِ الثَّابِتَةِ في ظَاهِرِ الشَّرْعِ ، أو نِيَاحَةٍ عَلَى مَيِّتٍ ، أَوْ امْتِنَاعِ المَرْأَةِ مِنْ فِرَاشِ زَوْجِهَا بِلَا

عُذْرٍ ، أَوْ يَقُولُ لِمُسْلِمٍ يا كَافِرُ ، أَوْ يا عَدُوّ اللهِ ، أَوْ يَسُبُّ الدَّهْرَ ، أو يَعْصِرُ العِنَبَ لِلْخَمْرِ ، أَوْ يَزْرَعُ الدُّخَانَ ، أَوْ يَبِيْعُه أَوْ يُورِّدُه ، أَوْ يَحْلِقُ لِحَىٰ المُسْلِمِيْنَ ، أو يُسَاعِدُهُم عَلَى التشَبُّهِ بأعْدَاءِ اللهِ بِتَصْلِيْحِ خنافِسِهم ، وَجُغْلَانِهِم وَتَوالِيَاتِهِم ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، أَوْ يُقَامِرُ ، أَوْ يَشْهَدُ بالرِّبَا ، أَوْ يُوكِّلُه ، أَوْ يَكْتُبُهُ ، أَوْ يَمْنَعُ ابْنَ السَّبِيْلِ عَنْ فَضْلِ ما ، أَوْ يَمُنُّ بالعَطَاءِ ، أو يُسْبِلُ وَيَجُرُّ ثَوْبَهُ خُيلَاءَ أَوْ يَجُورُ فِي الحُكْمِ ، أَوْ يُحْدِثُ في الدِّيْنِ ، أَوْ يُؤْوِي مُحْدِثًا أَوْ يَتَكَبَّرُ ، أَوْ يَخْتالُ في مَشْيَتِهِ ، أَوْ يَعْتَادُ الكَذِبَ أَوْ يَكْذِبُ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ ، أَوْ يَسْتَمِعُ لِمَنْ يَكْرَهُوْنَ سَمَاعَهُ ، أَوْ يَكُونُ ذَا وَجْهَيْنِ أَوْ يَغُلُّ مِنَ الغَنِيْمَةِ ، أَوْ يَقْتُلُ نَفْسَهُ ، أَوْ يَقْتُلُ ذِمّياً ، أَوْ يَأْكُلُ الحَرَامَ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ ، أَوْ سُخْرِيَةٌ ، وَاسْتِهْزَاءٌ بِمُسْلِمٍ ، أَوْ تَعَلُّمُ العِلْمَ لِغَيْرِ وَجْهِ اللهِ ، أَوْ يُفَسِّرُ القُرْآنَ بِرَأْيِهِ ، أَوْ يَكْتُمُ عِلْماً شَرْعِيّاً مَعَ تَعَيُّنِ الجَوَابِ عَلَيْهِ ، أَوْ مِرَاءٌ في القُرْآنِ ، أَو مُرُورٌ بَيْنَ يَدَيْ مُصَلٍّ ، أو يَسْتَدِيْنَ ولا يُرِيْدُ الوَفَاءَ ، أو يُحَلِّلَ المَرْأَةَ لِغَيْرِهِ ، أَوْ تُحَلَّلَ لَهُ ، أَوْ افْشَاءُ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ السِّرَّ الذِي بَيْنَهُمَا. أو يَجْعَلُ عندهُ في بَيْتِهِ كُفاراً لَخَدّامين ومُرَبِّين وسَوَّاقِينَ وطَبَّاخِينْ وخَياطِين رِجَالاً ونِسَاءً أو يَتَسبَّبْ لإتْيَانِهم لبلادِ المسلمين.

وذُقْتُ مَرارَتَ الأشياطُـــــراً فَمَا طُعْمٌ أَمَرَّ من المَعَـــاصِيْ

وَنَحْوُ هَذِهِ المَعَاصِيْ ، وَرُبَّمَا خَرَجَ مِنْ صَحِيْفَةِ الإِنْسَانِ مَعْصِيَةٌ يَظُنُّهَا سَهْلَةً ، وَهِيَ عِنْدَ اللهِ عَظِيْمَةٌ ، قَالَ النبي صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ العَبْدَ لِيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيْهَا ، يَزِلُّ بِهَا في النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ » وَرُبَّمَا عَمِلَ أَعْمَالاً ظَنَّهَا حَسَنَاتٍ ، فَتَبْدُو يَوْمَ القِيَامَةِ سَيِّئَاتٍ ، بِسَبَبِ رِيَاءٍ أو غَيْرِهِ .

وَمَا أَدْرِيْ وَإِنْ أَمَّلْتُ عُمْـراً لَعَلّي حِيْنَ أُصْبِحُ لَسْتُ أُمْسِيْ
ولِلْدُّنيَا وسَاكِنِهَـــا سُيُـــوْلٌ وأَنْتَ عَلَى مَدَارِجِهِــنَّ مُرْسِيْ

كَأَنَّكَ لا تَرى بالخَلْق نَقْصاً وأَنْتَ تَراهُ كُلَّ شُرُوْقِ شَمْسِ
أَلَمْ تَرَى أَنَّ كُلَّ صَبَاحِ يَومٍ وَعُمْرُكَ فِيْهِ أَقْصَرُ مِنْـهُ أَمْسِ

والله أَعْلَم وصَلَّى الله على محمد .

(فَصْــلٌ)

ثُمَّ تَفَكَّرْ ـ بَعْدَ تَفَكُّرٍ فِيْمَا سَبَقَ ـ في الصِّرَاطِ ، الذِيْ هُوَ الجَسْرُ المنصُوْبُ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ ، بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنارِ ، خَرَّجَ البَيْهَقيّ مِنْ حَدِيْثِ زِيَادٍ النُّمَيْرِيِّ ، عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « الصِّرَاطُ كَحَدِّ الشَّفْرَةِ ، أَوْ كَحَدِّ السَّيْفِ ، وَانَّ الملائِكَةَ يُنَجُّوْنَ المُؤْمِنِيْنَ ، وَأَنَّ جِبْرِيْلَ لآخِذٌ بِحُجْزَتِيْ ، وَإِنِّي لأَقُولُ يَا رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، فالزَّالُّوْنَ والزَّالاَّتُ يَوْمَئِذٍ كَثِيْرٌ » وَعَنْ أَبِيْ سَعِيْدٍ الخُدْرِيّ عَنْ النَّبي صَلَّى اللهُ عليه وَسَلمَ فذكَرَ حَدِيْثاً طَوِيْلاً قالَ فِيْهِ « ثُـمَّ يُضْـرَبُ الجَسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ ، فَيَقُوْلُونَ اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ » قِيْلَ : يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الجَسْرُ ؟ قالَ « دَحْضٌ مَزَلَّةٌ ، فِيْهِ خَطَاطِيْفُ وَكَلاَلِيْبُ ، وَحَسَكَةٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ ، فِيْهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ فَيَمُرُّ المُؤْمِنُ كَطَرْفِ العَيْنِ وَكَالبَرْقِ ، وَكَالرِّيْحِ ، وَكالطَّيْرِ ، وَكَـأَجَاوِدِ الخَيْـلِ والرِّكَـابِ ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ ، وَمُكَرْدَسٌ عَلَى وَجْهِهِ في النَّارِ » خَرَّجَاهُ في الصَّحِيْحَيْنِ .

خَطَبَ أَحَدُ العُلماء خُطْبَةً بَلِيْغَةً فقال : إعْلَمُوا أَنَّكم مَيِّتُون وَمَبْعُوثُون مِن بَعْدِ الموتِ قال الله جَلَّ وعَلَا : ﴿ ثم إنكم بعد ذلك لَمَيِّتُون ثم إنكم يَوْم القِيَامَةِ تُبعثون ﴾ .

وتُوقَفُونَ على أعمالكم وتُجْزَوْنَ بها فلا تَغُرَنكم الحياة الدنيا فإنها بالبَلاءِ والمَصَائِبِ مَحْفُوْفَة ، وبالفَنَاءِ مَعْرُوْفَة ، وبالغَدْرِ مَوْصُوْفَة ، وكُلُّ ما فيها إلى زَوَال وهِيَ بَيْنَ أَهْلِهَا دُوَلٌ وسِجَال .

شعرا : ما أفضحَ الموتَ للدنيا وزينتِهَا جِدًّا وما أَفْضَحَ الدنيا لِأَهْلِيْهَا
لا تَرْجِعَنَّ على الدنيا بِلَائمةٍ فَعُذْرُها لَكَ بَادٍ في مَسَاوِيها

لم تُبق في غَيْبِها شيئاً لصاحِبِها إلا وقَدْ بَيَّنَتْهُ في معانِيْهَا
تُفنْي البُنِيْنَ وُتْفِني الأهلَ دَائِبَةً ونَسْتَنِيمُ إليها لَا نُعادِيْهَا
فما يَزِيْدُكُمْ قَتْلُ الذي قَتَلَتْ ولا العَداوَةُ إلاَّ رَغبةً فِيْهَا

لا تَدُوْمُ أَحْوَالُهَا ، ولا تَسْلَمُ مِن شَرِّهَا نُزَّالُها ، بينا أهْلُهَا في صَفَاءٍ ورَخَاء وسُرُوْر ونَعيمٍ وحُبُور إذا هُمْ منها في بَلاَءٍ وغُرُور ، العَيْشُ فيها مَذْمُوم والرَّخَاءُ فِيها لا يَدُوْم وإنَّما أهْلُها فيها أعراضٌ مُسْتَهْدَفَة تَرمِيْهاَ بِسِهَامِهَا وتِقْصِمُهُمْ بِحِمَامِهَا ، وكل حَتْفُهُ فِيْهَا مَقْدُوْر وحظُهُ فيها مَوفُوْر .

واعْلمُوْا عِبَادَ الله أنَّكُم وما أنْتُمْ فيه مِن هَذِهِ الدُنْيَا على سَبِيْل مَنْ قد مَضَى مِمَّنْ كانَ قَبلَكُمْ مِمَّنْ كان أطْوَلَ مِنْكُم أعْمَاراً وأشَدَّ منكم بَطْشاً وأعْمَر دِياراً وأبْعَدَ آثارا فأصْبَحَتْ أصْوَاتُهُم هامِدَةً خامِدَةً مِن بَعْدِ طُوْلِ تَقَلُبِهَا وأصبَحَتْ أجْسَادُهُم بالية ودِيَارُهُم على عُرُوْشِهَا خاوية وآثارهم عافية .

واسْتبدلُوْا القُصُورِ المُشَيَّدَةِ ، والسُّرُرِ ، والنَّمَارِقِ المُمَهَّدَةِ بِالتُّراب والصُخور والأحْجَار المسَّندة في القُبور اللاَّطِئَة المُلَحَّدَةِ فَمَحَلُّهَا مُقْتَرَب وسَاكِنُها مُغْتَرِب بَيْنَ أهْلِ مَحِلَّةٍ مُوْحِشِيْن .

لا يَسْتَأْنِسُونَ بالعُمْران ولا يَتَواصَلُونَ تَواصُل الجيران على ما بَيْنَهُم مِنْ قُرْبِ المَكَانِ والجِوَارِ ودُنُوِّ الدارِ وكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَواصُلٍ وَقَدْ أكَلَتْهُم الجَنَادِلُ والثَّرى وأصْبَحُوْا بَعْدَ الحَيَاةِ أمْواتاً وبَعْدَ نَضَارَةِ العَيْشِ رُفَاتَا .

فُجِعَ بِهِمُ الأحْبَاب وسَكَنُوا تَحْتَ التُرَاب ظَعَنُوا فَلَيْسَ لَهُمْ إياب فكَأَنْ صِرْتُمْ إلَى مَا صَارُوْا إليه مِن البَلاءِ والوَحْدَة في دَارِ المَثْوَى وارْتُهِنتُمْ في ذَلِكَ المَضْجَعْ وضَمَّكُم ذلكَ المُسْتَوْدَع .

فَكَيْفَ بِكُمْ إذَا عايَنْتُمُ الأمُورَ بُعْثِرتِ القُبُور وحُصِّلَ ما في الصُّدورِ وَوُقِّفْتُمْ للتَّحصِيْل بَيْنَ يَدَيْ المَلِكِ الجَلِيْل فطَارَتِ القُلُوبُ لإشْفَاقِهَا مِن سَالِفِ الذُنوب وهُتِكَتِ الحُجُبُ والأسْتَار وظَهَرتْ منكم العُيُوبُ والأسْرَار .

هُنَالِكَ تُجْزَى كل نَفْس بِمَا كَسَبَتْ قال الله جل جلاله : ﴿ لِيَجْزِيَ الذين أسَاؤُا بما عَمِلُوا ويَجْزِيَ الذِيْنَ أحْسَنُوا بالحُسْنَى ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَوُضِعَ الكتاب فَتَرى المُجْرِمين مُشْفِقِيْنَ مِمَّا فيه ﴾ الآية .

قالَ بَعْضُ الحُكماء :

تَباً لِطَالِب دُنْياً لا بَقَاءَ لَهَا ... كأنما هِيَ في تَعْرِيْفِهَا حُلُمُ
صَفَاؤُهَا كَدَرٌ سُرُوْرُهَا ضَرَرٌ ... أَمَانُهَا غَرَرٌ أَنْوَارُهَا ظُلَمُ
شَبَابُهَا هَرَمٌ رَاحَاتُها سَقَمٌ ... لَذَّاتها نَدَمٌ وُجْدَانُهَا عَدَمُ
لا يَسْتَفِيْقُ مِنَ الأنكادِ صَاحِبُها ... لَوْ كَانَ يَمْلِكُ ما قَدْ ضُمِّنَتْ أَرَمُ
فَخَلِّ عَنْهَا ولا تَرْكَنْ لِزَهْرَتِهَا ... فإنَّها نِعَمٌ في طَيِّهَا نِقَمُ
واعْمَلْ لِدَارِ نَعِيْمٍ لا نَفَادَلَها ... ولا يُخافُ بها مَوْتٌ ولا هَرَمُ

آخر :

يَا آمِنَ السَّاحَةِ لا يُذْعَرُ ... بَيْنَ يَدَيْكَ الفَزَعُ الأكْبَرُ
وإنَّما أنْتَ كَمَحْبُوْسَةٍ ... حُمَّ رَدَاهَا وَهْيَ لا تَشْعُرُ
والمَرْءُ مَنْصُوْبٌ له حَتْفُهُ ... لَوْ أنَّهُ مِن عَمَهِ يُبْصِرُ
وهَذِهِ النَّفْسُ لَهَا حَاجَةٌ ... والعُمْرُ عن تَحْصِيْلِهَا يَقْصُرُ
وكُلَّمَا تُزْجَرُ عَن مَطْلَبٍ ... كَانَتْ بِهِ أكْلَفَ إذْ تُزْجَرُ
وإنَّمَا تَقْصُرُ مَغْلُوْبَةً ... كالماءِ عن عُنْصُرِهِ يُقْصَرُ
وَرُبَّمَا أَلْقَتْ مَعَاذِيْرَهَا ... لَوْ أنَّهَا وَيْحَهَا تُعْذَرُ
وناظِرُ الموتِ لَهَا نَاظِرٌ ... لَوْ أنَّها تَنْظُرُ إذْ يَنْظُرُ
وزَائِرُ الموتِ لَهُ طَلْعَةٌ ... يُبْصِرُهَا الأكْمَهُ والمُبْصِرُ
وَرَوْعَةُ المَوْتِ لها سَكْرَةٌ ... ما مِثْلُهَا مِن رَوْعَةٍ تُسْكِرُ
وبَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرى مَنْزِلٌ ... يَنْزِلُهُ الأعْظَمُ والأحْقَرُ
يَتْرُك ذُوْ الفَخْرِ بِهِ فَخْرَهُ ... وَصَاحِبُ الكِبْرِ بِهِ يَصْغُرُ
قَدْ مَلأَتْ أرْجَاءَهُ رَوْعَةٌ ... نَكِيْرُهَا المعروفُ والمُنكَرُ

وبَعْـدُ ما بَعْـدُ وأعْظِمْ بِهِ مِن مَشْهَـدٍ ما قَـدْرُهُ يُقْـدَرُ
يُرْجَـفُ مِنْهُ الوَرَى رَجْفَـةً يَنْهَـدُّ منها المَلأُ الأَكْـبَرُ
ولَيْسَ هَـذَا الوَصْفُ مُسْـتَوْفِياً كُلَّ الذي مِن وَصْـفِهِ يُذْكَرُ
وإنَّمَا ذَا قَطْـرَةٌ أرْسَـلَتْ مِنْ أبْحُـرٍ تَتْبَعُهَـا أبْحُـرُ
وقَدْ أتَاكَ الثَّبْتُ عَنْـهُ بِمَا أخْبَرَكَ الصـادِقُ إذْ يُخْـبِرِ
فاعْمَـلْ لَهُ وَيْكَ وإلاَّ فَلا عُـذْرَ وَمَا مِثْلُكَ مَنْ يُعْـذَرُ

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا في سِلْكِ الفَائِزِيْنَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ المُتَّقِيْنَ الذِيْنَ أعْدَدْتَ لَهُمْ فَسِيْحَ جَنَانِكَ ، وأدْخِلْنَا بِرَحمَتِكَ في دَارِ أمَانِكَ وعافنا يا مَولاَنَا في الدنيا والآخِرةِ مِن جَمِيْعِ البَلاَيَا وأجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهِبَاتِكَ وَمَتِّعْنَا بالنَّظَر إلى وَجْهِكَ الكَرِيْمِ مَعَ الذِيْنَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّيْنَ والصِّدِّيْقِيْنَ والشُّهَدَاءِ والصَّالِحِيْنَ ، واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْياء مِنْهُمْ وَالمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

مـوعظة

قال أحَدَ العلماء رحِمَهُ اللهُ في موعظة وَعَظَهَا ألاَ أن الدنيا بَقَاؤُهَا قَلِيل ، وعَزِيْزهَا ذَلِيْل ، وغَنِيها فَقِيْر ، شَابُّهَا يَهْرمْ ، وَحَيُّها يموت ، ولا يَغُرَّكُمْ إقْبالُهَا مَعَ مَعْرِفَتِكمْ بِسُرْعَةِ إدْبَارِها والمَغْرُوْرُ مَن اغْتَرَّ بها .

أيْنَ سُكَانُهَا الذين بَنَوْا مَرابعَهَا وشَقَّقُوْا أنْهارَهَا وغَرَسُوْا أشْجارَهَا وأقَامُوْا فيْها أيَّاماً يَسِيْرَةً وغَرَّتْهُمْ بصُحْبَتِهم وَغُرُّوْا بِنَشَاطِهِمْ فَرَكِبُوا المَعَاصِيْ إنَّهُم كانُوا واللهِ بالدُنْيا مَغْبُوْطين بالمال على كثرة المَنْعِ عَلَيْه مَحْسُوْدِيْنَ على جَمْعِهِ .

ما صَنَعَ التُرابُ بأبْدَانِهِمْ والرَّمْلُ بأجْسَامِهِم والدِّيْدَانُ بأوْصَالِهِم ولُحُومِهِم وعِظَامِهِم وإذا مَرَرْتَ فَنَادِهِمْ إنْ كُنْتَ مُنَادِياً وادْعُهُمْ إنْ كُنْتَ لا بُدَّ دَاعِيًا .

ومُرَّ بِعَسْكَرِهِم وانظر إلى تقارُبِ مَنَازِلِهِمْ وسَلْ غَنِيَّهُمْ ما بَقِى مِن غِنَاه وَسَل فَقِيْرَهُمْ ما بَقِى مَن فَقْرِه واسْأَلْهُمْ عن الألْسُنِ التي كانُوا بهَا يَتَكَلَّمُون

وعن الأَعْيُنِ التي كانُوا بها ينظرون وَسَلْهُمْ عن الاعْضَاءِ الرَّقِيْقَةِ .

والوُجُوْهِ الحَسْنَةِ والاجْسَاد النَّاعِمَة ما صَنَعَتْ بها الدِيْدَان .

مَحَتِ الأَلْوان ، وأَكَلَت اللُّحْمَان ، وعَفَّرَتِ الوُجُوْهُ ، ومَحَتِ الْمَحَاسِنَ ، وكَسَرَتِ الْفَقَار ، .أبانَتِ الأعضاءَ ، ومَزَّقَتِ الأَشْلاء قَـدْ حَيْلَ بَيْنَهُم وبَيْنَ العَمَل وفارَقُوا الأَحبَّة .

فَكَمْ مِنْ ناعِمٍ وناعِمَةٍ أَصْبَحَتْ وِجُوهُمْ بالية ، وأَجْسَادُهم مِن أَعْناقِهِم بائِنَةٌ ، وأَوْصالُهُمْ مُتَمَزِّقَةٌ ، وقد سَالَتْ الحَدَقُ عَلى الوَجَنَاتِ ، وامْتلأَتِ الافْوَاهُ صَدِيْدًا ، ودَبَّتْ دَوَابُ الأَرضِ في أَجْسَامِهِمْ ، وتَفرقَتْ أَعْضَاؤُهُم .

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوْا إلاَّ يَسِيْرًا حَتَّى عَادَتِ العِظَامُ رَمِيْمَا قَدْ فَارَقُوا الحَدَائِق فَصَارُوْا بَعْدَ السَّعَةِ إلى المَضَائِق قد تَزَّوجَتْ نِسَاؤُهُمْ وتَرَدَّدَتْ في الطُرُقِ أَبْنَاؤُهُمْ .

فَمِنْهُمْ واللهُ الموسَّعُ لَهُ في قبره الغَضُّ الناعم فيه المُتَنَعِّمُ بِلَذَّاتِهِ ، فَيَا سَاكِنَ القَبرِ ما الذي غَرَّكَ في الدُنْيا هَلْ تَظُنُ أنَّكَ تَبقَى أو تَبْقَى لَكَ أَيْنَ دَارُكَ الفيحاء ونَهْرُكَ المُطَّرِد وأَينَ ثَمَرَتُكَ الحاضِرُ يَنْعُهَا وأَيْنَ رِقَاقُ ثيَابكَ وأَيْنَ كِسْوَتُكَ لِصَيْفِكَ وشِتَائِكَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يا مُغمض الوَالِد والأَخ وغَاسِلَهْ وَحَامِـلَهُ يا مُدَلِّيْهِ في قَبْرِهِ ورَاحِل عنه ، لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نِمْت على خُشُوْنَةِ الثَّرى ، وبأَيِّ خَدَّيْكَ بَدَأَ البلى ، يا مُجَاوِرَ الهَلْكَي صِرْتَ في مَحَلَّةِ الموت ، لَيْتَ شِعْري ما الذي يَلْقَانِيْ به ملَكُ الموتِ عند خُروجِ رُوْحِي مِن الدنيا .

شِعْرَا :

انْتَبِـهْ مِن كُلِ نَوْمٍ أَغْفَـلَكْ ... واخْشَ رَبَّاً بالعَطَـايَا جَمَّلَكْ
تَابعِ المُختَـارَ واسْلُكْ نَهْجَـهُ ... فَهْوَ نُورٌ مَن مَشَـى فِيهِ سَلَكْ
ثِقْ بِمَوْلاكَ وكُنْ عَبْـداً لَهُ ... إنَّ عَبـدَ اللهِ في الدُنْيَـا مَلِكْ
جَـدِّدِ التَّوْبَ على مَا قَدْ مَضَى ... مِن زَمَانٍ بالمَعَـاصِي أَشْغَـلَكْ

حَاسِبِ النَفْسَ وعَلِّمْهَا الرِضَى بالقَضَا واعْصِ هَوَاهَا تَرْضَ لَكْ
خُذْ مِن التَّقْوَى لِبَـاساً طَاهِراً فالتُّقَى خَيْـرُ لِبَـاسٍ يُمْتَـلَكْ
دَاوِم الذِكْرَ لِخَـلَّاقِ الوَرَى واتْرُكِ الأَمْرَ لِمَنْ أَجْـرَى الفَلَكْ
ذُلَّ واخْضَعْ واسْتَقِمْ واعْبُدْ لَهُ مُخْلِصاً يَفْتَحُ بَابَ الخَيْرِ لَكْ
رَوِّحِ القَلْبَ لِهُ واعْكِفْ عَلَى بَابِهِ فَهْوَ الذِيْ قَـدْ فضَّـلَكْ
زَيِّنِ البَاطِنَ بالتَّقْوَى تَفُـزْ حَسَّنِ الظَّاهِرَ تُعْطَى أَمَـلَكْ
سَلِّم الأَمْرَ لَهُ تَسْـلَمْ فَكَمْ مِن فَتَىَ إذْ سَـلَّمَ الأَمْرَ سَلَكْ
شُقَّ حُجْبَ الكَوْنِ لِلْمَعْبُودِ لا تَلْتَفِتْ إلاَّ إلَيْـهِ يَقْبَـلَكْ
صُنْ عَنْ الدنيـا لِسَـاناً ويَـداً وفُؤَاداً ولَهُ اخـلِصْ عَمَـلَكْ
ضُمَّ أحْشَـاكَ عَلَى تَوْحِيْـدِهِ فَهْوَ نُورٌ يُذهِبُ الدَّاجِي الحَلِكْ
طِبْ لَهُ واقْنَعْ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ فَهْوَ كَافٍ فَضْلُه قَـدْ شَمَـلَكْ
ظُنَّ خَيْراً تَلْقَ ما قَدْ تَرْتَجِي مِن جَمِيْعِ الخَيْرِ حَتَّى يَقْبَلَكْ
عُذْ إليـهِ كُلَّمَـا حَـلَّ البَـلاَ عَلَّ تَسْلَمْ مِن رَجِيْمٍ سَـوَّلَكْ
خُضْ بِحَارَ العُذْرِ في جَنْحِ الدُجَى لِكَرِيْمٍ بالعَطَـايَا خَـوَّلَكْ
فاتْرُكِ التَّدْبِيْرَ والعِـلْمَ لَهُ إسْأَلِ المَوْلَى يُصَفِّيْ مَنْهَـلَكْ
قُلْ بِذُلٍّ : يَا رَحِيْمُ الرُّحَمَا يَا مُنَجِّي بالعَطَـايَا مَن هَلَكْ
كُنْ مُجِيْراً ونَصِيْراً وحِمىً لِعُبَيْدٍ مُذْنِبٍ قَدْ سَـأَلَكْ
لُذْتُ بالبَـابِ فَحَاشَـا أَنْ أُرَى تَعِبـاً والأَمْـرُ والتَّـدْبِيْرُ لَكْ
مَـرَّ عَيْشِي والخَطَـا أَبْعَـدنِي واعْتِقَادِي الصَّفْحُ عَمَّـا كَانَ لَكْ
نَجِّنَـا مِن كُلِّ كَـرْبٍ وبَـلا يَوْمَ يَلْقَى العَبْدُ مَكْتُوبَ المَلَكْ
هَبْ لَنَـا السِتْرَ ولا تَفْضَحْ لَنَا يَا أَلْهِي واعْفُ عَمَّنْ سَـاءَ لَكْ
يَا مُحِبَّ العَفْـوِ يَسِّـر أَمْرَنَا واقْضِ عَنَّـا مَا لِمَخْلُوقٍ ولَكْ
وتَحَنَّـنْ بالعَطَـايَا كَـرَماً أَنْتَ مَوْلاَنـا وأَوْلَى مَنْ مَلَكْ

انتَهَى

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرِكَ وَشُكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِلْقِيَامِ بِأَمْرِكَ وَاعِذْنَا مِنْ عَدُوِّنَا وَعَدُوِّكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ

اللَّهُمَّ إنَّا نَسألك العفوَ والعافِيَةَ في دِيْنِنَا ودُنْيَانَا واهْلِنَا وامْوَالِنَا ونَسأَلُكَ أنْ تَغْفِرَ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا وجميعِ المُسلمين برحْمتكَ يا أرحمَ الرّاحِمين وصلّى الله على مُحمّد وآلِه وصحبِهِ أجمَعِين .

(**فَصْلٌ**) ذَكَرَ التِرمذيُ مِن حديث أُنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يُجاءُ بابن آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ كأنَّه بَذْخٌ فيُوقف بَيْنَ يَدَي الله عَزَّ وَجَلَ .

فيقول الله لَهُ أعْطَيْتُكَ وخَوَّلْتُكَ وأنْعَمْتُ عَلَيْكَ فماذا صَنَعْتَ فَيَقُولُ جَمَعْتُه وثَمَّرْتُهُ وتَرَكْتُهُ أكْثَرَ مَا كَانَ فَارْجِعْنِي آتِيْكَ بِهِ فَيَقُولُ لَهُ أرِنِي ما قَدَّمْتَ فَيَقُولُ

يَا ربِّ جَمَّعْتُهُ وثَمَّرْتُهُ وتَرَكْتُهُ أكْثَر ما كَانَ فارْجِعْنِي آتِكَ بِهِ فإذا عَبْدٌ لَمْ يُقَدِّم خَيْرًا فَيُمْضَى بِهِ إلى النار .

فَتَفَكَّرْ يَا مِسْكِين في نَفْسِكَ مادُمْتَ في قَيْدِ الحَيَاة وأنْتَ تَحكَّمُ في مالِكَ ولا لَكَ مُعَارِضٌ وتَتَصرَّفُ فيه كَيْفَ شِئْتَ واجْعَلْ يَوْمَ تُبْلَى السرائر نَصْبَ عَيْنَيْكَ بَيْنَ مَا أنْتَ في هَذا اليوم العَظِيم الذي قدِ امْتَلَئَتَ فيه القُلُوبُ مِن الخوفِ والقَلَقِ والرُعْبِ والذُعْرِ والانْزِعَاجِ وقد بَلَغَتْ القُلُوبُ الحَناجِر .

قال تعالى : ﴿ وأنْذِرهم يوم الآزِفَةِ إذِ القلوب لدى الحناجر كاظِمين ﴾ فَبيْنا الناسُ في هَذِهِ الحال الَّتِي حُدِثْت عَنْهَا إذ جيء بِجَهَنَّم تُقَادُ بِسَبْعِينَ ألِف زِمَامِ مَعَ كُلِّ زِمَام سَبْعُونَ ألِف مَلَكِ يَجُرُّوْنَها حَتَّى تَكُون بِمَرْأى مِن الخَلْقِ ومَسْمَعِ يَرَوْنَ لِهيْبَها ويَسْمَعُونَ زَفِيْرَهَا فَبَيْنَما أنْتَ في تِلْكَ الحَال إذا أُخِذِ بِضَبْعِكَ وقُبِضَ على عَضُدَيْكَ وجِيءَ بِكَ تَتَخطَّى الرِّقَابَ وتَخْتَرِقُ الصُفُوفَ

والخَلائِقُ يَنظُروْنَ إليكَ حَتّى إذا وَقَفْتَ بينَ يَدَى اللهِ تعالى فَسُئِلْتَ عن القَليلِ والكثير والدقيقِ والجَليلِ والقطْمِيرِ والنَّقِيرِ ولا تَجِدُ أَحَداً يُجَاوِبُ عَنْكَ بِلَفْظَةٍ ولا يُعِيْنُكَ بِكَلِمةٍ ولا يَرُدُّ عَنْكَ جواباً في مَسْأَلة .

وأنْتَ شاهَدْتَ من عِظَمِ الأمْرِ وجَلَالَةِ القدْرِ وهَيْبَةِ الحَظْرَةِ ما أَذْهَبَ بَيَانَكَ وأَخْرَسَ لِسَانَكَ وأَذْهَلَ جَنَانَك .

ونَظَرْتَ يَمْيناً وشِمَالًا وبَيْنَ يَدَيْكَ فلَمْ تَرَ إلاَّ النَّــار وعَمَلَكَ الذَي كُنْتَ تَعْمَل وكَلَّمَكَ رَبُّ العِزَّةِ جَلَّ جَلَالُه بِغَيْرِ حِجَاب يَحْجبُكَ ولا تَرْجُمَان يُتَرْجِمُ لَكَ .

وكَيْفَ تكون حَيْرَتُكَ ودَهْشتُكَ إذَا قِيْلَ عَامَلْتَ فُلَاناً يَوْمَ كَذَا وكَذَا في كَذَا وكَذَا وغَبنْته في كَذَا وكَذَا وغَشَشْتَهُ في السِلْعَةِ الفُلانِيَّةِ .

وتَركْتَ نَصِيْحَتَهُ في كَذَا وكَذَا وبعْتَهُ السِلْعَةَ المَعْيُوبَة ولم تُبَيِّن له العَيْب أَوْ غَصبْتَ فُلاناً أَوْ ظَلَمْتَ فُلاناً أَوْ قَتَلْتَ فلاناً أَوْ أعَنْتَ على قتلِهِ أو نحو ذلِكَ .

وقِيْلَ مَا حُجَّتُكَ أَقِمْ بَيِّنَةً ائتِ بِبُرهان فأَرَدْتَ الكلام فلم تُبَيِّنْ وجِئْتَ بعُذر فَلم يَسْتَبِنْ هيهاتَ أَنَّى لك الكلام وَلَمْ تُنقِحْهُ وأنَّى لَكَ بالعُذْرِ في الدُنْيا لم تُصَحِّحْهُ قال الله جل وعلا : ﴿ وكُلُّهم آتية يوم القيامةِ فَرْدًا ﴾ .

وقَال تبارك وتعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُوم الروحُ والملائكةُ صَفاً لايَتَكَلَّمُونَ إلاَّ مَن أذن لَهُ الرحمن وقال صَوَابًا ﴾ الآيات وقال تعالى : ﴿ ذلك يَوْمٌ مجموعٌ له الناس وذلك يوم مشهود ﴾ الآيتين .

فانْظُر في هذا الموقف عندَ السُؤال بأيِّ بَدَنٍ تَقِفُ بَيْنَ يَدَى اللهِ وَبِأَيِّ لِسَانٍ تُجيبُهُ فاعِدَّ لِلسُؤال جَوابا ولِلْجَوابِ صَوَابًا فما شِئْتَ مِن قَلْبٍ يُخْلَعُ ومِن كَبِدٍ تُصدَعُ ومِن لِسَانٍ يَتَلَجْجُ ومِن أحْشاءٍ تتمَوَّجُ ومِن نَفْسٍ تُرِيْدُ أنْ تَخْرُجَ .

شعـــرا :

سُبْحَانَ ذِى الملكُوتِ أَيَّةُ لَيْلَـةٍ   مَخَضَتْ صَبِيْحَتُهَا بِيَوْمِ الموقِفِ
لَوْ أنَّ عَيْناً أوْهَمَتْهَا نَفْسُهَـا   يَومَ الحِسَابِ تَمثُلاً لم تَطْـرُفِ

وانْظُر ما أشأم تِلْكَ الأَرْبَاح التي رَبِحْتَهَا وأخْسَر تِلْكَ المعاملات الَّتي أَلهتْكَ عن ما خُلِقْتَ له انْظُر كَيْفَ ذَهَبَتْ عَنْكَ مَسَرَّاتُها وبَقِيتَ حَسَرَاتُها والشَّهواتُ التي في ظُلْم العِبَاد انْفَذْتَهَا كَيْفَ ذَهَبَ عَنْكَ الفرحُ بها وبَقِيَتِ التُّبعَةُ .

وانْظُر هَلْ يقبلَ مِنْكَ فِدَا في ذلكَ الموقِف الرَّهِيْب وما الذي يخَلِّصُكَ من ذلك السُؤآلِ قال الله تباركَ وتعالى : ﴿ واتقوا يوماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عن نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ .

وفي بعض الأخْبَارِ يَتَمَنَّى رجَال أنْ يُبْعَثَ بهم إلى النار ولا تُعْرضَ قبائِحُهُمْ على الله تعالى ولا تُكْشَفَ مَسَاوِئُهم على رُؤسِ الخَلائِق ، فما ظَنُكَ بِهذَا المَقَامِ وبِهَذَا السُؤآل وبِهَذَا النَّكال والوَبَال .

وما ظَنُّكَ بِنَفْسِكَ وقد جِيءَ بِجَهَنَّم على الوَصْفِ الذي تَقَدَّم وقد دَنَتْ مِن الخَلائِق ، وشَهَقَتْ وزَفَرَتْ ، وثارَتْ ، وفَارتَ .

ونَهَضَ خُزَّانُها ، والمُوكَّلُون بها ، والمُعَدُّوْنَ لِتَعْذِيْبِ أهْلِهَا مُتَسَارِعِيْنَ إلىَ أخذِ مَن أُمِرُوا بأُخْذِهِ ، ساحِبِيْنَ له على بَطْنِهِ ، وحَرُّوَجْهِهِ سامِعِين مُطِيْعِيْنَ لِلِهِ ﴿ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أمَرهُم ويَفْعَلون ما يؤمرون ﴾ .

فتَصوَّرْ حَالِكَ ، وكَيْفَ وقدِ امْتَلأتِ القُلُوب خَوْفاً وَرُعْبا وَذُعْراً وفَزَعَا ، وارتَعَدَتِ الفرائصِ ، وبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ ، واصْطَفَقَتِ الأحشا ، وتَقَطَّعَتِ الأمعاء ، وطَلَبُوا الفرار وطَارُوا لو يَحْصُلُ لَهُم مَطَار .

وَجَثتِ الأُمَمُ على الرُكَبِ وَأَيْقَنَ المذنبون بالهَلاكِ والْعَطَبِ وسُوءِ المُنْقَلِب ، ونَادَى الأنْبِيَاءُ ، والصِّدِيْقُونَ ، والأولِيَاءُ نَفْسِيْ نَفْسِي .

كُلُ نَفْسٍ قَدْ أُفْرِدَتْ لِشأنِها وتُركَتْ لِمَا بِهَا قال الله جل وعلا وتقدس :

﴿ يَوْمَ تأتِي كُلُ نَفْسٍ تُجَادِلُ عن نَفْسِهَا ﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿ يوم لا تملك نَفْسٌ لِنَفْسٍ شيئًا والأمْر يومئذٍ لِلهِ ﴾ وظَنَّ كُلُّ إنسانٍ أنَّهُ هُو المأخوذ ، وأنَّهُ هُوَ المقْصُودُ ، وَ المطْلُوبُ ، وذَهَلَتِ العُقُولُ ، وطَاشَتِ الألْبَابُ ، وتَحيَّرتِ الأذْهَانُ ، وفَرَّ المَرْءُ مِن أخِيهِ وأمِّه وأبيه وصَاحِبَته وبَنِيْه .

واشْتَغَل بشَأنِه الذي يَهِمُّهُ وَيَعْنِيْه ، وسُئِلَ عن جَمِيعِ أمْره سِرِهِ وجَهْرِهِ دَقِيْقِهِ وجَلِيله كَثِيره وقَليلِهِ ، وسُئِل عن أعْضَائه عُضواً عُضْواً وَجَارِحَةً ، وعن شُكْرِهِ عَلَيْهَا ، وعن أدَاءِ حَقِّ الله فيها .

وظَهرَتِ القبائحُ وَكثُرتِ الفَضَائِحُ ، وبَدَتِ المخازي واشْتَهرتِ المساوِي ، وتَرَكَكَ الأهْلُ والأقْرَبُون ، ولم يَنْفَعْكَ مَالٌ ولا بَنُون ، وأقْبَلْتَ تُجَادِلُ عن نَفْسكَ وتخاصم عنها وتطلب المَعَاذِيْر لها قال الله جل وعلا : ﴿ يَومَ تأتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجادِل عن نَفْسِهَا ﴾ .

وقد أُسْلِمْتَ وأفْرِدْتَ واشْتَغَلَ كُلُ إنْسَانٍ عَنْكَ بِنَفْسِهِ قال الله جل وعلا : ﴿ لكَل امْرِىءٍ منهم يَومَئِذ شأنٌ يُغْنِيْه ﴾ وقال عَزَّ مِن قائل : ﴿ واتقوا يَوماً لا تَجْزِيْ نَفْسٌ عن نَفْسٍ شيئاً ﴾ الآية .

وأنشَـدُوا :

خَلِيْلَيَّ ما أقْضِى ومَا أنا قَائِلٌ إذَا جِئْتُ عن نَفْسِي بِنَفْسِي أُجَادِلُ
وقَدْ وضَعَ الرحْمٰنُ في الخَلْقِ عَدْلهُ وسِيْقَ جَمِيْعُ النَّاسِ واليَوْمُ بَاسِلُ
وجِيْءَ بِجُرْمِ النار خَاضِعَةً لَهُ وثُلَّتْ عُرُوْشٌ عِنْدها وَمَجَادِلُ
فيالَيْتَ شِعْرِي ذَلِكَ اليوم هَلْ أَنَاَ أأغْفَر أمْ أُجْزَى بِمَا أنَا فَاعِلُ
فإنْ أكُ مَجْزِياً فَعَدْلٌ وحُجَّةٌ وإنْ يَكُ غُفْرانٌ فَفَضْلَ وَنَائِلُ

آخر :

ألَم تَسْمَعْ عن النَّبأ العَظِيْمِ وعن خَطْبٍ خُلِقَتَ لَهُ جِسِيْمِ

وَزِلْزَالٍ يَهُدُّ الأَرْضَ هَـدًّا ... وَيَرْمِي فِي الحَضِيْضَةِ بِالنُّجُوْمِ
وأَهْوالٍ كَأَطْوَادٍ رَوَاسَـي ... تَلاطَمُ فِي ظُلُوعٍ كَالهَشِـيْمْ
فَمِن رَاسٍ يَشِيْبُ وَمِن فُؤَادٍ ... يَذُوْبُ وَمِن هُمُومٍ فِي هُمُوْمْ
وسَكرانٍ ولَمْ يَشْرَبْ لِسُكْرٍ ... وهَيْمانٍ ولَمْ يَعْلَقْ بِرِيْمْ
ومُرْضِعَةٍ قَدْ أَذْهَلَها أَساهَا ... فَمَا تَدْرِي الرَّضِيْعَ مِن الفَطِيْم
ومُؤْتَمةٍ تَوَلَّتْ عن بَنِيْهَـا ... وأَلْقَتْ بِاليَتِيْمَةِ واليَتِـيْمِ
وحُبْلَى أَسْقَطَتْ ذُعْراً وَخَوْفاً ... فَيَاللهِ لِلْيَـوْمِ العَقِيْـمِ
وهَذا مَشْهَـدٌ لا بُدَّ مِنْـهُ ... وجَمْعٌ لِلْحَـدِيْثِ ولِلْقَـدِيْمِ
وما كِسْرَى وَقَيْصَرُ والنَّجَـاشِي ... وتُبَّعُ والقُرُوْمُ بَنُـوا القُرُوْمِ
بذَاكَ اليَومِ إِلاَّ فِي مَقَـامٍ ... أَذَلَّ مِن التُرابِ لِـذِي السَّـلِيمِ
وما لِلْمَرءِ إِلاَّ مَا سَـعَاهُ ... لِدارِ البُؤْسِ أَوْ دَارِ النَّعِـيْمِ
وأَنْتَ كَمَا عَلِمْتَ وَرُبَّ أَمْرٍ ... يَكُونُ أَذاهُ أَوْقَـعُ بِالعَـلِيْمِ
فَدَعْ عَيْنَيْكَ تَسبَحُ فِي مَعِيْنٍ ... وقَلْبَكَ ذَرْهُ يَقْلُبُ فِي جَحِيْمِ
وشُقَّ جُيُوبُ صَبْرِك شَقَّ ثُكْلَى ... تَعَلَّقَتِ ابْنَهَا رَجُلاً سَهُـوْمْ
وَمَاذَا الأَمْـرُ ذَلِكُمُ وَلَكِنْ ... تُشَبَّهُ بِالبِحَـارِ يَدُ الكَرِيْـمِ

اللَّهُمَّ نَجِّنَا برحمتِكَ مِن النارِ وعافِنَا مِن دارِ الخِزْيِ والبَوَارِ وأَدْخِلنا بِفَضْلِكَ الجنةَ دارَ القَرارِ وعامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يا كريم يا غَفارُ واغْفِرْ لَنا ولوالِدِيْنَا ولجميعِ المسلمينَ الأَحياءِ مهم والميتينَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرحَمَ الراحمينَ وصَلّى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين .

خطبة في أشراط الساعة لِأَحَدِ العُلَماءِ رَحِمَهُ اللهُ تعالى

الحمد لله الذي جعل الليّل والنهار خلقةً لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكوراً

الذي اعترفت بوحدانيّته جميع مخلوقاته فارجع البصر إلى السماء هل ترى من فطور أحمده سبحانه وتعالى حمد عبدٍ معترف بصدق اليقين وأشكره شكراً دائماً في كل حين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكة له الملك الحق المبين وأشهد أن سيّدنا محمداً عبده ورسوله الصّادق الوعد الأمين اللهم صلِّ وسلّم علَى عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه صلاة وسلاماً يمتدان إلى يوم الدين .

أما بعد : أيها النّاس اتقوا الله تعالى فإن تقواه من النار حصنٌ حصين وتنزهوا عن حب الدنيا كي تفوزوا مع الزّاهدين عباد الله انتبهوا من رقادكم فإن الأجل إلى القبور يسير ولم يبق من دنياكم إلاَّ اليسير اقتربت الساعة فالدنيا على شرف هاروظهرتْ علاماتها ظهور الشمس في رابعة النهار .

ألا إنَّ الدنيا قد أدبرت وولّت حذاء ولم يبق منها إلاَّ كصبابة عيش يتصابها أهلها وإن الآخرة قد أقبلت فكونُوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عملٌ ولا حساب وغداً حسابٌ ولا عمل أما ترون الأمانة قد ضيِّعت والزمان تغيّر بظهور الفواحش في كل مكان وتتابعَ الفِتَنِ ودخولها من كل باب ووقوف الأعراب على أفواه الشعاب وتطاول الحفاة العراة في البُنيان .

وفشُوّ الحسد والظّلم والجور وقتل النفس بغير حق ونزع الإيمان والرحمة من القلوب وجور الحكّام وفتك الأعراض وموت العلماء العاملين واحداً بعد واحد كأنهم للمنية أغراض .

وفشو الزنا والربا وهما سبَب للفقر والأمراض وساد القبلية منافقوها وعلا فجارها صالحيها وصار زعيم القوم أرذلهم وارتفعت الأصوات في المساجد وأكرم الرجل مخافة شره فصار العاصي عند الناس قريباً والمطيع بين أظهرُهم غريباً .

ألا هل معين على غربة الإسلام ألا هل معين على غربة الإسلام فقد بدأ الإسلامة غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فعند ظهور هذه العظائم يؤخذ بالجرائم أما كان المغنم دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً أما تُعلِّم العلم لغير الدين أما أطاع الرجل زوجته وعق أمّه وبرَّ صديقه وجفا أباه .

أما شُربت المسكرات ولُبس الحرير واتُّخذت القينات والمعازف ألا فإن المصطفى عليه أفضل الصّلاة والسّلام قال إذا ظهرت هذه فارتقبوا عند ذلك ريحاً حمراً ومسخاً وخَسفاً وفي صحيح مسلم من حديث حذيفة مرفوعاً لن تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات فذكر الدخان وخروج يأجوج ومأجوج وتخريب الكعبة ورفع القرآن من صدور حامليه وخروج الدَّابّة ومحمداً المهدي وطلوع الشمس من مغربها .

فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجْمَعُون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً وآخر الآيات نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم تبيت معهم حيث باتُوا وتقيل معهم حيث قالوا .

فانتبهوا لهذه الأهوال بما يؤمنكم بالتوبة النصوح والزموا باب مولاكم واقرعوه فإنه مفتوح ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لَعَلَّكُمْ تفلحون ﴾ . أجارني الله وإياكم من عذاب النار وأصلح لي ولكم العمل لدار القرار .

إن أحسن المواعظ للمتدبّرين كلام الله الملك الحق المبين والله يقول وبقوله يهتدي مهتدون ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾ . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ فهل ينظرون إلاَّ السّاعة أن تأتيهم بغتةً فقد جاء أشراطها فأنّى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني وإياكم بما فيه الآيات والذكر

الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

فَصْــــلٌ

وَخَرَّجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيْثِ أَبِيْ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ ، عَنْ أَبِيْ حَازِمٍ عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ، وَأَبِيْ مَالِكٍ ، عن رَبْعِيٍّ ، عَن حُذَيْفَةَ كِلاَهُمَا عَنْ النبي صلى اللهُ عليه وسَلمَ ، فذكرَ حَدِيْثَ الشَّفَاعَةِ ، وَفِيْهِ قَالَ « فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ ، فَيَقُومُ ، وَيُؤْذَنُ لَهُ وَتُرْسَلُ مَعَهُ الأَمَانَةُ والرَّحِمُ ، فَيَقُومَانِ جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ يَمِيْناً وَشِمَالاً ، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كالبَرْقِ » قالَ قُلْتُ : بِأَبِيْ أَنْتَ وَأُمِّيْ أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ البَرْقِ ؟ قالَ « أَلَمْ تَرَ إِلَى البَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ في طَرْفَةِ عَيْنٍ ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيْحِ ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ ، وَأَشَدِّ الرِّجَالِ ، تَجْرِيْ بِهِم أَعْمَالُهم ، وَنَبِيُّكُم صَلَّى اللهُ عليه وَسَلم قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ : رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، حَتَّى تَعْجزُ أَعْمَالُ العِبَادِ ، وَحَتَّى يَجِيْءُ الرَّجُلُ ، فلا يَسْتَطِيْعُ السَّيْرَ إِلاَّ زَحْفَا » قالَ « وفي حَافَتَيْ الصِّرَاطِ كَلاَلِيْبُ مُعَلَّقَةٌ ، مَأْمُورَةٍ بِأَخذِ مَنْ أُمِرَتْ بِأَخْذِهِ فَمُخَدَّشٌ نَاجٍ ، وَمُكَرْدَسٌ في النَّارِ » وَالذِيْ نَفْسُ أَبِيْ هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعِيْنَ خَرِيْفاً .

وَرَوَى أَبُو الزَّعْرَاءِ عن ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : يَأْمُرُ اللهُ بالصِّرَاطِ فَيُضْرَبُ عَلَى جَهَنَّمَ ، فَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِم زُمَراً زمراً ، أَوَائِلُهم كَلَمْحِ البَرْقِ ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيْحِ ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ ، ثُمَّ كَمَرِّ البَهَائِم ، حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ سَعْياً ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ مَشْياً ، حتى يَجْيءَ آخِرُهم يَتَلَبَّطُ على بَطْنِه ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ لِمَ بَطَّأْتَ بِيْ ؟ فَيَقُولُ : إِنِّيْ لَمْ أُبْطِيءْ بِكَ ، إِنَّمَا بَطَّأَ بِكَ عَمَلُكَ » ، وَذَلِكَ أَنَّ الإِيْمَانَ وَالعَمَلَ الصَّالِحَ في الدُّنْيا ، هُوَ

الصِّرَاطُ المُسْتَقِيْمُ في الدُّنْيَا ، الذِيْ ، أمَرَ اللهُ العِبَادَ بِسُلُوكِهِ ، والاسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَهُمْ بِسُؤَالِ الهِدَايَةِ إِلَيْهِ ، فَمَنْ اسْتَقَامَ سَيْرُهُ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ في الدّنْيَا ، وَلَمْ يَنْحرِفْ عَنْهُ يَمْنَةً وَلاَ يَسْرَةً اسْتَقَامَ سَيْرُهُ على الصِّرَاطِ المَنصُوبِ على مَتْنِ جهنمَ ومَن لَمْ يَسْتَقِمْ سَيْرُهُ على الصراطِ المُسْتَقِيمِ في الدُّنَيا بَلْ انْحَرَفَ عنه إمَّا إلى فِتْنَةِ الشُّبُهَاتِ ، أوْ إِلَى فِتْنَةِ الشَّهَوَاتِ كانَ اخْتِطَافُ الكَلاَلِيْبِ لَهُ عَلَى صِرَاطِ جَهَنَّمَ ، بِحَسَبِ اخْتِطَافِ الشُّبُهَاتِ والشَّهَواتِ لَهُ عَنْ هَذَا الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ .

شِعْراً :

أَمَامِي مَوْقِفٌ قُدَّامَ رَبِّي
يُسَائِلنِي وَيَنْكَشِفُ الغِطَاءُ
وَحَسْبِي أن أَمُرَّ على صِرَاطٍ
كَحَدِ السَّيْفِ أَسْفَلُهُ لَظَاءُ

فَفَكِّرْ في أَهْوَالِ الصِّرَاطِ وعَظائِمِهِ ، وَمَا يَحِلُّ بالإنْسَانِ مِنَ الذُّعْرِ وَالخَوْفِ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ، وَوُقُوعِ بَصَرِكَ عَلَى جَهَنَّمَ مِنْ تَحْتِهِ ، وَسَمَاعِكَ شَهِيْقَهَا وَتَغَيُّظَهَا عَلَى الكَفَرَةِ ، وَقَدْ اضْطُرِرْتَ إِلَى أَنْ تَمْشِي على الصِّرَاطِ الذِيْ مَرَّتْ صِفَتُه وَصِفَةُ المُرُوْرِ عَلَيْهِ ، مَعَ ضَعْفِ حَالِكَ ، وَكَوْنِكَ حَافِياً عَارِياً ، وَثِقَلِ الظَّهْرِ بالأَوْزارِ المَانِعَةِ عَنْ المَشْيْ في الأَرْضِ المُسْتَوِيَةِ ، فَضْلاً عَنْ المشْيْ على حَدِّ الصِّرَاطِ ، فَتَصَوَّرْ وَضْعَكَ رِجْلَكَ عَلَيْهِ ، وَإِحْسَاسَكَ بِحِدَّتِهِ ، وَأَنْتَ مُضْطَرٌّ إِلَى أَنْ تَرْفَعَ رِجْلاً وَتَضَعَ الأُخْرَى ، وَأَنْتَ مُنْدَهِشٌ مِمَّا تَحْتَكَ وَأَمَامَكَ ، مِمَّنْ يَئِنُّوْنَ ، وَآخَرُونَ يَزِلُّونَ ، وَآخَرُونَ يُخْطَفُونَ بالخَطَاطِيْفِ وبالكَلاَلِيْبِ ، وَالعَوِيْلُ وَالبُكَاءُ تَسْمَعُ لَه تَتَابُعاً وَدَوِيّاً ، وَتَنْظُرُ الذِيْنَ يَنْتَكِسُونَ عَلَى رُؤوسِهِم ، وَآخَرُونَ عَلَى

وُجُوهِهم، فَتَعلُوا الأرْجلُ ، فَيا لَهُ مِنْ مَنْظَرٍ فَظيْع ، وَمُـرْتَقىً ما أَصْعَبَهُ ، وَمَجازٍ مَا أَضْيَقَهُ ، وَمَكانٍ مَا أَهْوَلَهُ ، وَمَوْقِفٍ ما أَشَقَّهُ ، وَكَأَنّي بِكَ مَمْلُوءٌ مِنَ الرُّعْبِ والذُّعْرِ ، تَلَفَّتُ يَمِيْناً وَشِمَالاً إلى مَنْ حَوْلَكَ مِنَ الخَلْقِ ، وَتُجِيْلُ فِيْهِم بَصَرَكَ ، وَهُمْ يَتَهافَتُونَ قُدَّامَكَ في جَهَنَّمَ ، وَالزَّعَقاتُ بالوَيْلِ وَالثُّبُورِ قَدْ ارْتَفَعَتْ مِنْ قَعْرِ جَهَنَّمَ ، لِكَثْرَةِ مَنْ يَزِلُّ عَنْ الصِّراطِ ، وَالنبيُّ صلى اللهُ عليه وَسَلَمَ يَقُولُ « رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ » فَتَصَوَّرْ لَوْ زَلَّتْ قَدَمُكَ ، فَهَلْ يَنْفَعُكَ نَدَمُكَ ، وَتَحَسُّرُكَ في ذَلِكَ الوَقْتِ كلا « يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الانسانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَىٰ » .

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ ، يَا بَدِيْعَ السَّمَـواتِ وَالأَرْض ، نَسْـأَلُكَ أنْ تَكْفِيْنَا مَا أَهَمَّنا ومَا لا نَهْتَمُّ بِهِ ، وأَنْ تَرْزُقَنَا الاسْتِعْدَادَ لِمَا أَمَامَنَا ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وصلى اللَّهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

رِحْلَةٌ ومَصِيْر :

يـا مَنْ يُتَـابِـعُ سَيِّـدَ الثَّقَـلانِ
كُنْ لِلْمُهَيْمِنِ صَـادِقَ الإِيْمَـانِ
واعْلَمْ بِـأَنَّ اللَّهَ خَـالِقُـكَ الـذِي
سَـوَّاكَ لـم يَحْتَـجْ إلى إِنْسَـانِ
خَلَقَ البَـرِيَّـةَ كُلَّهَـا مِن أَجْلِ أَنْ
تَـدْعُـوهُ بِـالاخْـلاصِ والاذْعَـانِ
قَـدْ أَرْسَلَ الآيَـاتِ مِنْـهُ مُخَـوِّفاً
لِعِبَـادِهِ كَيْ يُخْلِصَ الثَّقَـلانِ
وَأَبَـانَ لِـلإِنْسَـانِ كُـلَّ طَـرِيْقَـةٍ
كَيْ لا يَكُـونَ لَـهُ اعْتِـذَارٌ ثَـانِي

ثم اقْتَضَى أَمْـراً وَنَـهْـيـاً عَلَّهَـا
تَـتَـمَـيَّـزُ التَّقْـوَى عن الـعِصْـيَـانِ
وَوُلِـدْتَ مَفْـطُوراً بِفِـطْرَتِـكِ الَّتِي
لَيْسَتْ سِـوَى التَّصْـدِيْقِ والايمـانِ
وبُـلِيْتَ بِـالـتَّكْـلِيْفِ أَنْتَ مُـخَيَّـرٌ
وَأَمَـامَـك الـنَّجْـدَانِ مُـفْـتَـتَـحَـانِ
فَعَمِلْتَ مـا تَهْـوَى وَأَنْتَ مُـرَاقَبٌ
مَـا كُنْتَ مَحْجُوبـاً عن الـدَّيَّـانِ
ثم انْقَضَى الـعُمْـرُ الـذِيْ تَهْنَـا بِـهِ
وَبَـدَأْتَ في ضَعْفٍ وفي نُـقْصَـانِ
وَدَنَـا الفِـرَاقُ ولاتَ حِيْـنَ تَهَـرُّبٌ
أَيْنَ المَـفَـرُ مِن الـقَضَـاءِ الـدَّانِي
والْتَفَّ صَحْبُـكَ يَـرْقُبُـوْنَ بِحَسْـرَةٍ
مَـاذا تَكُـونُ عَـوَاقِبُ الحَـدَثَـانِ
واسْتَـلَّ رُوْحَـكَ والقُلُوبُ تَقَـطَّعَتْ
حَـزنـاً وَالْقَتْ دَمْعَهَـا العَيْنَـانِ
فـاجْتَـاحَ أَهْـلَ الـدَّارِ حُـزْنٌ بَـالِـغٌ
واجْتَـاحَ مَن حَضَـرُوا مِن الجِيْـرَانِ
فَـالبِنْتُ عَبْـرَى لِلْفِـرَاقِ كَئِيْبَـةٌ
والـدَّمْـعُ يَمْـلأُ سَـاحَـةَ الأَجْفَـانِ
والـزَّوْجُ ثُكْلَى والصِّغَـارُ تَجَمَّعُـوا
يَـتَـطَّلَعُـوْنَ تَـطَلُّعَ الـحَـيْـرَانِ

والابنُ يَــذْأبُ في جَهَازِكَ كَــاتِماً
شيئــاً مِـن الأحْــزَانِ والأَشْــجَــانِ
وَسَرَى الحَدِيْثُ وقَدْ تَساءَلَ بَعْضُهُمْ
أَوَ مَــا سَـمِعْتُم عَـنْ وَفَــاةِ فُــلاَنِ
قَــالُــوا سَمِعْنَــا والــوَفَــاةُ سَبِيْلُنَــا
غَيْــرُ المُهَيْـمِنِ كُــلُ شَــيْءٍ فَــانِي
وأَتَى الحَــدِيْثُ لِوَارِثِيْـكَ فَــأَسْرَعُــوا
مِن كُـلِّ صَـوْبٍ لِلْحُـطَامِ الفَانِي
وأَتَى المُغَسِّــلُ والمُكَفِّنُ قَــدْ أَتَــى
لِــيُــجَــلِلُوكَ بِــحُــلَّةِ الأَكْــفَــانِ
ويُجَرِّدُوْكَ مِن الثِّيَــابِ ويَنْــزَعُــوْا
عَنْــكَ الحَــرِيْــرَ وَحُــلَّةَ الكَتَّــانِ
وَتَعُــودُ فَــرْداً لَسْتَ حَــامِلَ حَــاجَــةٍ
مِن هَــذِهِ الــدُّنْيَــا سِوَى الأَكْفَــانِ
وَأَتَى الحَــدِيْثُ لِوَارِثِيْـكَ فَــأَسْرَعُــوا
فَــأَتُــوا بِــنَعْشٍ وَاهِـنَ الــعِيْــدَانِ
صَلُّوْا عَلَيْــكَ وَأَركَبُــوكَ بِمَــرْكَــبٍ
فَــوقَ الظُّهُــورِ يُحَفُّ بِــالأَحْــزَانِ
حَتَّى إِلَى القَبْــرِ الذِيْ لَــكَ جَهَّزُوا
وَضَــعُــوكَ عِنْــدَ شَــفِيْــرِهِ بِــحَــنَــانِ
وَدَنَــا الأَقَــارِبُ يَــرْفَعُــونَــكَ بَيْنَهُم
لِلَّحْــدِ كَيْ تُمْسِيْ مَــعَ الــدِّيْــدَانِ

وَسَكَنْتَ لَحْداً قَدْ يَضِيْقُ لِضِيْقِهِ
صَدْرُ الحَلِيْمِ وَصَابِرُ الحَيَوانِ
وَسَمِعْتَ قَرْعَ نِعَالِهِم مِنْ بَعْدِ مَا
وَضَعُوكَ في البَيْتِ الصَّغِيْرِ الثَّانِي
فِيهِ الظَّلَامُ كَذَا السُّكُوْنُ مُخَيِّمٌ
والرُّوْحُ رُدَّ وَجَاءَكَ المَلَكَانِ
وَهُنَا الحَقِيْقَةُ والمُحَقِقُ قَدْ أَتَىٰ
هَذَا مَقَامُ النَّصْرِ والخُذْلَانِ
إنْ كُنْتَ في الدُنْيَا لِرَبِّكَ مُخْلِصَاً
تَدْعُوْهُ بالتَّوْحِيْدِ والإِيْمَانِ
فَتَظَلُّ تَرْفُلُ في النَّعِيْمِ مُرَفَهاً
بِفَسِيْحِ قَبْرٍ طَاهِرِ الأَرْكَانِ
وَلَكَ الرَّفِيْقُ عن الفِرَاقِ مُسَلِيَاً
يُغْنِي عن الأَحْبَابِ والأَخْدَانِ
فُتِحَتْ عَلَيْكَ مِن الجِنَانِ نَوَافِذٌ
تَأْتِيْكَ بالأَنْوَارِ والرِّيْحَانِ
وَتَظَلُّ مُنْشَرِحَ الفُؤَادِ مُنَعَماً
حَتَّى يَقُومَ إِلَى القَضَا الثَّقَلانِ
تَأْتِي الحِسَابَ وَقَدْ فَتَحتَ صَحِيْفَةً
بالنُّوْرِ قَدْ كُتِبَتْ وبِالرِّضْوَانِ
وَتَرَى الخَلَائِقَ خَائِفِيْنَ لِذَنْبِهِمْ
وَتَسِيْرُ أَنْتَ بِعِزَّةٍ وَأَمَانِ

وَيُـظِلُّكَ الـلهُ الـكـريـمُ بِـظِلِّهِ
والـنـاسُ فـي عَـرَقٍ إلـى الأذانِ
وتَـرَى الصِّرَاطَ ولَيْسَ فيهِ صُعُوبَـةٌ
كـالبَرقِ تَعْبُـرُ فِيْـهِ نَحْـوَ جِنَـانِ
فَتَرى الجِنَـانَ بِحُسْنِهَـا وَجَمَـالِهَـا
وَتَـرَى القُصُـورَ رَفِيْعَـةَ البُنْيَـانِ
طِبْ في رَغِيْـدِ العَيْشِ دُوْنَ مَشقَّةٍ
تَـكْفِـيْ مَشَقَّـةُ سَـالِفِ الأزْمَـانِ
وَالبَسْ ثِيَابَ الخُلْدِ واشْرَبْ واغْتَسِلْ
وابْـعِـدْ عن الأكْـدَارِ والأحْـزَانِ
سِرْ وانْظُرِ الأنْهَارَ واشْـرَبْ مَاءَهَا
مِن فَـوْقِهَـا الأثْمَـارُ في الأفْـنَـانِ
والشَّهْـدُ جَارٍ في العُيُـونِ مُـطَهَّـرٌ
مَـعَ خَمْـرَةِ الفِـرْدَوْسِ والألْـبَـانِ
والـزَّوْجُ حُـورٌ في البُيُـوتِ كَـوَاعِبٌ
بِيْضُ الـوُجُـوهِ خَـوَامِصُ الأبْـدَانِ
أبكـار شِبْـهِ الـدُّرِ فـي أصْـدَافِـهِ　　واللـؤْلُـو المَكْنُـونِ والمَـرْجَـانِ
وَهُنَـا مَقَـرٌّ لا تَحُـولَ بَعْـدَهُ　　فِيْـهِ السُّـرُوْر بُـرؤْيَـةِ الـرَّحْمَـن
أمَّـا إذَا مَـا كُنْتَ فِيْهَـا مُجْرِمـاً　　مُتَتَبعـاً لِطَـرَائِـقِ الشَّـيْطَانِ
ثَكِلَتْـكَ إمُّـكَ كَيْفَ تَحْتَمِـلُ الأذَى　　أمْ كَيْفَ تَصْـبِرُ في لَظَى النِّـيْرَانِ
فَـإذَا تَفَـرَّقَ عَنْـكَ صَحْبُـكَ وانْثَنَى　　حُمَّـالُ نَعْشِـكَ جَـاءَكَ المَلَكَـانِ
جَـاءآلآ مُـرْهُـوْبَيْنَ مِـن عَيْنَيْهِمَـا　　تُـرمَـىٰ بـأَشْـوَاظٍ مِـنَ النِّـيْرَانِ

سَـألاكَ عَـن رَبٍ قَـديْرٍ خَـالِـقٍ وَعَـن الـذي قَـدْ جَـاءَ بالقُـرْآنِ
فَتقـولُ لا أدْرِيْ وَكُـنْـتُ مُـصـدقـاً أقْـوَالُ شِـبْـهِ مَقَـالَـةِ الثَّقَـلانِ
فَيُـوبِّخـانِـكَ بـالـكـلامِ بِشِـدَّةٍ وَسَـيْضَرِبَانِكَ ضَـرْبَـةَ السَّـجَانِ
فَتصِيْح صَيْحَـةَ آسِفٍ مُتَوَجـعٍ ويَجِي الشُّـجَاعُ وَذَاكَ هَـوْلٌ ثَـانِـي
ويَجِيْ الرَّفِيْـقُ فَيَا قَبَاحَـة وَجْهِـهِ فَكَـأنَّـهُ مُتَمَـرِّدٌ مِـن جَـانٍ
وَتَقُـوْلُ يَـا وَيْـلاَ أمَـالِـي رَجْعَـةٌ حَـتَّى أحـلَّ بِسَـاحَـةِ الإيمَـانِ
لـو عُـدْتَ لِلدنيـا لَعُدْتَ لِمَـا مَضَى فـي جَـانِبِ التَّكْذِيْبِ والعِصْيَـانِ

اللهُمَّ يا جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيْهِ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصِّدْقِ وَالنِّيةِ الصَّالِحَةِ والاخلاصِ والخُشُوعِ والمُرَاقَبَةِ واليَقِيْنِ والعِلْمِ والمَعْرِفَةِ والفَصَاحَةِ والبَيَانِ وَالفَهْمِ في القُرْآنِ وَخُصَّنا مِنْك بالمَحَبَّةِ وَالاصْطِفَائِيَّةِ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ الرَّشِيْدِ والرِّزْقِ الهَنِيْءِ الذِي لاَ حِجَابَ بِهِ في الدُّنْيَا وَلاَ حِسَابَ ولا سُؤالَ ولا عِقَابَ عَلَيْهِ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

نصيحة هـارون الرشيد

قام محمد بن أوسٍ الهلالي لهٰرون الرشيدَ وإعترضَه عند الحَجَر فقال : ياأمير المؤمنين إستمع كلامي فإنك إن سمعتَه حقاً قبلتَه وإن سمعتَه باطلا فلا تَعْبَأً به فوقف الرشيد .

فقال أوسُ يا مَن غُذِي في نعيم وتَرَدَّدَ في مُلْكٍ سَليم إن خِفْتَ العَذابَ الأليمَ وأحْبَبْتَ البقاءَ في سُرُوْرٍ فلا تسمَعَنَّ مِمَّن أنتَ بَيْنَهُما ولا تَغْتَرَنَّ بشيء مِن قولهما فإن الله عز وجل يخلو بكَ دونهما والموتَ يصلُ إليكَ على الطوع

والكرهِ منهما فلا تَقْتَصِدنَّ بالذليلِ ولا تتكثَرَنَّ بالقليل ولا تعتصمْ بغير دافع ولا تَطمئن إلى غير مانع لا يمنعُ ولا يدفعُ عنكَ .

فإنكَ بعينِ الله وبحضرة بيتِهِ الذي جعله مثابةً للناسِ الزائرين ومُنْحَجَراً لِلْفَاجِرِ فأنتفضَ الرشيدُ وجَلَسَ وخلَّا يَدَيْه عنهما وأومَأ أنْ خُذُوا الرجلَ فأخِذَ حتى قَضَى طوافَهُ وصَلَّى ورجعَ إلى المنزل الذي به نَزَلَ وَدَعا بالرجل فأدْخِلَ عليه شيخٍ جليلٍ .

فقال مَنْ قَبِيْلَتَكَ قال بَنُوا هلال قال قبيلة مشهورة فما حملك أن كلمتني بالذي كلمتني .

قال إشفاقا عليكَ إذ أنْضَيْتَ الركابَ وأتعَبْتَ الرجالَ وأنفقتَ الأموالَ في أمورِ الله عَزَّ وجَل أعلمُ بها حتى إذا صرتَ إلى غايةِ الطالب وموضع ترجو فيه الرحمةَ اعتمدتَ على ظالمين طاغيين قد جبلا على الغشم ونشئآ على الظلم وقد قال الله تعالى « وما كنتُ متخذَ المُضِلّينَ عَضُدا » .

فنكس الرشيد رأسه وأقبلَ ينكتُ في الأرض وعيناه تَذْرِفَان ثم رفعَ رأسَهُ فقال من أين مَطْعَمُكَ ومشربك قال من عند من يَرْزُقُكَ قال مَن ذَاكَ قال مِن عندِ مَن خَلقَ الحَبَّ والنَّوىَ وأخرج الحبَّ من الثَّرىَ مِن طعامٍ سَهِرَتْ فيه العُيون وتعبتْ في حصاده الأجسادُ وحَرَسَتْهُ الملائكةُ حتى أتاني به القدرُ بلا رَنْقٍ ولا كدَرَ .

قال ألكَ عيالٌ قال نَعَم قال ومَن هُنَّ قال زوجة قال أتختلفُ إلى تجارة أو تحترفُ في صناعةٍ قال قد كفان الله مُؤْنَةَ ذلك بالعافية قال أفلا أجرى عليكَ رزقا تَستعين به على بعض أمورك وتستغني به عن الطلب مِن غيرِكَ قال إني بالله أغْنَى مِني بما بَذلتَ لي مِن ذلكَ .

قال ألكَ حَاجَةٌ قال نعمْ أطِع الله عَزَّ وجَل فيما تعلمُ مِن سِرِّكَ فإنك تصلُ إلى كل محبوب وتَنَالُ به كُلَّ مطلُوبٍ ولَسْتَ تبلغُ شيئا مِن نِكايةِ عَدُوِّكَ

إلا مِن طاعَتِكَ لربكَ فإنكَ إن أطعْتَهُ جعَلَ ناصِيَةً عَدُوكَ بيدكَ فلا تشاء أمراً إلا بلغتَه ولا مكروها به إلا نلتَه .

قال ألكَ حَاجةٌ غيرَها قال أتؤمنني مِن الموت قال لا أَقْدِرُ على ذلك قال فَتجيرني مِن النار قال لَيْسَتْ في يَدِي قال فَتُدْخِلُني الجَنَّة قال لَسْتُ أمْلِكُ قال أَفَتُحْيِيْ لِي ميتـاً حتى أسألَهُ عمَّا عايَنَ ورَأى قال ذَاكَ في قُدْرَةِ غيري . قال ما أَنْتَ إلا كسائرِ مَن تَرَى مِن رَعِيَّتِكَ غيرَ أن الله عزَّ وجَلَّ فَضَّلَكَ عليهم بما أعطاكَ من هذا الحطام الزائل واسْتَخلَفَكَ في الأرض لينظر كيف تعمل .

ثم خرج فقال الرشيد الحمد لله الذي جعل في رعية أنا عليها مِثلَهُ ولا تزال هذه الآمة بخير ما لم يعدموا هذا ونُظَرَاءَهُ وأشباهه قُلْتُ هذا مِن رقم (١) في العَفَافِ والزُهْد . والله أعلم وصلى الله على محمد .

شِعْرَا :

إعْمَلْ بِعِلْمِكَ تَغْنَمْ أيُها الرَّجُلُ ... لا يَنْفَعُ العِلْمُ إنْ لم يُحْسِنِ العَمَلُ
والعِلْمُ زَيْنٌ وتَقْوى اللَّهِ زِينَتُهُ ... والمُتَّقُوْنَ لَهُمْ في عِلْمِهِم شُغُلُ
وحُجَّةُ اللَّهِ يا ذَا العِلْمِ بَالِغَةٌ ... لا الْمَكْرُ يُنفَعُ فِيْهَا لَا وَلا الحِيَلُ
تَعَلَّمَ العِلْمَ واعْمَلْ ما اسْتَطَعْتَ بِهِ ... لا يُلْهِيَنَّكَ عنه اللَّهْوُ وَالجَدَلُ
وعَلِّمِ الناسَ واقْصُدْ نَفْعَهُمْ أبدَا ... إيَّاكَ إيَّاكَ أنْ يَعْتَادَكَ المَلَلُ
وعِضْ أخاكَ برِفْقٍ عِنْدَ زَلَّتِهِ ... فالعِلْمُ يَعْطِفُ مَنْ يَعْتَادُهُ الزَّلَلُ
وإنْ تكُنْ بَيْنَ قَوْمٍ لاخلاقَ لَهُمْ ... فأمُرْ عَلَيْهِم بِمَعْرُوف إذَا جَهِلُوْا
فإنْ عَصَوْكَ فَراجِعْهُمْ بلا ضَجَرٍ ... واصْبِرْ وصَابِرْ ولا يَحْزُنْكَ ما فَعَلُوا
فَكُلُّ شاةٍ برِجْلَيْهَا مُعَلَّقَةٌ ... عَلَيْكَ نَفْسَكَ إن جَارُوْا وإنْ عَدَلُوا

اللهم إنا نسألك رحمة مِن عندكَ تَهدِي بها قُلُوْبَنَا ، وتَجْمعُ بها شَمْلَنا ،

وتَلمُ بها شَعَثَنَا ، وترفع بها شاهدنا ، وتَحْفَظُ بها غائِبَنَا ، وتزكى بها أعمالنا ، وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم الراحمين .

اللهم يا هادِي المضلين ويا راحم المذنبين ، ومُقِيْلَ عثرات العاثرين ، نسألك أن تُلْحِقَنا بعبادك الصالحين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين .

اللهم يا عالم الخفيات ، ويارفيع الدرجات ، يا غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .

نسألك أن تذيقنا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يا أرحمن الراحيم ، وأرأف الرائفين وأَكرم الاكرمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

« فصـــل »

« مِن رِسالةِ الامام مَالكٍ لِهرُوْنَ الرَّشِيْد »

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيْمِ »

الحمدُ لِلّه رَبِ العَالَمِين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسلينَ ، سيدِنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين .

أَمَّا بَعْدُ ، فإنِّي كَتَبْتُ إلَيْكَ بِكِتَابٍ لَمْ آلُكَ فِيْهِ رُشْداً ، وَلَمْ أَدَّخِرْكَ فِيهِ نُصْحاً ، تَحْمِيْداً لِلهِ ، وأدَباً عن رَسُولِ اللهِ - ﷺ - فَتَدَبَّرْهُ بعَقْلِكَ ، وَرَدِّدْ فِيهِ بَصَرَكَ ، وَارْعِهِ سَمْعَكَ ، ثم اعْقِلْهُ بِقَلْبِكَ ، وأَحْضِرْهُ فَهْمَكَ ، ولا تُغَيِّبَنَّ عنه ذِهْنَكَ .

فإنَّ فِيْهِ الفَضْلَ فِي الدُنْيَا ، وحُسْنَ ثَوَابِ اللهِ تعالى في الآخِرَةِ ، اذْكُرْ نَفْسَكَ في غَمَرَاتِ المَوْتِ وَكُرَبِهِ ، وَمَا هُوَ نَازِلٌ بِكَ مِنْهُ ، وَمَا أَنْت

مَوْقُوفٌ عَلَيْهِ بَعْدَ المَوتِ مِن العَرْضِ على اللهِ سُبْحَانَهُ ، ثُمَّ الحِسَابَ ، ثُمَّ الخُلُودَ بَعْدَ الحِسَابِ .

وأَعِدَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يُسَهِّلُ بِهِ عَلَيْكَ أَهْوَالَ تِلْكَ المَشَاهِدِ وكُرَبِهَا ، فإنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ أَهْلَ سَخَطِ اللهِ تعالى ، وَمَا صَارُوْا إليهِ مِن أَلْوَانِ العَذَابِ ، وشِدَّةِ نِقْمَتِهِ عَلَيْهِم ، وسَمِعْتَ زَفِيْرَهُم في النارِ وشَهِيْقَهُمْ ، مَعَ كُلُوحِ وُجُوْهِهِم ، وَطُوْلِ غَمِّهِمْ ، وَتَقَلُّبِهِمْ في دَرَكَاتِهَا عَلَى وُجُوْهِهِم ، لا يَسْمَعُوْنَ ولا يُبْصِرُوْنَ ، ويَدْعونَ بالوَيْلِ والثُّبورِ .

وأَعْظَمُ مِن ذَلِكَ حَسْرَةً إِعْرَاضُ اللهِ تَعَالَى عَنْهُمْ ، وانْقِطَاعُ رَجَائِهِمْ ، وإجَابَتُهُ إِيَّاهُمْ بَعْدَ طُوْلِ الغَمِّ بِقَوْلِهِ : ﴿اخْسَئُوا فِيْهَا ولا تُكَلِّمُوْنِ﴾ .

لم يَتَعَاظَمْكَ شَيْءٌ مِن الدُّنْيَا إن أَرَدْتَ النَّجاةَ مِن ذَلِكَ ، ولا أَأْمَنُكَ مِن هَوْلِهِ ، ولَوْ قَدَّمْتَ في طَلب النَّجَاةِ مِنه جَمِيْعَ مَا مَلَكَ أَهْلُ الدُّنيَا ـ كانَ في مُعَايَنَتِكَ ذَلِكَ صَغِيْراً .

وَلَو رَأَيْتَ أَهْلَ طَاعَةِ اللهِ تعالى ، وما صَارُوْا إِلَيْهِ مِن كَرَمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، ومَنْزِلَتِهِمْ مَعَ قُرْبِهِمْ مِن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، ونَضِرَةِ وَجُوْهِهِمْ ، ونُورِ أَلوانِهِم ، وسُرُوْرِهِمْ بالنَّعِيْمِ المُقِيْمِ ، والنَّظَرِ إِلَيْهِ وَالمكانَةِ مِنْهُ .

لَتَقَلَّلَ في عَيْنِكَ عَظِيْمُ مَا طَلَبْتَ بِهِ صَغِيْرَ مَا عِنْدَ اللهِ ، ولَصَغُرَ في عَيْنِكَ جَسِيْمُ مَا طَلَبْتَ بِهِ صَغِيْرَ ذَلِكَ مِن الدُّنْيَا .

فاحْذَرْ عَلَى نَفْسِكَ حَذَراً غَيْرَ تَغْرِيْرٍ ، وبَادِرْهُ بِنَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ تُسْبَقَ إِلَيْهَا ، ومَا تَخَافُ الحَسْرَةَ مِنْهُ عِنْدَ نُزُوْلِ المَوْتِ ، وخَاصِمْ نَفْسَكَ على مَهَلٍ ، وأَنْتَ تَقْدِرُ بإِذْنِ اللهِ عَلى جَرِّ المَنْفَعَةِ إِلَيْهَا ، وصَرْفِ الحُجَّةِ عنها ، قَبْلَ أَنْ يَتَوَلَّى اللهُ حِسَابَهَا .

ثُمَّ لَا تَقْدِرُ عَلَى صَرْفِ المَكْرُوْهِ عَنْهَا واجْعَلْ مِن نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ نَصِيْباً باللَّيْلِ والنهارِ ، وصَلِّ مِن النَّهَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً ، واقْرَأْ فِيْهِنَّ مَا أَحْبَبْتَ ، إنْ شِئْتَ صَلِّهِنَّ جَمِيْعاً ، وإنْ شِئْتَ مُتَفرِّقَاتٍ ، فإنَّهُ بَلَغَنِيْ عن النبي - ﷺ - أَنَّهُ قال : « مَن صَلَّى مِن النهارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً في الجَنَّةِ اللهمَّ ثَبِّتْ إيْمَانَنَا بِكَ وبملَائِكَتِكَ وَكُتُبِكَ وَرُسُلِك واليُوْم الآخِرِ والقَدَرِ خيرِهِ وَشَرِّهِ واغْفِرْ لَنَا والوالِدِيْنَا ولِجَمِيْعِ المسلمين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الراحِمِينَ وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين .

وَقَالَ رحمه الله : وَصَلِّ مِنَ اللَّيْلِ ثَمَانَ رَكَعَاتٍ بِجُزْءٍ مِن القُرْآنِ ، وأَعْطِ كُلِّ رَكْعَةٍ حَقَّهَا ، والذي يَنْبَغِيْ فِيْهَا مِن تَمَامِ الرُكُوعِ والسُجُودِ ، وصَلِّهِنَّ مِثْنَي مُثْنَي ، فإنَّهُ بَلَغَنِي عن النبي - ﷺ - أنَّه كانَ يُصَلِّيْ مِن اللَّيلِ ثَمَانَ رَكَعاتٍ ، والوِتْرَ ثَلاثَ رَكَعَاتٍ سِوى ذَلِكَ يُسَلِّمُ مِن كُلِّ اثْنَتَيْنِ .

وصُمْ ثَلاثَة أَيَّامٍ مِن كُلِّ شَهْرٍ : الثَّالثَ عَشَر ، والرَّابِعَ عَشَرَ ، والخَامِسَ عَشَرِ ، فانه بَلَغَنِي عن النبي - ﷺ - أنه قال : « ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ » .

وَاعْطِ زَكَاةَ مَالِكَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُكَ حِيْنَ يَحُولُ عَلَيه الحَوْلُ ولا تُؤَخِرْهَا بَعْدَ حِلِّهَا ، وَضَعْهَا فِيْمَنْ أَمَرَ اللهُ تعالى ، ولا تَضَعْهَا إلَّا في أَهْلِ مِلَّتِكَ مِن المُسْلِمِيْن ، فانَّهُ بَلَغَنِي عن النبي - ﷺ - أنه قال : إنَّ اللهَ تعالى لَم يَرْضَ مِن الصَّدَقَةِ بِحُكْمِ نَبِيٍّ ولا غَيْرِهِ حَتَّى حَدَّها هُوَ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَجْزَاءٍ . قال عَزَّ وَجَلَّ : ﴿إنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَراءِ ، والمَسَاكِيْنَ ، والعاملينَ عليها ، والمؤلفةِ قلوبهم ، وفي الرقابِ ، والغارمين ، وفي سبيلِ الله ، وابنِ السبيل﴾ .

واحْجُجْ حَجَّةَ الاسلام مِن أطْيَبِ مَالِكَ ، وأَزْكَاهُ عِنْدَكَ ، فإنَّ اللهَ تَعالى لا يَقْبَلُ إلا طَيِّباً ، وَبَلَغَنِي أنَّ قولَه تعالى : ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ في يَومَينِ فلا إثْمَ عليهِ ومَن تَأخَّرَ فلا إثمَ عَلَيْهِ ﴾ غُفِرَ لَهُ .

مُرْ بِطَاعَةِ اللهِ وأَحْبِبْ عَلَيْهَا ، وآنْهَ عَنْ مَعَاصِي اللهِ تعالى ، وأبْغِضْ عَلَيْهَا ، فإنَّه بَلَغَنِيْ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : « مُرُوْا بِالمَعْرُوْفِ ، وانْهَوْا عَنِ المُنْكَرِ ، فإنَّما هَلَكَ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ بِتَرْكِهِمْ نَهْيَهُمْ عَنِ المَعَاصِي ، ولَمْ يَنْهَهُمْ الرَّبانِيُّونَ والأَحْبَارُ » .

فَمُرُوْا بالمَعْرُوْفِ ، وانْهَوْا عَنِ المُنْكَرِ مِن قَبْلِ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ الذيْ نَزَلَ بِهِمْ ، فَأَنَّ الأَمْرَ بالمَعْرُوْفِ ، والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ لا يُقَدِّمُ أَجَلاً ، ولا يَقْطَعُ رِزْقاً .

أَحْسِنْ إلى مَنْ خَوَّلَكَ اللهُ تعالى ، واشْكُرْ تَفْضِيْلَهُ إِيَّاكَ عَلَيْهِمْ ، فإنَّهُ بَلَغَنِي عن النبي ـ ﷺ ـ أَنَّهُ كانَ يُصَلِي فانْصَرَفَ ، وقال : « أَطَتِ السَّمَاءُ ، وحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَ ، ما فِيها مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إلا عَلَيْهِ جَبْهَةُ مَلَكٍ سَاجِدٍ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ خَوَلٌ فَلْيُحْسِنْ إِلَيْهِ ، ومَنْ كَرِهَ فَلْيَسْتَبْدِلْ ، ولا تُعَذِّبُوا خَلْقَ اللهِ » .

الْزِمِ الأَدَبَ مَنْ وُلِيْتَ أَمْرَهُ وَأَدِّبْهُ ، ومَنْ يَجِبُ عَلَيْكَ النَّظَرُ في أمرِهِ ، فانَّهُ بَلَغَنِيْ عن النبي ـ ﷺ ـ أَنَّهُ قال لِلْفَضْلِ بنِ العَبَاسِ : « لا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ ، وأَخِفْهُمْ في اللهِ » .

لا تَسْتَسْلِمْ إلى الناسِ واسْتَجْرِهِمْ في طاعةِ اللهِ ، لا تَغْمِص الناسَ ، واخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ ، فإنَّهُ بَلَغَنِي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال :

« ألا أحدثكم بوصية نوح ابنه . قال : آمرك باثنين ، وأنهاك عن اثنين ، آمرك بقول لا إله إلا الله ، فإنها لو كانت في كفة ، والسموات والأرض في كفة وزنتها ، ولو وضعتها على حلقة قصمتها .

وقل : سبحان الله وبحمده فإنها عبادة الخلق ، وبها تقطع أرزاقهم ، فإنهما يكثران لمن قالهما الولوج على الله عز وجل ، وأنهاك عن الشرك والكبر ، فإن الله محتجب عنهما فقال له بعض أصحابه : أمن الكبر أن يكون لي الدابة النجيبة ؟ قال : لا . قال : أمن الكبر أن يكون لي الثوب الحسن ، قال : لا ، قال : أفمن الكبر أن يكون لي الطعام أجمع عليه الناس ؟ قال : لا .

إنما الكبر أن تسفه الحق ، وتغمص الخلق ، وإياك والكبر والزهو ، فان الله عز وجل لا يحبهما، وبلغني عن بعض العلماء أنه قال : « يحشر المتكبرون يوم القيامة في صور الذر تطؤهم الناس بتكبرهم على الله عز وجل »

وسل العياذ من التكبر والهوى ... فهما لكل الشر جامعتان
وهما يصدان الفتى عن كل طر ... ق الخير إذ في قلبه يلجان
فتراه يمنعه هواه تارة ... والكبر أخرى ثم يجتمعان
والله ما في النار إلا تابع ... هاذين فاسئل ساكن النيران

آخر :

قل للوضيع إذا تكبر لا تبل ... ته كل تيهك بالولاية والعمل
ما ازددت حين وليت إلا خسة ... كالكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل

اللهم يا من بيده خزائن السموات والأرض ، عافنا من محن الزمان ، وعوارض الفتن ، فإنا ضعفاء عن حملها ، وان كنا من أهلها ، اللهم وفقنا لصالح الأعمال ، ونجنا من جميع الأهوال ، وأمنا من الفزع الأكبر يوم

الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْــلٌ »

وقال رحمة الله :

لا تَأْمَنْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ مَنْ لَا يَخَافُ اللهَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عن عُمَرَ بنِ الخطابِ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ أنه قال : شَاوِرْ في أَمْرِكَ الذينَ يَخَافُونَ اللهَ ، احْذَرْ بِطَانَةَ السُوْءِ ، وأَهْلَ الرَّدي على نَفْسِكَ .

فانَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النبي ـ ﷺ ـ أَنَّهُ قَالَ : « مَا مِن نَبِيٍّ ولاَ خَلِيْفَةٍ إلا وَلَهُ بِطَانَتَانِ : بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بالمَعْرُوْفِ وتَنْهَاهُ عَن المُنْكَرِ ، وبِطَانَةٌ لا تَأْلُوْهُ خَبالاً ، وهُوَ مَعَ التِي اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ وُقِيَ بِطَانَةَ السُوْءِ فَقَدْ وُقِيَ » .

واسْتَنْبِطَنْ أَهْلَ التَّقْوَى مِن النَّاسِ ، وأكْرِمْ ضَيْفَكَ فإِنَّهُ يَحِقُّ عَلَيْكَ إِكْرَامُهُ ، وارْعَ حَقَّ جَارِكَ بِبَذْلِ المَعْرُوْفِ ، وَكُفَّ الأذى عنه ، فانَّهُ بَلَغَنِي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِن باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » .

وَتَكَلَّمْ بِخَيرٍ أوِ اسْكُتْ ، فإنَّهُ بَلَغَنِي عن النّبي ـ ﷺ ـ أَنَّهُ قَال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أوْ لِيُمْسِكْ » .

واتَّقِ فُضُولَ المَنْطِقِ ، فانَّهُ بَلَغَنِي عن ابن مسعودٍ أَنَّهُ قَالَ : أُنْذِرُكُم فُضُولَ المَنْطِقِ . وأكْرِمْ مَن وَادَّكَ ، وكَافِئْهُ بِمُوَدَّتِهِ ، وإيَّاكَ والغَضَبَ في غَيْرِ اللهِ ، لا تَأمُرْ بِخَيْرٍ إلا بَدَأْتَ بِفِعْلِهِ ، ولا تَنْهَ عَن سُوْءٍ إلَّا بَدَأْتَ بتَرْكِهِ ، دَعْ مِنَ الأمْرِ مَا لاَ يَعْنِيْكَ ، فانَّهُ بَلَغَنِي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : « مِن حُسْنِ اسْلَامِ المرءِ تَرْكهُ مَا لاَ يَعْنِيْهِ » .

صِلْ مَن قَطَعَكَ ، واعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، واعْطِ مَنْ حَرَمَكَ ، فانَّهُ بَلَغَنِي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قالَ : « إنَّهَا أفْضَلُ أخلاقِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ » .

اتَّقِ كَثْرَةَ الضَّحِكِ ، فانَّهُ يَدْعُوْ إلى السَّفَهِ ، فانَّهُ بَلَغَنِي عن النبِي - ﷺ - أَنَّ ضِحْكَهُ كَانَ تَبَسُّمًا.

لاَ تَمْزَحْ فَتَدَمَّ نَفْسَكَ ، فانه بَلَغَنِي عن النبي - ﷺ - أَنَّهُ قال : « إنِّي لأمْزَحُ ولا أقُوْلُ إلاَّ حَقاً » .

لا تُخَالِفْ إلى مَا نَهَيْتَ عَنْهُ ، وإذَا نَطَقْتَ فَأَوْجِزْ ، فإنَّهُ بَلَغَنِي عن النبي - ﷺ - أنه قال : « وَهَلْ يَكُبُّ النَاسَ في نارِ جَهَنَّمَ إلا هَذَا » يَعْنِي لِسَانَهُ .

لا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ، فانه بَلَغَنِي عن النبي - ﷺ - أنه قال : « إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ كُلُّ هَيِّنْ لَيِّنٍ سَهْلٍ طَلِقٍ »

اتْرُكْ مِن أَعْمَالِ السِّرِ مَا لاَ يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَعْمَلَهُ في العَلاَنِيَةِ اتَّقِ كُلَّ شَيْءٍ تَخَافُ فِيهِ تُهْمَةً في دِيْنِكَ ودُنْيَاكَ ، بَلَغَنِي عن النَبِي - ﷺ - أنه قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلا يَقِفْ مَوَاقِفَ التُّهَمِ » .

أَقْلِلْ طَلَبَ الحَوَائِجِ مِن النَّاسِ ، فإنَّ في ذَلِكَ غَضَاضَةً ، وَبَلَغَنِي ، عن النبي - ﷺ - أنه قال لِرَجُلٍ : « لا تَسْأَلِ الناسَ ، ولْيَكُنْ مَجْلِسُكَ بَيْتَكَ أَوْ مَسْجِدَكَ » وبَلَغَنِي عن - النبي - ﷺ - أنه قال : « المَسَاجِدُ بُيُوتُ المُتَّقِيْن » .

لا تُكْثِرِ الشُّخُوصَ مِن بَيْتِكَ إلا في أَمْرٍ لاَ بُدَّ مِنْهُ ، فإنَّهُ بَلَغَنِي عن النبي - ﷺ - أنه قال : « ستَّةُ مَجَالِسِ المُسْلِمُ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ مَا كَانَ في شَيْءٍ مِنْهُنَّ : في سَبِيْلِ اللهِ ، أَوْ فِي بَيْتِ اللهِ ، أو فِي عِيَادَةِ مَرِيْضٍ ، أَوْ شُهُودِ جَنَازَةٍ أو جُمُعَةٍ ، أو عِنْدَ إمامٍ مُقْسِطٍ يُعَزِّرُهُ وَيُوَقِّرُهُ » .

أَحْسِنْ خُلُقَكَ مَعَ أَهْلِكَ ، ومَنْ اعْتَزَّ بِكَ ، فإنَّ ذَلِكَ رِضاً لِرَبِّكَ ، وَمَحَبَّةٌ في أَهْلِكَ ، وَمَثْرَاةٌ في مَالِكَ ، ومَنْسَأَةٌ في أَجَلِكَ .

فانَّهُ بَلَغَنِي «عن بَعْضِ العُلَمَاءِ مِن الصحابَةِ أَنَّهُ قال ذَلِكَ .

أَحْسِنْ البِشْرَ إلى عَامَّةِ النَّاسِ ، واتَّقِ شَتْمَهُمْ وغِيْبَتَهُم فانَّ الله تَعالَى قال : (أَيُحِبُّ أحدُكم أَن يأكلَ لَحْمَ أخِيهِ) . وبَلَغَنِي عن النبي - ﷺ - أنه قال : « لا تَشْتِمِ الناسَ » والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فصـــل)

وقَالَ رَحِمَهُ اللّهُ :

اتَّقِ أَهْلَ الفُحْشِ ، ومُجَالَسَةِ أَهْلِ الرَّدِي ، ومُحَادَثَةِ الضَّعَفَةِ (أي ضُعَفَاءِ العُقُولِ) مِنَ النَّاسِ ، فإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ - أنَّهُ قَال : اعْتَبِرِ النَّاسَ بأخدَانِهِمْ فإنَّما يُخَادِنُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِثْلَهُ .

أكْرِمِ اليَتِيمَ ، وارْحَمْهُ ، واعْطِفْ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَن النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَال : « مَنْ كَفَلَ يَتِيماً لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ » وأَشَارَ بأصْبُعَيْهِ فَضَمَّهُمَا .

اعْرِفْ لابْنِ السَّبِيْلِ حَقَّهُ ، واحْفَظْ وَصِيَّةَ اللّهِ تَعَالَى فِيْهِ فإنَّهُ بَلَغَنِيْ أَنَّ أَوَّلَ مَن ضَافَ الضَّيْفَ إِبْرَاهِيْمُ الخَلِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ .

أعِن المَظْلُومَ ، وانْصُرْهُ مَا اسْتَطَعْتَ ، وخُذْ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ ، وادْفَعْهُ عنْ ظُلْمِهِ ، فإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَال : « مَن مَشَي مَعَ مَظْلُومٍ حَتَّى يَثْبُتَ لَهُ حَقُّهُ ، ثَبَّتَ اللّهُ قَدَمهُ يَوْمَ تَزُوْلُ الأَقْدامُ » .

اتَّقِ اتِّبَاعَ الهَوى فِي تَرْكِ الحَقِّ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « إِنِّي أخافُ عَلَيْكُمْ اثْنَتَيْنِ : اتِّبَاعَ الهَوَى ، وطُوْلَ الأَمَلِ » فَإِنَّ اتِّبَاعَ الهَوَى يَصُدُّ عَنْ الحَقِّ ، وطُولُ الأَمَلِ يُنْسِيْ الآخِرَةَ .

أنْصِفِ النّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَلاَ تَسْتَطِلْ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَن النّبِيِّ ـ ﷺ ـ أنّهُ قَالَ : « أشْرَفُ الأعْمَالِ ثَلاثَةٌ : ذِكْرُ اللّهِ عَلى كُلِّ حَالٍ ، ومُوَاسَاةُ الأخِ مِنَ المالِ ، وانْصَافُ النّاسِ مِنْ نَفْسِكَ » .

اغْضُضْ بَصَرَكَ عَنْ مَحَارِمِ اللّهِ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ عَلِيّ ـ كَرّمَ اللّهُ وَجْهَهُ ـ أنّهُ قَال : لاَ تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ، فَإنَّمَا لَكَ النَّظْرَةُ الأُولَى ، وَلَيْسَت لَكَ الأُخْرَى .

اتَّقِ المَطْعَمَ الوَبِيَّ ، والمَشْرَبَ الوَبِيَّ ، والمَلْبَسَ الوَبِيَّ ، فإِنَ ذَلِكَ تَذْهَبُ أنفَتُهُ ، وتَبْقَى عَاقِبَتُهُ ، وإِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ أدّبَ رُسُلَهُ ، فقال : ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ واعْمَلُوا صَالِحاً﴾ .

وقَالَ النَبِيُّ عَلَيْهِ الصّلاَةُ والسّلام : « مَنْ أَكَلَ بِأخِيْهِ المُسْلِمِ أَكْلَةً ، أطْعَمَهُ اللّهُ مَكَانَهَا أَكْلَةً مِنْ نَارٍ ، ومَنْ سَمَّعَ بِأخِيْهِ المُسْلِمِ سَمَّعَ اللّهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، ومَنْ لَبِسَ بأخِيْهِ المُسْلِمِ ثَوْباً ، ألْبَسَهُ اللّهُ مَكَانَهُ ثَوْباً مِنْ نار » .

اقْبَلْ عُذْرَ مَنِ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ ، وارْجِعْ عَمَّا كَرِهْتَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَن النّبِيّ ـ ﷺ ـ أنّهُ قَال : « مَنِ اعْتَذَرَ إلى أَخِيْهِ المُسْلِمِ فَلَمْ يَعْذُرْهُ كانَ عَلَيْهِ مِثْلُ زْرِ صَاحِبِ مَكْسٍ » .

لِتَكُنْ يَدُكَ العُلْيَا عَلَى كُلِّ مَنْ خَالَطَتْ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِيْ عَن النَّبِيّ ـ ﷺ ـ أنّهُ قَال : « اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى » .

اصْحَبِ الأَخْيَارَ فَإِنَّهُمْ يُعِيْنُونَكَ عَلَى أَمْرِ اللّه عَزَّ وَجلَّ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَن النّبِيّ ـ ﷺ ـ أنّهُ قَال : « مَا تَحَابَّ رَجُلانِ فِي اللّهِ إلاّ كَانَ أفْضَلُهُمَا أَشَدُّهُمَا حُبّاً لِصَاحِبِهِ » .

صِلْ رَحمَكَ وإِنْ قَطَعَكَ ، وَلاَ تُكَافِئْهُ بِمِثْل مَا أتيَ إِلَيْكَ ، فإِنَّهُ بَلَغَنِي عَن النّبِيّ ـ ﷺ ـ أنَّ رَجُلاً قَالَ لَهُ : « إن لِيْ أقْرِبَاءَ ، أعْفُوا وَيَظْلِمُونِي ، وأصِلُ وَيَقْطَعُونِي ، وأُحْسِنُ ويُسِيئُونِي ، أَفَاكَافِئُهُمْ » ؟ فَقَال ﷺ : « اذنْ

تُتْرَكُوا جَمِيْعاً ، ولكِنْ إذا أساءُوْا فأحْسِنْ ، فإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ لَكَ عَلَيْهِمْ مِن اللّهِ ظَهِيْرٌ » اللهُمَّ يَا مَنْ فَتَحَ بَابَهُ لِلطَّالِبِيْنَ وَأَظْهَرَ غِنَاهُ لِلرَّاغِبِيْنَ أَلْهِمْنَا مَا أَلْهَمْتَ عِبَادَكَ الصَّالِحِيْنَ وَأَيْقِظْنَا مِنْ رَقْدَةِ الغَافِلِيْنَ إِنَّكَ أَكْرَمُ مُنْعِمٍ وَأَعَزُّ مُعِيْنٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْــلٌ »

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ : ارْحَمِ المِسْكِيْنَ المُضْطَرَّ ، والغَرِيْبَ المُحْتَاجَ ، وأَعِنْهُ عَلَى مَا اسْتَطَعْتَ مِنْ أَمْرِهِ ، فإِنَّهُ بَلَغَنِي عَن ابن عَبَاسٍ أَنَهُ قَال : « كُلُّ مَعْرُوْفٍ صَدَقَةٌ » .

ارْحَمِ السَّائِلَ ، وارْدُدْهُ مِن بَابِكَ بِفَضْلِ مَعْرُوْفِكَ ، بالبَذْلِ مِنْكَ ، أَو قَوْلٍ مَعْرُوْفٍ تَقُولُهُ لَهُ ، فَإِنَّهُ بلَغَنِي عَن النَّبِيّ ـ ﷺ ـ أَنّهُ قَال : « رُدَّ عَنْكَ مَذَمَّةَ السَّائِلِ بِمِثْلِ رَأْسِ الطَّيْرِ مِن الطَّعامِ » .

لا تَزْهَدْ فِي المَعْرُوْفِ عِنْدَ مَنْ تَعْرِفُهُ ، وعِنْدَ مَنْ لاَ تَعْرِفُهُ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَن النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ أَنَّهُ قَال : « لا تَزْهَدْ فِي المَعْرُوْفِ وَلَوْ أَنْ تَصُبَّ مِن دَلْوِكَ فِي إناءِ المُسْتَقِي » .

أَرِدْ بِكُلِّ مَا يَكُوْنُ مِنْكَ مِن خَيْرٍ إلى أَحَدٍ اللَّهَ ، فإِنَّهُ بَلَغَنِي عن النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ أَنّ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الّذينَ هُم﴾ . . . الآية . قال : المُنَافِقُ الّذي إِنْ صَلَّى رآءى، وإِنْ فَاتَتْهُ لَمْ يَبْلُغْ إِلَيْهَا ﴿وَيَمْنَعُوْنَ المَاعُونَ﴾ قَال : الماعون : الزَّكَاةَ الّتي فَرَضَها اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

إِيَّاكَ والرِّيَاءَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِيْ أَنَّهُ لاَ يَصْعَدُ عَمَلُ المُرَائِي إلى اللّهِ عَزَّ وَجَلّ ، وَلاَ يُزَكِّيْهِ عِنْدَهُ . إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ بِعَمَلٍ مَا عَمِلْتَ فِيْمَا بَيْنَكَ

وَبَيْنَ اللَّه فافْعلْ ، فَإِنَّهُ بَلغَنِي عَن النّبِيّ - ﷺ - أَنَّهُ قالَ : « نَضَّرَ اللَّهُ امْرءاً سَمِعَ مَقالَتِي فَوَعَاهَا حَتَّى يُبَلِّغَها غَيْرَهُ ، فَرُبَّ غائِبٍ أَحْفَظ مِن شَاهِدٍ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيْهٍ » .

لَا يَغْفُلُ قَلْبُ امْرِيءٍ مُسْلِمٍ عَن ثَلاثِ خِصَالٍ : إِخْلَاصُ العَمَلِ لِلَّهِ ، والنَّصِيْحَةِ للإِمَامِ العَادِلِ ، والنَّصِيْحَةِ لِعَّامَةِ المُسْلِمِيْنَ ، فإِنّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ من وَرَائِهُمْ .

إِيَّاكَ وَسُوْءُ الخُلُقِ ، فَإِنَّهُ يَدْعُوْ إلى مَعَاصِي اللَّهِ تَعَالى ، وَقَدْ بَلَغَنِيْ عَن النّبِيّ - ﷺ - أنَّهُ قال : « خِيارُكُمْ أحْسَنُكُمْ أخْلَاقاً » .

إخْضَعْ لِلَّهِ إذَا خَلَوْتَ بِعَمَلك ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِيْ عَن النّبِيّ ﷺ : « أَنَّ مَلَكاً أتَاهُ فقال : إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السّلامَ وَيقُولُ : إنْ شِئْتَ أجْعَلُكَ مَلَكاً نَبِيّاً أَوْ عَبْداً نَبِيّاً ، فأشَارَ إِلَيْهِ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السّلامُ أنْ تَوَاضَعَ ، فَمَا أكَلَ مُتّكِئاً حَتَّى مَاتَ » .

لا تَظْلِمِ النّاسَ فَيُدِيْلُهُمْ اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِيْ عن بَعْضِ العُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ قَال : ما ظَلَمْتُ أحداً أشَدَّ عَلَيَّ ظُلْماً مِن أحدٍ لَا يَسْتَعِيْنُ عَلَيَّ إلا بِاللَّهِ تعالى .

احْذَرِ البَغْيَ فَإِنَّهُ عَاجِلُ العُقُوْبَةِ ، بَلَغَنِيْ عَن النّبي - ﷺ - أنّهُ قَالَ : « إِنَّ أعْجَلَ الخَيْرِ ثَوَاباً صِلةُ الرَّحِمِ ، وإِنَّ أعْجَلَ الشَّرِّ عُقُوْبَةً اليَمِيْنُ الغَمُوْسُ تَتْرُكُ الدِّيَارَ بَلاقِعَ » .

لَا تَحْلِفْ بِغَيْرِ اللَّهِ في شَيْءٍ ، فإِنَّهُ بَلَغَنِيْ عنْ النّبِيّ - ﷺ - أنّهُ قَال : « لا تَحْلِفُوا بآبائِكُمْ ، لِيَحْلِفَ حَالِفٌ باللَّهِ أو لِيَسْكُت » . ولا تَحْلِفْ باللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَإِنَّهُ بَلَغَنِيْ أنَّ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالى : ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَة لأيْمَانِكُمْ﴾

اللهم اعْمُرْ قُلوبَنا وَألْسِنَتَنا بذِكْرِك وَشُكْرِك وَوَفِّقْنَا للامْتِثَالِ لأمْرِكَ وَأَمِّنا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكرِكَ واجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَآئِكَ المُتَّقِيْنَ وَحِزْبِكَ

المفْلِحِيْنَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فصل)

وقَال رَحِمَهُ اللّهُ :

ارْحَم النّاسَ يَرْحَمْكَ اللّهُ . بَلَغَنِيْ عَن النّبِيّ - ﷺ - أَنّهُ قال : « مَنْ لَا يَرْحَمُ النّاسَ لا يَرْحَمْهُ اللّهُ » .

أحْبِبْ طَاعَةَ اللّهِ يُحِبُّكَ اللّهُ ، ويُحَبّبُكَ إلى خَلْقِهِ ، قالَ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبيِّهِ : (قُل إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللّهَ فاتَّبِعُوْني يُحْبِبْكُمْ اللّهُ) .

وقَال عَلَيْهِ الصّلاة والسّلام : « إنَّ اللّهَ جَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِيْ فِي السُّجُودِ » .

وقَال بَعْضُ العُلَمَاءِ : مَا أَسَرَّ عَبْدٌ قَطُّ سَرِيْرَةَ خَيْرٍ إلَّا أَلْبَسَهُ اللّهُ رِدَاءَهَا ، وَلَا أَسَرَّ سَرِيْرَةَ شَرٍّ قَطُّ إلَّا أَلْبَسَهُ اللّهُ رِدَاءَهَا .

ولْيَكُنْ عَلَيْكَ السَّكِيْنَةُ والوَقَارُ فِي مَنْطِقِكَ ومَجْلِسِكَ ومَرْكَبِكَ ، فَإنَّهُ بَلَغَنِيْ عَنْ النّبِيّ - ﷺ - أَنّهُ قَال : « إذا رَكِبْتُمْ هَذِهِ الدَّوَابَّ العُجْمَ فَاعْطُوْهَا حَظَّهَا مِن الأَرْضِ » .

عَلَيْكَ بالحِلْمِ والإغْضَاءِ عَمّا كَرِهْتَ ، وَلَا تَتَبَّعْ ذَلِكَ مِنْ أَحَدٍ بَلَغَكَ عَنْهُ أَذَى ، ولا تُكَافِئْهُ فَإنَّ فِي ذَلِكَ الفَضْلُ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، بَلَغَنِيْ عَن النّبِيّ - ﷺ - أَنّهُ قالَ : « إنَّ اللّهَ يُحِبُّ الحَلِيْمَ الحَيِيَّ العَفِيْفَ المُتَعَفِّفَ » .

ادْفَعِ السَّيّئَةَ بالّتي هِيَ أَحْسَن ، بَلَغَنِيْ عَنِ النّبِيّ - ﷺ - أَنّهُ قَالَ : « أيُّهَا السُّلَمِيّ اتّقِ العُقُوقَ وقَطِيْعَةَ الرَّحِمِ ، فَإنَّ فِي ذلِكَ شَيْناً في الدُّنْيَا وتَبَاعُداً فِي الآخِرَةِ » .

وبَلَغنِيْ عَنِ النّبِيّ - ﷺ - أَنّهُ قال : « اشْتَكَتِ الرَّحِمُ إلى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّنْ يَقْطَعُهَا ، فَرَدَّ اللّهُ عَلَيْهَا أمَا تَرْضَيْنَ أنْ أصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وأقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ » .

إذا غَضِبْتَ مِنْ شَيْءٍ مِنْ أمْرِ اللّهِ فاذْكُرْ ثَوابَ اللّهِ عَلَى كَظْمِ الغَيْظِ ، قالَ عزَّ وَجَلَّ : « والكَاظِمِيْنَ الغيظَ والعَافِينَ عن النّاسِ » الآية .

وَبَلَغنِيْ عنِ النَّبيّ ـ ﷺ ـ أَنَّهُ قَالَ : « ما امْتَلأَ رَجُلٌ غَيْظاً فَكَظَمَهُ لِلّهِ إلاَّ مَلأَهُ اللّهُ رِضْوَاناً يَوْمَ القِيامَةِ » .

إذا وَعَدْتَ مَوْعِداً فِي طَاعَةِ اللّهِ فَلا تُخْلِفْهُ ، وإذَا قُلْتَ قَوْلاً فِيْهِ رِضَا اللّهِ فأوْفِ بِهِ وَدُمْ عَلَيْهِ ، بَلَغنِي عَن النَّبِي ـ ﷺ ـ أنَّهُ قَال : « مَنْ تَكَفَّلَ بِستٍّ أتَكَفَّلُ لَهُ بالجَنَّةِ : إذا حَدَّثَ لَمْ يَكْذِبْ ، وإذا وَعَدَ لَمْ يُخْلِفْ ، وَإذا ائْتُمِنَ لَمْ يَخُنْ ، وغَضَ بَصَرَهُ، وحَفِظَ فَرْجَهُ ، وَكَفَّ يَدَهُ » .

إذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِيْنٍ لَيْسَتْ مِن طَاعَةِ اللّهِ فَلاَ تَهُمَّنَّ بِهَا وَكَفِّرْهَا ، فَإنَّهُ بَلَغنِيْ عَنْ النَّبِيّ ـ ﷺ ـ أنَّهُ قَال : « لا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللّهِ وَكَفَّارَتُهَا كَفَّارَةُ يَمِيْنٍ والنَّذْرُ يَمِيْنٌ وإذا حَلَفْتَ علَى يَمِيْنٍ ثُمَّ رَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا فأتِ الّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكفِّرْ عَن يَمِيْنِكَ » فَإنَّهُ بَلَغنِيْ عَن النَّبِيّ ﷺ أنَّهُ قَالَ ذَلِكَ .

إيَّاكَ وَالتَّزَيُّدَ فِي القَوْلِ ، وأَنْ تَقُوْلَ قَوْلاً وأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ، فَإنَّهُ بَلَغنِيْ عنِ النَّبِيّ ـ ﷺ ـ أَنَّهُ قَال : « ثَلاثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللّهُ إلَيْهِم يَوْمَ القِيَامَةِ ، الإمامُ الكذَّابُ ، والعَائِلُ المزْهُوْ ، والشَّيْخُ الزَّانِي » .

بَرَّ وَالِدَيْكَ وخُصَّهُمَا مِنْكَ بِالدُّعَاءِ فِي كُلِّ صَلاَةٍ ، وأَكْثِرْ لَهُمَا الاسْتِغْفَارَ ، وابْدَأْ بِنَفْسِكَ قَبْلَهُمَا ، فإنَّ إبْرَاهِيْمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قال : « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ » فَبَدأ بِنَفْسِهِ قَبْلَ وَالِدَيْهِ . وَبَلَغنِي عَنِ النَّبِيّ ـ ﷺ ـ أنَّهُ قَال : « مَنْ سَرَّهُ أنْ يُنْسأ لَهُ فِي عُمُرِهِ ، ويُزادَ فِي رِزْقِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ ، ولْيَصِلْ رَحِمَهُ » .

اشْكُرِ النَّاسَ مَا أتوا إلَيْكَ مِنْ خَيْرِهِم ، وكَافِئْهُمْ إن قَدِرْتَ عَليه ، فَإنَّهُ بَلَغنِيْ عَنِ النَّبِيّ ـ ﷺ ـ أنَّهُ قالَ : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللّهَ » واللّهُ

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَ باليَوْمِ الآخِرِ وَبِالقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِهِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فصــل)

وقَال رَحِمَهُ اللّهُ :

إِذا رَكِبْتَ دَابَّةً فَوَضَعْتَ رِجْلَكَ فِي الرِّكَابِ ، فَقُلْ : بِسْمِ اللّهِ ، وإذا اسْتَوَيْتَ راكباً فقُل : ﴿سُبْحان الّذي سَخَّر لَنا هَذا وَما كُنّا لَهُ مُقْرِنِين﴾ الآية . فإِنَّهُ بَلَغَنِيْ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ ذَلِك كُلَّمَا رَكِبَ دَابَّةً (قُلْتُ ومِثْلُهَا السَّيَّارَةُ والطَّائِرَةُ والقِطارُ والسَّفِيْنَةُ ونَحوُها) .

إِذا أَكَلْتَ أَوْ شَرِبْتَ فاذْكُرِ اسْمَ اللّهِ ، فإنْ نَسِيْتَ فِي أَوَّلِ حَالِكَ فاذْكُرْهُ إذا ذَكَرْتَ ، بَلَغَنِيْ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : تَذْكُرِ اسْمَ اللّهِ حِيْنَ تَذْكُرُ ، فَإِنَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الخَبِيْثِ ، وَبَيْنَ أَنْ يَأكُل مَعكَ ويَتقَيَّأُ مَا أَكلَ ، فَإِذا فَرَغْتَ فَقُلْ : الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِيْنَ ، فَإِنَّهُ بَلَغنِي عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنّهُ كانَ يَقُولُ ذَلِكَ إذا أَكَلَ وَشَرِبَ .

وَإِذَا أَكَلْتَ وَمَعَكَ آخَرُ فَكُلْ مِمَّا يَلِيْكَ بِيَمِيْنِكَ ، وَلا تَأْكُلْ مِنْ فَوْقِ الطَّعَامِ وَلاَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ أَحَدٍ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِيْ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ يَفْعَلُهُ : « اذْكُرِ اسْمَ اللّهِ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيْكَ » وكُلْ بِيَمِيْنِكَ وَلاَ تَأكُل بِشِمَالِكَ ، وَلا تَشْرَبْ بِشِمَالِكَ . وَبَلَغَنِيْ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَال : « إِنَّها أَكْلَةُ الشَّيْطَانِ » .

لا تُسَافِرْ مَا اسْتَطَعْتَ إلا في يَوْمِ الخَمِيْسِ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِيْ عَنِ النَّبِيِّ -

ﷺ - أنَّهُ كَانَ يَسْتَحِبُّ ان يُسَافِرَ يَوْمَ الخَمِيْسِ لا يُسَافِرُ إلاَّ فِيْهِ .

إذا أصَابَكَ كَرْبٌ فَقُلْ : يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أسْتَغِيْثُ ، فإنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أنَّهُ كانَ يَقُولُ ذَلِكَ عِنْدَ الكَرْبِ .

احْتَرِسْ مِمَّنْ يَقْرُبُ إلَيْكَ بالنَّمِيْمَةِ ، وَيُبَلِّغُ الكلامَ عن النّاسِ ، بَلَغَنِيْ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أنَّهُ قَالَ : « مَلْعُونٌ مَنْ لَعَنَ أبَاهُ ، مَلْعُونٌ مَنْ لَعَنَ أُمَّهُ ، مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ تَخومَ الأرْضِ ، مَلْعُونٌ كُلُّ صَقَّارٍ » وَهُوَ النَّمَامُ .

لَا تَجُرُّ ثِيَابَكَ فَإنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ذَلِكَ ، وَبَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ : « مَنْ جَرَّ ثِيَابَهُ خُيلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ » .

أَطِعِ اللَّهَ فِي مَعْصِيَةِ النَّاسِ ، وَلَا تُطِعِ النَّاسَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - أنَّهُ قَالَ : « لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ » .

إذَا أَصَابَكَ حَزَنٌ أَوْ سُقْمٌ أَوْ ذِلَّةٌ أَوْ لأوَاءَ - يَعْنِي الجُوْعَ - فَقُلْ : اللَّهُ رَبِّي لا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً : ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - أنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِذَلِكَ مَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ .

اصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ مِنْ فَجَائِعِ الدُّنْيَا وأَحْزَانِهَا لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّي الصَّابِرُوْنَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ . والصَّبْرُ مِنَ الإيْمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأسِ مِنَ الجَسَدِ .

لا تُمَارِيَنَّ أحداً وإنْ كُنْتَ مُحِقّاً ، بَلَغَنِي أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿فَلا رَفَثَ وَلَا فُسُوْقَ وَلَا جِدَالَ فِي الحَجِّ﴾ أَنَّهُ المِرَاءُ .

إذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُوْرِ الدُّنْيَا فَفَكِّرْ فِي عَاقِبَتِهِ ، بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ -

ﷺ ـ أنَّهُ قالَ : « إذَا هَمَمْتُ بأمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَفَكِّرْ فِي عَاقِبَتِهِ ، فإنْ كَانَ رُشْداً فامْضِهِ ، وإنْ كَانَ غَيّاً فانْتَهِ عَنْهُ » .

إيَّاكَ والتَّجْرِيْدَ خَالِياً ، فَإنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَسْتَحْيِيْ مِنَ اللّهِ إذا خلَوْتَ ، فَإنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ أنَّهُ قَالَ : « لاَ أُحِبُّ أنْ يَلِيَ لِيْ شَيْئاً مَنْ لاَ يَسْتَحْيِيْ مِنَ اللّهِ فِي الخَلاءِ » . وإيَّاكَ أنْ تَدْخُلَ الحَمَّامَ والماءَ إلا بإزارٍ ، وَلا يَدْخُلُ مَعَكَ أَحَدٌ الحَمّامَ إلاّ بِإزَارٍ وأنْتَ تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ .

فَإنْ لَمْ تَقْدِرْ ، فَغُضَّ طَرْفَكَ عَنْ كُلِّ أَحدٍ كَانَ مَكْشُوْفاً ، بَلَغَنِيْ عَنْ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ أنَّهُ قَالَ : « لاَ يَحِلُّ لامْرِيءٍ يُؤْمِنُ باللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَدْخُلَ الحَمّامَ إلاّ بإزَارٍ » وَاللّه اعْلَم وصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّد .

اللّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاشرَحْ صُدُوْرَنَا وَاسْتُرْ عُيُوْبَنَا وَأَمِّنْ خَوْفَنَا وَاخْتِمْ بِالصَّالِحَاتِ اعْمَالَنَا وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ وَحِزْبكَ المُفْلِحِيْنَ الذِيْنَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحزَنُوْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

وَقَالَ رَحِمَهُ الله أَفْشِ السَّلَامَ ، وإنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ يَسْبِقَكَ أَحَدٌ إِلَيْهِ فَافْعَلْ ، تُعْطَ بِذَلِكَ فَضْلاً عَنِ النَّاسِ ، وَبَلَغَنِي عَنْ ابنِ مَسْعُوْدٍ أَنَّهُ قَالَ : السَّلامُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللّهِ ، وَضَعَهُ فِيْكُمْ فَأَفْشُوْهُ فِيكُم ، فَإنَّ الرَّجُلَ إذا سَلَّمَ كُتِبَ لَهُ عشْرُ حَسَنَاتٍ .

أَدِّبْ وَلَدَكَ ، وَمَنْ وُلِيْتَ أَمْرَهُ عَلَى خُلُقِكَ وأَدبِكَ ، حَتَّى يَتَأَدَّبُوْا عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، فَيَكُوْنُوْا لَكَ عَوْناً عَلَى طَاعَةِ اللّهِ . بَلَغَنِي عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ ـ أنَّهُ قالَ : كُلُّ مُؤَدِّبٍ يُحِبُّ أَنْ يُؤْخَذَ بِأَدَبِهِ ، وإنَّ أَدَبَ اللّهِ هُوَ القُرْآنُ .

وَإِذَا اسْتَشَارَكَ أَحَدٌ فَإنْ شِئْتَ تَكَلَّمْتَ ، وإنْ شِئْتَ سَكَتَّ واجْتَهِدْ

رَأْيكَ فَإِنَّهُ بَلَغنِي عَنْ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ أنَّهُ قَال : « المُسْتَشَارُ بالخِيَارِ إن شَاءَ تَكَلَّمَ وإنْ شَاءَ سَكَتَ » .

لا تُفْشِ عَلَى أَحدٍ سِرّاً أَفْشَاهُ إِلَيْكَ ، فَإِنَّمَا هِيَ أَمَانَةٌ اسْتَوْدَعَكَها ، واتَّمَنَكَ عَلَيْهَا إلاَّ أنْ يَكُونَ إِفْشاؤُهُ خَيْراً لَهُ فِي دُنْيَاهُ وآخِرَتِهِ ، فَأَفْشِهَا عَلَيْهِ وانْصَحْهُ فِيها ، بَلَغنِي عَنْ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ أنَّهُ قالَ : « مِنْ حَقِّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ إِذَا اسْتَنْصَحَهُ أنْ يَنْصَحَهُ » .

إِذَا تَعَلَّمْتَ عِلماً مِن طَاعَةِ اللَّهِ فَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرَهُ ، ولْيُرَ فِيْكَ سَمْتُهُ ، وتَعَلَّمْ لِلَّذي تَعْمَلُهُ ، وتَعَلَّمْ لَهُ السَّكِيْنَةَ والحِلْمَ وَالوَقَارَ بلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ أنَّهُ قالَ : « العُلَمَاءُ وَرَثَة الأَنْبِيَاءِ » .

رُدَّ جَوَابَ الكِتَابِ إلى كُلِّ أَحَدٍ كَتَبَ إِلَيْكَ ، فَإِنَّمَا هُوَ كَرَدِّ السَّلام قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوْا بِأَحْسَنَ مِنْها أوْ رُدُّوْهَا) .

وقَالَ ابْنُ عَبّاس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

أَرَى رَجْعَ الكِتَابِ عَلَيَّ حقّاً كَمَا أَرَى رَجْعَ السَّلام .

إِلْزَمِ الحَيَاءَ فَإِنَّهُ خُلُقُ الإِسلام ، وفِيْهِ قَالَ ﷺ : « لِكُلِّ شَيْءٍ خُلُقٌ ، وخُلُقُ الإِسْلامِ الحَيَاءُ » .

إِذَا سَافَرْتَ فَقُلْ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ ، وكَآبَةِ المُنْقَلَبِ ، وَدَعْوَةِ المَظْلُومِ ، وسُوءِ المَنْظَرِ فِي الأَهْلِ والمالِ ، والحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ » . بَلَغنِي عَنْ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ أنَّهُ كَانَ يَقُولَ ذَلِكَ إذا سَافَرَ .

إِيَّاكَ وظُلْمَ الضَّعِيفِ ، ومَنْ لاَ يَسْتَعِيْنُ عَلَيْكَ إلاَّ باللَّهِ ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ : « ثلاثَةٌ لاَ تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ الإِمَامُ العادِلُ ، والصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَدَعْوَةُ

المَظْلُومِ فإنَّهَا تَصْعَدُ فَوْقَ الغَمَامِ ، فَيَقُوْلُ اللّهُ لَهَا : وعِزَّتِي وَجَلالِيْ لأنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِيْنٍ » .

إذا وَدَّعْتَ مُسَافِراً فَقُلْ : « زَوَّدَكَ اللّهُ التَّقْوَى ، وغَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ ، وَيَسَّرَ لَكَ الخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، أَسْتَوْدِعُ اللّهَ دِيْنَكَ وأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيْمَ عَمَلِكَ » لأنَّ النَّبيّ ﷺ كَانَ يأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِهَا .

إِذَا حَضَرْتَ السّلطَانَ فَاشْفَعْ بخَيْرٍ ، وإِيَّاكَ والكَلامَ عِنْدَهُ إلّا بِمَا يُرْضِي اللّهَ ، لِقَوْلِ النَّبِيّ - ﷺ - : « إنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن سَخَطِ اللّهِ ، مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ ، وإِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّم بالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوانِ اللّهِ ، مَا يَظُنُّ أَنَّها تَبْلغُ مَا بَلَغَتْ ، يَكْتُبُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ » .

أَرِدْ مَا أَرَدْتَ بِهِ اللّهَ مَا اسْتَطَعْتَ ، بَلَغَنِي عَن النَّبِيّ - ﷺ - أنّهُ قَالَ : « صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِيءُ غَضَبَ الرَّبِ » .

اتَّقِ كَثْرَةَ التَّزْكِيَةِ لِنَفسِكَ ، أَوْ تَرْضَى بِهَا مِنْ أَحَدٍ يَقُوْلُها لَكَ فِي وَجْهِكَ ، بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً امْتَدَحَ رَجُلاً عِنْدَ النَّبِيّ - ﷺ - فقَال : « ويْحكَ قَطعْتَ عُنُقَهُ ، وَلَو سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ أَبَدا » .

إِيَّاكَ ومَدْحَ النّاسِ والثَّنَاءِ عَلَيْهِم فِي وُجُوْهِهِمْ ، لِقَوْلِ النَّبِيّ - عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ - : « أُحْثوا التُّرَابَ فِي وُجُوْهِ المَدَّاحِيْنَ » .

طَهِّرْ ثِيَابَكَ وَنَقِّهَا مِنْ مَعَاصِي اللّهِ تَعَالى ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَوْلَهُ تَعالى : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ ، يَأْمُرُهُ أَنْ لاَ يَلْبَسَهَا عَلَى غَدْرَةٍ .

واكْرَهْ لِكُلِّ أَحَدٍ مَا تَكْرَهُه لِنَفْسِكَ ، بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيّ - ﷺ - أَنَّهُ بَايَعَ جَرِيْراً البَجَلِيّ عَلى الإِسْلامِ والنَّصِيْحَةِ لِكُلِّ مُسْلِم .

إيَّاكَ والحَسَدَ والشَّرَهَ فَهُمَا خُلُقَانِ مُرْدِيَانِ لِصَاحِبِهِمَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وقَالَ ﷺ فِيهِمَا : « لا حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتاهُ اللّهُ مالاً وَسَلَّطَهُ عَلَى انفاقِهِ فِي الحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتاهُ اللّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا ويُعَلِّمُهَا » .

شعرا :

كُلُّ العَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا ... إلاَّ عَدَاوَةَ مَن عَادَاكَ مِن حَسَدِ
فإنَّ في القَلْبِ مِنْهَا عُقْدَةٌ عُقِدَتْ ... وَلَيْسَ يَفْتَحُهَا رَاقٍ إلى الأبَدِ
إلاَّ الإِلَهُ فإنْ يَرْحَمْ تُحَلُّ بِهِ ... فالْجَأْ إلى اللهِ لا تَرْكَنْ إلى أحَدِ

اقْتَدْ فِي أُمُوْرِكَ بِرأْيِ ذَوِيْ الانْصَافِ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى . بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - أنَّهُ قالَ : « خِيَارُكُمْ شُبَّانكُمْ المُتَشَبِّهُونَ بِشُيُوخِكُمْ ، وشِرَارُكُمْ شُيُوخُكُمْ المُتَشَبِّهُوْنَ بِشُبَّانِكُمْ » .

لا تَحْتَقِرْ أحداً ، ولا تُجَالِسْ مَأْفُوناً ، فإِنَّ الوَحْدَةَ خَيْرٌ مِن جَلِيْسِ السُّوءِ .

عَلَيْكَ بِمَعَالِي الأَخْلاَقِ وكَرِيْمِهَا ، واتَّقِ رَذَائِلَهَا وَمَا سَفْسَفَ مِنْها ، بَلَغَنِي عَن النَّبِيِّ - ﷺ - أنَّهُ قَالَ : « إنَّ اللّهَ يُحِبُّ مَعالِيَ الأخلاَقِ ويَكْرَهُ سَفْسَافَهَا » .

إذَا رَأَيْتَ مَن فُضِّلْتَ عَلَيْهِ فِي دِيْنِكَ وَدُنْيَاكَ ، فَأَكْثِرْ حَمْدَ اللّهِ عَلَيْه ، فَإنَّ ذَلِكَ مِنَ الشُّكْرِ ، بَلَغَنِي عَنْهُ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ - أنَّهُ قَالَ : « مَا أَنْعَمَ اللّهُ عَلَى عَبْدٍ بِنعْمَةٍ » فقَال : « الحَمْدُ لِلّهِ إلاّ كَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ وإنْ عَظُمَتْ » .

لاَ تَرْكَبِ المِثْرَةَ الحَمْراءَ ، وَلاَ تَلْبَسِ المُعَصْفَرَ ، فَقَدْ نَهِيَ رَسُولُ اللّهِ - ﷺ - عَنْ ذلِكَ : إذَا غَضِبْتَ وأَنْتَ قَائِمٌ فاقْعُدْ ، وإنْ كُنْتَ قَاعِداً فاضْطَجِعْ ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ - ﷺ - « إذَا غَضِبَ أَحدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الغَضَبُ وإلا فَلْيَضْطَجِعْ » « لاَ تَتَطَيَّرَنَّ مِنْ شَيْءٍ تَرَاهُ أَوْ تَسْمَعُهُ » .

وَإذا كَانَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ فَقُلْ : اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالخَيْرِ إِلاَّ أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ السُّوْءَ إِلاَّ أَنْتَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ . فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - كانَ يَأْمُرُ بِذَلِكَ لِمَنْ رَأَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً .

لَا تَتَوَضَّأْ بِشَيْءٍ مِمَّا تَأْكُلُ مِنَ الطَّعَامِ (إِلاَّ مِنْ لَحْمِ الجَزُوْرِ) وَلا تَدْلُكْ بِهِ فِي الحَمّامِ ، فإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الجَفَاءِ .

لَا تَتَخَلَقَنَّ بالخَلُوقِ إلاَّ أنْ يَكُونَ فِي أَثَرِ النُّوْرَةِ لِيَذْهَبَ رِيْحُهَا ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « بَيْنَما رَجُلٌ فِي بُرْدَتَين لَهُ مُتَخَلِّقٌ يَتَبَخْتَرُ فِيْهِمَا إذْ ساخَتْ بِهِ الأَرْضُ ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيْهَا إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ » .

اللهمُ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا ارْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلى اللهُ عَلى مُحمد وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

«**فَصْلٌ**» وقَالَ رَحِمَهُ اللهُ لَا تَحْلِفْ بالطَّلاقِ وَلا بالعَتَاقِ ، فإِنَّهَا مِنْ أَيْمَانِ الفُسَّاقِ . بَلَغنِي عَنْ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّهُ قَالَ : أَرْبَعٌ جائِزَةٌ إذا تَكَلَّمَ بِهِنَّ : الطَّلاقُ والعَتاقُ والنِّكَاحُ والنَّذْرُ ، وأَرْبَعَةٌ يُمْسُوْنَ واللهُ عَلَيْهِمْ سَاخِطٌ ، ويُبْحُونَ واللهُ عَلَيْهِمْ غَضْبَانٌ : المُتَشَبِّهُوْنَ مِن الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ ، والمُتَشَبِّهَاتُ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ ، وَمَن أَتي بهِيمَةً أَوْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ .

لا تَتَطَيَّبَنَّ بشَيْءٍ مِنَ الطِّيْبِ يَظْهَرُ لَوْنُهُ ، فَإِنَّ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ : « طِيْبُ الرِّجَالِ مَا بَطنَ لَوْنُهُ وَظَهَرَ رِيْحُهُ ، وطِيْبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَبَطَنَ رِيْحُهُ » .

الزَمْ الرَّأْيَ الحَسَنَ ، والهَدْيَ الحَسَنَ ، والاقْتِصَادَ ، بَلَغَنِي عَنْ ابن عَبّاس - رضِي الله عَنْهُ - أَنَّهُ قال : الرَّأْيُ الحَسَنُ جُزْءٌ مِنْ خَمْسةٍ وعِشْرِيْنَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ .

إنْ استَطَعْتَ أَنْ لاَ تَدَعَ العَمَامَةَ والبُرْدَ فِي العِيْدَيْنِ والجُمُعَةِ فافْعَلْ . لِمَا عَلِمْتَ مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسّلامُ - أَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ العِمَامَةَ والبُرْدَ فِي العِيْدَيْنِ والجُمُعَةِ .

إذا صَافَحَكَ أَحَدٌ فَلا تَنْزِعَنَّ يَدَكَ عَنْ يَدِهِ ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ الّذي يَنْزِعُ يَدَهُ عن يَدِكَ ، بَلَغَنِي عَنْ النّبِيّ - ﷺ - أَنَّهُ لَمْ يُصَافِحْ أحداً فَنَزَعَ يَدَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الّذي يَنْزِعُ يَدَهُ .

إذا أَقْبَلَ عَلَيْكَ رَجُلٌ بوَجْهِهِ يُحَدِّثُكَ ، فَلا تَصْرِفْ وَجْهَكَ عَنْهُ ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ الّذي يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْكَ ، وَإذا جَلَسْتَ إلى جَنْبِ رَجُلٍ ، أَوْ جَلَسَ إلى جَنْبِكَ رَجُلٌ ، فلا تَقُوْمَنَّ مِن بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلا تُجَاوِزَنَّ رُكْبَتُكَ رُكْبَتِهِ ، بَلَغَنِيْ عَنْ النّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ لَمْ تَتَجَاوَزْ رُكْبَتُهُ رُكْبَةَ جَلِيْسٍ لَهُ .

وَإذا أَحْسَسْتَ مِنْ أَمِيْرٍ ظَلاَمَةً أَوْ تَغَطْرُساً فَقُلْ : « اللّهُ أَكْبَرُ ، اللّهُ أَكْبَرُ ، اللّهُ أَكْبَرُ أَعَزُّ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيْعاً ، اللّهُ أَكْبَرُ مِمَّا أَخَافُ وأَحْذَرُ ، وأَعُوذُ بِاللّهِ المُمْسِكِ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلاّ بإِذْنِهِ مِنْ شَرِّ فُلانٍ ، اللّهُمَّ كُنْ لِيْ جاراً مِنْ فُلاَنٍ وجُنُودِهِ ، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ أَنْ يَطْغي ، جَلَّ جَلاَلُكَ وَعَزَّ جَارُكَ ، وَلا إلَهَ غَيْرُكَ » تَقُولُ ذلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ .
بَلَغَنِي عَنْ ابنْ عبّاسٍ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ وأَمَرَنَا بِهِ .

وإذَا كَتَبْتَ إلى أَحَدٍ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الإسْلامِ ، فَلا تَكْتُبَنَّ سَلامَ اللّهِ عَلَيْكَ ، ولَكِنْ اكْتُبْ السَّلاَم عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى ، بَلَغَنِي عَنْ النّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ كَتَبَ ذلِكَ إلى مُسَيْلَمَةَ .

إذَا عَطَسْتَ فِي الخَلاَءِ ، فاذْكُرِ اسْمَ اللّهِ خَفِيّاً . لاَ تَدَهُنْ فِي مِدْهَنٍ

ذَهَبٍ وَلا فِضَّةٍ ، وَلاَ تَسْتَجْمِرْ فِي مَجَامِرِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ ، بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ نَهِيَ عنْ الشُّرْبِ فِي إناءِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ .

لا تَنَمْ عَلَى الحَرِيْرِ والدِّيْبَاجِ فَإِنَّهُ لُبْسَةُ النِّسَاءِ ، بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ نَهِيَ عَنْ لُبْسِ الحَرِيْرِ والدِّيْبَاجِ إِلَّا لِلنِّسَاءِ .

إِذَا رَأَيْتَ أَمْرَاً فِي أَهْلِكَ وَخَاصَّتِكَ مِمَّا يَنْبَغِي تَغْيِيْرُهُ ، فلاَ تُحَابِيَنَّ مِنْهُمْ أَحداً ، وقُمْ فِيْهِ بِالّذي يَحِقُّ عَلَيْكَ ، بلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّه قَالَ : « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أوْ مَظْلُوماً » .

إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ طَاعَةِ اللّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَلا تَحْبِسْهُ إِن اسْتَطَعْتَ فُواقاً حتَّى تُمْضِيْهِ ، فَإِنَّكَ لا تأمَنُ الأَحْدَاثُ ، وإذا هَمَمْتُ بأمْرٍ غَيْرِ ذَلِكَ . فإنْ اسْتَطَعْتَ أنْ لاَ تُمْضِيْهِ فُوَاقَاً فافْعَلْ ، لَعَلَّ اللّهَ تَعَالى يُحْدِثُ لَكَ تَرْكَهُ .

لاَ تَسْتَحِيْ إذا دُعِيْتَ لأَمْرٍ لَيْسَ بِحَقٍّ أَنْ تَقُولَ : لاَ فَإِنَّ اللّهَ تَعَالى يَقُولُ : ﴿واللّه لاَ يَسْتَحِيْ مِنَ الحَقِّ﴾ .

إِذَا سَمِعْتَ المُؤَذِّنَ يُؤَذِّنُ ، فَقُلْ كَمَا يَقُولُ ، إِلَّا أَنَّكَ تقُولُ إِذَا قَالَ : حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ ، حَيَّ عَلَى الفَلاَحِ : لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا باللّهِ ، بَلَغَنِي ذَلِكَ عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - .

لاَ تَخْلُونَّ بامْرَأَةٍ لَيْسَتْ لَكَ بِمَحْرَمٍ ، بَلَغَنِي عَنْ عُمَرَ بن الخطابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : مَا خَلاَ رَجُلٌ بامْرأةٍ لَيْسَتْ لَهُ بمَحْرَمٍ إلاّ كَانَ ثَالِثُهُمَا الشَّيْطَانُ .

شعرا :

لا تَخْلُ بامْرَأةٍ لَدَيْكَ بِرِيْبَةٍ ... لَوْ كُنْتَ في النُّسَاكِ مِثْلَ بَنَانِ
إِنَّ الرِّجَالَ النَاظِرِيْنَ إلى النّسَا ... مِثْلُ الكلابِ تَطُوْفُ بِاللُّحْمَانِ
إِنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللُّحومَ أُسُوْدُهَا ... أُكِلَتْ بَلاَ عَوَضٍ ولا أثمَانِ

إذا قَالَ الإمَامُ آمِين ، فَقُلْ : آمِيْنْ ، فإنَّهُ يَنْبَغِي إذَا فَرَغَ مِنْ أمّ القُرْآنِ أنْ يَقُولَ آمِيْنْ ، وَيقُوْلُهُ مَنْ خَلْفَهُ ، بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ أنّهُ قالَ : « إذا أمَّنَ الإمَامُ فَأَمِّنُوْا فإنَّ المَلائِكَةَ تؤَمِّنُ لِتأْمِيْنِ الإمام ، فَمَنْ وافَقَ مِنْكُمْ تأمِيْنَ المَلائِكَةُ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » أ هـ ما اختَرناهُ واللّهُ أعْلمُ وصَلّى اللّهُ عَلَى مُحَمّد .

(فصل)

أسـئلةٌ وأجـوبة

السؤال الأول عن واحد لا ثانيَ لَهْ .

وعن دِينٍ لا يقبلُ اللهُ غَيْرَهُ .

وعن مِفتاح الصلاة وبم تختم .

وعن غِراس الجنة وعن صَلاةِ كُلِ شَيء .

وعن أربعةٍ فيهم الروح ولم يَكُونَوا في أصلابِ الرِجال ولا أرْحَامِ النِساء .

وعن رجل لا أَبَ لَهُ .

وعن رَجُلٍ لا أُمَّ لَهُ ولا أبْ .

وعن حَيَوانٍ جَرَى بِصَاحِبِهِ .

وعن بُقْعَةٍ من الأرضِ طَلَعَتْ عَلَيْهَا الشّمْسُ مَرَّةً واحَدةً ولم تَطْلَعْ عليها قَبْلَ ذلكَ ولا بَعْدَهُ .

وعن ظَاعِنٍ ظَعَنَ مَرَّةً ولم يَظْعُنْ قَبْلَهَا ولا بَعْدَهَا .

وعن شَجَرةٍ نَبَتَتْ على إنْسَان .

وعن شَيءٍ يَتَنَفسُ ولا رُوْحَ لَهُ .

وعن الحكمةِ في المَحْوِ الذي في القَمَرِ .

وعن مَيِّتٍ مَاتَ ألْفَ شَهْرٍ ومائتَيْ شَهْرٍ .

وعن جَبَلٍ ارْتَفَعَ ثم رَجَعْ .

وعن إثنانِ لا ثالثَ لَهُمَا .

وخَمْسَةٍ لا سَادِسٍ لَهَا .
وسِتَّةٍ لَيْسَ لها سَابع .
وسَبْعَةٍ لَيْسَ لَها ثامِن .
وثَمَانيةٍ لا تَاسِعَ لَها .
وتِسْعَةٍ لا عَاشِرَ لَهَا .
وعَشَرَةٍ لَيْسَ لَهُمْ حَادِي عَشَرْ .
وثَلاثةِ عَشَرَ لا رَابعَ عَشَرَ لَهمُ .
وعَن أحَبِ كَلِمَةٍ إلَىَ اللهِ .
وما الموضِعُ الذَي لَيْسَ لَهُ قِبْلَةْ .
وعن شيْءٍ حَلَّ بَعْضُهُ وَحَرُمَ بَعْضُه .
وعن نَبيٍ نَهىَ اللهُ النَّبيَّ ﷺ أنْ يَعْمَلَ عَمَلٍ عَمَلِهْ .
وعن مَنْ بَعَثَه الله ولَيْسَ مِن بَنِي آدم ولا مِن الجن ولا مِن الملائكة.
وعن نَفْسٍ ماتَتْ وضُربَ بِبَعْضِهَا مَيْتٌ فَحيَا بإذنِ الله .
وعن كافر لم تأكل الأرض لحمـه .
وعن نَفْسٍ خَرَجَت من نَفْسٍ ولا نسبة بينهما .
وعن اثنينِ تكَلَّما في الدَّهْرِ مَرَّة واحِدَةً فَقَطْ ثم هُمَا سُكُوت إلى يوم القيامة .
وعن أَنْفعِ كَلِمَةٍ وأرْفَعِ وأحْسَنِ كَلِمَة وأزْكَى كَلِمَة .
وعن جَمَاعةٍ شَهدُوْا بالحقِ وهم كَاذِبُون .
وعن جَمَاعَةٍ شَهَدُوْا بالحق فأدْخِلوا النَّارَ ومَن شَهِدُوْا عَلَيهِ .
وعن شَيْءٍ عَلَى الأرْضِ مِن الجنةِ .
وعن صَيْدَيْنِ صَادَهُمَا رَجُلٌ فَحَلَّ أَحَدَهُمَا لَهُ وحَرُمَ عَليه الآخَرُ .
وعن إمرأةٍ أَوْحىَ اللهُ إليْهَا .

وعن خَمْسةً مَشَوا على وَجْهِ الأرضِ ولمَ يُوْلَدُوا .

وعن أُمٍ لم تُوْلَدْ .

وعن ماءٍ لمَ يُذْكَرْ أنَّه نُبَعَ مِن الأرضِ ولم يُذْكَرْ أنَّهُ نَزَلَ مِن السَّماء .

ج : الجواب الواحدُ الذي لا ثانيَ لَهُ فاللهُ جَلَّ جَلاَلُهُ وتَقَدَّسَتْ أَسماؤه ، وأما الدين الذي لا يقبل الله غيره فَدِينُ الإسلام قال الله تعالى : ﴿ ومَن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ .

وأما مِفتاح الصلاة فالتكبير وتُخْتَتَم بالتسليم .

وأما غِراس الجنة فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

وأما صَلاةُ كلِ شَيء سُبْحَانَ الله وبحمده .

وأما الذي فيهم الروح ولم يكونوا في أصلاب الرجال ولا في أرحام النساء فَهُمْ آدمُ وحَوّاء وناقةُ صَالحِ عليه السلام وعصا موسى لَمَّا قَلَبَهَا اللهُ حَيَّةً والكبشُ الذي فَدَى بِهِ إبراهيمُ إبنه قال الله تعالى : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ وأما الموضعُ الذي ليس له قبلة فَظَهْرُ بَيْتِ الله (أي سطحُ الكعبة) .

وأما الرجُل الذي لا أبَ له فعِيسى عليه وعلى نبينا السلام .

وأما الرجل الذي لا أمَّ له ولا أب فآدمُ عليه السلام .

وأما الحيوانُ الذي جَرَى بصاحِبه فالحوتُ الذي سَارَ بيونس في البحر .

وأما البُقْعةُ التي طلعت عليهَا الشَّمسُ مَرةً واحدةً فأَرْضُ البحر الذي فَلَقَهُ اللهُ لموسى ومَن مَعَه مِن بني إسرائيل .

وأما الاثنان اللذانِ ليس لهما ثالثُ فالليلُ والنهار .

وأما لثلاثُ التي لَيْسَ لها رابع فالطلاقُ الثلاث .

وأما الخمسُ الَّتِي لا سَادسَ لها فالصلواتُ الخمس المفروضة .

وأما الستةُ الذينَ لَا سَابع لهم فالأَيَامُ التي خلق الله فيها السموات والأَرْض .

وأما السبعةُ التي لا ثامِنَ لها فأيامُ الأسبوع .

وأما الثمانية الذين ليس لهم تاسِعٌ فحَمَلَةُ العَرشِ يَومَ القيامة . قال الله جلا وعلا : ﴿ ويحمل عرش رَبِكَ فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ .

وأما التسعةُ الذين لا عاشر لهم فالتسعة الرهط الذين ذكرهم الله في سورة النمل . قال تعالى : ﴿ وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ﴾ .

وأما العشر التي ليس لها حادِى عَشْرَة فقوله تعالى : ﴿ والفجر وليال عشر ﴾ .

وأما الإحد عَشَرَ فاخوةُ يُوسف .

وأما الاثنا عَشَرَ فَشُهورُ السنة .

وأما الثلاثةُ عَشَرَ فاخوة يوسف وأَبُوه وأُمُّه .

وأما أَحَبُّ كَلِمَةٍ إلى الله فكلمةُ الاخلاص « لا إله إلا الله » .

وأما الشيءُ الذي أُحِلَّ بَعْضُهُ وحُرِّمَ بَعْضُه فهو نَهْرُ طالوت قال تعالى : ﴿ إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده ﴾ .

وأما الذي بَعَثَهُ اللهُ وليسَ مِن الإنْسِ ولا مِن الملائكةِ ولا مِن الجن فهو الغُرابُ قال الله تعالى : ﴿ فبعثَ الله غرابا يبحث في الأرض ﴾ .

وأما النَّفْسُ التي ماتَتْ وضُرِبَ بِبَعْضِهَا مَيْتاً آخرَ فَحَيَا بإذن الله فَهي بَقَرةُ بَني إسرائيل قال الله جَلَّ وعَلَا : ﴿ فقلنا إِضْرِبُوهُ ببعضهَا كذلك يحي الله الموتى ﴾ .

وأما الشجرةُ التي نَبَتَتْ عَلَى إنسانٍ فالتي أَنْبَتَهَا اللهُ عَلَى يُونس إبْنِ مَتَّى قال تعالى : ﴿ وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ﴾ .

وأما النَّفْسُ التي دَخَلَتْ في نَفْسٍ أُخْرَى وَخَرَجَتْ ولَيْسَ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَة

فَهُو يُونسُ بنُ مَتَّى عليه السلام دَخَلَ في بَطِنِ الحُوت وخَرَجَ قال تعالى : ﴿ فالتقمه الحوت ﴾ .

وأما الكنز مِن كنوز الجنة فلا حول ولا قوة إلا بالله كما في الحديث .

وأما الماء الذي لم يذكر أنه نَبَعَ مِن الأرض ولم يـذكر أنه نَزَل مِن السماء فالماء الذي نَبَعَ بَيْنَ أَصَابعِ النبي ﷺ .

وأما الحكمة التي في محو آية الليل القمر فالله أعلم بأنه لِأَجِل تمييز الليل مِن النهار ولِمَنافِعَ أخرى تتعلق بالنبات والزروع والأشجار والثِمّار .

وأمَّا أَنْفعَ كَلِمَة وأَرْفَعَ كَلِمَة وأَحْسَنَ كَلِمَة فكَلِمَةُ الإخلاص « لا إله إلا الله » .

وأما النبي الذي نهى الله النبي ﷺ أَنْ يَعْمَلَ مِثلَ عملِ عَمِلَه فهو يونس قال الله جل وعلا وتقدس : ﴿ واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ﴾ .

وأما الشهود الذي شهدوا حَقاً وهم كاذبون فهم المنافقون قال الله تعالى : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نَشْهَدُ إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ .

وأما الشهود الذي شهدوا بالحق وأدخلوا النار ومَن شَهِدُوْا عليه فالجوارح قال الله جل وعلا وتقدس :﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ وقال تعالى : ﴿ حَتَّى إذا ما جاوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ الآيات .

وأما الجبل الذي ارتفع وعاد فَجَبَل الطور أعاده الله قال الله جل وعلا :﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم ﴾ .

وأما الكافر الذي لم تأكل الأرض لحمه فقارون .

وأما الذي في الأرض وهو مِن الجنة فالحجر الأسود .

وأما الصيدان اللذان صادهما رجل فأُحِلَّ له أَحَدُهما وحرِّم عليه الآخر فَمُحْرِمٌ صَادَ صَيْدَيْنِ مِن البَر واحدٌ ومِن البَحْرِ واحد فالذي مِن البرِ حَرَامٌ والذي مِن البَحْرِ حَلَالٌ .

وأما الذي ماتَ ألفَ شَهرٍ ومائتي شَهْر ثم أَحْيَاهُ اللهُ فالعَزُيْز عليه السلام قال الله جل وعلا وتقدس : ﴿ فأماته الله مائة عام ثم بعثه ﴾ .

وأما المرأةُ التي أَوْحَى اللهُ إليها فأمُ مُوسى ، قال الله جل وعلا : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾ .

وأما الأمُ التي لم تُولَد فَحواء عليها السلام .

وأما الأمُ التي لم تلد فَمَكة المكرمة أمُ القُرى قال الله جل واعلا :﴿ لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى ﴾ أهـ . انتهى .

فصل : سئل الشافعي عن رَجُلَين خَطَبا إمرأةً فَحَلَّت لِأَحَدِهِمَا ولم تحلَّ لِلآخِر ، فقال إن الذي لم تحل له أربعُ زَوجات فَحرمتْ عليه الخامسة .

س : فقال : ما تقول في رَجُلَين شربا خمراً فَوَجَبَ على أحدهما الحَدُ ولم يَجِبْ عَلَى الآخر وكانا مُسْلِمَين ؟ فقال : إن أحدَهما كان حُراً بالِغَاً فَوجَبَ عليه الحدُ والآخر صَغِيْر لم يَبْلُغْ .

س : قال : فما تقول في خمسة زَنَوْا بإمرأةٍ فوجَبَ على أَحَدِهِم القَتلُ ، وعلى الآخَرِ الرجْمُ وعلى الثالثِ الحَدُّ ، وعلى الرابعِ نصْفُ الحدِ ، ولم يَجِبْ على الخامس حَدٌّ ؟

فقال : أمَّا الأولُ فَمُشْرِك زَنَى بِمُسْلِمَةٍ فَوَجَبَ عَلَيه القَتْلُ ، وأما الثاني فَمُسْلِمٌ مُحْصَنٌ زَنَى فوجَبَ عليه الرَّجْمُ ، وأما الذي وَجَبَ عليه الحدُ فَمُسْلمٌ بِكرٍ زَنَى .

وأما الرابع فمملوكٌ زَنَى فوجَبَ عليه نصفُ الحد وأما الذي لم يجب عليه شيء فالصبيُّ والمجنون .

س : قال : فما تقول في رجل أَخَذَا .كأساً مِن ماء فَشَرِبَ بَعْضَه وحَرُمَ عليه الباقي ؟ قال : هذا لَمَّا شَرِبَ بَعْضَهُ وَقَعَ على الباقي نَجَاسَة فَحَرُمَ عليه .

س : قال : فما تقول في رجل دفع إلى إمرأته كيْساً مَخْتُوماً وقال لها : أنْتِ طالقٌ إن لم تُفَرِّغِيْهِ ولا تَفْتَحِيْه ولا تُقَطِعِيْه ولا تَفْتِقِيْهُ فَفَرَغَتْهُ على ذلك الحُكْمِ ولم يَلْحَقْهَا طَلاَق ؟

فقال : إنَّ الكيس مَمْلُوءاً سُكَرا أَوْ مِلْحًا فَوَضَعَتْهُ في الماء فَذَابَ وتَفَرَّغَ .

س : قال : فما تقول في جماعة صُلَحَاءَ سَجَدُوْا لِغَيْرِ اللهِ تعالى وهم في فعلهم مُطِيعُون ؟ قال : الملائكة سجدوا لآدم .

س : قال فما تقول في رجل لقي جاريةً فَقَبَّلها وقال : فَدَيْتُ مَن أبي جَدُّهَا وأخِي عَمُّهَا وأنا زوجُ أمِّها فما تكون منه ؟ قال : هي ابْنَتُه .

س : قال : فما تقول في إمرأة لَقِيَتْ غُلاماً فقَبَّلَتْهُ قالَتْ فَدَيْتُ مَن أُمِّي وَلَدَتْ أمَّهُ وأَخُوْ زَوْجِي عَمُّهُ وأَبُو ابْن حَمَاتي وأنا إمرأةُ أبِيْه ؟ قال : هِيَ أُمُّهُ .

س : وقال ما تقول في رجل تَزَوَّجَ إمْرأةً وزَوَّجَ ابْنَهُ أمَّهَا فجاءَتَ الأمُ والبنْتُ بوَلَدَيْن فما يكونُ الولدُ من ذَلكَ وذَلك ؟ فقال : ابنُ الام خَالُ لابْن البِنْتِ وابُن البنتِ عَمٌّ لابْنِ الأمِ .

س : وقَال : ما تقول في رجل مَاتَ وخَلَّفَ سِتَّمائَة دِرْهَم وله مِن الورثة أخْت فأصَابَهَا دِرْهَمٌ واحد .

فقال : هذا شخص مات وخلف ستّمائة درهم وترك بنْتَيْن أصَابَهما الثُلُثان أرْبَعْمائة درهم وخَلَّفَ والدَته أصَابَهَا السُدُسُ مائة درهم وخَلَّفَ زَوجةً اصَابَهَا الثمنُ وهو خمسٌ وسَبْعُون دِرهما وله اثنا عشر أخاً لكل واحدٍ منهم دِرْهمَان فَفَضَل للأُخْتِ دِرْهم .

وقال آخر مُلْغزاً :

تَزَوَّجَ شَخْصٌ أمَّ شَخْصٍ وأُخْتَه ... كذا أُخْتَهُ الأخرى وليسَ بِبَاطِلِ

وشَخْصٌ أتى أيضاً بِفِعْلٍ مُحَرَّمٍ ... وقالوا له أجْرٌ لدى كُلِّ فاضــلِ

وقال آخــر :

ألا فاسْألُوا مَن كان بالعلم بَارعاً ... وفي الفقهِ أفْنَى عُمْرَهُ بابْتِذَالــهِ

عن المرء يُوْصِى قَاصِداً وَجْهَ رَبِّهِ ... لِزَيْدٍ كما سَمَّاهُ مِن ثُلْثِ مَالــهِ

فإنْ يَكُنْ المُوصَى لَــهُ مُتَموِّلاً ... دَفَعْنَا لَــهُ المُوصَى لَهُ بكَمالِــهِ

وإنَ كان ذا فَقْرٍ وقِــلٍّ وفَاقَةٍ ... حَرَمْنَاهُ ذَاكَ المالَ فارْثَ لِحَالــهِ

أيُحْرَمُ ذُوْ فَقْرٍ ويُعْطَاهُ ذُو الغِنَى ... لَعَمْرُكَ ما رِزْقُ الفتى باحْتيَالــهِ

فلا تعْتَمِدْ إلاَّ على اللهِ وَحْــدهُ ... ولا تسْتَنِدْ إلا لِعزِّ جَلالــهِ

اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنْ الخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُوْ وَاصْرِفْ عَنَّا مِنْ السُّوْءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ وَاقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوبَنَا فاسْتُرْهَا وتَعْلَمَ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بكَ وَلِيًا وكَفَى بكَ نَصِيْرًا يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيْلِ عِبَادِكَ الأَخْيَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فصل : ذُكَرَ أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ هَارُوْنُ الرشِيْدُ الحَرَمَ الشَرِيْفَ إبْتَدَأَ بالطَّواف ومَنَعَ الناسَ مِن الطواف .

فسَبَقه أعْرابي وجَعَل يَطُوفُ مَعَهُ فشَقَّ ذلك عَلَى هَارُوْن والْتَفتَ إلى حَاجِبِهِ كالمنكرِ عليه .

فقال الحاجِبُ أَخْلِ المطَافَ لِأَمِير المؤمنين فقال الأَعْرَابِيُ : إنَّ اللهَ سَاوَى بَيْنَ الأنامِ في هذا المقامِ والبيَتِ الحَرَام .

فقال تعالى : ﴿ سواء العاكفُ فيه والبادِي ومَن يُرد فيه بالحاد بظلمٍ نُذِقْهُ مِن عذاب إليم ﴾ فَلمَّا سَمِعَ الرشيدُ ذلك مِن الأعْرَابي أمَرَ حَاجِبَه بالكف عنه ثمُ جاء الرشيْدُ إلى الحَجَرِ الأَسْوَدِ لِيَسْتَلِمَهُ .

فَسَبَقه الأَعْرَابي فاسْتَلَمهُ ثم أتى إلى المقام لِيُصَلِّي فيه فَسَبَقَهُ الأعْرَابي فَصَلى فيه .

فَلمَّا فَرَغَ الرشيْدُ مِن صَلاتِهِ قال لِلْحَاجِبِ إئتِني بالأعْرَابي فأَتَى الحاجِبُ الأَعْرَابي وقال لَهُ أَجِبْ أَمِيْرَ المؤمنين .

فقال ما لِي إليهِ حَاجَةٌ إن كانَتْ لَهُ حاجَةٌ فهو أحقُ بالقيام إليها فانْصَرَفَ الحاجبُ مُغْضَباً فَأَبْلَغَ الرشيْدَ مَا قَاله الأعْرَابي .

فقال الرشِيْدُ صَدَقَ نحن أَحَقُّ بالقيام والسعي إليه ثم نهض إليه حتى وقف بإزَاء الأعْرَابي وسلم عليه فرد السلام .

فقال له الرشيد يا أَخا العَرَب أَأَجْلِسُ هُنَا بأمْرِكَ فقال الأَعْرابِي لَيْسَ البَيْتُ بَيْتِي ولا الحَرمُ حَرَمي البَيْتُ بَيْتُ اللهِ والحرمُ حَرَمُ اللهِ ونَحْنُ فيه سَوَاءٌ إنْ شِئْتَ تَجْلِسُ وإنْ شِئْتَ تَنْصَرِفُ .

فَعَظَمَ جَواب الأعْرَابي على الرشيد حَيْث سِمَعَ كلاماً لم يخْطُرْ عَلَى باله أَنَّ أحداً يُوَاجِهُهُ بِهِ فَجلَسَ إلى جَنْبِهِ .

وقال لَهُ يا أعْرَابِي أُرِيْد أَنْ أَسْأَلَكَ عن فَرْضِكَ فإن قُمْتَ به فأنْتَ بغيرِهِ

أقومُ وإنْ عَجَزْتَ عنه فأَنْتَ عن غَيْرِهِ أَعْجز .

فقال الأعْرَابي : سُؤالُكَ هَذَا سُؤآل مُتَعَلِمٍّ أَوْ سُؤال مُتَعَنِّتْ فَعَجِبَ الرشِيدُ مِن سُرْعَةِ جَوَابه وقال : بَلْ سُؤاآل المُتَعَلم .

فقال الأَعْرَابِي قُمْ واجْلسْ مَقَام السَائِلِ مِن المسْؤُلِ . قال فَقَام الرشِيْدُ وجَثى عَلَى رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَي الأَعْرَابي .

فقال قَدْ جَلَسْتُ قال سَلْ عَمَّا بَدَالَكَ فقال أَخْبِرْ عن فرض اللهُ عَلَيْكَ .

فقال له : تَسْأَلني عن أَيِّ فَرض أَعَن فَرضٍ واحِدٍ أَمْ عن خَمسَةِ فُرُوْض أَمْ عن سِتَّةَ عَشَرَ فَرْضاً أَمْ عنْ أَرْبعةٍ وثَلاثِيْنَ فَرْضَا .

أَمْ عن أَربعةٍ وتِسْعِيْن فرضا أَمْ عَنْ واحِدٍ من أرْبَعِين أَمْ عن واحِدَةٍ في العُمُر أَمْ عن خَمْسَةٍ مِن مِأتَيْن فَضَحِكَ .

ثُمَّ قال سَأَلْتُكَ عن فَرْضٍ فأَتَيْتَني بِحِسَاب الدَّهْر .

فقال يا هَارُون لَوْلاَ إنَّ الدِيْنَ حِسَاب لَمَاَ أَخذَ اللهُ الخَلاَئِقِ بالحساب يَوْمَ القِيَامَةِ قال الله جل وعلا : ﴿ فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهِا وكَفَا بِنا حَاسِبين ﴾ .

قال فبدَا الغَضَبُ في وجْهِ هَارُوْنَ حَيْثُ كَلَّمَهِ بَاسْمِهِ ولم يَقُلْ يا أَمِيْرَ المؤْمِنِيْنَ ثم قال لَهُ فسرِّ لِيْ مَا قُلْتَ .

فقال الحاجب لمَاَّ رَأَى غَضَبَ الرشيد أَعْفُ عنه يَا أَمِيْرَ المؤمنين وَهَبْهُ لِلهِ في هذا المقِام الشريف .

فَضَحِكَ الأَعْرَابي مِن قَوْلِهمَا فقال له الرشيد مِمَّ تَضْحَكْ؟ قال عَجَباً منْكِمُا فإنَّ أحَدَكما يَسْتَوْهِب أجلاً في عَقِلِهِ أَنَّهُ قَدْ حَظر والآخَرُ يَسْتَعْجلْ أَجلاً لم يَحْظَرْ .

فلما سَمَعَ الرشِيْدُ ذلك هانت عليه الدُنْيَا ثم قال له سَأَلْتُكَ بالله أنْ تُفَسِّرَ ما قُلْتَ فَقَدْ تَشَوَّقْتُ إلى شرْحِهِ .

فقال الأعْرَابِيُ أَمَّا سُؤَآلكَ عما فَرَضَ اللهُ عَليَّ فقد فَرضَ عَليَّ فروضاً كثيرة .

فأما الفرضُ الوَاحِدُ فَهُوَ دِيْنُ الإسْلام .

وأما الخمسة الفُرُوض فهي الصَّلوات الخمس .

وأمَّا السَّبْعَةَ عَشَر فهي عَدَدُ رَكَعَاتِ الفُروضِ الخمسِ الصبح إثْنَتَانِ والظُهر أرْبعٌ والعَصْرُ أرْبَعٌ والمغربُ ثلاثٌ والعِشَاءُ أرْبَعٌ .

وأما الأربع والثلاثين فَهِيَ سَجَدَاتُ الصلوتِ الخمس .

وأما الأربع والتسعين فهي التكبيرات في الصلوات الخمس .

وأما الواحدة مِن أربعين فهي الزكاة ربع العشر دينار من أرْبَعِيْنَ دِيْنَاراً وشاةٌ مِن أرْبعين شَاةً .

وأمَّا الواحدة في العُمُر فهي حَجَّةُ الإسلام .

وأمَّا الخمسة مِن المأتين فِهِيَ زَكاةُ الفِضَّةِ وتُسَمَّى الوَرِق .

فَسُرَّ الرشيدُ مِن تَفْسِيرُ هذِهِ المسائِلِ ومِن ذَكَاءِ الأَعْرَابِي وفِطْنَتِهِ وإجَابَتِهِ .

ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بعَشَرَةِ الآفِ دِرْهَم فقال لا حَاجَةَ لِي بها رُدَّهَا إلَى أَصْحَابِهَا فَقَال لَهُ أَتُريد أَنْ أجْرِيَ لَكَ جِرَايَةً تَكْفِيْكَ مُدَّةَ حَيَاتِكَ .

قال الذي أَجْرَى عَلَيْكَ يُجْرِيْ عَليَّ .

قال فإنْ كانَ عَلَيْكَ دَيْنٌ قَضَيْنَاهُ فَلَمَ يَقْبَلْ مِنه شَيْئاً لِلهِ دَرُّهُ على هذه العِفَّةْ هذا من رقم (١) في الزُهد والورع ياليْتَ هذا الطِرَاز يُوجَد .

ثم أنشأ يقول :

هَبِ الدُنْيا تُواتِيْنا سِنِيْنَا فَتَكْدُرُ تارةً وتَلِيْنُ حِيْنَا
فما أرْضَى بِشَيءٍ لَيْسَ يَبْقَى وأتْرُكُهُ غَداً لِلْوَارِثِيْنَا
كَأنِّيْ بالتُرابِ عَليَّ يُحْثَى وبالإِخْوانِ حَوْلي نائِحِيْنَا
ويَوْمٌ تَزْفُر النِّيْرانُ فِيْهِ وتُقْسِمُ جَهْرَةً لِلسَّامِعِيْنَا
وعِزَّةِ خالِقيْ وجَلَالِ رَبي لَاِ نْتَقِمَنْ مِن العُصَاة أجمَعِيْنَا

« لُغـــز في الأرض »

وأُمٌ أَوْلَادُهَا فَوْقَ ظَهْرِهَـــا وفي بَطْنِهَا أَعْجبْ بذلِكَ مِنْ أمْرِ
أَحَلُوا بإجْمَاعِ الأئِمَّةِ وَطْأهَا ومَا مِن جِمَاعٍ قَدْ أتَوهُ وَلا نُكْرِ
إذَا حَمَلَتْ منهم بِشَخْصٍ فلا يُرَى لَهُ صُوْرَةٌ حَتَّى القِيَامَةِ والحَشْرِ

في ميـــزان

وَقَاضِي قُضَاةٍ يَفْصِلُ الحُكْمَ سَاكِتاً وبالحَقِ يَقْضِي لا يَبُوْحُ فَيَنْطِقُ
قَضَى بِلسِانٍ لا يَمِيْلُ وإنْ يَمِلْ على أحَدِ الخَصْمِيْنِ فَهْوَ مُصَدَّقِ

وفي سَمَكـــة

وَذَاتُ جَنَاحٍ لا تَطِيْرُ وَلَا تَمْشِيْ تُصَادُ وَلَيستْ في الطُيُورِ ولا الوَحْشِ
عَلَيْهَا قِمِيصٌ مِن لُجَيْنٍ مُـدَبَّجَ يُحَاكِيْ فُصُوصَ الجَوْشَنِ المُحْكَمِ النَّقْشِ
تَسِيْرُ وَلا يَدْنُو من الأرض جِسْمُهَا وتَسْبِقُ إنْ شاءَتْ أخَا الأيْدِ وَالبَطْشِ

وفي القَلْـــب

أيا عُلَماء الناسِ هَلْ تُخْبِرُوْنَني عَن الرائِحِ الغَادي المقيمِ المُسَافِرِ
يَجُوْبُ نَواحِي الأرضِ في عُشْرِ سَاعَةً وفِي الوَكْرِ لَمْ يَبْرحْ وَلَيْسَ بِطَائِرِ

في آدم

وذِي حَسَبٍ في الناسِ لا يُنكِرُوْنَهُ ولَيْسَ لَهُ في الناسِ أُمٌّ ولا أبُ

وفي آدم وعيسى والقمر

عَجِبْتُ لِمَوْلُودٍ ولَيسَ له أبٌ وذِيْ وَلَدٍ ما إنْ لَهُ أبَـوَانِ

وآخر: ويَكْمُلُ في خَمْسٍ وعَشْرٍ شَبَابهُ   وَيَهْلِكُ في سَبْعٍ مَعاً وَثَمَانِ

في يونس عليه السلام

وَمَا حَيٌّ بَدَا من بَطْنِ حَيٍ   تَماماً ذَلِكَ العَجَبُ العَجِيْبُ
فَعَاشَا لَيْسَ بَيْنَهُمَا وِصَالٌ   ولا نُعْمَى ولَا نَسَبٌ قَرِيْبُ

في الحجر الأسود

وأَسْوَدُ لا تَلْقَاهُ إلا بِسَجْدَةٍ   وتَقْبِيْلة أَو مَسْحَةٍ بالأصَابع
تَرى الملكَ الجَبَّارَ يَعْنُوْ لِوَجْهِهِ   جَلالاويَلْقَاهُ بِرَهْبَةِ خاضِعَ

إنتهى .

شعرا : يا مَنْ يُعِدُ غَداً لِتَوبَتِهِ   أَعَلى يَقِيْنٍ مِن بُلُوغِ غَدِ
المرءُ في زَلَلٍ على أمَلٍ   وَمَنِّيَةُ الإنسانِ بالرَّصَدْ
أيَامَ عُمُرِكَ كُلُّهَا عَدَدْ   وَلَعَلَّ يومَكَ آخِرُ العَدَدْ

يا أخي التَّوبةَ التَّوبةْ قَبْلَ أنْ تَصِلَ إليكَ النَّوبَةْ ، الإنابةْ قَبْلَ أنْ يُغْلَقَ بابُ الإجَابَةْ ، الإفاقَةْ فيا قُرْبَ وَقْتِ الفاقَةْ ، إنما الدنيا سُوقٌ لِلتُّجَرَ ومَجْلِسُ وَعْظٍ للزَّجَرْ ولَيلُ صَيْفٍ قَرِيْب الفَجرْ ، المَكَنَةُ مُزْنةُ صَيْفْ ، الفُرصَةُ زَوْرَةٌ طَيْفْ ، الصِّحَّةُ رَقْدةُ ضَيْفْ ، الغِّرةُ نَقْدَةُ زَيْفْ ، الدنيا مَعْشُوقَةٌ وكَيْفْ ، البِدارَ البِدار فالوقتُ سَيْفْ .

يا غافلاً عن مَصِيْرِهْ ، يا وَاقِفاً في تَقْصِيْرهْ سَبَقَكَ أهْلُ العَزَائِمْ وأنْتَ في اليَقَظَةِ نَائِمْ ، قِفْ عَلى البابِ وقُوفَ نَادِمْ ، ونَكِّسِ رأس الذل وقُلْ أنَا ظالم ، ونادِ في الأسحارِ مُذْنَب وواهم ، وتَشَبَّهْ بالقِوم وإن لم تكن منهم وزَاحِمْ ، وابْعَثْ بريحِ الزَّفَراتِ سَحَابَ دَمْعٍ سَاجِم ، قُمْ في الدُجا نادِبًا ، وقِفْ على البَابَ تائباً ، واسْتدرِكْ مِن العُمْرِ ذاهباً ، وَدعِ اللَّهوَ والهَوى جَانباً ، وإذا لاحَ الغُرورُ رأى رَاهِباً ، وطَلِّقِ الدُنيا إنْ كُنْتَ لِلأُخرى طالباً .

اللّهُمَّ ثَبِّتْ وَقَوِّ مَحَبَّتَكَ في قُلوبنا واشْرَحْ صُدُوْرَنُا وَنوِّرْها بنُورِ الإيْمانِ واجْعَلنا هُداةً مُهْتَدين وألْهِمْنا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ واجْعَلنا مِمَّنْ يفُوزُ بالنَّظَرِ إلَى

وَجْهكَ فِي جَنّاتِ النّعِيم يَا حَليمُ وَيَا كَرِيمُ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدِينا ولِجَميع المُسْلمِينَ الأحياءِ منهُم والميّتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ وصلّى اللّهُ عَلَى مُحمّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِين .

موعظــة

إخواني رَحَل الأحْبَابُ إلى القُبور وسَتَرحَلُون ، وتَركُوا القُصورَ والأمْوَالَ ، والأوطانَ وسَتَتْرُكُون ، وتَجَرَّعُوا كأسَ الفِرَاقِ وسَتَتَجَرَّعُون .

وقدِمُوا على ما قَدَّمُوا واستَقْدَمُون ، ونَدِموا على التَّفْرِيْطِ في الأعمالِ وسَتَنْدَمُون ، وتأسَّفُوا على أيامِ الإهمال وسَتَتَأسَّفُون ، وشاهَدُوْا مَا لَهمُ عِنْدَ قُدُوم هادِمِ اللذات وسَتَشْهَدُوْنَ .

ووقَفُوا بِبَصَائِرهم على الأَهْوَالِ ، وسَتَقِفُون ، وسُئِلُوا عَمَّا عَمِلُوا وسَتُسْأَلُون ، ويَوَدُّ أحَدُهم لو يَفْتَدِى بالمال وسَتَوَدُّون .

فبادِرُوْا بالمتاب قبل يَومِ الحِساب وخَيْبَةِ الظنون ، فكأنكم بأيَّامِ الشبابِ وقد أبْلَتها يَدُ المُنْون ، وقد أظلكم مِن فَجْاءة الموتِ ما كُنتُم توعَدون .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ونُفخَ في الصُورِ فَصَعِقَ مَن في السموات ومَن في الأرض إلا مَن شاء الله ثـم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ فكيفَ بك يا مَن ضاع عُمُرهُ فُرُطًا في القِيلِ والقَال وعنِد المِذياعِ والكُرَةِ والتلفزيون .

ماذا يكون مَوقفك إذا نُفِخَ في الصور وبعثر ما في القبور وحُصِلَ ما في الصُدور وضَاقَتِ الأُمورُ وظَهَرَ المستُور .

وخرج الخلائقُ مِن القُبور ياله مِن يوم فيه الزلازلُ والأهوال وفيه تسير الجبال وتَرادَفَ المُزْعِجَاتُ والأَهول ، وتَنْقَطِعُ فيه الآمال ، ويَقِلُ فيه الاحتيال .

فيا خَسَارَةَ أَهْلِ الشِمال يَومٌ تَزِلُ فيه الأَقْدَام وتَتَبَلَّدُ فيه الأفهام ، ويطول

فيه القيام وتَتابَعُ فيه الهموم والآلام وتظهر الجرائم والآثام وينقطع فيه الكلام .

ياله مِن يوم يوم يقُوم الناس لرب العالمين يومُ الحَسْرَةِ والندامة يوم الزلزلة والطامة يوم ترجف الراجفة تَتْبَعُهَا الرادفة يوم الصاخة : ﴿ يوم يفر المرء مِن أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لِكل امرءٍ منهم يومئذٍ شأن يُغْنِيه ﴾

شِعْرًا :

كَـأسُ المنِيَّـةِ دَائِـرٌ مَـا بَيْنَنـا ... يَسْـقِيْكُمُوْا وَيَـدُوْرُ لِلنُّـدَمَـاءِ
فـي المـوتِ أَعْظَـمُ عِـبْرةٍ لِمُبَصِّـر ... أَوْ عِـبْرَةٍ مَمْـزُوْجَـةٍ بِـدِمَـاءِ
فهـو المُصِـيْبَةُ وَهـو أَكْـبَرُ آيَـةٍ ... مُفْـنِي الـوَرَاء وِمحْنَـةُ العُقَـلاءِ
وهـو الـرَّزِيَّـةُ والبَـلِيَّـةُ والـذي ... يَسْـطُوْ عَـلى الآبـاءِ والأَبْنَـاءِ
فاشْدُدْ حَيَازِيْمَ الرَّحِيْلِ إلى الأُولَى ... واخْـرُجْ مِـن الأَدْوَاءِ والحُـكَماءِ
إنَّ الغَنَـائِمَ فـي التَّـوَكُل والـرضَـا ... لَيْسَـتْ مَـعَ الصَّفْـرَاءِ والحَمْـرَاءِ
لَـوْ أَنَّ عُمْـرًا مِـن طَبِيْبٍ يُشْـتَرى ... عَـاشَ الطَّبِيْبُ وَلَـمْ يَمُـتْ بالـدَّاءِ
يا مَوْتُ أَقْرَبُ مَنْ يكوْن على الفَتَى ... تُلْقِيْـهِ فـي الصَّعْقَـاءِ والـرمْضَـاءِ
يا مَـوْتُ مَـا لَكَ لا تُبـقِّي مَاجِـدًا ... يَـا هَـادِمَ اللَّـذاتِ والسَّـرَاءِ
يـا فِتْنَـةَ الأُمَـرَاءِ والـوُزَراء يـا ... مُسْـتَهْلِك الشُّـرفَـاءِ والخُلَفَـاءِ
يا حَسْـرَةَ الظُـرَفاءِ واللُّطَفـاء يـا ... مُسْـتَأْصِـلَ النُبَـلاءِ والنُجَبَـاءِ
المـوتُ حَـتْمٌ يَـوْم بـأنـي وَعْـدُهُ ... مـا وَعْـدُهُ وَعْـدًا بغَـيْرِ وَفَـاءِ
كَمْ فَلَّ جَيْشًا كَمْ رَمَى مِن أَسْهُمٍ ... كَمْ فَضَّ شَمْلاً كَمْ قَضَى بِعَزَاءِ
كَمْ خَصَّ طِفْلاً كَم كَوى من وَالِدٍ ... كَـمْ هَـدَّ رِكْـنًا بَعْـدَ ذَلِكَ بِنَـاءِ
كَمْ فَضَّ نَفْسًا كَمْ بَرَى من حَاكِمٍ ... مِـن بعْـدِ عِـزٍّ قَـائِـمٍ وحِصَـاءِ
لا عِـزَّ لِلـدُّنْيـا الـدَّنِيَّـةِ أَهْـلُهَـا ... دَارِ الفَنَـا لَيْسَـتْ بِـدَارِ بَقَـاءِ
ثـم الصـلاةُ على النبي المُصْطَفى ... مَـنْ صَفْـوَةُ الفُصَحَـاءِ والنُجَبَاءِ
والآلِ والأَصحابِ أَعْلامِ الهُـدَى ... ما سَـارَ رَكْـبُ الحجِ فِي البَطْحَـاءِ

اللهم ارْحَمْ عِباداً غرَّهُمْ طُوْلُ إمْهَالِكَ وأَطْمَعَهُمْ دَوَامُ إفْضَالِكَ وَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ إلى كَرَمِ نَوَالِكَ وَتَيَقَنُوا أنَّ لا غِنَى لَهُم عَن سُؤَالِكَ وَجُدْ عَلَيْنَا وَعَليهِمْ بِرَحْمَتِكَ الوَاسِعَةِ واغفر لنا وَلَهُم وَلِجَمِيْعِ المسلمينَ يا ربَّ العالمِينَ وصلى الله على محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ أجْمعين .

موعظــة

إسْمَعْ يا مَن يَسْعَى لِقَاعِدْ ، ويَسْهَرُ لِرَاقِدْ ، ويَحْرِسُ لِرَاصِدْ ، ويَزْرعُ لِحَاصِدْ ، ويَبْخَلُ لِبَاذِلْ ، ويَجُوعُ لِآكل ، شِعْرَا :

وذِيْ حِرْصٍ تَرَاهُ يُلِمُّ وَفْراً لِوَارِثِهِ ويَدْفَعُ عن حِمَـاهُ
كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُمْسِكُ وهْوَ طَاوٍ فَرِيْسَهُ لِيأْكُلَهَـا سِـــوَاهُ

آخـر :

يُفْنِي البَخِيلُ بِجَمْعِ المالِ مُدَّتَّهُ ولِلْحَوَادِثِ والوُرَّاثِ ما يَدَعُ
كَدُوْدَةِ القَــزِّ مَا تَبْنِيْهِ يَهْدِمُهَا وغيْرُهَا بالذي تَبْنِيْــهِ يَنْتَفِــعِ

إسْمَعْ يا غافِلْ لَيْسَ بِمَغْفُولٍ عنه ، عن قَلِيْلٍ يَنْهَدُّ رُكْنَاكْ وفي القَبْرِ سُكناكْ ، قَلْبٌ قاسِي كَقُلُوبِ الكُفَّار حِرْصٌ كِحَرْص الفار يُنقِبُ بالأظفار .

قُلْ لِيْ مَا مَوْقِفُكَ إذا وَقَعَتِ الواقِعَة وقَرَعَتِ القارِعة وأزِفَ . لَكَ الرحَيْل إلى قبرِك واجْتَمَعَ الغَسَّالُ والغَسِيْل ، والعَائِدُ يَغْمِزُ عَيْنَيْه ، والحَبِيْبُ يُقَلِّبُ كَفَّيْه .

حَتَّى إذا انْقَطَعَ نَفَسُكَ وحُثِيَ على جَدَثِكْ ، وانْطَوَى زَمَانَكَ وخَوي جُثْمَانُكْ وأخْرِجْتَ مِن مَنْزِلكَ الذي بَنَيْتَهْ ، وتَرَكْتَ مَالَكَ الذي جَمَّعْتَهُ وَأَبْقَيتَهْ .

أَيَنْفَعُكَ حِيْنَئِذٍ حَلَال أصَبتَهُ ومَنَعْتَهْ ، أو حَرَامٌ غَصَبْتَهْ أوْ نَشَبٌ حَصَّنْتَهْ أوْ وَلِدٍ حَضَنْتَهْ ، أو رَبْعٌ أسَّسْتَهْ ، أو حُطَامٌ حَرَسْتَهْ ، أوْ أرْضاً حَوَّشْتَهَا .

كلا لا يَنْفَعُكَ إلاَّ خَيْرٌ لِوَجْهِ اللهِ أَمْضَيته ، أو خَصْمٍ أرْضَيْتَه ، أو قَرِيْبٍ وصَلْتَه وأعْطَيْتَهْ ، أو والدةٍ أو وَالد بَرَّيْتَه .

انْتَبهْ يا نَائِم واسْتَقِم يا قائِمٍ وأَكثِرْ مِن الزاد فإن الطَرِيق بَعِيْد والبَحْرَ عَميْق وخَفِف الحِمْلَ فإنَّ الصِراطَ دَقِيْقٌ وأخْلِصِ العَمَلَ فإنَّ الناقِدَ بَصِير .

وأخِّرْ نَوْمَكَ إلى القبر وفَرَحكَ إلى الميزان وشَهَوَاتِكَ وَرَاحَتِكَ إلى الآخرة ولَذَّاتِكَ إلى الحور العين .

وتَقَرَّبْ إلى الله جَلَّ وعَلا بِحُبِّ أهْلِ الطَّاعةِ وبُغْضِ أهلِ المَعَاصِي واهْجُرْهُمْ وتَباعَدْ عنهم واحْذر وحَذِّر عنهم واسأل رَبَّكَ الثبات على الإيمان حَتَّى الممات .

ومِن كَلامِ بَعْضِهم أما تَسْمَعُوْن أيُّها الناس دَاعِي الموتِ يَدْعُوكم ، وحَادِيْه يَحْدُوكم أمَا تَرَوْنَ صَرْعَاهُ في مَنازِلِكُم وقَتْلاهُ بَيْنَ أيديْكم فَفِيْمَ التَّصَامُمُ عن الداعِي والتَّشَاغُلُ عن الحادي والتَّعَامِي عن مَصَارِعِ القَتْلَى والتَّغَافُل عن مُشَاهَدةِ الْهَلْكَى ، فَرِحِمَ اللهُ أمْرَأً أَيْقَظَ نَفْسَهُ في مُهْلَةِ الحَيَاة قَبْلَ أنْ تُوقِظَهُ رَوْعَةُ المَمات ، واسْتَعَدَّ لِمَا هُو آتٍ قَبْلَ الانْبِتَاتِ ، وحُلُولِ الفوات ، وكأَنَّ الحكم قَدْ وَقَعَ والخِطَاب قَدِ ارْتَفَع ، أعْرَضَ مَن أَعْرَضَ وسَمِعَ مَن سَمِعْ .

شعرا :

قَطَعْتُ زَمَاني حِيْنَاً فَحِيْنَا ... أُدِيْر مِن اللَّهْوِ فِيهِ فُنُوْنَا
وأهْمَلْتُ نَفْسِي ومَا أهْمِلَتْ ... وهَوَّنْتَ مِن ذَاكَ مَا لَمْ يَهُوْنَا
ورُبَّ سُرُوْرٍ شَفَى غَلَّةً ... وَوَلَّى فأعْقَبَ حُزْناً رَصِيْنَا
وكَمْ آكِلِ سَاعَةً ما يُرِيْد ... يُكَابِدُ مَا أورَثَتْهُ سِنِيْنَا
وما كان أغْنَى الفَتى عن نَعِيْمٍ ... يَعُودُ عَلَيهِ عَذَاباً مُهِيْنَا
وكَمْ وَعَظَتْني عِظَاةُ الزَمانِ ... لَو أني أُصِيْخ إلى الواعِظِيْنَا
وكم دَعَاني دَاعِي المَنُوْنِ ... وأسْمَعَ لو كُنْتُ في السَّامِعِيْنَا

وماذا أؤمِّــلُ أوْ أرْتَجيْــه   وقد جُــزْتُ سَبْعاً على الأرْبِعيْنَا
فلو كانَ عَقْــلِي مَعِي حَاضِــراً   سَمِعْتُ لَعَمْــرِي منــه أنِيْنَــا
ولَنْ يَبْرحَ المَــرْءُ في رَقْدَةٍ   يَغِــطُّ إلى أنْ يُوَافي المُنُــوْنَا
فَتُوْقِظُــهُ عِنــدَها رَوْعَــةٌ   يُقَطِّــعُ منه هُنَــاكَ الوَاتِيْنَــا
وإذْ ذَاكَ يَــدْرِيْ بِمَــا كان فيــه   وتَجْـلُو الحَقَــائِقُ مِنْــهُ الظُنُوْنَا

اللَّهُمَّ انْظِمْنا في سِلكِ حِزبِكَ المُفلِحين ، واجْعلنا مِنْ عبادِكَ المُخْلِصين وآمِنَّا يومَ الفَزَعِ الأكبَرِ يومَ الدِين ، واحشُرْنا مَعَ الذين أنعمْتَ عليهم مِنَ النَبيين والصِّدِّيقينَ والشُهداء والصالحين واغفِرْ لنا ولوالِدينا ولجميعِ المسلمينَ الأحياءِ منهمْ والميتينَ برحمتكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجمعِين .

(فَصْـــلٌ)

قال ابن القيم رحمه الله :

إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَــارِ فَـإِنَّهَــا
أَمَــارَةُ تَسْلِيْمِيْ عَـلَيْكُـمْ فَسَلِّمُــوْا

سَلامٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
وَرَوْحٌ وَرَيْحَــانٌ ، وَفَضْــلٌ وأَنْــعُمُ

عَلَى الصَّحْبِ والإِخْوَانِ والوِلْدِ والأُلى
رَعَــاهُمْ بِاحْسَــانٍ فَجَــادُوْا وأَنْعَمُــوْا

وَسَــائِرِ من لِلسُّنَّةِ المَحْضَةِ اقْتَفى
ومَــا زَاغَ عَنْهَــا فَهْــوَ حَقٌّ مُقَــوَّمُ

أُولئِــكَ أَتْبَــاعُ النَّبِــيِّ وحِــزْبِــهِ
وَلَوْلَاهُمْ مَا كَانَ فِي الأَرْضِ مُسْلِمُ

ولَـوْلاَهُمُ كـادت تَمِيْـدُ بـأَهْلِهَـا
ولـكِنْ رَوَاسِيْهَـا وَأَوْتَـادُهَـا هُـمُ
ولَـوْلاَهُمُ كَـانَتْ ظَـلاماً بـأهْلِهَا
ولاكِـنَّهُـمُ فِيْـهَـا بـدُوْرٌ وأَنْـجُـمُ
أُولَئِـكَ أَصْحَابِيْ فَحَيَّ هَـلاً بِهِم
وحَيَّ هَـلاً بـالـطَّيِّبِيْـنَ وأَنْـعُـمُ
لِكُـلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ سَلامٌ يَخُصُّهُ
يُبَلِّغُـهُ الأَدْنَـى إِلَيْـهِ وَيَـنْـعَـمُ
فَيَا مُحْسِناً ، بَلِّغْ سَلاَمِيْ وَقُلْ لَهُمْ :
مُحِبُّكُمُ يَـدْعُـوْ لَـكُمْ ، ويُسَلِّمُ
ويَـا لاَئِمِيْ فِي حُبِّهِمْ وَوَلائِـهِمْ
تأَمَّلْ ، هَدَاكَ اللَّهُ ، مَنْ هُوَ أَلْوَمُ
بـأَيِّ دَلِيْـلٍ أَمْ بِـأَيَّـةِ حُجَّـةٍ
تَـرَى حُبَّهُم عَـاراً عَلَيَّ ، وتَنْقِمُ
وَمَـا العَـارُ إِلاّ بُغْضُهُمْ واجْتِنَـابُهُمْ
وحُبُّ عِـدَاهُمْ ذَاكَ عَـارٌ ومَـأْثَمُ
أَمَا وَالّذِي شَقَّ القُلُوبَ ، وأَوْدَعَ الْـ
مَحَبَّـةَ فِيْهَـا حَيْثُ لاَ تَـتَصَـرَّمُ
وحَـمَّلَهَـا قَـلْبَ المُحِبِّ ، وإِنَّـهُ
لَيَضْعُفُ عَنْ حَمْلِ القَمِيْصِ ، وَيَأْلَمُ
وذَلَّلَهَـا حَتَّى اسْتَكَانَتْ لِصَـوْلَةِ الْـ
مَـحَبَّـةِ لا تَـلْوِيْ وَلاَ تَـتَلَعْثَمُ
وذَلَّـلَ فِيْهَـا أَنْفُسـاً دُوْنَ ذُلِّـهَـا
حِيَاضُ المَنَايَا فَوْقَهَا ، وهْيَ حُوَّمُ

لأَنْتُمْ عَلَى قُـرْبِ الدِّيَـارِ وبُعْدِهَـا
أَحِبَّتُنَـا ، إنْ غِبْتُمُ أَوْ حَضَـرْتُمُ
سَلُوا نَسَمَاتِ الرِّيْحِ كَمْ قَدْ تَحَمَّلَتْ
مَحَبَّةَ صَبٍّ شَوْقُهُ لَيْسَ يُكْتَمُ !!
وشَـاهِـدُ هَـذَا أَنَّهَا فِي هَبُـوْبِها
تَكَـادُ تَبُثُّ الـوِجْـدَ لَـوْ تَتَكَلَّمُ
وكُنْتُ إذا مَا اشْتَدَّ بِي الشَّوْقُ والجَوَى
وكَادَتْ عُرَى الصَّبْرِ الجَمِيْلِ تفَصَّمُ
أُعَلِّلُ نَفْسِيْ بـالـتَّـلاقِيْ وقُـرْبِـهِ
وأُوْهِـمُـهَـا ، لَـكِـنَّـهَـا تَـتَـوَهَّـمُ
وأُتْبِـعُ طَـرْفِي وِجْهَـةً أَنْتُمْ بِهَـا
فَلِيْ بِحِـمَـاهَـا مَـرْبَـعٌ ومُخَيَّمُ
وأَذْكُـرُ بَيْتاً قَـالَـهُ بَعْضُ مَنْ خَلاَ
وَقَـدْ ضَلَّ عَنْهُ صَبْرُهُ فَهْـوَ مُغْرَمُ
« أُسَـائِلُ عَنْكُمْ كُـلَّ غَـادٍ ورَائِـحٍ
وأُوْمِـيْ إلَى أَوْطَـانِـكُـمْ وَأُسَـلِّمُ »
وَكَمْ يَصْبِـرِ المُشْتَـاقُ عَمَّنْ يُحِبُّهُ
وفِي قَلْبِـهِ نَـارُ الأَسَى تَتَضَـرَّمُ
أَمَـا وَالَّـذِي حَـجَّ المُحِبُّـوْنَ بَيْتَـهُ
ولَبَّـوْا لَهُ عِنْـدَ المَهَلِّ ، وأَحْـرَمُـوْا
وقَدْ كَشَفُوْا تِلْكَ الرُّؤُوْسِ تَوَاضُعاً
لِعِـزَّةِ مَنْ تَعْنُـوْ الـوُجُـوْهُ وتُسْلِمُ

يُهِلُّونَ بالبَيْدَاءِ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا
لَكَ المُلْكُ والحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ تَعْلَمُ
دَعَاهُمْ فَلَبُّوْهُ رِضىً وَمَحَبَّةً
فَلَمَّا دَعَوْهُ كَانَ أَقْرَبَ مِنْهُمُ
تَرَاهُمْ عَلَى الإِنْضَاءِ شُعْثاً رُؤُوْسُهُمْ
وغُبْراً ، وهُمْ فِيْهَا أَسَرُّ وأَنْعَمُ
وَقَدْ فَارَقُوْا الأَوْطَانَ والأَهْلَ رَغْبَةً
وَلَم يُثْنِهِمْ لَذاتُهُمْ والتَّنَعُّمُ
يَسِيْرُوْنَ مِن أَقْطَارِهَا وفِجَاجِهَا
رِجَالاً ورُكبانَاً ، ولِلّهِ أَسْلَمُوْا
وَلَمَّا رَأَتْ أَبْصَارُهُمْ بَيْتَهُ الّذي
قُلُوبُ الوَرَى شَوْقاً إِلَيْهِ تَضَرَّمُ
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَنْصِبُوْا قَطُّ قَبْلَهُ
لِأَنَّ شَقاهُمْ قَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُمُ
فَلِلّهِ كَمْ مِنْ عَبْرَةٍ مُهَرَاقَةٍ
وأُخْرَى عَلَى آثَارِهَا تَتَقَدَّمُ
وَقَدْ شَرِقَتْ عَيْنُ المُحِبِّ بِدَمْعِهَا
فَيَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ الدُّمُوْعِ ، ويُسْجِمُ
إِذَا عَايَنَتْهُ العَيْنُ زَالَ ظَلاَمُهَا
وَزَالَ عَن القَلْبِ الكَئِيْبِ التَّأَلُّمُ
وَلاَ يَعْرِفُ الطَّرْفُ المُعَايِنُ حُسْنَهُ
إلى أَنْ يَعُوْدَ الطَّرْفُ ، والشَّوْقُ أَعْظَمُ

وَلاَ عَجَبٌ مِنْ ذَا فَحِيْنَ أَضَافَهُ
إِلى نَفْسِهِ الرَّحْمنُ ، فَهْوَ المُعَظَّمُ
كَسَاهُ مِنَ الإجْلاَلِ أَعْظَمَ حُلَّةٍ
عَلَيْهَا طِرَازٌ بِالمَلاَحَةِ مُعْلَمُ
فَمِنْ أَجْلِ ذَا كُلُّ القُلُوبِ تُحِبُّهُ
وتَخْضَعُ إجْلاَلاً لَهُ ، وتُعَظِّمُ
وَرَاحُوْا إلى التَّعْرِيْفِ يَرْجُوْنَ رَحْمَةً
وَمَغْفِرَةً مِمَّنْ يَجُوْدُ ويُكْرِمُ
فَلِلَّهِ ذَاكَ المَوْقِفُ الأَعْظَمُ الَّذِي
كَمَوْقِفِ يَوْمِ العَرْضِ بَلْ ذَاكَ أَعْظَمُ
وَيَدْنُوْ بِهِ الجَبَّارُ جَلَّ جَلاَلُهُ
يُبَاهِيْ بِهِمْ أَمْلاَكَهُ ، فَهْوَ أَكْرَمُ
يَقُوْلُ : عِبَادِيْ قَدْ أَتَوْنِي مَحَبَّةً
وَإِنِّي بِهِمْ بَرٌّ أَجُوْدُ ، وأَرْحَمُ
فأُشْهِدُكُمْ أَنِّيْ غَفَرْتُ ذُنُوبَهُمْ
وأَعْطَيْتُهُمْ مَا أَمَّلُوْهُ وأُنْعِمُ
فَبُشْرَاكُمْ يَا أَهْلَ ذَا المَوْقِفِ الَّذِي
بِهِ يَغْفِرُ اللّهُ الذُّنُوبَ ، ويَرْحَمُ
ومَا رُؤِيَ الشَّيْطَانُ أَغْيَظَ فِي الْوَرَى
وأحْقَرَ مِنْهُ عِنْدَهَا ، وَهْوَ الأَمُ
وَذَاكَ لِأَمْرٍ قَدْ رَآهُ فَغَاظَهُ
فَأَقْبَلَ يَحْثُو التُّرْبَ غَيْظاً ، ويَلْطِمُ
ومَا عَايَنَتْ عَيْنَاهُ مِنْ رَحْمَةٍ أَتَتْ
ومَغْفِرَةٍ مِنْ عِنْدَ ذِي العَرْشِ تُقْسَمُ

بَنَى مَا بَنَى ، حَتَّى إِذا ظَنَّ أَنَّهُ
تَمكَّنَ مِنْ بُنْيَانِهِ ، فَهْوَ مُحْكَمُ
أَتَى اللّهُ بُنْيَاناً لَهُ مِنْ أَسَاسِهِ
فَخَرَّ عَلَيْهِ سَاقِطاً يَتَهَدَّمُ
وكَمْ قَدْرَ مَا يَعْلُو البِنَاءُ ويَنْتَهِيْ
إِذَا كَانَ يَبْنِيْهِ وذُو العَرْشِ يَهْدِمُ !!
وَرَاحُوْا إلى جَمْعٍ فَبَاتُوْا بِمَشْعَرِ الْـ
حَرَامِ وَصَلُّوا الفَجْرَ ، ثُمَّ تَقَدَّمُوْا
إلى الجَمْرَةِ الكُبْرى يُرِيْدُوْنَ رَمْيَهَا
لِوَقْتِ صَلاةِ العِيْدِ ، ثُمَّ تَيَمَّمُوْا
مَنَازِلَهُم لِلنَّحْرِ يَبْغُوْنَ فَضْلَهُ
وإِحْيَاءَ نُسْكٍ مِنْ أَبِيْهِم يُعَظَّمُ
فَلَوْ كَانَ يُرْضِي اللّهَ نَحْرُ نُفُوسِهِمْ
لَدَانُوا بِهِ طَوْعاً ، ولِلأَمْرِ سَلَّمُوْا
كَمَا بَذَلُوا عِنْدَ الجِهَادِ نُحُورَهُمْ
لِأَعْدَائِهِ حَتَّى جَرَى مِنْهُمُ الدَّمْ
ولَكِنَّهُمْ دَانُوا بِوَضْعِ رُؤُوْسِهِمْ
وذَلِكَ ذُلٌّ لِلْعَبِيْدِ ومِيْسَمُ
وَلَمَّا تَقَضَّوْا ذَلِكَ التَّفَثَ الَّذِي
عَلَيْهِمْ ، وَأَوْفَوْا نَذْرَهُم ، ثُمَّ تَمَّمُوْا
[illegible]اهُم إلى البَيْتِ العَتِيْقِ زِيَارَةً
فَيَا مَرْحَباً بِالزَّائِرِيْنَ ، وأَكْرِمُ

فَلِلّهِ مَــا أَبْهَى زِيَــارَتَهُــمْ لَــهُ !!
وَقَـدْ حُصِّلَتْ تِلْكَ الجَوَائِـزُ تُقْسَمُ
وَلِـلّهِ إِفْـضَــالٌ هُـنَــاكَ ونِـعْــمَــةٌ
وبِــرٌّ وإِحْسَــانٌ ، وَجُــوْدٌ ومَــرْحَمُ
وَعَادُوْا إِلَى تِلْكَ المَنَازِلِ مِنْ مِنَى
وَنَـالُـوْا مُنَـاهُمْ عِنْـدَهَـا ، وتَنَعَّمُـوْا
أَقَـامُـوْا بِهَـا يَـوْمـاً وَيَـوْمـاً وثَـالِثـاً
وأُذِّنَ فِيْهِمْ بِــالـرَّحِيْــلِ وأُعْلِمُــوْا
وَرَاحُـوْا إلى رَمْيِ الجِمَـارِ عَشِيَّةً
شِعَــارُهُمُ الـتَّكْبِيْــرُ وَالـلّهُ مَعْـهُمُ
فَلَوْ أَبْصَـرَتْ عَيْنَـاكَ مَـوْقِفَهُمْ بِهَـا
وَقَـدْ بَسَطُوْا تِلْكَ الأَكُفَّ لِيُـرْحَمُوْا
يُنَادُوْنَهُ : يَا رَبُّ ، يَا رَبُّ ، إِنَّنَـا
عَبِيْدُكَ ، لا نَدْعُـوْ سِوَاكَ ، وتَعْلَمُ
وَهَا نَحْنُ نَرْجُوْ مِنْكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ
فَأَنْتَ الّذِي تُعْطِيْ الجَزِيْـلَ وتُنْعِمُ
وَلَمَّا تَقَضَّوْا مِنْ مِنَى كُـلَّ حَاجَـةٍ
وسَـالَتْ بِهِمْ تِلْكَ البِطَاحُ تَقَـدَّمُوْا
إلى الكَعْبَـةِ البَيْتِ الحَرَامِ عَشِيَّـةً
وَطَافُوْا بِهَا سَبْعاً ، وصَلُّوْا ، وَسَلَّمُوْا
ولَمَّـا دَنَـا التَّـوْدِيْـعُ مِنْهُمْ وأَيْقَنُـوْا
بِــأَنَّ الـتَّـدَانِي حَبْلُهُ مُتَصَــرِّمُ

وَلَـمْ يَـبْـقَ إلَّا وَقْـفَـةٌ لِـمُـوَدِّعٍ
فَلِلَّهِ أجْفَـانٌ هُنَـالِـكَ تَسْـجُمُ !!
ولِـلَّهِ أكْبَـادٌ هُـنَـالِـكَ أُوْدِعَ الْـ
غَـرَامُ بِهَا !! فـالنَّـارُ فِيْهَـا تَضَـرَّمُ
ولِـلَّهِ أَنْـفَـاسٌ يَـكَـادُ بِـحَـرِّهَـا
يَـذُوْبُ المُحِبُّ المُسْتَهَـامُ المُتَيَّمُ
فَـلَمْ تَـرَ إلَّا بَـاهِتـاً مُـتَحَـيِّـراً
وآخَـرَ يُـبْـدِيْ شَـجْـوَهُ يَـتَـرَنَّـمُ
رَحَلْتُ ، وأَشْـوَاقِي إِلَيْكُمْ مُقِيْمَـةٌ
ونَـارُ الأَسَى مِنِّيْ تُشَبُّ وتُضْـرَمُ
أُوَدِّعُكُمْ ، وَالشَّـوْقُ يَثْنِيْ أعِـنَّتِـيْ
وَقَلْبِيَ أَمْسَى فِي حِمَـاكُمْ مُخَيِّمُ
هُنَالِكَ لَا تَثْرِيْبَ يَوْماً عَلَى امْرِئٍ
إِذَا مَا بَدَا مِنْهُ الّذِيْ كَـانَ يَكْتُمُ
فَيَـا سَائِقِيْنَ العِيْسَ ، بِـاللَّهِ رَبِّكُمْ
قِفُوْا لِيْ عَلَى تِلْكَ الرُّبُوْعِ وَسَلِّمُوْا
وَقُوْلُوا مُحِبٌّ قَادَهُ الشَوقُ نَحْـوَكُمْ
قَضَى نَحْبَهُ فِيْكُم تَعِيْشُوْا وتَسْلَمُوْا
قَضَى اللّهُ رَبُّ العَرْشِ فِيْمَا قَضَى بِهِ
بِـأَنَّ الهَـوَى يُعْمِي القُلُوْبَ ويُبْكِمُ
وحُبُّكُم أَصْـلُ الهُـدَى ، ومَـدَارُهُ
عَلَيْـهِ، وَفَـوْزٌ لِلْمُحِبِّ ، ومَـغْنَـمُ
وتَفْنَى عِـظَامُ الصَّبِّ بَعْدَ مَمَـاتِـهِ
وأَشْـوَاقُـهُ وَقْـفٌ عَـلَيْـهِ مُـحَـرَّمُ

فَيَا أَيُّهَا القَلْبُ الّذي مَلَكَ الهَوَى
أزِمَّتَــهُ ، حَتَّى مَتَى ذَا التَّـلوُّمُ ؟!
وحَتَّامَ لَا تَصْحُو ؟! وَقَدْ قَرُبَ المَدَى
ودُنَّتْ كُؤُوْسُ السَّيْـرِ والنَّاسُ نُـوَّمُ
بَلى ، سَوْفَ تَصْحُو حِيْنَ يَنْكَشِفُ الغِطَا
وَيَبْدُوْ لَكَ الأَمْرُ الّذِي أَنْتَ تَكْتُمُ
ويَـا مُوْقِـداً نَاراً لِغَيْـرِكَ ضَـوْؤُهَـا
وَحرُّ لَـظَاهَـا بَيْنَ جَنْبَيْـكَ يُضْـرَمُ
أَهَذَا جَنَى العِلْمِ الّذِي قَدْ رَضِيْتَهُ
لِنَفْسِكَ فِي الدَّارِيْن : جَاهٌ ودِرْهَمُ ؟!
وَهذا هُوَ الرِّبْحُ الّذي قَدْ كَسَبْتَهُ ؟!
لعَمْرُكَ لا رِبْحٌ ، وَلَا الأَصْلُ يَسْلَمُ !!
بَخِلْتَ بِشَيْءٍ لَا يَضُـرُّكَ بَـذْلُـهُ
وجُـدْتَ بِشَيْءٍ مِثْلُهُ لَا يُـقَـوَّمُ
بَخِلْتَ بِـذَا الحَظِّ الخَسِيْسِ دَنَاءَةً
وجُدْتَ بِدَارِ الخُلْدِ لَوْ كُنْتَ تَفْهَمُ
وبِعْتَ نَعِيْمـاً لَا انْقِضَـاءَ لَـهُ وَلَا
نَـظِيْرَ بِبَخْسٍ عَن قَلِيـلٍ سَيُعْـدَمُ
فَهلَّا عَكَسْتَ الأمْرَ إنْ كُنْتَ حَازِماً
ولَكِنْ أَضَعْتَ الحَزْمَ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ
وتَهْـدِمُ مَـا تَبْنِيْ بِكَفِّـكَ جَـاهِـداً
فَـأَنْتَ مَـدَى الأَيَّامِ تَبْنِي وَتَهْـدِمُ
وعِنْـدَ مُـرَادِ اللَّهِ تَـفْنَـى كَمَـيِّتٍ
وعِنْدَ مُرادِ النَّفْسِ تُسْـدِيْ وتُلْحِمُ

وعِنْدَ خِلَافِ الأمْـرِ تَحْتَجُّ بـالقَضَا
ظَهِيْراً عَلَى الرَّحْمٰنِ ، لِلْجَبْرِ تَزْعُمُ
تَنَزَّهُ مِنْكَ النَّفْسُ عنْ سُـوْءِ فِعْلِهَا
وتَـعْـتِـبُ أقْـدَارَ الإلٰــهِ وَتَــظْلِمُ
تَحُلُّ أُمُوْراً أحْكَمَ الشَّـرْعُ عَقْدَهَـا
وتَقْصُـدُ مَا قَـدْ حَلَّهُ الشَّرْعُ تُبْـرِمُ
وتَفْهَمُ مِنْ قَوْلِ الرَّسُوْلِ خِلَافَ مَا
أَرَادَ لأَنَّ الْـقَلْبَ مِـنْـكَ مُعَـجَّـمُ
مُطِيْعٌ لِدَاعِي الغَيِّ عَاصٍ لِـرُشْدِهِ
إلـى رَبِّـهِ يَـومـاً يُـرَدُّ ويَـعْـلَمُ
مُضِيْـعٌ لأمْرِ اللّهِ قَـدْ غَشَّ نَفْسَـهُ
مُـهِيْـنٌ لَهَـا أنّـي يُحِـبُّ ويُكْـرَمُ
بَطِيءٌ عَنْ الطَّاعَـاتِ أَسْرَعُ لِلْخَنـا
مِنَ السَّيْـلِ فِي مجْرَاهُ لَا يَتَقَسَّمُ
وَتَـزْعُمُ مَـعْ هَـذَا بِـأَنَّـكَ عَـارِفٌ
كَـذَبْتَ يَقِيْناً بِـالّـذِي أَنْتَ تَـزْعُمُ
وَمَـا أنْتَ إلّا جَـاهِـلٌ ثُمَّ ظَـالِمٌ
وأَنَّــكَ بَـيْنَ الـجَـاهِلِيْـنَ مُـقَــدَّمُ
إِذَا كَـانَ هَذَا نُصْـحُ عَبْدٍ لِنَفْسِـهِ
فَمَنْ ذَا الّذِي مِنْهُ الهُدَى يُتَعَلَّمُ ؟!
وفِي مِثْلِ هَذَا الحَالِ قَدْ قَالَ مَنْ مَضَى
وأحْـسَنَ فِيْـمَـا قَـالَـهُ الـمُـتَكَلِّمُ
« فَإنْ كُنْتَ لَا تَدْرِيْ فَتِلْكَ مُصِيْبَةٌ
وإنْ كُنْتَ تَدْرِي فَالْمُصِيْبَةُ أعْظَمُ »

وَلَـوْ تُبْصِـرُ الـدُّنْيَا وَرَاءَ سُتُـورِهـا
رَأَيْتَ خَيَـالاً فِي مَنَـامٍ سَيُصْـرَمُ
كَحُلْمٍ بِطَيْفٍ زَارَ فِي النَّوْمِ وانْقَضَى الْـ
مَنَامُ وَرَاحَ الطَّيْفُ ، والصَّبُّ مُغْرَمُ
وَظِـلٍّ أَرَتْهُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَـا
سَيَقْلُصُ فِي وَقْتِ الزَّوَالِ ، ويَفْصِمُ
ومُـزْنَةِ صَيْفٍ طَـابَ مِنْهَـا مَقِيْلُهَـا
فَـوَلَّتْ سَـرِيْعـاً ، والحُـرُوْرُ تَضَـرَّمُ
وَمَـطْعَمِ ضَيْفٍ لَـذَّ مِنْـهُ مَسَـاغُـهُ
وَبَعْـدَ قَلِيْـلٍ حَـالُـهُ تِلْكَ تُعْلَمُ
كَـذَا هَذِهِ الـدُّنْيَا كـأَحْـلامِ نَـائِمٍ
ومِنْ بَعْـدِهَـا دَارُ البَقَـاءِ سَتَقْـدَمُ
فَجُـزْهَا مَمَـرّاً لَا مَقَـرّاً وَكُنْ بِهَـا
غَرِيْباً تَعِشْ فِيْهَـا حَمِيْداً ، وتَسْلَمُ
أَو ابْنَ سَبِيْلٍ قَالَ فِي ظِلِّ دَوْحَةٍ
وَرَاحَ ، وَخَـلَّى ظِـلَّهَـا يَـتَقَـسَّـمُ
أَخَـا سَـفَـرٍ لا يَسْـتَقِـرُّ قَـرَارُهُ
إِلَـى أَنْ يَـرَى أَوْطَـانَـهُ ويُسَـلِّمُ
فَيَا عَجَباً !! كَمْ مَصْرَعٍ وعَظَتْ بِهِ
بَنِيْهَا !! ولَكِنْ عَنْ مَصَارِعِهَا عَمُوْا
سَقَتْهُمْ كُؤُوْسَ الحُبِّ حَتَّى إذا نَشَوْا
سَقَتْهُمْ كُؤُوْسَ السُّمِّ ، والقَوْمُ نُوَّمُ

وأَعْجَبُ مَا فِي العَبْدِ رُؤْيَةُ هَذِهِ الْـ
عَـظَائِمِ ، والمَغْـرُوْرُ فِيْهَـا مُتَيَّمُ
وَمَـا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ خَمْـرَةَ حُبِّهَـا
لَتَسْلِبُ عَقْـلَ المَـرْءِ مِنْـهُ وتَصْلِمُ
وأَعْجَبُ مِن ذَا أَنَّ أَحْبَابَهَا الأُلَى
تُهِيْنُ ، ولِـلأَعْـدا تُـرَاعِي وتُكْـرِمُ
وَذَلِـكَ بُـرْهَـانٌ عَلَى أَنَّ قَـدْرَهَـا
جَـنَـاحُ بَعُـوضٍ أَوْ أَدَقُّ وأَلأَمُ
وحَسْبُـكَ مَا قَـالَ الرَّسُـولُ مُمَثِّلاً
لَهَـا ، ولِـدَارِ الخُلْدِ والحَقُّ يُفْهَمُ
كَمَا يُدْلِيَ الإِنْسَانُ فِي اليَمِّ أُصْبُعاً
ويَنْـزِعُهَـا مِنْـهُ فَمَـا ذَاكَ يَغْنَـمُ
أَلَا لَيْتَ شِعْـرِيْ هَـلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً
عَلَى حَـذَرٍ مِنْهَـا ، وأَمْـرِيَ مُبْـرَمُ
وَهَـلْ أَرِدَن مَـاءَ الحَيَـاةِ وَأَرْتَـوِيْ
عَلَى ظَمَأٍ مِن حَوْضِهِ ، وَهْوَ مُفْعَمُ
وَهَلْ تبدُوَنْ أَعْلَامُهَا بَعْدَ مَا سَفَتْ
عَلَى رَبْعِهَـا تِلْكَ السَّـوافِي فَتُعْلَمُ
وَهَلْ أَفْرِشَنْ خَـدّيْ ثَرَى عَتَبَـاتِهِمْ
خُضُوعاً لَهُمْ كَيْمَا يَرِقُّوْا ويَرْحَمُـوْا
وَهَـلْ أَرْمِيَنْ نَفْسِيْ طَرِيْحاً بِبَابِهِمْ
وَطَيْـرُ مَنَـايَـا الحُبِّ فَـوْقِيَ تَحُـوْمُ

فَيَا أَسَفِيْ ، تَفْنَى الحَيَاةُ وتَنْقَضِيْ
وذَا العُتْبُ بَاقٍ مَا بَقِيْتُمْ وعِشْتُمْ

فَمَا مِنْكُمْ بُدٌّ وَلاَ عَنْكُمْ غِنَى
وَمَا لِيْ مِنْ صَبْرٍ فَأَسْلُوَ عَنْكُمُ

وَمَنْ شَاءَ فَلْيَغْضَبْ سِوَاكُمْ فَلاَ إذاً
إذا كُنْتُمُ عَنْ عَبْدِكُمْ قَدْ رَضِيْتُمُ

وعُقْبَى اصْطِبَارِيْ فِي هَوَاكُمْ حَمِيْدَةٌ
ولَكِنَّهَا عَنْكُمْ عِقَابٌ ومَأْثَمُ

وَمَا أَنَا بالشَّاكِي لِمَا تَرْتَضُوْنَهُ
وَلَكِنَّنِيْ أَرْضَى بِهِ وَأُسَلِّمُ

وحَسْبِيْ انْتِسَابِيْ مِنْ بَعِيْدٍ إِلَيْكُمُ
أَلَا إنَّهُ حَظٌّ عَظِيْمٌ مُفَخَّمُ

إذَا قِيْلَ : هَذَا عَبْدُهُمْ ومُحِبُّهُمْ
تَهَلَّلَ بِشْراً وَجْهُهُ يَتَبَسَّمُ

وَهَا هُوَ قَدْ أَبْدَى الضَّرَاعَةَ سَائِلاً
لَكُمْ بِلِسَانِ الحَالِ ، والقَالِ مُعْلِمُ

أَحِبَّتَهُ ، عَطْفاً عَلَيْهِ فَإِنَّهُ
لَمُظْمىً ، وإن المَوْرِدَ العَذْبَ أَنْتُمُ

فَيَا سَاهِياً ، في غَمْرَةِ الجَهْلِ والهَوَى
صَرِيْعَ الأَمَانِيْ عَنْ قَرِيْبٍ سَتَنْدَمُ

أَفِقْ قَدْ دَنَا الوَقْتُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ
سِوَى جَنَّةٍ ، أَوْ حَرُّ نَارٍ تَضَرَّمُ

وبالسُّنَّةِ الغَرَّاءِ كُنْ مُتَمَسِّكاً
هِيَ العُرْوَةُ الوُثْقى الَّتِي لَيْسَ تُفْصَمُ
تَمَسَّكْ بِهَا مَسْكَ البَخِيْلِ بِمَالِهِ
وعُضَّ عَلَيْهَا بِالنَّواجِذِ تَسْلَمُ
وَدَعْ عَنْكَ مَا قَدْ أَحْدَثَ النّاسُ بَعْدَهَا
فَمَرْتَعُ هَاتِيْكَ الحَوَادِثِ أَوْخَمُ
وهَيِّءْ جَوَاباً عِنْدَمَا تَسْمَعُ النِّدَا
مِنَ اللّهِ يَوْمَ العَرْضِ مَاذَا أَجَبْتُمُ
بِهِ رُسُلِي لَمَّا أَتَوْكُمْ فَمَنْ يَكُنْ
أَجَابَ سِوَاهُمْ سَوْفَ يُخْزَى ويَنْدَمُ
وخُذْ مِنْ تُقَى الرَّحْمٰنِ أَعْظَمَ جُنَّةٍ
لِيَوْمٍ بِهِ تَبْدُوْ عِيَاناً جَهَنَّمُ
ويُنْصَبُ ذَاكَ الجِسْرُ مِنْ فَوْقِ مَتْنِهَا
فَهَاوٍ، ومَخْدُوْشٌ، ونَاجٍ مُسَلَّمُ
ويَأْتِي إِلٰهُ العَالَمِيْنَ لِوَعْدِهِ
فَيَفْصِلُ مَا بَيْنَ العِبَادِ ويَحْكُمُ
وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ رَبُّكَ حَقَّهُ
فَيَا بُؤْسَ عَبْدٍ لِلْخَلائِقِ يَظْلِمُ !!
ويُنْشَرُ دِيْوَانُ الحِسَابِ وتُوْضَعُ الْـ
ـمَوازِيْنُ بالقِسْطِ الّذِي لَيْسَ يَظْلِمُ
فَلاَ مُجْرِمٌ يَخْشَى ظَلامَةَ ذَرَّةٍ
ولا مُحْسِنٌ مِنْ أجْرِهِ ذَاكَ يُهْضَمُ

وَتَشْهَدُ أَعْضَاءُ الْمُسِيءِ بِمَا جَنَى
كَذَاكَ عَلَى فِيْهِ الْمُهَيْمِنُ يَخْتِمُ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِيْ !! كَيْفَ حَالُكَ عِنْدَمَا
تَطَايَرُ كُتْبُ الْعَالَمِيْنَ وَتُقْسَمُ ؟!
أَتَأْخُذُ بِالْيُمْنَى كِتَابَكَ أَمْ تَكُنْ
بِالْأُخْرَى وَرَاءَ الظَّهْرِ مِنْكَ تَسَلَّمُ
وَتَقْرَأُ فِيْهِ كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْتَهُ
فَيُشْرِقُ مِنْكَ الْوَجْهُ ، أَوْ هُوَ يُظْلِمُ
تَقُولُ : كِتَابِي فَاقْرَؤُوهُ فَإِنَّهُ
يُبَشِّرُ بِالْفَوْزِ الْعَظِيْمِ ، وَيُعْلِمُ
وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَإِنَّكَ قَائِلٌ :
أَلَا لَيْتَنِي لَمْ أُوْتَهُ فَهُوَ مُغْرَمُ
فَبَادِرْ إِذاً مَا دَامَ فِي الْعُمْرِ فُسْحَةٌ
وَعَدْلُكَ مَقْبُوْلٌ ، وَصَرْفُكَ قَيِّمُ
وَجُدَّ ، وَسَارِعْ ، وَاغْتَنِمْ زَمَنَ الصِّبَا
فَفِيْ زَمَنِ الامْكَانِ تَسْعَى ، وَتَغْنَمُ
وَسِرْ مُسْرِعاً ، فَالسَّيْلُ خَلْفُكَ مُسْرِعُ
وَهَيْهَاتَ مَا مِنْهُ مَفَرٌّ وَمَهْزَمُ !!
« فَهُنَّ الْمَنَايَا أَيَّ وَادٍ نَزَلْتَهُ
عَلَيْهَا الْقُدُومُ أَوْ عَلَيْكَ سَتَقْدَمُ »
وَمَا ذَاكَ إِلَّا غَيْرَةٌ أَنْ يَنَالَهَا
سِوَى كُفْؤِهَا وَالرَّبُّ بِالْخَلْقِ أَعْلَمُ

وإنْ حُجِبَتْ عَنَّا بِكُلِّ كَرِيْهَةٍ
وحُفَّتْ بِمَا يُؤْذِي النُّفُوسَ ويُؤْلِمُ
فَلِلّهِ مَا فِي حَشْوِهَا مِن مَسَرَّةٍ
وأصْنَافِ لَذَّاتِ بِهَا يُتَنَعَّمُ !!
ولِلّهِ بَرْدُ العَيْشِ بَيْنَ خِيَامِهَا
وَرَوْضَاتِهَا والثَّغْرُ فِي الرَّوْضِ يَبْسِمُ
فَلِلّهِ وَادِيْهَا الّذي هُوَ مَوْعِدُ الْـ
مَزِيْدِ لِوَفْدِ الحُبِّ لَوْ كُنْتَ مِنْهُمُ
بِذَيَّالِكَ الوَادِيْ يَهِيْمُ صَبَابَةً
مُحِبٌّ يَرَى أَنَّ الصَّبَابَةَ مَغْنَمُ !
ولِلّهِ أَفْرَاحُ المُحِبّيْنَ عِنْدَمَا
يُخَاطِبُهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيُسَلِّمُ
وَلِلّهِ أَبْصَارٌ تَرَى اللّهَ جَهْرَةً
فَلاَ الضَّيْمُ يَغْشَاهَا وَلاَ هِيَ تَسْأَمُ
فَيَا نَظْرَةً أَهْدَتْ إِلَى الوَجْهِ نَضْرَةً
أَمِنْ بَعْدِهَا يَسْلُو المُحِبُّ المُتَيَّمُ ؟
ولِلّهِ كَمْ مِنْ خِيْرَةٍ لَوْ تَبَسَّمَتْ
أَضَاءَ لَهَا نُوْرٌ مِنْ الفَجْرِ أَعْظَمُ
فَيَا لَذَّةَ الأَبْصَارِ إِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ
ويَا لَذَّةَ الأَسْمَاعِ حِيْنَ تَكَلَّمُ
وَيَا خَجْلَةَ الغُصْنِ الرَّطِيْبِ إذا انْثَنَتْ
وَيَا خَجْلَةَ البَحْرَيْنِ حِيْنَ تَبَسَّمُ ؟؟

فـإنْ كُنْتَ ذَا قَلْبٍ عَلِيْلٍ بِحُبِّهـا
فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ وَصْلُهَـا لَـكَ مَـرْهَمُ
وَلاَ سِيَّمَـا فِي لَثْمِهَا عِنْـدَ ضَمِّهَـا
وَقَدْ صَارَ مِنْهَا تَحْتَ جِيْدِكَ مِعْصَمُ
يَـرَاهَا إِذَا أَبْدَتْ لَـهُ حُسْنَ وَجْهِهَـا
يَلَذُّ بِهَـا قَبْـلَ الـوِصَـالِ وَيَنْعَمُ
تَفَكَّهُ مِنْهَا العَيْنُ عِنْـدَ اجْتِلائِهَـا
فَـوَاكِـهَ شَتَّى طَلْعُهَـا لَيْسَ يُعْـدِمُ
عَنَـاقِـدُ مِنْ كَـرْمٍ وَتُـفَّـاحُ جَنَّـةٍ
ورُمَّـانُ أغْصَانٍ بِهَـا القَلْبُ مُغْرَمُ
ولِلْوَرْدِ مَـا قَـدْ أُلْبِسَتْـهُ خُـدُوْدُهَـا
ولِلْخَمْـرِ مَا قَـدْ ضَمَّهُ الـرِّيْقُ والْفَمُ
تَقَسَّمَ مِنْهَا الحُسْنُ فِي جَمْعٍ وَاحِدٍ
فَيَـا عَجَبـاً مِنْ وَاحِـدٍ يَتَقَسَّـمُ
تُـذَكِّـرُ بـالـرَّحْمٰنِ مَنْ هُـوَ نَـاظِـرٌ
فَيَنْـطِقُ بـالتَّسْبِيْـحِ لاَ يَتَلَعْثَـمُ
لَهَـا فِرَقٌ شَتَّى مِنَ الحُسْنِ أجْمَعَتْ
بِـجُـمْـلَتِهَـا إنَّ الـسُّـلُوَّ مُـحَـرَّمُ
إِذَا قَـابَلَتْ جَيْشَ الهُمُـوْمِ بِـوَجْهِهَـا
تَـوَلَّى عَلَى أعْقَـابِـهِ الجَيْشُ يُهْـزَمُ
فَيَا خَاطِبَ الحَسْنَـاءِ إنْ كُنْتَ رَاغِباً
فَهَـذا زَمَـانُ المَهْـرِ فَهْـوَ المُقَـدَّمُ

وَلَمَّا جَرَى مَاءُ الشَّبَابِ بِغُصْنِهَا
تَيَقَّنَ حَقّاً أَنَّهُ لَيْسَ يَهْرَمُ
وَكُنْ مُبْغِضاً لِلْخَائِنَاتِ لِحُبِّهَا
لِتَحْظَى بِهَا مِنْ دُوْنِهِنَّ وَتَنْعَمُ
وكُنْ أَيِّماً مِمَّا سِوَاهَا فَإِنَّهَا
لِمِثْلِكَ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ تَأَيَّمُ
وَصُمْ يَوْمَكَ الأَدْنَى لَعَلَّكَ فِي غَدٍ
تَفُوزُ بِعِيْدِ الفِطْرِ وَالنَّاسُ صُوَّمُ
وأَقْدِمْ وَلاَ تَقْنَعْ بِعَيْشٍ مُنَغَّصٍ
فَمَا فَازَ بِاللَّذَاتِ مَنْ لَيْسَ يُقْدِمُ
وإِنْ ضَاقَتْ الدُّنْيَا عَلَيْكَ بِأَسْرِهَا
وَلَمْ يَكُ فِيْهَا مَنْزِلٌ لَكَ يُعْلَمُ
فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا
مَنَازِلُكَ الأُوْلَى ، وفِيْهَا المُخَيَّمُ
ولَكِنَّنَا سَبْيُ العَدُوِّ فَهَلْ تَرَى
نُرَدُّ إِلَى أَوْطَانِنَا ونُسَلِّمُ
وَقَدْ زَعَمُوْا أَنَّ الغَرِيْبَ إِذَا نَأَى
وَشَطَّتْ بِهِ أَوْطَانُهُ فَهْوَ مُغْرَمُ
وَأَيُّ اغْتِرَابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنَا الَّتِي
لَهَا أَضْحَتْ الأَعْدَاءُ فِيْنَا تَحَكَّمُ
وَحَيَّ عَلَى رَوْضَاتِهَا وَخِيَامِهَا
وَحَيَّ عَلَى عَيْشٍ بِهَا لَيْسَ يُسْأَمُ

وَحَيَّ عَلَى السُّوْقِ الَّذِي يَلْتَقِي بِهِ الْـ
مُحِبُّوْنَ ، ذَاكَ السُّوقُ لِلْقَـوْمِ يُعْلَمُ
فَمَـا شِئْتَ خُـذْ مِنْهُ بِـلاَ ثَمَنٍ لَـهُ
فَقَـدْ أَسْلَفَ التُّجَّـارُ فِيْـهِ وَأَسْلَمُـوْا
وَحَيَّ عَلَى يَـوْمِ المَـزِيْـدِ فَـإِنَّـهُ
لَمَـوْعِدُ أَهْـلِ الحُبِّ حِيْنَ يُكَـرَّمُـوْا
وَحَـيَّ عَلَى وَادٍ هُـنَـالِـكَ أَفْـيَـحٍ
وتُـرْبَتُـهُ مِنْ اذْفَـرِ المِسْـكِ أَعْـظَمُ
مَـنَـابِـرُ مِنْ نُـوْرٍ هُـنَـاكَ وَفِضَّـةٍ
ومِنْ خَـالِصِ العِقْيَـانِ لَا تَتَفَـصَّمُ
ومِنْ حَـوْلِهَـا كُثْبَـانُ مِسْـكٍ مَقَـاعِدُ
لِمَنْ دُوْنَهُمْ هَـذَا العَـطَاءُ المُفَخَّـمُ
يَـرَوْنَ بِـهِ الـرَّحْمٰنَ جَلَّ جَـلاَلُـهُ
كَـرُؤْيَـةِ بَـدْرِ الـتِّـمِ لاَ يُتَـوَهَّـمُ
كَذَا الشَّمْسُ صَحْواً لَيْسَ مِنْ دُوْنِ أُفْقِهَا
سَـحَـابٌ وَلَا غَيْـمٌ هُنَـاكَ يُـغَيِّـمُ
فَبَيْنَـاهُمْ فِـي عَيْشِهِـمْ وسُـرُوْرِهِمْ
وأَرْزَاقُهُمْ تَـجْـرِي عَلَيْـهِمْ وتُـقْسَـمُ
إِذَا هُمْ بِنُـوْرٍ سَاطِعٍ قَـدْ بَـدَا لَهُمْ
وَقَـدْ رَفَعُـوا أَبْصَـارَهُمْ فَـإِذَا هُمُ
بِـرَبِّهِمْ مِنْ فَـوْقِهِمْ قَـائِـلٌ لَهُمْ :
سَـلاَمٌ عَلَيْكُـمْ ، طِبْـتُمْ ، ونَـعِمْـتُمْ

سَـلامٌ عَلَيْكُمْ ، يَسْمَعُوْنَ جَمِيْعُهُمْ
بـآذَانِـهِمْ تَـسْلِيْـمَـهُ إِذْ يُـسَـلِّمُ
يَقُولُ : سَلُوْنِيْ مَا اشْتَهَيْتُمْ فكُلُّ مَا
تُـرِيْـدُوْنَ عِنْـدِي ، إِنَّنِيْ أَنَـا أَرْحَمُ
فَقَالُوْا جَمِيْعاً : نَحْنُ نَسْأَلُكَ الرِّضَى
فَـأَنْتَ الَّذِي تُـوْلِيْ الجَمِيْلَ وتَـرْحَمُ
فَيُعْـطِيْهِمُ هَـذَا ، ويُشْهِـدُ جَمْعَهُمْ
عَلَيْـهِ ، تَعَـالَى اللّهُ ، فـاللّهُ أَكْـرَمُ
فَبِـالّـهِ مَـا عُـذْرُ امْـرِىءٍ هُـوَ مُؤْمِنٌ
بِهَـذَا ، وَلاَ يَسْعَى لَـهُ وَيُقَـدِّمُ ؟!
ولـكِنَّمَـا التَّـوفِيْـقُ بـاللّهِ إِنَّـهُ
يَخُصُّ بِـهِ مَنْ شَاءَ فَضْـلاً وَيُنْعِمُ
فَيَا بَـائِعـاً غَـالٍ بِبَخْسٍ مُعَجَّـلٍ
كأَنَّكَ لاَ تَـدْرِيْ ، بَلَى سَوْفَ تَعْلَمُ
فَقَدِّمْ ، فَدَتْكَ النَّفْسُ ، نَفْسَكَ إِنَّهَا
هِيَ الثَّمَنُ الـمَبْـذُوْلُ حِيْنَ تُـسَلَّمُ
وخُضْ غَمَرَاتِ المَوْتِ وَارْقَ مَعَارِجَ الْـ
ـمَحَبَّـةِ فِـي مَـرْضَـاتِهِمْ تَتَسَنَّمُ
وَسَلِّمْ لَهُمْ مَـا عَـاقَـدُوْكَ عَلَيْـهِ إِنْ
تُـرِدْ مِنْهُمُ أَنْ يَبْـذِلُـوا وَيُسَلِّمُـوا
فَمَـا ظَفِرَتْ بـالـوَصْلِ نَفْسٌ مَهِيْنَةٌ
وَلاَ فَـازَ عَبْـدٌ بـالبَـطَالَـةِ يَنْعَمُ

وإنْ تكُ قَدْ عَاقَتْكَ سُعْدَى فَقَلْبُكَ الْـ
مُـعَنـى رَهِيْـنٌ فِي يَـدَيْـهَـا مُسَـلَّمُ
وَقَدْ سَاعَدَتْ بِالْوَصْلِ غَيْرَكَ فالْهَوَى
لَهَـا مِنْـكَ ، والـواشِيْ بِهَـا يَتَنَعَّمُ
فَـدَعْهَا ، وسَـلِّ النَّفْسَ عَنْهَا بِجَنَّـةٍ
مِنَ العِلْمِ فِي رَوْضَاتِهَا الحَقُّ يَبْسِمُ
وَقَـدْ ذُلِّلَتْ مِنْهَا القُـطُوفُ فَمَنْ يُـرِدْ
جَنَـاهَـا يَنَلْهُ ، كَيْفَ شَـاءَ وَيَـطْعَمُ
وَقَـدْ فُتِحَتْ أَبْـوَابُهَـا ، وتَـزَيَّـنَتْ
لِخُـطَّابِهَـا ، فَـالحُسْنُ فِيْهَـا مُقَسَّمُ
وَقَـدْ طَـابَ مِنْهَـا نَـزْلُهَـا وَنَـزِيْلُهَـا
فَـطُوبِي لِمَنْ حَلُّوْا بِهَـا وَتَنَـعَّمُـوْا
أَقَـامَ عَلَى أَبْـوَابِهَـا دَاعِي الهُـدى
هَلِمُّـوْا إِلى دَارِ السَّعَـادَةِ تَغْنَمُـوْا
وَقَـدْ غَـرَسَ الـرَّحْمٰنُ فِيْهَـا غِـرَاسَـةً
مِنَ النَّاسِ ، والرَّحْمٰنُ بالخَلْقِ أَعْلَمُ
وَمَنْ يَغْـرِسِ الـرَّحْمٰنُ فِيْهَـا فَـإِنَّـهُ
سَـعِيْـدٌ ، وإِلَّا فَـالـشَّقَـاءُ مُـحَتَّـمُ

اللهم وَفِّقْنـا لقولِ الحقِ واتِّبـاعِهِ وَخَلِّصْنـا مِنْ وساوِسِ قلوبنـا الحاملةِ على التورُّطِ في هُوَّةِ الباطِلِ وابتداعِهِ واجْعلْ إِيمَـانَنَا إيمـاناً خالصاً صادِقاً قوياً وَكُنْ لنا مؤيِّداً ولا تجعلْ لِفاجِرٍ علينا يَداً واجْعَلْ عيشَنَـا عَيْشَاً رَغَـداً . ولا تُشْمِتْ بنا عَـدُوّاً ولا حاسِـداً وارزُقْنـا في مَحبَّتِكَ عِلْماً نافِعاً ورِزْقاً واسعاً وعملاً مُتقبَّلاً وحِفْظاً كاملاً وَفَهْماً ذَكيّاً

وطبْعاً صَفِيّاً وأدباً مُرْضِياً واغْفِرْ لنا ولِوالِدَيْنا ولجميع المسلمين برحمَتِكَ يا أرحمَ الراحِمين وصلّى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحْبهِ أجمعين

« فَصْلٌ »

في الشفاعة العظمى

تَأَمَّلْ مَا في حَدِيْثِ الشَّفَاعَةِ العُظْمَى الذي رَوَاهُ أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : كُنَّا مَعَ النبي صَلى اللهُ عليه وَسَلَمَ في دُعْوَةٍ ، فَرُفِعَ اليْهِ الذِّرَاعُ - وَكَانَتْ تُعْجِبُه - فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَه وَقَالَ « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذاكَ ؟ يَجْمَعُ اللهُ الأولينَ وَالآخِرِيْنَ - في صَعِيْدٍ واحِدٍ ، فَيُبْصِرُهُمْ النَّاظِرُ ، وَيُسْمِعُهم الدَّاعِيْ ، وَتَدْنُو منهم الشَّمْسُ ، فَيَبْلغُ النَّاسُ مِنْ الغمِّ والكَرْبِ مَا لَا يُطِيْقُونَ ولا يَحْتَمِلُونَ ، فَيَقُولُ الناسُ : ألا تَرَوْنَ إلى ما أَنْتُم فيه وإلى ما بَلغكُم ، ألاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لكُم إلى رَبّكُم ؟ فيقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : أبوكُم آدمُ ، فَيَأْتُـونَهُ فَيَقُولُونَ : يَا آدمُ أنتَ أبو البَشرِ ، خلقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنفخَ فيْكَ مِنْ رُوْحِه ، وَأَمَرَ الملائِكةَ فَسَجَدُوا لكَ ، وَأَسْكنكَ الجَنَّةَ ، ألا تَشْفَعُ لَنا إلى رَبِّكَ ؟ أَلا تَرى مَا نَحْنُ فيهِ وَمَا بَلغْنَا ؟ فَقَالَ : انَّ رَبِّيْ غضِبَ اليَوْمَ غضَباً لمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثلَهُ ، وَلا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلهُ ، وإنه نَهَانِيْ عَنْ الشَّجَرةِ فَعَصَيْتُ ، نَفْسِيْ نَفْسِي نَفْسِيْ ، إذْهَبُوا إلىَ غَيْرِيْ ، إذْهَبُوا إلَى نُوحٍ ، فَيَأْتُونَ نوحاً فيَقُولُون : يَا نُوحُ أَنْتَ أَوّلُ رَسُولٍ إلى أَهْلِ الأرضِ ، وَقد سَمَّاكَ اللهُ عَبْدَاً شَكُورَا ، ألا تَرى إلى ما نحنُ فيْهِ ؟ أَلا تَرى إلى ما بَلَغْنَا ؟ ألا تَشْفعُ لَنَا إلَى رَبِّكَ ؟ فَيَقُولُ : إنَ رَبِّي غضِبَ اليَوْمَ غضَباً لَمْ

يَغْضَبْ قبْلهُ مثلهُ ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَه مِثْلهُ ، وَانهُ قدْ كانَ لِيْ دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِيْ ، نَفْسِيْ نَفْسِيْ نَفْسِيْ ، إِذْهَبُوا إلى غَيْرِي ، إِذهَبُوا إلى إبْرَاهِيْمَ فَيَأتونَ إِبْرَاهِيْمَ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيْلُهُ ، مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ ، إِشْفَعْ لنا إِلى رَبِّكَ ، ألا ترى إِلَى ما نَحْنُ فيْهِ ؟ فَيَقُولُ لَهُم : إنَّ رَبّيْ قَد غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإنِّيْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ ، فذكرَهَا ، نَفْسِيْ نَفْسِيْ نَفْسِيْ ، إِذْهَبُوا إلى غَيْرِيْ ، إِذْهَبُوا إلى مُوْسَى ، فَيَأْتُونَ مُوْسى ، ، فَيَقُولُونَ : يَا مُوْسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، فَضَّلَكَ اللهُ برِسَالاتِهِ وَبِكَلَامِهِ على النَّاسِ ، اشْفَعْ لَنا إلى رَبِّكَ ، أَمَا تَرى إلى مَا نَحْنُ فِيْهِ ؟ فَيَقُولُ : إنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَب بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإنّي قد قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا ، نَفْسِيْ نَفْسِيْ نَفْسِيْ ، إِذهَبُوا إلى غَيْرِيْ ، إِذْهَبُوا إلى عِيْسَى ، فَيَأْتُونَ عِيْسَى ، فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، وَكَلمَتُه ألقاهَا إلى مَرْيَمَ، وَرُوْحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ في المَهْدِ ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ ، أَلَا تَرى إلى مَا نَحْنُ فيْهِ ؟ فَيَقُولُ عِيْسَى : إنَّ رَبِّيْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثلهُ ، ولم يَذكُرْ ذَنْباً ، نَفْسِيْ نَفْسِيْ نَفْسِيْ ، إذهَبُوا إلى غَيْرِيْ إِذهَبُوا إلى مُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسَلمَ ، فَيَأْتُونَ فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ ، وَقَدْ غفرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَرَ ، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ ، أَلَا تَرى إلَى مَا نَحْنُ فيْهِ ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِيْ تَحْتَ العَرْشِ ، فأقَعُ سَاجِداً لِرَبِّيْ ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِن مَحَامِدِهِ ، وَحُسْنِ الثناءِ عَلَيْهِ ، شَيْئاً لم يَفْتَحْهُ على أَحَدٍ قَبْلِيْ ، ثم يُقالُ : يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ

تشَفعْ ، فأرْفَعُ رَأْسِيْ ، فأقُولُ أُمّتِيْ يَا رَبِّ يَا رَبِّ أُمَّتِيْ يَا رَبِّ ، فيُقَالُ : يا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِن أُمّتِكَ مَن لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ البَابِ الأيْمَنِ مِنْ أبْوَابِ الجَنَّةِ ، وَهُمْ شُرَكاءُ النَّاسِ فِيْمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الأبْوَابِ ، ثُمَّ قالَ : وَالذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ انَّ ما بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مصَارِيْعِ الجَنّةِ ، كَمَا بَيْنَ مَكة وَهَجَرْ ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكةَ وَبُصْرَى » رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسلمٌ . وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

اللّهُمَّ توَفّنَا مُسْلِمِين وألْحِقنا بِعبادِكَ الصَّالِحِيْنَ الّذِينَ لَا خَوْفٌ عَليْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُون وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِديْنا وجَمِيع المُسْلِمِيْن بِرَحْمتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلّى اللّهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْن .

شِعْرًا : إلٰهُ العَالَمِيْنَ وَكُلِ أرْضٍ وَرَبَّ الرَّاسِيَاتِ مِن الجِبَالِ
بَنَاهَا وابْتَنَى سَبْعَاً شِدَاداً
بِلاَ عَمَدٍ يُرَيْنَ وَلاَ رِجَالِ
وَسَوَّاهَا وَزَيَّنَهَا بِنُورٍ
مِن الشَّمْسِ المُضِيْئَةِ والهِلَالِ
ومِنْ شُهُبٍ تَلأْلأُ فِي دُجَاهَا
مَرَامِيْهَا أَشَدُ مِنَ النِّصَالِي
وَشَقَّ الأَرْضَ فانْبَجَسَتْ عُيُوناً
وأَنْهَاراً مِنَ العَذْبِ الزِّلَالِ
وَبَارَكَ فِيْ نَواحِيْهَا وَزَكَّى
بِهَا مَا كَانَ مِن حَرْثٍ وَمَالِ
فَكُلُّ مُعَمَّرٍ لاَ بُدَّ يَوْماً
وذِيْ دُنْياً يَصِيْرُ إِلَى الزَّوَالِ

وَيفْنَى بَعْدَ جِدَّتِهِ وَيَبْلَى
سِوَى البَاقِيْ المُقَدَّسِ ذِي الجَلالِ
وَسِيْقَ المُجْرِمُونَ وَهُمْ عُرَاةٌ
إلَى ذَاتِ السَّلاسِلِ والنَّكَالِ
فَنَادَوْا وَيْلَنَا وَيْلاً طَوِيلاً
وَعَجُّوا فِي سَلاَسِلِهَا الطِّوَالِ
فَلَيْسُوا مَيِّتِيْنَ فَيَسْتَرِيْحُوا
وَكُلُّهُمُ بِحَرِّ النَارِ صَالِ
وَحَلَّ المُتَقُونَ بِدَارِ صِدْقٍ
وَعَيْشٍ نَاعِمٍ تَحْتَ الظِّلاَلِ
لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَمَا تَمَنُّوْا
مِنَ الأَفْرَاحِ فِيْهَا والكَمَالِ

اللهُمَّ يَا مُثَبِّتَ القُلُوبِ ثَبِّتْ مَحبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَوفِّقْنَا لِمَحبَّةِ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضِ أَعْدَائِكَ وَيَسِّرْنَا للِيُسْرَىٰ وَجَنِّبْنَا العُسْرَى وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وبكتَابِكَ وبرُسُلِكَ مُقْتَدِيْنَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ اللَّهُمَّ وَفِقْنَا تَوْفِيْقَاً يَقِيْنا عَنْ مَعَاصِيْكَ وَوفقنا لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيْكَ وَأَرْزُقْنَا مَحَبَّتَكَ وَمَحبَّةَ مَنْ يُحِبُّكَ وَبُغْضَ مَنْ يُعَادِيْكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ المُسْلِمِيْن بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ على مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعين

فصل: وَتَأَمَّلْ إِذَا جِيْءَ بِجَهَنَّمَ إِلَى المَوْقِف، تُقَادُ بِسَبْعِيْنَ أَلْفِ زَمَامٍ مَعَ كُلِّ زَمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَها، قَالَ تَعالَى ﴿وجِيْءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهنَّم، يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الانْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى، يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ

لِحَيَاتِي ، فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ، وَلَا يُوْثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ وقال ﴿ وبُرِّزتْ الجحيم لِلغاوين ﴾ .

وقالَ تَعالَى ﴿ فإِذَا جَاءَتْ الطَّامَّةُ الكُبْرَى ، يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ مَا سَعَى ، وَبُرِّزَتْ الجَحِيْمُ لِمَنْ يرى ﴾ وَقَالَ تَعالَى ﴿ وَعَرَضْنَا جهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ للكافِرِيْنَ عرْضاً ﴾ ﴿ خاشِعِيْنَ مِنْ الذُّلِّ ، يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الذِيْنَ كَفَرُوا عَلى النَّارِ ، أَلَيْسَ هَذَا بالحَقِّ ؟ قَالُوا : بَلَى وَرَبِّنَا . قالَ : فَذُوقُوا بِمَا كُنْتُم تَكْفُرُوْنَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ لَتَرَوُنَّ الجَحِيْمَ ، ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ اليَقِيْنِ ﴾ .

في ذَلِكَ الوَقْتِ يَتذَكَّرُ الإِنْسَانُ سَعْيَه ، وَيَسْتَحْضِرُ إنْ كَانَتْ أَحْوَالُ الدنيا وشَواغِلُ المَتَاعِ اغْفَلتْهُ وأَنسَتْهُ ، أيّاً كانَ يَتَذَكَّرُه ، وَيَسْتَحْضِرُهُ ، وَلَكِنْ حَيْثُ لَا يُفِيْدُ التَّذَكُّرُ وَالاسْتِحْضَارُ إلا الحَسْرَةَ والنَّدَامَةَ ، وَتَصَوُّرَ مَا

وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ العَذَابِ والبَلْوَى .

وَقَالَ في آيَةِ قَ ﴿ لَقَدْ كُنْتَ في غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا ، فكَشَفنا عَنْكَ غِطَاءَكَ ، فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيْدٌ ﴾ قَوِيٌّ لَا يَحْجِبُهُ حِجَابٌ ، وَهَذا هُوَ الموعِدُ الذِيْ غَفلْتَ عنهُ ، وهَذَا هُوَ المَوْقِفُ الذِي لم تَحْسِبْ لَهُ حِسَابَهُ ، وهَذِهِ هِيَ النِّهَايَةُ التي كُنْتَ لَا تَتوقعُها ، وَلَا تَهْتَمُّ لَهَا وَتَسْتَهِيْنُ بِهَا في الدنيا ، فالآنَ فانْظُرْ ﴿ فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيْدٌ ﴾ وَفي الآيةِ الأُخْرَى يَقُولُ تَعالَى ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ، لَكِنْ الظالِمُونَ اليَوْمَ في ضَلَالٍ مُبِيْنٍ ﴾ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ « يُؤْتى بِجَهَنَّم لَهَا سَبْعُونَ أَلْفِ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَام سَبْعُونَ ألفِ مَلكٍ ، يَجُرُّوْنَها » رَوَاهُ مُسْلِمٌ . فَبَيْنَمَا النَّاسُ في الكُـروبِ وَالأَهْوَالِ وَالشَّدَائِدِ ، سَمِعُوا لَهَا زفِيْراً وَجَرْجَرَةً .

تُفْصِحُ عَنْ شِدَّةِ الغَيْظِ وَالغَضَبِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَيْقَنَ المُجْرِمُونَ بِالعَطَبِ ، وَجَثتْ الأمَمُ عَلَى الرُّكَبِ ، قالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِنْ مَكانٍ بَعِيْدٍ سَمِعُوا لها تَغَيُّظاً وَزَفِيْراً ﴾ ثبتَ عَنْ النّبيّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلم أنهُ قالَ « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّءْ بَيْنَ عَيْنَيْ جَهَنَّمَ مَقْعَداً » قَالُوا : وَهَلْ لَهَا مِنْ عَيْنَيْنِ ؟ ، قالَ « نَعَمْ أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ اللهِ تَعَالَى . . ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِنْ مَكَانٍ بَعِيْدٍ ﴾ قِيْلَ : المكانُ البَعِيْدُ مَسِيْرَةُ مائةِ عام ، وَقِيْلَ خَمْسُمائةِ عَام ، وَذَلِكَ إِذَا أُتَى بِجَهَنَّمَ تُقَادُ بِسَبْعِيْن ألفِ زِمَام ، يُشَدّ بِكُلّ زِمَامٍ سَبْعُونَ ألفِ مَلكٍ ، لو تُرِكَتْ لأتَتْ على كلِّ بَرّ وفاجرٍ ، وَأَخْرَجَ الترمذيّ مِنْ حَدِيْثِ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ، قالَ قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلم « يَخْرُجُ عنُقٌ مِنْ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، لَهُ عَيْنَان يُبْصِرَانِ وَأذنـانِ يَسْمَعَا ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ ، يقُولُ : إِنِّيْ وُكلْتُ بثلاثَةٍ ، بِمَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إلهـاً آخــر ، وبِكلِّ جَبَّارٍ عَنِيْدٍ ، وَبِالمُصَوِّرِ » وَعَنْ ابْنِ عَبّاسٍ قالَ : انَّ العَبْدَ لِيُجَرُّ إِلَى النَّارِ ، فَتَشْهَقُ إليهِ شَهْقَةُ البَغْلَةِ إلى الشَّعِيْرِ ، ثُمَّ تَزْفُر زَفْرَةً لَا يَبْقَى أَحدٌ إلا خَافَ هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ أبي حَاتِمِ مُخْتَصَراً .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : إِذَا بَقِيَ في النَّارِ مَنْ يُخَلَّدُ فِيْهَا جُعِلُوا في تَوَابِيْتَ مِنْ نَارٍ، فِيْهَامَسَامِيْرُ مِنْ نارٍ ، ثُمَّ جُعِلَتْ تِلْكَ التَّوابِيْتُ في تَوابِيْتَ مِنْ نَارٍ ، ثُمَّ جُعِلتْ تِلكَ التَّوابِيْتُ في تَوَابِيْتَ مِنْ نارٍ ، ثُمَّ قُذِفُوا في نَارِ

الجحِيْمِ ، فَيَرَوْنَ أَنّهُ لا يُعَذَّبُ في النَّارِ غَيْرُهم ، ثمّ تلا ابْنُ مَسْعودٍ ﴿ لَهُم فِيْهَا زفِيْرٌ ، وَهُمْ فِيْهَا لاَ يَسْمَعُونَ ﴾ وقَالَ تَعالَى ﴿ ورَأى المجْرِمُون النَّارَ ، فَظَنُّوا أنهُمْ مُوَاقِعُوهَا ، وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ .

عَنْ أبي سَعِيْدٍ الخُدْرِيّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم قالَ « إنَّ الكافِرَ لِيَرى جهنَّم ، فَيظِنُّ أَنَّهَا مُوَاقِعَتُه مِنْ مَسِيْرَةِ أَرْبَعِمائةِ سَنةٍ » لِيَكُونَ ذلكَ مِنْ باب تَعْجيْلِ الهَمّ والحَزَنِ لَهُم ، فَإِنَّ توَقّعَ العَذَاب ، وَالخَوْفِ مِنْهُ قَبْلَ وُقُوعِه عذابٌ نَاجزٌ ، وَقَالَ تَعالَى ﴿ إذا أُلْقُوا فِيْهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيْقاً وهِيَ تفُورُ ، تكادُ تَميَّزُ مِنْ الغَيْظِ ، كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيْهَا فَوْجٌ سَأَلَهُم خزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُم نَذيْرٌ ﴾ الآياتِ ، أَيْ يَكادُ بَعْضُها يَنْفَصِلُ عَنْ بَعْضٍ مِنْ شِدّةِ غَيْظِها عَلَيْهِم ، وَحَنقِهَا بهم ، وَبَعْدَ قَذْفِهم بِهَا تَغْلِيْ بهم ، كَمَا يَغْلِيْ الحَبُّ القَلِيْلُ في الماءِ الكَثِيْرِ ، قَالَهُ العُلْمَاءُ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ تُسَعَّرُ بهم جَهَنَّمُ مَنْ ذُكِرُوا في مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلَم « إنَّ أَوَّلَ ناسٍ يُقْضَى بَيْنَهُم يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ ، فَأُتى بِهِ ، فَعَرَّفَهُ نِعمَهُ فَعرفَها ، قالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيْهَا ؟ قَالَ قَاتَلْتُ فِيْكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ ، قالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيْءٌ فقدْ قِيْلَ ، ثُمَّ أَمَرَ به فَسُحِبَ على وَجْهِهِ ، ثُمَّ أُلْقِيَ في النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ ، وَقَرَأَ القرْآنَ ، فأتى به ، فَعَرَّفَهُ نِعمَهُ فَعَرَفَهَا ، قالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيْهَا ؟ قالَ : تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيْكَ القُرْآنَ ، قَالَ : كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيقَال عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ القرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِىءٌ، فَقَدْ قِيْلَ ، ثُمَّ أمرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ، حَتَّى أُلْقِىَ فى النَّار ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عليْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المالِ كُلِّهِ ، فَأَتى بِهِ ، فعرّفهُ نِعمَهُ فَعَرَفَهَا ، قالَ : فَمَا عَمِلْتَ فيهَا ؟ قَالَ : ما تَرَكْتُ مِنْ سَبِيْل تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيْهَا إلاَّ أَنْفقتُ فِيْها لكَ ، قالَ :

كذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيْلَ ، ثُمَّ أَمَر بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِه ، حَتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ » أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذي بِمَعْنَاهُ ، وَقالَ مُعاذُ بْنُ جَبَل ـ وَذَكَرَ عُلَماءَ السُّوْءِ : مَنْ إذا وَعَظَ عَنَّفَ ، أَوْ وُعِظَ أَنِفَ ، فذاكَ في أوَّلِ دَرَكٍ منْ النَّارِ ، ومِنْ العُلَمَاءِ مَنْ يأخُذُ عِلمَهُ مَأْخَذ السُّلْطَانِ فَذلك في الدَّرْكِ الثَّاني مِن النَّارِ ومِن العُلماءِ مَنْ يُحْرِزُ عِلْمَهُ ، فَذَلِكَ في الدَّرْكِ الثَّالِثِ منْ النَّارِ ، ومِنْ العُلمَاءِ مَنْ يَتخَيَّرُ الكَلاَمَ وَالعِلْمَ لِوُجُوه النَّاسِ ، وَلاَ يَرى سَفَلَةَ النَّاسِ لَهُ مَوْضِعاً ، فذلكَ في الدَّرْكِ الرَّابع ، وَمِن العلماءِ مَنْ يَتَكَلَّمُ كَلاَمَ اليَهُودِ والنَّصارَى وأَحادِيثَهُمْ ، لِيَكثُر حَدِيْثهُمْ ، فذلكَ في الدَّرْكِ الخامِسِ مِنْ النَّارِ وَمِنْ العُلَمَاءِ مَنْ يَنْصِبُ نَفْسَهُ للفُتْيَا ، يَقُولُ للنَّاسِ سَلُونِيْ ، فذلِكَ الذِيْ يُكتَبُ عندَ اللهِ مُتكلّفاً ، واللهُ لا يُحِبُّ المتَكَلِّفِيْنَ ، فَذلكَ في الدَّرْكِ السَّادِس مِنْ النَّارِ ، وَمِنْ العُلماءِ منْ يَتَّخِذُ عِلْمَهُ مُرُوْءَةً وَعقْلا ، فَذَلِكَ في الدرْكِ السَّابعِ مِنْ النَّارِ ، ذكرَهُ غيْرُ وَاحِد مِنْ العُلمَاءِ .

قَالَ القُرْطُبيّ مِثْلُه لا يَكُونُ رَأْياً ، وَإِنَّما يُدْرَكُ تَوْقِيْفاً .

وَفي حَدِيْثٍ ذَكرَهُ أَسَدُ بْنُ مُوْسَى أنهُ صلى اللهُ عليه وَسلم قالَ « انَّ في جَهنَّمَ لوَادِياً ، جَهنَّمُ لتَتَعوَّذُ مِنْ شَرِّ ذَلِكَ الوَادِيْ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَانَّ في ذلكَ الوَادِي لَجُبّاً ، إنَّ جَهنَّمَ وَذَلِكَ الوَادِيْ لِيَتَعوَّذَانِ باللّهِ مِنْ شَرِّ ذلكَ الجُبِّ ، وَإن في ذلكَ الجُبِّ لَحَيَّةً ، إنَّ جَهنَّم والوَادِي وَذَلِكَ الجُبَّ لِيَتعَوَّذُونَ مِنْ شَرِّ تِلْكَ الحَيّةِ ، أَعدَّهَا اللهُ للأشْقِيَآءِ مِنْ حَملَةِ القُرْآنِ » .

لِأَمْرٍ مَا تَصدَّعَتِ القُلُــــوبُ   وَبَاحَ بِسِرِّهَـا دَمْـعٌ سَكِـيْبُ
وَبَاتَتْ في الجَوانِحِ نَارُ ذِكْرَى   لَهَـا مِن خَارِجٍ أَثـرٌ عَجِـيْبُ
وَمَا خَفَّ اللَّبِـيْبُ لِغَيْـرِ شَيْءٍ   ولا أُعْيَـا بِمَنْطِقِـهِ الأَرِيْبُ
ذَرَاهُ لاَئِمَــاهُ فَلاَ تَلُوْمَـا   فَرُبَّتَ لاَئِمٍ فِيْـهِ يَحُـوْبُ

رَأَى الأَيَّامَ قَدْ مَرَّتْ عَلَيْهِ … مُرُوْرَ الرِيْحِ يَدْفَعُهَا الهُبُوْبُ
وَمَا نَفَسٌ يَمُرُّ عَلَيْهِ إلاَّ … ومِنْ جُثْمانِهِ فِيْهِ نَصِيْبُ
وبَيْنَ يَدَيْهِ لَوْ يَدْرِي مَقَامٌ … بِهِ الوِلْدَانُ مِنْ رَوْعٍ تَشِيْبُ
وَهَذَا الموتُ يُدْنِيْهِ إِلَيْهِ … كَمَا يُدْنِي إِلَى الهَرَمِ المَشِيْبُ
مَقَامٌ تُسْتَلَذُ بِهِ الْمَنَايَا … وتُدْعَى فِيْهِ لَوْ كَانَتْ تُجِيْبُ
وماذا الوَصْفُ بَالِغُهُ ولكِنْ … هِيَ الأَمْثَالُ يَفْهَمُهَا اللَّبِيْبُ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

« فَصْلٌ »

فَمَا ظَنُّكَ أَيُّهَا المُهمِلُ المُفَرِّطُ في عُمْرِه بسُكَّانِ هَذِهِ الدَّارِ ، ضَيِّقَةِ الأَرْجَاءِ ، مُظْلِمَةِ المسَالكِ ، مُبْهَمَةِ المَهَالِك ، يَخْلدُ فِيْها الأسِيْرُ ، وَيُوْقدُ فِيْهَا السَّعِيْرُ ، طَعَامُ أَهْلِهَا الزَّقُومُ ، وَشَرَابُهم الحَمِيْمُ ، قالَ اللهُ تَعالَى ﴿ ثُمَّ إنكُمْ أَيُّها الضَّالُّوْنَ المكَذِّبُوْنَ ، لآكِلونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقوْمٍ ، فَمَالِئُونَ مِنْهَا البُطُونَ ، فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنْ الحَمِيْمِ ، فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيْمِ ، هَذَا نُزلُهم يَوْمَ الديْنِ ﴾ وَالنزلُ هُوَ ما يُعَدُّ للضَّيْفِ عِنْدَ قدومِه ، فَدَلَّتْ هَذه الآيَاتُ عَلى أنّ أَهْلَ النَّار يُتحَفُونَ عنْدَ دُخُولِهَا بالأَكْلِ مِنْ شَجَرةِ الزَّقُّومِ والشَّرَابِ مِنْ الحَمِيْم ، وَهُمْ إِنَّمَا يُسَاقُونَ إلَيْها عِطَاشاً ، كمَا قالَ تَعالَى (ونَسُوقُ المجْرِمِيْنَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدَاً) قالَ أبوعُمْرانَ الجَوْنِيّ بَلغَنا أَنَّ أَهْلَ النّارِ يُبْعَثُونَ عِطَاشاً يقفُونَ في مَشَاهِدِ القِيَامَةِ عِطاشاً ، ثُمَّ قرأ (وَنَسُوقُ المجْرِمِيْنَ إلِىَ جَهَنَّمَ وِرْدَاً) .

وَقَالَ تَعالَى أَذَلِكَ خَيرٌ نُزُلاً أمْ شَجَرةُ الزَّقُّوْمِ ، إِنَّا جَعلْنَاهَا فِتْنَةً للظَّالمِيْنَ ، إنّهَا شَجَرةٌ تَخرُجُ في أصْلِ الجَحِيْم ، طَلْعُهَا كأنّهُ رُؤُوسُ الشّيَاطِينَ ، فإنهُم لآكلُونَ مِنها ، فَمَالِئُونَ مِنْهَا البُطُونِ ثمّ إنّ لهُم عليها لشَوْباً مِن حَمِيْم) .

خَرَّجَ التّرمذِي وابنُ ماجه وابنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِه مِنْ حَدِيْثِ ابن عَبّاس أنَّ النبي صلى اللهُ عليه وسلم قرَأَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ اتقُوا اللهَ حَقّ تُقاتِهِ ، وَلَا تَمُوتنَّ إلا وَأنتُم مُسْلِمُون ﴾ فقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم « لَوْ أَنَّ قَطرَةً مِنْ الزَّقُّوم قَطرَتْ في دَارِ الدّنْيَا ، لأفْسَدَتْ عَلى أَهْلِ الدُنْيَا مَعَائِشَهُم فَكَيْفَ بِمَنْ تكونُ طعَامه » وَقَالَ الترمذِيّ صَحِيْحٌ .

وَرُوِيَ مَوْقُوفاً علىَ ابْن عَبّاس ، وعَنْ سَعِيْدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : إذا جَاعَ أَهْلُ النّارِ اسْتَغَاثُوا مِنْ الجُوْعِ ، فَأَغِيْثُوا بِشَجَرَةِ الزّقُّوم ، فأكلُوا مِنْهَا فانْسَلَخَتْ وُجُوهُهُم ، حَتَّى لَوْ أَنَّ مارّاً مَرَّ عَلَيْهِم يَعْرِفُهم ، لَعَرَفَ جُلُودَ وُجُوْهِهِمْ ، فَإذَا أَكلُوا مِنْهَا أُلْقِيَ عَليهم العَطشُ، فاسْتَغَاثُوا مِنْ العَطْشِ ، فَأُغِيْثُوا بِمَاءٍ كالمُهْلِ والمُهْلُ الذي قَدْ انْتَهى حَرُّهُ ، فاذَا أَدْنوْهُ مِنْ أفْوَاهِهِمْ أَنْضَجَ حَرُّهُ الوُجُوهَ ، فَيُصْهَرُ بِهِ ما في بُطُونِهِم ، وَيُضْرَبُونَ بِمَقامِعَ مِنْ حَدِيْدٍ ، فَيَسْقُط كلُّ عُضْوٍ عَلى حِيَالِهِ ، يَدْعُونَ بِالثُّبورِ ، وَيَدُلُّ عَلى هَذَا قَوْلُه تَعالَى ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ التي يُكذِّبُ بِهَا المجْرِمُونَ ، يَطُوْفُونَ بينَها وبينَ حَمِيْمٍ آنٍ ﴾ والمَعْنَى يَتَرَدَّدونَ بينَ جَهَنَّمَ والحَمِيْمِ ، فَمَرّةً إلَى هَذَا ، وَمَرَّةً إلى هَذَا ، قالَهُ قَتادَةُ وابْنُ جُرَيْجٍ وَغَيْرِهِمَا .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ انَّ لَدَيْنَا أَنْكالاً وَجَحِيْماً ، وطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيْماً ﴾ وَقَالَ ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إلا مِنْ ضَرِيْعٍ ، لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِيْ مِنْ جُوْعٍ ﴾ .

وَرَوَى الإمَامُ أَحْمَدُ باسْنَادِهِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ في قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَطَعَاماً ذا غُصَّةٍ ﴾ قالَ : شوْكُ يأخُذُ بالحلقِ لا يَدْخُلُ ولا

يَخْرُجُ ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ في قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ مِنْ ضَرِيْعٍ ﴾ قَالَ : شَجَرٌ في جَهَنَّمَ . وقالَ مُجَاهِدُ : الضَّرِيْعُ الشُّبْرُقُ اليَابِسُ ، وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبّاسٍ : الشُّبْرُقُ نَبْتٌ ذُو شَوكٍ لاطٍ بالأرْضِ ، فإذا هَاجَ سُمِّيَ ضَرِيْعاً ، وَخَرَّجَ التّرمِذيّ مِنْ حَدِيْثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَن النبي صَلى اللهُ عليه وسَلم .

« يُلقى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الجُوعُ فَيَعْدِلُ مَا هُمْ فِيْهِ مِنْ العَذَابِ ، فَيَسْتَغِيْثُونَ، فَيُغَاثُونَ بطَعَامٍ مِنْ ضَرِيْعٍ ، لا يُسْمِنْ وَلاَ يُغْنِيْ مِنْ جُوْعٍ ، فَيَسْتَغِيْثُونَ فَيُغَاثُونَ بِطَعَام ذا غُصَّةٍ ، فَيَذْكُرونَ أنهُم كانُوا يُجيْزُونَ الغُصَصَ في الدّنْيَا بالشَّرَابِ ، فَيَسْتَغِيْثُونَ ، بالشَّرَابِ ، فَيُدْفَعُ إليْهم الحَمِيْمُ ، بكَلاَلِيْبِ الحَدِيْدِ ، فَإِذَا دَنَتْ مِنْ وُجُوهِهم شَوَتْ وُجُوهَهُم ، فإذَا وَصَلَتْ بُطُونَهُم قَطَعَتْ مَا في بُطُونهم » وذَكَرَ بَقِيَّةَ الحَدِيْثِ ، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا مَوْقُوفاً عَلَى أَبِيْ الدَّرْدَاءِ .

وَقَالَ جَلَّ وَعَلا وَتَقَدَّسَ ﴿ فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هَهُنَا حَمِيْمٌ ، وَلاَ طَعَامٌ إلا مِنْ غِسْلِيْنَ ، لا يَأْكُلُهُ إلا الخَاطِئُونَ ﴾ رُوِيَ عَن عَلي بْنِ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عبّاسٍ ﴿ مِنْ غِسْلِين ﴾ قالَ : هو صَدِيْدُ أهْلِ النارِ . وَقَالَ شَبِيْبُ بنُ بشْرٍ ، عَنْ عكرمَةَ ، عَنْ ابْنِ عبّاسٍ . الغِسْلِيْنُ الدَّمُ وَالمَاءُ يَسِيْلُ مِنْ لُحُومِهم ، وَهُوَ طَعَامُهم ، وَعَنْ مُقَاتِلٍ قَالَ : إذا سَالَ القَيْحُ وَالدَّمُ بَادِرُوا إلى أَكْلِهِ ، قَبْلَ أَنْ تَأْكُلَهُ النَّارُ .

وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيْماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُم ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلا ﴿ لاَ يَذوقُونَ فيها بَرْدَاً وَلاَ شَرَاباً ، إلا حَمِيْماً وَغَسَّاقاً ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلا ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيْمٌ وَغَسَّاقٌ ، وَآخرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ وَقالَ

تَعَالَى ﴿ وَيُسْقى مِنْ مَاءٍ صَدِيْدٍ ، يَتَجَرَّعُهُ ، وَلاَ يَكاغُ يُسْيْغهُ ﴾ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قائِل ﴿ يُصَبُّ مِنْ فوْقِ رُؤُسِهم الحَمِيْمُ ، يُصْهَرُ بِهِ مَا في بُطُونِهم والجُلُود ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلاَ ﴿ وإنْ يَسْتَغِيْثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كالمهْلِ ، يَشْوِيْ الوُجُوه ، بِئْسَ الشَّرَابُ ، وَسَاءَتْ مُرْتَفقَا ﴾ الحَمِيْمُ الذي قد انتَهى حَرُّهُ ، والغسَّاقُ قِيْلَ : إنهُ مَا يَسِيْلُ مِنْ بَيْن جِلْدِ الكافِرِ وَلَحْمِهِ ، وَقِيْلَ : الزَّمْهَرِيرُ البَارِدُ الذِي يُحْرِقُ مِنْ بَرْدِهِ ، قالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْن عَمْرو قَالَ : الغسَّاقُ القَيْحُ الغَلِيْظُ ، لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْهُ تُهَرَقُ في المَغْرِبِ لأنتَنتْ أَهْلَ المَشْرِقِ ، وَلَوْ أُهْرِيْقَتْ في المَشْرِقِ ، لأَنْتَنَتْ أَهْلَ المَغْرِب ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ . (غسَّاقُ) الذي لاَ يَسْتَطِيْعُونَ أَنْ يَذُوقُوهُ مِنْ بَرْدِهِ ، وَقَالَ قَتَادَةُ : هُـوَ مَا يَغْسِقُ أيْ يَسِيْـلُ مِنْ القَيْحِ وَالصَّـدِيْدِ مِنْ جُلُودِ أَهْـلِ النَّارِ وَلُحُومِهُم ، وَفُروجِ الزّناةِ وَدُمُوعِ أَهْلِ النَّارِ وَعُرُوقِهم ، وَقَالَ كَعْبٌ : غَسّاقُ عَيْنٌ في جَهَنَّمَ يَسِيْلُ إِلَيْهَا حُمَةُ كُلِّ ذاتِ حُمَةٍ من حَيَّةٍ وَعَقْرَبٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَيَسْتَنْقِعُ فَيُؤتَى بالآدَمِيّ فَيُغْمَسُ فِيْهَا غَمْسَةً وَاحِدَةً ، فَيَخْرُجُ وَقَدْ سَقَطَ جِلدُه وَلَحْمُه عَنْ العِظَامِ .

وَيَتَعَلَّقُ جِلْدُهُ وَلَحْمُهُ في عَقِبَيْهِ وَكَعْبَيْهِ وَيَجُرُّ لَحْمَهُ كَمَا يَجُرُّ الرَّجُلُ ثوبَهُ رَوَاهُ ابنُ أبي حَاتِم . وأَمَّا الصَّدِيْدُ فَقَالَ مُجَاهِدٌ في قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيْدٍ ﴾ قالَ يَعْنِي القَيْحُ وَالدَّمُ وَقَالَ قَتَادَةُ مَا يَسِيْلُ مِنْ بَيْنِ لَحْمِهِ وَجِلْدِهِ وقال تعالى ﴿ يَتَجَرَّعُهُ ولا يَكَادُ يُسيْغُهُ ﴾ .

وَخَرَّجَ الامَامُ أَحْمَدُ وَالتّرْمِذّي مِنْ حَدِيْثِ أبي أُمَامَةَ عَنْ النّبي صَلى اللهُ عليه وَسَلم في قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَيُسْقَى مِنَ مَاءٍ صَدِيْدٍ يَتَجرَّعُه ﴾ : قالَ يُقَرَّبُ إِلَى فِيْهِ فيكرَعُهُ ، فإِذَا ادْنِيَ مِنْهُ شَوى وَجْهَهُ ، وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ ،

فإذَا شَرِبَهُ قطَّعَ أَمْعَاءَهُ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ ، وفي صَحِيْحِ مُسْلِم عَنْ جَابِرٍ عَنْ النبي صَلى اللهُ عليه وسَلم قالَ « إنَّ للهِ عَهْداً لمَنْ شَرِب المُسْكِرَاتِ ، لَيُسْقِيَنَّهُ مِنْ طِيْنَةِ الخبَالِ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ما طِيْنَة الخبَالِ ؟ قال « عَرقُ أَهْلِ النَّارِ ، أَوْ عُصَارَةُ أَهلِ النَّارِ » .

وَخَرَّجَ الامَامُ أَحْمَدُ وابْنُ حِبَّان في صَحِيْحِه مِنْ حَدِيْثِ أبي مُوْسَى عن النبي صَلى اللهُ عليه وسلم قَالَ « مَنْ مَاتَ مُدْمِنُ خَمْرٍ ، سَقاهُ اللهُ مِن نَهرِ الغُوطَةِ ، قِيْلَ مَا نَهْرُ الغُوطَةِ ، قَالَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ فُرُوْجِ المُوْمِسَاتِ ، يُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ نَتَنُ فُرُوْجِهِم » .

وَعَنْ أَبِي سَعِيْدٍ عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم في قَوْلِ اللهِ تَعَالَى (كالمهْل) قالَ « كَعَكَرِ الزَّيْتِ ، فَإِذَا قُرِّبَ إِلَى وَجْهِهِ سَقَطَتْ فَرْوَةُ وَجْهِهِ » وَقَالَ عَطِيَّةُ سُئِلَ ابْنُ عَبَّاس عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ كالمُهْل ﴾ قالَ غَلِيْظُ كَرَدِيِّ الزَّيْتِ ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ : أَذَابَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِضَّةً مِنْ بَيْتِ المالِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إلى أَهْلِ المَسْجِدِ ، فَقَالَ مَنْ أَحبَّ أَيَنْظرَ إلى المُهْل ، فَلْيَنْظُرْ إلى هَذَا .

وَخَرَّجَ الطبرَانِيْ مِنْ طَرِيْقِ تَمَّام بْنِ نُجَيْحٍ عَنْ الحَسَنِ عَنْ أَنَسٍ عن النبي صلى اللهُ عليه وَسَلَم « لَوْ أَنَّ غَرْباً مَنْ حَمِيْمِ جَهَنَّمَ جُعِلَ في وَسَطَ الأَرْضِ ، لآذَى نَتَنُ رِيْحِه وَشِدَّةُ حَرِّهِ مَا بَيْنَ المشْرِقِ والمَغْرِبِ » .

أَخَافُ وَرَاءَ القَبرِ إنْ لَمْ يُعَافِني ... أَشَدَّ مِن القَبْرِ الْتِهَابا وَأَضْيَقَا
إذَا جَاءَني يَوْمَ القِيَامَةِ قَائِدٌ ... عَنِيتٌ وسَوَّاقٌ يَقُوْدُ الفَرَزْدَقَا
أُسَاقُ إلى نَارِ الجَحِيْم مُسَرْبَلاً ... سَرَابِيْل قَطْرَانٍ لِبَاساً مُحَرَّقَا
إِذَا شَرِبُوْا فِيْهَا الصَّدِيْدَ رَأَيْتَهُمْ ... يَذُوْبُونَ مِن حَرِّ الصَّدِيْدِ تَمَزُّقَا

شعْراً : أَفْنَى شَبَابَكَ كَرُ الطَّرْفِ والنَّفَس
فَالمَوتُ مُقْتَرِبٌ والدَّهْرُ ذُو خَلَسٍ

لَا تَأْمَنِ الموتَ في طَرْفٍ ولا نَفَسٍ
وإن تَمَنَّعْتَ بالحُجَّابِ والحَرَسِ
فَمَا تَزَالُ سِهَامُ المَوتِ صَائِبَةً
في جَنْبِ مُدَّرِعٍ مِنْهَا وَمُتَّرِسِ
أَرَاكَ لَسْتَ بِوَقَّافٍ ولا حَذِرٍ
كالحَاطِبِ الخَابِطِ الأَعْوَادِ في الغَلَسِ
تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَم تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا
إِنَّ السَّفِيْنَةَ لا تَجْرِيْ على اليَبَسِ
أَنَّى لَكَ الصَّحْوُ مِن سُكْرٍ وَأَنْتَ مَتَى
تَصَّحُ مِن سَكْرَةٍ تَغْشَاكَ مِن نَكَسِ
ما بَالُ دِيْنِكَ تَرْضَى أَن تُدَنِّسَه
وثوبُكَ الدَّهْرَ مَغْسُولٌ مِن الدَّنَسِ
لا تأمَنِ الحَتْفَ فِيْمَا تَسْتَلِذُ وإنْ
لانتْ مَلَامِسُهُ في كَفِّ مُلْتَمِسِ
الحَمْدُ للهِ شُكْراً لا شَرِيْكَ لَهُ
كَمْ مِن حَبِيْبٍ مِن الأَهْلِيْنَ مُخْتَلَسِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا القِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَّاتِنَا وَذُرِّيَاتِنَا وَأَعِذْنَا مِنْ شَرِّ نُفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَأَعِذْنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانَا تَبَعاً لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ صَلى اللهُ عليه وسلَّم وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ

اللهم يا حَيُّ يا قيومُ يا عليُّ يا عَظِيْم أبرم لهذه الأمةَ أمرَ رُشْدٍ يُعَزُّ فيه أهلُ طَاعَتِكَ وَيُذل فيه أهلُ معصيتِك ويُؤْمَرُ فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر

اللهُم اعْمُرْ قُلُوبَنا وَأَلْسِنَتَنا بِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَوَفِّقْنا للامْتِثَالِ لأمْرِكَ وَأَمِّنا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكرِكَ واجْعَلْنا مِنْ أَوْلِيَآئِكَ المُتَّقِيْنَ وَحِزْبِكَ المفْلِحِيْنَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجميعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الـرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّـى اللهُ عَلَى مُحَـمَّـدٍ وَعَلى آلِـهِ وَصَحْبِـهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْــلٌ »

وَأَمَّا كُسْوَةُ أَهْلِ النَّارِ ، فَقَد ذكرَ جَلَّ وَعَلا ثِيَابَهم ، فَقَالَ ﴿ فالذين كفَرُوا قُطِّعَتْ لهُم ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ﴾ وَقَالَ تَعالَى ﴿ سَرابِيْلُهم مِنْ قَطِرَانٍ ﴾ .

وفي كِتَابِ أَبِيْ دَاوُدَ وَالنَّسَائِي وَالتِّرمِذِي عَن بُرَيْدَةَ ، أَنَّ النَّبي صلى الله عليه وسَلم رَأى على رَجُلٍ خاتماً من حَدِيْدٍ ، فَقَالَ « مَا لِيْ أَرَى عَلَيْكَ حِلْيَةَ أَهْلِ النَّارِ » وَرَوى حَمَّادُ بْنُ سَلمَةَ عَنْ عَليّ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ أنسٍ أنَّ النبي صلى اللهُ عليه وسَلم قالَ « إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى حُلَّةً مِنْ النَّارِ إبْلِيْسُ ، يَضَعُهَا عَلى حَاجِبِهِ ، وَيَسْحَبُها مِنْ خَلْفِه ، ذُرِّيَّتُهُ خَلْفَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا ثُبُورَهُ . وَهُمْ يُنَادُونَ : يَا ثُبورَهُم . حَتّى يَقِفُوا عَلى النَّارِ ، فَيَقُولُ : يَا ثُبُورَهُ وَيَقُولُون : يَا ثُبُورَهُمْ ، فَيُقالُ ﴿ لَا تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثبُوراً كَثِيْراً ﴾ خَرَّجَهُ الامَامُ أَحْمَدُ .

وَفي صَحِيْحِ مُسْلِم عَنْ أَبي مَالِك الأَشْعَرِيّ ، عَنْ النّبي صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَّم قالَ « النَّائِحَةُ إذا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِها ، تُقامُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وعلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ » وفي مُسْنَدِ الامَامِ أَحْمَدَ ،

عَن حَبِيْبِ بْنِ المُغَفَّلِ ، عَنْ النبي صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَمَ أَنَهُ قَالَ « مَا تَحْتَ الكَعْبَيْنِ مِنْ الازارِ في النَّارِ » قَالَ العُلَمَاءُ : إنَّ المُرَادَ مَا تَحْتَ الكَعْبِ مِنْ البَدَنِ والثَّوْبِ مَعاً ، وَأَنَّهُ يَسْحَبُ ثَوْبَهُ في النّارِ ، كَمَا كَانَ يَسْحَبُه في الدّنْيَا خُيلاَءَ ، وَخَرَّجَ أَبُو دَاوُد وَغيْره ، مِنْ حَدِيْثِ المُسْتَوْرِدِ ، عَنْ النبي صلى اللهُ عليه وَسَلمَ قالَ « مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْلَةً في الدُنيا ، أَطْعَمَهُ اللهُ مِثْلَها في جهَنَّمَ ، وَمَن كُسيَ أو اكْتَسَى بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ ثَوْباً ، كَسَاهُ اللهُ مِثْلَهُ في جَهنَّمَ » .

وَقَالَ تَعَالى ﴿ لَهُمْ مِن فَوْقِهِم ظُلَلٌ مِنْ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ . . فَطَعَامُهم نَارٌ وَشَرَابُهم نَارٌ . قَالَ اللهُ تَعَالى ﴿ أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلوْنَ في بُطُوْنِهِم إلاّ النَّارُ ﴾ وَلِبَاسُهم نَارٌ ، وَمِهَادُهُمْ نَارٌ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ لَهُم مِن جَهَنَّمَ مِهَادٌ ، وَمِنْ فَوْقِهم غَوَاشٍ ﴾ .

وقَالَ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ في النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِم ذُوْقُوا مَسَّ سَقَر ﴾ فهُم بَين مُقَطَّعاتِ النّيْرَانِ ، وَسَرَابيْلِ القطِرَانِ وَضَرْبِ المَقَامِع قالَ اللهُ تَعَالى ﴿ وَلَهُم مَقَامِعُ مِنْ حَدِيْدٍ كُلَّمَا أَرَادُوْا أَنْ يَخْرُجوا مِنْهَا مِنْ غَمّ أُعِيْدُوا فِيهَا ﴾ وَعَنْ أبي سَعِيْدِ الخُدْرِيّ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ قالَ « لَو أَنّ مِقمَعاً مِنْ حَديدٍ وُضِعَ في الأَرْضِ فاجْتَمَعَ لَهُ الثَّقَلانُ مَا أَقَلُّوهُ مِنْ الأَرْضِ » وَعَن أبي سَعِيْدِ الخُدْرِي قال قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « لَو ضُرِبَ الجَبَلُ بِمِقْمَعٍ مِنْ حَدِيْدٍ لَتَفَتَّتَ ثم عَادَ كَمَا كَانَ » .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ في قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيْدٍ ﴾ قَالَ يُضْرَبُونَ بِهَا ، فيَقَعُ كلُّ عُضْوٍ عَلَى حِيَالِه ، فيَدْعُونَ بالثبُورِ .

وَقَالَ تَعَالى ﴿ فليَذُوقُوه حمِيْمٌ وغسّاقٌ ﴾ الغسّاقُ ما سَالَ مِنْ جُلُودِ

أَهْل النَّارِ ، مِنْ القَيْح وَالصَّدِيْد ، وَقَالَ القُرْطُبِيّ هُوَ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ ، وَقَالَ السَّدِّي هُوَ الذِي يَسِيْلُ من دُمُوع أَهْلِ النّار ، يُسْقونَهُ مَعَ الحَمِيْم ، وَقَوْلُهُ ﴿ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزواجٌ ﴾ أي وَعَذَابٌ آخرُ، أو مَذُوقٌ آخرُ، أو نَوْعٌ آخرُ ، مِنْ شَكلِ ذلكَ العَذابِ .

ومَعْنَى (أَزْوَاجٌ) أَجْنَاسٌ وَأَنْوَاعٌ ، وَأَشْبَاهٌ ، وَنَظَائِرُ وَقِيْلَ هُوَ الزَّمْهَرِيْرُ ، وَقَوْلُه ﴿ هَذَا فَوجٌ مُقْتَحَمٌ مَعَكُم ﴾ الآيةِ أيْ الاتْبَاعُ دَاخِلُوْنَ مَعَكُم بِشِدَّةٍ، وَالاقْتِحَامُ الالْقَاءُ في الشّيْءِ بِشِدةٍ ، فانّهُم يُضْرَبُون بمَقَامِعَ مِنْ حَدِيْدٍ ، حَتّى يَقْتَحِمُوْهَا ، بأنْفُسِهم، خَوْفاً مِنْ تِلكَ المقامِع ، فأخبَرَ جَلَّ وَعَلاَ عَنْ قِيْلِ أهْلِ النَّارِ ، بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى في الآيةِ الأُخْرَى ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أخْتَهَا .

فَبَدَلَ السَّلام يَتلاَعَنُوْنَ ، وَيتَكَاذَبُون ، وَيكفُرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، فَتقُولُ الطّائِفَةُ الأُوْلَى دُخُولاً لِلتِيْ بَعْدَهَا لاَ مَرْحَباً بهم .. أيْ لا اتّسَعَتْ مَنَازِلُهم ، في النَّارِ ، وَالرَّحبُ السَّعَةُ وَالمَعْنَى لاَ كَرَامَةَ لَهُم ، وَهَذَا إِخْبَارٌ مِنْ اللهِ جَلَّ وَعَلا بانْقِطَاع المَوَدَّةِ بَيْنَهُم وَأنّ مَوَدَّتَهُم في الدُّنْيَا تَصِيْر عَدَاوَةً ، كَمَا قَالَ في الآيَةِ الأخْرَى ﴿ الأخِلاّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُم لبَعْضٍ عَدُوّ إلا المُتَّقِيْنَ ﴾ .

فَتَأَمَّلْ حَالَ أُوْلَئِكَ التُّعَسَاءِ ، الذِيْنَ كَانَ بَعْضُهُم يُمْلِيْ لِبَعْض في الضَّلالِ ، كَيْفَ تَنَاكَرُوا ، وَتَلاَعَنُوا في جَهَنَّم، وَأَصْبَحُوا يَتَقَلَّبُوْنَ في أَنْوَاعِ العَذَابِ ، وَيُعَانُونَ في جَهَنَّمَ مَا لاَ تُطِيْقُه الجِبَالُ وَما يُفَتِّتُ ذِكْرُهُ الأَكْبَادُ ، يَقْتَحِمُونَ إِلَى جَهَنَّمَ إِقْتِحَاما .

وَيَتَجَلْجَلُونَ في مَضَائِقِهَا ، وَيَتَحَطَّمُوْنَ في دَرَكَاتِها ، وَيَضْطَرِبُونَ بَيْنَ غَوَاشِيْهَا ، وَيَطُوْفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيْمٍ آنٍ ، وَلاَ تَسْأَلْ عَمَّا يُعَانُوْنَه مِنْ ثِقَلِ السَّلاسِلِ وَالأَغْلاَلِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ إذَا الاغْلاَلُ في أعْنَاقِهِم

وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ في الحَميم ثُمّ في النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ وَقَالَ ﴿ وَجَعَلْنَا الاغْلَالَ في أعْنَاقِ الذِيْنَ كَفَروا ﴾ .

وَقَال : ﴿ ثم في سِلْسِلَةٍ ذرْعُها سَبْعُون ذِرَاعاً فاسْلُكُوهُ ﴾ فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أنْوَاعٍ ، أحدُها الأغْلَالُ ، وهِيَ في الأعْنَاقِ ، كَمَا ذَكرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَقَالَ مَعْمَرٌ عن قَتَادَةَ في قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ مُقَرَّنِيْنَ في الأَصْفَادِ قَالَ مُقَرَّنِيْنَ في القُيُوْدِ وَالأَغْلَالِ ﴾ .

وَرَوَى ابْنُ أبِي حَاتِمٍ باسْنَادِه عَنْ مُوْسَى بْنِ أبِي عَائِشَةَ أَنَّهُ قَرَأَ قَولَهُ تَعَالَى ﴿ أفَمَنْ يَتَّقِي بوَجْهِهِ سُوْءَ العَذَابِ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ قَالَ تُشَدُّ أيْدِيْهِم بالأَغْلَالِ في النَّارِ ، فَيَسْتَقْبِلُون العَذَابَ بوجُوهِهِمْ ، قَدْ شُدَّتْ أيْدِيْهِم ، فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى أنْ يَتَّقُوا بهَا كُلَّ مَا جَاءَ نَوْعٌ مِنْ العَذَابِ ، يَسْتَقْبِلُون بوُجُوهِهِم وباسْنَادِه عن فَيْض بْن اسْحَاقَ عَنْ فُضَيْل بْن عِيَاضٍ « اذا قَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (خذَوهُ فغُلُّوهُ) تَبْدُرُه سَبْعُونَ ألفِ مَلكٍ ، كُلُّهُم يَتَبَدَّرُ أيُّهُم يَجْعَلُ الغِلّ في عُنُقِه ، النَّوْعُ الثَّانِي الأنكالُ ، وهِيَ القُيُودُ قالهُ ابنُ عبَّاسٍ وعِكْرِمَة وَمُحَمَّدُ بنُ كعْبٍ وَطَاوُوس وأبُو عِمْرَانَ الجَوْنِيّ وَغَيْرُهُم .

وَقَالَ أبُو عِمْرَانَ الجَوْنِيّ قُيُودٌ لا تُحَلُّ وَاللهِ أبَداً ، وَرَوَى أبُو سِنَانَ عَنْ الحَسَنِ أمَا وَعزتِه مَا قَيَّدَهُم مَخَافَة أنْ يُعْجِزُوهُ ، وَلكنْ قَيَّدَهُم لِتَرْسَى في النَّارِ . اللهم وفِّقْنا تَوْفِيْقاً يَقِيْناً عن مَعَاصِيْكَ ، وَأَرْشِدْنَا بِرُشدِكَ الى السعي فيما يُرْضِيْكَ ، وأجرنا يا مولانا من خِزيكَ وعَذَابك ، وهب لنا ما وهبته لأوليائِكَ وأحبابِكَ ، وآتنا في الدنيا حَسَنَةً ، وفي الأخرة حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَاب النَّارِ ، واغفر لَنا ولوالدينا وَلِجَميع المسلمين ، برحمتك يا أرحمَ الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

شعرا : لَوْ أبْصرتْ عيناكَ أَهلَ الشَّقَا   في النارِ قَدْ غُلُّوا وَقَدْ طُوِّقوا
تَقُولُ أُوْلَاهُمْ لِأُخْـــرَاهُمُ   في لُجَجِ المُهْلِ وقدْ أُغْرِقُوا
قدْ كُنْتُمْ حُذِّرْتُمْ حَرَّهَـــا   لَكِنْ مِنْ النِّيْرانِ لَمْ تَفرَقُـــوْا
وَجِيءَ بالنِيْرانِ مَزْمُوْمَـــةً   شَرَارُها مِنْ حَوْلِهَا مُحْـــدِقُ
وقيلَ لِلنيرانِ أنْ أحْـــرِقي   وقِيْلَ لِلْخُزَّانِ أنْ أطْبِقُـــوا
وَأَوْلِيَاءُ اللهِ في جَنَّـــةٍ   قَدْ تُوِّجُوافِيهَا وقدْ مُنْطِقُـــوْا
تَدَبَّروا كَمْ بينَهُمْ إخْـــوَتي   ثُمَّ أَجِيْلُوا فِكْرَكُمْ وانْتَقُـــوْا

قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ كلا لَيُنْبَذَنَّ في الحُطَمَةِ، وَمَا أَدْرَاكَ ما الحُطَمَةِ نَارُ اللهِ الموْقَدَةِ التِي تَطَّلَعُ عَلَى الأَفْئِدَة ﴾ قَالَ مُحمدُ بنُ كَعْبِ القُرَظِيّ في قَوْله تَعالَى ﴿ تطلّعُ عَلَى الأفْئِدَةِ ﴾ تَأْكُلُه النّارُ إلَى فُؤَادِه فإِذًا بلغَتْ فُؤادَه أنْشِيءَ خَلْقُه .

وَعَنْ ثَابت البُنَانِيّ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ ثُمَّ قَالَ تُحْرِقُهُم إِلَى الأَفْئِدَةَ وَهُمْ أَحْيَاءُ ، لقَدْ بَلَغَ مِنْهُم العَذابُ ثُمَّ يَبْكِيْ .

وَقَالَ العَوْفِي عَنْ ابْن عَبَّاسٍ فِي قَولِ اللهِ تَعالَى ﴿ في عَمَدٍ مُمَدَّدَة أَدْخلهُمْ في عمَدٍ مُمَددةٍ عَلَيْهِم بِعِمَادٍ في أعْنَاقِهِمْ السّلَاسِلُ فَسُدَّتْ بِهَا الأَبْوَابُ ﴾ .

اللهُمّ اقْبلْ تَوْبَتَنا وَاغسِلْ حَوْبَتَنا وَأجِبْ دَعْوَتَنا وَثَبِّتْ حُجَّتنا وَاهْدِ قلُوبَنا وَسَدّدْ الْسِنَتَنا وَاسْلُلْ سَخِيْمَةَ قُلُوْبِنا واجْعلنَا هُداةً مُهْتَدِيْنَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَينا ولجَميع المُسْلِمينَ برَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فصل »

قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ في سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ تُسْلكُ في دُبُرِه حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ مِنْخَرَيْه حَتَّى لَا يَقُومَ عَلَى

رِجْلَيْهِ وَقَالَ ابنُ جُرَيْجٍ قالَ ابنُ عباسٍ السّلْسِلةُ تُدْخلُ في اسْتِه ، ثم تُخرَجُ مِنْ فِيْهِ ، ثمّ يُنَظمُونَ فِيْهَا كَمَا يُنْظمُ الجَرَادُ في العُودِ ، حيَن يُشْوَى خَرّجَهُ ابْنُ أبيْ حَاتِمْ .

وَقَالَ جُوَيْبرُ في قَوْلِ اللهِ تعَالىَ ﴿ فيُؤْخَذُ بالنَّواصِيْ وَالاقْدَامِ ﴾ قَالَ يُجْمَعُ بَيْنَ ناصِيَته وقدَمَيْه في سِلْسِلَةٍ مِنْ وَرَاءِ ظهْرِهِ .

وَقال السُّدِّي ـ في هَذِه الآيةِ ـ : يُجْمَعُ بينَ ناصِيَةِ الكافِرِ وَقِدَمَيْهِ ، فتُرْبَطُ نَاصِيَتُه بقَدَمِه وَظَهْرِهِ ، وَيُفْتَلُ ، وَذَكرَ الأعْمَشُ عَنْ جَاهِد عَنْ ابْن عَبّاسٍ قالَ ، يُؤْخَذُ بنَاصِيَتِهِ وَقَدَمَيْهِ وَيُكسرُ ظَهْرُهُ ، كَمَا يُكْسَرُ الحَطبُ في التَّنُّور . وَبِئْسَ المَصِيْرُ .

وَقَالَ اللهُ تعَالىَ ﴿ تلْفَحُ وُجوهَهُم النّارُ وَهُم فِيْهَا كَالِحُوْنَ ﴾ عَنْ أُبَيْ عَنْ النّبي صَلى اللهُ عليه وسَلمَ قالَ « تَشْوِيْهِ النّارُ ، فتقلَّصُ شفَتُهُ العُليَا ، حَتَّى تبْلُغ وَسطَ رَأْسِهِ ، وَتسْتَرْخِي شَفَتُه السُّفْلَى حَتّى تَضْرِبَ سُرَّتَهُ » خرّجَهُ الامَامُ أحْمَدُ وَالتّرْمِذيّ وَالحَاكِمُ وَقالا صَحِيْحٌ وقالَ (أفمَنْ يَتّقِي بوَجْهِهِ سُوْءَ العَذابِ يَوْمَ القِيَامَةِ) قالَ عَطاءُ يُرْمَى بهِ في النّارِ مَنْكُوساً فأوَّلُ شَيْءٍ مِنْهُ تمَسُّهُ النَّارُ وَجْهُهُ . .

وَقدْ أجرَى اللهُ العَادَةَ أَنَّ الانْسَانَ يَقِيْ وَجْهَهُ بيَدَيْهِ وجِسْمِهِ فأمَّا هُنَا فهُوَ لا يَمْلِكُ أنْ يَدْفعَ عَنْ نَفْسِهِ النَّارُ بيَدَيْهِ وَلا برجْليْهِ فيَدْفَعُها بوَجْهِهِ ، وَيتّقِي بِهِ سُوْءَ العَذابِ ، مِمّا يَدُلُّ علىَ شِدّةَ الهَوْلِ وَالاضْطِرَابِ فمُجَرّدُ تصَوّرِهِ يُزْعِجُ ويُقِلقُ ويُفْزِعُ .

وفي زحْمَةِ هَذا العَذابِ يَتلقَّى التّوْبيْخَ ، وَالتّأنِيْبَ ، وَتُدْفَعُ إليهِ حَصيْلةُ حيَاتِه ، ويَا لهَا مِنْ حَصيْلةٍ ، (وقِيْلَ لِلظالِميْنَ ذُوقُوا مَا كنْتُم تكْسِبُون) وَقَالَ تعَالىَ (نُمَتِعُهم قلِيْلاِ ثمّ نضْطرُّهُمْ إلىَ عَذابٍ غَلِيْظٍ وَفي الآيَةِ الأخْرَى) قَالَ (وَمنْ كفر فَأُمتِّعُهُ قَلِيْلاً ثُمَّ أضْطرُّهُ إِلى عَذابِ النّارِ وَبِئْسَ المَصِيْرُ .

اللهم نورْ قُلُوْبَنَا بِنُوْرِ الايمانِ ووفقنا لِمَحبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ مَن يُحِبُّكَ وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْـرَكَ واجْعَلْنَـا مِن عبادِكَ الصالحين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قَـدْ أَمْسَـتِ الـطَّيْـرُ والأَنْـعَـامُ آمِـنَـةً
والنُّونُ في البَحْـرِ لَمْ يُخْبَـأْ لَهَا فَـزَعُ
وْالآدَمِـيُّ بِهَـذَا الـكَـسْـبِ مُـرْتَـهَـنٌ
لـه رَقِـيْـبٌ عَـلَى ٱلأَسْـرَارِ يَـطَّلِعُ
إذا الـنَّـبِـيُّـونَ وْالأَشْـهَـادُ قَـائِـمَـةٌ
وَالجِنُ والإِنسُ وْالأَمْـلَاكُ قَـدْ خَشَعُـوا
وطَـارَتِ الصُحْفُ في إلأَيْـدِي مُنَشَّـرَةً
فِـيْهَـا الـسَّـرَائـرُ وْالأَخْـبَـارُ تُـطَّلَعُ
فَـكَـيْـفَ سَهْـوُكَ وْالأَنْـبَـاءُ واقِـعَـةٌ
عَـمَّـا قَلِيْـلٍ ولا تَـدْرِي بِـمَـا تَقَـعُ
أَفِـي الـجِنَـانِ وَفَـوْزٍ لا انْـقِـطَاعَ لَـهُ
أم الـجَـحِـيْـمِ فَـلَا تُـبْـقِـي وَلَا تَـذَرُ
تَهْـوِي بِسَـاكِـنـهـا طَـوْراً وَتَرْفَعُهُمْ
اذا رَجَـوْا مَخْـرجـاً مِنْ غَمِّهَـا قُمِعُـوَا
طَـالَ الـبُكَـاءُ فَـلَمْ يَنْفَـعْ تَضَـرُعُـهُم
هَـيـهَـاتَ لا رِقَّـةٌ تُغْـنِي ولا جَـزَعُ
لِيْنفَـع العِلْمُ قَـبْلَ المَـوْتِ عَـالِمَـهُ
قـد سَالَ قَـوْمٌ بهَا الـرُّجْعَى فَمَا رَجَعُـوا

اللَّهمَّ أَتْمِمْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ الوَافِيَةَ وَأَرْزُقْنَا الاخْلَاصَ فِيْ أَعْمَالِنَا وَالصِّدْقَ فِي أَقْوَالِنَا وَعُدْ عَلَيْنَا بِاصْلَاحِ قُلُوْبِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

موعظة

عِبَادَ اللهِ ، إنَّ بَيْنَ أيْدِيْكُم يَوْمٌ لا شَكَّ فيْهِ وَلا مِرَاءْ ، يَقَعُ فِيْهِ الفِرَاقُ وَتنفَصِمُ فِيْهِ العُرَى ، فتَدَبَّرُوا أمْركُم ، قبْلَ أنْ تحْضُروا ، وَانْظُرُوا لأنْفسِكُمْ نَظَر مَنْ قد فَهِمَ ودَرَى ، قالَ اللهُ تعالَى ﴿ يَوْمَ تَجدُ كلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً ﴾ يَا لهُ مِنْ يَوْم يَشِيْبُ فيْهِ الوِلْدَانُ ، وَتَسِيْرُ فِيْهِ الجِبَالُ ، وَتظْهَرُ فيْهِ الخَفَايَا ، وَتَنْطِقُ فِيهِ الأَعْضَاءُ ، شَاهِدَةً بَالأَعْمَالِ ، فَانْتَبِهْ يَا مَنْ قَد وَهَى شَبَابُه ، وَامْتَلأ بالأَوْزَارِ كِتَابُهِ ، عبَادَ الله ، أمَا بَلَغَكُم أنَّ النَّارَ لِلكُفّارِ وَالعُصَاةِ أُعِدَّتْ ، إِنَّهَا لَتُحْرِقُ كُلَّ مَا يُلْقَى فِيْهَا ، قالَ اللهُ تَعالَى ﴿ إِذا أُلْقُوا فِيْها سَمِعُوا لهَا شَهِيْقاً وهِيَ تَفُورُ تكَادُ تَمَيَّزُ مِنْ الغَيْظِ ﴾ وَقالَ ﴿ إِنَّها تَرْمِي بشَرِرٍ كالقَصْرِ ، كأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفرٌ ﴾ عِبَادَ اللهِ ، أمَا بَلَغَكُم أنَّ طَعَامَ أَهْلِهَا الزَّقُّومُ ، وَشَرابُهم الحَمِيْمُ ، قالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ « لَوْ أَنَّ قطْرَةً مِنَ الزَّقُوْمِ قَطَرَتْ في الأَرْضِ لأَمَرَّتْ عَلَى أَهْلِ الدّنْيَا مَعِيْشَتَهُم » فكيفَ بِمَنْ هُو طَعَامُهِ ، لا طَعَامَ لَهُ غَيْرُهُ ، قالَ تَعالَى ﴿ أنَّ شَجَرَةَ الزَّقّوم طَعَامُ الاثِيْمِ كالمُهل يَغْلِيْ في البُطُونِ كغَلْيِ الحَمِيْمِ ﴾ .

أَخْرَجَ الطبراني وَابْنُ أبِي حَاتِمْ مِنْ طَرِيْقِ مَنْصُورِ بْنِ عَمَّارٍ حَدَّثنا بَشِيْرُ بْنُ طَلحَة عن خالِدِ بنِ الدّرِيكِ عنْ يَعْلى بن مُنيَّةٍ رَفَع الحَدِيْثَ إلى النبي صلى اللهُ عليهِ وسَلمَ قالَ « يُنْشِءُ اللهُ لأهْل النّار سَحَابَةً سَوْدَاءَ مُظلِمَةً ، فيُقالُ يَا أَهْلَ النَّارِ أيُّ شيْءٍ تَطْلُبونَ ، فيذكُرونَ بهَا سَحَابَةَ الدُّنيا ، فَيَقُولُونَ يَا ربَّنا الشَّرَابَ ، فَتُمْطِرُ أغْلالاً تَزِيْدُ في أغْلالِهم ، وسَلاسِلَ تزِيْدُ في سَلاسِلهم ، وجَمْراً يَلْتَهِبُ عليهم » .

شعرا :

مِثْلُ وُقُوفِكَ أيُّهَا لمَغْرُوْرُ
يَوْمَ القِيَامَةِ والسَّمَاءُ تَمُوْرُ
مَاذَا تَقُولُ إذَا وقَفْتَ بِمَوْقِفٍ
فَرْداً وَجَاءَكَ مُنْكَرٌ وَنَكِيْرُ
مَاذَا تَقُولُ إذا وَقَفْتَ بِمَوْقِفٍ
فَرْداً ذَلِيْلاً والحِسَابُ عَسِيْرُ
وَتَعَلَّقَتْ فِيكَ الخُصُومُ وَأَنْتَ فِي
يَومِ الحِسَابِ مُسَلْسَلٌ مَجْرُوْرُ
وَتَفَرَّقَتْ عنكَ الجُنُودُ وَأنْتَ فِي
ضِيْقِ القُبُورِ مُوَسَّدٌ مَقْبُورُ
وَوَدِدْتَ أنَّكَ مَا وَلِيْتَ وَلَايَةً
يَوماً ولا قَالَ الأنَامُ أمِيْرُ
وَبقِيْتَ بَعْدَ العِزِ رَهْنَ حَفِيْرَةٍ
فِي عَالَمِ المَوْتَى وَأنْتَ حَقِيْرُ
وَحُشِرْتَ عَرْيَاناً حَزِيْنَا بَاكِيَاً
قَلِقَاً وما لَكَ في الأنَامِ مُجَيْرُ
أرَضِيْتَ أنْ تَحْيَا وَقَلْبَكَ دَارِسٌ
عَافِي الخَرَابَ وجِسْمُكَ المَعْمُوْرُ
أرَضيتَ أنْ يُحْظَى سِوَاكَ بِقُرْبِهِ
أَبَداً وَأنْتَ مُعَذَّبٌ مَهْجُوْرُ
مَهِّدْ لنَفْسِكَ حُجَّةً تَنجُو بِهَا
يَوَمَ المَعَادِ وَيَوْمَ تَبْدُو العُوْرُ

اللهُمّ اغْفِرْ لنا ذُنُوبنا قبل أَنْ تَشْهَدَ علَيْنا الجَوارِحُ وَنَبِّهْنا مِنَ رَقَداتِ الغَفَلاتِ فأَنْتَ الحَليمُ المُسَامِحُ ، وَاغْفِرْ لنَا وَلوَالدَيْنا وَلجَمِيْعِ المسْلمِيْنَ

اللّهُمَّ وَفِّقْنا تَوْفِيْقاً يَقِيْناً عَنْ مَعَاصِيْكَ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيْكَ وَارْزُقْنَا مَحبَّتَكَ وَمَحبَّةَ مَنْ يُحِبُّكَ وَبُغْضَ مَنْ يُعَادِيْك واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَجَميع المُسْلِمِيْن بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْن وَصَلَّى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعين .

(فَصْــــــلٌ)

ثُمَّ تَفَكَّرْ عافانا اللهُ واياك وجميع المسلمين ، وَأَدِمِ الفِكْرَ في جَهَنَّمَ ، واعْلَمْ أَنَّ لهَا سَبْعَةَ أَبْوَابِ كمَا أَخْبَرَ جَلَّ وَعَلاَ ، قال عَزَّ مِن قائِلٍ (وإنَّ جَهنَّمَ لَمَوْعِدُهُم أَجْمَعِيْنَ ، لَهَا سبعةُ أَبْوَابٍ ، لِكُلِّ بابٍ منهم جُزْءٌ مَقْسُوْم) . . وخَرَّجَ الامامُ أَحمدُ والترمذيُ مِن حديثِ ابنِ عمرَ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إنَّ لِجَهَنَّمَ سَبْعةَ أَبْوَابٍ بابٌ مِنْهَا لِمنْ سَلَّ سَيْفَهُ على أُمَّتِيْ » .

وفي حديثِ أبي رَزيْنٍ العُقَيْلِي عن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ لِعُمَرَ « أَنَّ لِلنارِ سَبْعَة أبوابٍ ما مِنْهُنَّ بَابَانِ إلاَّ ويَسِيْرُ الرَّاكِبُ بيْنَهُمَا سَبْعِيْنَ عَاماً » ، خَرَّجَهُ عبدُ اللهِ بنُ الامامِ أحمدَ وابنُ أبي عاصِمٍ والطبرانيُ والحاكمُ وغيرُهُم .

وَخَرَّجَ ابنُ أَبي حاتِمٍ مِن طَرِيْقِ حَطَّانِ الرَّقَاشِي قال سمعتُ عَلِياً يَقُولُ : هَلْ تَدْرُوْنَ كيفَ أبوابَ جَهَنَّمَ ؛ قُلْنَا هي مِثْلُ أَبْوابنَا هٰذه ، قال لا هيَ هَكَذَا بَعْضُهَا فوقَ بَعْضٍ ، وفي رواية لَهُ بَعْضُهَا أَسْفَلَ مِنْ بَعْضٍ .

وقَال تعالى ﴿ وسِيقَ الذين كَفَروا إلى جَهَنَّمَ زُمَرًا حتى إذا جاؤُها

فُتِحَت أبوابُها وقال لهم خَزَنتُها ألم يأتِكم رسلٌ مِنكم يَتلوُنَ عليكُم آياتِ ربكُمْ ويُنْذِرُوْنَكُم لِقَاءَ يومْكِمُ هذا قال بَلَى ولكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذابِ عَلَى الكَافِرِيْن قِيْلَ أُدْخلوُا أبوابَ جَهَنْمَ خَالِدين فِيْهَا فَبْئسَ مَثْوَى المُتكَبرين ﴾ فَتأَمّلْ حالَ هَؤلاَء الأشقِيَآءِ الكُفَار كيفَ يُسَاقوُنَ سَوْقاً عَنيْفاً إلى جَهنَّمَ ، بزجَرْ وتَوْبيْخ ، وتَقْرِيْعَ وتَهْدِيْدٍ ، وَوَعيْدٍ كمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ يومَ يُدَعُونَ إلىَ نارِ جهَنَّمَ دَعّا ﴾ أيَ يُدْفَعُونَ إليهَا دَفْعاً هَذَا وَهُم عُطاشَ ظِمَاء جِيَاعُ نَصِبُوْنَ وجِلُونَ قَدْ بَلَغَ منهم الخَوْفُ وَالرُعْبُ كُلَّ مَبْلغٍ . قال تَعالى ﴿ وَنَسُوقُ المُجرمين إلى جَهَنَّمَ وِرْدَا ﴾ وهُمْ في تِلْكَ الحَالِ صُمٌ وبُكمٌ وعُمْيٌ مِنْهُم مَنْ يَمْشِيْ عَلى وَجْهِهِ قال تعالى ﴿ ونَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القيَامَة على وُجُوهِهِم عُمْاً وبُكْماً وصْماً مأوَاهُمْ جهَنَّمُ كُلَّمَا خبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيْراً ﴾ .

وَرَوَى مَخْلَدُ بنُ الحَسَن عن هِشَامِ بن حَسَّانَ ، قال خَرَجْنَا حُجَّاجاً فَنَزْلَنَا مَنْزِلاً في بَعْض الطَّرِيْقِ ، فقَرَأ رَجُلٌ مَعَنا هَذِهِ الآية ﴿ لهَا سَبْعَةُ أبوابٍ ﴾ فَسَمِعَتْهُ امْرَأَةٌ فقالَتْ : أَعِدْ رَحِمَكَ اللهُ . فأَعَادَهَا فقَالَتْ : خَلَّفْتُ في البَيْتِ سَبْعَةَ أَعْبُدٍ ، أُشْهِدُكُمْ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ ، لِكُلِّ بَابٍ وَاحِدٍ مِنهُم . خرجه ابن أبي الدنيا .

شعراً :

يَا غافِلاً عَنْ مَنَايَاً سَاقَهَا القَدَرُ
مَاذَا الَّذِيْ بَعْدَ شَيْبِ الرَّأْس تَنْتَظِرُ
عَايِنْ بِقَلْبِكَ إِنَّ العَيْنَ غَافِلَةٌ
عن الحَقِيْقَةِ واعْلَمْ أَنَّهَا سَقَرُ

سَـوْدَآءُ تَـزْفُـرُ مـن غَيْظٍ إذَا سُعِـرَتْ
لِـلظَالِـمـيْـنَ فَـمَـا تُبْـقِـيْ وَلَا تَـذَرُ
لَـوْ لَمْ يَكُنْ لَـكَ غَيْـرَ المَـوْتِ مَـوْعِـظَةٌ
لَـكَـانَ فِيْـهِ عَـنِ الَّـلذاتِ مُـزْدَجَـرُ

آخـر :

أَسْلُكْ بُنَيَّ مَنَاهِجَ السَّـادَاتِ ... وتَخَـلَّقَنَّ بأَشْـرَفِ العَـادَاتِ
لا تُلْهِيَنَّـكَ عَنْ مَعَـادِكَ لَذَّةٌ ... تَفْنَى وتُـورِثُ دَائـمَ الحَسَـراتِ
وَإِذَا اتَّسَعْتَ بِرِزْقِ رَبِّكَ فَاجْعَلَنْ ... مِنْهُ الأَجَـلَّ لأَوْجُـهِ الصدَقَاتِ
وارْعَ الجِوَارِ لأَهْلِهْ مُتَـبَرِّعاً ... بِقَضَاءِ مَا طَلَبُوْا مِن الحَاجَـاتِ

قال الضَّحاكِ في قَوْلِ الله تعالى ﴿ لها سَبْعَةُ أبواب ﴾ هيَ سَبْعَةُ أَدْراكٍ بَعْضُهَا فوقَ بَعْض فأَعْلاَهَا فيه أَهْلُ التَوْحِيْدِ يُعَذَّبُوْنَ علىَ قَدْرِ ذُنُوبِهِم ثُمَّ يُخْرَجُونَ والثاني فيه النَّصَارَى والثالثُ فيهِ اليَهُودُ والرَّابـعُ الصَّابِئونَ ، والخامِسُ فيه المَجُوسُ ، والسادسُ فيـه مشركُـوا العَرَبِ والسابعُ فيهِ المنافقُونَ .

وعن ابن جُرَيْجٍ في قوله تعالى ﴿ لها سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ قال أَوَّلُهَا جَهَنَّمُ ثُمَّ لَظَى ثم الحُطَمَةُ ثم السَّعِيْرُ ثُمَّ سَقَرُ ثمَّ الجَحِيْمُ وفيها أَبُو جَهْلٍ ثم الهَاوِيَةُ خرجه ابنُ أَبِي الدنيا وغيرُه ، وقَد وَصَفَ اللهُ الأَبوابَ بأنها مُغْلَقَةٌ عَلَيْهِم ، فقال ﴿ إنها عَليهم مُؤصَدَةٌ ﴾ وقال تعالى ﴿ عليهم نارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾ قَال مقاتل : يَعْنِي أَبْوَابُها مُطْبَقَةٌ عليهم ، فلا يُفْتَحُ لها بابٌ ، ولا يَخْرُجُ مِنْهَا غَمٌ ، ولا يَدْخُلُ فِيها رَوْحٌ آخِرَ الأَبَدِ .

وهذا الاطباقُ نَوْعَانِ ، أَحَدُهُمَا خاصٌ لِمَنْ يَدْخُلُ في النَّارِ أو مَنْ يُرِيْدُ اللهُ التَّضْيِيْقَ عليه ، أجارَنَا اللهُ والمسلمينَ مِن ذلِكَ ، قـال أَبُو تَوْبَةَ اليَزَنِي إنَّ في النارِ أَقْوَاماً مُؤْصَدَةٌ عَلَيْهِم ، كَمَا يُطْبَقُ الحقُّ على طَبَقِهِ ، خرجه ابن أبي حاتم .

والثانِي الإطْبَاقُ العَامُ وهُوَ إطبَاقُ النَّارِ على أَهْلِهَا المُخَلَّدْينَ فيها وقد قال سَفيانُ وغيرُهُ في قَولِ الله تعالى ﴿ لا يَحْزُنُهُمْ الفَزَعُ الأكبرُ ﴾ قالوا هُوَ طَبْقُ النارِ على أَهْلِهَا .

وقال أَبُو الزَّعْرَاءِ عن ابنِ مسعودٍ : وإذَا قِيْلَ لَهُمْ (اخْسَؤُا فِيْهَا ولا تُكَلِّمُوْن) . . أُطبقَتْ عَلَيْهم ، فلا يَخْرُجُ منهم أَحَدٌ .

وقال أبو عِمْرانَ الجَوْنِي إذا كَان يَوْمُ القِيَامَةِ أَمَرَ اللهُ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيْدٍ ، وكُلّ شَيْطانٍ مرِيْدٍ ، وبِكُلِّ مَنِ يَخَافُ مِن شَرِّهِ العَبِيْدُ ، فأَوْثِقُوا بالحَدِيدِ ، ثُمَّ أُمِرَ بهم إلى جَهَنَّمَ التي لا تَبِيْدُ ، ثم أَوْصَدَهَا عَلَيْهِم مَلائكةُ رَبِّ العَبِيد ، قال فَلاَ وَاللهِ لا تَسْتَقرُّ أقْدَامُهُمْ عَلَى قَرَارٍ أبدَا ، ولا وَاللهِ لا يَنْظُرُوْنَ فِيْهَا إِلَى أَدِيْمِ سَمَاءٍ أَبَداً ، وَلاَ وَاللهِ لا تَلْتَقي جُفُونُ أَعَيْنُهُمْ على غَمْضِ نَوْمٍ أَبَداً ، وَلاَ والله لا يَذُوْقُوْنَ فِيها بارِدَ شَرَابٍ أبَداً .

وقَدْ أَخْبَر سُبْحانَهُ وتعالى أَنَّ الكفارَ يُحَاوِلُونَ الخُرُوْجَ ويُرغَمون على البقاء فيها .

قال تعالى ﴿ يُرِيْدُوْنَ أنْ يخْرُجُوا مِنِ النارِ وما هُمْ بخَارجيْنَ مِنْهَا ولَهُمْ عذابٌ مُقيْمٍ ﴾ وقال تعالى ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوْا أَنْ يَخْرُجوا مِنهَا أُعِيْدُوْا فِيْها ﴾ الآية فلا يَزَالُون يُرِيْدُوْنَ الخُرُوْجَ مِمَّا هُمْ فيه مِن الشَّدَةِ وأَلِيم مَسِّ العَذَابِ ولا سَبَيْل لَهُمْ إلى ذلكَ ، كُلَّمَا رفَعَهُمْ اللَّهَبُ فصارُوْا في أعلاجَهَنَّمَ ضَرَبَتْهُمْ الزَّبَانِيَةُ بمَقَامِعَ الحَدِيد فَيَرُدُّوْنَهُمُ إلى أسْفَلها .

وأَخْبَرَ جَلَّ وعَلاَ أَنَّهُمْ يَطْلُبُون مِنْهُ الخُرُوْج مِنْهَا فَقَالَ مُخبراً عَمَّا قالُوا « رَبَّنَا أَخرِجْنَا مِنْهَا فإنْ عُدْنَا فإنا ظالمون » . والجَوَابُ على ذلكَ يقُولُ .

الرَّبُ جَلَّ وَعَلاَ اخْسَؤا فِيْهَا ولا تُكَلِّمُون .

أَمَا نِيِّهُمُ فِيْهَا الهَلاَكُ وما لهَمُ مِن النارِ فِكَاكُ قال الله تعالى ﴿ لا يُفَتَّرُ عنهُم وهُمْ فِيه مُبْلسِوُن ﴾ وقال تَعَالَى ﴿ ونَادَوْا يا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قال إنكمُ ماكِثُون ﴾ وقال ﴿ ويَأتِيْهِ المَوْتُ مِن كُلِّ مَكانٍ وما هُوَ بمَيِّت ﴾ الآية وقال ﴿ ثمَّ لا يَمُوْتُ فِيها ولا يَحْيَا) .

وقال ﴿ إنَّ عذَابهَا كانَ غَرَامًا ﴾ وقال ﴿ لا يُقْضَى عَلَيْهِم فَيَمُوْتُوْا ولا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِن عَذَابِهَا ﴾ وقال ﴿ أُولَئكَ يَئِسُوْا مِن رَحْمَتِي ﴾ وقال جَلَّ وَعَلا ﴿ فذُوْقُوا فَلَنْ نَزِيْدَكُمْ إلا عَذَابًا ﴾ وقال ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيْم ﴾ وقال جَلَّ وَعَلا وما هُمْ بِخَارِجِيْنَ مِن النارِ ﴾ وقال ﴿ خالدين فيها أبدا ﴾ .

ومِن السُّنَّةِ ما خَرَّجَهُ الشَّيْخَانِ عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يَدْخُلُ أَهْلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ ثم يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَينَهُم يا أهلَ النارِ لاَ مَوْتٌ ويا أَهْلَ الجنةِ لاَ مَوْتٌ كُلٌ خَالِدٌ بما هُوَ فِيه ﴾ .

وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « يُؤْتَي بالموتِ في صُوْرَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُوقَفُ بَيْنَ الجنةِ والنارِ وَيُذْبحُ وَيُقَالُ يَا أَهْلَ الجنةِ خُلُودٌ فلا مَوْتٌ ويا أَهْلَ النارِ خُلُودٌ فَلا مَوْت ﴾ رواه البخاري .

وما أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُ وَأَبو نُعَيْمٍ وابْنُ مَرْدُوَيْهِ عن ابن مَسْعُودٍ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « لو قِيْلَ لأَهْلِ النارِ إِنَّكُم ماكِثُونَ في النارِ عَدَدَ كُلِّ حَصَاةٍ في الدُنْيَا لَفرِحُوْا وَلَوْ قِيْلَ لأَهْلِ الجنةِ إنكُم ماكِثُونَ

في الجنةِ عَدَدَ كُلِّ حَصَاةٍ لَحَزِنُوْا ولكن جُعِلَ لَهُم الأَبَدُ » هذا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ فناءِ النارِ وَبَقَاءِ أَهْلِهَا فِيْهَا يَتَقَلَّبُونَ في أَنْوَاعِ العذَابِ لا رَاحَةَ وَلَا نَوْمَ ، ولا هُدُوْءَ ولا قَرَارَ لَهُم ، بَلْ مِن عَذَابٍ إلى آخَرَ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَدٌّ مَعْلُومٌ ، على قَدْرِ عِصْيَانِهِ وَذَنْبِهِ ، إلا أَنَّ أَقَلَّهُم لَوْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا بِحَذَافِيْرِهَا لا افْتَدَى بِهَا مِن شِدَّةِ مَا هُوَ فيه ، قال صلى اللهُ عليه وسلم « إن أَدْنَى أَهْلِ النارِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْن مِن نَارٍ يَغْلِيْ دِمَاغُهُ » مِن حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ فانْظُر الآنَ إلى مَنْ خُفِّفَ عَلَيْهِ ، واعْتَبِرْ بِمَنْ شُدِّدَ عَلَيْهِ العَذَابُ ، مِمَّنْ يُسْحَبُونَ على وَجُوهِهِم في النارِ، ويُقَالُ لَهُم ذُوْقُوْا مَسَّ سَقَرْ ، وقال سَأُصْلِيْهِ سَقَرَ وما أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لا تُبْقِيْ وَلَا تَذَر ، أَيْ تَأْكُلُ لُحُومَهُم وعُرُوْقَهُم وَعَصَبَهُم وجُلُودَهُم ، ثُمَّ تُبَدَّلُ غَيْرَ ذلِكَ .

وقال تعالى « يَوْمَ تُقَلَّبُ وجُوهُهُمْ في النارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّه وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ » قال قَتَادَةُ قال ابنُ عباسٍ (صَعُوداً) صَخْرَةٌ في جَهَنَّمَ يُسْحَبُ عَلَيْهَا الكَافِرُ على وَجْهِهِ **وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .**

مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللهِ عليكُم بتَقْوَى اللهِ ، فإنَّ تَقْواهُ عُرْوَةٌ مَالَهَا انْفِصَامٌ وَقُدْوَةٌ يَأْتَمُّ بها الكِرَام ، وسِرَاجَ يُضِيْءُ لِلأَفْهَام ، مَنْ تَعَلَّقَ بهَا حَمَتْهُ بإذن اللهِ مَحذُوْرَ العاقبة ، ومَنْ تَحَقَّقَ بِحَمْلِهَا وَقَتْهُ بإِذْنِ اللهِ شُرُوْرَ كُلِّ نـائِبَةْ ، والحَذَرَ مِن دَارِ فُرْقَةٍ مالها أَسْلَافٍ ، وقَرَارٍ حُرْقَةٍ مَالَهَا انْصِرَافٍ ، وأَمَانِيْ رَجْعَةٍ مَالَهَا إِسْعَافٍ ، فانْهَضُوا عِبَادَ اللهِ في اسْتِعْمَالِ ما يُقَرِبُكُم مِن دَارِ القَرَارِ ، واتْرُكُوا كُلَّ ما يُدْنِيْكُم مِن دَارِ البَوَارِ، فإِنَّها المُصِيْبَةُ الجَامِعَةُ

والعُقُوبَةُ الوَاقِعَةُ ، يا لَهَا دَارٌ انقطَعَ مِنَ الرَّجَاءِ انْحِلاَلُهَا وَامْتَنَعَ مِن الفَنَاءِ بَقَاءُ نكالِهَا ، وشِعَارُ أَهْلِهَا الويْلَ الطويْل ، ودِثَارُهُم البُكَاءُ والعَويْلُ ، وسَرَابيْلُ الخزيْ الوبِيْلُ ، وَمَقِيْلُهُم الهَاوِيَةُ ، وَبِئْسَ المَقِيْلُ ، يُقَطِّعُ مِنْهُم الحَمِيْمُ أَمْعَاءً طَالَمَا وَلِعَتْ بأكلِ الحَرَامِ ، وَتُضَعْضِعُ مِنْهُم الجَحِيمُ أَعْضَاءً طَالَما أَسْرَعَتْ إلى اكْتِسَابِ الآثام قَدْ كَثُرَ مِنْهُم الأنِيْنُ ، وَحَلَّتْ بِهِم المَثُلاَتُ فجلُودُهُم كُلَّما نَضِجَتْ بُدِلَتْ جُلُوْدَاً غَيْرَهَا ، وَكُرِّرَ عَلَيْهِمُ العَذَابُ ، وَوُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ لِسُوءِ الحِسابِ ، والزَّبَانِيَةُ تَقْمَعُهُم فَيَذُوقونَ أليمَ العِقابِ ، يُنَادُوْنَ إلهاً ضَيَّعُوا أَوَامِرَهُ وارْتَكَبُوا نَوَاهِيَهُ وَنسُوْهُ ، وَحَقَّ عَلَيْهِمُ في الآجِلَةِ حُكْمُهُ لَمَّا أَغْضَبُوْهُ يَقولُونَ « رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنها فَإِنْ عُدْنَا فإِنَّا ظَالِمُون » ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لعَادُوْا لِمَا نُهُوْا عنه وإِنَّهُم لَكَاذِبُون ﴾ فَيُجِيْبُهُمْ بَعْدَ حِيْن إِجَابَةَ دعوةِ ذِي قُوَّةٍ مَتِيْن ﴿ اخسَؤُوا فِيهَا ولا تُكلِّمُون ﴾ فَحِيْنَئِذٍ يَنْقَطِعُ عِنْدَهَا واللهِ تَأْمِيْلُ المُذْنِبِيْنَ وَيَجْتَمِعُ التَّنْكِيْلُ على المُذْنِبين وَيَرْتَفِعُ في جَهَنَّمَ عَوِيْلُ المُجرِمِيْنَ المُعَذَّبِيْنَ ﴿ فَإِنْ يَصْبِرُوْا فالنارُ مَثْوَى لَهُم وانْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِن المُعْتَبِين ﴾ فيا لَهَا مِن حَسْرةٍ وَيَا لَهَا مِن نَدَامَةٍ لاَ تُشْبِهُهَا نَدامَةٌ وَيَا لَهَا مِن خَسَارَةٍ لا تُعادِلُهَا خَسارَةٌ ﴿ قُلْ إن الخَاسِرينَ الذين خَسِرُوا أنفسَهم وأهلِيْهم يومَ القِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الخسرانُ المبين اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنا وَشَرِّ الدُّنْيَا وَالهَوَى وَنَعُوذُ بك من الشَّيطَانِ الرَّجِيْمِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

شِعْرا : إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي الحَيَاةِ فَهَاتِ
كَمْ مِن أَبٍ لَكَ صَارَ فِي الأَمْوَاتِ

مَـا أَقْـرَبَ الشَّيءَ الجَـدِيْـدَ مِنَ البِلَى
يَـومـاً وَأَسْـرَعَ كُـلَّ مَـا هُـوَ آتِ
اللَّيْـلُ يَعْـمَـلُ وَالنَّـهَـارُ وَنَـحْنُ عَـمَّـ
ـمَـا يَعْـمَـلانِ بـأغْـفَـلِ الغَـفَـلاَتِ
يـا ذا الـذِي اتَّخَـذَ الـزَّمَـانَ مَـطِيَّـةً
وخُـطَا الـزَّمَـانِ كَـثِيْـرَةُ الـعَـثَـرَاتِ
مَـاذَا تَـقُـولُ وَلَـيْسَ عِـنْـدَكَ حُجَّـةٌ
لَـوْ قَـدْ أَتَـاكَ مُـنَـغِّصُ الـلَّذَاتِ
أَوْ مَـا تَـقُـولُ إذا سُئِلْتَ فَلَمْ تُـجِبْ
وإذا دُعِـيْـتَ وَأَنْـتَ فـي الـغَـمَـرَاتِ
أَوَ مَـا تَـقُـولُ إِذَا حَـلَلْتَ مَـحَـلَّةً
لَـيْسَ الـثِّـقَـاتُ لأَهْـلِهَـا بِـثِـقَـاتِ
أَوَ مَـا تَقُـوْلُ وَلَيْس حُـكْـمُـكَ نَـافِـذَاً
فِـيْـمَـا تُـخَـلِّفُـهُ مِـن الـتَّـرِكَـاتِ
مَـا مَنْ أَحَبَّ رِضَـاكَ عَـنْـكَ بِخَـارِجٍ
حَـتَّـى تَـقَـطَّعَ نَـفْـسُـهُ حَـسَـرَاتِ
زُرْتُ القُبُـورَ قُبُورَ أَهْـلِ المُلْكِ في الـدُ
دُنْيَـا وَأَهْـلِ الـرَّتْـعِ فـي الشَّـهَـوَاتِ
كَـانُـوا مُـلُوْكَ مَـآكِـلٍ وَمَـشَـارِبٍ
وَمَـلابِسٍ وَرَوَائِـحٍ عَـطِرَاتِ

فَـإِذَا بِـأَجْسَـادٍ عَـرَيْنَ مِن الكِسَـا
وَبِـأَوْجُـهٍ فِـي التُّـرْبِ مُـنْـعَـفِـرَاتِ

لَمْ تُبْقِ مِنْهَـا الأَرْضُ غَيْـرَ جَمَـاجِمٍ
بِـيْـضٍ تَلُـوْحُ وَأَعْـظُمٍ نَـخِـرَاتِ

إِنَّ الـمَقَـابِـرَ مَـا عَـلِمْتُ لَـمَـنْـظَرٌ
يَهْـدِي الشَّـجَـا وَيُـهَيِّجُ العَـبَـرَاتِ

سُبْـحَـانَ مَنْ قَـهَـرَ الـعِـبَـادَ بِقُـدْرَةٍ
بَـارِي السُّكُـونِ وَنَـاشِـرِ الـحَـرَكَـاتِ

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكرِكَ وشكرك وَوَفِّقْنَا لامْتِثَال أَمْرِكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِـوَالِدَيْنَـا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ صُدُوْرَنَا وَاسْتُرْ عُيُوبَنَا وأَمِّنْ خَوْفَنَا وَاخْتِمْ بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَنَا وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ وَحِزْبِكَ المُفْلِحِيْنَ الذِيْنَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُوْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فصـــل :

فَتَفَكَّرْ يَا أَخِيْ في حَالِ هَؤُلآءِ الذِيْنَ قَدْ عَرِيَتْ مِن اللَّحْمِ عِظَامُهُمْ فَبَقِيَتْ الأَرْوَاحُ مَنُوْطَةً بِالعُرُوْقِ وَعَلاَئِقِ العَصَبِ وَهِيَ تَنُشُّ فِي لَفْحِ تِلْكَ النِيْرَان ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَتَمَنَّوْنَ الموتَ ، فلا يَمُوْتُون ، فَكَيْفَ بِكَ أَيُّها العَاصِي لَوْ نَظَرْتَ إلى هَؤُلآءِ المُجْرِمِيْنَ ، وَقَـدْ اسْوَدَّتْ وُجُـوْهُهُـمْ ، وَأَعْمِيَتْ أَبْصَـارُهُمْ ، وَأُبْـكِمَتْ أَلْسِنَتُهُمْ ، وَقُصِمَتْ ظُهُـورُهُم ، وَكُسِرَتْ عِظَامُهُمْ ، وَجُـدِّعَتْ آنَافُهُم ، وآذَانُهم ، وَمُـزِّقَتْ جُلُودُهُم ، وَغُلَّتْ أَيْدِيْهِم إِلى أَعْنَاقِهِم وَجُمِعَ بَيْنَ نَوَاصِيْهِمْ وَأَقْدَامِهِمْ وَلَهِيْبُ النَّارِ سَارٍ فِي بَوَاطِنِهِم وَحَيَاتُ جَهَنَّمَ وعقاربُهَا مُتَشَبِّثَةٌ بِظَوَاهِرِهِمْ .

ثم انْظُرْ في أَوْدِيَةِ جَهَنَّمَ ، وشِعَابِهَا ، فعن أبي سَعيد الخدري رضي اللهُ عنه عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم قال « وَيْلٌ وَادٍ في جَهَنَّمَ يَهْوِيْ فِيه الكافِرُ أَرْبَعِيْنَ خَرِيْفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ » رواه أحمد والترمذي إلَّا أنه قَالَ وَادٍ بَيْنَ جَبَلَيْن يَهْوِي فيهِ الكافِرُ سَبْعِيْنَ خَرِيْفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَه .

وَعن ابن مسعود رضي اللهُ عنه « فَسَوْفَ يَلْقَونَ غَيًّا » قال وادٍ في جَهَنَّمَ يُقْذَفُ فِيه الذينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ رِواه الطبراني والبيهقي .

وعن علي رضي اللهُ عنه قال قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم تَعَوَّذُوا باللهِ مِن جُبِّ الحَزَنِ أَوْ وَادِي الحَزَنِ قِيْلَ يا رسولَ اللهِ وما جُبُّ الحَزَنِ أَوْ وادِي الحَزَنِ قَالَ وَادٍ في جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِيْنَ مَرَّةً أَعَدَّهُ اللهُ لِلْقُرَّاءِ المُرَائِيْنَ رواه البيهقي باسناد حسن .

ثُمَّ انْظُرْ يَا أَخِي وَتَأَمَّلْ في قَعْرِ جَهَنَّمَ وَظُلُمَاتِهَا وَتَفاوُتِ دَرَكَاتِهَا فَعَنْ خَالِدِ بنِ عُمَيْرٍ قَالَ خَطَبَ عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ رَضِي اللهُ عنه فقال إِنَّهُ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِن شَفِيْرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فيها سَبعينَ عَاماً مَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرَا واللهِ لَتُمْلأَنَّهُ أَفَعَجِبْتُم رواه مسلم هكذا .

وعن أبي هريرةَ رَضِي اللهُ عنه قال كُنَّا عَندَ النبي صلى اللهُ عليه وسلم فسَمِعْنَا وَجْبَةً فقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم « أَتَدْرُوْنَ ما هذا قُلْنَا اللهُ ورسولُهُ أَعْلَم قال هَذَا حَجَرٌ أَرْسَلَهُ اللهُ في جَهَنَّمَ منذ سَبْعِيْنَ خَرِيْفَا فالآنَ حِيْنَ انْتَهَى إلى قَعْرِهَا » رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي اللهُ عنه عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم قال

أُوقِدَ على النارِ ألفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ثُمَّ أوقِدَ عَلَيْها ألفَ سَنَةٍ حتى اسْوَدَّتْ فهي سَوْدَاءُ مظلمة رواه مالك والترمذي .

وعنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ نَارُ بنِ آدَمَ التي يُوْقِدُوْنَ مِنْهَا جُزْءٌ مِن سَبْعِيْنَ جُزْأً مِن نارِ جَهَنَّمَ فَقالُوا يا رسولَ اللهَ وإنْ كَانَتْ لَكَافِيَة قَالَ فإِنَّهَا فُضِّلَتْ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّيْنَ جُزْأً أخرجه مالكٌ وَمُسْلِم وَزَادَ كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا وعن أَنَسٍ رَضي اللهُ عنه قال قال رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إنَّ نارَكم هَذِه جُزءٌ من سبعين جزأً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ وَلَوْ لاَ أَنَّها أُطْفِئَتْ بالماءِ مَرَّتَيْنِ ما انْتَفَعْتُمْ بِها وإِنَّهَا لَتَدْعُوا اللهَ أَنْ لاَ يُعِيْدَهَا فِيْهَا رواه ابن ماجه .

وروى الأئمة عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عَنْهُ قالَ قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم اشْتَكَت النارُ إلى رَبِّهَا فَقَالَتْ رَبي أَكَلَ بَعْضِيْ بَعْضا فَجَعَلَ لَهَا نَفَسَيْنِ نَفَساً في الشِتَاءِ وَنَفَساً في الصيفِ فَشِدَّةُ ما يَجِدُوْنَ مِن البَرْدِ مِن زَمْهَرِيْرِهَا وَشِدَّةُ مَا يَجِدُوْنَ مِن الحَرِّ مِن سَمُوْمِهَا أَخْرَجَهُ البُخَارِي وَمُسلمٌ والترمذي .

اللهم ثَبِّتْنَا عِنْدَ نُزُوْلِ غَمَرَاتِ هَادِمِ اللَّذَاتِ وَخَفِّفْ عَنَّا شِدَّةَ كَرْبِ السِّيَاقِ وَغُصَصِ السَّكَرَاتِ اللَّهُم وآنِسْ وَحْشَتَنَا في القَبْرِ الضَيِّقِ العَطِنِ وَلَقِّنا جَوَابَ الملَكِ المُوَكَّلِ بالفِتَنِ وارْحَمْنَا عندَ مُضَاجَعَةِ التُّرَابِ والدِّيْدَانِ وَمُفَارَقَةِ الأَهْلِ والاخْوَانِ وَأَمِّنَّا عِنْدَ طُلُوعِ هَوْلِ المَطْلَعِ الفَظِيْعِ وَبُلُوغِ صَوْتِ المُنَادِي إلى أُذُنِ كُلِّ سَمِيْعٍ ، وَثَبِّتْ قُلُوبَنَا عِنْدَ تَقَلُّبِ القُلُوبِ إِذَا مُدَّ الصِرَاطُ على النِيْرَانِ وَتَطَايَرَ العُقُولُ إِذَا نُصِبَ المِيْزَانُ وَمَتِّعْنَا بالنَّظَرِ إلى وَجْهِكَ الكَرِيم يَاذَا الفَضْلِ العَمِيْمِ بِمَنِّكَ وَجُوْدِكَ يا كَرِيْمُ وَاغْفِرْ لَنَا

وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْـــلٌ »

ثُمَّ تَفَكَّر بِقَلْبِكَ ، وَأَلْقِ السَّمْعَ لِقَولِهِ تَعَالَى ﴿ وَهم يَصْطَرِخُونَ فِيها : رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً ، غَيرَ الذِي كُنَّا نَعْمَل ﴾ الآية وَقَولِهِ عَزَّ مِن قَائِلٍ ﴿ ولَو تَرَى إِذَا المُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوْسِهِم عِنْدَ رَبهم ، رَبَّــنَا أَبْصرْنَا وَسَمِعْنَا ، فارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً ، إنا مُوْقِنُون ﴾ وقولِهِ تعالى ﴿ يَقُولُ الذِيْنَ نَسُوْهُ مِن قَبْلُ : قد جَاءَتْ رُسُلُ رَبّنَا بالحَقّ ، فَهَلْ لنا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوْا لنا ، أَوْ نُرَدُ فَنَعْمَل غَيرَ الذيْ كُنَّا نَعْمَلُ ، قد خَسِرُوا أنفسَهم ، وَضَلَّ عنهم ما كانُوا يَفْتَرُون ﴾ وقولِهِ تعالى ﴿ وَلَو ترى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النارِ فقالُوا : يَالَيْتَنَا نُرَدُّ ، ولا نُكَذِّبَ بآياتِ رَبّنَا ، ونكـونَ مِن المؤمنين ﴾ وقولِهِ تعالى ﴿ وَلَو تَرَى اذْ وُقِفُوا على رَبهم ، قال : أَلَيْسَ هذا بالحَقِ ؟ قالُوا بَلَى وَرَبّنَا ، قال فذُوقُوا العذَابَ بما كُنْتُم تَكْفُرُون ﴾ الآيتين .

رَوَى الأَعْمَشُ عن يَزِيْدِ الرَّقَاشِيْ ، عَن أَنَسٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ « يُلْقَى البُكَاءُ على أَهْلِ النارِ ، فَيَبْكُونَ حَتى تَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ ، ثم يَبْكُونَ الدَّمَ ، حتى يَصِيْرَ في وُجُوْهِهِم كَهَيْئَةِ الأُخْدُوْدِ ، وَلَوْ أَرْسِلَتْ فِيه السُفُنُ لَجَرَتْ » خرجه ابْنُ ماجه ، وَرَوَى سلامُ بنُ مِسْكِين ، عن قَتَادَةَ عن أبي بُرْدَةَ بنِ أَبِي مُوْسَى ، عن أَبيه قال : انَّ أَهْلَ النارِ لَيَبْكُونَ الدُمُوعَ في النارِ ، حَتَّى لَو أجْريت السُّفُنُ في دُمُوعِهم لَجَرَتْ ،

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ بالدَّم بَعْدَ الدُمُوع ، وَلِمِثْلِ مَاهُمْ فِيْهِ فَلْيُبْكَ . وقال صالِحُ المَرِي : بَلَغَنِي أَنَّهُم يَصْرَخُونَ في النارِ حَتَّى تَنْقَطِعَ أَصْوَاتُهُم ، فلا يَبْقى مِنْهُم إلَّا كَهَيْئَةِ الأنِيْنِ مِن المُذْنِب .

وَرَوَى الوَلِيْدُ بنُ مُسْلِمٍ ، عن أبِي سَلمة الدَّوْسِي ـ واسْمُهُ ثابِتُ بنُ شُرَيْحٍ ـ عن سَالِمِ بن عبدِ اللهِ ، عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم ، أنه كانَ يَدْعُو « اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي عَيْنَيْنِ هَطَّالَتَيْن ، يَشْفِيَانِ القَلْبَ بذُرُوْفِ الدُمُوعِ مِن خَشْيَتِكَ ، قَبْلَ أَنْ يَكُونَ الدَّمْعُ دَماً ، والأضْرَاسُ جَمْرَا » سالمُ بنُ عبدِ اللهِ هُوَ المُحَارِبي ، وحديثُه مُرْسَلٌ ، وَرَوَى الوليدُ بنُ مُسْلِمٍ أيضاً ، عن عَبدِ الرَّحمن بن يَزِيْد بن جابرٍ ، عن اسماعيلَ بن عبيدِ اللهِ قال : إنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السلامُ قال ﴿ رَبِّ ارْزُقْنِي عَيْنَيْنِ هَطَّالَتَيْنِ ، يَبْكِيَانِ بِذُرُوْفِ الدُمُوعِ ، وَيَشْفِيَانِ مِن خَشْيَتِكَ ، قبلَ أَنْ يَعُودَ الدَّمْعُ دَماً ، والأضْراسُ جَمْرَا » قال : وكانَ دَاوُدُ عليه السلامُ يُعَاتَبُ في كَثْرَةِ البُكَاءِ ، فَيَقُولُ : دَعُونِي أَبْكِي قَبْلَ يَوم البُكَاءِ، قَبْلَ تَحْرِيْقِ العِظَام ، واشْتِعَالِ اللُّحَى ، وقَبْلَ أَنْ يؤْمَرَ بِي ﴿ مَلَائكةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ ، لَا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُم وَيَفْعَلُون مـا يُؤْمَرُوْنَ ﴾ وَرَوَى يُـونُسُ بنُ مَيْسَرَةَ عن أَبِي ادْرِيْسَ الخَوْلَانِي ، قال : إنَّ دَاوُدَ عليه السلامُ قال : أَبْكِي نَفْسِيْ قَبْلَ يَوْمِ البُكَاء ، أَبْكِيْ نَفْسِيْ قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعُ البُكَاءُ ، ثم دَعَا بجَمْرٍ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ، حتَّى إِذَا حَرَّهُ رَفَعَهَا ، وقال : أَوَّهْ لِعَذَابُ اللهِ ، أَوَّهْ أَوَّهْ ، قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعَ أَوَّهْ .

وَرَوَى ثَابِتُ البُنَانِي ، عن صَفْوَانَ بن مُحْرِزٍ ، قالَ : كانَ لِدَاوُدَ عليهِ السَّلَامُ يَوْمَاً يَتَأَوَّهُ فِيْهِ ، يَقُولُ أَوَّهْ أَوَّهْ مِن عَذَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَبْلَ أَنْ لا يَنْفَعَ أَوَّهْ ، قالَ : فَذَكَرَهُ صَفْوَانُ ذَاتَ يَوْمٍ في مَجْلِسٍ ، فَبَكَى حَتَّى

غَلَبَهُ البُكَاء فَقَامَ . وَقَالَ : عَبْدُ اللهِ بنُ رَبَاحٍ الأَنْصَارِي ، سَمِعْتُ كَعْباً يَقُولُ : ﴿ إِن ابْرَاهِيْمَ لَحَلِيْمٌ أَوَّاهٌ مُنِيْبٌ ﴾ قال : كَانَ إِذَا ذَكَرَ النارَ قال أَوَّهْ مِن النار ، أَوَّهْ مِن النارِ والتأَوُّهُ هُوَ التَّـوَجُّعُ ، والتَّحَـزُنُ قال المُثَقَّفُ العَبْدِي .

إِذَا مَـا قُـمْـتُ أَرْحَـلُهَـا بِـلَيْـلٍ
تَـأَوَّهُ آهَـةَ الـرَّجُـلِ الـحَـزِيْـنِ

وفي حَـدِيْثِ الأَعْمَشِ ، عن شِمْرِ بن عَـطِيَّـةَ ، عن شَهْـرِ بنِ حَوْشَب ، عَن أُمّ الدَّرْدَاءِ ، عَن أَبِي الدَّرْدَاءِ عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذِكْرِ أَهْلِ النارِ قالَ « فَيَقُولُونَ ادْعُو خَزَنَةَ جَهَنَّمَ ، فيقولُون ﴿ أَلم تكُ تأتِيْكُم رُسلُكُم بالبينات ؟ ، قالوا بَلَى ، قالوا فادْعُوا ، وما دُعَاءُ الكافِرين إلَّا في ضلال ﴾ قال : فيقولون : ادْعُوا مالِكاً ، فيقولُون ﴿ يا مَالكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ، قال إِنكُم مَاكِثُون ﴾ قال الأعمش : نُبِّئْتُ أَنَّ بَيْنَ دُعَائِهم وَبَيْنَ إِجَابَةِ مالكٍ لَهُم أَلفُ عَامٍ ، قال : فيقولونَ ادْعُوا رَبَّكُم ، فإِنه لَيْسَ أَحدٌ خَيْراً مِن رَبِّكُم فيقولُون ﴿ رَبَّنَـا غَلَبَتْ عَلَينَا شِقْوَتُنَا ، وَكُنَّا قوماً ضَالِّينَ ، رَبَّنَا أَخرِجْنَا مِنها ، فان عُدْنَا فإِنا ظالِمُون ﴾ قال : فيُجِيْبُهُم ﴿ اخْسَؤُا فيها ولا تُكَلِّمُون ﴾ قال : فعِنْدَ ذَلِكَ يَئِسُوا مِن كُلِّ خَيْرٍ ، وعندَ ذَلِكَ يأخذُونَ في الحَسْرَةِ والزَّفِيْرِ والوَيْلِ . . خرجه الترمذي مرفوعا ، وموقوفا على أبي الدرداء .

وروى أَبُو مَعْشَرٍ عن مُحمَّدِ بن كَعْبٍ القُرَظِيْ قال : لِأَهْلِ النارِ خمسُ دَعوَاتٍ ، يُكَلِّمُونَ في أَرْبَعٍ مِنها ، وَيُسْكَتُ عنهم في الخامِسَةِ فلا يُكَلِّمُون ، يَقُولُونَ ﴿ رَبَّنَا أَمتَّنا اثْنَتَيْنِ ، وَأَحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ ، فاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ،

فَهَلْ إلى خُرُوْجٍ مِن سَبِيْل ﴾ فيُرَدُّ عَلَيْهِم ﴿ ذَلكُم بأَنَهُ إذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُم ، وانْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ﴾ ثُمَّ يَقُولُون ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ، فارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إنَّا مُوْقِنُون ﴾ فيُرَدُّ عَلَيْهِم ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاها ﴾ إلى آخِرِ الآيَتَيْنِ ، ثُمَّ يَقُولُون ﴿ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إلى أَجَلٍ قَرِيْبٍ ، نُجِبْ دَعوَتَكَ ، وَنَتَّبِعِ الرُسُلَ ﴾ فَيُرَدُ عَلَيْهِمْ ﴿ أَولَمْ تكُونُوا أَقْسَمْتُم مِن قَبْلُ مَالَكُم مِن زَوَال ﴾ ثُمَّ يَقُولُونَ ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الذِي كُنَّا نَعْمَل ﴾ فَيُرَدُّ عليهم ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيه مَنْ تَذَكَّرَ ، وَجَاءَكُم النذِير ﴾ ثم يَقُولُونَ ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ، وَكُنَّا قَوْماً ضَالِيْنَ ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنها ، فانْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُون ﴾ فَيُرَدُّ عَلَيْهِم ﴿ قال اخْسَؤُا فِيْهَا ولا تُكَلِّمُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَكُنْتُم مِنْهُمْ تَضْحَكُون ﴾ قال فلا يَتَكَلَّمُونَ بَعْدَ ذَلِكَ . اخرجه آدمُ بنُ أَبِي إِيَّاسٍ وابنُ أَبِي حاتِمٍ :

قال ابن القيم رحمه الله

فَيَـاسَاهِيَـاً في غَمْرَةِ الجَهْـلِ والهَوَى
صَـرِيْـعَ الأَمَـانِي عَنْ قَـرِيْبٍ سَتَنْـدَمُ
أَفِقْ قَـدْ دَنَى الـوَقْتُ الـذِيْ لَيْسَ بَعْدَهُ
سِـوَى جَـنَّـةٍ أَوْ حَـرِّ نَـارٍ تَـضَـرَّمُ
وبـالـسُّنَّـةِ الغَـرَّاءِ كُـنْ مُتَمَسِّكـاً
هِيَ العُـرْوَةُ الـوُثْقَى الَّتِي لَيس تُفْصَمُ
تَمَسَّـكْ بِهَـا مَسْـكَ البَخِيْـلِ بِمَـالِـهِ
وَعَضَّ عَـلَيْـهَـا بـالـنَّـواجِـذِ تَـسْـلَمِ
وَدَعْ عَنْـكَ مَا قَـدْ أَحْدَثَ النَّـاسُ بَعْدَهَا
فَـمَـرْتَـعُ هَـاتِـيْـكَ الـحَـوَادِثِ أَوْخَمُ

وَهيءْ جَـوَابـاً عِنْـدَمَـا تَسْمَـعُ النِّـدَا
مِـنَ اللهِ يَـوْمَ الـعَـرْضِ مَـاذَا أَجَبْتُـمُ
بِـهِ رُسُـلِيْ لَمَّـا أَتَـوْكُـمْ فَـمَنْ يَكُـنْ
أَجَـابَ سِوَاهُمْ سَـوْفَ يُخْـزَى وَيَنْـدَمُ
وَخُـذْ مِن تُقَى الـرَّحْمٰنِ أَعْـظَمَ جُنَّـةٍ
لِـيَـوْمٍ بِـهِ تَبْـدُوْ عِـيَـانـاً جَـهَـنَّمُ
وَيُنْصَبُ ذَاكَ الجَسْـرُ مِنْ فَـوْق مَتْنِـهَـا
فَـهَـاوٍ وَمَـخْـدُوْشٌ ونَـاجٍ مُـسَـلَّمُ
وَيَـأْتِـيْ إِلَـهُ الـعَـالَـمِـيْـنَ لِـوَعْـدِهِ
فَـيَفْـصِـلُ مَـا بَيْنَ العِبَـادِ وَيَـحْـكُـمُ
وَيَـأْخُـذُ لِـلْمَـظْلُوم رَبُـكَ حَـقَّـهُ
فَـيَـابُـؤْسَ عَـبْـدٍ لِلْخَـلاَئِـقِ يَـظْلِمُ
وَيُنْشَـرُ دِيْـوَانُ الحِسَـابِ وَتُـوْضَـعُ الْـ
ـمَـوَازِيْنُ بِـالقِسْطِ الـذِي لَيْسَ يَـظْلِمُ
فَـلاَ مُـجْـرِمٌ يَـخْـشَـى ظُـلاَمَـةَ ذَرَّةٍ
ولا مُـحْـسِنٌ مِـن أَجْـرِهِ ذَاكَ يُـهْـضَـمُ
وَتَشْهَـدُ أَعْـضَـاءُ المُسِيءِ بِمَـا جَنَى
كَـذَاكَ عَلَى فِيْـهِ المُـهَـيْمِنُ يَخْتُـمُ
فَيَـالَيْتَ شِعْـرِيْ كَيْفَ حَـالُكَ عِنْـدَمَا
تَـطَايَـرُ كُتْبُ العَـالَمِيْـنَ وَتُـقْسَـمُ

أَتَــأْخُــذُ بــالـيُمْنَى كِـتَــابَــكَ أَمْ تَكُــنْ
بــالاخْــرَى وَرَاءَ الـظَّهْــرِ مِنْــكَ تَسَلَّمُ
وَتَــقْــرَأُ فِـيْـهَــا كُــلَّ شَـيْءٍ عَــمِلْتَــهُ
فَيُشْــرِقُ مِنْـكَ الــوَجْـهُ أَوْ هُــوَ يُـظْلِمُ
تَـقُــوْلُ كِـتَـابِــي فَـاقْــرَؤُهُ فَـإِنَّــهُ
يُـبَـشِّــرُ بـالـفَــوْزِ الـعَـظِيْـمِ وَيُـعْـلِمُ
وَإن تَــكُــنِ الاخْــرَى فَــإِنَّــكَ قَــائِــلٌ
أَلَا لَـيْـتَــنِـيْ لَــمْ أُوْتَــهُ فَـهُــوَ مَــغْــرَمُ
فَبَــادِرْ إِذاً مَــا دَامَ فِي العُمْــرِ فُسْحَــةٌ
وعَــدْ لُــكَ مَقْبُــوْلٌ وَصَــرْفُـكَ قَـيِّـمُ
وَجُــدَّ وَسَــارِعْ واغْـتَـنِـمْ زَمَـنَ الـصِّـبَــا
فـفِي زَمَـنِ الامْـكَــانِ تَـسْـعَـى وَتَـغْـنَـمُ
وَسِـرْ مُسْرِعـاً فـالمَـوتُ خَلْفَـكَ مُسْـرِعـاً
وَهَـيْـهَــاتَ مَــا مِـنْــهُ مَـفَــرٌ وَمَــهْــزَمُ

اللّهُمَّ ثَبِّتْ وَقَوِّ مَحَبَّتَكَ في قُلوبِنا واشْرَحْ صُدُورُنا وَنَوِّرْها بِنُورِ الإِيْمانِ واجْعَلنا هُداةً مُهْتَدين وألْهِمْنا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وآجْعَلنا مِمَّنْ يفُوزُ بالنَّظَرِ إلَى وَجْهِكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَا حَليمُ وَيَا كَرِيمُ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدِينا ولِجَميعِ المُسْلِمين الأحياءِ منهُم والميِّتينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحمَ الرَّاحِمينَ وصلّى اللّهُ عَلَى مُحمّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِين .

في الثَّنَــاءِ على أَهْلِ الجَنَّــةِ وَتَبْشِيْرِهِمْ ، وَتَبْكِيْتِ أَهْـلِ النارِ ، وَتَقْرِيْعِهِم عَلى إِهْمَالِهِمْ وَتَفْرِيْطِهِمْ .

رَوَى صَفْوَانُ بنُ عَمْرو قال : سَمِعْتُ أَيْفَعَ بنَ عَبْدِ الكُلاَعِي يَقُولُ ، قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النارِ النارَ ، قال اللهُ : يا أَهْلَ الجنةِ ﴿ كَمْ لَبِثْتُم في الأَرْضِ عَدَدَ سِنِيْنَ ؟ قالُوا لَبِثْنَا يوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ قَالَ : نِعْمَ مَا اتَّجَرْتُم في يَوْمٍ أَو بَعْضِ يَوْمٍ ، رَحْمَتِي وَرِضْوَانِي وَجَنَّتِيْ ، أُمْكُثُوْا فِيها خَالِدِيْنَ مُخَلَّدِيْنَ . ثُمَّ يَقُولُ لأَهْلِ النارِ ﴿ كمْ لَبِثْتُمْ في الأَرْضِ عَدَدَ سنيْنَ ، قالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَو بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ فَيَقُول بِئْسَ ما اتَّجَرْتُمْ في يَوْمٍ أو بَعْضِ يَوْمٍ سَخَطِيْ وَمَعْصِيَتِيْ وَنَارِي ، إِمْكثُوا فِيها خالِدِيْنَ مُخَلَّدِيْنَ ، فيقولُـونَ ، ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا منها ، فانْ عُدْنَا فإنا ظَـالِمُون ﴾ فيقـولُ ﴿ اخْسَئُوا فيهـا ولا تُكَلِمُون ﴾ فَيَكُونُ ذلك آخرَ عَهْدِهِم بكلامِ رِبِهِمْ عَزَّ وَجَلَّ » خَرَجه أبو نعيم ، وقال : كذا رواه أيفع مرسلاً .

وعن أَنَسٍ رضي اللهُ عنه ، قال قال رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « يُؤْتَي بانْعَم الناسِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِن أَهْلِ النارِ ، فَيُصْبَغُ في النارِ صِبْغَةً ، ثُمَّ يُقالُ : يا ابنَ آدَمَ هَلْ رَأَيتَ خَيْرَاً قطُ ؟ هَلْ مَرَّ بكَ نَعِيْمٌ قطُ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللهِ يَا رَبُّ ، وَيُؤتى بأشَدِّ الناسِ بُؤْساً في الدُنْيَا مِن أَهْلِ الـجَنَّةِ ، فَيُصْبَغُ في الجَنَّةِ صِبْغَةً ، فَيَقَالُ : يا ابنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قَطُ ؟ هَلْ مَرَّ بكَ شِدَّةٌ قَطُ ؟ فَيَقُولُ لاَ وَاللهِ يَا رَبُّ ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قطُ ، ولا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُ » أخرجه مسلم ، وأَخْرَجَهُ ابنُ مَاجَةَ أَيْضَاً عَن أنسٍ بن مالكٍ ، قال قالَ رَسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « يُؤْتَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُنْيَا من الكُفَّارِ ، فَيُقَالُ : اغْمِسُوهُ في النارِ غَمْسَةً فَيُغْمَسُ فِيْهَا ثُمَّ يُخْرَجُ ، فيقالُ : أَيْ فُلَانُ هَلْ أَصَابَكَ نَعِيْمٌ قَطُ ؟ فيقولُ : ما أَصَابَنِي نَعِيْمٌ قَطُ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ المؤمنين ضَرَراً وَبلاءً ، فَيُقَالُ : اغْمِسُوهُ

في الجَنَّةِ غَمْسَةً ، فَيُغْمَسُ فِيْهَا غَمْسَةً ، فَيُقَالُ لَهُ : أَيْ فُلَانٌ هَلْ أَصَابَكَ ضَرٌ وَبَلَاءٌ فيقولُ : لَا مَا أَصَابَنِي ضَرٌ قَطُ ولا بَلَاءٌ » .

قال ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ : واعْظَمُ عَذَابِ أَهْلِ النارِ حِجَابُهُمْ عن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وإِبْعَادِهِم عنه ، واعْرَاضُه عَنْهُمْ ، وَسَخْطُه عَلَيْهِم ، كَمَا أَنَّ رِضْوَانَ اللهِ عَلَى أَهْلِ الجَنَّةِ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ نَعِيْمِ الجنةِ ، وَتَجَلِّيْهِ لَهُمْ ، وَرُؤْيَتُهُمْ إِيَّاهُ ، أَعْظَمُ مِن جَمِيْعِ أَنْوَاعِ نَعِيْمِ الجنةِ ، قال الله تعالى ﴿ كلا إنهم عن رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبون ثم إنهم لَصَالُوا الجَحِيْمِ ، ثم يُقَال هَذَا الذِي كُنتُم بِه تكذبون ﴾ فذكَرَ تَعَالَى لَهُم ثَلاثَةَ أَنْوَاعٍ مِن العَذَاب ، حِجَابُهُمْ عنه ، ثم صَلْيُهُمْ الجَحِيْم ، ثم تَوْبِيْخُهُمْ بتَكْذِيْبِهِم به في الدُّنْيَا ، وَوَصْفِهِم بالرَّانِ على قُلُوبهم ، وَهُوَ صَدَأُ الذُنوب الذِي اسْوَدَّتْ بِهِ قُلُوبِهِم ، فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ في الدُّنْيَا شَيْءٌ مِن مَعْرِفَةِ اللهِ ، وَلَا مِن إِجْلَالِهِ وَمَهَابَتِهِ ، وَخَشْيَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ ، فَكَمَا حُجِبَتْ قُلُوبُهُمْ في الدُّنْيَا عن اللهِ ، حُجِبُوا في الآخرةِ عَنْ رُؤْيَتِهِ ، وهَذَا بخِلَافِ حَالِ أَهْلِ الجنّةِ ، قال تعَالى ﴿ للذيْنَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ، وَلَا يَرْهَقُ وُجُوْهَهُم قَتَرٌ ولا ذِلّة ﴾ والذينَ أَحْسَنُوا هُمْ أَهْلُ الاحسانِ والاحسانُ « أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كأَنَّكَ تَراه » كَمَا فَسَّرَه النبي صلى الله عليه وسلم لَمَّا سَأَلَهُ عنه جِبْرِيْلُ عليهِ السلامُ ، فَجَعَل جَزَاءَ الاحسانِ الحُسْنَى ـ وهو الجَنَّةُ ـ والزِّيَادَةُ ـ وهِيَ النَّظَرُ إلى وَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، كَمَا فَسَّرَهُ بذلكَ رَسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، في حديثِ صهيبٍ وغيرِهِ. انتهى .

اللَّهُمَّ قَوِّي إِيمَانَنَا بِكَ وَنَوِّر قُلُوبَنَا بِنُورِ الأيمانِ واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنْ اللَّهمَّ يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا على دِينِكَ وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وأَمِّنَّا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وجميع المسلمينَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَاحِمين وصلى اللهُ عَلى محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين .

وقَالَ ابْنُ القَيّم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى :

أَوَ مَـا سَـمِعْـتَ مُـنَـادِيَ الإِيْـمَـانِ
يُخْبِـرُ عن مُنَـادِي جَنّـةِ الـحَيَـوانِ

يـا أهْلَهـا لَكُمُ لـدَى الـرحمن وَعْـ
دُ هْـوَ مُـنْـجِـزُهُ لـكُـمْ بـضَـمَـانِ

قـالُـوا أَمَـا بَيَّضْتَ أَوْجُـهَـنَا كَـذَا
أَعْـمَـالَـنَـا ثَـقَّـلْتَ فـي الـمِـيْـزَانِ

وَكَـذَاكَ قَـدْ أَدْخَلْتَنَـا الجَنـاتِ حِيْ
نَأَجَرْتَنَا مِـنْ مَـدْخَـلِ الـنـيـرانِ

فـيقـولُ عِنْـدِي مَـوْعِـدٌ قَـدْ آنَ أنْ
أُعْـطِيْكُـمُـوهُ بِـرَحْـمَـتِـيْ وَحَـنَـانِـيْ

فَيَـرونَـهُ مِن بَعْـدِ كَشْفِ حِجَـابِـهِ
جَـهْـراً رَوَى ذَا مُـسْـلِم بِـبَـيَـانِ

وَلَـقَـدْ أَتَـانَـا في الـصَّحِيْـحَيْـنِ اللَّذي
نِ هُمَـا أَصَـحُّ الـكُتْبِ بَعْـدَ قُـرآنِ

بِـروَايَـةِ الـثِّقَـةِ الـصَّدُوْقِ جَـريـرٍ الْـ
بَـجَـلِيِّ عَـمَّـن جَـاء بـالـقُـرْآنِ

أَنَّ الـعِـبَـادَ يَـرونَـهُ سُـبْـحَـانَـهُ
رُؤْيـا العِيَـانَ كَـمَـا يُـرَى القَـمَـرَانِ

فَـإِنْ اسْتَـطَعْتُمْ كُـلَّ وَقْتٍ فَـاحْـفَـظُوا الْـ
بَـرْدَيْنِ مـا عِشْتُـم مَـدَى الأزمـانِ

وَلَقَدْ رَوَى بِضْعٌ وَعِشْرُوْنَ امْرُؤٌ
مِن صَحْبِ أَحْمَدَ خِيْرَةِ الرَّحْمَنِ

أَخْبَارَ هَذَا البابِ عَمَّنْ قَدْ أَتَى
بِالوَحْيِ تَفْصِيْلاً بِلا كِتْمَانِ

وَأَلَذُّ شَيءٍ لِلْقُلُوبِ فَهَذِهِ الْـ
أَخبارُ مَعْ أَمْثَالِهَا هِيَ بَهْجَةُ الايْمَانِ

واللهِ لَو لَا رُؤْيَةُ الرَّحْمَنِ فِي الْـ
جَنَّاتِ ما طَابَت لِذِي العِرْفَانِ

أَعْلَى النَّعِيْمِ نَعِيْمُ رُؤْيَةِ وَجْهِهِ
وَخِطَابُه في جَنَّةِ الحَيَوانِ

وَأَشدُّ شَيءٍ في العَذَابِ حِجَابُهُ
سُبْحَانَه عَن سَاكِنِي النِيْرَانِ

وإِذَا رَآهُ المُؤْمِنُونَ نَسُوْا الَّذِيْ
هُمْ فِيهِ مِمَّا نَالَتِ العَيْنَانِ

فإذا تَوَارَى عَنْهُم عَادُوا إِلَى
لَذَاتِهم مِن سَائِرِ الأَلْوَانِ

فَلَهُم نَعِيْمٌ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ سِوَى
هَذَا النَّعِيْمِ فَحَبَّذَا الأَمْرَانِ

أَو مَا سَمِعْتَ سُؤَالَ أَعْرفِ خَلْقِه
بِجَلَالِهِ الْمَبْعُوثِ بِالقُرْآنِ

شَوقاً إليهِ وَلَذَةِ النَّظَرِ الذي
بِجَلَالِ وَجْهِ الربِ ذِي السُلْطَانِ

فالشَّوْقُ لَذَةُ رُوُحِه في هَذِهِ الدُّ

دُنْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ
تَلْتَذُ بِالنَّظَرِ الذي فَازَتْ بِهِ
دُوْنَ الجَوارِحِ هَذِهِ العَيْنَانِ
واللهِ مَا في هَذِهِ الدُنْيَا أَلَذُ مِن اشْتِيَاقِ العَبْدِ لِلرَّحْمَنِ
وَكَذَاكَ رُؤْيَةُ وَجْهِهِ سُبْحَانَهُ
هِيَ أَكْمَلُ اللَّذَاتِ لِلإِنْسَانِ

اللهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وَعَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا فَهَّمْتَنَا ، اللهُمَّ إنْ كُنَّا مُقَصِّرِيْنَ في حِفْظِ حَقِّكَ ، وَالوَفَاءِ بِعَهْدِكَ ، فأَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَنَا في رَجَاءِ رِفْدِكَ ، وَخَالِصِ وُدِّكَ ، اللهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مِنَّا ، فَبِكَمَالِ جُوْدِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ،

اللهم اجْعلنَا لِكِتَابِك مِن التَّالِينَ وَلَكَ بِهِ مِن العَامِلينَ وبِمَا صَرَّفْتَ فيهِ مِن الآياتِ مُنْتَفعين ، وَإِلَىَ لُذِيذِ خِطَابِه مُسْتَمِعينَ ، ولأَوَامِرِهِ ونَواهِيهِ خاضِعين وبالأَعمالِ مُخْلِصِين ، واغْفِرْ لَنَا وَلِوالِدِينا ولجَمِيع المُسْلِمينَ الأَحياءَ مِنْهم والمَيتين بِرَحْمَتِك يا أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وصلى اللهُ على محمدٍ وعلي آلهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِين .

« فَصْلٌ »

عِبَادَ اللهِ قَدْ سَبَقَ ذِكْرُ النَّارِ وَأَهْوَالِهَا ، وَغُمُومِهَا وَأَنْكَالِهَا وَطَبَقاتِهَا ، وَشَرَابِ أَهْلِهَا وطَعَامِهم ، وَمَا إلى ذَلِكَ مِمَّا أَعدّهُ اللهُ جَلَّ وَعَلا لأَهْلِهَا ، مِنْ أَنْوَاعِ العَذَابِ الأَلِيْمِ الأبَدِيّ السَّرْمَدِيّ أَعَاذَنا اللهُ وَاِيَّاكُم وَجَمِيْع

المُسْلِمين منها ، وَيُقَابِلُهَا دَارٌ أخْرَى دَارُ قَرارٍ وَنَعِيمٍ ، وَسُرُورٍ وَحُبُورٍ ، وَأَمْنٍ وَصِحَّةٍ ، وَحياةٍ أَبَدِيَّةٍ فِيْهَا مَا تَشْتَهِيْه الأَنْفُسُ ، وَتَلذُّ الأَعْيُنُ ، مِمَّا لا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، دَارٌ جَعَلَهَا الكَرِيْمُ ، الرَّحِيْمُ ، الغَافِرُ الجَوَادُ الماجِدُ ، دَارَ ضِيَافَةٍ ، يُكْرِمُ فيها عِبَادَهُ الأخيَارُ ، الذِيْنَ وَفَّقَهُم لِخِدْمَتِه ، وَالعَمَلِ بِطَاعَتِه ، ولا تَظُنَّنَّ هَذِهِ الضِّيَافَةَ فِيْهَا مَحْدُوْدَةً ، وَلاَ أَنَّ الكَرَامَةَ فيها تَنْتَهِيْ ، بَلْ كُلُّ مَا تُحِبُّه وَتَتَمنَّاهُ أَمَامَكَ ، إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنْ اللهِ الحُسْنَى .

فَاسْتَثِرْ الخَوْفَ مِنْ قَلْبِكَ ، بِطُوْلِ فِكْرِكَ في أَصْحَابِ جَهَنَّمَ ، وفي أَحْوَالِهِم وَتَقَلُّبَاتِهِم ، وَحَسْرَتِهِم ، وَنَدَامَتِهِم عَلَى تَفْرِيْطِهِم ، واذكُرْ طَعَامَهُم وَشَرَابَهُم ، وَأَلْوَانَ عَذَابِهِم وَخُلُودَهُم ، وَاسْتَثِرْ الرَّجَاءَ ، بِطُوْلِ فِكْرِكَ فِيْمَا أَعَدَّهُ اللهُ لِأَوْلِيَائِه وَأَصْفِيَائِه ، في دَارِ كَرَامَتِه ، مِنْ النَّعِيمِ المُقِيْمِ ، والعَيْشِ السَّلِيْمِ ، المَوْعُودِ لِأَهْلِ الجَنَّةِ ، جَعَلَنَا اللهُ وايَّاكَ وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْن مِمَّنْ يَحُلُّها ، وَسُقْ نَفْسَكَ بِسَوْطِ الخَوْفِ ، وَقُدْهَا بِزِمَامِ الرَّجَاءِ ، إلى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ ، لِتَنالَ المُلكَ العَظِيْمَ ، وَتَسْلَمَ مِنْ العَذَابِ الأليْمِ ، وَتَفَكَّرْ في قُدُومِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وَمَا يُلاَقُونَ مِنْ الحَفَاوَةِ والتَّكْرِيْمِ ، وَمَا يُقَالُ لهُم عِنْدَ قُدُومِهِم .

قالَ تَعالَى ﴿ وَسِيْقَ الذِيْنَ اتَّقوا رَبَّهُم إِلى الجَنَّةِ زُمَراً ، حَتَّى اذا جَاءُوها، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُها ، وَقالَ لَهُم خَزنتُها : سَلامٌ عَلَيْكُم ، طِبْتُمْ ، فادْخُلُوهَا خَالِدِيْنَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَقِيْلَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ﴾ بَعْدَ أَنْ ذكرَ جَلَّ وَعَلاَ أَحْوَالَ الأَشْقِيَاءِ ، وَمَا يُلاَقُونَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، مِنْ الأَهْوَالِ والكُرُوبِ والشَّدَائِدِ ، أَرْدَفَ ذلكَ بِذِكْرِ أَحْوَالِ السُّعَدَاءِ ، وَمَا

يُلاَقُونَهُ إِذْ ذَاكَ مِنْ النَّعِيْم ، وَمَا يُقَالُ لهُم والمُرَادُ بالسَّوْقِ هُنَا الاسْرَاعُ بهم إِلى دَارِ الكَرَامَةِ والرِّضْوَانِ كَمَا يُفْعَلُ بِمَنْ يُكْرَمُ مِنْ الوَافِدين على بَعْضِ المُلُوكِ ، بخِلاَفِ السَّوْقِ المُتقدِّمِ في حَقِّ الكُفَّارِ ، فانَّهُ طَرْدُهُم إِلى العَذَابِ ، والذُّلِّ والهَوانِ، كمَا يُفْعَلُ بالمُجْرِمِ الأَسِيْرِ ، إِذا سِيْقَ إِلَى السِّجْنِ أَوِ القَتْلِ فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ السَّوْقَيْنِ ، ﴿ حَتَّى إِذا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُها ﴾ المعْنَى أَنَّهُم إِذا وَصَلُوا اليها وَقَد فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا لَهُم ، كَمَا تَفْتَحُ الخَدَمُ بَابَ المَنْزِلِ لِلضَّيْفِ عِنْدَ قُدُوْمِهِ ، ، وَتَقِفُ لَهُ مُنْتَظِرَةً حُضُوْرَهُ ، فَرِحاً واسْتِبْشَاراً لِقُدُومِهِ ، فَرِحُوا بِمَا أَفَاءَ اللهُ عليهم مِنْ النَّعِيْمِ ، وَبِمَا شَاهَدَتْ أَعْيُنهُم ، مِمَّا لا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أذنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَر على قَلْب بَشَر ، ثُمَّ أخْبَرَ جَلَّ وَعَلا أَنَّ خزَنَةَ الجَنّةِ يُسلِّمُونَ عَلى المُؤْمِنِيْنَ ، فقَالَ عِزَّ مِنْ قائل ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتهُا : سلامٌ عليْكُم طِبْتُم ، فادْخُلُوهَا خَالِدِيْنَ ﴾ فَبَدَؤُهُم بالسَّلامِ ، المُتَضَمِّنِ لِلسَّلامَةِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَمَكْرُوهٍ ، أَي سَلِمْتُم فلاَ يَلْحقُكم بَعْدَ اليَوْمِ مَا تَكْرَهُونَ ، ثُمَّ قَالُوا لَهُم ﴿ طِبْتُم فادْخُلُوها خَالِدِيْنَ ﴾ .

أَيْ سَلاَمَتُكم وَدُخُولُكُمْ بِطِيْبِكُم ، فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَهَا إلَّا عَلَى الطَّيِّبِينَ ، فَبَشَّرُوهُم بالسَّلاَمَةِ والطِّيِّب ، والدُّخُولِ والخُلُودِ ، ثُمَّ أخبَرَ عَمَّا يَقُولُه المؤمِنُونَ اذا عَايَنُوا ذَلِكَ النَّعِيْمَ المُقِيْمَ ، وَالعَطَاءَ الجَزِيْلَ ، بَعْدَ دُخُولِهم وَاسْتِقْرَارِهم ، حَامِدِيْنَ لِله عَلَى مَا أَوْلاَهُم ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِم ، وَهَدَاهُم لَهُ ، ﴿ الحَمْدُ للهِ الذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ، وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ ، نَتَبَوَّأُ مِنْ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ وَنَحْو هَذِهِ الآيَةِ ﴿ وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الذِي هَدَانَا لِهَذا ، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِي لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ ﴾ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إِيْمَانَنَا بِكَ وَمَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الجِبَالِ الرَّاسِياتِ واعْصِمْنَا يَا مَوْلاَنا مِنْ جَمِيْعِ المُوبِقَاتِ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ

وَارْفَعْ مَنَازِلَنَا فِي فَسِيْحِ الجَنَّاتِ وَارْزُقْنَا النَّظَرَ إلى وَجْهِكَ الكَرِيْمِ يا حَكِيْمُ يا عَلِيْمُ يا حَيُّ يا قَيُّومُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا ولِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ بِرحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين . . .

قال ابن القيم :

أَبْـوَابُـهَـا حَـقٌّ ثَـمَـانِـيَـةٌ أَتَـتْ
فـي النَّصِّ وَهِـيَ لِصَـاحِـبِ الاحْـسَـانِ
بَـابُ الـجِـهَـادِ وَذَاكَ أَعْـلاَهَـا وَبَـا
بُ الصَّـوْمِ يُـدْعَى البـابُ بـالـرَّيَـانِ
وَلِـكُـلِّ سَـعْـيٍ صَـالِـحٍ بَـابٌ وَرَ
بُ الـسَّـعْـيِ مِـنْـهُ دَاخِـلٌ بِـأَمَـانِ
وَلَسَـوفَ يُـدْعَى المَـرْءُ مِن أَبْـوابِـهَـا
جَـمْـعـاً إذَا وَافَـى حُـلَى الإيْـمَـانِ
مِـنـهُـمْ أَبُـو بَـكْـرٍ هُـو الـصِّـدِّيْـقُ ذَا
كَ خَـلِـيْـفَـةُ الـمَـبْـعُـوثِ بِـالـقُـرْآنِ

وَتَفَكَّرْ في وُجُوهِ أَهْلِ الجَنَّةِ التِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْهَا بِقَوْلِهِ ﴿ تَعْرِفُ في وُجُوْهِهِم نَضْرَةَ النَّعِيْمِ ﴾ أي بَهَاءه وَنضارَتَه وَرَوْنَقَه فانَّ تَوالِي اللذات والمَسَرَّاتِ والأفْرَاحِ يُكْسِبُ الوَجْهَ نُوْراً وَحُسْناً ، وَبَهْجَةً واشْرَاقاً ، تَبْرُقُ مِنْهُ أَسَارِيرُ الوَجْهِ .

ثُمَّ أخبرَ جَلَّ وَعَلا عَمَّا يُسْقَاهُ الأبْرَارُ مِنْ الشَّرَابِ الطَّيِّبِ اللَّذِيْذِ ، فقالَ ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقٍ مَخْتُومٍ ، خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ الرَّحِيْقُ مِنْ أَسْمَاءِ الخمْرِ ، قالُه ابنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ ، وَمُجَاهِدُ وَالحَسَنُ وَقتَادَةُ ، وَابْنُ زَيْدٍ وَقَالَ الامَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنا حَسَنٌ ، حَدَّثَنا زُهَيْرٌ ، عن سَعِيْدٍ عَن أبي المُحَاصِرِ الطَّائِيِّ ، عن عَطِيَّة بْنِ سَعْدٍ العَوْفِيِّ ، عن أَبي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ ، أَرَاهُ قد رَفَعَهُ الى النبي صلى الله عليه وسلم قالَ « ايُّما مُؤْمِنٍ

سَقَى مُؤْمِناً شَرْبَةَ مَاءٍ على ظَمَأٍ ، سَقَاهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ من الرَّحِيْقِ المَخْتُومِ وأيُّما مُؤْمِنٍ أَطعَمَ مُؤْمِناً عَلَى جُوْعٍ ، أَطْعَمَهُ اللهُ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ ، وأَيُّما مُؤْمِن كَسَا مُؤْمِناً ثَوْباً على عُرْيٍ ، كَسَاهُ اللهُ مِنْ خُضْرِ الجَنَّةِ » وَقَوْلُه (خِتَامُه مِسْكٌ) أي خِلْطُهُ مِسْكٌ .

وَعَنْ أَبي الدَّرْدَاءِ: هُوَ شَرَابٌ أَبْيَضُ ، مِثْلُ الفِضَّةِ ، يَخْتِمُونَ بِهِ شَرَابَهُم ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، إِدْخَلَ اصْبُعَهُ فِيْهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا ، لَمْ يَبْقَ ذُو رُوْحٍ إِلَّا وَجَدَ طِيْبَهَا ، وَقَوْلُه ﴿ وفي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسُ المُتَنَافِسُونَ ﴾ المَعنَى - واللهُ اعْلَمُ - وفي مِثْلِ هَذَا الحَالِ فَلْيَرْغَبْ الرَّاغِبُونَ ، بالمُبَادَرَةِ إلَى طَاعَةِ اللهِ ، وَلْيَتَفَاخَرْ المُتَفَاخِرُونَ ، وَلِيَتَبَاهَى المُتَبَاهُوَنَ ، وَيُكَاثِرْ وَيَسْتَبِقْ إلى مِثْلِهِ المُسْتَبْقُونَ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ العَامِلُونَ ﴾ وَقَوْلِهِ ﴿ وَمِزَاجُه مِن تَسْنِيم ، عَيْناً يَشْرَبُ بهَا المُقَرَّبُونَ ﴾ المَعْنَى أَنَّ هَذَا الشَّرَابُ المَوْصُوفُ المَخْتُومُ بالمِسْكِ ، يُفَضُّ خَتْمُه ، ثم يُمْزَجُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِه العَيْنِ المُسَمَّاةِ ﴿ تَسْنِيم ﴾ التي ﴿ يَشْرَبُ بِهَا المُقَرَّبُون ﴾ وَهُوَ أَشْرَفُ شَرَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَعْلاهُ ، قالَهُ أَبُو صَالِح والضَّحَاكُ ، وَلِهَذَا قالَ ﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا المُقَرَّبُونَ ﴾ أيْ يَشْرَبُهَا المُقَرَّبُونَ ، وَقِيْلَ : يَشْرَبُ مِنْهَا المقرّبُون ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَيُطَافُ عليهم بآنِيَةٍ من فِضَّةٍ ، وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيْرَ ، قَوَارِيْرَ مِن فِضَّةٍ ، قَدَّرُوها تقدِيْراً ، وَيُسْقَوْنَ فِيْهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيْلا ، عَيْنَاً فِيْهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيْلَا ، وَيَطُوفُ عليهم وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ، إِذَا رَأَيْتَهُم حَسِبْتَهُم لُؤْلؤاً مَنْثُورَا ﴾ بَعْدَ مَا أَخْبَرَ جَلَّ وَعَلا أنهُ وَقَاهُمْ شَرَّ ذلك اليَوْمِ ، فلا يَحْزُنُهم الفَزَعُ الأَكْبَرُ ، وَأَنَّهُ لَقَّاهُم نَضْرَةً في وُجُوهِهِم ، وسُرُوْراً في قُلُوبِهِم ، فَجَمَعَ لَهُمْ بَيْنَ النَّعِيمِ الظَّاهِرِ ، والنَّعِيْمِ البَاطِنِ ، وَأَنَّه ﴿ جزاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيْرَا ﴾ ، وأَنَّهُم في جَلْسَةٍ مُرِيْحَةٍ مُطْمَئِنَّةٍ ، وَالجَوُّ حَوْلَهُمْ رَخَاءٌ ناعِمٌ ، دَافِىءٌ في غَيْرِ حَرٍّ نَدِيٍّ ، في غَيْرِ بَرْدٍ ، فَلَا شَمْسَ تَلْهَبُ ،

ولا بَرْدٌ يَقْرسُ ، وَقَرِيْبَة أَغْصَانُها وَثِمَارُهَا مِن مُرِيْدِهَا يَنَالُه قَاعِداً أَو قائِماً ، أَخْبَرَ عَمَّا يَدُوْرُ بِهِ الوِلْدَانُ والخَدَمُ ، مِنْ الطَّعَام والشَّرَاب الذِيْ عَلى قَدْرِ رِيِّهِم ، لا يَـزِيْدُ عَنْهُ ولا يَنْقُصُ قَالَ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ وَاصِفاً لِطَعَامِهِم وَشَرابِهِمْ :

وَطَعَامُهُم ما تَشْتَهِيْهِ نُفُوسُهُم
ولُحُوْمُ طَيْرٍ نَاعِمٍ وسِمَانِ
وفَواكِهٌ شَتَّى بحَسْبِ مُنَاهُمُ
يا شِبْعَة كَمُلَتْ لِذِي الإِيْمَانِ
لَحْمٌ وخَمْرٌ والنِسَا وفَوَاكِهٌ
والطِّيْبُ مَعْ رَوْحٍ ومَعْ رَيْحَانِ
وصِحَافُهم ذَهَبٌ تَطُوفُ عَلَيْهِمُ
بأكفِ خُدَّامٍ مِن الوِلْدَانِ
وانْظُر إلىَ جَعْلِ اللَّذَاذَةِ لِلْعُيُو
نِ وشَهْوَةٍ لِلنَّفس في القُرآن
لِلْعَيْنِ منها لَذَةٌ تَدْعُو إلى
شَهَواتِها بالنَّفْسِ والأمَرانِ
سَبَبُ التَّنَاوُلِ وهو يُوجِبُ لَذَةً
أُخرى سِوَى مَا نَالَتِ العَيْنَان

اللهم ارْزُقْنَا حُبَّكَ وحُبَّ مَن يُحِبُّكَ وحُبَّ العَمَلِ الذي يُقَرِّبُنَا إلى حُبِّكَ ، اللَّهُم ثَبِّتْ إيمَانَنَا ثُبُوْتَ الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَوفقْنَا لِلْعَمَلِ بالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ واعْصِمْنَا يا مَوْلاَنَا عن المُحرَّمَاتِ والمُشْتَبِهَاتِ واغْفِرْ لَنَا جَمِيْعَ الخَطَايَا والزَّلاَّتِ وافْتَحْ لِدُعَائِنَا بابَ القَبُولَ والإجابَات يَا أَجْودَ الأجْوَدِين

اللَّهُمَّ امْنُنْ عَلَينا بإصْلاحِ عُيُوْبِنَا واجْعَلِ التَّقْوىَ زَادَنَا وفي دِيْنِكَ

اجتهادَنا وعليك توكّلنا واعتَمادُنا واغفرْ لنا ولوالِديْنا ولجميعِ المسلمينَ الاحياءِ منهم والميتينَ برحمتك يا أرحمَ الراحمينَ وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبهِ أجمعين .

(فَصْـــلٌ)

وَقَالَ تَعالَى ﴿ مَثَلُ الجَنَّةِ التِي وُعِدَ المتّقُونَ ، فِيْهَا أَنْهارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِن ، وَأَنْهارٌ مِنْ لبَنٍ لمْ يتَغيّـرْ طَعْمُهُ ، وَأَنهـارٌ مِنْ خَمْرٍ لَـذَةٍ للشَّارِبيْنَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَلهُم فيْهَا مِنْ كُلِّ الثّمراتِ ، ومَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهم ﴾ هَذا الكَلامُ اسْتِئْنَافٌ ، مَسُوْقٌ لِشَرْحِ محَاسِنِ الجَنَّةِ الموعُودِ بها المؤمِنين وبيَانِ كَيْفِيَّةِ أنْهَارِهَـا التِي أُشِـيرَ إلَيْهَا وَأَنَّها تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهِم ، فَقَال ـ مُفَسِّراً لذلِكَ ـ ﴿ فِيهَا أنهارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِن ﴾ أي غير مُتَغيِّرةِ الطَّعْمِ والرِّيـحِ واللوْنِ ، بَلْ هُوَ أعْذَبُ المِيَاهِ وَأَصْفَاها ، وَأطْيَبها وَألذَها شُرْبَا وَالثّاني ﴿ أنهَارٌ مِنْ لَبنٍ لمْ يتغيَّرْ طَعْمُه ﴾ لا بحُمُوْضَةٍ ولا غيْرِهَا .

الـثّالث ﴿ وَانْهَارٌ مِنْ خمْرٍ لَذةٍ للشَّارِبيْن ﴾ لمْ تُدنَسْهَا الأَرْجُلُ ، ولم تُكدِّرْهَا الأيْدِي ، وليْسَ فيها كـرَاهَةُ طَعْمٍ ولا رِيْـحٍ وَلا غائِلةُ سُكْر ، بْل يَلْتَذ شاربُها لَذّةً عظِيْمَةً ، لا كخَمْر الدنيا التِيْ يُكرَهُ مَذاقُهَا ، وَتَصْدَعُ الرَّأْسَ ، وَتُزيلُ العَقْلَ .

وَالرّابعُ ﴿ أنْهَارٌ من عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ أيْ قَدْ صُفِيَ عَنْ القَذَى وَالوَسَخ ، وَمَا يَكُونُ في عَسَلِ الدُنْيَا قَبْلَ تَصْفِيَتِهِ مِنْ الشَّمْعِ ، وَفَضَالاَتِ النّحل ، وَغيْرِهَا ، وَبُدِيء بالماءِ لأنهُ لا يُسْتَغْنَى عنهُ في الدنيا ، ثمَّ باللبَنِ لأنهُ يَجْرِي مَجْرَى الطَّعامِ لكثِيْرٍ مِنْ العَرب في غَالِب أَوْقَاتِهم ، ثمَّ بالخَمْرِ ، لِأَنهُ إذَا حَصَل

الرِّيُّ والشِّبَعُ تَشَوَّقَتْ النَّفْسُ لما يُسْتَلَذُّ بِهِ ، ثُمّ بالعَسَل لأنَّ فِيْهِ الشِّفَاءُ في الدنيا مِمّا يُمْرِضُ مِنْ المطعُوم وَالمَشْرُوبِ .

الخامِسُ ﴿ وَلهُم فيها مِنْ كُلّ الثّمَراتِ ﴾ أيْ وَلَهُم في الجَنَّةِ أَنْوَاعٌ مِنْ الثِّمَارِ المخْتَلِفةِ الطُّعُومِ وَالرَّوَائح وَالأشْكالِ ، مِنْ نَخيْلٍ وَأعْنَابٍ ، وَتُفَّاح وَرُمَّانٍ وَتِيْنٍ وغيْرِ ذلِكَ ، مِمّا لا نَظِيْرَ لهُ في الدُّنْيَا :
وَقَالَ ابْنُ القَيّم رَحِمَهُ اللهُ في شَرابِ أهْلِ الجَنّةِ .

يُسْقَونَ مِن خَمْرٍ لَذِيْذٍ شُرْبُهَا
بِالمِسْكِ أَوَّلُهُ كَمِثْلِ الثانِي
مِن خَمْرةٍ لَذَّتْ لِشَارِبِها بِلاَ
غَوْلٍ وَلا دَاءٍ ولا نُقْصَانِ
والخَمْرُ في الدُنيا فهذا وَصْفُهَا
تَغْتَالُ عَقْلَ الشَارِبِ السَّكْرَانِ
وبها مِنَ الأَدْوَاءِ مَا هِيَ أهْلُهُ
ويُخَافُ مِن عَلَامِ لِذِي الوِجْدَانِ
فَنَفَى لَنَا الرحمنُ أجْمَعَهَا عن الْـ
خَمْر التي في جَنَّةِ الحَيَوانِ
وشَرابُهم مِن سَلْسَبِيلٍ مَزْجُهُ الـ
كَافُورُ ذَاكَ شَرابُ ذِي الاحْسَانِ
هَذا شَرَابُ أولِى اليَمِيْن وَلَكِن الْـ
أبْرَارُ شُرْبُهم شَراب ثَانِي

يُـدْعَـى بتَسْنِيمٍ سَنَـامُ شَـرَابِهِـم
شُـرْبٌ الـمُـقَـرَّب خِـيْـرةِ الـرحـمـنِ
صَفَّى الـمُقَـرَّبُ سَعْيَـهُ فَصَفَـا لَـهُ
ذَاكَ الـشَّـرَابُ فَتِـلْكَ تَصْـفِـيَـتَـانِ
لَكِنَّ أصْحَـابَ اليَمِيْنِ فَـأَهْـلُ مَـزْ
جٍ بـالمُبَاحِ ولَـيسَ بالـعِصْيَان
مُـزِجَ الشَّرابُ لَهم كَمَـا مَـزَجُـوا هُمُ
أعْـمَـالَ ذَاكَ الـمَـزْجُ بـالـمِـيْـزَانِ
هـذَا وذُو الـتَّـخْـلِيْطِ مَـزْجـاً أمْـرُهُ
والـحُـكْـمُ فـيـه لِـرَبـنَـا الـدَّيـان

اللَّهمَ اكْتُبْ في قُلُوبِنَا الايمانَ وأيِّدْنَا بِنُوْرٍ مِنْكَ يا نُوْرَ السمواتِ والأرضِ اللَّهُمَ وافْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ والاجَابَةِ وأغفر لنا برحمتك الواسعة إنك أنت الغفور الرحيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَصْـلٌ)

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِم وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُم لُؤْلُؤاً مَنْثُورَا ، وَإذا رَأيْتَ ثمَّ رَأيْتَ نَعِيْماً وَمُلْكاً كَبِيْرَا عَالِيهُم ثِيَابُ سُنْدُسٍ ، خُضْرٍ وَاسْتَبْرق ، وحُلُّوا أساورَ مِنْ فِضّةٍ ، وسَقَاهُمْ رَبُّهم شَرَاباً طَهُورَا ، إنَّ هَذا كانَ لكُمْ جَزَاءً ، وَكانَ سَعْيُكُم مَشْكُورَاً ﴾ بَعْدَ أن ذكَرَ جَلَّ وَعَلاَ وَصْفَ أَوَانِيْ مَشْرُوبهِمْ، وَوَصَفَ مَشْرُوْبَهِمُ، ذَكَرَ أَوْصَافَ السُّقَاةِ الذيْنَ يَسْقُوْنَهُم ذلكَ الشَّرَابِ، وأنَّهُم وِلْدَانٌ مِنْ وِلْدَانِ الجَنَّةِ ، يأتُونَ عَلىَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ الشَّبَابِ وَالطَّرَاوَةِ والنَّظَارَةِ ، لا يَهْرَمُونَ وَلا يَتَغَيَّرُونَ ، وَلا تَضْعُفُ أجْسَامُهم عن الخِدْمَةِ ، وَإنَّكَ إذَا رَأَيْتَ هَؤلاءِ الولدَانِ . خِلْتَهُم لِحُسْنِ الوَانِهم ، وَنضَارَة وُجُوهِهم لُؤْلُؤاً

مَنْثُورا ، وَلَمَّا ذَكَرَ جَلَّ وَعَلا نَعِيْمَ أَهْلِ الجَنَّةِ ، ذَكَرَ أَنَّ هُنَاكَ أُمُورٌ عَالِيَةٌ عَظِيْمَةٌ ، يَعْنِي في الجَنَّةِ وَسعَتِهَا وَارْتِفَاعِهَا ، وَمَا فِيْهَا من المَسَاكِن ، والغرفِ المزيَّنَةِ المُزَخْرَفَةِ ، مِمَّا لا يُدْرِكُهُ الوَصْفُ ، وَلَدَيْهِ مِنْ البَسَاتِيْنِ الزَّاهِرَةِ ، وَالثِّمَارِ الدَّانِيَةِ ، وَالفَوَاكِهِ الشَّهِيَّةِ ، وَلُحُوم الطُّيُورِ الطَّرِيَّةِ ، والأَنْهَارِ التِيْ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلاَ عَنْهَا ﴿ فِيْهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّر طَعْمُه ، وَأَنهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِيْنَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَلَهُم فِيْهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ .

وقالَ في سُوْرَةِ الوَاقِعَةِ - مُخْبِراً عَمَّا هُمْ فِيْهِ مِنْ النَّعِيْمِ وَأَنَّهُم مَخْدُومُونَ في شرَابِهِم وطَعَامِهِم ، مَكْفِيُّونَ مؤْنَةَ مَا يُرِيْدُونَ (يَطُوفُ عَلَيْهِم وِلدَانٌ مُخَلدُونَ ، بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيْقَ ، وَكَأْسٍ مِنْ مَعِيْنٍ لا يُصَدَّعُوْنَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُوْنَ) وَبَعْدَ وَصْفِ الشَّرَاب ، وَصَفَ جَلَّ وعَلا الطَّعَامَ ، فقَالَ (وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ، وَلَحْم طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) ثُمَّ بَعْدَ ذِكْرِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ذكرَ نِسَاءَهُمْ فَقالَ (وحُوْرٌ عِيْنٌ ، كَأَمْثَالِ اللؤْلُؤِ المكْنُوْنِ) .

ثُمَّ ذَكَرَ السَّبَبَ في مُتْعَتِهِمْ بِكُلِّ هَذا النَّعِيْمِ فقَالَ (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فكمَا حَسُنَتْ مِنْهُم الأَعْمَالُ ، أَحْسَنَ اللهُ لَهُمْ الجزاءَ ، وَوَفَّرَ لهُم الفَوْزَ وَالنَّعِيمَ ، فَجَازَاهُمْ عَلَى مَا عَمِلُوا وَأَثَابَهُم بِمَا كَسَبُوا في الدُّنْيَا ، وَزَكَّوْا بِهِ أَنْفُسَهُم مِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ ، وَنَصَبُوا لَهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ عَلَى أَتَمِّ الوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا ، فهُمْ كَانُوا قَوَّامِيْنَ اللَّيْلَ ، صَوَّامِيْنَ النَّهَارَ ، كَانُوا قَلِيْلا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ، وَبالاسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُوْنَ ، وفي أَمْوَالِهِم حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالمَحْرُوْمِ) .

وَأَهْوَى مِنَ الفِتْيَانِ كُلَّ مُوَحِّدٍ   مُلازِمِ ذِكْرِ اللهِ في كُلِ سَّاعَةِ
لَهُ عِفَّةٌ عَن كُلِّ فِعْلٍ مُحَرَّمٍ   وذُوْ رَغْبَةٍ فِيمَا يُؤَدِّيْ لِجَنَّةِ

وبَعْدَ أنْ وَصَفَ نِساءَهُم وَصَفَ جَلَّ وَعَلا حَدِيْثَهُم حِيْنَئِذٍ فقالَ ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيْهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً ، إلا قِيْلاً سَلاماً سَلاماً ﴾ أيْ لا يَسْمَعُونَ في الجَنَّةِ اللَّغْوَ أيْ الهُرَاءَ مِنْ الحَدِيْثِ ، وَلَا هُجْرَ القَوْلِ ، وَمَا تَتقَزَّزُ مِنْهُ النُّفُوسُ الرَّاقِيَةُ ، ذاتُ الأخْلاقِ العَالِيَةِ وَلا يَسْمَعُونَ كلاماً يُؤْثِّمُ صَاحِبَه ، وَلَكن يَسْمَعُونَ أطْيَبَ الكلامِ وَهُوَ التَّسْلِيْمُ مِنْ بَعْضِهِم على بَعْضٍ ، وَذلك أنَّها دَارُ الطَّيِّبِيْنَ ، وَلَا يَكُونُ فِيْهَا إلَّا كُلُّ طَيِّب، وهَذَا دَلِيْلٌ على حُسْنِ أدَبِ أهْلِ الجَنَّةِ في خِطَابِهِم فِيْمَا بَيْنَهَم ، وَأنَّهُ أطْيَبُ السَّلامِ ، وَسَامِيْ الكلامِ ، مِمَّا يُسْتَسَاغُ ، كمَا قَالَ تعَالَى ﴿ تحِيَّتُهم فِيْهَا سَلامٌ ، وَآخِرُ دَعْواهُم أنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالمِيْنَ ﴾ .

ثُمَّ بَعْدَ أنْ ذَكَرَ حَالَ السَّابِقِيْنَ، وَبَيَّنَ مَالهُمْ مِنْ نَعِيمٍ مُقِيْمٍ في جَنَّاتِ النعِيْمِ ، أرْدَفَ ذلكَ بذِكْرِ أصْحَابِ اليَمِيْن فقَالَ ﴿ وَأصْحَابُ اليمين مَا أصْحَابُ اليَمين ؟ في سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ، وَمَاءٍ مَسْكوبٍ ، وَفَاكِهَةٍ كَثِيْرَةٍ ، لا مَقْطُوْعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ ، وفُرشٍ مَرْفُوعَةٍ ، إنَّا أنْشَأناهُنَّ إنشاءً فَجعَلْنَاهُنَّ أبْكَاراً ، عُرُباً أتْرَاباً ، لأصْحَابِ اليَمِين ﴾ فِفيها كُلُّ مَا تَشْتَهْيهِ النُّفُوسُ ، وَتلَذُّ الأعْيُنُ به ، مِنْ مَطَاعِمَ وَمَشَارِبَ ، ومَلابَسَ وَمَنَاكِحَ ، وَمَنَاظِرَ حسَنَةٍ ، ويرَى فيهَا الاشجَارَ الملتَفَّةْ ، وَالمَبانِيْ المُزَخْرَفَةْ ، ويرى فِيْهَا الرِّيَاضَ المُعْجَبة ، وَالطُّيُورَ المُطربَة المُشْجِيَة ، مَا يَأخُذُ بالقُلُوب ، وَيَسُرُّ النُّفُوسَ ويُفْرِحُهَا ، وتجِدُ الواحِدَ عِنْدَهُ مِنْ الزَّوْجاتِ اللَّاتِيْ في غَايَةِ الجَمَالِ ، الجَامِعَاتِ لِجَمَالِ الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ ، اللَّاتِيْ قَالَ اللهُ عَنْهُنَّ ﴿ فِيْهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ ما يَمْلؤُ القلْبَ سُرُوْرا وَلذَّةً وفَرحاً ، وَعِنْدهُ

مِنْ الخدَمِ وَالغِلْمَانِ المُخَلَّدِيْنَ مَا بِهِ تحْصُلُ الرَّاحَةُ وَالطُّمَأْنِيْنَةُ وَالأُنْسُ ، وَتَتِمُّ بِهِ لَذَّةُ العَيْشِ ، وَتَكمُلُ بِهِ الغِبْطَةُ ، وَفَوْقَ ذلكَ رِضَى بَدِيْعِ السَّموات وَالأَرْضِ ، وسَمَاعُ كلامِهِ ، وَلَذةُ القُرْبِ مِنْهُ ، وَالابْتِهَاجِ وَالسُّرُورِ برِضَاهُ ، وَالخُلُوْدُ الدَّائمُ الأبَدِيّ ، الخَالِيْ مِنْ المُكَدِّرَاتِ وَالمُنَغِّصَات ، وَتزايُدُ مَا هُمْ فيهِ مِنْ النَعِيْمِ المُقِيْمِ ، والعَيْشِ السَّلِيْمِ ، كُلَّ وَقْتٍ وَحِيْنٍ ، قَالَ ابْنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ ـ في صِفةِ عَرائِسِ الجَنَّةِ ، وَحُسْنِهِنَّ وَجَمَالِهِنَّ ، وَلذةِ وِصَالِهِنَّ وَمُهُورِهِنَّ : ـ

يَا مَن يَطُوفُ بكَعْبَةِ الحُسْنِ التي
حُفَّتْ بِذَاكَ الحِجْرِ والأَرْكَانِ

وَيَظَلُّ يَسْعَى دَائِماً بَيْنَ الصَّفَا
وَمُحَسِّرٌ مَسْعَاهُ لَا العَلَمَانِ

وَيَرُوْمُ قُرْبَانَ الوِصَالِ عَلى مِنى
والخَيْفُ يَحْجِبُه عن القُرْبَانِ

فَلِذَا تَراهُ مُحْرِماً أَبَداً وَمَوْ
ضِعُ حِلِّهِ مِنْهُ فَلَيْسَ بِدَانِي

يَبْغِي التَّمَتُّعَ مُفْرِداً عن حِبِّهِ
مُتَجَرِّداً يَبْغِي شَفِيْعَ قِرَانِ

فَيَظَلُّ بالجَمَراتِ يَرْمِي قَلْبَهُ
هَذِي مَنَاسِكُهُ وَكُل زَمَانِ

والنَاسُ قَد قَضُّوْا مَناسِكَهم وَقَدْ

حَـثُـوا رَكـائِـبَـهـم إلـى الأَوْطَـانِ
وَخَـدَتْ بـهِـم هِـمَـمٌ لَـهُـمْ وَعَـزائِـمٌ
نَـحْـوَ الـمَـنَـازِلَ أَوَّلَ الأَزْمَـانِ
رُفِعَتْ لَهُمْ في السَيْـرِ أَعْـلَامُ الـوصَـا
لِ فَـشَـمَّـرُوْا يَـا خَـيْـبَـةَ الـكَـسْـلَانِ
وَرَأوا عَـلى بُـعْـدٍ خِـيَـامَـاً مُـشْـرِفَـا
تٍ مُـشْـرِقَـاتِ الـنُّـوْرِ والـبُـرْهَـانِ
فَـتَـيَـمَـمُـوا تِـلْكَ الـخِـيَـامَ فـآنَـسُـوْا
فِـيْـهِـنَّ أَقْـمَـاراً بِـلاَ نُـقْـصَـانِ
مِن قَـاصِـراتِ الـطَّرْفِ لا تَبْغِي سِوَى
مَـحْـبُـوبِـهـا مِـن سَـائِـر الـشُّـبَّـانِ
قَـصَـرَتْ عَليـهِ طَـرْفَـهَـا مِن حُـسْـنِـهِ
والـطَرَفُ فـي ذَا الـوَجْـهِ لِـلنِّـسْـوَانِ
أَوْ أَنَّـهَـا قَـصَـرَتْ عَـليـهِ طَـرْفَـهُ
مِن حُـسْـنِـهَـا فـالـطَّرْفُ لِلذُكْـرانِ
والأَولُ الـمَـعْـهُـودُ مِن وَضْـعِ الـخِـطَا
بِ فـلا تَـحُـدْ عَـن ظَـاهِـرِ الـقُـرْآنِ
وَلَـرُبَّـمَـا دَلَّـتْ إشَـارَتُـه عَـلَى الـثَّـ
ـانِـي فَـتِـلْكَ إشَـارَةٌ لِـمَـعَـانِـي
هَـذَا وَلَيْسَ الـقَـاصِـراتُ كَـمَنْ غَـدَتْ

مَقْصُورةً فَهُمَا إذاً صِنْفَانِ

يَا مُطْلِقَ الطَّرْفِ المُعَذَّبِ في الأُلَى
جُرِّدْنَ عن حُسْنٍ وَعَن إحْسَانِ

لا تَسْبِيَنَّكَ صُوْرَةٌ مِن تَحْتِهَا الدَّ
دَاءُ الدَّفِيْنُ تَبُوءُ بالخُسْرَانِ

قَبُحَتْ خَلائِقُهَا وَقُبِّحَ فِعْلُهَا
شَيْطَانَةٌ في صُوْرَةِ الإنْسَانِ

تَنْقَادُ لِلأَنْذَالِ والأَرْذَالِ هُمْ
أكْفَاؤُهَا مِن دُونِ ذِي الاحسانِ

ما ثَمَّ مِن دِيْنٍ ولا عَقْلٍ ولا
خُلُقٍ ولا خَوفٍ مِن الرحمنِ

وَجَمَالُها زورٌ وَمَصْنُوعٌ فإنْ
تَرَكْتُه لم تَطْمَح لَها العَيْنَانِ

طُبِعَتْ على تَرْكِ الحِفَاظِ فَمَالَهَا
بِوَفَاءِ حَق البَعْلِ قَطُّ يَدَانِ

إن قَصَّرَ الساعِي عَلَيْهَا سَاعَةً
قَالَتْ وَهَلْ أَوْلَيْتَ مِنْ إحْسَانِ

أَو رَامَ تَقْوِيماً لَهَا اسْتَعْصَتْ ولَمْ
تَقْبَلْ سِوى التَّعْوِيْجِ والنُّقْصَانِ

أَفْكَارُهَا في المَكْرِ والكيدِ الذي

قَـدْ حَـارَ فِـيـهِ فِـكْـرَةُ الانـسـانِ
فَـجَـمَـالُـهـا قِشْـرُ رَقِـيْـقٌ تَـحْـتَـهُ
مـا شِئْتَ مِن عَيْبٍ ومِن نُقْصَـانِ
نَـقْـدٌ رَديءُ فَـوْقَـهُ مِـن فِـضَّـةٍ
شـيءُ يُـظَنُ بـه مِـن الأَثْـمَـانِ
فـالـنَّـاقِـدُوْنَ يَـرْوَنَ مَـاذَا تَـحْـتَـهُ
والنـاسُ أَكْـثَـرُهُـم مِن الـعُـمْـيَـانِ
أَمَّـا جَـمِيْـلاَتُ الـوُجُـوهِ فَـخَـائِنَـا
تُ بُـعُـولَـهِـنَّ وَهُـنَّ لِـلأَخْـدَانِ
والـحَـافِـظَاتُ الـغَيْب مِنْهُنَّ التـي
قَـدْ أَصْـبَـحَـتْ فَـرْدَاً مِنْ الـنِـسْـوَانِ
فـانْظُرْ مَصَـارِعَ مَن يَلِيْـكَ وَمَن خَـلا
مِن قَبْـلُ مِن شِيْـبٍ ومِن شُـبَّـانِ
وارْغَـبْ بِعَـقْلِك أن تَبِيْـعَ الـغَـالِي الْـ
بَـاقِي بِـذَا الأَدْنَى الـذِي هُـو فَـانِـي
إنْ كَـانَ قَدْ أَعْيَـاكَ خُـودٌ مِثْـلَ مَـا
تَـبْـغِـي وَلَـم تَـظْفَـرْ إلَـى ذَا لآنِ
فـاخْطُبْ مِن الـرحمن خُـوْداً ثُمَّ قَـدْ
دِمْ مَـهْـرَهَـا مَـا دُمْـتَ ذَا إِمْـكَـانِ
ذَاكَ الـنِكـاحُ عَـلَيْـكَ أَيْسَـرُ إن يَكُـنْ

لَـكَ نِـسْـبَـةٌ لِـلْعِـلْمِ والإيْـمَـانِ

والـلهِ لـم تُـخْـرَجْ إلى الـدُّنْـيَـا لِـلَّذْ
ذَةِ عَـيْشِـهَـا أَوْ لِلْحُـطَام الـفَـانِـي

لَكِنْ خَـرَجْـتَ لِكَـيْ تُعِـدَّ الـزَّاد لِلْ
أُخْـرَى فَـجِئْـتَ بِـأَقْبَـحِ الـخُـسْـرَانِ

أَهْمَلْتَ جَمْـعَ الـزَّادِ حَتَّى فَـاتَ بَـلْ
فَـاتَ الـذِيْ أَلْـهَـاكَ عَـن ذَا الـشَّـان

وَالـلَّهِ لَـو أَنَّ القُـلُوبَ سَلِيْـمَـةٌ
لَـتَـقَـطَّعَـتْ أسفـاً مِـن الـحِـرْمَـانِ

لكنَّهـا سَكـرى بِـحُـبِ حَـيَـاتِهَـا الـدُّ
نْـيَـا وَسَـوْفَ تَـفِـيْـقُ بَـعْـدَ زمـانِ

اللهُم ثَبِّتْ مَحَبَّتَك في قُلُوبِنَا ثُبوتَ الجِبَال الرَّاسِيَاتِ وَجَنِّبْنا الخَطَايَا وَالذّنُوبَ المُوبقَاتِ وَوَفِّقْنا لِلعَمَلِ بالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرك في جَمِيْعِ الأَوْقَاتِ وَزَحْزِحْنا عَنْ النّارِ وَأَدْخِلْنَا فَسِيْحَ الجَنَّاتِ يا رَفِيْعَ الدَّرَجاتِ

اللهم أعِنَّا على ذِكْرِكَ وحُسْن عِبَادَتِكْ ، وتِلاوَةِ كِتَابِكْ ، واجْعَلْنَا مِن حِزْبِكَ المُفْلِحِيْنَ ، وأَيِّدْنَا بجُنْدِكَ المنصُورين . وأرْزُقْنَا مُرافَقَة الذِيْنَ أَنْعَمْتَ عليهم من النبيين والصِّدِيقين والشهداء والصَّالحين . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فَصْـــلٌ »

وَبَعْدَ أَنْ وَصَفَ اللهُ جَلَّ وَعَلا شَرَابَ أَهْل الجَنَّةِ وَآنِيَتَهُ ، وَمَا هُمْ فِيْهِ مِنْ النَّعِيْم ، وَصَفَ مَلَابِسَهُم بِقَوْلِهِ ﴿ عَالِيَهُم ثِيَابُ سُنْدسٍ خُضْرٍ ﴾ وَذكَرَ بَعْدَهُ حُلِيَّهُم فقَالَ ﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ وفي سُوْرَةِ فَاطِر يَقُولُ

جُـلَّ وَعَلا ﴿ يُحَلَّوْنَ فِـيْهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً ، وَلِبَاسُهُمْ فِيْهَا حَرِيْرٌ ﴾ .

وَقَالَ فِي الآيَةِ الأُخْرَى ﴿ إِنَّ المتَّقِيْنَ فِي مَقَام أَمِيْنٍ ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيونٍ ، يَلبَسُونَ مِنْ سُنْدُس وَاسْتَبْرقٍ مُتَقابلين ، كذلكَ وَزوَّجْنَاهُم بحُور عِيْن ﴾ الخ وقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِل ﴿ إِنَّ الذيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات إِنَّا لاَ نُضيْعُ أَجْرَ مَن أَحْسَنَ عَمَلا ، أُولَئِكَ لَهُم جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِيْ مِن تَحْتِهِم الأَنْهَارُ ، يُحَلَّوْنَ فيها من أَسَاوِرَ مِن ذَهَب ، ويَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ واسْـتَبْرَقٍ ، مُتَّكِئِيْنَ فِيْهَـا عَلَى الأَرَائِك ، نِعْمَ الثَّـوَابُ ، وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقَا ﴾ فَفِيْ آيَةِ سُوْرَةِ الدُّخَانِ ذكرَ جَلَّ وَعَلاَ مِنْ ضُرُوبِ نَعِيْمِهم خَمْسَةَ أَلْوَانٍ :

١ ـ مَسَـاكِنَهم فَقَالَ ﴿ فِي مَقَـامٍ أَمِيْنٍ ، فِي جَنَّاتٍ وعُيُـونٍ ﴾ وَالمَسْكَنْ يَطِيْبُ بأَمْرَيْنِ .

« أ » أَنْ يَكُونَ السَّاكِنُ فيهِ آمِناً من جَمِيْعِ مَا يَخافُه وَيَحْذَرُ مِنْهُ ، وَهُوَ المَقَامُ الأَمِيْنُ .

«ب» أَنْ يَكُونَ فيْهِ أَسْبَابُ النُّزْهَةِ مِنْ الجَنَّاتِ وَالعُيُونِ ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﴿ فِيْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ .

٢ ـ مَـلاَبِسَهم وَهِيَ التِيْ ذَكَرَهَـا بِقَوْلِـهِ ﴿ يَلْبَسُونَ من سُنْدُسٍ واسْتَبْرَقٍ ﴾ .

٣ ـ اسْتِئْنَاسَ بَعْضِهِم بِبَعْضٍ ، بِجُلُوسِهِم عَلَى جِهَةِ التَّقَابُلِ وَهُوَ ما أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِه ﴿ مُتَقَابِلِيْنَ ﴾ .

٤ ـ الأزْوَاجَ وَهُوَ المُشَارُ إليْهِ بقوْلِهِ ﴿ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُـوْرٍ عِيْنٍ ﴾

٥ ـ المَأْكُولُ كَمَا في قَوْلِهِ ﴿ يَدْعُوْنَ فيهَا بكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِيْنَ ﴾ هَذَا جَزَاءُ المُتَّقِيْنَ لِلّهِ ، الذيْنَ تَجَنَّبُوا مَا يُسْخِطُهُ مِنْ المَعَاصِيْ ، وَفَعلُوا مَا يُرْضِيْهِ منْ الطَّاعَاتِ ، وَبَعْدَ أَنْ وَصَفَ مَا هُمْ فِيْهِ مِنْ نَعِيْمٍ مُقِيْمٍ ، بَيّنَ أَنَّ حَيَاتَهُم في هَذَا النَّعِيْم مُسْتَمِرَّةٌ دَائِمَةٌ لَا يَلْحَقُها مَوْتٌ وَلَا فَنَاءٌ ولا انْقِطَاعٌ فقالَ ﴿ لَا يَذوقُونَ فِيْهَا المَوْتَ إلَّا المَوْتَةَ الأُوْلَى ، وَوَقَاهُم عذَابَ الجَحِيْم ﴾ فَلَا يَخْشَوْنَ في الجَنّةِ مَوْتاً وَلَا فَنَاءً أَبداً ، فَفِيْ الصَّحِيْحَيْنِ أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسَلم قالَ « يُؤْتَى بالمَوْتِ في صُوْرَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ ، فيُوقَفُ بيْنَ الجَنَّةِ وَالنّارِ ، ثُم يُذبَحُ ثمّ يُقالُ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلوْدٌ فلا مَوْتَ ، ويَا أَهْلَ النَّارِ خلُود فلا مَوْتَ » وَرَوَى أَبو هُرَيْرَةَ وَأَبُو سَعِيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّم قالَ « يُقالُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ إنَّ لَكُم أَنْ تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أَبَدا وَأَن لكُم أنْ تَعِيْشُوا فلا تَمُوتُوا أَبَدا ، وَإنَّ لَكُم أنْ تَنْعَمُوا فلا تَبْأَسُوا أَبَدا ، وَإنَّ لَكُم أنْ تَشُبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدا » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَمَعَ هذا النَّعِيمِ ، فَقَدْ نَجَّاهُمْ مِنْ عَذَابِ الجَحِيْمِ ، تَفَضُّلاً مِنْهُ وَاحسَانًا ، فاعْطَاهُم مَا يَطْلُبُوْنَ ، وَنَجَّاهُمْ مِمَّا يَرْهَبُونَ وَهَذَا هُوَ الفَلاَحُ وَالفَوْزُ العَظِيْمُ .

قَالَ ابْنُ القَيِّم

أَوَ مَـا سَـمِعْـتَ بِـذَبْحِـهِ لِـلْمَـوتِ بَيْـ
نَ المَنْـزِلَـيْن كَـذَبْـحِ كَبْشِ الضَّـانِ

حَـاشَـا لِـذَا المَلَكِ الكَـريمِ وَإنَّـمَـا
هُـوَ مَـوْتُنَـا المَـحْـتُـومُ لِـلإنْـسَـانِ
وَاللَّهُ يُنْشِـيءُ مِنْـهُ كَبْـشاً أمْلَحـاً
يَـومَ الـمَـعَـادِ يُـرَى لَـنَـا بِـعِـيَـان

وَقالَ رَحِمَهُ اللّهُ :

هَـذَا وَخَـاتِمَـةُ النَّعِيْـمِ خُـلُودُهُـم
أَبَـداً بِـدَارِ الأَمْـنِ وَالـرِّضْـوَانِ

أو مـا سَـمِعْـتَ مُـنَـادِيَ الايـمـانِ
يُـخْبِـرُ عَـنْ مُنَـادِيـهم بِـحُسْنِ بَيَـانِ
لَـكُمُ حَـيَـاةٌ مَـا بِـهَـا مَـوتٌ وعـا
فِـيَـةٌ بِـلا سُـقْـمٍ ولا أَحْـزَانِ
وَلَـكُـمْ نَـعِـيْـمٌ مـا بـه بُـؤْسٌ وَمَـا
لِـشَـبَـابِـكُـم هَـرَمٌ مَـدَى الأَزْمَـانِ
كَـلَّا ولا نَـومٌ هُـنَـاكَ يَـكُـونُ ذا
نَـوْمٌ ومَـوْتٌ بَـيْـنَـنَـا أَخَـوانِ
هَـذَا عَـلِمْنَـاهُ اضْـطِرَاراً مِـن كِـتَـا
بِ اللهِ فَـافْـهَـمْ مُـقْـتَـضَـى الـقُـرآنِ

وَنَعُودُ إِلَى لِبَاسِ أَهْلِ الجَنَّةِ والكلامِ عَلَيْهِ .

فلِبَاسُ أَهْلِ الجَنَّةِ في الجَنَّةِ الحَرِيْرُ ، وَمِنْهُ سُنْدُسٌ ، وَهُوَ رَفِيْعُ

الدِّيبَاجِ ، لِلْقُمْصَانِ وَالغَلائِلِ ، وَنَحْوِهَا مِمَّا يَلِي أَبْدَانَهُم ، والاسْتَبْرَقُ هُوَ غَلِيْظُ الدِّيْبَاجِ لامِعُهُ ، مِمَّا يلي الظَّاهِرَ ، كَمَا هُوَ المَعْهُودُ في لِبَاسِ الدنْيَا ، وَأَمَّا الحُلِيّ فَقِيْلَ إِنَّ صِفَةَ حُلِيّ الأَبْرَارِ أَنَّهُ مِنْ فِضَّةٍ وَصِفَةُ حُلِيّ المُقَرَّبِيْنَ مِنْ ذَهَبٍ ، وَقِيْلَ لِأَنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَلْبَسُونَ هَذَا تَارَةً والآخرَ تَارَةً ، وقَدْ يَجْمَعُوْنَ بَيْنَهُمَا واللهُ أَعْلَمُ وَصَلى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ ذَكَرَ جَلَّ وَعَلا وَتَقَدَّسَ أَنَّهُم يُسْقَوْنَ شَرَاباً آخرَ طَهُوراً قِيْلَ طَاهِرٌ مِن الأَقْذَارِ والأَقذاءِ ، لَمْ تُدَنِّسْهُ الأَيْدِيْ والأَرْجُلُ ، كَخَمْرِ الدنيا وَقِيْلَ إِنَّه لا يَصِيْرُ بَوْلاً نَجِساً وَلَكِنَّهُ يَصِيْرُ في أَبْدَانِهِم كَرِيْحِ المِسْكِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُم يُؤْتَوْنَ بِالطَّعَامِ فَيَأْكُلونَ ، فإذا كَانَ آخِرُ ذلك أُتُوا بالشَّرَابِ الطَّهُورِ فَيَشْرَبُونَ ، فَتَطْهُرُ بُطُوْنُهم ، وَيَصِيْرُ مَا أَكلُوا رَشْحاً ، يَخْرُجُ مِن جُلُودِهِم أَطْيَبَ مِنَ المِسْكِ الأَذْفَرِ ، وَتَضْمُرُ بُطونُهم ، وَتَعُودُ شَهْوَتُهم ، وَقَالَ مُقَاتِلُ : هُوَ عَيْنُ مَاءٍ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ ، مَنْ شَرِبَ منها نَزَعَ اللهُ ما في قَلْبِه مِنْ غِلّ وَغِشّ وَحَسَدٍ ، وعَنْ أَمِيْرِ المؤمِنِيْنَ عَلِيّ بْن ابي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا انْتَهَى أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى بابِ الجَنَّةِ وَجَدُوا هُنَالِكَ عَيْنَيْنِ ، فَكَأَنَّمَا أُلْهِمُوا ذَلِكَ ، فَشَرِبُوا مِنْ إِحْدَاهُمَا ، فَأَذْهَبَ اللهُ مَا فِي بُطُونِهِم مِنْ أَذَى ، ثُمَّ اغْتَسَلُوا مِنَ الأُخْرَى ، فَجَرَتْ عَلَيهم نَضْرَةُ النَّعِيْمِ ، فأخبرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِحَالِهِم الظَّاهِرُ ، وَجَمَالِهِم البَاطِنِ ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ في شُغُلٍ فاكِهُونَ ، هُمْ وَأَزْوَاجُهم في ظِلالٍ على الأَرَائِكِ مُتكِئُونَ ، لَهُم فِيْهَا فاكِهَةٌ ، وَلَهُم مَا يَدَّعُونَ سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيْمٍ ﴾ في هَذِه الآياتِ يُخْبِرُ جَلَّ وَعلا عَن أَهْلِ الجَنَّةِ ، أَنَّهم يَوْمَ القِيَامَةِ اذا ارْتَحَلُوا مِن العَرَصَاتِ ، فنزَلُوا في رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ ، أَنَّهُم في شُغُلٍ مُفَكِّهٍ لِلنَّفْسِ ، مُلِذٍ لَهَا ، مِنْ كُلِّ ما تَهْوَاهُ

النُفوسُ ، وتَلَذهُ العُيونُ ، قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيّ وَاسْمَاعِيْلُ بْنُ خالِد : في شُغُلٍ عَمَّا فيهِ أَهْلُ النَّارِ مِن العَذَابِ ، وَقَالَ ابنُ مَسْعُودٍ وابْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيْدُ بْنُ المَسَيّبِ وَعِكْرِمَةُ وَالحسَنُ وَقَتَادَة والأعْمَشُ وسُلَيْمَانُ التَيمِيّ والاوْزَاعِيّ شَغَلَهُم إفتِضَاضُ الأبكار .

والخُلاَصَةُ أنّ مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ يَتَمتَّعُ بِنَعِيْمِهَا ولَذاتِهَا ، وَيَكُونُ بذلكَ في شُغُلٍ عَمَّا سِوَاهُ ، إِذْ يَرَى مَا لا عَيْنٌ رَأتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ ، فَأنَى لَهُ أنْ يُفكِّرَ فيْمَا سِوَاهُ وَهُو بذلكَ فرحٌ مُسْتَبْشِرٌ ، ضَحُوكُ السِّنِّ ، هَادِيءُ البَالِ ، لا يَرى شَيْئاً يَغُمُّهُ ، أو يُنَغِّصُ عليهِ حُبُورَهُ وَسُرُورَهُ ،

وَلَقَدْ رَوَيْنا أنَّ شُغْلَهُم الـذِي ... قَدْ جَـاءَ في يس دُوْنَ بيـانِ
شُغُلُ العَرُوسِ بِعِرسِـهِ مِن بَعدِمَا ... عَبِثَتْ به الأشْوَاقُ طُوْلَ زَمَـانِ
بالله لا تَسْـألْهُ عَنْ أشْغَالِـهِ ... تِلكَ اللَّيالِي شَـأنُه ذُو شَـانِ
وَاضرِبْ لَهُم مَثَلاً بصَبٍ غَابَ عن ... مَحْبُوبِهِ في شَاسِـعِ البُلْـدَانِ
والشَّوْقُ يُزْعِجُـهُ إليهِ وَمَالَـهُ ... بِلِقَائِهِ سَـبَبٌ مِن الإمْكَـانِ
وَافَي إليهِ بَعدَ طُولِ مَغِيْبِـهِ ... عنه وَصَارَ الوَصْـلُ ذَا إمْكَـانِ
أتَلُومُه أنْ صَـارَ ذا شُغْلٍ بِـهِ ... لا والذي أعْطَى بِـلا حُسْبَـانِ
يا ربُّ غَفْـراً قد طَغَتْ أقْلاَمُنَـا ... يا ربُّ مَعْـذِرَةً مِن الطُغْيَـانِ

اللّهُمَّ اعْطِنَا مِنْ الخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُوْ وَاصْرِفْ عَنَّا مِنْ السُّوْءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوْبَنَا بِرَجَائِكَ وَاقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوْبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمَ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيْرًا يَا رَبُّ العَالَمِيْنَ اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوْكِ سَبِيْلِ عِبَادِكَ الأَخْيَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأحْيَاءِ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ

« فَصْــلٌ »

قَالَ تَعَالَى ﴿ يَا عِبَادِي لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ اليَوْمَ ، وَلاَ أَنْتُم تَحْزَنُونَ ، الذين آمَنُوا بآيَاتِنا ، وَكانُوا مُسْلِمِيْنَ ، ادْخُلُوا الجَنَّةَ أنتُم وَأَزْوَاجُكم تُحْبَرُونَ ، يُطَافُ عليهم بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ، وفيها مَا تَشْتَهِيْهِ الأنفُسُ ، وَتَلَذُّ الاعْيُنُ ، وأنتُمْ فيْهَا خالِدُونَ ، وَتِلكَ الجَنَّةُ التِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتم تَعْمَلُونَ . لكُم فيها فاكِهَةٌ كَثِيْرَةٌ ، مِنْهَا تَأكُلُون ﴾ يذكرُ جَلَّ وَعَلا مَا يَتَلَقَى بِهِ عِبادَه المؤمنِينَ ، المُتَحَابِّيْنَ فيهِ ، تَشْرِيْفاً لهُم وَتَكْرِيْماً ، وَتَسْكِيْناً لِرَوْعِهم ، مِمَّا يَكُونُ في ذَلِكَ اليَــوم مِنْ الأَهْوَالِ وَالكُرُوْبِ والشَّدَائِد ، فقالَ ﴿ يا عِبادِي ﴾ الآيةَ ثم بيَّن مَنْ يَسْتَحِقُّ هَذَا النِّدَا فقالَ ﴿ الذيْنَ آمَنُوا بآيَاتِنَا وكانُوا مُسْلِمِيْنَ ﴾ فَعِنْدَمَا يَسْمَعُ النَّاسُ المُنادِي يُنَادِيْ بالآيةِ الأُولَى ، وَهِيَ قَوْلُهُ ﴿ يا عِبادِي لا خَوْفٌ عليكُم اليَوْمَ ، وَلاَ أَنْتُم تَحْزَنُونَ ﴾ يَرْجُوهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ فإذا سَمِعُوا الآيَةَ التِي تَلِيْهَا يَئِسَ النَّاسُ منها غَيْرُ المؤمِنينَ ثم ذَكَرَ ما يُقالُ لهُم على سَبِيْلِ البُشْرَى ﴿ ادخلوا الجنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكم تُحْبَرُون ﴾ وبعدَ ذَلِكَ ذكرَ طَرَفاً مِمَّا يَتَنَعَّمُونَ بهِ مِنْ النَّعِيْم ، فقَالَ ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ أي وَبَعْدَ أَنْ يَسْتَقِرُّوا بالجَنَّةِ ، وَيَهْدَأُ رَوْعُهم ، تَدُوْرُ عليهم خُدَّامُهم مِنْ الوِلْدَانِ المُخَلَّدِيْنَ ، بِصِحَافٍ مِنْ الذَّهَبِ ، مُتْرَعَةٌ بأَلْوَانِ الأَطْعِمَةِ ، وَبِأَكْوَابٍ فِيْهَا أَصْنَافُ الشَّرَابِ ، مِمَّا لَذَّ وَطَابَ .

وَعَنْ أَنَسٍ قالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يُعْجِبُهُ الرُّؤْيَا ، فَرُبَّما رَأَى الرَّجُلُ الرُّؤْيَا ، فَيَسْأَلُ عَنْهُ إذا لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ ، فإذا أُثْنِيَ عَلَيْهِ مَعْرُوفٌ كانَ أَعْجَبَ لِرُؤْيَاهُ إِلَيْهِ ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فقالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْتُ

كأنّي أُتيتُ ، فاخرجتُ مِنْ المَدِيْنةِ ، فَأُدْخِلْتُ الجنَّةَ ، فسَمِعْتُ وَجْبَةً ، انْفَتَحتْ لَهَا الجَنَّةُ ، فَنَظَرْتُ فإذا فلانٌ وفلانٌ وفُلانٌ ، فَسَمَّتْ اثنى عَشَرَ رَجُلاً كَانَ رسولُ الله صلى اللهُ عليه وَسَلم قَدْ بَعَثَهُم في سَرِيَّةٍ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَجِيْءَ بِهِم ، عليْهم ثِيَابٌ طُلْسٌ ، تَشْخَبُ أوْداجُهُم، فَقِيْلَ اذْهَبُوا بِهم إلى نَهْرِ البَيْذخِ ، فَغَمِسُوا فِيْهِ . فخرَجُوا وَوُجُوهُهم كالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، فَأُتُوا بِصَحْفَةٍ من ذَهَبٍ ، فِيْهَا بُسْرٌ ، فأكلوا مِنْ ذَلِكَ البُسْرِ مَا شَاؤُا ، فَمَا يَقْلِبُونَها مِنْ وَجْهٍ إلاَّ أَكلُوا مِنْ الفاكِهَةِ مَا أَرَادُوا ، وَأَكلْتُ مَعَهُم ، فَجاءَ البَشِيْرُ مِنْ تِلْكَ السَّرِيّةِ ، فقالَ أُصِيْبَ فلانٌ وَفُلانٌ ، حتى عَدَّ اثْنى عَشَرَ رَجُلاً ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم المرْأَةَ ، فقال قُصِّي رُؤْيَاكِ ، فَقَصَّتْهَا وَجَعَلتْ تَقُولُ جِيْءَ بِفُلانٍ وَفُلانٍ ، كَمَا قالَ ، رَوَاهُ الامَامُ أَحْمَدُ في مُسْنَدِه بِنَحْوِهِ ، واسْنَادُه عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ .

وَبَعْدَ هَذَا التَّفْصِيْلِ لِبَعْضِ مَا في الجَنَّةِ من نَعِيْمٍ ، عَمَّمْ في ذَلِكَ فَقَالَ ﴿ وَفِيْهَا مَا تَشْتَهِيْهِ الأَنْفُسُ ، وَتَلَذُّ الأعْيُنُ ، وَأَنْتُم فِيْهَا خَالِدُوْنَ ﴾ فَفِيْهَا مَا تَشْتَهِيْهِ أَنْفُسُ أَهْلِهَا مِنْ صُنُوفِ الأطْعِمَةِ وَالاشْرِبَةِ والأَلْبِسَةِ ، والأَشْيَاءِ المَعْقُولَةِ وَالمَسْمُوعَةِ ، وَنَحْوِهَا مِمَّا تَطْلُبُهُ النُّفُوسُ وَتَهْوَاهُ ، كائِناً مَا كَانَ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ للمُتَّقِيْنَ مَفَازاً ، حَدَائِقَ وَأَعْنَابَا ، وَكَواعِبَ أَتْرَابَا ، وَكَأْسَاً دِهَاقَا ﴾ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ جَلَّ وَعَلا حَالَ المُجْرِمِيْنَ المكذِّبِيْنَ الطَّاغِيْنَ ، أَعْقَبَهُ بِمَآلِ المتَّقِيْنَ ، وَمَا يَفُوزُونَ بِهِ مِنَ الجَنَّاتِ التِيْ وَصَفَهَا ، وَوَصَفَ مَا فِيْهَا ، وَذَكَرَ أَنَّها عَطَاءٌ مِنْهُ ، فَفِي ذِكْرِهَا اسْتِنْهَاظٌ ، وَحَثٌّ لِعَوالِيْ الهِمَمْ ، بِدَعْوَتِهم إِلَى المُثابَرَةِ عَلى الطَّاعاتِ والازْدِيَادِ مِنْهَا ، وفي تذكُرِ مَا في هَذَا المَفَازِ والمَنْجَى البَعِيْدِ عَنْ النَّارِ ،

والزَّوْجَاتِ الكَوَاعِبِ ، اللاتِي عَلَى سِنٍّ وَاحِدٍ مُتَقَارِبٍ ، ما يَمْنَعُ ذا اللبُّ مِنْ الانهِمَاكِ في الدُّنْيَا وَلذاتِها ، وَقَتْلِ الأَوْقَاتِ في طَلَبِهَا وَتَحْصِيْلِهَا .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فَصْلٌ فِيْمَا أَعَدَّ اللهُ لأَوْلِيَائِهِ المُتَمَسِّكِيْنَ بالكِتَابِ والسُّنَّةِ .

يَا خَاطِبَ الحُورِ الحِسَانِ وَطَالباً
لِوِصَالِهِنْ بِجَنَّةِ الحَيَوانِ
لَو كُنْتَ تَدْرِي مَن خَطَبْتَ وَمَن طَلَبْـ
ـتَ بَذَلْتَ ما تَحْوِي مِنَ الأَثْمَانِ
أَوْ كُنْتَ تَدْرِي أَيْنَ مَسْكَنُهَا جَعَلْـ
ـتَ السَّعْيَ مِنْكَ لَهَا عَلَى الأَجْفَانِ
وَلَقَدْ وَصَفْتُ طَرِيْقَ مَسْكَنِهَا فَإِنْ
رُمْتَ الوِصَالَ فَلا تَكُنْ بالوَانِي
أَسْرِعْ وَحُثَّ السَيْرَ جَهْدَكَ إِنَّمَا
مَسْرَاكَ هَذَا سَاعَةٌ لِزَمَانِ
فاعْشِقْ وَحَدِّثْ بالوِصَالِ النَّفْسَ وَابْـ
ـذِلْ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذا إِمْكَانِ
واجْعَلْ صِيَامَكَ قَبْلَ لُقْيَاهَا وَيَوْ
مَ الوَصْلِ يَوْمَ الفِطْرِ مِن رَمَضَانِ
واجْعَلْ نُعُوتَ جَمَالِهَا الحَادِي وسِرْ
تَلْقَى المَخَاوُفَ وَهِيَ ذَاتُ أَمَانِ

لاَ يُلْهِيَنَّكَ مَنْزِلٌ لَعِبَتْ بِهِ
أَيْدِي البِلاَ مِن سَالِفِ الأَزْمَانِ
فَلَقَد تَرَحَّلَ عَنه كُلُّ مُسَرَّةٍ
وَتَبَدَّلَتْ بالهَمِّ والأَحْزَانِ
سِجْنٌ يَضِيْقُ بِصَاحِبِ الإيمانِ لا
كِنْ جَنةُ المَأْوَى لِذِي الكُفْرانِ
سُكَّانُها أَهْلُ الجَهَالَةِ والبَطَا
لَةِ والسَّفَاهَةِ أَنْجَسُ السُّكَانِ
وَأَلَذُهُم عَيْشاً فَأَجْهَلُهُم بِحَ
قِ اللهِ ثم حَقَائِقِ القُرآنِ
عَمَرتْ بِهِم هَذِي الدِيارُ وَأَقْفَرَتْ
مِنهم رُبُوعُ العِلْمِ والايمانِ
قَد آثَرُوا الدُنْيا ولَذَةَ عَيْشِهَا الْـ
فَانِي على الجناتِ والرِضوانِ
صَحِبُوا الأمانِيَ وابْتُلُوا بحُظُوظِهِم
وَرَضُوْا بِكُلِ مَذَلَّةٍ وَهَوانِ
كَدْحاً وَكَداً لا يُفَتَّرُ عَنْهُم
ما فيه مِن غَمٍّ ومِن أَحْزَانِ
والله لَو شَاهَدتَ هَاتِيْكَ الصُدُو
رِ رَأَيْتَهَا كَمَراجِلِ النِيْرَانِ

وَوَقُودُهَا الشَّهَواتُ والحَسَراتُ والْآ
لامُ لا تَخْبُو مَدَى الأزْمَانِ
أَبْدَانُهم أجْدَاثُ هَاتِيْكَ النُفُو
سِ اللآءِ قَد قُبِرتْ مَعَ الأَبْدَانِ
أرْوَاحُهُمْ في وَحْشَةٍ وَجُسُوْمُهُم
في كَدْحِهَا لا في رِضَا الرحمنِ
هَرَبُوا مِن الرِّقِ الذي خُلِقُوا لَهُ
فَبُلُوا بِرِقِّ النَّفْسِ والشَّيْطَانِ
لا تَرْضَ ما اخْتَارُوا هُمُ لِنُفُوسِهِم
فَقَدِ ارْتَضُوا بالذِلِ والحِرمانِ
لَوْ سَاوَتْ الدنيا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
لم يَسْقِ منها الربُّ ذَا الكُفْرَانِ
لَكِنَّهَا واللهِ أَحْقَرُ عِنْدَهُ
مِن ذَا الجَناحِ القَاصِرِ الطَّيَرَانِ
ولقد تَوَلَّتْ بَعدُ عن أصْحَابِهَا
فالسَّعْدُ منها حَلَّ بالدَّبَرانِ
لا يُرتجى منها الوَفَاءُ لِصَبِّهَا
أيْنَ الوَفَا مِن غَادِرٍ خَوَّانِ
طُبِعَتْ عَلى كَدْرٍ فَكَيفَ يَنَالُهَا
صَفوٌ أَهَذَا قَطُّ في إمكانِ

يا عاشِقَ الدُّنْيا تَأَهَّبْ لِلُّذِي
قَدْ نَالَهُ العُشَّاقُ كُلَّ زَمَانِ
أَوْ مَا سَمِعْتَ بَلْ رَأَيْتَ مَصَارِعَ الْـ
ـعُشَّاقِ مِنْ شَيْبٍ وِمِنْ شُبَّانِ

اللهُمَّ إِلَيْكَ بِدُعَائِنا تَوَجَّهْنَا وَبِفِنَائِكَ أَنَخْنَا وَإِيَّاكَ أَمَّلْنَا وَلما عِنْدَكَ مِنْ الجُودِ والاحْسانِ طلبْنَا وَلِرَحْمَتِكَ رَجَوْنَا وَمِنْ عَذابِكَ أَشْفَقْنَا وَلِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ تَعَرَّضْنَا فَاعْفُ عَنَّا واغْفِرْ لَنا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْلٌ »

قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ التِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بالغَيْب أَنَّهُ كَانَ وَعْدُه مَأْتِيًا ، لا يَسْمَعُونَ فِيْهَا لَغْواً إلاَّ سَلاماً ، ولَهُم رِزْقُهُم فِيْهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا ، تِلْكَ الجَنَّةُ التي نُوْرِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًا ﴾ لما ذكرَ تَعَالَى أَنَّهُ يُدْخِلُ التَّائِبِيْنَ الجَنَّةَ ، وَصَفَ هَذِهِ الجَنَّةَ بِجُمْلَةِ أَوْصَافٍ (أَوَّلا) أَخْبَرَ أَنَّهَا جَنَّاتُ إِقَامَةٍ دَائِمَةٍ ، لاَ كَجَنَّاتِ الدُّنْيَا ، وَقَدْ وَعَدَ بِهَا المُتَّقِيْنَ ، وَهِيَ غَائِبَة لَمْ يُشَاهِدُوهَا ، وَوَعْدُ اللهِ حَقٌّ لاَ يُخْلَفُ ، فَهُمْ آتُوهَا لا مَحَالَةَ ، (ثانيا) أَنَّهُم لا يَسْمَعُونَ فِيْهَا كلاماً سَاقِطاً تافِهاً لا مَعْنَى لَهُ ، كَمَا يُوْجَدُ في الدُّنْيَا ، بَلْ يَسْمَعُونَ فِيْهَا سَلاماً ، وَالسَّلاَمُ اسْمٌ جَامِعٌ لِلخَيْرِ ، لأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ السَّلاَمَةَ (ثالثاً) أنَّ لَهُم ما يَشْتَهُونَ مِنْ المَطَاعِم والمَشَارِب ، في قَدْرِ وَقْتِ البُكْرَةِ وَوَقْتِ العَشِيِّ مِنْ نَهَارِ أَيَّامِ الدُّنْيَا ، أَيْ إِنَّ الذِي بَيْنَ غَدَائِهم وَعَشَائِهم في الجَنَّةِ قَدْرَ مَا بَيْنَ غَدَاءِ أَحَدِنا في الدنيا وَعَشَائِهِ .

فَكَّرْتُ فِي الجَنَّةِ العُلْيَا فَلَمْ أَرَهَا ... تُنَالُ إلاَّ عَلَى جَسْرٍ مِن التَّعَبِ

وَلَمَّا ذَكَرَ جلَّ وعَلا وَتقَدَّسَ أَنَّ هَذِهِ الجَنَّةَ تُخَالِفُ جَنَّاتِ الدُّنْيَا ذكرَ مَا هُوَ سَبَبُ اسْتِحْقَاقِهَا فقالَ ﴿ تِلْكَ الجَنَّةُ التي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كانَ تَقِيًّا ﴾ المَعْنَى : هَذِهِ الجَنَّةُ التي وُصِفَتْ بِهَذِهِ الصِّفاتِ الشَّرِيْفَةِ ، نُورِثُهَا عِبَادَنا المتَّقِيْنَ الذِيْنَ يُطِيْعُوْنَ اللهَ في السِّرِّ والعَلنِ ، وَمَعْنَى إِيْرَاثِهِمُ الجَنَّةَ الإِنْعَامُ عَلَيْهِمْ بالخُلودِ فِيْهَا في أكْمَلِ نَعِيْمٍ ، وَقِيْلَ نَجْعَلُها لهُم كَمُلْكِ المِيْرَاثِ الذِي هُوَ أقْوَى تَمْلِيْكٍ ، بِأَنْ نُبْقِي عَلَيْهِ الجَنَّةَ ، كَمَا نُبْقِي عَلَى الوَارِثِ مَالَ المُورِّثِ ، وَلأَنَّ الأَتْقِيَاءَ يَلْقَوْنَ رَبَّهمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وقد انْقَضَتْ أَعْمَالُهم ، وَثَمرَتُها بَاقِيَةٌ وهي الجَنَّةُ ، فإذا أَدْخَلَهُم الجَنَّةَ فَقَدْ أَوْرَثَهُم مِنْ تَقْوَاهُم ، كَمَا يُوَرَّثُ الوَارِثُ مِنْ المتوفَّى المالَ الذِي خَلَّفَهُ .

وَجَاءَ بِمَعْنَى الآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ قَد أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ ، الذِيْنَ هُم في صَلاَتِهِم خاشِعُونَ ﴾ إِلَى أَنْ قَالَ ﴿ أُوْلئِكَ هُمْ الوَارِثُونَ ، الذِيْن يرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيْهَا خَالِدُونَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَالذِيْنَ آمنوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُم جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ، خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبَداً لَهُم فِيْهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَرَةٌ ، وَنُدْخِلُهم ظِلاًّ ظَلِيْلا ﴾ ، وَقَالَ ﴿ جَنَّات عَدْنٍ مُفَتَّحَة لَهُمْ الأَبْوَابُ ، مُتَّكِئِيْن فِيْهَا ، يَدْعُونَ فِيْهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيْرَةٍ وشَرَابٍ وَعِنْدَهُم قاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ، هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوم الحِسَابِ ، إنَّ هَذَا لرِزْقُنَا مَالَه مِنْ نَفَادٍ ﴾ وقَالَ ﴿ أُولَئِكَ لَهُم جَنَّاتُ عَدْنٍ ، تَجْرِيْ مِن تَحْتِهِم الأَنْهَارُ ، يُحلونَ فِيْهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ، وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدِسٍ وَاسْتَبْرَقٍ ، مُتَّكِئِيْنَ فِيْهَا عَلى الأَرَائِك ، نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفقَاً ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَالذِيْنَ صَبَرُوْا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهم ، وَأَقَامُوا الصَّلاةَ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً، وَيَدْرَؤُونَ بالحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ، أوْلئِك

لَهُم عُقْبَى الدَّار ، جَنَّاتَ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِم وَأزوَاجِهِم وَذُرِّيَاتِهِمْ ، وَالملائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِنْ كُلِّ بَابٍ ، سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ إلى غَيْرِ ذَلكَ مِنْ الآيَاتِ المُنَوهَةِ بذِكرِهِم وَشَرَفِهِم وَعِظَمِ جَزَائِهِم فَنَكْتَفِي بالآياتِ التِيْ ذَكَرْنَا ، وَمَا أَوْضَحْنَاهُ مِنْ مَعَانِيْ الآيَاتِ السَّابِقَاتِ نَسْأَلُ اللهَ الحَيَّ القَيُّومَ ، ذا الجَلاَلِ والاكْرَام ، بَدِيْعَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ، الوَاحِدَ الأَحد ، الفَرْدَ الصَّمَدْ ، الذِي ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا إِنَّهُ القَادِرُ على ذَلِكَ .

وَأَمَّا الأَحَادِيْثُ الوَارِدَةُ في الجَنَّةِ ، فمِنْهَا مَا وَرَدَ عَن أبي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ قَالَ « قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيْ الصَّالِحِيْنَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُن سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » وَاقرَؤُا إنْ شِئْتُم ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُم من قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وَعَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُوْرَةِ القَمَر لَيْلَةَ البَدْرِ ، ثُمَّ الذِيْنَ يَلُونَهُم عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّمَاءِ إِضَاءَةً ، لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُون ، أَمْشَاطُهُم الذَهَبُ ، ورَشْحُهم المِسْكُ ، وَمَجَامِرُهم الأَلوَّةُ ، أَزْوَاجُهم الحُوْرُ العِيْنُ ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، عَلى صُوْرَةِ أَبِيْهِم آدَمُ ، سِتُّوْنَ ذِرَاعاً في السَّمَاءِ » مُتَّفَقٌ عليْهِ . قَالَ ابْنُ القَيِّمِ . . .

هـذا وسِنُّهُـم ثـلاثٌ مَـعَ ثَـلاَ
ثِيـنَ الّـتِـي هِـيَ قُـوَّةُ الـشُّـبَّـانِ
وَصَـغِـيْرُهُـم وَكَـبِـيْرُهُـم فـي ذَا عَـلَى
حَـدٍ سَـوَاءٌ مَـا سِـوَى الـوِلْـدَانِ

ولقد رَوَى الخُضَرِيُّ أَيْضاً أَنَّهُم
أَبْنَاءُ عَشْرٍ بَعْدَهَا عَشْرَانِ
وكِلاهُمَا في التِرمِذِي وَلَيس ذَا
بِتَنَاقُضٍ بل هَا هُنَا أَمْرَانِ
حَذْفُ الثَلاثِ ونَيِّفُ بَعْدَ العُقُو
دِ وَذِكْرَ ذَلكَ عِنْدَهُم سِيَّانِ
عِنْدَ اتِّسَاعٍ في الكَلامِ وعندَمَا
يَأتُوا بِتَحْرِيرٍ فَبِالمِيْزَانِ
والطُّوْلُ طُوْلُ أَبِيْهِم سِتُّونَ لا
كِنْ عَرْضُهم سَبْعٌ بلا نُقْصَان
الطُّوْلُ صَحَّ بِغَيرِ شَكٍّ في الصَّحِيْحَيْنِ اللَّذَيْن هُمَا لَنَا شَمْسَان
والعَرْضُ لم نَعْرِفْهُ في إِحْدَاهُمَا
لَكِنْ رَوَاهُ أَحْمَدُ الشَّيْبَانِي
هذا ولا يَخْفي التَنَاسُبُ بَيْنَ هَذَا العَرْضِ والطُولِ البَدِيْعِ الشَّانِ
كُلٌّ على مِقْدَارِ صَاحِبِهِ وَذَا
تَقْدِيْرُ مُتْقِنِ صَنْعَةِ الإِنْسَانِ
هذا كمالُ الحُسْنِ في أَبْشَارِهِم
وشُعُورِهِم وَكَذَلِكَ العَيْنَانِ
أَلْوَانُهُم بِيْضُ وَلَيسَ لَهُم لُحَى
جُعْدُ الشُعُور مُكَحَّلُوا الأَجْفَانِ

اللهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيْلَ النَّجَاةِ ، وَبَلِّغْ كلامنا ما أَمَّلَهُ ورجاهُ واجْعَل لَنَا عِنْدَكَ أَعْظَم قَدْرٍ وَجَاهْ ، وَلا تَحْرِمْنَا من فَضْلِكَ العَظِيْمِ يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِيْنَ ،

وَارْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْــلٌ »

في بَيانِ أدنَى أهلِ الجنةِ منزلةً

عن المغيرَةِ بنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللهُ عنه ، عن النبي صلى اللهُ عليهِ وَسلم ، أنْ مُوسَى عليهِ السَّلامُ سَأَلَ ربَّهُ مَا أَدْنَى أَهْلِ الجَنّةِ مَنْزِلةً ؟ فقَالَ « رَجُلٌ يَجِيْءُ بَعْدَ ما دَخلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ، فَيُقَالُ لَهُ : ادْخُلْ الجَنّة ، فَيَقولُ : ربِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُم ؟ وَأَخذُوا أُخْذَاتِهِم ، فَيُقَالُ لَهُ : أَتَرْضَى أنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلَ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدّنْيَا ؟ فَيَقُولُ : رَضِيْتُ رَبِّ ، فَيَقُولُ لَهُ : لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ ومِــثْلُهُ ، فقَالَ في الخَامِسَةِ : رَضِيْتُ رَبِّ ، فَيَقُولُ : هذا لَكَ وعَشَرةُ أمثالِهِ ، وَلَكَ ما اشْتَهَت نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ ، فَيَقُولُ : رَضِيْتُ رَبِّ ، قَالَ : رَبِّ فَأَعْلاهُم مَنْزِلَةً ؟ قَالَ إِوْلَئِكَ الذين أَرَدْتُ ، غَرْسَ كَرَامَتِهِم بيَدِيْ ، وَخَتِمْتُ عَلَيْهَا ، فلَمْ تَرَ عينٌ ، ولم تَسْمَعْ أُذنٌ ، ولم يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضْيَ اللهُ عنه ، قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ « انِّيْ لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوْجاً مِنْهَا ، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُوْلاً الجَنَّةَ ، رَجُلاً يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ حَبْواً ، فيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجلَّ لَهُ : اذْهَبْ فادْخُلْ الجَنَّة ، فَيَأْتِيْهَا فيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّها مَلأى ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ وَجَدْتُها مَلأى ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجلّ : إِذْهَبْ فادْخُلْ الجَنَّة ، فَيَأْتِيْها فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّها مَلأى ، فَيَرجعُ فَيَقُولُ : يا ربِّ وَجَدْتُهَا

مَلأى ، فَيَقولُ اللهُ عَزَّ وَجلَّ : إذهَبْ فادْخُلْ الجَنَّةَ ، فانَّ لَكَ مِّثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أمّثَالِهَا ، فَيَقُوْلُ أَتَسْخَرُ بي ، أو تَضْحَكُ بِيْ وَأَنْتَ المَلِكُ » قالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، فَكَانَ يَقُولُ : « ذَلِكَ أَدْنَى أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَبِيّ مُوْسَى رَضْيَ اللهُ عنهُ أَنَّ النبي ﷺ قالَ « إنّ لِلْمُؤمِن في الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِن لُؤلؤةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُوْلُهَا في السَّمَاءِ سِتُّوْنَ مِيْلاً ، لِلْمُؤْمِن فِيْهَا أهْلُونَ ، يَطُوفُ عَلَيْهم المُؤْمِنُ ، فَلاَ يَرَى بَعْضُهُم بَعْضَا » مُتَّفقٌ عليه المِيْلُ سِتَّةُ آلافِ ذِرَاعٍ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عنه عن النبي ﷺ قالَ « والذي نفْسُ مُحَمّدٍ بيَدِهِ إنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيْعِ الجَنَّة لكمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ » متّفقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أبي سَعِيْدٍ الخُدْريّ رضْيَ اللهُ عنه ، عَن النَّبيَّ ﷺ قالَ « إنَّ في الجَنةِ شَجَرَةً يَسِيْرُ الرَّاكِبُ الجَوَادُ المُضَمَّرُ السَّرِيْعُ مَائةَ سَنة مَا يَقْطَعُهَا » مُتَّفَقٌ عَلَيهِ وَعَنْـهُ عَنْ النبي ﷺ قَال «انَّ أَهْلَ الجَنَّة لَيَتَرَاءَوْنَ أهْلَ الغُرَفِ مِن فَوْقَهم كَمَا تَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ في الأُفُقِ مِنْ المشْرقِ أَوِ المغْربَ ، لِتفاضُل مَابَيْنَهم » قَالُوا : يَا رَسُوْلَ اللهِ تِلكَ مَنَازِلُ الانْبِيَاءِ ، لاَ يَبْلُغُهَا غَيْـرُهُمْ ، قَالَ « بَلَى وَالذِي نَفْسِيْ بيَدِه ، رِجَالٌ آمَنُوا باللهِ وَصَـدَّقُوا المرسَلِيْنَ » مُتّفقٌ عَلَيهِ ، وعن أبي هُرَيْرَة رَضْيَ اللهُ عنهُ . أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قالَ « لَقَابُ قَوْسٍ في الجَنَّةِ ، خَيْرٌ مِمّا تَطْلُعُ عليْهِ الشَّمْسُ أو تَغْرُبُ » مُتّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أنَس رَضْيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قالَ « إنَّ في الجَنَّةِ سُوْقاً يَأْتُونَها

كُلَّ جُمُعَةٍ ، فَتهبُّ رِيْحُ الشَّمَالِ ، فَتَحْثُو في وُجُوهِهم وَثِيَابِهم ، فَيَزْدَادُونَ حُسْناً وجَمالا فَيَرْجعُونَ إلَى أهلِيْهم وَقَد ازدَادُوا حُسْناً وَجمالاً ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُم : وَاللهِ لَقَدْ أزْدَدْتُم حُسْناً وَجمالاً ، فَيَقُولُونَ : وَأَنْتُم وَاللهِ لَقَدْ ازْدَدْتُم بَعْدَنا حُسْناً وَجَمالاً » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَن مُعَاذ بْن جَبَلٍ رَضْيَ اللهُ عنه أنَّ النبي ﷺ قالَ « يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ جُرْداً مُرْدَا مُكَحَّلِيْنَ ، بَنِيْ ثَلاَثٍ وَثَلاَثِيْنَ » رَوَاهُ التِّرْمِذيّ وَقَالَ : حَدِيْثٌ حَسَنٌ غَرِيْبٌ .

وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عنه قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ حَدِّثنا عن الجنةِ ما بِنَاؤُها ، قالَ « لَبِنَةُ ذَهَبٍ ، وَلبِنَةُ فِضَّةٍ ، وَمِلاطُها المِسْكُ ، وحَصْبَاؤُها اللؤْلُؤُ ، وَاليَاقُوتُ ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ ، مَنْ يَدخُلها يَنْعَمُ وَلاَ يَبْئَسُ ، وَيَخْلُد لا يَموتُ ، لا تَبْلَى ثِيَابُه ، وَلاَ يَفْنَى شَبَابُه » الحَدِيْثُ رَوَاهُ أَحْمَدُ واللفْظُ لَهُ وَالتّرْمِذِيّ .

وَعَنْ عَـبْـدِ اللهِ بن عَمْرٍو رَضْيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « إنَّ في الجَنَّةِ غُرَفاً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُها مِنْ ظاهِرِهَا » فقالَ أبُو مَالِكٍ الأَشْعَرِيّ : لِمَنْ هِيَ يا رَسُولَ اللهِ ؟ قالَ « لِمنْ أَطَابَ الكلامَ ، وأَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَبَاتَ قَـائِمـاً وَالنَّاسُ نِيَامٌ » رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ وَالحَاكِمُ وَقَالَ: عَلَى شَرْطِهِمَا . وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ .

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضْيَ اللهُ عنهُ قَالَ « لِكُلِّ مُسْلِمٍ خَيِّرَة ، ولِكُلِّ خَيِّرَةٍ خَـيْمـةٌ ، وَلِكُلِّ خيْمَةٍ أرْبَعَةُ أبْوَابٍ ، يَدْخُلُ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ بَابٍ تُحْفَةٌ وَهَدِيَّة وَكَرَامَة لَم تَكُنْ قَبْلَ ذلكَ ، لاَ مَرِحَاتٍ ، وَلاَ دَفِرَاتٍ ، وَلاَ سَخِرَاتٍ ،

وَلَا طَمَّاحَاتٍ ، حُوْرٌ عِيْنٌ ، كَأَنَّهُن بيضٌ مِكنُونٌ » رَوَاهُ ابنُ أَبِي الدنيَا مِن رِوَايَةِ جَابِرِ الجَعفِي مَوْقُوْفًا .

وَعَنْ أنَس رَضْيَ اللهُ عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ « بَيْنَا أَنَا أَسِيْرُ في الجَنَّةِ، اذا أنا بَنْهرِ حَافتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤ المُجَوَّفِ ، فقُلتُ ما هَذَا يا جبْريلُ ، قالَ : هذا الكَوْثرُ الذيْ أعْطَاكَ ربُّك . قَالَ فَضَرَبَ المَلَكُ بيَدِهِ . فاذا طِيْنُهُ مِسْكٌ أذفرُ » رَوَاهُ البُخَارِيّ .

وَرُوِيَ عن حَكِيْم بْن مُعَاوِيَة القُشَيْريّ عن أبيهِ رَضْيَ اللهُ عنهُ قَالَ : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ « في الجَنةِ بَحْرٌ للمَاءِ ، وَبَحرٌ لِلَّبَنِ ، وبحرٌ للعَسَلِ ، وبَحرٌ لِلخَمْرِ ، ثم تَشَقَّقُ الأنهَارُ منها بَعْدُ » رَواهُ البَيهقيّ .

وعن ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما قالَ قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ « خَلَقَ اللهُ جنةَ عَدْنٍ بيدِه ، وَدَلّى فيها ثِمَارَها ، وَشَقّ فيها أنهَارَها ، ثم نَظَرَ إلَيها، فقالَ لَها ، تكلّمِيْ فقالَتْ : قَدْ أفلحَ المؤمِنُوْنَ ، فقالَ : وَعِزّتي لا يُجَاوِرُني فِيْكِ بَخِيْلٌ » رواهُ الطَبَرَانِيّ في الكَبِيـر والأوْسَطِ ، باسْنَادَيْن أحدُهُمَا جَيّدٌ ، وَرواهُ ابنُ أبي الدنيا من حديثِ أنسٍ أطوْلَ منهُ ، ولفظُهُ قالَ رسولُ الله ﷺ « خلقَ اللهُ جنةَ عَدْنٍ بيَدِهِ لَبنَةٌ من دُرَّةٍ بَيْضَاءَ وَلَبنَةٌ من يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، وَلَبنَةٌ من زَبرْجدَةٍ خَضْرَاء ، وملاطُهَا مِسْكٌ ، حَشِيْشُها الزَّعْفرانُ ، حَصْبَاؤُهَا اللؤْلؤُ ، تُرَابُها العَنْبَرُ ، ثمّ قَالَ لَها انْطقي قَالَتْ قد أَفْلَحَ المؤمنُونَ . فقالَ اللهُ عزَّ وجَلَّ : وعِزَّتِي وَجَلَالِيْ لَا يُجَاورني فِيْكِ بَخِيْلٌ » ثمّ تَلَا رسُولُ اللهِ ﷺ (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نفسِه فَأُوْلَئِكَ هُمْ المُفْلِحُوْنَ) .

اللهم ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بنُورِ الإيمانِ واجعلنا هُدَاةً مُهْتَدِيْن وآتِنا في الدُّنيا حَسَنةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنَا عَذَابَ النارِ واغْفِرْ لَنَا ولوالدينا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ برَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

قالَ ابنُ القَيم رَحِمَهُ اللهُ :

وَالجَنَّةُ اسْمُ الجنسِ وهْيَ كَثِيْرَةٌ
جِدَا ولكَنْ أَصْلُها نوعَانِ

ذَهَبِيَّتَانِ بِكَلِ مَا حَوتَاهُ مِنْ
حُلْيٍ وَآنِيَةٍ وَمِن بُنْيَانِ

وَكَذَاكَ أَيْضاً فِضَّةٌ ثِنْتَانِ مِنْ
حُلْيٍ وَبُنْيَانِ وَكُلِ أوانِ

لَكِنَّ دارَ الخُلْدِ والمَأْوَى وَعَدْ
نِ والسلامِ إضَافَةٌ لِمَعانِ

أَوْصَافُها اسْتَدعَتْ إضَافتَها إِلَيْهَا مِدْحَةً مَعَ غَايَةَ التِبْيَانِ

لَكِنَّمَا الفِرْدَوس أَعْلاَهَا وَأَوْ
سَطُهَا مَسَاكِنُ صَفْوَةِ الرحمنِ

أَعْلاَهُ مَنْزِلَةً لأَعْلَى الخَلْقِ مَنْ
زِلةً هُوَ المَبْعُوثُ بالقُرْآنِ

وَهِيَ الوَسِيْلَةُ وَهِيَ أَعْلَى رُتْبَةً
خَلُصَتْ لَه فَضْلاً مِن الرحمنِ

ولقد أتَى في سُوْرَةِ الرحمنِ تَفْصِيْلُ الجِنَانِ مُفَصَّلاً بِبَيَانِ

هِيَ أَرْبَع ثِنْتَانِ فَاضِلَتَانِ وَا
يَالِيْهِمَا ثِنْتَانِ مَفْضُولانِ

فالأَوْلَيَانِ الفُضْلَيَانِ لأَوْجُهٍ
عَشْرٍ وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا بِوزَانِ
وإذا تأَمَّلْتَ السّيَاقَ وَجَدْتَهَا
فِيْهِ تَلُوحُ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
سُبحانَ مَنْ غَرَسَتْ يَدَاهُ جَنَّةَ الفِرْدَوسِ عِنْدَ تَكَامُلِ البُنْيَانِ
وَيَدَاهُ أيضاً اتْقَنَتْ لِبِنَائِهَا
فَتَبَارَكَ الرحمنُ أَعْظَمُ بَانِي
لَمَّا قَضَى رَبُّ العِبَادِ الغَرْسَ قَا
لَ تَكَلَمِيْ فَتَكَلَّمَتْ بِبَيَانِ
قَد أَفْلَحَ العبدُ الذي هُوَ مُؤْمِنٌ
مَاذَا ادَّخَرْتَ لَهُ مِن الإحسانِ

اللهُمَّ يا مَنْ بيدِهِ خزائِنُ السَّموات والأرْض ، عَافِنَا مِنْ مِحَنِ الزَّمَانِ ، وَعوارِضِ الفِتَنِ ، فإنَّا ضُعفَاءُ عن حَمْلِهَا ، وَانْ كُنَّا مِنْ أَهْلِهَا ، اللهُمَّ وَفقْنَا لِصَالِحِ الأعْمَالِ ، ونَجِّنا مِنْ جَمِيْعِ الأهْوَالِ ، وَأَمِّنَّا مِنْ الفزَعِ الأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزِّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْــلٌ »

رُوِيَ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبي صَلى اللهُ عليه وسلمَ قالَ « أرْضُ الجَنَّةِ بَيْضَاءُ ، عَرْصَتُها صُخورُ الكافُورِ وَقَدْ أَحَاطَ بِهِ المِسْكُ ، مِثْلُ كُثْبَانِ الرَّمْلِ ، أَنْهَارٌ مُطَّرِدَةٌ ، فَيَجْتَمِعُ فِيْهَا أَهْلُ الجَنَّةِ ، أَدْنَاهُم

وَآخِرُهُمْ ، فَيَتَعَارَفُونَ ، فَيَبْعَثُ اللهُ رِيْحَ الرَّحْمَةِ ، فتهيْجُ عليهم رِيْحَ المِسْكِ ، فَيَرْجِعُ الرَّجُلُ إِلَى زَوْجَتِهِ وقَدْ ازْدَادَ حُسْناً وَطِيْبًا ، فتقُولُ لَهُ : لقد خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِيّ وَأَنَا بِكَ مُعْجَبَةٌ ، وَأَنَا بِكَ الآنَ أَشَدُّ اعْجَاباً » رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا .

وَعَنْ كُرَيْبٍ أَنَّهُ سَمِعَ أُسَامَةَ بْن زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُوْلُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلَمَ « ألا مُشَمِّرٌ إِلَى الجَنَّةِ ، فإنَّ الجَنَّةَ لاَ خَطَرَ لَهَا ، هِيَ وَرَبِّ الكَعبَةِ نُورٌ يَتلألأُ ، وَرِيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ وَقَصْرٌ مَشِيْدٌ ، وَنَهْرٌ مُطَّرِدٌ ، وثمرةٌ نَضِيْجَةٌ ، وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيْلَةٌ ، حُللٌ كثِيْرَةٌ ، وَمَقامٌ في أَبدٍ ، في دارٍ سَلِيْمَةٍ ، وَفَاكِهَةٌ وَخُضْرَةٌ ، وَحَبرَة وَنِعْمَةٌ ، في مَحَلّةٍ عَالِيَةٍ بهيّة » قالُوا : نَعَمْ يا رَسُولَ اللهِ ، نَحْنُ المشَمِّرُونَ ، قالَ « قُولُوا ان شَاءَ اللهُ » فقالَ القَوْمُ : إنْ شَاءَ اللهُ ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَابْنُ أَبِي الدّنْيَا وَالبَزَّارُ ، وَابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ وَالبَيْهقِيّ .

وعن سَمّاك أنهُ لَقِيَ عَبْدَ اللهِ بنْ عَبَّاسٍ بالمدِيْنَةِ ، بَعْدَ مَا كُفَّ بَصَرُهُ ، فَقَالَ : يَا بْنَ عَبَّاسٍ مَا أَرْضُ الجَنَّةِ ؟ قالَ : مَرْمَرةٌ بَيْضَاءُ مِنْ فِضَّةٍ ، كأنّها مِرْآةٌ . قلْتُ : مَا نُورُهَا ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتَ السَّاعَةَ التِيْ يَكُونُ فِيْهَا طُلُوعُ الشَّمْسِ ؟ فَذَلِكَ نُورُهَا ، إلاَّ أنَّهُ لَيْسَ فِيْهَا شَمْسٌ ولا زَمْهَرِيْر ، قال : قُلْتُ فمَا أَنْهَارُهَا ؟ أَفِي أُخْدُودٍ ؟ قالَ : لا وَلكنَّها تَجْرِي عَلى أَرْضِ الجَنَّةِ ، مُسْتَكِفَّةً ، لا تَفِيْضُ هَا هُنَا وَلا هَا هُنَا . قَالَ اللهُ لهَا : كُوْنِيْ فكانَتْ . قُلْتُ فما حُللُ الجَنَّةِ ؟ قالَ : فِيْهَا شَجَرَةٌ فِيْهَا ثَمَرٌ ، كأنهُ الرُّمَّانُ ، فإذا أَرَادَ وَلِيُّ اللهِ مِنْهَا كِسْوَةً ، انْحدَرَتْ إليْهِ منْ غُصْنِهَا ، فانْفَلَقَتْ لَهُ عَنْ سَبْعِيْنَ حُلّة ، أَلْواناً بَعْدَ أَلْوَانٍ ، ثم تَنْطَبِقُ فَتَرْجِعُ كَمَا كَانَتْ . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدّنْيَا مَوْقُوفاً باسْنَادٍ حَسَنٍ .

وَرُوِيَ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قَالا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلَمَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ قَالَ « قَصْرٌ فِي الجَنَّةِ مِنْ لؤْلُؤَةٍ ، فِيْهَا سَبْعُونَ داراً مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، فِي كلِّ دَارٍ سَبْعُونَ بَيْتاً ، مِنْ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ ، فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ سَرِيْرَاً ، عَلَى كُلِّ سَرِيْرٍ سَبْعُونَ فِرَاشاً مِنْ كُلِّ لَونٍ ، عَلَى كُلِّ فِرَاشٍ امْرَأَةٌ ، فِي كلِّ بَيْتٍ سَبْعُوْنَ وَصِيْفاً وَوَصِيْفَةً ، يُعْطَى المؤمِنُ مِنَ القوَّةِ مَا يَأْتِيْ عَلَى ذلكَ كُلِّهِ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ » رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ .

وَعَنْ أَسْمَاء بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلمَ ـ وذكرَ سِدْرَةَ المُنْتَهى ـ فَقَالَ « يَسِيْرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّ الفَنَنِ مِنْهَا مائَةَ سَنَةٍ ، أَوْ يَسْتَظِلُّ بِهَا مَائَةُ رَاكِبٍ شَكَّ يَحْيَ ، فِيْهَا فِرَاشُ الذَّهَبِ ، كَأَنَّ ثِمَارَهَا القِلالُ » رَوَاهُ التّرْمِذِيّ وَقَالَ : حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ غَرِيْبٌ .

وفي حَدِيْثِ أبَيّ بْنِ كَعْبٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ قِيْلَ لهُ : مَا الحَوْضُ ؟ قالَ « وَالذِيْ نَفْسِيْ بَيَدِه إنَّ شَرابَهُ أبْيَضُ مِنْ الَّلبَنِ ، وَأحْلَى مِنْ العَسَلِ ، وأبْرَدُ مِنْ الثّلجِ وَأَطْيَبُ رِيْحاً مِنْ المِسْكِ ، وَآنِيَتَهُ أَكْثَرُ عَدَداً مِنْ النُّجُومِ ، لا يَشْرَبُ منه إِنسَانٌ فَيَظْمأُ أبداً ، ولا يُصْرَفُ عنهُ انْسَانٌ فَيَرْوَى أبداً » رواهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ وَغَيْرُهُ .

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « حَوْضِي مَسِيْرَةُ شَهْرٍ ، مَاؤُه أَبْيَضُ مِنْ اللبَنِ ، وَرِيْحُه أَطْيَبُ مِنْ رِيْحِ المِسْكِ ، كِيْزانُه كَنُجومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْمَأ أَبَدا » وَأَخْرَجَ مُسْلِم فِي صَحِيْحِه من حَدِيْثِ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، انَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وَسَلم

قَالَ « ليَرِدَنَّ عليَّ الحَوْضَ أقْوَامٌ ، فيُختَلَجُونَ دُوْنِي ، فَأقُـولُ : رَبِّ أصْحَابِيْ ، رَبِّ اصْحَابِي ، فَيُقَالُ : إنكَ لا تَدْرِيْ مَا أحْدَثُوا بَعْدَكَ » .

وَأَخْرَجَ الطَّبَرانِيّ وَابْنُ حِبَّانَ ، وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ خَبَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلمَ قَالَ سَيَكُونُ أُمرَاءُ مِنْ بَعْدِي ، فلا تُصَدِّقُوهم بكَذِبهم ، ولا تُعِيْنُوهم عَلى ظُلمِهم ، فَمَنْ فَعَلَ لَمْ يَرِدْ عَليَّ الحَوْضَ » .

وَأَخْرَجَ البُخَارِيّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا ، مِنْ طَرِيْقِ أَبِي حَازِمٍ ، عَن سَهْل بْن سَعْدٍ السَّاعِدِيّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلَمَ قالَ « أنَا فَرطُكُم عَلى الحَوْضِ مَنْ وَرَدَ شَربَ ، ومَنْ شَربَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً ، وَلِيَرِدَنَّ عَلَيَّ أقوَامٌ أعْرِفهُم وَيَعْرِفُونِيْ ، ثُمَّ يُحالُ بَيْنِي . وَبَيْنَهُم ، قالَ أَبُو حَازِمٍ :
فَسمِعَ النّعَمَانُ ابْنُ أبي عَيّاشٍ وَأنا أحَدِّثُ هَذَا الحَدِيْثَ ، فقالَ هَكَذَا سَمِعْتَ سَهْلاً يَقُولُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ فَقَالَ : وَأنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيّ ، سَمِعْتُه يَزِيْدُ « أَنَّهُم مِنِّيْ » فَيُقَالُ إِنَّكَ لا تَدْرِيْ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ سُحْقاً لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِيْ » .

وَعَـنْ عُـتْبَـةَ بْـن عَـبْـدٍ رضِـيَ الـلهُ عَـنْـهُ ، قــالَ : جَاءَ اعْرَابيّ الى رَسُول اللهِ صلى الله عليه وَسَلَمَ ، فقَالَ : مَا حَوْضُكَ الذِيْ تُحَدِّثُ عَنْهُ ؟ فذكرَ الحَدِيْثَ إلَى أَنْ قَالَ : فقالَ الأَعْرَابِيّ : يا رَسُولَ اللهِ فيْهَا فاكِهَة ؟ قالَ « نَعَمْ وَفِيْهَا شَجَرَةٌ تُدْعى طُوْبَى ، هِيَ تُطَابِقُ الفِرْدَوْس » فقَالَ أيُّ شَجَرِ أرْضِنَا تُشْبهُ ؟ قالَ لَيْسَ تُشْبِهُ شَيْئاً مِنْ شَجَرِ أرْضِكَ ، وَلَكِنْ أَتَيْتَ

الشَّامَ ؟ » قَالَ : لاَ يَا رَسُولَ اللهِ . قالَ « فإنَّهَا تُشْبِهُ شَجَرَةً في الشَّام ، تُدْعَى الجَوْزَةَ ، تَنْبُتُ عَلى سَاقٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ يَنْتَشِرُ أَعْلاَهَا » قالَ : فَمَا عِظَمُ أَصْلِهَا ؟ قَالَ « لَوْ ارْتَحَلْتَ جَذْعَةً مِنْ إِبلِ أهْلِكَ ، لَمَا قَطَعْتَهَا حَتَّى تَنْكَسِرَ تَرْقُوَتُهَا هَرَماً » قالَ فِيْهَا عِنَبٌ ؟ قَالَ « نَعَمْ » قَالَ : فمَا عِظَمُ العُنْقُودِ مِنْهَا ؟ قالَ « مَسِيْرَةُ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ الأبْقَعِ ولا يَنْثَنِيْ وَلاَ يَفْتُر » قالَ : فَمَا عِظَمُ الحَبَّةِ مِنْهُ ؟ قالَ « هَلْ ذَبَحَ أَبُوكَ تَيْساً مِنْ غَنَمِه عَظِيْماً ، فَسَلَخَ إِهَابَهُ ، فَأَعْطَاهُ أُمَّكَ ، فقَالَ : ادْبُغِي هَذَا ، ثم افْرِيْ لَنَا مِنْهُ ذَنُوباً ، يُرْوِيْ مَا شِيْتَنَا » ؟ قالَ : نعَمْ . قالَ : فَإِنَّ تِلكَ الحَبَّةَ تُشْبِعُنِيْ وَأَهْلَ بَيْتِيْ . فقالَ النَّبيّ صَلى اللهُ عليه وسلمَ « وعامَّةَ عَشِيْرَتَكَ » رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ في الكبيرِ وَالأوْسَطِ ، وَاللفْظُ لَهُ ، والبَيْهَقِيّ بنَحْوِهِ ، وابْنُ حِبّانَ في صَحِيْحِهِ ، بذِكْرِ الشَّجَرَةِ في مَوْضِعٍ وَالعِنَبِ في آخر ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ باخْتِصَارٍ .

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللّهِ صَلى اللهُ عليه وسلم « الكَوْثَرُ نَهْرٌ في الجَنَّةِ، حَافتَاهُ مِن ذَهَبٍ وَمَجْرَاهُ على الدُّرِّ وَاليَاقُوتِ ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنْ المِسْكِ ، وَمَاؤُه أَحْلَى مِن العَسَلِ ، وأَبْيَضُ مِن الثّلجِ » رَوَاهُ ابنُ مَاجه وَالتِّرمِذيّ وَقَالَ : حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ .

وَعَنْ جَرِيْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنْهُ ، قَالَ : نَزَلْنَا الصِّفَاحَ ، فإذا رَجُلٌ نَائِمٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، قَدْ كَادَتْ الشَّمْسُ تَبْلُغُه قَالَ : فَقُلْتُ لِلغُلاَمِ : انْطَلِقْ بِهَذَا النِّطْعِ فَأَظِلّهُ . قَالَ : فانْطَلَقَ فَأَظَلَّهُ ، فَلمَّا اسْتَيْقَظَ ، فإذَا هُوَ سَلْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَأَتَيْتُه أُسَلِّمُ عليه ، فقالَ : يا جرِيْرُ تَوَاضَعْ لِلهِ ، فإنَّهُ مَنْ تَوَاضَعَ لِلّهِ في الدّنْيَا رَفعَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، يَا جَرِيْر هَلْ تَدْرِيْ مَا الظُّلُمَاتُ يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ قُلْتُ : لاَ أَدْرِيْ . قالَ : ظُلْمُ النَّاسِ بَيْنَهم ثمَّ أخذَ عُوْدا لاَ أَكَادُ

أَرَاهُ بَيْنَ أَصْبُعَيْهِ . فَقَالَ : يَا جَرِيْرُ لَوْ طَلَبْتَ فِي الجَنَّةِ مِثْلَ هَـذَا لَمْ تَجِـدْهُ ، قُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ فَأَيْنَ النَّخْلُ وَالشَّجَرُ ؟ قَالَ : أُصُوْلُها اللُّؤْلُؤ وَالذهَبُ ، وَأَعْلاَهُ الثمَرُ ، رَوَاهُ البَيْهَقِيّ باسْنَادٍ حَسَنٍ ، وَعَنْ البَرَاءِ بْن عَازِبْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قَوْلِه تَعَالَى ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيْلاَ ﴾ قالَ : إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُوْنَ مِنْ ثمَارِ الجَنَّةِ ، قِيَاماً وَقُعُوْداً وَمُضْطَجِعِيْنَ ، رَوَاهُ البَيْهَقِيّ وَغَيْرُه موْقُوفاً باسْنَادٍ حَسَنٍ .

وعن عَلِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : يُسَاقُ الذيْنَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَرا ، حَتَّى إذا انْتَهوا إِلَى أوَّلِ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَجَدُوا عِنْدَهَا شَجَرَةً ، يَخْرُجُ من تحْتِ سَاقِهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ، فَعَمَدُوا إلى احْدَاهُمَا ، كَأَنَّما أُمِرُوا بِهَا ، فَشَرِبُوا مِنْهَا ، فأَذْهَبَ مَا في بُطُوْنِهم مِنْ قَذَى وَأَذَى ، ثمَّ عَمِدُوا إلى الأُخْرَى فَتَطَهَّرُوا مِنْهَا ، فَجَرَتْ عَليهم نَضْرَةُ النَّعِيْمِ ، فَلَنْ تَتَغَيَّرَ أَبْشَارُهم بَعْدَهَا أَبداً ، وَلَنْ تَشْعَثَ أَشْعَارُهُم ، كَأَنَّمَا دُهِنُوا ، ثم انْتَهوْا إلى خَزَنَةِ الجَنَّةِ ، فقالُوا (سَلامٌ عَليْكُم طِبْتُم، فَادْخُلُوهَا خالِديْنَ) ثُمَّ تَتلَقَّاهُم الـوِلْدَانُ، يُطِيْفُونَ بهم ، كَمَا يُطِيْفُ وِلْدَانُ أَهْلِ الدُّنْيَا بالحَمِيْمِ يَقْدُمُ مِنْ غَيْبَتِهِ ، يَقُولُونَ لَهُ : أَبْشِرْ بِمَا أَعدَّ اللهُ لَكَ مِنْ الكَرَامَةِ ، قالَ : ثمَّ يَنْطَلِقُ غُلامٌ مِنْ أُوْلَئِكَ الغِلْمَانِ ، إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ مِنَ الحُورِ العِيْنِ ، فيَقُولُ : قد جَاءَ فلانُ ـ باسْمِه الذي كانَ يُدْعى به في الدنيا ـ فَتَقُوْلُ : أَنْتَ رَأَيْتَهُ . فَيَقُولُ أَنَا رَأَيْتُهُ . وَهُوَذا في أَثَرِيْ . فَيَسْتَخِفُّ إِحْدَاهُنَّ الفَرَحُ ، حتَّى تقُومَ على أُسْكُفةِ بَابِهَا فإذا انْتَهى إلى مَنْزِلِهِ نَظَرَ إِلَى أيِّ شَيْءٍ أَسَاسُ بُنْيَانِه فإذا جَنْدَلُ اللُّؤْلُؤِ فَوْقَه صَرحٌ أَخضَرُ وَأَصْفَرُ وَأَحْمَرُ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فنظَرَ إلَى سَقْفِهِ فإذا مِثْلُ البَرْقِ فَلَو لَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدَّرَه لَهُ لأَلَمَّ أَنْ يَذْهَبَ بَصَرُهُ ثم طَأْطَأَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَى

أَزْوَاجِهِ وَأَكْوَابٍ مَوْضُوعَةٍ وَنَمَارِقَ مَصْفُوْفَةٍ وَزَرابيّ مَبْثُوثَةٍ فَنظَرُوا إِلَى تِلْكَ النِّعْمَةِ ثمّ اتكئوا فقَالُوا الحَمْدُ للهِ الذي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كنّا لِنَهْتَدِيْ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ ثُمَّ يُنَادِيْ مُنَادٍ تَحْيَونَ فلا تَمُوتُونَ وَتُقِيْمُونَ فلا تَظْعَنُونَ ﴾

قال ابن القيم

فَاسْمَعْ صِفَاتِ عَرَائِسِ الجَنَّاتِ ثُمْ
مَ اخْتَرْ لِنَفْسِكَ يَا أَخَا العِرْفَانِ

حُورٌ حسانٌ قَدْ كَمَلْنَ خَلائِقاً
وَمَحَاسِناً مِن أَجْمَلِ النِّسْوَانِ

حَتَّى يَحَارُ الطَّرْفُ في الحُسْنِ الذي
قَدْ أُلْبِسَتْ فَالطَّرْفُ كَالحَيْرَانِ

وَيقولُ لَمَّا أَنْ يُشَاهِدَ حُسْنَهَا
سُبْحَانَ مُعْطِي الحَسْنِ والاحسانِ

والطَّرْفُ يَشْرَبُ مِن كُؤُسِ جَمَالِهَا
فَتَرَاهُ مِثلَ الشَارِبِ النَّشْوَانِ

كَمُلَتْ خَلاَئِقُهَا وَأُكْمِلَ حُسْنُهَا
كَالبَدْرِ لَيلَ السِّتِ بَعْدَ ثَمَانِ

والشَّمْسُ تَجْرِيْ في مَحَاسِنِ وَجهِهَا
وا لّيلُ تَحتَ ذوائِبِ الأَغْصَانِ

فَتَرَاهُ يَعْجَبُ وَهُوَ مَوْضِعُ ذَاكَ مِن
لَيلٍ وَشَمْسٍ كَيفَ يَجْتَمِعَانِ

فَيَقُولُ سُبْحَانَ الذِيْ ذَا صُنْعُه
سُبْحَانَ مُتْقِنِ صَنْعَةَ الأنْسانِ
وَكِلاهُمَا مِرْآةُ صَاحِبِهِ إذا
مَا شَاءَ يُبْصِر وَجْهَهُ يَرَيَانِ
فَيَرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ في وَجْهِهَا
وَتَرَى مَحَاسِنَهَا به بِعَيْنَانِ
حُمْرُ الخُدُوْدِ ثُغُورُهُنَّ لآلِيءٌ
سُودُ العُيُونِ فَوَاتِرُ الأجْفَانِ
والْبَدْرُ يَبْدُو حِينَ يَبْسُمُ ثَغْرُهَا
فَيُضِيءُ سَقْفُ القَصْرِ بالجُدْرَان
وَلَقَدْ رَوَيْنَا أنَّ بَرْقاً سَاطِعَاً
يَبْدُوْ فَيَسْأَلُ عنه مَن بِجِنَانِ
فَيُقَالُ هَذَا ضَوْءُ ثَغْرٍ ضَاحِكٍ
في الجنةِ العُلْيَا كَمَا تَرَيَانِ
لِلهِ لَاثِمُ ذَلِكَ الثَّغْرِ الذي
في لَثْمِهِ إدْرَاكُ كُلِ أَمَانِ
رَيَانَةُ الأَعْطَافِ مِن مَاءِ الشَّبَا بِفَغُصْنُهَا بالماءِ ذُو جَرَيَانِ
لما جَرَى مَاءُ الشباب بغُصْنِهَا
حَمَلَ الثمارَ كَثِيْرَةَ الأَلْوَانِ
فالْوَرْدُ والتُّفَاحُ والرُّمَانُ في
غُصْنٍ تَعَالَى غَارِسُ البُسْتَانِ

إلى أنْ قال :

وَاضْـرِبْ لَهم مَثَـلاً بِصَبٍ غَـابَ عَنْ
مَـعْشُوقِـهِ. فـي شَـاسِـعِ الـبُـلْدَانِ
وَالـشَّـوْقُ يُـزْعِـجُـهُ إلـيـهِ وَمَـالَـهُ
بِـلِقَـائِـهِ سَـبَـبٌ مِـن الإمْـكَـانِ
وَافَـى إلـيـهِ بَـعْـدَ طُـوْلِ مَـغِـيْـبِـهِ
عَـنْـه وَصَـارَ الـوَصْـلُ ذُو إمْـكَـانِ
أتَـلُومُـهُ أنْ كَـانَ ذَا شُغْلٍ بِـهِ
لا وَالـذي أعْـطَى بِـلا حُـسْـبَـانِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقَوِّي إيْمَانَنَا بكَ وَمَلائِكَتِكَ وَكُتُبِكَ وَرُسُلِكَ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، اللهُم نَوِّرْ قُلُوبَنا بِنُورِ الايْمَانِ وَاشْرَحْ صُدُوْرَنَا وَاجْعَلنا هُدَاةً مهتَدِيْنَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المسلمين برَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمينَ اللهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِعِبَادِكَ الأخيار وَانْظُمْنَا في سِلْكِ المُقَرَّبِيْنَ والأَبْرَار وآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنا وَلِوَالِدَيْنَا ولِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلى اللَّهُ عَلى مُحمدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبه أجْمَعِيْنَ

« فَصْـلٌ »

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَم : « يَأكُلُ أهْلُ الجَنَّةِ وَيَشْرَبُونَ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ وَلاَ يَبُولُونَ، طَعَامُهم ذلكَ جُشَاءٌ كَرِيْحِ المِسْكِ ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيْحَ وَالتَّكْبِيْرَ ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفس » رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُد .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ الكِتَابِ

إلى النبي صلى الله عليه وَسَلَمَ ، فقَالَ : يَا أَبَا القاسِمِ تَزْعُم أَنَّ أَهْلَ الجَنّةِ يَأْكُلُونَ ويَشْرَبُونَ ؟ قالَ « نَعَمْ » ، وَالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنَّ أَحَدَهُم لَيُعْطَى قُوَّةَ مائَةِ رَجُلٍ في الأكْلِ والشُّرْبِ وَالجِمَاعِ » قالَ : فإن الذي يَأْكُلُ وَيشْرَبُ تكُونُ لَهُ الحَاجَةُ ، وَلَيْسَ في الجَنَّةِ أَذى ، ؟ قالَ « تكُونُ حَاجَة أَحَدِهم رَشْحاً يَفِيْضُ مِنْ جُلُودِهم ، كَرَشْحِ المِسْكِ ، فَيَضْمُرُ بَطْنُهُ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِي ، وَرُوَاتُهُ مُحْتَجّ بِهِم في الصَّحِيْحِ .

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ باسْنَادٍ صَحِيْحٍ . وَلَفْظُهُ في احْدَى رِوَايَاتِهِ قالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ النبي صلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ اليَهُودُ ، يُقَالُ لَهُ ثَعْلَبَةُ بْنُ الحَارِثِ فَقَالَ : السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ، فقالَ « وَعَلَيْكُم » فَقَالَ لَهُ اليَهُودِيُّ : تَزْعُمُ أَنَّ في الجَنَّةِ طَعَاماً وَشَراباً وَأَزْوَاجاً ، فَقَالَ النبي صلى اللهُ عليه وسلمَ « نعَمْ تُؤْمِنُ بشَجَرةِ المِسْكِ » ؟ قالَ : نعَم . قالَ : « وَتَجِدُهَا في كِتَابِكُم ؟ » قالَ : نَعم : قالَ « فإنَّ البَوْلَ وَالجَنَابَةَ عَرَقٌ ، يَسِيْلُ مِنْ تَحْتِ ذَوائِبِهم ، إلَى أَقْدَامِهِمْ مِسْكٌ » .

ـ وَرَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ وَالحَاكِمُ وَلَفْظُهُمَا : أَتَى النَّبي صلى اللهُ عليه وَسَلَمَ رَجُلٌ مِنْ اليَهُودِ ، فقالَ : يَا أبا القَاسِم : أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيْهَا وَيَشْرَبُونَ ؟ ، وَيَقُولُ لأَصْحَابِهِ : إِنْ أَقَرَّ لِيْ بِهَذَا خَصَمْتُه ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ : « بَلَى ، وَالذِيْ نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنَّ أَحَدَهُم لَيُعْطَى قُوَّةَ مائَةِ رَجُل في المَطْعَمِ وَالمَشْرَب وَالشَّهْوَةِ وَالجِمَاعِ » فقالَ اليَهُودِيّ فإنَّ الذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تكوْنُ لَهُ الحاجَةُ فقالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « حَاجَتُهم يَفِيْضُ مِنْ جُلُودِهم مِثْلُ المِسْكِ ، فإذَا البَطْنُ قَدْ ضَمُرَ » وَلَفْظُ النسائِيّ نَحْوُ هَذَا .

هـذا وَتَصْـرِيْفُ المـآكِـلِ مِنْهُـمُـوا
عَـرَقٌ يَـفِـيْضُ لَـهُـم مِـنْ الأَبْـدَانِ

كَـرَوائـحِ المِسْـكِ الـذي مَـا فِيْـهِ مِنْ
خِـلْطٍ لَـه مِـنْ سَـائِـرِ الأَلْـوَانِ

فَتَعُـودُ هَـاتِيْـكَ البُـطُونُ ضَـوامِـرٌ
تَـبْغِـي الـطعـامَ عـلى مَـدَى الأَزْمَـانِ

لا غَـائِطٌ فِـيْـهَـا ولا بَـوْلٌ ولاَ
مَـخَطٌ ولا بَـصْـقٌ مِـن الانـسـانِ

وَلَـهُـم جُـشَـاءٌ رِيْـحُـهُ مِـسْـكٌ يَـكُـو
نُ بـه تَـمَـامُ الـهَـضْـمِ بـالاحـسـانِ

هَـذَا وَهَـذَا صَـحَّ عـنـه فَـوَاحِـدٌ
فـي مُـسْـلِمٍ ولأَحْـمَـدَ الأَثْـرَانِ

وَعَن أَنَس بْنِ مَالكٍ رضي اللهُ عنه يَرفَعُه قالَ : « انَّ أَسْفَلَ أَهْلِ الجنَّةِ أَجْمَعِيْنَ مَنْ يَقُومُ على رَأْسِهِ عَشَرَةُ آلافِ خَادِمٍ ، مَعَ كلِّ خادِمٍ صَحْفَتَانِ ، وَاحِدَةٌ من فِضَّةٍ ، وَوَاحِدَةٌ مِن ذَهَبٍ ، في كلِّ صَحْفةٍ لَوْنٌ لَيْسَ في الأُخْرَى مِثْلُها ، يَأكلُ مِنْ آخِرِهِ كَمَا يَأْكُلُ مِنْ أَوَّلِهِ ، يَجِدُ لآخِرِهِ مِنْ اللذةِ وَالطَّعْمِ مَا لا يَجِدُ لأَوَّلِه ، ثمَّ يَكُون فوْقَ ذَلِكَ رَشْحُ مِسْكٍ وَجُشَاءُ مِسْكٍ ، لاَ يَبُولُونَ ولا يَتغوَّطُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ » رَوَاهُ ابْنُ أَبي الدّنْيَا وَاللفْظُ لَهُ ، والطَّبرانِيّ وَرُوَاتُه ثِقَاتٌ .

وَعَن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ : « إِنَّ أَدْنَى أَهْل الجَنَّةِ مَنْزِلَةً انَّ لَهُ لسَبْعُ دَرجَاتٍ وَهُو عَلَى السَّادِسَةِ ،

وَفَوْقَهُ السَّابِعَةُ ، إنَّ لَهُ لثَلاثُمائةِ خَادِمٍ ، وَيُغْدَى عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ وَيُرَاحُ بِثَلاثمائةِ صَحْفَةٍ ، ـ وَلاَ أَعْلَمُهُ إلَّا قالَ ـ مِنْ ذَهَب ، في كلِّ صَحْفَةٍ لَوْنٌ لَيْسَ في الأُخْرَى ، وَإِنَّهُ لَيَلَذُّ أَوَّلَه كَمَا يَلَذُّ آخِرُهُ ، وَمِنَ الأَشْرِبَةِ ثلاثُمائةِ إنَاءٍ ، في كُلِّ إناءٍ لَوْنٌ لَيْسَ في الآخرِ ، وَإِنَّهُ لَيلَذُّ أَوَّلَهُ كَمَا يَلَذ آخِرَه ، وَانَّهُ ليَقُولُ : يَا رَبِّ لَو أَذِنْتَ لِيْ لاطْعَمْتُ أَهْلَ الجَنَّةِ وَسَقَيْتُهُم ، لَمْ يَنْقُصْ مِمَّا عِنْدِي شَيْءٌ » الحَدِيْثُ رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ شَهْرٍ عَنْهُ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلم « إِنَّ طيْرَ الجَنَّةِ كَأَمْثَالِ البُخْتِ ، تَرْعَى في شَجَرِ الجَنَّةِ فقالَ أبو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ هَذِهِ لَطَيْرٌ نَاعِمَة ، فَقَالَ : « أَكْلَتُها أَنْعَمُ مِنْهَا » : قالهَا ثَلاثاً ، « وإنِّيْ لأرْجُو أنْ تكُونَ مِمَّنْ يَأْكُلُ مِنْهَا » . رَوَاهُ أَحْمَدُ باسْنَادٍ جَيِّدٍ ، وَالتِّرْمِذيّ وَقَالَ : حَدِيْثٌ حَسَنٌ ، وَلفْظُهُ : قَالَ : سُئِلَ النبي صلى اللهُ عليه وسَلمَ : مَا الكَوْثَرُ ؟ قَالَ : « ذَاكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيْهِ اللهُ ، يَعْنِي في الجَنَّةِ ، أَشَدُّ بَيَاضاً مِنْ اللبَن ، وَأَحْلَى مِنْ العَسَلِ ، فِيْهِ طَيْرٌ أَعْنَاقُها كأعْنَاقِ الجُزُرِ » ، قَالَ عُمَرُ : إنَّ هَذِهِ لنَاعِمَةٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسَلم « أَكْلَتُها أَنْعَمُ مِنْهَا » . (البُخْتُ) بضَمِّ المُوحَّدَةِ ، وَاسْكَانِ الخَاءِ المُعْجَمَةِ ، هِيَ الإِبِلُ الخُرَاسَانِيّة .

فَمَا العَيْشُ إلَّا ذَاكَ لا عَيْشُ عَزَّةٍ
وَسُعْدَى وَلاَ لَيْلَى وَلاَ أُمِّ سَالِمِ
وذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَشَا
وَيُرْجَى لِعَبْدٍ قَارِعِ البابِ لاَزِمِ

وَعَنْ سليْم بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلمَ يَقُولُونَ : انَّ اللهَ لِيَنْفَعُنا بالأعْرَابِ وَمَسائِلِهم ، قالَ : أَقْبَلَ أَعْرَابِيّ يَوْماً ، فقالَ : يا رَسُولَ الله ذكرَ اللهُ عَزّ وجَلّ في الجَنَّةِ شجَرَةً مؤذِيَةً ، وَمَا كُنْتُ أرَى أنَّ في الجَنّةِ شَجَرَةً تُؤْذِي صَاحِبَها ؟ قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ وما هِيَ ؟ قال : السِّدْرُ ، فإِنَّ لَهُ شَوْكاً مُؤذِياً ، قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ : أَلَيْسَ اللهُ يَقُولُ : ﴿ في سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴾ ؟ خَضَدَ اللهُ شَوْكَهُ ، فَجَعَلَ مَكَانَ كلِّ شَوْكةٍ ثمرةً ، فإنها لَتُنْبِتُ ثَمَراً ، تَفَتَّقُ الثَّمَرَةُ مِنْهَا عَنْ اثْنَيْنِ وَسَبْعِيْنَ لَوْناً مِنْ طَعَامٍ ، مَا فِيْهَا لَوْنٌ يُشْبِهُ الآخَر » رَوَاهُ ابْنُ أبي الدنْيَا ، وَاسْنَادُه حَسَنٌ . وَرَوَاهُ أَيْضاً عَنْ سَلِيْم بْن عَامِرٍ ، عَنْ أبي أُمَامَةَ البَاهِلِيّ ، عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم مِّثْلهُ ـ وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : الرُّمَّانَةُ مِنْ رُمَّانِ الجَنةِ يَجْتَمِعُ حَوْلهَ بَشَرٌ كَثِيْرٌ يَأْكُلونَ مِنْهَا ، فإنْ جَرَى عَلى ذِكْرِ أَحَدِهِمْ شَيْءٌ يُرِيْدُهُ وَجَدهُ في مَوْضِع يَدِهِ حَيْثُ يَأكلُ » . رَوَاهُ ابْنُ أبي الدنيا ، وَرَوَى باسْنَادِهِ أَيْضاً عنهُ قالَ : انَّ التَّمْرَةَ مِنْ تَمْرِ الجَنَةِ طُوْلُهَا اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعاً ، لَيْسَ لَهُ عَجَمٌ .

شِـعْراً :

فَسِـرْ في الـطَّرِيْقِ المُسْتَقِيْمِ إلَى العُـلا
على الصِّـدْقِ وَالاخْـلاصِ وَالبِـرِّ وَالتُّقَى
وإيَّـاكَ والـدنـيـا الـغَـرُوْرَ فـانَّـهَـا
مَـتَـاعٌ قـلـيـلٌ مـالَـهَـا أبَـداً بَـقَـا
وَتُـلْهِيْـكَ عـن جَنَـاتِ خُـلْدٍ نَعِيْـمُـهَـا
يَـدُومُ وَيَـصْفُـو حَـبَـذَا ذَلِـكَ مُلْتَقَى

وفيهـا رِضَـا الـرَّبِ الكـريمِ وقُـرْبُـه
ورُؤْيَـتُـه أَكْـرِمْ بِـذَلِـكَ مُـرْتَـقَـى

وَصَـلِ وَسَلِم ذُو الجَـلاَلِ على أَحْمَـدٍ
شفيـعِ البَـرَايَـا كُلَّمـا المُـزْنُ أَغْـدَقَـا

اللهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ شَرِّ نُفُوسِنا وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَمِنْ شَرِّ الهَوَى وَمِنْ شَرِّ الدّنْيا وَآتِنَا في الدّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا

اللهم انْـظُمْنَا في سِلْكِ عِبَادِكَ المُفْلِحِينَ واجْعَلْنَا من عِبَـادِكَ المُخْلِصِينَ الذينَ لا خَوْفٌ عليهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ واغْفِرْ لَنَا ولوالِدَيْنَا ولِجَمِيْعِ المُسْلمينَ الاحْيَاء مِنْهُم والمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل) في ثيابهم وحللهم

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْ النبي صلى اللهُ عليه وَسَلَمَ قالَ : « مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يَنْعَمْ وَلاَ يَبْأَسْ ، لاَ تَبْلَى ثِيَابُه ، وَلاَ يفْنَى شَبابُه ، في الجَنَّةِ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ يَعْنِيْ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، عَنْ النبي صلى اللهُ عليه وسلمَ قالَ : « أَوَّلُ زمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ كَأَن وُجُوْهَهُم ضَوْءُ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، والزّمْرةُ الثَّانِيَةُ عَلَى لَوْنِ أَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍ في السَّمَاءِ ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُم زَوْجَتَانِ مِنْ الحُورِ العِيْنِ ، على كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَةً ، يَرَى مُخَ سُوْقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ لُحُومِهِمَا وحُلَلِهِمَا، كَمَا يَرَى الشَّرَابَ الأَحْمَرَ في الزُّجَاجَةِ البَيْضَاءِ » . رَوَاهُ الطَّبَرانِيّ باسْنَادٍ صَحِيْحٍ ، والبَيْهَقِيّ باسْنَادٍ حَسَنٍ ، وَتَقَدَّمَ

حَدِيْثُ أبي هُرَيْرَةَ المُتَّفَقُ عَلَيْه بِنَحْوِهِ .

وَعَنْ أَبِيْ سَعِيْد الخُدْرِيّ رَضِيَ اللهُ عنهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلَمَ قالَ : « إنَّ الرّجُلَ لِيَتَّكِىءُ في الجنَّة سَبْعِيْنَ سَنَة ، قبْلَ أنْ يَتحَوَّلْ ، ثُمَّ تَأْتِيْه إمْرَأة فَتَضْربُ مَنْكِبَهُ ، فَيَنْظُرُ وَجْهَهُ في خَدِّهَا ، أَصْفَى مِنَ المرْآةِ ، وإنَّ أدْنى لُؤْلُؤةٍ عَلَيْها تَضِيْءُ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِب ، فَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، فَيَرُدُّ السَّلاَمَ وَيَسْأَلُهَا مَنْ أَنْتَ ؟ فَتَقُول : أَنا مِنَ المزيْدِ ، وَإِنَّهُ لِيَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْباً ، أَدْنَاهَا مِثْلُ النُّعْمانِ ، مِنْ طُوْبَى ، فَيَنْفذُهَا بَصَرُهُ حَتَّى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ ، وَإِنَّ عَلَيْهَا مِنَ التِّيْجَانِ إن أَدْنَى لُؤْلؤةٍ مِنْهَا لَتُضِيْءُ مَا بَيْنَ المَشْرِق وَالمَغْرِب » . رَواهُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيْقِ ابْنِ لَهِيْعَةَ ، عَنْ دَرَّاجَ ، عَنْ أَبِيْ الهَيْثَم ، وَابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِه مِنْ طَرِيْقِ عَمْرِو بْنِ الحَارِثِ ، عَنْ دَرّاج عَنْ أَبِيْ الهَيْثَمَ .

وَرَوَى التِّرمِذيّ مِنْهُ ذِكْرُ التِّيْجَان فَقَطْ ، مِنْ رِوَايَةِ رُشْدِيْنَ عَنْ عَمْرو بْنِ الحَارِثِ ، وَقَالَ : لاَ نَعْرِفُه إلاَّ مِنْ حَدِيْثِ رُشْدِيْنَ

وَعَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ قَالَ كَعْبٌ : لَوْ أَنَّ ثَوْباً مِنْ ثِيَاب أَهْلِ الجنّةِ لُبِسَ اليَوْمَ في الدّنيا لصَعِقَ مَنْ يَنْظُرُ إليْهِ ، وَمَا حَمَلَتْهُ أَبْصَارُهُم . رَوَاهُ ابْنُ أبي الدّنْيَا ، وَيَأْتِي حَدِيْثُ أَنسٍ المَرْفُوعُ « وَلَوْ اطَّلَعَتْ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجنَّةِ إِلَى الأَرْضِ لَمَلأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيْحاً ، ولأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُما ، وَلَنَصِيْفُها يَعْنِي خِمَارَهَا ـ عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنْ الدّنْيَا وَمَا فِيْهَا . رَوَاهُ البُخَارِيّ وَمُسْلِمٌ .

شعرا : بِقَدْرِ الْكَدِ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِيْ   وَمَن طَلَبَ العُلىَ سَهِرَ اللَّيَالِـيْ
ومَن طَلَبَ العُلا مِنْ غَيْـرِ كَدٍ   أَضَاعَ العُمْرَ في طَلَبِ المحَـالِ
تَرُوْمَ الخُلْـدَ ثم تَنَـامُ عَنْهَـا   يَغُوصُ البَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللآلِـي

وفي الصَّحِيْحَيْن مِنْ حَدِيْث عَبْدِ اللهِ بْن قَيْس قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلمَ إنَّ لِلْعَبْدِ المؤمن في الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤةٍ مُجَوَّفَة طُوْلُهَا ستُّونَ مِيْلاً لِلْعَبْدِ المؤمنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوْفُ عَليهم لا يَرى بَعْضُهم بَعْضَا وَأَخْرَجَ ابْنُ أبي الدنيا عَنْ سَعِيْدِ بْن جُبَيْر إنَّ شَهْوَتَهُ لتَجْرِيْ في جَسَدِهِ سَبْعِيْنَ عَـامًا يَجدُ اللَّـذَةَ ولاَ يَلْحَقُهمْ بِذَلِكَ جَنَابَةَ فَيَحْتَاجُـونَ إلَى التَّطْهيْر وَلاَ ضَعْفُ ولا انْحِلالُ قُوَّةٍ ، وَطْؤُهُم وَطْءُ التِذَاذٍ ، نَعِيْمٌ لا آفَةَ فِيْهِ بِوَجْهٍ مِنْ الوُجُوهِ وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْم قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ يَسْتَطِعُ نُورٌ في الجَنَّةِ فَيرْفَعُونَ رُؤُسَهُم فإذا هُوَ مِنْ ثَغْرِ حَوْرَاءَ ضَحِكَتْ في وَجْهِ زَوْجِهَا وَإلَى هَذَا أَشَارَ الشَّاعِرُ :

شِـعْرَاً :

فَلَوْ أَنَّ حَـوْراً في الـدَّيَـاجِيْ تَبَسَّمَـتْ
تَجَلَّى دُجَى الـظَّلْمَاءِ في الأَرْضِ نُـوْرُهَـا
ولـو مُـزِجَ الـمَـاءُ الأُجَـاجُ بِـرِيْقِـهَـا
لأَصْبَـحَ عَـذْبَـاً سَلْسَبِيْـلاً بُحُـوْرُهَـا

آخـرُ :

يـا عـاشِقـاً لِلْغَـوانِي مُغْـرَمـاً بِهَـوَى
دَارِ الـغُـرُوْرِ وَعَـيْشٍ شِيْبَ بالكَـدَرِ
إنَّ الغَـوانِي الحِسَانَ الحُـوْرَ مَسْكَنُهَـا
دَارُ السُـرُوْرِ على فُـرشٍ عـلى السُـرُرِ

فِي سُنْـدُس الفُرْشِ أَقْمَـارٌ عَلَى سُـرُرٍ
مـن الْيَـواقِـيْتِ فـي قَصْـرٍ مِـن الـدُرَرِ
يُشَـاهِـدُ المُـخَّ في السَاقِينِ نَـاظِرُهَـا
مِن فَـوقِ سَبْعِينَ مَلْبُـوسـاً مِن الحِبَـرِ
قَـد طِلْنَ شَـوْقَـاً إِلَى أَزْوَاجِـهِنَّ كَـمَـا
يَشْتَـاقُ لِلْغَـائِبِ المَحْبُـوْبِ في السَّفَـرِ

اللَّهُمَّ قَوِّي إيمَانَنَا بِكَ وَنَوِّر قُلُوبَنا بِنُورِ الأيمانِ واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنْ اللَّهمَّ يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا على دِينِكَ وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وأَمِّنَّا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وجميع المسلمينَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَاحِمين .

شِـعْراً :

الـلّهُ أَعْـظَمَ مِمَّـا جَـالَ فـي الـفِكَـر
وَحُـكْمُـهُ فـي الـبَـرَايَـا حُكْمُ مُـقْتَـدِرِ
مَـوْلَـىً عَـظِيْمٌ حَـكِيْـمٌ وَاحِـدٌ صَـمَـدٌ
حَيٌّ قَـدِ يُـذُمُـرِ يـدُ فَـاطِـرَ الفِـطَرِ
يَـا رَبُّ يَا سَامِعَ الأَصْواتِ صَلِّ عَلَى
رَسُـولِـكَ المُجْتَبَي مِنْ أَطْـهَـرِ الْبَشَـرِ
وَآلِـهِ والـصِّحَـابِ الْـمُـقْـتَـدِيْـنَ بِـهِ
أَهْـلِ التُّقَى وَالـوَفَـا وَالنُّصْـحِ لِلْبَشَـرِ
أَشْـكُـو إِلَيْـكَ أُمُـوراً أَنْـتَ تَـعْـلَمُـهَـا
فُتُـورَ عَـزْمِي وَمَـا فَـرَّطْتُ في عُمُـري
وَفَـرْطَ مَيْلِي إلى الـدُنْيَـا وَقَـدْ حَسَـرَتْ
عَنْ سَـاعِـدِ الْغَـدْرِ في الآصَـالِ وَالْبُكَـرِ

يَـا ربِّ زِدْنِـيَ تَـوْفِيْـقَـاً وَمَـعْـرِفَـةً
وَحُسْنَ عَـاقِبَـةٍ في الـوِرْدِ وَالـصَّـدَرِ
قَـدْ أَصْبَحَ الْخَلْقُ في خَـوْضٍ وفي ذُعُـرٍ
وَزوْرِ لَـهْـوٍ وَهُمْ فـي أَعْـظَمِ الـخَـطَرِ
وَلِـلْقِـيَـامَـةِ أَشْـرَاطُ وَقَـدْ ظَـهَـرَتْ
بَعْضُ الْعَـلَامَـاتِ وَالْبَـاقِي عَلَى الأَثَـرِ
قَـلَّ الْـوَفَـاءُ فلا عهْدٌ وَلَا ذِمَـمُ
واسْتَحْكَمَ الجَهْـلُ في الْبَادِيْنَ وَالْحَضَـرِ
دَعَـوْا لِأَدْيَانِـهِمْ بالـبَخْس مِـنَ سُحْـتٍ
وأَظْهَـرُوا الفِسْقَ والعُـدْوَانَ بـالأَشَـرِ
وجَـاهَـرُوا بـالْمَعَـاصِي وارْتَضَـوا بِـدَعـاً
عَمّتْ فَـصَـاحِبُـهـا يَمْشِي بِـلَا حَـذَرِ
وَطَـالِبُ الْحَقّ بَيْـنَ الـنّاسِ مُسْتَتِـرٌ
وَصَـاحِبُ الإِفْـكِ فِيْهم غَـيْـرُ مُسْـتَتِـرِ
والْـوَزْنُ بـالْـوَيْـلِ والأَهْـوَاءِ مُعْتَبَـرٌ
وَالْـوزْنُ بـالْحَقّ فِـيْهِـمِ غَيْـرُ مُعْتَبَـرِ
وَقَـدْ بَـدَاَ النَّقْصُ بالإِسْلَامِ مُشْتَـهِـراً
وبُـدِّلَـتْ صَفْوَةُ الْخَيْـرَاتِ بِـالْكَـدَرِ
فَسَـوْفَ يَخْـرُجُ دَجّـالُ الـضَلَالَـةِ في
هَرْجٍ وَقُحْطٍ كَمَـا جَـاءَ فـي الْخَبَـرِ
وَيَـدَّعِـي أَنَّـهُ رَبُّ الْـعِـبَـادِ وَهَـلْ
تَخْفَى صِفَـاتُ كَـذوبٍ ظَـاهِـرِ الْعَـوَرِ

فَـنَـارُهُ جَنَّـةُ طُـوْبَـي لِـدَاخِـلِهـا
وَزُوْرُ جَـنَّـتِـهِ نَـارٌ مِـنَ الـسُّـعُـرِ

شَـهْـرٌ وَعَـشْـرٌ لَـيَـالِيُ طُـوْلَ مُـدَّتِـهِ
لَـكِنَّـهُ عَـجَـبٌ فـي الـطُّولِ وَالْـقِـصَـرِ

فَيَبْـعَـثُ اللهُ عِـيْسَى نَـاصِراً حَـكَـمَـاً
عَـدْلاً وَيَـعْضِـدُه بـالـنَّـصْـرِ والـظَّفَـرِ

فَيَـتْـبَـعُ الْـكَـاذِبَ الْبَـاغِـي ويَقْتُلُهُ
وَيَـمْحَـقُ الـلّهُ أَهْـلَ الْبَـغْـي والـضَّـرَرِ

وَقَـامَ عِـيْسَى يُـقِيْـمُ الـحَـقّ مُـتَّـبِعـاً
شَـرِيْعَـةَ المُصْـطَفَى المُخْتَـارِ مِنْ مُضَـرِ

فـي أَرْبَعِـيْـنَ مِـنَ الأعْـوَامِ مُـخْصِـبَـةٌ
فَـيَكْـسِبُ الْـمَـالَ فِيْـهَـا كُـلُّ مُفْـتَـقِـرِ

حَـتَّـى إِذَا أَنْـفَـذَ الـلَّهُ الْـقَـضَـاءَ دَعَـى
عِيْسَـى فَـأَفْنَـاهُـمُ المَـوْلَى عَلَى قَـدَرِ

وَعَـادَ لِلنَّـاسِ عِيْـدُ الْخَيْـرِ مُـكْتَـمِـلاً
حَـتَّى يَـتِـمَّ لِـعِيْـسَى آخِـرُ الْـعُـمُـرِ

والشَّمْسُ حِيْنَ تُـرَى في الْغَـرْبِ طَـالِعَـةً
طُـلُوعُـهـا آيَـةٌ مِـنْ أَعْـظَمِ الْـكِـبَـرِ

فَـعِـنْـدَ ذَلِـكَ لاَ إِيْـمَـانَ يُـقْـبَـلُ مِـنْ
أَهْـلِ الـجُـحُـودِ وَلاَ عُـذْرٌ لِـمُـعْـتَـذِرِ

وَدابةٌ في وُجُوهِ المؤمِنِيْنَ لَهَا
وَسْمٌ مِنْ النُّورِ وَالكُفَّارِ بالْقَتَرِ

وَخَلْفُها الْفِتْنَةُ الدَّجَّالُ قَبْلَهُمَا
أَوْ بَعْدُ قَدْ وَرَدَ القَوْلاَنِ فِي الْخَبَرِ

وَكَمْ خَرَابٍ وَكَمْ خَسْفٍ وَزَلْزَلَةٍ
وَفَيْحِ نَارٍ وآيَاتٍ مِنَ النُّذُرِ

وَنَفْخَةُ تُذْهِبُ الأَرْواحَ شِدَّتُهَا
إلَّا الّذِيْنَ عُنُوا فِي سُورَةِ الزُّمَرِ

وأَرْبَعُونَ مِنَ الأَعْوَامِ قَدْ حُسِبَتْ
لِكَيْ تُبَثَّ بِهَا الأَرْوَاحُ فِي الصُّوَرِ

قَامُوا حُفَاةً عُرَاةً مِثْلَ مَا خُلِقُوا
مِنْ هَوْلِ مَا عَايَنُوا سَكْرَى بِلاَ سُكُرِ

قَوْمٌ مُشَاةٌ وَرُكْبَانٌ عَلَى نُجُبٍ
عَلَيْهِمَا حُللٍ أَبْهَى مِنَ الزهرِ

وَيُسْحَبُ الظَّالِمُونَ الكَافِرُونَ عَلَى
وُجُوهِهِمْ وَتُحِيطُ النَّارُ بِالشَّرَرِ

والشَّمْسُ قَدْ أُدْنِيَتْ والنَّاسُ فِي عَرَقٍ
وفِي زِحَامٍ وَفِي كَرْبٍ وفِي حَصَرِ

وَالأَرْضُ قَدْ بُدِّلَتْ بَيْضَاءَ لَيْسَ لَهَا
مَخْفَى ولاَ مَلْجَأٌ يَبْدُو لِمُسْتَتِرِ

طَـالَ الْـوُقُـوفُ فَجَاؤُا آدمـاً فَـرَجْـوا
شَـفَـاعَـةً مِـنْ أَبِـيْـهِـمْ أَوَّلُ الْـبَـشَـرِ
فَـرَدَّ ذَاكَ إِلَـى نُـوحٍ فَـرَدَّ هُـمُـوا
إِلَى الخَـلِيْـلِ فَـأَبْـدَى وَصْفَ مُـفْتَـقِـرِ
إِلَـى الْكَـلِيْمِ إِلى عِيْسَى فَـرَدَّهُـمُـوا
إِلَى الْحَبِيْبِ فَلَبَّـاهَـا بِـلاَ حَـصَـرِ
فَيَسْـأَلُ الْمُصْطَفَىٰ فَصْـلَ الْقَضَـاءِ لَهُمْ
لِـيَسْـتَـرِيْـحُـوا مِـنَ الأَهْـوَالِ وَالْـخَـطَرِ
تُـطْوَىٰ الـسَّمَـواتُ وَالأَمْـلاَكُ هَـابِـطَةٌ
حَـوْلَ الْـعِبَـادِ لِـهَـوْلٍ مُعْضِـلٍ عَسِـرِ
والشَّمْسُ قَـدْ كُوِّرَتْ وَالْكُتُبُ قَـدْ نُشِـرَتْ
والأَنْجُمُ انْكَـدَرَتْ نَـاهِيْـكَ عَـنْ كَـدَرِ
وَقَـدْ تَـجَـلَّى إِلَـهُ الـعَـرْشِ مُـقْـتَـدِراً
سُبْحَـانَـهُ جَـلَّ عَنْ كَيْفٍ وَعَنْ فِـكَـرِ
فَيَـأْخُـذُ الْحَقَّ لِلْمَـظْلُومِ مُـنْـتَـصِـفـاً
مِـنْ ظَـالِـمٍ جَـارٍ بِـالْـعُـدْوَانِ وَالْبَـطَرِ
وَالـوَزْنُ بِـالْقِسْطِ وَالأَعْمَـالُ قَـدْ ظَهَـرَتْ
وَوَزْنُـهَـا عِـبْـرَةٌ تَـبْـدُو لِـمُـعْـتَـبِـرِ
وَكُـلُّ مَـنْ عَـبَـدَ الأَوْثَـانَ يَـتْـبَـعُـهَـا
بِـإِذْنِ رَبِّـي وَصَـارَ الْكُـلُّ في سَـقَـرِ

وَالمُسْلِمُـونَ إلَى المِيْـزَانِ قَـدْ قُسِمُـوا
ثَـلاَثَـةً فَـاسْمَعُـوا تَقْسِيمَ مُخْتَصِـرِ

فَسَـابِقٌ رَجَـحَـتْ مِـيْـزَانُ طَـاعَـتِـهِ
لَـهُ الْـخُـلُودُ بِـلاَ خَـوْفٍ وَلاَ ذُعُـرِ

وَمُـذْنِـبٌ كَـثُـرَتْ آثَـامُـهُ فَـلَهُ
شَـفْـعٌ بِـأوْزَارِهِ أَوْ عَـفْـوُ مُـغْـتَـفِـرِ

وَوَاحِـدٌ قَـدْ تَـسَـاوَتْ حَـالَـتَـاهُ لَـهُ
حَبْسٌ طَـوِيْـلٌ وَبَيْنَ البِشْـرِ وَالحَـصَـرِ

ويُـكْـرِمُ اللهُ مَـثْـوَاهُ بِـجَـنَّـتِـهِ
بِجُـوْدِ فَضْـلٍ عَمِيْمٍ غَيْـرِ مُنْحَصِـرِ

وفي الـطَّرِيقِ صِـرَاطٌ مُـدَّ فَوْقَ لَـظَى
كَحَـدِّ سَيْفٍ سَـطَا فِي دِقَّـةِ الشَّعَـرِ

النَـاسُ في وِرْدِهِ شَتَّى فَمُسْـتَـبِقٌ
كَالبَـرْقِ والـطَّيْـرِ أَوْ كَـالخَيْـلِ في النَّـظَرِ

سَـاعِيْ ومَـاشٍ وَمَـخْـدُشٍ وَمُـعْـتَلِقٍ
نَـاجٍ وَكَـمْ سَـاقِطٍ في الـنَـارِ مُنْتَشِرِ

لِلْمُـؤْمِـنِـيْـن وُرُوْدٌ بَـعْـدَهُ صَـدَرٌ
والـكَـافِـرُون لَـهُـمْ وِرْدٌ بِـلاَ صَـدَرِ

فَـيَشْـفَـعُ المُـصْـطَفَى والأنـبيـاءُ وَمَـنْ
يَـخْـتَـارُهُ الـمَـلِكُ الـرَّحْـمَنُ في زُمَـرِ

فِي كُـلِّ عَـاصٍ لَـهُ نَفْسٌ مُقَصِّـرَةٌ
وقَلْبُـهُ عَنْ سِوَى الـرَّبِّ العَـظِيْمِ بَـرِي
فَـأَوَّلُ الـشُفَـعَـا حَقـاً وآخِـرُهـمْ
مُـحَمَّـدٌ ذُو البَـهَـاءِ الـطَّيبِ العَـطِرِ
والحَـوْضُ يَشْـرَبُ مِنْـهُ المُؤْمِنُونَ غَـداً
كَالأَرْيِ يَجْرِيْ عَلَى اليَـاقُـوْتِ والـدُّرَرِ
وَيَـخْـلُقُ اللهُ أَقْـوَامَـا قَـدْ احْـتَـرَقُـوْا
كَـانُـوا أُولِي العِـزَّة الشَّنْعَـاءِ والنَّجَـرِ
والـنـارُ مَثْـوىً لِأَهْـلِ الـكُفْـرِ كُـلِّهِمُ
طِبَاقُهَا سَبْعَةٌ مُسْوَدَّةُ الحُفَرِ
جَـهَـنَّمٌ وَلَـظَى والـحَـطْمُ بَـيْـنَـهُـمَـا
ثُمَّ السَّعِيْـرُ كَـمَـا الأَهْـوَالُ فِي سَـقَـرِ
وَتَـحْـتَ ذَاكَ جَـحِـيْـمٌ ثُـمَّ هَـاوِيَـةٌ
يَـهْـوِيْ بِهَـا أَبَـدَاً سُـحْقَـاً لِمُـحْـتَقِـرِ
فِي كُـلِّ بَـابٍ عُقُـوْبَـاتٌ مُضَـاعَفَـةٌ
وَكُـلُّ وَاحِـدَةٍ تَـسْـطُوْا عَـلَى الـنَّـفَـرِ
فِـيهَـا غِـلاظٌ شِـدَادٌ مِنْ مَـلَائِكَـةٍ
قُـلُوبُـهُـمْ شِـدَّةً أَقْسَـى مِنَ الـحَـجَـرِ
لَـهُـمْ مَقَـامِـعُ لِلتَّـعْـذِيْـبِ مُـرْصَـدَةٌ
وَكُـلُّ كَسْـرٍ لَـدَيْهِمْ غَـيْـرِ مُنْجَـبِـرِ

سَـوْدَاءُ مُـظْلِمَـةٌ شَعْثَـاءُ مُـوْحِشَـةٌ
دَهْـمَـاءُ مُحْـرِقَـةٌ لَـوَّاحَـةُ الـبَشَـرِ

فِيها الجَحِيْمُ مُذِيْبٌ لِلْوُجُـوْهِ مَـعَ أَلْ
أَمْعَاءِ مِنْ شِـدَّةِ الاحْـرَاقِ والـشَّـرَرِ

فِيْهَا الغِسَاقُ الشَّـدِيْـدُ البَـرْدِ يَقْطَعُهُمْ
إِذَا اسْتَغَـاثُـوا بِـحَـرٍّ ثُـمَّ مُسْتَعِـرِ

فِـيْهَـا السَّلاَسِـلُ والأَغْلاَلُ تَجْـمَعُـهُمْ
مَـعَ الشَّيَـاطِيْنِ قَسْـراً جَمْـعَ مُنْقَهِـرِ

فِيْهَـا العَقَـارِبُ والحَيَّاتُ قَـدْ جُعِلَتْ
جُلُودُهُمْ كَـالْبِغَـالِ الـدُّهْمِ والحُمُـرِ

والجُـوْعُ والعَـطَشُ المُضْنِيْ لِأَنْـفُسِـهِم
فِـيْهـا وَلاَ جَـلَدٌ فِـيْهَـا لِـمُـصْـطَبِـرِ

لَـهَـا إِذَا مَـا غَـلَتْ فَـوْرٌ يُـقَـلِّبُـهُـمْ
مَـا بَيْـنَ مُـرْتَفِـعٍ مِنْهَـا وَمُنْحَـدِرِ

جَمْـعُ النَّـوَاصِيْ مَـعَ الأَقْدَامِ صَيَّـرَهُمْ
كَـالقَـوْسِ مَحْنِيَّـةً مِنْ شِـدَّةِ الـوَتَـرِ

لَهُمْ طَعَـامٌ مِن الـزَّقُّـوْمِ يَـعْلَقُ فـي
حُلُوْقِهِـمْ شَـوْكُـهُ كَـالصَّـابِ والـصَّبِـرِ

يَـا وَيْلَهُم تُـحْـرِقُ النِّيْـرَانُ أَعْـظُمَهُمْ
بِـالمَوتِ شَهْـوَتُهُمْ من شِـدَّةِ الضَّجَـرِ

ضَجَّوْا وَصَاحُوا زَمَانَاً لَيْسَ يَنْفَعُهُمْ
دُعَاءُ دَاعٍ ولا تَسْلِيْمُ مُضْطَبِرِ
وَكُلُّ يَوْمٍ لَهُمْ في طُوْلِ مُدَّتِهِمْ
نَزْعٌ شَدِيْدٌ مِن التَّعْذِيْبِ والسَّعَرِ
كَمْ بَيْنَ دَارِ هَوَانٍ لا انْقِضَاءَ لَهَا
وَدَارِ أَمْنٍ وَخُلْدٍ دَائِمِ الدَّهَرِ
دَارِ الَّذِيْنَ اتَّقُوْا مَوْلاَهُمُ وَسَعَوْا
قَصْدَاً لِنَيْلِ رضَاهُ سَعْيَ مُؤْتَمِرِ
وآمَنُوْا واسْتَقَامُوْا مِثْلَ مَا أُمِرُوْا
واسْتَغْرَقُوْا وَقْتَهُمْ في الصَّوْمِ والسَّهَرِ
وَجَاهَدُوْا وانْتَهَوْا عَمَّا يُبَاعِدُهُمْ
عَنْ بَابِهِ واسْتَلاَنُوْا كُلَّ ذِيْ وَعَرِ
جَنَّاتُ عَدْنٍ لَهُمْ مَا يَشْتَهُوْنَ بِهَا
في مَقْعَدِ الصّدْقِ بَيْنَ الرَّوْضِ والزَّهَرِ
بِنَاؤُهَا فِضَّةٌ قَدْ زَانَهَا ذَهَبٌ
وَطِيْنُهَا المِسْكُ والحَصْبَا مِنَ الدُّرَرِ
أَوْرَاقُهَا ذَهَبٌ مِنْهَا الغُصُونُ دَنَتْ
بِكُلِّ نَوْعٍ مِن الرَّيْحَانِ والثَّمَرِ
أَوْرَاقُهَا حُلَلٌ شَفَّافَةٌ خُلِقَتْ
واللُّؤْلؤُ الرَّطْبُ والمُرْجَانُ في الشَّجَرِ

دَارُ النَّعِيْمِ وَجَنَّاتُ الخُلُودِ لَهُمْ
دَارُ السَّلاَمِ لَهُمْ مَأْمُوْنَةُ الغِيَرِ
وَجَنَّةُ الخُلْدِ والمَأْوَى وَكَمْ جَمَعَتْ
جَنَّاتُ عَدْنٍ لَهُمْ مِن مُونِقٍ نَضِرِ
طِبَاقُهَا دَرَجَاتٌ عَدُّهَا مِائَةٌ
كُلُّ اثْنَتَيْنِ كَبُعْدِ الأَرْضِ والقَمَرِ
أَعْلَى مَنَازِلِهَا الفِرْدَوْسُ عَالِيَهَا
عَرْشُ الإِلَهِ فَسَلْ واطْمَعْ ولا تَذَرِ
أَنْهَارُهَا عَسَلٌ مَا فِيْهِ شَائِبَةٌ
وخَالِصُ اللَّبَنِ الجَارِي بِلاَ كَدَرِ
وأَطْيَبُ الخَمْرِ والمَاءِ الذِي خَلِيَتْ
مِنَ الصُدَاعِ وَنُطْقِ اللَّهْوِ والسُّكْرِ
والكُلُّ تَحْتَ جِبَالِ المِسْكِ مَنْبَعُهَا
يُجْرُوْنَهُ كَيْفَ شَاؤُوْا غيْرَ مُحْتَجَرِ
فِيْهَا نَوَاهِدُ أَبْكَارٌ مُزَيَّنَةٌ
يَبْرُزْنَ مِن حُلَلٍ في الحُسْنِ والخَفَرِ
نِسَاؤُهَا المُؤْمِنَاتُ الصَّابِرَاتُ عَلَى
حِفْظِ العُهُوْدِ مَعْ الإِمْلاَقِ والضَّرَرِ
كَأَنَّهُنَّ بُدُوْر فِي غُصُوْن نَقَا
عَلَى كَثِيْبٍ بَدَتْ فِي ظُلْمَةِ السَّحَرِ

كُــلُّ امـرِىءٍ مِنْهُمْ يُعْــطَى قُوَى مِــائَةً
فِي الأكْـلِ والشُرْبِ والإفْضَـا بِـلاَ خَـوَرِ
طَعَـامُهُمْ رَشْحُ مِسْــكٍ كُلَّمَا عَــرِقُـوْا
عَادَتْ بُــطُوْنُــهُمْ في هَضْـمِ مُنْضَمِــرِ
لاَ جُــوْعَ لاَ بَــرْدَ لاَ هُــمٌ وَلاَ نَــصَــبٌ
بَــلْ عَيْشُهُمْ عن جَمِيْعِ النَّـائِبَـات عَـرِي
فِـيْـهَــا الوَصَائِفُ والْغِلْمَــانُ تَـخْـدُمُــهُـمْ
كـلُؤْلُؤ فـي كَـمَــالِ الـحُسْنِ مُنْتَشِـرِ
فِيْهَــا الغِنَا والجَـوَارِي الغَــانِيَــاتُ لَهُمْ
بِــأحْسَنِ الـذِكْــرِ لِلْمَوْلَى مَــعَ السَّمَـرِ
لِبَـاسُـهُـمْ سُـنْـدُسٌ حُــلاَهُــمُ ذَهَـبٌ
وَلُــؤْلُـؤٌ وَنَــعِـيْـمٌ غَـيْــرُ مُــنْـحَـصِــرِ
والـذِكْـرُ كَــالنَّفَسِ الجَـارِي بِــلاَ تَعَبٍ
وَنُــزِّهُــوْا عَـن كَــلاَمِ الـلَّغْــوِ والـهَــذَرِ
وأَكْــلُـهَــا دَائِــمٌ لاَ شَــيْءَ مُــنْـقَــطِعٌ
كَــرِّرْ أَحَــادِيْـثَهَــا فـي أَطْيَـبِ الـخَـبَـرِ
فِيْهَـا مِنَ الخَيْرِ مَـا لَمْ يَجْرِيْ في خَلَدٍ
وَلَــمْ يَكُـنْ مُــدْرَكـاً لِـلسَّــمْـعِ والبَصَرِ
فِيْهَــا رِضَـا المَلِكَ المَــوْلَى بِـلاَ غَضَبٍ
سُـبْـحَــانَــهُ وَلَــهُــمْ نَـفْــعٌ بِــلاَ غِـيَــرِ

لَـهُـمْ مِـنَ اللهِ شَـيْءٌ لاَ نَـظِيْـرَ لَـهُ
سَمَـاعُ تَسْلِيْمِـهِ والـفَـوْزُ بـالـنَّـظَرِ
بِـغَيْـرِ كَـيْفٍ وَلا حَـدٍّ ولا مَـثَـلٍ
حَقـاً كَمَـا جَـاءَ في الْقُـرْآنِ والـخَبَـرِ
وهْيَ الـزِّيَـادَةُ والحُسْنَى الَّتِيْ وَرَدَتْ
وأعْـظَمُ المَوْعِـدِ المَذْكُـوْرِ في الـزُّبُـرِ
للهِ قَـوْمٌ أَطَـاعُـوْهُ وَمَـا قَـصَـدُوا
سَـوَاهُ إِذْ نَـظَرُوْا الأَكْـوَانَ بـالـعِـبَـرِ
وَكَـابَـدُوْا الـشَّـوْقَ والأنْكَـادُ قُـوْتُـهُـمْ
ولاَزَمُـوْا الـجِـدَّ والأَذْكَـارَ في الـبُكَـرِ
يَـا مَالِـكَ المُلْكِ جُـدْ لِيْ بالـرِّضَا كَـرَماً
فَـأَنْتَ لِيْ مُحْسِـنٌ في سَـائِـرِ الـعُمُـرِ
يـا رَبِّ صَـلِّ عَلَى الهَـادِي البَشِيْـرِ لَنَـا
وآلـهِ وانْـتَـصِـرْ يَـا خَـيْـرَ مُـنْـتَـصِـرِ
مَـا هَبَّ نَشْـرُ الصَّبَـا واهْتَزَّ نَبْتُ رُبَـا
وفَـاحَ طِيْبُ شَـذَا في نَسْمَـةِ الـسَّحَرِ
أَبْيَـاتُهَـا تِسْـعُ عَشْـرٍ بَعْـدَهَـا مـائَـةٌ
كَـلاَمُـهَـا وَعْـظُهَـا أَبْهَـى مِـن الـدُّرَرِ

اللهم أَعِذْنَا مِن الهَمّ والحَزَنِ والعَجْزِ والكَسَلِ والجُبْنِ والبُخلِ وضِلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنْ الخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُوْ وَاصْرِفْ عَنَّا مِنْ السُّوْءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوْبَنَا بِرَجَائِكَ ، وَاقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوْبَنَا فَاسْتُرْهَا ، وَتَعْلَمَ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا ، كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيْرًا يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ ، اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوْكِ سَبِيْلِ عِبَادِكَ الأَخْيَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا

وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْياءَ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِك يَا أَرْحَمَ الرَّاحَمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

مـــوعظـــة

عِبَادَ اللهِ لَقَدْ امْتَنَّ اللهُ عَلَى خَاتَمِ رُسُلِهِ ، وَصَفْوَةِ خَلْقِهِ ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ بْن عَبْدِ اللهِ بأَشْرَفِ المِنَنِ ، واخْتَصَّهُ بأجَلِّ النِّعَمِ ، وَآتاهُ مِنْ فَضْلِه مَا لَمْ يُؤْتِ أحداً سِوَاهُ ، أَدَّبَهُ فَأَحْسَنَ تَأدِيْبَهُ ، وَهَذَّبَه فأكْمَلَ تَهْذِيْبَهُ ، وَمَنَحهُ مِنْ الصِّفَاتِ الجَمِيْلَةِ غَايَتُهَا ، وَمِنْ الأخْلاقِ الكَرِيْمَةِ نِهَايَتَها ، ثمَّ أثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ ﴿ وإنَّكَ لَعَلَى خُلقٍ عَظِيْمٍ ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : كَانَ خَلقُه القُرْآنُ يَرْضَى بِرِضَاهُ ، وَيَسْخَطُ بِسَخطِهِ ، وَكَانَ ﷺ أَوْسَعَ النَّاسِ صَدْرَاً ، وَأَصْدَقَهم قَوْلاً ، وألْيَنَهم جَانِباً ، وَأكْرَمَهُم عِشْرَةً ، يُؤَلِفُ النَّاسَ وَلاَ يُنَفِّرُهُم ، ويُكْرِمُ كَرِيْمَ كُلِّ قَوْمٍ ، وَيُوَلِّيْهِ عَلَيْهِم ، يَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ وَيُعْطِي كُلَّ جَلِيْسٍ نَصِيْبَهُ ، حَتَّى لاَ يَحْسَبُ جَلِيْسُه أحداً أكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ ، مَنْ جَالسَهُ أو قَارَبَهُ بِحَاجَةٍ سَايَرَهُ ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ المنْصَرِفُ عنْهُ ، قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلقُه ، فَصَارَ لَهُم أباً رَحِيْماً . وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الحَقِّ سَوَاءً ، لِذَلِكَ اجْتَمَعْتَ عَلَيْهِ القُلُوبُ بَعْدَ نُفُورِهَا ، وَتَألَّفَتْ النُّفُوسُ بَعْدَ جُمُوحِهَا ، تَحْقِيْقاً لِقَوْلِهِ تَعالَى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللهِ لِنْتَ لَهُم ، وَلَوْ كُنْتَ فَظَّاً غَلِيْظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ وَكَانَ ﷺ حَلِيْماً مَعَ الأذى ، عَفُوّاً مَعَ القُدْرَةِ ، صَبُوراً عَلَى المَكَارِهِ ، وَتِلْك خِصَالٌ أَدَّبَهُ بهَا رَبُّهُ ، فَقَالَ ﴿ خُذْ العَفْوَ ، وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ، وأعْرِضْ عَنْ الجَاهِلِيْنَ ﴾ .

سَأَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ تَفْسِيْرِهَا ، فَقالَ : إنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيْ مَن حَرَمَك ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكْرَمَ النَّاس ، وَأَسْخَاهُم يَدا ، وَأَطْيَبَهم

نَفْسا ، مَا سُئِلَ عَن شَيْءٍ قطُّ فقَالَ لا ، مَنْ سَألهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إلَّا بهَا ، أو بِمَيْسُورٍ مِنْ القَوْلِ ، يـجِيْبُ دَعْوةَ مَنْ دَعَاهُ ، وَيَقْبَلُ الهَدِيَّةَ ولو كانَتْ كُرَاعاً ، وَيُكَافِيءُ عَلَيْهَا خيْراً مِنْهَا ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أَشْجَعَ النَّاسِ ، وَأَعْظَمَ النَّاسِ غَيْرَةً وَاقْدَامَا ، فَرَّ الفُرْسَانُ وَالابْطالُ عنه غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَهُو ثابتٌ لا يَبْرَحُ ، مُقْبِلٌ لا مُدْبِرٌ ، وَلاَ يتزَحْزَحُ ، وَكَانَ صلواتُ اللهِ وَسَلامُه عليه أَشَدَّ النَّاسِ حَياءً ، وَأكْثَرَهُم عَنْ العَوْرَاتِ إِغْضَاءً قَالَ أَبُو سَعِيْدٍ الخُدْرِيّ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ أشَدَّ حياءً مِنْ العَذْرَاءِ في خِدْرِهَا ، وَكَانَ اذا كرهَ شَيْئاً عَرفْنَا في وَجْهِهِ وَكَانَ لاَ يُخَاطِبُ أَحَدا بِمَا يَكْرَهُ حياءً وَكَرَماً .

أَمّا شَفقَتُه وَرَحْمَتُه وَرَأفَتُه وَلُطْفُه بِجَمِيْعِ الخَلْقِ ، فَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ ﴿ لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسكم ، عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ ، حَرِيْصٌ عَلَيْكُمْ ، بالمؤْمِنِيْنَ رَؤ وفٌ رَحِيْمٌ ﴾ وَقَالَ عزَّ مِنْ قائِل ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلَّا رَحْمَةً لِلعَالَمِيْنَ ﴾ وَأَمَّا تَوَاضُعُه ـ مَعَ عُلُوِّ مَنْصِبِهِ وَمَكَانَتِه ، وَرِفْعِ رُتْبَتِه ـ فَقد خيَّرهُ اللهُ بينَ أَنْ يكُونَ مَلِكاً نبيّا ، أو عبْداً نَبيّا ، فاخْتَارَ عَبْداً نَبيّا ، وَكَانَ يَقُولُ « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ العَبْدُ ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ العَبْدُ » وَكَانَ يُجَالِسُ الفُقَراءَ ، وَيَعُودُ المَسَاكِيْنَ ، وَيَجْلِسُ مَعَ أَصْحَابِهِ مُخْتَلِطاً بِهِمْ ، كَأَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهُم ، وَكَانَ يَقُولُ « اللَّهُمَّ أَحْيِنِيْ مِسْكِيْناً ، وَأَمِتْنِي مِسْكِيناً ، وَاحْشُرْنِي في زُمْرَةِ المسَاكِيْن » .

وَأَمَا عَدْلُه وَأَمَانَتُهُ ، وَعِفَّتُه وَمُرُوْءَتهُ ، وَوَقارُهُ وَهَيْبَتُه ، وَصِدْقُه وَوَفَاؤُه بالعَهْدِ وَحِفْظُه لِلْوَعْدِ ، وَصِلَتُه لِلأَرْحَام ، وَعَطْفُه عَلَى الأَيْتَامِ ، فَقَدْ بَلَغَ في كُلِّ ذَلِكَ الغَايَةَ ، وَوَصَل إلَى النِّهَايَةِ وَأَمَّا زُهْدُه وَوَرَعُه ، فَقَدْ قَالَ صلَّى اللهُ عليه وسلَمَ « إِنِّي عُرِضَ عَلَيَّ أَنْ تُجْعَلَ لِيْ بَطْحَاءُ مَكَّةَ ذهباً ، فَقُلْتُ ، لا

يَارَبِّ . أَجُوْعُ يَوْماً ، وَأَشْبَعُ يَوْماً ، فَأَمَّا الْيَوْمُ الذِيْ أجوعُ فيهِ فاتَضَرَّعُ إلَيْكَ وَأَدْعُوكَ ، وَأَمَّا الْيَوْمُ الذي أَشْبَعُ فِيْه فَأَحْمَدُكَ وَأُثْنِي عَلَيْكَ » وَقالَتْ ، أُمُّ المؤمنين عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : إِنَّا كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ لَنَمْكُثُ شَهْراً مَا نَسْتَوْقِدُ نَاراً ، إِنْ هُوَ إِلَّا التَّمْرُ وَالمَاءُ ، وَأَمَّا خَوْفُه مِنْ رَبِّهِ ، وَطَاعَتُه لَهُ فعلى قَدْرِ عِلْمِهِ بِهِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ « لوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُم قَلِيْلاً ، وَلَبَكَيْتُم كَثِيراً ، أَرَى مَا لا تَرَوْنَ ، وَأَسْمَعُ مَا لا تَسْمَعُونَ ، أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيْهَا مَوْضِعُ أربَع أَصَابِع إِلَّا وَمَلكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً لِلَّهِ وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُم قَلِيْلاً ، وَلَبَكَيْتُم كَثِيْراً ، وَلَمَا تَلَذَّذْتُم بِالنِّسَاءِ عَلَى الفِرَاشِ وَلَخَرَجْتُم إلى الصُّعَدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى » . . وَكَانَ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : أَتَكَلَّفُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لك مَا تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ فَقَالَ « أَفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُورَا » ؟ هَذَا يا عِبَادَ اللهِ قَلِيْلٌ مِنْ كَثِيْرٍ مِنْ صِفَاتِ سَيِّدِ المرْسَلِيْنَ ، ذِيْ الخُلُقِ العَظِيْم ، والقَدْرِ الفَخِيْم ، فَهَلْ لَكُم أَنْ تَتَأَمَّلُوا هَذِه الصِّفَاتِ الجَلِيْلَةَ ، وَالخِصَالَ الحَمِيْدَةَ ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَتَسِيرُوا عَلَى نَهْجِهَا ، قَالَ تَعَالَى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُوْلِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنة ﴾ الآيَة .

شِـــعراً :

يَــا نَفْسُ تُـوبِي فَــإِنَّ المَـوْتَ قَــدْ حَـانَـا
وَاعْصِي الْهَــوى فـالْهَــوى مَـا زَالَ فَتَّــانَــا
أَمَــا تَــرَيْـنَ الـمَـنَـايَـا كَـيْـفَ تَـلْقُـطُنَـا
لَـقْـطـاً فَـتُـلْحِـقُ أُخْـرَانَـا بِــأُوْلاَنَـا

فِي كُـلِ يَـوْمٍ لَنَـا مَيْتٌ نُـشَيِّـعُـه
نَـرَى بِـمَـصْـرَعِـهِ آثَـارَ مَـوْتَـانَـا
يَـا نَـفْسُ مَـالِي وَلِـلأَمْـوَالِ أَتْـرُكُـهَـا
خَلْفِي وَأُخْـرَجُ مِـن دُنْيَـايَ عُـرْيَـانَـا
أَبَـعْـدَ خَمْسِيْنَ قَـدْ قَضَيْتُـهَـا لِعِبَـا
قَـد آنَ أَنْ تَقْصُرِي قَـدْ آنَ قَـدْ آنَـا
مَـا بَـالُـنَـا نَتَعَـامَى عَـن مَصَـائِـرِنَـا
نَنْسَى بِغَفْلَتِنَـا مَن لَيْسَ يَنْـسَـانَـا
نَـزْدَادُ حِرْصـاً وَهَـذَا الـدهرُ يَـزْجُـرنَـا
كَـان زَاجِـرنَـا بِـالـحِـرصِ أَغْـرَانَـا
أَيْـنَ الـمُـلوكُ وَأَبْـنَـاءُ الـمُـلُوكِ وَمَـن
كَـانَـتْ تَـخِـر لَـه الأَذْقَـانُ إِذْعَـانَـا
صَاحَتْ بِهِم حَـادِثَـاتُ الدهـرِ فَانْقَلَبُـوا
مُـسْتَـبْـدِلِـيْـنَ مِـن الأَوْطَـانِ أَوْطَـانَـا
خَـلُّوا مَـدَائِـنَ كَـانَ الـعِـزُ مَفْـرَشُـهَـا
واسْتُـفْـرِشُـوْا حُـفُـراً غُـبْـراً وَقِـيْـعَـانَـا
يَـا رَاكِضـاً فِي مَيَـادِينِ الـهَـوَى مَـرِحـاً
وَرَافِـلاً فِـي ثِيَـابِ الـغَـيِّ نَـشْـوَانَـا
مَضَى الـزمَـانُ وَوَلَّى العُـمْـرُ فِي لَعِبٍ
يَكفِيكَ مَا قَدْ مَضَى قَد كَانَ مَا كَـانَـا

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا تَوْفِيْقاً يَقِيْنَا عَنْ مَعَاصِيْكَ ، وَأَرْشِدْنَا إِلَى السَّعْيِ إِلَى مَا يُرْضِيْكَ ، وَأَجِرْنَا يَا مَوْلاَنَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ ، وَهَبْ لَنا مَا وَهَبْتَهُ لأَوْلِيَائِكَ وَأَحْبَابِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، الأَحْيَاءِ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ ،

اللهم قوي ايمانَنَا بكَ وَبملائكتكَ وبكتبكَ وبرُسُلك وباليوْم الآخرْ وَبالقدَر خَيْرِهِ وشرهْ اللهم وَوَفّقْنَا لامتثال أوامرك ، واجْتناب نواهيكَ واْغفرْ لَنَا وَلوالدينا وَلجميع المسلمينَ الْاحياءِ منهمْ وَالمتين برَحْمتكَ يا أرْحمَ الراحمين وَصَلّىَ الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فَصْــلٌ

في وَصْفِ نِسَاءِ أَهْل الجَنَّةِ

عَنْ أَنس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ قالَ « لغَدْوَةٌ في سَبيْلِ اللّهِ أَوْ رَوْحَة خَيْرٌ مِنْ الدُّنيا وَمَا فِيْهَا وَلقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُم أو مَوْضِعُ قَيْدِهِ ـ يَعْنِيْ سَوْطَهُ ـ مِنْ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدنيَا وَما فِيْهَا ، وَلوْ اطَّلَعَتْ امْرَأَةٌ مِنْ نِساءِ أَهْلِ الجَنَّةِ إِلى الأَرْضِ لَمُلأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيْحاً ، وَلأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُما ، وَلنصِيْفُها عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنْ الدّنيَا وما فِيْهَا » . رَوَاهُ البُخاريّ وَمُسْلِمٌ وَالطَّبَرانِيّ مُخْتَصَراً باسْنَادٍ جيِّدٍ ، إلاَّ أَنَّهُ قَالَ : « ولتَاجُهَا عَلَى رَاسِهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا » .

(النصِيْفُ) : الخِمَارُ .

(أَلْقَابُ) : هُوَ القَدْرُ ، وَقَالَ أَبُو مَعْمَرٍ: قَابُ القَوْسِ مِنْ مَقْبَضِهِ إِلَى رَأْسِهِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ عن النبي صلَّى اللهُ عليه وسلم قالَ : « إِنَّ أَوّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلونَ الجَنّةَ على صُوْرَةِ القَمرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، وَالتي تَلِيْهَا على أَضْوَءِ كَوْكَبٍ دُرّيَ في السَّمَاءِ وَلِكُلِّ امْرِيءٍ منْهُم زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ ، يَرَى مُخُّ سُوقِهما مِنْ وَرَاءِ اللحْمِ ، وما في الجَنَّةِ أَعْزَبُ » رَواهُ

البُخارِيّ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنّ النبي صلَّى اللهُ عليه وسلمَ قالَ « إنَّ المرْأةَ مِن نِسَاءِ أَهْلِ الجَنّةَ لَيُرَى بَيَاضُ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ سَبعينَ حُلةً ، حتّى يُرَى مُخُهَا ، وَذلِكَ بأنّ اللهَ عزّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ كأنهُنَّ اليَاقُوتُ وَالمَرْجَانُ ﴾ فأمَّا اليَاقُوتُ فإنَّهُ حَجَرٌ لو أَدْخَلْتَ فِيهِ سِلْكاً ثمّ اسْتَصْفَيْتَهُ لرَأيتَه مِنْ وَرَائِه » رَوَاهُ ابْنُ أبي الدنيا ، وابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِه ، وَالتِّرْمِذيّ واللفظُ لهُ وَقَالَ : وَقَدْ رُوِي عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَلَمْ يَرْفَعْهُ ، وَهُوَ أَصَحُّ .

وَرُوِيَ عن أَنَس بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنه ، قالَ : حَدَّثَني رَسُولُ اللهِ صلىٰ اللهُ عليهِ وسلمَ : قالَ « حَدَّثَني جبْرِيْلُ عليه السَّلامُ : قالَ : يَدْخُلُ الرَّجُلُ على الحَوْرَاءِ ، فَتَسْتَقْبِلُه بالمُعَانَقةِ وَالمُصَافحةِ » قالَ رسُولُ الله صلى اللهُ عليهِ وسلمَ : « فبأَيِّ بَنَانٍ تُعاطِيْهِ ، لَوْ أَنَّ بَعْضَ بنَانِهَا بَدا ، لَغَلبَ ضَوْؤُهُ ضَوْءَ الشّمْسِ وَالقَمَرِ ، وَلَوْ أنَّ طَاقةً مِنْ شَعْرِهَا بَدَتْ ، لَمَلأتْ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِب مِنْ طِيْبِ رِيْحِهَا ، فَبَيْنَمَا هُوَ مُتَّكِيءٌ معَها على أَرِيْكَتِه، إذ أشْرَف عَلَيهِ نُوْرٌ مِن فَوْقِه ، فَيظُنُّ أنَّ الله عَز وجَلَّ قدْ أَشْرَفَ على خَلْقِه ، فإذا حَوْرَاءُ تُنَادِيْهِ : يَا وَلِيَّ اللهِ . أَمَا لَنَا فِيْكَ مِن دَوْلَةٍ ؟ فَيَقُولُ : مَنْ أنْتَ يا هَذِه . فَتقُولُ : أنا مِنْ اللَّوَاتِي قَالَ اللهُ تبارَكَ وَتَعالَى : ﴿ وَلَدَيْنا مَزِيْدٌ ﴾ فَيَتحَوَّلُ عِنْدَهَا ، فإذا عِنْدَهَا مِنْ الجَمَالِ وَالكَمَالِ مَا لَيْسَ مَعَ الأولَى ، فَبَيْنَمَا هُوَ مُتَّكِيءٌ مَعَها على أَرِيْكَتِهِ ، وَإذا حَوْرَاءُ أخرَى تُنَادِيْهِ : يَا وَلِيَّ اللهِ أَمَالنا فِيْكَ مِنْ دَوْلَةٍ؟ فيقُولُ : مَنْ أَنْتِ يَا هَذِهِ ، فتقُولُ : أَنَا مِنْ اللوَاتِي قَالَ اللهُ عَزّ وَجَلّ ﴿ فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا

أُخْفِيَ لهُم مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾ فلا يَزالُ يَتَحَوَّلُ مِنْ زَوْجَةٍ إلى زَوْجَةٍ . رَوَاهُ الطَّبَرَانِي في الأَوْسَط .

وَعَنْ أَبي سَعِيْدٍ الخُدْري رَضِيَ اللهُ عنه عَن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلمَ : في قَوْلِهِ : (كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ والمرْجَانُ) قَالَ : يَنْظُرُ إلى وَجْهِهِ في خدِّهَا أَصْفَى مِنْ المرْآةِ ، وَإِنَّ أَدْنَى لُؤْلؤةٍ عَلَيْهَا لَتُضِيْءُ مَا بَيْنَ المشْرِقِ والمَغْرِب ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ حُلة يَنْفُذُهَا بَصَرُه ، حتّى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذلكَ » رَوَاهُ أَحَمَدُ وابْنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ في حَدِيْثٍ تَقَدَّمَ بِنَحْوِه ، وَالبَيْهَقِيّ باسْنَادِ ابْنِ حبَّانَ واللفْظُ لهُ .

قالَ ابْنُ القيّمِ رَحِمَهُ اللهُ في صِفَةِ عُرَائِس أَهْلِ الجَنَّةِ وَحُسْنِهِنَّ وَجَمَالِهِنَّ وَوِصَالِهِنَّ .

وإِذَا بَدَتْ في حُلَّةٍ مِنْ لُبْسِهَا
وَتَمَايَلَتْ كَتَمَايُلِ النَّشْوَانِ
تَهْتَزُّ كَالغُصْنِ . الرَّطِيْب وَحَمْلُه
وَرْدٌ وَتُفَاحٌ عَلى رُمَانِ
وَتَبَخْتَرَتْ في مَشْيِهَا وَيَحِقُّ ذَا
كَ لِمِثْلِهَا في جَنَّةِ الحَيَوانِ
وَوَصَائِفٌ من خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا
وعلى شَمَائِلِهَا وَعَن أَيْمَانِ
كَالبَدْرِ لَيلةَ تِمِّهِ قَدْ حُفَّ في
غَسَقِ الدُّجَى بكَواكِبِ المِيْزَانِ

فَلِسَانُهُ وَفُؤَادُهُ والطَّرفُ فِي
دَهَشٍ وإِعْجَابٍ وفي سُبْحَانِ

فَالقَلْبُ قَبلَ زِفَافِهَا في عُرْسِهِ
والعُرسُ إثْرَ العُرْسِ مُتَّصِلانِ

حَتَّى إِذَا مَا وَاجَهَتْهُ تَقَابَلا
أَرَأَيتَ إذْ يَتَقَابَلُ القَمَرَانِ

فَسَلِ المُتيَّمَ هَلْ يَحِلُ الصبرُ عَن
ضَمٍ وَتَقْبِيلٍ وَعَن فُلْتَانِ

وَسَلِ المُتيَّمَ أَيْنَ خَلَّفَ صَبْرَهُ
في أَيِ وَادٍ أَمْ بِأَيِ مَكَانِ

وَسَلِ المُتيَّم كَيْفَ حَالَتُه وَقَدْ
مُلِئَتْ لَه الأُذُنَانِ والعَيْنَانِ

مِن مَنْطِقٍ رَقَّتْ حَوَاشِيْهِ وَوَجْـ
ـهٍ كَمْ بِهِ لِلشَّمْسِ مِن جَرَيَانِ

وَسَلِ المُتيَّم كَيْفَ عِيشَتُهُ إذاً
وَهُمَا عَلَى فُرَشَيْهِمَا خَلوَانِ

يَتَسَاقَطَانِ لَئَآلئاً مَنْثُورَةً
مِن بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنَظْمِ جُمَانِ

وَسَل المُتيَّمَ كَيفَ مَجْلِسُه مَعَ الْـ
ـمَحْبُوْبَ في رَوْحٍ وفي رَيْحَانِ

وَتَـدورُ كـاسَـاتُ الـرَحِيْقِ عَلَيْهِمَـا
بـأكُـفِ أقـمـارٍ مِـن الـوِلْـدَانِ
يَـتَـنَـازَعَـانِ الـكَـأسَ هَـذَا مَـرَّةً
والـخُـودُ أُخْـرَى ثُـمَّ يَـتَـكِئـانِ
فَـيَضُمُّـهَـا وَتَـضُمُّـهُ أرَأَيْتَ مَعْ
شُوْقَيْنِ بَـعـدَ البُـعْـدِ يَلْتـقِيَـانِ
غـابَ الـرَّقِيْبُ وَغَـابَ كُـلُّ مُنَكِّـدٍ
وَهُمَـا بِثَـوْبِ الـوَصْـلِ مُشْتَـمِـلانِ
أتَرَاهُمَا ضَجِرَيْنِ مِن ذَا العَيْشِ لا
وَحَيَـاةِ رَبِـكَ مَـا هُمَـا ضَـجِـرَانِ
وَيَـزِيْـدُ كُـلٌ مِنْهُمَـا حُبـاً لِصَـا
حِبِـهِ جَـدِيْـداً سَـائِـرَ الأزْمَـانِ
وَوِصَـالُـهُ يَـكْـسُـوهُ حُـبـاً بَـعْـدَهُ
مُـتَسَـلْسِـلاً لا يَـنْـتَهِـي بِـزَمَـانِ
فَـالـوَصْـلُ مَحْفُـوفٌ بِحُبٍ سَـابِـقٍ
وَبِـلاَحِـقٍ وَكِـلاَهُـمَـا صِـنْـوَانِ
فَـرْقٌ لَـطِيْـفٌ بَيْـنَ ذَاكَ وَبَـيْـنَ ذَا
يَـدْرِيْـهِ ذُوْ شُـغْـلٍ بِهَـذَا الشَّـانِ
وَمَـزِيْـدُهُم فِي كُـلِّ وَقْتٍ حَـاصِـلٌ
سُبْحَـانَ ذِي الـمَلَكُـوتِ والسُـلْطَانِ

يـا غـافـلاً عمَّـا خُلِقْتَ لَـهُ انْتَبِهْ
جِـدَّ الـرَّحِيْـلُ وَلستَ بـالـيَـقْـظَانِ
سَـارَ الـرفَـاقُ وَخلفُوكَ مَـعَ الأُولى
قَنعُـوا بِـذَا الحَظِ الخَسِيْس الفَـانِ
وَرأَيْـتَ أَكْثَـرَ مَـنْ تَـرَى مُتَخَـلِّفَـاً
فَـتَبـعْـتَـهُـم فَـرَضِيْتَ بـالـحِـرْمَـانِ
لَكنْ أَتَيْتَ بخُـطَّتَيْ عَـجْـزٍ وَجَهْـلٍ
بَـعْـدَ ذا وَصحِـبْـتَ كُـلَّ أمَـانِ
مَنَّتْـكَ نَفْسُـكَ بـالحُـوقِ مَـعَ القُعُـو
دِ عَـن الـمَسِيْـرِ وَرَاحَـةِ الأَبْـدَانِ
وَلَسَـوْفَ تَعْلَمُ حِيْنَ يَنْكَشِفُ الغِـطَا
مـاذا صَـنَـعْـتَ وَكُـنْـتَ ذَا إِمْـكَـانِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْــلٌ)

قال ابن القيم رحمه الله

« وَكَيْفَ يُقَدَّرُ قَدْرُ دَارٍ غَرَسَها اللهُ بِيَدِهِ ، وَجَعَلَها مَقَرّاً لأَحْبَابِهِ ، ومَلأَهَا مِنْ رَحْمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ وَرِضْوانِهِ ، وَوَصَفَ نَعِيْمَها بالفَوْزِ العَظِيْمِ ، ومُلْكَهَا بالمُلْكِ الكَبِيْرِ ، وَأَوْدَعَها جَمِيْعَ الخَيْرِ بحَذافِيْرِهِ ، وَطَهَّرَها مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَآفَةٍ وَنَقْصٍ .

فإنْ سَأَلْتَ عَن أَرْضِهَا وَتُربتِهَا ، فَهِيَ المِسْكُ والزَّعْفرانُ .

وإنْ سَأَلْتَ عن سَقْفِهَا فهُوَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ .

وإنْ سَأَلْتَ عن بَلَاطِهَا فَهُوَ المسْكُ الأَذْفَرُ .

وانْ سَأَلْتَ عن حَصْبَائِهَا فهُو اللُّؤْلُؤ وَالجَوْهَرُ .

وإنْ سَأَلْتَ عن بنَائِهَا ، فَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَلَبنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ .

وإنْ سَأَلْتَ عن أَشْجَارِهَا ، فَمَا فِيْهَا شَجرَةٌ إلا وَسَاقُها مِن ذَهبٍ وفِضَّةٍ ، لا مِنْ الحَطبِ وَالخَشَبِ .

وإنْ سَأَلْتَ عن ثَمرِهَا ، فأمْثَالُ القِلالِ ، أَلْيَنُ مِنْ الزُّبْدِ ، وَأَحْلَى من العَسل .

وَإنْ سَأَلْتَ عَن وَرَقِهَا ، فَأَحْسَنُ ما يَكُونُ من رِقَائِقِ الحُلَل .

وإنْ سَأَلْتَ عن أَنْهَارِهَا ، فَأَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْر آسِنٍ (وأنهَارٌ مِنْ لَبن لم يَتغَيَّرْ طَعْمُه ، وأنهَارٌ من خَمْرٍ لذةٍ للشَّارِبيْن ، وَأَنْهَارٌ من عَسَل مُصَفًّى) .

وَإنْ سَأَلْتَ عَن طَعَامِهم ، (فَفَاكِهَةٌ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ، وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) .

وَإنْ سَأَلْتَ عن شَرابهم ، فَالتَّسْنِيْمُ ، وَالزَّنْجَبِيْلُ والكَافُورُ .

وَإنْ سَأَلْتَ عن آنيَتِهم فآنِيَةُ الذَّهَبِ والفِضَّةِ ، في صَفاءِ القَوارِيْرِ .

وإنْ سَأَلْتَ عن سَعَةِ أَبْوَابِهَا ، فَبَيْنَ المِصْرَاعَين مَسِيْرَةُ أَرْبَعِيْنَ مِنْ الأَعْوَام ، وَلِيَأْتِينَّ عليه يَوْمٌ وَهُو كَظِيْظٌ مِنْ الزِّحَام .

وإن سَأَلْتَ عن تَصْفِيْقِ الرِّياحِ لأشْجَارِهَا ، فإنَّهَا تَسْتَفِزُّ بالطَّرَبِ لِمَنْ

يَسْمَعُهَا .

وإن سَأَلْتَ عن ظِلِّهَا ، فَفِيْهَا شَجرةٌ وَاحِدةٌ يَسِيْرُ الرَّاكِبُ المُجِدُّ السَّرِيعُ في ظِلِهَا مائةَ عام لا يَقْطَعُها .

وإنْ سَأَلْتَ عن سَعَتِها ، فأدْنى أَهْلِهَا يَسِيْرُ في مُلْكِهِ وَسُرُرِه وَقُصُورِه وَبَسَاتِيْنِه مَسِيْرَةَ أَلْفَيْ عَام .

وَإنْ سَأَلْتَ عن خِيَامِهَا وَقِبَابِهَا ، فالخَيْمَةُ الوَاحِدَةُ مِنْ دُرَّةٍ مُجَوَّفَةٍ ، طُوْلُها سِتُّونَ مِيْلاً مِنْ تِلْكَ الخِيَامِ .

وإنْ سَأَلْتَ عن عَلالِيْهَا وَجَواسِقُها ، فَهِيَ (غُرَفٌ مِن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ ، تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهارُ) .

وإن سَأَلْتَ عَن ارْتِفَاعِهَا ، فانْظُرْ إلى الكَوْكَبِ الطَّالِعِ أَو الغَارِبِ في الأُفُقِ الذيْ لا تكادُ تَنَالُه الأَبْصَارُ .

وَإنْ سَأَلْتَ عَنْ لِبَاسِ أَهْلِهَا ، فَهُوَ الحَرِيرُ وَالذَّهَبُ .

وإنْ سَأَلْتَ عن فُرُشِهم فَبطَائِنُها مِن اسْتَبْرَقٍ مَفْرُوشَةٍ في أَعْلَى الرُّتَبِ .

وَإنْ سَأَلْتَ عن أرَائِكِهَا ، فَهِيَ الأَسِرَّةُ عَلَيْهَا الْبُشْخَانَاتُ وَهِيَ الحِجَالُ ، مُزَرَّرَةٌ بأَزْرَارِ الذهَبِ ، فَمَالَهَا مِنْ فُروجٍ ولا خِلالٌ .

وإنْ سَأَلْتَ عن وُجوهِ أَهْلِهَا وَحُسْنِهم فَعَلى صُوْرَةِ القَمرِ .

وَإنْ سَأَلْتَ عن أَسْنَانِهم ، فَأَبْنَاءُ ثلاثٍ وَثلاثِيْنَ ، على صُوْرَةِ آدمَ عليهِ السَّلامُ أَبِي البَشَرْ .

وان سَأَلْتَ عن سمَاعِهم ، فغِنَاءُ أَزْوَاجِهم مِنْ الحُوْرِ العِيْنِ وَأَعْلَى مِنْهُ سَمَاعُ أَصْوَاتِ الملائِكةِ وَالنَّبِيِّيْنَ ، وَأَعْلَى مِنْهُمَا خِطَابُ رَبِّ العَالميْنَ .
وصلى اللهُ عَلَى محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين

(فصلٌ في سماع أهل الجنة)

وقال في النونية :

قَالَ ابْنُ عباسٍ ويُرسِلُ رَبُّنَا
رِيْحاً تَهُزُ ذَوَائِبَ الأَغْصَانِ

فَتُثِيْر أَصْوَاتاً تَلَذُّ لِمَسْمَعِ الْـ
إنْسَانِ كَالنَّغَمَاتِ بالأوزَانِ

يا لَذَّةَ الاسْمَاعِ لا تَتَعَوَّضِي
بِلَذَاذةِ الأوتارِ والعِيْدانِ

أَو مَا سَمِعْتَ سَمَاعَهم فيها غِنَا
ءَ الحُوْرِ بالأصواتِ والألحَانِ

وَاهاً لِذَيَّاكَ السَّمَاعِ فإنَّه
مُلِئَتْ بِهِ الاذُنَانِ بالإحِسْانِ

وَاهاً لِذَيَّاكَ السَّماعِ وَطِيْبِهِ
مِن مِثْلِ أَقْمارٍ عَلى أَغْصَانِ

واهاً لِذَيَّاكَ السَّماعِ ولَم أَقُلْ
ذَيَّاكَ تَصْغِيْراً لَهُ بِلِسَانِ

واهـاً لِـذَيَّـاكَ الـسَّـمـاعِ فَـكَـم بِـهِ
لِـلْقَـلْبِ مِـن طَـربٍ ومِـن أَشْـجَـانِ

مـا ظَـنَّ سـامِعُـه بِصَـوتِ أَطْيَـبِ الْـ
أَصْـوَاتِ مِـن حُـوْرِ الـجِـنَـانِ حِـسَـانِ

نَـحنُ الـنَّـواعِـمُ والـخَـوالِـدُ خَـيِّـرَا
تُ كَـامِـلاتُ الـحُـسْـنِ والإحْـسَـانِ

لَـسْنَـا نَـمُـوتُ ولا نَـخَـافُ وَمَـالَـنـا
سَـخَطٌ ولا ضَـغَـنٌ مِـن الأَضْـغَـانِ

طُـوبـيَ لِـمَـنْ كُـنَّـا لَـهُ وَكَـذَاكَ طُـوْ
بَـي لِـلَّذِي هُـوَ حَـظُنـا لَـفْـظَانِ

فـي ذَاكَ آثَـارٌ رُوِيْـنَ وَذِكْـرُهَـا
فـي الـتِـرْمِـذِّي وَمُـعْـجَـمِ الـطَّبَـرانِـي

وَرَوَاهُ يَـحْـيَ شَـيـخُ الاوزَاعِـي تَـفْـ
سِـيْـرا لِـلَفْـظَةِ يُـحْـبَـرُوْنَ أَغَـانِـي

نَـزِّهْ سَـمَـاعَـكَ إنْ أَرَدْتَ سَـمَـاعَ ذَيْـ
ـيَّـاكَ الـغِـنَـا عَـن هَـذِهِ الأَلْـحَـانِ

لا تُـؤْثِـرِ الأَدْنَـى عـلى الأَعْـلَى فَـتُـحْـ
رَمُ ذَا وَذَا يَـا ذِلَـةَ الـحِـرْمَـانِ

إن اخْـتِـيَـارَكَ لِـلسَّـمَـاعِ الـنَّـازِلِ الْـ
أَدْنَـى عـلـى الأعْـلَى مِـن الـنُـقْـصَـانِ

والـلهِ إنَّ سَـمَـاعَـهُـم فـي الـقَـلْـبِ والْـ
أبـدانِ مِـثْـلُ الـسُـمِ فـي الأَبْـدانِ

والـلهِ مَـا انْـفَـكَّ الَّـذِي هُـوَ دَأبُـه
أبَـداً مِـن الاشْـرَاكِ بـالـرَّحْـمَـنِ

فـالـقَـلْـبُ بَـيْـتُ الـرَّبِ جَـلَّ جَـلاَلُـه
حُـبـاً واخْـلاَصـاً مَـعَ الإحْـسَـانِ

فـإذا تَـعَـلَّـقَ بـالـسَّـمَـاعِ أَصَـارَهُ
عَـبْـداً لِـكُـلِّ فُـلانَـةٍ وَفُـلانْ

حُـبُّ الـكِـتَـابِ وَحُـبُ أَلْـحَـانِ الـغِـنَـا
فـي قَـلْـبِ عَـبْـدٍ لَـيْـسَ يَـجْـتَـمِـعَـانِ

واللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّم .

(فَصْـــلٌ) وَانْ سَأَلْتَ عَنْ مَطَايَاهُم التِي يَتزاوَرُوْنَ عَلَيْهَا ، فنَجائِبُ أنْشَأهَا اللهُ مِمَّا شَاءَ تَسِيْرُ بِهِم حَيْثُ شَاؤا مِنْ الجِنَانِ .

وإنْ سَأَلْتَ عَنْ حُلِيِّهم وَشَارَتِهم فَأسَاوِرُ الـذَّهَبِ وَاللُّؤْلُؤِ عَلَى الرُّؤُوسِ مَلاَبِسُ التِّيْجَانِ .

وَانْ سَـأَلْتَ عَن غِلْمَانِهم ، (فَـوِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ، كَـأَنَّهُم لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ) .

وَان سَأَلْتَ عن عَرائِسِهُمْ وَأَزْوَاجِهِمْ فَهُنَّ الكَوَاعِبُ وَالأَتْرَابُ ، اللاتي جَرَى في أَعْضَائهن مَاءُ الشَّبَاب ، فلِلْوَرْدِ وَالتُّفَّاحِ مَا لَبِسَتْهُ الخدُودُ ، وَللرُّمَانِ مَا تَضَمَّنَتْهُ النُّهُودُ ، وَلِلؤْلُؤ المَنْظُوْمِ مَا حَوتهُ الثُّغُورُ ، وللرِّقَةِ وَاللَّطَافَةِ مَا دَارَتْ عليه الخصُورُ ، تَجْرِي الشَّمْسُ مِنْ مَحَاسِنِ وَجْهِهَا إِذَا بَرَزَتْ ، وَيُضِيْءُ البَرْقُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهَا إذا ابْتَسَمَتْ ، إذا قَابَلَتْ حِبَّهَا فقُلْ مَا تَشَاءُ في تَقَابُلِ النَّيِّرَيْن ، وَإِذا حَادَثْتَهُ فَمَا ظَنُّكَ بمُحَادَثَةِ الحِبَّيْنِ وَإِنْ ضَمَّهَا إِلَيْهِ فَما ظَنُّكَ بتَعَانُقِ الغُصْنَيْنِ ، يَرَى وَجْهَهُ في صَحْنِ خَدِّهَا ، كَمَا يَرَى في المرْآةِ التي جَلاهَا صَيْقَلُها ، وَيَرَى مُخَّ ساقِهَا مِن وَرَاءِ اللَّحْمِ ، ولا يَسْتُره جِلْدُهَا ولا عَظْمُها وَلا حُلَلُها .

لَوْ اطَّلَعَتْ على الدُّنْيَا لَمَلأَتْ مَا بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ رِيْحاً ، وَلاسْتَنْطَقَتْ أَفْوَاهُ الخَلائِقِ تَهْلِيْلاً وتكبيْراً وَتَسْبِيْحاً، وَلتَزَخْرَفَ لهَا مَا بَيْنَ الخَافِقَيْن ، وَلأَغمَضَتْ عَنْ غَيْرِهَا كُلُّ عَيْنٍ ، وَلَطَمَسَتْ ضَوْءَ الشَّمْسِ ، كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ ، ولآمَنَ مَنْ عَلَى ظَهْرِهَا باللهِ الحَيِّ القَيُّوْمِ

وَنَصِيْفُها عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدّنْيَا وَمَا فِيْهَا ، وَوِصَالُهَا أَشْهَى إِلَيْهِ من جَمِيْعِ أَمَانِيْهَا ، لا تَزْدَادُ عَلَى طُوْلِ الأَحْقَاب إِلَّا حُسْناً وَجمالاً ، وَلَا يَزْدَادُ لَهَا طُوْلَ المَدَى إلا مَحَبَّةً وَوِصَالا ، مُبَرَّأَةً مِنَ الحَمْلِ وَالوِلَادَةِ وَالحَيْضِ وَالنِّفَاسِ ، مُطَهَّرَةٌ مِنَ المُخَاطِ وَالبُصَاقِ وَالبَوْلِ والغَائِطِ وَسَائِرِ الأَدْنَاسِ ، لا

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ حُسْنِ العِشْرَةِ ، وَلَذَّةِ مَا هُنَالِكَ ، فَهُنَّ العُرُبُ المُتَحَبِّبَاتُ إلى الأزْوَاجِ ، بلَطَافَةِ التَّبَعُّل التِيْ تَمْتَزِجُ بالرُّوح أيَّ امْتِزَاجٍ ، فَمَا ظَنُّكَ بامْرَأةٍ إِذَا ضَحِكتْ في وَجْهِ زَوْجِهَا أَضَاءَتْ الجَنَّةُ مِنْ ضَحِكِهَا ، وَإذا انْتَقَلَتْ مِنْ قَصْرٍ إلى قَصْر قُلْتَ هَذِهِ الشَّمْسُ مُتَنَقلَةٌ في بُرُوْجِ فَلكِهَا ، وإذا حَاضَرَتْ زَوْجَهَا فيا حُسْنَ تِلْكَ المُحَاضَرَةِ، وَانْ خاصَرَتْهُ فَيالَذَّةَ تِلْكَ المُعَانَقَةِ وَالمُخَاصَرةِ .

وَحَدِيْثُها السِّحْرُ الحَلالُ لَو أَنَّهُ
لم يَجْنِ قَتْلَ المُسْلِمِ المُتَحَرِّزِ
إنْ طَالَ لَم يُمْلَلْ وان هِي حَدَّثَتْ
وَدَّ المُحَدَّثُ أَنَّها لَم تُوْجِزِ

آخر :

يُعَادُ حَدِيْثُهَا فَيَزِيْدُ حُسْناً وَقَدْ يُسْتَقْبَحُ الشَّيءُ المُعَادُ

وَإنْ غَنَّتْ فَيَا لَذَّةَ الأَبْصَارِ وَالأَسْمَاعِ ، وَإنْ آنَسَتْ وَأَمْتَعَتْ فَيَا حَبَّذا تِلْكَ المؤانَسَةِ والامْتَاعِ ، وَانْ قَبَّلَتْ فلا شَيْءَ أَشْهَى مِنْ ذَلِكَ التَّقْبِيْلِ ، وَإنْ نَوَّلَتْ فلا ألذَّ وَلَا أَطْيَبَ مِنْ ذَلِكَ التَّنْوِيْلِ .

هَذَا وان سَأَلْتَ عَنْ يوم المَزِيْدِ ، وَزِيَارَةِ العَزِيْزِ الحَمِيْدِ ، وَرُؤْيَةِ وَجْهِهِ المُنَزَّهِ عن التَّمْثِيْلِ وَالتَّشْبِيْهِ ، كَمَا تَرَى الشَّمْسَ في الظهِيْرَة ، وَالقمْرَ لَيْلَةَ البَدْرِ ، كَما تَوَاتَرَ عَنْ الصَّادِقِ المَصْدُوقِ النَّقْلُ فِيْهِ ، وَذَلِكَ مَوْجُودٌ في الصِّحَاحِ وَالسُّنَنِ وَالمَسَانِيْدِ ، مِنْ رِوَايَةِ جَرِيْرٍ وَصُهَيْبٍ وَأَنَسٍ وَأَبي هُرَيْرَةَ وَأَبِيْ مُوْسَى وَأَبي سَعِيْدٍ ، فاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي المنَادِي : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ إنَّ رَبَّكُم تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَسْتَزِيْرُكُم فَحَيَّ على زِيَارَتِهِ ، فَيقُولُونَ : سَمْعاً وَطَاعَةً ، وَيَنْهَضُوْنَ إلى الزِّيَارَةِ مُبَادِرِيْنَ ، فإذا بالنَّجَائِبِ قد أُعِدَّتْ لهُم ، فَيَسْتَوُونَ

يَفْنَى شَبَابُها ، ولا تَبْلَى ثِيَابُها وَلا يَخْلقُ ثَوْبُ جَمَالِها ، ولا يُمَلُّ طِيْبُ وِصَالِهَا .

قَدْ قَصَرَتْ طَرْفَها عَلَى زَوْجِهَا ، فَلا تَطْمَحُ لأَحَدٍ سِوَاهُ ، وَقَصَرَ طَرْفُه عَلَيْهَا فَهِيَ غَايَةُ أَمْنِيَتِهِ وَهَوَاهُ ، إنْ نَظَرَ إلَيْهَا سَرَّتْهُ ، وَإِنْ أَمَرَهَا بِطَاعَتِهِ أطَاعَتْهُ ، وَإِنْ غَابَ حَفِظَتْهُ ، فَهُوَ مَعَهَا في غَايَةِ الأَمَانِيّ وَالأَمَانِ .

هَذَا وَلَم يُطْمِثْهَا قَبْلَهُ انْسٌ ولا جَانٌّ ، كُلَّمَا نَظَرَ إِلَيْهَا مَلأَتْ قَلْبَهُ سُرُوراً ، وَكُلَّما حَدَّثَتْهُ مَلأَتْ أُذُنَهُ لُؤْلُؤاً مَنْظُوماً مَنْثُوراً .

وَإذا بَرزَتْ مَلأَتْ القَصْرَ وَالغُرْفَةَ نُوْرَا .

وَإنْ سَأَلْتَ عَنْ السِّنِّ فَأَتْرَابٌ في أَعْدَلِ سِنِّ الشَّبَابِ .

وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ الحُسْنِ فَهَلْ رَأَيْتَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ .

وَإِنْ سَأَلْتَ عن الحَدَقِ فأَحْسَنُ سَوَادٍ في أَصْفَى بياضٍ في أحْسَن حَوَرٍ .

وإِنْ سَأَلْتَ عَنْ القُدُوْدِ فَهَلْ رَأَيْتَ أَحْسَنَ الأغْصَانِ ، وان سَأَلْتَ عن النُّهودِ فَهُنَّ الكَوَاعِبُ ، نُهودُهنَّ كَأَلْطَفِ الرُّمَّانِ .

وإن سَأَلْتَ عن اللَّوْنِ فكأَنَّهُ اليَاقُوتُ وَالمَرْجَانُ .

وإنْ سَأَلْتَ عن حُسْنِ الْخَلْقِ فَهُنَّ الخَيْرَاتِ الحِسَانِ اللاتِ جُمِعَ لَهُنَّ بَيْن الحُسْنِ والاحْسَان ، فَأُعْطِيْنَ جَمَالَ البَاطِنِ وَالظَاهِر ، فَهُنَّ أَفْرَاحُ النُّفُوسِ ، وَقُرَّةُ النَّوَاظِر .

على ظُهُورِهَا مُسْرِعِيْنَ ، حتى إذا انْتَهوا إلى الوَادِي الأفْيَح الذي جَعَل لَهم مَوْعِداً ، وَجُمِعُوا هُنَاك ، فلم يُغَادِرِ الدَّاعِي منهم أَحداً ، أَمَرَ الرَّبُّ تبارك وتَعَالَى بكُرْسِيِّهِ فَنُصِبَ هُنَاكَ ، ثم نُصِبَتْ لَهُم مَنابِرُ مِنْ نُوْرٍ ، وَمَنابِرُ مِن لُؤْلُؤ ، وَمَنابِرُ من زَبَرْجَدٍ ، وَمَنَابِرُ مِن ذهبٍ ، وَمُنابِرُ مِن فِضَّةٍ ، وَجَلسَ أَدْنَاهُم ـ وَحَاشَاهُم أنْ يكُونَ فيهم دَنِيْءٌ ـ عَلى كُثْبَانِ المِسْكِ ، مَا يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَرَاسِيْ فَوْقَهُم في العَطَايَا .

حَتَّى إذا اسْتَقَرَّتْ بهم مَجَالِسُهم ، وَاْطمَأَنَّتْ بهم أماكِنُهم ، نَادَى الْمنَادِي : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ إنَّ لكمْ عِنْدَ الله مَوْعِداً يُرِيْدُ أَنْ يُنْجزْكُمُوه ، فَيقُوْلُونَ : مَا هُو ؟ أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوْهَنا ؟ وَيُثَقِّلَ مَوازِيْنَنا ؟ وَيُدْخِلَنا الجَنَّةَ ، وَيُزَحْزِحنا عَن النَّارِ ، فَبَيْنما هُمْ كَذلِكَ ، إذْ سَطَعَ لهُم نُورٌ أَشْرَقَتْ لهُ الجَنَّةُ ، فَرَفَعُوْا رُؤُوسَهُم فإذا الجَبَّارُ جَلَّ جَلالُهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهم مِن فَوْقِهم ، وَقَالَ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ سَلامٌ عليكُم . فلا تُرَدُّ هَذه التَّحِيَّة بأحْسَنَ مِنْ قَوْلِهم : اللَّهمَّ أنْتَ السَّلامُ ، وَمِنْكَ السَّلامُ تَبارَكْتَ ياذا الجَلال وَالاكرَام ، فَيَتَجَلَّى لهُم الرَّبُّ تَبارِكَ وَتَعَالى يَضْحَكُ إليهم ، وَيقُوْلُ : يا أَهْلَ الجَنَّةِ فَيَكُونُ أَوَّلُ ما يَسْمَعُونَ مِنْهُ تَعَالى : أيْنَ عِبَادِي الذِيْنَ أَطَاعُوْنِي بالغيْب ، وَلَمْ يَرَوْنِيْ ، فَهذا يَوْمُ المَزِيْدِ فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ : أنْ قَدْ رَضِيْنَا فَارْضَ عَنّا ، فَيَقُوْلُ : يا أَهْلَ الجَنَّةِ إنِّي لَوْ لَمْ أَرْضَ عَنْكُم لَمْ أُسْكِنْكُم جَنَّتِيْ ، هَذا يَوْمُ المَزِيْدِ فَاسْأَلُوْنِيْ ، فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ : أرِنا وَجْهَكَ ننظُرُ إليْهِ . فَيَكْشِفُ لهُم الرَّبُ جلَّ جَلاَلُه الحُجُبَ ، وَيَتَجَلّى لهُم ، فَيَغْشَاهُم مِنْ نُوْره مَا لَوْلا أن اللهَ تَعَالى قَضَى أنْ لا يَحْتَرِقُوا لاحْتَرَقُوا ، وَلَا يَبْقَى في ذلِكَ المَجْلِس أَحدٌ إلاّ حَاضَرُه رَبُّه تَعَالى مُحَاضَرَةً ، حَتَّى إنهُ

لَيَقُوْلُ : يَا فلانُ أَتَذْكُر يَوْمَ فَعَلْتَ كذا وَكذا ؟ يُذَكِّرُه ببَعْض غَدَرَاتِه فِي الدُّنيا .
فَيَقُولُ : يَا رَبِّ أَلَمْ تَغْفِرْ لِيْ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى بِمَغْفِرَتِي بَلَّغَتْكَ مَنْزِلَتِكَ هَذِهِ ، فَيَا لَذَّةَ الاسْمَاعِ بِتِلكَ المُحَاضَرَةِ ، وَيَا قُرَّةَ عُيُونَ الأَبْرَارِ بالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الكَرِيْمِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ ، وَيَا ذِلَّةَ الرَّاجِعِينَ بالصَّفْقَةِ الخَاسِرَةِ ، ﴿ وُجُوْهٌ يَوْمَئِذٍ ، إلى رَبِّهَا نَاظِرةٌ ، وَ؟وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَة ، تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ .

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا
مَنَازِلُكَ الأَوْلَى وفِيهَا المُخَيَّمُ
ولَكِنَّنَا سَبْيُ العَدوُ فَهَلْ تَرَى
نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا ونُسَلِّمُ

اللَّهُمَّ توَفَّنَا مُسْلِمِين وأَلْحِقْنا بِعِبادِكَ الصَّالِحِيْنَ الَّذِينَ لاَ خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنا وجَمِيع المُسْلِمِيْن بِرَحْمتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْن .

شِعْرًا : أَرَى النَاسَ في الدنيا مُعَافاً ومُبْتَلى
وما زالَ حُكْمُ اللهِ في الأَرْضِ مُرْسَلا
مَضَى في جَمِيع الناسِ سَابِقُ عِلْمِهِ
وفَصَّلَهُ مِنْ حَيثُ شَاءَ وَوَصَّلاَ
وَلَسْنَا عَلى حُلْوِ القَضَاءِ ومُرِّهِ
نَرَى حَكَماً فِيْنَا مِنَ اللهِ أَعْدَلاَ
بَلاَ خَلْقه في الخَيْرِ والشَرِّ فِتْنَةً
لِيُرْغَبَ فِيْمَا في يَدَيْهِ ويُسْأَلاَ

وَلَـمْ يَبْـغِ إلا أنْ نَـبُـوءَ بِـفَـضْـلِهِ
عَـلَيْنَـا وإلَّا أَنْ نَـتُـوبَ فَـيَـقْـبَـلَا

هُـو الأحَـدُ القَيُّـومُ مِن بَعْـدَ خَلْقِـهِ
وَمَـا زَالَ فِي دَيْمُـوْمَـةِ الـخَـلْقِ أولاَ

وَمَـا خَـلَقَ الإنْـسَـانَ إلَّا لِـغَـايَـةٍ
وَلَم يَتْـرِكِ الانسَـانَ في الأرْض مُهْمَـلاَ

كَفَى عِـبْـرةً أنَـا وأنَّـكَ يـا أخِيْ
نُـصَـرِّفُ تَصْـرِيْـفـاً لَـطِيْـفـاً ونُبْـتَـلَى

كـأنَّـا وَقَـدْ صِرْنَـا حَدِيْثـاً لِغَيْـرِنَـا
يُخـاضُ كَمَا خُضْنَـا الحَـدِيْث بِمَن خَـلاَ

تَـوَهَّمْتُ قَـوْمـاً قَـدْ خَـلُوا فَكَـأنَّـهُم
بِـأجْمَعِهِـم كَـانُـوْا خَيَـالاً تُخُـيِّـلاَ

وَلَسْتُ بِـأَبْقَى مِنـهُـمُ فِي دِيَـارِهِـم
ولَـكِـنَّ لِي فِيْـهَـا كِـتَـابـاً مُـؤَجَّـلاَ

ومـا الـنَّـاسُ إلَّا مَيِّت وابنُ مَـيِّتٍ
تَـأجَّـلَ حَـيٌّ مِنـهُـمُ أو تَـعَـجَّـلاَ

فَـلا تَـحـسَـبَنَّ اللهَ يُـخْـلِفُ وَعْـدَهُ
بِمَـا كَـانَ أَوْصَى الـمُسْـلِمِيْـنَ وَأَرْسَـلاَ

هو الموتُ يـا ابنَ المَوتِ والبَعْثُ بَعْدَهُ
فَمِنْ بَيْنِ مَبْعُـوْثٍ مُخفـاً وَمُـثْقَـلاَ

ومِن بَيْنِ مَسْحُـوبٍ عَلَى حُـرِّ وَجْهِـهِ
ومِـن بَيـنِ مَـنْ يَـأْتِـي أغَـرَّ مُـحَـجَّـلاَ

عَشِقْنَا مِن اللَّذَاتِ كُلَّ مُحَرَّمٍ
فَأفٍ عَلَيْنَا مَا أغَرَّ وأجْهَلا
لَقَدْ كَانَ أقْوَام مِن الناسِ قَبْلَنَا
يَعَافُونَ مِنْهُنَّ الحَلاَلَ المُحَلَّلاَ
رَكَنَا إلى الدُنيا فَطَالَ رُكُونُنَا
ولَسْنَا نَرَى الدُنيَا عَلَى ذَاكَ مَنْزِلاَ
فلِلهِ دَارٌ مَا أحَثَّ رَحِيْلَهَا
وَمَا أعْرَضَ الآمَالَ مِنها وأطْوَلاَ
أبِيَ المَرءُ إلاَّ أنْ يَطُولَ اغْتِرَارُهُ
وتأبَى بِهِ الحَالاتُ إلا تَنَقُلاَ
إذا أمَّلَ الانْسَانُ أمراً فَنَالَهُ
سَمَا يَبْتِغي فَوقَ الذي كانَ أمَّلاَ
وَكَمْ مِن ذَلِيْلٍ عَزَّ من بَعدِ ذِلَّةٍ
وكم مِن رَفيعٍ كَانَ قَد صَارَ أسْفَلاَ
وَلَمْ أرَ إلاَّ مُسْلِماً في وَفَاتِه
وانْ أكْثَرَ الباكِي عَلَيْهِ وأعْوَلاَ
وَكَمْ مِن عَظِيْمِ الشأنِ في قَعْر حُفْرةٍ
تلَحفَ فِيْهَا بالثَّرَى وَتَسَرْبَلا
أيَا صَاحِبَ الدُنْيَا وثِقْتَ بمَنْزِلٍ
تَرَى المَوتَ فيه بالعبَاد مُوَكَّلا
تُنَافِسُ في الدنيا لِتَبْلُغَ عِزَّهَا
وَلَسْتَ تَنَالُ العِزَّ حَتَّى تَذَلَّلا

إِذَا اصْطَحَبَ الأَقْوَامُ كَانَ أَذَلُّهُم
لأَصْحَابِهِ نَفْساً أَبَرَّ وأَفْضَلا
وَمَا الفَضْلُ في أَنْ يُؤْثِرَ المرءُ نَفْسَهُ
ولكِنَّ فَضْلَ المَرْءِ أَنْ يَتَفَضَّلا

اللهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ العِبَادَ فَضْلُه ونَعْمَاؤُهُ ، وَوَسِعَ البَرِيَّةَ جُوْدُه وَعَطاؤُه ، نَسْأَلُ مِنْكَ الجُوْدَ وَالاحْسَانَ ، وَالعَفْوَ والغُفْرَان ، وَالصَّفْحَ وَالأَمَان ، وَالعِتْقَ مِنْ النِّيْرَانِ ، وَتَوْبَةً تَجْلُو أَنْوَارُها ظُلُمَاتُ الاساءَةِ وَالعِصْيَانِ ، يَا كَرِيْمُ يـا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إِيْمَانَنَا بِكَ ثُبُوتَ الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ ونَوِّرْ قُلُوْبَنَا بِنُوْرِ الإِيْمَانِ واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْن وأَصْلِحْ أَوْلَادنا واغْفِرْ لآبَائِنا وأُمَّهَاتِنا واجْمَعْنَا وإِيَّاهُمْ مَعَ عِبَادِكَ الصَّالِحِيْن فِي جَنَّات النَّعِيْم وَصلّى اللهُ عَلَلا مُحَمّدٍ وَعلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ أَجْمَعِيْن .

« فصــــل »

« في نَظَرِ أَهْلِ الجَنَّةِ إِلَى رَبِّهِمْ تبارَكَ وَتَعَالَى »

عَنْ أبي هُرِيرَة رَضِيَ اللهُ عنه ، أَنَّ ناساً قَالُوا : يَا رَسُوْلَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنا يومَ القِيَامَةِ ؟ فَقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ : « هَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ » ؟ قالُوا : لا يَا رَسُوْلَ اللهِ . قَالَ : « هَلْ تُضَارُّونَ في الشَّمْسِ لَيْسَ دُوْنَها سَحابٌ » ؟ قَالُوا : لا ، قالَ : « فإنَّكُم تَرْوَنهُ كذلِك » فذكرَ الحَدِيْثَ بطُوْلِهِ . رَوَاهُ البُخَارِيّ ومُسْلمٌ .

وَعَن صُهَيْبٍ رضي الله عنه قال : قَالَ رسولُ الله ﷺ : « إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنّةِ الجنة ، يقولُ اللهُ عَزَّ وجل تُريدُون شَيْئاً أزيدُكُم ؟ ، فَيَقُولونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوْهَنَا ؟ ، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّة ؟ ، وَتُنَجِّنا مِنْ النَّارِ » ؟ قالَ: ﴿ فَيُكْشَفُ

الحِجَابُ ، فَمَا أعْطُوا شَيْئاً أَحَبُّ إليهم مِنْ النَّظَرِ إلى رَبِّهم ﴾ ثم تلا هَذه الآيَةِ ﴿ للذِيْنَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَة ﴾ رَوَاهُ مُسْلِمٌ والتِّرْمذي وَالنِّسَائِي .

وعن أبي مُوْسَى رَضي اللهُ عنه أنَّ رسُولَ الله ﷺ قالَ . « إنَّ في الجنةِ خَيْمَةٌ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ ، عَرْضُهَا سِتُّوْنَ مِيْلاً . في كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أهْلٌ ، مَا يَروْنَ الآخَرِيْنَ ، يَطُوْفُ عليهم المُؤْمِنُ ، وجَنَّتَانِ مِن فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيْهِمَا ، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهما وَمَا فِيهِمَا ، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إلى رَبِّهم إلَّا رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ عَلى وَجْهِهِ في جَنَّاتِ عَدْنٍ » . رَوَاهُ البُخَارِيّ واللفْظُ لَهُ ، ومُسْلِمٌ والتِّرْمِذيّ .

وَرُوِيَ عَنْ جَابرِ بنْ عَبْدِ الله رَضْيَ اللهُ عنهما قَالَ : قَالَ رسُولُ الله ﷺ : « بَيْنَا أهْلُ الجَنَّةِ في مَجْلِسٍ لهُم ، اذْ سَطَعَ لهُم نُورٌ على بَابِ الجَنَّةِ ، فَرَفَعُوا رُؤُوسَهم ، فاذا الرَّبُّ تَبارَكَ وَتَعالَى قَدْ أشْرَفَ عليهم ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ سَلُونِي ، فَقَالُوا : نَسْأَلُكَ الرِّضَا عَنّا . قَالَ : رِضَائِي أحَلّكُم دَارِيْ ، وَأَنَالكُم كَرَامَتِيْ ، وهَذَا أَوَانُها فَسَلُوْنِيْ ، قَالُوا : نَسْأَلكَ الزِّيادَة ، قَال فيُؤْتَوْنَ بِنَجَائِبَ مِنْ يَاقُوتٍ أحْمَرَ ، أزِمَّتها مِنْ زُمُرُّدٍ أخْضَرٍ ، وَيَاقُوتٍ أحْمَر ، فيُحْمَلُون عَلَيْهَا ، تَضَعُ حَوَافِرَها عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهَا ، فَيَأْمُر اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بأشْجَارٍ عَلَيْهَا الثِّمَارُ ، فَتَجِيْءُ حَوْرَاءُ مِنْ الحُوْرِ العِيْنِ ، وَهُنَّ يَقُلْنَ : نَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلا نَبْأَسُ ، وَنَحْنُ الخَالِدَاتُ فَلا نَمُوتُ ، أزْوَاجُ قَوْمٍ مُؤْمِنِيْنَ كِرَام ، وَيَأمُرُ اللهُ عزَّ وَجلَّ بِكُثْبَانٍ مِنْ مِسْكٍ أبْيَضَ ، فيُنْشِرُ عليهم رِيْحاً يُقَالُ لَها : المثِيْرَةُ حتَّى تَنْتَهي بِهِمْ إلَى جَنَّةِ عدْنٍ وَهِيَ قَصَبَة الجَنَّةِ ، فَتَقُولُ الملائِكَةُ : يا رَبَّنا قد جَاءَ القَوْمُ ، فَيَقُول : مَرْحَباً بالصَّادِقِيْنَ ، مَرْحَباً بِالطَّائِعِيْنَ . قالَ : فيَكْشِفُ لهُم الحِجَابُ ، فيَنْظُرُونَ إلَى اللهِ تَبارَكَ

وَتعالَى ، فيَتَمَتَّعُونَ بنُورِ الرَّحْمَنِ ، حَتَّى لا يَنْظُرَ بَعْضُهم بَعْضاً ، ثم يَقُولُ : أَرْجِعُوهُم إلى القُصُور بالتُّحَفِ ، فَيَرْجِعُونَ وَقَدْ أَبْصَرَ بَعْضُهُم بَعْضاً ، فقالَ رسُولُ الله ﷺ : « فذلكَ قولُهُ : ﴿ نُزُلاً مِن غفورٍ رَحِيْم ﴾ . رَوَاهُ أَبُو نَعيْم وَالبَيْهقِيّ وَاللفْظُ لَهُ : وقَالَ وقد مَضَى في هَذَا الكِتَابِ يَعْنِيْ في كِتَابِ البَعْثِ . وفي كِتَابِ الرُّؤيَةِ مَا يُؤَكِّدُ ما رُوِيَ في هَذَا الخبَرَ انْتَهَى .

وهُو عِنْدَ ابْنِ مَاجَهْ وابْنِ أَبِيْ الدنيَا مُخْتَصَرٌ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ « بَيْنَا أَهْلُ الجنَّةِ في نَعِيْمِهِمْ ، إذْ سَطَعَ لهم نُورٌ ، فَرَفَعُوا رُؤُوسَهم ، فاذا الرَّبُّ جلا جَلَالُهُ قَدْ أَشْرَفَ عليهم مِنْ فَوْقِهم ، فقالَ : السَّلامُ عليكم ، يَا أَهْلَ الجَنَّة وَهُوَ قَوْلَهُ عز وجلَّ : ﴿ سَلامٌ قَوْلاً من رَبٍّ رَحِيْم ﴾ فَلاَ يَلْتَفِتُونَ إلى شَيْءٍ ممَّا فِيْهِ مِنْ النَّعِيْم ، مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إلَيْهِ ، حَتَّى يَحْتَجبَ عَنْهُم ، وَتَبْقَى فِيْهِم بَرَكَتُه وَنُورُه » . هَذَا لَفْظُ ابْنُ مَاجَه ، والآخرُ بنَحْوه .

وعَنْ أنس بنْ مَالِكٍ رَضْيَ اللهُ عنه قَال : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « أَتَانِيْ جبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وفي يَدِهِ مِرْآةٌ بَيْضَاءُ فِيْهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فقُلْتُ : مَا هَذِهِ يا جِبْرِيْلُ ؟ قالَ : هَذه الجُمُعَةُ يَعْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ ، لِتَكُونَ لكَ عِيْداً ، وَلقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ ، تكُونُ انْتَ الأَوَّلُ ، وتَكُونُ اليَهُودُ والنَّصَارَى مِنْ بَعْدِكَ ، قَالَ : مَا لَنا فِيْهَا ؟ قالَ : فِيْهَا خَيْرٌ لكمُ ، فِيْهَا سَاعَة مَنْ دَعَا ربَّه فيها بخَيْر ـ هُوَ لَهُ قُسِمَ ـ إلاّ أَعْطَاهُ إيّاهُ ، أوْ لَيْسَ لهُ بِقِسْم إلاَّ ادّخِرَ لهُ مَا هُوَ أعْظَمُ مِنْهُ ، أو تَعوَّذَ فِيْهَا منْ شَرّ هُوَ عَليْهِ مَكتُوبٌ الا اعَاذَهُ أو ليْسَ عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ الا أعاذَهُ مِنْ أعْظَمَ مِنْهُ ، قُلْتُ : مَا هَذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ فِيْهَا ؟ قَال : هَذِهِ السَّاعَةُ تقُمُ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، وهُوَ سَيِّدُ الآيَّام عنْدَنَا ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ في الآخِرَةِ : يَوْمَ المُزِيْدِ . قَالَ : قُلْتُ لِمَ تَدْعُونَه يومَ المَزيدِ ؟ قالَ : انَّ ربَّك عزَّ وجلّ اتخذَ في الجَنَّةِ

وادِياً أفْيَحَ ، مِنْ مِسْكٍ أبْيَضَ فاذا كانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ نَزَلَ تَبَارَكَ وَتَعالَى مِنْ عِلِيِّيْنَ عَلَى كُرْسِيِّهِ ثم حُفَّ الكُرْسِيّ بمَنَابرَ مِنْ نُور ، وَجَاءَ النَبِيُّونَ ، حتّى يَجْلِسُوا عليها ، ثم يَجِيءُ أهْلُ الجَنَّةِ ، حَتَّى يَنْظُرُوا إلى وَجْهِهِ ، وهُو يقُولُ أنا الذي صدَقتُكم وَعْدِي ، وأتمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي ، هَذَا مَحَلُّ كَرامَتِيْ ، فَسَلُونِيْ ، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : رضائِي أحَلَّكُم دَارِي ، وَأنالكُم كَرَامَتِيْ ، فَسَلُوْنِي ، فَيَسْأَلُونَهُ حَتَّى تَنتهي رَغبَتُهم ، فَيَفْتَحُ لهم عند ذَلكَ مَالا عَيْنٌ رَأتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ ، الى مِقْدَارِ مُنْصَرَفِ الناس يومَ الجمعةِ ، ثم يَصْعَدُ الربُّ تبارك وتعَالَى على كُرْسِيِّهِ فَيَصْعَدُ مَعَهُ الشُهَدَاءُ والصِدِّيْقُوْنَ » . أَحْسَبُه قال ﴿ وَيرجعُ أهلُ الغُرف إلى غُرَفِهِمْ ، دُرَّةً بيضاءَ ، لا فَصَمَ فيها ولا وَصَم ، أو ياقُوتة حَمْرَاءَ ، أو زَبَرْجَدَةً خَضْرَاءَ ، مِنْها غُرَفُها ، وأبْوَابُها ، مُطَّرِدَةً فيها أنهارُها ، مُتَدَلِّيَةً فيها ثمارُهَا ، فيها أزواجُها وَخَدَمُها ، فَلَيْسُوا إلى شَيْءٍ أحوجَ مِنهم إلى يوم الجُمُعةِ لِيَزْدَادُ فيهِ كَرَامةً ، ولِيزْدادُوا فيهِ نَظَراً إلى وَجْهِهِ تبارك وتعالَى ولِذَلِكَ دُعِيَ يَوْمَ المَزِيْدِ ﴾ رَوَاهُ ابنُ أبي الدُنيا والطَبَرَانِي في الأوسَطِ ، باسنادَيْنِ ، أحدُهُما جيدٌ قويٌّ ، وأبُو يَعْلَى مُخْتَصَراً ورُوَاتُهُ رواةُ الصحيحِ ، والبَزَّارُ واللفظ له .

قال ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ :

أَوَ مَا سَمِعْتَ بِشَأْنِهِم يَومَ المزيدِ وأَنَّه شانٌ عَظِيْمُ الشَّانِ
هوَ يَوْمُ جُمْعَتِنَا وَيومُ زِيَارَةِ الرَّحمانِ وَقْتَ صَلاَتِنَا وَأَذَانِ
والسَّابقونَ إلى الصَّلاةِ هُمُ الأُولَى
فَازُوْا بِذَاكَ السَّبْقِ بالإحسانِ
سَبْقٌ بِسَبْقٍ والمُؤَخَّرُ هَا هُنَا
مُتَأَخِّرٌ في ذَلِكَ المَيْدَانِ

والأَقْرَبُونَ إِلَى الإِمَامِ فَهُمْ أُولُوا الزُلْفَي هُنَاكَ فَهَا هُنَا قُرْبَانِ

قُرُبٌ بِقُربٍ والمبُاعَدُ مِثْلُهُ
بُعْدٌ بِبُعْدٍ حِكْمَةُ الدَّيانِ

ولَهُم مَنَابِرُ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرجَدٍ
ومَنَابِرُ اليَاقُوتِ والعِقْيَانِ

هَذَا وأَدْنَاهُمْ ومَا فِيهِمْ دَنِيْ
مَن فَوْقَ ذاكَ المِسْكِ كالكُثبانِ

مَا عِنْدَهُمْ أَهْلُ المَنَابِرِ فَوْقَهُم
مِمَّا يَرَونَ بِهِمْ مِنَ الإحسانِ

فَيَرَوْنَ ربَّهُمُ تَعالى جَهْرَةً
نَظَرَ العِيَانِ كَما يُرَى القَمَرانِ

ويُحَاضِرُ الرحمنُ وَاحِدَاهُم مُحَا
ضَرةَ الحَبيْب يقوُلُ يا بْنَ فُلانِ

هَل تَذكُرُ اليومَ الذي قَدْ كُنْتَ فيهِ مُبَارِزاً بالذنب والعِصيانِ

فيقولُ ربِّ أمَا مَنَنْتَ بغَفْرَةٍ
قِدْماً فإنَّكَ واسعُ الغُفْرانِ

فَيُجِيْبُه الرحمنُ مَغْفِرَتِي الَّتِي
قد أوصَلَتْكَ إلى المَحَل الدَّانِي

اللهم اجْعلنَا لِكِتَابِك مِن التَّالينِ ولكَ بهِ مِن العامِلينَ وبِمَا صَرَّفْتَ فيهِ مِن الآياتِ مُنْتَفعين ، وإلى لذيذِ خِطَابِه مُسْتَمِعينَ ، ولِأوَامِرِهِ ونَواهِيهِ خاضِعين وبالأعمالِ مُخْلِصِين ، واغْفِرْ لَنَا وَلِوالِدينا ولِجميع المُسْلِمينَ

اللَّهُمَّ قَوِّي إيمَانَنَا بِكَ وَنَوِّر قُلُوبَنَا بِنُورِ الأيمانِ واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ

اللَّهمَّ يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا على دِينِكَ وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وأمِّنَّا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وجميع المسلمينَ بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَاحِمين وصلى اللهُ عَلَى محمدٍ وعلى الِهِ وصحبِهِ اجمعين .

« **موعظــة** » عِبادَ اللهِ يجبُ عليكُمْ أنْ تَعْلَمُوا أنكُمْ ما دُمْتُمْ في هذِهِ الدارِ فأنتُمْ في دارِ المُعامَلاتِ ، وأَنَّ لكُمْ داراً أُخرَى أَبَدِيَّةً ، فيها تَسْتَوْفُونَ ما لكُمْ على هذهِ المعاملاتِ مِنْ جَزَآءتٍ ، فإنْ أحسنتُمْ هُنَا أوأسأْتُمْ ، كانَ جَزَاؤُكُمْ هُنَاكَ إحْساناً أو إساءاتٍ ، هكذا وعدَكُم ربُّكُمْ ، وهو عليمٌ بكلِّ الأعمال ، وعلى جَزائِكُمْ عليها قديرٌ ، قال اللهُ تعالَى (يومَ يَبْعثُهُمْ اللهُ جميعاً ، فينبِّؤُهُمْ بما عَمِلوُا ، أحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوْه) وقالَ (وَنَضَعُ الموازينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيامَةِ ، فَلاَ تُظْلَمُ نَفسٌ شَيْئاً، وإن كَانَ مِثْقَالَ حبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أتَيْنَا بهَا، وَكَفَى بنا حاسِبين) وَقَالَ (يَوْمَ تأتِي كلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفسِهَا ، وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وهم لا يُظْلَمون) مِنْ هَذا قطْعاً تَعْلَمُ أَنَّ شأنَ هَذِهِ المُعَامَلاتِ عَظِيمٌ ، عِظَماً لا يَعْرِفُ قَدْرهُ إلا الرَّجُلُ العَاقِلُ ، البَعِيدُ النَّظَرِ الحَكِيمُ ، فإنَّ عليها يَتَرَتَّبُ غضَبُ اللهِ ، وعقابُهُ أوْرِضَاهُ ، والنعِيمُ المُقيمُ ، وشَيْءُ هذا قَدْرُهُ لا يتوقَّفُ ولا يَترَدَّدُ في بَذْلِ العِنَايةِ به رجُلٌ بَصِيرٌ ، وهذه المعاملاتُ تارةٍ تكونُ بينكُمْ وبينَ اللهِ ، وتارةً تكونُ مَعَ عِبادِ اللهِ ، فأَمَّا المعامِلةُ مَعَ اللهِ جلَّ وعَلا فبأنْ تسمَعَ وَتُطيعَ فيمَا أَمَرَ ونَهى ، وأَمَّا معاملتُكَ مَعَ عِبادِ اللهِ المؤمنينَ ، فَبأنْ تُحِبَّ لهُمْ ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وذلك بأنْ تجعَلَ نفسكَ مِيزَاناً في مُعامَلَةِ كبيرهِمْ وصَغيرهِمْ ، أنتَ تكرَهُ إساءَتَهُمْ لَكَ ، وتُحِبُّ إحْسَانَهُمْ ، فَاحذَرْ إسَاءَتَهُمْ ، وعامِلْهُمْ بالإحْسَان ، وكما تَكْرَهُ أنْ يَمَسُّوا مَالكَ بسُوءٍ ، فَلْتَكُنْ أمْوالُهُمْ مِنْكَ في أمَانٍ ، وكَمَا تَكْرَهُ أنْ يَتَعَرَّضُوا لأوْلادكَ وأَهْلِكَ وَشَخْصِكَ بِشَرٍّ ، فكُنْ لهم خيْرَ حفيظٍ ونَصِيْر وكما تُحِبُّ أنْ يُرِيْحُوكَ إذا جَاوَرُوكَ، فَأَرِحْهُمْ عند مُجاوَرَتِكَ لَهِمْ، وَكَمَا تُحِبُّ أنْ يَنْصَحُوْكَ

وَيصدُقُوكَ في وُعُودِهم وعُقُودِهِمْ وأَخْبارِهِمْ ، فاسْبِقْهُمْ أنتَ إلى ذلك ، وكما تُحِبُّ أنْ يفرَحُوا لِفَرَحِكَ ، ويَحْزَنُوا لِحُزْنِكَ ، فَكُنْ أَنتَ كذلكَ مَعَهُمْ ، وكما تُحِبُّ أنْ لا يتكلمُوا فيكَ إلا بخَيْر ، فلا تكُنْ أَنتَ معهم بضِدِّ ذلِكَ ، وَقِسْ على ذلِكَ ما يتعلقُ بالمَوْضُوعِ ، وأَمَّا مُعَامَلَتُكَ مع نَفْسِكَ ، فَهِيَ أَنْ تُعَوِّدَهَا دائماً على الخَيْرِ بِلا ضَجَرٍ .

شعراً

أَلَــم تَــرَ أَنَّ الـحَــقَّ أَبـلجَ لائِـحُ
وأَنَّ لِحَاجَاتِ النفوسِ جَوَائِحُ
إذا المَـرْءُ لم يَكْفُفْ عن الناسِ شَرَّهُ
فليسَ له ما عَاشَ منهم مُصَالِحُ
إذا كَفَّ عبدُالله عَمَّا يَضُرُّهُ
وأكثَرَ ذِكْرَ اللهِ فالعَبْدُ صَالِحُ
إذا العبدُ لم يَمْدَحْهُ حُسْنُ فِعالِهِ
فَليسَ له والحَمْدُ لِلهِ مَادِحُ
إذا ضاقَ صدرُ المَرْءِ لم يَصفُ عيشُه
وما يَسْتَطِيبُ العَيْشَ إلا المُسَامِحُ
وَبَيْنَا الفَتَى والمُلهِيَاتُ يُذقْنَهُ
جنَى اللَّهْوِ إذْ نَاحَتْ عَلَيه النَّوَائِحُ
وإنَّ امْرأً أَصْفَاكَ في اللَّهِ وِدَّهُ
وَكَانَ على التَّقْوىَ مُعِيْنَاً لَصَالِحُ

وإنَّ أَلَبَّ الناسِ مَن كَانَ هَمُّهُ
بما شَهِدَتْ مِنهُ عَلَيْهِ الجَوارِحُ

اللهُمَّ عامِلْنا بلُطْفِكَ وإحسانِكَ ، وَوفِّقْنا لطاعِتِكَ ومَرْضاتِكَ واغْفِرْ لنا ولوالِديْنا وجميع المسلمين ، برحْمتِكَ يا أرحَمَ الراحمين ، وصلى اللهُ على مَحمدٍ وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجمعين .

اللهُمَّ أَحْيِنَا مسلمين وتوَفَّنا مسلمين غَيْرَ خزايَا ولا مَفْتُونينَ واغفِرْ لَنا ولوالِدِينا ولجميعِ المسلمين برحْمَتِكَ يا أرحَمَ الراحمين وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحْبِهِ اجمعين .

« فصل »

وَرُوِيَ عنْ حُذَيفةَ رضِيَ اللهُ عنهُ ، قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « أتاني جبريلُ ، فإذا في كَفِّهِ مِرْآةٌ كأصْفَى المَرَايا وأحْسَنِها ، وإذا في وَسَطِهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، قال : قُلْتُ : يا جِبْريلُ ما هَذِهِ ؟ قال : هذهِ الدُنْيا صَفَاؤُها وَحُسْنُهَا، قال : قُلتُ وما هذهِ اللَّمْعَةُ السَّوْداءُ في وَسَطِهَا ؟ قال : قال هذِهِ الجُمُعَةُ قال : قلتُ : وما الجُمُعة : قال يَومٌ من أيامِ رَبِّكَ عظيمٌ ، وسأُخبِرُك بشَرَفِهِ وفضْلِهِ واسْمِهِ في الدنيا والآخِرَةِ ، أمَّا شَرَفُهُ وفضْلُهُ واسْمُهُ في الدنيا ، فإنَّ اللهَ تبارك وتعالَى جَمَعَ فيه أمرَ الخَلْقِ وأمَّا ما يُرْجَى فيهِ ، فإنَّ فيه سَاعةً لا يوافِقُها عبْدٌ مُسْلمٌ أو أمةٌ مُسْلِمَةٌ يَسْألانِ اللهَ فِيْهَا خيْراً إلاَّ أَعْطاهَا إياه ، وأمَّا شرفُهُ وفضْلُهُ واسْمُهُ في الآخرةِ فانَّ اللهَ تعالى إذا صَيَّرَ أهلَ الجنةِ الى الجَنةَ ، وأَدْخَلَ أَهْلَ النارِ النَّارَ ، وجَرَتْ عليهْم أيامُهَا وساعاتُها ، ليسَ بها لَيلٌ ولا نَهارٌ إلا قَدْ عَلِمَ اللهُ مِقدارَ ذلكَ وساعاتِهِ ، فإذا كان يومُ الجُمعةِ في الحِينِ الذي يَبْرُزُ أو يَخرُجُ فيهِ أَهلُ الجُمُعةِ ،

نادَى منادٍ : يا أهلَ الجنةِ أُخرُجُوا إلى دارِ المزيدِ ، لا يَعْلَمُ سعَتَها وعَرْضَهَا وطُولَها إلا اللهُ عزَّ وجَلَّ ، فيخرُجُونَ في كُثْبَانٍ مِن المِسْكِ ، قالَ حذيفةُ : وإنَّهُ لَهُوَ أشَدُّ بَياضاً مِنْ دَقيقِكُمْ هذا ، قال ، فَيَخرُجُ غِلمانُ الأَنبياءِ بمَنابرَ مِنْ نُورٍ ، ويَخرُجُ غِلْمانُ المُؤمنينَ بكَراسِي مِنْ ياقوت ، قال : فإذا وُضِعَتْ لهمْ ، وأَخذَ القومُ مَجَالِسَهْمْ ، بَعَثَ اللهُ تبارَكَ وتعالَى عليْهِمْ رِيْحاً تُدْعَى المُثِيرَةَ ، تُثِيرُ عليهِمْ أثابيْرَ المِسْكِ الأبْيَضِ ، فتُدْخِلُهُ مِنْ تَحْتِ ثِيَابِهِمْ ، وتُخْرِجُهُ في وُجُوهِمْ واشْعَارِهِم ، فَتِلْكَ الرِّيحُ أعْلَمُ كيفَ تَصْنَعُ بذلكَ المِسْكِ ، مِن آمْرَأةِ أحَدِكُمْ لَو دَفَعَ إليها كُلَّ طِيْبٍ على وجْهِ الأرْضِ ، لَكانَتْ تِلْكَ الريحُ أعْلَمَ كَيْفَ تَصْنَعُ بذلكَ المِسْكِ ، مِنْ تِلكَ المَرْأةِ لَوْ دَفَعَ إلَيْهَا ذَلِكَ الطِّيْبَ بإذنِ اللهِ عزَّ وَجَلَّ ، قال : ثم يُوحِي اللهُ سبحانَهُ إلَى حَمَلةِ العَرْشِ فَيُوْضَعُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ الجنةِ ، وَبَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ الحُجُبُ فَيَكُوْنُ أوَلَ مَا يَسْمَعُونَ منه أنْ يَقُولَ : أَيْنَ عِبادِي الذيْنَ أطَاعُونِي بالغَيْبِ ولَمْ يَرَوْنِي ، وصَدَّقُوا رُسُلِي ، واتَّبَعُوا أمْرِي ، فَسَلُونِي فهذا يومُ المزيدِ . قال : فَيَجْتَمِعُونَ على كَلِمَةٍ وَاحِدَةً : رَبِّ رَضِيْنا عنكَ ، فارْضَ عَنَّا ، قال : فيَرْجعُ اللهُ تعالَى في قولِهِمْ أنْ يا أهْلَ الجنةِ إني لَوْلَمْ أرْضَ عَنكُم لَمَا أسْكَنتُكُمْ جَنَّتِي فَسَلُونِي فهذا يومُ الْمَزِيْدِ ، قال فَيَجْتَمِعُونَ على كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ : رَبِّ وجْهَكَ أرِنَا نَنْظُرْ إليْه . قال : فَيَكْشِفُ اللهُ تَبارَكَ ، وتعالَى تِلْكَ الحُجُبَ وَيَتَجلَّى لَهُمْ ، فَيَغْشَاهُمْ مِنْ نُوْرِهِ شَيءٌ ، لَوْلا أنَّهُ قَضَى عَلَيْهِمْ أنْ لا يَحْتَرِقُوا ، مِمَّا غَشِيَهُمْ مِنْ نُورِهِ . قال : ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ : إرجِعُوا إلى مَنَازِلِكُمْ قال : فيَرجِعُونَ إلى مَنَازِلِهم ، وقدْ خَفُوا على أزواجِهِمْ ، وَخَفِيْنَ عليهِمْ ، مِمَّا غشاهُمْ مِن نُورِهِ . انتهى .

وقال أبو هُريرةَ قلتُ يا رسولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا قالَ نعمْ هل تَتمارَوْنَ في رؤيةِ الشمسِ والقمرِ ليلةَ البدْرِ قُلْنا لا قالَ كذلك لا

تَتمَارَوْنَ في رُؤيةِ رَبّكُمْ عزَّ وَجَلَّ ولا يَبْقَى في ذلك المَجْلِس أَحدٌ إلا حاضَرَهُ اللهُ عزَّ وجَلَّ مُحاضَرَةً حتى انْ يقُولَ للرجُلِ منكمْ ألا تَذْكُرُ يا فلانُ يومَ عَمِلْتَ كذا وكذا يذكِّرُهُ بَعْضَ غدَرَاتِهِ في الدنيا فيقولُ يا ربِّ أَفَلَمْ تَغْفِرْ لِي فيقولُ بَلَى فَبِسَعَةِ مَغْفِرَتي بَلَغتْ مَنْزِلَتكَ هذه فبينما هُمْ كذلكَ غَشِيَتْهُمْ سحابَةٌ مِنْ فوقِهِمْ فأمْطَرَتْ عليهِمْ طِيْباً لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ رِيْحِهِ شَيئاً قطُّ ثُمَّ يَقولُ قُومُوا إلى ما أعْدَدْتُ لكمْ مِنَ الكَرَامَةِ فَخُذُوا ما اشْتَهَيْتُمْ قالَ فنأتِي سُوقاً قد حَفَّتْ بِهِ الملائكةُ فيهِ ما لَمْ تَنظُرْ العُيونُ إلى مِثْلِهِ وَلَمْ تسْمع الآذانُ ولمْ يَخْطُرْ على القلُوبِ قال فيُحْمَلُ لنا ما اشْتَهَيْنَا ليسَ يُباعُ فيهِ شَيءٌ ولا يُشْتَرى وفي ذلك السُوقِ يَلْقَى أهلُ الجَنةِ بعضُهُمْ بَعْضاً فيُقْبِلُ الرجلُ ذُو المَنزلَةِ المُرْتَفِعةِ فيَلْقَى مَنْ هُوَ دُوْنَهُ وما فِيهِمْ دَنِيٌّ فيَرُوعُهُ ما يَرَى عليهِ مِنَ اللِباسِ فما يَنْقَضِ آخِرُ حَديثِهِ حتى يَتمثَّلَ له عليهِ أَحْسَنَ منهُ وذلكَ أنهُ لا يَنْبَغِي لِأحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فيها قال ثم نَنْصَرِفُ إلى مَنازِلِنا فَتَلْقانا أَزواجُنَا فيَقُلْنَ مَرْحباً وَأَهلاً لقدْ جِئْتَ وإنَّ بِكَ مِنَ الجَمَالِ والطِّيبِ افْضَلَ مِمَّا فارَقْتَنَا عليهِ فنَقُولُ إنا جالَسْنا اليومَ رَبَّنا الجَبّارَ عزَّ وَجَلَّ ويَحِقُّنا أنْ نَنقَلِبَ بِمِثْلِ ما أنقَلبْنا .

قال ابن القيم في سُوق الجَنة

فَيَقُولُ جَلَّ جلالُهُ قُومُوا إلَى
مَا قَد ذَخَرْتُ لَكُم مِن الإحْسَانِ
يَأتونَ سُوقَاً لا يُبَاعُ ويُشْتَرَى
فِيهِ فَخُذْ منه بلا أثْمَانِ

قد أَسْلَفَ التُجَّارُ أَثْمَانَ المَبِيْعِ بعَقْدِهِم في بيعةِ الرِضوانِ

للهِ سُوْقٌ قَدْ أَقَامَتُهُ المَلاَ
ثِكَةُ الكِرَامُ بكُلِّ مَا اِحسانِ
فيه الذي واللهِ لا عَيْنٌ رأَتْ
كَلاَ ولا سَمِعَتْ به أُذُنانِ
كَلاَ ولم يَخْطر عَلَى قَلْبِ امْرِءٍ
فَيَكُونُ عَنه مُعَبِّراً بلِسَانِ
فَيَرَى امْرَأً مَنْ فَوْقَهُ في هَيْئَةٍ
فَيَرُوْعُهُ مَا تَنظُرُ العَيْنَانِ

فاذا عَلَيْهِ مِثْلُهَا إِذْ لَيْسَ يَلْحَقُ أَهْلَهَا شَيْءٌ مِن الأَحْزَانِ

واهاً لِذَا السُّوقِ الذي مَن حَلَّهُ
نَالَ التَّهانِي كُلَّها بأَمَانِ
يُدْعَى بسُوقِ تَعَارُفٍ مَا فِيه مِن
صَخَبٍ ولا غِشٍّ ولا أَيْمَانِ
وتِجَارَةٍ مَن لَيسَ تُلْهِيْهِ تِجَا
رَاتٌ ولا بَيْعٌ عَن الرحمنِ
أَهْلُ المُرُوءَةِ والفُتُّوةِ والتُقى
والذِكرِ لِلرَّحمنِ كُلَّ أوانِ
يا مَن تَعَوَّضَ عنه بالسُوقِ الذِي
رُكِزَتْ لَدَيْهِ رَايَةُ الشَّيْطَانِ
لو كُنْتَ تَدْرِي قَدْرَ ذَاكَ السُوق لَمْ
تَرْكَنْ إلى سُوْق الكَسَادِ الفَانِ

اللهم انْظمْنَا في سِلْكِ عِبَادِكَ المُفْلِحِينَ وَنَجِّنَا مِن لَفَحَاتِ الْجَحِيْم واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسلمينَ الأَحْيَاءِ مِنهم والميتين برحمتكَ يا أرحمَ الرَّاحمين وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ أجْمعين .

(**فَصْلٌ**) : إعْلَم أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وتعالى إختارَ مِن كل جنس مِن أجناس المخلوقات أطيبه . واختصه لنفسه وارتضاه دون غيره ، فإنه تعالى طيب لا يحب إلا الطيب ، ولا يقبل من العمل والكلام والصدقة إلا الطيب ، فالطيب من كل شيء هو مختاره تعالى ، وأما خلقه تعالى فعام للنوعين .

وبهذا يعلم عنوان سعادة العبد وشقائه، فإن الطيب لا يناسبه إلا الطيب ولا يرضى إلا به، ولا يسكن إلا إليه، ولا يطمئن قلبه إلا به، فله من الكلم الطيب الذي لا يصعد إلى الله تعالى إلا هو، وهو أشد شيء نفرة عن الفحش في المقال، والتفحش في اللسان والبذاء، والكذب والغيبة والنميمة والبهت وقول الزور، وكل كلام خبيث.

وكذلك لا يألف من الأعمال إلا أطيبها وهي الأعمال التي اجتمعت على حسنها الفطر السليمة مع الشرائع النبوية، وزكتها العقول الصحيحة. فاتفق على حسنها الشرع والعقل والفطرة.

مثل أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا، ويؤثر مرضاته على هواه، ويتحبب إليه جهده وطاقته، ويحسن إلى خلقه ما استطاع، فيفعل بهم ما يحب أن يفعلوه به، ويعاملهم بما يحب أن يعاملوه به، ويدعهم مما يحب أن يدعوه منه.

وينصحهم لما ينصح به نفسه، ويحكم لهم بما يحب أن يحكم له به، ويحمل أذاهم ولا يحملهم أذاه، ويكف عن أعراضهم ولا يقابلهم بمثل ما نالوا من عرضه، وإذا رأى لهم حسنا أذاعه وإذا رأى لهم سيئا كتمه، ويقيم أعذارهم ما استطاع فيما لا يبطل شريعة، ولا يناقض الله أمرا ولا نهيا.

وله أيضا من الأخلاق أطيبها وأزكاها، كالحلم والوقار والسكينة، والرحمة والصبر والوفاء، وسهولة الجانب ولين العريكة والصدق، وسلامة الصدر من الغل والغش والحقد والحسد، والتواضع وخفض الجناح لأهل الإيمان.

والعزة والغلظة على أعداء الله وصيانة الوجه عن بذله وتذلُّله لغير الله، والعفة والشجاعة والسخاء والمروءة. وكل خلق اتفقت على حسنه الشرائع والفطر والعقول.

وكذلك لا يختار من المطاعم إلا أطيبها، وهو الحلال الهنيء المرىء الذي يغذي البدن والروح أحسن تغذية، مع سلامة العبد من تبعته. وكذلك لا يختار من المناكح إلا أطيبها وأزكاها. ومن الرائحة إلا أطيبها وأزكاها. ومن الأصحاب والعشراء إلا الطيبين منهم.

فروحه طيب، وبدنه طيب، وخلقه طيب، وعمله طيب، وكلامه طيب، ومطعمه طيب، ومشربه طيب، وملبسه طيب، ومنكحه طيب، ومدخله طيب، ومخرجه طيب، ومنقلبه طيب، ومثواه كله طيب.

فهذا ممن قال الله تعالى فيه ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ ومن الذين يقول لهم خزنة الجنة ﴿ **سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ﴾.

وهذه الفاء تقتضي السببية، أي بسبب طيبكم أدخلوها. وقال تعالى ﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ وقد فسرت الآية بأن الكلمات الخبيثات للخبيثين، والكلمات الطيبات للطيبين، وفسرت بأن النساء الطيبات للرجال الطيبين، والنساء الخبيثات للرجال الخبيثين. وهي تعم ذلك وغيره.

فالكلمات والأعمال والنساء الطيبات لمناسبها من الطيبين والكلمات والأعمال والنساء الخبيثات لمناسبها من الخبيثين. والله سبحانه وتعالى جعل الطيب بحذافيره في الجنة، وجعل الخبيث بحذافيره في النار. فجعل الدور ثلاثة:

داراً أخلصت للطيبين، وهي حرام على غير الطيبين. وقد جمعت كل طيب، وهي الجنة.

وداراً أخلصت للخبيثين والخبائث، ولا يدخلها إلا الخبيثون، وهي النار.

وداراً إمتزج فيها الطيب والخبيث وخلط بينهما وهي هذه الدار.

ولهذا وقع الإبتلاء والمحنة بسبب هذا الإمتزاج والإختلاط، وذلك بموجب الحكمة الإلهية. فإذا كان يوم معاد الخليقة ميز الله الخبيث من الطيب.

فجعل الطيب وأهله في دار على حدة لا يخالطهم غيرهم، وجعل الخبيث وأهله في دار على حدة لا يخالطهم غيرهم، فعاد الأمر إلى دارين فقط: الجنة، وهي دار الطيبين، والنار: وهي دار الخبيثين.

وأنشأ الله تعالى من أعمال الفريقين ثوابهم وعقابهم، فجعل طيبات أقوال هؤلاء وأعمالهم واخلاقهم هي عين نعيمهم ولذاتهم، فأنشأ لهم منها أكمل أسباب النعيم والسرور. وجعل خبيثات أقوال الآخرين وأعمالهم واخلاقهم هي عين عذابهم وآلامهم فأنشأ لهم منها أعظم أسباب العقاب والآلام، حكمة بالغة، وعزة باهرة قاهرة، ليرى عباده كمال ربوبيته، وكمال حكمته وعلمه وعدله ورحمته، وليعلم أعداؤه أنهم كانوا هم المفترين الكذابين، لا رسله البررة الصادقون قال الله تعالى: ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ليبين لهم الذي يختلفون فيه

وليعلم الذين كفروا إنهم كانوا كاذبين﴾.

والمقصود: أن الله سبحانه جعل للسعادة والشقاء عنواناً يعرفان به. فالسعيد الطيب لا يليق به إلا طيب، ولا يأتي إلا طيباً، ولا يصدر منه إلا طيب، ولا يلبس إلا طيبا، والشقي الخبيث لا يليق به إلا خبيث، ولا يأتي إلا خبيثاً، ولا يصدر منه إلا الخبيث.

فالخبيث: يتفجر من قلبه الخبث على لسانه وجوارحه: والطيب: يتفجر من قلبه الطيب على لسانه وجوارحه وقد يكون في الشخص مادتان، فأيهما غلب عليه كان من أهله، فإن أراد الله به خيراً طهره من المادة الخبيثة قبل الموافاة، فيوافيه يوم القيامة مطهراً فلا يحتاج إلى تطهيره بالنار.

فيطهره منها بما يوفقه له من التوبة النصوح، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة حتى يلقى الله وما عليه خطيئة. ويمسك عن الآخر مواد التطهير، فيلقاه يوم القيامة، بمادة خبيثة ومادة طيبة، وحكمته تعالى تأبى أن يجاوره أحد في داره بخبائثه، فيدخله النار طهرة له، وتصفية وسبكا، فإذا خصلت سبيكة إيمانه من الخبث، صلح حينئذ لجواره ومساكنة الطيبين من عباده.

وإقامة هذا النوع من الناس في النار على حسب سرعة زوال تلك الخبائث منهم وبطئها، فأسرعهم زوالًا وتطهيراً أسرعهم خروجاً، جزاء وفاقا، وما ربك بظلام للعبيد.

ولما كان المشرك خبيث العُنصر خبيث الذات لم تطهر النار خبثه، بل لو خرج منها لعاد خبيثاً كما كان، كالكلب إذا دخل البحر ثم خرج منه، فلذلك حرم الله تعالى على المشرك الجنة. ولما كان المؤمن الطيب المطيب مبرأ من الخبائث، كانت النار حراماً عليه، إذ ليس فيه ما يقتضي تطهيره بها.

فسبحان من بهرت حكمته العقول والألباب، وشهدت فطر عباده وعقولهم بأنه أحكم الحاكمين ورب العالمين، لا إله إلّا هو.

والله أعلم وصلى الله على محمداً وآله وصحبه وسلم.

« فَصْــلٌ »

خَطَبَ أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب رِضوانُ الله عليه بالكوفَةِ، فقال في كلام له:

سُبحانَكَ خالِقاً معبوداً بِحُسْنِ بلائِكَ في خَلْقِكَ، خَلَقْتَ داراً، وجَعَلْتَ مأدُبَةً ومَطْعَماً وَمَشْرَباً، وأزْواجاً وقُصوراً، وَخَدَماً وَعُيوناً وأنْهاراً، ثم أرْسَلْتَ داعياً إلَيْنــا ، فلا الدَّاعيَ أجبنا ، ولا فيما رَغَّبْتَنَا رغِبنا ، أقْبلنا على جِيفَةٍ نأكُلُ منها، قد زاد بعضُنا على بعضٍ حِرْصاً عليها، وافْتُضِحْنا لَمَّا اصْطَلَحْنا على حُبِّها، عَمِيَتْ أبصارُ صالحينا وفقهائِنا فيها، ولها مَنْ في قلْبِهِ مَرَض، فهو ينظُر بعينِ غيرِ صحيحة، ويسمَعُ بأُذْنٍ غير سَميعَةٍ، وقد مَلَكَتِ الشَّهَواتُ عَقْله، وأماتَتِ الدُّنيا قَلْبَه، وَذَهِلَت عليها نَفسُه، فهو عبدُها وعَبْدُ مَنْ في يديهِ منها شيء، حَيْثُما زالت زالَ معها، وحيثُما أقبَلَتْ أقبلَ إليها، لا يَعْقِلُ ولا يَسْمَعُ، ولا يَزدَجِرُ مِنَ الله بزاجِر، ولا يَتَّعِظُ مِنَ الله بواعِظ. قد رأى المأخوذينَ على الغِرَّة حيثُ لا إقالة ولا رَجعَة كيفَ فاجَأتْهُم تلك الأمور، ونزَلَ بهم ما كانُوا يُوعَدونَ، وفارَقوا الدُّور، وصَاروا إلى القُبور، ولَقُوا دَواهيَ تلكَ الأُمور، فإذا نَزَلت بقُلوبهم حَسَراتُ أنفُسِهِم، اجتَمَعَتْ عليهم خَصْلَتان، حَسْرَةُ الفَوْت، وسَكْرَةُ الموت، تَفَطَّرَتْ لها قلُوبُهُم، وتَغَيَّرَتْ ألْوانُهُم، وتَرَدَّدَ فُواقهم وحرَّكوا لِمَخْرَجِ أرواحِهِم أيديَهم وأرجُلَهم، فَعَرقت لذلك جِباهُهُم، ثم ازدادَ الموتُ فيهم، فحِيلَ بينَ أُحدِهِم ومنطِقِه، وإنَّه لبَيْنَ ظَهرانيَ قومه ففكَّرَ بعقلٍ بقيَ له: فيمَ فَنيَ عُمرُه، وفيمَ ذَهَبَتْ أيامُه!!

عن الأصمعي رحمه الله قال: حَجَبْتُ فنَزَلتُ ضريَّة في يوم جُمعة، فإذا أعرابي قد كَوَّرَ عِمامَتَه، وتَنكَّبَ قَوْسَهُ، فصَعِدَ المِنبر، فحَمِدَ الله، وأثنى عليه،

وصلّى على نبيِّه ﷺ، ثم قال: أيُّها النَّاسُ، إنَّ الدُّنيا دار مَمَرّ، والآخرةُ دارُ مَقَرّ، فخذوا مِنْ دارِ مَمَرّكم، ولا تهتِكوا أُستارَكم عند مَنْ لا تَخْفَى عليه أُسرارُكم، فإنَّه لَنْ يستَقْبِلَ أحدٌ يوماً مِنْ عُمرِهِ إلا بفارق آخر مِنْ أَجَله، وإنَّ أمْسِ موْعَظَةٌ، واليوم غنيمة، وغداً لا يُدْرىٰ مَنْ أهْلُهُ. فاستْصلِحوا ما تُقدمون عليه، واقْنُوا ما لا تَرْجعونَ إليه، واخرُجُوا من الدُّنيا بقُلُوبكم قبلَ أن تَخْرُجَ منها أبدانُكم، ففيها خُلِقْتُم، وإلى غيرها نُدِبْتُم. وإنَّهُ لا قويَّ أقوى مِنَ الخالِق، ولا ضعيفَ أضعفُ مِنْ مَخْلوق، ولا هَرَبَ مِنَ اللهِ إلّا إليه، وكيفَ يَهْرُبُ مَنْ يَتَقَلَّبُ في يدي طالِبه، و (كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الموْتِ وإنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ. فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدْخِلَ الجَنَّةَ فقَدْ فازَ وَما الحَياةُ الدُّنيا إلّا مَتاعُ الغُرُور) عَصَمَنَا اللهُ وإيَّاكُمْ مِنْ الزَّلَلِ وَوَفَّقَنا لِصالِحِ العَمَلِ وَهَدَانَا بِفَضْلِهِ سَبِيْلَ الرَّشَادِ وَطَرِيْقَ السَّدَادِ إنَّهُ جَلَّ شَأنُهُ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيْرِ .

لَا يَخْدَعَنَّكَ صِحَّةٌ وفَراغ
ما لا يَدُومُ عَليكَ فَهْوَ مُعَارُ
يَغْشَى الفَتَى حُبُّ الحَياةِ وزِينَةُ الدُ
دُنْيَا ويَنْسَى ما إليهِ يُصَارُ
وإذا البَصَائِرُ عن طَرَائِقِ رُشْدِهَا
عَمِيَتْ فماذَا تَنْفَعُ الأَبْصَارُ
لا تَغْتَرِرْ بالدَّهْرِ إنْ وافَاكَ في
حَالٍ يَسُرُّك إنَّهُ غَرَّارُ
أُنْظُرْ إلى مَن كَانَ قَبْلَكَ واعْتَبِرْ
سَتَصِيْرُ عَنْ قُرْبٍ إلى مَا صَارُوْا

آخر:

النَّاسُ في غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ
وما يُفِيْقُونَ حَتَّى يَنْفَدَ العُمُرُ

يُشيِّعُــوْنَ أهالِيْهِــمْ بِجَمْعِمُــوْا
وينْظُرُوْنَ إلَى ما فِيه قَدْ قُبِرُوْا
وَيَرْجِعُونَ إلَـى أحْـلامِ غَفْلَتِهِـمْ
كأنَّهُم مَا رَأوْا شَيْئاً ولا نَظَرُوا

اللهمَّ إنَّ حَسَنَاتِنَا مِنْ عَطَائِكَ ، وَسَيِّئَاتِنا مِنْ قَضَائِكَ ، فَجُدُ اللهمَّ بما أَعْطَيْتَ ، على ما بِهِ قَضَيْتَ ، حتى تمحُوَ ذلكَ بذلِكَ ، اللهم إنَّ مَسَاوِيَنَا قَطَعَتْ عنا الوَسَائِلَ ، غيْرَ أنا عَلِمْنَا أنك رَبٌّ كريمٌ ، وَمَوْلَى رَؤُوفٌ رَحِيْمٌ ، فَجرَّأَنَا مَعَ قُبْحِ أَفْعَالِنَا ، وَضَعْفِ أَعْمَالِنَا ، عِلْمُنا بذلِك ، وَحَمَلَنا ـ مَع البُعْدِ عَنْكَ ـ رَجَاؤُنا في نَوَالِكَ ، فاسْتَجِبْ لنا ، واغفِرْ لنا وارحمْنَا ، وتُبْ علينا ، وعافنا واعْفُ عنا ، وحَقِّقْ رَجاءَنا ، واسْمعْ دُعاءَنا برحمتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

وهذه قصة الذبيح إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام .

الحمدُ للهِ ربِ العالمينَ على إنعامِهِ فهو ذُو الأنعامِ والنِعم
وبَعْدَ هَذا فآلافُ الصــلاة على مُحَمَّدٍ سَيِّدِ العُربانِ والعَجَمِ
والآلِ والصحبِ ثم التابعينَ لَهُمْ ما لَاحَ بَرقٌ وسَحَّتْ أعينُ الدِيَمِ
إني نَظَمْتُ لِأَمرِ للخَلِيْلِ بما أدَّاهُ فِكْرِيْ وما أبْدَى به قَلَمِيْ
فبينما كانَ إبراهيمُ مُضْطَجِعاً العَيْنُ نائمَةٌ والقلبُ لَمْ يَنَمِ
رَأَى مَنَــاماً بِأنَّ اللهِ يأمُره بِذَبْحِ إبنٍ صَدُوْقِ القولِ ذِي الشِّيَمِ
أَعِنْي أبا العَرَبِ إسماعيلَ قال به جَماعةٌ مِن ذَوِي الألبابِ والحِكَمِ
وَبَعْضُهم قال إسحقَ الذبيحَ وقد تَوَاتَر القولُ فِيْمَنْ قَبْلُ كَانَ سُمِيْ
ناداهُ إني أرَى في النومِ ذَبْحَكَ يَا بُنَيَّ فانْظُرْ فَمَا رُؤْيَايَ بالحُلُمِ

فقال يَا أَبَتِ افْعَلْ ما أُمِرْتَ بِهِ مُبَادِراً أَنْتَ أَمْرَ اللهِ لَنْ تُلَمِ
لَكِنَّ وَالدَتِي وَارَحْمَتَاهُ لَهَـا ماذَا يَحِلُ بِهَا إِنْ خُبِّرَتْ بِدَمِ
فاقْرِيْ وَالدَتِي مِنّي السَلامَ وقُلْ لَهَا أَصْبِرِي لِقضاءِ اللهِ واعْتَصِمِ
حَولْ لِوَجْهِكَ عِند الذبح يا أُبتي واغْضُضْ بطَرفِكَ لا تَجزَعْ لِسَفْكِ دَمِي
فانَمـا أَنَا عَبْـدُ اللهِ يَفْعَلُ بِي ما شـاءَ واللهُ ذُوْ فَضْـلٍ وذُوْ كَرَمِ
فاسْتَسْلَمَا ثم سَـارَ عَازِمِيْنِ عَلَى انْفَـاذِ أَمْـرِ إِلٰهٍ مُحْيِي الرِمَمِ
فَجَـاءَ إِبليسُ يَسْعَى وهُوَ ذُو عَجَلٍ فَي زِيِّ شَـيْخٍ كَبِيْرِ السِّنِ ذِيْ هَرَمِ
فقالَ أَنْتَ خَلِيْلُ اللهِ تَسْـمَعُ مَا يُوحِيْهِ إبْليسُ في الأَضْغَانِ والحُـلُمِ
أُجَابَه اخْسأْ عَدُّوَ اللهِ إنكَ إبْـ ـلِيْسُ اللَّعِينُ قَرِيْنُ الشَّرِ والنَّدَمِ
فَرَاحَ عنه وَوَلَّى خَاسِـئاً خَجِـلاً يَقولُ قَدْ فَاتَنِي المطْـلُوبُ وَآلَمِ
ثم انْثَنَى نَحـو إسماعيلَ مُمْتَحِناً له يَقُولُ اذْنُ مِني واسْتَمِـعْ كَلَمِ
أُبوكَ يَزْعُـمُ أَنَّ اللهَ يَأْمُـرُهُ بِذَبْحِكَ اليومَ ما هَـذَا مِن الشِيَمِ
فقال إن كانَ رَبُّ العـرشِ يَأْمُرُهُ فِانَّنِي صَـابِرٌ رَاضٍ بـلَا نَـدَمِ
وطَاعةُ الربِ فَرْضٌ لا مَحِيصَ لَنا عَنهَـا لأَنْ كُتِبَتْ في اللَّـوحِ بالقلَمِ
فارْجِـعْ بِكبرِكَ عَنَّـا إنَّنَـا برَءَآ مِنْكَ فانكَ مَطْرُودٌ مِن الرحِـمِ
فراحَ عنه لِنَحْـو الأم قال لَهَـا إِنَّ ابنَكِ اليـومَ مَذْبُوحٌ على وَهَمِ
مِن أَجْلِ رُؤياً رَآها الشيخُ حَقَّقَهَا يُرِيْـدُ انْجَـازَهَا هَلْ ذَا بِمُلْتَزَمِ
قالتْ نَعَمْ ما لَهُ بُـدٌ وكيفَ لَهُ بأَنْ يُخَالِفَ مَن أَنْشَاهُ مِن عَدَمِ
لَمَا رَأى اليَأْسَ مِنْهُـمْ رَدَّ مُكْتَئِباً يَرنُّ أَرْنَانَ ذاتِ الثُـكْلِ واليُتُمِ
إذا فاتَه مَا جَـرَى منهُ وَأَمَّلَهُ وباءَ بالخِـزْيِ والخُـذْلانِ والنَّدَمِ
وانقادَ لِلذَّبحِ إسماعيلُ مُحْتَسـباً لِحُكْمِ مَوْلَاهُ يَمشِيْ حَـافِي القَدَمِ
فبينا هُـوَ مُنْقَـادٌ لِسَـيِّدِهِ ما فِيـهِ مِن جَـزَعٍ كَلَّا ولا سَئِمِ
أَتَى الخَلِيْلُ بِسـكِّينٍ فأشْحَـذَهَا حَتَّى غَدَتْ مِثْلَ بَرْقٍ في دُجَى الظُلَمِ

فقــال يا أَبَتَــاهُ ارْفَــعْ ثِيَابَكَ لا ... يُصِيبُهَا قَذَرٌ عندَ اضْطَبَابِ دَمِي
ويَفْجَعُ الأُمَّ مَهْمَــا شَاهَدَتْهُ كَذَا ... فاللّهُ يَعْصِمُهَــا مِن زَلَّةَ القَــدَمِ
والأُمُ يا وَالِدِي مَهْمَـا رَجَعْتَ لَهَا ... فاطْلُبْ لِي الحِلَّ مِنْهَا واحْفَظْ الذِمَمِ
وأَمْرَ مَوْلَايَ نَفِّــذْهُ بِذَبِحْكَ لِيْ ... واشــحذ لشفرة ذَبحِي يا أَبا الكرمِ
كيما يهون عليَّ المَوت إن له ... لشِدَّةٍ لَمْ تَصِفْهَــا أَلْسُنُ الأُمَمِ
قال الخليلُ فِنِعْمَ العَــونُ أَنْتَ عَلَى ... مَرْضَاةِ رَبِي فثِــقْ باللهِ واعْتَصِــمِ
فَجاءَ بِالحَبْـل شَدَّ الإبنَ ثُمَّ بَكَى ... لِرِقَّةٍ غَلَبَتْــهُ فَهُوَ لَمْ يُــلِمِ
أَمَرَّ شَفْرَتَهُ بالنَّحْــرِ فانْقَلَبَــتْ ... عَنْــهُ ثلاثاً ولَمْ يَمْسَــسْه مِن أَلَمِ
فقال إنْ شَقَّ ذَا والنَّفْسُ ما سَمَحَتْ ... فَكُبَّ وَجْهِــيْ فإنِي غَــيْرُ مُهْتَضِمِ
فَكَبَّهُ مِثْلَ مَا أَوْصَاهُ فانْقَلَبَتْ ... إِذْ ذَاكَ شَفَرَتُهُ لَمْ تَفْــرِ مِن أَدَمِ
والأَرْضُ رَجَّتْ وأَمْلَاكُ السَّما جَأَرَتْ ... والوَحْشُ عَجَّتْ وَعَمَّ الخَطْبُ في الأُمَمِ
واللهُ ذُو العَرْشِ فوقَ العَرْشِ يَعْجبُ مِن ... إيْمَانِ عَبْــدَيْهِ مَا عنه بِمُنْكتِمِ
أَوْحَى لِجَبريلَ أَنْ أَدْرِكْهُمَا عَجلاً ... بِكَبْشٍ ضَانٍ رُبِيْ في رَوْضَةِ النَّعَمِ
أَيْ أَرْبعينَ خَرِيْفاً في الجِنَانِ رَعَى ... يُسْقَى مِن أَنْهَــارِهَا عَذْباً بِلا وَحَمِ
فَجَاءَ بالكَبْشِ جِبْرِيْلُ الأَمِينُ إِلَى ... ذاكَ الخليلِ النَّبِيْلِ الطَّــاهِرِ العَلَمِ
فقال هَذَا الفِدَي مِن عَنْدِ رَبِّكَ عَنْ ... هَذَا الذَّبْيحِ جزَا هَــذا دَمٌ بِــدَمِ
فَكَبَّرَ اللهَ جُبْرائِيْــلُ حِيْنَئِــذٍ ... والكَبْشُ كَبَّرَ أَيْضــاً نَاطِقاً بِفَمِ
ثم الخَلِيلُ كَذاكَ الإِبنُ مَا بَرِحَا ... مُكَبِّرِيْنَ وذَا شُكْرٌ على النَعَــمِ
وسَرَّ أَهلَ السَما والأَرضِ حَالَهُما ... واغْتَمَ إِبْليسُ غَماً غَيْرَ مُنْصَرِمِ
عَواقبُ الصَّبْرِ تُنْجِي مَن يُلَازِمُهَا ... والحمدُ لِلَّهِ هَــذا آخِــرُ الكَلِمِ
ثم الصَلاةُ على المختـارِ أَحْمَدَ مَا ... غَنَّتْ مُطَــوَّقَةٌ في الأيــكِ بالنِعَمِ
والآلِ والصحبِ ثم التابعينَ لَهُمْ ... ما لاحَ فَجْرٌ فأَجْلَى غَيْهَبَ الظُلَمِ

إنْتَهَي

اللهم إنا نَسْأَلُك نَفْساً مُطْمَئِنَّةً ، تُؤمِنُ بلِقَائِكْ وتَرْضى بِقضائِكْ ، وتَقْنَعُ بِعَطائِكْ ، يا أرْأفَ الرائفين ، وأرحَم الراحمين .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ التوفيق لما تُحِبُّه مِن الأعمال ، ونسأَلُكَ صِدْقَ التوكلِ عليكْ ، وحُسْنَ الظَنِّ بِكَ يَا رَبَّ العالمين .

اللهم اجعلنا مِن عِبادِكَ المُخْبتِين ، الغُرِّ المُحَجَّلِين الوَفْدِ المُتَقَبَّلِين .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبةً ، ونَفْساً تَقِيَّة ، وعِيْشَةٍ نَقِيَّة ، ومِيْتَةً سَوِيَّة ، ومَرَداً غَيْرَ مُخْزِي ولا فاضح .

اللهم اجعلنا من أَهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك يارب العالمين .

اللهم افتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

خطبة في التحذير من المعاصي

قال أَحَدُ العُلماءِ رَحْمَةُ اللهِ عليه :

الحمد لله الذي حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن المتعرف إلى خلقه بما أسداه إليهم مِن الكرم والمنن الذي أُخرج الناس مِن الظلمات إلى النور وهداهم إلى صراطه المستقيم وجنبهم ما يوقعهم في مَهَامِهِ الجحيم .

الواحِدِ الأَحدِ الفردِ الصمدِ العزيزِ الحكيم لا تدركه الأبصارُ وهو يدركُ الأبصارَ وهو اللطيفُ الخبير أحمده سبحانه على فضله وجوده الغزير وأشكره والشكر مؤذنٌ بالزيادةِ والتوفير .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو نعم المولى ونعم النصير وأشهد أن سيدنا محمّداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصبحه أولي الجد في الطاعة والتشمير صلاةً وسلاماً دائمين مُتلازمين إلى يوم المصير .

أما بعد : أيها الناس اتقوا الله تعالى بفعل أوامره واجتناب مَنَاهِيه وقُوا أنفسَكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وتدبّروا فيمن ضاعَ عمره في البَطالة والتمادِي وجمعِ المال ولا يبالي أمِن حلالٍ جَمَعَه أمْ مِن حرام .

ولا تأكلوا الربا فإن الله لعن آكل الرّبا وموكله وشاهديه وقال هم في الوزر سواء قال الله جل وعلا : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلاَّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدهَّ ﴾ وقال عز من قائل : ﴿ وإن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشةً وساء سبيلا ﴾ وفي الحديث : « ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوها إلاَّ ابتلاهم الله بالطاعُون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا وما طفّف قومٌ المكيال والميزان إلاَّ ابتلُوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان » ، وما منع قومٌ زكاة أموالهم إلاَّ منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا وما خفر قوم العهد إلاَّ سلّط الله عليهم عدوّاً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم ولا حكموا بغير ما أنزل الله إلاَّ جعل الله بأسهم بينهم .

وقال عليه السلام : « إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهادَ في سبيل الله سلّطَ الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » .

وقال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله من كان في حاجة أخيه المسلم كان الله في حاجته » .

وقال في حجة الوداع : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحُرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلّغت » وقال عن الكعبة ما أعظمك وأعظم حرمتك وإن حرمة المؤمن أعظم عند الله منك .

وقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه » وقال معاذ أو مؤاخذون يا رسول الله بما نتكلم به ؟ فقال : « ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلاَّ حصائد ألسنتهم » وقال : « الغيبةُ أشد من الزنا الحديث إنَّ من أربى الرّبا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم » وقال : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » .

وفي حديث أبي بكر الصديق إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم بعقاب من عنده رواه أحمد وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أخفيت الخطيئة لم تضرَّ إلاَّ صاحبها وإذا ظهرت فلم تغيّر ضرَّت العامّة » .

وروى أحمد عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يوشك أن تخرب القُرى وهي عامرة قالوا وكيف خرابها قال إذا عَلا فُجّارها على أبرارها وساد القبيلة مُنَافقوها وروى أحمد من حديث جرير أن النبيَّ ﷺ قال : « ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي هم أعزُّ وأكثر ممن يعمله فلم يغيْرُوه إلاَّ عمّهم الله بعِقاب » وروى البخاري عن أنس قال : إنكم لتعملون أعمالاً هي أدقُّ في أعينكم من الشّعر كنا نعدُّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبُقات .

فاتّقُوا الله عبادَ الله بالاقلاع عن المعاصي وتوبوا إلى ربكم توبة نَصوحاً

عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم واستدركوا بقيّة عمر أضعتم أوّله فإن بقيّة عمر المؤمن لا قيمة له جعلني الله وإياكم ممن أفاق لنفسه وفاق بالتحفظ أبناء جنسه وأعدَّ عدة تصلح لرمسه .

إن أحس ما وعظ به الواعظون كلام من نحن لعفوه وكرمه مؤملون والله يقول وبقوله يهتدي المهتدون وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ فأما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى ﴾ بارك الله لي ولكم في القرآن ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإيَّاكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

مـــوعظـــة

عبادَ الله إن العاقلَ اللبيبَ الفطنَ الرشيدَ مَن يَسعىَ في نفع نفسِه وأهلِه ودفعِ الضررِ عنهم ، وإنا نَرى في زَمَننا الذي كثرت فيه المنكراتُ وإنحطتْ فيه الأخلاق وقَلّ فيه الورعُ وكثُرَ فيه النفاقُ والرياء .

ترى الناسَ يخشون الناسَ ولا يخافون رباً قَهّاراً بَطْشُهُ شَدِيْد وعذابه أليم ترى الرجل يفعل المنكر جهارا ولا تنهاه وتنسى أو تتناسى قول الله تعالى : ﴿ أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴾ وقوله ﴿ فلا تخشوهم واخشون ﴾ .

وقوله ﷺ « من رأى منكم منكراً فليغيره بيد فإن لم يستطع فبلسان فإن لم يستطع فبقلبه ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » .

فقل للذي يرى تارك الصلاة ولا ينهاه لا يجوز لك ذلك إنصح أخاك

المسلم وقل للذي قد عميت بصيرته فأتى بكفار خدامين أو سواقين أو مربين أو طباخين أو خياطين أو نحو ذلك وأمنهم على محارمه .

خف الله وإحذر من عقوبة الدنيا قبل عقوبة الآخرة كيف تأتي بأعداء الله ورسوله والمؤمنين ، لقد أسأت إلى نفسك وأهلك والمسلمين .

أما سمعت قول النبي ﷺ « من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله » .

أو ما بلغك قصة الثلاثة الذين هجرهم المسلمون نحوا من خمسين ليلة بأيامها حين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك .

أو ما بلغك أن أبا هريرة أقسم « لا يظله سقف هو وقاطع رحم » وأنت وأعداء الله الكفار متصل بعضكم في بعض في البيت والسوق والسيارة عياذا بالله من ذلك ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ .

وإذا رأيتَ من يحلق لحيته ويبقي شاربه متشبها بالمجوس فقل له أما سمعت حديث « أكرموا اللحي » وحديث « وفروا اللحي » وقول الله تعالى ﴿ فليحذر الذي يخالِفُونَ عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وقوله ﷺ « كل أمتي معافي إلا المجاهرون » وعملك هذا مجاهرة .

وإذا رأيت شارب الدخان فإنصحه وبين له مضاره في الدين والبدن والدنيا .

وإذا رأيتَ مَن يَقتلُ وَقْتَهُ أمامَ الملاهِي والمنكرات فإنصحه وبين له المضار التي منها تركُ الصلاة جماعة أو إهمالها بتاتا والعياذ بالله .

وإذا رأيتَ الذي يطارد النساء في الأسواق فقل بالله هل ترضى أن الفسقة مثلك يُطَارِدون نِسَاءَكَ إتقِ اللهَ وَتُبْ إليه مِن هذا الخلقِ الرذِيل .

وإذا رأيتَ الذي يغش المسلمين فقل له إتق الله أما بلغك حديث المصطفى ﷺ « مَنْ غشنا فليس منا » .

وإذا رأيتَ مَن يعامل بالربا فقل كيفَ تحُارِبُ رَبَّكَ الذي أعطاك المال خَفِ اللهَ وإحذر أَنْ يَمْحَقَكَ اللهُ ويمحقَ مالك .

وإذا رأيتَ مَن يسافر إلى بلاد الكفر فإنصحه وقل أما سمعت قول النبي ﷺ « أنا برىء مِن مسلم بين أظهر المشركين لا ترأى ناراهما » وكان ﷺ يأخذ على أصحابه عند البيعة يأخذ علي يد أحدهم « أن لا ترى نارك نار المشركين إلا أن تكون حربا لهم » .

وإذا رأيتَ مَن يصُورَ أو يبيع صور ذوات الأرواح فإنصحه وقل له أما بلغك أن أشد عذاباً يوم القيامة المصورون ، أما بلغك أَنَّ مَن صور صورة في الدنيا كُلِّفَ أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ ، وقل له أما سَمِعْتَ حديث كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس فيعذبه في جهنم إتق الله قبل أن تقف بين يديه حافياً عارياً أعزلاً .

وإذا رأيتَ مَن يبيع الصور أو آلات اللهو كالتلفزيون والكورة والمذياع والفِيديو والسينماء والورق الملهية عما خلق الانسان له وأبا الخبائث الدِخان ونحو هذه البدع المُحَرَّمَة التي ضاع العمر والمال بسببها وقَضَتْ على الأَخلاق والْغَيْرةِ الدينية فقل له أترضى لنفسك أن تتجر بالمحرمات وأن تكون ممن يعين على المعاصي وينشر الفساد إتق الله قبل أن يفاجئك هادم اللذات فتندم ولا يفيدك الندم . ويصدق عليك قول الشاعر :

ندم البغاة ولات ساعة مندم   والبغي مصرعه وخيم المصرع

وإذا رأيتَ مَن يطفف في المكيال والميزان أو يأخُذُ راتِبَهُ كاملا ولا يُؤَدِيْ

العملَ كاملاً قل له إتق الله أما تقرؤ قول رب العالمين ﴿ ويل للمطففين الذين إذا إكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوا هم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ . وقُلْ لَهُ سَتُنَاقَشْ عن عَمَلِكَ وإهْمَالِكَ لَهُ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .

وإذا رأيتَ المغتابين نَهَّاشَةَ الأعراض أَكَّالَةَ لحُومِ الغَوَافِلِ فقل لهم أما قرأتم قول الملك الديان ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحكم أخيه ميتاً ﴾ الآية .

وإذا رأيتَ النمام فقل له أما سمعت قول النبي ﷺ «لا يدخل الجنة نمام» وهكذا تفعل عندما تريد أن تنصح أهل المعاصي نحو هؤلاء مِن مُنافقين ومُتَمَلِّقِين وكذابين وخَدَّاعِين ومُرائِين ومَكَّارِين .

ولقد تضاعفت الِغيبة والنميمة والكذب أضعافاً كثيرة بعد ظهور التلفزيون والتلفون والمسجلات فقد كانت بالأول لا توجد إلا مع اجتماع الأبدان والآن تُوْجَدُ ولو كان بينهم مسافات بعيدة نسأل الله العافية

اللهم جَنِبْنَا البِدَعَ والمُنْكَراتِ واغفر لَنا جميعَ الزَّلاتِ وَوَفِقْنَا لِلأعْمَالِ الصالحاتِ وأسكِنَّا فَسِيْحَ الجناتِ وجميعَ المسلمين الأحياءِ مِنهم والأمْوَاتِ برحمتكَ يا أرحم الراحيمن وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أَجْمَعِيْن .

مَوْعِظَةٌ : قال إبن القيم رحمه الله :

ما ضُرِبَ عبدٌ بعقوبةٍ أعظمَ مِن قسوةِ القلب والبعدِ عن الله خُلِقَتِ النارُ لإذابةِ القلوبِ القاسية أبعد القلب من الله القَلْب القاسي ، إذ قَسَى قحُطَتِ العين .

قسوةُ القلب من أربعةِ أشياءَ إذا جَاوَزَتْ قَدْرَ الحَاجةِ : الأكْلُ ،

والنومُ والكلامُ ، والَمخالطةُ ، كما أن البدن إذا مَرِضَ لم يَنْفَعْ فِيه الطعامُ والشَّرابُ فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجح فيه المواعظ .

من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهواته .

القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها . شغلوا قلوبهم بالدنيا ، ولو شغلوها بالله والدار الآخرة لجالت في معاني كلامه وآياته المشهودة ورجعت إلى أصحابها بغرائب الحكم وطرف الفوائد .

إذا غذى القَلْبُ بالتذكر ، وسقى بالتفكر ، ونقى من الدغل ، ورأى العجائب وألهم الحكمة ، خراب القلب من الأمن والغفلة ، وعماراته من الخشية والذكر .

إذا زهدت القلوب في موائد الدنيا قعدت على موائد الآخرة بين أهل تلك الدعوة ، وإذا رضيت بموائد الدنيا فاتتها تلك الموائد .

والقلب يمرض كما يمرض البدن وشفاؤه في التوبة والحمية ويصدأ كما تصدئ المرآة وجلاؤه بالذكر ، ويعرى كما يعرى الجسد وزينته التقوى ، ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن ، وطعامه وشرابه المعرفة والمحبة والتوكل والإنابة والخدمة .

للقلب ستة مواطن يجول فيها لا سابع لها : ثلاثة سافلة وثلاثة عالية .

فالسافلة : دنيا تتزين له ونفس تحدثه وعدو يُوَسْوِسُ له ، فهذه مواطن الأرواح السافلة لا تزال تجول فيها .

والثلاثة العالية : علم يتبين له ، وعقل يرشده ، وإله يعبده ، والقلوب جوالة في هذه المواطن .

وقال رحمة الله : ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرها وجلاؤه بالذكر فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء ، فإذا ترك صدىء ، فإذا ذكر جَلاه .

وصـدأ القلب بأمـرين : بالغفلة والـذنب ، وجـلاؤه بشيئـين : بالاستغفار والذكر . فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكما على قلبـه ، وصـدأه بحسب غفلتـه ، وإذا صدأ القلب لم تنـطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة البـاطـل ، لأنـه لما تراكم عليه الصـدأ وأسـود وركبه الران فسد تصوره وإدراكه ، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلا . وهذا أعظم عقوبات القلب .

وأصـل ذلـك من الغفلة وإتباع الهوى فإنهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره ، قال تعالى ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وإتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر :

هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين . وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي . فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الفغلة كان أمره فرطاً . ومعنى الفرط قد فسر بالتضييع ، أي أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به ، وبه رشده وفلاحه ضائع قد فرط فيه . وفسر بالإسراف ، أي قد أفرط ، وفسر بالأهلاك ، وفسر بالخلاف للحق ، وكلها أقوال متقاربة .

والمقصـود أن الله سبحـانـه وتعـالى نهى عن طاعـة من جمع هذه الصفات ، فينبغي للرجـل أنْ ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه فإن وجده كذلـك فليبعـد منـه وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله عز وجل وإتباع السنة ، وأمره غير مفروط عليه بل هو حازم في أمره فليتمسك بغرزه ، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالذكر ، فمثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر رَبَّهُ كمَثلِ الحَي والمَيتِ وفي المُسْنَدِ مَرْفُوْعاً أَكْثِر وإذْكُرَ الله تَعَالى حَتَّى يُقَالَ مَجْنُوْن .

شِعْرَا : الذِّكْرُ أَصْدَقُ قَوْلٍ فافْهَمِ الْخَبَرَا ... لِأَنَّهُ قَوْلُ مَنْ قَدْ أَنْشَأَ البَشَرَا

فَاعْمَلْ بِهِ إنْ تُرِدْ فَهْماً وَمَعْرِفَةً ... يَا ذَا النُّهَى كَيْ تَنَالَ العِزَّ والفَخَرَا

وتَحْمَدِ اللهَ في يوْمِ المَعَــادِ إذَا جَاءَ الحِسَابُ وَعَمَّ الخَوفُ وانْتَشَرَا
للهِ دَرُّ رِجَـــالٍ عَامِلِيْـنَ بِـــهِ فِيْمَا يَدِقُ وَمَا قَدْ جَلَّ واشْتَهَـرَا

قال ابن القيم رحمه الله كُلُ آفةٍ تدخلُ على العبد فَسَبَبُها ضَيَاعُ القلب وفسادُ القلب يَعُودُ بضياعِ حقِّهِ مِن الله تعالى ونقصانِ دَرجتِهِ ومَنزلَتِه عنده .

ولِهَذا أوصَى بعضُ الشُيُوخ فقال احذَرُوا مُخالَطَةَ مَن تُضَيِّعُ مُخالَطتهُ الوقْت وتُفسدُ القلبَ فإن ضَاعَ الوقتُ وفَسدَ القلب انفرطَتْ على العبد أمورُه كُلُها وكان مِمَّن قال الله فيه ﴿ ولا تُطع من أغْفَلْنا قلبَه عن ذكرنا واتبَعَ هواهُ وكان أمرهُ فُرُطا ﴾ .

ومن تأمل حالَ هذا الخلقِ وجدَهُم كُلُّهم إلا أقل القليل ممَّن غَفَلَت قُلُوبُهُم عن ذكر الله تعالى الذي به تحْيا القلوبُ وتطمئن واتبعوا أهواءهم وصارَتْ أمُورُهم ومَصَالحهُم فُرطا ، أي فَرَّطوا فيما يَنْفعُهم ويعَودُ عليهم بمصالحهم ، واشتَغلُوا بما لا ينفَعهُم بل بما يَعُودُ بضَرَرِهم عاجلاً وآجلاً .

وهؤلاء قد أمر الله سبحانه رسوله ألّا يُطيعَهُم فطَاعَةُ الرسول ﷺ لا تتم إلا بِعَدَمِ طاعةِ هؤلاء لأنهم إنما يَدْعُونَ إلى ما يُشاكِلُهم من أتْباعِ الهوى والغَفْلةِ عن ذكر الله .

والغفلةُ عن ذِكر الله والدار الآخرة مَتى تَزَوَّجَت باتباع الهوى تولد بينهما كل شر وكثيراً ما يَقترِنُ أحدُهما بالآخر ولا يفارقه .

ومَن تأمَّلَ فسادَ أحوال العالَم عُمُوماً وخصوصاً وجَدَهُ ناشِئاً عن هاَذَين الأصليْن فالغَفْلَةُ تَحولُ بَينَ العبدِ وبين تَصَوُّرِ الحقِّ ومعرفَتِهِ والعلم به فيَكوُنُ بذلك مِن الضالين ، واتِّباع الهَوى يصده عن قصْدِ الحق وإرادَتِه واتباعِه ، فيكُونُ من المغْضُوبِ عليهم .

وأما المنعم عليهم فهم الذين مَنَّ الله تعالى عليهم بمعرفة الحق علما وبالانقياد إليه وإيثاره عما سِواه عَمَلاً وهؤلاء هم الذين على سبيل النجاة ومَن سِوَاهُم على سَبيل الهَلاك .

ولهذا أمرنَا الله سبحانه وتعالَى أن نَقُولَ كُلّ يوم وليلةٍ عِدَّةَ مراتٍ ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوبِ عليهم ولا الضالين ﴾ .

فإنّ العبد مضطر كل الاضطرار إلى أن يكون عارفا بما يَنْفَعُه في مَعاشِهِ ومَعَادِه وأن يكون مُؤثِراً مريداً لما يَنْفَعُه مُجْتنباً لما يضُرُّه فبمجموعِ هذين قد هدى إلى الصراط المستقيم فإن فاته مَعرفةُ ذلك سَلكَ سبيلَ الضالين .

وإن فاته قَصْدُه واتباعُه سَلك سَبيلَ المغضوب عليهم وبهذا تَعْرفُ قدْرَ هذا الدُعاء العَظِيم وشدَّت الحاجةِ إليه وتَوقُّفَ سَعَادة الدنيا والآخرة عليه .

وقال آخر حافظ على الأوقات فإن الوقت رأس المال ولا تضيعها بالفراغ واملأها بالإفادة أو الاستفادة أو بهما جميعا واعرف ما يذهب به ليلُكَ ونهارُك وجَدِّد تَوبَتكَ في كل وقت .

وقَسِّمْ وَقْتَكَ ثلاثة أقسام قِسْمٌ لطلَبِ العلم وقِسمٌ للعَمل الذي تَسْتَعينُ به على مَصالِح دُنياكَ وآخرتِك وقسم لحقُوقِ نفسِكَ وما يَلْزَمُكَ واعتبر بمنْ مضَى وتفكّر في مُنْصَرف الفريقين بينَ يدى الله جل وعلا وتقدس فريق في الجنة وفريق في السعير .

واستحضر قربَ الله منكَ كما في الحديث فإن لم تكن تراهُ فإنه يَراكَ وأكرِمْ الكَتَبَةَ الحافظين فقد أوصى رسول الله ﷺ بالجار من الناس الذي بينَك وبينه جدار وأحجار فكيف بالجار الكريم الذين قال الله فيهم ﴿وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ .

فرعاية جواره أحَقُ وإكرامُ قُربه أوجبُ لأنه أسْبَق و ألصَقْ وليسَ بينَك وبينَهُ جدارٌ ولا أحجارٌ ولا حائلٌ ومَعَ الأسفِ الشديد أن الأذيَّةَ لهُمَا لا تَفْتُر على مَرِّ الساعات ولكن مُقل ومُكثر .

اللّهُمَّ اجْعَلِ الأيمانَ هادِماً لِلسيئآت ، كَمَا جَعَلْتَ الكُفْرَ عَادِمَاً لِلْحَسَنَاتِ وَوَفقنا لـلأَعْمَالِ الصـالِحاتِ ، واجعلنـا مِمَّنْ تَوكَّـلَ عَليكَ

فَكَفيْتَهُ ، واسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فأجَبْتَهُ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياءِ منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين

(فصــــل)

ثم أعلم أيها الأخ أنَّه مَا مِن سَاعَةٍ تَمُرُّ على العَبدِ لا يَذْكُر اللَّهَ فيها إلاَّ تَأَسَّفَ وتَحَسَّرَ على فَواتِها بغَيرِ ذكرِ اللَّهِ ولِذَلك يَنْبَغِي للعاقل أن يَجْعَل مَعَه شيئاً يُذَكرُهُ لِذِكرِ الله كلما غَفَلَ عنه .

ويُقَـال إنَّ العبـدَ تُعْرضُ عليه سَاعَاتُ عُمُرِه في اليوم والليلة فيرَاها خَزَائنَ مَصْفُوفَةً أَرْبَعَ وعِشرينَ خِزَانَةً فيرَى في كلِّ خِزَانَةٍ أَمْضَاهَا في طَاعَة اللَّه ما يَسُرُّهُ . فإذا مَرَّتْ به الساعاتُ التي غَفَلَ فيها عن ذِكر اللَّهِ رَآهَا فَارِغَةً سَاءَهُ ذلكَ وتَنَدَّمَ حِينَ لا يُفيْدُه النَّدَمُ .

وأمـا السـاعاتُ التي كانَ يَذكُر اللَّهَ فيها فلا تسأل عن سُرُوْرِه فيها وفرحه بها حتى يكاد أن يقتله الفرح والسرور . قال بعَضُهم أوقاتُ الإِنسانِ أرْبَعَةٌ لا خَامِسَ لها النعمَةُ ، والبليةُ ، والطاعة ، والمعصيةُ .

ولِلَّهِ عَلَيْكَ في كُل وقْتٍ منها سَهْمٌ مِن العُبُودِيَّةِ .

فَمَنْ كانَ وَقْتُه الطَاعة للَّهِ فسَبيلُه شُهُوْدُ المِنَّةِ مِن اللَّهِ عليه أَنْ هَدَاهُ وَوَفَّقَهُ لِلْقِيَام بها .

ومَن كان وَقْتُه المَعْصِية فَعَلَيه بالتَّوبَةِ والنَّدَم والاسْتِغْفَار .

ومن كان وَقْتُه النِّعْمَة فَسَبْيلُه الشكرُ واالحمدُ لِلَّهِ واالثناءُ عليه .

ومن كَانَ وَقْتـه البَلِيَّة فَسَبيْلُه الـرضـا بالقَضَاء والصَّبرُ والرِضا رِضى النَّفْسِ عن الله ، والصَّبْرُ ثباتُ القلب بَينَ يَدَي الرب . أهـ .

العُمُـرُ إذا مَضَى لا عِوَضَ ومـا حَصَل لَكَ منه لا قِيْمَةَ لَهُ . فعُمُر الإِنسان هو مَيدانُهُ لِلأعمالِ الصالحة المُقَرِّبَةِ مِن اللَّهِ تعالى والموجبَةِ لَهُ جَزيْلَ الثوّاب في الآخرة . ولَكْن ما يَعْرفُ قَدْرَ العُمُر إلاَّ نوادُر العُلَماء .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ كلوا واشربوا هنيئًا بما أسْلَفْتُم في الأيام الخالية ﴾ وقال ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴾ الآيات .

وهذه هي السعادةُ التي يَكْدَح العبد ويسعى من أجلها وليس له منها إلا ما سعى كما قال جل وعلا وتقدس ﴿ وأن ليس لِلإنسان إلا ما سعى ﴾ .

فَكُلُّ جُزْءٍ يَفُوتُه مِن العُمر خاليًا من عمل صالح .

يَفُوتُه مِن السَّعادة بقَدْره ولا عِوَض له منه .

فالوَقْتُ لا يُسْتَدْرَكُ ولَيْسَ شيٌ أعَزَّ منه وكل جزء يحصل له مِن العمر غير خال مِن العمل الصالح يَتوصَّل به إلى مُلْكٍ كبيرٍ لا يَفْني ولا قِيْمَةَ لِمَا يُوصِلُ إلى ذلك لأنه في غايةِ الشَّرفِ والنَّفَاسَةِ .

ولأَجْلِ هَذا عَظُمَتْ مُرَاعَاةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ رضي اللَّهُ عنهم لأَنْفَاسِهِم ولحَظَاتِهم وبادَرُوا إلى اغْتِنَامِ سَاعَاتِهم وَأَوْقَاتِهم ولم يُضَيِّعُوا أَعْمَارَهُم في البَطَالَةِ والتَّقْصِيْرِ ولم يَقْنَعُوا لأَنْفُسِهم إلاَّ بالجِدِّ والتَّشْمِيرِ فلِلَّهِ درهم ما أبصرهم بتصريْف أَوْقَاتِهم .

تَبْغِي الوُصُولَ بسَيْرٍ فيه تَقْصِيْرُ لاَ شَكَّ أَنَّكَ فِيْمَا رُمْتَ مَغْرُوْرُ
قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أَبْطَالٌ فَمَا وَصِلُوا هَذا وفي سَيْرِهِم جِدٌّ وتَشْمِيْرُ

قال بعضُهم أدْرَكْتُ أَقْوَمًا كانوا على ساعاتِهم أَشْفَقَ منكم على دَنَانِيركم ودَرَاهمكم فكَما لا يُخْرِجُ أحَدُكُم دِنْيَارًا ولا دِرْهَمًا إلاَّ فيما يعُوْدُ نفْعُه عليه فكذالك السلف لا يُحِبُّون أن تَخْرجَ سَاعَةٌ بَلْ وَلا دَقِيْقَةٌ مِن أعمارهم إلا فيما يَعُوْدُ نَفْعُه عليهم ضد ما عليه أهل هذا الزمان من قتل الوقت عند المنكرات .

بَقِيَّةُ العُمرِ عندي ما له ثمنٌ وإنْ غَدَا غيرَ مَحْسُوبٍ من الزمَنِ
يَسْتَدرِكُ المرءُ فيها كلَّ فائتةٍ مِن الزمانِ ويَمْحُو السُّوءَ بالحَسَنِ

آخـــر :

لا يَحْقِر الرَّجُلُ الرَّفِيْعُ دَقِيْقَةً   في السَّهْو فيها لِلْوَضِيْعِ مَعَاذِرُ
فَكَبَائِرُ الرَّجُلِ الصَّغِير صَغِيْرَةٌ   وصَغَائِرُ الرجُلِ الكَبير كَبائِرُ

رَآى أَحَدُ الزهاد إنسانًا يأكل فَطُوْرَهُ وهو يَحْتَاجُ إلى مَضْغٍ فقال هذا يَسْتَغْرِقُ وقتاً طِويلا فلما أخْرجَ فطُوْرَهُ وإذا هُوَ مَا يَسْتَغرق إلا وَقْتًا يَسِيرا .

فقال له ما حَمَلَكَ على هذا فقال إني حَسَبْتُ مَا بَيْنَ المَضْغِ والسَّفِّ سَبعِيْنَ تَسْبِيْحَة .

لله دره على هذه الملاحظة ولقد بَلَغَنَا أن أحَدَ عُلماءِ السلف كان يأكل باليُمْنَى والكراسُ باليُسْرى .

وإذَا دَخَلَ الخَلا أَمَرَ القارِيَء أن يَرْفَعَ صَوْته كُلُ هَذا مُحَافَظَةً على الوَقْتِ .

بَلَّغْ يَا أخِي قَتَّالَةَ الأوقات عند الملاهي والمنكرات مِن تِلْفَاز ومِذياعٍ وكُوْرَاتٍ وجَرائدَ ومجلاتٍ وقيلٍ وَقَالٍ ونحو ذلك .

ويا أخِي إنْ كُنْتَ مِمَّنْ عَصَمَهُم اللَّهُ مِن هذه الشرور والبلايا والمنكرات فَكَثِّر من حَمْدِ اللَّهِ وشُكرِهِ وذِكره وأسأله الثبات حتى المَمَات .

وانصح إخوانك المسلمين واجتذبهم عن ضياع الأوقات فلَعَلَّك أن تكُونَ سَبَبًا لِهِدَايَتِهم .

ولا يَذْهَبَنَّ العُمْرُ منكَ سَبهْلَلاَ   ولا تُغْبَنَنْ بالنِّعْمتيَنِ بل اجْهدِ
فَمَنْ هَجَر اللذَّات نَالَ المُنَى ومَنْ   أكَبَّ على اللَّذاتِ عَضَّ عَلى اليَدِ
فِفي قَمْعِ أهْوَاءِ النُفُوس اعْتِزازُهَا   وفي نَيْلِها ما تشتهي ذِلُ سَرْمَدِ

ثم أعلم أيها الأخ إنَّ الوَقْتَ لَيسَ من ذَهبٍ كما يَقُول الناس فإنه أغلَى مِن الذهب والفضة مهما بَلَغَا كثرةً إنه الحياة مِن ساعةِ المِيلاد إلى ساعة الوفاة فَتَنَبَّهْ لِذلِكَ وحَافِظْ عليه واقْتَدْ بالسلف الصالح الذين عَرفُوا قيمةَ الوقت .

قال بنُ مسعود رضي الله عنه ما نَدِمْتُ على شيء نَدَمِي على يَوم غَرَبَتْ شمَسُه نَقَصَ فيه عُمُري ولم يَزِدْ فيه عَمَلي .

وقال آخرُ كُلُ يَوم يَمُرُّ بي لا أزدَادُ فيه عِلمًا يُقربُني مِن اللّه عَزَّ وجَل فلا بُوْرِكَ لي في طُلُوع شَمسِهِ .

وقالَ آخرُ مَن أَمْضَى يَومًا مِن عُمُرِه في غير حَقٍّ قَضَاه أو فرض أدَّاهُ أَوْ مَجْدٍ أثَّلَهُ أو حَمْدٍ حَصَّلَهُ أو خَيْر أَسَّسَهُ أَو عِلْمٍ اقْتَبَسَهُ فَقَدَ عَقَّ يَوْمَهُ وظَلَم نفسَه . ولاتَسْأَلْ عن نَدَمِه يَوْمَ يَنْظُر المرءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاه .

وإذا كان هذا حِرْصُ السلف على الـوقت والمحـافظة عليه وتقديره عندهم فإن مما يُحْزِنُ الْمُسْلِمَ ويَجْرحه ويدمي القلب ويُمَزِقُ الكبد أسًى وأسَفًا ما نُشَـاهُده عند كثيرين مِن المؤمنين مِن إضَاعَةٍ لِلْوقتِ تَعَدَّتْ حَدَّ التَّبْذِير والاسْرَاف والتَّبْدِيْد .

وبالحقيقة أنَّ السفيهَ هُو مُضِيّعُ الوقت لأن المالَ لَهُ عَوَض أمَّا الوقْتُ فلا عوَضَ لَهُ .

فالعاقل مَن حَفِظَ وَقْتَهُ وتَجَنَّبَ ما يُضَيِّعُه عليه كالجلوس عند الملاهي والمنكـرات ومـطالعـة في الكتب الهـدَّمات إنَّ مِن أخْسَرِ الناس أعمارًا من شغلتهم شهواتهم عن أمور دِينهم ومَصَالِحِ أمورهم قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ ولا تطع مَن أغْفَلْنَا قَلْبَهُ عن ذِكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ وقال عز من قائل ﴿ أفمن زين له سُوْءُ عمله فرآهُ حَسَنًا ﴾ .

اللهُم يا عالمَ الخَفياتِ وَيَا سَامعَ الأَصْواتِ ويَا بَاعِثَ الأَمْواتِ وَيَا مُجِيْبَ لدَعوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الحَاجَاتِ يَا خَالَق الأَرْض والسَّموات أَنْتَ اللَّهُ الاحدُ الصمدُ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد الوَهَّابُ الذي لا يَبْخَلُ والحَـليمُ الذي لا يَعْجَـلُ لا رادَّ لامْـرِكَ ولا مُعَقِّـبَ لِحُكمِكَ نَسْـأَلُكَ أنْ تغفرَ ذونوبَنَا وتُنورَ قلوبنا وَتُثَبِّتَ مَحبَّتَكَ في قُلوبنا وَتُسْكِنَنا دَارَ كَرَامَتِكَ إنكَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِيــر .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الانْسَانَ في أَحْسَنِ تَقْوِيْمٍ وَبِقُدْرَتِهِ التِيْ لاَ يُعْجِزُهَا شَيءٌ يُحْيِي العِظَامَ وَهْيَ رَمِيْمٌ نَسْأَلُكَ انْ تَهْدِيْنَا إِلَىْ صِرَاطِكَ المُسْتَقِيْمِ صِرَاطِ الذِيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

عن وهب بن منبه قال : قال الحواريون : ياعيسى مَن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ فقال : الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها والذين نَظَرُوا إلى آجل الدنيا حينَ نظر الناس إلى عاجلها فأماتوا ما خشوا أن يميتهم ، وتَركُوا ما عَلِمُوا أنْ سَيَتركهم ، فصار استكثارهم منها استقلالا ، وذِكرهم إياها فواتا ، وفرحُهم بما أصابوا منها حُزْنًا ، فما عارضهم منها رفضوه ، أوْ مِن رِفعتها بغير الحق وضعوه .

خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها ، وخربت بينهم فلم يعمروها ، وماتَتْ في صدورهم فليسوا يُحْيُوها .

يَهْدِمُونها فَيَبْنُون بها آخرتهم ، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم ، رفضوها وكانوا برفضها فرحين ، وباعوها وكانوا ببيعها رابحين .

نظروا إلى أهلها صرعى قد حلت بهم المثلات ، فأحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة ، يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره .

لهم خبر عجيب ، وعنـدهم الخـبر العجيب ، بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب ، وبه نطقوا ، وبهم عُلِمَ الكتاب وبه علموا فليسوا يرون نائلا مع ما نالوا ولا أماناً دون ما يرجون ولا خوفاً دُوْنَ ما يَحْذَرُون ، رواه الامام أحمد .

[قصص ومواعظ رائعة ومطالب عالية]

عن عمارة بن خزيمـة الأنصـاري أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه .

فأسرع النبي ﷺ المشي وأبـطأ الأعـرابي . فطفق رجـال يَعْتَرِضُونَ الأعرابي فَيُساوِمُون بالفرس ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه .

حتى زاد بعضُهم الأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبي ﷺ .

فنـادى الأعـرابي النبي ﷺ فقـال : إن كنتَ مبتاعاً هذا الفرس فابتَعه وإلا بعته .

فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي فقال : أو ليس قد ابتعتُه منكَ ؟ قال الأعرابي : لا والله ما بِعْتُكَ .

فقال النبي ﷺ : بَلَى قد ابتعتُه منكَ . فطفق الناس يَلُوذُون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان فطفق الأعرابي يقول : هلمّ شهيداً يشهد أني بايعتك .

فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي : وَيْلَكَ إن النبي ﷺ لم يكن لِيَقُول إلا حقاً .

حتى جاء خزيمـةُ فاستَمَـعَ لِمُراجَعَـةِ النبي ﷺ ومُـرَاجَعَةِ الأعرابي وطَفِقَ الأعرابي يَقُولُ : هَلُمَّ شَهيداً أني بَايَعْتُكَ .

فقال خُزَيْمةُ أنا أشْهَدُ أنكَ قَدْ بَايْعَتَهُ . فأقْبَلَ النبي ﷺ على خُزَيْمة فقال : بِمَ تَشْهَدُ ؟ قال : بتَصْديقكَ يا رسولَ الله .

فَجَعلَ النَبيُ ﷺ شهادةَ خُزَيْمةَ شَهادَةَ رَجُلين .

وقد روي في بعض طرق هذا الحديث أن النبي ﷺ قال لخزيمة : بِمَ تَشْهدُ ولم تكن مَعَنا ؟ قال : يارسول الله أنا أصَدِقُكَ بخَبَرِ السماءَ أفلا أصَدِّقُكَ بما تَقُولُ ؟

قال الخطابي : ووجه هذا الحديث أن النبي ﷺ حكم على الأعرابي بعِلْمِهِ إذ كان النبي ﷺ صادقاً باراً وجَرَتْ شَهادَةُ خُزَيمة في ذلك مجرى التوكيد لقوله له ﷺ والاستظهار بها على خصمه .

فصارت في التقدير مع قول رسول الله ﷺ كشهادة رجلين في سائر القضايا . رحمه الله والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصل :قال الواقدي عن أشياخ له : إن شيبةَ بنَ عثمان كان يُحَدِّثُ عن إسلامِهِ فيقول : ما رأيتُ أعجبَ مِمَّا كُنّا فيه مِن لُزُومِ مَا مَضَى عليه آباؤنا مِن الضّلالات .

فلما كان عام الفتح ودخل النبي ﷺ عُنوةً قُلْتُ : أسِيْرُ مَعَ قُريش إلى هَوازنَ بحُنَين فَعَسى إن اختلطوا أن أُصِيْبَ مِن مُحمدٍ غِرَّةً فأثَأرُ مِنه فأكونُ أنا الذي قُمْتُ بثأر قُريش كُلِّها ، وأقولُ : ولو لم يَبْقَ مِن العَرب والعَجَم أحَدٌ إلا إتبَع محمداً ما اتبعتُه أبداً .

فلما اختلطَ الناسِ اقْتَحَم رسولُ الله ﷺ عن بَغْلَته وأصْلَتَ السيفَ فَدَنَوتُ أُرِيْدُ ما أريدُ منه وَرَفَعْتُ سَيفي ، فَرُفِعَ لي شُواظٌ من نارٍ كالبَرْقِ حَتَّى كَادَ يَمْحَشُني فَوَضَعْتُ يَدِي على بَصرَي خوفاً عليه ، فالْتَفَتُ إلى رسولِ الله ﷺ وناداني : ياشَيْبَ ادْنُ مني .

فَدَنَـوتُ منـه فمسـحَ صَدْرِي وقـال : « اللهمَّ أعِذْهُ مِن الشيطان » .

فوالله لَهُوَ كانَ سَاعَتئِذٍ أحَبَّ إليَّ مِن سمعي وبصَري ونفسي وأذْهبَ الله عز وجل ما كانَ بي .

ثم قال : ادْنُ فقَاتِلْ . فتَقَدَّمْتُ أمَامَه أضْرِبُ بسَيْفِي ، الله يَعْلَمُ أني أحِبُّ أن أقِيَهُ بنفسي كُلَّ شيء ، ولو لَقيتُ تلكَ الساعةَ أبِي لو كان حياً لأوْقَعْتُ بهِ السيف .

فلما تراجـع المسلمـون وكَروُّا كَرَّة رجلٍ واحدٍ قَرَّبْتُ بَغْلَةَ رسولِ الله ﷺ فاستوى عليها فَخرَجَ في أثرهم حتى تفرَقُوا في كلِ وجه ، ورَجَعَ إلى مُعَسْكَرِهِ فَدخَل خِباءَهُ ، فَدَخلْتُ عليه فقال : ياشَيْب ، الذي أرادَ الله بكَ خيرٌ مما أرَدْتَ بنفسِكَ .

ثم حدَّثني بكل ما أضْمَرتُ في نفسي مما لم أكُنْ أذكُرُهُ لأحَدٍ قطْ . فَقُلْتُ : فإني أشْهَدُ أن لا إله إلا الله وأنكَ رسولُ الله . ثم قُلْتُ : اسْتَغْفِرْ لي يارسول الله . فقال : غَفَر الله لَكَ .

وعن أنسَ بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « كم مِن ضَعيف مُتَضَعَّف ذِي طِمْرَيْن لو أقْسَمَ على الله لأبره منهم البراءُ بنُ مالك » .

وإن البَراءَ لَقِي زَحْفاً مِن المشركين وقد أوجَعَ المشركونَ في المسلمين .

فقالوا له : يابَراءُ إن رسول الله ﷺ قال إنكَ لو أقْسَمْتَ على الله لأبَرَّكَ فأقْسِمْ على الله فقال : أقْسَمْتُ عليكَ يارَب لَمَا مَنَحْتَنَا أكْتَافَهم فمُنحُوا أكْتَافَهُم .

ثم التَقَوا على قَنْطَرةِ السُوس فأوجَعُوا في المسلمين فقالُوا : أقْسِمْ على ربكَ ، فقال : أقسَمْتُ عَلَيْكَ يارَب لَمَا مَنَحْتَنَا أكْتَافَهُمْ وألحَقْتَني بنبيـــك ﷺ فمُنحُوا أكْتَافَهُم وقُتِلَ البَراءُ شَهيْدَا والله أعلم

فَصل : أرسَـل عُمَـر إلى الكوفة من يسأل عن سعد فكان الناس يُثنُون عَلَيْهِ خَيْرًا حتى سئل عنه رجل من بني عبس .

فقـال : أمَّا إذا أنْشَدْتُمُونَا عن سَعْدٍ فإنه كان لا يَخْرُجُ في السَّرِيَّةِ ولا يَعْدِلُ بالرَعيَة ولا يقسم بالسوية .

فقال سعد : اللهم إنْ كَانَ كاذِباً قَامَ رِيَاءً وسُمْعَةً فأطِلْ عُمرَهُ وعَظِّمْ فَقْرَه وعَرِّضْهُ لِلْفِتَن .

فكان يرى وهو شيخ كبير قد تَدَلَّى حاجباه من الكبر يتعرض للجواري يغمـزُهُنَّ في الـطرقات ، ويقول : شيخ كبير مَفْتُون أصابتني دعوة سَعْد .

وكذا سعيد بن زيد كان مجاب الدعوة فقد روى أن أرْوَى بنتِ أوس اسْتَعْدَتْ مروانَ على سعيد وقالت : سَرَقَ مِن أرضي وأدخله في أرضه .

فقال سعيد : اللهم إن كانت كاذبةً فأذهب بَصرَهَا وأقْتُلها في أرضها فذهبَ بَصرُهَا وماتَتْ في أرضها .

قال إبراهيم بن أدهم : مَرِضَ بعضُ العُبَّاد فدَخَلْنَا عليه نَعُوده ، فجعل يَتنَفس ويَتَأسَف ، فقلتُ له : على ماذا تتأسف ؟ قال : على ليلة نمتُها ، ويوم أفطرتُه ، وساعةٍ غفلتُ فيها عن ذكر الله عز وجل .

وبكى بعضُ العبادَ عند موته ، فقيل له ما يُبكيك ؟ فقال : أن يصومَ الصائمونَ ولَسْتُ فيهم ، ويذكر الذاكرونَ ولَسْتُ فيهم ، ويُصلي المصلون ولستُ فيهم . تأمل ياأخي هَذِه الأمَاني لله دَرُّه والله أعلم .

فَصل : عن ابن أبي مُلَيكة قال : لما كان يوم الفتح رَكِبَ عِكْرَمَةُ بن

أبي جهل البحر هَارباً فَخَبَّ بهم البَحْرُ ، فَجَعلَتِ الصَّارِي (أي الملاحون) يَدْعُونَ الله ويُوحِّدُونَهُ .

فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا مَكَانٌ لا ينفع فيه إلا الله .

قال : هذا إلهُ محمدٍ الذي يدْعونا إليه ، فارْجِعُوا بنا . فَرجَعَ فأسْلَم .

وعن مصعب بن سعد ، عن عِكرمة بن أبي جهل قال : قال النبي ﷺ يومَ جئته : مَرْحَباً بالراكب المُهَاجر ، مَرْحَباً بالراكب المهاجر ، قلت : والله يارسول الله لا أدعُ نَفقَةً أنْفقتُهَا عَليكَ إلا أنْفَقْتُ مِثلها في سبيل الله .

وعن عبدالله بن أبي مُليكة أن عِكرمةَ بن أبي جَهْلٍ كان إذا اجْتَهَد في اليمين قال : لا والذي نجّاني يومَ بَدرٍ وكان يَضعُ المُصْحَفَ على وَجْهِهِ ويقول : كِتَابُ رَبِي ، كِتَابُ رَبِي .

اسْتُشهِدَ عِكْرمةُ يومَ اليَرْمُوكِ في خِلافةِ أبي بَكْرٍ ، فَوجَدُوا فيه بِضْعاً وسَبْعِينَ مِن بَين ضَربَةٍ وطَعْنَةٍ ورَمْيَةٍ والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فَصل : قال الزُبير : وحَدّثني عَمّي مصْعَب بنُ عبدِالله قال : جاء الاسلام ودَارُ النَّدْوَةِ بيدِ حَكِيمِ بنِ حِزام فباعَهَا بَعْدُ مِن مُعاوِيَة بنِ أبي سُفيان بمائةِ ألفِ دِرهم .

فقال له عبدُالله بنُ الزبير : بعْتَ مَكْرمةَ قُريش ؟ فقال حَكيْمُ : ذَهَبَت المكارمُ إلا التَقْوَى ، يابنَ أخِي إنِّي اشْتَريْتُ بها داراً في الجنة أُشْهِدكَ أني قَدْ جَعَلْتُها في سَبيلِ الله .

وعن أبي بكر بن سليمان قال : حجّ حكيمُ بن حزام معه مائة بَدْنة قد أهداها وجَلَّلهَا الحِبَرة وكَفَّهَا عن أعجازها ووَقَّفَ مائة وَصِيفٍ يومَ عرفةَ في أعناقِهم أطْوقَةُ . الفِضَّةِ قَد نُقشَ في رُؤوسِها :

« عُتقاء الله [عزّ وجل] عن حكَيم بن حِزام » . وأعْتَقَهم وأهدى ألفَ شـــاة .

وعن محمد بن سعد يرفعه : أن حكيم بن حزام بكى يوماً، فقال له ابنه : مايُبْكِيْكَ ؟ قال : خِصَالٌ كلُها أبْكَاني : أما أولها فَبُطءُ إسلامي حتى سُبقتُ في مَوَاطنَ كلُها صَالحة ، ونجوتُ يومَ بَدْرٍ واُحُدٍ فَقُلْتُ : لا أخْرُجُ أبداً مِن مكة ولا أوْضِعُ مَعَ قُريش مابَقِيْت .

فأقمتُ بمكـة ويأبى الله [عزّ وجل] أن يشرح صدري للاسلام وذلك أني أنظرُ إلى بقايا مِن قريش لهم أسنان متمسكين بما هم عليه مِن أمر الجاهلية فأقْتَدِي بهم ، وياليتَ أني لم أقْتَدِ بهم فما أهْلَكَنَا إلا الإقتَداءُ بآبأنا وكُبرائنا .

فلما غَزَا النبي ﷺ مكـة جَعَلْتُ أفَكِّرُ ، فخرجتُ أنا وأبو سفيان نستَرْوِحُ الخَبرَ فلقي العباسُ أبا سفيان فذهبَ به إلى النبي ﷺ ورَجَعْتُ فَدَخَلْتُ بَيْتِي ، فأغلقْتُه عَليَّ ودَخَلَ النبيُ ﷺ مكةَ فآمَنَ الناسَ ، فجئتُه فأسْلَمْتُ وخَرَجْتُ مَعَه إلى حُنَين .

وعن عُروةَ أن حَكِيم بنَ حِزام أعْتقَ في الجاهلية مائةَ رقَبَة، وفي الاسلام مائةَ رقَبة وحَمَلَ على مِائة بعير .

قال ابن سعد : قال محمد بن عمر : قدم حكيم بن حزام المدينة ونزلها وبنى بها داراً ، ومات بها سنة أربع وخمسين وهو ابن مائة وعشرين سنة رحمه الله والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

فَصل : عن أبي بَرْزة الأسلمي أن جُلَيْبِيْباً كان امرَأ من الأنصار ، وكان أصحاب النبي ﷺ إذا كان لأحدَهم أيّم (أي لا زَوْجَ لها) لم يزوجها حتى يُعلِمَ النبي ﷺ : هَلْ لَهُ فِيهَا حَاجَةٌ أمْ لا ؟

فقال رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم لِرَجُل مِن الأنصار : يافُلاَنُ

زَوِّجْني ابْنَتَك . قال : نَعَمْ ونعْمَةُ عَيْنٍ . قَال : إني لَسْتُ لِنَفْسِي أرْيدُهَا قال : لِمَنْ ؟ قال : لجُلَيْبِيْبْ . قال : يارسولَ الله ﷺ حَتى أستأمِرَ (أي أشاورُهَا) وأمَّهَا .

فأتاها فقال : إن رسول الله ﷺ يَخْطُبُ ابنتَكِ . قالتْ : نَعَمَ ونِعْمِةُ عَيْنٍ ، زَوِجْ رسولَ الله ﷺ .

قال : إنه لَيْسَ لنَفْسه يُريدُهَا . قَالتْ : فلمَنْ ؟ قال : لجُلَيْبِيب . قالت : حَلْقَى أَلجُلَيْبِيب ؟ لا لَعَمْرُ الله لا أزَوجُ جُلَيَبيباً .

فلما قَامَ أبُوهَا لِيأتي النبي ﷺ قَالتِ الفتاةُ مِن خِدْرِها لأبَوَيْها : مَن خَطَبني إليكُمَا ؟ قالا : رسولُ الله ﷺ . قالتَ : أفتَرُدُونَ على رسول الله ﷺ أمْرَهُ ؟ ادْفَعُوني إلى رسولِ الله فإنَّهُ لَنْ يُضَيِّعَني .

فَذَهَبَ أبُوها إلى النبي ﷺ فقال : شأنَكَ بِها . فزوَّجَهَا جُلَيبيباً .

قال اسحاق بن عبد الله بنُ أبي طلحة لِثَابت : أتَدْرِي ما دَعَا لها به النبي ﷺ ؟ قال : وما دَعَا لها به النبى عليه السلام ؟ قال : اللهم صُبّ عَلَيها الخَيرَ صَبّاً ولا تجْعَلْ عَيشَهَا كَدّاً كَداً .

قال ثَابتُ : فَزَوَّجَهَا إيَّاهُ ، فبينما رسولُ الله ﷺ في مَغزَى له قال : هَلْ تَفْقِدُونَ مِن أحَدٍ ؟ قالوا : نَفْقِدُ فُلاناً ونَفِقدُ فلاناً ونَفْقِدُ فلاناً .

ثم قال : هَلْ تَفْقِدُونَ مِن أحَدٍ ؟ قالوا : نفقد فلاناً ونفقد فلاناً .

ثم قال : هل تَفْقدُونَ من أحَدٍ ؟ قالوا : لا .

قال : لَكِني أفْقدُ جُلَيْبيباً فطلبُوه في القَتْلى .

فَنظَرُوْا فَوجَدُوْهُ إلى جَنْب سَبْعَةٍ قد قَتَلَهمُ ثم قَتَلُوه .

فقال رسولَ الله ﷺ : هذا مِني وأَنَا مِنه ، أَقَتَلَ سَبْعَةً ثم قَتَلُوه هَذَا مِني وأَنَا مِنْهُ أَقتَل سَبْعَةً ثم قَتَلُوْه هذا مِنِي وأنا منه .

فوضَعَه رسولُ اللهِ ﷺ على سَاعِدَيْه ثم حَفَرُوْا لَهُ مَا لَهُ سَرِيْر إلاَّ سَاعِدَي رَسولِ اللهِ ﷺ حَتىَ وَضَعَه في قَبْرِه .

لِلهِ دَرُّ هَذهِ الأَنْفُسِ فما أَعَزَّها وهَذهِ الهِمَم فما أَرْفعَهَا !

وَلَمَّا رَأَوا بَعْضَ الحياةِ مَذَلَّـــةً عَلَيهم وعِزَّ المـــوتِ غيرَ مُحَرَّمِ
أَبَوْا أنْ يَذُوقُو العَيْشَ والذَمُّ وَاقعٌ عَلَيْـــه وماتُوا مِيْتَةً لَمْ تُذَمَّـــمِ
ولا عَجَبٌ لِلأسْدِ إنْ ظَفِرَتْ بِهَا كِلاَبُ الأَعَادِي مِن فَصِيحٍ وأَعْجَمِ
فَحَرْبَةُ وحْشِيٍّ سقَتْ حَمزةَ الردَى وحَتْفُ عليٍّ في حُسَام ابن مُلْجَمِ

روى مسلم في أفـراده من حديث أنس بن مالـكٍ قال : انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بَدْر حتى سبقوا المشركين ، وجاء المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنةٍ عَرْضُها السمواتُ والأرض .

قال : عُمَيْر بن الحمام الأنصاري : يارسول الله جنةٍ عَرْضُها السموات والأرض ؟! قال • نعم . قال : بَخٍ بَخٍ يارسول الله . فقال : ما يحملك على قولك بَخٍ بَخٍ ؟ قال [لا] والله يارسول الله إلا رَجَاءَ أن أكونَ مِن أهلها ، قالَ : فإنكَ من أهلها .

قال : فأخْرَجَ تَمراتٍ مِن قَرْنه فَجعَلَ يأكُلُهنَّ ثم قال : إنْ أنا حَيِيْتُ حتى آكُلَ تَمراتي هذه إنها لحياةٌ طويلة . فَرمَى بما كان مَعَهُ مِنَ التمر ثم قاتل حتى قُتل والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فَصل : قال الواقدي : لما أراد عمرو بن الجَمُوح الخروج إلى أحد ، منعه بَنُوه ، وقالوا : قد عذرك الله . فجاء إلى النبي ﷺ فقال :

إن بَنيّ يريدون حَبْسِي عن الخروج معك وإني لأرجو أن أطأ بَعرْجتي [هذه] في الجنة ، فقال : « أمّا أنت فقد عذَرك الله » ثم قال لبنيه: لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة . فخلوا سبيله .

قالت امرأته هند بنت عمرو بن حُزَام : كأني أنظر إليه مولِّياً، قد أخذ دَرقته وهو يقول : اللهم لا تردَّني إلى خرْبى وهي منازل بني سلمة .

قال أبو طلحة : فنظرتُ إليه حين انكشف المسلمون ثم ثابوا ، وهو في الرَّعيل الأول ، لكأني أنظر إلى ظَلع في رجله وهو يقول : أنا والله مشتاق إلى الجنة !

ثم أنظر إلى ابنه خَلاّد [وهو] يَعْدو [معه] في إثْره حتى قتلا جميعاً .

وفي الحديث أنه دُفن عمرو بن الجَمُوح وعبدالله بن عُمر وأبو جابر في قبر واحد ، فَخرَّب السيلُ قبورهم، فحفر عنهم بعد ست وأربعين سنة فوجدوا لم يتغيروا كأنهم ماتُوا بالأمْسِ والله أعلم.

فَصل : عن أنس بن مالك قال : كنا جُلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: يَطْلُعُ الآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ الجَنَّة ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَار تَنْظُفُ لِحيَتُهُ مِنْ وَضُوئِهِ قَدْ عَلَّقَ نَعْلَيْهِ بِيَدِهِ الشِّمالِ .

فَلَمَّا كانَ الغَدُ قال النبي ﷺ : مِثْلَ ذلكَ ، فَطَلَعَ ذلك الرَّجُلُ مِثْلَ المرَّةِ الأولى .

فلمَّا كان اليومُ الثالثُ قال النبي ﷺ مِثْلَ مقالته أيضا فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى فلما قام النبي ﷺ تَبعَهُ عبدالله ابنُ عمرو ، فقال:إني لاحَيْتُ أبي ، فأقسمتُ أني لا أدخُلُ عليه

ثلاثاً، فإن رأيْتَ أن تُؤوِيَني إليكَ حتى تَمْضِيَ فَعَلْتَ . قال : نعم .

قال أنسٌ : فكانَ عبدالله يُحَدِّثُ أنَّهُ باتَ معهُ تلكَ الثَّلاثَ الليالي فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِن الليلِ شَيْئاً غير أنهُ إذا تَعَارَّ تَقَلَّبَ على فِرَاشِهِ ذكرَ الله عز وجل ، وكبر حتى لِصَلاة الفجر .

قال عبدالله : غَيْرَ أنِّي لم أسمعهُ يقولُ إلا خَيْراً ، فلمَّا مَضَتِ الثَّلاثُ الليالي ، وكِدْتُ أنْ أحْتَقِرَ عَمَلَهُ .

قُلْتُ : يا عبدالله لَمْ يَكُنْ بَيْني وبَيْنَ أبي غَضَبٌ ولا هُجْرَةٌ ، ولكن سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ لكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ : يَطْلُعُ عليكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِن أهل الجنة ، فَطَلَعْتَ أنتَ الثلاثَ المَرَّاتِ ، فأرَدْتُ أن آوِيَ إليكَ .

فأنْظُرَ مَا عَمَلُكَ ، فَأقْتَدِيَ بِكَ ، فلم أرَكَ عَمِلْتَ كبيرَ عَمَلٍ ، فما الذي بَلَغَ بكَ ما قال رسول الله ﷺ ؟

قال : ماهُوَ إلا مارَأيْت ، فلمَّا وَلَّيْتُ دَعَاني فقال : ماهُوَ إلا مارأيْتَ غيرَ أني لا أجدُ في نفسي لأحَدٍ مِن المسلمِينَ غِشًا ولا أحْسُدُ أحداً على خَيْرٍ أعطاهُ الله إيَّاهُ .

فقال عبدالله : هذه التي بَلَغتْ بِكَ ، رواه أحمد بإسناد على شرط البخاري ومسلم والنسائي والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم

فَصل : عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً فيهم رجل يقال له : حُدَيْر . وكانت تلك السنة قد أصابتهم سَنة مِن قِلةِ الطعام ، فزوّدهمُ رسولُ الله ﷺ ونَسِيَ أنْ يُزَوِّدَ حُديراً .

فخرجَ حُديرٌ صابراً محتسباً وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ويقول : نعْم الزّاد هو يارَب . فهو يردّدها وهو في آخر الركب .

قال : فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له : إن ربي أرسلني إليك يُخبرُكَ أنكَ زوَّدْتَ أصحابَكَ ونسيتَ أنْ تُزوِّدَ حُدَيْراً ، وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله

فدعا النبي ﷺ رجلاً فدفع إليه زاد حُدير وأمره إذا إنتهى إليه حفظَ عليه ما يُقول ، وإذا دفع إليه الزاد حَفِظَ عليه ما يَقول ، ويقول له : إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ورحمةَ الله ، ويُخْبرك أنه كان نسيَ أنْ يزوِّدكَ ، وإن ربي تبارك وتعالى أرسل إليّ جبريل يذكرّني بك ، فذكّره جبريل وأعلمه مكانك .

فانتهى إليه وهو يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول : نعم الزاد هذا يارب. قال : فدنـا منـه ثم قال له : إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ورحمةَ الله وقد أرسلني إليك بزادٍ مَعي ، ويقول : إني إنما نَسيتُكَ فأرسلَ إليّ جبريل مِن السماء يُذَكِّرُني بك . قال : فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ .

ثم قال : الحمد لله رب العالمين ، ذَكرَنِي ربِّي مِن فوق سبع سموات ، ومِن فوق عرشه ، ورحِم جُوعي وضَعفي ، ياربِّ كما لم تنس حُديراً فاجعلْ حُدَيْراً لا ينساك .

قال : فحفظ ما قال ورجع إلى النبي ﷺ فأخبره بما سمع منه حين أتاه ، وبما قال حين أخبره ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيتَ لكلامه ذلك نوراً ساطعاً ما بين السماء والأرض والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصل : عن محمد بن سعد قال : كان ذو البجادَيْن يتيماً لا مال له . فمات أبوه ولم يورثه شيئاً ، وكفله عمه حتى أيسر .

فلما قدم النبي المدينة جَعَلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يَقْدِرُ عليه من عمه حتى مَضَتْ السُنُون والمشاهد .

فقال لِعَمِّهِ : ياعَمُّ إني قد انْتَظَرْتُ إسْلاَمَكَ فلا أراكَ تريد محمداً ، فأذن لي في الاسلام .

فقـال : والله لئن اتَّبَعْتَ محمداً لا أتْرُكُ بيدكَ شَيئاً كُنْتُ أعْطَيتُكَهُ إلا نَزَعْتُه منك ، حتى ثَوبَيْكَ .

قال : فأنا والله مُتَّبِعٌ محمداً وتاركُ عِبادَةَ الحَجَرِ ، وهذا ما بيدي فَخُذْهُ ، فأخذ ما أعطاه حتى جَرَّدَهُ مِن إزاره .

فأتى أمَّـهُ فقَـطَّعَتْ بجَـاداً لها باثنين فأتَزَرَ بواحِدٍ وارْتَدَى بالآخر ثم أقبل إلى المدينة وكان بِورِقَانِ فاضطَجَعَ في المسجد في السَّحَرِ .

وكان رسولُ الله ﷺ يَتَصفَّحُ الناسَ إذا انْصَرفَ مِن الصُّبْحِ فَنظَرَ إليه فقال : مَنْ أنْتَ ؟ فانْتَسَبَ لَهُ ، وكان اسمه عبدُ العزّى .

فقال : أنْتَ عبدُ الله ذُوالبجَادَين .

ثم قال : انْزِلْ مِني قَريْباً . فكان يكون في أضْيَافِهِ حتى قَرأ قرآناً كثيراً .

فلما خرج النبي ﷺ إلى تَبُوكَ قال : ادْعُ لي بالشهادةِ . فَرَبَطَ النبي ﷺ على عَضُدِهِ لِحَى سَمُرة وقال : اللهمَ إني أحرِّم دَمَهُ على الكفار .

فقال : ليسَ هذا أرَدْتُ .

قال النبي ﷺ : إنك إذا خَرجْتَ غازياً فأخَذَتْكَ الحُمَّى فَقَتَلتْكَ فأنْتَ شهيْد ، أو وَقَصَتْكَ دَابَّتُكَ فأنْتَ شَهيد . فأقامُوا بتَبُوكَ أياماً ثم تُوفِي .

قال بلالُ بَنُ الحارث : حَضَرْتُ رسولَ الله ﷺ ومَعَ بلال المؤذنُ شُعْلَةٌ مِن نار عندَ القبرِ وَاقِفاً بها .

وإذا رسولَ الله ﷺ وهو يقول : «أدْنيا إليّ أخَاكُما . فلما هَيأه لِشِقِّهِ في اللَّحْدِ قال : اللهم إني قد أمْسَيتُ عنه راضياً فارْضَ عنه» .

فقال ابنُ مسعود : لَيْتَني كُنْتُ صَاحِبَ اللَّحْدِ .

وعن أبي وائل ، عن عَبدالله قال : والله لكأني أرى رسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك وهو في قَبْرِ عبدالله ذِي البِجادينِ ، وأبو بكر وعُمر يقول : أدْنِيَا إلي أخَاكُمَا .

وأخَذَهُ مِن القِبْلَةِ حتى أسْكَنَهُ في لَحْدِهِ ثم خَرَجَ النبيُ ﷺ وَوَلَّيَاهُمَا العَمَلَ .

فلمَا فرغَ مِن دَفْنِهِ اسْتَقْبَل القبلةَ رَافعاً يديه يقول : « اللهم إني أمسيتُ عنه راضياً فارْضَ عنه » .

وكان ذلك ليلاً فوالله لوددتُ أني مَكَانَه ، ولقد أسلمتُ قَبْلَهُ بخَمْسَ عَشْرَ سَنَة . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصل : عن محمد بن سعد قال : أتَى وَاثِلةُ رسول الله ﷺ فصلى معه الصبح . وكان رسول الله ﷺ إذا صلى وانصرف تَصَفَّحَ أصْحَابَهُ . فلما دَنا مِن واثِلةَ قال : مِنْ أنْتَ ؟ فأخبره .

فقال : ما جَاءَ بِكَ ؟ قال : جِئْتُ أبايِعُ . فقال رسول الله ﷺ : فيما أحْبَبْتَ وكَرِهْتَ ؟ قال : نعم . قال : فِيما أطَقْتَ ؟ قال: نَعَمْ . فأسلم وبَايَعَهُ .

وكان رسول الله ﷺ يَتَجهزُ يومئذ إلى تَبُوكَ فَخَرَجَ واثِلةُ إلى أهْلِهِ فَلَقِي أبَاهُ الأسقعَ فلما رَأى حَالُه قال : قَدْ فعلتها؟ قال: نعم. قال أبوه : والله لا أكَلمُكَ أبَداً .

فأتى عمه فسَلَّمَ عليه فقال : قَدْ فَعَلْتَهَا ؟ قال : نَعَمْ . قال : فلامَهُ أيْسَرَ مِن مَلامَةِ أبيه وقال : لم يكُنْ يَنْبَغِي لَكَ أن تَسْبِقْنا بأمرٍ .

فَسَمِعَتْ أختُ واثلَةَ كَلامَـهُ فَخَـرجَتْ إليه وسَلَّمَتْ عليه بتَحَّيةِ الإسلام . فقال وَاثِلةُ : أنَّى لَكِ هذا يا أخَيَّةُ ؟ قالت : سَمِعْتُ كَلامَكَ وكلامَ عمك فأسْلَمْتُ .

فقـال : جَهزِّي أخَاكِ جهازٍ غَازٍ فإنَّ رسولَ الله ﷺ على جَنَاحِ سَفَرٍ . فَجَهزَتْهُ فلحِقَ برسولِ الله ﷺ قَدْ تحَمَّلَ إلى تبُوك وبَقِي غُبَّراتٌ مِن الناسِ وهم على الشُخُوص .

فَجعَلَ يُنادِي بسُوَق بَني قَينُقَاع : مَن يَحْمِلُني و له سَهْمِي؟ قال : وكُنْتُ رَجُلا لا رُحلَةَ بِي .

قال : فَدَعَـاني كَعْبُ بنُ عُجْـرةَ فقال : أنَا أحْمِلُكَ عُقْبَةً بالليل وعُقْبةً بالنهار وَيدُكَ أسْوَةُ يَدِي وسَهْمُكَ لِي . قال واثلة : نعم .

قال واثلة : جَزاهُ الله خيراً لقد كان يَحْمِلُني ويَزيدُني وآكُلُ مَعَـهُ ويرفَعُ لي حتى إذا بَعَثَ رسول الله ﷺ خالدَ بنَ الوَليد إلى أكَيْدِرِ بن عبدَالملك بدَوْمَةِ الجَنْدَل .

خَرجَ كَعبٌ في جَيْشِ خَالِد وخَرَجْتُ مَعَهُ فأصَبْنا فَيْئاَ كَثِيْراً فَقَسمَـه خالِـدُ بيننا فأصابني سَتُ قَلائِصٍ فأقبَلْتُ أسُوقُها حتى جئتُ بها خَيْمةَ كَعْب بن عَجْرَةَ فقُلْتُ : اخرُجْ رَحِمَكَ الله فانْظُر إلى قَلائِصِكَ فاقبِضْهَا .

فَخرجَ وهُوَ يَبْتَسِمُ ويقُولُ : بَارَكَ الله لَكَ فِيها ما حَمَلْتُكَ وأنا أرِيْدُ أنْ آخُذَ منْكَ شَيئاً .

عن بشر بن عبدالله عن واثِلةَ بن الأسْقَع رضي الله عنه قال: كُنَّا أصحابَ الصفّةِ في مسجد رسول الله ﷺ وما فِينا رَجُلٌ لهُ ثَوْبٌ .

ولَقَدْ اتَّخَذَ العَرَقُ في جُلُودِنا طُرُقاً مِن الغُبار ، إذْ خَرَجَ علينا رسول الله ﷺ فقال : « لِيَبْشِرْ فُقَراءُ المهاجرين » ثلاثاً والله أعلم .

فَصل : عن نعيم بن ربيعة بن كعب قال : كنتُ أخدِمُ رسولَ الله ﷺ وأقومُ له في حَوائِجه نهارِي أجمع ، حتى يُصَلي رسول الله ﷺ العشاء الآخرة .

فأجلسُ على بابه إذا دَخَلَ بيتَه ، أقولُ : لَعلهَا أنْ تَحْدُثُ لرسول الله ﷺ حاجَةٌ . فما أزالُ أسْمَعُه سُبحانَ الله ، سُبْحانَ الله ، سبحانَ الله وبحمده حتى أمَلَّ فأرجعُ أو تَغلُبني عَيني فأرقُد .

فقال لي يوماً لما رأى مِن حَفّتي (أي العناية والخدمة) له وخِدْمَتي إيَّاه ، يارَبيْعَةُ سَلْني أعْطِك . قال : فقلتُ : أنْظُر في أمْرِي يَارسول الله ثم أعْلِمُكَ ذلك .

فقال : ففكرتُ في نفسي فعلمتُ أن الدنيا مُنْقَطِعَةٌ وزائلةٌ وأنَّ لي فيها رزقاً سَيأتيني ، قال : فقلتُ أسأل رسول الله ﷺ لآخِرَتي فإنه مِن الله عزَّ وجل بالمنزلِ الذي هو به .

فجئتُه فقال : ما فَعلْتَ يارَبيعَةُ ؟ فقلتُ : أسألُكَ يارسولَ الله أن تَشْفَعَ لي إلى رَبكَ فَيَعْتِقَني مِن النار .

فقال : مَنْ أمَرَكَ بهذا ياربيعة ؟ فقلتُ : لا والذي بَعَثَكَ بالحق ما أمرني به أحَدٌ ولكنكَ لَمَّا قُلْتَ سَلْني أعْطِكَ وكُنْتَ مِن الله بالمنزل الذي أنتَ به نَظَرْتُ في أمري فَعَرفتُ أن الدنيا مُنْقَطِعة وزائلةٌ وأنَّ لِي فيها رِزْقاً سَيَأْتِيني .

فقلتُ أسألُ رسولَ الله ﷺ لآخِرَتي . قال : فَصَمَتَ رسولُ

الله ﷺ طويلاً ثم قال لي: إني فاعِلٌ فأعنيَّ على نفسك بكثرة السُجُود.

شعـــــرا :

يا أيُّهَا الرَّاقِدُ كم تَرْقُــــدُ　　قُمْ ياحَبِيْبِي قَدْ دَنَا المَوْعِــــدُ
وَخُذْ مِنَ اللَّيْلِ وَسَاعَــاتِـهِ　　حَظاً إذَا مَا هَجَــعَ الرُّقَّــدُ
مَنْ نَامَ حَتَّى يَنْقَضِيْ لَيْلُـــهُ　　لَمْ يَبْلُغ المَنْزِلَ لَوْ يَجْهَــــدُ
قُلْ لِذِيْ الأَلْبَاب أَهْلِ التُّقَــى　　قَنْطَرَةُ الحَشْرِ لَكُم مَوْعِــــدُ

اللَّهُمَّ نَجِّنَا برحمتِكَ مِن النارِ وعافِنَا مِن دارِ الخِزْيِ والبَوَارِ وأَدْخِلنا بِفَضْلِكَ الجنةَ دارَ القَرارِ وعامِلْنا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يا كريم يا غفارُ واغْفِرْ لَنَا ولوالِدِيْنَا ولجميعِ المسلمينَ الأحياءِ منهُم وَالميتينَ بِرَحْمَتِكَ يا أرحَمَ الراحمينَ وصَلَّى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين .

(فصـــل)

كان الفقهاء يَتواصَون بَينهُم بثلاثٍ ويكتب بذلك بعضهم إلى بعض مَن عَمِلَ لِآخَرتِهِ كفاهُ الله أمر دُنياه ومَن أصلحَ سَرِيْرَته أصْلَحَ الله علانِيَتَهُ ومن أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله تعالى فيما بينه وبين الناس .

وقال محمد بن كعب القرظي إذا أراد الله تعالى بعبد خيْراً جعَلَ فيه ثلاث خِلالٍ : فِقْهٍ في الدين وزَهَادةٍ في الدُنْيَا وبُصرٍ بِعُيُوبه .

وقال الحسنُ بنُ صالح : العملُ بالحسنة قُوةٌ في البدن ونورٌ في القلب وضوءٌ في البصر والعملُ بالسيئة وهَنٌ في البدن وظلمةٌ في القلب وعَمىً في البصر .

وكَتَبَ الحَسن البصري إلى عمر بن عبدالعزيز يَعِظُهُ : احتمال المؤنة المنقطعة التي تعقبها الراحة الطويلة خير من تعجل راحة منقطعة تعقبها مؤنة باقية وندامة طويلة .

واعلم أن الهول الأعظم أمامك ومن وراء ذلك داران إن أخطأتك هذه صرت إلى هذه وكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل .

وكتب أحد عُمال عمر بن عبدالعزيز إليه « إن مَدينَتَنَا قد تَهدَّمَتْ فإن

رأى أمير المؤمنين ، أنَ يَقْطَعَ لنا مالاً نَرُمُّهَا بِهِ فَعَل فكتب عمر إليه إذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل ونَقِ طُرقَهَا مِن الظُلْمِ فإنَّهُ عِمَارَتُها .

وقِيلَ الدّيْنُ والمُلْكُ أخوان توأمان لا قوام لِأحدهما إلاَّ بصاحبه لأنَّ الدِيْنَ أساسُ المُلْكِ ثم صَار المُلْكُ بَعْدُ حَارساً لِلدِّيْن فلابُدَّ لِلْمُلْكِ مِن أساسٍ ولابُدَّ لِلدِّين من حارس وما لا حارسَ لَهُ فهو ضائع وما لا أساسَ له فهُوَ مَهْدُوْم.

كان جماعة مِن الملوك يُوعَظون فَيُؤَثِّر الوعْظُ في قلوبهم فَيَخْرُجُونَ مِن مُلْكِهِمُ ودُنياهم ويَزهَدُون وكان فيهم مّن يَتفكَّرُ في نفسه ويعلم انقطاع الدنيا عنه وقرب رحيله منها ويخاف شدة الحساب وأهوال القيامة وما إلى ذلك فينفر من الدنيا ويَزْهَدُ في الولاية وكُلُ مَن تدبر القرآنَ وتأملَ أحْوَالَ مَن مَضَى لابُدَّ أنْ يَتَأثر ويَتَجافى عن الدنيا ولكن مُقِلّ ومُكثِر إلاَّ مَن عَمِيتْ بَصِيْرَتُه .

شعــــراً :

يا خَدُّ إنَّكَ إنْ تُوسدَ لَيِّنـــــاً وُسِّدْتَ بَعْدَ الموتِ صُمَّ الجندَلِ
فامْهَدْ لِنَفسِكَ صَالحاً تَسْعَدْ بِـــهِ فلتَنْدَمَنَّ غَـــداً إذا لم تَفْعَـــلِ

قال تعالى ﴿ اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمر ﴾ وقال تعالى ﴿ أتىٰ أمرُ الله فلا تستعجِلُوه ﴾ وقال ﴿ إقتربَ للناسِ حسابهم وهُمْ في غفلةٍ مُعْرِضون ﴾ .

قال تعالى ﴿ إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً ﴾ وقال ﴿ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ﴾ .

روى ابن مسعود رضي الله عنه قال : بينما رجل ممن كان قبلكم في مملكته تفكر فعلم أن ذلك منقطع عنه وأن الذي هو فيه قد شغله عن عبادة ربه تعالى فخرج ذات ليلة من قصره فأصبحَ في مملكةِ غَيره فأتى ساحل البحر وكان يضرب اللبن بالأجرة فيأكل ويتصدقُ بالفضل مِن قوته فلم يزل كذلك حتى رُفِعَ أمرُه إلى ملكٍ تِلكَ الناحِية .

فأرسل الملك إليه أن يأتيه فأبَى فأعادَ إليه الرسول فأبى وقال ماله وإياي فركب الملك فلما رآه الرجل ولى هارباً فلما رآى ذلك الملك جَدَّ في أثره فلم

يدركه فناداه يا عبد الله إنه ليس عليك مِنّيْ بَأس فأقامَ حتى أدركَهُ .

فقالَ له مَن أنتَ يَرحَمُكَ الله قال فلانُ بنُ فُلان صاحبُ كَذَا وكَذَا فقال وما شأنُكَ فقال تَفكَّرتُ في أمْرِي فَعَلِمْتُ أنَّ مَا أنا فيه مُنْقَطِعٌ عَنّي لا مَحَالَةَ وأنه قد شَغَلَنِي عن عِبادَةِ رَبي فتركتُه وجِئْتُ هُنا أعْبُدُ ربي عَزَّ وجَلَ .

فقالَ مَا أنْتَ بأحوجَ إلى ما صَنَعْتَ مِنّي فَنَزَلَ عن دابتِهِ فسَيَّبهَا وإلى ثِيَابِهِ فألقَى بها ثم أتْبعَهُ فكانا جميعاً فدعَوا الله تعالى أن يُمِيتَهُمَا جَمِيْعاً فماتَا قَال بْن مَسْعُود ولو كنتُ بَرَمْلِيَّةِ مِصْرَ لأرَيْتَكُم قَبْريْهِمَا بالنَّعْتِ الذي نَعَتَ لَنا رسولُ الله ﷺ رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه .

إلى الله أشكُو لَوَمَ نَفْسٍ شحِيْحَة ... على الخَير قد أضْنى فؤآدِيْ عِلَاجُهَا
إذا سألتني شهوة قد مَنَعْتُهَا ... أدَامَتْ سُؤالي واسْتَمرَّ لَجَاجُهَا
وإنْ سُمْتُهَا خَيْراً تفوز بنَفْعه ... غداً نَفَرتْ مِنّيْ ودَامَ انْزِعَاجهَا
فقد ضِقْتُ يامَوْلَايَ ذَرْعًا وأظلَمَتْ ... عَليَّ الأراضي الواسِعات فَجاجُهَا
فهب ليَّ يا نُوار السمواتِ فِطْرَةً ... يُضِيْءُ لِعَيْني في السُلُوكَ سِراجُهَا

والله أعلم وصلّى الله على محمد وآله وسلم .

فصل : ثم أعلم أن الدنيا بأسرها وبجميع لَذّاتها لا تُسَاوِي في بَاب السَّعَادَةِ واللذة الرُوْحِيَّةِ شيْئاً قال الأمامُ عليّ رضي الله عنه : أصَابَ الدنيا مَن حَذِرَهَا وأصَابَتْ مَن أمِنَها وقال الدنْيا لا تصفُو لِشَارب ولا تبْقي لِصَاحِب ولا تخْلوا مِن فِتْنَةٍ ولا تنكِشفُ إلا عن مِحْنَةٍ .

فأعْرِضْ بِقَلْبَكَ عنها قبلَ أنْ تُعْرِضَ عَنْكَ واسْتَبْدِل بها خيراً مِنها قَبْلَ أن تَسْتَبْدِلَ بكَ فإن نَعِيمَهَا متحَوّل وأحْوالَهَا مُتَنَقِلَةٌ ولَذّاتُها فانِيةٌ وتَبُعَاتُها باقِيةٌ .

واعلم أنّ مَثَلَ الدُنْيَا كمثَلِ الحَيَةِ لَيّنٌ مَسُّهَا قِاتِلٌ سُمُّهَا فاقْتصِدْ فيما يُعْجِبُكَ فيها لِقِلّة ما يَصْحَبُكَ منها وكُنْ أحْذَرَ ما تكونُ لها وأنْتَ آنِسٌ بهَا فإنّ صاحِبَها كُلّما اطمأنّ مِنها إلى سُرُوْرِ اشخَصَهِ ذلك إلى مكروه أو غرور .

وقال آخر : وجُمْلَتُ الأمر أنكَ إذا نَظرْتَ بعقلِكَ أيها الرجل فَعَلِمْتَ

أن الدنيا لا بَقاءَ لها وأنّ نَفْعَهَا لا يَفي بضُرِّها وتبعاتِها من كدّ البَدَن وشغل القلب في الدنيا والعذاب الأليم والحساب الطويل في الآخرة الذي لا طاقة لك بِهِ .

فإذا عَلِمْتَ ذلك جداً زَهِدْتَ في فُضُولِ الدنيا فلا تأخذ منها إلا ما لابداً لكَ منه في عبادة ربكَ وتَدَعُ التنعُّمَ والتَّلذُّذ إلى الجنة دار النعيم المقيم في جوار رب العالمين الملك القادر الغني الكريم وعَلِمْتَ أن الخَلْقَ لا وفاء لهم . قال الواصف لحال أهل وقته :

غاضَ الوَفَاءُ فما تَلْقَاهُ في عِدَةٍ وأعْوَزَ الصِّدْقَ في الأخبار والقسم

وعَلِمْتَ أن مَؤُنَةَ الخَلْقَ أكْثَر مِنْ مَعُونتهم فيما يَعْنِيْكَ وتركْتَ مُخَالَطَتَهُمْ إلا فيما لابُدَّ لَكَ مِنْهُ تنتفعُ بخيرهم وتجتَنِبُ مِن ضَرِّهِمْ وتجعل صُحْبَتَكَ لمَنْ تَرْبَحُ فِي صُحْبَتِهِ ولا تخْسَرْ ولا تَنْدَمْ على خِدْمَتِهِ وأنْسكَ بِكتابِهِ ومُلازَمَتِكَ إيَّاه .

فَشَمِّرْ ولُذْ بالله واحْفَظْ كِتابَــهُ ففيه الهُدَى حَقاً ولِلْخَيْرِ جامِع
هُوَ الذُخْرُ لِلْمَلْهُوفِ والكَنْزُ والرجَا ومِنْهُ بِلا شَكٍ تُنَالُ المَنَافِعُ
به يَهْتَدِي مَنْ تاهَ في مَهْمَهِ الهوى بِهِ يتسلَّى مَن دَهَتْهُ الفَجَائِعُ

فَتَرى منه كُلَّ جَمِيْلٍ وإفْضَالٍ وتجدُهُ عند كُلِّ نائبةٍ في الدنيا والآخرة كما في الحديث : (احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ ، احفظ الله تَجِدْهُ تِجَاهَكَ وفي رواية تَجِدْه أمَامَكَ تعَرَّفْ إلى الله في الرَّخاء يَعْرِفكَ في الشِدَّة) الحديث .

واعلم أن الشيطان خبيث قد تَجَرَّدَ لِمُعَادَاتِكَ فاسْتَعِذْ بَربكَ القَادِرِ القاهِرِ مِن هذا الكلبِ اللَّعِيْن ولا تَغْفُلْ عن مَكائِدِه فتطردَهُ بذكرِ الله والاستعاذة مِن شرِه .

فإنَّه يَسِيْر إذا ظهرتْ مِنكَ عَزِيْمَةٌ صَادقةٌ وأنه كما قال الله تعالى ﴿ إنه ليس له سلطان على الـذين آمنـوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ نسأل الله أن يُوفقنا لِلْعَمَلِ بِكتابه وَسنة رسوله ﷺ .

وقال آخر ما الدنيا وما إبليس ، أما الدنيا فمَا مضى منها فحلم وما بقى فأماني وأما الشيطان فوالله لقد أُطِيْعَ فما نَفَعَ بَل ضرَّ ولقد عُصى فما ضَرَّ .

وعلمتَ جَهَالة هذه النفس وجمَاحَها إلى ما يضرُهَا ويُهلِكُها فنظرت إليها رحمةً لها نظرةَ العُقلاء والعُلماء الذين ينظرون في العواقب .

لانظر الجُهال والصبيان الذين ينظرون في الحال ولا يفطنون لغائلة الأذى وينفرون من مرارة الدواء فألجمها بلجام التقوى بأن تمنعها عما لا تحتاج إليه بالحقيقة من فضول الكلام والنظر والتلبيس بخصلة فاسدة من طول أمل أو حسد أو كبر أو نحو ذلك .

ثمْ إعلم أن الشيطانَ قَاسَم أبَاكَ وأمّكَ حَوَّاءَ إنه لَهُما لَمِنَ الناصحين وقَدْ عَلِمتَ كِذِبَهُ وغِشَّهُ ورأيْتَ فِعْلَه بهما وأمـــا أنْتَ فقد أقسَمَ أن يُغويكَ قال ﴿ فبعزتكَ لأغوينهم أجمعين ﴾ فاحْذرهُ وشمر عن سَاقِ الجد في الفِرارِ عن مَكائِدهِ والعَجبُ مِمَّنْ يُصَدِقُ في عَداوته ويَتبعُ غوايَته .

والنَّفسُ كالطفْلِ إن تُهْمِلْهُ شبَّ عَلى ... حُبِّ الرَّضَاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ
ورَاعِها وهْيَ في الأعمَالِ سَائِمَةٌ ... وإن هيَ استَحْلَتْ المرعَى فلا تُسِمِ
كَمْ حَسَّنَتْ لَذّةً لِلْمَرْءِ قاتِلَةً ... مِن حيثُ لم يَدْرِ أن السُّمَّ في الدَّسَمِ
وخَالِفِ النَّفْسَ والشيطَانَ واعْصِهِما ... وإن هما مَحّضاكَ النُصْحَ فاتَّهِمِ
واسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِن عينٍ قد امْتلأتْ ... مِن المحارِمِ والْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ

قال في الفنون مِن عجيْبِ ما نَقَدْت مِن أحْوالِ الناسِ كثرةَ ما ناحوا على خَرابِ الدِّيار ومَوْتِ الأقارب والأسلافِ والتَّحسُّر على الأرزاق بِذمِ الزمان وأهله وذِكرِ نَكَدِ العَيْشِ فيه .

وقَدْ رَأوْا مِن انهدامِ الإسلام وشعَثَ الأدْيانِ ومَوتِ السُنَنِ وظُهورِ البِدَعِ وارتكابِ المعاصي وتَقَضِّي العُمر فِي الفارغ الذي لا يُجْدي والقبيح الذي يُوبِقُ ويؤذِي فلا أجِدُ منهم مَنْ ناحَ على دينِهِ ولا بَكَى على فارِطِ عُمْرِهِ ولا آسَى على فائتِ دَهْرِهِ .

وما أرى لذلِكَ سَبَباً إلا قِلَةَ مُبالاتهم بالأدْيانِ وعِظَمَ الدنيا في عُيونهم ضدَّ

ما كان عليه السلفُ الصالحُ يرضَون بالبلاغ وينوحُون على الدين ، قُلْتُ فكيف لو رآى أهْلَ هذا الزّمن الذي كثُرتْ فيه المعاصي والملاهي وانفتَحتْ فيه الدنيا على كثير من الناس فلا حول ولا قوة إلّا بالله .

ومِن عجيب مَا رأيتُ أنا أنَ أحَدَنا إذا ناداهُ أمير أو وَزير أو مساعد أو مدير يبادر ويقوم بسرعة لِداعي الدنيا ولا يتأخر ويَسْمَعُ داعي الله يدعوه إلى الصلاة التي هي الصلة بينه وبين ربه جل وعلا وتقدس فيتثاقل ولا يهتم لها وإن قام بعد التّريُثِ فكأنه مُكْرَةٌ يُدْفَعُ إليها دَفْعًا عَكْس ما عليه السلف الصالح مِن المبادرة والمرابطة وتَرْكِ الأعمال فَوراً عند ما يسَمعون « حَي على الصلاة حَي على الفلاح » وكثير من المساجد عندهم تجد الصف الأول يَتم قبلَ الأذان وَقد ازْدَاد الطينُ بِلةً بِما حَدَثَ عندنا مِن المنكراتِ قَتّالَة الأوقات ، مُفَرِّقَة النفوس والأبدان ، ومُشتِتِ القلوب ، وذلك كالتلفزيون والمذياع والفيديو والجرائد والمجلات ومخالطة المنحرفين والفاسقين والمنافقين والكافرين والمجرمين أبعدهم الله .

سَيْرُ المنايَا إلى أعمارِنا خَبَبُ ... فما تبينُ ولا يَعْتاقُها نَصَبُ
كيْفَ النّجاءُ وأيدِيهَا مُصَمِّمَةٌ ... بِذَبْحِنَا بِمُدىً لَيْسَتْ لهَا نُصُبُ
وهلْ يُؤَمِّلُ نَيْلَ الشَّمْلِ مُلْتَئِماً ... سَفْرٌ لَهُمْ كُلَ يوم رِحْلَةٌ عَجَبُ
وما إقامَتُنا في مَنزِلٍ هَتَفَتْ ... فيهِ بنا مُذْ سَكنَّا رَبْعَهُ نُوَبُ
وآذنتنا وقدْ تمّت عِمَارَتُهُ ... بأنه عنْ قريبٍ دَاثِرٌ خَرِبُ
أزْرَت بنا هذِهِ الدُنْيا فما أمَلٌ ... إلّا لِرَيْبِ المنايا عِنْدَهُ أرَبُ
هذا وليستْ سِهَامُ الموتِ طَائِشةً ... وهلْ تَطيشُ سِهَامٌ كُلُّهَا نُصُبُ
ونحنُ أغراضُ أنواعِ البَلاُ بها ... قبلَ المَمَاتِ فَمرمِيٌ ومُرتَقِبُ
أيْنَ الذين تناهَوْا في ابْتِنَائِهِمُوا ... صَاحتْ بِهِمْ نَائباتُ الدَّهْرِ فانقلبُوا

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلوبَنَا بنُور الإيمَانِ وَثَبِّتها على قَوْلِكَ الثّابتْ في الحَياةِ الدُّنْيا وفي الآخِرَةِ واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتوفَّنا مُسْلِمِينَ وَالْحِقْنَا بِعِبَادكَ الصَّالِحِينْ يا أكْرَمَ الأكْرَمِينْ وَيَا أرْحمَ الرَّاحِمِينْ وصَلَّى اللَّهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمعِينْ .

آخر : هَذِهِ قَصِيْدَةٌ وعْظِيَّةٌ أَلْقِ لَهَا سَمْعَكَ :

أَنِسْتُ بِلأْوَاءِ الزَّمَانِ وذِلِّهِ — فَيَا عِزَّةَ الدنيا عَلَيْكِ سَلامُ
إِلَى كَمْ أُعَانِي تِيْهَهَا ودَلالَهَا — أَلَمْ يَأْنِ عَنْهَا سَلْوةٌ وَسَآمُ
وقد أَخْلَقَ الأَيَّامُ جِلْبَابَ حُسْنِهَا — وأَضْحَتْ وُدِيبَاجُ البَهَاءِ مَسَامُ
عَلَى حِيْنَ شَيْبٌ قَدْ أَلَمَّ بِمَفرِقِي — وعَادَ رُهَامُ الشَّعْرِ وهُوَ ثَغَامُ
طَلائِعُ ضَعْفٍ قدْ أَغَارَتْ علَى القُوى — وثَارَ بِمَيْدَانِ المِزَاجِ قَتَامُ
فَلا هِيَ فِي بُرْجِ الجَمَالِ مُقِيْمَةٌ — ولا أَنَا في عَهْدِ المُجُونَ مُدَامُ
تَقَطَّعَتِ الأَسْبَابُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا — ولَمْ يَبْقَ فِينَا نِسْبَةٌ وَلِمَآمُ
وعادَتْ قَلُوصُ العَزْمِ عَنِّي كَلِيْلَةً — وقَدْ جُبَّ مِنْهَا غَارِبٌ وَسَنَامُ
كَأَنِّي بِهَا والقَلْبُ زُمَّتْ رِكَابُهُ — وقُوِّضَ أَبْيَاتٌ لَهُ وَخِيَامُ
وَسِيْقَتْ إلى دَارِ الخُمُولِ حُمُولُهُ — يَحُنُّ إِلَيْهَا والدُمُوعُ رُهَامُ
حَنِينَ عَجُولٍ غَرَّهَا البَوُّ فانْثَنَتْ — إِلَيْهِ وفِيْهَا أَنَّةٌ وَضُغَامُ
تَوَلَّتْ لَيَالٍ لِلْمَسَرَّاتِ وانْقَضَتْ — لِكُلِ زَمَانٍ غَايَةٌ وَتَمَامُ
فَسَرْعَانَ مَا مَرَّتْ وَوَلَّتْ وَلَيْتَهَا — تَدُوْمُ وَلَكِنْ مَا لَهُنَّ دَوَامُ
دُهُورٌ تَقَضَّتْ بالمسَرَّاتِ سَاعَةً — وَيَومٌ تَوَلَّى بالمَسَاءَةِ عَامُ
فلِلَّهِ دَرُّ الغَمِّ حَيْثُ أَمَدَّنِي — بِطُولِ حَيَاةٍ وَالهُمُومُ سِهَامُ
أُسِيْرٌ بِتَيْمَاءِ التَّحَيُّرِ مُفْرَداً — وَلِيْ مَعَ صَحْبِي عِشْرَةٌ ونَدَامُ
وَكَمْ عِشْرَةٍ مَا أَوْرَثَتْ غَيْرَ عُسْرَةٍ — وَرُبَّ كَلَامٍ فِي القُلُوبِ كِلَامُ
فَمَا عِشْتُ لاَ أَنْسَى حُقُوقَ صَنِيْعِهِ — وَهَيْهَاتَ أَنْ يُنْسَى لَدَيَّ ذِمَامُ
كَمَا اعْتَادَ أَبْنَاءُ الزَّمَانِ وَأَجْمَعَتْ — عَلَيْهِ فِئَامٌ إِثْرَ ذَاكَ فِئَامُ
خَبَتْ نَارُ أَعْلَامِ المَعَارِفِ والهُدَى — وَشُبَّ لِنِيْرَانِ الضَّلالِ ضِرَامُ
وَكَانَ سَرِيرَ العِلْمِ صَرْحاً مُمَرَّداً — يُنَاغِي القِبَابَ السَّبْعَ وَهْيَ عِظَامُ
مَتِيْناً رَفِيْعاً لا يُطَارُ غُرَابُهُ — عَزِيْزاً مَنِيْعاً لاَ يَكَادُ يُرَامُ
يَلُوحُ سَنَابَرْقِ الهُدَى مِن بُرُوْجِهِ — كَبَرْقٍ بَدَا بَيْنَ السَّحَابِ يُشَامُ

فَجَرَّتْ عَلَيْهِ الرَّاسِيَاتُ ذُيُولَهَا ... فَخَرَّتْ عُرُوشٌ مِنْهُ ثُمَّ دَعَامُ

وسِيْقَ إِلَى دَارِ المَهَانَةِ أَهْلُهُ ... مَسَاقَ أَسِيْرٍ لا يَزَالُ يُضَامُ

كَذَا تَجْرِيَ الأَيَّامُ بَيْنَ الوَرَى عَلَى ... طَرَائِقَ مِنْهَا جَائِرٌ وقِوَامُ

فَمَا كُلُّ ماقَدْ قِيلَ عِلْمٌ وحِكْمَةٌ ... وما كُلُّ أَفْرادِ الحَدِيْدِ حُسَامُ

ولِلدَّهْرِ تاراتٌ تُمَرُّ على الفَتَى ... نَعِيمٌ وبُؤْسٌ ، صِحَّةٌ وَسَقَامُ

وَمَنْ يَكُ فِي الدنيا فَلَا يَعْتِبَنَّهَا ... فَلَيْسَ عَلَيْهَا مَعْتَبٌ وَمَلَامُ

أَجِدَّكَ ما الدُّنْيَا وَمَاذَا مَتَاعُهَا ... ومَاذَا الذِيْ تَبْغِيْهِ فَهْوَ حُطَامُ

تَشَكَّلَ فِيْهَا كُلُّ شَيْءٍ بِشَكْلِ مَا ... يُعَانِدُهُ وَالنَّاسُ عَنْهُ نِيَامُ

تَرَى النَّقْصَ فِي زِيِّ الكَمَالِ كَأَنَّمَا ... عَلَى رَأْسِ رَبَّاتِ الحِجَالِ عِمَامُ

فَدَعْهَا وَنُعْمَاهَا هَنِيْئاً لِأَهْلِهَا ... ولاتَكُ فِيْهَا رَاعِياً وَسَوَامُ

تَعَافُ العَرانِيْنُ السِمَّاطَ على الخَوَى ... إِذَا مَا تَصَدَّى لِلطَّعَامِ طَغَامُ

عَلَى أَنَّهَا لَا يُسْتَطَاعُ مَنَالُهَا ... لِمَا لَيْسَ فِيْهِ عُرْوَةٌ وعِصَامُ

ولَوْ أَنْتَ تَسْعَى إِثْرَهَا أَلْفَ حَجَّةٍ ... وقَدْ جَاوَزَ الطِبْيَيْنِ مِنْكَ حِزامُ

رَجَعْتَ وقَدْ ضلَّتْ مَسَاعِيْكَ كُلُّهَا ... بِخُفَّيْ حُنَينٍ لاتَزَالُ تُلَامُ

هَبِ إِنَّ مَقَالِيْدَ الأُمُوْرِ مَلَكْتَهَا ... ودَانَتْ لَكَ الدنيا وَأَنْتَ هُمَامُ

ومُتِّعْتَ بِاللَّذَاتِ دَهْراً بِغِبْطَةٍ ... أَلَيْسَ بِحَتْمٍ بَعْدَ ذَاكَ حِمَامُ

فَبَيْنَ البَرايَا والخُلُودِ تَبَايُنٌ ... وبَيْنَ المنايَا والنُّفُوسِ لِزَامُ

قَضِيَّةٌ انْقَادَ الأَنَامُ لِحُكْمِهَا ... وما حَادَ عَنْهَا سَيِّدٌ وغُلَامُ

ضرورية تقضي العقولُ بصدقها ... سَلْ إِن كانَ فيها مِرْيَةٌ وخِصَامُ

سَلِ الأَرْضَ عن حالِ الملوكِ الَّتي خَلَتْ ... لهم فَوقَ، فَوقَ الفرقدين مَقَامُ

بأبوابهم للوافدين تراكُم ... باعتابِهِم للعاكِفين زِحامُ

تُجْبِكَ عن أسرار السيوفِ التي جَرَتْ ... عَلَيْهِم جَواباً لَيْسَ فيه كَلَامُ

بِأَنَّ المنايَا أَقْصَدَتْهُم نِبَالُهَا ... وما طَاشَ عن مَرْمَى لَهُنَّ سِهَامُ

وَسِيقُوا مساق الغابِرينَ إلى الرَّدى ... وأقفرَ منهم مَنزِلٌ ومَقَامُ

وحَلُّوا محلاً غَيْرَ ما يَعهدُونه | فَلَيْسَ لَهم حتى القيام قِيامُ
أَلَمَّ بهم رَيبُ المنونِ فَغَالَهُم | فهم بَيْنَ أطباقِ الرُّغامِ رُغامُ

إنْتَهَى

اللهم اغفر لنا ما قطعَ قلوبَنا عن ذِكرك واعفُ عن تقصيرنا في طاعَتِكَ وشُكْرِكَ وادمْ لَنَا لزُومَ الطريق إليكَ وهَبْ لنا نوراً نَهْتَدِي به إليكَ واسْلُكْ بنا سَبيْلَ أهْلِ مَرْضَاتِكَ واقْطعْ عَنَّا كُلَّ ما يُبعدُنا عَن سَبيْلِكَ وَيَسِّرْ لَنَا ما يَسَّرْتَهُ لأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وأيْقِظْنَا مِن غَفَلاتِنَا والهِمْنَا رُشْدَنا وحَقِّقْ بِكَرمِكَ قَصْدَنَا واسْتُرْنَا في دُنيانا وآخِرَتِنَا واحْشُرْنَا في زُمْرَةِ المتقين والحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصالِحين واغفر لنا ولِوالدينا ولجميع المسلمين

شِعْــــراً :

أَرَى النَّاسَ في الدنْيا ، مُعَافًى وَمُبتلًى | ومَازَالَ حُكمُ اللهِ في الأَرْضِ مُرْسَلا
مَضَى في جَميعِ النَّاسِ سابقُ عِلمِهِ | وَفصَّلَهُ ، مِن حَيْثُ شاءَ ، وَوَصَّلا
وَلَسنْا عَلى حُلْوِ القَضاءَ وَمُرِّهِ | نَرَى حكَماً فِيْنَا ، مِنَ اللهِ ، أعْدَلا
بَلاً خَلقَهُ بالخَيرِ وَالشرِّ ، فِتْنَةً | لِيرْغَبَ مِمَّا في يَدَيْهِ وَيُسأَلا
وَلَمْ يَبْغِ إلاَّ أنْ يَبُوءَ بِفَضْلِهِ | علينَا ، وَإلاَّ أنْ نَتُوبَ ، فيَقْبلا
هُوَ الأَحَدُ القَيّومُ مِنْ بَعدِ خَلقِه | وَما زالَ في دَيمومَةِ المُلْكِ أَوَّلا
وَمَا خَلَقَ الإنْسَانَ إلاَّ لِغَـايَةٍ | وَلَمْ يَترُكِ الإنْسَانَ في الأَرْضِ مُهمَلا
كَفَى عِبرَةً أنّي وَأنْتَ ، يَا أخِي | نُصرَّفُ تَصْرِيْفاً لَطِيفاً ، وَنُبتَلى
كأنَّا ، وَقد صِرْنا حَدِيثاً لغَيرِنَا | نُخاضُ كما خُضْنَا الحديثَ لِمَنْ خلا
تَوَهَمْتُ قَوْماً قَدْ خَلَوْا ، فكَأَنَّهمْ | بأجْمَعِهِمْ كانُوا خَيَالاً تُخَيِّلا
وَلَستُ بأبْقَى منهُمُ في دِيارِهِمْ | وَلكِنْ لي فيها كِتاباً مُؤَجَّلا
وَما النَّاسُ إلاَّ مَيّتٌ وَابنُ مَيّتِ | تأجّلَ حَيٌّ منهُمُ ، أوْ تَعَجّلا
وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ يُخْلِفُ وَعْدَهُ | بما كَانَ أوْصَى المُرْسَلِينَ ، وَأرْسَلا
هوَ المَوْتُ يَاابنَ المَوتِ وَالبعثُ بَعْدَهُ | فمِنْ بينِ مَبعُوثٍ مُخِفّاً ، وَمُثقَلا
وَمِن بَينِ مَسْحُوبٍ على حُرِّ وَجْهِه | وَمِنْ بَينِ مَنْ يأتي أغَرَّ مُحَجَّلا

عَشِقْنَا ، مِنَ اللّذاتِ ، كلّ مُحرَّمٍ فأُفٍّ عَلَيْنَا ما أَغَرّ وَأَجْهَــلا
رَكَنّا إِلَى الدّنْيـا فطَـالَ رُكُونُنــا وَلَسنا نَرَى الدّنيا، على ذاكَ، مَنزِلا

لَقَدْ كَانَ أقْوَامٌ مِنَ النَّاس قَبلَنا يَعافُونَ مِنهُنَّ الحَـلالَ المُحَــلَّلا
فَلِلّهِ دارٌ ما أَحَثَّ رَحِيلَهــا وَما أَعرَضَ الآمَالَ فِيها وَأَطْـوَلا
أَبَى المَرْءُ إلاّ أنْ يَطُولَ اغْترارُهُ وَتَأبَى بِـهِ الحالاتُ إلاّ تَنَقُّــلا
إذا أمّلَ الإنْسانُ أمْراً ، فَنـالَهُ فَمَا يَبتَغي فَوْقَ الذي كَانَ أمّــلا
وَكَمْ من ذَليـلٍ عَزّ مِنْ بَعد ذِلّةٍ وَكَمْ من رَفيعٍ صارَ في الأرْض أسفَلا
وَلَمْ أرَ إلاّ مُسلِمـاً في وَفـاتِهِ وَإنْ أكثرَ الباكي عَلَيهِ ، وَأعْـوَلا
وَكَمْ من عَظيمِ الشّأنِ في قعرِ حُفرةٍ تَلَجّفَ فيها بالثّرَى ، وَتَسَـرْبَلا
أيا صاحبَ الدّنْيا وَثِقْتَ بمَنْزِلٍ تَرَى المَوْتَ فيه ، بالعِبادِ ، مُوَكَّلا
تُنافِسُ في الدّنْيـا لتبلُغَ عِـزّها وَلَسْتَ تَنَالُ العِـزّ حتى تُـذَلّلا
إذا اصْطَحَبَ الأقوامُ كَانَ أذَلُّهُمْ لأصْحَابِهِ نَفساً ، أبَـرّ وَأفْضَـلا
وَما الفَضْلُ في أنْ يُؤثِرَ المرْءُ نَفسَهُ وَلكِنّ فَضْلَ المَرْءِ أنْ يَتَفَضّــلا

إنْتَهَى

آخــــر :

يـا أيُّها المُغْـتَرُّ بـالله فِـرَّ مِـنَ الله إلـى اللهِ
ولُـذْ بِـهِ واسألْهُ مِـنْ فَضْـلِهِ فَقَـدْ نَجـا مَـنْ لاذَ بـاللهِ
وقُـمْ لَـهُ واللّيْـلُ فـي جنْحِـه فَحَـبَّذَا مَـنْ قَـامَ للهِ
واتْلُ مِـنَ الـوَحْيِ ولَـوْ آيَـةً تُكْسَـى بِهَـا نُـوْراً مِـنَ اللهِ
وعَفِّرِ الـوَجْـهَ لَـهُ سَـاجِـداً فَعِـزَّ وَجْـهٌ ذَلَّ للهِ
فَمَـا نَعِـيمٌ كَمُنَـاجَـاتِـهِ لِقَـانِـتٍ يُخْـلِـصُ للهِ
وابْعُـدْ عَـنِ الـذّنْـبِ ولا تَـاتِـهِ فَبُعْـدُهُ قُـرْبٌ مِـنَ اللهِ
يـا طـالِبـاً جَـاهـاً بِغَيْرِ التُقَـىٰ جَهِـلْتَ مـا يُـدْنِـي مِـنَ اللهِ
لا جـاهَ إلاّ جـاهُ يَـوْم القَضَـا إذْ لَيْـسَ حُـكْـمٌ لِسِـوى اللهِ
وصَـارَ مَـنْ يُسْعَـدُ فـي جَنَّـةٍ عَـالِيَـةٍ فـي رَحْمَـةِ اللهِ

يسْكُنُ في الفِرْدَوْس في قُبَةٍ ... مِنْ لُؤلُؤٍ في جِيْرَةِ اللهِ
ومَنْ يَكُنْ يُقْضَىٰ عَلَيْه الشَّقا ... فِي جاحِمٍ في سَخطَ اللهِ
يُسْحَبُ في النَّارِ على وَجْهِهِ ... بسَابق الحُكْم مِنَ اللهِ
يا عَجَبًا مِنْ مُوقِن بالجَزا ... وهو قليل الخوف للهِ
كأنه قد جاءه مُخْبِرٌ ... بأمْنِهِ مِنْ قِبَل اللهِ
يا رُبَّ جَبَّار شَدِيدِ القُوى ... أَصابَهُ سَهْمٌ مِنَ اللهِ
فَأنْفَذَ المَقْتَلَ مِنْهُ وكَمْ ... أَصْمَتْ وتُصْمِي أسْهُمُ اللهِ
واسْتُل قَسْراً مِنْ قُصورٍ إلى الْـ ... أجْداثِ واسْتَسْلَمَ للهِ
مُرْتَهنا فِيهَا بما قَدْ جَنَى ... يُخْشَى عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ
لَيْسَ لَهُ حَوْل ولا قُوَّةٌ ... الحَوْلُ والقُوَّةُ للهِ
يا صَاح سِرْ في الأرض كيما ترى ... ما فَوْقَهَا مِنْ عِبَرَ اللهِ
وكَمْ لَنَا مِنْ عِبْرَةٍ تَحْتَهَا ... فِي أُمَمٍ صَارَتْ إلى اللهِ
مِنْ مَلِكٍ مِنْهُمْ ومِن سُوْقَةٍ ... حَشْرهُمُ هَيِنٌ عَلَى اللهِ
والحَظْ بعَيْنَيْك أدِيْمَ السَّما ... وما بهَا مِنْ حِكْمَةِ اللهِ
تَرَى بهَا الأفْلاكَ دَوَّارَةً ... شَاهِدَة بالمُلْكِ للهِ
ما وَقَفَتْ مُذْ أُجْرِيَتْ ساعَةً ... - أو دُونهَا - خَوْفاً مِنَ اللهِ
وما عَلَيْهَا مِنْ حِسَاب وَلاَ ... تَخْشَى الذي يُخْشَى مِنَ اللهِ
وَهِي وما غَابَ وما قَدْ بدا ... مِنْ آيَةٍ في قَبْضَةِ اللهِ
تُوحِّدُ الله على عَرْشِهِ ... في غَيْبِهِ فَالأمْرُ للهِ
وما تَسَمَّى أحَدٌ في السَّما ... والأرْض غَيْرُ الله باللهِ
إنّ حِمَى الله مَنِيْعٌ فَما ... يَقْرُبُ شَيْءٌ مِنْ حِمَى اللهِ
لا شيْءَ في الأفْوَاهِ أحْلَى من التَّـ ... ـوحِيدِ والتَّمْجيدِ للهِ
ولا أطْمَأنّ القَلْبُ إلاّ لِمَنْ ... يَعْمُرُهْ بالذِّكْرِ للهِ
وإن رَأى في دِينِهِ شُبْهَةً ... أمْسَكَ عَنْهَا خَشْيَةَ اللهِ

أو عَـرَضَتْـهُ فَـاقَـةٌ أوْ غِـنَىً	لاقـاهُمَـا بالشُّـكرِ للهِ
ومَـنْ يَـكُنْ فـي هَـذيـهِ هَكَـذا	كـانَ خَلِيقـاً بـرضـى اللهِ
وكـانَ فـي الـدُّنيـا وفـي قَـبْرِهِ	وبَعْـدَهُ فـي ذِمَّـةِ اللهِ
وفِـي غَـدٍ تُبْصِـرُهُ آمِنًـا	لِخَـوْفِـهِ الْيَـوْمَ مِـنَ اللهِ
مـا أقْبَـحَ الشيخ إذا مـا صَبـا	وعـاقَـهُ الجَهْـلُ عَـنِ اللهِ
وهُـوَ مِـنَ العُمْـرِ عـلى بَـازِلٍ	يَحْمِلُهُ حَثّـا إلـى اللهِ
هَـلاّ إذَا أشْـفَى رَأى شَيْبَهُ	يَنْعَـاهُ فـاسْـتَحْيَى مِـنَ اللهِ
كـأنَّمَـا ريْـنَ عَـلى قَـلْبِـهِ	فَصَـار مَحْجُـوبـاً عَـنِ اللهِ
ما يُعْـذَرُ الجَاهِـلُ فـي جَهْلِهِ	فَضْـلاً عَـنِ العـالِـمَ بـاللهِ
دَارَيْـنِ لا بُـدَّ لَنَـا مِنْهُمَـا	بالفَضْـلِ والْعَـدْلِ مِـنَ اللهِ
ولَسْـتُ أَدْري مَـنْزِلـي مِنْهُمَـا	لكَـنْ تَـوَكَّلْـتُ عَـلى اللهِ
فاعْجَـبْ لِعَبْـدٍ هَـذِهِ حَـالُـهُ	كَيْـفَ نَبَـا عَـنْ طَـاعَـةِ اللهِ
واسَـوْأتَـا إنْ خَـابَ ظَنـي غَـدا	ولَـمْ تَسَـعْني رَحْمَـةُ اللهِ
وكُنْتُ في النَّـار أخَـا شِـقْوةٍ	نَعُـوذُ مِـنْ ذلِـكَ بـاللهِ
كَـمْ سَـوْءَةٍ مَسْتُـورَةٍ عِنْـدَنَـا	يَكْشِـفُهَا العَـرْضُ عَـلى اللهِ
فـي مَشْـهَدٍ فيـه جَمِيـعُ الـوَرَى	قَـدْ نَكَسُـوا الأذْقَـانَ للهِ
وكَـمْ تَـرى مِـنْ فـائِـز فيهـم	جَـلّلَهُ سِـتْرٌ مِـنَ اللهِ
فالحَمْـدُ لله عـلى نِعْمَـةِ الْـ	إسْـلامِ ثُـمَ الحمْـدُ للهِ

(فصـــل)

عن بريدة قال : سمع النبي ﷺ رجُلاً يقول : اللهم أني أسألك بأني أشهد أنكَ أنتَ الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

فقـال رسـول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لقد سأل الله

باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى أخرجه أبو داود والترمذي .

وعن أنس رضى الله عنه قال : دعا رجل فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاكرام يا حي ياقيوم .

فقال النبي ﷺ : أتدرون بما دعا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ، أخرجه أصحاب السُّنَن .

عن سعد بن أبي وقاص قال قال : قال رسول الله ﷺ : « دعوة ذِي النون إذْ دَعَى وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إني كنت من الظالمين » .

فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شىء قط إلا استجاب له ، رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال صحيح الاسناد .

اللهم إنا نعود بكَ مِن شَرِّ أسْمَاعِنا ومِن شَرِّ أبْصَارنا ومِن شَرِّ ألْسِنَتِنا وشر قُلوبنا وشرِ مَنِيِّنَا .

اللهم عافنا فِي أبداننا وفي أسْمَاعِنا وفي أبْصَارِنا اللهم إنا نَعُوذ بكَ مِن الفقرِ والكُفْرِ ، اللهم إنا نَعُوذُ بكَ مِن عَذاب القَبر لا إلهَ إلاَّ أنْتَ .

اللهم إنا نعوذُ بكَ مِن عِلْم لا يَنْفَعْ وعَمَلٍ لا يُرْفَعْ ودُعَاءٍ لا يُسْمَعْ .

اللهم إنا نُعوذُ بكَ مِن زَوَالِ نَعْمَتِكْ وتَحَوُّلِ عَافِيَتِكْ وفجأةِ نِقْمتِكْ ، اللهم انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وعلمنا ما يَنْفعُنا وزِدنا عِلْمَاً الحمد لله على كل حَال وأعوذُ بالله مِن حَالِ أهِل النار .

اللهم أغْنِنَا بالعلم وَزَيِّنا بالحِلم وأكرِمْنَا بالتَّقْوىَ وجَمِّلنا بالعَافية .

اللهم إنا نَسْألُكَ صِحَّةً فِي إيْمَان وإيمَاناً في حُسْن خُلقٍ ونَجَاحاً يَتْبَعُهُ فَلاحٌ ، ورحمةً مِنكَ وعافِيةً ومَغْفِرةً مِنْكَ ورضوانا .

اللهم إنا نعوذ بوجهك الكريم واسْمِكَ العَظِيم مِن الكفر والفقر .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِن عِندكَ تَهْدِي بها قُلُوبَنَا ، وتَجْمَعُ بها شَمْلَنَا ، وتُلِمُّ بهَا شَعثَنَا ، وتَرِدُّ بِهَا إلْفَتَنا ، وتُصْلِحُ بها دِيْنَنَا ، وتَحْفَظُ بها غَائِبَنَا ، وتَرْفَعُ بها شاهِدنا ، وتُزكى بها عِلْمَنا ، وتُبَيِّضُ بها وُجُوهَنَا وتُلْهِمَنَا بها رُشْدَنَا وتَعْصِمَنَا بها مِن كُل سُوء .

اللهم أعطنا إيماناً صادِقاً ويقيناً لَيْسَ بَعْدَهُ كفر ورَحمةً نَنَالُ بها شَرَفَ كرامَتِكَ في الدنيا والآخرة .

اللهم إنا نَسأَلكَ الفوز عند القضاء ومَنازل الشُهداء وعَيْشَ السُعَدَاء والنَّصْرَ عَلى الأعداء ومرافقة الأنبياء .

اللهم ما قَصَّرَ عنه رَأيُنا وضَعُفَ عنه عَمَلُنا ولم تَبْلُغْهُ نِيَّتُنا وأمْنِيَّتُنا مِن خيرٍ وَعَدْتَهُ أحداً مِن عِبادِكَ وخَيْرٍ أنْتَ مُعْطِيْهِ أحَداً مِن خَلْقِكَ فإنا نرغب إليك فيه ونَسْألكَهُ يا رَبَّ العَالمين .

اللهم ارْزُقْنا أعْيُناً هَطَّالَةً تَشْفيَانِ القَلْبَ بِذُرُوْفِ الدُّموعِ مِن خَشْيَتِكَ قَبْلَ أن تَكُوْنَ الدُموعُ دَماً والأضراسُ جَمْراً .

اللهم اجعلنا هُدَاةً مُهتدين غيرَ ضالين ولا مُضِلين حَرْباً لأعْدائِك وسِلْماً لأوليائك نُحِبُ بحُبِكَ الناس ونُعَادِي بعدَاوَتِكَ مَن خَالَفَكَ مِن خلقك

اللهم إنا نَسْألكَ الأمن يَوم الوعيد مِن العذاب الشديد ونَسْأَلكَ الجنة دار الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود والوعود إنك غفور رؤفٌ وَدُوْد .

اللهم إنا نسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك الذي إذا دُعِيْتَ به أجَبْتَ وإذا سُئِلْتَ بِهِ أعْطَيْتَ وإذا اسْتُرْحِمْتَ به رَحِمْتَ وإذا اسْتُفْرِجْتَ به فَرَّجْتَ .

ياحَيُّ ياقيوم ياعليّ ياعَظِيم يَاوَاحِدْ أحَد يافَرْد صَمَد يامَن لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كُفُوًّ أحد ياذ الجلال والإكرام أنْ تَفْتَحَ لِدُعائنا باب القَبولِ والاجابة.

اللهم ارحم ذُلّنا يومَ الأشهاد وأمّن خَوْفَنا من فزَع المعاد ووفقنا لما تُنجينا به من الأعمال في ظلم الإلحاد ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين

قال بَعْضُهُـــمْ :

أُقَلّبُ كُتْباً طَالَمَا قَدْ جَمَعْتُهَـــا ... وَأَفْنَيْتُ فِيْهَا العَيْنَ والعَيْـنَ وَالْيَـدَا

وَأَصْبَحْتُ ذَا ظَنٍّ بِهَا وتَـمَسُّكِ ... لِعِلْميْ بِمَا قَدْ صُغْتُ فِيْهَا مُنَضَّدَا

وَأَحْـذَرُ جُهْـدِيْ أَنْ تُنَـالَ بِنَائِـلٍ ... مَهِيْـنٍ وَأَنْ يَغْتَالَهَـا غَائِـل الرَّدَى

وَأَعْلَـمُ حَقاً أَنّنِـيْ لَسْتُ بَاقِيـاً ... فَيَالَيْتَ شِعْرِيْ مَنْ يُقَلِّبُهَـا غَدَا

آخر : العِلْمُ قَالَ اللهُ قال رَسُوْلُهُ ... قال الصَّحَابَةُ هم أُولُـو العِرْفَـانِ

لَوْ كَانَ هَذَا العِلْمُ يَحْصُلُ بالْمُنَى ... ما كان يَبْقَـى في البَرِيَّـةِ جَاهِــلُ

إجْهَـدْ ولا تَكْسَلْ ولاتكُ غَافِـلاً ... فَنَدَامَـةُ العُقْبَـى لَمِــنْ يَتَكَــاسَلُ

(فَوَائِدُ عَظِيْمَةُ النَّفْعِ لِمنْ وفَّقَهُ اللهُ)

وَاعَجَباً مِنْكَ يَضِيْعُ مِنْكَ الشَّيْءُ القَلِيْلُ وَتتكدَّر وَتَتَأَسَّفْ ، وَقَدْ ضَاعَ أَشْرَفُ الأَشْيَاء عِنَدكَ وَهُوَ عُمُركَ الذي لَا عَوَضَ لَهُ وَأَنْتَ عِنْدَ قَتَّالَاتِ الأَوْقَات ، الكُورةِ والتِّلْفازِ والمِذْيَاع وَنَحْوِهَا مِن قُطَّاعِ الطَّرِيْقِ عَنِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَلَكِنْ سَتَنْدَم « يَوْمَ يُنَادِ المُنَادِي مِن مَكَانٍ قَرِيْبٌ ، يَوْمَ يَسْمَعُوْنَ الصَّيْحَةَ بِالحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الخُرُوْج » .

شعرا : أَرَىَ النَّاسَ سَفْراً في طَرِيْقِ المَتَالِـفِ ... فَمِنْ بَالِغٍ أُخْرَى المَدَىَ وَمُشَارِف

وَمَا بَطْنُ هَذِيْ الأَرْضِ إلاَّ قَرَارَةٌ ... وأَرْوَاحُنَا مِثْلُ السُّيُوْلِ الجَـوَارِف

ومـا العُمْـرُ إلاَّ جَوْلَـةٌ ثُمَّ أَوْلَـــةٌ ... ونَحْنُ بِمرصَادِ الرَّقِيْبِ المُشَارِف

(خاتمـــةٌ ، وَصيَّـــةٌ ، نَصِيْحَـــةٌ)

إعْلَمْ وَفقَّنا اللهُ وإيَّاكَ وجَمِيْع المسلمين لما يُحبُّهُ اللهُ ويَرْضَاهُ أنَّ مِمَّا يَجِبُ الاعْتِنَاءُ بِهِ حِفْظاً وعَمَلاً كلام الله جَلَّ وعَلَا وكلام رسوله ﷺ .

وأنه يَنْبَغِي لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تعالى أنْ يَحُثَّ أوْلَادَه على حِفْظ القُرآن وما تَيسَّرَ مِن أحاديث النبي ﷺ المتفق على صحَّتِهَا عنه كالبُخَارِي ومُسْلم .

ومِن الفقه مختصَرَ المقْنع لِيَتَيَسَّرَ لَهُ اسْتِخْرَاجُ المسائل ويَجْعَلُ لأَوْلَادِهِ مَا يَحُثُّهُم على ذَلِكَ .

فَمَثلاً يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ القُرآنَ على صَدْرِه حِفْظاً صَحيْحاً عَشَرَةَ آلافِ أوْ أزْيَد أوْ أقل حَسَبَ حالِهِ في الغِنَى .

ومِن الأحَادِيث عُقودَ اللُؤلؤ والمُرجَان فِيْمَا اتّفقَ عَلَيهِ الإمَامَانِ البُخَارِي ومُسلم ، يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّةَ آلاف .

فإنْ عَجزوا عن حِفْظِهَا فالعُمدة في الحديث يَجْعَلُ لِمَنْ حَفِظها ثلاثة آلاف ، أوْ الأربعين النَّواوِيَّة ويَجْعَل لِمَنْ يَحْفَضها ألْفاً .

ويَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ مُختصَرَ المُقْنعِ في الفِقهِ ألْفَيْن مِن الريالاتِ فالغَيبُ سَبَبٌ لِحِفِظِ المَسائِلِ وسَبَبٌ لَسُرعَةِ اسْتِخْرَاج ما أُرِيْدَ مِن ذَلِكَ وما أُشكَلَ مَعْنَاه أوْ يُدَخِّلُهُم في مَدَارِسِ تَحْفِيْظِ القُرآن فَمَدَارِسُ تَعْلِيْم القرآنِ والسُّنَّةِ هِيَ مَدَارِسُ التَّعْلِيْمِ العَالِيْ المُمْتَازِ البَاقِي النافِعِ في الدُنْيا والآخِرَةِ أوْ يُدْخلهم في حَلَقَاتِ تَحْفِيْظِ القُرآنِ الكَرِيم الموجُودَة في المَسَاجِد .

شِعْـــرا :

وَلَمْ أرَى لِلْخَلائِقِ مِنْ مُـــرِبٍ ... كَعَلْمِ الشَّرعِ يُؤخَذُ عن ثِقَـــاتِ
بِبَيْتِ اللهِ مَدْرسَةِ الأوَالِـــيِّ ... لِمَنْ يَهْوَى العُلُومَ الرَّاقِيَـــاتِ

فَمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِذَلِكَ وعَمِلَ أُولادُهُ بِذَلِكَ كَان سَبَباً لِحُصُولِ الأجْرِ مِن اللهِ وسبباً لِبِرهِم بِهِ ودُعائِهِم لَهُ إذَا ذَكَروْا ذَلِكَ منه ولَعَلَّهُ أنْ يَكُونَ سَبَباً مُبَاركاً يَعْمَلُ بِهِ أوْلَادُهُ مَعَ أولادِهم فَيَزِيْدُ الأجْرُ لَهُ ولَهُم نَسْألُ الله أنْ يُوفِّقَ

الجميعَ لِحُسْن النيَةِ إنَّهُ القادِرُ عَلَى ذَلِكَ وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

تَمَّ الجُزْءُ الخَامس بِعْون اللهِ وَتَوْفِيْقِهِ وَنسأَل الله الحي القَيُّومُ العَلِيُّ العَظِيْمَ ذَا الجَلالِ والإكْرَامِ الوَاحِدَ الأَحَدَ الفَرْدَ الصَّمَدَ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كفواً أحد أَنْ يُعِزَّ الإسْلَامَ والمُسْلِمِيْنَ وأَنْ يَخْذُلَ الكَفَرَةَ والمُشْرِكِيْنَ وَأَعْوَانَهُمْ وأَنْ يُصْلِحَ مَنْ في صلاحه صَلاحٌ لِلْأَسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَيُهْلِكَ مَنْ في هَلاكِهِ عِزٌ وصَلَاحٌ لِلْأَسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ وَأَنْ يَلُمَّ شَعَثَ المُسْلِمِيْنَ وَيَجْمَعَ شَمْلَهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ ويُصْلِحَ أَوْلَادَهُمْ وَيَشْفِ مَرْضَاهُمْ وَيُعَافِي مُبْتَلَاهُمْ وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخذَ بِأَيْدِيْنَا إلى كُلِّ خَيْرٍ وَيَعْصِمَنَا وَإِيَّاهُمْ مِنْ كُلِّ شَرٌّ وَيَحْفَظنا وإيَّاهُمْ مِن كُلِّ ضُرٍ وأَنْ يَغْفِرَ لَنَا ولِوَالِدِينا وجَمِيعِ المسلمين بِرَحْمَتِهِ إنَّه أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلى اللهُ على محمد وعلى آله وَصَحْبِهِ أجمعين .

والله المسئول أن يجعلَ عملنَا هذا خالصاً لوجهِهِ الكريم وأن يَنْفَعَ به نَفْعاً عاماً إنه سميع قريب مجيب على كل شيء قدير .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين . ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

عبدالعزيز المحمد السَّلْمَان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

شِعْــــراً :

تَمَنَّيْتُ فِي الدنيا عُلُوماً أَبُثُّهَــــا ... وَأَنْشُرُهَا في كُلِ بَادٍ وَحَاضِـــرِ

دُعِـادٌ إلى القُـرْآنِ والسُنَّـةِ الَّتِــي ... تَنَاسَى رِجَالٌ ذِكْرَهَا في الْمَحَاضِرِ

وَقَـدْ أَبْدَلُوهَــا بالجـرائـد تَارةً ... وتِلْفَازِهِمْ رَأْسُ الشُرُورِ المَنَاكِـرِ

ومِذْياعِهِم أَيْضا فلا تَنْسَ شَـرَّهُ ... فكَمْ ضَاعَ مِن وَقْتٍ بِهَا بالْخَسَائِرِ

فصل : وإليك طَرَفا مِمَّا حَدَثَ بأَسْبَابِ النَّظَرِ إِلَى النّسَاءِ مِمَّا أَدَّى بالإنسان إلى ضَيَاعِ الوَقْتِ والأمراض وَآخرها الموت نسأل الله العافية سُقْناها لِتأْخُذَ حِذْرَكَ ولاتُهْمِلْ طَرْفَكَ فَيَجْنيْ عليكَ وَاسْمَعْ إلى قولِ مَن تَوَلَّعُوا بِنِسَاءِ عَفِيْفَاتٍ وكُنْ مُتيقِّظاً حَذِراً لِلاَّ تَقعَ فِي شَبَكَةِ العِشْقِ المُؤَدِيَةِ إلى ضَيَاعِ الوَقْتِ مِنَ النَّظَرِ إلى النِسَاءَ الأَجْنَبيّاتِ مِنْكَ خَشْيَةَ أَنْ تَقَعَ فِيمَا وقَعَ بِهِ بعْضُهُمْ .

قال بَعْض مَن ابْتَلي بذلِكَ فَمَرضَ وأَشْرَفَ على الموتِ نَسأَل الله العَافية .

(١) مَاذَا عَلَيْكِ إِذَا خُبِّرْتِ بِيْ دَنِفاً   رَهْنَ المنيّةِ يَوْماً أَنْ تَعُوْدِيْنِي
وَتَجْعَلِيْ نُطْفَةً فِي القُعْبِ بارِدَةً   فَتَغْمِسِيْ فَاكِ فِيْهَا ثُمّ تَسْقِيْنِي

آخـر :

(٢) قالُوا تَصبَّرْ فما هَذا الْجُنُونُ بِهَا   فَقُلْتُ يا قَومُ لَيْسَ القَلْبُ مِنْ قِبَلِيْ

آخـر :

قُلْ لِلْبَخِيْلَةِ بالسّلامِ تَوَرُّعاً   كَيْفَ استبحْت دَماً وَلَمْ تَتَورَّعِيْ
هَلْ تَسْمَحِيْنَ بِبَذْلِ أيْسَرَ نَائِلٍ   أَنْ أَشْتَكِي بَثِىْ إِلَيْكِ وتَسْمَعِيْ

آخـر :

(٣) أَجِدُ المَلاَمَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيْذَةً   حُباً لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَمُ
(٤) آخر : فَيَالَيْتَ أَنِّيْ يَوْمَ تَدْنُو مَنِيَّتِي   شَمَمْتُ الذِي مَا بَيْنَ عَيْنَكِ وَالفَمِ
وَلَيْتَ غَسِيْلِيْ كَانَ رِيْقُكِ كُلِهِ   وَلَيْتَ حَنُوطِي مِنْ مُشَاشِكِ والدَّمِ

آخـر :

(٥) وقائلةٍ مَاذَا الشّحُوبُ وذِي الضَنَّى   فَقُلْتُ لَهَا قَوْلَ المشُوق المُتَيَّمِ
أَتَانَا هَوَاكِ وهْوَ ضَيْفٌ أُعِزُّهُ   فاطْعَمْتُهُ لَحْمِيْ وَأَسْقَيْتُهُ دَمِيْ

آخـر :

(٦) لَئنْ سَأَنيْ أَنْ نِلْتِني بِمَسَاءَةٍ   لَقَدْ سَرّنِيْ أَنِيْ خَطَرْتُ بِبَالِكِ

(٧) آخر : يَصِفُ حَالَه مَعَ مَعْشوقتِه التي تَوَلّعَ بها :

كَعُصْفُورَة في كَفّ طِفْلٍ يُهِينُهَا ... تَذُوْقُ مَرارَ الموتِ والطِّفْلُ يَلْعَبُ
فَلَا الطِّفلُ ذُوْ عَقْلٍ يَرِقُّ لِحَالِهَا ... وَلَا الطَّيْرُ مَتْرُوْكَ الجَنَاحَيْن يَذهَبُ

(٨) آخر :

إِذَا مَا الْتَقِينَا والوُشَاةُ بِمَجْلِسٍ ... فَلَيسَ لنَارُ سَلٌ سَوى الطَّرْف لِلطَّرفِ
وإنْ غَفَلَ الوَاشُوْنَ فُزْتُ بِنَظْرةٍ ... وإنْ نَظَرُوا نَحوْي نَظَرتُ إلى السَّقَفِ

(٩) آخـــر :

أفْدي بِرُوْحِي مَنْ شَبَّهْتُ طَلْعَتَهَا ... بِطَلْعَتِ الشَّمْسِ فاغْتَاضَتْ لِتَشْبِيْهِي
قَالَتْ أَلِلشَّمْسِ طَرْفٌ مِثْلُ طَرْفِي ذَا ... إنْ كُنْتَ تفْهَمُ مَعْنَى مِنَ مَعَانِيْهِ
أَوْ هَلْ بِهَا مِثْلُ خَدِّيْ في تَوَرُّدِهِ ... أَوْ هَلْ بِهَا مِثْلُ قَدّ في تَثَنِّيْـــهِ
فَقُلْتُ دُوْنَكِ فاقتصــيْ بِلَا حَرجٍ ... هَذا لِسَانِيْ الَّذِيْ أَخطَا فَعُضِّيْهِ

(١٠) آخـــر : مُبَالِغٌ في الكَـــذِبْ

قَدْ كَانَ لِيْ قَبْلَ الهَوَى خَاتَمٌ ... وَالْيَـــوْمَ لَوْ شِئْتُ تَمَنْطَـقْتُ بِهْ
فَنِيْتُ حَتَّـــى صِرْتُ لَوْ زُجَّ بِيْ ... فِي مُقْلِـةِ الوَسْنَـانِ لَمْ يَنْتَبـــهْ

(١١) آخـــر :

وَهَيْفَاءُ لَا أُصْغِيْ إِلَىَ مَنْ يَلُومُنِيْ ... عَلَيْهَا وَيُغْرِيْنِي بِهَا أَنْ أَعِيْبَهَـــا
أَمِيْلُ بِإِحْدَى مُقْلَتَــيَّ إذَا بَدَتْ ... إِلَيْهَا وَبالأُخْرَى أُرَاعِيْ رَقِيْبَهَـــا
وَقَدْ غَفَل الْوَاشِيْ وَلم يَدْرِ أَنَّنِيْ ... أَخَذْتُ لِعَيْنِي مِنْ سُلَيْمَى نَصِيْبَهَا

(١٢) آخـــر :

ثِقِي بالذي في القَلْبِ مِنك فَإِنَّـهُ ... عَظِيْمٌ لَقَدْ حَصَّنْتُ سِرِّكِ فِي سِرِّي

(١٣) آخـــر :

أُعَانِقُهَـــا والنَّفْــسُ بَعْــدُ مَشُوْقَةٌ ... إِلَيْهَـا وَهَـلْ بَعْدَ العِنَـــاقِ تَدَانِي
وأَلْثِمُ فَاهَـا كَيْ تَزُوْلَ حَرَارَتِـــيْ ... فَيشْتَـدُّ ما أَلقَـــىَ مِن الْهَيَمَانِـــيْ

(١٤) آخــــر :

وَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَالدُّمُوعُ سَوَاجِـمٌ ... خَرِسْتُ وَطَرْفِي بِالْهَوَى يَتَكَلَّـمُ
حَوَاجِبُنَا تَقْضِي الحَوَائِجَ بَيْنَنَـا ... وَنَحْـنُ سُكُوتٌ وَالْهَوَى يَتَكَلَّـمُ

(١٥) آخِــر :

تَسَاهَمَ ثَوْبَاهَا فَفِي الدِّرْعِ رَأْدَةٌ ... وَفِي المِرْطِ لَفَّاوَانِ رِدْ فُهُمَا عَبْلُ
فَوَ اللهِ مَا أَدْرِي أَزِيدَتْ مَلَاحَةً ... وَحُسْناً على النِّسْوَانِ أَمْ لَيْسَ لِي عَقْلُ

آخر: لَئِنْ طلبوا مني لِدَعْوايَ شَاهِداً ... فَإِنَّ شُهُـوْدِيْ أَرْبَـعٌ ثم أَرْبَـعُ
نُحُوْلٌ وَذُلٌّ وَاشْتِيَـاقٌ وغُرْبَـةٌ ... وَوَجْـدٌ وَأَشْجَـانٌ وصَدٌّ وَأَدْمُـعُ

آخر: أَمَا وَجَلَالِ اللهِ لَوْ تَذْكُرِيْنَنِـي ... كَذِكْرِيْكِ مَا كَفْكَفْتِ لِلْعَيْنِ مَدْمَعَا
فَقَالَتْ بَلَى وَاللهِ ذِكْراً لَوْ أَنَّـهُ ... يُصَبُّ على صُمِّ الصَّفَا لَتَصَدَّعَـا

آخــر :

سَلَبْتِ عِظَامِيْ كُلَّهَا فَتَرَكْتِهَـا ... مُجَرَّدَةً تُضْحِي لَدَيْكِ وَتُحْضَـرُ
وَأَخْلَيْتِهَا مِنْ مُخِّهَا فَكَأَنَّهَـا ... أَنَابِيْبُ فِي أَجْوَافِهَا الرِّيْحُ تَصْفِـرُ
إِذَا سَمِعَتْ بِاسْمِ الحَبِيْبِ تَقَعْقَعَتْ ... مَفَاصِلُهَا مِن خَوْفِ مَا هِيَ تَنْظُرُ
خُذِيْ بِيَدِي ثُمَّ ارْفَعِ الثَّوْبَ تَنْظُرِي ... ضَنَى جَسَدِيْ لَكِنَّنِي أَتَسَتَّـرُ
وَلَيْسَ الذي يَجْرِيْ مِنَ العَيْنِ مَاؤُهَا ... وَلَكِنَّهَا رُوْحِيْ تَذُوبُ فَتَقْطُـرُ

آخــر :

وَإِنِّي لَتَعْرُوْنِي لِذِكْرَاكِ رَوْعَـةٌ ... لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالعِظَامِ دَبِيْـبُ
فَمَا هُوَ إِلاَّ أَنْ أَرَاهَا فُجَـاءَةً ... فَأُبْهَتُ حَتَّى لا أَكَادُ أُجِيْـبُ

آخــر :

هَلِ الحُبُّ إِلاَّ زَفْرَةٌ بَعْدَ زَفْـرَةٍ ... وَحَرٌّ عَلَى الأَجْسَادِ لَيْسَ له بَرْدُ
وَفَيْضُ دُمُوْعٍ تَسْتَهِلُّ إِذا بَـدَا ... لَنَا عَلَمٌ مِن أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو

آخـــــر :

وَلَمَّا وَقَفْنَا والرسَّـــائلُ بَيْنَنَـــا دُمُوعٌ نَهَاهَا الوُجْدُ أَنْ تَتَوقَّفَـــا
ذَكَرْنَا اللَّيالِيْ في العَقِيْقِ وَظِلَّهَا ألـ نِيْقِ فَقَطَّعْنَ القُلُوبَ تَأَسُّفَـــا

آخـــــر :

وإنِّي لَتَعْرُوْنِ لِذِكْرَاكِ هَـــزَّةٌ كَمَا انْتَفَضَ العُصْفُورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ

آخـــــر :

وأَخْرَجُ مِن بَيْنِ البُيُوتِ لَعَلَّنِـــي أُحَدِّثُ عَنْكِ النَّفْسَ في السِرِ خَالِيَا

آخر : لَيْتَنِي إِذَا رأيتُهَا كُلِّي عُيُوْنْ فَبِعَيْنَيْـــنِ فَلَسْتُ مِنْهَـــا أَشْبَـــعُ

آخر : لِيْ في مَحَبَّتِهَا شهُودُ أُرْبَعٌ وَشُهُـــودُ كُلِ قَضِيِّـــةٍ إِثْنَـــانِ
خَفَقَانُ قَلْبِيْ واضْطِرابُ جَوَانِحِيْ ونُحُـولُ جِسْمِي وانْعِقَادُ لِسَانِـيْ

آخر : حَمِدْتُ إِلَهِيْ إِذْ بَلَانِيْ بِحُبِّهَا عَلَى حَوَل أَغْنَى عَنِ النَّظرِ الشَّزرِ
نَظَـرتُ إلَيْهَـا والرَّقِـيْبُ يَظُنُنِـــيْ نَظَرْتُ إليهِ فَاسْتَرَحْتُ مِنَ العُـذْرِ

أَتَبْكِيْ عَلى لبْنَى وأَنْتَ تَرَكتهَا فَكُنتَ كَآتٍ حَتْفِهُ وهوَ طَـــائِعُ
فَيَا قَلْبُ خَبِرْنِي إِذَا شَطَّتِ النَّوىَ بِلُبْنَى وبَانَتْ عَنْكَ مَا أَنْتَ صَانِعُ

وَإِلَيْكَ من قصيدة طويلة قيل إِنَّهُ إدَّعَاهَا شُعَراءُ كثيرون نَقْتَصِرُ عَلى سِيَاق بُعضِها خَوفَ الملل لِأَنها حولَ المائة منهـــا :

خُذُوْا بِدَمِيْ ذَاتَ الوشاج فإنني رَأَيْتُ بِعَيْن في أَنَامِلِهَـــا دَمِـــيْ
وَلَا تَقْتُلُوهَا إنْ ظَفِرتُم بِقَتْلِهَـــا ولكِنْ سَلُوهَا كَيْفَ حَلَّ لَهَا دَمِي
وَقُولُوا لَهَا يامُنيَةَ النَّفْسِ إِنَّنِـــيْ قَتِيلُ الهَوى والعِشقِ لو كُنْتِ تَعْلَمِيْ

آخـــــر :

لو كانَ لِيْ صَبْرُهَا أَوْ عِنْدُهَا جَزَعِيْ لَكُنْتُ أَمْلِكُ ما آتِي وَمَا أَدَعُ
إِذَا دَعَا باسْمِهَا دَاعٍ لِيُحْزِنَنِـــي كادَتْ لَهُ شُعْبَةٌ مِن مُهْجَتِي تَقَعُ

آخـــــر :

لم يَبْقَ لِيْ بَعْدَكُمْ رَسْمٌ ولا طَلَلُ إِلاَّ وِللشَّوْقِ فِي حَافَاتِهِ عَمَـــلُ

إذا شَمَمْتُ نَسِيْماً مِنْ بِلادِكُـــم فَقَدْتُ عَقْلِي كَأَنِي شارِبٌ ثِمَــلُ

آخـــر :

أَدِيْرِ لِحَاظَ القَلْبِ فِيَّ لِتَنْظُـرِي إلَى مُفْلِسٍ مِن صَبْرِهِ عَنْكِ مُعْدِمِ
ولا تُرْسِلِيْ هَذِي اللَّوَاحَظَ كُلَّهَا فَواحِدَةٌ تَكفِيْكِ قَتْلَ المُتَيَّـــمِ

آخـــر :

أَقُولُ لِعَيْنِي حِيْنَ جَادَتْ بدَمْعِهَا وإنسَانُها في لُجَّةِ الدَّمْعِ يَغْـــرَقُ
خُذِيْ بنَصِيْبٍ مِن مَحَاسِنِ وجْهِهَا ذَرِي الدّمْعَ لِلْيَومِ الذي نَتَفَــرَّق

آخـــر :

أَقُولُ لَهَا رُدّيْ الحَدِيْثَ الذيِ انْقَضَى وَذِكْراكِ مِن ذَاكَ الحَدِيثِ أُرِيْدُ
يُجَدِّدْ تَذْكَارُ الحَدِيث مَوَدَّتِيْ فَذِكْرُكِ عِنْدي والحَدِيْثُ جَدِيْدُ
أُنَاشِدُهــا إلاَّ تُعِيْـــدُ حَدِيْثَهَـــا كَأَنِّـيّ بَطِـيْءَ الفَهْمِ حِيْـنَ تُعِيْدُ
آخر: أَفْدِي بِرُوْحِيْ مَنْ شَبَّهْتُ طَلْعَتَهَا بِطَلْعَةِ الشمس فَاغْتَاظَتْ لِتَشبِيْهِيْ
قَالَتْ أَلِلشَّمْسِ طَرْفٌ مِثْلُ طَرْفِي ذَا إِنْ كُنْتَ تَفْهَمُ مَعْنى مِنْ مَعَانِيْـهِ
أَوْهَلْ بِهَا مِثْلُ خَـدّي في تَوَرُّدِهِ أَوْهَـلْ لَهَـا مِثْلُ قَدِّيْ في تثنّيْـــهِ
آخر : يَعُدُّ عَليَّ الوَاشِيَانِ ذُنُوبَهَا وَمِنْ أيـنَ لِلوَجْـهِ المَلِيْحِ ذُنُوْبُ
آخر: وَإِيَّاكَ ذِكْرَ العَامِرِيَّةِ إنَّنِـــي أُغَارُ عَلَيْهَا مِنْ فَمِ المُتَكَلِّـــمِ
أُغَارَ عَلَيْهَا مِنْ أَبِيْهَا وأُمِّهَـــا ومِنْ مَضْغَةِ المِسْوَاكِ إذْ مُصَّ في الفَمِ
أُغارُ عَلَى أَعْطَافِهَا مِن ثِيَابهَـــا إذَا وَضَعَتها فُوقَ جِسْمٍ مُنَعَّـــمِ
وَأَحْسُدُ كَاسَاتٍ يُقَبِّلْنَ ثَغْرَهَـــا إذَا وَضَعَتْهَا مَوْضِعَ اللَّثْمِ في الفَمِ
عِرَاقِيَّةُ الأطْرافِ مَكِيَّةُ الحَشَـــا حِجَازِيَةُ العَيْنَيْنِ طَائِيَةُ الفَـــمِ

ومنهـــا :

لَهَا حُكْمُ لُقْمانٍ وصُورَةُ يُوْسُـــفٍ وَنَغْمَةُ دَاوُوْدٍ وعِفَّةُ مَرْيَـــمِ
وَلِيْ ضُرُّ أَيُّوبٍ وَوَحْشَةُ يُوْنُسٍ وأَحْزَانُ يَعْقُوْبٍ وحَسْـــرَةُ آدَمِ

آخـــــر :

والله ما طَلَعَتْ شَمْسٌ ولا غَرَبَتْ إلاَّ وأنْتِ مُنَى قَلْبِي وَوَسْوَاسِـــي
ولا جَلَسْتُ إلىَ قَومٍ أُحَدِّثُهُــمْ إلاَّ وأنْتِ حَدِيثِي بَيْنَ جُلَّاسِـي
ولا هَمَمْتُ بِشُرْبِ الماءِ مِنْ عَطَشٍ إلاَّ رَأَيْتَ خَيَالاً مِنْكِ في الكَأْسِ

آخـــــر :

رُوحِي إلَيْكِ بِكُلِّهَا قد أَجْمَعَتْ لَوْ كَانَ فِيْكِ هَلاكُهَا مَا أَقْلَعَتْ
تَبْكِي عَلَيْكِ بِكُلِهَا عَنْ كُلِّهَـــا حَتَّى يُقَالَ مِنَ البُكَاءِ تَقَطَّعَـــتْ

آخـــــر :

وَلِي عَبَرَاتٌ تَسْتَهِلُ صَبَـــابَةً عَلَيْكِ إذَا بَرْقُ الغَمامِ تَأَلَّقَــــا
أَلِفتُ الهَوى حَتَّى حَلَتْ لِي صُرُوْفُهُ ورُبَّ نَعِيْمٍ كَانَ جَالِبُهُ شَقَــــا
وَأَذْهَلُ حَتَّى أَحْسِبُ الصَّدَ والنَّوى بِمُعْتَرَكِ الذِكْرَى وِصَالاً ومُلْتَقَـــى
فَهَا أَنَاَ ذُوْ حَالَيْنِ أَمَّا تَلَذُّذِيْ فَحَيٌّ وَأَمَّاَ سَلْوَتِيْ فَلَكِ البَقَــــا

آخر: مَا كَانَ ضَرَّكِ يَا شَقِيقَةَ مُهْجَتِي لَوْ أَنْ بَعَـثْت تَحِيَّـةً تُحْيِيْنِـي
زَكِّيْ جَمَالاً أَنْتِ عَنْـهُ غَنِيَّـةٌ وَتَصَدَّقِي مِنْهُ عَلَىَ المِسْكَيْـــنِ

آخر : ورأَيتُهَا في الطِّرس تكْتبُ مَرَّةً غَلَطاً وتَمْحُوْ خَطَّهَا بِرِضَا بِهَـــا
فَوَدِدْت لَوْ أَنِّي أُكُــوْنُ صَحِيْفَـةً وَوَدِدْتُ أنْ لَا تَهْتَـدِي لِصَوَابِهَـا

آخر: أُمْسِيْ وأُصْبُحُ مِنْ تَذْكَـارِكُم قَلِقاً يَرْثِيْ لِيْ المُشْفِقَانِ الأَهلِ والْوَلَـدُ
قد خَدَّدَ الدَّمْعُ خَدِّي مِنْ تَذَكُّرِكُم واعْتَادَنِي المُضْنِيَان الشَّوقُ والكَمَدُ
وغَابَ عن مُقْلَتِي نَومِيْ فَنَافَرَهَا وخَانَنِيْ المُسْعِدَانِ الصَّبْرُ والجَلَدُ
لا غَرْوَ لِلدَّمْعِ أَنْ تَجْرِيْ غَوَارِبُهُ وتَحْتَهُ الخَافِقَانِ القَلْبُ والكَبِـدُ
كَأَنَّمَا مُهْجَتِي نِضْوٌ بِبَلْقَعَــةٍ يَعْتَادَهُ الضَّارِيَانِ الذِّئْبُ والأَسَـدُ
لَمْ يَبْقَ إلاَّ خَفِيُّ الرُّوحِ فِي جَسَدِي فِداؤُكِ البَاقِيَانِ الرُّوحُ والجَسَـدُ

آخـــــر :

رُدُّوا المَطِيَّ وَإلا رَدُّهَا نَفَسِـــيْ وَأَدْمُعِي فَهُمَا سَيْلٌ وَنِيْـــرَانُ

يَاسَائِقَ الظَعْنِ قَلْبِيْ فِي رِحَالِكُمُوْا ... أَمَانَةٌ رَعْيُهَا والحِفْظُ إِيْمَــانُ

آخـــر :

وَكَانَ فُؤَادِيْ خَالِياً قَبْلَ حُبِّكُــمُ ... وكان بِذِكْرِ الخَلْقِ يَلْهُوْ ويَمْــرحُ

فَلَمَّا دَعَى قَلْبِيْ هَوَاكِ أَجَـــابَهُ ... فَلَيْسَ أَرَاهُ عَنْ فِنَائِكِ يَبْــرَحُ

رُمِيْتُ بِبُعْدٍ مِنْكِ إِنْ كُنْتُ كَاذِباً ... وإِنْ كُنْتُ فِي الدنيا بِغَيْرِكِ أَفْــرَحُ

فإِنْ شِئْتِ وَاصِلْتِيْ وإِنْ شِئْتِ فَاقْطَعِي ... فَلَسْتُ أَرَى قَلْبِيْ لِغَيْرِكِ يَصْــلَحُ

آخـــر :

وإِنِّي إِذا اصْطَكَتْ رِقَابُ مَطِيِّكُم ... وثَوَّرَ حَادٍ بِالرِّفَاقِ عَجُــولُ

أُخَالِفُ بَيْنَ الراحَتَيْنِ عَلَى الحَشَا ... وأَنْظُرُ أَنَّى مِلْتُمُ فَأَمِيْــلُ

آخـــر :

وفي حُبِّ ذاتِ الخَالِ لامَتْ عِصَابَةٌ ... يَظُنُّونَ أَنِي لَسْتُ بالرُوحِ أَسْمَحُ

يَقِيْسُونَ حَالي فِي الغَرَامِ بِحَالِهِمْ ... وَكُلُّ إِنَاءٍ بالذِي فيه يَنْضَــحُ

آخـــر :

وعِزَّةِ الله ما لِيْ عَنْكُمُ عِــوَضٌ ... ولَيْسَ لِيْ بِسِوَاكُم بَعْدَكُم غَرَضُ

وِمِن حَدِيْثِيْ بِكُم قالوا به مَرَضٌ ... فَقُلْتُ لا زَالَ عَنِيْ ذَلِكَ المَــرضُ

آخر : فَفِي بُعْدِهَا عَنِّيْ وَفَاتِي وَقُرْبِهَا ... حَيَاتِـيْ وَإِسْعَـادِيْ وَنَيْـلُ مَرامِــيْ

ومِن وِجْنَتَيْهَا نارُ وُجْدِي وخِصْرُهَا ... نُحُوْلِيْ وَمِنْ سُقْمِ الجُفُوْنِ سِقَامِيْ

فكُنْ عَاذِرِيْ يا عَاذِلِيْ فَدَلَالُهَــا ... دَلِيْلٌ عَلَى وِجْدِيْ بِهَا وغَرامِي

آخـر : تجول خلاخِيلُ النِساءِ وَلَا أَرَى ... لِرَمْلَةَ خِلْخَالا يَجُوْلُ وَلا قُلْبَا

أُحِبُّ بَنِي العَوامِ مِنَ أَجْلِ حُبهَا ... وَمِنْ أَجْلِهَا أَحْبَبْتُ أَخوالَهَا كَلْبَا

آخر : نَالَتْ عَلى يَدِهَا ما لم تَنَلْهُ يَــدِى ... نَقْشاً على مِعْصَمٍ أَوْهَتْ بِهِ جَلَدِي

كَأَنَّه طُرْقُ نَمْلٍ فِي أَنَامِلِهَـــا ... أو رَوْضَةٌ رَصَّعَتْهَا السُّحْبُ بالبَرَدِ

سَأَلْتُهَا الوَصْلَ قَالَتْ لا تَكُنْ عَبِثا ... مَن رَامَ مِنَّا وِصَالاً مَاتَ بالكَمَــدِ

إلى أن قال :

واسترْجَعَتْ سَأَلَتْ عَني فَقِيْلَ لَهَا ما فيه مِنْ رَمَقٍ دَقَّتْ يَداً بِيَدِي

آخر :

يَامُنْيَةَ القَلْبِ مَاجِيْدِ بِمُنْعَطِفٍ إلىٰ سِوَاكِ ولا حَبْلِي بِمُنْقَادِ
لَوْلَا المَحَبَّةُ ما أَكْثَرتُ ذِكْرَكُم ولا سَأَلْتُ حَمَامَ الرَّوْحِ إسْعَادي
ولا وَقَفْتُ على الوَادِيْ أُسَائِلُهُ بالدَّمعِ حَتَّى رَثَى سَاكِنُ الوَادِي

آخر :

مَا أَقْتَلَ الحُبَّ والإنسانُ يَجْهَلُهُ وَكُلُّ ما لَمْ يَذُقْهُ فَهْوَ مَجْهُولُ
رَاحَ الرُّمَاةُ إلىٰ بَعْضِ المَهَا فإذا بَعْضُ الرُّمَاةِ بِبَعْضِ الصَّيْدِ مَقْتُولُ

آخر :

إذا وَصِلْتُمْ إلىٰ وَادِي المُحِبِّ سَلُوا عن حَالِ مُنْقَطِعٍ أَوْدَى به السَّهَرُ
وفَتِّشُوا عن فُؤَادٍ هائِمٍ قَلِقٍ قَدْ ضَاعَ مِنِّي فَلا عَيْنٌ وَلا أَثَرُ

آخر : ودَّعْتُ قلبي حِيْنَ وَدَّعْتهمْ

آخر : عَشِقْتُكِ طِفْلاً واتَّخذْتُكِ سَيِّداًفَجرَّعْتِني بالصَّدِ فاتِحَةَ الرَّعْدِ
فبالله دَاوِيْنِي كما قد جَرَحْتِنِي بفاتِحَةِ الأعرافِ مِن رِيْقِكِ الشَّهْدِ

يُرِيْدُ بفَاتِحَةِ الرعدِ رسم السورة لِأَنَّ رسْمَهَا (المر) وبفاتحة الأعراف لِأَنَّ رَسْمَهَا (المص) يُرِيْدُ مَصَّ لِسانِ المَعْشوقَةِ لتَزُوْلَ حَرَارَةُ الشَّوق والوجْدِ والحِرمَان .

آخر: وَلوأنَّ مَابِيْ مِنْ جوى وَصَبَابَةٍ عَلَى جَمَلٍ لَمْ يَدخل النَّارَ كَافِرُ

إشارة إلى قول الله جَلَّ وعَلا ﴿ إنَّ الذِيْنَ كَذَّبُوا بآياتِنا واسْتَكْبَرُوا عنها لا تفتح لَهُمْ أبوابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَملُ في سَمِّ الخِيَاطِ ﴾ .

آخر: حَمَلْتُ جِبَالَ الحُبِ فِيْكَ وَإِنَّنِي لَأَعْجَزُ عن حَمْلِ القَمِيْصِ وَأَضْعُفُ
ومَا الحُبُّ مِنْ حُسْنٍ ولا من سَمَاحَةٍ وَلكِنَّهُ شَيْءٌ بِهِ الرُّوْحُ تَكْلَفُ

آخر : لو عَايَنَتْ عَيْنَاكَ حسْنُ مُسقِمَتِي ... مَا لُمْتَنِي وَلَكُنْتَ أَوَّلَ مَنْ عَذَرْ
عَيْنُ الرَّشاقَدُّ النَّقَــارِدْفُ النَّقَــا ... شَعْرُ الدُّجى شَمْسُ الضُحَى وَجْهُ القَمَرْ
آخر : أقولُ وقَدْ جَدَّ الغَرامُ بِمُهْجَتي ... وفاضَتْ جُفونِي بَعْدَ أدْمُعِهَا دَمَا
إذَا شِئْتَ أنْ تَلْقى مِن الناسِ مَيِّتاً ... عَلى صُوْرَةِ الأَحْياءِ فالْقى مُتَيَّمَا
آخــــر :
وأَنْتَ الذِي مَا مِن صَدِيقٍ ولَا أخٍ ... يَرَى نِضْوَمَا أَبْقَيْتِ إلاَّ أَوَى لِيَا
أُحِبُّ مِن الأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ اسْمَهَا ... وَأَشْبَهَهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَا
وإنِّي لَا أَسْتَنْعِسُ وما بِي نِعْسَةٌ ... لَعَلَّ خَيالاً مِنْكِ يَلْقَى خَيالِيَا
هِيَ السِّحْرُ إلاَّ أنَّ لِلسِّحْرِ رُقْيَة ... وإنِّي لا أَلْقَى لِسِحْرِيَ رَاقِيَا
إذَا نَحْنُ أَدْلَجْنا وَأَنْتِ أمَامَنَا ... كَفَى لمِطَايَانا بِذِكرِكِ هَادِيَا
إلى إنْ قَال :
عَلَى مِثْلِ لَيْلَى يَقْتُلُ المَرْء نَفْسَهُ ... وإنْ كَانَ مِن لَيْلَى عَلَى الهَجْرِ طَاوِيَا
آخــــر :
أَعدُّ الليالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ ... وقَدْ عِشْتُ دَهْراً لا أعُدُّ اللَّيَالِيَا
وَأَخْرُجُ من بَيْنِ البيُوتِ لَعَلَّنِي ... أُحَدِّثُ عَنْكِ النَّفْسَ باللَّيلِ خَالِيَا
آخر :
ولَماً دَنَى مِنِّيْ السِّيَاقُ تَعَطَّفَتْ ... عَلَيَّ وعِنْدِي عن تَعَطُّفِهَا شُغْلُ
أَتَتْ وَحِيَاضُ الموتِ بَيْني وَبَيْنَهَا ... وَجَادَتْ بوَصْلٍ حَيْنَ لا يَنفَعُ الوَصْلُ
واسْمَعْ إلى قولِ أَحدِ العشاقِ المبالِغِين فى الكذِب واسْأَلْ رَبَّكَ العَافِيَة .
كُلُ العَذَاب الذي في الناسِ مُسْتَرَقٌ ... مِمَّا بِقَلْبِيَ مِنْ شَوْقٍ وَتَذْكَارِ
لَوْلا مَدَامِعُ عُشَّاقٍ ولَوْ عَتُهُمْ ... لَبَانَ في النَّاسِ عِزُّ الْمَاءِ وَالنَّارِ
فَكُلُ نار فمِنْ أَنْفَاسِهِم قَدَحَتْ ... وَكَلُ مَاء فَمِنْ دَمْع لهُمْ جَارِي
آخر : سَأَلْتُهَا عَنْ فؤَادِيْ أيْنَ مَوْضِعُهُ ... فإنَّهُ ضَلَّ عَنّيْ عِنْدَ مَسْرَاهَا
قَالَتْ لَدَيْنَا قُلُوبٌ جَمَّةٌ جُمِعَتْ ... فَأَيُّهَا أَنْتَ تَعْنِيْ قُلْتُ أشْقَاهَا

آخر: وَمِنْ عَجَبٍ أنْ يحرِسُوْكِ بِخَادِمٍ ... وَخُدَّامُ هَذَا الحُسْنِ مِنْ ذَاكَ أَكْثَرُ
عِذارُكِ رَيْحَانٌ وَثَغْرُكِ جَوْهَـرٌ ... وَخَدُّكِ يَاقُوتٌ وَخَالُكِ عَنْبَـرُ

آخر: بَدَالي منها مِعْصَمٌ حِيْنَ جَمَّرتْ ... وكَفٌّ خَضِيْبٌ زُيِّنَتْ بِبَنَـانِ
فَوَاللهِ مَا أَدْرِي وإِنْ كُنْتُ دَارِيـا ... بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أَمْ بِثَمَـانِ

آخـر:

وكُنْتِ كَذَبَّاحِ العَصَافِيرِ دَائِبـاً ... وَعَيْنَاهُ مِن وَجْدٍ عَلَيهِنَّ تُهْمِـلُ
فَلاَ تَنْظُرِي لَيْلَى إِلىَ العَيْنِ وانْظُرِي ... إِلىَ الكَفِّ ماذا بالعَصَافِيرِ تَفْعَلُ

آخـر:

فَلَوْ كانَ لِي قَلْبَانِ عِشْتُ بَواحِـدٍ ... وَخَلَّيتُ قَلْباً فِي هَوَاكِ يُعَـذَّبُ
وَلِكنمَّا أَحْيَا بِقَلْبٍ مُـرَوَّعٍ ... فَلا العَيْشُ يَصْفُوْ لِيْ ولاالموتُ يَقْرُبُ
تَعَلَّمْتُ أَلْوَانَ الرِّضَا خَوْفَ سُخْطِهَا ... وعَلَّمَهَا حُبِّيْ لَهَا كَيْفَ تَغْضَـبُ

آخـر:

جَرَى السَّيْلُ فاسْتَبْكانِي السَّيْلُ إِذْ جرَى ... وفاضَتْ لَهُ مِن مُقْلتِيَّ غُـرُوْبُ
ومَا ذَاكَ إِلاَّ أَنْ تَيَقَّنْتُ أَنَّـنِي ... أَمُرُّ بَوادٍ أنْتِ منـهُ قَـرِيْبُ

آخـر:

أُسِرُّ الذي بِيْ والدُّمُوعُ تَبُـوْحُ ... وجِسْمِي سَقِيْمٌ والفُؤَادُ قَـرِيْحُ
وَبَيْنَ ظُلُوْعِيْ لَوْعَةٌ لَمْ أَزَلْ بِهَـا ... أَذُوْبُ إِشْتِيَاقاً والفُؤَادُ صَحِيْـحُ

آخـر:

عَلِقْتُ الهَوى مِنْهَا وَلِيْداً فَلَم يَزَلْ ... إلى اليومِ يَنْمِي حُبُّهَا ويَزِيْـدُ
إِذَا قُلْتُ مَا بِيْ يَا بُثَيْنَةُ قاتِلِـيْ ... مِن الحَبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَيَزِيْـدُ
وإِنْ قُلْتُ رُدِّيْ بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ ... مَعَ الناسِ قَالَتْ ذَاكَ مِنْكَ بَعِيْـدُ

آخـر:

وإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلىَ رِيْحِ جَيْبِهَـا ... وحَلَّتْ مَكَاناً لم يَكُنْ حُلَّ مِن قَبْلُ

آخــــر :

مَحَاجُبُهَا حُبٌّ الأُولى كُنَّ قَبْلَهَا — وحَلَّت مَكَاناً لم يَكنْ حُلَّ مِنْ قَبْلُ

آخر: لَيْلى وَلَيْلِيْ نَفى نومِيْ اختِلافُهُمَا — في الطَّوْلِ والطُّوْلِ طُوْبَى لي لَوْ اعْتَدَلَا

يَجُوْدُ بالطُولِ لَيْلِي كُلمَّا بَخِلَتْ — بالطَّوْلِ لَيْلَى وإنْ جَادَتْ بِهِ بَخِلَا

آخر: بِرَغمِيْ أُطِيلُ الصَّدَّ عَنْهَا إِذَا نَأَتْ — أُحَاذِرُ أَسْمَاعاً عَلَيْهَا وَأَعْيُنَا

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوىَ — فَصَادَفَ قَلْبَاً خَالِياً فَتَمَكَّنَا

آخر: نَهَارِيْ نَهَارُ الناسِ حتى إذَا بَدَا — لي الليل هَزَّتني إِلَيْكِ المَضَاجِعُ

أُقَضِيْ نَهَارِي بالحَدَيْثِ وبالمُنَى — ويَجْمَعُنِي والهم بالليلِ جَامِعُ

آخــــر :

وَلمَّا شكَوْتُ الحُبَّ قَالَتْ كَذَبتنِي — فما لِيْ أُرَى الأَعْضَاءَ مِنْكَ كَواسِيَا

فلا حُب حتى يَلْصَقُ الجلدُ بالحَشَا — وتَذْهَل حتى ما تجيب المُنَادِيَا

آخر: وَمِمَّا دَهَانِيْ أنهَّا يَوْم أَعْرَضَتْ — تَوَلَّتْ وَمَاء العَيْنِ في الجفْنِ حَائِرُ

فلما أعَادِتْ مِنْ بِعِيْدِ بِنَظْرةٍ — إلَيَّ التِفَاتاً أَسْبَلَتْهُ المَحَاجِرُ

آخر : وَلَكنَّمَا أَفْشَاهُ دَمْعِيْ وَرُبَّمَا — أَتَى المَرْءِ مَا يَخْشَا مَنْ حَيْثُ لَا يَدرَيْ

آخر: لاوَ الذِّي جَعَل الغَصُونَ مَعَاطِفاً — لَهُمُوْا وَصَاغَ الأَقْحُوانَ ثُغُوْرَا

مَا مَرَّ رِيْحُ الصِّبَا مِن أَرضِهِمْ — إلاَّ شَهِقْتُ لَهُ فَعَادَ سَعِيْرَا

آخر: رَمَتْني واسْتَتَرتْ في خِدْرهَا وكذَاْلِ — قَنَّاصُ إنْ رَامَ صَيْد الآبدِ اسْتَتَرا

فَرُبَّ صَبٍّ تَمَنَّى أَنَّهُ حَجَرٌ — في البَيْتِ حِيْنَ أُكَبَّتْ تَلْثُمُ الحَجَرَا

آخر : لِيْ في القُدُوْدِ وفي ضَمِّ النُّهود وَفي — لَثْمِ الخُدُوْدِ لُبَانَاتٌ وَأَوْطَارُ

هَذَا اخْتِيَارِيْ فَوَافِقْ إنْ رَضِيْتَ بِهِ — أَوْلَا فدَعْنِي ومَا أَهْوَى وَأَخْتَارُ

لُمْنِيْ جُزَافاً وَسَامِحْنِي مُصارَفَةً — فا الناسُ في دَرَجاتِ الحُبِّ أَطْوَارُ

آخر: بَدَا فأرَانِي الظَّبْيَ والغُصْنَ والبَدْرَا — فَتَباً لِقَلْبٍ لَا يَبِيْتُ بِهِ مُغْرَا

بَدِيْعُ جَمَالٍ كُلُّ مَا فِيهِ مُعْجِــــزٌ مِنَ الحُسْنِ لَكِـنْ وَجْهُهَـا الآيَةُ الكُبْـرَى
أَقَامَ بِلَالُ الخَالِ في صَحْنِ خَدِّهَا يُرَاقِبُ مِنْ لَأْلَاءِ غُرَّتِهَا الفَجْـــرَا
آخر : يُذَكِّرنِي عَهْدَ النَّجاشي خَالُهَا وَأَجْفَانُهَا الوَسْنَى تُذَكِّرُنِي كِسْرَى
يَمِيْـلُ بِهَـا خَمْـرُ الـدَّلَالِ كَأَنَّمَـا مَعَاطِفَهَا مِن خَمْرِ أَلْحَاضِهَا سَكْرَى
آخر : ومَنْ لِيَ بِجِسْمٍ أَشْتَكِي مِنْهُ بالفَنـا وَقَلْـبٍ فأَشْكُـوْا مِنْـهُ بالْخَفَقَــانِ
وما عِشْتُ حَتَّى الآنَ إلاَّ لأَنَّنِـي خَفِيْتُ فَلَـمْ يَدْرُ الحِمَامُ مَكَانِـيْ
ولو أَنَّ عُمْرُيْ عُمْـرُ نُوْحٍ وبِعْتُهُ بِسَاعَـةِ وَصْلٍ مِنْكِ قُلْتُ كَفَانِـيْ
إِذَا اليَأْسُ ناجَى النَّفْسَ مِنْكِ بِلَنْ وَلا أَجَـابَتْ ظُنُونـي رُبَّمَـا وَعَسَانِــيْ
آخر : أَضُمُّ عَلَى الدّاءِ الدَّفِيْـنِ جَوَانِحِـيْ وَأُظْهِرُ مِنْ خَوْفِ الرَّقِيْبِ بَشَاشَتِيْ
ولَيْسَ تَلَافِي مُذْ رُمِيْتُ بِهَجْرِهَـا عَجِيْبـاً وَلَكِنَّ العَجِيْبَ سَلَامَتِيْ
لَهَـــا قَدٌّ عَسَّالٍ وحُسْنٌ مُعَتَّـــقٍ وَلِيْ قَلْبُ مَحْـزُوْنٍ وَنَظْـرَةُ بَاهِـتِ
آخر : وَلَمَّا الْتَقَيْنَا والنَّوَى ورَقِيْبُنا غَفُـلانِ عَنَّاظِلْـتُ أَبْكِـيْ وَتَبْسِـمُ
فَلَمْ أَرَى بَدْراً ضَاحِكاً قَبْلَ وَجْهِهَا وَلَـمْ تَرى قَبْلِـيْ مَيِّتـــاً يَتَكَلَّــمُ
ظَلُوْمٌ كَمتْنَيْهَـا لِصَبٍّ كَخِصرِهَا ضَعِيْفُ القُـوى مِنْ فِعْلِهَـا يَتَظَلَّـمُ
بِفَـرعٍ يُعِيْـدُ اللَّيْـلَ والصُّبْـحُ نيِّـرٌ وَوَجْـهٍ يُعِيْدُ الصُّبْحَ وَاللَّيْـلُ مُظْلِـمُ
أَثَـافٍ بِهَـا مَا بِالفُـؤَادِ مِنِ الصَّلَى وَرَسْمٌ كَجِسْمِـيْ نَاحِـلٌ مُتَهَـدِّمُ
آخر : قالُوْا عَهِدْنَاكَ مِن أَهْلِ الرَّشَادِ فَمَـا أَغْـوَاكَ قُلْتُ اطْلُبـوْا مِنْ لَحْظِهَـا السَّبَبَا
مَنْ صَاغَهَا اللهُ مَنْ مَاءَ الحَيَاةِ وقَدْ أَجْـرَى بِقِيَّتِهَا في ثَغْرِهَا شَنَبَـــا
مَاذَا تَرَيْ في مُحِبٍّ مَا ذُكَرْتِ لَهُ إِلاَّ بَكَى أَوْ شَكَـا أَوْ حَنَّ أَوْ طَرِبَا
كَمْ لَيْلَةٍ بِتُّهَا وَالنَّجْـمُ يَشْهَـدُ لِيْ رَهِيْـــنَ شَوْقٍ إِذَا غَالَبْتُهُ غَلَبَـــا
آخـــر :
فيا حُسْنَنَا والدَّمعُ بالدَّمْعِ وَاشِجٌ نُمَازِجُـهُ والخَـدُّ بالخَـــدِّ مُلْصَقُ

وقد ضَمَّنَا وَشْكُ التَّلاقِي وَلفَّنَا ... عِنَــاقٌ عَلى أعْنَاقِنَــا ثَمَّ ضَيِّــقُ
فَلَـمْ تَرَ إلاَّ مُخْبِراً عن صَبَابَــةٍ ... بِشَكْــوَى وَإلاَّ عبْــرَةً تَتَرَقْــرَقُ
وَمِـنْ قُبَلٍ قَبْلَ التَّلَاقِي وَبَعْــدَهُ ... نَكَـادُ بهَـا مِنْ شِدَّة اللَّثْمِ نَشْرقُ

آخــر :

كَيْفَ التَّخلُصُ والجُفُونُ نواعِسٌ ... وبِمَـا التَّسلِــيَ والقُــدُودُ رِشَاقُ
وأُحِبُّ تَلْسَعُنِي عَقَـارِبُ صُدْغِهَـا ... عِلْمــاً بأن رُضَا بِهَــا تِرْيــاقُ

آخر: ومَهْزُوْزَةٍ هَزَّ الـقَضِيْبِ إذا مَشَتْ ... تَثَــنَّتْ عَلَــى دَلٍ وَحُسْنِ قِوَامِ
أَحلَّتْ دَمِيْ مِن غَيرِ جُرْمٍ وَحَرَّمَتْ ... بِلَا سَبَبٍ يَومَ اللقِّــاءِ كَلَامِــيْ
فُؤَادِيَ مَا أَبْقَــيْتِ مِنِّــيْ فإنَّــهُ ... حُشَاشَةُ حُبٍّ في نُحُولِ عِظَامِيْ

آخــر :

ولم أنْسَ ضمِّي للْحبَيْبِ عَلَى رِضَا ... وَرَشْفِيْ رضَاباً كالرَّحِيْقِ المُسلْسَلِ
ولا قَوْلَهَا لِي عِنْدَ تقْبِيْل خدِّهَـا ... تَنَقَّـلْ فَلَـذَّاتُ الهَـوَى فِي التَّنَقُّـلِ

آخــر :

دُرِّيةُ الـقصْرِ لَوْلَا سِمْطُ مَنْطِقِهَـا ... وَظَبْيَةُ القَفْرِ لَوْلَا الحَلْيُ والعَطَـلُ
سِيَّانَ بِيْضُ ثَنايَاهَـا إذَا ضَحَـكَتْ ... ومَبْسَمَ البَرْقِ لَوْلَا النَّظْمُ وَالرَّتَـلُ
فُرْسَانُ طَعْنٍ وضَرْبٍ غَيْـر أَنَّهُـمُ ... أمْضَى سِلَاحِهِم القَامَاتُ والمُقَـلُ
شَوْسٌ على الشُوْسِ بالبِيْضِ الرِّقَـاقِ سَطَــوْا ... وَبالجُفُوْنِ عَلى أهْلِ الهَوَى حَمَلُوْا

آخر : لها خَالٌ عَلى صَفَحاتِ خَدٍ ... كَنَقْطَـةِ عَنْبَـرٍ في صَحْـنِ مَرْمَــرْ
وَأَجْفَــانٍ بِأَسْيَــافٍ تُنَــادِيْ ... على عَاصِي الهَــوَى أللهُ أَكْبَــرْ

آخــر :

تَصبَّرْتُ عَنْهُمْ وانْثَنَيْتُ إِلَيْهِــمُ ... ولِمْ يَبْقِ فِي قوْس التَّصبُّرُ مَنْزَعُ
فَلا حَاجِـزٌ بَيْـنَ الأحِبَّةِ حِاجِــزٌ ... ولا لَعْلَـعٌ مُذْ فَارَقَ الحَيُّ لَعْلَـعُ

لَهَا مِن مَهاةِ الرَّمْلِ عَيْنٌ مَرِيْضَةٌ وجِيْدٌ كَجِيْدِ الظَّبِيْ أَغْيَدُ أَتْلَعُ
ولا عَجَبٌ فَالبُخْل في الغِيْدِ وَالدُّمَى طَبِيْعَةُ نَفْسٍ لَيْسَ فِيْهَا تَصَنُّعُ

آخـــر :

تَمِيْسَ إذا عَايَنْتُ غُصْنَ قَوَامِهَا وَتَكْسِرُ كَسْرَاتِ الجُفُونِ تَحَرُّشَا
وَلِي دَهْشَةُ السَّاهِي إِلَيْهَا إِذَا بَدَتْ ولم تُبْد ذَاكَ الخدَّ إِلاَّ لِتُدْهِشَا
سَرَتْ فَوْقَ خَدَيْهَا مِيَاهُ جَمَالِهَا فَمُدَّ مِن الأَصْدَاغ كَرْماً مُعَرَّشَا
وَشَى النـاسُ أَنِّي فِي هَوَاهَا مُتَيَّمٌ لَقَدْ صَدَقَ الوَاشِيْ النَّمُومُ بِمَا وَشَى

آخـــر :

دَعُوْا الْوُشاةِ وَمَا قالوا وما نَقَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ ما لَيْس يَنْفَصِلُ
لَهَا سَرَائِـرُ فِي قَلْبِـيْ مُخَبَّـأَةٌ لا الكتبُ تَنْفَعُني فيها ولا الرسُلُ

آخـــر :

هَزُّوْا القُدُوْدَ وأَرْهَفُوْا سَمْر القَنَا وتَقَلَّدُوا عوض السُيُوفِ الأَعْيُنا
وَتَقَدَّمُـوا لِلْعاشِقِيْـنَ فَكُلُّهُـمْ أَخَذَ الأمـانَ لِنَـفْسِهِ إلاَّ أَنَـا
يا قَلْبَهَا القاسي وَرِقَةَ خِصْرِهَا هَلَّا انْتَقَلْتِ مِن هُنَاكِ إلى هُنَـا
لما انْثَنَتْ فِي حُلَّةٍ مِنِ سُنْـدُسٍ قَالَتْ غُصُوْنُ الْبَانِ مَا أَبْقَتْ لَنَا
وبِخَدِّهَـا وبشَعْرِهَـا وعِذَارِهَـا مَعْنَى العَقيقِ وَبَارِقٍ وَالْمُنْحَنَى

آخـــر :

مَا كُنْتُ أَعْرَفُ ما مِقْدَار وَصْلُكِ لي حَتَى هَجَرْتِ وبَعْضُ الهَجْرِ تَأْدِيبُ
أُرْضَى وأَسْخَطُ أَوْأُرْضَى تَلَوُّنَهَـا وَكُلُ ما يَفْعَلُ المَحْبُوْبُ مَحْبُوْبُ
آخر : ومَنْ كَانَ ذَا صَبْوَةٍ بالمِلاحْ فَلَا يَطْعَـمُ النَّـوْمَ إلاَّ قَلِيْـلْ
بِرِدْفٍ ثَقِيْـلٍ وَخِصْرٍ نَحيْـلْ وَخَدٍ أَسِيْلٍ وَطَـرْفٍ كَحِيْـلْ
وَتَلْكَ القُدُوْدِ وَتِـلْكَ العُيُـوْنْ فَكَمْ مِن جَرِيْحٍ وكَمْ مِن قَتِيْـلْ

آخر: وَمَاهَجَرَتْكِ النَّفسُ أنَّكِ عِنْدَهَا   قَليلٌ وَإنْ قَدْ قَلَّ مِنْكِ نَصيبُهَا
وَلَكنَّهُمْ يَا أجْمَلَ الناسِ أُوْلِعُوْا   بِقَوْلٍ إذَا مَا زُرْتُ هَذَا حَبِيبُهَا
آخر: وأمَرُّ ما لاَقَيْتُ مِنْ أَلَمِ الهَوَى   قُرْبُ الْحَبِيْبِ وَمَا إِلَيْهِ وُصُوْلُ
كَالعِيْسِ في البَيْدَاءِ يَقْتُلُها الظَّمَا   وَالْماءُ فوقَ ظُهُوْرِهَا مَحْمُوْلُ
آخر: أَمَاطَتْ كِسَاءَ الخَزِّ عَنْ حُرِّ وَجْهِهَا   وَأرْخت على المَتْنَيْنِ بُرْداً مُهَلْهَلا
مِنَ اللاَّءِ لَمْ يَحْجِجْنَ يَبْغِيْنَ حِسْبَةً   وَلَكِنْ لِيَقْتُلْنَ البَرِيْءَ المُغَفَّلا
آخر: يا مَنْ إذا نَظَرَتْ عَيْنِي مَحَاسِنَهَا   أَلُوْمُهَا في هَوَاهَا ثُمَّ أَعْذِرُهَا
يا لِلرِّجَالِ أمَا في الحُبِّ مِن حَكَمٍ   يَنْهَى العُيُونَ إذَا جَارَتْ وَيَأْمُرُهَا
لا تَطْلُبَنَّ مِن الأعْطَاف عَاطِفَةً   فإنَّ أعْدَلَهَا في الحبِّ أجْوَرُهَا
آخر:
متى أَوْعَدَتْ أَوْلَتْ وإنْ وَعَدَتْ لَوَتْ   وإنْ أقسَمَتْ لَا تُبْرِئُ السُّقْمِ بَرَّتِ
وإنْ عَرَضَتْ أُطْرِقْ حَيَاءً وهَيْبَةً   وإنْ أعْرَضَتْ أُشْفِقْ وِلَم أَتَلَفَّتِ
بِهَا قَيْسُ لُبْنَى هَامَ بَلْ كُلُّ عَاشِقٍ   كَمَجْنُوْنِ لَيْلَى أَوْ كُثَيِّرِ عَزَّةِ
مَوَاطِنُ أَفْرَاحِي ومَرْبَي مآربِي   وأطْوَارُ أَوْطَارِي وَتَّخْفِيْف خِيْفَتِي
أَخَذْتُمْ فُؤادِي وهُوَ بَعْضِيَ عِنْدَكُمْ   فَمَاضَرَّكُمْ لَوْ كَانَ بَعْضِي جُمْلَتِي
كَأَنِّي هِلاَلُ الشَّكِ لَوْلَا تَأَوُّهِي   خَفِيْتُ فَلَمْ تُهْدَ العُيُونُ لرُؤْيَتِي
آخر:
خُذُوْا من صَبَا نَجْدٍ أَمَاناً لِقَلْبِهِ   فَقَدْ كَانَ رَيَّاهَا يَطِيْرُ بِلُبِّهِ
تَذَكَّرَ وَالذِّكْرَى تَشُوْقُ وَذُوْ الهَوَى   يَتُوْقُ وَمنْ يَعْلِقْ بِهِ الحُبُّ يُصْبِهِ
أُغَارُ إذَا آنَسْتُ في الحَيِّ أَنَّةً   حِذَاراً وخَوْفاً أنْ تَكُوْنَ لِحُبِّهِ
وَلَسْتُ عَلَى وَجْدِيْ بِأَوَّلِ عَاشِقٍ   أَصَابَتْ سِهَامُ الْحُبِّ حَبَّةَ قلْبِهِ
آخر:
خَطَطْتُ مِثَالَهَا وَجَلَسْتُ أَشْكُوْ   إليهَا مَا لَقِيْتُ عَلَى انْتِحَابِ

كأنِّيْ عِنْدَهَا أَشْكُو هُمُومِيْ ... إِلَيْهَا وَالشَكَاةُ إِلَى التُرَابِ
آخر: إِذَا مَا نَهَى النَّاهِيْ فَلَجَّ بِيَ الهوى ... أَصَخْتُ إلى الوَاشِي فَلَجَّ بِي الهَجْرُ
تَوَهَّمتهُا الْوَى بِأَجْفَانِهَا الكَرىَ ... كَرَى النَومِ أَوْ مَالَتْ بأَعْكافِهَا الخَمْرُ
وَلَوْ مَا تَثَنَّتْ لِلْوَداعِ وَسَلَّمَتْ ... بِعَيْنَيْنِ مَوْصُوْلٌ بلَحْضِهِمَا السِّحْرَ

آخـر:

فَخُذُوْا أَحَادِيْثَ الهَوَي من صَادِقٍ ... ما ضَل في شَرْعِ الغَرَام ومَا غَوىَ
وبِمُهْجَتِي رَشَأٌ أطَالَتْ عُذَّلِيْ ... فيها المَلامَ وقَد حَوَتْ ما قد حَوىَ
قَالُوا أَفِيْهَا سِوَى رَشَاقَتِ قَدِّهَا ... وفُتُورِ عَيْنَيْهَا وهَلْ مَوْتِيْ سِوَى
يروي الأَرَاكُ مَحَاسِنا عن ثَغْرِهَا ... يَا طِيْبَ مَا نَقَل الأَرَاكُ وَمَا رَوَى

آخـر:

أَظُنُّ وَمَا جَرَّيْتُ مِثْلَكِ إِنَّمَا ... قُلُوبُ نِسَاءِ الْعَالَمِيْنَ صُخُوْرٌ
ذرِيْنِي أَنَمْ إِنْ لَمْ أَنَلْ منْكِ زَوْرَةً ... لَعَلَّ خَيَالاً فِي الْمَنَامِ يَزُوْرُ

آخـر:

وبِيْضٍ بالْحَاظِ العُيُونِ كَأَنَّمَا ... هَزَزْتَ سُيُوفاً وَاستَلَلْنَ خناجِرَا
تَصَدَّيْنَ لِيْ يَوْمَاً بِمُنْعِرِجِ اللّوىَ ... فَغَادَرْنَ قَلْبِيْ بالتَّصَبُّرِ غَادرَ
سَفَرْنَ بُدُوْراً وانْتَقَبْنَ أَهِلَّةً ... ومِسْنَ غُصُوْنَاً والتَفَتْنَ جآذِرَا
وَأَطْلَعْنَ بالأَجْيَادِ بالدُّرِ أَنْجُماً ... جُعِلْنَ لِحَبَّات القُلوبِ ضَرَائِرَا

آخـر:

رَشَاً قد اتَّخَذَا الضُلُوعِ كِنَاسَهُ ... وَالقَلْبَ مَرْعَى والمَدَامِعَ مَوْرِدَا
سَلَبَ الفُوآدَ إِذَا بَدَا وإِذَا رَنَا ... فَضَحَ الغَزَالَةَ والغَزَالَ الأَغْيَدَا
كَالْوَرْدِ خَدًا وَالهِلاَلِ تَبَاعُداً ... والضَّبْي جِيْداً والقَضِيْبِ تَأَوُّدَا
سَيْفٌ تَرَقْرَقَ فِي شَبَاهُ فِرِنْدُهُ ... يَأَبَى بِغَيْرِ جَوَانِحِي أَنْ يُغْمَدَا

آخـــــر :

لَوْ كُنْتَ ساعَةَ بَيْنِنَا ما بَيْنَنَا وَشَهِدْتَّ كَيْفَ نُكَرّرُ التَّوْدِيْعَا
أَيْقَنْتَ أَنَّ مِنَ الدُّمُوْعِ مُحَدِّثاً وَعَلِمْتَ أَنَّ مِن الحَدِيث دُمُوْعَا

آخـــــر :

يَا لَائِمِيْ فِيْمَنَ تَمَنَّعَ وَصْلُهَا عَنْ حِبِّهَا أَحْلَى الْهَوَى مَمْنُوْعُهُ

آخـــــر :

نُفُوْرٌ عَرَتْهَا نَفْرَةٌ فَتَجَاذَبَتْ سَوَالِفُهَا والحَلْيُ والخَصْرُ والرِّدْفُ
وَخَيَّلَ مِنْهَا مَرْطُهَا فَكَأَنَّمَا تَثَنَّى لَنَا خُوْطٌ ولا حَضَنَا خَشْفُ
وَقَابَلَنَا رُمَّا نَتَاغُصْنِ بَانَةٍ يَمِيْلُ بِهِ بَدْرٌ وَيُمْسِكُهُ حِقْفُ

آخر : في البَدْرِ مِن صَفْحَتِها لَمْحَةٌ وَلَمْحَةٌ في الظَّبْي من طَرْفِهَا
إِنْتَهَى إِذَا مَشَتْ جَاذَبَهَا رِدْفُهَا كَأَنَّمَا تَمْشِيْ إِلَى خَلْفِهَا

آخر وَلَوْلَا أَذَى التَّطْوِيل سُقْتُ زِيادةً لَهَا صَاحِب التَّفكِيرِ يَخْشَى ويحذرُ

فهرس الجزء الخامس من موارد الظمآن

فهرس الجزء الخامس من موارد الظمآن

فهرس الجزء الخامس من موارد الظمآن

فهرس الجزء الخامس من موارد الظمآن

فهرس الجزء الخامس من موارد الظمآن

فهرس الجزء الخامس من موارد الظمآن

فهرس الجزء الخامس من موارد الظمآن

فهرس الجزء الخامس من موارد الظمآن

فهرس الجزء الخامس من موارد الظمآن

بسم الله الرحمن الرحيم

موارد الظمآن لدروس الزمان

خطب وحكم واحكام وقواعد ومواعظ وآداب واخلاق حسان

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز المحمد السلمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء السادس

الطبعة الثلاثون (٣٠)

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير

الموكل عنهم إبراهيم بن علي العودة

جزاهم الله كلهم خيراً

اللهم صلي على محمد وعلى آله وسلم

١٤٢٤ هـ

شِعْرًا : ألاليْتَ أني يَوْمَ تَدْنُوْمَنِيَّتِي   ألاَزِمُ ذِكْـرَ اللهِ في كُلِّ لَحْظَـــةِ
وَآخِرُ رَمْقٍ مِنْ حَيَاتِي خِتَامُـــهُ   بكلمة إخلاص لبـــاري البريـــة

آخـــر :
أُقَلِّبُ كُتْباً طَالَمَا قَدْ جَمَعْتُهَـــا   وَأفنَيْتُ فِيْهَا العَيْنَ والعَيْـنَ وَالْيَـدَا
وَأصبَحْتُ ذَا ظَنٍّ بِهَا وَتَمَسُّكٍ   لِعِلْمِيْ بِمَا قَدْ صُغْتُ فِيْهَا مُنَضَّدَا
وأحْذَرُ جُهْدِيْ أنْ تُنَالَ بِنَائِلٍ   مَهِيْنٍ وَأنْ يَغْتَالَها غَائِلُ الرَّدَى
وأعْلَمُ حَقاً أنَّنِيْ لَسْتُ بَاقِيـــاً   فَيَالَيْتَ شِعْرِيْ مَنُ يُقَلِّبُهَـــا غَدَا

آخر : جَنَحَتْ شَمْسُ حَيَاتِي   وَتَدَلَّـــــتْ لِلْغُـــــرُوْبْ
وَتَوَلَّى لَيْـــلُ رَأْسِـــيْ   وَبَــدَ فَجْـــرُ الْـــمَشِيْبْ
رَبِّـــيْ خَلِّصْنِـــي فإنِّـــيْ   غَرِيـق بَحْـــرِ الذُنـــوُبْ
وَأنِلْنِـــيْ العَفْـــوَ يَا من   ظأقْـــرَبْ مِنْ كُلِّ قَرِيْـــبْ

آخر : ومنَ المَصائِبِ والمَصَائِبُ جَمَّةٌ   هَجْرُ كِتَابِ الوَاحِد الرَّحْمَـــنِ
وَالْإنْكبابُ عَلَى صُحْفٍ قَدِ امْتَلأتْ   بِالمُنْكَـــراتِ وتَضيِيْـــعِ لِأزْمَـــانِ
إذَا المَرْءُ لَمْ يَحْفَظْ ثَلاثَاً فَخَلِّهِ   وَرَى الظَّهْرِ واصْحَبِ مُخْلِصاً لِإلٰهِهِ
فَأَوَّلُهَا الإخلاصُ لِلّـــهِ وَحْـــدَهُ   وَثَانِيْهَا تَابِعْ مَنْ أتَى بِالرِّسَالَـــةِ
وَثَالِثُهَـــا جَنِّبْ هَواً وَتَكَبُّـــراً   لِتِسْلَمَ مِنْ نار الجَحِيْم الْعَضِيْمَةِ

آخر : إنِّيْ أُبَثُكَ مِن حَدِيْثِي   وَالحَـــدِيْثُ لَهُ شُجُـــوْنْ
غَيَّـــرْتُ مَرْقَـــدَ نَوْمِـــي   لَيْـــلاً فَنَافَرنِـــي السُّكُـــوْنْ
قُلْ لِيْ فَأوَّل لَيْلَـــــــةٍ   فِي القَبْـــرِ تَرى يَكُـــوْنْ

آخر : يَامَنْ سَيَنْـــأَ عن بَنِيْـــهْ   كَمَـــا نأَى عَنْـــهُ أبُـــوْهْ
مَثِّـــلْ لِنَـــفْسِكَ قَوْلَهُـــمْ   جَاءَ اليَقِيْـــنُ فَوَجِّهُـــوْهْ
وَتَحَلَّلُـــوْا مِنْ ظُلْمِـــهِ   قَبْـــلَ الْمَمَـــاتِ وَحَلِّلُـــوْه

آخـــر :

أَعْـوَامُ لَهْـوٍ كَانَ يُحْـزِنُ ذِكْرُهَـا قَلْبَ الَّلبِيْب لِفَقْدِهَــا لِلّطاعَــةِ
لَوْ أَنَّهَا مُلِـئَتْ بِذِكْـــرِ إِلٰهِنَــا وَتِــلَاوَةِ القُــرْآنِ زَالَ نَدَامَتِــيْ

آخر : قَدِّمْ لِنَفْسِكَ فِيْ الحَيَـاةِ تَزوُّدَا فَلَقَدْ تُفَارِقُهَـا وأَنْتَ مُوَدَّعُ
وَاهْتَـمَّ لِلَسَّفَـــرِ القَــرِيْب فإِنَّـــهُ أنـأّي مِنَ السَّفَرِ البَعِيْـدِ وَأَشْنَـعُ
وأجْعَلْ تَزوُّدَكَ المَخافَـةَ والتُّقـى فَلَعَـلَّ حَتْـفَكَ في مَسَائِلِكَ أَسْرَعُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَقَفَ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوْا إِنَّا سَائِلُوكَ أَفَمُجِيْبُنَا أَنْتَ قَالَ سَلُوْا وَلَا تُكْثِرُوْا ، فَإِنَّ النَّهَارَ لَنْ يَرْجِعَ والعُمُرَ لَنْ يَعُوْدَ ، والطَّالِبَ حَثِيْثٌ فِي طَلبهِ ، قَالُوْا فأَوْصنَا ، قَال تَزَوَّدُوْا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ فإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أَبْلَغَ البُغْيَةَ ، ثُمَّ قَالَ الأَيَّامُ صَحَائِفُ الأَعْمَارِ فَخلِّدُوْهَا أَحْسَنَ الأَعْمَال ، فإِنَّ الفُرَصَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، وَالتَّوَانِيْ مِنْ أَخْلَاقِ الكُسَالَى وَالخَوالِفِ ، وَمَنِ اسْتَوْطَنَ مَرْكَبَ العَجْز عَثَرَ بِهِ ، وتَزَوَّجَ التَّوَانِيْ بالكَسَل فَوُلِدَ بَيْنَهما الخُسْرَانُ اهـ . قَال بَعْضُهُمْ :

شِعْرًا : تَزَوَّجَتِ البَطَالَةُ بالتَّوَانِيْ ... فأَوْلَدَهَا غُلَاماً مَعْ غُلَامَهْ
فأَمَّا الإبْنُ سَمَّوْهُ بِفَقرٍ ... وَأَمَّا البِنْتُ سَمَّوْهَا نَدَمَهْ

آخر :

الذِّكْرُ أَصْدَقُ قَوْلٍ فافْهَم الخَبَرَا ... لأَنَّهُ قَوْلُ مَنْ قَدْ أَنْشَأَ البَشَرَا
فَاعْمَلْ بِهِ إِنْ تُرِدْ فَهْماً وَمَعْرِفَةً ... يَاذَا النُّهَى كَيْ تَنَال العِزَّ وَالفَخَرَا
وتَحْمدِ الله فِي يَوْمِ المَعَادَ إِذَا ... جَاءَ الحِسَابُ وعَمَّ الخَوفُ وانْتَشَرَا
لله دَرُّ رَجالٍ عَامِلِيْنَ بِهِ ... فِيْمَا يَدِقُ وَمَا قَدْ جَلَّ واشْتَهَرَا

قَال بَعْضُهُمْ :

أَيُهَا الأَخ تَدَبَّرْ أَمْرَكَ فإِنَّكَ فِي زَمَنِ الرِّبْح وَوَقتِ البَذْرِ واحْذَرْ أَنْ يَخْدَعَكَ العَدُوّ عن نَفِيْسِ هَذَا الجوهَر فَتُنْفِقُهُ بكَفِّ التَّبْذير ، وَاللهِ لَئِنْ فَعَلْتَ لَتَغْرِسَنَّ شَجَرةَ النَّدامَة فَيَتَساقَطُ عَلَيْكَ مِنَ كُلِّ فَنٍّ مِنْهَا حَسْرَةٌ وَنَدَامَة وَاحْذَرْ مِن إِخْتِلاسِ الأَعْدَاءِ لَهُ ، والأعداء أَرْبَعَة إِبْلِيْسُ لَعَنَهُ الله ، وَالدنيا ، وَالنَّفس الأَمَّارة بالسُّوْء ، والهَوَى .

شعر : إني بُلِيتُ بأرْبَعٍ ما سُلِّطُوا ... إلاَّ لأَجْل شَقَاوَتِي وَعَنَائِي
إِبْلِيْسُ وَالدُّنْيَا وَنَفِسْي والهَوىَ ... كَيْفُ الخَلاصُ وَكُلُّهم أَعْدَائِي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُلاحَظَة : لا يسمح لأي إنسان أنْ يَخْتَصِرَهُ أوْ يَتَعَرَّضَ له بما يُسَمُّونَه تَحْقِيْقاً لأَنَّ الإخْتصار سَبَبٌ لتعطيل الأصْل والتحقيق أرَى أنَّهُ إتِهامٌ لِلْمُؤلف ، ولا يُطْبَع إلا وقفاً لله تعالى على مَن ينتفع به من المسلمين .

(فائدةٌ عَظِيمَةُ النَّفَعْ لِمَنْ وَفَّقَهُ الله)

ما أَنْعَم الله على عَبْدٍ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أنْ عَرَّفَه لَا إلهَ إلا الله ، وفَهَّمَهُ مَعْنَاهَا ، وَوَفَّقَهُ لِلعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا ، والدَّعْوَةِ إلَيْهَا .

فوائد :

وَاعَجَباً مِنْكَ يَضِيْعُ الشَّيءُ القَلِيل وَتَتَكدر وتَتَأسَّف ، وقَدْ ضَاعَ عُمَرك الذي لا عَوضَ له ، وأَنْتَ عِنَد قَتَّالات الأَوْقَات ، الكُورَة والتِّلْفاز والمِذياع ونحوها من قُطَّاع الطَرْيق عَن الأعمالِ الصالحة ، ولكَن سَتَنْدم ﴿ **يَومَ يُنَادِ المُنَادِيْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيْبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ النصيحة بالحق ذلك يوم الخروج** ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد عَظِيْمَةُ النَّفْع جداً لِبَعْضَ العُلماء رحمهم الله تعالى

(١)

اللَّيلُ والنهارُ يَعْمَلان فِيْكَ فاعْمَلْ فيهما أَعْمالاً صَالِحَةً تَرْبَحَ وتحمَدِ العَاقِبَةَ الحَمِيْدِةِ إن شاء الله تعالى .

وَلَيْلُكَ شَطْرُ عُمْرِكَ فَاغْتَنِمْهُ   وَلَا تَذْهَبْ بَشَطْرِ العُمْرِ نَوْمَا

آخر: عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ في كَلِّ لَحْظَةٍ   فَمَا خاب عَبْدٌ لِلْمُهَيمنِ يَذْكُرُ

(٢)

الملائكةُ يَكْتُبانِ مَا تَلفَّظُ به فاحْرَصْ عَلَى أنْ لا تَنْطِقَ إلاَّ بِمَا يَسُرُّكَ يوم القِيَامَةْ .

إنَّ الشَّرائِع أَلْقَتْ بَيْنَاَحِكَماً   وَأَوْرَثَتْنَا أَفَانِيْنَ المَوَدَّاتِ

وَهَلْ رَأيْتَ كَمِثْلِ الدِّيْنِ مَنْفَعَةً   لِلْعَبْدِ تُوصِلُهُ أَعْلَىٰ الكَرَمَاتِ

(٣)

إعْلَم أنَّ قِصَرَ الأَمَلِ عليه مَدَارٌ عظيم ، وخِصْنُ الأَمَلِ ذِكْرُ الموتِ ، وحِصْنُ حِصْنِهِ ذِكْرُ فَجْأَةِ الموتِ وَأَخْذُ الإنسان على غِرَّةٍ وغَفَلةٍ وهُوَ في غُرُوْرٍ وفُتُور عن العمل للآخرة . نسأل الله أ يُوقِضَ قُلوبَنَا إنه على كل شيء قدير . اللهم صلى على محمد وآله وسلم .

فـائدة :

العِلْمُ بما جَاء عَنِ الله وَعَن رَسُوله خَيْرُ مِيْراثٍ ، وَالتَّوْفِيْقُ مِنَ الله خَيْرُ قائِدٍ ، والاجْتِهادُ في طَاعَة الله خَيْرُ بِضَاعَةْ ، وَلا مَالَ أحْسَنَ مِنْ عَمَلِ الرَّجُل بِيَدِهِ ، ولا مُصِيْبَةَ أَعْظَمُ من الكفر بالله ، ولا عَوْنَ أوثَقَ مِن الإعتماد عَلَى الله

ثم مُشَاوَرَةِ أصْحَاب الرَّأي وَالدِّيْن مِنْ المؤمنين ، ولا أوحَش مِنَ الكِبْر والعُجْب وَالنِّفَاق .

آخــــر :

سَل الله عَقْـلًا نَافِعـاً وَاسْتَعِـذْ بِهِ مِنَ الجَهْلِ تَسْأَلْ خَيْرَ مُعْطٍ لِسَائِلِ
فَبَالْعَقْلِ تَسْتَوْفِـي الفَضَائِـل كَلَّهَـا كَمَا الجَهْلُ مُسْتَوْفٍ جَمِيْعَ الرَّذَائِل

تَنْبِيْــــه :

ومَن أَرَادَ طَبَاعَتَهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله لا يُرِيْدُ بِهَ عَرَضاً مِن الدنيا فقد أذن لهُ وجَزَى اللهُ خَيْراً من طَبَعَهُ وَقْفَاً أَوْ أَعَانَ على طَبْعِه أَوْ تَسبَّبَ لِطَبْعِهِ وَتوزِيْعِهِ على إخوانه من المسلمين فقد ورد عنه ﷺ أَنَّهُ قال « مَنَ دَلَّ عَلى خَيرٍ فَلَهُ مِثْل أَجْرِ فَاعِلِه » رَوَاهُ مُسْلِم ، وَوَرَدَ عنه ﷺ أَنَّه قَال « إنَّ الله يُدْخِلَ بالسَّهْمِ الواحِدِ ثَلَاثَةَ نَفرٍ الجنة : صَانِعَه يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الخَيْرَ ، والرَّامِي بِهِ ، وَمُنْبِله » الحديث رواه أبو داود ، وَوَرَدَ عنه ﷺ أنه قال : « إذا مَاتَ الإنسانُ انقطعَ عَمَلُه إلاَّ مِنْ ثَلاثٍ صدقةٍ جَارِيَة ، أَوْ عِلم يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لهُ » . الحديث رواه مسلم .

« فَصْــلٌ » في الجهادِ في سبيل اللهِ

إعْلَمْ وَفَّقَنَا اللهُ وإِيَّاكَ وجَمْيعَ المُسْلِمين أَنَّ الجهادَ في سَبيـلِ اللهِ أَفْضَـلُ تَطوُّع البَـدَنِ ، وَعَدَّهُ بَعْضُ العُلَمَـاءِ رُكْناً سَـادِساً لِـدِيْن الإسْـلامِ ، وَهُوَ ذِرْوةُ سَنَـام الإسلام ، ومُـوْجِبُ الهِدَايَـةِ ، وَحَقِيقَةُ الاخْـلاصِ ، والزُهْـدِ في الـدنيـا ، وَمَنَـازِلُ أَهلِهِ أَعْلَى المنـازِل في الجَنَّةِ ، كَمَا لَهُمْ الرِّفْعَةُ في الدُنْيَا ، فَهُم الأَعْلَوْنَ في الآخِرَةِ ، وكَانَ كَثِيْرٌ مِنَ الناسِ يَتَلَهَّفُونَ على الجهادِ الـذي أُغلِقَتْ أَبْوابُـهُ مِنْ زَمَنٍ بَعيدٍ ، مِنْ عَهدَ أَنْ كانَ الرجُلُ يَخْرُجُ بِنَفْسِهِ وبمالِهِ ، آمِلاً أَنْ يُنْفِقَ

كُلَّ مالِهِ في سبيلِ اللهِ ، وأَنْ يَحْظَى بالشهادةِ في سبيلِ اللهِ ، فإذا رَجعَ سالِماً إلى أَهْلِهِ ، رَجَعَ حَزِيناً على ما فَاتَهُ مِن مَقامِ الشهادةِ التي كانَ يَحْرِصُ عليها كُلَّ الحِرْصِ ، ولقَدْ كان المسلمونَ في أَوَّلِ هَذِهِ الأُمّةِ أَقَلِّيّةً بَيْنَ الأممِ ، وكانُوا مَعَ ذَلِكَ فُقَراءَ مِنَ المالِ ، ولكنْ كانُوا أَغْنِياءَ ، بِمَا وَهَبَهُمُ اللهُ مِنَ البُطُولَةِ ، غِنَىً لمْ يَرْوِ لَنا التاريخُ نظِيرَهُ بَيْنَ ذَوِيْ البُطُولاتِ ، يَعْتَمِدُوْنَ في تِلْكَ البُطولَةِ على مَعونةِ مولاهُمْ لَهُم في كُلِّ حالٍ مِنَ الأَحوالِ .

ولقدْ كانتْ أَحْوَالُهُمْ وَأَعْمالُهُمْ تُبَيِّضُ الوُجُوهَ ، وتَمْلأُ القُلُوبَ سُروراً وفَرَحاً ، كَانُوا إذا نَازَلُوا الأعْدَاءَ رَجَعُوا ظَافِرِينَ مُنْتَصِريْنَ ، لا يُرَى عَلَيْهِمْ أَثرُ كآبةٍ ، اللَّهُمَّ إلا كآبَةُ الحُزْنِ ، على أنَّ أَحَدَهُم لَمْ يَفُزْ بِمَقامِ الشهادَةِ التي كانتْ عندَهُمْ مُنْتَهى الآمالِ ، لِذَلِكَ دَوَّخُوا الدُنيا ، وكانُوا عِندَ الكُلِّ سَادَة الأَعِزّاءِ ، كانُوا لا يَطْمَعُ فِيْهِمْ طَامِعٌ ، مَعَ أَنَّهُمْ أَقَلِيَّةٌ ، وَكَانُوا إِذا نُسِبُوا لِغَيْرِهِمْ فُقَرَاءَ ، ولَكِنَّهُمْ أَغْنِيَاءُ بالتَّوكُّلِ على مَنْ بِيَدِهِ القُلوبُ ، وَبيَدِهِ كلُ شَيءٍ لا إِلهَ إلاَّ هو جَلَّ وَعَلا وتَقَدَّس .

وَلَقَدْ كانَ مَعَهُمْ صَفْوَةُ الخَلْقِ ، وَعَنْ إرْشَادَاتِهِ يُصْدِرُونَ ما يُصْدِرُونَ مِنْ أَعْمَالٍ ، وَهُوَ كانَ لَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى ، إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ جَلَّ وعلا بذَلِكَ ، أَمَّا نَحْنُ فَعُدَّ مِنَّا بِمِئَاتِ الأُلُوفِ وَقُلْ مَا تُرِيْدُ في غِنَانَا فالوَاحِدُ مِنَّا يَمْلِكُ المَلاَيِيْنَ ، وَمِنَ العَقَاراتِ الشَّيءَ الكَثِيْرَ ، ولكِنَّنا مَعَ ذَلِكَ غُثاءٌ كَغُثاءِ السَّيْلِ ، نُحِبُّ هَذِهِ الحَيَاةَ ، حُباً مَلَكَ مَشاعِرَنَا كُلَّهَا اللَّحْمَ والعَظْمَ والعُروقَ وكُلَّ شيءٍ ، وَنَكْرَهُ الموتَ كَرَاهَةً شَدِيْدَةً والسَّبَبُ في ذلك ـ واللهُ أعلمُ ـ

أنَّ حُبَّ الدُنْيَا ، والتَعلُّقَ بها ، هُوَ الذِي أَنْسَانَا ، وَأَلْهَانَا عَن تَذَكُّر الجِهادِ ، والحَثِّ عليهِ وَتَمْنِّيهِ ، وَبَذْلِ النَّفِيْسِ فِيْمَا يُقَرِّبُ إليه ، نسألُ اللهَ أنْ يُوْقِظَ قُلُوبَنَا ، وَيُوَفِقَنا لِسُلُوكِ سَبِيْلِ سَلَفِنَا . لِنُقِيمَ عَلَمَ الجِهادِ ، وَيَجْعَلَنَا مِنْ أَنْصَارِ دِيْنِهِ ، وَحِزبِهِ المُفْلِحِيْنَ وَأنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(**فَصْلٌ**)وَقَدْ وَرَدَ في فَضْلِ الجِهَادِ ، والحَثِّ عليهِ ، وَبَيَانِ عَظِيْمِ ثَوَابِهِ ، آياتٌ وأَحَادِيْثُ كَثيرةٌ ، نَذْكُرُ طَرَفاً مِنها إنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى .

فمِنَ الآياتِ قَوْلُهُ تَعَالى ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المؤمنينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بأنَّ لهُمُ الجنةَ ، يُقَاتِلُونَ في سَبِيْلِ اللهِ ، فَيَقْتلون ويُقْتَلُون ، وَعْداً عليهِ حقَّاً ، في التوراةِ والانجيلِ والقُرآنِ ، وَمَنْ أوفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ ؟ فاسْتَبْشِرُوْا بِبَيْعِكُم الذي بايَعتمْ بِهِ ، وذلكَ هُوَ الفوزُ العَظِيمُ ﴾ فَفِي هذه الآيةِ الكريمةِ ترغيبٌ في الجِهادِ ، على أَبْلَغِ وَجْهٍ ، وأحْسنِ صُوْرَةٍ ، قال ابنُ القَيّمِ رحمه اللهُ على هذه الآية : فجعلَ سبحانَهُ هَا هُنا الجنةَ ثَمناً لِنفوسِ المؤمنينَ وأَمْوَالِهِمْ ، إذا بَذلُوهَا فيـه اسْتَحَقُّوا الثمَنَ ، وعقَدَ معهمْ هَذا العَقْدَ ، وَأَكَّدهُ بِأَنْوَاعٍ مِن التأكِيْدَاتِ .

١ـ أولاً : إخْبَارُهُمْ بصِيْغَةِ الخَبَرِ المؤكَّدِ بأداةِ إنَّ .

٢ـ ثانياً : الأخْبَارُ بذلِكَ بصِيْغَةِ الماضِي الذي وَقَعَ وَثَبتَ واسْتَقرَّ .

٣ـ ثالثاً : إضافةُ هذا العَقْدِ إلى نَفْسِهِ سُبْحَانَه ، وأنهُ هـو الذي اشْتَرَى هذا المَبِيْعَ .

٤ـ رابعاً : أنهُ أخْبَرَ بأنه وَعَدَ بِتَسْلِيْم هَذَا الثَّمَنِ ، وعْداً لا يُخْلِفُهُ ولا يَتْرُكُهُ .

٥ـ خامساً : أنه أتَى بِصِيْغَةِ (عَلَى) ألَّتي لِلوُجوب ، إعْلاماً لِعِبَادِهِ بأنَّ ذلكَ حقٌّ عليه ، أحَقَّه هو على نَفْسِهِ .

٦ـ سادساً : أنه أكَّدَ ذلكَ بكونِهِ حَقاً عليه .

٧ـ سابعاً : أنه أَخْبَرَ عنْ مَحَلِّ هذا الوَعْدِ ، وَأَنَّهُ في أَفْضَلِ كُتُبِهِ المُنَزَلةِ مِن السَّمَاءِ ، وهيَ التوراةُ والانجيلُ والقرآنُ .

٨ـ ثامِناً : إعْلامُهُ لِعِبادِهِ بصِيغةِ استفهامِ الانكارِ ، وأنه لا أحَدَ أوفى بعهدِهِ منهُ سُبْحانَهُ .

٩ـ تاسعاً : أنه سُبْحانَهُ وتعالى أَمَرَهُمْ أنْ يَسْتَبْشِرُوا بهذا العَقْدِ ، وَيُبَشِّرَ بِهِ بَعْضُهمْ بعضاً ، بَشَارةَ مَنْ قَدْ تَمَّ لهُ العَقْدُ وَلَزِمَ ، بحَيْثُ لا يَثْبُتُ فيه خِيَارٌ ، ولا يَعْرِضُ له ما يَفْسَخُهُ .

١٠ عاشراً : أنهُ أخْبَرَهُمْ إخباراً مُؤكَّداً بأنَّ ذلك البيعَ الذي بايعُوهُ بِهِ هو الفوزُ العظيمُ ، والبيعُ ها هُنا بمَعْنى المَبِيْعِ الذي أَخَذُوهُ بهذا الثَمَنِ ، وهو الجنةُ ، وقوله (بايَعْتُمْ بِهِ) أيْ عَاوَضْتُمْ وثامَنْتُمْ بِهِ ، ثم ذَكَرَ سُبْحَانَهُ أهْلَ هذا العَقدِ الذي وقَّعَ العقْدَ وتَمَّ لَهُمْ دونَ غيرِهِمْ ، وهمْ التَائِبُون الخ انتهى .

شِعْرا : إِذَا قَلَّ دِيْنُ قَلَّ بَهَاؤُهُ وَضَاقَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ وَسَمَاؤُهُ
وَأصْبَحَ لَا يَدْرِيْ وَانْ كَان حَازِماً أَقُدَّامَهُ خَيْرٌ لَهُ أَمْ وَرَاؤُهُ
فِإنْ كَانَ ذَا دِيْنٍ عَلَاه بَهَاؤُهُ وَأَصْبَحَ مَسْرُوْراً بِهِ أَصْدِقَاؤُهُ

وَيقولُ سَيِّدُ قُطْبِ رحمه الله على الآية المتقدمَةِ قَرِيْباً هذا النَّصُ النَّصُ الذي تلَوْتُهُ مِن قَبْلُ وسَمِعْتُهُ ألفَ مَرَّةٍ أوْ تَزَيْدُ فِيْ أَثْنَاءِ حِفظي لِلْقرآنِ ، وفي أثناءِ تِلاوَتِهِ بعدَ ذلِكَ ودِرَاسَتِهِ ، في أكثَر مِنْ رُبع قَرْنٍ ، هذا النَّصُّ أشْهَدُ أنَّنِيْ أُدْرِكُ منهُ اللَّحْظَةَ ما لَمْ أُدْرِكْهُ في ألفِ مَرَّةٍ أَوْ تَزِيدُ ، إنّهُ نَصٌّ رَهِيبٌ ، يَكْشِفُ عنْ حَقيقةِ العَلاقَةِ التي تَرْبطُ المُؤمنينَ الصادقينَ باللهِ ، وَعَنْ حَقِيقَةِ البَيْعَةِ التي في أَعْنَاقِهِمْ طُولَ الحَياةِ ، فَمَنْ بايَعَ البَيْعَةَ ، وَوَفى بها فَهُوَ المُؤمِنُ الحَقُّ ، الذي يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ معنَى المُؤْمِنِ وحَقِيقَتِهِ ، وإلّا فهي دَعْوَى تحتاجُ إلى التصديقِ والتحقيق .

حقيقةُ هذهِ البَيْعةِ - أَوْ هذه المُبَايَعَةِ كما سماها اللهُ كَرَماً منه وَفضْلاً - أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ استَخْلَصَ لِنفْسِهِ أَنْفُسَ المُؤمنينَ وأَموالَهُمْ ، فَلَمْ يَعُدْ لهم منها شيءٌ ، لَم يَعُدْ لَهُمْ أنْ يَسْتَبقُوا منها بقِيَّةً ، لا يُنْفِقُوْنَها في سبيلِ اللهِ ، لَم يَعُدْ لَهُمْ خِيارٌ في أَنْ يَبْذُلُوا أَوْ يُمْسِكُوا ، كَلاَّ إنها بَيْعةٌ كامِلةٌ ، فالثمَنُ الجَنةُ والطريقُ الجهادُ ، والنِهايةُ هِيَ النصْرُ أَوِ الاستِشْهادُ ، ومِنْ رَحمتِهِ أنْ جَعَلَ لِلصَّفْقَةِ ثَمناً ، وإلّا فهو مالِكُ الأنفُسِ والأَموَالِ ولَكِنَّهُ كَرَّمَ هذا الإنسانَ ، فَجَعَلَهُ مُريداً ، وكرَّمَهُ فجَعل لَهُ أَنْ يَعقِدَ العُقودَ وَيُمْضِيها حتَّى معَ اللهِ وكَرَّمَهُ فقيَّدَهُ بعُقُودِهِ وَعُهُودِهِ ، وجعلَ وَفاءَهُ بِهَا مِقْيَاسَ آدميَّتِهِ الكَرِيمةِ ، كَمَا جَعَلهُ مَناطَ الحِسابِ والجَزَاءِ .

وإنها لَبَيْعَةٌ رَهِيْبَةٌ بلا شَكٍّ ، ولكِنَّها في عُنُقِ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، لا تَسْقطُ عنهُ إلاَّ بسُقُوطِ إيمانِهِ والعِياذُ باللهِ ، يا اللهُ عونَكَ ، فإنّ العَقْدَ رَهيبٌ ، وهؤلآءِ القاعِدونَ بالمَلايينِ ، في مَشارِقِ الأرْضِ وَمَغارِبِها يَدَّعُون أنهم مؤمنونَ بكَ ، وهُمْ قاعِدون ، لا يُقاتلون لإعْلاءِ

كَلِمَتِـكَ ، ولا يَقْتلون ولا يُقْتَلُون ، ولا يُجاهِـدون جِهاداً مـا ، دونَ القِتالِ والقَتْلِ ، يَسُدُّون به ثَغْرةً ويُساهِمونَ بهِ في الدِّفاعِ عن دِيْنِك الذي أَرَدْت له النصْرَ والاستعلاءَ ، قال .

ولقد كانتْ هذه الكلماتُ تَدْخُلُ إلى قلوبِ مُسْتَمِعيها الأوَّلِينَ ، على عهدِ الرسولِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ ، فَتَتَحوَّلُ مِنْ فَوْرِهَـا إلى وَاقِعٍ مِنْ واقعِ حَياتِهِمْ ، ولم تَكُنْ مُجَرَّدَ مَعَانٍ يَتَملَّوْنَها بـأذهانِهِمْ ، وَيُحِسُّونَها مُجَرَّدَةً في مَشَاعِرِهِمْ ، كانُوا يَتَلَقَّوْنَها للْعَمَلِ المُبَاشِرِ بها ، لِتَحْويلِها إلى حَرَكةٍ مَنظورَةٍ ، لا إلى صُورَةٍ مُتأمَّلَةٍ ، هكَذا أَدْرَكَها عبدُ اللهِ بْنُ رَوَاحة رضيَ اللهُ عنْهُ في بَيْعةِ العَقَبَةِ .

قال محمدُ بْنُ كعبِ القُرَظِي : قالَ عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ لِرسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَمَ - يَعْني لَيلةَ العقبةِ - اشْتَرِطْ لِرَبِّكَ ولِنَفْسِكَ ما شِئْتَ ، فقالَ « اشتـرطُ لِرَبِّي أنْ تَعْبُـدُوهُ ولا تُشْركُـوا بهِ شيئـاً ، وأشْتَرِطُ لِنفْسِي أنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ منهُ أنفُسَكمْ وَأَمْوَالَكُمْ » قالَ : فمَا لَنا إذا فَعلْنا ذلك ؟ قال « الجنة » قالُوا : رَبِحَ البَيْعُ ، لا نُقِيلُ ولا نَسْتَقِيْل ، فنزلتْ ﴿ إنّ اللهَ اشْتَرى مِنَ المؤمنين أنفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بأنَّ لهُمُ الجَنةَ ﴾ انتهى باختصار .

اللهُم يا عالمَ الخَفياتِ وَيَا سَامِعَ الأَصْواتِ ويَا بَاعِثَ الأَمْواتِ وَيَا مُجِيْبَ الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الحَاجَات يَا خَالِقَ الأَرْض والسَّموات أَنْتَ اللَّهُ الأَحدُ الصَّمَدُ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحد الوَهَّابُ الذي لا يَبْخَلُ والحَـليمُ الذي لا يَعْجَـلُ لا رَادَّ لِأَمْـرِكَ ولا مُعقِّـبَ لحُكمِكَ نَسْـأَلك أَنْ تَغْفرَ ذُنوبَنَا وتُنورَ قُلُوبنا وَتُثَبِّتَ محَبَّتَكَ في قُلوبنَا وَتُسْكِنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِير وَصَلَّى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

تألّف برْقُ الحَقِّ في العَـارِضِ النَّجْـدِيْ فَعَمَّ جَمِيْعَ الكَوْنِ في الغَوْرِ والنَّجْدِ

بـه زُعْـزُعَتْ أرْكَـانُ كِسْـرَى وَقَيْصَـرٍ
ولم يُجَـد مَـا حَـازَا مِن المَـالِ والجُنْـدِ

وأمْثَـالُهـا فـي السَّـالِكِيـن طَـرِيْقَهَـمْ
أرَنَـا كَمَـا قَـد قَـالَـهُ صَادِقُ الـوَعْـدِ

فَـلِلهِ حَـمْـدُ يَـرْتَـضِيْـهِ لِـنَـفْـسِـهِ
عَلَى نِعَـمٍ زَادَتْ عَن الـحَصْـرِ والـعَـدِّ

فَأَعْظَمهمـا بَعْـثُ الـرَّسـولِ مُحَـمَّـدٍ
أمَيْنُ إلَـه الـحَـقِّ وَاسِـطَةَ الـعِـقْـدِ

دَعَـانَـا إلَـى الاسـلام دِيْـنِ إلـهِـنَـا
وتَـوْحِيْدِهِ بـالقَـوْلِ والفِعْـلِ والقَصْـدِ

هَـدَانَـا بِـهِ بَعْـدَ الضَّـلاَلَـةِ والعَمَى
وأنْـقَـذَنَـا بَعْـدَ الـغِـوَايَـةِ بـالـرُّشْـدِ

حَبَـانَـا وأعْـطَانَـا الـذِي فَـوْقَ وَهْمِنَـا
وأمْـكَـنَـنَـا مِـن كُـلِّ طَـاغٍ وَمُـعْـتَـدٍّ

وأيَّـدَنَـا بـالـنَّـصْـرِ واتَّـسَـعَـتْ لَـنَـا
مَمَـالِكُ لاَ تَـدْعُـو سِوَى الـوَاحِـدِ الفَـرْدِ

فَـنَـسْـألُـهُ إتْـمَـامَ نِـعْـمَـتِـهِ بِـأنْ
يُثَـبِّـتَـنَـا عِـنْـدَ الـمَـصَـادِرِ كَـالـوِرْدِ

فـيـا فـوزَ عبـدٍ قَـامَ لله جَـاهِـدَاً
عَلَى قَـدَمِ التجـريـدِ يَهْـدِيْ وَيَسْتَهْـدِي

وَجَـرَّدَ في نَصْـرِ الـشَّـرِيْعَـةِ صَـارِمـاً
بِعَزْمٍ يُرَى أمْضَى مِن الصَّـارِمِ الهِنْـدِي

وتابَعَ هَدْيَ المُصْطَفى الطُهْرَ مُخْلِصاً
لِخَالِقِهِ فِيْمَا يُسِرُّ وَمَا يُبْدِي
ويَا حَسْرَةَ المَحْرُوْمِ رَحْمَةَ رَبِهِ
بإِعْرَاضِهِ عن دِيْنِ ذِي الجُوْدِ والمَجْدِ
لَقَدْ فَاتَه الخَيْرُ الكَثِيْرُ وَمَا دَرَى
وَقَد خَابَ واختارَ النُحُوسَ عَلَى السَّعْدِ

ومِن بَعْدِ حَمْدِ اللهِ أَزْكَى صَلاَتِهِ
وَتَسلِيْمِهِ الأَوْفى الكَثِيْرِ بلاَ حَدِ
عَلَى المصطَفَى خَيرِ الانامِ وآلِهِ
وأصحابِهِ أهْلِ السَّوابِقِ والزُهْدِ

اللهمَّ ثَبِّتْ إِيْمَانَنَا بِكَ وبملاَئِكَتِكَ وَكُتُبِكَ وَرُسُلِك واليَوْمِ الآخِرِ والقَدَرِ خيرِهِ وَشَرِّهِ واغْفِرْ لَنا ولوالِدِيْنَا ولِجَمِيْعِ المسلمين برَحْمَتِكَ.

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ صُدُوْرَنَا وَاسْتُرْ عُيُوْبَنَا وَأَمِّنْ خَوْفَنَا وَاخْتِم بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَنَا وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ وَحِزْبِكَ المُفْلِحِيْنَ الذِيْنَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُوْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ.

فَصْــــل

وَمِنَ الآياتِ الَّتي وَرَدَتْ في الحثِّ على الجِهادِ، والترغيب فيهِ، وملازمةِ الصَّبْر عليه، قولُه تعالى ﴿ولا تقولوا لِمَنْ يُقْتَلُ في سبيلِ اللهِ أمواتٌ، بلْ أحْيَاءٌ، ولَكِنْ لا تشعرون﴾ وقولُهُ تعالى ﴿ولا تحسَبَنَّ الذين قُتِلُوا في سبيلِ اللهِ أمْوَاتاً، بلْ أَحْيَاءٌ عندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بما آتاهُمْ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرونَ بالذين لَمْ

يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ، أَنْ لا خَوفٌ عليهم ، ولا هُمْ يَحْزَنُونَ ، يَسْتَبْشِرُون بنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ ، وأنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجْرَ المُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ يا أَيُّها الذين آمَنُوا هلْ أدُلُّكُمْ على تجارةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عذابٍ أليمٍ ، تُؤْمِنونَ باللهِ ورسُولِهِ ، وتُجاهِدونَ في سبيلِ اللهِ بأموالِكُمْ وأنفُسِكُمْ ، ذٰلِكُمْ خيرٌ لكمْ ، إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون ، يَغْفِرْ لكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَيُدْخِلْكمْ جَنّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً في جَناتِ عَدْنٍ ، ذلك الفوزُ العظيمُ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ الـذين آمنوا وهـاجروا وجـاهدوا في سبيـلِ اللهِ بأموالِهِمْ وأنفسِهِمْ ، أعـظمُ دَرَجَةً عنـدَ اللهِ ، وأولئكَ هُمُ الفـائزونَ يُبَشِّرُهُم رَبُهُمْ برَحْمةٍ مِنْهُ وَرِضْوانٍ ، وَجَنّاتٍ لهُمْ فيهـا نَعِيمٌ مُقيمٌ ، خالدين فيها أبداً ، إنَّ اللهَ عندَهُ أجْرٌ عظيم ﴾ .

وقال تعالى ﴿ لا يَسْتَوي القاعـدونَ مِنَ المؤمنينَ ، غَيْرُ أُولِي الضررِ ، والمُجَاهدونَ في سَبيلِ اللهِ بأموالِهِمْ وأنفُسِهِمْ ، فَضَّلَ اللهُ المُجاهدينَ بأموالِهِمْ وأنفُسِهِمْ على القاعِدينَ دَرَجَةً ، وَكُلاً وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى ، وَفَضَّـلَ اللهُ المجاهـدينَ عَلى القاعِـدِينَ أَجْرَاً عـظيمـاً ، درجاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ، وكانَ اللهُ غَفُوراً رحيما ﴾ .

وقال تعالى ﴿ انْفرُوا خِفافاً وثِقالاً ، وَجَاهِدُوا بأموالكم وأنفسكم في سَبيلِ اللهِ ذٰلكم خَيرٌ لكُمْ إنْ كنتم تعلمون ﴾ .

شعـــر :

أَطَيَبُ الطَّيِّبَاتِ فِعْلُ الفَــرائض   والجِهَاد في سَبِيْل الله لِقَتْلِ الأَعَادِيْ

وقال تعالى ﴿ لكِن الرسول والذين آمنوا مَعَهُ جَاهَدُوا بأمْوالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ ، وأولـئكَ لهُمُ الخَيْرَاتُ ، وأولـئكَ هُمُ المُفْلِحون ، أَعَدَّ اللهُ لهُمْ جَناتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ ، خالدينَ فيها ، ذَلِكَ الفوزُ العظيمُ ﴾ .

وأمَّا الأحاديثُ الواردةُ في فَضْلِ الجهادِ ، والحَثّ عليْهِ بالنفس والمالِ ، فإلَيْكَ مِنْهَا طَرَفاً ، فتَأَمّلْهُ ، وَأسْأَل اللهَ أنْ يُقيْمَ عَلَمَ الجِهادِ في سبيلِهِ ، وأَنْ يَرْزُقَنَا وإيَّاكَ الشَّهادَةَ ، وأنْ يُلْحِقَنا بالسَّلَفِ الصالحِ ، وَيَجْمَعَنَا وإيَّاهُمْ في مُسْتَقرِّ رَحْمَتِهِ إنه جواد كريم .

فعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنْهُ ، قالَ سُئِـلَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أيُّ العَمَلِ أفضَلُ ؟ قال « إيمانٌ باللهِ ورسولِهِ » قيل : ثُمَّ ماذا ؟ قال « الجِهادُ في سبيلِ اللهِ » قيل : ثُمَّ ماذا ؟ قال « حَجٌّ مَبْرورٌ » متفق عليه .

وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ : قُلتُ يا رسولَ اللهِ أَيُّ العَمَلِ أحبُّ إلى اللهِ تعالى ؟ قـال « الصلاةُ على وَقْتِهـا » قلتُ ثُمَّ أيٌّ ؟ قالَ « برُّ الوالدينِ » قلتُ : ثُمَّ أيٌّ ؟ قَالَ « الجِهادُ في سبيـلِ اللهِ » متفقٌ عليه .

وعنْ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ أَيُّ الأعمالِ أفضَلُ ؟ قالَ « الإيمانُ باللهِ والجِهادُ في سَبيلِهِ » متفقٌ عليه .

وعنْ أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ قَالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « لَغَدْوَةٌ في سبيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيرٌ مِنَ الدنيا ومَا فِيها » متفقٌ عَلَيْه .

شِعْرًا :

وَلَمْ أَرَى في عُيُوْبِ الناس عَيْباً ... كنَقْصِ القَادِرِيْنَ عَلى الجَهَادِ

جِهَادِ النَّفْسِ مَعْ قَتَلِ الأعادِيْ ... لِدِيْنِ اللهِ فَافهَمْ مِنْ مُرَادِ

وعنْ أبي سعيدِ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ : أَتَى رجُلٌ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ فقال : أَيُّ الناسِ أَفْضَلُ ؟ قال « مؤمِنٌ يجاهِدُ بنفسِهِ ومالِهِ في سبيلِ اللهِ » قالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قال « مؤمِنٌ في شِعْبٍ مِنَ الشِّعابِ ، يَعْبُدُ اللهَ ، وَيَدَعُ الناسَ مِنْ شَرِّهِ » متفقٌ عليه ، وعن سَهْلِ بن سعدٍ رضِيَ اللهُ عنهُ ، أَنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ « رِباطُ يَوْمٍ في سبيلِ اللهِ خَيرٌ مِنَ الدنيا وما عَلَيْها ، والرَّوْحةُ يَرُوحُها العبْدُ في سبيلِ اللهِ تعالى ، أَو الغَدْوةُ ، خَيرٌ مِنَ الدنيا وما عليها » متفقٌ عليه .

وعن سَلْمَانَ رَضِيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ « رِباطُ يومٍ وليلةٍ ، خيرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وقِيامِهِ ، وإنْ ماتَ فيهِ جَرَى عليهِ عملُهُ الذي كانَ يَعْمَلُ وأُجرِيَ عليهِ رِزْقُه ، وَأَمِنَ الفَتَّانَ » رواه مسلم .

وعن فُضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ ، أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ قالَ « كلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ على عَمَلِهِ إلَّا المُرابطَ في سبيلِ اللهِ ، فإنهُ يُنَمِّي له عَمَلَهُ إلى يومِ القيامةِ ، وَيُؤْمَنُ فِتْنَةَ القبْرِ » رواهُ أبو داودَ والتِرْمِذي ، وقال حديثٌ حسنٌ صحيح .

وعن عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ « رِباطُ يومٍ في سبيلِ اللهِ ، خيرٌ مِنْ أَلْفِ يومٍ فيما سِواهُ مِنَ المنازِلِ » رواه التِرْمِذي وقال : حديثٌ حَسَنٌ صحيح .

اللهمّ اعْصِمْنَا عَن المَعَاصِي والزَّلَّات ووفّقْنَا للعَمَل بالبَاقِيَاتِ الصَالِحَاتِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ولِجَمِيْع المُسْلِمِيْنَ الأَحياءِ مِنْهُم والمَيّتين بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلى اللّهُ على محمدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فَصْـــــل

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ « تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ في سبيلِهِ ، لا يُخْرِجُهُ إلا جِهادٌ في سَبيلي ، وإيمانٌ بي ، وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي ، فهو ضامِنٌ أنْ أُدخِلَهُ الجَنَّةَ ، أَوْ أُرْجِعَهُ إلى مَنْزِلِهِ الذي خَرَجَ مِنْهُ ، بِمَا نالَ مِنْ أَجْرٍ أو غَنيمَةٍ ، والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ ما مِنْ مَكْلومٍ يُكْلَمُ في سَبيلِ اللهِ ، إلا جاءَ يَومَ القيامةِ كَهيْئَةِ يَوْمَ كُلِمَ ، لَوْنُهُ لَونُ دَمٍ ، وريحُهُ رِيحُ مِسْكٍ ، والذي نفسُ محمدٍ بيَدِهِ ، لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ على المسلمين ، ما قَعَدْتُ خِلافَ سريَّةٍ تغزُو في سبيلِ اللهِ أَبداً ولكنْ لا أَجِدُ سَعَةً فأحْمِلُهُمْ ، ولا يَجِدُوْنَ سَعَةً ، وَيَشُقُّ عليهِمْ أنْ يَتَخَلَّفُوا عَني ، والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزُوَ في سبيلِ اللهِ فأقْتَلَ ، ثم أغزُوَ فأقْتَلَ » رواه مُسْلمٌ ، وعنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ « ما مِنْ مَكْلُوْمٍ يُكْلَمُ في سَبيْلِ اللهِ إلا جَاءَ يَومَ القيامةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَى ، اللَّوْنُ لون دَمٍ ، والرِّيْحُ رِيْحُ مِسْكٍ » متفق عليه .

وعن مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ ، عن النبيّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ « مَن قاتلَ في سبيلِ اللهِ مِنْ رَجُلٍ مسلمٍ ، فُوَاقَ ناقَةٍ ، وَجَبَتْ له الجنةُ ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحاً في سبيلِ الله ، أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً، فإنَّها تَجيءُ يومَ القيامةِ كأغْزَرِ ما كانتْ ، لونُها الزعْفَرانُ، وريحُها كالمِسْكِ » .

وعنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ ، قالَ مرَّ رجلٌ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بشِعْبٍ فيه عُيَيْنَةٌ مِنْ ماءٍ عَذْبةٍ ،

فاعْجَبَتْه فقالَ : لوْ اعتزَلْتُ الناسَ ، فـأقمْتُ في هذا الشّعْب ، ولنْ أفعَلَ حتى استأذنَ رسولَ الله صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فـذَكَر ذلـك لـرسولِ اللهِ صلى اللهُ عليـهِ وسلَّمَ ، فقالَ « لا تَفْعَـلْ ، فإنَّ مُقَـامَ أَحَدِكُمْ في سبيلِ اللهِ أفضَلُ مِنْ صِلاتِهِ في بيتِهِ سَبْعِينَ عـاماً ، ألاَ تُحِبُّونَ أنْ يغفِرَ اللهُ لكُمْ ، وَيُدْخِلَكُمْ الجنةَ أُغْزُوا في سبيلِ اللهِ ، مَنْ قاتلَ في سبيلِ اللهِ فُوَاقَ ناقةٍ وَجَبَتْ لهُ الجنةُ » رواهُ التِرْمذِي . وقال حديثٌ حسَنٌ .

وعنهُ قالَ قيلَ : يا رسولَ اللهِ ما يَعْدِلُ الجهاد في سبيلِ اللهِ ؟ قالَ « لا تستطيعُونَهُ » فأَعادُوا عليهِ مرَّتَيْنِ أو ثلاثاً ، كلُ ذَلِكَ يقولُ « لا تَسْتَطيعُونَهُ » ثم قالَ « مثلُ المُجَاهِدِ في سبيلِ اللهِ ، كَمَثَلِ الصائِمِ ، القـانِتِ بآيـاتِ اللهِ ، لاَ يَفْتُرُ مِنْ صـلاةٍ ولا صِيامٍ ، حتى يَـرْجِـعَ المجاهِدُ في سبيلِ اللهِ » متفقٌ عليه ، وهذا لفظُ مُسْلمٍ ،

وفي رِوايةٍ للبُخاري أَنَّ رجُلاً قالَ : يا رسولَ اللهِ دُلَّنِي على عَمَلٍ يَعْدِلُ الجهادَ : قالَ « لاَ أَجِدُهُ » ثُمَّ قالَ « هلْ تَسْتَطِيعُ إذا خَرجَ المجاهِدُ أنْ تَدْخُلَ مَسْجدَكَ ، فَتقومَ ولا تَفْتُرُ، وتصُومَ ولا تُفْطِرَ ؟ » فقالَ : وَمَنْ يَسْتطيعُ ذلك ؟ .

وعنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ « مِنْ خَيرِ مَعَاشِ الناسِ لهمْ رجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ في سبيلِ اللهِ ، يَطِيرُ على مَتْنِهِ ، كُلما سَمِعَ هَيْعَةً أو فَزْعَةً طارَ على مَتْنِهِ يَبْتَغِي القتلَ أَوِ المَوتَ مَظانَّه ، أَوْ رجلٌ في غُنَيْمَةٍ أَوْ شَعْفَةٍ مِنْ هذِهِ الشعَفِ ، أو بَطْنِ وادٍ مِنْ هذِهِ الأودِيَةِ ، يُقيمُ الصَّلاةَ ويُؤْتِيَ الزكاةَ ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حتى يأتِيَهُ اليَقِينُ ، ليسَ مِن الناسِ إلاَّ في خيْرٍ » رواه مسلم .

شعــــرا :

أفادَتْنِـــــي الدِّيَّانَـــــةُ كُلَّ عِزٍ   وَهَـــل شَيءٌ أعَـــزُّ مِنَ الدِّيَانَـــةْ

فَصَيِّرْهَـا لِنَـفْسِكَ رَأسَ مَالٍ وَصَيِّرْ بَعْدَها التَّقْوى بِضَاعَة

آخر : وما نُبَالي إذَا أَدْيَانُنَا سَلِمَتْ بِمَا فَقَدْناهُ مِن مَال ومن نَشَبِ

فَالمَالُ مُكْتَسَبٌ وَالْعِزُّ مَطْلَبُهُ في طَاعَةِ اللهِ لا في المال والنَّسَبِ

وعنه أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ قال « إنَّ في الجنةِ مائةَ دَرَجةٍ ، أعدَّها اللهُ للمجاهدينَ في سبيلِ اللهِ ، ما بينَ الدرجتينِ كما بينَ السماءِ والأرضِ » .

اللهم وَفِّقْنا لقولِ الحقِ واتّباعِهِ وَخَلِّصْنا مِنْ وساوِسِ قُلوبِنَا الحاملةِ على التورُّطِ في هُوَّةِ الباطِلِ وابتداعِهِ واجْعلْ إيمَانَنَا إيماناً خالِصاً صادِقاً قويّاً وَكُنْ لَنَا مُؤَيّداً ولا تَجْعَلْ لِفاجِرٍ عَلَينا يَداً واجْعَلْ عيشَنَا عَيْشاً رَغَداً . ولا تُشْمِتْ بِنا عَدُوّاً ولا حاسِداً وآرزُقْنا في مَحَبَّتِكَ عِلْماً نافِعاً ورِزْقاً واسعاً وعَملاً مُتقبَّلاً وحِفْظاً كاملاً وَفَهْماً ذَكِيّاً وَطَبْعاً صَفِيّاً وأَدَباً مُرْضِياً واغْفِرْ لنا ولِوالِدَيْنَا ولجميعِ المسلمين

اللهم أَلْهِمْنَا القِيامَ بِحَقِّك ، وَبَارِكْ لنا في الحَلالِ مِنْ رِزقِكْ ، ولا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقَكْ ، يا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ داع وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاج يا قَاضِيَ الحَاجَاتِ ويا مُجِيبَ الدَّعْوَاتِ هَبْ لَنَا ما سأَلْناه وحَقِّقْ رَجَاءنا فِيْمَا تَمَنَيْنَاهْ وأَمَّلْناه يا مَنْ يَمْلِكُ حَوائِجَ السَّائِلِيْنَ وَيَعْلَمُ ما في ضَمَائِرِ الصَّامِتِيْن ، أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِك ، وحَلاوة مَغْفِرَتِك ، يا أَرْحَمَ الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

« فَصْــلٌ »

عن أَبِي سعيدٍ الخُدْرِيّ رضِيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ قالَ « مَنْ رَضِيَ باللهِ ربّاً ، وبالاسلام دِيْناً ، وبمحمدٍ رسولاً ، وَجَبَتْ لهُ الجنةُ » فعَجِبَ لها أبو سعيدٍ ، فقالَ أعِدْهَا عليَّ يا

رسولَ اللهِ . فأعادَها عليهِ ، قال « وأُخْرَى يرفَعُ اللهُ بِهَا العبدَ مائةَ دَرَجَةٍ في الجنةِ ، ما بينَ كُلِّ درجتين كما بينَ السماءِ والأرضِ » قالَ : وما هيَ يا رسولَ اللهِ ؟ قال « الجهادُ في سبيلِ اللهِ ، الجهادُ في سبيلِ اللهِ » رواهُ مسْلم .

وعنْ أبي بكرِ بْن أبي مُوسى الأشْعَري قَالَ : سمعتُ أبي رَضِيَ اللهُ عنه ـ وهو بِحضْرَةِ العَدُوِّ ـ يَقولُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم « إنَّ أَبوابَ الجَنةِ تحتَ ظِلالِ السُيوفِ » فقامَ رجُلٌ رثُّ الهيْئةِ ، فقالَ : يا أبا موسى أنتَ سمعتَ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ يقولُ هذا ؟ قالَ : نعمْ . فَرَجَعَ إلى أَصْحابِهِ فقالَ : أقرأُ عليكُم السلامَ ، ثم كَسَرَ جفْنَ سيفِهِ ، فألقَاهُ ، ثم مشَى بسيفِهِ إلى العدُوِّ ، فَضَرَبَ بِهِ حتى قُتِلَ ، رواهُ مسلمٌ .

وعن أبي عَبْسٍ عبدِ الرحمنِ بنِ جَبْرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ ، قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ « ما اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ في سبيلِ اللهِ فَتَمَسُّهُ النارُ » رواهُ البُخاري .

وعنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « لا يَلِجُ النارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيةِ اللهِ ، حتى يَعُودَ اللَّبَنُ في الضِّرْعِ ، ولا يَجْتمِعُ على عَبدٍ غُبارٌ في سبيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنمَ » رواهُ الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ صحيح .

وعن ابن عباسٍ رضِيَ اللهُ عنهما قالَ سمعْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ يقولُ « عَيْنانِ لا تَمسُّهُما النارُ ، عَينٌ بَكَتْ مِن خَشْيةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ باتتْ تَحْرُسُ في سبيلِ اللهِ » رواهُ الترمذيُ وقالَ حديثٌ حسنٌ .

وعن زيدِ بنِ خالدٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ

عليهِ وسلمَ قالَ « مَنْ جَهَّزَ غَازِياً في سَبيلِ اللهِ فقَدْ غَزَا ، وَمَنْ خَلَفَ غازِياً في أَهْلِهِ بخيرٍ فقدْ غزَا » متفقٌ عليه .

وعنْ أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ أَنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ قالَ « ما أحَدٌ يدخُلُ الجنةَ يُحِبُّ أنْ يَرْجِعَ إلى الدُنْيَا ، ولهُ مَا عَلى الأرْضِ مِنْ شَيءٍ ، إلا الشهيدُ ، يَتمَنَّى أنْ يَرْجِعَ إلى الدنيا ، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَراتٍ ، لِما يَرَى مِنْ الكَرَامةِ » وفي رِوايةٍ « لِمَا يَرى مِنْ فَضْلِ الشَّهادَةِ » .

وعَنْ عبدِ اللهِ بنِ عَمْروٍ بن العاصِ رضِيَ اللهُ عنهُما أَنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ قالَ « يُغْفَرُ للشَّهيدِ كلُّ ذَنْبٍ إلا الدَّيْن » رواهُ مُسْلم ، وفي روايةٍ لهُ « القتلُ في سبيلِ اللهِ يُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ إلا الدّيْن » .

اللهمَّ اعصِمْنا وارْحمنا عَن الرُّكُونِ إلى عِدَاكَ وارزُقْنا بُغضَهُمْ وأعْوانِهِم وَوَفِّقْنا لِمَحبتكَ وَمَحَبَّةِ رُسُلِكَ وَأَوْلِيَائِكَ واجْعَلْنا هُداةً مُهْتَدِينَ اللَّهُمَّ نَجّنا بِرَحْمَتِكَ مِن النار وعَافنا من دارِ الخِزْيِ والبَوَارِ وأَدْخِلْنَا بِفَضْلِكَ الجَنةَ دارَ القَرارِ وعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيْمُ يَا غَفارُ واغفِرْ لنا ولِوَالِدَيْنا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُم والمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الراحمينَ وصَلّى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين .

موعظة عِبَادَ اللهِ ، إنَّ الأولادَ بدُونِ تَربيةٍ لا قِيمةَ لهُمْ بينَ صُفُوفِ الأولادِ ، بَلْ هُمْ بدونِ تَرْبيَةٍ مُصيبَةٌ كُبْرَى على الوالِدَيْنِ خاصةً وعلى المُجْتَمعِ كُلّهِ وخيرٌ مِنْ وُجودِهِمْ بِدُونِ تَرْبيةٍ أَوْ بتَرْبِيَةٍ فاسِدَةٍ عَدَمُهُمْ ، لأَنَّهُ ليسَ في عَدَمِهِمْ ضررٌ ، لا على الوالدينِ ولا على الجماعةِ ولا على الأفرادِ ، بلْ في عَدَمِهِمْ مَصَالِحُ مُتَعَددةٌ ، هذا بيانُ حالِهِمْ بلا تَرْبِيةٍ أو بتربيةٍ فَاسدةٍ ، فَلْيَعْلَمْهُ الرجُلُ الحكيمُ ، أما التربيةُ فشَيءٌ هَيّنٌ

يسيرٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ عزَّ وجَلَّ فَمِنَ الأَسْبابِ إذا أرادَ اللهُ أن لا تَعْمَلَ أنت وزوجتُكَ أمامَ أولادِكُما شيئاً يكونُ فاعلُهُ مُتَوَجّهاً عليهِ قَدْرٌ من اللوْمِ ، بَلْ تَلْزمانِ الآدابَ السامية والأخْلاقَ الفاضِلَةَ ليقْتَدُوا بكُمَا ، ذلكَ لأنَّ الولدَ يُقَلّدُ غالباً أُمَّهُ وأباهُ تقليداً مُطْلَقاً لاعِقالَ لهُ ولا زِمامَ ويتحَدَّثُ عنْ سِيْرةِ أبَوَيْهِ وَأَفْعالِهمَا ويفتخِرُ بهِما وبما لَهُما مِنْ سَجَايا ويمْدَحُهُما ويذُبُّ عَنْهُمَا بكُلِّ ما يستطيعُ هذا في الغالبِ كما ذَكرْنا ويندُرُ خِلافُه تأمَّلْ ما حكاهُ القرآنُ الكريمُ لِتعْلَمَ أنَّ ذلكَ صدقٌ وأنَّ صلاحَ الأَبَوَينِ وَتَوْجيهَهُما تَوْجيهاً حَسَناً عليهِ مدارٌ عظيمٌ ذكرَ اللهُ في كتابهِ العزيز مرَّاتٍ أنَّ الرُسُلَ بعدَ اظْهارِ المُعْجزاتِ يَدْعُوْنَ قومَهُمْ للكَمالِ فيُكَذّبونَهُم في دَعْوَتِهِمْ وهُمْ رُسُلُ اللهِ بحُجّةِ أَنَّ آبائهُمْ لَيْسَتْ أَعْمَالُهُمْ كهذِهِ الأَعْمالِ فَيُرَجّحُونَ عَمَلَ آبائِهِمْ وهو كفْرٌ على ما جاءَ بهِ الرُسُلُ وهو دِينُ رَبّنا ذِي الجَلالِ والإِكْرام قالَ تعالَى عنْ ما قالوه ﴿ إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمّةٍ وإنّا على آثارِهِمْ مُقْتَدون ﴾ وفي الآيةِ الأُخْرى ﴿ وإنا على آثارِهِمْ مُهْتَدون ﴾ هكذا الآباءُ عِنْدَ الأبناءِ بهذِهِ المَنْزِلَةِ العُظْمَى التي عِندَهُمْ لا تُدانِيها مَنْزِلَةُ عظيمٍ واسْمَعْ إلى قَوْلِ الفَرَزْدَق يَتَحَدَّى جريراً :

أُولئكَ آبائِي فجِئْنِي بِمِثْلِهِم
إِذَا جَمَعَتْنَا يا جَرِيرُ المَجَامِعُ

ويقول الآخر

إِنَّا لَنَبْنِي على مَا شَيَّدَتْهُ لنا
آبَاؤُنا الغُرُّ مِن مَجدِو مِن كَرَمِ

آخر :

وَيَنْشَأُ نَاشِيءُ الفِتْيَانِ مِنَّا
عَلَى مَا كَان عَوَدَهُ أَبُوْهُ

حتى إنهُم كانوا في الجاهليةِ يَحْلفونَ بآبائِهِمْ حتى نَهَاهُمُ النبيُ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ فقالَ « لا تحْلِفوا بآبائكم وكذلك نَهى عن الحَلْفِ بغيرِ الآباءِ ، ولِذَلِك أَبْنَاءُ الوَالدَيْنِ الكَامِلَيْنِ لا يَعمَلانِ إلّا الأعمالَ الحسنةَ التي رَأَوْا والدَيْهم يَعْمَلانِهَا فَيشِبُّونَ وَيَشِيبُون لا يَعْرفونَ إلاَّ الكَمالَ ولو كَلفْتَهُم غيرَهُ قالوا : إنَّ هَذَا وَالِدَانا لاَ يَعْرفانِه ، وَتَجِدُ أَبناءَ المُنْحَرِفينَ الفاسِدينَ فاسِدِينَ كآبائِهِمْ غالِباً ، لِأَنَهَّمْ وَرِثُوا الفَسَادَ مِنْ أَبَوَيْهِمْ ، ولِذَلِكَ تَجِدُ أَبْنَاءَ الفاسِدِينَ الفاسِقِينَ يَحْكُوْنَ عنْ آبائِهِمْ ما يَتَغيَّرُ لَهُ وجْهُ صَاحِبِ الدِّيْنِ ومِنَ النادِرِ أنْ تَجِدَ وَلَدَ الفاسِدينَ لَيْسَ فَاسِداً ومِنَ الشُذوذِ أيضاً أَن تَجِدَ وَلَدَ التَّقِيِّ والتقيّةِ شَقِيّاً فاسداً هذا يُعرَفُ قديماً قبلَ أنْ يَتَولَّى تَعْلِيْمَ الشَّبابِ ضِعَافُ الدِّيْنِ وَمَنْ لا دِيْنَ لَهُمْ ولا أَخْلَاقَ وإنْ شِئْتَ فاقرَأْ قولَ اللهِ تَعالَى ﴿ يا أُخْتَ هارونَ ما كان أبوُكِ امْرَأَ سَوْءٍ وما كانتْ أُمكِ بَغِيًّا ﴾ ولم يُبَرِّئْهَا قَومُها مِن الفاحِشَةِ إلاَّ بَعْدَ أَنْ بَّرأَهَا اللهُ جَلَّ وعَلاَ عَقِبَ الولاَدَةِ على لِسانِ وَلَدِهَا عِيسَى عليهِ السلامُ عَرَفَ قَوْمُهَا أنَّ الوَلَدَ يَتْبَعُ أَبَوَيْهِ في الغَالِبِ حَسْبَ العَادَةِ التي أَجْرَاهَا اللهُ جَلَّ وعَلا في الصَّلاحِ والفسادِ في الأَبَوَيْنِ فاسْتغْرَبُوا مِنْ مَرْيَمَ الطاهِرَةِ العَفِيْفَةِ أَنْ تَفْعَلَ الفاحِشَةَ لَمَّا رَأَوْا بأَعيُنِهِمْ على كَتِفِهَا وَلداً مِنْ الأَوَلادِ وبِحَسْبِ ما أَجْرَى اللهُ مِنَ العَادَةِ أَنَّهُ لا يَجِيءُ الوَلَدُ إلاَّ مِنْ والِدٍ لِذلِكَ فهِمَ قومُها فِيْهَا أَنهَّا جاءَتْ هَكَذَا مِنْ وَالِدَيْنِ صَالِحَيْنِ على خِلَافِ المعْتادِ وَلَمْ يَعْرِفُوا أَنها جَاءَتْ كالعادةِ صَالِحةً مِنْ صَالِحَيْنِ إلاَّ

بَعْدَ أَنْ كَلَّمَهُمْ ولدُها عيسى عليهِ السلامُ عَقِبَ ولادَتِهِ بما يُبَرِّؤُهَا رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ كلامَهُمْ أَقْبَلَ عليهِمْ وَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَأَشَارَ بِيَمِيْنِهِ ، ثُمَّ بَدَأَ يَتَكَلَّمُ فَوَصَفَ نَفْسَهُ بِجُمْلَةِ صِفَاتٍ فقالَ ﴿ إِنِّي عبدُ اللهِ آتانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَما كنْتُ وأَوْصَانِي بالصَّلاةِ والزَّكاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً وَبَرّاً بوالِدَتِي ولَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ، والسلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ ، ويومَ أموتُ ، ويومَ أُبْعَثُ حَيّاً ﴾ .

فَوِلادَةُ عيسَى عليهِ وَعلَى نبيِّنَا أَفْضَلُ الصلاةِ والسلامِ عَجِيْبَةٌ حَقّاً بالقِيَاسِ إلى مَأْلوفِ البَشَرِ وَلَكِنْ لا غَرَابَةَ فِيْهَا عِنْدَما تُقَاسُ إلى خَلْقِ آدَمَ أَبِي البَشَرِ قَالَ اللهُ تعالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عيسى عندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قالَ لهُ كُنْ فيكونُ ﴾ فاللهُ جَلَّ وعَلا لَا يُعْجِزُهُ شَيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ والهَدَفُ المَقْصُوْدُ مِنْ مَا تقدَّمَ الحِرْصُ والجِدُّ والاجتهادُ على توْجيهِ الأَوْلَادِ إِلَى الأَعْمَالِ الصالِحَةِ والأَخْلَاقِ الفاضِلَةِ وَأَنْ يَحْرِصُوا جِدّاً على مُلاحَظَتِهِمْ وَحِفْظِهِمْ عنْ مُرافَقَةِ الأَشْرَارِ وَمَنْعِهِمْ مِنْ حُضُورِ المَلاهِي والمُنْكَرَاتِ كالتِلْفِزْيُوْن مقْبَرَةُ الأَخْلَاقِ والفِيْدِيُو مُعَلِّمِ الفَسَادِ والكُوَرَةِ مُوْرِثَةِ العَدَاوَةِ والفُرقَةِ بينَ القُلُوبِ والأَبْدَانِ وَمِنَ الخُرُوجِ لَيْلاً حَسْبَ الاستِطَاعَةِ والقُدْرَةِ والهِدايَةُ والتوفيقُ بيدِ اللهِ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَلَوْ كَانَ مِنْ ذُرِّيَّةِ الرُسُلِ وَيَهْدِيْ مَنْ يَشَاءُ ولو كانَ مِنْ أَوْلَادِ الفَرَاعِنَةِ والكَفَرَةِ قالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا المَرْءُ لَمْ يُخْلَقَ سَعِيْداً تخَلَّفَتْ ظنُونُ مُرَبيْهِ وَخَابَ الْمُؤَمِّلُ
فَمُوْسَى الذِيْ رَبَّاهُ جِبْرِيْلُ كَافِرٌ وَمُوسَى الذي رَبَّاهُ فِرْعَوْنُ مُرْسَلُ

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا عِلْماً نافِعاً وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً وَرِزْقاً وَاسِعاً نَسْتَعِيْنُ بِهِ عَلَى طَاعَتِكَ ، وَقَلْباً خَاشِعاً ، وَلِسَاناً ذَاكِراً ، وَإِيْمَاناً خَالِصاً ، وَهَبْ لَنَا إِنَابَةَ المُخْلِصِيْنَ ، وَخُشُوْعَ المُخْبِتِيْنَ ، وَأَعْمَالَ الصَّالِحِيْنَ ، وَيَقِيْنَ الصَّادِقِيْنَ ،

وَسَعَادَةَ المُتّقِيْنَ ، وَدَرَجاتِ الفَائِزِيْنَ ، يَا أَفْضَلَ مَنْ رُجِيَ وَقُصِدَ ، وَأَكْرَمَ مَنْ سُئِلَ

اللّهُمَّ يَا مَنْ لاَ تَضُرُّهُ الْمعصِيَةُ ولا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْم الغَفْلَةِ وَنَبّهنْا لِإغْتِنَام أَوْقَاتِ المُهْلَةِ وَوَفّقْنَا لِمصَالِحِنَا واعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنا وذُنُوبنا ولا تُؤخذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عليْه ضَمائِرُنا وأَكَنَّتْهُ سَرَائِرُونا مِنْ أَنْوَاع القَبَائِح والمَعَائِب

اللهمَّ أَرِنَا الحَقَّ حَقّاً وارزُقْنا اتِّبَاعَهُ وَأَرِنَا الباطلَ باطلاً وارزُقْنَا اجْتِنَابَهُ واغْفِرْ لَنَا ولوالدِينا ولجَميعِ المسلمينَ بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الراحمينَ وصلَّى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجمعين .

« فَصْــلٌ »

في هذه الآيات الكريماتِ ، والأحاديثِ الشريفةِ بيانُ فَضْلِ الجِهادِ والشُهَدَاءِ وكرامَتُهُمْ ، وما مَنَّ اللهُ عليهِمْ بِهِ مِنْ فَضْلِهِ وإحْسانِهِ ، وفي ضِمْنِهَا تَسْليَةٌ للأَحْيَاءِ عنْ قَتْلاهم ، وتعْزِيَةٌ لهم ، وتنشيطٌ لهم على القِتالِ في سبيلِ اللهِ والمثَابَرَةِ عليهِ ، والتعرُّضِ لِلشَّهَادَةِ ، والجِدّ والاجتهادِ في الحُصُولِ عليها ، نسألُ اللهَ الحيَّ القيومَ ، العليَّ العظيمَ ، أنْ يوفِقَنَا لها ، إنه القادرُ على ذلك .

عن أَنَسٍ بن مالكٍ ـ في أَصْحَابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَمَ ، الذين أرسلَهُمْ نبيُّ اللهِ إلى بئْرِ مَعُونةَ ـ قالَ لا أَدْري أربعينَ أو سبعينَ ، وعلى ذلك الماءِ عامرُ بنُ الطفيلِ الجعفريُ ، فخرَجَ أولئك النَفَرُ مِنْ أصْحابِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ ، حتى أَتَوْا غاراً مُشْرفاً على الماءِ ، فقعَدُوا فيهِ ، ثم قالَ بعضُهُم لِبعْضٍ : أيُكُمْ يُبَلّغُ رسالةَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أهْلَ هذا الماءِ ؟ فقالَ ـ أُراهُ ـ أَبو مِلْحانَ الأنْصَارِي : أَنَا أُبَلّغُ رِسَالَةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ ، فَخَرَجَ حتى أَتى حَوْلَ بيتِهِمْ، فاختبأ أَمامَ البُيوتِ ، ثُمَّ قالَ : يا أَهْلَ بِئْرِ مَعُونةَ ، إني رسولُ رسولِ اللهِ إليكُمْ ، أني أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ

اللهُ ، وأنّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، فآمِنُوا باللهِ ورسُولِهِ ، فَخَرَجَ رَجُلٌ من كِسْرِ البيتِ برمْحٍ ، فضَرَبَه في جَنْبِهِ حتى خَرج ِمن الشّقّ الآخر ، فقالَ : اللهُ أكبَرُ فُزْتُ وربِّ الكعبةِ ، فاتّبَعُوا أثَرَهُ ، حتى أتَوْا أصحابَه في الغار ، فقَتَلَهُمْ أجمعين عامرُ بنُ الطفيلِ ، وقال اسحاقُ وهو ابنُ أبي طلحةَ حدثني أنسُ بنُ مالكٍ أنَّ اللهَ أنزلَ فيهِمْ قُرآنا ﴿ بَلِّغُوا عنا قَومَنَا أنّا قَدْ لَقِيْنا رَبَّنا فَرَضِيَ عَنا ، وَرَضِينا عنه ﴾ ثم نُسِخَتْ ، فَرُفِعَتْ بعْدَ ما قرأناها زَماناً ، وأنزل الله تعالى ﴿ ولا تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلوا في سبيلِ اللهِ أمواتاً ، بلْ أحيآء عندَ رَبّهِمْ يُرْزَقون ﴾ فقال : أمَا أنَّا قَدْ سَأَلْنا عن ذلك رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ فقالَ « أرواحُهُمْ في جوفِ طيْرٍ خُضْرٍ ، لها قناديلُ مُعَلَّقةٌ بالعَرْشِ ، تَسْرَحُ مِنَ الجَنةِ حَيْثُ شاءَتْ ، ثم تأوِي إلى تلك القناديلِ ، فاطَّلَعَ عليهم ربُهُم إطلاعةً ، فقال « هل تشتهون شيئاً ؟ فقالُوا : أيَّ شيءٍ نشتهي ونحنُ نَسْرَحُ مِن الجنةِ حيثُ شِئْنَا ؟ ففعل ذلك بهِمْ ثلاث مراتٍ ، فلمَّا رأَوْا أنهم لن يُتْرَكُوا مِنْ أنْ يُسْألوا قالُوا : يا ربُّ نريدُ أنْ تَرُدَّ أرواحَنا في أَجْسَادِنَا ، حتى نُقْتَلَ في سبيلِكَ مرةً أُخْرى ، فلمَّا رأى أنْ ليس لهُمْ حاجةً تُرِكُوا » .

قالَ ابنُ القَيّمِ رحمه اللهُ : عَزَّي اللهُ نبيَّهُ وأولياءَهُ عَمَّنْ قُتِلَ منهُمْ في سبيلِهِ ، أَحْسَنَ تعزيةٍ وألطَفَهَا ، وأدْعاهَا إلى الرِّضَا بما قضاهُ لهمْ ، فقالَ ﴿ ولا تحسَبَنَّ الذين قُتِلوا في سبيلِ اللهِ أمواتاً ﴾ الآية فجمَعَ لهُمْ إلى الحياةِ الدائمةِ منزلةَ القُرْبِ منْهُ ، وأنهم عندَهُ ، وَجَريانَ الرزْقِ المستَمّرِ عليهم وفرَحَهُمْ بما آتاهمُ اللهُ مِنْ فضلِهِ وهو فوقَ الرّضَا واستبشارَهُمْ باخوانِهِمْ الذين باجتماعِهِمْ بهِمْ يتمُّ سرورُهُم ونعيمُهُمْ

واستبشارَهُم بما يُجدِّدُ لهم كلَّ وقتٍ مِنْ نِعْمَتِهِ وكرَامَتِهِ .

وعن أَنَسٍ أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ قال « ما مِنْ نفسٍ تموتُ لها عندَ اللهِ خيرٌ ، يَسُرُّها أَنْ ترْجِعَ إلى الـدنيا ، إلا الشَهيدَ ، فإنهُ يسرُّهُ أن يرجِعَ إلى الدنيا ، فَيُقْتلَ مرةً أُخْرى مِمَّا يَرَى مِنْ فضْلِ الشَّهادَة » تَفَرَّدَ بهِ مُسْلم .

وعن جابر قالَ قالَ لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « أَعَلِمْتَ أنَّ اللهَ أحيا أباكَ ، فقال له : تَمَنَّ . فقالَ له : أُرَدُّ إلى الدنيا ، فأقتَلُ فيكَ مرةً أُخْرَى ، قالَ : إِنِي قَضَيْتُ أنهُم إليها لا يُرْجَعُون » وعنْ جابِرِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ لمَّـا قُتِلَ أبي جعلتُ أبكي ، وأكشِفُ الثـوبَ عن وجهِهِ ، فجعلَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلمَ يَنْهَوْنَني ، والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ لم يَنْه ، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ « لا تبْكِهْ ـ أو ما تَبْكيه ـ ، ما زالتْ الملائكةُ تُظِلُّهُ بأَجْنِحَتِها حتى رُفع » وعن ابنِ عباسٍ رضِيَ اللهُ عنهما ، قال قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلم « لَمَّا أُصِيْبَ إخْوانُكم يَوْمَ أُحُدٍ ، جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ في أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، تَرِدُ أَنْهارَ الجَنَّةِ ، وَتَأْكُلُ مِن ثِمارِهَا ، وَتَأْوِيْ إلىٰ قَنادِيْلَ مِن ذَهَبٍ في ظِلِّ العَرْشِ ، فَلَمَّا وَجَدَوْا طِيْبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ ، وحُسْنَ مَقِيْلِهِم ، قالُوا : يا لَيْتَ اخْوَانَنَا يَعْلَمُوْنَ مَا صَنَعَ اللهُ بِنَا لِئَلاَّ يَزْهَدُوا في الجِهَاد ، ولا يَنْكُلُوا عن الحَرْبِ ، فقالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أنا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ ، فأُنْزِلَ هَذه الآياتِ ﴿ ولا تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلُوا في سَبِيْلِ اللهِ أَمْوَاتاً ، بَلْ أَحْيَآءٌ عِنْدَ رَبِّهم يُرْزَقُون ، فَرِحِيْنَ بِمَا آتَاهُم اللهُ مِن فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُوْنَ بالذِيْنَ لَمْ يَلْحَقُوْا بِهِم مِنْ خَلْفِهِم ، ألَّا خَوْفٌ عَلَيْهِم ولا

هُمْ يَحْزَنُون ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ ، وأَنَّ الله لا يُضِيْعُ أَجْرَ المؤمنين ﴾ الآيات .

قال ابن القيم رحمه الله :

فالشَّأنُ لِلأرْوَاحِ بَعْدَ فِراقِهَا
أبدانهَا والله أَعْظَمُ شَانِ
إمَّا عَذَابٌ أَوْ نَعِيْمٌ دَائِمٌ
قَدْ نُعِمَتْ بالرَّوْحِ والرَّيْحَانِ
وتَصِيْرُ طَيْراً سَارِحاً مَعْ شِكْلِهَا
تجْنِي الثِّمَارَ بجَنَّةِ الحَيَوانِ
وَتَظَلُّ وَارِدَةً لِأَنْهَارٍ بِهَا
حَتَّى تَعُودَ لِذَلِكَ الجُثْمَانِ
لَكِنَّ أَرْوَاحَ الذِيْنَ اسْتُشْهِدُوا
في جَوفِ طَيْرٍ أَخْضَرٍ رَيَّانِ
فلَهُمْ بِذَاكَ مَزِيَّةٌ في عَيْشِهِم
وَنَعِيمُهُم لِلرُّوْحِ والأَبْدَانِ
بَذَلُوا الجُسُومَ لِربهم فأَعَاضَهُمْ
أَجْسَامَ تِلكَ الطيرِ بالإحْسَانِ
وَلَهَا قَنَادِيلُ إِلَيهَا تَنْتَهِي
مَأوىً لَهَا كَمَسَاكِنِ الإنْسَانِ
فالرُوْحُ بَعدَ الْمَوْتِ أَكْمَلُ حَالَةٍ
مِنْهَا بهذِي الدَارِ في جُثْمَانِ
وَعَذَابُ أشْقَاهَا أَشَدُّ مِنَ الـ ـقَلتيْ عَايَنَتْ أَبْصَارُنَا بِعَيَانِ

اللهم يا فالقَ الحب والنّوى ، يا مُنْشِىء الأَجْسَادِ بَعْدَ البلَى يا مُؤْيِ المنْقَطِعِينَ إليهْ ، يا كافِي المُتَوَكّلين عليه ، انْقطَعَ الرَّجَاءُ إلا منْكْ ، وخابَتِ الظُّنُونُ إلا فِيْك ، وضَعُفَ الاعْتِمَادُ إلا عَلَيْكْ نسألُكَ انْ تُمْطِرَ مَحْلَ قُلُوبنا مِن سَحَائِبِ بِرِّكْ وإحْسَانِكْ وأنْ تُوفقَنا لِموجباتِ رَحْمتِكَ وعَزَائِمِ مَغفِرتك إنكَ جَوادٌ كريمٌ رؤوفٌ غفُورٌ رحيم .

اللهم إنّا نسألك قَلْباً سليماً ، ولِسَاناً صَادِقاً ، وعَمَلاً مُتَقَبَّلاً ، ونسألك بَرَكَةَ الحياةِ وخَيْرَ الحَيَاةِ ، ونَعُوذ بِكَ مِن شَرّ الحياةِ ، وشَرّ الوَفَاةْ اللّهُــمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمْينَ بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وصَحْبِهِ اجْمَعِيْنَ .

وقال عبدُ الله بنُ عَمْروٍ بن حَرَام : رَأَيْتُ في النَّوْمِ قَبْلَ أُحُدٍ مُبَشّر بنَ عَبْدِ المُنْذِرِ يَقُولُ لِيْ : أَنْتَ قَادِمٌ عَلَيْنَا في أيَّام . فقُلْتُ وَأَيْنَ أَنْتَ ؟ فقال : في الجَنّةِ نَسْرَحُ فِيْهَا حَيْثُ نَشَاءُ ، قُلْتُ لَهُ أَلَمْ تُقْتَلْ يوم بَدْرٍ ؟ فقالَ : بَلَى ، ثم أُحيِيْتُ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم ، فقالَ « هَذِهِ الشَّهَادَةُ يَا جَابِرُ وقال خيثَمَةُ وكانَ ابْنُهُ قَدْ اسْتُشْهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يومَ بَدْرٍ ـ : لَقَدْ أَخْطَأْتَنِي وَقْعَةُ بَدْرٍ ، وَكُنْتُ واللهِ عليها حَرِيْصا .

حَتَّى سَاهَمْتُ ابْنِيْ في الخُرُوْجِ ، فَخَرَجَ سَهْمُهُ فَرُزِقَ الشَّهَادَةَ وقد رَأَيْتُ البَارِحَةَ ابْنِي في النومِ في أَحْسَنِ صُوْرَةٍ ، يَسْرَحُ في ثِمَارِ الجَنَّةِ وَأَنْهَارِهَا ، يَقُولُ : الحقْ بِنَا تُرَافِقُنَا في الجَنةِ، فقدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَ رَبِي حَقا ، وَقَدْ وَاللهِ يَا رسولَ اللهِ أَصْبَحْتُ مُشْتَاقاً إلى مُرَافَقَتِهِ في الجنةِ ، وقدْ كَبُرَتْ سِنّي ، وَرَقَّ عَظْمِي وَأَحْبَبْتُ لِقَاءَ رَبي ، فَادْعُ اللهَ يا رَسُولَ اللهِ أَنْ يَرْزُقَنِي الشهادةَ ومُرَافَقَةَ سَعْدٍ في الجنةِ ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ بِذَلِكَ ، فَقُتِلَ بأُحُدٍ شَهيْدَا ، وقال عَبْدُ الله

بنُ جَحْشٍ في ذلكَ اليَومِ : اللَّهُمَّ إني أُقْسِمُ عَلَيْكَ أنْ الْقَى العَدُوَّ غدًا فَيَقْتُلُونِي ثم يَبْقُرُوا بَطْنِي ، وَيَجْدَعُوا أَنْفِي وَأُذُنِي ، ثم تَسْأَلُنِي فِيْمَ ذَلِكَ فأَقُولُ : فِيْكَ .

وكانَ عَمْرو بنُ الجَمُوحِ أَعْرَجَ ، شَدِيْدَ العَرَجِ ، وكانَ لَهُ أَرْبَعَةُ بَنِيْنَ شَبَابٌ ، يَغْزُوْنَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم إِذَا غَزَا ، فَلَمَّا تَوَجَّهَ إلى أُحُدٍ ، أَرَادَ أَنْ يَتَوَجَّهَ مَعَهُ ، فقال له بَنُوْهُ : إِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ لَكَ رُخْصَةً ، فلو قَعَدْتَ وَنَحْنُ نَكْفِيْكَ وقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الجِهَادَ ، فأَتَى عَمْرُو بنُ الجَمُوحِ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فقال : يا رسولَ اللهِ إنَّ بَنِيَّ هَؤلاَءِ يَمْنَعُونِي أنْ أَخْرُجَ مَعَكَ ، واللهِ إِنِي لأَرْجُو أَنْ أُسْتَشْهَدَ ، فَأَطَأَ بعَرَجَتِي هَذِهِ في الجَنَّةِ ، فقال لَهُ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلم « أما أَنْتَ فَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الجِهَادَ » وقال لِبَنِيْهِ « وَمَا عليكُم أَنْ تَدَعُوْهُ ، لَعَلَّ اللهَ عَزَّ وَجل أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ » فَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فَقُتِلَ يومَ أُحُدٍ شَهِيْدًا » .

وعن أنس رضِيَ الله عنه قال : غَابَ عَمِي أنسُ بنُ النَّضْرِ رَضِيَ اللهُ عنه عن قِتَالِ بَدْرٍ ، فقال : يا رسولَ اللهِ غِبْتُ عن أَوَّلِ قِتالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِيْنَ ، لَئِن اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِيْنَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ ، فلمَّا كانَ يوم أُحُدٍ ، وانْكَشَفَ المُسْلِمُونَ قال : اللَّهُم إني أَعْتَذِرُ إليكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤلاَءِ ، يَعْنِي أَصْحَابَهُ ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤلاَءِ ، يَعْنِي المُشْرِكِيْنَ - ثم تَقَدَّمَ ، فاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ ، فقالَ : يَا سَعْدُ بنَ مُعَاذٍ الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ ، إِنِّي أَجِدُ رِيْحَهَا مِن دُوْنِ أُحُدٍ ، قال سَعْدٌ : فما اسْتَطَعْتُ يا رسولَ اللهِ ما صَنَعَ ، قال أنسٌ : فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعاً وَثَمَانِيْنَ ضَرْبَة بالسَّيْفِ ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ

قُتِلَ ، وَمَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إلا اخْتُهُ بِبَنَانِهِ قال أَنَسٌ : كُنَّا نَرَى أَوْ نَظُنُّ ـ أَنْ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفي أَشْبَاهِهِ ﴿ مِن المؤمنينَ رجالٌ صَدَقُوا ما عَاهَدُوا اللهَ عليه، فمنهم مَن قضَى نَحْبَهُ ﴾ إلى آخرها متفق عليه .

وعن سمرة رضي اللهُ عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت الليلة رجلين أتياني ، فصعدابي الشجرة ، فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل ، لم أر قط أحسن منها ، قالا أما هذه الدار فدار الشهداء » رواه البخاري .

شِعْرَاً :

لِيَبْكِ رسولَ اللهِ مَن كانَ بَاكِيَا
ولا تَنْسَ قَبراً بالمَدِيْنَةِ ثَاوِيَا
جَزَى اللهُ عنَّا كُلَّ خيرٍ مُحَمَّداً
فَقَدْ كَانَ مَهْدِياً دَلِيْلاً وَهَادِيَا
وَلَنْ تَسْرِيَ الذِكْرَى بِمَا هُو أَهْلُهُ
إذا كُنْتَ لِلْبَرِّ المُطَهَّرِ نَاسِيَا
أتَنْسَى رَسُولَ اللهِ أفْضَلَ مَن مَشَى
وآثَارُهُ بالمَسْجِدَيْنِ كَمَا هِيَا
وَكَانَ أَبَرَّ النَاس بالنَاسِ كُلِّهم
وَأَكْرَمَهُم بَيْتاً وشِعباً وَوَادِيَا
تَكَدَّرَ مِن بَعدِ النبيِ مُحَمَّدٍ
عليهِ سلامُ اللهِ مَا كَانَ صَافِيَا

فَكَم مِن مَنَارٍ كَانَ أوضَحَهُ لَنَا
ومِن عَلَمٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ عَافِيَا
رَكَنَا إلى الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ بَعْدَهُ
وكَشَّفَتِ الأَطْمَاعُ مِنَّا المَسَاوِيَا
وَإِنَّا لَنُرْمَى كُلَّ يَومٍ بِعَبْرَةٍ
نَرَاهَا فَمَا نَزْدَادُ إلَّا تَمَادِيَا
نُسَرُّ بِدَارٍ أَوْرَثَتْنَا تَضَاغُنَا
عَلَيهَا وَدَارٍ أَوْرَثَتْنَا تَعَادِيَا
إِذَا المَرْءُ لم يَلْبَسْ لِبَاساً مِن التُّقَى
تَقَلَّبَ عُرْيَاناً وإنْ كَانَ كَاسِيَا
أَخِيْ كُنْ على يَأْسٍ مِن النَاس كُلِّهِم
جَمِيعاً وكُنْ مَا عِشْتَ لِلهِ رَاجِيَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَكْفِيْ عِبَادَهُ
فَحَسْبُ عِبَادِ اللهِ بِاللهِ كَافِيَا
وكَمْ مِن هَنَاتٍ مَا عَلَيْكَ لَمَستَهَا
من النَاس يوماً أَوْ لَمسْتَ الأَفَاعِيَا
أَخِي قَد أَبى بُخْلِي وَبُخْلُكَ أَنْ يُرَى
لِذِي فَاقَةٍ مِنِي ومِنْكَ مُوَاسِيَا
كِلاَنَا بَطِيْنٌ جَنْبُهُ ظَاهِرُ الكِسى
وفي النَاسِ مَن يُمْسِي وَيُصْبِحُ طَاوِيَا
كَأَنَّا خُلِقْنَا لِلْبَقَاءِ وَأَيُّنَا
وإنْ مُدَّتِ الدُّنْيَا لَهُ لَيْسَ فَانِيَا

أَبَى المـوتُ إلَّا أنْ يَكُـونَ لِمَنْ ثَـوى
مِن الخَلق طُـراً حَيْثُمَـا كَـانَ لَاقِـيَـا
حَسَمْتَ المُنَى يا مَوْتُ حَسْماً مُبرّحاً
وَعَلَمْتَ يَـا مَـوْتُ البُكَـاءَ البَـواكِيَـا
وَمَـزَّقْـتَـنَـا يـا مَـوْتُ كُـلَّ مُـمَـزَقٍ
وعَـرَّفْتنَا يَـا مَـوتُ مِنْـكَ الـدَوَاهِيَـا
ألاَ يَـا طَـوِيـلَ السَّهْـو أَصْبَحْتَ سَـاهِيـاً
وَأَصْبَحـتَ مُغْتـراً وَأَصْبَحْـتَ لاَهِـيَـا
أَفِي كُـلِّ يَـومٍ نَحْنُ نَـلْقَـى جَنَـازَةً
وفي كُـلِّ يَـومٍ نَحْنُ نَسْمَـع نَـاعِيَـا
وفي كُـلِّ يَـومٍ مِنْـكَ نَـرْثِى لِمُعْـولٍ
وفي كـلِ يَـومٍ نَحـنُ نُسْعِـدُ بَـاكِيَـا
ألاَ أيُـهَـا البَـانِـي لِغَـيْـرِ بَـلاَغِـهِ
ألاَ لِخَـرَابِ الـدهـرِ أَصْبَحْتَ بَـانِيَـا
ألا لِـزَوَالِ العُمْـرِ أَصْبَحْـتَ جَـامِعـاً
وَأَصبَحْـتَ مُخْتَـالاً فَخُـوراً مُبَـاهِـيَـا
كَـأَنَّـكَ قَـد وَلَيْتَ عـن كُلٍّ مَـا تَـرَى
وخُـلِّفْتَ مَـن خَلَّفْتَـهُ عَنْـكَ سَـالِيَـا

اللهم أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا في الأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنا مِن خِزي الدنيا وعذابِ الآخرةِ واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم قَنِعْنَا مِن الدُنيَا باليَسِيْرِ وَسَهِّل عَلينَا كلّ أمْرٍ عَسِير ووَفقْنا لِما تحبّهُ وتَرضَاهُ إنّكَ على كُلِ شيءٍ قَدِير وأَسكِنَّا دَارَ كَرامَتِكَ يا مَنْ هُوَ مَلْجَؤُنا ومَلاَذُنَا وإليهِ المَصِيْر واجْعَلْ لناَ مِن كُلِ هَمّ فَرَجا ومِن كُلّ ضِيِّقٍ

مَخْرَجًا وَاغْفِرَ لَنَاَ ولِوَالدِينَا ولِجَمِيْعِ إِخْوانِنَا المُسْلِمِيْن بِرحْمَتِك يا أرْحَمَ الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فَصْــلٌ »

في وقعــة بـــدر

فَلَمَّا كَانَ في رَمَضَانَ في العام الثانِي ، في سَبْعَةَ عَشَرَ ، في صبيحةِ يوم الجُمعةِ ، وَقَعَتْ بَدْرُ بَيْنَ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم وجيشِهِ ، وبينَ القَومِ الكـافِرين ، أعـداءِ اللهِ ورسولـهِ ، وهِيَ قِصَّةٌ مَشْهُوْرَةٌ مَعْرُوْفَةٌ ، مَذْكُوْرَةٌ في كُتُبِ السِيَرِ والتَّوَارِيْخِ وَمُلَخَّصُهَا أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرُ العِيْرِ المُقْبلَةِ مِن الشـام لِقُريشٍ ، العِيْرُ التي خَرَجُوا في طَلَبِهَا ، لَما خَرَجَتْ مِن مَكَّةَ ، وَكَانُوا نَحْوَ أَرْبَعِيْنَ رَجُلاً ، وَفِيْهَا أَموالٌ عَظِيْمَةٌ لِقُرَيْشٍ ، حَتَّى لَقَدْ قِيْلَ إِنَّهُ قَوْمَ مَا فِيْهَا بِنَحْوِ خَمْسِيْنَ أَلْف دِيْنَارٍ ، فَتَرَامَتْ إِلى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أَنْبَاؤُهَا ، بِأَنَّهَا قَدْ فَصَلَتْ مِن الشَّام ، عَائِدَةً إلى مَكَّةَ ، فَنَدَبَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أَصْحَابَهُ ، لِلْخُرُوْجِ إليها ، وَأَمَرَ مَن كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِراً بالنُهُوضِ ، ولَمْ يَنْتَظِرْ مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ غَائِبَاً ، ولم يَحْتَفِلْ لَهَا احْتِفَالاً بَلِيْغَاً ، لِأَنهُ خَرَجَ مُسْرِعاً وَمَعَهُ ثَلاَثُمِائَةٍ وَبِضْعَةُ عَشَرَ رَجُلاً ، مِن المُهَاجِرِيْنَ والأَنْصَارِ ، وَسَارَ صَلى اللهُ عليه وسلم حَتَّى بَلَغَ بُيُوتَ السُقيَا ، وهِيَ آبَارٌ عَذْبَةُ الماءِ ، على نَحْو مِيْلٍ مِن المدينةِ ، فَنَزَلَ بِهَا يَومَ الأَحد ، فَضَرَبَ عَسْكَرَهُ هُنَاكَ .

ثم عَرَضَ الجُنْدَ ، فَرَدَّ مِنْهُمْ صِغَارَهُمْ ، الذينَ لَا يَقْوَوْنَ عَلَى حَمْـلِ السِّلَاحِ ، فَكَـانَ مِمَّنْ رَدَّهُمْ عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَـرَ ، وَرَافِعُ بنُ خَدِيْجٍ ، وَالبَرَاءُ بنُ عَازِبٍ ، وَأُسَيْدُ بنُ حُضَيْرِ بنِ سِمَـاكٍ وزيدُ بنُ

الأرقم ، وزيدُ بنُ ثابتٍ ، وَعَرَضَ عُمَيْرَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ فاسْتَصْغَرَهُ فَبَكَى عُمَيْرٌ ، فأَجَازَهُ ، وَسَيَّرَهُ مَعَ الجَيْشِ ، وَرَوَى الواقدي عن سَعْد ابن أبي وقَّاصٍ أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ أَخِيْ عُمَيْرَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ ، قَبْلَ أَنْ يَعْرِضَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَتَوَارَى ، فَقُلْتُ مَالَكَ يَا أَخِيْ ؟ قال : إنِّي أَخَافُ أَنْ يَرَانِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وَيَسْتَصْغِرُنِي فَيَرُدَّنِي ، وأنا أُحِبُّ الخُرُوْجَ ، لَعَلَّ اللهَ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ ، قَالَ فَعُرِضَ على رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فاسْتَصْغَرَهُ ، فقال « ارْجِعْ » فَبَكَى عُمَيْرٌ ، فَأَجَازَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، قالَ : فكان سَعْدٌ يَقُولُ : كُنْتُ أَعْقِدُ لَهُ حَمَائِلَ سَيْفِهِ . . فَقُتِلَ بِبَدْرٍ وَهُوَ ابنُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَة .

وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم مِن بُيُوْتِ السُّقْيَا في نَحْوِ خَمْسَةَ عَشَرَ وَثَلَاثِمِائَةِ ، وَرُوِيَ أن النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم لَمَّا عَدَّ أَصْحَابَهُ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَجَدَهُمْ ثَلاثِمَائةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، فَفَرِحَ بذلكَ وقال « عِدَّةَ أَصْحَابِ طَالُوتَ الذِيْنَ جازوا مَعَهُ النَّهْرَ » وكان فِيْهِمْ نَحْو سَبْعِيْنَ مِن المُهَاجِرِيْنَ ، وَنَحْوُ مائتَيْن وَأَرْبَعِيْنَ مِن الأنصارِ ، ولم يَكن مَعَهُم مِن الخَيْلِ إلَّا فَرَسَانِ ، فَرَسٌ لِلزُبَيْرِ بن العَوَّام ، وَفَرَسٌ لِلْمقْدَادِ بن الأَسودِ الكِنْدِي ، وكان مَعَهُم سَبْعُونَ بَعِيْراً ، يَعْتَقِبُ الرَّجُلَانِ والثَّلَاثَةُ على البَعِيْرِ الواحدِ ، والأَرْبَعَةُ عَلَى بَعِيْرٍ واحِدٍ ، يَتَبَادَلُونَ الرُكُوبَ عَلَيْهِ ، فكانَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، وَعَليُ بنُ أبي طالبٍ ، وَمَرْثَدُ بنُ أَبِي مَرْثَدٍ الغَنَوِيّ يَعْتَقِبُونَ بَعِيْراً ، وكانَ حَمْزَةُ ، وَزَيْدُ بنُ حَارِثَةَ ، وأبو كَبْشَةَ ، وانَسَة موْلَيَا رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ

يَعْتَقِبُونَ بَعِيْراً ، وكانَ أَبُوْ بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَبْدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ يَعْتَقِبُون بَعِيْراً .

وَهَكَذا كَانَ كُلُ جَمَاعَةٍ يَتعَاقَبُوْنَ المَشْيَ ، وَيَتَبَادَلُونَ الرُكُوبَ على بَعِيْرِهِم ، وكان صَلَّى اللهُ عليه وسلم يَأْبَى إلاّ أَنْ يُشَارِكَ أَصْحَابَهُ في تَعبَهِمْ ورَاحَتِهِمْ ، وإلا أَنْ يَأْخُذَ دَوْرَهُ في المَشْيِ وفي الرُكوبِ كَواحِدٍ منهمْ ، فكانَ صلى الله عليه وسلم إذا انْتَهَتْ نَوْبَتُهُ في الرُكوبِ نَزَلَ ، فَيَقُولُ لهُ رَفِيْقَاهُ : إِرْكَبْ يَا رسولَ اللهِ ، حتى نَمْشِيَ عَنْكَ . فَيَقُولُ لَهُمَا « مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِني على المَشِيْ ، وَمَا أَنَا بأَغْنَى عن الأَجْرِ مِنْكُمَا » .

وكان أصحابُهُ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ في حاجَةٍ شَدِيْدَةٍ ، فَقرٌ وَعُريٌ ، ولِذَلِكَ فقد رُوِيَ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ نَظَر إلى أَصْحَابِهِ حينَ خَرَجُوا إلى بَدْرٍ ، فَأَثَّرَ في نَفْسِهِ مَنْظَرُهُمْ ، فَدَعَا اللهَ لَهُمْ ، فقال « اللهُمَّ إنهُمْ حُفاةٌ فاحْمِلْهُمْ وَعُرَاةٌ فاكْسُهُمْ ، وجِيَاعٌ فَأَشْبِعْهُمْ ، وَعَالَةٌ فَأَغْنِهِمْ مِنْ فَضْلِكَ » واسْتَخْلَفَ على المَدِينةِ وعلى الصَّلاةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ، وَلَمَّا كانَ بالرَّوْحَاءِ رَدَّ أبا لُبَابَةَ بنَ عبْدِ المُنْذِرِ ، واسْتعْمَلَه على المدينة .

شِعْراً :

وَنَشْهَدُ أنَّ اللهَ خَصَّ رَسُولَهُ
بأَصْحَابِهِ الأَبْرَارِ فَضْلاً وَأَيَّدَا

فَهُمْ خَيرُ خَلْقِ اللهِ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِ
بِهِمْ يَقْتَدِي في الدِّيْنِ كُلُ مَن اقْتَدَا

وَأفضلُهم بَعْدَ النبي مُحَمَّدٍ
أَبُو بَكْرٍ الصِدّيقُ ذُو الفَضْلِ والنَّدا

لَقَد صَدَّقَ المُخْتَارَ في كُلِ قَولِهِ
وآمَن قَبلَ النَّاسِ حَقًّا وَوَحَّدَا

وَفَادَاهُ يَومَ الغَارِ طَوعاً بنَفْسِهِ
وَوَاسَاهُ بالأَمْوَالِ حَتَّى تَجَرَّدَا

وَمِن بَعْدِهِ الفَارُوْقُ لَا تَنْسَ فَضْلَهُ
لَقَدْ كَانَ لِلإِسْلَامِ حِصْناً مُشَيَّدَا

لَقد فَتَحَ الفَارُوْقُ بالسَّيْفِ عَنْوةً
كَثِيرَ بِلَادِ المُسْلِمِينَ وَمَهَّدَا

وَأَظْهَرَ دِيْنَ اللهِ بَعْدَ خَفَائِهِ
وَأَطْفَأَ نَارَ المُشْرِكِينَ وَأَخْمَدَا

وَعُثمانُ ذُو النُورِيْنِ قَدْ مَاتَ صَائِماً
وقَدْ قامَ بالقُرآنِ دَهْراً تَهَجَّدَا

وَجَهَّزَ جَيْشَ العُسْرِ يَوماً بِمَالِهِ
وَوَسّعَ لِلْمُخْتَارِ والصُّحْبِ مَسْجِدَا

وَبَايَعَ عنه المُصْطَفَى بِشِمَالِهِ
مُبَايَعَةِ الرِّضْوانِ حَقاً وَأَشْهَدَا

ولا تَنْسَ صِهْرَ المُصْطَفَى وابنَ عَمِهِ
فقد كانَ حَبراً لِلْعُلُوم وَسَيِّدَا

وَفَادَى رَسولَ طَوْعاً بِنَفْسِهِ
عَشِيَّةَ لَمَّا بالفِراشِ تَوَسَّدَا

وَمَنْ كَـانَ مَـوْلاَهُ النَّبِـيُّ فَـقَـدْ غَـدَا
عـلـيٌّ لَـهُ بـالـحَـقِ مَـولاً وَمُـنْـجِـداً
وَطَلْحَتُهُم ثُمَّ الزُبَيْرُ وَسَعْدُهُم
كَذَا وَسَعِيْدٌ بالسَّعَادَةِ أُسْعِدَا
وكانَ ابْنُ عوفٍ باذِلَ المَالِ مُنْفِقاً
وكَانَ ابنُ جَرَّاحٍ أميناً مُؤَيَّدَا
ولا تَنْسَ باقِي صَحْبِهِ وأهْلَ بَيْتِهِ
وأنصَارَهُ والتابعينَ على الهُدَى
فَكُلُّهُمْ أَثْنَى الإلهُ عَلَيْهِمُ
وأثْنَى رَسُولُ اللهِ أيْضاً وَأَيَّدَا

اللهم إنا نعوذُ بكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ وَعَمَلٍ لا يُرْفَعُ وَدُعَاءٍ لا يُسْمَعُ واغْفِرْ لنا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المسْلمينَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ

اللهم إنا نعوذُ بكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ وَعَمَلٍ لا يُرْفَعُ وَدُعَاءٍ لا يُسْمَعُ واغْفِرْ لنا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المسْلمينَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا من حِزْبِكَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ الذينَ أَهَّلْتَهُمْ لِخِدْمَتِكَ وجَعَلْتَهُمْ مِمَّنْ قَبِلْتَ صِيامَهُ وَقِيَامَهُ واغفِرْ لَنا وَلِوَالِدَيْنَا ولِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ منهم والمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يا أرحَمَ الراحمين وصَلى اللهُ على محمدٍ وصَحْبِهِ أجمعين

« فَصْــلٌ »

وكانَ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قَدْ خَرَجَ مِنْ المدينةِ على غَيْرِ لِوَاءٍ مَعْقُودٍ ، ولكِنّهُ مُنْذُ خَرَجَ مِنْ بُيُوتِ السُقيَا وَضَعَ رِجالَـهُ في تَشْكِيْلٍ حرْبيّ ، يُلائِمُ ظُرُوفَ السَّيْرِ في أَرْضِ العَدُوّ ، فقدْ يَلْقَوْنَ عَدُوَّهُمْ فُجْأَةً ، وهم على غير أُهْبةٍ لِلْقتالِ ، وقدْ يَأْخُذُهُمْ عَدُوُّهُمْ عَلَى غِرَّةٍ مِنَ الخَلْفِ ، وَهُمْ كُلَّمَا بَعُدُوا عن المدينةِ تَقدَّمُوا في أرضٍ يُسَيْطِرُ عليها

المشْركونَ مِنْ قريشٍ ، وَمَنْ يُشَابهونَهُم في عَدَاوَةِ الإسْلام ، وَمِنْ أجْل هَذَا أَخَذَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في تَنْظِيْم رِجالِهِ ، على النَحْوِ الذي أَحْرَى أنْ يَأْمَنَ بِهِ المُفَاجَأةَ ، فَجَعَلَ على السَّاقَةِ قيْسَ ابنَ أبي صَعْصَعَةَ ، وعلى المُقَدِّمَةِ الزُبَيْرَ بنَ العَوَّام ، وأظهَرَ السِّلاحَ ، وَعَقَدَ ألْويةً ثلاثةً لِوَاءً أبْيضَ يَحْمِلُهُ مُصْعبُ بنُ عُميرٍ ، ورَايَتَانِ سَوْدَاوَانِ ، إحْداهُمَا مع عليِّ بْنِ أبي طالبٍ ، والتي للأنْصَارِ إلى سَعْدِ بنِ مُعاذٍ .

وسارَ صلّى اللهُ عليهِ وسلمَ ، ولما قَرُبَ مِنَ الصَّفْراءِ قَدَّمَ عَيْنين لهُ إلى المشركينَ ، يتجسَّسَانِ أَخْبَارَ العِيْر ، والعَيْنَّانِ بسْبَسُ بنُ عَمْرٍو الجُهَنِي ، وعَدِيُّ بنُ أبي الزَغْبَاءِ الجُهَنِي ، فانتَهَيا إلى مَاءِ بدرٍ ، فوجَدَا هُنَاكَ جارِيَتَيْن تَسْتَقِيَانِ مِنَ الماء ، وَعَلِمَا مِنْ حِوَارِهما أَنَّهُمَا تَترَقَّبانِ عِيْرَ قُرَيْشٍ ، وأنها تَصِلُ إلى بَدْرٍ غَداً أوْ بَعْد غدٍ ، فَرَجَعَا إلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ فأخْبَرَاهُ بذلك .

وأمَّا أبو سُفْيانُ فقد وَصَلَ إليهِ الخَبَرُ بأَنَّ مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ يَترَصَّدُونَ عوْدَتَه ، فأرْسَلَ على عَجَلٍ رَسُولاً إلى قُرَيْشٍ ، يُنَبِّئُهَا بما عَزَمَ عليهِ محمدٌ وصحْبُهُ ، وَيَسْتَفِزُّهَا لِحِمَايَةِ أَمْوَالِها واسْتَأْجَرَ ضَمْضَمَ بنَ عَمْرٍو الغِفَارِيّ إلى مَكَةَ ، مُسْتَصْرِخاً لِقُرَيْشٍ بالنَّفيرِ إلى عِيْرِهِمْ ، لِيَمْنَعُوهُ مِنْ محمدٍ وأصْحابِهِ ، ووَصَّى رسُولَهُ أن يَتَّخِذَ لذلك كُلَّ وَسِيلةٍ تُثِيرُ مَشَاعِرَ القَوْمِ ، وَتَسْتَنْهِضُ هِمَمَهُمْ لِلْغَوْثِ والنَّجْدَةِ ، فاتَّخَذَ رَسُولُهُ لِذَلِكَ كُلَّ مَظَاهِرِ الصَّارِخِ المَلْهوفِ ، فَجَدَعَ بَعِيْرَهُ ، وَحَوَّلَ رَحْلَهُ ، وَشَقَّ قَميصَهُ ، وَوَقَفَ يَصْرُخُ بِبَطْنِ الوَادِي ، قَائِلاً : يا مَعْشَر قُرَيْشٍ اللَّطِيْمَةَ اللَّطِيْمَةَ ، أَمْوَالُكُمْ مَعَ أبي سُفْيانَ ، قَدْ عَرَضَ لَهَا مُحَمَّدٌ

وأصْحَابُهُ ، لا أَرَى أَنْ تُدْرِكُوهَا ، الغَوْثَ الغوْثَ ، فَبَلَغَ الصَّرِيخُ أَهْلَ مَكَّةَ ، فَنَهَضُوا وَأَوْعَبُوا في الخُروجِ ، وأعانَ قويُّهُمْ ضَعِيْفَهُمْ حتى ما مِنهُمْ رجلٌ إلا خَرَجَ ، أَوْ بَعَثَ مَكانه رَجُلاً ، وَيقُولُ الرُّواةُ إنَّ أُميَّةَ بنَ خَلَفٍ أَرادَ أَنْ يَتَخلَّفَ عن النَّفيرِ ، فَجَاءَهُ عقبةُ بنُ أبي مُعيْطٍ ، ومَعْهُ مِجْمرةٌ وبَخُورٌ فَوَضَعَهَا أَمَامَهُ ، وَهُوَ جَالِسٌ في نَدِيِّ القَوْمِ ، وقالَ لَهُ اسْتَجْمِرْ أَبَا علي ، فأنّما أَنْتَ مِنَ النِّساءِ ، فَخَجلَ واسْتَحْيَا ، وقامَ مِنْ فوْرِهِ ، فَتَجهّزَ وسارَ مَعَ الناس، ولَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ أشْرافِهِمْ سِوَى أَبِي لَهَبٍ ، فإنَّهُ عَوَّضَ عنْهُ رجلاً يُقالُ لهُ العاصُ بنُ هِشَامٍ ، كانَ لأبي لَهَبٍ عليهِ دَيْنٌ ، ولمْ يتخلَّفْ عنهُمْ مِنْ بُطونِ قُرَيْشٍ إلا بَنِي عَدِيٍّ ، فلمْ يخرُجْ مَعَهُمْ منهمْ أَحَدٌ وَخرَجُوا من دِيَارِهِم كمَا قال اللهُ تعالى ﴿ بَطَراً وَرِئاءَ الناسِ ويَصُدّوُنَ عن سبيلِ اللهِ ﴾ .

وسَارَ أبو سُفيانَ بالعِيْرِ يَتَشَمَّمُ الأخبارَ في طَرِيْقِهِ ، حتَّى إذَا قَرُبَ مِنْ بَدْرٍ ، تَقَدَّمَ العِيْرَ حَذَراً ، حتى وردَ الماءَ ، فَسَأَلَ هُنَاكَ عن أخبارِ المسلمين ، فعَلِمَ أنَّ راكِبَيْنِ كانا قَدْ نَزَلا على تَلٍّ هُناك ، فـأنَاخـا راحِلَتَيْهِما سَاعةً ، حتى اسْتَقَيَا مِنَ الماءِ ، ثُمَّ رَحَلا ، فَذَهَب أَبُو سُفيانَ إلى ذلكَ التَّلِّ ، وَنَظَرَ في مُناخِ الراحلتين ، فأخَذَ مِنْ أَبْعَارِهِما ، وَفَرَكَهُ في يَدِهِ ، فوجَدَ فيهِ آثارَ النَّوى ، فَعَلِمَ أَنَّ الرَّاكِبَيْنِ مِنَ المدِيْنَةِ ، فقالَ هَذِهِ واللهِ علائِفُ يَثْرِبَ ، وهَذِهِ عُيُونُ مُحَمَّدٍ ، قَدْ أَقْبَلتْ ، تتجَسَّسُ أَخْبارَنَا وَرَجَعَ مسْرِعاً إلى العِيْرِ ، فجعلَ يَضْرِبُ وُجُوهَهَا وَيُحَوِّلُها عَنِ السَّيْرِ إلى بَدْرٍ ، مُتَّجِهاً بها إلى ساحِلِ البحرِ ، تارِكاً بَدْراً إلى يَسَارِهِ ، فاسْتطاعَ أنْ يَنْجُوَ بأمْوالِ قُرَيْشٍ ، وَلَمَّا رأى أَنَّهُ قدْ نَجا وأحْرزَ العِيْرَ ،

كَتَبَ إلى قريشٍ أن آرْجِعُوا ، فإنكُمْ إنَّمَا خَرَجْتُمْ لِتُحْرِزُوا عِيرَكُمْ ، فأتاهُمْ الخَبَرُ وَهُمْ بالجُحْفةِ ، فهَمُّوا بالرُّجُوعِ وَرَغِبَ كثيرٌ منهُمْ بذلك ، ولكِنَّ أبا جَهْلٍ رَكِبَ رَأْسَهُ ، وعَزَّ عليهِ أنْ يَرْجِعُوا ، فَتَضْعُفَ شَوْكَتُهُمْ بَيْنَ العرب ، وَيَطْمَعَ فيهِمْ المُسْلِمُونَ وَغيرُهُمْ ، فأخَذَ يَصِيحُ في القَوْمِ ويقُولُ : واللهِ لا نَرْجِعُ حتى نَرِدَ بَدْراً ، فنُقِيمَ بِهَا ، وَنُطْعِمَ مَنْ حَضَرَنا مِن العَرَبِ وَنَسْقِيَ الخمْرَ ، وَتَعْزِفَ عَلَينا القِيَانُ ، وَتَسْمَعَ العربُ بنا ، وبمَسِيْرِنا ، وَجَمْعِنا ، ولا يَزالُونَ يَهَابُونَنَا ، وَجَعَلَ يُحَرِّضُ الناسَ .

وانقَسَمَ الناسُ إلى قِسْمينِ ، فريقٌ يَرَى أنَّ الخُرُوجَ إنَّما كانَ لإنْقَاذِ العِيْرِ ، وقدْ نَجَّاها اللهُ ، فلا مَعْنَى إذاً لِلسَّيْرِ ، وفَرِيْقٌ يَرَى رَأيَ أبي جَهْل ، فَيَدْعُو إلى مُواصَلَةِ السَّيْرِ ، وكانَ مِنَ الفـريقِ الأوَّلِ بَنُو عَدِيٍّ ، وَبَنُو زُهْرَةَ ، ومِمَّنْ أشَارَ بالرُّجُوعِ الأخْنَسُ بنُ شَرِيقٍ ، فَعَصَوْهُ فَرَجَعَ هُوَ وَبَنُو زُهْرَةَ ، فلمْ يَشْهدْ بَدْراً زُهْرِيٌّ ، فَاغْتَبَطَتْ بَنُو زُهْرَةَ بَعْدَ ذَلِكَ بِرأيِ الأخْنَسِ ، فَلَمْ يَزَلْ فِيْهِم مُطَاعَاً مُعَظَّماً ، وأَمَّا الفَرِيْقُ الثاني فَقَدْ واصَلُوا السَّيْرَ تَحْتَ ضَغْطِ أَبِي جَهْلٍ وَشِيْعَتِهِ ، وَإِنْ كان بعضُهُمْ يَسِيْرُ على غَيرِ ما يَرَى مِنَ الرأيِ ، وما يُضْمِرُ مِنَ العَقِيْدَةِ ، إنما يَسِيْرُ تَحَرُّجاً ، وَمُـدارَاةً لِسَفَاهَـةِ السُفهاءِ ، ومـا زَالُوا يَسِيْـرونَ وَيَنْحَرُونَ ، وَيُطْعِمُونَ ، وَيَشرَبُونَ الخمْرَ ، وَيُغَنُّونَ وَيُصَفِّقونَ وَيُعَلِنُونَ عنْ أنفُسِهِمْ بِكُلِّ الوَسائلِ والدِّعاياتِ ، حتى وَصَلُوا إلى وادي بَدْر ، فنزلُوا بالعُدْوَةِ القُصْوَى

الّٰهُمَّ ارْحَمْنَا اذا عَرِقَ الجَبِينُ وكَثُرَ الانينُ وأُيِسَ مِنَّا القَريبُ والطبيبُ وَبكى عَلينَا الصديقُ والحبيبُ وَارحمنَا يا مَولانَا اذا وَارانَا الترابُ ووَدَّعَنا الاحْبابُ وفارَقْنَا النعيمَ وانقطَع عنا النَّسِيمُ واغفِرْ لنا ولِوالِدَيْنَا ولجميعِ المسلمينَ برحَمتِكَ الواسِعَةِ يا أرحمَ الراحِمِينَ وصَلى اللهُ على محَمدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعينَ .

فَصْل : وَلما بلغ رَسُوْل الله ﷺ خُــرُوْجُ قُرَيْش اسْتَشــار أصْحَــابَهُ ، فَتَكَلَّمَ الْمُهَاجِرُوْنَ فَأَحْسَنُــوْا ، فاسْتَشَارَهُم ثانِيــاً فتَكَلَّمُوْا أيْضَــا فَأَحْسَنُوا، ثم اسْتشَارَهُمْ ثَالِثاً ، ثم قالَ « أَشِيْرُوا عَلَيَّ أيُّها الناسُ » يُريدُ بذَلِكَ الأنْصَارَ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ القَوْمِ عَدَداً ، وَكَانُوا قد عَاهَدُوا رسولَ اَللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَنْ يَمْنعُوهُ في دِيارِهِمْ ، أَمَّا في خَـارِجِ دِيارِهِمْ فَلَمْ يَكُنْ عَهْدٌ يُلزِمُهُمْ بِذَلِك ، إلَّا أَنْ يَرَوْا ذَلِكَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَلَمَّا سَمِعُوا قولَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ فَهِمُوا أَنَهُ يَعْنِيهِمْ ، فَبادَرَ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ فقال : يا رسولَ اللهِ كَأَنَّكَ تُرِيدُنا . قال « أَجَلْ » فقال سَعْدُ : إنكَ عَسَى أَنْ تكونَ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ ، وأَحـدَثَ اللهُ لكَ غَيْرَهُ ، فانْظُر الذيْ أَحْدَثَ اللهُ إليكَ ، فامْضِ إليْهِ ، فإنَّا قَدْ آمنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ وشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الحقُّ ، وأَعطَيْناكَ عُهُودَنا على السمعِ والطاعةِ ولَعَلَّكَ يا رسولَ اللهِ تَخْشَى أَنْ لا تكونَ الأَنْصَارُ تَرَى عليها ، أَنْ لَا يَنْصُرُوكَ إلَّا فِي دِيارِهِمْ ، وإنّي أَقولُ عن الأنْصارِ ، وأُجِيبُ عنهُمْ ، فاظْعَنْ يا رسولَ اللهِ حَيْثُ شِئْتَ ، وَصِلْ حَبْلَ مَنْ شِئْتَ ، وآقطَعْ حَبْلَ مَنْ شِئْتَ ، وَخُذْ مِنْ أَمْوالِنا ما شِئْتَ ، وَأَعْطِنَا منها ما شِئتَ ، وما أَخَذْتَ مِنّا أحبُّ إلَيْنا مِمَّا تَرَكْتَ ، وما أَمَرْتَ فيه مِنْ أَمْرٍ فأَمْرُنَا تَبعٌ لِأَمْرِكَ ، فَوَاللهِ لَئِنْ سِرْتَ حتَّى تَبْلُغَ البَرْكَ مِن غُمْدَانَ لَنَسِيْرَنَّ مَعَكَ ، وَوَاللهِ لَو اسْتعرَضْتَ بنَا هذا البَحْرَ فخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ ، ما تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ واحِدٌ ، وما نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بنَا عَدُوَّنَا غَداً ، إنَّا لَصُبُرٌ في الحَرْبِ ، صُدُقٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ ، وَلَعَلَّ اللهَ يُرِيْكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بهِ عيْنُكَ ، فَسِرْ على بَرَكَةِ اللهِ ، فَسُرَّ لِذَلِكَ وَجْـهُ رَسُوْلِ اللهِ صلى اللهُ عليـه وسلم ، وانْبَسَطَ وَجْهُهُ ، وَبَدَا عليهِ البِشْرُ والرِضَى والنَّشاط .

وقال لَهُ المِقدادُ : لا نَقُولُ لَكَ كَما قـالَ قومُ مُـوسى لِمُوسَىٰ

(اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فقاتِلَا ، انا هَا هُنَا قاعدون) . ولكن نُقَاتِلُ عن يَمِيْنِكَ ، وعن شِمَالِكَ ، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ ، وَمِنْ خَلْفِكَ ، فاشْرَقَ وجهُهُ صلى الله عليه وسلم وسُرَّ بما سَمِعَ ، وقال « سِيْرُوْا على بَرَكَةِ اللهِ وَأَبْشِرُوا ، فإنَّ اللهَ وَعَدَنِي إحدى الطائفتين ، وإنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَصارِعَ القَوْمِ » فَسَارَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلمَ إلى بَدْرٍ حتى نَزَلَ عِشَاءً أَدْنَى مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ بَدْرٍ ، فقال الحُبابُ بن المُنذِر ـ وكان خَبيْراً بمِيَاهِ بَدْرٍ ـ : يا رسولَ اللهِ أَهَذَا مَنْزِلٌ أَنْزَلَكَهُ اللهُ، لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَ مِنْهُ أَوْ نَتَأَخَرُ ، أَمْ هُوَ الرأيُ والحربُ والمَكِيْدَةُ ؟ فقال صلى اللهُ عليه وسلم « بلْ هو الرأيُ والحربُ والمكيدةُ » فقال الحُبابُ : يا رسولَ اللهِ لَيْسَ هذا بمَنْزِلٍ ، فانْهَضْ بالناسِ حتى نأتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِن القَومِ ، فَنَنْزِلَه ، فإني أَعْرِفُ غَزَارَةَ مَائِهِ وَكَثْرَتَه ، فننْزِلُهُ وَنُغَوِّرُ ما عَدَاهُ مِنْ الآبارِ ، ثم نَبْنِي عليه حَوْضاً ، فَنَمْلؤُهُ مَاءً ، فَنَشْرَبُ ولا يَشْرَبُون ، فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ « لَقَدْ أَشَرْتَ بالرأي » وَنَهَضَ بأصحابِهِ حتى نَزَلُوا ، ثم بَنَوُا الحَوْضَ على البِئر ، حَيْثُ أشارَ الحُبَابُ ، وَطَمسُوا كلَّ مَا وَرَاءَهُمْ مِن الآبارِ ، وصلى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

عَصَمَنَا اللّهُ وإيَّاكُمْ مِنْ الزَّلَلِ وَوَفَّقَنَا لِصَالحِ العَمَلِ وَهَدَانَا بفَضْلِهِ سَبيْلَ الرَّشَادِ وَطَرِيْقَ السَّدَادِ إنَّهُ جَلَّ شَأنُهُ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيْرِ وَصَلَّى اللّهُ عَلىَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبه أجْمَعِين

مَوْعظة :

عِبَادَ اللهِ إهْتِفُوا بالقُلوب لَعَلَّها تَسْتَيْقِظُ مِنْ وَسَنِ الرُّقَادِ واصْرِفُوا نُفُوسَكمْ عنْ مَوَارِدِ الإبْعادِ واتَّبِعُوا في دارِ النُّقْلَةِ والزَّوالِ آثارَ السَّلفِ الزُّهَّادِ فقد نَاحَتْ الدنيا على أهْلها بألْسُنِ الإنْقِلاب ولاحَتْ لكُمْ مِن الآخرةِ شَواهِدُ الإقْتِرَابِ وَأَنْتُمْ عَمَّا أَضَلَّكُمْ منها غَافِلُونَ وبمَا غَـرَّكُمْ

وأَلْهَاكُمْ عَنْهَا مُتَشاغِلُوْنَ كأنَّكُمْ بحَقِيْقَةِ مَعْرِفَتِهَا جاهِلُونَ أَوْ كَأَنكُمْ إلى غَيْرِهَا رَاحِلُونَ فإنا لِلهِ وإنا إليهِ رَاجِعُونَ فاتْرُكُوا مَا أَنْتُمْ عنهُ مُنقَلِبون وانْهَضُوا في التَّزَوُّدِ لِمَا أنتُم إليهِ صائِرُوْنَ فإنَّ أمامَكُمْ صَيْحَةٌ تُلْحِقُ الأَحْيَاءَ مِنْكُمْ بالأمواتِ وَتَذْهَلُ مَعَهَا النُفُوسُ عَنْ مُلاَبسَةِ اللذاتِ فمَا أَقربَ الوُصُولِ إليْهَا لِمَنْ مَطَايَاهُ اللَّيْـلُ والنَّهَارُ المُبْلِيَـانِ لِكُلِّ جَـدِيْدٍ المُقَرِّبانِ لِكُلِّ بَعِيْدٍ قال بعضُ الحُكماءِ مَنْ كانَتْ الأَيَّامُ واللّيالِي مَطاياهُ سَارَتْ بِهِ وانْ لمْ يَسِرْ وكَتَبَ بَعضُ السَّلَفِ إلى أخٍ لَهُ فقالَ اعْلَمْ يا أخِيْ أنهُ يُخيَّلُ إلَيْكَ أنَّكَ مُقِيْمٌ وأنْتَ دَائِبُ السَّيْرِ تُساقُ سَوْقاً حَثِيْثاً والمَوتُ مُتوجِّهٌ إليكَ والدُنْيا تُطْوَى مِنْ وَرَائِكَ وما مَضَى مِنْ عُمُرِك فلَنْ يَرْجَعَ إليكَ .

شعْراً :

تَمُرُّ اللياليِ والحَوادثُ تنقضِي
كَأَضْغَاثِ أَحْلام ونَحْنُ رُقُودُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّها كُلَّ ساعَةٍ
تَجِدُ بنا سَيْرًا ونَحْنُ قُعُودُ

آخر: وَمَـا هَـذِهِ الأَيَّـامُ إلَّا مَـرَاحِـل
يَحُثُ بهـا حَـادٍ مِن المَـوْتِ قَـاصِـدُ

وأَعْـجَبُ شَـيْءٍ لَـو تَـأَمَّـلْتَ أَنـهَـا
مَـنَـازِلُ تُـطْوَى والـمُـسَـافِـرُ قَـاعِـدُ

آخر: أتَحْسَـبِ الـعُـمْـرَ مَـرْدُوْداً تَـصَـرُّمُـهُ
هَيْهَـاتَ أَنْ يَرْجِـعَ المَـاضِي مِن الحُقَبِ

فَبَـادِرِ العُمْـرَ قَبْـلَ الـفَـوْتِ مُغْتَنِمـاً
مـا دُمْتَ حياً فـإنَّ المـوتَ في الـطَّلَبِ

فـالعُمُـرُ مُنْصَـرِمٌ والـوَقْتُ مُغْتَنَمٌ
والـدهـرُ ذُو غِيْـرٍ فـاجِهْـدَ بـه تُصِبِ

كان بعضُ السَّلَفِ إذا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ قالَ لِأَهْلِهِ أَسْتَوْدِعُكُمْ اللهَ فلَعَلَّها أنْ تَكُونَ مَنِيَّتي التِي لا أَقُومُ مِنْهَا وكان هذَا دَأبَهُ إذا أَرَادَ النوْمَ وقالَ آخرُ إنْ .اسْتَطَاعَ أَحَدُكُمْ أَنْ لا يَبِيْتَ إلَّا وَعَهْدُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ مَكْتُوبٌ فَلْيَفْعَلْ فإنهُ لا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَبِيْتُ في أهْلِ الدُنْيَا ويُصبِحُ في أَهْلِ الآخِرَةِ قُلْتُ وَيَنْبَغِي لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ الخُروجَ لِمَحَلٍّ تَطْرُقُهُ السَّيَارَاتُ في وَقْتِنَا الذي كَثُرَ فيهِ مَوْتُ الفُجْاءِ بِسَبَبِ السُرعَةِ المُفْرطَةِ مِنْ سَائِقي السيَّاراتِ الذين ليسَ عندَهُمْ حُرْمَةٌ لِلْمُسْلم نسألُ اللهَ الحيَّ القيُّومَ أنْ يوفِقَ وُلاتَنَا لِلأَخْذِ على أَيْدِيْهِمْ وَرَدْعِهمْ لِيَأْمَنَ المشاةُ وَيَطْمَئِنُّوا بإِذْنِ اللهِ تعالى :

إِنِّـيْ أرِقْتُ وذِكْـرُ الـمـوتِ أَرَّقَـنِـيْ
وَقُـلْتُ لِلدَّمْـعِ أَسْعِـدْنِي فـأَسْعَـدَنِي
يـا مَنْ يَمُـوتُ فَلَمْ تُحْـزِنْـهُ مِيْتَتُـهُ
وَمَـنْ يَـمُـوتُ فَـمَـا أَولاَهُ بـالـحَـزَنِ
تَبْغِي النَّجَـاة مِنَ الأَحْـدَاثِ مُحْتَـرِسـاً
وإنَّـمـا أَنْـتَ والـعِـلاتُ فـي قَـرَنِ
يا صَاحَبَ الرَّوْحِ ذِي الأَنْفَاسِ في بَـدَنٍ
بَـيْنَ الـنهـارِ وَبَـيْـنَ الـلَّيْـلِ مُـرْتَـهَـنِ
لَـقَـلَّمَـا يَـتَـخَـطَّاكَ اخْـتِـلاَفُـهُـمَـا
حَـتَّـى يُـفـرِّقَ بَـيْـنَ الـرُّوْحِ والـبَـدَنِ
طِـيْبُ الـحَيـاةِ لِـمَـنْ خَـفَّتْ مَـؤُونَـتُـهُ
ولـم تَـطِبْ لِـذَوِي الأَثْـقَـالِ والـمُـؤَنِ

لـم يَـبْـقَ مِـمَّـا مَـضَـى إلَّا تَـوَهَّـمُـهُ
كَـأَنَّ مَـن قَـد مَـضَـى بـالأَمْـسِ لَـمْ يَكُـن
وَإنَّمـا الـمَـرْءُ فـي الـدُّنْـيَـا بِـسَـاعَـتِـهِ
سَـائِـلْ بِـذَلِـكَ أَهْـلَ العِلْـمِ بـالـزَّمَـنِ
مـا أَوضَـحَ الأَمْـرَ لِـلْمُـلْقِي بِعِبْـرَتِـهِ
بَـيْـنَ الـتَّـفَـكُّـرِ والـتَّـجْـرِيْـبِ والـفِـطَـنِ
أَلَـسْـتَ يَـا ذَا تَـرَى الـدُّنْـيَـا مُـوَلِّـيَـةً
فـمـا يَـغُـرُّكَ فِـيـهَـا مِـن هَـنٍ وَهَـنِ
لأَعْـجَـبَـنَّ وَأَنَّـى يَـنْـقَـضِـي عَـجَـبِـي
الـنَّـاسُ فـي غَـفْـلَةٍ والـمَـوتُ فـي سُـنَنِ
وَظَـاعِـنٍ مِـن بَـيَـاضِ الـرَّيْطِ كِسْـوَتُـهُ
مُطَـيَّـبٍ لِلْـمَـنَـايَـا غَـيْـرِ مُـدَّهَـنِ

غَادَرْتُه بَعْدَ تَشْيِيْعِيْهِ مُنْجدِلاً في قُرْبِ دَارٍ وفي بُعْدٍ مِن الوَطَنِ

لا يَـسْـتَـطِـيْـعُ انـتَـقَـاصَـاً فـي مَـحَـلَّـتِـهِ
مـن الـقَـبِـيْـحِ ولا يَـزْدَادُ فـي الـحَـسَـنِ
مـا بَـالُ قَـومٍ وَقَـد صَـحَّـتْ عُـقُـولُـهُم
فِـيْـمَـا ادَّعَـوا يَشْـتَـرونَ الـغَـيَّ بـالـثَّـمَـنِ
لَـتَـجْـذِبَـنَّ يَـدُ الـدُّنـيـا بِـقُـوَّتِـهَـا
إلـى الـمَـنَـايَـا وَإنْ نَـازَعْـتُـهَـا رَسَـنِـيْ
وَأَيُّ يَـومٍ لِـمَـنْ وَافَـى مَـنِـيَّـتَـهُ
يَـوْمُ تَـبَـيَّـنَ فِـيْـهِ صُـوْرَةُ الـغَـبَـنِ

لِـلـهِ دُنـيـاً أُنَـاسٍ دَائِـبِـيْـنَ لَـهَـا
قَـدْ أَرْتِعُـوا في رِيـاضِ الغَيِّ والـفِتَـنِ
كَسَـائِـمَـاتٍ رَوَاعٍ تَبْتَغِيْ سِـمَـنـاً
وَحَـتْفُـهَـا لَـو دَرَتْ في ذَلِـكَ السِّـمَنِ

اللهمَّ طهرْ قلوبَنَا مِن النفاق وعمَلَنا منَ الرِّياءِ وَأَلْسِنَتَنا مِن الكَذب اللَّهُمَّ وَقَوِّي إيْمَانَنَا بِكَ وَنَوِّر قُلُوبَنا بِنورِ الأيمانِ واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنْ اللَّهمَّ يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا على دِينِكَ وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وأمِّنَّا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وجميعِ المسلمينَ بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمينَ وصلى اللهُ عَلَى محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين .

فَصْلٌ :وكان صلى اللهُ عليهِ وسلمَ شديدَ الحِرْصِ على كِتْمَانِ أَمْرِهِ عن الناسِ ، حتى لا يقِفَ على حقيقتِهِمْ أَحَدٌ ، ولا يَعْرِفَ مَقْصَدَهمْ أحدٌ ، فَجَعَلَ كُلَّما نَزَلَ منزِلاً يَسْأَلُ عَنْ أَخْبَارِهِمْ ، وَيَبْحَثُ عنهم في حَيْطَةٍ وَحَذرٍ .

وَرَوَى ابنُ اسحاقَ أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نَزَلَ قريباً مِنْ بَدْرٍ ، فرَكِبَ هو وَرَجُلٌ مِنْ أصحابِهِ حتى وقفَ على شيخٍ مِن العَرَبِ ، فسألَهُ عنْ قُرَيْشٍ ، وعنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وما بَلَغَهُ عنهُمْ ، فقالَ الشيخُ : لَا أُخبرُكُما حتى تُخْبرانِي مِمَّنْ أنتُما . فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « أوَ ذَاكَ بِذَاكَ » قالَ : نَعَمْ . قال : فإنهُ بَلَغَني أنَّ محمداً وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوْا يومَ كَذَا وكَذَا ، فإنْ كانَ صَدَقَ الذي أَخْبَرَنِي فهمْ اليومَ بِمَكانِ كذا وكذا ، لِلْمكانِ الذي بِهِ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وبلَغَني أنَّ قُريشاً خَرَجُوا يومَ كَذَا وَكَذَا ، فإنْ كانَ

الذِيْ أَخْبَرَنِي صَدَقَنِي فَهُمْ اليومَ بِمَكَانِ كذا وكذا ، لِلْمكانِ الذي بِهِ قُرَيْشٌ ، فلمَّا فَرَغَ مِنْ خَبَرِهِ قال : مِمَّنْ أنتُمَا ؟ فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ « نحنُ مِنْ مَاء » ثُمَّ انصرَفَ عنهُ ، قالَ يَقُولُ الشيخُ مِنْ ماءٍ أمِنْ ماءِ العِراق ؟ .

فلمَّا أَمْسَى بَعَثَ عليَّ بنِ أبي طالبٍ ، والزُبَيْرُ بنَ العَوَّامِ ، وَسَعْدَ بنَ أبي وقّاصٍ ، في نَفرٍ مِنْ أصحابِهِ إلى مَاءِ بَدْرٍ ، يَلْتَمِسُونَ الخَبَرَ ، فَوَجَدُوْا سُقاةَ قُريشٍ يَسْقونَ لهُمْ فأمْسَكُوْا بِغُلاَمَيْنِ مِنْهُمْ ، فَجاؤُا بهِمَا وَرَسُوْلُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ يُصلِّي ، فَجَعَلَ القومُ يسألونَهُما لِمَنْ أنتُما ؟ وهمْ يَرْجُونَ أَنْ يكونَا مِنْ سُقاةِ العِيْرِ ، فقال الغلامان : نَحْنُ مِنْ سُقاةِ قُريشٍ ، بَعَثُونَا نسْقِيهِمْ مِنَ المَاءِ ، فَظَنُوا أَنَّهُمَا يَكْذِبَانِ ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُوْنَهُما ، ثُمَّ يَسْأَلُونَهُما فيَقُولانِ : نَحنُ لِقُرَيشٍ . فَلَمَّا أَوْجَعُوهُما ضَرْباً قالا : نَحْنُ لأَبِي سُفيانَ فَتَرَكُوهُمَا ، فَلَمَّا فَرَغَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ مِنْ صَلاَتِهِ قال « إذا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا ، وإذا كَذَبَاكُم تَرَكْتُمُوهُمَا ، صدَقَا واللهِ إنهمَا لِقُريشٍ ، ثم سَأَلَهُمَا عنْ قُريشٍ ، فقالا : هُمْ واللهِ وَرَاءَ هذا الكثيبِ الذِيْ تَرَى ، بالعُدْوةِ القُصوَى ، فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ « كَمْ القَوْمُ ؟ » قَالاَ : كَثِيْرٌ : قالَ « ما عِدَّتُهُمْ ؟ » قالا : لا نَدْرِي ، قال « كَمْ يَنحَرُونَ كلَّ يومٍ ؟ » قالا : يَوْماً تِسْعاً وَيَوْماً عَشْراً مِن الجُزُرِ ، فقالَ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ « القومُ ما بينَ التِّسْعِمَائةِ والألفِ » ثم قالَ « فمَنْ فيهِمْ مِنْ أشْرافِ قُرَيشٍ » فَجَعَلا يَذْكُرَانِ لَهُ ، فقالَ الرسولُ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ لأصحابِهِ « هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ ألقَتْ إلَيكُمْ أَفْلاَذَ كَبِدِها » فَعَلِمَ المُسْلِمُونَ أَنَّها الحَرْبُ لا مَحالَةَ .

اللهمّ قَوِي إيْمانَنا بكَ وبملائِكتِكَ وبرسُلكَ وباليومِ الآخرِ وبالقَدَرِ خيرِه وشرِّهِ اللهمّ الهمْنَا ذِكركَ وشُكركَ ووفقنَا لِطَاعَتِكَ وامتثالِ أمرِكَ

واجعلنَا مِن عِبادكَ المفلحينَ الّذين لا خوفٌ عليهم ولا هُمْ يَحْزنونَ واغفرْ لنا ولوالِدينَا ولجميعِ المسلمينَ برحْمتك يا أرحمَ الراحمين وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آله وصحبِهِ أجمعينَ .

(فصل) وكَمَا أَشَارَ الحُبابُ بنُ المُنْذِرِ بِبِنَاءِ الحَوْضِ ، أَشَارَ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ رضِيَ اللهُ عنهُ أَنْ يَبْنُوا لَهُ عَرِيْشَاً، يُشْرِفُ منهُ عَلَى المَعْرَكَةِ ، وَيُوَجِّهُهَا ، وَيَأْمَنُ غِرَّةَ العَدُوِ ، فقالَ : يا نَبِيَّ اللهِ أَلاَ نَبْني لَكَ عَرِيْشاً ، تكونُ فيهِ ، وَنُعِدُّ عندَكَ رَكَائِبَكَ ، ثُمَّ نَلْقَى عَدُوَّنا ، فإذَا أَعَزَّنَا اللهُ وأَظْهَرَنا على عَدُوِّنا ، كَانَ ذلكَ مَا أَحْبَبْنَا وإنْ كانَتْ الأُخْرَى جَلَسْتَ عَلَى رَكَائِبكَ ، فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا ، فقدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوامٌ ما نَحْنُ بأَشَدَّ مِنْهُمْ حُبّاً لكَ ولوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْباً ما تَخَلَّفُوا عنْكَ ، يَمْنَعُكَ اللهُ بهِمْ ، وَيُنَاصِحُونَك ، وَيُجَاهِدُوْنَ مَعَكَ ، فأثْنَى عليهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم ، وَدعَا لَهُ بِخَيْرٍ ، ثُم بُنِيَ العَرِيشُ على تَلٍّ ، كَمَا أَشَارَ سَعْدٌ ، وَأُعِدَّتْ عِنْدَهُ أَنْجَبُ الرَّكَائِبِ ، وقامَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ يُسَوِّي الصُفوفَ ، وَيَتَفَقَّدُ الرِّجَالَ ، وَيُهَيِّءُ أَصْحَابَهُ لِلْقِتَالِ ، وَدَفَعَ رَايتَهُ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، فَتقدَّمَ بِهَا إِلَى مَوْضِعِهَا الذي أَمَرَهُ أَنْ يَضَعَهَا فِيْهِ، ثم وَقَفَ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يَنظُرُ إِلَى الصُّفُوفِ ، فاسْتَقْبَلَ الْغرْبَ وجَعَلَ الشّمسَ وَرَاءَهُ ، وأَقْبلَ المُشْرِكُونَ ، فاسْتَقْبلُوا الشمْسَ .

وَخَطَبَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ أَصْحَابَهُ ، يَحُثُّهُمْ على الجِهَادِ في سَبِيْلِ اللهِ ، وَيُرَغِّبُهُمْ في الأجرِ ، فَحَمِدَ اللهَ وأَثْنَى عليهِ ، ثُمَّ قال « أَمَّا بَعْدُ فإنِّي أَحُثُّكُمْ على مَا حَثَّكُمْ اللهُ عليهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ ما نَهَاكُمْ عنْهُ ، فإنَّ اللهَ عَظِيمٌ شَأْنُهُ ، يَأْمُرُ بالخَيْرِ ، وَيُحِبُّ الصِدْقَ ، وَيُعْطِي الخَيْرَ أَهْلَهُ ، عَلَى مَنَازِلِهِمْ عِنْدَهُ ، وإنكم قد أَصْبَحْتُمْ بِمَنْزِلٍ مِن مَنازِلِ الحَقِ ، لا يَقْبلُ اللهُ فيه مِن أَحَدٍ إلَّا ما ابْتُغِيْ بِهِ وَجْهُهُ ، وإنَّ

الصَّبْرَ في مَوَاطِنِ البَأسِ مِمَّا يُفَرِّجُ اللهُ بِهِ الهَمَّ ، وَيُنجي بِهِ مِن الغَمّ ، وَتُدْرَكُ بهِ النَّجَاة في الآخِرَة، فِيْكُمْ نبيُ اللهِ ، يُحَذِّرُكُم وَيَأْمُرُكُم ، فاسْتَحْيُوا اليومَ أنْ يَطَّلِعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ على شَيْءٍ مِن أَمْرِكُم يَمْقُتُكُمْ عليه ، فإنَّ اللهَ يَقُولُ ﴿ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِن مَقْتِكُم أَنْفُسَكُمْ ﴾ وأَبْلُوا ربَّكم في هَذِهِ المَوَاطِنِ أَمْرَاً تَسْتَوْجِبُونَ بِهِ الذي وَعَدَكُم مِن رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ ، فإنَّ وَعْدَهُ حَقٌ ، وَقَوْلَهُ صِدْقٌ ، وعِقَابَهُ شَدِيْدٌ ، وانَمَا أَنا وَأَنْتُم باللهِ الحي القَيُوم ، إليهِ الجَأْنَا ظُهُورَنَا ، وبه اعْتَصَمْنَا ، وَعَلَيْهِ تَوَكلنَا ، وإليهِ المَصِيْرِ ، يَغْفِرُ اللهُ لِيْ ولِلْمُسْلِمِيْن » .

وَأَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ تَنْصَبُّ إِلَى الوَادِي مِن الكَثِيْب ، وَعَدَدُ المُشْرِكِيْنَ قَرِيْبٌ مِن الأَلْفِ مُقَاتِلِ ، وَمَعَهُمْ مائَةُ فَرَسٍ ، وَسَبْعُمائَةِ بَعِيْر ، وَرُوِيَ أَنَّ أَيْمَاءَ بْنَ رُخْصَةَ بَعَثَ إلى قُرَيْشٍ ابْنَا لَهُ بِعَشْرِ جَزائِر ، أَهْدَاهَا لَهُمْ ، وقـال : إنَّ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَمُدَّكُم بِسِلَاحٍ وَرِجَالٍ فَعَلْنـا ، فَأَرْسَلُوا إليـه أَوْصَلَتْكَ رَحِمٌ ، فَلَئِنْ كُنَّا إِنَّمَا نُقَاتِلُ النَاسَ فَمَا بِنَا ضَعْفٌ عَنْهُم ، وإن كُنَّا نقاتِلُ اللهَ كَمَا يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ فَمَا لِأَحَدٍ باللهِ طَاقَةٌ ، فلَمَّا رَأى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كَثْرَتَهُمْ ، وقِلَّةَ أَصْحَابِهِ ، تَوَجَّهَ إلى اللهِ يَسْتَعِينُـهُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ « اللَّهُمَّ هَـذِهِ قُرَيْش ، قَـدْ أَقْبَلَتْ بِخُيَـلائِهـا وَفَخْرِهَا ، تُحَادُّكَ وَتُكَذِّبُ رَسُوْلَكَ ، اللهم فَنَصْـرَكَ الذي وَعَـدْتَنِي ، اللهم فأحِنْهُمُ الغَد » .

«اللهم أَبْرِمْ لِهَذِهِ الأمةِ أَمْرَ رُشْدٍ يُعَزُ فيهِ أَهْلُ طَاعَتِكَ وَيُذَلُ فِيْهِ أَهْلُ مَعْصِيَتِكَ وَيُؤْمَرُ فيهِ بالمعْروفِ وَيُنْهَى فيهِ عَن المُنكرِ إنك سَمِيْعُ الدُّعَاء»

(اللهم مَكِّنْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبنا وَقَوِّهَا وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بنُورِ الإيمانِ وأَلْهِمْنَا

ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ بِحضُوْرِ قَلْبٍ واجْعَلْنا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وآتنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النارِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ

اللَّهُمَّ أَذِقْنَا عفوَكَ وَغُفْرَانَكَ وَاسْلُكْ بِنَا طَرِيْقَ مَرْضَاتِكَ . وَعَامِلْنَا بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكَ وَاقْطَعْ عَنَّا مَا يُبْعِدُ عَن طَاعَتِكَ اللهم وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلوبِنا وَقَوِّهَا وَيَسِّرْ لَنا مَا يَسَّرْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْــلٌ »

وَأَرَادَ المُشْـرِكُونَ أَنْ يَسْتَـوْثِقُوا مِن رِجَـالِ المُسْلِمِيْنَ ، قَبْلَ أَنْ يُنَازِلُوْهُمْ ، فَأَرْسَلُوا عُمَيْرَ بنَ وَهْبٍ الجُمَحِي يَحْزُرُ لَهُمْ أَعْدَادَ المُسْلِمِيْنَ تَقْرِيْباً ، وَيَتَعَرَّفُ أَحْوَالَهُمْ ، فَلَمَّا اطَّلَعَ عَلَيْهِمْ عُمَيْرُ رَأَى المُسْلِمِيْنَ في مَنْظَرٍ يَبْعَثُ الرُّعْبَ والذُعْرَ والخَوفَ وَيَسْتَوْجِبُ الحَذَرَ الشَّدِيْدَ ، قَوْمٌ قَلِيْلٌ عَدَدُهُمْ ، ولكنْ صُوَرُ المَوتِ تَتَراءى مِن مَنَاظِرِهِمْ ، قَدْ تَرَاصَتْ صُفُـوفُهُمْ ، كَمَا يَتَـرَاصُّ البُنْيَانِ ، وَتَـلاَحَمَتْ أَجْسَامُهُمْ كَمَـا يَتَلاَحَمُ الحَـدِيْدُ ، وَجَثَوْا عَلَى الرُكَبِ مُسْتَـوْفِزِين ، يَتَنَمـرُوْنَ تَنَمُّـرَ الأُسُـوْدِ الضَّوارِي ، وَيَتَلَمَظُونَ تَلَمُظَ الأَفَاعِي ، وَيَدُوْرُوْنَ بِعُيُونٍ تَبْعَثُ المَوتَ حَيْثَمَا دَارَتْ ، وَتَتَحرَّكُ شِفَـاهُهُمْ بِمَا لا تُـظْهِرُهُ أَصْـوَاتُهُمْ ، يَسُوْدُهُمْ صَمْتٌ رَهِيْبٌ ، وَتَصْمِيْمٌ عَجِيْبٌ ، وَعَزْمٌ صَارِمٌ عَلَى الاسْتِمَاتَةِ في سَبِيْلِ اللهِ ، حَتَّى لَكَأَنَّهُمْ بَاعُوْا لَهَا نُفُوسَهُمْ ، فلا يُرِيْدُوْنَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى أَهْلِيْهِم ، فَأَخَذَ عُمَيْرُ بِهَذَا المَنْظَرِ المُفْزِعِ المُقْلِقِ ، وَرَجَعَ إِلى قَوْمِهِ فقال لَهُمْ : يا مَعْشَر قُرَيْشٍ البَلاَيَا تَحمِلُ المَنَايَا . . نَوَاضِحُ يَثْرِبَ تَحمِلُ المَوتَ النَّاقِعَ ، قَومٌ لَيْسَ لَهم مَنَعَةٌ ، ولا مَلْجَأَ إِلاَّ سُيُوْفَهُمْ ، والله ما أَرَى أَنْ يُقْتَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ رَجُلاً مِنكُمْ ، فإذا أَصَابُوا مِنْكُم

أَعْدَادَهُمْ فَمَا خَيْرُ العَيْشِ بَعْدَ ذَلِك ، فَرُوْا رَأْيكُم ، فَتَعَاظَمَتْ في أَعْيُن قُرَيْشٍ هَيْبَةُ المُؤْمِنِيْنَ ، وانْهَارَتْ قُوَاهُمْ المَعْنَوِيَّةِ ، وحَلَّ الخَوْفُ مَحلَّ التَّكَبُر والزَّهْو والطُغْيَانِ والاحْتِقَارِ ، ولَكِنْ ضَافَ على الخَوفِ التَّجَلُدُ والمُجَامَلَةُ ، وَأَخَذَ الخِلَافُ يَدِبُ بَيْنَ صُفُوفِهِمْ مِنْ جَدِيْدٍ ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمْشِي إِلىَ بَعْضٍ ، رَجَاءَ أَنْ يَنْفَضُوا قَبْلَ أَن تَنْشَبَ الحَرْبُ ، وَيَحْتَدِمُ القِتَالُ ، وَأَدْرَكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ما بَيْنَهُم مِن خِلافٍ ، فَأَرَادَ أَنْ يُعْذِرَ إِلَيْهِم مِنْ نَفْسِه ، فَأَرْسَلَ إِلَيهم عُمَرَ بنَ الخَطَّاب يَقُولُ لَهُمْ ارْجِعُوا فإِنَّهُ إِنْ يَلِيْ هَذا مِنِّي غَيْرُكُم ، أَحَبُّ إليَّ مِن أَنْ تَلوْهُ مِنِّي ، فقال حكيمُ بن حِزامٍ : قَد عَرَضَ واللهِ نَصَفاً فاقْبَلُوهُ وَمَشَى إِلىَ عُتْبَةَ بْن رَبِيْعَةَ فقال لَهُ : يَا أَبَا الوَلِيْدِ أَنْتَ كَبِيْرُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدَهَا والمُطَاعِ فِيْهَا ، فَهَلْ لَكَ أَلاَ تَزَالَ تُذْكَرَ مِنها بخَيْرٍ آخِرَ الدَّهْرِ ، قَالَ وَمَا ذَاكَ يَا أَبا خَالِدٍ ؟ قالَ : تَرْجِعُ بالناس ، وَتَحْمِلُ دَمَ حَلِيْفِكَ ابْنِ الحَضْرَمِي ، وما أَصَابَ مُحَمَّدُ من تِلكَ العِيرِ بِبَطْنِ نَخْلَةَ ، قالَ عُتْبَةُ : قَدْ فَعَلْتُ وَأَنْتَ عَلَيَّ بِذَلِكَ ، ثُمَّ قَامَ عُتْبَةُ في المُشْرِكِيْنَ يَقُولُ:

يَا قَوْمُ أَطِيعُونِي لا تُقَاتِلُونَ هَذَا الرَّجُلَ وأَصْحَابَهُ ، واعْصُبُوا هَذَا الأَمْرَ بِرَأْسِي ، واجْعَلُوْا جُبْنَهَابِي فإِنَّ مِنْهُمْ رِجَالاً قِرَابَتُهُمْ قريْبَةً ، وَلَئِنْ أَصْبْتُمُوه لا يَزالُ الرجلُ مِنكُم يَنْظُرُ إلى قَاتِلِ أَبِيْهِ أَوْ أَخِيْهِ ، فَيُوْرِثُ ذلكَ منكُمْ شَحْنَاءَ وَأَضْغَاناً ، ولَنْ تَخْلَصُوا إِلَىَ قَتْلِهم حَتَّى يُصِيْبُوا مِنْكُم عَدَدَهُمْ وَلاَ آمَنُ أَنْ تَكُونَ الدَّبرَةُ عَلَيْكُم ، وأَنْتُم لا تَطْلُبُونَ إلاَّ دَمَ هَذَا الرَّجُلِ ، والعِيْرِ التِي أَصَابَ ، وَأَنَا أَحْتَمِلُ ذَلِكَ ، وَهُوَ عَلَيَّ ، يا قومُ إِنْ يَكُ مُحَمَّدُ كَاذِباً يَكْفِيْكُمُوهُ ذُؤبَانُ العَرَبِ ، وانْ يَكُنْ مَلِكاً أَكَلْتُم في

مُلْكِ ابنِ أَخِيْكُمْ ، وإنْ يكُنْ نبياً كُنْتُم أَسْعَدَ الناسِ بِهِ ، يا قوْمُ لا ترُدُوْا نَصِيْحَتِي ، ولا تُسَفِّهُوا رَأْيِي .

وكان أبُو جَهْلٍ شَيْطَانُ هَذِهِ المَعْرَكَةِ ، فَجَعَلَ يُسَفِّهُ رَأْيَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيْعَةَ ، وَيَصِفُهُ بالجُبْنِ ، وَيُشِيْعُ في الناسِ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ ما قالَ إلَّا خَوْفاً على ابنِهِ أَبِي حُذَيْفَةَ ، فَقَدْ رَأَى أَصْحَابَ مُحمدٍ أَكْلَةَ جَزُوْرٍ ، فَخَافَ عَلَى ابْنِهِ أَنْ يُقْتَلَ مَعَهُمْ ، وَجَعَلَ يُحَرِضُ النَاسَ على الشَّرِ ، وَيَقولُ لا وَاللهِ لا نَرْجِعُ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ، واسْتَفْتَحَ في ذَلِكَ اليَومِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَقْطَعَنَا لِلرَّحِمِ ، وآتانا بِمَا لَا نَعْرِفُ فأَحِنْهُ الغَدَاة .

اللهم أَيُّنا كَانَ أَحبَّ إِلَيْكَ ، وَأَرْضَى عِنْدَكَ ، فانْصُرْهُ اليومَ فأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجلَّ ﴿ إنْ تَسْتَفْتِحُوْا فَقَدْ جاءَكُمُ الفَتْحُ ، وإنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لكُمْ ، وإنْ تَعُودُوْا نَعُدْ ، وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُم فِئَتُكُم شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ ، وإِنَّ اللهَ مَعَ المُؤْمِنِيْن ﴾ .

وَبَعَثَ إلى عَامِرِ بن الحَضْرَمِي الذِي قُتِلَ أُخُوْهُ في نَخْلَة ، فَجَعَلَ يُحَرِّضُهُ عَلَى أَنْ يَطْلُبَ ثَارَ أَخِيْهِ ، فقامَ ابنُ الحَضْرَمِي ، « فَجعَلَ يَحْثُو على نَفْسِهِ التُرَابَ ويَصِيْح واعُمَرَاهْ واعُمَرَاهْ » فَحَمِيَ النَاسُ واسْتَوْثَقُوا على مَا هُمْ عَليه من الشَّر ، وأَخَذُوْا أُهْبَةَ الزَّحْف ، واسْتَعَدُّوا لِلْقتَالْ .

وصلى الله على محمد وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين

« مــوْعظــه »

عِبَادَ اللهِ انْتَبِهُوا لِلْمَوَاعِظِ واعْمَلُوا بهَا فَقَدْ وَرَدَ عن النبي صلى اللهُ عليه وسلم أَنَّه قال أَيُّمَا عَبْدٍ جاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ مِن اللهِ في دِيْنِهِ فإِنَّما هِيَ نِعْمَةٌ مِن اللهِ سِيْقَتْ إِلَيْهِ فإنْ قَبِلَهَا بشكرٍ وإلا كانت حُجَّةً مِن اللهِ

عليهِ لِيَزْدَادَ بِهَا اثْماً وَيَزْدَادُ اللهُ عليهِ بها سُخْطًا .

عِبَادَ اللهِ كَمْ قَدْ نُهِيْتُم عن الاغْتِرَارِ بالـدُنْيَا وَحُـطَامِهَا الفَـانِي والطُّمَأْنِيْنَةِ إِلَيْهَا والانْخِدَاعِ بِزَخَارِفِهَا وَكَمْ قَدْ نُهِيْتُمْ عن الايثَارِ لَهَا على الآخِرَةِ والاشْتِغَالِ بهَا عَنْهَا قال الله تعالى ﴿ بَلْ تُؤثِرُوْنَ الحَيَاةَ الدنيا والآخِرَةُ خَيْرٌ وأَبْقَى ﴾ وقال عَزَّ مِنْ قائل ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى وآثَرَ الحَيَاةَ الدُنْيَا فإنَّ الجَحِيْمَ هِيَ المَأْوَى ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَفْسَ عَن الهَوى فَإنَّ الجنةَ هِيَ المَأْوَى ﴾ وقال تعَالى ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيْدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيْهَا ما نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيْدُ ثم جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُوماً مَدْحُورًا ﴾ وقالَ عَزَّ مِن قائِل ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الآخِرَةَ نزدْ له في حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الدنيا نُؤْتِـهِ مِنْهَا وَمَـالَهُ في الآخِـرَةِ مِن نَصِيْب ﴾ وإنَّ دَارًا يا عِبَادَ الله أَوْصَافُهَا في كتاب الله وَسُنَّةِ رَسُوْلِهِ إِنَّها غُرُوْرٌ وَمَتَاعٌ قَلِيْلٌ وَلَعِبٌ وَلَهْوٌ وَمَمَرٌ وَطَرِيْقٌ إِلى الآخِرَةِ كَمَا هُوَ الوَاقِعُ دَارٌ مَمْلُوْءَةٌ بالأَكْدَارِ والمَصَائِبِ والآلام والأحْزَانِ دَارٌ مَا أَضْحَكَتْ إِلَّا وَأَبْكَتْ ولا سَرَّتْ إلا وأَسَاءَتْ دَارٌ نِهَايَةُ قُوَّةِ سَاكِنِيْهَا إلى الضَّعْفِ وَنِهَايَةُ شَبَابِهِمْ إِلَى الهَرَمِ وَنِهَايَةُ حَيَاتِهِم المَوْت .

اللهم يَا مُصْلِحَ الصَّالِحِيْنَ أَصْلِحْ فَسَادَ قُلُوْبِنَا واسْتُرْ في الدُنْيَا والآخِرَةِ عُيُوْبَنَا واغْفِرْ بِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ ذُنُوْبَنَا ، وَهَبْ لَنَا مُوْبِقَاتِ الجَرَائِرِ واسْتُرْ عَلَيْنَا يَا مَوْلاَنَا فَاضِحَاتِ السرائِرِ ، ولا تُخْلِنَا في مَوْقِفِ القِيَامَةِ من بَرْدِ عَفْوِك وَغُفْرَانِك ولا تَتْرُكْنَا مِنْ جَمِيْلِ صَفْحِكَ وَاحْسانِكَ وآتِنَا في الدُنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلوالدينا ولجميع المُسْلِمِيْن بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الراحِمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

شعرا : أيَابَانِي الدُنْيا لِغَيْرِكَ تَبْتَنِيْ وَيَـا جَامِعَ الدُنْيَا لِغَيْـرِك تَجْمَـعُ
أرَى المَـرْءَ وَثَّابـاً على كُـلِ فُـرْصَـةٍ
ولِـلمَـرءِ يَـوْمـاً لا مَحَـالَـةً مَصْـرَعُ

آخـر :

يَـأْتِي عَلَى النـاسِ إصْبَـاحٌ وَإمْسَـاءُ
وَحُبُّنَـا هَـذِهِ الـدُنْـيَـا هُـوَ الـدَّاءُ
كَمْ أيْقَـضَتْ بصُـرُوْفٍ مِن حَـوادِثِهَـا
وكـلُنـا لِـصُـرُوْفِ الـدَّهْـرِ نَـسَّـاءُ
أَيْنَ الـمُـلُوكَ وَأبْنَـاءُ الـمُـلُوكِ وَمَـنْ
قـادُوا الجُنُـودَ ونَـالُـوا كُـلَّ مَـا شَـاؤُا
وَأيْـنَ عَـادٌ واقْـيَـالُ الـمُـلُوكِ وَمَنْ
كـانَتْ لَهُـم عِـزَّةٌ في المُلْكِ قَعْسَـاءُ
قَـدْ مُتِعُـوا بِقَلِيْـلٍ مِنْ زَخَـارِفِـهَـا
فِـي عِـزَّةٍ فَـإذَا الـنَّـعْـمَـاءُ بـأْسَـاءُ
نَـالُـوْا يَسِيْـراً مِنَ اللَّذات وانْصَـرفُـوا
عَـن دَارِهَا واقْـتفَى اللَّذَاتِ أَسْـوَاءُ

دارٌ هذَا وَصْفُهَا وَوَاقِعُهَا فَهَلْ يَغْتَرُّ بهَا مَنْ لَهُ عَقْلُ هَلْ يَأْمَنُهَا أوْ بَطْمَئِنُ إلَيْهَا ذُو عَقْلٍ رَزِيْنٍ هَلْ يُعَادِيْ وَيُشَاحِنُ وَيُوَالِي مِن أَجْلِهَا إلاَّ نَاقِصُ العَقْلِ والدِيْن فاتَّقُوا اللهَ يا عبادَ اللهِ وكُونُوا مِنْ تَقلبهَا على غَايَةِ الحَذَرِ وَكُونُوا مِن أَبْناءِ الأخِرَةِ وَذَلِّلُوْا دُنْيَاكُم لآخِرَتِكُم واسْتَخْدِمُوهَا في الذِي يُرْضِيْ رَبَّكُمْ فإنَّ الدُنْيَا نِعْمَ المَطِيَّةُ لِمَنْ اسْتَخْدَمَهَا لِلآخِرَةِ وَلَنْ يَصْحَبَ الانسانَ اذا فَارَقَهَا وانْتَقَلَ مِنْهَا إلاَّ مَا قَدَّمَهُ فِيْهَا مِن صَالِحِ

الأعْمَالِ قال اللهُ تعالى ﴿ والباقياتُ الصَّالِحَاتُ خيرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثواباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أَيُّها الذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ ولْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ واتَّقُوا اللهَ إن اللهَ خَبِيْرٌ بما تَعْمَلُون ﴾ فاتقوا الله عِبَادَ اللهِ وَبادِرُوْا بالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ هُجُومِ هَاذِمِ اللَّذَاتِ وَمُفَرّقِ الجَمَاعَاتِ قَبْلَ أَنْ تَأْتِي فِتَنٌ كَقِطَعِ الليلِ المُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِيْ كَافِراً وَيُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كافِراً يَبِيْعُ دِيْنَهُ بِعَرَضٍ مِن الدنيا وَرَوَى البُخَارِيُّ عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بِمَنْكِبَيَّ فقال « كُنْ في الدُّنْيا كَأَنَّكَ غَرِيْبٌ أو عَابِرُ سَبِيْلٍ فكَانَ ابنُ عُمَرَ يَقُوْلُ إذا أَمْسَيْتَ فلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ وإذا أَصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ وَيَقُولُ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم فِيْمَا رَوَاهُ الحَاكِمُ وصَحَّحَهُ عن ابنِ عَبَّاسٍ اغْتَنِمْ خمساً قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ .

عَسَى تَوْبَةٌ تُمْحَى بِهَا كُلُّ زَلَّةٍ
وَتَغْسِلُ أَدْرَانَ القُلُوبِ المَرِيْضَةِ
أَجِدَّكَ مَا الدُّنْيَا وَمَاذَا نَعِيْمُهَا
وَهَلْ هِيَ إِلَّا دَارُ بُؤْسٍ وَحَسْرَةِ
ولم أَرَى فِيْهَا مَا يَرُوْقَ بَلَى بِهَا
تُرِيْقُ دَمَ الأَعْمَارِ أَسْيَاقُ غَفْلَةِ
إِذَا أُدْرِكَتْ فِيْهَا مَسَرَّةُ سَاعَةٍ
أَتَتْكَ إِسَاءَاتٌ تُنَسِيْكَ بِالَّتِي

وَإِنْ عَطَفَتْ فالعَطْفُ عَطْفَ تَوَهُّمٍ
فإيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ مِنْهَا بِعَطْفَةِ
رَأَيْنَا أُنَاساً قَدْ أَنَاخَتْ بِسَوْحِهم
وَقَالَتْ خُذُوا من زَهْرَتِي كُلَّ مُنْيَةِ
فَغَرَّتْهُمُ حَتَّى اسْتَبَاحُوا حَرِيْمَهَا
وَحَطُّوا بِهَا الأَثقَالَ مِن كُلِّ شَهْوَةِ
فَمَا هِيَ إِلَّا أَنْ أَرَتْهُمْ نَعِيْمَهَا
وَمَدُّوْا أَعْنَاقاً إِلى كُلِّ لَذَّةِ
أَتَتْهُم فأَجْلَتْ عَنهُمُ كُلَّ شَهْوَةٍ
أَرادُوا وَأَخْلَتْ مِنْهُم كُلَّ غُرْفَةِ
فَصَارُوا أَحَادِيْثاً لِكُلِّ مُحَادِثٍ
وَهُمْ سَمَرُ السُّمَّارِ في كُلِّ سَمْرَةِ
وَلِلْعَيْنِ كَانُوا قُرَّةً ثُمَّ أَصْبَحُوْا
وَهُمْ عِبْرَةٌ تَجْرِي بِهَا كُلُ عَبْرَةِ
تَبَدَّلَ منها كُلُ شَيءٍ بِضِدِّهِ
فإيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ فِيْهَا بِرُتْبَةِ
فَصِحَّتُهَا والعِزُ والمَالُ بَعْدَهَا
سَقَامٌ وذِلٌّ وافْتِقَارُ بِقِلَّةِ
أَرَى هَذِهِ الأَعمارَ أَحْلامَ نائمٍ
وَلَذَّتَهَا طَيْفاً أَلَمَّ بِمُقْلَتِي
أَلَسْتَ تَرى الأَتْرَابَ قَدْ رَحلُوا إِلَى
تُرابٍ وَحَلُّوْا في مَنَازِلِ وَحْشَةِ

مُقِيْمِيْنَ فِيمَا يَنْظُرونَ مَتَى مَتَى
تَرُوْحُ إليْهِم في عَشِيٍّ وَبُكْرَةِ
وَتُقْبِلُ في جَيْشٍ قُصَارَى مَرَامِهِم
نُزُولُكَ فَرْداً حُفْرَةً أيَّ حُفْرَةِ
وَيَحْثُو عَلَيْكَ التُرْبَ كُلُ مُشَيِّعٍ
ثَلاثَاً وَهَذَا مِن فِعَالِ الأَحِبَةِ
فَتَنْزِلُ دَارَ لا أَنِيْسَ بِهَا وَلاَ
خَلِيلَ بهَا تُفْضِيْ إليهِ بِخُلَّتِي
سِوَى رَحْمَةِ الرَّحْمٰنِ يَا خَيْرَ رَاحِمِ
أَسَأْنَا فَقَابِلْنَا بِعَفْوٍ وَرَحْمَةِ
وَصَلَّى عَلَى المُخْتَارِ والآلِ إنَّهَا
لِحُسْنِ خِتَامٍ في نِظَامِ القَصِيْدَةِ

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوكِ مَنَاهِجِ المتقِين وَخصَّنَا بالتَّوفِيق المُبيْن واجْعَلْنَا بِفَضْلِكَ مِن عِبَادِكَ المُخْلِصِيْن الذِيْنَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِم ولا هُمْ يَحْزَنُونَ

اللهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ وَالاجَابَةِ وَوَفِّقْنَا لِلتَّوبَةِ النَّصُوح وَالانابَةِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبنَا تَثْبِيْتَ الجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ آنَاءَ اللَيْلِ وَالنَّهارِ وَثَبِّتْنَا عَلى قَوْلِكَ الثَّابِتِ في الحَيَاةِ الدنيَا وفي الآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمينَ برَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ

اللَّهُمَّ أَيْقِظْ قُلُوبَنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الايْمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا الْمَعْرِفَةَ بِكَ عَنْ بَصِيْرَةٍ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِطَاعَتِكَ وَامْتِثَالِ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

« فَصْــلٌ »

وَعَبَّأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ تَعْبِئَةٍ لِأَصْحَابِهِ ، وَحَثَّهم عَلى الثَّبَاتِ والصَّبْرِ ، وقال لَهُمْ « لا تَحْمِلُوا حَتَّى آمرَكُم ، وإنْ اكْتَنَفَكُم القَـوْمُ فـانْضَحُـوْا عَنْكُم بـالنَّبْـلِ ، ولا تَسْلُوا السُيُـوفَ حَتَّى يَغْشُوْكُم » ثُمَّ رَجَعَ إلى العَرِيْشِ ، فَدَخَلَهُ وَمعَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَقَامَ سَعْدُ ابنُ مُعاذٍ وَاقِفاً عَلَى البَابِ بَابِ العَرِيْشِ ، مُتَقَلِّداً سَيْفَهُ ، ومَعَهُ رِجَالٌ مِن الأَنْصارِ ، يَحْرسُوْنَ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم خَوْفاً عَلَيْهِ أَنْ يَدْهَمُهُ العَدُوُ مِنَ المُشْرِكِيْن ، والنَّجَائِبُ مُهَيَّئَةٌ لَهُ ، إنْ احْتَاجَ إلَيْهَا رَكِبَهَا وَبَدَأَتْ قُرَيْشٌ الزَّحْفَ ، فَانْدَفَعَ مِن صُفُوفِهَا الأَسْوَدُ ابنُ عَبْدِ الأَسَـدِ المَخْزُوْمِي ، إلَى حَوْضِ الماءِ الذِي أَقَامَهُ المُسْلِمُونَ ، وَهُوَ يَقُولُ أعَاهِدُ اللهَ لأَشْرَبَنَّ مِن حَوْضِهِمْ ، أَوْ لأَهْدِمَنَّهُ ، أَوْ لَأَمُوتَنَّ مِن دُوْنِهِ ، فَتَلَقَاهُ حَمْزَةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ بضَربةٍ مِنْ سَيْفِهِ أَطَنَّ بهَا سَاقَه ، فوقَعَ على الأَرضْ ، ثُمَّ اسْتَمر يَزْحَف حتَّى وصَلَ إلى الحَوضْ ، فجَعَل حَمْزَة يُتَابعه بالسيف حتى قَتَلَهُ في الحَوْض ، وَحَمِيَ عُتْبَة بنُ رَبِيْعَةَ مِن قَوْلِ أَبِي جَهْلٍ ، فانْدَفَعَ مِن الصَّفِ بَيْنَ أَخِيْهِ شَيْبَةَ ، وَابْنِهِ الوَلِيْدِ ، يَدْعُونَ إلَى المُبَارَزَةِ ، فَخَرَجَ إلَيْهِمْ ثلاثَةٌ مِن الأَنْصارِ ، عَبدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ وَعوفُ وَمُعَوِّذُ أَبْنَاءُ عفراءَ ، فَقَالُوا : مَنْ أَنْتُم ؟ فَقَالُوْا : مِنَ الأَنْصارِ . قَالُوا : أَكْفَاءٌ كِرَام ، وإِنَّمَا نُرِيْدُ بَنِيْ عَمِّنَا ، ونادَوْا يا مُحَمَّدُ أَخْرِجْ إلَيْنَا أَكْفَاءَنَا ، فَأَخْرَجَ لَهُم رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم حَمْزة بنَ عَبْدِ المُـطَّلِبِ ، وَعُبَيْدَةَ بنَ الحَارِثِ بن عَبْـدِ المُـطَّلب ، وَعَلِيَ بنَ أَبِي

حَتَّى أَكَلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيْلَةٌ ، ثم يَنْدَفِعُ إِلَى المَعْرَكَةِ انْدِفَاعَ السَّهْمِ ، وَحَتَّى إِنَّ عَوْفَ بنَ الحَارِثِ لَيَسْأَلُ رَسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم عَمَّا يَضحكُ الرَّبُ مِن عَبْدِهِ ، فَيَقُولُ لَهُ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « غَمْسُهُ يَدَهُ في العَدُوِّ حَاسِراً » فَيَنْزِعُ دِرْعَهُ فَيَقْذِفُهَا ، ثُمَّ يَأْخُذُ سَيْفَهُ ، وَيَخُوضُ في المَعْرَكَةِ، لاَ يُبَالِي أَوَقَعَ عَلَى المَوتِ ، أَمْ وَقَعَ المَوتُ عَليهِ ، وأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم ملءَ كَفِّهِ مِن الحَصَى ، فَرَمَى بها وُجُوْهُ العَدُوِ ، فلم تَتْرُكْ رَجُلا مِنْهُم إِلاَّ مَلأَتْ عَيْنَيْهِ ، وَشُغِلُوا بالتُّرابِ في أَعْيُنِهم ، وَشُغِلَ المُسْلِمُونَ بقَتْلِهم ، فأَنزَلَ اللهُ في شأنِ هَذِهِ الرَّمْيَةِ على رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ، ولكنَّ اللهَ رَمَى ﴾ وكانَتِ الملائكةُ يَوْمَئِذٍ تُبَادِرُ المُسْلِمِيْنَ إلى قَتْلِ أَعْدَائِهم ، قال ابنُ عَباسٍ بَيْنَمَا رَجُلٌ مِن المُسْلِمِيْنَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُ في أَثَرِ رَجُلٍ مِن المُشْرِكِيْنَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بالسَّوْطِ فَوْقَهُ ، وَصَوْتَ الفارسِ فَوْقَهُ ، يَقُولُ أَقْدِمْ حَيْزُوْمُ ، إِذْ نَظَرَ إِلى المُشْرِكِ أَمَامَهُ مُسْتَلْقِياً ، فَنَظَرَ إِليهِ فإِذا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ ، وَشُقَّ وَجْهُهُ ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ ، فأَحْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ ، فَجاءَ الأَنْصَارِيُ فَحَدَّثَ بذَلِكَ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فقال « صَدَقْتُ ، ذَلِكَ مِن مَدَدِ السَّمَاءِ الثالِثةِ » وقال أَبُو دَاوُدَ الأَنْصَارِي : إِنِّي لأَتْبَعُ رَجُلاً مِن المُشْرِكِيْنَ لأَضْرِبَهُ ، اذْ وَقَعَ رَأْسُهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ غَيْرِي ، وَجَاءَ رَجُلٌ بالعباسِ بن عبدِ المطلبِ أَسِيْراً ، فقال العَبَّاسُ إِنَّ هَذَا واللهِ ما أَسَرَنِي ، لَقَدْ أَسَرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ مِن أَحْسَنِ الناسِ وَجْهاً على فَرَسٍ أَبْلَقَ ، وَمَا أَرَاهُ في القَوْمِ ، فقال الأنصارِيُ أنا أَسَرْتُهُ يا رسولَ اللهِ ، فقال : اسْكُتْ فَقَدْ أَيَّدَكَ اللهُ بمَلَكٍ كَرِيْمٍ ، وأُسِرَ مِن بَنِي

طَالِب ، فَبَارَزَ عُبَيْدَةُ عُتبَةَ ، وبارَزَ حَمْزَةُ شَيْبَةَ ، وبارَزَ عَليٌّ الوَلِيْدَ ، فَأَمَّا حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ فَلَمْ يَلْبَثْ كُلُ مِنْهُمَا أَنْ قَتَلَ صَاحِبَهُ ، وَأَمَّا عُبَيْدَةُ وَعُتْبَةُ فَقَدْ اخْتَلَفَا فِيْمَا بَيْنَهُمَا ضَرْبَتَيْن ، فَوَقَعَ كِلاَهُمَا عَلى الأَرض ، فَكَرَّ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ بأَسْيَافِهِمَا عَلَى عُتْبَةَ ، فَذَفَّفَا عَلَيْهِ ، وَحَمَلاَ عُبَيْدَةَ فجاءآ به إِلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ قُطِعَتْ سَاقُهُ ، وَجعَل مُخُهَا يَسِيل ، فأَفْرَشَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم قَدمَهُ الشَّرِيْفَة ، وَبَشَّرَهُ بالشَّهَادَةِ ، وَهُنَا حَمِيَ المُشْرِكُونَ ، وَهَجَمُوْا على صُفُوفِ المُسْلِمِيْن ، هُجُومَ السَّيْلِ الجَارِفِ ، فَأَمَرَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيـه وسلم أَنْ يَكْسِرُوْا هَجَمَاتِهِمْ بالنَّبْلِ ، وَهُمْ مُرَابِطُونَ في أَمَاكِنِهم ، فَلَمَّا أَوْشَـكَ الصَّفَانِ أَنْ يَتَلاَحَمَا أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم أَنْ يَحْمِلُوا عَلَيْهِم ، وَنَادَى قائِلاً « والذي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُقَاتِلُهُم اليومَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِراً مُحْتَسِباً مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ » فَهَجَمَ المُسْلِمُونَ بِقُلُوبٍ مِلْؤُهَا الإِيْمَانُ بالحَق ، والرَّغْبَةُ في الشَّهَادَةِ ، والطَّمَعُ في ثَوَابِ اللهِ ، وَجعَلُوا أَهْـدَافَهُم رُؤُوْسَ الكَفَرَةِ ، يَتَصَيَّـدُوْنَهُم وَسَطَ الجُمُوْعِ الزَّاحِفَة ، ثُمَّ يَنْقَضُونَ عَلَيهِمْ كَالصَّـواعِقِ ، وَهُمْ يَتَصَايَحُـونَ تَصَائِـحَ الأُسُودِ : يَا مَنْصُورُ أَمِتْ أَمِتْ .

ثُمَّ حَمِيَ الوَطِيْسُ ، واسْتَدَارَتْ رَحَى الحَرْب ، واشْتَدَّ القِتَالُ ، وَهَانَتْ على المُسْلمين الحَياةُ ، ولَذَّتْ لَهُمُ الشَّهَادَةُ ، واسْتَعْجَلُوا المَوْتَ في سَبِيْلِهَا ، حَتَّى إِنَّ عُمَيْرَ بنَ الحُمَامِ لَيَصِيْحُ مِن فَـرْطِ سُرُوْرِهِ ، وَيَقُولُ : بَخٍ بَخٍ أَفَمَا بَيْنِي وبَيْنَ الجَنَّةِ إِلاَّ أَنْ يَقْتُلَنِي هَؤُلآءِ ؟ ثم يَرْمِي من يَـدِهِ تَمَـراتٍ كـانَ يـأْكُـلُ مِنْـهَـا ، ويقــولُ لَئِنْ أنـا حَيَيْتُ

عَبْدِ المُطَّلِبِ ثَلاثَةٌ ، العَبَّاسُ وَعَقِيْلٌ ، وَنَوْفَلُ بنُ الحَرثِ .

وَذَكَر الطَّبرانِي عن رِفاعَةَ بن رَافِعٍ قَالَ : لَمَّا رَأى ابْلِيْسُ ما يَفْعَلُ الملائكةُ بالمشرِكِينَ يومَ بَدْرٍ أَشْفَقَ أَنْ يَخْلُصَ القَتْلُ إليهِ ، فَتَشَبَّثَ بِهِ الحَرْثُ بن هِشَامٍ ، وَهُوَ يَظُنُّهُ سُرَاقَةَ بنَ مَالِكٍ فوكَز في صَدْرِ الحَرْثِ فَأَلْقَاهُ ، ثُمَّ خَرجَ هَارِباً ، حَتَّى أَلْقَى نَفْسَهُ في البَحْرِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ إني أَسْأَلُكَ نَظْرَتَكَ إيَّاي ، فَأَقْبَلَ أَبُو جَهْلِ بنُ هِشَامٍ فقالَ : يَا مَعْشَرَ النَّاسِ لا يَهْزِمَنَّكُمْ خُذْلَانُ سُرَاقَةَ إيَّاكُم ، فإِنَّهُ كَانَ عَلَى مِيْعَادٍ مِن مُحَمَّدٍ ، ولا يَهُوْلَنَّكُم قَتْلُ عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ وَالوَلِيْد ، فإِنَّهُمْ قَدْ عَجَّلُوا ، فَوَاللَّاتِ والعُزَّى لا نَرْجِعُ حَتَّى نَقْرِنَهُم بالحِبَالِ ، ولا أَلْفِيَنَّ رَجُلاً مِنْكُمْ قَتلَ مِنْهُمْ رَجُلاً ، وَلَكِنْ خُذُوْهُمْ أَخذا ، حَتَّى نُعَرِّفَهُمْ سُوْءَ صَنِيْعِهِمْ ، وَلَا تَزَالُ تُضَاعِفُ شَجَاعَةُ المُسْلِمِيْن وَتَزْدَادُ قُوَاهُمُ المَعْنَوِيَّةُ والحِسِّيَةُ وَتَزْدَادُ حَمَاسَتُهُمْ ، حَتَّى لَيُحِسُ الوَاحِدَ مِنْهُمْ أَنَّهُ كُفْءٌ لِعَشَرَةٍ مِن المُشْرِكِيْنَ ، وَتَضَاءَلَتْ في أَعْيُنِ المُؤْمِنِيْن كَثْرَةُ المُشْرِكِيْنَ ، فَجَعَلُوا يَفْتَرِسُونَهُمْ كَمَا تَفْتَرِسُ الذِئَابُ الغَنَمَ ، وَيَكْتَسِحُوْنَهُمْ كَمَا يَكْتَسِحُ السَّيْلُ الغُثَاءَ ، وانْعَقَدَ فَوْقَ المَعْرَكَةِ جَوٌ رَهِيْبٌ ، مَلأَ قُلُوبَ المُشْرِكِينَ بالرُّعْبِ ، كَمَا مَلأَ قُلُوبَ المُؤْمِنينَ بالقُوَّةِ والثَّبَاتِ مِن اللهِ العَزيزِ الحَكِيم .

وَرُوِيَ أَنَّ خُبَيْبَ بنَ يَسَافٍ كَانَ رَجُلاً شُجَاعاً ، وَكَانَ يَأْبَى الإِسلامَ ، فَلَمَّا خَرجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم إِلَى بَدْرٍ ، خَرجَ هُوَ وَقَيْسُ بنُ مُحْرِثٍ ، فَعَرضَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّم أَنْ يَخْرُجَا مَعَهُ ، فَقَالَ لا يَخْرُجْ مَعَنَا رَجُلٌ لَيْسَ عَلَى دِيْنِنَا ، فَقَالَ خُبَيْبٌ : قَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنِّي عَظِيْمُ الغِنَاءِ في الحَرْبِ ، فَأُقَاتِلُ مَعَكَ لِلْغَنِيْمَةِ ، قَالَ « لا ، وَلَكِنْ أَسْلَمَ ثُم قَاتَلَ اللهم يا فالقَ الحَبِّ والنَّوى ، يَا مُنْشِىءَ الأَجْسَادِ بَعْدَ البلَى يا مُؤْيِ المُنقَطِعِيْنَ إليهْ ، يا كافِي المُتَوَكِّلينَ عليه ، انْقطَعَ الرَّجَاءُ إلا مِنْكَ ، وخابَتِ الظُنُونُ إلاَّ فِيْكَ ، وضَعُفَ الاعْتِمَادُ إلا عَلَيْكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُمْطِرَ مَحْلَ قُلُوْبِنا

مِن سَحَائِب بِرِّكْ وإِحْسَانِكْ وأَنْ تُوفِقَنا لِمُوجِباتِ رَحْمتِكَ وعَزائِمِ مَغْفِرتِكَ

اللهم ارْزُقْنا حُبَّكَ وَحُبَّ مَن يُحِبُكَ وَحُبَّ العَمَلِ الذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى حُبِّكَ اللَّهُم أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِشُكْرِكَ وَاحْفَظْنَا مِن الاغْتِرَارِ بالدُنيَا والهَوَى والنَّفْسِ وَعَدُوِّكَ واغفِرْ لَنَا وَلِوَالِدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحمَ الراحمين إنكَ وَليُّ ذَلِكَ والقادِرُ عليه وصلى اللهُ على محمدٍ وآلِه وصحبه وسلم .

« فَصْــلٌ »

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في عَرِيْشِهِ ، يُتَابِعُ المَعْرَكَةَ ، وَقَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَتَارَةً يَنْزِلُ إِلَيْهِم ، فَيُنَهِضُ هِمَمَهُمْ ، وَيُقَوي بِإِذِنِ اللهِ قُلُوبَهُم ، وَيَحُثُهُم على القِتَالِ وتارةً يَصْعَدُ إِلى الجَبَلِ يَدْعُوْ رَبَّهُ ، وَيُكَرِّرُ دُعَاءَهُ وابْتِهَالَهُ لِلهِ ، وَمُنَاشَدَتُهُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَرَدَّهُ عليه الصديقُ رَضِيَ اللهُ عنهُ ، وقال : بَعْضُ مُنَاشَدَتِكَ رَبَّكَ ، فَانَّهُ مُنْجِزٌ لكَ مَا وَعَدَكَ ، فأغْفِيَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إغْفَاءَةً وَاحِدَةً ، وَأَخذَ القومُ النُعَاسُ في حَالِ الحَرْبِ ، ثم رَفَعَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم رَأْسَهُ فقال « أَبْشِرْ يا أبا بَكْرٍ ، هذا جِبْرِيْلُ على ثَنَايَاهُ النَّقْعُ ، وَجَاءَ النَّصْرُ ، وَأَنْزَلَ اللهُ جُنْدَهُ ، وَأَيَّدَ رَسُوْلَهُ وَالمُؤْمِنِين ، وَمَنَحَهُم أَكْتَافَ المُشْرِكِيْنَ أَسْراً وَقَتْلاً ، وَنَزَلَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إلى أَصْحَابِهِ ، يَشُدُّ عَزَائِمَهُمْ ، وَيُبَشِّرُهُمْ بِنَصْرِ اللهِ ، وَيَقُولُ لَهُم « شُدُّوا ، (سَيُهْزَمُ الجَمْعُ ، وَيُولُونَ الدُبر) . . مَنْ قَتَلَ قَتِيْلاً فَلَهُ سَلَبُهُ ، وَمَن أَسَرَا أَسِيْراً فَهُوَ لَهُ ، فَحَمَلَ المُسْلِمُونَ عَلَيْهِم حَمْلَةً صَادِقَةً ، تَصَدَّعَتْ لَهَا جُمُوعُهُم ، وانْهَارَتْ أَمَامَهَا قُوَاهُم وَرَأَى المُشْرِكُونَ مَا أَصَابَ سَادَتِهِم ، فَأُلْقِيَ الرُّعْبُ في قُلُوبِهِمْ وَأَخَذُوْا يُلْقُونَ بِأَثْقَالِهِمْ ، وَيَفِرُّوْنَ مِنَ المَعْرَكَةِ ، نَجَاةً بِأَنْفُسِهِمْ مِن

المَوْتِ ، فانْقضَّ المُسْلِمُونَ يَأسِرُوْنَ وَيَهْزِمُوْنَ وَيغْنَمُوْنَ ، ولمَا وَضعَ القَومُ أَيْدِيْهُمْ يَأْسِرُوْنَ ، نَظَرَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إِلى سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ ، فَرَأى في وَجْهِهِ الكَرَاهَةَ لِمَا يَصْنَعُونَ ، فقال « لَكَأَنَّكَ يا سَعْدُ تَكْرَهُ ما يَصْنَعُ القَومُ ؟ » فقالَ : أَجَلْ واللهِ يا رَسُولَ اللهِ ، كَانَتْ أَوَّلَ وَقْعَة أَوْقَعَهَا اللهُ بأَهْلِ الشِرْكِ ، فَكَانَ الاثْخَانُ في القَتْلِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِن اسْتِبْقَاءِ الرِّجَالِ ، وَهَكَذَا تَصَدَّعَتْ جُمُوعُ الشِّرْكِ ، أَمَامَ قُوَّةِ الإِيْمَانِ باللهِ وَرَسُولِهِ وانْجلَتِ المَعْرَكَةُ عن سَبْعِيْنَ قَتِيْلا ، وَسَبْعِيْنَ أَسِيْرَا ، مِنْ المشركين ، وغَنِمَ المُسْلِمُونَ كُلَّ مَا خَلَّفَ المُشْرِكُونَ وَرَاءَهُمْ ، مِنْ زَادٍ وَعَتَادٍ ، أَمَّا الذِيْن فَازُوْا بالشَّهَادَةِ من المُؤْمِنِيْنَ فكَانُوْا أَرْبَعَةَ عَشَرَ ، فَبَدَأَتِ المَعْرَكَةُ في الصَّبَاحِ ، وانْتَهَتْ في عَصْرِ ذَلِكَ اليَوم ، الذِي هُوَ السَّابِعَ عَشَر مِن رَمَضَانَ ، مِن السُّنةِ الثانيةِ لِلْهِجْرَةِ ، ثُمَّ أَمَرَ رَسُوْلُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أَنْ يُدْفَنَ الشُّهَدَاءُ مِن المُؤْمِنِيْن، وأَنْ يُوَارَيَ القَتْلَى مِنَ المُشْرِكِيْنَ في قَلِيْبٍ هُنَاكَ مَهْجُوْرَة ، فَلَمَا وُضِعُوْا في القَلِيْب ، وَقفَ عَلَيْهِم رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم فقال « يَا أَهْلَ القَلِيْب ، هَلْ وَجَدْتُم مَا وَعدَ رَبُكُم حَقَا ؟ فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَني رَبي حَقاً » فقال لَهُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه : يا رَسُولَ اللهِ ما تُخَاطِبُ مِنْ أَقْوَامٍ قَدْ جَيَّفُوا . فقال « والذِي نَفْسِيْ بِيَدِهِ ما أَنْتُمْ بأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُم ، وَلَكِنَّهُمْ لا يَسْتَطِيْعُونَ الجَواب » .

وَرَوَى البُخَارِي في الصَّحِيْحِ عن عبدِ الرحمنِ بنِ عَوفٍ ، قال إِنِّيْ لَفِي الصَّفِ يومَ بَدْرٍ ، إِذْ التَفْتُ فإذا عن يَمِيْني وعن يَسَارِي فَتَيَانِ ، حَدِيْثَا السِّن ، فكأَنِّي لَمْ آمَن بمَكَانِهما ، إِذْ قال لِي أَحَدُهُمَا سِراً مِن صَاحِبه : يا عَمُّ أَرِنِي أَبا جَهْلٍ ، فَقُلْتُ : يا ابْنَ أَخِي فَمَا تَصْنَعُ بِهِ ؟ قال : أُخْبِرْتُ أنه يَسُبُّ

رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عليه وسلم فَوَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ ، حَتَّى يَمُوتَ الأعْجَلُ مِنَّا ، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ ، قال وَغَمَزَنِي الآخَرُ ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا ، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاس ، فَقُلْتُ أَلَا تَرَيَانِ ، هَذا صَاحِبُكُمَا الذِي تَسْأَلَانِي عنه ، قَالَ : فابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا ، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فقالَ « أَيُّكُمَا قتلَهُ ؟ » فقال كُلُ مِنْهُمَا : أَنَا قَتَلْتُهُ . قال « هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا فقالاَ : لَا ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلم إلى السَّيْفَيْنِ فقال « كِلَاكُمَا قَتَلَهُ » وَقَضَى رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بِسَلَبِهِ لِمُعَاذِ بن عَمْرو بنِ الجَمُوحِ ، والرَّجُلانِ مُعَاذُ بنُ عَمْرِو بن الجَمُوحِ ، وَمُعَاذُ بنُ عَفْرَاء :

بُغْضُ الحَيَاةِ وَخَوْفُ اللّهِ أَخْرَجَنِي
وَبَيْعُ نَفْسِي بِمَا لَيْسَتْ لَهُ ثَمَنَا
إِنِي وَزَنْتُ الذي يَبْقَى لِيَعْدِلَهُ
مَا لَيْس يَبْقَى فَلَا واللّهِ مَا وَزَنَا

واللّهُ أعلم وصلى اللّهُ على محمد وآله وسلم

(فَصْلٌ)

« مِن مَوَاعِظِ النبيِ صلى اللهُ عليهِ وَسَلَم وَوَصَايَاه »

قال صلى اللهُ عليه وسلم « حَلُّوْا أَنْفُسَكُمْ بالطَّاعَةِ ، وَأَلْبِسُوهَا قِنَاعَ المَخَافَةِ ، واجْعَلُوا آخِرَتَكُم لأَنْفُسِكُم بالطاعةِ ، لِمُسْتَقرِكُم ، واعْلَمُوا أَنَّكُم عن قَلِيْلٍ رَاحِلُون ، وإِلى اللهِ صَائِرُوْن وَلا يُغْنِي عَنْكُم هُنَالِكَ إِلَّا صَالِحُ عَمَلٍ قَدَّمْتُمُوْهُ ، أَوْ حُسْنُ ثَوَابٍ حُزْتُمُوه .

وقال صلى الله عليه وسلم في بَعْضِ خُطَبِهِ « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الأَيَّامَ تُطْوَى ، والأَعْمَارَ تَفْنَى ، والابْدَانَ في الثرى تَبْلى ، وإِنَّ اللَّيْلَ والنهارَ

يَتَرَاكَضَانِ تَرَاكُضَ البَرِيْدِ ، يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيْدٍ ، وَيُخْلقَانِ كُلَّ جَدِيْدٍ ، وفي ذَلِكَ عِبَادَ اللهِ ما أَلْهَى عن الشَّهوَاتِ ، وَرَغَّب في البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ .

وقال صلى اللهُ عليه وسلم في بعْضِ خُطَبِهِ : « أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ لَكُم نِهَايَةً ، فانْتَهُوا إلى نِهَايَتِكُم ، وإنَّ لَكُم مَعَالِمَ ، فانْتَهُوا إلى مَعَالِمِكُم ، وإنَّ المُؤمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ : أَجلٍ قَدْ مَضَى ، لَا يَدْرِي ما اللهُ صَانِعُ فِيْهِ ، وَأَجلٍ قَدْ بَقِي ، لَا يَدْرِي ما اللهُ قاضٍ فِيه فَلْيَتَزَوَّدِ العَبْدُ لِنَفْسِهِ مِن نَفْسِهِ ، وَمِن دُنْيَاهُ لآخِرَتِهِ ، وَمِن الحَيَاةِ قَبْلَ المَوْتِ ، فَإِنَّ الدُنْيَا خُلِقَتْ لَكُم ، وَأَنْتُم خُلِقْتُمْ لِلآخِرَةِ ، فَوَالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ما بَعدَ المَوتِ مِن مُسْتَعْتَبٍ ، ولا بَعْدَ الدنيا إلَّا الجَنَّةُ أو النَّارُ .

وقال صلَّى الله عليه وسلم « أَيُّهَا النَّاسُ كَأَنَّ المَوتَ عَلى غَيرنا كُتِبَ ، وكأنَّ الحَقَ عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ ، وَكَأَنَّ الذيْ نُشَيِّعُ مِن الأَمْوَاتِ سَفَرٌ عَمَّا قَلِيْل إلَيْنَا رَاجِعُون ، نُبَوِئهم أَجْدَاثَهُمْ ، ونأكُلُ تُرَاثَهُم ، كَأَنَّا مُخَلَّدُوْنَ بَعْدَهُمْ ، نَسِيْنَا كلَّ وَاعِظَةٍ ، وَأَمِنَّا كُلَّ جَائِحَةٍ ، طُوْبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُه عن عُيُوب النَّاس ، طُوبَى لِمَنْ أَنفقَ مالا اكْتَسَبَهُ مِن غَيرِ مَعْصِيَةٍ ، وَجَالَسَ أَهْلَ الفِقْهِ والحِكْمَةِ وَخَالَطَ أَهْلَ الذِلّةِ والمَسْكَنَةِ طُوْبَى لِمَنْ ذَلَّتْ نَفْسُهُ ، وَحَسُنَتْ خَلِيْقَتُهُ ، وَطَابَتْ سَرِيْرَتُهُ ، وَعَزَلَ عَن الناسِ شَرَّهُ ، طُوْبَى لِمَنْ أَنْفَقَ الفَضْلَ مِن مَالِهِ ، وَأَمْسَكَ الفَضْلَ مِن قَوْلِهِ وَوَسِعَتْهُ السُنةُ ، ولم تَسْتَهْوِهِ البِدْعَةُ » أهـ .

قِيْلَ إن خَيْري الدُنْيَا والآخِرَةِ في خَمْسِ خِصَالٍ وَهِيَ غِنَى النَّفْس ، وَكَفُ الأذى ، وَكَسْبُ الحلال ، وَلِبَاسُ التَّقْوَى والثِّقَةِ باللهِ على كُلِّ حَالٍ وَقَد

نَظَمَهَا أَحَدُ العُلَمَاءِ فقال :

أَرَى خَيْرَيْ الدارينِ يُجْمَعُ كُلُّهُ
بِخَمسِ خلالٍ يا لَها مِن لَطَائِفِ
غِنَى النَّفْسِ مَعْ كَفِ الأَذَى واكْتِسَابِ مَا
يَحِلُّ وَمَلْبُوسُ التُقى حِصْنُ خَائِفِ
على كُلِّ حَالٍ كُنْ بِرَبِّكَ وَاثِقاً
بِنَفْعٍ وَكَشْفِ الضُّرِّ عِنْدَ المَخَاوِفِ

اللَّهُمَّ اسْلك بِنَا سَبِيْلَ أَهْلِ الطَاعَة ، وَوَفِّقنا لِلثَّبات عَلَيْهَا والاستقامَة ، وعَافِنَا مِن مُوجِبَات الحَسْرةِ والنَدَامة ، وأَمنّاً مِن فَزع يَوم القِيَامَةِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا

اللهم اكْتُبْ في قُلُوبِنَا الايمانَ وأَيِّدْنَا بِنُوْرٍ مِنْكَ يا نُوْرَ السمواتِ والأَرضِ، اللهم وافْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ والاجَابَةِ وأغفر لنا وارحمنا برحمتك الواسعة انك انت الغفور الرحيم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ)

وَلَمَّا بَرَدَتِ الحَرْبُ ، وَوَلَّى القَوْمُ مُنْهَزِمِيْنَ ، قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « مَنْ يَنْظُر لَنَا مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ » ؟ فانْطَلَقَ ابنُ مَسْعُودٍ فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ أَبْنَاءُ عَفْرَاءَ حَتَّى بَرِدَ ، فَأَخذَ بلِحْيَتِهِ ، وقال : أَنْتَ أَبُو جَهْلٍ . فقال : لِمنْ الدَّائِرَةُ اليَوْمَ ؟ فقال لِلهِ وَلِرَسُولِهِ ، وَهَلْ أَخْزَاكَ اللهُ يَا عَدُوَ اللهِ ؟ فقال : وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُه ؟ فَقَتَلَهُ عَبْدُ اللهِ ، ثم أَتَى النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلَّم فقال : قَتَلْتُهُ . فقال « الله الذي لا إله إلا هو » فَرَدَّدَهَا ثلاثاً ، ثم قال « اللهُ أَكْبَر ، الحَمْدُ لِلهِ الذي صَدَقَ وَعْدَهُ ، وَنَصرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الاحزابَ وَحْدَهُ ، انْطَلِقْ أَرِنِيهِ » فانْطَلقْنَا فأَرَيْتُهُ إِيَّاهُ ، فَقَالَ « هَذَا فِرعَونُ هَذِهِ الأُمَّة » .

وَأَسَرَ عَبْدُ الرحمن بنُ عَوْفٍ أُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ ، وابْنَهُ عَلِياً ، فَأَبْصَرَهُ بِلَالُ ، وكانَ أُمَيَّةُ يُعَذِّبُ بِلَالاً بِمَكَّةَ ، فَقَالَ : رَأسُ الكُفْرِ أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ ، لا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا ، ثُمَّ اسْتَصْرَخَ جَمَاعَةَ مِن الأَنْصَارِ ، واشْتَدَّ عَبْدُ الرَّحمن بِهِمَا يُحْرِزُهُمَا مِنْهُمْ ، فَأَدْرَكُوهُمْ فَشَغَلَهُمْ عن أُمَيَّةَ بابْنِهِ ، فَفرغوا مِنْهُ وَلَحِقُوهُمَا ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحمٰن بنُ عَوْفٍ : أُبْرُكْ . فَبَرَكَ ، فَأَلْقَى نَفْسَهُ عَلَيْهِ ، فَضَرَبُوْهُ بالسَّيْفِ مِنْ تَحْتِهِ فَقَتَلُوهُ ، وَأَصَابَتْ بَعْضُ السُيُوفِ رِجْلَ عَبْدِ الرحمنِ بن عَوْفٍ .

وباتَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم لَيْلَتَهُ بِوَادِيْ بَدْرٍ ، ثُمَّ أَصْبَحَ مُرْتَحِلاً بِأَصْحَابِهِ إلى المَدِيْنَةِ ، وَمَعَهُ الأَسَارَي مِن المُشْرِكِيْن ، والنَّفَلُ الذِيْ أَصَابَه المُسْلِمُونَ مِن الكُفَارِ ، حَتَّى إِذا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيْقِ ، نَزَلَ فَقَسَمَ النَّفَلَ على أَصْحَابِهِ بالسَّواءِ وَجَعَلَ لِلْفَرَسِ نَصِيْبا ، وَلِلْفَارِسِ نَصِيْباً ، وَجَعَلَ لْوَرَثَةِ من اسْتُشْهِدَ مِنَ المُسْلِمِيْنَ حِصَّةً ، وَكَانَ فَرِيْقٌ مِن المُؤْمِنِيْنَ لَمْ يَحْضُرُوا الوَقْعَةَ ، لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم كَلَّفَهُمْ أَعْمَالاً غَيْرَ أَعْمَالِ القِتَالِ ، وَفَرِيْقٌ حَجَزَهُ عُذْرٌ قَاهِرٌ ، كانَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَعْلَمَهُ ، فأَسْهَمَ لَهُمْ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلم مَعَ المُؤْمِنِيْنَ ، فَكَانُوا كَمَنْ حَضَرَ القِتَالَ ، ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، حَتَّى إِذَا كَانَ بالرَّوْحَاءِ لَقِيَهُ المُسْلِمُونَ يُهَنِئُونَهُ بمَا فَتَحَ اللهُ عليهِ وَعَلى المُسْلِمِيْن ، وَجَعَلُوا يَعْتَذِرُوْنَ لهُ عَمَّا كانَ من تَأَخرِهِمْ مِن الخُرُوْجِ مَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَسَيْدُ بنُ الحُضَيْرِ : يا رسول اللهِ الحمدُ للهِ الذِيْ أَظْفَرَكَ ، وَأَقَرَّ عَيْنُكَ ، واللهِ يا رَسُولَ اللهِ ما كانَ تَخَلُّفِيْ عَنْ بَدْرٍ ، وَأَنا أَظُنُ أَنَّكَ تَلْقَى عَدُواً ، ولكِنْ ظَنَنْتُ أَنَّهَا عِيْرٌ وَلَوْ ظَنَنْتُ أَنَّهَا عَدُوٌ مَا تَخَلَّفْتُ ، فقال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم « صَدَقْتَ » ومما يَنْطَبِقُ عَلىَ النَّبي ﷺ ما يَلِيْ :

شِعْرا :

تَكَامَلَتْ فِيْكَ أَوْصَافٌ خُصِصْتَ بِهَا ... فَكُلُّنَا بِكَ مَسْرُوْرٌ وَمُغْتَبِطُ
السِّنُّ ضَاحِكَةٌ والكَفُّ مانِحَةٌ ... وَالنَّفْسُ وَاسِعَةٌ والوَجْهُ مُنْبَسِطُ

آخر: صَفُوْحٌ عَنِ الإِجْرَامِ حَتَّى كأَنَّهُ ... مِنَ العَفْوِ لَمْ يَعرف من الناس مُجْرِمَا

ثم أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في السَّيْرِ إلى المَدِيْنَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الأثِيْلَ ، اسْتَعْرَضَ الأَسْرَى هُنَا ، فَأَمَرَ بِأثْنَيْنِ منهم أَنْ يُقْتَلا ، وَهُمَا النَّضْرُ بنُ الحَارِثِ ، وَعُقْبَةُ بنُ أَبِي مُعَيْطٍ وكانَ كِلاهُمَا شَيْطاناً مِن شَيَاطِينِ قُرِيشٍ ، ومِن أَشَدِّ المشركِينَ إِيْذَاءً لِرَسُوْلِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم ولأَصْحَابِهِ ، وَأَفظَعَهُم تَقَوُّلاً علَى كِتابِ اللهِ ، وَعَلَى رَسُولِهِ ، لاَ يَفْتُرَانِ مِن الإِيْذَاءِ لا لَيْلاً ولا نَهاراً ، أَمَّا النَّضْرُ بنُ الحَارِثِ فَقَدْ نَظَرَ إِليْهِ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم نَظْرَةً هَلَعَ لَهَا قَلْبُهُ ، وَأَيِسَ مِن البَقَاءِ بَعْدَهَا ، فَقَالَ لِرَجُلٍ إلى جَنْبِهِ مُحَمَّدٌ وَاللهِ قاتِلِي ، فَقَدْ نَظَرَ إِلَيَّ بِعيْنَيْنِ فِيْهِمَا الموتُ ، فقال لهُ صَاحِبُهُ : ما هَذَا وَاللهِ مِنْكَ إِلَّا رُعْبٌ ، وَجَعَلَ النَّضْرُ يَلْتَمِسُ شَفِيْعاً لَهُ عِنْدَ النبي صلى اللهُ عليه وسلم ، لَعَلَّهُ أَنْ يَعْفُو عنه ، فَذَهَبَ إِلى مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ ، وكانَ أَقْرَبَ المُسْلِمِيْنَ إليه رَحِماً ، فقال لَهُ : كَلِّمْ صَاحِبَكَ أَنْ يَجْعَلَنِي كَرَجُلٍ مِن قُرَيْشٍ ، فَهُو وَاللهِ قَاتِلِي إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ، فقال مُصْعَبُ : إِنَّكَ تَقُولُ في كِتَابِ اللهِ وفي نَبِيِّهِ كذا وَكَذَا ، وكُنْتَ تُعَذِّبُ أَصْحَابَهُ ، فقال لَهُ النَّضْرُ لَوْ أَسَرَتْكَ قُرَيْشٌ مَا قَتَلَتْكَ وَأَنَا حَيٌ أَبَدَا ، قال مُصْعَبٌ : اللهَ إِنِّي لأَرَاكَ صَادِقا ، ثُمَّ إِنِّي لَسْتُ مِثْلُكَ ، فَقَدْ قَطَعَ الاسلامُ العُهُودَ ، وكانَ النَّضْرُ أَسِيْراً لِلْمِقْدَادِ بنِ عَمْرو ، فَلَمَّا سَمِعَ الحَدِيثَ يَدُوْرُ حَوْلَ قَتْلِهِ ، صَاحَ قَائِلاً : النّضرُ أَسِيْري . فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم « اضْرِبْ عُنُقَهُ ، واللهم أَغْنِ المِقْدَادَ مِن فَضْلِكَ » . فَقُتِلَ ضَرْباً بالسَّيْفِ ، وَأَمَّا الآخَرُ وهو عُقْبَةُ بنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَقَدْ أَمَرَ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بقَتْلِهِ وهو بِعِرْقِ الظَّبْيَةِ ، وَرَوَى أَنَّهُ

لَمَّا أَمَرَ النبيُ صَلَّى اللهُ عليه وسلم بقَتْلِ عُقْبَةَ قالَ : أَتَقْتُلَنِي يا مُحَمَّدُ مِن بَيْنِ قُرَيْشٍ ؟ قال « نَعَمْ . أتَدْرُوْنَ مَا صَنَعَ هَذَا بِي ؟ جاءَ وَأَنا سَاجِدٌ خَلفَ المقام ، فَوَضَعَ رِجْلَهُ على عُنُقِي وَغَمَزَهَا ، فَمَا رَفَعَهَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ عَيْنَيَّ سَتَنْدُرَانِ ، وَجَاءَ مَرةً أُخْرَى بِسَلاَشَاةٍ فَأَلْقَاهُ على رَأْسِيْ وَأَنا سَاجِدٌ ، فَجَاءَتْ فاطِمَةُ فَغَسَلَتْهُ عن رَأْسِي » ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ .

إذا أنت أكَرمْتَ الكَرِيمُ مَلَكْتَهُ ... وإنْ أنْتَ أكْرَمْتَ اللئِيم تَمَرَّدا
فوضْعُ النَّدا في موضع السَّيْف بالعُلا ... مُضِرٌ كوضع السَّيْف في مَوضِعِ النَّدا
إذَا أَنْتَ أكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ ... وإنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللئِيمَ تَمَرَّدا
فوضْعُ النَّدا في مَوْضع السَّيْف بالعُلَا ... مُضِرٌ كَوَاضْع السَّيْف في مَوضِعِ النَّدا
آخر : أكْرَمْ لِئَاماً بالْهَوَانَ فإنَّهُمْ ... إنْ أكْرِمُوْا فَسَدُوْا عَلىَ الإكْرامِ
لا تَلْطفَنَّ بِذِيْ لُؤمٍ فَتطْغَيَهُ ... أَهِنْهُ يَأتِيْكَ مِطْواعاً ومِذْعَانَا
إنَّ الحَدِيْدَ تُلْينُ النارُ قَسْوَتَهُ ... وَلَوَ صَبَبْتَ عَليه البَحْرَ مالاَنَا
آخر : أهنْ عامراً تكْرُمْ عليهِ وَإنّما ... أخُوْ عَامِرٍ مَن مَسَّهُ بِهَوَانِ
آخر : وَمَا شَيءٌ أَسَرَّ إلىَ لَئيمْ ... إذَا شَتَمَ الكِرامَ مِنَ الجَواب
مُتَاركَةُ اللَّئيمِ بلا جَوَابٍ ... أَشَدُّ عَلَيْهِ مِن مُرِّ العَذَاب
آخر : وتَرَى الكَرِيْمَ يَعُزُّ حِيْنَ يَهُوْنُ ... وَتَرَى اللَّئِيْمَ يَهُوْنُ حِيْنَ يُهَانُ

ثُمَّ مَضَى صلى اللهُ عليه وسلم في طَرِيقهِ إلى المَدِيْنَة ، فَدَخلَهَا قَبْلَ الأَسَارَى بِيَوم ، وكان دُخُولُهُ مِن ثَنِيَّةِ الوَدَاع ،وَذَلِكَ ، في يَومِ الأَرْبَعاءِ ، الثاني والعِشْرُوْن مِن رَمَضان ، فَتَلَقَاهُ المُسْلِمُونَ يُهَنِئُونَهُ بِفَتْحِ اللهِ ، فَقَدِم صلى الله عليه وسلم المَدِيْنَة مُؤَيَّداً مَنْصُوراً مُظَفَراً ، مَكْبُوتاً عَدُوُّهُ ، مَسْرُوْراً صَدِيْقُهُ ، قد أَعْلى كَلِمَةَ اللهِ ، وَمَكَّنَ لَهُ رَبُّهُ ، وَنَصَرَهُ وَأَعَزَّهُ .

ومِن اللَّطَائِفِ التِي ذُكِرَتْ في هَذَا المَوْقِفِ أَنَّ المُسْلِمِيْنَ لَمَا أَقْبَلُوا على رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يُهَنِئُونَهُ ، قالَ لَهُم سَلَمَةُ بْنُ سَلاَمَةَ : ما الذِي

تُهَنِئُوْنَنَا بِهِ ، فَوَاللهِ إِنْ لَقِيْنَا إِلا عَجَائِزاً صُلْعاً ، كالبُدُنِ المُعَقَلَةِ ، فَنَحَرْناهَا ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ قالَ « أَيْ ابنَ أَخِيْ أُوْلَئِكَ المَلَا » أَيْ هُمُ الأشْرَافُ والسَّادَةُ الذِيْنَ لا يُسْتَهَانُ بِبَلَائِهِم في القِتَالِ ، ولا بمَكَانِهِم في القَوْمِ وَقَدْ أَخذَ هَذَا المَعْنَى أبُوا الطَّيِبِ فقال :

ومـا عَـدِمَ الـلَّاقُـوْكَ بَـأْسـاً وشِـدَّةً
ولَـكِـنَّ مَـنْ لَاقَـوْا أَشَـدُّ وَأَنْـجَـبُ

وَرَوَى ابنُ اسْحَاقَ وَغَيْرُهُ أَنَّ عَاتِكَةَ بِنْتَ عَبْدِ المُطَّلِب رَأَتْ في مَنَامِهَا ـ وَقَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ قُرَيْشٌ بِثَلَاثِ لَيَالٍ ـ أَنَّ رَاكِباً أَقْبَلَ على بَعِيْرٍ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى قُرَيْش ، ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يا آلَ غُدَر ، انْفِرُوْا إِلَى مَصَارِعِكُم في ثَلَاثٍ ، وَضَلَّ يُكَرِّرُهَا هُنَا وَهُنَاكَ ، والنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَخَذَ صَخْرَةً فَرَمَى بِهَا مِن أَعْلَى الجَبَلِ فَأَقْبَلَتْ تَهْوِيْ ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بِأَسْفَلِهِ ، تَنَاثَرَتْ أَجْزَاؤُهَا في كُلِّ نَاحِيَةٍ ، فَمَا بَقِيَ بَيْتٌ ولا دَارٌ بِمَكَّةَ إِلَّا دَخَلَتْهُ مِنْهَا فِلْقَةٌ ، وَبَعْدَ ثَلَاثٍ مِن هَذِهِ الرُؤْيَا جَاءَ رَسُولُ أَبِي سُفْيَانَ يَصِيْحُ بالقَوْمِ ، وَيَسْتَفِزُّهُمْ لِيُنْقِذُوْا عِيْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُم .

وَرُوِيَ ان جُهَيْمَ ابنَ الصَّلْتِ رَأى وَهُمْ في طَرِيْقِهِم إِلَى بَدْر ـ كَأَنَّ رَاكِباً أَقْبَلَ عَلَى فَرَسِهِ ، وَمَعَهُ بَعِيْرٌ ، حَتَّى وَقَفَ على رَأْسِهِ ، فَقَالَ : قُتِلَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، وَأُسِرَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، لِرِجَالٍ سَمَّاهُمْ مِن قُرَيْشٍ ، ثُمَّ ضَرَبَ بِخَنْجَرِهِ في لَبَّةِ بَعِيْرِهِ ، وَأَرْسَلَهُ في العَسْكَرِ ، فَمَا بَقِيَ خِبَاءٌ مِن أَخبِيَتِهِم إلا أَصَابَه مِن دَمِه .

وَرَوَى الوَافِدِي أَنَّ ضَمْضَمَ بنَ عَمْرو جَاءَ إِلَى الحَارِثِ بْنِ عامِرٍ ، فقال

لَهُ : إنّي رَأَيْتُ رُؤْياً كَرِهْتُهَا ، رَأَيْتُ ـ وَأَنا كاليقظَانِ على رَاحِلَتي ـ كَأَنَّ وَادِياً يَسِيْلُ دماً ، فَقَالَ الحَارِثُ لَوْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْكَ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مَا خَرَجْتُ ، أَوْ قَالَ : مَا سِرْتُ خَطْوَةً ، فاطْوِ هَذَا الخَبَرَ أَنْ تَعْلَمَهُ قُرَيْش ، فإنَّهَا تَتَّهِمُ كُلَّ مَنْ عَوَّقَهَا عن المَسِيْرِ .اللَّهُمَّ عَمِّقْ إيمَانَنَا بِكَ وبِمَلائِكَتِكَ وبِكُتُبِكَ وبِرُسُلِكَ وباليَوْمِ الآخِرِ وبالقَدَّ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَصَلى اللّهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَالِهِ وَسلم .

عِبَادَ اللهِ تَأَمَّلُوا كَيْفَ تَغَيَّرتْ أَحْوَالُ النَّاسِ في زَمَنٍ قَلِيْلٍ ، وَكَيْفَ آثروا الحَيَاةَ الدُنْيَا عَلَى ما عِندَ اللهِ ، وَكَيفَ شَغَلَتْهُمُ الأَمْوَالُ . والأَهلُ ، والأَوْلَادُ وَالمَلَاهِيْ ، والمُنْكَرَاتُ ، عن ذِكْرِ اللهِ وعن الصَّلاةِ، مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ مَهْمَا عَاشُوْا وَمَهْمَا نَالُوا مِنَ الدنيا ، وَمَهْمَا تَلَذذُوْا فإِنَّهُمْ رَاحِلُونَ وَمَا في أَيْدِيْهِمْ زَائِلٌ عَنْهُمْ وَخَالِفُهُمْ فِيْهِ غَيْرُهُمْ وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَ اللهِ وَأَنَّ الدُنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيْهَا إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالاهُ وَمَن اشْتَرى العَاجِلَ بالآجِل ولَمْ يَتَّخِذِ الدُنْيَا مَطِيَّةً تُوصِلُهُ إِلى المَقْصَدِ الذِي يَرْضَاهُ والمُسْتَقرِ الأَخِيْرِ الذِيْ يَهْوَاهُ مَعَ الذِيْنَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيهم مِن النَّبِيينَ والصِّدِيْقِيْنَ والشُهَدَاءِ والصَّالِحِيْنَ ، فَذَلِكُمُ الذي لا تُفِيْدُهُ المَوَاعِظُ ، ولا تَجْدِيْ فِيْهِ النَّصَائِحُ ولا تَرُدُّهُ العِبَرُ عن غَيِّهِ ، واقْتِحَامِهِ القَبَائِحَ ، وذَلِكَ هُوَ الذي خَسِرَ الدُنْيَا والآخِرَةَ ، عِبَادَ اللهِ حَلالُ هَذِهِ الدُنْيَا حِسَابٌ ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ ، وَمَآلُهَا إِلَى الدَّمَارِ والخَرَابِ ، ولا يَطْمَئِنُ إِلَيْهَا إِلَّا جَاهِلٌ مُرْتَابٌ ، قَدْ فَقَدَ الرُّشْدَ وأَبْعَدَ عن الصَّوَابِ ، فكَمْ مِن ذَهَابٍ بلا إِيَابٍ ، وكَمْ مِن حَبِيْبٍ عَلَى الرَّغْمِ قَدْ فَارَقَ الأَحْبَابِ ، وَتَرَكَ الأَهْلَ وَالأَصْحَابَ ، وَانْتَقَلَ إِلى ثَوَابٍ جَزِيْلٍ أَوْ عِقَابٍ ، وَأَنْتَ أَيُّهَا المُغَفَّلُ المَخْدُوْعُ عَلَى جَمْعِهَا حَرِيْصٌ مَعَ ما تُشَاهِدُهُ مِن الأَكْدَارِ والتَّنْغِيْصِ ، وكان يَكْفِيْكَ منهَا القَلِيْل .

شعــــرا :

يَا مُحِبَّ الدُنْيَا الغَروْرِ إغْتِرَاراً رَاكِبــاً في طِلَابِهَـــا الأَخْطَـــارَا

يَبْتَغـي وَصْلَهَـا فَتَأبَـى عَلَيْـهِ   وَتَـرى أُنْسَهُ فَتُبْـدِيْ نِفَـارَا
خَاب مَنْ يَبْتَغَىْ الوصَال لَدَيْهَـا   جَارَةٌ لَمْ تَزلْ تُسِيْءُ الجِـوَارَا
كَمْ مُحِبٍّ أَرَتْـهُ أنْساً فَلَمَّـا   حَاوَلَ الـزَّوْرَ أَرَتْـهُ ازْوِرَارَا
آخَـر : وَلَـو كَـانَ ذَا عَقْـلٍ لَأَغْنَـتْـهُ بُـلْغَـةٌ
مِن العَيْشِ في الدُنْيَا وَلَمْ يَـكُ يَجْشَعُ
إلى أَنْ تُـوَافِيهِ الـمنيةُ وَهُـوَ بالـقنَاعَةِ فـيهَا آمناً لا يُرَوِّعُ .

قال الله تعالى ﴿ وابْتَغ فِيما آتاك اللهُ الدارَ الآخِرَةَ ولا تنسَ نصيبَك مِن الدنيا ﴾ وقال تعالى ﴿ ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً منهم زهْرَةَ الحَيَاةِ الدنيا لِنَفْتِنَهُم فِيه ورِزقُ رَبكَ خيرٌ وأَبقى » .

نَعَمْ لا بَأسَ في جَمْعِ المالِ واكتسابِ الحلالِ لِلتَّمَتُّعِ بِهِ في هذه الدارِ الفانيةِ إذا لم يَكُن ذَلِكَ شَاغلاً عن عِبَادَةِ اللهِ والاستعدادِ لِلدَّارِ الآخرةِ لا سِيَّمَا إِذَا كَانَ مِمَّنْ وَفقَهُ اللهُ لانْفَاقِهِ في المَشَارِيْعِ الدِّيْنِيَّةِ كَبِنَاءِ المَسَاجِدِ وَتَرْمِيْمِهَا وَوَضْعِ الماءِ لِلشَّارِبِيْنَ وَنَحْو ذَلك بلْ كَسْبُ المالِ فَرِيْضَة عليكَ لأنَّ عَلَيكَ أَنْ تُحَافِظَ على حَيَاتِكَ وعلى حَيَاةِ مَنْ تَجِبُ لَهُم عليكَ النَّفَقاتِ وَأَنْتَ لا تُحَافِظُ على تِلْكَ الأنْفُسِ إلَّا باعْطَائِهَا مَا لِلْحَيَاةِ مِن ضَرُوْرِيَّاتٍ وَهَذِهِ الضَّرُوْرِيَاتِ لا يُمْكِنُكَ أَنْ تَحْصُلَ عَلَيْهَا إلَّا بمَالٍ تَبذِلُهُ عِندَ المُبَادَلَاتِ إِذَنْ كَسْبُ المَالِ لِلْمُحَافَظَةِ على الحَيَاةِ فَرِيْضَةٌ وإِذَا أَرَدْتَ هَذَا الكَسْبَ فانْوِ عندَ طَلَبِكَ لَهُ القِيَامَ بِمَا أَوْجَبَهُ اللهُ عليكَ والتَّقوىْ بِهِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ حَتَّى تَنْقَلِبَ عَادَاتُكَ عِبَادَاتٌ ومِن أَفْضَلِ مَا تأكلُ مَا كَسَبْتَهُ بيَدِكَ وَتَحرَّ الحَلَالَ في كَسْبهِ فإِنَّهُ يُنِيْرُ القَلْبَ وَسَبَبٌ لِقَبُولِ الدُعَاءِ بإِذْنِ اللهِ وَتَوَقَّ الحَرَامَ فَإِنَّهُ يُظْلِمُ القُلُوبَ وَيُثْقِلُ الأَبْدَانَ عن الأعمالِ الصالِحَاتِ وَهُوَ سَبَبٌ لِعَدَمِ قَبُولِ الدُعَاءِ وابْتَعِدْ عن الشُبُهَاتِ في كَسْبكَ واجْتَنِبْ الغِشَّ والكَذِبَ والايْمَانَ في كُلِّ مُعَامَلَاتِكَ وكنْ صَادِقاً سَمْحاً

لَيِّنَ الجَانِبِ لِلْمُسْلِمِيْنَ مُحِباً لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَكُنْ قَانِعاً فِي الدُنْيَا رَاضِياً بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ صَارِفاً جُلَّ أَوْقَاتِكَ لِلآخِرَةِ .

اللهم يا مَنْ لا تضُرُّهُ المَعْصِيةُ ولا تَنْفَعُهُ الطاعَةُ أيْقِظْنَا مِنْ نوم الغَفْلَةِ وَنَبِّهْنا لاغْتِنَام أوْقاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا واعْصِمْنا مِن قَبائِحِنَا ولا تؤاخِذْنا بما انْطَوَتْ عليهِ ضَمائِرُنا وأكَنَّتْهُ سَرائِرُنا مِنْ أنواعِ القَبَائِحِ والمعائِبِ التي تَعْلَمُها مِنا ، وامْنُنْ علينا يا مولانا بتوبةٍ تمحو بها عنا كُلَّ ذَنْبٍ واغفِرْ لنا ولوالدِيْنا ولجميعِ المسلمين الأحياءِ منهم والميتينَ بِرحمَتِك يا أرحمَ الراحمين وصلى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحْبِهِ

شِعْرَاً :

لا تَأْسَفَنَّ أَخَا عِلْمٍ لِفَائِتَةٍ
فَكُلُّ مَا لَيْسَ مِن رِزْقِ الفَتَى فَاتَا
كَم مِن فَتىً وَاصَلَ الأَسْفَارَ مُجْتَهِداً
مِن أَرْضِ دَارِيْنَ حَتَّى حَلَّ أَغْمَاتَا
لَمْ يُسْعِفْ الرِزْقُ بِالأَقْدَارِ بُغْيَتَهُ
وَلَوْ أَقَامَ أَتَاهُ الرِّزْقُ مِيْقَاتَا
مَولاكَ يَكْفِيْكَ فَالْزَمْ بَابَ طَاعَتِهِ
فَقَدْ كَفَى النَاسَ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتَا

آخــر :

وَيْلٌ لأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ ... ماذَا يُقاسُونَ مِنَ النَّارِ
تَنْقَدُّ مِنْ غَيْظٍ فَتَغْلِي بِهِمْ ... كَمِرجَلٍ يَغْلِي عَلى النَّارِ
فَيَسْتَغِيثُونَ لِكَي يُعْتَبُوا ... أَلاَ لَعاً مِنْ عَثْرةِ النَّارِ
وكُلُّهُمْ مُعْتَرِفٌ نادِمٌ ... لَوْ تُقْبَلُ التَّوبَةُ فِي النَّارِ
يَهْوِي بِهَا الأَشْقَىٰ عَلَى رَأْسِهِ ... فَالوَيْلُ لِلأَشْقَىٰ مِنَ النَّارِ
فَتَارَةً يَطْفُو عَلَى جَمْرِهَا ... وتَارَةً يَرْسُبُ فِي النَّارِ

وكُلَّمَا رَامَ فِراراً بهـا   فَرَّ مِنَ النَّـارِ إلى النَّـارِ
يَطُـوفُ مِنْ أَفْعَىٰ إِلَى أرْقَـمٍ   وسُمُّهـا أَقْوى مِنَ النَّـارِ
وكَمْ بِهـا مِن أرْقَـمٍ لا يَني   يَلْسَـعُ مَنْ يُسْحَبُ في النَّارِ
لا راحَـةٌ فيهـا ولا فَتْـرَةٌ   هَيْهـاتَ لا رَاحـةَ في النَّـارِ
أَنْفاسُهـا مُطبَقَـةٌ فَوْقَهُـمْ   وهَكَـذا الأَنْفَـاسُ في النَّـارِ
سُبْحـانَ مَنْ يُمْسِكُ أَرْوَاحَهُم   فِي الـدَّرَكِ الأَسْفَـلِ في النَّارِ
ولَوْ جِبـالُ الأَرْضِ تَهْوِي بِها   ذَابَتْ كَذَوْبِ القِطْرِ في النَّـارِ
طُوبَىٰ لِمَنْ فـازَ بِدارِ التُّقـى   ولـم يَكُنْ من حَصَبِ النَّـارِ
ووَيْلُ مَنْ عُمِّـرَ دَهْـراً ولَمْ   يُرْحَـمْ ولـم يُعتَقْ مِنَ النَّـارِ
يا أَيُّها النَّاسُ خُـذُوا حِذْرَكُمْ   وحَصِّـنُوا الجُنَّـةَ لِلنَّـارِ
فإنَّهـا مِنْ شَـرِّ أَعْدَائِكُـمْ   ما في العِـدا أَعْـدَى مِنَ النَّارِ
وأَكْثِـرُوا مِنْ ذِكْرِ مَـوْلاكُمُ   فَذِكْرُهُ يُنْجِـي مِنَ النَّـارِ
وَا عَجَبـاً مِنْ مَرِحٍ لَاعِـبٍ   يَلْهُـو ولا يَحْفِـلُ بالنَّـارِ
يُوقِـنُ بالنَّـارِ ولا يَرْعَـوِي   كأَنَّـهُ يَرْتَـابُ في النَّـارِ
وَهُـوَ بِهـا فِي خَطَـرٍ بَيِّنٍ   لَو كَاسَ مـا خَاطَـرَ بالنَّـارِ
إنَّ الأَلِبَّـاءَ هُـمُ قِـلَّةٌ   فَـرُّوا إلى اللهِ مِنَ النَّـارِ
وَطَلَّقُـوا الدُّنيـا بَتاتـاً ولَمْ   يَلْوُوا عَلَيْهـا حَـذَرَ النَّـارِ
وأَبْصَـرُوا مِنْ عَيْبِهـا أَنَّهـا   فَتَّانَـةٌ تَدْعُـو إِلَى النَّـارِ
واللهِ لَو أُعْقِـلُ لَمْ تَكْتَحِـلْ   بالنَّـوْمِ عَيْنَـيْ خِيْفَـةَ النَّارِ
ولا رَقَـا دَمْعِي ، ولا عِلْمَ لِيْ   أَنِّـي في أَمْنٍ مِنَ النَّـارِ
ولَـمْ أَرِدْ ماءً ولا سَـاغَ لِيْ   إذا ذَكَرْتُ المُهْـلَ في النَّـارِ
ولَـمْ أَجِـدْ لذَّةَ طَعْـمٍ إذا   فَكَّرْتُ في الزَّقُّـومِ في النَّـارِ
أَيُّ الْتِـذاذٍ بِنَعِيْـمٍ إذا   أَدَّى إِلَى الشِقْـوَةِ في النَّـارِ
أَمْ أَيُّ خَيْرٍ في سُـرورٍ إذا   أَعْقَبَ طُوْلَ الحُـزْنِ في النَّـارِ
فَفَكِّـروا في هَوْلِهَا واحْذَرُوا   مـا حَـذَّرَ اللهُ مِنَ النَّـارِ

فإنّهـــا رَاصِـــدَةٌ أَهْلَهـــا تَدُعُّهُـــمْ دَعّـــاً إلى النَّـــارِ
فَلَيْسَ مِثْلِـــيْ طَالِبـــاً حَبَّةً إلاَّ المُعافـــاةَ مِنَ النَّـــارِ
وطالَمَـــا استَرْحَمتُـــهُ ضَارِعاً يا رَبُّ حَرِّمْنِي عَلى النَّـــارِ
فَأَنْتَ مَوْلَايَ ولا رَبَّ لـــي غَيْرُكَ ؛ أَعْتِقْنـــي مِنَ النَّـــارِ
ولَـــمْ تَزَلْ تَسْمَعُنِي قَـــائِلاً : أَعُـــوذُ باللهِ مِنَ النَّـــارِ

اللهمَّ ثَبتنَا عَلى قَولِكَ الثابت في الحَيَاة وفي الآخِرَة وآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنة وفي الآخِـرَة حَسَنـة وَقنـا عَذاب النَّار واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيع المُسْلِمِينَ اللهم يَسِّرْ لَنَا سَبيلَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَهَيِّءْ لَنَا مِن أَمْرِنا رَشَدَاً واجْعَل مَعُونَتَكَ العُظْمَى لَنَا سَندَاً واحْشُرْنَا إذا تَوَفَّيْتَنَا مَعَ عِبَادِكَ الصالِحِيْنَ الذينَ لا خَوفٌ عَلَيهم ولاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فَصْل في غَزْوَةِ أُحُـــدْ

أُحُد جَبَلٌ مَشْهُورٌ بالمَدِينةِ ، على أَقلَّ مِن فَرْسَخٍ مِن المَدِيْنَةِ ، وَسُمِيَ بذلكَ لِتَوَحُّدِهِ وانقطاعِهِ عن الجِبَالِ الأخرِ هُنَاكَ ، وهو الذي قال فِيه النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم « أُحُدُ جَبَلٌ يُحِبُّنَا ونُحِبُّهُ » وكانَتْ عِندَهُ الوَقعةُ المَشْهُورَةُ في شَوَّالٍ ، بالاتفاقِ يَوْمَ السَّبتِ ، لِأَحْدَى عَشْرَ لَيْلَةٍ خَلَتْ مِن شَوال ، وقِيْلَ لِسَبْعِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنهُ ، وقِيْلَ في نِصْفِهِ ، وَقِيْلَ غَيْرُ ذلك والله أعلم.

وكان سَبَبُهَا أنَّ قُرَيْشاً لَمَّا رَجعُوا مِن بَدْرٍ ، وَقَدْ قُتِلَ أَشْرَافُهُم ، وَأُصِيْبُوا بِتِلْكَ المُصِيْبَةِ التي لم يُصَابُوا بِمِثْلِهَا ، وَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ بعِيْرِهِ ، مَشَى عَبْدُ اللهِ بنُ أَبِي رَبِيْعَةَ ، وَعِكْرَمَةُ بنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَصَفْوانُ بنُ أُمَيَّةَ ، في رِجَالٍ مِن قُرَيْشٍ مِمَّنْ أُصِيْبَ آبَاؤُهُمْ وأَبْنَاؤُهُمْ وإِخْوَانُهُمْ يومَ بَدْرٍ ، فَكَلَّمُوا أَبَا سُفْيَانَ بنَ حَرْبٍ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ في تِلْكَ العِيْرِ مِن قُرَيْشٍ تِجَارَةً ، فَقَالُوا : يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ وَتَرَكُمْ ، وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ ، فَأَعِيْنُونَا بِهَذَا المَالِ على حَرْبِهِ ، فَلَعَلَّنَا

أَنْ نُدْرِكَ مِنْهُ ثأْرَنَا بِمَنْ أَصَابَ مِنَّا فَفَعَلُوا ، وَفِيْهِمْ ـ كَمَا قَالَ ابنُ اسْحَاقِ وَغَيْرُهُ ـ نَزَلَتْ الآيَةُ قَولُهُ تَعَالى ﴿ إن الذِيْنَ كَفروا يُنْفِقُونَ أَموالَهم لِيَصُدُّوا عن سبيلِ اللهِ ، فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عليهِمْ حَسْرَةً ، ثُمَّ يُغْلَبُوْنَ والذين كَفَرُوْا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُوْنَ ﴾ .

وَأَخَذَتْ قُرَيْشٌ تُعِدُّ لِذَلِكَ العُدَّةَ ، وَتَرْصُدُ الأَمْوَالَ ، وَتُعَبِىءُ القُوَى ، وَتَجْمَعُ السِّلاَحَ ، وَبَعَثَتْ رُسُلَهَا فِيْمَنْ حَوْلَهَا مِن قَبَائِلِ العَرَبِ تَسْتَنْصِرُهُمْ ، وَتَسْتَعِيْنُ بِهِم على تَمْكِيْنِ الضَّرْبَةِ ، وَكَانَ مِن هَؤلآءِ الرُّسُلِ أَبُو عَزَّةَ عَمْرُو بنُ عَبْدِ اللهِ الجُمَحِيْ ، قَدْ مَنَّ عليهِ رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم يَومَ بَدْرٍ ، وكانَ فَقِيْراً ، ذَا عِيَالٍ وَحَاجَةٍ ، فَأَطْلَقَهُ رَسُولُ اللهِ صلى اللّهُ عليه وسلم بِلاَ فِدَاء ، وَأَخَذَ عليهِ العَهْدَ والمِيْثَاقَ أَنْ لاَ يُظَاهِرَ عَلَيهِ أَحَدَا ، ولا يُكَثِّرَ عَلَيهِ جَمْعًا ، فَنَقَضَ العَهدَ والمِيْثاقَ ، وَذَهَبَ مَعَ الذاهِبِيْن إلى كِنَانَةَ وتِهامَةَ يُحَرِّضُ عَلَى القِتَالِ ، قِتَالِ النّبي صلى اللهُ عليه وسلم ويُكَثِّرُ عَلَيهِ .

وَهَكَذَا ظَلَّتْ قُرَيْشٌ طِوَالَ عَامِهَا تَبْذِلُ مِنْ أَمْوَالِهَا ، وَتَجْمَعُ مِنْ أَنْصَارِهَا ، وَتُعِدُ مِن قُوَّتِها ، حَتَّى بَلَغَتْ مِن ذَلِكَ مَا أَرَادَتْ وَغدَتْ في أَتَمِّ أُهْبَةٍ ، وَأَكْمَلِ اسْتِعْدَادٍ ، فَلَمْ تَلْبَثْ حَتَّى حَصَلَتْ على جَيْشٍ لَجِبٍ ، مِن رِجَالِهَا ، وَمِمَّنْ حَالَفَهَا مِن الأَحَابِيْشِ ، مِنْ بَنِيْ المُصْطَلِقِ ، وَبَنِيْ الهُوْنِ بنِ خُزَيْمَةَ ، وَتَوَجَّهتْ إِلى المَدِيْنَةِ في حَمَاسَةِ المَوْتُوْرِ ، وَسَوْرَةِ المَغِيْظِ المُحنَقِ ، لِتَضْرِبَ الضَرْبَةَ القَاضِيَةَ في زَعْمِهَا ، وأَبَتْ نِسَاءُ قُرَيْشٍ إِلاَّ أَنْ يَكُنَّ مَعَ الجَيْشِ يُحَمِّسْنَ الرِّجَالَ ، وَيُثِرْنَ الحَمِيَّةَ ، فَخَرَجَ مِنْهُنَّ مِن رَبَّاتِ الخُدُوْرِ نَحْوُ أَرْبَعَ عَشَرَةَ امْرَأَةً ، عَلَى رَأْسِهِنَّ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ ، زَوْجُ أَبِي سُفْيَانَ بنِ حَرْبٍ ، وَخَرَجَ مَعَ الجَيْشِ أَبُوْ عَامِرٍ الأَوْسِيْ الفاسِقُ ، وَكَانَ مُقَاوِماً لِلنَّبي صلى الله عليه وسلم ، وَمُبَاعِداً لَهُ ، وَمُنْكِراً لِنُبُوَّتِه ، وكانَ قبلَ ذَلِكَ مُتَرَهِّباً يَزْعُمُ أَنَّهُ يَنْتَظِرُ النَّبِيَ المَبْعُوثَ ، وَيَذْكُرُ لِلنَّاس كَثِيْراً من صِفَاتِهِ ، وَيَقُولُ

لَهُمْ : إِنَّهُ قَدْ قَرُبَ خُرُوْجُهُ ، فَلَمَّا هَاجَرَ صلى اللهُ عليه وسلم إِلَى المَدِيْنَةِ ، واتَّضَحَتْ صِفَاتُهُ لِلأَنْصَارِ واتَّبَعُوْهُ حَسَدَهُ أَبُو عَامِرٍ وأَنكَرَ نُبُوَّتَهُ ، وكانَ رَئِيْساً في الأَوْسِ قَبَّحَهُ اللهُ ، كَعَبْدِ اللهِ بن أُبَيٍّ في الخَزْرَجِ ، فَكُلٌّ مِنْهُمَا حَسَدَ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم لكِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَي دَخَلَ في الإِسلامِ ظَاهِراً وَهُوَ مَعَ الكُفَارِ باطِناً وَأَبُو عَامِرٍ خَرَجَ مِن الاسلامِ كَافِراً مُبَاعَداً ، وَخَرَجَ مَعَهُ خَمْسُونَ مِن شِيْعَتِهِ ، مِن شَبَابِ الأَوْسِ وَغِلْمَانِهِمْ ، فَأَقَامَ في مَكَّةَ مُنَاصِراً لِقُرَيْشٍ مُحَرِّضاً لَهَا عَلَى قِتَالِ النبي صلى اللهُ عليهِ وسلم ، فَلَمَّا عَزَمَتْ قُرَيْشٌ عَلَى الخُرُوْجِ إِلى أَحُدٍ ، مَنَّاهَا أَبُوْ عَامِرٍ أَنْ يُخَذِّلَ لَهَا قَوْمَهُ الأَوْسَ ، عن رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم ، وأَنْ يَخْرُجَ مِن صُفُوفِ المُسْلِمِيْنَ ، إِلى صُفُوفِ المُشْرِكِيْنَ إِذَا الْتَقَى الجَمْعَانِ ، وكانَ في ذَلِكَ مُعْتَمِداً على مَا كانَ لَهُ مِن سَابِقِ المَكَانَةِ في قَومِهِ ، مُعْتَقِداً أَنَّهُ بِهَذِهِ المَكانَةِ يَسْتَطِيْعُ أَنْ يُحْدِثُ مَا يَشَاءُ ، مِن التَّفْرِيْقِ في صُفُوفِ المُسْلِمِيْنَ ، وكانَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَكْفِيْ لِذَلِكَ أَنْ يَظْهَرَ لَهُمْ عِنْدَ اللِّقَاءِ ، وَأَنْ يُسْمِعَهُمْ صَوْتَهُ ، فَيَسْتَجِيْبُوْنَ لَهُ ، حَتَّى لَقَدْ كَانَ يَقُولُ لِقُرَيْشٍ ، في يَقِيْنِ الوَاثِقِ المُطْمَئِنِّ ـ لَوْ قَدِمْتُ عَلَى قَوْمِي لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ رَجُلَانِ ، وَهَؤُلَآءِ مَعِيْ نَفَرٌ مِن قَوْمِي ، وَكَانَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم قد رَأى رؤْيَا ، فلما أَصْبَحَ يومَ الجمعةَ ، واجْتَمَعَ النَاسُ ، خَطَبَ عَلَى المِنْبَرِ ، فَحَمد اللهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قالَ « أَيُّهَا الناسُ إِنِّيْ رَأَيْتُ في مَنَامِي رُؤْيَا ، رَأَيْتُ كأَنِيْ في دِرْعٍ حَصِيْنَةٍ وَرَأَيْتُ كَأَنَّ سَيْفِيْ ذُوْ الفُقَارِ انْقَصَمَ مِن عِنْدِ ظَبَّتِهِ ، ورَأَيْتُ بَقَراً تُذْبَحُ ، وَرَأَيْتُ كَأَنِّي مُرْدِفُ كَبْشاً » ، فقالَ النَاسُ : فَمَا أَوَّلْتَهَا ؟ قَالَ « أما الدِّرْعُ الحَصِيْنَةُ فَهِيَ المَدِيْنَةُ ، فامْكُثُوْا فِيْهَا ، أَمَّا انْفِصَامُ سَيْفِي مِنْ عِنْدِ ظَبَّتِهِ فَمُصِيْبَتِي في نَفْسِيْ ، وَأَمَّا البَقَرُ فَقَتْلَى في أَصْحَابِي ، وأَمَّا أَنِّي مُرْدِفُ كَبْشاً ، فَكَبْشُ الكَتِيْبَةِ ، نَقْتُلُهُ إن شَاءَ اللهُ » وفي رِوَايَة « وَأَمَّا انْفِصَامِ سَيْفِيْ ، فَقَتْلُ رَجُلٍ مِن بَيْتِي .

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا في سِلْكِ الفَائِزِيْنَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ المُتَّقِيْنَ الذيْنَ أَعْدَدْتَ لَهُمْ فَسِيْحَ جِنَانِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ في دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ جَمِيْعِ البَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهِبَاتِكَ وَمَتِّعْنَا بالنَّظَرِ إلى وَجْهِكَ الكَرِيْمِ مَعَ الذِيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِيْنَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْلٌ »

وفي أَوَائِلِ شَهْرِ شَوَّالٍ ، من السنة الثانيةِ مِن الهِجْرَةِ وَقِيْلَ في السَّنَةِ الثالثةِ ، خَرَجَ الجَيْشُ الجَرَّارُ مِن مَكَّةَ ، يَقُوْدُهُ أَبو سُفْيَانَ ابنُ حَرْبٍ ، وَيَحْمِلُ لِوَاءَهُ طَلْحَةُ بنُ أَبِي طَلْحَةَ ، وَعَلَى مَيْمَنَتِهِ خَالِدُ ابنُ الوَلِيْدِ ، وَعَلى مَيْسَرَتِهِ عِكْرِمَةُ بنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَعلى رِجَالَتِهِ صَفْوانُ بنُ أُمَيَّةَ . . وَعَدَدُهُم ثَلَاثَةُ آلافِ مُقَاتِلٍ ، في أَكْمَلِ اسْتِعْدَادٍ ، وأَحْسَنَ تَعْبِئَةٍ ، مِنْ بَيْنِهِمْ مائَتَانِ مِنَ الفُرْسَانِ ، المُدَرَّبِيْنَ عَلَى ظُهُورِ الخَيْلِ وَسَبْعُمَائةٍ مِنَ الدَّارِعِيْنَ المُحَصَّنِيْنَ بالزَّرَدِ والدُّرُوْعِ الوَاقِيَةِ ، يَحْمِلُهُمْ عَدَدٌ وَافِرٌ مِنَ الرَّكَائِبِ ، وَيَتْبَعُهُمْ حَشْدٌ كَبِيْرٌ مِن العَبِيْدِ والغِلْمَان، يَقْضُوْنَ حَوَائِجَهُمْ ، وَيَحْرُسُوْنَ مَتَاعَهُم ، وكانَ مَعَ العَبِيْدِ عَبْد حَبَشِيٌّ اسْمُهُ وَحْشِيٌّ ، وكانَ يُجِيْدُ الرِّمَايَةَ بالحِرَابِ ، على طَرِيْقَةِ الحَبَشَةِ ، فَأَغْرَاهُ سَيِّدُهُ جُبَيْرٌ بنُ مُطْعِمٍ بِقَتْلِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، عَمِّ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، وقال لَهُ : إِنْ قَتَلْتَهُ فَأَنْتَ عَتِيْقٌ . وَكَذلِكَ أَغْرَتْهُ بِهِ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ وَوَعَدَتْهُ على قَتْلِهِ خَيْراً كَثِيْراً ، وكانَ حَمْزَةُ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَدْ قَتَلَ في وَقْعَةِ بَدْرٍ طُعَيْمَةَ بنَ عَدِي ، عَمَّ جُبَيْرٍ ، وَعُتْبَةَ بن رَبِيْعَةَ أَبَا هِنْدٍ .

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ فِيْمَا يَبْدُوْ قَدْ خَرَجَتْ عَلَى خُطَّةٍ مَوْضُوْعَةٍ ، هِيَ أَنْ

تُفَاجِيءَ المُسْلِمِيْنَ في عَقْرِ دَارِهِمْ ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدُّوْا فإِنْ أَخْفَقُوْا في هَذِهِ الخُطَّةِ ، بأنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ مُفَاجَأةُ المُسْلِمِيْنَ ، وعَلِمَ المُسْلِمُونَ بخُرُوْجِهِمْ ، واسْتَعَدُّوْا لَهُمْ ، فالخُطَّةُ الثَّانِيَةُ هِيَ التَّخْذِيلُ والارْجَافُ ، والتَّفرِيْقُ بَيْنَ صُفُوفِ المُسْلِمِيْنَ عنْدَ اللِّقاءِ فإِنْ أَخْفَقَتْ هَذِهِ الخُطَّةُ ، وَلَمْ يَنْجَحُوْا فِيْهَا ، فالخُطَّةُ الثالِثَةُ هِيَ الفَتْكُ بِرَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، ثُمَّ برُءُوسِ أَصْحَابِهِ مِن المُهَاجِرينَ ، كَمَا فَتَكَ المُسْلِمُونَ برُءُوسِهِم في وَقْعةِ بَدْرٍ ، من أَجْلِ ذَلِكَ كَتَمَتْ قُرَيْشٌ أَمْرَهَا عَلَى المُسْلِمِيْنَ وَخَرَجَتْ تُواصِلُ السَّيْرَ في سِرٍّ ، حَتَّى نَزَلَتْ بوَادِي أُحُد ، عَلى أَقلَّ مِنْ فَرْسَخٍ مِن المَدِيْنَةِ ، ولَكِنْ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ بِرَسُولِهِ وبالمُؤْمِنِيْنَ ، أَنَّ العَبَاسَ بنَ عَبْدِ المُطلبِ كَتَبَ لِرَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كِتَاباً ، أخْبَرَهُ فِيْهِ بمَخْرَجِ قُرَيْشٍ هذَا ، وبِمَا أَعَدَّتْ لَهُ مِن الرِّجَالِ والعَتَادِ ، وَبَعَثَ بِكِتَابِهِ هَذَا مَعَ رَجُلٍ مِن بَنِيْ غِفَارٍ ، فَوَاصَلَ السَّيْرَ بِهِ ، حَتَّى بَلَغَ المَدِيْنَةَ في ثَلاثِ لَيَالٍ ، فَلَمَّا بَلَغَهَا عَلِمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في قُبَاءٍ فانْطَلَقَ إليه ، فَسَلَّمَهُ الكِتَابَ ، فَدَفَعَهُ صَلَّى اللهُ عليه وسلم إِلَى أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ ، فَقَرأَهُ عَلَيْهِ ، فاسْتَكْتَمْهُ الخَبَرَ ، ثُمَّ دَخَلَ على سَعْدِ بنِ الرَّبيع ، فَأَخْبَرَهُ خبرَ الكِتَاب ، فَقَالَ سَعْدُ : واللهِ إِنِّي لأَرْجُوْ أَنْ يَكُونَ في ذَلِكَ خَيْرًا ، وأُرْجِفَ اليَهُودُ والمُنَافِقُونَ بأمرِ الكِتَابِ ، فَشَاعَ الخَبَرُ بَيْنَ الناسِ ، وهَذَا مَا كَانَتْ تَخْشَاهُ قُرَيْشٌ .

رَوَى الوَاقِدِيُ عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي حَكِيْمَةَ الأَسْلَمي قَالَ : لَمَّا أَصْبَحَ أَبُو سُفْيَانَ قَالَ : أَحْلفُ باللهِ أَنَّهُم جَاؤُا مُحَمَّداً فَخَبَّرُوْهُ مَسِيْرَنَا ، وَحَذَّرُوْهُ ، وَأَخْبَرُوْهُ بِعَدَدِنَا ، فَهُمُ الآنَ يَلْزَمُوْنَ صَيَاصِيَّهُمْ ، فَمَا أَنْ نُصِيْبُ مِنْهُمْ شَيْئاً في وَجْهِنَا ، فَقَالَ صَفْوانٌ : إِنْ لَمْ يُصْحِرُوْا لَنَا عَمَدْنَا إِلى نَخْلِ الأَوْسِ والخَزْرَجِ فَقَطَعْنَاهُ، فَتَرَكْنَاهُمْ ولا أَمْوَالَ لَهُم ، فلا يَجْتَبِرُوْنَهَا أَبَدًا ، وإِن أَصْحَرُوْا لَنَا فَعَدَدُنَا أَكْثَرُ مِن عَدَدِهِم ، وسِلاَحُنَا أَكْثَرُ مِن سِلاَحِهِمْ ، ولنا

خَيْلٌ ولا خَيْلَ مَعَهُمْ ، وَنَحْنُ نُقَاتِلُ عَلَى وَتَرٍ عِندَهُم ، ولا وَتَرَ لَهُم عِنْدَنَا .

اللَّهم أَظِلَّنَا تَحْتَ ظِلّ عَرْشِكَ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ وَلَا بَاقٍ إِلَّا وَجْهُكَ

اللَّهم أَظِلَّنَا تَحْتَ ظِلّ عَرْشِكَ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ وَلَا بَاقٍ إِلَّا وَجْهُكَ

اللهم إنا نسألك رحمةً من عِندكَ تَهْدِي بها قُلُوبَنَا ، وتَجْمعُ بها شَمْلَنَا ، وتَلمُ بها شَعَثَنَا ، وترفعُ بها شاهدنا ، وتَحفَظُ بها غائِبَنا ، وتُزكِيْ بها أَعْمَالَنَا ، وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم الراحمين .

اللهم أَلْهِمْنا القيامَ بحقِك ، وبارِكْ لنا فِي الحَلاَلِ مِنّ رزقِك ، ولا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلقِكَ ، يا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وأَفْضَلَ مَنْ رَجاه رَاجٍ يا قَاضِيَ الحَاجَاتِ ويا مُجِيْبَ الدَّعْوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجاءَنا فِيْمَا تَمَنَيْنَاه وأَمَّلْناه يَا مَنْ يَمْلكُ حَوائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ ما فِي ضَمَائِرِ الصَّامِتين ، أذقْنا بَرْدَ عفوِك ، وحلاوةَ مغْفِرَتِك ، يا أرحمَ الراحمين وصلى اللّه على محمد وآله وصحبه أجمعين

(فَصْلٌ)

وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُيُوْنَهُ يَسْتَطْلِعُوْنَ لَهُ خَبَرَ القَوْمِ ، فَجَاؤُوا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرُوْهُ بِمنزلِهِمْ مِنْ وادِي أُحُدٍ ، وَحَزَرُوْا لَهُ عَدَدَهُمْ، وَعِتَادَهُمْ وَكَانَ المُشْرِكُونَ قَدْ أَطْلَقُوْا خُيُوْلَهُمْ وإِبْلَهُمْ في مَزَارِعِ المَدِيْنَةِ ، فَجعَلَتْ تَأْكُل الزَّرْعَ، والشَّجَرَ حَتَّى أَوْشَكَتْ أَنْ تَدْخُلَ المَدِيْنَةِ وَبَاتَ الخَطَرُ جَاثِماً عَلَى الأَبْوَاب، وَغَدَا الأَمْرُ لا يَقْبَلُ التَّسْوِيْفَ ، وَصَارَ مِن الوَاجِب عَلَى المُسْلِمِيْنَ أَنْ يَأخُذُوْا حِذْرَهُمْ وَيَسْتَعِدُّوْا ، وَحُرِسَتِ المدِيْنَةُ كُلُّها طِوَالَ اللَّيْلِ ، فَبَاتَ وُجُوْهُ المُسْلِمِيْنَ مِن أَهْلِهَا في المَسْجِدِ ، وَعَلَيْهِم السِّلاَحُ خَوْفاً عَلَى النبي ﷺ .

فلمَّا أَصبحُوا جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الرَّأْيِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَجَعَلُوا يَتَشَاوَرُوْنَ كَيْفَ يَلْقَوْن عَدُوَّهُمْ اللَّدُوْدَ .

رَوَى الوَاقِدِي أنَّ النَّبِيَ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ أشِيْرُوْا عَلَيَّ فَقَامَ عَبْدُ الله بنُ أبي رَئِيْسَ المُنَافِقِيْنَ ، فَقَالَ يَا رَسولَ اللهِ كُنَّا في جَاهِلِيَةٍ نُقَاتِلُ فِيْهَا وَنَجْعَلُ النِسَاءَ والذَّرَارِيَّ في هذهِ الصَّيَاصِيْ ، وَيُجْعَلُ مَعَهُم الحِجَارَةَ ، وَنَشْبِكُ المَدِيْنَة بالبُنْيَانِ ، فَتَكُونُ كالحِصْن مِن كُلّ نَاحِيَةٍ ، وتَرْمِي المرأةُ والصَبِيُّ مِنْ فَوْقِ الصَّيَاصِي والآطامِ ، ونُقَاتِلُ بأسْيَافِنَا في السِّكَكِ يا رسُولَ اللهِ إنَّ مَدِيْنَتَنا عَذْرَاءُ ، مَا فُضَّتْ عَلَيْنا قَطُ ، وَمَا خَرَجْنَا إِلَى عَدُّوٍ قَطُ مِنْهَا إلَّا أَصَابَ مِنَّا ، وَمَا دَخَلَ عَلَيْنا قَطُ إلَّا أَصَبْنَاهُ ، فَدَعْهُم يا رَسُولَ اللهِ فَإنَّهُم إنْ أَقَامُوْا أَقَامُوْا بِشَرِ مَحْبَسٍ وإنْ رَجَعُوْا رَجَعُوْا خَائِبِيْنَ مَغْلُوبِيْنَ لَم يَنَالُوا خَيْرا .

يا رَسُولَ اللهِ أطِعْني في هذَا الأَمْرِ، واعْلَمْ أنِّيْ وَرَثْتُ هَذَا الرَّأْيَ مِن أَكَابرِ قَوْمِي، وأَهْلِ الرَّأْيِ مِنهُم ، فهُم كانُوا أَهْلَ الرَّأيِ والتَّجْرِبَةِ .

وَكَانَ هَذَا الرَّأْيُ هُوَ رَأْيُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَهُوَ أَنْ لا يَخْرُجُوْا مِن المَدِيْنَة ، وأنْ يَتَحصَّنُوا بِهَا فانْ دَخلُوهَا قَاتَلَهُمْ المُسْلِمُوْنَ عَلَى أَفْوَاهِ الأَزِقَّةِ والنِسَاءُ مِنَ فَوْقِ البُيُوْتِ ، وهُوَ رَأيُ الأكابِرِ مِن الصحابَةِ مِن المُهَاجِرِيْنَ والأَنْصَارِ .

فقال رسولُ اللهِ ﷺ امْكُثُوا في المَدِيْنَةِ واجْعَلُوْا النِسَاءَ والذَّرَارِي في الآطامِ فانْ دَخلُوا عَلَيْنا قَاتَلْنَاهُمْ في الأزِقَّةِ ، فَنَحْنُ أَعْلَمُ بِهَا مِنْهُمْ ورَمَوْا النِسَاءُ والصِبْيَانُ مِن فَوْقِ الصَيَاصِيْ والآطامِ ، فَبَادَرَ جَمَاعَةٌ مِن الصَّحَابَةِ مِمَّنْ فاتَهُمُ الخُرُوْجُ يَوْمَ بَدْرٍ وَرَغِبُوا في الشَّهَادَة ، وأحَبُّوا لَقَاءَ العَدُوِ ، وأَشَارُوْا عَلَيْهِ بالخُرُوْجِ ، وأَلَحُوْا عَلَيْهِ في ذلك .

وَقَال رِجَالٌ مِن أَهْلِ النِّيَةُ الحَسْنَة ، إنَّا نَخْشَى يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يَظُنَّ عَدُونَا أَنا كَرِهْنَا الخُرُوْجَ إِلَيْهِم جُبْناً عن لِقَائِهِم ، فَيَكُونُ هَذَا جُرْأَةٌ مِنْهُمْ عَلَيْنَا وَقَدْ كُنْتَ يوم بَدْرٍ في ثلاثِمائةٍ فَظَفَّرَكَ اللهُ عليهم ، وَنَحْنُ اليَوْمَ

خَلْقٌ كَثِيْرٌ ، وَقَدْ كُنَّا نَتَمَنَّى هَذَا اليومَ وَنَدْعُو اللهَ بهِ ، فَقَدْ سَاقَهُ اللهُ إِلَيْنَا في سَاحَتِنَا .

وَقَالَ مَالكُ بنُ سِنَان، يَا رسُولَ اللهِ نَحْنُ بَيْنَ إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ ، إِمَّا يُظفِرُنَا اللهُ بِهِم فَهَذَا هُوَ الذِي نُرِيْدُ، والأُخْرَى يَا رسُول اللهِ يَرْزُقُنَا اللهُ بهَا الشَّهَادَةَ ، واللهِ يَا رسُولَ اللهِ ما أُبَالِي أَيُّهُمَا كَانَ ، إِنَّ كُلًّا لَفِيْهِ خَيْرٌ .

وَقَال حَمْزَةُ بنُ عبدِ المُطَّلِب ، والذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ ، لاَ أَطْعَمُ اليَوْمَ طَعَاماً حَتَّى أُجَالِدَهُمْ بِسَيْفِي خَارِجاً مِن المَدِيْنَةِ .

وقَال النُّعْمَانُ بنُ مالكٍ يا رسولَ اللهِ لِمَ تَحْرِمْنَا الجَنَّةُ فَوَالذِي لاَ إِلَه إلاَ هُوَ لأَدْخُلَنَّهَا فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ بِـــمَ فـــقَال إِنِّيْ امْرُؤٌ أُحِبُّ اللهَ ورَسُوْلَهُ وَلاَ أفِرُّ يَوْمَ الزَّحْفِ .

وَقَالَ إياسُ بنُ أوْسٍ لا أُحِبُّ أَنْ تَرْجِعَ قُرَيْشٌ إلى قَوْمِهَا فَيَقُوْلُونَ حَصَرْنَا مُحَمَّداً في صَيَاصِيْ يَثْربَ وإطَامِهَا فتكونُ هَذهِ جُرْأةٌ لِقُرَيْشٍ عَلَيْنَا وَقَدْ وَطِئُوا سَعَفَنَا فاذا لم نَذُبَّ عن غَرْسِنَا لَمْ يُزْرَعْ .

وَرَأَى رَسُولُ الله ﷺ أَنَّ الخُرُوْجَ هُوَ الرَّغْبَةَ الغَالِبَةَ وأَنَّ كَثْرَةَ النَّاسِ تَدْعُوْ إِلَيْهِ فَصَلَى بِهِم الجُمُعَةِ ، ثُمَّ وَعَظَهُمْ ، وأَمْرُهُمْ بالجِدِّ والجِهَادِ .

وأَخبَرَهُمْ أَنَّ لَهُمُ النَّصْرَ مَا صَبَرُوْا ، فَفَرِحَ النَّاسُ بالشُخُوص إِلَى عَدُوهِمْ ، وَلَكِنَّ كَثِيْراً كرِهُوْا ذَلِكَ المَخْرَجِ ، لِمَّا رَؤَا في وَجْهِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ مِنَ الكَرَاهَةِ لَهُ .

وَأَخَذَ النَّاسُ يَتَأَهَّبُوْنَ لِلْقِتَالِ ، فَيَلْبَسُوْنَ دُرُوْعَهُمْ وَسِلاَحَهُمْ وَيَتَوافَدُوْنَ عَلى

مَسْجدِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ ، فَلَمَّا كَانَ العَصْرُ كَانَ النَّاسُ قَدْ تَجمَّعُوْا واحْتَشَدُوْا فَصلَّى بِهِمْ صَلاَةَ العَصْرِ وَأَمَرَ أَنْ يُرْفَعَ النِّسَاءُ والأَوْلاَدُ في الآطَامِ والحُصُوْنِ ثُمَّ دَخلَ بَيْتَهُ لِيَلْبَسَ لاَمَتَهُ ، والنَّاسُ في خَارِجِ البَيْتِ ، يَتَنَاقَشُوْنَ وَيَتَجَادَلُوْنَ في أَمْرِهِمْ ، وَلاَ يَزَالُ فَرِيْقٌ مِنْهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ البَقَاءَ هُوَ الأَصْوَبُ ، وأَنَّ النَّاسَ قَدْ اسْتَكْرَهُوْا رَسُوْلَ اللهِ ﷺ على الخُرُوْجِ ، فَعَزَمَ عليهِ .وَهُوَ كَارِهٌ لَهُ .

وَجَاء سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ وأُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ فقَالاَ قُلْتُمْ لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ ما قُلْتُمْ واسْتُكرَهْتُمُوهُ عَلَى الخُرُوْجِ والأَمْرُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ من السَّمَاءِ ، فَرُدُّوْا الأَمْرَ إِلَيْهِ ! فَمَا أَمْرَكُمْ فافْعَلُوْهُ ، وَمَا رَأَيْتُمْ لَهُ فِيْهِ هَوَى أَوْ رَأْياً فَأطِيْعُوْهُ .

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ خَرجَ رَسُولُ الله ، وَقَدْ لَبِسَ لاَمَةَ الحَرْبِ ، فَقَالَ الذِيْنَ كَانُوا يُلِحُّوْنَ في الخُرُوْجِ ، يَا رَسُوْلَ اللهِ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُخالِفَكَ ، فاصْنَعْ مَا بَدالَكَ فَقالَ قَدْ دَعَوْتُكُمْ إلى هَذَا الحَدِيْثِ ، فَأَبَيْتُمْ ، وَلَا يَنْبغِيْ لِنَبِي إِذَا لَبِسَ لاَمَتَهُ أنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكِمُ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ .

انْظُرُوْا ما أَمَرْتُكُمْ بِهِ فاتَّبِعُوْهُ ، وامْضُوْا على اسْمِ اللهِ ، فَلَكُمُ النَّصْرُ مَا صَبَرْتُمْ .

وَعقَدَ ﷺ ثَلاَثَةَ أَلْوِيَةٍ ، لِوَاءٌ بِيَدِ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ، ولِوَاءٌ لِلْمُهَاجِرِيْنَ ، بِيَدِ مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ . وَقِيْلَ بِيَدِ عَلِي بنِ أَبِيْ طَالِبٍ ، وَدَفَعَ لِوَاءَ الخَزْرَجِ ، بِيَدِ الحُبَابِ بنِ المُنْذِرِ .

وقِيْلَ بِيَدِ سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ ، ثُمَّ دَعَا بفَرَسِهِ ، فَرَكِبَهُ وَخَرَجَ في أَلفٍ

مِن أَصْحابِهِ ، فِيْهِمْ مائَةُ دَارِعٍ ، والناسُ عَن يَمِيْنِهِ وشِمَالِهِ والسَّعْدَان يَعْدُوَانِ أَمَامَهُ ، سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ وسَعْدُ بنُ مُعَاذٍ ، وكانَ ذلكَ يومَ الجُمُعَةِ ، لِستٍ خَلَونَ مِن شَوَالٍ ، بَعْدَ أَنْ أَمَّرَ على المدينةِ ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ، يُصَلِّي بِالناسِ .

اللَّهُمَّ أَقِمْ عَلمَ الجِهَاد واقْمَعْ أَهْلَ الكُفْرِ والزَّيْغِ والعِنَادِ وانْشُرْ رَحْمَتكَ عَلَى هُؤلآءِ العِبَادِ يا مَن له الدُنيَا والآخِرَةِ وإِلَيه المَعَادُ واغفر لنا ولوالدينا اللَّهُمَّ انْظِمْنَا في سِلْكِ أَهْلِ السَعادَةْ ، واجْعَلْنَا مِن عِبادِكَ المُحْسِنِينَ الذَينَ لهُم الحُسْنَى وزِيَادَةً ، واغْفِر لنَا ولِوَالِدِيْنا ولِجَمِيعِ المُسْلِمينَ الأحياءِ مِنْهُم والميتينَ بِرَحْمَتِك يا أَرْحَمَ الراحَمين ، وصلى اللهُ عَلَىَ مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبه أجمعين .

موعظـــة: عِبَادَ اللهِ كَانَ سَلَفُنَا في أَرْقَى دَرَجَةٍ ، وأَصْبَحْنَا بَعْدَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ في حَالَةٍ يُرْثَى لَهَا مِن التَّهَالُكِ عَلَى الدُنْيَا واهْمَالِ الآخِرَةِ ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّ الآخِرَةِ لا تَنْتَهِيْ حَيَاتُهَا ، وأَنَّ الدُنْيَا تَنْتَهِيْ في أَيَّامٍ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ مَتَاعِهَا أَنَّهُ قَلِيْلٌ ، فَوَضَعُوا حَيَاةَالأَبَدِ نَصْبَ أَعْيُنِهم، وَجدُّوْا وَاجْتَهَدُوا في العَمَلِ لَهَا ، كَمَا أَمَرَهُم اللهُ ، فَلاَ تَكَادُ تَرَاهُمْ في لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِم إِلّا وَهُمْ بعَمَلٍ مِن الأَعْمَالِ يَعْمَلُونَ وَذَلِكَ العَمَل مِن أَعمالِ الآخِرَةِ .

ولقد كانُوا في كُلِّ نفس من أنفاسِهِمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ النَّفَسُ الأَخِيْرُ ، الذِي تَنْتَهِي بِهِ آجَالُهُمْ ، فَلَوْ قِيْل لَهُمْ إنّكم بَعْدَ سَاعَةٍ تَنْتَهِي حَيَاتُكَم مَا زَادُوا عَلَى ما هُمْ عَلَيْهِ مِن الإِكْثَارِ مِن البَاقِيَاتِ الصالِحَاتِ .

أَمَّا اشْتِغَالُهُم بهذهِ الحَيَاةِ فَمَا كَانَإِلَّا لأَنَّهُ وَسِيْلَةٌ مِن الوَسَائِلِ التي

تُدْنِي إلى الجَنَاتِ ، وَتُبْعِدُ عن النَّارِ ، لِهَذَا كَانُوا لاَ يَخَافُوْنَ المَوتَ ، وَيَحْرِصُوْنَ عَلَى الجِهَادِ في سَبِيْلِ اللهِ ، لَعَلَّهُمْ يَنالُونَ الشَّهَادَةَ ، وَيَبْكُون إذا لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُمْ الخُرُوْجُ إلَى الجِهَادِ ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنهُم ، وكَمَا مَرَّ عَنْهُمْ في الأَحَادِيْثِ السابقةِ ، لِذَلِكَ بَلَغُوا مِن الشَّجَاعَةِ مُنْتَهَاهَا ، وعاشُوا وَمَاتُوا وهُمْ سَادَةُ العَالِمين .

أمَّا زُهْدُهُم في هَذِهِ الدُنْيَا فَكَانَ مَوْضِعَ العَجَبِ ، لأَنَّ مَقْصُوْدَهُمْ غَيْرَهَا ، ولِهَذَا كانُوا أَشْرَف أُمَّةٍ تَحَلَّى بِرُؤْيَتِهَا الزَّمَانُ .

أَمَّا نَحْنُ فَقَصُرَ نَظَرُنَا قَصْراً مِن العَارِ أنْ يُنْسَبَ إلى عُقَلاَءِ الرِّجَالِ ، وَهَلْ يُتَصَوَّرْ أنّ العَاقِلَ تَمْلِكُ قَلْبَهُ وَقَالِبَهُ الدُنْيَا وحُطَامُهَا الفَانِي ، فَيَجْعَلُ كُلَّ مَقْصُوْدِهِ المَالُ ، مَعَ أَنَّهُ يَقْرأ قَوْلَ اللهِ تَعالَى ﴿ وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَّعْنَا به ازْوَاجاً مِنْهُم زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وأبْقى﴾ وقوله تعالى : ﴿ بَلْ تُؤثِرونَ الحَيَاةَ الدنيا والآخِرةُ خَيْرٌ وأبْقى ﴾ .

هذَا هُوَ الذِي كَانَ مِنَّا فالآخِرَةُ لا تَخْطُرُ لَنَا عَلَى بَالٍ ، فَلِلدُّنْيَا أَبْدَانُنَا وقُلُوبُنَا ، ولَهَا رضَانَا وسَخَطُنَا ، وإنْ زُجِرنَا عَنْهَا إزْدَادَ وَلَعُنَا بِهَا وَزَادَ إقْبَالُنَا عَلَيْهَا وَتَضَاعَفَ جُهْدَنا لَهَا .

على حد قول الشاعرَ .

وإذا زجَـرْتَ النَّفْسَ عـن شَغَـفٍ بهـا
فـكَـأَنَّ زَجْـرَ غَـوِّيـهَـا إغْـرَاؤُهَـا

لِهَذَا كَرِهْنَا المَوتَ كَرَاهَةً شَدِيْدَةً ، فَفَقَدْنَا الشَّجَاعَةَ ، وَأَصَـابَنَا الوَهَنُ والخَوَرُ والضَّعْفُ والجُبْنُ .

شِعْـــرا :

نَهَــاكَ عَن البَطَالَــةِ وَالتَّصَابِــي نُحُولُ الجِسْمِ والرَّأْسُ الخَضِيْبُ
إذا مَا مَاتَ بَعْضُك فابْكِ بَعْضًا فَبَـــعْضُ الشَّيْءِ مِنْ بَعْضٍ قَرِيْبُ

ولِهَذَا وَصلَتْ بِنَا الحَالُ إلَى أَنْ مَنَعْنَا الزَّكَاةَ أَوْ بَعْضَها وَهِيَ قَرِيْنَةُ الصَّلاة ، وَمِن أَجْلِ الدُنْيَا دَاهَناً ، وَتَمَلَقْنَا لأَعْدَاءِ اللهِ وَقُلْنَا لَهُ يا سَيِّدُ أَوْ يَا مُعَلِّمُ أَوْ يَا أُسْتَاذُ هَذَا خِطَابُنَا لأَعْدَاءِ اللهِ مَعَ أَنَّ الوَاجِب عَلَيْنَا نَحوَهُمْ هِجْرَانُهُم والابْتِعَادُ عَنْهُمْ وبُغْضُهُمْ للهِ قال تَعَالَى ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُوْنَ باللهِ واليَوم الآخِرِ يُوَادُّوْنَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُوْلَهُ وَلَو كَانُوا آبَاءَهُم أو أبناءهم وأخوانَهُم أو عَشِيْرَتَهم أولئِكَ كَتَبَ في قُلُوبِهُم الإيمانَ وأَيَّدَهُمْ بِرُوْحٍ منهُ ﴾ فَلَا حَوْلَ وَلَا قوةَ إِلَّا باللهِ العلي العَظِيْم ، هَذَا يَا أَخِيْ هُوَ السَّبَبُ الوَحِيْدُ في انْحِطَاطِنَا ، وفي عِزٍّ سَلَفِنَا الأَجلاءِ الكِرَامِ ، وَلَو سَلَكْنَا طَرِيْقَهُم ما أَصَابَنَا هَذَا الذُلُّ والهَوَانُ .

قَصِيْدَة زُهْدِيَّةٌ في غُرْبَةِ الدِّيْنِ والْوَلَاءِ والبَرَاءِ والتَّقَلُّلِ من الدُنْيَا

إِلَى اللهِ نَشْكُوا غُربَةَ الدِّيْنِ والهُدَى
وفُقْدَانَه مِنْ بَيْنِ مَنْ رَاحَ أَوْ غَدَا
فَعَادَ غَرِيْبَاً مِثْلَ مَا كَانَ قَدْ بَدَا
عَلَى الدِّيْنِ فَلْيَبْكِي ذَوُوْ العِلْمِ والهُدَى
فَقَد طَمَسَتْ أَعْلَامُهُ في العَوَالِمِ
حَوَى المَالَ أَنْذَالُ الوَرَى وَرَذَالُهُم
وقَدْ عَمَّ في هَذَا الزمانِ ضَلَالُهُم
وَلَا تَرتَضِي أَقْوَالَهم وفِعَالُهُمْ
وَقَدْ صَارَ إِقْبَالُ الوَرَى واحْتِيَالُهم
على هَذِهِ الدُّنْيَا وَجَمْعِ الدَّرَاهِمِ

فَـذُوْ المَـالِ لا تَسْـأَلْ أَخَصُّ خَـدِيْنِهم

وَقَـدْ نَفِقَ الـجَهْـلُ العَظِيْـمُ بِـحِيْنِهِـم

بـإعْـرَاضِـهِـمْ عَـنْ دِيْنِـهِـمْ وَمَدِيْنِهم

وإصْـلَاحِ دُنْـيَـاهُم بـإفْسَـادِ دِيْنِـهِـم

وَتَحْصِيْلِ مَلْذُوْذَاتِهم والمَطَاعِمِ

مُـحِبُّـوْنَ لِـلدُّنْـيَـا مُـحِبُـوْنَ قَـيْـلَهَـا

وَلَـوْ مُعْـرِضـاً عَنْ دِيْنِـهِ وَلَهَـا لَهَـا

وَكُـلُّهُـمُ لَا شَـكَّ دَنْـدَنَ حَـوْلَـهَـا

يُـعَـادُونَ فِيْـهَـا بَـلْ يُـوَالُـوَن أَهْلَهَـا

سَوَاءٌ لَدَيْهم ذُو التُّقَى والجَرَائِمِ

إِلَى اللهِ في هَـذَا الصَبَاحِ وفي المَسَـا

نَبُثُ الـدُّعـا فـالْقَلْبُ لا شَكَّ قَـدْقَسَا

وَحُبُّ الوَرَى الدُّنْيَا فَفِي القَلْبِ قَدْ رَسَى

إِذَا انْتُقِصَ الانْسَـانُ مِنـهَـا بمَـا عَـسَى

يَكُونُ له ذُخْراً أتَى بالعَظَائِمِ

بَكَى واعْتَرَاهُ المَسُ مِنْ عُـظْمِ مَا خَسَى

وَخَـرَّ صَـرِيْـعـاً إِذْ بَـدَا النَّقْصُ وافْلَسَـا

وانْحَـلَ جِسْمَـاً نَـاعِمَـاً قَبْـلُ مَـاغَسَى

وأبْـدَى أعـاجِيْبـاً مِن الحُـزنِ والأسَـى

على قِلَّةِ الأَنْصَارِ مِن كلِ حَازِمِ

وَنَـادَى بـصَـوتٍ مـزْعِجٍ مُـتَكَـلِّمـاً

وبَـاتَ حَـزِيْـنـاً قَـلْبُـه مُـتَـكَـلِّمـاً

وَقَـامَ عَـلَى سَـاقٍ لِـحَـرَّاهُ مُـعْـلِمـاً
وَنَـاحَ عَـلَيْـهَـا آسِـفَـاً مُـتَـظَلِّمـاً
وبَاتَ بِمَا في صَدْرِهِ غَيْرَ كاتِمِ
فَـذَا شَـأْنُ أَهْـلِ الغَيِ والجَهْـلِ والـرَّدَى
إِذَا انْتَقِصُـوا الدُنْيَـا أَصَارُوا الثَّـرَى نَـدَى
وَبَكُّـوْا وأَبْكَـوا كُـلَّ مَن رَاحَ أَوْ غَـدَا
فَـأَمَّـا على الـدِّيْنِ الحَنِيْفِيّ والهُـدَى
ومِلَّةِ ابْرَاهِيْمَ ذَاتِ الدَّعَائِمِ
وَلَـوْ قُطِّعَتْ في كُـلِّ أَرْكَـانِهـا القُـوَى
وَلَـوْ سَلكتْ كُلُّ الـوَرَى سُبْلَ مَن غَـوَى
أَوِ اتَّـخَـذَ المَـخْلُوقُ مَـعْبُـودَهُ الـهَـوَى
فَلَيسَ عَـلَيـهـا والـذِيْ فَـلَقَ الـنَّـوَى
مِن الناسِ مِنْ بَاكٍ وآسٍ ونَادِمِ
بُنُـودٌ لَهَـا فِيمَـا مَضَى بَيْنَنَـا انْتَفَتْ
وَكُلُّ مُـحَـامِيٍّ لَـهَـا مَـالَ والـتَـفَـتْ
وَمَـحْبُـوبُنَـا مَنْ أَبْـغَضَتْـهُ وَمَنْ نَـفَـت
وَقَـدْ دَرَسَتْ منها المَعَـالِمُ بَـلْ عَفَتْ
وَلَم يَبْقَ إلاَّ الإِسْمُ بَيْنَ العَوَالِمِ
وَقَـدْ ظَهَـرَتْ تِلْكَ الفَـوَاحِشُ والـجَفَـا
ولا شَـكَّ في فِعْـلِ اللَّواطِ مَـعَ الـزِنَى
وَقَـلْبِي إذاً مِـمَّـا بَـدَى مَسَّـهُ الضَّنَـى
فَـلاَ آمِـرٌ بـالـعُـرْفِ يُعْـرَفُ بَـيْنَـنَـا

ولا زَاجِرٍ عن مُعْضَلَاتِ الجَرَائِمِ

بِحَـارُ المَعَـاصِيْ قَـدْ طَمَى الآنَ لُجُهَـا
ومُـتَّسِـعُ بَـيْـنَ الـبَـرِيَّـةِ ثَـجُّـهَـا
وَقَـد لَاحَ مِن فَـوقِ البَسِيْـطَةِ فَجُّهَـا
ومِـلَّةُ ابـراهـيـمَ غُـوْدِرَ نَـهْـجُـهَـا
عَفَاءً وأَضْحَتْ طَامِسَات المَعَالِمِ

نَـوَاظِـرُنَـا كَـلَّتْ وأَنْـوَارُهَـا طَـفَـتْ
وأَلْسُنُنَـا عن بَحْثِ مِنْهَـاجِهَـا حَفَتْ
مَنَـاهِجُهَـا واللهِ مِن بَيْنِنَـا عَفَتْ
وَقَـدْ عُـدِمَتْ فِيْنَـا وَكَيفَ وقَـدْ سَفَتْ
عَليهَا السَوافِيْ مِن جَمِيعِ الأَقالِمِ

تَـظُنُّـونَ أَنَّ الـدِّيْنَ لَبَيْكَ فِي الفَـلَا
وفِعْـلَ صَـلاةٍ والسُكُـوتَ عَنِ الـمَـلَا
وسَـالِمْ وخَالِطْ مَن لِذَا الـدِّيْنِ قَـدْ قَلَا
ومـا الـدِّيْنُ إلَّا الحُبُ والبُغْضُ والـوَلَا
كَذَاكَ البَرَا مِنْ كُلِ غَاوٍ وَآثِمِ

فَـأَفْـرَادُنَـا ظَنُّـوْا النَّجَـا في التَّنَسُّـك
وغَـالِبُنَـا مِنْـهَـاجُـهُـم في الـتَسَلُّكِ
ومِـلَّةُ إِبْـرَاهِـيْـمَ مِـن خَـيْـرِ مَسْـلَكِ
وَلَـيْسَ لَهَـا مِـن سَالِـكٍ مُـتَـمَـسِّـكِ

بدين النَّبِي الأَبْطَحِي بن هَاشِمِ

فَلَسْنَا نَرَى مَا حَلَّ في الدِينِ وامَّحَتْ

بِهِ المِلَّةُ السَّمْحَاءُ إحدَى القَواصِمِ

عَسَى تَوبَةٌ تَمْحُو ذُنُوْباً لِمُرْتَجِي

عَسَى نَظْرَةٌ تَسْلُكُ بِنَا خَيرَ مَنْهَجِ

عَسَى وَعَسَى مِن نَفْحَةٍ عَلَّهَا تَجِي

فَنَأْسَي عَلَى التَقْصِيْرِ مِنَّا وَنَلْتَجِي

إلى اللهِ في مَحْوِ الذُنُوْبِ العَظَائِمِ

فَكُلُ الوَرَى في كَثْرَةِ المالِ نَافَسَتْ

وَرَانَتْ ذُنُوْبٌ في القُلُوبِ وقَدْ رَسَتْ

وفي النَهْيِ عَن كُلِّ المَعَاصِي تَنَاعَسَتْ

فَنَشْكُوا إلى اللهِ القُلوبَ التِي قَسَتْ

وَرانَ عَلَيْها كَسْبُ تِلكَ المآثِمِ

نُرَاعِيْ أَخَا الدُنْيَا فَذَاكَ هُوَ الأَخُ

ولو كَانَ في كُلِّ المَعَاصِي مُلَطَّخُ

أَلَسْنَا بِأَوْضَارِ الخَطَا نَتَضَمَّخُ

أَلَسْنَا إذا مَا جَاءَنَا مُتَضَمِّخُ

بأَوْضَارِ أَهْلِ الشِرْكِ مِن كُلِ ظَالِمِ

أَتَيْنَاهُ نَسْعَى مِن هُنَاكَ وَمِن هُنَا

وفي عَصْرِنَا بَعْضٌ يُرَدُ وَلَو عَنَى

أَتَيْنَا سِرَاعاً والرِّضَى عَنْه حسْبُنَا

نَهُشُ إلَيْهِم بالتَّحِيَّةِ والثَّنَا

ونَهْرَعُ في إكْرَامِهِم بالوَلاَئِمِ

أَذَا يُـرْتَضَى في الـدِينِ هَـلْ مِن مُعَلِّم
أفِقْ أيُهـا المَغْبُـونُ هَـلْ مِن تَـنَـدُمِ
أيَـرْضَـى بِهـذَا كُـلُّ أَبْسَـلَ ضَيْغَـمِ
وَقَـد بَـرِيَ المَعْصُـومُ مِن كُـلِّ مُسْلِمِ

يُقِيْمِ بِدَارِ الكُفْر غَيرَ مُصَارِمِ

ولا مُنْكِـرٍ أَقْـوَالَـهم يَـا ذَوي الـهُـدى
ولا مُبْغِضٍ أَفْعَـالَ مَن ضَـلَّ واعْـتَـدَى
ولا آمِـرٍ بـالـعُـرْفِ مِن بَيْنِهِـم غَـدَا
ولا مُـظهِـرٍ لِلدِّيْنِ بَيْـنَ ذَوِي الـرَّدَى

فَهَلْ كَانَ مِنّا هَجْرُ أَهْلِ الجَرَائِمِ

وَهَـلْ كَـانَ في ذَاتِ المُـهَيْـمِنِ وُدُّنَـا
وهَـلْ نَحْنُ قَاتَلْنَـا الـذِي عَنْـهُ صَـدُّنَـا
وَهَـلْ نَحْنُ أَبْعَدْنَـا غَـدًا والـذي دَنَـا
ولـكِنَّـمَـا العَـقْـلُ المَعِيْشِيُ عِـنْـدَنَـا

مُسَالَمَةُ العَاصِيْنَ مِنَ كُلِّ آثِمِ

أيَـا وَحْشَـةً من بَيْنِ تِلْـكَ المَنَـازِلِ
ويَـا وَصْـمَـةً لِلدِيْـنِ مِنْ كُـلِّ نَـازِلِ
تَـكَلَّمَـتْ الأَوْبَـاشُ وَسْطَ المَحَـافِـلِ
فَيَـا مِحْنَةَ الإِسْـلامِ مِن كُـلِّ جَـاهِـلِ

ويا قِلَّةَ الانْصَارِ مِن كُلِ عَالِمِ

فَنَفْسَكَ فاخْزِمْهَا إذَا كُنْتَ حَازِماً
ومِن بَابِه لا تَلْتَفِتْ كُنْ مُلازِماً
وَصَبْرٌ فَرَبُ العَرْشِ لِلشِّرْكِ هَازِماً
وهَذَا أَوَانُ الصَّبْرِ إنْ كُنْتَ حَازِماً

على الدِّيْنِ فاصْبِرْ صَبْرَ أهْلِ عزَائِمِ

ومُدَّ يَداً للهِ كُلَّ عَشِيَّةٍ
وسَلْ رَبَّكَ التَّثْبِيْتَ في كُلِّ لَحْظَةِ
على مِلَّةِ الإِسْلَامِ أَزْكَى البَرِيَةِ
فَمَنْ يَتَمَسَّك بالحَنِفِيْةِ الَّتِي

أَتَتْنَا عَنِ المَعْصُومِ صَفْوَةِ آدَمِ

وعُضَّ عَلَيهَا بالنَّوا جِذِ إِذْ غَدَا
وحِيْداً مِنَ الخِلَّانِ مَا ثُم مُسْعِداً
عَلَى قِلَّةِ الأَنْصَارِ أَصْبَحَ وَاحِداً
لَهُ أَجْرُ خَمْسِيْنَ أمرأً مِن ذَوِي الهُدَى

مِن الصَّحْبِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الأَكَارِمِ

وكُنْ عَن حَرَامٍ في المآكِلِ سَاغِباً
ولا تَمْشِ مِنْ بَيْنِ العِبَادِ مُشَاغِباً
ومُدَّ يَداً نَحْوَ المُهَيْمِنِ طَالِباً
ونُحْ وابْكِ واسْتَنْصِر بَرَبِّكَ رَاغِباً

إليه فانَّ اللهَ أَرْحَمُ رَاحِمِ

لِيَنْصُـرَ هَـذَا الـدِّيْنِ مِن بَعْـدَمَـا عَفَتْ
مَعَـالِمُـهُ فـي الأَرْضِ بَيْـنَ الـعَـوَالِمِ

وأن يَـكْبُـتَ الأَعْـدَا وَيَـفْنَـوا بِـغِـلِّهِـمْ
ويَــخْـذُلَ أَعْـدَاءَ الـهُـدَى بِـأَقَـلِّهِــم

مِـن المُـؤْمِنِيْنَ الـصـالـحيـنَ وخِـلِّهِـمْ
وصَـلِّ عَـلَى المَـعْصُـومِ والآلِ كُـلِّهِـمْ

وأَصْحَابِهِ أَهْلِ التُقَى والمكَارِمِ

بِعَــدِّ ومِيْضِ البَـرقِ والـرَّمْـلِ والحَصَى
ومـا انْهَـلَّ وَدْقٌ مِن خِـلاَلِ الغَمَـائِمِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ الوَرَى جُوْدُهُ وإِحْسَانُه لنَسْأَلُكَ باسمِكَ الأَعْظَمِ الذيْ إذا سُئِلْتَ بِهِ أَعْطَيْتَ وإِذَا دُعِيْتَ بِهِ أَجَبْتَ أنْ تُثَبِّتَ وَتُقَوِّيْ قُلُوْبَنَا في الايمانِ بِكَ وبِمَلاَئِكَتِكَ وبِكُتُبِكَ وبِرُسُلِكَ وباليومِ الآخرِ وبالقدرِ خيرِهِ وشرِهِ اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ في الحياةِ الدُنيا وَفي الآخِرَةِ اللهم وَأَيِّدْنَا بِنَصْرِكَ وَأَرْزِقْنَا مِن فَضلِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ يومَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ، اللهم ثبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قلوبنا وقَوِّهَا ووفقنا لِشُكْرِكَ وذِكْرِكَ وارزقنا التأَهُبَ والاسْتِعدادَ لِلِقَائِكَ واجْعَلْ خِتَامَ صَحَائِفِنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فصل »

وَمَضَى ﷺ حتَّى وَصَلَ إِلَى مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ الشَّيْخَيْنِ ،فَعَسْكَرَ بِهِ، ثُمَّ اسْتَعْرَضَ الجَيْشَ ، فَرَدَّ مَنْ اسْتَصْغَرَهُ مِنْ جُنُوْدِهِ .

وَكَانَ فِيْمَنْ رَدَّ رسولُ اللهِ ﷺ مِن هَؤُلاءِ الصِّغَارِ رَافِعُ بنُ خَدِيْجٍ ،

وسَمُرَةُ بنُ جُنْدُبٍ ، فَقِيْلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إن رَافِعاً يُحسِنُ الرِّمَايَةَ فَأجَازَهُ ، فَبَكَى سَمُرَةُ ابْنُ جُنْدُبٍ، وقالَ أَجازَ رَافِعاً ورَدَّنِي مع أنِيْ أصْرَعُهُ ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فأَمَرَهُمَا أَنْ يَتَصَارَعَا فكانَ الغَالِبُ سَمُرَةَ، فأجَازَهُ .

وَبَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَتَهُ تِلكَ بِالشَّيْخَيْنِ واسْتَعْمَلَ عَلَى حَرَسِ الجَيْشِ مُحَمَّدَ بنَ سَلَمَةَ ، وَعَلَى حَرَسِهِ ، ذَكْوَانَ بنَ قَيْسٍ .

وَنَامَ ﷺ حَتَّى إذَا كَانَ السَّحَرُ ، قال أيْنَ الأدِلاَّءُ ، مَن رَجُلَ يَدُلُّنَا على الطَّرِيقِ ، يُخْرِجُنَا عَلَى القَومِ مِن كَثَبٍ ، فَقَامَ أَبُو خَيْثَمَةَ الحَارِثِي ، فقالَ أنَا يَا رَسُولَ اللهِ .

وَلَمَّا بَلَغَ ﷺ الشَّوْطَ ، وَهُوَ بُسْتَانٌ بَيْنَ المَدِيْنَةِ وَأُحُدٍ ، انْشَقَّ الجَيْشُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فرجع عبد الله بن أبي بثلاثمائةٍ مِن أصحابه، وهو يقول أطَاعَ الغُلْمَانَ وعَصَانِي ، فَعَلاَمَ نَقْتُلُ أَنْفُسَنَا هَهُنَا ، فَجَعَلَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَمْرو بن حَرَام يُحَاوِلُ أنْ يَثْنِيْهُمْ عَنْ عَزْمِهِمْ هَذَا ، وَيُنَاشِدُهُمُ اللهَ أَلاَّ يَشُقُّوْا عَصَا الجَمَاعَةِ ، وأنْ لا يَخْذُلُوا قَوْمَهُمْ ونَبِيَّهُمْ ، في حَضْرَةِ العَدُوِّ ، فَيَقُولُونَ لَهُ مُتَهَكِمِيْنَ بِهِ « لَوْ نَعْلَمُ قِتالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ » .

وَقَدْ أَحْدَثَتْ هَذِهِ الفِعْلَةُ الشَّنِيْعَةُ ، خَلْخَلَةً عَظِيْمَةً في بِنَاءِ الجَيْشِ ، في هَذَا الوَقْتِ الحَرِجِ ، وَأَحْدَثَتْ زَلْزَلَةً شَدِيْدَةً في نُفُوسِ المُسْلِمِيْنَ ، حَتَّى لَقَدْ هَمَّتْ بَنُوْ حَارِثَةَ مِن الخَزْرَجِ ، وَبَنُوْ سَلَمَةَ الأَوْسِ ، أَنْ تَفْعَلاَ كَمَا فَعَلَ أَصْحَابُ ابنُ أُبَيَ ، وَلَكِنْ عَصَمَهُمُ اللهُ ، فَعَادُوْا إلى صُفُوفِ الجَمَاعَةِ ، وَسَارُوْا مَعَ الجَيْشِ، كَمَا يَسِيْرُوْنَ .

وَمَضَى رسولُ اللهِ ﷺ إلى أُحُدٍ ، وَهُوَ جَبَلٌ كَثِيْرُ المَسَالِكِ ، والشِّعَابِ ، تَقْطَعُهُ عِدَّةُ وِدْيَانٍ ، وَيَدُوْرُ دَوْرَةً وَاسِعَةً في مُوَاجَهَةِ السَّهْلِ الضَّيِّقِ

الذي وَقَفَتْ عِنْدَهُ قُرَيْشٍ ، كَمَا أَنَّ تَعرجَاتِ الأَرْضِ جَعلَتْ في انْحِدَارِهِ فَجَوَاتٍ ، تُشْبِهُ الحُفَرَ ، تَصْلُحُ للإِخْتِفَاءِ في الحَرْبِ الدِّفَاعِيَّةِ ، لِقَذْفِ النِبَالِ .

فَنَزَلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في شَعبٍ عَلَى عُدْوَةِ الوَادِي ، إِلَى جَانِبِ تلٍّ مُشْرِفٍ ، يُقَالُ لَهُ جَبلُ عَيْنَيْن ، وَهُنَاكَ أَخذَ ﷺ يَصُفُ أَصْحَابَهُ ، وَيُعَبِئُهُمْ لِلْقِتَالِ ، فَجَعَلَ ظُهُوْرَهُمْ إِلَى الجَبَلِ بحَيْثُ يَحْتَمُوْنَ بِهِ مِنَ خَلْفِهِمْ وَجَعَلَ وَجُوْهَهُمْ إلى المَدِيْنَةِ ، بِحَيْثُ يَسْتَقْبِلُوْنَ الوَادِي ، وَيُشْرِفُوْنَ عَلَيْهِ مِنْ أَعْلاَهُ وَجَعَلَ خَمْسِيْنَ مِن الرُّمَاةِ عَلَى جَبَلِ عَيْنَيْن .

وأمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبدَ اللهِ بنَ جُبَيْر ، وَأَمرَهُمْ أَنْ يَحْمُوْا ظُهُوْرَ المُسْلِمِيْنَ عِنْدَ القِتَالِ ، وأَنْ لا يُمَكِّنُوْا العَدُوَّ من اقْتِحَام هَذَا الحِصْن ، وأَنْ لاَ يَبرَحُوْا مَكَانَهُمْ هَذَا ، سَواءُ أكَانَ النَّصْرُ لِلْمُسْلِمِيْنَ أَمْ عَلَيْهِم .

ثُمَّ عَلَّمَهُمْ أَنْ يَنْضَحُوْا الخَيْلَ كُلَّمَا أَقْبَلَتْ نَحوَهُمْ بالنَّبْل ، وأَكَّدَ الوَصِيَّةَ عَلَيْهِمْ أَنْ لا يُغَادِرُوا مَوَاضِعَهُمْ ، وإِنْ رَأَوْا أَصْحَابَهُمْ تَتَخَطَّفُهُمْ الطَّيْرُ .

فَلَمَّا انْتَهَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مِن تَعْدِيْلِ الصُّفُوْفِ ، وإِعْدَادِ المَوَاضِعِ ، خَطَبَ في الناسِ يُحَرِّضُهُمْ عَلَى القِتَالِ ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَى الصَّبْرِ ، وأمَرَهُمْ أنْ لاَ يَبْدَؤُا بِقِتَالٍ حَتَّى يُؤَاذِنَهُمْ ، وَبَيْنَمَا كَانَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلم مُشْتَغِلاً بِصَفِّ جُنُودِهِ ، ظَهَرَ القُرَشِيُّوْنَ في السَّهْلِ المُنْبَسِطِ ، تَحْتَ التَّلِّ ، وصَارَ الجَيْشَانِ وَجْهاً لِوَجْهِ .

وَظَهَرَتْ نِسَاءُ قُرَيْشٍ ، يَمْشِيْنَ بَيْنَ الصُّفُوْفِ ، وَيَضْرِبْنَ بالدُّفُوْفِ ، ويُنْشِدْنَ الأَنَاشِيْدِ ، تَحْرِيْضاً عَلَى القِتَالِ ، وإِثَارَةً لِلْحَمِيَّةِ بَيْنَ الرِّجَالِ .

اللهمَّ نَجّنا برحمتِكَ مِن النارِ وعافِنا مِن دارِ الخِزْيِ والبَوَارِ وأَدْخِلنا بِفَضْلِكَ الجنةَ دارَ القَرارِ وعامِلْنَا بكَرَمِكَ وَجُودِكَ يا كريمُ يا غفارُ واغْفِرْ لنا ولوالِدِيْنا ولجميعِ المسلمينَ الأحياءِ منهُم والميتينَ برحْمَتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ وصَلّى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين .

« فَصْــلٌ »

فَلَمَّا التقى الجَمْعَانِ ، بَدَأَ أَبُو سُفْيَانَ خُطَّةَ التَّخْذِيْلِ ، بَيْنَ الانْصَارِ والمُهَاجِرِيْنَ، فَنَادَى يَا مَعْشَرَ الأَوْسِ والخَزْرَجِ ، خَلُّوْا بَيْنَ وَبَيْنَ عَمِّنَا ، وَنَنْصَرِفُ عَنْكُمْ ، فَذَهَبَ نِدَاؤُهُ صَرْخَةً في الفَضَاءِ .

فَأَعْقَبَهُ أَبُو عَامِرٍ الْفَاسِقُ ، فَبَرَزَ بَيْنَ الصُّفُوْفِ يُنَادِي قَوْمَهُ الأَوْسَ ، يَا لَلأَوْسِ إليَّ إليَّ ، فَمَا كَانَ جَوَابُهُ مِنْهُمْ إلاَّ اللَّعْنَ والسَب والشتْمَ والرمِيَ بالحِجَارَةِ والطَّرْدِ حَتَّى وَلَّى مُخْتَزِياً خَجْلاَنَ ، يَقُولُ لِقُرَيْشٍ لَقَدْ أَصَابَ قَوْمِيْ بَعْدِيْ شَرٌّ .

وأَخْفَقَتْ خُطَّةُ التَّخْذِيْلِ ، كَمَا أَخْفَقَتْ خُطَّةُ المُفَاجَأَةِ ، فَلَم يَبْقَ مِنْ القِتَالِ مَفرٌ ، وَهُنَا حَاوَلَتْ قُرَيْشٌ أَنْ تُطَوِّقَ المُسْلِمِيْنَ ، وَتَضمُّ عَلَيْهِم جَنَاحَيْهَا بِحَرَكَةِ الْتِفَافٍ سَرِيْعَةٍ .

فَتحَرَكَ لِوَاءُ عِكْرَمَةَ مِنَ المَيْسَرَةِ ، يُرِيْدُ أَنْ يَدُورَ حَوْلَ عَسْكَرِهِمْ فَلَمْ يَسْتَطِعْ ذَلِك .

فَحَاوَلَ مِثْلَهُ خَالِدُ بنُ الوَلِيْدِ مِن المَيْمَنَةِ ، فَأَمْطَرَهُ الرُّمَاةُ وابِلاً مِنَ النِّبَالِ ، فارْتَدَّتْ الخيلُ على أَعْقَابِهَا مُسْرِعَةً .

فَعَادَ الكُفَارُ إلى أَمَاكِنِهِمْ كَمَا كَانُوا أَوَّلاً وبَدَأَ القِتَالُ بالمُبَارَزَةِ . فَخَرَجَ مِن صُفُوفِ المُشْرِكِيْنَ رَجُلٌ يَطْلُبُ المُبَارَزَةَ ، فَبَرَزَ لَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ ، فَقَتَلَهُ ، فَسُرَّ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَكَبَّر فَكَبَّرَ المُسْلِمُونَ .

وَشَدُّوْا عَلَى المُشْرِكِيْنَ ، وَهُمْ يَتَصَايَحُوْنَ صَيْحَةَ الحَرْبِ ، « أمِتْ أمِتْ » فَهجَمَ عَلِيُّ بنُ أبي طَالِبٍ عَلَى حَامِلِ لِوَائِهِمْ طَلْحَةِ بن أبِيْ طَلْحَة فَقَتَلَهُ، فَكَبَّرَ المُسْلِمُوْنَ ، وسُرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَتْلِه ، فإِنَّهُ هُوَ كَبْشُ الكَتِيْبَةِ .

وكانَ قَزْمَانُ يُعْرَفُ بالشَّجَاعَةِ ، وَقَدْ تَأَخَّرَ ، فَعَيَّرَتْهُ نِسَاءُ بَنِيْ ظَفَرٍ ، فأتى رسولَ اللهِ ﷺ ، وهُوَ يُسَوِّيْ الصُفُوْفَ حَتَّى انْتَهى إِلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ ، فَكَانَ عَلَى مَا قِيْلَ أَوَّلُ مَنْ رَمَى في صَفِ المُسْلِمِيْنَ بِسَهْمٍ ، فَجَعَلَ يُرْسِلُ نَبْلاً كَأَنَّهَا الرِّمَاحُ ، وَيَكُتُّ كَتِيْبَ الجَمَلِ ، ثُمَّ فَعَلَ بالسَّيْفِ الأَفَاعِيْلَ حَتَّى قَتَلَ سَبْعَةً .

وأَصَابَتْهُ جِرَاحُ فَوَقَعَ ، فَنَادَاهُ قَتَادَةُ بنُ النُعْمَان : أَبَا الغَيْدَاقِ هَنِيْئاً لَكَ الشَّهَادَةُ ، فقالَ إِنِّيْ واللهِ ما قَاتَلْتُ يَا أَبَا عَمْرٍو على دِيْنٍ ، مَا قَاتَلْتُ إِلَّا عَلى الحِفاظِ ، أَنْ تَسِيْرَ قُرَيْشٌ إِلَيْنَا حَتَّى تَطأَ سَعَفَنَا ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِي ﷺ ، فقالَ مِنْ أَهْلِ النارِ ، إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّيْنَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ .

ثم أَخَذَ اللِّوَاءَ أَخُو طَلْحَةَ عُثْمَانُ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ حَمْزَةُ فَقَتَلَهُ ، فَأَخَذَ اللِّوَاءَ أَخُوْهُمَا سَعِيْدٌ ، فَرَمَاهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ فَتَنَاوَبَ اللِّوَاءَ بَعْدَهُ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَوْلَادِ طَلْحَةَ ، وكُلُّهُمْ يُقْتَلُونَ وَاحِداً بَعْد وَاحِدٍ ، فَحَمَلَ اللِّوَاءَ غُلَامَ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ صُوءَابُ ، فَقُتِلَ ، وَسَقَطَ اللِّواءُ عَلَى الأَرْضِ ، فَأَخَذَ المُشْرِكُونَ بذَلِكَ أَخْذاً شَدِيْدَاً وانْكَسَرَتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَانْفَرَجَتْ صُفُوْفُهُمْ ، فَحَمَلَ المُسْلِمُوْنَ عَلَيْهِمْ حَمْلَةً صَادِقَةً ، وَأَمْعَنُوا فِيْهِم ضَرْباً بالسُّيُوفِ ، وَطَعْناً بالرِّمَاحِ ، وَرَمْياً بالسِّهَامِ ، فانْكَشَفُوا وَوَلَّوْا الأَدْبَارَ ، وَجَعَلَتْ نِسَاؤُهُمْ تَصِيْحُ وَتُوَلْوِلُ ، وَأَخَذنَ في الهَرَبِ والفِرَارِ ، مِن الأَسْرِ مُشَمِّرَاتٍ ، عَن أَسْيَاقِهِنَّ ، وَخَلَاخِيْلِهِنَّ ، وَتَتَبَعَ المُسْلِمُونَ أَعْدَاءَهُمْ يَضَعُوْنَ فِيْهِم السِّلَاحَ حَيْثُ شَاؤُا ، حَتَّى أَبْعَدُوْا عَن مُعَسْكَرِهِمْ .

اللَّهمَّ إن نَوَاصِيْنَا بِيَدَيْك ، وأُمُوْرُنا تَرْجِعُ إِلَيْك ، وأَحْوَالُنَا لَا تَخْفي

عَلَيْك ، وآلامُنَا وأحْزانُنا وهُمُومُنَا وغُمُومُنَا كُلُّها مَعْلُوْمَةٌ لَدَيْكَ ، اللهم قَدْ عَجزَتْ قُدْرَتُنَا ، وقَلَّتْ حِيْلَتُنَا ، وَضَعفَتْ قُوَّتُنَا ، وَتَاهتْ فِكْرَتُنَا ، واجْتَمَعَتْ عَلَينَا هُمُوْمُنَا وأوْصَابُنَا ، وأنْتَ مَلْجُؤُنَا ، وَمَلاذُنَا ، وَمَوْلانَا ، وسَيِّدُنَا ، وإلَيْكَ نَرْفَعُ بَثَّنَا وَحُزْنَنا ، وَشِكَايَتُنَا ، يَا مَن يَعْلَمِ سِرَّنَا وعَلاَنِيَتَنا ، اللَّهم اجْعَلْنَا مِمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ ، وأمِّن خَوْفَنَا إذَا وَصلْنَا إلَيْك ، ولا تُخَيِّبْ رَجَاءَنَا إذَا صِرْنَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، واجْعَلْنَا مِمَّن تَسُوقُهُ الضَّرُوْرَاتُ إلَيْك ، وَهَبْ لَنا مِن فَضْلِكَ العَظِيْم ، وَجُدْ عَلَينَا باحْسَانِكَ العَمِيْمْ وَمَتِّعْنَا بالنَّظَرِ إلَى وَجْهِكَ الكَرِيْم ،

اللَّهُمَّ مَكِّنْ حُبَّكَ في قُلوبِنا وألْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ ووفِّقْنا لامْتِثالِ طَاعَتِكَ وأمْرِكَ واغْفِرْ لَنَا ولِوالِدِيْنَا ولجَمِيعِ المُسْلِمينَ بِرَحْمتِك يَا أرْحمَ الرَّاحِمِين وصلّى الله على مُحَمّد وآلهِ وصحْبِهِ أجمَعِين .

« فَصْــلٌ »

ثُمَّ وَقَعُوا عَلَى الغَنَائِم والأَسْلاَبِ يَجْمَعُونَهَا وَيَنْتَهِبُوْنَهَا وَهُمْ مُطْمَئِنُونَ إلى أنْ ظُهُوْرَهُم لا تزالُ مَحْمِيَّةً بِرُمَاتِهِمْ ، أمَّا الرُّماةُ فَقَدْ خُيِّلَ لَهُمْ أنَّ المَعْرَكَةَ انْتَهَتْ ، وأنَّ الهَزِيْمَةَ قَدْ تَمَّتْ ، وَخَشُوْا أنْ يَسْبِقَهُم إخْوَانُهُمْ في جَمْعِ الغَنَائِمِ ، فَقَال بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، مَا بَقَاؤُنَا هُنَا ، وَقَد هَزَمَ اللهُ العَدُوَّ ، هَؤُلاءِ إخْوَانُكُمْ يَغْنَمُونَ ، فادْخُلُوْا فاغْنَمُوْا مَعَ إخْوَانِكُمْ ، فَذَكَّرَهُمْ أمِيْرُهُمْ عَهْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَوَصَيَّتَهُ لَهُمْ . وَحَذَّرَهُمْ عَاقِبَةَ الخِلاَفِ والعِصيانِ ، ولكِنْ لَمْ يَسْمَعُوْا مِنْهُ ، وظَنُّوا أنْ لَيْسَ لِلْمُشْرِكِينَ رَجْعَةٌ ، فَذَهَبُوا في طَلَبِ الغَنِيْمَةِ ، وأخْلَوا الثَّغْـرَ ، وَتركُوْا أَمِيْرَهُمْ في نَفَرٍ مِنْ أصْحَابِهِ لاَ يُجَاوِزُوْنَ الْعَشَرَةَ ، فانْكَشَفَ بِذَلِكَ الحِصْنُ الذي كَانَ يَحْمِيْ ظُهُوْرَ المُسْلِمِيْنَ ، وَكَانَ خَالِدُ بنُ الوَلِيْدِ يَتَقَهْقَرُ وَعَيْنُهُ إلى التَّلِ لاَ تُفَارِقُهُ ، فَلَمَّا رَأى الرُّمَاةَ يَتْرُكُوْنَ مَوَاقِفَهُمْ انْقَلَبَ رَاجِعاً في دَوْرَةٍ ، وَاسِعَةٍ مُتَّخِذاً مِن الأَرَاضِي المَسْتُوْرَةِ دَرْباً وَطَرِيْقاً

لَهُ ، وَجَاءَ في أَعْقَابِهِ عِكْرِمَةُ بِلِوَائِهِ ، فَتَسَلَّلوا فَوْقَ الجَبَلِ وازاحُوْا الرُّماةَ البَاقِيْنَ مِنْ أَمَاكِنِهِمْ ، واقْتَحَمُوْا خُطُوطَ المُسْلِمِيْنَ مِن الخَلْفِ ، وَجَعَلُوْا يَتَنَادَوْنَ بِشِعَارِهِمْ ، يَا لَلْعُزَّى ، يَا لِهُبَلْ ، فَأَقْبَلَ المُشْرِكُونَ بَعْدَ إِدْبَارِهِمْ ، وأخَذَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ الحَارِثِيَّةُ اللِّواءُ فَرفَعَتْهُ ، فَجَعَلوا يَلُوْذُوْنَ بِهِ ، وفُوْجِىءَ المُسْلِمُونَ بِأَعْدَائِهِم قَدْ حَاصَرُوْهُمْ وأوْجَعُوْا فِيْهِمْ قَتْلاً ذَرِيْعاً ، فاضْطَرَبَ أمْرُهُمْ وانْتَقَضَتْ صُفُوْفُهُمْ ، وَجَعَلُوا يُقَاوِمُوْنَ عَلَى غَيْرِ نِظَامٍ ، ويُقَاتِلُونَ عَلَى غَيْرِ شِعَارٍ ، وَتركُوا مَا انْتَهَبوا وَخَلُّوا مَنْ أَسَرُوْا ، وتَفرَّقُوْا فى كُلِّ وَجْهٍ. وهذه عاقبة الحرص على الدنيا والعجلة المثمرة للندامة».

شعراً: ومُسْتَعْجِلٍ والمُكْثُ أدْنَى لِرُشْدِه ولمْ يَدْرِ ما يَلْقَاهُ حِيْنَ يُبَادِرُ

وَنظرَ حُذَيْفَةَ إِلَى ابنِهِ اليَمَانِ والمُسْلِمُونَ يُرِيْدُوْنَ قَتْلَهُ وَهُمْ يَظُنُّونَهُ مِن المُشْرِكِيْنَ ، فَقَالَ أَيْ عِبَادَ اللهِ أَبِي ، فَلَمْ يَفْهَمُوا قَوْلَهُ حَتَّى قَتَلُوهُ ، فَقَال يَغْفِرُ اللهُ لكمُ ، فأرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَدِيَهُ ، فَقَالَ قَدْ تَصَدَّقْتُ بِدِيتِهِ على المسلمين فزَادَ ذَلِكَ حُذَيْفَةَ خيْرًا عِنْدَ النبي ﷺ .

وَقَال زَيْدُ بنُ ثَابتٍ بَعَثَنِي رسولُ اللهِ ﷺ يومَ أُحُدٍ أطْلُبُ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيْعِ فَقَالَ لِيْ إنْ رأيْتَهُ فَاقْرأْهُ مِنِّيْ السَّلاَمَ وقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَيْفَ تَجِدُكَ قَالَ فَجَعَلْتُ أَطُوفُ بَيْنَ القَتْلَى فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ بِآخِرِ رَمَقٍ وفيهِ سَبْعُوْنَ ضَرْبَةً مَا بَيْنَ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ وَضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهمٍ .

فقُلْت يَا سَعْدُ إنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامُ وَيَقُولُ لَكَ أَخْبِرْنِيْ كَيْفَ تَجِدُكَ فَقَالَ وَعَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ السلام قُلْ لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ أجِدُ رِيْحَ الجَنَّةِ وقل لِقَومي الأنصار لاَ عُذْرَ لَكُم عندَ اللهِ إنْ خُلِصَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِيْكُم عَيْنٌ تَطْرُفُ وَفَاضَتْ نَفْسُهُ مِنْ وَقْتِهِ .

شعـــــرا :

وَمَا المَرْءُ إلاَّ حَيْثُ يَقْضِي حَيَاتَهُ لِنُصْرَةِ دِيْنِ اللهِ لاَ لِلتَّكَاثُـــــرِ

آخر: ومَاالبَأسُ إلاَّفي لحَدِيْدِمُرَكبٌ وما العِزُّ إلاَّ في التُّقَى والدِّيَانَةِ

وَمَرَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ بِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ يَتَشَحَّطُ في دَمِهِ فقالَ يا فُلانُ أَشَعَرْتَ أَنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُتِلَ فقال الانصاري إنْ كان مُحَمَّدٌ قَدْ قُتِلَ فَقَدْ بَلَّغَ فَقَاتِلُوْا عَنْ دِيْنِكُم فَنَزَلَ (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ الآية .

وأَكْرَمَ اللهُ بالشَّهَادَةِ مَن أكْرَمَ وَهُمْ سَبْعُوْنَ ، وفي وَسَطِ هَذِهِ الدَّهْشَةُ البَالِغَةُصَرَخَ إِبْلِيْسُ بأَعْلَى صَوْتِهِ إنَّ « مُحَمَّداً قَدْ قُتِلَ ، وَوَقَعَ ذَلِكَ في قُلوبِ كَثِيْرٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ ، وَفَرَّ أَكْثَرُهُمْ ، وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً .

وَمَرَّ أَنَسُ بْنَ النَّضْرِ بِقَوْمٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ قَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيْهِمْ ، فَقَالَ مَا تَنْتَظِرُوْن ، فَقَالُوا قُتِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ فَمَا تَصْنَعُونَ بالحياةِ بَعْدَهُ ، قُوْمُوْا مُوْتُوْا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيهِ .

وَخَلَص المُشْرِكُونَ إِلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ ، وَثَبَتَ ﷺفي وَجْهِ العَدُوِّ ، وَقَاتَلَهُم قِتالاً شَدِيداً فَظَلَّ يَرْمِيْ بِالنَّبْلِ حَتَّى فَنِيَ نَبْلُهُ ، وانْكَسَرَتْ سِيَّةُ قَوْسِهِ ، وانْقَطَعَ وَتَرُهُ ، ثم ظَلَّ يَرْمِيْهِم بالحِجَارَةِ ، حَتَّى وَقَعَ لِشِقِّهِ .

وَثَبَتَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنَ أَصْحَابِهِ ، قِيْلَ إِنَّهُمْ دُوْنَ العَشَرَةِ ، وَقِيْلَ إِنَّهُمْ فَوقَ العَشَرَةِ ، فَبَايَعُوْهُ عَلَى المَوْتِ ، وَأَحَاطُوْا بِهِ ، يَصُدُّوْنَ عَنْهُ هَجَمَاتِ العَدوِّ ، الذيْنَ أَحْدَقُوْا بِهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ .

وَشَدُّوْا عَلَيْهِ ،يَرِيْدُوْنَ أَنْ يَقْتُلُوهُ،فَمَازَالَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُيَذُوْدُوْنَ عَنْهُ، وَيُقَاتِلُونَ دُوْنَهُ ، وَيَتَلَقَّوْنَ ضَرَبَاتِ العَدُوِّ ، وَلَكِنَّ العَدُوَّ جَرَحَ وَجْهَهُ ﷺ ، وَكَسَرَ رَبَاعِيَّتَهُ،وَهَشَمُوْا البَيْضَةَ عَلَى رَأْسِهِ،وَرَمَوْهُ بالحِجَارَةِ ، حَتَّى وَقَعَ وَسَقَطَ في حُفْرَةٍ مِنَ الحُفَرِ الَّتِيْ كَانَ أَبُوْ عَامِرٍ الفَاسِقُ يَكِيْدُ بِهَا المُسْلِمِيْنَ،

فَأَخذَ عَلِيٌّ بِيَدِهِ ، وَاحْتَضَنه طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ ، وَكَانَ الذي تَوَلَّى أَذاهُ ﷺ عَمْرو بنُ قَمِئَة وَعُتبة بْنُ أَبِيْ وَقَّاصٍ ، وَقِيْلَ إِنَّ الذي شَجَّهُ عَبْدُ اللهِ بنُ شِهَابٍ الزُهْرِيْ عَمُ مُحَمَّد بنِ مُسْلِم بن شِهَاب الزُهْري ، وَقُتِلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ بَيْن يَدَيْهِ ، فَدَفَعَ اللِّوَاءَ إلى عَلِي بن أَبِيْ طَالِبٍ ، وَنَشَبَتْ حَلْقَتَانِ مِنْ حِلَقِ المِغْفَر في وَجْهِهِ ، فَانْتزَعهُمَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ ، وَعَضَّ عَلَيهِمَا حَتَّى سَقَطَتْ ثَنِيَّتَاهُ مِن شِدَّةِ غَوْصِهِمَا في وَجْهِهِ ﷺ .

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا في سِلْكِ الفَائِزِيْنَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ المُتَّقِيْنَ الذِيْنَ أَعْدَدْتَ لَهُمْ فَسِيْحَ جِنَانِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ في دَارِ أَمَانِكَ ، وَعَافِنَا يَا مَوْلاَنَا في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ جَمِيْعِ البَلاَيَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهِبَاتِكَ وَمَتِّعْنَا بِالنَّظَرِ إلى وَجْهِكَ الكَرِيْمِ مَعَ الذِيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَم الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلى اللهُ عَلى مُحمدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْــــلٌ »

وَقَدْ أَبْلَى النَّفَرُ الذينَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في الدِّفَاعِ عَنْهُ أَحْسَنَ البَلَاءِ ، وامْتَازَ فَرِيْقٌ مِنْهُمْ في دِفَاعِهِ بِالصِّدْقِ وَالشَّجَاعَة ، فَقَدْ قَاتَلَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ عَنهُ قِتَالاً شَدِيْداً ، وَصَارَ يَذُوْدُ عَنْهُ بِالسَّيْفِ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وعن يَمِيْنِهِ وعن شِمَالِهِ ، وَيَدُوْرُ حَوْلَهُ يُتَرِّسُ بِنَفْسِهِ دُوْنَهُ، وَالسُيُوْفُ تَغْشَاهُ ، وَالنَّبْلُ يَأْتِيْهِ مِن كُلِّ جِهَةٍ .

شعــــرا :

كَفَانِي فَخْراً أَنْ أَمُوْتَ مُجَاهِــداً   وَحُبُّ إِلهِيْ قَائِدِيْ مُنْذُ نَشْــأتِي

فَلَمْ يَزَلْ يَقِيْ رَسُولَ اللهِ ﷺ بنَفْسِهِ حَتَّى أَجْهَضَهُمْ عنهُ ، فَانكَشَفُوا عَنْهُ ، فَكَانَ أَعْظَمَ الناسِ غِنَاءً عن رسولِ اللهِ ﷺ ، فَجَعَلَ ﷺ يَقُولُ قَدْ أَوْجَبَ طَلْحَةُ .

وفي مَغَازِي الأَمَوي أَنَّ المُشْرِكِينَ صَعِدُوْا عَلَى الجَبَلِ فَقَال رسولُ الله ﷺ لِسَعْدٍ ، اجْبُنْهُمْ ـ يَقُولُ ارْدُدْهُمْ ـ فقال كَيْفَ أَرُدُّهُمْ وَحْدِي ، قَالَ ذَلِكَ ثَلاثاً .

فَأَخَذَ سَعْدُ سَهْماً مِن كِنَانَتِهِ فرَمَى بهَا رَجُلاً فَقَتَلَهُ ، قَالَ ثُمَّ أَخَذْتُ سَهْمِيْ أَعْرِفُهُ فَرَمَيْتُ بِهِ آخرَ فَقَتَلْتُهُ ، ثُمَّ أَخَذْتُهُ أَعْرِفُهُ فَرَمَيْتُ بِهِ آخرَ فقَتَلْتُهُ ، فَهَبَطُوا مِن مَكَانِهِمْ ، فَقُلْتُ هَذَا سَهْمُ مُبَارَكٌ فَجَعَلْتُهُ في كِنَانَتِيْ فَكَانَ عِنْدَ سَعْدٍ حَتَّى مَاتَ ، ثُمَّ كَانَ عِنْدَ بَنِيْهِ .

وَقَاتَلَتِ المَلاَئِكَةُ يَوْمَ أُحُدٍ عَن رَسُوْلِ اللهِ ﷺ . فَفِي الصَّحِيْحَيْنِ عَن سَعْدِ بنِ أبي وَقَّاسٍ قال رأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يومَ أُحدٍ ، وَمَعَهُ رَجُلاَنِ يُقَاتِلاَنِ عَنْهُ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيْضٌ كأشدِّ القِتَالِ ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ .

وَقَالَ نَافِعُ بنُ جُبَيْرٍ سَمِعْتُ رَجُلاً مِن المُهَاجِرِيْنَ يَقُولُ شَهِدْتُ أُحُداً فَنَظَرْتُ إِلَى النَّبْلِ يَأْتِيْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَسَطَهَا كُلُ ذَلِكَ يُصْرَفُ عَنْه .

وَرَمَى حِبَّانُ بنُ العَرِقَةِ بِسَهْمٍ فأصابَ ذَيْلَ أُمِّ أَيْمَنَ ـ وَقَدْ جَاءَتْ تَسْقِيْ الجَرْحَى ـ فَانكَشَفَ عَنْهَا فإِسْتَغرَقَ في الضَّحِكِ .

فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَدَفَعَ إِلى سَعْد ابن أَبِي وَقَّاصٍ سَهْماً لا نَصْلَ لَهُ فَقَالَ ارْمِ فَوَقَعَ السَّهْمُ في نَحْرِ حِبَّانَ فَوَقَعَ مُسْتَلْقِياً وَبَدتْ عَوْرَتُهْ .

فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. ثُمَّ قالَ: اسْتَقَادَ لَهَا سَعْدٌ أَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ وَسَدَّدَ رَمْيَتَكْ .

وَكَانَ شَمَّاسُ بنُ عُثْمَانَ بنِ الشَّرِيْدِ المَخْزُوْمِيْ لَا يَرْمِيْ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَصَرَهُ يَمِيْناً ولَا شِمَالاً إلَّا رَآهُ في ذَلِكَ الوَجْهِ بِسَيْفِهِ حَتَّى غُشِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺفترَّسَ بِنَفْسِهِ دُوْنَهُ حَتَّى قُتِلَ رَحِمَهُ اللهُ .

وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَامِياً شَدِيْدَ الرَّمْيِ فَنَثَرَ كِنَانَتَهُ بَيْنَ يَدَي رسولِ اللهِ ﷺ وَصَارَ يَرْمِي عَنْهُ وَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كُلَّمَا مَرَّ بِهِ أَحَدٌ مِن أَصْحَابِهِ مَعَهُ كِنَانَةٌ يَقُولُ لَهُ أَنْثُرْهَا لأَبِي طَلْحَةَ .

وَكُلَّمَا رَمَى أَبُو طَلْحَة سَهْماً نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن وَرَائِهِ لِيَرَى مَوْقِعَ السَّهْمِ فَيَقُوْلُ أَبُو طَلْحَةَ يَا نَبِيَّ اللهِ بِأَبِيْ أَنْتَ وأُمِّيْ لَا تَنْظُر يُصِيْبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ القَوْمِ نَحْرِيْ دوْنَ نَحْرِكَ وَوَجْهِي لِوَجْهِكَ فَدَاءٌ .

وَتَرَّسَ أَبُو دُجَانَةَ بِنَفْسِهِ دُوْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَعَلَ النَّبْلُ يَقَعُ في ظَهْرِهِ وهُو مُنْحَنٍ على رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى كثر فِيْهِ النَّبْلُ وَرَمَى سَعْدُ بنُ أَبِيْ وَقَّاصٍ دُوْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُنَاوِلُهُ النَّبْلَ وَهُوَ يَقُولُ « ارْمِ فِدَاكَ أَبِيْ وأُمِيْ » حَتَّى إِنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ السَّهْمَ مَالَهُ نَصْلٌ فَيَقُولُ لَهُ أرْمِ بِهِ فَيَرْمِي بِهِ .

وَدَافَعَتْ عَن رَسولِ اللهِ ﷺ أُمُّ عِمَارَةَ وَهِيَ نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ المَازِنِيَّةُ وَكَانَتْ تَسْقِيْ الناسَ يَومَ أُحُدٍ فَلَمَّا رأَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أُحِيْطَ بِهِ وَانْهزَمَ عَنْهُ الناسُ وَضَعَتْ سِقَاءَهَا وَأَخَذَتْ سَيْفاً فَجَعَلَتْ تُقَاتِلُ أَشَدَّ القِتَالِ وَإِنَّهَا لَحَاجِزَةٌ

ثَوْبَهَا عَلَى وَسَطِهَا حَتَّى جُرِحَتْ ثَلاَثَةَ عَشَرَ جُرْحاً وَظَلَّ عَلَى عَاتِقِهَا مِن هَذهِ الجِرَاحِ جُرْحٌ أَجْوَفَ لَهُ غَوْرٌ أَصَابَهَا بِهِ ابْنُ قَمِئَةَ .

وَقَدْ سُمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ « مَا الْتَفَتُّ يَمِيْناً وَلاَ شِمَالاً إلاَّ أنا أَرَاهَا تُدَافِعُ دُوْنِي » .

وَجَاءَ في رِوَايَةٍ خَرَجَتْ نُسَيْبَةُ يَوْمَ أُحُدٍ وَزَوْجُهَا زَيدُ بْنُ عَاصِمٍ وأبْنَاهَا حَبِيْبٌ وَعَبْدُ اللهِ وَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ باركَ اللهُ عَلَيْكُم أَهْلَ البَيْتِ فَقَالَتْ لَهُ نُسَيْبَةُ رَضِيَ اللهُ عَنها أدْعُ اللهَ أَنْ نُرَافِقَكَ في الجَنَّةِ .

فَقَالَ اللَّهُمَّ إجْعَلْهُمْ رُفَقَائِي في الجَنَّةِ .

وَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مَا أُبَالِيْ مَا أَصَابَنِيْ مِنَ أَمْرِ الدُّنْيَا فَهَذِهِ حَقاً شَجَاعَةٌ مُدْهِشَةٌ لإمْرَأَةٍ وَقَدْ تَحَمَّلَتْ مَا أَصَابَهَا مِن الجِرَاحِ في سَبِيْلِ اللهِ وَهُوَ مَا يَعْجَزُ عن تَحَمُّلَهُ الرِّجَالُ فَضْلاً عَن النِّسَاءِ (ذلكَ فضلُ اللهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَشَاءُ واللهُ ذُو الفضلِ العظِيم) .

اللهم اجعلنا مِن الذينَ إذَا أحْسَنُوا اسْتَبْشَرَوْا وإذَا أسَاؤُا اسْتَغْفَرُوْا اللهم زِدْنَا وَلاَ تَنْقُصْنَا وأكْرِمْنَا ولا تُهِنَّا وأعطِنَا ولا تَحْرِمْنَا وآثِرْنَا ولاَ تُؤْثِرْ عَلَيْنَا وأَرْضِنَا وارْضَ عَنَّا واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْن برَحْمَتِكَ يا أرحَمَ الراحمين

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيْعَ السَّموات وَالأَرْض نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنا لِمَا فِيهِ صَلاَحُ دِيْنِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَنْيَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ برَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصحبه أَجْمَعِيْن .

« فَصْــلٌ »

وَكَانَ الحُبَابُ بنُ المُنْذِرِ يَحُوْشُ المُشْرِكِيْنَ كَمَا تُحَاشُ الغَنَمُ واشْتَمَلُوا عَلَيْه مَرَّةً حَتَّى قِيْلَ قَدْ قُتِلَ .

ثُمَّ بَرَزَ والسَّيْفُ في يَدِهِ ، وَقَدْ افْتَرَقُوا عَنْهُ ، وَجَعَلَ يَحْمِلُ عَلَى فِرْقَةٍ مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَهْرُبُوْنَ .

وَقَامَ زِيَادُ بنُ السَّكَنِ في نَفَرٍ مِن الأَنْصَارِ فَقَاتَلُوا دُوْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلاً ثُمَّ رَجُلاً وَهُمْ يُقْتَلُوْنَ دُوْنَهُ حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ زِيَادُ فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الجِراحُ فَوَسَّدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ رِجْلَهُ حَتَّى مَاتَ .

وَمَاتَ مِصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ دُوْنَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَتَلَقَّى عَنْهُ ضَرْبَةً قَدْ سُدِّدَتْ إِلَيْهِ قَتَلَهُ ابْنُ قَمِئَةَ وَهُوَ يَحْسِبُهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَذَهَبَ يُذِيْعُ بَيْنَ الكُفَّارِ .

وَقَدْ مَاتَ في ذَلِكَ اليَوم دُوْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَلْقٌ كَثِيْرٌ كُلُّهُمْ يُفَدِّيْهِ بِنَفْسِهِ وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ العَدُوِ حَتَّى يُصْرَع .

وَرَوَى الوَاقِدِي عَن سُفْيَانَ بن عُيَيْنَةَ قَالَ لَقَدْ أُصِيبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ نَحْوٌ مِنْ ثَلاثِيْنَ كُلُّهُمْ يَجِيْءُ حَتَّى يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ وَجْهِيْ لِوَجْهِكَ الفِدَاءُ وَنَفْسِيْ لِنَفْسِكَ الفِدَاءُ وَعَلَيكَ سَلامُ اللهِ غَيْرَ مُوَدَّعٍ .

ثم عَرَفَ المُسْلِمُونَ أن رَسولَ اللهِ ﷺ لا يَزَالُ حَيّاً فأحَاطُوْا بِهِ حَتَّى كَشَفُوْا عَنْهُ العَدُوَّ .

وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ عَرَفْتُ عَيْنَيْهِ تَزْهُرَانِ مِن تَحْتِ المِغْفَرِ فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ أبْشِرُوْا هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَشَارَ إِليَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أَنْصِتْ .

وَفَاءَتْ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ جَمَاعَةٌ مِن المُسْلِمِيْنَ فَنَهَضُوْا بِهِ إِلى الشِّعْبِ فَاحْتَمَى بِهِ مع مَن كَانَ يَحْتَمِيْ هُنَاكَ مِن أَصْحَابِهِ .

وَنَهضَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ إلى صَخْرَةٍ مِنْ الجَبَلِ لِيَعْلُوهَا فلَمْ يَقْدِرْ لِكَثْرَةِ النَّزِيْفِ الذِي خَرَجَ مِن الجِرَاحِ فَجلَس تَحْتَهُ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ فَنَهضَ بِه حَتَّى اسْتَوى عَلَيْهَا .

وَحَانَتِ الصَّلاَةُ فَصَلَّى بِهِمْ جَالِساً وَصَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَلِكَ اليَوم تَحْتَ لِوَاءِ الأَنْصَار وَشَدَّ حَنْظَلَةُ الغَسِيْلُ ـ وَهُوَ حَنْظَلَةُ بنُ أَبِي عَامِرٍ ـ عَلِيَ أَبِي سُفْيَان فَلَمَّا تَمكَّنَ مِنْهُ حَملَ عَلَى حَنْظَلَةَ شَدَادُ بنُ الأَسْوَدِ فَقَتَلَهُ وَكَانَ جُنُباً فَانَّهُ سَمِعَ الصَّيْحَةَ وَهُوَ عَلَى امْرَأتِـهِ فَقَامَ مِن فَـوْرِهِ إلى الجِهَادِ فَـأَخْبَـرَ رسُولُ اللهِ ﷺ أَصْحَابَهُ أَنَّ الملائِكَةَ تُغَسِّلُهُ ثُمَّ قَالَ « سَلُوا أَهْلَهُ مَا شَأنُهُ فَسَأَلُوا امْرَأَتَهُ فَأَخْبَرَتْهُمْ الخَبَرَ . وَعِنْدَمَا امْتَدُّوْا صُعُوْداً في الجَبَلِ أَدْرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَيَّ بْنَ خَلَفٍ عَلَى جَوَادٍ لَهُ اسْمه العَوْدُ كَانَ يُطْعِمُهُ في مَكَّةَ وَيَقُولُ أَقْتُلُ عَلَيْهِ مُحَمَّداً ، فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالَ بَلْ أَنَا أَقْتُلُهُ إنْ شَاءَ اللهُ فَلَمَّا أَدْرَكَهُ تَنَاوَلَ ﷺ ؛ الحَرْبَةَ مِنَ الحَارِثِ ، وَطَعَنَ بِهَا عَدُوَ اللهِ في تَرْقُوَتِه فَكَرَّ عَدُو اللهِ مُنْهَزِماً ، فَقَالَ لَهُ المشركون واللهِ ما بِكَ مِن بَأْسٍ ، فَقَالَ واللهِ لَوْ كَانَ مَا بِي بِأَهْلِ المَجَازِ لَماتُوا أَجْمَعِيْنَ ، وَمَاتَ في طَرِيْقِهِ بِسَرِفٍ مَرْجِعَهُ إلَى مَكَةَ .

وَقَالَ ابنُ عُمَرَ إِنِّي لأَسِيْرُ بِبَطْنِ رَابِغٍ بَعْدَ هُوِي مِن اللَّيْلِ إذا نَارٌ تَأَجَّجُ لِيْ فَيَمَّمْتُهَا فاذَا رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنها فِي سِلْسِلَةٍ يَجْتَذِبُهَايَصِيْحُ العَطَش العَطَشَ ، وإذَا رَجُلٌ يَقُولُ لا تَسْقِهِ هَذَا قَتِيْلُ رَسولِ اللهِ ﷺ هَذَا أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ .

وظَنَّ المشركون أَنَّهُم قَدْ انْتَقَمُوا لِيوم بَدْرٍ وَشَفُوا نُفُوْسَهُمْ وأَخَذَتِ المَعْرَكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ تَهْدأُ حِدَّتُهَا وَتَخْمُدُ حَرَارَتُهَا ، فانْحَازَ المشركُونَ إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ ، وَشُغِلُوْا بِدَفْنِ قَتْلاَهُمْ ، وَأَخَذَتْ نِسَاؤُهُمْ يُمَثِّلْنَ بالقَتْلَى مِن المُسْلِمِيْنَ ، وَمَثَّلَتْ هِنْدُ بنتُ عُتْبَةَ بِحَمْزَةَ رَضِيَ اللهُ عنه أَفْظَعَ تَمْثِيْلَ حَتَّى

بَقَرتْ بَطْنَهُ وأَخْرجَتْ كَبِدَهُ ولاَكَتْها فَلَمْ تَقْدِرْ على أنْ تُسيْغَها ولَفظَتْها .

وَلَمَّا وقَفَ عَليهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ المعْرَكَةِ تأَثَّرَ تأثُّراً شَدِيْداً وَقالَ ﷺ لَنْ أُصابَ بِمِثْلِكَ أبداً وَمَا وَقَفْتُ قطُ مَوْقِفاً أَغْيَظَ مِن هَذا .

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « أَكَلَتْ شَيْئاً » قالُوا : لاَ . قالَ « مَا كَانَ اللهُ لِيُدْخِلَ شَيْئاً مِنْ حَمْزَةَ في النَارِ » .

وَقالَ ﷺ لِوَحْشِي الذيْ قَتَلَ حَمْزَةَ هَلْ تَسْتَطِيْعُ أنْ تُغَيِّبَ وَجْهكَ عَنِّيْ قَالَ وَحْشِيْ فَخَرجْتُ فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَخَرج مُسَيْلِمَةُ الكَذابُ قُلْتُ لأخْرُجَنَّ إلَيْهِ لَعَلِّيْ أَقْتُلُهُ فَأُكافِيءُ بِهِ حَمْزَةَ قَالَ فَخَرَجْتُ مَعَ الناسِ ثمَّ رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِيْ فَأَضَعُها بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِن بَيْنِ كَتِفَيْهِ قالَ وَوَثَبَ عَليهِ رَجُلٌ مِن الأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بالسَّيْفِ عَلَى هَامتِهِ .

قَالَ ابنُ هِشَامٍ فَبَلَغَنِيْ أَنَّ وَحْشِياً لَمْ يَزَلْ يُحَدُّ فِي الخَمْرِ حَتَّى خُلِعَ مِن الدِّيْوَانِ .

فكانَ عُمَرُو بنُ الخطابِ يَقُولُ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ قَاتِلَ حَمْزَةَ .

وَرَوَى الدارَ قُطْنِيُ باسنادٍ عَلَى شَرْطِ الشَيْخَيْن عن سَعِيْدِ بْنِ المُسَيَّبَ قَالَ كُنْتُ أَعْجَبُ لِقَاتِلِ حَمْزَةَ كَيْفَ يَنْجُوْ حَتَّى إنَّهُ مَاتَ غَرِيْقاً في الخَمْرِ .

وَقَالَ عبدُ اللهِ بنُ جَحْشٍ بنُ خُزَيْمَةَ الأَسَدِيُ يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ هَؤُلاَءِ القَومَ قَدْ نَزلُوا حَيْثُ تَرى ، وَقَدْ سَأَلْتُ اللهَ فَقُلْتُ : اللّهم إنِّيْ أُقسِمُ عَلَيْكَ أَنْ نَلْقى العَدُوَّ غداً ، فَيَقْتُلُوْنَنِيْ ، وَيَبْقُرُوْنَنِيْ ، وَيُمَثِّلُون بِيْ ، فألقَاكَ مَقْتُولاً قَدْ صُنِعَ هَذا بِي،فَتقُولُ فِيْمَ صُنِعَ هَذا بِكَ ، فَأَقُولُ فِيْكَ ، وَأَنَا أَسْأُلكَ أُخْرَى ، أَنْ

تَلِيَ تركَتِي مِنْ بَعْدِيَ ، فَقَالَ نَعَمْ فَخَرَجَ حَتَّى قُتِلَ ، وَمُثِّلَ بِهِ وَدفن هو وحمزة رضي الله عنهما في قبر واحد .

وَوَلِيَ تركَتَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فاشْتَرَى لابْنِهِ مَالاً بخَيْبَرَ ، فَأَقْبَلَتْ أُخْتُهُ حَمْنَةُ بنْتُ جَحْشٍ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ يا حَمْنَةُ احْتَسِبِيْ ، قَالَتْ مَنْ يا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ خَالَكَ حَمْزَةَ ، قَالَت إِنَّا للهِ وإنا إِلَيْهِ رَاجِعُونْ ، غَفَرَ اللهُ لَهُ وَرَحِمَه هَنِيْئاً لَهُ الشَّهَادَةُ .

ثم قَالَ لَهَا احْتَسِبِيْ قَالَتْ مَنْ يا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ ، قَالَتْ وَاحَزنَاهْ ، وفي روايةٍ أَنَّهَا قَالَت واعَقْرَاهْ ، فَقَالَ ﷺ إِنَّ لِلزَّوْجِ مِنَ المَرْأَةِ مَكَاناً مَا هُوَ لأَحَدٍ .

ثم قَالَ لَهَا لِمَ قُلْتِ هَذَا قَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتُ يُتْمَ بَنِيْهِ فَرَاعَنِيْ ، فَدَعَا رَسُوْلَ اللهِ ﷺ لِوَلَدِهِ أَنْ يُحْسِنَ عَلَيْهِمُ الخَلَفُ ، فَتَزَوَجَتْ طَلْحَةَ ، فَوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّدَ بْنَ طَلْحَةَ ، فكانَ أَوْصَلَ الناسِ لِوَلَدِهَا ، وَكانَتْ حَمْنَةُ خَرَجَتْ يَوْمَئِذٍ إِلَى أُحدٍ مَعَ النِّسَاءِ يَسْقِيْنَ المَاءَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا

شعرا :

تَبَارَك مَنْ عَمَّ الوَرَى بِنَوَالِهِ
وَأَوسَعَهُمْ فَضْلاً بِإِسْبَاغِ نِعْمَةِ
وَقَدَّرَ أَرْزَاقاً لَهُمْ وَمَعَايِشاً
ودَبَّرَهُمْ فِيْ كُلِّ طَوْرٍ وَنَشْأَةِ
أَحَاطَ بِهِمْ عِلْماً وَأَحْصَى عَدِيْدَهُم
وَصَرَّفَهُم عَن حِكْمَةٍ والمَشِيْئَةِ

ولله بَيْنَ المُؤْمِنِيْنَ وَمِنْهُم
بِكُلِ زَمانٍ كَمْ مُنِيْبٍ وَمُخْبِتِ
وَكَمْ سَالِكٍ كَمْ نَاسِكٍ مُتَعَبِّدٍ
وَكَمْ مُخْلِصٍ في غَيْبِهِ والشَّهَادَةِ
وَكَمْ صَابِرٍ كَمْ صَادِقٍ مُتَبَتِّلٍ
إلى اللهِ عَنْ قَصْدٍ صَحِيْحٍ وَنِيَّةِ
وَكَمْ قَانِتٍ أَوَّابَ في غَسَقِ الدُّجَى
مِنَ الخَوْفِ مَحْشُوُ الفُؤَادِ وَمُهْجَةِ
يُنَاجِيْ بآياتِ القُرآنِ إلَهَهُ
بِصَوْتٍ حَزِيْنٍ مَعْ بُكَاءٍ وَخَشْيَةِ
وَكَمْ ضَامِرِ الأَحْشَاءِ يَطْوِي نَهَارَهُ
بِحَرِ هُجَيْرٍ مَا تَهَنَّا بِشَرْبَةِ
وَكَمْ مُقْبِلٍ في لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ
عَلَى طَاعَةِ المَوْلَى بِجِدٍّ وَهِمَّةِ
وَكَمْ زَاهِدٍ في هَذِهِ الدَارِ مُعْرِضٍ
وَمُقْتَصِرٍ منها عَلَى حَدِ بُلْغَةِ
تَزَيَّنَتِ الدُنْيَا لَهُ وَتَزَخْرَفَتْ
فَغَضَّ وَلَم يَغْتَرَّ مِنْهَا بِزِيْنَةِ
وَكَمْ عَالِمٍ بِالشَّرْعِ للهِ عَامِلٌ
بِمُوجَبِهِ في حَالِ عُسْرٍ وَيُسْرَةِ
وَكَمْ آمرٍ بِالرُّشْدِ نَاهٍ عَنْ الرَّدَى
سَرِيْعٍ إلى الخَيْراتِ مِنْ غَير فَتْرَةِ

فــإنْ شِئْتَ أنْ تَحْيَــا سَعِيْــداً مُــوَفَقَــاً
وَتُحْــظَى بفَــوزٍ عِنْــدَ نَشْــرِ الصَّحِيْفَــةِ

فَحَــافِظْ عَلَى المَفْرُوْض مِنْ كُــلِّ طَاعَــةٍ
وأكْـثِـرْ مِنَ الــنَّفْــلِ الـمُفِيْــدِ لِقُــرْبَــةِ

بِــكُنْــتُ لَــه سَمْعــاً إلَى آخِــرِ الــنَّبَــا
عَــنِ اللهِ في نصِّ الــرَّسُــولِ الـمُثْبــتِ

وكُــنْ في طَعَــامٍ والْـمَنَــام وَخِلْطَةٍ
ونُــطْقٍ عَــلى حَــدٍّ اقْــتِـصَــارٍ وقِــلَّةِ

وَجَــالِسْ كِتَــابَ اللهِ واحْلُلْ بِسَــوْحِــهِ .
وَدُمْ ذَاكِراً فَــالــذِّكْــرُ نُــوْرُ السَّــرِيْــرَةِ

عَــلَيْــكَ بِــهِ في كُــلِّ حِيْنٍ وحَــالَــةٍ
وبــالفِكْــرِ إنَّ الفِكْــر كُحْــلُ البَـصِيْــرَةِ

وَكُــنْ أَبَداً فَــي رَغْــبَــةٍ وَتَــضَــرُّعٍ
إلى اللهِ عن صِــدْقٍ افْــتِقَارٍ وَفَــاقَــةِ

وَوَصْــفِ اضْــطِرَارٍ وانْــكِـسَــارٍ وَذِلَــةٍ
وقَــلْبٍ طَــفُــوْحٍ بــالظُّنُوْنِ الـجَـمِيْــلَةِ

وَبَــعْــدُ فَــإنَّ الـحَــقَّ أَفْــضَــلُ مَــسْلَكٍ
سَــلَكْتَ وَتَــقْــوَى اللهِ خَــيْــرُ بِــضَــاعَــةِ

وَمَن ضَيَّــعَ التَّقْــوَى وَأَهْــمَــلَ أَمْــرَهَــا
تَغَشَّــتْــهُ في الــعُقْــبَى فُــنُــونُ الــنَّــدَامَــةِ

وَمَنْ كَـانَتِ الـدُّنْيَـا قُصَـارَى مُـرَادِهِ
فقـدْ بَـاءَ بـالخُسْـرَانِ يَـومَ القِيَـامَـةِ

وَمَـن لَمْ يَكُنْ فـي طَـاعَـةِ اللهِ شُغْـلُهُ
عَلَى كُـلِّ حَـالٍ لا يَـفُـوزُ بِـبُـغْـيَـةِ

وَمن أَكْثَـر العِصْيَـانِ مِنْ غَيْـرِ تَـوبَـةٍ
فَـذَاكَ طَرِيْحٌ في فَـيَافي الغِوَايَـةِ

بعيـدٌ مِنَ الخَيْـرَاتِ حَـلَّ بِـه البَـلاَ
وَواجَـهَـهُ الخُـذْلاَنُ مِن كُـلِّ وِجْـهَـةِ

عَـجِبْتُ لِـمَـنْ يُـوْصِيْ سِـوَاهُ وَإِنَّـهُ
لأَجْـدَرُ مِـنْـهُ بـاتِّـبَـاعِ الـوَصِـيَّـةِ

يَـقُـولُ بِـلاَ فِعْـلٍ وَيَـعْـلَمُ عَـامِـلاً
عَلَى ضِدِّ عِلْمٍ يَـا لَهَا مِنْ خَسَـارَةِ

عُـلُومٌ كَـأَمْـثَـالِ الجِبَـالِ تَـلاَطَمَـتْ
وَأَعْـمَـالُـهُ في جَنْبِـهَـا مِـثْـلُ قَـطْرَةِ

وَقَـدْ أَنْفَقَ الأَيَّـامَ فـي غَيْـرِ طَـائِـلٍ
كَـمِـثْـلِ اللَّيَـالِيْ إِذْ تَـقَـضَّـتْ وَوَلَّـتِ

عَلَى السَّـوْفِ والتَّسْـوِيْفِ شَـرُّ مُصَاحِبٍ
وَقَـوْلِ عَـسَـى عَـنْ فَـتْـرَةٍ وَبَـطَالَـةِ

تَـنَكَّـبَ عَجْـزاً عَـنْ طَـرِيْقِ عَـزِيْـمَـةٍ
وَمَـالَ لِتَـأْوِيْـلٍ ضَـعِـيْـفٍ وَرُخْـصَـةِ

يَـهِـمُّ بِـلاَ جِـدٍّ وَلَـيْسَ بِـنَـاهِضٍ
عَلَى قَـدَمِ التَشْمِيْـرِ مِنْ فَـرْطِ غَـفْلَةِ
وَقَـدْ سَارَ أَهْـلُ العَـزْمِ وَهُـوَ مُخَلَّفٌ
وَقَـدْ ظَفِـرُوْا بِـالقُرْب مِنْ خَيْـرِ حَضْـرَةِ
وَقَـدْ أَدْرَكُـوا الـمَـطْلُوبَ وَهُـو مُقَـيَّـدٌ
بِـقَيْدِ الأَمَـانِيْ وَالْحُـظُوظِ الخَسِيْسَـةِ
وَلَمْ يَنْتَهِـزْ مِن فَـائِتِ العُمْـرِ فُـرْصَـةً
وَلَم يَـغْـتَـنِمْ حَـالَـيْ فَـرَاغٍ وَصِـحَّـةِ
وَلَمْ يَخْشَى أَنْ يَـفْجَـاهُ مَـوتٌ مُجَهِّـزٌ
فَـإِنَّ مَجِيءَ الـمَـوْتِ غَـيْـرُ مُـؤَقَّـتِ
وَلَــمْ يَـتَـأَهَّـبْ لِـلرُّجُـوْعِ لِـرَبِّـهِ
وَلَـمْ يَـتَـزَوَّدْ لِـلطَّرِيْـقِ الـبَـعِـيْـدَةِ
وَبَينَ يَـدَيْـهِ الـمَوْتُ والقَبْـرُ والبَلَى
وَبَـعْـثٌ ومِـيْـزَانٌ وَأَخْـذُ الـصَّـحِـيْـفَـةِ
وَجَسْـرٌ عَلَى مَـتْنِ الـجَحِيْمِ وَمَـوْقِـفٌ
طَـوِيْـلٌ وَأَحْـوَالُ الحِسَـابِ المَهُـوْلَـةِ
وَلَـكِـنَّـهُ يـرجُـو الـذِي عَـمَّ جُـوْدُهُ
وإِحْسَانُهُ وَالـفَـضْـلُ كُـلَّ الـخَـلِيْقَـةِ
إِلـهٌ رَحِـيـمٌ مُـحْـسِـنٌ مُـتَـجَـاوِزٌ
إِلـيـهِ رُجُـوعِي فِي رَخَـائِي وَشِـدَّتِي

غِيَـاثِيْ إِذَا ضَـاقَتْ عَلَيَّ مَـذَاهِبِي
وَمِنْـهُ أُرَجِّي كَشْفَ ضَـرِّي وَمِحْنَتِـي

فَيَـا ربُّ ثَبِتْنَـا عَـلَى الحَقِ والهُـدَى
وَيَـا رَبَّنَـا اقْبِضْنَـا عَـلَى خَيْـرِ مِلَّةِ

وَعُـمَّ أُصُـولاً والـفُـرُوْعَ بِـرَحْـمَـةٍ
وأهْـلاً وَأَصْـحَـابَـاً وكُـلَّ قَـرَابَـةِ

وَسَـائِـرَ أَهْـلِ الـدِّيْنِ مِن كُـلِّ مُسْلِمٍ
أَقَـامَ لَـكَ التَّـوْحِيْـدَ مِنْ غَيْـرِ رِيْبَـةِ

وَصَـلِّ وَسَـلِّم دَائمَ الـدَّهْـرِ سَـرْمَـدَا
عَـلَى خَيْـرِ مَبْعُـوْثٍ إِلَـى خَيْـرِ أُمَّـةِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ العِبَادَ فَضْلُهُ وَنَعْمَاؤُهُ وَوَسِعَ البَرِيَةَ جُوْدُهُ وَعَطَاؤُه نَسْأَلُكَ أَنْ تُوَفِّقَنَا لِإمْتِثَالِ أَمْرِكَ واجْتِنَابِ نَهْيِكَ وأَنْ تُلْهِمَنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وأَنْ تَرْزُقنا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ العَمَلِ الذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى حُبِّكَ واغْفِرْ لَنَا اللَّهُمَّونَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الايْمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلى قَوْلِكَ الثَّابِتْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وَتوفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَالْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ يَا أَكْرَمَ الأكْرَمِيْنَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

وَبَعْدَ ذلِكَ مَشَى أَبُوْ سُفْيَانَ يَتَفَقَّدُ القَتْلَى مِنْ المُسْلِمِيْنَ ، وَيَتَعَرَّفُ وُجُوْهَهُمْ ، فَلَمَّا وَجَدَ حَمْزَةَ صَرِيْعاً بَيْنَهُمْ ، جَعَلَ يَضْرِبُ فِي شِدْقِهِ بِكَعْبِ الرُّمْحِ ، وَيَقُولُ ذُقْ عَقَقٌ ، فَرَآهُ الحُلَيْسُ سَيِّدُ الأَحَابِيْشِ ، فَـانْكَرَ عليهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِابْنِ عَمِّهِ ، وَهُوَ مَيِّتٌ ، فاسْتَحْيَا أَبُو سُفْيَانَ مِن هَذِهِ الزَّلَةِ ، وطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُمَهَا عَلَيْهِ ، وَلاَ يُذِيْعُهَا فِي النَاسِ ، لِأَنَّهَا سَخَافَةٌ وَسَمَاجَةٌ وَقَضَا

عَاجزٍ وَكَانَ هَمُّ أبِي سُفْيَانَ أن يَجدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ في القَتْلَى ، فَلَمَّا لَمْ يَجدْهُ بَيْنَهُمْ ، أَخَذَ الشَّكُّ يُخامِرُهُ في أَنَّهم قتَلُوهُ ، فَذَهَبَ إلى نَاحيَةِ الشِّعْب الذي اعْتَصَمَ بِهِ الرَّسُوْلُ ﷺ وأصْحَابُهُ ، وَجَعَلَ يُنَادِيْ ، أفِيْكُمْ مُحَمَّدٌ ، أَفِيْكُمْ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ، أَفِيْكُمْ ابنُ الخطَّابِ ، فَنَهَى رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يُجِيْبُوْهُ ، فَلَمَّا لَم يُجبْهُ أَحَدٌ ، أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ مِن المُشْرِكِيْنَ ، فَقَال لَهُمْ أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ كُفِيْتُمُوْهُمْ ، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ أَنْ قَالَ كَذَبْتَ واللهِ يَا عَدُوَّ الله ، قَدْ أَبْقَى اللهُ لَكَ مَا يَسُوءُكَ ، فقَال أَبُوْ سُفْيَانَ ، وَكَأَنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَعْتَذِرَ مِمَّا فَعَلَتْ نِسَاءُ قُرَيْشٍ بقَتْلَى المُسْلِمِيْنَ : إِنَّكُمْ سَتَجِدُوْنَ في القَومِ مُثْلَةً لَم آمُرْ بهَا وَلَمْ تَسُؤْنِيْ ، ثُمَّ جَعَلَ يَرْتَجزْ قَائِلاً نِعْمَتْ فِعَالُ ، إنَّ الحَرْبَ سِجَالٌ ، أُعْلُ هُبَلْ .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « قُوْلُوا لَهُ اللهُ أَعْلَى وَأَجَل » قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَنَا العُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « قُولُوا لَهُ ؛ اللهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُم » فقال أبُو سُفْيَانَ : يَوْمٌ بيَوْمِ بَدْرٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قُولُوا لَهُ لَا سَوَاءَ قَتْلَانَا في الجَنَّةِ وقَتْلَاكُمْ في النَارِ .

ثُمَّ أَمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُدْفَنَ الْقَتْلَى حَيْثُ صُرِعُوْا ، وَقَالَ لُفُوْهُمْ في ثِيَابِهِمْ ، وَدِمَائِهِمْ ، وَجِرَاحِهِمْ . . . وانْظُرُوْا أَيُّهم أَكثَرَ أَخْذاً لِلْقُرْآنِ ، فإِذَا أَشَارُوْا إِلَى رَجُلٍ قَدَّمَهُ في اللَّحْدِ .

وَكَانَ يَدْفُنُ الإثْنَيْنِ ، والثلاثَةِ في القَبْرِ الوَاحِدِ ، لِمَا كَانَ عَلَيهِ الصَّحَابَةُ يَوْمَئِذٍ مِن الإعْيَاءِ والضّعْفِ ، والجِرَاحِ ، فَيعجَزُوْا أَنْ يَحْفِرُوْا لِكُلّ وَاحِدٍ قَبْراً ، وَدُفِنَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَمْرو بن حَرَامٍ وَعَمْرُو ابنُ الجَمُوْحِ في قَبْرٍ وَاحِدٍ ، لِمَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِن المَحَبَّةِ فَقَالَ ادْفُنُوْا هَذَيْنِ المُتَحابَيْنِ في الدُّنْيَا في قَبْرٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ حُفِرَ عنْهُمَا بَعْدَ زَمَنٍ طَوِيْلٍ وَيَدُ عَبْدِ اللهِ بنِ حرَامٍ عَلَى جِرَاحَتِهِ كَمَا

وَضَعَهَا حِيْنَ جُرِحَ ، فَأمِيْطَتْ يَدُهُ عن جِرَاحَتِهِ ، فانْبَعَثَ الدَّمُ فَرُدَّتْ إلى مَكَانِهَا، فسَكَنَ الدَّمُ، وَمَا تَغَيَّرَ مِن حَالِهِ قَلِيْلٌ وَلاَ كَثِيْرٌ قِيلَ لَهُ أفرأَيْت أكْفَانَهُ فَقَالَ إنَّمَا دُفِنَ في نَمِرَةٍ خُمِّرَ بِهَا وَجْهَهُ وَعَلَى رِجْلَيْهِ الحَرْمَلِ فوُجدتِ النَّمِرَةُ كَمَا هِي وَعَلَى رِجْلَيْهِ الحَرْمَلُ عَلَى هَيْأَتِهِ وَبَيْنَ ذَلِكَ سِتَّةٌ وَأَرْبَعُوْنَ سَنَةً .

وَلَمَّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من دَفْنِ أَصْحَابِهِ رَكِبَ فَرَسَهُ وَتَوَجَّهَ نَحْوَ المَدِيْنَةِ ، والمُسْلِمُونَ مِن حَوْلِـهِ ، أَكْثَرُهُمْ جَـرْحَى ، يَتَحَامَلُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، مِمَّا بِهِمْ مِن شِدَّةِ الجُهْدِ ، وَيَتَلاَوَمُوْنَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ مِن خِلافٍ لِإمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَيَرْجُوْنَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ هَذِهِ الزَّلَةَ وَيَتَجَاوزُ لَهُمْ عَنْهَا .
وَلَمَّا وَصِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى المَدِيْنَةِ ، وَجَدَ النِسَاءَ عِندَ بَابِهَا يَبْكِيْنَ قَتْلاَهُنَّ ، فَلَمَّا رَأَيْنَهُ مُقْبِلاً نَسِيْنَ ما هُنَّ فِيه مِن الحُزْنِ ، وأَسْرَعْنَ إلَيْهِ ، يَنْظُرْنَ إلى سَلاَمَتِهِ ، فَلَمَّا رأيْنَهُ في سَلاَمَةٍ ، هَانَتْ عَلَيْهِنَّ المُصِيْبَةُ .

وَجَاءَتْ أُمُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ تَعْدُوْ نَحوَهُ ، وَتَتَأَمَّلَهُ حتَّى إذَا اطْمَأَنَّتْ على سَلاَمَتِهِ ، قَالَتْ أَمَّا إذا رَأَيْتُكَ سَالِماً فَقَدْ اشْوَتِ المُصِيْبَةُ فَعزَّاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بابْنِهَا عَمْرو بن مُعَاذٍ ، ثُمَّ قال لَهَا يَا أُمَّ سَعْدٍ ، أَبْشِرِيْ ، وَبَشِّرِيْ أَهْلِيْهِمْ أَنَّ قَتْلاَهُمْ تَرَافَقُوا في الجَنَّةِ جَمِيْعاً، قَالَتْ رَضِيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ، وَمَنْ يَبْكِيْ عَلَيْهِم بَعْدَ هَذ ا .

ثم قَالَتْ أُدْعُ يَا رَسُولَ اللهِ لِمَنْ خَلَّفُوْا ، قَالَ اللَّهُمَّ أَذْهِبْ حُزْنَ قُلُوْبِهِمْ ، واجْبُرْ مُصِيْبَتَهُمْ ، وأَحْسِنْ الخَلَفَ عَلَى مَنْ خَلَّفُوَا ثمَّ عَزَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ ، مِن الجَرْحَى أَنْ يَرْكَنُوْا إلى بُيُوْتِهِمْ ، وَلِيُدَاوُوْا جِرَاحَهُمْ ، فَتَخَلَّفَ عَنْهُمْ كُلُّ مَجْرُوْحٍ ، وَبَاتُوا يُوْقِدُوْنَ النَّارَ ، وَيُكَمِّدُوْنَ بِهَا الجِرَاحَ .

وَمَضَى ﷺ ، حَتَّى جَاءَ بَيْتَهُ ، فَمَا نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ إلاَّ حَمْلاً ، ثُمَّ مَشَى يَتَحَامَلُ عَلَى السَّعْدِيْنِ ، سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، وَسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ ، فَلَمَّا أَذَّنَ بِلالُ لِصَلاةِ المَغْرِبِ خَرَجَ عَلَى مِثْلِ تِلْكَ الحَالِ ، يَتَوَكَأُ عَلَى السَّعْدَيْنِ ، فَصَلَى ثُمَّ عَادَ إِلى بَيْتِهِ ، وَبَاتَ وُجُوْهُ الأَوْسِ ، والخَزْرَجِ عَلَى بَابِهِ في المَسْجِدِ، يَحْرِسُوْنَهُ ، مَخَافَةَ أَنْ تَكِرَّ قُرَيْشٌ ، وَهُمْ غَافِلُونَ .

وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبدالمطلب :

طَرَقَتْ هُمُومُكَ فالرُقادُ مُسَهَّدُ ... وَجَزِعْتَ أَنَ سَلَخَ الشَّبَابَ الأَغيد
وَدَعَتْ فُؤَادَكَ لِلْهَوَى ضَمَرِيَّةٌ ... فَهَوَاكَ غُوْرِيٌّ وَصَحْوُكَ مُنْجِدُ
فَدَعِ التمادِي في الغواية سَادِرًا ... قَدْ كُنْتَ في طَلَبِ الغِوايةِ تُفَنَّدُ
وَلَقَدْ أَنَي لَكَ أَنْ تَناهَي طَائعاً ... أَوْ تَسْتَفِيْقُ إذا نَهَاكَ المُرْشِدُ
وَلَقَدْ هُدِدْتَ لِفَقْدِ حَمْزَةَ هَدَّةً ... ظَلَّتْ بَنَاتُ الجَوْفِ مِنها تَرْعُدُ
وَلَوْ أنه فُجِعْتْ حِراءُ بِمِثْلِهِ ... لَرَأَيْتَ رَأْسَيْ صَخْرِها يَتَبَدَّدُ
قَرْمٌ تَمَكَّنَ في ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ ... حَيْثُ النُبُوَّة والنَّدَى والسُّوْدَدُ
والعاقِرِ الكومَ الجِلاَدَ إذا غَدَتْ ... رِيْحٌ يكَادُ الماءُ مِنْهَا يَجْمُدُ
والتارك القرن الكمي مجدلا ... يوم الكريهة والقنا يتفصد
وتراه يرفل في الحديد كأنه ... ذو لبدة شَثْنُ البراثن أربد
عم النبي محمدٍ وصفيه ... وَرَدَ الحِمامَ فطاب ذاك الموردُ
وأتى المنية معلما في أسرة ... نصروا النبي ومنهم المستشهد
ولقد اخال بِذَاكَ هندا بشرت ... لتميت داخل غصة لا تبرد
مما صبحنا بالعقنقل قومها ... يوماً تغيّب فيه عنها الأسعد
وببئر بدر إذ يرد وجوههم ... جبريل تحت لوائنا ومحمد
حتى رأيت لدى النبي سراتهم ... قسمين نَقْتُلُ من نشاء ونطرد

فأقام بالعطن المعطن منهم سبعون عتبة منهم والأسود
وابن المغيرة قد ضربنا ضربة فوق الوريد لها رشاش مزبد
وأمية الجمحى قوّم ميله عضب بأيدي المؤمنين مهنّد
فأتاك فل المشركين كأنهم والخيل تثفنهم نعام شرَّد
شتان من هو في جهنم ثاوياً أبداً ومن هو في الجنان مخلد

وقال كعب بن مالك يجيب هبيرة بن أبي وهب :

ولكن ببدر سائلوا من لقيتم من الناس والأنباء بالغيب تنفع
وأنا بأرض الخوف لو كان أهلها سوانا لَقَدْ أجلوا بليل فأقشعوا
إذا جاء منا راكب كان قوله أعدوا لما يزجى ابن حرب ويُجْمَعُوا
فَمَهْمَا يَهُمُّ النَّاسَ مِمَّا يَكِيْدُنا فنحن له من سَائِرِ الناس أَوْسَعُ
فلو غيرنا كانت جميعا تكيده الـ ـبرية قد أعطوا يدا وتورعوا
نجالد لا تبغى علينا قبيلة من الناس إلا أن يهانوا ويفظعوا
ولما ابتنوا بالعرض قالت سيوفنا على م إذا لم نمنع العرض نزرع
وفينا رسول الله نَتْبَعُ أمره إذا قال فينا القول لا نتظلع
تدلى عليه الروح من عند ربه ينزل من جو السماء ويرفع
نشاوره فيما نريد ، وقصرنا إذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع
وقال رسول الله لما بدوا لنا ذروا عنكم هولَ المنيات واطمعوا
وكونوا كمن يشري الحياة تقربا إلى ملك يُحيي لديه ويُرجع
ولكن خذوا ميثاقكم وتوكلوا على الله إن الأمر لله أجمع
فسرنا إليهم جهرة في رحالهم ضحيا علينا البيض لا نتخشع
بملومة فيها السنور والقنا إذا ضربوا أقدامها لا تورع
فجئنا إلى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن عصابة ثلاث مئين أن كثرنا فأربع
نغاورهم تجرى المنية بيننا نشارعهم حوض المنايا ونشرع

تهادى قسى النبع فينا وفيهم ... وما هو إلا اليثربي المقطع
ومنجوفة حرمية صاعدية ... يذر عليها السم ساعة تصنع
تصوب بأبدان الرجال وتارة ... تمر بأعراض البصار تقع

وقال حسان بن ثابت :

عرفت ديار زينب بالكثيب ... كخط الوحى في الورق القشيب
تداولها الرياح وكل جون ... من الوسمى منهمر سكوب
فأمسى رسمها خلقا وأمست ... يبابا بعد ساكنها الحبيب
فدع عنك التذكر كل يوم ... ورد حرارة الصدر الكئيب
وخبّر بالذي لا عِيْبَ فيه ... بصدق غير اخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر ... لنا في المشركين من النصيب
غداة كأن جمعهم حِراء ... بدت أركانه جنح الغروب
فلاقيناهم منّا بجمع ... كأسد الغاب مردان وشيب
أمام محمد قد وازروره ... على الأعداء في لفح الحروب
بأيديهم صوارم مرهفات ... وكل مجرب خاطي الكعوب
بنو الأوس الغطارف وأزرتها ... بنو النجار في الدين الصليب
فغادرنا أبا جهل صريعاً ... وعتبة قد تركنا بالجبوب
وشيبة قد تركنا في رجال ... إذا نسبوا ذوي حسب حسيب
يناديهم رسول الله لمّا ... قذفناهم كباكب في القليب

وقال كعب بن مالك أيضاً في يوم أحد :

سائل قريشاً غداة السفح من أُحُد ... ماذا لقينا وما لاقوا من الهرب
كنا الأسود وكانوا النمر إذ زحفوا ... ما أن نراقب من إلّ ولا نسب
فكم تركنا بها من سيد بطل ... حامي الذمار كريم الجد والحسب

فينا الرسول شهاب ثم نتبعه   نور مضيء له فضل على الشهب
الحق مَنْطِقُهُ والعدل سيرته   فمن يجبه إليه ينج من تبب
نجد المقدم ما ضي الهم معتزم   حين القلوب على رجب من الرعب
نمضي ويذمرنا من غير معصية   كأنه البدر لم يطبع على الكذب
بدا لنا فاتبعناه نصدقه   وكذبوه فكنا أسعد العرب
جالوا وجلنا فما فاءوا ولارجعوا   ونحن نثفنهم لم نألُ في الطلب
ليسا سواء وشتى بين أمرهما   حزب الإله وأهل الشرك والنصب

ولِكَعْبِ بنِ مالك :

بَكَتْ عَيني وحُقَّ لَها بُكَاهَا   وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا   أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعا   هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلي لك الأركان هدت   وأنت الماجد البر الوصول
عليك سلام ربك في الجنان   مخالطها نعيم لا يزول
ألا يا هاشم الاخيار صبرا   فكل فعالكم حسن جميل
رسول الله مصطبر كريم   بأمر الله ينطق إذا يقول
ألا من مبلغ عني لؤياً   فبعد اليوم دائلة تدول
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا   وقائعنان بها يشفى الغليل
نسيتم ضربنا بقليب بدر   غداة أتاكم الموت العجيل
غداة ثوى أبو جهل صريعا   عله الطير حائمة تجول
وعتبة وابنه خرّا جميعاً   وشيبة عضه السيف الصقيل

وقالت صفية بنت عبدالمطلب تبكي أخاها حمزة بن عبدالمطلب :

أسائلة أصحاب أحد مخافة   بنات أبي من أعجم وخبير
فقال الخبير أن حمزة قد ثوى   وزير رسول الله خير وزير

دعاه إله الحق ذو العرش دعوة　　إلى جنة يحي بها وسرور
فذلك ما كنا نرجي ونرتجي　　لحمزة يوم الحشر خير مصير
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا　　بكاء وحزنا محضري ومسيري
على أسد الله الذي كان مدرها　　يذود عن الإسلام كل كفور
فياليت شلوى عند ذاك وأعظمي　　لدى أضبع تعتادني ونسور
أقول وقد أعلى النعي عشيرتي　　جزى الله خير من أخ ونصير

شعرا

فَلاَ يَغُرَنَّكُمْ لَمَّا جَرَى قَدَرٌ
فَرُبَّمَا فِيهِ تَأْدِيْبٌ وتِبْيَانُ
لِيَنْتَبِهْ غَافِلاً أَو قَائِلاً زَلَلاً
وَمُعْجَبٌ غَرَّهُ بالعُجْبِ شَيْطَانُ
كَمَا جَرَى في حُنَيْنْ إذْا قَالَ قَائِلُهُمْ
اليَوْمَ مِنْ كَثْرَةٍ يَأتِيْ لَنَا شَانُ
فَأَدْبَرُوْا عن رَسُولِ اللهِ وانْهَزَمُوا
لم يَلُوْا مِنْ أَحَدِ والْكُلُّ فُرْسَانُ
لَمْ يَبْقَ إلا نَبِيُّ اللهِ يَطْعُنُهُمْ
أَنَا ابنُ مُطَّلِبٍ والجَدُ عَدْنَانُ
حَتَّى إذَا قَالَ يَا أَصْحَابَ سَمْرَتِنَا
هَلُمَّ إنَّ عَلَى الرِّضْوَانِ رِضْوَانُ
جَاؤُوا يُلَبُّونَ والأَسْيَافُ مُصْلَتةٌ
كَأَنَّهُنَّ بِأَيْدِي القَومِ نِيْرَان

تِلكَ الأُمُورُ مِنَ البَارِي يُدَاوِلُهَا
فَكُل يومٍ لَهُ في خَلْقِهِ شَانُ
لَم يَأْتِ مِن خَلَلٍ إلاَّ لَهُ سَبَبٌ
فَانظُرْ فَمِنْ أَيِ بَاب جَاء نَقْصَانُ
إجْعَلْ مُرَادَكَ دِيْنَ اللهِ تَنْصُرُهُ
فَالْمُلْكُ بالدِّيْنِ لا بالجُنْدِ يُنْصَانُ
وَكُنْ مَعَ اللهِ لاَ تَخْشَى المَلاَ أَبَداً
يَكُنْ لَكَ اللهُ والأَمْلاَكُ أَعْوَانُ
والنَاسُ إلاَّ قَلِيْلٌ قَالَ أَكْثَرُهُمْ
إِذا رَأَوْا نَاصِحاً قَالُوا بِهِ جَانُ
عن نَصْرَةِ الدِّيْنِ أَمْوَاتٌ بِهِمْ وَهَنٌ
وَنُصْرَةُ المَالِ فُرْسَانٌ وَشُجْعَانُ
صَلِّحْ لِدُنْيَاكَ مَا يَخْصُصْكَ مِن أَحَدٍ
لِلنَّاس وَادٍ وَقَدْ آوَتْكَ وُدْيَانُ
تُنَفِّرُ النَاسَ والإخْوَانُ قَدْ سَكَتُوا
أَعْرِضْ وَكُنْ مِثْلَهم ودِنْ بما دَانُوْا
كُنْ لِلْمُلوكِ عَلَى الأَهْوَاء تَعِشْ مَعَهُمْ
فَاللهُ فِي جَنْبِهِ عَفْوٌ وَغُفْرَانُ
يَا قَاتَلَ اللهُ مَنْ هَذِلي مَقَالَتُهُ
هَذَا ابْنُ ابْلِيْسَ غَشَّاشٌ وَفَتَّانُ
يَا حَسْرَةَ الدِينِ مِن هَذَا وَشِيْعَتِهِ
إِنْ سُوْعِدُوْا لَمْ يَقُمْ لِلدِّيْنِ بُنْيَانُ

«هَــذَا وأَمْــثَـالُــهُ كَـمْ ثَـبَّــطُوْا أمَـمـاً
عَـن نَـصْــرِ دِيْـنٍ ولِـلـشَّـيْـطَانِ أَعْـوَانُ»
«في كُــلِّ وَقْتٍ فَكُنْ مِنْهُـم عَلَى حَــذِرٍ
لا يَخْـدَعُـوكَ فَهُم في المَكْـرِ فُـرْسَــانُ»
«واصْحَبْ أخـاً الزُهْـد لا تَبغِيْ بِهِ بَـدَلاً
النَّــاصِــرَ الـدِّيْنِ لِـلتَّـوْحِيْـدِ مِـعْـوَانُ»

اللهُمَّ انْفَعْنَـا بِمَا عَلَّمْتَنَـا ، وعَلِّمْنَـا مَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَوَفِّقْنَا للعملَ بِمَا فَهَّمْتَنَا ، اللّهُمَّ إنْ كُنَّا مُقَصرِّيْنَ في حِفْظِ حَقِّكَ ، والوُفاءِ بِعَهْدِكَ ، فَأَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَنَا في رَجَاءِ رِفْدِكَ ، وخالِصِ وُدِّكَ ، اَللهُمَّ أنتَ أَعْلَمُ بِنَا مِنَّا ، فَبِكَمالِ جُوْدِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا ، وَاغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدِيْنَا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِينَ ، الأَحْيَاءِ مِنْهُم والمَيِّتِيْنَ ، برَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصلى الله على محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فَصْــلٌ »

عِبَادَ اللهِ نَحْنُ في زَمَانٍ كَمَا تَرَوْنَ قَدْ كَثُرَ فِيْهِ الشَّرُ وَوَسَائِلُهُ وانْتَشَرَ في الأَرْضِ انْتِشَاراً لا يَخْطُرُ عَلَى الأَفْكَارِ فإذَا رُمْتُمْ حَاجَةً مِن السُوْقِ فاقْضُوْهَا بِسُرْعَةٍ مُنْكِرِيْنَ في قُلُوْبِكُمْ وفي ألسِنَتِكُمْ حَسَبَ قُدْرَاتِكُمْ عَلَى مَنْ رَأَيْتُمُوْهُ يَعْمَلُ المُنْكَراتِ واتْرُكُوْا الإِجْتِمَاعَ مَعَ مَن لا تَسْلَمُوْنَ مِن الإِثْمِ إذَا اتَّصَلْتُمْ بِهِ لا سِيَّمَا وَقَدْ كَثُرَ مَنْ لا تُؤْمَنُ شُرُوْرُهُ وأضْرَارُهُ وَمَفَاسِدُهُ وأحْرِصُوا عَلَى غَضِّ أبْصَارِكُمْ فإنَّكُم إنْ أَطْلَقْتُمْ لَهَا العِنَانَ رَأَيْتُمْ مِنَ البَلَايَا مَالاَ يُحْصِيْهِ العَدُّ ولاَ يَأْتِيْ عَلَيهِ البَيَانُ تَرَوْنَ النِسَاءَ في حَالَةٍ تُؤْلِمُ قَلْبَ كُلِّ مُؤْمِنٍ ذِيْ مُرُوْءَة وَشِيْمَةٍ وَغَيْرَةٍ دِيْنِيَّةٍ وَتَرَوْنَ الغِشَّ السَّائِدَ في كُلِّ المُعَامَلَاتِ بدَرَجَةٍ قَلَّ أنْ يَنْجُوْ مِنْهَا أَذْكَى النَّاسِ وأَيْقَظُهُمْ وأَقْوَاهُم فِرَاسَةً وَتَرَى الدُّخَانَ عَن يَمِيْنِكَ وَيَسَارِكَ تُؤْذِيْكَ رَائِحَتُهُ الكَرِيْهَةُ وَتَرَى حَلاقِيْ اللُّحَى وَمُصَلِّحِي التَّوالَيْتَاتِ والخَنَافِسِ وَتَرَى النِّسَاءَ تَرْكَبُ مَعَ أيِّ وَاحِدٍ بِدُوْنِ مَحْرَمٍ وَتَدْخُلُ عَلَى الخَيَّاطِ يَقِيْسُ

عَلَيْهَا وَتَرَوْنَ الكَثِيْرَ مِنَ النَاسِ لا يُعَرِّجُونَ على المَسَاجِدِ أوْقَاتِ الصَّلاةِ وَتَرَوْنَ المُجَاهِرِيْنَ بالمَعَاصِيْ يَدُوْرُوْنَ في الأَسْوَاقِ لَيْسَ لَهُمْ شُغْلٌ إلا مَا يُحْزِنُ قَلْبَ كُلِّ غيورٍ لِدِيْنِهِ وَتَرَاهُمْ نَبَذُوْا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِه وَرَاءَ ظُهُورِهِم وأَقْبَلُوا عَلَى المَلاَهِيْ والمُنْكَرَاتِ إِقْبَالاً فَوْقَ مَا يَتَصَوَّرُهُ العَاقِلُ اللَّبِيْبُ وَتَرَاهُمْ إِذَا قَضَوْا مَآربَهُمْ مِن كُتُبٍ تَحْتَوِيْ عَلَى الدِّيْنِ وَغَيْرِهِ فِيْهَا آياتٌ وأَحَادِيْثٌ أَلْقَوْهَا في الأَسْوَاقِ والمَزَابِلِ مَعَ القُمَامِ وَكَذَلِكَ بَاقِي النِّعَمِ تَجِدُهَا مُلْقَاةً مَعَ القَاذُوْرَاتِ وَتَرَاهُمْ دَائِماً في مُطَالَعَةِ الجَرَائِدِ والمَجَلَّاتِ ولَوْ نَاوَلْتَ أَحَدَهُمْ مُصْحفاً أَو البُخَارِيَّ أَوْ مُسْلِماً يَقْرأُ شَيْئاً مِنْه لَسَارَعَ إِلَى الضَّحِكِ أَوِ النَّوْمِ واسْتَرْخَتْ مَفَاصِلُهُ كَأَنَّكَ نَاوَلْتَهُ مَا يُذْهِبُ العُقُولَ وَيُرْقِدُ الأَبْدَانَ وَتَرَاهُ يَسْهَرُ كُلَّ لَيْلِهِ في صُنُوْفِ المَعَاصِيْ وَعِنْدَ المَلاَهِيْ لَكِنْ يَثْقُلُ عَلَيْهِ جِداً أَنْ يَسْهَرَ سَاعةً في طَاعَةِ مَوْلاَهُ وَتَرَاهُمْ أمامَ التِّلَفِزْيُوْنِ مُقَابِلِيْنَ لَهُ وَمُقْبِلِيْنَ بقُلُوبِهِمْ وأَبْصَارِهِمْ وأَسْمَاعِهِمْ ولَوْ نُودِيْ أَحَدُهُمْ لَشَتَمَ المُنَادِيْ وسَبَّهُ بَلْ رُبَّمَا لَعَنَهُ وَقَذَفَهُ خَوْفاً مِن فَوَاتِ مَا يَظْهَرُ فِيْهِ مِن مُنْكَراتٍ مِن نِسَاءٍ سَافِرَاتٍ وَتَمْثِيْلِياتٍ خَلِيْعَةٍ وأَغَانِي مُهَيِّجَةٍ لِلْفَسَادِ وَنَحو ذَلكَ تَمُرُّ السَّاعَاتُ لا يَمَلُّونَ بَلْ هُمْ مُرْتَاحُوْنَ لَهُ وَأَمَّا أَمَامَ رَبِّ العَالَمِيْنَ الذيْ خَلَقَهُم وَرَزَقَهُمْ فَعَشَرُ الدَّقَائِقِ الَّتِي يَقِفُوْنَهَا في الصَلاةِ أَثْقَلُ مِنْ رَضْوَي وَأُحُدٍ وَيَتَسَابَقُونَ إِلَى الذي يَمُرُّهَا مَرَّ السَّحابِ وإذا تَأَخَّرَ الإمامُ ولو دَقِيْقَةً رَأَيْتَهُمْ يَتَلَفَتُوْنَ وَيَبْحَثُوْنَ عَنْه فَإِنْ كانَ حَاضِراً أَكْثَرُوْا مِن الاسْتِغْفَارِ والحَوْقَلَةِ والتَّهْلِيْلِ لِيُفْهِمُوْه أَنَّهُمْ يُرِيْدُوْنَ أَنْ يُعَجِّلَ فَيُصَلِّي كَأَنَّ على رُؤُوسِهِمْ حِمْلاً أَوْ عَلَى أَظْهُرِهِمْ حَتَّى الذِي يَتَأخَّرُ بَعْدَ الصَّلاةِ وَيَقْعُدُ يَتَكَلَّمُ في أُمُورِ الدُّنْيَا المَنْهِيِّ عَنْهُ في المَسْجِدِ وَهَذِهِ حَالَةٌ واللهِ يُرْثَى لَهَا قَالَ ابن القيم :

يـا نـاصـرَ الإسْـلامِ والسُننِ الَّتِي
جَـاءَتْ عن المَبْعُـوْثِ بـالـفُـرْقَـانِ

يـا مَن هُـوَ الْحَـقُ الـمُبِيْـنُ وَقَـولُـهُ
وِلـقَـاؤُه وَرَسُـولُـهُ بِـبَـيَـانِ

اشْـرَحْ لِـدِيْنِـكَ صَـدْرَ كُـلِّ مُـوَحِّـدٍ
شَـرْحـاً يَـنَـالُ بِـهِ ذُرَى الإيْـمَـانِ

واجْـعَـلْهُ مُؤْتَـمـاً بِـوَحْـيِـكَ لا بِـمَـا
قـد قَـالَـهُ ذُو الإفْـكِ والـبُـهْـتَـانِ

وانْصُـرْ بِـهِ حِـزْبَ الهُـدْى واكْبِتْ بِـهِ
حِـزْبَ الـضَّـلَالِ وشِـيْـعَـةَالـشَـيْـطَانِ

وانْـعَشْ بِـهِ مَـنْ قَـصْـدُهُ إحْـيَـاؤُهُ
واعْـصِـمْـه مِـنْ كَـيْـدِ امْـرِىءٍ فَـتَّـانِ

اللهم إنّا نَعُوذُ بكَ مِن زَوَالِ نِعْمتكَ وَتَحَوُّل عَافِيَتكَ وَفَجْاءَةِ نِقْمَتِكْ وَجمِيْعِ سَخَطِكْ ونَسْأَلُكَ أنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِيْنا ولِجَمِيعِ المسلمين برحمتك يا أرحمَ الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبهِ أجمعين .

« فَصْـلٌ »

في ذِكرِ بَعْضِ الحِكَمِ التِي كَانَتْ فِي وَقْعَةِ أُحُدٍ

قَالَ ابنُ القيمِ رحمه اللهُ وقد أشارَ الله سبحانَهُ إلى أُمَّهَاتِهَا وأُصُوْلِهَا في سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ حَيْثُ افْتَتَحَ القِصَّةَ بقولِهِ (واذ غَدَوْتَ مِن أَهْلِكَ تُبوءُ المؤ مِنِيْنَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ) إلى تَمَامِ سِتِّيْنَ آيَةٍ : قَالَ فَمِنْهَا : تَعْرِيْفُهُمْ بِسُوْءِ عَاقِبَةِ المَعْصِيَةِ، والفَشَلِ والتَّنَازُعِ ، وأَنَّ الذيْ أَصَابَهُمْ إنَّما هُوَ بشُؤْمِ ذَلِكَ ، كَمَا قَالَ تعالى (٣ : ١٥٢) وَلقد صَدَقَكم اللهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُوْنَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ في الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِن بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ ما تُحبُّونَ مِنكُم مَنْ يُـرِيْدُ الدُنيا ومنكُمْ مَن يُريدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُم عَنْهُم لِيَبْتَلِيَكُم وَلَقَد عفا

عَنْكُم)

فَلَمَّا ذَاقُوا عَاقِبَةَ مَعْصِيَتِهِمْ لِلرَّسُولِ وَتَنَازُعِهِمْ وَفَشَلِهِمْ كَانُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَشَدَّ حَذَراً وَيَقْظَةً وَتَحَرُّزاً مِن أَسْبَابِ الخُذْلَانِ .

ومنها أَنَّ حِكْمَةَ اللهِ . وَسُنَّتَهُ في رُسُلِهِ ، وأَتْبَاعِهِمْ : جَرَتْ بِأَنْ يُدَالُوا مَرَّةً ، ويُدَالَ عَلَيْهِمْ أُخْرَى ، لَكِنْ تَكُونُ لَهُمُ العاقِبَةُ ، فَإِنَّهُمْ لو انْتَصَرُوْا دائماً دَخَلَ مَعَهُمْ المُسلِمُوْنَ ، وَغَيْرُهُمْ ، وَلَمْ يَتَمَيَّزِ الصَّادِقُ مِن غَيْرِه ، وَلَو انْتَصَرُوْا عَلَيْهِمْ دَائِماً ، لَمْ يَحْصُلِ المَقْصُوْدُ مِن البِعْثَة والرِّسَالَةِ ، فاقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ أَنْ جمعَ لَهُمْ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ ، لِيَتَمَيَّزَ مَنْ يَتْبَعُهُمْ ، وَيُطِيْعهُمْ ، لِلْحَقِّ وما جَاؤُوا بِهِ ، مِمَّنْ يَتْبَعُهُمْ عَلَى الظُّهُورِ والغَلَبَةِ خَاصَةٍ .

وَمِنْهَا أَنَّ هَذَا مِنْ أَعْلَامِ الرُّسُلِ كَما قَالَ هِرَقْلُ لِأَبِي سُفْيَانَ « هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ » قَالَ نَعَمْ : قَالَ كَيْفَ الحَرْب بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ ، قَالَ سِجَالٌ نُدَالُ عَلَيْهِ المَرَّةَ ، وَيُدَالُ عَلَيْنَا الأُخْرَى ، قَالَ : كَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ العَاقِبَةُ رواه البخاري .

ومنها أَنْ يَتَمَيَّزَ المُؤْمِنُ الصَادِقُ مِن المُنَافِقِ الكاذِبِ ، فانَّ المُسْلِمِيْنَ لَمَّا أَظْهَرَهُمُ اللهُ عَلَى أَعْدَائِهِم يَوْمَ بَدْرٍ وَطَارَ لَهُمُ الصِّيْتُ دَخَلَ مَعَهُمْ في الإِسْلَامِ ظَاهِراً مَنْ لَيْسَ مَعَهُمْ فِيْهِ بَاطِناً ، فاقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ سَبَّبَ لِعِبَادِهِ ، مِحْنَةً مَيَّزَتْ بَيْنَ المُؤْمِنِ والمُنافِقِ فَأَطْلَعَ المُنَافِقُونَ رُؤُوْسَهُمْ في هَذِهِ الغَزْوَةِ ، وَتَكَلَّمُوْا بِمَا كَانوا يَكْتُمُوْنَهُ ، وَظَهَرَتْ مُخَبآتُهُم ، وَعَادَ تَلْوِيْحُهُمْ تَصْرِيْحَا وانْقَسَمَ النَاسُ إلى كَافِرٍ ، وَمُؤْمِنٍ ، وَمُنَافِقٍ ، إِنْقِسَاماً ظاهِراً لا يُفَارِقُهُمْ ، فاسْتَعَدُّوْا لَهُمْ ، وَتَحَرَّزُوْا مِنْهُمْ .

قَالَ اللهُ تَعَالَى (٣ :١٧٩وَمَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ المُؤْمِنِيْنَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يمِيْزَ الـخَبِيْثَ مِنَ الطَّيبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُم عَلَى الغَيبِ ولكن اللهَ يَجْتَبِي مِن رُسُلِهِ مَن يَشَاء) أَيْ مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَكُم عَلَى مَا أَنْتُم عَلَيهِ مِن الْتِبَاسِ المُؤْمِنِيْنَ بالمُنَافِقِيْن ، حَتَّى يُمَيِّزَ أَهْلَ الإِيْمَانِ مِن أَهْلِ النِّفَاقِ كَمَا مَيَّزَهُمْ بِالمِحْنَةِ يَوْمَ أُحُدٍ ﴿ وَمَا كَان اللهُ لِيُطْلِعَكُم عَلَى الغَيْبِ ﴾ الذِي يُمَيِّزُ بَيْنَ هؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ فإِنَّهُمْ مُتَمَيِّزُوْنَ في عِلْمِهِ وَغَيْبِهِ .

وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُرِيْدُ أَنْ يُمَيِّزَهُمْ تَمْييزاً مَشْهُوداً ، فَيَقَعُ مَعْلُومُهُ الذِي هُوَ غَيْبٌ شَهَادَةً ، وَقَولُهُ ﴿ ولكن اللهَ يَجْتَبِيْ مِن رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ اسْتِدْرَاكٌ لِمَا نَفَاهُ، مِن اطْلاعِ خَلْقِهِ عَلَى الغَيْبِ كَمَا قَال ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَسُوْلٍ ﴾ فَحَظُّكُم أَنتُم وَسَعَادَتُكم في الايمان بالغَيْبِ الذي يُطْلِعُ عليه رُسُلَهُ ، فإِنْ آمَنْتُمْ بِهِ واتَّقَيْتُم كَانَ لَكُم أَعْظَمُ الأَجْرِ والكَرَامَةِ .

وَمِنْهَا اسْتِخْرجُ عُبُودِيَةِ أَوْلِيَائِهِ وَحِزْبِهِ في السَّرَاءِ والضَّرَاءِ وفِيْمَا يُحِبُّونَ وَمَا يَكْرَهُونَ ، وفي حَالِ ظَفَرِهِمْ ، وفي حَالِ ظَـفَرِ أَعْدَائِهِمْ بِهِمْ ، فاذا ثَبَتُوْا عَلَى الطَّاعَةِ والعُبُوْدِيَةِ فِيْمَا يُحِــبُّوْنَ وما يَكْرِهُوْنَ ، فَهُمْ عَبِيْدُهُ حَقاً ، وَلَيْسُوْا كَمَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ واحِدٍ مِن السَّراءِ والنِّعْمَةِ والعَافِيَةِ .

ومنها أنهُ سُبْحَانَهُ لَوْ نَصرَهُمْ دَائِماً ، وَأَظْفَرَهُمْ بِعَدُوِّهِمْ ، في كُلِّ مَوْطِن ، وَجَعَلَ لَهُمْ التَّمكُنَ ، والقَهْرَ لِأَعْدَائِهِم أَبَدًا ، لَطَغَتْ نُفُوسُهُمْ ، وَشَمَخَتْ وارْتَفَعَتْ ، فَلَو بَسَطَ لَهُمْ النصرَ ، والظَّفَرَ لَكَانُوْا في الحَالِ الَّتِيْ يَكُونُونَ فِيْهَا لَوْ بَسَطَ لَهُمْ الرِّزْقَ فَلاَ يُصْلِحُ عِبَادَهُ إِلاَّ السَّرَاءُ والضَّرَاءُ ، والشِّدَّةُ والرَّخَاءُ ، والقَبْضُ والبَسْطُ ، فَهُوَ المُدَبِّرُ لِإِمْرِ عِبَادِهِ ، كَمَا يَلِيْقُ بِحِكْمَتِهِ ، إِنَّهُ بِهِمْ خَبِيْرٌ بَصِير .

ومنها أنَّهم إذا امْتَحَنَهُمْ بالغَلَبَةِ ، والكَسْرَةِ والهَزِيْمَةِ ، وَذَلُّوا وانْكَسَرُوْا وَخَضَعُوْا ، فَاسْتَوْجَبُوْا مِنْهُ العِزَّةَ والنَّصْرَ ، فإنَّ خِلْعَةَ النَّصْرِ إنَّمَا تَكُونُ مَعَ وِلاَيَةِ الذُّلِّ والإنْكِسَارِ ، قال اللهُ تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وأنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ ﴿ وَيَومُ حُنَيْنٍ إذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُم شَيْئاً ﴾ فَهُوَ سُبْحَانَهُ إذَا أَرَادَ أنْ يُعِزَّ عَبْدَهُوَيَجْبُرَهُ وَيَنْصُرَهُ ، كَسَرَهُ أَوَّلاً وَيَكُونُ جَبْرُهُ لَهُ وَنَصْرُهُ عَلَى مِقْدَارِ ذُلِّهِ وانْكِسَارِهِ .

ومنها أنَّه سُبْحَانَهُ هَيَّأَ لِعِبَادِهِ المُؤْمِنِيْنَ مَنَازِلَ في دَارِ كَرَامَتِهِ لَمْ تَبْلُغْهَا أَعْمَالُهُمْ ، وَلَمْ يَكُونُوا بالغِيْهَا إلا بالبَلاءِ والمِحْنَةِ ، فَقَيَّضَ لَهُمْ الأَسْبَابَ الَّتِي تُوْصِلُهُمْ إِلَيْهَا ، مِن ابْتِلاَئِهِ وامْتِحَانِهِ ، كَمَا وَفَّقَهُمْ لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ التِيْ هِيَ مِن جُمْلَةِ أَسْبَابِ وُصُوْلِهَا :

وَمِنهَا أَنَّ النُّفُوسَ تَكْتَسِبُ مِن العَافِيَةِ الدَّائِمَةِ ، والنَّصْرِ والغِنَى طُغْيَاناً ، وَرُكوناً إِلَى العَاجِلَةِ ، وَذَلِكَ مَرَضٌ يَعُوْقُهَا عن جِدِّهَا في سَيْرِهَا إلى اللهِ والدارِ الآخِرَةِ ، فإذَا أَرَادَ بِهَا رَبُّهَا وَمَالِكُهَا وَرَاحِمُهَا كَرَامَتَهُ ، قَيَّضَ لَهَا مِن الإبْتِلاَءِ والإمْتِحَانِ مَا يَكُونُ دَوَاءً لِذَلِكَ المَرَضِ العَائِقِ عن السَّيْرِ الحَثِيْثِ إِلَيْهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ البَلاَءُ والمِحْنَةُ بِمَنْزِلَةِ الطَّبِيْبِ يَسْقِيْ العَلِيْلَ الدَّوَاءَ الكَرِيْهَ وَيَقْطَعُ مِنْهُ العُرُوْقَ المُؤْلِمَةَ ، لِاسْتِخْرَاجِ الأَدْوَاءِ مِنْهُ ، وَلَوْ تَرَكَهُ لَغَلَبَتْهُ الأَدْوَاءُ ، حَتَّى يَكُونَ فِيْهَا هَلاَكُهُ .

اللهمَّ آنظِمْنا في سِلكِ حِزبِكَ المُفلِحِين ، واجْعلنا مِنْ عبادِكَ المُخْلِصين وآمِنًا يومَ الفَزَعِ الأكبَرِ يومَ الدِين ، واحشُرْنا معَ الذين أنعمْتَ عليهم مِنَ النَبيين والصِّدِّيقينَ والشُهداء والصالحينِ واغفِرْ لنا ولوالدِينا ولجميعِ المسلمينَ الأحياءِ منهمْ والميتينَ برحمتِكَ يا أرْحمَ الراحمينَ ، وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعِين .

وَإِنَّ ذَوِيْ الإِيْمَـــانِ والعِلْـــمِ والنُّهَـــى
هُمُ الغُرَبَـــاء طُوْبَـــي لَهُـــمْ مَا تَغَرَّبُـــوا

أنـــاسٌ قَـــلِيْـــلٌ صَـــالِـــحُـــوْنَ بِـــأُمَّـــةٍ
كَـثِيْـــرِيْـــنَ لَكِـــنْ بِـــالضَّـــلاَلَـــةِ أُشْـــرِبُـــوْا

وقِيْـــلَ هُمُ النُـــزَّاعُ في كُـــلِّ قَـــرْيَـــةٍ
عَلَى حَـــرْبِهِم أَهْلُ الضَّـــلاَلِ تَحَـــزَّبُـــوا

وَلَكِنْ لَهُم فِيْهَـــا الـــظُّهُـــورُ عَلَى العِـــدَا
وإِنْ كَـــثُـــرتْ أَعْدَاؤُهُـــمْ وَتَـــأَلَّـــبُـــوا

وَكَمْ أَصْلَحُـــوا مَا أَفْسَـــدَ النَّـــاسُ بِـــالهَـــوَى
مِـــن السُّـــنَّـــةِ الغَـــرا فَـــطَابُـــوْا وَطَـــيَّبُـــوا

وَقَـــدْ حَـــذَّرَ المُخْتَـــارُ مِنْ كُـــلِ بِـــدْعَـــةٍ
وَقَـــامَ بِـــذَا فَـــوقَ الـــمَنَـــابِـــرِ يَـــخْـــطُبُ

فَـــقَـــالَ عَـــلَيْـــكُـــمْ بِـــاتِّبَـــاعِيْ وَسُـــنَّـــتِـــي
فَعُضُـــوا عَـــلَيهَـــا بِـــالنَّـــواجِـــذِ وارْغَبُـــوا

وإِيَّـــاكُـــمُ والإِبْـــتِـــدَاعَ فَـــإِنَّـــهُ
ضَـــلاَلٌ وفـــي نَـــارِ الجَـــحِيْـــمِ يُكَـــبْـــكِـــبُ

فَـــدُومُـــوا على مِنـــهـــاجِ سُنَّـــةِ أَحْـــمَـــدٍ
لِكَيْ تَـــرِدُوا حَـــوضَ الـــرَّسُـــوْلِ وتَشْـــرَبُـــوا

فـــإِنَّ لَـــه حَـــوْضـــاً هَـــنِـــيْـــئـــاً شَـــرَابُـــهُ
مِـــن الـــدُّرِ أَنْقَـــى في الـــبَيَـــاضِ وأَعْـــذَبُ

لَـــه يَـــرِدُ الـــسُنِـــيُ مِـــن حِـــزْبِ أَحْـــمَـــدٍ
وَعَـــنْـــهُ يُـــنَـــحَـــى مُـــحْـــدِثٌ وَمُـــكَـــذِبُ

وَكَم حَـدَثَتْ بَعْدَ الـرَّسُـوْلِ حَـوَادِثُ
بَكَـادُ لَهَـا نُـورُ الشَّـرِيْعَـةِ يُسْلَبُ
وكَم بِـدْعَـةٍ شَنْعَـاءَ دَانَ بِهَـا الْـوَرَى
وَكَـمْ سُنَّـةٍ مَـهْجُـورَةٍ تُـتَـجَـنَّـبُ
لِـذَا أَصْبَحَ المَعْرُوْفُ فِي الأَرْضِ مُنْكَراً
وذُوْ النُكْـرِ مَعْـرُوفٌ إِليْهِـمْ مُحَـبَّبُ
ومـا ذَاكَ إلَّا لإِنْـدِرَاسِ مَـعَـالِـمِ
مِنَ العِلْمِ إِذْ مَـاتَ الهُـداتُ وَغُـيِّبُـوا
وَلَيْسَ اغْتِـرَابُ الـدِّيْنِ إِلَّا كَمَـا تَـرَى
فَسَـلْ عَنْهُ يُنْبِيْـكَ الخَبِيْـرُ المُجَـرِبُ
وَقَـدْ صَحَّ أَنَّ الـعِلْمَ تَعْفُـوْ رُسُـومُـهُ
وَيَفْشُـوْ الـزِّنَـا والجَهْـلُ والخَمْـرُ تُشْـرَبُ
وَتِـلْكَ أَمَـارَاتٌ يَـدُلُّ ظُـهُـوْرُهَـا
عَـلَى أَنَّ أَهْـوَالَ الـقِـيَـامَـةِ أَقْـرَبُ
فَسَـارِعْ لِمَـا يُـرْضِيْ الإِلَـهَ بِفِعْلِهِ
وَدَعْ كُـلَّ شَـيْءٍ كَـانَ للهِ يُـغْـضِـبُ
وَخُـذْ إنْ طَلَبْتَ العِلْمَ عَن كُـلِّ عَـالِمٍ
تَـرَاهُ بـآدَابِ الـهُـدَى يَـتَـأَدَبُ
لِأَهْـلِ السُـرَى تَهْـدِى نَجُـومُ عُلُومِـهِ
وتُـرمى العِـدَى مِنْ شُهْبِهَـا حِيْنَ تُثْقَبُ
فَـلاَزِمْـهُ واسْتَصْبِـحْ بِمِصْبَـاحِ عِـلْمِـهِ
لِتَخْلُصَ مِنْ جَسْـرٍ عَلَى النارِ يُضْـرَبُ

فَخَيرُ الأُمُوْرِ السَّالِفاتُ عَلَى الهُدى
وشَرُ الأُمُوْرِ المُحْدَثَاتُ فَجَنَّبُوا
وَما العِلْمُ إلَّا مِنْ كِتَابٍ وَسُنَّةٍ
وَغَيرُهُما جهلٌ صَرِيْحٌ مُرَكَبُ
فَخُذْ بِهِمَا والعِلْمَ فاطْلُبُه مِنْهُما
وَدَعْ عنكَ جُهالاً عن الحَقِّ أضْرَبُوا
خَفَافِيْشُ أعْشَاهَا النَّهارُ بضَوئِهِ
فَوَافَقَها مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ غَيْهَبُ
فَظَلَّتْ تُحَاكِي الطَّيْرَ في ظُلْمَةِ الدُجَى
وإنْ لَاحَ ضَوْءُ الصُّبْحِ لِلْعِشِ تَهْرَبُ
وَخَتْمُ نِظَامِي بالصلاةِ مُسَلِّماً
مَدَى الدَّهْرِ مَا دَامَتْ مَعَدٌ وَيَعْرِبُ
عَلَى خَاتَمِ الرُّسْلِ الكِرَامِ مُحَمَّدٍ
بِهِ طَابَ خَتْمُ الأَنْبِيَاءِ وطُيِّبُوْا
كَذَا الآلِ والصَّحْبِ الأُلَى بِجِهَادِهِم
أَضَاءَ بِدِيْنِ اللهِ شَرْقٌ وَمَغْرِبُ

اللهم امْنُنْ عَلَينا بالاقبالِ عَلَيْكَ والتَّوْفِيْق وأعِذْنَا من الخُذْلَانِ والتَّعْويْق ، وَفرِّجْ عَنَّا كُلَّ هَمٍّ وَغَمٍّ وَضِيْق ، وَلَا تُحَمِّلْنَا ما لا نَقْوَى وَلَا نُطِيْق ، يا مَنْ كُلُّ نَفْسٍ إلى جُوْدِهِ افْتَقَرتْ اللهم جَلِّلْنَا بِسِتْرِكْ واعفُ عَنَّا بِكَرَمِك ، اللَّهم وفِّقْنا للاسْتِعْدَادِ لِمَا أمَامَنَا ، اللَّهُمَّ وَقَوِّي إيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وبِرُسُلِكَ وباليوم الآخر وبالقَدر خَيرِهِ وشَرِهِ ، اللَّهُمَّ نَوِّر قُلُوبَنَا واشْرَحْ صُدُورَنَا وَوَفِّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ وألْهِمْنَا ذِكْركَ وشُكْرِكَ وَعَامِلنا بِلُطْفِكْ واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين

اللهم أعِذْنَا مِن الهَمِّ والحَزَنِ والعَجْزِ والكَسَلِ والجُبْنِ والبُخْلِ وضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجالِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمين وصَلَّى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فصـــــــل)

وَمِنْهَا أَنْ الشَّهَادَةَ عِنْدَهُ مِن أَعْلَى مَرَاتِبَ أَوْلِيَائِهِ وَالشُّهَدَاءُ هُمْ خَوَّاصُهُ المُقَرَّبُوْنَ من عِبَادِهِ وَلَيْس بَعْدَ دَرَجةِ الصِّدِيْقِيَّةِ إِلاَّ الشَّهَادَةُ وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ عِبَادِهِ شُهَدَاءَ تُرَاقُ دِمَاؤُهُمْ فِي مَحَبَّتِهِ وَمَرْضَاتِهِ وَيُؤْثِرُوْنَ رِضَاهُ وَمَحَابَّهُ عَلَى نُفُوْسِهِمْ وَلاَ سَبِيْلَ إِلَى نَيْلِ هَذِهِ الدَّرَجَةِ إِلاَّ بِتَقْدِيْرِ الأَسْبَابِ المُفْضِيَةِ إِلَيْهَا مِن تَسْلِيْطِ العَدُوِّ .

وَمِنْهَا أَنَّ اللهَ سُبْحانَهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ أَعْدَاءَهُ وَيَمْحَقَهُمْ قَيَّضَ لَهُمْ الأَسْبَابَ الَّتِي يَسْتَوْجِبُوْنَ بِهَا هَلاَكَهُمْ ، وَمَحْقَهُمْ ، وَمِنْ أَعْظَمِهَا بَعْدَ كُفْرِهِمْ بَغْيُهُمْ ، وَطُغْيَانُهُمْ ، وَمُبَالَغَتُهُمْ ، فِي أَذَى أَوْلِيَائِهِ ، وَمُحَارَبَتُهُمْ ، وَقِتَالُهُمْ ، والتَّسَلُّطُ عَلَيْهِمْ ، فَيَتَمَحَّصُ بِذَلِكَ أَوْلِيَاؤُهُ ، مِنْ ذُنُوْبِهِم ، وَعُيُوْبِهِم ، وَيَزْدَادُ بِذَلِكَ أَعْدَاؤُهُ ، مِن أَسْبَابِ مَحْقِهِمْ وَهَلاَكِهِمْ ، وَقَدْ ذَكَر اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ (٣ : ١٣٩ ـ ١٤١ ولا تَهِنُوْا ولا تَحْزَنُوْا وأَنْتُمْ الأَعلَوْن إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْن إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ولِيَعْلَمَ اللهُ الذينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ واللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِيْن وليُمَحِّص اللهُ الذينَ آمَنُوْا وَيَمْحَقَ الكافِرين ﴾ .

فَجمَعَ لَهُمْ في هَذَا الخِطَابِ ، بَيْنَ تَشْجِيْعِهِمْ ، وَتَقْوِيَةِ نُفُوسِهِم ، وإِحْيَاءِ عَزَائِمِهِمْ ، وَهِمَمِهِم ، وَبَيْنَ حُسْنِ التَّسْلِيَةِ ، وَذِكْرِ الحِكَمِ البَاهِرَةِ ،

الَّتِيْ اقْتَضَتْ إدَالَةَ الكُفَّارِ عَلَيْهِمْ ، فَقَال ﴿ إنْ يَمْسَسْكم قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾ فَقَدْ اسْتَوَيْتُمْ فِي الرَّجَاءِ والثَّوَاب ، كَمَا قَالَ (٤ : ١٠٤ إن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فإنَّهم يأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ، وَتَرْجُوْنَ مِن اللهِ مَالاَ يَرْجُوْنَ ﴾ فَمَا بَالُكُمْ تَهِنُـوْنَ وَتَضْعُفُوْنَ عِنْدَ القَرْحِ والأَلَمِ فَقَدْ أَصَابُوا ذَلِكَ في سَبِيْلِ الشَّيْطَانِ وأَنْتُمْ أَصَبْتُمْ في سَبِيْلِي وابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي .

ثم أَخْبَرَ أَنَّهُ يُدَاوِلُ أَيَّامَ هَذِهِ الحَيَاةِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَأَنَّهَا عَرَضٌ حَاضِرٌ يَقْسِمُهَا دُوَلاً بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ ، بِخِلاَفِ الآخِرَةِ ، فإِنَّ عِزَّهَا وَنَصْرَهَا وَرَجَاءَهَا خَالِصٌ لِلذِيْنَ آمَنُوْا .

ثُمَّ ذَكَرَ حِكمَةً أُخْرَى وهيَ اتِّخَاذُهُ سُبْحَانَهُ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ ، فإِنَّهُ يُحِبُّ الشُّهَدَاءَ مِن عِبادِهِ ، وَقَدْ أَعَدَّ لَهُمْ أَعْلَى المَنَازِلِ ، وَأَفْضَلَهَا وَقد اتَّخَذَهُمْ لِنَفْسِهِ ، فَلاَ بُدَّ أَنْ يُنِيْلَهُمْ دَرَجَةَ الشَّهَادَةِ .

وفي قوله ﴿ واللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِيْن ﴾ تَنْبِيْهٌ لَطِيْفُ المَوْقِعِ جِدًا عَلَى كَرَاهَتِهِ وبُغْضِهِ لِلْمُنَافِقِيْنَ ، الذينَ انْخَذَلُوا عَنْه يَومَ أُحدٍ ، فَلَمْ يَشْهَدُوْهُ ، ولم يَتَّخِذْ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ ، لأَنَّهُ لَمْ يُحِبَّهُمْ فَأَرْكَسَهُمْ وَرَدَّهُمْ ، لِيَحْرِمَهُمْ مَا خَصَّ بِهِ المُؤْمِنِيْنَ في ذَلِكَ اليَوْمِ ، وَمَا أَعْطَاهُ مَنْ اسْتُشْهِدَ مِنْهُمْ ، فَثَبَّطَ هَؤُلاَءِ الظالِمِيْن ، عن الأَسْبَابِ التِي وَفَّقَ لَهَا أَوْلِيَاءه وَحِزْبَهُ .

ثُمَّ حِكْمَةً أُخْرَى فِيْمَا أَصَابَهُمْ مِن الذُّنُوْب ذَلِكَ اليَوْم ، وهيَ تَمْحِيْصُ الذِيْنَ آمَنُوا وَهُوَ تَنْقِيَتُهُمْ وَتَخْلِيْصُهُمْ مِن الذُّنُوْبَ ، وَمِن آفَاتِ النُّفُوسِ .

وَمِنْهَا أنَّ وَقْعَةَ أُحُدٍ كَانَتْ مُقَدِّمَةً وَارْهَاصاً بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِ النبي ﷺ ، فَنَبَّأَهم وَوَبَّخَهُمْ عَلى انْقِلاَبِهِمْ عَلَى أَعْقَابِهِم إنْ مَاتَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ ، أوْ قُتِلَ

بَلْ الوَاجِبُ لَهُ عَلَيْهِمْ : أَنْ يَثْبُتُوْا عَلَى دِيْنِه ، وَتَوْحِيْدِهِ ، وَيَمُوْتُوْا عَلَيهِ ، أَوْ يُقْتَلوا ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُوْنَ رَبَّ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَهُوَ حَيٌ لَا يَمُوْتُ ، فَلَو مَاتَ مُحَمَّدٌ أَوْ قُتِلَ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَصْرِفَهُمْ ذَلِكَ عَنْ دِيْنِهِ ، وَمَا جَاءَ بِهِ ، فَكُلُ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ .

وَمَا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً ﷺ إليهِمْ لِيُخَلَّدَ لَا هُوَ وَلَا هُمْ ، بَلْ لِيَمُوْتُوْا عَلَى الإِسْلَامِ وَالتَّوْحِيْدِ ، فَإِنَّ المَوْتَ لَا بُدَّ مِنْهُ ، سَوَاء مَاتَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ أَوْ بَقِيَ وَلِهَذَا وَبَّخَهُمْ عَلَى رُجُوْعِ مَنْ رَجَعَ مِنْــهُمْ عَنْ دِيْنِهِ ، لَمَّا صَرَخَ الشَّيْطَانُ بأَنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُتِلَ ، فَقَالَ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُوْلٌ قَد خَلَت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي الله الشاكرين ﴾ .

والشَّاكِرُوْنَ هُمُ الذِيْنَ عَرَفُوْا قَدْرَ النِّعْمَةِ فَثَبَتُوْا عَلَيْهَا حَتَّى مَاتُوْا أَوْ قُتِلُوا ، فَظَهَرَ أَثَرُ هذا العِتَابِ، وحُكْمُ هَذَا الخِطَاب يومَ مَاتَ رسُولُ الله ، ﷺ وارْتَدَّ مِن ارْتَدَّ عَلَى عَقبَيْهِ، وَثَبَتَ الشَّاكِرُوْنَ عَلَى دِيْنِهِم ، فَنَصرَهُمُ اللهُ ، وَأَعزَّهُم ، وأَظْفَرَهُمْ ، بِأَعْدَائِهِم وَجَعَلَ العَاقِبَةَ لَهُمْ .

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ نَفْسٍ أَجَلاً لَا بُدَّ أَنْ تَسْتَوفِيَهُ تَنوَّعَتْ أَسْبَابُهُ ، وَيَصْدُرُونَ عَن مَوْرِدِ القِيَامَةِ ، مَصَادِرَ شَتَّى ، فَرِيْقٌ في الجنةِ وَفَرِيْقٌ في السَّعِيْرِ .

ثم أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ جَمَاعَةً كَثِيْرَةً من أَنْبيائِهِ قُتِلُوْا ، وَقُتِلَ مَعَهُمْ أَتْبَاعٌ لهُم كَثِيْرُوْن ، فَمَا وَهَنَ منْ بَقِيَ مِنْهُمْ ، لِمَا أَصَابَهُمْ في سَبِيْلِ اللهِ ، وَمَا ضَعُفُوا ، وما اسْتَكَانُوا وَما وَهَنُوا عِنْدَ القَتْلِ ، وَلَا ضَعُفُوا ولا اسْتَكَانُوا ، بَلْ تَلَقُوا الشَّهَادَةَ بالقُوةِ والعَزِيْمَةِ ، والاقْدَامِ ، فلَمْ يُسْتَشْهَدُوْا مُدْبِرِيْنَ مُسْتَكِيْنِيْن أَذِلةً

بَلْ اسْتُشْهِدُوْا أَعِزَةً كِراماً مُقْبِلِيْنَ غَيْرَ مُدْبِرِيْنَ والصَّحِيْحُ أَنَّ الآيةَ تَتَناوَلُ الفَرِيْقَيْنِ كِلَيْهِمَا ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَمَّا اسْتَنْصَرَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ وأُمَمُهمْ عَلَى قَوْمِهِمْ مِن اعْتِرَافِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ واسْتِغْفَارِهِمْ وَسُؤالِهِم رَبَّهُمْ أَنْ يُثَبِّتَ أَقدامَهُمْ وأَنْ يَنْصُرَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ فَقالَ ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إلا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَاسْرَافَنَا في أَمْرِنَا وثَبِّتْ أَقـدامَنَا وانْصُرْنَا عَلَى القوم الكافرِيْن فآتاهُمُ اللهُ ثوابَ الدُنْيَا وَحُسْن ثواب الآخِرةِ واللهُ يُحِبُّ المُحْسِنين .

لَمَّا عَلِمَ القَوْمُ أَنَّ العَدُوَّ إنَّمَا يُدَالُ عَلَيْهِمْ بذُنُوبِهِمْ ، وَأَنَّ الشيطانَ إنَّمَا يَسْتَزِلُّهُمْ وَيَهْزِمُهُمْ بِهَا ، وأَنَّهَا نَوْعَانِ تَقْصِيْرٌ في حَقٍّ ، أَوْ تَجاوُزٌ لِحَدٍ ، وأَنَّ النَّصْرَ مَنُوْطٌ بالطَّاعَةِ ، (قَالُوا : رَبَّنَا اغْفِر لَنَا ذُنُوبَنَا ، وإِسْرَافَنَا في أَمْرِنَا) ثُمَّ عَلِمُوْا أَنَّ رَبَّهُمْ تَبارَكَ وَتَعالَى ، إنْ لَمْ يُثَبِّتْ أَقْدَامَهُمْ وَيَنْصُرْهُمْ لَمْ يَقْدِرُوْا هُمْ عَلَى تَثْبِيتِ أَقْدَامِ أَنْفُسِهِمْ ، وَنَصْرِهَا عَلَى أَعْدَائِهِم ، فَسَأَلُوْهُ مَا يَعْلَمُوْنَ أَنَّهُ بيَدِهِ ، دُوْنَهُمْ ، وأَنَّهُ إنْ لَمْ يُثَبِّتْ أَقْدامَهُمْ وَيَنْصُرْهم لم يَثْبُتُوا ، ولم يَنْتَصِرُوا .

ثُمَّ ذَكَرَ حِكْمَةً أُخْرَى ، وهي أَنْ يَتَمَيَّزَ المُؤْمِنُونَ مِن المُنَافِقِيْنَ فَيَعْلَمُهُمْ عِلْمَ رُؤْيَةٍ وَمُشَاهَدَةٍ ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا مَعْلُومِيْنَ في غَيْبِهِ ، وذلكَ العِلْمُ الغَيْبي لاَ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ ثَوابٌ ، ولا عِقَابٌ ، وإِنَّمَا يَترَتَّبُ الثَّوَابُ والعِقَابُ عَلَى المَعْلُومِ ، إِذَا صَارَ مُشَاهَداً واقِعاً في الحِسِّ .

فَوَفَّوْا المَقَامَيْن حقَّهُمَا ، مَقَامَ المُقْتَضِيْ ، وَهُوَ التَّوْحِيْدُ والإلْتِجاءُ إليهِ سُبْحَانَهُ ، وَمَقَام إِزَالَةِ المانِعِ مِن النُّصْرَة ، وَهُوَ الذُنُوب والإسراف ، وَحَذَّرَهُمْ مِن طَاعَةِ عَدُوِّهِمْ ، وأخبَرَ أَنَّهُمْ إنْ أَطَاعُوْهُمْ خَسِرُوْا الدُنْيَا والآخِرَةَ .

شعرا : لَعَمْري مَا الرَّزِيَّةُ فَقْدُ مَالٍ يَكُوْنُ بِفَقْدِهِ من مُعْدِمُيْنَا
وَلَكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَقْدُ دِيْنٍ يَكُونُ بِفَقْدِهِ من كَافِرِيْنَا

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ مَوْلَى المُؤْمِنِيْن، وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِيْن فَمَنْ وَالاَهُ فَهُوَ المَنْصُوْرُ ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَهُ سَيُلْقِي في قُلُوبِ الذينَ كَفَرُوْا الرُّعْبَ ، الذِيْ يَمْنعُهُمْ مِنْ الهُجُوم عَلَيهم ، والاقْدَام عَلَى حَرْبِهِمْ ، فإِنَّهُ يُؤَيِّدُ حِزْبَهُ بجندٍ مِن الرُّعْبِ ، يَنْتَصِرُوْنَ بِهِ عَلَى أَعْدَائِهِم ، وَذَلك الرُّعْبُ بِسَبَبِ مَا فِي قُلُوْبهم مِن الشِرْكِ باللهِ وعلى قَدْرِ الشِّرْكِ يَكُونُ الرُّعْبُ ، والذينَ آمَنُوْا ، وَلَمْ يَلْبِسُوْا إِيْمَانَهُمْ بالشِّرْكِ، لَهُمْ الأَمْنُ والهُدَى والفَلاحُ ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ صَدَقَ وَعْدَهُ في النُّصْرَةِ عَلَى عَدُوِّهِ ، وَهُوَ الصَّادِقُ الوَعْدِ ، وأَنَّهُمْ لَو اسْتَمَرُّوْا على الطَّاعَةِ ولُزُوْم مَرَاكِزِهِمْ إِمْتِثَالاً لأَمْرِ النَّبِي ﷺ ، لاسْتَمَرَّتْ نُصْرَتُهُمْ ، ولكِنْ انْخَلَعُوْا عَن الطاعَةِ ، وفَارَقُوْا مَرَاكِزَهُمْ ، فانْخَلَعُوْا عَن عِصْمَةِ الطَّاعَةِ ، فَفَارَقَتْهُمُ النُّصْرَةُ ، فَصَرَفَهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ ، عُقُوْبَةً وابْتِلاءً ، وَتَعْرِيْفاً لَهُمْ بِسُوءِ عَاقِبَةِ المَعْصِيَةِ ، وَحُسْنِ عَاقِبَةِ الطَّاعَةِ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ عفا عَنْهُمْ بَعْدَ ذَلِك كُلِّهِ ، وأَنَّهُ ذُوْ فَضْلٍ على المؤمِنِيْنَ انْتَهَى بتَصَرُّفٍ يَسِيْر ،

اللهم أحينا في الدنيا مُؤْمِنِين طَائعينَ وتَوفنا مُسْلِمِينَ تَائِبينَ واغْفِرْ لَنَا ولِوُالِدِيْنا ولِجَمِيع المُسْلِمِين برَحْمَتِكَ يَا أَرْحمَ الراحمينَ وصلى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصَحبهِ أجمعين .

قال ابن القيم رحمه الله

يَـا أَيُّهَـا الـرَّجُـلُ المُـرِيْـدُ نَجَـاتَـهُ
إِسْـمَـعْ مَـقَـالَـةَ نَـاصِـحٍ مِـعْـوَانِ
كُنْ فِي أُمُـورِك كُـلِّهَـا مُـتَـمَـسِّـكـاً
بـالـوَحْـيِ لا بِـزَخَـارِفِ الـهَـذَيَـانِ
وانْصُرْ كِـتَـابَ اللهِ والـسُـنَـنَ الـتـي
جَـاءَتْ عـن الـمَـبْـعُـوْثِ بـالـقُـرْآنِ

واضْـربْ بسَيْفِ الـوَحْيِ كُـلَّ مُـعَـطِّلٍ
ضَـربَ المُجَـاهِـدِ فـوقَ كُـلِّ بَـنَـانِ
واحْمِـلْ بِعَـزْمِ الصِـدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ
مُـتَـجَـرِدٍ للهِ غَـيْـرَ جَـبَـانِ
واثْبُتْ بِصَبْـرِكَ تَـحْتَ الْـوِيَـةِ الهُـدَى
فـإذَا أُصِبْتَ فَفِـيْ رِضَـا الـرَّحْـمَـانِ
واجْـعَـلْ كِـتَـابَ اللهِ والسُّـنَـنَ التِـي
ثَـبَـتَـتْ سِـلاَحَـكَ ثُـمَّ صِـحْ بِـجَـنَـانِ
مَـن ذَا يُـبَـارِزُ فـلْيُـقَـدِّمْ نَـفْـسَـهُ
أَوَ مَـنْ يُسَابِقُ يَـبْـدُ فِي الـمَـيْـدَانِ
واصْـدَعْ بمَـا قَـالَ الـرَّسُـوْلُ ولا تَخَفْ
مِـن قِـلَّةِ الأَنْـصَـارِ والأَعْـوَانِ
فـاللهُ نَـاصِـرُ دِيْـنِـهِ وَكِـتَـابِـهِ
واللهُ كَـافٍ عَـبْـدَهُ بِـأَمَـانِ
لاَ تَخْشَى مِنْ كَـيْـدِ الْعَـدوِّ وَمَـكْـرِهِم
فَـقِـتَـالُـهُـم بـالـكِـذْبِ والبُـهْـتَـانِ
فَجُنُـودُ اتْـبَـاعِ الـرَّسُـوْلِ مَـلاَئِـكٌ
وَجُـنُـودُهُـم فَعَـسَـاكِرُ الـشَـيْـطَانِ
شَـتَّـانَ بَيْـنَ العَسْـكَرَيْـنِ فَمَنْ يَكُـنْ
مُـتَـحَـيِّـزاً فَـلْيُـنْـظُرِ الـفِـئَـتَـانِ

واثْبُتْ وَقَاتِلْ تَحْتَ رَايَاتِ الهُدَى
واصْبِرْ فَنَصْرُ اللهِ رَبِّكَ دَانِ

واذْكُرْ مُقَاتَلَهُمْ لِفُرْسَانِ الهُدَى
للهِ دَرُّ مُقَاتِلِ الفُرْسَانِ

وادْرَأْ بِلَفْظِ النَّصِ في نَحْرِ العِدَى
وارْجُمْهُمُ بِشَوَاقِبِ الشُّهبَانِ

لَا تَخْشَى كَثْرَتَهُم فَهُمْ هَمَجُ الوَرَى
وَذُبَابُه أَتَخَافُ مِن ذُبَّانِ

واشْغَلْهُمُ عِنْدَ الجِدَالِ بِبَعْضِهِمْ
بَعْضاً فَذَاكَ الحَزْمُ لِلْفُرْسَانِ

وإذَا هُمُوا حَمَلُوا عَلَيْكَ فَلاَ تَكُنْ
فَزِعاً لِحَمْلَتِهِمْ وَلَا بِجَبَانِ

واثْبُتْ وَلَا تَحْمِلْ بِلَا جُنْدٍ فَمَا
هَذَا بِمَحْمُودٍ لَدَى الشُّجْعَانِ

فَإِذَا رَأَيْتَ عِصَابَةَ الإِسْلَامِ قَدْ
وافَتْ عَسَاكِرَهَا مَعَ السُلْطَانِ

فَهُنَاكَ فَاخْتَرِقِ الصُفُوفَ ولا تَكُنْ
بِالعَاجِزِ الوَانِيْ ولا الفَزْعَانِ

وَتَعَرَّ مِنْ ثَوْبَيْنِ مَنْ يَلْبَسْهُمَا
يَلْقَى الرَّدَى بِمَذَمَّةٍ وَهَوانِ

ثوبِ مِنَ الجَهْلِ المُركَّبِ فَوْقَهُ
ثَوْبُ التَّعَصُّبِ بِئْسَتِ الثَّوْبَانِ
وَتَحَلَّ بالإنْصَافِ أَفْخَرَ حُلَّةٍ
زِيْنَتْ بِهَا الأَعْطَافُ والكَتِفَانِ
واجْعَلْ شِعَارَكَ خَشْيَةَ الرَّحْمَنِ مَعْ
نُصْحِ الرسولِ فَحَبَذَا الأَمْرَانِ
وَتَمَسَكَنَّ بِحَبْلِهِ وبِوَحْيِهِ
وَتَوَكَّلَنَّ حَقِيْقَةَ التُّكْلاَنِ

فالحَقُّ وَصْفُ الرَّبِ وهُو صِرَاطُهُ الْهَادِي إليهِ لِصَاحِبِ الايمانِ
وهو الصِّراطُ عليهِ رَبُّ العرشِ أيْضاً وذَا قد جَاءَ في القُرآنِ

والحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُمْتَحَنٌ فَلاَ
تَعْجَبْ فَهَذِيْ سُنَّةُ الرحمنِ

وبِذَاكَ يَظْهَرُ حُزْبُهُ مِن حِزْبِهِ
ولاجْلِ ذَاكَ النَاسُ طَائِفَتَانِ

ولأَجْلِ ذَاكَ الحَرْبُ بَيْنَ الرسلِ والْكفارِ مُذْ قَامَ الوَرَى سِجْلانِ
لكِنَّمَا العُقْبَى لأَهْلِ الحَقِ إنْ
فَاتَتْ هُنَا كَانَتْ لَدَى الدَّيَانِ
واجْعَلْ لِقَلْبِكَ هِجْرَتَيْنِ وَلاَ تَنَم
فَهُمَا عَلَى كُلِّ امْرِءٍ فَرْضَانِ

فالهِجْرةُ الأُولَى إلَى الرَّحْمٰنِ بالإِخْلاصِ في سِرٍّ وفي إعْلانِ
فـالقَصْدُ وجـهُ اللهِ بالأَقْـوَالِ والأَعْمَـالِ والـطَّاعَـاتِ والشُّكْـرَانِ

فَبِــذَاكَ يَنْـجُـو العَبْــدُ مِـنْ إشْــرَاكِـهِ
ويَــصِـيْـرُ حَـقـاً عَـابِـدَ الـرَّحْـمَـنِ
والهِجْرةُ الأُخْرَى إلَى المَبْعُوثِ بالحَقِ المُبِيْنِ وَوَاضِحِ البُرهَانِ
فَيَــدُوْرُ مَــعْ قَــوْلِ الــرَّسُــوْلِ وَفِعْــلِهِ
نَــفْـيـاً وإِثْــبَــاتــاً بِــلاَ رَوَغَــانِ
وَيُـحَكِّـمُ الـوَحْيَ المُبِيْنَ عَـلَى الَّـذِي
قَــالَ الــشُيُــوْخُ فَـعِـنْـدَهُ حَـكَـمَـانِ
لا يَحْكُمَانِ بباطِـل أَبَداً وكُـلُ العَدْلِ قَـدْ جَاءَتْ بـه الحَكَمَانِ
وَهُــمُــا كــتــابُ اللهِ أعْــدَلُ حَــاكِـمٍ
فــيــه الـشِّـفَـا وَهِـدَايَـةُ الـحَـيْـرَانِ
وَالــحَــاكِـمُ الــثَّــانِـيْ كَــلاَمُ رَسُــوْلِـهِ
مَــا ثَــمَّ غَــيْــرُهُــمَــا لِــذِي إِيْــمَــانِ
فــإذَا دَعَــوْكَ لِـغَيْـرِ حُـكْـمِـهِـمَـا فَــلاَ
سَـمْـعـاً لِـدَاعِـي الكُـفْــرِ والـعِـصْـيَـانِ

قُــلْ لاَ كَــرَامَــةَ لا وَلاَ نُــعْــمَــاً وَلاَ
طَوْعاً لِــمَـنْ يَــدعُــوْ إِلَــى الــطُّغْـيَــانِ
وإذَا دُعِيْتَ إلَى الــرَّسُــوْلِ فَقُــلْ لَــهُـمْ
سَــمْـعــاً وَطَــوْعــاً لَـسْـتُ ذَا عِـصْـيَــانِ

وَإِذَا تَكَـاثَـرَتِ الخُصُـوْمُ وَصَيَّحُـوْا
فَـاثْبُتْ فَصَيْحَتُهُـمْ كَمِثْـلِ دُخَـانِ
يَـرْقَى إِلَى الأَوْجِ الـرَّفِيْـعِ وَبَعْـدَهُ
يَهْـوِيْ إِلَى قَعْـرِ الحَضِيْضِ الـدَّانِـي
هَـذَا وإنَّ قِتَالَ حِزْبِ اللَّهِ بالأعمَالِ لا بِتكَائِبِ الشُجْعَـانِ
واللهِ مَـا فَـتَحُـوا الـبِـلاَدَ بِـكَـثْـرَةٍ
أَنَّـي وَأَعْـدَاهُـمْ بِـلاَ حُـسْـبَـانِ
وَكَـذَاكَ مَا فَتَحُوا القُلُوبَ بِهَـذِهِ الآراءِ بَلْ بِالعِلْمِ والإِيْمَانِ
وَشَجَـاعَةُ الفُـرْسَانِ نَفْسُ الـزُهْـدِ في
نَـفْسٍ وذَا مَـحْـذُوْرُ كُـلِّ جَـبَـانِ
وشَجَاعَةُ الحُكَّامِ والعُلَمَاءِ زُهْـدٌ في الثَّنَا مِن كُـلِّ ذي بُطْلَانِ
فَـإِذَا هُـمَـا اجْتَـمَـعَـا لِقَلْبٍ صَـادِقٍ
شُـدَّتْ رَكَـائِـبُـهُ إِلَـى الـرَّحْـمَـنِ
واقْـصِـدْ إِلَى الأَقْـرَانِ لاَ أَطْـرَافِـهَـا
فَـالـعِـزُّ تَـحْـتَ مَـقَـاتِـلِ الأَقْـرَانِ
واسْمَـعْ نَصِيْحَـةَ مَنْ لَـهُ خَبَـرٌ بِمَـا
عِـنْـدَ الـوَرَى مِنْ كَـثْـرَةِ الـجَـوَلاَنِ
مَـا عِـنْـدَهُـمْ واللهِ خَـيْـرٌ غَيْـرَ مَـا
أَخَـذُوْهُ عَـمَّـنْ جَـاءَ بِـالـقُـرْآنِ
والْـكُـلُّ بَـعْـدُ فَـبِـدْعَـةٌ أَوْ فِـرِيَـةٌ
أَوْ بَـحْـثُ تَـشْـكِـيْـكٍ وَرَأْيُ فُـلاَنِ

فـاصْـدَعْ بـأَمْـرِ اللهِ لاَ تَخْشَ الـوَرَى
فـي اللهِ واخْـشَـاهُ تـفُـزْ بـأَمَـانِ
واهْـجُـرْ وَلَـو كُـلَّ الـوَرَى في ذَاتِـهِ
لا فـي هَـوَاكَ وَنَـخْـوَةِ الـشَّـيْـطَانِ
واصْـبِـرْ بـغَـيْـرِ تَـسَـخُّطٍ وشِـكَـايَـةٍ
واصْفَحْ بِغَيْ بِغَيْرِ عِتَابِ مَن هُوَجَانِ
واهْجُـرهُم الهَجْـرَ الجَمِيْـلَ بـلاَ أَذَى
إنْ لَـمْ يكُـنْ بُـدٌّ مِـن الْـهِـجْـرَانِ
وانْـظُرْ إِلَـى الأَقْـدَارِ جَـارِيَـةً بِـمَـا
قَـدْ شَـاءَ مِـن غَـيٍّ ومِـن إِيْـمَـانِ
واجْـعَـلْ لِقَـلْبِـكَ مُقْلَتَيْنِ كِـلاَهُـمَـا
بِـالـحَقِّ في ذَا الـخَلْقِ نَـاظِـرَتَـانِ
فـانْـظُرْ بعَيْنِ الحُكْمِ وارْحَمْهُمْ بِهَـا
إذْ لا تُـرَدُّ مَـشِـيْـئَـةُ الـدَّيَـانِ
وانْـظُرْ بـعَيْـنِ الأَمْـرِ واحْـمِلْهُمْ عَلَى
أَحْـكَـامِـهِ فَـهُـمَـا إذاً نَـظَرَانِ
واجْعَـلْ لِـوَجْهِـكَ مُقْلَتَيْنِ كِـلاَهُـمَـا
مِنْ خَشْـيَـةِ الـرَّحْمَـنِ بَـاكِـيَـتَـانِ
لَـوْ شَـاءَ رَبُّـكَ كُنْتَ أَيْـضـاً مِثْلَهُمْ
فـالقَلْبُ بَـيْنَ أَصَـابِـعِ الـرَّحْـمَـنِ
واحْـذَرْ كَمَـائِنَ نَفْسِـكَ الـلاَّتِي مَتَى
خَـرَجَتْ عَلَيْكَ كُسِـرْتَ كَسْـرَ مُهَـانِ

وإذَا انْتَصَـرْتَ لَهَـا فَـأَنْتَ كَـمَنْ بَغَى
طَـفْيَ الـدُّخَـانِ بِـمَـوْقَـدِ الـنِّـيْـرَانِ
واللهُ أَخْـبَـرَ وَهُـوَ أَصْـدَقُ قَـائِـلٍ
أَنْ سَـوْفَ يَـنْـصُـرُ عَـبْـدَهُ بِـأَمَـانِ
مَنْ يَعْمَـلِ الـسوءَ ا سَيُجْـزَي مِثْلَهَـا
أَوْ يَـعْـمَـلِ الـحُـسْـنَى يَـفُـزْ بِـجِـنَـانِ
هَـذِيْ وَصِـيَّـةُ نَـاصِـحٍ وَلِـنَـفْـسِـهِ
وَصـى وَبَـعْـدُ لِـسَـائِـرِ الإِخْـوَانِ

قال ابن الجوزي رحمه الله :

أَعْظَمُ المُعَاقبةِ أَنْ لا يُحِسَ المعاقَب بالعُقُوبة ، وأَشَدُّ مِن ذَلكَ أَنْ يَقَعَ السُّرورُ بما هو عُقوبة ، كالفَرَحِ بالمالِ الحرامِ ، والتمكن مِن الذُّنوب . ومَن هذه حالهُ لا يفوز بطاعة .

وإني تدبرت أحوال أكثر العلماء والمُتزَهِدّين فرأَيْتَهُمْ في عُقُوباتٍ لا يُحسُّونَ بِهَا ، ومُعْظَمُهَا مِن قِبل طَلَبِهِمْ لِلرّياسة . فالعَالِمُ منهم يغضب إنْ رُدُ عليه خَطَؤُهُ ، والواعظُ مُتَصَنّعٌ بِوَعْظِهِ ، والمتَزَهِد مُنافقٌ أَوْ مُراء . فأَوَّلُ عُقُوبَاتِهم ، إعراضُهم عن الحقِ شُغْلاً بالخَلْقِ ، ومِن خَفِيِّ عُقُوباتِهم سَلْبُ حَلاَوةِ المنَاجَاةِ ، ولذَةِ التعَبّـد .

إلا رجال مؤمنون ، ونساء مؤمنات ، يحفظ الله بهم الأرض ، بواطنهم كظواهرهم بل أجلى ، وسرائرهم كعلانيتهم بل أحلى ، وهممهم عند الثريا بل أعلى ، إن عُرفوا تنكروا ، وإن رُئيت لهم كرامة أنكروا . فالناس في غفلاتهم ، وهم في قطع فلاتهم ، تحبهم بقاع الأرض ، وتفرح بهم أملاك السماء . نسأل الله عز وجل التوفيق لاتباعهم ، وأن يجعلنا من أتباعهم .

وَسَل العِيَاذَ مِنَ التَّكَبُّرِ وَالهَوى   فَهُمَـا لِكُـل الشَّرِ جَامِعَتَـانِ
فَتَـرى هَوَاهُ يَمْنَعُـهُ تَارَةً   والكِبْـر أُخْـرى ثم يجتَمِعَـانِ
والله ما في النـار إلاَّ تابـعٌ   هاذين فاسأل سَاكِنـي النِّيْـرَانِ

آخــــر :

تَوَاضَعْ إِذَا مَانِلْتَ في الناس رِفْعَةً   فإِنَّ رَفِيعَ الْقَـــومِ مَنْ يَتَـــواضَعُ
وَدَاوِمْ عَلى حَمْدِ الإِلـهِ وَشُكْـرِه   وَذِكْـرٍ لَهُ فَهْوَ الَـذِيْ لَكَ رَافِـعُ

وَقال ابن الجوزي : اعْتَبَرْتُ عَلىَ أَكْثَرِ العُلَمَاءِ والزُهَادِ أَنهَم يُبْطِنُونَ الكِبْرَ فهذا يَنْظُرُ في مَوْضِعِه وارْتَفِاع غَيْرِهِ عَليهِ ، وَهَذا لا يَعُودُ مَرِيْضاً فَقِيراً يَرَى نَفْسَه خيراً منه . حتى أني رأيتُ جَمَاعَةً يُوْمأ إليهم ، منهم مَن يقول لا أُدْفَنُ إلاَّ في دَكَّةِ أَحْمَدَ بنِ حنبل ، ويعلم أن في ذلك كَسْرُ عِظامِ الموتَى ، ثم يَرَى نفَسهُ أَهْلًا لِذَلِكَ التَّصَدُّرِ . ومنهم مَن يقول : إدفنوني إلى جانب مَسْجِدِي ظناً منه أنه يصير بعد موته مَزُوْراً كَمَعْرُوْف الكَرْخِي .

وهَذهِ خَلَّةٌ مُهْلِكَة ولا يعلمون . قال النبي ﷺ : « مَن ظن أنه خير مِن غيره فقد تكبر . وقَلَّ مَن رأيتُ إلا وهو يَرى نفسه » .

والعجبُ كُلَّ العجبِ مِمَّنْ يَرى نفسَه ، أتراه بماذا ؟ إن كان بالعلم فقد سَبَقَهُ العُلماء ، وإن كان بالتعبد فقد سَبَقه العبَّاد ، أو بالمال فإن المال لا يوجب بنفسَه فضيلةً دِينيةً . فإن قال : قد عرفتُ ما لم يعرف غيري مِن العلم في زمني، فما عليّ مِمَّن تقـــدم .

قيل له : ما نأمركَ يا حافظَ القُرآن أن تَرى نفسَك في الحِفْظِ كَمَنْ يَحْفَظُ النِصف ، ولا يا فقيه أن تَرى نفسك في العلم كالعامي ، إنما نَحذرُ عليك أن تَرى نفسَك خيراً مِن ذلك الشخص المؤمن وإن قَلّ علمه ، فإن الخيريةَ بالمعاني لا بصورة العِلم والعبادة. ومَن تلمح خصالَ نفسِه وذُنُوبَها علم أنه على يقين مِن الذنوب والتقصـــير .

شعرا : ياصِحَاحَ الأَجْسَادِ كَيفَ بَطَلْتُمْ   لاَ لِعُذْرٍ عَنْ صَالِحِ الأَعْمالِ
لَوْ عَلِمْتُم أَنَّ البَطَالَةَ تُجْـــدِي   حَسْرَةً في مَعَـــادِكم والمآلِ
لَتَبادَرْتُم إِلَى مَا يَقِيْكُـــم   مِنْ جَحِيمٍ في بَعْثِكم وَنَكالِ
إِنَّمَّا هَذِهِ الحَيَـــاةُ غُرُورٌ   أَبَداً تُطْمِعُ الوَرَى في المُحَالِ

كَيْفَ يَهْنيْكموا القَرَارُ وأَنْتُـــمْ بَعْدَ تَمهِيْدِكُم عَلَى الارْتِحَالِ
الهُدَى واضحٌ فلا تَعْدِلُوا عَنْـــهُ ولا تَسْلُكوا سَبْلَ الضَّلَالِ
وأَنيبُوا قَبْلَ المَمَاتِ وتُوبُوا تَسْلَمُوا في غَدٍ مِنَ الأَهْوَالِ

اللهم افتح لدعائنا باب القبول والإجابة وإغفر لنا ولوالدينا وجميع المُسْلِمِيْن .

اللهُمَّ احْفَظْنَا مِن المُخَالَفَةِ وَالعِصْيَانِ وَلا تُؤَاخِذْنَا بِجَرائِمنَا وَمَا وَقَعَ مِنَّا مِن الخَطأَ وَالنِّسْيَانِ وَاغِفْر لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمين الأَحْياءِ مِنْهُم وَالميِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ

غزوة حنين

حنين واد قربَ ذِي المجاز بينه وبين مكة ثلاث ليال قربَ الطائف وتُسمّى غزوة أو طاس سُمِيَّتِ الغزوة باسم المكانَيْن.

لم ينقض شهر على مغادرة النبي ﷺ للمدينة، حتى ترامت إليه الأخبار أن قبيلة هوزان النازلة شرق مكة، تحشد رجالها، وتستعد لهجوم مفاجىء على المسلمين.

وذلك لقلقها المتزايد من زيادة عدد المسلمين لاسيما بعد توقيع صلح الحديبية، وقد كانوا يعملون ــ من قبل فتح مكة بزمن طويل ــ على إثارة مختلف قبائل العرب ضد الإسلام، أما وقد فتحت مكة، فقد أصبح لزاماً عليهم في رأيهم أن يوجهوا الى الإسلام ضربة قاتلة، قبل أن يستفحل أمره، ويصبح من المحال القضاء عليه.

وهم رجال حرب بطبيعتهم، فما كانوا يحتاجون لأكثر من أيام معدودات لحشد جيش كبير. ترامت الى النبي ﷺ أخبارها، فأوفد من يتبين له الأمر، وعاد الرسول يؤيد الخبر، فأمر النبي ﷺ على التو ــ أي على الفور ــ بتجهيز جيش قوي لِسَحْقِ هَوزان.

وسَرَعَان ما إلتفَ عشرةُ آلاف مقاتل ساروا وعلى رأسهم النبي ﷺ إلى وَادِيْ حنين حيث احتشدت جنود هوزان.

وقد أمدت مكة المسلمين بكميات وافرة مِن السلاح والعتاد بِجَانِبِ الألفين مِن المقاتلين.

وكانت هوزان حاذقة في الرماية بالسهام والنبال، يضاف إلى هذا أنها احتلت المراكز الممتازة كلها، وقد وزعت زهرة رماتها فوق التلال والمرتفعات: واضطر المسلمون إلى النزول بالمراكز غير الملائمة، فكانت السهام تنزل عليهم من كل صوب وحدب أشبه بالمطر.

بينما تقدمت ساقة هوزان لمهاجمة قلب جيش المسلمين، والتقى الجمعان وجهاً لوجه، وكانت طليعة المسلمين تحت إمرة خالد بن الوليد، وهي مكونة من المكيين وفيهم غير المسلمين. فكانوا أول من خاض غمار المعركة.

ولكنهم لم يتحملوا عنف القتال المرير فتقهقروا، وأدى تقهقرهم الى اضطراب النظام بين صفوف المسلمين، فارتدوا جميعاً في غير نظام، وتقهقرت فيالق المهاجرين والأنصار هي الأخرى، وبقي النبي ﷺ ومعه عمه العباس في فئة قليلة من المقاتلين وحدهم في العراء عرضة لسهام المهاجمين المحتشدين.

رأى النبي جيش المسلمين يرتد فثبت في مركزه المحفوف بالخطر في رباطة جأش تدعو إلى الإعجاب الشديد. كان العدو يتقدم في سرعة خاطفة، وكاد يكون بمفرده، ولكن ذلك لم يؤثر فيه أي تأثير. ألم يكن في أمان، ترعاه عناية الله العلي القدير!. نفس الشعور الذي لا يخونه، والثقة التي لا حد لها في معونة الله والإيمان بالنصر النهائي لقضيته.

بقي وحده في الميدان وعاصفة العدو تدوي مِن حوله، ونادى بأعلى صوته: «أنا النبيُ لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب» وصَرَخَ العباسُ بصوته الجهوري: «يا معشر الأنصار الذين آووا ونصروا، يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تَحتَ الشجرة. إن محمداً حيٌ فهلموا» وكرر العباس النداء حتى تجاوبت في كل جنبات الوادي أصداؤه.

وأجاب المسلمون من كل جانب: «لبيك! لبيك!» وعادت جموعهم تلتئم مِن جديد. وترجل نفر منهم عن أُفراسهم وجمالهم وشدوا على العدو بعنف

وجرأة، فلم يستطع العدو الثبات في وجههم وأخذ فريق منه في الفرار، وبقي نفر آخر يقاوم وقتاً ما، ولكن عندما سقط حامل اللواء، ولوا جميعاً الأدبار.

وعندما اعتزمت هوزان الخروج للقتال أمر كبيرها مالك ـــ وهو فتى متهور في الثلاثين من عمره ـــ أن يخرج النساء والأطفال مع الجيش، ظاناً أن وجود هؤلاء يكون مُشَجِعاً ومُثيراً لِعَواطِفِ رِجاله، وحاثاً لهم، إن دَارَتِ الدائرةُ، على أن لا يَتَقَهْقَرُوا ويُولوا أعقابَهم. ولَكن لمَّا أزفَتِ الساعةُ الرهيبةُ تَركُوا وَرَاءَهُم كُلَّ شيء: النساءَ والأطفالَ والغنمَ، فَوَقَعَ في يد المسلمين أربعةٌ وعشرون ألف رأس مِن الغنم، واربعُ آلاف أوقيةٍ من الفضة، غيرُ ستةِ آلافِ أسِير.

وبعد أن وضع المسلمون غنائمهم في مكان حريز، أخذوا في السير للحاق بعدوهم المتقهقر، وقد احتمى فريق منه في قلعتهم في أوطاس، فأوفد اليهم النبي ﷺ سرية من المسلمين لتشتيتهم، بينما احتمت ساقتهم بأسوار الطائف المحصنة تحصيناً متيناً مسلحاً. كانوا رجال حرب محنكين خبيرين بالأسلحة الحديثة كالمنجنيق، وكانوا قد اختزنوا مؤونة عام كامل داخل الأسوار، وأقاموا عليها حراسة وفيرة العدد، ووزعوا حامياتهم حول أسوار المدينة.

فخف النبي إلى حصونهم وضرب الحصار عليها، وقد استعان المسلمون بالأسلحة الحديثة التي أمدتهم بها بعض القبائل الأخرى، وثقل الحصار عليهم جميعاً فجمع النبي ﷺ أصحابه للمشورة. واقترح أحد الشيوخ المحنكين تركهم وشأنهم، فقد عاد الذئب الى جُحْرِه وليس من الهين اصطياده، خصوصاً وأن المسلمين ما خرجوا إلا لرد العدوان، وها هو العدو أعجز من أن يضربهم، فأمر النبي برفع الحصار إذا لم يكن للمسلمين من هدف سوى إبعاد الخطر، وقد كان.

وفي طريق عودتهم طلب بعضهم من النبي، في نفس المكان الذي قذف فيه بالحجارة من قبل، أن يستنزل غضب الله على الأعداء. ولكنه بدلًا من أن يلعنهم ويستنزل عليهم غضب ربه، أخذ يصلي ويتضرع من أجلهم، ويبتهل إلى الله أن يهدي ثقيفاً إلى الإسلام، وأن تنضم إلى لواء النبي ﷺ. وقبل الله دعاءه، فلم ينقض وقت طويل حتى دخل الجميع في دين الله أفواجاً، طوعاً، ومن تلقاء أنفسهم. انتهى.

شعراً:

أسيرُوا الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ
لَهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبٌ مُخَالِفُ
قَدِيماً عَصَى عَمْداً وجَهْلًا وَغِرَّةً
وَلَمْ يَنْهَهُ قَلْبٌ مِنَ اللهِ خَائِفُ
تَزِيدُ سِنُوْهُ وَهْوَ يَزْدَادُ ضِلَّةً
فَهَا هُوَ فِي لَيْلِ الضَّلَالَةِ عَاكِفُ
تَطَلَّعَ صُبْحُ الشَّيْبِ وَالْقَلْبُ مُظْلِمٌ
فَمَا طَافَ فِيهِ مِنْ سَنَا الْحَقِّ طَائِفُ
ثَلاثُونَ عَاماً قَدْ تَوَلَّتْ كَأَنَّهَا
حُلُومُ مَنَامٍ أَوْ بُرُوقٌ خَوَاطِفُ
وَجَاءَ الْمَشِيبُ الْمُنْذِرُ الْمَرْءَ أَنَّهُ
إِذَا ارْتَحَلَتْ عَنْهُ الشَّبِيبَةُ تَالِفُ
فَيَا أَيُّهَا المغرورُ قَدْ أَدْبَرَ الصِّبَا
ونَادَاكَ مِنْ سِنِّ الْكُهُولَةِ هَاتِفُ
فَهَلْ أَرَّقَ الطَّرْفَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى
وَأَبْكَاهُ ذَنْبٌ قَدْ تَقَدَّمَ سَالِفُ
فَخُذْ بالدمُّوعِ الحُمْرِ حُزْناً وَحَسْرَةً
فَدَمْعُكَ يُنْبِيْ أَنَّ قَلْبَكَ آسِفُ

نَسْأَل أن يُوفِقَنَا لِتَدبُّرِ آياتِهِ وفَهْمِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ والعَمَلِ بِهِمَا وأَنْ يَرْزُقَنَا الانْتِفَاعَ بِمُرُوْرِ الزَّمَنِ على خَيرِ وَجْهٍ إنَّه القَادِرُ على ذلكَ ، اللهم أيْقِظْنَا مِن هَذِهِ السِّنَةِ وَوَفِقْنَا لاِتِّبَاعِ ذَوِي النُّفُوسِ المُحْسِنَةْ وآتِنَا في الدنيا حَسَنَةً وفي الآخرةِ حَسنةً وَقِنَا عذابَ النارِ ، اللهم وآتِنَا أَفْضَلَ ما تُؤْتِي عِبَادَكَ الصَّالِحِيْنَ.

اللهمَّ كَما صُنْتَ وجُوْهَنا عنِ السُّجُودِ لِغَيرِكَ فَصُنْ وُجُوْهَنا عنِ المسألةِ لِغَيْرِكَ. اللهم مَنْ كان على هَوَىً وهو يَظُنُّ أنه عَلى الحَقِّ فرُدَّهُ إلى الحقِ حَتَّى لا يَظِلَّ مِنْ هذِهِ الأُمةِ أحَدٌ. اللهم لا تَشْغَلْ قُلوبَنا بمَا تكفَّلتَ لنا بِهِ ولا تَجْعَلْنَا في رِزْقِكَ خَوَلًا لِغَيرِكَ ولا تَمْنَعْنَا خَيرَ ما عِندَكَ بشرِّ ما عِندَنَا واغفرْ لنا ولِوَالِدَيْنَا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والميتين برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمين، وصلى الله على مُحَمَدْ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

صفات المنافقين للامام ابن القيم

« فَصْــلٌ »

وَأَمَّا النِّفَاقُ : فَالدَّاءُ العُضَالُ ، وَالبَاطِنُ الذي يكونُ الرَّجُلُ مُمْتَلِئاً مِنْهُ ، وَهُوَ لا يَشْعُرُ . فإنَّهُ أمرٌ خَفِيٌّ على النَّاسِ . وَكَثِيْراً مَا يَخْفَى عَلَى مَنْ تَلَبَّسَ بهِ فَيَزْعُمُ أَنَّهُ مُصْلِحٌ وَهُوَ مُفْسِدٌ .

وَهُوَ نَوْعَانِ : أَكْبَرٌ ، وَأَصْغَرٌ . فالأَكْبَرُ : يُوْجِبُ الــخُلُوْدَ في النَّارِ في دَرْكِها الأَسْفلِ وَهُوَ أنْ يُظْهِرَ للمُسْلِمينَ إِيْمَانَهُ باللهِ ومَلائِكتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ . وَهُوَ في البَاطِنِ مُنْسَلِخٌ مِن ذَلِكَ كُلِّه مُكذِّبٌ به . لا يُؤمِنُ بأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بكَلامٍ أنزَلَهُ على بَشَرٍ جَعَلَهُ رَسُولاً للنَّاسِ ، يَهْدِيْهِم بإذْنِه ، وَيُنْذِرُهم بَأْسَهُ ، وَيُخَوِّفُهم عِقَابَهُ .

وَقَدْ هَتَكَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَسْتَارَ المُنَافِقِينَ ، وَكَشَفَ أَسْرَارَهُم في القُرْآنِ ،

وَجَلّى لِعِبَادِهِ أمُوْرَهُم لِيَكُوْنُوا مِنْهَا ومِنْ أهْلِهَا عَلَى حَذرٍ ، وذكرَ طَوَائِفَ العَالَمِ الثَّلاثةَ فِي أوَّلِ سُوْرَةِ البَقرة : المُؤْمنينَ ، وَالكُفَّارَ ، والمُنَافِقِيْنَ ، فذكرَ في المُؤمنينَ أرْبَعَ آيَاتٍ ، وفي الكُفارِ آيتَينِ ، وفي المُنَافِقِينَ ثلاثَ عشرَةَ آيَةِ لِكَثْرَتِهِم وَعُمُومِ الإبتلاءِ بهم ، وشِدَّةِ فِتْنَتِهم على الإِسْلام وَأَهْلِه ، فإنَّ بَليَّة الاسلامِ بهم شَدِيْدَةٌ جِدّاً ، لِأَنَّهُم مَنْسُوبُونَ إليهِ ، وَإلى نُصْرَتِه وَمُوَالاَتِهِ ، وهُم أعْدَاؤُه في الحَقِيْقَةِ ، يُخْرِجُوْنَ عَدَاوَتَهُ فِي كُلِّ قَالَبٍ ، يَظُنُّ الجَاهِلُ أَنَّهُ عِلْمٌ وإِصْلاَحٌ وَهُوَ غَايَةُ الجَهْلِ والافْسَادِ .

فَللهِ كَمْ مِنْ مَعْقَلٍ للإسْلامِ قَدْ هَدَمُوْهُ !؟ وَكمْ مِنْ حِصْنٍ لَهُ قَدْ قَلَعُوا أَسَاسَهُ وَخَرَّبُوه ؟! وَكَمْ مِنْ عَلَمٍ لَهُ قَد طَمَسُوهُ ؟! وكَمْ مِنْ لِوَاءٍ لَهُ مَرْفُوع قَدْ وَضَعُوه ؟! وَكَمْ ضَرَبُوا بمَعَاولِ الشُّبَهِ في أُصُولِ غِرَاسِهِ لِيَـقْلَعُوهَا ؟! وَكَمْ عَمَّوا عُيُونَ مَوَارِدِه بآرَائِهِمْ لِيَدْفِنُوها وَيَقْطَعُوهَا !؟ .

فَلَا يَزَالُ الإِسْلامُ وَأَهْلُه مِنْهُم في مِحْنَةٍ وَبَلِيَّة ، وَلَا يَزَالُ يَطْرُقُه مِنْ شُبَهِهِم سَرِيَّةٌ بَعْدَ سَرِيَّةٍ ، وَيزْعُمُونَ أَنَّهم بذلكَ مُصْلِحُونَ ﴿ ألا إِنَّهُم هُمَ المُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُوْنَ ﴾﴿ يُرِيْدُوْنَ لِيُطْفِئُوا نُوْرَ اللهِ بأفْوَاهِهِم وَاللهُ مُتِّمُ نُوْرِهِ وَلَوْ كَرِه الكَافِرُوْنَ ﴾

اتَّفَقُوا عَلَى مُفَارَقَةِ الوَحْيِ ، فهُم عَلَى تَرْكِ الإهْتِدَاءِ بِهِ مُجْتَمِعُونَ ﴿ وَتَقَطَّعُوا أمْرَهُم بَيْنَهُم زُبُراً . كلُّ حِزْبٍ بمَا لدَيْهم فَرِحُوْن ﴾ ﴿ يُوحِيْ بَعْضُهُم إِلَى بعْضٍ زخْرُفَ القَوْلِ غُرُوْرَا ﴾ وَلأَجْلِ ذلكَ ﴿ اتخذُوا هَذَا القُرْآنَ مَهْجُوْرَا ﴾ .

دَرَسَتْ مَعَالِمُ الإِيْمَانِ في قُلُوبِهم فَلَيْسُوا يَعْرِفُونَهَا ، وَدَثَرَتْ مَعَاهِدُه عِنْدَهُم فَلَيْسُوا يَعْمُرونَها ، وَأَفلَتْ كَوَاكِبُه النَّيِّرةِ مِنْ قُلوبهُم فلَيْسُوا يُحْيَوْنَها .

وَكَسَفَتْ شَمْسُه عِنْدَ اجْتِمَاعِ ظُلَمِ آرَائِهِم وأَفْكَارِهِم فَلَيْسُوا يُبْصِرُونَهَا ، لم يَقْبَلُوا هُدَى اللهِ الذي أرسَلَ بهِ رَسُولَهُ . وَلَمْ يَرْفَعُوا بهِ رَأْساً ، وَلَمْ يَرَوْا بالأعْرَاضِ عنْهُ إلَى آرَائِهِم وَأَفْكَارِهِمْ بَأساً ، خَلَعُوا نُصُوصَ الوَحْي عنْ سَلْطَنَةِ الحَقِيْقَةِ ، وَعَزَلُوهَا عَنْ وِلاَيَةِ اليَقِيْنِ وَشَنُّوا عَلَيْهَا غَارَاتِ التَّأْوِيْلاتِ البَاطِلَةِ ، فَلاَ يَزَالُ يَخْرُجُ عَليها مِنْهُم كَمِيْنٌ بَعْدَ كَمِيْنٌ ، نَزَلَتْ عليهم نُزُوْلَ الضَّيْفِ على أقْوَامٍ لِئامٍ ، فقابَلُوهَا بغيرِ مَا يَنْبَغِي لَهَا مِنْ القَبُولِ والاكرَامِ ، وَتَلَقَّوْها مِنْ بَعِيْدٍ ، ولكِنْ بالدَّفْعِ في الصُّدُوْرِ مِنْهَا والأَعْجَازِ ، وَقَالُوا : مَالَكِ عِندَنا مِنْ عُبُورٍ - وإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ - فَعَلَى سَبِيْلِ الإِجْتِيَازِ ، أَعَدُّوا لِدَفْعِهَا أَصْنَافَ العُدَدِ وضُرُوْبَ القَوَانِيْنِ ، وَقَالُوا - لَمَّا حَلَّتْ بِسَاحَتِهِم - مَا لَنَا وَلِظَوَاهِرَ لَفْظِيَّةٍ لا تُفِيْدُنا شَيْئاً مِنْ اليَقِيْنِ ، وَعَوامُّهم قَالُوا : حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ خَلْفُنَا مِنَ المُتأَخِّرِيْنِ ، فإِنهمُ أَعْلَمُ بهَا مِنْ السَّلفِ المَاضِيْنَ ، وَأَقْوَمُ بطُرَائِقِ الحُجَجِ والبَرَاهِيْنِ ، وأولئِكَ غَلَبَتْ عَليهم السَّذاجَةُ وَسَلاَمَةُ الصُّدُورِ وَلم يَتفَرَّغُوا لِتَمْهِيدِ قَوَاعِدِ النَّظَرِ ، وَلَكِنْ صَرَفُوْا هَمَّهُم إلى فِعْلِ المأمورِ وَتَرْكِ المَحْظُوْرِ ، فَطَرِيْقَةُ المُتأخرِيْنَ : أَعْلَمُ وأحْكَمُ ، وطَرِيْقَةُ السَّلفِ المَاضِيْنَ : أَجْهَلُ ، لَكِنَّها أَسْلَمُ

أَنْزَلُوا نُصوصَ السُّنَّةِ والقُرآنِ مَنْزِلَةَ الخَلِيْفَةِ في هَذا الزمانِ ، اسْمُهُ على السِّكَّةِ وفي الخُطْبَةِ فوقَ المَنابِرِ مَرْفُوعٌ ، والحُكْمُ النَّافِذُ لِغَيْرِهِ ، فحُكْمُهُ غَيْرُ مَقْبُوْلٍ وَلاَ مَسْمُوْعٍ ، لَبِسُوا ثِيَابَ أَهلِ الإيمانِ على قُلُوبِ أَهْلِ الزَّيْغِ والخُسْرَانِ ، وَالغِلِّ والكُفْرَانِ ، فالظَوَاهِرُ ظَوَاهِرُ الأَنْصارِ ، والبَوَاطِنُ قَدْ تَحيزَتْ إلى الكُفَّارِ ، فألسنَتُهُم ألسِنَةُ المُسَالِمِيْنَ ، وقُلُوبُهُم قُلوبُ المُحَارِبِيْنَ ، ويقولُونَ : ﴿ آمنَّا باللهِ وباليومِ الآخرِ وما هم بمؤمنين ﴾ .

رَأْسُ مَالِهِم الخَدِيْعَةُ والمَكْرُ ، وبِضَاعَتُهُم الكَذِبُ والخَتْرُ ، وَعِنْدَهِم العَقْلُ المَعِيْشِي : أَنَّ الـفَرِيْقَيْن عَنْهُمْ رَاضُونَ ، وَهُمْ بَيْنَهُم آمِنُـون ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ والذينَ آمَنُوا . وَما يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهم وَمَا يَشْعُرون ﴾ .

قَدْ أَنْهَكَتْ أَمْرَاضُ الشُبُهَاتِ والشَّهوَاتِ قُلُوْبَهُمْ فَأَهْلَكَتْهَا وَغَلَبَتِ القُصُورُ السَّيِئَةُ عَلَى إرَادَاتِهِمْ وَنِيَّاتِهِم فَأَفسَدَتْهَا ،فَفَسَادُهُمْ قَدْ تَرَامَى إلى الهَلَاكِ ، فَعجِزَ عَنْهُ الأَطِبَّاءُ العَارِفُونَ ﴿ في قُلُوبهم مَرضٌ فزادَهم اللهُ مَرضاً ولهم عَذَابٌ أليمٌ بما كانوا يكذبون ﴾ .

مَنْ عَلِقَتْ مَخَالِبُ شُكُوكِهِم بِأَدِيْم إِيْمَانِهِ مَزَّقَتْهُ كُلَّ تَمْزِيْقٍ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَرَرُ فِتْنَتِهِمْ بقَلْبِهِ ألقاهُ في عَذَاب الحَرِيْقِ ، وَمَنْ دَخَلَتْ شُبُهَاتُ تَلْبِيْسِهِم في مَسَامِعِهِ حَالَتْ بَيْنَ قَلْبِهِ وَبَيْنَ التَّصْدِيقِ ، فَفَسَادُهُم في الأَرْضِ كَثِيْر وأَكْثَرُ الناسِ عنهُ غَافِلُون ﴿ وإذَا قيلَ لهم : لا تُفْسِدُوا في الأَرضِ قَالُوا إنما نَحْنُ مُصْلِحُون ، ألاَ إنهُمْ هُمُ المُفْسِدُوْنَ ولكن لا يَشْعُرون ﴾ .

المُتَمَسِّكُ عِندَهُم بالكتابِ والسنةِ صَاحِبُ ظَوَاهِرِ ، مَبْخُوسُ حَظٌّ مِنَ المَعقُولِ ، والدَّائِرُ مَعَ النُصُوصِ عندَهُمَ كَحِمَارٍ يَحْمِلُ أَسْفاراً فَهْمُه في حَمْلِ المَنْقُول وبضَاعَةُ تاجِرِ الوَحْيِ لدَيْهِمْ كَاسِدَةٌ ، وَمَا هُوَ عِندَهُم بِمَقْبُوْل، وأَهْلُ الأَتبَاع عِنْدَهُم سُفَهَاءُ فَهُم في خَلَوَاتِهم وَمَجَالِسِهِم بِهِمْ يَتَطَيَّرُوْن ﴿ وإذَا قيلَ لهُم آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا : أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ؟ أَلَا إِنَّهُم هُمْ السُّفَهَاءُ ولَكِنْ لَا يَعْلَمُوْنَ ﴾ . قال الشاعر : « رَمَتْني بِدَائِها وانْسَلَّتِ »

لِكُلٍّ مِنْهُم وَجْهَانِ : وَجْهٌ يَلْقَى بِهِ المُؤْمِنِيْنَ ، وَوَجْهٌ يَنْقَلِبُ بِهِ إلَى إِخوَانِهِ مِنْ المُلْحِدِيْنَ ، ولهُ لِسَانَانِ : أَحَدُهُمَا يَقْلِبُه بظَاهِرِ المُسْلِمين ، والآخَرُ يترجمُ بِهِ عن سِرِّهِ المَكْنُونِ ﴿ واذا لَقُوا الذِيْنَ آمَنُوا قَالُوا آمَنّا وَاذا خَلَوا

إِلَى شَيَاطِيْنِهِم قَالُوا إِنَّا مَعَكُم إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾

قَدْ أَعْرَضُوا عَنْ الكِتَابِ والسُّنَّةِ اسْتِهْزَاءً بِأَهْلِهِمَا وَاسْتِحْقَاراً ، وَأَبَوا أَنْ يَنْقَادُوا لِحُكْمِ الوَحْيَيْنِ فَرِحاً بِمَا عِنْدَهُم مِنْ العِلْمِ الذِي لَا يَنْفَعُ الاسْتِكْثَارُ مِنْهُ إلا شَرّاً واسْتِكْبَاراً ، فَتَرَاهُم أَبَداً بِالْمُتَمَسِّكِين بِصَرِيْحِ الوَحْيِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿ اللهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِم وَيَمُدُّهُم فِي طُغْيَانِهِم يَعْمَهُونَ ﴾ .

خَرَجُوا فِي طَلَبِ التِّجَارَةِ البَائِرَةِ فِي بِحَارِ الظُّلُمَاتِ ، فَرَكِبُوا مَرَاكِبَ الشُّبَهِ وَالشُّكُوكِ تَجْرِي بِهِم فِي مَوْجِ الخَيَالاتِ ، فَلَعِبَتْ بِسُفنِهِم الرِّيْحُ العَاصِفُ ، فَأَلْقَتْهَا بَيْنَ سُفنِ الهَالِكِيْنَ ﴿ أُوْلَئِكَ الذِيْنَ اشْتَرَوا الضَّلَالَةَ بِالهُدَى ، فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهم ، وَمَا كَانُوا مُهْتَدِيْنَ ﴾ .

أَضَاءَتْ لَهُم نَارُ الإِيْمَانِ فَأَبْصَرُوا فِي ضَوْئِهَا مَوَاقِعَ الهُدَى وَالضَّلَالِ ، ثم طَفِىءَ ذلك النُّورُ ، وبقيَتْ ناراً تتأجَّجُ ذَاتَ لَهَبٍ واشْتِعَال ، فَهُم بتلكَ النَّار مُعَذبُون ، وفي تلكَ الظُّلمَاتِ يَعْمَهُونَ ﴿ مَثلهُم كَمَثَلِ الذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلمّا أضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بنُورِهِم وَتَرَكَهُم في ظُلمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ ﴾ .

أَسْمَاعُ قُلُوبهم قَدْ أَثْقَلَهَا الوَقرُ ، فهيَ لا تَسْمَعُ مُنَادِيْ الايْمَان ، وعيُونُ بَصَائِرهم عليها غِشَاوَةُ العَمَى ، فهي لا تُبْصِرُ حَقَائِقُ القُرْآن ، وأَلْسِنَتُهم بهَا خَرَسٌ عَنْ الحَقِّ ، فهُم بِهِ لا يَنْطِقُونَ ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهُم لَا يَرْجِعُونَ ﴾ .

صَابَ عليهم صَيِّبُ الوَحْي ، وَفيْهِ حَيَاةُ القُلُوب والأَرْوَاحِ ، فَلمْ يَسْمَعُوا منه الا رَعْدَ التَّهْدِيْدِ وَالوَعِيْدِ والتَّكَالِيْفِ التِيْ وُظِّفَتْ عَلَيْهم في المسَاءِ وَالصَّبَاح ، فَجَعَلُوا أَصَابِعَهُم في آذَانِهم ، وَاسْتَغْشَوا ثِيَابَهُم ، وَجَدُّوا في الهَرب ، والطَّلَبُ في آثَارِهِم وَالصِّيَاحُ ، فَنُودِيَ عَلَيْهم عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ ، وكُشِفَتْ حَالُهم لِلْمُسْتَبْصِرِيْنَ ، وضَربَ لهُم مَثلانِ بِحَسَب حَالِ

الطَّائِفَتَيْنِ مِنْهُم : المُنَاظِرِيْنَ وَالمُقَلِّدِيْنَ ، فَقِيْلَ (أَو كَصَيِّبٍ مِنْ السَّماءِ فيه ظُلمَاتٍ وَرَعدٍ وبَرْق يَجْعَلُونَ أَصَابعَهُم في آذانـهم مِنْ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ المَوْتِ ، وَاللهُ مُحِيْطٌ بالكافِرِيْنَ) .

ضَعُفَتْ أَبْصَارُ بَصَائِرِهِم عَنْ احْتِمَالِ مَا في الصَّيِّبِ مِنْ بُرُوقِ أَنْوَارِهِ وَضِياءِ معَانِيْهِ ، وعَجَزَتْ أَسْمَاعُهُم عَنْ تَلَقِّيْ رُعودِ وُعُودِهِ وَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيْهِ ، فقَامُوا عِنْدَ ذلكَ حَيَارَى في أَوْدِيَةِ التِّيْهِ ، لا يَنْتَفِعُ بِسَمْعِهِ السَّامِعُ ، وَلا يَهْتَدِيْ بِبَصَرِهِ البَصِيْرُ (كلمَا أَضَاء لهُم مَشَوْا فِيْهِ ، وَاذا أَظلَم عَلَيْهم قامُوا ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لذَهَبَ بسَمْعِهم وَأَبْصَارِهِم ، إِنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْر) .

وَاللهُ أَعْلَمْ

فَصْلٌ :

لهُم عَلامَاتٌ يُعْرَفُون بَها مُبَيَّنَةٌ في السُّنَّةِ وَالقُرْآنِ ، بادِيَةٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهَا مِنْ أَهْلِ بصَائِرِ الإِيْمَانِ ، قامَ بهم ـ وَاللهِ ـ الرِّيَاءُ ، وَهُوَ أَقبَحُ مَقَام قَامَهُ الانْسَانُ ، وَقَعَدَ بهم الكسَلُ عَمَّا أُمِرُوا بهِ مِن أَوَامِرِ الرَّحْمنِ ، فَأَصْبَحَ الإِخْلاصُ عليهم لِذلكَ ثَقِيْلا (وَاذا قامُوا إِلى الصَّلاةِ قَـامُوا كسَالىَ يُرَاؤُوْنَ النَّاسَ ، وَلَا يَذْكُرُوْنَ اللهَ إِلا قلِيْلا) .

أَحَدُهُم كَالشَّاةِ العَائِرَة بينَ الغَنَمَين ، تَيْعَرُ إِلىَ هَذه مَرَّةً وإِلى هَذه مَرَّةً ، ولا تَسْتَقِرُّ مَعَ إِحْدَى الِفئَتَين ، فهُم وَاقِفُونَ بَيْنَ الجَمْعَين ، يَنْظُرُونَ أَيُّهم أَقْوَى وَأَعزُّ قَبِيْلا (مُذَبْذبينَ بَيْنَ ذلك لا إِلىَ هَؤلاءِ ، وَلا إِلىَ هَؤلاءِ ، ومَنْ يُضْلِلَ اللهُ فَلَنْ تجِدَ لهُ سَبِيْلا) .

يَتَرَبَّصُونَ الدَّوَائِرَ بأَهْلِ السُّنَّةِ وَالقُرْآنِ . فإِنْ كانَ لهُم فَتْحٌ مِنْ اللهِ ، قالُوا : أَلَمْ نَكُنَ مَعَكُم ؟ وَأَقْسَمُوَا على ذلكَ باللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهم ، وَإِنْ كانَ لِأَعْدَاءِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِن النُّصْرَةِ نَصِيْبٌ ، قالُوا : ألمْ تَعْلَمُوا أَنَّ عَقْدَ الإِخَاءِ بَيْنَنَا مُحْكَمٌ ، وَأَنَّ النَّسَبَ بَيْننا قَرِيْبٌ ؟ فَيَا مَنْ يُرِيْدُ مَعْرِفَتَهم ، خُذْ صِفَاتِهمْ

مِنْ كَلامِ رَبِّ العَالمين ، فلا تَحْتَاجُ بَعْدَهُ دَلِيْلاً (الذيْنَ يَتربَّصُون بكُم فإنْ كانَ لكُم فتْحٌ مِنْ اللهِ ، قالُوا : ألمْ نكُن معَكُم ؟ وَانْ كانَ للكافِرِيْنَ نَصِيْبٌ ، قَالُوا : ألم نَسْتَحْوِذ عَليْكُم وَنمْنَعْكُم مِنْ المؤمنين ؟ فاللهُ يَحْكُم بَيْنَكُم يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَلنْ يَجْعَلَ اللهُ للكافِرِيْنَ على المؤمِنِيْن سَبِيْلا)

يُعْجِبُ السَّامعَ قَوْلُ أَحَدِهِم لِحَلاوَتِه وَلِيْنِه ، وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلى مَا في قَلبِه مِنْ كَذبِه وَمَيْنِه، فَتَرَاهُ عِندَ الحَقِّ نَائِماً، وفي البَاطِل عَلى الأقدَام فَخُذْ وَصْفَهُم مِنْ قَوْلِ القُدُّوسِ السَّلام : (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُه في الحَيَاةِ الدّنْيَا ويُشْهِدُ اللهَ على مَا في قلبِهِ ، وهُوَ ألدُّ الخِصَام) .

أَوَامِرُهُم التِي يَأْمُرُوْنَ بهَا أَتْبَاعَهُم مُتَضَمِّنَةٌ لِفَسَادِ البلادِ وَالعِبَادِ ، وَنَوَاهِيْهِم عَمَّا فِيْهِ صَلاحُهم في المَعَاشِ وَالمَعَادِ ، وَأَحَدُهُم تَلْقَاهُ بَيْنَ جَمَاعَةِ أَهْلِ الإِيْمَانِ في الصَّلاةِ وَالذكرِ وَالزُّهْدِ والاجْتِهَادِ ﴿ وَإذا تَوَلَّى سَعَى في الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيْهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَاللهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ ﴾ .

فَهُم جِنْسٌ بَعْضُه يُشْبِهُ بَعْضَا ، يَأْمُرُوْنَ بالمُنْكَر بَعْدَ أَنْ يَفْعَلُوه ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ المَعْرُوفِ بَعْدَ أَن يَتْرُكُوه ، وَيَبْخَلُون بالمَالِ في سَبِيْلِ اللهِ وَمَرْضَاتِهِ أَنْ يُنْفِقُوهُ، كَمْ ذَكَّرَهُمْ اللهُ بِنِعمِهِ فَأَعْرَضُوا عَنْ ذِكْرِهِ وَنَسُوهُ ؟ وَكَمْ كَشَفَ حَالهُم لِعِبَادِهِ المُؤمِنِيْنَ لِيَجْتَنِبُوه ؟ فَاسْمَعُوا أَيُّهَا المُؤمِنِيْنَ : ﴿ المنَافِقُونَ والمنَافِقَاتِ بَعْضُهم مِنْ بَعْضٍ ، يَأمُرُوْنَ بالمنكرِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ المَعْرُوفِ ، وَيَقْبِضُون أَيْدِيْهِم ، نسُوا اللهَ فَنَسِيَهُم ، إِنَّ المنافِقِيْنَ هُمْ الفَاسِقُونَ ﴾ .

إِنْ حَاكَمْتَهُم إلى صَرِيْحِ الوَحْي وَجَدْتَهُم عَنْهُ نَافِرِيْنَ ، وَإِنْ دَعَوْتَهُم إِلَى حُكم كِتَابِ اللهِ وَسُنّة رَسُولِهِ صَلى اللهُ عليه وَسلمَ رَأَيْتَهُم عَنْهُ مُعْرِضِيْنَ ، فَلَوْ شَهِدْتَ حَقَائِقَهُم لَرَأَيْتَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الهُدَى أَمداً بَعِيْداً ، وَرَأَيْتَهَا مُعْرِضَةً عَنْ

الوَحْي إعْرَاضاً شَدِيْدَاً ﴿ وَاذَا قِيْلَ لَهُم : تعالَوا إلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإلَى الرَّسُولِ ، رَأَيْتَ المنافِقِيْنَ يَصُدُّوْنَ عَنْكَ صُدُوْدَا ﴾ .

فَكَيْفَ لَهُم بالفَلَاحِ وَالهُدى ! بَعْدَ مَا أُصِيْبُوا في عُقُولِهِم وَأَدْيَانِهم وَأَنَّى لهُم التخَلُّصُ مِنْ الضَّلالِ وَالرَّدَى ؟ وَقَدْ اشْتَرَوا الكُفرَ بايْمَانِهم ؟ فَمَا أَخْسَرَ تِجارَتَهم البَائِرَة ! وَقَد اسْتَبْدَلُوا بالرَّحِيْقِ المَختُوم حَرِيْقَا ﴿ فَكَيْفَ إذا أَصَابَتْهُم مُصِيْبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيْهِم ، ثُمَّ جَاؤُوْكَ يَحْلِفُونَ باللَّهِ : إنْ أَرَدْنَا إلَّا احْسَاناً وَتَوْفِيْقاً ﴾ .

نَشَبَ زَقُّومُ الشُّبَهِ وَالشُّكُوكِ في قُلُوبهم . فَلا يُجِيْدُونَ لَهُ مَسِيْغَا ﴿ أولئك الذين يَعْلَمُ اللهُ ما في قُلُوبهم ، فَأَعْرِضْ عَنْهُم وَعِظهم ، وَقُلْ لَهُم في أنفُسِهِم قَوْلاً بَلِيْغا ﴾ .

تَبّاً لَهُم ، مَا أبعَدَهُم عن حَقيقةِ الإيْمَانِ ! وَمَا أَكْذَبَ دَعْوَاهُم لِلتَّحْقيق وَالعِرْفَانِ ، فالقَومُ في شَأنٍ وَاتِّبَاعُ الرَّسُولِ في شَأنٍ والله أعْلَم وصلى الله على مُحَمَّد .

فَصْل :

لقدْ أقْسَم اللهُ جلّ جلالُهُ في كتَابِهِ بِنَفْسِه المُقَدَّسَةِ قسَماً عَظِيْماً يَعْرِفُ مَضْمُونَه أُوْلُوا البَصَائِر ، فَقُلُوبُهم منه على حَذرٍ إجْلالاً له وتَعْظِيْماً ، فَقَالَ تَعَالَى تَحْذِيْراً لِأَوْلِيَائِه وَتَنْبِيْهاً على حَالِ هَؤلاءِ وَتَفْهِيْماً : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُوْنَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيْمَا شَجرَ بينَهم ، ثم لا يَجِدُوا في أنفُسِهم حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ ، وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيْما ﴾ .

تَسْبِقُ يَمِيْنُ أَحَدِهم كَلَامَهُ مِنْ غيرِ أن يُعْتَرَضَ عليه ، لِعِلْمِهِ أَنَّ قُلوبَ أَهْلِ الإيْمَانِ لَا تَطْمَئِنُّ إليه ، فَيَتَبَرَّأ بِــيَمِيْنِهِ مِنْ سُوْءِ الظَّنِّ بِهِ وَكَشْفِ مَا لَدَيْه ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الرِّيْبَةِ يَكْذِبُونَ ، وَيَحْلِفُونَ لِيَحْسَبَ السَّامِعُ أَنَّهُمْ صَادِقُونَ قد ﴿ اتَّخذُوا أَيْمَانَهُم جُنَّةً ، فَصَدُّوا عن سَبِيْلِ اللهِ ، إنهم سآء ما كانوا

يعملون ﴾ قال الشاعر :

أمْسَى النِفَاقُ دُروعاً يُسْتَجَنُّ بها عَنِ الأَذَى ويُقَوِّيْ سَرْدَهَا الحَلِفُ

تَبّاً لهُم بَرزُوا إِلَى البَيْدَاءِ مَعَ رَكْبِ الإِيْمَانِ ، فَلَمَّا رَأَوْا طُوْلَ الطَّرِيْقِ وَبُعْدَ الشُّقَّةِ نَكَصُوا عَلى أَعْقَابِهِم وَرَجَعُوا ، وَظَنُّوا أَنَّهُم يَتَمَتَّعُون بِطَيِّبِ العَيْشِ وَلَذَّةِ المَنَامِ في دِيَارِهِم ، فَمَا مُتِّعُوا بِهِ ولا بِتِلْكَ الهَجْعَةِ انْتَفَعُوا ، فَمَا هُوَ إلا أَنْ صَاحَ بِهِم الصَّائِحُ فقامُوا عن مَوائِدِ أَطْعِمَتِهِم وَالقَوْمُ جِيَاعٌ مَا شَبِعُوا ، فَكَيْفَ حَالُهم عِنْدَ اللِّقاءِ ؟ وقَد عَرَفُوا ثم أنكرُوا ، وَعَمُوا بَعْدَ مَا عَايَنُوا الحَقَّ وَأَبْصَرُوا ﴿ ذَلِكَ بأنهُم آمَنُوا ثم كفَرُوا فَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِم فَهُم لا يَفْقَهُونَ ﴾ .

أَحْسَنُ النَّاسِ أَجْسَاماً وَأَخْلَبُهم لِسَاناً وَأَلْطَفُهُم بَياناً وَأَخْبَثِهُم قُلُوباً وَأَضْعَفُهُم جَنَاناً ، فهمُ كالخَشَبِ المُسَنَّدَةِ التِي لا ثَمَرَ لَهَا ، قد قُلِعَتْ مِنْ مَغَارِسِهَا فَتَسَانَدَتْ إِلى حَائِطٍ يُقِيْمُها لِئَلاّ يَطَأَهَا السَّالِكُونَ ، ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُم تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهم ، وانْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لقَوْلِهِم ، كَأَنَّهُم خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ، يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِم ، هُمْ العَدُوّ فَاحْذَرْهُم ! قَاتلهُم اللهُ ! أنّىٰ يُؤْفكُونَ ﴾ !

يُؤَخِّرُونَ الصَّلاةَ عَنْ وَقْتِهَا الأَوَّلِ إِلَى شَرْقِ المَوْتَى ، فالصُّبْحُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَالعَصْرُ عِنْدَ الغُروْبِ ، وَيَنْقرُونَهَا نَقْرَ الغُرابِ ، اذْ هِيَ صَلاةُ الأَبْدَانِ لَا صَلاَةُ القُلوبِ ، وَيَلْتَفِتُونَ فِيْهَا التِفَاتَةِ الثَّعْلَبِ ، إِذْ يَتَيَقَّنُ أَنَّهُ مَطْرُودٌ مَطْلُوبٌ ، وَلَا يَشْهَدُونَ الجَمَاعَةَ ، بَلْ إِنْ صَلَّى أَحدهُم فِفِي البَيْتِ أَوِ الدُّكّانِ ، وَإِذا خَاصَمَ فَجرَ ، وَإِذا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذا وَعَدَ أَخلَفَ ، وَإِذَا ائْتمِنَ خَانَ ، هَذِهِ مُعَامَلَتُهُمْ لِلْخَلْقِ ، وَتِلْكَ مُعَامَلَتُهم لِلْخَالِقِ ، فَخُذْ وَصْفَهُم مِنْ أَوَّلِ ﴿ المُطَفِّفِيْنَ ﴾ وَآخِر ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطارِقْ ﴾

فلا يُنَبِّئُكَ عَنْ أَوْصَافِهِم مِثْلُ خَبِيْرٍ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبي جَاهِدْ الكُفَّارَ والمنافِقْينَ وَاغْلُظْ عَلَيهِم وَمَأوَاهُم جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيْرُ ﴾ .

فَمَا أَكْثَرَهُم ! وَهُمْ الأَقَلُّونَ ، وَمَا أَجْبَرَهُم !ـ وَهُمْ الأذَلُّونَ ، وَمَا أَجْهَلهُم ! وَهُمْ المُتَعَالِمُونَ ، وَماأغَرَّهُم باللهِ ! إِذْ هُمْ بِعَظَمَتِهِ جَاهِلُون ﴿ وَيَحْلِفُونَ باللهِ إِنَّهُم لَمِنْكُمْ ، وَمَا هُمْ مِنْكُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ .

إِنْ أَصَابَ أَهْلُ الكِتَاب وَالسُّنَّةِ عَافِيَةٌ وَنَصْرٌ وَظُهُورٌ ، سَاءَهُم ذلكَ وَغمَّهُم ، وَإِنْ أَصَابَهم ابْتِلاءٌ مِنْ اللهِ وَامْتِحَانٌ يُمَحِّصُ بِهِ ذُنُوبَهُمْ وَيُكَفِّرُ بِهِ عَنْهُم سَيِّئَاتِهِم أَفْرَحَهُم ذَلِكَ وَسَرَّهُمْ وَهَذَا يُحَقِّقُ إِرْثَهُم وَإِرْث مَنْ عَدَاهُم ، وَلَا يَسْتَوِيْ مَنْ مَوْرُوْثُه الرَّسُولُ وَمَنْ مَوْرُوثهُم المُنَافِقُونَ ﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةَ تَسُؤْهُم ، وَانْ تُصِبْكَ مُصِيْبَةٌ يَقُولُوا قد أَخَذَنَا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ ، وَيَتَوَلّوا وَهُم فَرِحُونَ، قُلْ لنْ يُصِيْبَنا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا ، هُوَ مَوْلَانَا ، وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوكَلُ المُؤْمِنُوْنَ ﴾ وَقَالَ تعالَى في شَأْنِ السَّلَفَيْنِ المُخْتَلِفَيْن ، وَالحَقُّ لا يَنْدَفِعُ بِمُكَابَرةِ أَهْلِ الزَيْغ وَالتَّخليْطِ ﴿ إِنْ تَمْسَسْكُم حَسَنَة تَسُؤْهُم ، وَإِنْ تُصِبْكُم سَيِّئَة يَفْرَحُوا بهَا ، وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُم كَيْدُهُم شَيْئاً ، إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيْطٌ ﴾ .

كَرِهَ اللهُ طَاعَاتِهِم لِخُبْثِ قُلُوبِهِم وَفَسَادِ نِيَّاتِهِم ، فَثَبَّطَهُم عَنْهَا وَأَقْعَدَهُم ، وَأَبْغَضَ قُرْبَهِم مِنْهُ وَجِوَارَهُ ، لِمَيْلِهم إلى أَعْدَائِهِ، فَطَرَدَهُم عَنْهُ وَأَبْعَدَهُم، وَأَعْرَضُوا عَنْ وَحْيِهِ فَأَعْرَضَ عَنْهُم ، وَأَشْقَاهُمْ وَمَا أَسْعَدَهُمْ ، وَحكَمَ عَلَيْهِم بِحُكْمِ عَدْلٍ لا مَطْمَعَ لهُم في الفَلَاحِ بَعْدَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا مِنْ التَّائِبِيْنَ ، فقالَ تَعَالَى ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الخُرُوْجَ لأعَدُّوا لَهُ عدّةً ، وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُم فَثَبَّطَهُم وَقِيْلَ اقْعُدوا مَع القَاعِدِيْنَ ﴾ ثم ذَكَرَ حِكْمَتَهُ في تَثْبِيْطِهِم

وَإِقْعَادِهِمْ ، وَطَرْدِهم عَنْ بَابِهِ وَإِبْعَادِهِم ، وَانَّ ذَلِـكَ مِنْ لُطْفِهِ بِـأَوْلِيَائِهِ وَاسْعَادِهِم ، فقالَ وَهُوَ أَحْكَمُ الحَاكِمِيْنَ : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيْكُم مَا زَادُوكُم إِلَّا خَبَالاً ، وَلأَوْضَعُوا خِلالكُم يَبْغُونَكُم الفِتْنَة ، وَفِيْكُم سَمَّاعُونَ لَهُم ، وَاللهُ عَلِيْمٌ بالظالِمِينَ ﴾ .

ثَقُلَتْ عَلَيْهِم النُّصُوصُ فَكَرِهُوهَا ، وأَعْيَاهُم حَمْلُهَا فَأَلْقَوْهَا عَنْ أَكْتَافِهِم وَوَضَعُوهَا ، وَتَفَلَتَتْ مِنْهُم السُّنَنُ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَأَهْمَلُوهَا ، وَصَالَتْ عَلَيْهِمْ نُصُوصُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَوَضَعُوا لَهَا قَوانِيْنَ رَدُّوْهَا بِهَا وَدَفَعُوهَا ، وَلَقَدْ هَتَكَ اللهُ أَسْتَارَهُم ، وَكَشَفَ أَسْرَارَهُم ، وضَرَبَ لِعِبَادِه أَمْثَالَهُم ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ كُلَّمَا انقَرَضَ مِنْهُم طَوَائِفُ خلفَهم أَمْثَالُهُم ، فَذَكَرَ أَوْصَافِهِم لِأَوْلِيَائِهِ لِيَكُونُوا مِنْهَا على حَذَرٍ ، وَبَيَّنَهَا لَهُم فَقَالَ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُم كرِهُوا مَا أنزل اللهُ فأَحْبَطَ أَعْمَالَهُم ﴾ (وَاللهِ أَعْلَم وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّم)

فَصْل : هَذا شَأْنُ مَنْ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ ، فَرَآهَا حَائِلَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ بِدْعَتِه وَهَوَاهُ ، فَهِيَ فِي وَجْهِهِ . كالبُنْيَانِ المَرْصُوص ، فَبَاعَهَا بِمُحَصَّلٍ مِنْ الكَلَامِ البَاطِل ، وَاسْتَبْدَلَ مِنْهَا بالفُصُوص فَأَعْقَبَهم ذلكَ أَنْ أَفْسَدَ عَلَيهم إِعْلانَهُم وَإِسْرَارَهُم ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُم قَالُوا للذِيْنَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ : سَنُطِيْعُكم فِي بَعْضِ الأَمْرِ ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُم ، فكيفَ إذا تَوَفَّتْهم الملائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُم وَأَدْبَارَهم ؟ ذلِكَ بِأَنَّهُم اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهُ ، وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُم ﴾ .

أَسَرُّوا سَرَائِرَ النِّفَاقِ ، فَأَظْهَرَهَا اللهُ عَلى صَفَحَاتِ الوُجُوهِ مِنْهُم وَفَلَتَاتِ اللِّسَانِ ، وَوَسَمَهُم لِأَجْلِهَا بِسِيْمَاءٍ لا يَخْفَوْنَ بِهَا على أَهْلِ البَصَائِرِ وَالإِيْمَانِ ، وَظَنُّوا أَنَّهُم إِذْ كَتَمُوا كُفْرَهُم وَأَظْهَرُوا إِيْمَانَهم رَاجُوا عَلى الصَّيَارِفِ وَالنُّقَادِ ،

كَيْفَ ؟ وَالنَّاقِدُ البَصِيْرُ قد كَشَفَهَا لَكُم ﴿ أَمْ حَسِبَ الذِيْنَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهم ؟ وَلَو نشَاءُ لأَرَيْنَاكُم فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيْمَاهُم ، وَلَتَعْرِفَنَّهُم في لَحْنِ القَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالكم ﴾ .

فَكَيْفَ إِذَا جُمِعُوا لِيَوم التَّلاقِ ، وَتَجلَّى اللهُ ـ جَلَّ جَلالُهُ ـ لِلعِبَادِ وَقَدْ كَشَفَ عن سَاقٍ ؟ وَدُعُوا إِلى السُّجُودِ فلا يَسْتَطِيْعُونَ ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهم تَرْهَقُهم ذِلَّةٌ ، وَقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ .

أَمْ كَيْفَ بهم إِذَا حُشِرُوا إِلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ ؟ وَهُوَ أَدَقُّ مِنْ الشَّعْرَةِ ، وَأَحَدُّ مِنْ الحُسَام ، وَهُوَ دَحْضٌ مَزَلَّةٌ ، مُظْلِمٌ ، لا يَقْطَعُه أَحَدٌ إلا بِنُورٍ يُبْصِرُ بِهِ مَواطِيءَ الأَقْدَام ، فَقُسِّمَتْ بَيْنَ النَّاس الأَنْوَارُ ، وَهُمْ على قَدْرِ تَفاوُتِها في المُرور وَالذَّهَابِ ، وَأُعْطُوا نُوْراً ظاهِراً مَعَ أَهْلِ الاسْلام ، كَمَا كانُوا بَيْنَهُم في هَذِهِ الدَّارِ يَأْتُون بالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ وَالحَجِّ والصِّيَام ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا الجَسْرَ عَصَفَتْ على أنوارِهِم أَهْوِيَةُ النِّفاقِ . فَأَطْفَأَتْ مَا بِأَيْدِيْهم مِنْ المَصَابِيح ، فَوَقَفُوا حَيَارَى لَا يَسْتَطِيْعُونَ المُرُوْرَ فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الإِيمَانِ بِسُوْرٍ لَهُ بَابٌ ، وَلَكِنْ قَدْ حِيْلَ بَيْنَ القَوْم وَبَيْنَ المَفَاتِيْحِ ، بَاطِنُه ـ الذي يَلِيْ المُؤْمِنِيْنَ فِيْهِ الرَّحْمَةُ ، وَمَا يَلِيْهِمْ مِن قِبَلِهم العَذَابُ وَالنِّقمةُ ، يُنادُوْنَ مَنْ تَقَدَّمَهم مِنْ وَفْد الإِيْمَانِ ، وَمَشاعِلُ الرَّكْبِ تَلُوحُ عَلَى بُعْدٍ كالنُّجُوم تَبْدُو لِنَاظِر الانْسَانِ ، ﴿ انْظُرُوْنَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُم ﴾ لِنَتَمكنَ في هَذا المَضِيْقِ مِنْ العُبُورِ ، فقدْ طَفِئَتْ أَنْوَارُنا ، ولا جَوَازَ اليَوْمَ إِلَّا بِمِصْبَاح مِنْ النّورِ ﴿ قِيْلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُم ، فالتَمِسُوا نُوْرَا ﴾ حَيْثُ قُسِّمَتْ الأَنوارُ ، فَهَيْهَاتَ الوُقُوفُ لِأَحَدٍ في مِثْلِ هَذا المِضْمَارِ ! كَيْفَ نَلْتَمِسُ الوُقُوفَ في هَذا المَضِيْقِ ؟ فَهَلْ يَلْوِيْ اليَوْمَ أَحَدٌ عَلى أَحَدٍ في هَذا الطَّرِيْقِ ؟ وَهَلْ يَلْتَفِتُ اليَوْمَ رَفِيْقٌ إِلى رَفِيْقٍ ؟ فذكَّرُوهُم

باجْتِمَاعِهِم مَعَهُم وَصُحْبَتِهِم لهُم في هَذِهِ الدارِ ، كَمَا يُذَكِّرُ الغَرِيْبُ صَاحِبَ الوَطَنِ بِصُحْبَتِهِ لَهُ في الأَسْفَارِ ﴿ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُم ؟ ﴾ نصُومُ كما تَصُومُونَ ، وَنُصَلِّي كَمَا تُصَلُّونَ ، وَنقرأُ كَمَا تقْرَأُونَ ، وَنَتَصَدَّقُ كَمَا تُصَدِّقُونَ ، وَنَحُجُّ كَمَا تَحُجُّونَ ؟ فَمَا الذِي فَرَّقَ بَيْنَنَا اليَوْمَ حَتَّى انْفَرَدْتُم دُوْنَنَا بالمُرُورِ ؟ ﴿ قَالُوا بَلى ﴾ ولكِنَّكُم كَانَتْ ظَوَاهِرُكُم مَعَنَا وبوَاطِنُكم معَ كلِّ مُلْحِدٍ ، وَكُلِّ ظَلُومٍ كَفُورٍ ﴿ وَلَكنكُم فَتَنْتُم أنفُسَكُم وَتَرَبَّصْتُم وَارْتَبْتُم وَغَرَّتْكُم الأَمَانِيُّ ، حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ باللهِ الغَرُورُ ، فاليَوْمَ لا يُؤْخَذ مِنْكُم فِدْيَةٌ ولا مِنْ الذِيْنَ كَفَرُوا ، مَأْوَاكُم النَّارُ هِي مَوْلَاكُم وَبِئْسَ المَصِيْرُ ﴾ .

لا تَسْتَطِلْ أَوْصَافَ القَوْمِ ، فَالمَتْرُوكُ ـ وَالـلهِ ـ أَكْثَرُ مِنْ المَذْكُوْرِ ، كَادَ القُرْآنُ أَنْ يَكُونَ كُلهُ في شَأْنِهِم ، لِكَثْرَتِهم عَلى ظَهْرِ الأَرْضِ وفي أَجْوَافِ القُبورِ ، فلا خَلَتْ بِقاعُ الأَرْضِ مِنْهُم لِئَلَا يَسْتَوْحِشَ المُؤ مِنُونَ في الطُّرُقَاتِ ، وَتَتَعَطَّلَ بِهِم أَسْبَابُ المَعَايِشِ ، وَتَخَطَّفُهمْ الوُحُوشُ وَالسِّبَاعُ في الفَلَوَاتِ ، سَمِعَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَجُلاً يَقُولُ : اللهُمَ أَهْلِكْ المُنَافِقِينَ ، فقالَ « يَا ابْنَ أَخِيْ ، لَوْ هَلَكَ المُنَافِقُونَ لاسْتَوْحَشْتُم في طُرُقَاتِكُم مِنْ قِلّةِ السَّالِكِ » .

تَاللهِ لقَدْ قَطَعَ خَوْفُ النِّفَاقِ قُلُوبَ السَّابِقِيْنَ الأَوَّلِيْنَ لِعِلْمِهِم بِدِقِّهِ وَجُلِّهِ ، وَتَفَاصِيْلِهِ وَجُمَلِهِ ، سَاءَتْ ظُنُونُهُم بِنُفوسِهِمْ ، حتّى خَشُوا أَنْ يَكُونُوا مِنْ جُمْلَةِ المُنَافِقِيْنَ ، قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ لِحُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عنهما : « يَا حُذَيْفَةُ ، نَشَدْتُكَ باللهِ ، هَلْ سَمَّانِي لكَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ مِنْهُم ؟ قالَ : لا ، وَلَا أُزَكِيْ بَعْدَكَ أَحَداً ، وَقَالَ ابْنُ أبي مُلَيْكَةَ ، أَدْرَكْتُ ثلاثينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّد صلى اللّهُ عليه وسلمَ كُلُّهُم يَخَافُ النِّفَاقَ على نَفْسِه ، مَا مِنْهُم أَحَدٌ يَقُولُ : إنَّ إِيْمَانَهُ كَإِيْمَانِ جِبْرِيْلَ وَمِيكَائِيل » ذكَرَهُ البُخَارِيّ ، وَذُكِرَ عنْ الحَسَنِ البَصْرِيّ « مَا أَمِنَهُ إلا مُنَافِقٌ ، وَمَا خَافَهُ إلا

مُؤمِنٌ » وَلَقَدْ ذُكِرَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابةِ : أنهُ كانَ يَقُولُ في دُعائه : « اللهُمّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِنْ خُشوعِ النِّفَاقِ ، قِيْلَ : وَمَا خُشُوْعُ النِّفاقِ ؟ قَالَ : أَنْ يُرَى البَدَنُ خاشِعاً وَالقَلْبُ لَيْسَ بِخَاشِعٍ » .

تاللهِ لَقَدْ مُلِئَتْ قُلُوبُ القَوْمِ إِيْماناً وَيَقِيْناً ، وَخَوْفُهُمْ مِنْ النِّفَاقِ شَدِيْدٌ وَهَمُّهُم لِذَلِكَ ثَقِيْلٌ ، وَسِوَاهُم كَثِيْرٌ مِنْهُم لا يُجَاوِزُ إِيْمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُم ، وَهُمْ يَدَّعُونَ أنَّ إِيْمَانَهُمْ كَإِيْمَانِ جِبْرِيْلَ وَمِيْكَائِيْل .

زَرْعُ النِّفاقِ يَنْبُت على سَاقِيَتَيْنِ : سَاقِيَةُ الكَذِبِ ، وَسَاقِيَةُ الرِّيَاءِ ، وَمَخْرَجُهمَا مِن عَيْنَين : عين ضَعْفِ البَصِيْرةِ ، وَعَيْن ضَعْفِ العَزِيْمَةِ ، فإذا تَمَّتْ هَذِهِ الأَرْكَانُ الأَرْبَعُ ، اسْتَحْكَمَ نَبَاتُ النِّفاقِ وَبُنْيَانُه ، وَلَكِنَّه بِمَدَارِجِ السُّيُولِ عَلى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ، فإذا شَاهَدُوا سَيْلَ الحَقَائِق يَوْم تُبْلَى السَّرَائِرُ ، وَكُشِفَ المَسْتُورُ ، وَبُعْثِرَ ما في القُبُورِ ، وَحُصِّلَ مَافي الصُّدُورِ ، تَبَيّنَ حِيْنَئذٍ لِمَنْ كَانَتْ بِضَاعَتُهُ النِّفَاقُ ، أَنَّ حَوَاصِلهُ التي حَصَّلَهَا كَانَتْ كالسَّرَاب ﴿ يَحْسَبُه الظمْآنُ مَاءً حَتَّى إذا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ، وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ، وَاللهُ سَرِيْعُ الحِسَابِ ﴾ .

قُلُوبُهُم عَنْ الخَيْراتِ لاَهِيَةٌ ، وَأَجْسَادُهم إليها سَاعِيَةٌ ، وَالفَاحِشَةُ في فِجَاجِهِمْ فاشِيَةٌ ، وَإذا سَمِعُوا الحَقَّ كانَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ سَمَاعِهِ قَاسِيَةٌ . وَإذا حَضَرُوا البَاطِلَ وَشَهِدُوا الزُّوْرَ ، انْفَتَحَتْ أَبْصَارُ قُلُوبِهِمْ ، وَكَانَتْ آذَانُهم وَاعِيَةً .

فَهَذِهِ ـ وَاللهِ ـ أَمَارَاتُ النِّفَاقِ ، فَاحْذَرْهَا أَيُّهَا الرَّجُلُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ بِكَ القَاضِيَةُ ، إذا عَاهَدُوا لَمْ يَفُوا ، وَإِنْ وَعَدُوا أَخْلَفُوا وانْ قالُوا لَمْ يُنْصِفُوا ، وَإِنْ دُعُوا إِلَى الطَّاعَةِ وَقَفُوا ، وَإذا قِيْلَ لَهُم : تَعالَوا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وإلى الرَّسُولِ

صَدَقُوا ، وإذا دَعَتْهُم أهْوَاؤُهم الى أغرَاضِهِم أسْرَعوا إليها وَانْصَرَفُوا ، فَذَرْهُم وَمَا اخْتَارُوا لأنْفُسِهِم مِنْ الهَوانِ ، والخِزْيِ وَالخُسْرَانِ ، فَلا تَثِقْ بعُهُودِهِم ، وَلاَ تَطْمَئِنَّ إلَى وُعُودِهم ، فانَّهُم فِيْهَا كَاذِبُونَ ، وَهُمْ لِمَا سِوَاهَا مُخَالِفُونَ ﴿ وَمِنْهُم مَنْ عاهَدَ اللهَ : لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ ، لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنْ الصَّالِحِيْن، فَلَمَّا آتَاهُم مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلُّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ . فَأَعْقَبَهُم نِفَاقاً في قُلُوبهم إلى يَوْم يَلْقَوْنَهُ بمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وبمَا كانُوا يَكْذِبُونَ﴾اللَّهُمَّ امْنُنْ عَلَيْنا باصْلاحِ عُيُوبِنَا وَسَتْرِ زَلَّاتِنَا وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ المُهْتَدِيْنَ واغْفِرْ لَنا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأحْيَاءِ مِنْهُم وَالميِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

غزوة الأحزاب

وكانت قريش تستعد لهجوم جديد على المدينة، لما كان النبي ﷺ مُهْتَماً في إخماد ثَوراتِ القبائل، قبل أن يَتَطورَ أمرُها فيصبح حربا عوانا عليه، وتحالف يهود خيبر مع قريش، وقد نجحوا في إثارة القبائل العربية القاطنة بضواحي مكة، فانضمت إلى المناهضين للإسلام.

وبذلك اتفق اليهود وقريش وسائر قبائل العرب على توجيه الضربة للإسلام، فجمعوا جيشاً عدته عشرة آلاف مقاتل، وكان ذلك في السنة الخامسة للهجرة. ونكثت القبائل اليهودية القاطنة في داخل المدينة عهدها، في اللحظة الأخيرة، وانضمت إلى أعداء الإسلام، فأصبح مركز المسلمين حرجاً، وبات أملهم في النجاة ضعيف.

ثم تَرَامتِ الأنباءُ إلى النبي ﷺ بخبر هذا الجمع الحاشد الذي لم يسبق له مثيل، فدعا أصحابه، واستشارهم فيما ينبغي عملُه. لقد كانت المدينة محصنة،

مِن جهة، تحصيناً طبيعياً بالصخور، وكانت تحميها أسوار المنازل الحَجَرِية، مِن جهة أخرى، وهذه الأسوار ممتدة فكانت حصناً مَتِيناً بطبيعتها، فلم يبق إلا جهة واحدة مفتوحة لهجوم العدو، فاقترح سلمان الفارسي، حفر خندق عميق في هذه الجهة، فشرع في حفر الخندق فوراً، وقسم المؤمنون إلى فرق، تتكون كل فرقة من عشرة، وعمل النبي ﷺ معهم، فكان يضرب الأرض، ويحمل التراب، ويقول:

اللهم إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة.

فيردد المسلمون خلفه:

نحن اللذيـــن بايعـــوا محمـــــدا
على الجهـــاد ما بقينـــا أبـــدا

شخصية كبيرة، سيطرت على شعب عظيم روحياً وسياسياً، ثم تقوم بما يقوم به الرجل العادي في ساعات الحرج، عندما يتعرض الوطن للخطر، إنه عمل فريد في التاريخ، وإنها لناحية ممتازة في شخصية النبي ﷺ، إنه ليبهر البصر بأعماله، فما قام بعمل إلا أداه بطريقة مُشَرِّفة، وتواضعٍ كريم نبيل، كان أقرب الزعماء قرباً من الرجل العادي، وكان أرفعهم مكانة، وأعزهم نفراً.

بينما كانوا يحفرون الخندق، صادفوا كُدْيَةً شديدة استعصت عليهم، فجاءوا النبي فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، واستأذنوه في تغيير مجرى الخندق، فقال: أنا نازل، وتناول معوله، وأخذ يضربها حتى صارت رملًا لا يتماسك، وكان كلما ضربها ضربة، تطايرت شرارة، فَيُصَوِّتُ النبي ﷺ: الله أكبر.

وقال إنه رأى في الشرارة الأولى أنه أعطى مفاتيح سورية، وأنه رأى في الشرارة الثانية أنه أعطى مفاتيح فارس، وفي الشرارة الثالثة، أنه أعطى مقاليد

اليمن، وشرح لهم كيف شاهد قصور القياصرة، وقصر كسرى، وصنعاء، وبشرهم بأنهم سيسيطرون على هذه الممالك جميعها.

فَياَ لَهاَ مِن ظَاهِرَةٍ عَجِيبة! يرى النبي ﷺ من خلال السحب القاتمة، وجيوش الأعداء تحيط به من كل جانب، عازمة على إبادتهم، مُسْتَقْبِلًا سَعِيداً عزيزاً للإسلام! أليس هذا بعجيب، فوق ما يتصور البشر، ومَن غير الله علام الغيوب، يستطيع أن يكشف للنبي ﷺ عن المستقبل، وما يدخره لهم مِن عِزة وسلطان، في مثل هذه اللحظة العسيرة، التي يهدد الأعداء فيها الإسلام بالانقراض والدمار؟!

كانت ساعة رهيبة، تلك الساعةالتي إنْقَضَّتْ فيها جُمُوعُ الأحزابِ على المدينة، ارتَجَّتَ المدينةُ، وقد وُصِفَ في القرآنما انتابَ أهلهَا مِن قلق وفَزع: «إذ جاءوكم مِن فوقكم، ومِن أسفل منكم، وإذ زاغت الأبصارُ، وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلى المؤمنون، وزلزلوا زلزالًا شديداً».

وعلى الرغم مِن مَنَاظِر الفَزَعِ والهَلَع، فإن المسلمين كانوا مطمئنين إلى تحقيق ما وعدهم الله ورسوله، وقد وصف القرآن شعورهم. «ولما رأى المؤمنون الأحزاب، قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيماناً وتسليما».

وفطن المسلمون إلى أن هذه المحاولة هي محاولة يائسة لعدو متهالك، على الرغم من البلايا التي حاقت بهم، ونزلت بساحتهم، وأحسوا أن هذه هي المحاولة الأخيرة، وستخضد شوكة الأعداء بها إلى الأبد، وأنها بداية عهد عز الإسلام، ونشره وانتصاره.

احتاط المسلمون للأمر، فقد كانوا يخشون خيانة اليهود، أو هجوم العدو

المفاجئ، فوضعوا نساءهم وأطفالهم في مكان أمين، واستمر الحصار شهراً ذاق المسلمون خلاله ألوان العذاب والحرمان.

وقد شاركهم النبي ﷺ في مصيرهم، فجاعت بطونهم، وكادوا يهلكون، وعصبوا بطونهم بالحجارة، ولكن روحهم المعنوية لم تهن ولم تتزعزع. ولو أن غطفان أخذت ثلث الثمار لَمَا انضمت إلى الأعداء، ولنقصت قوات الأعداء كثيراً.

ولكن الأنصار رفضوا على الرغم من جوعهم الشديد الذي بلغ حد الهلاك، فقد أبوا أن يقبلوا عملاً يعتبرونه ماساً لكرامتهم، فكيف يدفعون خراجاً لغطفان بعد أن شرفهم الله بالإسلام، وما كانوا يدفعون له شيئاً أيام الجاهلية، فليكن ما يكون، وليذودوا عن أنفسهم حتى آخر رجلٍ، وإنهم لصابرون حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

كان اليهود والمنافقون ينتظرون هجوم الأعداء من الخارج، ليثيروا الشغب في الداخل، وابتدأت منازعات فردية داخلية، انتصر فيها المسلمون، وقَتَلَ عَليُ بنُ أبي طالب، عَمْرَو بن عبد ود، الذي كان يزعم أنه كفء لمنازلة ألف رجل والانتصار عليهم، وهجمت قريش بكل قواها، ولكنها لم تستطع اجتياز الخندق.

ونزل على المسلمين وابل من السهام والحجارة، ولولا ثباتهم الرائع الذي أمدهم الله به، وإيمانهم العميق الذي ثبته الله، لتمكنت قريش منهم. وأخيراً جاء الفرج من السماء، وجوزوا على ثباتهم خير جزاء، فبعد أن أخفق جيش الأعداء العظيم في اقتحام الخندق، وبعد أن قلت المؤونة، وسئموا الحصار، أرسل الله عليهم ريحاً صرصراً عاتية، قلبت قدورهم، واقتلعت خيامهم، فوقع الاضطراب في صفوفهم.

وقد أشار القرآن إلى هذا: «فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها» ونجحت ريح الله بإذن الله فيما عجزت عنه أسلحة المسلمين، فلما رأت الأحزاب أن الطبيعة نفسها التي خلقها الله ودبرها وأجراها قد تألبت عليهم، تطيروا، فدب القنوط في قلوبهم، وملئوا رعباً. فقفلوا راجعين عن المدينة في نفس الليلة، فلما لاح الصباح، كان سرور المسلمين عظيماً، فقد رحل الأعداء جميعاً، وما بقي منهم أحد، فهل يتسرب إلى أحد أدنى شك، في هذا النصر من عند الله، وأن يد الله العليا هي التي حالت دون أن يتمكن هذا الجيش المتفوق تفوقاً ظاهراً، من أن ينال من تلك الفئة القليلة ويسحقها، لقد تآمر المنافقون واليهود على الإسلام، وانضموا إلى أعدائه، ولكن الله نصره، وهكذا إنتهت أقوى حملة وجهت إلى الإسلام بالخيبة والفشل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

لشيخنا عبد الرحمن الناصر السعدي رحمه الله

سَعِدَ الذِيْنَ تَجَنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَى
وَتَيَمَّمُوْا لِمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ
فَهُم الذِيْنَ قَدْ أَخْلَصُوْا في مَشْيِهِمْ
مُتَشَرِّعِيْنَ بِشَرْعَةِ الإِيْمَانِ
وَهُم الذِيْنَ بَنَوْا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ
بَيْنَ الرَّجَا والخَوْفِ لِلدَّيَّانِ
وَهُم الذِيْنَ مَلاَ الإِلٰهُ قُلُوْبَهُمْ
بِوِدَادِهِ وَمَحَبَّةِ الرَّحْمَنِ

وَهُمْ الـذِيْنَ قَـدْ أَكثَـرُوْا مِن ذِكْـرِهِ
فـي الـسِّـرِّ والاعْـلاَنِ والأَحْـيَـانِ

يَتَقَـرَّبُـوْنَ إلـى الـمَلِيْـكِ بِفِعْلِهِمْ
طَـاعَـاتِـهِ والـتَّـرْكِ لِـلْعِـصْـيَـانِ

فِعْـلُ الـفَـرَائِضِ والنَّـوَافِـلِ دَأْبُـهُـمْ
مَـعْ رُؤْيَـةِ التَّـقْـصِيْـرِ والنُّـقْـصَـانِ

صَبَـرُوْا النُّفُـوسَ على المَكَـارِهِ كُـلِّهَـا
شَـوْقـاً إلَـى مَـا فِيْـهِ مِـن إِحْسَـانِ

نَـزَلُـوْا بِمَنْـزِلَـةِ الـرِّضَى فَهُمُـوْا بِهَـا
قَـدْ أصْـبَـحُـوْا فـي جُـنَّـةٍ وَأَمَـانِ

شَـكَـرُوْا الـذِيْ أَوْلَى الـخَـلاَئِقَ فَـضْلَهُ
بـالـقَـلْـبِ والأقْـوَالِ والأَرْكَـانِ

صَحِبُـوْا التَّـوَكُّـلَ في جَمِيْـعِ أُمُـوْرِهِم
مَـعْ بَـذْلِ جُهْـدٍ في رِضَى الـرَّحْمَـانِ

عَـبَـدُوْا الإلٰـهَ على اعْـتِقَـادِ حُـضُـوْرِهِ
فَـتَـبَـوَّؤُوا فـي مَـنْـزِلِ الاحْـسَـانِ

نَصَحُـوْا الخَلِيْقَـةَ في رِضَى مَحْبُـوْبِهِمْ
بـالـعِـلْـمِ والارْشَـادِ والاحْـسَـانِ

صَحِبُـوْا الخَـلاَئِقَ بـالجُسُـومِ وإِنَّـمَـا
أَرْوَاحُـهُـمْ فـي مَـنْـزِلٍ فَـوْقَـانِـي

عَـزَفُـوا القُلُوبَ عَنِ الشَّـوَاغِـلِ كُلِّهـا
قَـدْ فَرَّغُـوهَـا مِن سِـوَى الـرَّحْمَـانِ
حَـركَـاتُـهُـم وَهُـمُـومُـهُـم وَعُـزُوْمُـهُـمْ
لِـلّهِ لا لِـلْخَـلْقِ والـشَّـيْـطَانِ
نِـعْمَ الـرَّفِـيْقُ لِـطَالِـب السُّبْـلِ الَّتِـي
تُـفْضِـيْ إِلـى الـخَيْـرَاتِ والاحـسـانِ

اللَّهُمَّ يَاحَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيْعَ السَّمَـواتِ وَالأَرْض نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنا لِمَا فِيهِ صَلاحُ دِيْنِنَـا وَدُنْيَانَـا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَـا وَأَكْـرِمْ مَثْـوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ :

قَوْلُه تَعَالى في المُصْطَفِينَ الذِين أَوْرَثُهم اللهُ الكِتَابَ ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ومنهُم مُقْتَصِدٌ ومنهم سَابِقٌ بالخَيْرَاتِ ﴾ اشْتَرَكَ هَؤُلآءِ الثلاثةِ في أَصْلِ الإيمانِ وفي اخْتِيَارِ اللهِ لَهُمْ مِنْ بَيْنِ الخَلِيْقَةِ وفي أَنَّهُ مَنَّ عَلَيْهم بالكِتَابِ وفي دُخُولِ الجنةِ وافْتَرَقُوْا في تَكْمِيْلِ مَرَاتِبِ الإيْمَانِ وفي مِقْدَارِ الاصْطِفَاءِ مِن اللهِ وميراثِ الكِتَابِ وفي مَنَازِل الجنةِ وَدَرَجَاتِهَا بِحَسَبِ أَوْصَافِهِم .

أَما الظالِمُ لِنَفْسِهِ فَهُوَ المُؤْمِنُ الذِيْ خَلَطَ عَمَلاً صَالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً ، وَتَرَكَ مِن وَاجِبَاتِ الإِيمانِ ما لا يَزُوْلُ مَعَهُ الإيمانُ بالكُلِّيَةِ وَهذَا القِسْمُ يَنْقَسِمُ إلى قِسْمَيْنِ .

أَحَدُهُمَا : مَنْ يَرِدُ القِيَامَة وَقَدْ كُفِّرَ عنه السَّيئَاتُ كُلُّهَا إِمَّا بِدُعَاءٍ أَوْ شَفَاعَةٍ أَوْ آثَارٍ خَيْرِيَّةٍ يُنْتَفَعُ بها في الدُّنْيَا أَوْ عَذَابٍ في البَرْزَخِ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ ، ثُمَّ رُفِعَ عنه العِقَابُ ، وَعَمِلَ الثَّوابُ عَمَلَهُ . فهذا مِن أَعْلَى هَذَا القِسْم وهُوَ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ .

القِسْمُ الثاني : مَنْ وَرَدَ القِيَامَةَ وَعَلَيهِ سَيئآتٌ فَهَذَا تُوْزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيّئآته ثُمَّ هُمْ بَعْدَ هَذَا ثَلاثَةُ أَنْوَاعٍ : أَحَدُهَا مَنْ تَرْجَحُ حَسَنَاتُهُ عَلى سَيئآتِهِ . فَهَذَا لَا يَدْخُلُ النارَ بَلْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَبِحَسناتِهِ وهي مِن رَحْمَةِ الله .

ثَانِيهِمَا : مَنْ تَسَاوَتْ حَسَناتُهُم وَسَيئآتُهُمْ فَهَؤُلَآءِ هُمُ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ وَهِي مَوْضِعٌ مُرْتَفِعٌ بَيْنَ الجنةِ والنارِ يَكُونُونَ عليه ، وفيه ما شَاءَ اللهُ ثم بعدَ ذَلِكَ يدخلُونَ الجنةَ كَمَا وُصِفَ ذلكَ في القُرْآن .

ثَالِثُهَا : مَنْ رَجَحَتْ سَيئآتُهُ على حَسَنَاتِهِ فَهَذَا قَدْ اسْتَحَقَّ دُخُولُ النارِ إلا أَنْ يَمْنَعَ مِنْ ذَلِكَ مَانِعٌ مِن شَفَاعَة الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لَهُ أَوْ شَفَاعَةِ أَحَدٍ مِن أقاربِه أو مَعَارِفِه مِمَّنْ جَعَلَ اللهُ لَهُمْ في القِيَامَةِ شَفَاعَةً لِعُلُوِّ مَقَامَاتِهِم عندَ اللهِ وَكَرَامَتِهِم عليه ، أَوْ تُدْرِكُهُ رَحْمَةُ اللهِ المَحْضَةِ بلا وَاسِطَةٍ وإلا فلا بُدَّ لَهُ مِن دُخُولِ النَارِ يُعَذَّبُ فِيها بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ .

ثُمَّ مآلُهُ إلى الجَنَّةِ ولا يَبْقَى في النَّارِ أَحَدٌ في قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن إِيْمَانٍ كَمَا تَوَاتَرَتْ بذَلِكَ الأَحَادِيْثُ عن النبي صلى الله عليه وسلم وَأَجْمَعَ عَليهِ سَلَفُ الأمةِ وَأَئمتُهَا .

وَأَما المُقْتَصِدُ فَهُوَ الذِي أَدَّى الوَاجِبَاتَ وَتَرَكَ المحرماتَ وَلَمْ يُكْثِرْ مِن نَوافِلِ العِبَادَاتِ وإِذَا صَدَرَ مِنه بَعْضُ الهَفَواتِ بَادَرَ إلى التوبَةِ فعَادَ إلى مَرْتَبَتِهِ فَهؤلَآءِ أَهْلُ اليَمِيْنِ وَأَمَّا مَن كَانَ مِن أصحابِ اليمين ﴿ فسلامٌ لَكَ مِن أصحاب اليمين ﴾ فهؤلَآءِ سَلِمُوا مِن عَذَابِ البَرْزَخِ وَعَذَابِ النارِ وَسَلَّمَ اللهُ لَهُمْ إِيْمَانَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ فأدْخَلَهُم بِهَا الجنةَ كُلٌّ على حَسَبِ مَرْتَبَتِهِ .

وَأما السابقُ إلى الخَيْرَاتِ فَهُوَ الذي كَمَّلَ مَرَاتِبَ الإسلامِ وَقَامَ بِمَرْتَبَةِ

الإِحْسَانِ فَعَبَدَ الله كَأَنَّهُ يَرَاهُ فإنْ لَمْ يَكُنْ يَرَاهُ فإنه يَرَاهُ ، وَبَذَلَ ما اسْتَطَاعَ مِن النَّفْعِ لِعِبَادِ اللهِ فكانَ قَلْبُهُ ملآناً مِن مَحَبَّةِ اللهِ والنُّصْحِ لِعِبَادِ اللهِ فأدَّى الوَاجِبَات والمُسْتَحَبّاتَ وَتَرَكَ المحرماتَ والمكروهاتَ وفضولَ المباحاتِ المُنَقِّصَةِ لِدَرَجَتِهِ فهؤلآءِ هُم صَفْوَةُ الصَّفْوَةِ ، وَهُمُ المُقرَّبُونَ في جَنَّاتِ النَّعِيْمِ إلى الله وَهُمْ أَهْلُ الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى فإن اللهَ كَمَا أَنَّهُ رَحِيْمٌ واسِعُ الرَّحْمَةِ فإنَّه حَكِيْمٌ يُنَزِّلُ الأمُورَ مَنَازِلَهَا وَيُعْطِي كُلَّ أَحَدٍ بِحَسَبِ حَالِهِ وَمَقَامِهِ فكَمَا كَانُوا هُمْ السابِقِيْنَ في الدنيا إلى كُلِّ خَيْرٍ كانُوا في الآخِرَةِ في أَعْلَى المُنازِلِ وَكَمَا تَخيَّرُوْا مِن الأعمال أَحْسَنَهَا جَعَلَ اللهُ لَهُمْ مِن الثواب أَحْسَنَهُ ولِهَذَا كَانَتْ عَيْنُ التَّسْنِيْمِ أَعْلى أَشْرِبَةِ أَهْلِ الجنةِ التي لا نَقْصَ فِيها بوَجْهٍ مِن الوُجُوهِ .

كَمَا قَالَ تعالَى : ﴿ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ عَيناً يَشْرَبُ بِهَا المُقَرَّبُونَ ﴾ وهكذا بقيةُ ألوانِ وأَصْنَافِ نَعِيْمِ الجَنّةِ لِهَؤُلآءِ السابِقِينَ مِنهُ أعْلاَهُ وأَكْمَلُهُ وَأَنْفَسُهُ وإنْ كَانَ لَيْسَ في نَعِيْمِ الجنةِ دَنِي ولا نَقْصٌ ولا كَدَرٌ بوَجْهٍ مِن الوُجُوهِ بَلْ كَانَ مَنْ تَنَعَمَ بأي نَعِيْمٍ مِن نَعِيْمِهَا لَمْ يَكُنْ في قَلْبِهِ شَيْءٌ أعْلَى مِنه .

فَإنَّ اللهَ أَعْطَاهُمْ وَأَرْضَاهُمْ وَخِيَار هَؤُلآءِ الأنبياءُ عليهم الصلاةُ والسلامُ عَلى مَرَاتِبِهم ثم الصِّديقونَ عَلى مَرَاتِبِهم وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا فسبحانَ مَنْ فَاوَتَ بَيْنَ عِبَادِهِ هَذَا التَّفَاوُتَ العظيم والله يختصُ برحمته مَن يشاء والله ذُو الفَضْلِ العظيم انتهى .

اللهم اجعلنا بتذكيرك منتفعين ولكتابك ورسولك متبعين وعلى طاعتِك مجتمعين وتوفنا يا ربنا مسلمين والحقنا بعبادك الصالحين واغفر لنا وَلِوَالدينا

اللهم ارْحَمْ عِباداً غَرَّهُمْ طُوْلُ إمْهَالِكَ وأَطْمَعَهُمْ دَوَامُ إفْضَالِكَ وَمَدُّوْا أَيْدِيَهُمْ إِلَى كَرَمِ نَوَالِكَ وَتَيَقَّنُوا أَنْ لاَ غِنَى لَهُم عَن سُؤَالِكَ وَجُدْ عَلَيْنَا وَعَلَيهِمْ بِرَحْمَتِكَ الوَاسِعَةِ واغفر لنا وَلَهُم وَلِجَمِيْعِ المسلمينَ يا ربُّ العالِمِينَ وصلى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجْمعين .

قصة عمير بن سعد الأنصاري

وَمِمَّا يَحْسُنُ سِيَاقُه وَيَحْلُو ذِكْرُه قِصَّةُ عُمَيْرِ بْنِ سَعْدِ الأنْصَارِيّ ، كانَ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ يَتِيْماً مَاتَ أَبُوهُ وَلَمْ يَتْرُكْ لَهُ مَالاً وَلاَ مُعِيْلاً لَكِنَّ أُمَّهُ لَمْ تَلْبَثْ إلَّا مُدَّةً يَسِيْرَةً ثُمَّ تَزَوَّجَتْ بالجُلَّاسِ بن سُوَيدٍ فَكَفَلَ ابْنَهَا عُمَيْراً وَضَمَّهُ إلَيْهِ .

وَقَدْ لَقِيَ عُمَيرٌ مِنْ بِرِّ الجُلاّسِ ورِعَايَتِه وَجَمِيْلِ عَطْفِه بِهِ مَا جَعَلَهُ يَنْسَى أَنَّهُ يَتِيمٌ فَأَحَبَّ عُمَيْرٌ الجُلاسَ حُبَّ الابْنِ لأَبِيْهِ وَكَذَلِكَ الجُلاسُ وَلِعَ بِعُمَيْرٍ وَأَحَبَّهُ حُبَّ الوَالِدِ لوَلَدِهِ فيْمَا ذُكِرَ عَنْهُ .

وَكَانَ كُلَّمَا شَبَّ عُمَيْرٌ ازْدَادَ الجُلاسُ لَهُ حُبّاً وَازْدَادَ به إِعْجَابًا لِمَا يَتَخَيَّلُ فِيْهِ مِنْ أَمَارَاتِ الفِطْنَةِ وَالنَّجَابَةِ التِي تَبْدُو في كُلِّ عَمَلٍ مِنْ أعْمَالِهِ وَتَبْدُو في شَمَائِلِه وَتَصرُّفاتِهِ .

وَقَدْ أَسْلَمُ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ وَهُوَ صَغِيْرٌ لَمْ يُجَاوِزِ العَاشِرَةَ مِنْ عُمْرِهِ إلا قَلِيْلاً فَوَجَدَ الإِيْمَانُ في قَلْبِهِ الغَضِّ مَكاناً خَالياً فَتَمكنَ مِنْهُ وَأَلْفى الإِسْلاَمُ في نَفْسِ عُمَيْرٍ الصَّافِيَةِ تُرْبَةً خُصْبَة فَتَغَلْغَلَ فِيْهَا .

فكانَ على صِغَرِ سِنِّهِ لا يَتَأَخَّرُ عَنْ الصَّلاةِ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلمَ وكانَتْ أُمُّهُ تُسَرُّ وَتَغْمُرُهَا الفَرْحَةُ إذا رَأَتْـهُ ذَاهِباً إلى المَسْجِدِ أو رَاجِعاً مِنْهُ .

وَسَارَتْ حَيَاتُه على هذا النَّحْوِ هَانِئَةً هَادِئَةً وَادِعَةً لاَ يُعَكِّرُ صَفْـوَها مُعَكِّرٌ إلى أَنْ قَدَرَ اللهُ عَلى عُمَيْرٍ مِحْنَة مِنْ أَشَدِّ المِحَنِ قَلَّمَا مَرَّتْ على فتىً مِثْلِهِ في السِّنِّ .

فَفِيْ غَزْوَةِ تَبُوكٍ لَمَّا رَأى بَذْلَ المُسْلِمِيْنَ أَمْوَالَهُم عِنْدَمَا حَثَّهُم صلواتُ اللهُ عليهِ وسلامُه على الجِهَادِ وَأَمَرَهُم بالصَّدقَةِ وَحَثَّهُم عَلى النَّفَقَةِ وَرَغِبَ أَهْلُ الثَّرْوَةِ بالخَيْرِ وَحَثَّ المُوْسِرِيْنَ على تَجْهِيْزِ المُعْسِرِيْنَ ، وَأَبْصَرَ أبا بَكْرٍ يَجِيْءُ بِمَا عِنْدَهُ وَعُمَرَ يَأْتِي بِنِصْفِ مَالِهِ وَعُثمانَ يَأْتِيْ بِجِرَابٍ فِيْهِ أَلفُ دِيْنارٍ ذَهَباً وَيُقَدِّمُهُ للنَّبيِّ صَلى اللهُ عليه وسلم وعبدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ يَحْمِلُ عَلى عَاتِقِهِ مائَتي أُوْقِيَّةٍ مِنْ الذَّهَبِ وَيُلْقِيْهَا بَيْنَ يَدَيْ النَّبي صَلى اللهُ عليه وسلم .

وَنِسَاءُ المُهَاجِرِيْنَ والأَنْصَارِ يَنْزَعْنَ حُلِيّهِنَّ وَيُلْقِيْنَهُ بَيْنَ يَدَيْ النبي صلى الله عليه وسلمَ لِيُجَهِّزَ بثَمَنِهِ الجَيْشَ الغَازِيْ فِي سَبِيْلِ اللهِ بَلْ رَأَى رَجُلاً يَعْرِضُ فِرَاشَه لِلْبَيْعِ لِيَشْتَرِي بثَمَنِه سَيْفاً يُجَاهِدُ بِهِ في سَبِيْلِ اللهِ .

فَتَعَجَّبَ عُمَيْرٌ مِنْ تَأَخُّرِ الجُلاَّسِ وَتَبَاطِئِهِ عَنْ الاسْتِعْدَادِ لِلرَّحِيْلِ مَعَ النبي صلى اللهُ عليه وسلمَ وَتَأَخُّرِهِ عَنْ البَذْلِ في سَبِيْلِ اللهِ عَلى الرَّغْمِ مِنْ قُدْرَتِهِ وَغِنَاهُ .

وَأَرادَ عُمَيْرٌ أَنْ يَسْتَثِيْرَ هِمَّةَ الجُلاَّسِ وَيَبْعَثَ الحَمِيَّةَ وَالمُرُوْءَة في نَفْسِه فَشَرَعَ يَقُصُّ عَلى الجُلاّسِ أَخْبَارَ مَا رَأَىٰ وَمَا سَمِعَ وَخَاصَّةً البَكّائِيْنَ الذين قَدِمُوا عَلى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلمَ وَسَألُوه أنْ يَحْمِلَهُم وَاعْتَذرَ صَلى اللهُ عليه وسَلم بأَنَّه لا يَجدُ مَا يَحْمِلُهم فَتَوَلَّوا وَأَعْيُنُهم تَفِيْضُ مِنْ الدَّمْعِ . حَزناً أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُبَلِّغُهُم أُمْنِيَتَهُم في الجِهَادِ في سَبِيْلِ اللهِ .

لَكِنَّ الجُلاّسَ مَا كادَ أنْ يَسْمَعَ مِنْ عُمَيْرٍ مَا سَمِعَ حَتَّى تكلَّمَ

بكَلِمَةٍ أَطَارَتْ عَقْلَ الفَتَى عُمَيرٍ مِنْ كِبَرِهَا إذا سَمِعَهُ يَقُولُ وَالعِيَاذُ بِهِ ﴿ إِنْ كَانَ مُحَمَّدُ صَادِقاً فِيْمَا يَدَّعِيْهِ مِنْ النُّبُوَّةِ فَنَحْنُ شَرٌّ مِنْ الحَمِيرِ ﴾ لَقَدْ انْدَهَشَ عُمَيْرٌ مِمَّا سَمِعَ فَمَا كَانَ يَظُنُّ أَنَّ رَجُلاً عَاقِلاً كَبِيْرَ السِّنِّ يَنْطِقُ بِمِثْلِ هَذِهِ الكَلِمَةِ التِيْ تُخْرِجُ قَائِلَهَا عَنْ الإِيْمَانِ دَفْعَةً وَاحِدَةً وتُدْخِلُهُ في الكُفْرِ .

ذَهَبَ عُمَيْرُ بنُ سَعَدٍ يُفكِّرُ في تِجَاهِ هَذِهِ الحَادِثَةِ الفَظِيْعَةِ المُوبقَةِ فَرَآى أنَّ السُّكُوتَ عنْ الجُلاسِ والسَّتْرَ عليهِ خِيَانَةٌ لِلهِ وَرَسُولِهِ وَإضْرَاراً بالاسْلامِ الذِي يَكِيْدُ لَهُ المُنَافِقُونَ .

وَرَأى أنَّ في إِخْبَارِهِ فِيْمَا سَمِعَ مِنْ الجُلاَّسِ عُقُوقاً بالرَّجُلِ الذِيْ يُنْزِلُهُ مِن نَفْسِهِ مَنْزِلَةَ الوَالِدِ لِوَلَدِه فالجُلاَّسُ هُوَ الذِي كَفَلَهُ يَتِيْماً وَرَبَّاهُ وَعَوَّضَهُ عَنْ فَقْدِ أَبِيْهِ .

فَاخْتَارَ النَّصِيْحَةَ للَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَالْتَفَتَ إِلَى الجُلاَّسِ وَقَالَ وَاللهِ يَا جُلاَّسُ ما كانَ على ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليه وَسَلمَ أَحَبَّ إليَّ منْكَ فأنْتَ أقْرَبُ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَجَلُّهُم إِلَيَّ يَدا وَأَعْظَمُهم نِعْمَة عَلَيَّ .

وَلَقَدْ قُلْتَ مَقَالَةً إِنْ ذَكَرْتُها فَضَحْتُكَ وإِنْ أَخْفَيْتُها خُنْتُ أَمَانَتِيْ وَأَهْلَكْتُ نَفْسِي وَدِيْنِي وَقَدْ عَزَمْتُ على أَنْ أَمْضِيْ إِلى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلمَ وَأُخْبِرَه بما قُلْتَ فكُنْ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ أَمْرِكَ ثُمَّ مَضَى عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ إلى المَسْجِدِ وَأَخْبَرَ النبي صلى اللهُ عليه وسلمَ بما سَمِعَ مِنْ الجُلاَّسِ بْنِ سُوَيْدٍ فَأَقْعَدَهُ النبي صلى اللهُ عليه وسلمَ عندَه وَأَرْسَلَ أَحَدَ أَصْحَابِهِ إِلَى الجُلاَسِ يَدْعُوه أَنْ يَأْتِيْ .

وَمَا هُو إلَّا قَلِيْلٌ حَتَّى جاءَ الجُلَّاسُ فَحَيَّا رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلم وَجلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ فقالَ لَهُ النبي صلى اللهُ عليه وسلمَ ما مَقَالَةٌ سَمِعَهَا مِنْكَ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ وَذَكَرَ لَهُ ما قَالَهُ فقالَ كَذَبَ عَليٌّ يَا رَسُولَ اللهِ وَافتَرَى فَمَا تَفَوَّهْتُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .

وَجَعَلَ الصَّحَابَةُ يُدِيْرُونَ أَبْصَارَهُم في الجُلَّاسِ وَعُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ كَأَنَّهُمْ يُرِيْدُون أَنْ يَقْرَؤُا على صَحِيْفَتَي وَجْهَيْهِمَا مَا يُكِنّهُ صَدْرَاهُما وَجَعَلُوا يَتَهَامَسُونَ فقالَ وَاحِدٌ مِنْ الذِيْنَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَتىً عاقٌّ أبى إلَّا أَنْ يُسِيْءَ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَقَالَ آخَرُوْنَ بَلْ إِنَّهُ غُلامٌ نَشَأَ في طَاعَةِ اللهِ وإنَّ مَلَامِحَ وَجْهِهِ لَتَنْطِقُ بِصِدْقِهِ وَالْتَفَتَ النبيُّ صلى الله عليه وسلمَ إِلَى عُمَيرٍ فَرَآى وَجْهَهُ قَدْ احْتَقَنَ بالدَّم والدُّمُوعُ تَنْحَدِرُ مِدْرَاراً مِنْ عَيْنَيْهِ فَتَتَسَاقَطُ على خَدَّيْهِ وَصَدْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ اللهُمَّ أَنْزِلْ عَلى نَبِيِّكَ بَيَانَ مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ يُكرِّرُهَا فانبرَى الجُلاسُ وَقَالَ إنَّ ما ذكرْتُه لكَ يَا رَسُولَ اللهِ هُوَ الحَقُّ وانْ شِئْتَ تَحالَفْنَا بَيْنَ يَدِيْكَ وإِنِّي أَحْلِفُ باللهِ أَنّيْ مَا قلْتُ شَيْئاً مِمَّا نقلَهُ لَكَ عُمَيرٌ فَمَا أَنْ انْتَهى مِنْ حَلِفِهِ وَأَخذَتْ عُيُونَ النَّاس تَنْتَقِلُ عنه إِلى عُمَيرِ بنِ سَعْدٍ حتى غَشِيَتْ رسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلم السَّكِيْنَةُ

فعَرَفَ الصَّحابَةُ أَنَّه الوَحْي فَلَزِمُوا أَمَاكِنَهُم وسَكَنَتْ جَوَارِحُهم وَلَاذُوا بالصَّمْتِ وَتَعَلّقتْ أَبْصَارُهم بالنبي صلى الله عليه وَسَلَمَ وَهُنَا ظهَر الخَوْفُ وَالوَجَلُ على الجُلَّاسِ وَبَدَا التّلهُّفُ والتّشَوُّقُ على عُمَيرٍ ثم سُرّيَ عن رَسُولِ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم فتَلا قَوْلَ اللهِ تَعالَى :

﴿يَحْلِفُونَ باللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْر وَكَفَرُوا بَعْدَ

اسْلامِهم ﴾ الى قَولِهِ ﴿ فإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خيراً لَهُم وانْ يَتولَّوا يُعَذِّبْهُم اللهُ عَذاباً أَلِيْمَا في الدنيَا وَالآخِرَةِ ﴾ .

فَارْتَعَدَ الجُلاَّسُ مِنْ هَوْلِ مَا سَمِعَ وَكَادَ يَنْعَقِدُ لِسَانَهُ مِنْ الجَزَعِ وَالرَّوْعَةِ ثمّ التَفَتَ إلى رَسُولِ الله صلى اللهُ عليه وسلمَ وَقَالَ بلْ أَتوبُ يَا رَسُولَ اللهِ بَلْ أَتُوبُ صَدَقَ عُمَيرٌ يَا رَسُولَ اللهِ وَكُنْتُ مِنْ الكاذِبينَ ، أَسْأَلُ اللهَ أنْ يَقْبَلَ تَوْبَتِيْ جُعِلْتُ فِدَاكَ يا رَسُولَ اللهِ .

وَهُنَا توَجَّهَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ إِلى عُمَير.بْنِ سَعْدٍ فَمَدَّ يَدَهُ الشَّرِيْفَةُ إلى أُذُنِهِ وَأَمْسَكهَا بِرِفْقٍ وَقَالَ وَفَتْ أُذُنُكَ يا غُلامُ ما سَمِعَتْ وصَدَّقَكَ رَبُّكَ .

لَيْسَ السَّفِيْهُ مَن انتهَى أَبَواهُ مِنْ هَمِ الحَيَاةِ وَخَلَّفَاهُ ذَلِيْلَا
فأَصَابَ تَوْفِيْقاً وَحُسْنَ رِعَايَةٍ مِن رَبِّهِ يَاحُسْنَ هَذَا بَدِيْلَا
إِنَّ السَّفِيهَ هُوَ الذِي أَوْقَاتُهُ عِنْدَ المَلَاهِي قُتِّلَتْ تَقْتِيْلاَ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فَصْل

قِصَّةٌ لِعُمَير : كَانَ أَهْلُ حِمْصٍ شَدِيْدِي التَّذمُّر مِنْ وُلاتِهم كثِيري الشَّكْوَى مِنْهُم ، فَمَا جَاءَ مِنْ وَالٍ إلا ذَكَرُوا لَهُ عُيوباً وَأَحْصَوا لَهُ ذُنُوباً وَرَفَعُوا أَمْرَهُ إلى خَلِيْفَةِ المسْلِمِيْنَ وَطَلَبُوا مِنْهُ بَدَلَهُ خيراً مِنْهُ .

فعزَمَ عمرُ بنُ الخَطَّابِ أَنْ يَبْعَثَ اليهم بِوَالٍ لا يَجدُونَ فيْهِ مَطْعَناً ولا يَرَوْنَ في سِيْرَتِهِ مَغْمَزاً فاخْتَارَ عُميرَ بنَ سَعْدٍ وَعَهِدَ إِليْهِ بِوِلايَةِ حِمْصٍ وَأَمرَهُ بالتَّوجُّهِ إِليهَا فَقَبِلَ الأَمْرَ على إِغْمَاضٍ مِنْهُ لِأَنَّهُ كانَ لَا يُؤثِرُ شَيْئاً على الجِهَادِ في سَبِيْلِ اللهِ

وَلَمَّا بَلغَ عُميرٌ حِمْصاً جَمَعَ النَّاسَ وخَطَبَهُم وَبَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللهَ وأثنى عليه وَصَلَّى على محمَّدٍ قالَ أيُّها النَّاسُ إنَّ الإسْلاَمَ حِصْنٌ مَنِيْعٌ وَبَابٌ وَثِيْقٌ وحِصْنُ الإسْلاَمِ العَدْلُ وَبَابُه الحَقُّ فإذا دُكَّ الحِصْنُ وَحُطِّمَ البَابُ اسْتُبْيِحَ حِمَى الدِّيْنِ .

وانَّ الإسلامَ مَا يَزالُ مَنِيْعاً مَا اشْتَدَّ السُّلطانُ وَلَيْسَتْ شِدَّةُ السُّلْطَانِ ضَرْباً بالسَّوْطِ وَلا قَتْلاً بالسَّيْفِ وَلَكِنْ قَضَاءٌ بالعَدْلِ وَأخْذاً بالحَقِّ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إلَى عَمَلِهِ لِيُنَفذَ مَا اخْتَطَّهُ لَهُم

قَضَى عُمَيرُ بْنُ سَعْدٍ حَوْلا كَامِلاً في حِمْصَ لم يَكْتُبْ لِأَمِيْرِ المؤمِنِيْنَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ كِتاباً وَلَمْ يَبْعَثْ إلَى بَيْتِ المَالِ مِنْ الفَيْءِ وَلَا دِرْهَماً ولا دِيْنَاراً .

فَقَالَ عُمَرُ لِكاتِبِهِ اكْتُبْ لِعُمَيرٍ وَقُلْ إذَا جَاءَكَ كِتَابُ أَمِيْرِ المؤمنين فأقبلْ وَاتْرُكْ حِمْصَ وَأَقْبِلْ عَلَيْهِ وَاحْمِلْ مَعَكَ مَا جَبَيْتَ مِنْ فيءِ المسْلمينَ .

وَلَما وَصَلَ كِتابُ عُمرَ إلى عُمَيْر أَخَذَ جِرَابَ زَادِهِ وحَملَهُ عَلى عَاتِقِهِ وَحَمَلَ قَصْعَتَهُ وَوِعَاءَ وُضُوْئِه وَانْطَلقَ يَمْشِيْ إلَى المُدِيْنَةِ فَلمَّا وَصَلَ المَدِيْنَة وَإذا لَوْنُهُ مُتَغيرٌ وبَدَنُه مُتَضَعْضِعٌ قد هَزُلَ جِسْمُه وَطَالَ شَعْرُه وَظَهَرَتْ عليهِ وَعْثَاءُ السَّفَرِ وكآبةُ المَنْظَرِ .

وَلمّا دَخلَ على عُمرَ رَضِيَ اللهُ عنه دُهِشَ وَتَأَلَمَ مِنْ حَالَتِهِ وَقَالَ ما بكَ يَا عُمَيرُ فقالَ ما بي شَيْءٌ يَا أَمِيْرَ المؤمنينَ فَأَنَا صَحِيْحٌ بِحَمْدِ اللهِ أَحْمِلُ مَعِي الدّنْيَا كُلَّهَا وَأجرُّها .

فَقَالَ وَمَا مَعَكَ مِنْ الدُّنيا « وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ معَه مَالاً يَحْمِلُه لِبَيْتِ مَالِ المسْلِمينَ » فقَالَ مَعِيْ جِرَابي وَقد وَضَعْتُ فيهِ زَادِي ومَعِي قَصْعَتِي آكلُ فيهَا وَأَغْسِلُ عَلَيْهَا ثِيَابِي وَمَعِي قِرْبَةٌ لِوُضُوئي وَشَرَابي .

ثُمَّ إِنَّ الدنيا كُلَّهَا يَا أَمِيْرُ المؤمِنينَ تَبَعٌ لِهَذَا المُتَاعِ لا حَاجَةَ لِيْ فِيْهَا غيرَ هَذَا ، فقالَ عُمَرُ وَهَلْ أَتَيْتَ مَاشِياً ، قَالَ نَعَمْ يَا أَمِيْرَ المؤمِنينَ فَقَالَ أَمَا أُعْطِيْتَ مِنْ الإِمَارَةِ دَابَّةً تَرْكَبُها فقَالَ هُمْ لَمْ يُعْطُونِيْ وَأَنَا لَمْ أَطْلُبْ مِنْهُم .

فَقَالَ وَأَيْنَ ما أَتَيْتَ بِهِ لِبَيْتِ المَالِ فَقَالَ لَمْ آتِ بِشَيْءٍ فَقَالَ عُمَرُ وَلِمَ لَمْ تَأْتِ بِشَيْءٍ .

فَقَـالَ لَمَّا وَصَلْتُ إِلَى حِمْص جَمَعْتُ صُلَحَـاءَ أَهْلِهَا وَوَلَّيْتُهُمْ جَمِيْعَ فَيْئِهم وَكَانُوا كُلَّمَا جَمَعُوا شَيْئاً اسْتَشَرْتُهُم في أَمْرِهِ وَوَضَعْتُه في مَوَاضِعِهِ وَأَنْفَقْتُه على المُسْتَحِقِّيْنَ مِنْهُم .

فَقَالَ عُمَرُ لِكَاتِبِهِ جَدِّدْ عَهْداً لِعُمَيْرٍ على ولايَةِ حِمْص فَقَالَ عُمَيرُ هَيْهَاتَ فإِنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ لا أُرِيْدُهْ وَلَنْ أَعْمَلَ لَكَ ولاَ لِأَحَدٍ بَعْدَكَ يَا أَمِيْرَ المؤمِنينَ .

ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ بالذَّهَابِ إلى قَرْيَةٍ في ضَوَاحِي المَدِيْنَةِ يُقِيْمُ بِهَا أَهْلُه فأذِنَ لَهُ ، لَمْ يَمْضِ على عُمَيرٍ إلاَّ مُدَّةً يَسِيرةً بَعْدَ ذَهَابِهِ لِلْقَرْيَةِ حَتّى أَرَادَ عمرُ أَنْ يَختبرَهُ فقالَ لِوَاحِدٍ مِن ثِقاتِهِ يُقالُ لَهُ الحَارِثُ انطلِقْ إِلى عُميرِ بن سَعْدٍ وَانْزِلْ عندَه كأنْكَ ضَيْفٌ فإنْ رَأَيْتَ عليه آثَارَ نِعْمَةٍ فعُدَ كَمَا أَتَيْتَ وَانْ وَجَدْتَ حَالاً شَدِيْدَةً فَأَعْطِهِ هَذِهِ الدَّنَانيرَ وناوَلَهُ صُرَّةً فيها مائةُ دِيْنَارٍ .

انْطَلَقَ الحَارِثُ حتّى بَلَغَ القَرِيَةَ التِي فيها عُميرُ بنُ سَعْدٍ فسَأَلَ عنه فَدُلَّ عليهِ فلمَّا لَقِيَهُ سَلَّمَ عليه فَرَدَّ عليهِ السَّلامَ وَسَأَلَهُ مِنْ أَيْنَ قَدِمَ فقالَ الحَارِثُ مِنْ المَدِيْنَةِ فقَالَ كَيْفَ تَركْتَ المسْلِمِيْنَ ، فقالَ بِخَيْرٍ .

فَقَالَ كَيْفَ أَمِيْرُ المُؤْمنينَ قالَ صَحِيْحٌ صَالِحٌ فَقَـالَ أَلَيْسَ يُقِيْمُ الحُدُودَ قالَ بَلَى فقالَ اللهُمَّ أَعِنْ عُمَرَ فَإِنّيْ لا أَعْلَمُهُ إلا شَدِيْدَ الحُبِّ لكَ .

أَقَامَ الحَارِثُ فـي ضِيَافَةِ عُمَيرٍ ثَلاثَ لَيَالٍ فكَانَ يُخْرِجُ لَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ قُرْصاً مِنْ الشَّعِيْرِ فلمَّا كانَ اليَومُ الثالِثُ قالَ لِلحارِثِ رَجُلٌ مِنْ القَومِ لَقَدْ أَجْهَدْتَ عُمَيْراً وَأَهْلَهُ فليْسَ لَهُم إلاَّ هَذَا القُرْصُ مِنْ الشَّعِيْرِ الذيْ يُؤْثِرُونَكَ بِهِ على أَنْفُسِهِم وَقد أَضَرَّ بهِم الجُوْعُ والجَهْدُ فإنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرْحَلَ عَنْهُم فَافْعَلْ .

عِنْدَ ذَلِكَ أَخْرَجَ الحَارِثُ الدَّنَانِيْرَ وَدَفَعَهَا إِلَى عُمَير فَقَالَ مَا هَذِهِ فقالَ الحَارِثُ بَعَثَ بِهَا أَمِيرُ المؤمِنينَ اليكَ فقالَ رُدَّهَا إِلَيْهِ وَقُلْ لا حَاجَةَ لِعُمَيرٍ بِهَا فقالَتْ لَهُ امْرَأَتهُ خُذهَا يا عُمَيرُ فإنْ احْتَجْتَ إِليهَا أنفقْتَها وإلاَّ وَضَعْتَها في مَواضِعِهَا فالمُحْتاجُونَ هُنَا كثِيرٌ فلمَّا سَمِعَ الحَارِثُ قوْلَهَا ألقَى الدّنانيرَ بَيْنَ يدَيْ عُمَيرٍ وَانْصَرَفَ .

فَأَخذَها عُمَيرُ وَجَعَلَهَا في صُرَرٍ صَغِيرَةٍ ولم يَبِتْ تِلْكَ اللَيْلَةَ إلاَّ وقَدْ فَرَّقَها على الفُقَراءِ وخَصَّ مِنْهُم أَبْنَاءَ الشّهَدَاءِ ، وَلَمَّا عادَ الحَارِثُ إلى المَدِينةِ وَوَاجَهَ عُمَرُ قالَ لَهُ ما رَأَيْتَ يا حَارِثُ فَقَالَ حَالاً شَدِيْدَةً يا أَميرَ المؤمِنينَ فقالَ أَدفَعْتَ إِلَيْهِ الدّنانيرَ فقالَ نَعْمَ يَا أَمِيْرَ المؤمِنينَ فَقَالَ عمرُ وَمَا صَنَعَ بِهَا عُمَيْرُ فقالَ لا أدرِيْ وَمَا أَظُنُّه يُبْقِي لِنفْسِهِ مِنْهَا شَيْئاً مِنْهَا وَلاَ دِرْهَماً .

فكتَبَ عُمَرُ إلى عُمَيرٍ يَقُولُ إذَا جَاءَكَ كِتَابي فَلاَ تَضَعْهُ مِن يَدِكَ حَتَّى تُقْبِلَ عَليَّ فَتَوَجّهَ عُميرُ بْنُ سَعْدٍ إلى المدِيْنَةِ وَدَخَلَ على عُمَرَ فَحَيَّاهُ وَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَى مَجْلِسَه ، ثم قالَ لَهُ مَا صَنَعْتَ بالدَّنانيرِ يَا عُمَيْرُ فقالَ وَمَا عليْكَ مِنْهَا يَا عُمَرُ بَعْدَ أنْ أَخْرَجْتَهَا لِيْ عَنْكَ .

فقالَ عَزَمْتُ عَليْكَ أَنْ تُخْبِرَنِيْ بِمَا صَنَعْتَ بِهَا فَقَالَ ادَّخَرْتُهَا لِنَفْسِيْ لأنْتَفِعَ بِهَا يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ ولا بَنُونَ . فَدَمَعْتَ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ الذِينَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِم وَلَو كَانَ بهم خَصَاصَةٌ .

ثم أمرَ بوَسَقٍ مِن طعَامٍ وَثَوبَين ، فَقَال أَمَّا الطَّعَامُ فلا حَاجَةَ لَنَا بِهِ يا أَمِيْرَ المؤمِنينَ فقد ترَكْتُ عندَ أهْلِيْ صَاعَيْن منْ شَعيرٍ وَإذا أَكَلْنَاهُما يَأتِيْ اللهُ لَنَا برِزْقٍ وَأمَّا الثوبَيْنِ فآخُذُهُما لِأمِّ فُلانٍ يُرِيْدُ زَوْجَته فَقَد بَلِيَ وَخلقَ ثوبُها وَكَادَتْ تَعْرَىٰ .

فَمَضَى عُمَيرٌ بَعْدَ ذلكَ في طَرِيْق الآخِرَةِ وَادِعَ النَّفْس وَاثِقَ الخَطْوِ لاَ يُثْقِلُه شَيْءٌ مِنْ أَحْمَالِ الدّنيا وَأَمْتِعَتِهَا ، وَلِمَا بَلَغَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنه وَفاةَ عُميرٍ حَزِن عليهِ، وَقَالَ وَدِدْتُ أَنَّ لِيْ رِجَالاً مِثْلَ عُمَيرٍ أَسْتَعِيْنُ بِهِم في أَعْمَالِ المسْلِمينَ . انتهَى مِنْ صُوَرٍ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ بِتَصَرُّفٍ

اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا بعبادك الصالحين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

شِعْرا : إذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيا سَعِيْداً مَدَىٰ العُمْرِ
وَتَسْكُنَ بَعْدَ المَوْتِ في رَوْضَةِ القَبْرِ
وَتُبْعَثَ عِنْدَ النَّفْخِ في الصُّوْرِ آمِناً
مِنْ الخوفِ وَالتَّهْدِيْدِ وَالطَّرْدِ والخُسْرِ

وَتُعْرَضَ مَـرْفُـوعـاً كَـرِيْـمـاً مُـبَـجَّـلاً
تُـبَـشِّـرُكَ الامْـلاكُ بـالـفَـوْزِ وَالأَجْـرِ
وَتَـرْجَحَ عِنْـدَ الـوَزْنِ أَعْمَـالُـكَ التِيْ
تُسَـرُّ بِهَا فِي مَـوْقِفِ الحَشْـرِ وَالنَّشْـرِ
وَتَـمْضِـيْ عَلى مَتْنِ الـصِّـرَاطِ كَـبَـارِقٍ
وتشْرَبَ مِنْ حَوْضِ النَّبي المُصْطَفَى الطُّهْرِ
وَتَـخْلُدَ فـي أَعْـلى الـجنـانِ مُـنَـعَّـمـاً
حَـظِيّاً بِقُـرْبِ الـوَاحِـدِ الأَحَـدِ الـوِتْـرِ
عَـلَيْـكَ بِـتَـوْحِـيْـدِ الإِلٰـهِ فَـإِنَّـهُ
إِذَا تَمَّ فَـازَ العَبْـدُ بـالقُـرْبِ وَالأَجْـرِ
وَخُـذْ مِنْ عُلُومِ الـدِّيْنِ حَـظّاً مُـوَفـراً
فَبِـالعِلْمِ تَسْمُـو في الحَيَـاةِ وفي الحَشْـرِ
وَوَاظِـبْ عَلى دَرْسِ الـقُـرْآن فَـإِنَّ فـي
تِـلاَوَتِـهِ الأَرْبَـاحُ والـشَّـرْحُ لِـلصَّـدْرِ
أَلا إِنَّـهُ الـبَـحْـرُ الـمُـحِـيْطُ وَغَـيْـرُهُ
مِـنْ الكُـتْبِ أَنْـهَـارٌ تُـمَـدُّ مِـنْ البَـحْـرِ
تَـدَبَّـرْ مَـعَـانِيـه وَرَتِّـلْهُ خـاشِـعـاً
تَفُـوزُ مِنْ الأَسْـرَارِ بـالكَنْـزِ والـذُّخْـرِ
وَكُـنْ رَاهِبـاً عِـنْـدَ الـوَعِـيـدِ وَرَاغِـبـاً
إِذَا مـا تَلَوْتَ الـوَعْـدَ في غَـايَـةِ البِشْـرِ

بَعِيْداً عن المَنْهِيّ مُجْتَنِباً لَهُ
حَرِيْصاً على المأمُورِ في العُسْرِ وَاليُسْرِ
وَإِنْ رُمْتَ أَنْ تَحْظَى بِقَلْبٍ مُنَوَّرٍ
نَقِيّ مِنْ الأغيَارِ فاعْكُف عَلى الذِّكْرِ
وَوَاظِبْ عَلَيْهِ في الظلام وفي الضِّيَا
وفي كُلِّ حَالٍ بِاللسَانِ وفي السِّرِّ
وَصَفٍّ مِنْ الأكْدَارِ سِرَّكَ إِنهُ
إِذَا مَا صَفَا أَوْلاكَ مَعْنىً مِنْ الفِكْرِ
وَبالجِدِّ وَالصَّبْرِ الجَمِيْلِ تَحِلُّ في
فَسِيْحِ العُلى فاسْتَوْصِ بالجِدِّ وَالصَّبْرِ
وَكُنْ شَاكِراً لِلّهِ قَلْباً وَقَالَباً
عَلى فَضْلِهِ إِنَّ المَزِيْدَ مَعَ الشُّكْرِ
تَوَكَّلْ عَلى مَوْلاَكَ وَارْضَ بِحُكْمِهِ
وَكُنْ مُخْلِصاً لِلّهِ في السِّرِّ والجَهْرِ
قَنُوعاً بِمَا أَعْطَاكَ مُسْتَغْنِياً بِهِ
لَهُ حَامِداً في حَالَيْ العُسْرِ وَاليُسْرِ
وَكُنْ باذِلاً لِلْفَضْلِ سَمْحاً وَلاَ تَخَفْ
مِنْ اللّهِ إِقْتَاراً ولا تَخْشَ مِنْ فَقْرِ
وَإِيَّاكَ وَالدُّنْيَا فَإِنَّ حَلاَلَهَا
حِسَابٌ وفي محْظُوْرِهَا الهَتْكُ لِلسِّرِّ

وَلَا تَــكُ عَــيّــابــاً وَلَاتــكُ حَــاسِــداً
وَلَا تَــكُ ذا غِشٍّ وَلَا تَــكُ ذَا غَــدْرِ

وَلَا تَــطْلُبَــنَّ الــجَــاهَ يــا صَــاح إِنَّــهُ
شَهِيٌّ وفيْــهِ السُّمُّ مِنْ حَيْثُ لَا تَــدْرِي

وَإِيَّــاكَ وَالأَطْــمَــاعَ إِنَّ قَــرِيْــنَــهــا
ذَلِيْــلٌ خَسِيْسُ القَصْــدِ مُتَّضِــعُ القَــدْرِ

وَإِنْ رُمْــتَ أَمْــراً فَــاسْــأَلِ الــلهَ إِنَّــهُ
هُــوَ المُفْضِــلُ الــوَهَّــابُ لِلْخَيْــرِ وَالــوَفْــرِ

وَأُوْصِيْــكَ بــالخَمْسِ التِي هُنَّ يــا أَخِيْ
عِــمَــادٌ لِــدِيْــنِ الــلهِ واسِــطَةُ الأَمْــرِ

وَحَــافِظْ عَــلَيْهَــا بــالــجمــاعَــةِ دائِــمــاً
وَوَاظِبْ عليْهَــا في العِشَاءِ وفي الفَجْــرِ

وَقُــمْ فــي ظَــلَامِ الــليْــلِ لِــلهِ قــانِــتــاً
وَصَــلِّ لَــهُ وَاخْتِمْ صَــلَاتَــكَ بــالــوِتْــرِ

وَكُــنْ تَــائِبــاً مِــنْ كُــلِّ ذَنْــبٍ أَتَــيْــتَــهُ
وَمُسْتَــغْفِــراً فــي كُــلِّ حِيْــنٍ مِنْ الــوِزْرِ

عَسَى المُفْضِــلُ المَوْلَى الكَــرِيْمُ بِمَنِّه
يَجُــودُ على ذَنْــبِ المُسِيْئِيْنَ بــالــغَفْــرِ

فَــإِحْــسَــانُــهُ عَــمَّ الأنــامَ وَجُــوْدُه
عَلَى كُــلِّ مَخْلُوقٍ وَإِفْضَــالُــهُ يَجْــرِيْ

وَصَــلِّ عَــلى خَــيْــرِ الــبَــرِيَّــةِ كُــلِّهَــا
مُحَمَّــدٍ الــمَبْعُــوثِ بــالبِشْــرِ وَالنُّــذْرِ

اللهم اغفر لنا ما قَطَعَ قُلوبَنا عن ذِكرك واعفُ عن تَقْصِيرنا في طاعَتِكَ وشُكْرِكَ وأدِمْ لَنَا لزُومَ الطريق إليكَ وهَبْ لنا نوراً نَهْتَدِي به إليكَ واسْلُكْ بنا سَبيْلَ اهْلِ مَرْضَاتِكَ واقْطعْ عَنّا كُلَّ ما يُبعِدُنا عَن سَبيْلِكَ ويَسِّرْ لَنَا ما يَسَّرْتَهُ لأهْلِ مَحَبَّتِكَ وأيْقِظْنَا مِن غَفَلاتِنَا والهِمْنَا رُشْدَنا وحَقِّقْ بِكَرمِكَ قَصْدَنَا .

اللهُمَّ قَنِّعْنَا مِنْ الدّنيا باليَسِيْرِ وَسَهِّلْ عَلَيْنَا كُلَّ أَمْرٍ عَسِيْرٍ وَوَفِّقْنَا لما تُحِبُّه وَتَرْضَاهُ إنكَ على كلِّ شَيْءٍ قَدِيْر وَأَسْكِنَّا دَارَ كَرَامَتِك يَا مَنْ هُوَ مَلْجَؤُنا وَمَلاذُنا وَإِلَيْهِ المَصِيرُ واجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجا وَمَنْ كُلِّ ضِيْق مَخْرَجَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

عبد الرحمن بن عوف

هُوَ أَحَدُ العَشَرَةِ المبَشَّرينَ بالجَنَّةِ اسْمُهُ في الجَاهِلِيَّةِ عَبْدُ عَمْرو فَلَمَّا أَسْلَم دَعَاهُ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ عَبْدَ الرَّحْمنِ .

أَسْلَم بَعْدَ إسْلامِ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بيَوْمَينِ فَقَطْ وَلَقِيَ مِنْ التَّعْذِيْبِ في سَبيلِ اللهِ ما لَقِيَهُ المَسْلِمُونَ الأَوَّلُونَ فَصَبَرَ كَمَا صَبَرُوا وَثَبَتَ كَمَا ثَبَتُوا وَصَدَقَ كَمَا صَدَقُوا وَفَرَّ بِدِيْنِهِ إلى الحَبشَةِ كَمَا فَرَّ كَثِيْرٌ منهُم بِدِيْنِهِ مِنْهُم .

وَلَمَّا أُذِنَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابِهُ بالهِجْرَةِ إلى المَدِيْنَةِ كَانَ في طَلِيْعَةِ المُهَاجِرِيْنَ الذِيْنَ هَاجَرُوا إلى المدينة ، وَلَمَّا آخى صلى اللهُ عليه وَسَلمَ بَيْنَ أَصْحابِهِ المهَاجِرِيْنَ والأنْصارِ آخى بينَ عبْدِ الرَّحمن بنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بنِ الرَّبِيْعِ الأنصَارِيّ فقالَ سَعْدُ لِعَبْدِ الرَّحمَن بن عَوْفٍ أيْ أَخِيْ أَنَا أَكثرُ أهْلِ المدِيْنةِ مَالاً وَعِنْدِي بُسْتَانانِ وَلِيْ امْرَأْتانِ فانْظُرْ أيَّ بُسْتانَيَّ أَحَبُّ إِلَيْكَ وَأيَّ امْرَأتَيَّ أَرْضى عِندكَ أُطَلِّقْهَا لَكَ .

فقالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَارَكَ اللهُ لَكَ في مَالِكَ وَأَهْلِكَ وَلَكِنْ دُلَّنِيْ عَلى السُّوْقِ فَدَلَّهُ عليهِ فَجَعَلَ يَتَّجِرُ وَبَعْدَ مُدَّةٍ اجْتَمَعَ لَدَيْهِ مَالٌ فَتَزَوَّجَ وَجَاءَ إِلى النبي صلى اللهُ عليه وَسَلَمَ وَعَلَيْهِ أَثَرُ الطِّيْبِ فقالَ له صلى الله عليه وسلم « مَهْيَمْ » يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ « وهِيَ كَلِمَةٌ يَمَانِيَّةٌ تُفِيْدُ التَّعَجُّبَ » فقالَ تَزَوَّجْتُ فقالَ ومَا أَعْطَيْتَ زَوْجَتَكَ مِنْ المَهْرِ قَالَ وَزْنَ نَواةٍ مِنْ ذَهَبٍ .

قَالَ أَوْلِمْ وَلَو بشَاةٍ بَارَكَ اللهُ لَكَ في مَالِكَ قَالَ عبدُ الرحمن فأَقْبَلَتْ الدّنيا عَلَيَّ حَتّى رَأَيْتُنِي لَوْ رَفَعْتُ حَجراً لَتوقَّعْتُ أَنْ أَجِدَ تحْتَهُ ذَهَباً أَو فِضّةً وقد جَاهَدَ عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ عَوْفٍ يَوْمَ بَدْرٍ وَفي يَوْمِ أُحُدٍ ثَبَتَ حتى زُلْزِلَتْ أَقْدَامُ المُشْرِكِيْنَ وَصَمَدَ حِيْنَ فرَّ المنهَزِمُوْنَ وَخَرَجَ مِنْ المَعْرَكَةِ وَفِيْهِ بِضْعَةٌ وَعِشْرُون جُرْحا .

وَلَكِنَّ جِهَادَ عبْدِ الرَّحْمَن بِنَفْسه قَلِيْلٌ إِذَا قِيْسَ بِجَهَادِهِ بِمَالِهِ، فلمَّا أن أَرَادَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلَمَ أَنْ يُجَهِّزَ سَرِيَّة وَقالَ « تَصَدَّقُوا فإنِي أُرِيْدُ أَنْ أَبْعَثَ بَعْثاً » .

فَبَادَرَ عَبدُ الرّحمن وانطلقَ إلى مَنزِلِهِ وَعَادَ مُسْرِعاً وقالَ يا رَسُولَ اللهِ عنْدِي أربَعةُ آلافٍ ألفَانِ مِنهُما أَقْرَضْتُها رَبِّيْ وَألفانِ تَرَكْتُهُمَا لِعِيَالِيْ فقالَ له رَسُول اللهُ صلى اللهُ عليه وسلم باركَ اللهُ لك فيْمَا أعْطَيْتَ وَبَارَكَ لكَ فِيْمَا أَبْقَيْتَ .

وَلَمَا عَزَمَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلم على غَزْوَةِ تَبُوكٍ كَانَتْ الحَاجَةُ إلى المَالِ لَا تَقِلُّ عَنْ الحَاجَةِ إلى الرِّجَالِ فَجَيْشُ الرُّوْمِ وَافِرُ العَدَدِ كثِيرُ العُدَدِ والسَّنَةُ في المَدِيْنَةِ سَنَةُ جَدْبٍ وَالسَّفَرُ طَوِيْلٌ وَالمَؤُنَةُ قَلِيْلَةٌ والرَّوَاحِلُ أَقَلُّ .

حَتَّى إِنَّ نَفَراً مِنْ المُؤْمِنِينَ جَاؤا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ يَسْأَلُونهُ في حُرْقَةٍ أنْ يَأْخذَهُمْ مَعَهُ فرَدَّهُم لِأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ عِندَه ما يَحْمِلهُم عليهِ

وَهُمْ البَكّاؤُنَ تولَّوْا وَأَعْيُنُهُم تَفِيْضُ مِنْ الدَّمْعِ حَزَنا ألا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُوْنَ .

وَأُطْلِقَ على الجَيْشِ جَيْشَ العُسْرَةِ عِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَصْحَابَهُ بالنَّفقةِ في سَبِيْلِ اللهِ وَاحْتِسَابِ ذلك عِنْدَ اللهِ .

فَهَبَّ المُسْلِمُونَ يَسْتَجِيْبُونَ لِدَعْوَةِ النبي صَلى اللهُ عليه وَسَلَمَّ وكانَ في طَلِيْعَةِ المُتصَدّقينَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَتَصَدَّقَ بِمائتي أُوقِيَّةٍ ذهَباً فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ لِلنَبِي صلى اللهُ عليه وسلم إِني لا أَرَى عبدَ الرَّحمنِ بنِ عَوْفٍ إِلاَّ مُرْتكِباً إِثْماً فَمَا تَرَكَ لأَهْلِهِ شَيْئاً .

فقالَ الرسول صلى الله عليه وسلم لِعَبْدِ الرحمَنِ هَلْ تَرَكْتَ لأهْلِكَ شَيْئاً فقالَ نَعَمْ تَركْتُ لَهُمْ أَكْثَرِ مِمَا أَنْفَقْتُ وَأطْيَبَ قالَ كَمْ قَالَ مَا وَعَدَ اللهُ وَرَسُولَهُ مِنْ الرِّزْقِ وَالخَيْرِ وَالأَجْرِ .

وَمَضَى الجَيْشُ إلى تَبُوك وَهُنَاكَ أكرمَ اللهُ عَبدَ الرحمنِ بْنِ عَوْفٍ فقد دَخَلَ وقتُ الصَّلاةِ وَرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم غائِبٌ فأمَّ المُسلمينَ عبدُ الرَّحمنِ بْنِ عَوْفٍ وَمَا كَادَتْ تَتِمُّ الرَّكْعَةُ الأُوْلَى حَتَّى لَحِقَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بالمُصَلِّيْنَ وَاقْتَدى بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَصَلَّى خَلْفَهُ .

وَلَما لَحِقَ النبي صلى اللهُ عليه وسلَمَ بالرَّفِيْقِ الأَعْلَى جَعَلَ عبدُ الرَّحمن بنُ عَوفٍ يقُومُ بِمَصَالِح أُمَّهاتِ المؤمنينَ فكانَ يَنْهَضُ مَعَهُن وَيَخْرُجُ لِحَاجَتِهِنّ إذا خَرَجْنَ وَيَحُجُّ مَعَهُنَّ إِذَا حَجَجْنَ وَيَجْعَلُ عَلى هَوادِجِهِنَّ الطَّيَالِسَةُ وَيَنْزِلُ بِهِنَّ في الأَمَاكِنِ التِيْ تَسُرُّهُنَّ .

وَتِلكَ مَنْقَبةُ مِنْ مَنَاقِب عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَلَقَدْ بَلغَ مِنْ برِّ عبدِ الرحمن بن عَوْفٍ بالمُسْلِمينَ وَأمَّهاتِ المؤمنينَ أنْ باعَ أَرْضاً بأرْبَعينَ ألفِ

دِيْنَارٍ فَقَسَمَهَا كُلَّها في بَنِي زُهْرَةَ وَفُقَرَاءِ المُسْلِمِيْنَ والمُهَاجِرِيْنَ وَأَزواجِ النبي صلى الله عليه وَسَلم فلمّا بَعَثَ إلى أمِّ المؤمنينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عنها قالَتْ مَنْ بَعَثَ هَذَا المَالَ فَقِيْلَ عبْدُ الرَّحْمَن بْنُ عَوْفٍ فَقَالَتْ قالَ رَسُولُ اللهُ صلى الله عليه وسلم لا يَحْنُوا عَلَيْكُنَّ مِنْ بَعْدِي إلا الصَّابِرُوْنَ .

دِيْنَارٍ فَقَسَمَهَا كُلَّها في بَنِي زُهْرَةَ وَفُقَرَاءِ المُسْلِمِيْنَ والمُهَاجِرِيْنَ وَأَزواجِ النبي صلى الله عليه وَسَلم فلمّا بَعَثَ إلى أمِّ المؤمنينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عنها قالَتْ مَنْ بَعَثَ هَذَا المَالَ فَقِيْلَ عبْدُ الرَّحْمَن بْنُ عَوْفٍ فَقَالَتْ قالَ رَسُولُ اللهُ صلى الله عليه وسلم لا يَحْنُوا عَلَيْكُنَّ مِنْ بَعْدِي إلا الصَّابِرُوْنَ .

بَقِيْتَ دَعْوةُ النبي صلى اللهُ عليه وسلم لِعَبْدِ الرَّحْمَن بْنِ عَوْفٍ بأنْ يُبَارِكَ اللهُ لَهُ حتَّى صَارَ أَغْنَى الصَّحَابَةِ فقد أَخَذَتْ تِجَارَتهُ تَنْمُو وَتَزْدَادُ وَصَارَتْ قَوافِلُه تَتَردَّدُ ذاهِبَةً مِنْ المَدِيْنَةِ أو رَاجِعَةً إِلَيْهَا تَحْمِلُ البُرَّ وَالدَّقِيْقَ وَالدُّهْنَ وَالثِّيَابَ وَالآنِيَةَ وَالطِّيْبَ وَكُلَّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ .

ولا غَرابةَ فقد دَعَا لَهُ النبي صلى الله عليه وسَلم بأَنْ يُبَارَكَ لَهُ في مَالِهِ ، لَكِنَّ ذلكَ المَالَ لَمْ يَفتِنْ عَبْدَ الرَّحمَن وَلَمْ يُغيِّرهُ فكانَ النَّاسُ إذا رَأوهُ بينَ مَمالِيْكِه لم يُفرِّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُم وفي يَوْمٍ مَا أُتِيَ بِطَعَامٍ وَهُوَ صَائِمٌ فَنَظر إليهِ ثُمَّ قالَ لَقَدْ قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمير وَهُو خيرٌ مِنِّي فَمَا وَجَدْنَا لَهُ إلا كفناً إنْ غطَّى رَأْسَهُ بَدَتْ رِجلاهُ وَإِنْ غَطَّى رِجْلَيْهِ بَدا رَأْسُهُ ثم بَسطَ اللهُ لَنا مِنْ الدّنْيا ما بَسطَ وَإِنِّي لأَخْشَى أَنْ يَكُونَ ثوابُنَا قد عُجِّلَ لَنَا ثم جَعَلَ يَبْكِي وَيَنْشَجُ حتى عَافَ الطَّعَامَ طُوْبَى لِعَبْدِ الرحمَن بْن عَوْفٍ وَأَلفُ غِبْطَةٍ

فقد بَشَّرَهُ بالجَنَّةِ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ وَحَمل جَنَازَتَه خالُ رَسُولِ اللهِ سَعْدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ .

وَصَلى عَلَيْهِ ذُو النُّورَيْن عُثْمَانُ بنُ عَفَّان وَشَيَّعَهُ أَمِيرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طَالِب وَهُو يَقُولُ لَقَدْ أَدْرَكْتَ صَفْوَهَا وَسَبَقْتَ زَيْفَهَا يَرْحَمُكَ اللهُ . انْتهى

اللَّهُمَّ يَا حَيّ يَا قَيُومُ يَا مَنْ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ مَكِّنْ مَحبَّتَكَ في قُلُوبِنَا

وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وَأَعِنَّا على القِيَامِ بِطَاعَتِكَ وَالانْتِهَاءِ عَنْ مَعْصِيَتِكَ اللهُم افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ والاجَابَةِ فَإنَّا نَدْعُوكَ دُعَاءَ مَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ وَتَصَرَّمَتْ آمَالُه وبقِيَتْ آثامُه وَانْسَبَلَتْ دَمْعَتُه وَانْقَطَعَتْ مُدَّتُهُ دُعاءَ مَنْ لا يَرْجُو لِذَنْبِهِ غَافِراً غَيْرَكَ وَلا لِمَا يُؤَمِّلُهُ مِن الخَيْرَاتِ مُعْطِياً سِوَاكَ وَلا لِكَسْرِهِ جَابِراً إلاَّ أَنْتَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وصَلَّى الله عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

المَـوْتُ يَفْجَعُ بَعْدَ العَينِ بالاثرِ ... فمـا البُكَاءُ عَلَى الأَشْبَاحِ والصُـوَرِ
أنْهَـاكَ أُنْهَـاكَ لاَ آلُوكَ مَوْعِظَـةً ... عن نَومَـةٍ نَابِ اللَّيْثِ والظُفُـرِ
فالعُمْـر يَفْنَى وإنْ طَالَتْ مُسَـالَمَةً ... والبِيْضُ والسُودُ مِثْلَ البِيْضِ والسُمُـرِ
ولا هَـوادَةَ بَيْنَ الرَّأْسِ تَأْخُذُهُ ... يَدُ الضِرَّابِ وبَيْنَ الصَّـارِمِ الذَّكَرِ
فلا تَغُـرَّنْكَ مِن دُنيـاكَ نَوْمَتُهَـا ... فَمَا صِنَـاعَةُ عَيْنَيهَـا سِـوَى السَّهَـرِ
ما لِلَّيَالِـي ؟ أَقَـالَ اللـهُ عَثْرَتَنَـا ... مِنَ اللَّيالِي وغَالَتْهَـا يَدُ الغِيَـرِ
في كُلِّ حِيْنٍ لَهَـا في كُلِّ جَارِحَـةٍ ... مِنَّـا جِراحٌ وإنْ زَاغت عن النَّظَـرِ
تَسُـرُّ بالشَّيءِ لَكِـنْ كَيْ تَغُـرَّ بِهِ ... كَالأَيْمِ ثَارَ إلى الجَانِي مِن الزَّهَـرِ
كَمْ دَوْلَةٍ وُلِّيَتْ بالنَّصـرِ خِدْمَتُهَا ... لَمْ تَبْقَ مِنْهَـا وسَلْ دُنْيَاكَ عن خَـبَرِ
هَـوتْ بِدَاراً وفَـلَّتْ غَرْبَ قَاتِلِـهِ ... وكَانَ غَضْباً عَلَـى الأَمْـلاَكِ ذَا أَثَـرِ
واسْتَرْجعتْ مِن بَنِي سَاسَان مَا وَهَبَتْ ... ولم تَدَعْ لِبَنِي يُونَـانَ مِـن أَثَـرِ
وأَلْحَقَتْ أُخْتَهَـا طَسْمـاً وعَـادَ عَلَى ... عَادٍ وجُـرْهُمِ مِنْهَـا نَاقِـضُ المِـرَرِ
وما أَقَالَتْ ذَوِي الهَيْئَـاتِ مِـن يَمَـنٍ ... ولاَ أَجَارَتْ ذَوِي الغَـايَاتِ مِن مُضَرِ
ومَزَّقَتْ سَبَـأً في كُلِّ قَاصِيَـةٍ ... فَمـا الْتَقَـى رَائِـحٌ مِنْهُـم بِمُبْتَكِـرِ
وأَنْفَذَتْ في كُلَيْبٍ حُكْمَهَـا وَرَمَتْ ... مُهَلْهِلاً بَيْنَ سَمْعِ الأَرْضِ والْبَصَرِ
وَلَـمْ تَرُدَّ عَلَـى الضِّلِّيـلِ صِحَّتَـهُ ... ولا ثَنَـتْ أَسَداً عَنْ رَبِّهَـا حَجَـرِ
وَدَوَّخَـتْ آلَ ذُبيـانٍ وإخْـواتِهِـمْ ... عَبْساً وغَصَّتْ بَنِي بَـدْرٍ عَلَى النَّهَـرِ
وأَلْحَقَـتْ بِعَـدِيٍّ بالعِـرَاقِ عَـلَى ... يَـدِ ابْنِـهِ أَحْمَـرَ العَيْنَيْنِ والشَّعَـرِ

وَأَهْلَكَتْ إبْرَوِيْزاً بِابْنِهِ وَرَمَتْ ... بِيَزْدَجِرْدٍ إِلَى مَرْوٍ فَلَمْ يُحْرِ
وبَلَّغَتْ يَزْدَجِرْدَ الصِّيْنَ واخْتَزَلَتْ ... عَنْهُ سِوى الفُرْسِ جَمْعَ التُرْكِ والخَزَرِ
وَلَمْ تُرَدَّ مَوَاضِي رُسْتُمٍ وقَنَا ... ذِيْ حَاجِبٍ عَنْهُ سَعْداً في ابْنَهِ الغِيَرِ
يَوْمَ القَلِيْبِ بَنُو بَدْرٍ فَنُوْا وَسَعَى ... قَلِيْبُ بَدْرٍ بِمَنْ فِيْهِ إِلَى سَقَرِ
وَأَخْفَرَتْ فِي الأَمِيْنِ العَهْدَ وانْتَدَبَتْ ... لِجَعْفَرٍ بِابْنِهِ والأَعْبُدِ الغُدُرِ
ومَا وَفَتْ بِعُهودِ المسْتَعينِ وَلَا ... بِمَا تَأكَّدَ لِلْمُعْتَزِّ مِن مَرَرِ
وَأَوْثَقَتْ فِي عُرَاهَا كُلَّ مُعْتَمَدٍ ... وَأَشْرَقَتْ بِقَذَاهَا كُلَّ مُقْتَدِرِ
وَرَوَّعَتْ كُلَّ مَأْمُوْنٍ ومُؤْتَمَنٍ ... بِذَيْلِ زَبَّاءَ لَمْ تَنْفِرْ مِنَ الذُّعُرِ
وَأَعْثَرَتْ آلَ عَبَّادٍ لَعَالَهُمُ ... وأَسْلَمَتْ كُلَّ منصورٍ ومُنْتَصِرِ
بَنِي المظَفَّرِ والأَيَّامُ - لَا نَزَلَتْ ... مَرَاحِلٌ والوَرَى مِنْهَا عَلَى سَفَرِ
سُحْقاً لِيَومِكُمُ يَوْماً وَلاَ حَمَلَتْ ... بِمِثْلِهِ لَيْلَةٌ في غَابِرِ العُمُرِ
مَنْ لِلأَسِرَّةِ أَوْ مَنْ لِلأَعِنَّةِ أَوْ ... مَن لِلأَسِنَّةِ يُهْدِيْهَا إلَى الثُّغَرِ
مَن لِلظُّبَا وعَوالي الخَطِ قَدْ عُقِدَتْ ... أَطْرَافُ أَلْسُنِهَا بِالْعِيِّ والْحَصَرِ
وَطَوَّقَتْ بالمَنَايَا السُّودِ بِيْضَهُمُ ... فَأَعْجَبْ لِذَاكَ وَمَا مِنْهَا سِوَى الذَّكَرِ
مَن لِلْيَرَاعَةِ أَوْ مَن لِلْبَرَاعَةِ أَوْ ... مَن لِلسَّمَاحَةِ أَوْ لِلنَّفْعِ والضَّرَرِ
أَوْ دَفْعِ كَارِثَةٍ أَوْ رَدْعِ آزِفَةٍ ... أَوْ قَمْعِ حَادِثَةٍ تَعْيِيْ عَلَى البَشَرِ
وَيْبَ السَّمَاحِ وَوَيْبَ البَأْ لَوْ سَلِمَا ... وَنُصْرَةِ الدِّين والدُّنيا عَلَى عُمَرِ
سَقَتْ ثَرَى الفَضْلِ والعَبَّاسِ هَامِيَةٌ ... تُعْزَىٰ إِليهم سَمَاحاً لا إلى المطرِ
ثَلاثَةٌ مَا رَأَىٰ السَّعْدَانِ مِثْلَهُم ... واخْبُرْ وَلَوْ عَزَّزا في الحُوتِ بِالقَمَرِ
ثَلاثَةٌ كَذَوَاتِ الدَّهْرِ مُنْذُ نَأَوْا ... عَنِّي مَضَىٰ الدَّهْرُ لم يَرْبَعْ ولم يَحِرِ
وَمَرَّ مِن كُلِّ شَيْءٍ فِيْهِ أَطْيَبُهُ ... حَتَّى التَّمَتُّعِ بالآصَالِ والبُكَرِ
أَيْنَ الجَلَالُ الَّذي غَضَّتْ مَهَابَتُهُ ... قُلُوبَنَا وعُيُونُ الأَنْجُم الزُّهُرِ
أَيْنَ الإِبَاءُ الَّذي أَرْسَوا قَوَاعِدَهُ ... عَلَى دَعَائِمَ مِن عِزٍّ ومِن ظَفَرِ ؟
أَيْنَ الوَفَاءُ الَّذي أَصْفُوا شَرَائِعَهُ ... فَلَمْ يَرِدْ أَحَدٌ مِنْهَا عَلَى كَدَرِ
كَانُوا رَوَاسِيَ أَرْضِ اللهِ مُنْذُ مَضَوْا ... عَنْهَا اسْتَطَارَتْ بِمَنْ فِيْهَا ولَمْ تَقِرِ

كَانُوا مَصَابِيْحَهَا دَهْراً فَمُنْذُ خَبَوْا ... صَارَ الخَلِيْقَةُ بِاللَّهِ فِي مَرَرِ
مَن لِيْ مَن بِهِم إنْ أَظْلَمَتْ نُوَبٌ ... وَلَمْ يَكُنْ لَيْلُهَا يُفْضِي إلَى سَحَرِ
مَن لِيْ وَلَا مَن بِهِمْ إنْ أَطْبَقَتْ مِحَنٌ ... ولَمْ يَكُنْ وِزْرُهَا يَدْعُوْ إلى صَدَرِ
عَلَى الفَضَائِلِ إلاَّ الصَّبْرُ بَعْدَهُم ... سَلامُ مُرْتَقِبٍ للأَجْرِ مُنْتَظِرِ
يَرْجُوْ عَسَى وَلَهُ فِي أُخْتِهَا أَمَلٌ ... والدَّهْرِ ذُوْ عَتَبٍ شَتَّىٰ وذُوْ غِيَرِ
رَرَّطْتُ آذَانَ مَن فِيْهَا بِفَاضِحَةٍ ... عَلَى الحِسانِ حَصَى الْيَاقُوتِ والدُّرَرِ
سَيَّارَةٌ فِي أَقَاصِي الأَرْضِ قَاطِعَةٌ ... شَقَاشِقاً هَدَرَتْ فِي البَدْوِ والحَضَرِ
مُطاعَةُ الأَمْرِ فِي الأَلْبَابِ قَاضِيَةٌ ... مِنَ المَسَامِعِ مَا لَمْ يُقْضَ مِنْ وَطَرِ

اللّهمَّ إنَا نَسْلُكَ نَفْساً مُطْمَئِنَّةً ، تُؤمِنُ بِلقَائِكْ وتَرْضَى بِقَضائِكْ ، وتَقْنَعُ بِعَطَائِكْ ، يا أرْأفَ الرائفين ، وأرحَمَ الراحمين وَصَلَّى اللهُ على محمد وعلى آله وَسَلّم .

موعظة :

عن معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه، أنه قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول في خُطبة أحد العيدين: «الدُّنيا دارُ بلاءٍ ومنزل قَلِقٍ وعَناءٍ، وقد نَزَعَتْ عنها نفوسُ السُّعداء، وانتُزعت بالكُرْهِ مِنْ أيْدي الأَشقياء، فأسْعَدُ النَّاس بها أَرْغَبُهُم عنها، وأشقاهُم بها أرغَبُهم فيها، هي الغاشَّةُ لمن انْتَصَحَها، والمُغْوية لِمن أطَاعَها، والخاتِرَة لمن انقادَ لها. فالفائِز مَنْ أَعْرَضَ عنها، والهالكُ مَنْ راغِبٌ فيها. طُوبى لِعَبْدٍ اتقى فيها رَبَّه، وناصَحَ نفسَه، وقدَّم توبتَه، وأخَّرَ شَهْوَتَه مِنْ قَبل أنْ تَلْفِظَه الدُّنيا إلى الآخرة، فيُصْبِحَ في بطنِ مُوحِشَةٍ غبراء، مُدْلَهِمَّةٍ ظلماء، لا يستطيعُ أن يَزيدَ في حَسَنَة، ولا يَنْقُصَ مِنْ سَيِّئَة، ثم يُنْشَرُ فيُحْشَرُ إمَّا إلى جَنَّةٍ يدُومُ نعيمها، وإمَّا إلى نارٍ لا يَنْفَدُ عذابُها.

وعن ابن عمر رضي الله عنه أنَّه قال: سَمِعْتُ رسول الله يقـــول في خطبته: «يا أيُّها النَّاس إنَّ هذه الدَّارَ دارُ التواء، لا دارُ استواء، ومَنزل تَرَح، لا منزل فَرَح. مَنْ عَرَفَها لم يَفْرَح لرَخاء، ولم يحزَن لشقاء. ألا وإنَّ الله عزَّ وجل خَلَقَ الدُّنيا دارَ بَلْوى، والآخرةَ دَارَ عُقْبَى، فجعلَ بَلْوَى الدُّنيا لِثوابِ الآخرةِ

سَبَباً، وثوابَ الآخرة مِنْ بَلْوَى الدُّنيا عِوَضاً، فيأخذ لِيُعْطي، ويَبتلي لِيَجْزي. إنَّها لَسَرِيْعَةُ الذَّهابِ، وَشيكَةُ الانْقِلاب، فاحْذَرُوا حَلاوَة رَضاعِها لِمَرارَةِ فِطامِها، واهْجُروا لَذِيْذَ عاجِلِها، لِكَرِيهِ آجِلِهَا، ولا تَسْعَوا في عُمْرَانِ دارٍ قَدْ قَضَى الله خَرابَها، وَلا تُواصِلُوها، وقد أرادَ الله مِنكم اجتنابها، فتكُونُوا لِسُخْطِهِ مُتعرِّضِين، ولِعُقُوبَته مُسْتَحِقِّين.

هو الموتُ ما منه مَفَرٌّ لِهَارِبٍ
وهَلْ هَرَبي يَوماً مِنَ الليلِ يَنْفَعُ

وَأَيُ اجْتِماعٍ لا يُبَدَّدُ شَمْلُهُ
وأَيُّ فُؤادٍ بالرَّدَى لا يُرَوَّعُ

حَيَاتُكَ كَالأَضْغَاثِ والحِلْم مُزْعِجٌ
ويَعْقبُهُ الموتُ الذي ليس يُدْفَعُ

لقد جِئْتَ مُضْطراً وترجَعُ كارهاً
ولم يَختلِفْ شأناً مَجيءٌ ومَرْجِعُ

إذاً اتَّسَخَ السِّربَالُ أَوْرَثَّ نَسْجُهُ
فلا بُدَّ لِلسِّرْبالِ بالنَّزْعِ يُخْلَعُ

أَرَى الرُوحَ تَأْوِي الجِسمَ مَا دَامَ عَامِراً
وتُخْلِيْهِ مِن بَعدِ إنْهِيَارٍ وتُقْلِعُ

إذا طالَ عُمْرُ المرءِ طَالَ عَنَاؤُهُ
وَأَشْقَاهُ مِن أَحْبَابِهِ مَن يُوَدِّعُ

وعاثَتْ تَصَارِيفُ الزَّمان بِجِسْمِهِ
فَفِي كُلِّ يومٍ جَانِبٌ يَتَضَعْضَعُ

تَساقَطُ أَسْنَانٌ ويَضْعَفُ نَاظِرٌ
وتَقصرُ خُطْوَاتٌ ويَثْقُلُ مَسْمَعُ

أَرَى **الوَقْتُ** والدَّاءِ العُطَال يَلُوكُنا
لِتَبْلَعَنا الأرضُ التي لَيْسَ تَشْبَعُ

نَوائِبُهُ الأنْيَابُ تَفْرِي قُلوبَنَا
وفيها أمانِيْنَا سَرَابٌ مُشَعْشِعُ
وماذا يُرَجِي الحَيُّ إنْ جُذَّ أصْلُهُ
وشُذِّبَ عَنْهُ فَرْعُهُ المُتَفَرِّعُ

وما عُذْرُ مَن تُؤْدِي اللَّيالِيْ بِبَعْضِهِ
إذا كَانَ بالدُنْيا يُغَرُّ ويُخْدَعُ
ولم أرىَ كَالدُنيا ولَم أرىَ كَلْبَها
تَجُورُ عَليه وهو بالأمِ مُوْلَعُ
إذا عَرَفَ الدنيا لَبِيْبٌ أهَانَهَا
ويَحْيَ حَيَاةَ الزَاهِدِينَ ويقْنَعُ
تَوالَتْ مَلَايِنُ المَلَايِنِ قَبْلَنَا
على سُنَنِ الأجيالِ تَقْفُوا وتَتْبَعُ
قَوافِلُ يَحْدُوهَا الزمانُ بلَحْنِهِ
وما لَحْنُهُ إلَّا الأنينُ المُرَجَّعُ
أرَى الموتَ لا يَثْنِيهِ نُبْلٌ وسُؤْدَدُ
ولا مَحْتَدٌ زاكٍ وشأنٌ مُرَفَّعُ
ولا خُلُقٌ زاكٍ ولا عَبْقَرِيَّةٌ
وهَلْ خُلُقٌ عِندَ المَنِيَةِ يَشْفَعُ
وما الموتُ إلَّا قُوَةٌ تَنْحَنِي لَهَا
ظُهُورُ جَمِيعُ الأقْوِيَاءِ وتَرْكَعُ

وَاللهُ أعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ

قِصَّةٌ لثابت بن قيس الأنصاري

هو أحَدُ السابقين إلى الإسلام في يثربَ، إذْ ما كادَ يستَمِعُ إلى آيِ الذِّكْرِ الحكيم يُرَتِّلها الدَّاعِيَةُ المَكِّيُّ الشَّابُ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ بِصَوْته الشَّجِيِّ وجَرْسِهِ

النَّديِّ حتى أسَرَ القرآنُ سَمْعَه بِحلاوةَ وقْعِه، وَمَلَكَ قَلْبَه برائِع بَيَانِه، وخَلَبَ لُبَّه بما حَفَلَ به من هَدْيٍ وتَشْريع.

فَشَرَحَ الله صَدْرَه للإيمان، وأَعْلَى قَدْرَه ورَفَعَ ذِكْرَهُ بالإنْضِواءِ تَحْتَ لوَاءِ نَبيِّ الإسلام.

ولما قَدِمَ الرسولُ صلواتُ الله وسلامُه عليه إلى المدينَةِ مُهَاجِراً استَقْبَلَهُ ثابِتُ بنُ قَيْسٍ في كَوْكَبَةٍ كبيرَةٍ من فرسانِ قَوْمِهِ أكْرَمَ اسْتِقْبَالٍ، ورَحَّبَ بِهِ وبِصاحِبِهِ الصدِّيقْ أَجْمَلَ تَرْحِيبٍ، وخَطَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ خُطْبَةً بليغةً افتَتَحَها بِحَمْدِ الله جَلَّ وعزَّ، والثَّناءِ عليه، والصلاةِ والسَّلام على نبيِّه...

واختتمَها بقوله:

«وإنَّا نُعَاهِدُكَ ــ يا رَسُوْلَ اللهِ ــ عَلَى أَنْ نَمْنَعَكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنا وَأَولادَنا ونِسَاءَنا، فَمَا لَنَا لِقاءَ ذلك؟».

فقال عليه الصلاةُ والسَّلام:

الجَنَّة...

فما كادَتْ كلمةُ «الجَنَّةِ» تُصَافِحُ آذانَ القَوْم حتَّى أَشْرَقَتْ وَجوُهُهم بالفَرْحَةِ وزَهتْ قسمَاتُهُمْ بالبَهْجة، وقالوا:

رَضِينَا يا رَسُوْلَ الله... رَضِينا يا رَسُوْلَ الله...

ومُنْذُ ذَلِكَ اليومِ جَعَلَ الرسولُ صلواتُ الله عليه ثابِتَ بنَ قَيْسٍ خطيبَهُ، كما كان حَسَانُ بنُ ثابتٍ شاعِرَه.

فصار إذا جاءَتْه وُفودُ العَرَبَ لِتُفَاخِرَهُ أَوْ تُناظِرَهُ بِأَلْسِنَةِ الفُصَحَاء المَقَاوِل مِن خُطبَائِها وشعرائِها، نَدَبَ لهم ثَابِتَ ابنَ قيسٍ لِمُصاوَلِةِ الخُطَبَاءِ، وحَسَّانَ بنَ ثابتٍ لِمُفاخَرَةِ الشُّعَراء.

ولَقَدْ كان ثابِتُ بنُ قَيْسٍ مُؤْمِناً عميقَ الإيمَان، تَقِياً صادِقَ التَّقْوَى، شديدَ الخَشْيَةِ من رَبِّه، عظيمَ الحَذَرِ من كُلِّ ما يُغْضِبُ الله جَلَّ وعزَّ.

فلقد رآه رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ هَلِعاً جَزِعاً ترتعِدَ فرائصُه خوفاً وخشية.

فقال: ما بكَ يا أبا محمد؟!

فقال: أخْشَى أنْ أكونَ قَدْ هَلكتُ يا رسولَ الله...

قال: ولِمَ؟!

قال: لقد نهانا الله جَلَّ وعَزَّ عن أنْ نحِبَّ أنْ نُحْمَدَ بما لم نَفْعَلْ، وأَجِدُني أحبُّ الحَمْدَ... ونهانا عن الخُيلاءِ، وأجِدُني أحبُّ الزَّهْوَ.

فما زالَ الرسولُ صَلَواتُ الله وسلامُه عليه يُهدِّىء من رَوْعِه حتى قال:
يا ثابتُ، أَلَا تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ حَمِيداً...
وَتُقْتَلَ شهيداً...
وتَدْخُلَ الجَنَّة...؟
فأشْرَقَ وَجْهُ ثابِتٍ بهذه البُشْرَى وقال: بَلَى يا رسولَ الله... بَلَى يا رسولَ الله.
فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: إنَّ لَكَ ذَلِكَ.

ولمَّا نَزَل قولُه جَلَّ شأنُه: «يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمُ فَوْقَ صَوْتِ النبيِّ، ولا تَجْهَرُوا لَهُ بالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكم لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعمالُكُمْ وأَنْتُمْ لا تَشْعُرونَ».

تجنَّب ثابتُ بنُ قَيْسٍ مجالِسَ رسولِ الله ﷺ ــ على الرَّغْمِ من شِدَّة حُبِّهِ له، وَفَرْطِ تَعَلُّقِهِ به ــ.

ولَزِمَ بيتَه حتَّى لا يكادُ يَبْرَحه إلّا لأدَاء المَكْتوبَةِ. فأفْتَقَدَه النبيُّ صلواتُ الله وسلامُه عليه وقال: مَن يأتيني بخبرِه؟

فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله. وذَهَبَ إليه فوَجَدَه في مَنْزِلِه محزوناً مُنَكَّساً رَأْسَهُ فقال: ما شَأْنُكَ يا أبا محمد؟.

قال: شرٌّ.

قال: وما ذاك؟!

قال: إنَّك تَعْرِفُ أنِّي رَجُلٌ جَهِيرُ الصَّوْتِ، وأنَّ صَوْتِي كَثِيراً ما يَعْلُو على صَوْتِ رسولِ الله ﷺ وقد نَزَل مِن القرآنِ ما تَعْلَمُ، وما أَحْسَبُني إلَّا قَدْ حَبِطَ عَملي وأنَّني مِن أهْلِ النَّارِ.

فَرَجَعَ الرجلُ إلى الرسولِ صلواتُ الله وسلامُه عليه، وأَخْبَرَهُ بما رَأَى وما سَمِعَ فقال: اِذْهَبْ إليه وقُلْ له: لَسْتَ مِن أَهْلِ النَّارِ، ولكِنَّكَ مِن أَهْلِ الجَنَّة. فكانت هذه بشارَةً عُظْمَى لِثابَتٍ ظَلَّ يَرْجُوْ خَيْرَهَا طُوَالَ حَيَاتِه.

وقد شَهِدَ ثَابِتُ بنُ قَيْسٍ مع رسولِ الله ﷺ المشَاهِدَ كُلَّها سِوَى بَدْرٍ، وأقْحَمَ نَفْسَهُ في غِمارِ المعارِكِ طَلَباً لِلشَّهَادة التي بشَّرَه بها النَّبيُّ، فكان يخطِئُها في كُلِّ مرَّةٍ، وهي قابَ قَوْسَيْنَ مِنْهُ أوْ أدْنَى...

إلى أنْ وَقَعَتْ حروبُ الردَّةِ بَيْنَ المسلمينَ ومُسَيْلَمَةَ الكذّابِ على عَهْدِ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه.

ولقد كان ثابتُ بنُ قيسٍ إذْ ذاكَ أميراً لِجُنْدِ الأَنْصَارِ، وسالِمٌ مَوْلَى أبي حُذَيْفَةَ أميراً لِجُنْدِ المهاجرين، وخالِدُ بنُ الوليدِ قائداً للجيش كلِّه: أنصارِه ومُهَاجرِيه ومَنْ فيه مِنْ أَبْنَاءِ البوادِي.

ولقد كانَتِ الريحُ والدُّوْلَةُ في جُلِّ المعارِكِ لِمُسَيْلَمَة ورجالِه على جيوشِ المسلمين، حتى بَلَغَ بِهِم الأمْرُ أن اقْتَحموا فُسْطَاطَ خالِدِ ابنِ الوليدِ، وهَمُّوا بِقَتْلِ زَوْجَتِهِ أُمِّ تَمِيمٍ، وقطعوا حِبَالَ الفُسْطَاطِ ومزَّقوه شَرَّ مُمَزَّقٍ.

فرأى ثابِتُ بنُ قَيْسٍ يَومَذَاكَ من تَضَعْضُعِ المسلمين ما شَحَنَ قَلْبَه أسىً وكمداً، وسَمِعَ من تنابُزِهِمْ ما مَلأَ صَدْرَه هماً وغماً...

فأبْناءُ المُدُنِ يَرْمونَ أهْلَ البَوادِي بالجُبْنِ، وأهْلِ البَوادِي يَصفُونَ أبْنَاءَ المُدُنِ بأنَّهُمْ لا يُحْسِنُونَ القِتَالَ ولا يَدْرون ما الحَرْبُ... عِندَ ذلك تَحنَّط ثابتٌ وتكفَّنَ وَوَقَفَ على رؤوسِ الأشْهادِ.

وقال: يا مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ، ما هكذا كُنَّا نُقاتِلُ مَعَ رسولِ الله ﷺ.

بئسَ ما عَوَّدتم أعْداءَكُم مِنَ الجُرْأةِ عليكم...
وبِئْسَ ما عَوَّدْتُم أنْفُسَكُمْ من الانْخِذَالِ لهم...

ثم رَفَعَ طَرْفَهُ إلى السَّماءِ وقال: اللَّهُمَّ إني أبْرَأُ إليك مِمَّا جاءَ به هؤلاءِ من الشِّرْكِ (يَعْني مُسَيْلَمَةَ وقومَه). وأبْرَأُ إليك مِمَّا يَصْنَعُ هؤلاءِ (يعني المسلمين).

ثم هَبَّ هَبَّةَ الأسَدِ الضَّارِي كَتِفاً لِكَتِفٍ مع الغُرِّ الميامين: البراءِ بنِ مالِكٍ الأنصاري، وزَيْدِ بنِ الخَطَّابِ أخي أميرِ المؤمنين عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وسالِمٍ مَوْلَى أبي حُذَيْفَة، وغيرِهم وغيرِهم من المؤمنين السَّابقين... وأبلى بلاءً عظيماً مَلأَ قلوبَ المُسْلِمينَ حَمِيَّةً وعَزْماً، وشَحَنَ أفْئِدَةَ المشركين وَهَناً ورُعْباً.

وما زال يُجَالِدُ في كُلِّ اتِّجاهٍ، ويُضارِبُ بِكُلِّ سِلاحٍ حَتَّى أثْخَنَتْه الجراح، فَخَرَّ صَرِيعاً على أرْضِ المَعْرَكَةِ قَرِيرَ العَيْن بما كَتَبَ الله لَهُ من الشهادَة التي بَشَّرَ بها حبيبُه رَسولُ الله ﷺ، مَثْلُوجَ الصَّدْرِ بِمَا حَقَّقَ الله على يَدَيْهِ

لِلْمُسْلِمين من النَّصْرِ...

وكانت على ثابتٍ دِرْعٌ نفيسَةٌ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ من المُسْلِمين، فَنَزَعَها عَنْهُ، وأَخَذَهَا لِنَفْسِه.

وفي الليلَةِ التَّالِيَةِ لاسْتِشْهادِهِ رآه رَجُلٌ من المسلمين في منامِه فقال للرجل: أنا ثابِتُ بنُ قيسٍ، فَهَلْ عَرَفْتَني؟

قال: نعم.

فقال: إني أوصيكِ بِوَصِيَّةٍ، فإيَّاكَ أَنْ تَقُولَ هذا حُلُمٌ فتُضَيِّعَهَا...

إني لما قُتِلْتُ أَمْسِ مَرَّ بي رَجُلٌ من المُسْلِمينَ صِفَتُه كذا وكذا، فَأَخَذَ دِرْعي ومَضَى بها نَحْوَ خِبَائِهِ في أَقْصَى المُعَسْكَرِ من الجِهَةِ الفُلانِيَّةِ، ووَضَعَهَا تَحْتَ قِدْرٍ له، وَوَضَعَ فَوْقَ القِدْرِ رَحْلًا، فائتِ خالِدَ بنَ الوَليد، وقُلْ له: أَنْ يَبْعَثَ إلى الرَّجُلِ مَنْ يَأْخُذُ الدِّرْعَ منه فَهِيَ ما تَزَالُ في مكانِها.

وأوصيكَ بِأُخْرَى، فإياكَ أَنْ تَقُولَ هذا حُلُمُ نائِمٍ فتُضَيِّعَها...

قُلْ لخالِدٍ: إذا قَدِمْتَ على خليفَة رسولِ الله ﷺ في المدينةِ فَقُلْ له: إنَّ على ثابتِ بن قَيْسٍ من الدَّيْنِ كذا وكذا... وإنّ فلاناً وفلاناً من رَقيقِه عتيقان، فَلْيَقْضِ دَيْني وَلْيُحَرِّرْ غُلامَيَّ... فاسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ، فَأَتَى خالِدَ بنَ الوليدِ فَأَخْبَرَهُ بما سَمِعَ وما رأى...

فَبَعَثَ خالدٌ من يُحْضِرُ الدِّرْعَ من عِنْدِ آخِذِها فوجدَهَا في مكانها وجاءَ بها كما هي.

ولما عادَ خالدٌ إلى المدينَةِ حَدَّثَ أبا بكر رَضِيَ الله عنه بِخَبَرِ ثابتِ بنِ قَيْسٍ وَوَصِيَّتِهِ فأَجَازَ الصِّدِّيْقُ وَصِيَّتَهُ وَمَاعُرِفَ أَحَدٌ قَبْلَهُ ولا بَعْده أُجِيْزَتْ وَصِيَّتُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ سِوَاه .

اللهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ المفلِحِيْنَ وألْبِسْنَا خِلَعَ الإيمانِ واليَقِيْنَ وخُصَّنَا مِنْكَ بالتوفِيْقِ المُبِيْن وَوَفِّقْنَا لِقَوْلِ الحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلِّصْنَا مِن البَاطِلِ وابْتِدَاعِهِ وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدا ولا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدَا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشاً رَغَدَا ولا تُشْمِتْ بِنَا عَدُواً ولا حَاسِداً وَارْزُقْنَا عِلْماً نَافِعا وَعَمَلاً مُتقَبَّلاً وَفَهْماً ذَكِياً وَطَبْعَاً صَفِياً وَشِفَاءً مِن كُلِّ دَاءٍ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ولِجَمِيْعِ المسلمين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ

قصة للنُعمان بنُ مقرِّنٍ المُزَنيّ

كانت قبيلةُ مُزَيْنَةَ تتخذُ منازلَها قريباً من يَثْرِبَ، على الطريقِ الممتدَّةِ بين المدينةِ ومكة.

وكان الرسولُ صلواتُ الله وسلامُه عليه قد هاجرَ الى المدينةِ، وجَعَلَتْ أخبارُه تَصِلُ تِبَاعاً إلى مُزَيْنَةَ مع الغادِينَ والرائحينَ، فلا تسمعُ عنه إلَّا خَيْراً.

وفي ذاتِ عَشِيَّةٍ، جَلَسَ سَيِّدُ القومِ، النعمانُ بنُ مقرِّنٍ المزنيُّ، في ناديه مع إخوتِهِ ومَشْيَخَةِ قبيلتهِ، فقال لهم: يا قوم، والله ما عَلِمْنا عن محمدٍ إلَّا خيراً، ولا سمعنا من دَعْوَتِهِ إلَّا مَرْحَمَةً وإحساناً وعدلًا، فما بالُنا نُبطىءُ عنه، والناسُ إليه يُسْرِعون؟!

ثم أَتْبَعَ يقول: أمَّا أنا فقد عَزَمْتُ على أن أَغْدُوَ عليه، إذا أصبحتُ، فمَنْ شاءَ منكم أن يكونَ مَعي فَلْيَتَجَهَّزْ.

وكأنَّما مَسَّتْ كلماتُ النُّعْمانِ وَتَراً مُرْهَفاً في نفوسِ القوم، فما إنْ طَلَعَ الصباحُ حَتَّى وَجَدَ إخْوَتَهُ العشرةَ، وأربعمائة فارسٍ من فرسانِ مُزَيْنَةَ قد جَهَّزوا أَنْفُسَهُمْ لِلْمُضيِّ معه إلى يَثْرِبَ لِلِقَاءِ النبيِّ صلواتُ الله وسلامهُ عليه، والدُّخولِ في دينِ الله.

بَيْدَ أَنَّ النعمانَ استَحْيَا أَنْ يَفِدَ مع هذا الجمعِ الحاشِدِ على النبيِّ ﷺ دونَ أن يَحْمِلَ لهِ وللمسلمين شيئاً في يدِه.

لَكِنَّ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ المُجْدِبَةَ التي مَرَّتْ بِها مُزَيْنَةُ لم تَتْرُكْ لها ضَرْعاً ولَا زَرْعاً.

فطاف النُّعْمانُ بِبيْتِهِ وَبُيُوتِ إِخْوَتِهِ، وجَمَعَ كُلَّ ما أَبْقَاهُ لهمُ القَحْطُ من غُنَيْماتٍ، وساقَها أمامَهُ وقَدِمَ بها على رسولِ الله ﷺ، وأَعْلَنَ هو ومَنْ معه إسلامَهم بينَ يَدَيْه.

اهتَزَّتْ يثربُ من أقصاها إلى أقصاها فَرَحاً بالنُّعْمانِ بنِ مُقَرِّنٍ وصَحْبِه، إذْ لم يَسْبِقْ لِبَيْتٍ من بيوتِ العربِ أنْ أُسْلَمَ منه أَحَدَ عَشَرَ أَخاً من أبٍ واحدٍ ومعهم أربعُمائةِ فارس.

وسُرَّ الرسولُ الكريمُ بإسلامِ النعمانِ أبلغَ السُّرورِ.

انْضَوَى النُّعْمانُ بنُ مُقَرِّنٍ تَحْتَ رايةِ رسولِ الله ﷺ، وشَهِدَ معهُ غَزَوَاتِهِ كُلَّها غيرَ وانٍ ولا مُقصِّرٍ.

ولما آلَتِ الخلافةُ إلى الصِّدِّيقِ وقفَ معه هو وقومهُ مِن بني مُزَيْنَةَ وَقْفَةً حازِمَةً كان لها أَثَرٌ كَبيرٌ في القَضَاءِ على فِتْنَةِ الرِّدَّة.

ولما صارتِ الخلافةُ إلى الفاروقِ كان للنعمانِ بنِ مقرِّنٍ في عهدهِ شَأْنٌ ما يَزَالُ التاريخُ يَذْكُرُهُ بِلسانٍ نَدِيٍّ بِالْحَمْدِ، رَطيبٍ بالثَّناء.

فقُبَيْلَ القَادِسِيَّةِ، أَرْسَلَ سعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ قائدُ جُيوشِ المسلمينَ وفداً إلى كِسْرَى يَزْدَجُرْدَ بِرِئاسَةِ النُّعْمانِ بْنِ مُقَرِّنٍ لِيَدْعُوَهُ إلى الإسلامِ.

ولما بلغوا عاصمةَ كِسْرَى في المدائن استأذنوا بالدُّخولِ عليه فأذِنَ لهم، ثم دعَا التَّرْجُمَانَ فقال له: سَلْهُمْ: ما الذي جاءَ بِكم إلى دِيارِنا وأَغْرَاكُمْ بِغَزْوِنَا؟! لَعَلَّكُمْ طَمِعْتُمْ بِنَا وَاجْتَرَأْتُمْ عَلينَا لِأَنَّنَا تَشَاغَلْنَا عنكم، ولم نَشَأْ أَنْ نَبْطِشَ بكم.

فالْتَفَتَ النعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ إلى مَنْ مَعَهُ وقال: إنْ شِئْتُمْ أَجَبْتُهُ عَنْكم، وإنْ شاءَ أَحَدُكم أَنْ يَتَكَلَّمَ آثَرْتُهُ بالكلام.

فقالوا: بَلْ تَكَلَّمْ، ثم الْتَفَتُوا إِلَى كِسْرَى وقالوا: إنَّ هذا الرجلَ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِنَا فَاسْتَمِعْ إلى ما يقول.

فَحَمِدَ النُّعْمانُ اللهَ وَأَثْنَى عليه، وصَلَّى على نَبِيِّهِ وسَلَّمَ، ثم قال: إنَّ اللهَ رَحِمَنَا فأرسلَ إلينا رسولًا يَدُلُّنَا على الخيرِ ويأمُرُنا به، ويُعَرِّفُنَا الشَّرَّ وَيَنْهانا عنه. ووعَدَنَا ــ إنْ أَجَبْنَاهُ إلى ما دعانا إليه ــ أن يُعْطِيَنَا اللهُ خَيْرَي الدنيا والآخرة.

فما هو إلَّا قليلٌ حتي بَدَّلَ اللهُ ضِيقَنَا سَعَةً، وذِلَّتَنَا عِزَّةً، وعَداواتِنا إخاءً وَمَرْحَمَةً.

وقد أُمِرَنَا أَنْ نَدْعُوَ الناسَ إلى ما فيه خَيْرُهُمْ وأَنْ نَبْدَأَ بِمَنْ يُجَاوِرُنَا.

فَنَحْنُ نَدعُوكُمْ إلى الدخولِ في دِينِنا، وهو دينٌ حَسَّنَ الْحَسَنَ كُلَّهُ وحَضَّ عليه، وقَبَّحَ القَبِيحَ كُلَّهُ وَحَذَّرَ منه، يَنْقُلُ مُعْتَنِقِيهِ من ظلامِ الكُفرِ وجَوْرِه إلى نورِ الإيمانِ وعَدْلِه.

فإنْ أَجَبْتُمُونا إلى الإسلامِ خَلَّفْنا فيكم كِتَابَ اللهِ وأَقَمْنَاكُمْ عليه، على أَنْ تَحْكُموا بأحكامِه، ورَجَعْنَا عنكم وتَرَكْنَاكُم وَشَأنَكم.

فإنْ أَبَيْتُمُ الدُّخولَ في دِينِ اللهِ أَخَذْنَا مِنْكُمُ الجِزْيَةَ وَحَمَيْنَاكُمْ، فإنْ أَبَيْتُمْ إعطاءَ الجزيةِ حَارَبْناكم.

فاسْتَشَاطَ يَزْدَجُرْدُ غَضَباً وغَيْظاً مِمَّا سَمِعَ، وقال: إني لاَ أَعْلَمُ أُمَّةً في الأَرضِ كانَتْ أَشْقَى مِنْكُم ولا أقَلَّ عَدَداً، ولا أَشَدَّ فُرْقَةً، ولا أَسْوَأَ حالًا.

وقد كُنَّا نَكِلُ أَمْرَكم إلَى وُلَاةِ الضَّوَاحِي فَيَأْخذُونَ لنَاَ الطَّاعَةَ منكم...

ثُمَّ خَفَّفَ شَيْئاً مِن حِدَّتِهِ وقال: فإن كانَتْ الحَاجَةُ هِي التَّي دَفَعَتْكُمْ إلى المجيءِ إلينا أَمَرْنَا لكم بقوُتٍ إلى أَنْ تُخْصِبَ دِيَارُكم، وكَسَوْنا سَادَتَكُمْ وَوُجوهَ قومِكم، ومَلَّكْنَا عليكم مَلِكاً من قِبَلِنا يَرْفِقُ بكم.

فرَدَّ عليه رجُلٌ من الوفدِ رَدًّا أَشْعَلَ نارَ غَضَبِهِ من جديدٍ فقال: لولا أَنَّ الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ لَقَتَلْتُكُمْ.

قوموا فليس لكم شَيْءٌ عندي، وأَخْبِرُوا قائِدَكم أَنِّي مُرْسِلٌ إِلَيْهِ «رُسْتُمَ» حتى يَدْفِنَهُ ويَدْفِنَكُم معه في خَنْدَقِ القَادِسِيَةِ.

ثم أَمَرَ فَأُتِيَ لَهُ بِحِمْلِ تُرَابٍ، وقال لرِجَالِه: حَمِّلُوهُ على أَشْرَفِ هؤلَاءِ، وسوقوه أمامَكم على مرأىً من النَّاسِ حتى يَخْرُجَ من أبوابِ عاصمةِ مُلْكِنَا.

فقالوا للوفد: مَنْ أَشْرَفُكُمْ؟ فبادَر إليهم عاصِمُ ابنُ عُمَرَ وقال: أنا، فَحَمَّلُوهُ عليه حتى خَرَجَ مِنَ المدائن، ثم حَمَّلَهُ على ناقَتِهِ وأَخَذَهُ معه لسعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ، وبَشَّرَهُ بأنَّ الله سَيَفْتَحُ على المسلمين دِيَارَ الفُرْسِ وَيُمَلِّكُهُمْ تُرَابَ أرضِهم.

ثم وقعتْ معركةُ القادسيةِ، واكْتَظَّ خَنْدَقُها بِجُثَثِ آلافِ القَتْلَى، ولكِنَّهُمْ لم يكونوا من جُنْدِ المسلمين، وإنما كانوا من جنودِ كِسْرَى.

لَمْ يَسْتَكِنِ الفُرْسُ لهزيمةِ القَادِسِيَّةِ، فجمعوا جموعَهم، وجَيَّشُوا جيوشَهم

حتى اكتملَ لهم مائةٌ وخمسونَ ألفاً من أشِدَّاءِ المُقاتلين.

فلما وَقَفَ الفاروقُ على أخبارِ هذا الحَشْدِ العظيمِ، عَزَمَ على أَنْ يَمْضِيَ إلى مواجهةِ هذا الخطرِ الكبيرِ بنفسهِ.

ولكِنَّ وجوهَ المسلمين ثَنَوْهُ عن ذلك، وأشاروا عليه أن يُرْسِلَ قائداً يُعْتَمَدُ عليه في مِثْلِ هذا الأمرِ الجَليل.

فقال عمرُ: أشيروا عَلَيَّ برجلٍ أُوَلِّيهِ ذلك الثَّغْرَ.
فقالوا: أنتَ أعلمُ بِجُنْدِكَ يا أميرَ المؤمنين.
فقال: واللهِ لأُوَلِّيَنَّ على جُنْدِ المسلمين رجلًا يكونُ ــ إذا التَقى الجَمْعَانِ ــ أَسْبَقَ من الأسِنَّةِ، هو النُّعْمانُ بنُ مُقَرِّنٍ المُزَنِيُّ.
فقالوا: هو لها.
فكتبَ إليه يقول:
من عبدِ اللهِ عمرَ بنِ الخطابِ إلى النُّعْمانِ بنِ مُقَرِّن.
أمَّا بعد، فإنَّه قد بَلَغَني أنَّ جموعاً من الأعاجِمِ، كثيرَةً قد جَمَعوا لكم بمدينة «نَهَاوَنْد»، فإذا أتاكَ كتابي هذا فَسِرْ بِأمْرِ اللهِ، وَبِعَوْنِ اللهِ، وبِنَصْرِ اللهِ بِمَنْ مَعَكَ من المسلمين، ولا تُوطِئْهُمْ وَعْراً فتؤذيهم... فإنَّ رَجُلًا واحَداً من المسلمين أَحَبُّ إلَيَّ من مائَةِ أَلْفِ دينارٍ، والسلامُ عليكم.

هَبَّ النعمانُ بنُ مقرِّنٍ بجيشهِ لِلِقاءِ العدوِّ، وأرسَل أمامَه طَلائعَ من فُرسانِه لِتَكْشِفَ له الطريقَ، فلما اقتربَ الفرسانُ من «نَهاوَنْدَ» تَوَقَّفَتْ خيولهُم، فدفعوها فلم تَنْدَفِعْ، فنزلوا عن ظُهورِها ليعرِفوا الخَبَرَ فوجدوا في حَوافِرِ الخيلِ شَظايا من الحديدِ تُشْبِهُ رُؤوسَ المساميرِ، فنظروا في الأرْضِ فإذا العَجَمُ قد نَثَرُوا في الدروبِ المُؤَدِّيَةِ إلى «نَهاوَنْدَ» حَسَكَ الحديدِ، لِيَعوقوا الفرسانَ والمُشاةَ عنِ الوُصولِ إليها.

أخبرَ الفرسانُ النعمانَ بما رَأَوْا، وطلبوا منه أن يَمُدَّهُمْ بِرَأْيِه، فأمَرَهُمْ بأن يقفوا في أماكِنِهِم، وأن يوقدوا النيرانَ في الليلِ لِيَراهُمُ العَدُوُّ، وعند ذلك يتظاهرونَ بالخوفِ منه والهزيمةِ أمامَه لِيُغْرُوهُ باللَّحاقِ بهم وإزالَةِ ما زَرَعَه من حَسَكِ الحديدِ.

وجازَتِ الحيلةُ على الفُرْسِ، فما إنْ رَأَوْا طَليعةَ جيشِ المسلمين تَمْضِي مُنْهَزِمَةً أَمَامَهم حتى أرسلوا عُمَّالَهُمْ فكَنَسُوا الطُّرُقَ مِنَ الحَسَكِ، فكَرَّ عليهمُ المسلمونَ واحْتَلُّوا تلكَ الدُّروبَ.

عَسْكَرَ النعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ بِجَيْشِهِ على مَشارِفِ «نهاوند» وعَزَمَ على أن يُبَاغِتَ عَدُوَّهُ بالهجومِ، فقال لجنودِه: إني مُكَبِّرٌ ثلاثاً، فإذا كَبَّرْتُ الأولى فَلْيَتَهَيَّأْ مَنْ لَمْ يَكُنْ قد تَهَيَّأَ، وإذا كَبَّرْتُ الثَّانِيَةَ فَلْيَشْدُدْ كُلُّ رجلٍ منكم سِلاحَهُ على نفسِه، فإذا كَبَّرْتُ الثالثةَ، فإنِّي حامِلٌ على أعداءِ الله فاحْمِلُوا معي.

كَبَّرَ النعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ تكبيراتِه الثلاث، واندفعَ في صفوفِ العدوِّ كأنَّه الليثُ عادِياً، وتدفَّقَ وراءَه جنودُ المسلمين تَدَفُّقَ السَّيْلِ، ودارتْ بينَ الفريقَيْنِ رَحَى معركةٍ ضَروسٍ قَلَّما شَهِدَ تاريخُ الحروبِ لها نظيراً.

فتمزَّقَ جيشُ الفرسِ شَرَّ مُمَزَّقٍ، ومَلأَتْ قَتْلاهُ السهلَ والجبلَ، وسالَتْ دِماؤه في الممرَّاتِ والدُّروبِ، فَزَلِقَ جوادُ النعمانِ بنِ مُقَرِّنٍ بالدِّماءِ فَصُرِعَ، وأُصِيبَ النعمانُ نفسُه إصابةً قاتِلَةً، فأخذَ أخوهُ اللواءَ من يَدِهِ، وسَجَّاهُ ببردةٍ كانت معه، وكَتَمَ أَمْرَ مَصْرَعِهِ عن المسلمين.

ولما تَمَّ النصرُ الكبيرُ الذي سَمَّاهُ المسلمونَ «فَتْحَ الفُتوحِ»...

سَأَلَ الجنود المنتصرون عن قائِدِهم الباسِلِ النعمانِ بنِ مقرِّنٍ، فَرَفَعَ أخوهُ البُرْدَةَ عنه وقال: هذا أميرُكُم، قد أَقَرَّ الله عَيْنَهُ بالفتحِ، وخَتَمَ له بالشهادة.

اللهم طَهِّرْ قُلُوبَنا مِن النِفاق وعَمَلَنا مِن الرياء وَأَلْسِنَتَنا مِن الكذِب وَأَعْيُنَنَا من الخِيانَةِ وآذانَنَا عَن الاستماع إلى مَا لاَ يُرْضِيْكَ وَتَوَفَّنا مُسْلِمِينَ

وَأَلْحِقْنَا بالصَّالِحِيْنَ واغفر لَنا وَلِوالِدَيْنا وَجَمِيْعِ المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

« وداع راحـل »

أَهَاجَكَ الوجد أَمْ شَاقَتْكَ آثَارُ ... كَانَتْ مَغَانِيَ نِعْمَ الأَهْلُ والدارُ
ومَا لِعَيْنِكَ تَبْكِي حُرْقَةً وأَسَىَ ... ومَا لَقِلبْكَ قَدْ ضَجَّتْ بِهِ النـارُ ؟
عَلَى الأَحِبَّةِ تَبْكِيْ أمْ عَلَى طَلَلٍ ... لَمْ يَبْقَ فِيْهِ أَحِبَّاءٌ وسُمَّـارُ ؟
وهَلْ مِن الدهرِ تَشْكُوْ سُوءَ عِشْرَتِهِ ... لَمْ يُوْفِ عَهْـداً وَلَمْ يَهْدَأْ لَهُ ثَارُ؟
هَيْهَاتَ يَا صَاحِبِي آسَى عَلَى زَمَنٍ ... سَادَ العَبِيْدُ بِهِ واقْتِيْـدَ أَحْـرَارُ
أَوْ أَذْرِفُ الدَّمْعَ في حُبٍّ يُفَارِقُنِيَ ... أَوْ فِي اللَّذَائِذِ وَالآمَـالُ تَنْهَـارُ
فَمَـا سَبَتْنِيَ قَبْـلَ اليَوْمِ غانِيَـةٌ ... وَلاَ دَعَانِي إِلَىَ الفَحْشَـاءِ فُجَّـارُ
أَمَتُّ فِي اللهِ نَفْساً لَا تُطَاوِعُنِيْ ... فِي المَكْرُمَاتِ لَهَا في الشَّرِ إِصْرَارُ
وبِعْتُ فِي اللهِ دُنْياً لَا يَسُودُ بِهَـا ... حَقٌّ ولا قَادَهَا في الحُكْمِ أَبْرَارُ
وإنَّما حَزَنِي فِي صِبْيَـةٍ دَرَجُـوْا ... غُفْـلٍ عن الشَّرِ لَمْ يُوْقَدْ لَهُمْ نَارُ
قَدْ كُنْتُ أَرْجُوْ زَماناً أَنْ أَقُودَهُمُ ... لِلْمَكْرُمَاتِ فَـلَا ظُلْـمٌ ولا عَـارُ
والآن قَدْ سَارَعَتْ دَرْبِي إِلَى كَفَنٍ ... يَوْمـاً سَيَـلْبَسُـهُ بَـرٌّ وجَبَّـارُ
باللهِ يَا صِبْيَتِيْ لَا تَهْلِكُوْا جَـزَعاً ... عَلَى أَبِيْكُم طَـرِيْقُ الموتِ أَقْدَرُ
تَرَكْتُكُمْ في حِمَى الرحْمٰنِ يَكْلَؤُكُمْ ... مَنْ يَهْدِهِ اللهُ لا يُوْبِقْـهُ أَوْزَارُ
وأَنْتم يَا أُهَيْـلَ الحَيِّ صِبْيَتُكُـمْ ... أَمَانَةٌ عِنْدَكُمْ هَلْ يُهْمَـلُ الجَارُ ؟
أَفْدِيْ بِنَفْسِـيَ أُمـاً لَا يُفَـارِقُهَـا ... هَـمٌّ وتَنْهَـارُ حُـزْناً حِيْنَ أَنْهَارُ
فَكَيْفَ تَسْكُنُ بَعْدَ اليومِ مِن شَجَنٍ ... يَا لَوْعَـةَ الثُّكْلِ مَا فِي الدَّارِ دَيَّارُ
وَزَوْجَةً مَنَحَتْنِي كُلَّ مَـا مَلَكَـتْ ... مِنْ صَادِقِ الـوِدِّ : تَحْنَـانٌ وَإِيْثَارُ
عِشْنَا زَمَانـاً هَنِيـاً مِن تَوَاصُلِنَا ... فَكَمْ يُؤَرِّقُ بَعْـدَ العِـزِّ إِدْبَارُ
وإِخْوَةً جَعَلُونِيْ بَعْـدَ فَقْـدِ أَبِيْ ... أَباً ، لِآمَالِهِـمْ رَوْضٌ وأَزْهَـارُ
أَسْتَودِعُ اللهَ صَحْباً كُنْتُ أَذْخَرُهُمْ ... لِلَّنِائِبَـاتِ لَنَـا أُنْسٌ وأَسْمَـارُ

الْمُلْتَقى في جِنَا الخُلْدِ إنْ قُبِلَتْ   مِنَّـــاصَلاَةٌ وَطَاعَـــاةٌ وَأذْكَـــارُ

وفَّقَنا الله وجميعَ المسلمينَ لِلتَّمَسُّكِ بِكِتَابِهِ ، والمُسَارَعَةِ إلى امْتِثَالِ أمْرِه ، واجْتِنَاب نهْيه ، والوُقُوفِ عِنْدَ حَدِّهِ ، والفِّكْرِ في أمثالِهِ وَمُعْجزهْ ، والتَّبصُّرُ في نُورِ حِكَمِهِ ، وَغَفرَ لَنَا ولِوَالدينَا ولِجَمِيعِ المُسلمين بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الراحمينَ وَصَلّى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين .

قِصَّةٌ لِصُهَيْبُ الرُّوْمِيْ

لِانْتِسَابِ صُهَيْبٍ إلى الرُّومِ قِصَّةٌ ما تَزَالُ تَعِيها ذاكِرَةُ التَّاريخِ، وتَرْوِيها أسْفَارُه.

فَقَبْلَ البَعْثَةِ بِحَوَالَيْ عِقْدَيْنِ مِن الزمانِ كان يَتَوَلَّى مُلْكَ «الأُبُلَّةِ» سِنَانُ بنُ مالِكٍ النُّمَيْرِيُّ، من قِبَلِ كِسْرَى مَلِكِ الفُرْسِ.

وكان أَحَبَّ أَولادِه إليْهِ طِفْلٌ لَمْ يُجَاوِزِ الخامِسَةَ مِن عُمُرِه، دَعاهُ صُهَيْباً.

كانَ صُهَيْبٌ أزْهَرَ الوجْهِ، أَحْمَرَ الشَّعْرِ، مُتَدفِّقَ النَّشَاطِ ذَا عَيْنَيْنِ تَتَّقِدَانِ فِطْنَةً ونَجَابَةً.

وكان إلى ذلك مِمْراحاً، عَذْبَ الرُّوحَ، يُدْخِلُ السرورَ على قلبِ أبيه، ويَنْتزِعُ منه هُمومَ المُلْكِ انْتِزاعاً.

مَضَتْ أمُّ صهيبٍ مع ابنِها الصغير وطائفةٍ من حَشَمِها وخَدَمِها إلى قَرْيَةِ «الثَّنِيِّ» مِن أرضِ العِراقِ طلباً لِلرَّاحَةِ والاستجمام، فأغارت على القريةِ سَرِيَّةٌ مِن سرايا جيشِ الرومِ، فَقَتَلَتْ حُرَّاسَها، ونَهَبَتْ أمْوَالَهَا، وأَسَرَتْ ذَرَارِيَّهَا.

فكان في جُمْلَةِ مَنْ أَسَرَتْهُمْ صُهَيْبٌ.

بِيعَ صُهَيْبٌ في أَسْواقِ الرقيقِ ببلادِ الرومِ، وجَعَلَتْ تَتَداوَلُهُ الأَيْدِي فَيَنْتَقِلُ

مِنْ خِدْمَةِ سَيِّدٍ إلى آخرَ، شأنهُ في ذلك كَشَأْنِ الآلاف المؤلَّفةِ مِن الأرِقَّاءِ الذين كانوا يملأون قُصُورَ بلادِ الرومِ.

وقد أتاحَ ذلك لِصُهَيْبٍ أنْ يَنْفُذَ إلى أَعْمَاق المُجْتَمَعِ الرُّوميِّ، وأنْ يَقِفَ عَلَيْهِ مِن داخِلِه، فَرَأى بِعَيْنَيْهِ ما يُعَشِّشُ في قُصوره مِن الرَّذَائِلِ والموبقات وسَمِعَ بأُذُنَيْهِ ما يُرْتَكَبُ فيها مِن المَظَالِمِ والمَآثِمِ. فكَرِهَ ذلِكَ المجتمع وازْدَرَاه.

وكان يقولُ في نَفْسِه:
إنَّ مُجْتَمَعاً كَهذَا لا يُطَهِّرُهُ إلَّا الطُّوفانُ.

وعلى الرَّغْمِ مِن أنَّ صُهَيْباً قد نَشَأ في بِلادِ الرومِ، وشَبَّ على أَرْضِها وبَيْنَ أهْلِيها.

وعلى الرَّغْمِ من أنَّهُ نَسِيَ العَرَبِيَّةَ أَوْ كادَ يَنْساهَا، فإنَّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ بَالِهِ قَطُّ أنَّهُ عَرَبِيٌّ مِن أبْنَاءِ الصَّحْراء، ولَمْ تَفْتُرْ أشْوَاقُهُ لَحْظَةً إلى اليومِ الذي يَتَحَرَّرُ فيه من عُبُودِيَّتِهِ، ويَلْحَقُ بِبني قَوْمِه.

وقد زادَهُ حَنيناً إلى بلادِ العَرَبِ فَوْقَ حَنينِهِ، أنَّهُ سَمِعَ كاهِناً مِن كَهَنَةِ النَّصارَى يقولُ لِسَيِّدٍ مِن أسْيَادِه:

لقد أظَلَّ زَمانٌ يَخْرُجُ فيه مِن مَكَّةَ في جزيرةِ العربِ نَبِيٌّ يُصَدِّقُ رِسالةَ عِيسَى بنِ مريمَ، ويُخْرِجُ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ.

ثُمَّ أُتِيحَتِ الفُرْصَةُ لِصُهَيْبٍ فَوَلَّى هارباً من رِقِّ أسْيَادِهِ، وَيَمَّمَ وجْهَهُ شَطْهَر مَكَّةَ أُمِّ القُرَى وَمَوْئِلِ العربِ، ومَبْعَثِ النَّبِيِّ المُرْتَقَبِ.

ولما أَلْقَى عَصَاهُ فيها أطلق الناسُ عليه اسمَ صهيبِ الروميِّ لِلُكْنَةِ لِسانِه وحُمْرَةِ شَعْرِهِ.

وقد حالَفَ صُهَيْبٌ سَيِّداً من ساداتِ مَكَّةَ هو عبدُ الله بنُ جُدْعانٍ وطَفِقَ يَعْمَلُ في التجارةِ، فَدَرَّتْ عليه الخَيْرَ الوفيرَ والمالَ الكثيرَ.

غَيْرَ أنَّ صُهَيْباً لم تُنْسِهِ تجارَتُهُ ومَكاسِبُهُ حديثَ الكاهِنِ النَّصْرَانيِّ، فكان كُلَّما مَرَّ كلامُه بخاطِرِهِ يُسَائِلُ نَفْسَهُ في لَهْفَةٍ: مَتَى يكونُ ذلك؟! وما هو إلا قليلٌ حتى جاءَه الجوابُ.

ففي ذاتِ يومٍ عادَ صُهيبٌ إلى مكةَ من إحْدَى رَحَلاتِهِ، فقيلَ له إنَّ محمدَ بنَ عبدِالله قد بُعِثَ وقامَ يَدْعُو النَّاسَ إلى الإيمانِ باللهِ وَحْدَهُ، ويَحُضُّهُمْ على العَدْلِ والإحسانِ، وينهاهُمْ عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ.

فقال: أليس هو الذي يُلَقِّبُونَهُ بالأمين؟!

فقيل له: بَلَى.

فقال: وأينَ مكانهُ

فقيل له: في دارِ الأَرْقَمِ بنِ أبي الأرقمِ عندَ الصَّفَا... ولكنْ حَذارِ من أنْ يَراكَ أحدٌ من قريشٍ، فإنْ رَأَوْكَ فَعَلُوا بِكَ... وفَعَلُوا، وأنتَ رجلٌ غريبٌ لا عَصَبِيَّةَ له تَحْمِيهِ، ولا عَشِيرةَ عِنْدَهُ تَنْصُرُه.

مَضَى صُهيبٌ الى دارِ الأرقمِ حَذِراً يَتَلَفَّتُ، فلما بَلَغَها وَجَدَ عِنْدَ البابِ عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ، وكانَ يعرفه من قبل، فتردَّدَ لحظةً ثم دَنا منه وقال: ما تُرِيدُ يا عمار؟

فقال عمارٌ: بل ما تُريدُ أنت؟

فقال صُهيبٌ: أردتُ أَنْ أَدْخُلَ على هذا الرجلِ، فأسمعَ مِنه ما يقولُ.

فقال عمارٌ: وأنا أريدُ ذلك أيضاً.

فقال صُهيبٌ: إذَنْ نَدْخُلُ مَعاً على بَرَكَةِ الله.

دخلَ صُهيبُ بنُ سِنانٍ الروميُّ وعمَّارُ بنُ ياسرٍ على رسولِ الله ﷺ واستمعا إلى ما يَقولُ، فَأَشْرَقَ نُورُ الإيمانِ في صَدْرَيْهِما، وتسابقا في مَدِّ أَيْدِيهِما إليه، وشَهِدا أَنْ لا إلهَ إلَّا الله، وأَنَّ محمداً عبدُه ورسولُهُ، وأَمْضَيَا سَحَابَةَ يَوْمِهِما عندَه، يَنْهَلانِ من هَدْيِهِ ويَنْعُمانِ بِصُحْبَتِه.

ولما أقبلَ الليلُ، وهَدَأَتَ الحَرَكَةُ، خَرَجا من عِنْدِهِ تحْتَ جُنْحِ الظلامِ، وقد حَمَلَ كُلٌّ منهما من النُّورِ في صَدْرِهِ ما يَكْفِي لإِضاءَةِ الدُّنْيا بِأُسْرِها.

تحمَّلَ صُهَيبٌ نصيبَهُ من أَذَى قُرَيْشٍ مع بلالٍ وعمارٍ وسُمَيَّةَ وخبَّابٍ وغيرِهم من عشراتِ المؤمنين، وقاسَى من نَكالِ قريشٍ ما لو نَزَلَ بِجَبَلٍ لَهَدَّه، فَتَحَمَّلَ ذلكَ كُلَّهُ بِنَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ صَابِرَةٍ، لأَنَّهُ كانَ يَعْلَمُ أَنَّ طَرِيقَ الجَنَّةِ محفوفٌ بالمكاره.

ولما أَذِنَ الرسولُ لَأَصْحَابِهِ بالْهِجْرَةِ إلى المدينةِ، عَزَمَ صهيبٌ على أن يَمْضِيَ في صُحْبَةِ الرسولِ وأبي بكر، لكنَّ قريشاً شَعَرَتْ بِعَزْمِهِ على الهِجْرَةِ فَصَدَّتْهُ عن غايتِه، وأقامتْ عليه الرُّقَبَاءِ حتى لا يفلِتَ من أيديهم، ويَحْمِلَ معه ما دَرَّتْهُ عليه التِّجَارَةُ من فِضَّةٍ وذَهَبٍ.

ظَلَّ صُهيبٌ بعد هِجْرَةِ الرسولِ وصاحبه يَتَحَيَّنُ الفُرَصَ لِلَّحَاقِ بهما فلم يُفْلِحْ، إذْ كانت أَعْيُنُ الرُّقَبَاءِ ساهرةً عليه مُتَيَقِّظَةً له، فلم يَجِدْ سبيلًا غَيْرَ اللُّجُوءِ إلى الحِيلَةِ.

ففي ذاتِ لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ أَكْثَرَ صُهيبٌ من الخروجِ إلى الخَلاءِ كَأَنَّهُ يَقْضِي الحاجَةَ، فكان لا يَرْجِعُ من قَضَاءِ حاجَتِهِ حَتَّى يَعُودَ إليْهَا.

فقال بعضُ رُقَبَائِهِ لبعضٍ: طيبوا نفساً فإنَّ اللَّاتَ والعُزَّى شَغَلاهُ ببطنِهِ، ثم أَوَوْا إلى مَضَاجِعِهِمُ وأَسْلَمُوا عُيُونَهُمْ إلى الكَرَى.

فَتَسَلَّلَ صُهَيْبٌ من بينِهم، ويَمَّمَ وَجْهَهُ شَطْرَ المدينةِ.

لَمْ يَمْضِ غيرُ قَلِيلٍ على رَحِيلِ صُهَيْبٍ حَتَّى فَطِنَ له رُقَباؤه، فَهَبُّوا مِن نَوْمِهم مَذْعُورِين، وامْتَطَوْا خُيُولَهم السَّوابِقَ، وأَطْلَقُوا أَعِنَّتَها خَلْفَهُ حَتَّى أَدْرَكُوه.

فلما أَحَسَّ بهم، وقَفَ على مَكَانٍ عالٍ وأَخْرَجَ سِهامَه مِن كِنَانَتِهِ وَوَتَرَ قَوْسَهُ وقال:

يا مِعْشَرَ قُرَيْشٍ، لقد عَلِمْتُمْ ـ واللهِ ـ أَنِّي من أَرْمَى النَّاسِ وأَحْكَمِهِمْ إصَابَةً.

وَوَاللهِ لا تَصِلُونَ إِلَيَّ حتى أَقْتُلَ بِكُلِّ سَهْمٍ مَعِي رَجُلًا مِنكُم.

ثم أَضْرِبَكم بِسَيْفِي ما بَقِيَ في يَدِي شيءٌ منه.

فقال قائلٌ منهم: واللهِ لا نَدَعُكَ تَفُوزُ مِنَّا بِنَفْسِكَ وبِمالِكَ... لَقَدْ أَتَيْتَ مَكَّةَ صُعْلُوكاً فَقِيراً فاغْتَنَيْتَ وبَلَغْتَ ما بَلَغْتَ.

فقال: أَرَأَيْتُمْ إنْ تَرَكْتُ لَكُم مَالِي، أَتُخَلُّونَ سبيلي؟

قالوا: نَعَمْ.

فَدَلَّهم على مَوْضِعِ مالِه، فأَخَذُوهُ مِنه، ثُمَّ أَطْلَقُوا سراحَهُ.

أَخذَ صُهَيْبٌ يُغِذُّ السَّيْرَ نَحْوَ المدينةِ فَارًّا بِدِينِه إلى اللهِ.

غَيْرَ آسِفٍ على المالِ الذي أَنْفَقَ في جَنْبِهِ زَهْرَةَ العُمرِ.

وكان كُلما أَدْرَكَهُ الوَنَى وأَصَابَهُ التَّعَبُ، اسْتَفَزَّهُ الشَّوْقُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فيَعُودُ إِليهِ نَشَاطُه، وَيُوَاصِلُ سَيْرَهُ.

فلما بلغَ قُبَاءَ رآه الرسولُ صلواتُ الله عليه وسلامُه مُقبلًا، فَهَشَّ لَهُ وبَشَّ وقال:

«رَبِحَ البَيْعُ يَا أَبَا يَحْيَى رَبِحَ البَيْعُ»، وكَرَّرَها ثلاثاً.

فَعَلَتِ الفَرْحَةُ وَجْهَ صُهَيْبٍ وقال: واللهِ ما سَبَقَني إليكَ أَحَدٌ يا رسولَ اللهِ.

وما أخبَرَكَ به إلَّا جِبْرِيلُ.

حقا لَقَدْ رَبِحَ البَيْعُ...

وصَدَّقَ ذلكَ وَحْيُ السَّمَاءِ...

وشهدَ عليه جبريلُ... حيثُ نزلَ في صُهيبٍ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ، واللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾.

فطوبَى لِصُهَيْبِ بنِ سِنَانٍ الرُّوميِّ، وحُسْنُ مَآبٍ.

اللهُمَّ اغْفِرْ لنَا ذُنُوبَنا قبْلَ أَنْ تَشْهَدَ علَيْنا الجَوارِحُ وَنَبِّهْنَا مِنَ رَقَداتِ الغَفَلاتِ فأَنْتَ الحَليمُ المُسَامِحُ ، وَاغْفِرْ لنَا وَلوَالدَيْنَا وَلجَمِيْعِ المسْلمِيْنَ بِرَحْمَتِك يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْن وصَلى اللهُ على مُحمّدٍ وعَلى آلِه وصَحْبِه أجْمَعِيْنَ .

مَوْعِظَةٌ : عِبادَ اللهِ إنَّ الدُنْيَا قَدْ آذَانَتْ بِفِراق فَيَا وَيْحَ مَنْ كَانَ بِهَا جُلّ اشتغالِهِ ، كَيفَ يَطْمَئِنُّ العَاقِلُ إلَيْهَا مَعَ تَحققِهِ بِدُنُوِّ ارْتِحَالِهِ . كَيْفَ يَنْخَدِعُ اليَوْمَ بِبَوارِقِهَا مَنْ هُوَ غَداً مُرْتَهِنٌ بِأَعْمَالِهِ كَيْفَ يَغْتَرُّ فِيْهَا بإمْهَاله وإمْهَاله لَمْ يَنْشأْ إلاّ عَنْ إهْمَالِهِ .

كيفَ يَبِيتُ آمِناً في تَوَسُّعِ آمَالِهِ. وهو لا يَدْرِي ما يَطْرُقُ مِنْ بَغْتَةِ آجالِهِ. أفمَا تَرَوْنَ طَيْفَ الشَّبِيبَةِ قَدْ رَحَلَ وَكَثِيراً مَا حَلَّ بالشبَابِ المَنُونِ . قال بَعْضُهُمْ .

مَوْعِظَة : العُمر أمانَةٌ أتْلَفَتَ شبَابَهِ في الخِيانِة ، وكُهُولَتَهُ في البَطَالةِ ، وفي الشّيْخُوخَةِ تبْكِي وَتَقُولُ : عُمْرِي قَدْ ضَاعَ ، مَتَى أفْلَحَ الخَائِنُ فِيْمَا اشْتَرى أوْ

بَاعَ ، أنْتَ في طلب الدنيا صَحيْحَ الجسمِ ، وفي طَلَبِ الآخرةِ بِكَ أوْجَاع ، كَمْ تُعُرِّجْ عَن سُبُل التَّقْوى يَاأَعْرَجَ الهِمَّةِ ، يَامَنَ يَبْقَى في القَاع ، يَامَنْ عَلَىَ عُمْرِهِ لَيْلُ الغَفْلَةِ طَلَعَ فَجْرُ الْمَشِيْب .

أَمَا تَرَوْن الشَّيْبَ قَدْ نَزَلَ وَقَبِيحٌ مَعَ الشَّيْبِ المُجُونُ. أما تَرَوْنَ سَيْفَ الأجَلِ قَدْ قَطَعَ الأَمَلَ فإلى متى تُؤَمِّلونَ في البَقَاءِ وتَطْمَعُونَ.

أَمَا تَرَوْنَ رِيَاحَ الرَّحيل تَهُبُّ في كلِّ مَنزِلٍ وسَبِيل فَلِمَ لا تَرْكُبونَ سُفُنَ التَّوْبَةِ وتُقْلِعُونَ.

أما تَرَوْنَ أشْرَاطَ السَّاعَةِ في كلِّ حال تُنَادي بِفَصِيحِ المَقَال يَا أَهْلَ الدُّنْيَا لا مَقَامَ لكمْ فإلى مَتى لا تَرْجِعُونَ. هَل الأَعْمَارُ في الاعْتِبَارِ إلَّا أعْوَامٌ. وهَلْ الأعْوامُ إلا أيَّامٌ.

وهَلْ الأيَّامُ إلَّا ساعَاتٌ كالسُّفُنُ يُنَادِي لِسَانُ سَيْرِهَا يَا أَهْلَ الدُّنْيَا لا مُقام. وهَلِ السَّاعَةُ إلَّا أنْفَاسٌ تُحْصِيهَا الحَفَظَةُ بِأَمْر المِلِكِ العَلَّام.

فَمَنْ كَانَ هَذَا أسَاسَهُ كيْفَ يَفْرَحُ بِدَار عَمَارُهَا في الحَقِيقَةِ خَرَابٌ.

فَالسَّعِيدُ مَنْ أَضمَرَ نُفْسَهُ مِنَ المَحْوِ وأَخفَّ ظَهْرَهُ مِنَ الأَوْزَارِ والتَّبِعَاتِ واعْتَبَر بمَنْ مَضَى مِنَ الأمَمِ الماضِيَة أوْلى النَّجْدَةِ والهِمَمِ العَالِيَةَ.

نُثِرَ واللهِ سِلْكُهمْ بَعْدَ انْتِظَامِهِ. وتَفرَّقَ شَمْلُهُمْ بَعْدَ إلتِئَامِهِ وعَادُوا كمنْ مَضَى مِنَ الأقْرَانِ كأنَّمَا يَقْظَتُهُمْ كَانَتْ مَنَام. هَكَذا الدُّنْيَا «كلُّ مَنْ عَلَيْهَا فانٍ ويَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإكْرَام».

فَرحِمَ اللهُ عَبْداً أَقْبَلَ عَلى البَاقِي وأَعْرَضَ عَن الفَاني مِنَ الحُطام. وجَعَلَ لِشَارِدِ النَّفْسِ مِنَ التَّقْوىَ أَقْوَى زِمَام. واجْتَنَبَ الظلم فإنَّ الظلم يُخْرِجُ مِنَ النُّورِ إلى الظَّلَامِ. فَنسْألُكَ اللَّهُمَّ توْفِيقاً يُقَرِّبُنَا مِنَ الحَلَالِ ويُبْعِدُنَا عَن الحَرَامِ. وَطَرِيقاً إلى الخيْرَاتِ لِنَتَمَسَّكَ بِالزِّمَام. وأَمْنَاً يَوْمَ الفَزَعِ الأكْبَر يُبَلِّغُنَا غَايَةَ المُنى . قال الله جلَّ وعلا : ﴿ وَأُدْخِلَ الذينَ آمَنوا وَعَملوُا الصَّالحَاتِ جنَّاتٍ تجْري من تَحْتِهَا الأنهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فيْهَا سَلام ﴾

اللهم إنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وعَلاَنِيَتَنَا وتَسْمَعُ كَلاَمَنَا وتَرَى مَكَانَنَا لاَيخْفَى عَليكَ شيْءٌ مِن أَمْرِنَا نَحْنُ البُؤَسَاءُ الفُقَراءُ إليكَ المستغيثونَ المستجيرونَ بكَ نَسْأَلك أَنْ تُقَيِّض لِدِيْنِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ ويُزيلُ مَا حَدَثَ مِن البِدَعِ والمُنْكَراتِ ويُقِيْمُ عَلَمَ الجِهَادِ ويَقْمَعُ أَهْلَ الزَّيْغِ والكُفْرِ والعِنَادِ ونَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لنَا ولِوَالِدِيْنَا وجميعِ المسلمين برحْمَتِكَ يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين

شِـعْراً :

فِـيْـمَ الـرُّكُـونُ إلـى دَارٍ حَـقِـيْـقَـتُـهَـا
كـالـطَّيْفِ في سِنَـةٍ وَالـظِّلِّ مِنْ مُـزَنِ
دَارِ الـغُـرور وَمَـأْوَى كَـلِّ مُـرْزِيَـةٍ
وَمَـعْـدِنِ البُـؤسِ وَالـلَّواءِ وَالـمِـحَـنِ
الـزُّورُ ظـاهِـرُهَـا وَالغَـدرُ حَـاضِـرُهـا
وَالمَـوْتُ آخِـرُهـا وَالكَـوْنُ في الشَّـطَنِ
تُبيـدُ مَـا جَمَـعَتْ تُـهِـيْـنُ مَـنْ رَفَـعْـتَ
تَضُـرُّ مَنْ نَفَعَتْ في سَـالِفِ الـزَّمَنِ
الـنَّفْسُ تَـعْشِـقُـهـا وَالـعَـيْـنُ تَـرْمُـقَـهـا
لِكَـوْنِ ظـاهِـرِهَـا في صُـوْرَةِ الحَسَنِ
سَحَّـارةٌ تُحْـكِمُ التَّخْـيِيْـلَ حتى يُـرَى
كَـأَنَّـهُ الـحَقُّ إذْ كـانَـتْ مِـنْ الـفِـتَـنِ
إنَّ الإلـهَ بَرَاهَـا كَـيْ يُـمَـيْـزُ بِـهَـا
بَيْنَ الفَـريقـين أَهْـلَ الـحُمْـقِ وَالفِـطَنِ
فَـذُو الحَمـاقَـةِ مَنْ قـد ظَـلَّ يَجْمَعُهـا
يُـعَـانِيَ الـسَّعْـيَ مِنْ شَـامٍ إِلَـى يَـمَـنِ

مُشَمِّراً يَرْكَبُ الأَخْطَارَ مُجْتَهِداً
لِأَجْلِهَا يَسْتَلِيْنُ المَرْكَبَ الخَشِنِ

وَذُو الحِجَا يَقْلِهَا زُهْداً وَيَنْبُذُهَا
وَرَاءَه نَبْذَةَ الأقْذَارِ في الدِّمَنِ

يَرْمِيْ بِقَلْبٍ بَصِيْرٍ في مَصَائِرِهَا
فَلاَ يُصَادِفُ غَيْرَ الهَمِّ وَالحَزَنِ

يَجُولُ بالفِكْرِ في تَذْكَارِ مَنْ صَرَعَتْ
مِنْ مُؤْثِرِيْهَا بِسَعْيِ القَلْبِ وَالبَدَنِ

مِمَّنْ أَشَادَ مبَانِيْهَا وَأَحْكَمَهَا
لِيَسْتَجِنَّ مِنَ الأَقْدَارِ بالجُنَنِ

نَالُوا مَكَارِمَهَا أَحْيَوا مَعَالِمَهَا
سَلُّوا صَوَارِمَهَا لِلْبَغْيِ وَالظِّغَنِ

رَقَوْا مَنَابِرَهَا قَادُوا عَسَاكِرَهَا
بِقُوَّةٍ وَابْتَنَوا الامْصَارَ وَالمُدُنِ

وَعَبَّدُوا النَّاسَ حَتَّى أَصْبَحُوا ذُلُلاً
لِأَمْرِهِمْ بَيْنَ مَغْلُوبٍ وَمُمْتَهَنِ

وَجَمَّعُوا المَالَ وَاسْتَصْفَوا نَفَائِسَهُ
لِمُتْعَةِ النَّفْس في مُسْتَقْبَلِ الزَّمَنِ

حَتَّى إذَا امْتَلَئُوا بِشْراً بِمَا ظَفِرُوا
وَمُكِّنُوا مِنْ عُلاهَا أَبْلَغَ المِكَنِ

نَادَاهُمُوا هَادِمُ اللذَّاتِ فَاقتَحَمُوا
سُبْلَ المَمَاتِ فأَضْحَوا عِبْرَةَ الفِطَنِ

تِلْكَ القُبُـورُ وَقَـدْ صَـارُوا بِهَـا رِمَمـاً
بَعْـدَ الضَّخَامَـةِ فِي الأَجْسَامِ وَالسِّمَنِ
بَعْـدَ التَّشَهِّي وَأَكْـلِ الـطَّيِّبَاتِ غَـدَا
يَـأْكُلُهُم الـدُّودُ تَـحْتَ التُّرْبِ وَاللَّبِنِ
تَـغَيَّـرتْ مِـنْـهُـمُ الأَلْـوَانُ وَانْـمَـحَـقَـتْ
مَـحَـاسِنُ الـوَجْـهِ وَالـعَيْـنَيْـنِ وَالـوُجَنِ
خَـلَتْ مَسَـاكِنَـهُـم عَـنْـهُـم وَأَسْلَمَـهُـم
مَنْ كَـانَ يَنْصُـرُهُمْ فـي السِّـرِّ وَالـعَلَنِ
وَعَـافَهُم كُـلُّ مَنْ قَـدْ كـانَ يَـأْلَفُـهم
مِـنْ الأَقَـارِبِ وَالأَهْـلِيْـنَ وَالـخِـدَنِ
مَـا كَانَ حَـظُّهُمْ مِنْ عَـرْضِ مَـا اكتَسَبُوا
غَيْـرَ الحَنُـوطِ وغَيْـرَ الـقُـطْنِ وَالكفَنِ
تِـلكَ القُـصُـورُ وَتِـلْكَ الـدُّورُ خَـاوِيَـةٌ
يَصِيْـحُ فِيْهَـا غُـرَابُ البَيْـنِ بِـالـوَهَنِ
فَـلَوْ مَـرَرْتَ بِـهَـا وَالـبُـومُ يَـنْـدُبُـهَـا
فِي ظُلْمَـةِ الليْـلِ لم تَـلْتَـذَّ بِـالـوَسَنِ
وَلاَ تَـجَـمَّـلْتَ بِـالأَرْيـاش مُـفْـتَـخِـراً
وَلا افْـتَتَـنْـتَ بِحُـبِّ الأَهْـلِ وَالـسَّكَـنِ
وَلاَ تَـلَذَّذْتَ بِـالـمَـطعُـوم مُـنْـهَـمِكـاً
وَلاَ سَـعَيْـت لِـدُنْـيَـاً سَـعَـيَ مُـفْـتَـتِـنِ

وَلَا اعْـتَبَـرْتَ إذَا شَـاهَـدْتَ مُعْـتَبَـراً
تَـرَاهُ بـالـعَـيـنِ أو تَـسْـمَـعُـهُ بـالأُذُنِ
إنَّ الـمَـواعِظَ لا تُغْنِـي أَسِيْـرَ هَـوَى
مُقْفَّـلَ الـقَلْبِ فـي حَيْـدٍ عَـنْ السُّـنَنِ
مُسْتَكْبِـراً يَبْـطُرُ الحَقَّ الصَّـرِيْـحَ إذَا
يُلْقَى إلـيْـهِ لِفَـرْطِ الـجَهْـلِ وَالـشَّـنَـنِ
يُـمَـنِّـيُ الـنَّـفْسَ أَمْـراً لَـيْسَ يُـدْرِكُـهُ
إنَّ الأمَـانِـيَّ مِـقْـطَاعٌ عَـنْ الـمِـنَـنِ
يَـكْفِـي اللَّبِـيْبَ كِـتَـابُ الـلهِ مَـوْعِـظَةً
كَمَـا أَتَى فـي حَـدِيْثِ السَّيِّـدِ الحَسَـنِ
مُـحَـمَّـدٍ خَـيْـرِ خَـلْقِ الـلهِ قُـدْوَتِنا
مُـطَهَّـرِ الـجَيْـبِ عَنْ عَـيْبٍ وَعَـنْ دَرَنِ
عَـلَيْـهِ مِـنَّـا صَـلَاةُ الـلهِ دَائِـمَـةً
مَـا سَارَتْ الـرِّيْـحُ بـالأَمْـطَارِ والسُّفُنِ
وَالآلِ وَالـصَّـحْـبِ مَـا غَـنَّـتْ مُـطَوَّقَـةٌ
وَمَـا بَـكَتْ عَـيْـنُ مُـشْـتَـاقٍ إلَـى وَطَـنِ

قِصَّة لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ

مَضَتْ سُعْدَى بنتُ ثَعْلَبَةَ تَبْتَغِي زِيَارَةَ قَوْمِها بَني مَعْنٍ، وكانتْ تَصْحَبُ معها غُلامَها زَيْدَ بنَ حارِثَةَ الكَعْبِيَّ.

فما كادَتْ تَحُلُّ في دِيارِ قَوْمِها حتى أغارتْ عليهم خَيْلٌ لِبَني القَيْنِ فَأَخذوا المَالَ واستاقُوا الإِبِلَ، وَسَبَوْا الذَّرارِي، وكان في جُمْلَةِ مَنِ احْتَمَلُوهُ مَعَهُمْ ولدُها زيدُ بنُ حارِثَةَ.

وكان زيدٌ ـــ إذ ذاك ـــ غُلاماً صغيراً يَدْرُجُ نَحْوَ الثَّامِنَةِ من عمرِه، فأَتَوْا به سوقَ عُكاظٍ وعَرَضُوهُ لِلْبَيْعِ فاشتراه ثَرِيٌّ من سادَةِ قريشٍ هو حكيمُ بنُ حزام بنِ خُوَيْلِدٍ بأربعِمائَةِ دِرْهَمٍ.

واشترى مَعَهُ طائِفَةً من الغِلْمانِ، وعادَ بِهِمْ إلى مَكَّةَ.

فلما عَرَفَتْ عَمَّتُهُ خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ بِمَقْدَمِه، زارَتْهُ مُسَلِّمَةً عليه، مُرَحِّبَةً بِهِ، فقال لها: يا عَمَّة، لقدِ ابْتَعْتُ من سوقِ عُكاظ طائفةً من الغِلمان، فاخْتَارِي أيًّا منهم تَشائينَهُ، فهو هَدِيَّةٌ لكِ.

فَتَفَرَّسَتِ السَّيِّدَةُ خديجةُ وُجوهَ الغِلْمانِ... واخْتَارَتْ زَيْدَ بنَ حارِثَةَ، لِما بَدَا لها من علاماتِ نَجَابَتِهِ، ومَضَتْ به.

وما هو إلَّا قليلٌ حتى تزوَّجت خديجةُ بنتُ خويلدٍ من محمدِ بنِ عبدِ الله، فأرادَتْ أن تُطْرِفَهُ وتُهْدِي له، فلم تجد خيراً من غلامها الأثيرِ زيدِ بنِ حارِثةَ فأَهْدَتْهُ إليْه.

وفيما كان الغلامُ المحظوظُ يَتَقَلَّبُ في رِعَايَةِ محمدِ ابنِ عبدِ الله، ويَحْظَى بِكَرِيمِ صُحْبَتِهِ، ويَنْعُمُ بِجَمِيلِ خِلالِه.

كانتْ أُمُّهُ المفجوعةُ بفَقْدِهِ لا تَرْقَأُ لها عَبْرَةٌ، ولا تَهْدَأُ لها لَوْعَةٌ ولا يَطْمَئِنُّ لها جَنْبٌ.

وكان يزيدُها أسىً على أساها أنها لا تَعْرِفُ أَحَيٌّ هو فَتَرْجُوهُ أَمْ مَيْتٌ فَتَيْأَسُ منه.

أما أبوه فأخذ يَتَحَرَّاهُ في كلِّ أرضٍ، ويُسَائِلُ عنه كلَّ رَكْبٍ، ويَصُوغُ حنينَه إليه شِعْراً حزيناً تَتَفَطَّرُ له الأكباد حيث يقول:

بَكَيْتُ على زيدٍ ولم أَدْرِ ما فَعَلْ
أَحَيٌّ فَيُرْجَى أَمْ أَتَى دُونَهُ الأَجَلْ؟
فَوَاللهِ ما أَدْرِي وَإِنِّي لَسَائِلٌ
أَغَالَكَ بَعْدِي السَّهْلُ أَمْ غالَكَ الْجَبَلْ
تُذَكِّرُنِيهِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِها
وتَعْرِضُ ذِكْرَاهُ إذا غَرْبُها أَفَلْ
سَأُعْمِلُ نَصَّ العِيسِ في الأَرْضِ جاهِداً
ولا أَسْأَمُ التَّطْوافَ أَوْ تَسْأَمُ الإبِلْ
حياتِيَ، أَوْ تَأْتِي عَلَيَّ مَنِيَّتي
فكُلُّ امْرِىءٍ فانٍ وَإِنْ غَرَّهُ الأَمَلْ

وَاللهُ أَعْلَمُ وصَلى اللهُ على محمد وآله وسلم .

فَصْلٌ:وفي مَوْسِمٍ مِن مَواسِمِ الحجِّ قَصَدَ البيتَ الحَرَامَ نَفَرٌ مِن قَوْمِ زَيْدٍ، وفيما كانوا يَطُوفُونَ بالبيتِ العَتيقِ، إذا هُمْ بِزَيْدٍ وَجْهاً لِوَجْهٍ، فَعَرَفُوهُ وعَادُوْا إلَى دِيَارِهم أَخْبَرُوْا حارِثَةَ بِمَا رَأَوْا وَحَدَّثُوهُ بما سَمِعُوا.

فَمَا أَسْرَعَ أَنْ أَعَدَّ حَارِثَةُ رَاحِلَتَهُ، وَحَمَلَ مِنَ المالِ مَا يَفْدِي بِهِ فِلْذَةَ الكَبِدِ، وقُرَّةَ العَيْنِ، وَصَحِبَ مَعَهُ أَخَاهُ كَعْباً، وانْطَلَقَا مَعاً يُغِذَّانِ السَّيْرَ نَحْوَ مَكَّةَ. فَلَمَّا بَلَغَاها دَخَلاَ عَلَى مُحَمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ وقالا له:

يا ابنَ عبدِ المُطَّلِب، أنتم جيرانُ الله، تَفُكُّونَ العَانِيَ، وتُطْعِمُونَ الجائعَ، وتُغِيثُونَ المَلْهُوفَ.

وقد جِئْنَاكَ في ابنِنا الذي عِنْدَكَ، وحَمَلْنا إليكَ مِنَ المالِ ما يَفِي بهِ. فامْنُنْ علينا وفادِهِ لَنَا بِما تَشَاءُ.

فقال محمد: ومَن ابنُكُما الذي تَعْنِيانِ؟

فقالا: غلامُكَ زيدُ بنُ حارثة.

فقال: وهل لكُما فيما هو خيرٌ من الفِدَاءِ؟

فقالا: وما هو؟!

فقال: أَدْعُوهُ لكم، فَخَيِّرُوه بَيْنِي وبَيْنَكم، فإن اخْتَارَكم فهو لكم بغَيْرِ مالٍ، وإنِ اخْتَارَني فما أنا ــ والله ــ بالذي يَرْغَبُ عَمَّنْ يَخْتَارُه.

فقالا: لقد أَنْصَفْتَ وبَالَغْتَ في الإِنْصَافِ.

فدعا محمدٌ زيداً وقال:

مَنْ هذان؟

قال: هذا أبي حارِثَةُ بنُ شُرَاحيلَ، وهذا عَمِّي كَعْبٌ.

فقال: قد خَيَّرْتُكَ: إنْ شِئْتَ مَضَيْتَ معهما، وإنْ شِئْتَ أَقَمْتَ معي.

فقال ــ في غير إبْطَاءٍ ولا تَرَدُّدٍ ــ بل أُقِيمُ مَعَك.

فقال أبوه: وَيْحَكَ يا زيدُ، أَتختارُ العُبُودِيَّةَ على أبيكَ وأُمِّكَ؟!

فقال: إنِّي رَأَيْتُ مِنْ هذا الرَّجُلِ شَيْئاً، وما أنا بالذي يُفارِقُه أبداً.

فلما رَأَى محمدٌ من زيدٍ ما رَأَى، أَخَذَ بِيَدِهِ وأَخْرَجَهُ إلى البيتِ الحَرامِ، وَوَقَفَ به بالْحِجْرِ على مَلَاءٍ من قريشٍ وقال:

يا مَعْشَرَ قريش، اشْهَدُوا أَنَّ هذا ابْني يَرِثُني وأَرِثُه...

فطَابَتْ نَفْسُ أَبيهِ وعَمِّه، وخَلَّفَاهُ عندَ محمدِ بنِ عبدِ الله، وعادا إلى قَوْمِهِما مُطْمَئِنِّي النَّفْسِ مُرْتَاحَيْ البَالِ.

ومنذ ذلك اليومِ أصبحَ زيدُ بنُ حارِثَةَ يُدْعَى بزَيْدِ بنِ محمدٍ، وظلَّ يُدْعَى كذلك حتى بُعِثَ الرسولُ صلواتُ الله وسلامُه عليه، وأَبْطَلَ الإسلامُ التَّبَنِّيَ حَيْثُ نَزَلَ قَوْلُهُ جَلَّ وعَزَّ ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ ﴾ فأصْبَحَ يُدْعَى: زيدَ بنَ حارِثَةَ.

ولم يَكُنْ يَعْلَمُ زيدٌ ــ حينَ اختارَ محمداً على أُمِّهِ وأبيهِ ــ أيَّ غُنْمٍ غَنِمَهُ.

ولم يَكُنْ يَدْرِي أَنَّ سَيِّدَهُ الَّذي آثَرَهُ على أَهْلِهِ وعَشِيرَتِهِ هوَ سَيِّدُ الأَوَّلِينَ والآخِرينَ، ورسولُ الله إلى خَلْقِهِ أجمعين.

وما خَطَرَ له ببالٍ أَنَّ دَوْلَةً لِلْسَّماءِ سَتَقُومُ على ظَهْرِ الأَرْضِ فَتَمْلأُ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ بِراً وعَدْلًا، وأَنَّهُ هوَ نفسَهُ سيكونُ اللَّبِنَةَ الأُولى في بناءِ هذه الدولة العظمى...

لم يَكُنْ شَيْءٌ من ذلك يدورُ في خَلَدِ زَيْدٍ... وإنما هو فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ... والله ذو الفَضْلِ العَظِيْمِ.

ذلك أَنَّهُ لم يَمْضِ على حادِثَةِ التَّخْيِيرِ هذه إلا بضْعُ سِنِين حتى بَعَثَ الله نبيَّهُ محمداً بدينِ الهُدَى والحَقِّ، فَكانَ زيدُ بنُ حارِثَةَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ به من الرِّجال.

وهل فوقَ هذه الأَوَّلِيَّةِ أَوَّلِيَّةٌ يَتَنافَسُ فيها المُتَنافِسُون؟!

لقد أصبحَ زيدُ بنُ حارِثَةَ أميناً لِسِرِّ رسولِ الله، وقائِداً لِبُعُوثِهِ وسَرَايَاه، وأَحَدَ خُلَفائِهِ على المدينةَ إذا غادَرَهَا النبيُّ عليه الصلاةُ والسلامُ.

وكما أَحَبَّ زيدٌ النبيَّ وآثَرَهُ على أُمِّهِ وأبيه، فقد أَحَبَّهُ الرسولُ الكريمُ صلواتُ الله عليهِ وخَلَطَهُ بأَهْلِهِ وبنيه، فكان يَشْتَاقُ إليه إذا غابَ عنه، ويَفْرَحُ بقدومِهِ إذا عادَ إليه، ويَلْقَاهُ لِقَاءً لا يَحْظَى بِمِثْلِهِ أحدٌ سواه.

فها هي ذي عائِشَةُ رِضوانُ الله عليها تُصَوِّرُ لنا مَشْهَداً من مَشَاهِدِ فَرْحَةِ رسولِ الله ﷺ بِلِقَاءِ زيدٍ فتقول: «قَدِمَ زيدُ بنُ حارِثَةَ المدينةَ، ورسولُ الله

ﷺ في بَيْتِي، فَقَرَعَ البابَ، فقام إليه الرسولُ عُرْيَاناً ـــ ليسَ عليه إلا ما يَسْتُرُ ما بَيْنَ سُرَّتِهِ ورُكْبَتِهِ ـــ ومَضَى إلى البابِ يَجُرُّ ثَوْبَهُ، فاعْتَنَقَهُ وقَبَّلَهُ. ووالله ما رأيتُ رسولَ الله عُرْيَاناً قَبْلَهُ ولا بَعْدَهُ.

وقد شاعَ أمرُ حُبِّ النَّبِيِّ لِزَيْدٍ بين المسلمينَ واستَفَاضَ، فَدَعَوْهُ «بزَيْدِ الحُبِّ» وأطلقوا عليه لقبِ «حِبِّ» رسولِ الله، ولَقَّبُوا ابنَهُ أُسامةَ من بَعْدِه بِحِبِّ رسولِ الله وابنِ حِبِّه.

وفي السنة الثامنة من الهجرة شاءَ الله ـــ تَبَارَكَتْ حِكْمَتُه ـــ أن يَمْتَحِنَ الحبيبَ بفراقِ حبيبِه.

ذلك أنَّ الرسولَ صلواتُ الله وسلامُه عليه، بَعَثَ الحارِثَ بنَ عُمَيْرٍ الأزْدِيَّ بِكِتابٍ إلى مَلِكِ بُصْرَى يدعوه فيه إلى الإسلامِ، فلما بلغَ الحارثُ «مُؤْتَةَ» بشرقي الأردن، عَرَضَ له أحدُ أمراءِ الغساسِنَةِ شُرَحْبيلُ بنُ عمرو فأخَذَه، وشدَّ عليه وثاقه، ثم قَدَّمَه فَضَرَبَ عُنُقَه.

فاشتدَّ ذلك على النبيِّ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه إذ لم يُقْتَلْ له رسولٌ غيرُه.

وجهَّز جيشاً من ثلاثةِ آلافِ مُقَاتِلٍ لِغَزْوِ مُؤْتَةَ، وَوَلَّى على الجيشِ حبيبَه

زيدَ بنَ حارِثَةَ، وقال: إنْ أُصيبَ زيدٌ فتكونُ القِيَادَةُ لِجَعْفَرِ بنِ أبي طالب، فإنْ أُصيبَ جعفرُ كانتْ إلى عبدِ الله بنِ رَوَاحَةَ، فإنْ أُصيبَ عبدُالله فَلْيَخْتَرِ المسلمون لأنفسهم رجلًا منهم .

مضى الجيشُ حتى وصَلَ الى «معان» بشرقي الأُرْدُنّ.

فهَبَّ هِرَقْلُ ملكُ الرومِ على رأسِ مائةِ ألفٍ مُقاتلٍ للدفاعِ عن الغَسَاسِنَة، وانضمَّ إليه مائةُ ألفٍ من مُشركي العرب، ونَزَلَ هذا الجيشُ الجَرَّارُ غيرَ بعيدٍ من مواقع المسلمين.

باتَ المسلمون في «معان» ليلتين يتشاورون فيما يصنعون.

فقال قائلٌ: نَكْتُبُ إلى رسولِ الله ونُخْبِرُهُ بِعَدَدِ عَدُوِّنا ونَنْتَظِرُ أَمْرَه.

وقال آخر: والله ـــ يا قوم ـــ إنَّنا لا نُقَاتِلُ بِعَدَدٍ ولا قُوَّةٍ ولا كَثْرَةٍ وإنَّما نُقَاتِلُ بهذا الدِّينِ.

فانْطَلِقُوا إلى ما خَرَجْتُمْ له.

وقد ضَمِنَ الله لكُمُ الفَوْزَ بإحْدَى الحُسْنَيَيْنِ: إمَّا الظَّفَرُ وإمَّا الشَّهادة.

ثم الْتَقَى الجمعان على أرضِ مُؤْتَةَ، فقاتَلَ المسلمونَ قِتالًا أَذْهَلَ الرُّومَ ومَلَأَ قلوبَهُمْ هَيْبَةً لهذه الآلافِ الثلاثةِ التي تَصَدَّتْ لِجَيْشِهِم البالِغ مائتيْ ألفٍ.

وجالَدَ زيدَ بنَ حارِثَةَ عن رايَةِ رسولِ الله ﷺ جلاداً لم يَعْرِفْ له تاريخُ البُطُولاتِ مَثيلًا حتى خَرَّقَتْ جَسَدَهُ مئاتُ الرِّماحِ فَخَرَّ صريعاً يَسْبَحُ في دِمائِه.

فتناول منه الرايةَ جعفرُ بنُ أبي طالبٍ وطَفِقَ يَذُودَ عنها أَكْرَمَ الذَّوْدِ حتى لَحِقَ بصاحبه.

فتناول منه الرايةَ عبدُالله بنُ رَوَاحَةَ فَنَاضَلَ عنها أَبْسَلَ النِّضَالِ حتى انْتَهَى إلى ما إنْتَهَى إليه صاحباه.

فأمَّرَ الناسُ عليهم خالدَ بنَ الوليدِ ـــ وكان حديثَ إسْلامٍ ـــ فانْحازَ بالجيش، وأنقذه من الفناءِ المُحَتَّمِ.

بلغت رسولَ الله ﷺ أنباءُ مُؤْتَةَ، ومَصْرَعُ قادَتِهِ الثلاثةِ فَحَزِنَ عليهم حُزناً لم يَحْزَنْ مِثْلَهُ قَطُّ.

ومَضَى إلى أهليهم يُعَزِّيهِمْ بِهِمْ.

فلما بَلَغَ بَيْتَ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ لاذَتْ بِهِ ابْنَتُهُ الصَّغيرَةُ وهي مُجْهِشَةٌ بالبُكاءِ، فَبَكَى رسولُ الله ﷺ حَتَّى انْتَحَب.

فقال له سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ:

ما هذا يا رسولَ الله؟!

فقال عليه الصلاةُ والسلام:

هذا بُكاءُ الحبيبِ على حبيبه.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتِكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا القِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَّاتِنَا وَذُرِّيَاتِنَا وَأَعِذْنَا مِنْ شَرِّ نُفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَأَعِذْنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانَا تَبَعاً لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ صَلى اللهُ عليه وسلَّم وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

مَـوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللهِ إنَّ طَاعَةَ اللهِ صَلاحٌ في الأرْضِ لِهَذَا أَمَرَ عزَّ وَجَلَّ بالطاعَاتِ ، وَهَذه الطاعَاتُ تُرْضِي اللهَ سُبْحَانَهُ لأنَّها شُكْرٌ لَهُ على نِعَمِهِ المُتَوالِيَاتِ ، فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَحُثَّ عليْهَا وَأَنْ نَأْمُرَ مَنْ تَرَكَ الطاعَةَ أَنْ يَعُودَ إليها إذا كانَتْ مِنْ فَرَائِضِ الدِّيْنِ كالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ وَالصِّيَامِ وَالحَجِّ ، وَأَنْ نُنْكِرَ على مَنْ رَأَيْنَاهُ يَقْتَرِفُ مَعْصِيَةً مِنَ المَعَاصِي ، لأنَّ المَعَاصِيْ بكلِّ أَنْوَاعِها شُرُورٌ وَأَضْرَارٌ

وَفَسَادٌ وَلَهَا شُؤْمٌ قَدْ يَعُمُّ الدنيا وَيَفْعَلُ الأفاعِيْلَ العِظَامَ في بَنِيْ الانْسَانِ وَمِنْ آثارِهَا المُضرَّةُ بالقَلْبِ وَالبَدنِ : أَنَّهَا إفْسَادٌ لِلعَقْلِ فَإنَّ العَقْلَ نُورٌ والمَعْصِيَةُ تُطفِىءُ نُورَ العَقْلِ ومنها أنَّ المَعَاصِي مَدَدٌ مِنَ الإنْسَانِ يَمُدُّ بها عَدُوَّه عليه وَجَيْشٌ يُقَوِّيْهِ بهِ على حَرْبِهِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُوْهِنُ القَلْبَ وَالبَدَنَ وَمِنْهَا أنها تَزْرَعُ أَمْثالِهَا مِنَ المَعَاصِيْ وَمِنْهَا أَنَّهَا تَمْحَقُ بركَةَ العُمْرِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُسَبِّبُ شَمَاتَة الأعْدَاءِ وَمِنْهَا أنهَا تَعَسِّرُ على الانْسَانِ أمُورَهُ ، ومِنْهَا أَنَّهَا تسبِّبُ الوَحْشَة بينَ العَاصِي وبينَ أَهْلِ الخَيْرِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُذْهِبُ الحَيَاءَ ومنها أنْ تَسْتَدْعِي نِسْيَانَ اللهِ لِعَبْدِهِ وَتَرْكِهِ ، ومِنْهَا أَنها تُطفِىءُ مِنْ القَلْبِ نَارَ الغَيرةِ ومنهَا أنّهَا تُضْعِفُ في القَلْبِ تَعْظِيْمَ الرَّبِّ ومنْهَا أنها تُعْمِي بَصِيْرَةَ القَلْبِ وَتَطْمِسُ نُورُهُ وَمِنْهَا أنها تُسْقِطُ الجَاهَ وَالمَنْزِلَةَ عِندَ اللهِ إلَى مَالا نِهَايَة لَهُ مِنَ الأَضْرَارِ لِهَذَا يَجبُ عَلَيْنَا أنْ نَنْهِيَ عَنْ المَعَاصِيْ لا سِيَّما إذا كَانَتْ مِنْ كِبَارِ المَعَاصِيْ ، ولا تَنْسَ أَنَّ بَني اسْرَائِيْلَ لَعَنَهُم اللهُ لَمَّا فقَدُوا الغَيرَةَ على انتِهَاكِ الحُرمَاتِ وَلَا تَنَاهَوْ عَنْ المُنْكَرِ ، وَتَأمَّلْ أَحْوَالَ الأمَم وَمَا حَلَّ بِهَا مِنْ العُقوبَاتِ بِأَسْبَابِ الذّنُوب قالَ تَعَالَى ﴿ فَكُلًا أَخَذْنا بذنْبِهِ فَمِنْهُم مَنْ أَرْسلنَا عليهِ حَاصِباً ومنهُم مَنْ أَخَذتْهُ الصَّيْحَةُ ومنهم مَنْ خَسفْنَا بِهِ الأرْضَ ومنهُم مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُم وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهم يَظْلِمُون ﴾ .

وذكرَ ابْنُ كثِيرٍ أَنَّ في سَنَةِ سَبْع وَتِسْعِيْنَ وَخَمْسُمائة ٥٩٧ اشْتَدَّ الغَلاءُ بأرْضِ مِصْرَ فَهَلَكَ خَلْقٌ كَثِيْرٌ جِدّاً مِنَ الفُقَرَاءِ والأغْنِيَاءِ ثمّ أعْقَبَهُ فَنَاءٌ عَظِيْمٌ حَتَّى حَكَى الشَّيْخُ أَبو شَامَة في الذَّيْلِ أنَّ العَادِلَ كفَّنَ مِنْ مَالِهِ في مُدّةِ شَهْرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ نَحْواً مِنْ مَائتَيْ أَلْفٍ وَعِشْرِيْنَ أَلْفِ مَيِّتٍ (٢٢٠٠٠٠) وَأُكِلَتْ الكِلابُ وَالمِيْتَاتُ فيْهَا بِمِصْرَ وأُكِلَ مِنْ الصِّغَارِ وَالأطْفَالِ خَلْقٌ كَثِيْرٌ يَشْوِيْ الصَّغِيْرَ وَالِدَاهُ وَيَأكَلانِهِ وَكثُرَ في النّاس هَذا جدّاً حَتى صَار لَا يُنْكَرُ بَيْنَهم ،

فلمّا فَرَغَتْ الأطْفَالُ وَالمُيْتاتُ غَلَبَ القَويُّ الضَّعِيْفَ فَذَبَحَهُ وَأَكَلَهُ وَكَان الرَّجُلُ يَحْتَالُ على الفَقِيْرِ فَيأْتِيْ بِهِ لِيُطْعِمَهُ أَو لِيُعْطِيَهُ شَيْئاً ثُمَّ يَذْبَحُهُ وَيأْكُلهُ وَكَانَ أَحَدُهُم يَذْبَحُ امْرَأَتَهُ وَيأْكُلُها وَشَاعَ هَذَا بَيْنَهم بلا إنكارٍ وَلا شَكْوى بَلْ عَذَرَ بَعْضُهم بَعْضاً وَوُجِدَ عنْدَ بَعْضِهم أَرْبَعمِائةِ رَأْسٍ وَهَلكَ كَثِيْرٌ مِنْ الأَطبَّاءِ الذِيْنَ يُسْتَدْعَونَ إلَى المَرْضَى فكانُوا يُذْبَحُوْنَ وَيُؤْكَلُونَ كانَ الرَّجُلُ يَسْتَدْعِيْ الطبيْبَ ثم يَذْبَحُه وَيأْكلُه . وَقد اسْتَدْعَى رَجُلٌ طَبِيْبَاً حَاذِقاً وَكَانَ الرَّجُلُ مُوْسِراً مِنْ أَهْلِ المَالِ فَذَهَبَ الطَبِيْبُ مَعَهُ على وَجَلٍ وَخَوْفٍ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَتَصَدَّقُ على مَنْ لَقِيَهُ في الطرِيْقِ ويَذكُر اللهَ وَيُسَبِّحُه وَيُكْثِرُ مِنْ ذَلكَ فارْتابَ بِهِ الطَبِيْبُ وَتَخيَّلَ مِنْهُ وَمَعَ هَذَا حَمَلَهُ الطَّمَعُ على الاسْتِمْرَارِ مَعَهُ حَتَّى دَخَل دَارَهُ فإِذَا هِيَ خَرِبَةٌ فارْتَابَ الطَبِيْبُ أَيْضاً فَخَرَجَ صَاحِبُه فقالَ لَهُ :

وَمَعَ البُطْءِ جِئْتَ لَنَا بِصَيْدٍ فَلَمَّا سَمِعَها الطَّبِيْبُ هَرَبَ فَخَرَجَا خَلْفَهُ سِرَاعاً فَمَا خَلَصَ إلا بَعْدَ جَهْدٍ وَشَرٍّ .

وفي هَذِهِ السَّنَةِ سنة ٥٩٧ وَقَعَ وَبَاءٌ شَدِيْدٌ ببلادِ عَنْزَة بَيْنَ الحِجَازِ وَاليَمنِ وَكانُوا عِشْرِيْنَ قَرْيَةً فَبَادَتْ مِنْهَا ثَمانِيَة عَشَرَ لَمْ يَبْقَ دَيَّارٌ ولا نافِخُ نارٍ وَبَقِيَتْ أَنعَامُهُمْ وَأَمْوالُهم لا قانِيَ لَهَا . ولا يَسْتَطِيْعُ أَحَدٌ أنْ يَسْكنَ تلكَ القُرَى ولا يَدْخُلها . بَلْ كَانَ مَنْ اقترَبَ إلى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ القُرى هَلَكَ مِنْ سَاعَتِه .

نَعُوذُ باللهِ مِنْ بَأْسِهِ وَعَذَابِهِ وَغَضَبِهِ وَعِقَابِهِ أَمَّا القَرْيَتَانِ البَاقِيَتَانِ فلم يَمُتْ مِنْهُمَا أَحَدٌ ولا عِنْدَهُم شُعورٌ بما جَرَى عَلى مَن حَوْلَهمْ بَلْ هُمْ عَلى حَالِهم لَمْ يُفْتَقَدْ مِنْهُم أَحَدٌ فسُبْحَانَ الحَكِيْمِ العَلِيْمِ انتَهى كَلامُه .

وذكر السيوطي رحمه الله في تاريخ الخلفاء أن في سنة ٥٢٤ ارتفع سحابٌ

أمْطَرَ بَلَدَ المَوْصِلِ ناراً أحرقَتْ من البَلَد مَواضِعَ كثيرةً ودُوْراً كثيرةً وظَهَر فيها ببَغْداد عَقَابٌ طَيَّارة لَهَا شَوْكتان وخَافَ الناسُ منها وقَدْ قَتَلَتْ جَمَاعَةَ أَطْفَالٍ.

هَذَا كُلّهُ مِنْ آثَارِ المَعَاصِيْ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلا ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِنْ مُصِيْبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أيدِيكم وَيَعْفُو عن كثِيْرٍ ﴾ وَمَنْ نَظَرَ إلى الحَالَةِ اليَوْمَ وَمَا ظَهَرَ وَانْتَشَرَ مِنَ المَعَاصِيْ انتِشارَ الوَبَاءِ وَرَأى النِّعَمَ في المَزابِلِ وَرَأى الكُتُبَ الدِيْنِيَّةِ تُطْرَحُ كذَلِكَ مَعَ القُمَامَةِ وفي الشَّوارِع تُدَاسُ وَلاَ آمِرَ ولا ناهِيَ مَلأَ الخَوْفُ مِنْ العُقُوبَةِ صَدْرَهُ وانْ كان قَوِيَّ الدِّيْنِ وَعِنْدَهُ غَيْرَةٌ لِدِيْنِهِ مَرِضَ مِمَّا رَأى وَسَمِعَ ، نَسْأَلُ الله أنْ يَخُصَّ بالعُقُوبَةِ مَنْ فَعَلَهَا وَمَنْ رَضَى بِهَا وَمَنْ عَلِمَ بِهَا وَقَدِرَ عَلى ازَالَتِهَا وَلَمْ يَفْعَلْ .

اللهُمّ ابْرِمْ لِهَذِهِ الأمَّةِ أمرَ رُشْدٍ يُعزُّ فيهِ أَهْلُ طَاعَتِكَ وَيُذَلُّ فيهِ أَهْلُ مَعْصِيَتِكَ وَيُؤْمَرُ فيه بالمَعْرُوْفِ وَيُنْهَى فيهِ عَنْ المنكَرِ وَيُزالُ فيه مَا حَدَثَ مِنْ بِدَعٍ وَمُنْكِرَاتٍ وَمَعَاصِيْ وَيُحْيا بِهِ بَدَلُهَا مَا أُمِيْتَ مِن سُنَّةٍ وعَيْرةٍ وَشِيْمَةٍ كَرِيْمَةٍ وَمُرُوْءةٍ جَمِيْلةٍ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْروبالاجَابَةِ جَدِيرٌ وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

وقال الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن مُعَمَّر
يَرْثِي أَهْلَ الدِّرْعِيَّة بعدَ ما هَدَمَهَا الظالمُ الطَّاغِيَةُ وَجُنُوْدُهُ إبراهيمُ بَاشَا جَازَاهُ اللهُ بِمَا يَسْتَحِقُ هُوَ وَأَعْوَانَهُ

إلَيْـكَ إلَـهَ العَـرْشِ أشْكُـو تضَـرُّعَـا
وَأَدْعُـوكَ فـي الضَّـرَاءِ رَبِّـي لِتَسْـمَعَـا
فَـكَمْ قَـتَلُوا مِـنْ فِتْيَـةِ الحَقِّ عُـصْبَـةً
هُـدَاةً وَضُـاةً سَـاجِـدِيـنَ وَرُكَّـعَـا

وَكَمْ دَمَّرُوا مِنْ مَرْبَعٍ كَانَ آهِلاً
وَقَد تَركُوا الدَّارَ الأَنِيْسَةَ بَلْقَعا

فَأَصْبَحَتْ الأَمْوَالُ فِيْهِمْ نَهَائِباً
وَأَصْبَحَتْ الأيْتَامُ غَرْثَى وَجُوَّعا

وَفَرَّ عنْ الأَوْطَانِ مَنْ كَانَ قَاطِناً
وَفُرِّقَ إلْفٌ كان مُجْتَمِعاً مَعَا

مَضَوْا وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُم حِيْنَ أَوْرَدُوا
ثَنَاءً وذِكْراً طِيْبُه قَدْ تَضَوَّعا

فَنجَازَاهُمُ اللهُ الكَرِيمُ بِفَضْلِهِ
جِنَاناً وَرِضْوَاناً مِنْ اللّهِ رَافِعَا

فَإنْ كَانَتْ الأَشْبَاحُ مِنَّا تَبَاعَدَتْ
فَإِنَّ لِأَرْوَاحِ المُحِبِّيْنَ مَجْمَعَا

عَسَى وَعَسَى أَنْ يَنْصُرَ اللهُ دِيْنَهُ
وَيَجْبرَ مِنَّا مَأْمَناً قَدْ تَصَدَّعَا

وَيُظْهِرَ نُورَ الحَقِّ يَعْلُو ضِيَاؤُه
فَيُضْحِى ظَلاَمُ الشِّرْكِ وَالشَّكِّ مُقْشِعَا

إلهي فَحَقِّقْ ذا الرَّجَاءَ وَكُنْ بِنَا
رَؤفاً رَحيْماً مُسْتَجِيْباً لَنَا الدُّعَا

أَلاَ أَيُّهَا الإخْوَانُ صَبْراً فَإِنَّنِي
أرَى الصَّبْرَ لِلْمَقْدُورِ خَيراً وَأَنْفَعَا

فَــلاَ تَيْأَسُــوا مِنْ كَشْفِ مَـا ثَــابَ إِنَّــهُ
إِذَا شَــاءَ رَبِّي كَشْفَ كَــرْبٍ تَمَــزَّعَــا
وَمَــا قُلْتُ إِذَا أَشْكُــو إِلى الخَلْقِ نَكْبَــةً
ولا جَــزَعــاً مِمَّــا أَصَــابَ فَــأَوْجَـعَــا
فَــمَــا كَــانَ هَــذَا الأَمْــرُ إِلَّا بِــقُــدْرَةٍ
بِـهَــا قَـهَــرَ الـلَّـهُ الـخَـلاَئِـقَ أَجْـمَـعَــا
وَذَلِــكَ عَــنْ ذَنْــبٍ وَعِـصْـيَــانِ خَــالِــقٍ
أُخِــذْنَــا بِــهِ حِيْنــاً فَحِيْنــاً لِنَــرْجِـعَــا
وَقَــدْ آنَ أَنْ نَــرْجُــو رِضَــاهُ وَعَــفْــوَهُ
وَأَنْ نَـعْــرِفَ التَّـقْصِيــرَ مِنَّــا فَنُـقْـلِعَــا
فَيَــا مُحْسِنــاً قَــدْ كُنْتَ تُـحْـسِــنُ دَائِمــاً
وَيَــا وَاسِعــاً قَــدْ كَــانَ عَفْــوُكَ أَوْسَعَــا
نَعُــوذُ بِــكَ اللَّهُــمَّ مِنْ سُــوءِ صُنْعِنَــا
فَــإِنَّ لَنَــا فِي العَفْــوِ مِنْــكَ لَمَــطْمَعَــا
أَغِثْنَــا أَغِثْنَــا وَارْفَــعْ الشِّــدَّةَ الَّتِي
أَصَــابَتْ وَصَــابَتْ وَاكْشِفِ الضُّــرَّ وَارْفَعَــا
وَجُــدْ وَتَـفَـضَّــلْ بِــالَّــذِي أَنْــتَ أَهْــلُهُ
مِنْ العَفْــو والغُفْــرَانِ يَــا خَيْــرَ مَنْ دَعَــا

اللهُمَّ اجْعَلنَا مِنْ حِزْبِكَ المُفْلِحينَ ، وَعِبَادِكَ الصَّالِحينَ الذينَ أَهَّلْتَهم لِخِدمَتِكَ وَجعَلْتَهُمْ آمِرِيْنَ بالمَعْرُوفِ فاعِلِينَ لَهُ ، وَنَاهِيْنَ عَن المُنْكَرِ ، وَمُجْتَنِبِيْنَ لَهُ ،

اللّهُمَّ مَكِّنْ حُبَّكَ في قُلوبِنا وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ ووفِّقْنا لامْتِثَالِ طَاعَتِكَ وأَمْرِكَ واغْفِرْ لَنَا ولِوالِدِيْنَا ولِجَمِيعِ المُسْلِمينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ

الرّاحِمِين وصلّى الله على محمّدٍ و الِهِ وصحْبِهِ أجمعِين .

نُبْذَةٌ مِنْ حَيَاةِ جَعْفر بْنِ أبي طَالِبٍ

جَعْفَرُ بنُ أبي طَالِبٍ هو أخُو عليّ بنِ أبي طَالِبٍ كانَ أبُو طَالِبٍ على الرَّغْمِ مِنْ سُمُوّ شَرَفِهِ في قُرَيْشٍ وَعُلوّ مَنْزِلتِهِ في قَوْمِهِ رَقِيْقَ الحَال كَثِيرَ العِيَال وَقَد ازدَادَتْ حَالهُ سُوْءاً بسَبَبِ تِلكَ السَّنةِ المُجْدِبةِ التي نَزَلَتْ بقُرَيْش فأهْلَكَتْ الزَّرْعَ وَأَيْبَسَتْ الضَّرْعَ وأَكلَ بَعْضُ النَّاسِ العِظَامَ البَالِيَةَ .

وَلَمْ يَكُنْ في بَنِيْ هَاشِمٍ يَوْمَئِذٍ أيْسَرُ مِن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ومِنْ عَمِّهِ العَبَّاسِ فقالَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لِعَمِّهِ العبَّاسِ يا عَمُّ إنَّ أخَاكَ أبا طَالِب كَثِيرُ العِيَالِ وَقد أصَابَ النَّاسَ مَا تَرَى مِنْ شِدَّةِ القَحْطِ وَمَضَضِ الجُوْعِ فَانطَلِقْ بِنَا إليْهِ حَتَّى نَحْمِلَ عنه بَعْضَ عِيَالِهِ فآخُذُ أنا فَتىً مِنْ بَنِيْهِ وتأخُذُ أنْتَ فَتىً آخرَ فَنَكْفِيْهِمَا عنهُ .

فقالَ العَبَّاسُ لَقَدْ دَعَوْتَ إلى خَير وَحَضَضْتَ على بِرّ ثُمّ انْطَلَقَا حَتَّى أَتيا أبا طَالِبٍ فَقَالا لهُ إنا نُرِيْدُ أنْ نُخَففَ عنكَ بَعْضَ مَا تَحْمِلُه مِنْ عِبْءِ عِيَالِكَ حَتَّى يَنْكَشِفَ هَذَا الضُّرُّ الذِي مَسَّ النَّاسِ فقالَ لهُما إذا تَركْتُمَا عَقِيْلا فاصْنعَا ما شِئْتما .

فأَخَذَ النبي صلى اللهُ عليه وسلم عَلِياً وضَمَّه إليه وأَخَذَ العَبَّاسُ جَعْفَرا وجَعَلهُ في عِيَالِهِ فلمْ يَزِلْ عَليٌّ مَعَ محمّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم حتَّى بَعَثَهُ اللهُ بدِيْنِ الحَقِّ والهُدى فكانَ أوّلَ مَنْ آمَنِ بِهِ مِنْ الفِتْيانِ.

وَبَقِيَ جَعْفرُ مَعَ عَمِّهِ العَبَّاسِ حَتَّى شَبَّ وأسْلَم واسْتَغْنَى عنْهُ، انضَمَّ جَعْفرُ إلى رَكبِ النُورِ هُوَ وَزَوْجَتُهُ أَسْمَاءُ بنْتُ عُمَيْسٍ مُنْذُ أوّلِ الطَّرِيْقِ فقد أسْلمَا على يَدَيْ الصِّدِّيْقِ رضي اللهُ عنهُ وَعَنْهُمَا قَبْلَ أنْ يَدْخُلَ الرَسُولُ صلى اللهُ عليه وسلم دَارَ الأرْقَمِ وَلَقِيَ جَعْفَرُ وَزَوْجَتُهُ مِن أذى قُرَيْشٍ وَنكالهَا مَا لَقِيَهُ

المسْلِمُونَ الأوّلُون فَصَبَرَا عَلى الأذى لأنهُمَا كانا يَعْلَمَانِ أنَّ طَرِيْقَ الجَنَّةِ مَفْرُوشٌ بالأشْوَاكِ مَحْفُوفٌ بالمَكَارِهِ .

وَلَكِنْ الذِي كَانَ يُنَغِّصُهُمَا وَيُنَغِّصُ على لإِخوَانِهِمَا في اللَّهِ أنَّ قُرَيْشاً كانَتْ تَحُولُ دُوْنَهُم ودُوْنَ شَعَائِرِ الاسْلامِ وَتَحرِمُهم مِنْ أنْ يَتَذَوَّقُوا لَذَّة العِبَادَةِ فَقَد كانَتْ تَقِفُ لهُم في كُلِّ مَرْصدٍ .

عِنْدَ ذلكَ اسْتَأْذَنَ جَعْفَرُ بْنُ أبي طَالِبٍ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلمَ بأنْ يُهَاجِرَ مَعَ زَوْجَته وَنَفرٍ مِنْ الصَّحَابَةِ إلى أرْضِ الحَبَشَةِ فأذِنَ لَهُم وَهُوَ حَزِيْنٌ فَقَد كانَ يَعِزُّ عليْهِ أنْ يُرْغَمَ هَؤُلاءِ الأطْهَارِ عَلى مُفَارَقَةِ دِيَارِهِم وَمُبَارَحَةِ مَرَاتِعِ طَفُولَتِهِم ودِيَارِهِم دُوْنَ ذَنْبٍ جَنَوْهُ إلا أنَّهُم قالُوا رَبُّنا اللهُ ولَكِنْ لَم يَكُن يَمْلِكُ مِنْ القُوَّةِ ما يَدْفَعُ بهِ أذى قُرَيْشٍ .

مَضَى رَكْبُ المُهَاجِرِيْنَ إلَى أرْضِ الحَبَشَةِ وَعَلَى رأْسِهِم جَعْفَرُ بنُ أبي طَالِبٍ رضي اللهُ عنه واسْتَقَرُّوا عِنْدَ النَّجَاشِيّ المَلِكِ الصَّالِحِ فَتَذَوَّقُوا مُنْذُ أسْلمُوا طَعْمَ الأمْنِ وَاسْتَمْتَعُوا بحَلاوَةِ العِبَادةِ دُوْنَ أنْ يُكَدِّرَ عَلَيْهِم مُكَدِّرٌ .

لكِنْ قُرَيْشٌ مَا كَادَتْ تَعْلَمُ بِرَحِيْلِ هَذَا النَّفرِ مِنْ المُسْلِمينَ إلَى أرْضِ الحَبَشةِ ، وَتَقِفُ على مَا نالُوه في حِمَى مَلِيْكِهَا مِنْ الطّمَأنِيْنَةِ على دِيْنِهِم ، والأمْنِ عَلَى عَقِيْدَتِهم ، حَتَّى جَعَلَتْ تَأْتَمِرُ بهم .

قَالَتْ أمُّ سَلمَةَ لَمّا نَزَلْنَا أَرْضَ الحَبَشَةِ لَقِينَا فِيْهَا خَيْرَ جِوَارٍ فأمِنَّا على دِيْنِنَا وعبَدْنَا اللهَ تعَالى مِن غَيرِ أنْ نؤْذَى .

فَلمَّا بلغَ ذلك قُرَيْشٌ ائْتَمَرَتْ بنَا فأرْسَلَتْ إلَى النَّجَاشِيّ رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ مِنْ رِجَالِهَا أحَدُهُمَا عَمْرُو بن العاص وَالثَّانِيْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أبِي رَبِيْعَةَ وَبعَثَتْ

قُرَيْشٌ مَعَهُمَا بِهدايَا كَثِيرَةٍ لِلنَّجَاشِيّ ولِبَطارِقَتِهِ ـ البطْرِيْقُ رَجُلُ الدِّيْنِ عنْدَ النَّصارَى ـ

ثم أَوْصَتْهُمَا بأنْ يَدْفَعَا لِكَلِّ بِطْرِيْقٍ هَدِيَةً قَبْلَ أنْ يُكَلِّمَا مَلِكَ الحَبَشَةِ في أمْرِ المُهَاجرِيْنَ ، فلَمّا قَدِمَ عَمْرُو وعبدُ اللهِ على الحَبَشةِ لَقِيَا بَطَارِقَةَ النَجاشِيّ وَدَفَعَا إلى كُلِّ بِطْرِيْقٍ هَدِيَّتَهُ .

وَقَالا إِنَّهُ قَدْ حَلَّ في أرْضِ الْمَلِكِ غِلْمَانٌ مِنْ سُفَهَائِنَا صَبَؤُا عَنْ دِيْنِ آبَائِهم وَأَجْدَادِهم وفرَّقُوا كَلِمَةَ قَوْمِهِم فإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ في أمْرِهِم فأشِيْرُوا عليه بأنْ يُسَلِّمَهُم إلينا دُوْنَ أنْ يَسْأَلَهُم عن دِينِهم فإِنَّ أَشْرَافَ قَوْمِهِم أبْصَرُ بِهِم وَأعْلَمُ بمَا يَعْتَقِدُوْن .

فقالَ البَطارِقَةُ لَهُمَا نَعَمْ فَقَالَتْ أُمُّ سلمَةَ وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَيْءٌ أَكْرَهُ لِعَمْرٍو وَصَاحِبه مِنْ أنْ يَسْتَدْعِي النَّجاشِي أحَداً مِنّا وَيَسْمَعَ كَلاَمَهُ ثُمَّ أتيَا النجاشِيّ وَقدَّما إليهِ الهَدَايَا فاسْتَحْسَنَها وَأعْجِبَ بهَا .

ثُمَّ كَلّمَاهُ فقالا أيُها الْمَلِكُ إنَّهُ قَدْ جَاءَ إِلَى مَمْلَكَتِكَ طَائِفَةٌ مِنْ شِرَارِ غِلْمَانِنَا قَدْ جَاؤ ا بدِيْنٍ لا نَعْرِفُه نَحْنُ ولا أنتُم فَفَارَقُوا دِيْنَنَا وَلَمْ يَدْخُلُوا في دِيْنِكُم وَقد بَعَثَنَا إليكَ أشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِتَرُدَّهُمْ إلَيْهِمْ وَهُمْ أعْلَمُ النَّاس بِمَا أحْدَثُوهُ مِنْ فِتْنَةٍ .

فَنَظَرَ النَّجَاشِيّ إِلَى بَطَارِقَتِهِ فَقَالَ البَطَارِقَةُ صَدَقَا أَيُّهَا الْمَلِكُ فإنّ قَوْمَهُم أبصَرُ بهِم وأعلمُ بمَا صَنعُوْا فَرُدَّهُم إليْهِم لِيَروْا رأْيَهُمْ فِيهِم فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ غَضَباً شَدِيْداً مِنْ كَلَامِ بَطَارِقَتِهِ .

وقالَ لا وَاللّهِ لا أُسَلِّمُهم لأَحدٍ حَتَّى أَدْعُوهُمْ وَأَسْأَلَهم عمَّا نُسِبَ إلَيْهِمْ

فَإِنْ كانُوا كَمَا يَقُولُ هذانِ الرَّجُلانِ أَسْلَمْتُهُم لَهُمَا وَانْ كَانُوا عَلى غَيرِ ذَلِك حَمَيْتُهُم وَأَحْسَنْتُ جوارَهُم مَا جَاوَرُونِي .

قَالَتْ أُمُّ سَلمَة فأرْسَلَ النَجَاشِيُّ إِلَيْنَا يَدْعُونا لِلِقَائِهِ فَاجْتَمَعْنَا قَبْلَ الذَّهَابِ إِلَيْهِ وَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ إِنَّ المَلِكَ سَيَسْأَلُكُمْ عَن دِينِكُم فَاصْدَعُوا بمَا تُؤْمِنُونَ بِهِ وَلِيَتكلّمْ عَنْكُم اجَعْفَرُ بنُ أبِيْ طَالِبٍ وَلاَ يَتكَلَّمْ أحَدٌ غيرُه .

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَة ثم ذَهَبْنَا إِلى النَّجَاشِيّ فَوجَدْنَاهُ قَدْ دَعَا بَطارِقَتَه فَجلَسُوا عن يَمِيْنِهِ وعن شِمَالِه وقد لَبِسُوا طَيَالِسَتَهُم وَاعْتَمَرُوا قَلانِسَهُم وَنشَرُوا كُتُبَهُم بَيْنَ أيْدِيْهِم ووَجَدْنَا عَمْرَو ابنَ العَاصِ وعبدَ اللهِ بْنَ رَبِيْعَةَ .

فلمَّا اسْتَقَرَّ بنَا المَجْلِسُ التَفَتَ الينَا النَّجَاشِيّ وَقالَ ما هَذَا الدِّيْنُ الذِي اسْتَحْدَثْتُمُوهُ لأَنْفُسِكُم وَفَارَقْتُم بِسَبَبِه دِيْنَ قَوْمِكُم وَلَمْ تَدْخُلُو في دِيْنِيْ .

فَتَقَدَّمَ منه جَعْفَرُ بنُ أبي طَالِبٍ وقَالَ أيُّها الملكُ كُنَّا قَوْماً أَهْلَ جاهِليَّةٍ نَعبُدُ الأصْنَامَ وَنأكُلُ المَيتةَ وَنأتِي الفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الأرْحَامَ وَنُسِيْءُ الجِوَارَ وَيأكُلُ القَوِيُّ مِنَّا الضَعِيْفَ وَبَقِيْنَا على ذلكَ حتَّى بَعثَ اللهُ إلينا رسُولاً مِنَّا نَعرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ .

فلمَّا دَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نعْبُدُ وَآبَاؤُنا مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ الحِجَارَةِ والأَوْثَانِ .

وَقَدْ أَمرَنا بِصِدْقِ الحَدِيْثِ وَأداءِ الأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وحُسْنِ الجِوَارِ وَالكَفِّ عنْ المَحَارِمِ وَحَقْنِ الدِّمَاءِ ـ أَيْ حِفْظِهَا وَعَدَمِ سَفْكِهَا .

وَنهَانَا عَنْ الفَوَاحِش وَقَوْلِ الزُّوْرِ وَأَكْلِ مَالِ اليَتِيْمِ وَقَذْفِ المُحْصَنَاتِ

وَأمرَنا أنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَأنْ نُقِيْمَ الصَّلاةَ وَنؤْتِيَ الزَّكاةَ وَنَصُومَ رَمَضَان .

فَصَدَّقْنَاهُ وآمَنّا بِهِ واتَّبَعْنَاهُ على مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَحَلَّلْنَا مَا أحلَّ لَنَا وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا ، فَمَا كانَ مِنْ قَوْمِنَا أَيُّهَا الْملِكُ إلاَّ أنْ عَدَوْا عَلَيْنَا فَعَذَّبُونا أَشَدَّ العَذَابِ لِيَفْتِنُونَنَا عَنْ دِيْنِنَا وَيَرُدُّوْنَا إلى عِبَادَةِ الأوْثَانِ .

فَلَمَّا ظَلمُونا وَقَهَرُونَا وَضَيَّقُوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وبَيْنَ دِيْنِنَا خَرَجْنَا إلى بِلاَدِكَ واخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ وَرَغِبْنَا في جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أنْ لاَ نُظْلَم عندك .

قَالَتْ أمُّ سَلمَةَ فالتفتَ النَّجَاشِيِّ إلَى جَعْفَرِ بْنِ أَبِيْ طَالِبٍ وَقَالَ هَلْ مَعَكَ شَيْءٌ مِمَّا جَاءَ بِهِ نبيُّكم عَنْ اللهِ قَالَ نَعَمْ فَقَرَأَ عَليْهِ « كَهيَعَص ذِكرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَه زَكَرِيَّا » حَتَّى أتمَّ صَدْراً مِنْ السُّوْرَةِ .

قَالَتْ أُمُّ سَلمَةَ فَبكَى النَجَاشِي حتى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ بالدُّمُوعِ ـ أيْ تبَلَّلْتَ ـ وبَكى أسَاقِفَتُهُ حتى بَلّلُوا كتُبَهُمْ لِما سَمِعُوا مِنْ كلامِ اللهِ وهُنَا قالَ النَّجاشِيّ إنَّ هَذا الذي جَاءَ بِهِ نَبيُّكم وَالذِي جَاء بِهِ عِيْسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ ثم التَفتَ النّجاشِيّ إلى عَمْرو وصَاحِبِهِ وَقالَ لهُما : انْطَلِقَا فلا واللّهِ لا أُسَلِّمُهُم إلَيْكُما أبَدَا قالَتْ أمُّ سَلمَةَ فلمّا خرَجْنَا مِن عندِ النَّجاشِي تَوَعَّدَنا عَمْرُو ابنُ العَاصِ وَقالَ لِصَاحِبه واللهِ لآتينَّ الْمَلِكَ غداً ولأَذْكُرَنَّ لَهُ مِنْ أمْرهِم ما يَمْلأُ صَدْرَهُ غَيْظاً منهُم ويَشْحَن فُؤَادَهُ كُرْهاً لَهُم ولأحْمِلنَّه عَلَى أنْ يَسْتَأْصِلَهُم مِنْ جُذوْرِهِم .

فقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَبْيَعَة لا تَفْعَلْ يا عَمْرو فإنَّهم مِنْ ذَوِيْ قُرْبَانَا وَإنْ كانُوا قد خالَفُونَا فقالَ لَهُ عَمْرُو دَعْ عنْكَ هَذا واللهِ لأخبِرَنَّـه بمَا يُزَلْزِلُ أقْدَامَهم وَاللهِ

لأقولنَّ لَهُ إنَّهمُ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيْسى بنَ مَرْيمَ عَبْدٌ .

فلمَّا كانَ الغَدُ دخَلَ عَمْرو عَلى النَّجاشِيّ وَقالَ لهُ أيُّها الملِكُ إنَّ هؤُلآءِ الذين آوَيْتَهُم وحَمَيْتَهُم يَقُولُونَ في عِيْسَى بْنِ مَرْيمَ قوْلاً عظِيْماً ، فأرْسِلْ إليهم وسَلْهُم عمَّا يقوُلوُنه فِيْهِ .

قَالَتْ أُمُّ سَلمَة فَلَمَّا عَرَفنا ذلكَ نَزَلَ بنا مِنْ الهَمِّ وَالغَمِّ مَا لَمْ نَتَعَّرضْ لِمِثْلهِ وَقالَ بعْضُنا لِبَعْضٍ مَاذا تقوُلوُنَ في عِيْسَى ابْنِ مَرْيَم إذا سَألكُم عنه .

فَقُلْنَا وَاللهِ لا نَقوُلُ فيه إلاَّ مَا قَالَ اللهُ ولا نَخْرُجُ في أَمْرهْ قَيْدَ أَنْمُلةٍ عمَّا جاءنَا به نَبيُّنا وَلْيَكُن بسَبَبِ ذلكَ مَا يكونُ .

ثمّ اتفقْنَا عَلى أنْ يتَولى الكلامَ عَنّا جَعْفَرُ بنُ أبي طَالِب فلمَّا دَعانَا النَّجاشِيّ دَخَلْنَا عليه فوَجَدْنا عنْدَهُ بَطارِقتَه عَلى الهَيْئةِ التي رَأيْنَاهُم عليهَا مِنْ قَبْلُ .

ووجَدْنَا عندَهُ عَمْرو بْنَ العَاص وصَاحِبَهُ فَلَمَّا صِرْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ بَادَرَنا بقَوْلِهِ مَاذَا تَقُولُونَ في عِيْسَى بْنِ مَرْيمَ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بنُ أبي طالبٍ إنَّمَا نَقُولُ ما جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا فقالَ النَّجاشِيْ وما الذِي يَقُولُ فيه .

فَأَجَابَهُ جعْفَرُ يقُولُ عنْهُ « إنَّه عبدُ اللهِ ورَسُوله ورُوْحُهُ وَكلِمَتُه التِي ألقاهَا الى مَرْيَمَ العَذْرَاءَ البَتُولَ » فلمَّا سَمِعَ النّجَاشِيّ قوْلَ جَعْفَرٍ ضرَبَ بيَدِه الأَرْضَ وَقَالَ واللهِ مَا خَرجَ عِيْسَى بنُ مَرْيَمَ عَمَّا جَاءَ بِهِ نبيُّكم مِقْدَارَ شَعْرَةٍ .

فَتَناخَرَتْ البَطَارِقَةُ مِنْ حَوْلِ النَّجَاشِيّ اسْتِنْكَاراً لِمَا سَمِعُوْا مِنْهُ فقالَ وإنْ نَخرْتُم ثمَّ الْتَفتَ إلَيْنَا وقالَ اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ آمِنُونَ مَنْ سَبَّكُم غَرِمَ وَمَنْ تَعرَّضَ لكُم عُوْقِبَ وَواللهِ ما أُحِبُّ أَنْ يكُونَ لِيْ جَبَلٌ مِنْ ذَهَبٍ وَأَنْ يُصَابَ أَحَدٌ منكُم .

ثمّ نظَرَ إلى عَمْروٍ وصاحِبِهِ وَقَالَ رُدُّوا عَلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ هَدَايَاهُمَا فَلا حِاجَةَ لِيْ بِهَا .

قَالت أُمُّ سَلمَة فخرَجَ عَمْروٌ وصَاحبُه مَكْسُورَيْنَ مَقْهُورَيْنَ يَجُرَّانِ أَذْيَالَ الخَيْبَةِ ، أمَا نَحْنُ فقد أقَمْنَا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ بخَيرِ دَارٍ مَعَ أَكرَم جَارٍ .

أمضَى جعْفَرُ بنُ أبي طَالِبٍ هُوَ وزَوْجَتُه في رِحَاب النَّجَاشِيّ عَشْرَ سَنواتٍ آمِنينَ مُطمئِنينَ وفي السَّنَةِ السَّابعَةِ لِلْهِجَرَةِ غَادَرُوا بلادَ الحبَشةِ مَعَ نَفرٍ مِنْ المُسْلمِينَ إلى المَدِيْنَةِ فلمّا بَلغُوهَا كانَ رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم عائِداً مِنْ خَيْبَرَ بَعدَ أنْ فَتَحهَا اللهُ لهُ ففَرِحَ بِلقَاءِ جَعْفر فرَحاً شَدِيْداً حتَّى قالَ مَا أدْرِيْ بأيِّهما أَنَا أشَدُّ فَرَحاً أبفتْحِ خيْبَرَ أمْ بقُدومِ جَعْفرٍ .

ولَمْ تكنْ فرْحَةُ المسْلمينَ وَالفُقَراء خاصَّةً بعَوْدَةِ جَعْفرٍ بأقَلَّ مِنْ فَرْحَةِ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عليهِ فقد كانَ جعْفَرُ شدِيْدَ الحَدْبِ على الضُعفاءِ والمسَاكِين كَثِيرَ البرِّ بهم حَتَّى كانَ يُلَقَبُ بأَبِيْ المسَاكِين .

أخبَر عنْهُ أبُو هُرَيْرَةَ فقَالَ كانَ خَيرَ النَّاسِ لَنَا مَعْشَرَ المسَاكِين جَعْفرُ بْنُ أبِي طَالِبٍ فقَدْ كانَ يمْضِيْ بِنَا إلى بَيْتِهِ فَيُطْعِمُنَا مَا يَكُونُ عندَهُ حتَّى إذاَ نَفدَ طَعَامُهُ أخْرَجَ لنَا العُكَّةَ التِي يُوْضَعُ فيها السُّمْنُ وليْسَ فِيْهَا شَيْءٌ فنَشُقُّهَا وَنَلْعَقُ مَا عَلِقَ بِدَاخِلهَا .

وفي أوَائِل السَّنَةِ الثَّامِنَةِ للهْجَرةِ جَهَّزَ النَّبي صَلى اللهُ عليه وسَلمَ جيْشاً لِمُنازَلَةِ الرُّوْمِ في بِلادِ الشَّام وَأمّرَ عَلى الجَيْش زَيْدَ بنَ حَارِثة وَقالَ إنْ قُتِلَ زيْدٌ فَجَعْفرٌ فانْ قُتِلَ جَعْفرُ فعَبدُاللهِ ابْنُ روَاحَةَ فانْ قُتِلَ عبدُاللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَلْيَخْتَرْ المُسْلِمُونَ لأنْفُسِهِم أمِيْراً مِنْهُم .

فَلَمَّا وَصَلَ المسْلِمُونَ إلى مُؤْتَةَ وهِيَ قَرْيَةٌ وَاقِعَةٌ عَلَى مَشَارِفِ الشَّامِ في الأرْدُن وَجَدُوْا أنَّ الرُّومُ قد أعدُّوا لَهُمْ مائةَ ألْفٍ تُعَاونُهم مَائةُ ألْفٍ أخْرَى مِنْ نصَارَى العَربِ مِنْ قَبَائِلِ لَخْمٍ وجُذَامٍ وَقُضَاعَة وَغيرِهَا .

أمَّا جَيْشُ المسْلِمينَ فكان ثَلاثَةُ آلافٍ ومَا أنْ الْتَقى الجَمْعَانِ وَدَارَتْ رَحىَ الحَرْبِ حتَّى خَرَّ زَيدُ بْنُ حَارِثَةَ صَرِيعاً مُقْبِلاً غيرَ مُدْبِرٍ .

فمَا أسْرَعَ أنْ وَثَبَ جَعْفَرُ بْنُ أبي طَالِبٍ عن ظَهْرِ فَرسِهِ ثم عَقَرَهَا حتَّى لا يَنْتَفِعَ بهَا الأعْدَاءُ بَعْدهُ ثمّ حَمَلَ الرَّايَةَ ودَخلَ في صُفُوفِ الرَّومِ وهُو يُنْشِدُ :

يا حَبَّذَا الجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا
طَيِّبَةٌ وبَارِدٌ شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رُوْمٌ قَدْدَنَا عَذَابُهَا
كافِرَةٌ بعِيْدَةٌ أنْسَابُهَا
عَليَّ إذ لاقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

وَظَلَّ يجُولُ بسَيْفِهِ في صُفُوفِهِم ويَصُولُ حتَّى أصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ قَطَعَتْ يَمْينَهُ فأخذَ الرَّايَةَ بشمَالِهِ فمَا لَبِثَ أنْ أصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ أخرَى قَطعَتْ شِمَالَهُ فأخذَ الرّايةَ بِصَدْرِه وَعَضُدَيْهِ فما لَبِثَ أنْ أَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ ثالِثَةٌ قسَمَتْهُ نِصْفَيْنِ .

فَأخَذَ الرَّايَةَ عبدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ فمَا زَالَ يُقَاتِلُ حتَّى لَحِقَ بصَاحِبَيْهِ .

بَلَغَ النبي صلى اللهُ عليه وسَلم مَصْرَعَ قُوَّادِه الثَّلاثَةِ فحَزِنَ عليهم أشَدَّ الحُزْنِ وَأمَضَّهُ وَانْطِلقَ إلى بَيْتِ ابْنِ عمِّهِ جَعْفر بن أبي طَالِبٍ فوَجدَ زَوجَتَهُ أسْمَاءَ تَتأهَّبُ لِاسْتِقبال زوْجِهَا الغَائِبِ قد عَجَنَتْ عجِيْنَها وغسلتْ بَنِيْها وَدَهَنَتْهُم وَألْبَسَتْهم .

قَالتْ أسْمَاءُ فَلمَّا أَقْبَلَ علَيْنَا رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلمَ رأيْتُ غُلاَلَةً مِنْ الحُزنِ تَوَشِّحُ وَجْهَهُ الكرِيْمَ .

فَسَرَتْ المَخَاوِفُ في نَفْسِي غيرَ أَنّي لَمْ أَشَأ أَنْ أَسْأَلَهُ عن جَعْفَر مَخَافَةَ أَنْ أسْمَعَ مِنْه ما أكْرَهُ فَدَعَوْتُهم لهُ فَهَبُّوا نَحْوَهُ فَرِحِيْنَ وَأَخَذُوْا يَتزاحَمُونَ عليْهِ كُلٌّ يُرِيْدُ أنْ يَسْتَأْثِرَ بِهِ .

فأكَبَّ عليهِمْ وَجَعَل يَشُمُّهُم وعَيناهُ تَذْرِفَان مِن الدَّمْعِ فَقُلْتُ يا رَسُولَ اللهِ بأبي أَنْتَ وأُمّي ما يُبكيكَ أبَلَغكَ عَنْ جَعْفرٍ وصَاحِبَيْه شَيْءٌ قالَ نعَمْ لقَدْ اسْتَشْهِدُوا هَذا اليَومَ .

عِنْدَ ذلكَ غاضَتْ البَسْمَةُ مِنْ وُجوْهِ الصِّغَارِ لمَّا رَأَوْا وسَمِعُوا أمَّهُم تَبْكِي وَتَنْشَجُ وَجَمَدُوا أمَاكِنَهُم كأنَّ على رُؤُسِهِم الطّيرُ .

أمَّا رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسَلم فَمَضَى وهُوَ يُكَفْكفُ عَبَرَاتِه وَيقُولُ ، اللهُمّ اخْلُفْ جَعْفراً في وَلدِه اللهُمّ اخْلُفْ جَعْفراً في أهْلهِ ثمّ قال صلى اللهُ عليه وسلم لقدرَأيْتُ جَعْفراً في الجَنَّةِ لهُ جنَاحَانِ مُضَرَّجَان بالدّمَاء

اللَّهُمَّ أرْحَمْ غُرْبَتَنَا في القُبُورِ وَآمِنَّا يَوْمَ البَعْثِ وَالنُّشُوْرِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ

انْتَهى مِنْ صُوَرٍ مِن حَياةِ الصَّحَابةِ بتَصَرُّفٍ يَسِيْرٍ .

قصة أسيد بن الحضير

قَدِمَالفتى المَكِّيّ مُصْعَبُ بنُ عمَيرٍ الى يَثْرِبَ فنزلَ عَلى أَسْعَدِ ابن زُرَارَة أحَدُ أشْرَافِ الخزْرَج واتّخذَ دارَهُ مَقاماً لنفْسِه وَمُنْطلقاً لِبَثّ دَعْوَته إلَى اللهِ

والتبْشِيْر بِنَبِيّهِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم .

وَأخذَ أبْنَاءُ يَثرِبَ يُقْبلوُنَ على مَجَالِس الدَّاعِيَةِ مُصْعَب بن عُمَيرٍ اقْبَالاً كبِيْراً وَكانَ يُرَغّبهُم فيهِ عُذوبةُ حَدِيثِهِ ووُضُوحُ حُجَّتِه ورقّةِ شَمَائِلهِ وَوَضَاةِ الإِيْمَان التِي تُشْرقُ في وَجْهِهِ .

وَكانَ يَجْذِبُهم إِليهِ شَيْءٌ ، آخَرُ فوْقَ ذلكَ كلِّهِ هُوَ هذَا القُرْآنُ العَظِيْمُ الذِي كانَ يَتلُوهُ عَليْهِم السَّاعَةَ بَعْدَ السَّاعَةِ بَعْضاً مِن آياتِه البَيِّناتِ بِصَوْتِه الحَسَن الجَمِيْل الرَّخِيْم وَنَبَراتِهِ الحُلْوَةِ الآسِرَةِ فيَسْتَلِينُ بهَا القُلُوبَ القَاسِيَة ويَسْتدِرُّ بهَا الدُّمُوعَ العَاصِيَةَ فلاَ ينْفضُّ المجْلِسُ مِنْ مَجالِسِهِ إِلا عنْ أناسٍ أسْلمُوا وَانْضَمُّوا الىَ كتَائِبِ الايْمَانِ .

وفي ذات يَوْمٍ خرَجَ سَعْدُ بنُ زرَارة بمُصْعَب بْنِ عُمَير لِيَلْقَى جَمَاعَة مِنْ بني عبدِ الأشْهَل ويَعْرِضَ عليهم الاسْلامَ فدَخَلا بُسْتاناً مِنْ بَساتِينَ بنِي عَبْدِ الأشْهَلِ وجَلسَا عند بئرِهَا العَذْبةِ في ظِلال النّخِيْل فَاجْتمَع على مُصْعبٍ جَمَاعَةٌ قد أسْلمُوا وآخَرُونَ يُرِيْدُونَ أنْ يسْمَعُوا فانْطلقَ يَدْعُو ويُبَشِّرُ وَالنَّاسُ إِليْهِ مُنْصِتُونَ .

فجَاءَ مَنْ أخْبَر أُسَيْدَ بْنَ الحُضَيْر وسَعْدَ بْن مُعَاذٍ وَكانَا سَيِّدَا الأَوْس بأنَّ الدَّاعِيةَ المَكِيَّ قَدْ نَزلَ قَرْيباً مِنْ دِيَارِهِمَا وَأنَّ الذي جَرَّأهُ على ذَلكَ أسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ مُسْتَغِلاً قرابَتَهُ مِن سَعْدِ ابْنِ مُعَاذٍ إذ كانَ ابْنَ خَالَتِه .

فَقَالَ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ لأُسَيْدِ بْنِ الحُضَيْرِ لاَ أبَا لَكَ يا أُسَيْدُ انْطَلِقْ إلى هَذا الفَتى المَكِيّ الذي جاءَ إلى بُيُوتِنا لِيُغْرِيَ ضُعَفَاءَنا وَيُسَفّه آلِهَتَنَا وازْجُرْهُ وحَذّرْهُ مِنْ أنْ يَطأ دِيارنَا بَعْدَ اليَوْم .

ثمّ أرْدفَ يَقُولُ ولَوْلاَ أنَّهُ في ضِيَافَةِ ابْنِ خَالِيْ أَسْعَدِ بْنِ زُرَارَةَ لكَفَيْتُكَ

ذلكَ وأخذَ أُسَيْدُ حَرْبَته ومَضَى نحْوَ البُسْتَانِ فلمّا رآهُ أسْعَدُ بْنُ زُرارَةٍ قالَ لِمُصْعَبٍ وَيْحَكَ يا مُصْعَبُ هَذا سَيِّدُ قوْمِه وَأرْجَحُهم عَقْلاً وأكمَلهُم كمَالاً أسَيْدُ بنُ الحُضير فإنْ يُسْلِمْ يَتْبَعْهُ في إسْلامِه خَلْقٌ كثِيرٌ فاصْدُقِ اللهَ فِيْهِ وَأحْسِنْ التَّأتِيْ لهُ ـ أيْ عَرْضَ الأمْرِ عَليْهِ ـ .

وَقَفَ أُسَيْدُ بْنُ الحُضَير عَلى الجَمْعِ وَالتَفَتَ إلَى مُصْعَبٍ وَصَاحِبه وَقالَ ما جَاءَ بكُمَا الى ديَارنا وَأغرَاكُما بضُعَفائِنَا . اعْتَزِلا هَذا الحَيَّ إنْ كانَتْ لكُما حَاجَةٌ بَنْفُسَيْكُمَا .

فالتَفَتْ مُصْعَبُ الى أُسَيْد بوَجْهِهِ المُشْرِقِ بنُورِ الايْمَانِ وَخَاطَبَهُ بلهْجَتِه الصَّادِقةِ وَقالَ لهُ يا سَيَّدَ قَوْمِه هَلْ لكَ في خَيْرٍ مِنْ ذلكَ قالَ وما هُوَ قالَ تجْلِسُ إليْنَا فتَسْمَعَ مِنَّا فإنْ رَضِيْتَ مَا قُلنَاهُ قَبلْتَهُ وانْ لم تَرْضَهُ تحَوَّلنَا عنْكُم وَلم نعُدْ إليكم فقالَ أسَيْدُ لقَدْ أنْصَفْتَ وَرَكزَ رُمْحَهُ في الأَرْضِ وجَلَسَ .

فأقْبلَ عليه مُصْعَبُ يَذْكُرُ لَهُ حَقِيْقةَ الاسْلام ويَقْرَأُ عليْهِ شَيْئاً مِنْ آيَاتِ القُرْآنِ فأشْرَقَتْ أَسَارِيْرُهُ وَأشْرَقَ وَجْهُه وَقالَ مَا أحْسَنَ هذا الذِي تقُولُ وما أجْمَلَ الذي تَتْلُوْ كيْفَ تصْنَعُونَ إذَا أرَدْتُم الدُّخُولَ في الاسْلام .

فقَالَ مُصْعَبُ تَغْتَسِلُ وتُطَهِّرْ ثِيَابَك وَتَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهَ وأنَّ مُحمَّداً رَسُولَ اللهِ وتُصَلي رَكْعَتينِ فقَامَ إلى البئرِ فتَطهَّرَ بمَائِهَا وشَهِدَ أنْ لا الهَ الا اللهُ وأن مُحمّداً رسُولَ اللهِ وصَلى رَكعَتينِ فَانْضَمَّ في ذلكَ اليوم إلى كَتَائِبِ الاسْلامِ .

وَكَانَ فَارِساً قَارِئاً كَاتِباً في مُجْتَمع نَدَرَ فيهِ مَنْ يَقْرَأُ أو يَكْتُبُ وَكَانَ اسْلامُه سَبباً في اسْلامِ سَعْدِ بْنِ مُعاذٍ وَكَانَ إسْلامُهُما سَبباً في أَنْ تُسْلِمَ جمُوعُ كثْيَرَةٌ مِنْ الأوْسِ وَأنْ تُصْبِحَ المَدِيْنَة مُهَاجرَاً لأصْحَابِ رسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ ومَوْئِلاً وقَاعِدَةً لِدَوْلَةِ الإسْلام العُظْمَى .

وقد أُوْلِعَ أُسَيْدُ بنُ الحُضَير بالقُرْآنِ مُنْذُ سَمعَهُ مِنْ مُصْعَب ابْنِ عُمَيْرٍ وَلَعَ المُحِبِّ بحَبِيْبِهِ وَأقبَلَ عليْهِ إقْبالَ الظَّامِيء على المَوْرِدِ العَذْبِ في اليَوْمِ القَائِضْ وجَعَلَهُ شُغْلَهُ الشَّاغِلَ فكَانَ لا يُرى إلاَّ مُجَاهِداً غازِياً في سَبيْل اللهِ أو عَاكِفاً يَتْلوُ كِتابَ اللهِ .

وكانت تَطِيْبُ لهُ القِرَاءةُ أَكثَر مَا تَطِيبُ إِذَا سَكنَ الليْلُ وَنَامَتْ العُيونُ وصَفَتْ النُفُوسُ وكانَ الصَّحَابةُ يتَحَيَّنُونَ أوْقاتَ قِرَاءَته وَيتسَابقُون إلى سَمَاع تِلاوَتِه وقَدْ اسْتَعْذبَ أَهْلُ السَّمَاءِ قِرَاءتَهُ كمَا اسْتَعْذبَها أهْلُ الارْضِ .

ففِي جَوْفِ لَيْلةٍ مِنْ الليَالِيْ كانَ أسَيْدُ بنُ الحُضَيْرِ جَالِساً في مِربَدِه وابنُه يَحْيَى نَائِمٌ إلى جَانِبه وفَرَسُهُ قد أَعدَّها لِلْجِهَادِ في سَبيل اللهِ مُرْتَبَطة غَيْرُ بَعِيْدةٍ عنهُ وكانَ الليْلُ سَاجِيَا فَتَاقتْ نَفْسُ أسَيْدِ بْنِ الحُضَيْرِ لِلْقِرَاءةِ .

فشَرعَ يَقرَأُ ﴿ألم ذَلكَ الكتابُ لا رَيْبَ فيهِ هُدىً للْمُتَّقينَ . الذِينَ يُؤ مِنُونَ بالغَيْبِ ويُقيمُونَ الصَّلاةَ ومِمَّا رَزقناهُم يُنْفقُونَ وَالذِينَ يؤ مِنُونَ بمَا أنزلَ اليْك ومَا أُنزلَ منْ قَبْلِكَ وبالآخِرَةِ هُم يُوْقِنونَ﴾ .

فإذا بِهِ يسْمَعُ فَرَسَهُ وَقَدْ جالَتْ جَوْلَةً كادَتْ تُقَطِّعُ بسَبَبِهَا رِباطَهَا فسَكتَ فسَكَنَتْ الفَرسُ وَقَرَّتْ فعَادَ يَقْرَأُ « أوْلئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِم وَأُوْلَئِكَ هُم المفْلِحُونَ » فَجَالَتْ جَوْلَةً أشَدَّ مِنْ التي قَبْلَها فسَكتَ فَسَكَنَتْ فخافَ على ابْنِهِ يَحْيَى أنْ تَطَأهُ .

فمَضَى إليه لِيُوقِظَهُ وهُنَا حَانَتْ مِنه التِفَاتةٌ نحْوَ السَّمَاءِ فَرَأى غمَامَةً كالمِظَّلةِ لَمْ تَرَى العَيْنُ أرْوَعَ وَلا أَبْهَى منهَا قَطُّ وقد عُلِّقَ بهَا أمْثالُ المَصَابِيح فمَلأتِ الآفاقَ ضِيَاءً وسَنَاءً وهِيَ تَصْعَدُ إِلىَ السَّمَاءِ حَتَّى غَابَتْ عَن عَيْنَيْهِ .

فلمَّا أَصْبَحَ مَضَى إلى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلمَ وَقَصَّ عليْهِ خبَرَ

مَا رَأى فقَالَ لَهُ صلى اللهُ عليه وسَلم تِلْكَ الملائِكةُ تَسْتَمِعُ لَكَ يَا أُسَيْدُ وَلَوْ أَنَّكَ مَضَيْتَ في قِرَاءتِكَ لرَآهَا النَّاسُ ، وَكانَ يُحِبُّ الرَّسُولَ صلى اللهُ عليه وسلم حُبّاً شَدِيْدَاً وَكانَ كثِيراً ما يَتَمَنَّى أنْ يَمسَّ جسَدُهُ جَسَدَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلمَ .

وَقَدْ أُتِيْحَ لَهُ ذَلِكَ مَرَّةً فَفِي ذَاتِ يَوْمٍ كَانَ أُسَيْدُ يُطْرِفُ النَّاسَ بِمُلَحِهِ فغَمَزَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم في خاصِرَتِه بِيَدِهِ كأنهُ يَسْتَحْسِنُ ما يقُولُ فقَالَ أُسَيْدٌ أَوْجَعْتَنِي يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ اقْتَصَّ مِنِّيْ ، فقالَ أُسَيْدٌ إنَّ عَلَيْكَ قَمِيْصاً وَلَمْ يَكُنْ عَليَّ قَمِيْصٌ حِيْنَ غَمَزْتَنِيْ .

فَرَفَعَ صلى اللهُ عليهِ وَسَلَّم قَمِيْصَه عنه فاحْتَضَنَهُ أُسَيْدُ وَجَعَلَ يُقبلُ ما بَيْنَ ابْطِهِ وَخَاصِرَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّيْ يَا رَسُولَ اللهِ إنها لَبُغيَتِيْ كُنْتُ أَتَمَنَّاهَا مُنْذُ عَرَفْتُكَ وَقَد بَلَغْتُها الآنَ .

وكانَ صلى اللهُ عليه وسَلمَ يُبادِلُ أُسَيْداً حُبّاً بِحُبٍّ وَيَحْفَظُ لَهُ سَابِقَتَه في الإِسْلام وذَوْدَهُ عنه يومَ أُحُدٍ حتَّى إنهُ طُعِنَ سَبْعَ طَعَناتٍ مُمِيْتاتٍ في ذلكَ اليَوْمِ .

وكان صلى اللهُ عليه وسلم يَعْرِفُ لَهُ قَدْرَهُ وَمَنْزِلَتَه في قَوْمِه فإذا شفعَ في أَحَدٍ مِنْهُم شَفَّعَهُ فيه حَدَّثَ أسَيْدٌ قالَ جِئْتُ إلى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلمَ فذكَرْتُ لَهُ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ الأنْصَارِ فيهم حَاجَة وَجُلُّ ذَاكَ البَيْتِ نِسْوَةٌ .

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لقد جِئْتَنَا يَا أُسَيْدُ بَعْدَ أَنْ أَنْفَقْنَا مَا بِأَيْدِيْنَا فإذا سَمِعْتَ بِشَيْءٍ قد جَاءنا فاذكُرْ لَنَا أَهْلَ ذَلِكَ البَيْتِ :

فَجَاءَهُ بعد ذَلِكَ مَالٌ مِنْ خَيْبَر فقَسَمْهُ بَيْنَ المسلمِينَ فَأَعْطَى الأَنْصَارَ وَأَجْزَلَ وَأَعْطَى أَهْلَ ذَلِكَ البَيْتِ وَأَجْزَلَ فَقُلْتُ لَهُ جَزَاكَ اللهُ عَنْهُم خيراً يا نَبيَّ اللهِ فَقَالَ وَأَنْتُم مَعْشَر الأَنْصَارِ جَزَاكُمْ اللهُ أَطْيَبَ الجَزاءِ فإنكمُ ما عَلِمْتُ أَعِفَّةٌ صُبَّرٌ وَإِنكُم سَتَلقَونْ أَثَرَةً بَعْدِي فَاصْبرُوا حتَّى تَلْقَوْنِيْ وَمَوْعِدُكم الحَوْضُ .

قَالَ أُسَيْدُ فَلَمَّا آلَتْ الخِلاَفَةُ إلى عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَسَّمَ بَيْنَ المسْلِمينَ مُالاً وَمُتاعاً فَبَعَثْ إِلَيَّ بِحُلَّةٍ فاسْتَصْغَرْتُهَا فَبَيْنَمَا أَنا في المسْجِدِ إِذْ مَرَّ بِيْ شَابٌّ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَيْهِ حُلةٌ سَابِغَةٌ مِنْ تِلْكَ الحُلَلِ التِي أَرْسَلَهَا إليَّ عُمَرَ وَهُوَ يَجُرُّهَا عَلى الأَرْضِ جَرًّا .

فَذَكَرْتُ لِمَنْ مَعِيْ قَولَ رَسُولِ الله صلى اللهُ عليه وسَلم إِنَّكُم سَتَلقَونَ أَثرَة مِنْ بَعْدِيْ وقلتُ صَدَقَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلم فإنْطَلقَ رَجُلٌ إلى عُمرَ وأخبَرَهُ بِمَا قُلتُ فَجَاءنِيْ مُسْرِعاً وَأَنا أُصَلِّي فَقَالَ صَلِّ يَا أُسَيْدُ فلمّا قَضَيْتُ صَلاَتِي أَقبَلَ عليَّ وَقَالَ مَاذَا قُلْتَ ؟ .

فَأَخْبَرْتُه بِمَا رَأَيْتُ وَبِمَا قُلْتُ فَقَالَ عَفَا اللهُ عَنْكَ تِلْكَ حُلَّةٌ بَعَثْتُ بِهَا إلى فُلاَنٍ وَهُوَ أَنْصَارِيٌ عَقَبِيٌ بَدْرِيّ أُحُدِيّ فشَرَاهَا منهُ هَذَا الفتَى القُرَشِيّ وَلَبِسَها فقالَ أسَيْدُ بنُ الحُضَيْرِ وَاللهِ يَا أَميرَ المؤمنينَ لقد ظَنَنتُ أَنّ ذلكَ لاَ يَكُونُ في زمَانِكَ وَلَمْ يَعِشْ أُسَيْدٌ بعدَ ذلك طَوِيْلاً فَقَدْ اخْتَارَهُ اللهُ إلى جِوَاره في عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله

ولشيخنا عبد الرحمن الناصر السعدي رحمه الله

وَكُنْ ذَاكِراً لِلّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
فَلَيْسَ لِذِكْرِ الله وَقْتٌ مُقَيَّدُ

فَـذِكْـرُ إلـهِ الْعَـرْشِ سِـرّاً وَمُـعْلِنَـاً
يُـزِيْـلُ الشَّقَـا والهَـمَّ عَنْـكَ وَيَـطْرُدُ
وَيَـجْـلِبُ لِـلْخَـيْـرَاتِ دُنْياً وَآجِـلاً
وَإِنْ يَـأْتِكَ الـوَسْـوَاسُ يَـوْمـاً يُشَـرِّدُ
فَقَـدْ أَخْبَـرَ المُخْتَـارُ يَـوْمـاً لِصَحْبِـهِ
بِـأَنَّ كَثِيْرَ الـذِّكْـرِ في السَّبْقِ مُفْـرَدُ
وَوَصَّـى مُـعَـاذاً يَـسْـتَـعِـيْـنُ إِلٰـهَـهُ
عَلَى ذِكْـرِهِ وَالشُّكْـرِ بـالحُسْنِ يعبـد
وَأَوْصَـى لِشَـخْصٍ قـد أَتَى لِنَصِيْحَـةٍ
وَقَـد كَـانَ في حَمْـلِ الشَّرَائِـعِ يَجْهَـدُ
بـأنْ لا يَـزَلْ رَطْبـاً لِسَـانُـك هـذه
تُـعِيْـنُ عَـلى كُـلِّ الأُمُـورِ وَتُـسْـعِـدُ
وَأخْـبَـرَ أَنَّ الـذِّكْـرَ غَـرْسٌ لِأَهْـلِهِ
بِجَنَّـاتِ عَـدْنٍ وَالـمَسَـاكِـنُ تُـمْـهَـدُ
وَأَخْـبَـرَ أَنَّ الـلهَ يَـذْكُـرُ عَـبْـدَهُ
وَمَـعْـهُ عَـلى كُـلِّ الأُمُـورِ يُـسَـدِّدُ
وَأَخْـبَـرَ أَنَّ الـذِّكْـرَ يَبْـقَى بِـجَنَّـةٍ
وَيَـنْـقَـطِعُ الـتَّـكْـلِـيْـفُ حِـيَنْ يُخَـلَّدُ
وَلَـوْ لَمْ يَـكُـن في ذِكْـرِهِ غَـيْرُ أَنَّـهُ
طَـرِيْـقٌ إلى حُـبِّ الإلٰـهِ وَمُـرْشِـدُ
وَيَـنْهَى الـفَتَى عَـنْ غِـيْـبَـةٍ وَنَمِيْـمَـةٍ
وَعَـنْ كُـلِّ قَـوْلٍ لِـلدِّيَـانَـةِ مُـفْـسِـدُ

لَـكَـانَ لَـنَـا حَظٌّ عَـظِيْـمٌ وَرَغْـبَـةٌ
بِـكَـثْـرَةِ ذِكْـرِ الـلهِ نِـعْـمَ الْمـوَحِّـدِ
وَلَـكِـنَّـنَـا مِـنْ جَـهْـلِنَـا قَـلَّ ذِكْـرُنَـا
كَـمَا قَـلَّ مِـنَّـا لِـلإلَـهِ الـتَّـعَـبُّـدُ

اللهُمَّ أَذِقْنَا عَفْوَكَ وَغُفْرَانَكَ وَاسْلُكْ بِنَا طَرِيْقَ مَرْضَاتِكَ . وَعَامِلْنَا بِلُطْفِكَ وَاحْسَانِكْ وَاقْطَعْ عَنَّا مَا يُبْعِدُ عَنْ طَاعَتِكَ اللهُمَّ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَيَسِّرْ لنا مَا يَسَّرْتَهُ لِأَوْلِيَائِك وَاغْفِرْ لنا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والميتِيْن بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

قصـة أبي الـدرداء

أَبُو الدَّرْدَاءِ كُنْيَةُ عُوَيْمِر بن مَالك الخَزْرَجيّ ومِن قصته أنه كان له صَنمٌ نَصَبَه في أَشْرَفِ مَكانٍ مِن بَيْتِه فنَهَضَ إليه يَوْماً فَحَيَّاهُ وَضَمَّخَهُ بأنْفَس مَا حَواهُ مَتْجَرُه الكبِيرِ مِنْ الطِّيْبِ ثم أَلْقَى عليهِ ثَوْباً جَدِيْداً من فاخِرِ الحَرِيْرِ .

وَلَمَّا ارْتَفَعتْ الشَّمْسُ غَادَرَ أَبُو الدَّرْدَاءِ مَنْزِلَهُ يُرِيْدُ الذَّهَابَ إلى مَحَلِّ تِجارَتِه فإذا شَوَارِعُ المَدِيْنَةِ وَطُرُقاتُها تَضِيْقُ بِأَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسَلم وَهُمْ عَائِدُونَ مِنْ بَدْرٍ وَأَمَامَهم أفْوَاجُ الأَسَرَاءِ مِنْ قُرَيْشٍ .

فَأَعْرَضَ أَبُو الدَّرْدَاءِ عَنْهُم وَأَقْبَلَ على فَتىً مِنْهُم وَسَأَلَهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ فَطَمْنَهُ الفتىَ عَلَيْهِ لِمَا كَانَ يَعْلَمُه مِنْ الصَّدَاقَةِ بَيْنَهُما في الجَاهِلِيَّةِ .

فَلَمَّا جَاءَ الاسْلامُ بَادَرَ إليه عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَظَلَّ أَبُو الدَّرْدَاءِ على شِرْكِه وَلَمْ يَقْطَعْ ابْنُ رَوَاحَةَ الصِّلَةَ التي بَيْنَهُما بَلْ ظَلَّ يَتَعَهَّدُه بالزِّيارَةِ وَيَدْعُوهُ إلى الإِسْلامِ وَيَحُثُّهُ عَلَيْهِ وَيُرَغِّبُهُ فِيْهِ .

وَعِنْدَمَا وَصَلَ أبُو الدَّرْدَاءِ إلىَ مَتْجَرِه يَبِيْعُ وَيَشْتَرِيْ اتَّجَهَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ إلى مَنْزِلِ أَبِي الدَّرْدَاءِ فلماَّ وَصَلَهُ رَأى أُمَّ الدَّرْدَاءِ في الفِنَاءِ - أي سَاحَةِ البَيْتِ - فقالَ السَّلامُ عَلَيْكِ يَا أَمَةَ اللّهِ فقالَتْ وَعَلَيْكَ السَّلامُ يَا أخا أبا الدَّرْدَاءِ .

فَقَالَ أَيْنَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فقالَتْ ذَهَبَ إلى مَتْجَرِه فَقَالَ أَتَأْذَنِيْنَ فَقَالَتْ عَلى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ وَأَفْسَحَتْ لَهُ الطَّرِيْقَ وَمَضَتْ إلى حُجْرَتها وَانْشَغَلَتْ عَنْهُ باصْلاحِ شَأْن بَيْتِهَا وَرِعَايَةِ أَطْفَالِهَا .

دخلَ عبدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ إلى الُحجْرَةِ التي وَضَعَ فِيْهَا أَبُو الدَّرْدَاءِ صَنَمَهُ وَأَخْرَجَ قَدُّوْماً أَحْضَرَهُ مَعَهُ وَمَالَ إلى الصَّنَمِ وَقَطَّعَهُ بِهِ وَكَسَّرهُ وَهُوَ يَقُولُ أَلاَ كُلُّ مَا يُدْعَى مَعَ اللهِ بَاطِلُ .

ثمّ غادَرَ البَيْتَ ثُمَّ دَخَلَتْ أُمُّ الدَّرْدَاءِ إلىَ الُحجْرَةِ التيْ فِيْهَا الصَّنَمُ فَرَأَتْهُ مُكسّراً عَلى الأَرْضِ فَقَالَتْ أَهْلَكْتَنِي يَا ابْنَ رَوَاحَةَ .

وَلَمَّا عَادَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَأَى امْرَأَتَهُ جالِسَةً عِنْدَ بَابِ الُحجْرَة التيْ فِيْهَا الصَّنَمُ وَهِيَ تَبْكِي خَائِفةً منه فقالَ مَا شَأْنُكِ قالتْ أَخُوكَ عبدُ اللّهِ بنُ رَواحَة جاءنَا في غَيْبَتِكَ وَكَسَرَ الصَّنَمَ .

فَنَظَرَ إلى الصَّنَم فوَجَدَهُ حُطَاماً فَغَضِبَ وَهَمَّ أَنْ يَسْتَنْصِرَ لَهُ لَكِنَّهُ مَا لَبِثَ إلاَّ قَلِيْلاً حَتىَّ سَكَتَ غَضَبُه ثمَّ قالَ لَوْ كانَ في الصَّنَمِ خيرٌ لَدَفَعَ عَنْهُ الأَذى .

ثُمَّ انْطَلَقَ فَوْراً إِلَى ابْن رَوَاحَةَ وَمَضَيَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلَمَ وَأَعْلَنَ دُخُولَهُ في الإِسلَام وَنَدِمَ نَدماً كَبيْراً على مَا فَاتَهُ مِنْ خَيرٍ وَأَدْرَكَ ادْرَاكاً عَمِيْقاً مَا سَبَقَهُ إليه أَصْحَابُهُ مِنْ فِقْهٍ لِدِيْنِ اللهِ وَحِفْظٍ لِكِتَابِ اللهِ وَعِبَادَةٍ وَتَقْوَى ادَّخَرُوهُمَا لأَنْفُسِهم عِنْدَ اللّهِ .

فَعَزَمَ عَلى أَنْ يَسْتَدْرِكَ مَا فَاتَهُ بالجُهْدِ الجَاهِدِ وَأَنْ يُوَاصِلَ كَلالَ اللَيْلِ بِكَلَالِ النَهَارِ حَتىَّ يَلْحَقَ بالرَّكبِ فانْصَرَفَ إِلى العِبَادَةِ انْصِرَافَ مُتَبَتِّلٍ - أَيْ مُنْقَطِعٌ عَنْ الدّنْيَا - وَأَقْبَلَ عَلى العِلْمِ اقْبَالَ الظَّمْآنِ وَأَقْبَلَ عَلى كِتَابِ اللهِ يَحْفَظُ كَلِمَاتِهِ وَيَتَعَمَّقَ في فَهْمِ آيَاتِهِ .

وَلَمَا رَأَىٰ التِّجَارَةَ تُنَغِّصُ عليهِ لَذَّةَ العِبَادَةِ وَتُفَوِّتُ عليْهِ مَجَالِسَ العِلْم تَرَكَهَا غَيرْ مُتَرَدِّدٍ وَلَا آسِفٍ، وقد سَأَلَهُ عن ذلك سَائِلٌ فَأَجَابَ لَقَدْ كُنْتُ تاجِراً قَبْلَ عَهْدِي بِرَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلمَ فلماَّ أَسْلَمْتُ وَدِدْتُ أَنْ أَجْمَعَ بيَن التِّجَارَةِ وَالعِبَادَةِ فَلَمْ يَسْتَقِمْ لِي مَا أَرَدْتُ فَتَرْكْتُ التِّجَارَةَ وَأَقْبَلْتُ عَلى العِبَادَةِ .

ثُمَّ التفتَ إلى سَائِلِهِ وَقَالَ إِنيِّ لا أَقُولُ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ البَيْعَ وَلَكِنيِّ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ مِن الذِيْنَ لَا تُلْهِيْهِمْ تِجَارَةٌ ولا بَيْعٌ عن ذِكر اللهِ وَلَمْ يَتْرُكْ أَبُو الدَّرْدَاءِ التِّجَارَةِ فَحَسْبُ وَإِنَّمَا تَرَكَ الدنيا وَأَعْرَضَ عَن زِيْنَتِهَا وَزُخْرُفِهَا وَاكْتَفَى مِنَهْا بِلُقْمةٍ خَشِنَةٍ تُقِيْمُ صُلبَهُ وَثَوبٍ صَفِيْقٍ يَسْترُ بِهِ جَسَدَهُ .

وفي يَوْمٍ مَا نَزَلَ عليه جَمَاعَة في لَيْلةٍ بَارِدَةٍ فَأَرْسَل إليهم طَعَاماً سَاخِناً ولم يَبْعَثْ إِلَيْهِم لُحُفاً فلماَّ أَرَادُوا النَّوْمَ جَعلُوا يَتَشَاوَرُونَ في أَمْرِ طَلَبِ اللُّحُفِ لَهُم فَقَالَ وَاحِدٌ مِنُهْم أَنا أَذْهَبُ إِليْهِ وَأُكَلِّمُهُ .

فَقَالَ لَهُ آخَرُ دَعْهُ فَأَبَى وَمَضَى حَتَّى وَقَفَ على بَابِ الْحُجْرَةِ فرآهُ قد اضْطَجَعَ وامْرَأَتُه جَالِسَة قَرِيْباً مِنْهُ لَيْسَ عَلَيْهَا ولا عَلَيْهِ إِلَّا ثَوبٌ خَفِيفٌ لَا يَقِيْ مِنْ حَرٍّ ولا يَدْفَعُ البَرْدَ .

فقالَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ مَا أَرَاكَ بِتَّ إِلَّا كَمَا بِتْنَا أَيْنَ مَتَاعُكُمْ فَقالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَنَا دَارٌ هُنَاكَ نُرْسِلُ إِلَيْهَا تِبَاعاً كُلَّ مَا نَحْصُلُ عَلَيْهِ مِنْ مَتَاعٍ وَلَوْ كُنَّا اسْتَبْقَيْنَا فِي هَذِهِ الدَّارِ شَيْئاً لَبَعَثْنَا بِهِ إِلَيْكُم .

ثُمَّ إِنَّ فِي طَرِيْقِنَا الذِي نَسْلُكُه إِلى تِلْكَ الدَّارِ عَقَبَةٌ كَؤُودٌ الْمخِفُّ فِيْهَا خَيْرٌ مِنْ المثقِلِ فأرَدْنا أَنْ نُخَفِّفَ مِنْ أَثْقَالِنَا لَعَلَّنَا نَجْتَازُ ، ثُمَّ قَالَ أَفَهِمْتَ فَقَالَ نَعَمْ فَهِمْتُ وَجُزِيْتَ خَيْراً .

وفي خِلافَةِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عنه أَرَادَ مِنْ أبي الدَّرْدَاءِ أَنْ يَلِي لَهُ عَملاً في الشَّام فأبَى فَأَصَرَّ عَلَيْهِ فَقَالَ إِذَا رَضِيْتَ مِنِّيْ أَنْ أَذْهَبَ إِلَيْهِم لأُعَلِّمَهُم كِتَابَ رَبِّهم وَسُنَّةَ نَبِيِّهِم وَأُصَلِّيْ بِهِم ذَهَبْتُ .

فَرَضِى مِنْهُ عُمَرُ بِذَلِك وَمَضَى هُوَ إلى دِمَشْقَ فلمَّا بَلَغَهَا وَجَدَ النَّاسَ قد أُوْلِعُوا بالتَّرَفِ وَانْغَمَسُوا في النَّعِيْمِ فَهَالَهُ ذَلِكَ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى المَسْجِدِ فَاجْتَمَعُوا عليه فَوَقَفَ فِيْهِمْ .

وَقَالَ يَا أَهْلَ دِمَشْقَ أَنْتُمْ الإِخْوَانُ في الدِّيْنِ وَالجِيْرَانُ في الدَّارِ وَالأَنْصَارُ عَلى الأَعْدَاءِ يَا أَهْلَ دِمَشْقَ مَا الذِيْ يَمْنَعُكم مِنْ مَوَدَّتِيْ وَاسْتِجَابَةَ لِنَصِيْحَتِيْ وَأَنا لَا أَبْتَغِيْ مِنْكُم شَيْئاً فَنَصِيْحَتِيْ لَكُم وَمؤُنَتِيْ عَلى غَيْرِكُم .

مَالِيْ أَرَى عُلَمَاءَكُم يَذْهَبُونَ وَجُهَّالَكُم لَا يَتَعَلَّمُونَ وَأَراكُم قَدْ أَقْبَلْتُم على مَا تَكَفَّلَ اللهُ لَكُمْ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَرَكْتُم مَا أُمِرْتُمْ بِهِ مَالِيْ

أَرَاكُم تَجْمَعُونَ مالا تَأْكُلُوْنَ وَتَبْنُونَ مَالاَ تَسْكُنُونَ وَتُؤَمِّلُونَ مالا تَبْلُغُونَ .

لَقَدْ جَمَعَتْ الأَقْوَامُ التِيْ قَبْلَكُم وَأَمَّلَتْ فَمَا هُوَ إلَّا قَلِيْلٌ حَتَّى أَصْبَحَ جَمْعُهم بُوْرَا وَأَمَلُهُم غُرُورَا وَبُيُوتُهم قُبُورَا هَذهِ عَادٌ يَا أَهْلَ دِمَشْق قَد مَلأتْ الأرْض مَالاً وولداً فَمَنْ يَشْتَرِيْ مِنِّي تِركَة عادٍ بِدِرْهَمَيْن .

فَجَعَلَ النَّاسُ يَبْكُونَ حَتَّى سُمِعَ نَشِيْجُهم مِنْ خَارِجِ المَسْجِدِ .

وَمُنْذُ ذلكَ اليَوْم طَفِقَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَؤُمُّ مَجَالِسَ القَوْمِ في دِمَشْقَ وَيَطُوفُ أَسْوَاقَهُم فَيُجِيْبُ السَّائِلَ وَيُعَلِمُ الجَاهِلَ وَيُنَبِّهُ الغَافِلَ مُغْتَنِماً كُلَّ فُرْصَةٍ مُسْتَفِيْدَاً مِنْ كلِّ مُنَاسَبَةٍ .

وَمَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ بِجَمَاعَةٍ قَدْ تَجَمْهَرُوا عَلى رَجُلٍ وَجَعلُوا يَضْرِبُونَهُ وَيَشْتُمونَهُ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِم وَقَالَ مَا الخَبَرُ قَالُوا رَجُلٌ وَقَعَ في ذَنْبٍ كَبِيْرٍ قَالَ أَرَأَيْتُم لَوْ وَقَعَ في بِئْرٍ أَفَلا تَكُونُوا تَسْتَخرجُونَه مِنْهُ قالُوا بَلى .

قَالَ لَا تَسُبُّوهُ وَلَا تَضْرِبُوه وَإِنَّما عِظُوْهُ وَبَصِّرُوه وَاحْمَدُوا اللهَ الذِيْ عَافَاكُم مِنْ الوُقوع في ذَنْبِهِ ، قالُوا أَفَلَا تُبْغِضُهُ قالَ إِنَّمَا أُبْغِضُ فِعْلَهُ فإذَا تَرَكَهُ فهُو أَخِيْ فَأخَذَ الرَّجُلُ يَنْتَحِبُ وَيُعْلِنُ تَوْبَتَهُ .

وَجَاءَ شَابٌّ إلى أَبِيْ الدَّرْدَاءِ يَقُولُ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ أَوْصِنِيْ فَيَقُولُ لَهُ يَا بُنَيَّ اذْكُرْ اللهَ في السَّراءِ يَذْكُرْكَ في الضَّرَّاءِ يَا بُنيَّ كُنْ عَالماً أو مُتَعَلِّماً أو مُسْتَمِعاً وَلَا تَكُنْ الرَّابعَ فَتَهْلَكَ .

يَا بُنَيَّ لِيَكُنْ المَسْجدُ بَيْتُكَ فإنِيْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ يَقُولُ : « المسَاجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيِّ وَقَدْ ضَمِنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ

لِمَنْ كَانَتْ المَسَاجِدُ بُيُوتَهُم الرَّوْحِ والرَّحْمَةَ وَالجوازَ ـ أي المُرُورَ ـ عَلى الصِّراطِ إلى رِضْوَانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وفي أَثْنَاءِ إقَامَة أبي الدَّرْادَاءِ بِدِمَشْق بَعثَ إِلَيْهِ وإِلَيْها مُعَاوِيَةُ بنُ أبي سُفْيَانَ يَخْطُبُ إِبْنَتَهُ الدَّرْدَاءَ لإِبْنِهِ يَزِيْدُ فَأَبى أَنْ يُزَوِّجَها لَهُ وَأَعْطَاها لِشَابٍّ مِنْ عَامَّةِ المُسْلِمِيْنَ رَضِيَ دِيْنَه وَخُلقَهُ .

فَسَارَ ذَلِكَ في النَّاسِ وَجَعَلُوا يَقُولُونَ خَطَبَ يَزِيْدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بِنْتَ أَبِيْ الدَّرْدَاءِ فَرَدَّهُ وزَوَّجَها لِرَجُلٍ مِنْ عَامَّةِ المُسْلِمِيْنَ .

فَسَأَلَ أَبَا الدَّرْدَاءِ سَائِلٌ عن سَبَبِ ذَلِك فَقَالَ إِنَّمَا تَحَرَّيْتُ فِيْمَا صَنَعْتُه صَلاحَ أَمْرِ الدَّرْدَاءِ فقالَ السَّائلُ وَكَيْفَ ذلك فقالَ ما ظَنُّكُم بالدَّرْداءِ إذا قامَ بينَ يَدَيْهَا العَبِيْدُ يَخْدِمُونَهَا وَوَجَدَتْ نَفْسَها في قُصُورٍ يَخْطِفُ لأَلأَؤُهَا البَصَرَ أَيْنَ يُصْبِحُ دِيْنُهَا يَوْمَئِذٍ .

وفي خِلالِ وُجُودِ أبي الدَّرْدَاءِ في بلادِ الشَّام قَدِمَ عليهِ أَمِيرُ المُؤمنِينَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ مُتَفَقِّداً أَحْوَالِهَا فزارَ صَاحِبَهُ أبا الدَّرْدَاءِ في مَنْزِلهِ لَيْلاً فَدَفَعَ البَابَ فَإِذَا لَيْسَ غَلَقٌ فَدَخَلَ في بَيْتٍ مُظْلِمٍ لاَ ضَوْءَ فِيْهِ .

فَلَما سَمِعَ أَبُو الدَّرْدَاءِ حِسَّهُ قَامَ إليهِ وَرَحَّبَ بِهِ وَأَجْلَسَهُ وَأَخَذَ الرَّجُلان يَتَفَاوَضَانِ الأَحَادِيْثَ والظَّلامُ يَحْجِبُ كُلاَّ مِنْهُمَا عَنْ عَيْنَيْ صَاحِبِه .

فَجَسَّ عُمَرُ وِسَادَةَ أَبِيْ الدَّرْدَاءِ فإذا هِيَ بَرْذَعَةٌ ـ كِسَاءٌ يُلْقَى على ظَهْرِ الدَّابَّةِ ـ وَجَسَّ فِرَاشَهُ فإذا هُوَ حَصَى وَجَسَّ دِثَارَهُ ـ غِطَاءَهُ ـ فإذا هُوَ كِسَاء رَقِيْقٌ لاَ يَقِيْ شَيْئاً في البَرْدِ في دِمَشْقَ .

فقالَ لَهُ رَحِمكَ اللهُ أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ أَتذْكُرُ يَا عُمَرُ حَدِيْثاً حَدَّثَنَاهُ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ قالَ أيُّ حَدِيْثٍ قَالَ أَلَمْ يَقُلْ لِيَكُنْ بَلاَغُ أَحدِكُمْ مِنْ الدّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ .

قالَ بَلَىٰ قَالَ فَمَاذَا فعلنَا بَعْدَه يا عُمرُ فَبكَى عُمَرُ وَبَكَى أَبُو الدَّرْدَاءِ وَمَا زالا يَتجَاوَبَانِ بالبُكاءِ حَتَّى طَلَعَ عليهما الصُّبْحُ .

ظَلَّ أَبُو الدَّرْدَاءِ فِي دِمَشْقَ يَعِظُ أَهْلَهَا وَيُذَكِرُهم وَيُعَلِمُهم الكِتَابَ وَالحكْمَةَ حَتَّى أَتَاهُ اليَقِيْنُ .

وَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَ المَوْتِ دَخَلَ عليهِ أَصْحَابُه فَقَالُوا مَا تَشْتَكِي قَالَ ذُنُوبِي قَالُوا وَمَا تَشْتَهِي قَالَ عَفْوَ رَبِّي ثم قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ لَقِّنُونِيْ لا إِلَهَ إلاَّ الله مُحَمَّد رَسُولُ اللهِ فَمَا زَالَ يُرَدِّدُهَا حَتَّى فَارَقَ الحَيَاةَ .

وَلَمَّا لَحِقَ أَبُو الدرداءِ بجوَارِ رَبِّهِ رَأى عَوْفُ بنُ مَالِكٍ الأَشْجَعِيّ فِيْمَا يَرَى النَّائِمُ مَرْجاً أخْضَر . فَسِيْحَ الأرْجَاءِ وَارِفَ الأَفْيَاءِ فيه قبّةٌ عَظِيْمَةٌ مِنْ أَدَمٍ ـ أَيْ جِلْدٍ ـ حَوْلَهَا غَنَمٌ رَابِضَةٌ لم تَر العَيْنُ مِثْلهَا قطُّ .

فَقَالَ لمن هَذِه فَقِيْلَ لِعَبْدِ الرَّحْمَن بْنِ عَوْفٍ فَطَلَعَ عليه عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ عَوْفٍ مِنْ القُبَّةِ وَقَالَ له يا ابْنَ مالِك هَذا ما أَعْطَانا اللهُ عَزَّ وَجلَّ بالقُرْآن وَلَو أَشْرَفْتَ عَلى هَذِهِ الثَّنِيَّةِ رَأَيْتَ مَا لَمْ تَرَ عَيْنُك وَسَمِعْتَ مَا لَمْ تَسْمَعْ أذُنكَ ولم يَخْطُرْ عَلى قَلْبِكَ فقالَ ابنُ مالكٍ وَلِمَنْ ذَلِكَ كُلهُ يا أبا مُحَمَّدٍ فقالَ أَعَدّهُ اللهُ عزَّ وَجلَّ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ لِأَنَّهُ كانَ يَدْفَعُ عنه الدنيا بالرَّاحَتَيْنِ وَالصَّدْرِ ، انْتهَى من صُوَرٍ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ بِتَصَرُّفٍ يَسِيْرٍ .

اللَّهُمَّ اجْعلنَا لِكِتَابِك مِن التَّالِين وَلَك به مِن العَامِلينَ وبِمَا صَرَّفْتَ فيه مِن الآياتِ مُنْتَفِعين ، وإلَى لَذيذِ خِطَابِه مُسْتَمِعينَ ، ولأوَامِرِهِ ونَواهِيهِ خَاضِعِين

وبالأعمالِ مُخْلِصِين ، واغْفِرْ لَنَا وَلِوالِدينا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمينَ الأَحياءِ مِنْهم والْمِيتِينَ بِرَحْمَتِك يا أَرحمَ الرَّاحِمينَ ، وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلهِ وصَحْبِه أَجْمعِين .

قال بعضهم ناظِماً لِمَا ذكر ابنُ القَيمِ مِنَ مَفَاتيح الخيرِ والشَّر .

حَمِدْتُ الذِيْ يُوْلِي الجَمِيْلَ وَيُنْعِمُ
لَـهُ الفضْلُ يُؤتي مَنْ يَشَاءُ وَيُكْرِمُ
وَأَزْكَى صَلاةِ اللهِ ثمَّ سَلامُهُ
عَلى خيرِ مَخْلُوقٍ عليه يُسَلِّم
مُحَمَّدٍ الهَادِيْ وَأَصْحَابِهِ الأُلَى
بِحُسْنِ اجْتِهادٍ عَلَّمُوا وَتَعَلَّمُوا
وبَعْدُ فقَدْ عَنَّ الوَفَاءُ لِسَائِل
بِوَعْدِيَ إِيَّاهُ بِأَنِّيْ أَنْظِمُ
مَفَاتِيْحَ كَانَتْ لِلشُّرُوْرِ وَضِدُّهَا
فقد فازَ مَنْ بالخَيرِ والشَرِّ يَعْلَمُ
وَأَضْحَى بِمَا يَدْرِيْ مِنَ الحَقِّ عَامِلا
فَكُنْ عَامِلاً بالعِلمِ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ
وَقَدْ جَعَلَ المَوْلَى لَهُنَّ مَفَاتِحاً
تُنَالُ بِهَا وَاللهُ بالحَقِّ أَعْلَمُ
فمِفْتَاحُ شَرْعِيِّ الصَّلاةِ طَهُوْرُنَا
وَيَفْتَحُ حَجّاً مُحْرِمُ حِيْنَ يُحْرِمُ
وَبالصِّدْقِ فَتْحُ البِرِّ وَالعِلْمُ فَتْحُهُ
بِحُسْنِ سُؤَالٍ عن فَتىً يَتَعَلَّمُ

وَمُسْتَحْسَنُ الاصْفَاءِ وَالنَّصْرُ فَتْحُه
مَعَ الظَّفِرَ المَحْمُودِ بالصَّبْرِ فَاعْلَمُوا

وَتَوْحِيْدُنَا لِلهِ مِفْتَاحُ جَنَّةِ النَّ
نعِيْمِ فَبالتَّوْحِيْدِ دِيْنُوا تُنَعَّمُوا

وَبِالشُّكْرِ لِلنَّعْمَاءِ فَتْحُ زِيَادَةً
وَيَحْصُلُ حُبٌّ وَالوِلَايَةَ تُغْنَمُ

بِمِفْتَاحِهِ الذِّكْرِ الشَّرِيْفِ وَذُو التَّقى
يَنَالُ بِتَقْوَاهُ الفَلَاحَ وَيُكْرَمُ

وَمِفْتَاحُ تَوْفِيْقِ الفتَى صِدْقُ رَغْبَةٍ
وَرَهْبَتِهِ ثُمَّ الدُّعَاءُ المُكَرَّمُ

لَدَى اللَّهِ مِفْتَاحُ الإِجَابَةِ وَاعْلَمَنْ
بِأَنَّ جَمِيْلَ الزُّهْدِ لِلْعَبْدِ مَغْنَمُ

وَيُفْتَحُ لِلْعَبْدِ التَّجَلِيّ بِرَغْبَةٍ
بِدَارِ البَقَاءِ فَازْهَدْ لَعَلَّك تَغْنَمُ

وَمِفْتَاحُ إِيْمَانِ العِبَادِ تَفَكّرٌ
بِمَا كَانَ رَبُّ العَالَمِيْنَ دَعَاهُم

إِلَى نَظَرٍ فِيْهِ وَأَنْ يَتَفَكّرُوا
بِهِ وَدُخُولُ العَبْدِ ذَاكَ المُفَخَّمُ

عَلَى رَبِّهِ مِفْتَاحُ ذَاكَ سَلَامَةُ
وَاسْلَامُ قَلْبٍ لِلإِلهِ فَأَسْلِمُوا

وَمَعْ ذَاكَ إِخْلَاصٌ بِحُبِّ وَبُغْضِهِ
وَفِعْلٍ وَتَرْكٌ كُلُّ ذَلِكَ يَلْزَمُ

وَيُحْيِي قُلُوبَ العَارِفِينَ تَضَرُّعٌ
بِأَوْقَاتِ أَسْحَارٍ فَكُنْ أَنْتَ مِنْهُم
كَذَا الوَحْيُ إِذْ يُتْلَى بِحُسْنِ تَدَبُّر
وَتَرْكُ الذنُوبِ فَهِيَ لِلْقَلْبِ تُؤْلِمُ
واحْسَانُ عَبْدٍ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ
وَنَفْعُ العِبَادِ وَالقِيَامُ عَلَيْهِمُ
لإِصْلاحِهِمْ مِفْتَاحُ تَحْصِيْلِ رَحْمَةِ الْـ
إِلهِ فَلازِمْ ذا لَعَلَّكَ تُرْحَمُ
وَمِفْتَاحُ رِزْقِ العَبْدِ سَعْيٌ مَعَ التُّقَى
وَكَثْرَةُ الاسْتِغْفَارِ إِذْ هُوَ مُجْرِمُ
وَمِفْتَاحُ عِزِّ العَبْدِ طَاعَةُ رَبِّهِ
وَطَاعَةُ خَيْرِ المُرْسَلِيْنَ فَعَظِّمُوا
وَمِفْتَاحُ الاسْتِعْدَادُ مِنْكَ لِمَا لَهُ
تَصِيرُ مِنْ الدَّارِ التِيْ هِيَ أَعْظَمُ
هُوَ القَصْرُ لِلآمَالِ وَالخَيْرُ كُلُّه
فَمِفْتَاحُهُ رَغْبٌ مِنْ العَبْدِ يُعْلَمُ
بِمَوْلاَهُ وَالدَّارِ التِي بَعْدَ هَذِه
وَمِفْتَاحُ كُلِّ الشَّرِّ إِنْ كُنْتَ تَفْهَمُ
إِطَالَتُكَ الآمَالَ فَاحْذَرْ غُرُوْرَهَا
وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا التِيْ تَتَصَرَّمُ
وَمِفْتَاحُ نَارِ الخُلْدِ شِرْكٌ بِرَبِّنَا
وَكِبْرُ الفَتَى فَالكِبْرُ حُوْبٌ مُعَظَّمُ

وَاعْـرَاضُـهُ عَـمَّـا عَنْ اللهِ قَـدْ أَتَـى
بِـهِ المُصْطَفَى الهَـادِي النَّبِيُّ المُكَـرَّمُ

وَغَـفْـلَتُـه عَـن ذِكْـرِهِ وَقِـيَـامِـهِ
بِحَقِّ لِـذِي الـعَـرْشِ المَلِيْـكِ يُحَـتِّمُ

وَمِـفْتَـاحُ إِثْـمٍ يُـوْبِقُ الـعَبْـدَ مُسْكِـرٌ
مِنْ الْخَمْـرِ فَـاحْـذَرْهَـا لَعَـلَّكَ تَسْـلَمُ

وَمِفْتَـاحُ ذِي المَقْتِ الـزِّنَـاسَيِّءُ الغِنَـا
وذَلِـكَ قُـرْآنُ الـلَّعِـيْـنِ وَمَـأْثَـمُ

وَاطْـلاَقُ طَـرْفِ الشَّخْصِ مِفْتَـاحُ عِشْقِـهِ
لِمُسْتَحْسَنِ الأَشْبَـاحِ فَـهُـوَ مُحَـرَّمُ

وَبـالكَسَـلِ المَـذْمُـوم مَـعْ رَاحَـةِ الفَتَى
يَخِيْـبُ وَكُـلُّ الخَيْـرِ لاَ شَـكَّ يُحْـرَمُ

وَمِـفْتَـاحُ كُفْـرَانِ الـفَتَـى وَبَرِيْدُهُ
مَعَـاصِيْـهِ وَالعَـاصِي قَـرِيْـبـاً سَيَـنْـدَمُ

وَبَـابُ نِـفَـاقِ الـعَبْـدِ يَـفْتَـحُـهُ إِذَا
يَـكُـونُ كَـذُوبـاً وَالـكَـذُوبُ مُـذَمَّـمُ

وَشُـحُّ الفَتَى وَالحِـرْصُ مِـفْتَـاحُ بُـخْلِهِ
وَمِفْتَـاحُ أَخْـذِ المَـالِ مِنْ حَيْثُ يَـعْلَمُ

بِـأَنْ لَيْسَ حِـلاً مَـعْ قَـطِيْعَـةِ رَحْمِـهِ
وَكُـلُّ ابْتِـدَاعِ فِي الـخَلِيْقَـةِ يُعْـلَمُ

فَمِفْتَــاحُــهُ الاعْــرَاضُ عَمَّــا أتَــى بــهِ
نَــبيُّ الــهُـدَى مِنْ سُــنَّــةٍ نَتَــعَــلَّمُ
وَأَخْـتِمُ قَــوْلِيْ فِي الـقَــرِيْض بِــأَنَّـنِيْ
أصَــلِّيْ عَــلَى خَــيْــرِ الــوَرَى وَأُسَــلِّمُ
وَآلٍ مَــعَ الصَّحْبِ الكِـرَامِ الــذِيْنَ هُمْ
لِـمُـقْـتَبِسٍ عِلْمَ الـشَّــرِيْـعَـةِ أَنْـجُــمُ

وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَسَلَّمَ .

صُوَر مِن حَيَاةِ الرَّسُول صلى الله عليه وسلم

قَالَ في صُورٍ مِنْ حَيَاةِ الرَّسُولِ صلى اللهُ عليه وسلم عِنْدَمَا ذَكَر فَتْحَ مكة كانت مَكَةُ أمُّ القُرَى مَعْقِلَ الوَثَنِيَّةِ في جَزِيْرَةِ العَرَب كلِّها وَكَانَتْ مَجْمَعَ الأَصْنَام وَقِبْلَةَ الأَنْصَارِ وَمَطْمَعَ آمالِ القَبَائِلِ قَرِيْبَهَا وَبَعِيْدِهَا وَكَانَتْ قُرَيْشٌ حَارِسَةَ الكَعْبَةِ وَسَادِنَةَ البَيْتِ وَإِلَيْهَا الرِّيَاسَةُ وَالقِيَادَةُ .

وَكَانَتْ مَنْزِلَةُ القَبَائِلِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ هَذِه النَّاحِيَةِ مَنْزِلَةُ الْمَسُودِ مِنْ السَّيِّدِ وَالتَّابِعِ مِنْ الْمَتْبُوعِ وَمِنْ هُنا كانَتْ القَبَائِلُ مِنْ العَرَب تَنْظُرُ إلى المَعْرَكَةِ الدَّائِرَةِ بيْنَ مُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسلمَ وقريشٍ نَظْرَةَ الجِدِّ والاهْتِمَامِ وَتُتَابِعُ حَرَكاتِهَا وَخُطُوَاتِهَا مُتَابَعةً دَقِيقَةً .

وَكَانَت كُلُّ حَرَكَةٍ مِنْ هَذِهِ الحَرَكَاتِ وَخُطْوَةٍ مِنْ هَذِهِ الخُطَى تَتْرُكُ في اتِّجَاهَاتِ القَبَائِلِ أَثَراً بَارِزاً مِنْ حَيْثُ إِقْبَالِهَا عَلَى الإِسْلام أَوْ إِعْرَاضِهَا عنه وَمِنْ حَيْثُ اجْتِمَاعِهَا لَهُ أَو اجْتِمَاعِهَا عليه .

ومَعَ أَنَّ الحَوادِث وَالمَعَارِكَ الَّتِي وَقَعَتْ في الجَزِيْرَةِ بَيْنَ

المُسْلِمِيْنَ وَقُرَيْش وَبَيْنَ المسلمين واليهُوْدَ وَبَيْنَ المسلمينَ والرُّوم وَبَيْنَ المسلمينَ وَقَبائِلَ العَرَب في نَوَاحِيْ الجَزِيْرَةِ كَانَتْ ذَاتَ أَثرٍ في ظُهُورِ الإِسْلام وَانْتِشَارِه في كَثِيرٍ مِنْ القَبَائِلِ .

فَإِنَّ بَقَاءَ مَكَّةَ على شِرْكِهَا وهِيَ أُمُّ القُرَى وَمَعْقِلُ الوَثَنِيَّةِ ظَلَّ سَدّاً حَائِلاً دُوْنَ خلُوصِ الجَزِيْرَةِ العَرَبِيَّةِ لِلإِسْلام وَحْدَهُ وَظَلَّتْ هِيَ العقَبَةُ الْكَؤُودُ في طَرِيْقِهِ .

وَكانَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ وَبَيْنَ قُرَيشٍ في أَوَاخِرِ السَّنةِ السَّادِسَةِ أَوَّل مَفَاتِيْحِ هَذَا المَعْقِلِ العَتِيْدِ فقد اعْتَرَفَتْ قرَيْشٌ في ذَلك الصُّلْح بأنَّ مُحَمَّداً صلى اللهُ عليه وسلم صَاحِبُ مَذْهَبٍ جَدِيْدٍ وَأَنَّهُ لا بَأْسَ مِنْ أَنْ تُقِيْمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَها عَهْدَاً يَسْتَقِرُّ بِهِ السِّلْمُ فِيْمَا بَيْنَهَا وبينهُ بَعْدَ ما عَجَزَتْ كُلَّ العَجْزِ وَفَشَلَتْ عَنْ القَضَاءِ عليه وَعَلى مَذْهَبِهِ لَقَدْ ظَلَّتْ قُرَيْشٌ دَهْرَاً طَوِيْلاً لا تَعْتَرِفُ بِمُحَمَّدٍ ولا بِمَا ذَهَبَ إليهِ مِنْ هَذَا الدِّيْنِ القَوِيْمِ الذِي خَالفَ به دِيْنَها وَعَقَائِدَهَا وَخَرجَ به على تَقَالِيْدِهَا وَتَقَالِيْدِ آبَائِهَا وَقَلَبَ بِهِ أَوْضَاعِهَا رَأْساً على عَقِبٍ وَظَلَّتْ قُرَيْشٌ في كِبْرِيَائِهَا وَتَعَاظُمِهَا تَفْتَرِيْ عَلَيْهِ الأكاذِيْبَ وَتَصِفُهُ بِمَا تَشَاءُ مِنْ الأَوْصَافِ التِيْ تُشَوِّهُ سُمْعَتَهُ وَدَعْوَتَهُ بَيْنَ العَرب فَلَّمَا عَجَزَتْ وَانْقَطَعَتْ بِكُلِّ وَسَائِلهَا أَنْ تَقْضِيْ عَلَيْهِ وَعَلى دَعْوَتِهِ اضْطَّرَتْ أَنْ تُنْزِلَهُ مِنْهُم مَنْزِلَةَ النِّدُّ مِنْ النِّدِّ وَأَن تُصَالِحُه وَلَو إلى حِيْنٍ لِتَتَّقِيْ خَطَرَهُ وَتَأْمَنَ جَانِبَهُ فَكَانَ هَذَا الصُّلْحُ أَوَّلَ مِفْتَاحٍ فَكَّ اللهُ بهِ أَغْلاقَ مَكةَ .

ثُمَّ كانَتْ عُمْرَةُ القَضَاءِ بَعدَ ذَلِكَ بِعَامٍ هِيَ المِفْتَاحُ الثَّانِيْ مِنْ

مَفاتِيْحِ ذَلِكَ الحِصْنِ فقد كانَ مَظْهَرُ المسلمين في هَذِه العُمْرَةِ وَهُم في تَوَادِّهِم وَتَرَاحُمِهِم وفي ائْتِلافِهِم وَتَضَامُنِهِم وفي حُسْنِ انْقِيَادِهِم وَدِقَّةِ نِظَامِهِم وفي صِدْقِ مَحَبَّتِهِم وَإِخْلاصِهِم لِرَسُوْلِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ وفي عَظِيْمِ حَمَاسَتِهِم لِدِيْنِهِم وَشِدَّةِ تَمَسُّكِهِم بآدَابِهِ وفي بَالِغِ تَقْدِيْسِهِم لِلبَيْتِ وَتَعْظِيْمِ حُرُمَاتِهِ وفي كُلِّ مَا كانوا يُؤَدُّوْنَهُ مِنْ شَعَائِرِ هَذِه العُمْرَةِ وهم في هذه الحَمَاسَةِ وهذه الألفَةِ وهذا النِظامِ وهذا التَرَفُّعِ عن كلِّ ما يَشِيْنُ أَخْلاَقَ الرِّجَالِ كَانَ مَظْهَرُ المُسْلِمِيْنَ في كُلِّ هَذَا مَظْهَراً هَزَّ نُفُوسَ أَهْلِ مَكَةِ هَزّاً عَنِيْفاً وَلَمَسَ مَكَانَ العَقِيْدَةِ مِنْ قُلُوبهم فزَلْزَلها زلزَالاً شَدِيْدَا فأخذُوا يَنْظُرُوْنَ إلى المُسْلِمِينَ نَظرَةَ الإعْجَابِ والإِكبَارِ والإِعْظَامِ وَيَنْظُرُوْنَ إِلَى الاسْلام نَظرَةَ التَّفْكِيْرِ وَالتَّأَمُّلِ وَالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَهُّمِ وَجَعَلُوا يُقَارِنُونَ بينَ هذَا الدِّيْنِ القَوِيْمِ وَما هُمْ عَلَيْهِ مِنْ دِيْنٍ وَعَقِيْدَةٍ وَمِنْ تَقَالِيْدَ لا يَقبلُهَا عَقْلٌ سَلِيْمٌ ولا يُقِرُّهَا مَنْطِقٌ وَيُوازِنُون بينَ هَذه الشَّعَائِرِ التِي يُؤَدِّيْهَا المُسْلِمُونَ في خُشُوْعٍ وانسِجَام وَخُضُوعٍ واطْمِئْنَانٍ وبينَ مَا يَفْعَلُونَ هُمْ في عِبَادَتِهم مِن لَغْوٍ وَلَهْوٍ وَلَعِبٍ وَبَاطِل وَما يَقُومُونَ بِهِ عندَ بَيْتِ اللهِ مِنْ مُكاءٍ وَتَصْدِيَةٍ - أي صَفِيْرٍ وَتَصْفِيْقٍ -.

نَعَم أَخذُوا يَنْظُرُوْنَ وَيَتفَكَّرُونَ فَوَجدُوا فَرْقَاً شَاسِعاً، وَبَوْناً بَعِيداً بينَ ما هُم عليه مِنْ الضَّلالِ وَما عليهِ مُحمّدٌ وأَتْبَاعُهُ مِنْ النّورِ فلانَتْ قُلُوبُهُم للإِسْلامِ.

وصَغَتْ إليه أَفْئِدَتُهم فَأَسْلَمَ مِنْهُم مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَجْهَرَ باسْلامِه. وأَسَرَّ الإِسْلامَ مَنْ لَم يَقْدِرْ عَلَى إِظْهَارِه، وَتَهَيّا كَثِيرٌ مِنْهُم لأَنْ يُسْلِمُوا لَوْلَا بَعْضُ المَوَانِعِ التِي قَدَّرَهَا اللهُ، فكانَتْ هَذه الزَّلْزَلَةُ التِي أُصِيبَتْ

بهَا عَقِيْدَةُ أهْلِ مَكَّةَ في عُمْرَةِ القَضَاءِ مِفْتَاحاً آخرَ فَكَّ اللهُ به أغْلاقَ مَكّةَ ، ثم أرادَ اللهُ بَعْدَ ذَلكَ أنْ يَفُكَّ كُلَّ ما بَقِيَ مِنْ أَغْلاقِ هَذا الحِصْنِ ، فكانَ ما كانَ في السَنَةِ الثَّامِنَةِ مِنْ الهِجْرَةِ مِن نَقْضِ قُرَيْشٍ لِعَهْدِ الحُدَيْبِيَةِ ، ذلك أنّهُ كَانَ بينَ قَبيْلَتَيْ بَكْرٍ وَخُزَاعَةَ دَماً وَتِرَاتاً في الجَاهِلِيّة فلمَّا كانَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَة وَدَخَلَتْ خُزَاعَةُ في عهْدِ رسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ وَدخلتْ بكرٌ في عَهْدِ قُرِيش هَدأتْ الحَرْبُ بينَ القَبيْلَتَيْنِ ، وَأمِنَ كلُّ فَرِيْقٍ جَانِبَ عَدُوِّهِ ، انْتهى واللهُ أعْلَمُ وصلى اللهُ على مُحمدٍ وآلِه وَسَلم .

قالَ ابنُ القَيِّمِ : فلمَّا اسْتَمَرَّتْ الهُدْنَةُ اغْتَنَمَهَا بنُو بَكْرٍ مِنْ خُـزَاعَة وأرَادُوا أنْ يُصِيْبُوا مِنْهُم الثَّأْرَ القدِيْمَ فَخَرَجَ نَوْفَلُ ابنُ مُعَاوِيَةَ الدِّيْليْ في جَمَاعَةٍ مِن بَنِي بَكْر فَبَيَّتَ خُزَاعَةَ وهُم على الوَتِيْرِ فأصَابُوا مِنهم رِجالاً وتَنَاوَشُوا وَاقْتَتَلُوا وَأعَانَتْ قُرَيْشٌ بنُو بَكرٍ بِالسِّلاح وَقَاتَلَ مَعَهُم مِنْ قريْشٍ مَنْ قَاتَلَ مُسْتَخْفِياً.

فَلَجَأَتْ خُزَاعَةُ إلى الحَرمِ لِتَحْتَمِيْ بهِ وَلَكِنَّ ذَلكَ لَمْ يَمْنَعْ رِجَالَ بَكْرٍ مِنْ مُتَابَعَتِهَا حَتَّى قَتلُوا منهُم عِشْرينَ رَجُلاً فَلَمَّا دَخلَتْ خُزَاعَةُ مكةَ لَجؤُوا إلى دَارِ بُدَيل بنِ وَرْقَاءَ الخُزاعِيّ وَ مَوْلَى لَهُم يُقَالُ لَهُ رَافِعُ وَخَرج عَمْرو بنُ سَالِمِ الخُزَاعِي حَتّى قَدِمَ عَلى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينةِ فَوَقَفَ عليه وَهُوَ جَالِسٌ في المَسْجِدِ بينَ ظَهْرَانَيْ أصْحَابِهِ .

فَقَال : يَارَبِّ إِنِّيْ نَاشِدٌ مُحَمَّدَا
حِـلْفَ أَبِـيْـنَـا وَأبِـيْـهِ الأتْـلَدَا

قَـدْ كُنْتُمُـوا وِلْـدَاً وَكُنَّـا وَالِـدَا
ثُـمَّ أَسْلَمْنَـا فَـلَمْ نَنـزَعْ يَـدَ
فَـانْصُـرْ هَـدَاكَ اللهُ نَصْـراً أَيِّـدَا
وادْعُ عِبَـادَ اللهِ يَـأْتُـوا مَـدَدَا
فِـيْهِـم رَسُـولُ اللهِ قـد تَـجَـرَّدَا
أَبْيَضُ مِثْـلُ البَـدْرِ يَسْمُـوْ صُعُـدَا
إنْ سِيْمَ خَسْفـاً وَجْهُـه تَـرَبَّـدا
في فَيْلَقٍ كـالبَحْرِ يَجْـرِيْ مُـزْبِـدَا
إنَّ قُـرَيْشـاً أَخْلَفُـوْكَ الـمَـوْعِـدَا
وَنَـقَضُـوا مِـيْثَـاقَـكَ الـمُـؤَكَّـدَا
وَجَـعَـلُوا لِـي فِـي كَـدَاءَ رَصَـدَا
وَزَعَـمُـوا أَنْ لَـسْـتُ أَدْعُـو أَحَـدا
وهُـم أذلُّ وأقَـلُّ عَـدَدَا
هم بيَّـتُونَا بـالـوَتـيْـرِ هُـجَّـدَا
وَقَتَّلُونَا رُكّعاً سُجَّدَا

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله علي وسَلم « نُصِرْتَ يَا عَمْرو بْنَ سَالم » ثم عَرَضَتْ سَحَابَةٌ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلمَ فقالَ « إنَّ هَذهِ السَّحابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ ثم خَرَج بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَـاءَ في نَفَرٍ مِنْ خُـزَاعَ حتّى قدِمُوا على رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ فأخْبَرُوهُ بمَا أُصِيْبَ فِيهم وبمظاهِرِ قرَيْشٍ لِبَنِيْ بَكْر ثم رَجعُوا إلى مَكةَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسلمَ « كأنكُمْ بأَبِي سُفْيَانَ قَد جَاءكُم

لِيَشُدَّ في العَقْدِ وَيَزِيْدَ في المُدَّةِ » وَوَقَعَ طِبْقَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وهذه مُعْجِزَةٌ وَقَدْ أَحَسَّتْ قُرَيْشٌ بمَا وَرَاءَ غَدْرِهَا ذَاكَ مِنْ سُوءِ العَاقِبَةِ فَأَوْفَدَتْ إِلى المَدِينةِ زَعِيْمَهَا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ لَعَلَّهُ يَتلافَى هَذِه الغَلْطَةَ وَنَتَائِجَها وَكَانَ أَبو سُفْيَانَ يُحِسُّ خَطَرَ هَذَا الأَمْرِ الذي هُوَ مُقْدمٌ عليه فلمْ يَشَأْ الذَهَابَ إلى رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسَلم تَوًّا ، بل لا بُدَّ مِنْ تَمْهِيْدِ الطَّرِيْقِ لِلِقَائِهِ .

فَدَخَلَ على ابْنَتِه أُمِّ حَبِيْبَةَ زَوْجَ النبي صلى اللهُ عليه وسلم يَسْتَشْفِعُ بهَا إلى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ ، فلمَّا أن أرَادَ أنْ يَجْلِسَ عَلى فِرَاشِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلَمَ طَوَتْهُ عنهُ أمُّ حَبِيْبَةَ .

فَعجب أبُو سُفْيَانَ لِمَا رَأَى مِنْ فِعْلِ ابْنَتِهِ وَقَالَ لَها بُنَيَّةُ مَا أَدْرِيْ أَرَغِبْتِ بي عَنْ هَذَا الفِرَاشِ أم رَغِبْتِ بِهِ عَنِّي فَجَابَهَتْهُ ابْنَتُه في صَرَاحَةٍ تَقُولُ بَلْ فِرَاشُ رَسُولِ الله صلى اللهُ عليه وسَلمَ وَأَنْتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجِسٌ فلَمْ أُحِبَّ أَنْ تَجْلِسَ عَلى فِرَاشِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ فكانَتْ هَذِهِ صَدْمَة شَدِيْدَة الوَقْعِ عَلى نَفْسِ أَبِيْ سُفْيَانَ لمْ يَكُنْ يَتوَقَّعُهَا مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إليْهِ .

فَلَمْ يَمْلِكْ أَنْ قالَ لابْنَتِه مُعَبِّراً عَمَّا نالهُ مِنْ الاهَانَةِ وَاللّهِ لَقَدْ أَصَابَكِ بَعْدِي يَا بُنَيَّة شَرٌّ ثم خرَجَ خَجِلاً مُضَعْضَعَ النَّفْسِ مَكْلُومَ الفُؤَادِ ثم خَرَجَ حَتَّى دَخلَ على رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم فكلمَهُ فلمْ يَرُدَّ عليه شَيْئاً فكانَتْ هَذِهِ الصَّدْمَةُ أَنْكَى مِنَ الأُوْلَى .

اللّهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ البَرِيَّةَ جُودُهُ وإنْعَامُه نَسْأَلُكَ أَنْ تَتَفضَّلَ عَلَيْنَا بعَفوكَ وغَفْرَانك ، وَجَمِيْعِ المُسْلمِيْنَ الأحْيَاء مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنِ برَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَى اللَّهُ عَلَى مُحَمدٍ وَعَلَى آله وِصَحْبه أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــــلٌ)

فخرجَ مِنْ المَسْجِدِ أَشَدَّ مَا يَكُونُ خجَلاً وَتَضعُّفا وَانْكِسَاراً وَذَهَبَ يَسْتَشْفِعُ بِأَصْحابِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلمَ فذهَبَ إلى أَبي بَكْرٍ فَكَلَّمَهُ أَنْ يُكلمَ رَسُول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فقالَ ما أنا بِفاعِلٍ وَذَهَبَ إلى عُمرَ فأغْلظَ لَهُ القَوْلَ وَرَدَّ عليهِ في جَفاءٍ وغِلْظَةٍ .

فقَالَ أنا أشْفَعُ لَكُم إلى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ فَواللهِ لَوْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا الذرَّ لجاهَدْتكم بهِ وهذه صَدْمَةٌ عَظِيْمَةٌ حَطَّمَتْه زيَادَةً ، ثمّ ذَهَبَ إلى عَلِيِّ بنِ أبي طالبٍ وعندَهُ فَاطِمَةُ وَحَسَنٌ غُلامٌ يَدِبُّ بَيْنَ يَدَيْهما فقالَ يا عليُّ إنكَ أَمَسَّ القَوْمِ بي رَحِمَا وإِنِّي قدْ جِئْتُ في حَاجةٍ فلا أَرْجِعَنَّ كَمَا جِئْتُ خائِبًا اشْفَعْ لِي إِلَى مُحمدٍ فقالَ وَيْحكَ يا أبا سُفْيَانَ واللهِ لَقَدْ عَزَمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسَلم على أَمْرٍ ما نَسْتَطِيْعُ أَنْ نُكَلِمَهُ فيْهِ .

فالتَفَتْ إلى فَاطِمَةَ فقالَ هَلْ لَكِ أَنْ تَأْمُرِيْ ابْنَكِ هَذَا فَيُجِيْرُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَكُونُ سَيِّدَ العَرَبِ إِلى آخِرِ الدَّهْرِ ؟ .

قَالَتْ « وَاللهِ مَا يَبْلُغ ابْنِي ذَاكَ أَنْ يُجيرَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَا يُجِيْرُ أَحَدٌ على رَسُولِ الله صلى اللهُ عليه وسَلم » قالَ : يَا أَبا الحَسَنِ ، إِنِّيْ أَرَى الأمُورَ قد اشْتَدَّتْ عَلَيَّ ، فانْصَحْنِيْ ، قالَ « واللهِ مَا أَعْلَمُ لَكَ شَيْئاً يُغْنِي عَنْكَ ، وَلَكنّكَ سَيِّدُ بنِيْ كِنَانَةَ ، فَقُمْ فأَجِرِ بينَ النَّاسِ ، ثم الحَقْ بأرْضِكَ » .

قَالَ : أو تَرَى ذلكَ مُغْنِياً عنِّي شَيْئاً ؟ قَالَ « لا ، وَاللّهِ مَا أَظُنُّه ، وَلكنّي ما أجدُ لكَ غيرَ ذلك » فَقَامَ أَبو سُفْيَانَ في المسْجِدِ ، فقالَ ، أَيُّها النَّاسُ ، إِني

قَدْ أَجَرْتُ بينَ النَّاسِ ، ثم رَكِبَ بَعِيْرَهُ ، فانطَلَقَ . فلمّا قَدِمَ على قُرَيْشٍ قالوا : ما وَرَاءَكَ ؟

قالَ : جِئْتُ مُحمّداً فكلَّمْتُه ، فوَاللهِ ما رَدَّ عليّ شَيْئاً ، ثم جِئْتُ ابْنَ أبي قُحَافة فلم أَجِدْ فِيْهِ خَيْرًا ، ثم جِئْت عُمَرَ بْنَ الخطّاب فوَجَدتُه أَوْفَى العَدُو ، ثم جِئتُ علياً فوَجَدْتُه أَلْيَنَ القَوْم . قد أَشَارَ عليّ بشَيْءٍ صَنَعْتُه ، فَوَاللهِ مَا أَدْرِيْ : هَلْ يُغْنِي عَنِّي شَيْئاً ، أَمْ لا ؟ .

قالُوا : وَبِمَ أَمَرَكَ ؟ قالَ : أَمَرنِيْ أَنْ أُجيرَ بَيْنَ النَّاس ، فَفَعَلْتُ ، فَقَالُوا : فَهَلْ أَجَازَ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ ؟ قالَ : لا ، قَالُوا : وَيْلكَ ، واللهِ انْ زَادَ الرَّجُلُ على أَنْ لَعِبَ بِكَ ، قالَ : لا وَاللهِ مَا وَجَدْتُ غيرَ ذَلِكَ .

وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلمَ النّاسَ بالجهاز ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ أن يُجَهِّزُوهُ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ على ابْنَتِهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، وَهِيَ تُحرِّكُ بَعْضَ جِهَازِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ ، فقَالَ : أَيْ بُنَيَّةُ ، أمركُنَّ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بِتَجْهِيْزِهِ ؟ .

قَالَتْ : نَعَمْ ، فتَجَهَّزْ ، قَالَ : فَأَيْنَ تَرِيْنَهُ يُرِيْدُ ؟ قَالَتْ : لا وَاللهِ ، مَا أَدْرِيْ . ثُمَّ إِنَّ رسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُ سَائِرٌ إلى مَكةَ ، فأمَرهُم بالجِدِّ والتَّجَهُّزِ ، وَقَالَ « اللهُمَّ خُذْ العُيُونَ والأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ ، حَتَّى نَبْغَتَها في بِلَادِهَا » فَتَجَهَّزَ النَّاسُ ، فكَتَبَ حَاطِبُ بنُ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى قُرَيْشٍ كِتَاباً يُخْبِرُهُم فِيْهِ بِمَسِيرِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلمَ إليهم ، ثم أَعْطَاهُ امْرَأةً ، وجعلَ لهَا جُعْلاً على أنْ تُبَلِّغَهُ قرَيْشاً ، فَجَعلَتْهُ في قُرُوْنِ رَأْسِهَا ، ثم خَرَجَتْ بِهِ . وَأَتَى

رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلم الخَبَرُ مِنْ السَّمَاءِ بِمَا صَنَعَ حَاطِبٌ ، فَبَعَثَ عَلِيّاً وَالزُّبَيْر .

وَغَيْرُ ابْنِ اسْحَاقَ يَقُولُ : بَعَثَ عَلِيّاً وَالمِقْدَادَ ـ فَقَالَ : « انْطَلِقا حَتَّى تَأْتِيَا رَوْضَةَ خَاخٍ ، فإنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ إلى قُرَيْشٍ ، فإنْطَلَقَا تَعَادَى بِهِمَا خَيْلُهمَا ، حَتَّى وَجَدَا المَرْأَةَ بِذَلِكَ المَكانِ ، فاسْتَنْزَلاهَا ، وَقَالا : مَعَكِ كِتَابٌ ؟ فقالَتْ : مَا مَعِيَ كِتَابٌ ، فَفَتَّشَا رَحْلَهَا فلمْ يَجِدَا شَيْئاً ، فقالَ لَهَا عَليٌّ : أَحْلِفُ باللهِ ، مَا كَذَبَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ ولا كَذَبْنَا ، وَاللهِ لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لنُجَرِّدَنكِ ، فَلَمَّا رَأَتْ الجِدّ مِنْهُ .

قَالَتْ : أَعْرِضْ . فَأَعْرَضَ . فَحَلَّتْ قُرُونَ رَأْسِهَا ، فاسْتَخْرَجَتْ الكِتَابَ مِنْهَا ، فَدَفَعَتْهُ إلَيْهِمَا ، فَأَتَيَا بِهِ رَسُولَ الله صلى الله عليه وَسلمَ ، فأذا فيهِ « مِنْ حَاطِب بْنِ أَبيْ بَلتعَة إلَى قُرَيْشٍ ، يُخْبِرُهم بِمَسِيْرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وَسَلَمَ إليهم » .

فدعَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلم حَاطِباً ، فَقَالَ مَا هَذَا يَا حَاطِبُ ؟ فَقَالَ : لاَ تَعْجَلْ عَليَّ يَا رَسُوْلَ اللهِ ، وَاللّهِ إنّيْ لَمُؤْمِنٌ باللهِ وَرَسُولِهِ ، ومَا ارْتَدَدْتُ ولا بَدَّلْتُ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقاً في قُرَيْشٍ لَسْتُ مِنْ أَنْفُسِهِم ، وَلِيْ فِيهِم أَهْلٌ وَعَشِيْرَةٌ وَوَلَدٌ ، ولَيْسَ لِيْ فِيْهِم قَرَابَةٌ يَحْمُونَهُم ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ لَهُم قَرَابَاتٌ يَحْمُونَهم ، فأحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ : أَنْ أَتّخِذَ عِنْدَهُم يَداً يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِيْ .

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطّابِ : دَعْنِيْ يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ ، فَإِنَّهُ

قد خانَ اللهَ وَرَسُولَهُ ، وقد نافَقَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلَمَ : إنَّهُ قد شَهِدَ بَدْراً ، وَمَا يُدْرِيْكَ يا عُمَرُ؟ لَعَلَّ اللهَ قد اطَّلَعَ على أَهْلِ بَدْرٍ ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُم ، فَذَرَفَتْ عَيْنَا عُمَرَ ، وَقَالَ : اللهُ ورسولُهُ أَعْلَمْ » .

ثم مَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، وَهُوَ صَائِمٌ والناسُ صائِمُون، حتَّى إذا كانُوا بالكُدَيْدِ - وَهُوَ الذي يُسَمِيْهِ الناسُ اليومَ قُدَيْداً - أَفْطَرَ وَأَفــطَرَ الناسُ مَعَهُ ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَانِ ، وَهُوَ بَطْنُ مَرٍّ ، وَمَعَهُ عَشَرَةُ آلافٍ ، وَعَمَّى اللهُ الأخبارَ عن قريشٍ ، فَهُمْ على وَجَلٍ وارْتِقَابٍ .

وكان أَبُو سُفْيَانَ يَخْرُجُ يَتَجَسَّسُ الأَخبارَ ، فَخَرَجَ هُوَ وَحَكِيْمُ بنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بنُ وَرْقَاءَ يَتَجَسَّسُونَ الأَخبارَ ، وكان العباسُ قَدْ خَرَجَ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَهْلِهِ وَعِيَالِهِ مُسْلِماً مُهَاجِرًا ، فَلَقِيَ رَسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بالجُحْفَةَ - وَقِيْلَ : فوقَ ذَلِكَ - وَكَانَ مِمَّنْ لَقِيَهُ في الطريقِ ابنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بنُ الحَرْثِ ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ أَبِيْ أُمَيَّةَ ، لَقِيَاهُ بالأَبْوَاءِ ، وَهُمَا ابنُ عَمِّهِ وابنُ عَمَّتِهِ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُمَا لِمَا كَانَ يَلْقَاهُ مِنْهُمَا مِن شِدَّةِ الأذَى والهَجْوِ .

فقالَتْ لَهُ أُمُّ سَلَمَةَ « لَا يَكُنْ ابنُ عَمِّكَ وابنُ عَمَّتِكَ أَشْقَى الناسِ بِكَ » وقالَ عَلِيٌّ لِأَبِي سُفْيَانَ - فِيْمَا حكاهُ أَبُو عُمَرَ بنُ عَبْدِ البَرِ - « ائْتِ رَسُولَ اللهِ صلى الله علي وسلم مِن قِبَلِ وَجْهِهِ ، فَقُلْ لَهُ مَا قَالَ اخْوَةُ يُوْسُفَ لِيُوْسُفَ (١٢ : ٩١ تالله لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا ، وانْ كُنَّا لَخَاطِئِين) فَإِنَّهُ لا يَرْضَى أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ أَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلاً ، فَفَعَلَ ذَلِكَ أَبُو

سُفْيَانَ فقال لَهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم (لا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُم اليومَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُم وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْن) فَأَنْشَدَهُ أَبُو سُفْيَانَ بنُ الحَرْثِ أبياتاً ، مِنها :

لَعَمْـرُكَ إنّـي حِيْـنَ أَحْمِـلُ رَايَـةً
لِتَغْلِبَ خَيْـلُ الـلاتِ خَيْـلَ مُحَمَّـدِ
لَكَ الْمُـدْلِـجِ الحَيْـرَانَ أَظْـلَمَ لَيْـلُهُ
فَهَـذَا أوانِيْ حِيْنَ أُهْـدَي فَـأَهْتَـدِي
هَـدانِـي هَـادٍ غيـرَ نَـفْسِـي وَدَلـنِـي
على اللهِ مَنْ طَـرَّدْتـه كُـلَّ مَـطْرَدِ

فَضَرَبَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم صَدْرَهُ ، وقال « أَنْتَ طَرَدْتَنِي كُلَّ مَطْرَدٍ ؟ » وَحَسُن إسْلامُهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَيُقَالُ : إنَّهُ مَا رَفَعَ رَأْسَهُ إلى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مُنْذُ أَسْلَمَ ، حَيَاءً مِنه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحِبُّهُ وَشَهِدَ لَهُ بالجَنَّةِ ، وقال « أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَلَفاً مِن حَمْزَةَ » وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قال « لا تَبْكُوا عَلَيَّ ، فواللهِ ما نَطَقْتُ بِخَطِيْئَةٍ مُنْذُ أَسْلَمْتُ » .

(**فَصْلٌ**) عَادَ الحَدِيْثُ : فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَرَّ الظَّهْرَانِ نَزَلَهُ عِشَاءً فأمَرَ الجَيْشَ فَأَوْقَدُوا النِيْرَانَ ، فَأُوْقِدَتْ عَشَرَةُ آلافِ نَارٍ ، وَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم على الحَرَسِ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ ، وَرَكِبَ العَبَاسُ بَغْلَةَ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم البَيْضَاءَ ، وَخَرَجَ يَلْتَمِسُ ، لَعَلَّهُ يَجِدُ بَعْضَ الحَطَّابَةِ ، أَوْ أَحَداً يُخْبِرُ قُرَيْشاً لِيَخْرُجُوا يَسْتَأْمِنُوْنَ رَسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عَنْوَةً .

قالَ « واللهِ إنّي لأسِيْرُ عَلَيْهَا إذ سَمِعْتُ كَلاَم أَبي سُفْيَانَ ابن حَرْبٍ وَبديلِ بن وَرْقَاءَ ، وَهُمَا يَتَرَاجَعَانِ ، وَأَبُو سُفْيَانَ يقولُ : ما رَأَيْتُ كالليلةِ نِيْرَاناً قَطْ ولا عَسْكراً . قال : يقول بُدَيْلٌ : هَذِهِ واللهِ خُزَاعَةُ حَمَشَتْهَا الحَرْبُ ، فيقولُ أَبُو سُفْيَانَ : خُزَاعَةُ أَقَل وَأَذَلُّ مِن أَنْ تَكُون هَذِهِ نِيْرَانَها وَعَسْكَرُهَا . قال : فَعَرَفْتُ صَوْتَه ، فَقُلْتُ : أَبَا حَنْظَلَةَ ؟ فَعَرَفَ صَوْتِي ، فقال : أَبَا الفَضْلِ قُلْتُ : نَعَمْ .

قالَ : مالكَ ؟ فِدَاكَ أَبي وَأُمِّيْ ، قال : قُلْتُ : هَذَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في الناسِ ، واصبَاحَ قُرَيْشٍ واللهِ ، قالَ : فما الحِيْلَةُ ، فِدَاكَ أَبي وَأمّي ؟ قُلْتُ : واللهِ لَئِنَ ظَفِرَ بِكَ لَيَضْرِبَنَّ عُنَقَكَ ، فارْكَبْ في عَجُزِ هَذِهِ البَغْلَةِ ، حتى آتي بِكَ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فأسْتَأمِنْهُ لَكَ ، فَرَكَبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ .

قال : فَجِئْتُ بِهِ ، فَكُلَّمَا مَرَرْتُ بِهِ عَلى نَارٍ من نِيْرَانِ المُسْلِمِيْنَ قالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فَإِذَا رَأَوا بَغْلَةَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وَأَنَا عَلَيْهَا ، قَالُوا : عَمُّ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم على بَغلَتِهِ ، حَتَّى مَرَرْتُ بنارِ عُمَرَ بنِ الخطابِ ، فقال : مَنْ هَذَا ؟ وقام إليَّ .

فلَمَّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ على عَجُزِ الدَّابَّةِ ، قال : أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللهِ ، الحَمْدُ للهِ الذي أَمْكَنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ ولا عَهْدٍ ، ثم خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، وَرَكَضْتُ ألْبَغْلَةَ ، فَسَبَقْتُ ، فاقْتَحَمْتُ عن البَغْلَةِ ، فَدَخَلْتُ على رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، وَدَخَلَ عليه عُمَرُ ، فقال : يا رسولُ اللهِ ، هذا أَبُو سُفْيَانَ ، فَدَعْنِي أَضْرِبُ عُنَقَهُ . قال : قُلْتُ : يَا رسولَ اللهِ ، إني قَدْ أَجَرْتُهُ ، ثم

جَلَسْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذْتُ برأْسِهِ ، فَقُلْتُ : واللهِ لاَ يُنَاجِيْهِ اللَّيلةَ أَحَدٌ دُوْنِي .

فَلَمَّا أكثَرَ عُمَرُ في شَأْنِهِ ، قُلْتُ : مَهْلاً يَا عُمَرُ ، فَوَاللهِ لوْ كَانَ مِن رِجَالِ بَنِيْ عَدِي بْنِ كَعْبٍ مَا عَمِلْتَ مِثْلَ هَذَا ، قال : مَهْلاً يا عباسُ ، فواللهِ لإسْلاَمُكَ كان أَحَبَّ إليَّ مِن اسْلام الخطابِ ، فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « اذهَبْ بهِ يا عَباسُ إلى رَحْلِكَ ، فإذا أَصْبَحْتَ فَأتِنِيْ بهِ » فَذَهَبْتُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ بِهِ إلى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فَلَمَّا رَآهُ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال « وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لكَ أَنْ تَعْلَمَ أَن لا إلهَ إلَّا اللهُ ؟ » قال : بِأَبِيْ أَنْتَ وَأُمِّيْ ، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ !! لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَو كَانَ مَعَ اللهِ إلهٌ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِيْ شَيْئاً بَعْدُ .

قال « وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّيْ رَسُولُ اللهِ ؟ » قال : بِأَبِيْ أَنْتَ وَأُمِّيْ ، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ !! أَمَّا هَذِهِ : فإنَّ في النَّفْسِ حَتَّى الآن مِنْهَا شَيْءٌ ، فقال لَهُ العَبَّاسُ : أَسْلَمْ وَأَشْهَد أَنْ لاَ إلَهَ إلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عُنُقُكَ ، فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ شَهَادَةَ الحَقِّ .

فقال العَبَّاسُ : يا رسولَ اللهِ ، إنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ الفَخْرَ ، فاجْعَلْ لَهُ شَيْئاً ، قال « نَعَمْ ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِيْ سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أَغْلَقَ عليه بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ الحَرَامَ فَهُوَ آمِنٌ » وَأَمَرَ العَبَّاسَ أَنْ يَحْبِسَ أَبَا سُفْيَانَ بِمَضِيْقِ الوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الجَبَلِ ، حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللهِ فَيَرَاهَا ، فَفَعَلَ فَمَرَّتْ القَبَائِلُ على رَايَاتِهَا . كُلَّمَا مَرَّت

بِهِ قَبِيْلَةٌ قال أَبُوْ سُفْيَان يا عَبَّاسُ ، مَنْ هَذِهِ ؟ فأقُولُ : سُلَيْمٌ . قال : فَيَقُولُ مَالِي وَلِسُلَيْم ، ثم تَمُر بهِ القَبِيْلَةُ فيقولُ : يا عباسُ ، مَنْ هَؤُلَآءِ ؟ فأقولُ : مُزَيْنَةُ ، فيقولُ : مالِيْ وَلِمُزَيْنَة ، حَتَّى نَفَذَتْ القَبائِلُ ، ما تَمُرُّ بِهِ قَبِيْلَةٌ إلاَّ سَأَلَنِي عنها ، فإذَا أَخْبَرْتُهُ بِهِمْ قال : مالِيْ وَلِبَنِيْ فُلانٍ ، حَتَّى مَرَّ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم في كَتِيْبَتِهِ الخَضْرَاءِ ، فيها المُهَاجِرُوْنَ والأنْصَارُ ، لا يُرَى مِنهم إلا الحَدَقُ مِن الحَدِيْدِ ، قال : سُبْحَانَ اللهِ ! يَا عَبَّاسُ ، مَنْ هَؤُلَآءِ ؟ قال : قُلْتُ : هذا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في المُهَاجِرِيْنَ والأَنْصَارِ .

قال : ما لِأَحَدٍ بِهَؤُلَآءِ قِبَلٌ ولا طَاقَةٌ ، ثم قال : واللهِ يـ أبَا الفَضْلِ لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابنِ أَخِيْكَ اليومَ عَظِيْماً . قال : قُلْتُ : يا أبا سُفْيان ، إنَّهَا النُّبُوَّةُ ، قال : فَنِعَمْ إذاً .

قال : قُلْتُ : النَّجاء إلى قَوْمِكَ ، وكانَتْ رَايَةُ الأَنْصَارِ مَعَ سَعْدِ بن عُبَادَةَ ، فَلَمَّا مَرَّ بِأَبِي سُفْيَانَ قال لَهُ : اليومَ يَوْمُ المَلْحَمَةِ ، اليومَ تُسْتَحَلُّ الحُرْمَةُ ، اليومَ أَذَلَّ اللهُ قُرَيْشاً .

فَلَمَّا حَاذَى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أَبَا سُفْيَان قال : يا رسولَ اللهِ ، أَلَمْ تَسْمَعْ ما قَالَ سَعْدٌ ؟ قال « وَمَا قَال ؟ » قال : قال كذا وكذا ، فقال عُثْمَانُ وَعَبْدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ : يا رسولَ اللهِ ، ما نَأْمَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ في قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « بل اليومَ يومٌ تُعَظَّمُ فيه الكَعْبَةُ ، اليومَ يَوْمٌ أَعَزَّ اللهُ فيه قُرَيْشاً » ثم أَرْسَلَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إلى سَعْدٍ ، فَنَزَعَ مِنه اللِّوَاءَ ، وَدَفَعَهُ إلى قَيْسٍ ابْنِهِ ، وَرَأى أَنَّ اللِّوَاءَ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ سَعْدٍ ، إذ صَارَ إلى ابْنِهِ ،

قال أَبُوْ عُمَر : وَرُوِي « أنَّ النبيَ صلى اللهُ عليه وسلم لَمَّا نَزَع مِنه الرَّايَة دَفَعهَا إلى الزُبَيْرِ » .

وَمَضَى أَبُو سُفْيَانَ ، حتى إذا جَاءَ قُرَيْشاً صَرخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ جَاءَكُمْ فِيْما لاَ قبلَ لَكُم به ، فَمَنْ دَخل دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، فقَامَتْ إليه هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ فَأَخَذَت بِشَارِبِهِ ، فَقَالَتْ : اقْتُلُوا الحُمَيْتَ الدَّسِمَ الأَحْمَشَ السَّاقَيْن ، قُبِّحَ مِن طَلِيْعَةِ قَوْمٍ .

قالَ : وَيْلَكُم ، لاَ تَغُرَّنَكُم هَذِهِ من أَنْفُسِكُم ، فإِنَّهُ قَدْ جاءَكُمْ بِمَا لاَ قبلَ لَكُم بِهِ ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، فقالوا : قاتَلَكَ اللهُ ، وما تُغْنِيْ عَنَّا دارُكَ ؟ قال : وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ .

فَتَفَرَّقَ الناسُ إلى دُوْرِهِمْ ، وإلى المَسْجِدِ ، وَسَارَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فَدَخَلَ مَكَّة مِن أَعْلاَهَا ، وَضُرِبَتْ لَهُ هُنَالِكَ قُبَّةٌ ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم خَالدَ بنَ الوَلِيد أنْ يَدْخُلَهَا مِن أَسْفَلِهَا . وكانَ عَلى المَجْنَبَةِ اليُمْنَىٰ وفيها أَسْلَمُ وَسُلَيْمٌ وَغِفَارٌ وَمُزَيْنَةُ وَجُهَيْنَةَ ، وقبائِلُ مِن قَبَائِلِ العَرَبِ وكان أَبُو عُبَيْدَةَ على الرِّجَالَةِ والحُسَّرِ ، وَهُمْ الذِيْن لا سِلاَحَ مَعَهُم ، وقال لِخَالِدِ وَمَنْ مَعَهُ « إنْ عَرَضَ لَكُم أَحَدٌ مِن قُرَيْشٍ فاحْصُدُوهُمْ حَصْدَاً ، حَتَّى تُوافُوني على الصَّفَا » فما عَرَضَ لَهُمْ أَحَدٌ إلا أَنَامُوْهُ . وَتَجَمَّعَتْ سُفَهَاءُ قُرَيْش وَأَخِفَّاؤُهَا مَعَ عِكْرِمَةَ ابنِ أبيَ جَهْلٍ ، وصَفْوَانِ بنِ أُمَيَّةَ ، وَسُهَيْلِ بنِ عَمْرو بالخَنْدَمَةِ لِيُقَاتِلُوا المُسْلِمِيْن .

اللهُم ثَبِّتْ مَحَبَّتَك في قُلُوبِنَا ثُبوتَ الجِبَال الرَّاسِيَاتِ وَجَنِّبْنا الخَطَايَا وَالذِّنُوبَ المُوبقَاتِ وَوَفِّقْنَا لِلعَمَلِ بِالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَأَلْهِمْنَا ذِكْركَ في

جَمِيْعِ الأَوْقَاتِ وَزَحْزِحْنَا عَنْ النَّارِ وَأَدْخِلْنَا فَسِيْحَ الجَنَّاتِ يَا رَفِيْعَ الدَّرَجَاتِ وَصَلى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَسَلَمَ تَسْلِيْماً كَثِيْراً .

(فصــل):وَكَانَ حَمَّاسُ بنُ قَيْسٍ بن خَالِدٍ أَخُوْ بَنِي بَكْرٍ يُعِدُّ سِلاَحاً قَبْلَ دُخُولِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فقالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : لِمَاذَا تُعِدُّ مَا أَرَى ؟ قال لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، قَالَتْ : واللهِ ما يَقُومُ لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْئَاً ، قال : إِنِّيْ وَاللهِ لأَرْجُوْ أَنِي أُخْدِمُكِ بَعْضَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ :

إِنْ يَقْبَلُوا اليَوْمَ فَمَالِي عِلَّهْ
هَذَا سِلاَحٌ كَامِلٌ وإِلَّهْ
وَذُوْ غِرَارَيْنِ سَرِيْعَ السَّلهْ

ثُمَّ شَهِدَ الخَندَمَةَ مَعَ صَفْوَانَ وَعِكْرِمَةَ؛ وَسُهَيْلِ بن عَمْرو ، فَلَمَّا لَقِيَهُمُ المُسْلِمُونَ نَاوَشُوهُمْ شَيْئاً مِن قِتَالٍ ، فَقُتِلَ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الفِهْرِي ، وَخُنَيْسُ بنُ خَالِدِ بنِ رَبِيْعَةَ مِن المُسْلِمِيْنَ ، وَكَانَا فِي خَيْلِ خَالِدِ بنِ الوَلِيْدِ ، فَشَذَّا عَنْهُ ، فَسَلَكَا طَرِيْقاً غَيْرَ طَرِيْقِهِ فَقُتِلاَ جَمِيْعاً فَأُصِيْبَ مِنْ المُشْرِكِين نَحْوُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً ، ثم انْهَزَمُوْا ، وانْهَزَمَ حَمَّاسُ صَاحِبُ السِّلاحِ ، حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ فقال لِامْرأَتِهِ : أَغْلِقِيْ عَلَيَّ بَابِيْ ، فَقَالَتْ : وَأَيْنَ مَا كُنْتَ تَقُولُ ؟

فقال : إِنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يَوْمَ الخَنْدَمَهْ
إِذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْرِمَهْ
وَأَبُو يَزِيْدٍ قَائِمٌ كَالمُؤْتَمَهْ
واسْتَقْبَلَتْنَا بِالسُّيُوفِ المُسْلِمَهْ
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَهْ
ضَرْباً ، فَلاَ يُسْمَعُ إِلا غَمْغَمَهْ

لَهُمْ نَهِيْتٌ حَوْلَنَا وَهَمْهَمَهْ
لَمْ تَنْطِقِي في اللُّومِ أَدْنَى كَلِمَهْ

وقال أَبُو هُرَيْرَةَ : أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فَدَخَلَ مَكة ، فَبَعَثَ الزُّبَيْرَ عَلى إِحْدَى المَجْنَبَتَيْنِ ، وَبَعَثَ خَالِدَ بنَ الوَلِيْدِ عَلَى المَجْنَبَةِ الأُخْرَى ، وَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ على الحُسَّرِ ، وَأَخَذُوْا بَطْنَ الوَادِيْ ، وَرَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في كَتِيْبَتِهِ.

قال : وَقَدْ وَبَّشَتْ قُرَيْشٌ أَوْبَاشاً لَهَا ، فَقَالُوا : نُقَدِّمُ هَؤُلآءِ ، فَإِنْ كانَ لِقُرَيْشٍ شَيْءٌ كُنَّا مَعَهُمْ ، وانْ أُصِيبُوْا أَعْطَيْنَا الذيْ سُئِلْنَا ، فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا هُريرةَ ، فَقُلْتُ : لَبَّيْكَ يا رسولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ، فقال : اهْتفْ لِيْ بالأَنْصارِ ، ولا يَأْتِيْنِي إلا أَنْصَارِيٌّ ، فَهَتَفَ بِهِمْ ، فَجَاءُوْا فَأَطَافُوا بِرَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فقالَ : أَتَرَوْنَ إِلَى أَوْبَاشِ قُرَيْشٍ وَأَتْبَاعِهِمْ ؟ ثُمَّ قَالَ بِيَدِيْهِ - إِحْدَاهُمَا على الأخْرَى احْصُدُوْهُم حَصْدًا حَتَّى تُوَافُونِي بالصَّفا ، فَانْطَلَقْنَا ، فَمَا يَشَاءُ أَحَدٌ مِنَّا أَنْ يَقْتُلَ مِنْهم إلا شَاءَ ، وما أَحَدٌ مِنْهُمْ وَجَّهَ إِلَيْنَا شَيْئاً ، وَرَكَزْتُ رَايَةَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بالحُجُوْنِ عِنْدَ مَسْجِدِ الفَتْحِ .

ثُمَّ نَهَضَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، والمُهَاجِرُوْنَ والأَنْصَارُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَخَلْفَهُ وَحَوْلَهُ ، حَتَّى دَخَلَ المَسْجِدَ ، فَأَقْبَلَ إلى الحَجَرِ الأَسْوَدِ ، فَاسْتَلَمَهُ ، ثم طَافَ بالبَيْتِ ، وفي يَدِهِ قَوْسٌ وَحَوْلَ البَيْتِ وَعَلَيْهِ ثَلاثُمَائَةٍ وَسِتُّوْنَ صَنما ، فَجعَلَ يَطْعُنُهَا بالقَوْسِ ، وَيقولُ : (جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ ، إِن البَاطِلَ كان زَهُوْقاً) جاءَ الحَقُّ ، وما

يُبْدِىءُ الباطلُ وما يُعِيْد ، والأصْنَامُ تَتَسَاقطُ على وُجُوْهِهَا .

وكان طَوافُه على راحِلَتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ مُحْرِمَا يَوْمَئِذٍ ، فَاقْتَصَرَ على الطواف ، فَلَمَّا أَكْمَلَهُ دَعَا عُثْمَانَ بنَ طَلْحَة ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِفْتَاحَ الكَعْبَةِ ، فَأَمَر بِهَا فَفُتِحتْ ، فَدَخلَهَا ، فَرَأى فِيْهَا الصُوَرَ ، وَرَأى فيها صُوْرَةَ ابراهيمَ واسماعيلَ ، يَسْتَقسِمَانِ بالأَزْلَام ، فقال « قاتَلَهُم اللهُ ، واللهِ إنْ اسْتَقْسَمَا بهَا قَطُ » ورأى في الكعبةِ حَمَامَةً مِن عِيْدَانٍ ، فَكَسرَهَا بِيَدِهِ ، وَأَمَرَ بالصُوَرِ فَمُحِيَتْ ، ثم أُغْلِقَ عَلَيْهِ البَابُ ، وعلى أُسَامَةَ وبِلالٍ ، فاسْتَقْبَلَ الجِدَارَ الذي يُقَابِلُ البَابَ ، حتَّى إذا كانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ قَدْرُ ثلاثَةِ أَذْرُعٍ وَقَفَ وَصَلَّى هُنَاكَ ، ثم دَارَ في البَيْتِ وَكَبَّرَ في نَوَاحِيْهِ ، وَوَحَّدَ اللهَ ، ثم فَتَحَ البابَ وَقُرَيْشٌ قَدْ مَلأَتِ المَسْجِدَ صُفُوفاً ، يَنْتَظِرُوْنَ ماذا يَصْنَعُ ، فأخذ بِعِضَادَتَي البَابِ ، وَهُمْ تَحْتَهُ ، فقال : « لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ ، صَدَقَ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الأحزابَ وَحْدَهُ أَلَا كلُ مَأْثَرَةٍ أَوْ مَالٍ أَوْ دَمٍ : فَهُوَ تَحتَ قَدَمِيَّ هَاتَيْن ، إلاَّ سِدَانَةَ البَيْتِ وَسِقَايَةَ الحَاجِّ ، أَلَا وَقَتْلُ الخطأ شِبْهُ العَمْدِ : السَّوطُ والعَصَا ، فَفِيْهِ الدِيَّةُ مُغَلَّظَةٌ (مائةٌ مِن الإبلِ) أرْبَعُونَ مِنْهَا في بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا .

يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إن اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُم نِخْوَةَ الجَاهِلِيَّةِ ، وَتَعْظُمَهَا بالآباء ، الناسُ مِن آدَمَ ، وآدَمُ مِن تُرَابٍ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيةَ ﴿ ٤٩ : ١٣ يا أَيُّها الناسُ ، إنا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكرٍ وأُنْثَى وجعلناكُم شُعوباً وقبائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إن أَكْرَمَكُم عند اللهِ أتقاكُم ، إن الله عليم خبير ﴾ يا مَعْشَرَ قُرِيشٍ ما تَرَوْنَ أَنِّيْ فَاعِلٌ بكم ؟ قالوا : خيْرا ، أَخٌ كَرِيْمٌ ، وابنُ أخٍ كَرِيْم .

قال : فإني أقولُ لكم كما قالَ يُوسفُ لإخْوتِهِ ﴿ ١٢ : ٩١ لا

تَثْرِيْبَ عليكم اليومَ ﴾ اذْهَبُوْا ، فأنتُم الطُّلَقَاءُ ، ثم جَلَسَ في المسجدِ .

فقام إليه عليُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ وَمِفْتَاحُ الكَعْبَةِ في يَدِهِ ، فقال : يَا رَسُولَ اللهِ ، اجْمَعْ لنَا الحِجَابَةَ مَعَ السِّقَايَةِ ، صلى اللهُ عليكَ فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : أَيْنَ عُثْمَانُ بنُ طَلْحَةَ ؟ فَدُعِيَ لَهُ ، فقالَ لَهُ : « هَاكَ مِفْتَاحَكَ يَا عُثْمانُ ، اليَومُ يَوْمُ بِرٍ وَوَفاء » .

وَذَكَرَ ابنُ سَعْدٍ في الطَّبَقَاتِ عن عُثْمَانَ بن طَلْحَةَ قال « كُنَّا نَفْتَحُ الكَعْبَةَ في الجَاهِلِيَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ والخَمِيْسِ ، فأَقْبَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَوْماً يُرِيْدُ أَنْ يَدْخُلَ الكَعْبَةَ مَعَ الناسِ فَأَغْلَظْتُ لَهُ ، فَنِلْتُ مِنْهُ ، فَحَلُمَ عَنِّيْ ، ثُمَّ قالَ : يا عُثْمَانُ لَعَلَّكَ سَتَرَى هَذَا المفْتَاحَ يوماً بِيَدِي ، أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ ، فَقُلْتُ : لَقَدْ هَلَكَتْ قُرَيشٌ يَوْمَئِذٍ وَذَلَّتْ ، فقَالَ : بل عَمرَتْ وَعَزَّتْ يَوْمَئذٍ ، وَدَخلَ الكَعْبَةَ فوَقَعتْ كَلِمَتُهُ مِنِّيْ مَوْقِعاً ، ظَنَنْتُ يَوْمَئِذٍ أَنَّ الأَمرَ سَيَصِيْرُ إلى مَا قَال .

فَلَمَّا كان يومَ الفَتْحِ قال : يا عُثْمَانُ ، ائْتِنِيْ بالمِفْتَاحِ ، فَأَتَيْتُهُ بِهِ ، فَأَخَذَهُ مِنِي ، ثم دَفَعَهُ إليَّ ، وقَالَ : « خذوْهَا خَالِدَةً تَالِدَةً ، لا يَنْزِعُهَا مِنْكُم إلا ظَالِمٌ ، يا عُثْمَانُ إن اللهَ اسْتَأْمَنَكُم على بَيْتِهِ ، فَكَلُوا مِمَّا يَصِلُ إليكُم مِن هَذَا البَيْتِ بالمَعْرُوْفِ ، قال : فَلَمَّا وَلَّيْتُ نادَانِي ، فَرَجَعْتُ إليهِ ، فَقَالَ : « أَلَمْ يَكُنْ الذِيْ قُلْتُ لكَ ؟ » قَالَ : فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لِيْ بِمَكَّةَ قَبْلَ الهِجْرَةِ : « لَعَلَّكَ سَتَرَى هَذَا المِفْتَاحَ بِيَدِيْ أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ » فَقُلْتُ : بَلَى ، أَشْهَـدُ أنكَ رَسُولُ اللهِ » .

وَذَكَرَ سَعِيْدُ بنُ المُسَيَّبِ أَنَّ العَبَاسَ تَطَاوَلَ يَوْمَئِذٍ لِأَخْذِ المِفْتَاحِ في رِجَالٍ مِن بَنِيْ هَاشِمٍ ، فَرَدَّهُ رَسُوْلُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم إلى

عُثْمَانَ بن طَلْحَةَ ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بِلاَلاً : أَنْ يَصْعَدَ فَيُؤَذِّنَ عَلَى الكَعْبَةِ ، وَأَبُوْ سُفْيَانَ ابنُ حَرْبٍ وَعَتَّابُ بنُ أُسَيْدٍ ، والحَارِثُ بنُ هِشَامٍ ، وَأَشْرَافُ قُرَيْشٍ جُلُوسٌ بِفِنَاءِ الكَعْبَةِ ، فقال عَتَّابُ : لَقَدْ أَكْرَمَ اللهُ أُسَيْداً أَنْ لا يَكُونَ سَمِعَ هَذا ، فَيَسْمَعَ مِنْهُ ما يَغِيْظُهُ ، فقال الحَارِثُ : أَمَا وَاللهِ ، لَوْ أَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ لاَتَّبَعْتُهُ ، فقالَ أَبُو سُفْيَانَ : أَمَا وَاللهِ ، لا أَقُولُ شَيْئاً ، لَوْ تَكَلَّمْتُ لأَخبَرَت عَنِّيْ الحَصَباءُ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِم النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم ، فقال لَهُمْ : قَدْ عَلِمْتُ الذيْ قُلْتُمْ ، ثُمَّ ذَكَر ذَلِكَ لَهُمْ ، فقالَ الحَرثُ وعَتَّابُ : نَشْهَدُ أَنَكَ رسولُ اللهِ ، واللهِ ما اطَّلعَ على هَذا أَحَدٌ كانَ مَعَنا ، فَنَقُولُ : أَخْبَرَكَ » وَهَذِهِ مُعْجزَةٌ حَيْثُ أَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالُوا صَلَّى اللهُ عليه وسلم .

اللهمَّ واجعلنَا ممَّن يأخذ الكِتاب باليمين ، واجعلنَا يوم الفزعِ الأكبرِ آمنين ، وأوصلنَا برَحْمَتِكَ وَكَرَمِكَ إلى جَناتِ النعيم ،

« فَصْــلٌ »

ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم دَارَ أُمّ هَانِيء بِنْتِ أَبِيْ طَالِبٍ ، فاغْتَسَلَ ، وصَلى ثَمانَ رَكَعَاتٍ في بَيْتِهَا ، وكان ضُحَى ، فظَنَّها مَنْ ظَنَّهَا صَلاَةَ الضُحَى ، وإنما هَذِهِ صَلاةُ الفَتْحِ ، وكان أُمَرَاءُ الاسلام إذَا فَتَحُوا حِصْناً أَوْ بَلَداً صَلَّوْا عَقِيْبَ الْفَتْحِ هَذِهِ الصَّلاةَ ، اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم.

وفي القصة : مَا يَدُلُ عَلَى أَنَّهَا بِسَبَبِ الفَتْحِ ، شُكْراً لِلّهِ عليه ، فإنَّ أمَّ هانِيءٍ قالَتْ « ما رَأَيْتُهُ صَلاَهَا قَبْلَهَا ولا بَعْدَهَا » وأَجارَتْ أمُّ هَانِيءٍ حَمْوَيْنِ لَهَا ، فقالَ لَها رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « قد أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يا أُمَّ هَانِيءٍ» .

« فَصْــلٌ »

ولَمَّا اسْتَقَرَّ الفَتْحُ أَمَّنَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم الناسَ كُلَّهُمْ ، إلا تِسْعَةَ نَفَرٍ ، فإنه أَمَرَ بقَتْلِهِمْ ، وإنْ وُجِدُوْا تَحْتَ أَسْتَارِ الكَعْبَةِ وَهُمْ : عَبْدُ الله بنُ سَعْدِ أبي سَرْحٍ ، وعكرمةُ ابنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَعَبْدُ العزَّى بنُ خَطَلٍ ، والحَارِثُ بنُ نُفَيْلِ بنُ وَهَبٍ ، وَمَقِيْسُ بنُ صُبَابَةَ ، وَهَبَّارُ بنُ الأَسْوَدِ ، وَقَيْنَتَانِ لابن خَطَلٍ ، كانتَا تُغَنِّيَانِ بِهِجَاءِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، وَسَارَةُ مَوْلَاةٌ لِبَعْضِ بَنِيْ عَبْدِ المُطَّلِبِ .

فأمَّا ابنُ أبِي سَرْحٍ ، فأسْلَمَ فَجَاءَ بِهِ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ ، فاسْتَأْمَنَ لَهُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فقَبِلَ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ أَمْسَكَ عَنْهُ ، رجَاءَ أَنْ يَقُوْمَ إِلَيْهِ بَعْضُ الصَّحَابَةِ فَيَقْتُلَهُ .

وكان قَدْ أَسْلَمَ قَبْلَ ذَلِكَ وَهَاجَرَ ، ثُمَّ ارْتَدَّ وَرَجَعَ إِلى مَكَّةَ ، وَأَمَّا عِكْرِمَةُ بنُ أبي جَهْلٍ ، فاسْتَأْمَنَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ بَعْدَ أَنْ فَرَّ ، فَأَمَّنَهُ النبيُ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، فقَدِمَ وَأَسْلَمَ وَحَسُنَ اسْلَامُهُ وأمَّا ابنُ خَطَلٍ والحَارِثُ وَمِقْيَسُ واحْدَى القَيْنَتَيْنِ ، فَقُتِلُوا وَكَانَ مَقِيْسُ قدْ أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ وَقَتَلَ وَلَحِقَ بالمُشْرِكِيْنَ ، وَأَمَّا هَبَّارُ بنُ الأَسْودِ، فَهُوَ الذِي عَرَضَ لِزَيْنَب بِنْتِ رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم حِيْنَ هَاجَرَتْ ، فَنَخَسَ بَطْنَهَا حَتَّى سَقَطَتْ على صَخْرَةٍ وَأَسْقَطَتْ جَنِيْنَهَا فَفَرَّ ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَحَسُنَ اسْلامُهُ .

واسْتُؤمِنَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم لِسَارَةِ ولِإحْدَى القَيْنَتَيْنِ فأمَّنَهُمَا فَأَسْلَمَتَا .

فَلَمَّا كان الغَدُ مِن يَومِ الفَتْحِ قَامَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في الناسِ خَطِيْباً ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بما هُوَ أَهْلُه ، ثم قَالَ « أَيُّها النَاسُ ، انَّ اللهَ حَرَّمَ مَكَةَ يَومَ خَلَقَ السمواتِ والأَرْضَ ؛ فَهِيَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ ، فلا يَحِلُ لامرىءٍ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيْهَا دَماً ، أَوْ يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً ، فإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ بِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَقُولُوا : إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَم يَأْذَنْ لَكَ ، وإنما أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِن نَهَارٍ ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليومَ كَحُرْمَتِهَا بالأَمْسِ ، فَلْيُبَلغِ الشاهدُ الغائبَ » .

ولَمَّا فَتَحَ اللهُ مَكَّةَ على رسولِهِ ـ وهيَ بَلَدُهُ وَوَطَنُهُ وَمَوْلِدُهُ ـ قال الأنصارُ فِيْمَا بَيْنَهُمْ : أَتَرَوْن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلم أذْ فَتَحَ اللهُ عليهِ أرْضَهُ وَبَلَدَهُ ، يُحِبُ أَنْ يُقِيْمَ بها وهُوَ يَدْعُوْ عَلَى الصَّفَا ، رَافِعاً يَدَيْهِ ، فَلَمَّا فَرَغ من دُعَائِهِ قَال « مَاذَا قُلْتُمْ ؟ قالُوا : لا شَيْء يا رَسُولَ اللهِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِم حَتَّى أَخْبَرُوْهُ فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : مَعَاذ اللهِ ، المَحْيَا مَحْيَاكُمْ ، والمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ » .

شعــــراً :

إذا كُنْتَ في دارٍ وَضَامَكَ أَهْلُهَــا ... وقَلْبُكَ مَشْغُــوفٌ بها فَتَغَــرَّبِ
فإِنَّ رَسُولَ اللهِ لم يَسْتَقِمْ لَــهُ ... بِمَكَّةَ أَمْــرٌ فاسْتَقَــامَ بِيَثْــرِبِ

وقال آخر مُتَذَكِّراً وَطَنَهُ وَمَسْقَطَ رَأْسِهِ في القَصِيمْ في عُنَيْزَةْ :

وَأَذْكُــرُ أَيَّامَ القَصِيْــمِ فَأَنْثَنِيْ ... عَلَى كَبِدِيْ مِن خَشْيَةَ أَنْ تَصَدَّعَــا
بَكَتْ عَيْنِي اليُمْنَى فَلمَا نَهَيْتُهَــا ... عَنِ الجَهْلَ بَعْدَ الحِلْم أَسْبَلَتَا مَعَا
فَلَيْتَ عَشِيَّاتِ القَصِيْمِ رَوَاجِــعٌ ... عَلَيَّ ولكِنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَــا
ولا سِيَّمَا دَاراً تُسَمَّى عُنَيْــزَةً ... قَضَيْتُ بِهَا عَشْراً وعَشْراً وَأَرْبَعَــا

آخــــر :

إذا خِفْتَ مِن دَارِ هَوَانــاً فَوَلِّهَا ... سِوَاكَ وعَن دَارِ الأَذَى فَتَحَــوَّلِ

وهَمَّ فَضَالَةُ بنُ عُمَيْرِ بنِ المُلوِّحِ أَنْ يَقْتُلَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وهُوَ يَطُوفُ بالبَيتِ ، فلمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَفضَالَةَ ؟ قال : نَعَمْ ، فَضَالَةَ يا رسولَ اللهِ ، قالَ : مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ ؟ قالَ : لا شَيْءَ كُنْتُ أذْكُرُ اللهَ ، فَضَحِكَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلم ، ثم قَالَ : اسْتغْفِرِ اللهَ ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ على صَدْرِهِ ، فَسَكَنَ قَلْبُهُ » .

وكانَ فَضَالَةُ يَقُولُ « واللهِ ما رَفَعَ يَدَهُ عن صدرِي حَتَّى ما خَلَقَ اللهُ شَيْئاً أَحَبَّ إليَّ مِنْهُ » قال فَضَالَةُ : فرَجَعْتُ إلى أَهْلِي ، فَمَرَرْتُ بامْرَأةٍ كُنْتُ أَتَحَدَّثُ إليْهَا ، فَقَالَتْ هَلُمَّ إلي الحَدِيث ، فَقُلْتُ : لا ، وانْبَعَثَ فضالة يقولُ :

قَالَتْ . هَلُمَّ إلى الحَدِيثِ ، فَقُلْت : لَا
يَـأْبَـى عَـلَيْـكِ الـلهُ والاسـلامُ
لَـوْ قَـدْ رَأَيْـتِ مُـحَـمَّـداً وَقَـبِـيْـلَهُ
بـالـفَـتْـحِ يَـوْمَ تَـكَـسَّـرُ الأَصْـنَـامُ
لَـرَأَيْـتِ دِيْـنَ الـلهِ أَضْـحَـى بَـيِّـنـاً ،
والـشِّـرْكَ يَـغْـشَـى وَجْـهَـهُ الأظْـلامُ

وَفَرَّ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانُ بنُ أميَّةَ ، وعِكْرِمةُ بنُ أبي جَهْلٍ ، فأمَّا صَفْوانُ ، فاسْتَأْمَنَ لَهُ عُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ الجُمَحِي رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، فأَمَّنَهُ ، وأعْطَاهُ عِمَامَته التي دَخلَ بهَا مكَّةَ ، فَلحقهُ عُمَيْرُ ، وَهُوَ يُرِيْدُ أَنْ يَرْكَبَ البَحْرَ ، فَرَدَّهُ فَقَالَ : اجْعَلْنِي بالخِيَارِ شَهْرَيْن ، فقَال : أنْتَ بالخيارِ أَرْبَعَةَ أشْهُرٍ .

وكانَتْ أمُ حَكِيْمٍ بنْتُ الحَارِثِ بنِ هشامٍ تَحْتَ عِكْرَمَةَ بنِ أبِيْ جَهْل

فأسْلمَتْ ، واسْتَأْمَنَتْ لَهُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فأَمَّنَهُ ، فَلَحِقَتْهُ باليَمن ، فأمَّنَتْهُ فَرَدَّتْهُ، وَأَقَرَّهما رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم هُوَ وَصَفْوَانُ على نكاحهما الأول .

ثم أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم تَمِيْمَ بْنَ أُسَيْدٍ الخُزَاعِيَّ فَجَدَّدَ أنْصَابَ الحَرَم .

وَبَعَثَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم سَرَايَاهُ إلى الأَوْثَانِ التِي كانَتْ حَوْلَ الكَعْبَةِ ، فَكُسِّرَتْ كُلُّهَا ، مِنْهَا اللاتُ ، والعُزَّى ومناةُ الثالثةُ الأخرى ، وَنَادَى مُنَادِيْه بمَكَّةَ « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليوم الآخرِ فلا يَدَعْ في بَيْتِهِ صَنَماً إلَّا كَسَرَهُ » .

وَبَعَثَ خَالِدَ بنَ الوليدِ إلى العُزى لِخَمْسٍ لَيَالٍ بقيْنَ مِن شَهْرِ رَمَضَان لِيَهْدِمَهَا ، فَخَرَجَ إلَيْهَا في ثلاثِيْن فَارساً مِن أَصْحَابِهِ ، حَتَّى انْتَهَوْا إليها ، فَهَدَمَهَا ثُمَّ رَجَعَ إلى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فأخْبَرَهُ فقال « هَلْ رَأيتَ شَيْئاً ؟ قالَ: لا قَال : فانّكَ لَمْ تَهْدِمْهَا ، فارْجِعْ إليْهَا فاهْدِمْهَا ، فَرَجَعَ خَالِدُ ـ وَهُوَ مُتَغَيِّظٌ ـ فَجَرَّدَ سَيْفَهُ ، فَخَرَجَتْ إليه امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ سَوْدَاءُ نَاشِرَةً الرَّأْس، فَجَعَلَ السَّادِنُ يَصِيْحُ بهَا فَضَرَبَهَا خَالِدُ، فَجَزَلَها باثنتين، وَرَجَعَ إلى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فأَخْبَرَهُ ، فقال : نَعَمْ ، تِلْكَ العُزَى ، وَقَدْ أيسَتْ أنْ تُعْبَدَ في بلادكُم أبداً » وكانَتْ بنَخْلَة ، وكانَتْ لِقُرَيْشٍ وَجَمِيْعُ بَنِيْ كِنَانَةَ ، وكَانَتْ أعْظَمَ أصْنَامِهِمْ ، وكانَ سَدَنَتُهَا مِن بَنِيْ شَيْبَانَ . فَفِي هذِه مُعْجِزَةٌ مِن مُعْجِزَاتِهِ صلى الله عليه وسلم .

ثم بَعَثَ عَمْرو بنَ العاصِ الى سُواعٍ ـ وَهُوَ صَنَمٌ لِهُذَيْلٍ ـ لِيَهْدِمَهُ ، قال عَمْرُو « فانْتَهَيْتُ إليْهِ ، وَعِنْدَهُ السَّادِنُ ، فقال : ما تُرِيْدُ ؟ قُلْتُ : أَمَرَنِي

رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أنْ أهْدِمَهُ ، فقال : لا تَقْدِرُ على ذلكَ ، قُلْتُ : لِمَ ؟ قالَ : تُمْنَعُ ، قُلْتُ حتَّى الآنَ أنْتَ عَلَى البَاطِلِ ؟ وَيْحَكَ ، فَهَلْ يَسْمَعُ أَوْ يُبْصِرُ ؟ قال : فَدَنَوْتُ منْهُ فَكَسَّرتُهُ ، وأَمَرْتُ أَصْحَابِي فَهَدَمُوْا بَيْتَ خَزَّانَةَ ، فَلَمْ يَجِدُوْا فِيْهِ شَيْئا ، ثم قلت للسادن : كيف رأيت ؟ قال : أسلمت لله » .

ثُمَّ بَعَثَ سَعْدَ بنَ زَيدٍ الأَشْهَلِي إلى مَنَاة وَكَانَتْ بِالمُشَلَّلِ ، عِنْدَ قُدَيْدٍ للأَوْسِ والخَزْرَجِ وغَسَّانَ وَغَيرِهِمْ ، فَخَرَجَ في عِشْرِيْنَ فَارِساً ، حَتَّى انْتَهَى إلَيْهَا ، وَعِنْدَهَا سَادِنٌ ، فَقَالَ السَّادِنُ : مَا تُرِيْدُ ؟ قُلْتُ : أهدِمُ مَنَاةَ ، قَالَ : أَنْتَ وَذَاكَ ، فأقْبَلَ سَعْدٌ يَمْشِيْ إليها ، وَتَخْرُجُ إليهِ امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ سَوْدَاءُ ، ثَائِرَةُ الرَّأْسِ ، تَدْعُو بالوَيْلِ ، وَتَضْرِبُ صَدْرَهَا ، فَقَالَ لَهَا السَّادن : مَنَاةُ ، دُوْنَكِ بَعْضُ عَصَاتِكِ ، فَضَرَبَهَا سَعْدٌ فَقَتَلَهَا وَأَقْبَلَ إِلَى الصَّنَمِ فَهَدَمَهُ وَكَسَّرهُ وَلَمْ يَجِدُوْا في خِزَانَتِهِ شَيْئاً .

شعرا في الحَثِّ على كِتَابِ اللهِ وَتَدبُّرِهِ وَتَفَهُّمِهِ والعَمَلِ بِهِ :

وبالتَّدبُّرِ والتَّرْتِيْلِ فاتْلُ كِتَا
بَ اللهِ لا سِيَّمَا في حِنْدِسِ الظُلَمِ

حَكِّمْ بَرَاهِيْنَهُ وَاعْمَلْ بِمُحْكَمِهِ
حِلاً وَحظْراً وَمَا قَدْ حَدَّهُ أقِمِ

واطْلُبْ مَعَانِيْهِ بالنَّقْلِ الصَّرِيْحِ ولا
تَخُضْ بِرَأْيِكَ واحْذَرْ بَطْشَ مُنْتَقِمِ

فِيْمَا عَلِمْتَ بِمَحْضِ النّقلِ مَنْهُ فَقُلْ
وَكِلْ إلَى اللهِ مَعْنَى كُلِّ مُنْبَهِمِ

ثُمَّ المِرَا فِيْهِ كُفْرٌ فَاحْذَرَنْهُ وَلَا
يَسْتَهْوِيَنَّكَ أقْوَامٌ بِزَيْغِهِمِ
وعن مَنَاهِيْهِ كُنْ يَا صَاحِ مُنْزَجِراً
والأَمْرَ مِنْهُ بلَا تَرْدَادَ فَالْتَزِمِ
وما تَشَابَهَ فَوِّضْ لِلالْهِ وَلَا
تَخُضْ فَخَوضُكَ فِيْهِ مُوْجِبُ النِّقَمِ
ولا تُطِعْ قَوْلَ ذِيْ زَيْغٍ يُزَخْرِفُهُ
مِنْ كُلِّ مُبْتَدِعٍ في الدِيْنِ مُتَّهَمِ
جَيْرَانَ ضَلَّ عن الحَقِّ المُبِيْنِ فَلَا
يَنفَكُّ مُنْحَرِفاً مُعَوَّجَ لَم يَقُم
هُوَ الكِتَابُ الذِي مَنْ قامَ يَقْرؤُهُ
كَأَنَّمَا خَاطَبَ الرَّحْمٰنَ بالكَلِمِ
هُوَ الصِّرَاطُ هُوَ الحَبْلُ المَتِيْنُ هو الْـ
مِيْزَانُ والعُرْوَةُ الوُثْقَى لِمُعْتَصِمِ
هُوَ البَيَانُ هُوَ الذِكْرُ الحَكِيْمُ هُوَ التَّـ
تَفْصِيْلُ فَاقنَعْ بِهِ في كُلِّ مُنْبَهِمِ
هُوَ البَصَائِرُ والذِكْرَى لِمُدَّكِرٍ
هُوَ المَواعِظُ والبُشْرَى لِغَيْرِ عَمِي
هُوَ المُنَزَّلُ نُوراً بَيِّناً وهُدَى
وهُو الشِفَاءُ لِمَا في القَلْبِ مِن سَقَمِ
لَـٰكِنَّهُ لأُولِي الإِيْمَانِ اذْ عَمِلُوا
بِمَا أَتَى فيه مِن عِلْمٍ ومِن حِكَمِ

أمَّــا عَلَى مَنْ تَــوَلَّى عَنْــهُ فَهْــوَ عَمَــى
لِكَــوْنِــهِ عَنْ هُــدَاهُ الـمُسْتَنِيْــرُ عَمِي

فَـمَنْ يُـقِمْــهُ يَـكُنْ يَــوْمَ الـمَعَــادِ لَــهُ
خَـيْــرُ الإمَــام إلى الـفِــرْدَوْسِ والنِّـعَمِ

كَمَــا يَسُــوْقُ أُولِي الأعْــرَاضِ عنهُ إلَى
دَارِ الــمَـقَــامِــعِ وَالأنْــكَــالِ والألَــمِ

وَقَــدْ أتى النَّصُّ في الــطُّوْلَيْـنِ أنهُـمَــا
ظِــلاَلِـتَــالِيْـهِمَــا فــي مَــوْقِفِ الـغَـمَـمِ

وأنَّــهُ فــي غَــدٍ يــأتِــي لِــصَــاحِــبِـهِ
مُـبَـشِّــراً وَحَــجِـيْـجــاً عَـنْــهُ إنْ يُــقِـمِ

والـمُلْكَ والـخُلْدَ يُـعْـطِيْـهِ وَيُلْـبِسُـهُ
تَــاجَ الــوَقَــارِ الالــهُ الحَقُّ ذُوْ الكَــرَمِ

يُقَــالُ اقْـرَأْ وَرَتِّــلْ وَارْقَ في غُـرَفِ الْــ
جَنَّــاتِ كَيْ تَـنْتَـهِي لِـلْمَنْــزِلِ النَّعِـمِ

وَحُـلَّتَــانِ مِن الـفِــرْدَوْسِ قَــدْ كُسِيَتْ
لِــوَالِــدَيْــهِ لَــهَــا الأكْــوَانُ لَـمْ تَــقُـمِ

قَــالاَ بِـمَــاذَا كُسَيْنَــاهَــا فَـقِيْــلَ بِـمَــا
أقْــرَأْتُمَــا ابْنَكُمَــا فَــاشْكُــرْ لِـذِي النِّعَمِ

كَـفَـى وَحَـسْـبُـكَ بــالقُــرآنِ مُـعْـجِــزَةً
دَامَــتْ لَــدَيْنَــا دَوامــاً غَـيْــرَ مُنْـصَــرِمِ

لَـمْ يَـعْـتِــرِهْ قَطُ تَـبْـدِيْــلٌ ولا غِـيَــرٌ
وجَــلَّ فـي كَثْـرَةِ الـتَّــرْدَادِ عَـنْ سَــأَمِ

مُـهَـيْـمِنـاً عَــرَبِـيــاً غَـيْــرَ ذِي عِــوَجٍ
مُصَـدِّقاً جَاءَ في التَّنْزِيْــلِ في القِـدَمِ

فيْــهِ التَّفَـاصِيْــلُ لِــلأَحْكَــامِ مَــعْ نَبَـأٍ
عَمَّــا سَيَــأْتِي وعن مَــاضٍ مِن الأُمَمِ

فَــأنْـظُرْ قَــوَارِعَ آيــاتِ الــمَعَــادِ بِــهِ
وانْــظُرْ لِمَــا قَصَّ عنِ عَــاد وَعَـنْ إرمِ

وانْظُرْ بِهِ شَـرْحَ أَحْكَامِ الشَّـرِيْعَةِ هَلْ
تَــرَى بِهَــا مِن عَــوِيْصٍ غَيْــرِ مُنْفَصِمِ

أَمْ مِن صَــلاَحٍ وَلَمْ يَـهْـدِ الأَنَـامَ لَـهُ
أَمْ بَــابِ هُـلْكٍ وَلَمْ يَــزْجُـرْ ولَـمْ يَلُمِ

أَمْ كَــانَ يُغْنِيْ نَقِيْــراً عــن هِــدَايَتِـهِ
جَمِيْعُ ما عِنْـدَ أَهْلِ الأَرْضِ مِن نُـظُمِ

أَخْـبَــارُهُ عِــظَةٌ أَمْـثَـالُـهُ عِــبَـرٌ
وكُـلُّهُ عَجَبٌ سُـحْـقــاً لِــذِي صَـمَـمِ

لَـمْ تَلْبَـثِ الجِـنُّ إذْ أَصْغَـتْ لِتَسْمَـعَـهُ
أنْ بَــادَرُوْا نُــذُراً مِــنْهُــمْ لِقَــوْمِـهِـم

الـلهُ أَكْـبَــرُ مَــا قَــدْ حَــازَ مِن عِـبَـرٍ
ومِــن بَـيَــانٍ واعْــجَــازٍ ومِـن حِـكَـمِ

والــلَّهُ أَكْــبَــرُ إذْ أَعْـيَــتْ بَــلاَغَـتُـهُ
وحُـسْنُ تَـرْكِيْبِــهِ لِـلْعُـرْبِ والـعَـجَـمِ

كَـمْ مُلْحِــدٍ رَامَ أَنْ يُبْــدِيْ مُعَــارَضَــةً
فَــعَادَ بــالــذُلِّ والخُسْــرانِ والــرَّغَم
هَيْهَــاتَ بُعْـداً لِمَــا رَامُوا وَمَــا قَصَــدُوْا
ومــا تَـمَنَّــوْا لَقَــدْ بَــاؤُوْا بِــذُلِّهِــم
خَــابَتْ أَمَــانِيْهُمْ شَــاهَتْ وُجُــوْهُهُمْ
زَاغَـتْ قُلُوبُـهُـمْ عـن هَــدِيـهِ القَـيـمِ
كَمْ قَــدْ تَحَدَّى قُرَيْشاً فِي القَـدِيْم وهُمْ
أَهْــلُ البَــلاَغَــةِ بَيْـنَ الخَلْقِ كُلِّهِـم
بِــمِــثْـلِهِ وَبِـعَــشْــرٍ ثُــمَّ وَاحِــدَةٍ
فَــلَمْ يَــرُوْمُــوْهُ إِذْ ذَا الإِمْــرَ لَــمْ يُــرَم
الجِنُّ والإِنْسُ لم يَــأتُــوا لَــوْ اجْتَمَعُــوْا
بِــمِــثْــلِهِ وَلَــو انْـضَــمُّــوْا لِمِــثْلِهِــم
أَنَّــي وَكَـيْــفَ وَرَبُ الـعَــرْشِ قَــائِــلُهُ
سُبْحَــانَــهُ جَــلَّ عن شِبْــهٍ لَــهُ وَسَمِي
مَــا كَــانَ خَـلْقــاً ولا فَيْـضــاً تَـصَــوَّرَهُ
نَــبِيُّــنَــا لاَ وَلاَ تَـعْــبِيْــرَ ذِي نَــسَــم
بَــلْ قَــالَــهُ رَبُّـنَــا قَــوْلاً وأَنْــزَلَــهُ
وَحْيــاً على قَـلْبِـهِ المُـسْتَـيْقِظِ الـفَهِـم
والــلهُ يَــشْـهَــدُ والأمــلاكُ شَــاهِــدَةٌ
والـرُّسْـلُ مَـعْ مُؤْمِنِيْ العُـرْبَـانِ والعَجَم

اللهم أرزقْنا عِلماً نافعاً وعملاً مُتَقَبَّلاً ورزقاً واسعاً نَسْتَعِيْنُ به على طَاعَتِكَ وقلباً خاشعاً ولِساناً ذَاكِراً وإيماناً خَالِصاً وَهَبْ لَنا إنابةَ المُخْلِصِيْنَ

وخشوعَ المُخبتين وأعْمَالَ الصالِحين وَيقِيْنَ الصادِقِين وسعادَةَ المُتقِين ودَرَجَاتِ الفَائِزِين يا أَفْضَلَ مَنْ رُجِيْ وقُصِدَ وأَكْرَمَ مَنْ سُئِلَ واغفرْ لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قصة عبد الله بن مسعود

كانَ عبدُ الله بنُ مسْعُودٍ فتىً لَمْ يُجَاوِز الحُلُمَ وكانَ يَسْرَحُ في شِعاب مَكةَ بَعِيْداً عن الناسِ وَمَعَهُ غَنَمٌ يَرْعَاهَا لِعُقْبَةَ بنِ مُعَيْطٍ وكان الناسُ يُنادُونَهُ « ابنَ أُمّ عَبْدٍ » .

أما أَسْمُهُ فَهُو عبدُ اللهِ وأَمَّا إسَمُ أَبِيْهِ فَمَسْعُودٌ كان الغُلامُ يَسْمَعُ بأخبارِ النبي صلى اللهُ عليه وسلم فلا يَأبَهُ لَهَا لِصِغَرِ سِنِّهِ مِن جِهَةٍ ولِبُعْدِهِ عن المُجْتَمَعِ المَكِّي مِن جِهَةٍ أُخْرَى فَقَد دَأَبَ على أنْ يَخْرُجَ بغَنَمِ عُقْبَةَ مُبكِّراً ثُمَّ لا يَعُوْدُ بِهَا إلاَّ إذا أَقْبَلَ الليلُ .

وفي ذَاتِ يَوْمٍ أَبْصَرَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ كَهْلَيْنِ عَلَيْهِما الوَقَارُ يَتَّجِهَانِ نَحْوَهُ مِن بَعِيْدٍ وقد أَخَذَ الجُهْدُ مِنهُمَا كُلَّ مَأْخَذٍ واشتدَ عَلَيْهِمَا الظَّمأُ حَتَّى جَفَّتْ مِنْهُمَا الشِّفَاهُ والحُلُوقُ .

فَلَمَّا وَقَفَا عَلَيْه سَلَّمَا وَقالاَ يَا غُلامُ احْلِبْ لَنَا مِن هَذِهِ الشِيَاه ما نُطْفِىءُ بِهِ ظَمَأنَا ونَبُلُّ به عُرُوْقَنَا فَقَالَ لا أَفْعَلُ فالغَنَمُ لَيْسَتْ لِيْ وأنا علَيْها مُؤْتَمَنٌ فَلَمْ يُنْكِر الرَّجلانِ عليهِ قَوْلَهُ وَبَدَا عَلَى وَجْهَيْهِمَا الرِّضَاءُ عنه .

ثُمَّ قالَ لَهُ أَحَدُهُمَا دُلَّنِيْ عَلَى شَاةٍ لَمْ يَنْزُو عَلَيْهَا فَحْلٌ فَأَشَارَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ الى شَاةٍ صَغِيْرَةٍ قَرِيْبَةٍ منه فَتَقَدَّمَ إليْهَا الرَّجُلُ واعْتَقَلَهَا وَجَعَلَ يَمْسَحُ

ضَرْعَهَا بِيَدِهِ وهُوَ يَذْكُرُ عَلَيها اسْمَ اللهِ فَنظرَ عبْدُ اللهِ في دَهْشَةٍ قَائلاً في نَفْسِهِ وَمَتى كَانَتِ الشَّاةُ الصَّغِيْرَةُ التِي لَمْ تَنْزُوْ عَلَيْهَا الفُحُوْلُ تَدِرُّ لَبَناً .
لكِنَّ ضَرْعَ الشّاة لَمْ يَلْبَثْ أَنْ انْتَفخَ مِن اللَّبنِ وَطَفِقَ اللَّبَنُ يَنْبَثِقُ مِنْهُ ثَراًَغزيْراً .

فأخَذَ الرَّجُلُ الآخرُ حَجراً مُجوَّفاً مِن الأَرْضِ وَملأَهُ باللَّبَنِ وَشَرِبَ مِنْهُ هُوَ وَصَاحِبُهُ ثم سَقَيَانِي مَعهُمَا وَأنا لا أَكَادُ أُصدِّقُ ما أرى ، فَلَمَّا ارْتَوَيْنَا قَالَ الرَّجُلُ المُبَارَكُ لِضَرْعِ الشَّاةِ انْقَبِضْ فَمَا زَالَ يَنْقَبِضُ حَتَّى عَادَ إلى ما كَانَ عليهِ عندَ ذلكَ قُلْتُ لِلرَّجُلِ المُبَارَك عَلِمْني مِن هَذا القَوْلِ الَّذِيْ قُلْتَهُ فقال لِي إنَّكَ غُلامٌ مُعَلَّمٌ .

كانَتْ هَذِهِ بِدَايَةُ قِصَّةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ مَعَ الإسْلام وأَمَّا الرَّجُلُ المُبَارَكُ فَرسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وأَمَّا الذي مَعَهُ فَأبو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ رضي اللهُ عنه فَقَدْ نَفرَا في ذَلِكَ إلى شِعَابِ مَكة لِفَرْطِ مَا أَرْهَقَتْهُمَا قُرَيْشٌ ولِشِدَّةِ مَا أَنْزَلَتْ بِهِمَا مِن البَلاءِ .

وكَمَا أَحَبَّ الغُلامُ الذي هُوَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعودٍ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وَصَاحِبَهُ وَتعَلَّقَ بهمَا فَقَدْ أُعْجِبَ صَلَّى الله عليه وسلم وَصَاحِبُهُ بِعَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ وأكْبَرَا أَمَانَتَهُ وَحَزْمَهُ وَتوَسَّمَا فيه الخَيْرَ ولم يَـمْضِ إلاَّ مُدَّةٌ يَسِيْرَةٌ حَتَّى أَسْلَمَ عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ وَعَرَضَ نَفْسَهُ على النبي صلى اللهُ عليه وسلم لِيَخْدِمَهُ فَقَبِلَهُ النبيُ صلى اللهُ عليه وسلم وَوَضَعَهُ في خِدْمَتِهِ .

ولزِمَ عبدُ الله بنُ مَسْعودٍ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَكانَ يُرَافِقُهُ في حِلِّهِ وَتَرْحَالِهِ يُوْقِظُهُ إذا نَامَ وَيَسْتُرُهُ عندَ الغُسْلِ وَيُلْبِسُهُ نَعْلَيْهِ إذا أَرَادَ الخُرُوْجَ وَيَخْلَعُهَا مِن قَدَمَيْهِ إذا أَرَادَ الدُخُولَ وَيَحْمِلُ لهُ عَصَاهُ وَسِوَاكَهُ وَيَلِجُ الحُجْرَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ إذا آوى إلى حُجْرَتِهِ .

اللَّهُمَّ اهْدِنَا بِهُدَاكَ أَلَى صِرَاطِكَ المُسْتَقِيم وَوَفِّقْنَا لِلقِيَامِ بِحَقِّكَ على الوَجْه المَطْلوبِ يَا كَرِيْمُ وَاجْعَلْنَا يَا مَوْلَا نا مِمَّنْ أَتَاكَ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ وَغْفِرْ لَنا وَلِوَالِدَيْنَا

ولِجَميْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فَتَرَبَّى عبدُ اللهِ في بَيْتِ رَسُولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم فاهْتَدَى بِهَدْيِهِ وتخلَّق بشَمَائِلِهِ وَتَابعَهُ في كُلِّ خَصْلَةٍ مِن خِصَالِهِ وَتَعَلَّمَ ابنُ مَسْعُودٍ في مَدْرَسَةِ النبي صلى اللهُ عليه وسلم فكانَ مِن أقْرَأِ الصَّحَابَةِ لِلْقُرْآنِ وأفْقِهِهِمْ لِمَعانِيْهِ ومِن أعْلَمِهِمْ بِشَرْعِ اللهِ .

ولا أَدَلَّ على ذلكَ مِن حِكَايَةِ ذَلِكَ الرَّجُلُ الذِي أَقْبَلَ عَلَى عُمَرَ ابْنِ الخَطَّابِ وَهُوَ وَافِ بعَرَفَةَ فقال لَهُ جِئْتُ يَا أَمِيْرَ المؤ منين مِن الكُوفَةِ ـ وَتَرَكْتُ بِهَا رَجُلاً يُمْلِيْ المَصَاحِفَ عن ظَهْرِ قَلْبِهِ فَغَضِبَ عُمَرُ غَضَباً شَدِيْداً وقال مَنْ هُوَ وَيْحك قال عبدُ اللهِ ابنُ مَسْعُود فَمَا زَالَ عُمَرُ يَنْطَفِي غَضَبُهُ وَيُسَرَّى عَنْهُ حَتَّى عادَ إلى حَالِهِ .

ثم قَالَ وَيْحَك واللهِ مَا أَعْلَمُ أَنَّهُ بَقِيَ أَحَدُ من الناسِ أَحَقُّ بهذا الأمرِ منهُ وسَأُحَدِّثُكَ عن ذلكَ كانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَسْمُرُ ذاتَ لَيْلةٍ عندَ أبي بَكْرٍ ـ أي يَتَحَدَّثَان وَيَتَفَاوَضَانِ في أَمْرِ المُسْلِمِيْنَ وكُنْتُ مَعَهُمَا ثم خَرَجَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم وَخَرَجْنَا مَعَهُ فاذا رَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّيْ بالمَسْجِدِ لم نَتَبَيَّنْهُ فَوَقَفَ رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم يَسْمَعُ إلَيْهِ .

ثم التَفَتَ إلينا وقال مَنْ سَرَّهُ أن يَقرأَ القُرْآنَ رَطْباً كَمَا نَزَلَ فَلْيَقْرَأ على قِرَاءَةِ ابنِ أمّ عَبْدٍ ثم جَلَسَ عبدُ اللهِ يَدْعُوْ فَجَعَلَ الرسولُ صلى اللهُ عليه وسلم يقولُ لَهُ سَلْ تُعْطَهْ سَلْ تُعْطَهْ ، قال عُمَرُ فقلتُ في نَفْسِي واللهِ لأغْدُوَنَّ على عبدِالله بنِ مَسْعُودٍ لأبَشرَنَّهُ بتَأمِين رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم على دُعَائِهِ فَغَدَوْتُ عليه فَبَشَّرْتُهُ فَوَجَدْتُ أبَا بَكْرٍ قد سَبَقَنِي إليه فَبَشَّرَهُ .

لا واللهِ ما سَابَقْتُ أَبا بَكْرٍ إلى خَيْرٍ قَطُ إلاّ سَبَقَنِي إليهِ وَلَقَدْ بَلَغَ من عِلْمِ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعودٍ بكتابِ اللهِ أَنَّهُ كانَ يَقُولُ واللهِ الذي لا آلهَ غَيْرُهُ مَا نَزَلَتْ آيةُ

مِن كِتَابِ اللهِ إلا وَأَنَا أَعْلَمُ أيْنَ نَزَلَتْ وَأَعْلَمُ فِيْمَا نَزَلَتْ وَلَوْ أَعْلَمُ أنَّ أحَداً أعْلَمُ مِنِّيْ بِكِتَابِ اللهِ تَنَالُهُ المَطِيُ لأَتَيْتُهُ .

ولم يَكُنْ عبدُ الله بنُ مَسْعُودٍ مُبَالِغاً فِيْمَا قَالَهُ عن نَفْسِهِ فَهذَا عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رضي اللهُ عنه يَلْقَى رَكْباً في سَفَرٍ مِن أسْفَارِهِ واللَّيْلُ مُخَيِّمٌ يَحْجِبُ الرَّكْبَ بظلامِهِ وكان في الرَّكْبِ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ فأمَرَ عُمَرُ رَجُلاً أنْ يُنَادِيْهم مِنْ أينَ القَوْمُ فَأَجَابَهُ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ من الفَجِّ العَمِيْقِ .

فقال عُمَرُ أينَ تُرِيْدُونَ فَقَالَ عَبدُاللهِ البَيْتَ العَتِيْقَ فقال عُمرُ إنَّ فِيْهِم عالماً وأَمَرَ رَجُلاً فَنَادَاهُمْ أيُّ القُرْآنِ أعْظَمُ فَأجَابَهُ عبدُ الله بنَ مسعود « اللهُ لا إلهَ إلاَّ هُوَ الحيُّ القَيُّومُ » الآيةَ قال نَادِهِم أيُّ القُرْآن أحْكَمُ فقال عَبدُ اللهِ « إن اللهَ يأمرُ بالعَدْلِ والاحسانِ وايتاءِ ذِي القُرْبَى » .

فَقَالَ نَادِهِمْ أَيُّ القُرْآنِ أَجْمَعُ فقال عبدُ الله « فَمَنْ يَعْمَلْ مثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثقالَ ذَرَّة شَراً يَرَهُ » فقال عُمَرُ نَادِهِم أيُ القرآنِ أخوفُ فقال عبدُ الله « لَيْسَ بأمانِيّكمُ ولا أمانِي أهلِ الكِتابِ مَن يَعْمَلْ سُوْءاً يُجْز به » الآية .

فَقَالَ عُمَرُ نادِهِمْ أيُّ القُرْآنِ أرْجي فقالَ عبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ « قُلْ يا عِبَادِي الذينَ أسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيْعاً إنَّهُ هُوَ الغفُورُ الرحيم » فقال نادِهِم أَفِيْكُم عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ قَالُوا اللَّهُمَّ نَعَمْ .

ولم يَكُنْ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ قَارئاً عَالِماً عَابِداً زَاهِداً فَحَسْب وإنَّمَا كَانَ مَعَ ذَلكَ قَوِيّاً حَازِماً مُجَاهِداً مِقْدَاماً شُجَاعاً إذا جَدَّ الجِدُّ فَحَسْبُهُ أنَّهُ أوَّلُ مُسْلِمٍ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ جَهَرَ بالقُرآنِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم .

فقدِ اجْتَمعَ يَوْماً أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في مكة وكانُوا قلَّةً مُسْتَضْعَفِيْنَ فَقَالُوا وَالله ما سَمِعَتْ قُرَيْشٌ هَذا القُرآنَ يُجْهَرُ بِهِ قَطُّ فَمَنْ رَجُلٌ منكُمْ يُسْمِعُهُمْ إِيَّاهُ فَقَال عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعودٍ أنَا أُسْمِعُهُمْ إِيَّاه فقالُوا إنا نَخْشَاهُمْ عَلَيْكَ إِنَّمَا نُرِيْدُ رَجُلاً لَهُ عَشِيْرَةٌ تَحْمِيْه وَتَمْنَعهُ مِنهُمْ إذا أَرَادُوْهُ بِشَرٍ .

فقال دَعُونِي فإِنَّ اللَّهَ سَيَمْنَعُنِيْ وَيَحْمِيْنِي ثُمَّ غَدَا إلَى المَسْجِدِ حَتَّى أَتَى مَقَامَ ابْرَاهِيْمَ في الضُّحَى وقُرَيْشٌ جُلُوْسٌ فَوَقَفَ عِنْدَ المَقَامِ وَقَرأ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرحِيم رَافعاً صَوْتَهُ ﴿ الرحمنُ عَلَّمَ القُرْآنَ خَلَقَ الانسانَ عَلَّمَهُ البَيَانِ ﴾ .

وَمَضَى يَقرؤها فَتَأَمَّلَتْهُ قُرَيْشٌ وَقَالَتْ مَاذَا قَالَ ابنُ أُمِّ عَبْدٍ تَباً لَهُ . . . إِنَّه يَتْلُو بَعْضَ مَا جَاءَ بِه مُحَمَّدٌ وَقَامُوا إِلَيْهِ وَجَعَلُوْا يَضْرِبُوْنَ وَجْهَهُ وَهُوَ يَقْرَأُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ أنْ يَبْلُغَ .

ثم انْصَرَفَ إلى أَصْحَابِهِ والدَّمُ يَسِيْلُ مِنْهُ فَقَالُوا لَهُ هَذَا الَّذِي خَشِيْنَا عَلَيْكَ فَقَالَ واللهِ مَا كَانَ أعْدَاءُ اللهِ أهْوَنَ في عَيْنِي مِنْهُمُ الآنَ وإنْ شِئْتُم لأُغَادِيَنَّهُمْ بِمِثْلِهَا غَداً قَالُوا لا حَسْبُكَ لَقَد أسْمَعْتَهُمْ مَا يَكْرَهُوْنَ .

ومِن كَلاَمِهِ رَضِيَ اللهُ عنه أَنَّهُ كانَ يَقولُ إنَّ الرَّجُلَ لَيَدْخُلُ على السُلطَانِ وَمَعَهُ دينه فَيَخْرُجُ ولا دِيْنَ مَعَهُ لأَنَّهُ مُعَرَّضٌ أنْ يَعْصِي اللهَ تَعَالَى إمَّا بِفِعْلِهِ وإمَّا بسكوتِهِ وإمَّا باعْتِقَادِهِ .

وكانَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ رَجُلًا قَامَ بَيْنَ الرُكْنِ والمَقَامِ يَعْبُدُ اللهَ تعالى سَبْعِيْنَ سَنَةً وَهُوَ يُحِبُّ ظَالِماً لَبَعَثَهُ اللهُ يوم القِيَامَةِ مَعَ مَن يُحِبُّ وَسَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ اللَّهُمَّ إني أُحِبُّ أنْ أَكُونَ مِن المُقربين ولا أحبُّ أن أكُونَ مِن أَصْحَاب

اليَمِيْنِ فقال ابنُ مَسْعُوْدٍ هَا هُنَا رَجُلٌ يَوَدُّ أَنَّه إذا مَاتَ لَا يُبْعَثُ يَعْنِي نَفسَه رضيَ اللهُ عنه .

وَخَرَجَ مَرَّة مَعَه نَاسٌ يُشَيِّعُونَهُ فقالَ لَهُمْ أَلَكُمْ حَاجَةٌ قالُوا لا فقال ارْجعُوا فإنَّهُ ذِلٌ لِتَّابعِ وفِتْنَة لِلْمَتْبُوعِ وكانَ يَقُولُ لَيْسَ العِلْمُ بِكَثْرةِ الرِّوَايَةِ إنَّمَا العِلْمُ بالخشْيَةِ .

وكان يقُولُ ذَهَبَ صَفْوُ الدُنْيَا وَبَقِيَ كَدَرُهَا والمَوْتُ اليومَ تُحْفَةٌ لِكُلِ مُسْلِمٍ ومِن كَلَامِه إني لا أُبْغِضُ الرَّجُلَ أَنْ أراهُ فَارِغاً لَيْسَ في شَيءٍ مِنْ عَمَلِ الدُنْيَا ولا عَمَلِ الآخِرَةِ ﴾ .

مَنْ لَمْ تَأْمُرْهُ الصَّلاَةُ بالمَعْرُوفِ وَتَنْهَهُ عَنِ المُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ بِهَا مِن اللهِ إلاَّ بُعْدَا ، إنَّكُم تَرَوْنَ الكافِرَ مِن أصَحِّ الناسِ جِسْماً وأمْرَاضِهِمْ قَلْباً وَتَلْقَوْنَ المُؤْمِنَ مِن أَصَحِّ الناسِ قَلْبا وأمْرَضِهِمْ جِسْماً وَأَيْمُ اللهِ لَوْ مَرِضَتْ قُلُوبُكُم وَصَحَّتْ أَبْدَانُكُم لَكُنْتُمْ أهْوَنَ على اللهِ مِن الجُعْلاَنِ .

يَكُونُ في آخِرِ الزَمَانِ أَقْوَامٌ أَفْضَلُ أَعْمَالِهِمْ التَّلاوُمُ بَيْنَهُمْ يُسَمَّوْنَ الأَنْتَانَ .

عاشَ عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُوْدِ الى زَمَنِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عنه فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَ المَوْتِ جَاءَهُ عثمَانُ عَائِداً فقَالَ له مَا تَشْتَكِيْ قال ذُنُوْبِي قَال فَمَا تَشْتَهِيْ قَال رَحْمَةَ رَبِيْ قَال ألاَ آمُرُ لَكَ بِعَطَائِكَ الذي امْتَنَعْتَ عن أخْذِهِ مُنْذُ سِنِيْن .

فقال لا حَاجَةَ لي بِه فقالَ يَكُونُ لِبَنَاتِكَ مِن بَعْدِكَ فَقَالَ أَتَخْشَى على بَنَاتِي الفَقْرَ إنِّيْ أَمَرْتَهُنَّ أَنْ يَقْرَأنَ كُلَّ لَيْلَةٍ سُوْرَةَ الْوَاقِعَةِ وإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِصلَّى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ مَن قَرَأَ الوَاقِعَةَ كُلَّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أبداً .

وَلما أَقْبَلَ الليلُ تُوفِي عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنه ولِسَانُهُ رَطْبٌ

بِذِكْرِ اللهِ نَدِيٌ بآياتِهِ مَاتَ في المَدِيْنَةِ ودُفِنَ في البَقِيْعِ وَصَلَّى عليه عُثمانُ وله ثلاثٌ وسِتُونَ سَنَةً رضي الله عنه .

اللهم وَفِّقْنَا لِسُلوكِ سبِيْلِ أهْلِ الطَّاعَةِ وارزقنا الثبات عليه والاستقامة وعافنا من موجبات الحسرة والندامة وأمنا مِن فزع يوم القيامة واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

شعراً : فيما جرى على الاسلام وأهله من الظلمة والطغاة والمجرمين : جَازَاهُم اللهُ بِمَا يَسْتَحِقُّوْن :

وَدَارَتْ عَلَىَ الاسْلام أَكْبَرُ فِتْنَةٍ
وسُلَّتْ سُيُوفُ البَغْيِ مِنْ كُلِّ غَادِرِ
وذَلَّتْ رِقَابٌ مِن رِجَالٍ أَعِزَّةٍ
وكَانُوا على الاسْلامِ أَهْلَ تَنَاصُرِ
وأَضْحَى بَنُو الاسْلامِ في كُلِّ مَأْزَقٍ
تَزُوْرُهُمُوا غَرْثَى السِّبَاعِ الضَّوَامِرِ
وهُتِّكَ سِتْرٌ لِلْحَرَائِرِ جَهْرَةً
بأَيْدِيْ غُوَاتٍ مِن بَوَادٍ وَحَاضِرِ
وجَاءُوا مِن الفَحْشَاءِ ما لَا يَعُدُّهُ
لَبِيْبٌ ولا يُحْصِيْهِ نَظْمٌ لِشَاعِرِ
وبَاتَ الأَيَامَى في الشِّتَاءِ سَوَاغِباً
يُبَكِّيْنَ أَزْواجاً وخَيْرَ العَشَائِرِ
وجَاءَتْ غَوَاشٍ يَشْهَدُ النَّصُّ أَنَّهَا
بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي الغُوَاةِ الغَوَادِرِ

وجَــرَّ زَعِيْـمُ القَــومِ لِلتُّرْكِ دَوْلَــةً
عَلَى مِلَّةِ الاســلامِ فِعْلَ المُكَــابِــرِ
وَوَازَرَهُ فِــيْ رَأيِــهِ كُــلُّ جَــاهِــلِ
يَــرُوْحُ ويَغْـدُوْ آثِمــاً غَيْــرَ شَــاكِــرِ
وآخَــرُ يَبْتَــاعُ الـضَّــلاَلــةَ بــالهُــدى
ويَخْتَــالُ في ثَــوْبٍ مِن الكِبْـرِ وَافِـرِ
وثَــالِثُهُمْ لاَ يَعْبَــؤُ الــدَّهْــرُ بــالتِي
تَبِيْـدُ مِن الاسلامِ عَــزْمَ المَـذَاكِــرِ
وَلَــكِنَّــهُ يَــهْــوَى وَيَــعْــمَــلُ لِلْهَــوَى
وَيُصْبِــحُ في بَحْرٍ من الــرَّيْبِ عَــامِــرِ
وقَدْ جاءَكُمْ فِيْمَا مَضَى خَيْرُ نَــاصِحٍ
إمَــامُ هُــدىً يَبْنِي رَفِيْــعَ الْمَفَــاخِــرِ
ويُنْقِــذُهُمْ مِن قَــعْــرِ ظَلْــمَا مُـضِلَّةٍ
لِسَــالِكِهَا أَوْ مِنْ لَـظَى والــمَسَاعِرِ
ويُخْبِــرُهُمْ أَنَّ السَّــلامَــةَ فــي التِي
عَلَيْهَا خِيَارُ الصَّحْبِ مِن كُلِّ شَاكِرِ
فَلَمَّا أَتَاهُمْ نَصْرُ ذِي العَرْشِ واحْتَوَى
أَكَــابِــرُهُمْ كَنْــزَ اللُّهَى والــذَّخَــائِــرِ
سَعَوْا جُهْدَهُمْ في هَدْمِ مَا قَدْ بَنَى لَهُمْ
مَشَــائِخُهُمْ واسْتَنْـصَــرُوْا كُــلَّ دَاغِــر

وَسَـارُوا لأَهْـلِ الشِّـرْكِ واسْتَسْلَمُـوْا لَهُمْ
وَجَـاؤُا بِهِمْ مِن كُـلِّ إفْـكٍ وَسَـاحِـرِ

ومُـذْ أَرْسَلُوهَـا أَرْسَلُوهَـا ذَمِيْمَـةً
تُهَـدِّمُ مِن رَبْعِ الهُـدَى كُـلَّ عَـامِـرِ

وبَـاؤُا مِن الخُسْرَانِ بـالصَّفقَةِ الَّتِي
يَبُـوءُ بِهَـا مِن دَهْـرِهِ كُـلَّ خَـاسِـرِ

وَصَـارَ لِأَهْلِ الرُّفْضِ والشِّرْكِ صَـوْلَةٌ
وقَـامَ بِهِمْ سُوْقُ الـرَّدَى والمَنَـاكِـرِ

وعَـادَ لَـدَيْـهِمْ لِـلُّوَاطِ ولِـلْخَـنَـا
مَعَـاهِـدُ يَغْـدُوْ نَحْـوَهَـا كُـلُّ فَـاجِـرِ

وشُتِّتَ شَمْـلُ الـدِّيْنِ وانْبتَّ حَبْلُهُ
وَصَـارَ مُضَـاعـاً بَيْنَ شَرِّ العَسَـاكِـرِ

وأُذِّنَ بـالنَّـاقُـوسِ والـطَّبْـلِ أَهْلُهَـا
وَلَمْ يَرْضَ بالتَّـوْحِيْدِ حِزْبُ المَزَامِـرِ

وأَصْبَـحَ أَهْـلُ الحَقِّ بَيْـنَ مُعَـاقَـبٍ
وَبَيْنَ طَرِيْدٍ في القَبَـائِلِ صَـائِرِ

فَقُـلْ لِلْغَـوِيِّ المُسْتَجِيْـرِ بِظُلْمِهِـمْ
سَتُحْشَـرُ يَـوْمَ الـدِّيْن بَيْن الأَصَـاغِـرِ

ويُـكْـشَـفُ لِـلْمُـرْتَـابِ أَيُّ بِـضَـاعَـةٍ
أَضَـاعَ وَهَلْ يَنْجـو مُجِيْرٌ أَمْ عَـامِـرِ

ويَعْلَمُ يَـوْمَ الجَمْـعِ أَيَّ جِنَـايَـةٍ
جَنَـاهـا ومـا يَلْقَـاهُ مِن مَكْـرِ مَـاكِـرِ

فَيَـا أُمَّـةً ضَلَّتْ سَبِيْـلَ نَبِيِّهَـا
وآثَـارَهُ يَـوْمَ اقْتِحَـامِ الـكَبَـائِـرِ

يَـعِـزُّ بِكُـمْ دِيـنُ الـصَّلِيْـبِ وأَهْـلِهِ
وأَنْـتُمْ بِـهِـم مـا بَـيْـنَ رَاضٍ وآمِـرِ

وتُهْجَـرُ آيَـاتُ الـهُـدَى ومَصَـاحِـفُ
ويُحْكَمُ بـالقَـانُـونِ وَسْطَ الـدَّسَـاكِـرِ

هَـوَتْ بِكُمُ نَحْـوَ الجَحِيْـمِ هَـوَادَةٌ
وَلَـذَّاتُ عَيْشٍ نـاعِمٍ غَيْـر شـاكِـر

سَيَبْدُوْا لَكُمْ مِن مَالِكِ المُلْكِ غَيْرُ مَا
تَـظُنُّونَـهُ بَعْـدَ الثَّـوَى في المَقَـابِـرِ

يَقُـوْلُ لَكُـمْ مَـاذَا فَـعَلْتُـمْ بِـأُمَّـةٍ
عَلَى نَـاهِجٍ مِثْـلَ النُّجُـوْمِ الـزَّوَاهِـرِ

سَلَلْتُمْ سَيُوفَ الـبَغْيِ فِيْهِمْ وَعُطِّلَتْ
مَسَـاجِـدُهُم مِن كُـلِّ دَاعٍ وذَاكِـرِ

وَوَالَيْتُـم أَهْـلَ الجَـحِيْـمِ سَفَـاهَـةً
وَكُنْتُـمْ بِـدِيْـنِ الـلهِ أَوَّلَ كَـافِـرِ

نَسِيْتُمْ لَنَـا عَهْـداً أَتَـاكُمْ رَسُـوْلُنَـا
بِـهِ صَـارِخـاً فَـوْقَ الذُّرَى والمَنَـابِـرِ

فَسَـلْ سَاكِنَ الأَحْسَـاءِ هَلْ أَنْتَ مُـؤْمِنٌ
بِهَـذَا ومَـا يَجْـرِي صَحِيْـحُ الـدَّفَـاتِـرِ

وَهَـلْ نَـافِـعٌ لِلْمُجْـرِمِيْنَ اعْتِـذارُهُمْ
إِذا دَارَ يَـوْمَ الجَمْعِ سُـوْءُ الـدَّوَائِـرِ

وقال الشَّقِيُّ المُفْتَرِيْ كُنْتُ كَارِهاً
ضَعِيْفاً مُضَاعاً بَيْنَ تِلْكَ العَسَاكِرِ

امَانِيَّ تَلْقَاهَا لِكُلِّ مُتَبَّرٍ
حَقِيْقَتُهَا نَبْذُ الهُدَى والشَّعَائِرِ

تَعُودُ سَرَاباً بَعْدَ مَا كَانَ لامِعاً
لِكُلِّ جَهُولٍ في المَهَامِهِ حَائِرِ

فإِنْ شِئْتَ أن تُحَضى بِكُلِّ فَضِيْلَةٍ
وتَظْهَرَ في ثَوْبٍ مِنَ المَجْدِ بَاهِرِ

وتَدْنُوْا من الجَبَّارِ جَلَّ جَلَالُهُ
إلى غَايَةٍ فَوْقَ العُلَى والمَظَاهِرِ

فَهَاجِرْ إلَى رَبِّ البَرِيَّةِ طَالِباً
رِضَاهُ وَرَاغِمْ بالهُدَى كُلَّ جَائِرِ

وَجَانِبِ سَبِيْلَ العَادِلِيْنَ بِرَبِّهِمْ
ذَوِيْ الشِّرْكِ والتَّعْطِيْلِ مَعَ كُلِّ غَادِرِ

وَبادِرْ إلى رَفْعِ الشِّكَايَةِ ضَارِعاً
إلى كَاشِفِ البَلْوَى عَلِيْمِ السَّرَائِرِ

وكَابِدْ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ النَّفْسُ عُذْرَهَا
وتُرْفَعَ في ثَوْب من العَفْوِ سَاتِرِ

وَلَا تَيْأَسَنْ مِن صُنْعِ رَبِّكَ إنَّهُ
مُجِيْبٌ وإِنَّ اللَّهَ أَقْرَبُ نَاصِرِ

أَلَـمْ تَــرَى أَنَّ اللهَ يُبْــدِيْ بِـلُطْفِــهِ
وَيُعَقِبُ بَعْــدَ العُسْـرِ يُسْــراً لِصَـابِــرِ
وأَنَّ الــدِّيَــارَ الـهَـامِـدَاتِ يَمُــدُّهَــا
بِـوَبْـلٍ مِن الـوَسْمِي هَـامٍ ومَــاطِـرِ
فَتُصْبِــحُ فِي رَغْدٍ مِن العَيْشِ نَـاعِمٍ
وتَهْتَزُ في ثَـوْبٍ مِن الحُسْنِ فَاخِـرِ

اللَّهُمَّ يا مَنْ فَتَحَ بَابَهُ لِلطَّالِبِيْن وَأَظْهَرَ غِنَاءَهُ لِلرَّاغِبِيْنَ أَلْهِمْنَا ما أَلْهَمْتَ عِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ وأيقضْنَا مِن رَقْدَةِ الغَافِلِيْن إنَّكَ أكْرَمُ مُنْعِمٍ وأعزُّ مُعِيْن واغفر لنا اللَّهُمَّ وَوَفِّقْنَالِصَالِحِ الأَعْمَالَ، ونَجِّنَا من جميعِ الأَهْوَالِ، وأَمِّنَا مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَر يومَ الرَّجْفِ والزلْزَال، واغْفِرْ لَنَا ولِوالِدَيْنَا، وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ، وصَلى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبه أجمعين.

قصة عبد الله بن عباس

عبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ بنُ عَمّ المُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عليه وسلم اجْتَمَعَ لَهُ رضي الله عنه مَجْدُ الصُّحْبَةِ وَمَجْدُ القَرَابَةِ لِلرَّسُولِ صلى اللهُ عليه وسلم وَمَجْدُ العِلْمِ وَمَجْدُ التُّقي، فقدْ كانَ صَوَّاماً بِالنهارِ قَوَّاماً بالليل بَكَاء مِنَ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى قِيْلَ إن الدَّمْعَ حَفَرَ خَدَّيْهِ أَعْلَمُ الأمةِ بِكِتَابِ اللهِ وأفْــقَهُهَا بتَأوِيْلِهِ وأقْدَرُهَا على النُّفُوذِ إلى أغْوَارِهِ وَإدْرَاكِ مَرَامِيْهِ وأسْرَارِهِ.

وُلِدَ رَضِيَ اللهُ عَنه قَبْلَ الهِجْرَةِ بِثَلاثِ سَنواتٍ ولَمَّا تُوفي رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كان لَهُ ثَلاثَ عَشْرَة سَنَةَ فَقطْ وَمَعَ ذَلِكَ فَقدْ حَفظَ لِلْمُسْلِمِيْنَ عن نَبِيِّهِمْ أَلْفاً وَسِتَّمائَةٍ وسِتِّينَ حَديثاً أَثْبَتَهَا البُخَارِيُ وَمُسْلِمُ في صحيحهما.

وَلَمَّا وَضَعَتْهُ أُمُّهُ حَمَلَتْهُ إلى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَحَنَّكَهُ بِرِيقِهِ صَلى اللهُ عليه وسلم فكانَ أَوَّلَ ما دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ النَبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم المُبَارَكُ الطاهِرُ وعندمَا دَخلَ سِنَّ التَّمْييْزِ لازَمَ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم مُلازَمَةَ العَيْنِ لِأُخْتِهَا .

فكَانَ يُعِدُّ لَهُ مَاءَ وُضُوْئِهِ إذَا هَمَّ أَنْ يَتوضَأَ ويُصَلِيْ خَلْفَهُ إذا وَقَفَ لِلصَّلاةَ ويكونُ رَدِيْفَه إذَا عَزَمَ عَلَى سَفَرٍ وهُوَ في ذَلِكَ يَحْمِلُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ قَلْباً وَاعِياً وَذِهْنَاً صَافِياً .

حَدَّثَ عَن نَفْسِهِ قَالَ هَمَّ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بالوُضُوءِ ذَاتَ مَرَّةٍ فَمَا أَسْرَع أنْ أَعْدَدْتُ لَهُ المَاءَ فَسُرَّ بِمَا صَنَعْتُ ولَمَّا هَمَّ بالصلاةِ أَشَارَ إليَّ أنْ أَقِفَ بازَائِهِ فَوَقَفْتُ خَلْفَهُ .

فَلَمَّا انْتَهَتِ الصَّلاةُ مَالَ عَلِيَّ وَقَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكُونَ بازَائِيْ يَا عَبْدَ اللهِ فَقُلْتُ أَنْتَ أَجلُ في عَيْنِي وأَعَزُّ مِن أُوَازِيْكَ يا رَسُولَ الله .

فَرَفَعَ يَدَيْهِ إلى السَّمَاءِ وقال « اللَّهُمَّ آتِـهِ الحِكْمَةَ » وقَدْ اسْتَجابَ اللهُ دَعْوَةَ نَبِيِّهِ فآتاهُ مِن الحِكْمَةِ مَا فَاقَ به أَسَاطِيْنَ الحُكَمَآءِ .

من ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا اعْتَزَلَ بَعْضُ أَصْحَابِ عَلِي بن أَبِي طَالِبٍ وَخذَلُوهُ في نِزَاعِهِ مَعَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال عبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ لِعَلِي رضِيَ اللهُ عنهُ ائذَنْ لِيْ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنْيِنَ أَنْ آتِي القومَ وأُكَلِمَهُمْ فقال إِنِّي أَتخَوَّفَ عَلَيْكَ مِنْهُمْ فقال كَلَّا إِنْ شَاءَ اللهُ .

ثم دَخَلَ عَلَيْهِم فَلَمْ يَرَ قَوْماً أَشَدَّ اجْتِهَاداً مِنهُمْ في العِبَادَةِ فقالُوا مَرْحَباً بِكَ يَا ابنَ عَباسٍ مَا جَاء بِكَ فَقَالَ جِئْتُ أُحدِثُكُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لا تُحدِّثُوهُ وقال بَعْضُهُمْ بَلْ نَسْمَعُ مِنْكَ .

فَقَالَ أَخْبِرُوْنِيْ مَا تَنْقِمُونَ عَلىَ ابْنِ عَمّ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وزوْجِ ابْنَتِه وأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ قالُوا نَنْقِمُ عليه ثَلاثَة أُمورٍ أَوَّلُها أنَّهُ حَكَّمَ الرِجَالَ وَثَانِيْهَا أَنّهُ قَاتَلَ عَائِشَةَ وَمُعَاوِيَةَ وَلَمْ يَأْخُذْ غَنائِمَ وَلاَ سَبَايَا وَثَالِثُهَا أَنَّه مَحا عن نَفْسِهِ لَقَبَ أمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ مَعَ أنَّ المُسْلِمِيْنَ قَدْ بَايَعُوهُ وأَمَّرُوْهُ .

فَقَالَ أَرَأَيْتُم ، إنْ أَسْـــمَعْتُكُم مِن كِتَابِ اللهِ وَحَدَّثْتُكُم مِن حَدِيْثِ رَسُولِ اللهِ مَالاَ تُنْكِرُوْنَهُ أفَتَرجعُونَ عَمَّا أَنْتُمْ فِيْه قالُوا نَعَمْ قَال أَمَّا قولُكُم أَنَّهُ حَكَّمَ الرِّجالَ في دِيْنِ اللهِ فاللهُ سُبْحَانَهُ وتعالى يَقُولُ « يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوْا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُم حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مُتَعمِّداً فَجزاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِن النَّعَمِ يُحْكَم به ذَوا عدلٍ منكم » .

أَنْشُدُكُم اللهَ أَفَحُكْمُ الرِجّالِ في حَقْنِ دمَائِهِم وَأَنْـفُسِهِمْ وصَلاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ أَحَقُّ أَمْ في أَرْنَب ثَمَنُهَا رُبْعُ دِرْهَمٍ فَقالُوا بَلْ في حَقْنِ دِمَاءِ المُسْلِمِيْنَ وَصَلاحِ ذَاتِ بَيْـــنِهِمْ فقال أَخَرَجْنَا مِن هَذِهِ قالوُا اللَّهُمَّ نَعَمْ .

قَالَ وأَمَّا قَوْلُكُم إنَّ عَلِياً قَاتَلَ ولَمْ يَسْب ـ أيْ لَمْ يَأْخُذْ سَبَايَا كَمَا سَبىَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أَفَكُنْتُمْ تُرِيْدُوْنَ أَنْ تَسْبُوْا أُمَّكُم عَائِشَةَ كَمَا تُسْتَحَلُّ السَّبَايَا فإنْ قُلْتُمْ نَعَمْ كَفَرْتُمْ وإنْ قُلْتُمْ إنَّها لَيْسَتْ بِأُمِّكُم كَفَرْتُمْ أيْضا فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ « النبيُ أَوْلَى بالمُؤْمِنِيْنَ مِن أنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ » فاخْتَارُوْا لأَنْفُسِكُم ما شِئْتُمْ ثُمَّ قَالَ أَخَرَجْنَا مِن هَذِهِ قَالُوا اللَّهُمَّ نَعَمْ .

قال وأَمَّا قَوْلُكُم إنَّ عَلِياً مَحَا عَن نَفْسِهِ لَقَبَ امْرَةَ المُؤْمِنِيْنَ فإنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم حِيْنَ طَلَبَ مِن المُشْرِكِينَ يومَ الـحُدَيْبِيَةِ أنْ يَكْتُبُوْا في الـصُلْحِ الذي عَقَدَهُ مَعَهُمْ هَذا ما قاضَى

عليهِ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ ، قالُوا لَوْ كُنَّا نُؤْمِنْ أَنَّكَ رَسُوْلُ اللهِ مَا صَدَدْنَاك عَنَ البَيْتِ ولاَ قَاتَلْنَاكَ وَلَكِنْ أَكْتُبْ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ فَنَزَلَ عِنْدَ طَــلَبِهِمْ وهَوَ يَقُولُ والله إنِّي لَرَسُولُ اللهِ وانْ كَذَّبْتُمُونِي فَهَلْ خَرَجْنَا مِن هَذِهِ فقالُوا اللَّهُمَّ نَعَمْ .

وكانَ من ثَمَرَةِ هَذَا اللِّقَاءِ وَمَا وَفَّقَ اللهُ فِيْهِ عَبْدَ اللهِ بنَ عَبَّاسٍ مِن حِكْمَةٍ وَحُجَّةٍ أَنْ عَادَ مِنْهُمْ عِشْرُوْنَ أَلْفاً إلى صُفُوفِ عَلِي وأَصَرَّ أَرْبَعَةُ آلافٍ عَلَى خُصُوْمَتِهِمْ لِعَلِي ، ولَمَّا لَحِقَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم بِجِوَارِ رَبِّهِ اتَّجَهَ عَبدُ اللهِ بنُ عَباسٍ إلى البقيةِ البَاقِيَةِ مِن عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ يَأْخُذُ عَنْهُمْ العِلْمَ ويَتَلَقَّى عَــنْهُمْ .

وَحَدَّثَ ابنُ عباسٍ عَن نَفْسِهِ فقالَ كَانَ إِذَا بَلَغَنِي الحَدْيثَ عِنْدَ رَجُلٍ مِن صَحَابَةِ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَتَيْتُ بَابَ بَيْتِهِ في وَقتِ قَيْلُولَتِهِ وتَوَسَّدْتُ رِدَائِي عِنْدَ عَتَبَةِ دَارِهِ فَتَسْفِي عليَّ الريحُ مِن التُرَابِ ما تَسْفِي ولَوْ شِئْتُ أَنْ أَسْتَأذِنَ عليه لأَذِنَ لِي .

وإِنَّمَا كُنْتُ أَفْعَلُ ذَلِكَ لِأُطَيِّبَ نَفْسَهُ فإذا خَرَجَ مِن بَيْتِهِ رَآنِي عَلَى هَذِهِ الحَالِ وقالَ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ما جَاءَ بِكَ هَلاَّ أَرْسَلْتَ إِليَّ فَآتِيْكَ فأَقُولُ أَنَا أَحَقُّ بالمَجيْءِ إليكَ فالْعِلْمُ يُؤْتَى ولا يَأْتِي ثم أَسْأَلُهُ عن الحَدِيْثِ .

وكَمَا كَانَ ابنُ عَبَّاسٍ يُذِلُّ نَفْسَهُ في طَلَبِ العِلْمِ فَقَدْ كانَ يُعْلِي مِنْ قَدْرِ العُلَمَاءِ فَهَا هُوَ ذا زَيْدُ بْنُ ثابتٍ كاتِبُ الوَحِي ورَأْسُ أَهْلِ المَدِيْنَةِ في القَضَاءِ والفِقْهِ والقِرَاءةِ والفَرَائِضِ يَهَمُّ بِرُكُوبِ دَآبَتِهِ فَيَقِفُ عَبْدُ اللهِ بنُ عباسٍ بينَ يَدَيْهِ ويُمْسِكُ لَهُ رِكَابَهُ ويأُخذُ بِزِمَامِ دَابَّتِهِ ، فقَالَ زَيْدُ دَعْ عَنْكَ يَا ابنَ عَمِّ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فقال ابنُ عباس هَكذا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بعُلَمَائِنَا .

اللهُم يا عالمَ الخَفيات وَيَا سَامِعَ الأَصْوات ويَا بَاعِثَ الأَمْوات وَيَا مجُيْبَ الدَعَوَات وَيَا قَاضِيَ الحَاجَات يَا خَالَق الأَرْض والسَّموات أَنْتَ اللَّهُ الاحدُ الصمدُ الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحد الوَهَّابُ الذي لا يَبْخَلُ والحَليمُ الذي لا يَعْجَلُ لا رادَّ لامْرِكَ ولا مُعَقِّبَ لِحُكمِكَ نسألكَ أنْ تغفرَ ذونوبَنَا وتُنورَ قلوبنا وَتُثَبِّتَ محَبَّتَكَ في قُلوبِنَا وَتُسْكِنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إنك عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدير وَصَلَّى اللَّهُ على محمدٍ وآلهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فصل)وقَدْ إجْتَهَد إبنُ عَبَّاسٍ في طَلَبِ العِلْمِ حَتَّى بَلَغَ فيه مَبْلغاً وأَدْهَشَ الفُحُولَ فَقَالَ فِيهِ مَسْرُوْقُ بْنُ الأَجْدَعِ أَحَدُ التَّابِعِيْنَ كِنْتُ إِذا رَأَيْتُ ابنَ عَبَّاسٍ قَلْتُ أَجْمَلُ الناسِ فَإِذا نَطَقَ قُلْتُ أَفْصَحُ الناسِ فاذا تَحدَّثَ قُلْتُ أَعْلَمُ الناسِ .

ولم يَكُنِ ابْنُ عَبَّاسٍ مِن الذِينَ يَقُولُونَ مالا يَفْعَلُون ويَنْهَوْنَ ولا يَنْتَهُون وإنَّمَا كانَ صَوَّاماً بالنهارِ قَوَّاماً بالليلِ .

أَخْبَرَ عَنْهُ عَبْدُ اللهِ بنُ مُلَيْكَةَ قالَ صَحِبْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضي اللهُ عَنهُمَا مِنْ مَكَّةَ إلى المَدِيْنَةِ فكُنَّا إذا نَزَلْنا مَنْزلاً قَامَ شَطْرَ اللَّيْلِ والناسُ نِيَامٌ مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ ولَقَدْ رَأَيْتُهُ ذاتَ لَيْلَةٍ يَقْرأُ « وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيْد » فظَلَّ يُكَرِّرُهَا وَيَنْشُجُ حَتَّى طَلَعَ عَلَيْهِ الفَجْرُ .

وحَسْبُنَا بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ عبدَ اللهِ بنَ عَبَّاسٍ كَانَ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ وَجْهاً فَمَا زَالَ يَبْكِيْ في جَوْفِ اللَّيلِ مِن خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى أَحْدَثَ الدَّمْعُ عَلَى خَدَّيْهِ مَجْرَيَيْنِ شَبَّهَهُمَا بَعْضُهُمْ بِشِرَاكَيْ النَّعْلِ .

وَقَدْ بَلَغَ ابنُ عَبَّاسٍ مِنْ مَجْدِ العِلْمِ غَايَتَهُ ذَلِكَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ ابنَ أَبي سُفْيَانَ خَرجَ ذاتَ سَنَةٍ حَاجاً وخَرَجَ عَبدُ اللهِ بنُ عباسٍ حَاجاً أَيْضاً ولَمْ يَكُنْ لَهُ صَوْلَةٌ ولا أَمارَةٌ فَكانَ لِمُعَاوِيَةَ مَوْكِبٌ مِن رِجَالِ دَوْلتِهِ وَكانَ لِعَبْدِ اللهِ بنِ عباسٍ مَوْكِبٌ مِن طَلَبَةِ العِلْمِ يَفُوقُ مَوْكِبَ مُعَاوِيَةَ .

رَوَى بَعْضُ أَصْحَابِ ابن عَبَّاسٍ قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ مِن ابْنِ عَبَّاسٍ مَجْلساً لَوْ أَنَّ جمِيْعَ قَرَيْشٍ افْتَخرَتْ بِهِ لَكَانَ لَهَا مَفْخَرَةٌ فلَقَدْ رَأَيْتُ النَّاسَ اجْتَمَعُوا في الطُّرُقِ المُؤدِيَةِ إلى بَيْتِهِ حَتَّى ضَاقَتْ بِهم وَسَدُّوْهَا في وُجُوْهِ الناسِ فدَخَلْتُ عليهِ وأخْبَرْتُهُ باحْتِشَادِ الناس على بَـابِهِ .

فقال ضَعْ لِي وُضُوءاً فَتَوَضأً وَجلَس وقَالَ أُخْرُجْ وَقُلْ لَهُمْ مَنْ كَانَ يُرِيْدُ أَنْ يَسْأَلَ عَن القُرآنِ وحُرُوْفه فَلْيَدْخَلْ فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ لَهُمْ فَدَخلُوا حَتَّى مَلَؤُا البَيْتَ والحُجْرَةَ فما سَأَلُوا عَن شَيْءٍ إلا أَخْبَرَهُمْ به وزادَهُمْ مِثْلَ مَا سَأَلُوا عَنْه وَأَكْثَرَ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ افْسَحُوْا الطَّرِيْقَ لإخْوَانِكُمْ فَخَرَجُوْا .

ثُمَّ قَالَ أُخْرُج فَقُلْ مَن أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عن تَفْسِيْرِ القُرْآنِ وتَأْوِيْلِهِ فَلْيَدْخُلْ فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ لَهُمْ فَدَخلُوْا حتى مَلؤُوْا البَيْتَ والحُجْرَةِ فَمَا سَأَلُوْهُ عن شَيءٍ إلَّا أَخْبَرَهُمْ به وَزَادَهُمْ مِثْلَ مَا سَأَلُوا عَنهُ وأَكْثَرَ ثُمَّ قالَ لَهُمْ افْسَحُوْا الطَّرِيْقَ لإِخْوَانِكُم فَخَرَجُوْا .

ثم قَالَ لِيْ أُخْرُجْ فَقُلْ مَن أَرَادَ أَنْ يَسأَلَ عن الحَلاَلِ والحَرَامِ والفِقْهِ فَلْيَدْخُلْ فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ لَهُمْ فَدَخَلُوا حَتَّى مَلَؤُا البَيْتَ والحُجْرَةَ فَمَا سَأَلُوْهُ عَن شَيْءٍ إلَّا أَخْبَرَهُمْ بِهِ وَزَادَهُمْ مِثْلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَفْسَحُوْا الطَّرِيق لإِخْوَانِكُمْ فَخَرَجُوا .

ثُمَّ قَالَ اخْرُجْ فَقُلْ مَن أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَن الفَرَائِضِ وَمَا أَشْبَهَهَا فَلْيَدْخُلْ فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ لَهُمْ فَدَخلُوا حَتَّى مَلؤُوا البَيْتَ والحُجْرَة فَمَا سَأَلُوهُ عن شَيْءٍ إلَّا أَخْـبرهُمْ بِهِ وَزَادَهُمْ مِثْلَهُ ثُمَّ قال لَهُمْ افْسَحُوْا الطَّرِيْقَ لإِخْوَانِكُمْ فَخرَجُوْا .

ثُمَّ قَالَ أُخْرُجْ فَقُلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ العَرَبِيَّةِ والشِّعْرِ وغَرِيْبِ كَلَامِ العَرَبِ فلْيَدْخُلْ فَدَخَلُوا حَتَّى مَلؤُا البَيْتَ والحُجْرَةَ فما سأَلُوهُ عن شَيْءٍ إلَّا أَخْبَرَهَمْ بِهِ وَزَادهُمْ مِثْلَهُ قال رَاوِي الخَبَـــرِ فَلَوْ أَنَّ قُرَيْشاً كُلَّهَا فَخَرَتْ بِذَلِك لَكَانَ ذَلِكَ لَهَا فَخْراً .

وكان ابنُ عباسٍ رَأَى أَنْ يُوَزِّعَ العُلُومَ عَلَى الأَيَّامِ حَتَّى لا يَحْدُثَ على بَابِهِ مِثْلُ ذَلِكَ الزِّحَامِ فَصَارَ يَجْلِسُ في الأُسْبُوعِ يوماً لا يَذْكُرُ فيه إلَّا التَّفْسِيْرَ ويوماً لا يَذْكُرُ فيه إلَّا الفِقْهَ ويوماً لا يَذْكُرُ فيه إلَّا المَغَازِيَ وَيَوماً لَا يَذكُرُ فِيْه إلَّا أَيامَ العَرَبِ .

وقَدْ غَدَا ابنُ عَباسٍ بِفَضْلِ مَا وَهَبَهُ اللهُ مِنْ العِلْمِ والفِقْهِ مُسْتَشَاراً لِلْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ على الرَّغْمِ مِن حَدَاثَةِ سِنِهِ فكانَ إذَا عَرَضَ لِعُمَرَ بن الخَطَابِ أَمْرٌ وَوَاجَهَتْهُ مُعْضِلَةٌ دَعَا جِلَّةَ الصَّحَابَةِ وَدَعَا مَعَهُمْ عَبْدَ اللهِ بنَ عَبَّاس فاذَا حَضَرَ رَفَعَ مَنْزِلَتَهُ وأَدْنَى مَجلِسَهُ وَقَـالَ لَهُ لَقَدْ أَعْضَلَ عَلَيْنا أَمْرٌ أَنْتَ لَهُ ولأَمْثَالِهِ .

وَقَدْ عُوْتِبَ عُمَرُ مَرَّةً في تَقْدِيْمِهِ لابْنِ عَبَّاسٍ وَجَعْلِهِ مَعَ الشُيُوْخِ وَهُوَ مَا زَالَ فَتًى فَقَالَ إنَّهُ فَتَى الكُهُوْلِ لَهُ لِسَانٌ وقَلب عقول أ هـ .

قال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُمَا فأَذِنَ لَهُمْ يَوْماً وأَذِنَ لِيْ مَعَهُمْ فَسَأَلَهُمْ عَنْ هَذِهِ السُّوْرَةِ ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ ﴾ فقالُوْا أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ صلى اللهُ عَليهِ وسلم إذ فَتَحَ اللهُ عليه أَنْ يَسْتَغْفِرَ وَأَنْ يَتُوْبَ إِلَيْهِ .

فَقَالَ مَا تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ لَيْسَ كَذَلِكَ ولَكِنَّهُ أَخْبَرَ نَبِيَّهُ بِحُضُوْرِ أَجَلِهِ فقال ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ ﴾ فَتْحُ مَكةَ وَرَأَيْتَ النَاسَ

يَدْخُلوُنَ في دِيْنِ اللهِ أفْوَاجاً أيْ فَعْنْدَ ذَلِكَ عَلاَمَةُ مَوْتِكَ فَسَبِّحْ بحَمْدِ رَبِّكَ واسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّابَا .

فَقَالَ لَهُـمْ كَيْفَ تَلُوْمُوْنَنِيْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا تَرَوْنَهُ وقِيْلَ لابْنِ عَبَّاسٍ أنَّى أصَبْتَ هَذا العِلْمَ قالَ بِلِسَانٍ سَؤوْلٍ وقَلْبٍ عَقُوْلٍ وقال ابنُ مسعُوْدٍ نِعْمَ تَرْجُمَانُ القُرآنِ ابنُ عَبَّاسٍ وقال مُجاهِدُ كانَ ابِنُ عباسٍ يُسَمَّى البَحْرَ لِكَثْرَةِ عِلْمِهِ .

عَلَى أنَّ ابنَ عَبَّاسٍ حِيْنَ انْصَرفَ إلى الخَاصَّةِ لِيُعَلِّمَهُمْ ويُفَقِّهَهُمْ لَمْ يَنْسَ حَقَّ العَامَّةِ فكَانَ يَعْقِدُ لَهُمْ مَجالِسَ الوَعْظِ والارْشَادِ والتَّذْكِيْر .

فَمِنْ مَوَاعِظِهِ قَوْلُهُ مُخَاطِباً أَصْحَابَ الذُنُوبِ وَالمَعَاصِيْ : يا صَاحِبَ الذَّنْبِ لا تَأْمَنْ عَاقِبَةَ ذَنْبِكَ وأعْلَمْ أنَّ ما يَتْبَعُ الذَّنْبَ أعْظَمُ مِن الذَّنْبِ نَفْسِهِ فانَّ عَدَمَ اسْتِحْيَائِكَ مِمَّنْ علىَ يَمِيْنِكَ وعلى شِمَالِكَ وأَنْتَ تَقْتَرِفُ الذَّنْبِ لا يَقِلُّ عن الذنْبِ .

وإنَّ ضِحْكَكَ عِنْدَ الذَّنْبِ وأَنْتَ لَا تَدْرِيْ مَا اللهُ صَانِعٌ بكَ أَعْظَمُ مِن الذَّنْب وإنَّ حُزْنَكَ على الذَّنْب إذَا فَاتَكَ .أَعْظَمُ مِن الذَّنْب وَإنَّ خَوْفَكَ مِن الريْحِ إذَا حَرَّكَتْ سِتْرَكَ وَأَنْتَ تَرْتَكِبُ الذَّنْبَ مَعَ كَوْنِكَ لاَ يَضْطَرِبُ فُؤَادُكَ مِن نَظَرِ اللهِ إلَيْكَ أَعْظَمُ مِنْ الذَّنْبِ .

يا صَاحِبَ الذَّنْب مَا كَانَ ذَنْبُ أَيُوبَ عَلَيهِ السلامُ فابْتَلاَهُ اللهُ عَزَّ وَجلَّ بِجَسَدِهِ وَمَالِهِ إنَّمَا كانَ ذَنْبُهَ أنَّهُ اسْتَعَانَ بِهِ مِسْكِيْنٌ لِيَدْفَعَ عنهُ الظُلْمَ فَلَمْ يُعِنْهُ .

وكانَ يَقُولُ أعُوْلُ أَهْلَ بَيْتٍ مِن المُسْلِمِيْنَ شَهْراً أَوْ جُمُعَةً أَوْ مَا شَاءَ اللهُ أَحبُّ إليَّ مِن حَجَّةٍ بَعْدَ حَجَّةٍ وَلَطَبَقٌ بدَانِقٍ أَهْدِيْهِ إلىَ أَخٍ لِيْ فِي اللهِ أَحَبُّ إليَّ مِن دِيْنَارٍ أَنْفِقُهُ في سَبِيْل اللهِ .

وكانَ يَقُولُ آخِرُ شِدَّةٍ يَلْقَاهَا المُؤْمِنُ المَوْتَ وَيقُولُ خُذ الحِكْمَةَ مِمّنْ سَمِعْتَ فإنَّ الرَّجُلَ يَتَكَلَّمُ بالحِكْمَةِ وَلَيْسَ بحَكِيْمٍ فَتَكوُنُ كالرَّمْيَةِ خَرَجَتْ مِن غَيْرِ رَامِي ، عُمّرَ ابنُ عَبَّاسٍ احْدَى وسَبْعْيْنَ سَنَةٍ مَلأَ فِيْهَا الدُنْيَا عِلْمَا وفَهْمَا وحِكْمَةٍ وزهداً وتقى .

ولَمَّا سَقَطَ في عَيْنَيْهِ المَاءُ وذَهَبَ بَصَرُهُ قِيْلَ لَهُ خَلِّ بيْنَنَا وبَيْنَ عَيْنَيْكَ نُسِيْلُ مَاءَهُمَا ولَكِنَّكَ تُمْسِكُ خَمْسَةَ أَيَامٍ لا تَسْجُدُ فقال لَا وَاللهِ ولَا رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ إنِّي حُدِّثْتُ أَنَّهُ مَنْ تَرَكَ صَلاةً وَاحِدَةً مُتَعَمِّداً لَقِيَ اللهَ وهُوَ عَلَيهِ غَضْبَانٌ .

قَال مَيْمُونُ بنُ مِهْرَانَ شَهدتُ جَنَازَةَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عبَّاسٍ بالطَّائِفِ فلمَّا وُضِعَ لِيُصَلَّى عَلَيْهِ جَاءَ طَائِرٌ أَبْيَضُ حَتَّى دَخَلَ في أَكْفَانِهِ فَالْتُمِسَ فَلَمْ يُوْجَدْ فَلَمَّا سُوِيَ عليهِ الرُّابُ سَمِعْنَا صَوْتاً ولا نَرَى شَخْصاً « يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّة ارْجِعِيْ إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً فَادْخُلِى فى عِبَادِي وادْخُلِيْ جَنَّتِي » أ هـ بتصرف بزيادة ونقص . وصلى الله على محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ .

قِصَّةُ سَلْمَان الفَارِسِي

قال سلمَانُ كُنْتُ رَجُلاً فَارِسِياً مِن أَهْلِ أَصْبهَانِ مِن قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا جَيَّانِ وكانَ أَبِيْ دَهْقانُ القَرْيَةِ وَأَغْنَى أَهْلِهَا وَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً وَكُنْتُ أَحَبُّ خَلْقَ اللهِ إِلَيْهِ مُنْذُ وُلِدْتُ ثُمَّ مَا زَالَ حُبُّه لِيْ يَشْتَدُّ وَيَزْدَادُ حَتَّى حَبَسَنِيْ فِي البَيْتِ خَشْيَةً عَلَيَّ كَمَا تُحْبَسُ الفَتَيَاتُ .

قَالَ سَلْمَانُ وَقَدْ اجْتَهَدتُ في المَجُوْسِيَّةِ حَتَّى غَدَوْتُ قِيَمَ النَّارِ الَّتِي كُنَا نَعْبُدُهَا قَالَ سَلْمَانُ وَأُنِيْطَ بِي أَمْرُ إِضْرَامِهَا حَتَّى لَا تَخْبُو سَاعَةً في

لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ وَكَانَ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيْمَةٌ ـ الأَرْضُ المُغِلَّةُ ـ تُدِرُّ عَلَيْنَا غَلَّةً كَبِيْرَةً وكان أَبِي يَقُومُ عَلَيْهَا وَيَجْنِي غَلَّتَها .

وفي ذَات مَرَّةٍ شَغَلَهُ عن الذَّهَاب إلى القَرْيَةِ شَاغِلٌ فَقَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ عَنِ الضَّيْعَةِ بِمَا تَرَى فَاذْهَبْ إليها وَتَوَلَّى اليَوْمَ عَنِي شَأْنَهَا فَخَرَجْتُ أَقْصُدُ ضَيْعَتَنا .

وَبَيْنَمَا أَنَا في بَعْضِ الطَّرِيْقِ مَرَرْتُ بِكَنِيْسَةٍ مِن كَنَائِسِ النَّصَارَى فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُم فِيْهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ فَلَفَتَ ذَلِكَ انْتِبَاهِيْ وَذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ شَيْئاً مِن أَمْرِ النَّصَارَى ولا أَمْرِ غَيْرِهِمْ مِن أَصْحَابِ الأَدْيَانِ لِطُولِ مَا حَجَبَنِيْ أَبِي عن الناسِ في بَيْتِنَا .

فَلَمَّا سَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ لِأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُوْنَ فَلَمَّا تَأَمَّلْتَهُمْ أَعْجَبَتْنِي صَلاتُهُمْ وَرَغِبْتُ في دِيْنِهِم وَقُلْتُ واللهِ هَذَا خَيْرٌ مِن الذي نَحْنُ عَلَيْهِ فواللهِ مَا تَرَكْتَهُمْ حَتَى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَلَمْ أَذْهَبْ إلى ضَيْعَةِ أَبِيْ ثُمَّ سَأَلْتُهُمْ أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّيْنِ قالُوا في بِلَادِ الشَّامِ .

وَلَمَّا أَقْبَلَ اللَّيْلُ عُدْتُ إلى بَيْتِنَا فَتَلَقَانِي أَبِي يَسْأَلُنِي عَمَّا صَنَعْتُ فَقُلْتُ يَا أَبتِ إِنِّيْ مَرَرْتُ بِأُنَاسٍ يُصَلُّونَ في كَنِيْسَةٍ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِن دِيْنِهِمْ وَمَا زلتُ عِنْدَهْم حَتَّى غرَبَتِ الشمسُ فَذُعِرَ أَبِي مِمَّا صَنَعْتُ .

وقال أيْ بُنَيَّ لَيْسَ في ذَلِكَ الدِّيْنِ خَيْرٌ دِيْنُكَ ودِيْنُ آبائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ قُلْتُ كَلَّا ـ وَاللهِ ـ إِنَّ دِيْنَهُمْ لَخَيْرٌ مِن دِيْنِنَا فَخَافَ أَبِي مِمَّا أَقُولُ وَخَشِيَ أَنْ أَرْتَدَّ عن دِيْنِيْ وَحَبَسَنِيْ بالبَيْتِ وَوَضعَ قَيْداً في رِجْلِي .

وَلَمَّا أُتِيْحَتْ لِيْ الفُرْصَةُ بَعَثْتُ إلى النَّصارَى أَقُولُ لَهُمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُم رَكْبٌ يُرِيْدُ الذَّهَابَ إلى بِلَادِ الشَّامِ فَأَعْلِمُوْنِي فَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيْلٌ

حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مُتَّجِهَةٌ إلى الشَّام فَأَخْبَرُوْنِي بِهِ فاحْتَلْتُ على قَيْدِيْ حَتَّى حَلَلْتُهُ وَخَرَجْتُ مَعَهُمْ مُتَخَفِياً حتى بَلَغْنَا بِلَادَ الشام .

فَلَمَّا نَزَلْنَا فِيْهَا قُلْتُ مَن أَفْضَلُ رَجُلٍ مِن أَهْلِ هَذَا الدِّيْنِ قَالُوا الأُسْقُفْ ـ مرْتَبَةٌ فَوْقَ القِسِيْس عِنْدَ النَّصَارَى ـ رَاعِيَ الكَنِيْسَةِ فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ إِنّيْ رَغِبْتُ في النَّصْرَانِيَّةِ وَأَحْبَبْتُ أن أَلْزَمَكَ وَأَخْدِمَكَ وَأَتَعَلَّمَ مِنْكَ وَأُصَلِي مَعَكَ فقال أُدْخُلْ فَدَخَلْتُ عِنْدَهُ وَجعَلْتُ أَخْدِمُهُ .

ثُمَّ مَا لَبِثْتُ أَنْ عَرَفْتُ أَنَّ الرَّجُلَ رَجُلُ سُوْءٍ فَقَدْ كَانَ يَأْمُرُ أَتْبَاعَهُ بالصَّدَقَةِ وَيُرَغِبُهُمْ بِثَوابِهَا فإذا أَعْطَوْهُ مِنْهَا شَيْئاً لِيُنْفِقَهُ في سَبِيْلِ اللهِ اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الفُقَرَاءَ والمَسَاكِيْنَ مِنْهُ شَيْئاً حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِن ذَهَبٍ فَأَبْغَضْتُهُ بُغْضاً شَدِيْدَاً لِمَا رَأَيْتُهُ مِنْهُ .

ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ مَاتَ فَاجْتَمَعَتْ النَّصَارَى لِدَفْنِهِ فَقُلْتُ لَهُمْ إنَّ صَاحِبَكُم كَانَ رَجُلُ سُوْءٍ يَأْمُرُكُم بالصَّدَقَةِ وَيُرَغِبُكُمْ فِيْهَا فَإِذَا جِئْتُمُوْهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِيْنَ مِنْهَا شَيْئاً قَالُوا مِنْ أَيْنَ عَرَفْتَ ذَلِكَ قُلْتُ أَنَا أَدُلُكُمْ على كَنْزِهِ .

قَالُوْا نَعَمْ دُلَّنَا عَلَيْهِ فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ فاسْتَخْرَجُوْا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةً ذَهَباً وَفِضَّةً فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا واللهِ لا نَدْفُنُهُ ثم صَلَبُوهُ وَرَجَمُوهُ بالحِجَارَةِ ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَمْضِ غَيْرُ قَلِيْلٍ حَتَّى نَصَبُوْا رَجُلاً آخَرَ مَكَانَهُ فَلَزِمْتُهُ فَمَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَزْهَد مِنْهُ في الدُّنْيَا ولا أَرْغَبَ مِنْهُ في الآخِرَةِ وَلَا أَدْأَبَ مِنْهُ على العِبَادَةِ لَيْلاً وَنَهَاراً فَأَحْبَبْتُهُ حُباً جَمَّاً وَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَاناً .

فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قُلْتُ يَا فُلانُ إلى مَنْ تُوْصِيْ بِي وَمَعَ مَنْ تَنْصَحُنِي أَنْ أَكُونَ مِن بَعْدِكَ فقالَ أَيْ بُنَيَّ لا أَعْلَمُ أَحداً على ما كُنْتُ

عَلَيْهِ إلَّا رَجُلاً بالمَوْصِلِ هُوَ فُلانٌ لَمْ يُحَرِّفْ وَلَمْ يُبَدِّلْ فَأَلْحَقْ بِهِ فَلَمَّا مَاتَ صَاحِبِيْ لَحِقْتُ في المَوْصِلِ فَلَمَّا قَدِمْتُ عليه قَصَصْتُ عَلَيْهِ خَبَرِيْ وَقُلْتُ لَهُ إنَّ فُلاناً أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ مُتَمَسِّكٌ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِن الحَقِّ فقال أَقِمْ عِنْدِيَّ فَأَقَمْتُ عِندَهُ فَوَجَدْتُهُ على خَيْرِ حَالٍ .

ثُمَّ انَّه لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ يَا فُلَانُ لَقَدْ جَاءَكَ مِن أَمْرِ اللهِ مَا تَرَى وَأَنْتَ تَعْلَمُ مِنْ أَمْرِي مَا تَعْلَمُ فإلى مَنْ تُوْصِي بِيْ وَمَنْ تَأْمُرُنِي باللَّحاقِ بِهِ فقالَ أَيْ بُنَيَّ واللهِ مَا أَعْلَمُ أَنَّ رَجُلاً على مِثْل ما كُنَّا عليهِ إلا رَجُلاً بِنَصِيْبِيْن وَهُوَ فُلانٌ فالْحقْ بِهِ فَلَمَّا غُيبَ الرَّجُلُ في لَحدِهِ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نَصِيْبِيْنَ وَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِيْ وما أَمَرَنِي به صَاحِبِيْ فَقَالَ لِيْ أَقِمْ عِندَنَا فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ فَوجَدْتُهُ على ما كَانَ عَلَيْهِ صَاحِبَاهُ مِنْ الخَيْرِ .

فَوَاللّهِ مَا لَبثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ المَوتُ فَلَمَّا أَنْ حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قلْتُ لَهُ لَقَدْ عَرَفتَ من أَمْرِيْ مَا عَرَفْتَ فَإِلَى مَنْ تُوْصِيْ بِيْ فقال أَيْ بُنَيَّ واللهِ إنِّيْ مَا أَعْلَمُ أَحَداً بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا إلَّا رَجُلاً بعَمُّورِيَّةَ هُوَ فُلَانٌ فَالْحَقْ بِهِ فَلَحِقْتُ بِهِ وَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِيْ فَقَالَ أَقِمْ عِنْدِي فأقَمْتُ عِنْدَ رَجُلٍ كَانَ ـ واللهِ ـ على هَدْيِ أَصْحَابِهِ وقد اكْتَسَبْتُ وأنا عندَهُ بَقَراتٍ وَغُنَيْمَةً .

ثُمَّ مَا لَبَثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ ما نَزَلَ بِأَصْحَابِهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ إنكَ تَعْلَمُ مِن أَمْري ما تَعْلَمُ فَإلى مَنْ تُوْصِيْ بِي وَمَا تَأْمُرُني أَنْ أَفْعَلَ فقال يا بُنَيَّ : واللهِ ـ مَا أَعْلَمُ أن هُناكَ أَحَداً مِنَ النَاسِ بَقِيَ عَلَى ظَهْرِ الأرْض مُسْتَمْسِكاً بِمَا كُنَّا عَلَيْهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّ زَمَانٌ يَخْرُجُ فِيْهِ بِأَرْضِ العَرَبِ نَبِيٌ يُبْعَثُ بدِيْنِ إِبْرَاهِيْمَ ثُمَّ يُهَاجِرُ مِن أَرْضِهِ إلى أَرْضٍ

ذَاتِ نَخْلٍ بَيْنَ حَرَّتَيْن وَلَهُ علامَاتٌ لا تَخْفَى فَهُو يأْكُلُ الهَدِيَةَ وَلاَ يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُبُوةِ فإنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ البِلاَدِ فَأَفْعَلْ .

ثُمَّ وَافَاهُ الأَجَلُ فَمَكَثْتُ بَعْدَهُ بِعَمُّورِيَّةَ زَمَنَاً إلى أَنْ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِن تُجَّارِ العَرَبِ مِن قَبِيْلَةِ كَلْبٍ فَقُلْتُ لَهُمْ انْ حَمَلْتُمُوْنِي مَعَكُم إلى أَرْضِ العَرَبِ أَعْطَيْتُكُم بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي فَقَالُوا نَعَمْ نَحْمِلُكَ فَأَعْطَيْتُهُم إيَّاهَا وَحَمَلُونِي مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا بَلَغْنَا وَادِي القُرَى غَدَرُوْا بِي وَبَاعُوْنِي لِرَجُلٍ مِن اليَهُودِ فالْتَحَقْتُ بِخِدْمَتِهِ .

ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ زَارَهُ ابنُ عَمٍ لَهُ مِن بَنِيْ قُرَيْضَةَ فاشْتَرَانِي مِنْهُ وَنَقَلَنِيْ مَعَهُ إلى يَثْرِبَ فَرَأَيْتُ النَّخْلَ الذِي ذَكَرَهُ لِيْ صَاحِبِيْ بِعَمُّورِيَّةَ وَعَرَفْتُ المَدِينَةَ بالوَصْفِ الذي نَعَتَهُا بِهِ فَأَقَمْتُ بِهَا مَعَهُ وَكَانَ النَّبيُّ حِيْنَئِذٍ يَدْعُوْ قَوْمَه بِمَكَةَ لَكِنِّي لَم أَسْمَع لَهُ بِذِكْرٍ لانْشِغَالِي بِمَا يُوْجِبُهُ عَلَيَّ الرِّقُ .

ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ هَاجَرَ الرسولُ صلى اللهُ عليه وسلم إِلَى يَثْرِبَ فَوالله إِنِّي لَفِيْ رَأْسِ نَخْلَةَ لِسَيْدِي أَعْمَلُ فِيْهَا بَعْضَ العَمَلِ وَسَيِّدِيْ جَالِسٌ تَحْتَهَا إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ابنُ عَمٍّ لَهُ وقال لَهُ قَاتَلَ اللهُ بَنِيْ قَيْلَةَ والله إِنَّهُمْ الآنَ لَمُجْتَمِعُوْنَ بِقُبَاء عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ اليومَ مِنْ مكَّة يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ .

فَمَا إِنْ سَمِعْتُ مَقَالَتَهُ حَتَّى مَسَّنِيْ مَا يُشْبِهُ الحُمَّى وَاضْطَرَبْتُ اضْطِرَاباً شَدِيْدَاً حَتَّى خَشِيْتُ أَنْ أَسْقُطَ عَلى سَيِّدِي وَبَادَرْتُ إِلى النُّزُوْلِ عن النَّخْلَةِ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لِلرَّجُلِ مَاذا تَقُولُ أَعِدْ عَلَيَّ الخَبَرَ فَغَضِبَ

سَيِّدِيْ وَلَكَمَنِيْ لَكْمَةً شَدِيْدَةً وقال لي مَالَكَ ولِهَذَا عُدْ إلى مَا كُنْتَ فِيْهِ مِن عَمَلِكَ .

وَلَمَّا كَانَ المَسَاءُ أَخَذْتُ شَيْئاً مِن تَمراتٍ كُنْتُ جَمَعْتُهُ وَتَوَجَّهْتُ إِلى حَيْثُ يَنْزِلُ الرسولُ صلى اللهُ عليه وسلم فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُوْا حَاجَةٍ وَهَذَا كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ فَرَأَيْتُكُم أَحَقَّ بِهِ مِن غيركُم ثُمَّ قَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ .

فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ كُلُوْا وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ فَقُلْتُ في نَفْسِيْ هَذِهِ وَاحِدَةٌ ثُمَّ انْصَرَفْتُ وَأَخَذْتُ أَجْمَعُ بَعْضَ التَّمْرِ فَلَمَّا تَحَوَّلَ الرسولُ صلى الله عليه وسلم إلى المَدِيْنَةِ جِئْتُهُ فَقَلْتُ لَهُ إِنِي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَهذه هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا فَأَكَلَ مِنْهَا وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ فَقُلْتُ في نَفْسِيْ هَذِهِ الثَّانِيَةُ .

ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وهُوَ بِبَقِيْعِ الْغَرْقَدِ حَيْثُ كانَ يُوَارِي أَحَدَ أَصْحَابِهِ فَرَأَيْتُهُ جَالِساً وَعَلَيْهِ شَمْلَتَانِ فَسَلَّمْتُ عليهِ ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إلى ظَهْرِهِ لَعَلِيْ أَرَى الخَاتَمَ الذِي وَصَفَهُ لِيْ صَاحِبِيْ في عَمُّوْرِيَّةَ .

فَلَمَا رَآنِي أَنْظُرُ إلى ظَهْرِهِ عَرفَ غَرَضِيْ فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عن ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ فَرَأَيْتُ الخاتَمَ فَعَرَفْتُهُ فَانكَبَبْتُ عليهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِيْ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَا خَبَرُكَ فَقَصَصْتُ عليه قِصَّتِيْ فَأُعْجِبَ بِهَا وَسَرَّهُ أَنْ يُسْمِعَهَا أَصْحَابَهُ فأَسْمَعْتُهُم إِيَّاهَا فَعَجِبُوْا مِنْهَا أَشَدَّ العَجَبِ وَسُرُّوْا بِهَا أَعْظَمَ السُرور أهـ بتصرفٍ يسير .

اللهم يا مَنْ لا تَضُرُّهُ المعصية ولا تنفعُهُ الطاعَةَ أيقظنَا مِنْ نَومِ الغفلةِ وَنَبِّهْنَا لاغْتِنَامِ أوقاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا واعْصِمْنَا مِن قبائِحِنَا ولا تؤاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عليهِ ضَمائِرُنَا وأَكَنَّتْهُ سَرائِرُنَا مِنْ أنواعِ القَبَائِحِ والمَعَائِبِ التي تَعْلَمُهَا

مِنَا ، وامنُنْ علينَا يا مولانَا بتوبةٍ تمحو بها عنا كُلَ ذَنْبٍ واغْفِرْ لَنا ولِوَالِدَيْنَا ولِجميعِ المسلمين الأحْياءِ منهم والميتيْنَ بِرحمَتِكَ يَا أرْحَمَ الراحميْنَ وصلى اللهَ على محمدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ أجمعِيْنَ .

(فَصْـــلٌ)

ثُمَّ شغَلَ سَلمانُ الرّقُ حَتَّى فَاتَهُ بَدْرٌ وَأُحُدُ قال سَلْمَانُ ثم قال لِيْ رَسُولُ اللهِ صلَى اللهُ عليه وسلم كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ فكاتَبْتُ صَاحِبيْ عَلى ثَلاثِمائَةِ نَخْلَةٍ أحْيِيْهَا لَهُ بالفقر وَبأرْبَعِيْنَ أَوقية فقال رَسول الله صَلى الله عليهِ وسلم لأصْحَابِهِ أعِيْنُوا أخَاكُم فأعَانُونِي حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِيْ ثَلاثُمائَةِ وَدْيَةٍ .

قالَ سَلْمَانُ فقال لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم اذْهَبْ فافْقُرْ لَهَا فإذَا فَرَغْتَ فأتِنِيْ أكنْ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدِيْ قال فَفَقَرْتُ لَهَا وَأَعَانَنِيْ أَصْحَابِي فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إِلَيْهَا فَجعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الوَدْيَ وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم بِيَدِهِ فَوالذِي نَفْسُ سَلْمَانُ بيَدِهِ مَا مَاتَ مِنْهَا وَدْيَةٌ وَاحِدَةٌ فَبقِيَ عَلَيَّ المالُ .

فَفِيْ هَذِهِ القِصَّةِ مُعْجِزَةٌ عَظِيْمَةٌ حَيْثُ لَمْ يَمُتْ مِمَّا غَرَسَهُ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم ولا وَاحِدَةٌ قال سَلْمَانُ فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِن ذَهَبٍ فَقَالَ ما فَعَلَ سَلْمَانُ الفَارِسِيُ المُكَاتَبُ فَدُعِيْتُ لَهُ فَقَالَ هَذِهِ أَدِّبِهَا مَا عَلَيْكَ قُلْتُ وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِه يَا رَسُولَ اللهِ مِمَّا عَلَّي قالَ خُذْهَا فإنَّ اللهَ سَيُؤَدِيْ بِهَا عَنْكَ .

فَأخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا والذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بيَدِهِ أَرْبَعِيْنَ أُوْقِيَّةً وَعَتَقْتُ فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ الخَنْدَقَ ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ وَاحِدٌ وَهذِهِ أَيْضَا مُعْجِزَةٌ عَظِيْمَةٌ .

وكان سلمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَرِعاً زَاهِداً قال الحَسَنُ كانَ عَطاءُ سَلْمَانَ خَمْسَةُ آلافٍ وكان أَمِيراً عَلَى زُهَاء ثلاثين أَلْفَا مِن المُسْلِمِيْنَ

وكان يَخْطُبُ الناسَ في عَبَاءَة يَفْتَرِشُ بَعْضَهَا وَيَلْبَسُ بَعْضَها فَإِذَا خَرَجَ عَطاؤُهُ أَمْضاهُ ـ يَعْنِي أنه كَانَ يَتَصَدَّقُ بوَضِيْفَتِهِ مِن بَيْتِ المَالِ وَيَأْكُلُ مِن سَفِيْفِ يَدَيْهِ أَيْ يَسِفُ الخُوْصَ وَيَأْكُلُ مِنْ قِيْمَتِه إذا باعَهُ .

وعنه رَضِيَ الله عنه قال اشْتَرِيْ خُوْصاً بِدِرْهَم فَأَعْمَلُهُ فَأَبِيْعُهُ بِثَلاَثَةِ دَرَاهِمَ فَأُعِيْدُ دِرْهَماً فِيْهِ وَأُنْفِقُ دِرْهَماً عَلى عِيَالِي وَأَتَصَدَّقُ بِدِرْهَمٍ وكانَ سَلْمَانُ أَمِيْراً عَلَى المَدَائِنِ فَجَاءَ رَجُلٌ مَعَهُ حِمْلُ تِبْنٍ وَعَلى سَلْمَان عَبَاءَةٌ فقال لَهُ تَعَالَى احْمِلْ وَهُوَ لا يَعْرِفُهُ فَحَمَل فَرَآهُ النَاسُ فَقَالُوا هَذَا الأَمِيْرُ فَقَالَ الرَّجُلُ لِسَلْمَانَ لَم أَعْرِفُكَ فقال لَهُ سَلْمَانُ إِنِّي قَدْ نَوَيْتُ فِيْهِ نِيَّةً فَلَنْ أَضَعَهُ حَتَّى أَبْلُغَ بَيْتَهُ ، هَذِه نُبْذَةٌ يَسِيْرَةٌ مِن سِيْرَةِ سَلْمَانَ الفَارِسِي رَضِيَ اللهُ عنه .

كَم ذا أُؤَمِّلُ عَفْواً لَسْتُ أَكْسَبُهُ ... وَيْلٌ لِجِلْدِيَ يَوْمَ النَّارِ مِن أَمَلِي
قولٌ جَمِيْلٌ وأفعالٌ مُقبَّحةٌ ... يَا بُعْدَ ذَا القولِ في الدُّنيا مِن العَمَلِ
يا بُؤسَ لِلْعَيشِ غُرَّ العَالِمُونَ بِهِ ... والجاهِلونَ مَعاً في الأعْصُرِ الأوَلِ
مَضَوا جَمِيعاً فلا عَينٌ ولا أثَرٌ ... خَانُوا وحَالُوا وهذا الدَّهُر لم يَحُلِ
كأنَّهم بعْد ما استَمْطَوا جَنَّائزَهُم ... لم يَمْتَطُوا صَهَواتِ الخيلِ والإبِلِ
قالوا: فرَغْتَ مِن الأشغال؟ قلتُ لهم: ... لوْ لَمْ أكنْ بانتظارِ الموتِ في شُغُلِ
إنّي لأَعْلَمُ عِلْماً لا يُخَالِجُه ... شَكٌّ ، فأَطْمَعُ لِلدُّنيا ويُطْمِعُ لِي
بأنَّه لا مَحِيصَ عنْ مَدَى سَفَرِي ... ولا دَوَاءَ لِمَا أَشكُوهُ مِن عِلَلِي
وأنّني سَوفَ أَلْقَى ما يُطِيْحُ بِهِ ... كَيْدِي وتَذْهبُ عَنه ضُلَّلاً حِيَلِي
وكَيفَ يُطْبِقُ جَفْناً بالكَرَى رَجُلٌ ... وَرَاءَهُ لِلرَّدَى حَادٍ مِن الأَجَلِ ؟
أَمْ كيفَ يُصْبِحُ جَذْلاَناً وليَسَ لَهُ ... عِلمُ الآلهِ بِعُقْبى ذَلك الجَذَلِ ؟
يا رَاقِداً ونِدَاءُ اللهِ يُوقظُهُ ... أَلا تَزَوَّدتَ فِينا زَادَ مُرْتَحِلِ ؟

اللهم إنا نسألك رحمةً مِن عندكَ تَهْدِي بها قُلُوْبَنَا ، وتَجْمعُ بها شَمْلَنَا ،

ولَمُّ بها شَعَثَنَا ، وتَرْفَعُ بها شاهِدَنَا ، وتَحفَظُ بها غائِبَنا ، وتُزَكِّي بها أَعْمَالَنَا ، وتُلْهِمَنَا بها رُشْدَنَا ، وتَعْصِمَنَا بها مِن كُلِ سُوء يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنا بِكَ وَبِمَلاَئِكَتِك وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَثَبِّتنا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ في الحَياةِ الدنْيَا وفي الآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنا وَلِوَالِدَيْنا وجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ وصَلى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبه أَجْمَعِيْنَ

قصة : كانَ طاوُوسُ بنُ كَيسانَ مِنْ أَهْلِ اليَمَن وكانتِ الوَلاَيَةُ في اليَمَنِ إذْ ذاكَ لِمُحَمَّدِ بنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيَ أخي الحَجَّاجِ بنِ يُوسُف، أَرْسَلَهُ الحجَّاجُ والِياً عَلَيْها بَعْدَ أَنْ عَظُمَ أَمْرُه... وقَوِيَتْ شَوْكَتهُ.. واشْتَدَّتْ هَيْبَتُهُ إثْرَ قَضائِهِ عَلى حَرَكَةِ عَبْدِالله ابنِ الزُّبَيْر.

وكانَ مُحَمَّدُ بنُ يُوسُفَ يَجْمَعُ في ذاتِهِ كثيراً مِنْ سَيِّئاتِ أخيهِ الحجَّاج، ولكِنَّهُ ما كانَ يَتَحَلَّى بِشَيْءٍ مِنْ حَسَناتِهِ.

وفي غداةِ يَوْمٍ باردٍ من أَيَّامِ الشِّتاءِ دَخَلَ عَلَيْهِ طاوُوسُ بنُ كَيْسَانَ ومَعَهُ وَهْبُ بنُ مُنَبِّه.

فَلَمَّا أَخذا مَجْلِسَيْهِما عِنْدَهُ طَفِقَ طاوُوسٌ يَعِظُهُ ويُرَغِّبُهُ ويُرَهِّبُهُ.

والناسُ جُلوسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ.

فقالَ الوالي لأَحَدِ حُجَّابه: يا غُلامُ أَحْضِرْ طَيْلَساناً، وأَلْقِهِ على كتِفَيْ أبي عَبْدِالرَّحْمن.

فَعَمَدَ الحاجِبُ إلى طَيْلَسانٍ ثمِينٍ وأَلْقَاهُ عَلَى كَتِفَي طاوُوس، فَظَلَّ طاوُوسٌ مُتَدَفِّقاً في مَوْعِظَتِهِ.

وجَعَلَ يُحَرِّكُ كَتِفَيْهِ في تُؤَدَةٍ حَتَّى أَلْقَى الطَّيْلسانَ عَنْ عاتِقِهِ، وهَبَّ واقِفاً، وانْصَرَف...

فَغَضِبَ مُحَمَّدُ بنُ يُوسُفَ غَضَباً ظَهَرَ في احْمِرارِ عَيْنَيْهِ، واحْتِقانِ وَجهِهِ.. غَيْرَ أنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئاً...

فَلَمَّا صارَ طاوُوسٌ وصاحِبُهُ خارِجَ المَجْلِس قالَ وَهْبٌ لِطاوُوس: واللهِ لَقَدْ كُنَّا في غِنىً عَنْ إثارَةِ غَضَبِهِ عَلَيْنا... فماذا كانَ يُضيرُكَ لَوْ أخَذْتَ الطَّيْلَسان مِنْهُ، ثُمَّ بِعْتَهُ وتَصَدَّقْتَ بِثَمَنِهِ عَلى الفُقَراءِ والمساكين؟!

فقالَ طاوُوسٌ: هُوَ ما تَقُول.

لَوْلا أنَّني خَشيْتُ أنْ يَقُولَ العُلَماءُ مِنْ بَعْدِي: نَأْخُذُ كما أخَذَ طاوُوسٌ... ثُمَّ لا يَصْنَعُونَ فيما أخذوه ما تَقُول.

وكأنَّما أَرادَ مُحَمَّدُ بنُ يُوسُفَ أنْ يَرُدَّ لِطاوُوسٍ الحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جاء... فَنَصَبَ لَهُ شَرَكاً مِنْ شِراكِهِ، حَيْثُ أَعَدَّ صُرَّةً فيها سَبْعُمائَةِ دِينَارٍ ذَهَباً.

واخْتارَ رَجُلًا حاذِقاً مِنْ رِجالِ حاشِيَتِهِ وقالَ لَهُ: اِمْضِ بِهَذِهِ الصُّرَّةِ إلى طَاوُوسِ بنِ كَيْسَانَ، واحْتَلْ عَلَيْهِ في أخْذِها، فإنْ أخَذَها مِنْكَ أجْزَلْتُ عَطِيَّتَكَ وكَسْوَتُكَ، وقَرَّبْتُكَ.

فَخَرَجَ الرَّجُلُ بالصُّرَّةِ حَتَّى أتَى طاوُوساً في قَرْيَةٍ كانَ يُقيمُ بِها بالقُرْبِ مِنْ صَنْعَاءَ يُقالُ لَها «الجَنَد»، فلمَّا صارَ عِنْدَهُ حَيَّاهُ، وقالَ لَهُ: يا أَبا عَبْدِالرَّحْمنِ، هَذِهِ نَفَقَةٌ بَعَثَ بها الأميرُ إلَيْكَ، فقال: ما لِي بِها مِنْ حاجَةٍ.

فاحْتالَ عَلَيْهِ بكُلِّ طَرِيقٍ لِيَقْبَلَها، فَأَبَى... وأَدْلَى لَهُ بِكُلِّ حُجَّةٍ فَرَفَض.

فما كانَ مِنْهُ إلَّا أنْ اغْتَنَمَ غَفْلَةً مِنْ طَاوُوسٍ، ورَمَى بالصُّرَّةِ في كُوَّةٍ كانَتْ بِجدارِ البَيْتِ، وعادَ راجِعاً إلى الأميرِ وقالَ: لَقَدْ أَخَذَ طاوُوسٌ الصُّرَّةَ أيُّها الأَميرُ، فَسُرَّ لِذَلِكَ محمدُ بنُ يُوسُفَ، وسَكَتَ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا مَضَتْ على ذلِكَ أيَّامٌ عِدَّةٌ أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِن أَعْوانِهِ، ومَعَهُما الرَّجُلُ الذي حَمَل إليْهِ الصرَّة... وأمَرَهُما أنْ يَقُولا لَهُ: إنَّ رَسُولَ الأميرِ قَدْ أَخْطَأَ فَدَفَعَ إلَيْكَ المالَ، وهُوَ مُرْسَلٌ لِغَيْرِك، وقد أتَيْنا لِنَسْتَرِدَّهُ مِنْكَ، ونَحْمِلَهُ إلى صاحِبِهِ.

فقالَ طَاوُوسٌ ما أَخَذْتُ مِنْ مالِ الأميرِ شَيْئاً حَتَّى أُرُدَّهُ إليهِ.

فقالا: بَلْ أخَذْتَه.

فالتَفَتَ إلى الرَّجُلِ الذي حَمَلَ إليْهِ الصرَّةَ وقالَ لَهُ: هَلْ أَخَذْتُ مِنْكَ شَيْئاً؟!

فأصاب الرَّجُلَ ذُعْرٌ وقالَ: كلَّا، وإنَّما وَضَعْتُ المالَ في هذهِ الكُوَّةِ في غَفْلَةٍ مِنْكَ. فقالَ طاوُوسٌ: دونَكُما الكُوَّةَ فانْظُرا فيها: فَنَظَرا في الكُوَّةِ، فَوَجَدا فِيها الصُرَّةَ كما هِيَ وقَدْ ضَرَبَ عَلَيْها العَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهِ. فأخذاها وعَادا بِها إلى الأمير.

حَدَّثَ طاوُوسُ بنُ كَيْسانَ قالَ: بَيْنا أنا في مَكَّةَ حَاجًّا بَعَثَ إلَيَّ الحَجَّاجُ بنُ يُوسُفَ الثَّقَفيُّ،فلمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ رَحَّبَ بي وأُدْنَى مَجْلِسي مِنْهُ... وطَرَحَ لي وِسَادَةً، ودَعَاني لأنْ أتَّكِيءَ عَلَيْهَا... ثُمَّ رَاحَ يَسْأَلُني عَمَّا أشْكَلَ عَلَيْهِ مِنْ مَناسِكِ الحَجِّ، وغَيْرِها.

وفِيمَا نَحْنُ كَذلِكَ سَمِعَ الحَجَّاجُ مُلَبِّياً يُلَبِّي حَوْلَ البَيْتِ، ويَرْفَعُ صَوْتَهُ بالتَّلْبِيَةِ ولَهُ نَبْرَةٌ تَهُزُّ القُلُوبَ هَزّاً...

فقالَ: عَلَيَّ بِهذا المُلَبِّي.

فأُتِيَ لَهُ بِهِ، فقالَ لَهُ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟

فقالَ: مِنَ المُسْلِمينَ.

فقالَ: لَمْ أَسْأَلْكَ عَنْ هذا، وإنَّما سَأَلْتُكَ عَنْ البَلَدِ؟

فقالَ: مِنْ أَهْلِ اليَمَن.

فقالَ: كَيْفَ تَرَكْتَ أَمِيرَكُم (يَعْني أَخاهُ)؟

فقالَ: تَرَكْتُهُ عَظيماً، جَسيماً... لبَّاساً، رَكَّاباً... خَرَّاجاً، ولَّاجاً...

فقالَ: لَيْسَ عَنْ ذَا سَأَلْتُك؟

فقالَ: عَمَّ سَأَلْتَني إذَنْ؟

فقالَ: سَأَلْتُكَ عَنْ سِيرَتِهِ فيكُمْ؟

فقالَ: تَرَكْتُهُ ظَلُوماً غَشُوماً... مُطيعاً لِلْمَخْلُوقِ عاصِياً لِلْخالِقِ.

فاحْمَرَّ وَجْهُ الحجَّاجِ خَجَلاً مِنْ جُلَسَائِهِ وقالَ لِلرَّجُلِ:

ما حَمَلَكَ على أنْ تقولَ فِيهِ ما قُلْتَهُ، وأَنْتَ تَعْلَمُ مَكانَهُ مِنِّي؟!

فَقالَ: أَتراهُ بِمكَانِهِ مِنْكَ أَعَزَّ مِنِّي بِمَكاني مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ؟

وأَنَا وافِدُ بَيْتِهِ... ومُصَدِّقُ نَبيِّه... وقاضِي دَيْنِهِ...

فَسَكَتَ الحجَّاجُ، ولَمْ يُحِرْ جَواباً.

قالَ طاوُوسٌ: ثُمَّ ما لَبِثَ الرَّجُلُ أنْ قامَ، وانْصَرَف مِنْ غَيْرِ أنْ يَسْتَأْذِنَ أَوْ يُؤْذَنَ لَهُ.

فَقُمْتُ في إثْرِهِ، وقُلْتُ في نَفْسِي: إنَّ الرَّجُلَ صالِحٌ، فاتْبَعْهُ واظْفَرْ بِهِ قَبْلَ أنْ تُغَيِّبَه عَنْ عَيْنَيْكَ جُمُوعُ النَّاس.

فَتَبِعْتُهُ، فَوَجَدْتُه قَدْ أَتَى البَيْتَ وتَعَلَّقَ بأَسْتارِهِ، ووَضَعَ خَدَّهُ على جِدارِهِ، وجَعَلَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ بِكَ أَعُوذ... وبجنابِكَ أَلُوذ... اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي في الاطْمِئْنَانِ إلى جُودِكَ والرِّضَا بِضَمانِكَ مَنْدُوحَةً عَنْ مَنْعِ الباخِلين وغِنىً عَمَّا في أيْدي المُسْتَأْثِرين... اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ فَرَجَكَ القَرِيب... ومَعْروفَكَ القَدِيم وعادَتَكَ الحَسَنَة يا رَبَّ العالَمين.

ثُمَّ ذَهَبَتْ بِهِ مَوْجَةٌ مِنَ النَّاسِ وأخْفَتْهُ عَنْ عَيْني، فَأَيْقَنْتُ أَنَّهُ لا سَبيلَ إلى لِقَائِهِ بَعْدَ ذلِكَ.

فَلَمَّا كانَتْ عَشِيَّةُ عَرَفَة رَأَيْتُه وقَدْ أفاضَ مع النَّاسِ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ فإذا هُوَ يقول:

اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ لَمْ تقْبَلْ حَجِّي، وتَعَبي، ونَصَبِي، فلا تَحْرِمْني الأَجْرَ عَلَى مُصيبتي، بِتَرْكِكَ القَبُولَ مِنِّي ثُمَّ ذَهَبَ في النَّاس، وسَتَرَهُ الظَّلامُ عَنِّي، فَلَمَّا يَئِسْتُ مِنْ لِقائِهِ قُلْت:

اللَّهُمَّ اقْبَلْ دُعائي ودُعاءَهُ واستَجِبْ رَجائي ورَجاءَه وثَبِّتْ قَدَمَيَّ وقَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزِلُّ الأَقْدام، واجْمَعْني مَعَهُ عَلَى حَوْض الكَوْثَرِ يا أَكْرَم الأَكْرَمين.

اللَّهُمّ تَوفَنَا مُسْلِمِيْن ، وأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِين ، واغْفِرْ لنا ولِوُالِدينا ولِجَميعِ المُسْلِمِين ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْمَ الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . « قِصَّة لِطَاوُوْس »

قِصَّة لِطَاوُوْس

ما كادَ خَليفَةُ المُسْلمين سُلَيْمانُ بنُ عَبْدِالمَلِك يُلْقِي رِحَالَهُ في أَكْنَافِ البيتِ العَتيق... ويُقِلُّ أشْواقَهُ إلَى الكَعْبَةِ المُعَظَّمَةِ حَتَّى التَفَتَ إلَى حاجِبِهِ وقال:

ابْتَغ لَنَا عَالِماً يُفقِّهُنا في الدِّينِ، ويُذَكِّرُنا في هَذَا اليَوْمِ الأَغَرِّ مِنْ أَيَّامِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ.

فَمَضَى الحاجِبُ إلى وُجوهِ أَهْلِ المَوْسِمِ، وطَفِقَ يَسْأَلُهُمْ عَنْ بُغْيَةِ أميرِ المُؤْمِنينَ. فقيلَ لَهُ:

هذا طَاوُوسُ بنُ كَيْسَانَ سيّدُ فُقَهاءِ عَصْرِهِ... وأصْدَقُهُمْ لَهْجَةً في الدَّعْوَةِ إلى الله... فَعَلَيْكَ به.

فَأقْبَلَ الحاجِبُ عَلى طاوُوسٍ وقَال: أجِبْ دَعْوَةَ أميرِ المُؤْمِنينَ أيُّهَا الشَّيْخ فاسْتجابَ طَاوُوسٌ لَهُ مِنْ غَيْرِ إبْطَاء.

ذَلِكَ أنَّهُ كان يُؤْمِنُ بأنَّ عَلَى الدُّعاةِ إلى الله تعالى ألَّا تَعْرِضَ لَهُمْ فُرْصَةٌ إلَّا اغْتَنَمُوها... وألَّا تَسْنَحَ لَهُمْ بادِرَةٌ إلَّا إبْتَدَروها.

وكانَ يُوقِنُ أنَّ أفْضَلَ كلِمَةٍ تُقالُ هِيَ كَلَمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِها تَقْويمُ اعْوِجاجِ ذَوي السُّلْطانِ... وتَجْنيبُهُم الحَيْفَ والجَور... وتَقْرِيبُهُم من الله تعالى...

مَضَى طَاوُوسٌ مَعَ الحاجِبِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى أميرِ المؤْمِنينَ حَيَّاهُ فَرَدَّ الخَليفَةُ التَّحِيَّةَ بِأحْسَنَ مِنْها... وأكْرَمَ اسْتِقْبَالَ زائِرِه، وأدْنَى مَجْلِسَهُ ثُمَّ أخَذَ عَمَّا أشْكَلَ عَلَيْهِ مِنْ مناسِكِ الحجِّ، ويُنْصِتُ إلَيْه في تَوْقيرٍ وإجْلال.

قالَ طَاوُوس: فَلَمَّا شَعَرْتُ أنَّ أميرَ المؤْمنينَ قد بَلَغَ بُغْيَتَه، ولَمْ يَبْقَ لَدَيْهِ ما يَسْأَلُ عَنْهُ قُلْتُ في نَفْسي: إنَّ هذا المَجْلِسَ لَمَجْلِسٌ يَسْأَلُكَ الله عَنْهُ يا طاوُوس... ثم تَوَجَّهْتُ إلَيْهِ وقُلْتُ:

يا أميرَ المُؤْمِنينَ، إنَّ صَخْرَةً كانَتْ عَلَى شَفيرِ بِئرٍ في قَعْرِ جَهَنَّم...

وقَدْ ظَلَّتْ تَهْوي في هذِهِ البِئْرِ سَبْعِينَ خريفاً حَتَّى بَلَغَتْ قَرارَها.

أتَدْري لِمَنْ أعَدَّ الله هذِهِ البِئْرَ مِنْ آبارِ جَهَنَّمَ يا أميرَ المُؤْمِنين؟
فقالَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّة: لا.
ثُمَّ عادَ إلى نَفْسِهِ، وقال:
وَيْلَكَ، لِمَنْ أعَدَّها؟!
فقال: أعَدَّها الله جَلَّ وعَزَّ لِمَنْ أشْرَكَهُ في حُكْمِهِ، فَجار...

فَأَخَذَتْ سُلَيْمانَ لِذَلِكَ رَعْدَةٌ ظَنَنْتُ معها أَنَّ رُوحَهُ سَتَصْعَدُ مِن بَيْنِ جَنْبَيْهِ.

وجَعَلَ يَبْكي، ولِبُكَائِهِ نَشيجٌ يُقَطِّعُ نِياطَ القُلوب... فَتَرَكْتُهُ وانْصَرَفْتُ... وهُوَ يُجَزِّيني خَيْراً.

ولَمَّا ولِيَ عُمَرُ بنُ عَبْدِالعَزيزِ الخِلافَةَ بَعَثَ إلى طَاوُوسٍ بنِ كَيْسَانَ يَقُولُ: أَوْصِني يا أَبا عَبْدِالرَّحْمَنِ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ طاوُوسٌ رِسالَةً في سَطْرٍ واحِدٍ قالَ فيهَا: «إذا أَرَدْتَ أَنْ يَكونَ عَمَلُكَ خَيْراً كُلَّهُ، فاسْتَعْمِلْ أَهْلَ الخَيْرِ، والسَّلام».

فَلَمَّا قَرَأ عُمَرُ الرِّسالَةَ قال: كفَى بِها مَوْعِظَةً... كفَى بها مَوْعِظَة.

ولمَّا آلَتِ الخِلافَةُ إلى هِشامِ بنِ عَبْدِالمَلِكِ كانَتْ لِطاوُوسٍ بنِ كَيْسانَ مَعَهُ مواقِفُ مَشْهُورَةٌ مَأْثُورَة... مِنْ ذلِكَ أَنَّ هِشاماً قَدِمَ البَيْتَ الحَرامَ حاجّاً فَلَمَّا صارَ في الحَرَمِ قالَ لِخاصَّتِهِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: الْتَمِسُوا لَنا رَجُلاً مِنْ صَحَابَةِ الرَسُولِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام.

فَقالوا لهُ: إنَّ الصَّحابَةَ ــ يا أَميرَ المُؤْمِنينَ ــ قَدْ تَلاحَقُوا بِرَبِّهِمْ واحِداً إِثْرَ آخَرَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَد.

فقالَ: إِذَنْ فَمِنَ التَّابِعين.

فَأُتِيَ بطاوُوسٍ بنِ كَيْسانَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ خَلَعَ نَعْلَيْهِ بِحَاشِيَةِ بِساطِهِ... وسَلَّمَ عَلَيْهِ مِن غَيْرِ أَنْ يَدْعُوَهُ بأَميرِ المُؤْمِنين... وخاطَبَهُ باسْمِهِ دُونَ أَنْ يُكَنِّيَه... وجَلَسَ قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ بالجُلُوسِ...

فاسْتَشاطَ هِشامٌ غَضَباً حَتَّى بَدا الغَيْظُ في عَيْنَيْهِ.

ذلِكَ أنَّهُ رَأى في تَصرُّفاتِهِ تِلْكَ اجْتِراءً عَلَيْه، ونَيْلًا مِنْ هَيْبَتِهِ أمامَ جُلَسائِهِ، ورِجالِ حاشِيَتِهِ...

بَيْدَ أنَّهُ ما لَبِثَ أنْ تَذَكَّرَ أنَّهُ في حَرَمِ اللهِ عزَّ وجَلَّ.

فَرَجَعَ إلى نَفْسِهِ وقالَ لِطاوُوس: ما حَمَلَكَ يا طاوُوسُ عَلى ما صَنَعْت؟!

فقال: ومَا الذَّي صَنَعْتُهُ؟!

خَلَعْتَ نَعْلَيْكَ بِحاشِيَةِ بِساطِي...

ولَمْ تُسَلِّمَ عَلَيَّ بإمْرَةِ المُؤْمنين...

وسَمَّيْتَني باسْمِي، ولَمْ تُكَنِّني...

ثُمَّ جَلَسْتَ مِنْ غَيْرِ إذْني.

فقالَ طاوُوسٌ بِهُدوء: أَمَّا خَلْعُ نَعْلَيَّ بِحاشِيَةِ بِساطِكَ، فَأنا أخْلَعُهُما بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ العِزَّةِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّات...

وأمَّا قَوْلُكَ إنِّي لَمْ أُسَلِّمْ عَلَيْكَ بإمْرَةِ المُؤْمنين... فَلأنَّ جميعَ المُؤْمنين لَيْسُوا راضينَ بإمْرَتِك...

وقَدْ خَشيْتُ أنْ أكونَ كاذِباً إذا دَعَوْتُكَ بِأميرِ المُؤْمِنين.

وأمَّا ما أخَذْتَهُ عَلَيَّ مِنْ أنِّي نادَيْتُكَ باسْمِكَ، ولَمْ أُكَنِّك... فإنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ نادَى أنْبِيَاءَهُ بِأَسْمائِهِم، فقال: يا دَاوُود... يا يَحْيَ... يا عِيسَى...

وكَنَّى أعْدَاءَهُ فقال: «تَبَّتْ يدا أبي لَهَبٍ وتَبٍ».

وأمَّا قَوْلُكَ إنِّي جَلَسْتُ قَبْلَ أنْ تَأْذَنَ لي فإنِّي سَمِعْتُ أميرَ المُؤْمِنين عَلِيَّ بْنَ أَبِي طالِبٍ يقول:

«إذا أَرَدْتَ أنْ تَنْظُرَ إلَى رَجُلٍ مِنْ أهْلِ النَّارِ فانْظُرْ إلَى رَجُلٍ جالِسٍ، وحَوْلَهُ قَوْمٌ قِيَامٌ بَيْنَ يَدَيْهِ».

فكَرِهْتُ أنْ تَكونَ ذَلِكَ الرَّجُلَ الذي عُدَّ مِنْ أهْلِ النَّارِ.

فَأَطْرَقَ هِشامٌ إلَى الأَرْضِ خَجَلًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وقال: عِظْني يا أبا عَبْدِالرَّحْمن:

فقال: إنِّي سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أبي طالِبٍ رَضِيَ الله عَنهُ يَقُول: «إنَّ في جَهَنَّم حَيَّاتٍ كالقلال... وعقارِبَ كالبِغال... تَلْدَغُ كُلَّ راعٍ لا يَعْدِلُ في رَعِيَّتِهِ»...

ثُمَّ قامَ وانْصَرَف.

وكما كان طاوُوسٌ يُقْبِلُ عَلَى بَعْضِ أُولي الأَمْرِ تَذْكيراً لَهُم وتَوْجيهاً... فَقَدْ كان يُعْرِضُ عنْ بَعْضِهِمْ الآخَرِ تَبْكيتاً وتَأْنيباً.

حَدَّثَ ابْنُه قال: خَرَجْنا ذاتَ سَنَةٍ مَعَ أَبي حُجَّاجاً مِنَ اليَمَنِ، فَنَزَلْنا في بَعْضِ المُدُنِ وعَلَيْها عامِلٌ يُقالُ لَهُ ابْنُ نَجيح وكانَ مِنْ أَخْبَثِ العُمَّال، وأَكْثَرِهِم جُرْأَةً عَلَى الحَقِّ، وأَشَدِّهِمْ إيغالًا في الباطِل.

فَأَتَيْنا مَسْجِدَ البَلَدِ نُريدُ أداءَ المَكْتُوبَةِ، فإذا ابْنُ نَجيحٍ قَدْ عَلِمَ بِقُدومَ أبي، فجاءَ إلى المَسْجِدِ، وقَعَد بَيْنَ يَدَيْهِ، وسَلَّمَ عليه.

فَلَمْ يُجِبْهُ أبي، وأَدَارَ لَهُ ظَهْرَه...

فأَتاهُ عَنْ يَمينِهِ وكَلَّمَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَعَدَلَ إلَى يَسارِهِ وكَلَّمَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ أَيْضاً، فلَمَّا رَأَيْتُ ذلِكَ قُمْتُ إلَيْهِ، ومَدَدْتُ يَدي نَحْوَه، وسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وقُلْتُ لَه: إنَّ أبي لَمْ يَعْرِفْكَ.

فقال: بَلْ إنَّ أَباكَ يَعْرِفُني... وإنَّ مَعْرِفَتَهُ بي هِيَ التي جَعَلَتْهُ يَصْنَعُ ما رَأَيْت... ثُمَّ مَضَى وهُوَ ساكِتٌ لا يَقُولُ شَيْئاً، فَلَمَّا عُدْنا إلَى المَنْزِلِ التَفَتَ إلَيَّ أبي وقال: يا لُكَع... تَسْلِقُ هؤُلاءِ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ في غَيْبَتِهِم... فإذا حَضَروا خَضَعْتَ لَهُمْ بالقَوْل، وهَلِ النِّفاقُ غَيْرُ هَذا؟!

لم يَخُصَّ طاوُوسُ بنُ كَيْسَانَ الخُلَفَاءَ والوُلاةَ بِمَواعِظِهِ، وإنَّما بَذَلَها لِكُلِّ مَنْ آنسَ بِهِ حاجَةً إلَيْها أَوْ رَغْبَةً فيها.

مِنْ ذلِكَ ما رَواهُ عَطاءُ بنُ رَباحٍ قال: رَآني طاوُوسُ بنُ كَيْسَانَ في مَوْقِفٍ لَمْ يَرْتَحْ لَهُ، فقالَ:

يا عَطاءُ إيَّاكَ أنْ تَرْفَعَ حَوائجَكَ إلى مَنْ أغْلَقَ في وَجْهِكَ بابَه... وأقَامَ دُونَكَ حُجَّابَه... وإنَّما أطْلُبْها مِمَّنْ أشْرَعَ لَكَ أبْوابَه... وطالَبَكَ بِأَنْ تَدْعُوَه... ووعَدَكَ بالإجابَة.

وكان يَقولُ لابْنِهِ: يا بُنَيَّ صاحِبِ العُقَلاءَ تُنْسَبْ إليهِم، وإنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُم.

ولا تُصاحِبِ الجُهَّالَ، فإنَّكَ إنْ صَحِبْتَهُمْ نُسِبْتَ إلَيْهِم وإن لمْ تَكُنْ مِنْهُم...

واعْلَمْ أنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ غايَة، وأنَّ غايَةَ المَرْءِ تَمامُ دَيْنِهِ، وكَمالُ خُلُقِه.

وقَد نَشَأَ ابنُهُ عبدُالله علَى ما ربَّاهُ عَلَيْهِ، وتَخَلَّقَ بِأَخْلاقِهِ، وسارَ بسيرَته.

مِنْ ذَلِكَ أنَّ الخليفَةَ العَبَّاسِيَّ أبا جَعْفَرٍ المَنْصُورَ اسْتَدْعَى ولَدَهُ عَبْدَالله، ومالِكَ بنَ أَنَسٍ لِزِيَارَتِهِ فَلَمَّا دَخَلا عَلَيْهِ وأَخَذا مَجْلِسَيْهِما عِنْدَهُ التَفَتَ إلى عَبْدِالله بنِ طَاوُوسٍ وقال: ارْوِ لي شَيْئاً مِمَّا كَانَ يُحَدِّثُكَ بِهِ أبُوكَ:

فقال: «حَدَّثني أبي أنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذاباً يَوْمَ القِيامَةِ رَجُلٌ أشْرَكَهُ الله عزَّ وجَلَّ في سُلْطانِهِ، فَأَدْخَلَ الجوْرَ في حُكْمِهِ».

قالَ مالِكُ بنُ أَنَسٍ: فَلَمَّا سَمِعْتُ مَقَالَتَهُ هذِهِ ضَمَمْتُ عَلَيَّ ثِيابِي خَوْفاً مِنْ أنْ يُصيبَني شَيْءٌ مِنْ دَمِهِ.

بَيْدَ أنَّ أبا جَعْفَرٍ أمْسَكَ ساعَةً لا يَتَكَلَّم... ثُمَّ صَرَفَنا بسَلام.

وقد امتَدَّتِ الحَياةُ بِطاوُوسِ بنِ كَيْسَانَ حَتَّى بَلَغَ المائَةَ، أوْ جاوَزَها قليلًا، غَيْرَ أنَّ الكِبَرَ والشَّيْخوخَةَ لَمْ يَنالَا شَيْئاً مِنْ صَفاءِ ذِهْنِهِ، وحِدَّةِ خاطِرِهِ، وسُرْعَةِ بديهَتِهِ.

حَدَّثَ عَبْدُالله الشَّامِيُّ قال: أَتَيْتُ طاوُوساً في بَيْتِهِ لآخُذَ عَنْهُ، وأَنَا لَا أَعْرِفُهُ فَلَمَّا طَرَقْتُ البابَ خَرَجَ إِلَيَّ شَيْخٌ كبيرٌ، فَحَيَّيْتُهُ وقلْتُ: أأَنتَ طَاوُوسُ بنُ كَيْسَان؟

فقالَ: بَلْ أَنا ابْنُهُ...

فقُلْت: إنْ كُنْتَ ابنَهُ فَلَا آمَنُ أنْ يَكُونَ الشَيْخُ قَدْ هَرِمَ وخَرِف، وإنِّي قَصَدْتُهُ مِنْ أماكِنَ بعيدةٍ لأفيدَ مِنْ عِلْمِهِ.

فقالَ: وَيْحَك...
إنَّ حَمَلَةَ كِتابِ الله لا يَخْرَفون.
ادْخُلْ عَلَيْهِ.
فَدَخَلْتُ وسَلَّمْتُ، وقُلْت:
لَقَدْ أَتَيْتُكَ طالِباً عِلْمَكَ راغباً في نُصْحِك.
فقالَ: سَلْ وأَوْجِزْ.
فَقُلْتُ: سأُوجِزُ ما وَسِعَني الإيجاز إنْ شاءَ الله.
فقال: أتُرِيدُ أنْ أجْمَعَ لَكَ صَفْوَةَ ما في التَّوْراةِ، والزَّبُورِ، والإنْجيلِ، والقرآن؟
فقُلْتُ: نَعَم.
فقالَ: خَفِ الله تَعالَى خَوفاً بِحَيْثُ لا يكونُ شيءٌ أخْوَفَ لَكَ مِنه...

وارْجُهُ رَجاءً أشَدَّ مِنْ خَوْفِكَ إيَّاه...
وأحِبَّ للنَّاسِ ما تُحِبُّ لِنَفْسِك.

وفي لَيْلَةِ العاشِرِ مِنْ ذي الحِجَّةِ سَنَةَ سِتٍّ ومائَة أفاضَ الشَّيْخُ المُعَمَّرُ طاوُوسُ بنُ كَيْسَانَ مَعَ الحَجيجِ مِنْ عَرَفاتٍ إلى المُزْدَلِفَةِ للْمَرَّةِ الأرْبَعين، فَلَمَّا حَطَّ رِحالَهُ في رِحابِها الطَّاهِرَة، وأدَّى المَغْرِبَ مَعَ العِشاءِ، وأسْلَمَ جَنْبَيْهِ إلى الأرْضِ يَلْتَمِسُ شَيْئاً مِنَ الرَّاحَةِ، أتاهُ اليَقينُ، فَلَمَّا طَلَعَ عَلَيْهِ الصُّبْحُ وأرادُوا دَفْنَهُ لَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ إخْراجِ جَنازَتِهِ لِكَثْرَةِ ما ازْدَحَمَ عَلَيْها مِنَ النَّاس، فَوَجَّهَ إلَيْهِمْ أميرُ مَكَّةَ حَرَساً لِيَذُودوا النَّاسَ عَنِ الجَنازَة، حَتَّى يُتاحَ لَهُمْ دَفْنُها.

وقَدْ صَلَّى عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثيرٌ لا يُحْصِي عَدَدَهُم إلَّا الله، وكَانَ في جُمْلَةِ المُصَلِّينَ خَليفَةُ المُسْلِمينَ هِشامُ ابْن عَبْدِالمَلِكِ.

اللهمَّ اعصِمْنَا عَنِ المخالفةِ والعصيانِ وألْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ يا كريمُ يا مَنّان واغفر لنا ولوالدَينا ولجميعِ المسلمينَ الأحياءِ منهم والميتينَ برحمتكَ يا أرحمَ الراحمين وصلَى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجْمَعِيْنَ

« غَزْوَةُ تَبُوك »
أوِ العُسْرَةِ

تَبُوكُ مَوْضِعُ بَيْنَ وَادِي القُرَى والشَّام بَيْنَهُ وَبَيْنَ المدينة من جهة الشَّام أربعَ عَشْرَةَ مَرْحَلة وَبَيْنَ دِمَشْقٍ إحْدَى عَشْرَة مَرْحَلَةً وهيَ غَزْوَةُ العُسْرةِ أخْذاً مِنْ قَوْلِهِ تعالى ﴿ الذينَ اتَّبَعُوه في سَاعةَ العُسْرَة ﴾ .

وكانَتْ في رَجَب سَنَةَ ٩ هـ مِنْ الهِجْرَةِ وَهِيَ آخِرُ غَزْوَاتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم وهِيَ التَّي افْتَضَحَ المُنَافِقُونَ فِيْهَا وَكانَ الوَقتُ حِيْنَ خُرُوْجِهِ صلى الله عليه وسلم حَراً شَدِيْداً وقُحْطاً شَدِيْداً وكانُوا مِن

شِدَّةِ العَطَشِ والحَرِّ يَنْحَرُوْنَ البَعِيْرَ فَيَعْصِرُوْنَ فَرْثَهُ الذي في الكَرْشِ وَيَشْرَبُوْنَهُ فَلِذَا سُمِيتْ غَزْوَةَ العُسْرَةِ أَيْ الشَّدَّةِ والضِّيْقِ .

وسَبَبُهَا أَنَّ الرُّوْمَ قدْ جَمعَتْ جُمُوعاً كَثِيْرَةً بالشَّام وأَنَّ هِرَقْلَ قَدْ رَزَقَ أَصْحَابَهُ لِسَنَةٍ وأَجْلَبَتْ مَعَهُ لَخْمٌ وجُذَامٌ وعَامِلةُ وغَسَّانُ وَزَحفُوْا وَقَدَّمُوا مُقَدِّمَاتِهِمْ إلى البَلْقَاءِ وَعَسْكَرُوْا بِهَا .

فَبَلَغَ ذلكَ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم فَنَدَبَ الناسَ إلى الخُرُوْجِ وأَظْهَرَ لهُمُ الأمرَ لِيَتَأَهَّبُوْا لِذَلِكَ أُهْبَتَهُمْ وأَخْبَرَهُمُ بالوَجْهِ الذِيْ يُرِيْدُ وبَعثَ إِلَى القَبَائِلِ مَكَّةَ يَسْتَنْفِرُهُمْ إلى عَدُوِهِمْ وخَطَبَ عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ في الناسِ فَحضَّ عَلَى الجِهَادِ وأَمَرَهُمْ بالصَّدْقَةِ وحَثَّهُمْ عَلى النَّفَقَةِ ورَغَّبَ أَهْلَ الثَّرْوَةِ بالَخيْرِ والمَعْرُوْفِ وَحَثَّ المُوسِرِيْنَ على تَجْهِيزِ المُعْسِرِيْنَ .

فَتَبَادَرَ المُسْلِمونَ وَجَاءُوْا بِصَدَقاتٍ كَثِيرَةٍ وتَنَافَسُوْا في تَجْهِيزِ جَيْشِهِمْ فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ رَضِيَ اللهُ عَنه جَاءَ بِمَالِهِ كُلِّهِ أَرْبَعَةُ آلافِ دِرْهَمٍ .

فقال لَهُ رَسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم هَلْ أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ شَيْئاً قال أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللهَ وَرَسُوْلَهُ وجَاءَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنه بِنْصِفِ مَالِهِ فَسَأَلَهُ صَلى اللهُ عليه وسلم هَلْ أَبْقيتَ لأَهْلِكَ شيئاً قالَ نَعَمْ نِصْفَ مَالِي وَجاءَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عوفٍ رَضِى اللهُ عنه بِمَائَةِ أَوْقِيَة فِضَّةً .

وَجَاءَ العَبَّاسُ بمالٍ كَثِيْرٍ وَجَاءَ طَلْحَةُ بِمَالٍ وَجَهَزَّ عثمَانُ بنُ عَفَّانَ ثُلُثَّ الجَيْشِ وَجَاءَ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ بمَالٍ وَجاءَ مُحَمَّد بنُ مَسْلَمَةَ بمَالٍ وَجَاءَ عَاصِمُ بنْ عَدِيٍ بِتِسْعِينَ وَسَقا مِن تمْرٍ وَبَعَثَ النِسَاءُ كُلَّ مَا قَدِرْنَ عَلَيهِ مِن مِسْكٍ وَحُلْيٍ مَعَاضِدَ وَخَلاَخِلَ وأَقْرَاطٍ وَخَوَاتِمَ .

قال ابنُ اسحاقَ فذَكَرَ لنَا الزُهْرِيُ ويَزِيْدُ بنُ رُوْمَانَ وَعَبْدُ اللهِ بنُ أبي بَكْرٍ وعَاصِمُ بنُ عُمَرَ وغيرُهُمَ مِن أَصْحَابِنَا وبَعْضُ القَومِ يُحَدِّثُ مَا يُحدِّثُ بَعْضٌ أنَّ رسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أمَرَ أَصْحَابَهُ بالتَّهَيُؤ لِغزْوِ الرُوْمِ وذَلِكَ في زَمَنِ عُسْرَةٍ مِنَ النَّاسِ وشِدَّةٍ مِن الحَرِّ وجُدْبٍ مِن البِلَادِ حِيْنَ طَابَتِ الثِّمَارُ والناسُ يُحِبُّونَ المقامَ وَيَكْرَهُونَ الشُخُوصَ عَلَى حَالٍ مِنَ الزمانِ الذي هُمْ عليهِ .

وكان رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَلَّ مَا يَخْرُجُ في غَزْوَةٍ إلاَّ كَنَا عَنْهَا وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُرِيْدُ غَيْرَ الوَجْهِ الذِي يَعْمِدُ إليه إلاَّ مَا كَانَ مِن غَزْوَةِ تَبُوك فَإِنَّهُ بَيَّنها لِلنَّاسِ لِبُعْدِ المشقَّةِ وشِدَّةِ الزَّمَانِ وكَثْرَةِ العَدُوِّ الذي يَعْمِدُ لَهُ لِيَتأَهَبَ الناسُ لِذَلِكَ أُهْبَتَهُ .

فَأَمَرَ الناسَ بالجَهازِ وأَخْبَرَ أَنَّهُ يُرِيْدُ الرُّوْمَ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلم ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ في جَهَازِهِ ذلكَ لِلْجَدِ بنِ قَيْسٍ أَحَدِ بَنِيْ سَلِمَةَ يا جَدُّ هَلْ لَكَ العامَ في جَلَادِ بَنِيْ الأَصْفَرِ .

فقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَوَ تَأْذَنُ لِيْ وَلَا تَـفْتِنِي ، فواللهِ لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي أَنَّهُ مَا مِن رَجُلٍ أَشَدَّ عُجْباً بالنِّسَاءِ مِنِّيْ وإِنِّيْ أَخْشَى إِنْ رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِيْ الأَصْفَرِ أَنِّيْ لَا أَصْبِرُ فأَعْرَضَ عَنَهُ رَسُوْلُ الله صلى اللهُ عليه وسلم وَقَالَ قَدْ أَذِنْتُ لَكِ فَفِيْهِ نَزَلَتْ هَذِهْ الآيةُ ﴿ ومنهم مَن يَقُولُ ائذنْ لِي ولا تفْتِنِي أَلَا في الفِتْنَةِ سقَطُوَا وإنَّ جهَنَّمَ لَمُحِيْطَةٌ بالكَافرِيْن ﴾ .

وقَالَ قَوْمٌ مِنَ المُنَافِقِيْنَ لا تَنْفِرُوْا فِي الحَرِّ ، زَهَادَةً في الجِهَادِ وشَكاً في الحَقِّ وارْجَافاً بالرَّسُولِ صلى اللهُ عليه وسلم فأنزلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وقال لا تَنْفِرُوْا فِي الحرِّ ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حراً لَوْ كانُوا يفْقَهُون ﴾ .

ثم إنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم جَدَّ في سَفَرِهِ وعَجزَ نَفَرٌ مِن فُقَرَاءِ المُسْلِمِيْنَ عن تَجْهِيزِ أَنْفُسِهِمْ وهُمَ البَكَّاؤُنَ وهُمْ سَبْعَة نَفَرٌ مِن الأَنْصَارِ وغيرِهِمْ مِنَ بَنِي عَمْرو بن عَوْفٍ وَسَالمُ ابْنُ عُمَيْرٍ ، وَعُلَيَّةُ بن زَيْدٍ ، أَحَدُ بَنِيْ حَارِثَةَ ، وأبُو لَيْلَى عَبْدُ الرحمن أَخُو بَنِيْ مَازِنْ بُن النَّجَارِ ، وعَمرُو بنُ الحُمَامِ ، وعَبْدُ اللهِ بنُ مُغَفَّلٍ المَازِنِي وَبَعْضُ الناسِ يَقُولُ عبدُ اللهِ بنُ عَمْرٍو المازني وهَرْمِيُ بنُ عبدِ اللهِ وعِرْبَاضُ بنُ سَارِيَةَ .

فاسْتَحْمَلوُا رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وكانُوا أَهْلَ حَاجَةٍ فقالَ لَا أَجدُ مَا أَحْمِلُكُم عَلَيهِ فَتَوَلَوُا يَبْكُونَ وأعيُنُهُمْ تَفِيْضُ مِنَ الدَّمْعِ حُزناً أَلَّا يَجِدُوْا ما يُنْفِقُون .

وقَامَ عُلَيَّةُ بنُ يَزيْد فَصَلَّى مِن اللَّيْلِ وَبَكَى وقَالَ اللَّهُمَّ إنَّكَ قَدْ أمرتَ بِالجِهَادِ وَرَغَبَّتْ فِيهِ ثُمَّ لَمَ تَجْعَلْ عِنْدِيْ مَا أَتقَّوى بِهِ مَعَ رَسُولِكَ ولم تَجْعَلْ في يَدِ رَسُولِكَ مَا يَحْمِلُنِي عَلَيهِ وَإِنِّيْ أتصدَّقُ عَلَى كُلِّ مُسْلمٍ بكُلِّ مَظْلَمَةٍ أَصَابَنِيْ فِيْهَا مِن مَالٍ أَوْ جَسَدٍ أَوِ عِرْضٍ .

ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ الناسِ فَقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم : أَيْنَ المُتَصدِّقُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَقُمْ إليهِ أَحَدٌ قَالَ أَيْنَ المُتَصدِّقُ فَلْيقُمْ فَقامَ إِلَيْهِ فأَخْبَرَهُ فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : أَبْشِرْ فَوَالِدي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ كُتِبَتْ في الزَّكَاةِ الـمُتَقَـبَّلـةِ فَفِيْ هَذا مُعْجِزَةٌ مِن مُعْجِزَاتِه صلى الله عليه وسلم وذلك باخبَارِهِ المُتَصدِّقَ :

فَلَقِيَ اثْنَانِ مِنْهُمَا يَامِيْنَ بنَ عُمَيْرِ بنِ كعبِ النَّفَري فقال مَا يُبْكِيْكمَا قالَا جِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلىَ اللهُ عليه وسلم لِيَحْمِلنَا فَلَمْ نَجِدْ عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُنَاعَلَيه وليْسَ عِنْدَنَا ما نَتقَوَّى بِهِ عَلى الخُرُوْجِ وَنَحْنُ نَكْرَهُ أَنْ تَفُوتَنَا غَزْوَةٌ مَعَ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فأَعْطَاهُمَا نَاضِحاً لَهُ ،

البَعِيْرَ الذي يَحْمِلُ عَلَيهِ الماءَ فارْتَحلاَهُ وَزَوَّدَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهما صَاعَين مِن تَمْرٍ وَحَمَلَ العَبَاسُ بنُ عَبدِ الـمُطَّلب رَجُلَين وَحَمَلَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ مِنْهُمْ ثَلاثَةً .

أَمَّا المُنَافِقُونَ فَقَدْ أَخَذُوْا يَتَعَلَّلُونَ وَيَنْتَحِلُوْنَ الأَعْذَارَ لِيَتَخَلَّفُوْا عن الرَّكْبِ وكانُوا مِن الأَغْنِيَاءِ القادِرِيْنَ عَلَى تَجْهِيْزِ أَنْفُسِهِمْ وَغَيرِهِمْ وَلَكِنَّ النِّفَاقَ ضَرَبَ عَلَى قُلُوبِهِم فلَجَؤُا إلى الحِيْلَةِ يَعْتَذِرُوْنَ وَجَعَلُوا يَسْتَأْذِنُونَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم في القُعُودِ فَيَأذَنُ لَهُمْ وَيُعْرِضُ عَنْهُمْ .

ولم يَقْتَصِرِ المُنَافِقُونَ على تَخَلُّفِهِمْ وَقُعُودِهِمْ بَلْ بَثُّوا شُرُوْرَهُمْ وَجَعَلُوا يُثَبِّطُونَ الناسَ ويُخَوِّفُوْنَهُمْ لِقَاءَ الرُّوْمِ وَيُرْجِفُونَ بِرَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وَيَقُولُونَ فِيْمَا يَقُولُونَ يَغْزُوْ مُحَمَّدٌ بَنِي الأَصْفَرِ مَعَ جُهْدِ الحَالِ والحَرِّ والبَلَدِ البَعِيْدِ أيَحْسَبُ مُحَمَّدٌ أَنَّ قِتَالَ بَنِيْ الأَصْفَرِ بَسِيْطٌ كَقِتَالِ العَرَبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا واللهِ لَكَأَنَّكُمْ بأصْحَابِهِ غداً مُقَرَّنِيْنَ في الحِبَالِ .

وكانَ العَرَبُ يَنْظُرُوْنَ إلى دَوْلَةِ الرُّوْمِ حِيْنَذَاكَ كَنَظَرِ كَثِيْرٍ مِن الناسِ اليَوْمَ إلى دُوَلِ الكُفْرِ دُوَلَ أَوْرُبَّا وأَمَرِيْكَا وَرُوْسِيَا ، قال اللهِ تعالى ﴿ وجاءَ المُعذِرُوْنَ مِن الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وقَعَدَ الـذينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ولَكِنَّ ذَلكَ لَمْ يَمْنَعْ المُسْلِمِينَ مِن أَنْ يُعِدُّوا لِلْخُرُوْجِ عُدَّتَهُ .

وَتَتَابَعَ الناسُ يَتَوَافَدُوْنَ عَلَى المَدِيْنَةِ مِن كُلِّ صَوْبٍ حَتَّى زَادَ عَدَدُهُمْ عَلَى ثَلاثِيْنَ أَلْفَاً وضَرَبَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عَسْكَرَهْ على ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ واسْتَخْلَفَ عَلَيْهِ أبا بكرٍ الصِّدِّيْقَ يُصَلى بالناسِ واسْتَخْلَفَ عَلَى المَدِيْنَةِ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةْ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ في الحَيَاةِ وَبَعْدَهَا ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ المُفْلِحِيْنَ الذِيْنَ نَوَّرْتَ قُلُوبَهُم بِمَعْرِفَتِكَ ، وَأَهَّلْتَهُم لِخِدْمَتِكَ ، وَحَرَسْتَهُم مِنْ عَدُوِّكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِكَ

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْــلٌ)

وخَلَّفَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم عَلَى أَهْلِهِ عَليَّ بْنَ أَبِيْ طَالِب وَأَمَرَهُ بالإقامةَ فِيْهِمْ فَأَرْجفَ بِهِ المُنافِقُون وقالُوا مَا خَلَّفَهُ إلا اسْتِثْقَالاً لَهُ وَتَخَفُفاً مِنْهُ فَلمَّا قَالَ المُنافِقُوْنَ ذَلِكَ أَخذَ عَليٌّ سِلاَحَهُ ثُمَّ خَرجَ حَتَّى أَتَى رَسُوْلَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بالجُرْفِ مَوْضِعٌ عَلَى ثلاثَةِ أمْيَالٍ مِن المَدِيْنَةِ) .

فَقَالَ يَا نَبِي اللهِ زَعَمَ المُنَافِقُوْنَ أَنَّكَ إنَّمَا خَلَّفْتَنِيْ أَنَّكَ اسْتَثْقَلْتَنِيْ وَتَخففْتَ مِنِّيْ فقالَ كَذبُوا وَلَكِنِّيْ إنَّمَا خَلَّفْتُكَ لِمَا وَرَائِي فارْجِعْ فاخْلُفْنِيْ في أَهْلِيْ وَأَهْلِك افلاَ تَرْضَى يَا عَلي أَنْ تَكُونَ مِنِّيْ بِمَنْزِلَةِ هَارُوْنَ مِن مُوْسَى إلَّا أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِيْ فرجَعَ عَلِيٌّ .

وَعَقَدَ الأَلْوِيَةَ والرَّايَاتِ فَدَفَع لِوَاءَهُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَدَفَعَ رَايَتَهُ إلى الزُّبَيْرِ وَدَفَعَ رَايَةَ الأوْسِ إلى أُسَيْدِ بن حُضَيْرٍ وَرَايَةَ الخَزْرَجِ إلى الحُبَاب بنِ المُنْذِرِ وَأَمَرَ كلَّ بَطْنٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَقَبَائِلِ العَرَبِ أَنْ يَتَّخِذُوْا لِوَاءً أَوْ رَايَةً .

وَخَرَجَ في شَهْرِ رَجَبٍ في السَّنَة التَّاسِعَةِ قَاصِداً نَاحِيَةَ الشَّامِ فِي ثلاثينَ ألفَا مِن الناسِ والخَيْلُ عَشْرَةُ آلافِ فَرَسٍ وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَبَيِّ رَئِيْسَ المُنَافِقِيْنَ خَرَجَ فِي حُلَفَائِهِ مِن اليَهُوْدِ والمُنَافِقِيْنَ فَعَسْكَرَ بِهِمْ إزَاءَ عَسْكَرِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم .

فلمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم على السَّيْرِ تَخَلَّفَ عنه عبدُ اللهِ بنُ أُبَي وَمن كَانَ مَعَهُ كَمَا تَخَلَّفَ عَنْهُ في غَـزْوة أُحُدٍ وَلَمْ يَكُنْ الطَّرِيْقُ سَهْلاً ولا السَّفَرُ قَرِيْباً ولا الوَقْتُ مُلاَئماً للسَّيْرِ إنَّما كانَ كَمَا تَقَدَّم زَمَانُ عُسْرَةٍ وَشِدَّةِ حَرٍّ وجُدْبٍ وَحِيْنَ طَابَتِ الثِّمَارُ والظِّلاَلَ فالناسُ يُحِبُّوْنَ المَقَامَ في ثِمَارِهِمْ وظِلاَلِهِمْ .

ولكِنَّ الجِهَادَ لِدَفْعِ عَدُوٍّ مُهَاجِمٍ وَرَدِّ خَطَرٍ جَاثِمٍ عَلَى الأَبْوَابِ فَمَا كَانَ المُؤْمِنُونَ وَهُمْ أَهْلُ الدَّعْوَةِ وحُـمَاتُهَا لِيَنْكُلوا عن الجِهَادِ مَهْمَا تَكُنِ الأَسْبَابُ غَيْرَ مُوَاتِيَةٍ وَمَهْمَا تَكُنِ الظُّرُوْفُ غَيْرُ مُلائِمَةٍ قَالَ تعالى ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ المَدِيْنَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِن الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عن رَسُولِ اللهِ ولا يَرْغَبُوْا بَأَنْفُسِهِمْ عن نَفْسِهِ ذلكَ بأنهُمْ لا يُصِيْبُهُمْ ظَماءٌ ولا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ في سَبِيْلِ اللهِ ولا يَطَأُوْنَ مَوْطِئاً يَغِيْظُ الكُفَّارَ وَلَا يَنَالُوْنَ مِن عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إن اللهَ لا يُضِيْعُ أَجْرَ المُحْسِنِيْن ولا يُنْفِقُوْنَ نَفَقَةً صَغِيْرَةً وَلَا كَبِيْرَةً ولا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمْ اللهُ أحسنَ ما كانُوا يَعْمَلُون ﴾ .

وَقَدْ قَاسَى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وأَصْحَابُهُ في هَذِهِ السُّفْرَةِ مَشَقَّةً عَظِيْمَةً وَعَنتاً وَنصباً كَثِيْراً قال قَتَادَةُ خَرَجُوا إلى الشامِ عامَ تَبُوكَ في لَهَبَانِ الحَرِّ عَلَى مَا يَعْلَمُ اللهُ مِن الجُهْدِ فَأَصَابَهُمْ فِيْهَا جُهْدٌ شَدِيْدٌ حَتَّى لَقَدْ ذُكِرَ لَنا أَنَّ الرَّجُلَيْنِ كَانَا يَشُقَّانِ التَّمْرَةِ بَيْنَهُمَا وَكَانَ النَّفَرُ يَتَدَاوَلُونَ التَّمْرَةِ بَيْنَهُمْ يَمُصُّهَا هَذَا ثُمَّ يَشْرَبُ عَلَيْهَا ثُمَّ يَمُصُّهَا هَذَا ثُمَّ يَشْرَبُ عَلَيها.

وَرُوِيَ أَنَّهُ قِيْلَ لِعُمَرَ بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه حَدِّثْنَا عن شَأْنِ سَاعَةِ العُسْرَةِ فقال عُمرُ خَرَجْنَا إلى تَبُوْكَ في قَيْضٍ شَدِيْدٍ فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً وَأَصَابَنَا فيهِ عَطَشٌ حتَّى ظَنَنَّا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنقَطِعُ وَحَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيْرَهُ فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ فَيَشْرَبُهُ ثم يجعل ما بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ .

فَقَالَ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيْقُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ قَدْ عَوَّدَكَ في الدُّعَاءِ خَيْراً فادْعُ اللهَ لنا فَقَالَ أَوَ تُحِبُّ ذَلِكَ قَالَ نَعَمْ فَرَفَعَ رَسُوْلُ اللهِ صلى اللهُ عَليه وسلم يَدَيْهِ إلى السَّمَاءِ فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حَتَّى قَالت السَّمَاءُ ـ أَيْ

آذنتْ بِمطَرٍ فأطَلَّتْ ثُمَّ سَكَبَتْ فمَلَؤُا ما معَهُمْ ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ فلم نَرَهَا جَاوَزَتْ العَسْكَرَ .

وَهَذِهِ مُعْجزَةٌ أَيْضَا وَلَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ المَشَقَّةُ العَظِيْمَةُ الَّتِي عَانَاهَا المُسْلِمُونَ في السَّيْرِ إلى تَبُوْكَ امْتِحَاناً مِن اللهِ لَهُمْ أَرَادَ بِهِ تَمْحِيْص المُؤْمِنِيْنَ واسْتِخْلاَصَهُمْ وَاعْدَادَهُمْ لإحْتِمَالِ مَشَاقِّ الجِهَادِ في سَبِيْلِهِ ولِيَنْظِرُ مَبْلَغَ صَبْرَ الصَّابِرِيْن وصِدْق الصَادِقِيْنَ في سَبِيْلِ الذَّبِّ عن دِيْنِهِمْ .

فكانَ لَا يَحْتَمِلُ هَذِهِ المَشقَّاتُ إلا الذِينَ لَهُمْ إِيْمَانٌ عَمِيْقٌ رَاسِخَةٌ عَقِيْدَتُهُمْ أَمَا الذِينَ نَافَقُوْا وَتَظَاهَرُوْا بالايْمَانِ فَقَدْ تَضَعْضَعُوْا وَضَعُفُوا وَخَارَتْ عَزَائِمُهُمْ فكانُوا يَتَسَلَّلُونَ مِن وَرَاءِ الصُّفُوف رَاجِعِيْنَ .

وَاللهُ أَعْلَمُ وصَلى اللهُ على محمد وآله وصحبه وسلم

مَوْعِظَــةٌ :عِبَادَ اللهِ إنَّ الحَيَاءَ كَمَا عِلِمْتُمْ لَا يَأْتِيْ إلا بِخَيْرٍ وَإِنَّهُ خُلُقُ الاسلامِ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَجُرُّ إِلَى الكَمَالاتِ والفضَائِلِ وَهوَ خُلُقُ الكِرَامِ وَسِمَةُ أَهْلِ المُرُوْءَةِ وَعُنْوَانُ الفَضْلِ والنُبْلِ .

والحَيَاءُ بَاعِثُهُ إِحْسَاسٌ رَقِيْقٌ وَشُعُورٌ دَقِيْقٌ يَبْدُوْ في العَيْنِ مَظْهرُهُ وعلى الوَجْهِ أَثَرُهُ ومَنْ حُرِمَهُ حرِمَ الخَيرَ كُلَّهُ وَمَنْ تَحلَّى بِهِ ظَفِرَ بالعِزِّ والكَرَامَةِ وَنَالَ الخَيْرَ أَجْمعَ .

وَلَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ هُمْ أَهْلُ الحَيَاءِ فَعَلَيْنَا أَنْ نَقْتَدِيَ بِهِمْ فِي ذَلِكَ الخُلُقِ الْجَمِيْلِ وَلَقَدْ كَانَتْ نِسَاؤُهُمْ مِن شِدَّةِ حَيَائِهِنَّ إِذَا خَرَجْنَ لِحَاجَةٍ أَوْ ضَرُوْرَةٍ لا يُرى مِنْهَا شَيْئاً أَبَداً وَتَبْتَعِدُ عن الرِّجَالِ لاصِقَةٍ بالجِدَارِ مُرْخِيَة ثَوْبَهَا شِبْراً أَوْ ذِرَاعا. في ثوبٍ رَثٍّ خَلِقٍ وعَبَاءَةٍ كَذَلِكَ.

مَضى على هَذا مُدَّةً من الزَّمن ثُمَّ لَمَا غَشوْنَا الأَجَانِبُ وكَثرُوا عِنْدَنا وَهُمْ لَا يَرَوْنَ في التَّبرُّجِ والسُّفُوْرِ بأساً ضَعُفَ دَاعِيْ الحَيَاءِ وَأَثَّرُوْا على كَثِيْرٍ مِن النِسَاءِ .

ولا شَكَّ أَنَّ التَّبَرُّجَ وَإِبْدَاءَ الزِّيْنَةِ الَّتِيْ حَرَّمَ اللهُ إِبْدَاءَهَا مِن المُنْكَرَاتِ الَّتِي يَجِبُ إِنْكَارُهَا وَمَنْعُهَا لما يَنْشَأُ عَنْهَا مِن الفَوَاحِش والمَعَاصِيْ وافْسَادِ الأَخْلاَقِ وإِلَيْكَ الأدلةُ الدالةُ على تَحْرِيم السُّفُوْرِ والتَّبرُّجِ .

قَالَ الله تَعَالى « واذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذِالِكُم أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُم وَقُلُوبِهِنَّ » فَهَذِهِ الآيَةُ دَلِيْلٌ واضِحٌ على أنهُ يَجِبُ على النِسَاءِ الاحْتِجَابُ عن الرجالِ

وَقَال جَلَّ وَعَلاَ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُ قُلْ لِإَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ المُؤْمِنِيْن يُدْنِيْنَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيْبِهِنَّ ذلكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فلا يُؤْذَيْنَ ﴾ .

وَقَال تَعالَى ﴿ والقَوَاعِدُ مِن النساءِ اللاَّتِي لا يَرْجُوْنَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِيْنَةٍ وأَنْ يَسْتَعْفِفنَ خَيرٌ لَهُنَّ ﴾ الآيةَ ، فَدَلَّتِ الآيةُ على أنَّ مَن لَهَا تَشَوُّقٌ إِلى النِّكَاحِ بأنْ كانتْ تَرْجُوْهُ عَلَيْهَا جُنَاحٌ وهو الإثمُ إن وَضَعَتْ ثِيَابَهَا وَرَآهَا الأَجَانِبُ مِنْهَا فَالشَّابَاتُ مِن بَابِ أَوْلَى وَأَحْرَى لا يَجُوزُ لَهُنَّ وَضْعُ ثِيَابِهِنَّ لِإنَّ الفِتْنَةَ بِهِنَّ أشَدُّ واثْمُهُنَّ أعْظَمُ فتأمَّلْ.

وقَالَ تعالى ﴿ ولا يُبْدِيْنَ زِيْنَتَهُنَّ إلاَّ لِبُعُوْلَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آباءِ بُعُولَتِهِنَّ ﴾ الآيةَ وَأَعْظَمُ مَا تَبْدُوْ بِهِ الزِيْنَةُ الوَجْهُ .

وَقَال تَعالَى ﴿ ولا يَضرِبْنَ بأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَم مَا يُخْفِيْنَ مِنْ زِيْنَتِهِنَّ ﴾ وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ على الاحْتِجَاب أنَّهُ اذا كَانَ قَدْ نُهِيْ عن أن تَضْرِبَ بِرجْلِهَا إِذَا مَشَتْ لِيُسْمَع صَوْتَ خِلْخَالِهَا مَنْ يَسْمَعُهُ مِن الرجَالِ فَتَتَحرَّكَ الشَّهْوَةُ فكَيْفَ بابْدَاءِ الوَجْهِ الذِيْ فِتْنَتُهُ أعْظَمُ وَتَحْرِيْكُهُ للشَّهْوَةِ أشدُّ وَهُوَ الذي إذا نَظر إلَيْهِ الانْسَانُ أَقْدَم أَوْ أَحْجَمَ .

وَقَال تَعالَى ﴿ وقُلْ لِلْمُؤْمِنِيْن يَغُضُوْا من أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوْا فُرُوْجَهُم ذلكَ أزكَى لَهُم إنَّ اللهَ خَبِيْرٌ بما يَصْنَعُونَ ﴾ قال في فتح القدير وفي هذِهِ دَلِيْلٍ على تَحْرِيمِ النظرِ إلى غيرِ مَن يَحِلُّ النظرُ إليه أ هـ .

وَمِن الأدلةِ قَولُه تَعالَى نَاهِياً لِأَزْوَاجِ النَّبي صلى اللهُ عليه وسلم ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بالقَولِ فَيَطْمَع الذِي في قَلبه مَرَضٌ ﴾ .

هَذَا النَّهي وهذَا التَّحْذِيْر في عَهْدِ النبي صلى الله عليه وسلم في عَهْدِ الصَّفْوَةِ المُخْتَارَةِ مِن البَشَر لِصُحْبَة رَسُولِهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم فَكَيْفَ بهذا المُجْتَمع الذِي نَعِيْشُ فِيه اليَوْمَ في عَصْرِنَا المَرِيْضِ الدَّنِس الهَابطِ الذي تَهِيْجُ فيه الفِتَنُ وَتَثُورُ فيه الشَّهَوَاتُ وتَرِفُ فيه الأَطَّمَاعُ نسأَلَ الله أنْ يُفِيْضَ لِدِيْنِهِ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْر وبالاجَابَةِ جَدِيْر .

ثم مِنَ الأَدِلَّةِ الدَالةِ على وجُوبِ الحِجَاب والسَّتْرِ عَن الأَجَانِب ما وَرَدَ عن أَبِيْ حُمَيْدٍ أَوْ حُمَيْدَة قَال قَال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إِذَا خطَبَ أَحَدُكُم إمْرَأَةً فَلا جُنَاحَ عليهِ أنْ يَنْظُر مِنْهَا إِذَا كانَ إنمَا يَنْظُر إلَيْهَا لِخُطْبَةٍ وانْ كانَتْ لا تَعْلَمْ رَوَاهُ أَحْمَدُ .

اللَهُمَّ نَوِّرْ قُلُوْبَنَا بِطَاعَتِكَ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَارْزُقْنَا الانَابَةَ إلَيْكَ وَحُسْنَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ وَآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

وصَلى اللهُ على مُحَمَدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(فصْلٌ) :وَوَجْهُ الدلالَةِ أنه صلى اللهُ عليه وسلم نَفَى الجُنَاحَ وهو الاثمُ عن الخاطِبِ إذَا نَظرَ إلَيْهَا إذَا كَانَ إنَّمَا يَنْظُرُ إليها لِلْخُطْبَةِ فَدل الحَدِيْثُ عَلىَ أنَّ النَّاظِرَ لِغيرِ الخُطْبَةِ آثِمُ .

ومن الأدلةِ قولهُ صلى الله عليهِ وسلم مَنْ جَرَّ ثَوْبَـهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُر اللهُ إليه يَوْمَ القِيَامَةِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلمَةَ فَكَيْفَ يَصْنَعُ النِسَاءُ بِذُيُوْلِهِنَّ ، قَالَ يُرْخِيْنَهُ شِبْراً قَالَتْ إذاً تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ قال يُرْخِيْنَ ذِرَاعَاً لا يَزِدْنَ عَلَيْهِ .

وَوَجْهُ دَلاَلَتِهِ على وجُوْبِ التَّسَتُّرِ عن الأَجَانِبِ أَنَّ القَدَمَ وَهُوَ أقلُ فِتْنَةٍ مِن الوَجْهِ يَجِبُ سَتْرُهُ فيكونُ وُجُوبُ سَتْرِ الوَجْه مِن باب أَوْلَى وأَحْرَى .

وَمِنَ الأدلةِ علىٰ وجُوب التَّستُر مَا وَرَدَ عَن أُمّ المُؤْمِنِينَ عائِشَةَ رضي اللهُ عنها قَالَتْ كَان الرُّكْبَانُ يَمُرُّوْنَ بنَا وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ مَعَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فاذا حَاذَوْا بنَا سَدَلَتْ إحْدَانَا جلْبَابَهَا على وَجْهِهَا مِن رَأْسِهَا فاذا جاوزُونَا كَشَفْنَاهُ رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه .

فالحديثُ يدُلُ دَلاَلَةً وَاضِحَةً على وجُوْبِ تَغْطِيَةِ الوَجْهِ عن الأجانِبِ إذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى المُسْلِم أنْ يَتَّقِي اللهَ ويأخُذَ على أيْدِي نِسَائِهِ وَيَمْنَعَهَنَّ مِمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِنَّ مِن السُفُورِ والتَّبرُج .

ولَا عِبْرَة بالأجَانِب الدينَ تَرَبَّوْا على السُّفُورِ وَنَشَؤُا عَلَيْهِ وَقَلَّدُوْا فيهِ أَعْدَاءَ الاسْلام وَصارُوْا لا يُبَالُونَ بِهِ وبِمَا هُوَ أعظَمُ مِنه مِن المَعَاصِي والعِيَاذُ باللهِ مِن تَرْكِ صَلاَةٍ مَعَ الجَمَاعَةِ وَحُضُورِ مُنْكَرَاتٍ وَرُكُوب النِسَاء بلا مَحْرَم وخَلْوَةٍ بالرجالِ الأجَانِبِ وَمُبَاشَرتِهِم وَنَحْو ذَلِكَ .

شِعْرًا : إذَا كَانَ الدَّبُورِ عَلى أنَاس   أُتِيْـحَ لَهُـمْ أكَابِـرَ مُعْتَدِيْنَـا

ذَوِيْ كِبْـرٍ وَمَجْهَلَـةٍ وَجُبْـنٍ وَإِهْمَـالٍ لِمَـا يَتوقَّعُوْنَـا
وإِنْ يُرِدِ الإِلٰـهُ صَلاحَ قومٍ أَتَاحَ لَهُـمْ أَكَابِـرَ مُصْلِحِيْنَـا
ذوِيْ رَأيٍ وَمَعْرِفَـةٍ وفَهْـمٍ وَإِعْـدادٍ لِمَـا قَدْ يَحْذَرُوْنَـا

ولِذَالِكَ تَجِدُ أَهْلَ نَجْدٍ الذينَ تَرَبَّوا في مَقَرِّ الدَّعْوَةِ يَسْتنكِرُوْنَ ذَلِكَ أَشَدَّ الأنكارِ عَلَى مَن أَتَى مِن بِلادِ الكُفارِ فأَهْلُ نَجْدٍ إِذَا تَأَمَّلْتَ أَكْثَرَهُمْ وَجَدْتَ عِنْدَهُمْ مَحَبَّةً لِلْدِّيْنِ وأَهْلِهِ والدَّعْوَةِ إِليهِ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيرِهِمْ قال بَعْضُهُمْ :

(دِيَار نَجْدٍ هِيَ الدُنْيَا وسَاكِنُهَا هُمُ الأَنَامُ فَقَابِلْهَا بِتَفْضِيْـلِ)
(يَا مَن يُبَاهِيْ بِبُلـدَانٍ وَيَمْـدَحُهَا نَجْدٌ مُقَدَّمَةٌ واسْمَعْ لِتَعْلِيْلِ)
(لِأَنَّ فِيْهَا حُدُوْدُ الشَّرْعِ نَافِذَةٌ وَغَيْرُهَا في قَوَانِيْنٍ وَتَضْلِيْـلِ)

نَظْمٌ في الحَثِّ على الأخْذِ بالحَدِيْثِ وَتَقْدِيْمِهِ عَلَى الآراءِ»

وَقَـدِّمْ أَحَـادِيْثَ الـرسـولِ وَنَصَّـهُ
عَلَى كُـلِّ قَـوْلٍ قَـدْ أَتَى بـإِزَائِـهِ
فـإِنْ جَـاءَ رَأْيٌ لِلْحَـدِيْثِ مُعَـارِضٌ
فلِلرَّأْيِ فـاطْـرَح واسْتَـرِحْ مِن عَنَائِـهِ
فَهَـلْ مَعْ وُجُـوْدِ البَحْـرِ يَكْفِيْ تَيَمُّمٌ
لِمَنْ لَيْسَ مَعْـذُوْراً لَـدَى فُقَهَـائِـهِ
وَهَـلْ يُوْقِـدُ النَّاسُ المَصَابِيْح لِلضِّيَـا
إِذَا مَـا أَتَى رَدْؤُ الضُّحَى بضِيَـائِـهِ
سَـلامِي على أَهْـلِ الحَـدِيْثِ فَـإِنَّهُمْ
مَصَابِيْحُ عِلْمٍ بَـلْ نُجُـوْمُ سَمـائِـهِ
بِهِمْ يَهْتَـدِيْ مَنْ يَقْتَـدِيْ بعُلُوْمِهِمْ
وَيَـرْقَى بِهِـمْ ذُو الـدَّاءِ عِلَّةَ دَائِـهِ

وَيَحْيَا بِهِمْ مَنْ مَاتَ بِالجَهْلِ قَلْبُهُ
فَهُمْ كَالْحَيَا تَحْيَ البِقَاعُ بِمَائِهِ

لَهُمْ حُلَلٌ قَدْ زَيَّنَتْهُمْ مِن الهُدَى
إذا مَا تَرَدَّى ذُو الرَّدَا بِرِدَائِهِ

وَمَنْ يَكُنِ الوَحْيُ المُطَهَّرُ عِلْمُهُ
فَلاَ رَيْبَ فِي تَوْفِيْقِهِ واهْتِدَائِهِ

وما يَسْتَوِيْ تَالِي الحَدِيْثِ وَمَن تَلاَ
زَخَارِفَ مِن أَهْوَائِهِ وَهُذَائِهِ

وكُنْ رَاغِباً في الوَحْيِ لا عَنْه رَاغِباً
كَخَابِطِ لَيْلٍ تَائِهٍ في دُجَائِهِ

إِذَا شَامَ بَرْقَاً في سَحَابٍ مَشَى بِهِ
وإلا بَقِيْ فِي شَكِّهِ وامْتِرَائِهِ

وَمَنْ قَالَ ذَا حِلٌ وَهَذَا مُحَرَّمٌ
بِغَيْرِ دَلِيْلٍ فَهْوَ مَحْضُ افْتِرَائِهِ

وكُلُّ فقِيْهٍ في الحَقِيْقَةِ مُدَّعٍ
ويَثْبُتُ بالوَحْيَيْنِ صِدْقُ ادِّعَائِهِ

هُمَا شَاهِدَا عَدْلٍ ولكِنْ كلاَهُمَا
لَدَى الحُكْمِ قَاضٍ عَادِلٍ في قَضَائِهِ

فَوَاحَرَّ قَلْبِيْ مِن جَهُوْلٍ مُسَوَّدٍ
بِهِ يُقْتَدَى في جَهْلِهِ لِشَقَائِهِ

إِذَا قُلْتُ قَوْلَ المُصْطَفَى هُوَ مَذْهَبِيْ
مَتَى صَحَّ عِنْدِي لَمْ أَقُلْ بِسِوَائِهِ

يَـرَى أَنَّهَـا دَعْـوَى اجْتِهَادٍ صَحِيْحَةً
فَـوَا عَـجَبـاً مِـن جَهْلِهِ وَجَـفَـائِـهِ
فَـسَلْهُ أَقَـوْلُ الـلهِ مـاذا أَجَبْتُـمْ؟
لِمَنْ هُـوَ يَـوْمَ الحَشْـرِ عِنْـدَ نِـدَائِـهِ
أَيَسْـأَلُهُـمْ مَـاذَا أَجَبْتُـمْ مُلُوْكَكُمْ
ومـا عَـظَّمَ الإنسـانُ مِن رُؤَسَـائِـهِ
أَمِ اللهُ يَـوْمَ الحَشْرِ يَمْتَحِنُ الـوَرَى
بِمَـاذَا أَجَابُـوا الـرُّسْـلَ مِن أَنْبِيَـائِـهِ
وهَلْ يُسْأَلُ الانسـانُ عن غَيْرِ أَحْمَـدٍ
إذا مَا ثَوَى فِي الرَّمْسِ تَحْتَ ثَرَائِهِ
وَهَـلْ قَـوْلُـهُ يَـا رَبُّ قَلَّدْتُ غَيْـرَهُ
لَـدَى اللهِ عُذْرٌ يَـومَ فَصْـلِ قَضَـائِـهِ

اللهم قَنِعْنَا مِن الدُنيَا باليَسِيْرِ وَسهِّل علينا كُلَّ أَمْرٍ عَسِير ووَفِّقْنَا لِمَا تُحبّهُ وترضَاهُ إنَّك على كُلِّ شيءٍ قَدِير وأَسكِنَّا دَارَ كَرَامَتِكَ يا مَنْ هُوَ مَلْجَؤُنَا وملاذُنَا وإليهِ المَصِيْر واجْعَلْ لنَا مِن كُلِّ هَمٍّ فَرَجَا ومِن كُلِّ ضِيّقٍ مَخْرَجَا وَاغْفِرْ لنَا ولِوَالدِينَا ولِجَمِيْعِ إخوانِنَا المُسْلِمِيْن برحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْـــــلٌ)

وضَلَّتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِبَعْضِ الطَّرِيْقِ فَخَرَجَ أَصْحَابُهُ فِي طَلَبِهَا وعِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مَن بَعْضِ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ عِمَارَةَ بنَ حَزْمٍ الأنصارِي .

وكَان فِي رَحْلِهِ زَيْدُ بنُ لُصَيْتٍ القَيْنُقَاعِي وكان مُنَافِقاً فَقَالَ زَيْدُ بنُ لُصَيْتٍ وَهُوَ فِي رَحْلِ عُمارَةَ وعمَارَةُ عِنْدَ رَسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ؛ أَلَيْسَ يَزْعُمُ مُحَمَّدُ انه يُخْبِرُكُم مِن خَبرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لا يَدْرِيْ أَيْنَ نَاقتُهُ .

فَقَال رسولُ الله صلى الله عليه وسلو وَعُمَارَةُ عِنْدَه إنَّ رَجُلاً قَالَ إنَّ مُحَمَّداً يُخْبرُكُم أَنَّهُ نَبِيٌّ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يخـبركَمْ بخَبَرِ السَّماءِ وهُوَ لا يَدْرِيْ أَيْنَ نَاقتُهُ وإنّي واللهِ مَا أَعْلَمُ إلاَّ ما أَعْلمنِي اللهُ وقَدْ دَلَّنِي اللهُ علَيْها وهي في الوَادِيْ في شِعْب كَذَا وَكَذا قَدْ حَبَسَتْها شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا فانطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوْا بِهَا .

فَذَهَبُوا فَجَاؤُا بهَا وقَدْ وَجدَهَا الحَارِثُ بنُ خـزَمَةَ الأَشْهَلِي كَمَا قَالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ فقالَ زَيْدُ لَكَأَني لَمْ أُسْلِمْ إلا اليَوْمَ فَقَدْ كُنْتُ شَاكاً في مُحَمَّدٍ وقد أَصْبَحْتُ وَأنا فِيهِ ذُوْ بَصِيْرَةٍ أَشْهَدُ أَنَّه رَسُولُ اللهِ ففي هذه القصة معجزة واضحة .

ثم مَضَى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم سَائِراً فَجَعَلَ يَتَخلَّفُ عَنهُ الرَّجُلُ فَيَقُولُونَ يا رَسُولَ اللهِ تَخلَّفَ فُلانٌ فَيَقُولُ دَعُوْهُ فانْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللهُ بِكُمْ وإن يَكُ غَيْرَ ذلِكَ فَقَدْ أَرَاحكُم اللهُ مِنهُ حَتَّى قِيْل يَا رَسُولَ الله تَخلَّفَ أَبو ذَرٍ وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيْره فقالَ دَعُوْهُ فإنْ يَكُ فِيه خيرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللهُ بِكُمْ وإنْ يَكُ غيرَ ذلِكَ فَقَدَ أراحَكم اللهُ مِنْهُ .

وتَلَوَّمَ أَبو ذَرٍ عَلَى بَعِيْرِهِ فَلَمَّا أَبْطأَ عَلَيْهِ بَعِيْرُهُ ـ أَيْ انْقَطَعَ ـ أَخذَ المَتَاعَ مِن عَلَيهِ فَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ خرَجَ يَتْبَعُ أَثْرَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم مَاشِياً وَنَزَلَ رَسُول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَنَازِلَهُ

فَنَظَرَ نَاظِرٌ مِن المُسْلِمِيْنَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ هَذَا رَجُلٌ يَمْشِيْ عَلى الطَّرِيْقِ وَحْدَهُ .

فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كُنْ أبَا ذَرٍ فلمَّا تَأمَّلَهُ القَوْمُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ هُوَ- وَاللهِ أَبُوْ ذَرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم رَحِمَ اللهُ أبَا ذَرٍ يَمْشِيْ وَحْدَهُ وَيَمُوْتُ وَحْدَهُ وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ وَقَدْ تَحقَّقَ قَولُهُ صلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ فإنَّ عُثْمَانَ رَضْيَ اللهُ عنه لَمَّا نَفى أبَا ذَرٍ نَزَلَ أبُوْ ذَرٍ الرَّبْذَةَ فَأَصَابَهُ بِهَا قَدَرُهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ إلاَّ امْرَأَتَهُ وَغُلامُهُ فَأوْصَاهُمَا أنْ غسِّلاَنِيْ وَكَفِّنَانِيْ .

ثم ضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيْقِ فَأَوَّلُ مَرْكَبٍ يَمُرُّ بِكُم فَقُوْلُوْا لَهُ هَذَا أبو ذَرٍ صَاحِبُ رَسُولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم فأَعِيْنُوْنَا عَلَى دَفْنِهِ فَلمَّا مَاتَ فَعلا ذلِكَ بِهِ ثُمَّ وَضَعَاهُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيْقِ .

فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُوْدٍ رَضيَ اللهُ عَنْهُ وَرَهْطٌ مَعَهُ أَهْلُ العِرَاقِ عُمَّاراً فَلَمْ يَرُعْهُمْ إلا جَنَازَةٌ على الطَّرِيْقِ قَدْ كادَتْ الإبلُ تَطؤُهَا وَقَامَ الغُلامُ فقال هَذَا أبو ذَرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فأَعِيْنُوْنَا عَلَى دَفْنِهِ .

فاسْتَهَلَّ عَبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ يَبْكِيْ وَيَقُوْلُ صَدَقَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « تَمْشِيْ وَحْدَكَ وَتَمُوتُ وَحْدَكَ وَتُبْعَثُ وَحْدَكَ » .

ثم نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَوَارَوْهُ ثُمَّ حَدَّثَهُمْ ابنُ مَسْعُودٍ حَدِيْثَهُ وَما قَالَهُ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في مَسِيْرِهِ إلى تَبُوكَ واسْمُ أبِي ذَرٍ « جُنْدُبُ بنُ جُنَادَةَ » وَمَاتَ في سنة ٣٢ هـ .

اللهُمَّ اجْعَلنَا مِنْ حِزْبِكَ المُفْلِحينَ ، وَعِبَادِكَ الصَّالِحينَ الذينَ أَهَّلْتَهُم لِخِدمَتِكَ وَجعَلْتَهُمْ آمِرِيْنَ بالمَعْرُوفِ فَاعِلِينَ لَهُ ، وَنَاهِيْنَ عَن المُنْكَرِ ، وَمُجْتَنِبِيْنَ لَهُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المسلمينَ الأَحْيَاءِ

مِنْهُمْ والمَيتِينَ بِرَحْمَتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ ، وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحمدٍ وعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعينَ .

(فَصـــلٌ):وَذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ بنُ حِبَّانَ في صحيحِهِ وَغيْرُه في قِصَّةِ وَفَاته عَنْ مُجَاهِدٍ عن إبْرَاهِيْمَ بنِ الأشْتَرِ عَن أَبيْهِ عن أُمِّ ذرٍ قَالَتْ لَمَّا حَضرَتْ أبَا ذَرٍ الوَفَاةُ بَكَيْتُ فَقَالَ مَا يُبْكِيْكِ فقُلْتُ مَا لِيْ لاَ أبْكِيْ وَأَنْتَ تَمُوْتُ بفَلاَةٍ مِن الأَرْضِ وَلَيْسَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسَعُكَ كَفَناً وَلاَ يَدَانِ لِيْ في تَغْيِيْبِكَ .

قَالَ أبْشِرِيْ ولا تَبْكِيْ فإنِّيْ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ لنفرٍ أنا فِيْهِمْ لَيَمُوْتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بفَلاَةٍ مِنَ الأَرْض يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ المُسْلِمِيْن وَلَيْس أَحَدٌ مِنْ أُوْلئك النَّفرِ إلاَّ وَقَدْ مَاتَ في قَرْيَةٍ وَجمَاعَةٍ فَأَنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ فَوَ اللهِ مَا كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ فَأَبْصِرِيْ الطَّرِيْقَ فَقُلْتُ أَنَّي وَقَدْ ذَهَبَ الحَاجُ وَتَقَطَّعَتِ الطُرُقُ .

فَقَالَ اذْهَبِي فَتَبَصَّرِيْ قَالَتَ فَكُنْتُ أَشْتَدُّ إلى الكَثِيْبِ أَتَبَصَّرُ ثُمَّ أرْجِعُ فَأُمَرِّضُهُ فَبَيْنَا أنَا وَهُوَ كَذَلِكَ إذَا أنا برِجَالٍ على رِحَالِهِم كأَنَّهُمْ الرَّخَمُ تَخِبُّ بهِمْ رَوَاحِلُهُمْ قَالَتْ فَأَشَرْتُ إلَيْهِمْ فَأَسْرَعُوْا إليَّ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيَّ .

فَقَالُوا يَا أمَةَ اللهِ مَا لَكِ قُلْتُ امْرُؤٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ يَمُوْتُ قَالُوا وَمَن هُوْ قُلْتُ أَبُوْ ذَرٍ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم قُلْتُ نَعَمْ فَفَدُّوْهُ بآبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَأَسْرَعُوْا إلَيْهِ حَتَّى دَخَلُوا عَلَيهِ .

فقال لَهُمْ أَبْشِرُوْا فإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ لِنَفَرٍ أنا فِيْهِمْ لِيَمُوْتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلاةٍ مِن الأَرْض يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِن المُؤْمِنِيْنَ وَلَيس مِن أولئك النَّفر رَجُلٌ إلاَّ وَقَدْ هَلَكَ في جَمَاعَةٍ .

واللهِ مَا كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ وإنَّهُ لَوْ كَانَ عِنْدِيْ ثَوْبٌ يَسَعُنِي كَفَناً لِي أَوْ لإمْرَأَتِي لَمْ أُكَفَّنْ إلا فِي ثَوْبٍ هُوَ لِيْ أو لَهَا وَإنِّي أَنْشُدُكُمُ اللهَ أَنْ لا

يُكَفِنَنِيْ رَجُلٌ مِنْكُم كَانَ أمِيْراً أَوْ عَرِيْفاً أَوْ بَرِيْداً أَوْ نَقِيْباً وَلَيْس مِن أَوْلَئِكَ النَّفرِ أَحَدٌ إلاَّ وَقَدْ قَارَف بَعْضَ مَا قَالَ إلا فَتىً مِنَ الأَنْصَارِ .

قَالَ أنَا أكفِنُكَ يَا عَمُّ أُكَفِّنُكَ فِي رِدَائِي هَذَا وَفي ثَوْبَيْن مِن عَيْبَتِيْ مِن غَزْلِ أُمِّيْ قَال فَأَنْتَ تُكَفِّنُنِيْ فكَفنَهُ الأنْصارِيُ وَقَامُوْا عليه وَدَفَنُوْهُ في نَفَرٍ كلُّهِمْ ايمان .

وفي هَذِهِ القصة أيضاً مُعْجِزَةٌ حيثُ وَقَعَ طِبْقَ مَا أَخْبَرَ بِهِ صلى الله عليه وسلم فتأَمَّلْ.

قال ابن اسحاق ثم إنَ أَبَا خَيْثَمَةَ رَجَعَ ـ بَعْدَ مَا سَارَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أياماً إلى أهْلِهِ في يَوْمٍ حَارٍ فَوَجَدَ أمْرَأَتَيْن لَهُ في عَرِيْشٍ لَهُمَا في حَائِطِهِ قَدْ رَشَّتْ كلُ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيْشَها وَبَرَّدَتْ لَهُ فِيْهِ مَاءً وَهَيَأتْ لَهُ فِيهِ طَعَاماً .

فَلَمَّا دَخلَ قَامَ على بَابِ العَرِيْشِ فَنظَرَ إلى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم في الضَّحِّ ـ لَهَبُ الشَّمْسِ وَحَرَارَتُها ـ والرِّيْحِ والحَرِّ وأَبُوْ خَيْثَمَةَ فِي ظِلٍّ بَارِدٍ وَطَعَامٍ مُهَيأٍ وامْرَأةٍ حَسْنَاء في مَآلِهِ مُقِيْمٌ ما هذا بالنَّصَفِ والعَدْلِ .

ثم قَالَ واللهِ لا أدخُلَ عَرِيْشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتَّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَهَيِّئَا لِيْ زَاداً فَفَعَلَتَا ثُمَّ قَدَّمَ نَاضِحَهُ فَارْتَحلَهُ ـ أَيْ أَحْضَرَ جَمَلَهُ فَوَضَعَ عَلَيهِ الرَّحْلَ وَأَعَدَّهُ لِلسَّفَرِ ـ .

ثم خَرَجَ في طَلَبِ رسُول اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم حَتَّى أَدْرَكَهُ حِيْنَ نَزَلَ تَبُوْكَ وَكَانَ عِنْدَمَا أَقْبَلَ قَالَ الناسُ هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطَّرِيْقِ فقالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ فقالُوا يا رسولَ اللهِ

هُوَ واللهِ أَبُو خَيْثَمَةَ فلمَّا أناخَ رَاحِلَتَهُ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ على رسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وأَخْبَرَ خَبَرَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم خَيْراً وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ وفي هَذِهِ مُعْجِزَةٌ ظَاهِرة حيْث وَقَعَ طِبْقَ ما أخبرَ .

وَقَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ المُنَافِقِيْنَ مِنْهُمْ وَدِيْعَةُ بنُ ثَابتٍ ومِنْهُمْ مَخْشِيّ بنُ حِمْيَرَ قَال بَعْضُهم لِبَعْضٍ أَتَحْسَبُونَ جِلَادَ بَنِيْ الأَصْفَرِ كَقِتَالِ العَرَبِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً واللهِ لَكَأَنَّكُمْ غداً مُقَرَّنِيْنَ في الحِبَالِ إرجافاً وَإِرْهَاباً لِلْمُؤْمِنِيْنَ .

فَقَالَ مَخْشِيُّ وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّيْ أُقَاضَي عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ مِنَّا مَائِةَ جَلْدَةٍ وَأَنَّا نَنْقَلِبُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ فِيْنَا قُرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ وَقَالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم لِعَمَّارِ بْن يَاسِرٍ « أَدْرِك القَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوْا فَسَلْهُم عَمَّا قَالُوا فَإِنْ انْكَرُوْا فَقُلْ بَلَى قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا فَانْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عَمَّارٌ فقالَ ذلِكَ لَهُمْ .

فَأَتَوا رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَعْتَذِرُوْنَ إليْهِ فقال وَدِيْعَةُ بنُ ثَابتٍ كُنَّا نَخُوْضُ وَنَلْعَبُ فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهم ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقولن إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبْ فَقَال مَخْشِيُّ بنُ حِمْيَرَ : يا رسولَ اللهِ قَعَدَ بِيْ اسْمِيْ وَاسْمُ أَبِيْ فَكَانَ الذِي عَفَا عَنْهُ في هذِه الآيةِ وتَسَمَّى عبدَ الرحمن وسأل اللهَ أنْ يُقتلَ شَهِيْداً لا يُعْلَمُ بِمَكَانِهِ فَقُتِلَ يَوْمَ اليَمَامَةِ فَلَمْ يُوْجَدْ لَهُ أثرٌ ، ففي هَذِهِ القصةَ مُعْجزَةٌ أيضاً وهي إِخْبَارُهُ بِمَا قَالُوا .

قال ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ:

وَذَكَرَ ابنُ عَائِذٍ في مَغَازِيْهِ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم نَزَلَ تَبُوكَ في زَمانٍ قَلَّ مَاؤُهَا فِيْه فَاغْتَرَفَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه

وسلم غُرْفَةً بِيَدِهِ مِن مَاءٍ فَمَضْمِضَ بِهَا فَاهُ ثُمَّ بَصَقَهُ فِيْهَا فَفَارَتْ عَيْنُهَا حَتَّى امْتَلأَتْ فَهِيَ كَذَلِكَ حَتَّى السَّاعَةَ .

قُلْتُ ؛ فِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ : أَنَّهُ قَبْلَ وُصُوْلِهِ إِلَيْهَا قَالَ إِنَّكُمْ سَتَأْتُوْنَ غداً إِنْ شَاءَ اللهُ تعالَى ـ عَيْنَ تَبُوْكٍ وَإِنكُم لَنْ تَأْتُوْهَا حَتَّى يُضْحِي النَّهَارُ فَمَنْ جَاءَهَا فَلَا يَمَسَّ مِن مَائِهَا شَيْئاً حَتَّى آتِي .

قَالَ فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَ إِلَيْهَا رَجُلَان والعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ تَبُصُ بِشَيْءٍ مِن مَائِهَا فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم هَلْ مَسَسْتُمَا مِن مَائِهَا شَيْئاً قَالَا نَعَمْ .

فَسَبَّهُمَا وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ غرَفُوا مِن العَيْنِ قَلِيْلاً قَلِيْلاً حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ ثُمَّ غَسَل رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثُمَّ أَعَادَهُ فِيْهَا فَجرَتِ العَيْنُ بمَاءٍ كَثِيْرٍ فاسْتَقَى النَاسُ .

ثم قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُوْشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَا هُنَا قَدْ مُلِيءَ جِنَاناً .

وقَال عَبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ قُمْتُ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ وَأَنَا مَعَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فِي غَزْوَة تَبُوْكَ فَرَأَيْتُ شُعْلَةً مِنْ نَارٍ فِي نَاحِيَةِ العَسْكَرِ فاتَّبَعْتُهَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا فاذَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ واذا عَبدُ اللهِ ذُوْ البِجَادَيْنِ والبِجَادُ الكِسَاءُ الأَسْوَدُ الغَلِيْظُ ـ المُزَنِيُّ قَدْ مَاتَ .

وإِذَا هُمْ قَدْ حَفَرُوْا لَهُ وَرَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فِي حُفْرتِهِ وَأَبُوْ بَكرٍ وَعُمَرُ يُدْلِيَانِهِ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ أَدْنِيَا إِليَّ أَخَاكُمَا فَدَلَّيَاهُ إِلَيْهِ

فَلَمَّا هَيأَهُ لِشِقَّةِ قَالَ اللَّهُمَّ إنِّي قَدْ أَمْسَيْتُ رَاضِياً عَنْهُ فارْضَ عَنْهُ قَال يَقُول عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ يَا لَيْتَنِيْ كُنْتُ صَاحِبَ الحُفْرَةِ .

وَلَمَّا وَصَلَ صلَّى اللهُ عليه وسلم إلى تَبُوْكَ وَصَارَ عَلَى حُدُوْدِ دَوْلَةِ الرُّوْمِ لَمْ يَجِدْ أَحَداً مِن العَدُوِّ وَمِنَ المُحْتَمَل أنْ يكُونَ الرُّوْم آثَرُوا الانْسِحَابَ إلى دَاخِلِ بِلَادِ الشَّامِ لِيَتَحَصَّنُوْا بحُصُوْنِهَا حِيْنَ بَلَغَهُمْ أَمْر هَذَا الجَيْشِ وَقُوَّتَهُ .

وأيُّمَا كَانَ الواقِعُ فَقَدْ وَقَفَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عِنْدَ تَبُوكَ لَمْ يُجَاوِزْهَا وَبَعَثَ سَرَايَاهُ إلى مَنْ حَوْلَ تَبُوكَ فَأَتَاهُ صَاحِبُ إيْلَة فَصَالَحَهُ وأعْطَاهُ الجِزْيَةَ وأتاهُ أهْلُ جِرْبَاءَ وأذْرُحْ فأعْطُوْهُ الجِزْيَةَ وَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كِتاباً فَهُوَ عِنْدَهُم .

وَكَتَبَ لِصَاحِبِ إيلَةَ « بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم . هَذَا أَمَنَةٌ مِن اللهِ وَمُحَمَّدِ النَّبي رَسولِ اللهِ لِيُوْحِنَةَ ابن ذُؤْبَةَ وَأَهْل إيلةَ لِسُفُنِهِمْ ولِسَيَّارَاتِهِمْ ولِبَحْرِهِمْ ولِبَرِّهِمْ ذِمَّةُ اللهِ وذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النبي ولِمَن كَانَ مَعَهُم مِن كُلِّ مَارٍ مِنَ الناسِ مِن أهْلِ الشامِ وأهْلِ اليَمَنِ وأهْلِ البَحْرِ .

فَمَنْ أحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثاً فَإنَّهُ لا يَحُولُ مَالُهُ دُونْ نَفْسه وَإنَّهُ لِمَنْ أَخَذَهُ مِن الناسِ وَإنَّهُ لا يَحِلُ أنْ يُمْنَعُوْا مَاءً يَرِدُوْنَهُ وَلَا طَرِيْقاً يَرِدُوْنَهَا مِن بَرٍ وَبَحْرٍ هَذَا كِتَابُ جُهَيْمٍ بْن الصَّلْتِ أ هـ .

اللَّهُمَّ قَوِّ إيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَ باليَوْمِ الآخِرِ وَبِالقَدَرِ خَيْرِه وَشَرهِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا

اللهم اسْلُكْ بِنَا سَبِيْلَ عِبَادِكَ الأَبْرَارِ واجْعَلْنَا مِن عِبَادِكَ المُصْطَفِيْنَ الأَخْيَارَ وامْنُنْ عَلَيْنَا بالعَفْوِ والعِتْقِ مِن النارِ واحْفَظْنَا مِن المَعَاصِي فِيْمَا بَقِيَ مِن الأَعْمَارِ واغفر لَنَا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين

برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله علي محمد وآله وصحبه أجمعين .

« فَصْــلٌ »

وَلَمَّا دَخَلَ رَسُوْلُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم المَدِيْنَةَ بَدَأَ بالمَسْجِدِ ، فَصَلى فيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ للنَّاسِ . فَجَاءَهُ المُخَلَّفُوْنَ فَطَفِقُوْا يَعْتَذِرُوْنَ إليْهِ ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ . وَكَانُوا بضْعَةً وَثَمانِيْنَ رَجُلاً . فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم عَلانِيَتَهُمْ ، وبَايَعَهُمْ واسْتَغْفَرَ لَهُمْ ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إلَى اللهِ .

وَجَاءَه كَعبُ بنُ مَالِكٍ . فلمَّا سَلَّمَ عَلَيهِ تَبَسَّمَ تَبسُّمَ المُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ له « تَعالَ » ، قال : فَجِئتُ أَمْشِيْ حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فقال لِيْ : مَا خَلَّفَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ فَقلْتُ : بَلَى واللهِ إنِّي لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِن أَهْلِ الدُنيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخطِهِ بِعُذْرٍ ، وَلَقَدْ أُعْطِيْتُ جَدَلاً وَلَكِنِّيْ واللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليومَ حَدِيْثَ كذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي ، لَيُوْشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَسْخِطَكَ عَليَّ . ولئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيْثَ صِدْقٍ ، تَجِدُ عَليَّ فِيْهِ ، إنِّي لأرْجُوْ فِيْهِ عَفْوَ اللهِ . لاَ واللهِ مَا كَانَ لِيْ مِنْ عُذْرٍ ، واللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أقْوَى وَلاَ أَيسَرَ مِنِّيْ حِيْن تَخلَّفْتُ عَنْكَ .

فقالَ رَسُولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : أَمَّا هَذا فَقَدَ صَدَقَ فَقُمْ حَتَّى يَقْضِي اللهُ فِيْكَ ، فَقُمْتُ . وثَارَ رِجَالٌ مِن بَنِي سِلمَة ، فاتَّبَعُوْنِيْ يُؤَنِبُوْنَنِيْ ، فَقَالُوا لِيْ : واللهِ ما عَلِمْنَاكَ كُنتَ أَذْنَبْتَ ذَنْباً قَبْلَ هَذا ، ولقدْ عَجزْتَ أنْ لاَ تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إلى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بمَا اعْتَذَرَ إليهِ المُخَلَّفُونَ ، فَقَدْ كَانَ كَافِيْكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَكَ .

قَالَ . فَو اللهِ ، مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِيْ حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِيْ ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِيْ أَحَدٌ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، رَجُلَان قَالاَ مِثْلَ مَا قُلْتَ ، فَقِيْلَ لَهُمَا مِثْلَ الذِيْ قِيْلَ لَكَ . فَقُلْتُ : مَنْ هُمَا ؟ قَالوا : مُرَارَةُ بنُ الرَّبِيْعِ العَامِرِي ، وهِلاَلُ بنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيْ ، فَذَكَرُوْا لِيْ رَجُلَيْن صَالِحَينِ شَهِدَا بَدْرًا فِيْهِمَا أُسْوَةٌ . فَمَضَيْتُ حِيْنَ ذَكَرُوْهُمَا لِي .

وَنَهَى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم المسلمينَ عَنْ كَلاَمِنَا ـ أَيُّهَا الثلاثَةُ ـ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ . فاجْتَنَبَنَا النَّاسُ ، وَتَغَيَّرُوْا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتِ لِيْ في نَفْسِي الأَرْضُ ، فَمَا هِيَ التِي أَعْرِفُ ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِيْنَ لَيْلَةً .

فَأَمَّا صَاحِبَايَ : فَاسْتَكَانَا ، وَقَعَدَا في بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ وَأَمَّا أَنَا : فَكُنْتُ أَشبَّ القَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ وأَشْهَدُ الصَّلاةَ مَعَ المُسْلِمِيْن ، وَأَطُوْفُ في الأَسْوَاقِ ، ولا يُكَلِمُنِيْ أَحَدٌ وآتِيْ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فأسَلِّمُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ في مَجْلِسِه بَعْدَ الصَّلاةِ ، فَأَقُوْلُ في نَفْسِي : هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلامِ عَليَّ أَمْ لاَ .
ثُمَّ أُصلِيْ قَرِيْباً مِنْهُ ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ . فاذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاَتِيْ أَقْبَلَ إليَّ ، وإذا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِي ، حَتَّى إِذَا طَالَ عَليَّ ذَلِكَ مِن جَفْوَةِ المُسْلِمِيْن : مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أبي قَتَادَةَ ـ وهُوَ ابنُ عَمِّي ، وَأَحَبُّ الناسِ إليَّ ـ فَسَلَمْتُ عليه . فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَليَّ السلامَ .

فَقُلْتُ : يا أَبَا قَتَادَةُ ، أنشُدُكَ اللهَ ، هَلْ تَعلَمُنِيْ أُحِبُّ اللهَ وَرَسولَهُ ؟ فَسَكَتَ . فَعُدْتُ لَهُ ، فَنَشَدْتُهُ ، فَسَكَت . فَعُدْتُ له فَنَشَدْتُهُ .

فَقَالَ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمْ . فَفَاضَتْ عَيْنَايَ ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ .

فَبَيْنَا أنا أَمْشِي بسُوْقِ المدينةِ وَإِذَا نَبَطِيٌّ مِن أَنْبَاطِ الشام مِمَّنْ قَدِمَ بالطَّعامِ يَبِيْعُهُ بالمَدِيْنَةِ ، يَقُولُ : مَنْ يَدُلُّ على كَعْب بن مَالِكٍ ؟ فَطَفِقَ الناسُ يُشِيْرُوْنَ لَهُ ، حَتَّى إذا جَاءَنِي دَفَعَ إليَّ كِتاباً مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ ، فَإِذَا فِيْهِ : أَمَّا بَعْدُ ، فانه قَدْ بَلَغَنِيْ أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ ، ولم يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ ولا مَضْيَعَةٍ ، فالحقْ بِنَا نُوَاسِكَ .

فَقُلْتُ ، لَمَّا قَرَأْتُهَا : وهَذَاأَيْضاً مِنَ البَلاءِ ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّوْرَ فَسَجَّرْتُهَا ، حَتَّى إذا مَضَتْ أربعُونَ لَيْلَةً مِنَ الخَمْسِيْنَ اذا رَسُوْلِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَأْتِيْنِيْ ، فَقَالَ : انَّ رَسُوْلَ الله صلى اللهُ عليه وسلمَ يَأْمُرُكَ أنْ تعتزلَ امْرَأَتَكَ . فَقُلْتُ : أُطَلِّقُهَا ، أمْ مَاذَا أفْعَلُ ؟ قَال : لَا . ولكِنْ اعْتَزِلْهَا ولا تَقْرَبْهَا .

وأرْسَلَ إلى صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذَلكَ . فَقُلْتُ لامْرَأَتِي ، الْحَقِيْ بِأَهْلِكِ ، فَكُوْنِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِي اللهُ في هَذَا الأمْرِ، فَجَاءَتْ امْرَأَةُ هِلَالِ بن أُمَيَّةَ ، فَقَالَتْ : يا رسولَ اللهِ ، إنَّ هلالَ بنَ أُميَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ ، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ ، فَهَلْ تَكْرَهُ أنْ أخْدِمَهُ ؟ قَالَ لا ، ولكِنْ لا يَقْرَبُكِ ، قَالَتْ : إنه وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إلى شَيْءٍ . واللهِ ما زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِن أمْرِهِ مَا كَان إلى يَوْمِهِ هَذَا .

قَال كَعْبٌ : فقال لِيْ بَعْضُ أَهْلِيْ : لَو اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ في امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِإمْرَأَةِ هِلَالِ بنِ أُمَيَّةَ أنْ تَخْدِمَهُ ؟ فَقُلْتُ : واللهِ لا أَسْتَأذِنُ فِيهَا رسولَ اللهِ وَمَا يُدْرِيْنِيْ مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ إذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيْهَا ، وأنَا رَجُلٌ شَابٌ .

قال : فَلبِثْتُ بَعْدَ ذَلكَ عَشْرَ لَيَالٍ ، حَتَّى كَمُلَتْ لَنا خَمْسُوْنَ لَيْلَةَ مِن حِيْنَ نَهى رَسُولُ اللهِ عَنْ كَلامِنَا . فَلَمَّا صَلَيْتُ صَلاةَ الفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِيْنَ لَيْلَةَ ، وأَنا عَلى ظَهْرِ بَيْتٍ مِن بُيُوْتِنا ، فَبينَما أَنا جَالِسٌ عَلى الحَالِ التِي ذَكَرَ اللهُ تَعالَى ، قَدْ ضَاقَتْ عَليَّ نَفْسِيْ ، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأرض بمَا رحُبَتْ ، سَمِعْتَ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْ في على جَبَلِ سَلْعٍ بَأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا كَعْبَ بنَ مَالِكٍ ، أَبْشِرْ .

فَخَرَرْتُ سَاجِدًا ، فَعَرَفَتْ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ مِن اللهِ ، وآذَنَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بتَوْبَةِ اللهِ عَلَينَا حِيْنَ صَلى الفَجْرَ . فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُوْنَنا . وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُوْنَ ، وَرَكَضَ إِليَّ رَجُلٌ فَرَساً ، وَسَعى سَاعٍ مِن أَسْلَمَ ، فَأَوْفَى عَلَى ذِرْوَةِ الجَبَلِ ،وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ .

فَلَمَا جَاءَنِي الذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِيْ نَزَعْتُ لَهُ ثَوبَيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُما بِبُشْرَاهُ ، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا . واسْتَعَرْتُ ثَوْبَين فَلَبِسْتُهُمَا .

فانْطَلَقْتُ إلى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَتَلَقَانِي الناسُ فَوْجاً فَوْجا يُهَنِئُونَنِيْ بالتَّوْبَةِ ، يَقُولُون : لِيَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ ، قال كَعْبٌ : حتى دَخَلْتُ المَسْجِدَ ، فاذَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ ، فَقَامَ إِليَّ طَلْحَةُ بنُ عُبَيد اللهِ يُهَرْوِلُ ، حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَأنِي ، واللهِ مَا قَامَ إِليَّ رَجُلٌ مِن المُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ ، ولا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ .

فلمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُرُوْرِ أَبْشِرْ بخَيرِ يومٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتكَ أُمُّكَ ، قُلْتُ : أَهُوَ مِن عندَكَ يا

رسولَ اللهِ ، أمْ مِن عندِ اللهِ ؟ قال : لَا ، بَلْ مِن عندَ اللهِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ إذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ .

فَلَمَّا جلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إنَّ مِنْ تَوْبَتِيْ أنْ أَنْخَلِعَ مِن مَالِي صَدَقَةً إلى اللهِ وإلى رسولِهِ ، فقال : أَمْسِكْ عليك بَعْضَ مَا لَكَ ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ . قُلْتُ : فإِنِّيْ أُمْسِكُ سَهْمِي الذِي بخَيْبَرَ ، وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ اللَّهَ إنَّمَا نَجَّانِيْ بالصِّدْقِ ، وَإنَّ مِنْ تَوْبَتِي : أَنْ لا أَتَحَدثَ إلا صِدْقاً ما بَقِيْتُ .

فواللهِ ما أَعْلَمُ أَحداً مِن المُسْلِمِيْنَ أَبْلَاهُ اللهُ في صِدْقِ الحَدِيْثِ مُنْذُ ذَكَرتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم إلَى يَوْمِي هذَا مَا أَبْلَانِيْ . والله مَا تَعَمَّدْتُ بَعدَ ذَلِكَ إلى يَوْمِيْ هَذَا كَذباً ، وإنِّي لأَرْجُوْ أن يَحْفَظَنِيْ اللهُ فِيْمَا بَقِيْتُ ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ (١٩ : ١١٧ ـ ١١٩) لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِي والمُهَاجِرِيْنَ والأنْصَارِ ـ إلى قَوْلِهِ ـ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوْا اللهَ وَكونُوا مَعَ الصَّادِقِيْنَ ﴾ .

فَواللهِ مَا أنْعَمَ اللهُ عليَّ نِعْمَةً قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي للإسْلامِ ـ أَعْظَمُ في نَفْسِي مِن صِدْقِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : أنْ لا أكونَ كَذَبْتُهُ ، فَأَهْلَكُ كَمَا هَلَكَ الذِيْنَ كَذَبُوا ، فَإنَّ الله قالَ لِلذِيْنَ كَذَبُوا حِيْنَ أَنْزَلَ الوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِإحدٍ، قال ﴿ ٩ : ٩٥ ، ٩٦ سَيَحْلِفُونَ باللهِ لَكُمْ إذا انْقَلَبْتُمْ إلَيْهِمْ ـ إلى قولِهِ ـ فانَّ اللهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الفَاسِقِين ﴾ .

قَالَ كَعْبٌ : وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثلاثةُ عن أَمْرِ أُولئكَ الذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ حِيْنَ حَلَفُوْا لَهُ ، فَبَايَعَهُمْ ، واسْتَغْفَرَ لَهُمْ ، وَأرجَأ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى

اللهُ فيهِ ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللهُ ﴿ وَعَلَى الثلاثةِ الذينَ خَلِّفُوا ﴾ ولَيْسَ الذِي ذَكَرَ اللهُ مِمَّا خَلَّفَنَا : عَنِ الغَزْوِ ، وإنَّمَا هُوَ تَخْلِيْفُهُ إيَانَا ، وارْجاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ واعْتَذَرَ إلَيْهِ ، فَقَبِلَ مِنْهُ .

وَقَالَ عثمانُ بنُ سعيْدِ الدَّارِمِي : حَدَثَنَا عبدُ اللهِ بنُ صَالِحٍ حدثَنِي مُعَاوِيَةُ بنُ صَالِحٍ عن علي بنِ أبي طلحة عن أبنِ عباسٍ في قوله (٩ : ١٠٢ وآخرُوْنَ اعْتَرَفُوْا بِذُنُوْبِهم خَلَطُوْا عَمَلاً صَالِحاً وآخرَ سَيِئاً) قال « كانُوا عَشَرَة رَهْطٍ ، تَخَلَّفُوا عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم في غَزْوَةِ تَبُوْكَ .

فَلَمَّا حضَرَ رُجُوْعُ رسولِ اللهِ أَوْثَقَ سَبْعَةٌ مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِسَوارِي المَسْجِدِ . وَكَانَ مَمَرُّ النبي صلى اللهُ عليه وسلم إذا رَجَعَ في المَسْجِدِ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا رَآهُمْ ، قَالَ : مَن هَؤلاءِ المُوثِقُوْنَ أنفسَهم بالسَّوَارِي ؟ قالُوا : هَذَا أَبُوْ لُبَابَة وأَصْحَابٌ لَهُ تَخَلَّفُوا عَنْكَ يَا رَسُوْلَ اللهِ ، أَوْثَقُوْا أَنْفُسَهُمْ ، وحَلَفُوْا أَنَّهم لا يُطْلِقُهُمْ أَحَدٌ حَتَّى يُطْلِقَهُمُ النبي صلى اللهُ عليه وسلم ويَعْذُرَهُمْ .

فَقَالَ : وأَنَا أُقْسِمُ باللهِ لا أُطْلِقُهُمْ ولَا أَعْذُرُهُمْ ، حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُوَ الذي يُطْلِقُهُمْ ، رَغِبُوْا عَنِيْ ، وَتَخَلَّفُوْا عن الغَزْوِ مَعَ المُسْلِمِيْن . فَلَمَّا بَلَغَهُمْ ذَلكَ قَالُوا : وَنَحْنُ نُقْسِمُ باللهِ لا نُطْلِقُ أَنْفُسَنَا حَتَّى يكونَ اللهُ هُوَ الذِي يُطْلِقُنَا ، فأنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وآخَرُوْنَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوْبِهِمْ خَلَطُوْا عَمَلاً صَالِحاً وآخَرَ سَيئاً عَسَى اللهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِم ـ وَعَسَى مِن اللهِ وَاجِبٌ ـ إنَّه هُوَ التَّوابُ الرَّحِيْم ﴾ .

فَلَمَّا نَزَلَتْ أَرْسَلَ إلَيْهِم النبيُ صلى اللهُ عليه وسلم فَأَطْلَقَهُمْ ، وَعَذَرَهُمْ ، فَجَاءُوا بِأَمْوَالِهِم ، فقالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ أَمْوالُنَا فَتَصَدَّقْ بِهَا

عَنَّا ، واسْتَغْفِرْ لَنَا ، قَالَ : ما أُمِرْتُ أن آخذ أَمْوَالَكُمْ ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿ ٩ : ١٠٣ خُذْ مِن أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيْهِمْ بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ - يَقُولُ : اسْتَغْفَرَ لَهُمْ - إِنَّ صَلاَتَكَ سَكنٌ لَهُمْ ﴾ فَأَخَذَ مِنْهُمْ الصَّدَقَةَ ، واسْتَغْفَرَ لَهُمْ .

وَكَانَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ لَمْ يُوْثِقُوْا أَنْفُسَهُمْ بالسَّوارِي ، فأُرْجِئُوْا لَا يَدْرُوْن أيعذبُون أم يتاب عليهم فأَنْزَلَ اللهُ تَعالَى ﴿ لَقَد تَابَ اللهُ على النبي والمهاجرينَ والأنصارِ - إلى قوله : وَعَلَى الثَّلاثةِ الذِيْنَ خلِّفُوا - إلى قوله : إنَّ اللهَ هُوَ التوابُ الرَّحِيْم اللهم اجْعَلْ رِزْقَنا رَغَدًا ، ولا تشمِتْ بنَا أَحَدًا . واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْناَ وَجمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلى مُحمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

قصَّة هرقل مَلِك الرّوم حينَما جَاءَه كتاب رَسُول الله صلى الله عليه وسلّم

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما:

أنّ أبا سفيان أخبره من فيه إلى فيه قال: انطلقت في المدّة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ، قال: فبينما أنا بالشام إذ جيء بكتابٍ من رسول الله ﷺ إلى هرقل، يعني عظيم الرّوم، قال: وكان دِحيةُ الكلبيّ جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل.

فقال هرقل: هل هاهنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنّه نبيّ؟

قالوا: نعم.

قال: فدُعيت في نفرٍ من قريش، فدخلنا على هرقل، فأجلسنا بين يديه.

فقال: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنّه نبيّ؟

فقال أبو سفيان: فقلت أنا.

فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي ثمّ دعا بترجمانه.

فقال له: قل لهم إنّي سائل هذا عن الرجل الذي يزعم أنّه نبيّ، فإن كذبني فكذّبوه.

قال: فقال أبو سفيان: وأيم الله لولا مخافة أن يؤثر عليّ الكذب لكذبت، ثمّ قال، لترجمانه: سله كيف حَسَبه فيكم؟

قال: قلت: هو فينا ذو حسب.

قال: فهل كان من آبائه ملك؟

قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت: لا.

قال: ومَن يتّبعه، أشراف الناس أم ضعفاؤهم ؟

قال: قلت بل ضعفاؤهم .

قال: أيزيدون أم ينقصون؟

قال: قلت، لا، بل يزيدون.

قال: هل يرتدّ أحد منهم عن دينه بعد أن يدْخل فيه سخطةً له؟

قال: قلت: لا.

قال: فهل قاتلتموه؟

قلت: نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إيّاه؟

قال: قلت: تكون الحرب بيننا وبينه سجالًا، يُصيب منّا ونُصيب منه.

قال: فهل يغدر؟

قلت: لا، ونحن منه في مدّة لا ندري ما هو صانع فيها. قال: فوالله ما أمكنني من كلمة أُدخل فيها شيئاً غير هذه.

قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟

قلت: لا.

قال لترجمانه: قل له: إنّي سألتك عن حسبه، فزعمت أنّه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تُبعثُ في أحساب قومها.

وسألتك هل كان في آبائه ملك؟ فزعمت: أن لا، فقلت: لو كان من آبائِهِ ملِك، قلت رجل يطلب ملك آبائه.

وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل.

وسألتك: هل كنتم تتَّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت: أن لا. فقد عرفت أنَّه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب فيكذب على الله.

وسألتك: هل يرتدّ أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطة له، فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب.

وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون؟ فزعمت أنّهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتّى يتمّ.

وسألتك: هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قد قاتلتموه، فتكون الحرب بينكم وبينه سجالًا، ينال منكم وتنالون منه. وكذلك الرسل تُبتلى، ثمّ تكون لهم العاقبة.

وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أنّه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك: هل قال هذا القول أحد قبله؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله، قلت: رجل ائتمّ بقولٍ قيل قبله.

قال: ثمّ قال: بمِ يأمركم؟

قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف.

قال: إن يكن ما تقول فيه حقاً فإنّه نبيّ، وقد كنت أعلم أنّه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أنّي أعلم أنّي أخلُص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، ولَيَبْلُغَنَّ ملكُه ما تحت قدميّ.

قال: ثمّ دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه، فإذا فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. أمّا بعد فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تَسْلَم، وأسلم يؤتِكَ الله أجرك مرّتين، وإن تولّيت فإنّ عليك إثم الأريسيّين، و﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم أن لا نعبد إلّا الله، ولا نشرك به شيئاً ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تَوَلّوا فقولوا اشهدوا بأننا مسلمون﴾).

فلمّا فرغ من قراءة الكتاب، ارتفعت الأصوات عنده، وكثر اللغط وأمر بنا فأُخرجنا.

قال: فقلت لأصحابي، حين خرجنا: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة، إنّه ليخافه ملك بني الأصفر!.

قال: فما زلت موقناً بأمر رسول الله ﷺ أنّه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام.

شعرا :

عَلَيْكَ بما يُفِيْدُكَ في المَعَادِ ... وما تَنْجُو بِهِ يَومَ التَّنَادِ
فَمَالَكَ لَيْسَ يَنْفَعُ فِيْكَ وَعْظٌ ... ولا زَجْرٌ كأنَّكَ مِن جَمَادِ
سَتَنْدَمُ إنْ رَحَلْتَ بِغَيرِ زَادٍ ... وتَشْقَى إذْ يُنادِيكَ المُنَادِي
فلا تُفْرَح بمالٍ تُقْتَنِيهِ ... فإنَّكَ فيهِ مَعْكُوسُ المُرَادِ
وتُبْ مِمَّا جَنَيْتَ وأنتَ حَيٌّ ... وَكُنْ مُتَنَبِّهاً مِنْ ذَا الرُّقَادِ

اللهم اجْعَلْ قُلُوبَنَا مَمْلؤةً بحُبِّكَ والْسِنَتَنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكْ ونُفُوْسَنَا مُطِيعَةً لأمْرِكَ وأمِنَّا مِن سَطوَتِكَ ومَكْرِكْ ، اللهم إنا نَسْألُكَ العَافِيَةَ في دِينِنَا

ودُنْيَانَا وأخَرانَا وأهلِنا وما لنا اللَّهمَ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وأَمِّنْ رَوْعاتِنَا واحْفَظْنَا مِن بَيْنَ أيْدِيْنَا ومِن خَلْفِنَا وعن أيْمَانِنَا وعَنْ شَمائِلنَا ومِنْ فَوقَنا ونعوذَ بعظَمتِكَ أن نغتال من تحتنا واغفر لنا ولوالدينا وجَميع المُسْلمين برَحْمَتِكَ يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمدٍ وعلى آلهُ وصَحْبِهِ أجمعِيْن .

قِصَّة الغلَام المؤمنَ والمَلِك
(أصحَاب الأخدود)

عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(كان ملكِ فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلمّا كبرَ قال للملك: إنّي قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أعلمه السّحر.

فبعث إليه غلاماً يعلّمه. وكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مرّ بالرّاهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكيا ذلك إلى الرّاهب.

فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر.

فبينما هو على ذلك، إذ أتى على دابّةٍ عظيمة قد حبست النَّاس.

فقال: اليوم أعلم السّاحر أفضل أم الرّاهب أفضل؟

فأخذ حجراً فقال:

اللّهمّ إن كان أمر الراهب أحبّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدّابّة حتى يمضي الناس. فرماها فقتلها، ومضى الناس. فأتى الراهب فأخبره.

فقال له الراهب: أي بُنيَّ، أنت اليوم أفضل منّي، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنّك ستبتلى، فإن إبتليت فلا تدلّ عليّ.

وكان الغلام يبرىء الأكمة، والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء.

فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني.

فقال: إنّي لا أشفي أحداً، إنّما يشفي الله تعالى. فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك.

فآمن بالله تعالى، فشفاه الله تعالى. فأتى الملك، فجلس إليه كما كان يجلس.

فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟

قال: ربّي.

قال: أولك ربّ غيري؟

قال: ربي وربك الله.

فأخذه فلم يزل يعذّبه حتّى دلّ على الغلام، فجيء بالغلام.

فقال له الملك: أي بنيّ قد بلغ من سحرك ما تُبرىء الأكمة، والأبرص، وما تفعل وتفعل!

فقال: إنّي لا أشفي أحداً إنّما يشفي الله تعالى.

فأخذه فلم يزل يعذبه حتّى دلّ على الرّاهب، فجيء بالرّاهب فقيل له: إرجع عن دينك، فأبى.

فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقّه، حتّى وقع شقّاه، ثم جيء بجليس الملك.

فقال له: إرجع عن دينك، فأبى.

فوُضع المنشار في مفرق رأسه، فشقّه به، حتى وقع شقّاه، ثم جيء بالغلام.

فقيل له: إرجع عن دينك، فأبى.

فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه، فقال: اذهبوا إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه وإلّا فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال:

اللّهمّ اكفينهم بما شئت. فرجف بهم الجبل، فسقطوا، وجاء يمشي الى الملك.

فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟

فقال: كفانيهم الله تعالى.

فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه، فقال: اذهبوا به، فاحملوه في قُرقور وتوسّطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلّا فاقذفوه. فذهبوا به فقال:

اللّهمّ اكفينهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا، وجاء يمشي الى الملك.

فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟

فقال: كفانيهم الله تعالى.

فقال للملك: إنّك لست بقاتلي حتّى تفعل ما آمرك به.

قال: ما هو؟

قال: تجمع النّاس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثمّ خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثمّ قل:

بسم الله ربّ الغلام، ثمّ ارمني، فإنّك إذا فعلت ذلك قتلتني.

فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السّهم في كبد القوس، ثمّ قال:

بسم الله ربّ الغلام. ثمّ رماه فوقع السّهم في صُدغه، فوضع يده في صدغه فمات.

فقال الناس: آمنّا بربّ الغلام.

فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر، قد والله نزل بِكَ حذرك قد آمن النّاس.

فأمر بالأخدود بأفواه السكك، فَخُدَّتْ، وأُضرم فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل لَهُ اقتحم، ففعلوا، حتّى جاءت امرأة، ومعها صبيّ لها فتقاعست أن تقع فيها.

فقال لها الغلام: (يا أمّه اصبري، فإنَّك على الحقّ). «رواه مسلم».

قصَّة الثَلاثَة أصْحَاب الغَار

عن أبي عبدالرحمن عبدالله بن عمر بن الخطّاب رضي الله عنهما قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: (انطلق ثلاثة نفرٍ ممّن كان قبلكم حتّى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار. فقالوا، إنّه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلّا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم. قال رجل منهم:

اللَّهمّ كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا، فنأى بي طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتّى ناما، فحلبت لهما غَبوقهما فوجدتهما نائِمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبِق قبلهما أهلًا أو مالًا، فلبثت ــ والقَدَح في يدي ــ أنتظر استيقاظهما حتّى بَرِق الفجر، والصِّبية يتضاغَون عند قدمي، فاستيقظا فشرِبا غبوقهما.

اللّهمّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرّج عنّا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه.

قال الآخر: اللّهمّ إنّه كانت لي إبنة عمّ كانت أحبُّ الناس إليّ. «وفي

رواية: كنت أُحبّها كأشدّ ما يُحبّ الرّجال النّساء، فأردتها على نفسها، فامتنعت منّي حتّى ألمّت بها سنة من السنين، فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلّي بين وبين نفسها، ففعلت، حتّى إذا قدِرت عليها، وفي رواية: «فلمّا قعدت بين رجليها» قالت: اتّق الله ولا تَفُضّ الخاتم إلّا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحبُّ الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها.

اللّهمّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنّا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة، غير أنّهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللّهمّ استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجلٍ واحدٍ ترك الذي له وذهب، فثمَّرت أجره حتّى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين: فقال: يا عبدالله أدّ إليَّ أجري. فقلت: كلّ ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرّقيق.

فقال: يا عبدالله لا تستهزيء بي!.

فقلت: لا أستهزىء بك.

فأخذه كله فاستاقه، فلم يترك منه شيئاً.

اللّهمّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنّا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون). «متفق عليه».

قِصَّة الثَّلاثة الّذينَ ابتَلاهمُ الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه سمع النبي ﷺ يقول:

(إنّ ثلاثة من بني إسرائيل أبرص، وأقرع، وأعمى، أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملَكاً، فأتى الأبرص.

فقال: أي شيء أحبّ إليك؟

قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عنّي الذي قد قذِرني الناس.

فمسحه، فذهب عنه قَذَرُهُ، وأُعطي لوناً حسناً.

فقال: فأيّ المال أحبّ إليك؟

قال: الإبل ــ أو قال البقر ــ .

فأُعطي ناقة عُشراء.

فقال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأقرع:

فقال: أيّ شيء أحبّ إليك؟

قال: شعر حسن، ويَذهب عنّي هذا الذي قذرني الناس.

فمسحه، فذهب عنه وأُعطي شَعراً حسناً.

قال: فأيّ المال أحبّ إليك؟

قال: البقر.

فأعطي بقرةً حاملاً.

قال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى:

فقال: أيّ شيء أحبّ إليك؟

قال: أن يردّ الله بصري، فأبصر الناس.

فمسحه، فردّ الله إليه بصره.

قال: فأيّ المال أحبّ إليك؟

قال: الغنم.

فأعطي شاةً والداً.

فأنتج هذان، وولّد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم.

ثمّ إنّه أتى الأبرص في صورته وهيئته.

فقال: رجل مسكين، قد انقطعت به الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلّا بالله ثمّ بك، أسألك بالّذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيرٍ أتبلّغ به في سفري.

فقال: الحقوق كثيرة.

فقال: كأنّي أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله؟!

فقال: إنّما ورثت هذا المال كابراً عن كابر.

فقال: إن كنت كاذباً فصيّرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، وردّ عليه مثل ما ردّ هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيّرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته وهيئته.

فقال: رجل مسكين، وابن سبيل، انقطعت به الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلّا بالله ثم بكَ، أسألك بالّذي ردّ عليك بصرك شاةً أتبلّغ بها في سفري؟

فقال: قد كنت أعمى فردّ الله إليّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عزّ وجل.

فقال: أمسك مالَك، فإنّما أبتُليتم، فقد رضي الله عنك وسخَط على صاحبيك. «متفق عليه».

قِيْلَ إنّ مِلكَا مِن المُلُوكِ كَانَ كَافِرا عَاتِياً متكبراً مُعْجَباً بِنَفْسِهِ حَديث السّنِ مُسْتَحْكِمَ الغَيْرةِ وكانَ إذَا رَكبَ لَمْ يَرفَعَ أحَدُ صَوْتَهُ إلّا بِمَدْحِهِ والثناء عليه .

وكانَ لَهُ وُزِيرٌ مُؤمِنُ بالله جَلّ وَعَلا قد أدْرَك حَوارِيَّ المِسَيح وهويَكْتُم إيْمَانَهُ ويَتَحَيّنُ وَقْتَاَ يَتمكَنُ فيه مِن دَعْوَة المَلِكِ إلى الله جل وعلا .

فَرَكِبَ المَلِكُ يَوْماً فَسَمِعَ شَيخاً) أيْ قد شاب رَافعاً صَوْتَهُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ فقال لِبَعْضِ أعْوَانِهِ خُذُوْهُ فَلَماَّ أخَذُ ذلك الشَّائِب الذى رَفعَ صَوْتَهُ قال إن رَبِيَ الله .

فقال الوَزِيْرُ خَلُّوْا عَنْهُ فَخُلِيَ عَنْهُ فَغَضِبَ المَلِكُ عَلَى الوَزِيْر واشْتَدَّ غَضَبُهُ عليه ولم يُمْكِنْه الإنْكَارُ عليه فى ذا لِكَ المَقَامِ بحَضْرة الناسِ فسَكَتَ الملك لِيُوْهِمَ الناسَ أن فِعْلَ الوزِيْرَ كَانَ بأمْرِهِ .

فَلَماّ عادَ المِلكُ إلى قَصْرِه أحْضَرَ الوَزِيْرَ وقَال لَهُ ما الذي دَعَاك إلى مُنَاقَضَةِ أمْري بِمَشْهَدٍ مِن عَبيْدِي .

فقال لَهُ الوزَيْرُ إنْ لمِ يَعْجَل المَلكُ عَلَيَّ أُرَيتُهُ وَجْهَ نُصْحِيْ لَهُ وشَفقَتِي عَلَيْهِ فِيْمَا أتَيْتُهُ فقال المَلِكُ أرِنْي ذلكَ فانّيْ لَا أُعْجَلُ عَلَيْكَ .

فقال الوَزِيْرُ أسْأَلُ الملكَ أَنْ يَخْتَبِي في مَجْلِسه هذا خَلْفَ حِجَاب بِحَيْثُ أنّهُ لا يُرى ويَسْمَع ما يَكُونُ مِنِيْ فقَعَدَ المَلِكُ لِذَلِكَ .

ثم إنّ الوَزِيْرَ أحْضَر قَوْساً جَيِّدَةً صَنَعَهَا لِلْملك بَعْضُ خَدَمِهِ وكَتَبَ الصَّانِعُ اسْمَهُ عَلَيْهَا فأعْطَى القوْس غُلاماً لَهُ .

وقال لَهُ إني سَأحْضِرُ صَانِعَ هَذِهِ القَوْسِ فإذَا حَضرَ وَحَادَثْتُهُ فَاقْرأ أَنْتَ اسْمَ صَاحِبها جَهْراً حَتّى تَعْلَم أنّهُ قَدْ سَمِعَكَ ثُمّ اكْسُرْهَا وهو يَنْظُرُ إلَيْكَ .

فَحَضَّرَ القَوْسَ وَفعَلَ الغُلامُ ما أَمَرَهُ بِهِ الوَزِيْرُ فَلّما كَسَرَ القَوْسَ لَمْ يَتَمالَكْ صَانِعُ القَوس أنْ ضَرَبَ الغُلامَ فَشَجّهُ .

فقال الوَزِيْرُ أتَضْرِبُ غُلَامِيْ بِحَضْرَتِيْ قال نَعَمْ لأنّهُ كَسَرَ القَوْسَ الّتِي هِيَ صَنْعَتِي وعَمَلِي وهِيَ في نِهَايَةِ الجَوْدَة وِالحُسْنِ فلأيّ شَيْءٍ كَسرهَا وهو يَعْلَمُ أنها صَنْعَتِي .

فقال لَهُ الوَزِيْرُ فَلَعَلّهُ ما يَعْلَم أنها صَنْعَتكَ قال بَلىَ إنّ القَوْسَ قَدْ أخْبَرَتْهُ أنّهاَ صَنْعَتِي .

قال الوزْيُر أَرَأَيْتَ قَوْساً تُخْبِرُ قال نَعَمْ إن إسْمِي مكْتُوبُ عَليهاَ وقد قَرأَهُ وَأَنَا أَسْمَعُ ثُمّ إنّ الوَزِيْرَ صَرَفَ الصّانِعَ والغُلام .

ثم قال لِلْمِلِكِ قد أَوْضَحْتُ نُصْحِي وإشْفَاقي عَلَيْكَ وذلك أَنّكَ لَمَاّ رَأيْتَ البَطْشَ باالشَّيخ أخْبَرَكَ أَنّ الله رَبَّهُ فَخفْتُ عَليكَ من رَبِهِ أَنْ يغضب له كما غضِبَ هَذا القَوّاسُ لِقَوْسِهِ فقال الملك وهل للشيخ رَبٌّ غَيرِي .

قال الوَزيْرُ أَلَمْ يَرَهُ المَلكُ شيخاً والمَلِكُ شَابٌّ فهل كَانَ قَبْلَ أَنْ يُوْلد المَلَكُ لارَبَّ فقال الْمِلِكُ إنَّ أبي كَانَ رَبَّهُ .

قال الوَزِيْرُ فما بال الرَّبُ هَلَكَ والمَرْبُوْبُ بَقِي فَسَكَتَ المَلِكُ ساعَةً ثم قال الآنَ عَلمْتُ أنّ لِلْمَلِكِ والَممْلُوكِ رَباَ لايَزُوْلُ فَهَلْ تَعْرِفُهُ .

قال الوَزِيُرُ نَعَمْ أعْرِفُهُ قال صِفْهُ لِي وَدُلّني عليه فَشَرَعَ الوَزِيْرُ يَشْرَحُ لَهُ صِفَاتِ الخالق وأوضح له الدَّلاَلَةَ على ذلك فانْشَرَحَ صَدْرُ المَلِكِ لِلايمان فآمَنَ بالله تعالى .

فلما رَسَخ التَّوحِيْدُ فى قلبه قال أَمَا لِرَبّنَا خدْمَةُ نتَقَرَّبُ إليه بها قال إن الله غَنِيُ عنَ كل شيء قال فهل أَمَرَنَا بِشَيْءٍ إذَا فَعَلْنَاهُ حُظِيْنَا عِنْدَهُ .

قال بَلَى إنَّ لَهُ علينا وضائف أُمَرَنَا بَها ورضى لنا فِعْلَهَا وَوَعَدَنَا رضْوَانَهُ والقُرْبَ منهُ فَسَأَلَهُ عَنها فَذَكر له الصَلاةَ والصّيَامَ وغَيرهَما من الشرائع فَعَرفَها الْمِلَكُ ورَاضَ نَفْسَهُ بِهَا حتىَ رَسَخَ فى عِلْمِهَا وتَمَّرنَ على العمل بها .

ثم قال يوماً لِلْوزِيْر مالكَ لا تدعُو الناس إلى الله تعالى كَما دَعَوْتَنِيْ فَقال لِاَنّ الْاُمَّةَ ذَاتُ قُلُوبٍ قَاسِيَةٍ وفهُومٍ قَصِيَّةٍ ونُفُوسٍ عَصِيَّةٍ ولَسْتُ آمَنُهُم على نَفْسي .

فقال المَلِكُ أنا أَفْعَلُه إنْ تَفْعَلْهُ أَنْتَ فقال الوَزِيْرُ لِيَعْلَمَ المَلِكُ أَنَّهمُ إنْ لَمْ تَرُدّهُمْ هَيْبَتُهُ عني لم تردهم عَنه وسأقيه بنَفْسِيَ أَيِساً مِن النَّجاة فلْيَحْذَرهم الملك على نَفْسِهِ إنْ إجْتَرَؤُا بالقتْلِ .

ثم إنّ الوَزِيْرَ أحْضَرَ وَجُوْهَ أهْلِ تِلْكَ المَمْلَكَةِ وَوُلاة أَحْكَام رَعَايَاهُ وأفَاضِلَهَا فَلَماّ اجْتَمَعُوْا فى مَنْزِلِهِ قامَ فيهم خَطِيْبَا ثم بالدَّعْوَةِ إلى التَّوْحِيْدِ فَوَثبُوا عليه فَقَتَلُوه .

ثم أَتوا إلى الملك فأَخْبَرُوْه بما كانَ مِن وَزِيْرِهِ فأَظْهَرَ لهم الرِضَا بِقَتْلِهِ فانْقَلَبُوا عنه رَاضِيْنَ ثم إنَّ الملكَ ضاقَ صَدْرُهُ عَلَى وَزِيْرِهِ .

فَلَماَّ كان الليلُ لبِسَ مُسْحَ الشَّعَر والتَحقَ بالرُهْبَان ونَبَذَ مِا كان مِن المُلْكِ وَلَمْ يَزَلْ يَعْبُدِ الله حَتى قَضىَ نَحْبَهُ .

مَوْعِظَة إخواني أُبْسُطُوا الأَيْدِى إلى المَوْلَى الكريم بالذُلِ والضَّرَاعَة ، وتَضَرَّعُوا إليه بالذُلِ والإنْكِسَارِ فى هذهِ السَّاعَة ، ونادُوا اللَّطِيْفَ الخبِيْرَ يامَن لا تضرهُ المَعَصيةُ ولا تَنْفَعُهُ الطَاعَةُ ، نَسْأَ لكَ أنْ تُبَدِلَ مِنَّا الفسادَ بالصلاحِ والخُسْرانَ بالأَرْباحِ وأنْ تُعَامِلَنَا بالعَفْو والسَّمَاحِ يامَنْ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاة فيها مِصْبَاحْ ، ونَسألكَ أَنْ تَرحَمَنَا وإخْوَانَنَا المسلمين برحمتِكَ الواسعةِ يا أَرْحَمَ الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آلِهِ وصَحابَتِهِ أجمعين .

وقال بعضهم :

ومَالِيْ ولِلدُّنْيَا وَلَيْسَتْ بِبُغْيَتِي
ولا مُنْتَهَى قَصْدِيْ وَلَسْتُ أَنَالَهَا
وَلَسْتُ بِمَيَّالٍ إلَيْهَا وَلاَ إلَى
رِيَاسَتِهَا تَباً وقُبْحاً لِحَالِهَا

هِيَ الـدَّارُ دَارُ الهَـمِّ والـغَـمِّ والـعَـنَـا
سَـرِيْـعٌ تَـقَـضِّيْـهَـا وَشِيْـكٌ زَوَالُـهَـا
مَيَـاسِـرُهَـا عُسْـرٌ وَحُـزْنٌ سُـرُوْرُهَـا
وأرْبَـاحُـهَـا خُسْـرٌ وَنَـقْصٌ كَـمَـالُـهَـا
إذَا أَضْـحَكَـتْ أبْكَـتْ وانْ رَامَ وَصْلَهَـا
غَبِيٌّ فَيَـا سِـرْعَ انْقِـطَاعِ وِصَـالِهَا
فَـأَسْئَـلُ رَبِّـيْ أَنْ يَـحُـولَ بِـحَـوْلِـهِ
وَقُـوَّتِـهِ بَـيْـنِ وبَـيْـنَ اغْـتِيَالِـهَا
فَيَـا طَالِبَ الـدُّنْيَا الـدَّنِيَّـةَ جَـاهِـداً
ألا أطْـلُـبْ سِـوَاهَـا إنَّهَـا لاَ وَفَـالَهـا
فَكَمْ قَـدْ رَأَيْنَـا مِن حَـرِيْصٍ ومُشْفِـقٍ
عَلَيْهَـا فَلَمْ يَظْـفُرْ بِهَـا أَنْ يَنَـالَهَـا
لَقَـدْ جَـاءَ في أيِ الحَـدِيْدِ ويُـوْنسٍ
وفي الكَهْفِ إيْضَـاحٌ بِضَـرْبِ مِثَـالِهَـا
وفـي آلِ عِـمْـرَانٍ وسُـوْرَةِ فَـاطِـرٍ
وفي غَـافِرٍ قَـدْ جَاءَ تِبْيَـانُ حالِهَـا
وفـي سُـوْرَةِ الأحْـقَـافِ أَعْـظَمُ واعِظٍ
وكَمْ مِن حَـدِيْثٍ مُـوْجِبٍ لإعْتِـزَالِهَـا
لَـقَـدْ نَـظَرْ أَقْـوَامٌ بِـعَـيْـنِ بَـصِـيْـرَةٍ
إلَيْهَـا فَلَمْ تَغْـرُرْ هـمُـوْا بـاخْتِيَـالِهَـا
أُولئِـكَ أَهْـلُ الـلهِ حَـقـاً وَحِـزْبُـهُ
لَهُمْ جَنَّـةُ الفِـرْدَوْسِ إرْثـاً فَيَـا لَهَـا

وَمَالَ إلَيْهَا آخَرُوْنَ بِجَهْلِهِم
فَلَمَّا اطْمَأَنُوْا أَرْشَقَتْهُم نِبَالَهَا
أُولَئِكَ قَوْمٌ آثَرُوْهَا فَأُعْقِبُوْا
بِهَا الخِزْيَ فِي الأُخْرَى فَذَاقُوْا وَبَالَهَا
فَقُلْ لِلذِيْنَ اسْتَعْذَبُوْهَا رُوَيْدَكُمْ
سَيَنْقَلِبُ السُّمُ النَقِيْعُ زِلاَلَهَا
لِيَلْهُوْا وَيَغْتَرُّوْا بِهَا مَا بَدَا لَهُمْ
مَتَى تَبْلُغُ الحُلْقُوْمَ تَصْرِمْ حِبَالَهَا
وَيَوْمَ تُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ بِكَسْبِهَا
تَوَدُّ فِدَاءً لَوْ بَنِيْهَا وَمَالَهَا
وَتَأْخُذُ إِمَّا بِاليَمِيْنِ كِتَابَهَا
إِذَا أَحْسَنَتْ أَوْ ضِدَّ ذَا بِشِمَالِهَا
وَيَبْدُوْ لَدَيْهَا مَا أَسَرَّتْ وَأَعْلَنَتْ
وَمَا قَدَّمَت مِن قَوْلِهَا وَفِعَالِهَا
بِأَيْدِيْ الكِرَامِ الكَاتِبِيْنَ مُسَطَّرٌ
فَلَمْ يُغْنِ عَنْهَا عُذْرَةٌ وَجِدَالُهَا
هُنَالِكَ تَدْرِيْ رِبْحَهَا وَخَسَارَهَا
وإِذْ ذَاكَ تَلْقَى مَا عَلَيْهَا وَمَالَهَا
فَإِنْ تَكُ مِن أَهْلِ السَّعَادَةِ والتُّقَى
فَإِنَّ لَهَا الحُسْنَى بِحُسْنِ فِعَالِهَا

تَـفُـوْزُ بِـجَـنَّـاتِ الـنَّـعِـيْـمِ وحُـوْرِهَـا
وتُـحْـبَـرُ فـي رَوْضَـاتِـهَـا وظِـلاَلِـهَـا

وتُـرْزَقُ مِـمَّا تَـشْـتَـهِي مِن نَعِيْمِـهَـا
وتَـشْـرَبُ مِنْ تَـسْـنِـيْـمِـهَـا وَزِلاَلِـهَـا

فـإنَّ لَـهُـمْ يَـوْمَ الـمَـزِيْـدِ لَـمَـوْعِـداً
زِيَـارَةُ زُلْـفَـى غَـيْـرُهُـمْ لا يَـنَـالَـهَـا

وُجُـوْهٌ إلـى وَجْـهِ الإلٰـهِ نَـوَاظِـرٌ
لَقَدْ طَالَ بـالـدَّمْـعِ الغَـزِيْـرِ ابْتِـلاَلُهَـا

تَـجَـلَّى لَـهُـمْ رَبٌّ رَحِـيْـمٌ مُـسَـلِّـمـاً
فَـيَـزْدَادُ مِن ذاكَ الـتَّـجَـلِي جَـمَـالُـهَـا

بِـمَـقْـعَـدِ صِـدْقٍ حَـبَّـذَا الـجَـارُ رَبُّهُـمْ
ودارُ خُـلُـوْد لَـمْ يَـخَـافُـوْا زَوَالَـهَـا

فَـوَاكِـهُـهَـا مِـمَّـا تَـلَـذُّ عُـيُـوْنُـهُـمْ
وَتَـطَّرِدُ الأنْـهَـارُ بَـيْـنَ خِـلاَلِـهَـا

عَـلَى سُـرُرٍ مَـوْضُـوْنَـةً ثُمَّ فُـرْشُـهُـمْ
كَمَـا قَـالَ فِيْـهَـا رَبُّنَـا وَاصِـفـاً لَهَـا

بَـطَائِـنُ مِن إسْـتَـبْـرَقٍ كَـيْفَ ظَـنُّـكُـمْ
ظَـوَاهِـرَهَـا لاَ مُنْتَهَى لِـجَـمَـالِـهَـا

وانْ تَـكُـنِ الأُخْـرَى فَـوَيْـلٌ وَحَـسْـرَةٌ
وَنَـارُ جَـحِـيْـمٍ مَـا أَشَـدَّ نَـكَـالَـهَـا

لَـهُـمْ تَـحْـتَـهُـم مِـنْـهَـا مِـهَـادٌ وَفَـوْقَـهُـمْ
غَـوَاشِي وَمِن يَحْـمُـوْمٍ سَـأَظِـلاَلُـهَـا

طَعَامُهُمُ الغِسْلِيْنُ فِيْهَا وانْ سُقُوا
حَمِيْماً بِهِ الأمْعَاءُ كَانَ انْحِلاَلُهَا
أَمَانِيْهُمُوْا فِيْهَا الخُرُوْجُ وَمَالَهُمْ
خُرُوْجٌ ولا مَوْتٌ كَمَا لَا فَنى لَهَا
مَحَلَّيْنِ قُلْ لِلنَّفْسِ لَيْسَ سِوَاهُمَا
لِتَكْتَسِبَنْ أو تَكْتَسِبْ مَا بَدَا لَهَا
فَطُوْبَى لِنفْسٍ جَوَّزَتْ فَتَخَفَّفَتْ
فَتَنْبَحُوْا كَفَافاً لا عَلَيْهَا ولا لَهَا

اللهم أنا نَعُوذُ بِكَ مِن جَهْدِ البَلاَء ودَرَكِ الشَّقَاء وشَمَاتَةِ الأَعْدَاء وسُوْءِ المَنْظَرِ في الأهلِ والمالِ والولدِ اللهم حَبِّبْ إِلينا الايمانَ وزَيِّنْهُ في قُلُوبِناَ

اللَّهُمَّ الهِمْنا ذكركَ وَشُكرِكَ وأرزقْنا الاستقامةَ طوعَ أمركَ وَتَفضَّلْ علينا بعافِيتكَ وجزيلِ عَفوكَ واغفْر لنا ولوالدِينَا ولجميع المسلمينَ الأحياءِ منهم والميتينَ برحمتكَ يا أرحمَ الراحمين وصلى اللهُ على محمّدٍ وعلى آلِهِ وصحْبهِ أجْمعين .

« فَصْلٌ »

في ذِكْرِ بَعْضِ مَحَاسِنِ الدِّيْنِ الاسْلامي نَصَرَهُ اللَّهُ

عباد الله قال الله تعالى ـ وهو أصدق القائلين ﴿ اليومَ أكملتُ لكم دِيْنَكم ، وأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيْتُ لكُمُ الاسلامَ دِيناً ﴾ أَكْمَلَ الدِّيْنَ ، بالنَّصْرِ ، والإظْهارِ على الأَدْيَانِ كُلِّهَا ، فَنصَرَ عَبْدَهُ وَرَسُوْلَهُ ، وَخَذَلَ أَهْلَ الشِّرْكِ انْخِذَالاً عَظِيْماً ، بَعْدَ مَا كَانُوا حَرِيْصِيْنَ عَلَى صَدِّ المُؤْمِنِيْنَ عَن دِيْنِهِمْ ، طَامِعِيْنَ فِي ذَلِكَ ، فَلَمَّا رَأَوْا عِزَّ الإِسْلامِ وانْتِصَارَهُ يَئِسُوا كُلَّ اليَأْسِ

مِن المُؤمِنِيْنَ ، أنْ يَرْجِعُوْا إلى دِيْنِهِمْ ، وَصَارُوا يَخافُونَ مِنْهُمْ وَيَخْشَوْن :
وأتَمَّ جَلَّ وَعَلاَ عَلَى عباده نِعْمَتَه بالهِدَايَةِ والتَّوْفِيْقِ ، والعِزِّ والتأييْدِ ، ورَضِيَ الاسلامَ لنَا دِيْناً ، اخْتَارَهُ لَنَا مِن بَيْنِ الأَدْيَان ، فَهُوَ الدِيْنُ عندَ اللهِ لا غَيْرُ، قال تعالى ﴿ وَمَن يَبْتغِ غيرَ الاسلامِ دِيْناً فَلَنْ يقْبَلَ منه ، وهُوَ في الآخِرَةِ مِن الخاسِرِين ﴾ عبادَ اللهِ نَظَرَ أَصْحَابُ الأفكارِ البَرِيْئَةِ السَّلِيْمَةِ في أحْكَام الاسْلامِ ، فاعْتَنَقُوْهُ ، وَتَأَمَّلُوا في حِكَمِه الجَلِيْلَةِ فَأَحَبُّوْهُ وَمَلَكَتْ قُلُوْبَهُم مَبادِئُهُ الحَكِيْمَةُ فَعَظَّمُوه ، وكُلَّما كَانَ المَرْءُ سَلِيْمَ العَقْلِ ، نَيِّرَ البَصِيْرَةِ ، مُسْتَقِيْمَ الفِكْرِ ، اشْتَدَّ تَعَلُّقُه بِهِ ، لِمَا فِيهِ مِن جَمِيْلِ المَحاسِن، وجَلِيلِ الفَضَائِلِ ، جَاءَ الدِّيْنُ الاسلامِيُّ بَعقائدِ التوحيْدِ ، التي يَرتَاحُ لَها العَقلُ السليمُ ويُقرُّهَا الطَّبعُ المُسْتَقِيمُ ، يَدْعُوا إلى اعْتِقَادِ أنَّ لِلْعَالَمِ إلهاً واحداً لا شريكَ له ، أوَّلاً لا ابْتِدَاءَ لَهُ ، وآخِراً لا انْتِهَاءَ له ، ﴿ لَيسَ كَمِثْلِه شيء ، وهو السميعُ البصير ﴾ لَهُ القُدْرَةُ التَّامَةُ ، والإرَادَةُ المُطْلَقَةُ ، والعِلْمُ المُحِيْطُ ، يَلْزِمُ الخَلْقَ الخُضوعُ لَهُ والانقيادُ ، والعَمَلَ على مَرْضَاتِهِ ، بامْتِثَالِ أمرِهِ سُبْحَانَهُ ، واجْتِنَابِ نَهْيِهِ نَصَبَ الأدلةَ والبَرَاهِيْنَ ، في الأَنْفُسِ والآفاقِ ، وَحثَّ العقولَ على النَّظرِ والاسْتِدلاَلِ ، لِتَصلَ بالبُرْهَان إلى مَعْرِفَتِهِ وَتَعْظِيْمِهِ ، والقِيامِ بحُقُوْقِهِ ، فتَرَاهُ تَارةً يَلْفُتُ نَظَرَكَ إلَى أنه لا يُمْكنُ أن توْجِدَ نفسَكَ ، ولَا أن تُوْجدَ مِن دُوْنِ مُوْجِدٍ ﴿ أم خُلِقوا مِن غيرِ شَيءٍ ؟ أمْ هُمُ الخَالِقُون ﴾ أمَّا كَوْنُ الانسانِ مُوْجِداً لِنَفْسِهِ فهذَا أَمْرٌ ما ادَّعَاهُ الخَلْقُ ، وأما وُجُودُ الانسانِ هكذا مِن غيرِ مُوْجِدٍ ، فأمْرٌ يُنْكِرُهُ مَنْطِقُ الفِطْرةِ ابتداءً ولا يَحْتَاجُ إلى جَدَلٍ كَثيرٍ أو قليلٍ ، واذا كانَ هذان الفَرْضَانِ باطِلَيْن ، فانه لا يَبْقَى إلا الحقيقةُ ، التي يَقُولُها القُرآنُ ، وهيَ أن الخَلْقَ خَلقَهُ اللهُ الواحدُ الأحدُ الفردُ الصمدُ الذي ﴿ لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ، ولم يكن له كفواً أحد ﴾ ، وَتَارَةً يَلْفُتُ النظرَ إلى

السمواتِ والأرض ، فَهَلْ هُمْ خلقُوهَا ، فانها لم تَخْلُقْ نفسَها ، كَمَا أنَّهُمْ لَمْ يَخْلقُوا أنفسَهُم ، وتارةً يَفْتَحُ أمامَ العقلِ والبصرِ صَحِيْفَةَ السماءِ ، وما حَوتْ مِن شَمْسٍ مُشْرِقَةٍ ، وقَمرٍ مُنيرٍ ، وَنجْمٍ مُضِيء ، فَيَقُولُ ﴿ تَبارَكَ الذي جَعَلَ في السَّماءِ بُرُوْجاً ، وَجَعَلَ فيها سِرَاجاً وَقَمراً مُنيْراً ﴾ وفي الآية الأخرى يقول ﴿ هو الذي جعل الشمسَ ضِياءَ والقمرَ نُوراً ، وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ ، لِتَعْلَمُوْا عَدَدَ السِنِيْنَ والحِسَاب ﴾ وَيَقُولُ ﴿ فالقُ الإصباحِ ، وجَعَلَ الليلَ سكناً والشمسَ والقمرَ حُسْبَاناً ذلكَ تقديرُ العزيزِ العَلِيم ﴾ ويَقُول ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُروا إلى السماءِ فوقَهم ، كيفَ بَنَيْنَاها ، وَزَيَّنَاهَا ، وما لَهَا مِن فُرُوْجٍ ﴾ ويقول ﴿ أفلم يَنْظُرُوْا في مَلَكُوتِ السمواتِ والأَرْضِ ، وما خلقَ اللهُ من شيءٍ ﴾ وَيَقُولُ ﴿ الذي خَلقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِباقَا ، مَا تَرَى في خَلْقِ الرَّحمَنِ مِن تفاوُتٍ ، فارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُور ؟ ثُمَّ ارجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ ، يَنْقَلِبْ إليكَ البَصَرُ خَاسِئاً وهُوَ حَسِيْرٌ ﴾ وَمَرةً يَلْفُتُ النَّظَرَ إلَى الأرضِ ، وما فِيْهَا مِن أشْجَارٍ مُتَنَوِّعةٍ ، ﴿ وفي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ ، وجناتٌ مِن أعنابٍ ، وزرع ونخيلٌ ،صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوانٍ ، يُسْقَى بماء واحدٍ ، ونُفَضِلُ بعضَها على بعض في الأكل ﴾ فتشاهِدُ شَجَرَ العِنبِ ، بِجوارِ شَجَرِ الحَنظلِ ، في قِطْعَةٍ واحِدَةٍ ، تُسْقَى بماءٍ واحدٍ ، وقَدْ جَعَلَ لِكُلِ شَجَرَةٍ جُذُوْراً ، تَمْتَصُّ بِهامِن الأَرْضِ ما يُنَاسِبُهَا مِن الغِذَا الذي به قِوامُها وَحَياتُها ، وَتَنْفَتِحُ كلُ واحدةٍ عن ثَمَرَةٍ تُخَالِفُ الأُخْرَى في اللَّونِ والطَّعْمِ والرائحةِ ، وكذلكُ باقي الأشجارِ المُتَجَاوِرَةِ التي أرضُها واحِدَةٌ ومَاؤُها واحِدٌ ، ألاَ يَدُلُّ هَذَا على وُجُودِ صَانِعٍ حَكيمٍ قادرٍ (إن في ذلك لآية) وَمَرةً يلفُتُ النظرَ إلى ما يُنزِّلُه مِن السماء ، مِنَ الماءِ الذي به قِوامُ الحَيَاةِ ، ولوْ شاءَ لَجَعَلَهُ أُجَاجاً ، لا نَفْعَ فِيْهِ ، وَمَرةً يَتحَدَّثُ عن وحْدَانيتِه وانفِرادِهِ بالمُلْكِ والتَّدْبير ، ﴿ ما اتخذَ اللهُ مِن وَلَدٍ ، وَمَا

كَانَ مَعَهُ مِن إله ﴾ الآية وفي الآية الأخرى يقولُ في جزالةِ لفظٍ ، وفخامةِ معْنى ﴿ لو كَانَ فيْهما آلهةٌ إلا اللهُ لفسَدَتَا ﴾ إلى غير ذَلِكَ مِن الأدِلَةِ ، وشَرَعَ لِعبَادِهِ من العِبَادَاتِ مَا يُهذِّبُ النُفُوسَ ويُصَفيْهَا ويُنَظِّمُ العِلاَقَاتِ ويُقَوِّيهَا، ويَجْمَعُ القُلُوب ويُزَكِيهَا ، وهذا الذي جاءَ بهِ الاسْلامُ اتَّفَقَتْ في الدعوةِ إليه كلُ الرُّسُل ، قال تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِن الدِّيْن مَا وَصَّى بهِ نُوْحاً ، والذي أوْحَيْنَا إليكَ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إبْرَاهِيْمَ ومُوْسَى وعِيْسَى، أنْ أقِيْمُوْا الدِّيْنَ ، ولا تَتَفرَّقُوا فيهِ ، كَبُرَ على المشْرِكِيْنَ مَا تَدْعُوْهُمْ إليهِ اللهُ يَجْتَبِي إليه مَنْ يَشاءُ ويَهْدِي إليهِ مَن يُنِيْب ﴾ .

اللهم نَوِّر قُلوبَنَا بنُوْرِ الايمانِ وأعِذْنا مِن شَرِ نُفُوْسِنَا والشيطان وَوَفِّقْنَا لِطَاعَتِكَ اللهُمَّ أنْظِمْنَا في سِلْكِ عِبادِكَ المُفلِحينَ واحْشرنَا مَعَ الذينَ أنْعَمْتَ عليهم مِن النَّبِييْن والصِّدِّيْقِيْنَ والشُهَداءِ والصَّالِحينَ واغفرْ لَنَا ولوَالِدَيْنَا ولجميع المسلمينَ الاحياءِ منهم والميتينَ برحمتِكَ يا أرحمَ الراحِمِينَ وصلَّى اللهُ على مُحمدٍ وعَلى آلهِ وَصحبِه أجمَعِينَ .

(فصـــل): فقَدِ اعْتَرَفَ المُحَقِّقُونَ المُنْصِفُوْنَ : أنَّ كلَّ عِلْمٍ نَافعٍ دِيْني أو دُنْيَوِي أو سِيَاسِي قَد دَلَّ عَليه القُرآنُ دَلالةً لا شَكَ فيها ، فلَيْسَ في شَريعةِ الاسلام ما تُحِيْلُه العقولُ ، وانما فيه ما تشهدُ العُقولُ السَّلِيْمَةُ الزَّكِيَّةُ بصِدْقِهِ وَنَفْعِهِ وَصَلاَحِهِ، وكذلكَ أوامِرُهُ كلُهَا عَدْلٌ، لا حَيْفَ فِيْهَا وَلاَ ظُلْمَ، فَما أَمَرَ بشَيْءٍ إلا وَهُوَ خَيْرٌ خالصٌ ، أو راجِحٌ ، وما نَهَى عن شيء إلَّا وهُوَ شرٌ خَالِصٌ ، أو مَا تَزِيْدُ مَفْسِدَتُهُ على مَصْلَحَتِهِ ، وكُلَّما تَدَبرَ العاقِلُ اللبيبُ احكامَ الاسلام قَوِيَ ايمانهُ وإخْلاَصُهُ ، وعِنْدَمَا يَـتَأَمَلُ مَا يَدْعُو إليهِ هَذَا الدِّينُ القويمُ يجِدُهُ يَدْعُو إلى مَكَارِمِ الأخْلاَقِ ، يَدْعُو إلَى الصِّدْقِ والعفافِ والعَدلِ ، وحِفْظِ

العُهُودِ ، وأداءِ الأمانَاتِ ، والإحسانِ إلى اليتيمِ والمِسكين ، وحُسْنِ الـجوَارِ ، واكْرَام الضيفِ ، والتَّحلِي بمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ ، يَدْعُو إلى تَحْصِيل . التَّمَتُّعِ بلذَائِذِ الحَيَاةِ في قَصْدٍ واعْتِدَالٍ ، يَدْعُوْ إلى البَرِ والتَّقْوى وَيَنْهَى عن الفَحْشَاءِ والمنكرِ، والاثمِ والعدوانِ ، لا يأمرُ الا بما يَعُودُ على العَالَم بالسعادَةِ والفَلاَحِ ، ولا يَنْهَي إلا عَمَّا يَجْلِبُ الشقاءَ والمَضَرَّة لِلْعِبَادِ .

وتأملْ مَحَاسِنَ شَرَائِع الاسلامِ الكبارِ ، التي هِيَ إقامُ الصلاةِ[1] ، وايتاءُ[2] الزكاةِ[3] ، وصوم رمضان[4] ، وحجُ البيتِ[5] ، فَعِنْدَمَا تأَمَلْ الصَلاةَ التى هىَ صِلةٌ بينَ العبدِ وبين ربهِ ، تجدْ فِيْهَا الاخلاصَ للهِ ، والاقبالُ عليهِ ، والأدبَ والاحترامَ ، والثناءَ والدُعَاءَ ، والخُضُوعَ له ، وَمَظْهَرُ الإجلالِ مِن العبدِ لِرَبِهِ ، يُؤَدِيْ واجِبَ الإكبَارُ والتَّعْظِيْمِ والتَّقْدِيْسِ لِسَيدِهِ وَمَوْلاَهُ ، شأنُ العَبْدِ بَيْنَ يَدِيْ سيده ، يَقِفُ المرءُ بينَ يَدَي رَبهِ ، فَيَبْتَدِيءُ بالاعْتِرَافِ للهِ بأَنَّهُ أَكْبَرُ منْ كُل شَيء ، وأنَّهُ مُسْتَحِقٌ لأنْ يُعَظَّمَ ويُجَلَّ ويُقَدَّرْ (اللهُ أكْبَرُ) ، ثم يأخُذُ في الثَّنَاءِ عَلَى اللهِ بما هُوَ أهلُهُ ، ويَخُصُّه بالـعِبَادَةِ ، وطَلبِ المَعُوْنَةِ ضَارِعاً اليهِ بأنْ يَهْدِيَهُ الصِّرَاطَ المُسْتَقِيْمَ، صِرَاطَ الذِيْنَ أَنْعَمَ اللهُ عليهم بالتوفيق والهِدَايةِ ، وأنْ يُجنِّبَهُ عن طَرِيقِ المَغْضُوْبِ عليهِم ، لانْحِرَافِهِم عن سَوَاءِ السَّبِيْل ، بَعدَ أن عَرَفُوه ، وأن يُبْعِدَه عن طَرِيقِ الضَالِين، المُنْحَرِفِيْنَ الذينَ عبَدُوا أَهْوَاءَهُمْ وشَيَاطِيْنَهُم .

وعِنْدَئِذٍ تَمْتَلِيءُ النَّفْسُ مِن عَظَمَةِ اللهِ وَهَيْبَتِهِ وَجلاَلِهِ ، فَيخرُ المَرءُسَاجِدَاً للهِ على أشْرَفِ أعْضَائِهِ ، مُظْهِراً لِلذِّلَّةِ والمَسكنةِ إلى مَن بيَدِه مَقَاليدُ السمواتِ والأرضِ ، فَمَزَايَا الصلاةِ مِن ناحيةِ الدِيْنِ ، خُضُوعٌ لِرَبِ العالمين ، وخشُوعٌ واعِتْرَافٌ بعظَمَةِ القَاهِرِ القَادِرِ ، ومَتَى اسْتَشْعَر القلبُ ذلك . وامتلأتِ النفسُ مِن هَيْبةِ اللهِ ، كَفَّ عن المُحَرمَاتِ ، ولا عَجَبَ مِن

ذلكَ، فإنَّ اللهَ يقولُ عن الصلاةِ ﴿ ان الصلاةَ تَنْهَي عن الفَحشَاءِ والمنكرِ ولذكرُ الله أكبر ﴾ وهيَ أكبرُ عَونٌ لِلعَبْدِ على مصَالِحِ دِينِهِ ودنياهُ ، قال الله تعالى ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ .

أما عونُها على مصالِح دِينِه، فلأن العبدَ اذا دَاوَمَ على الصلاةِ ، وحَافَظَ عليها ، قَوِيَتْ رَغْبَتُه في الخَيْرِ ، وَسَهُلَتْ عليه الطاعاتُ ، وبَذْلُ الاحسانِ ، بطمأنينَةِ نَفْسَ ، واحْتِسَابِ ، ورجاءٍ لِلثَّوابِ ، وأما عَوْنُها على مصَالِحِ الدُنيا ، فانها تُهَوِّنُ المَشَاقَ ، وتُسَلِّي عن المَصَائِبِ ، والله سبحانه لا يُضِيْعُ أَجْرَ مَن أحسَنَ عَمَلاَ ، فيجازِيهِ بتَيْسِيْرِ أُمُورهِ ، ويُبَارِكْ في مالِه وأعمالِهِ .

وفي تأديتِها جماعةً يَحْصُلُ التعارفُ والتواصلُ ، والتوادُدُ والتعاطفُ والتراحمُ ، ويَسُوْدُ الوَقارُ والمَحَبةُ بَينَ الصغيرِ والكبيرِ ، ويحْصُلُ بذلكَ تعْلِيْمُ فِعْلِيٌ لِصِفَةِ الصلاة .

وانظرْ الى ما أوجَبَهُ اللهَ مِن الزكاة ، تَرَى مَحَاسِنَ جَمَّةً ، منها اصلاحُ حالِ الفُقَرَاءِ ، وسَدِ حاجةِ المِسكِين ، وقَضَاءِ دَيْنِ المَدِيْنِ ، ومنها التَخلُقُ بأخلاقِ الكِرامِ ، مِن السَخاءِ والجُودِ ، والبُعدِ عن أخلاقِ اللئامِ ، ومنها أنها تُطَهِّرُ القلبَ مِن حُبِ الدنيَا ببذلِ اليَسِيرِ، ومنها حِفْظُ المَالِ مِنَ المُكَدِّرَاتِ والمُنَغِصَاتِ الحِسِّيَّة والمُعْنوِيَّة ، ومنها الاستعانةُ بها على الجِهَادِ في سبيلِ اللهِ . والمَصَالِحِ الكُلِيةِ ، التي لا يَسْتَغْنِيّ عنها المُسلمون ، ومنها دَفْعُ صَوْلَةِ الفُقراءِ ، ومنها أنها دَوَاءٌ لِلمُجْتَمَعِ ، وطِبٌّ لِلنَفوسِ بها يَطْهُرُ المَرءُ مِن رَذِيْلَةِ الشُحِ ، قال تعالى ﴿ وَمَن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ ومنها أنها لو أخرجَهَا الأغْنِيَاءُ لانْقَطَعَ دَابِرُ الاشْتِرَاكِيةِ المُتَطَرِفَةِ ، والشُيُوعِيَّةِ المُسْرِفَةِ ، ومِنْها أنها لَو أُدِيْت تَماماً لَحَصَل : بذلكَ راحةُ الحُكَّامِ ، وصَرْفُ مَجْهُودَاتِهم إلى مَا يَعُودُ على الأُمَم بالفلاحِ وَرَغدِ العَيشِ .

قَصِيْدَةٌ تَتَضَمَّنُ التَضَرعَ للهِ جَلَّ وَعَلاَ :

يــا فَــاطِــرَ الخَلْقِ البَــدِيْــعِ وكـــافِــلاً
أرْزَاقَ مَـــن هُـــوَ صَـــامِـــتٌ أوْ سَـــائِـــلُ
أوْسَـعْـتَـهُـم جُــوْداً فَــيــا مَــن عِــنْــدَهُ
رِزْقُ الجَمِيــع سَحَابُ جُــوْدكَ هَـاطِــلُ
يا مُسبغَ البرِّ الجَزِيل ومُسْبِلَ العَفْو العَظِيْم عظيمُ فَضْلِكَ وابِلُ
يا صاحبَ الاحسانِ يا مُرْخٍ لَنَا السِّتْرِالجَمِيْلَ عمِيْمُ طَوْلِك طَـائِلُ
يــا عَــالِمَ السِّــر الـخَفِيِّ ومُنجِــزَ الْـ
مِيْعَــادِ صِــدْقٌ قَــدْ حَـكَــاهُ الفَــاصِــلُ
يا مَنْ عَلَى العَرشِ اسْتَوى يَا صَادِقَ الْـ
وَعْــدِ الــوَفِي قَضَــاءُ حُكْمِــك عَــادِلُ
عَـظُمَتْ صِفَــاتُــكَ يَــا عَــظِيْمُ فَجَلَّ أنْ
يَــأتِيْ المُـشَـبِّــهُ ظَــالــمَــاً وَيُـشَــاكِــلُ
جَلَّتْ فَضَــائِلُكَ الـعِــظَامُ فَلَمْ نَـجِــدْ
يُحْصَى الثنــاءَ عَلَيْــك ِفــيهـَا قَــائِــلُ
الــذَّنْــبُ أنْــتَ لَــهُ بــمَــنِّــكَ غَــافِــرٌ
مَــا لَم يَكُنْ شِــرْكــاً فَفَضْلُكَ حَــاصِــلُ
يَـعْـصِيْــكَ جَمٌّ ثُمَّ تَـصْـفَــحُ عَـنْـهُـمُ
ولِـتَــوبَــةِ العَــاصِيْ بِحِـلْمِــك قَــابِــلُ
رَبٌّ يُــرَبِّــي الـعَــالَـمِــيْــنَ بِــبِــرِّهِ
ويَــزِيْــدُهُــم مِــن فَــضْــلِهِ ويُــوَاصِــلُ
يُـعْــطِيْهِــمُــوا مــا أمَّلُوا مِــن جُــوْدِهِ
ونَــوالُــهُ أبَــداً إلَــيــهــم وَاصِــلُ

تَعْصِيْـهِ وهْـوَ يَسُـوْقُ نَحْـوَكَ دَائِمـاً
نِعَمـاً وعَن شُكْـرٍ لَهَـا أَنْتَ غَـافِـلُ
سَتَرَ الـذُّنُوبَ وزَادَ في بَـذْلِ العَطَا
مَـالاَ تكُـونُ لِبعضِـهِ تَسْـتَـاهِـلُ
مُـتَـفَـضِّـلٌ أبـداً وأنْـتَ لِـجُـودِهِ
تَنْسَى وتَغْفُـلُ هَـلْ تَعِي يَـا غَـافِـلُ
يَـدْنُـوا وتُـبْـعِـدُ ثُـمَّ أَنْـتَ لِفَضْلِهِ
بِقَبَـائِـحِ العِصْيَـانِ مِنْـكَ تُقَـابِـلُ
وَإذَا دَجَى لَيـلُ الخُـطُوبِ وأظْلَمَتْ
طُـرُقُ السَّـلامَـةِ بَـلْ قَـلاَكَ النَّـازِلُ
وَعَلِمْتَ أنْ لا مَنْجـي ثُمَّ تَـلاَحَمَتْ
سُبُـلُ الخَلاصِ وخَـابَ فيهـا الآمِـلُ
وَأَيِسْتَ مِن وَجْـهِ النَّجـاةِ فَمَـالَهَـا
طُـرُقٌ وقـد عَـظُمَ البَـلا المُتَنَـازِلُ
وَقَنِـطْتَ مِن ضُـعْفِ اليَقِيْنِ ولـم يَكُـنْ
سَـبَـبٌ ولا يَـدْنُـو لَـهَـا مُـتَـنَـاوِلُ
يـأتِيْـكَ مِن الْـطَافِـهِ الفَـرَجُ الـذي
فيـه نَجَـاتُـكَ لـيْسَ يشغـل شَـاغل
فـي لَحْـظَةٍ يَـأْتِيْـكَ لُـطْفٌ فَـارِجٌ
لم تَحْتَسِـبـه وأنْتَ عَنـهُ غَـافِـلُ
يـا مُـوْجِـدَ الأشْيَـاءِ مَنْ أَلْقَى إلَى
أحَـدٍ سِـواكَ فـإنَّ ذَلـك بـاقِـلُ

يـا طَيِّبَ الأسْمَـاءِ مَن يَقْصُـدْ إلَى
أبْـوَابِ غَـيـرِكَ فَـهْـوَ غِـرٌ جَـاهِـلُ
وَمَـنِ اسْتَـرَاحَ بِـغَـيْـرِ ذِكْرِكَ أَوْرَجَـا
مِن غيـرِكُمْ فَضْـلاً فَـذَاكَ الـمَـائِـلُ
وَمَنِ اسْتَـظَلَّ بـغَـيـرِ ظِـلِّكَ رَاجِـيـاً
أَحَـداً سِـوَاكَ فَـذَاكَ ظِـلٌّ زَائِـلُ
ومَـن اسْتَـعَـاذَ إذَا عَـرَتْـهُ مُـلِمَّـةٌ
بِـجَـلاَلِكُـمْ ذَا الـرَّئْيُ رَائْيٌ بَـاسِـلُ
والـرَّائيُ في عَـكْسِ الـذي خَـبَّـرْتُـهُ
بـسـوى جَنَـابِـكَ فهـو رَائْيٌ مَـائِـلُ
عَـمَـلٌ أُرِيـدَ بِـهِ سِـوَاكَ فَأَنَّهُ
عمَـلٌ يُـرَدُّ على الـذي هُـوَ عَـامِـلُ
لَـوْ صَـلَّى ذَاكَ وَصَـامَ حَـجَّ فَـإنَّ ذَا
عَـمَـلٌ وَإنْ زَعَـمَ الـمُـرَائِـيْ بَـاطِـلُ
وَإذَا رَضِـيْـتَ فَـكُـلُ شَـيْءٍ هَـيِّـنٌ
حَسْبِيْ رِضَـاكَ فَكُـلُ شَـيْءٍ زَائِـلُ
أَنْتَ المُنَى وَرِضَـاكَ سُؤْلِي في الدُجى
وإذا حَـصَلْتَ فـكُـلُ شَـيْءٍ حَـاصِـلُ
أَنَـا عَـبـدُ سُـوءٍ آبِـقٌ كَـلٌ عَـلَى
مَـعْـبُـودِهِ يـا بِئْسَ مـا أَنَـا فَـاعِـلُ
وَلَـقَـدْ أَتَى الـعَبْـدُ الـمُسِيْءُ مُيَمِّـمـاً
مَـوْلاَهُ أَوْزَار الـكَـبَـائِـرِ حَـامِـلُ

قَـدْ أثْقَلَتْ ظَهْـرِيْ الـذُنُـوبُ وَسَـوَّدَتْ
وَجْهِيْ الـمَعَـاصِـي ثُمَّ ذَا أنَـا سَـائِـلُ
مَـالِيْ سِـوَاكَ وَلَسْتُ أرْجُـو غَـافِـراً
صُحُفَ العُيُـوبِ وسِتْـرُ عَفْـوِكِ شَامِـلُ
هَـا قَـدْ أتَيْتُ وَحُـسْنُ ظَنِّيْ شَـافِعِيْ
إذْ لـم يَـكُـنْ عَـمَـلُ لَـدَيَّ يُـقَـابِـلُ
ولَبِسْتُ ثَوْبَ الخَوْفِ مِنْكَ مَعَ الرَّجَى
وَوَسَـائِـلِي نَـدَمٌ وَدَمْـعٌ سَـائِـلُ
فـاغْفِـرْ لِعَبْـدِكَ مَـا مَضَى وَارْزُقْـهُ تَـوْ
بـةَ مُـقْلِعٍ فِـيْـهَـا الـشُـرُوْطُ كَـوامِـلُ
وارْزُقْـهُ عِـلْـمـاً نَافِعاً وارْزُقْهُ تَوْ
فِيْقـاً لِـمَـا تَـرضَى فَـفَضْـلُكَ كَـامِـلُ
وافْـعَـلْ بِـهِ مَـا أنْـتَ أهْـلُ جَـمِيْـلِهِ
يَـا مَنْ لَـهُ اسْمـاً حِسَـانٌ فَـوَاضِـلُ
فَـإِذَا فَـعَـلْتَ فَـحُـسنُ ظَنِّي صَائِـبٌ
والـظَنُّ كُـلَّ الـظَّنِّ أنَّـكَ فَـاعِـلُ

اللهم اجعلنا لَكَ شَاكِرِين واجعلنا لَكَ مِن الذَاكِرين واجعلنا مِنْ عِبَادِكَ الصابِرين المحسنين المتقين الذين أهَّلْتَهُمْ لِخِدْمَتِك ووفقتهم لمحبتك وطاعتك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين

اللهُمَّ يا عَظِيْمَ العَفْوِ ، يا وَاسعَ المغفرة ، يا قَرِيبِ الرحمة ، يا ذا الجلال والاكرام ، هَبْ لَنَا العَافِية في الدنيا والآخرة .

اللهم يا حَيُّ ويَاقيومُ فَرِّغْنا لِمَا خَلَقْتَنَا له ، ولا تُشْغِلْنا بما تَكَفَّلْتَ لَنَا به ،

واجعلنا مِمَّنْ يُؤمِنُ بِلقَائِك ، ويَرْضَى بِقَضَائِك ، وَيَقْنَعُ بِعَطَائِك ، ويَخَشَاكَ حَقَّ خَشْيَتِك .

اللهم اكْتُبْ في قُلوبِنَا الإيمانَ وأيِّدْنَا بنُورٍ مِنْكَ يا نُوْرَ السمواتِ والأرضِ ، اللهم وافْتحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ والاجَابَةِ وأغفر لنا وارحمنا برحمتك الواسعة إنك أنت الغفور الرحيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

« **فَصْــلٌ** » وتأمَلِ الصِّيَامِ وما فيهِ من المَحَاسِنِ التي منها أَنَّهُ يَبْعَثُ في الانسانِ فَضِيْلَةَ الرَّحْمَةِ بالفقراءِ ، والعَطْفِ علىالبَائِسِيْن فإن الانسانَ إذا جاعَ تَذَكَّر الفَقِيْرَ الجَائِعَ ، ومنها أنَّهُ بامْتِناعِهِ عَنِ الاكلِ يَعْرِفُ فَضلَ نِعْمَةِ اللهِ عليهِ فيشكُرَهَا ، ومنها أنَّ الصِيَامَ يُقَوِّي النَّفس على الصَّبرِ والحِلْمِ ، وهُمَا تَجَنُبُ كلَّ مَا مِن شَأْنِهِ اثارَةالغَضَب ، لأَنَّ الصوْمَ نِصْفُ الصَّبْرِ ، والصَّبرُ نِصْفُ الايمانِ ، ومنها أَنَّهُ يُنَقِّي الجِسْمَ مِنْ الأَخْلَاطِ الرَّدِيْئَةِ ، ومنها أَنَّهُ مُهَذِّبُ للنُّفُوْسِ ، ومُصَفى للأَرْوَاحِ ، وَمُطَهِّر للأَجْسَام ، فَلَه الأثرُ العَجِيْبُ في حِفْظِ القُوَى البَاطِنَةِ ، وَحِمَايَتِهَا مِمَّا يَضُرُّهَا ثُمَّ هُوَ عِبادَةٌ وامْتِثالٌ لأَمْرِ اللهِ سُبْحَانَه ، والمَشَقَّةُ الحاصِلَةُ مِن الصَومِ لَيْسَتْ بشيْءٍ في جانِبِ رِضَى اللهِ ، طَمَعاً في الثَّوابِ ، والزُّلفي والأجْرِ العَظِيْمِ ، إلى غَيْر ذَلِكَ مِنَ المَحَاسِنِ .

وتأملْ ما في حجٍّ بيتِ اللهِ مِنَ المَحَاسِنِ ، التِي منها أَنَّهُ مَجْمَعٌ لِسُراةِ المُسْلِمِيْنَ ، يَجْتَمِعُونَ فِيه مِن مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبهَا في صَعِيْدٍ وَاحِدٍ ، يَعْبُدُوْنَ إلهاً وَاحِداً ! قُلُوبُهم مُتَّحِدَةٌ ، وأَرْوَاحُهُمْ مُؤْتَلِفَة في الحَجِ ، يَتَذَكَّرُ المُسْلِمُوْنَ الرَّابِطَةَ الدِّيْنِيَّةِ ، وَقُوةَ الوحدةِ الإِسْلامِيَّةِ، وفي الحجِ تَذَكُّرٌ لِحَالِ الأنبياءِ والمُرْسَلِيْنَ وَمَقَامَاتِ الأَصْفِيَاءِ المُخْلصِيْنَ، كما قال تعالى ﴿ واتَّخذُوا مِنْ مقام ابراهيمَ مصلًّي ﴾ وتَذكيرٌ بحالِ سيدِ المرسلينَ وإمامهم ، ومَقَامَاتِه في الحجِ التِي هيَ أجلُّ المقاماتِ ، وهَذَا التَّذْكِيْرُ أَعْلَى أَنْوَاعِ التذْكِيْرَاتِ ، فإنه تذكِيرٌ بأَحْوَالِ عُظماءِ الرُسُل ، ابراهيمَ ومحمدٍ صلى الله عليه وسلم ،ومآثِرهمْ الجليلةِ ، وتَعَبُّدَاتِهِمْ الجَمِيْلَةِ والمُتذكِّرُ بذَلِكَ مُؤْمِنٌ

بالرُسُلِ ، مُعَظِّمٌ لَهُمْ ، مُتَأَثِّرٌ بمَقامَاتِهِم السَّامِيَةِ ، مُقْتَدٍ بهِمْ ، وبآثارِهم الحَمِيْدَة ، ذَاكِرٌ لِمَنَاقِبِهم وَفَضَائِلِهِمْ ، فَيَزْدَادُ بهِ العَبْدُ إيماناً وَيَقِيْناً .

وَمِنْ مَحَاسِنِ الحج تَصْفِيَةُ النَّفس ، وَتَعْوِيْدها البَذْلَ والانفاقَ ، وَتحمُّلَ المَشاقِ ، وَتَرْكَ الزينةِ والخُيَلاءِ ، ومِنْهَا شُعُوْرُ المرءِ بمُسَاوَاتِهِ لِغَيْرِهِ ، فلا مَلِكٌ ولا مَمْلُوكٌ ، ولا غَنِيٌّ ولا فقيرٌ ، بل الكُلُّ هُنَاكَ سَوَاءٌ ، ومِنْ مَحَاسِن الحَجِ التَّنَقُّل في البلادِ لِمَعْرِفَةِ أحْوالِها ، وعَادَاتِ سُكَّانِها ، وزيارَةِ مَهْبَطِ الوَحْي ، والرُسُلِ الكرامِ ، وَمِنْ مَحَاسِنِ الحج تَذَكُّرُ المَجْمَعِ العظيم في صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، يُسْمِعُهُم الدَّاعِيْ ، ويَنْفِذُهُم البَصَرُ ، وَذَلِكَ في المَحْشَرِ ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الناسُ لِرَبِّ العالمِيْن ﴾ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ، وَمِنْ مَحَاسِنِهِ تَوطِيْنُ النفسِ عَلَى فِرَاقِ الأهْلِ وَالْوَلَدِ ، إذْ لا بُدَّ مِن مُفَارَقَتِهِم ، فَلَوْ فَارَقَهُم فُجَأَةً حَصَلَ صَدْمَةٌ عَظيمةٌ عِنْدَ الفراقِ ، ومِنْ مَحَاسِن الحَج أنَّه مَتَىٰ قَصَدَهُ يَتَزَوَّدُ لِسَفَرِهِ بكلِّ ما يَحْتَاجُ إليهِ ، مُدَّةَ ذَهَابِهِ وإيابه ، فَيَتَزوَّدُ لِلْعُقْبَىٰ ، وهِيَ السَّفْرَةُ الطَّوِيْلَةُ ، التي لا رُجُوْعَ بَعْدَهَا ، حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ .

وَفي سَفَرِ الحَجِّ قَدْ يَجِدُ مَا يَحْتَاجُ إليهِ في غَيْرِ بَلَدِهِ ، وَلَا يَجِدُ في العُقْبَى ما يَحْتَاجُ إليه لِلدَّارِ الآخرَةِ ، إلَّا اذا تَزَوَّدَهُ في الدُنْيا ، قال تعالى ﴿ وَتزوَّدوا فإن خَيْرَ الزاد التقوى ﴾ .

وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أنَّ الانسانَ يَعْتَادُ التوكُلَ عَلَى اللهِ ، لأنهُ لا يُمْكِنُه أنْ يَحْمِلَ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إليهِ في سَفَرِه لِلْحج ، فلا بدَّ مِنَ التَّوكُلِ عَلَى اللهِ تَعَالَى فِيْمَا حَمَلَهُ ، وفيْمَا لَمْ يَحْمِلْهُ مَعَ نَفْسِهِ ، فَيَعْتَادُ تَوَكُّلَهُ إلى كُلِ مَا يَحْتَاجُ إليه ، ومِن مَحَاسِنِه أنَّه إذَا أَحْرَمَ نَزَعَ المَخِيْطَ الذِي هُوَ لِبَاسُ الأحياءِ ، وَيَلْبَسُ غَيْرَه مِمَّا هوَ أَشْبَهُ بِلِبَاسِ الأمْوَاتِ ، فَيَجِدُّ وَيَجْتَهِدُ في الاسْتِعْدَادِ لِمَا أمامَهُ إلى غَيْرِ ذَلكَ مِن المَحَاسِنِ التِي يَصْعُبُ حَصْرُهَا .

اللَّهمَّ اجْعَلِ الأيمانَ هادِماً لِلسيئآت ، كَمَا جَعَلْتَ الكُفْرَ هَادِمَاً

لِلْحَسَنَاتِ وَوَفقنا لـلأَعْمَالِ الصـالِحاتِ ، واجعلنـا مِمَّنْ توكَّـلَ عَليكَ فَكَفيْتَهُ ، واسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فأجَبْتَهُ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياءِ منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ) ثم تَأمَّلْ مَحَاسِنَ الجِهادِ في سبيلِ اللهِ ، إذْ فيه قَمْعُ أعْدَاءِ اللهِ ، ونصرُ أوْلِيَائِهِ ، وإعْلاءُ كَلمَةِ الاسلامِ ، وحَمْلُ الكافِرِ على تَرْكِ الكُفْرِ الذِي هُوَ أَقْبَحُ الأشْيَاءِ ، والاقْبَالُ عَلَى مَا هُوَ أحْسَنُ الأشْيَاءِ ، وفيه إخْرَاجُ البَشَرِ عَنْ دَرَجَةِ الأنْعَامِ ، قال تعالى ـ في حقِّ الكَفرةِ ﴿ إنْ هُمْ إلا كالانعَامِ ، بَلْ هُمْ أضلُّ ﴾ ومِن مَحَاسِنِه اكتِسَابُ حَيَاةِ الأَبَدِ ، فَإِنَّهُ إنْ قَتَلَ فَقَدْ أَعْلَى دِينَ اللهِ ، وإنْ قُتِلَ فَقَدْ أَحْيَا نَفْسَهُ ، قَالَ تعالى ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذِينَ قُتِلُوْا في سَبِيْلِ اللهِ أَمْواتاً ، بَلْ أَحْيَاءٌ عندَ ربِهِم يُرْزَقُون ﴾ .

ومنها ما يَحْصَلُ لِلْمُجَاهِدِ في سَبيلِ الله مِن الثَّوابِ الجَزيْلِ ومنها تكثير المُسْلِمِيْنَ ، وَتَقْلِيْلُ الكَفَرَةِ ، ومنها وَهُوَ أعلاهَا امتِثَالُ أمْرِ الله حَيْثُ يقُولُ ﴿ وقَاتِلُوهُم حَتّى لا تكونَ فِتْنَةٌ ﴾ وقوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتِلوا الذينَ يلونكم مِنَ الكفارِ ﴾ .

وَمِنْ مَحَاسِنِ الجهادِ أنَّهم في الانْتِصَارِ يَغنمُون وَيَشْكُرُوْن وَيَقْتَوُوْن ، وإن أُدِيلَ عليهِمُ الكُفَّارُ عَرَفُوا أنَّ ذَلكَ بِسَبَبِ مَعْصِيَتِهِم وَذُنُوبِهِمْ ، وَفَشَلِهِمْ وَتَنازُعِهِمْ ، فَيَلْجَؤا إلى اللهِ مُتَضَرِعينَ تَائِبيْنَ ، وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أنَّ تَرْكَ الجِهَادِ سَبَبٌ لِلذُّلِّ ، لِمَا وَرَدَ عَن ابن عُمَرَ قال قالَ رسولُ اللهُ صلى اللهُ عليه وسلم « إذا تَبَايَعْتُم بالعِينَة ، وأَخَذْتُم بأذْنابِ البَقَرِ ، وَتَركتم الجهاد سلَّطَ اللهُ عَلَيْكُم ذُلاً لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إلى دِيْنِكُم » رواه أبو داود ، وَمِنْ مَحَاسَنِ الجِهَادِ السَّلامَةُ مِنَ النِّفَاقِ ، لِحَدِيْثِ « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِهِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِن النِّفَاقِ » رواه أبو داود والنسائي ، وفي الحديث الآخرِ « مَنْ

لَقِيَ اللهَ بِغَيْرِ أَثَرِ جِهَادٍ ، لَقِيَ اللهُ وفِيه ثلمةٌ» وفي الحديثِ الآخرِ « ما تَرَكَ قَوْمٌ الجِهَادَ إلاَّ عَمَّهُمُ اللهُ بالعذاب » ومِنْ مَحَاسِنِهِ اسْتِخْرَاجُ عُبُودِيَّةِ أَوْلِيَاءِ اللهِ ، في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، وفِيْمَا يُحِبُّوْنَ وَيَكْرَهُوْنَ ، إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِن الأدلَةِ الدالة على مَحَاسِنِ الجِهَادِ في سبيل اللهِ ، لإعلاءِ كَلِمَةِ اللهِ .

٧ ثم تأملْ ما جَاءَتْ بِهِ الشريعةُ مِن المُعَامَلاَتِ ، فَمِنْ مَحَاسِنِ البَيْعِ والشِرَاءِ وُصُولُ الانسانِ إلى ما يَحْتَاجُ إليهِ مِن مأكلٍ وَمَشْرَبٍ وَمَلْبَسٍ وَمَسْكَنٍ ، ومِن مَحَاسِنِهِ قَطْعُ مَسَافَةِ الطَّلَبِ ، فإنَّ مَنْ طَلَبَ الشَّيْءَ مِنْ مَعْدَنِه يَحْتَاجُ إلى الأسفارِ ، ورُكُوبِ المَرْكُوبِ ، وتَحملِ الأخطارِ ، ومَتى وَجَدَهُ بالبَيْعِ سَلِمَ مِن الأخطار وَسَقَطَ عنه مَؤْنَةِ الأَسْفَارِ، فَانْظُرْ إلى العُوْدِ والمِسْكِ ، والسَّيارَات والمَكَائِنِ والأَقْمِشَة والهيْلِ والسُكَّرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، مَعَادِنُها بَعِيْدَةٌ ، فمِن لُطفِ الله بعِبَادِه أنْ سَخَّر بَعْضَ النَاسِ لِبَعْضٍ ، وجَاءَتْ الشَّرِيْعَةُ الكَامِلَةُ بِحِلِّ أنْوَاعِ المُعَامَلاَتِ ، كالإِجَارَاتِ والشَّرِكَاتِ ، إلاَّ مَا دَلَّ الدَّلِيْلُ عَلَى تَحْرِيْمِهِ ، مِمَّا فيه ضَرَرٌ أَوْ ظُلْمٌ أَوْ جَهَالَةٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ ، فَمَنَ تَأَمَّلَ المُعَامَلاَتِ الشَّرْعِيَّةَ ، رَأى ارْتِبَاطَهَا بِصَلاحِ الدِّيْنِ والدُنْيا ، وَشَهِدَ لِلهِ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ ، وَحِكْمَتِهِ حَيْثُ أَبَاحَ لِعِبَاده جَمِيْعَ الطَّيِّبَاتِ ؛ وَلَمْ يَمْنَع مِن ذَلكَ إلاَّ كُلَّ خَبِيْثٍ، ضَارٍ على الدِّيْنِ أوِ العَقلِ أوِ البَدَنِ أو المالِ .

٨ فَمِنْ مَحَاسِنِ الإِجَارَةِ دَفْعِ حَاجَاتِ العِبَادِ ، بِقَلِيْلٍ مِن الإِبْدَالِ وَيَسِيْرٍ مِنَ الأَمْوَالِ ، فَلاَ كُلُ أَحَدٍ يَمْلِكُ داراً يَسْكُنُهَا ، وَلاَ سَيَّارَةً يَرْكَبُهَا ، ولا طَائِرَةً يَرْكَبُهَا ، ولا طَاحُوْنَةً يَطْحَنُ فِيْهَا ، ولا مَخْزَناً لأَمْوَالِهِ ، وَنَحْو ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ تَعْدَادُهُ ، فَجُوِّزَتْ الإجَارَةُ ، وَلاَ حَاجَةَ إلى ذكر مَحَاسن الصُلْح ، فَهُوَ كَما ذَكَرَهُ الله خير قال الله تعالى ﴿ والصلح خير ﴾الآية .

٩ وأَمَّا الوَكالةُ والكفالةُ ففيهما مِنَ الإحسان ما لا يَخْفَي على أحدٍ مِمَّن اعْتَقَدَ الشَّرْعَ ، وَمَن لَمْ يَعْتَقِد ، وَعقَلَ الشَّرائِعَ ، أَوْلَم يعقِلْ ، احْتَاجَ إلى

الوَكَالَةِ والكفَالَةِ ، فإنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الخلائقَ ، وَجَعَلَهُمْ مُخْتَلِفِيْنَ في القَصْدِ والهِمَمِ ، فَلَيْسَ كُلُ أَحدٍ يَرْغَبُ أَن يُبَاشِرَ الأَعْمَالَ بِنَفْسِه ، ولا كُلُّ يَهْتَدِي إلى المُعَامَلاَت فَمِنْ لُطْفِ اللهِ بِخَلْقِهِ إبَاحَتُها ، فلا يَلِيْقُ بأَصْحَابِ المُرُوْآتِ ، وَأَوْلِيَآءِ الأُمور، مُبَاشَرَةُ البِيَاعاتِ كلِّهَا بِأَنْفسِهِمْ ، فالنبيُّ صلى الله عليه وسلم باشَرَ بَعْضَ الأُمُوْرِ بِنَفْسِهِ ، تَعْلِيْماً لِسُنَّةِ التَّوَاضُعِ ، وَبَيَاناً لِجوَازِهِ ، وَأَضَافَ بَعْضَ الأُمُوْرِ إلى غَيْرِهِ ، وَبَاشَرَ ذَبْحَ الأَضْحِيَةِ بِنَفْسِه ، وفَوَّضَ إِلَى عَلِيٍّ ذَبحَ قِسْمٍ مِنْ هَديهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم .

١٠

وأما الحُسْنُ في الكَفَالَةِ ، فإنَّ فِيْهَا إظهَارُ الشَّفَقَةِ والرحمةِ وَمُرَاعَاةُ الأُخُوَّةِ ، يَبْذُلُ الذِّمةَ لِيَضُمَّها إلى الذِّمةِ ، فَيَنْفَسِحَ وَجْهُ المُطَالَبَةِ ، وَيَسْكُنُ قلبُ المُطَالِبِ بِسَبَبِ السَّعَة ، قال الله تعالى ﴿ وما كُنْتَ لَدَيْهِم إذْ يُلقُونَ أقلامَهُم أَيُهم يَكْفُلُ مَرْيَم ﴾ إلى أن جَعَلَ كَافِلَها زَكَرِيا ، كَمَا قال تعالى ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ وإذا عَلِمْتَ مَحَاسِنَ الوَكَالَةِ وَالكَفَالَةِ ، فالحَوَالَةُ وَاضِحةٌ مَحَاسِنُهَا فَفِي الحَوَالةِ كَفَالةٌ وَوكالةٌ ، وَزِيَادةُ فَرَاغِ ذِمةِ الأَصِيْلِ ، عَنْ الحُزْنِ الطَّوِيْلِ ، فَإذَا قُبِلْتَ حَوَالَتَهُ ادْخَلْتَ على قَلْبِ أَخِيْكَ ـ بِفَراغِ ذِمَّتِهِ ـ سُرُوْراً ، ولا يَخْفَي ما في إدْخَالِ السُرُوْرِ عَلَى المُسْلِمِ مِنَ الأَجْرِ .

١١

وَمِنْ مَحَاسِنِ الشُّفْعَةِ أَن الجَارَ ربَّما يَكُون في حَاجَةٍ إلى هَذِهِ الحِصَّةِ المَبِيْعَةِ ، كأنْ يكونَ بَيْتُه ضَيِّقاً ، وَيُرِيْدُ اتِّسَاعَهُ ، أَو تَكُونَ الأَرْضُ المُشْتَرَكَةُ بِجوَارِ مَزَارِعِهِ ، وَيَحْتَاجُ إِلَيْهَا ، وَمِنْ مَحَاسِنِها التَّنبيهُ على عِظَمِ حَق الجارِ والشَّرِيْكِ ، حَيْث أَنَّ لَهُ الحَقُّ في التَّقدُم على غَيْرِه في الشِّرَآءِ ، إلا إذَا أسْقَطَ حَقَّه بامْتِنَاعِهِ عن الشِرَاءِ ، وَمِنْهَا دَفْعُ ضَرَرِ الجَارِ ، وَهُوَ مَادَةُ الضررِ .

وقال صلى الله عليه وسلم « لا ضَرَرَ وَلَا إضرارَ في الاسلام ولا شَكَّ عند أحدٍ في حُسْنِ دَفْعِ ضَرَرِ التَأذِّي بِسَبَبِ المُجَاوَرَةِ على الدَّوَامِ ، مِن إيقادِ

نِيْرانٍ ، وإعلاءِ جِدَارٍ ، وإثَارَةِ غُبَارٍ ودخَّانٍ ، وأَعْظَمُ مِنْ ذلك سَمَاعُ التِّلفِزْيُون والمذياعِ ، وإحداثُ أشْيَآءَ تَضُر بمُلْكِهِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِن أَنْوَاعِ الضَّررِ .

١٢

وأما الوَدِيْعَةُ فَمَحَاسِنُها ظاهِرَةٌ ، إذْ فِيْهَا إعانَةُ عِبَادِ اللهِ في حِفْظِ أَمْوَالِهِمْ ، وَوَفاءِ الأمانَةِ ، وَهُوَ مِنْ أَشْرَفِ الخِصَالِ عَقْلاً وَشَرْعاً ، وَمِنْ مَحَاسِنِها أَنَّها إحْسانٌ إلى عِبَادِ اللهِ ، وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِيْنَ ، ومنها أنَّها سَبَبٌ لِلتَّآلُفِ والتآخِي بَيْنَ المسلمينَ وسَبَبٌ لِمحبةِ بَعْضِهِم لِبَعْضٍ .

١٣ـ ومِنْ مَحَاسِنِ الاسلامِ النَّهيُ عَنْ سُوءِ مُعَامَلَةِ الزَّوجِ لِزَوْجَتِه ، وأنّ عَلَيْهِ أنْ يُقَارِنَ بَيْنَ المَحَاسِنِ والمَسَاوِي ، فإذا كَانَ مُنْصِفاً غَضَّ بَصَرَهُ عَنِ المَسَاوِي ، إذا كَانَتْ مَحَاسِنُها تَغْمُرُها ، لاضْمِحْلاَلِهَا فيها ، وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قالَ : قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً ، إنْ كَرِهَ مِنْهَا خلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ » رواه مسلم .

١٤

وأَمَّا الفرائضُ وَتَوْزِيعُ المالِ على الوَرَثَةِ فَقَدْ وَضَعَهُ اللهُ بِنَفْسِهِ ، بِحَسَبِ ما يَعْلَمُه مِنْ قُرْبٍ وَبُعْدٍ وَنَفْع ، وما هُوَ أَوْلَى بِبِرِّ العَبْدِ ، وَرتَّبهُ تَرْتِيْباً تَشْهَدُ لَهُ العُقولُ الصَّحِيْحَةُ بالحُسْنِ وَأَنَّه لَوْ وُكِلَ الأمرُ إلى آراءِ الناسِ وَأَهْوَائِهِمْ وإِرَادَاتِهِمْ ، لَحَصَلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنَ الخللِ والاختِلاَلِ ، وَزَوَالِ الانْتِظَام ، وسوءِ الاختيارِ فَوْضَى ، وَمِنْ جُمْلَةِ المَحَاسِنِ أَنَّ أُلحِقَ السَّبَبَ بالنَّسَبِ فالسَّببُ المُناكَحَةُ وَالوَلاَءُ ، وَلَمَّا جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَقْدَ النِّكَاحِ ذَرِيْعَةَ المَحبَّةِ والأُلفةِ ، والازْدِوَاجِ ، والاسْتِئْنَاسِ بَيْنَ النَّاسِ ، فَلاَ يَحْسُنُ أَنْ يَلْحَقَها عِنْدَ مَوْتِ أَحَدِهِمَا مَضَاضَةُ أَلمِ الفِرَاقِ ، مِن غَيْرِ أَنْ يَرْتَفِقَ أَحَدُهُما بِمَا فَضُلَ عَنْهُ نَوْعَ ارْتِفَاقٍ ، ثُمَّ جَعَلَ لِلزوجِ ضِعْفَ ما لِلْمَرأَةِ مِن الزَّوْجِ .

وَمِن جُمْلَةِ المَحاسِنِ أنه لَمْ يُوَرِّث عِنْدَ اخْتِلافِ الدِّيْنِ ، إذا مَاتَ المُسْلِمُ فالكافِرُ لا يُوَرَّثُ مِنْهُ ، لأنَّ الكافرَ وإن كان قَرِيْباً نَسَباً ، فهو بَعِيْدٌ دِيْناً ، لِأَنَّ

الكَافِرَ مَيِّتٌ لا يَرِثُ الميِّتَ ، قال الله تعالى ﴿ أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ ، وَجَعَلْنَا لَهُ نُوْراً يَمْشِيْ بِهِ فِي النَّاس ﴾ الآية ، وقال تعالى ﴿ يُخْرِجُ الحيَّ من الميِّتِ ، وَيُخْرِجُ الميِّتَ من الحيِّ ﴾ ، وأما الكافرُ فَيَرِثُ الكافرَ ، لاستواء حالَيْهما ومالَيْهما .

١٥ـ وأَما الهِبَةُ فَمُسْتَحَبَّةٌ ، إذا أُرِيْدَ بِهَا وَجْهُ الله ، والأَصلُ فيها قَبْلَ الاجْمَاعِ ـ قَوْلُه تعالى ﴿ فإن طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شيءٍ مِنْهُ نَفْساً، فَكُلُوه هَنِيْئاً مَرِيئاً ﴾ وَقَوْلُه ﴿ وآتَى المالَ عَلَى حُبِّه ﴾ والله سُبْحَانَهُ كَرِيْمٌ جَوَادٌ وهَّاب ، ومِنْ مَحَاسِنِهَا أَنَّها سَبَبٌ لِلتَّحابِّ والتَّوادِّ ، كَما في الحديث « تَهادَوْا تَحَابُّوا » ، ومِنْ مَحَاسِنِها أنَّهَا تَسُلُّ السَّخِيْمَةَ ، وفي الحديث « تَهادَوا فإن الهديَّة تَسُلُّ السَّخِيْمَةَ » ، وقَدْ أَهْدَى صلى اللهُ عليه وسلم لِلنَّجاشِيْ حُلَّةً ، وَأَواقِيْ مِنْ مِسْكٍ ، وكان صلى الله عليه وسلم يَقْبَلُ الهديَّةَ وَيُثِيْبُ عَلَيْها ، وَمِنْ مَحَاسِنِهَا أَنَّها تُقَوِّيْ الصِّلَةَ ، وَمَتَى قَوِيَتْ الصلةُ سارَتْ الأُمَّةُ بِقَدَمٍ ثابِتٍ ، فَحُسْنُ الصِّلةِ بَيْنَ أفرادِ الأُمَّةِ سِرُّ نَجَاحِها ، وَمِنْ مَحَاسِنِهَا وَفْرَةُ الثِّقَةُ بَيْنَ المُتَهَادِيْنَ ، إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِن المحاسن .

١٦ـ وأَمَّا النكاحُ فَمُسْتَحَبٌّ ، وَمَحَاسِنُه كَثِيْرَةٌ ، مِنْهَا تَحْصِيْنُ الفَرْجِ ، ومنها تَحْصِيْنُ الزَّوْجَةِ ، وَمِنْهُ حِفْظُها والقِيامُ بِهَا ، وَمِنْ مَحَاسِنِه أَنَّه طَرِيْقَةُ الرُسُلِ ، وَمِنْ مَحَاسِنِه تَكْثِيْرُ الأُمَّةِ ، وَتَكْثِيْرُ النَّسلِ ، ومنها تَحْقِيْقُ مُباهاةِ النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنها قَضَاءُ حَوَائِجِهِ مِنْ طَبْخٍ وَنَحْوِهِ ، ومنها حِفْظُ بَيْتِهِ وَأَوْلَادِهِ ومنها سُكُونُهُ وَطُمَأْنِيْنَتُه إِلَيْها ، واسْتِئْنَاسُهُ بِها ، وَمُعَاشَرَتُها وَغَيْرُ ذلك مِنَ المَصَالِحِ التي لا يَتَّسِعُ هَذَا المَقَامُ لِعَدِّهَا.

١٧ـ وَأَمَّا الطلاقُ فَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنْ جَعَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مُلْكَ الطلاقِ إلى الزَّوجِ ، وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنْ حَكَمَ بالحُرْمَةِ الغَلِيْظَةِ بَعْدَ الطَّلقاتِ الثلاثِ ، لِأَنَّ

الظاهِرَ أَنَّ مَنْ طَلَّقَ ثَلاثَاً رَأى الصلاحَ في الفِراقِ وَعَلَّقَ الشَّرْعُ حِلَّ المُطَلَّقةِ ثلاثاً بالتَّزْوِيْجِ بِزَوْجٍ آخَرَ ، والدُّخُوْلِ بها ، لِيَصِيْرَ هذا الشَّرْطُ مانِعاً لَهُ مِنَ العَوْدِ إِلَيْهَا ، وَيَثْبُتَ على رَأْيٍ مِنَ الصَّلاحِ في مُفارَقَتِها ، وَمِنَ المَحَاسِنِ أَنَّهُ لَمْ يَحْكُمْ بِحُرْمَتِها على وَجْهٍ لا رُجُوعَ فِيْهِ أَصْلاً ، فإِنَّهُ رُبَّما لا يَصْبِرُ عَنْهَا فَيَهْلِكُ في ذَلِكَ ، فالشَّرْعُ جَعَلَ لِلْوُصُولِ إليْهِ سَبِيْلاً ، لكن بَعْدَما يَذُوْقُ الآخَرُ عُسَيْلَتَها ، وَتَذُوْقُ عُسَيْلَتَهُ ، ولا يَجُوزُ عَنْ طَرِيْقِ التَّحْلِيْلِ ، لِحَدِيْث « لَعَنَ اللهُ المُحَلِلَ ، وَالمُحَلَلَ لَهُ » وَمِنْ مَحَاسِنِ الطلاقِ أَن يَكونَ في طُهْرٍ لَمْ يُجَامِعْها فِيْه ، هذا هُوَ السُّنةُ ، فإنه إذا قَضى وَطَرَهُ مِنْها ، إِنْتَقَصَ مَيْلُه إِلَيْهَا طَبْعاً ، فَيُبَادِرُ إلى مُفَارَقَتِها بِقَلِيْلِ داعِيَةٍ ، وَيَسِيْرِ أَذِيّةٍ ، فإِنَّ المَرْءَ إذا شَبِعَ مِنْ شَيءٍ سَقَطَ مِن عَيْنه ، وَهَانَ عَليه ، وإذا جَاعَ قَوِيَ ذَلِكَ في قَلْبِهِ فَلاَ يَحْصُلُ الطلاقُ عَنْ رَوِيَّةٍ ، وَرُبَّمَا يَنْدَمُ عَلَى ذَلِكَ ، فَيَحْتَاجُ إلى نَقْضِ الطلاقِ ، فَكَانَ الطلاقُ الحَسَنُ المَسنُونُ ، أَنْ يُطَلِّقَهَا في طُهْرٍ لَمْ يُجَامِعْهَا فِيْهِ ، فإِنَّ هَذِهِ الحَالُ حالةُ كَمالِ الرَّغْبَةِ ، وَتَمامِ المَيْلِ ، فالظَّاهِرُ أَنَّهُ لا يُقْدِمُ عَلَى الطَّلاقِ في هَذِهِ الحَالةِ ، إلا لِحَاجَةٍ داعيةٍ ، فَرُخِّصَ لَهُ في الطلاقِ .

١٨ـ وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنْ جَعَلَ هَزْلَهُ جِدّاً ، قَالَ صلى الله عليه وسلم « ثلاثُ جِدُّهنَّ جِدٌ ، وَهَزْلُهنَّ جِدٌ ، الطلاقُ والعَتَاقُ والنكاحُ فإذا عَرَفَ الانسانُ انَّه بِمُجَرَدِ تَلَفُظِهِ بِهِ ، وَلَوْ مَازِحاً يَقَعُ ، امْتَنَعَ بإذنِ اللهِ إذا كَانَ عَاقِلاً .

١٩ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ القِصاصِ ، وَفَرضِ العُقُوباتِ ، زَجْرُ النُفُوْسِ الباغِيةِ ، وَرَدْعِ القُلوبِ القاسِيَةِ ، الخَالِيَةِ مِنَ الرَّحمةِ والشَّفَقةِ وَمِنْ مَحَاسِنه تَأْدِيْبُ الجمَاعاتِ الطاغِيةِ ، فَحَكَمَ بِقَتْلِ القاتِلِ وأمَرَ بِقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ ، لِيَحْقِنَ الدِّمَاءَ ، قال تعالى ﴿ ولَكُم في القِصَاصِ حياةٌ ﴾ الآية ، والقَطْعُ

لِحِفْظِ الأَمْوَالِ ، فَيَعِيْشُ الناسُ آمِنِيْنَ مُطْمَئِنِيْنَ ، قال تعالى ﴿ والسارقُ والسارقةُ ، فاقْطَعُوا أَيْدِيْهُما جَزاءً بِمَا كَسَبا ، نكالاً مِنَ اللهِ ، والله عزيزٌ حَكِيْمٌ ﴾ وَحَرَّمَ الزِّنا ومُقدِّماتِهِ ، كالنَّظرِ إِلَى الأَجْنَبِيَّةِ ، والخَلْوَةِ بِها ، والقُبْلَةِ واللمْسِ وأَمَرَ بِرَجْمِ الزَّانِي ، وَقَتْلِ اللُّوْطِيِّ ، عَلَى رُؤ سِ الأَشْهَادِ وَحَكَمَ بِجَلْدِ الزَّانِي البِكْرِ ، مائَةَ جَلْدَة والتَغْرِيْبِ ، كلُّ ذَلِكَ مُحافَظَةً على الأَنْسَابِ ، والأَعْرَاضِ ، وحِمَايَة لِلأَخْلاَقِ ، وَصِيَانةً لِلأُمَّةِ مِنَ الفَنَاءِ والفَسَادِ ، وحَرَّمَ الخَمْرَ ، وَعَدَّهَا أُمَّ الخَبائِثِ ، وَحَكَمَ على مُتَعاطِيْها بالجَلْدِ ، لارتِكَابِهِ النَّقَائِصَ والخَسَائِسَ ، كلُّ ذلك لِيبْقى العَقْلُ سَلِيْماً ، وَيَظَلُّ المَالُ مَصُوْناً ، وَيدُومُ الشَّرَفُ والخُلُقُ طاهِراً نَقِيّاً .

شــعراً :

لَقَـدْ أَيقَظَ الإسْـلامُ لِلْمَجـدِ والعُلَى
بَصَـائِـرَ أَقْـوَامٍ عَـنِ الـمَجْـدِ نُـوَّمِ
فَـأَشْـرَقَ نُـورُ العِلْمِ مِنْ حُجُـرَاتِـهِ
عَلَى وَجْـهِ عَصْـرٍ بـالجَهَـالَـةِ مُـظْلِمِ
وَدَكَّ حُـصُـوْنَ الـجَـاهِلِيَّـةِ بـالـهُـدَىٰ
وَقَـوَّضَ أَطْـنَـابَ الضَّـلاَلِ الـمُـخَيِّـمِ
وَأَنْشَطَ بـالـعِـلْمِ العَـزَائِمَ وابْـتَـنَىٰ
لأَهْـلِيْـهِ مَـجْـداً لَـيْسَ بـالـمُـتَـهَـدِّمِ
وَأَطْـلَقَ أَذْهَـانَ الـوَرَى مِنْ قُيُـودِهَـا
فَـطَارَتْ بـأَفْكَـارٍ عَلَى المَجْـدِ حُـوَّمِ
وَفَـكَّ أُسَـارَ الـقَـوْمِ حَتّى تَـحَـفَّـزُوا
نُهـوضـاً إِلَى العَلْيَـآءِ مِنْ كُـلِّ مجْثِمِ

وَعَمَّا قَلِيلٍ طَبَّقَ الأَرْضَ حُكْمُهُمْ
بِأَسْرَعَ مِنْ رَفْعِ اليَدَيْنِ إلى الفَمِ

اللَّهم رَبِّ قُلُوبنا على مَحَبَّتِكَ وطاعَتِكَ وَثَبِّتْنا على قَوْلِكَ الثابتِ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ وألهِمْنا ذِكْرَكَ وشكرَكَ وآتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقنا عذابَ النارِ واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحمَ الراحمينَ وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فَصْــلٌ »

٢٠ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الإسلامِ الحَثُّ عَلَى المَشُوْرَةِ والأَخْذِ بِهَا ، مَتَى كَانَتْ صائِبَةً ، مُتَّفقةً مَعَ العَقْلِ والمَنْطِقِ والتَّجْرِبَةِ ، قال تعالى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنهم ﴾ .

٢١ـ وَمِنْ مَحَاسِنِه أنَّ أفْضَلَ الناسِ عِنْدَ اللهِ أَكْثَرُهُمْ صَلاحاً وَتَقْوى ، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ اكْرَمَكم عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم ﴾ .

٢٢ـ وَمِنْ مَحَاسِنِه الحثُّ على العِتْقِ ، وَتَحْرِيْرِ الأَرِقَاءِ ، وَالاحْسَانِ إلى المَمْلُوكِ .

٢٣ـ وَمِنْ مَحَاسِنِهِ الحَثُّ على الاحسانِ إلى الجَارِ والضَّيْفِ والمِسكينِ واليَتِيْمِ .

٢٤ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الاسلامِ أنَّه يَدْعُو إلى تَبَادُلِ الإلْفَةِ والمَحَبَّةِ ، والتَّصافِيْ والتَّعاوُنِ ، قال صلى الله عليه وسلم « المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كالبُنْيان ، يَشُدُّ بَعْضُه بَعْضاً » .

٢٥ـ وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنَّه يَذُّم النِّزَاعَ وَالكَرَاهِيَـةَ والتَّفْرِقَـةَ ، قال تعـالى ﴿ واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعاً وَلاَ تَفرَّقُوا ﴾ وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « المُؤْمِنُ لِلْمُؤمِنِ كالبُنْيَانِ ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضَاً » .

٢٦ـ وَمِنْ مَحَاسِنِهِ النَّهيُ عَنِ النَّمِيْمَةِ والغِيْبَةِ ، والحَسَدِ والتَّجَسُسِ ، والكَذِبِ والخِيَانَةِ ، والآياتُ والأَحَادِيْثُ الدَّالةُ على ذَلِكَ كَثِيْرَةٌ جِداً ، فَتَذَكَّرْ لَهَا تَجِدْهَا .

٢٧ـ وَمِنْ مَحَاسِنِهِ النَّهيُ عَنِ الظُّلمِ ، وَالأَمْرِ بالعَدْلِ ، مَعَ القَرِيْبِ والبَعِيْدِ ، قال تعالى ﴿ يا أيْها الذين آمنوا كُونوا قوَّامين للَّهِ شُهَدَاءَ بالقِسْطِ ، ولا يَجْرِمَنَّكم شَنئآنِ قومٍ على أنْ لاَ تَعْدِلوا اعْدِلُوا ﴾ وقال ﴿ إن اللَّه يأمُرُ بالعَدْلِ والاحسانِ ﴾ .

٢٨ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الاسلامِ الحثُ عَلَى العَفْوِ عَنِ المُعْتَدِي ، قال تعالى ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ وقال ﴿ ادْفَع بالَّتي هِيَ أَحْسَن ﴾ وقال ﴿ وإن تَعْفُوا أَقْرَبُ للتَّقوى ﴾ .

٢٩ـ وَمِنْ مَحَاسِنِه الدَّعوةُ إلى الصُّلْحِ بَيْن الأخَـوَيْنِ ، والنَّهيُ عن الهُجْرَانِ ، قال تعالى ﴿ إنَّما المؤْمِنُونَ إخْوَةٌ ، فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُم ﴾ وقال ﴿ والصُّلْحُ خَيْر ﴾ .

٣٠ـ وَمِنْ مَحَاسِنِهِ النَّهيُ عَنِ التَّقَاطُعِ والتَّدابُرِ ، والتَّبَاغُضِ والتَّحَاسُدِ ، قال صلى الله عليه وسلم « لا تَقَاطَعوا ولا تَدَابَروا ، ولا تَبَاغَضُوا ولا تَحَاسَدُوا » الحديث .

٣١ـ وَمِنْ مَحَاسِنِهْ النهيُ عَنِ الاسْتِهْزاءِ بالناس ، وَذِكْرِ عُيُوبِهم قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ و الآية .

شعـــــرا :

إذا ما ذَكَرَتَ الناسَ فاترك عُيُوبَهُمْ   فَلا عَيْبَ إلّا دُوْنَ مَا مِنْكَ يُذْكَرُ
فإنْ عِبْتَ قَوماً بالذيْ هُوَ فِيهِمُ   فَذَلِكَ عِنْدَ اللهِ والناسِ مُنْكَـرُ

٣٢ـ وَمِنْ مَحَاسِنِه النَّهيُ عن بَيْعِ الانسانِ على بَيْعِ أخِيْهِ ، والخِطْبَةِ على خِطْبَتِهِ ، إلا أن يَأْذَنُ أَوْ يُردَّ ، لِمَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِك مِن العَدَاوةِ والتَّقاطُعِ .

٣٣ـ وَمِنْ مَحَاسِنِهِ مَشْرُوْعِيَّةُ السلامِ عَلَى المُسْلِمِ ، عَرَفَهُ أَوْ لَمْ يَعْرِفْهُ . وَمِنْ مَحَاسِنِهِ الأَمْرُ بِردِّ التَّحِيَّةِ بأحْسَن مِنْها أو رَدِّهَا قال تعالى ﴿ وإذا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّها ﴾ الآية .

٣٤ـ وَمِنْ مَحَاسِنِه الأَمرُ بالتَّثَبُّتِ فِيْمَا نَسْمَعُه ، قال تعالى ﴿ يا أَيُّها الذِيْنَ آمَنُوا إن جَاءَكم فاسِقٌ بنبأٍ فَتَبَيَّنُوا ، أَنْ تُصِيْبُوا قَوماً بِجَهَالَةٍ ، فَتُصْبِحُوا عَلَى ما فَعَلْتُم نَادِمِيْن ﴾ وقال ﴿ ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ الآية .

٣٥ـ ومن مَحَاسِنِهِ النَّهْيُ عَنِ البَوْلِ في الماءِ الرَّاكِدِ ، وفي ذَلِكَ العِنَايَةُ بالنَّاحِيَةِ الصِّحيَّةِ ، والوقايةُ مِنَ النَّجاسَةِ والأمراضِ بإذنِ اللهِ .

٣٦ـ ومن محاسنه النَهي عن ايذاء المؤمنين والاضرار بهم ، قال تعالى ﴿ والَّذِيْنَ يُؤْذُونَ المؤمِنِيْنَ والمؤمنَاتِ بِغَيْرِ ما اكْتَسَبُوا، فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وإثْماً مُبِيْناً ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم « من أَكَلَ الثُّومَ والبَصَلَ والكُرَّاثَ ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا ، فإن الملائكةَ تَتَأذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدم » .

٣٧ـ وَمِن مَحَاسِنِه النَهيُ عَنِ الأَكْلِ بالشِّمالِ ، والشُّرْبِ بِهَا ، لِأَنَّها لإزالَةِ ما يُسْتَقْذَرُ ، ولأنَّ الشَّيْطانَ يَأْكُل بِشِمَالِهِ ، كَمَا في الحديث .

٣٨ـوَمِنْ مَحَاسِنِه الأَمْرُ باتِّبَاعِ جنازة المسلم ، لِمَا في ذَلِكَ مِن الدُّعَاءِ والتَّرحُمِ عَلَيْهِ ، والصلاةِ عَلَيْه ، وجَبْرِ خَواطِرِ أَهْلِهِ المؤمنين .

٣٩ـ ومِن مَحَاسِن الاسلامِ تَشْمِيْتِ العاطِسِ ، وإبرارِ المقسِمِ ، لِمَا في ذَلِكَ مِنَ التَّآلُفِ والتَّآخِي ، والدُعَاءِ لأخِيْكَ بالرَّحْمَةِ ، وَلِمَا في إبرارِ القَسَمِ مِنْ جَبْرِ خَاطِرِه ، وإجَابَةِ طَلَبِه ، ما لَمْ يَكُنْ فِيْهِ شَيْءٌ مِنْ مُخَالَفَةِ الشَّرْعِ .

٤٠ـ وَمِنْ مَحَاسِنِه إجَابَةُ دَعْوَتِهِ ، وَلاَ سِيَّما إذا كَانَ لِعُرْسٍ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيْهَا مَا يُخَالِفُ الشَّرِيْعَةَ ، أو يُخلُّ بالمَرُوءَةِ والانْسَانِيَّةِ كما تَرَاه اليومَ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ مِنَ الملاهِيْ والمنكَرَاتِ ، لأنَّ في حُضُورِه والحَالَةُ هَذِهِ تَشْجِيْعٌ لِلْفَسَقَةِ وَأهْلِ المُجُونِ ، وإعانَةٌ على نَشْرِ المَعَاصِيْ ، وَعَدَمِ المبالاةِ فيها فإن كان يَقْدُر على إنْكَارِ المنكرِ كإزَالَةِ التلفزيون ونحوه حَضَرَ وأزَالَهُ وَإلّا امْتَنَعَ.

٤١ـ وَمِن مَحَاسِنِ الدِّينِ الاسلاميِّ أنَّه حَرَّمَ عَلَى المُسْلِمِ تَرْوِيعَ أخِيْهِ المُسْلمِ ، إما بإخْبَارِهِ بِخَبَرٍ يُفْزِعُهُ ، أوْ يُشِيْرُ إلَيْهِ بِسِلَاحٍ ، أو نَحْوِ ذَلِكَ . .

٤٢ـ وَمِن مَحَاسِنِ الدِيْنِ الاسلامي أنه نَهَى عَنْ تَشَبُّه الرِّجالِ بالنِسَآءِ ، وبالعَكْسِ بأن تَتَشَبَّهَ النسَآءُ بالرِّجَالِ ، لِمَا في ذَلِكَ مِنَ المَفَاسِدِ ، التي مِنْها التَّخَنُّثُ فِيْمَن يَتشبَّه بِهِنَّ ، في مَلَابِسِهِنَّ وَحَرَكَاتِهِنَّ وَكَلَامِهِنَّ ، كَمَا هُوَ مَوْجُودٌ عِنْدَ بَعْضِ المُنْحَلِّيْن ، المَغْرُوْرِيْن أصْحَاب الخَنَافِس والتواليتات مَحْلُوقِي اللِّحَا .

٤٣ـ وَمِنْ مَحَاسِن الاسلام اتِّقاءُ مَوَاضِعِ التُّهَمِ والرِّيَبِ ، كَيْ يَصُونُ ألْسِنَةَ النَّاسِ وَقُلُوبَهُم عن سُوْءِ الظَّنِ بِهِ ، وَوَرَدَ أنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِي صلى اللهُ عليهِ وسلم جَاءَتْ تَزُورُه وَهُوَ مُعْتَكِفٌ ، فَقَامَ مَعَهَا مُوَدِّعا ، حَتَّى بَلَغَتْ بَابَ المَسْجِدِ ، فَرَآهُ رَجُلَانِ مِن الأنصارِ ، فَسَلَّما عَلَيْهِ ، فقال « عَلَى رِسْلِكُما ، إنَّما هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ » فقَالَا : سُبْحانَ اللهِ يا رسولَ اللهِ ؟ وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الانسانِ مَبْلَغَ الدمِ ، وإنِّي خَشِيْتُ أنْ يَقْذِفَ في قُلُوبِكُما شَيْئاً » فَهَذَا أشْرَفُ الخَلْقِ وأزْكَاهُم ، أبْعَدَ التُّهْمَةَ والشَّكَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنه : مَنْ أقَامَ نَفْسَهُ مَقَامَ التُّهَم ، فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أسَاءَ بِهِ الظَّنَ ، وَمَرَّ عُمَرُ بِرَجُلٍ يُكَلِّمُ إمْرَأتَه على ظَهْرِ

الطرِيقِ ، فَعَلاهُ وَضربَه بالدُّرةِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا أَمِيْرَ المؤمنينَ إنها امْرَأَتِي . فقال عُمَرُ : هَلاَّ كَلَّمْتها حَيْثُ لاَ يَراكَ أحدٌ مِنَ النَّاسِ .

فالإسلام من مَحَاسِنِه الابْتِعَادُ عَنْ مَوَاضِعِ التهم والشُّبُهاتِ ، فَكَيْفَ لَوْ رَأى مَنْ تَدْخُلُ على الخَيَّاطِ ، يُفصِّلُ على بَدَنِهَا وَحْدَهُ ، خَالِياً بِهَا ، أَوْرَأى مَنْ تَدْخُلُ على المُصَوِّرِ وَحْدَها ، أَوْ رَأَىْ مَنْ تَرْكَبْ مَعَ مَنْ لَيْسَ مَحْرَماً لَهَا ، أَوْ سَافَرَتْ مُسْلِمَةٌ إلى بِلادِ الكُفْرِ بِدُوْنِ مَحْرَمٍ ، أَوْ دَخَلَتْ عَلَى الدُّكْتُوْرِ وَحْدَهَا باسم الكَشْفِ الطِّبِيْ ، أو نَحْو ذَلِكَ ، مِمَّا حَدَثَ في زَمَنِنَا الَّذِيْ كَثُرَتْ فيه الفِتَنْ ، وَقَلَّ فِيْهِ الأَمْرُ والنَّهْيُ ، وَرَدْعُ أَهْلِ الشَّرِ والفَسَادِ الذِيْنَ قَوِيَتْ شَوْكَتُهُم ، وَسَانَدَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَكْسَ ما عَلَيْهِ أهلُ الخَيْرِ والصَّلاحِ ، مِنَ التَّفَكُّك والتَّخَاذُلِ والمُصَانَعَاتِ ، فالله المستعان .

أَيَـا عُـلَمَـاءُ الـدِّيْنِ مَـالِـيْ أَرَاكُـم
تَـغَـاضَيْتُم عَـنْ مُـنْـكَـرَاتِ الأَوَامِـرِ
أَمَا الأَمْرُ بـالمَعْرُوفِ والنَّهْيُ فَـرْضُكُم
فَـأَعْـرَضْتُمُ عَنْ ذَاكَ إِعْـرَاضَ هَـاجِـرِ
أَمَـا أَخَـذَ الـمِيْثَـاقَ رَبِّيْ عَـلَيْكُـمُ
بِـأَنْ تَنْصَحُوا بـالحَقِّ أَهْـلَ المَنَـاكِـرِ
فَـإِنْ هُمُ عَصَوْكُمْ فَـاهْجُرُوُهُم وَهَـاجِـرُوا
تَنَـالُوا بِنَصْـرِ الـدِّيْنِ أَجْـرَ المُهَـاجِـرِ
إِذَا كَـانَ هَـذَا حَـالُ قَـاضٍ وَعَـالِمٍ
وَحَـالُ وَزِيْـرٍ أَوْ أَمِـيْـرٍ مُـظَاهِـرِ

وَلَمْ تَنْتَهُوا عَنْ غَيِّكُمْ فَتَرَقَّبُوا
صَوَاعِقَ قَهَّارٍ وَسَطْوَةَ قَاهِرِ
فَمَا اللّه عَمَّا تَعْمَلُوْنَ بِغَافِلٍ
وَلَكِنَّه يُمْلِيْ لِطَاغٍ وَفَاجِرِ
وَقَدْ أَرْسَلَ الآيَاتِ مِنْهُ مُخَوِّفاً
وَلَكِنْ غَفَلتُم عَنْ سَمَاعِ الزَّوَاجِرِ
أَجِيْبُوا عِبَادَ اللّهِ صَوْتَ مُنَاصِحٍ
دَعَاكُمْ بِصَوْتٍ مَالَهُ مِنْ مُنَاصِرِ
وَقُوْمُوا سِرَاعاً نَحْوَ نَصْرَةِ دِيْنِكُمْ
إذا رُمْتُمُ في الحشْرِ غُفْرَانَ غَافِرِ
وَحُسْنُ خِتَامِ النَّظْمِ أَزْكَى صَلاَتِنَا
عَلَى المُصْطَفَى والآلِ أَهْلِ المَفَاخِرِ

اللّهمَّ بارِكْ في أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَنَوِّرِ قُلُوبِنَا وَأَصْلِح ذَاتَ بَيْنِنَا وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا واهدِنَا سُبُلَ السَّلامِ وَنَجِّنَا مِنَ الظُلُمَاتِ إلى النور وَجَنِّبْنَا الفواحشَ ما ظهرَ مِنْها وَمَا بَطنَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المسلمينَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرحَمَ الراحمين اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا بعبادك الصالحين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وأجمعين .

« فَصْلٌ »

٤٤ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الاسلام أنَّ الانسانَ إذا ابْتُلِيَ بِشِرِّيْرٍ مِنَ الأَشْرَارِ ، أَوْ فَاجِرٍ مِنَ الفُجَّارِ ، أَوْ مُحِبٍ لِلإِجْرامِ ، يَنْبَغِي أَنْ يَحْذَرَهُ وَيَبْتَعِدَ عَنْ شَرِّهِ، وَيُدَارِيْهِ وَيَتَجَنَّبَه مَا أَمْكَن ، قال أَبُو الدَّرداءِ : إِنَّا لَنَبُشُّ في وُجُوهِ قَوْمٍ ، وإِنَّ

قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهم ، وَمَعْنَى هَذَا مُدَاراةَ الأشرارِ الذينَ لا تَقْدِرُ عَلَى رَدْعِهِمْ ، والانكارِ عَلَيْهِمْ ، لِخوفِكَ مِنْ شَرِّهِمْ وَأَذِيَّتِهِمْ ، وَإِجْرَامِهِمْ ، وَتُنْكِرُ بِقَلْبِكَ .

٤٥ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الاسلامِ الأمرُ بإصلاح ذاتِ البَيْنِ ، والأدِلَّةُ عَلى ذلك مِنَ الكِتَابِ والسُّنَةِ كثيرةٌ مُتَظَاهِرَة .

٤٦ـ وَمِن مَحَاسِنِهِ الأمرُ بِسَترِ عَوْراتِ المُسلمينَ ، وَعُيُوبِهم ونَقَائِصِهم ، قال صلى اللّه عليه وسلم « وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللّه » وقال صلى اللّه عليه وسلم « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِه ، وَلَمْ يَدْخُلِ الإيمانُ قَلْبَه ، لا تَغْتَابُوا المسلمين ، ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهم » الحديث وتقدم .

٤٧ـ ومِنْ مَحَاسِنِ الاسلامِ ادْخَالُ السُرُورِ على قَلْبِ المُسْلِمِ ، وَمُسَاعَدَةِ المُحْتَاجِ ، قال صلى اللّه عليه وسلم « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكم حتَّى يُحِبَ لأخِيْهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِه » وقال « وَمَنْ كانَ في حَاجَة أخيه ، كان اللّه في حَاجَتِهِ » .

٤٨ـ وَمِن مَحَاسِنِ الاسلامِ تَوْقِيْرُ المُسلمِ ، ولاسِيما ذِي الشَّيْبَةِ ، وَرَحْمَةُ الصِّبْيَان ، قال صلى اللّه عليه وسلم « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوقِرُ كَبِيْرَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيْرَنا » وقال صلى اللّه عليه وسلم « إنَّ مِنْ إجْلَالِ اللَّهِ إكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ » الحديث .

٤٩ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الاسلامِ النَّهيُ عَنِ الفُحشِ ، وَبَذَاءَةِ اللِّسَانِ ، قال صلى اللّه عليه وسلم « لَيْسَ المؤمِنُ بالطَّعانِ ، ولا اللَّعَّانِ ، ولا الفاحِشِ ، ولا البَذِيْ » .

٥٠ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الإسلام النَّهْيُ عن التَّكَلُّمِ سِرَّاً بَيْن اثْنَينِ ، مَعَ وُجُودِ ثالثٍ ، مِنْ أَجْلِ أنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُ الثَّالثَ ، فَيظُنُ أَنَّهُمْ يَتَنَاجَوْنَ بِهِ ، فهذا يُنَافِي الأدَبَ ، وكذلك لَيْسَ مِن الأدَبِ أَنْ تَتَحدَّثَ بِلُغَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ ، إذا كَانَ هُنَاكَ مَنْ لَا

يَعْرِفُها ، قال صلى اللّه عليه وسلم « إذا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُوْنَ الآخَرِ ، حَتَّى تَخْتَلِطُوْا بالنَّاسِ ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ » .

٥١ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّين الاسلامِيّ أَنْ لاَ يَتَدَخَّلَ الانْسَانُ فِيْمَا لاَ يَعْنِيْهِ ، وَهَذِهِ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ صلى اللّهُ عليه وسلم ، كَمَا في الحديث « مِنْ حُسْنِ اسلامِ المرءِ تَرْكُه ما لا يَعْنِيْه » أَخَذَهُ بَعْضُهُمْ وَصَاغَهُ بِعِبَارَةِ : (ابْحَثْ عَنْ عَمَلِكَ الخَاصِّ) . وَلَوْ تَتبَّع المُسْلِمُون ارشادَاتِ نَبِيِّهم، وَنَصائِحِه صلى اللّهُ عليه وسلم ، لاسْتَرَاحُوا وَأَرَاحُوا غَيْرَهُم ، ولو تَتَبَّعْتَ أَكْثَرَ المَشَاكِلَ ، والمُنَازَعَاتِ والمُخَاصماتِ والمُجَادَلات ، لَوَجَدْتَ سَبَبَها الوَحِيْدَ التَّدخُّلُ فِيْمَا لا يَعْنِي .

٥٢ـ وَمِن مَحَاسِن الدِّيْن الاسلامِي النَّهْيُ والتَّحْذِيْرُ عن الجُلُوسِ في الطُرقَاتِ ، لِمَا في ذَلِكَ مِن التَّعَرُّضِ لِمَا لاَ يَنْبَغِيْ ، وَلِمَا يَلْزَمُ الانسانَ القِيامُ بِهِ وَرُبَّما لَمْ يَقُم به مِنَ الأمْرِ بالمَعْرُوْفِ ، والنهيِ عن المُنْكَرِ ، وَنَصْرِ المظلومِ ، وَرَدْعِ الظالمِ ، وَذَلِكَ نَصْرُهُ ، واعانةِ المُسلمِ ، وَغَضِّ البصرِ ، وردِّ السلامِ ، وكفِّ الأَذَى .

٥٣ـ وَمِن مَحَاسنِ الدينِ الاسلامي أنَّ مَن استعاذَنَا باللَّه عَلَيْنا أَنْ نُعِيْذَهُ ، وأنَّ مَنْ سَأَلَنَا باللَّه نُعطِيَهُ ، وَنُكَافِيءَ مَن صَنَعَ إِلَيْنا مَعْرُوْفاً إن اسْتَطَعْنَا ، فإن لَمْ نَسْتَطِع نَدْعُو لَهُ أَنْ يَجْزِيَه اللَّهَ جَزَاءً حَسَناً ، على ما أَسْدَاهُ إِلَيْنا مِنَ المَعروفِ ، عَمَلاً بالحديث « مَنْ اسْتَعَاذَكُم باللَّه فَأَعِيْذُوه » الحديث

اللّهُمَّ إنَا نَسألُكَ باسْمِكَ الأَعْظَمِ الأَعَزِ الأَجَلِ الأَكرمِ الذي إِذَا دُعِيْتَ بِهِ أَجَبْتَ ، وإِذَا سُئِلْتَ بِهِ اعْطَيْتَ ، ونَسْأَلُك بوجَهِكَ الكَرِيم أَكْرَمَ الوُجُوه وأَعَزَّ الوُجُوه ، يا مَنْ عَنَتْ لَهُ الوُجُوْهُ وخَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ ،

وخَشَعَتْ لَهُ الأَصْوَاتُ ، يَا ذَا الجَلال والإكرام ، يَا حَيُّ يا قَيُّوم يا مَالِكَ الملك يا مَن هُو على كل شيء قدير ، وبكُـلِّ شيءٍ عَلِيم ، وبكـل شيءٍ مُحِيْط ، يا مَن لا يَعْزُبُ عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلـك ولا أكـبر إلا في كتابٍ مبين ، نسألُكَ أن تَغْفِر سَيئآتِنَا وتُبَدِّلْهَا بِحَسَنَات يا أكرم الأكرمين وأجْوَدَ الأجودين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فَصْــلٌ »

٥٤ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّيْنِ الاسلامِي أَنْ تُنْصِفَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَأَنْ تُحِبَّ للنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَتَضَعَ نَفْسَكَ مَوْضِعَ إخوانَك المسلمينَ ، وتُعَامِلُهُم المُعَامَلَةَ التي تُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوكَ بها ، وَتُؤَدِّي حُقُوقَهُم ، قال صلى الله عليه وسلم « لا يَسْتَكْمِلُ العبدُ الايمانَ حَتَّى يكونَ فيه ثلاثُ خِصَالٍ ، الانفاقُ مِنَ الإقْتَارِ ، والإنصافُ مِنْ نَفْسِهِ ، وبذلُ السَّلامِ » وقال تعالى ﴿ وَيُؤْثِرُونَ على أَنْفُسِهِم ، ولو كانَ بِهِمْ خَصَاصَة ﴾ . وقال صلى الله عليه وسلم « طَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الثَّلاثَةَ » إلى آخرِ الحديث ، وفي الحديث الآخر « ومَنْ كانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ ، فَلْيُعِد بِهِ على مَنْ لَا ظَهْرَ لَه ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ ، فَلْيُعِد بِهِ على مَنْ لَا زَادَ لَه » فَذَكَرَ مِن أَصْنَافِ المالِ ما ذَكَر ، قال أبو سَعِيْد : حَتَّى رَأَيْنَا أنَّه لا حَقَّ لِأَحدٍ مِنَّا في فَضْل . رواه مُسلم .

٥٥ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الاسلام ، وأخلاقِهِ السَّامِيَةَ ، أَنْ يَصُونَ الانسانُ عِرضَ أَخِيْهِ المسلم ، وَنَفْسَه وَمَالَهُ ، مِنْ ظُلمٍ أصابَه بقدرِ استِطَاعَتِه ، وَيَرُدَّ عَنْه الظلمَ والعُدوانَ ، وَيُدافِعَ وَيُنَاضِلَ عَنْهُ حَسَبَ قُدْرَتِهِ ، فَرَوَى أَبُو الدرداءِ رَضِيَ الله عنه أنَّ رَجُلاً نَالَ مِنْ رَجُلٍ عِنْدَ رَسولِ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم ،

فَرَدَّ عَنْهُ رَجُلٌ ، فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم « مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أخِيْهِ ، كانَ لَهُ حِجَاباً مِنَ النَّارِ » وَوَرَدَ عنه صلى اللّه عليه وسلم أنّه قَالَ « مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أخِيْهِ ، رَدَّ اللّه عَنْ وَجْهِهِ النارَ يَوْمَ القيامةِ » رواه الترمذي .

٥٦ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الاسلام الأَمْرُ بالتَّوَسُطِ بَيْنَ البُخْلِ والاسْرَافِ ، قال تعالى ﴿ ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ ، ولا تَبْسُطْهَا كلَّ البَسْطِ ، فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴾ وقال ﴿ والذين إذا أنْفَقُوا لم يُسْرِفُوا ، ولم يَقْتُروا ، وكانَ بَيْنَ ذلكَ قَوَاماً ﴾ بَيْنَ تَبْذِيْرٍ وبُخْلٍ رُتْبَةٌ وَكِلاَ هَاذَيْنِ إنْ زادَ قَتَلْ .

٥٧ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الاسلامِ الحَثُّ على الصَّبرِ بِأنْواعِهِ الثلاثةِ ، الصَّبرِ على طاعةِ اللّهِ حَتَّى يُؤدِيَها ، والصَّبرِ عَنْ مَعْصِيَةِ اللّهِ حَتَّى يَتْرُكَهَا ، والصَّبْرِ على اقْدَارِ اللّهِ المُؤْلِمَةِ .

٥٨ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الاسلامِ العَطْفُ عَلَى الضُّعَفَاءِ ، والشَّفَقَةِ على الفُقَرَاءِ ، والرأفةِ باليَتَامَى ، والخَدَمِ والعَبِيْدِ والإماءِ ، والإحسانِ إلَيْهِم ، وَدَفعِ الأَذى عَنْهم ، وَحُسْنِ مُعَامَلَتِهِم ، والتَّواضُعِ مَعَهُم ، وَمُلاَطَفَتِهِم وَخَفْضِ الجَنَاحِ لَهُم ، وَلِيْنِ الجانِبِ مَعَهُمْ ، قالَ تعالى لرسوله صلى اللّه عليه وسلم ﴿ واخْفِضْ جَنَاحَك لِلْمُؤْمِنِيْنَ ﴾ وقال ﴿ واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الذِيْنَ يَدْعُونَ رَبَّهم بالغداةِ والعَشيِّ ، يُرِيْدُونَ وَجْهَهُ ﴾ وقال ﴿ فَأَمَّا اليَتِيْمَ فلا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فلا تَنْهَر ﴾ وقال ﴿ أرَأَيْتَ الذي يُكَذِبُ بالدِّينِ ، فَذَلِكَ الذي يَدُّعِ اليَتِيْمَ ، ولا يَحُضُّ على طَعَامِ المسكِينِ ﴾ وقال ﴿ وما أدْرَاكَ ما العقبةَ ؟ فَكُّ رَقَبَةٍ ، أوْ إطعامٌ في يَومٍ ذِيْ مَسْغَبَةٍ ، يَتِيْماً ذا مَقْرَبَةٍ ، أوْ مِسْكِيْناً ذا مَتْرَبَةٍ ﴾ وقال ﴿عَبَسَ وَتَوَلّى ، أن جَاءَهُ الأَعْمَى ، وما يُدْرِيْكَ لَعَلَّه يَزَّكّى ﴾ الآية .

٥٩ـ وَمِن مَحَاسِنِ الدينِ الاسلامى الرَّأفَةُ والرَّحْمَةُ والشَّفَقَةُ ، لَا القَسْوَةُ

والغِلْظَةُ والتَّعْذِيْبُ ، حتى في حَقِّ الحَيَوَانَاتِ البَهِيْمَيَّةِ ، عن ابن عمر رضي الله عَنْهما أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال « عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ في هِرَّةٍ سَجَنَتْها حَتَّى مَاتَتْ ، فَدَخَلَتْ فِيها النارَ ، لا هِيَ أَطْعَمَتْها وَسَقَتْهَا ، ولا هِيَ تَرَكَتْها تأْكُلُ مِن خَشَاشِ الأَرضِ » متفق عليه .

وَرَوَى الشَّيْخانِ وَغَيْرُهما مَرْفُوعاً « أَنَّ رَجُلاً دَنا مِنْ بِئْرٍ فَنَزَلَ وشَرِبَ مِنْها ، وَعَلى البِئْرِ كَلْبٌ يَلْهَثُ مِنَ العَطَشِ ، فَرَحِمَه فَنزَعَ أحَدَ خُفَّيْهِ فَسَقَاهُ ، فَشَكَرَ اللَّه لَهُ ذَلك فَأَدْخَلَه الجَنَّةَ » .

وروى مُسلمُ وَغَيْرُه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ على حِمَارٍ قَدْ وُسِمَ في وَجْهِهِ فقال « لَعَنَ اللَّهُ الذي وَسَمَهُ » .

شِـــعْراً :

أَنَــا الـعَبْــدُ الــذي كَسَبَ الــذُّنُــوبَــا
وَصَــدَّتْــهُ الأَمَــانِــيْ أَنْ يَــتُــوْبَــا

أَنَــا الـعَبْــدُ الــذِيْ أَضْـحَى حَــزِيْـنــاً
عَــلَى زَلاَّتِــهِ قَــلِقَــاً كَئِــيْــبَــا

أنــا الــعَــبْــدُ الــذي سُــطِرَتْ عَــلَيــهِ
صَحَائِفَ لَـمْ يَخَـفْ فِيْـهَـا الـرَّقِـيْـبَـا

أَنَــا الـعَبْــدُ الـمُسِـيْءُ عَـصَيْـتُ سِــرَّاً
فَـمَــا لِـي الآنَ لاَ أُبْــدِي الــنَّحِــيْـبَــا

أَنَــا الـعَبْــدُ الـمُفَــرِطُ ضَــاعَ عُـمْــرِي
فَــلَمْ أَرْعَ الـشَّــبِـيْـبَــةَ وَالـمَـشِـيْـبَـا

أَنـا الـعَـبْـدُ الـغَـرِيْقُ بِـلُجِّ بَـحْـرٍ
أَصِـيْـحُ لَـرُبَّـمـا أَلْـقَى مُـجِـيْـبَـا

أَنـا الـعَبْـدُ السَّقِيْمُ مِنَ الـخَـطَايَـا
وَقَـدْ أَقْـبَـلْتُ الـتَـمِسُ الـطَّبِـيْـبَـا

أَنَـا الـعَـبْـدُ الـمُـخَـلَّفُ عَنْ أُنَـاسٍ
حَـوَوْا مِنْ كُـلِّ مَـعْـرُوفٍ نَـصِيْـبَـا

أَنَـا الـعَبْـدُ الشَّـرِيْـدُ ظَلَمْتُ نَفْسِيْ
وَقَـدْ وَافَـيْـتُ بَـابَـكُـم مُـنِـيْـبَـا

أَنَـا الـعَـبْـدُ الفَـقِيْـرُ مَـدَدْتُ كَفِّـي
إِلَـيْـكُم فَـادْفَـعُـوا عَنِّي الـخُـطُوبَـا

أَنَـا الـغَـدَّارُ كَـمْ عَـاهَـدْتُ عَـهْـداً
وَكُـنْـتُ عَـلَى الـوَفَـاءِ بِـهِ كَـذُوبَـا

أَنَـا الـمَـقْـطُوعُ فَـارْحَـمْـنِي وَصِلْنِي
وَيَـسِّـر مِـنْـكَ لِـيْ فَـرَجَـاً قَـرِيْـبـا

أَنَـا الـمُـضْـطَرُّ أَرْجُـو مِـنْـكَ عَـفْـواً
وَمَـنْ يَـرْجُـو رِضَـاكَ فَلَنْ يَـخِيْـبـا

فَـيَـا أَسَفَـيْ عَلَى عُـمْـرٍ تَـقَـضَّى
وَلَـمْ أَكْـسِـبْ بِـهِ إِلَّا الـذُّنُـوبَـا

وَأَحْـذَرُ أَنْ يُـعَـاجِـلُنِـيْ مَـمَـاتٌ
يُـحَـيِّـرُ هَـوْلُ مَـصْـرَعِـهِ اللَّبِـيْـبَـا

وَيَا حَزْنَاهُ مِنْ حَشْرِيْ وَنَشْرِيْ
بِيَوْمٍ يَجْعَلِ الولدانَ شِيْبَا
تَفَطَّرَتْ السماءُ بِهِ وَمَارَتْ
وَأَصْبَحَتِ الجِبَالُ بِهِ كَثِيْبَا
إِذَا مَا قُمْتُ حَيْرانَاً ظَمِيْئاً
حَسِيْرَ الطَّرْفِ عُرْيَاناً سَلِيْبَا
وَيَا خَجْلاَهُ مِنْ قُبْحِ اكْتِسَابِي
إذا مَا أَبْدَتِ الصُّحُفُ العُيُوْبَا
وَذِلَّةُ مَوْقِفٍ وَحِسَابُ عَدْلٍ
أَكُونُ بِهِ عَلَى نَفْسِيْ حَسِيْبَا
وَيَا حَذْرَاهُ مِنْ نَارٍ تَلَظَّى
إِذَا زَفَرَتْ وَأَقْلَقَتِ القُلُوْبَا
تَكَادُ إذا بَدَتْ تَنْشَقُّ غَيْظَاً
على مَن كان ظَلَّاماً مُرِيْبا
فَيَا مَنْ مَدَّ فِيْ كَسْبِ الخَطَايَا
خُطَاهُ أَمَا يَأْنِيْ لَكَ أَنْ تَتُوْبَا
أَلَا فَاقْلِعْ وَتُبْ واجْهَد فَإِنَّا
رَأَيْنَا كُلَّ مُجْتَهِدٍ مُصِيْبَا
وَأَقْبِلْ صَادِقاً في العَزْمِ وَاقْصُدْ
جَنَابَاً لِلْمُنِيْبِ لَهُ رَحِيْبَا
وَكُنْ لِلَّصَالِحِيْنَ أَخَاً وَخِلَّاً
وَكُنْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرِيْبا

وَكُـنْ عَـنْ كُـلِّ فَـاحِـشَـةٍ جَـبَـانـاً
وَكُـنْ فِي الـخَـيْـرِ مِـقْـدَامـاً نَـجِـيْـبَـا

وَلَاحِظْ زِيْـنَـةَ الـدُّنْـيَـا بِـبُـغْضٍ
تَـكُـنْ عَـبْـداً إلى الـمَـوْلَى حَـبِـيْـبـا

فَـمَـنْ يَـخْـبُـرْ زَخَـارِفَـهـا يَـجِـدْهَـا
مُـخَـالِـبَـةً لِـطَالِـبِـهَـا خَـلُوْبَـا

وَغُضَّ عَـنِ المَـحَـارِمِ مَـنـكَ طَـرْفـاً
طَـمُـوحـاً يَـفْـتِـنُ الـرَّجُـلَ الأَرِيْـبَـا

فَـخَـائِـنَـةُ الـعُـيُـونِ كَـأُسْـدِ غَـابٍ
إذا مَـا أُهْـمَـلْـتَ وَثَـبْـتَ وُثُـوْبَـا

وَمَـنْ يَغْـضُضْ فُضُـوْلَ الـطَّرَفِ عَنْهَـا
يَـجِـدْ فـي قَـلْـبِـهِ رَوْحَـاً وَطِـيْـبَـا

وَلَا تُـطْلِقْ لِـسَـانَـكَ فـي كَـلَامٍ
يَـجُـرُّ عَـلَيْـكَ أَحْـقَـاداً وَحُـوبَـا

وَلَا يَـبْـرَحْ لِـسانُـكَ كُـلَّ وَقْـتٍ
بِـذِكْـرِ الـلَّهِ رَيَّـانـاً رَطِـيْـبَـا

وَصَـلِّ إذا الـدُّجَـى أَرْخَـى سُـدُولاً
وَلَا تَـضْـجَـرْ بِـهِ وَتَـكُـن هَـيُـوْبَـا

تَـجِـدْ أُنْـسـاً إذَا أُودِعْـتَ قَـبْـراً
وَفَـارَقْـتَ الـمُـعَـاشِـرَ والـنَّـسِـيْـبَـا

وَصُـمْ مَـا تَـسْـتَـطِيـعُ تَـجِـدْهُ رِيًّـاً
إِذا مـا قُـمْـتَ ظَـمْـآنـاً سَـغِـيْـبَـا
وَكُـنْ مُـتَـصَـدِّقـاً سِـرَّاً وَجَـهْـراً
وَلَا تَـبْـخَـلْ وَكُـنْ سَـمْـحـاً وَهُـوْبَـا
تَـجِـدْ مـا قَـدَّمَـتْـهُ يَـدَاكَ ظِـلًّا
إِذا مـا اشْـتَـدَّ بـالـنَّـاسِ الكُـرُوبَـا
وَكُـنْ حَـسَـنِ الـسَّـجَـايَـا وَذَا حَـيَـاءٍ
طَـلِيْـقَ الـوَجْـهِ لَاشَـكْـسـاً غَـضُـوبَـا

اللهم وفِّقْنا تَوْفِيْقاً يَقِيْناً عن مَعَاصِيْكَ ، وَأَرْشِدْنَا بِرُشدِكَ الى السعي فيما يُرْضِيْكَ ، وأجرنا يا مولانا من خِزيكَ وعَذَابك ، وهب لنا ما وهبته لأوليائِكَ وأحبابِكَ ، وآتنا في الدنيا حَسَنَةً ، وفي الآخرة حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، واغفر لنَا ولوالـدينا وَلِجَميعِ المسلمين ، برحمتك يا أرحمَ الراحمين ، وصلى اللّه على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فَصْـلٌ »

٦٠ـ ومن مَحَاسِنِ الاسلام مراعاةُ الحِكْمَةِ ، وذلك أن نَضَعَ كُلَّ انسانٍ مِن المؤمنينَ في مَنْزلَتِه ، ونُرَاعِيْ كَرَامَتَهُ وَشُعُوْرَهُ ، ونَجْعَلَهُ في المَكانِ الذي يَلِيْقُ بِهِ .

عَن عَائِشَةَ رضي اللّهُ عنها أَنَّ النبيَّ صلى اللّه عليه وسلم قال « أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ » رواه أبو داود ، وَرُوِيَ أَنَّ عائِشَةَ رضي اللّه عنها كانَتْ مُسَافِرَةً ، فَنَزَلَتْ مَنْزِلاً تَسْتَرِيْحُ فيه ، وَتَتَنَاوَلُ طَعَامَهَا ، فَجَاءَ سائِلٌ فَقِيْرٌ ،

فَقَالَتْ : نَاوِلُوا هذا المِسْكِيْنَ قُرْصاً ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ يَرْكَبُ فَرَساً ، فقالتِ : ادْعُوْهُ إلى الطَّعَامِ . فَقِيْلَ لَهَا : لِمَاذا تُعْطِيْن المِسْكِيْنَ قُرْصاً ، وَتَدْعِيْنَ هَذَا الغَنِيَ إلى الطَّعَام ، فَأَجَابَتْ إنَّ اللَّهَ تعالى أنزلَ الناسَ مَنَازِلَ ، لا بُدَّ لنا أن نُنْزِلَهُم تِلكَ المَنَازِلَ ، هذا المِسكِينُ يَرْضَى بِقُرْصٍ ، وَقَبِيْحٌ بِنا أَنْ نُعْطِي هَذَا الغَنِيَّ ـ وَهُوَ عَلى هَذِهِ الهَيْئَةِ ـ قُرْصَاً ، فَرَحِمها اللَّهُ ما أَحْسَنَ هذا مِنْ جَوَابِ رَدٍ ، دَلَّ على الحِكْمَةِ ، وَحُسنِ الذَّوْقِ ، وَنُبْلِ الخُلُقِ ، وَكَرَمِ المُعَامَلَةِ ، والاقتداءِ التَّامِ بإرشادَاتِ اللَّهِ ورسولِهِ صلى اللَّه عليه وسلم .

وَرُوِيَ أن رسولَ اللّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم دَخَلَ بَيْتاً مِنْ بُيُوْتِهِ ، فَدَخَلَ عليه أَصْحَابُه ، حَتَّى امْتَلأَ المَجْلِسُ ، فَجَاءَ جَرِيْرُ إبنُ عَبْدِ اللَّهِ البَجَلِيُ ، فَلَمْ يَجِدْ مَكَاناً ، فَقَعَدَ عَلَى البابِ ، فَلَفَّ رسولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم رِدَاءَهُ ، وَقَدَّمَهُ له لِيَجْلِسَ عَلَيْهِ ، وقال له « إجْلِسْ عَلَى هَذا » فَأَخَذَ جَرِيْرُ الرِّداءَ ، وَوَضَعَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَجَعَلَ يُقَبِّلُه وَيَبْكِيْ ، مُتَأَثِّراً مِنْ إكْرَامِ النبي صلى اللَّهُ عليه وسلم لَهُ ، ثُمَّ لَفَّه وَرَدَّه إلى النبي صلى اللَّهُ عليه وسلم شَاكِراً مُقَدِّراً ، وقال : ما كُنْتُ لأَجْلِسَ على ثَوْبِكَ يا رسولَ اللَّهِ أَكْرَمَكَ اللَّهُ يا رسولَ اللَّهِ كَمَا أَكْرَمْتَنِيْ ، فَنَظَرَ المُصْطَفَى صلى اللَّهُ عليه وسلم يَمِيْناً وَشِمَالاً ، ثم قال « إذَا أتاكُمْ كَرِيْمُ قومٍ فَأكرِمُوه » .

فانْظرْ إلى هَذِهِ المُعَامَلَةِ الجَمِيْلَةِ ، تَجِدْ المَثَلَ الكَاملَ في مُعَامَلَةِ الرسولِ لَهُ ، حَيْثُ رَاعَى شُعُورَ جَرِيرٍ وأَكْرَمهُ ، وَكَيْفَ تَأَثَّرَ جَرِيْرٌ بهذِه المُعَامَلَةِ الكَرِيْمَةِ النَّبِيْلَةِ اللَّطِيْفَةِ .

٦١ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الاسلامِ أنه أثْبَتَ لِلزَّوجاتِ على الأَزواجِ حُقُوْقاً ، مِثْلُ

الحُقُوقِ التي لِلرِّجالِ بالمَعْرُوْفِ ، وَحُسْنِ العِشْرَةِ ، وتَرْكِ الإضرارِ ، وَجَعل (لِلرِّجالِ عَلَيْهِن دَرَجَة) أيْ في الفَضِيْلةِ في الخُلُقِ والمَنْزِلَةِ ، وَطَاعَةِ الأَمْرِ ، والانْفَاقِ ، وَأَداءِ المَهْرِ ، والقِيَامِ بالمَصَالِحِ ، والفَضْلِ في الدنيا والآخرةِ .

٦٢- وَمِنْ مَحَاسِنِ الاسلام انَّ المَرْأَةَ عِنْدَ بَعْضِ العَرَبِ في الجَاهِليةِ تُعَدُّ جُزْأً مِنْ ثَرْوَةِ أَبِيْهَا أو زَوْجها ، وكان ابنُ الرجلِ يَرِثُ أَرْمَلةَ أبِيْهِ بَعْدَ وَفَاتِها ، وكان العَرَبُ قَبْلَ الاسلامِ يرِثُونَ النِسَاءَ كُرْهاً ، بِأَنْ يَأْتِيْ الوَارِثُ وَيُلْقِيْ ثَوْبَه على زَوْجَةِ أبيهِ ، ثم يَقُولُ وَرِثْتُهَا كما وَرِثْتُ مالَ أَبِيْ ، فإذا أَرادَ أَنْ يَتزَوَّجَها تَزَوَّجِهَا بِدُوْنِ مَهْرٍ، أو زَوَّجها لأَحَدٍ عِندَهُ وتَسلَّمَ مَهْرَهَا مِمَّنْ يَتزَوَّجها ، أو حَرَّمَ عَلَيْهَا أن تَتزوَّج كَيْ يَرِثُها ، فَمَنَعَتِ الشَّريعةُ الاسْلاميَّة هَذا الظُّلمَ وهَذَا الإِرْثَ ، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يَحِلُّ لَكُم أن تَرِثُوا النساء كَرْهاً) وكانَ العَرَبُ في الجَاهِلِيَّةِ يَمْنَعُونَ النِّساءَ مِنَ الزَّوَاج ، فالابنُ الوَارِثُ كان يَمْنَعُ زوجةَ أبيهِ مِنَ التَّزوْجِ ، كَيْ تُعْطِيَه مَا أَخَذَتْهُ مِنْ مِيْراثِ أبِيْهِ ، والأَبُ يَمْنَعُ ابنَتَهُ مِنَ التَّزوجِ حَتَّى تَتْرُكَ لَهُ ما تَمْلِكُه ، والرَّجلُ يُطَلِقُ زَوْجَتَهُ وَيَمْنَعُها مِنَ الزَّوَاجِ ، حَتَّى يَأْخُذَ منْها ما يَشاءُ : والزَّوْجُ المُبْغِضُ لِزَوْجَتِهِ يُسِيءُ عِشْرَتَها ، وَيُمَلِّلُها ، ولاَ يُطَلِقُها حَتَّى تَرُدَّ إليْهِ مَهْرَهَا ، فالعَرَبُ قَبْلَ الاسلام يَظْلِمُونَ المَرْأَةَ ، وَيَتَحَكَّمُونَ فيها، قال تعالى ﴿ وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ، لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ وكانُوا لا يَعْدِلُونَ بَيْنَ النِّسَاءِ، في النَّفَقَةِ والكِسْوَةِ والمُعَاشَرَةِ ، فأَمَرَ الاسلامُ بالعَدَالَةِ بَيْنَهُنَّ ، قال تعالى (وَعَاشِرُوهُنَّ بالمعروفِ) الآية ، وقال (فإنْ خِفْتُم أَنْ لا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً) وقال ﴿ وإن أَرَدْتُم اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ ، وآتَيْتُم إحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً ، فلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً ، أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وإثْماً مُبِيْناً ﴾ وقال في نَاحِيَةِ الدِّيْنِ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً

مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَلَنُحْيِيَنَّه حياةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهم أَجْرَهُم بأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُون﴾ وفي نَاحِيَةِ الأَهْلِيَّةِ والمُلْكِ قال تعالى ﴿ للرِّجَالِ نَصِيْبٌ مِمَّا تَرَكَ الوالدانِ والأَقْرَبُونَ ، وللنِّساءِ نَصِيْبٌ مِمَّا تَرَكَ الوالدان والأقْرَبُونَ ﴾ وقال ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيْبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا ، ولِلنِّساءِ نَصِيْبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ .

وَحَسبُ الاسْلامِ مَا كَفَلَ لِلْمَرْأَةِ مِنْ مُسَاوَاةٍ دِيْنِيَّةٍ ، وَمِنْ مُسَاواةٍ في التَّمَلُّكِ والكَسْبِ ، وما حَقق لَهَا مِنْ ضَمَانَاتٍ في الزَّواجِ ، بإِذنِها ورِضَاهَا دُونَ إِكْراهٍ ولا إِهْمَال ، قال صلى الله عليه وسلم « لا تُنْكَحُ الثَّيبُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ ، ولا تُنْكَحُ البِكرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنْ ، وإِذْنُها الصُّمُوت » وفي مَهْرِهَا قال ﴿ فآتوهُنَّ أُجُورَهنَّ فريضةً ﴾ .

٦٣ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الاسلام أَنَّ العَرَبَ قَبْلَ الإِسلامِ يَئِدُوْنَ البَنَاتِ ، ويَدْفِنُونَهُنَّ وَهُنَّ على قَيْدِ الحَيَاةِ ، خَوْفاً مِنَ العارِ ، يُهِلُّ على ابْنَتِهِ التُّرابَ حَتَّى تَمُوتَ ، فَجَاءَ الإِسْلامُ وَحرَّمَ وَأْدَهُنَّ وَقَتْلَهُنَّ ، تَحْرِيْماً قاطِعاً ، وَمَنَحَهُنَّ الحَقَّ في الحَيَاةِ ، وبِهذَا أَنصَفَ الإِسْلامُ المَرْأَةَ كُلَّ الانْصَافِ ، وَحَافَظَ عَلَى حَيَاتِهَا وَحُقُوْقِهَا الإِنْسَانِيَّةِ .

اللهم أعذنا مِن الهَمِّ والحَزَنِ والعَجْزِ والكَسَلِ والْجُبْنِ والبُخْلِ وغلبة الدَّينِ وَقَهْرِ الرِّجالِ وَشَماتَةِ الأَعْدَاءِ واغفر لنا ولِوالدينا وَجَمِيْعِ المسلمين اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوبَنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الإِيْمَانِ وَزَيِّنْهَا بِمَحَبَّتِكَ وَجَمِّلْ أَلْسِنَتَنَا بِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسِّنْ أَعْمَالَنَا وَوَفِّقْنَا لِحِفْظِ أَوْقَاتِنَا وَأَحْيِنَا حَيَاةً طَيِّبَةً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ

فَصْـــلٌ ٦٤ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الإِسلام ابْطَالُ الكِهَانَةِ وَتَحْرِيْمُهَا ، وَتَحْرِيْمُ زَجْرِ الطَّيْرِ ،

وتَحْرِيمُ المَيْسِرِ ، وهُوَ نَوْعٌ مِنَ القِمَارِ ، وَمِنْهَا الأزلَامُ والبَحِيْرَةُ والسَّائِبَةُ والوَصِيلةُ والحَامي .

٦٥ـ وَمِنْهَا رَمْيُ البَعْرةِ، كَانَتِ المَرْأَةُ في الجَاهِلِيَّةِ إذَا مَاتَ زَوْجُها دَخلَتْ حُشِفاً ، وَلَبِسَتْ شَرَّ ثِيَابِها ، وَلَمْ تَمسَّ طِيْباً ، حَتَّى تَمْضِيْ عَلَيْهَا سَنَة ، ثُمَّ تُؤْتى بِدَابَةٍ ، حِمَارٍ أو طَيْرٍ أَوْ شَاةٍ فَتفْتَضُّ به ، فَقَلَّمَا تَفْتَضُّ بِشَيءٍ إلا مَاتَ ، ثم تَخْرُجُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَتُعْطَى بَعْرَةً ، فتَرْمِي بها ، ثُمَّ تُرَاجِعُ مَا شَاءَتْ .

٦٦ـ وَمِنْهَا قَتْلُ الأولَادِ خَشْيَةَ الفَقْرِ ، فَكَانَ الرَّجلُ يَقْتُلُ وَلَدَهُ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَهُ إلى أَنْ نَهَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ بقوله ﴿ ولا تَقْتُلوا أولادَكُمْ خَشْيَةَ إملاقٍ ، نَحْنُ نَرْزُقُهم وإيَّاكُمْ ، إنَّ قَتْلَهُمْ كان خطْأً كَبِيْراً ﴾ .

٦٧ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الدينِ الاسلامِي أنَّه حَوَّلَ الوَثَنِيِّينَ والمُشركِيْنَ والكفارَ إلى مُؤْمِنِيْنَ صَالِحِيْنَ ، أَتْقِيَاءَ زُهَّاداً وَرِعِيْنَ ، يَخَافُونَ اللَّهَ ، وَيَعْبُدُونه وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَهُ ، وَيقِفُونَ بِجَانِبِ الحَقِ ، لا تَأْخُذُهُمْ في اللَّهِ لَوْمَةُ لائم ، ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِم ، ولو كان بهِم خَصَاصَة ﴾ .

٦٨ـ ومِنْ مَحَاسِنِ الاسلامِ تَحْرِيْمُ الغَدْرِ ، قال تعالى ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا أَوْفُوا بالعُقُودِ ﴾ وقول تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بالعَهْدِ ، إنَّ العهدَ كانَ مَسْؤلاً ﴾ ؟ وَوَرَدَ عَنْهُ صلى اللَّه عليه وسلم أَنَّه قال « لِكلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القيامةِ ، يُقالُ : هَذِهِ غَدْرَةُ فلانٌ » وقال « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ كانَ مُنَافِقاً خالِصاً » وَعَدَّ مِنها « وإذا عاهَدَ غَدَرْ » وقال « يَقُولُ اللَّهُ ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهم يَوْمَ القيامةِ ، رَجُلٌ أَعْطَى بِيْ ثُمَّ غَدَرْ » الحديث رواه البخاري .

٦٩ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّيْنِ الإسْلامِي الحَثُ عَلَى العَمَلِ ، وَكَسْبُ الرِّزْقِ ، وَتَرْكُ الكسلِ ، وَسُؤالِ الناسِ إلا عِنْدَ الضَّرُورةِ ، فالإسلامُ دِيْنُ سَعْيٍ

وَعَمَلٍ واجْتِهَادٍ ، لا دِيْنُ كَسَلٍ وَعَجْزٍ وَتَوانٍ ، دِيْنٌ يُحَافِظُ عَلَى العِزَّةِ الانْسَانِيَّةِ ، والكَرَامَةِ الشَّخْصِيَّةِ ، قال تعالى ﴿ وقُل اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُه ﴾ وقال وأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسانِ إلا مَا سَعَىٰ ، وأنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴾ وَيَحثُّ على الجَمْعِ بَيْنَ العَمَلِ لِلدِّيْنِ والدُّنْيا ، فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلا ﴿ وابتَغِ فيما آتاكَ اللَّهُ الدارَ الآخِرَةَ ، ولا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ ويقول ﴿ فإذا قُضِيَتِ الصلاةُ فانْتَشِرُوْا في الأَرْضِ وابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ .

٧٠ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الإسلامِ القَصْدُ في الطَّعامِ والشَّرَابِ ، قال اللَّهُ جلَّ وعلا ﴿ وكُلوا واشْرَبُوا ولا تُسْرِفوا ، إنه لا يُحِبُّ المسرفِيْنَ ﴾ وعن المِقْدادِ بنِ مَعْدِيْ كَرِبْ قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم « ما مَلأَ ابنُ آدَمَ وِعَاءً شَراً مِنْ بَطْنِهِ ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ لُقَيْماتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ، فإن كانَ لا مَحَالَةَ فاعِلاً فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ » أخرجه الترمذي وابن ماجه .

٧١ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الإسلامِ النَّهيُ عن المُمَاطَلَةِ في الحُقُوقِ ، قال صلى اللَّه عليه وسلم « مَطْلُ الغَنيِّ ظُلْمٌ ، وإذا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ » روَاه البخاري ومسلم .

٧٢ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الدينِ الاسلامي الأمرُ بإنْظَارِ المُعْسِرِ ، قال تعالى ﴿ وإن كان ذُو عُسْرَةٍ ، فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ ﴾ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه ، عن النَّبي صلى اللّه عليه وسلم قال « كان تاجِرٌ يُدَاينُ النَّاسَ ، فإذا رَأَى مُعْسِراً ، قال لِفِتْيَانِهِ : تَجاوَزُوْا عنه ، لَعَلَّ اللَّهَ يَتجاوَزُ عَنَّا ، فَتَجاوَزَ اللَّهُ عنه » رواه البخاري ، وقال صلى اللَّه عليه وسلم « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً فَلَهُ بكلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةٌ » .

٧٣ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الاسلامِ النَّهيُ عن الرِّشْوَةِ ، عن أبي هريرة رضي اللّه

عنه ، قال قال رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلم « لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِيَ والمُرتَشِيَ في الحُكْمِ » رواه الترمذي ، وَوَرَدَ « لَعَنَ اللَّهُ الراشيَ والمُرتَشِيَ ، والرَّائِشُ الذي يَمْشِي بَيْنَهُما » .

٧٤ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الدينِ الاسلامي الحثُ على إقالةِ النادِمِ ، لِمَا في ذَلِكَ مِن الإِحْسَانِ ، والمَعْرُوْفِ وجَبْرِ خَاطِرِهِ ، ففي الحديث « مَنْ أقال مُسْلِماً أَقالَ اللَّهُ عثْرَتَه » وفي رواية « من أَقال نَادِماً ، أقالَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيامَةِ » وصلى

اللَّهُمَّ وَفِّقْنا لِصَالحِ الأَعْمَالَ ، ونَجِّنَا من جميعِ الأَهْوالِ ، وأَمِنّا مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَر يومَ الرَّجْفِ والزلْزَالْ ، واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا ، وَلَجمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصَلى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعين .

(فصلٌ)

٧٥ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الدينِ الاسلامي بَذْلُ النَّصِيْحَةُ للَّهِ ، ولِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِه ، وللأَئِمةِ المُسلمينَ ، وعامتِهم فالنَّصِيْحَةُ لِلَّهِ الايمانُ بِهِ ، وَنَفْيِ الشَّرِيْكِ عَنْهُ ، وَتَرْكُ الالْحَادِ في أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ، وَوَصْفُهُ بِأَوْصَافِ الكَمَالِ ، وَتَنْزِيْهُهُ عَنْ النَّقَائِصِ والعُيُوبِ ، وطَاعَةُ أَمْرِه واجْتِنَابُ نَهْيِه ، وَمُوالاةُ مَن أَطَاعَهُ ، ومُعَادَاةُ مَنْ عَصَاهُ ، وَغيْرُ ذلِكَ مِمَّا يَجِبُ لَهُ ، وَأَمَّا النَّصِيْحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ ، فالإيمَانُ بِهِ بِأَنَّه كلامُ اللَّهِ ، مُنَزَّلٌ غيْرُ مَخْلُوقٍ ، وَتَحْلِيْلُ ما حَلَّلَهُ ، وَتَحْرِيمُ ما حَرَّمه ، والاهتداءُ بِهَدْيِهِ والتَّدبُرُ لِمَعَانيهِ ، والقِيامُ بِحُقوقِهِ ، والاتِّعَاظُ بِمَوَاعِظِهِ ، والاعْتِبَارُ بِزَوَاجِرِهِ ، وَأَمَّا النَّصِيْحَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم ، فَتَصْدِيْقُهُ فِيْمَا جاءَ بِهِ ، وَمَحَبَّتُهُ ، وَتَقْدِيْمُهُ فِيْهَا على النَّفْسِ والمَالِ والوُلدِ ، وَتَوْقِيْرُه حَياً وَمَيِّتاً ، وَمَعْرِفَةُ سُنَّته ، وَنَشْرُها ، والعَمَلُ بها ، وَتَقْدِيْمُ قَوْلِهِ على قَولِ كُلِّ أَحَدٍ كَائِناً مَا كَانَ ،وَأَمَّا النَّصِيْحَةُ لِأَئِمَةِ المُسْلِمينَ ، فَهِيَ إعانَتُهُم على الحَقِّ وطاعَتُهُم فِيه ، وَأَمْرُهُم بِهِ ، وَتَذْكِيْرُهم بِحَوائِجِ العِبادِ وَنُصْحُهم بِرِفْقٍ وَلِيْنٍ وَعَدْلِ واعْتِقَادُ ولايَتِهِمْ والسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَهُم في غَيْرِ

مَعْصِيَةِ اللَّه ، وحثُّ النَّاسِ على ذَلِكَ ، وَبَذْلُ ما تَسْتَطِيْعُهُ مِن إرْشَادِهم ، وَتَنْبِيْهُهُم إلى ما يَنْفَعُهم ، وَيَنْفَعُ النَّاسَ والقِيامُ بِواجِبِهِم ، وأما النَّصِيْحَةُ لِعَامَّةِ المسلمينَ ، فهِيَ إرْشَادُهُم إلى مَصَالِحِهْم في دُنْيَاهُم وأُخْرَاهُم ، وكَفُّ الأذى عَنْهم ، وتَعْلِيْمُهُم ما جهِلُوا مِن أَمْرِ دِيْنِهم ، وَأَمْرُهُم بالمَعْرُوْفِ ، وَنَهْيُهُم عَنِ المُنْكَرِ وَأَنْ يُحِبَّ لَهُم ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وَيَكْرَهُ لَهُم ما يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ ، وَيَسْعَى في ذَلِكَ حَسَبَ الإمكان .

٧٦ـ وَمِن مَحَاسِنِ الدينِ الاسلامي النَّهيُ عَنْ قَطِيْعَةِ الرَّحمِ ، قال اللَّه تعالى ﴿ فَهَل عَسَيْتُمْ إن تَوَلَّيْتُم انْ تُفْسِدُوا في الأَرْضِ ، وَتُقَطِّعوا أَرْحَامَكم ﴾ وقال صلى اللَّهُ عليه وسلم « الرَّحِمُ مُتَعَلِّقَةٌ بالعَرْشِ ، تَقُولُ : مَنْ وَصَلَنِيْ وَصَلَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ قَطَعَنِيْ قَطَعُهُ اللَّهُ » رواه البخاري ، وروواه الطبراني عَنْ عبدِ اللَّهِ بنِ أبي أَوْفِي عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال « إن الملائكةَ لا تَنْزِلُ على قَوْمٍ فِيْهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ».

٧٧ـ وَمِنْ محاسنِ الدينِ الاسلامي النَّهيُ عَنِ التَّشدُدِ في الدِّيْنِ ، وعن الزُّهْدِ في الطَّيباتِ ، لِأنَّ الإسلامَ دِيْنُ اليُسْرِ والسُهُوْلَةِ والاعْتِدَالِ ، فعن أنسٍ رضي اللَّهُ عنه ، قال جاءَ ثلاثةُ رَهْطٍ الى بُيُوتِ أزواجِ النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، يَسْأَلونَ عن عِبَادَتِهِ ، فلمَّا أُخْبِرُوا كأَنَّهم تَقَالُّوهَا ، فقالُوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِن النَّبِي صلى اللَّه عليه وسلم ، وقَدْ غَفَرَ اللَّهُ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ فقال أَحَدُهُم : أَمَّا أنا فأصلِّي الليلَ أَبَدَاً ، وقال الآخرُ : أنا أَصُوْمُ الدَّهْرَ ولا أُفْطِرُ . وقال الآخرُ : وَأَنَا أَعْتَزِلُ النِسَاءَ ، فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبدَا ، فَجَاءَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم ، فقال « أَنْتُمُ الذِيْنَ قُلْتُمْ كذَا وكذَا ؟ أما وَاللَّهِ إنِّي لأخْشَاكُمْ لِلَّهِ ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُوْمُ وأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِيْ فَلَيْسَ مِنِّي » رواه الشيخان .

قصيدة في غربة الاسلام

أَقُولُ وَأَوْلَى ما يُرَى في الدَّفَاتُرِ
وَأَحْسَنُ فَيْضاً مِنْ عُيُونِ المَحَابِرِ
هُوَ الحَمْدُ لِلْمَعْبُودِ والشُّكْرُ والثَّناء
تَقَدَّسَ عَنْ قَوْلِ الغُواةِ الغَوَادِرِ
وَجَلَّ عن الأَنْدَادِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ
وَعَنْ شافعٍ في الابْتِدا أو مُوَازِرِ
وَصَلَّى عَلَى مَنْ قَامَ لِلَّهِ دَاعِياً
وَشَيَّدَ أَعْلَامَ الهُدَى والشَّعَائِرِ
وَأَوْضَحَ دِينَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما سَفَتْ
عليه السَّوافي في القُرَىٰ والجَزائِرِ
وَعَادَا وَوَالى في رِضَى اللَّهِ قَوْمَهُ
وَلَمْ يَثْنِهِ عن ذَاكَ صَوْلَةُ قَاهِرِ
مُحَمَّدُ المَبْعُوثُ لِلنَّاسِ رَحْمَةً
نِذَارَتُهُ مَقْرونَةٌ بالبَشَائِرِ
وَبعدُ فإن تَعْجَب لِخَطْبٍ تَبَلْبَلَتْ
لِفَادِحِهِ أَهْلُ النُّهَى وَالبَصَائِرِ
فلا عَجَباً يَوْمٌ مِنَ الدَّهرِ مِثْلَ مَا
أَنَاخَ بِنَا مِنْ كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرِ
وَما ذَاكَ إلَّا غُرْبَةُ الدِّيْنِ يَا لَهَا
مُصِيْبَةُ قَوْمٍ من عِظَامِ الفَوَاقِرِ

تَـرَى أَهْـلَهُ مُـسْـتَـضْـعَـفِـيْـنَ أَذِلَّـةً
فَـمَـا بَـيْـنَ طَـعَّـانٍ عَـلَيْـهِـمْ وَنَـافِـرِ
وَمُـسْتَـهْـزِءٍ مِـنْـهُـم فَـيُـنْـغِضُ رَأْسَـهُ
وَيَـرْمُـونَهُمْ شَـزْرَ العُيُـونِ الـنَّـوَاضِـرِ
وَعَـادَاهُمُ مَنْ يَـدَّعِي العِلْمَ والحِجَى
وكُـلُّ خَـلِيْـلٍ أَوْ قَـرِيْـبٍ مُـصَـاهِـرِ
فَمَـا شِئْتَ مِنْ شَتْمٍ وَقَـذْفٍ وَغِيْـبَـةٍ
وَتَـنْقِيْـصُـهِـم فـي كُـلِّ نَـادٍ لِفَـاجِـرِ
وَأَكْـبَـرُ مِـنْ هَـذَا وَأَعْـظَمُ فِـرْيَـةٍ
مُـوَلاَةُ أَهْـلِ الشِّـرْكِ مِنْ كُـلِّ كَـافِـرِ
وَأَعْـيُـنُـهُـمْ فـي فِـعْـلِ ذَاكَ قَـرِيْـرَةٌ
فَمِنْ صَـامِـتٍ فِي فِعْلِهِ أَوْ مُجَـاهِـرِ
وَمَـنْ قَـامَ بِـالإِنْـكَـارِ فَـهُـوَ مُـشَـدِّدٌ
يَـكَـادُونَ أَنْ يُـبْـدُوهُ فَـوقَ الـمَـنَـابِـرِ
فـإن يَحْكُموا بـالسَّوْطِ ضَـرْبـاً فـإنْ يَكُنْ
رُجُـوْعٌ وإِلاَّ بِـالـضُّـبَـا والـخَـنَـاجِـرِ
وأصْـبَـحَ ذُو الإِيْمَـانِ فِـيْهِـمْ كَقَـابِضٍ
عَلَى الجَمْرِ أَوْ في الجَنْبِ صَلِي المَجَامِرِ
وإِخْـوانُـه الـنُّـزَّاعُ في كُـلِّ قَـرْيَـةٍ
لَـدَى أَهْـلِهَـا في ذُلِّـهِمْ كَـالأَصَـاغِـرِ

وَمــا زَادَهُــمْ إلا ثَبَــاتــاً مَــعَ الــرِّضَـى
بِـقَـلْـبٍ سَـلِيْـمٍ لِـلْمُـهَـيْـمِـنِ شَــاكِـرِ

فَـأَكْـرِمْ بِهِمْ مِنْ عُصْبَـةِ الحَـقِّ إِنَّهُـمْ
لِحِفْظِ نُصُـوصِ الـدِّينِ أَهْـلُ تَنَـاصُـرِ

إِذَا مَـا بَـدَا نَصُّ الـكِـتَـابِ وسُـنَّـةٍ
تَـنَـادَوا عِبَـادَ اللَّهِ هَـلْ مِنْ مُـثَـابِـرِ

وَعَضُّــوا عَلَيْهَـا بــالنَّـوَاجِـذِ فَـاهْـتَـدَوْا
ومــا رَغِبُـوا عَنْهَـا لِخَـرْصِ الخَـوَاطِـرِ

عَلَيْكَ بِهَــاتِيْـكَ الصفـاتِ مُنَـافِسـاً
فَـلِلَّهِ مَـا أَسْنَـا سَنَـاهـا لِـسَـائِـرِ

هُـمْ القَـوْمُ لاَ يَـثْنِيْـهُـمْ عَـنْ مُـرَادِهِـمْ
مَـلاَمَـةُ لُـوَّامٍ وَخُـذْلاَنُ نَـاصِـرِ

بِـنَفْـسـي فَـتَـى مـا زَالَ يَـدْأَبُ دَائِـمـاً
إِلــى رَبِّـه أَكْـرِمْ بِـهِ مِـن مُـهَـاجِـرِ

مُـكِـبّـاً عـلى أيِ الـكـتـابِ وَدَرْسِـهِ
بِـقَلْبٍ حَـزِيْـنٍ عِـنْـدَ تِـلْكَ الـزَّوَاجِـرِ

فَـيَـا لَـيْـتَـنِـي أَلْـقَـاهُ يَـوْمـاً لَـعَـلَّهُ
يُخَبِّـرُنِي عَمَّـا حَـوَى فِي الضَّـمَـائِـرِ

وَنَـرْفَـعُ أَيْـدِيْنَـا إلى اللَّهِ بـالـدُّعَـا
لِيَنْصُـرَ دِيْنَ المُصْـطَفَى ذِي المَفَـاخِـرِ

وَيَنْصُـرَ أَحْـزَابَ الـشَّـرِيْعَـةِ والـهُـدَى
وَيَقْمَـعَ أَهْـلَ الـزَّيْـغِ مِنْ كـلِّ فـاجِـرِ
فـآهٍ عَلَى تَفْـرِيْقِ شَمْـلٍ فَهَـلْ لِمَـا
مَـضَى عَـوْدَةٌ نَـحْـوَ السِّـنِيْـنِ الغَـوَابِـرِ
عَـسَى نَـصْـرَةٌ لِلدِّيْـنِ تَجْـمَـعُ شَمْـلَنَـا
تَـقَـرُّ بِهَـا مِـمَّـا تَـرَى عَـيْـنُ نَـاظِـرِ
فَـيَـرْتَـاحُ أَهْـلُ الـدِّيْنِ فِـيْـهَـا أَعِـزَّةً
وأَعْـدَاؤُهُ تَـحْـتَ الـقَـنَـا والـحَـوَافِـرِ
وأخْتُمُ نَظْمِيْ بالصلاةِ مُسَلِّماً مَدَى الدَّهْرِ مَا نَاضَتْ بُرُوْقُ المُوَاطِرِ
عَلَى أَحْمَـدٍ والآلِ والـصَّحْـبِ والَّـذِيْ
لَـهُمْ تَـابِـعٌ يَـسْعَـى بِـفِـعْـلِ الأَوَامِـرِ

اللهم لا تَجْعَل الدُنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا ولا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ولا إلى النارِ مَصِيْرَنَا ولا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا بِذُنُوْبِنَا مَنْ لاَ يَخافُكَ فِيْنَا وَلاَ يَرْحَمُنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قلوبنا وقَوِّهَا ووفقنا لِشُكْرِكَ وذِكْرِكَ وارزقنا التأهُّبَ والاسْتِعدادَ لِلِقَائِكَ واجْعَلْ خِتَامَ صَحَائِفِنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْــلٌ)

٧٨ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّيْنِ الإسْلاَمِيْ التَّرْغِيْبُ في الدَّعْوةِ إلَى الخيرِ ، والأَمْرُ بالمُعروفِ ، والنَّهْيُ عن المُنكرِ ، فعن أبي هريرة رضي اللّه عنه ، عن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال « مَن دَعَا إِلَى هُدى ، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ اتَّبَعَهُ ، لا يَنْقُص ذَلِكَ مِنْ أُجُوْرِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كانَ عليهِ مِنَ الاثْمِ مِثْلُ آثامِ مَنْ اتَّبَعَهُ ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثامِهِمْ شَيْئَاً » رواه مسلم وأبو داود والترمذي .

٧٩ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِيْنِ الاسلامِي حَثُّ المَرْءِ على انْتِهَازِ فُرْصَةِ الحَيَاةِ ، لِعَمَلٍ ما يَنْفَعُهُ في الآخِرَةِ ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال « إذا ماتَ ابنُ آدَمَ انقطعَ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثَلَاثٍ ، صَدَقَةٍ جارِيَةٍ ، أَوْ عِلَمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلدٍ صَالِحٌ يَدْعُوْ لَهُ » رواه مسلم . وقال اللَّه تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّهَ ولتَنْظُر نَفْسٌ ما قدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ .

٨٠ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّيْنِ الاسلامي الحثُ عَلَى وُجُوبِ الاعْتِمَادِ على اللَّهِ ، ثُمَّ على إيمانهِ وَعَمَلِهِ الصَّالِح ، لا عَلَى مَالَهُ مِنْ صِلَةٍ بالمُقَرَّبِيْنَ إلى اللَّهِ ، فَعَن أبي هُرَيْرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال : قَامَ رَسُولَ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم حِيْنَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ وأَنْذِرْ عَشِيْرَتَك الأقربين ﴾ فقال « يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اشْتَرُوْا أَنْفُسَكُم ، لَا أُغْنِيْ عَنْكُم مِنَ اللَّهِ شَيْئَاً ، يَا بَنِيْ عَبْدِ مَنَافٍ لا أُغْنِيْ عَنْكُم مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ، يا عَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المطلِب ، لا أُغْنِيْ عَنْكِ مِن اللَّهِ شَيْئَاً . وَيَا صَفِيَّةُ عمةُ رسُولِ اللّهِ ، لَا أُغْنِيْ عَنْكَ مِن اللَّهِ شَيْئاً ، ويَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، سَلِيْنِيْ مِنْ مَالِي ، لَا أُغْنِيْ عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً » ، رواه الشيخان والترمذي .

٨١ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الاسلامِ الأَمْرُ بِتَعَهُّدِ النَّفْسِ بالاصْلَاحِ فَيُلْزِمُها بادَاء مَا أَمرَ اللَّهُ بهِ ، واجْتِنَابِ ما نَهى عَنْهُ ، والأَمْرِ بالمَعْرِوفِ ، والنَّهْيِ عن المُنْكَرِ . والآياتُ في الحَثِ على التَّقْوَى كَثِيْرَةٌ .

٨٢ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الإِسْلَامِ أَنَّه يَجْعَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صِلَةٍ دَائِمَةٍ بِرَبِّهِ، حِيْنَ تَفِدُ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ ، وَحِيْنَ تَنْزِلُ بِهِ الشِّدَّةُ ، قال صلى اللَّه عليه وسلم « عَجَباً لِأَمْرِ المُؤْمِن ، إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، إنْ أَصَابَتْهُ سَراءُ شَكَرَ ، فكانَ خَيْراً لَهُ ، وَإن أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فكانَ خَيْراً لَهُ » رواه مسلم .

شِعْرَا : أَيَا ابنَ آدمَ لا تَغْرُرْكَ عَافِيَةٌ   عَلَيْكَ شَامِلَةٌ فالعُمْرُ مَعْدُوْدُ
مَا أَنْتَ إلاَّ كَزَرْعٍ عِنْدَ خُضْرَتِهِ   بِكُلِّ شَيْءٍ مِن الأَوْقَاتِ مَقْصُوْدُ
فإنْ سَلِمْتَ مِن الآفاتِ أجْمَعِهَا   فَأَنْتَ عِنْدَ كَمَالِ الأَمْرِ مَحْصُوْدُ

٨٣- وَمِنْ مَحَاسِنِ الاسْلامِ أنَّه يَحُثُّ الخَلْقَ ، وَيُوَجِّههم إِلى اصْلَاحِ أنفُسِهِم وَمُجْتَمَعِهِم ، وَيُرْشِدُهم ، وَيُبَيِّن لَهُمْ كيْفَ يُحَرِرُون عُقُولَهم ، وَيَسْمُون بها عَنْ مَهَاوِي الضَّلالِ ، إلى أن يَخُصُوا اللّهَ جَلَّ وعلا بالعِبَادَةِ ، وَيُوَضِحُ لَهُم كَيْفَ يَصْقُلُونَ نُفُوسَهُمْ ، وَيُغذُّونَ أَرْوَاحَهُم ، بالصَّلاةِ كلَّ يومٍ خَمسَ مرَّاتٍ ، وَيُوَضِّح لَهُمْ كَيْفَ يُطَهِّرونَ أَمْوَالَهُمْ ، بِأَدَاءِ حَقِ اللَّهِ ، وَكَيْفَ يَبْنُونَ الأُسْرَةَ المُسْلِمَةَ ، التِي هِيَ نَوَاةُ المُجْتَمَعِ ، عَلَى أُسُسٍ سَلِيْمَةٍ قَوِيَّةٍ ، وَذَلِكَ بِتَوَاصُلِهِم ، وَمَعْرِفَتِهم لِحَقِّ قَرَابَتِهِمْ ، والآياتُ والأَحَادِيْثُ تَدُلُّ على ذَلِكَ ، فَعَنْ أبي أَيُوْبَ الأَنْصَارِي ، أَنَّ رَجُلاً قال : يا رَسُولَ اللّهِ أخْبِرْنِي بعَمَلٍ يُدْخِلُنِيْ الجَنَّةَ ، فَقَال القَوْمُ : مَالَهُ؟ فقال رسولُ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم « أَرَبٌ مَالَهُ تَعْبدُ اللّهَ ، لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، وَتُقِيْمُ الصَّلاةَ ، وَتُؤْتِي الزكاةَ ، وتَصِلُ الرَّحِمَ » الحَدِيْث رواه الشيخان .

٨٤- وَمِن مَحَاسِن الدِّيْن الاسلامِي تَحْرِيمُ الخُصُوْمَةِ بالبَاطِلِ لِمَنْ يَعْلَمْ ، وَتَحْرِيمُ الشفاعةِ التِي تُعطِّلُ إقامَةَ الحُدُوْدِ التِي شَرَعَهَا اللّهُ ، وَتَحرِيْمُ القَولِ عَلَى المؤمنِ بِمَا لَيْسَ فِيْهِ ، فَمِنَ الغايَاتِ التي حَرَصَ الإسلامُ على تَحْقيْقِها أنْ يُقيمَ المُجْتَمَعَ الإِنْسَاني عَلَى أُسُسٍ قَوِيَّةٍ ، مِنَ العَدَالَةِ والتَّرَاحُمِ ، وأنْ تَسُودَ أَعْضَاءَهُ رُوْحُ المَوَدَّةِ ، والتعاونِ المُثْمِرِ ، وَيَسْلَمُ مِنْ عَوَامِلِ الضَّعْفِ ، فَعَن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عنهما قال : سَمِعْتُ رسولَ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم يقول « مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍ مِنْ حُدودِ اللّهِ ، فَقَدْ ضَادَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَن خَاصَمَ في البَاطِلِ وَهُوَ يَعْلَمُ ، لَمْ يَزَلْ في سَخَطِ اللّهِ حتى يَنْزَعَ ، وَمَنْ قال في مُؤمنٍ ما لَيْسَ فِيْهِ ، أَسْكَنَهُ اللّهُ رَدْغَةَ الخَبَالِ ، حتى يَخْرُجَ مِمَّا قال » أخرجه أحمد أبو داود .

اللهم يا عالم الخفيات ، ويارفيع الدرجات ، يا غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .

نسألك أن تذيقنا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يا أرحمن الراحيم ، وأرأف الرائفين وأكرم الاكرمين .

اللهم طيّبْنا لِلقَائِكْ ، وأهِّلْنا لِوَلائِكْ وأدْخِلْنَا مَعَ المَرْحُوميْنَ مِن أوْلِيَائِكْ ، وتُوفَّنَا مُسْلِمِيْنَ والحقنَا بالصَّالحين

« فَصْــلٌ »

٨٥ـ ومِن مَحَاسِنِ الدِيْنِ الاسلامِي تَحْرِيْمُ شَهَادَةِ الزُوْرِ ، وَقَوْلِ الزُوْرِ ، لِمَا في ذَلِكَ مِنَ الأضْرَارِ والمَفَاسِدِ ، التِيْ مِنْهَا بَيْعُهُ آخِرَتَه بِدُنْيَا غَيْرِه ، ومنها إسَاءَتُه إلى مَنْ شَهِدَ لَهُ ، بإعانتِهِ على ظُلْمِهِ ، ومنها إسَاءَتُهُ إلى مَنْ شَهِدَ عَلَيْهِ ، باضَاعَةِ حَقِّهِ ، ومنها إسَاءَتُه إلى القَاضِيْ ، بإضْلاَلِهِ عَنِ المَحَجَّةِ ، ومنها إساءَتُهُ إلى الأُمَّةِ ، بزَلْزَلَةِ الحُقُوقِ فِيْها ، وَعَدَمِ الاطْمِئْنَانِ عليها .

٨٦ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِيْنِ الاسْلاَمِيْ ابْطَالُ مَا عَلَيْهِ أهْلُ الجَاهِلِيَّةِ وَتَحْرِيْمُهُ ، وَهُمَا الطَّعنُ في الانْسَابِ ، والنِّيَاحَةُ على المَيِّتِ ، لِمَا في صحيح مُسْلم ، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه ، أن رسولَ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم قال « اثنَتَانِ في الناسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ ، الطَّعْنُ في النَّسَبِ ، والنِيَاحَةُ على المَيْتِ » .

٨٧ـ وَمِنْ مَحَاسِن الدِيْن الاسلامِي النَّهْيُ عَن لَطْمِ الخُدُوْدِ ، وَشَقِّ الجُيُوبِ في المُصِيْباتِ ، وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي اللّه عنه ، قال قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم « لَيْسَ مِنّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ ، وَشَقَّ الجيوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ » .

٨٨ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِيْنِ الإسْلاَمِي النَّهْيُ عَن الإسْتِيْلاَءِ على المَاءِ الذِيْ لاَ يَخْتَصُّ بِأَحَدٍ ، وَمَنْعِهِ ابنَ السَّبِيْلِ ، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه ، قالَ قالَ رَسُولُ اللّهِ صلى اللّه عليه وسلم « ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُم اللّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، ولا يَنْظر إلَيْهِمْ ، ولا يُزَكِّيْهم ، وَلَهُمْ عذابٌ أليمٌ ، رَجُلٌ على فَضْلِ ماءٍ بفَلاَةٍ ، يَمْنَعُه ابنَ السَّبِيْلِ » متفق عليه ، وفي روايةٍ وَقَالَ فيه « وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ ماءٍ ،

فَيَقُوْلُ اللَّهُ لَهُ : اليومَ أَمْنَعُكَ فَضْلِيْ ، كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ » .

اللَّهم نَوِّر قُلوبَنَا بِنُوْرِ الإِيمانِ واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنِ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصالِحِيْنَ الذين لَا خَوفٌ عليهم ولا هم يَحْزَنُون واغفر لنا ولوالدينا وجميع المُسلمين اللَّهُمَّ اجْعَلِ الأيمانَ هادِماً لِلسيئآت ، كَمَا جَعَلْتَ الكُفْرَ هَادِمَاً لِلْحَسَنَاتِ وَوَفقنا لِلأَعْمَالِ الصالِحاتِ ، واجعلنا مِمَّنْ توكَّلَ عليكَ فَكَفيْتَهُ ، واسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فأجَبْتَهُ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياءِ منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين

فَصْــلٌ »٨٩ـ ومن محاسن الدينِ الاسلامي أنه يُحَرِّمُ الاعتداءَ ، أو النيلَ مِن النَّفس أو المَالِ أو العِرضِ أو العَقلِ ، وَكُلُّ جَرِيْمَةٍ مِن جَرَائِمِ الاعتداءِ عَلَيْهَا عُقُوبَةٌ ، مِن قِصَاصٍ أَوْحَدٍ ، والأَخْلاقُ الإِسلامِيَّةِ مِن الصِّدقِ والأمانةِ والوَفاءِ والعِفةِ وغَيرِها ، لَيْسَتْ أُمُوْرَاً كَمَالِيَّةً في نَظَرِ الإِسلامِ ، كَمَا يَتَوَهَّمُه بَعْضُ الناسِ ، بَلْ هِيَ وَاجِبَاتٌ ، يَحْرِصُ عَلَيْها ، وَمُعَرَّضٌ كُلُّ مَن يَخْرُجُ عن دَائِرتِها ، بِأَنَّهُ سَيُقْتَصُّ منه في الآخرةِ إن لَمْ يَتُبْ وَيَتَدَارَكْ ، وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، انَّ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال « أَتَدْرُوْنَ مَن المُفْلِسِ » قالوا : المُفْلِسُ فِيْنَا مَنْ لَا دِرْهَمَ له ولا مَتَاع . فقال « انَّ المُفْلَسَ مِن أُمَّتِي مَنْ يأتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بصلاةٍ وَصِيَامٍ وَزكاةٍ ، وَيَأْتِيْ وقدْ شَتَمَ هَذَا ، وقَذَفَ هَذَا ، وأكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فإن فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أن يُقْضَى ما عَلَيْه ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ في النارِ » رواه مسلم .

٩٠ـ وَمِن مَحَاسِنِ الدِيْنِ الاسلامِي انَّه يُرْشِدُ مُعْتَنِقَهُ إلى أَنَّ صَلاحَ حَيَاتِهِ يَتَطَلَّبُ منه أَنْ يَكُونَ عِفَّاً في كَلَامِهِ ، فلا يَغْتَابُ ، وَلَا يَنِمُّ ، ولا يَسُبُّ ، ولا يَقْذِفُ مُسْلِماً ، وَلَا يَلْعَنُهُ ، وَلَا يَسْتَهْزِئُ بِهِ ، ولا يَفْتَرِي ، ولا يَكْذِبُ ، عن

أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم أنَّه قال « مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليوم الآخرِ فَلْيَقُل خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ » وقال « إنَّ دِماءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُم حَرَامٌ » .

٩١ـ وَمِنْ محاسنِ الدينِ الاسلامي أنَّه يَحُثُّ المُؤمِنَ على أَدَاءِ وَاجِبِه ، وأنْ لاَ يُدَّخِرَ جُهداً في تَوْجِيْهِ أَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ ، وَأَقْرِبَائِهِ وَجِيْرَانِهِ ، وَكُلِّ مَنْ تَرْبُطُهُمْ بِهِ صِلَةٌ وَثِيْقَةٌ إلى الخَيْرِ ، وَوَسِيْلَتُهُ إلى هذا التوجِيهِ هِيَ التَّواصِيْ بالحَقِّ ، وَالتَّواصِيْ بالصَّبْرِ ، والأمرِ بالمَعروفِ والنهيِ عن المُنْكَرِ .

٩٢ـ ومِنْ محاسنِ الدينِ الاسلامي الأَمْرُ بالحياءِ الذي هو أَصْلُ كلِّ فَضِيْلَةٍ ، وعصمة مِنْ كُلِّ شرٍ ، لِمَنْ وَفَّقهُ اللَّهُ ، وفي حديث عبد اللَّه بن مَسْعُود أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال « اسْتَحْيُوا مِن اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ » قُلْنا : يا رسولَ اللَّهِ إنا نَسْتَحْيِي والحَمْدُ لِلَّهِ . قال « لَيْسَ ذَاكَ ، وَلَكِنْ الاسْتِحْيَاءُ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ أنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، والبَطْنَ وما حَوَى ، وَلْتَذْكر الموتَ والبِلَى ، ومن أَرادَ الآخرةَ تَرَكَ زِيْنَةَ الدُّنْيا » رواه الترمذي وأحمد والحاكم بسند صحيح .

٩٣ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الدينِ الإسلامي النهيُ عن اتِّخاذِ شَيءٍ فيهِ رُوْحٌ غَرَضَاً يُرمَى إليه ، لِمَا في الصحيحين أنَّ ابنَ عُمَرَ مَرَّ بِفِتْيَانٍ مِن قُرَيشٍ ، قَدْ نَصَبُوْا طيراً وَهُمْ يَرْمُونَهُ ، فَلَمَّا رَأَوا ابنَ عُمر تَفرَّقُوا ، فقال ابنُ عُمَرَ : مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا ، إنَّ رَسُوْلَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليهِ وسلم لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئاً فيهِ الرُّوْحُ غَرَضَاً .

٩٤ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الدينِ الاسلامي النهيُ عَنْ بَيْعِ الحُرِّ ، قال صلى اللَّه عليه وسلم « قال اللَّه تعالى ثلاثة أنا خَصْمُهم يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِيْ ثُمَّ

غدَرَ ، وَرَجُلٌ باعَ حُرّاً ثُمَّ أكَلَ ثَمَنُه ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيْراً ، فاسْتَوْفَى مِنْه العَمَلَ ، وَلَمْ يُوفِّه أَجْرَهُ .

٩٥ـ وَمِنْ مَحاسِنِ الدينِ الاسلامي الوَعِيْدُ الشَّدِيْدُ عَلى مَنْ اسْتأجَرَ أجيْراً ، واستوفي مِنْه العَمَلَ ، ولم يُوفِهِ أَجْرَهُ ، للحديث المتقدم .

٩٦ـ وَمِنْ محاسنِ الدينِ الاسلامي تَحريمُ السِّحرِ ، وَتَحْرِيْمُ تَصْدِيْقِ الكاهِنِ ، قال صلى الله عليه وسلم « لَيْسَ مِنا مَنْ تَطَيَّر أو تُطِيَّر لَه ، أوْ تَكَهَّن أو تُكِهِّنَ لَه ، أو سَحَرَ أو سُحِرَ لَهُ ، وَمَنْ أَتى كاهِناً فَصَدَّقَه بِمَا يَقُول ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى اللّهُ عليهِ وَسَلَّم » .

٩٧ـ ومِن مَحَاسِنِ الدينِ الاسلامي تحرِيْمُ القِيَادَةِ والعِيَاذُ باللّهِ ، وهِيَ الجَمْعُ بَيْنَ رَجُلٍ وامرأةٍ أَجْنَبِيَّة ، سواءٌ كان الجامِعُ رَجُلاً أو امرأةً .

٩٨ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الاسلامِ تحريمُ السِّعَايَةُ عِنْدَ السُّلطانِ بِمَضَرَّةِ مُسْلِمٍ .

٩٩ـ وَمِن مَحَاسِن الاسلامِ تَحرِيمُ غَصْبِ المالِ ، لأَنَّه نَوعٌ مِن الظُّلمِ والفَسَادِ .

١٠٠ـ وَمِن مَحَاسِن الاسلامِ تَحْرِيْمُ غَصْبِ المالِ ، لأنَه نوعٌ مِن الظُلم ، واللّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِيْنَ .

١٠١ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الاسلامي الحثُ على الاستِقَامَةِ ، التي هي الاِعتِدَالُ في جمِيْعِ الأمورِ ، مِن الأقوالِ والأفعالِ ، والمُحَافَظَةُ على جميعِ الأحوالِ ، التي تكونُ بها النَّفسُ على أَفْضَلِ حَالةٍ وأَكْمَلِها ، فلا يَظْهَر مِنْها قَبِيْح ، ولا يُتَوَجَّه إليها ذَمٌّ ، ولا لَومٌ وذلك إِنَّما يكونُ بالمُحَافَظَةِ على الشَّرعِ الشَّرِيْفِ ، والتَّمَسُّكِ بالدِّينِ القَوِيم ، والوُقوفِ عِنْدَ حُدُوْدِهِ ، مَعَ التَّخَلُّقِ بالأَخْلاقِ الفاضلةِ ، والصِفاتِ الكامِلَةِ ، قال اللّهُ تعالى ﴿ إنَّ الذِيْنَ قالوا رَبُنا

اللَّهُ ثم استقاموا ، تَتَنَزَّلُ عليهم الملائكةُ ، ألا تخافوا ولا تَحْزَنُوا ، وَأَبْشِروا بالجنَّةِ التي كُنْتُم تُوْعَدُون ﴾ وقال لِنَبِيِّه صلى اللّه عليه وسلم ﴿فاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ وقال النبي صلى اللّه عليه وسلم لِسُفْيَانَ بنِ عبدِ اللَّهِ « قل آمَنْتُ باللّهِ ثم اسْتَقِمْ » .

١٠٢ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الدينِ الاسلامي أنَّهُ ما حَرَّمَ شَيْئاً ، عَلَيْهِم إلَّا عَوَّضَهُم خيراً مِنْهُ ، مِمَّا يَسُدُّ مَسَدَّه ويُغْنِي عَنْه ، كما بَيَّن ذلك ابنُ القَيِّم رحمه اللّهُ تعالى حرَّم عليهمُ الاسْتِقْسَامَ بالأزْلام ، وَعَوَّضَهُم مِنْه دُعَاءَ الاسْتِخَارةِ ،

١٠٣ـ وحرَّم عليهمُ الرِّبا ، وَعَوَّضَهُم التِّجارةَ الرابحةَ .

١٠٤ـ وَحَرَّم عليهم القِمَارَ ، وَأَعَاضَهُم مِنْه أَكْلَ الْمَالِ بالمُسَابَقَةِ بالخَيْلِ والإبلِ والسِّهامِ .

١٠٥ـ وَحَرَّم عليهِمْ الحَرِيْرَ ، وَأَعَاضَهُم مِنْه أنواعَ المَلابِسِ الفَاخِرةِ مِن الصُّوفِ والكتَّانِ والقُطْنِ .

١٠٦ـ وَحَرَّم عليهم شُربَ المُسْكِراتِ ، وأعاضَهُم عَنْه بالأَشْرِبَةِ اللَّذِيْذَةِ ، النافِعةِ للرُّوْحِ والبَدَنِ .

١٠٧ـ وحَرَّم عليهم الخَبَائِثَ مِن المَطْعُومَاتِ ، وأعاضَهُم عَنْهَا بالمَطَاعِمِ الطيباتِ ، وهكذا إذَا تَتَبَّعنا تعالِيْمَ الإسلامِ كُلِّها ، وجَدْنَا أَنَّه جلَّ وَعَلاَ لَمْ يُضَيِّقْ على عِبَادِهِ في جانِبٍ ، إلَّا وسَّعَ علَيْهِمْ في جانبٍ آخَرَ مِن جِنْسِهِ واللَّهُ أعلمُ اللهم أحْيِنا في الدنيا مؤمنينَ طائعينَ وتوفَّنا مسلمينَ تائبينَ واغفر لنا ولوالِدَيْنا ولجميع المسلمينَ برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمين وصلى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

« فَصْــلٌ »

١٠٨ـ وَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّيْنِ الاسْلامي أَنَّهُ يُقَدِّرُ البَوَاعِثَ الكَرِيْمَةَ ، والقَصْدَ الشَّرِيْفَ ، والنِّيَةَ الطيِّبَةَ ، في تَشْرِيْعَاتِهِ وَتَوْجِيْهَاتِهِ كُلِّهَا ، قال صلى اللّهُ عليه

وسلم « إنَّما الأعْمَالُ بالنِّياتِ ، وَإنَّما لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى » وبالنيَّةِ العليبةِ تَنْقَلِبُ المُبَاحَاتُ والعَادَاتُ إلى طَاعَاتٍ وَقُرُبَاتٍ الى اللّهِ ، فَمَنْ تناول غِذَاءَه بِنِيَّةِ حِفْظِ حَيَاتِه وَتَقْوِيَةِ جَسَدِهِ ، لِيَسْتَطِيْعَ القِيَامَ بِمَا أَوْجَبَه عليه رَبُّه ، من حُقُوقٍ وتَكالِيْفَ لِأهْلِهِ وَأَوْلادِهِ ، كَانَ طَعَامُه وَشَرَابُه مَعَ النِّيَةِ الصَّالِحةِ عِبَادَةً ، وَمَن أَتَى شَهْوَتَهُ مَعَ مَا أَحَلَّهُ اللّهُ لَهُ مِن زَوْجَةٍ أَوْ مَمْلُوكَةٍ لَهُ ، يَقْصِدُ إعْفَافَ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ ، وابْتِغَاءَ ذُرِيَّةً صَالِحةً ، كانَ ذَلِكَ عِبَادَةً ، تَسْتَحِقُّ المَثُوبةَ والأَجْرَ مِنَ اللّهِ ، وفي ذَلِكَ يَقُولُ النبيُ صلى اللّهُ عليه وسلم » وفي بُضْعِ أَحَدِكُم صَدَقَةٌ » قالوا : يا رسولُ اللّهِ أيَأْتِي أَحَدُنا شَهْوَتَه ، وَيَكُونُ لَهُ فِيْهَا أَجْرٌ ؟ » قال « أَلَيْسَ إنْ وَضَعَها في حَرَامٍ كانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ ، فكذلك إذا وَضَعَها في حَلَالٍ كانَ لَهُ أَجْرٌ » .

١٠٩ـ ومِنْ مَحَاسِنِ الدينِ الإسْلَامِيْ أَنَّه حَرَّم على المُسْلِمِ شِرَاءَ ما غُصِبَ أَوْ سُرِقَ أو أُخِذَ مِنْ صَاحِبِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، لِأَنَّهُ إذَا فَعَلَ ذَلِكَ يَكُونُ مُعِيْناً لِلْغَاصِبِ والسَّارِقِ والآخِذِ ، وَهَذَا إذا عَلِمَ أَنَّها سَرِقَةٌ ، وَلَوْ طَالَ زَمَنُ غَصْبِهِ أو سَرِقَتِهِ في يَدِ الغَاصِبِ أَوِ السارِقِ أَوِ النَّاهِبِ ، فإِنَّ طولَ الزَّمَنِ في الشَّرِيْعَةِ الاسلامِيَّةِ ، لَا يَجْعَلُ الحَرَامَ حلالاً ، ولا يُسْقِطُ حَقَ المالكِ الأصلِّي بالتَّقَدُّم . وهذا أيضاً مِنْ مَحَاسِنِه .

١١٠ـ وَمِنْ محاسنِ الدينِ الاسلامي تحريمُ الرِّبا ، لِأَنَّ الرِّبا يَقْتَضِيْ أَخْذَ مَالِ الإنْسانِ مِن غَيْرِ عِوَض ، لِأَنَّ مَنْ يَبِيْعُ دِرْهَماً بِدِرْهَمَيْنِ يَحْصُلُ لَهُ زِيَادَةُ دِرْهمٍ مِنْ غَيْرِ عِوَضٍ ، ومالُ الإِنسانِ مُتَعَلِّقُ حاجَتِهِ ، وَلَهُ حُرْمَةٌ عَظِيْمَةٌ ، كَمَا هُوَ مَعْرُوْفٌ : ثانياً اسْتِعْمَالُ الرِّبا يُفْضِيْ إلى انْقِطَاعِ المَعْرُوْفِ بَيْنَ النَّاسِ مِنَ القَرْضِ ، ثالثاً يَمْنَعُ مِنْ تَحَمُّلِ المَشاقِّ تِجَاهَ الاكتسابِ ، فلا يَكَادُ يَتَحَمَّلُ مَشَقَةَ الكَسْبِ ، وَذَلِكَ يُفْضِيْ إلى انْقِطَاعِ منَافِعِ الخَلْقِ ،

وَتَكْسِيْلِهِم عن الجدّ والاجتهادِ في الطَّلبِ ، وقد لعَنَ اللَّهُ آكلَ الرِّبَا وَمُوْكِلَه وكاتِبَه وشَاهِدَيْه .

مَوْعِظَة :

عِبَادَ اللَّهِ إن مَا سَمِعْتُم مِن المَحَاسِنِ نُقْطَةٌ مِن بَحْرِ مَحَاسِنِ الدِيْنِ الاسلامي ، الذِيْ جَمعَ اللَّهُ بِهِ فِرْقَةَ العَرَبِ وَشَتَاتَهُمْ ، وَوَحَّد بِهِ قُلُوبَهُم وَصُفوفَهم ، وَهَذَّبَ طِبَاعَهُم وأخلاقَهُم ، حَتَّى أَوْجَدَ مِنْهُم أمةً شَدِيْدَةَ البأسِ ، وَاسِعَةَ السُّلْطانِ ، مَلَكَتْ نَاصِيَةَ الأرضِ ، ونَشَرَتْ عَلَّمَ الاسلامِ في نَوَاحِيْها ، قالَ اللَّهُ تعالى ﴿ واذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُم إذ كُنْتُم أعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قلوبكُم ، فأصْبَحْتُم بِنِعْمَتِه إخواناً ﴾ وقال ﴿ واذْكُرُوْا إِذْ أَنْتُم قَلِيْلٌ مُسْتَضْعَفُونَ في الأرضِ تَخافُونَ أَنْ يَتخَطَّفَكُمُ الناسُ ، فآوَاكُمْ ، وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ ﴾ .

دِيْنٌ نَشَرَهُ اللَّهُ في أَرْجَاءِ المَعْمُورَةِ ، كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ ، لاَ يُحْجَبُ شَعَاعُها ، وكالقَمَرِ الزَّاهِرِ ، لاَ يَخْفَى ضَوْءُهُ ، ولا يَخْسُفُ نُوُرُه .

دِيْنٌ تَرَى أَعْدَاءَهُ مُبْغِضِيْهِ يَقْتَرِبُوْنَ مِنْهُ كُلَّ يومٍ ، مِنْ حَيْثُ يَشْعُرُوْنَ ، وَمِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُوْنَ ، لِأَنَّهم بِمُخْتَرَعَاتِهِم وَعُلُومِهِمْ لم يَزِيْدُوْا عَلَى أَنَّهُمْ بِهِ يَشْهَدُوْن ، قال تعالى ﴿ سَنُرِيْهِمْ آياتِنا في الآفاقِ وفي أَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَق ﴾ دِيْنٌ يَكِيْدُ لَهُ أَعْدَاؤُهُ وَحُسَّادُهُ ، مِنْ يَوْمِ أُنْزِلَ ، وَهُوَ كَمَا تَرَى ، لَم يَطْفَأْ لَهُ نُوْرٌ ، وَلَمْ يَضْعُفْ لَهُ بُرْهَانٌ قَالَ تعالى ﴿ يُرِيْدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بأفواهِهِم ، واللَّهُ مُتِمُّ نُوْرِهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُون ﴾ .

أَيُّها المُسْلِمُ حَسْبُكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الدِيْنَ الإِسْلاَمِيْ يَحْتَوِيْ عَلى خَيْرِي الدُنْيا والآخِرَةِ ، وَنَعِيْمِ العَاجِلَةِ والآجِلَةِ ، فَمَا مِنْ فَضِيْلَةٍ إلاَّ حَثَّ عليْهَا ، وما مِن رَذِيْلَةٍ إلا نَفَّرَ مِنْهَا ، فإِذَا اعْتَصَمْتَ بِحَبْلِهِ المَتِيْنِ ، وَحَرِصْتَ عَلى العَمَلِ

بِأَحْكَامِهِ ، والتَّحَلِّي بآدَابِهِ ، عِشْتَ سَعِيْداً ، وَمُتَّ سَعِيْداً حميداً .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :

هَـذَا وَنَـصْـرُ الـدِّيْـنِ فَـرْضٌ لاَزِمٌ
لا لِـلْكِـفَـايَـةِ بَـلْ عَـلَى الأَعْـيَـانِ
بِـيَـدٍ وإمَّـا بـالـلِّسَـانِ فـإنْ عَـجـزْ
تَ فَـبِـالتَّـوَجُّـهِ والـدُّعَـا بِـجَـنَـانِ

مَا بَعْدَ ذَا واللَّهِ لِلإيمانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ يَا نَاصِرَ الإيمانِ
بِحَيَـاةِ وَجْهِـكَ خَيْـرِ مَسْؤُولٍ بِـهِ
وَبِـنُـورِ وَجْـهِـكَ يَـا عَـظِيْمَ الشَّـانِ
وَبِحَـقِ نِـعْـمَـتِـكَ الَّتِـيْ أَوْلَيْـتَـهَـا
مِـن غَـيْـرِ مَـا عِـوَضٍ ولاَ أَثْـمَـانِ
وبحَقِ رَحْمَتِـكَ الَّتِي وَسِعَتْ جَمْيـعَ الخَلقِ مُحْسِنَهُم كَـذاكَ الجـانِي
وبـحـقِ أسْـمَـاءٍ لَـكَ الـحُـسْـنَـى مَـعَـاً
فِـيْـهَـا نُـعُـوتُ الـمَـدْحِ لِـلرَّحْـمٰـنِ
وبـحَـقِ حَـمْـدِكَ وهُـوَ حَـمْـدٌ وَاسِـعَ الْـ
أَكْـوَانِ بَـلْ أَضْـعَـافُ ذِي الأَكْـوَانِ

وبـأَنَّـكَ اللَّهُ الإلـهُ الحَقُّ مَعْبُودُ الـوَرَى مُتَقَـدِّسٌ عَنْ ثَـانِ
بَـلْ كُـلُّ مَـعْـبُـودٍ سِـوَاكَ فَـبَـاطِـلٌ
مِن دُوْنِ عَـرْشِـكَ لِلثَّـرَى التَّحْـتَـانِي
وبـكَ المَعَاذُ ولا مَلاَذَ سِوَاكَ أنْتَ غِيَاثُ كُلِ مُلَذَّدٍ لَهْفَانِ

مَنْ ذَاكَ لِلْمُضْطَرِ يَسْمَعُهُ سِوَا
كَ يُجِيْبُ دَعْوَتَهُ مَعَ العِصْيَانِ
إنَّا تَوَجَّهْنَا إلَيْكَ لِحَاجَةٍ
تُرْضِيْكَ طَالِبُهَا أَحَقُّ مُعَانِ
فَاجْعَلْ قَضَاهَا بَعْضَ أَنْعُمِكَ الَّتِي
سَبَقَتْ عَلَيْنَا مِنْكَ كُلَّ زَمَانِ
انْصُرْ كِتَابَكَ والرَّسُولَ وَدِيْنَكَ العَالِي الذي أَنْزَلْتَ بالبُرْهَانِ
واخْتَرْتَهُ دِيْناً لِنَفْسِكَ واصْطَفَيْتَ مُقِيْمَةً مِن أُمَّةِ الإنسانِ
وَرَضِيْتَهُ دِيْناً لِمَنْ تَرْضَاهُ مِن
هَذَا الوَرَى هُو قَيِّمُ الأَدْيَانِ
وَأَقِرَّ عَيْنَ رَسُوْلِكَ المَبْعُوثِ بالدِّ
يْنِ الحَنِيْفِ بِنَصْرِهِ المُتَدَانِ
وانْصُرْ به النَّصْرَ العَزِيْزَ كَمِثْلِ مَا
قَدْ كُنْتَ تَنْصُرُهُ بِكُلِ زَمَانِ
يا رَبُّ وانْصُرْ خَيْرَ حِزْبَيْنَا عَلى
حِزْبِ الضَّلالِ وَعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ
يَا رَبُّ وَاجْعَلْ شَرَّ حِزْبَيْنَا فِداً
لِخِيَارِهِم وَلِعَسْكَرِ القُرْآنِ
يَا ربُّ واجْعَلْ حِزْبَكَ المَنْصُوْرَ أَهْلَ تَرَاحُمٍ وتَواصُلٍ وَتَدَانِ
يَا رَبُّ وَاحْمِهُمُ مِن البِدَعِ التي
قَدْ أُحْدِثَتْ في الدِّيْنِ كُلَّ زَمَانِ

يَــا رَبُّ جَـنِّبْهُـم طَـرَائِـقَهَـا الـتي
تُـفْـضِـي بِـسَـالِـكِـهَـا إلـى الـنِّـيْـرَانِ
يَــا رَبُّ واهْــدِهِـمْ بِـنُــوْرِ الـوَحْـي كَـيْ
يَــصِـلُوا إلَـيْـكَ فَـيَـظْـفَـرُوا بِـجِـنَـانِ
يَــا رَبُّ كُـنْ لَـهُــمْ وَلِـيــاً نَـاصِـراً
واحْـفَـظْـهُـمُ مِـنْ فِـتْـنَـةِ الـفَـتَّـانِ
وانْـصُـرْهُـمْ يـا رَبُّ بـالـحقِّ الّـذِيْ
أَنْـزَلْـتَـه يـا مُـنْـزِلَ الـقُـرآنِ
يَــا رَبُّ إنَّــهُـمْ هُـمُ الـغُـرَبَـاءُ قَـدْ
لَـجَـؤُا إلَـيْـكَ وَأَنْـتَ ذُوْ الإحْـسَـانِ

يَا رَبُّ قَدْ عَادَوْا لأَجْلِكَ كُلَّ هَـذا الخَلْقِ إلا صَادِقَ الإيمانِ

قَــدْ فَـارَقُــوْهُم فِيْـكَ أَحْـوَجَ مـا هُمُ
دُنْـيَـاً إلَيْـهِـم فـي رِضَـى الـرَّحْـمنِ
وَرَضُــوا وَلايَـتَـكَ الَّتِيْ مَـنْ نَـالَـهَـا
نَـالَ الأَمَـانَ وَنَـالَ كُـلَّ أَمَـانِ
وَرَضُـوْا بِوَحْيِـكَ مِنْ سِـوَاهُ وَمَـا ارْتَضَـوْا
بِـسِـوَاهُ مِـنْ آرَاءِ ذِي الـهَـذَيَـانِ

يــا رَبُّ ثَبِّتْهُمْ على الإِيْمـانِ واجْعَلْهُمُ هُـدَاةَ التَّـائِـهِ الـحَيْـرانِ

وانْصُـرْ عَلَى حِـزْبِ النِّفَـاقِ عَـسَاكِرَ الـ
إثْـبَـاتِ أَهْـلَ الـحَـقِّ والـعِـرْفَـانِ

وَأَقِمْ لِأَهْلِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْـ
أَنْصَارَ وانْصُرْهُمُ بِكُلِّ زَمَانِ
واجْعَلْهُمُ لِلْمُتَّقِيْنَ أئِمَّةً
وارْزُقْهُمُ صَبْراً مَعِ الإِيْقَانِ
تَهْدِيْ بِأَمْرِكَ لَا بِمَا قَدْ أَحْدَثُوا
وَدَعَوْا إليهِ النَّاسَ بالعُدْوانِ
وأَعِزَّهُمْ بالحَقِّ وانْصُرْهُمْ بِهِ
نَصْراً عَزِيْزاً أَنْتَ ذُوْ السُّلْطانِ
واغْفِرْ ذُنُوبَهُمُ وَأَصْلِحْ شَأْنَهُمْ
فَلأَنْتَ أهْلُ العَفْوِ والغُفْرَانِ
وَلَكَ المَحَامِدُ كُلُّها حَمْداً كَمَا
يُرْضِيْكَ لَا يَفْنَى عَلَى الأَزْمَانِ
مِلءَ السَّمواتِ العُلَى والأَرْضِ والْـ
مَوْجُودِ بَعْدُ وَمُنْتَهى الإمْكَانِ
مِمَّا تَشَاءُ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ
حَمْداً بِغَيْرِ نِهَايَةٍ بِزَمَانِ
وَعَلَى رَسُولِكَ أَفْضَلُ الصَلَوَاتِ والتَّسْلِيْمِ مِنْكَ وَأَكْمَلِ الرِّضْوَانِ
وعلى صَحَابَتِهِ جَمِيْعاً والأُلى
تَبِعُوهُمُ مِنْ بَعْدُ بالإحْسَان

وختاماً فاليك كلمة موجزة قالها أحد العلماء

أَرْسِلْ طَرْفَكَ إِلَى نَشْأَةِ الأُمَّةِ وَتَبَيَّنْ أَسْبَابَ نُهُوضِهَا الأَوَّلَ فَترى أَنَّ مَا جَمَعَ كَلِمَتَهَا وَأَنْهَضَ هِمَمَ آحادِهَا وَلَحَّمَ بَيْنَ أَفْرَادِهَا وَصَعَدَ بِهَا إِلَى مَكَانَةٍ

تُشْرِفُ مِنْهَا عَلَى رُؤُوسِ الأُمَمِ وَتَسُوْسُهُمْ وهي في مَقَامِهَا بِدَقِيْقِ حِكْمَتِهَا إِنَّمَا هُوَ « دِيْنٌ » قَوِيْمُ الأُصُولِ مُحْكَمُ القَوَاعِدِ شَامِلٌ لِأَنْوَاعِ الحِكَمِ بَاعِثٌ عَلَى الأُلفَةِ دَاعٍ إلى المَحَبَّةِ مُزَكٍّ لِلنُّفُوسِ مُطَهِّرٌ لِلْقُلُوبِ مِن أَدْرَانِ الخَسَائِسِ مُنَوِّرٌ لِلْعُقُولِ بِاشْرَاقِ الحَقِّ مِن مَطَالِعِ قَضَايَاهُ كَافِلٌ لِكُلِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الانْسَانُ مِن مبَانِي الاجْتِمَاعَاتِ البَشَرِيَّةِ وَحَافِظٌ وُجُوْدَهَا وَيُنَادِي بِمُعْتَقِدِيْهِ إلى جَمِيْعِ فُرُوْعِ المَدَنِيَّةِ الصَّحِيْحةِ ، إنظُرْ إلى التاريخِ قَبْلَ بِعْثَةِ الدِيْنِ وما كانَتْ عَلَيْهِ مِن الهَمَجِيَّةِ والشَّتَاتِ واتْيانِ الدَّنَايَا والمُنْكِرَاتِ حَتَّى إذا جَاءَهَا الدِّيْنُ وَحَّدَهَا وَقَوَّاهَا وَهَذَّبَهَا وَنَوَّرَ عُقُوْلَهَا وَقَوَّمَ أَخْلاَقَهَا وسَدَّدَ أَحْكَامَهَا فَسَادَتْ على العالَمِ وَسَاسَتْ مَنْ تَوَلَّتْهُ بالعَدْلِ والإِنْصَافِ أ هـ .

اللهم عافِنا مِن مَكْرِكَ وَزَيِّنَا بِذِكْرِكْ واسْتَعْمِلْنَا بِأَمْرِكْ ولا تَهْتِكْ عَلَيْنَا جَمِيْلَ سِتْرِكَ وآمنن علينا بلُطْفِكَ وَبِرِّكْ وَأَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وشُكْرِكْ اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا مِن عَذَابِكْ وَأمِّنَا مِنْ عِقَابِكْ .

اللهم وَفِقْنَا للاسْتِقَامَةْ والعَدْلِ فِيْمَا وَلَّيْتَنَا عَلَيْهِ اللهم إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِن دُنْياً تَمْنَعُ خَيْرَ الآخِرَةْ وَنُعوذُ بِكَ مِن حياةَ تَمْنَعُ خير المَماتْ وَنُعوذُ بِكَ مِنْ أَمَلٍ يَمْنَعُ خَيْرَ العَمَلْ ونسأَلَكَ أن تَنَوِّرَ قُلُوبَنَا وَتُثَبِّتَنَا على قَوْلِكَ الثَّابِتِ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفي الآخِرَة وأن تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلى اللهُ على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فَصْـــلٌ »

في ذكر بعض معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

عِبَادَ اللهِ لَمَا كانَتْ مُعْجِزَاتُ النبي صلى الله عليه وسلم أَنْـوَارُ

تُشْرِقُ على القُلُوبِ الطَّافِحَةِ بالإيمانِ وَتَزِيْدُهَا قُوَّةً وَثَبَاتاً واسْتِقَامَةً أَحْبَبْتُ أَنْ أَذْكُرَ مَا تَيَسَّرَ منها واللهُ المسؤولُ أن يَجْعَلَ عَمَلَنَا خَالِصاً لِوَجْهِهِ الكَرِيْم .

إِعْلَم وَفَّقَنَا اللهُ وإيَّاك وَجَمِيْعَ الْمُسْلِمِيْنَ لِمَا يُحِبُّهُ ويَرْضَاهُ أَنَّ اللّه قد جَمَعَ لِنَبِيِّنَا صلى اللّه عليه وسلم جَمِيْعَ أَنْوَاعِ الْمُعْجِزَاتِ والخَوارِقِ . أما العِلْمُ وَالأَخْبَارُ الغَيْبِيَّةُ والسَّمَاعُ والرُّؤْيَةُ .

١ ـ فمثل إِخْبَارُه صلى اللّه عليه وسلم عَنِ الأنبياءِ الْمُتَقَدِمِيْنَ وَأُمِمِهِمْ .

٢ ـ ومُخَاطَبَتِهِ لَهُم وَأَحْوَالِهِ مَعَهُم .

٣ ـ وكذلك اخباره عن أُمُورِ الرُّبوبية والملائِكَةِ والجَنَّةِ والنارِ بما يُوَافِقُ الأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ مِنْهُم ، وَيُعْلَمُ أَنَّ ذلكَ مُوافِقٌ لِنَقُول الأَنبياءِ تارةً بما في أَيْدِيهِمْ مِنَ الكُتُبِ الظَّاهِرةِ ونَحْوِ ذَلِكَ مِنَ النَّقْلِ الْمُتَوَاتِرِ .

٤ ـ وتَارَةً بِمَا يَعْلَمُهُ الخَاصَّةُ مِن عُلَمَائِهِمْ .

٥ ـ فإِخْبَارُهُ عَنِ الأُمُوْرِ الغَائِبَةِ مَاضِيْهَا وَحَاضِرِهَا هُوَ مِنْ بابِ العِلْمِ الخَارِقِ لِلْعَادَةِ .

٦ ـ وكذلِكَ إِخْبَارُهُ عَنِ الأُمُوْرِ الْمُسْتَقْبَلَةِ .

٧ ـ مِثْل مَمْلَكَةِ أُمَّتِهِ .

٨ ـ وَزَوَالِ مَمْلَكَةِ فَارِسَ .

٩ ـ والرُوْم .

١٠ ـ وقِتَالِ التُرْكِ وَأُلوف مُؤَلَّفَة مِنَ الأَخْبَارِ التي أَخْبَرَ بَها . واما القُدْرَةُ والتَّأثِيرُ .

١١ ـ فانْشِقَاقُ القَمَرِ .

١٢ ـ وكذا مِعْرَاجُهُ إلى السَّمَوَاتِ .

١٣ ـ وكِثْرَةُ الرَّمْي بالنُّجُوْمِ عِنْدَ ظُهُوْرِهِ .

١٤ ـ وكذَا إسْرَاؤُهُ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأَقْصَى .

١٥ ـ وَتَكْثِيرُ الماءِ في عَينْ تَبُوْكَ .

١٦ ـ وَعَينْ الحُدَيْبِيَة .

١٧ ـ ونَبْعِ الماءِ مِن بَينْ أَصَابِعِهِ .

١٨ ـ وكذا تكْثِيرْ الطَّعامِ . وَيَأْتِي إنْ شَاءَ اللَّهُ بَعْضُهَا مُوَضَّحاً مُفَصَّلاً قَرِيْباً .

١٩ ـ وفي صحيحِ مسلمٍ مِن حديثِ جابرٍ قال : « سِرْنَا مَعَ رسولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم حَتىَّ نَزَلْنَا وَادِياً أَفْيَحَ فَذَهَبَ رسولُ اللهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم يَقْضِيْ حَاجَتَهُ فإتبعتُهُ بإدَاوَةٍ مِن مَاءٍ فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليهِ وسلم فَلَم يَرَ شَيْئاً يَسْتَتِرُ فإذَا شَجَرَتَان بشَاطِىءِ الوَادِي فانْطَلَقَ رَسُوْلُ اللَّهِ صَلى اللَّهُ عليهِ وسَلم إلى احْدَاهمُا فأَخذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فقَالَ انْقَادِيْ عَليَّ بإذْنِ اللَّه .

فانْقَادَتْ مَعَهُ كَالبَعِيرْ المَخْشُوْمِ الذي يُصَانِعُ قَائِدَهُ حَتىَّ أَتىَ الشَّجَرَةَ الأُخْرَى فأَخذَ بَعْضَ أَغْصَانَهَا فقالَ انْقَادِي عَلَّي بإذنِ اللَّهِ فانْقَادَتْ كذلك

حَتىَّ إذا كَانَ بِالْمُنْتَصَفِ فِيْمَا بَيْنَهُمَا فلاَئَمَ بَيْنَهُمَا حَتىَّ جَمَعَ بَيْنَهُما ، فقال التَئِمَا عَلَيَّ بإذنِ اللّهِ فالْتَأَمَتَا عَلَيه .

فخَرَجَت أحْضُرُ مَخَافَةَ أنْ يحُسَّ رسولُ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم بِقُرْبِي فَتَبَاعَدَتْ فَجلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِيْ فَحَانَتْ مِنيِّ لَفْتَةٌ فإذا أَنا بِرَسُولِ اللّهِ صلى اللّه عليه وسلم مُقْبِلاً وإذَا الشَّجَرَتانِ قَدْ افْتَرَقَتا فَقَامَتْ كلُّ واحِدةٍ مِنْهُمَا على سَاقٍ » وذكَر الحديث .

٢٠ ـ ومِنهَا أَنهَّا انْكَسَرَتْ رِجْلُ عبدِ اللّهِ بنِ عُتَيْك رَضِيَ اللّه عَنْهُ بَعْدَمَا قتَلَ أَبَا رَافِعٍ الذِيْ يُؤْذِيْ النَّبِيَّ صلى اللّهُ عليه وسلم قَالَ فانْتَهَيْتُ إلى النبيِّ صلى اللّهُ عليه وسلم فَحَدَّثْتهُ فقال لِيْ « أبْسِطْ رِجْلَك » فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَها فكَأَنهَّا لَمْ أشْتَكِهَا قَطُّ .

٢١ ـ وقِصَّةُ أمِّ مَعْبَدٍ مَشْهُوْرَةٌ مِنْ حَدِيْثِهَا أَنَّ رَسُولَ اللّهِ صَلىَّ اللّهُ عليهِ وَسَلَّمَ حِيْنَ مرَّ بهَا طَلَبَ لَبَناً أوْ لحْمًا يَشْتَرُونَهُ وكانُوا مُرْمِلِين مُسْنِتِيْن فلَمْ يجَدُوْا عِندَهَا شَيْئاً قَطُّ فَنَظَرَ إلى شَاةٍ في كِسْرِ الخَيْمَةِ خَلَّفَهَا الجُهْدُ عن الغَنَم ، فسأَلَهَا هَلْ بها مِن لَبَنٍ ؟ فقالَتْ : هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذلِكَ ، فَقَالَ : أَتَأذَنِيْنَ لِي أَنْ أَحْلِبَها ! فَقَالَتْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِيْ إنْ رَأَيْتَ بهَا حَلْباً .

فَدَعَا بالشَّاةِ فاعْتَقَلها وَمَسَحَ ضَرْعَهَا فَدَرَّتْ واجْتَرَّتْ وَدَعَا بإناءٍ يُشْبِعُ الرَّهْطَ فَحَلَبَ حَتىَّ مَلأَهُ وَسَقَى القَومَ حَتىَّ رَوَوْا ثُمَّ شَرِبَ آخِرُهُمْ ثُمَّ حلَبَ فِيه مَرَّةً أُخْرَى عَللاً بَعْدَ نهلٍ ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا وَذَهَبُوْا فَجاءَ أَبُوْ مَعْبَدٍ فلَماَّ رَأى اللَّبَنَ قَالَ مَا هَذَا يَا أُم مَعْبَدٍ ؟ أَنىَّ لَكِ هَذَا والشَّاةُ عَازِبٌ حِيَالٌ وَلاَ حَلُوبَةَ بالبَيْتِ فَقَالَتْ لاَ وَاللّهِ إلا أَنَّهُ مرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبارَكٌ فقالَ صِفيْهِ فَوَصَفَتْهُ له ، وَذَلِكَ فِي طَرِيْقِ هِجْرَتهِ صلى اللّه عليه وسلم إلى المدِيْنة .

وقَدْ قِيْلَ في ذَلِكَ الأَبْيَاتُ الْمَشْهُوْرَةُ قَالَتْ أَسْماءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهما فَلَماَّ سَمِعْنَا قَوْلَهُ عَرَفْنَا حَيْثُ وَجَّه رَسُول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم تُشِيْرُ إلىَ مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّه أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ الجِنِّ مِن أَسْفَلِ مَكَّةَ يَتَغَنىَّ بِأَبْيَاتٍ مِن شِعْرِ غِنَاءَ العَرَبِ وَأَنَّ النَاسَ لَيَتْبَعُونَهُ يَسْمَعُونَ صَوْتَه وما يَرَوْنَهُ حتى خَرَجَ مِنْ أَعْلىَ مكةَ وهو يقول :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَاسِ خَيْرَ جَزَائِه
رَفِيْقَيْنِ حَلاَّ خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ
هُمَا نَزَلاَ بِالبِرِّ ثم تَرَوَّحَا
فَأَفْلَحَ مَن أَمْسَى رَفِيْقَ مُحَمَّدِ
لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِم
وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِيْنَ بِمَرْصَدِ
سلُو أُخْتَكُم عن شَاتِهَا وَإِنَائِهَا
فَإِنَّكُمُوا إِنْ تَسْأَلُوا الشاةَ تَشْهَدِ
دَعَاهَا بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ
لَهُ بِصَرِيْحٍ ضَرَّةِ الشَّاةِ مُزْبِدِ
فَغَادَرَهُ رَهْناً لَدَيْهَا لِحَالِبٍ
يُدِرُّ لَهَا في مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدِ

فلما سَمِعَ حَسَانُ بنُ ثابت أنشأ يَقُول مُجِيْباً لِلْهَاتِفِ :

لَقَدْ خَابَ قَومٌ زَالَ عَنْهُم نَبِيُّهُم
وَقُدِّسَ مَنْ يَسْرِيْ إِلَيْهِم وَيَغْتَدِي

تَـرَحَّـلَ عن قَـوْمٍ فَـظَلَّتْ عُقُـولُهُـم
وَحَـلَّ عَـلىَ قَـومٍ بِـنُـوْرٍ مُجُـدَّدِ
هَـدَاهُـم بِهِ بَعد الـضَّـلاَلـةِ رَبُّهُـم
وَأرْشَـدَهُـم مَن يَتْبَـعِ الحـقَّ يَـرْشُـدِ
وَقَـدْ نَـزَلَتْ مِنـه عـلى أهـلِ يَثْـرِبِ
رِكَـابُ هُـدىً حَلَّتْ عَلَيْـهم بِـأسْعَـدِ
نَبيٌ يَـرى مـا لا يَـرَى النَّـاسُ حَـوْلَـهُ
ويُتْلُو كِتَـابَ اللهِ في كُـلِّ مَـسْجِـدِ
وإن قَـالَ في يَـومٍ مَـقَـالَـةَ غَـائِـبٍ
فَتَصْـدِيقُهَا في اليـومِ أَوْ في ضُحَى الغَـدِ
لِـيَـهْـنِ أَبَـا بَـكْـرٍ سَـعَـادَةُ جـدِّه
بِصُحْبَتِـه مَنْ يُسْـعِـدِ الـلَّهُ يَسْـعَـدِ

٢٢ ـ وفي الترمذي عن علي رضي اللّه عنه قال: «كُنْتُ مَعَ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بمكةَ فَخَرجْنَا في بَعضِ نَوَاحِيْها فما اسْتَقْبَلَهُ شَجَرٌ ولا جَبَلٌ إلاَّ وَهُوَ يَقُولُ السلامُ عَلَيْكَ يا رسولَ اللّه» رواه الحاكم في صحيحه.

٢٣ ـ وجاء أَعْرَابيٌّ إلى النبيِّ صلى اللّه عليه وسلم فقال بِمَ أَعْرِفُ أنَّكَ نبي؟ قال «إنْ دَعَوْتُ هَذَا العِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رسولَ اللّه؟ قال «نَعَمْ فَدَعَاهُ رسولُ اللّهِ صلى اللّه صلى اللّه عليه وسلم فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِن النَّخلةِ حَتَّى سَقَطَ إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم ثم قالَ ارْجِعْ فَعَادَ، فأَسْلَمَ الأعرابيُّ.

شِعْرا :

تَأَمَّلْ في نَبَاتِ الأرْضِ وانْظُرْ ... إلَى آثارِ مَا صَنَعَ المَلِيْكُ
عُيُونٌ مِنْ لُجيْنَ شَاخِصَاتٌ ... بأَحْدَاقٍ هيَ الذَّهبُ السَّبِيْكُ
عَلَى قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ ... بأَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيْكُ
وأنَّ مُحَمَّداً خَيْرُ البَرَايَا ... إلَى الثَّقَلَيْنِ أَرْسَلَهُ المَلِيْكُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتِكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا القِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا يُسْخِطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَّاتِنَا وَذُرِّيَاتِنَا وَأَعِذْنَا مِنْ شَرِّ نُفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَأَعِذْنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانَا تَبَعاً لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ صَلى اللهُ عليه وسلَّم وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْلٌ »

٢٤ ـ ولَمَّا بَعَثَتْ قُرَيْشٌ في فِدَاءِ أسراهُم إلى رَسُوْلِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عليه وَسَلَّم بَعْدَ بَدْرٍ فَفَدَى كُلُّ قَوْمٍ أَسِيْرَهُم بِمَا رَضُوا وَكَانَ العَبَاسُ أَسِيْراً قال يا رسولَ اللَّهِ قَدْ كُنتُ مُسْلِماً فقال رسولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم « اللَّهُ أعلمُ باسْلامِكَ فإنْ يَكُن كَمَا تَقُولُ فإِنَّ اللَّهَ يَجْزِيْكَ وأما ظَاهِرُكَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا فافْتَدِ نَفْسَكَ وابْنَي اخوَيْكَ » قال العَبَاسُ . ما ذَاكَ عِنْدِيْ قال رسولُ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم « فَأَيْنَ المالُ الذِيْ دَفَنْتَهُ أَنْتَ وأمُّ الفَضْلِ فَقُلْتَ لَهَا إنْ أُصِبْتُ في سَفَرِيْ هَذَا فَهَذَا المالُ الذِيْ دَفَنْتُهُ لِبَنِيَّ الفَضْلُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَقُثَم » .

قالَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لأَعْلَمُ أنَّكَ رسولُ اللَّهِ إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ ما عَلِمَهُ أَحدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ أُمِّ الفَضْلِ .. الخ .

٢٥ ـ وَقِصَّةُ ارتجَافُ أُحُدٍ وَذَلِكَ أَنَّ النبيَ صلى اللَّهُ عليه وسلم صَعِدَ أُحُداً وَمَعَهُ أَبُوْ بَكْرٍ وَعُمَرُ وعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهِ عليه وسلم أُثْبُتْ أحُدُ فَإِنَّمَا عَليكَ نَبِيٌّ وصديقٌ وشهيدان .

٢٦ ـ وقِصَّةُ مَاءِ الرَّكْوَةِ وَهِيَ مَا وَرَدَ عن جابر بنِ عبدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قال عَطِشَ الناسُ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ والنَّبِيُّ صلى اللَّهُ عليهِ وسلم بَيْنَ يَدَيْه رَكْوَةٌ يَتَوَضأُ فَجَهَشَ الناسُ نَحْوَهُ فقالَ : « مالكُم ؟ » قالُوا : لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضأُ ولا نَشْرَبُ إلا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ قال جَابرٌ فَوَضَعَ النبيُ صلى اللَّهُ عليه وسلم يَدَهُ في الرَّكْوَة فَجَعَلَ الماءُ يَثُورُ بَيْنَ أصَابِعِهِ كامْثَالِ العُيُوْنِ فَشَرِبْنَا وَتَوَضأْنَا قال سَالِمٌ قُلْتُ لِجَابِرٍ كَمْ كُنْتُمْ قال لَوْ كنُا مائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا خَمْسَ عَشَرْةَ مائَةٍ (١٥٠٠) .

٢٧ ـ وقِصَّةُ مَوْتِ النَّجاشِي وهِيَ مَا وَرَدَ عَن أُمّ كُلْثُومَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ رَبِيْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم قَالَتْ لَمَّا تَزَوَّجَ النبيُ صلى اللَّهُ عليه وسلم أُمَّ سَلَمَةَ قال لَهَا « إِنِّي قَدْ أَهْدَيْتُ لِلنَّجاشِي أَوَاقِيَ مِن مِسْكٍ وَحُلَّةً وإِنّيْ لاَ أَرَاهُ إلاَّ قَدْ مَاتَ وَلا أَرَى الهَدِيَّةَ إلاَّ سَتُرَدُّ إليَّ ، فإذا رُدَّت إليَّ فَهِيَ لَكِ » فكانَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم ، مَاتَ النَّجَاشِيُ وَرُدَّتْ إلى النبي صلَّى اللَّهُ عليه وسلم هَدِيَّته فأعْطَى كُلَّ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ أُوْقِيَّةً مِنْ ذَلِكَ المِسْكُ وأَعْطَى سَائِرَهُ أَمَّ سَلَمَةَ .

٢٨ ـ وقِصَّةُ عُكَّاشَةِ بن مِحْصَن بنِ حَرْثانِ الأَسَديِّ حِيْنَمَا انْدَفَعَ يُقَاتِلُ المُشْرِكِيْنَ يَوْمَ بَدْرٍ وَيَحْصُدُ فِيهم حَصْداً حَتَّى انْكَسَرَ سَيْفُهُ فَلَمْ يَثْنِهِ ذَلِكَ عن خَوْضِ المَعْرَكَةِ وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ كَسْرِ سَيْفِهِ مَعْذِرَةً عَن القِتَالِ فَجَاءَ إلى النَّبي صلى اللَّهُ عليه وسلم يُخْبِرُهُ بِكَسْرِ سَيْفِهِ وَإرَادَةِ غَيْرِهِ

فَدَفَعَ صلى اللَّهُ عليه وسلم لَهُ جِذْلاً مِنْ حَطَبٍ فَقَالَ لَهُ قَاتِلْ بِهَذَا يَا عُكَاشَةُ .

فلمَّا أَخَذَهُ عُكَّاشَةُ مِنْ رَسُول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم هَزَّهُ فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفاً صَارِماً طَوِيْلَ القَامَةِ شَدِيْدَ المَتْنِ أَبْيَضَ الحَدِيْدَةِ فقاتل بِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنه حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ تعالى علَى المُسْلِمِيْنَ وَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ ذَلِكَ السَّيْفُ يَشْهَدُ بِهِ المَشَاهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلم حَتَّى اسْتُشْهِدَ في قِتَالِ الرِّدةِ في خِلَافَةِ أَبِيْ بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ رَضِيَ اللَّهُ عنه .

٢٩ ـ وَقِصَّةُ عُمَيْر بن وَهْبِ الجُمَحِي وذلكَ أنَّه كَانَ مَعَ صَفْوَانَ بنِ أُمَيَّةَ بَعْدَ مُصَابِ أَهْلِ بَدْرٍ وكانَ عُمَيْرٌ شَيْطَاناً مِنْ شَيَاطِيْنِ قُرَيْشٍ وَمِمَّن كانَ يُؤْذِيْ رسولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم وَأَصْحَابَهُ وَيَلْقَوْن مِنْهُ عَنَاءً وَهُوَ بمكةَ وكانَ ابنُهُ وَهْبُ ابنُ عُمَيْرٍ في أُسَارَى بَدْرٍ قال فَذَكَرَ عُمَيْرٌ أَصْحَابَ القَلِيْبِ وَمُصَابَهُم فقال صَفوَانُ واللَّهِ ما في العَيْشِ بَعْدَهُم خيرٌ .

قال عُمَيْرٌ صَدَقْتَ واللَّهِ أَما واللَّهِ لَوْلَا دينٌ عليَّ لَيْسَ لَهُ عِنْدِيْ قَضَاءٌ وعِيَالٌ أَخْشَى عَلَيْهِم الضَّيْعَة بَعْدِيْ لَرَكِبْتُ إلى مُحَمَّدٍ حَتَّى أَقْتُلَهُ فإنَّ لِيْ قِبَلَهُم عِلَّةً ابْنِيْ أَسِيْرٌ في أَيْدِيْهِمْ قالَ فاغْتَنَمَهَا صَفْوَانُ وقالَ عَليَّ دَيْنُكَ أَنَا أَقْضِيْه عَنْكَ وَعِيَالُكَ مَعَ عِيَالِيْ أُواسِيْهِمْ ما بَقُوْا لا يَسَعُنِي شَيْءٌ يَعْجَزُ عَنْهُمْ .

فَقَالَ عُمَيْرٌ فاكْتُمْ شَأْنِيْ وَشَأْنَكَ قَالَ أَفْعَلُ ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى قَدِمَ المَدِيْنَةَ فَبَيْنَا عُمَرُ بنُ الخطاب في نَفَرٍ مِنْ المُسْلِمِيْنَ يَتَحَدَّثُون عن يَوْمِ

بَدْرٍ وَمَا أَكْرَمَهُم اللَّهُ به وَمَا أَرَاهُمْ مِنْ عَدُوهِم إِذْ نَظَرَ عُمَرُ إلى عُمَيْرٍ بْنِ وَهْبٍ حِيْنَ أَنَاخَ رَاحِلَتَه عَلى بَابِ المَسْجِدِ ، مُتَوَشِّحاً السَّيْفَ ، فقال عُمَرُ هَذَا الكَلْبُ عَدُوُ اللَّهِ واللَّهِ ما جَاءَ إلا لِشَر .

ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ على رَسولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّه هَذَا عَدُوُ اللَّهِ عُميرُ بنُ وَهْبٍ ، قَدْ جَاءَ مُتَوَشِّحاً سَيْفَهُ . قالَ فأدْخِلْهُ عَلَيَّ فَأَقْبَلَ عُمَرُ حَتَّى أَخذَ بِحَمَالَةِ سَيْفِهِ في عُنُقِهِ فَلَبَّبهُ بِهَا .

وقال لِرجَالٍ مِن الأَنْصَارِ ادْخُلُوا على رَسُولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم فاجْلِسُوا عِنْدَهُ واحْذَرُوا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الخَبِيْثِ فإِنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ ثُمَّ دَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى اللَّه عليهِ وسلم فَلَمَّا رَآهُ رسولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم قَالَ أرْسِلْهُ فَدَنَا عُمَيْرٌ .

فقال رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم « فَمَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَيْرُ ؟ » قال جِئْتُ لِهَذَا الأَسِيرِ الذِيْ في أَيْدِيْكُمْ فَأَحْسِنُوا فِيْهِ يَعْنِيْ وَلَدَهُ قالَ فَمَا بَالُ السَّيْفُ في عُنِقِكَ قالَ قَبَّحَهَا اللَّهُ مِن سُيُوفٍ وهَلْ أَغْنَتْ عنَّا شَيْئاً قال « أُصْدُقْنِي ما الذِيْ جَاءَ بِكَ » قال مَا جِئْتُ إِلَّا لِذَلِكَ .

قال رسولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم « بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بنُ أمَيَّةَ في الحِجْر فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ القَلِيْبِ مِنْ قُرَيْشٍ ثُمَّ قُلتَ لَوْلا دَيْنٌ عَلَيَّ وَعِيَالٌ عِنْدِيْ لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّداً فَتَحَمَّل لَكَ صَفْوَانُ بِدَيْنِكَ وَعِيَالِكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِيْ لَهُ ، واللَّهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ » .

فقالَ عُمَيْرٌ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ قد كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ نُكَذِّبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِيْنَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّماءِ وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِن الوَحْيِ وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ

يَحْضُرْهُ إلَّا أَنَا وَصَفْوَانُ فَوَاللَّهِ إِنّي لَأَعْلَمُ مَا أَتَاكَ بِهِ إلَّا اللَّهُ فالحَمْدُ للَّهِ الذِيْ هَدَانِيْ لِلإِسْلامِ وَسَاقَنِيْ هَذَا المَسَاقَ ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الحَقِّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليهِ وسلم « فَقِّهُوا أَخَاكُمْ في دِيْنِهِ واقْرِئُوهُ القُرآنَ وأطْلِقُوا لَهُ أَسِيْرَهُ » فَفَعَلُوا الخ . واللَّه أعلم وصلى اللَّه على محمد .

شِعْرَاً :

فُؤآدٌ ما يَقِرُ لَهُ قَرَارٌ
وأجْفَانٌ مَدَامِعُهَا غِزَارُ
ولَيْلٌ طَالَ بالأنكادِ حَتَّى
ظَنَنتُ انَّيلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ
ولِمّ لَا والتُّقَى حَلَّتْ عُرَاهُ
وبانَ على بَنِيْهِ الانْكِسَارُ
لِيَبْكِ مَعِيْ على الدِّيْنِ البَوَاكِي
فَقَدْ أَضْحَتْ مَوَاطِنُه قِفَارُ
وَقَدْ هُدَّتْ قَوَاعِدُهُ اعْتِدَاءً
وَزَالَ بِذَاكُمُوْا عنه الوَقَارُ
وَأَصْبَحَ لا تُقَامُ لَهُ حُدُوْدٌ
وأَمْسَى لَا يُبَنَّ لَهُ شِعَارُ
وَعَادَ كَمَا بَدَا فِيْنَا غَرِيْباً
هُنَالِكَ مَالَهُ في الخَلْقِ جَارُ
فَقد نَقَضُوا عُهُودَ هُمُوا جِهَاراً
وَأَسْرَفُوا في العَدَاوَةِ ثم سَارُوْا

اللهم إنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلاَنِيَتَنا وَتَسْمَعُ كَلاَمنَا وَترى مَكَانَنَا لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِن أَمْرِنَا نَحْنُ البُؤَسَآءُ الفُقَراءُ إليكَ المُستَغِيثُونَ المُستجِيرونَ بِكَ نَسْألك أنْ تُقَيِّضَ لِدِيْنِكَ مَنْ يَنْصُرَهُ وَيُزيْلَ مَا حَدَثَ مِن البِدَع والمُنْكِرَاتِ وَيقِيْمَ عَلَمَ الجِهَادِ وَيقْمَعَ أَهْلَ الزَّيْـغِ والكُفْرِ والعِنَادِ ونسَأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وجميعِ المسلمينَ برحْمَتِـكَ يا أرحم الراحمين وصلى اللّه على محمد وآله وصحبه أجمعين .

« فَصْــلٌ »

٣٠ ـ وَقِصَّةُ حَنِيْنِ الجِذْعِ مَا وَرَدَ عن جابرِ بنِ عبدِ اللّهِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا أنَّ امْرَأَةً مِن الأنصارِ قالَتْ لِرَسُولِ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم أَلا أَجْعَلُ لَكَ شَيْئاً تَقْعُدُ عَلَيْهِ فإن لِيْ غُلاَماً نَجَّاراً قال إنْ شِئْتِ قالَ فَعمِلَتْ لَهُ المِنْبَرَ فَلَمَّا كَانَ يومُ الجُمعَةِ قَعَدَ النبيُ صلى اللّهُ عليه وسلم على المِنْبَرِ الذِيْ صُنِعَ فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ التِي كَانَ يَخْطِبُ عِنْدَهَا حَتّى كادَتْ أنْ تَنْشَقَّ فَنزَلَ النبيُ صَلَّى اللّه عليه وسلم حَتَّى أَخَذَهاَ فَضَمَّها إِليه فَجُعلتْ تَئِنُ أَنِيْنَ الصَّبِيِّ الذِي يُسَكْتُ .

٣١ ـ وقِصةُ عِكَّةِ أُم سُلَيْمْ لِمَا وَرَدَ عن أنس عن أُمِّهِ قال كانَتْ لَنَا شَاةُ جَمَعْتُ مِنْ سَمْنِهَا في عُكَّةٍ فَمَلأَتِ العُكَّةَ ثُمَّ بَعَثْتَ بِهَا مَعَ رَبِيْبَةٍ فَقَالَتْ يَا رَبِيْبَةُ فَبَلِّغِيْ هَذِهِ العُكَّةَ رَسُوْلَ اللّهِ صَلَّى اللّه عليه وسلم يَأْتَدِمُ بِهَا فانْطَلَقَتْ بِهَا الرَّبِيْبَةُ حَتَّى أَتَتْ رَسُول اللّهِ صلَّى اللّه عليه وسلم فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللّهِ هَذِهِ عُكَّةُ سَمْنٍ بَعَثَتْ بها إليكَ أمُّ سُلَيم فقال أَفْرِغُوْا لَهَا عُكَّتَها ففُرِّغَتْ العُكَّةُ فَدُفِعَتْ إِلَيْهَا فانْطَلَقتْ بِهَا .

وجاءَتْ وأمُ سُلَيْم لَيْسَتْ في البَيْتِ فَعلَّقتْ العُكَّةَ عَلَى وَتَدٍ فَجَاءَتْ أمُّ سُلَيْمٍ فرأَتْ العُكَّةَ مُمْتلِئةً تقْطُرُ فقالَتْ أمُّ سُلَيْم يا رَبِيْبَةُ ألَيْس أمَرْتُكِ أنْ تنْطَلِقي بهَا إلى رَسُولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسَلَّم فقالَتْ قَدْ فعَلْتُ فإنْ لَمْ تُصَدِّقيْنِي فانطَلِقي فَسَلِيْ رَسولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم . فانْطَلَقتْ وَمَعَهَا الرَّبِيْبَةُ .

فَقالَتْ يا رسولَ اللَّهِ إنِّيْ قَدْ بَعَثْتُ مَعَهَا إلَيْكَ بعُكَّةٍ فِيْهَا سَمْنٌ قالَ قَدْ فَعلَتْ قَدْ جاءتْ قَالَتْ والذيْ بَعَثَكَ بالحَقِّ وَدِيْنِ الحَقِّ إنَّها لَمُمْتَلِئةٍ تَقْطُرُ سَمْناً قالَ : فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم «يا أُمَّ سُلَيْمٍ أتَعْجَبِيْنَ إنْ كَانَ اللَّهُ أطْعَمَكِ كَمَا أطْعمَ نَبِيَّهُ كُلِيْ وَأطْعِمِيْ» قالَتْ فَجِئْتُ إلى البَيْتِ فقَسَمْتُ في قُعْبٍ لَنا كَذَا وَكَذَا وَتَركْتُ فِيْهَا ما ائْتَدَمْنَا بِهِ شَهْرَيْن .

٣٢ ـ وَقِصَّةُ طِيْبِ عُتْبَةَ صَاحِبِ رسول اللَّهِ صلى اللَّه عليهِ وسلم قالَتْ أمُ عاصِم امْرأَةُ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَد كُنَّا عِندَ عُتْبَةَ ثَلاثَ نِسْوَةٍ مَا مِنَّا وَاحِدةٌ إلَّا وَهِيَ تَجْتَهِدُ في الطِّيبِ لِتَكُونَ أطْيَبَ مِن صَاحِبَتِهَا ومَا يَمَسُّ عُتْبَةُ بنُ فَرْقَدٍ طِيْباً إلا أنْ يَلْتَمِسَ دُهْناً وكانَ أطْيَبَ رِيْحاً مِنَّا فقُلْتُ لهُ في ذَلِكَ .

فَقالَ أصَابَنِيْ الشَّرَى «حِكَّةٌ في الجلْدِ» عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليهِ وسلم فَأقْعَدَني رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَجَرَّدْتُ وَألْقَيْتُ ثِيَابِيْ عَلَى عَوْرَتِي فَنَفَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلم في كَفِّهِ ثُمَّ دَلكَ بِهَا الأخْرَى ثُمَّ أمَرَهُمَا على ظَهْري فَعَبَقَ بهَا مَا تَرَوْنَ .

٣٣ ـ وَقِصَّةُ قَتَادَةَ بنِ النُّعْمَانِ فَعَن أَبِيْ سَعِيْدٍ الخُدْرِي أَنَّ رسولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ لِصَلاَةِ العِشَاءِ وَهَاجَتِ الظُّلْمَاءُ مِنْ السَّمَاءِ وبَرَقَتْ بَرْقَةٌ فَرَأى رسولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم قَتَادَةَ بنَ النُّعْمانِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم قَتَادةُ قال نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِمْتُ إنَّ شَاهِدَ الصلاةِ اللَّيلةِ قَلِيلٌ فأحْبَبْتُ أنْ أشْهَدَهَا .

فقالَ لَهُ رسولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم إذَا انْصَرَفْتَ فَأْتِنِيْ فَلمَّا انْصَرَفْ أَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم عِرْجُوناً وقال « خُذْهُ فَسَيُضِيءُ أَمَامَكَ عَشْراً وَخَلْفَكَ عَشْراً » .

٣٤ ـ وقِصَّةُ أَبِي جَابِرٍ وهي ما وَرَدَ عن جابرِ بن عبدِ اللَّهِ رضي اللَّهُ عنه قال تُوفِّيَ أَبِيْ شهيْداً في أُحُدٍ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فاسْتَعَنْتُ النبيَّ صلى اللَّهُ عليه وسلم عَلَى غُرَمَائِهِ فَلَمْ يَفْعَلُوا فقال لِيْ النَّبِيُ صلَّى اللَّهُ عليه وسلم « اذْهَبْ فَصَنِّفْ تَمْرَكَ أَصْنَافاً العَجْوَةَ على حِدَة وَعِذْقَ زَيْدٍ عَلَى حِدَةٍ » (أَنْوَاعُ التَّمْرِ) .

« ثُمَّ أَرْسِل إليَّ » قال جَابِرُ : فَفَعَلتُ ثُمَّ أَرْسَلْتُ إلى رَسُوْلِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليهِ وسلم فَجَلَسَ عَلَى أَعْلاَهُ أَوْ فِي وَسَطِه ثُمَّ قالَ كِلْ لِلْقَوْمِ قال جابرٌ فَكِلْتُهُم حَتَّى أَوْفَيْتُهُم الذِيْ لَهُمْ وَبَقِيَ تَمْرِيْ كأنْ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْءٌ

٣٥ ـ وَقِصَّةُ حاطِب بنِ أَبِيْ بَلْتَعَةَ وَذلِكَ أَنَّ رَسُوْلَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم عِنْدَمَا أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّه سَائِرٌ إلى مَكَّةَ وَأَمَرَهُم بالجِدِّ والتَّهَيُّؤُ وقال « اللَّهُمَّ خُذِ العُيُوْنَ والأخبارَ عن قُرَيْشٍ ، حَتَّى نَبْغَتَهَا في بلادِها »

فَلَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم عَلَى المَسِيْرِ ، كَتَبَ حَاطِبُ كِتَاباً إِلى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ بالذِيْ أَجْمَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الأَمْرِ بالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ .

ثُمَّ أَعْطَاه امْرَأَةً وَجَعَلَ لَهَا عَطَاءً على أَنْ تُبَلِّغَهُ قُرَيْشاً فَجَعَلَتْهُ في رَأْسِها ثُمَّ فَتَلَتْ عَلَيْهِ قُرُوْنَها « جَدَائِلَها » .

وَأَتى رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم الخَبَرُ مِنَ السَّماءِ بِمَا صَنَعَ حَاطِبُ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم عَليَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرَ بنَ العَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فقالَ أَدْرَكَا امْرَأَةً قَدْ كَتَبَ مَعَهَا حَاطِبُ بنُ أَبِيْ بَلْتَعَةَ بِكِتَابٍ إِلَى قُرَيْشٍ يُحَذِّرُهُمْ ما أَجْمَعْنَا عليه في أمْرِهِمْ .

فَخَرَجَا حَتَّى أَدْرَكَاهَا بالخَلِيْقَةِ « اسمُ مَوْضِعٍ » فاسْتَنْزَلَاهَا فَالْتَمَسَا في رَحْلِهَا فَلمَّ يَجِدَا شَيْئاً فَقَالَ لَهَا عَليُّ بنُ أَبِيْ طَالِبٍ إِنِّيْ أَحْلِفُ باللَّهِ ما كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم ولا كَذَبْنَا وَلَتُخْرِجِنَّ لَنَا هَذَا الكِتَابَ أَوْ لَنَكْشِفَنَّكِ .

فَلَمَّا رَأَتِ الجِدَّ مِنْهُمَا قَالَتْ أَعْرِضْ فَأَعْرَضَ فَحَلَّتْ قُرُوْنَ رَأْسِهَا فاسْتَخْرَجَتِ الكِتَابَ مِنْهَا فَدفَعَتْهُ إِلَيْهِ فأَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم فَدَعَا رَسُوْلُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم حَاطِباً فقال يَا حَاطِبُ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا .

فقال يا رسول اللَّه أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَمُؤْمِنٌ باللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا غَيَّرتُ

ولا بَدَّلْتُ وَلَكِنِّيْ امْروءٌ لَيْسَ لِيْ في القَوْمِ مِن أَصْلٍ ولا عَشِيْرَةٍ وكانَ لِيْ بَيْنَ أظهرِهِمْ وَلَدٌ وَأَهْلٌ فَصَانَعْتُهم عَلَيْهم .

فقال عُمَرُ بنُ الخطاب يا رسولَ اللَّهِ دَعْنِي فَلأَضْربُ عُنَقَهُ فإنَّ الرَّجُلَ قَدْ نافَقَ . فقال رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم « وما يُدْرِيْكَ يا عُمَرُ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ اطَّلَعَ إلى أَصْحَابِ بَدْرٍ فقال اعْمَلُوا ما شِئْتُم قَدْ غَفَرْتُ لَكُم » فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ يا أَيُّها الذينَ آمَنُـوا لا تَتَّخِذُوا عَـدُويْ وَعَدُوَّكم أَوْلِيَاء ﴾ الآية .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا واشْرَحْ صُدُوْرَنَا وَيَسِّرْ أُمُوْرنَا وَثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا وفِي الآخِرَةِ وارْفَعْ مَنَازِلَنَا فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا وجَمِيْعِ المُسْلِمِيْن بِرَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمّد وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْن .

٣٦ ـ وقِصَّةُ لَبَنِ أَهْلِ الصُّفةِ وذلكَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَعَدَ يَوماً عَلَى الطريقِ فمرَّ به رسولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم فَتَبَسَّمَ حِيْنَ رَآهُ وَعَرَفَ ما في نَفْسِه وما في وَجْهِهِ ثم قال « يا أبا هُرَيْرَةَ » قال قلتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قال إلحَقْ وَمَضى فَتَبِعْتُه فاسْتَأذَنَ فأُذِنَ لِيْ فَدَخلَ فَوَجَدَ لَبَناً في قَدَحٍ فقالَ مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ قالُوْا مِن فُلانٍ أَوْ فُلانةٍ .

قالَ أَبَا هِرٍّ قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إلحَقْ إلى أَهْلِ الصُّفَّةِ فادْعُهم لِيْ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَسَاءَنِيْ ذَلِكَ فَقُلْتُ وَمَا هَذَا اللَّبنُ فِي أَهْلِ الصُّفةِ كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيْبَ مِن هَذَا اللَّبنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا فإذَا جَاؤُوْا أَمَرَنِيْ فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيْهِمْ وما عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِيْ مِن هَذَا اللَّبَنِ .

قال فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُم فأقْبَلُوا فاسْتَأْذَنوا فأَذِنَ لَهُمْ وَأَخذُوْا مَجالِسَهم مِن البَيْتِ فقالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قُلْتُ لَبَّيْكَ يا رَسُولَ اللَّهِ قال خُذْ فَأَعْطِهِمْ

قالَ فأَخَذْتُ القَدَحَ فَجعَلْتُ أَعْطِي الرَّجُل فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ثم يَرُدُّ عليَّ القَدَحَ . حتى انْتَهَيْتُ إلى النَّبي صلى اللَّهُ عليه وسلم وَقَدْ رَوَى القومُ كُلُّهُم .

فأخَذَ القَدَحَ فَوَضَعَهُ على يَدِهِ فَنَظَرَ إليَّ فَتَبَسَّم فقال يَا أَبَا هِرّ قُلْتُ لَبَّيْكَ يا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ بَقِيْتُ أَنَا وَأَنْتَ قُلْتُ صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قال أُقْعُدْ فاشْرَبْ فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ فقال اشْرَبْ فَشَرِبتُ فَمَا زَالَ يَقُوْلُ اشْرَبْ حَتَّى قُلْتُ والذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكاً .

قَالَ فَأَرِنِي فَأَعْطَيْتُه القَدَحَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ صلى اللَّه عليه وسلم .

٣٧ ـ وَقِصَّةُ طَعَامِ جَابِرٍ وَذَلِكَ ما وَرَدَ عَنْهُ قالَ لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ بالنبي صلى الله عليه وسلم خَمْصاً شَدِيْداً فانْكَفَأْتُ إلى امْرَأَتِي فَقُلْتُ هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ فإنِّيْ رَأَيْتُ بِرَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم خَمْصاً شَدِيْداً .

فَأَخْرَجَتِ إلَيَّ جِرَاباً فيه صَاعٌ مِن شَعِيرٍ وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْنَاها وَطَحَنتْ الشَّعِيْرَ فَفَرَغَتْ إلى فَرَاغِيْ وَقَطَّعْتُهَا في بُرْمَتِهَا ثُمَّ وَلَّيْتُ إلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم فَقَالَتْ لا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم فَجِئْتُه فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحَنَا صَاعاً مِن شَعِيرٍ كانَ عِنْدَنَا فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ .

فَصَاحَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ إنَّ جابِراً قَدْ صَنَعَ سُؤْراً فَحَيَّ هَلاً بِكُم فقال رَسُوْلَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم لا

تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُم ولا تَخْبِزُنَّ عَجِيْنَكُم حَتَّى أَجِيءَ فَجِئْتُ وجاءَ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يَقْدُمُ الناسَ حتى جِئْتُ امْرأَتِيْ فقالتْ بِكَ وَبِكَ فَقُلْتُ قَدْ فَعلتُ الذِيْ قُلْتِ فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِيْناً فَبَصَقَ فِيْهِ وبارَكَ ثُمَّ عَمَدَ إلى بُرْمَتِنا فَبَصَقَ وبَارَكَ .

ثم قال ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ واقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ ولا تُنْزِلُوها وَهُمْ أَلفٌ فأُقْسِمُ باللّهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وانْحَرَفُوا وإنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ وَإِنَّ عَجِيْنَنَا لَيُخبَزُ كَمَا هُوَ .

٣٨ ـ وعن عليٍّ رضي اللّه عَنه قَال كُنْتُ شَاكِياً فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللّهِ صلى اللّه عليه وسلم وأَنا أَقُوْلُ اللّهُمَّ إنْ كَانَ أَجَلِيْ قَدْ حَضَرَ فَأَرِحْنِيْ وإنْ كان مُتَأَخِّراً فارْفَعْنِي وإنْ كَانَ بَلاءً فَصَبِّرني .

فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسَلم كَيْفَ قُلْتَ فَأَعَادَ عليه ما قال فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ وقال اللّهم عافِهِ أَوْ اشْفِهِ شَكَّ شُعْبَةُ قال فَما اشْتَكَيْتُ وَجَعِيْ بَعْدُ . قال الترمذي حديث حسن صحيح .

٣٩ ـ ومن ذلك رَدُّ عَيْنِ قَتَادَةَ بنِ النُّعْمَانِ فَقَدْ أُصِيْبَت عَيْنُهُ في غَزْوَةِ أُحُدٍ حَتَّى وَقَعَتْ على وِجْنَتِه فَرَدَّهَا النبيُّ صلى اللّهُ عليه وسلم فكانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْه وأَحدَّهُما نَظَراً وفي ذلك يَقُول ابْنُهُ :

أنا ابنُ الذيْ سَالَتْ على الخَدِّ عَيْنُه
فَرُدَّتْ بكَفِّ المُصْطَفَى أَحْسَنُ الرَّدِ

اللهم اجْعَلْ قُلُوبَنَا مَمْلوْءَةً بحُبِّكَ وأَلْسِنَتَنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكْ ونُفُوْسَنَا مُطِيعَةً لأَمْرِكَ وأَمِّنَّا مِن سَطوَتِكَ ومَكْرِكْ ، اللهم إنا نَسْأَلُكَ العَافِيَةَ في دينِنَا ودُنْيَانَا وأخرانَا وأَهلِنا وما لنا اللّهمَ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وأَمِّنْ رَوْعاتِنَا واحْفَظْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيْنَا ومِن خَلْفِنَا وعن أَيْمانِنَا وعَنْ شَمائِلنَا ومِنْ فَوقِنَا ونعوذ بعظَمتِكَ

أن نغتال من تحتنا واغفر لنا ولوالدينا وجَميع المُسْلمين برَحْمَتِكَ يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمدٍ وعلى آله وصَحْبِهِ أجمعِيْن .

ومِنْ قَولِ أبِي طَالِبِ يَمْدَحُ النبيَّ صلى اللّهُ عليه وسلم :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ
ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

وهُوَ مِنْ قَصِيْدَةٍ لأَبِي طَالِبٍ قَالَهَا لَمَّا تَمالأَتْ عليهِ قُرَيْشُ وَنَفَرُوا عنه وَأَوَّلُها

وَلَمَّا رَأيتُ القَوْمَ لا وِدَّ عِنْدَهُمْ
وَقَدْ قَطَعُوْا كُلَّ العُرَى وَالوَسَائِلِ
وَقَدْ جَاهَرُونا بالعَدَاوةِ والأَذَى
وَقَد طَاوَعُوا أَمْرَ العَدُوِ المُزَائِل
صَبَرْتُ لهم نَفْسِي بِسَمْرَاءَ سَمْحَةٍ
وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِن تُراثِ المَقَاوِل
وَأَحْضَرْتُ عِندَ البَيْتِ رَهْطِي وإِخْوَتِي
وأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بالوَصَائِلِ
أَعُوذُ بِرَبِ الناسِ من كُلِّ طَاعِنٍ
عَلينَا بِسُوءٍ أَوْ مُلِحٍّ بِبَاطِلِ
لَقَدْ عَلِمُوْا أَنَّ ابْنَنَا لاَ مُكَذَّبٌ
لَدَيْنَا وَلاَ يَعْنَى بقَوْلِ الأَبَاطِلِ
كَذَبْتُم وَرَبِ العَرش نَبْزِي مُحَمَّداً
وَلَمَّا نُطَاعِنْ عِندَهُ وَنُنَاضِلِ
ونُسْلِمُهُ حَتى نُصَرَّعَ دُوْنَهُ
وَنَذْهلَ عن أَبْنَائِنَا والحَلاَئِلِ

وَيَنْهَضُ قَوْمٌ بالحديدِ إليْكُمُ
نُهُوضَ الرَّوايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلاصِلِ
وَيَنْهَضَ قَوْمٌ نَحْوكُم غَيْرَ عُزَّلٍ
بِبِيْضٍ حَدِيْثٍ عَهْدُهَا بالصَّيَاقِلِ
وَمَا تَرْكُ قَومٍ لا أبَالَكَ سَيِّداً
يَحُوطُ الذِّمَارَ غَيْرَ ذَرْبٍ مُوَاكِلِ
وأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بوَجْهِهِ
ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأرَامِلِ
يَلُوذُ به الهُلَّاكُ مِن آلِ هَاشِمٍ
فَهُم عِنْدَهُ في رَحْمَةٍ وَفَواصِلِ
لَعَمْرِي لَقَدْ كُلِّفْتُ وجْداً بأحْمَدٍ
وإخْوَتِهِ دَأْبَ المُحِبِ المُوَاصِلِ
فَمَنْ مِثْلُه في الناسِ أيُّ مُؤَمَّلٍ
إذَا قَاسَهُ الحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُلِ
حَلِيْمٌ رَشِيْدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ
يُوَالِي إلهاً لَيْسَ عَنهُ بِغَافِلِ
ومِيزانُ حَقٍ مَا يَعُوْلُ شَعِيْرَةً
وَوَزَّانُ حَقٍ وَزْنُهُ غَيرُ عَائِلِ
فَوالله لَوْلَا أنْ أجِيءَ بِسُبَّةٍ
تَجُرُّ عَلَى أشْيَاخِنَا في المَحَافِلِ

لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
مِنَ الدَّهْرِ جِداً غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدُ ذُو أُرُومَةٍ
تُقَصِّرُ عنها سَوْرَةُ المُتَطَاوِلِ
حَدَبْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمَيْتُهُ
وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذُّرَى والكَلاَكِلِ
فَأَيَّدَهُ رَبُّ العِبَاد بِنَصْرِهِ
وَأَظْهَرَ دِيناً حَقُّهُ غَيْرُ بَاطِلِ

٤١ ـ ومِن ذَلِكَ ما في غَزْوَةِ خَيْبَرَ مِن أَنَّه صلى اللّهُ عليه وسلم أَرسَلَ إلى عَلِيّ وَهُوَ أَرْمَدَ فَبَصَقَ في عَيْنَيهِ فَبَرِىءَ كَأَنْ لم يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ .

٤٢ ـ وروى الامام أحمد عن أنس قال جَاءَ جبريلُ إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم ذَاتَ يوم وهُوَ جالِسٌ حَزِينٌ قَدْ خُضِّبَ بالدِمَاءِ ، ضَرَبَهُ بَعْضُ أَهْلِ مكةَ فقَالَ مَالَكَ قَالَ : فَعَلَ هَؤُلاَءِ وَفعَلُوا ، قال : فقَال لَهُ جبْرِيلُ أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيَكَ آيَةً ؟ قَال نَعَمْ فَنَظَرَ إلى شَجَرَةٍ مِن وَرَاءِ الوَادِي فقال ادْعُ تِلكَ الشَّجَرَةَ فَدَعَاهَا فَجَاءَتْ تَمْشِيْ حتى قَامَتْ بيْنَ يَدَيْه فَقَالَ مُرْها فَلْتَرْجع إلى مَكَانِها فقالَ لَهَا ارْجِعِيْ فَرَجَعَتْ حَتَّى عادَتْ إلى مَكَانِها فقالَ صلى اللّه عليه وسلم حَسْبِيْ . واللّه أعلم وصلى اللّه على محمد

اللّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بنُوْرِ الإِيْمَانِ وَثَبِّتْ محبَّتَكَ فِيهَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا حُبَّ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَآتِنَا في الدُّنْيا حَسَنَةً وَفي الآخِرَة حَسَنَةً وَقِنَا عَذابَ النَّار وَاغْفِرْ لنَا وَلِوَالِدَيْنا وَجَمِيْعَ المُسْلِمينَ برَحْمَتِكَ اللهم إِنَّك تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلاَنِيَتِنَا وتَسْمَعُ كَلاَمَنا وتَرَى مَكَانَنا لاَ يخْفَى

عَليكَ شيْءُ مِن أَمْرِنَا نَحْنُ البُؤَسَاءُ الفُقَراءُ إِليكَ المستغيثون المستجيرونَ بكَ نَسْأَلُك أَنْ تُقيِّظَ لِدِيْنِك مَنْ يَنْصرُهُ ويُزيلُ مَا حَدَثَ مِن البِدَعِ والمُنْكراتِ ويُقيْمُ عَلَمَ الجِهادِ ويَقْمَع أَهْلَ الزَّيْغِ والكُفرِ والعِنادِ ونَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وِلوَالِديْنا وجميعِ المسلمين برحْمَتِكَ يا أَرْحَم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

« فَصْلٌ » ٤٣ - ومنها اطْعامُه صلى اللّه عليه وسلم الذين يَحْفِرُون الخَنْدَقَ مِن أصحابِهِ بتَمَرَاتٍ قَلِيْلَةٍ ، فَفِيْ كُتُبِ السِّيرِ وَغَيْرِها انَّ ابْنةً لِبَشِيْرِ بن سَعْدٍ أختُ النُعْمانَ بن بشيرٍ ، قالتْ ، دَعَتْنِيْ أُمِّيْ عَمْرَةُ بِنْتُ رواحَةَ فاعْطَتْنِيْ حَفْنَةً مِنْ تَمرٍ في ثَوْبِي ، ثم قالتْ أَيْ بُنَيَّةُ اذْهَبِيْ إلى أَبِيْكِ وخالِكِ عبدِ اللّهِ بنِ رَوَاحَةَ بِغَدَائِهما .

قالَتْ : فَأَخَذْتُها ، فانْطَلَقْتُ بهَا ، فَمَرَرْتُ برسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا التَمِسُ أَبِيْ وَخَالِيْ ، فقال « تَعَالَيْ يا بُنَيَّةُ ، مَا هَذَا مَعَكِ » ؟ قالتْ : قُلْتُ يا رسولَ اللّهِ هَذَا تَمْرٌ بَعَثَتْنِيْ بهِ أُمِّيْ إلى أَبِيْ بَشِيْرُ بنُ سَعْدٍ وَخَالِي عَبْدِ اللّه بن رَوَاحَةَ يَتَغَدَّيَانِه ، قال « هَاتِيهِ » قَالَتْ فَصَبَبْتُه في كَفَّيْ رَسُولِ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم ، فما مَلأَتْهُما .

ثمَّ أَمَرَ بِثَوْبٍ فَبُسِطَ لَهُ ، ثم دَحَا بالتَّمْرِ عَلَيْهِ فَتَبَدَّدَ فَوْقَ الثوب ، ثم قال لإنسانٍ عِنْدَه « أصرخ في أَهْلِ الخَنْدَقِ ، أنْ هَلُمَّ إلى الغَدَا » فاجْتَمَع أَهْلُ الخَنْدَق عليه فَجعَلُوا يأكلُونَ مِنهُ ، وَجَعَلَ يَزِيدُ ، حَتَّى صَدَرَ أهلُ الخَنْدَقِ عنه ، وأنَّه لَيَسْقُطُ مِن أَطْرَافِ الثوبِ .

٤٤ - ومنها إِخْبارُهُ صلى الله عليه وسلم أَصْحَابَهُ قَبْلَ مَسِيْرِهم الى فَتْحِ مَكَّةَ وَهُمْ يَتَجَهَّزُون لِلْمَسِيْر أنه يَصِيْرُ بَيْنَهُم وَبَيْنَ قُرَيْشٍ دِمَاءٌ قَلِيْلَةٌ ، فكانَ الأمرُ كما أَخْبَرَ به صلى اللّهُ عليه وسلم ، فإنَّه

وقَعَ بَيْنَ بعضِ كَتائِبِه حِيْنَ دُخُولِهم مَكَّةَ وَبَيْنَ قَومٍ مِن قُرَيْشٍ قَعَدُوا بالخَنْدَمَة ، لِيَردُّوا النبي صلى اللّه عليه وسلم بِزَعْمِهم عن دُخُولِ مَكَّةَ مُنَاوَشَةٌ قَلِيْلَةٌ . وقُتِلَ بعضُ المُشْرِكِيْنَ ، وانْهَزَم البَاقُونَ ، وَقَدْ مَلَكَهُمُ الرُّعبُ والذُّعْرُ وَجَلَّلَهُم الخَوْفُ ، وحَدِيْثُهُم في خَبَرِ الفَتْحِ مَشْرُوْحٌ .

٤٥ ـ وَمِنْهَا قَوْلُه صلى اللّه عليه وسلم لأصْحَابِهِ لَمَّا رَجَعَ الأحْزَابُ خَائِبِيْنَ « الآنَ نَغْزُوهُم ولا يَغْزُونَنَا » فكانَ الأَمْرُ كَمَا قَالَ ، فإنَّ قُرَيشاً بعد ذلك لم يَرْجعوا إلى غَزْوِ المَدِيْنَةِ ، وإن رسولَ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم توجَّه إلَى مَكَّة عَامَ الحُدَيْبِيَةِ ، فَصَالَحُوه وَهَادَنُوهُ ، ثم دَخَلَ مكةَ مِنْ قَابِلْ مَعَ أصحابِهِ آمنين ، ثمَّ فَتَحَهَا بَعْدَ ذَلِكَ .

٤٦ ـ وَمِنْهَا إخبارُهُ صلى الله عليه وسلم انَّ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ أَوَّلُ أهلِ بَيْتِهِ لُحُوقاً به ، فكانَ كَذَلِكَ ، فإنهَا رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا تُوُفِّيَتْ بَعْدَهُ بأَرْبَعِيْنَ يَوْماً ، أَوْ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ يَوْماً ، أَوْ ستَّةِ أَشْهُرٍ ، على اخْتِلَافِ الرِّوايَاتِ ، وَلَم يُتَوفَّ قَبْلَهَا أَحَدٌ مِن أَهْلِ بَيْتِهِ .

٤٧ ـ ومِن ذَلِكَ أَنَّ عَامِرَ بنَ الطُفَيْلِ ، وأرْبَدَ بنَ قَيْسٍ ، وهُوَ أخو لَبِيْدِ بنِ رَبِيْعَةِ ، وَفَدَا على رسولِ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم ، في قَوْمِهِمَا مِن بَنِي عَامِرٍ ، فقال عَامِرٌ لأرْبَدَ ، إذَا قَدِمْنَا على مُحَمَّدٍ ، فإني شَاغِلٌ عنكَ وَجْهَهُ ، فاعْلُهُ أنْتَ بالسَّيْفِ ، حتى تَقْتُلَه ، قَال ارْبَدُ أَفْعَلُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَامِرُ يَمْشِي ، وَكَانَ رَجُلاً جَمِيْلاً ، حَتَّى قَامَ على رَأْس رَسُوْلِ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم ،

فقَال يَا مُحَمَّدُ ، مَالِيْ إنْ أَسْلَمْتُ ، فقَالَ لَكَ مَا للإسلامِ ، وَعَلَيْك ما عَلَى الإسلامِ ، قَال ألا تَجْعَلُنِي الوَالِيْ مِنْ بَعْدِكَ .

قال لَيْسَ ذَلِكَ ،لَكَ وَلَا لِقَوْمِكَ ، وَلَكِنْ لَكَ أعِنَّةِ الخَيْلِ، تَغْزُوْ بِهَا، قَالَ أوَ لَيْست لِيَ اليومُ ، ولكن اجْعَلْ لي وَلَكَ المَدَدَ ، قَال لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ ، فَقَالَ قُمْ يا مُحَمَّدُ ، إلى هَهُنا ، فَقَام إليْهِ ، فَوَضَع عَامِرٌ يَدَهُ بَيْنَ منكبَيْه ، ثمَّ أَوْمَأَ إِلَى أَرْبَدَ ، أنْ أضْرِبْ ، فَسَلَّ أرْبدُ سَيْفَه ، قَرِيْباً مِنْ ذِرَاعٍ ، ثمَّ أَمْسَكَ اللَّهُ يَدَهُ ، فلم يَسْتَطِعْ أنْ يَسُلَّه ، وَلَا يُغْمِدْهُ .

فَالْتَفتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إلى أَرْبَدَ ، فَرَآهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْه ، فقالَ اللَّهُمَّ اكْفِيْنهما بمَا شئت اللَّهم اهْدِ بَنِيْ عَامِرٍ ، واغنِ الدِيْنَ عن عَامِرٍ ، فانْطَلَقَا وعَامِرٌ يَقُولُ ، وَاللَّهِ لأملأنَّها عَلَيْكَ خَيْلاً دُهْماً ، وَوِرْداً ، فقال رسولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم يأْبَى اللَّهُ ذَلكَ ، وأبْنَاءُ قَيْلَةَ ، يَعْنِي الأنصارَ ، ثم قَال عامِرُ لأرْبَدَ ، ويلْكَ لِمَاذَا أمْسَكْتَ عَنْهُ ؟ فَقَالَ واللَّهِ مَا هَمَمْتُ بِهِ مَرَّةً ، إلا رأَيْتُكَ ، ولا أَرَى غَيْرَك ، أَفَأَضْرِبُكَ بالسيفِ .

وَسَارَ عَامِرٌ ، فَطَرَحَ اللَّهُ عليهِ الطَّاعُوْنَ في عُنُقِهِ ، فَقَتَلَهُ في بَيْتِ امْرَأةٍ مِنْ بَنِي سَلُولٍ ، وَجَعَلَ يَقُولُ يَا آلَ عَامِرٍ ، غُدَّةٌ كَغُدَّةِ البَعِيْر ، ومَوْتٌ في بَيْتِ سَلُوليَّةٍ ، وانْتَهتْ حَيَاتُهُ لَعَنَهُ اللَّهُ وأَمَّا أَرْبَدُ ، فَقَدمَ على قومِهِ ، فقالُوا مَا وَرَاءَكَ ، يَا أَرْبَدُ ، فقالَ واللَّهِ لَقَدْ دَعَانَا مُحمَّدٌ ، إلى عِبَادَةِ شَيْءٍ ، لَوَدَدْتُ أنهُ عِنْدِيَ الآنَ ، فَأَرْمِيَهُ بِنَبْلِي هَذا ، حَتَّى أَقْتُلَهُ .

ثم خَرَجَ بَعْدَ مَقَالَتِهِ ، بيوم أَوْ يَوْمَيْنِ ، وَمَعَهُ جِمَالٌ لَـهُ تَتْبَعُه فَأَرْسَلَ اللَّهَ عـليه صَاعِقَةً ، فَأَحْرَقَتْهُ ، وَقِيْلَ نَزَلَ في صَـاعِقَتِهِ « هُـوَ الـذِيْ يُرِيْكُم البَـرْقَ خَوْفـاً وَطَمَعاً ـ إلى قَـوْلِهِ ـ وَيُـرْسِـلُ الصَّـواعِقَ فَيُصِيْبُ بها مَنْ يَشَاءُ » .

٤٨ ـ ومِنْهَـا إِطْعَـامُـه صلى اللَّهُ عليـه وسلم ، بَنِيْ المُـطَّلب بِذِراعِ جَزُوْرٍ وَعُس مِنْ لَبَنٍ ، فَقَـدَ ذَكَرَ أَهْـلُ النَّقْلِ أنـه لَمَّا نَـزَلَ على النبي صلى اللَّه عليـه وسلم (وانْذِرْ عَشِيْـرَتَكَ الأَقْـرَبين) أمَرَ عليـاً ، فقـالَ لَـهُ « يـا عَليُّ إنَّ اللّه أَمَـرَنِيْ أنْ أُنْـذِرَ عَشِيْـرَتِي الأَقْـرَبِيْنَ ، فَضِقْتُ بذَلِـك ذَرْعـاً ، وَعَـرَفْتُ أَنِيْ مَتى أُبَادِيْهِمْ بهـذَا الأَمْرِ أَرَى مِنْهُم ما أَكْـرَهُ ، فَصَمَّتُ عَلَيْهَا ، حَتَّى جَاءَنِي جِبْرِيْـلُ ، فَقَالَ لِيْ يا مُحَمَّدُ إِلا تَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ بِهِ يُعَذِّبُكَ رَبُّكَ . فَاصْنَعْ لَنَـا صَـاعاً مِنْ طَعَـامٍ ، واجْعَلْ عَلَيهَـا رِجْلَ شَـاةٍ ، وامْلأْ لَنَـا عُسـاً مِنْ لَبَنٍ .

ثُمَّ اجْمَعْ لِيْ بَنِيْ عَبْدِ المُـطَّلِبِ حَتَّى أُبَلِّغُهُمْ مَا أُمِـرْتُ بِهِ ، فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِيْ بِهِ ، ثُمَّ دَعَوْتُهُمْ لَه ، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُوْنَ رَجُلاً يَزِيْدُوْنَ رَجُلا أو يَنْقُصُوْنَـهُ ، فِيْهِمْ أَعْمَامُـهُ أَبُو طَالب وحَمْزَةُ والعَبَاسُ رَضِيَ اللَّهُ عنْهُمَا وَأَبُوْ لَهَبٍ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوْا إليْـهِ ، دَعَانِيْ بـالطَّعـامِ الذِيْ صَنَعْتُهُ ، فَجِئْتُ بِهِ .

فَلَمَّـا وَضَعْتُه تَنَـاوَلَ رَسُولُ اللّهِ صلى اللّهُ علَيـهِ وَسَلم جِذْبَـةً مِنَ اللَّحْمِ فَشَقَّهَا بأَسْنَانِهِ، ثُمَّ أَلْقَـاهَا في نَـوَاحِيْ الصَّحْفَةِ ثم قـال خُذْ باسْمِ اللّهِ ، فَأَكَلَ القَـوْمُ حَتَّى مَالَهُمْ بِشَيءٍ حَـاجَةٌ ، وايْمُ اللّهِ

إن كَانَ الرَّجلُ الوَاحِدُ مِنْهُم ليَأكلُ مِثْلَ مَا قَدَّمتُ لِجَمِيْعِهِمْ

ثُمَّ قَالَ اسْقِ القَوْمَ ، فَجِئْتُهُم بِذَلِكَ العُس ، فَشَرِبُوا حَتَّى رَوَوْا جَمِيْعاً ، وايْمُ اللَّهِ ان كَانَ الرَّجُلُ الواحِدُ مِنْهُم لَيَشْرَبُ مِثْلَهُ .

فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلى اللَّهُ عليه وسلم أنْ يُكَلِّمُهُمْ ، بَدَرَهُ أَبُوْ لَهَب فَقَال سَحَرَكُمْ صَاحِبُكُم ، فَتَفَرَّقَ القَومُ ، ولم يُكَلِّمْهُم رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهِ عليه وسلم .

فقال الغَدِ «يَا عَليّ إِنَّ هَذَا الرَّجل قَدْ سَبَقَني إلى مَا سَمِعْتَ ، فَتَفَرَّقَ القَومُ قَبْلَ أنَ أُكَلِّمهُمْ ، فَعُدْ لَنَا مِن الطَّعَامِ مِثْلَ مَا صَنَعْتَ ثُمَّ اجْمَعْهُمْ» فَفَعَلْتُ ، ثُمَّ جَمَعْتُهُم ، فَدَعَانِي بالطَّعَامِ ، فَقَرَّبْتُهُ فَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ بالأَمْسِ ، فَأَكَلُوْا وَشَرِبُوْا .

ثُمَّ تكلَّمَ رَسُولُ اللَّه صلى اللَّهُ عليهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا بَنِيْ عَبدِ المُطَّلِب إِنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِخَيْري الدُنْيا والآخِرَةِ ، وَقَدْ أَمَرَنِيْ اللَّهُ أنْ أَدْعُوكُمْ إليهِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ مُؤآزَرَتَه على ذَلِكَ ، فَلَمْ يُجِبْهُ إلَّا عَليُ بنُ أبِيْ طَالِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَهَذَا مِنْ الأُمورِ الخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ ، أَظْهَرَهُ اللَّهُ على يَدَيْ نَبِيِّهِ صَلى اللَّهُ عليهِ وَسَلَّمَ تَصْدِيقاً لَهُ .

٤٩ - ومِنْهَا ما ذَكَرَهُ في أَعْلَامِ النُّبوَّةِ ، أَنَّ مَعْمَرَ بنَ يَزِيْد وَكَانَ أَشْجَعَ قومِهِ ، اسْتَغَاثَتْ به قريشٌ ، وَشَكَوْا إليهِ رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم ، وَكَانَتْ بَنُوْ كِنَانة تَصْدُرُ عن رَأْيِهِ ، وَتُطِيْعُ

أَمْرَهُ ، فَلَمَّا شَكَوْا إليْهِ ، قَالَ لَهُمْ إنِّيْ قَادِمٌ إلى ثَـلاَثٍ ، وَأُرِيْحُكُمْ مِنْـهُ ، وَعِنْدِيْ عِشْـرُوْنَ أَلْفِ مُدَجَّـجٍ ، فَلاَ أَرَى هَـذَا الحَيُّ ، مِن بَنِيْ هَاشِمٍ يَقْدِرُ عَلَى حَرْبِيْ .

وإنْ سَأَلُونِي الدِّيَةَ ، أَعْـطَيْتُهُمْ عَشَرُ دِيَـاتٍ ، فَفِيْ مَالِيْ سَعَـةٌ وَهُوَ مَشْهُوْرٌ بالشَّجَاعَةِ ، والبَأْسِ ، فَلَبِسَ يَوْمَ وَعْدِهِ قُرَيْشاً سِـلاَحَهُ ، وظَـاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْن ، فَـوَافَقَهُم بـالحَـطِيْمِ ، وَرَسُـولُ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم في الحِجْرِ يُصَلِّيْ ، وَقَدْ عَرَفَ ذَلِـكَ ، فَمَا التَفَتَ، وَلاَ تَزَعْزَعَ ، وَلاَ قَصَّرَ في صلاةِ .

فَقِيْلَ لَهُ هَذَا مُحَمَّدٌ سَاجِدٌ ، فَأَهْوَى إليْـهِ . وَقَدْ سَـلَّ سَيْفَهُ ، وَأَقْبَلَ نَحوه فَلَمَّا دَنَا مِنْـه رَمَى بِسَيْفِهِ ، وَعَـادَ ، فَلَمَّا صَـارَ إلى بابِ الصَّفَا ، عَثَرَ في دِرْعِه ، فَسَقَطَ ، فَقَامَ وَقَدْ أَدْمَى وَجْهَهُ بالحِجَارَةِ ، يَعْـدُوْ كَأشَـدِّ العَدْوِ ، حَتَّى بَلَغَ البَـطْحَـاءَ ، مَـا يَلْتَفِتُ إلى خَلْفٍ ، فاجْتَمَعُوْا وَغَسَّلُوا ، عن وَجْهِهِ الدَّمَ ، وَقَـالُوْا : مَـاذَا أَصَابَـكَ ، قَالَ وَيْحَكُمْ ، المَغْـرُوْرُ مَنْ غَرَرْتُمُـوْهُ ، قَالُـوا مَا شَـأْنُكَ قَـالَ مَـا رَأَيْتُ كـاليَومِ ، دَعُـوْنِيْ تَرْجِـعُ إليَّ نَفْسِيْ فَتَرَكُـوْهُ ، سَاعَـةً ، وَقَـالُـوا مَـا أَصَابَكَ يَا أبَا اللَّيْثِ ، قَالَ إنِّيْ لَمَّا دَنَـوْت مِنْ مُحَمَّدٍ ، فَـأَرَدْتُ أَنْ أَهْوِيْ بِسَيْفِيْ إلَيْهِ ، أَهْوَى إليَّ مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ شُجَاعَانِ ، أَقرَعَـانِ ، يَنْفخَانِ بالنِّيْرَانِ ، تَلْمَعُ مِن أَبْصَارِهِمَا ، فَعَـدَوْتُ فَمَا كُنْتُ لأَعُـوْدَ ، في شَيْءٍ مِن مَسَاءَةِ مُحَمَّدٍ .

٥٠ ـ قَالَ وَمِن أَعْلاَمِهِ :

أنَّ كِلْدَةَ بنَ أسَدٍ أَبَا الأَشَدِّ ، وَكَانَ مِنَ القوَّةِ بمَكَانٍ ، خَاطَرَ قُرَيْشاً يَوْماً في قَتْلِ رَسُوْلِ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليهِ وَسَلَّم ، فأعْظَمُوْا لَهُ الخَطَرْ ، إنْ هُوَ كَفَاهُمْ ، فَرَأَى رَسُوْلَ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم في الطَّرِيْقِ يُرِيْدُ المَسْجِدَ ، مَا بَيْنَ دَارِ عَقيلٍ وعِقَال ، فَجَاءَ كِلْدَةُ ، وَمَعَهُ المِزْرَاقُ ، فَرَجَعَ المزراقُ في صَدْرِهِ ، فَرَجَعَ فَزعاً ، فقالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ مَالَكَ يَا أَبَا الأَشَدِّ ، فَقَالَ وَيْحَكُم ، مَا تَرَوْنَ الفَحْلَ خَلْفِي ، قَالوا لا مَا نَرَىْ شَيْئاً ، قَال وَيْحكُم فإنِّي أَرَاهُ ، فَلَمْ يَزل يَعْدُو حَتَّى بَلَغَ الطَائِفَ ، فَاسْتَهْزَأَتْ به ثَقِيْفٌ ، فقال أَنَا أعْذُرُكم ، لَوْ رَأَيْتُم ما رَأَيْتُ لَهَلَكْتُمْ .

القصيدة الوعظية

لَيْسَ المُقَامُ بدَارِ الذُّلِّ مِنْ شِيَمِى　　وَلَا مُعَاشَرَةُ الأَوْبَاشِ مِن هِمَمِي
وَلَا مُخالَطَةُ الأَرْذَالِ تَصْلُحُ لِي　　كذَلِكَ الْبَازُ لَا يأْوِى إلى الرَّخَمِ
يَا سَائِلِي عَنْ عُلُومٍ لَيْسَ يَفْهَمُهُا　　إسْمَعْ كلَامَا كَنَظْمِ الدُّرِّ مُحْتكِمِ
إنْ الْوُعَيْظِى لَهُ فى الشِّعْرِ نَافِلَةٌ　　يَحارُ فِيها ذَوُو الأَلْبَابِ وَالْفُهُمِ
خَيْرُ الصَّنَائِعِ تَقْوَى الله فَاتَّقِهِ　　يَكْفِيكَ فى الحشْرِ ماَ تخْشَى مِنَ النَّدَمِ
والْوَالَدِيْنِ فَلَا تَنْهَرْهُما أَبَداً　　قَدْ رَبَّيَاكَ صَغِيراً غَيْرَ مُنْفَطِمِ
قَدْ طَالَ ما سَهِرَتْ بِاللَّيْلِ أَعْيُنُهُمْ　　خَوْفاً عَلَيكَ وَعَيْنُ الله لَمْ تَنَمِ
ثُمَ الصلَاةُ الّتِي بَيْنَ الْفَتَى صِلَةٌ　　وَبَيْنَ خالِقِهِ تَنْهَى عَنِ الاثْمِ
أَدِ الزَّكَاةَ عَنِ الامْوَالِ تَغْسِلُهَا　　كالثَّوب يُغْسَلُ أَوْيُنْفَى مِنَ الدَّسَمِ
وَالصَّوْمُ فَرْضَ مِنَ الرَّحْمنِ أَوْجَبَهُ　　عَلَى الْعِبَادِ فَمنْ أَدْرَكَهُ فَلْيَصُمِ
وَالَحجُّ فَرْض عَلَى الإِسْلَامِ كُلِّهِم　　مَنْ لَمْ يَحُجَّ كَمنْ صَلَّى وَلَمْ يَصُمِ

مَنِ اسْتَطاعَ عَلَى زَادٍ وَرَاحِلَةٍ   وَمَسْلَكٍ آمنٍ مِنْ سَائِرِ الْأَمَمِ
فإنْ حَجَجْتَ احْفَظَنْهَا كَيْ تُفُوزُ بِهَا   وَاذْكُرْ مَسِيرَكَ من طَامٍ إلَى أكُمِ
ولَا تُضَيِّعْهَا تَصْلَى لَهِيبَ لَظَى   وَتُحْرَمُ الشُّرْبَ مِنْ حَوْضٍ لِكُلِ ظُمِ
وَكَم أَصَابَكَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ عَطَشٍ   وكَمْ تَعِبْتَ وَكَمْ جَاوَزْتَ مِنْ إِضَمِ
وَفِي الجِهَادِ ثَوَابٌ إنَّ صَاحِبَهَا   فِي الْخَيْرِ وَالحورِ مَقْصُور مَعَ الخِيَمِ
وَإِنْ ظَفِرْتَ فَمَشْكُورٌ وَمُفْتَخِرٌ   وَإِنْ قُتِلْتَ جَزَاكَ اللهُ بِالنِّعَمِ
فَابْشِرْ بِجَنَّاتِ عَدْنٍ غَيْرِ فَانِيَةٍ   إن أَنْتَ مُتَّ شَهِيداً غَيْرَ مُنْهَزِمِ
وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ مَطْلُوبٍ فَطَالِبُهُ   يَنَالُ دُنْيَاً وَدِينًا غَيْرَ مُتَهِمِ
قَدْ شَرَّفَ اللهُ أَهْلَ الْعِلْمِ وَافْتَخِرُوْا   بِأَنَّهُمْ أُمَنَاءُ اللهِ فِى الْأمَمِ
والْكَيْلَ أَوْفِهْ وَلِلْمِيزَانِ أَرْجِحْهُ   كَمْ أَهْلَكَ اللهُ فِي هذَيْنِ مِنْ أُمَمِ
وَأْمُرْ بِأَهْلِكَ يا هذَا وَحُضَّهُمُ   عَلَى الصَّلَاةِ فَفِيهَا كلُ مُغْتَنِمِ
واجْهَرْ بِخَيرٍ إذا مَا مَعْشَرٌ حَضَرُوا   وَانْطِقْ بِخَيْرٍ تَنَالُ حُسْنَ خَيْرِهِمِ
مَنْ طَابَ مَوْلِدُهُ طَابَتْ مَحَاضِرُهُ   كذَاكَ قَدْ قِيلَ فِى بَيْتٍ مِنَ الْقِدَمِ
وَلِلْبَنِين حُقُوقٌ لَا تُضَيِّعُهَا   حَالٌ كَرِيمٌ وَإِسْمٌ غَيْرُ مُنْعَجِمِ
وحُصَّهُمْ بِأَدِيبٍ فَاضِلٍ فَهِمٍ   فَأَفْضَلُ الْخَلْقِ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْكَرَمِ
وَأَقْرِ أهُمُ النَّحْوَ وَالشِّعْرَ الفَصِيحَ فَفِى   ذَاكَ فَضِيلَةٌ لَيسَ الفَضْلُ لِلْعَجَمِ
وَالضَّيْفَ أَكْرِمْهُ إِنَّ الضَّيْفَ مُرْتَحِلٌ   يُثْنِي عَلَيْكَ بِمَا أُوتِيتَ مِنْ كَرَمِ
لَيْسَ الْكَرَامَةُ فِي طِيبِ الطَّعَامِ لِهُ   وَلَا تَكَلُّفَ مِنْ لَحْمٍ وَمِنْ أُدُمِ
بَلِ الْكَرَامَةُ أَنْ تَلقَاهُ مُبْتَسِماً   لَاخَيْرَ عِنْدَ مُضِيْفٍ غَيْرَ مُبْتَسِمِ
أُوصِيكَ بالرُمْحِ وَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ فَفِى   هذَيْنِ عِزٌّ وَمَجْدٌ غَيْرُ مُنْهَمِ
وَسَابِقَ الخَيْلِ أَكرِمْهَا مُحَافَظَةً   فإنَّهَا عُدَّة لِلْمَاجِدِ الْفَهِمِ
وَلَا تُوَا كِلْ إمارَاةً تَقُومُ بِهَا   عِنْدَ الْعَلِيقِ وَلَا وغْداً مِنَ الخَدَمِ
وَإِنْ مَلَكْتَ فَكُنْ بِالْعَدْلِ مُتَّزِراً   وَاحْذَرْ سِهَامَ الدُّجَى فِي حِنْدِسِ الظُّلَمِ

فَرُبَّ دَعْوَةِ مَظْلُومٍ تُصادِفُهَا إجَابَةٌ بزَوَال المُلْكِ وَالنِّعَمِ
وَاحْفَظْ نَصِيحَةَ مَنْ تَنْفَعْ نَصِيحَتُهُ وَالْبَذْلَ جَازِيهِ بالتَّأدِيبِ وَالْكَرَمِ
وَإنْ دَنَوْتَ مِنَ السُّلْطَانِ وَارْتَفَعَتْ بكَ الَمرَاتِبُ لا تأمَنْ مِنَ النِّقَمِ
إنَّ المُلوكَ إذَا حَبُّوكَ وَاجْتَهَدُوْا هُمْ يُتْبِعُوكَ لَهُمْ فِي سَائِرِ الَخدَمِ
وَإنْ جَفَوْتَ سَقوكَ السُّمَّ وَاحْتَقَرُوا مَا كُنْتَ تَصْنَعُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَلِمِ
وَاحْذَرْ مِنَ الْبَغْيِ إنَّ الْبَغْى مَنْقَصَةٌ عَوَاقِبُ الْبَغْيِ لَا تُبْقِي وَلَا تُدِمِ
وَإنْ نَبَا مَنْزِلُ يَوْماً فَفَارِقْهُ لَا خَيْرَ فى الَمنْزِلِ المُسْتَوْبَلِ الْوَخِمِ
أرْضٌ بِأرْض وَإخْوَانٌ بِمِثْلِهِمِ وَالرِّزْقُ يَأتِي لِمَنْ يَسْعَى وَمَنْ يَقُمِ
وَانْهَضْ فإنَ بِلَادَ الله وَاسِعَةٌ طُوْلاً وَعَرْضاً وَمَا صناقَتْ لِمُقْتَحِمِ
وَإنْ تَغيَّرَ يَوْماً مَنْ تُصَاحِبُهُ عَنْ وُدِّهِ وَبَدَا بالصَّدِّ وَالصَّمَمِ
فَلَا تُعاتِبْهُ يَوْماً بَلْ فَفَارِقْهُ لَيْستْ مُعَاشَرَةُ الْأرْذَالِ باللَّزِمِ
لا خَيرَ فى صَاحِبٍ تَبْدُو قَبَائِحُهُ بَعْدَ الْجميلِ بِوَجْهٍ عَابِسٍ وَخِمِ
وَاعْلَمْ بِأنَّ الرِّبَا فى المَالِ يَمْحَقُهُ وَالرِّبحُ مِنْ وَجْهِ حِلِ غيرُ مُتْهِمِ
وَلا تُعَامِلْ لِمخلُوقٍ مُعَامَلَة إلَا بِخط شُهُودٍ يُقْتَدَى بِهِمِ
ولِلدَّرَاهِيمِ فى الحَاجَاتِ مَنْفَعَةٌ نِعْمَ الصَّدِيقُ وَلَا يُخْشَى مِنَ الْعُدُمِ
وَإنْ تَدَايَنْتَ دَيْنالا تَكُنْ مَطِلاً فإنَّ حُسْنَ الْوفَا مَقْرُونُ بالكَرَمِ
أتأخُذُ الدَّيْنَ حُلْواً عِنْدَ حَاجَتِهِ وَعِنْدَ وَقْتِ القَضَاتُوْ فِيه بالكَظِمِ
لَاتَحْمَدَنَ امْرَا حَتَّى نُجَرِّبَهُ ولا تَذُمَّنهُ فى العُسْرِ وَالْعُدُمِ
وَابْنَ عَمُكَ لَا تَقْطَعْ مَوَدَّتَهُ وَصِلْ قَرَابَتَهُ فى الله وَالرَّحِمِ
وَإنْ أتَاكَ إذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ مُطَلِعَ الرَّأسِ عَارٍ مُحْتَشِمِ
فَذَاكَ أفْضَلُ مِنْ أخٍ وَمِنْ وَلَدِ تَعْزُوْبِه النَّفْسُ وَالْامْوَالُ وَالهِمَمِ
وَالَمجْدُ لَايَنْبَغِى إلَا بِأرْبعَةٍ بِالسَّيْفِ وَالرُمْح وَالْأمْوَالِ وَالْفُهُمِ
وَإنْ تَقَدَّمْتَ يَاهذَا عَلَى نَفَرٍ فَكُنْ عَلَيْهِمْ كَمِثْلِ الْوَالِدِ الرَّحِمِ

واطْلُبْ رضَاهُمْ إذا طَاعُوكَ واجْتَهِدُوا ... وَإِنْ عَصَوْكَ ففَارِقْهُمْ وَلَاتُقِمِ
وَاقْبَلْ مَعَاذِيرَ مَنْ آتَاكَ مُعْتَذِراً ... فالعُذْرُ يُقْبَلُ عِنْدَ السَّيِّدِ الْحَشِمِ
مَا كُلُ مَنْ وَلَدتْهُ الْأُمّ قِيلَ أَخٌ ... وَلَوْ أَفَادَكَ بالدِّاياتِ وَالخِدَمِ
أَخُوكَ فى النّاسِ مَنْ وَافَاكَ فاحْفَظَهُ ... وَمَنْ يُوَاسِيكَ عِنْدَ العُسْرِ وَالْعُدُمِ
وَإِنْ مَدَحْتَ فَلَاتُهْدِ الْقَرِيضَ إلى ... بَخِيلِ قَوْمٍ وَضِيعٍ غَيْرِ مُحْتَشِمِ
إنْ جِئْتَ تَقْصِدُهُ أَرْخَى مَشَافِرَهُ ... كَأَنَّ شِدْقَيْهِ مَنْفُوذَيْنِ بالْوَرَمِ
إقْصِدْ بِمدْحِكَ ذَا فَضْلٍ وَذَا كَرَمٍ ... يَلْقاكَ وَالْوَجْهُ بَسَّامٌ بِلَا قَتَمِ
يَكْفِيكَ مِنْهُ قلِيلٌ أَنْتَ قَابِلهُ ... مَعَ الْبَشَاشَةِ وَلْأَرْزَاقُ بالقِسَمِ
وَإن وَعَدْتَ فأَوْفِ مَاوَعَدْتَ بِهِ ... فَالْوَعدُ دَيْنٌ عَلَى ذِى نَخْوَةٍ لَزِمِ
وَاصْدَقْ فإِنَّ حَدِيثَ الصِّدْقِ مَكْرُمَةٌ ... فالصِّدْقُ يُنْجِيكَ عِنْدَ اللهِ والْأَمَمِ
ولِلْكَذُوْبِ عُيُوبٌ إنّ صَاحِبَها ... وَإِنْ تحَدّثَ صِدْقاً بالتُّهمِ
وَلَا تُفَرِّطُ فِي جَارٍ وَلا نَسَبِ ... وَاعْلَمْ بأَنَّهُمَا فِي أَكْبَرِ الْأَمَمِ
والسُيْفُ وَالرُّمْحُ مَقْرونَانِ فى قَرَنٍ ... وَالسَّيْفُ أصْدَقُ أَنْبَاءِ مِنَ الحِكَمِ
وَإِنْ خَشِيتَ مِنَ السُّلْطَانِ نَائِبَةً ... فَالْبُعْدُ أَسْلَمُ لِلْاعْنَاقِ وَالْهِمَمِ
فَالنّارُ تُحْرِقُ مَنْ يَدْنُو بجَانِبِهاَ ... وإِنْ تبَاعَدَ عَنْهَا فَازَ بالسَّلَمِ
وَإِنْ تَزَوَّجْتَ ياهذَا فَكُنْ حَفِظاً ... وكُنْ غَيُوراً وَلَا تَفْسَحْ لهَا قَدَمِ
وَلا تُمَكِّنِهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا ... وَلَا الخَرُوجَ مَعَ الدَّايَاتِ وَالخَدمِ
وَإِنْ ظَنَنتَ بهَا سُوءًا فَطَلِّقْهَا ... وَخُذْ سِوَاهَا وَلَا تَعْتَادُ بالنَّدَمِ
فالمرْأَةُ السُّوءُ كَالضِّرْسِ الْعَلِيلِ فَإِنْ ... أَزَلْتَهُ زَالَ عَنْكَ الْبَأْسُ وَالْأَلمِ
وَاحْذَرْ عَجُوزاً تُوَلِّيهَا عَلَى حُرَمٍ ... فَالذِّئْبُ لَيْسَ بمَأمُونٍ عَلَى الْغَنَمِ
وَلا تُخَادِعْكَ الْأُنْثَى فَتَأْمَنْهَا ... يَوْماً وحَاذِرْ ذَوَاتِ المكْرِ والتُّهَمِ
هُنَّ الْكَوَاذِيبُ لَاقَوْلٌ لَهُنَّ وَلَا ... يَحْفَظْنَ عَهْداً وَلَا يُوفِينَ بالذِّمَمِ
مَافِي الرِّجالِ عَلَى النِّسْوَانِ مِنْ ثِقَةٍ ... وَلَا أَمِينٌ فَلَا تَصْغَوْا لِكَيْدِهِمِ

يَامَنْ يُخَالِطُ فِي أُنْثَى وَفى ذَكَرٍ ... إِذَا خَلَا بِهِمَا إِبْلِيسُ فِي الظُلَمِ
هَلْ تَأْمَنُ النَّارَ إِنْ أَوْدَعْتَهَا حَطَباً ... كَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ فى طَلْحَ مِنَ الرَّتَمِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ النِّسَا أَصْحَابُ مَيْسَرَةٍ ... لَا يَسْتَحِينَ وَلَا يَصْبِرْنَ لِلْعُدُمِ
إِذَا دَعَتْهُنَّ أَغْرَاضٌ لَهُنَّ فَلَا ... يَفْرِقْنَ بَيْنَ كَرِيمِ الجَدِّ وَاللِّمَمِ
وَعْلَمْ بِأَنَّ الزِّنَا عَارٌ وَمَنْقَصَةٌ ... فى الدِّينِ وَالمَالِ وَالْأَهْلِينَ وَالحُرُمِ
وَفى الْحَلَالِ مِنَ الرَّحْمنِ مَغْفِرَةٌ ... يَصُونُ عِرْضَكَ مِنْ لَوْمٍ وَمِنْ إِثِمِ
لَا تَقْتُلِ النَّفسَ وَالرَّحْمنُ حَرَّمَهَا ... كَمِثْلِ تَحْرِيمِهِ لِلْبَيْتِ وَالحَرَمِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ إِلهَ الْعَرْشِ مُطَّلِعٌ ... عَلَيْكَ وَاحْذَرْ مِنَ الجَبَّارِ وَاحْتَشِمِ
لَا يَرْجِعُ السَّهْمُ يَوْمَا إِنْ رَمَيْتَ بِه ... كَالدَّرِّ لَيْسَ بِمَرْدُودٍ إِلَى الحُلُمِ
وَإِنْ بَدَأْتَ بِخَيْرٍ لَا تَمُن بِهِ ... وَكُنْ بِخَيْرِكَ بَيْنَ النَّاسِ مُحْتَشِمِ
فَالَمن يُفْسِدُ مَا تُبْدِيهِ مِنْ كَرَمٍ ... إِنَّ الْعَطَا وَالسَّخَامِنْ أَفْضَلِ الشِّيَمِ
وَمَنْ بَدَا لَكَ مَعْرُوفاً فَعَارِضْهُ ... شُكْراً كَشُكْرِ نَبَاتِ الأَرْضِ لِلدِّيَمِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ جَمِيعَ المَالِ عَارِيَةٌ ... وَقْتاً يَكُونُ وَوَقْتَا عَنْكَ مُنْهَزِمِ
وَلِلْوَدِيعَـةِ حَقٌّ لَا تُضَيِّعُهَــا ... إِنَّ الْوَفى حَسَنٌ فِي سَائِرِ الْأُمَمِ
هِيَ الْأَمَانَةُ أَعْطِيْهَا لِصَاحِبِهَا ... تَنَالُ دِيناً وَتَنْجُو مِنْ أَذَى التُّهَمِ
وَإِنْ شَهِدتَ بِشيءٍ لَا تُضَيِّعُهُ ... وَاصْدُقْ بقَوْلِكَ بَيْنَ الخصْمِ وَالحَكَمِ
إِنَّ الشَّهَادَةَ فَرْض لَيْسَ يَكْتُمَهَا ... إِلَّا لَئِيمٌ قَلِيلُ الدِّينِ ذُوتُهَمِ
وَلَا تُصَاهِرْ بَخِيلاً فِي عَشِيرَتِهِ ... وَلَوْ أَتَاكَ بِمَالِ الْفَارِسِ السَّلَمِ
وَإِنْ خَطَبْتَ فَلَا تخْطُبْ وَإِنْ حَسُنَتْ ... إِلَّا كَبِيْرَةَ بَيْتٍ غَيْرِ مُتْهَمِ
إِيَّاكَ تَشْتُمْ وَلَا تَبْدُو بِفَاحِشَةٍ ... لِوَالدَيْكَ وَابْذُلْ طَيِّبَ الْكَلِمِ
لَاتَرْ كَنَنَّ إِلَى بَيْت الزُّنَاةِ وَلَوْ ... جَاءَتْ بِمَالٍ جَزِيلٍ وَاحْذَرِقَطْعَتَ الرَّحِمِ
وَلَا تَغُرْنَكَ سَوْدَاء فَتُودِعُهَا ... جَوَاهِرَ الصُّلْبِ لَيْسَ النُّورُ كَالظُّلَمِ
وَإِنْ جَمَعْتَ نِسَاءَ لَا تُضَارِرُهُنْ ... فَإِنَّهُنْ وَدِيعَاتٌ لِذِى كَرَمِ

فَمنْ تُطيعُكَ أَكْرِمْهاَ وَإِحْفَظَهَا ... وَمَنْ عَصَتْكَ فَفارِقْهاَ وَلَا تُقِمِ
إِيَّاكَ إِيَّاكَ قَذْفَ المُحْصنَاتِ بِلَا ... ذَنْبِ فَتُصْبِحَ فِي بَحْرٍ مِنَ الأَثِمِ
وَلَا تَجرَّ عَلَى الْمَمْلُوكِ تَضْرِبُهُ ... وَاحْسِنْ إذا كُنْتَ ذَا حُسْنٍ وَذَا كَرَمِ
وَاسْتَغْفِرِ اللهَ مِنْ ذَنْبٍ خَلوتَ بِهِ ... فَاللهُ يَنْظُرُهُ فِي حِنْدسِ الظُّلَمِ
وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ مَنْ وَصَّاكَ مُجْتَهِداً ... وَخُذْ قَصِيداً كَنَظْمِ الدُّرِّ مُحْتَكِمِ
وَإِنْ هَمَمْتَ بِقَوْمٍ أَنْ تُجاوِرَهُمْ ... فَسَلْ عَنِ الْفاضِلِ المَعْرُوُفِ بالْكَرَمِ
مَعْرُوَفِ بِالَخيرِ مَأْمُوناً عَوَاقِبُهُ ... لَا يُنْكِرُ الجَارَ إِلَّا مَعْشَرُ الْؤُمِ
لا خَيْرَ فِي الجاَرِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ تَقِي ... عَنِ الْعَزِيزَيْنِ مِنْ مَال وَمِنْ خَدَمِ
مَا أَقْبَحَ الجَارَ إِذْ يَزْنِي بِجاَرَتِهِ ... فِي جُنْحِ لَيْلٍ وَلَوْ كَانَتْ مِنَ الخَدَمِ
واكْتُمْ أَحَادِيْثَ سِرٍّ أَنْ تُبَرِّزَهَا ... فَكاَتِمُ السِّرِّ مَأْمُونٌ مِن النَّدَمِ
وَالصَّمْتُ أَجملُ ثَوبٍ أَنْتَ لَابِسُهُ ... كَمْ هَامَةٍ قُطِعَتْ مِنْ عَثْرَةٍ بِفَمِ
وَالحُرّ أَوْلَى بِسِرِّ النَّاسِ يَكْتُمُهُ ... بَعْدَ الثَّلاثَةِ مَا سِرٌّ بِمُكَتِمِ
وَإِنْ كَسَاكَ كَرِيمٌ مِنْ صَنَائِعِهِ ... ثَوْباً فَأَنْشِرَهُ فى سَائِرِ الْأَمَمِ
وَإِنْ حَظِيْتَ بِجاَهٍ لَا تَشُحَّ بِهِ ... يَوماً عَلَى عُرُبٍ لَا لَا وَلا عَجَمِ
وَافْعلْ جَميْلاً إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِراً ... فَالَمَالُ يَفْنَى وَلَا خَيْرٌ بِمُنْصَرِمِ
وَلَا تُشاَوِرْ وَإِنْ نَابَتْكَ نَائِبَةٌ ... إِلَّا نَصُوْحاً شَفِيقاً غَيْرَ مُتَّهَمِ
لَا تَنْهَرَنَّ يَتِيماً مَاتَ وَالِدُهُ ... إِنَّ الْيَتِيمَ ضَعِيفُ الْقَلْبِ ذُوْأَلَمِ
وَإِنْ أَتَى سَائِلاً يَوْماً فَأَطْعِمْهُ ... مِمَّا رُزِقْتَ بِوَجْه غَيْرِ مُنْقَطِمِ
وَلَا غَرِيباً بَعِيدَ الدَّارِ مُنْفَرِداً ... عَنِ الْأَحِبَّةِ وَالْأَهْلِينَ مُنْصَرِمِ
إِيَّاكَ لَا تَنْهَرُهُ إِنْ لَجَّ فِي طَلَب ... ادْفَعْ بِمَعْروفٍ أَوْ نَيْلاً بِلَا نَدَمِ
إِنَّ الْغَرِيبَ ذَلِيلٌ أَيْنَما سَلَكَتْ ... بِهِ الرِّكَابُ غَزِيرُ الدَّمْعِ مُنْسَجِمِ
إِنْ مَاتَ يَوْمَا فَلَا تَبْكِيهِ بَاكِيَةٌ ... وَلَا تُعَلِّلُهُ الْأَوْصَافُ مِنْ سَقَمِ
وَإِنْ دُعِيتَ إِلى قَوْمٍ لِتُصْلِحَهُمْ ... فَانْهَضْ فَإِنَكَ مَأْجُورٌ بِصُلْحِهِمِ

وَإنْ دَعَا بِكَ مَظْلُومٌ فَأَنْصِرْهُ ... بقَوْلِكَ الَحقْ أَوْ بالصَّارِمِ الحَكَمِ
وإنْ أَتَاكَ مَخِيْفُ القـلبِ أمنه ... فَالَخوفُ مُمْتَزِجٌ فى لحَمِهِ وَالدَّمِ
وَلَا تَكُنْ شَرِهاً فى الْأَكْلِ كَمْ شَرِهِ ... كَانَتْ مَنِيَّتُهُ فِي أَصْغَرِ اللُّقَمِ
وَكثْرَةُ الْأَكْلِ تُؤْذِيْ جِسْمَ صَاحِبِهَا ... حَتَّى يُصَبِّحَ مَضْرُوْراً مِنَ الْبَشَمِ
وَغسْلُ قَبْلَ صَعَامِ الأكل فيه غِنَى ... وَالْغسْلُ مِنْ بَعْدِهِ حِرْزٌ مِنَ اللَّمَمِ
وَكثْرَةُ المزحِ مَذْمُومٌ عواقِبُهَا ... كَمْ مِنْ مُزَاحٍ دَعَا لِلشَرِّ وَالشَّتَمِ
وَاحْذَرْ عَدُوَّكَ لَاتَرْكَنْ له أَبَداً ... وَلَا يخَادِعْكَ بالْأَيْمَانِ وَالْقَسَمِ
وَكُلَّمَا زَادَ إحْسَاناً فأَبْعِدُهُ ... وَانْظُرْ بِقَلْبِكَ إنَّ الْقَلْبَ غيْرُعَمِ
كَمْ مِنْ عَدُوٍّرَمَى بالإفكِ صَاحبَهُ ... فَبَاتَ مُرْتَهِناً فى لَحْفِ مُنْتَقِمِ
وَإنْ حَذَرْتَ عَدُوًّا مِنْكَ وَاحِدَةً ... فَاحْذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفاً لاتَكُنْ دَهِمِ
فَرُبَّماَ انْقَلَبَتْ يَوْماً صَدَاقَتُهُ ... فَصَارَ يخْبُرُ بالْأَسْرَارِ لِلنِّقَمِ
وَلَا تُصَادِقْ صَدِيقاً لَمْ تُجَرِّبَهُ ... فِي النَّائِبَاتِ وَكُنْ باللهِ مُعْتَصِمِ
فماَصَدِيقُ الرَّخاَ وَالنَّائِبَاتِ سَوَى ... وَلَا يُقَاسُ قَوِيُّ الْقَلْبِ بِالْهَرِمِ
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ ضَحُوكِ السِّنِّ مُبْتَسِمِ ... وَفِي الشَّدَائِدِ يَأْتِي غَيْرَ مُبْتَسِمِ
وَلَا تُصَادِقْ مَنْ عَادَى أَبَاكَ وَلَا ... يَغُرُّكَ الدَّهْرُ فِي أَعْدَائِكَ الْقِدَمِ
لَا يَنْجَلِي صارِمٌ فِي جَنْبِهِ حُرَبٌ ... لَابُدَّ مِنْ أَثَرٍ بالسَّيْفِ كَالْقَلَمِ
وَلَا تخَالِفْ قَوْماً إنهُمْ عُرِفُوْا ... بالْعَدْلِ وَاقْطَعْ جِماَلَ الْحِلفِ وَانْصَرِمِ
لاَ تَجْرَأَنَّ أَنَّ عَلَى الْأَيْمَانِ كَاذِبَةً ... وَلَا يغُرَّنَّكَ الشَّيْطَانُ فِي الْقَسَمِ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ دِيارَ الحَالِفِينَ تُرَى ... بَلَاقِعاً مَسْكَناً لِلْبُومِ وَالرَّخَمِ
وَحْفَظْ وَصِيَّةَ مَنْ أَوْصَاكَ مُجْتَهِداً ... وَخُذْ قَصِيْداً كنَظْمِ الدُّرِّ مُحْبَكِمِ
قَوْلُ الهُمامِ الْوُعَيظِي الَّذِى شُهِرَتْ ... أَشْعَارُهُ فى بِلَادِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
إنَّ الْقَصَائِدَ جَلَّتْ فى مَفاَخِرِهَا ... أُرِيتَ شِعْرِى مُنِيفَ الجِّد كَالْعَلَمِ
مَا قَالَ مِثْلَ قَصِيدى شاَعِرٌ أَبَداً ... وَلَايُؤَلِّفُهاَ أَوْ يَنْطِقُ الصَّمِمِ

أَلْفتْ جَوَاهِرُهَا كالدّرّ مُحْتَكِماً بَانَتْ مَحاسِنُهاَ بالْوَعْظِ وَالحِكَمِ
ماقَالَ شاعِرُ قَوْمٍ مِثْلَهاَ أَبداً أَوْ يَنْطِقُ الَحجَرُ المَنْعُوتُ بالصَّمَمِ
وَدِيْعَتِى لِلْمَناَيَا سَوْفَ يَطْرُقُهاَ وَالَموْتُ حَتْمٌ وَعِنْدَ اللهِ مُحْتكِمِي
يارَبٌّ يارَبٌّ يارحْمنُ فارْحَمناَ بصَبْوَةٍ شابَ مِنهاَ الرُأسُ وَاللْمَمِ
وَاغفِرْ ذُنُوبَ الْوعَيْظِي إنَّهُ رَجُلٌ عاصٍ وَمُعْتَرِفٌ بالذَّنْبِ مُجْتَرِمِ
قَصَدْتُ بابَكَ يارَحْمنُ فارْحَمْناَ وَاصْفَحْ بعَفْوكَ عَنْ ذنْبِي وَعَنْ جُرُمِي
رَبِّى قَديْرٌ رَحِيمٌ وَاحِدٌ أَحَدٌ مُهَيْمنٌ قاهِرٌ بالْبَطْشِ وَالنِّقَمِ
وَوارِثُ الأَرْضِ لانِدٌ يُعانِدُهُ وَلَاشَرِيكٌ لهُ بَلْ جَلَّ فِي الْعِظَمِ
مُحْيِ الْقُلُوبَ وَمُنْشِئُمْ وَرَازِقهُمْ حَتَّى الَمماَتِ وَمُحْي دَارِس الرُمَمِ
وَباَعِثُ الَخلْقِ لِلْميقاَتِ أَجْمعِهِمْ وَالْعَدْلُ يَنْشُرُهُ فِي ساَئِرِ الْأُمَمِ
وَجيِءْ بالجنَّةِ الْعُلْيـاَ مُزَخْرَفـةً قَدْ خَصَّها اللهُ بالْأَمْلَاكِ والنِّعَمِ
وَلِلصِّرَاطِ وَالْميزَانِ إذْ نُصبَا كَرْبٌ وَكُلُّ الْوَرَى لِلْكَرْبِ مُلْتَزِمِ
وَلِلصَّحَائِفِ أَهْوَالٌ إذا نُشِرَتْ وَالنَّاسُ قَدْ شَخَصُوامِنْ خَوْفِ رَبِّهِمِ
ياَلَيْتَ شِعْرِى وَلَيْسَ الدَّهْرُ يُخْبِرُنِي أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ يَنْجُو يَوْمَ مُحْتَكَمِ
لكِنَّ ظَنِّى بِرَبِّى أَنَّهُ مَلِكٌ يَعْفُو بِرَحْمَتِهِ عَنْ كُلِّ مُجْتَرِمِ
مَوْلَايَ مَوْلايَ لارَبٌّ سِوَاكَ فَعُفْ ذَنْبِى فَإنَّكَ ذُو عَفْوٍ وَذُوْ كَرَمِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِناَ مُحَمَّدِ الْمُصْطَفى لِلْعُرْبِ وَالْعَجَمِ

« فَصْــلٌ »

٥١ ـ ومنهـا ارْسَالُ الـرِّيـحِ الشَّـدِيْـدَةِ عَلَى الأَحْـزَابِ ، وَهُـمْ قُـرَيْشٌ ، وَمَنْ مَعَهُم يَـوْمَ الخنـدقِ أَرْسَلَهَـا اللّهُ عَلَيْهِمْ لَيْـلاً ، قَـالَ عِكْرَمَةُ قالَتِ الجَنُوبُ لِلشَّمَالِ لَيْلَةَ الأَحْزَاب ، انـطَلِقِي نَنْصُرُ رَسُـولَ

اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم ، فَقَالَتْ الشَّمَالُ إنَّ الحَرَّةَ لا تَسْري بلَيْلٍ ، وَكَانَتْ الرِّيحُ التِيْ أرْسَلَها اللَّهُ عليهم الصَّبَا ، فَفَرُّوْا لِشِدَّتِها عن بَعْضِ أثقالِهم وأَمْتِعَتِهم ، وَلَوْ أقَامُوْا إلى الصَّبَاحِ لَهَلَكُوا جمِيْعاً .

وَهُوَ المَدْلُولُ عليه بقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ يَا أيها الذين آمَنُوا اذْكُرُوْا نعمةَ اللّهِ عليكم إذْ جَاءَتْكُم جُنُودٌ فأرسلنا عليهم رِيْحاً وَجُنُوداً لم تَرَوْهَا وَكان اللّهُ بِما تَعملونَ بَصِيرا ﴾ .

فَفِي خَبَرِ القِصَّةِ أنَّ رَسُولَ اللّهِ صَلى اللّهُ عليه وسلم لَمَّا رَأى مِنْ أَصْحَابِهِ الجَزَعَ لِطُولِ الحِصَارِ ، صَعِدَ إلى الجَبَلِ فَدَعَا الله وكانَ فِيْمَا دَعَاهُ أن قال « واصْرِف عنَّا شَرَّ هؤلاءِ القومِ بقُوْتِكَ وَحَوْلِكَ وَقُدْرَتِكَ » .

فَنَزَلَ جبريل يُخْبِرهُ عن اللّهِ بأنَّهُ اسْتَجَابَ لَهُ وأمَرَ اللَّهُ الرِّيْحَ والمَلائكةَ أنْ يَهْزُمُوْا قُرَيْشاً والأحزَابَ تلْكَ اللَّيْلَةِ ، فَأَمَرَ صَلى اللّهُ عليه وسلم حُذَيْفَةَ بنَ اليَمَانِ أنْ يَدْخُلَ مُعَسْكَرَهُمْ أيْ قُرَيْش ، ويَأتِيْ بأخْبَارِهِم ، وقَالَ لَهُ إنَّ اللّه عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَخْبَرَنِي أنهُ أرسَلَ على قُرَيْشٍ الرِّيْحَ ، وَهَزَمَهُم .

قالَ فَدَخَلْتُ في القَومِ والرِّيْحُ وَجُنُوْدُ اللّهِ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَفْعَلُ ، لا تُقِرُّ لَهُمْ قِدْراً ، ولا ناراً ، ولا بِنَاءً ، فَقَطَعَتْ أطْنَابَ الفِسْطَاطِ ، وقَلَعَتْ الأوْتَادِ ، وأكْفَأت القدُوْرَ ، وجَالَتِ الخَيْلُ بَعْضُها في بَعْضٍ ، وَكَثُر تَكْبِيرُ المَلائِكَةِ في جَوَانِبِ المُعَسْكَرِ .

قَالَ وقَالَ أَبُو سُفْيَانَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْش ، إِنَّكُمْ وَاللَّه مَا أَصْبَحْتُم بِدَارِ مَقَامٍ ، لَقَدْ هَلَكَ الكُرَاعُ والخُفُّ ، ولَقَيْنَا مِن شِدَّةِ الرِّيْح مَا تَرَوْنَ ، مَا تَطْمَئِنُ لَنَا قِدْرٌ ولا تَقُومُ لَنَا نَارٌ ، ولا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ ، فَارْتَحِلُوْا فإِنِّي مُرْتَحِلٌ ، فَرُدُّوْا بِغَيْظِهِمْ ﴿ وَكَفَى اللَّهُ المُؤْمِنِيْنَ القِتَالَ ﴾ .

فالبَارِي جَلَّ وَعَلاَ أَرْسَلَ الرِّيْحَ عَلَى أُوْلَئِك المُشْرِكِيْنَ ، نَصْراً لِنَبِيِّه مُحَمَّدٍ صلَّى اللَّهُ عليه وسلم وَتَصْدِيْقاً لِدَعْوَتِهِ ، واسْتِجَابَةً لِدُعَائِهِ ، لِعِلْمِهِ تَعَالَى أَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صلى اللَّهُ عليه وسلم ذلكَ اليومِ لا يَقُوْمُونَ بِقِتَالِ أُولئِكَ فَفِي هَذِهِ مُعْجِزَةٌ عَظِيْمَةٌ فتَأَمَّلْ .

٥٢ ـ ومِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُوْ هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عنه ، قَالَ لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ ، أُهْدِيَتْ لِلنَّبِي صلى اللّه عليه وسلم شاةٌ فِيهَا سُمٌّ فقال « اجْمَعُوْا لِي مَنْ كَانَ هُنَا مِنَ اليَهُوْدِ » فَجُمِعُوا ، فقال لَهُمْ « إِنِّي سَائِلُكم عن شَيْءٍ ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ » ؟ قَالُوا نَعَمْ ، يَا أَبَا القَاسِم ، فقال لَهُمْ « مَنْ أَبُوكُمْ » ؟ قَالُوا : فُلاَنٌ ، قال : « كَذَبْتُمْ ، أَبُوكُمْ فُلانٌ » قالُوا صدَقْتَ ، وَبَرِرْتَ ، قَالَ « فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ » ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفتَ ، كَمَا عَرَفتهُ فِي أَبِيْنَا ، قَالَ لَهُمْ « مَنْ أَهْلُ النارِ » ؟ قَالُوا : نَكُونُ فيها يَسِيْرا ، ثُمَّ تَخْلُفُونا فِيْهَا .

قَالَ « اخْسَؤُا فِيْهَا ، واللَّهِ لا نَخْلِفُكُمْ فِيْهَا أَبَدَا » قَالَ « هَلْ أَنْتم صَادِقِيّ عَنْ شَيْءٍ إنْ سَأَلْتُكم عَنْهُ » ؟ قَالُوا نَعَمْ ، قَال « هَلْ جَعَلْتُم فِي هَذِهِ الشَاةِ ؟سُمّاً » ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَال « فَمَا حَمَلَكُمْ

عَلَى ذَلِكَ » ؟ قَالُوا : أَرَدْنَا إنْ كُنْتَ كَاذِباً نَسْتَرِيْحُ مِنْكَ، وإنْ كُنتَ صَادِقاً لَمْ يَضُرُّك ، رواه البخاري .

٥٣ ـ ومِنْ ذلكَ مَا وَرَدَ عَن صَفْوَانَ بنِ عَسَّالٍ : قـالَ بَعْض اليَهُود لِصَاحِبه،اذْهَبْ بنَا إلى هَذَا النَّبي ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ ، لاَ تَقُلْ نَبيٌّ ، إنَّه لَوْ سَمِعَكَ كَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ أعْيُنٍ ، فَأَتَيا النَّبيَّ صلى اللَّهُ عليه وسلم فسألاَهُ عَن تِسْعِ آياتٍ بيِّنَاتٍ .

فقال لَهُمْ « لاَ تُشْركُوا باللّهِ شَيْئاً ، ولا تَسْرِقُوا ، ولاَ تَزْنُـوا ، ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللّهُ إلاَّ بالحَقِّ ، ولا تَمْشُوْا بِبَريءٍ إلى ذِيْ سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَه ، ولا تَسْحَـرُوْا ، ولا تَأْكُلُوا الـرِّبَـا ، ولا تَقـذِفُـوا مُحْصَنَةً ، ولا تُوَلُّوا الأَدْبَارَ يَـوْمَ الزَّحْفِ ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً اليَهُـوْدُ ، أَنْ تَعْـدُوْا يومَ السَّبْتِ » فَقَبَّـلا يدَهُ ، وَرِجْلَهُ ، وَقَـالا : نَشْهَـدُ أَنَّـك نَبيٌّ .

فقالَ « مَا يَمْنَعُكُمَا أنْ تَتْبَعَانِيْ ؟ قَالاَ إنَّ دَاوُدَ دَعَا رَبَّـهُ ، أَنْ لا يَـزَالَ مِن ذُرِّيتِهِ نَبيٌّ ، وَإنـا نَخافُ إن اتَّبعنَـاكَ ، تَقْتُلُنا اليَهُـودُ ، للترمذي والنسائي .

٥٤ ـ وعن جَابر قال غَزَوْنَـا مَعَ النبي صلى اللّهُ عليـه وسلم غـزاةً قبلَ نَجْـدٍ ، فَأدْرَكْنَـا النبيّ صلى اللّه عليه وسلم في القَـائِلةِ في وَادٍ كَثِيْرِ العِضَاه ، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، فَعَلَّقَ سَيْفَـهُ بغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِها .

وَتَفَرَّقَ النَّاسُ في الوَادِيْ ، يَسْتَظِلُّون بالشَّجَرْ ، فقال صلى اللّه

عليه وسلم : « إنَّ رَجُلاً أتانِيْ وَأَنا نائِمٌ ، فَأَخذَ السَّيْفَ ، فَاسْتَيْقَظْتُ ، وَهُوَ قَائِمٌ على رَأْسِيْ ، والسَّيْفُ صَلْتاً في يدِهِ ، فقالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّيْ ، قُلْتُ اللَّهُ ، فَشَامَ السَّيْفُ فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ» ثمَّ لَمْ يَعْرُضْ لَهُ وَكَان مَلِكُ قَوْمِهِ ، فانْصَرَفَ حِيْنَ عَفَى عَنْهُ ، فقال لا أَكُوْنُ في قَوْمٍ هُمْ حَرْبٌ لَكَ ، متفق عليه .

٥٥ ـ ومِنْهَا إِخْبَارُهُ صلى اللَّه عليه وسلم أنَّ الأَرْضَةَ أَكَلَتْ مِنْ صَحِيْفَةِ قريشٍ ما فيه ظُلْمٌ ، وَقَطِيْعَةُ رَحِمٍ .

وأبْقَتْ ما فِيْهَا مِنْ أسْمَاءِ اللَّهِ تعالى .

ومِن حَدِيْثِهَا أنَّ قُرَيْشاً كَتَبُوا فِيْمَا بَيْنَهُمْ صَحِيْفَةً بأَنْ لا يَبِيْعُوا بَنِيْ هَاشِمٍ ، ولَا يَبْتَاعُوْا مِنهم ، ولَا يُنَاكِحُوهُم ، ولا يُكَلِّموهم ، أَوْ يَدْفَعُوْا إِلَيْهِمْ مُحَمَّداً لِيَقْتُلُوه ، وَدَفَنُوْها في الكَعْبَةِ ، فَقَامَ أَبُوْ طَالِبٍ وَمَنْ معه بِحِمَايَةِ النبي صلى اللَّهُ عليه وسلم ، فَبَقُوْا مَحْصُوْرِيْنَ في الشِّعْبِ سَنَتَيْنِ أَوْ ثلاثاً .

قال ابنُ هِشَامٍ وَقَدْ ذَكَرَ بعضُ أهْلِ العِلْمِ أن رسولَ اللّهِ صلى اللّه عليه وسلم قال لأَبِي طَالِب : يا عمُّ ، إنَّ اللَّهَ قَدْ سَلَّطَ الأَرْضَةَ على صَحِيْفَةِ قُرَيْشٍ فَلَمْ تَدَعْ فِيْهَا اسْماً هُوَ لِلَّهِ إلَّا أثْبَتَتْهُ فِيْهَا ، وَنَفَتْ مِنْهَا الظُّلْمَ ، والقَطِيْعَةَ ، والبُهْتَانَ ، فقالَ أَرَبُكَ أَخْبَرَك بهذَا ، قال نَعَمْ ، قَالَ فَوَاللَّهِ مَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ أَحَدٌ .

ثم خَرَجَ إلى قُرَيْشٍ فقال يَا مَعْشَرَ قريشٍ ، إِنَّ ابنَ أَخِيْ أَخْبَرَنِيْ بكذَا وَكَذَا فَهَلُمَّ صَحِيْفَتَكُم ، فإِنْ كَانَتْ كَمَا قَالَ ابْنُ أَخِيْ فانتَهُوْا عن

قَطِيْعَتِنَا ، وانْزِلُوا عَمَّا فِيْهَا ، وانْ كَانَ كَاذِباً ، دَفَعْتُ إليكُمْ ابنَ أخِيْ ، فقالَ القومُ رضِيْنا ، فَتَعَاقَدُوا على ذَلِكَ .

ثم نَظَرُوْا فإذا هِيَ كَمَا قَال صلى اللّهُ عليه وسلم ، فزادَهُمْ ذَلِكَ شَراً فَعِنْدَ ذَلِكَ صَنَعَ الرَّهْطُ مِنْ قُرَيْشٍ في نَقْضِ الصَّحِيْفَةِ ما صَنَعُوا .

٥٦ ـ ومِنْهَا مَا رُوِيَ عنهُ صَلى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَالَ لِعَلِيٍّ يَوْمَ أُحُدٍ بَعْدَ انْجِلاَءِ الهَيْجاءِ ، إنَّ قريشاً لَنْ يُصِيْبُوا مِنَّا مِثْلَها بَعْدَ هَذَا ، حَتَّى يَفْتَحَ اللّهُ عَلَيْنَا مَكَّةَ ، فكانَ الأمرُ كَمَا قَالَ ، فإِنَّهُ لَمْ تُصِبْ قُرَيْشٌ مِنْ أَصْحابِ النبي صلى اللّهُ عليه وسلم بَعْدَ أُحُدٍ مَا أَصَابَتْ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ .

وَمَا زَالَ أمرُ النَّبي صلى اللّهُ عليه وسلم يَعْلُو عَلَيْهم حَتَّى غَزَاهُم في عَقْرِ دَارِهِم ، وَمَحَلِّ قَرَارِهِم ، وَلَمْ يَسْتَطِيْعُوا دَفْعَهُ ، بل اسْتَأْسَرُوا لَهُ رَاغِمِينَ ، فَمَنَّ عَلَيْهِم فاطْلَقَهُم مِن حِبَالَةِ القَتلِ ، واعْتَقَهُم مِن رِقِّ الأَسْرِ، ونَادَاهُمْ وَهُم مَرْعُوبُون «أخرُجُوْا فأَنْتُمُ الطُلَقَاءُ» وذلكَ يَوْمُ فَتْحُ مكةَ بالسَّنَةِ الثامِنةِ مِن الهِجرة .

٥٧ ـ ومِنْ ذَلِكَ ما وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ رضي اللّه عنها ، أنها قالتْ لِلنَّبي صلى اللّه عليه وسلم، هَلْ أَتَى عَلَيكَ يَوْمٌ كَانَ أَشد مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ، قال « لَقَدْ لَقِيْتُ مِن قَوْمِكِ ، وكانَ أَشَدَ مَا لَقِيْتُهُ منهم يومَ العَقَبةِ ، اذْ عَرَضْتُ نَفْسِيْ على ابنِ عَبْدِ يا لِيْل ، بنِ عَبْدِ كِلاَل ، فَلَمْ يُجِبْنِيْ إلى مَا أَرَدْتُ ، فانْطَلَقْتُ ، وأنا مَهْمُومٌ على وَجْهِيْ ، فَلَمْ اسْتَفِقْ إلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثعالب، فَرَفَعْتُ رأسِيْ ، وَإذَا أنا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتنِي ، فَنَظَرْتُ فإِذَا فِيهَا جِبْرِيْلُ عليه السلامُ ، فنادَانِيْ ، فقال إن اللّه تعالى قَدْ سَمِعَ قَولَ قَومِكَ لَكَ ، وَما رَدُوْا عَلَيْكَ ، وقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ ، لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ

فِيْهم، فَنَادَانِيْ مَلَكُ الجبالِ ، فسلَّم عليَّ ، ثم قال: يا مُحَمَّدُ ، إنَّ اللَّهَ قد سَمِعَ قَولَ قَوْمِكَ لَك ، وأنا مَلَكُ الجِبَال ، وَقَد بَعَثَنِيْ رَبِّي إليْك لِتَأمُرَنِيْ بِأمْرِكَ ، فَمَا شِئْتَ ، إنْ شِئْتَ أطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأخشَبَيْن » فقال النبي صلَّى اللَّه عليه وسلم « بَلْ أرْجُوْ ، أنْ يُخرِجَ اللَّهُ مِن أَصْلابِهِمْ ، مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، لا يُشْرِكُ به شَيْئا » متفق عليه .

٥٨ ـ ومِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَن سُهَيْلَ بنِ أبي صَالِحٍ عن أبيهِ عن أبي هُرَيْرة قال : صَعِدَ النبيُّ صلى اللَّه عليه وسلم حِرَاءَ ، ومَعَه أبو بكرٍ ، وعُمَرُ ، وعُثمانُ ، وعليٌّ ، وعبدُ الرحمن بنُ عوف ، والزبيرُ ، وطلحةُ ، وسعيدُ ، فَتَحَرَّكَ الجبلُ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اسْكُنْ حِرَاءَ ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ إلا نَبِيٌّ ، أوْصديق، أو شَهِيْدٌ ، فَسَكَنَ الجَبَلُ .

٥٩ ـ ومِنْ أعلامِ نُبُوَّتِهِ صلى الله عليه وسلم أنَّهُ بَعَثَ خالدَ بنَ الوليدِ مِن تَبُوْكٍ ، في أَرْبعِ مِائةٍ وعشْرِيْنَ فَارِساً ، إلى أُكَيْدِرِ دُوْمَةِ الجَنْدَلِ ، مِن كِنْدَةَ ، فَقَالَ خالدٌ يا رسولَ اللهِ ، كَيْفَ لِيْ بهِ وَسَطُ بلادِ كَلْبٍ ، وَإنَّما أنا في عَدَدٍ يَسِيْرٍ ، فقالَ سَتَجِدُهُ يَصِيْدُ البَقَرَ ، فَتَأْخُذَهُ، فَخَرَجَ خالدُ حَتَّى إذا كَانَ مِنْ حِصْنِهِ بِمَنْظَرِ العَينِ ، في لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ صافِيَةٍ ، وهُو عَلَى سَطْحٍ لَهُ ، مِن شِدَّةِ الحَرِّ ، مَعَ امْرَأَتِهِ ، فَأَقْبَلَتِ البَقَرُ ، تَحُكُّ بِقُرُوْنِها بابَ الحِصْنِ ، فقالَ أُكَيْدِر دَوْمة : واللَّهِ مَا رَأَيْتُ بَقَراً جاءَتْنَا لَيْلاً غيرَ هَذِهِ اللَّيْلَةُ ، لَقَدْ كُنْتُ أُضَمِّرُ لَهَا الخَيْلَ ، إذا أَرَدْتُهَا شَهراً أَو أَكْثَرَ ، ثُمَّ نَزَلَ فَرَكِبَ بالرِّجالِ ، والآلَةِ ، فَلَمَّا فَصَلُوا مِنَ الحِصْنِ ، وَخَيْلُ خالدٍ تَنْظُرُ اليهم ، لا يَصْهَلُ مِنْهَا فَرَسٌ ، ولا يَتَحَرَّكُ ، فَسَاعَةَ فَصَلَ ، أَخَذَتْهُ الخَيْلُ ، فاسْتُؤْسِرَ أُكَيْدِرُ دَوْمَة .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا صِيَانَةَ أَوْقَاتِنَا وَحِفْظَهَا عَنْ المَعَاصِيْ وَوَفِّقْنَا لِشُغْلِهَا بِالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ

وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى .

يا قَومُ فَرْضُ الهِجْرَتَيْنِ بِحَالِهِ
والله لم يُنْسَخْ إلى ذَا الآنِ
فالهجرةُ الأولَى إلى الرحمَنِ بالْ
إخْلَاصِ في سِرٍ وفي إعلانِ
حتى يَكُونَ القَصْدُ وجهُ اللهِ بالْ
أقْوالِ والأعمالِ والإيمانِ
ويَكُونُ كُلُ الدينِ لِلرَّحمنِ ما
لِسِوَاهُ شيء فيه مِن إنسانَ
والحبُ والبُغْضُ اللذَيْنِ هُمَا لِكُلِ ولايَةٍ وَعَدَاوةٍ أصْلان
لِلَّهِ أيضاً هَكَذَا الإعْطَاءُ والسَّمْعُ اللذانِ عَلَيْهِمَا يَقِفَانِ
واللهِ هذا شطرُ دِينِ اللهِ والتَّحْكِيمِ لِلْمُخْتَارِ شَطْرٌ ثانِ
والهجرةُ الأُخْرَى إلى المَبْعُوثِ بالْ
إسْلامِ والإيمانِ والإحسانِ
أَتَرَوْن هَذي هِجْرَةَ الأَبْدَانِ لا
واللهِ بَل هِيْ هِجْرَةُ الإيمانِ
قطعُ المَسَافَةِ بالقُلُوب إليهِ في
دَرَكِ الأُصُولِ مَعَ الفُرُوْعِ وذانِ
أبداً إليهِ حُكْمُهَا لا غَيْرُهُ
فالحُكْمُ مَا حَكَمَتْ به النَّصَانِ
يا هجرةً طالَتْ مَسَافَتُهَا على
مَنْ خُصَّ بالحِرمَانِ والخُذْلَانِ

يـا هِـجْـرةً طَـالَتْ مَسَـافَتُهَـا عَـلَى
كَسْـلان مَـنْـخُـوبِ الفُـؤادِ جَبَـانِ
يـا هِـجْـرَةً والعَبْـدُ فَـوْقَ فِـرَاشِـهِ
سَبَقَ السُّعَـاةَ لِـمَـنـزلِ الـرِّضْـوَان
سَـارُوا أحَثَّ السَيْـرِ وهُـوَ فَسَيْـرُهُ
سَيْـرَ الـدَّلِيْـلِ ولَـيْسَ بـالـذَّمِـلانِ
هَـذَا وَتَنْظُرُهُ أَمَامَ الـرَّكْبِ كَـالْعَلَمِ العَظِيمِ يُشَـافُ فِي القِيْعَـانِ
رُفِعَتْ لَـهُ أعـلامُ هَـاتِيْـكَ النُصُـوْ
صِ رُؤُسُهـا شَـابَتْ مِـن الـنِـيْـرانِ
نـارٌ هِـيَ النُـوْرُ المُـبِيْنُ ولَـمْ يَـكُـنْ
لِـيَـراهُ إلا مَـنْ لَـه عَـيْـنَـانِ
مَـكْـحُـولتَـانِ بـمِـرْوَدِ الـوَحْـيَيْـنِ لا
بـمَـرَاوِدِ الآرَاءِ والـهَـذَيَـانِ
فـلِذَاكَ شَـمَّـرَ نَـحْـوَهَـا لَـمْ يَلْتَفِـتْ
لا عـن شَـمَـائِـلِهِ ولا أيْـمَـانِ
يـا قـومُ لَـو هَـاجَـرْتُـمُـوْا لَـرَأَيْتُـمُ
أَعْـلَامَ طَـيْـبَـةَ رُؤْيـةً بـعـيـانِ
وَرَأَيْـتُـمُ ذاكَ الـلِّوَاءَ وَتَـحْـتَـهُ الـرُّ
سْـلُ الـكِـرامُ وَعَـسْـكـرُ الإِيْـمَـانِ
أصـحـابَ بَـدْرٍ والأُولى قَـدْ بَـايَـعُـوْا
أزكَـى الـبَـرِيَّـةِ بَـيْـعَـةَ الـرِّضْـوَانِ

وَكَذَا المُهَاجِرَةُالأُولَى سَبَقُوا كَذَا الْـ
أنْصَارُ أهْلُ الدارِ والإيْمَانِ
والتَّابِعُونَ لَهُم بِإحْسَانٍ وَسَا
لِكُ هَدْيِهِمْ أبداً بكُلِ زَمَانِ
لَكِنْ رَضِيْتُمْ بالأمانِي وابْتُلِيْتُم
بالحظوظ ونَصْرَةِالاخْوَانِ
بَلْ غَرَّكُم ذَاكَ الغَرُوْرُ وسَوَّلَتْ
لكمُ النُفُوسُ وَسَائِسَ الشَّيْطَانِ
وَنَبَذْتُم غِلَّ النُصُوصِ وَرَاءَكُمْ
وقَنِعْتُمُ بقطارة الآذانِ
وَتَرَكْتُمُ الوَحْيَيْنِ زُهْدَاً فِيْهِمَا
وَرَغِبْتُمُ في رأيِ كُلٍّ فُلانِ
وعَزَلْتُمُ النَّصَيْنِ عَمَّا وُلِيَّا
لِلْحُكم فيه عَزْلَ ذِي عُدْوَانِ
وَزَعَمْتُمُ أنَّ لَيْسَ يَحْكُم بَيْنَنَا
إلا العُقُولُ ومَنْطِقُ اليَوْنَانِ
حَتَّى اذا انْكَشَفَ الغِطَاءُ وَحُصِّلَتْ
أعْمَالُ هذا الخَلْقِ بالمِيْزَانِ
وإذا انْجَلَى هَذَا الغُبَارُ وَصَارَ مَيْدَانُ السِّبَاقِ تَنَالُه العَيْنَان
وبَدَتْ على تِلكَ الوُجُوهِ سِمَاتُهَا
وسْم المَلِيْكِ القَادِرِ الدَّيَانِ

مُبْيَضَّةٌ مِثْلَ الرِّيَاضِ بجنَّةٍ
والسُّودُ مِثْلَ الفَحْمِ لِلنِّيْرَانِ

فَهُنَاكَ يَعْلَمُ رَاكِبٌ ما تَحْتَهُ
وهُنَاكَ يُقْرَعُ نَاجِذُ النَّدْمَانِ

وهُنَاكَ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا الذِي
معَهَا مِن الأَرباحِ والخُسْرَانِ

وهُنَاكَ يَعْلَمُ مُؤْثِرُ الآراءِ والشَّطحاتِ والهَذَيَانِ والبُطْلانِ
أيُّ البَضَائِعِ قَد أَضَاعَ وما الذي
مِنْهَا تَعَوَّضَ في الزَمَانِ الفَانِ

سُبْحَانَ رَبِّ الخَلْقِ قَاسِمِ فَضْلِهِ
والعَدْلِ بَيْنَ الناسِ بالمِيْزَانِ

لو شَاءَ كان النَاسُ شَيْئاً واحِداً
ما فِيْهِمُ مِن تَائِهٍ حَيْرَانِ

لَكِنَّه سُبْحَانَه يَخْتَصُّ بالفضلِ العَظِيمِ خُلاَصَةَ الإنسانِ
وسِوَاهُمُ لا يَصْلَحُونَ لِصَالِحٍ
كَالشَّوكِ فَهْوَ عِمَارَةُ النِيْرَانِ

وعِمَارَةُ الجَنَاتِ هُمْ أهلُ الهُدَى
اللّهُ أكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَان

فَسَلِ الهِدَايَةَ مَنْ أزِمَّه أمْرِنَا
بِيَدَيْهِ مَسْأَلةَ الذَلِيْلِ العَانِ

وسَلِ العِيَاذَ مِن اثْنَتَيْنَ هُمَا اللتَا
نِ بِهُلْكِ هَذا الخلقِ كَافِلَتَانِ

شَـرِ النُفُـوسِ وسَيءِ الأعْمَـالِ مَـا
والـلَّهِ أعـظَمُ مِـنْـهُـمَـا شَـرَّانِ

وَلَقَـد أتَى هَـذَا التعـوُذُ مِنْهُـمَـا
في خُـطْبَـةِ المَـبْـعُـوثِ بـالـقُـرانِ

لـو كَـانَ يَـدْرِيْ العَبْـدُ أنَّ مُصَـابَـهُ
فـي هـذِهِ الـدنـيـا هُـو الـشَّـرانِ

جَـعَـلَ التَّـعـوُذَ مِـنـهُـمَـا دَيْـدَانَـهُ
حَـتَّـى نَـرَاهُ دَاخِـلَ الأكْـفَـانِ

اللهم ثَبِّتْ مَحَبَّتَـكَ في قَلوبنـا وَقَـوِّهَـا ووفقنـا لِشُكْـرِكَ وذكرك وارزقنا التأهُبَ والاسْتِعْدَاد لِلِقَائِكَ واجْعَلْ خِتَامَ صَحَائِفِنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى اللّه على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فَصْـلٌ »

٦٠ ـ ومِنْهَا أَخْذُ اللّهِ المُشْرِكِيْنَ المُسْتَهْزِئيْنَ بالنبيِّ صلى اللّهُ عليه وسلم بما شَغَلَهُم عنه وأَزَالَ مَنْعَهم إيَّاهُ عن تَبْلِيْغِ الرِّسالةِ ، وهُوَ المُشَارُ إليْهِ بِقَولِهِ تعالى ﴿ انَّا كَفَيْنَاكَ المستهزئين ﴾ .

وهُمْ خَمْسَةُ نَفَر مِن رؤساءقُرَيْش ، الوَلِيْدُ بنُ المُغِيْرةِ الْمَخْزُوْمِي ، وكانَ رَأسَهم ، والعَاصُ بنُ وائِلٍ السَّهْمِي ، والأسْودُ بنُ عبْدِ المُطَّلِبِ بنِ الحَارِثِ بنِ أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزَى ابنِ زَمْعَةَ .

وكَانَ رسولُ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم قَدْ دَعَا عَلَيْهِ ، فقال « اللَّهم اعْمِ بَصَرَهُ ، وأَثْكِلْه بِوَلَدِه » والأسْوَدُ بنُ عَبْدِ يَغُوْثَ ابنِ وَهْبٍ ، والحَارِثُ بنُ قَيْسٍ بنِ الطُّلاطِلَة .

فأتى جِبْرِيْلُ النبيَّ صلى اللّه عليه وسلم والْمُسْتَهْزِؤُن يطُوفُونَ بالبَيْتِ .

فَقَامَ جِبْرِيْلُ إلى جَنْبِه ، فَمرَّ به الوَلِيْدُ بنُ المُغِيْرَةِ ، فقال جِبْرِيْلُ يا محمدُ كيفَ تَجِدُ هَذَا ، فَقَالَ « بِئْسَ عَبْدُ اللّهِ » ، فقال قد كُفِيْته ، وَأَوْمَأَ إلى سَاقِ الوَلِيْدِ ، فُمرَّ برَجُل مِن خُزَاعَةَ نَبَّالٍ يَرِيْش نِبَالَهُ ، وَعَليهِ بُرْديَماني ، وهُوَ يَجُرُّ ازارَهُ ، فَتعَلَّقَتْ شَظِيَّةٌ من نَبْلِهِ بازَارِه ، فَمَنَعَهُ الكِبْرُ أنْ يُطأْطِيءَ رَأْسَهُ فينزعَها ، وَجعَلَتْ تَضْرِبُ سَاقَهُ ، فَخَدَشَتْهُ ، فَمَرِضَ مِنْهَا فَمَاتَ .

وَمَرَّ بِهِ العَاصُ بنُ وَائِلٍ ، فَقَال جِبْرِيْلُ كَيْفَ تَجدُ هَذَا يا مُحَمَّدُ ، قال « بِئْسَ عَبْدُ اللّهِ » ، فأَشَارَ جِبْرِيْلُ إلى أخْمُصِ رِجْلَيْهِ ، وَقَالَ قَدْ كُفِيْتَه ، فَخرج على رَاحِلَتِه، وَمَعَه ابْنَانِ لَهُ يَتَنَزَّه ، فَنَزَلَ شِعباً مِن تِلْكَ الشِّعَابِ ، فَوَطِيءَ على شُبْرُقَةٍ ، فَدَخَلَت مِنْها شَوْكَةٌ في أخْمُصِ رِجْلِهِ ، فَقَالَ لُدِغْتُ لُدِغْتُ، فَطَلَبُوا فَلَمْ يَجِدُوْا شَيْئاً ، وانْتَفَخَتْ رِجْلُهُ ، حَتَّى صَارَتْ مِثْلَ عُنُقِ البَعِيْرِ ، فَمَاتَ مَكَانَهُ .

فَمَرَ بِهِ الأَسْوَدُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، فَقَالَ جِبْرِيْلُ كَيْفَ تَجِدُ هَذَا يَا مُحَمَّدُ ، قال «بِئْسَ عَبْدُ اللّهِ» فأشَارَ بيده إلى عَينيه ، وَقال : قد كفيته ، فعَمَى ، قال ابنُ عباسٍ رماهُ جِبْرِيْلُ بورَقَةٍ خَضراءَ ، فَعَمِيَ فَذَهَبَ بَصَرُهُ ، وَوَجِعَتْ عَيْنَاهُ ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ بِرَأْسِهِ الجِدَارَ ، حَتَّى هَلَكَ .

وَمَرَّ بهِ الأَسْوَدُ بنُ عَبْدِ يَغُوْثَ ، فَقَالَ جِبْرِيْلُ كَيْفَ تَجِدُ هَذَا يَا مُحَمَّدُ ، قال « بِئْسَ عبْدُ اللّهِ عَلَى أنَّه ابنُ خالِيْ » فقال : قَدْ كُفَيْتَهُ . وأَشَارَ إلى بَطْنِهِ ، فاسْتَسْقَى بَطْنُه فَمَاتَ، وَمَرَّ بِهِ الحَارِثُ بنُ قَيْسٍ ،

فقال جِبْرِيْلُ كَيف تَجِدُ هَذَا يَا مُحَمَّدُ ، فقال « عَبْدَ سُوْءٍ » فَأَوْمَأَ إلى رَأسِهِ ، وَقَالَ قَدْ كُفِيْتَهُ ، فَامْتَخطَ قَيْحاً ، فَقَتَلَهُ ، وَقِيْلَ أَكَلَ حُوْتاً مَالِحاً ، فَلَمْ يَزَلْ يَشْرَبُ حَتَّى انقَدَّ بَطْنُهُ .

٦١ ـ ومِن أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، ما رُوِيَ أَنَّ الحَطَمَ ـ واسْمُهُ شُرَيْحُ بنُ ضَبيْعَةَ ، البَكْرِي ـ أَتى المدينةَ ، وَخَلَّفَ خَيْلَهُ خَارِجَ المَدِيْنَةِ ، وَدَخَلَ وَحْدَهُ ، على النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ، فقالَ لَهُ إلامَ تَدْعُوْ الناسَ ، فقال « إلى شَهَادَةِ أنْ لا إلهَ إلا اللّٰهُ وأَنَّ مُحَمَّداً رسُوْلُ اللّٰهِ وأقامِ الصلاة وايتاءِ الزكاةِ » .

فقال حَسَنْ، وَلَكِنْ أَنْظِرْنِيْ ، فَلِيَ مَنْ أُشَاوِرُهُ ، فلا أَقْطَعُ أَمْراً دُوْنَهُم ، وَلَعَلِّي أُسْلِمُ ، وَآتيَ بِهِمْ ، وَكَانَ النبي صلى اللّٰهُ عليه وسلم قَدْ قَالَ لِإِصْحَابِهِ « يَدْخُلُ اليومَ عَلَيْكم رَجُلٌ من رَبِيْعَةَ يَتَكَلَّم بِلسَانِ شَيْطَانٍ » ثم خَرَجَ شُرَيْحُ ، مِن عِنْدِهِ ، فَقَالُ صلى اللّٰهُ عليه وسلم « لَقَدْ دَخَلَ بوَجْهِ كَافِرٍ، وَخَرَجَ بِقَفَا غَادِرٍ ، وَمَا الرَّجُلُ بِمُسْلِمْ » فَمرَّ بِسَرْحِ المَدِيْنَةِ ، فاسْتَاقَهُ، وانْطَلَقَ ، فاتَّبَعُوهُ فلم يُدْرِكُوهُ .

فَلَمَّا كَان العامُ القَابِلُ ، خَرَجَ حاجاً ، في حُجَّاج بَكْرِ بنِ وَائِلٍ ، مِنَ اليَمامةِ ، ومَعَهُ تِجَارَةٌ عَظِيْمَةٌ وَقَدْ قَلَّدُوْ الهَدْيَ فقَال المُسْلِمُونَ لِلنبي صلى اللّٰهُ عليه وسلم هَذَا الحَطْمُ، قَدْ خَرَجَ حاجاً ، فَخَلِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ .

فَقَالَ صلى اللّٰهُ عليه وسلم « إنَّهُ قَلَّدَ الهَدْيَ » فَقَالُوا يا رَسُولَ اللّٰه ، هَذا شَيْءٌ كنَّا نَفْعَلُه في الجَاهِلِيَّةِ ، فأبَى النَّبيُّ صلى اللّٰهُ عليه وسلَّم ، فأَنْزَلَ اللّٰهُ عزَّ وَجَلَّ ﴿ يَا أيها الذين آمنوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللّٰهِ ، ولا الشَّهْرَ الحَرَامَ ، ولا الهَدْيَ ﴾ الآية .

٦٢ ـ ومِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صلى اللّهُ عليه وسلم ، قَوْلُهُ في لَيْلَةَالإِسْرَاء ، حِيْنَ أصْبَحَ « إنَّ من آيةِ مَا أقولُ لَكُمْ ، إنّي مَرَرْتُ بعِيْرٍ لَكُمْ ، في مَكَانِ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ أَضَلُّوْا بعيراً لَهُمْ ، فَجمَعَهُ لَهُم فُلانٌ ، وإنَّ مَسِيْرَهُم يَنْزِلُون بِكَذَا ، ثمَّ كَذَا ، وَيَأتُونكُم يَوْمَ كَذَا وكَذَا ، يَقْدُمُهُم جَمَلٌ آدَمُ ، عَلَيْهِ مِسْحٌ أَسْوَدْ ، وَغِرَارَتَانِ ، سَوْدَاوَانِ » فَلَمَّا كانَ ذَلِكَ اليَوْمُ ، أَشْرَفَ الناسُ يَنْظُرُونَ ، حِيْنَ كانَ قَرِيْباً مِنْ نِصْفَ النهارِ ، حَتَّى أَقْبَلَتِ العِيْرُ ، يَقْدُمُهُمْ ذَلِكَ الجَمَلُ ، الذِيْ وَصَفَهُ رَسُولُ اللّهِ صلىٰ اللّهُ عليه وسلم .

فكَانَ كَمَا أَخْبَرَ .

٦٣ ـ ومِن ذَلِكَ دَعَاؤُه صَلَّى اللّهُ عليه وسلم عَلَى أَفْرَادٍ مِنْ المُشْرِكيْنَ أَصْحَابِ القَلِيْب، فَعَنِ ابنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللّهُ عنه قالَ : بَيْنَما رَسُوْلُ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم يُصَلِّي عندَ البَيْتِ ، وأبو جَهْلٍ ، وَأَصْحَابُهُ ، جُلُوسٌ ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُوْرٌ بالأَمْسِ ، فقالَ أَبُوْ جَهْلٍ ، أَيُكُمْ يَقُوْمُ إلى سَلاَجَزُوْرِ بَنِيْ فُلانٍ، فَيَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إذَا سَجَدَ ، فَانْبَعَثَ أشْقَى القَوْمِ ، فَأَخَذَهُ .

فَلَمَّا سَجَدَ النبيُّ صلى اللّهُ عليه وسَلم وَضَعَهُ بَيْنَ كَتَفَيْهِ ، فَاسْتَضْحَكُوا ، وَجَعَلَ بَعْضُهم يَمِيْلُ على بَعْضٍ ، وأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ ، لَوْ كَانَتْ لِيْ مَنَعَةٌ ، طَرَحْتُه عَنْ ظَهْرِهِ ، والنبي صلى اللّهُ عليه وسلم ، ما يَرْفَعُ رأْسَه ، حَتَّى انْطَلَقَ انْسَانٌ إلى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللّهُ عنْهَا .

فَجَاءَتْ وهِيَ جُوَيْرِيَةٌ ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتُمُهُم ، فَلَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ صلى اللّهُ عليه وسلم ، رَفَعَ صَوْتَهُ ، ثم دَعَا عَلَيهم ، وكَانَ . إذَا دَعَا ، دَعَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، وإذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلاَثَا فَقَالَ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ فلمَّا سَمِعُوْا صَوْتَهُ ، ذَهَبَ عَنْهُمْ الضَّحِكُ ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ .

ثم قَال اللَّهُم عَلَيْكَ بأبِي جَهْل بن هِشَامٍ ، وَعُتْبَة بن رَبِيْعَةَ ، وَشَيْبة بنَ رَبِيْعَةَ ، والوَلِيدِ بنِ عَتبةَ ، وأمية بنِ خلفٍ ، وعقبةَ ابن أبِي مُعَيْطٍ ، وَذَكَر السَّابع ، وَلَمْ أحْفَظْهُ ، فَوَ الذِي بَعَثَ مُحَمَّداً صلى اللَّهُ عليه وسلم بالحَقِّ ، لَقَدْ رَأَيْتُ الذيْنَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ .

ثم سُحِبُوا إلى القَلِيْب ، (قَلِيْبِ بَدْرٍ) أخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ والنسائي) تيسيرَ الوصول ج ٤ ص ٢١٦ .

٦٤ ـ ومن ذَلِكَ ما فِي صَحِيْحِ البُخَارِي ، عن يَزِيْدَ بن أبِيْ عُبَيْدٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ أثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ ، فَقُلْتُ : يا أبَا مُسْلِمٍ ما هَذِهِ الضَّرْبَة ، فَقَالَ هَذِهِ ضَرْبَةٌ أَصَابَتْنِي يَوْمَ خَيْبَرَ فقال النَاسُ : أُصِيْبَ سَلَمَةُ ، فَأَتَيتُ رسول اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَنَفَثَ فِيْهِ ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ ، فَمَا أشْتَكِيْها حَتَّى السَّاعَةَ .

٦٥ ـ ومِنْ ذَلِكَ أنَّهُ صلى اللَّهُ علَيْهِ وسَلَّمَ لَمَّا أرَادَ الهِجْرَةَ خَرجَ مِنْ مَكَّةَ ، وَمَعَهُ أبُوْ بكْرٍ ، فَدَخَلَ غاراً في جَبَلِ ثَوْرٍ ، لِيَسْتَخْفِيْ مِن قُرَيشٍ ، وَقَدْ طَلَبَتْهُ ، وَبَذَلَتْ لِمَنْ جَاءَ بِهِ مائةَ نَاقَةٍ ، فأعانَهُ اللَّهُ بإخْفَاءِ أثَرِهِ ، وَنَسَجَتِ العَنكَبُوْتُ عَلَى بابِ الغَارِ .

وَلَمَّا خَرَجَ ، لَحِقَهُ سُرَاقَةُ بنُ مَالِكِ بنُ جُعْشُمٍ ، وَهُو مِن جُمْلَةِ مَنْ تَوجَّه لِطَلَبِهِ ، فقالَ أبُو بكْرٍ هذا سُرَاقَةُ قَدْ قَرُبَ، فقال رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم « اللَّهُمّ أكْفِنَا سُرَاقَةَ » فأَخَذَتِ الأَرْضُ قَوائِمَ فَرَسِهِ إلى ابْطِها ، فقالَ سُرَاقَةُ ، يَا مُحَمَّدُ ادْعُ اللَهِ أنْ يُطْلِقَنِيْ ، وَلَكَ عليَّ أنْ أردَّ مَنْ جَاءَ يَطْلُبُكَ ، وَلَا أُعِيْنُ عَلَيْكَ أبَداً ، فقال « اللَّهم إنْ كَانَ صَادِقاً فَأطْلِقْ عَنْ فَرَسِهِ » فاطْلَقَ اللَّهُ عنه ، ثُمَّ أسْلم سُرَاقَةُ ، وَحَسُنَ اسْلامُهُ .

شعـــرا :

أشْكُو إليــكَ ذُنُوباً لَسْتُ أُنْكِرُها ... وقدْ رَجَوْتُكَ يَاذَا المَنِّ تَغْفِرُهـــا

مِنْ قَبْلِ سُؤْلِك لي في الحشرِ ياأَمَلي ... يومَ الجزاءِ على الأهوالِ تَذْكُرُهَــا

أرْجُوكَ تَغْفِرُهَا في الحَشْرِ يَا أمَلي ... اذْ أنْتَ سُؤْلِي كما في الأرضِ تَستُرُهَا

آخر : مَوْلايَ إِنيّ عَبْدٌ ضَعِيْفٌ أَتَيْتُكَ أَرْغَبُ فِيْمَا لَدَيْكْ
أَتيتّكَ أَشْكُو مَصابَ الذُنُوبْ وَهَلْ يُشْتَكَى الضرُّ إلاَّ إِلَيْكَ
فَمُنَّ بِعَفْوِكَ يَا سَيِّدِيْ فَلَيْسَ اعْتِمادِيْ إِلاَّ عَلَيْكْ

٦٦ ـ ومِنْ ذَلِكَ ما ذَكَرَهُ المَاوَرْدِيْ في أعلام النُبُوَّة ، مِنْ أنَّ أَبَا لَهَبٍ ، خَرَجَ يوماً ، وَقَدْ اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ ، فقالُوا لَهُ يَا أَبَا عُتْبَة ، إنَّكَ سَيِّدُنا ، وأَنْتَ أَوْلَى بمُحَمَّدٍ مِنَّا ، وَإِنَّ أَبَا طَالِبٍ ، هُوَ الحَائِلُ بَيْنَنا وَبَيْنَهُ ، وَلَوْ قَتَلْتَهُ لَمْ يُنْكِره أبو طَالِبٍ ، ولا حَمْزَةُ ، مِنْكَ شَيْئاً ، وأَنْتَ بَرِيءٌ مِن دَمِهِ ، نُؤَدِيْ نَحنُ الدِّيَةَ ، وَتَسودُ قَوْمَكَ ، فقالَ فإني أَكْفِيْكُمْ ، فَفَرِحُوا بذلكَ، وَمَدَحَتْهُ خُطَبَاؤُهُم .

فلمَّا كَانَ في تِلْكَ اللَّيْلَة ، وَكَانَ مُشْرِفاً عَلَيْهِ ، نَزَلَ أَبُوْ لَهَبٍ ، وَهُوَيُصَلِّيْ وَتَسَلَّقتِ إِمْرَأَةُ أَبِيْ لَهَبٍ ، أمُّ جَمِيْل الحَائِطَ ، حَتَّى وَقَفَتْ على رسولِ اللّه صلى اللّهُ عليه وسلم ، وَهُوَ سَاجِدٌ فَصَاحَ بِهِ ، أَبُو لَهَبٍ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إليْهِ ، وَهُمَا كَانَا لاَ يَنْقُلاَنِ أَقْدَامهُمَا ، ولا يَقْدُرَانِ عَلَى شَيْءٍ ، حَتَّى تَفجَّرَ الصُّبْحُ ، وَفَرغَ رَسُولُ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم ، فَقَالَ لَهُ أَبُو لَهَبٍ يا مُحَمَّدٍ ، أَطْلِقْ عَنَّا ، فقال « ما كُنْتُ لأُطْلِقَ عَنْكُمَا ، أَوْ تَضْمَنَا لِيْ انكُمَا لاَ تُؤْذِيَانِيْ » . قالاَ : قَدْ فَعَلْنَا ، فَدَعَا ربَّه فَرَجَعَا .

٦٧ ـ ومِنْ ذَلِكَ أنَّ النَّاسَ لَمَّا انْهَزَمُوا عَن رَسُولِ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليه وسلم يَوْمَ حُنَيْنٍ ، وهُوَ مُعْتَزِلٌ عَنْهُم ، رآه شيبةُ بْنُ عُثْمَانَ ، بن أَبِي طَلْحَةَ ، فقال اليَوْمَ أُدْرِكُ ثَارِيْ مِن مُحَمَّدٍ ، فَاْقْتُلَهُ ، لِأَنَّ أَبا شَيْبَة قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ في جَمَاعَةٍ إِخوتُهُ وأَعْمَامُهُ ، قالَ شَيبةُ فلَمَّا أَرَدْتُ قَتْلَهُ ، أَقْبَلَ شَيءٌ حتَّى تَغَشَّى فُؤادِيْ فَلَمْ أُطِقْ ذَلِكَ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ مَمْنُوْعٌ .

شعــرا :

يَا لاَهِياً بالمَنَايا غَــرَّهُ الأَمَــلُ وأنتَ عَمَّا قَلِيلٍ سَوفَ تَرْتَحِــلُ
تَبْغِى اللُّحُوقَ بِلا زَادٍ تُقَدِّمُــهُ إِنَّ المخفِّينَ لمَّا شمَّرُوا وَصَــلُوا

لا تَرْكَنَنَّ إلى الدنيا وزُخْرُفِهَا   فأنتَ مِن عَاجِل الدنيا سَتَنْتَقِلُ
أَصْبَحْتَ تَرجُو غداً يأتِي وبَعْدَ غَدٍ   ورُبَّ ذِي أَمَلٍ قَدْ خَانَهُ الأَمَلُ
هَذَا شَبَابُكَ قَدْ وَلَّتْ بَشَاشَتُهُ   مَا بَعْدَ شَيبِكَ لا لَهوٌ وَلَا جَدَلُ
ماذَا التَّعَلُّلُ بالدنيا وقد نَشَرَتْ   لأَهْلِهَا صِحَّةً في طِيِّهَا عِلَلُ

اللهم الهمنا ذكرَك ووفقنا لِلقيام بحقكَ ، وخلّصنا مِن حقوقِ خلقكَ ، وباركْ لَنَا في الحلالِ مِن رِزْقكَ ، ولا تَفْضَحْنا بينَ خَلقكَ ،

اللَّهُمَّ وفقنا لِصالِح الأعمال وأكفنا بِحَلالِكَ عن حَرامكَ وبفضلكَ عَمَّنْ سِواك إنك على كل شيء قدير وَللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

« فَصْلٌ »

٦٨ - ومِن ذلكَ قِصَّةُ أبِي جَهْلٍ وَحَجَرِهِ ، فَفِي السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ أَنَّ أبا جَهْلٍ قَالَ يَوْماً ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنَّ مُحَمَّداً قَدْ أَبَى إلاَّ ما تَرَوْنَ ، مِن عَيْبِ دِيْنِنَا ، وَشَتْمِ آبَائِنَا ، وَتَسْفِيْهِ أَحْلاَمِنَا ، وَشَتْم آلِهَتِنَا ، وَإِنِّي أُعَاهِدُ اللّه لأجْلِسَنَّ لَهُ غداً ، بِحَجَرٍ مَا أُطِيْقُ حَمْلَهُ ، فإِذَا سَجَدَ في صَلاَتِهِ ، فَضَخْتُ بهِ رأسَهُ ، فأسْلِمُوْنِي عِندَ ذَلِكَ ، أَوِ امْنَعُونِي ، فَلْيَصْنَعَ بَعْدَ ذَلِكَ عَبْدُ مَنَافٍ ما بَدَا لَهُم ، قَالُوا : واللّهِ لا نُسلِمُك لِشَيْءٍ أبدا ، فامْضِ لِمَا تُرِيْدُ .

فَلمَّا أصْبَحَ أبُو جَهْلٍ أخذَ حَجَرًا كَمَا وَصَفَ ، ثمَّ جَلَسَ لِرَسُوْلِ اللّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلم يَنْتَظِرُهُ ، وَغَدا رَسُولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم كَمَا كَانَ يَغْدُوْ ، فَقَامَ يُصَلِّي ، وَقَدْ غَدَتْ قُرَيْشٌ ، فَجَلَسُوا في أَنْدِيَتِهم ، يَنْتَظِرُوْنَ مَا أَبُو جَهْلٍ فَاعِلٌ ، فَلَمَّا سَجدَ رَسُولُ اللّه صلى اللَّهُ عليه وسلم ، احْتَمَلَ أبُو جَهْل الحَجَرَ ، ثُمَّ أقْبَلَ نَحْوَهُ ، حَتَّى إذا دَنَا مِنْهُ ، رَجَعَ مُنْهزماً ، مُنْتَقِعاً لَوْنُهُ ، مَرْعُوْباً ، قَدْ يَبِسَتْ يَدَاهُ على حَجَرِهِ حَتَّى قَذَفَ الحَجَرَ مِن يَدِهِ .

وقَامَ إليْهِ رِجَالٌ مِن قُرَيْش فَقَالُوا لَهُ مَالَكَ يَا أَبَا الحَكَمْ ، قَال قُمْتُ إليه لأفعلَ به ما قُلْتُ لكم البارِحَةَ، فَلَمَّا دَنَوْتُ منه، عَرَض لِيْ دُوْنَه، فَحْلٌ مِن الإبلِ ، لا واللّهِ ما رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ ، ولا قِصْرَتهِ ، ولا أنْيَابِهِ ، لِفَحْلٍ قَطُّ ، فَهَمَّ بِي أَن يَأكُلَنِيْ ، وَرُوِيَ أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال ذلك جِبريلُ لو دنا لأَخَذَهُ .

٦٩ ـ ومنها قِصَّةٌ أُخْرَى مَعَ أبي جَهْلٍ فعن أبي هريرةَ ، قال قال أَبُو جَهْلٍ ، هَلْ يُعَفِّرُ محمدٌ وجْهَهُ بينَ أَظْهَرِكُم ، قالُوا نَعَمْ ، قَالَ فَقَالَ واللاتِ والعُزَّى ، لَئِنْ رأيتُه يُصَلِّي كذلكَ لأَطَأَنَّ على رَقَبتِهِ ، وَلأُعفِّرنَّ وَجْهَهُ في التُّرَاب ، فَأَتى رَسُولَ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم ، وهو يُصَلِّي لِيَطَأَ على رَقَبَتِه ، قَال فَمَا فَجَأَهُم مِنْه إلا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْه ، وَيَتَّقِي بِيَدَيْه .

قَالَ فَقِيْلَ لَهُ مَالَكَ ، فقَالَ إنَّ بَيْنِي وَبَيْنَه خنْدَقاً مِن نَارٍ ، وَهَوْلاً ، وأَجْنِحَةً ، قالَ فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم «لَوْ دنا مِنِّي لاخْتَطَفَتْهُ المَلائِكَةُ عُضْواً عُضْواً »قالَ فَأَنْزَلَ اللّه لا أَدْرِيْ في حَدِيْثِ أَبِيْ هُرَيْرَة أَمْ لاَ (كَلَّا إنَّ الانْسَانَ لَيطغى) إلى آخر السورة

٧٠ ـ ومِن أَعْلاَم نُبُوَّتِهِ صلى اللّهُ عليه وسلم ، مَا يَلي : قَالَ مُحَمَّدُ بنُ كَعْبٍ القُرَظِيُّ ، حُدِّثْتُ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيْعَةَ كانَ سَيِّداً حَلِيْماً، قالَ يَوْماً وهوَ جالِسٌ ، في نَادِيْ قُرَيْشٍ ، وَرَسُولُ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم جَالِسٌ ، وَحْدَهُ في المَسْجِدِ ، قال يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، ألاَ أَقومُ إلى مُحَمَّدٍ ، وأُكَلِّمُه ، وأعْرُضُ عَلَيْهِ أُمُوْراً ، لَعَلَّهُ يَقْبَلَ مِنَّا بَعْضَهَا فَنُعْطِيْهُ ، وَيَكُفَّ عَنَّا ، وَذَلِكَ حِيْنَ أَسْلَمَ حَمْزَةُ ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُوْلِ اللّه صلى اللّهُ عليه وسلم ، يَزِيْدُوْنَ ، وَيَكثُرُوْنَ .

فَقَالُوْا بَلَى ، يا أَبَا الوَلِيْدِ ، فَقُمْ إلَيْهِ فكَلِّمهُ، فَقَامَ عُتْبَةُ ، حتَّى جَلَس

إلى رسُولِ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم ، فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِيْ أنَّكَ مِنَّا حَيْثُ عَلِمْتَ ، مِنَ البَسْطَةِ ، في العَشِيْرَةِ ، والمَكَانِ في النَسَبِ وإنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ ، بـأَمْرٍ عَـظِيْمٍ ، فَرَّقْتَ جَمَاعَتَهُم وَسَفَّهْتَ أحلامَهُم، وعِبْتَ آلِهَتَهُم ، وكَفَّرْتَ مَنْ مَضَى مِن آبائِهِم ، فاسْمَعْ مِنِّي ، أعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُوْراً تَنْظُرُ فيها ، فقال رسولُ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم ، (قُلْ يَا أَبَا الوَلِيدِ) .

فقالَ يَا ابْنَ أَخِيْ ، إنْ كُنْتَ تـرِيْدُ شَرَفاً ، سَوَّدناكَ عَلَيْنا ، وَإنْ كُنْتَ تُـرِيْدُ مَالاً بمَا جِئْتَ بِهِ ، جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أمْوَالِنَا ، حَتَّى تَكُونَ أكْثَرَنَا مَالاً ، وإنْ كَانَ الذِي بِكَ رَئِيًّا ، لا نَسْتَطِيعُ رَدَّه ، طَلَبْنَا لَكَ الطِبَّ ، وَلَعَلَّ هَذَا شِعْرٌ جَاشَ بِصَدْرِكَ، فإنكمُ لَعمْرِي ، بَنِي المُطَّلِب ، تَقْدُرُوْنَ مِن ذلكَ مَا لاَ يَقْدِرُ عليه غيرُكُمْ ، حَتَّى إذا فَرَغَ مَا عِنْدَه ، مِن سَائِرِ الأُمُوْرِ التِي يَزْعُمُ أنَّها تَرُدُّهُ عمَّا يَقُولُ ، فقالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صلى اللّه عليه وسلم « أَوَ قَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الوَلِيدِ » ؟ قَال نَعَمْ .

قَالَ « فاسْتَمِعْ مِنِيْ » قَالَ فَافْعَلْ فَقَال صلى اللّهُ عليه وسلم (بسم اللّه الرحمن الرحيم ، حم . تَنْزِيْلٌ مِنَ الرحمن الرحيم . كِتابٌ فُصِّلَتْ آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون) ثم مَضَى فِيْهَا يَقْرأُ ، فَلَمَّا سَمِعَهَا عُتْبَةُ ، أنْصتَ لَهُ ، وأَلْقَى يَدَيْهِ خَـلْفَ ظَهْرِهِ ، مُعْتَمِداً عَلَيْهَا يَسْتَمِعُ مِنْهُ ، حَتَّى انْتَهَى رَسُولُ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم إلى السَّجْدَةِ فَسَجَدَ ، ثُمَّ قَالَ « قَدْ سَمِعْتَ يَا أبَا الوَلِيْدِ فأَنْتَ وَذَاكَ » فَقَامَ عُتْبَةُ إلى أصْحَابِهِ ، فقالَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ نَحْلِفُ باللّهِ ، لَقَدْ جَاءَكُم أبُو الْوَلِيدِ ، بِغَيْرِ الوَجْهِ الذِي ذَهَبَ بِهِ .

فَلَمَّا جلَسَ فِيهِم ، قَالُوا مَا وَرَاءَكَ ، يَا أَبَا الوَلِيْدِ ، فَقَالَ وَرَائِي إنِّي سَمِعْتُ قَـوْلاً ، وَاللّهِ مـا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ ، قطُ ، مَـا هُـوَ بـالشِّعـر، ولا السِّحر ، ولا الكِهَانَةِ ! يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أطِيْعُوْنِي ، خُلُوا بَيْنَ هَذَا

الرَّجُلِ ، وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيْهِ ، وَاعْتَزِلُوْهُ ، فَوَاللَّهِ لَيَكُوْنَنَّ لِقَوْلِهِ الذِي سَمِعْتُ نَبَأً ، فإنْ تُصِبْهُ العَرَبُ فَقَدْ كُفِيْتُمُوهُ بِغَيْرِكُم ، وإنْ يَظْهَرَ عَلَى العَرَب ، فَمُلْكُهُ مُلْكُكُم ، وعِزُّهُ عِزُّكُمْ ، فأَنْتُم أَسْعَدُ النَّاسِ بِهِ ، فَقَالُوا سَحَرَكَ وَاللَّهِ يَا أَبَا الوَلِيْدِ بِلِسَانِهِ فقالَ هَذَا رَأْيِي لكُم فاصْنَعُوا ما بَدَالَكُم .

٧١ ـ ومنها ما رُوِيَ عنه صلى اللّه عليه وسلم مِن أنَّ ابنَ بِنْتِهِ فَاطِمَةَ الحُسَيْنَ بنَ عليٍّ يُقْتَلُ بالعِرَاقِ فكانَ الأمرُ كَمَا أَخبَرَ فَقُتِلَ الحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عنه في كَرْبَلاء سَنَة إحْدَى وسِتِّيْن وَلَهُ أَرْبعٌ وَخَمْسُوْنَ سَنةً وسِتَّةُ أَشْهُرٍ ونِصْفُ الشَّهْرِ .

٧٢ ـ ومنها دُعَاؤُه صلى اللّهُ عليه وسلم لأَنَسِ بنِ مَالِكٍ ، واسْتِجَابَةُ اللّهِ لِدُعَائِه، فَعَن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قالَ جَاءَتْ بي أمِّي أمُّ أنسٍ إلى رَسُوْل اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم، وَقَدْ آزَرَتْنِي بنِصْفِ خِمَارِها ، وَرَدَّتْنِي بنِصْفِهِ ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللّهِ ، هَذَا أنس ، ابْنِيْ أَتَيْتُكَ به يَخْدِمُكَ ، فادْعُ اللّه لَهُ ، فقال « اللَّهُمَّ أكْثِرْ مَالَهُ ، وَوَلَدَهُ » .

قال أنسٌ ، فَوَاللّهِ أنَّ مَالِيْ كَثِيْرٌ ، وَإنَّ وَلَدِيْ وَوَلَدَ وَلَدِيْ لَيَتَعَادَوْنَ على نَحْوِ المِائَةِ اليَومَ ، أخرجه مسلم ، وعن أَبِي خَلْدَةَ خَالِدِ بن دِيْنَارٍ ، قال قُلْتُ لأَبِي العَالِيَةِ ، سَمِعَ أنسٌ مِن رَسُولِ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم ، قَال خَدَمَهُ عَشْرَ سِنِيْنَ ، وَدَعَا لَهُ ، وكان لَهُ بُسْتَانٌ يَحْمِلُ في السَّنَةِ الفَاكِهَةَ مَرَّتَيْن ، وَكَانَ فِيْهِ رَيْحَانٌ ، يَجِيءُ مِنْهُ رِيْحُ المِسْكِ ، أخرجه الترمذي .

٧٣ ـ ومِنْ ذَلِكَ إخْبَارُهُ صَلى اللّهُ عليه وسلم عن مَقْتَلِ القُرَاءِ، فَعَن أنسِ بنِ مالكٍ رضي اللّهُ عنه قال جَاءَ ناسٌ إلى النبي صلى اللّه

عليه وسلم ، فقالُوا إبْعَثْ مَعَنا رِجَالاً يُعَلِّمُوْنا القُرآنَ والسُّنَةَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِم سَبْعِيْنَ رجلاً مِنَ الأَنْصارِ ، يُقَالُ لَهُمُ القُرَاءُ فِيْهِم خَالِيْ حَرَامٌ ، يُقْرِؤُ نَ القرآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ باللَّيْلِ ، يَتعلَّمون .

وكانُوْا بالنَّهَارِ يَجِيْئُونَ بالمَاءِ ، فَيَضَعُونَهُ في المَسْجِدِ ، وَيَحْتَطِبُوْنَ ، فَيَبِيْعُونه وَيَشْتَرُوْنَ بِهِ الطَّعَامَ لأَهْلِ الصُّفةِ ، ولِلْفُقَرَاءِ ، فَبَعَثَهُم النبيُّ صلى اللّهُ عليه وسلم إِلَيْهم ، فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا المَكانَ ، فَقَالُوا اللَّهُمَّ بلِّغ عَنَّا نَبِيَّنا ، أَنَّا قَدْ لَقِيْنَاكَ فَرَضِيْنَا عَنْكَ ، وَرَضِيْتَ عَنَّا .

قال : وَأَتَى رَجُلٌ حَرَامَ ، خَالَ أنسٍ ، مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حتَّى أنْفَذَهُ ، فقال حَرَامٌ ، فُزْتُ وَرَبِّ الكعبةِ ، فقال رسولُ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم لأَصْحَابِهِ « إنَّ اخوانَكُم قَدْ قُتِلُوا وإِنَّهُمْ قَالُوا اللَّهُم بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا ، أنا قَدْ لقَيْنَاكَ فَرَضِيْنَا عَنْكَ ، وَرَضِيْتَ عَنَّا » .

٧٤ ـ ومِن ذَلِكَ ما رُوِيَ أن النبيَ صلى اللّه عليه وسلم لَمَّا تلا (والنَّجْمِ إذا هَوَى) قالَ عُتْبَةُ بنُ أبِي لَهَبٌ ، كَفَرْتُ بالذِيْ دَنَا فَتَدَلَّى ، فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم « اللَّهم سلِّطْ عليهِ كَلْباً مِن كِلاَبِكَ » يَعْنِي الأَسَدَ ، فَخَرَجَ عُتْبَةُ مَعَ أَصْحَابِهِ ، في عِيْرٍ إلى الشَّامِ ، حتى إذا كانُوا في طَرِيْقِهِمْ ، زَأَرَ الأسدُ ، فَجَعَلَتْ فرائِصُ عُتبة تَرْتَعِدُ ، فقال أصحابُه مِنْ أيِّ شيْءٍ تَرْتَعِدُ ، فَوَاللَّهِ مَا نَحْنُ وأنتَ إلا سَوَاءٌ ، فقال إنَّ محمداً دَعَا عليَّ ، وَمَا تُرَدُّ لَهُ دَعْوَةٌ ، ولا أَصْدَقَ مِنْه لَهْجَةً .

فَوَضَعُوا العَشَاءَ ، فَلَمْ يُدْخِلْ يَدَهُ فيهِ ، وحَاطَ القَومُ أَنْفُسَهُم بمتَاعِهِم ، وَجَعَلُوا عُتْبَةَ وَسَطَهُم ، وَنَامُوْا ، فجاءَ الأسدُ يَشُمُّ رُؤُوْسَهُم ، رَجُلاً رَجُلاً ، حَتَّى انتهى إلى عُتْبَةَ ، فَهَشَمَهُ هَشْمَةً أوصَلَتْهُ إلى آخِرِ رَمَقٍ ، فقال وهو بآخِرِ رَمَقٍ ، أَلَمْ أَقُلْ لَكُم إنَّ مُحَمَّداً أَصْدَقُ الناسِ لَهْجَةً .

٧٥ - ومِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ صلى اللّه عليه وسلم لابنِ عَباسٍ ، وهُوَ يَوْمَئِذٍ غُلامٌ : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينِ ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيْلَ » فَخَرَجَ أَفْقَه الناسِ في الدِّيْنِ ، وأعلَمهم بالتَّأْوِيْلِ ، حَتَّى سُمِّيَ البَحْرَ ، لِسَعَةِ عِلْمِهِ ، رَضِيَ اللّهُ عنه .

٧٦ - ومنها مَا رَوَاهُ الامامُ أحمدُ في مُسْنَدِهِ مِن أنَّ عَائِشَةَ لَمَّا أَقْبَلَتْ وَبَلَغَتْ مِيَاهَ بَنِيْ عَامِرٍ لَيْلاً ، نَبَحَتْ الكِلابُ ، فَقَالَتْ أيُّ مَاءٍ هذا ، قَالُوْا ماءُ الحَوْأَبْ ، قالتْ مَا أَظُنُّنِيْ إلاَّ أنِي رَاجِعَةٌ ، قال بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهَا بَلْ تَقدمِين ، فَيَراكِ المُسْلِمُونَ ، فَيُصْلِحُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَاتَ بَيْنِهِم ، قَالَتْ إنَّ رَسُوْلَ اللّهِ صلى اللّه عليه وسلم قالَ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ « كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ ، تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الحَوْأَبِ » وفي حديثِ ابن عَبَاسٍ قال : قال رسولُ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم « لَيْتَ شِعْرِيْ ، أَيَّتُكُنَّ صَاحِبَةُ الجَمَلِ المُدَبَّبِ ، تَخْرُجُ فَيَنْبَحُهَا كِلَابُ الحَوْأَبِ ، يُقْتَلُ عَن يَمِيْنِهَا وعن يَسَارِهَا قَتْلى كَثِيْرٌ ، ثُمَّ تَنْجُوْ بَعْدَمَا كَادَتْ » رواه البزار ورجالهُ ثِقات كُلَّ ذَلِكَ يَقَعُ طِبْقَ مَا أَخْبَرَ الصَّادِقُ المَصْدُوْقُ صلواتُ اللّه وسلامُه عليه اللّهم يَا حيُ يَا قَيُّومُ يَا مَن لا تأخذُه سِنَةٌ ولا نَومٌ يا ذا الجلالِ والاكرامِ يَا وَاحِدُ أحَد يا فَرْدُ صَمَدُ يا بَدِيْعَ السمواتِ والأرضِ نَسْأَلُكَ أن تَنْصُرَ الاسلامَ والمُسْلِمينَ وأن تُعْلى كلمةَ الحَقِ والدِّيْن وأن تَشمَلَ بعنايَتِك وَتوفيقِكَ كُلَّ مَنْ نصر الدِّينَ وأن تَملأَ قُلوُبَنَا بمَحَبَّتك ومَحَبَّةِ رُسُلِكَ وَأَوْلِيَائِكَ وَأنْ تُلْهِمَنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وحَمْدَكَ .

اللّهُمَّ وَفِّقْنَا لِصَالِحِ الأَعْمَالِ وآتِنا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفِيْ الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا ولِجَمِيْعِ الْمُسْلِمينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْــلٌ »

٧٧ ـ ومِنْ ذَلِكَ إخْبَارُه صلى اللّه عليه وسلم أُمَّ حَرَامٍ عن غَزْوِهَا في البَحْرِ وعُلوُ مَكَانَتِها فَفِي صَحِيْحِ البُخَارِي عن اسْحَقَ ابن عبدِ اللَّه بنِ أبِي طَلْحَةَ عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي اللّهُ عنه ، أنَّهُ سَمِعَه يَقُولُ كان رَسُوْلُ اللّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم إذا ذَهَبَ إلَى قُبَاء يَدْخُلُ عَلَى أمِّ حَرَامِ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ ، وَكَانَتْ تَحْتَ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِت .

فَدَخَلَ يَوْماً فاطْعَمَتْه ، فَنَامَ رسولُ اللّهِ صلَّى اللّهُ علَيْهِ وَسَلَّم ثم اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ قَالَتْ فقلتُ ما يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللّهِ ، فقال « ناسٌ مِنْ أُمَّتِيْ عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً في سَبِيْلِ اللّه ، يَرْكَبُوْنَ ثَبَجَ هَذَا البَحْرِ ، مُلُوكاً على الأَسِرَّةِ ـ أوْ قَالَ مِثْلَ المُلُوكِ عَلَى الاسرَّةِ » شَكَّ اسْحَقُ ، قَالَتْ أدْعُ اللّهِ أنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم .

ثمَّ وَضَعَ رَأسَه ! ثم اسْتَيْقَظَ ، وهُوَ يَضْحَكُ ، قَـالَتْ قُلتُ ما يُضحِكُكَ يا رسولَ اللّهِ ، قال « ناسٌ مِن أُمَّتي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزاةً في سَبِيْلِ اللّهِ » كَمَا قَالَ في الأُوْلَى ، فَقُلْتُ يَا رسولَ اللّهِ أدْعُ اللّهَ أنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، قَالَ « أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِيْنَ » فَرَكِبَتَ البَحْرَ زَمَانَ مُعَاوِيَةَ ، فِصُرِعَتْ عَنْ دَابَتِهَا حِيْنَ خَرجَتْ مِن البَحْرِ فَهَلَكَتْ ، فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ صَلى اللَّهُ عليه وسلم .

٧٨ ـ ومنها إخْبَارُهُ عن أوَّلِ زَوْجَاتِهِ لُحوقاً بِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَعَنْ عائِشَة رَضيَ اللّهُ عنها أنَّ بَعضَ أزْوَاجِ النبي صلى اللّهُ عليه وسلم قُلْنَ يَا رَسُولَ اللّهِ أيُّنَا أسْرَعُ بِكَ لُحُوْقاً ، قَالَ أطْولُكُنَّ يداً ، فأخَذْنَ قَصَبَةً

يذْرَ عَنها فكَانَتْ سَوْدَةُ أطْوَلَهُنَّ يداً، فَعَلِمْنا بَعْدُ إنَّما كَانَ طولُ يَدِها الصَّدَقةِ ، وَكَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ ، وَكَانَتْ أَسْرَعُنا لُحُوقاً بهِ صلى اللّهُ عليه وسلم ، أخرجه الشيخان .

٧٩ ـ ومِنْ ذَلِكَ إخْبارُهُ صلى اللَّهُ عليهِ وسلم عَامِلَ كِسْرَى مَلِكِ الفُرْسِ على اليَمَنِ أنَّ اللّهَ وَعدَهُ أنْ يَقْتُلَ كِسْرى في يَوْمِ كَذا وكَذا مِنْ شَهْرِ كَذا وكَذَا ومنْ حَديْثِهِ أنَّ كِسْرَى كَتَبَ إلى عَامِلِهِ على اليَمَنِ باذَانَ أنَّهُ بَلَغَنِيْ أنَّ رَجُلاً مِن قُرَيْشٍ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَسِرْ إلَيْهِ فاسْتَتِبْهُ فإنْ تابَ والا فابْعَثْ إليَّ بِرأْسِهِ .

فَبَعَثَ باذَانُ بِكِتَابِ كِسْرَى إلى رَسُولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم .

فَكَتَبَ إليهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليهِ وسلم « انَّ اللّهَ قَدْ وَعَدَنِي أنْ يَقْتُلَ كِسْرَى في يَوْمِ كَذا وكَذا ، مِن شَهْرِ كَذا وَكَذا » فَلمَّا أَتى باذَانَ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم تَوَقَّفَ ، لِيَنْظُرَ ، وَقَالَ انْ كَانَ نَبِياً فَسيكُونُ ما قَالَ ، فَقُتِلَ كِسْرَى ، في اليَوْمِ الذي قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم ، قُتِلَ على يَدِ ابْنِهِ ، شِيْرَوَيْهِ .

فلمَّا بَلَغَ ذَلِكَ باذَانَ بَعثَ باسْلامِهِ ، واسْلام مَنْ مَعَهُ ، مِنَ الفُرْسِ إلى رَسُوْلِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم ، فَقَالَتِ الرُّسُلُ مِنَ الفُرْسِ ، إلى مَنْ نَحْنُ يا رَسُولَ اللَّهِ ، قال « انْتُمْ مِنَّا وَإلَيْنَا أَهْلَ البَيْتِ » .

٨٠ ـ ومِنْ ذَلِكَ ما رَوَاهُ الامامُ أحمدُ عَن أَبِيْ سَعِيْدٍ الخُدْرِي قَالَ عَدَا الذِئْبُ على شَاةٍ فأخذَهَا فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَانْتَزعَها مِنْهُ ، فَأَقْعَى الذِئْبُ عَلَى ذَنَبِهِ ، فَقَالَ ألا تَتَّقِيْ اللَّهَ تَنْزِعُ مِنِّيْ رِزْقاً سَاقَهُ اللَّهُ إليَّ ، فقال يا

عَجَبِيْ ذئبٌ يُكَلِّمُنِيْ كلامَ الأنِسِ ، فقالَ الذِئبُ ألاَ أخبِرُكَ بأعْجَبَ مِن ذَلِكَ ، مُحَمَّدُ صلى اللَّهُ عليه وسلم بِيَثْرِبَ ، يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ، قَالَ فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوق غَنَمَهُ ، حَتَّى دَخَلَ المَدِيْنَةَ ، فَزَوَاهَا إلى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا .

ثم أتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم فأخْبَرَهُ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم فَنُودِيَ الصلاةُ جامِعَةٌ ، ثم خَرَجَ فقال لِلرَّاعِيْ أَخبِرْهُمْ ، فأَخْبَرَهُم ، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم « صَدَقَ ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لاَ تَقومُ السَّاعةُ ، حَتَّى يُكلمُ الرَّجُلُ عَذْبَة سَوْطِهِ ، وَشِرَاكُ نَعْلِهِ ، وَيُخْبِرُهُ فَخِذُهُ ، بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ » .

قال ابنُ كَثِيْرٍ وهَـذَا اسْنَادٌ على شَـرْطِ مُسْلِمٍ ، وَقَدْ صَحَّحَـهُ البَيْهَقِي ، وَلَمْ يَرْوِهِ إلَّا التِّرْمِذِيُ مِن قولِهِ : والَّذي نَفْسِيْ بِيَدِهِ لا تقومُ الساعةُ حتى يُكَلِّمُ السِّبَاعُ الأنْسَ إلى آخره .

٨١ - ومِن ذَلِـكَ تَوْقِيْتُـهُ صَلى اللَّهُ عليـه وسلم مَـوَاقِيْتَ الحجَ الـمَكَانِيَّةَ وَذَلِكَ أَنَّهُ عَيَّنَهَا مِنْ قَبْلِ فَتْحِ بُلْدَانِهَا قال الناظم :

واحْـرَامُ حَـجٍّ مِـن مَـوَاقِيْتِ خَمْسَـةٍ
لِـطَيْبَـةَ وَقت ذَا الـحُلَيْفَـةِ وَاقْـصِـدِ
وَلِلشَّـــامِ والمِــصْرِ والغَـرْبِ جُحْفَةً
وَلِـلْيَمَـنِ التَّـالِـي يَلْمَـلَمُّ فـارْصـدِ
وخُـذْ ذَاتَ عِـرْقٍ لِـلْعِـرَاقِ وَوَفْـدِهِ
وَقَـرْنـاً لِـوَفْـدِ طَـائِـفِيٍ وَمُـنْـجِـدِ

وَتَعْيِينُهَا مِنْ مُعْجِزَاتِ نَبِيِّنَا
لِتَعْيِينِهِ مِن قَبْلِ فَتْحِ المُعَدِّدِ

٨٢ ـ ومن ذَلِكَ إِنْذارُهُ صلى اللَّهُ عليه وسلم بِرِيحٍ شَدِيْدَةٍ في تبُوكَ ، وَطَلَبَ مِن أَصْحَابِهِ أَنْ يَأْخُذُوا حِذْرَهُم ، فَفِيْ صَحِيحِ مُسْلِمٍ عن أَبِيْ حُمَيْدٍ ، قال خَرَجْنَا مَعَ رَسُوْلِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم ، في غزوةِ تَبُوكَ ، فَأَتَيْنَا وَادِي القُرَى ، على حَدِيْقَةٍ لِامْرَأَةٍ ، فقال رسولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم اخْرُصُوْهَا ، فَخَرَصْنَاهَا ، وَخَرَصَها رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم عَشَرَةَ أَوْسُقٍ ، وقال : أَحْصِيْها ، حَتَّى نَرجِعَ إليكِ انْ شَاءَ اللَّهُ ، وانْطَلقْنَا ، حَتَّى قَدِمْنا تَبُوْكَ ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم « سَتَهُبُّ رِيْحٌ شَدِيْدَةٌ » فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِيْحُ إلى أَنْ أَلْقَتْهُ بِجَبَلَيْ طَيء ، وَجَاءَ رَسُولُ صَاحِبِ إِيْلَةَ ، إلى رَسُولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم بِكِتَابٍ ، وَأَهْدَى لَهُ بَغْلَةً بَيْضَاءَ ، فَكَتَبَ إليه رسولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم ، وَأَهْدَى لَهُ بُرْداً ، ثم أَقْبَلْنَا ، حَتَّى قَدِمْنَا ، وادِي القُرَى ، فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم المَرْأَةَ ، عن حَدِيْقَتِها كَمْ بَلَغَ ثَمَرُها ، فَقَالَتْ عَشَرَةُ أَوْسُقٍ ، تَمَاماً كَمَا أَخْبَرَ : ٨٣ وَهَذِهِ أَيْضَا مُعْجِزَةٌ.

٨٤ ـ وَمِنْ ذَلِك إِخْبارُهُ صلى اللَّه عليه وسلم أَنَّهُ سَيَأْتِي زَمَانٌ تَرْتَحِلُ فيهِ الظَّعِيْنَةُ مِنَ الحِيْرَةِ إِلَى الكَعْبَةِ ، لَا تَخَافُ إلا اللَّهَ وَوَقَعَ طَبَقَ ما أَخبَر .

ففي صحيح البخاري عن عَدِي بنِ حَاتِمْ قال : بَيْنا أَنَا عِنْدَ النبي صلى الله عليه وسلم إِذْ أَتاهُ رَجُلٌ ، فَشَكَا إليهِ الفَاقَةَ ، ثم أتاهُ آخرُ فَشَكَا قَطْعَ السَبِيْل ، فقالَ « يا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الحِيْرَةَ ؟ » قُلْتُ : لَمْ أَرهَا ، وَقَد

أَنْبِئْتُ عَنْهَا . قال « فإن طَالَتْ بكَ حَيَاةٌ ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِيْنَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيْرةِ حَتَّى تَطُوْفَ بالكَعْبَةِ ، لَا تَخَافُ أَحداً إلَّا اللَّهَ » قُلْتُ فِيْمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دِعَارُ طَيٍّءٍ ـ أَيْ قُطَّاعُ الطَّرِيْقِ ـ الذينَ سَعَرُوْا البِلَادَ ـ « وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى » قُلْتُ كِسْرَى ابنُ هُرْمُزٍ ، قال « كِسْرَى بنُ هُرْمُزٍ ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ ، لَترينَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُه مِنْه فلا يَجِدُ أَحَدا يَقْبَلُهُ مِنْهُ .

وَلَيُلْقَيَنَّ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يومَ يَلْقَاهُ ، وَلَيْس بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِم لَهُ فَيَقُوْلَنَّ : أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُوْلاً فَيُبَلِّغَكَ ، فَيَقُولُ بَلَى : فَيَقُوْلُ أَلَمْ أُعْطِكَ مَالاً ، فَيَقُولُ بَلَى ، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِيْنِهِ ، فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ ، فلا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ » قال عَدِيٌّ ، سَمِعْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُوْلُ « اتَّقُوْا النَّارَ وَلَوْ بشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » .

وقال عَدِيٌّ فَرَأَيْتُ الظَّعِيْنَةَ تَرْتَحِلُ مِن الحِيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بالكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ ، وَكُنْتُ فِيْمَنْ فَتَحَ كُنُوْزَ كِسْرَى بنِ هُرْمُز ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ ، لَتَرَوْنَ ما قَالَ النبيُّ أَبُو القَاسِمِ صلى اللَّه عليه وسلم « يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ » .

٨٥ ـ وَمِنْ ذَلِكَ دُعَاؤُه صلى اللَّهُ عليه وسلم لِلنَّابِغَةِ الجَعْدِي ، بِقَوْلِهِ لَه « لا يَفْضُضِ اللَّهُ فاكَ » فَعُمِّرَ ، وكان أَحْسَنُ النَّاسِ ثَغْراً ، كُلَّما سَقَطَتْ لَهُ سِنٌّ ، نَبَتَتْ لَهُ أُخرَى .

٨٦ ـ وَمِنْ ذَلِكَ سُقُوطُ الأَصْنَامِ ، باشَارَةٍ مِن قَضِيْبٍ ، كَانَ في

يَدِهِ ، فإنَّه كانَ حَوْلَ الكَعْبَةِ ثلاثُمائَةٍ وَسِتُّوْنَ صَنَماً ، أَرْجُلُها مُثَبَّتَةٌ بالرَّصَاصِ ، في الحِجَارَةِ ، تَثْبِيْتاً مُحْكَماً ، فَلَمَّا دَخَلَ عَامَ الفَتْحِ إلى المَسْجِدِ الحَرَامِ ، جَعَلَ يُشِيْرُ بِقَضِيْبٍ في يَدِه، إلى تِلْكَ الأصنامِ فَوَقَعَتْ لِوُجُوهِهَا ، وَظُهُوْرِهَا ، حَسَبَ إشارَتِهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم .

٨٧ ـ ومِنْ ذَلِكَ ما رُوِيَ أَنَّ العباسَ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ ، بَعَثَ ابنَهُ عَبدَ اللَّهِ ، إلى رسولِ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم في حَاجَةٍ ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ رَجُلًا ، فَرَجَعَ وَلَمْ يُكَلِّمْهُ ، مِن أَجْلِ مَكَانِ الرَّجُلِ ، فَلَقِيَ العباسُ رسولَ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، فقال « وَرَآهُ ؟ » قال نَعَمْ « قال أَتَدْرِيْ مَنْ ذَاكَ الرَّجُلُ ؟ » ذَاكَ جِبْرِيْلُ .

وَلَنْ يَمُوْتَ حَتَّى يَذْهَبَ بَصَرُهُ ، وَيُؤْتَى عِلْماً » وَقَدْ مَاتَ ابنُ عَبَّاسٍ ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّيْن ، بَعْدَ مَا عَمِيَ بَصَرُه ، رَضِيَ اللَّه عنه وَصَارَ بَحْراً زَاخِراً في العِلْم .

٨٨ ـ ومِن ذَلِكَ ما رواه البيهقيُ عن خِمَارَة عن أُنَيْسَةَ بِنْتِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، عن أَبِيْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم دَخَلَ عَلى زَيْدٍ يَعُوْدُهُ في مَرَضٍ كَانَ بِهِ ، قال « لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ مَرَضِكَ بأسٌ ، ولكِنْ كَيْفَ بِك إذا عُمِّرتَ بَعْدِي ، فَعَمِيْتَ ؟ » قالَ : إذاً احْتَسِبُ وأَصْبِرُ ، قالَ : « إذاً تَدْخُل الجنةَ ، بِغَيْرِ حِسَاب » قال فَعَمِيَ بَعْدَ مَا مَات . رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم ، ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ عليهِ بَصَرَهُ ، ثُمَّ مَاتَ .

٨٩ ـ ومِنْ ذَلِكَ إخبارُهُ صلى اللَّهُ عليه وسلم عن مِحْنَةِ عُثْمَانَ رضي اللَّهُ عنه ، ففي صَحِيْحِ البخاري عن أبي موسى رضي اللَّه عنه ،

قال كُنْتُ مَعَ النبي صلى اللّٰه عليه وسلم في حَائِطٍ مِن حِيْطانِ المَدِيْنَةِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فاسْتَفْتَحَ ، فقال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم « افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرهُ بالجَنَّةِ » فَفَتَحْتُ ، فإذا هُوَ أَبُوْ بَكْرٍ ، فَبَشَّرتُه بمَا قال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فَحَمِدَ اللّٰهَ .

ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فاسْتَفْتَحَ ، فقال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم « افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بالجنةِ » فَفَتَحْتُ ، فإذا هُوَ عُمَرُ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ، ثم اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ فقال لِيْ « افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بالجَنةِ ، على بَلْوَى تُصِيْبُهُ » فإذا هُوَ عُثْمَانُ فأخْبَرْتُهُ بما قال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فَحَمِدَ اللّٰهَ ، ثم قال : اللّٰهُ المُسْتَعَان .

٩٠ ـ ومِن ذلك ما وَرَدَ عن عبدِ الرحمنِ بن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِيْقِ ، قال كُنَّا مَعَ النبي صلى اللّٰهُ عليه وسلم ثلاثِيْنَ وَمَائَةً فقال صلى اللّٰهُ عليه وسلم هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ ، فإذا مَعَ رَجُلٍ صاعٌ مِنْ طَعَامٍ ، أَوْ نَحْوِهِ ، فَعَجَن ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْعَانٌ طَوِيْلٌ بِغَنَمٍ يَسُوْقُهَا ، فقالَ صلى اللّٰهُ عليه وسلم « بَيْعاً ، أَمْ هِبَةً ؟ » قال بَلْ بَيْعٌ ، فاشْتَرَى مِنْهَا شَاةً ، فَصُنِعَتْ ، فَأَمَرَ صلى اللّٰهُ عليه وسلم بسَوَادِ البَطْنِ أَنْ يُشْوَى ، وَايْمُ اللّٰهِ ، ما في الثَّلاثِيْنَ والمَائَةِ ، رَجُلٌ إلاَّ قَدْ حُزَّ لَهُ حَزَّةً مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا إِنْ كَانَ شَاهِداً أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، وَإِنْ كَانَ غَائِباً خَبَأَ لَهُ ، فَجَعَلَ مِنْهَا قَصْعَتَين ، فأكَلُوا أَجْمَعُوْنَ ، وَشَبِعْنَا فَفَضُلَتْ القَصْعَتَانِ فَحُمِلَتَا عَلَى البَعِيْرِ رواه الشيخان .

٩١ ـ وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عن سَمُرَةَ ، قالَ كُنَّا مَعَ النبي صلى اللّٰهُ عليه وسلم نَتَدَاوَلُ من قَصْعَةٍ ، مِنْ غَدْوَةٍ حَتَّى اللَّيْلَ ، تَقُوْمُ عَشَرَةٌ ، وَتَقْعُدُ عَشَرَةٌ فَقُلْنا فَمِمَّا كَانَتْ تُمَدُّ ، قَالَ مِنْ أَيْ شَيْءٍ تَعْجَبُ ، مَا كَانَتْ تُمَدُّ إلاَّ مِنْ هَاهُنَا ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إلى السَّماءِ ، رواه الترمذي .

٩٢ ـ ومِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ جابرٌ ، أَنَّ النَّبِي صَلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلم جَاءَهُ رَجُلٌ يَسْتَطْعِمُهُ ، فأطْعَمَهُ شَطْرَ وَسَقِ شَعِيْر ، فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يأكلُ مِنهُ ، وامْرَأته ، وَضَيْفُهما ، حتى كَالَهُ ، فَفَنِيَ ، فأتى النبيُّ صلى اللَّه عليه وسلم فقالَ : « لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لأَكَلْتُم مِنْهُ ، وَلَقَامَ لَكُمْ » رواه مسلم .

٩٣ ـ ومِن ذَلِكَ دُعَاؤُهُ صلى اللَّهُ عليه وسلم على مُضَرَ ، وإمْسَاكُ القطرِ عنهم ، فإنَّهم لَمَّا كَذَّبُوْهُ ، وآذَوْهُ ، في نَفْسِهِ ، وأصْحَابِهِ ، دَعَا عَلَيْهِمْ ، فقال « اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ على مُضرَ ، وَإبْعَثْ عليهم سِنِيْنَ كَسِنِيْ يُوْسُفَ صلى اللَّه عليه وسلم » فأُمْسِكَ عَنْهُم القَطْرُ ، حَتى جَفَّ النَبَاتُ ، والشُّجَرُ ، وَمَاتَتْ الماشِيَةُ ، وَحَتَّى اشْتَوَوْا القِدَّ ، وأَكَلُوْا العَلْهَرَ ، وتَفرقُوا فِي البِلادِ ، لشدَّةِ الحال .

فَوَفَدَ حاجِبُ بنُ زُرَارَةَ ، إلى كِسْرَى فَشَكَا إِلَيْهِ مَا نَالَهُمْ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَه في الرَّعْيِ ، بالسَّوادِ ، وَرَهَنَهُ قَوْسَهُ .

والقِصَّةُ مَشْهُوْرَةٌ ، يَسُوْقُهَا أَهْلُ التَّفْسِيْر ، عندَ قَولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ فارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخَانٍ مُبِيْن ﴾ .

اللهم انا نعوذ بك مِن جَهْدِ البَلاء ودَرَكِ الشَّقَاء وشَمَاتَةِ الأَعْدَاء وسوءِ المنظر في الأهلِ والمالِ والولَدِ اللهم حَبِّبْ إلَيْنَا الايمانَ وزَيِّنْهُ في قُلُوبِنَا

اللّهُمَّ الهمْنا ذكركَ وَشُكْرِكَ وأرزقْنا الاستقامةَ طوعَ أمركَ وَتَفضّلْ علينا بعافِيتكَ وجزيلِ عَفوِكَ واغفر لنا ولوالِدِينَا ولجميع المسلمينَ الأحياءِ منهم والميتينَ برحمتكَ يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمّدٍ وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعين .

قال ابنُ القيم رحمه الله :

يَا قاعِـــــداً سَارَتْ بِهِ أنْفَـــــاسُهُ

سَيْــــر البَرِيْـــــدِ وَلَـــيْس بالذَّمِـــلانِ

حَتَّى مَتَى هَـذَا الـرُقَـادُ وَقَـدْ سَـرَى
وَفْـدُ الـمَحَبَّـةِ مَـعْ أُوْلِـي الإِحْسَـانِ
وَحَـدَتْ بِهِم عَـزَمَـاتُهُم نَـحْـوَ العُلَى
لَا حَـادِيَ الـرُكْـبَـانِ والأَضْـعَانِ
رَكِـبُـوْا العَـزَائِـمَ واعْـتَلَوا بِـظُهُـورِهَـا
وَسَـرَوْا فـمـا حَنُّـوْا إلـى نُـعْـمَـانِ
سَـارُوْا رُوَيْـداً ثُـمَّ جَـاؤُوا أَوَّلاً
سَـيْـرَ الـدَّلِيْـلِ يَـؤُمُ بـالـرُكْـبـانِ
سَـارُوْا بإِثبَـاتِ الـصِّـفَـاتِ إِلَـيْـهِ لَا التَـ
تَـعْـطِيْـلِ وَالتَّحْـرِيْـفِ والنُكْـرَانِ
عَـرَفُـوهُ بـالأَوْصَـافِ فـامْـتَـلأَتْ قُـلُوْ
بُـهُـمْ لَـهُ بـالـحُـبِ والإِيْـمَـانِ
فَـتَـطَايَـرَتْ تلكَ الـقُـلُوبُ إِلَيْـهِ بـال
شْـواقِ إِذ مُـلِـئَـتْ مِـن الـعِـرْفَـانِ
وَأَشَـدُّهُـم حُـبَـاً لَـهُ أَدْرا هُـمُـوْا
بِـصِـفَـاتِـهِ وَحَـقـائِـقِ الـقُـرآنِ
فـالحُبُّ يَـتْـبَـعُ لِلشُّـعُـورِ بِـحَسْـبِـهِ
يَـقْـوَى وَيَـضْـعُـفُ ذَاكَ ذُوْ تِـبْـيَـانِ
وَلِـذَاكَ كَـانَ الـعَـارِفُـون صِـفَـاتِـهِ
أَحْـبَـابَـهُ هُـمْ أَهْـلُ هَـذَا الـشَّـانِ
وَلِـذَاكَ كَـانَ الـعَـالِمُـونَ بِـرَبِـهِـمْ
أَحْـبَـابَـه وَبِـشِـرْعَـةِ الإِيْـمَـانِ

وَلِـذَاكَ كَـانَ المُنْكِـرُونَ لَهَـا هُـمُ الْ
أَعْـدَاءُ حَـقـاً هُـمْ أُولُـو الـشَّـنَـئَـآن

ولِـذَاكَ كَـانَ الـجَـاهِـلونَ بِـذَا وَذَا
بُـغَـضَـاؤهُ حَـقـاً ذَوِيْ شَـنَـئَـآنِ

وَحَيَـاةُ قَلْبِ المَـرْءِ في شَيْئَيْـن مَنْ
يُـرْزَقْـهُـمَـا يَـحْـيَـى مَـدَى الأَزْمَـانِ

في هَـذِهِ الـدُنْيَـا وفي الأخْـرَى يَكُـوْ
نُ الـحَـيَّ ذَا الـرِضْـوَانِ والإحْـسَـانِ

ذِكْـرِ الإلَـهِ وحُـبِـهِ مِـن غَـيْـرِ إشْـ
ـرَاكٍ بِـهِ وَهُـمَـا فَمُـمْـتَـنِـعَـانِ

مِن صَـاحِبِ التعطيـلِ حَقَّـاً كَـامتنـا
عِ الـطَائِـرِ المَقْصُـوصِ مِن طَيْـرانِ

أَيُـحِـبُـهُ مَـنْ كَـانَ يُنْـكِـرُ وَصْـفَـهُ
وَعُـلُوَّهُ وَكَـلاَمَـهُ بِـقُـرآنِ

لاَ وَالـذِي حَقـاً عَلَى العَـرْشِ اسْتَـوى
مُـتَـكَـلِمـاً بِـالـوَحْـيِ والـفُـرقَـانِ

الـلَّهُ أَكْـبَـرُ ذَاكَ فَـضْـلُ الـلَّهِ يُـؤْ
تِـيْـهِ لِـمَـنْ يَـرْضَـى بـلا حُـسْـبَـانِ

وَتَـرى المُخَلَّفَ في الـدِّيَـارِ تَقُـوْلُ ذَا
إحْـدَى الأَثَـا فِـي خُصَّ بـالحِـرْمَـانِ

اللَّهُ أَكْبَرُ ذَاكَ عَدْلُ اللَّهِ يَقْـ
ضِيْهِ على مَن شَاءَ مِن إنْسَانِ
وَلَهُ عَلَى هَذَا وَهَذَا الحَمْدُ في الْ
أُوْلَى وفي الاخْرَى هُمَا حَمْدَانِ
حَمْدٌ لِذَاتِ الرَّبِ جَلَّ جَلاَلُه
وكذاكَ حَمْدُ العَدْلِ والإحْسَانِ
يَا مَن تَعُزُ عَلَيْهُمُ أَرْوَاحُهُمْ
وَيَرَوْنَ غَبْناً بَيْعَهَا بِهَوَانِ
وَيَرَوْنَ خُسْراناً مُبِيْناً بَيْعَهَا
في إثْرِ كُلِ قَبِيْحَةٍ وَمُهَانِ
وَيَرَوْنَ مَيْدَانَ التَّسَابُقِ بَارِزاً
فَيُتَارِكُونَ تَقَحُّمَ المَيْدَانِ
وَيَرَوْنَ أَنْفَاسَ العِبَادِ عَلَيْهِمُ
قَدْ أُحْصِيَتْ بِالعَدِ والحُسْبَانِ
وَيَرَوْنَ أَنَّ أَمَامَهُمْ يَوْمَ اللِّقَا
لِلَّهِ مَسْأَلَتَانِ شَامِلَتَانِ
ماذا عَبَدْتُمْ ثُمَّ ماذَا قَدْ أَجِبْـ
ـتُمْ مَنْ أَتَى بِالحَقِ والبُرْهَانِ
هَاتُوا جَواباً لِلسُّؤآلِ وَهَيِئُوا
أَيْضَاً صَوَاباً لِلْجَوابِ يُدَانِ

وَتَيَقَّنُوا أَنْ لَيْسَ يُنْجِيْكُمْ سِوَى
تَجْرِيْدِكُم بِحَقَائِقِ الإِيْمَانِ
تَجْرِيْدُكُم تَوْحِيْدَهُ سُبْحَانَه
عن شِرْكَةِ الشَيطانِ والأَوْثَانِ
وَكَذَاكَ تَجْرِيدُ اتِّبَاعِ رَسُولِهِ
عن هَذِهِ الآراءِ والهَذَيَانِ
واللَّهِ مَا يُنْجِي الفَتَى مِنْ رَبِهِ
شَيءٌ سِوَى هَذَا بلا رَوَغَانِ
يَا رَبُّ جَرِّدْ عَبْدَكَ المِسْكِيْنَ رَا
جِيْ الفَضْلَ مِنْكَ أَضْعَفَ العُبْدَانِ
لم تَنْسَهُ وَذَكَرْتُه فاجْعَلْهُ لاَ
يَنْسَاك أَنْتَ بَدأْتَ بالإحْسَانِ
وَبِهِ خَتَمْتَ فَكُنْتَ أَوْلَى بالجَمِيْ
لِ وبالثَّنَاءِ مِنَ الجَهُولِ الجَانِي
فالعَبْدُ لَيْسَ يَضِيْعُ بَيْنَ خَوَاتِمٍ
وَفَوَاتِحِ من فَضْلِ ذِي العِرْفَانِ
أَنْتَ العَلِيْمُ بِهِ وَقَدْ أَنْشَأْتَهُ
مِنْ تُرْبَةٍ هِيَ أَضْعَفُ الأَرْكَانِ
والضَّعْفُ مُسْتَوْلٍ عَلَيْنَا مِن جَمِيْ
عِ جِهَاتِنَا سِيْمَا مِن الإيمانِ

يــا رَبُّ مَــعْــذِرةً إلَيْــكَ فَــلَمْ يَكُــنْ
قَــصْــدُ العِبَــادِ رُكُــوبَ ذَا العِصْيَــانِ

لَــكِنْ نُــفُــوسٌ سَــوَّلَتْــهَــا وَغَــرَّهَــا
هَــذَا الــعَــدُوُّ لَــهَــا غُــرُوْرَ أَمَــانِ

فَــتَــيَــقَــنْــتْ يَــا رَبُّ أَنَّــكَ واسِــعُ الـ
ـغُــفْــرانِ ذُوْ فَــضْــلٍ وَذُو إحْــسَــانِ

وَسَــعَــتْ إلى الأَبَــوَايْنِ رَحْمَتُــكَ الَّتِي
وَسِــعَــتْــهُــمَــا فــعَــلَا بِــكَ الأَبِــوَانِ

هَــذَا ونَــحْنُ بَــنُــوهُــمَــا وحَــلُوْمُــنَــا
في جَــنْــبِ حِلْمِهــا لَــدَى المِيْــزَانِ

جُــزْءٌ يَــسِــيْــرٌ والــعَــدُوُّ فَــوَاحِــدٌ
لَــهُــمَــا وَأَعْــدَانَــا بــلا حُــسْــبَــانِ

وَمَــقَــالُــنَــا مــا قَــالَــه الأَبَــوانِ قَــبْـ
ـلَ مَقَــالَــةِ العَبْــدِ الــظَّلُومِ الــجَــانِ

نَحْنُ الأُولَى ظَلَمُــوا وإنْ لَمْ تَغْــفِــر الـ
ـذَنْــبَ الــعَــظِيْمَ فَــنَحْنُ ذُوْ خُــسْــرَانِ

يَــا رَبُّ فَــانْــصُــرْنَــا على الشيطان ليــ
ـــسَ لَــنَــا بِــهِ لَــوْلَا حِــمَــاكَ يَــدَانِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقَوِي إيْمَانَنَا بِكَ وَبِملائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وبالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ عَامِلْنا بِعَفْوِكَ وغُفْرانِكَ وامْنُنَّ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَاحْسَانِكْ ونَجِّنَا مِن النارِ وَعافِنَا مِن دَارِ الخِزْيِ والبَوَارِ وادخلنا بفضلكَ

وكرمكَ وجودكَ الجنةَ دارَ القرار واجعلنا مَعَ عبادِكَ الذين أنْعَمْتَ عليهم مِن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في دَارِ رِضْوانِكَ وصلى اللّه على

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا صِيَانَةَ أَوْقَاتِنَا وَحِفْظَهَا عَنْ المَعَاصِيْ وَوَفِّقْنَا لِشَغْلِهَا بِالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ) ٩٤ ـ ومِنْ ذَلِكَ إخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَن مِحْنَةِ المُسْلِمِيْنَ ، وَتَدَاعِيْ الأُمَمِ عَلَيْهِم ، فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ ، عن ثَوْبَانَ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم ، « يُوْشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها » فقالَ قَائِلٌ : وَمِن قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قال : « بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيْر ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِن صُدُوْرِ عَدُوِّكُمُ المَهَابَةَ مِنْكُم ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ في قُلُوبِكُم الوَهْنَ » فقال قائِلٌ : يا رسولَ اللَّهِ وما الوَهْنُ ؟ قال « حُبُّ الدُنْيَا وَكَرَاهَةُ المَوْتِ » وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده .

٩٥ ـ ومِن ذلكَ إخبارُهُ صلى اللَّه عليه وسلم باتِّسَاعِ مُلْكِ المُسْلِمِيْنَ وَفَوْزِهِمْ بِكُنُوزِ كِسْرَى وَقَيْصَر واضْطِرَابِ أَمْرِ المُسْلِمِيْن في النِّهَايَةِ

ففي صحيح مسلمٍ عَن ثَوْبَانَ قالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَها ، وَانَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغ مُلْكُها ما زُوِيْ لِيْ مِنْهَا ، وأُعْطِيْتُ الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ والأبيضَ ، وإنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِيْ أَنْ لَا يُهْلِكَها بِسَنَةٍ عامَّةٍ ، وَأَنَّ لا يُسَلِطَ عَلَيْهِم عَدُواً مِن سِوَى أَنْفُسِهِم فَيَسْتَبِيْحَ بَيْضَتَهُمْ .

وَإِنَّ اللَّهَ قال لِيْ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّيْ إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فإِنَّهُ لَا يُردُّ وَإِنِّيْ

أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُم بِسَنَةٍ عَامَّةٍ ، وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِم عَدُواً مِن سِوَى أَنْفُسِهِم يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِم مَنْ بأقطارِهَا ، أَوْ قَالَ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً ، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً .

٩٦ ـ وَمِنْ ذَلِكَ ما في صحيح البخاري عن أنس رضي اللَّهُ عنه قال كان رَجُلٌ نَصْرانياً فأَسْلَمَ وَقَرأَ البَقَرَةَ وآلَ عِمْرانَ فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِي صَلى اللَّهُ عليه وسلم فَعَادَ نَصْرَانِياً ، فكانَ يَقُولُ : مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إلاَّ مَا كَتَبْتُ لَهُ ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوْهُ فأصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ ، فَقَالُوا هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ ، نَبَشُوْا عَنْ صَاحِبِنَا ، فَأَلْقَوْهُ ، فَحَفَرُوْا لَهُ ، فَأَعْمَقُوا ، فَأَصْبَحَ قَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ ، فَعَلِمُوْا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ .

٩٧ ـ ومِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عن عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رضي اللَّهُ عَنْهُ قال : بَعَثَنِيْ رسولُ اللَّهِ صلى اللَّه عَلَيْهِ وسلم إلى اليمنِ فَقُلْتُ يا رَسول اللَّهِ تَبْعَثُنِيْ وَأَنَا حَدَثُ السِّنِّ لاَ عِلْمَ لِيْ بالقَضَاءِ قال « انْطَلِقْ فإن اللَّهَ تَعَالَى سَيَهْدِيْ قَلْبَكَ وَيُثَبِّتْ لِسَانَكَ » قَالَ عَلِيٌّ رضيَ اللَّهُ عنه فَمَا شَكَكْتُ في قَضَاءٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى الله عليه وسلم « أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ » .

٩٨ ـ وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَن قَيْسِ بنِ أَبِي حازِمٍ عن أَبِي شَهْمٍ وكانَ رَجُلًا بَطَّالاً فَمَرَّتْ بِهِ جَارِيَة فَأَهْوَى بِيَدِهِ إلى خَاصِرَتِهَا قالَ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم مِنَ الغَدِ وَهُوَ يُبَايِعُ النَّاسَ فَقَبَضَ يَدَهُ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم : « أَصَاحِبُ الجَبْذَةِ أَمْسِ ؟ » قال فَقُلْتُ لاَ أَعُوْدُ يا رَسُولَ اللَّهِ فقال صلى اللَّهُ عليه وسلم « فَنَعَمْ إذاً » الحديثَ أخرجه النسائي .

٩٩ ـ ومِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ ابنُ عُمَرَ رَضِي اللَّه عنهما ، قال كُنْتُ جالساً مَعَ

النَّبِي صلى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ في مَسْجِدِ مِنَى ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، وَرَجُلٌ مِن ثَقِيْفٍ ، فَسَلَّمَا ، ثُمَّ قالا ، يا رسولَ اللَّهِ جِئْنا نَسْأَلُكَ ، فقال « إنْ شِئْتُمَا أَخْبَرْتُكَمَا ، بِمَا جِئْتُمَا تَسْالانِي عَنْهُ فَعَلْتُ ، وإن شِئْتُمَا أَنْ أُمْسِكَ وَتَسْأَلانِيْ فَعَلْتُ » فقَالاَ أَخْبِرْنَا يَا رَسُوْلَ اللَّهِ ، فَقَالَ الثَّقَفِيُّ لِلأنْصَارِي ، سَلْ ، فقال أَخْبرنِيْ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فقالَ « جِئْتَ تَسْأَلُنِيْ عن مَخْرَجِكَ مِنْ بَيْتِكَ تَؤُمُّ البَيْتَ الحَرَامَ ، وما لَكَ فِيْهِ ، وعن رَكْعَتَيْكَ بَعْدَ الطُّوافِ ، وَمَا لَكَ فِيْهَا ، وعن طَوَافِكَ بينَ الصَّفَا والمَرْوَةِ ، وَمَا لَكَ فِيْهِ ، وعن وُقُوْفِكَ عَشِيَّةَ عَرفَةَ ، وَمَالَكَ فِيْهِ ، وعن رَمْيِكَ الجِمَارَ ، وَمَالَكَ فِيْهِ ، وَعَنْ نَحْرِكَ ، وَمَا لَكَ فِيْهِ ، مَعَ الإفَاضَةِ » فقال : والَّذِيْ بَعَثَكَ بالحَقِّ لَعَنْ هَذا جِئْتُ، أَسْأَلُكَ .

قَالَ « فإنَّك إذا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ تَؤُمَّ البَيْتَ الحرَامَ ، لاَ تَضَعُ ناقَتُكَ خُفًّا ، ولا تَرْفَعُهُ ، إلا كَتَبَ اللَّهُ لَكَ بِهِ حَسَنَةً ، وَمَحا عَنْكَ خَطِيْئَةً ، وَأَمَّا رَكْعَتَاكَ بَعْدَ الطَّوَافِ ، كَعِتْقِ رَقَبَةٍ من بَنِيْ اسْمَاعِيْلَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَأَمَّا طَوَافُكَ بالصَّفَا والمَرْوَةِ ، كَعتقِ سَبْعِيْنَ رَقْبَةً ، وأَمَّا وُقُوفُكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ ، فإنَّ اللَّهَ يَهْبِطُ إلى سَمَاءِ الدُّنْيا ، فَيُبَاهِيْ بِكُم المَلائِكَةِ يَقُولُ عِبادِيْ جاؤُنِيْ شُعثاً ، مَنْ كُلِّ فج عَمِيْقٍ ، يَرْجُوْنَ جَنَّتِيْ ، فَلو كَانَتْ ذُنُوبُكُمْ كَعَدِدِ الرَّملِ ، أَوْ كَقَطْرِ المَطَرِ ، أَوْ كزَبَدِ البَحْرِ ، لَغفَرْتُها ، أَفِيْضُوْا عِبادِيْ ، مَغْفُوْراً لَكُمْ ، وَعَمَّنْ شفَعْتُمْ لَهُ .

وَأَمَّا رَمْيُكَ الجِمَارَ ، فَلَكَ بِكلِّ حَصَاةٍ رَمَيْتَهَا ، تَكْفِيْرُ كَبِيْرَةٍ مِنَ المُوْبِقَاتِ ، وَأَمَّا نَحْرُكَ فَمَذْخُوْرٌ لَكَ عِنْدَ رَبِّكَ ، وَأَمَّا حِلاَقُكَ رَأْسَكَ ، فَلَكَ

بكلِّ شَعْرَةٍ حَلقْتَها حَسَنَةٌ ، وَيُمحى عَنْكَ بِهَا خَطِيْئَةٌ ، وَأَمَّا طَوَافُكَ بالبَيْتِ ، بَعْدَ ذلِكَ ، فإنَّكَ تَطُوْفُ وَلاَ ذَنْبَ لَكَ ، يَأْتِيْ مَلَكٌ يَضَعُ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْكَ ، فَيَقُولُ اعْمَلْ فِيْمَا تَسْتَقْبِلِ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا مَضَى » رواه الطبرانيُّ في الكبيرِ والبَزَّارُ واللَّفْظُ لَهُ ورواه ابنُ حبانَ في صحيحه .

١٠٠ ـ وَمِنْهَا اخْبَارُهُ صَلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مَقْتَلِ عَلي بنِ أَبِيْ طَالِبٍ ، وانَّ قَاتِلَهُ يَخضِّبُ لِحَيَةَ عَليٍّ مِن دَمِ رَأْسِهِ ، فَعَن فَضَالَةَ بنِ أَبِيْ فَضَالَةَ الأَنْصَارِي ـ وكانَ ابنُ فضَالَةَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ـ قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ أَبِيْ عَائِداً لِعَليّ بْنِ أَبِيْ طَالِبِ ، مِنْ مَرَضٍ أَصَابَهُ ثَقُلَ مِنْهُ ، قال فَقَالَ لَهُ أَبِيْ مَا يُقِيْمُك بِمَنْزِلِكَ هَذا لَوْ أَصابَ أَجَلُكَ إلاَّ أَعْرَابُ جُهَيْنَة ، تُحْمَلُ إلى المَدِيْنَةِ ، فإنْ أَصابَكَ أَجَلُكَ وَلِيَكَ أَصْحابُكَ ، وَصَلُّوْا عَلَيْكَ .

فَقَالَ عَليٌّ إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم عَهِدَ إليَّ أَنْ لاَ أَمُوْتَ حَتَّى أُؤَمَّرَ ، ثُمَّ تُخْضَّبُ هَذِهِ ، ـ يَعْنِي لِحْيَتَهُ مِن دَمِ هَذِهِ ـ يَعْنِيْ هَامَتَهُ ، وعن عُثْمَانَ بنِ صُهَيْبٍ عن أَبِيْهِ ، قال قال عَليٌّ قال لِيْ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم « مَنْ أَشْقَى الأَوَّلِيْنَ ؟ » قُلْتُ : لاَ عِلْمَ لِيْ يَا رَسولَ اللَّهِ . قَالَ « الذِيْ يَضْرِبُكَ عَلَى هَذِهِ ـ وَأَشَارَ عَليٌّ إلَى يَافُوْخِهِ بِيَدِهِ ـ فَيُخَضِّبُ هَذِهِ مِن هَذِهِ » يَعْنِي لِحْيَتَهُ مِن دَمِ رَأْسِهِ ، قَالَ : فَكَانَ يَقُوْلُ وَدِدْتُ أَنَّهُ قَدْ انْبَعَثَ أَشْقَاكُمْ .

وقُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَيْلَةَ الجُمَعَةِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ ليلةٍ خَلَتْ مِن رَمَضَان سنة ٤٠هـ ، عِنْدَمَا خَرَجَ يُوْقِظُ الناسَ لِصَلاةِ الفَجْرِ ، فَضَرَبَهُ ابنُ مُلْجِمٍ بالسَّيْفِ عَلى قَرْنِهِ ، فَسَالَ دَمُه عَلى لِحْيَتِهِ ، رضي اللَّهُ عَنْهُ وأَرْضَاهُ ، فَوَقَعَ طِبْقَ ما أَخْبَرَهُ بِهِ النبيُّ صلى اللَّهُ عليه وسلم .

١٠١ ـ وَمِنْهَا إجَابَةُ دُعَائِهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلم لأَبِي هُريرةَ ، في تَحْبِيْبِهِ إلى الناسِ وأُمِّهِ ، فَقَدْ وَرَدَ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنه قال ، واللَّه ما خَلَقَ اللَّه مُؤمناً يَسْمَعُ بِي أَوْ يَرَانِي إلاَّ أَحَبَّنِيْ ، قال إنَّ أُمِّيْ كَانَتْ امْرَأَةً مُشْرِكَةً ، وَإِنِّيْ كُنْتَ أَدْعُوهَا إلى الاسْلامِ ، وكانَتْ تَأْبَى عَليَّ فَدَعَوْتُهَا يَوْماً ، فأَسْمَعَتْنِيْ في رَسُولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم مَا أَكْرَهُ .

فَأَتَيْتُ رسولَ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم وأنَا أَبْكِيْ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّيْ إلى الإسْلامِ ، فَكَانَتْ تَأْبَى عَليَّ ، وإِنِّي دَعَوْتُها اليَومَ فاسْمَعَتْنِي فِيْكَ مَا أَكْرَهُ ، فادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أمَّ أَبِيْ هُريرةَ ، فقال « اللَّهُمَّ اهْدِ أمَّ أَبِيْ هُرَيْرَة » فَخَرَجْتُ أَغْدُو أُبَشِّرُها ، بِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم .

فَلَمَّـا أَتَيْتُ البَـابَ إذا هُـوَ مُجَـافٌ ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَـةً ، (خَشْخَشَةً) وسَمِعْتُ خَشْفَ رِجْلٍ ـ يَعْنِيْ وَقْعَها ، فَقَالَتْ يَا أَبَا هُرَيْرَة كَمَا أَنْتَ ، ثُمَّ فَتَحت البابَ ، وَقَدْ لَبِسْتْ دِرْعَهَا ، وَعَجِلَتْ عن خِمَارِها أَنْ تَلْبَسَهُ ، وَقَالَتْ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ ، وأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ ، فَرَجَعْتُ إلى رَسُوْلِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليـهِ وَسَلَّم أَبْكِيْ مِنَ الفَرَحِ ، كَمَا بَكَيْتُ مِن الحُزْنِ .

فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ ، فَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَكَ ، قَدْ هَدَى اللَّهُ أمَّ أبي هُرَيْرَةَ ، وقُلْتُ يا رَسُولَ اللَّهِ ، أَدْعُ اللَّهِ أَنْ يُحَبِّبَنِيْ وَأُمِّيْ إلى عِبَادِهِ المُؤْمِنين .

فقال « اللَّهُمَّ حَبِّبْ عبَيْدَك هَذَا وَأمَّهُ إلى عِبَادِك المؤمنين وَحَبِّبْهُمْ

إِلَيْهِمَا » قال أبو هُرَيْرَة ، فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ مُؤْمِنٍ يَسْمَعُ بِي ولا يَرَانِيْ أَوْ يَرَى أُمِّيْ إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّنِي .

١٠٢ ـ وَمِنَهَا قِصَّةٌ أخرَى ، مَعَ أَبِيْ هُريرةَ ، وهِيَ مَا وَرَدَ عن سَعِيْدٍ المَقْبُرِي عن أَبي هريرةَ ، قَالَ قُلْتُ يا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيْثاً كَثِيْراً فَأَنْسَاهُ ، فَقَالَ « ابْسطْ رِدَاءَكَ » ، فَبَسَطْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ « ضُمَّهُ » ، فَضَمَمْتُهُ ، فَمَا نَسِيْتُ حَدِيْثاً بَعْدُ ، رواه البخاري .

وقال الامامُ أَحْمَدُ حدثنا سُفْيَانُ ، عن الزُهْرِيْ ، عن عبدِ الرَّحمنِ الأعرجِ ، قالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَة يَقُولُ إِنَّكُم تَزْعُمُونَ اَنَ اَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الحديثَ عن رَسُولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم ، واللَّهُ المُوعِدُ إِنَّنِيْ كُنْتُ اَمْرأً مِسْكِيْناً ، أَصْحَبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مِلْءِ بَطْنِيْ ، وكَانَ المُهَاجِرُوْنَ يَشْغُلُهم الصَّفْقُ في الأَسْواقِ ، وَكَانَتْ الأنصارُ يَشْغُلُهُم القِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِم ، فَحَضَرْتُ مِن رَسُولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم يَوْماً مَجْلِساً ، فَقَالَ « مَنْ بَسَطَ رِدَاءَهُ حَتَّى اَقْضِيْ مَقَالَتِيْ ثم يَقْبِضُهُ إليه فَلَنْ يَنْسَى شَيْئاً سَمِعَهُ مِنِّيْ » فَبَسطْتُ بُرْدَةً عَلَيَّ ، حتى قَضَى مَقَالَتَهُ ، ثُمَّ قَبضْتُهَا إليَّ ، فَوالذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ، ما نَسِيْتُ شَيْئاً سَمِعْتُهُ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ .

اللهم ثَبِّت مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُوْرِ الايمانِ واجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْن وتَوَفَنا مُسْلِمِيْنَ والحِقنَا بالصالحِين واغفر لنا ولوالدينا

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إليه القَوْم وأَيْقِظْنَا من سِنة الغَفْلَةِوالنَّوم وأرزِقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ اليَوْمِ الذي يَرْبَحُ فيه المُتَّقُونَ اللَّهُمَّ وعامِلنَا بإحْسَانِكَ وَجُدْ علينا بِفَضْلِكَ وامْتِنانِكَ واجعلنا من عِبادِكَ الذين لا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، اللَّهُمَّ ارحَمْ ذُلَّنا بَيْنَ يَدَيْكَ واجعلْ رَغْبَتَنَا فِيما لَدَيْكَ ، ولا تحرمنا بِذُنوبنا ، ولا تَطْرُدْنَا بعُيوبنا ، واغفر لنا وَلِوالدينَا وَلجميع المُسْلمين الأَحياء

مُنْهُم والمَيتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَم الرَّاحِمِيْنَ وصلّى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ .

« فَصْــلٌ »

١٠٣ ـ وَمِنْهَا إِخْبَارُهُ صلى اللَّه عليه وسلم أنَّ الحَسنَ بنَ عَليٍّ وهُوَ ابنُ فاطِمَةَ يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيْمَتَيْنِ ، فَتَمَّ ذَلِكَ بِمُصَالَحَةِ الحَسَنِ لِمُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَذَلِكَ بَعْدَ وَفَاةِ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بثلاثينَ سَنَة .

١٠٤ ـ وَمِنْهَا إِخْبَارُهُ صلى اللَّهُ عليه وسلم بأنَّ عَمَّارَ بنَ ياسِرٍ تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلى الجَنَّةِ ، وَهُمْ يَدْعُونَهُ إِلى النَّار ، وَيَكُونُ آخِرُ زَادِهِ ضِيَاحاً مِنْ لَبَنٍ ، فَقَتَلَهُ أَصْحابُ مُعَاوِيَةَ بِصِفِّين ، وَهُوَ مَعَ عَليِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَكَانَ آخِرَ زَادِهِ مِن الدُّنْيَا ضِيَاحاً مِنْ لَبَنْ (والضِيَاحُ) اللَّبَنُ الخَاثِرُ يُصبُّ فِيْهِ الماءَ ثمَّ يُخْبَط .

١٠٥ ـ ومِنْهَا إخبارُهُ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم أَصْحَابَه ، وَهُمْ يَحْفِرُون الخَنْدَقَ بأنَّ اللَّه يَفْتَحُ عَلَيْهِ اليَمَنَ والشَام والمَغْرِبَ والمَشْرِق ، فَفِيْ السِّيرِ والتَّفَاسِير عن سَلمَانَ الفَارِسيْ ، قال : ضَرَبْتُ في نَاحِيَةٍ مِنَ الخَنْدَقِ ، فَغَلُظَتْ عَليَّ صَخْرَةٌ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم قَرِيْبٌ مِنِّيْ .

فَلَمَّا رَآنِيْ أَضْرِبُ ، وَرَأى شِدَّةَ المَكَانِ عَلَيَّ ، نَزَلَ فَأَخَذَ المِعْوَلَ مِن يَدِيْ ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً لَمَعَتْ تَحْتَ المِعْوَلِ بَرْقَةٌ ، قالَ ثُمَّ ضَرَبَ به ضَرْبَةً أُخْرَى ، فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ بَرْقَةٌ أُخْرَى ، قالَ ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ الثالثَةَ ، فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ بَرْقَةٌ أُخْرَى ، قال قُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذَا الذِيْ رَأَيْتُ لَمَعَ تَحْتَ المِعْوَلِ وَأَنْتَ تَضْرِبُ قالَ « أَوَ قَد رَأَيْتَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ ؟ » قالَ قلتُ : نعم .

قالَ أَمَّا الأُولَى ، فإنَّ اللَّهَ فَتَحَ عليَّ بِهَا اليَمَن ، وأمَّا الثَّانِيَةُ فإنَّ اللَّه فَتَحَ عليَّ بِهَا الشَّامَ والمَغْـرِبَ ، وأمَّا الثالثةُ فإنَّ اللَّهَ فَتَحَ عليَّ بِهَا المَشْرِقَ ، فكانَ الأَمْرُ كَمَا أَخْبَرَ عَلَى التَفْصِيْل ، فإنَّ أَوَّلَ ما فُتِحَ مِن البُلْدَانِ المذكُوْرَةِ اليَمَنُ ، فُتِحَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُوْلِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم ، وَفُتِحَتْ بَعْدَها الشَّامُ والمَغْرِبُ ، وَفَتِحَ بَعْدَ الشام المَشْرِقُ ، في مُدَّةٍ قَلِيْلَةٍ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم .

١٠٦ ـ وَمِنْهَا قِصَّةُ جَمَلِ جَابِرِ بن عَبْدِ اللَّهِ ، فَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عنه أَنَّه كَانَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ قَدْ أَعْيَا فَأَرَادَ أَنْ يُسَيِّبَه قَالَ : فَلَحِقَنِي النَّبِيُّ صلى اللَّهُ عليه وسلم فَدَعَا لِيْ وَضَرَبَهُ ، فَسَارَ سَيْراً لَمْ يسرْ مِثْلَهُ ، فَقَالَ « بِعْنِيْه بِأُوْقِيَّةٍ » قُلْتُ : لاَ . ثُمَّ قال « بِعْنِيهِ » فَبِعْتُهُ بأُوْقِيَّةٍ ، واشْتَرَطْتُ حُمْلانَهُ إلى أَهْلِيْ ، فَلمَّا بَلَغْتُ أَتَيْتُهُ بالجَمَل ، فَنَقَدَنِيْ ثَمَنَهُ ، ثم رَجَعْتُ فَأَرْسَلَ في أَثَرِي ، فقال « أَتَرَانِيْ ما كَسْتُكَ لآخُذَ جَمَلَكَ ، خُذْ جَمَلَك وَدَرَاهِمَكَ فَهُوَ لَكَ » متفق عليه .

١٠٧ ـ ومِن ذَلِكَ اخْبَارُهُ صلى اللَّهُ عليه وسلم أَصْحَابَهُ عَمَّا وَقَعَ لِخُبَيْبِ بنِ عَدِي ، فَعَنْ أبي هريرة رضيْ اللَّهُ عَنْهُ قال بَعَثَ النبي صلى اللَّهُ عليه وسلم عَشَرَةَ عَيْناً ، وأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بنَ ثابِتٍ الأَنْصَارِيْ ، جَدَّ عَاصِمِ بنِ عُمَرَ بن الخطاب ، حَتَّى إذا كَانُوا بالهَدَّةِ ، بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَةَ ، ذُكِرُوا لِحَي مِنْ هُذَيْلٍ ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُوا لِحْيَان .

فَنَفَرُوْا لَهُمْ بِقَرِيْبٍ مِن مائَةِ رَجُلٍ رَامٍ ، فاقْتَصُّوْا آثارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مأْكَلَهُم التَّمْرَ في مَنْزِلٍ نَزَلُوهُ ، فقَالُوا تَمْرُ يَثْرِب ، فاتَّبَعُوْا آثارَهُمْ ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ ، لَجَئُوْا إلى مَوْضِعٍ ، فَأَحَاطَ بِهِمُ

القَوْمُ ، فقالُوا لَهُم انْزِلُوا فأعْطُوا بِأَيْدِيْكُمْ وَلَكُم العَهْدُ والمِيْثَاقُ أنْ لاَ نَقْتُلَ منكُم أحداً ، فقال عَاصِمُ بنُ ثَابتٍ : أَيُّهَا القَوْمُ أَمَّا أَنَا فَلاَ أَنْزِلُ في ذِمَّةِ كَافِرٍ .

ثُم قَالَ : اللَّهُمَّ أخبِرْ عنَّا نَبِيَّكَ صلى اللَّهُ عليه وسلم ، فَرَمَوْهُم بالنَّبل ، فَقَتَلَوا عَاصِماً ، وَنَزَلَ إِلَيْهِم ثَلاَثَةُ نَفَرٍ ، عَلَى العَهْدِ والمِيْثَاقِ ، مِنْهُمْ خُبَيْبٌ ، وَزَيْدِ بنِ الدَّثِنَّةِ ، وَرَجُل آخَرُ ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوْا مِنْهُمْ ، أَطْلقُوْا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا ، قال الرَّجُلُ الثالِثُ ، هَذَا أَوَّلُ الغَـدْرِ ، واللَّهِ لا أَصْحَبُكُم ، إِنَّ لِيْ بِهَؤلآءِ أُسْوَةً ، يُـرِيْدُ القَتْلَى ، فَجَرَّرُوْهُ ، وَعَالَجُوْهُ ، فأبَى أن يَصْحَبَهُمْ .

فانْطَلَقُوْا بخُبَيْبٍ وَزَيْدِ بن الدَّثِنَةِ ، حَتَّى باعُوْهُمَا بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، فابْتَاعَ بَنُوْا الحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بنِ نَوْفَلَ خُبَيْباً ، وكانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ بن عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيْراً ، حَتَّى أَجْمَعُوْا عَلَى قَتْلِهِ ، فاسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الحَارِثِ مُوْسَىً ، يَسْتَحِدُ بِهَا ، فَأَعَارَتْهُ ، فَدَرجَ بُنَيٌّ لَهَا ، وَهِيَ غَافِلَةٌ حَتَّى أَتَاهُ ، فَوَجَدَتْهُ مُجْلِسَهُ على فَخِذِهِ ، والمُوسَى بِيَدِهِ .

قالَتْ فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فَقَالَ أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ ، مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ ذَلِكَ ، قَالَتْ واللَّهِ ما رَأَيْتُ أسيراً قطُّ ، خَيْراً مِن خُبَيْبٍ ، واللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْماً يَأْكُلُ قِطْفاً مِنْ عِنَبٍ في يَدِهِ ، وإِنَّهُ لَمُوثَقٌ بالحَدِيْدِ ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ ، وَكَانَتْ تَقُولُ إِنَّهُ لَرِزْقٌ رَزَقَهُ اللَّهُ خُبَيْباً .

فَلَمَّا خَرَجوا مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوه في الحِلِّ ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ دَعُونِيْ أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ، فَتَرَكُوْهُ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ، فَقَالَ لَوْلاَ أَنْ تَحْسَبوا أَنَّ ما بِيْ جَزَعٌ لَزِدْتُ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَداً ، واقْتُلْهُمْ بَدَدَا ، ولا تُبْقِ

مِنْهُمْ أَحَداً ثم أَنْشَأَ يَقُولُ :

فَلَسْتُ أُبالِي حِيْنَ أُقْتَلُ مُسْلِماً
عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ
يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

آخر:

«ولا غُرْوَ بالأَشْرافِ إِن ظَفِرَتْ بِهِمْ
كِلَابُ الأَعَادِيْ مِن فَصِيْحٍ وأَعْجَمِ»
«فَحَرْبَةُ وَحْشِي سَقَتْ حَمْزَةَ الرَّدَى
وَمَوْتَ عَلِي مِنْ حُسَامِ ابنِ مُلْجِمِ»

ثم قامَ إليه أَبُوْ سَرْوَعَةَ ، عُقْبَةُ بنُ الحَارِثِ فَقَتَلَهُ ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرَا الصَّلاةَ ، وَأَخْبَرَ النبيُّ صلى اللَّه عليه وسلم أَصْحَابه يَوْمَ أُصِيْبُوْا خَبَرَهُم ، وَبَعَثَ نَاسٌ مِن قُرَيْشٍ إلى عَاصِمِ بن ثابتٍ ، حِيْنَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ ، أَنْ يُؤْتُوْا بِشَيء مِنْه ، يُعْرَفُ ، وَكَانَ قَتَلَ رَجُلاً عَظِيْماً مِنْ عُظَمَائِهِمْ ، فَبَعَثَ اللَّهُ لِعَاصِمٍ مثَالَ الظُّلَّةِ مِن الدَّبَرِ فَحَمَتْهُ مِن رُسُلِهِم فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْطَعُوا مِنْهُ شَيْئاً ، والشَّاهِدُ في إِخْبَارِ الرَّسُوْلِ صلى اللَّه عليه وسلم أَصْحَابَهُ يومَ أُصِيْبُوْا .

١٠٨ - ومن ذلك إِخْبَارُهُ صَلى اللَّهُ عليهِ وسلم بأنَّ عَليَّ بْنَ أَبِيْ طَالِبٍ يَفْتَحُ اللَّهُ على يديه خَيْبَرَ .

ففي الصحيحن عن سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم قالَ يَوْمَ خَيْبَر « لأعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غداً رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُوْلَهُ وَيُحِبُه اللَّهُ ورسُولُهُ يَفْتَحُ اللَّهُ على يَدَيْهِ » فَبَاتَ النَّاسُ يَدوكُونَ لَيْلَتَهُم ، أَيُّهُمْ يُعطَاهَا فقال « أَيْنَ عَليُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ ؟ » فَقِيْلَ هُوَ يَشْتَكِيْ

عينيه فَأَرْسَلُو إِلَيْهِ فأُتِى بِهِ فَبَصَقَ في عَيْنَيْه وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كأنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، فأعْطَاهُ الرَّايَةَ فقال « أَنْفِذْ على رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الإِسْلامِ وأخبِرْهُم بِما يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِن حَقِّ اللَّه تعالى فِيه فَواللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً واحِداً خيرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعمِ » فَفَتَحَ اللَّهُ على يَدَيْهِ فَكَانَ كَمَا قَالَ .

١٠٩ ـ وَمِنْ ذَلِكَ نَعْيُهُ صلى اللَّهُ عليه وسلم زَيْداً ، وَجَعْفَراً وابنَ رَوَاحَةَ ، فقد رَوَى البُخاري عن أنسٍ بنِ مالكٍ أن رَسُولَ اللَّه صلى اللَّهُ عليه وسلم نَعَى زَيْداً وَجَعْفَراً وابنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ ، قَبْلَ أَنْ يأْتِي خَبَرُهُم ، فقال : « أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأصِيْبَ ، ثم أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فأصِيْبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابنُ رَوَاحَةَ فأصِيْبَ ، وعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ، حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِن سُيُوفِ اللَّهِ » يَعْنِيْ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .

شِعْرًا :

تَشَاغَلَ قَوْمُ بِدُنْيَا هُمُوْا ... وقَومُ تَخَلَّوْا لِمَوْلَاهُمُوْا
فأَلْزَمَهُمْ بَابَ مَرْضَاتِهِ ... وَعَنْ سَائِرِ الخَلْقِ أَغْنَاهُمُوْا
إِذَا ذُكِرُوْا بالذِي أسْلَفُوْا ... أَذَابَ القُلُوبَ وَأَبْكَاهُمُوْا
فما يَعْرِفُون سوى حُبِّهِ ... فَوَالَوْا الإِلهَ وَوَالَاهُمُوْا
يَصُفُّوْنَ باللَّيْلِ أقدَمَهُمْ ... وَعَيْنُ المُهَيْمِنِ تَرعَاهُمُوْا
فَطُوْبَى لَهُمْ ثُم طُوْبَى لهم ... إِذَا بِا لتّحِيَّةِ حَيَّاهُمُوْا

اللهم وَفِّقْنا لِقَوْلِ الحَقِ واتِّباعِهْ وَخَلِّصْنا مِنْ وَسَاوِسِ قُلُوبِنَا الحَامِلةِ على التَّوَرُّطِ في هُوَّةِ الباطِلِ وابْتِداعِهِ واجْعلْ إِيْمَانَنَا إِيْمَاناً خالِصاً صادِقاً قَوِيّاً وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّداً ولَا تَجْعَلْ لِفاجِرٍ علينا يَداً واجْعَلْ عيشَنَا عيْشاً رَغَداً . ولا تُشمِتْ بِنَا عَدُوّاً ولا حَاسِداً وارزُقْنا في مَحَبَّتِكَ عِلْماً نافِعاً ورِزْقاً واسعاً وعملاً مُتقبَّلاً وحِفْظاً كامِلاً وَفَهماً ذَكيّاً

وطبْعاً صَفِيّاً وأَدباً مُرْضياً واغْفِرْ لنا ولِوالِديْنا ولجميع المسلمين برحمَتِكَ يا أرحم الراحِمينَ وصلّى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجمعين .

« فَصْلٌ »

١١٠ ـ ومنها مَا وَرَدَ عن رِفاعَةَ بنِ رَافعٍ ، قال رُمِيْتُ بِسَهْمٍ يَوْمَ بَدْرٍ ففُقِئَتْ عَيْنِيْ ، فَبَصَقَ فيها رسولُ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم ، ودَعا لِيْ ، فَمَا آذانِيْ منها شيءٌ بَعْدُ .

١١١ ـ ومِن ذلك أَنَّهُ صلى اللّهُ عليه وسلم اسْتَسْقَىْ مَرَّةً ، فَقَامَ أبو لُبَابَةُ ، فقال يا رسول اللّه إنَّ التَّمْرَ في المَرَابِدِ .

فقال « اللّهُمَّ اسْقِنَا حَتَّى يَقُوْمَ أَبُوْ لُبَابَةُ عُرْياناً فَيَشُدُّ مِرْبَدَهُ بازارِهِ » فأمْطَرَتْ فاجْتَمَعُوْا إلى أَبِيْ لُبَابَةَ فقالُوا إنَّها لَنْ تُقْلِعَ حَتَّى تَقُومَ عُرياناً فَتَشُدَّ ثَعْلَبَ مِرْبَدِكَ بإزارِكَ فَفَعَلَ فأقْلَعتِ السَّمَاءُ .

١١٢ ـ ومنها قِتَالُ الملائكةِ معه صلى اللّه عليه وسلم يومَ أُحُدٍ ففي الصَّحِيْحَيْنِ عن سعدِ بنِ أبي وقاصٍ ، قال رَأَيْتُ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يَوْمَ أحد ، وَمَعَهُ رَجُلانِ يُقَاتِلانِ عنه ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيْضٌ ، كَأَشَدِّ القِتالِ ، مَا رَأَيْتُهما قَبْلُ ولا بَعْدُ .

١١٣ ـ ومنها ما وَرَدَ عَن نَافِعِ بنِ جبير ، قال سَمِعْتُ رَجُلاً مِنَ المُهَاجِرِيْنَ يَقُولُ شَهِدْتُ أُحُداً ، فَنَظَرْتُ إلى النَّبْل يأتِيْ مِنْ كلِّ ناحيةٍ ، وَرَسُولُ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم وَسَطُها ، كُلُّ ذلِكَ يُصْرَفُ عنه .

١١٤ ـ وَمِنْهَا دُعَاؤه صلى اللّه عليه وسلم لأَبي طَلْحَة وأُمّ سَلمَة ، واسْتِجَابةُ اللّهِ لِدَعْوتِه ، فَعَنْ أنسٍ رضي اللّه عنه قال : كانَ لأَبِيْ طلحة

ابنٌ يَشْتكِي فَخَرجَ أَبُو طَلْحةُ فقُبِضَ الصَّبيُّ ، فلَمَّا رَجعَ أَبُو طَلْحَةَ قالَ ما فَعَل الصَّبيُّ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ وَهِيَ أُمُّ الصَّبِي ، هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ ، فَقَرَّبَتْ لَهُ العَشَاءَ ، فتَعَشَّى ، ثم أَصَابَ مِنْها ، فَلَمَّا فرَغَ قَالَتْ : وَارُوْا الصَّبِيَّ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُوْ طَلْحَةَ ، أَتَى رَسُوْلَ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم فَأَخْبَرَهُ ، فقال أَعَرَّسْتُم اللَّيْلَةَ ، قال نَعَمْ ، قال « اللَّهمَّ بَارِكْ لَهُمَا » فَوَلَدَتْ غُلاماً ، فقال لِيْ أَبُوْ طَلْحَةَ ، احْمِلْهُ ، حَتَّى تأتِيَ بِهِ النبيَّ صلى اللَّهُ عليه وسلم ، وَبَعَثَ مَعَهُ بِتَمرَاتٍ ، فقال « أَمَعَهُ شَيْءٌ ؟ » قال : نَعَمْ ، تَمرَاتٌ ، فَأَخذَهَا النبيُّ صلى اللَّهُ عليه وسلم ، فَمَضَغَهَا ، ثُمَّ أخذَهَا مِنْ فِيهِ ، فَجَعَلَهَا في فيه الصَّبي ، ثم حَنَّكَهُ ، وَسَمَّاهُ ، عَبْدُ اللَّهِ . وفي رواية لِلبخاري قال ابنُ عُيَيْنَة فقال رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ ـ فرأيتُ تِسْعَةَ أَوْلادٍ ، كُلُّهُمْ قَدْ قَرَؤُا القُرْآنَ ، يَعْنِيْ مِن أَوْلَادِ عَبْدِ اللَّهِ المَوْلُوْدِ

١١٥ ـ وَمِنْ ذَلِكَ الكُدْيَةُ ، وَهِيَ الصَّخْرَةُ الصَّلْبَةُ ، التي لَا تَعْمَلُ فيها المَعَاوِلُ ، فَشَكَوْها إلى رسُولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم ، فَدَعَا بإناءٍ مِن مَاءٍ ، فَتَفَلَ فيهِ ثُمَّ دَعَا بِمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوْ بِهِ ، ثُمَّ نَضَحَ المُاءَ على تِلْكَ الكُدْيَةِ ، فيَقُوْلُ مَنْ حَضَرَها ، فوالذي بَعَثَه بالحقِّ نَبِيّاً لانْهَالَتْ ، حَتَّى عادَتْ كالكَثِيْبِ ، لا تَردُّ فأساً ، ولا مِسْحاةً .

١١٦ ـ وَمِنْهَا ما رواه مسلم ، عن جابر بن عبد اللَّهِ ، أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ ، فلما كان قُربَ المَدينةَ ، هاجَتْ ريحٌ شديدةٌ ، تَكَادُ أن تَدْفِنَ الرَّاكِبَ ، فَزَعَمَ أَنه صلى اللَّه عليه وسلم قال « بُعِثَتْ هَذِهِ الريحُ لِمَوْتِ مُنَافِق » فلمَّا قَدِمَ المدينةَ إذا عَظِيْمٌ مِنَ المنافقين قَدْ ماتَ .

١١٧ ـ ومنها ما رواه عبدُ اللَّهِ بنُ عَمْرو الخُزَاعِي عن أبيهِ قال دعانِيْ النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، وأرَادَ أن يَبْعَثَنِي بِمَالٍ ، إلى أَبِيْ سُفْيَانَ بمكةَ ، لِيَقْسِمَهُ في قُرَيْش ، بَعْدَ الفَتْحِ ، فقال « التَمِسْ صَاحباً » فَجَاءَنِي عَمْرو بنُ أمية الضَّمرِيْ ، فقال : بَلَغَنِيْ أَنَّكَ تُرِيْدُ الخُرُوْجَ إلى مَكَّةَ ، فَتَلْتَمِسُ صَاحباً ، قُلْتُ أَجَلْ ، قال فَأنا لَكَ صاحِبٌ .

فَجِئْتُ النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، فَقُلْتُ قَدْ وَجَدْتُ صَاحباً ، قال مَنْ ، قُلْتُ عَمْرو بن أميةَ ، قال « إذا هَبَطْتَ بِلاَدَ قَوْمِهِ ، فاحْذَرْهُ ، فإنَّهُ قَدْ قالَ القائِلُ : أَخُوْكَ البَكريُ لا تَأْمَنْهُ » فَخَرَجْنا ، حَتَّى إذا كُنَّا بالأبْوَاء ، قال إنِّيْ أرِيْدُ حَاجَةً إلى قَوْمِي ، وَوَدِدْتُ أَنْ تَلْبَثَ لِيْ قَلِيْلاً ، فَقُلْتُ انْصَرِفْ رَاشِداً ، فَلَمَّا وَلَّى ذَكَرْتُ ، قَوْلَ النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، فَشَدَدَتُ عَلَى بَعِيْري ، فَخَرَجتُ أُوْضِعهُ ، حَتَّى إذَا كُنتُ بالأَصَافِرِ ، إذَا هُوَ يُعَارِضُنِيْ في رَهْطٍ ، فَأَوْضَعْتُ ، فَسَبَقْتُه ، فَلَمَّا رَآنِيْ جَاءَنِيْ ، فقالَ قَدْ كَانَتْ لِيْ إلى قَوْمِي حَاجَةٌ ، قُلْت أَجَلْ ، وَمَضَيْنا ، حَتَّى قَدِمْنَا مكةَ ، فَدَفَعْتُ المَالَ إلى أَبِي سُفْيَان .

١١٨ ـ ومِن ذلك ما رواه البخاريْ ومسلمٌ أنَّ ابنَ مَسْعُودٍ سُئِلَ مَنْ آذَنَ النَّبيَ صلى اللَّه عليه وسلم بالجِنِّ لَيْلَةَ اسْتَمَعُوا القُرآنَ ، فقال آذَنْت بِهِمْ شَجَرَةٌ .

١١٩ ـ ومنها مَا ذَكَرَهُ أَبُو رَجَاء ، قال دَخَلَ النبيُ صلى اللَّه عليه وسلم حائِطاً لِبَعْضِ الأنصارِ ، فقال لَهُ « ما تَجْعَلُ لِيْ إن أَرْوَيْتُ حَائِطَكَ هَذا ؟ » قال لَهُ إنِّي أَجْهِدُ أَرْوِيهِ فلا أُطِيْقُ ، قال صلى اللَّه عليه وسلم « تَجْعَلُ لِيْ مائةَ تَمْرَةٍ ، اخْتَارُها مِنْ تَمْرِكَ ؟ » قال : نَعَمْ . فَأَخَذَ

الغَرْبَ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ أَرْوَاه ، حتى قال الرَّجُلُ غَرَّقْتَ علي حَائِطِي ، فاخْتَارَ مائَةَ تَمْرَةٍ ، فَأَكَلَ هُوَ وأصحابُهُ ، حتى شَبِعُوا .

ثُمَّ رَدَّ عليه مَائَةَ تَمْرَةٍ كَمَا أَخَذَها ، رواه الطبراني في الكبير .

اللهم أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا في الأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنا مِن خِزي الدنيا وعذابِ الآخرةِ واغفر لنا ولوالدينَا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصـــلٌ) ١٢٠ ـ ومنها ما رَوَاهُ البزارُ مِنْ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ تَبعَ النبيَّ صلى اللّه عليه وسلم يَوْماً ، فَجَلَسَ قال : فَجَلَسْتُ عِنْدَهُ ، فقال : « يَا أَبَا ذَر : مَا جَاءَ بِكَ ؟ » قُلْتُ اللّه وَرَسُوله ، فَجَاءَ أَبُوْ بَكْرٍ فَسَلَّم وَجَلَسَ عن يَمِيْنِه صلى اللّه عليه وسلم ، فقال له « ما جاءَ بِكَ يا أَبَا بَكْر ؟ » قال : اللّه ورسوله ، فَجَاء عُمَرُ ، فَجَلَسَ عن يَمِيْنِ أَبِيْ بكر ، فقال « يا عُمَرُ ما جاءَ بِكَ ؟ » قال : اللّه ورسوله ، ثم جاءَ عثمانُ ، فَجَلَسَ عن يَمِيْنِ عُمَر ، فقال « يا عُثْمَانُ مَا جَاءَ بِكَ ؟ » قال : اللّه ورسوله ، فَتَنَاوَلَ صلى اللّه عليه وسلم سَبْعَ حَصَيَاتٍ ، أَوْ تِسْعَ حَصَيَاتٍ ، فَسَبَّحْنَ في يَدِهِ ، حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِيْناً كَحَنِيْنِ النَّحْلِ .

ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرِسْنَ ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ في يَدِ أَبِيْ بَكْرٍ فَسَبَّحْنَ في يَدِهِ حَتَّى سَمِعْتُ لَهُن حَنِيْناً كَحَنِيْنِ النَّحْلِ ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرِسْنَ ، ثُمَّ تَنَاوَلَهُنَّ فَوَضَعَهُنَّ في يَدِ عُمرَ فَسَبَّحْنَ في يَدِهِ ، حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَ حَنِيْناً كَحَنِيْنِ النَّحْلِ ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرِسْنَ ، ثُمَّ تَنَاوَلَهُنْ فَوَضَعَهُن في يَدِ عُثمانَ ، فَسَبَّحنَ في يَدِهِ ، حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَ حَنِيْناً كَحَنِيْنِ النَّحلِ ، ثُمَّ وَضَعَهنَّ فَخَرِسْنَ ، وقال الزُّهري يَعْنِي الخِلافَة .

١٢١ ـ ومنها قِصَّة المَزَادَتَيْنِ أو السَّطِيْحَتَيْنِ فَعَنْ عِمرانَ ابن حصين أن النبي صلى اللّه عليه وسلم في بعض أسفاره وشكى إليه الناسُ مِنَ العَطَشِ فَدَعَا فُلاَناً وَدَعَا عَلِيّاً ، فقال « اذْهَبَا فابْغِيَا الماءَ » فانْطَلَقَا ، فَلَقِيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ أَوْ سَطِيْحَتَيْنِ مِنْ مَاءٍ عَلَى بَعِيْرٍ لَهَا .

فقالاَ لَهَا ، أَيْنَ الماءَ ، فَقَالَتْ عَهْدِيْ بالماءِ أَمْسِ هَذِهِ الساعةُ وَنفَرُنَا خُلُوفٌ ، قالا انْطَلِقِي إذاً قَالَتْ إلى أَيْنَ ، قالا إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، قالتْ : الذِيْ يُقالُ لَهُ الصَابِىء قالا : هُوَ الذِيْ تَعْنِيْنَ ، فانْطَلِقِيْ ، فَجَاءا بِهَا النَّبِيَّ صَلى اللّهُ عليهِ وسلم وَحَدَّثَاهُ الحديثَ ، فاسْتَنْزَلُوها عن بَعِيْرِها ، وَدَعَا صَلَّى اللّهُ عليهِ وسَلَّم باناءٍ فَأَفْرَغَ فِيْهِ مِنْ أَفْوَاهِ المَزَادَتَين ، أَوِ السَّطِيْحَتَيْنِ ، وَأَوْكَأَ أَفْوَاهَهُمَا ، واطْلَقَ العُزَالي ، فَنُودِيَ في النَّاسِ إسْقَوا ، واسْتَقُوا ، فَسَقَي مَنْ شاءَ ، واسْتَقَى مَن شَاءَ وكانَ آخِرُ ذَلِكَ أَنْ أَعْطَى رَجُلاً أَصَابَتْهُ جَنَابَةٌ إناءً مِنَ ماءٍ ، فقال « إِذْهَبْ فَأَفْرِغْهُ عَلَيْكَ » وَهِيَ قَائِمَةٌ تَنْظُرُ مَا يُفْعَلُ بِمَائِها .

وَايْمُ اللّهِ لَقَدْ أَقْلَعَ عَنْها وإنهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْنا أَنَّها أشَدُّ مَلأةً مِنْها حِيْنَ ابْتدأَ فِيها ، فقال صلى اللّه عليه وسلم « اجْمَعُوا لَهَا » فَجَمَعُوا لَهَا مِن بَيْنِ عَجْوةٍ وَدَقِيْقَةٍ وَسَوِيْقَةٍ ، حَتَّى جَمَعُوا لَهَا طَعَاماً ، فَجَعَلُوهُ في ثَوْبٍ ، وَحَمَلُوهُ عَلَى بَعِيْرِهَا وَوَضَعُوْا الثَّوبَ بَيْنَ يَدَيْها ، وقال لَهَا : تَعْلَمِيْنَ ما رَزَأنا مِنْ مَائِكَ شَيْئاً .

وَلَكِنْ اللّهُ هُو الذِي أَسْقانا ، فَأَتَتْ أَهْلَهَا وَقَدْ احْتُبِسَتْ عنهم ، وقالُوا ما حَبَسَكِ يا فُلانةُ ، قَالَتْ العَجَبُ ، لَقِيَنِي رَجُلانِ فَذَهَبَا بِيْ إلى

هَذَا الصَّابِىء ، فَفَعلَ كَذَا وَكَذَا ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لأَسْحَرُ الناسِ من بَيْنِ هَذِهِ وهَذِهِ ، تَعْنِي السماءِ إلى الأرضِ ، أَوْ إِنَّه لَرَسُوْلُ اللَّهِ حقاً ، فَكَانَ المُسْلِمُونَ بَعْدُ يَغِيْرُونَ على مَنْ حَوْلها مِن المُشْرِكِيْنَ ، ولا يُصِيْبُون القوم الذي هِيَ مِنْه .

فقالَتْ يَوْماً لِقَوْمِهَا ، ما أَرَى إِلَّا أَنَّ هؤلاءِ القومُ يَدَعُوْنَكُمْ عَمْداً ، فَهَلْ لَكُم في الإِسْلَامِ ، فَأَطَاعُوها ، فَدَخَلُوا في الإِسْلامِ ، وفي رواية قَالَتْ لَهُما هَيْهات هَيْهَاتَ لا مَاءَ لَكُم ، وفيه فَأَخْبَرَتْهُ صلى اللَّه عليه وسلم أَنَّهَا مُؤْتَمَّةٌ فَأَمَرَ بِرَاوِيَتِهَا ، فَأُنِيْخَتْ ، فَمَجَّ في العَزْلَاوَيْنِ العُلْيَاوَيْن .

ثُمَّ بَعَثَ براويَتِهَا فَشَرِبْنَا ، وَنَحْنُ أَرْبَعُوْنَ رَجُلاً ، عِطَاشاً ، حَتَّى رَوِيْنا ، وَمَلأْنا كلَّ قِرْبَةٍ مَعنا ، وإِدَاوَةٍ وَغَسَّلْنَا صَاحِبَنَا ، غَيْرَ أَنَّا لَمْ نَسْقِ بَعِيْراً ، وَهِيَ تَكَادُ تَتَضَرَّج بالمَاءِ ، يَعْنِيْ المَزَادتين ، رواه الشيخان مطولا .

١٢٢ - وَمِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ سَلَمَةَ بنَ الأَكْوَعِ ، قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النبي صلى اللَّه عليه وسلم في غَزْوَةٍ ، فَأَصَابَنَا جَهْدٌ حَتَّى هَمَمْنَا أن نَنْحَرَ بَعْضَ ظَهْرِنَا ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم فَجَمَعْنا أَزْوَادَنا ، وَبَسَط لَنا نَطْعاً ، فاجْتَمَعَ زادُ القَوْمِ عَلَى النَّطْعِ ، فَتَطَاوَلتُ لأَحْزُرَهُ كَمْ هُوَ ، فإِذَا هُوَ كَرَبْضَةِ العَنْز ، وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مائةً (١٤٠٠) فَأَكَلْنَا حتَّى شَبِعْنا جَمِيْعاً ، ثُمَّ حَشَوْنا جُرْبَنَا ، فقال صلى اللَّه عليه وسلم ، « فَهَل مِنْ وُضُوءٍ ؟ » فَجَاءَ رَجُلٌ بإِدَاوَةٍ فِيْهَا نُطْفَةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَأَفْرَغَها في قَدَحٍ ، فَتَوَضَأْنَا كُلُنا ، نُدَغْفِقُه دَغْفَقَةً . رواه الشيخان .

١٢٣ ـ وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الترمذيُ عن أَبِي هُرَيْرَة ، قال أَتَيْتُ النبي صلى اللَّه عليه وسلم يوماً بتمَرَاتٍ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَدْعُ فِيْهِنَّ بالبَرَكَةِ ، فَضَمَّهِنَ، ثم دَعَا لِيْ فِيْهِنَ ، ثم قَالَ « خُذْهُنَّ ، فاجْعَلْهُنَّ في مِزْوَدِكَ هَذَا أَوْ في المِزْوَدِ ، فَكُلَّمَا أَرَدْتَ أن تَأْخُذَ مِنهُ شَيْئاً أَدْخِلْ يَدَكَ فِيْهِ ، وَخُذْ وَلاَ تَنْثُرْهُ نَثْرًا » ففَعَلْتُ ، فَلَقَدْ حَمَلتُ مِنْ ذَلِكَ التَّمرِ كَذَا وَكَذَا مِنْ وَسَقٍ في سَبِيْلِ اللَّهِ ، فَكُنَّا نَأْكُلُ مِنْهُ وَنُطْعِمُ ، وَكَانَ لاَ يُفَارِقُ حَقوِي ، حتى كانَ يَوْم قَتْلِ عُثْمَانَ انْقَطَعَ واللَّه أعلم .

اللهم انْظمْنَا في سِلْكِ عِبَادِكَ المُفْلِحِينَ وَنَجِّنا مِن لَفَحَاتِ الْجَحِيْم واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسلمينَ الأَحْيَاءِ مِنهم والميتين برحمتكَ يا أرحمَ الرَّاحمين وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجْمعين .

« **فَصْــلٌ** » ١٢٤ ـ ومنها ما رواه الشيخان عن السائبِ بنِ يزيدَ ، قال ذَهَبَتْ بِيْ خَالَتِي إلى النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، فقَالَتْ يا رسول اللَّه ، إنَّ ابنَ أُخْتِي وَجِعٌ : فَمَسَحَ رَأْسِيْ ، وَدَعَا لِيْ بالبَرَكَةِ : فَتَوَضَأَ ، فَشَرِبْتُ مِنْ وضُوئِه ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ ، فَنَظَرْتُ إلى خاتَمِ النُّبُوَّة بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، مِثْلَ زِرِّ الحَجَلَةِ ، وقال الجُعَيْدُ ، رأيتُ السائِبَ بنَ يَزِيْدَ ، ابنَ أربع وَتِسْعِين ، جَلْداً مُعْتَدِلاً : فقالَ قَدْ عَلِمْتُ ما مُتِعتْ به سَمْعِيْ وَبَصَرِي إلاَّ بِدُعَاءِ النبي صلى اللَّه عليه وسلم .

١٢٥ ـ ومنها ما رواه الترمذي ، قال أَبُوْ زَيْدِ بن أَخْطَب ، مَسَحَ النبيُّ صلى اللَّه عليه وسلم بِيَدِهِ عَلَى وَجْهِي ، وَدَعَا لِيْ ، قال عَزْرَةُ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدَمَا عَاش عِشْرِيْنَ وَمائَةَ سَنَةٍ ، وَلَيْسَ في لِحْيَتِهِ إلاَّ شُعَيْراتٍ تُعدُّ بِيْضٌ .

١٢٦ ـ ومنها ما رواه البخاري عن أنس رضي اللَّه عنه قال : بَلَغَ

عبدُ اللّهِ بنُ سلام ، مَقْدَمُ النبي صلى اللّه عليه وسلم المَدِيْنَةَ فأتاهُ ، وَقالَ : إِنِّيْ سَائِلُكَ عَن ثَلاثٍ ، لاَ يَعْلَمُهن إلاَّ نَبِيّ ، ما أولُ أشْرَاطِ الساعةِ ، وَمَا أَوّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجنةِ ، وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الوَلَدُ إلى أَبيْهِ ، وَمِن أَيِّ شَيءٍ يَنْزِعُ إلى أَخْوالِهِ ، فقال صلى اللّه عليه وسلم « أَخْبَرَنِي بِهِنَّ آنِفاً جِبْرِيْلُ » قال : عَبدُ اللّه ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُوْدِ مِن المَلاَئِكَةِ .

« أَمَّا أَوَّلُ أَشْراطِ السَّاعةِ ، فَنارٌ تَحْشُر النَّاسَ مِن المَشْرِقِ إلى المَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُه أَهْلُ الجَنَّةِ ، فَزِيَادَةُ كَبِدِ الحُوْتِ ، وَأَمَّا الشَّبهُ في الوَلَدِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشى المَرْأَةَ فَسَبقَها ماؤُه ، كانَ الشَّبَهُ لَهُ ، وإذَا سَبَقَتْ كَانَ الشَّبَهُ لَهَا » قال أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللّهِ ، الحديث .

١٢٧ ـ ومِن ذَلِكَ إخْبَارُهُ صلى اللّهُ عليه وسلم إنَّ أُمَّتَه تَحْذُوْ حَذْوَ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ ، وَحَذْوَ مَنْ كَانَ قَبْلَهم مِن الأُمَمِ ، حَذْوَ القُذَّةِ بالقذةِ ، والنَّعْلِ بالنَّعْلِ .

وَكَانَ الأَمْرُ حَذَتْ حَذْوَهُم في الاخْتِلاَفِ ، والتَّفَرُقِ ، وارْتِكابِ المُحَرَّمَاتِ ، والإحْدَاثِ في الدِيْن ، والكَذِب ، على النبي صلى اللّه عليه وسلم حَذْوَ اليَهُودِ والنَّصَارَى .

١٢٨ ـ وَمِنْ ذَلِكَ إخْبَاره صلَّى اللّهُ عليه وسلم يَومَ هَوَازِنَ بِقَتْلِ ذِي الخُوَيْصِرَةِ ، حُرْقُوص بنِ زُهَيْرَ السَّعْدِي ، وَأَصْحَابِهِ مَارِقِيْنَ مِن الدِّيْنِ ، خَارِجِيْنَ عَلَى حِيْنِ فِرْقَةٍ من الناس .

وَحديثُهم مَذْكورٌ في بعضِ السِّيرِ ، وَكُتُبِ الحَدِيْثِ ، وَمَضْمُونُه أنَّ

ذا الخُوَيْصِرَةِ قامَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهُوَ يَقْسِمُ غَنائِمَ هَــوَزَنَ ، فقال إعْدِلْ يا مُحَمَّدُ ، فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ فقال لَهُ النبي صلى الله عليه وسلم «تَرِبَتْ يَدَاكَ فَمَنْ يَعْدِلْ إذا لَمْ أَعْدِلْ أَنَا» فَقَامَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنه ، فقال يا رسول الله إنه نَافَقَ فَمُرْنِي أَضْرِبُ عُنُقَه .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم «دَعْهُ فإِنَّ لَهُ أَصْحَاباً يَحْقِرُ أَحَدُكُم صلاتَهُ عِنْدَ صَلاَتِهِمْ وَقِرَاءَتَه عِنْدَ قِرَاءَتَهِم ، يَمْرُقُونَ مِن الدِّيْنِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهمُ من الرَّمِيَّة ، يَخْرُجُونَ على حِيْنِ فِرْقَةٍ مِنِ الناس ، يَقْتُلُهُم أَوْلَى الطَّائِفَتَيْن بالحَقِّ ، آيَتُهُمْ المُخَدَّجُ ، يَعْني ذَا الثُّدَيَّة ، فكانَ الأَمْرَ كَمَا أَخْبَرَ صلى اللَّهُ عليه وسلم ، فإِنَّ الرَّجُلَ المذكورَ وأَصْحابَهُ خَرَجُوا على أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ عَلي بن أبي طالبٍ بَعْدَ حَرْبِ صِفِّيْنِ .

فَقَتَلَهُم عَلِيٌّ رضي اللَّهُ عنه في النَّهرَوَان ، واسْتَخْرَجَ المُخَدَّجَ ذَا الثُدَيَّة ، مِن المَاءِ مَقْتُولاً، حَتَّى نَظَرَ إِليهِ الناسُ مِن عَسْكَرِه وكانُوا ما يَقْرُبُ مِن سِتيْنَ أَلْفاً ، فَكَبَّر عليٌّ حِيْنَ وَجَدَهُ ، وَسَجَدَ سَجْدَةَ شُكْرٍ ، وَكَبَّر العَسْكَرُ الذِي مَعَهُ فَرحاً وَسُرُوْراً بِمَا شَاهَدُوْهُ مِن خَبَرِ رسولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم الذِيْ وَقَعَ طِبْقَ ما قال .

١٢٩ ـ ومِن ذلكَ مَا أَخْبَرَ بِهِ في حَيَاتِهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم وَذَلِكَ مَأْخُوذُ مِن القُرآنِ ، قال تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، ما أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وما كَسَب ، سَيَصْلَىٰ ناراً ذَاتَ لَهَبٍ ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَب ، في جِيْدِهَا حبْلٌ مِنْ مَسَد ﴾ .

فَأَخْبَرَ أَنَّ عَمَّهُ أَبَا لَهَبٍ سَيَدْخُلُ النَّارَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ ، وَعَاشَا مُدَّةً ،

وَقدَّرَ اللَّهُ أَنَّهُمَا مَاتَا عَلَى شِرْكِهِمَا ، وَلَمْ يُسْلِمَا حَتَّى ولا ظَاهِراً ، وَهَذَا مِن دَلَائِل النُّبُوَةِ البَاهِرَةِ .

وَمِن ذَلِكَ مَا أَتَى بِهِ في القُرآنِ قالَ تَعالى ﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الانسُ والجِنُ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرآن لا يأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولو كان بَعْضُهم لِبَعْضٍ ظَهِيْرا ﴾ وَتَحدَّاهُمْ بِعَشْرِ سُوَرٍ ، وَبِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ ، وَأَخبرَ أَنَّهُم لَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ أَبدَا ، وَلَمْ يَقعْ ، وَلَنْ يَقعَ : صَدَقَ اللَّهُ العَظِيْم ، فهذا مِنْ المُعْجِزَاتِ البَاهِرَة .

١٣٠ ـ وقال تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الذينَ آمنُوا منكُم وعملُوا الصالحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَهُم في الأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الذينَ مِن قَبْلِهم وليمَكنن لَهُم دِيْنَهُم الذِيْ ارْتَضى لَهُمْ وَلِيُبَدِلَنَّهُم مِن بَعْدِ خَوفِهِم أَمْناً ﴾ وهكذا وَقَعَ سَواءً بِسَوَاءٍ ، مَكَّنَ اللَّهُ هَذَا الـدِيْـنَ وَأَظْهَرَهُ وَأَعْلاَهُ وَنَشَرَهُ في الآفاقِ وأَنْفَذَهُ وأَمْضَاهُ .

١٣١ ـ وقال تعالى ﴿ قل للمخلفينَ مِن الأَعْرَابِ ، سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولِي بأسٍ شَدِيدٍ ، تُقَاتِلُونَهُم أو يسلمون ﴾ ، قيل إنهم فارسُ ، وقِيلَ الرُوْمُ ، وقِيل هَوازِنُ ، وَثَقِيْفُ ، وَغَطَفَانُ ، يَوْمَ حُنَيْنٍ ، وَقِيْلَ بَنُو حَنِيْفَةَ ، قَومُ مُسَيْلِمَةَ الكَذاب ، والمُهِمُّ أنهُ وقعَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ .

١٣٢ ـ وقال تعالى ﴿ وعَدَكُم اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيْرَةً تَأْخُذُوْنَهَا فَعَجَّلَ لَكُم هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَاسِ عنكم ـ إلى قولِهِ ـ وكَانَ اللَّهُ على كل شَيْءٍ قَدِيْرا ﴾ وَسَواءٌ كان هَذَا خَيْبَرَ ، أَوْ مَكَةَ ، فَقَدْ فُتِحتْ ، وأخِذَتْ كَمَا وَقع بِهِ الوَعْدُ سَواءً بِسَوَاءٍ .

١٣٣ - وقال تعالى ﴿ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِيْنَ ، مُحَلِّقِيْنَ رُؤُوْسَكم ، وَمقَصِّرِيْنَ ، لاَ تَخافُونَ ، فَعَلِمَ مالَمْ تَعْلَمُوا ، فَجَعَلَ مِن دُوْنِ ذَلِكَ فَتحاً قَرِيْبا ﴾ فوقَعَ إِنْجازُ هَذا الوَعْدِ في سَنَةِ سَبْعٍ عامَ عُمْرَةِ القَضَاء .

١٣٤ - وقال تعالى ﴿ واذ يَعِدُكم اللَّهُ إِحْدَى الطائِفَتَينِ أَنَّهَا لَكُم ، وَتَوَدُّوْنَ أَنَّ غيرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تكونَ لَكم ﴾ فَوَقَعَ طِبْقَ ما أَخْبَرَ اللَّهُ .

١٣٥ - وقال تعالى ﴿ يا أيها النبي قُلْ لِمَنْ في أيديكُم مِن الأَسْرَى ، إِنْ يَعْلَم اللَّهُ في قُلُوبِكُم خَيْراً يُؤْتِكُم خَيْراً مِمَّا أَخَذَ مِنكم وَيَغْفِرْ لَكُم ، واللَّهُ غفورٌ رَحِيْمٌ ﴾ وهكذا وَقَعَ ، فإِنَّ اللَّهَ عَوَّضَ مَن أَسْلَمَ مِنْهُم بِخَيْرَي الدنيا والآخرة .

١٣٦ - وقال تعالى ﴿ وإن خِفْتُم عَيْلَةً ، فَسوفَ يُغْنِيكُم اللَّهُ مِن فضله إن شاءَ إن اللَّهَ عَلِيْمٌ حكيمٌ ﴾ وَهكَذا وَقَعَ عوضَهم اللَّهُ عَمَّا كانَ يَغْدو إِلَيْهِم مَعَ حُجاجِ المُشْرِكِيْنَ بِمَا شَرَعَه لَهُمْ مِن قِتَالِ أَهلِ الكِتَابِ ، وَضربِ الجزية عليهم ، وسَلْبِ أموالِ مَن قُتِلَ منهم على كُفْرِهِ ، كما وَقَع بكفارِ أَهْلِ الشامِ مِن الرُّوْمِ ، ومَجُوسِ الفُرس بالعِرَاقِ ، وغيرِهَا مِن البُلْدَانِ ، التي انْتَشَر الاسلامُ على أرجائِها .

١٣٧ - وقال تعالى ﴿ سَيَحْلِفُونَ باللَّهِ لَكُم اذا انْقَلَبْتُمْ إليهم لِتُعْرِضُوا عنهم فأعْرِضُوا عَنهم إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴾ الآية وهكذا وَقَعَ لَمَّا رَجع صلى اللَّه عليه وسلم مِن غَزْوَةِ تَبُوْكَ كانَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْهُ طَائِفَةٌ مِن المُنافِقِيْنَ فَجَعَلُوا يَحْلِفُونَ باللَّهِ ، لَقَدْ كانوا مَعذورِيْنَ في تَخَلُّفِهِم ، وَهُمْ في ذَلِكَ كاذِبُونَ ،

فَأَمرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم أن يجْرِيَ أَحْوالَهُمْ على ظَواهِرِهَا، ولا يَفْضَحْهُمْ عِندَ الناسِ .

١٣٨ ـ وقال تَعالَى ﴿ وَان كَادُوْا لَيَسْتَفِزُوْنَك من الأَرْضِ لِيُخْرِجُوْكَ مِنْهَا وَإِذاً لا يَلْبَثُون خِلاَفَك إلا قَلِيْلاً ﴾ وهكذا وَقع لَمَّا اشْتَوَرُوا عليه لِيُثْبِتُوْهُ أَوْ يَقْتُلُوهُ أَوْ يُخْرِجُوْهُ مِن بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ المُهم أنَّهُ وَقَع كَما أَخْبَرَ سَواءً بِسَواءٍ اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِمَحبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ رُسُلِكَ وَأُوْلِيَائِكَ وعِبَادِكَ الصالحين واغفر لنا ولِوالِدِينا وجُمِيْعِ المُسْلِمِيْن بِرَحْمَتِكَ يَا ارْحَمَ الرَّاحِمِين وصلى الله على محمدٍ وعلى آلِه وصحبه أجمعين .

مَــوْعِظَــة: عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ تَغَيَّرَ الناسُ اليَوْمَ في أَحْوالِهِمْ الدِيْنِيَّةِ تَغيُّراً يُدْهِشُ النَّاظِرِيْنَ هَذِهِ الصلاةُ التي هِيَ ثَانِيْ أَرْكَانِ الاسْلاَمِ وهي عَمُوْدُهُ أَعْرَض الناسُ عَنْهَا غيْرَ مُبَالِيْنَ وَلاَ نَادِمِيْنَ جَهِلُوْا مَا هِيَ الصلاةُ وَأَيُّ قِيْمَةٍ قِيْمَتُهَا وَمَا مَنْزِلَتُهَا مِن بَيْنِ سَائِرِ الطاعاتِ وَمَا عَلِمُوا أَنَّها الصِّلَةُ بَيْن العَبْدِ وَبَيْن رَبِهِ فَهِيَ خَيْرُ مَوْضُوْعٍ وُضِعَ لِلتَّقَرُّبِ إلى الرَّحْمنِ وَلِذَلِكَ هِيَ تُطَهِّرُ المُصلِي المُقِيْمِ لَهَا مِن ذُنُوبِهِ إذا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ فَعَلَيْكَ أَيُّها المُسْلِمُ أَنْ تَحْرِصْ عَلَيْهَا كُلَّ الحِرْصِ وَأَنْ تَعْتَنِيْ بِهَا كُلَّ الاعْتِنَاءِ ولا تُضَيِّعْ هَذا الوَاجِبَ العَظِيْمَ الذيْ بِأَدَائِـهِ تكونُ مِن المُؤْمِنِيْنَ المَـوْعُودِيْنَ بـالفَوز بالمَطْلُوبِ والنَّجاةِ مِن المَرْهُوبِ . وَبِتَرْكِ هَذَا الوَاجِبِ تكونُ مِن الكافِرِيْنَ المَوْعُوْدِيْن في الجَحِيْمِ أبدَ الآبِدِيْنَ فإِذَا حَانَ وَقْتُهَا فاهْتَمُوْا بِهاوتَهَيَّئُوْ لِمُناجَاةِ خَالِقِكم العَزِيْزِ الحَكِيم وَخُذُوْا زِيْنَتكُم مُمْتَثِلينَ قوله تعالى : ﴿ يا بَنِيْ آدمَ خُذُوا زِيْنَتكُم عندَ كُلِ مَسْجِدٍ ﴾ واعْتَنُوا أولاً بالطَّهَارَةِ التِيْ هِيَ مِفْتَاحُهَا ثُمَّ أَدوْهَا بِخُضُوعٍ وَخُشُوعٍ واطْمِئْنَانٍ ولا تكونوا كالذينَ يُصلُّونَ بأجْسَامِهِمْ وَيُحَرِكُونَ أَلْسِنَتهُمْ وشِفَاهَهُمْ وَيرفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ مُكبرِيْنَ وَيَحْنُون

ظُهُورَهُمْ رَاكِعِيْنَ وَسَاجِدِيْنَ ولكنَّ قُلُوبَهُمْ لم تَتَحَرَّكْ إلى اسْتِحْضَارِ عَظَمَةِ مَوْلاَهُمْ وَلَم تَتَدَبَّرْ مَعَانِيْ مَا تَلْفُظُ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ لأَنَّهَا في أَوْدِيَةِ الدُنيا سَارِحَةٌ تُفَكِّرُ في العَقَارَاتِ والمُدَايَانَاتِ والفُلَلِ والعَمَائِرِ التِيْ عَنْ قَرِيب سَيُخَلِّفُونَهَا رَغْمَ أُنُوفِهِم إذا نَظَرْتَ إلى أَحَدِهم وهو يُصَلِيْ لاهِياً في تَفْكِيْرِهِ يَعْبَثُ في ثَوبِهِ تَارَةً وفي سَاعَتِهِ تارةً وفي أَنْفِهِ تارةً وَيُنَقِّشُ سِنَّهُ تارَةً وَبَعْضُهُمْ يَلْمَسُ مَكَانَ لِحْيَتِهِ أَوْ يُصَلِّحُ مَيَازِيْبَ غُتْرَتِهِ أَوْ يُقَلِّمُ أظَفَارهُ بِأسْنَانِه . وهَكَذا حَتَّى يَخْرُج مِنْهَا صِفْراً مَا مَعَهُ مِنْهَا اللَّهُ أَعْلَمُ إلاَّ العُشْرِ وَلِهَذَا لَوْ تَأَمَّلْتَ المُؤَدِيْ لَهَا هَكَذَا رَأَيْتَ أَنْ الصَّلاةَ هَذِهِ لَمْ تُؤَثِرْ عَلَيْهِ لا فِي تَتْمِيْمِ الوَاجِبَاتِ ولا في تَرْكِ المُحَرَّمات والمَكْرُوْهَاتِ بَلْ ولا في تَخْفِيْفِها لأَنَّ الصَّلاةَ الصَحِيْحَةَ التِيْ أَقَامُهَا صَاحِبُهَا مِن شَأنها أَنَّهَا تُهَذِّبُ النَّفْسَ وَتُرَقِّقُ الخُلُقَ وَتَنهَى عن الفَحْشَاءِ والمُنْكرِ .

فإذَا رَأَيْنَا إِنْسَاناً يُصَلِّي لَكِنَّهُ يَأْكُلُ الرِّبَا وَيَحْضُرُ المَلاهِيْ والمُنْكَرَات أَوْ يَبِيْعَهَا أَوْ يَشْتَرِيْهَا أَوْ رَأَيْنَاهُ مَعَ السُفَلِ الذينَ يُلاحِقُونَ النِساء في الأَسْوَاقِ أَوْرَأَيْنَاهُ يُجَاهِرُ بالمَعَاصِي مِن شُرْبِ دخَّانٍ بَيْنَ الناسِ أَوْ يَحْلِقُ لِحْيَتَهُ أَوْ يَحْلِقُ لِحَاءَ الناسِ أَوْ يَجْعَلُ خَنَافِسَ أَوْ يَرْتَشِيْ أَوْ يَحْمِلُ النِسَاء بِدُوْنِ مَحْرَمٍ أَوْ يَخْلُوْ بِهِنَّ بِدُوْنِ مَحْرَمٍ أَوْ يُصَوِّرْ لِذَوَاتِ الأَرْوَاحِ أَوْ يَبِيْعُ الصُّوَرَ أَوْ يَسْخَرُ بالمُسْلِمِيْنَ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ مِن المَعَاصِيْ والمُنكَرَاتِ عَلِمْنَا أَنَّ هَذِه الصَّلاةِ التِيْ يُصَلِّيْ أَنَّها لَمْ تَنْهَهُ صَلاَتُهُ عَن الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ فَلَمْ يَزْدَدْ مِن اللَّهِ إلا بُعْدَاً وَرُبَّمَا كَانَ المُتَّصِفُ بِشَيْءٍ مِن الصِّفَاتِ السَّابِقَةِ مَعَ صَلاتِهِ أَنَّهُ يَكِيْدُ بِهَا الناسَ وَيَتخِذُهَا أُحْبُولة يَتَصَيَّدُ بها ثَنَاءَ الناسِ عَلَيْهِ أَوْ لِلْحُصُولِ عَلى شَيْءٍ مِنَ الدُنْيَا قال بَعْضُهُمْ في مُصَلٍ يَتَصَيَّدُ بِصَلاَتِهِ الدُّنْيَا.

ذِئبُ رَأَيْتُ مُصَلِّياً
فَإِذَا مَرَرْتُ بِهِ رَكَعْ

يَدْعُوْ وَجُلُّ دُعَائِهِ
مَا لِلْفَرِيْسَةِ لَا تَقَعْ
عَجِّلْ بِهَا عَجِّلْ بِهَا
إِنَّ الفُؤَادَ قَدْ انْصَدَعْ

ويقول الآخر :

إِذَا رَامَ كَيْداً بِالصلاةِ مُقِيْمُهَا
فَتَارِكُها سَهْواً إِلَى اللهِ أَقْرَبُ

آخر :

مَوَاعِظُ الوَاعِظِ لَنْ تُقْبَلَا حَتَّى يَعِيهَا قَلْبُهُ أَوَّلَا
يَاقَوْم لَا أَظْلَمَ مِنْ وَاعِظٍ خَالَفَ مَا قد قَالَهُ في المَلَا
أَظْهَرَ لِلنَّاسِ إِحْسَانَهُ وَبَارَزَ الرَّحْمنَ لَمَّا خَلَا

آخر : أَظْهَرُوْا للناس زُهْداً وعَلَى الدِيْنَار دَارُوْا
ولَهُ صلُّوا وَصَامُوْا وَلَهُ حَجُّوْا وَزَارُوْا
لو يُرَى فَوقَ الثُرَيَّا وَلَهُمُ رِيْشُ لَطَارُوْا

١٣٩ ـ وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ مِن أَنَّ سَبَبَ نُزُوْلِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم ﴿ قل يَا أَيُّهَا الكَفِرُوْنَ ﴾ إلى آخر السورةِ ، هُوَ أَنَّ رَهْطاً مِن قُرَيْشٍ مِنْهُمُ الحَارِثُ بَنُ قَيْسٍ السَّهْمِيْ ، والعَاصُ بنُ وَائِلٍ ، والوليدُ بنُ المُغيرَة ، والأَسْوَدُ بنُ عَبدِ يَغُوثَ ، والأسودُ بنُ المُطَّلب بن أُسد ، وأَميَّةُ بنُ خلَفٍ ، قالوا : يَا مُحَمَّدُ هَلُمَ فاتَبعْ دِيْنَنا وَنَتَّبعُ دِيْنَك ، وَنُشْرِكُكَ في أَمْرِنا كُلِّهِ تَعْبُدُ آلِهَتَنا سَنَةً وَنَعْبُدُ إِلهكَ سَنَةً ، فإِنْ كَانَ الذِيْ

جِئْتَ بِهِ خَيْراً كُنَّا قَدْ شَرِكْنَاكَ فِيْهِ ، وَأخذنَا حَظَّنَا مِنْهُ، وإنْ كانَ الذِيْ بِأيْدِيْنَا خَيْراً كُنْت قَدْ شَرِكْتَنا فِيْهِ ، وأَخَذْتَ بِحَظِّكَ مِنْهُ .

فَقَالَ « مَعَاذَ اللَّهِ أنْ أُشْرِكَ بِهِ غَيْرَهُ » قَالُوا : فاسْتَلِمْ بَعْضَ آلِهَتِنَا ، نُصَدِّقُكَ وَنَعْبُدُ إلهَكَ . فقال لا حَتَّى أنْظُرَ ما يَأْتِيْنِيْ مِنْ عِنْدِ رَبِّيْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ الى آخر السورة ، فكانَ كَمَا قال صلى اللَّهُ عليه وسلمَ فَلَمْ يَتْبَعْهُمْ ولم نَتْبَعُوْهُ في عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ .

١٤٠ ـ وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَعَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ بِهِ أَصْحَابَهُ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ والأنْصَارِ في حَالِ ضَعْفِهِمْ ، مِن أَنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُهُمْ وَيُمَكِّنُهُمْ ، وَيُقَوِّيْهِمْ ، وَيُظْهِرُهُمْ ، فَيُقِيْمُونَ الصلاةَ ، وَيُؤْتُونَ الزكاةَ ، ويأمرونَ بالمَعْرُوْفِ ، وَيَنْهَونَ عن المُنْكَرِ ، وَتَكونُ العُقْبَى لَهُمْ ، وَتَلا بِذَلِكَ القُرآنَ .

فقال عَزَّ مِن قَائِلٍ ﴿ أُذِنَ لِلذِيْنَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ على نَصْرِهِم لَقَدِيْرٌ ﴾ ـ إلى قولهِ ـ الـذينَ إنْ مَكَّنَاهُمْ في الأرضِ أقَامُوا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ وأَمَرُوا بالمعروفِ وَنَهَوْا عن المُنْكـرِ ولِلّهِ عاقبـةُ الأمور ﴾ فَتَمَكَّنَ أَصْحَابُهُ وَخُلَفَاؤُهُ ، وأقامُوا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ ، وأمروا بـالمعروف، ونهوا عن المنكرِ ، وكانَتِ العُقْبَى لَهُمْ ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ الصَّادِقُ المَصْدُوْقُ صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عَلَيْهِ .

١٤١ ـ ومِن ذَلِكَ إلْقَاءُ النُّعَاسِ عَلَى المُجَاهِدِيْنَ مَعَ رَسُوْلِ الله صلَّى اللَّهُ عليهِ وَسَلَّم أماناً أَمَّنَهُمْ اللَّهُ بِهِ مِن خَوْفِهِمْ الذِيْ حَصَلَ لَهُمْ مِن

كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ ، وَقِلَّةِ عَدَدِهِمْ ، وكذلك فَعَلَ بِهِمْ يَوْمَ أُحُدٍ : قال تعالى ﴿ إِذْ يُغَشِّيْكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ ﴾ والآية الأخرى .

ومِنْ ذلِكَ تَقْلِيْلُ المُجَاهِدِيْنَ مَعَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أَعْيُنِ المُشْرِكِيْنَ وَتَقْلِيْلِ المُشْرِكِيْنَ في أَعْيُنِ المُؤْمِنِيْنَ لِيُقْدِمَ المُؤْمِنُوْنَ وَيَتَجرُّؤا ويَطْمَعُوا فِيْهِمْ وَلِئَلا يَهْرَبَ المشركُونَ : قال تعالى ﴿ وإذْ يُرِيْكُمُوهُمُ إذ التَقَيْتُم في أَعْيُنِكُم قِليلاً وَيُقَلِلُكُم في أعينهم ﴾ .

١٤٢ ـ ومِنْ ذَلِكَ إِنْزَالُ المَطَرِ عَلَى المُجَاهِدِيْنَ مَعَ النبي صلى اللَّهُ عليه وسلم ، فَأَطْفَأَ الغُبَارَ ، وَتَلَبَّدَتْ بِهِ الأَرضُ ، حَتى ثَبَتَتْ الأَقْدَام ، وَتَوَضؤُا مِنْهُ ، وَسَقَوا الرِّكَابَ ، وَمَلؤُا الأَسْقِيَةَ وَزَالَتْ عَنْهُمْ وَسوَسَةُ الشَّيْطَانِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَزلُوا يَوْمَ بَدْرٍ عَلَى كَثِيْبٍ أَعْفَرَ ، تَسِيْخُ فِيْهِ الأَقْدَامُ ، وَحَوافِرُ الدَّوَابِ ، وقد سَبَقَهُمْ الكُفَّارُ إلى مَاءِ بَدْرٍ ، وَأَصْبَحَ المُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ مُحْدِثِيْنَ ، وَبَعْضُهُمْ مُجْنِبِيْنَ ، وَأَصَابَهُمْ الظَّمَأُ ، وَوَسْوَسَ إِلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ، وقالَ : تَزْعُمونَ أَنَّكُم عَلَى الحَقِّ ، وفِيْكُمْ نَبِيُ اللَّهِ ، وَأَنَّكُم أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ، وَقَدْ غَلَبَكُمْ المُشْرِكُونَ عَلَى المَاءِ ، وَأَنْتُم تُصَلُّوْنَ مُجْنِبِيْنَ ، وَمُحْدِثِيْنَ ، فَكَيْفَ تَرْجُوْنَ أَنْ تَظْهَرُوْا عَلَيْهِمْ ، وَأَصَابَ المُشْرِكِيْنَ مِن ذَلِكَ المَطَرِ مَا لَمْ يَقْدِرُوْا عَلَى أَنْ يَرْحَلُوا مَعَهُ .

١٤٣ ـ وَمِنْ ذَلِكَ مَا نَزَلَ في رِجَالٍ بِأَعْيَانِهِمْ ، مِن أَنَّهُمْ يُصِرُّوْنَ عَلَى كُفْرِهِمْ إلى أَنْ يَمُوْتُوْا ، مِنْ ذَلِكَ مَا نَزَلَ في أَبِيْ جَهْلٍ ﴿ فَلا صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴾ فقال أَبو جَهْلٍ : أَتُوْعِدُنِيْ يا مُحَمَّدُ ، واللَّهِ ما تَسْتَطِيْعُ أَنْتَ ولا رَبُّكَ أَنْ تَفْعلَ شَيْئاً وَإِنِّيْ لأَعزُّ مَنْ مَشَي بَيْنَ

جَبَلَيْهَا فَلَمَا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ صَرعَهُ اللَّهُ شَرَّ مَصرَعٍ ، وَقَتَلَهُ أَسْوَأَ قَتْلَةٍ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إن لِكُلِّ أُمَّةٍ فِرْعَوْناً وَإِنَّ فِرْعَونَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُوْ جَهْلٍ » وَنَزَلَ فِي أَبِيْ جَهْلٍ قولُه تَعَالى ﴿ إن شَجَرَةِ الزَّقُومِ طَعَامُ الأَثِيْمِ كالمُهْلِ يَغْلِيْ فِي البُطُونِ ، كَغَلي الحَمِيْمِ ﴾ ذَكَرَ ذَلِكَ غيرُ وَاحِدٍ مِن المُفَسِّرِيْنَ .

١٤٤ ـ ومنها قِصَّةُ البَكَّاؤُوْنَ الذينَ اسْتَحْمَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى اللهُ عليه وسلم وكانُوا أَهْلَ حَاجَةٍ فقالَ لَا أَجِدُ مَا أَحمِلُكُمْ عليه فَتَوَلَّوْا يَبْكُونَ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيْضُ مِن الدَّمْعِ حَزَنَاً أَلاّ يَجِدُوْا ما يُنْفِقُون .

وقامَ عُلَيَّةُ بنُ يَزِيْدٍ فَصَلى مِن اللَّيْلِ وَبَكَى وقالَ اللَّهُمَّ إنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بالجِهَادِ وَرَغَّبْتَ فِيْهِ ثُمَّ لَمْ تَجْعَلْ عِنْدِي ما أَتَقَوَّى بِهِ مَعَ رَسُولِكَ ولم تَجْعَلْ فِي يَدِ رَسُولِكَ مَا يَحْمِلُنِي عليه وَإِنِّي أَتَصَدَّقُ على كُلِّ مُسْلِمٍ بِكُلِّ مَظْلَمَةٍ أَصَابَنِي فِيْهَا مِنْ مَالٍ أَو جَسَدٍ أَوْ عِرْضٍ .

ثم أَصْبَحَ مُعَ الناسِ فقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم : أَيْنَ المُتَصَدِّقُ هَذِهِ الليلةَ فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ أَيْنَ المُتَصَدِّقُ فَلْيَقُمْ فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ فقال النَّبِيُّ صَلى اللَّهُ عليه وسلم : أَبْشِرْ فَوَالذِيْ نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ كُتِبَتْ فِي الزَّكَاةِ المُتَقَبَّلَةِ ففي هَذا مُعْجِزَةٌ مِن مُعْجِزاتِهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم لأَنَّ هَذَا غَيْبٌ أَعْلَمَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم .

١٤٥ ـ ومنها ما رُوِيَ أَنَّهُ قِيْلَ لِعُمَرَ بنِ الخَطابِ رَضِيَ اللهُ عنه حَدِّثْنَا عن شَأْنِ سَاعَةِ العُسْرَةِ فقال عُمَرُ خَرَجْنَا إلى تَبُوكَ في قَيْضٍ شَدِيْدٍ فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً وأصابنا فيهِ عَطَشٌ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ وَحَتَّى إنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيْرَهُ فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ فَيَشْرَبَهُ ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِي عَلَى كَبِدِهِ .

فقالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ اللهِ قَدْ عَوَّدَكَ في الدُّعَاءِ خَيْرَاً فادْعُ اللهَ لَنَا فقالَ أَوَ تُحِبُّ ذلكَ قَالَ نَعَمْ فَرَفَعَ رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم يَدَيْهِ إلى السَّمَاءِ فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حتَّى قالَتِ السَّماءُ - أيْ آذَنَتْ بِمَطَرٍ فأطللَّتْ ثُم سَكَبَتْ فَمَلَؤُا ما مَعَهُم ثُمَ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ فَلَمْ نَرَهَا جَاوَزَتْ العَسْكَرَ .

١٤٦ - ومنها حِيْنَمَا ظَلَّتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم بِبَعْضِ الطَّرِيْقِ فَخَرَجَ أَصْحَابُهُ في طَلَبِهَا وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ مِن بَعْضِ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ عَمَارَةُ ابنُ حَزْم الأنصاري .

وكان في رَحْلِهِ زَيْدُ بنُ لُصَيْتٍ القَيْنُقَاعي وكان مُنَافِقاً فقال زَيْدُ بنُ لُصَيْتٍ وَهُوَ في رَحْلِ عَمَارَةَ وَعَمَارَةُ عندَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : أَلَيْسَ يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنْ يُخْبِرُكُمْ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لا يَدْرِيْ أَيْنَ نَاقَتِهِ .

فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وَعَمَارَةُ عِنْدَهُ إنَّ رَجُلاً قال إنَّ مُحَمَّداً يُخْبِرُكُم أَنَّهُ نَبِيٌّ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنْ يُخْبِرَكُمْ بِخَبَرِ السَّماءِ وَهُوَ لا يَدْرِيْ أَيْنَ نَاقَتُهُ وإنِّي واللهِ ما أَعْلَمُ إلَّا مَا أَعْلَمَنِيْ اللهُ وقَدْ دَلَّنِي اللهُ عَلَيْهَا وَهِي في الوَادِيْ في شِعْب كَذَا وكَذَا قَدْ حَبَسَتْها شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا فانْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا بِهَا .

فَذَهَبُوا فَجَاؤُا بِهَا وَقَدْ وَجدَهَا الحَارِثُ بنُ خَزْمَةَ الأَشْهَلِي كَمَا قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فقال زَيْدُ لَكَأَنِّي لَمْ أُسْلِمْ إلَّا اليَوْمَ فَقَدْ كُنْتُ شَاكاً في مُحَمَّدٍ وقد أَصْبَحْتُ وأنا فِيْهِ ذُوْ بَصِيْرَةٍ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ .اللهم ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَثَبِّتْنَا على قَوْلِكَ الثابِتِ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفي الآخِرَةِ واغفر لنا ولِوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فَصْــلٌ »

١٤٧ ـ وَمنها أَنَّه لَمَّا مَضَى رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم سَائِراً فَجَعَلَ يَتَخَلَّفُ عنه الرَّجُلُ فيَقُولُونَ يا رسولَ اللهِ تَخَلَّفَ فُلَانٌ فيقولُ دَعُوهُ فإن يَكُ فِيْهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللهُ بِكُمْ وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَراحَكُم اللهُ منه حَتَّى قِيْلَ يا رسولَ الله تَخَلَّفَ أَبُو ذَرٍ وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيْرُهُ فَقَالَ دَعُوْهُ فإِنَّ يَكُ فِيْهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللهُ بِكُم وانْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُم اللهُ مِنه .

وَتَلوَّمَ أَبُو ذَرٍّ عَلَى بَعِيْرِهِ فَلَّمَا أَبْطَأَ عَلَيْهِ بَعِيْرُهُ ـ أَيْ انْقَطَعَ ـ أَخَذَ المَتَاعَ مِن عَلَيْهِ فَحَمَلهُ على ظَهْرِهِ ثُمَّ خَرجَ يَتْبَعُ أَثْرَ رَسُول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مَاشِياً وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلم مَنَازِلَهُ فَنَظَرَ ناظِرٌ مِن المُسْلِمِيْنَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هَذا رَجُلٌ يَمْشِيْ عَلَى الطَّرِيْقِ وَحْدَهُ .

فقال رسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كُنْ أَبَا ذَرٍ فَلَمَّا تَأَمَّلُهُ القومُ قالُوا يا رَسُولَ اللهِ هُوَ ـ واللهِ أَبُو ذَرٍ فقالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَحِمَ اللهُ أَبَا ذَرٍ يَمْشِيْ وَحْدَهُ ويَمُوتُ وَحْدَهُ وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ وَقَدْ تَحَقَّقَ قَولُه صلى اللهُ عليه وسلم فإِنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عنه لَمَّا نَفَى أَبَا ذَرٍ نَزَلَ أَبُو ذَرٍ الرَّبْذَةَ فَأَصَابَهُ بِهَا قَدَرُهُ ولم يَكُنْ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُهُ وَغُلَامُهُ فأَوْصَاهُمَا أَنْ غَسّلَانِي وَكَفناني .

ثم ضعانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيْقِ فَأَوَّلُ رَكْبٍ يَمُرُّ بِكُمْ فَقُولُوا لَهُ هَذَا أَبُو ذَرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فاعِيْنُوْنَا عَلَى دَفْنِهِ فَلَمَّا مَاتَ فَعَلَا ذَلِكَ بِهِ ثُمَّ وَضَعَاهُ على قَارِعَةِ الطريق .

فأَقْبَلَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَرَهْطٌ مَعَهُ مِن أَهْلِ العِرَاقِ عُمَّاراً فَلَمْ يَرُعْهُمْ إِلَّا جَنَازَةٌ عَلَى الطَّرِيْق قَد كَادَت الابلُ تَطَؤُهَا

وَقَامَ الغُلَامُ فقال هَذَا أَبُو ذَرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَأَعِيْنُوْنَا على دَفْنِهِ .

فاسْتَهَل عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ يَبْكِيْ وَيَقُولُ صَدَقَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « تَمْشِيْ وَحْدَكَ وَتَمُوتُ وَحْدَكَ وَتُبْعَثُ وَحْدَكَ » .

ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَوَارَوْهُ ثُمَّ حَدَّثَهُمْ ابنُ مَسْعُودٍ حَدِيْثَهُ وما قالَهُ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلىٰ اللهُ عليه وسلم في مَسِيْرِهِ إِلَى تَبُوكَ واسْمُ أَبِي ذَرٍ « جُنْدُبُ بنُ جُنَادَةَ » وماتَ في سَنَةِ ٣٢هـ.

وذكرَ أَبُو حَاتِمٍ بنُ حِبّان في صَحِيْحِهِ وغَيْرُهُ في قِصَّةِ وَفَاتِهِ عن مُجَاهِدٍ عن ابراهيمَ بنِ الأشْتَرِ عن أبِيْهِ عن أمّ ذَرٍ قالَتْ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا ذَرٍ الوَفَاةُ بَكَيْتُ فقالَ مَا يُبْكِيْكِ فَقُلْتُ مَا لِيْ لَا أَبْكِي وَأَنْتَ تَمُوْتُ بِفَلاةٍ مِن الأَرْضِ وَلَيْسَ عِنْدِيْ ثَوْبٌ يَسعُكَ كَفَناً ولا يَدَانِ لِيْ في تَغْيِيْبِكَ .

قال أَبْشِرِيْ ولا تَبْكِي فإِنِّيْ سَمِعْتُ رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم يَقُولُ لِنَفَر أَنا فِيهِمْ لَيَمُوْتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِفَلاةٍ مِن الأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابةٌ مِن المُسْلِمِيْنَ وَلَيْسَ أَحَدٌ منْ أولَئِكَ النَّفر إلَّا وَقَدْ مَاتَ في قَرْيَةٍ وَجَمَاعَةٍ فَأَنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ فَواللهِ ما كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْتُ فَأَبْصِرِيْ الطَّرِيْقَ فَقُلْتُ أَنَّي وَقَدْ ذَهَبَ الحَاجُّ وَتَقَطَّعَتِ الطُّرُقُ .

فقال أذْهَبِيْ فَتَبَصَّرِيْ قَالَتْ فَكُنْتُ أَشْتَدُّ إلى الكَثِيْبِ أَتَبَصَّرُ ثم أَرْجِعُ فأُمرضُهُ فَبَيْنَا أنا وَهُو كَذَلِكَ إِذَا أنا بِرِجَالٍ على رِحَالِهِمْ كَأَنَّهُمْ الرَّخَمُ تَخبُّ بِهِمْ رَوَاحِلُهُمْ قَالَتْ فَأَشَرْتُ إِلَيْهِمْ فَأَسْرَعُوْا إليَّ حَتَّى وَقفُوْا عَلَيَّ .

فقالُوا يا أَمَةَ اللهِ مَا لَكِ قُلْتُ امْرُؤٌ مِن المُسْلِمينَ يَمُوتُ قالُوا وَمَنْ هُوَ قُلْتُ أبُو ذَرٍ قالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قُلْتُ نَعَمْ فَفَدَّوْهُ بِآبَائِهِمْ وأُمَّهَاتِهِمْ وَأَسْرَعُوا إِلَيْهِ حَتَّى دَخلُوا عَلَيْهِ .

فقالَ لَهُمْ أَبْشِرُوْا فإِنِّيْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم يقولُ لِنَفرٍ أَنَا فِيْهِم لَيَمُوْتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بفلاَةٍ من الأَرْضِ يَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِن المؤمنيْنَ وَلَيْس مِن أولئكَ النَّفَرِ رَجُلٌ إلاَّ وقد هَلَكَ في جَمَاعَةٍ .

واللهِ ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ وإِنَّهُ لَوْ كَانَ عِنْدِيْ ثَوْبٌ يَسَعُنِيْ كَفناً لِي أَوْ لامْرَأَتِي لَمْ أُكَفَّنْ إلاَّ فِي ثَوْبٍ هُوَ لِيْ أَوْ لَهَا وَإِنِّيْ أَنْشُدُكُمُ اللهَ أَنْ لا يُكَفِّنَنِيْ رَجُلٌ مِنْكُم كانَ أَميراً أَوْ عَرِيْفاً أَو بَرِيْداً أَوْ نَقِيْباً وَلَيْسَ مِن أَولئك النَّفَرِ أَحدٌ إِلا وَقَدْ قارَفَ بَعْضَ مَا قَالَ إِلا فتىً مِن الأَنْصَارِ .

قالَ أَنَا أَكَفِّنُكَ يَا عَمُّ أُكَفِّنُكَ في رِدَائِي هَذَا وَفي ثَوْبَيْنِ مِن عَيْبَتِي مِن غَزْلِ أُمِّيْ قالَ فأَنْتَ تُكَفِّنُنِي فَكَفَّنَهُ الأَنْصَارِيُ وَقامُوْا عليهِ وَدَفَنُوهُ في نَفَرَ كُل يمان فَفِيْ هَذِهِ مُعْجِزَةٌ .

١٤٨ ـ وَمِنْهَا مَا ذَكَرَهُ ابنُ اسْحَاقَ مِن أَنَّ أبا خَيْثَمَةَ رَجَعَ ـ بَعْدَ مَا سَارَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم أَيَّاماً إِلى أَهْلِهِ في يَوْمٍ حَارٍ فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ في عَرِيْشٍ لَهُمَا في حَائِطِهِ قَدْ رَشَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيْشَهَا وَبَرَّدَتْ لَهُ فِيْهِ مَاءً وهَيَأَتْ لَهُ فِيْهِ طَعَاماً .

فلمَّا دَخلَ قَامَ عَلَى بَابِ العَرِيْشِ فَنَظَر إِلى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عليه وسلم في الضَّحِّ ـ لَهَبِ الشَّمْسِ وَحَرَارَتِهَا ـ والرِّيْحُ والحَرُّ وَأَبُو خَيْثَمَةَ في ظِلٍّ بَارِدٍ وطعامٍ مُهَيَاٍ وامْرَأَةٍ

حَسْنَاءَ في مَالِهِ مُقِيْمٌ مَا هَذَا بالنَّصَفِ والعَدْلِ .

ثم قَالَ واللهِ لاَ أَدْخُلُ عَرِيْشَ وَاحِدَةٍ منْكُمَا حَتَّى أَلْحَقَ برسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَهَيئَآ لِيْ زاداً فَفَعَلَتَا ثُمَّ قَدَّمَ ناضِحَهُ فارْتَحَلَهُ ـ أيْ أَحْضَرَ جَمَلَهُ فَوَضَعَ عليهِ الرَّحْلَ وأَعدَّهُ للسَّفرِ ـ

ثم خَرَجَ في طَلَبِ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم حتى أَدْرَكَهُ حِيْنَ نَزَلَ تَبُوْكَ وكان عِنْدَمَا أَقْبَلَ قالَ النَّاسُ هَذَا رَاكِبٌ على الطَّرِيقِ فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ .

فقالُوا يَا رَسولَ اللهِ هُوَ واللهِ أَبُو خَيْثَمَةَ فَلَمَّا أناخَ رَاحِلَتَهُ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ على رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وَأَخْبَرَ خَبَرَهُ فقال لَهُ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم خَيْراً وَدَعا لَهُ بِخَيْرٍ وفي هَذِهِ مُعْجِزَة .

١٤٩ ـ وَمنها ما ذُكِرَ من أَنَّ جَمَاعَةً مِن المُنَافِقِيْنَ مِنْهُم وَدِيْعَةُ بنُ ثابِتٍ ومنهم مَخْشِيُ بنُ حِمْيرٍ قال بَعضُهُمْ لِبَعْضٍ أَتَحْسَبُونَ جِلادَ بَنِيْ الأَصْفَرِ كَقِتَالِ العَرَبِ بَعْضِهِمْ بَعْضا واللهِ لَكَأَنَّكُمْ غَداً مُقَرَّنِيْنَ في الحِبَالِ إِرْجَافاً وارْهَاباً لِلْمُؤْمِنِيْنَ .

فقالَ مَخْشِيْ واللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقَاضَي على أَنْ يُضْرَبَ كُلٌّ مِنَّا مائَةَ جَلْدَةٍ وَأَنا نَنْقَلِبُ قَبْلَ أَنْ يَنزِلَ فِيْنَا قُرْآنٌ لِمَقالَتِكُم هَذِه وقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ « أَدْرِكِ القَوْمَ فإِنَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوا فَسَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا فَإِنْ أَنْكَرُوْا فَقُلْ بَلَى قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا فَانْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عَمَّارٌ فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ .

فأَتَوْا رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَعْتَذِرُون إِلَيْهِ فَقَالَ وَدِيْعَةُ بنُ ثَابِتٍ كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ فَأَنْزَلَ اللهُ فِيْهِمْ « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم لَيَقُولَنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَب » فقالَ مَخْشِيُ بنُ حِمْيرٍ : يا رسولَ اللهِ قَعَدَ بِي اسْمِيْ واسْمُ أَبِيْ فَكَانَ الذي عَفَا عَنْهُ في هَذِهِ الآيةِ وَتَسَمَّى عَبدُ الرحمنِ وسأَل اللهَ أَنْ يُقْتَلَ شَهِيْداً لا يُعْلَمُ بِمَكَانِهِ فَقُتِلَ يومَ اليَمَامَةِ فَلَمْ يُوْجِدْ لَهُ أَثَرٌ ، فَفِي هَذِهِ القِصَّة مُعْجِزَةٌ أيضاً .

١٥٠ ـ وَمِنْهَا ما ذَكَرَهُ ابنُ عَائِذٍ في مَغَازِيْهِ مِن أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم نَزَلَ تَبُوكَ في زَمَانٍ قَلَّ مَاؤُهَا فيهِ فاغْتَرَفَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم غُرْفَةً بِيَدِهِ مِن مَاءٍ فَمَضْمَضَ بِهَا فَاهُ ثُمَّ بَصَقَهُ فِيْهَا فَفَارَتْ عَيْنُهَا حَتَّى امْتَلأَتْ فَهِيَ كَذَلِكَ حَتى السَاعَة .

قُلْتُ : في صحيحِ مُسْلمٍ : أَنَّهُ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْهَا قَالَ إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غداً إِنْ شَاءَ اللهُ تعالى ـ عَيْنَ تَبُوْكَ وإِنَّكُم لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِي النهارُ فَمَنْ جاءَهَا فلا يَمَسَّ مِن مَائِهَا شَيْئاً حَتَّى آتِي .

قال فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَ إِلَيْهَا رَجُلَانِ وَالعَيْنُ مِثْلَ الشِّرَاكِ تَبُضُ بِشَيءٍ مِنْ مَائِهَا فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم هَلْ مَسَسْتُمَا مِن مَائِهَا شَيْئاً قالا نَعَمْ .

فَسَبَّهُمَا وقالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ غَرَفُوْا مِن العَيْنِ قَلِيْلاً قَلِيْلاً حَتَّى اجْتَمَعَ في شَيْءٍ ثُمَّ غَسَل رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسَلَّمَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ ثم أَعَادَهُ فِيْهَا فَجرَتِ العَيْنُ بِمَاءٍ كَثِيْرٍ فاسْتَقَى الناسُ فَفِيْ هَذِهِ مُعْجِزَةٌ واضحة .

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَن يُحِبُكَ وَحُبَّ العَمَلِ الذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى حُبِّكَ اللَّهم أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفِّقْنَا لِشُكْرِكَ وَاحْفَظْنَا مِن الاَغْتِرَارِ بالدُنيَا والهَوَى والنَّفْسِ وَعَدُوِّكَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحمَ

الراحمين إنك وَلِيُّ ذَلِكَ والقادِرُ عليه وصلى اللهُ على محمدٍ وآلِه وصحبه وسلم .

« فَصْـــلٌ » ١٥١ ـ وَمِنْهَا قِصَّةُ أَبِي رِغَالٍ لِمَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ أَنَّ النبيَ صَلى اللهُ عليه وسلم قالَ هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ وآيَةُ ذلكَ أَنَّ مَعَهُ غُصْناً مِن ذَهَبٍ إِنْ رَأَيْتُمْ نَبَشْتُمْ عنْهُ أَصَبْتُمُوهُ مَعَهُ فابْتَدَرَهُ الناسُ فاسْتَخْرَجُوْا الغُصْنَ وَهَذِهِ مُعْجِزَة أيضاً

١٥٢ ـ وَمِن ذَلِكَ الوَعْدُ بارْجَاعِ النبي صلى الله عليه وسلم إلى مَكَّةَ قال الله تعالى « إن الذي فرضَ عليكَ القُرآنَ لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ » قال المُفَسِّرُوْنَ إلى مَكَّةَ وَوَقَعَ طِبْقَ مَا أَخْبَرَ فيكونُ عَلَماً على نُبُوتِهِ صلى الله عليه وسلم .

١٥٣ ـ وَمِن ذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى « لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَن المُؤْمِنِيْنَ إِذْ يُبَايِعونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، إلى قَوْلِهِ وكان اللهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْراً » .

١٥٤ ـ فَفي هَذِهِ الآياتِ إخبارٌ عن غُيُوْبٍ كَثِيرةٍ منها تَزْكِيَةُ المُؤْمِنِيْنَ المُبَايِعِيْنَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وإعْلانُ الرِّضا عَنْهُمْ وَهُم عَدَدٌ كَثِيْرٌ .

وَلَا شَكَّ أَنَّ الأَمْرَ كما قَالَ إِذَ لَوْ كَانَ في إِيْمَانِ أَحدهم دَخَلٌ لَشَكَّ وارْتَابَ وأَعْلَنَ ارْتِدَادَهُ وَكُفْرَهُ وَلَوْ كانَ القُرآنُ مِن مُحَمَّدٍ لَمْ يُقْدِمْ عَلَى هَذَا الاعلانِ الخَطِيْرِ إِذْ لا يَعْلَم مَا في بَوَاطِنِهم إلا اللهُ فدل ذلكَ على صِحَّةِ هَذَا الاخبار وأنها أعلام على نبوته صلى الله عليه وسلم .

١٥٥ ـ وَمِنْ ذَلِكَ الإِخْبَارُ بِحَوَادِثَ خَاصَّةٍ كَمَا في قَولِهِ تَعَالَى « وإِذْ أَسَرَّ النبِيُّ إلى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيْثاً فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عليهِ عَرَّفَ بَعْضهوأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فلمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذا قَالَ نَبَأَنِي العَلِيْمُ الخَبِيْر » فَفِي هَذَا عَلَم عَلَى نُبُوتِهِ صلى الله عليه وسلم لأَنَّ هَذِهِ

أُمُوْرٌ غَيْبِيَّةٌ أَطْلَعَ اللهُ نَبِيَّهُ عَلَيْهَا .»

١٥٦ ـ وَمِنْ ذَلِكَ قولُه تَعَالَى ﴿ وَيُؤْثِرُوْنَ على أَنْفُسِهِم وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلاً جاءَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إِنِّيْ مَجْهُوْدٌ فَأَرْسَلَ إلى بَعْضِ نِسَائِهِ فقالَتْ والذِيْ بَعَثَكَ بالحق ما عِنْدِي إلَّا مَاءٌ ثم أَرْسَل إلى أخْرَى فقالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ حتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ فقال صلى الله عليه وسلم مَنْ يُضِيْفُ هَذَا الليلةَ رَحِمَهُ اللهُ .

فَقَامَ رَجُلٌ مِن الأَنْصارِ فقالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ فانْطَلَقَ بِهِ إلى رَحْلِهِ فقال لامْرَأَتِهِ هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ قالَتْ لَا إلَّا قُوْتُ صِبْيَانِي قَالَ فَعَلِّلِيْهِم بِشَيْءٍ فإذا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَأَرِيْهِ أَنـا نأكُـلُ قالَ فَقَعَـدُوا وأَكَلَ الضَّيْفُ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا على رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فقال : قَدْ عَجِبَ اللهُ من صَنِيْعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ فَهَذَا غَيْبٌ مِن الغُيُوبِ أَعْلَمَ الله نَبِيَّهُ بِهِ فَهُو مُعْجِزَةٌ واضِحَةٌ .

١٥٧ ـ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُه تَعالَى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ الناسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ ولا تكُنْ لِلْخَائِنِيْنَ خَصِيْمًا واسْتَغْفِر اللهَ إِنَّ اللهَ كان غفوراً رَحِيْمًا ولا تُجَادِلْ عن الذِيْنَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيْما إلى قولِهِ تعالى وكان فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيْمَاً ﴾ .

أخرجَ الترمذي وابنُ المُنْذِرِ وابنُ أَبِي حَاتِم وَأَبُو الشيخِ والحَاكِمُ وصَحَّحَهُ عن قتادةَ بن النُعْمَانِ رَضِيَ اللهُ عنه ، قال كانَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَّا يُقالَ لَهُم بَنُو أُبَيْرِق بِشْرْ وَبَشِيْرْ وَمُبَشِّرْ ، وكان بَشَرْ رَجُلاً مُنَافِقاً يَقُولُ الشِّعْر

يَهْجُو بِهِ أَصْحَابَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم ثم يَنْحَلُه لِبَعْضِ العَرَبِ ثُمَّ يَقُولُ قال فلانٌ كذا وكَذَا فإذَا أَسَمَعَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَالُوا واللهِ مَا يَقُولُ هَذَا الشِّعْرَ إلا هَذَا الرَّجُلُ الخَبِيْثُ أَوْ كَمَا قالَ الرَّجُل وَقَالُوا ابنُ الأُبَيْرَق قَالَها قالَ وكانُوا أَهْلَ بَيْتٍ وَحَاجَةٍ وفاقَةٍ في الجاهِلِيَّةِ والاسلامِ .

وكانَ الناسُ إِنَّمَا طَعَامُهُم بالمَدِيْنَةِ التَّمْرُ والشَّعِيْرُ وكان الرَّجُلُ إذا كَانَ لَهُ يَسَارٌ فَقَدِمْتَ ضافِطَةُ مِن الشامِ مِن الدَّرْمَكِ ابْتَاعَ الرَّجُلُ مِنْهَا فَخَصَّ بِهَا نَفْسَه وأَمَّا العِيَالِ فإِنَّما طَعَامُهُمْ التَّمْرُ والشَّعِيْرُ .

فَقَدِمَتْ ضَافِطَةُ مِن الشامِ فابْتَاعَ عَمِيْ رِفَاعَةُ بنُ زَيْدٍ حِمْلاً مِن الدَّرْمَكِ فَجَعَلَهُ في مَشْرَبَةٍ لَهُ وفي المَشْرَبَةِ سِلَاحُ وَدِرْعٌ وَسَيْفٌ فَعُدِيَ عليهِ مِن تَحْتِ البَيْتِ فَنُقِبَتِ المَشْرَبَةُ وَأُخِذَ الطَّعَامُ والسِلاحُ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَانِي عَمِي رِفَاعَةُ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِيْ قَدْ عُدِيَ عَلَيْنَا في لَيْلَتِنَا هَذِهِ فَنُقِبَتْ مَشْرَبَتُنَا فَذُهِبَ بِطَعَامنَا وسِلَاحِنا قالَ فَتَحَسَّسْنَا في الدَّارِ وَسَأَلْنَا فَقِيْلَ لَنَا قَدْ رَأَيْنَا بَنِيْ أُبَيْرِقٍ اسْتَوْقَدُوا في هَذِه اللَّيْلَةِ ولا نَرى فِيْمَا نَرَى إلَّا عَلَى بَعْضِ طَعَامِكم .

قال وكانَ بَنُو أُبَيْرِقَ قَالُوا وَنَحْنُ نَسْأَلُ في الدَّارِ واللهِ مَا نَرَى صَاحِبَكُم إلا لِبَيْدُ بنُ سَهْلِ رَجُلاً مِنَّا لَهُ صَلَاحٌ واسْلَامٌ . فَلَمَّا سَمِعَ لَبِيْدُ اخْتَرَطَ سَيْفَهُ .

وقالَ : أَنَا أَسْرِقُ واللهِ لَيُخَالِطَنَّكُم هَذَا السَّيْفُ أَوْ لَتُبَيِّنُنَّ هَذِهِ السَّرقَةَ

قالُوا إِلَيْكَ عَنَّا أَيُّها الرَّجُلُ فَمَا أَنْتَ بِصَاحِبِهَا فسألنا في الدَّار حَتَى لَمْ نَشُكَّ أَنَّهُم أَصْحَابُهَا فَقَالَ لِي عَمِّيْ يا ابنَ أَخِيْ لَوْ أَتَيْتَ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَذَكَرْتَ ذَلِكَ لَهُ .

قَالَ قتادَةُ فَأَتَيْتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَقُلْتُ إِنَّ أَهْلَ بَيْتٍ أَهْلَ جَفاءٍ عَمَدُوْا إلى عَمِّيْ رِفاعَةَ بنِ زَيْدٍ فَنَقَبُوا مَشْرَبَةً لَهُ وَأَخَذُوْا سِلاَحَهُ وَطَعَامَهُ ، فَلْيَرُدُوْا عَلَيْنَا سِلاحَنَا ، فَأَمَّا الطَّعَامُ فلا حَاجَةَ لَنَا فِيْهِ فقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ سَآمُرُ في ذَلِكَ .

فلمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ بَنُوْ الأُبَيْرِقِ أَتَوا رَجُلاً مِنْهُمْ يُقَالَ لَهُ أُسَيْدُ ابنُ عُرْوَةَ فكَلمُوْهُ في ذَلِكَ فاجْتَمَعَ في ذَلِكَ أُناسٌ مِن أَهْلِ الدَّارِ فقالُوا يا رَسُولَ اللهِ انَّ قَتادَةَ بنَ النُّعْمَانِ وَعَمَّهُ عَمَدَا إلى أَهْلِ بَيْتٍ مِنَّا أَهْلِ اسْلامٍ وَصَلاحٍ يَرْمُوْنَهُم بالسَّرِقةِ مِن غَيْرِ بَيْنَةٍ وَلاَ ثِبْتٍ .

فَأَتَيْتُ النبيَ صَلى اللهُ عليه وسلم فَكَلَّمْتُهُ فَقَالَ عَمَدْتَ إلى أَهْلِ بَيْتٍ ذُكِرَ مِنهُم إِسْلامٌ وَصَلاحٌ تَرْمِيْهِمْ بالسَّرِقَةِ عَلَى غَيْرِ ثِبْتٍ ولا بَيِّنَةٍ .

قال فَرَجَعْتُ وَلَوددْتُ أَنِّي خَرجَتُ مِن بَعْضِ مَالِيْ وَلَمْ أُكَلِّمْ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وَسَلم في ذَلِكَ فأَتَانِي عَمِّيْ رِفَاعَةُ فقال يا ابْنَ أَخِيْ مَا صَنَعْتَ فأَخَبَرْتُهُ بمَا قالَ لِيْ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فقال الله المستعان .

فلَمْ نَلْبَثْ أَنْ نَزَلَ القُرآنُ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إليكَ الكِتَابَ بالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ الناسِ بما أَرَاكَ اللهُ ولا تَكُنْ لِلْخَائِنِيْنَ خَصِيْمَا ﴾ يَعْنِي بَنِيْ أُبَيْرَق وَاسْتَغْفِرِ اللهَ مِمَّا قُلْتَ لِقَتَادَةَ . . . فَلَمَّا نزَلَ القُرآنُ أُتِيَ رَسُولُ اللهِ صلى

اللهُ عليه وسلم بالسلاحِ فَرَدَّهُ إلى رِفاعَةَ .

١٥٨ ـ وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ في تَبْرِئَةِ أُمِّ المُؤْمِنِيْنَ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها مِن الإفْكِ قَال تعالى ﴿ إنَّ الذينَ جَاؤُا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُم لا تَحْسَبُوهُ شَراً لَكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ الآية .

عَشْرُ آياتٍ كُلُّهَا نَزَلَتْ في شَأْن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها حِيْنَ رَمَاهَا أَهْلُ الإفْكِ والبُهْتَانِ مِن المُنَافِقِيْنَ بِمَا قَالُوا مِن الكَذِبِ البَحْتِ والفِرْيَةِ الَّتِي غَارَ اللهُ لَهَا وَلِنَبِيِّهِ صَلى اللهُ عليه وسلم .

فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى بَرَاءَتَها صِيَانَةً لِعِرْضِ الرَّسُولِ صلى اللهُ عليه وسلم بَعْدَ مَا بَقِيَتْ الألْسِنَةُ تَخُوْضُ في حَادِثَةِ الإفْكِ قَرِيْباً مِنَ الشَّهْرِ والرسُولُ صلى اللهُ عليه وسلم لا يُوْحَى إليهِ كَمَا جَاءَ في صَحِيْحَي البُخَارِي وَمُسْلِم ـ وَهُوَ حَائِرٌ مُتَرَدِّدٌ في أَمْرِ عَائِشَةَ يَسْأَلُ وَيَسْتَشِيْر .

والمُنَافِقُونَ يُشِيْعُونَ الفَاحِشَةَ حَتَّى وَقَعَ فِيْهَا مَنْ وَقَعَ مِن المُسْلمين .

ثُمَّ جَاءَهَا الرسولُ صلى اللهُ عليه وسلم فِي بَيْتِ أَهْلِهَا ثُمَّ قالَ يَا عَائِشَةُ فإنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كذَا وَكَذَا فَإنْ كُنْتِ بَرِيْئَةً فَسَيُبْرِئُكِ اللهُ وإنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فاسْتَغْفِري اللهَ وَتُوبِي إليهِ فإنَّ العَبْدَ إذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تابَ تَابَ اللهُ عليه .

فَوَاللهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ ولا خَرجَ أَحَدُ مِن أَهْلِ البَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ عليهِ فَأَخَذَهُ ما كانَ يَأْخُذُهُ مِن البُرَحَاءِ حَتَّى انَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الجُمَانِ مِن

العَرَقِ في يَوْمٍ شَاتٍ .

فَلَمَّا سُرِيَ عن رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وَهُوَ يَضْحك فَكَانَ أولُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِيْ يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللهَ فَقَدْ بَرَّأَكِ اللهُ فقالَتْ لِيْ أُمِّيْ قُوْمِي إلى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فَقُلْتُ لاَ واللهِ لا أَقُوْمُ إليه ولاَ أَحْمَدُ إلا اللهَ .

فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى ﴿ إنَّ الذينَ جَاؤُا بالإفْكِ عُصْبَةٌ منكم ﴾ الأياتِ فَفِي هَذِهِ القِصّة عَلَمٌ مِن أَعْلَامِ نُبُوّتِهِ صلى اللهُ عليهِ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ وَتَفَهَّمَهُ فقدْ كانَ مَوْقِفُهُ صلى اللهُ عليه وسلم مِن عَائِشَةَ بَعْدَ اشَاعَةِ الفِرْيَةِ والبُهْتَانِ مَوْقِفَ التَّرَدُّدِ وَالحَيْرَةِ .

ثُمَّ تَحَوَّلَ بَعْدَ الوَحْي فُجْاءَةً إلى مَوْقِفِ الثِّقَةِ والاطْمِئْنَانِ وَهَذَا التَّحَوُّلُ لاَ يُمْكِنُهُ أنْ يَكُونَ لَوْ لَمْ يَكُنْ وَاثِقاً بِبَرَائَتِهَا بإخْبَارٍ مِن العَلِيْمِ الخَبِيْرِ جَلَّ وَعَلاَ وَتَنَزَهَ وَتَقَدَّسَ .

١٥٩ ـ ومن ذَلِكَ تَحَدِّيْ اليَهُودَ في تَمَنِي المَوْتَ مَرَّتَيْن فَقَالَ قُلْ يَا أَيُّهَا الذِيْنَ هَادُوا أَنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُم أَوْلِيَاءُ لِلهِ مِن دُوْنِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الموتَ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْن وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيْهِمْ واللهُ عَلِيْمٌ بالظالمين .

وَوَجْهُ الدَّلاَلَةِ أَنَّه طَلَبَ مِن اليَهُوْدِ أَنْ يَتَمَنَّوُا المَوْتَ ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً فَمَا تَمَنَّاهُأَحَدٌ مِنْهُمْ مَعَ حِرْصِهِمْ عَلَى تَكْذِيْبِ الرسولِ صلى اللهُ عليه وسلم وَمُعَارَضَتِهِمْ لَهُ وكَيْدِهِمْ لَهُ فَقَامَ ذلك دليلاً صادقاً على نبوته ومعجزة عظيمة .

اللهمَّ أعصِمْنا واَحْمِنا عَن الرُّكُونِ إلى عِدَاكَ وارزُقْنا بُغضَهُمْ وأعْوانِهِم وَوَفِّقْنا لِمَحبتكَ وَمَحَبَّةِ رُسُلِكَ وَأَوْلِيَائِكَ واجْعَلْنا هُداةً مُهْتَدِينَ

واغْفِرْ لنا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الراحِمِينَ وصلَّى اللهُ على محمدٍ وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجمعين .

(فَصْلٌ) قال شَيْخُ الاسلامِ فَأَخْبَرَ عَن اليَهُودِ أَنَّهُمْ لَنْ يَتَمَنَّوْا المَوْتَ أَبَدَا وكانَ كَمَا أَخبَرَ فلا يَتَمَنَّى اليَهُوْدُ المَوْتَ أَبَدَا وَهَذا دَلِيْلَ مِنْ وَجْهَيْنِ مِن جِهَةِ إِخْبارِهِ بأَنْ لَا يَكُونَ أَبَدَا ومن جِهَةِ صَرْفِ اللهِ لِدَوَاعِي اليَهُودِ عن تَمَنِّي الموتَ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ مَقْدوْرٌ لَهُمْ وَهَذا مِن أَعْجَبِ الأُمُوْرِ الخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ وَهُمْ مَعَ حِرْصِهِم عَلَى تَكْذِيْبِهِ لَمْ تَنْبَعِثْ دَوَاعِيْهِم لِإِظْهَارِ تَكْذِيْبِهِ بإظهَارِ تَمَنِّيِّ المَوْتَ أهـ .

١٦٠ ـ وَمِنْ ذَلِكَ الوَعْدُ بِحِفْظِ القُرْآنِ قَالَ تَعالَى إِنَّا نَحْنُ نَزَّلَنا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ وهذَا الإِخْبَارُ إِنَّمَا هُوَ مِن الغَيْبِ وَوَقَعَ كَمَا جَاءَ في القُرآنِ فَحُفِظَ وَتَمَّ وَعدُ اللهِ بِذَلِكَ .

وَلَنْ يَأْتِيَهِ تغْيِيْرٌ يَعُمُ جَمِيْعَ المَصَاحِفِ المَوْجُوْدَةَ عَلَى وَجْهِ الأرض قال تعالى ﴿ لَا يَأْتِيْهِ الباطلُ مِن بين يديهِ ولا مِن خلفهِ تَنْزِيلٌ مِن حَكِيْمٍ حَمِيْدٍ ﴾ .

١٦١ ـ وَمِنْ ذَلِكَ الوَعْدُ بِعِصْمَةِ النبي صلى اللهُ عليه وسلم مِنَ النَّاسِ قال تعالى ﴿ يا أَيُّها الرسولَ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ اليكَ مِن رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ واللهُ يَعْصِمُكَ مِن النَّاسِ ﴾ وَقَدْ حَقَّقَ اللهُ وَعْدَهُ فَحَفِظَ نَبِيَّهُ وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ على قَتْلِهِ مَعَ كَثْرَةِ المُحَاوَلَاتِ مِن أَعْدَائِهِ فَفِي ذَلِكَ عَلَمٌ من أَعْلَامِ نُبوته معجزة واضحة .

١٦٢ ـ ومِن ذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى ﴿فَسَيَكْفِيْكَهُمُ اللهُ وهو السمِيعُ العليمُ ﴾ قال البِغويُ أَيْ يَكْفِيْكَ شَرَّ اليَهُودِ والنَّصَارَى وقَدْ كَفَى بإِجْلاءِ بَنِيْ النَّظِيْرِ وَقَتْلِ بَنِيْ قُرَيْظَةَ وَضَرَبَ الجِزْيَةَ على اليَهُودِ والنصارَى أهـ

وهذا إخبار عن الغَيْب فيَكُونُ معجزاً دالاً عَلَى صِدْقِهِ حَيْثُ وَقَعَ طِبْقَ ما أَخْبَر .

١٦٣ ـ وَمِن ذَلِكَ المُبَاهَلَةُ قال الله تعالى ﴿ الحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِن المُمْتَرِيْنَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيْهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِن العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوا نَدْعُوا أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُم وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُم وأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُم ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَةَ اللهِ على الكاذبين ﴾ .

قِيْل إن سَبَبَ نُزُوْلِ هَذِهِ الآيةِ هُوَ أَنَّ العَاقِبَ والسَّيِّدَ صَاحِبَي نَجْرَانَ جَاءَا إلى رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وَجَادَلَاهُ في أَمْرِ عِيْسَى عليهِ السَّلامُ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى آيَةَ المُبَاهَلَةِ وَالمُبَاهَلَةُ دُعَاءُ اللهِ والابْتِهَالُ إليه أَنْ يُنْزِلَ لَعْنَتهُ على الكَاذِبِيْن فَوَاعَدَاهُ على أَنْ يُلَاعِنَاهُ الغَدَاةَ .

فَغَدَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلم فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِّيٍ وَفَاطِمَةَ والحَسَنَ والحُسَيْنَ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا فَأَبَيَا أَنْ يُجِيْبَاهُ وَأَقَرا لَهُ بالخَرَاجِ قال فقالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم « والذِي بَعَثَنِي بالحَقِّ لَوْ قَالَا لأمْطرَ عَليهم الوَادِيْ نَاراً فَفِيْ هَذَا عَلَمٌ من أعلامِ نُبُوتِهِ فَلَوْلَا أَنَّهُمْ عَرَفُوا مِن التَّوْرَاةِ والانْجِيْل ما يَدُلُّ على نُبُوَّتِهِ لَمَا أَحْجَمُوْا عن المُبَاهَلَةِ ثَانياً وَثُوْقُهُ صلى اللهُ عليه وسلم بذلكَ .

١٦٤ ـ وَمِنْ ذَلِكَ مَا قِيْلَ مِن أَنَّهُ نَزَلَ في الأَخْنَسِ بن شَرِيْقٍ ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ، الذِيْ جمعَ مالاً وَعَدَّدَهُ ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَه ، كَلا لَيُنْبَذَنَّ في الحُطَمَةِ ﴾ فَمَاتَ عَلَى كُفْرِهِ ، وَقَالَ مُقَاتِلُ : نَزَلَتْ في الوَلِيْدِ بنِ المُغِيْرَةِ كانَ يَغْتَابُ النَّبِيَّ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَطْعَنُ عليهِ في وَجْهِهِ ، وَنَزَلَ فِيْهِ .

آخر : يُزَهِّدُ في الدُنْيَا

قَطَّعْتُ مِنْكِ حَبائِلَ الآمالِ ، وَحَطَطْتُ عَنْ ظَهرِ المَطي رِحالي
وَيَئِستُ أنْ أبقَى لشيء نِلتُ ممّا فيكِ ، يا دُنْيا ، وَأنْ يَبقَى لي
فَوَجَدْتُ بَرْدَ اليّأسِ بَيْنَ جَوانحي ، وَأرَحْتُ مِنْ حَلِّي وَمِنْ تَرْحالي
وَلَئِنْ يَئِسْتُ ، لَرُبَّ بَرْقَةِ خُلَّبِ بَرَقَتْ لذي طَمَعٍ ، وبَرَقَةِ آلِ
ما كانَ أشأمَ ، إذْ رَجاؤكِ قاتلي ، وَبَناتُ وَعْدِكِ يَعْتَلِجْنَ بِبالي
فالآن ، يا دُنيا ، عَرَفْتُكِ فاذهبي ، يا دارَ كُلِّ تَشَتّتٍ وَزَوَالِ
وَالآنَ صَارَ لي الزّمانُ مؤدِّباً ، فَغَدا عَليّ وَرَاحَ بالأمْثَالِ
وَالآنَ أبصَرْتُ السَبيلَ إلى الهُدَى ، وَتَفرّغَتْ هِمَمِي عَنِ الأشغالِ
وَلَقَدْ أقامَ لِيَ المَشيبُ نُعَاتَهُ ، يُفْضِي إليّ بمَفْرِقٍ وَقَذالِ
وَلَقَدْ رَيْتُ المَوْتَ يُبْرِقُ سَيْفَهُ بيَدِ المَنيّة : حَيثُ كُنتُ ، حِيالي
وَلَقَدْ رَأيْتُ عُرَى الحَياةِ تَخَرّمَتْ ، وَلَقَدْ تَصَدّى الوَارِثُونَ لِمَالِي
وَلَقَدْ رَأيْتُ عَلَى الفَناءِ أدِلّةً ، فِيمَا تَنكّرَ مِنْ تَصرّفِ حَالِي
وَإذَا اعتَبَرْتُ رَأيتُ خَطْبَ حوادِثٍ يَجرِينَ بالأرْزاقِ ، وَالآجَالِ
وإذَا تَناسبتِ الرّجالُ ، فما أرَى نَسَباً يُقاسُ بصالِحِ الأعْمالِ
وَإذَا بحَثْتُ عَنِ التقيّ وَجَدْتُهُ رَجُلاً ، يُصَدِّقُ قَوْلَهُ بفِعَالِ
وَإذَا اتّقَى اللهَ امْرُؤٌ ، وَأطاعَهُ ، فَيَداهُ بَيْنَ مَكارِمٍ وَمَعَالِ
وَعَلى التّقيّ ، إذَا تَرَسّخَ في التُّقَى ، تَاجَانِ ، تاجُ سَكينَةٍ ، وَجَلالِ
وَاللّيْلُ يَذْهَبُ وَالنّهارُ ، تَعاوُراً بالخَلْقِ في الإدْبارِ ، وَالإقبالِ
وَبِحَسْبِ مَنْ تُنْعَى إلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْهُ بأيّامٍ خَلَتْ ، وَلَيَالِ
إضرِبْ بطَرْفِكَ حَيْثُ شِئتَ فأنْتَ في عِبَرٍ لَهُنَّ تَدارُكٌ ، وَتَوَالِ
يَبكِي الجَديدُ وَأنْتَ في تَجدْيدِهِ ، وَجَميعُ ما جَدَّدْتَ منهُ ، فبَالِ

ياأيّها البَطِرُ الذي هوَ في غَدٍ، في قَبرِهِ، مُتَفَرِّقُ الأوْصالِ
حَذَفَ المُنى عَنهُ المُشَمِّرُ في الهُدى، وَأرَى مُنَاكَ طَويلَةَ الأذْيَالِ
وَلَقلّ ما تَلْقَى أغَرَّ لنَفْسِهِ مِنْ لاعِبٍ مَرِحٍ بها، مُختالِ
يا تاجِرَ الغَيِّ المُضِرَّ بِرُشْدِهِ، حَتّى مَتَى بالغَيّ أنْتَ تُغالِي
الحَمْدُ للّهِ الحَميدِ بِمَنّهِ خَسِرَتْ، وَلم يَرْبَحْ يَدُ البَطّالِ
للّهِ يَوْمٌ تَقْشَعِرّ جُلُودُهُمْ، وَتَشِيبُ مِنْه ذَوَائِبُ الأطْفالِ

يَوْمُ النّوازِلِ والزّلازِلِ، وَالحَوا مِلِ فيهِ، إذْ يَقذِفْنَ بالأحْمَالِ
يَوْمُ التّغابُنِ، والتّبايُنِ والتّنا زُلِ، وَالأُمُورِ عَظيمَةِ الأهْوَالِ
يَوْمٌ يَنَادَي فيهِ كُلُّ مَضَلِّلٍ بِمُقَطَّعَاتِ النّارِ، والأغْلالِ
لِلْمُتّقِينَ هُناكَ نُزْلُ كَرامَةٍ، عَلَتِ الوُجُوهَ بنَضرَةٍ، وَجَمالِ
زُمَرٌ أضاءَتْ لِلْحِسَابِ وُجُوهُها، فَلَهَا بَرِيقٌ عِنْدَهَا وَتَلالي
وَسَوَابِقٌ غُرٌّ، مُحَجَّلَةٌ، جرَتْ خُمْصَ البُطونِ، خَفِيفَةَ الأثْقالِ
مِنْ كُلّ أشْعَثَ كَانَ أغْبَرَ ناحِلاً، خَلَقَ الرّداءِ، مُرَقَّعَ السِّرْبالِ
حِيَلُ ابنِ آدَمَ في الأمُورِ كَثيرَةٌ، وَالمَوْتُ يَقطعُ حِيلَةَ المُحْتَالِ
نَزَلُوا بأكْرَمِ سَيِّدٍ، فأظَلّهُمْ في دارِ مُلْكِ جَلالَةٍ، وَظِلالِ
وَمِنَ النُّعاةِ إلىَ ابنِ آدَمَ نَفْسَهُ، حَرَكُ الخُطَى، وطُلُوعُ كُلِّ هِلالِ
مالِيْ أرَاكَ لِحُرّ وَجْهِكَ مُخْلِقاً، أخْلَقْتِ، يا دنْيا، وُجُوهَ رِجالِ
قِسْتَ السؤّالَ،فكانَ أعْظَمَ قيمةً مِنْ كُلِّ عارِفَةٍ جَرَتْ بسُؤَالِ
كُنْ بالسؤّالِ أشَدَّ عَقْدِ ضَنَانَةٍ، مِمّنْ يَضِنّ عَلَيْكَ بالأمْوَالِ
وَصُنِ المَحامِدَ مااستَطَعتَ، فإنّها في الوَزْنِ تَرْجُحُ بَذْلَ كلّ نَوَالِ
وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ المُثمِرِ مالَهُ، نَسِيَ المُثَمِّرُ زِينَةَ الإقْلالِ
وَإذا امْرُؤٌ لَبِسَ الشُّكُوكَ بِعَزْمِهِ، سَلَكَ الطّريقَ عَلى عُقودِ ضَلالِ

وَإذا ادَّعَتْ خُدَعُ الحَوادِثِ قَسْوَةٍ، شَهِدَتْ لهُنّ مَصارِعُ الأبْطالِ
وَإذا ابتُليتَ ببَذْلِ وَجْهِكَ سائِلاً، فابْذُلْهُ لِلْمُتَكَرِّمِ ، المِفْضَالِ
وَإذا خَشيْتَ تَعَذُّراً في بَلْدَةٍ ، فاشْدُدْ يَدَيْكَ بعاجِلِ التّرْحالِ
وَأصْبِرْ عَلَى غِيرِ الزّمانِ ، فإنّما فَرَجُ الشّدائِدِ مِثْلُ حَلِّ عِقالِ

إنْتَهى

١٦٥ ـ قَوْلُهُ تَعالى ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيْدًا ﴾ إلى قَولِهِ تعالى ﴿ سَأُصْلِيْهِ سَقَرْه ﴾ فَلَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ مَالاً وَلاَ وَلداً بَعْدَ هَذَا كَمَا أَخْبَرَ ، وَصَارَ في نُقْصَانٍ من مَالِهِ وَوَلَدِهِ الى أَنْ مَاتَ كَافِرَاً ، وَقَدْ كَانَ عِنْدَ نُزُوْلِ ذَلِكَ حَيَّاً سَلِيْما .

١٦٦ ـ وَمِنْهُمُ النَّضْرُ بنُ الحَارِثِ بنِ كِلْدَةَ ، أَخُوْ بَنِي عَبْدِ الدارِ ، وَكَانَ شَدِيْدَ الرَّدِّ عَلى اللَّهِ وعلى رَسُولِهِ ، شَدِيْدَ العَدَاوَةِ ، والارْصَادِ ، وقدْ كَانَ رَحَلَ في عَدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم ، إلى فَارِسَ ، وَطَلَبَ مَا يَكِيْدُ بِهِ الاسلامَ ، فاشْترى أَخْبَارَ العَجَمِ ، وَقَدِمَ بِهَا مَكَّةَ يُحَدِّثُ بِهَا قُرَيْشاً وَيقُولُ إنَّ مُحَمَّداً يُحَدِّثُكُم بِحَدِيْثِ عَادٍ وَثَمُوْدَ وَأَنا أَحَدِثُكُمْ بِحَدِيْثِ رُسْتُمْ وَاسْفِنْدِيَار ، وَأَخْبَارِ الأكَاسِرَةِ ، فَيَسْتَمْلِحُونَ حَدِيْثَهُ ، وَيَتْرُكُونَ اسْتِمَاعَ كَلامَ اللَّهِ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الآيَةَ ، ﴿ وَمِنَ الناسِ مَنْ يَشْتَرِيْ لَهْوَ الحَدِيْثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيْلِ اللَّهِ ﴾ قَالَهُ مُقاتِلُ والكَلْبِي .

وَقِيْلَ : نَزَلَ فيهِ أَيْضاً غَيْرُهَا وَقِيْلَ : إنَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ ذَهَبَتْ بِقُحْفِ رَأْسِهِ وَحَلَ في أَيْدِيْ المُسْلِمِيْنَ مِنْ جُمْلَةِ المأسُوْرِيْنَ وقالَ لاَ أَذُوْقُ طَعَاماً ولا شَرَاباً ما دُمْتُ في أَيْدِيْهِمْ فَمَاتَ مِنَ الضَرْبَةِ وَصَارَ إلى

النَّارِ بَعْدَ أَنْ أَذَاقَهُ اللَّهُ العَذَابَ المُهِيْنَ في الدُّنْيَا كَمَا قالَ وكَمَا أَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَ .

اللهم وَفِقْنَا لِلزُوْمِ الطَّرِيْقِ الذِيْ يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُوْرَاً نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسَّرْتَهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيْقِضْنَا مِنْ غَفَلاَتِنَا وَأَلْهِمْنَا رُشْدَنَا واسْتُرْنَا في الدُّنْيَا والآخِرَةِ واحْشُرْنَا في زُمْرَةِ عِبَادِكَ المُتَقِيْنَ والْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْــلٌ »

١٦٧ ـ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ آلم غُلِبَتِ الرُوْمُ في أَدْنَى الأَرضِ وَهُمْ مِن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ، في بَضْعِ سِنِيْنَ ، لِلَّهِ الأمرُ مِنْ قَبْلُ ، وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المؤمنونَ بنصْرِ اللَّهِ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ العَزِيْزُ الرَّحِيْم ، وعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الناسِ لَا يَعْلَمُون ﴾ نَزَلَتْ هَذِهِ الآياتُ حِيْنَ غَلَبَ سَابُورُ مَلِكُ الفُرْسِ على بِلَادِ الشَّامِ ، وَمَا وَالاَهَا مِن بِلَادِ الجَزِيْرَةِ ، وَأَقَاصِيْ بِلَادِ الرُوْمِ ، حَتَّى الْجَأَهُ إلى القِسْطِنْطِيْنِيَّةِ ، وَحاصَرَهُ مُدَّةً طَوِيْلَةً، ثم عَادَتْ الدَّوْلَةُ إِلَى هِرَقَلَ ، كَمَا بَشَّرَ القُرآنُ قَبْلَ سَبْعِ سَنَواتٍ ، مِن انْتِصَارِهِ على الفُرْسِ ، فَوَقَعَ طِبْقَ مَا أَخْبَرَ ، فَهَذِهِ مُعْجزَةٌ مِن القُرْآنِ على رِسَالَةِ الرَّسُوْلِ صلى اللَّهُ عليه وسلم .

١٦٨ ـ ومِن ذَلِكَ مَا أَخْبَرَ بِهِ ، وَهُوَ مَوْجُوْدٌ في القُرْآنِ ذِكْرُه مَا جاء

عَن آدمَ وَنَشْأَتِهِ ، وَمَا وَسْوَسَ بِهِ إِلَيْهِ ابْلِيْسُ ، وما وَقَعَ لَهُ مِن الهُبُوطِ إلى الأَرْضِ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ في الجَنَّةِ .

١٦٩ ـ وَحدَّثَنَا عن نُوحٍ أَوَّل المُرْسَلِيْنَ وَمَا لَقِيَهِ مِن قَوْمِهِ ، مِن أَذَى وَسُخْرِيَّةٍ ، ومُدَّةِ لُبْثِهِ فِيهِمْ، وَمَا أَرْشَدَهُ اللَّهُ إليهِ مِن صُنْعِ الفُلْكِ ، ورُكُوبِهِ ، وانْجَائِهِ ، وَمَنْ مَعَ نُوحٍ وَهُمْ أَصْحَابُ السَّفِيْنَةِ ، وَدَعْوته لإبْنِهِ ، وَعِصْيَانِ ابْنِه لَهُ ، وَجَوابُ اللَّهِ لَهُ حِيْنَ ما قَال ﴿ إِنَّ ابْنِيْ مِن أَهْلِي ﴾ وانْهِمَارِ السَّماءِ بالماء ، وَتَفَجُّرِ الأرضِ عُيُوْناً ، واغْرَاقِ الكَافِرِينَ ، وَنَجَاةِ المُؤْمِنِيْنَ .

١٧٠ ـ وَأَخْبَرَ القُرآنُ عَنْ مُوْسَى عليهِ السلامُ وَمَا تَمَّ لَهُ عِنْدَ ولاَدَتِه ، وَمَا وَقَعَ لَهُ في مِصْرَ ، وَمَا حدَثَ لَهُ في مَدْيَنَ ، وما رَآهُ في جَبَلِ الطُوْرِ ، وَمَا كُلِّفَ بِهِ مِن أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ ، وَمَا دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فِرْعَونَ مِن حِوَارٍ ، وَمَا جَرَى مِن السَّحَرَةِ ، وَمَا انْتَهَى إليهِ أَمْرُ فِرْعَونَ ، وَمَلَئِهِ ، وَمُوْسَى وَقَوْمِهِ .

١٧١ ـ وأَخْبَرَ القُرآنُ عَن عِيْسَى .

١٧٢ ـ وَأُمِّهِ عَلَيْهِمَا السَّلامُ ، وَمَا وَقَعَ لَهُمَا مِن الخَوارِقِ ، وَمَا صَنَعَهُ لَهُمَا بَنُوْا اسْرَائِيْلَ مِن مَكَائِدَ .

١٧٣ ـ وَأَخْبَرَ عن دَاوُدَ .

١٧٤ ـ وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السلامُ وَذَكَر الإحْسَانَ إِلَيْهِمَا وَمَا آتاهُمَا مِن العِلْمِ والفِهْمِ قال اللَّه تعالى ﴿ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْمًا ﴾ فأنْعَمَ اللَّهُ على

دَاوُدَ بِتَسْخِيرِ الجِبَالِ والطَيْرِ لِلتَّسْبِيحِ مَعَهُ وَأَخبرَ أَنَّه جَلَّ وَعَلاَ عَلَّمَهُ صَنْعَةَ الدُّرُوْعِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَنْعَمَ على سُلَيْمَانَ بتَسْخِيرِ الرِّيْحِ العَاصِفَةِ التي تَجْرِيْ بِأَمْرِهِ وَتَسْخِيرِ الشيَاطِين تَغُوصُ في البِحَارِ وَتَعْمَل لَهُ أَعْمَالاً أُخْرَى .

١٧٥ ـ وَأَخْبَرَ عن ابْرَاهِيْمَ خَلِيْـلِ الرحمن ، وَمُحَـاجَّتهِ لِلْمَلِكِ الجَبَّارِ ، وَهُوَ نُمْرُوْدُ ، البَابِلي ، المُعَطِّلِ ، المُنْكِرِ ، لِرَبِّ العَالَمِيْنِ ، إلى أَنْ وَقَفَ ، وانْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ ، وَاضمَحَلَّتْ شُبْهَتُهُ ، وأَخْبَرَ عَن طَلَبِهِ لِرَّبهِ ، أَنْ يُرِيَهُ كَيْفَ يُحيْي الموتَى ، وإجابَةِ اللَّهِ دَعْوتَهُ ، وَتَلْبِيَةِ طَلَبَتِهِ ، وعَن ما ابْتَلاَهُ بِهِ مِن ذَبحِ ابْنِهِ اسْمَاعِيْلَ وَأَخْبَرَ عن ما مَنَّ عَلَيْهِ بِهِ مِن العِلْم ، والدَّعْوَةِ ، والصَّبْرِ ، وَمَا أكْرَمَهُ به مِن الذُرِّيَةِ الصَّالِحَةِ ، والنَّسْلِ الطَّيِّبِ ، وأَنَّهُ جَعَلَ صَفْوَةَ الخَلْقِ مِن نَسْلِهِ .

١٧٦ ـ وأَخْبَرَ عَن يُوْسُفَ عَلَيْهِ السلامُ ، وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ اخْوَتِهِ ، وَمِقْدَارِ لُبْثِهِ في السِّجْنِ ، وَمُرَاوَدَةِ امْرَأةِ العَزِيْزِ لَهُ ، وظُهُورِ بَرَاءَتِهِ ، وَبَيَانِ صِدْقِهِ ، وايْثَارِ اللَّهِ لَهُ عَلَى إِخْوَتِهِ ، وَما جَرَى لِأَبِيْهِ يَعْقُوْبَ .

١٧٧ ـ وأَخْبَرَ عن لُوْطٍ ، وَمَا قَالَهُ لِقَوْمِهِ ، تَوْبِيْخاً لَهُمْ ، وَجَوَابِهِمْ السَّخِيْفِ لَهُ جَزَاءَ نُصْحِهِ ، وَانْجَاءِ اللَّهِ لَهُ ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا امْرَأَتَهُ ، وَأَخْبَرَ عن مَجِيءِ الرُسُلِ إِلَيْهِ ، وأنه سَاءَهُ مَجِيْئُهُمْ ، وَذلِكَ لِمَا يَتَوَقَّعُهُ مِن اعْتِدَاءِ قَوْمِهِ عَلَيْهِم وَفِعْلاً جاؤُا يُهْرَوُلُونَ إِلَيْهِ ، وَأَخْبَرَ عَنْ مَا أَوْقَعَهُ اللَّهُ بِهِمْ مِن العُقُوبَةِ العَظِيْمَةِ ، جَزَاءَ فِعْلَتِهِم ، الشَّنِيْعَةِ ، التِي لَمْ يَسْبِقَهُمْ بِهَا أَحَدٌ .

١٧٨ ـ وَأَخْبَرَ عَن زَكَرِيَا ، وَنِدَائِهِ لِربهِ ، وَآثارِهِ الصَّالِحَةِ وَمَنَاقِبِهِ

الجَميْلةِ ، وَتَبْشِيْرِ اللَّهِ لَهُ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ، وَطَلَبِهِ من رَبِهِ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ آيةً ، يَطْمَئِنُ بِهَا قَلْبُهُ ، وَلَيْسَ شَكاً في خَبَرِ اللَّهِ ، وإِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ الخَلِيْلُ ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الموتَى قالَ : أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ ؟ قَالَ : بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِيْ ﴾ واجابَةِ اللَّهِ إلى طِلْبَتِهِ ، وَمَنْعِهِ مِن الكلامِ ، ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيَاً .

١٧٩ ـ وأخبر عن يحيى عليه السلام وأن الله جعله برا بِوَالِدَيْه ، ولا يَتَعَالَى عَن قَبُولِ الحَقِ ، وَوَصَفَهُ بِصِفَاتٍ كلِّهَا مَنَاهِـجَ لِلْخَيْرِ ، وَوَسَائِلِ لِلطَّاعَةِ ، أَوَّلُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وآتيناهُ الحُكْمَ صَبِياً ﴾ إلى أنْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ جَزاءَهُ ، عَلَى مَا قَدَّمَ مِن عَمَلٍ صَالِحٍ ، وأَسْلَفَ مِن طَاعَة رَبِهِ .

١٨٠ ـ وأخبر عما أخبر اللَّه به جَلَّ وَعَلَا عن مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ ، وأَنَّهُ أَنجَبَ مِنْهَا وَلَدَاً مِن غَيْرِ أَبٍ ، وَتَقَدَّمَ الكلامُ حَوْلَهَا وَوَلَدِهَا عَلَيْهِمَا السلامُ ، وما لَقِيَا مِنَ الابْتِلَاءِ والامْتِحَانِ ، وما قَابَلَا بِهِ ذَلِكَ .

١٨١ ـ وأَخْبَـرَ عن يُوْنُسَ عليـه السلامُ ، وإِبَـاقِهِ إلى الفُلْكِ ، وَمُسَاهَمَتِهِ لِأَهْلِ الفُلْكِ ، والتِقَامِ الحوتِ لَهُ ، وانَّهُ كانَ مِنْ المُسَبِّحِيْنَ ، الذينَ يَذْكُرُوْنَ اللَّهَ كَثِيْراً ، وعن نَبْذِهِ في مَكَانٍ خَالٍ لا نَبَاتَ فِيْهِ ، وأخْبَرَ عَن لُطْفِهِ بِهِ ورِعَايَتِهِ لَهُ ، وَعِنَايَتِهِ بِهِ ، بانْبَاتِ شَجَرَةِ اليَقْطِيْنِ ، وَأَنَّهُ أَرْسَلَهُ ﴿ إلى مَائَةِ أَلفٍ ، أَوْ يَزِيْدُون﴾ وأَنَّهُمْ آمَنُوْا ، وَمَتَعَهُمُ اللَّهُ إلى حِيْنٍ .

اللهُمَّ عامِلْنا بلُطْفِكَ وإحسانِكَ ، وَوفقْنا لطاعِتِكَ ومَرْضاتِكَ واغْفِرْ لنا ولوالِدِيْنا وجميعِ المسلمين ، برحْمتِكَ يا أرحَمَ الراحمين ، وصلى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

عِبَادَ اللَّهِ لِلْعِلْمِ الدِيْنِيْ آثارٌ جَلِيْلَةٌ كَمْ جَلَّ بِهَا رَجُلٌ حَقِيْرٌ وَكُلَّمَا كانَ الرَّجُلُ أَعْلَمَ بالعِلْمِ الدِيْنِي كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وعندَ العُقلاءِ جَلِيْلٌ مَضَى

السَّلفُ الصَّالِحُ الذِيْنَ يَطِيْبُ المَجْلِسُ بِذِكْرِهِمْ لِقَدْرِهِمُ المُنْقَطِعِ النَّظِيْرِ كأنوار رِجَالاً مِثْلَنَا وَلَكِنْ بِبَرَكَاتِ مَا وَهَبَهُمْ مَوْلاَهُمْ مِن العِلْمِ الدِيْنِي وَآثَارِهِ الجَلِيْلَةِ كَانُوا خَيْرَ الناسِ بَعْدَ النَّبِيِّيْنَ كانُوْا أَغْنَى العَالَمِ لأَنَّهُمْ رَضُوْا بِقِسْمَةِ مَوْلاَنا الحَكِيم الخَبِيْرِ وكانُوا أَشْجَعَ الناسِ لأَنَّهُم عَلِمُوْا أَنَّ الأَجلَ لا يُطِيْلَهُ الجُبْنُ الذَّمِيْمُ فَكَمْ مِن قَتْلَةٍ قُرِنَتْ بالجُبْنِ كَمَا قِيْلَ :

كَمْ مَخْلَصٍ وَعُلاً في خَوْضِ مَهْلَكَةٍ
وَقَتْلَةٍ قُرِنَتْ بالذَّمِ في الجُبُنِ

وكانُوا في الحِلْمِ والعَقْلِ كالجبَالِ الرَّوَاسِيْ وكانُوا مَحَطَّ رِحَالِ الجُوْدِ والكرمِ لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ البَخِيْلَ بَعِيْدٌ مِن اللَّهِ بَعِيدٌ مِن الناسِ وانَّ الذي يَرْضَى بالبُخْلِ ويَحُثُّ عَلَيْهِ ابْلِيْسُ لَعَنَهُ اللَّهُ وكانُوا يَسْتَقْبِلُونَ البَلاَيَا مَهْمَا قَسَتْ بالصَّبْرِ الجَمِيْلِ لِعِلْمِهِم أَنَّها تَصرُّفُ الحَكِيْمِ الخَبِيْرِ وكانُوا يَسْتَقْبِلُونَ النِعَمَ بالحَمْدِ والشُكْرِ لِجَزْمِهِمْ أنها لِلَّهِ وَمِن اللَّهِ وَأَنَّهُ يَزِيْدُ الشَّاكِرِيْنَ وَيَرْضَى عن الحَامِدِيْن وكانُوا أَبْعَدَ الناسِ عن الشَّرِ ولا يُحِبُّوْنَ أَهْلَهُ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ يُغْضِبُ اللَّهَ وكانُوا يُحِبُونَ الخَيْرَ لإِخْوَانِهِمْ المسْلِمِيْنَ وكانُوا لا يُضْمِرُوْنَ حَسَداً ولا شَراً لأحدٍ مِن اخْوَانِهِمْ المُؤْمِنِين لِعِلْمِهِمْ انَّ اللَّهَ يُحِيْطُ عِلْماً بِمَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُونَ وَكانُوا إِذا قالوا أَوْ فَعَلُوا يَتَحَرَّوْنَ ما يُرْضِيْ اللَّهَ تعالى فِيْمَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ وكَانُوا لاَ يَشْهَدُوْنَ المنكر والزُوْرَ بَلْ يُنْكِرُوْنَ عَلَى مَنْ يَحْضُرُوْنَ وَكَانُوْا يَحُنُّوْنَ إلى مَجَالِسِ الذِكْرِ حَنِيْنَ الإِلْفِ فارَقَهُ الإِلفُ وهَكَذَا كانُوْا إذا أَرَادُوْا أَنْ يَتحَرَّكُوا أَوْ يَسْكَنُوْا باسْتِثَارَةِ العِلْمِ الدِيْنِيْ يَتَحَرَّكُوْنَ وَيَسْكُنُوْن لِهَذا كَانُوا لِلْيَوْمِ مَوْضِعَ اعْجَابِ الشَّرْقِ والغَرْبِ وَنَالُوا فَوْقَ هَذَا رِضَى رَبِّ العَالَمِيْن هَكَذا كانُوْا بِبَرَكاتِ ما وَهَبَهُمُ اللَّهُ مِن العِلْمِ الدِيْنِيْ أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ كُنَّا مَوْضِعَ إِعْجَابٍ مِن نَاحِيَةٍ أَنَّ هَدَفَنَا

في التَّعْلِيْمِ هُوَ الحُطَامُ الفَانِي لا غَيْرُ لِهَذَا كانَ الوَاحِدُ مِنَّا إذا رَسَبَ يَكَادُ يَنْتَحِرُ وَيقُولُ فَاتَ عَلَيَّ سَنَةٌ مَحْصُولُ رَوَاتِبِهَا لا يَقِلُ عَن خَمْسَةِ آلافٍ وَلَوْ كَانَ قَصْدُهُ العِلْمَ بِمَا جَهِلَهُ وَتَوْجِيْهَ عِبَادَ اللَّهِ عِنْدَمَا يَنْجَحُ كانَ عِنْدَه يَتَسَاوَى السُّرْعَةُ والبُطْءُ لِأَجْلِ أَنْ يَمْهَرَ في المَعْلُومَاتِ لِهَذَا القَصْدِ مَاتَتِ الفَضَائِلُ وانْتُزِعَتْ بَرَكَةُ العِلْمِ وفُقِدَتْ هَيْبَةُ العَالِمِ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ وَصَارَ كُلٌّ يُفْتِي وَكُلٌّ يُرَشِّحُ نَفْسَه لِلْفُتْيَا فَوْراً وَلَكِنَّ النَّاسَ الوَرِعِيْنَ لاَ يَطْمَئِنُّوْنَ إلاَّ إلى النَّوادِرِ مِمَّنْ يُوْثَقُ بِدِيْنِهِمْ وَأَمانَتِهِمْ وَيَتْرُكُونَ المُرَائِيْنَ والمُحِبِّيْنَ لِلظُّهُوْرِ والشُّهْرَةِ الذين ضَاعُوا وضَيَّعُوا عِبادَ اللهِ .

وَخِتَاماً فَلَوْ أَنَّنا أَحْيَيْنَا طَرِيْقَةَ سَلَفِنَا في العِلْمِ المُطَابِقِ لِلْعَمَلِ لأَصْبَحْنَا وَقَدْ أَحْيَيْنَا عِزَّهُمْ وَشَرَفَهُمْ الدّفِيْنَ رَحْمَةُ اللَّهِ على تِلْكَ الأَرْوَاحِ العَامِلَةِ بِمَا عَلِمَتْ .

شِعْراً:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْكِ العُلُومَ وَأَهْلَهَا
وَقَدْ غَيَّبْتَهَا في التُّرَابِ لُحُوْدُ

فَأَنْتَ بَهِيْمِيُّ الطِّبَاعِ وَإِنَّمَا
قُصَارَاكَ ثَوْبٌ نَاعِمٌ وَثَرِيْدُ

سَتَبْكِيْ العُلاَ قَوْماً تَسَامَوْا لِنَيْلِهَا
كَأَنَّ لَهُمْ دَمْعَ العُيُونِ هُجُودُ

يُعِيْدُوْنَ مِنْهَا مَا تَعَفَّتْ رُسُوْمُهُ
فَتُضْحِيْ عَلَيْهَا لِلْفِخَارِ بُرُوْدُ

كَفَى غُرْبَةً لِلدِّيْنِ هَذَا الذِيْ نَرَى
فَلَيْسَ عَلَى ذَا الاغْتِرَابِ مَزِيْدُ

أَلَمْ تَبْقَ في أَهْلِ الدِّيانَةِ هِمَّةٌ
أَلَمْ يَبْقَ شَخْصٌ للطُّغَاةِ يَذُوْدُ

اللّهُمَّ رَضِّنَا بِقَضَائِكَ وَأَعِنَّا عَلَى الدُّنْيَا بِالعِفَّةِ وَالزُّهْدِ وَالقَنَاعَةِ وَعَلى الدِّيْنِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَطَهِّرْ أَلْسِنَتَنَا مِن الكَذِبِ وَقُلُوبَنَا مِن النِّفَاقِ وَأَعْمَالَنَا مِن الرِّيَاءِ وَاحْفَظْ أَبْصَارَنَا مِن الخِيَانَةِ فَإنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُوْر

اللَّهم ثَبِّتْنَا على قَوْلِكَ الثابتِ في الحَيَاةِ الدنيا وفي الآخرةِ وَوَفِّقْنَا لِمَا وَفقتْ لَهُ عِبَادَكَ الصَالِحين مِن امْتِثَالِ أوامِرِكَ واجتنابِ نَوَاهِيْكَ واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى اللّه على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

« فَصْــلٌ »

١٨٢ ـ وأَخْبَرَ عن صالحٍ عليه السلامُ ، وإرْسَالِهِ إلى ثَمُودَ القَبِيْلَةِ المَعْرُوْفَةِ ، الذين يَسْكُنُونَ الحِجْرَ ، وَمَا حَوْلَهُ ، وأَنَّهُ دَعَاهُمْ إلى التَّوْحِيْدِ ، وَنَهَاهُمْ عن الشِّرْكِ ، وأَنَّهُ جاءَهُم بِآيةٍ ، خارقةٍ مِن خَوارِقِ العَاداتِ ، وَهِيَ نَاقَةٌ شَرِيْفَةٌ ، فَاضِلَةٌ .

وَأَخْبَرَ أَنَّهُ بوَأَهُمْ في الأرضِ ، وَمَكَّنَ لَهُمْ فِيْهَا ، وسَهَّلَ لَهُمْ الأَسْبَابَ ، المُوْصِلَةَ إِلَى مَا يُرِيْدُوْنَ ، وَأَمَدَّهُمْ بالقُوَّةِ ، وأَنَّهُمْ قَابَلُوا اخْلاَصَ صَالِحٍ وَنُصْحَهُ ، بِعَقْرِ النَّاقَةِ ، والتَّحَدِيْ بالعَذَابِ ، وَآخِرُ الأَمْرِ ﴿ أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ، فَأَصْبَحُوا في دَارِهِم جاثِمِيْنَ ، كأنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيْهَا ﴾ ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ولكن كانُوا أَنْفُسَهم يَظْلِمُون ﴾ .

١٨٣ ـ وَأَخْبَرَ عن هُوْدٍ عَلَيهِ السلامُ ، وارسالِهِ إلى عادٍ الأُوْلَى ، في أرْضِ اليَمَنِ ، يَدْعُوهُمْ إلى التَّوْحِيْدِ ، وَيَنْهَاهُمْ عن الشِّرْكِ ، وَأَنَّهُم قَابَلُوا دَعْوَتَهُ بِرَمْيِهِ بالسَّفَاهَةِ ، والكَذِبِ ، واسْتَنْكَرُوْا التَّوْحِيْدَ ، واحْتَجُّوْا عَلَيْهِ بِمَا لاَ يَصْلَحُ عَقْلاً وَلاَ شَرْعاً أَنْ يَكُونَ حُجَّةً ، مِنْ تَقْلِيْدِ الآبَاءِ ، والأَجْدَادِ ، وَتَحَدُّوْهُ

بإتْيَانِهِ بالوَعِيْدِ ، وأَجَابَهُمْ هُوْدٌ على مَقَالَتِهِم ، وآخِرُ الأَمْرِ أَنْجى اللَّهُ هُوداً والذينَ آمنوا معه ، وقَطَعَ دَابِرَ المكذِبِين بآياتِ اللَّهِ .

١٨٤ ـ وأَخْبَرَ عن شُعَيْبٍ عليه السلامُ ، وإرسَالِهِ إلى مَدْيَنَ ، وَأَنْ لاَ يَبْخَسُوا الناسَ أشْيَائَهُمْ ، وَأَن لاَ يَعْثَوْا في الأَرْضِ مُفْسِدِين ، وَأَنَّ أَشْرَافُهُمْ والكُبَرَاءَ مِنْهُمْ قَابَلُوا ذَلِكَ بالتَّهْدِيْدِ باسْتِعْمَالِ القُوَّة السَّبُعِيَّةِ ، وَلَمْ يُرَاعُوْا دِيْناً ، ولا ذِمَّةً ، ولا حَقاً ، بَلْ اتَّبَعُوْا عُقُولَهُم السَّخِيْفةِ ، وآخِرُ الأَمْرِ أَخَذَتْهُمْ الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيْدَةُ ، فأصْبَحُوا في دَارِهِم جَاثِمِيْن .

١٨٥ ـ وَأَخْبَرَ عن أَصْحَابِ الكَهْفِ ، وأَنَّهُمْ فِتيةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِم ، وأنَّ اللَّهَ لَطَفَ بِهِم حَيْثُ وَفقَهُمْ لِلإِيْمَانِ ، وأَنَّهُمْ اعْتزَلُوا قَومَهُم ، وآوَوْا إِلى الكَهْفِ ، وَبَيَّنَ حَالَهُمْ بَعْدَ أَنْ آوَوْا إِلى الكَهْفِ وَهُوَ أَنَّ الشَّمْسَ تَمِيْلُ عن كَهْفِهِمْ جِهَةَ اليَمِيْن ، وَعِنْدَ الغُرُوْبِ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِمَالِ ، فَلاَ تُصِيْبُهُمْ الشَّمْسُ في طُلُوعِهَا ، ولا غُرُوبِهَا ، وَبَيَّنَ أَنَّ هِدَايَتَهُمْ ، كَانَتْ بِعِنَايَةِ اللَّهِ إلى آخِرِ قِصَّتِهِمْ .

١٨٦ ـ وَأَخْبَرَ عَن أَيُوْبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، وَمَا أَصَابَهُ الشيطانُ بِهِ ، وَنِدَاءَهُ لِرَبِهِ واسْتِجَابَةِ اللَّهِ لَهُ ، وَكَشْفِ مَا بِهِ مِن ضُرٍ ، وإعطائِهِ أَهْلَهُ ، وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ .

١٨٧ ـ وَأَخْبَرَ عَن إِسْمَاعِيْلَ عَلَيْهِ السلامُ ، وأَنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَأَنَّهُ مِن وَفَائِه بالوَعْدِ لَمَّا وَعَدَ مِن نَفْسِهِ الصَّبْرَ على ذَبْحِ أَبِيْهِ لَهُ ، قَالَ سَتَجِدُنِيْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَفىَّ بِذَلِكَ ، وَمَكَّنَ أَبَاهُ من الذَّبْحِ ، الذِيْ هُوَ أَعْظَمُ مُصِيْبَةٍ تُصِيْبُ الإِنْسَانَ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بالصَّلاةِ والزكاةِ الخ .

١٨٨- وَأَخْبَرَ عن إِدْرِيْسَ عَلَيْهِ السلاَمُ وَأَنَّ اللَّهَ وَصَفَهُ بِصِفَاتِ الكَمَالِ، حَيْثُ جمعَ لَهُ بَيْنَ الصِّدِّيْقِيَّةِ وَبَيْنَ اصْطِفَائِهِ لِوَحْيِهِ وَأَنَّهُ رَفعَهُ مَكاناً عَالِياً .

١٨٩ - وَأَخْبَرَ عن اسْحَاقَ عَلَيْهِ السلامُ، وَأَنَّهُ مِمَّنْ اخْتَارَهُمْ اللَّهُ واصْطَفَاهُمْ ، وَشَرَّفَهُمْ بِطَاعَتِهِ ، وَقَوَّاهُمْ عَلى العَمَلِ لِمَا يُرْضِيْهِ ، وَآتَاهُمُ البَصِيْرَةَ فِي الدِّيْنِ قال اللَّه تعالى ﴿ واذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيْمَ واسْحَاقَ وَيَعْقوبَ أُولِى الأَيْدِي والأَبْصَارِ إنا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَة ذِكْرَى الدَّارِ ، وإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ المُصْطَفِيْنَ الأَخْيَارِ ﴾ .

١٩٠ - وأَخْبَرَ عَن ذِيْ القَرْنَيْنِ ، وَأَنَّه بَلَغَ المَشَارِقَ والمَغَارِبَ ، وَأَنَّ اللَّه أَعْطَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبَا ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ ، وَجَدَ مِن دُوْنِهِمَا قَوْماً لاَ يَكَادُوْنَ يَفْهَمُوْنَ كَلاَمَ أَتْبَاعِهِ ولا كَلاَمَ غَيْرِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ أَخْبَرُوْهُ ، عن إِفْسَادِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَأَنَّهُم أَرَادُوْا أَنْ يَجْمَعُوْا لَهُ وَيَجْعَلُوا لَهُ خَرْجَاً على أَنْ يَسُدَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ يَأْجُوْجَ ومأْجُوْجَ وأَنَّه قال مَا أَنَا فِيْهِ خَيْرٌ مِمَّا تَبْذِلُونَهُ وَأَجَابَهُم إِلى طَلَبِهِمْ وَهُوَ السَّدُ على يَأْجُوْجَ ومأْجُوْجَ بأَنْ يَجْعَل رَدْماً . بَيْنَهُم وبَيْنَ يَأجُوج ومَاجُوج.

١٩١ - وَأَخْبَرَ عَن لُقْمَانَ وَأَنَّ اللَّه آتاهُ الحِكْمَةَ ، وَأَخْبرَ عَن مَوْعِظَتِهِ لابْنِهِ ، المُتَضَمِّنَةِ لِلتَّحْذِيْرِ مِن الشِرْكِ ، وَالأَمْرِ بالاخلاصِ لِلّهِ وَحْدَهُ وَذَكَرَ جَلَّ وَعَلاَ أَمْرَهُ لَهُ بالشُّكْرِ ، وَأَنَّ شُكْرَ الشاكِرِ يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِ، وَانَّ مَن كَفَرَ فاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيْدٌ فلا يَضُرُّ الكُفْرُ إِلاَّ صَاحِبَهُ ، وأَنّ مِن وَصَايَا لُقْمَانُ القَيِّمةِ لابْنِهِ الأَمْرُ باقامَةِ الصلاةِ ، والأمرُ بالمعروفِ ، والصبرُ على ما يُصِيْبُهُ ، وَأَنَّ تِلْكَ

الوَصَايَا مِن الأُمُوْرِ المُهِمَّةِ التِي يُعْزَمُ عَلَيْهَا ، وَيَتَحَتَّمُ على العِبَادِ فِعْلُهَا ، ولا مَحِيْصَ مِنْهَا ، ثُمَّ حَذَّرَهُ مِن أَشْيَاءَ أُخَرَ أَوَّلُهَا الكِبْرُ الخ .

١٩٢ ـ وَأَخْبَرَ عن الخَضِرِ ، وما اخْتُصَّ بِهِ مِن العِلْمِ ، وما جرى بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُوْسَى ، عِنْدَمَا اتَّصَلَ بِهِ ، وَمَا جَرَى لِمُوْسَى وَفَتَاهُ ، في سَفَرِهِ إلى الخَضِرِ ، وَمَا تَزَوَّدَاهُ في السَّفَرِ ، إلى آخِرِ القِصَّةِ

اللهم يا هادي المُضِلِّين ويا رَاحِمَ المذنبين ، ومُقِيْلَ عَثَراتِ العَاثِرين ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُلْحِقَنا بِعِبَادِك الصَّالِحِين الذينَ أَنْعَمْتَ عَليهم مِن النبيين والصِدِيقين والشُهداء والصَّالِحِين آمِيْن يَارَبَّ العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أَجْمَعِين .

« فَصْــلٌ »

١٩٣ ـ وَأَخْبَرَ عَنْ أَهْلِ القَرْيَةِ ، إذ جَاءَهَا المُرْسَلُون ، وما جَرَى مِن أَهْلِ القَرْيَةِ ، مِن التَّكْذِيْبِ لِلرُّسُل ، وَمَا قَالَهُ الرُسُلُ ، وأن أَهْلَ القرية حِيْنَمَا تَوَعَدُوْا الرُسُلَ وَهَمُّوْا بِقَتْلِهِمْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْعَى مِن أَطْرَافِ المَدِيْنَةِ ، لِيَنْصَحَ قَوْمَهُ ، وَيَحُضُّهُمْ على اتِّبَاعِ الرُسُل ، وَيَذُبُّ عن الرُسُلِ ، وَأَنَّهُ أَبَانَ لَهُمْ أَنَّهُ ما اخْتَارَ لَهُمْ إلَّا مَا اخْتَارَ لِنَفْسِهِ ، وَهَذَا يُشْبِهُ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَونَ الذِيْ دَافَعَ عن مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَأَخْبَرَ عَن مَا حَلَّ بِأَهْلِ القَرْيَةِ ، مِن النَّكَالِ والعُقُوبَةِ .

١٩٤ ـ وَأَخْبَرَ عَن سَبَإٍ ، وَمَا أَمَدَّهُمْ بِهِ مِن البَسَاتِيْنِ ، والمِيَاهِ العَظِيْمَةِ ، والثِّمَارِ التِي بِهَا يَتَنَعَمُونَ ، وَيَحْصلُ لَهُمْ بِهَا الغِبْطَةُ ، والسُرُوْرُ ، وَأَنَّهُمْ ظَلَمُوْا أَنْفُسَهُمْ ، وَكَفَرُوْا باللهِ ، وَبِنِعْمَتِهِ ، فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ ، وَذَهَبَ بالبَسَاتِيْنِ ، وَأَهْلَكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ ، وَبُدِّلُوا بِتِلْكَ الجِنَانِ ، والبَسَاتِيْنِ الحَسَنَةِ ، بُسْتَانَيْنِ لَيْسَ فِيْهِمَا إلا أَشْجَارٌ تَافِهَةٌ ، لا يُؤْبَهُ لَهَا ، وما ظَلَمَهُمُ اللهُ ولَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون .

١٩٥ ـ وَأَخْبَرَ عن قَارُوْنَ وَمَا أُوتِيَهُ من كُنُوزٍ ، وَأَنَّ مَفَاتِحَهُ تَنُوءُ بالعُصْبَةِ أُولى القُوَّةِ ، وأَنَّهُ بَغَى عَلَى مُوْسَى وَقَوْمِهِ ، وَأَنَّ قَوْمَهُ نَصَحُوْهُ ، بِعِدَّةِ نَصَائِحَ ، وَأَنهُ قَابَلَهَا بالإباءِ ، وَكُفْرانِ النِّعْمَةِ ، وأنه خَرَجَ مَرةً عَلَى قومِهِ في زِيْنَتِهِ ، وأَخْبرَ عَن مَا قَالَ لَهُ مُرِيْدُوْا الحَيَاةِ الدُنْيَا ، وما قَالَ لَهُمْ أَولُو العِلْمِ ، وَذَكَرَ مآلَ بَطَرِهِ وأشرهِ ، وما حَلَّ بِهِ من الوَبَالِ ، والنَّكالِ ، وَهُوَ الخَسْفُ بِهِ وبِدَارِهِ

وقال اللَّهُ تَعالى لِنَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ محمدٍ صلى اللَّهُ عليه وسلم ﴿ وما كُنْتَ بجانبِ الطورِ إذ نادَيْنَا ﴾ وقال ﴿ وما كُنْتَ بجانبِ الغربِي إذْ قضينا إلى مُوْسى الأَمرَ ، وما كُنْتَ مِن الشاهِدِيــن ﴾ وقال ﴿ ذَلِكَ مِن أَنْباءِ الغَيْبِ نُوحِيْهِ اليكَ وما كُنْتَ لَدَيْهِم إذ يُلْقُونَ أقلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيمَ ﴾ وقال تعالى ﴿ تِلكَ مِن أَنْبَاءِ الغيبِ نوحِيْهَا إليكَ ما كُنْتَ تعلمُهَا أَنْتَ ولا قومُكَ مِن قبلِ هذا ، فاصبرْ إن العاقبةَ لِلْمتَقِين ﴾ .

وقال تعالى ﴿كذلك نَقُصُّ عليكَ مِن أَنْبَاءِ ما قَدْ سَبَقَ ﴾ الآية .

وقال تعالى ﴿ نحنُ نَقُصُّ عليكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بما أَوْحَيْنَا اليكَ هذا القرآنَ وإن كُنْتَ مِن قبلِهِ لَمِنَ الغافِلين ﴾ وقال ﴿ ذَلِكَ مِن أنباءِ الغَيْبِ نُوحِيْهَا اليكَ وما كنتَ لَدَيْهِم إذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُم وَهُم يَمكرون ﴾ .

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يَعْلَمْهَا عن مُشَاهَدَةٍ وَلَكِنْ أَعْلَمَهُ إِيَّاهَا الذِيْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً الذي لا تَخْفَى عليهِ خَافِيَةٌ في الأرضِ ولا في السماءِ وقال تعالى ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وما كُنَّا غَائِبِين ﴾ وَأَخْبَرَ النبيُّ صلى اللَّهُ عليهِ وسلم بِأُمُوْرٍ غَيْبِيَّةٍ غَيْرَ ما ذَكَرْنَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِهَا وفي بَعْضِ ما

ذَكرنا كِفَايَةٌ تَامَّةٌ لِمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَهَا وَيَتَأَمَلَهَا لِيَقْوَى إِيْمَانُهُ بِاللَّهِ ورسلِهِ وَبِمَا أَخْبَرُوْا بِهِ صَلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليهم أَجْمَعِين .

اللهم بارك في أعمارنا وأصلح أعْمَالَنَا ونِيَاتِنَا وذُرِّيَاتِنَا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْــلٌ)

وقال شيخُ الاسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رحمهُ اللَّهُ وسيرةُ النبي صلى الله عليه وسلم مِن آياتِهِ وأَخلاقُهُ وَأَقْوَالُهُ وَأَفْعَالُهُ وَشَرِيْعَتُه مِن آيَاتِهِ وَأُمَّتُهُ مِن آياتِهِ وكَرَامَاتُ صَالِحِي أُمَّتِهِ مِن آياتِهِ .

وَذَلِكَ يَظْهَرُ بِتَدَبُرِ سِيْرَتِهِ مِن وُلِدَ إِلى أَنْ بُعِثَ وَمِن حِيْنِ بُعِثَ إِلى أَنْ مَاتَ وَبِتَدَبُّرِ نَسَبِهِ وَبَلَدِهِ وَأَصْلِهِ وَفَصْلِهِ فإِنَّهُ كان مِن أَشْرَفِ أَهْلِ الأَرْضِ نَسَبًا مِن صَمِيْمِ سُلاَلَةِ إِبْرَاهِيْمَ الذي جَعَلَ اللَّهُ في ذُرِّيَتِهِ النُبُوَّةَ والكِتَاب .

فَلَمْ يَأْتِ نَبِيٌ مِن بَعْدِ ابْرَاهِيْمَ إلا مِن ذُرِيَّتِهِ وَجَعلَ لَهُ ابْنَيْنِ اسْمَاعِيْلَ واسْحَاقَ وَذُكِرَ في التَّوْرَاةِ هَذَا وهَذَا وَبُشِّرَ في التَّوْرَاةِ بِمَا يَكُونُ مِن وَلَدِ اسْمَاعِيْل .

ولم يَكُنْ في وَلَدِ اسْمَاعِيْلَ مَن ظَهَرَ فِيْمَا بَشَّرَتْ بِهِ النُّبُوَّاتُ غَيْرَهُ وَدَعَا ابراهيمُ لِذُرِّيَةِ اسْمَاعِيْل بأنْ يَبْعَثَ فِيْهِمْ رَسُوْلاً مِنْهُمْ ثُمَّ هُوَ مِن قُرَيْشٍ صَفْوَةِ بَنِيْ إِبْرَاهِيْمَ مِن بَنِيْ هَاشِمٍ صَفْوَةِ قُرَيْشٍ .

وَمِنْ مَكَّةَ أُمّ القُرَى وَبَلَدُهُ البَيْتُ الذِيْ بَنَاهُ إِبْرَاهِيْمُ وَدَعَا الناسَ إِلى حَجِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ مَحْجُوْجاً مِن عَهْدِ إِبْرَاهِيْمَ مَذْكُوراً في كُتب الأَنْبِيَاءِ بِأَحْسَن وَصْفٍ ، وكانَ مِن أَكْمَلِ النَّاسِ تَرْبِيَةً وَنَشْأَةً لَمْ يَزَلْ مَعْرُوْفاً بالصِّدْقِ والبِرّ والعَدْلِ وَمَكَارِمِ الأخلاقِ وتَرْكِ الفَوَاحِشِ والظُلْمِ وَكُلِّ وَصْفٍ مَذْمُوْمٍ .

مَشْهُوداً لَهُ بِذَلِكَ عندَ جَمِيْعِ مَنْ يَعْرِفُهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَمِمَّنْ آمَنَ بِهِ وَكَفَرَ بَعْدَ النُّبُوَةِ ، لَا يُعْرَفُ لَهُ شَيْءٌ يُعَابُ بِهِ لا في أقوالِهِ ولا في أفعالِهِ ولا في أخلاقِهِ ولا جُرِّبتْ عَليهِ كِذْبَةٌ قطُ ولا ظُلْمٌ ولا فَاحِشَةٌ .

وَكَانَ خُلُقُهُ وَصُوْرَتُهُ مِن أَكْمَلِ الصُوَرِ وَأَتَمِهَا وَأَجْمَعِهَا لِلْمَحَاسِنِ الدَّالَةِ عَلَى كَمَالِهِ ، وكانَ أُمِّياً مِن قومٍ أُمِّيِّيْنَ لا يَعْرِفُ لا هُوَ ولا هُمْ مَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الكِتَابِ « التَّوراةِ والانجيل » .

ولم يَقْرَأْ شَيْئاً مِن عُلُومِ الناسِ ولا جَالَسَ أَهْلَهَا وَلَم يَدَّعِ بِنُبُّوَةٍ إلى أَنْ أَكْمَلَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً فأتَى بِأَمْرٍ هُوَ أَعْجَبُ الأُمُوْرِ وَأَعْظَمُهَا وَبِكَلَامٍ لَمْ يَسْمَعْ الأَوَّلُونَ والآخرونَ بِنَظِيْرِهِ .

وَأَخْبَرَ بِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ في بَلَدِهِ ولا في قَوْمِهِ مَنْ يَعْرِفُ مِثْلَهُ وَلَمْ يُعْرَفْ قَبْلَهُ ولا بَعْدَهُ ، لا في مِصْرٍ مِن الأَمْصَارِ ولا في عَصْرٍ مِن الأَعْصَارِ مَن أَتَى بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ ولا مَنْ ظَهَرَ كَظُهُوْرِهِ .

وَلَا مَنْ أَتَى مِن العَجَائِبِ والآياتِ بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ ولا مَن دَعَا إِلى شَرْيعَةٍ أَكْمَلَ مِن شَرِيْعَتِهِ ، ولا مَنْ ظَهَرَ دِيْنُهُ على الأَدْيَانِ كُلِّهَا بالعِلْمِ والحُجَّةِ وباليَدِ والقُوَّة كَظُهُوْرِهِ .

ثم إِنَّهُ اتَّبَعَهُ أَتْبَاعُ الأَنْبِيَاءِ وَهُمُ الضُعَفَاءُ مِن الناسِ وَكَذَّبَهُ أَهْلُ الرِئَاسَةِ وَعَادَوْهُ وَسَعَوْا في هَـلَاكِهِ وَهَـلَاكِ مَن تَبِعَهُ بِكُلِّ طَرِيْقٍ ، كَمَا كَانَ الكُفَارُ يَفْعَلُونَ مَعَ الأنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِم .

والذِيْنَ اتَّبَعُوهُ لَمْ يَتَّبِعُوْهُ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَالٌ يُعْطِيْهِم

ولا جِهَاتٍ يُوَلِّيْهِم إيَّاهَا ولا كانَ لَهُ سَيْفٌ بَلْ كَانَ السَّيْفُ والجَاهُ والمالُ مَعَ أَعْدَائِهِ ، وقَدْ آذَوْا أَتْبَاعَهُ بِأَنْوَاعِ الأَذَىٰ وَهُمْ صَابِرُوْنَ مُحْتَسِبُونَ لا يَرْتَدُوْنَ عن دِيْنِهِم لَمَّا خَالَطَ قُلُوْبَهُمْ حَلاَوَةُ الإيمانِ والمَعْرِفَةِ .

وكانَتْ مَكَّةُ يَحُجُّهَا العَرَبُ مِن عَهْدِ إبْرَاهِيْمَ فَتَجْتَمِعُ في المَوْسِمِ قَبَائِلُ العَرَبِ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ يُبَلِغُهُمْ الرِّسَالَةَ وَيَدْعُوْهُمْ إلى اللَّهِ صَابِراً على مَا يَلْقَاهُ مِن تَكْذِيْبِ المُكَذِبِ وَجَفَاءِ الجَافِي واعْرَاضِ المُعْرِضِ إلى أَنْ اجْتَمَعَ بِأَهْلِ يَثْرِبَ وكانُوا جِيْرَانَ اليَهُودِ قَدْ سَمِعُوْا أَخْبَارَهُ مِنْهُمْ وَعرَفُوْهُ .

فَلَمَّا دَعَاهُم عَلِمُوْا أَنَّهُ النَّبِيُ المُنْتَظَرُ الذِي تُخْبِرُهُمْ بِهِ اليَهُوْدُ وَكَانُوا قَدْ سَمِعُوْا مِن أَخْبَارِهِ مَا عَرَفُوا بِهِ مَكَانَتَهُ ، فإِنَّ أَمْرَهُ كَانَ قَدْ انْتَشَرَ وَظَهَرَ في بِضْعِ عَشْرَةَ سَنَةً فَآمَنُوا بِهِ وَبَايَعُوْهُ على هِجْرَتِهِ وَهِجْرَةِ أَصْحَابِهِ إلى بَلَدِهِم وَعَلَى الجِهَادِ مَعَهُ فَهَاجَرَ هُوَ وَمَن اتَّبَعَهُ إلى المَدِيْنَةِ وبها المُهَاجِرُوْنَ والأَنصارُ لَيْسَ فِيْهِم مَن آمنَ بِرَغْبَةٍ دُنْيوِيَّةٍ ولا بِرَهْبَةٍ إلا قليلاً مِن الأَنْصَارِ أَسْلَمُوا في الظاهِرِ ثُمَّ حَسُنَ اسْلاَمُ بَعْضِهِم ثُمَّ أُذِنَ لَهُ في الجِهادِ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ .

وَلم يَزَلْ قائماً بأَمْرِ اللهِ عَلَى أَكْمَلِ طَرِيْقَةٍ وَأَتَمِهَا مِن الصِّدْقِ والعَدْلِ والوَفَاءِ لا يُحْفَظُ عليهِ كِذْبَةٌ واحِدةٌ ولا ظُلْمٌ لِأَحدٍ ولا غَدْرٌ بأحَدٍ ، بل كانَ أَصْدَقَ الناسِ وأَعْدَلَهُمْ وأَبَرَّهُمْ وَأَوْفَاهُمْ بالعَهْدِ مَعَ اخْتِلاَفِ الأَحْوَالِ عليهِ مِن حَرْبٍ وَسِلْمٍ وأَمْنٍ وَخَوْفٍ وَغِنىً وَفَقْرٍ وَقِلَّةٍ وَكَثْرَةٍ وَظُهُوْرِهِ على العَدُوِ تارةً وَظُهُورِ العدوِ عليه تارة .

وَهُوَ عَلى ذَلِكَ كُلِّهِ مُلاَزِمٌ لِأَكْمَلِ الطُّرُقِ وَأَتَمِّهَا حَتَّى ظَهَرَتِ الدعوة في جَمِيْعِ أَرْضِ العَرَبِ التِي كَانَتْ مَمْلُوءَةً مِن عِبَادَةِ الأَوثانِ وَمِن أَخْبَارِ الكُهَّانِ

وطاعَةِ المَخْلُوقِ في الكُفْرِ بالخالِقِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ المُحَرَّمَةِ وَقَطِيْعَةِ الأَرْحَامِ لا يَعْرِفُون آخِرَةً ولا مَعَاداً .

فَصَارُوْا أَعْلَمَ أَهْلِ الأَرْضِ وَأَدْيَنَهُمْ وَأَعْدَلَهُمْ وَأَفْضَلَهُمْ وَهَذِهِ آثارُ عِلْمِهِم وَعَمَلِهِم في الأَرْضِ وآثارُ غَيْرِهِم يَعْرِفُ العُقَلاءُ فَرْقَ ما بَيْنَ الأَمْرَيْنِ وهو صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم مَعَ ظُهُورِ أَمْرِهِ وَطَاعَةِ الخَلْقِ لَهُ وَتَقْدِيْمِهِم لَهُ على الأَنْفُسِ والأَمْوَالِ مَاتَ وَلَمْ يُخَلِّفْ دِرْهَماً ولا دِيْناراً ولا مَتاعاً وَلاَ دابَّةً إلا بَغْلَتَهُ وَسِلاَحَهُ وَدِرْعُهُ مَرْهُوْنَةٌ عِنْدَ يَهُوْدِيٍ عَلى ثَلاَثِيْنَ وَسَقاً مِن شَعِيْرٍ ابْتاعَهَا لِأَهْلِهِ .

وَكَانَ بِيَدِهِ عَقارٌ يُنْفِقُ مِنْهُ عَلَى أَهْلِهِ والبَاقِي يَصْرِفُهُ في مَصَالِحِ المُسْلِمِيْنَ فَحَكَمَ بِأَنَّهُ لا يُوْرَثُ ولا يَأْخُذْ وَرَثَتُهُ مِنه شَيْئاً وَهُوَ في كُلِ وَقْتٍ يَظْهَرُ عَلى يَدَيْهِ مِن الآياتِ وَفُنُونِ الكَرَاماتِ ما يَطُولُ وَصْفه .

وَيُخْبِرُهُم بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَيَأْمُرُهُم بالمَعْرُوْفِ وَيَنْهَاهُمْ عن المُنكَرِ ويُحِلُ لَهُم الطَّيبَاتِ وَيُحَرِمُ عَلَيْهِمُ الخَبائِثَ وَيَشْرَعُ الشَّرِيْعَةَ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ .

أَكْمَلَ اللهُ دِيْنَهُ الذي بُعِثَ بِهِ وَجاءَتِ شريعته أكمل شَرِيْعَةٍ لَمْ يبق مَعْرُوفَ تَعْرِفُ العُقُولَ أنه مَعْرُوْفَ إِلَّا أَمَرَ بِهِ ولا مُنْكَرٌ تَعْرِفُ العُقُولُ أنه مُنْكَرٌ إلَّا نَهى عنه .

لم يَأْمُرْ بِشَيءٍ فَقِيْلَ لَيْتَهُ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ ولا نَهى عَن شَيْءٍ فَقِيْلَ لَيْتَهُ لم يَنْهَ عَنْهُ وَأَحَلَّ الطيباتِ لم يُحَرِّمْ شَيْئاً مِنها كَمَا حُرِّمَ في شَرْعِ غَيْرِهِ وَحَرَّمَ الخَبائِثَ لم يُحِلَّ منها شَيْئاً كَمَا اسْتَحَلَّهُ غيرُهُ .

وَجَمَعَ مَحاسِنَ مَا عَلَيْهِ الأُمَمُ فلا يُذْكَرُ في التَّوراةِ والانجيلِ والزَّبُورِ

نوعٌ مِن الخَبَرِ عن اللهِ وعن مَلائِكَتِهِ وعن اليومِ الآخرِ إلاّ وقَدْ جاءَ بِهِ على أكملِ وجهٍ وَأَخبرَ بِأَشْيَآءَ لَيْسَتْ في هَذِهِ الكُتُبِ .

وَأُمَّتُهُ أَكْمَلُ الأُمَمِ في كُلِّ فَضِيْلَةٍ فإذَا قِيْسَ عِلْمُهُمْ بِعِلْم سَائِرِ الأُمَمِ ظَهَرَ فَضْلُ عِلْمِهِم وإن قِيْسَ دِيْنُهُمْ وَعِبَادَتُهُم وطاعَتُهُم لِلهِ بِغَيْرِهِم ظَهَرَ أَنهُم أَدْيَنُ مِن غَيرِهِم وإذا قِيْسَ شَجَاعَتُهُم وَجِهادُهُم وَصَبْرُهُمْ على المَكارِهِ في ذَاتِ اللَّهِ ظَهَرَ أَنَّهُم أَعْظَمُ جِهاداً وَأَشْجَعُ قُلُوباً وَهَذِهِ الفَضَائِلُ بِهِ نالُوْهَا وَمِنْهُ تَعَلَّمُوهَا وَهُوَ الذِي أَمَرَهُم بِهَا وَاللهُ أَعْلَمُ وصلى اللهُ على مُحمدٍ وآلِه وَسَلم .

« فَصْــلٌ » وقال آخَرُ : غَيْرُ شَيْخِ الإسْلام

اعْلَمْ أَنَّ مَن شَاهَدَ أَحْوَالَهُ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ وَأَصْغَى إلى سَمَاعِ أَخْبَارِهِ المُشْتَمِلَةِ على أَخْلاقِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوالِهِ وعَادَاتِهِ وَسَجَايَاهُ وَسِيَاسَتِهِ لِأَصْنَافِ الخَلْقِ وهِدَايَتِهِ إلى ضَبْطِهِمْ وَتَأَلُفِهِ أَصْنَافَ الخَلْقِ وَقَوْدِهِ إِيَّاهُمْ إلى طاعَتِهِ .

مَعَ ما يَحْكِيْ مِن عَجَائِبِ أَجْوِبَتِهِ في مَضَائِقِ الأَسْئِلَةِ وَبَدائِعِ تَدْبِيْرَاتِهِ في مَصَالِحِ الخَلْقِ وَمَحَاسِنِ إِشَارَاتِهِ في تَفْصِيْلِ ظَاهِرِ الشَّرْعِ التي يَعْجَزُ الفُقَهاءُ والعُقَلاءُ عن إِدْرَاكِ أوائِلِ دَقَائِقِهَا في طُوْلِ أَعْمَارِهِم لَمْ يَبْقَ لَهُ رَيْبٌ ولا شَكٌّ في أنَّ ذَلِكَ لم يَكُنْ مُكْتَسباً بِحِيْلَةٍ تَقُومُ بِهَا القُوَّةُ البَشَرِيَّةِ .

بل لا يَتَصَوَّرُ ذَلِكَ إلا بالاسْتِمْدَادِ مِن تَأْيِيْدٍ سَمَاوِيٍ وَقُوَّةٍ إِلَهِيَّةٍ وأنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لا يَتَصَوَّرُ لِكَذَّابٍ وَلاَ مُلَبِّسٍ بل كانَتْ شَمَائِلُهُ وَأَحْوَالُهُ شَوَاهِدُ قَاطِعَةٌ بِصِدْقِهِ حَتَّى إِنَّ العَرَبِيَّ القُحَّ كان يَرَاهُ فَيَقُولُ : واللهِ ما هَذَا وَجْهُ كَذابٍ .

فكانَ يُشْهَدُ لَهُ بالصِّدْقِ بِمُجَرَّدِ رُؤْيَتِهِ لِشَمَائِلِهِ فَكَيْفَ مَنْ شَاهَدَ أَخْلاَقَهُ وَمَارَسَ أَحْوَالَهُ في جَمِيْعِ مَصَادِرِهِ وَمَوَارِدِهِ اهـ .

لَوْ لَم يَكُنْ لَهُ آيــاتٌ مُبَيِّنَــةٌ كَانَتْ بَدِيْهَتُـهُ تَأْتِـيْكَ بالْخَبَــرِ

اللَّهُمَّ يا مَن خلق الانسانَ وَبَنَاه واللِّسَانَ وأَجْرَاهُ ، يا مَنْ لا يُخَيِّبُ مَن دَعَاهُ ، هَبْ لِكُلٍّ مِنَّا مَا رَجَاهُ ، وَبَلِّغْهُ مِن الدَّارَيْنِ مُنَاهُ ، اللَّهُمَّ اغفر لنا جميعَ الزلات ، واستر علينا كلَّ الخطيئات وسامِحْنَا يَوْمَ السُّؤَالِ والمُنَاقَشَات ، وانفعْنَا وَجَمْيعَ المُسْلِمِيْنَ بما أَنْزَلْتَهُ مِن الكلمات يا أَرْحَمَ الرحمين اللَّهمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وَأَرْزقنا حُبَّكَ وَسَهِّلْ علينا طاعَتَكَ وَفرِغْنَا لِلتَّفكُّرِ في مَخْلُوقَاتِكَ واجْعَلْ لَنَا رِضَاكَ مَوْئِلاً وعاقِبَةً واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المسلمين الأحياءِ منهم والميتين برحمتك يا أرحم الرَاحِمين وصَلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

إِلى اللهِ نَشْكُوْا قَسْوةً وَتَوَحّدَا
وَنَرْجُوْهُ غُفْرَاناً فَرَبُّكَ أَوْحَدُ
وَدُوْنَكَ مِنِّي النُّصْحَ يَا ذَا المُوَحِّدُ
قُم اللَّيلَ يَا هَذا لَعَلَّكَ تَرْشُدُ

إلى كَمْ تَنَامُ الليلَ والعُمْرُ يَنْفَدُ .

تَيَقَّظْ وَتُبْ فاللهُ لِلْخَلْقِ رَاحِمٌ
وإِنِّي لِنَفْسِي نَاصِحٌ وَمُلازِمٌ
فَقُمْ لاَ تَنَمْ فالشَّهْمُ باللَّيْل قَائِمٌ
أَرَاكَ بِطُوْلِ اللَّيلِ وَيْحَكَ نَائِمٌ

وَغَيْرُكَ في مِحْرابِهِ يَتَهَجَّدُ

لَقَدْ فَازَ أَقْوَامٌ وَنَحْن نُشَاهِدُ
أَمَا تَنْتَحِيْ أَوْ تَرْعَوِي أَوْ تُجَاهِدُ
فَلَيْسَ سَوَاءٌ قَائِمٌ ذَا وَرَاقِدُ
وَلَوْ عَلِمَ البَطَّالُ مَا نَالَ زَاهِدُ

مِنَ الأَجْرِ والاحْسَانِ مَا كَانَ يَرْقُدُ

فَكَمْ قَدْ أَكَلْنَا والتَّقِيُّونَ صُوَّمُ
وَنُمْنَا وَهُمْ بِاللَّيْلِ يَبْكُونَ قُوَّمْ
وَلَوْ مُفْلِسٌ يَدْرِيْ وَهَلْ أَيْنَ خَيَّمُوْا
لَصَامَ وَقَامَ الليلَ والناسُ نُوَّمُ
إذَا مَا دَنَى مِنْ عَبْدِهِ المُتَفَرِّدُ

وَأَسْبَلَ في الدَّاجِي دُمُوعاً بِعَبْرَةٍ
وتابَ وَأَبْدَى الخَوْفَ مِن كُلِّ هَيْبَةٍ
وَقَامَ وصَلَّى خَائِفاً فِي مَحَبَّةٍ
بِحَزْمٍ وَعَزْمٍ واجْتِهَادٍ وَرَغْبَةٍ
وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ ذُوْ العَرْشِ يُعْبَدُ

فَحَاذِرْ مِن الدُّنْيَا وَمِنْ لَدْغِ صِلِّهَا
فَلَيْس لَهَا عَهْدٌ يَفِيْ لَوْ لِخِلِّهَا
فَسَافِرْ وَطَلِّقْهَا ثَلاثاً وَخَلِّهَا
وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَدُوْمُ لِأَهْلِهَا
لَكَانَ رَسُولُ الله فِيْهَا مُخَلَدُ

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ نَخْشَعْ وَأَيْنَ التَّهَجُدُ
أَفي سِنَةٍ كُنَّا أَمِ القَلْبُ جَلْمَدُ
تَيَقَّظْ أَخِيْ وَاحْذَرْ وإِيَّاكَ تَرْقُدُ
أَتَرْقُدُ يَا مَغْرُوْرُ والنَارُ تُوْقَدُ

فلا حرُّهَا يُطْفَى ولا الجمْرُ يَخْمُدُ

أَمَا لَوْ عَلِمْنَاهَا نَهَضْنَا إذَا شَظَى
نَعُجُّ وَبَعْضُ القَوْمِ لِلبَعْضِ أَيْقَظَا
وَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْناً بِتَذكَارِنَا اللَّظَى
ألاَ إنَّهَا نَارٌ يُقَالُ لَهَا لَظَى
فَتَخْمُدُ أحْيَاناً وَأحْيَان تُوْقَدُ

على الخَمْسِ تَوْدِيْعاً بِجِدٍّ فَصَلِّهَا
وَحَافِظْ على تِلْكَ النَّوافِلِ كُلِّهَا
وَتُبْ عَن ذُنُوبٍ لا تَذِلُّ بِذُلِّهَا
فَيَا رَاكِبَ العِصْيَانِ وَيْحَكَ خَلِّهَا
سَتُحْشَرُ عَطْشَاناً وَوَجْهَكَ أسْوَدُ

ألاَ إنَّ أَهْلَ العِلْمِ فِي عِلْمِ غَيْبِهِ
لَهُمْ كُلُّ خَيْرٍ مِن إلَهِيْ بِقُرْبِهِ
سَمَوْ بالهُدَى والناسُ مِن فَوْقِ تُرْبِهِ
فَكَمْ بَيْنَ مَسْرُوْرٍ بِطَاعَةِ رَبِّهِ
وآخَرُ بالذَّنْبِ الثَّقِيْلِ مُقَيَّدُ

إذَا كُوِّرَتْ شَمْسُ العِبَادِ وَأَنْجُم
وَقُرِبَتِ النَّارُ العَظِيْمَةُ تُضْرَمُ
وَكُبْكِبَ هَذَا ثُمَّ هَذَا مُسَلَّمُ

فهذا سعيد في الجنان منعم
وهذا شقي في الجحيم مُخَلَّدُ

وقد كان هذا الحكم من ربنا مضى
ولا بد هذا الحكم في الحشر يُمْتَضَى
إلهي انلني العفو منك مع الرضى
اذا نصب الميزان للفصل والقضى
وقد قام خير العالمين محمد
نبي الهدى المعصوم عن كل زلة
شفيع الورى أكرم بها من فضيلة
وملته يا صاحبي خير ملة
عليه صلاة الله في كل ليلة
مع الال والأصحاب ما دار فرقد

اللَّهُمَ ثَبِّتْ قلوبَنَا على دِيْنِكَ وألهِمْنَا ذكرَكَ وشُكرَكَ واخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ واغفِرْ لَنَا ولوالِدَيْنَا وَجَمِيعِ المسلمينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلَّى اللهُ على محمدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(فَصْلٌ)

وقالَ المَاوَرْدِيْ رَحِمَهُ اللهُ في ذِكْرِ خَصَائِصِ الرَّسُوْلِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم وَفَضَائِلِهِ وَشَرَفِ أَخْلاَقِهِ وَشَمَائِلِهِ المُؤَيِّدَةِ لِنُبُوَّتِهِ والمُبَرْهِنَةِ عَلَى عُمُومِ رسالَتِهِ :

فالكَمَالُ المُعْتَبَرُ في البَشَرِ يَكُونُ مِن أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ : كَمَالِ الخَلْقِ وَكَمَالِ الخُلُقِ وفَضَائِلِ الأَقْوَالِ وَفَضَائِلِ الأعْمَالِ .

فَأَمَّا الوَجْهُ الأَوَّلُ في كَمَالِ خَلْقِهِ بَعْدَ اعْتِدَالِ صُوْرَتِهِ فَيَكُونُ بِأَرْبَعَةِ أَوْصَافٍ أَحدُهَا : السَّكِيْنَةُ البَاعِثَةُ عَلَى الهَيْبَةِ والتَّعْظِيْمِ الدَّاعِيَةُ إلى التَّقدِيْمِ والتَّسْلِيْمِ .

وكانَ أَعْظَمَ مَهِيْبٍ في النُفُوسِ حَتى ارْتَاعَتْ رُسُلُ كِسْرَى مِنْ هَيْبَتِهِ حِيْنَ أَتُوْهُ مَعَ ارْتِيَاعِهِمْ بِصَوْلَةِ الأَكَاسِرَةِ وَمُكَاثَرَةِ المُلُوكِ الجَبَابِرَةِ .

فكان صلى الله عليه وسلم في نُفُوسِهِم أَهْيَبَ وفي أَعْيُنِهِمْ أَعْظَمَ وإنْ لَمْ يَتَعَاظَمَ بِأَهُبَةٍ وَلَمْ يَتَطاوَلُ بِسَطْوَةٍ بَلْ كَانَ بالتَّوَاضُعِ مَوْصُوْفاً وبالْوَطْأَةِ - أَيِ السُّهُوْلَةِ - مَعْرُوْفاً .

والثاني : في الطَّلاَقَةِ المُوْجِبَةِ لِلإِخْلاَصِ والمَحَبَّةِ البَاعِثَةِ على المُصَافَاةِ والمَوَدَّةِ .

وقد كانَ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ مَحْبُوباً اسْتَحْكَمَتْ مَحَبَّةُ طَلاَقَتِهِ في النُّفُوسِ حتَّى لَمْ يَقْلُهُ مُصَاحِبٌ ولم يَتَبَاعَدْ مِنْهُ مُقَارِبٌ وكانَ أَحَبَّ إلى أَصْحَابِهِ مِن الآباءِ والأَبْنَاءِ وَشُرْبِ الماءِ البَارِدِ على الظَّمَأ .

والثالِثُ : حُسْنُ القَبُولِ الجالِبِ لِمُمَايَلَةِ القُلُوبِ حَتَّى تُسْرِعَ إلى طَاعَتِهِ وَتُذْعِنَ بِمُوَافَقَتِهِ وَقَدْ كَانَ قَبُوْلُ مَنْظرِهِ صلى اللهُ عليه وسلم مُسْتَولِياً عَلَى القُلُوبِ وَلِذَلِكَ اسْتَحْكَمَتْ مُصَاحَبَتُهُ في النُفُوسِ حَتَّى لَمْ يَنْفُرِ مِنْهُ مُعَانِدٌ ولا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ مُبَاعِدٌ إلا مَنْ سَاقَهُ الحَسَدُ إلى شِقْوَتِهِ وَقَادَهُ الحِرْمَانُ إلى مُخَالَفَتِهِ .

والرَّابعُ : مَيْلُ النُفُوسِ إلى مُتَابَعَتِهِ وانْقِيَادُهَا لِمُوَافَقَتِهِ وثَبَاتُهُ على شَدَائِدِهِ وَمُصَابَرَتِهِ ، فَمَا شَذَّ عَنهُ مَعَهَا مَنْ أَخْلَصَ ولا نَدَّ عنه فِيْهَا مَنْ تَخَصَّصَ .

وَهَذِهِ الأَرْبَعَةُ مِن دَوَاعِي السَّعَادَةِ وقَوَانِيْنِ الرِّسَالَةِ وَقَدْ تَكَامَلَتْ فِيْهِ فَكَمَلَ لِمَا يُوازِيْهَا واسْتَحَقَّ مَا يَقْتَضِيْهَا .

وأَمَّا الوَجْهُ الثَّانِيْ في كَمَالِ أَخْلاَقِهِ فَيَكُونُ بِستِ خِصَالٍ :

(إِحْدَاهُنَّ) : رَجَاحَةُ عَقْلِهِ وَصِحَّةُ وَهْمِهِ وَصِدْقُ فِرَاسَتِهِ وَقَدْ دَلَّ عَلَى وُفُوْرِ ذَلِكَ فِيْهِ صِحَّةُ رَأْيِهِ وَصَوابُ تَدْبِيْرِهِ وَحُسْنُ تَأَلُّفِهِ .

وَأَنَّهُ مَا اسْتُغْفِلَ في مَكِيْدَةٍ ولا اسْتُعْجِزَ في شَدِيْدَةٍ بَلْ كانَ يَلْحَظُ الأَعْجَازَ في المَبَادِىءِ فَيَكْشِفُ عُيُوْبَهَا وَيَحِلُ خُطُوبَهَا وَهَذا لاَ يَنْتَظِمُ إلابأصْدَقِ وَهْمٍ وَأَوْضَحِ جَزْمٍ .

والخَصْلَةُ الثَّانيَةُ : ثَبَاتُهُ في الشَّدَائِدِ وَهُوَ مَطْلُوبٌ وَصَبْرُهُ على البَأْسَآءِ والضَّرآءِ وَهُوَ مَكْرُوْبٌ وَمَحْرُوْبٌ وَنَفْسُهُ في اخْتِلاَفِ الأَحْوالِ سَاكِنَةٌ لاَ يَخُوْرُ في شَدِيْدَةٍ ولا يَسْتَكِيْنُ لِعَظِيْمَةٍ وقد لَقِيَ بِمَكَّةَ مِن قُرَيْشٍ ما يُشِيْبُ النَّوَاصِيْ وَيَهُدُّ الصَّيَاصِيْ وهو مَعَ الضُّعْفِ يُصَابِرُ صَبْرَ المُسْتَعْلِي وَيَثْبُتُ ثَبَاتَ المُسْتَوْلِي .

والخَصْلَةُ الثَّالِثَةُ : زُهْدُهُ في الدُّنْيَا واعْرَاضُهُ عَنْهَا وَقَنَاعَتُهُ بالبَلاَغِ مِنها فَلَمْ يَمِلْ إلى غَضَارَتِهَا وَلَمْ يَلْهُ لِحَلاَوَتِهَا وَقَدْ مَلَكَ مِن أَقْصَى الحِجَازِ إلى عِذَارِ العِرَاقِ وَمِن أَقْصَى اليَمَنِ إلى شَحْرِ عُمَان .

وَهُوَ أَزْهَدُ النَّاسِ فِيْمَا يُقْتَنَى وَيُدَّخَرُ وَأَعْرَضُهُمْ عَمَّا يُسْتَفَادُ وَيُحْتَكَرُ لَمْ يُخَلِّفْ عَيْناً ولا دَيْنًا ولا حَفَرَ نَهْراً وَلاَ شَيَّدَ قَصْراً وَلَمْ يُوَرِّثْ وَلَدَهُ وَأَهْلَهُ مَتاعاً ولا مَالاً لِيَصْرِفَهُمْ عَنِ الرَّغْبَةِ في الدُّنْيَا كَمَا صَرَفَ نَفْسَهُ عَنْها فَيَكُونُوْا عَلَى مِثْلِ حَالِهِ في الزُّهْدِ فِيْهَا .

وَحَقِيْقٌ بِمَنْ كَانَ في الدُّنْيَا بِهَذِهِ الزَّهَادَةِ حَتَّى اجْتَذَبَ أَصْحَابَهُ إِلَيْهَا أَنْ لاَ يُتَّهَمَ بِطَلَبِهَا وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ تَعَالَى في ادِّعَاءِ الآخِرَةِ وَيَقْنَعَ في العَاجِلِ

وَقَدْ سُلِبَ الأَجلَ بالمَيْسُورِ النَّزْرِ وَرَضِيَ بالعَيْشِ الكَدِرِ .

والخَصْلَةُ الرَّابِعَةُ : تَوَاضُعُهُ لِلنَّاسِ وَهُمْ أَتْبَاعٌ وَخَفْضُ جَنَاحِهِ لَهُمْ وَهُوَ مُطَاعٌ يَمْشِي في الأَسْوَاقِ وَيَجْلِسُ على التُّرَابِ وَيَمْتَزِجُ بأَصْحَابِهِ وَجُلَسَائِهِ فَلاَ يَتَمَيَّزُ عَنْهُمْ إلاَّ بإِطْرَاقِهِ وَحَيَائِهِ ، فَصَارَ بالتَّوَاضُعِ مُتَميِّزاً ، وبالتَّذَلُّلِ مُتَعَزِّزاً .

ولَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ الأعرابِ فَارْتَاعَ من هَيْبَتِهِ فقال خَفِّضْ عَلَيْكَ فإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ كانَتْ تَأْكُلُ القَدِيْدَ بِمَكَّةَ وَهَذَا مِن شَرفِ أَخْلاَقِهِ وَكَرِيْمِ شَيمِهِ فَهِيَ غَرِيْزَةٌ فُطِرَ عَلَيْهَا وَجِبِلَّةٌ طُبِعَ بِهَا لَمْ تَنْدُرْ فَتُعَد وَلَمْ تُحْصَرْ فَتُجَدْ .

والخَصْلَةُ الخَامِسَةُ : حِلْمُهُ وَوَقَارُهُ عن طَيْشٍ يَهُزُّهُ أَوْ خَرقٍ يَسْتَفِزُّهُ فَقَدْ كَانَ أَحْلَمَ في النِّفَارِ مِن كُلِّ حَلِيْمٍ وَأَسْلَمَ في الخِصَامِ مِن كُلِّ سَلِيْم .

وقدْ مُنِيَ بِجَفْوَةِ الأَعْرَابِ فَلَمْ يُوْجَدْ مِنْه نَادِرَةٌ وَلَمْ يُحْفَظْ عَلَيْهِ بَادِرَةٌ ولا حَلِيْمَ غَيْرُهُ إلا ذُوْ عَثْرَةٍ ولا وَقُوْرَ سِوَاهُ إلا ذُوْ هَفْوَةٍ فإِنَّ اللهَ تَعَالَى عَصَمَهُ مِن نَزْعِ الهَوَى وَطَيْشِ القُدْرَةِ لِهَفْوَةٍ أَوْ عَثْرَةٍ لِيَكُونَ بِأُمَّتِهِ رَؤُوْفاً وعلى الخَلْقِ عَطُوْفا قَدْ تَنَاوَلَتْهُ قُرَيْشٌ بِكُلِّ كَبِيْرَة وَقَصَدَتْهُ بِكُلِّ جَرِيْرَةٍ وَهُوَ صَبُورٌ عَلَيْهِمْ وَمُعْرِضٌ عَنْهُم .

وما تَفَرَّدَ بِذَلِكَ سُفَهَاؤُهُمْ عن حُلَمَائِهِمْ ولا أَرَاذِلُهم دُوْنَ عُظَمَائِهِم بَلْ تَمَالأَ عَلَيْهِ الجُلَّةُ والدُّوْنُ ، فَكُلَّمَا كَانُوْا عَلَيْهِ مِن الأَمْرِ ـ أَلَحَّ كَانَ عَنْهُم أَعْرَضَ وَأَصْفَحَ حَتَّى قَهَرَ فَعَفَا ، وَقَدِرَ فَغَفَرَ .

(وَقَالَ لَهُمْ) حِيْنَ ظَفِرَ بِهِمْ عَامَ الفَتْحِ وَقَدْ اجْتَمَعُوْا إِلَيْهِ ما ظَنُّكُمْ بِي قالُوا بْنَ عَمّ كَرِيْمٍ فإِنْ تَعْفُ فَذَاكَ الظَّنُّ بِكَ وإِنْ تَنْتَقِمْ فقد أَسَأْنَا فقالَ بَلْ أَقُولُ كَمَا قَالَ يُوْسُفُ لإِخْوَتِهِ « لا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُم اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُم وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحمين .

وقال : اللَّهُمَّ قَدْ أَذَقْت أَوَّلَ قُرَيْشٍ نَكَالاً فَأَذِقْ آخِرَهُمْ نَوالاً وأَتَتْهُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ وَقَدْ بَقَرَتْ بَطْنَ عَمِّهِ حَمْزَةَ وَلاَكَتْ كَبْدَهُ فَصَفَحَ عَنْهَا وَأَعْطَاهَا يَدَهُ لِبَيْعَتِها .

فإنْ قِيْلَ فَقَدْ ضَرَبَ رِقَابَ بَنِيْ قُرَيْظَةَ صَبْراً في يَوْمٍ وَاحِدٍ وَهُمْ نَحْوُ سَبْعُمِائَةٍ فَأَيْنَ مَوْضِعُ العَفْوِ والصَّفْحِ قِيْلَ إنَّما فَعَلَ ذَلِكَ في حُقُوْقِ اللهِ تعالى .

وقدْ كَانَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ رَضُوا بِتَحْكِيْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ عَلَيْهِم فَحَكَمَ أَنَّ مَنْ جَرَتْ عَلَيْهِ المُوْسَى قُتِلَ وَمَنْ لَمْ تَجْرِ عَلَيْهِ اسْتُرِقَّ فقالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم : هَذَا حُكمُ اللهِ مِن فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ ، فَلَمْ يَجُزْ أَنْ يَعْفُو عن حَقٍّ وَجَبَ لِلهِ تعالى عَلَيْهِم وانَّما يَخْتَصُّ عَفْوُهُ بِحَقِ نَفْسِه .

والخَصْلَةُ السَّادِسَةُ : حِفْظُهُ لِلْعَهْدِ وَوَفَاؤُهُ بالوَعْدِ فإِنَّهُ ما نَقَضَ لِمُجَافِظٍ عَهْداً ولا أَخْلَفَ لِمُرَاقِبٍ وَعْداً يَرَى الغَدْرَ مِن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ والإِخْلَافَ مِن مَسَاوِيءِ الشِّيَمِ فَيَلْتَزِمُ فِيْهِمَا الأَغْلَظَ وَيَرْتَكِبُ فِيْهِمَا الأَصْعَبَ حِفْظاً لِعَهْدِهِ وَوَفَاءً بِوَعْدِهِ حتى يَبْتَدِيءُ مُعَاهِدُوْهُ بِنَقْضِهِ فَيَجْعَلَ اللهُ تَعَالَى لَهُ مَخْرَجا كَفِعْلِ اليَهُودِ مِن بَنِيْ قُرَيْظَةَ وَبَنِيْ النَّضِيْرِ وَكَفِعْلِ قُرَيْشٍ بِصُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ فَيَجْعَلُ اللهُ تَعَالَى لَهُ في نَكْثِهِمْ الخِيْرَةَ .

فَهَذِهِ سِتُّ خِصَالٍ تَكَامَلَتْ في خُلُقِهِ ، فَضَّلَهُ اللهُ تَعَالَى على جَمِيْعِ خَلْقِهِ وَاللّه أعلَم وصَلَّى اللّهُ عَلَى نَبِيّنا مُحَمّد وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلّم

(فصـــل) وأما الوَجْهُ الثالِثُ في فَضَائِلِ أَقْوالِه فَمُعْتَبَرُ بِثَمَانِ خِصَالٍ :

(إِحْدَاهُنَّ) : مَا أُوْتِيَ مِن الحِكْمَةِ البَالِغَةِ ، وَأُعْطَى مِن العُلُومِ الجَمَّةِ

البَاهِرَةِ ، وَهُوَ أُمِّيٌ مِن أُمَّةٍ أُمِّيَةٍ لَمْ يَقْرَأْ كِتَاباً وَلَا دَرَسَ عِلْماً ولا صَحِبَ عَالِماً وَلَا مُعَلِّماً فَأَتَى بِمَا بَهَرَ العُقُولَ وَأَذْهَلَ الفِطَنَ مِن اتْقَانِ مَا أَبَانَ وإِحْكَامِ ما أَظْهَرَ فَلَمْ يَعْثُرْ فِيهِ بِزَلَلٍ في قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ .

وقد شَرَعَ مَنْ تَقَدَّمَ مِن حُكَمَاءِ الفَلاسِفَةِ سُنَناً حَمَلُوْا النَاسَ على التَّدَيُّنِ بِهَا حِيْنَ عَلِمُوْا أَنَّهُ « لَا صَلَاحَ لِلْعَالَمِ إلا بِدِيْنٍ يَنْقَادُوْنَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ » فَمَا رَاقَ لَهَا أَثَرٌ ولا فَاقَ لَهَا خَبَرٌ .

والخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ : حِفْظُهُ لِمَا أَطْلَعَهُ اللهُ تعالى عَلَيْهِ مِن قَصَصِ الأَنْبِيَاءِ مَعَ الأُمَمِ وأَخْبَارِ العَالَمِ في الزَّمَنِ الأَقْدَمِ حَتَّى لَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ مِنْهَا صَغِيْرٌ ولا كَبِيْرٌ ولا شَذَّ عَنْهُ مِنْهَا قَلِيْلٌ ولا كَثِيْر .

وهُوَ لَا يَضْبِطُهَا بِكِتَابٍ يَدْرُسُهُ وَلَا يَحْفَظُها بِعَيْنٍ تَحْرِسُهُ وما ذَاكَ إلَّا مِن ذُهْنٍ صَحِيْحٍ وَصَدْرٍ فَسِيْحٍ وَقَلْبٍ شَرِيْحٍ وَهَذِهِ الثلاثةُ آلَةُ مَا اسْتُودِعَ مِن الرِّسَالَةِ وَحُمِّلَ مِن أَعْبَاءِ النُّبُوَّةِ فَجَدِيْرٌ أَنْ يَكُونَ بِهَا مَبْعُوثاً وعلى القِيَامِ بِهَا مَحْثُوْثاً .

والخَصْلَةُ الثَّالِثَةُ : إحْكَامُهُ لِمَا شَرَعَ بِأَظْهَرِ دَلِيْلٍ وَبَيَانُهُ بِأَوْضَحِ تَعْلِيْلٍ حَتَّى لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ مَا يُوْجِبُهُ مَعْقُولٌ ولا دَخَلَ فِيْهِ ما تَدْفَعُهُ العُقُولُ .

وَلِذَلِكَ قال صلى اللهُ عليه وسلم « أُوْتِيْتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ وَاخْتُصِرَتْ لِي الحِكْمَةِ اخْتِصَاراً » لأَنَّهُ نَبَّهَ بالقَلِيْلِ عَلى الكَثِيْرِ فَكَفَّ عن الإِطالَةِ وَكَشَفَ عن الجَهَالَةِ وما تَيَسَّرَ ذَلِكَ إلا وَهُوَ عَلَيْهِ مُعَانٌ وإليه مُقَادٌ .

والخَصْلَةُ الرابعةُ : ما أَمَرَ بِهِ مِن مَحَاسِنِ الأَخْلَاقِ وَدَعَا إليه من مُسْتَحْسَنِ الآدابِ وَحَثَّ عَلَيْهِ مِن صِلَةِ الأَرْحَامِ وَنَدَبَ إليه مِن التَّعَطُّفِ على الضُعَفَآءِ والأَيْتَامِ .

ثُمَّ مَا نَهى عَنْهُ مِن التَّبَاغُض والتَّحَاسُدِ وَكَفَّ عَنْهُ مِن التَّقَاطُعِ والتَّبَاعُدِ لِتَكُونَ الفَضَائِلُ فِيْهِم أَكْثَرَ وَمَحاسِنُ الأَخْلاَقِ بَيْنَهُم أَنْشَرَ ، وَمُسْتَحْسَنُ الآدَابِ عَلَيْهِمْ أَظْهَرَ وتكونُ إلى الخَيْرِ أَسْرَعَ وَمِن الشَّرِ أَمْنَعَ .

فَيَتَحقَّقُ فِيْهِم قَوْلَ اللهِ تَعالَى ﴿ كُنْتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُوْنَ بِالمَعْرُوْفِ وَتَنْهَوْنَ عن المُنْكَرِ ﴾ فَلَزِمُوْا أَمْرَهُ وَاتَّقَوْا زَواجِرَهُ فَتَكَامَلَ بِهِمْ صَلاَحُ دِيْنِهِم وَدُنْيَاهُمْ حَتَّى عَزَّ بِهِم الاسلامُ بَعْدَ ضَعْفِهِ وَذَلَّ بِهِمْ الشِّرْكُ بَعْدَ عِزِّهِ فَصَارُوْا أَئمَةً أَبْراراً وقَادَةً أَخْياراً .

والخَصْلَةُ الخَامِسَةُ : وُضُوحُ جَوَابِهِ إِذَا سُئِلَ وَظُهُوْرُ حِجَاجِهِ إِذَا جَادَلَ لا يَحْصُرُهُ عِيٌّ ولا يَقْطَعُهُ عجْزٌ ولا يُعَارِضُهُ خصْمٌ في جِدَالٍ إلا كَانَ جَوَابُهُ أَوْضَحَ وَحِجَابُهُ أَرْجَحَ .

والخَصْلَةُ السادِسَةُ : أَنَّهُ مَحْفُوظُ اللسانِ مِن تَحْرِيْفٍ في قولٍ وَاسْتِرْسَالٍ في خَبَرٍ يَكُونُ إلى الكَذِبِ مَنْسُوبَا وَلِلصِّدْقِ مُجَانِبَا فإنَّه لَمْ يَزَلْ مَشْهُوراً بالصِّدْقِ في خَبَرِهِ فَاشِياً وَكَثِيْراً حتى صَارَ بالصِّدْق مَرْقوماً وبالأَمَانَةِ مَرْسُوماً .

وكانَتْ قُرَيْشٌ بِأَسْرِهَا تَتَيَقَّنُ صِدْقَهُ قَبْلَ الإِســلام فَجَهَرُوْا بِتَكْذِيْبِهِ في اسْتِدْعَائِهِم إليه فَمِنْهُم مَن كَذَّبَهُ حَسَداً وَمِنهُم مَنْ كَذَّبَهُ عِناداً وَمِنْهُمْ مَنْ كَذَّبَهُ اسْتِبْعَاداً أَنْ يَكُونَ نَبِياً أَوْ رَسُوْلاً .

وَلَوْ حَفِظُوا عَلَيْهِ كِذْبَةً نَادِرَةً في غَيْرِ الرِّسَالَةِ لَجَعَلُوهَا دَلِيْلاً على تَكْذِيْبِهِ في الرِّسَالَةِ ، وَمَنْ لَزِمَ الصِّدْقَ في صِغَرِه كانَ لَهُ في الكِبَرِ أَلْزَمَ وَمَنْ عُصِمَ مِنْهُ في حَقِّ نَفْسِهِ كانَ في حُقُوقِ اللهِ تَعالى أَعصَمُ وَحَسْبُكَ بِهَذا دَفْعاً لِجَاحِدٍ وَرَداً لِمُعَانِدٍ اللهمَّ قابـلْ سَيْئـاتِنَا باحْسَانِك ، واسْتُر خَطِيْئَتنا بغُفْرَانِكْ وأَذْهِبْ ظُلَمَةَ ظُلْمِنا بنُور رِضْوَانِكْ ، واقْهَر عَدُوَّنا بعزِّ سُلْطَانِكْ ، فَمَا تعَوَّدَنا مِنك

إلَّا الْجَمِيلُ ، واغْفِرْ لَنَا وَلِوالِدِينَا ولجميعِ المَسلمينَ الاحياءِ منهم والميتينْ ، بِرَحْمَتِكَ يا أرْحَمَ الراحمينَ ، وصلى الله على محمدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين .

(**فصـــلٌ**) والخَصْلَةُ السابِعَةُ : تَحْرِيْرُ كَلاَمِهِ في التَّوَخِّي بِهِ إِبَّانَ حَاجَتِهِ والاقْتِصَارِ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ كِفَايَتِهِ فلا يَسْتَرْسِلُ فيهِ هَذْراً ولا يُحْجِمُ عَنْهُ حُصْراً وَهُوَ فِيْمَا عَدَا حَالَتَيْ الحَاجَةِ والكِفَايَةِ أَجْمَل الناسِ صَمْتاً وَأَحْسَنَهُمْ سَمْتاً .

وَلِذَلِكَ حُفِظَ كَلاَمُهُ حَتَّى لَمْ يَخْتَلْ وظَهَرَ رَوْنَقُهُ حَتَّى لم يَعْتَلْ واسْتَعْذَبَتْهُ الأَفْوَاهُ حَتَّى بَقِيَ مَحْفُوظَاً في القُلُوبِ مُدَوَّناً في الكُتُبِ فَلَنْ يَسْلَم الإِكْثَارُ مِن الزَّلل ولا الهَذرُ مِن المَللِ .

والخَصْلَةُ الثَّامِنَةُ : أَنَّهُ أَفْصَحَ الناسِ لِسَاناً وَأَوْضَحَهُمْ بَيَاناً وأَوْجَزَهُمْ كَلاماً وَأَجْزَلَهُمْ أَلْفَاظاً وَأَصَحَّهُمْ مَعَانِي لاَ يَظْهَرُ فِيْهِ هُجْنَةُ التَّكَلُفِ ولا يَتَخَلَّلُهُ فَيْهَقَةُ التَّعَسُفِ .

وَقَدْ دُوِّنَ كَثِيْرٌ مِن جَوَامِعِ كَلِمِهِ وَمِن كَلاَمِهِ الذِي لا يُشَاكَلُ في فَصَاحَتِهِ وَبَلاَغَتِهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَلاَ يَأْتِيْ عَلَيْهِ إِحْصَاءٌ ولا يَبْلُغُهُ اسْتِقْصَاءٌ .

وَلَوْ مُزِجَ كَلاَمُهُ بِغَيْرِهِ لَتَمَيَّزَ بِأُسْلُوبِهِ وَلَظَهَرَ فِيْهِ آثارُ التَّنافُرِ فَلَمْ يَلْتَبِسْ حَقُّهُ مِنْ بَاطِلِهِ وَلَبَانَ صِدْقُهُ مِن كَذْبِهِ هَذَا وَلَمْ يَكُنْ مُتَعَاطِياً لِلْبَلاَغَةِ وَلاَ مُخَالِطاً لِأَهْلِهَا مِن خُطَبَاءَ أَوْ شُعراءَ أَوْ فُصَحَـــاءَ وَإِنَّمَا هُوَ مِن غَرَائِزِ طَبْعِهِ وَبِدَايَةِ جِبِلَّتِهِ وَمَا ذَاكَ إلاَّ لِغَايَةٍ تُرَادُ وَحَادِثَةٍ تُشَادُ .

وَأَمَّا الوَجْهُ الرَّابِعُ في فَضَائِلِ أَفْعَالِهِ فَمُخْتَبَرٌ بِثَمَانِ خِصَالٍ :

(إِحْدَاهُنَّ) حُسْنُ سِيْرَاتِهِ وَصِحَّةُ سِيَاسَتِهِ في دِيْنٍ نَقَلَ بِهِ الأُمَّةَ عن مَأْلُوفٍ وَصَرَفَهُمْ بِهِ عَن مَعْرُوْفٍ إلى غيرِ مَعْرُوْفٍ فَأَذْعَنَتْ به النُّفُوسُ طَوْعاً وانْقَادَتْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَشَدِيْدِ عَادَةٍ مُنْتَزَعَةٍ إِلاَّ لِمَنْ كَانَ مَعَ التَّأْيِيْدِ الإلَهِي مُعَاناً بِحَزْمٍ صَائِبٍ وَعَزْمٍ ثَاقِبٍ .

وَحَسْبُكَ بِمَا اسْتَقَرَّتْ قَواعِدُهُ عَلَى الأَبَدِ حَتَّى انْتَقل عن سَلَفٍ إلى خَلَفٍ يَزْدَادُ فِيْهِم حَلاَوَتُهُ وَيَشْتَدُّ فِيهِم جِدَّتُهُ وَيَرَوْنَهُ نِظَاماً لأَعْصَارٍ تَنْقَلِبُ صُرُوْفُهَا وَيَخْتَلِفُ مَأْلُوفُهَا أَنْ يَكُونَ لِمَن قَامَ بِهِ بُرْهَاناً وَلِمَنْ ارْتَاب بِهِ بَيَاناً .

والخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ : أَنْ جَمَعَ بَيْنَ رَغْبَةِ مَنْ اسْتمال وَرَهْبَةِ مَنْ اسْتَطَاعَ حَتَّى اجْتَمَعَ الفَرِيْقانِ على نُصْرَتِهِ وَقَامُوْا بِحُقُوقِ دَعْوَتِهِ رَغَباً في عَاجِلٍ وَآجِلٍ وَرَهَباً مِن زَائِلٍ وَنَازِل ، لاخْتِلاَفِ الشِّيَم والطِّبَاعِ في الانقِيَادِ الذي لا يَنْتَظِم بِأَحدِهِمَا ولا يَسْتَدِيْمُ إلاَّ بِهِمَا فَلِذَلِكَ صَارَ الدِّيْنُ بِهِمَا مُسْتَقِراً والصَّلاحُ بِهِمَا مُسْتَمِراً .

والخَصْلَةُ الثَّالِثَةُ : أَنَّهُ عَدَلَ فِيْمَا شَرَعَهُ مِن الدِّيْن عن الغُلُوِّ والتَّقْصِيْرِ إلى التَّوَسُطِ وَخَيْرُ الأُمُوْرِ أَوْسَاطُهَا وَلَيْسَ لِمَا جَاوَزَ العَدْلَ حَظٌّ مِن رُشْدٍ ولا نَصِيْبٌ مِن سَدَادٍ .

والخَصْلَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّهُ لَمْ يَمِلْ بِأَصْحَابِهِ إلى الدُنْيَا وَلاَ إِلَى رَفْضِهَا وَأَمدُهُمْ فِيْهَا بالاعْتِدَالِ ، وقال : « خَيْرُكُم مَنْ لَمْ يَتْرُكْ دُنْيَاهُ لآخِرَتِهِ ولا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ وَلَكِنْ خَيْرُكُمْ مَنْ أَخذَ مِن هَذِهِ وَهَذِهِ » وَهَذَا صَحِيْحٌ لأَنَّ الانْقِطَاعَ إِلى أَحَدِهِمَا إِخْتِلاَلٌ والجَمْعَ بَيْنَهُمَا اعْتِدَالٌ .

وقال صَلَّى اللهُ عليه وسلم « نِعْمَ المَطِيَّةُ الدُنْيَا فارْتَحِلُوْهَا تُبَلِّغْكُمْ الآخِرَةَ » وإنَّما كَانَ كَذَلِكَ لأَنَّ مِنْهَا يَتَزَوَّدُ لآخرَتِهِ . وَيَسْتَكْثِرَ فِيْهَا مِن طَاعَتِهِ وأَنَّهُ لاَ يَخْلُو تارِكُهَا مِن أَنْ يَكُونَ مَحْرُوْماً مُضَاعاً أَوْ مَرْحُوْماً مُرَاعَى وَهُوَ في الأَوَّلِ كَلٌّ وفي الثَّانِي مُسْتَدَلٌ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ أَعْمَالِنَا خَوَاتِمها وَخَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ لِقَائِكَ ، اللهم ثَبِّتْنَا عَلى قَوْلِكَ الثَّابِتِ وَأَيِّدْنا بِنَصْرِكَ وَارْزُقْنَا مِنْ فَضْلِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ وَاغْفِرْ لَنا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعَ المُسْلِمين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحمينَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحمدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فَصْلٌ والخَصْلَةُ الخَامِسَةُ : تَصَدِّيْهِ لِمَعَالِمِ الدِّيْنِ وَنَوَازِلِ الأَحْكَامِ حَتَّى أَوْضَحَ لِلأُمَّةِ ما كُلِّفُوْهُ مِن العِبَادَاتِ وَبَيَّنَ لَهُمْ ما يَحِلُّ وَمَا يَحْرُمُ مِن مُبَاحَاتٍ وَمَحْظُوْرَاتٍ وَفَصَّلَ لَهُمْ مَا يَجُوزُ وَيَمْتَنِعُ مِن عُقُوْدٍ وَمَنَاكِحَ وَمُعَامَلاتٍ .

حَتى احْتَاجَ أَهْلُ الكِتابِ في كَثِيرٍ مِن مُعَامَلاَتِهِمْ وَمَوَارِيْثِهِمْ لِشَرْعِهِ وَلَمْ يَحْتَجْ شَرْعُهُ إلى شَرْعِ غَيْرِهِ ثُمَّ مَهَّدَ لِشَرْعِهِ أُصُولاً تَدُلُّ على الحَوَادِثِ المُغْفَلَة وَيُسْتَنْبَطُ لَهَا الأَحْكَامِ المُعَلَّلَةِ فَأَغْنَى عَن نَصٍّ بَعدِ ارْتفاعِهِ وعَن التِبَاسٍ بَعْدَ اغْفَالِهِ ثُمَّ أَمَرَ الشَّاهِدَ أَنْ يُبَلِّغَ الغَائِبَ لِيَعْلَم بإنْذَارِهِ وَيَحْتَجَّ بإِظْهَارِهِ فقال صلى اللهُ عليه وسلم « بَلِّغُوْا عَنِّيْ ولا تَكْذِبُوْا عليَّ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِن سَامِعٍ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إلى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ » .

فَأَحْكَم مَا شَرَعَ مِن نَصٍ أَوْ تَنْبِيْهٍ وَعَمَّ بِمَا أَمَرَ مِن حَاضِرٍ وَبَعِيْدٍ حَتَّى صَارَ لِمَا تَحَمَّلَهُ مِن الشَّرْعِ مُؤَدِّياً وَلِمَا تَقَلَّدَهُ مِن حُقُوقِ الأُمَّةِ مُوَفِياً لِئَلا يَكُونَ في حُقُوقِ اللهِ زَلَلٌ وَذَلِكَ في بُرْهَةٍ مِنْ زَمَانِهِ لَمْ يَسْتَوْفِ تَطَاوُلَ الاسْتِيْعَابِ حَتَّى أَوْجَزَ وَأَنْجزَ وَمَا ذَاكَ إلا بَدِيْعُ مُعْجِزٍ .

والخَصْلَةُ السّادِسَةُ : انْتِصَابُهُ لِجِهَادِ الأَعْدَاءِ وَقَدْ أَحَاطُوْا بِجِهَاتِهِ وَأَحْدَقُوْا بِجَنَبَاتِهِ وَهُوَ في قُطْبٍ مَهْجُوْرٍ ، وَعَدَدٍ مَحْقُورٍ فَزَادَ بِهِ مَنْ قَلَّ وَعَزَّ بِهِ مَنْ ذَلَّ وَصَارَ باثْخانهِ في الأَعْدَاءِ مَحْذُوْراً وبالرُعْبِ مِنْهُ مَنْصُوْراً فَجَمَعَ بَيْنَ التَّصَدِّيْ لِشَرْعِ الدِّيْنِ حَتَّى ظَهَرَ وانْتَشَرَ وَبَيْنَ الانْتِصَابِ لِجِهَادِ العَدُوِّ حَتَّى قَهَرَ وانْتَصَرَ والجَمْعُ بَيْنَهُمَا مِعْوِزٌ إلاَّ لِمَنْ أَمَدَّهُ اللهُ بِمَعُوْنَتِهِ وَأَيَّدَهُ بِلُطْفِهِ والمُعْوِزُ مُعْجِزٌ .

والخَصْلَةُ السَّابِعَةُ : مَا خُصَّ بِهِ مِن الشَّجَاعَةِ في حُرُوْبِهِ والنُّجْدَةِ في

مُصَابَرَةِ عَدُوِّهِ فإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ حَرْباً في فِزَاعٍ الا صَابِرٌ حَتَّى انْجَلَتْ عن ظَفَرٍ أَوْ دِفَاعٍ وَهُوَ في مَوْقِفه لم يزل عنه هرباً ولا حاز فيه رغباً .

بَلْ ثَبَتْ بِقَلْبٍ آمِنٍ وَجَأْشٍ سَاكِنٍ قَدْ وَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ حَتَّى بَقِيَ بازاءِ جَمْعٍ كَثِيْرٍ وَجَمٍ غَفِيْرٍ في تِسْعَةٍ مِن أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ على بَغْلَةٍ مَسْبُوْقَةٍ إِنْ طُلِبَتْ غَيْرَ مُسْتَعِدَّةٍ لِهَرَبٍ ولا طَلَبٍ وَهُوَ يُنَادِيْ أَصْحَابَهُ وَيُظْهِرُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ إِليَّ عِبَادَ اللهِ « أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَلِبْ » فَعَادُوْا أَشْدَاداً وَأَرْسَالاً وَهَوَازِنُ تَرَاهُ وَتُحْجِمُ عَنْهُ فَمَا هَابَ حَرْبَ مِنْ كَاثِرَةٍ ولا انْكفأ عن مصاولة من صابره واللّهُ أعْلَم وصَلّى اللّهُ عَلَى نَبِيّنا مُحَمّد وَعَلى آلِهِ وسَلّم

(فَصْلٌ) وَقَدْ عَضَدَهُ اللهُ تَعَالَى بِأَنْجَادٍ وَأَنْجَادٍ فانْحازُوْا وَصَبَرَ حتى أَمَدَّهُ اللهُ بِنَصْرِهِ وَمَا لِهَذِهِ الشجَاعَةِ من عَدِيْلٍ وَلَقَدْ طَرَقَ المَدِيْنَة فَزَعٌ فانْطَلَقَ الناسُ فَتَلَقَوْهُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَوَجَدُوْا رَسُوْلَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَيْهِ فَتَلَقَوْهُ عَائِداً عَلى فَرَسٍ عُرِي لأَبِي طَلْحَةَ الأَنْصَارِي وعَلَيْهِ السَّيْفُ فَجَعَلَ يَقُولُ أَيُّهَا الناسُ لَمْ تُرَاعُوْا لَمْ تُراعُوا ثُمَّ قالَ لأَبِي طَلْحَةَ إِنَّا وَجْدَنَا بَحْراً وكانَ الفَرَسُ يُبْطِيءُ فَمَا سَبَقَهُ فَرَسٌ بَعْدَ ذَلِكَ .

وما ذاكَ إلا عَنْ ثِقَةٍ مِن أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَنْصُرُهُ وأَنَّ دِيْنَهُ سَيُظْهِرُهُ تَحْقِيْقاً لِقَوْلِهِ تعالى ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِيْنِ كلهِ ﴾ وَتَصْدِيْقاً لِقَولِ رَسُولِهِ صلى اللهُ عليه وسلم « زُوِيَتْ لِي الأَرْضُ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَها وَمَغَارِبَهَا وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِيْ مَا زُوِيْ لِيْ مِنْهَا » وَكَفى بِهَذَا قِيَاماً بِحَقِّهِ وَشَاهِداً على صِدْقِهِ .

والخَصْلَةُ الثامِنَةُ : ما مُنِحَ مِن السَّخَاءِ والجُوْدِ حَتَّى جَادَ بِكُلِّ مَوْجُودٍ

وآثَرَ بِكُلِّ مَطْلُوبٍ وَمَحْبُوبٍ ومَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُوْنَةٌ عِنْدَ يَهُوْدِي على آصُعٍ مِن شَعِيْرٍ لِطَعَامِ أَهْلِهِ .

وقَدْ مَلَكَ جَزِيْرَةَ العَرَبِ وَكَانَ فِيْهَا مُلُوكٌ وَأَقْيَالٌ لَهُمْ خَزَائِنُ وَأَمْوَالٌ يَقْتَنُونَهَا ذُخْراً وَيَتَبَاهُوْنَ بِهَا فَخْراً وَيَسْتَمْتِعُوْنَ بِهَا أَشَراً وَبَطَراً وَقَدْ حَازَ مُلْكَ جَمِيْعِهِمْ فَمَا اقْتَنَى دِيْنَاراً ولا دِرْهَماً لَا يَأْكُلُ إلا الخَشِنَ ولا يَلْبَسُ إلا الخَشِنَ .

وَيُعْطِي الجَزْلَ الخَطِيْرَ وَيَصِلُ الجَمَّ الغَفِيْرَ وَيَتَجَرَّعُ مَرَارَةَ الاقْلَالِ وَيَصْبِرُ عَلَى سَغَبِ الأخْتِلَالِ وكانَ يَقُولُ « أَنَا أَوْلَى بالمُؤْمِنِيْنَ مِن أَنْفُسِهِم فَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضَيَاعاً فَعَلَيَّ وَمَنْ تَرَكَ مَالاً فَلِوَرَثَتِه » فَهَلْ مِثْلَ هَذَا الكَرَمِ والجُوْدِ كَرَمٌ وَجُوْدٌ أَمْ هَلْ لِمِثْلِ هَذَا الإعْرَاضِ والزَّهَادَةِ إِعْرَاضٌ وَزُهْدٌ هَيْهَاتَ .

هَلْ يُدْرَكُ شَأْوُ مَنْ هَذِهِ شُذُوْرٌ مِن فَضَائِلِهِ وَيَسِيْرٌ مِن مَحَاسِنِهِ التِي لا يُحْصَى لَهَا عَدَداً ولا يُدْرَكُ لَهَا أَمَداً لَمْ تَكْمَلْ في غيرِهِ فَيُسَاوِيْهِ وَلَا كَذَّبَ بِهَا ضِدٌّ يُنَاوِيْهِ وَلَقَدْ جَهِدَ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُعَانِدٍ وَكُلُّ زِنْدِيْقٍ وَمُلْحِدٍ أَنْ يُزْرِيْ عَلَيْهِ في قَوْلٍ أَوْ فعلٍ .

أَوْ يَظْفرُ بِهَفْوةٍ في جِدٍ أَوْ هَزَلٍ فَلَمْ يَجِدْ إِلَيْهِ سَبِيْلاً وَقَدْ جَهِدَ جُهْدَهُ وَجَمَعَ كَيْدَهُ .

فَأَيُّ فَضْلٍ أَعْظَمُ مِن فَضْلَ شَاهَدَه الحَسَدَةُ والأَعْدَاءُ فَلَمْ يَجِدُوْا فِيْهِ مَغْمَزاً لِثَالِبٍ أَوْ قَادِحٍ وَلَا مَطْعَناً لِجَارِحٍ أَوْ فَاضِحٍ فَهُوَ كَمَا قَالَ الشَّاعِر :

شَهِدَ الأَنَامُ بِفَضْلِهِ حَتَّى العِدَا   والفَضْلُ مَا شَهِدَتْ الأَعْدَاءُ

وقول لآخر :

مَحَاسِنُ أَصْنَافِ النَّبِيِّينِ جَمَّةٌ   ومَاقَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِأَحْمَدِ

وبالجُمْلَةِ فآيَةُ أخْلاقِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ آيَةٌ كُبْرَى وَعَلَمٌ مِنْ أَعْلامِ نُبُوتِهِ العُظْمى وَقَدْ أَجْمَلَها بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ وَآيَةٌ أُخْرَى لَا يَعْرِفُها إلا الخَاصَّةُ وَمَتى ذُكِرَتْ الخَاصَّةُ فالعَامَّةُ في ذَلِكَ مِثْلُ الخاصَةِ .

وَهِيَ الأَخْلاقُ والأَفْعَالُ التِي لَمْ تَجْتَمِعْ لِبَشَرٍ قَطُّ قَبْلَهُ ولا تَجْتَمِعُ لِبَشَرٍ بَعْدَهُ وَذَلِكَ أنا لَمْ نَرَ وَلَمْ نَسْمَعْ لأَحَدٍ قَطُّ كَصَبْرِهِ ولا كَحِلْمِهِ ولا كَوَفَائِهِ ولا كَزُهْدِهِ ولا كَجُودِهِ ولا كَنُجْدَتِهِ ولا كَصِدْقِ لَهْجَتِهِ ولَا كَكَرَمِ عِشْرَتِهِ ولا كَتَوَاضُعِهِ ولا كَحِفْظِهِ ولا كَصَمْتِهِ إذا صَمَتَ ولا كَقَولِهِ إذَا قَالَ ولا كَعَجِيْبِ مَنْشَئِهِ ولا كَعَفْوِهِ ولا كَدَوَامِ طَرِيْقَتِهِ وَقِلَّةِ امْتِنَانِهِ .

وَلَمْ تَجِدْ شُجَاعاً قَطُّ إلاَّ وَقَدْ جَالَ جَوْلَةً وَفَرَّ فَرَّةً وانْحَازَ مَرَّةً ولا يَسْتَطِيْعُ مُنَافِقٌ ولا زِنْدِيْقٌ ولا دَهْرِيٌ أنْ يُحَدِّثَ أَنَّهُ صَلى اللهُ عليه وسلم جَالَ جَوْلَةً قَطُّ ولا فَرَّ فَرَّةً قَطُّ ولا حَامَ عَنْ غَزْوَةٍ ولا هَابَ حَرْباً مِن مُكَاثَرَةٍ .

وَذَلِكَ مِن أَعْجَبِ مَا آتاهُ اللهُ نَبِياً قَطُّ مَعَ سَائِرِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الآياتِ وَمِن ضُرُوْبِ البُرْهَانَاتِ إذْ أعْدَاؤُهُ جَمٌّ غَفِيْرٌ وَجَمْعُهُمْ كَثِيْرٌ فَخَصَمَهُمْ حِيْنَ جَادَلُوْهُ وَصَابَرَهُمْ حِيْنَ عَانَدُوْهُ وَكَابَدَ مِنَ الشَّدائِدِ مَا لَمْ يَثْبُتْ عَلَيْهَا إلا كُلُّ مَعْصُومٍ وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهَا إلا مَنْصُوْرٌ إلى أَنْ عَلَتْ كَلِمَتُهُ وَظَهَرَتْ دَعْوَتُهُ .

وَكُلُ هَذِهِ آياتٌ تُنْذِرُ بالحَقِّ وَتُلائِمُ الصِّدْقَ ، لأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِيْ كَيْدَ الخَائِنِيْن ولا يُصْلِحُ عَمَلَ المفسِدِيْن ، انتهى كلامه

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بنا مَنَاهِجَ السَّلامةِ وَعَافِنَا مِن مُوْجِبَاتِ الحَسْرَةِ والنَّدَامَةِ وَوَفِّقْنَا للاسْتِعْدَادِ لِمَا وَعَدْتَنا وَأَدِمْ لَنَا إحْسَانَكَ وَلُطْفَكَ كَمَا عَوَّدْتَنَا وَأَتِمْ عَلَيْنَا

اللّهُمَّ تَوفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وأَلحِقْنَا بِعِبادِكَ الصَّالِحِيْنَ الَّذِيْنَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُون وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ

اللهُمَّ ألْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الأبْرَارِ وَآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ واغِفْرِ لنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجمِيْعَ المُسْلِمْينَ برَحْمَتِكَ يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلى مُحمَّدٍ وَعلى آلهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِين .

« قصيدة في غربة الاسلام وإهمال نصره »

« ممَّنْ ينْتَسِبُ إليه »

لَهْفِيْ عَلَى الإسْلاَمِ مِنْ أَشْيَاعِهِ
لَهْفِيْ عَلَى القُرآنِ والإِيْمَانِ
لَهْفِيْ عَلَيْهِ تَنَكَّرَتْ أَعْلاَمُهُ
إلا عَلَى الخِرِّيْتِ في ذَا الشَّانِ
لَهْفِي عَلَيْهِ أَصْبَحتْ أَنْوَارُهُ
مَحْجُوْبَةً عَن سَالِكٍ حَيْرَانِ
لَهْفِيْ عَلَيْهِ أَصْبَحَتْ أَنْصَارُهُ
في قِلَّةٍ في هَذِهِ الأَزْمَانِ
لَهْفِيْ عَلَيْهِ أَهْلُهُ في غُرْبَةٍ
أَضْحَوْا وَهُمْ في الأَهْلِ وَالأَوْطَانِ
لَهَفِيْ عَلَيْهِمْ أَصْبَحُوا في ضَيْعَةٍ
أَنْوَارُهُمْ تَخْفَى عَلَى العُمْيَانِ
لَهَفِيْ عَلَيْهِمْ كَمْ لَنَا قَدْ أَخْلَصُوْا
في النُّصْحِ لَوْ كَانَتْ لَنَا أُذْنَانِ
لَهَفِيْ عَلَى مَنْ يَجْلِبُونَ عَلَيْهِمُوْا
بالنُّصْحِ كُلَّ أَذَىً وَكُلَّ هَوَانِ

لَهَفِي عَلَى مَنْ هُمْ مَصَابِيحُ الهُدى
مَا بَيْنَنَا لَوْ تُبْصِرُ العَيْنَانِ
لَهَفِيْ عَلَيْهِم أُوْجِدُوْا في أُمَّةٍ
قَنِعَتْ مِن الإسْلاَمِ بالعُنْوَانِ
لاَ يُعْرَفُ المَعْرُوْفُ فِيْمَا بَيْنَنَا
والنُّكْرُ مَأْلُوفٌ بِلاَ نُكْرَانِ
خَذَلَتْ ذَوِيْ النُّصْحِ الصَّحِيْحِ وَأَصْبَحَتْ
عَوْناً لِكُلِّ مُضَلِّلٍ فَتَّانِ
يَا وَيْحَ قَوْمٍ لاَ يُمَيِّزُ جُلُّهُمْ
ذَا الحَقِّ مِن ذِيْ دَعْوَةِ البُطْلاَنِ
فَتَصَدَّرَ الجُهَّالُ والضُّلاَّلُ فِيْ
هِمْ بادِّعَاءِ العِلْمِ والعِرْفَانِ
مِنْ كُلِّ مَنْ يَخْتَالُ في فَضْفَاضِهِ
فَدْمٍ ثَقِيْلٍ وَاسِعُ الأَرْدَانِ
مُتَقَمِّشٌ مِن هَذِهِ الأَوْضَاعِ والْـ
أَرَاءِ إِمَّعَةٌ بِلاَ فُرْقَانِ
يُبْدِيْ التَّمَشْدُقَ في المَحَافِلِ كَيْ يُرَى
لِلنَّاسِ ذَا عِلْمٍ وذَا إِتقَانُ
تَبّاً لَهُ مِن جَاهِلٍ مُتَعَالِمٍ
مُتَسَلِّطٍ بِوِلاَيَةِ السُّلْطَانِ

رَفَعَتْ خَسِيْسَتَهُ المَنَاصِبُ فَازْدَرَى
أَهْلَ الهُدَى والعِلْمِ والإِيْمَانِ

لَيْسَ التَّرَفُّعُ بِالمَنَاصِبِ رِفْعَةً
بالعِلْمِ والتَّقْوَى عُلُوُّ الشَّانِ

تَرَكَ المَنَابِرَ مَنْ يَقُوْمُ بِحَقِّهَا
مِنْ كُلِّ ذِيْ لَسْنٍ وَذِيْ عِرْفَانِ

وَنَزَا عَلَيْهَا سَفْلَةٌ يَا لَيْتَهُمْ
قَدْ أُدْرِجُوْا مِنْ قَبْلُ فِي الأَكْفَانِ

خَطَبُوْا التَّفَرُّقَ فَوْقَهَا وَلَطَالَمَا
خُطِبَتْ عَلَيْهَا إِلْفَةُ الإِخْوَانِ

كَمْ يَأْمُرُوْنَ بِمُحْدَثَاتٍ فَوْقَهَا
تَقْضِيْ عَلَى سُنَنٍ سُنِنَّ حِسَانِ

تَبْكِيْ المَنَابِرُ مِنْهُمُوْا وَتَوَدُّ لَوْ
تَنْدَكُّ تَحْتَهُمُوْا إِلَى الأَرْكَانِ

مَا عِنْدَهُمْ بِالأَمْرِ الأَوَّلِ خِبْرَةٌ
بَلْ نَقْلُ آرَاءٍ أَوْ اسْتِحْسَانِ

ثَكِلَتْهُمْ الآبَاءُ إِنَّ حَيَاتَهُمْ
مَوْتٌ لِسُنَّةِ خَاتَمِ الأَدْيَانِ

جَهِلُوْا كِتَابَ اللهِ وَهُوَ نَجَاتُهُمْ
وَهُدَى النَّبِي مُبَيِّنِ القُرْآنِ

وَجفَوْا مَنَاهِجَ خَيْرِ أَسْلاَفٍ لَهُمْ
في الِتعِلْمِ والتَّقْوَى وَفِي الإتْقَانِ

لاَ يَرْجِعُوْنَ لآيَةٍ أَوْ سُنَّةٍ
أَوْ سِيْرَةِ المَاضِينَ بالإحْسَانِ

بَلْ يَرْجِعُونَ لِرَأْيِ مَنْ أَلْقَوْا لَهُمْ
بِأَزِمَّةِ التَّقْلِيْدِ والأَرْسَانِ

وَكَذَاكَ يَرْجِعُ مَنْ تَصَوَّفَ فِيْهِمُوْا
لِذَوْقِ أَوْ لِتَخَيُّلٍ شَيْطَانِي

فَالأُوْلُونَ أَتُوْا بِأَحْكَامٍ لَنَا
فِيْهَا مُخَالِفُ سُنَّةٍ وَقُرَانِ

والآخَرُوْنَ أَتُوْا لَنَا بِطَرَائِقٍ
غَيْرِ الطَّرِيْقِ الأَقْوَمِ القُرْآنِي

وَمُحَصَّلُ الطُّرُقِ الَّتِي جَاءُوْا بِهَا
أَوْضَاعُ سُوْءٍ رَدَّهَا الوَحْيَانِ

وَكَذا رُؤُسُهُمُ الطُّغَاةُ فَإِنَّهُمْ
لَمْ يَرْفَعُوْا رَأْساً بِذَا الفُرْقَانِ

مَا حَكَّمُوْا فِيْهِمْ شَرَائِعَ دِيْنِهِمْ
وَالعَدْلُ فِيْهَا قَائِمُ الأَرْكَانِ

بَلْ حَكَّمُوْا في النَّاسِ آرَءً لَهُمْ
مِنْ وَحْيِ شَيْطَانٍ أَخِي طُغْيَانِ

وَنَحِ الشَّرِيْعَةِ مِنْ مَشَايِخِ جُبَّةٍ
والـلاَّبِسِيْنَ لَنَا مُسُوْكَ الضَّانِ

غَزَوُا الوَرَى بالزِّيْ والسَّمْتِ الذي
يُخْفِيْ مَخَازِيْ الجَهْلِ والعِصْيَانِ

وَرُؤُس سُوْءٍ لاَ اهْتِمَامَ بِهِمْ بِدِيْـ
ـنٍ قَامَ أَوْ قَدْ خَرَّ لِلأَذْقَانِ

وَلَرُبَّمَا أَبْدَوْا عِنَايَتَهُمْ بِهِ
بِسِيَاسَةٍ تَخْفَى على الإِنْسَانِ

تَعْساً لِمَنْ أَضْحَى يُتَابِعُ قَوْلَ مَنْ
بَخَسَ الهُدَى وَمَزِيَّةَ الأَذْهَانِ

تَرَكُوْا هِدَايَةِ رَبِّهِمْ وَرَسُوْلِهِمْ
هَذَا وَرَبِّكَ غَايَةُ الخُذلاَنِ

حُرِمُوْا هِدَايَةَ دِيْنِهِمْ وَعُقُوْلِهِمْ
هَذَا وَرَبِّكَ غَايَةُ الخُسْرَانِ

تَرَكُوْا هِدَايَةَ رَبِّهِمْ فَإِذَا بِهِمْ
غَرْقَى مِنَ الآرَاءِ فِي طُوْفَانِ

وَتَفَرَّقُوْا شِيَعاً بِهَا عَنْ نَهْجِهِ
مِنْ أَجْلِهَا صَارُوْا إلى شَنَآنِ

كُلٌّ يَرَى رَأْياً وَيَنْصُرُ قَوْلَهُ
وَلَهُ يُعَادِي سَائِرَ الإِخْوَانِ

وَلَوْ أَنَّهُمْ عِنْدَ التَّنَازُعِ وُفِقُوْا
لَتَحَاكَمُوْا لِلهِ دُوْنَ تَوَانِ

وَلأَصْبَحُوْا بَعْدَ الخِصَامِ أَحِبَّةً
غَيْظَ العِدَا وَمَذَلَّةَ الشَّيْطَانِ

لَكِنَّهُمْ إِذْ آثَرُوْا وَادِي تَحَيُّـ
ـيَبَ أَصْبَحُوْا أَعْدَاءَ هَذَا الشَّانِ

فَالمُقْتَدِيْ بِالوَحْيِ فِي أَعْمَالِهِ
يَلْقَى الأَذَى مِنْهُمْ وَكُلَّ هَوَانِ

لِعُدُوْلِهِ عَنْ أَخْذِهِ بِمَذَاهِبِ
فِي الرَّأْيِ مَا قَامَتْ عَلَى بُرْهَانِ

جَعَلُوا مَذَاهِبَهُمْ مُسَيْطِرَةً عَلَى
فَهْمِ الحَدِيْثِ وَمَنْزِلِ القُرْآنِ

ذَادُوْا ذَوِيْ الأَلْبَابِ عن فِقْهِ الكِتَا
بِ وَفِقْهِ سُنَّةِ صَاحِبِ التِّبْيَانِ

وَغَدَتْ شَرِيْعَتُنَا بِمُوْجَبِ قَوْلِهِم
مَنْسُوْخَةً فِي هَذِهِ الأَزْمَانِ

حَجَبُوْا مَحَاسِنَهَا بِتَأْوِيْلَاتِهِم
فَغَدَتْ مِنَ الآرَاءِ فِي خُلْقَانِ

وَلَوَ انَّهَا بَرَزَتْ مُجَرَّدَةً لَهَا
مَ الأَذْكِيَاءُ بِحُسْنِهَا الفَتَّانِ

لَكِنَّهُمْ قَامُوْا حَوَائِلَ دُوْنَهَا
كَالأَوْصِيَاءِ لِقَاصِرِ الصِّبْيَانِ

مَا عِنْدَهُمْ عِنْدَ التَّنَاظُرِ حُجَّةٌ
أَنَّى بِهَا لِمُقَلِّدٍ حَيْرَانِ

لا يَفْزَعُوْنَ إلى الدَّلِيْلِ وإنَّمَا
في العَجْزِ مَفْزَعُهُمْ إلى السُّلْطَانِ
لا عُجْبَ إذْ ضَلُّوا هِدَايَةَ دِيْنِهِمْ
أَنْ يَرْجِعُوْا لِلْجَهْلِ والعِصْيَانِ
هَا قَدْ غَلَوْا في الأَوْلِيَاء وَقُبُوْرُهُمْ
أَضْحَتْ يُحَجُّ لَهَا مِن البُلْدَانِ
وَبَنَوْا عَلَى تِلْكَ القُبُورِ مَسَاجِداً
وَالنَّصُّ جَاءَ لَهُمْ بِلَعْنِ البَانِي
وكَذَا عَلَيْهَا أَسْرَجُوْا واللَّعْنَ جا
في الفِعْلِ ذَا أَيْضَا مَعَ البُنْيَانِ
وَكَذاكَ قَدْ صَنَعُوْا لَهَا الأَقْفَاصَ تُوْ
ضَعُ فَوْقَهَا في غَايَةِ الأتْقَانِ
يَكْسُوْنَهَا بِمَطَارِفٍ مَنْقُوْشَةٍ
قَدْ كَلَّفَتْهُمْ باهِظَ الأَثْمَانِ
بَلْ عِنْدَ رَأْسِ القَبْرِ تَلْقَى نُصْبَهُ
قَدْ عَمَّمُوْهَا عِمَّةَ الشَّيْخَانِ
وَلَسَوْفَ إنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِمْ تَرَى
وَلَهَا يَدَانِ تَلِيْهِما الرِّجْلانِ
وَدَعَوْهُمُوْا شُفَعَاءَهُمْ أَيْضاً كَمَا
قَدْ كَانَ يَزْعُمُ عَابِدُوْ الأَوْثَانِ
وَتَقَرَّبُوْا لَهُمُوْا بِتَسْيِيْبِ السَّوَا
ئِبِ والنُّذُوْرِ وَسَائِرِ القُرْبَانِ

وَتَمَسَّحُوْا بِقُبُورِهِمْ وَسُتُوْرِهِمْ
وَكَذَاكَ بالأَقْفَاصِ والجُدْرَانِ
وإذَا رَأَيْتَهُمُوْا هُنَاكَ تَرَاهُمُوْا
مُتَخَشِّعِينَ كَأَخْبَثِ العُبْدَانِ
مَا عِنْدَهُمْ هَذَا الخُشُوعُ إذَا هُمُوْا
صَلَّوْا لِرَبِّهِم العَظِيْمِ الشَّانِ
واسْتَنْجَدُوْا بِهِمُوْا لِمَا قَدْ نَابَهُمْ
نَاسِيْنَ فَاطِرَ هَذِهِ الأَكْوَانِ
وَدَعَوْهُمُوْا بَراً وَبَحْراً لاَ كَمَنْ
خَصُّوْا الدُّعَاءَ بِرَبِّهِمْ في الثَّاني
فَهُمُوْا بِهَذَا الوَجْهِ قَدْ زَادُوْا عَلَى
مَنْ أَشْرَكُوْا في غَابِرِ الأَزْمَانِ
تَرَكُوْا دُعَاءَ الحَيِّ جَلَّ جَلاَلُهُ
لِدُعَاءِ أَمْوَاتٍ بِلاَ حُسْبَانِ
وإلَيْهِمُوْا جَعَلُوا التَّصَرُّفَ في الوَرَى
فَهُمُوْا مُغِيْثُ السَّائِلِ الحَيْرَانِ
فَكَأَنَّهُم أرْجَى لَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ
وَعَلَيْهِمُوْا أَحْنَى مِنَ الرَّحْمَنِ
وَكَأَنَّهُم وُكَلاَؤُهُ في خَلْقِهِ
سُبْحَانَهُ عَنْ إفْكِ ذِيْ بُهْتَانِ
وَكَأَنَّهُمْ حُجَّابُ رَحْمَةِ رَبِّهِمْ
هُمْ قَاسِمُوْهَا بَيْنَهُمْ بِوِزَانِ

يـا قَـوْمُ لا غَـوْثٌ يَكُـونُ مُغِيْثُكُمْ
إنَّ المُـغِـيْـثَ الـلهُ لِـلإنْـسَـانِ
يَا قَوْمُ فـادْعُـوْ اللَّهَ لا تَـدْعُـوْا الـوَرَى
أَنْـتُمْ وَهُـمْ بـالْـفَـقْـرِ مَـوْسُـوْمَـانِ
مَـا بَـالُكُمْ لَمْ تُخْلِصُـوْا تَـوْحِـيْـدَكُمْ
تَـوْحِـيْـدُكُمْ وَالـشِّـرْكُ مُـقْـتَـرِنَـانِ
هَـا أَنْتُمُـوْا أَشْبَهْتُمُـوْا مَنْ قَبْلَـكُمْ
في شِـرْكِـهِـمْ بِـعِـبَـادَةِ الـدَّيَّـانِ
إنْ كَـانَ هَـذَا الـفِـعْـلُ لا يُسْمُوْنَهُ
بِـعِـبَـادَةٍ فَـهِـيَ اسْـمُـهُ الـقُـرآنِي
مَـعْنَى الـعِـبَـادَةِ ثَـابِـتٌ مُتَـحَـقِّـقٌ
في فِـعْـلِكُـمْ شَـرْعـاً وَعُـرْفِ لِسَـانِ
إنَّ الـدُّعَـاءَ عِـبَـادَةٌ بَـلْ مُخُّـهَـا
قَـدْ قَـالَ ذَا مَـنْ جَـاءَ بـالـفُـرْقَـانِ
فـإذَا زَعَـمْـتُـمْ أَنَّهُمْ شُـفَـعَـآؤُكُـمْ
تَـتَـوَسَّـلُونَ بِهِـمْ إلى الـرَّحْمَـنِ
فـالجـاهِـلِيَّـةُ كَـانَ هَـذَا زَعْـمُـهُـمْ
أَيْضـاً وقَـد نُـسِـبُـوْا إلى الـكُـفْـرَانِ
مَـا كَـانَ أَهْـلُ الـشِّـرْكِ يَعْتَـقِـدُوْنَهُمْ
خَـلَقُـوْا هُمُـوْا يَـا جَـاهِـلَ الـقُـرْآنِ
والـلَّهُ مَـا شَـرَعَ الـتَّـوَسُّـلَ لِـلْوَرَى
إلا بِـطَاعَـتِـهِ مَـعَ الإيْمَـانِ

والفِعْلِ لَيْسَ بِطَاعَةٍ حَتَّى يَجِي
أَمْرٌ بِهِ شَرْعاً إلى الإنْسَانِ
والعَامِلُونَ على وِفَاقِ الأَمْرِ لاَ
يَعْدُوْنَهُ بالزَّيْدِ والنُّقْصَانِ
والعَامِلُونَ بِمُقْتَضَى أَهْوَائِهِم
هُمْ مُؤْثِرُوْنَ لِطَاعَةِ الشَّيْطَانِ
هَلْ مَا فَعَلْتُمْ جَاءَكُمْ أَمْرٌ بِهِ
مِنْ رَبِّكُمْ عن صَاحِبِ التِّبْيَانِ
أَوْ هَلْ أَتَى مِنْ قُدْوَةٍ في الدِّيْنِ مِنْ
صَحْبِ النَّبِي وَتَابِعِ الاحْسَانِ
وَهُنَا لَكُمْ عِنْدِيْ نَصِيْحَةُ مُخْلِصٍ
لا يَمْتَرِيْ فِيْمَا يَقُولُ اثْنَانِ
أَنْ تَأْخُذُوْا بالاحْتِيَاطِ لأَمْرِكُمْ
قَبْلَ الخُلُودِ بِمُوْقِدِ النِّيْرَانِ
إن كَانَ مَا تَأْتُونَ لَيْسَ بِوَاجِبٍ
وَالشِّرْكُ مُخْشِيٌّ لَدَى الاتْيَانِ
فالابْتِعَادُ عَنِ المَخُوْفِ مُقَدَّمٌ
عَقْلاً عَلَى الأقْدَامِ لِلإنْسَانِ

خَاتِمَة وَنِدَاء لِلعلماء

يا مَعْشَرَ العُلَمَاءِ لَبُّوا دَعْوَةً
تُعْلِي مَقَامَكُمْ عَلَى كِيْوَانِ

يـا مَـعْشَـرَ الـعُلَمَـآءِ هُـبُّـوْا هَـبَّـةً
قَـدْ طَـالَ نَـوْمَـكُـو إلَـى ذَا الآنِ
يَـا مَعْشَـرَ العُلَمَـآءِ قُـوْمُـوْا قَـوْمَـةً
لِـلَّهِ تُـعْـلِيْ كِـلْمَـةَ الإيْـمَـانِ
يَـا مَعْشَـرَ العُلَمَـآءِ عَـزْمَـةَ صَـادِقٍ
مُـتَـجَـرِّدٍ لِـلَّهِ غَـيْـرَ جَـبَـانِ
يـا مَعْشَـرَ العُلَمَـآءِ أَنْـتُـمْ مُـلْتَجَـا
لِـلدِّيـنِ عِـنْـدَ تَـفَـاقُـمِ الـحَـدَثَـانِ
يَـا مَـعْشَـرَ الـعُـلَمَـآءِ كُـوْنُـوا قُـدْوَةً
لِـلنَّـاس فـي الإسـلامِ والإحـسـان
يـا مَعْشَـرَ الـعُلَمَـآءِ أَنْـتُمْ حُـجَّـةٌ
لِـلنَّـاسِ فـادْعُـوْهُـمْ إلـى الـقُـرْآنِ
يـا مَعْشَـرَ العُلَمَـآءِ إنَّ سُكُـوْتَكُـمْ
مِـن حُـجَّـةِ الـجُـهَّـالِ كُـلَّ زَمَـانِ
يـا مَعْشَـرَ العُلَمَـآءِ لا تَـتَـخَـاذَلُـوْا
وَتَـعَـاوَنُـوا فـي الـحَـقِّ لا الـعُـدْوَانِ
وَتَـجَـرَّدُوْا لِـلَّهِ مِـنْ أَهْـوَائِـكُـمْ
وَدَعُـوْا التَّنَـافُسَ فـي الحُـطَامِ الـفَـانِي
وَتَـعَـاقَـدُوْا وَتَـعَـاهَـدُوْا أَنْ تَـنْـصُـرُوْا
مُـتَـعَـاضِـدِيْـنَ شَـرِيْـعَـةَ الـرَّحْـمَـنِ

كُـونُـوا بِحَيْثُ يَكُـونُ نَـصْبَ عُيُـوْنِكُمْ
نَـصْـرُ الـكـتَـابِ وَسُـنَّـةُ الإِيْـمَـانِ
قَـدْ فَـرَّقَـتْـنَـا كَـثْـرَةُ الآرَاءِ إِذْ
صِـرْنَـا نُـشَـايِـعُـهَـا بِـلاَ بُـرْهَـانِ
وَمِنَ أَجْلِهَـا صِـرْنَـا يُعَـادِيْ بَعْضُـنَـا
بَـعْـضـاً بِـلاَ حَـقٍّ ولاَ مِـيْـزَانِ
وَغَـدَتْ أُخُـوَّةُ دِيْـنِـنَـا مَـقْـطُوْعَـةً
والـظُّلْمُ مَـعْـرُوْفٌ عـن الإِنْـسَـانِ
والـلَّهُ أَلَّـفَ بَـيْـنَـنَـا فِـي دِيْـنِـهِ
وَعَـلَى الـتَّـفَـرُّقِ عَـابَ فـي الـقُـرْآنِ
عُـوْدُوْا بِنَـا لِسَـمَـاحَـةِ الـدِّيْنِ الـذِيْ
كُـنَّـا بِـهِ فـي عِـزَّةٍ وَصِـيَـانِ
عُـوْدُوْا لِمَـا كَـانَتْ عَلَيْـهِ مِن الـهُـدَى
أَسْـلاَفُـكُـمْ فِـي سَـالِـفِ الأَزْمَـان
فَـإِلَـيْـكُـمُـوا تَـتَـطَلَّعُ الأَنْـظَارُ فِـي
تَـوْحِـيْـدِ كِلْمَـتِـنَـا عَـلَى الإِيْـمَـانِ
فَـالـلهُ يَـنْـصُـرُ مَنْ يَـقُـوْمُ بِـنَـصْـرِهِ
والـلـهُ يَـخْـذُلُ نَـاصِـرَ الـشـيـطانِ

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوْكِ مَنَاهِجِ المُتَّقِيْنِ ، وَخُصَّنَا بِالتَّوْفِيْقِ المُبِيْنِ ، وَاجْعَلْنَا بِفَضْلِكَ مِنْ المقَرَّبِيْنَ الذِيْنَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُوْنَ ، وَاغفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ

اللهم أرزقنا حُبّكَ وحَبَّ مَن يَحُبكَ وَحُبَّ العَمَل الذي يُقربنَا إلى حُبّكَ وأَلْهِمنَا ذِكْرَكَ وشُكْرِكَ وَوَفِّقْنَا لِلقِيَامِ بحَقِّكْ وخَلِصنَا مِن حُقُوقِ خَلقِكَ وَرَضِّنَا بالْيَسِير مِن رِزْقَكْ يا خَيرَ مَنْ دَعَاه دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ

راج ، يا قاضِي الحاجات ومُجيب الدعوات هَبْ لَنَا مَاسَأَلْناه وحَقق رُجَاءَنَا فِيْمَا تَمنيناهُ يَا مَن يَملِكَ حَوَائِجَ السائلين ويَعْلم ما فِي صَدُوْر الصامِتِيْنَ أَذِقنَا بَرْدَ عَفوِكَ وَحَلاوَةَ مَغْفِرَتِك واغْفِرْ لَنَا ولِوَالدِينا ولِجَميع المُسلِمين برحمتك يا أَرْحَم الراحِمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ) وقال الامامُ ابنُ حَزْمٍ : وبُرْهَانٌ ضَرُوْرِيٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ حِسيٌ لاَ مَحِيْدَ عَنْهُ وَهُوَ أنَّ النبي صلى اللهُ عليه وسلم أَتَى إلى قَوْمٍ لِقاحٍ لاَ يُطِيْعُونَ لأَحدٍ ولا يَنْقادُوْنَ لِرَئِيْسٍ نَشَأَ عَلَى هَذَا آبَاؤُهُمْ وَأَجْدَادُهُمْ وَأَسْلاَفُهُمْ مِنْذُ أُلُوفٍ من الأَعْوَامِ قَدْ سَرَى الفَخْرُ والعِزُّ والنَّخْوَةُ والكِبْرُ والظُّلْمُ والأَنفَةُ في طِبَاعِهِمْ وَهُمْ أَعْدَادٌ عَظِيْمَةٌ مَلأُوْا جَزِيْرَةَ العَرَبِ وَهِيَ نَحْوُ شَهْرَيْنِ في شَهْرَيْنِ قَدْ صَارَتْ طِبَاعُهُمْ طِبَاعَ السِّبَاعِ وَهُمْ أُلُوفُ الأُلُوفِ قَبَائِلُ وَعَشَائِرُ يَتَعَصَّبُ بعضُهم لِبَعْضٍ أَبَدا فَدَعَاهُمْ بِلاَ مَالٍ ولا أَتْبَاعٍ - بَلْ خَذَلَهُ قَوْمُهُ - إلى أن يَنْحَطُّوْا مِن ذَلِكَ العِزِّ إلى غُرْمِ الزَّكَاةِ .

وَمِنْ الحُرِّيَةِ والظُّلْمِ إلى جَرْيِ الأَحْكَامِ عَلَيْهِمْ وَمِنْ طُوْلِ الأَيْدِيْ بِقَتْلِ مَنْ أَحَبُّوْا وَأَخْذِ مَالِ مَنْ أَحَبُّوْا إلى القِصَاصِ مِن النَّفْسِ وَمِن قَطْعِ الأَعْضَاءِ وَمِنْ اللَّطْمَةِ مِن أَجْلِ مَنْ فِيْهِم لأَقَلَّ عِلْجٍ غَرِيْبٍ دَخَلَ فِيْهِمْ وَإلى إِسْقاطِ الأَنفَةِ والفَخْرِ إلى ضَرْبِ الظُّهُوْرِ بالسِّيَاطِ وبالنِّعَالِ إنْ شَرِبُوْا خَمْراً أَوْ قَذَفُوْا إِنْسَاناً .

وإلى الضَّرْبِ بالسَّوْطِ والرَّجْمِ بالحِجَارَةِ إلى أَنْ يَمُوتُوْا إنْ زَنُوا فانْقَادَ أَكْثَرُهُمْ لِكُلِّ ذَلِكَ طَوْعاً بلاَ طَمَعٍ ولا غَلَبَةٍ ولا خَوْفٍ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ أُخِذَ بِغَلَبَةٍ إلا مَكَّةَ وَخَيْبَرَ فَقَطْ وَمَا غَزَا قَطُّ غَزْوَةً يُقَاتِلُ فِيْهَا إلا تِسْعَ غَزَوَاتٍ بَعْضُهَا عَلَيْهِ وَبَعْضُهَا لَهُ . فَصَحَّ ضَرُوْرَةً أَنَّهُم إنَّمَا آمَنُوْا طَوْعاً لاَ كُرْهاً .

وَتَبَدَّلَتْ طَبَائِعُهُمْ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى مِن الظُّلْم إِلَى العَدْلِ وَمِنَ الجَهْلِ إِلى العِلْم وَمِنَ الفِسْقِ والقَسْوَةِ إِلى العَدْلِ العَظِيْمِ الذِي لَمْ يَبْلُغْهُ أَكَابِرُ الفلاسِفَةِ وَأَسْقَطُوا كُلُّهُمْ أَوَّلُهُمْ عَن آخِرِهِمْ طَلَبَ الثَّأْرِ وَصَحِبَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ قَاتِلَ ابْنِهِ وَأَبِيْهِ وَأَعْدَى النَّاس لَهُ صُحْبَةَ الأخْوَةِ المُتَحَابِيْنَ دُوْنَ خَوْفٍ يَجْمَعُهُمْ ولا رِيَاسَةٍ يَنْفَرِدُوْنَ بِهَا دُوْنَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ غَيْرِهِمْ وَلاَ مَالٍ يَتَعَجَّلُوْنَهُ فَقَدْ عَلِمَ الناسَ كَيْفَ كَانَتْ سِيْرَةُ أَبِيْ بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِي اللهُ عَنْهُمَا وَكَيْفَ كَانَتْ طَاعَةُ العَرَبِ لَهُمَا بلا رِزْقٍ ولا عَطَاءٍ ولا غَلبةٍ .

فَهَلْ هَذَا إِلاَّ بِغَلَبَةٍ مِن اللهِ تَعالى عَلى نُفُوْسِهِمْ كَمَا قال تَعالى ﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ ما في الأَرْضِ جَمِيْعاً ما أَلفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ ثُمَّ بَقِيَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ كذلكَ بينَ أَظْهُرِهِمْ بلا حَارِسٍ ولا دِيْوَانِ جُنْدٍ وَلاَ بَيْتِ مَالٍ مَحْرُوْساً مَعْصُوْماً .

وقال ابنُ حَزمٍ رَحِمَهُ اللهُ أَيْضاً قَبْلَ ذَلِـكَ : كَانَتِ العَرَبُ بلا خِلاَفٍ قَوْماً لِقاحاً لا يَمْلِكُهُمْ أَحَدٌ كَمُضَرَ وَرَبِيْعَةَ وإياد وَقُضَاعَةَ أَوْ مُلُوكاً في بِلاَدِهِم يَتَوَارَثُونَ المُلْكَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ كَمُلُوكِ اليَمَنِ وَعُمَانٍ وَشَهْرِ بن أَرَام مَلِكِ صَنْعَا والمُنْذِرِ بْن سَاوَى مَلِكِ البَحْرَيْنِ والنَّجَاشِيْ مَلِكِ الحَبَشَةَ وَجَيْفَرٍ وَعِيَاذٍ ابْنَيْ الجَلنْدِي وَمَلِكَيْ عُمَان فانْقَادُوْا كُلُهم لِظُهُورِ الحَقِ وَبُهُوْرِهِ وَآمَنُوا بِهِ صلى اللهُ عليه وسلم طَوْعاً وَهُم آلافُ آلاف وَصَارُوْا إِخْوةً كَبَنِي أَبٍ وَأُمٍّ وانْحَلَّ كُلُّ مَنْ أَمْكَنَهُ الانْحِلاَلُ عن مُلْكِهِ مِنْهُمْ إِلى رُسُلِهِ طَوْعاً بلا خَوْفِ غَزْوٍ ولا إِعْطَاءِ مَالٍ ولا طَمَعٍ في عِز بَلْ كُلُّهُمْ أَقْوَى جَيْشاً مِنْ جَيْشِهِ وَأَكْثَرَ مَالاً وَسِلاَحاً مِنهُ وَأَوْسَعَ بَلَداً مِن بَلَدِهِ كَذي الكُلاَعِ وَكَانَ مَلِكاً مُتَوَّجاً ابنَ مُلُوكٍ مُتَوَّجِيْنَ تَسْجُدُ لَهُ جَمِيْعُ رَعِيَّتِهِ يَرْكَبُ أَمَامَهُ

أَلفُ عَبْدٍ مِنْ عَبِيْدِهِ سِوَى بَنِيْ عَمِّهِ مِن حِمْيَرَ وذِي ظَلِيْمٍ وذِي زَوْدٍ وذِي مُرانَ وَذِي عَمْرو وغيرِهِمْ كُلُّهُمْ مُلُوكٌ مُتَوَّجُوْنَ في بِلَادِهِم .

هَذَا كُلُّهُ أَمْرٌ لَا يَجْهَلُهُ أَحَدٌ مِن حَمَلَةِ الأَخْبَارِ بَلْ هُوَ مَنْقُولٌ كَنَقْلِ كَونِ بِلَادِهِمْ في مَوَاضِعِهَا وَهَكَذَا كانَ اسْلامُ جَمِيْعِ العَـرَبِ أُوْلَاهُمْ كالأَوْسِ والخَزْرَجِ ثُمَّ سَائِرِهِم قَبِيْلَةً قَبِيْلَةً لِمَا ثَبَتَ عِنْدَهُمْ مِن آياتِهِ وَبهَرَهُمْ مِن مُعْجِزَاتِهِ وما اتَّبَعَهُ الأَوْسُ والخَزْرَجُ إلا وَهُوَ فَرِيْدٌ نَابَذَهُ قَوْمُهُ حَسَداً لَهُ .

إِذْ كَانَ فَقِيْراً يَتِيْماً أُمياً لا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ نَشَأَ في بِلَادِ الجَهْلِ والجَاهِلِيَّةِ يَرْعَى غَنَمَ قَوْمِهِ يَتَقَوَّتُ بِهَا فَعَلَّمَهُ اللهُ تعالى الحكمةَ دُوْنَ مُعَلِّمٍ وَعَصَمَهُ مِن كلِ مَنْ أَرَادَهُ بلا حَرَسٍ وبلا حَاجِبٍ ولا بَوَّابٍ ولا قَصْرٍ يَمْتَنِعُ فِيْهِ عَلَى كَثْرَةِ مَنْ أَرَادَ قَتْلَهُ مِنْ شُجْعَانِ العَرَبِ وَفُتَّاكِهِمْ كَعَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ وأَرْبَدَ بن جُزْءٍ وَغُوْرَثِ بن الحَارِثِ وَغَيْرِهِم مَعَ اقْرَارِ أَعْدَائِهِ بِنُبُوَّتِهِ كَمُسَيْلِمَةَ وَسَجَاحٍ وَطُلَيْحَةَ والأَسْوَدَ وَهُوَ مُكَذِّبٌ لَهُمْ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا بُرْهَانٌ أَوْ بَعْدَ هَذِهِ الكِفَايَةِ مِن اللهِ تَعَالى كِفَايَةَ وَهُوَ لا يَبْغِي دُنْياً ولا يُمَنِّيْ بهَا من اتَّبَعَهُ بَلْ أَنْذَرَ الانصَارَ بالأَثَرَةِ عَلَيهِم بَعْدَهُ وَتَابَعُوْهُ عَلَى الصَّبْرِ على ذلكَ .

قَامَ لَهُ أَصْحَابُهُ عَلى قَدَمٍ فَمَنَعُهُمْ وَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ القِيَامِ لِلَّهِ تَعَالَى لَا لِخَلْقِهِ وَرَضُوا بالسُّجُوْدِ لَهُ فاسْتَعْظَمَ ذَلِكَ وَأَنْكَرَهُ إلا لِلهِ وَحْدَهُ .

ولا شَكُّ في أَنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ صِفَةَ طَالِبِ دُنْيَاً قطُ أَصْلاً ولا صِفَةَ رَاغِبٍ في غَلَبَةٍ ولا بُعْدَ صَوْتٍ بَلْ هَذِهِ حَقِيْقَةُ النُّبُوَّةِ الخَالِصَةِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَدْنَى فَهْمٍ .

ثُمَّ قَالَ الامامُ ابنُ حَزْمٍ وَأَيْضاً فإِنَّ سِيْرَةَ مُحَمَّدٍ صلى اللهُ عليه وسلم لِمَنْ تَدَبَّرَهَا تَقْتَضِي تَصْدِيْقَهُ ضَرُوْرَةً وَتَشْهَدُ لَهُ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم حَقاً فَلَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ مُعْجِزَةٌ غَيْرُ سِيْرَتِهِ صلى اللهُ عليه وسلم لَكَفَى وَذَلِكَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَلاَةُ والسلامُ نَشَأَ كَمَا قُلْنَا في بِلاَدِ الجَهْلِ لاَ يَقْرَأُ وَلاَ يَكْتُبُ وَلاَ خَرَجَ عَنْ تِلْكَ البِلاَدِ قَطُّ إلا خَرْجَتَيْن .

إِحْدَاهُمَا إلى الشَّامِ وَهُوَ صَبِيٌّ مَعَ عَمِّهِ إلى أَوَّلِ أَرْضِ الشَّامِ وَرَجَعَ والأُخْرَى أَيْضاً إلى أَوَّلِ الشَّامِ وَلَمْ يَطِلْ بِهَا البَقَاءَ وَلاَ فَارَقَ قَوْمَهُ قَطُّ ثُمَّ أَوْطَأَهُ اللهُ تَعَالَى رِقَابَ العَرَبِ كُلِّهَا فَلَمْ تَتَغَيَّرْ نَفْسُهُ ولا حَالَتْ سِيْرَتُهُ إلى أَنْ مَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ في شَعِيْرٍ لِقُوْتِ أَهْلِهِ .

أَصْواعٍ لَيْسَتْ بالكَثِيْرَةِ وَلَمْ يَبِتْ قَطُّ في مُلْكِهِ دِيْنَارٌ ولا دِرْهَم وكان يَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ مَا وَجَدَ وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ بِيَدِهِ وَيَرْقَعُ ثَوْبَهُ وَيُؤْثِرُ على نَفْسِهِ وَقُتِلَ رَجُلٌ من أَفَاضِلِ أَصْحَابِهِ مِثْلُ فَقْدِهِ يَهُدُّ عَسْكَراً قُتِلَ بَيْن أَظْهُرِ أَعْدَائِهِ مِن اليَهُوْدِ فَلَمْ يَتَسَبَّبْ إلى أَذى أَعْدَائِهِ بِذَلِكَ إِذْ لَمْ يُوْجِب اللهُ تعالى لَهُ ذَلِكَ ولا تَوَصَّل بِذَلِكَ إلى دِمَائِهِمْ ولا إلى دَم واحِدٍ مِنْهُمْ ولا إلى أموالهم بَلْ فَدَاهُ مِن عِنْدِ نَفْسِهِ بِمَائَةِ نَاقةٍ .

وهُوَ في تِلْكَ الحَالِ مُحْتَاجٌ إلى بَعِيْرٍ وَاحِدٍ يَتَقَوَّى بِهِ وَهَذَا أَمْرٌ لا تَسْمَحُ بِهِ نَفْسُ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ وَأَهْلِ الدُنْيَا مِن أَصْحَابِ بِيُوتِ الأَمْوالِ بِوَجْهِ مِن الوُجُوْهِ ولا يَقْتَضِي هَذَا أَيْضاً ظَاهِرَ السِيْرَةِ والسِّيَاسَةِ فَصَحَّ يَقِيْناً بِلاَ شَكٍ أَنَّهُ إِنَّما كان مُتَّبِعاً مَا أَمَرَ بِهِ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَواءٌ كانَ ذَلِكَ مُضِراً بِهِ في دُنْيَاهُ غَايَةَ الإِضْرَارِ أَوْ كَانَ غَيْرَ مُضِرٍ بِهِ وَهَذَا عَجِيْبٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ .

ثُمَّ حَضَرَتْهُ صلى اللهُ عليه وسلم المَنِيَّةُ وَأَيْقَنَ بالمَوْتِ ولَهُ عَمٌّ أَخُوْ أَبِيْهِ هُوَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ وابْنُ عَمٍّ هُوَ مِن أَخَصِّ النَّاس بِهِ وَهُوَ أَيْضاً زَوْجُ ابْنَتِهِ وَكِلاَهُمَا عِنْدَهُ مِن الفَضْلِ والدِّيْنِ والسِّيَاسَةِ في الدُّنْيَا والبَأْسِ والحِلْمِ وخِلاَلِ الخَيْرِ ما كان كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَقِيْقاً بِسِيَاسَةِ العَالَمِ كُلِّهِ فَلَمْ يُحَابِهِمَا وَهُمَا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ مَحَبَّةً فِيْهِ وَهُوَ مِن أَحَبِّ الناسِ فِيْهِمَا .

إِذْ كَانَ غَيْرُهُمَا مُتَقَدِّماً لَهُمَا في الفَضْلِ قَاصِداً اتِّبَاعَ ما أَمَرَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَمْ يُوَرِّثْ وَرَثَتَهُ ابْنَتَهُ وَنِسَاءَهُ وَعَمَّهُ فِلْساً فَمَا فَوْقَهُ وَهُمْ كُلُّهُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَطْوَعُهُمْ لَهُ ، وَهَذِهِ أُمُوْرٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهَا كَافِيَةٌ مُغْنِيَةٌ في أَنَّهُ إِنَّمَا تَصَرَّفَ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى لَهُ لَا بِسِيَاسَةٍ ولا بِهَوىً فَوَضَحَ بِمَا ذَكَرْنَا وَلِلَّهِ الحَمْدُ كَثِيْراً أَنَّ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ وَأَنَّ شَرِيْعَتَهُ الَّتِي أَتَى بِهَا هِيَ الَّتِيْ وَضَحَتْ بَرَاهِيْنُهَا واضْطَرَّتْ دَلاَئِلُهَا إِلى تَصْدِيْقِهَا والقَطْعِ عَلَى أَنَّهَا الحَقُّ الذيْ لَا حَقَّ سِوَاهُ وَأَنَّهَا دِيْنُ اللهِ تعالى الذي لا دِيْنَ لَهُ في العَالَمِ غَيْرُهُ إِنْتَهَى كَلاَمُه رحمه الله تعالى .

هذه قصيدة جميلة أَزَلْنَا ما فِيها مِن الغُلُوِ وَعَوَّضْنَا عنه ما بَيْنَ الأَقْوَاس:

كَأَنَّ نُجُوماً أَوْ مَضَتْ في الغَيَاهِبِ
عُيُونُ الأَفَاعِي أَوْ رُؤُوسُ العَقَارِبِ
إذا كانَ قَلْبُ المَرْءِ في الأَمْرِ حَائِراً
فَأَضْيَقُ مِن تِسْعِيْنَ رَحْبُ السَبَاسِبِ
وتَشْغَلُني عَني وعَن كُلِّ رَاحَتِي
مَصَائِبُ تَقْفُوا مِثْلَهَا في المَصَائِبِ

إذَا مَا أَتَتْنِي أَزْمَةٌ مُدْلَهِمَّـــةٌ
تُحِيْطُ بِنَفْسِي مِن جَمِيعِ الجَوَانِبِ
تَطَلَّبْتُ هَلْ مِن نَاصِرٍ أَوْ مُسَاعِدٍ
أَلُوذُ بِهِ مِن خَوفِ سُوءِ العَواقِبِ
« فَلَسْتُ أَرَى إلَّا الذِي فَلَقَ النوى
هو الواحِدُ المُعْطِي كَثِيرُ المَواهِبِ »
« ومُعْتَصَمُ المُكْرُوْبِ فِي كُلِّ غَمْرةٍ
ومُنْتَجَعُ الغُفْرَانِ مِن كُلِّ هَائِبِ »
« مُجِيْبُ دُعا المُضْطَرِّ عِندَ دُعَائِهِ
ومُنْقِذُهُ مِن مُعْضِلاتِ النَّوائِبِ »
«مُعِيْدُ الوَرَى فِي زَجْرَةٍ بَعد مَوتِهِم
لِفَصْلِ حُقُوقٍ بَيْنَهُم ومَطَالِبِ »
ففي ذَلِكَ اليومِ العَصِيْبِ تَرَى الوَرَى
سُكَارَى وَلَا سُكْرٌ بِهِم مِن مَشَارِبِ
حُفَـاةً عراةً خَاشِعِيْــنَ لِرَبِّهِـــم
فَيَا وَيْحَ ذِيْ ظُلْمٍ رَهِينَ المَطَالِبِ
فيأتُـــوا لِنُـــوحٍ والخَلِيـــلِ وَآدَمٍ
ومُوسَى وعِيسَى عِنْدَ تِلْكَ المَتاعِبِ
لَعَلَّهُمُ أَنْ يَشْفَعُوا عِنـدَ رَبِّهِـم
لِتَخْلِيْصِهِمْ مِن مُعْضِلَاتِ المَصَاعِبِ
فما كان يُغْنِي عَنْهُمُوا عند هَذِهِ
نَبِـيٌّ ولم يُظْفِرْهُـــمُ بالمَآرِبِ
هُنَـاكَ رسولُ اللهِ يَأْتِـي لِرَبِـهِ
لِيَشْفَعْ لِتَخْلِيْصِ الوَرَى مِن مَتَاعِبِ

فَيَرْجِعُ مَسْرُوراً بِنَيْلِ طِلابِهِ
أصَابَ مِن الرحمنِ أَعْلَى المَراتِبِ
سُلالَةُ إسماعيلَ والعِرْقُ نَازِعُ
وأَشْرَفُ بَيْتٍ مِن لُؤَيِ بنِ غالبِ
بَشَارَةُ عِيْسَى والذي عنه عَبَّرُوا
بِشِدَّةِ بَأسٍ بالضَّحُوكِ المُحَارِبِ
ومَن أَخْبَرُوا عنه بِأَنْ لَيسَ خُلْقُهُ
بِفَظٍ وفي الأَسْوَاقِ لَيسَ بِصَاخِبِ
ودَعْوَةُ إبْرَاهِيمَ عندَ بِنَائِهِ
بمَكَّةَ بَيْتاً فيهِ نَيْلُ الرَّغَائِبِ
جَمِيْلُ المُحَيَّا أَبْيَضُ الوَجْهِ رَبْعَةً
جَلِيلُ كَرَادِيسٍ أَزَجُ الحَواجِبِ
صَبِيْحٌ مَلِيْحٌ أَدْعَجُ العَينِ أَشْكَلٌ
فَصِيْحٌ لَهُ الإعْجَام لَيس بشَائِبِ
وأَحْسَنُ خَلْقِ اللهِ خُلْقاً وخِلْقَةً
وأنْفَعُهُم لِلنَّاسِ عِندَ النَّوائِبِ
وأَجْوَدُ خَلْقِ اللهِ صَدْراً ونائِلاً
وأَبْسَطُهُم كَفاً عَلَى كُلِّ طَالِبِ
وأَعْظَمُ حُرٌّ لِلمَعَالِي نُهُوضُهُ
إلى المجدِ سَامٍ لِلعَظائِمِ خَاطِبِ
تَرى أَشْجَعَ الفُرسَانِ لَاذَ بِظَهْرِهِ
إذَا احْمَرَّ بَأسٌ في بَئِيسِ المَواجِبِ
وآذَاهُ قَومٌ مِن سَفَاهَةِ عَقْلِهِم
ولَم يَذْهَبُوا مِن دِيْنِهِ بِمَذاهِبِ

فما زَالَ يَدْعُو رَبَّهُ لِهُدَاهُمُ
وإنْ كَانَ قَدْ قَاسَى أَشَدَّ المَتَاعِبِ
وما زالَ يَعْفُو قادراً مِن مُسيئِهِمْ
كما كانَ مِنه عَندَ جَبْذَةَ جَاذِبِ
وما زالَ طُولَ العُمرِ لِلهِ مُعْرِضاً
عَن البَسْطِ في الدُنيا وعَيشِ المَزارِبِ
بَدِيْعُ كَمَالٍ في المَعالي فلا امْرؤٌ
يكونُ لَهُ مِثْلًا ولا بمُقَارِبِ
أتَانَا مُقِيْمَ الدِينِ مِن بَعدِ فَتْرةٍ
وتَحْرِيْفِ أَدْيَانٍ وطُولِ مَشَاغِبِ
فَيَا وَيْلَ قَومٍ يُشْرِكُونَ بِرَبِهِم
وفيهم صُنُوفٌ مِن وَخِيْمِ المَثَالِبِ
ودِينُهُم مَا يَفْتَرونَ بِرأْيِهِم
كَتَحْرِيمِ حَامٍ واخْتِرَاعِ السَّوائِبِ
ويَا وَيْلَ قومٍ حَرَّفُوا دِينَ رَبِّهِم
وَأَفْتَوْا بِمَصْنُوعٍ لِحفْظِ المناصِبِ
ويَا وَيْلَ مَن أَطْرَى بِوَصْفِ نَبِيِّهِ
فَسَمَاهُ رَبَّ الخَلْقِ إِطْرَاءَ خَائِبِ
ويَا وَيْلَ قومٍ قَدْ أَبَارَ نُفُوسَهُمْ
تَكَلُّفُ تَزْوِيْقٍ وَحُبُّ المَلَاعِبِ
ويَا وَيْلَ قَوْمٍ قَدْ أَخَفَّ عُقُولَهُم
تَجَبُّرُ كِسْرَى واصْطِلَامُ الضَّرائِبِ
فأَدْرَكَهُم فِي ذَاكَ رَحْمَةُ رَبِّنَا
وقَدْ أَوْجَبُوْا مِنْهُ أَشَدَّ المَعَائِبِ

فَأَرْسَلَ مِن عَلْيَا قُرَيْشٍ نَبِيَّـهُ
ولَم يَكُ فِيْمَا قَدْ بَلُوْهُ بِكَاذِبِ
ومِنْ قَبْلَ هَذَا لَم يُخَالِطْ مُدَاس أَلْ
يَهُوْدِ وَلَمْ يَقْرأ لَهُم خَطَّ كَاتِبِ
فأَوْضَحَ مِنْهَاجَ الهُدَى لِمَنْ اهْتَدَى
ومَـنَّ بتَعْلِيْـمٍ عَلَـى كُلِّ رَاغِبِ
وأَخْبَرَ عَن بَدْءِ السماءِ لَهُمْ وعَنْ
مَقَامٍ مَخُوفٍ بَيْنَ أيْدِي المُحَاسِبِ
وعن حُكْمِ رَبِّ العَرْشِ فيما يُعِينُهُم
وعَنْ حِكَمٍ تُرْوَى بِحُكْمِ التَجَارُبِ
وأَبْطَـلَ أَصْنَـافَ الخَنَـى وأبَادَهـا
وأصْنَـافَ بَغْـيٍ لِلْعُقُوبَــةِ جَالِبِ
وبَشَّرَ مَن أَعْطَى الرَّسُولَ قِيَادَةً
بِجَنَـةِ تَنْعِيْـمٍ وحُـورٍ كَوَاعِبِ
وَأَوْعَـدَ مَن يَأْبَـى عِبَـادَةَ رَبِّـهِ
عُقُوبَـةَ مِيْـزَانٍ وَعِـيشَةَ قَاطِبِ
فأَنْجَى بِهِ مَنْ شَاءَ رَبِي نَجَاتَهُ
ومَن خَابَ فَلْتَنْدِبْهُ شَرُّ النَّوادِبِ
فأشْهَـدُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ عَبْـدَهُ
بحَـقٍ ولَا شَيءٌ هُنَـاكَ بِرَائِبِ
وقد كانَ نُورُ اللهِ فِيْنَا لِمُهْتَدٍ
وصِمْصَامُ تَدْمِيرٍ عَلَى كُلِّ نَاكِبِ
وأَقْوَى دَلِيلٍ عِندَ مَن تَمَّ عَقْلُهُ
عَلَى أَنَّ شُرْبَ الشَّرْعِ أَصْفَى المَشَارِبِ

تَوَاطُىءُ عُقُولٍ فِي سَلَامَةِ فِكْرِهِ
عَلَى كُلِّ مَا يأتِي بِهِ مِن مَطَالِبِ
سَمَاحَةُ شَرْعٍ فِي رَزَانَةِ شِرْعَـةٍ
وتَحْقِيْقِ حَقٍ فِي إِشَارَةِ حَاجِبِ
مَكَـارِمُ أَخْـلَاقٍ وَإِتْمَـــامُ نِعْمَـــةٍ
نُبُـوة تأَلِيْــفٍ وسُلْطَـــانُ غَالِبِ
نُصَدِّقُ دِيْـنَ المُصْطَفَى بِقُلُوبِنَا
عَلَى بَيِّنَاتٍ فَهْمُهَـا مِن غَرَائِبِ
بَرَاهِيْنُ حَقٍ أَوْضَحَتُ صِدْقَ قَوْلِهِ
رَوَاهَا وَيَرْوِي كُلُّ شِيبٍ وشَائِبِ
ومِنْ ذَاكَ كَمْ أَعْطَى الطعامَ لِجَائِعٍ
وكَمْ مَرَّةٍ أسْقَى الشَّرابَ لِشَارِبِ
وكَمْ مِن مَرِيضٍ قَد شُفِيْ مِن دُعَائِهِ
وإن كانَ قَدْ أُشْفَى لِوَجْبَةِ وَاجِبِ
ودَرَّتْ لَه شَاةٌ لَدَى أُمِّ مَعْبَدٍ
حَلِيْباً ولا تَسطَاعُ حَلْبَةَ حَالِبِ
وقَدْ سَاخَ فِي أَرْضٍ حِصَانُ سُرَاقَةٍ
وفيهِ حَدِيْثٌ عن بَرَاءِ بنِ عَازِبِ
وقَدْ فَاحَ طِيْباً كَفُ مَنْ مَسَّ كَفَّهُ
ومَاحَل رَأْساً حَبْسُ شَيْبِ الذَّوائِبِ
وأَلْقَى شَقِيُ القَومِ فَرْثَ جَزُورِهِمْ
عَلَى ظَهْرِهِ واللهِ لَيْسَ بِعَـازِبِ
فأُلْقُوا بِبَـدرٍ فِي قَلِيْبٍ مُخَبَّثٍ
وَعَمَّ جَمِيْعَ القَومِ شُؤْمُ المَدَاعِبِ

وأخبَـر أنْ أَعْطَـاهُ مَوْلاهُ نُصْرةً
ورُعْباً إلى شَهْرٍ مَسِيْرةَ سَارِبِ
فأَوْفاهُ وَعْدَ الرُعْبِ والنَّصرِ عَاجِلًا
وَأَعْطَى لَهُ فَتْحَ التَّبُوكِ ومَارِبِ
وأخبَـرَ عَنْـهُ أنْ سَيَبْلُـغُ مُلْكُـهُ
إلى ما رآى مِن مَشْرِقٍ ومَغارِبِ
فأَسْبَـلَ رَبُّ الأرْضِ بَعْـدَ نَبيِّـهِ
فُتُوحاً تُوَارى مَالَها مِن مَناكِبِ
وكَلَّمَهُ الأَحْجَارُ والعُجْمُ والحَصَى
وَتَكْلِيْمُ هَذا النَّوعِ لَيسَ بِرائِبِ
وحَنَّ لَهُ الجِذْعُ القَدِيمُ تَحَزُّناً
فإِنَّ فِرَاقَ الحُبِّ أَدْهَى المَصَائِبِ
وأَعْجَبُ تِلْكَ البَدرُ يَنْشَقُ عِندَهُ
وما هُو في إعْجَازِهِ مِن عَجَائِبِ
وشَقَّ لَهُ جِبريـلُ بَاطِـنَ صَدْرِهِ
لِغَسْلِ سَوَادٍ بالسُوَيْـــداءِ لَازِبِ
وأَسْرَى عَلَى مَتْنِ البُرَاقِ إلى السَّمَا
فيا خَيْرَ مَرْكُوبٍ ويَا خَيرَ رَاكِبِ
ورَاعَتْ بَلِيْغُ الآيِ كُلَّ مُجَادِلٍ
خَصِيْمٍ تَمَادَى في مِرَاءِ المَطَالِبِ
بَراعَـةُ أُسْلُـوبٍ وَعَجْـزُ مُعَـارِضٍ
بَلاغَـةُ أَقْــوالٍ وأُخْبَــارُ غَائِبِ
وسَمَّاهُ رَبُّ الخَلْقِ أَسْمَاءَ مِدْحَةٍ
تُبيِّنُ مَا أُعْطَى لَهُ مِن مَنَاقِبِ

رَؤُوفٌ رَحِيْمٌ أَحْمَدٌ وَمُحَمَّدٌ
مُقَفَى ومِفْضَالٌ يُسَمَّى بِعَاقِبِ
إذا مَا أَثَارُواْ فِتْنَةً جَاهِلِيَّةً
يَقُودُ بِبَحْرٍ زاخِرٍ مِن كَتَائِبِ
يَقُوم لِدَفْعِ البَأسِ أَسْرَعَ قَومِهِ
بِجَيْشٍ مِن الأَبْطَالِ غُرِّ السَّلاهِبِ
أَشِدَاءُ يَومَ البَأْسِ مِنْ كُلِّ بَاسِلٍ
ومِنْ كُلِّ قَرْمٍ بالأَسِنَّةِ لَاعِبِ
تَوَارُثُ إقْدَاماً ونُبْلاً وجُرْأَةً
نُفُوسُهُمُ مِن أُمَّهَاتٍ نَجَائِبِ
جَزَى اللهُ أَصْحَابَ النبيِّ مُحَمَّدٍ
جَمِيْعاً كَمَا كانُوا لَهُ خَيْرَ صَاحِبِ
وآلَ رَسولِ اللهِ لا زَالَ أَمْرُهُم
قَوِيْماً على إرْغَامِ أَنْفِ النَّواصِبِ
ثلاثُ خِصَالٍ مِن تَعَاجِيْبِ رَبِّنَا
نَجَابَةُ أَعْقَابٍ لِوَالِدِ طَالِبِ
خِلَافَةُ عَبَّاسٍ وَدِيْنِ نَبِيِّنَا
تَزَايدَ في الأَقْطَارِ مِن كُلِّ جَانِبِ
يُؤَيدُ دِيْنَ اللهِ في كُلِّ دَوْرَةٍ
عَصَائِبُ تَتْلُو مِثْلَهَا مِن عَصَائِبِ
فَمِنْهُم رِجَالٌ يَدْفَعُونَ عَدُوَّهُمْ
بِسُمْرِ القَنَا وَالمُرْهَفَاتِ القَواضِبِ
ومِنهُم رِجَالٌ يَغْلِبُونَ عَدُوَّهُمْ
بِأَقْوَى دَلِيلٍ مُفْحِمٍ لِلْمُغاضِبِ

ومنهُم رِجَالٌ بَيَّنُوا شَرْعَ رَبِّنَا
وَمَا كَانَ فِيهِ مِن حَرَامٍ وَوَاجِبِ
ومنهم رِجَالٌ يَدْرُسُونَ كِتَابَهُ
بِتَجْوِيْدِ تَرْتِيْلٍ وحِفْظِ مَرَاتِبِ
ومنهم رِجالٌ فَسَّرُوْهُ بعِلْمِهِمْ
وَهُمْ عَلَّمُونَا ما بِهِ مِن غَرائِبِ
ومِنهم رِجالٌ بالحَدِيثِ تَوَلَّعُوا
وَمَا كَانَ فِيهِ مِن صَحِيْحٍ وَذَاهِبِ
ومنهم رِجَالٌ مُخْلِصُونَ لِرَبِّهِم
بِأَنْفُسِهِم خُصْبُ البِلادِ الأَجَادِبِ
ومنهم رجالٌ يُهْتَدي بِعِظَاتِهِم
قِيَامٌ إلى دِيْنٍ مِن الله وَاصِبِ
على الله ربِ الناسِ حُسْنُ جَزَاءِهِم
بمَا لا يُوَافِي عَدُّهُ ذِهْنُ حَاسِبِ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَذْكُرْ جَمَالَ بُثَيْنَةٍ
ومَن شَاءَ فَلْيَغْزِلْ بِحُبِ الرَبَائِبِ
سَأَذْكُرُ حُبي لِلْحَبِيْبِ مُحَمَّدٍ
إذا وَصَفَ العُشَّاقِ حُبَّ الحَبَائِبِ
ويَبْدُوْ مُحَيَّاهُ لِعَيْنِي في الكَرى
بنَفْسِيَ أَفْدِيْهِ إذاً وَالأَقَارِبِ
وتُذْرِكُنِي في ذِكْرِهِ قَشْعَرِيْرَةٌ
مِنَ الوِجْدِ لَا يَحْوِيْهِ عِلْمُ الأَجَانِبِ
وأُلْفِي لِرُوْحِي عِنْدَ ذَلِكَ هَزَّةً
وأُنْساً وَرَوْحاً فيه وثْبَةُ واثِبِ

وأنَّكَ أعْلَى المُرسَلِينَ مَكَانَـــةً
وأَنْتَ لَهُم شَمْسٌ وهُم كَالثَّواقِبِ
وصَلِّ إلٰهي كلَّمَا ذرَّ شَارِقٌ
عَلَى خَاتَمِ الرُّسُلِ الكِرَامِ الأَطَايِبِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الإِنْسَان في أَحْسَنِ تَقْوِيْمٍ وَبِقُدْرَتِهِ التيْ لَا يُعْجِزُهَا شَيءٌ يُحْيِيْ العِظَامَ وَهِيَ رَمِيْمٌ . نَسْأَلكَ أَنْ تَهْدِيْنَا إلى صِرَاطِكَ المُسْتَقِيْم صِرَاطَ الذِيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ وَأَنْ تَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِـدَيْنَا وَلِجَمِيْـعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْــلٌ »

ومن الأدلة والبراهين والقرائن الدالة على صدق الرسل كلهم ما ذكره صاحب البرهان القاطع رحمه الله:

فأولُها أنهم مِن أعدل الناس طريقةً وأصدقِهم لَهْجَةً وأكثرِهم وقاراً وأقَلِّهم طَيْشاً. وأزهدِهم في المالِ والجاهِ، وأرفضِهم لِحُبِ الدِّعَةِ والراحةِ. قد خُبِرُوا على طول الزمن، وإشتدت عليهم المِحَن، وإعتورتْ أحوالَهم طوارقُ الفتن، وتفاقَم في النكاية لهم كَيْدُ ذَوِي الإحَن. فما ليّنت الشدائدُ منهم صَلْباً، ولا فَتَّرتِ المكايدُ لهم عَزْماً بل كانوا كَسَبيكة الذهبِ وفَلْذةِ الياقوتِ. كلما إزدادتِ النارُ لَها أكْلًا إزْدادَتْ على طول السَّبْكِ حُسْناً، لا حافَوا في حكمٍ على عَدُو، ولا شَهِدُوا بغيرِ الحق لِصَديق.

قَامَ نوحٌ عليهِ السلام أَلفَ سنةٍ إلا خمسينَ عاماً بين ظهراني قومِهِ

وعشيرتِهِ، وحُمَاتِهِ مِن العدو ومَلاذِهِ: فَنَابَذَهُم وجَانَبهم وضَلَّلَهُم وكَفَّرَهُم، حتى كانوا يَضْرِبُونَهُ ويُهينُونَهُ ويُؤْذُنَهُ بأنواعِ الأذَى ويمقتونه، ولا يحصل له بذلك غرضٌ دُنْيوي ولا مقصَدٌ عاجل، ولا له في ذلك هَوَى ولا شَهْوة.

وهذا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عَرَضَتْ عليه قريشٌ المالَ والزوجةَ والجاهَ والرياسةَ ويتركَ ما يَدَّعيه مِن تسفيهِ حُلُومِ آبائِهِ، وتعنيفِ الأحياءِ والميتين مِن عَشيِرَتِهِ. فلم يرفع إلى كِلامِهم رأساً، ولَم يَلْتَفِتْ إلى مقالتِهم أصْلًا.

ومَا أحسن ابيتَ المشهورَ:

وَراوَدَتْهُ الجِبالُ الشُّمُ مِن ذَهَبٍ   عن نفسِهِ فَأَرَاهَا أيَّمَا شَمَمِ

وكم عسى أن نذكر مِن فضائلَ لا تُحصَى، ومحاسنَ لا تُستَقْصَى.

وثانيها: معاداتُهم لِقراباتِهم، وأرحامِهم الذين جبلت الطباعُ على محبتهم، وعلى رَجَاءِ الاستنصارِ لَهم بحيثُ تَركُوا مناهجَ آبائِهم التي وَلِعَ الطبعُ بإتباعِها وعادَوْا عَشيِرْتَهُمْ التي يُتَّقَى مِن كلِ عدوٍ بمحاماتها ولَقُوا في الصبرِ عنهم الحُتُوفَ وَوَقَعُوا في الدنيا لِذَلكَ في أعظمِ مَخُوف.

هذا نوحٌ عليه السلام تَركَ إبنَهُ وفَلْذَةَ كَبِدِهِ وماء سَوَادَ عَيْنِهِ ورَيْحَانَةَ فُؤَادِهِ يَغْرَقُ معَ الغَرْقَى وإستغفرَ مِن دُعَائِهِ أن لا يَهْلِكَ مَعَ الهلْكَى، وهذا إبراهيمُ عليه السلامُ تَبَرَأ مِن أبيهِ لَمَّا تَبَينَ لَه أنه عَدُوٌ لِله وعزمَ على ذَبْحِ وَلَدِهِ الذي هُو قُرةُ عَيْنِهِ ومُزْنَةُ غَيْثِهِ وأحَبُّ الناسِ إليهِ، وأعَزُهُم عليه.

وهذا محمدٌ ﷺ الَذي شَهِدَ العَدُوُ وَالصديقُ بإنَّه أبرُّ الخلقِ بعَامةِ أُمَتِهِ دَعْ عَنْكَ خَاصَّةَ رَحَامَتِهِ، حتى إنَّ الله عَاتَبَهُ على كَثْرةِ رَحْمَتِهِ فقال «فلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عليهم حسرات» ترك الثناءَ على أُمِه وأبيهِ والذِكْرَ لَهُمَا والترحُمَ عليهما وَوَلِعَ بذكْرِ النَّجاشِي وَصَلَّى عليهِ وأثْنى علي سَلْمَانَ الفارِسِي وأهدَى ثَمَراتِ الجميلِ إليه وأمثالِهما مِمَّنْ لم يَلْتَصِقْ عِرْقُه بِعرقِهِ، ولم يَلْتَحِمْ نَجْرُهُ بنَجْرِهِ.

وقد أجمعَ الأصدقاءُ والأعداءُ والكفرةُ والبَرَرَةُ على أن الأنبياءَ عليهم السلام كانوا أعقلَ الناسِ، وأوقَرَ الخلقِ، أما المسلمون فعقائِدُهُم فيها ظاهرةٌ،

وأما الكفارُ فيقولون إنهم بِحُسْنِ تَدْبِيرِهِم ولُطْفِ دَهَائِهِمْ شَرَعُوا شَرَائِعَ، وإسْتَمالُوا خَلَائِقَ، ودَانَ لهم مِن الناسِ عِوَالِمُ.

فكيفَ تَرَى هَؤُلاءَ العُقَلَاءَ الحُذَّاقَ يُعَادُونَ أَرْحَامَهُم ويُصَادِقُونَ مَن لَم تَتَّصِلْ وشِيْجَةُ نَسَبٍ بينَه وبَيْنَهم، ويَترِكونَ ما في مُوالاةِ العَشِيرةِ مِن الأنْتِصَارِ عِندَ الهَضْمِ، والسَلامةِ مِن الظُلْمِ، وَيَتَحَمَّلُونَ مَضَارَّ عَدَاوَتِهم، عِوَضاً مِن مَنافِعِ ولايتِهِم، لِغَيرِ غَرضٍ يَعُودُ عليهم، ولا فائِدةٍ تَرْجِعُ إليهم.

وثالثُها: إنهم فُقَراءُ مَساكِيْنَ تَقْتَحِمُهُم العيونُ وتَزْدَرِيهم القُلُوبُ ولا يَغْلِبُ فِي ظنٍ عاقِلٍ ولا فِراسَةِ حَاذِقٍ، أنَّ مَن الفَقْرُ صِفَتُهُ والنِزَاعُ لِجَمِيْعِ مَن فِي العَالَمِ طِلْبَتُه يُسَاعِد على إثارة الفِتَنِ وَتَهْيِيْجِ الحُرُوْبِ بَينَ البَشَرِ، ولا يَبْلُغُ إلى أمَلٍ، ولَا يَزكُوْ لَهُ عَمَلٌ.

كَمُوسَى وهَرونَ حِيْنَ أَتَيَا فِرْعونَ لابِسِيْن لِعَبَاءَ الصُوفِ ومُرَقَّعَاتِ المسُوْحِ مُنْتَقِلينَ مِن مَراعِي الغَنَمِ إلى مُعَارَضَاتِ المُلُوكِ، مُظْهِرِينَ لِمُخَاشَنَتِهِم، مُفْصِحِيْنَ بالتَّرفُعِ عليهم بِغير عُدَّةٍ ولا مالٍ، ولا قُوَّةٍ ولا رِجَالٍ.

فَأتياهُ على هذِهِ الحالةِ التي لا يُؤْبَهُ لِصَاحِبِها ولا تَمْتَلِىءُ عَينٌ مِن النَّظَرِ إلى مَن جاءَ عليها، وَجَوَاهِرُ التيجانِ تَلْمَعُ على جَبِيْنِهِ وانْطَاعُ ضَرْبَ الأعناقِ مُعَدَّةٌ لِمَنْ أَغْضَبَهُ عن شِمالِهِ ويَمينِهِ، فأتياهُ بأعظمِ ما يُوْجِبُ ضَرْبَ أعناقِهِما وأكبرِ ما يُجرِؤُهُ على قَتْلِهِمَا لا تَرْتَعِدُ لَهُما فَرِيْصَةٌ، ولا يَخَافَانِ مِن الدُنْيَا نَقِيْصَةً.

وهذا محمدٌ صلى الله عليه وآلِهِ وسلم جاءَ إلى قُرِيش، وقامَ في جاهليةِ العربِ، وأُنوفُهم تَعْطِسُ بالكِبْرِ، وأَلْسِنَتُهُمْ لا تَنْطِقُ إلَّا بالفَخْرِ يَرَوْنَ أن يَبِيْدَ أَوَّلُهم وآخِرُهُمْ ويَفْنَى أُصاغِرُهُم وأكابِرُهُمْ على أيْسَرِ عَارٍ يُلِمُّ بسَاحَاتِهم، وأَهْوَنِ نَقْصٍ يَدنُو مِن أنسابِهِم، فجاءَ وَحِيْداً مِن النَّاصِرِ فَقِيْراً من المالِ يَسُبُّ آلِهَتَهُم، ويُلْهِبُ أَفْئِدَتَهُمْ، ويسفه أحلامهم.

يَتيمٌ قد ماتَ أُبوَاهُ وإسْتُرْضِعَ في غَيرِ قومِهِ وكَفَلَهُ مِن شِدةِ فَقْرِ أبيهِ عَمُّهُ،

فبينما هُوَ يَتِيْمُ مَكْفُولٌ في حَجْرِ مَنْ هَبَّ، فَخْرُهُ مَهَبَّ الجَنُوبِ والقَبُولِ، إذ قَامَ يَعِيْبُ على كَافِلِهِ دِيْنَهُ ويُسَفِّهُ رَأْيَهُ، ولا يَسْتَرِيْبُ مِن شُجْعَانِ العَرَبِ المَشَاهِيْرِ أَنْ عَارَضَهُمْ جَمِيْعاً، وإنْفَرَدَ بِعَدَاوَتِهِم وَحِيْداً.

ورابعُها: حُصُولَ أغْرَاضِهِم كما قال تعالى: «والعاقبةُ لِلْمُتَقِيْن» «وكَانَ حقاً علينا نصرُ المؤمنين» وكما ثبت في البخاري مِن حديث إبن عباس «الرسلُ تُبْتَلَى ثم تكونُ لَهم العاقبة» وكذلك وَقَعَ ولله الحمدُ.

فإن أحَداً مِمَّنْ طَلَبَ الدنيا والراحةَ والملكَ والرياسةَ مِن الفلاسفةِ والمُنَجِّمِيْنَ والمُشَعْوِذِينَ والمُرَجِّمِينَ بَلْ مِن أهلِ الأموالِ والعشائِرِ، وأربابِ الخدمِ والعساكرِ مِن مُلُوكِ حميْرَ والتَّبَابِعةِ والقَيَاصِرَةِ والأكاسِرَةِ ما بَلَغَ مما بلغ منه مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم المِعْشَارَ، ولا إسْتَدَامَ له بَعْدَ مَوْتِهِ، ما إسْتَدَام لِمحمَد ﷺ.

وهذا نوحٌ عليه السلام الفقيرُ الضعيفُ القليلُ الناصرُ، الذي كان ضُرِب ويُشتم ويُهان فلا يَجِدُ مَلْجأً ولا مَعَاذاً ولا مُنْقِذاً ولا مُجيراً من الخلق نَبَعَتْ لَهُ الأرضونَ عُيوناً والسمواتُ غُيوثاً حتى كان مِن عَجيب غرَقِ قومِهِ ما كان. ولم يَسْتَطِعْ دَفْعَ ما جاءَ به إنسٌ ولا جان.

ومِن أدَلِّ ذلكَ على اللهِ الخَسْفُ بأهلِ السبتِ مِن اليهودِ قِرَدَةً. وذلكَ مما يَحْصُلُ به العِلْمُ الضَّرُوْرِي لِمنْ شاهَدَهُ أَوْ تَوَاتَرَ لَهُ، لأن تَحَوُلَ الصُّوْرَةِ إلى صُوْرَةٍ أُخرىَ لا يَكُونُ بالطَّبْعِ، ولا تَدْخُلُ فِيه شُبْهَةُ لِأَهْلِ الكُفْرِ.

وخامِسُها: زُهْدهُم في الدنيا وإطراحُهم لِلأَهْوَى وقَلَقُهُم مِن هَوْلِ المعادِ الأُخْرَوي. وتَقطَع نِياطَ قُلُوبِهِم مِن الخوفِ لِلْعَذَابِ السَّرمَدِي. وهو شيءٌ عُلِمَ منهم أنه جِدٌ لا مِزَاحَ فيه ولا هَزْلَ وحَقٌ لا تَصَنُّعَ فيه ولا تَكَلُّفَ. وكَيفَ والتكَلُّفُ لا تَخْفِي آثارُهُ.

ولا تَسْتَمِرُ أَحْوالهُ. زَفَرَاتُهم كَانَتْ مُتَصَعِدَةً، ونِيَارُ خَوْفِهم لَم تَزَلْ

مُتَوقِّدَةً، ومَدَامِعُ عُيونِهم لَم تَبْرَحْ مُتَرَقْرِقَةً، وعلى وَجَنَاتِ خُدُوْدِهم مُتَدَفِّقَةً، وعُيونُهم غائرةً، وعَزَمَاتُهم باتِرَةً، وأجسادُهم نَاحِلَةً، ونُفوسُهم عن الدنيا مائلةً، وشِفَاهُهُم مِن ظَمَإِ الهَواجِرِ ذَابِلَةً، وألسنة أحوالهم في خطابِ مَوْلَاهُم قَائِلة:

وقد صُمْتُ عن لَذَاتِ نَفْسِي كُلِّها ويَوْمَ لِقَاكُم ذاكَ فِطْرُ صِيَامِي

كان عيسى عليه السلامُ دابتُه رِجْلَاهُ، وسِراجُه القَمَرُ، وفراشُه المَدَرُ ومَتَاعُه الشَّجَرُ، ودارهُ الأرضُ، تُرَى خُضْرَةُ الشَّجَرِ مِن شَفِيْفِ بَطْنِهِ. ولا تَنْقُصُ الشدائدُ عُقْدَةَ عَزْمِهِ.

وكان محمد صلى الله عليه وآله وسلم يُصَلِّي حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ ويُسمعُ لِصَدْرِهِ أزيزٌ كأزيزِ المرجَل، فَقِيلَ لَهُ: أليس قَدْ غَفَرَ اللهُ لك ما تَقَدَمَ مِن ذَنبِكَ وما تأخرَ؟ فقال: «أفَلَا أكونُ عبدَاً شَكوراً».

ولما أخطأ دَاوُدُ عليه السلام كان يَبْكِيْ ويَنُوحُ حَتَّى نَبَتَ العُشْبُ مِن دَمْعِهِ الْمَسْفُوحِ، ونَقَشَ خَطِيْئَتَهُ على كَفِّهِ وحَزِنَ حَزَنَ الثُكْلَى على ذَنْبِهِ. فَلَيْتَ شِعْرِي أي غَرَضٍ يُقَدَّرُ أنه يَحْصُلَ لَهُم ويُظَنُّ أنه أربُهم حتى قَطَعُوا أَعْمَارَهُم على هذه الطريقةِ وأدَامُوا تَحَمُّلُهُم لهذِهِ الأعباءِ الثقيلة، أُطَلَبُ العيش في الدنيا ورجاءُ الظفرِ بالأهْوَا، فَقَدْ عَاشَ سَقَطُ الناسِ بأيْسَرَ مِن ذَلكَ ونيْلَت بأهْوَنِ سَعْي مَلَاذُ المعايشِ وقد مَلَكُوهَا على مَا يأتي بَيَانُه فلم يَلْتفِتُوا إليها، ورَغِبُوا عَنها ولم يَرْغبوا فيها. وتَنَزَهَتْ عنها شَرَائِفُ أحْوَالِهم. وأنشدَ لِسَانُ حَالِهِم:

تَجَرَّدْ عَن الدنيا فإنكَ إنَّما خَرَجْتَ إلى الدنيا وأنْتَ مُجَرَّدُ

وسادسها: أن جَمْعاً منهم تَمَكَّنُوا من الدنيا وإسْتَوْلَوا على مَا يُحِّبُ الناسُ منها فلم تَتَغَيَّرَ لَهم طَرِيْقَةٌ، ولم تَتَحَوَّلْ لَهُم سَجِيَّةٌ. مَلَكَ سُلَيْمَانُ عليه السلامُ مُلْكاً لا يَنْبَغِي لأحَد مِنْ بَعْدِهِ، فَخَدَمَتْهُ الطيرُ وحُشِرَتْ لَهُ، وحَمَلَتْهُ الريحُ على مَتْنِ الهَواءِ وسُخِّرتْ لَهُ، ودَانَتْ لَهُ مُلُوكُ الإنس.

وخَضَعَتِ له عَفَارِيتُ الجِن، وكان البِساطُ يَحْمِلُه في أرْجَاءِ الأجْواءِ

مُسْتَقِراً على مَتْنِ الريحِ الخَفَاقَةِ والهَواء. وكانتِ الطيرُ تُظَلَّهُ، وكانتِ الأرضُ في يَدِهِ وكانَت أوَامِرُهُ مُطَاعَةً، والخَلائقُ له طَائِعَةٌ.

ومَعَ ذلكَ كان يأكُل مِن كَدِّ يَدِهِ، ويَتَواضَعُ على عَظِيْم مُلْكِه حتى إختارَ مِن الحِرَف أهْضَمَهَا للنَّفْسِ وأقْمَعَهَا لِجامِجِ الهوىَ وهو الخُوْصُ أي الْحُصُر الذي يَرْتَفِعُ عنه أكثرُ السَّوقَةَ ولا يَرْتَضِيْه مَنْ لَه أدْنىَ عِزَّةٍ. فما تَرَاهُ يُرِيدُ بهذا وإلى أيِ شيءٍ مِن الدنياَ يَتَوَصَّلُ به.

وسابِعُها: قُوَّةُ يَقِيْنِهم بمواعيدِ اللهِ وتَسْلِيمِهم نُفُوْسَهُم لِمَا أمَرَ اللهُ وإن كان في ظَاهِره كالجنايةِ على النَّفْسِ، والالقاء بها إلى التَهلكة كَقَولِ نُوحٍ وَحْدَهُ لِقَومِهِ مَعَ كَثْرَتِهِم وَقُوَتِهِم «ثم إقْضُوا إليَّ ولا تُنْظِرُوْنْ» ونحوُ ذَلَكَ قالَ هُود: ومِن ذلك إلقَاءُ أمّ مُوسى له في البحر وهو طِفْلُ.

ومنه نَهْي رَسُولِ اللهِ ﷺ لأصحابه عن حِرَاسَتِهِ بَعدَ قولِهِ تَعالىَ: «والله يعصمكَ مِن الناس».

وثامنها: أنها ظَهَرَتْ عَليهم خَوَارِقُ العَادَاتِ، وبَوَاهِرُ المُعْجِزاتِ مِن غَيرِ مُمَارَسةٍ لِشَيْءٍ مِن عُلُوم الطَّبائعيين والمُرْتَاضِين، والمُتفلسِفين والمُنجمين والمتكهنِين المصاحِبين لِلْجن والشياطين وأخْبَرُوا عن الغُيوبِ وَوَصِلُوا في خَرْقِ العَادَاتِ إلى مرتبةٍ قَصرَّ عنها أهلُ الدِرايةِ في فُنُونِ هذه العُلُوم.

هذا الكليمُ فَعَلَ مَعَ السَّحَرَةِ ما فَعَلَ حتى كانوا هُمُ المُقِرينَ لَه، والشاهِدِينَ بأنَّ الحقَّ مَعَهُ، وهم ألوفٌ يَحْصُلُ بِخَبرِهِم العِلْمُ، ويَسْتَحيْلُ تَوَاطُؤُهُمُ عَلى الكذبِ وكَيفَ وسَيْفُ فِرْعَونَ على أعْنَاقِهِمْ مَسْلَوُلٌ، ودَفْعُ كَيْدِهِ بِسِوى اللهِ غَيرُ مأمُول.

وهذا عيسى عليه السلام أحيا الموتىَ وأبرأ الأكْمَةَ والأبرصَ، وهذا محمد ﷺ جاءَ بِنَوعٍ مِن الإعْجَاز لا يُتَصَوَّرُ فيه السِحْرُ ولا تُعْقَل فيه التَعْمِيةُ قُرآن بَلى قَشِيْبُ الدهرِ وإعْجَازُهُ جدِيْدٌ، وهَرِمَ شَبَابُ الزمانِ وَرَوْنَقُهُ إلى مَزِيد، فأسكتَ بِهِ مَصَاقِعَةَ العَرَبِ العُرْبَاء، والمُفْلِقِيْنَ مِن البُلَغَاءَ والفُصَحَاء والشُعَراء والخُطَبَاء.

قَدْ مَضَىَ الآنَ إِحْدَى وثَمَانِ مائةِ سَنَةٍ «قلت وهذا بالنظر إلى زمن صاحب الأدلة والبراهين وأما الآن فقد مضى أربعة عشر قرناً» ولم يَأْتِ لَه فِيها مُعَارِضٌ. على أن هَذِهِ المدةَ الطويلةَ مُنْذُ هَاجَرَ صلى الله عليه وآله وسلم مَرَّتْ على سَحَرَة الكِتَابَةِ والخُطَبَاءِ وتَقَضَّتْ عن مَهَرَةِ الْبَرَعَةِ أَسَاةُ أَسَالِيبِ الكَلامِ إِذَا إِعْتَلَّ وبَنَاةُ أَسَاسَاتِ البَيَانِ إذا إِخْتَلَّ:

يَرْمُونَ بالخُطَبِ الطِوَالِ وتَارَةً وَحْيَ المَلاحِظِ خِيفَةَ الرُقَبَاءِ

فإِنْظُر كَيْفَ تَقَضَّتِ السِّنِيُّ والأَعْوَامُ، وتَصَرَّمَتِ الليالي والأيامُ. ولم يأتِ أَحَدٌ مِن هؤلاءِ البُلَغَاءِ بمثل هَذَا القُرآن، ولا بِسُوْرَةٍ مِن مِثلِهِ. تَصْدِيقاً لِما جَاءَ بِهِ محمد ﷺ مِن قَولِهِ عَزَّ سُلْطانُه «قل لئن إجتمَعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله» أهـ.

اللهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيْلَ النَّجَاةِ ، وَبَلِّغْ كُلاًّ مِنَّا مَا أَمَّلَهُ وَرَجَاهُ وَاجْعَلْ لَنَا عِنْدَكَ أَعْظَم قَدْرٍ وَجَاهْ ، وَلا تَحْرِمْنَا مِن فَضْلِكَ العَظِيْمِ يَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِيْنَ ،

« فَصْــلٌ »

وقال في كتاب الأربعين في أصول الدين:

وإعلم أن الرسول ﷺ كانت له مُعْجِزَاتٌ كَثِيرةٌ سِوَى القُرآن، والعُلَمَاءُ أَوْرَدُوا في ذِكرِها كُتُباً وضَبْطُ القولِ فيها أن نقُولَ مُعْجِزَاتُهُ عليه السلامُ قِسمان حِسِّيَةٌ وعَقْلِيَّةٌ. أما الحسِّيَةُ فثلاثةُ أقْسَامٍ: أحدُها أُمُورٌ خارجَةٌ عن ذَاتِهِ، وثانِيْهَا أُمُورٌ في ذاتِهِ، وثالثُها أُمورٌ في صِفِاتهِ:

أما القسم الأول: وهو الأشياءُ الخارجةُ عن ذاتِهِ فهو كإنشقاقِ القمر وإجْتِذابِ الشجرِ إليه، وتَسْلِيمِ الحَجَرِ عليه، ونُبُوعِ الماءِ من بين أصابعِهِ، وإشْبَاعِ الخلقِ الكثيرِ مِنَ الطعامِ القليلَ، وحَنِيْنِ الخَشَبِ، وشِكَايَةِ الناقةِ وشَهَادَةِ الشَّاةِ المشويةِ، وإظلالِ السحَابِ قَبْلَ بِعْثَتِهِ، وما كان مِن حالِ أبي جهل وصَخْرَتِهِ حِيْنَ أراد أن يضربَها علَى رأسِهِ، وما كَان مِن شاةِ أُمِ مَعْبَدٍ حينَ مَسَحَ يَدَهُ على ضرعِها.

وأما القسم الثاني: وهو الأحوالُ العَائدةُ إلى ذاتِهِ فهو مِثْلُ النُّورِ الذي كان يَنْتَقِلُ من أبٍ فأبٍ إلى أن خرجَ إلى الدنيا، وما كان مِن الخَاتمِ، ومَا شُوْهِدَ مِن خِلْقَتِهِ وصُوْرَتِهِ التي يَحْكُم عِلْمُ الفِراسَةِ بأنها دَالَّةٌ على نُبُوتِهِ.

وأما القسم الثالث: وهو ما يَتَعَلَّقُ بِصفاتِه فهي كَثِيْرَةٌ. ونَحنُ نُشِيْر إلى بَعْضِهَا.

فالأولُ: أن أَحداً ما سَمِعَ مِنه لا في مُهِمَّاتِ الدين ولا في مُهِمَّاتِ الدنيا كَذِبا البَتَّة ولو صَدَرَ عنه الكذبُ مَرَّةً واحَدَةً لإجْتَهَدَ أَعْدَاؤُهُ في تَشْهِيْرِهِ وإظهَارِهِ.

الثاني: أنه مَا أَقْدَمَ عَلى فِعْلٍ قَبيح لا قَبْلَ النُبُوَةِ ولا بَعْدَهَا وإن عَظُمَ الخوْفُ مِثْلُ يَوْمِ أُحُدٍ ويَوْمِ الأَحْزَابِ. وهذا يَدُلُ على أَنَّهُ كَانَ قَوِيَّ القَلْبِ بمواعيدِ اللهِ حَيْثُ قالِ تعالى: «والله يعصمك من الناس» وقال تعالى: «حسبك الله» وقال تعالى: «إلّا تنصروه فقد نصره الله».

الرابع: أنه كان عظيمَ الشَّفَقَةِ والرحمةِ على أُمَّتِهِ قال تعالى: «فلا تذهبْ نفسك عليهم حسرات» وقال تعالى: «فلعلك باخع نفسك» وقال تعالى: «ولا تحزن عليهم» وقال تعالى: «عزيز عليه ما عنتم».

الخامس: انه عليه السلام كان في أعظم الدرجات في السَّخَاوَةِ.

السادس: أنه ما كان للدُّنيا في قلبِهِ وَقْعٌ وأن قُريشاً عَرَضُوا عَلَيهِ المالَ والزوجةَ والرياسةَ حتى يَتْرِكَ هَذِهِ الدَّعوى فَلَمْ يَلْتَفِتْ إليهم.

السابع: أنه كان في غَايةِ الفَصَاحَةِ، كما قال «أُوتِيْتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ».

الثامن: أنه مَضى على طَرِيْقَتِهِ المَرضِيَّةِ في أَوَّلِ عُمُرِهِ إلى آخرِه والكذابُ المُزَوِّرُ لا يُمْكِنُه ذلكَ وإليه الاشارة بقَوله تعالى: «قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين».

التاسع: أنه كان صلى الله عليه وآله وسلم مَعَ أَهلِ الدنيا والثروةِ في غايةِ التَّرفُعِ ومع الفقراء والمساكين وأهل الدين في غايةِ التواضع.

العاشر: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان في كل واحدةٍ من هذه الصفات والأخلاقِ في الغايةِ القُصْوىَ مِن الكمالِ كان مُسْتَجْمِعاً لَها بأسْرِها ولم يَتَّفِقْ ذَلِكَ لأَحَدٍ من الخلقِ فكان إجْتِماعُهُمَا في ذَاتِهِ مِن أعظمِ المعجزاتِ.

وأما المعجزاتُ العقليةُ فهي سِتَّةُ أنواعٍ:

النوع الأول: أنه صلى الله عليه وآله وسلم إنما ظَهَرَ مِن قَبيْلَةٍ مَا كَانُوا مِن أهلِ العلمِ، بل كانَ مِن بَلْدَةٍ ما كان فيها أحَدٌ مِن العُلَمَاء، بل كانَت الجَهالَةُ غالِبَةً عليهم، ولم يَتَّفِقْ له سَفَرٌ مِن تِلكَ البلدةِ إلا مرتين إلى الشامِ وكانت مدة تلكَ المُسَافَرة قَليلةً ولم يَذْهَبْ أُحَدٌ مِن العُلَماءِ والحكماءِ إلى تلكَ البلدَةِ حَتَّى يقالَ إنه ﷺ تَعَلَّمَ العَلمَ مِن ذلكَ الحكيم.

وإذا خَرَجَ مِن مِثْلِ هَذِهِ البلدةِ ومِثْلِ هذه القبيلة إنسانٌ مِن غَيرِ أن يُمَارِسَ شَيْئاً مِن العلومِ ولا تَلْمَذَ لأحَدٍ مِن العُلَمَاءِ البَتَّة ثم بَلَغَ في مَعْرِفةِ ذاتِ اللهَ وصفاتِه وأفعالِهِ وأحكامِهِ هذَا المبلغَ العظيمَ الذي عَجزَ جَميعُ الأذكِيَاءِ مِن العُقَلاءِ عن القُرْبِ مِنه بل أَقَرَ الكل بأنه لا يُمْكِنُ أن يُزادَ في تَقْرِيرِ الدلائِلَ على ما وَرَدَ في القرآن.

ثم ذَكَرَ قِصَصَ الأولينَ وتَواريخَ المتقَدمين بحيثُ لم يَتَمَكَّنْ أُحَدٌ مِن الأعْدَاءِ أن يَقولَ إنه أَخْطَأَ في شَيْءٍ منها، بل بَلَغَ كَلاَمُهُ في البُعْدِ عن الرَّيْبِ والشَّكِ إلى أن قال عِند مُجَادَلِهِم إيَّاهُ «قل تَعالُوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» وقال تعالى: «ذلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك».

ولم يَقْدِرْ أُحَد أن يقولَ إنه طَالَعَ كِتَاباً ولا تَلْمَذَ لأُسْتاذٍ وكانت هَذِهِ الأحوالُ ظاهرةً مَعلوُمةً لِلأَصْدِقاءِ والأَعْدَاءِ على مَا قال: «أمْ لَم يَعرفوا رسولَهم فهم له منكرون» وقال: «وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لا إرتاب المبطلون» وقال: «فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون»

وَكُل مَنْ لَهُ عَقْلٌ سَليمْ وطَبْعٌ مُسْتَقِيمْ عُلِمَ أَنَّ هَذِهِ الأَحوال لاَ تتيَسّر إِلاَّ بالتعليم الإِلهيْ الرَّباني.

النوع الثاني: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان قبل إظهار دعواه الرسالة والنبوة ما كان يشرع في هذه المسائل الآلهية وما كان يبحث عنها وما جرى على لسانه قط حديث النبوة والرسالة.

والذي يدل على صحة قولنا أنه لو إتفق له شروع في هذه المطالب والمباحث قبل إظهار إدعاء النبوة لقال الكفار له إنك أفنيت عمرك في التدبر والتأمل وتحصيل الكلمات حتى قدرت الآن على إظهارها.

ولما لَمْ يَذْكُر هذا الكلامَ أَحَدٌ مِن الأعداءِ مَع شِدَّةِ حِرْصِهِم على الطَّعْنِ فيه وفي نُبوتِهِ عَلِمْنَا أنه صلى الله عليه وآله وسلم ما كان شَارِعاً قَبْلَ إظهَارِ النُبوة في شيء مِن هذه العلوم.

ومعلومٌ أن مَن إنقَضَى مِن عُمرِهِ أربعونَ سَنَةً ولم يَخُضْ في شيء من هذه المطالب العلميةِ ثم إنه خَاضَ فيها دُفْعَةً واحَدةً وأتَى بكلامٍ عَجِزَ الأولون والآخِرونَ عن مُعارَضَتِهِ بل إنقَضَى الآن قريبٌ من سِتَّمائِة سَنَة قُلْتُ وهذا بالنظر إلى زمن صاحب كتاب الأربعين في أصول الدين وأما الآن فقد مضى أربعة عشر قرناً وما أحَدٌ يمكنُه إقامةُ المعارضةِ، فصريح العقلَ يشهد بأن هذا لا يكون إلا على سبيل الوحي والتنزيل أهـ.

شعراً:

تُغازِلُنِي المَنيَّةُ مِن قَريبِ ... وتَلْحَظُني مُلاَحَظَةَ الرَّقِيبِ
وتَنْشرُ لي كِتاباً فيهِ طَيّي ... بخَطِّ الدَّهْرِ أسْطُرُه مَشِيبي
كِتابٌ في مَعَانيهِ غُموضٌ ... يَلُوْحُ لِكُلِّ أوَّابٍ مُنيبِ
أرَى الأعْصارَ تَعْصِرُ ماءَ عُودي ... وقِدْماً كُنْتُ رَيَّانَ القَضيبِ
أدَالَ الشَّيبُ يا صاحِ شَبَابي ... فَعُوِّضْتُ البَغيضَ مِن الحَبيبِ

وبُدِّلْتُ التَّثاقُلَ مِنْ نَشاطي ... ومِنْ حُسْنِ النَّضارَةِ بالشُّحُوبِ
كَذاكَ الشَّمْسُ يَعْلُوهَا اصْفِرارٌ ... إذَا جَنَحَتْ ومالَتْ لِلْغُروبِ
تُحارِبُنا جُنودٌ لا تُجاري ... ولا تُلْقى بآسادِ الحُروبِ
هِيَ الأَقْدارُ والآجالُ تأْتِي ... فَتَنْزِلُ بالمُطَبَّبِ والطَّبيبِ
تُفَوِّقُ أسْهُماً عن قَوْسِ غَيْبٍ ... وما أغْراضُها غَيْرُ القُلوبِ
فأنَّى باحْتِراسٍ مِنْ جُنودٍ ... مُؤَيَّدَةٍ تُمَدُّ مِنَ الغُيوبِ
وما آسى عَلَى الدُّنيا ولكنْ ... على ما قد رَكِبْتُ مِن الذُّنوبِ
فيا لَهفي على طُولِ اغْتِراري ... ويا وَيْحي مِن اليومِ العَصيبِ
إذا أنا لم أنُحْ نَفْسِي وأبْكي ... على حُوبي بِتَهْتَانٍ سَكَوُبِ
فَمَنْ هذا الذي بَعْدي سيَبكي ... عليها مِن بَعيدٍ أو قريبِ؟

اللهمَّ طهْر قُلوبَنا بالتَّوبةِ النَّصُوحِ منَ الفَسادِ واجْمَعْ قُلُوبَنَا على محبتِكَ وخِشْيَتِكَ واهدِنا إلى أقْرَبِ الطُرقِ إليكَ والله أعلم وصلى الله على محمد .

« فَصْـــلٌ » (فَوائِدُ مُتَنَوِّعَةٌ وَمَواعِـــظُ نَافِعَةٌ)

قال في الفنون مِن عجيْبِ ما نَقَدْتُ مِن أحْوالِ الناسِ كثرَةَ ما ناحوا على خَرابِ الدِّيار ومَوْتِ الأقارب والأسلافِ والتَّحسُّر على الأرزاق بِذمِ الزمان وأهله وذِكرِ نَكَدِ العَيْشِ فيه .

وقَدْ رَأوْا مِن انهدامِ الإسلام وشعَث الأدْيانِ ومَوتِ السُنَنِ وظُهورِ البِدَعِ وارتكابِ المعاصي وتَقَضِّي العُمر في الفارغ الذي لا يُجْدي والقبيحِ الذي يُوبِقُ ويؤذِي فلا أجِدُ منهم مَنْ ناحَ على دينِهِ ولا بَكَى على فارِطِ عُمُرِهِ ولا آسَى على فائتِ دَهْرِهِ .

وما أرى لذلِكَ سَبَباً إلا قِلّةَ مُبالاتهم بالأدْيانِ وعِظَمَ الدنيا في عُيونهم ضِدَّ ما كان عليه السلفُ الصالحُ يرضَون بالبلاغ ويَنوحُون على الدين ، قُلْتُ فكيف لو

رآى أهْلَ هذا الزَّمن الذي كَثُرتْ فيه المعاصي والملاهي وانفتَحَتْ فيه الدنيا على كثير من الناس فلا حول ولا قولا إلّا بالله .

ومِن عجيب مَا رأيتُ أنا أنَ أحَدَنا إذا ناداهُ أمير أو وَزير أو مساعد أو مدير يبادر ويقوم بسرعة لِداعي الدنيا ولا يتأخر ويَسْمَعُ داعي الله يدعوه إلى الصلاة التي هي الصلة بينه وبين ربه جل وعلا وتقدس فيتثاقل ولا يهتم لها وإن قام بعد التَّريُّثِ فكأنه مُكْرَهٌ يُدْفَعُ إليها دَفْعَا عَكْس ما عليه السلف الصالح مِن المبادرة والمرابطة وتَرْكِ الأعمال فَوراً عند ما يسَمعون « حَي على الصلاة حَي على الفلاح » وكثير من المساجد عندهم تجد الصف الأول يتم قبلَ الأذان وَقد ازْدَاد الطينُ بِلةً بِما حَدَثَ عندنا مِن المنكراتِ قَتَّالَةَ الأوقات ، مُفَرِّقَةَ النفوس والأبدان ، ومُشتَتِ القلوب ، وذلك كالتلفزيون والمذياع والفيديو والجرائد والمجلات ومخالطة المنحرفين والفاسقين والمنافقين والكافرين والمجرمين أبعدهم الله .

سَيْرُ المنايَا إلى أعمارِنا خَبَبُ ... فما تبيْنُ ولا يَعْتاقُها نَصَبُ
كيْفَ النَّجاءُ وأيدِيهَات مُصَمِّمَتٌ ... بِذَبحِنَا بِمُدِىً ليْسَتْ لهَا نُصُبُ

وهلْ يُؤمِّلُ نَيْلَ الشَّمْلِ مُلتئماً ... سَفَرٌ لَهُمْ كُلّ يومٍ رِحْلَةٌ عَجَبُ
وما إقامَتُنا في مَنزلٍ هَتَفَتْ ... فيهِ بِنَا مُذْ سَكنَّا رَبْعَهُ نُوَبُ
وآذَنَتْنَـاَ وقـدْ تَمَّتْ عِمَارَتُـهُ ... بأنه عنْ قَرِيبٍ دَاثِرٌ خَرِبُ
أزْرَتْ بِنَا هَذِهِ الدُنْيا فما أمَلٌ ... إلّا لِرَيْبِ المنايا عِنْدَهُ أَرَبُ
هذا وليستْ سِهَامُ الموتِ طائِشَةً ... وَهَلْ تَطِيشُ سِهَامٌ كُلُّهُ نُصُبُ
ونحنُ أغْراضُ أنواعِ البَلاَ بِهَا ... قَبْلَ المَمَاتِ فَمَرْمِيٌّ ومُرتَقِبُ
أيْنَ الذين تنَاهَوْا في إبْتِنَائِهِمُوْا ... صَاحتْ بِهِمْ نَائباتُ الدَّهْرِ فانقلبُوْا

قال ابن القيم رحمه الله كُلُ آفةٍ تدخلُ على العبد فَسَبَبُها ضَيَاعُ القلب

وفسادُ القلب يَعُودُ بضياعِ حقِّهِ مِن الله تعالى ونقصانِ دَرجتِهِ ومَنزلَتِه عنده .

ولهَذا أوصَى بعضُ الشُيُوخِ فقال احذَرُوا مُخالَطَةَ مَن تُضَيِّعُ مُخالَطَتُهُ الوقْتَ وتُفسِدُ القلبَ فإن ضَاعَ الوقتُ وفَسَدَ القلب انفرطَتْ على العبد أُمُوُرُه كُلُها وكان مِمَّن قال الله فيه ﴿ ولا تُطع مَن أغْفَلْنا قلبَه عن ذكرنا واتبَعَ هواهُ وكان أمرهُ فُرُطا ﴾ .

ومَن تأمل حالَ هذا الخلقِ وجدَهُم كُلَّهم إلا أقل القليل مِمَّن غَفَلَتْ قُلُوبُهُم عن ذكر الله تعالى الذي به تحْيا القلوبُ وتطمئن واتبعوا أهواءهم وصارَتْ أُمُورُهم ومَصَالحهم فُرطا،أي فَرَّطوا فيمايَنْفعُهم ويعُودُ عليهم بمصالحهم ، واشتغَلُوا بما لا ينفَعُهم بل بما يَعُودُ بضَرَرِهم عاجلاً وآجلاً .

وهؤلاء قد أمر الله سبحانَه رسوله ألّا يُطيعَهُم فطَاعَةُ الرسول ﷺ لا تتم إلا بِعَدَمِ طاعةِ هؤلاء لأنهم إنما يَدْعُونَ إلى ما يُشاكِلُهم من أتْباعِ الهوى والغَفْلةِ عن ذكر الله .

والغفلةُ عن ذِكر الله والدار الآخرة مَتى تَزَوَّجَت باتباع الهوى تولد بينهما كل شر وكثيراً ما يَقترنُ أحدُهما بالآخر ولا يفارقه .

ومَن تأمَّلَ فسادَ أحوال العالَم عُمُوماً وخصوصاً وجَدَهُ ناشِئاً عن هذين الأصليْن فالغَفْلَةُ تَحولُ بَينَ العبدِ وبين تَصَوُّرِ الحقِّ ومعرفَتِهِ والعلم به فيكُونُ بذلك مِن الضالين ، واتِّباعِ الهَوى يصده عن قصْدِ الحق وإرادَتِه واتباعِه ، فيكُونُ من المغْضُوبِ عليهم .

وأما المنعم عليهم فهم الذين مَنَّ الله تعالى عليهم بمعرفة الحق علما وبالانقياد إليه وإيثاره عما سِواه عَمَلاً وهؤلاء هم الذين على سبيل النجاة ومَن سِواهُم على سَبيل الهَلاك .

ولهذا أمرنَا الله سبحانه وتعالَى أن نَقُولَ كُلَّ يومٍ وليلةٍ عِدَّةَ مراتٍ ﴿ اهدنا

الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوبِ عليهم ولا الضالين ﴾ .

فإنّ العبد مضطر كل الاضطرار إلى أن يكون عارفا بما يَنْفَعُه في مَعاشِهِ ومَعَادِهِ وأن يكون مُؤثِراً مريداً لما يَنْفَعُه مُجْتنباً لما يضُرُّه فبمجموع هذين قد هدى إلى الصراط المستقيم فإن فاته مَعرفةُ ذلك سَلكَ سبيلَ الضالين .

وإن فاته قَصْدُه واتباعُه سَلك سَبيلَ المغضوب عليهم وبهذا تَعْرفُ قدْرَ هذا الدُعاء العظيم وشدَّتَ الحاجةِ إليه وتَوقُّفَ سَعادة الدنيا والآخرة عليه .

وقال آخر حافظ على الأوقات فإن الوقت رأس المال ولا تضيعها بالفراغ واملأها بالإفادة أو الاستفادة أو بهما جميعا واعرف ما يذهب به ليلُكَ ونهارُك وجَدِّد تَوْبَتَكَ في كل وقت .

وقَسِّمْ وَقْتَكَ ثلاثة أقسام قِسْمٌ لطلَبِ العلم وقِسمٌ للعَمل الذي تَسْتَعينُ به على مَصالِح دُنياكَ وآخرتِك وقسمٍ لحقُوقِ نفسِكَ وما يَلْزَمُكَ واعتبر بمنْ مضَى وتفكّر في مُنْصَرَف الفريقين بينَ يدى الله جل وعلا وتقدس فريق في الجنة وفريق في السعير .

واستحضر قربَ الله منكَ كما في الحديث فإن لم تكن تراهُ فإنه يَراكَ وأكرِمْ الكتَبَةَ الحافظين فقد أوصى رسول الله ﷺ بالجار من الناس الذي بينَك وبينه جدار وأحجار فكيف بالجار الكريم الذين قال الله فيهم ﴿وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ .

فرعاية جواره أحَقُ وإكرامُ قُربه أوجبُ لأنه أسْبَق و ألصَقْ وليسَ بينَك وبينَهُ جدارٌ ولا أحجارٌ ولا حائلٌ ومَعَ الأسفِ الشديد أن الأذيَّةَ لهُمَا لا تَفْتُر على مَرِّ الساعات ولكن مُقل ومُكثر .

شعرا : وَوَكَّلَ اللهُ مِنَ الكِرَامِ ... إثْنَيْنِ حَافِظَيْنِ لِلأنَامِ
فَيَكْتُبَانِ كُلَّ أفْعَالِ الوَرَى ... كَمَا أتَي بالنَّصِ من غير امْتِرا

قال بعضهم :

تَنكَّر مَنَ كُنا نُسَرِ بقُرْ بِهِ   وَصَارَ زُعافاً بَعْدَ مَا كان سَلْسَلَا
وَحُقَّ لِجَارٍ لَمْ يُوَافِقْهُ جارهُ   ولَا لَا أَمْتهُ الدرُ أَنْ يتحَوَّلَا

آخر :

كُنْ لَيِّناً لِلْجارِ واحْفَظْ حَقَّهُ   كَرَماً ولا تَكُ لِلْمُجَاوِرِ عَقْرَبا
واحْفَظْ أَمَانَتَهُ وكُنْ عِزاً لَهُ   أَبَداً وعمَّا سَاءهُ فَتَجَنَّبَا

علامَةُ صِحَّةِ الإرَادَة أن يَكُونَ هَمُّ المُريِد رضَاء ربِّه واستعدادَهُ لِلقائِه وحُزنَه على وقت في غير مرضاة ربه وأسفه على قربه والأنس به وجماع ذلك أن يُصْبِحَ ويمسي وليسَ له هم غيره .

وقال : أعظم الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة إضاعة القلب وإضاعة الوقت ، فإضاعة القلب من إيثارِ الدنيا على الآخرة وإضاعةُ الوقت من طُولِ الأمل .

فاجتمع الفسادُ كله في اتباعِ الهوى وطُول الأمل والصلاحُ كُلَّه في اتباعِ الهدى والاستعداد لِلقاء الله والله المستعان .

الناسُ منذ خُلقوا لم يَزَالُوا مُسَافِرين وليسَ لهُم حطٌ عن رحالهم إلّا في الجنة أو النار والعاقل يَعْلمُ أن السفر مبني على المشقّة ورُكوبِ الأخطار .

ومِن المحال عادَةً أن يُطْلَب فيها نعيم ولَذَةٌ وراحة إنما ذلك بعد انتهاء السفر ومن المعلوم أن كلّ وَطْأةِ قدَمٍ أو كل آنٍ من آناتِ السَّفرِ غَيْرَ واقفَةٍ ولا المكلفُ واقف . وقد ثبت أنه مُسافِرٌ على الحالِ التي يجبُ أن يكونَ المسُافِرُ عليها من تهيئةِ الزادِ المُوصلِ وإذا نزل أو نامَ أو استراحَ فَعَلى قَدَم الاسْتِعْدادِ لِلسَّيْر .

حُكْمُ المنيةِ في البَرِيَّـةِ جَـارِ   مَا هَذِهِ الْدُنيـا بِدَارِ قَـرَارِ
جُبلَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنتَ تُرِيْدُهَا   صَفْـواً مِن الأَقْـذَارِ والأَكْدَارِ
فاقَضُوا مآربكـم عِجَـالاً إنَّمـا   أَعْمَارُكُـم سَفَـرٌ مِن الأَسْفَـارِ

قَال بَعْضُ العُلماء يَا إِخْوَانيْ اجْتَهِدُوْا في العَمَلِ فإِنْ يَكُنْ الأَمْرُ كَمَا نَرْجُوْا من رحمةِ الله وعفوه كانَتْ لَنَا دَرَجات في الجنة وإِنْ يَكُنِ الأَمْرُ شَدِيْداً كَمَا نَخَافُ ونُحاذَر لم نَقُلْ ﴿رَبَّنا أخرجْنا نعملْ صالحاً غَيْرَ الذي كُنَّا نعمل﴾ نقول قد عَمِلْنا فلم يَنْفَعْنا .

وقال رجُلٌ لمحمد بن المنكدر الجَدَّ الجَدَّ و الحَذَرْ الحَذَرْ فإن يكن الأمر على ما ترجون كان ما قدَّمتم فَضْلاً وإن يكن الأمر على غير ذلك لم تلُومُوا أنفُسَكُمْ .

وقال بعضهم لبعض الفقراء مرةً وقد رأى عليه أثر الجوع والضُر : لِمَ لا تسْأل الناس لِيُعْطُوكَ ، قال أخافُ أنْ أسألهم فَيَمْنَعُوني فلا يُفْلحوا ، وقد بلغني عن النبي ﷺ أنه قال «لَوْ صَدَقَ السَّائلُ ما أفلَحَ مَنْ مَنَعَهُ» .

المراحلُ التي يَمُرُّ بها الخلقُ ستة :

السَّفَرُ الأولُ سَفَرٌ السُّلالَةِ من الطين .

السفر الثاني سَفَرُ النُطْفَةِ من الظهر إلى البَطْنِ .

السفر الثالثُ من البطن إلى الدنيا .

السفر الرابعُ من الدُنيا إلى القُبُور .

السفر الخامسُ من القبور إلى العَرْضِ للحساب .

السفر السادِس من العَرْضِ إلى منزِلِ الإقامة .

وقد قطعنا نصف السفر نسأل الله الإعانة والسداد والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

شِعْراً :

حَيَاتُكَ في الدُنْيَا قَلِيْلٌ بَقَاؤُهَا
وَدُنْيَاكَ يَا هَذَا شَدِيْدٌ عَنَاؤُهَا
ولا خَيْرَ فِيْهَا غَيْرَ زَادٍ مِنَ التُقَى
يُنَالُ بِهِ جَنَّاتُ عَدْنٍ وَمَاؤُهَا

بَلَى إنَّهَا لِلْمُؤْمِنِيْنَ مَطِيَّةٌ
عَلَيْهَا بُلُوغُ الخَيْرِ والشرُ دَاؤُهَا
وَمَنْ يَزْرَع التقْوىَ بهَا سَوْف يَجْتَني
ثِماراً مِنَ الفِرْدَوْسِ طَابَ جَنَاؤُهَا
نُؤَمِلُ أنْ نَبْقى بِهَا غَيْرَ أَنَّنَا
عَلَى ثِقَةٍ أَنَّ المَمَاتَ انْتِهَاؤُهَا
فَكُنْ أيُها الإنْسانُ في الخَيْرِ رَاغِباً
يَلُوحُ مِن الطَّاعَاتِ فِيْكَ بَهَاؤُهَا
وَجَانِبْ سَبِيْلَ الغي واتْرِكْ مَعَاصِياً
يُذِيْبُكَ مِنَ نَارِ الجَحِيْمِ لَظَاؤُهَا
فَلاَ بُدَّ يَوْماً أنْ تَمُوْتَ بِمَشْهَدٍ
يُسَاعِدُ مَنْ نَاحَتْ عَلَيْك بُكَاؤُهَا
وَتَنْزِلُ قَبْراً لاَ أَبَالَكَ مُوحِشاً
تَكُونُ ثَرىً أُمٍ عَلَيْكَ ثَرَاؤُهَا
وَتَبْقَى بِهِ ثَاوٍ إلَى الحَشْرِ والجَزَاء
وَنَفْسُكَ يَبْدُوْ في الحِسَابِ جَزَاؤُهَا
فَإمَّا تَكُونُ النَّفْسُ ثَمَّ سَعِيدَةٌ
فَطُوْبى وإلاَّ فَالضَّرِيْعُ غِذَاؤُهَا
يُسَاقُ جَمِيْعُ النَّاسِ في مَوْقِفُ القَضَا
وَتُنْشَرُ أَعْمَالٌ يَبِيْنُ وَبَاؤُهَا
هُنَالِكَ تَبْدُو لِلْعِبَادِ صَحَائِفُ
فَتُوْضَعُ في المِيْزَانِ والذَنْبُ دَاؤُهَا

وَكَمْ من ذَلِيْـلٍ آخِـذٍ بِشِمَـالِـهِ
صَحِيْفَتَهُ السَّوْدَا الشَّدِيْدُ بلاؤُهَا
وآخَـرُ مِنْ أَهْـلِ السَعَـادَة أَخِـذُ
صَحِيْفَتَهُ البَيْضَاءَ طَابَ لِقَاؤُهَا

اللهم يا حيُ ياذا الجَلال والاكرام يا جَامع الناس لِيومٍ لا ريب فيه ، إجمع بيننا وبين الصدق والنية الصالحةُ ، والاخلاص والخشوع والمراقبة ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل) وعن عبد لله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما خَمْسٌ مَن كن فيه سَعِدَ في الدنيا والآخرة ، أولها أن يَذْكُرَ لا إلهَ إلّا الله محمدا رسول الله وَقْتاً بَعْدَ وَقْتٍ .

وإذا ابتلى ببلية قال إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم ، وإذا أعْطِيَ نِعْمَةً قال الحمد لله رب العالمين شُكْراً للنِّعمة ،

وعن سفيان الثوري أنه قال اختار الفقراء خمساً واختار الأَغنياء خمساً ، اختار الفقراء راحةَ النفس ، وفراغَ القلب ، وعبودية الرب ، وخفةَ الحساب ، والدرجة العليا ،

وإذا ابتدأ في شيء قال بسم الله الرحمن الرحيم ،

وإذا أَفْرَطَ منه ذَنْباً قال اسْتَغْفِرُ اللهَ العظيمَ وأَتوبُ إليه .

واختار الأغنياءُ تَعَبَ النفس وشُغْلَ القلب وعُبُوديَّةَ الدنيا وشِدَّةَ الحساب والدرجةَ السفلى .

شعرا : يا سَاكِنَ الدنيـا تأهَّـبْ ... وانْتَظِرْ يَومَ الفِـرَاقْ
وأعِـدَّ زاداً لِلرَّحِيـلْ ... فَسَوفَ يُحْـدَى بالرِفَـاقْ
وابْكِ الذُنُـوبَ بادْمُـعٍ ... تَنْهَلُ مِن سُحْـبِ المـآقْ
يَا مَنْ أضَـاعَ زَمَـانَهُ ... أرَضِيْتَ مَـا يَفْنَي بِبَـاقْ

آخـرُ : أَلَيُسَ الىَ الآجالِ نَهوىَ وَخَلْفَنَا ... مِن الموتِ حَادٍ لا يُغِبُّ عَجُوْلُ
وَمَنْ نَظَرَ الدنيا بِعَينِ حَقِيْقَةً ... تَيَقَنَ أنَّ العَسْشَ سَوْفَ يَزُوْلُ

وَمَا هَذِه الأَيَّامُ إلاَّ فَوَارِسٌ   تُطَارِدُنَا وَالنَّائِبَاتُ خُيُــوْلُ

وقال بعضُهم العَجَلَةُ تَحْسُنُ في تَجْهِيْزِ الميتِ ، وَتَزْوِيْجِ البِنْتِ إِذَا بَلَغَتْ ، وقَطْفِ الثمرةِ إذا استَوتْ ، وقَضَاءِ الدَّيْنِ إذا وَجَبْ ، والتوبةِ مِن الذَّنْبِ إذَا فَرَطْ ، وإطعامِ الضَّيِّفِ إذا نَزَلْ .

وقال عثمان رضي الله عنه إن المؤمن في ستة أنواع من الخوف ، أحدها من قبل الله تعالى أن يأخذ منه الإيمان ، والثاني من قبل الحفظة أن يكتبوا عليه ما يفتضح به يوم القيامة .

والثالث من قبل الشيطان أن يبطل عمله ، والرابع من قبل ملك الموت أن يأخذه في غفلة بغتة ، والخامس من قِبَلِ الدنيا أن يغتر بها وتُشغله عن الآخرة ، والسادس من قبل الأهل والعيال أن يشتغل بهم فيشغلونه عن ذكر الله تعالى .

وقال أيضا أضيع الأشياء عشرة عالِمٌ لا يُسْأَلُ عنه ، وعِلْمٌ لا يُعْمَلُ به ، ورأيٌ صَوَابٌ لا يُقْبَلُ ، وسلاحٌ لا يُسْتَعْمَل ومَسْجِدٌ لا يُصَلَّى فيه ، ومُصْحَفٌ لا يُقرَأ فيه ، ومالٌ لا يُنْفَقُ منه ، وخَيْلٌ لا تُرْكَبُ ، وعِلْم الزُّهدِ في بَطْنِ من يُريدُ الدنيا ، وعُمْرٌ طويل لا يَتزوَّدُ صَاحِبُهُ فيه لِسَفَرِه .

وقال ابراهيم بنُ أدهم حينَ سَأَلُوهُ عن قول الله تعالى ﴿ أدْعُوني استجبْ لَكُمْ ﴾ وأنَّا نَدْعوهُ فلم يَسْتجِبْ لنا فقال ما تَتُّ قلُوبُكم مِن عشرة أشياء ، أولها أنكم عرفتُم الله ولم تؤدوه حقه ، وقرأتم كتابَ الله ولم تعملوا به ، وادعيتم عَدَاوة إبليس وَوَاليْتُموه .

وادّعيتم حُبَّ الرسول ﷺ وتركتُمْ أثرهُ وسُنَّته ، وادّعيتُم حُبَّ الجَنَّةَ ولم تعمَلوا لها ، وادّعيتُم خَوفَ النار ولم تَنْتَهُوا عن الذنوب ، وادّعيتُم أن الموتَ حق ولم تستعِدوا لَهُ ، واشْتَغَلتُم بعُيُوبِ غَيْرِكُم وتَركتُم عُيوبَ أنفسِكُم وتأكلُون رزقَ الله ولا تَشْكُرونَهُ .

شعرا : قَدْ قَلْتُ لِلنفسِ وَبَالَغْــــتُ   وَزِدْتُ في العُتْـــبِ وأَكْثَرْتُ

يانَفْسُ قدْ قصَّرتِ ما قدْ كَفَى   تَيقَّظِي قدْ قَرُبَ الْــوَقْتُ

جُدِّي عَسَى أنْ تُدْرِكي مَامَضَى   قدْ سَبَقَ الناسُ وخُلِّفْـــتُ

أَنَا الذِي قدْ قُلْتُ دَهْراً غَداً   أَتوبُ مِنْ ذَنْبِي فمَا تُبْتُ

لَوْ كُنْتُ ذَا عَقْلٍ لِمَا حَلَّ بِي نُحْتُ على نَفْسِي ما عِشْتُ
وَاحَسْرَتِي يَومَ حِسَابِي إِذَا وَقَفْتُ لِلْعَرْضِ وحُوسِبْتُ
وَاَخجلَتِي إِنْ قيلَ لِيْ قدْ مَضَى وَقْتُكَ تَفْرِيطاً وَوُبِّخْتُ

اللهمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ الأَحْيَاءِ مِنْهُم وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا ارْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلى اللهُ عَلى مُحَمد وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

(**موعظة**) قال بعضهم : يا أيها الناس اعملوا على مَهَلٍ وكُونُوا من الله على وَجَل ولا تَغْتَروا بالأمل ونِسيان الأجل ولا تَرْكَنُوا إلى الدنيا فإنَّها غدَّارة خدَّاعة ، قد تَزَخْرَفَتْ لكم بغرورها ، وفتَنَتكُم بأمانِيِّهَا، وتزَيَّنتْ لخُطَّابها فأصبَحَتْ كالعَرُوسِ المَجْلِيَّة ، العُيُونُ إليها ناظرة ، والقلوبُ عليها كاكِفَةٌ ، والنفوسُ لها عَاشِقَةٌ ، فكم من عاشِقٍ لها قَتَلَتْ .

ولو كانَتِ الدُنْيا عَرُوساً وجَدتَهَا بما قَتَلتْ أَوْلادَها لا تَزَوَّجُ

وكم مُطْمَئنٍ إليها خَذَلَتْ فانظر إليها بَعَيْن الحقيقَة فإنها دارٌ كثيرٌ بَوائِقُها وذَمَّها خَالِقُها دَارُ نَفَاد لا دَارُ إخلاد ودَارُ عُبُورٍ لا دَارُ حُبُور ودارُ فَنَاءٍ لا بَقَاءٍ ودَارُ انصرام لا دارُ دَوَام جَديدُها يبلى ومُلكُها يَفْنى وعَزيزُها يَذِل وكثيرُها يَقل وُدُّها يَموت وخيْرُها يَفوت .

وقد تطابق على ما ذُكِرَ دلالاتٌ قواطع النُقُول وصحاح العُقول والطِّغام وقَضَى به الحِسُّ والعِيانَ حتى لم يَقْبلْ لوُضُوحه إلى زيادة في العرفان .

ولَيْس يَصحُ في الأذهاي شيٌ إذا احتاجَ النَّهارُ إلى دَليلِ

ولما كانت الدنيا بهاذِهِ الحالِ التي ذُكِرَتْ والعِظة التي تقدَّمت جَاء في القرآن الكريم مِن التحذير عَنِ الاغترار بها والرُكون إليها والاعتماد عليها ما هو أعْرَفُ من أن يُذكر وأشْهَرُ من أن يُشْهَر .

شِعْرًا : يا مُحِبَّ الدُنْيَا الغَرُورْ إغتِـرَارَ رَاكِبـاً في طَلابِهَـا الأَخْطَـارَا
يَبْتِغـي وَصْلَهَـا فَتَـأبى عَليـه وَتَـرى أُنْسَهُ فَتُبْـدي نِفَـارَا

خَابَ مَنْ يَبْتَغِيْ الوِصَال لَدَيْهَا   جَارَةٌ لم تَزَلْ تُسْيءُ الجَــــوارَا
كَمْ مُحِبٍ أرَتْــه أنْساً فَلَمَّــــا   حَاوَلَ الـــزَّوْر صَيَّرتْــهُ ازْوِرَارَا

وكذلك جاءت الأحاديثُ النبَويَّة والآثار الحكيمة فلهذا كانَ الأيقاظُ مِن أهلِها هُمُ العلماء العُقلاء الزُّهَّاد .

العاملون بعلْمهم الذين لا تَأخُذهمُ في الله لومةُ لائم لم يَرْكَنُوا إلى الدنيا بل اتخذوها مَطيَّةً إلى الآخرة .

شعرا : إذَا بَكَيتُ مَا مَضَى مِنْ زَمَنٍ   فحُقٍّ لِيْ أبْكِيْ ومَنْ لِيْ بالبُكَا
مَنْ أبصرَ الدنيا بِعَيْنِ عَقْلِـــهِ   أدْرَكَ أنَّ الدُنيا لَيْسَتْ لِلْبَقَـــا
مَطِيَّةٌ وَارِدَةٌ إلى الـــرَّدَى   وإنْ تَرَاخَى العُمْرُ وامْتَدَّ المَدَى
إنْ هِيَ أعْطِيتْ كَانَتْ هَمّاً حَاضِراً   أوْ مُنِعَتْ كانَ عذَاباً وَأَذَى
والمرءُ رَهْنُ أمَلٍ مَا يَنْتَهِــى   حتَّى يُوَافِى أَجَلاً قَدْ انْتَهَـــى

بِخِلاف عُلَمَاءِ الألسُنِ الذين يَلْبَسُون للناس جُلودَ الظأن من اللّين وقُلُوبُهم قُلُوبُ الذِّئاب الذين يتخللون بألسِنَتِهم كما تَتَخلّلُ البقرةُ بِلِسَانِها . قال بعضهم وأجادَ في وصف الدنيا .

ألَاَ إنَّما الدُنْيا كَجِيفَةِ مَيْتَةٍ   وطُلّابُهَا مثْلُ الكِلابِ الهَوَامسِ
وأعْظَمُهُمْ ذَماً لهَـا وَأَشدُّهـم   بِهَا شَغفاً قَومٌ طِوَالَ القَلانُسِ

وختاماً فاسْتَيْقظُوا رَحِمَكُم الله من غَفْلَتكم وانتَبِهُوا مِن رَقْدَتِكُم قبل أن يُقال فلانٌ مريض أو مُدْنِفٌ ثقيل فهلْ مِن دليلٍ يَدُلُّ على الدَّواء لهذا العليل أو هل إلى الطبيب من سبيل .

فتُنقَلُ إلى المستشفى وتُدْعى لَكَ الأطبَّاء ولا يُرجَى لكَ الشِّفَاء ثم يُقالُ فُلانٌ أوصَى ولِمالِهِ أحْصَى ثم يُقال قد ثقُلَ لِسَانَهُ وما يقْدِرُ على أن يُكلِّمُ إخوانه .

وهَا هُو في سَكَراتِ الموت لا يَعْرِفُ مَن عِنْدَه من أولاده وإخوانهِ وجِيرانِه

وعَرِقَ عند ذلك جبينُكْ وتَتَابَعَ أنينُك وثَبتَ يَقينُكْ وارتَفَعَتْ جُفُونُك وصَدَقتْ ظُنُونُك .

وتلَجْلَجَ وتحَيَّرَ لِسَانُك وبَكى أولادُكَ وإخوانُك وقيلَ لكَ هذا ابنُكَ فُلان وهذا أخوكَ فلان وهذه أمُّكَ وهذا أبُوكَ وبَصَرُكَ شاخصٌ وعُيُونُكَ غرْقى من الدَّمْعِ ولا تقدِرُ على الكلام .

فتصوَّرْ نَفْسَكَ يا مِسْكين وأنتَ مُلْقى على الأرض التي خُلِقْتَ منها جُثَّة تَتَصاعَدُ رُوحَك والناس من حولك يبكون ولكن دُون جَدْوى لأن قضاء الله وقَدَرَهُ لا بُدَّ أن ينزِلَ بِكَ .

ثم خُتِمَ على لسانِكَ فلا ينطِقُ ثم حَلّ بك القَضَاءُ وانتُزِعتْ نفسُك من الأعضاء ثم عُرِجَ بها إلى السَّماء فاجتمع عند ذلك أولادك وإخوانك وأحضِرتْ أكفانُك وجيء بالنَّعْشِ و المُغَسِّل .

فجَرَّدَك من الثياب وغسَّلكَ وجيء بالكَفَن فكفَّنُوكَ وحَنَّطوكَ فانقطع عُوَّادُك واستراحَ حُسَّادُكَ وانصرَفَ أهلُكَ إلى مالِكْ وبَقيتَ مُرْتهناً بأعمَالِكْ فيالها من رِحْلَةٍ وياله من قُدُوم .

شعرا : فما تَزَوَّدَ مِمّا كانَ يجْمَعُهُ سوى حَنوطٍ غداة البيْن في خِرَقِ
وغيْرَ نَفْحَةِ أعْوادٍ تُشَبُّ لَهُ وَقَلَّ ذِلِكَ مِن زَادٍ لِمُنْطَلِقِ

هذه قَصِيْدة فى مدح النبي صلي الله عليه وسلم أزَلْنَا ما فيها مِن الغُلُو الذي ما تُنبهَ لَهُ وتركنا أيضَا التَّشِبْيْبَ الذي في أوّلِهاَ .

أَحْمَدُ الْهاي إلى سُبُل الْهُدى كَمْ بَدى مِنْه لأَهْل أرضٍ نُصْحْ
هاشِمِــــيٌّ قُرَشِيٌّ طاهِـــرٌ حَسنَ الأخلاقِ زاكي الأصل سَمْحْ
جاءَ بِالدِّيـنِ الحنيفيِّ وقَـدْ طَبَّقَ الأَرْضَ مِنَ الإشراك جُنْحْ
فأَرَى النَّاسَ الهُدى بَعْدَ الرَدى فإذا الحقُّ تَجَلى مِنْهُ صُبْحْ
فأبى مِنْهُــمْ كِلابُ كَيدُهُــم حِيْنَ خَافُوا أُسْدَ الإِسْلامِ نَبْحْ
ثُمَّ لَمَّا رَامَ تَمْزِيقَ الدُّجَـا جَاءَهُ مِنْ فَجْرِ نُورِ اللهِ رُمْحْ
فَانْجلَى الشِرْكُ وَوَلَّى دُبْـرَهُ وعَلَتْ لِلدِّينِ آطَـامُ وَصُرُحْ

وَبَدَتْ أَعْلامُ إِسْلامٍ بِهَا صَارَ لِلأَصنامِ تَكْسِيرٌ وَطَرْحْ
وَبِهِ الرَّحْمَنْ قَدْ أَنقَذَنَا مِنْ لَظى نارٍ لأَهْلِ الكُفْرِ تَلْحْ
هُوَ خَيْر الْخَلق طُرّاً وَبِهِ لِلنبيِّين جَرَى خَتْمٌ وَفَتْحْ
فَبِه قَدْ بُدُوا واخْتِمُموا فَهُوَ كَالمِسكِ لَهُ في الْخَتْمِ نَفْحْ
فاقَ في حِلْمٍ وَحُكْمٍ وَحِجَيٍّ زَانَهُ صِدْقُ وَصَبْرٌ ثُمَّ صَفَحْ
عَزْمُهُ مَاضٍ وَأَمَّا علمه فَهُوَ كالبَحْرِ فلا يُزْرِيْهِ نَزْحْ
فَهُوَ في يَوْم الوَغى لَيْثُ عِدَيٍّ وَهُو في يَوْمِ النَّدى غَيْثٌ يَسِحْ
كَفُّهُ عَارِضُ جُودٍ هَاطِلُ جَادَ بَالجُودِ فلا يَعْرُهُ شُحْ
وإذا مَا ثَارَ نَقْعُ وَعَدَتْ عَادِياتُ وبَدَا مِنْهُنَّ ضَبْحْ
ولْتَقى البِيضُ وأَطْرافُ الْقَنَا فى مَجَالٍ وَحَمَى لِلبَّلِ نَضْحْ
لَمْ يَكُنْ كَيْدُ الْعِدَى هَائِلُهُ أَيهُوْلُ الضَّيْغَمَ الْمِقْدامَ سَرْحْ
كَمْ لَهُ مِنْ مَوْطِنٍ فيه أرْتَوى مِنْ دِمَا أَعْدائِهِ سَيْفٌ وَرُمْحْ
كُلّ مَنْ حَارَبَهُ دَانَ لَهُ بَعْدَ أَنْ يُثْخِنَهُ قَتْلٌ وَجَرْحْ
حَرْبُهُ نارٌ عَلَى أَعْدائِهِ فَنَجَا مَنْ هُوَ لِلْمُخْتَارِ صُلْحْ
جَاءَهُ الْكُفّارُ فِي أَحْزابِهِمْ لِيُزِيْلُوا شِرْعَةَ الْحَقِّ وَيَمْحْ
فَتَوَلّوا هُرَباً بَلْ خُيَّباً مَا شَفُوا غَيْظاً وَما لِلزِنْد قَدَحْ
غَنَمٌ بالنَّطْح صالَتْ وَأَبى جَبَلُ الإِسْلام أَنْ يُوهِيهِ نَطْحْ
وَلَهُ صَحْبٌ لُيوثٌ هَمَّهُم لِدَمِ الْكُفّارِ في الْهَيْجاءِ سَفْحْ
لَمْ يُلاقُوا أَحَداً إِلَّا أَنْثنى وَتَولَّى وَلَهُ في الْعَدْوِ جَمْحْ
فَهُمْ الشُّجْعَانُ إن جاء الضّيا وَهُمُ الرُّهْبانِ مَهْما جَنَّ جُنْحْ
وَهُمُ الْقَومِ إذا ما عَبَسَتْ وَأَكْفَهرّت أَوْجُهٌ لِلْحَرْبِ كَلْحْ
لَا ترى فَخْراً إذا نالُوا ولَا هُم جزعاً إنْ نالَهُمْ في الْحَرْبِ قَرْحْ
كَمْ سَقُوا حِزْب الْعِدى كأْسَ الردى وَهُوَ فِي الذَّوْق مِنَ الْعَلْقَمِ صَرْحْ
فَهُمُ الْأَنْصارُ لِلدِّينِ لَهُمْ أبداً في نُصْرَةِ الإِسْلام كَدْحْ

بَذَلُوا الأَنْفُسَ والأَنْفَسُ مِنْ ما لهم لِلَّهِ ما ضَنُّوا وَشَحُّوا
حَسْبهم مِنْ مالِهِمْ سابغـة وَجَواد ثُمَ صَمْصامٌ وَسَمْحْ
فأغْفِرِ اللَّهُمَّ ذَنْبِي كُلَّـهُ وَأسْتُر الْعَيْبَ فَلَا يُبْدِيهِ فَضَحْ
وَأَجِبْ رَبِّي دُعائِي إنَّـهُ لِقضاءِ الحاجِ مِتْاَحٌ وَنَجْحْ
وَأَتِـمَّ الْحَمْـدَ لِلَّـهِ على فَضْلِهِ والْفَضْلُ مِنْ ذِي الْعَرْشِ مَنْحْ
وَصَلَـوةُ الله مَعْ تَسْلِيمِـهِ ما جرى فُلْكٌ لهُ فِي الْبَحْرِ سَبْحْ
أبداً يَهْدِي إلى خَيْرِ الْوَرَى مَنْ لَهُ في كُتُبِ الرَّحْمنِ مَدْحْ
أَحْمَدُ والآلِ والصَّحْبُ وَمَنْ لَهُمْ يَقْفُوا على الأَثْرِ وَيَنْحُوا
مَا حَدى بِالْعِيسِ حاديها وما أَطْرَبَ السَّمْعَ مِنَ السَّاجِعِ صَدْحْ

اللهم وفقنا للاستعداد لما أمامنا واهدنا سبيل الرشاد ووفقنا للعمل الصالح ليوم المعاد واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(موعظـــــة)

قال الله جل ذكره ﴿وذكِّر فإنَّ الذكرَى تَنْفَعُ المؤمنين﴾ وقال جل وعلا ﴿فذكر إن نَفَعَتِ الذِّكرى﴾ وقال عزَّ مِن قائل ﴿فذكِّر بالقرآن من يخافُ وعيد﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ فذكر فما أنتَ بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون﴾ .

وقال تعالى ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ وقال جل وعلا ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا﴾ .

وكان النبي ﷺ يتَخَوَّلُ أصحَابَهُ بالموعظة فالوعظ والتذكيرُ فريضتان واجبتان ماضيتان على أهلهما بكتاب الله وسنة رسوله، ﷺ .

وقد أمر الله الموعظين بالاستماع والإصْغاء للموعِظَة لِمَا فيها من المنافع العظيمة .

فعلى كل إنسان مهما جل قدره وعظم خطره أن يحرص ويجتهد على استماع الموعظة وقبول النصيحة لأنه إذا فعل ذلك فاز بقسطه الأوفر وحظه الأجزل

واستحق من الله البشرى في العاجل والثواب في الآجل ومن عُقلاء خلْقِه الثناء الحسن والمدحَ والإكرام والدعاء .

فإنّ الله جل ذكره يقول ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنَه﴾ ثم قال ﴿إولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ .

وقد شبَّه الله الكفرةَ المعرضين عن القرآن الذي هو مشتمل على التذكرة الكبرى والموعظة العظمى بالحُمُر قال تعالى ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حُمُرٌ مُستَنْفِرة فرَّت من قَسْوَرة﴾ فليحذر المسلم أن يتشبه بهم ويُعرض عن الموعظة .

وقد جعل الله جل ذكره الخَيْرَ في الاعتبار والاعتبار بالتفكير وحَثَّ عليه في عِدَّة مواضِعَ من كتابه قال تعالى ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ وقال ﴿إن في ذلك لَعِبْرة لأولي الأبصار﴾ .

وقال جلا وعلا ﴿أو لم يتفكروا في أنفُسِهِم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجَلٍ مسمى﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ .

وقال عز من قائل ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ وقال جل وعلا ﴿إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ .

فمن قريب ما يجبُ أن يُفكِّر فيه اللبيبُ ويتدبَّره أن يتذكر أحوالَ الأممِ والقرونِ الماضية والملوك الأولين الذين كانوا من أشد خلقِ الله قوةً وأكثر جمعا وأبْيَن آثاراً وأطول أعماراً الذين بَنوا المدائن وجمعوا الخزائنَ وحفَروا الأنهارَ وعَمَّروا الديار وشيَّدوا القصورَ .

ودبروا الأمور وجمعوا الجُموع وقادوا الجُيُوش وساقوا الخيولَ ودَوَّخوا البلاد وأذلوا العبادَ ومشَوْا في الأرض مَرَحاً واختالُوا بما أوتوا فرحا فأخذهم الله بما كانوا يكسبون لله .

فأصبحوا بَعْد العز والمَنَعَة والملك والرفعة والصوت والسطوة والذكر والصولة

عظاما رميما ورفاتا هشيما وأصبحت منَازِلهم خاوية وقصورهم خالية وأجسادهم بالية وأصواتُهم هَادئة .

تُخبرك آثارُهم مُعاينة وتَقْرع سمعك أخبارُهم مجاهرة فلم يصحبهم من الدُنيا ما جَمَعوا ولم يَدْفع عنهم الرَّدى ما كسبوا ولَعَلهم نَدِموا حيثُ لم تنفعهُم النَّدامة وتلهفوا حيثُ لا يغني عنهم التلهف شيئا .

وإنّ الباقي عَمَّا قليل كالفاني والغابرُ عمَّا قليل كالماضي وما بينهما إلا أنفاسٌ معلومَة وأيامٌ معدودة سريعة الانقضاء قريبةُ الانتهاء .

فليحذر المُغتر بملكه والمُتَمَتِّع بعزه هذه الصَّرْعةَ وليستعدَّ لهَذه الوجبة والْيِنْته لهذه الموعظة فإنّ الله جعلها في أوائل مواعِظِه .

وكَرَّرها في مواضِعَ من كتابه حيث جل وعلا وتقدس يقول ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشدَّ منهم قوةً وآثاروا الأرض وعَمَرُوها أكثر مما عَمَرُوها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ .

وقال تعالى ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون﴾ .

وقال جل وعلا وتقدس ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وماكان لهم من الله من واق﴾ .

وعد جل وعلا كثيراً منهم في كتابه ووصفهم وسماهم في خطابه حيث يقول ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سَوطَ عذاب إن ربك بالمرصاد﴾ .

وقال ﴿وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيرا﴾ هذا خَبَرُ أصدَقِ القائلين وهذا قول حق وقد جعَلَ الله بكل ما شُوهِدَ في أيامه وعوينَ في زَمانه ممن رُفعوا ثم وُضِعوا وعَلَوا ثم صُرِعوا ودارَت عليهم الدوائر ونابتهم النوائب ما في بعضِه مَقْنَعٌ لمعتبر وبلاغٌ لمذكر .

قالوا وأشرف أبو الدرداء صاحبُ رسولِ الله ﷺ على أهل حِمْصٍ فقال يا أهل حمص أتبنون ما لا تسكُنُون وتأملُون ما لا تدركون وتجمعُون ما لاتأكلون .

إنّ من كان قبلكم بَنَوْا شديدا وأمَّلوا بعيدا وجَمَعوا كثيرا فأصبحت اليوم مساكنهم قبورا وأمَلهُم غرورا وجمعهم بورا .

وقد قال أحد فصحاء الملوك في خطبته : ألم تروا مَصَارع من كان قبلكم كيف استدرجتهم الدنيا بزخارفها ونفتهم ثم تركتهُم وقد تَخَلّت عنهم فهم في حيرة وظلمة مُدْلَهِمَّة تركوا الأهلين والأولاد والعيالَ والأمولَ .

مسَاكنهُم القُبور وقد خلتْ منهم الدور وتقطّعت منهم الأوصالُ والصُدور وصاروا تراباً بالياً وكان الله لهم ناهيا قال تعالى ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ .

(مَوْعِظَةٌ)

عِبادَ اللَّهِ سُرُوْرَ المُؤمنين يومَ يَعْبُرُوْن القَنَاطِرَ ويَأمَنُونَ العَواثِرَ فَذَلكَ يَومُ عِيدِهم ومَادَامُوا في دَارِ الغُرُوْر فلا غِبْطَةَ ولا سُرُوْرَ .

وَأَيُّ سُرُوْرٍ لِمن الموتُ مَعْقُودٌ بناصيَتِهِ والذُنوبُ رَاسِخَةٌ في آنِيَتِهِ والنَّفْسُ تَقُودُهُ إلى هَوَاهَا والدنيا تَتَزيَّنُ في عَيْنِهِ بمُشْتَهاها .

والشَّيْطَانُ مُسْتَبْطِنٌ فَقَار ظَهْرِهِ لا يَفْتُر عن الوَسْوَسَةِ في صَدْرِهِ وَنفسِهِ ومالِهِ بعَرْضِهِ لِلْحَوادِثِ ولا يَدْرِى في كُلِّ نفسٍ ما عَلَيه حَادِث .

شِعْرَا : فِعَالِيْ قَبِيْحٌ وَظَنِّيْ حَسَنٌ   وَرَبِّيْ غَفُوْرٌ كَثِيرُ المِنَنْ
تُبَارِزْ مَوْلَاكَ يَا مَنْ عَصَى   وَتَخْشَى مِن الجَارِ لَمَّا فَطِنْ

رَكِبْتُ الْمَعَــاصِيْ وَشَيْبِيْ مَعِي فَوَاللهِ يَا نَفْسُ مَا ذَا حَسَنْ
فَقُومِــيْ الدَّيَاجِــيْ لَهُ وَارْغبـى وَقَــوْلي لَهُ يَا عَظِيْــمَ المِنَــنْ
وَقُوْلِــيْ لَهُ يَا عَظِيْــمَ الرَّجَــا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْفُ عَنِّــيْ فَمَــنْ

آخر: إنِّي بُلِيْتُ بأَرْبَعٍ مَا سُلِّطُوْا إلَّا لأَجْلِ شَقَاوَتِي وعَنَائِي
إبْليس والدُنياونَفْسِي والهوى كَيْفَ الخَلاصُ وكُلُّهُمْ أَعْدَائِي

ومن وَرَائِهِ المُغِير ومَسْأَلة مُنْكَرٍ ونكِير ويَتَوسَّدُ التُرابَ إلى يَوم النُشُور ﴿ يومَ يَقُومُ الناسُ لرب العالمين ﴾ يَومٌ لا يُبْلَغُ وصْفُ أَهْوَالِهِ ولا شَرْحُ أَحْوَالِهِ ما لا يَسَعُ المؤمنَ به أنْ يَسْتَقِرَّ لَهُ قَرارٌ ولا يَخْلُدُ إلى هَذِهِ الدار ولاَ يكُوْنُ لَهُ هَمٌ في هَذِهِ الدنيا إلَّا التَقَرُّبُ بأنْواع القُرَبِ واجْتِنَابُ الفَوَاحِشِ والرِّيَبِ وإقامةُ الدِين الذي في إقامَتِهِ النَّجَاةُ وفي تَضْيِيْعِهِ العَطَبُ العَظِيم .

يَــومُ القِيَامَـةِ لو عَـلِمْتَ بِهَـوْلِهِ لَفَـرَرْتَ مِـن أَهْـلٍ ومِـنْ أَوْطَـانِ
يَــوْمٌ تَشَـقَّقَتِ السَّـمَاءُ لِهَـوْلِهِ وتَشِـيْبُ مِنْـهُ مَفَـارِقُ الـوِلْـدَانِ
يَــوْمٌ عَبُـوسٌ قَمْطَـرِيْرٌ شَـرُّهُ فـي الخَـلق مُنْتَشِـرٌ عَظِيْمُ الشَأنِ
يَــوْمٌ يَجِـيءُ المُتَّقُـونَ لِـرَبِهِـمْ وَفْـدًا على نُجُـبٍ مِـنَ العِقْـيَانِ
ويَجِيءُ فِيـه المجـرمُـونَ إلى لَظَـى يَتَلَمَّظُـوْنَ تَلَمُّـظَ العَطْشَــانِ
والجَنَّــةُ العُــلْيا ونَـارُ جَهَــنَّم دَارَانِ لِلْخَصْـمَيْنِ دَائِمَتَــانِ

اللَّهمَّ أَتْمِمْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ الوَافِيَةَ وَأَرْزُقْنَا الاخْلاصَ فِيْ أَعْمَالِنَا وَالصِّدْقَ فِي أَقْوَالِنَا وَعُدْ عَلَيْنَا بِاصْلاحِ قُلُوْبِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ

(فَصْلٌ)

كتب بعضهم إلى أخ له فقال له : أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله سبحانه والعمل بما عَلَّمَكَ الله تعالى والمراقبةِ حَيْثُ لا يَرَاكَ إلا الله عز وجل والاسْتِعْدادِ لما لَيْسَ لأَحدٍ فيه حَيْلَةٌ ولا يُنْتَفَعُ بالندم عِنْد نُزُوْلِهِ .

شِعْراً : تَفُوزُ بِنَا المَنُونُ وَتَستَبِدُ   وَيَأخُذُنَا الزَّمانُ ولا يَرُدُ
وانْظُرُ ماضِياً في إثْرِ مَاضٍ   لَقَدْ أيْقَنْتُ أنَّ الأمْرَ جِدُ
رُوَيْداً بالفِرارِ مِن المَنَايَا   فَلَيْسَ يَفُوتُهَا السَّارِيْ المُجِدُّ

فاحْسِرْ عن رأسِكَ قِناعَ الغَافِلين وانْتَبِهْ مِن رَقْدَة الموتَى وشَمِّرْ لِلسَّبَاقِ غداً فإن الدُنْيا مَيْدانُ المُسَابِقِين ولا تَغْتَرَّ بمَنْ أظْهَر النُسُكَ وتَشاغَل بالوَصْفِ وتَركَ العَملَ بالموصُوف .

واعلم يا أخي أنه لابُدَّ لِي ولَكَ مِن المَقَام بينَ يَدَي الله عَزَّ وجَل يَسْألُنَا عن الدقيق الخفي والجليل الخافي ولَسْتُ آمِنٌ أنْ يَسْألُني وإيَّاكَ عن وسْوَسَةِ الصُدور ولَحَظَاتِ العُيون والإصْغَاءِ للاستِمَاع .

واعْلَمْ أنه لا يُجْزِي مِن العَملِ القولُ ولا مِن البَذْلِ العِدَةُ ولا مِن التَّوقِّي التَلاوُمُ .

قال نافع خَرَجْتُ مَعَ ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحابه فَوَضَعُوا سُفْرةً لَهُم فمَرَّ بهم رَاعيٌ فقال عبدُ الله بنُ عمر يا رَاعي هَلُمَ فأصِبْ مِن هَذِه السُفْرَةِ .

فقالَ إني صَائِم فقال عبدُ الله في مِثلِ هَذا اليومِ الشديد حَرُّهُ وَأنْتَ بَيْنَ هذِه الشِعَاب في آثار هَذِه الغَنَم وبَيْنَ هَذِه الجبال تَرعَى هَذِه الغَنَم وأنْتَ صائم .

فقال الراعي أُبَادِرُ أيَّامِي الخالية فَعَجِبَ ابنُ عُمَر وقال هَلْ لَكَ أنْ تَبِيْعَنَا شاةً مِن غَنَمِكَ نَجْتَزِرُهَا نطْعِمُكَ مِن لحْمِهَا ما تُفْطِرُ عَليه ونَعْطِيْكَ ثمنَهَا .

قال إنها لَيْسَت لِي إنَها لمَولايَ قال فما عَسَيْتَ أن يَقُولَ مَولَاكَ إنْ قُلْتَ أكَلَهَا الذئبُ .

فمضَى الراعي وهُو رَافِعٌ إصْبِعَهُ إلى السَّمَاء وهو يَقُولُ فأيْنَ الله قال فلم يَزَلْ ابنُ عُمر يقولُ قال الراعي فأينَ الله فما عَدَا أن قَدِمَ المدِيْنَةَ فَبَعَثَ إلى سَيد الراعي فاشتَرى مِنه الراعيَ والغَنَمَ فأعْتَقَ الراعي وَوَهَبَ لَهُ الغَنَمَ .

ودَعَا قَومٌ رجُلاً إلى طعَامٍ في يَوم قَائِظ شَديد حره فقال إني صائم فقالوُا أفي مْثلِ هذا اليوم قَالَ أفأغْبَنُ أيَّامي .

ونَزَلَ رَوْحُ بنُ زِنْبَاع مَنْزِلاً بينَ مَكة والمَدِيْنَةِ في يوم صائف وقَرَّبَ غَدَاءَهُ فانْحطَّ رَاعٍ مِن جَبَلٍ فقال يَا رَاعِ هَلُمَّ إلى الغَداء قال إني صَائِم .

قال لَهَ رَوْحُ بنُ زِنْبَاعْ أوْ تَصُومُ في هذا الحَرّ الشَّدِيْدِ قالَ الراعِي أفأدَعُ أيامِي تَذْهَبُ بَاطِلاً فأنشأ رَوْحٌ يَقُوْلُ :

لَقَدْ ضَنَنْتَ بأيَّامِكَ يَا رَاعِي إذْ جَادَ بِهَا رَوْحُ بنُ زِنْبَاعِ

ودَعَا قَومٌ رَجُلاً إلى طعَامٍ فقال إني صَائِم فقالُوا أفْطِرْ وصُمْ غداً قالَ ومَن لي بأن أعِيْشَ إلى غَدٍ .

رُوِيَ أن الحسنَ رَآى رَجُلاً مُتَعَبّداً فقال يا عبدَ الله ما يَمْنَعُكَ مِن مُجَالَسَةِ الناسِ قال ما شَغَلَني عن النَاس قال فما مَنَعَكَ أن تَأتِي الحَسَنَ فقال ما أشْغَلني عن الحَسَن قال فما الذي أشْغَلَكَ عن الحسن .

قال إني أمْسِي وأصْبحُ بَيْنَ ذَنْبٍ ونِعْمَةٍ فَرأيْتُ أن أُشْغِلَ نَفْسِي بالاستِغفار لِلذَّنْبِ والشكر لله تعالى على النِّعْمَةِ فقال أنْتَ عِنْدي أفْقَهُ مِن الحَسَن .

قال بعض العلماء حاثاً على شكر الله جَل وعلا فقال إخواني اشكروا الله على ما أنعم عليكم به من الألسن بكثرةِ التلاوة لِكتابِ الله وذِكْرِهِ .

فإن فَرَّطْتُم في ذلك فاسْتَحْيُوا من الله أن تخوضوا بالألْسُنِ في فُنونِ الآثام فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال « وهل يكب الناس في النار على مَناخِرِهم إلاَّ حَصَائدُ ألْسِنَتِهم » .

فالرجل العاقل المستقيم لا يستخدم لسانه إلا في الحق والخير من ذكر الله والثناء عليه وتلاوة كتابه الكريم والنصح لله ولرسوله وللمؤمنين ولِأَئِمَـةِ المسلمين وعامتهم ويجتنب الكذب والإفتراء والغيبة والنميمة ويجتنب القبيح وتقبيح الحسن والتملق والنفاق والرياء قال ﷺ « المُسْلِم مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِه كل هذه مِن آفاتِ اللِّسَانِ » .

ألا واشكروا الله على ما أنعم به عليكم من الأبصَار بالنظر إلى الحق بالاعتبار شكراً له فإن رغبتم عن ذلك فراقبوا الله أن تنظروا بالأبصار إلى الحرام

فتغْضِبُوا الله بنعمه كفعل الكثير من الناس فاتقوا الله عباد الله .

ألا فراقِبُوه واشْكرُوهُ عَلَى مَا أنعم به عَليكم مِن السمع بالاسْتِماع إلى القرآن الكَريْم وكلام سَيدِ المرسَلين والمواعِظِ الحَسَنِةِ .

فإنْ ضَيَّعْتُم ذلكَ وفَرطتُم فيْه فاسْتحيُوا مِن الله أن تُنْصِتُوا بأسْمَاعِكم إلى الهَوَى والملاهِي والأغاني وجَمِيْع المنكرات فإنَّكُم عن جميع ذلك مَسْؤُولُون .

واشكروا الله عل ما أنعم به عليكم مِن الأيدِي بِبَسْطِها إلى الخَيرات فإن قَصَّرْتُم عن ذلك فاسْتَحْيُوا أن تَبسُطُوْهَا إلى الظُلْمِ والأذى كَفِعْلِ كثيرٍ من الناس فإن الظُلْمَ ظُلمَاتٌ يومَ القِيامَةِ قال الله جَل وعلا وتقدس ﴿ **ولا تحسبن الله غافِلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء** ﴾ ألا فاتقوا الله عباد الله واشكروه على ما أنعم به عليكم من الأرْجُلِ بالسعى بها إلى الطاعات فإن قَصَّرتم في ذلك فَراقِبُوا الله ولا تَسْعَوْا بها إلى الآثام .

فالرجل المستقيم لا يستخدم سمعه وبصره وجميع حواسه ومشاعره إلا فيما أحل الله له وقد جمع الله كثيراً من صفات المؤمنين المستقيمين وعَدَّهُم مُفْلِحِين مُسْتَحِقِيْنَ لِلْخُلُودِ في جناتِ النعيم في قوله عز وجل ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ إلى قوله ﴿ **هم فيها خالدون** ﴾ قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ **يومَ تَشهَدُ عليهم ألْسِنَتُهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون** ﴾ فكيف بك والأكبال في الأقدام والأغلال في الأعناق ، قال الله جل وعلا ﴿ **إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون** ﴾ .

ألا فاتقوا الله عباد الله واشكروه على ما أنعم به عليكم من الأقوات فلا تَتقَوَّوْا بها على مَعَاصي الله ألا يا عباد الله فاتقوا الله على ما أنعم به عليكم من اللباس وذلك بأن تُبْلُوه في رضى الله فإن قصرتم عن ذلك فاستحيوا أنْ تُبْلُوا لِبَاسَكم في ما يكره الله .

شعـــرا :

عَلَيْكَ بِتَقْـوَى اللهِ في كُلِّ حَالَـةٍ   تَجِدْ نَفْعَهَا يَوْمَ الحِسَابِ المُطَوَّلِ
ألاَ إنَّ تَقْـوى اللهِ خَيْـرُ بِضَاعَــةٍ   وأَفْضَلُ زَادِ الضَّاعِنِ المُتَحَّمِـــلِ

وَلاَ خَيْرَ فِي طُوْلِ الحَيَاةِ وعَيْشِهَا إِذَا أَنْتَ مِنْهَا بِالتُّقَى لَمْ تَزَوَّدِ

ألا فاتقوا الله عباد الله واشكروه على ما وهبكم من الأموال وذلك بأن تُبلوها في سبيل الله فإن بخلتم عن ذلك فاستَحْيُوا مِن الله أن تُنْفِقُوا ما وَهبَكمُ مِن المال في مَعَاصِيه .

واشكروا الله على نعمته العظمى وهو ما أنعم به عليكم من الإيمان به وبكتبه وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

وأشكروه على ما أنعم به عليكم من العقل بالتفكير والتَّدَبُرِ واعْتَقَادِ حُسْنِ النية والاعتبار وشِدَّةِ الخوفِ والحُزْنِ وسلامة الصَّدْرِ لِلْعَامَّةِ .

وأشكروا الله على ما أنعم به عليكم مِن العقلَ بأن تُعَظّمُوا اللهَ عَزَّ وجَلَّ وتُجلُّوهُ وتَسْتَحْيُوا منه وتَهَابُوه وتَتَّقُوه وتُطِيْعُوه على حَسَبِ مَا عَقَلْتُم من عَظَمَتِهِ وكِبْرِيَائِه وعَظِيم قَدْرِهِ سُبحَانَه وتعالى .

فإن قَصرَّتُم في ذلكَ فراقِبُوا الله تعالى ولا تَكُونُوا كالذين لا يُعَظِمُونَه ولا يُجِلُّوْنَهُ ولا يَهَابُونَهُ ولا يَسْتَحْيُونَ مِنه ولا يَتَّقُونَه ولا يُطِيْعُونَهُ ولا يُقَدِّرُونَه حَقَّ قَدْرِه بَلْ يَسْتَهِيْنُون بكَثِيْرٍ من أمرِهِ .

فاتقوا الله عباد الله أنْ تَعُودُوا بَعْدَ العِلْمِ جُهَّالاً وبعد المعرفةِ والفهم ظُلاَّلًا ويَعُودُ العقلُ والعِلْمُ عَليكم وَبَالاً .

وهَبَ الله لنا ولكم القيامَ بطاعته وَوَفَّقَنَا وإيَّاكم شُكْرَ نِعَمِهِ وحُسْنَ عِبَادَتِهِ إنه جَواد كريم رؤُوف رحِيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(موعظـــــة)

إن العجبَ كُلَّ العَجَب من إنسان عاقل أُخْبِرَ أنَّه سَيَسْلُكَ طريقاً شائِكاً وَعْراً مَلِيْئاً بالمَخَاوُفِ والمُزْعِجاتِ والمْهَالِكِ وأنَّ عليه أن يَتَصوَّرَ هَذِهِ المخاوف والمخَاطِرَ والمهالكَ ويَتَصَوَّرَ آثارَهَا على مُسْتَقَبلِه الأبَدِي والذي أخْبَرهُ أصْدَقُ القَائِلِين وَأوْفَى الوَاعِدِين الذي أحاط بكل شيء علماً .

شِعْرَا : أَمَا وَاللهِ لَوْ عَرَفَ الأَنَامُ لِمَا خُلقُوا لَمَا غَفَلُوا ونَامُوا

لَقَدْ خُلقـوا لِمَـا لَوْ أَبْصَرَتْـه عُيُوْنٌ قُلُوبِهِمْ سَاحُوْا وَهَامُـوا
مَمَـاتٌ ثُمَّ قَبْـرٌ ثُمَّ حَشْرٌ وَتَوْبِيْـخٌ وَأَهْـوَالٌ عِظَـامُ
لِيَومِ الحَشْرِ قَدْ خُلِقَتْ رِجَالٌ فَصَلَّـوْا مِن مَخَافَتِـهِ وَصَامُـوا
وَنَحْـنُ إِذَا أُمِرْنَـا أَوْ نُهِيْنَـا كأَهْلِ الكَهْـفِ أَيْقَـاظٌ نِيَـامُ

وَمَعَ ذلك تَراهُ غافِلاً لا اهْتِمَامَ لَهُ بذلكَ مُنْصَرِفاً عن الابْتِعَادِ عن هذِهِ المهالكِ والمَزَلَّاتِ الفَظِيْعَةِ وَمُشْتَغِلاً بالدَّنَايَا والأمور التَّافِهَة من شُؤُون الدنيا المَلْعُونَةِ الملعون ما فيها إلا ذكر الله وما ولاه .

وما أُصِيْبَ الإنسانُ بِمَرضٍ أَشَدَّ من الغفلة الذي ربما تَحَوَّلَ إلى جُمود وقَسْوَة ثم إلى لجاج وعناد ثم إلى كفر وجحود نسأل الله تعالى العافية .

ومِن أَكْبَرِ الأَدلَةِ على حُمُقِ الإنسانِ وغَبَاوَتِهِ وجَهْلِهِ أنه يَكُدُّ وَيَشْقَى مِن أَجْلِ مُسْتَقْبَلٍ مَهْمَا طَالَ فلن يُجَاوِز الثّمانين غَالباً وإن تجاوَزَهَا فهو كالمعدوم .

ومَعَ هذا فيهْمِلُ إهْمَالاً كُلِّياً أو جُزْئِياً العَمَلَ من أجل مُسْتَقْبَل لا نِهَايةَ لَهُ مُسْتَقْبَلَ الأَبَدِ مُسْتقبل الخُلُود فيالَهَا مِن خَسَارَةٍ لا عِوضَ لها ولا جَبْر منها ولا أَمَل في تلافيها .

فيا الغافل انْتَبِهْ واسْتَعِدَّ لما أمامَكَ وتَصَوَّرْهُ تَصَوُّراً صَحِيحاً يَظْهَرُ أَثَرُهُ في جِدّكَ واجْتِهادِكَ فيما يُقَربُكَ إلى الله لا يفاجئك الأَمْرُ وأَنْتَ غَافِل فَيفُوتُكَ زَمَنُ الأمكان وتَنْدَمُ وتَتَحَسَّرَ قال تعالى وتقدس ﴿ **أتى أمر الله فلا تستعجلوه** ﴾ .

وقال الله جل وعلا ﴿ **إقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضـون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وأنْذِرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **هنالك تبلُو كل نَفْسٍ ما أسلفت** ﴾ وقال تعالى ﴿ **أن تقول نَفْسٌ يا حَسْرَتَا على ما فرطتُ في جَنْبِ الله وإن كنتُ لمن الساخرين** ﴾ الآيات .

إن الذين غمرَ الإيمانُ قُلوبَهم واستَحوذَتْ مَعْرِفتُهم على مشاعِرِهم وَوِجدانهم هُمُ الذين أَيْقَنُوا بلقاءِ ربهم وسَمَاعِ الحُكْمِ منه في مَصَائِرِهم ، هَؤلاء

هم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رَزَقهم الله يُنفقون .

الّذِيْن قال الله تعالى مخبراً عنهم ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب من قبلهم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ الذين هم من خشية ربهم مشفقون إلى قوله ﴿ **أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون** ﴾ .

الذين إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينَهم تَفيضُ مِن الدمع مما عرفوا من الحق الآية ﴿ **الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تُلِيَتْ عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ الآيتين .

﴿ **الذين يبيتون لربهم سُجَّداً وقياما** ﴾ الآيات . هَؤُلاء هم الذين رَعَوا للدِّيْنِ حُرْمَتَه واحْتَرَمُوا آدَمِيَّتَهُم وكَرامتهم وَوَفَّقَهُم الله جل وعلا فَبنَوا لأنْفُسِهم صُروحَ المجدِ الخَالِد والعِز البَاقي والسَّعَادَةِ الأبَدِيَّة .

ولا يَبْعُد أن يكونَ مِن هؤلاء المذكورين الموصُوفين بالصفاتِ الحَمِيْدَةِ القائلُ لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لَجَالَدون عليه بالسيُوف ومنهم الباكي حين حضرته الوفاة القائل إني لم أَبْكِ جزعاً من الموت حرصاً على الدنيا ولكن أبكي على عَدَمِ قَضَاءِ وطَرِي مِن طاعةِ رَبي وقيام الليل أيام الشتاءِ.

ومنهم الباكي عندَ ما تَفُوتُه تَكبيرةُ الإحرام مَعَ الجماعةِ ومنهم الذي يُمْرَضُ إذا فاتَتْهُ الصلاةُ مَعَ الجَماعة .

ومنهم القائل لم أصَلِّ الفريضةَ مُنْفرداً إلاَّ مَرَّتَيْن وكأني لم أُصلِهِمَا مَعَ أنه قارَبَ التِّسْعِينَ سَنَةً .

ومنهم مَن لم تَفُتْه صَلاةُ الجماعة أربعين سنة إلا مرةً واحِدَةً حينَ مَاتَتْ والدتُه اشْتَغَلَ بتَجْهِيزِها .

والقائلُ حِيْنَ ما قال لَه رجُلٌ أراكَ تُكثِر مِن حَمْدِ الله وشُكْرِهِ مَعَ أنه ابتلاكَ بِبَلاءٍ مَا ابْتَلا أحداً بمثله الجُذام في أطرافِكَ وتَمزَّقَت الثياب عَلى جَسَدِكَ ولا زَوْجَةَ لَكَ ولَا وَلَدَ ولَا دَارَ ولا أَهْلَ فما شأنَك فقال المُبْتَلى :

شعــــــراً :

حَمِدْتُ اللهَ ربي إذْ هَـــــدَاني إلى الإســـلامِ والدِين الحَنِيفـــي
فَيذْكُرهُ لِسَـــاني كُلَّ وَقْتٍ ويَعْرِفُه فـــوآدِي باللَّطَيْـــفِ

بَيْنَما أَبُوْ شُرَيْحٍ العابِدُ يَمْشِيْ جَلَسَ فَتَنَّعَ بِكِسَائِهِ وَجَعَلَ يَبْكِيْ ، فَقِيْلَ مَا يُبْكِيْكَ قَال تَفَكَّرْتُ في ذَهَاب عُمْرِي وَقِلَّةِ عَمَلِيْ وَاقْتِراب أَجَلِيْ .

وكان بعضُ الموفَّقِيْن المُحَاسِبِين لأنْفُسِهم يَكْتُبُ الصَّلواتِ الخَمس في قِرْطَاس ويَدَعُ بَيْنَ كُلِّ صَلاتَين بَيَاضاً .

وكلَّما ارْتكَبَ خَطِيئةً مِن كَلِمَةِ غِيْبَةٍ أو اسْتَهْزَاءٍ أَوْ كَذَبَ كِذْبَةً أو تَكَلّم فِيْمَا لَا يَعْنِيْهُ أو نَظَر إلى مَا لا يَحِلُ نَظَرُهُ إليه أو اسْتَمَع إلى مَا لَا يَحِلُ الاسْتِمَاعُ إليه أو أكلَ مُشْتَبهاً أو مَشَىء إلى ما لا يَحِل أو مَدَّ يَدَهُ إلى ما لا يَجُوزُ مَدُّهَا إليه .

ذكره في هذا البياض لِيَعْتَبر ذُنُوبَهُ ويُحْصِيْها حَسَبَ قُدْرَتِهِ لِتُضَيِّق المحاسَبَةُ مَجَاري الشيطان والنَّفْسِ الأمارةِ بالسُوءِ .

ومقَامُ مُحَاسَبَةِ النفسِ يُقَلِّل الكلام فيما لا يَعْنِي ويَحْمِلُ الإنسانَ على تَقْلِيْلِ الذُنُوب وعلى الإكثارِ مِن الطاعاتِ لِمُقَابَلَةِ ما صَدَرَ مِنْهُ ولكنَّ هذا الطراز يَعِزُّ وُجُودُه في زَمَانِنا هذا .

نُقِلَ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : حَاسِبُوا أنفسَكم قَبْلَ أنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوهَا قَبْلَ أن تُوْزَنُوا وتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأكبر على الله ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعرضُون لا تَخْفى منكم خَافِيةٌ** ﴾ .

فالمحاسبة تكون بِضَبْطِ الحَواس ورِعايَةِ الأوقات وإيْثَارِ المُهِمَّاتِ وحفظ الأنفاس والحرص على أداء العبادات كاملة وبالأخص الصلاة فيكملها بشروطها المذكورة وأركانها وواجباتها وسننها بخُشُوع وخُضُوع وطُمأنِيْنَةٍ وسُكُون .

والعبد يَحْتَاجُ إلى السُّنَنِ الرَّوَاتِب لِتكمِيل الفَرائض ويَحْتَاجُ إلى النوافل

لتكميل السُنن ويحتاج إلى الآداب لتكميل النوافل ومن الآداب تَرْكُ ما يُشْغِلُ عن الآخرة . وَمن الآداب الإِكْثارُ مِنْ زَادِ الآخِرةِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَا وَالَاهْ .

شعرا : عَلَيكَ بِذِكرِ اللهِ في كُلِّ سَاعةٍ فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمنِ يَذْكُرُ

قال بعضُهم إن الرجل لَيَشِيْبُ عَارِضَاهُ في الإِسلام وما أكْمَلَ لله صلاةً قِيلَ وَكَيْفَ ذَاكَ ، قال لا يُتِم خُشُوعَها وتَواضُعَهَا وإقباله على الله فيها .

رُوِيَ عن بعض أهل العلم في قول الله جل جلاله ﴿وقوموا لله قانتين﴾ قال القنوت الخشوع في الركوع والسجود وغَضُ البَصر وخفض الجناح مِن رَهْبَة الله عَزَّ وَجَل .

وكان العلماء إذا قامَ أحَدُهُمْ للصَّلاة هَابَ أن يَلْتَفِتَ أو يَعْبَثَ أو يحدث نفسه بشيء من شئون الدنيا إلا ناسياً .

وبلغنا عن بعض أهل العلم أنه قال : ركعتان خفيفتان مُقْتَصِدَتَان في تفكر وتدبر وتفهم لما يقوله ويفعله خَيْرٌ من قِيام لَيْلَةٍ والقلْبُ سَاهٍ في أوْدِيَةِ الدُنْيا .

فالواجب على الإنسان إذا كان في الصلاة أن يجعلها هَمَّهُ ويُقْبلَ عليها مُفرّغاً قَلْبَهُ وفِكرَهُ مِن كل ما يُشَتِتُه لِيُؤَدِيها كامِلَةً مُكَمَّلَةً .

فإنَّه لَيْسَ له منها إلا ما عَقَل منها مِن مَعَانِي الفاتِحة وما يَقْرأ مِن القرآن ومَعَانِي الرُكوع والسُجُود والقِيَام بَيْنَ يدي الله ومَعَاني العبودية والمناجاة ومعاني التحيات والتكبيرات .

فكم بين رَجُلَيْن أحدهما قد أشْعَرَ قَلْبَه عَظمَةَ خَالِقِهِ الذي هُو واقفٌ بَينَ يَدَيْه فامْتَلأ قَلْبُه مِن هَيْبَتِهِ وذَلَّتْ لَهُ عُنُقُه واسْتَحَى من رَبِّهِ أن يُقْبلَ على غيره أو يَلْتَفِتَ عنه .

وآخَرُ قد انْصَرفَ قَلْبُه إلى الدنيا يُفكِر فيها مُلْتَفِتاً يميناً وشِمَالاً ولا يَفْهَمُ ما يخاطب به لأن قَلْبَهُ لَيْسَ حَاضِراً معه فَبَيْنَ صَلاتَيهِمَا كما قال بعض أهل العلم .

إنَّ الرجُلَين لَيكُونَانَ في الصلاة الواحدة وإنَّ ما بينهما في الفضل كما بَيْنَ السَّماءِ والأرض وذلك أنَّ أحَدَهُمَا مُقْبِلٌ على الله عز وجل بقِلْبِهِ والآخَرُ سَاهٍ غَافِل يفكر في البيوع والخصومات والأماني والخسارات قد ذهب قلبه كل مذهب في أودية الدنيا .

وروي أن بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يصلي في نَخْل له فَشُغِلَ بالنظر إلى النَّخْل فسها في صلاته فاسْتَعْظَم ذلكَ وقال أصَابَنْي في مالي فتنةٌ فجعل النخيل في الأرض صدقة في سبيل الله فبلغ ثمنُ النَّخِيل خَمْسَيْنَ ألْفاً .

فلو أنَّ الواحدَ مَنَّا إذا فاتَتْهُ الصلاةُ مَعَ الجماعة تصدق في عشرة فقط لما فاتَتنا الصلاة مع الجماعة إلا نادرًا ورأيتَ ما يسرك من المحافظة على الصلاة وكثرة الجماعة وهذا علاج من أحسن العلاجات .

وينبغي استعماله عند ما يصدر كذب أو غيبة أو نظر محرم أو سماع محرم أو نحو ذلك مما يقوله الإنسان أو يفعله عمداً أو سَهْواً لِيَتأدَب ويَسْتَقِيم ويُقْتَدَى به والله الموفق .

وحَصِّنْ عن الفَحْشَا الجَوَارِحَ كُلَّهاَ   تَكُنْ لَكَ في يَوْمِ الجَزَاخَيْر شُهَّدِ
وَخَالِطْ إِذَا خَالَطْتَ كُلَّ مُوَفَّق   مِن العُلَما أهْلِ التُقى وَالتَّعَبُّدِ
يُفِيْدُكَ مِن عِلْمٍ ويَنْهَاكَ عَنْ هَوَى   فَصَاحِبْهُ تُهْدَى مِن هُدَاهُ وتَرْشُدِ

نَصِيْحَةْ : يَسْمُو قَدرُ الإنسان وتَعلوُ دَرَجَتُه ومَنْزِلَتُه عند الله جَلَّ وعَلا وعند خَلْقِهِ بقَدْرِ ما يكون لَه مِن إستقامة وطهارة قَلْبٍ وسَلَامَةِ صَدْرٍ وحُبٍّ لِلْخَير لجميع المسلمين وَبُعْدٍ عن الشر والأذَى وتَضْحِيَةٍ بالنفس والمال في سبيل الله وما يُقَرِّبُ إلى الله،وقَدْ امْتَدَحَ الله إبراهيم الخليلَ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام على ما وَهَبَهُ لَهُ مِن سَلامَةِ قَلْبٍ وعِزَّةِ نَفْسٍ وصِدْقِ عَزِيمةً وقُوَّةِ إيْمَانٍ .

قال تعالى لما ذكرَ نُوحاً عليه السلام وأثنى عليه أعْقَبَهُ بذكر الخليل فقال « **وإنَّ مِنْ شِيْعَتِهِ لإبراهيم إذْ جَاء رَبَّهُ بقَلْبٍ سَلِيْم** » .

ومِن دُعاءِ إبراهيم عليه السلام ﴿ **ولا تُحزِنِي يَومَ يُبْعَثُون يَومَ لا يَنْفَعُ مال ولا بَنُون إلا مَن أتَى الله بقلب سَليم** ﴾ .

اللّهُمَّ مَكِّنْ مَحَبَّةَ القُرْآنِ في قُلُوبِنَا وَوَفِّقْنَا لِتِلاوَتِهِ آناءَ اللّيلِ وَالنّهار اللّهُمّ وارْزُقنا العملَ بِهِ والدّعوةَ إلَيْهِ واجْعله حُجَّةً لنَا وقائِداً لنا إلى جَنّتِك وَاغْفِرْ لنا ولِوَالِديْنَا ولِجَمِيع المُسْلِمين برحمتِكَ يا أرحَمَ الرّاحِمين وصلّى الله على مُحَمّد وآلِه وصحْبِهِ أجمَعِين .

فَصْلٌ: وسَلامَةُ القلب خُلوصُه مِن الشركِ وقِيلَ هو القَلْبُ الصحيح وهو قَلْبُ المؤمن لِأَنَّ قَلْبَ الكافِرِ والمُنَافِقِ مَرِيْض وقِيلَ هُوَ القَلْبُ السَّالِمُ مِن البِدْعَةِ المُطْمَئِنُ إلَى السُّنَّةِ إنتهى .

قُلْتُ والذِيْ أرَى أَنَّ السَّلاَمَةَ الكَامِلةَ لِلْقَلْبِ هِيَ خُلوصُه مِن الشِّركِ والشَّكِ والنِفاقِ والرِياءِ وخُلُوهُ مِن الكِبرِ والحِقدِ والحَسَدِ والعُجبِ والمَكرِ السَّيِىءِ والغِلّ والخُيلاءِ .

ونَقَاؤُهُ مِن الأَمْرَاضِ التي تُكَدِرُّ الصَّفْوَ وَتُشَتِّتُ الشَّمْلَ وتخِلُّ بالأَمْنِ وتَقْطَعُ الرَّوَابِطَ والصِلاتِ بَيْنَ المُسْلِمِيْن وتُورثُ الضَّغَائِنَ والأحْقادَ وتُوَلِّدُ العَداوةَ والبَغْضَاءَ بَيْنَ المؤمنين .

وكان ﷺ يقول في دعائه « اللهم إني أَسْأَلُكَ قَلْباً سَلِيْماً » فالقلبُ السليمُ هُوَ السَّالِمُ مِن الآفات والمكروهات كُلّها وهو القَلْبُ الذي ليس فيه سِوُى مَحَبَّةِ اللهِ وخَشْيَتِهِ وخَشْيَةِ مَا يُبَاعِدُ عَنْهُ .

وقد اكتفى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بِذِكْرِ سَلاَمةِ القَلْبِ لِأَنَّ القَلْبُ إذا صَلَحَ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُهُ كما في الحديث وإذا فَسَدَ فَسَدَ الجَسَدَ كُلُه .

ولِأَنَّ القُلُوبَ إذا سَلِمَت سَلمت الجوارحُ اليدُ واللسانُ مِن الأذَى والشرُور وسَلِمَتْ أَمْوَالُ الناسِ وأَرْوَاحُهمْ وأعراضُهم وَقَلَّتِ الشُرورُ والجَرائِمُ والآثامُ. وقِيلَ إنَّ لُقْمَانَ كَانَ عَبْداً حَبَشياً فَدفَعَ إليهِ سَيدُهُ شَاةً وَقَالَ إذبَحْهَا وائتِنيْ بأطيَبِ مُضْغَتَيْنِ مِنهَا فأتاهُ بالقِلْبِ واللّسَانِ ثم بَعدَ أيَّامٍ أَتَاهُ بِشَاةٍ أخْرَى .

وقال له إذْبَحْهَا وأئتني بأخْبَثِ مُضْغَتَين مِنهَا فأتاهُ بالقَلْبِ واللّسَان فسأَلَهُ سَيِّدُهُ عن ذَلكَ فقال هُمَا أَطْيَبُ شَيْيءٍ إذَا طَابَا وأخْبَثُ شيىءٍ إذاَ خَبُثَا .

وذكر العلماء أَنَّ صَلاحَ القَلْبِ :

(١) في قراءة القرآن بالتدبر والتفكر فيه وفيما صح عن النبي ﷺ .
(٢) في تقليل الأكل .
(٣) قيام الليل وإحياؤه بالعبادة .
(٤) التضرع عند السحر .
(٥) مجالسة الصالحين .
(٦) الصمت عما لا يعني .
(٧) العزلة عن أهل الجهل والسفه ومَن فرطت أعمار .
(٨) ترك الخوض مع الناس فيما لا يعني .
(٩) أكل الحلال وهو رأسها فإنه ينور القلب ويصلحه فتزكوا بذلك الجوارح وتُدْرأ المَفَاسِدُ وَتكثر المصالحُ فأكْل الحرام والمشتبه يُصَدِّي القلبَ ويُظْلِمُهُ ويُقَسِّيْهِ وهو من موانع قبول الدعاء .

وقد قيل يخاف على أكل الحرام والشبْهةِ أن لا يُقَبَلُ له عَمَل ولا يُرفعُ دُعاء لقوله تعالى ﴿ **إنما يتقبل الله من المتقين وآكل الحرام والمسترسل مع المشتبهات ليس بمُتَّقٍ على الاطلاق** ﴾ .

روى عن بعض أهل العلم أن الشيطان يقول خصلة من ابن آدم أريدها ثم أخِلّي بَيْنَه وبينَ مَا يُرِيْد مِن العبادة أجْعَلُ كَسْبَهُ مِن غَيْر حَلٍ إنْ تزوَّجَ تَزوَّج مِن حَرَامٍ وإن أفطرَ أفْطَرَ على حَرَامٍ ، وإن حَجَّ حَجَّ مِن حَرَام أ هـ .

فالحذر الحذر من الحرام في طلب القوت ، فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله طيب لا يَقْبَلُ إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحا** ﴾ وقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم** ﴾ .
ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء ويقول : يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِي بالحرام فأنّي يُسْتَجابُ لِذلك .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تليت هذه الآية عند رسول الله ﷺ ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ﴾ .

فقام سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه فقال يارسول الله أدع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال له النبي ﷺ « يا سَعْدُ أطِبْ مَطْعَمَكَ تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده إن العبد لَيَقْذِفُ اللقمة الحرام في جَوْفِهِ ما يُتَقَبَّلُ منه عَمَلٌ أربعينَ يَوْمَا وأيُّما عَبدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِن سُحْتٍ فالنار أوْلَى بِهِ » رواه الطبراني في الصغير .

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال من اشترى ثوباً بعشرة دراهم وفيه درهم من حرام لم يقبل الله عز وجل له صلاة ما دام عليه قال ثم أدخل أصبعيه في أذنيه ثم قال صُمَّتَا إن لم يكن النبي ﷺ سمعته يقوله رواه أحمد .

شِعْرا :

فَإيَّـاك إيَّـاك الرِّبَـا فَلَدِرْهَـمُ ... أَشُدُّ عِقَاباً مِن زِناكَ بِنُهَّدِ
وَتُمْحَقُ أَمْـوَلُ الرِّبَاءِ وَإنْ نَمَتْ ... وَيَرْبُوْ قَلِيْلُ الحِلِّ في صِدْق مَوْعِدِ

وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فصـــــل)

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ .

وقال عز من قائل ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴾ .

وقال جل وعلا ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ﴾ .

وقال جل وعلا ﴿ واتقوا يوما لا تجزى نَفْسٌ عن نفس شيئا ولا يقبل شفاعة ولا يؤخذ عدل ولاهم ينصرون ﴾ .

شِعْـرا : يَا نَفْسُ ما الوَقْتُ إلا مَا عَلِمْتِ فَكَمْ ... أَلَسْت حَدَّثْتني أنِّي أتُوبُ فَلَمْ

إيّاكِ إيَّاكِ مِن سَوْف فكَمّ خَدَعَتْ وَأَهْلَكَتْ أُمَماً مِنْ قَبلِهَا وَأُمَمُ
تُوبِي يَكُنْ لَكِ عِنْدَ اللهِ جَاهَ تُقَى وَقَدِّمِيْ مِنْ فِعَال الصَّالِحِينَ قَدَمْ
يَا رَاقِدٌ لِلْبِلَى حَثَّ المشيْبُ بِهِ أَلاَ فَكُنْ خَائِفاً لا تَقْعُدَنْ وَقُمْ

وعن أبي هرَيرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه جل وعلا أنه قال : «وعِزَّتِي وجَلاَلِي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين إذَا خَافَنِي في الدنيا أَمَّنْتُهُ يومَ القِيامة وإذا أمِنَنِي في الدنيا أَخَفْتُهُ في الآخرة » رواه ابن حبان في صحيحه .

وقال إذا قْشَعَرَّ جِلْدُ العبدِ مِن خَشْيَةِ الله تَحَاتَّت عنه خَطَايَاهُ كَما يَتَحَات عن الشجرةِ الباليةِ وَرَقُها .

وقال الحَسَنُ رضي الله عنه إن الرجلِ لَيُذْنِبُ فما يَنْسَاهُ ولا يَزَالُ مُتَخَوِّفاً حتى يَدْخُلَ الجَنة وقال ابنُ جُبير الخَشْيةُ هِيَ أن تخشَى الله حتى تَحُولَ خَشْيَتُه بينَكَ وبَين مَعَاصِيه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لو يعلم المؤمن ما عند الله مِن العقوبة ما طَمِعَ بجنته أحَدٌ ولو يعلم الكافرُ ما عند الله مِن الرحمة ما قَنَط من رحمته » رواه مسلم .

وعنه قال قرأ رســـول الله ﷺ ﴿ **يومئذ تحدث أخبارهـــا** ﴾ ثم قال « أتدرون ما أخبارها » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول : عَمِلَ كذا وكذا في يوم كذا وكذا فهذِهِ أخبَارُهَا » رواه الترمذي وقال حديث حسن .

عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يؤتى بأنعم أهل الدنيا مِن أهل النار يومَ القيامة فَيُصْبَغُ في النار صِبْغَةً ثم يقال يا ابنَ آدَمَ هَلْ رَأيتَ خَيراً قَطْ هَلْ مَرَّ بكَ نَعيمٌ قط فَيَقُولُ لا والله يارب .

ويُؤْتَى بأشدِّ الناسِ بُؤْساً في الدُنْيا مِن أهل الجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صبْغَةً في الجنة

فيقال يا ابْنَ آدم هَلْ رَأيتَ بُؤْساً قِطْ هَلْ مَرَّ بكَ شِدةٍ قَط فَيَقُولُ والله يا ربِّ ما مَرَّ بي بُؤْسٌ قَطْ ولا رأيْتُ شَدَّةً قَطْ » .

وعنه رضي الله عنه قال خطب رسول الله ﷺ خُطْبَةً ما سَمِعْتُ مِثلَها قَط فقال : « لو تَعلَمونَ مَا أعلم لَضَحِكتُم قليلا ولَبَكيتُم كثيراً » فَغَطّى أصحابُ رسول الله ﷺ وُجُوههم لهم خَنِيْن ، رواه البخاري ومسلم .

وعن أنس قال « إنكم لتعْمَلُون أعمالًا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نَعُدُّها على عهد رسول الله ﷺ مِن المُوبقات ، رواه البخاري .

وعن أبي يعلى شَدّاد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ألكَيِّسُ مَن دَانَ نفسه وعَمِلَ لِما بَعْدَ الموت والعَاجِز من أتبع نَفْسَه هواها وتمنى على الله الأماني » رواه الترمذي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « قارِبُو وسَدِّدُوا واعْلَمُوا أنَّهُ لَنْ يَنْجُوا أحَدٌ منكم بعمله » قالوا ولا أنت يارسول الله قال « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة وفضل » رواه مسلم .

فيا عبادَ الله مَن خافَ الله جَلَّ وعَلَا في دُنياهُ أمَّنَهُ الله في أخْرَاه ولو آمَنَ الإنسانُ حَقاً بالله الواحد الأحد الفرد الصمد وجزم يَقْيْناً بما بعد الحياة مِن الجنة والنار وما أعد الله لأهلهما إجمالاً وتَفصيلاً .

ولو خاف وعيد الله كما يخاف وعيد أحد الأشرار لما اجْتَرأ يَوماً أنْ يتخطى شريعةَ الله أو يَنتَهِكَ مَحارمَ الله التي حذره مِن تخطيها بقوله عز وجل ﴿ **ومن يعصي الله ورسوله ويَتَعَدَّى حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين** ﴾

وقوله تعالى ﴿ **تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدى حدود الله فأولئك هم الظالمون** ﴾ .

فاتق الله أيها المسلم وعظ نفسك في كل وقت بما بعده من الشدائد

والكروب والعقبات وحاسِبْ نفسَك على كل ما تَقْتَرِفُه وتَفعلُه من السيئات وإتخذ من تقوى الله ستراً يقيك من غضب الله وعذابه .

فما أسعد من جعل التقوى رأس ماله وما أرشد مَن رَاقَبَ الله في جميع أحواله فيا وَيْحَ مَن نسي الآخرة وأجهد نفسَه في طلب الدنيا وكان بها جُلّ اشتغاله .

أما وعَظه مَن رَحَل مِن أعمامه وأخواله فالعَجَبُ مِمَّنْ أفْصَحَتْ له العِبَرُ ولَيْسَ عنده سَمْعٌ ولا بَصَرٌ أَيْبْكِيْ فاقدُ الإلِفِ ويَنْسَى نَفْسَهُ ، أينَ مَضَى رُفَقَاؤنَا أيْنَ ذَهَبَ مَعارِفُنَا وأصْدِقَاؤُنا ، هذه دُوْرُهُم فيها سِواهُم ، وهذا مُحبُّهم قَدْ نَسيَهُم وَجَفَاهُم .

فتفكرُو إخْوَانِي في الراحِلين واعتبروا بالسَّالِفين وتأملُوا في البَصَائر حَالَ الدَّفِين وتأهَّبُوا فأنتم في أثر الماضِين .

فيامُطْلَقاً إذكُر قُيودَهُم ويا مُتحرِّكاً قَدْ عَرَفْتَ هُمُودَهُم فَخلِصْ نَفْسَكَ مِن أسْرِ الذُنُوب وتَأهَّبْ لِخَلاصِكَ فإنَّكَ مَطْلُوب وتذكَّرْ بقِلْبِكَ يومَ تَقَلُّبَ القُلوب .

واحْذَرْ حَسْرَاتَ الموت عندَ انقضاء المُدة واحْذر تَسْوِيْفَ الذين ذَهبُوا وما تَأهَّبُوا .

فكأني بِكَ أيها الغافِل في لَهْوه ولَعِبِهِ الرافِلُ في أثوابِ غَيِّه وطَرَبِهِ السَاعِي في مَعْصِيَةِ رَبهِ وغَضَبِه فلم يَشْعُر إلا وقد نَزَلَ بِهِ مِن الموتِ أسْبَابُ عَطَبِهِ .

فَدَبَّتْ الأمراضُ في جَسَدِه وأبْدِلَ مِن لَذِيْذِ العَيشِ بمُرِّ السُّقم ونَكَدِهِ وانْتَزَعَتْهُ المنُونُ مِن مَالِه وأهلِهِ وولدِه .

فزُوِّدَ مِن مَالِهِ كَفَنَا واعْتَاظَ عن القُصُور مَحَلَّةَ الأمْوَاتِ وطَنَا يَتمنى الرجْعَةَ إلى الدنيا لِيَجْتَهدَ في الأعمال الصالحاتِ فَيُقالُ له هَيْهَاتَ هيهات حِيلَ بَيْنَكَ وبينَ الأعمالِ النافِعَات .

ألم يأتِكَ خَبرُ هذا المَصيْر ألمْ تسمع قول أصدق القائِلين ﴿ أو لم **نُعَمِّرْكُم مَا يَتَذَكَّر فيه مَن تذكر وجاءكم النذير** ﴾ فاحْذَرْ أن تكونَ مِمَّنْ يَتَمَنَّونَ الرجْعَة فلا يَقْدِرُوْنَ ولا يُجَابُون .

أنشد رجل من أهل الزهد هذه الأبيات :

ويَــومَ تَرى الشمسَ قَدْ كُورتْ ... وفِيــهِ تَرى الأَرْضَ قَدْ زُلْـزِلَتْ
وفيـــــه ترى كلُ نفسٍ غداً ... إذا حُشِر النّـــــاس ما قَدمتْ
أترقــد عينـاك يا مُذْنبـــــا ... وأعمـــــالك السوء قد دُونَتْ
فإمّـــال سعيـــدٌ إلى جنـــةٍ ... وكَفّـــاه بالنـــورِ قد خُضبتْ
وإمّـــا شقـــيّ كُسى وجهـــه ... سواداً وكَفّـــاه قد غُلِـــلَتْ

آخر : صَرَفْتُ إلى رِبِّ الأنامِ مَطَالبـــي ... وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَهُ وَمآرِبي
إلى المَلِكِ الأعْلَى الذَي ليسَ فَوقَهُ ... مَلِيْكٌ يُرَجَّى سَيْبُهُ في المتَاعِـــبِ
إلى الصَّمَدِ البَرِّ الذي فَاضَ جُوْدُهُ ... وعَمَّ الوَرَى طُراً بجَزْلِ المَـــوَاهِبِ
مُقِيْلِيْ إذا زَلَّتْ بِي النَّعْلُ عَاثِراً ... وأَسْمَحَ غَفَّارٍ وأَكْرامَ وَاهِبِ
فَما زَالَ يُوْلِيْني الجَمِيْلَ تَلَطُّفـاً ... ويَدْفَعُ عَنِّي في صُدُورِ النَّوائِـــبِ
ويَرْزُقُنِي طِفْلاً وكَهْـلاً وقَبْلَهَـــا ... جَنِيْناً ويحْمِيْنِي وَبِيَّ المكَاسِـــبِ
إذا أغْلَقَ الأمْلاكُ دُوْني قُصُورَهُمْ ... ونَهْنَهَ عن غِيْشَانِهم زَجْرُ حَـــاجِبِ
فُزِعْتُ إلى بَابِ المُهَيْمِنِ طَـارِقـاً ... مُدِلاً أُنَادِي بإسْمِهِ غيْرَ هَـــائِبِ
فَلمْ أُلْفِ حُجَّاباً وَلم أخْشَ مِنْعَـــةً ... ولو كَان سُؤْلِيْ فَوْقَ هَامِ الكَوَاكِبِ
كرِيْمٌ يُلَبِّيْ عَبْدَهُ كُلَّمَـــا دَعَـــا ... نَهَـاراً ولَيْـلاً في الدُجَى وَالْغَيـاهِبِ
سَأسْألَهُ مَا شِئْتُ إنَّ يَمِيْنَـــــهُ ... تَسحُّ دفاقاً باللّهَى والرَّغَـــائِبِ
فَحَسْبِيَ رَبِيْ في الهَرَّاهِزِ مَلْجَـــأً ... وحِرْزاً إذا خِيْفَتْ سِهَـــامُ النَّوائِبِ

اللهم هَبْ لنا ما وَهَبْتَهُ لِعبادك الأخيار وأنظمنا في سِلك المقربين والأبرار وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وأغفر لنا ولوالدينا اللّهُمَّ يا حَيّ يا قَيُومُ يا مَنْ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ مَكِّنْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا

وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وَأَعِنَّا على القِيَامِ بِطَاعَتِكَ وَالانْتِهَاءِ عَنْ مَعْصِيَتِكَ اللهُم افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ والاجَابَةِ فَإِنَّا نَدْعُوكَ دُعَاءَ مَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ وَتَصَرَّمَتْ آمَالُه وبقِيَتْ آثامُه وَانْسَبَلَتْ دَمْعَتُه وَانْقَطَعَتْ مُدَّتُه دُعَاءَ مَنْ مالِكَسْرِهِ جَابراً إلاَّ أَنْتَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وصَلَّى الله عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِينَ .

فصل عن إبراهيم التيمي قال يَنبَغِي لِمَنْ لا يَحْزَنْ أن يَخَافَ أن يكون مِن أهل النار لأن أهل الجنة قالوا « الحمد لله الذي أذْهَبَ عنا الحَزَنَ » ويَنْبَغِي لِمن لم يُشْفِقْ أن يَخافَ أن لا يكون مِن أهل الجنة لِأَنَّهمُ قالوا « إنا كنا قَبْلُ في أهْلِنَا مُشْفِقِين » .

وعن الفضيل بن عياض قال قِيل لِسُليمان التيمي أنْتَ وأنْتَ أيْ يُثْنُونَ عليه قال لا تقُولوا هكذا فإني لا أدْرِيْ ما يَبْدُوْ لِيْ مِن رَبي عز وجل سَمِعْتُ الله عز وجل يقول ﴿ وبَدَالهم مِن الله ما لم يكونوا يَحْتَسِبُون ﴾ وإني أخْشَى أن يَبدو لي مِن الله ما لم أكن أحْتَسِبْ .

وعن عكرمة عن محمد بن المنكدر أنه جَزِعَ عِندَ الموتِ فَقِيْلَ لَهُ لِمَ تَجْزَعْ فقال أخْشَى آيةً مِن كتاب الله عز وجل قال الله تعالى ﴿ وبَدا لهم مِن الله ما لم يَكونُوا يَحْتَسِبُون ﴾ وإني أخْشَى أن يَبْدُو لي مِن الله ما لم أكُنْ أحْتَسِبْ.

قلت وفيه آيات أخرى يَنْبغي أن تكون نصب عيني العاقل اللبيب وذلك قوله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قَضَى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ وقوله تعالى ﴿ يومَ تَبْلُو كلُ نَفْسٍ ما أسْلَفَتْ ﴾ وقوله ﴿ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ الله وإنْ كُنْتُ لمِنَ السَّاخِرين ﴾ .

وقال عبدُ الأعلى التَّيْمِي شَيْئان قطعَا عَني لَذَّةَ الدنيا ذِكرُ الموت والوقوفُ بينَ يدي الله عز وجل .

وعن أبي إسحاق قال أوَى أبوُ مَيْسَرة عَمرو بن شُرحبيل إلى فراشه فقال ياليتَ أمِّي لم تَلِدْني فقالت له إمرأتُه أبا مَيسَرَة أليسَ الله قد أحسنَ إليكَ هَدَاكَ للإسلام وفَعَلَ بكَ كذا قال بَلى ولكن الله أخبرنا أنا وارِدونَ على النار ولم يُبيِّن لنَا أنَّا صادِرُون عنها .

شِعْرًا :

هَلِ الوَقْتُ إلاَّ مَا عَرَفْنَا وَأَدْرَكْنَا ... فَجَائِعُهُ تَبْقَى وَلَذَّاتُهُ تَفْنَى
إِذَا أَمْكَنَتْ فِيهِ مَسَرَّةُ سَاعَةٍ ... تَوَلَّتْ كَمَرِّ الطَّرْفِ وَاسْتَخْلَفَتْ حُزْناً
إِلَى تَبُعَاتٍ فِي المَعَادِ وَمَوْقِفٌ ... نَوَدُّ لَدَيْهِ أَنَّنَا لَمْ نَكُنْ كُنَّا
حَصَلْنَا عَلَى هَمٍّ وَإِثْمٍ وَحَسْرَةٍ ... وَفَاتَ الذِي كُنَّا فَلَذَّ بِهِ عَنَّا
كَأَنَّ الذِيْ كُنَّا نُسَرُّ بِكَوْنِهِ ... إِذَا حَقَّقَتْهُ النَّفْسُ لَفْظٌ بِلَا مَعْنَى

وقال الحسنُ إنّ المؤمِنَ يُصبِحُ حَزيناً ويُمْسي حَزيناً ويَنقلبُ باليقين في الحُزْن ويَكفيه ما يَكفِي العُنَيْزة الكفُ من التمرِ والشَّربَةُ من الماء .

وقال حبيبُ ابن أبي ثابت ما استقرضتُ من أحد شيئا أحبُّ إلى من نَفْسي أقولُ لها أمْهِلِي حتى يَجيء مِن حيثُ أحِبُّ .

شعــــراً :

إذا رُمتَ أنْ تَستَقْرِضَ المالَ مُنْفِقاً ... على شهواتِ النَّفْسِ في زَمَنِ العُسْرِ
فَسَلْ نَفْسَكَ الإنفاقَ مِن كَنْزِ صَبْرِها ... عَلَيْكَ وإنْضاراً إلى زَمَنِ اليُسْرِ
فإن فَعَلَتْ كُنْتَ الغَنِيَّ وإن أبَتْ ... فكُلّ مَنُوع بَعْدَها واسِعُ العُذْرِ

وقال الثَّوري ما ضرَّهُم ما أصابَهُم في الدنيا جَبَرَ الله لهم كلّ مُصيبَةٍ بالجنة . وسأل رجل سفيان الثوري فلم يكن معه ما يعطيه فبكى سفيان فقال له مسعر بن كدام ما يبكيك قال وأي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه عندك .

وبكَى ثابتُ حتى كَادَتْ عَيْنُه تَذْهَب فجاؤا برجَل يُعَالجها فقال الرجُلُ أعَالِجُها علىَ أن تطيْعَني قال وَأيُ شيءٍ قال عَلى أن لا تَبْكِي قال فما خَيْرهُما إن لم تَبْكِيَا وَأبَى أنْ يُعَالِجَهَا .

وكان شقيقُ بنُ سلمــة إذا صَلى في بَيتِهِ يَنْشُجُ نشيْجاً – أي يخشع ويبكي – ولو جُعِلت له الدنيا على أن يَفْعَلَهُ وأحَدٌ يَسْمَعُهُ أو يَراهُ ما فَعَلَهُ – أي يَخْشَى من الرِيَاء . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

وقال بعضهم يخاطب نفسه ويوبخها على تفريطها واهمالها :

يـا نَفْسُ هَـذَا الـذِيْ تَـأْتِيْنَـهُ عَجَبٌ
عِـلْمٌ وَعَـقْـلٌ ولا نُـسْـكٌ وَلَا أَدَبُ
وَصْفُ النِّفَـاقِ كَمَـا في النَّصِّ نَسْمَعهُ
عِلْمُ اللِّسَـانِ وَجَهْـلُ القَلْبِ والسَّبَبُ
حُبُّ المَتَـاعِ وَحُبُّ الجَـاهِ فـانْتَبِهِي
مِن قَبْلُ تُطوى عَلَيْكَ الصُّحفُ والكُتُبُ
وَتُـصْبِحِيْـنَ بِـقَـبْـرٍ لَا أَنِـيْسَ بِـهِ
الأَهْـلُ والصَّحْبُ لَمَّـا أَلْحَـدُوْا ذَهَبُـوْا
وَخَـلَّفُـوكِ وَمَـا أَسْلَفْـتِ مِـن عَـمَـلٍ
المَـالُ مُسْتَـأْخِـرٌ والكَسْبُ مُضْـطَحَبُ
واسْتَيْقِنِي أَنَّ بَعْـدَ المَـوْتِ مُجْتَمَعـاً
لِلْعَـالَمِيْنَ فَتَـأْتِيْ الـعُجْمُ والعَـرَبُ
والخَلْقُ طُـراً وَيَجْـزِيْهِمْ بِمَـا عَـمِلُوْا
في يَـوْمٍ لا يَنْفَـعُ الأَمْـوَالُ والحَسَبُ
وَاخْشَيْ رُجُـوْعاً إلى عَـدْلٍ تَـوَعَّـدَ مَنْ
لَا يَتَّقِـيْـهِ بِنَـارٍ حَشْـوُهَـا الغَـضَبُ
وَقُـوْدُهَـا النَّـاسُ والأَحْجَـارُ حَـامِيَـةٌ
لَا تَـنْـطَفِيْ أَبَـدَ الآبَـادِ تَـلْتَـهِـبُ
والبُعْـدِ عَن جَنَّـةِ الخُلْدِ التِي حُشِيَتْ
بِـالـطَّيِّبَـاتِ ولا مَـوْتٌ ولا نَـصَـبُ
فِيْهَـا الـفَـوَاكِـهُ والأَنْهَـارُ جَـارِيَـةٌ
والنُّـوْرُ والحُـوْرُ والـوِلْـدَانُ والقُبَـبُ

وَهَـذِهِ الـدَّارُ دَارٌ لا بَـقَـاءَ لَـهَـا
لَا يَفْتِنَنَّـكِ مِنْهَـا الـوَرْقُ والـذَّهَـبُ
والأَهْـلُ والمَـالُ والمَـرْكُـوبُ تَـرْكَبُـهُ
والثَّـوبُ تَلْبَسُـهُ فـالكُـلُ يَنْـقَـلِبُ
لا بَارَكَ اللهُ في الدُنْيَـا سِوَى عَـوَضٍ
مِنْهَـا يُعَـدُّ إِذَا مَـا عُـدَّتِ القُـرُبَ
يُـرِيْـدُ صَـاحِبُـهُ وجْـهَ الإِلٰـهِ بِـهِ
دُوْنَ الـرِّيَـا إِنَّـهُ التَّلْبِيْسُ والكَـذِبُ
لَا يَقْبَـلُ اللهُ أَعْمَـالاً يُـرِيْـدُ بِـهَـا
عُمَّـالُهَـا غَيْـرَ وَجْـهِ اللَّهِ فَـاجْتَنِبُـوْا
تَمَّتْ وَصَلُّوا عَلَى المُخْتَـارِ سَيِّـدِنَـا
والآل والـصَّحْـبِ قَـوْمٌ حُبُّـهُـمْ يَـجِـبُ

ومما أشير فيه الى بعض المعجزات التي وردت في القرآن ما يلي :

هُـو اللهُ مَن أَعْـطَى هُـدَاهُ وَصَـحَّ مِن
هـواه أراه الـخَـارِقَـاتِ بِـحِـكْـمَـةِ
بِـذَاكَ عَلى الـطُّوفَـانِ نُـوْحٌ وَقَـدْ نَجَـا
بِـهِ مَنْ نَجَـا في قَـوْمِـهِ في السَّفِيْنَـةِ
وَغَـاضَ لَـهُ مَـا فَـاضَ عَنْـهُ اسْتِجَـابَةً
وَجَـدَّ إلى الجُـوْدِيْ بِهَـا وَاسْتَقَـرَّتِ
وَسَـارَ ومَتْنُ الـرِّيْـحِ تَحْتَ بِسَـاطِـهِ
سُلَيْمَـانُ بِـالجَيْشَيْن فَـوْقَ الـبَسْـطَة
وَقَبْـلَ ارْتِدَادِ الـطَّرْفِ أُحْضِرَ مِنْ سَبَـا
لَـهُ عَـرْشُ بِلْقِيْسٍ بِغَيْـرِ مَشَـقَّـةِ

وَأَخْمَدَ لإبْرَاهِيْمَ نَارَ عَدُوِهِ
وَفي لُطْفِهِ عَادَتْ لَهُ رَوْضَ جَنَّةِ
وَلَمَّا دَعَا الأَطْيَارَ في رَأْسِ شَاهِقٍ
وَقَدْ قُطِعَتْ جَاءَتْهُ غَيْرَ عَصِيَّةِ
وفي يَدِهِ مُوسَى عَصَاهُ تَلَقَّفَتْ
مِنَ السِّحْرِ أهْوَالاً عَلَى النَّفْسِ شَقَّةِ
وَمِنْ حَجَرٍ أَجْرَى عُيُوناً بِضَرْبَةٍ
بِهَا دَائِماً سَقَت وَلِلْبَحْرِ شَقَّتِ
وَيُوسُفُ إذ أَلْقَى البَشِيْرُ قَمِيْصَهُ
عَلَى وَجْهِ يَعْقُوبٍ عَلَيْهِ بِأَوْبَةِ
رَآهُ بِعَيْنٍ قَبْلَ مَقْدَمِهِ بَكَى
عَلَيْهِ بِهَا شَوْقاً إليه فَكَفَّتِ
وفي آلِ إسْرَائِيلَ مَائِدَةُ السَّمَا
لِعِيْسَى بنِ مَرْيَمْ أُنْزِلَتْ ثُمَّ مُدَّتِ
وَمِنْ أَلَمٍ أَبْرَى وَمِنْ وَضَحٍ غَدَا
شَفَى وَأَعَادَ الطَّيْرَ طَيْراً بِنَفْخَةِ
وَصَحَّ بِأَخْبَارِ التَّواتُرِ أَنَّهُ
أَمَاتَ وَأَحْيَا بالدُّعَا رَبَّ مَيِّتِ
وَأَبْعَدُ مِن هَذَا عَنِ السِّحْرِ أَنَّهُ
رَضِيْعٌ يُنَادِي بِاللِّسَانِ الفَصِيْحَةِ
يُنَزِّهُ عن ريبِ الظُّنُونِ عَفِيْفَةً
مُبَرَّأةً مِن كُلِّ سُوْءٍ وَرِيْبَةِ

وقـال لأهْـلِ السَّبْتِ كُـونُـوا إلَهُنَـا
قُـرُوْداً فـكَـانُـوا عِـبْـرَةً أيَّ عِـبْـرَةِ
وَصَـرَّعَ أَهْـلَ الفِيْـلِ مِن دُوْنِ بَيْتِـهِ
بِـطَيْـرِ أَبَـابِيْـلٍ صِغَـارٍ ضَعِيْفَـةِ
وأَحْـرَقَ رَوْضَ الـجَنَّتَيْنُ عُـقُـوبَـةً
بِـكَـافٍ وَنُـونٍ عِـبْـرَةً لِـلْبَـرِيَّـةِ

وقال يُوْسُفُ بنُ مُحَمَّدٍ الصَّرْصَري رحمه اللهُ :

مُـحَمَّـدُ الـمَبْـعُـوْثُ لِلْخَلْقِ رَحْـمَـةً
يُـشَيِّـدُ مَـا أَوْهَـى الضَّـلاَلُ وَيُـصْلِحُ
لَئِنْ سَبَّحَتْ صُـمُّ الجِبَـالِ مُجِيْبَـةً
لِـدَاودَ أَوْ لانَ الـحَـدِيْـدُ المُـصَفَّـحُ
فـإنَّ الصُّخُـورَ الـصُمَّ لانَـتْ بِكَـفِّـهِ
وإنَّ الـحَـصَـى فـي كَـفِّـهِ لَـيُـسَبِّـحُ
وإنْ كَانَ مُوسَى أَنْبَعَ الْمَاءِ مِن الْحَصَى
فَمِنْ كَفِّـهِ قَـدْ أَصْبَحَ المَـاءُ يَـطْفَحُ
وإنْ كـانَتِ الـرِّيْـحُ الـرُّخَـاءُ مُـطِيْعَـةً
سُلَيْمَـانَ لا تَـأْلُـوْ تَـرُوْحُ وَتَـسْـرَحُ
فـإنَّ الصَّبَـا كَـانَـتْ لِنَـصْـرِ نَبِيِّنَـا
بِـرُعْبٍ على شَهْـرٍ بِـهِ الخَصْمُ يَكْلَحُ
وإنْ أُوْتِيَ المُلْكَ العَـظِيْمَ وَسُخِّـرَتْ
لَـهُ الجِنُّ تَشْفِي مَـا رِضِيْـهِ وَتَـلْدَحُ

فـإنَّ مَفَـاتِيْـحَ الكُنـوزِ بِـأَسْـرَهـا
أَتَـتْـهُ فَـرَدَّ الـزَّاهِـدُ المُـتَـرَجِّـحُ
وإنْ كـانَ إبـراهـيـمُ أُعْـطِيَ خُـلَّةً
وَمُـوسَى بِتَكْلِيْمٍ عَلَى الـطُورِ يُمْنَـحُ
فَـهـذَا حَبِيْـبٌ بَـلْ خَـلِيْـلٌ مُكَلمٌ
وخُصِّصَ بـالـرُؤْيَـا وبـالحَقِ أَشْـرَحُ
وَخُصِّصَ بـالحَـوْضِ العَـظِيْمِ وبـاللِّوَا
وَيَـشْـفَـعُ لِـلْعَـاصِيْـنَ والنَّـارُ تَـلْفَـحُ
وبــالمَقْعَـدِ الأَعْلَى المُقَـرَّبِ عِـنْـدَهُ
عَـطَـاءٌ بِـبُـشْـرَاهُ أُقِـرُّ وَأَفْـرَحُ
وبــالـرُتْبَـةِ العُلْيَـا الـوَسِيْلةِ دُوْنَهَـا
مَـرَاتِـبُ أَرْبَـابِ المَـوَاهِـبُ تَـلْمَـحُ
وفـي جَـنَّـةِ الـفِـرْدَوْسِ أَوَّلُ دَاخِـلٍ
لَـهُ سَـائِـرُ الأَبْـوَابِ بـالخَيْرِ تُفْتَـحُ

اللَّهُمَ وَفِّقْنَا لِاتِّباعِ الهُدَى وجنبنا أسبا الهلاك والشقا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(قصص رائعـــــة)

عن بلال بن رباح قال : ما كانَ لِرَسُولِ الله ﷺ شَيءٌ إلاَّ أنَا الذّي كُنت أَلِي ذلِكَ مَنْهُ مُنْذُ بَعَثَهُ اللهُ إلى أنْ تُوفِي ، فكان إذَا أَتَاهُ الإِنْسَانُ المُسْلِم فَرآه عَائلاً ، يأمرني فأنْطَلق فأَسْتَقْرِض فأَشْتَرِي البُرْدَةَ والشَّيءَ فأكْسُوهُ وأطعمهُ، حتَّى إعترَضَنِي رَجُلٌ من المُشْرِكينَ فقالَ : يا بِلالَ ،إنَّ نَدِي عِندي سعة فلا تَسْتَقْرِضْ مِن أَحَدٍ إلاَّ مَنِّي فَفَعَلْتُ .

فَلَمَّا كانَ ذَاتَ يَومٍ ، تَوضَّأتُ ثُمَّ قُمتُ لِأؤذِّنَ بالصَّلاةِ فإذَا المُشْرك في

عِصَابةٍ مِن التُّجار ، فَلمَّا رَآني قالَ : يا حَبَشِي ، قُلتُ : يا لبَّيْهِ ؛ فَتَجَهَّمَنِي ، وقَالَ قَولاً عَظِيماً - أَوْ غَلِيْظاً - وقال : أَتَدْرِي كَمْ بينَكَ وبين الشَّهْر ؟ قلتُ : قريب .

قالَ : إنمَّا بينَكَ وبينَهُ أَرْبَع لَيالٍ ، فآخذكَ بالذَّي لي عَلَيْكَ ، فإنِّي لَمْ أُعْطِكَ الذَّي أَعْطَيْتُكَ من كَرَامَتِكَ ولا من كَرَامَةِ صَاحِبِكَ ، وإنَّما أَعْطَيتُكَ لِتَصيرَ لي عَبْداً فأَذَرُكَ تَرعَى في الغَنَم كَما كُنْت قبلَ ذَلِك .

فأَخَذَني في نَفْسي ما يأخُذُ في أَنْفُسِ النَّاسِ ، فانْطَلقتُ فنَاديتُ بالصَّلاةِ ، حتَّى إذا صَلَّيْتُ العَتَمَةَ ، ورَجَع رسولُ الله ﷺ إلى أَهْلِهِ ، فاسْتَأْذَنْتُ عليهِ فأذِن لي .

فقلتُ : يا رسولَ الله بأبي أنتَ وأُمِّي إنّ المُشْرِكَ الذَّي ذَكرتُ لكَ أَنِّي كُنتُ أَتدَيَّن منهُ قد قالَ كَذَا وكَذَا ، وليسَ عِنْدَكَ ما يَقْضِي عنِّي ولا عِنْدِي ، وهو فَاضِحِي ، فأذَن لي أن آتي إلى بَعْضِ هَؤلاءِ الذَّينَ قَد أَسْلَموا حتَّى يَرْزُقَ اللهُ رسولَهُ ﷺ ما يَقْضِي عنِّي .

فَخَرَجتُ حتَّى أَتَيْتُ منزِلي فَجَعَلْتُ سَيفي وجِرَابي ورُمْحي ونَعْلي عندَ رأسِي ، فاسْتَقْبَلْتُ بوجهي الأُفُقَ فكُلمَّا نِمْتُ انْتَبَهْتُ ، فإذَا رَأَيْتُ عَلَيَّ ليلاً نِمتُ حتَّى انشَقَّ عَمودُ الصُّبْحِ الأوَّل فأَرَدتُ أنْ أَنْطَلِق .

فإذا إنْسَانٌ يدعو : يا بِلال أَجِبْ رسولَ الله ﷺ فانْطَلقتُ حتَّى آتِيَه ، فإذَا أَربعُ ركَائِب عَلَيهِنَّ أَحْمَالَهُنَّ ، فأَتَيْتُ رسولَ الله ﷺ فاسْتَأْذنتُ فقالَ لي رسولُ الله ﷺ : أَبْشِر ، فَقد جاءَكَ اللهُ بقَضَاءِ دينِكَ ، فَحمدتُ الله .

وقَالَ : أَلم تمرَّ على الرَّكائِب المُنَاخات الأَرْبَع ؟ قُلتُ : بَلى ، قالَ : فإنَّ لكَ رِقابَهُنَّ وما عَليهِنَّ - فإذَا عَلَيْهِنَّ كِسْوَة وطَعَام أَهْدَاهُنَّ له عَظِيم فَدَك - فاقْبَضْهُنَّ إليكَ ، ثُمَّ اقْضِ دينَكَ .

فَفَعَلتُ فَحطَطْتُ عنهُنَّ أَحْمَالَهنَّ ثُمَّ عَلفتهنَّ ، ثُمَّ عمدتُ إلى تَأذِينِ صَلاةِ الصُّبحِ ، حتَّى إذَا صَلَّى رسول الله ﷺ ، خَرجتُ إلىٰ البَقِيع ، فَجعلتُ

أُصبعي في أُذني فقلتُ : مَنْ كانَ يطلُبُ مِنْ رسولِ الله ﷺ دَيْناً فلْيَحْضُر .

فما زِلتُ أُبيعُ وأُقْضِي وأعرض حتَّى لم يبقَ على رسولِ الله ﷺ دَيْنٌ في الأَرْضِ ، حتَّى فَضُل عِندي أوقيَّتان أو أوقيَّة ونِصْف ، ثُمَّ انطَلَقْتُ إلى المَسْجِد، وقد ذَهَب عامَّةُ النهَّار ، فإذَا رَسولُ الله ﷺ قَاعِدٌ في المَسْجِد وَحْدَهُ ، فسَلَّمتُ عليهِ .

فقالَ لي : ما فَعَل ما قبلكَ ؟ قُلتُ : قد قَضَى اللهُ كُلَّ شَيءٍ كانَ على رَسُولِ الله ﷺ فَلَمْ يَبْقَ شَيء ، قالَ : فَضُلَ شَيء ؟ قُلتُ : نَعَم دِينَارَان ، قالَ: انظُر أن تُريحني منهُما ، فَلَستُ بدَاخِلٍ على أُحَدٍ من أَهْلي حتَّى تُرِيحني مِنْهُما .

فلَمْ يأتِنَا أَحَدٌ ، فباتَ في المَسْجِد حتَّى أُصْبَحَ ، وظَلَّ في المَسْجِد اليَوْم الثَّاني حتَّى إذَا كانَ في آخِرِ النَّهار جاءَ رَاكِبانِ ، فانْطَلَقتُ بهما فَكَسَوْتُهُمَا وأطْعَمْتُهُمَا ، حتَّى إذَا صَلَّى العَتَمَة دَعَاني ، فقالَ : ما فَعَلَ الذَّي قبلكَ ؟

قُلتُ : قَدْ أَرَاحَكَ اللهُ مِنْهُ ، فكَبَّر وحَمِدَ الله شَفقاً من أَنْ يُدْرِكَهُ المَوت وعِنْدَهُ ذَلِكَ ، ثُمَّ اتبعته حتَّى جاءَ أَزْواجه فسَلَّم على إمرأةٍ إمرأةٍ حتى أتَى مَبِيتَهُ .

اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وعَمَلَنا مِن الرِّيَاءِ وألسُنَنَا مِن الكَذِبِ وأعْيُنَنَا مِن الخِيَانَةِ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنا ولِجَمِيع المُسْلِمِين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وصَلَى اللَّهُ على مُحَمّد وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِين .

(فصــل)

عن عبدالله بن عمر قال : بَعَثَ رسولُ الله ﷺ جَيْشاً فيهم رَجُلٌ يُقَالُ لهُ « حُدَيْر » ، وكانَتْ تِلكَ السَّنَة قد أَصَابَتْهُمْ سَنَة من قِلَّةِ الطَّعَام ؛ فَزَوَّدهم رسولُ الله ﷺ ونَسِيَ أَنْ يُزَوِّد حُدَيراً .

فَخَرَجَ حُدَيْرٌ صَابِراً وهُوَ في آخِر الرَّكْب يقولُ : لا إِلَهَ إلاَّ الله ، واللهُ أَكْبَر ، والحمدُ لله ، وسُبْحَانَ الله ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله ، ويَقُول : نِعْمَ الزَّاد هو يا رب ؛ فَهُو يُرَدِّدهَا ، وهُوَ في آخرِ الرَّكبِ .

فجاءَ جِبْريلُ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ لَهُ : إنَّ رَبِّي أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ يُخْبِرُكَ أَنَّكَ زَوَّدتَ أَصْحَابَكَ ونَسِيتَ أَنْ تُزَوِّدَ حُدَيراً ، وهُوَ في آخِرِ الرَّكبِ يَقُولُ : لا إله إلاَّ الله ، والله أكبر ، وسبحانَ الله ، والحمدُ لله ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلا بالله .

ويقولُ : نِعْمَ الزَّاد هو يا ربَ ؛ فَكَلامهُ ذَلِكَ لَهُ نُورٌ يوم القِيَامَة ما بينَ السَّماءِ والأَرْضِ ، فابْعَثْ إليهِ بِزَادٍ ، فَدَعَا النَّبيُّ ﷺ رَجُلاً ، فَدَفَعَ إليهِ زَادَ ، وأَمَرَهُ إِذَا انْتَهَى إليهِ حَفِظَ عليهِ ما يَقُول ، وإذا دَفَعَ إليهِ الزَّادَ حَفِظَ عليهِ ما يَقُول .

ويقولُ لَهُ : إنَّ رسولَ الله ﷺ يقرَئُكَ السَّلام ورَحْمَة الله ، ويُخْبِرُكَ أَنَّهُ كانَ نَسِيَ أَنْ يزوِّدكَ ، وإنَّ ربِّي تَبَارَكَ وتَعَالى أَرْسَلَ إليَّ جِبْريل يُذَكِّرني بِكَ، فَذَكَّرَهُ جِبْريلُ وأَعْلَمهُ مَكَانَكَ .

فانْتَهَى إليهِ وهُوَ يقُول : لا إله إلا الله ، والله أَكْبَر ، وسُبْحَانَ الله ، والحمدُ لله ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله ، ويَقُول : نِعْمَ الزَّاد هَذَا يا ربّ ؛ فدَنَا منهُ ، ثُمَّ قالَ لَهُ : إنَّ رسولَ الله ﷺ يُقرئكَ السَّلام ورَحْمَة الله .

وقد أَرْسَلَنِي إليكَ بزَادٍ مَعِي ، ويَقُول : إنِّي إنَّما نَسْيْتُكَ ، فأَرْسَلَ إليَّ جبْريلِ مِنَ السَّماء يُذَكِرني بِكَ ؛ فحَمِدَ الله ، وأَثْنَى عليهِ ، وصَلَّى على النَّبيِّ ﷺ ثُمَّ قالَ : الحمدُ لله ربِّ العالَمين ، ذَكَرني رَبِّي مِنْ فوقِ سَبْع سَمَواتٍ ، ومِنْ فَوقِ عَرْشِهِ ، وَرَحِمَ جُوعِي وضَعْفِي .

يارَب كما لمْ تَنْس حُدَيْراً فاجْعَل حُدَيْراً لا يَنْسَاك ؛ فَحَفِظَ ما قَالَ ، ورَجَعَ إلى النَّبيِّ ﷺ فأَخبَرهُ بما سَمِعَ مِنْهُ حينَ أَتَاهُ ، وبما قالَ حِينَ أَخْبَرَهُ ، فقَالَ رسولُ الله ﷺ : أَمَا إنَّكَ لَو رَفَعْتَ رأسَكَ إلى السَّماءِ لَرَأَيْتَ لِكَلامِهِ ذَلِكَ نُوراً ساطِعاً ما بَيْنَ السَّماءِ والأَرْض . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

اللّهُمّ يَا مَنْ لا تَضُرُّهُ المعصيَةُ ولا تَنْفَعُه الطَّاعَةُ أَيقِظْنَا مِنْ نَوْم الغَفْلَةِ وَنَبِّهنْا لِاغْتِنَام أَوْقَاتِ المُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمصَالحِنَا واعْصِمْنَا مِنْ قَبَائحنَا وذُنُوبنا ولا تُؤَاخِذْنَا بِهَا انْطَوَتْ عليْهِ ضَمَائِرُنَا وأَكَنَّتْهُ سَرَائِرُنا مِنْ أَنْواعِ القَبَائحِ

والمَعائِب التي تَعْلَمُها مِنّا واغْفِرْ لَنا ولِوَالِدَيْنَا ولجميع المُسْلِمينَ الاحْيَاءِ مِنهُمْ والميتين بِرَحْمَتِكَ يا أرحَمَ الرّاحِمينَ وصَلى اللّهُ على مُحَمّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِه أجْمعين .

« فَصْـــلٌ »

عن محمود بن لبيد قال : لمَّا أُصِيبَ أُكْحَل سَعْد يومَ الخَنْدَق فَثَقُلَ ، حَوَّلوهُ عندَ إمرأةٍ يقالُ لها رُفَيْدَة ، وكانت تُداوي الجَرْحَى ، فكانَ النَّبيُّ ﷺ إذَا مرَّ بِهِ يقولُ : كيفَ أمْسَيْتَ ؟ وإذَا أَصْبَحَ قالَ : كَيفَ أصْبَحْتَ ؟ فَيُخْبِرُهُ .

حتَّى كانَت اللَّيلة الَّتِي نَقَلَه قَومُه فيها فَثَقُل ؛ فاحتَمَلوه إلى بَنِي الأَشْهَل ، إلى مَنَازِلِهم ، وجاءَ رســـولُ الله ﷺ كمَا كانَ يَسْأَلُ عنه ، وقَالُوا : قَـــد انْطَلَقُوا بِهِ .

فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ وخَرَجْنَا معَهُ ، فأَسْرَعَ المَشْيَ حتَّى تَقطَّعَتْ شسوع نِعَالِنَا ، وَسَقَطَتْ أَرْدِيَتَنَا عن أَعْنَاقِنَـــا ، فَشَكا ذَلِك إليهِ أصحـــابه : يا رسولَ الله ، أَتْعَبْتَنَا في المشْي .

فقالَ : إنِّي أَخافُ أن تَسْبِقَنَا الملائِكَة إليه فتَغْسِلَه كما غَسَلتْ حَنْظَلةَ ، فانْتَهَى رسولُ الله ﷺ إلى البَيْتِ وهُوَ يُغْسَل وأُمُّهُ تَبكِيهِ ، وهِيَ تَقُولُ :

وَيْل أمِّ سَعْدٍ سَعْداً حزامـــةً وَجِـــدًّا

فَقَالَ رسولُ الله ﷺ : كلُّ نائحةٍ تَكذبُ إلا أُمَّ سَعْدٍ .

ثُمَّ خَرَجَ بِهِ ؛ فقالَ لَهُ القَومُ – أو مَنْ شَاءَ الله مِنْهُم – : يا رسولَ الله ، ما حَمَلْنَا مَيِّتاً أخَفَّ علينَا من سَعْد .

فقَالَ : ما يمنَعكُم مِنْ أن يَخِفَّ عَلَيْكُمْ ، وقَد هَبَطَ من الملائِكَةِ كَذَا وكَذَا ، قَد سمَّى عِدَّةً كَثِيرةً لم أحْفَظها ، لم يَهْبِطوا قَطُّ قبل يَوْمِهم ، قَد حَمَلُوه مَعَكُم .

عن الحجاج بن علاط قال قُلتُ لرَسُولِ الله ﷺ : يا رَسولَ الله ، إنّ لِي بمَكَّةَ مَالاً عندَ صاحِبتي أُمّ شَيْبَةَ بنتِ أبِي طَلْحَة ... ومَالاً مُتَفَرِّقاً في تُجَّارِ أهْل مكّة ،فأْذَنْ لي يا رسولَ الله ؛ (فأْذِنَ لي) ، قُلتُ : إنَّهُ لا بُدَّ لي يا رسولَ الله من أنْ أقُول ، قَالَ : قُلْ .

فَخَرَجْتُ حتَّى إذَا قَدِمتُ مَكَّةَ وَجَدْتُ بِثَنِيَّة البَيضاء رِجَالاً من قُرَيش يَتسمَّعون الأخبَار ، ويَسْأَلُونَ عن أَمْرِ رسولِ الله ﷺ وقَدْ بَلَغَهُم أَنَّهُ قد سَارَ إلى خَيْبَر ، وقَدْ عَرفُوا أَنَّها قَرية الحِجَاز ، رِيفاً ومَنَعَةً ورِجَالاً ، فهم يَتَحسَّسُون الأَخْبَارَ ، ويَسْأَلُونَ الرُّكبَان .

فَلمَّا رَأوني قالوا : الحجَّاج بن عِلاط - ولم يَكُونوا عَلِمُوا بإسْلامي - عندَهُ واللهِ الخَبَر ، أَخبِرنا يا أَبَا محمَّد ، فإِنَّهُ قد بَلَغَنَا أَنَّ القَاطِع قد سَارَ إلى خَيْبَر، وهِي بَلَد يَهُود ورِيف الحِجَاز .

قُلتُ : قَدْ بَلَغَنِي ذَلِكَ ، وعِنْدِي من الخَبَر ما يَسُرُّكم ، فالْتَبَطُوا بجَنْبي نَاقَتِي يقولونَ : إيهِ يا حَجَّاج ! قلتُ : هُزِم هَزِيمةً لم تَسْمَعُوا بمِثلِهَا قَطُّ ، وقُتِلَ أَصْحابه قَتْلاً لم تَسْمَعوا بمثلِهِ قَطُّ ، وأُسِرَ محمَّد أَسْراً .

وقَالوا : لا نَقتُله حتَّى نَبْعَثَ بهِ إلى أَهْلِ مَكَّة ، فيَقْتُلُوه بين أَظْهُرِهِم بمَن كانَ أصَاب من رِجَالِهِم ؛ فَقَامُوا وصَاحُوا بِمَكَّةَ ، وقَالوا : قَدْ جَاءَكُم الخَبَرُ ، وهَذَا مُحمَّد ، إنَّمَا تنتظرون أن يُقْدَمَ بهِ عليكُم ، فَيُقْتَل بينَ أَظْهُرِكُمْ .

قُلتُ : أَعِينُوني على جَمْعِ مالي بمكَّة وعلى غُرَمائي ، فإِنِّي أُريدُ أَنْ أَقدَم خَيْبَر ، فأُصِيبَ من فَلِّ محمَّد وأَصْحَابه قَبْل أَنْ يَسْبقَني التُّجَّارُ إلى ما هُنَالِكَ ؛ فَقَامُوا ، فَجَمَعوا لي مالي كأَحَثِّ جَمع سَمِعتُ بِهِ .

وجِئْتُ صَاحِبَتِي فقلتُ : ما لي ، وقَدْ كانَ لي عِنْدَهَا مَالٌ موضُوعٌ ، لعلِّي أَلْحَق بخَيْبَر ، فأُصِيبَ من فُرَصِ البَيْعِ قبلَ أَنْ يَسْبقَني التُّجَّار . فلما سَمِعَ العبَّاسُ بن عبد المطَّلب الخَبَر ، وجاءَهُ عَنِّي ، أقبلَ حتَّى وقَفَ إلى جَنْبي وأَنَا في خَيْمَةٍ من خِيَامِ التُّجَّار .

فقالَ : يا حجَّاج ، مَا هَذَا الخَبَر الَّذي جِئْتَ بهِ ؟ فقُلتُ : وهَلْ عندَكَ حِفْظٌ لمَا وضَعْتُ عِندكَ ؟ قالَ : نَعَمْ ، قُلتُ : فاسْتَأْخِرْ عَني حتَّى أَلْقَاكَ على خَلاءٍ ، فإنِّي في جَمعِ مالي كما ترى ، فانْصَرِفْ عنِّي حَتَّى أَفْرُغ .

حتَّى إذا فَرَغتُ مِنْ جَمْعِ كل شَيءٍ كانَ لي بمَكَّة ، وأَجْمَعْتُ الخُروجَ، لَقِيتُ العبَّاسَ ، فقُلتُ : احفَظ عليَّ حَدِيثي يا أَبَا الفَضْلِ - فـإنِّي أَخْشَى الطَّلبَ - ثَلاثاً ، ثُمَّ قُلْ ما شِئْتَ ، قالَ : أَفْعَل ، قُلتُ : فَإنِّي والله لقد تَركتُ ابنَ أَخِيكَ عَروساً على بِنْت مَلِكِهِم .

ولَقَدْ افتَتَحَ خَيْبَر ، وانتَثَل ما فيهَا ، وصَارتْ لهُ ولأَصْحابِه ، فقالَ : ما تَقولُ يا حَجَّاج ؟ قُلتُ : إي والله ، فاكْتُم عَنِّي ، ولقد أَسْلَمتُ وما جِئتُ إلاَّ لآخُذَ مَالي ، فَرَقاً من أَنْ أُغْلَبَ عليه .

فإذَا مَضَتْ ثلاثٌ فأَظْهِرْ أَمْرَكَ ، فَهُو والله ما تُحبّ . حتَّى إذَا كانَ اليَوْم الثَّالث لَبِسَ العَبَّاسُ حُلَّةً له ، وتَخَلَّق ، وأَخَذَ عَصَاه ثُمَّ خَرَجَ حتَّى أَتى الكَعْبَة ، فَطَافَ بِهَا .

فلمَّا رَأَوه قَالوا : يا أَبا الفَضْل ، هَذَا والله التَّجلُّد لحرِّ المُصِيبَة ، قالَ : كَلاَّ ، والله بالَّذي حَلَفْتُم بِهِ ، لقد افتَتَحَ محَمَّد خَيْبَر وتُرِكَ عَرُوساً على بِنْتِ مَلِكِهِم ، واحْرَزَ أَمْوَالَهُم ومَا فيهَا فأَصبَحَتْ لهُ ولأَصْحَابِهِ .

قَالوا : مَنْ جَاءَكَ بهذَا الخَبَر ؟ قالَ : الَّذِي جَاءَكُمْ بهِ ، ولَقَدْ دَخَلَ عَلَيْكُم مُسْلِماً ، فَأَخذ ماله ، فانطَلَقَ لِيَلحَقَ بمُحمَّدٍ وأَصحابِهِ ، فيَكُونَ معَه ؛ قالوا : يا لعباد الله ! انْفلَتَ عَدُوُّ الله ، أَمَا والله لو عَلِمْنَا لكَانَ لنَا ولَهُ شَأْنٌ ؛ ولم يَنْشَبوا أَنْ جَاءَهُمْ الخَبَرُ بذَلِكَ .

والله أعلم وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« فَصْـــلٌ »

عن أنس بن مالك قال : أَعْرَسَ رسولُ الله ﷺ ، بِبَعْضِ نِسَائه فَصَنَعَتْ أم سُلَيْمٍ حَيْساً ثُمَّ حطَّتْهُ في تَوْرٍ ، فَقالَتْ : اذهَبْ إلى رَسُولِ الله ﷺ وأَخْبِرْهُ أَنَّ هَذَا مِنَّا لَهُ قَلِيلٌ . والنَّاسُ يَوْمَئِذٍ في جَهْدٍ .

فَجِئتُ بِهِ فَقُلتُ : يا رَسُولَ الله بَعَثَتْ بهذا أُمُّ سُلَيم إليكَ وَهِيَ تُقْرِئك

السَّلام وتقول : إنَّ هَذَا مِنَّا لَهُ قَلِيلٌ ، فَنظَرَ إليهِ ثمَّ قالَ : ضَعْهُ في نَاحِيَةِ البَيْتِ ، ثُمَّ قالَ : اذْهَبْ فادْعُ لي فُلانَاً وفُلانَاً ؛ فسَمَّى رِجَالاً كثِيراً .

قَالَ : ومَنْ لقِيتَ من المُسْلِمينَ ، فَدَعوتُ مَنْ قَالَ لي ، ومَنْ لَقِيْتُ من المُسْلِمينَ فَجِئْتُ والبَيْتُ والصُّفَّةُ والحُجْرَةُ مَلاء مِنَ النَّاسِ ... فقالَ لي رسولُ الله ﷺ : جِيء بِهِ ؛ فَجِئْتُ به إليهِ ، فَوضَعَ يَدَهُ عَليهِ ودَعَا وقالَ : ما شَاءَ الله.

ثُمَّ قَالَ : ليَتحلَّق عَشَرَةٌ ويُسمُّوا ولْيَأكُل كلُّ إنْسَانٍ مِمَّا يَلِيهِ ، فَجَعَلوا يُسَمُّونَ ويَأكُلُونَ حَتَّى أكَلُوا كُلُّهُم ، فقالَ لي رَسُولُ الله ﷺ : ارْفَعْهُ ، فجئتُ فأخذتُ التَّورَ ، فَنَظَرْتُ فيهِ فَلا أدْرِي أهُوَ حينَ وضَعتُه أكْثَر أمْ حِين رَفَعْتُهُ !

وتَخلَّف رِجَالٌ يَتحدَّثُونَ في بَيْتِ رَسُولِ الله ﷺ وزَوجُ رسول الله ﷺ الَّتي دَخَلَ بهَا مَعَهُم مُوَلِّيَةٌ وَجْهَهَا إلى الحَائِط ، فأطَالُوا الحَديثَ فَشَقُّوا على رَسولِ الله ﷺ وكانَ أشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً ، ولَوْ عَلِمُوا كانَ ذَلِك عليهم عَزيزاً، فقامَ رسولُ الله ﷺ فَسَلَّمَ علىَ حُجَرِهِ وعلى نِسائِهِ ، فَلَمَّا رَأوْهُ قد جاءَ ظَنُّوا أنَّهم قَدْ ثَقُلوا عَلَيْهِ ابْتَدَرُوا البَابَ ، فَخَرَجُوا .

وَجَاءَ رسولُ الله ﷺ حَتَّى أرْخى السِّتْرَ ، وَدَخَلَ البَيْتَ وأنَا في الحُجْرَةِ ، فَمَكَثَ رَسُولُ الله ﷺ في بَيْتِهِ يَسِيراً ، وَأنْزَلَ اللهُ القُرْآنَ فَخَرَجَ وهو يَقْرَأ هذِه الآيَة : ﴿ يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلوا بُيُوتَ النَّبيِّ إلاَّ أنْ يُؤْذَنَ لَكُم إلى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إنَاهُ ، ولَكِنْ إذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلوا ، فَإذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ولاَ مُسْتَأنِسِينَ لِحَديثٍ إنَّ ذَلِكُم كانَ يُؤْذِي النَّبيَّ فَيَسْتَحِي مِنْكُمْ وَاللهُ لاَ يَسْتَحِي مِنَ الحَقِّ ، وإذَا سَألْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فاسْألُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، ذَلِكُمْ أطْهَرُ لِقُلوبِكُمْ وقُلُوبِهِنَّ ، ومَا كَانَ لكُمْ أنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ ولاَ أنْ تَنكِحُوا أزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أبَداً إنَّ ذَلِكُم كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيماً ، إن تُبْدُوا شَيْئاً أوْ تُخْفُوهُ فَإنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيماً ﴾ ؛ فَقَرَأهُنَّ عليَّ قَبلَ النَّاسِ ، وأنَا أحْدَثُ النَّاسِ بِهِنَّ عَهْداً .

اللهم مَكِّنْ مَحبَّتَكَ في قُلوبِنَا وقَوِّهَا ونَوِّر قُلوبَنَا بنُورِ الايمان وثَبِّتْنا

على قَولِكَ الثابتِ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ وزْحَزِحْنا عنَ النار وأدخِلْنا الجنة دارَ القَرار ومَتِّعْنَا بالنظرِ إلى وجْهِكَ يا أكرم الأكـرمين وأرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فصـــــل)

عن عبد الله بن عباس قال : خَرَجَ أبُو بَكْرٍ بالهَاجِرَةِ ، فَسَمِعَ بذلِكَ عُمَرُ فَخَرَجَ فإذَا هُوَ بأبي بَكْرٍ ، فقالَ : يا أبَا بَكْرٍ ، ما أخْرَجكَ هَذه السَّاعَة ؟ فقال : أخْرَجَني والله ما أجِدُ في بُطُونِنَا مِنْ حَاقِّ الجوعِ .

فقالَ : وأنَا والله ما أخْرَجَني غيُره ، فَبَيْنَما هُمَا كَذَلِكَ إذْ خَرَجَ عليهمَا رسُولُ الله ﷺ فقالَ : مَا أخْرَجَكُمَا هذِهِ السَّاعَة ؟ فقالا : أخْرَجَنا ما نَجِدُ في بُطُونِنَا مِنْ حاقِّ الجُوعِ .

فقال النَّبيُّ ﷺ : وأنَّا والَّذي نَفْسِي بيدِهِ مَا أخْرَجَني غَيْرُه ؛ فَقَامُوا ؛ فانْطَلَقُوا حَتَّى أتْوا بابَ أبي أيُّوب الأنْصاري وكانَ أبُو أيوب ذَكَرَ لرسُولِ الله ﷺ طَعَاماً أو لَبَناً ، فأبْطَأ يومَئذ فَلَمْ يأتِ لحِينِه ، فأطْعَمَهُ أهْلَهُ ، وانْطَلَقَ إلى نَخْلِهِ يَعْملُ فيهِ .

فلَمَّا أتوا بَابَ أبي أيُّوب خَرَجَتْ إمْرأتُهُ فَقَالَتْ : مَرْحَباً برسُولِ الله ﷺ وبِمَنْ مَعَهُ ، فقالَ لَهَا رسُولُ الله ﷺ : فأيْنَ أبُو أيُّوب ؟ فقالَتْ : يأتِيكَ يا نَبيَّ الله السَّاعَة .

فَرَجَعَ رسُولُ الله ﷺ فَبَصُرَ بِهِ أبُو أيُّوب - وهُوَ يَعْمَلُ في نَخْلٍ لَهُ - فَجَاءَ يَشْتَدُّ حتَّى أدْرَكَ رسُولَ الله ﷺ فقالَ : مَرْحَباً بنَبيِّ الله وبِمَنْ مَعَه .

فقال : يا رسُولَ الله ، لَيْسَ بالحِينِ الذي كُنْتَ تَجِيئُني فِيهِ ، فَردَّه ، فَجَاءَ إلى عذق النَّخْلِ ، فَقَطَعَهُ ، فقالَ لَهُ رسُولُ الله ﷺ : ما أرَدْتَ إلى هذا؟ فقالَ : يا رسُولَ الله أحْبَبْتُ أنْ تأكُلَ من رُطَبِهِ وبُسْرِهِ وتمرِهِ وتَذْنُوبه ، ولأذْبَحَنَّ لكَ مَع هَذَا .

فقالَ : إنْ ذَبَحْتَ ، فلا تَذْبحنَّ ذَاتَ دَر ؛ فَأخَذَ عَنَاقاً لَهُ ، أو جَدْياً ؛

فَذَبَحهُ ، وقال لامْرَأتِهِ : اخْتَبِزِي وأُطْبخُ أنَا ، فأنْتِ أعْلَمُ بالخبْزِ ، فَعَمِدَ إلى نصفِ الجَدي فَطَبَخَهُ ، وشَوَى نِصفَه .

فلمَّا أُدْرِكَ بالطَّعامِ ، وُضِعَ بيْنَ يَديْ رسُولِ الله ﷺ وأُصْحابه ، فأخَذَ رسُولُ الله ﷺ مِنَ الجَدي فوضَعَهُ علىَ رَغِيفٍ ، ثُمَّ قالَ : يا أبَا أيُّوب أبلغ بهٰذا فاطمةَ ، فإنَّها لَمْ تُصِبْ مِثْل هَذَا مُنْذ أيَّام .

فلمَّا أكَلُوا وشَبِعُوا قالَ النَّبيُّ ﷺ : خُبزٌ ولَحمٌ وبسرٌ وتمرٌ ورُطَبٌ ، ودَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، ثُمَّ قالَ : هَذَا مِنَ النَّعيمِ الذِي تُسْألُونَ عَنْهُ يومَ القيامَةِ ، فَكَبُرَ ذلِكَ على أصْحابه ، فقالَ رسُولُ الله ﷺ : إذَا أصَبْتُم مِثْلَ هذا ، وضَرَبْتُم بأيْدِيكم ، فقُولُوا : بِسْمِ اللهِ وَبَرَكَةِ اللهِ ، فإذا شَبِعْتُم ، فقُولوا : الحمدُ لله الذي أشْبَعَنا وأرْوَانَا ، وأنْعَمَ وأفْضَلَ ؛ فإنَّ هَذَا كَفَافٌ بهذا .

وكانَ رسُولُ الله ﷺ لا يَأتِي إلَيْه أحِدٌ مَعْرُوفاً إلاَّ أحَبَّ أنْ يُجازِيه ؛ فقالَ لأبي أيُّوب : ائْتِنَا غداً ، فَلَمْ يَسْمَع ، فقالَ عُمَرُ : إنَّ رسُولَ الله ﷺ يأمُركَ أنْ تَأتِيَه ، فَلَمَّا أتَاهُ أعْطَاه وَلِيدَةً ، فقالَ : يا أبَا أيُّوب ، استَوْصِ بهٰذِه خَيْراً ، فإنا لَمْ نَرَ إلاَّ خيراً ما دَامَتْ عندَنا ؛ فلمَّا جاءَ بِهَا أبُو أيُّوب قالَ : ما أجِدُ لوصيَّةِ رسُولِ الله ﷺ شَيْئاً خَيْراً مِنْ أنْ أعتِقَهَا ؛ فأعْتَقَهَا .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

فهَا سُنّةُ المَعْصُومِ خَيْرَةِ خَلْقِه شَكَتْ بِلِسانِ الحَالِ طُولَ جَفَاهَا
فَنسْألُ رَبَّ العَرشِ تَيسيْرَ مُخْلِص يُزَيْلُ ظَلاماً قَدْ طَماَ وَعَلاهَا
فَتًى قَدْ جَنى مِنْ كُلِّ فَنٍ ثِمَارَهُ وَأمَّ إلى هَامِ العُلى فَعَلاهَا
قَرِيبٌ إلى أهْلِ الشَريعَة والتُّقى وَيَبْعُد عَمَّن يَرْتَضِي بسِواهَا
عَفِيفٌ عَنْ الأموالِ إلَّا بحَقِّها وَعَنْ زَهْرَةِ الدُّنيا يُطِيلُ جَفَاهَا
يُوالِي وَيُدْنِي أهْلَ سُنَّةَ أحْمَدِ بَعيدٌ لِمَنْ يَهْدي بِغَيرِ هُدَاهَا
تَراهُ إلى دَارِ الإقامَةِ ظَاعِناً يَرَى زَهرَةَ الدُّنْيا يَطِيرُ هبَاهَا
يَحُفُّ بِهِ قَوْمٌ عَلَى كُلِّ سَابِحِ مُنَاهُمْ مُنَاوَاةُ العِدَى وَلِقَاهَا

يَقُودُ أُسُوداً في الحُرُوْبِ ضَيَاغِماً ... تَعُدُّ المَنَايَا في الحُرُوْبِ مُناهَا
وَيَعْرُوْهُمُوا عِنْدَ المُلاَقَاتِ هِزَّةً ... وَيُسْكِرهُمْ دَمْعُ العِدَا ودِمَاهَا
وَيطرِبُهُمْ هَزُّ القَنَـا بِأَكُفِّهِـمْ ... وَوَقْعُ الْعَوالِي في صُدُوْرِ عِداهَا
وَلَا جَمَعوا مَالًا وَلَا كَسَبُوا لَهُمْ ... مَسَاكِنَ لا يَرْضَى الإِلهُ بِنَاهَا
وَمَا قَصَدُوا مِنْ سَفْكِهِمْ لِدَمِ العِدَى ... وَضَرْبِ طَلَاهَا بِالطِّلا لِرَدَهَا
سِوَى أَنَّهُمْ يُحْيُونَ شِرْعَةَ أَحْمَدٍ ... وَيُعْلُونَ مِنْها مَا وَهَى لِعُلَاهَا
وَلَا هَمَّهُمْ جَمْعُ الحُطامِ فَزَخْرَفُوا ... قُصُوْراً وَلَا بَاهَوْا بِرَفْعِ بِنَاهَا
وَلَا قَصْدَهُمْ مِمَنْ أَبَادَوْهُ بِالقَنا ... وَتَطْويقهم بالسيفِ بيضَ طَلَاهَا
سِوى رَفْعِ أَعْلَامِ الشَرِيعَةِ في الْوَرَى ... وَيَنْفُونَ عَنْهَا باطِـلًا بدَوَاهَـا
سَيَنْجابُ عَنْها بِالصَّوَارِمِ مَا دَجَا ... فَيُشْرِقُ في الآفَاقِ نُورُ سَنَاهَا
وَتَنْفُذُ أَحْكَامُ الشَرِيعَةَ فِيهِمُوْا ... وَوَيْلٌ لِمَنْ يَهْدِي بِغَيْرِ هُداهَا
وَيَغسل عَنّها السَّيفُ أَوْسَاخَ بِدْعَةٍ ... فَتَسْمُقُ أَنْوارُ الهُدَى فَنَرَاهَـا
وَتَنْفُذُ في الطَّاغِيْ سِهَامُ قِسِيِّهِم ... فَتَظْهَرُ أَحْكَامُ الهُدَى بِهُدَاهَا
فَيَا مَنْ لَهُمْ في الدِيْنِ أَقْصَرُ هِمَّةٍ ... إلى كَمْ تُمَنُّونَ النُفُوسَ مُنَاهَا
نَرَى كُلَّ يَوْمٍ مُنْكَرَاتٍ فَظِيعَةً ... وَلَا نَتَحَامَى عَارَهَا وَعَرَاهَـا
وَمَا حَصَلَ الإِنْصَافُ مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ ... فَحَيَّ هَلَا يَا مَنْ يُرِيْدُ حِمَاهَا
تَعَالَوْا بِنَا نُحْيِيْ رِياضاً مِنَ العُلَى ... وَنَرْفَعُ أَعْلَامَ الهُدَى وَذُرَاهَا
وَفُكُّوا عَنِ الأَفْكارِ أَقْيادَ شُغْلِهَا ... لِتَنْظُرَ في عُقْبَى مَآلِ عُلَاهَا
فَمَا اللهُ عَمَا تَعْمَلونَ بِغَافِلٍ ... سَيَجْزِي العِدَى يَومَ الجزَا بِجَزَاهَا
فَفِي الذِّكْرِ أَخْبارٌ بِسُوءِ مَآلِهَم ... إِذَا رَامَها مَنْ شَاءَهَا سَيَرَاهَا
بِرِبِّكُمواْ رُدُّوْا سَلَامْي عَلَيَ أمْرِي ... عَنْ السُّنَّةِ الغَرَا أَمَاطَ قَذَاهَا
خَلِيْلَيَّ هَلْ مِنْ سَامِعٍ لِشَكِيَّتي ... إِذَا بُحْتُ بِالشَّكْوَي يَبُلُّ صَدَاهَا
فَإِنْ تَجِدَاهُ فَاكْشِفَا عَنْ نِقَابِها ... وإِلَّا فَبالكفؤِ الكَرِيمِ عِدَاهَـا

أَلَمْ تَسْمَعُوا تَجْرِيْفَ سُنَّةِ أَحْمَدٍ وَسَوِمِ الأَعادي في مُرُوجِ حِماهَا
إِذَا قِيْلَ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُه يَقُولُوْنَ قَالَ الأَكْثَرُوْنَ سِوَاهَا
بلادٌ جَبَيْنَاهَا وَسُسْنَا أُمُوْرَهَا فَنَحْنُ كَمَنْ قَدْ سَاسَهَا وَجَبَاهَا
وَإِنْ قِيلَ ما شَأْنُ المَزَامِيْرِ والغِنَا بَلِ الظُّلْمُ قَالُوا كَيْ نُخِيْفَ عِدَاهَا
وَآذانُهُمْ صُمٌّ عَنِ الحَقِّ والهُدى وَأَبْصَارُهُمْ قَدْ طَالَ عَنْه عَمَاهَا
فَصَدُّوا وَمَارَدُّوا شَرِيْداً وَهَدَّموا قَواعِدَ خَيْرُ المُرسَلينَ بَنَاهَا
فَتَباً لَها تَبّاً وَسُحْقاً لِفِرْقَةٍ جَمِيْعُ الضَّلالاتِ اشْترتْ بِهُدَاهَا
وَبُعْداً لَها بُعْداً وَتَباً لَها وَمَنْ يُحاوِلُ مِنْهَا في الجَهَالَةِ جَاهَا
فَغَوْثَاه وَاغَوْثَاهُ هَلْ مِنْ مُثَابِرٍ يُزِيْلُ قَذَاهَا سَيْفُهُ وَشَجَاهَا
إذا سُلَّ مِنْ نُورِ الشَرِيْعةِ صَارِماً على ظُلْمَةٍ لِلظَّالِمينَ جَلاهَا
فيا لِلْعُقُولِ السّامياتِ إلى العُلَا وَيَا مَنْ مُنَحْتُمْ أنفُساً وَهُدَاهَا
أَلَسْنَا نَرَى في كُلِّ يَومٍ مَنَاكِراً فَنُعْرِضُ لا نَنْهَى وَلَا نَتَنَاهَا
وَمَا كَانَ مِنَّا صَادِمٌ لِمشاغِبٍ أَدَارَ مِنَ الْحَرْبِ الضَّرُوْسِ رَحَاهَا
فَحيٌّ هَلَا نُحْيِي مِنَ الْوَحْيِ سُنَّةً وَقدْ سَنَحَتْ عَيْنٌ تُطِيلُ كَرَاهَا
وَهُبُّوا فَقَدْ طَالَ المَنامُ وَشَمِّروا لِنَسْبَحَ في غَمْرَاتِها وَحُلَاهَا
فَقَدْ وَعَدَ الرَّحْمَنُ نُصْرَةَ دِينِهِ وَلَكِنْ قَضَى أَنْ لِلأُمُوْرِ مَدَاهَا
وَأَنْزَلَ في التَّنْزِيلِ أَخْبَارَ مَنْ طَغَى وَكَمْ ضُمِّنَتْ «طَسْ» مِنْه وَ «طَاهَا»
فَيَالَ عِبَادِ اللهِ هَلْ مِنْ مُحَقِّقٍ عَلى شِرْعَةِ المختَارِ ردَّ رُوَاهَا
خَلِيْلَيَّ هَلَا قَدْ وَجَدْتُمْ مُهَذَّباً إِذَا بُثَّتِ الشَّكْوَى إِلَيهِ وَعَاهَا
فإن تَجِدَاهُ فالمَرَامَ وَجَدْتُما وَإِلَّا فَصُونَا وَجْهَهَا وَقَفَاهَا
فَوَاحَزَنَاًمِنْ هَجْرِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ بِغَيرِ تَحَاشٍ وانْتِهاكِ حِمَاهَا
إِذَا قِيلَ مَا هَذِي المَقَايِسُ وَالهَوَى يَقُولُونَ عَادَاتٌ وَنَحْنُ نَرَاهَا
وَمُلْكٌ وَأَراض قد جَبَيْنَا خَراجَها كَمَا سَاسَهَا مَنْ قَبْلَنا وَجَبَاهَا
وَإِنْ قِيلَ ما شَأْنُ المَظَالِمِ جَهْرَةً يَقُولُونَ إِرْهابٌ فَقُلْتُ بَلاهَا

قُلُوبٌ لَهُمْ لَا تَعْقِلُ الحَقَّ بَلْ وَلَا تَلِينُ لِذِكرِ الله عِنْدَ قَسَاهَا

((اللهم أبْرِمْ لِهَذِهِ الأمةِ أمْرَ رُشْدٍ يُعزُ فيهِ أهْلُ طَاعَتِكَ وَيُذَلُّ فِيْهِ أهْلُ معْصيَتِكَ وَيُؤْمَرُ فيهِ بالمعْروفِ وَيُنْهى فيهِ عَن المُنكرِ إنك سَمِيْعُ الدُّعَاءِ))

اللَّهُمَّ مَكِّنْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبنا وقَوِّهَا ونَوِّرْ قُلُوبَنَا بنُور الإيمانِ وأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ بحضُـوْر قَلْبٍ واجْعَلنا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وآتنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَة حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النارِ واغْفِر لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجمِيْع المُسْلِمِيْنَ برَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلَّى الله على محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

عن عبدالله بن وابصة العبسي عن أبيه عن جده قال : جاءَنا رَسُولُ الله ﷺ في مَنَازِلِنَا بِمِنى ، ونحنُ نازلونَ بإزَاءِ الجَمْرةِ الأولى الّتي تلي مَسجدَ الخَيْفِ ، وهو على رَاحِلَتِهِ مُرْدِفاً خَلْفَهُ زَيدَ بن حارِثَة .

فَدَعَانَا ؛ فوالله ما استَجَبْنَا لَهُ ولا خيرٌ لَنَا ، وقد كُنَّا سَمِعْنَا بِهِ وبِدُعائِهِ في المَوَاسِمِ ، فَوَقَفَ عَلَيْنا يَدْعُونا فلمْ نَسْتَجِبْ له ، وكانَ معَنا مَيْسَرة بن مَسْروق العَبْسِي .

فقالَ لَنَا : أَحْلِفُ باللهِ لو قَدْ صَدَّقْنَا هذا الرَّجُل وحَمَلْنَاهُ حتَّى نحلَّ بِهِ وَسطَ بلادِنَا لَكَانَ الرَّأيُ ، فأَحْلِفُ باللهِ لَيَظْهَرَنَّ أمره حتَّى يبلغُ كل مَبْلَغٍ .

فقالَ القومُ : دَعْنَا مِنْكَ لا تُعَرِّضنا لما لا قبَلَ لنا بهِ . وطَمَعَ رسولُ الله ﷺ في مَيْسَرَةَ ، فكَلَّمه ؛ فقالَ مَيْسَرةُ : ما أَحْسَنَ كَلامَكَ وأَنْوَرَهُ ولكنَّ قَومي يُخَالِفُونَنِي وإنَّمَا الرَّجُلُ بِقَوْمِهِ ، فإذَا لم يعضُدُوه ، فالعِدى أبْعَد .

فانْصَرَفَ رسولُ الله ﷺ وخَرَجَ القومُ صَادِرِينَ إل أَهْلِيهم ؛ فقالَ لهُمْ مَيْسَرَةُ : ميلوا نَأتي فَدَكَ ؛ فإنَّ بها يَهُوداً نُسائِلُهُم عَنْ هذا الرَّجُل ؛ فَمَالُوا إلى يَهُود ، فأَخْرَجُوا سفراً لهُمْ فَوَضَعُوهُ .

ثم دَرَسُوا ذكرَ رسولِ الله ﷺ النَّبيِّ الأُمِّيِ العَرَبي ، يَركَبُ الحِمَارَ ، ويجتزي بالكِسْرَةِ ، لَيْسَ بالطَّويلِ ولا بالقَصِيرِ ، ولا بالجعد ، ولا بالسّبط ، في عَيْنَيْهِ حُمْرَة ، مُشْرِقُ اللَّونِ ، فإنْ كانَ هُوَ الَّذي دَعَاكُم ، فأَجِيبُوهُ ، وادْخُلوا

في دينِهِ فإنَّا نحسَدهُ ولا نَتَّبعهُ وإنَّا مِنهُ في مَواطن بَلاءٍ عَظِيم ، ولا يَبْقى أحَدٌ من العَرب إلا اتَّبَعَهُ ، وإلاَّ قَاتَلَهُ فكُونُوا ممَّنْ يتَّبعهُ .

فقالَ مَيْسَرةُ : يا قَوم ألا إنَّ هذا الأمْرَ بَيِّنٌ ، فقالَ القَوْمُ : نَرْجِعُ إلى الموسم ونَلقَاهُ ، فَرَجَعُوا إلى بِلادِهِم ، وأبى ذلكَ عَلَيْهِم رِجَالهُم ، فلم يتّبعه أحَدٌ منهم ، فلمَّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينَةَ مُهاجِراً وحَجَّ حَجَّةَ الوَدَاع لَقِيَهُ مَيْسَرَة فَعَرَفَهُ .

فقاَلَ : يا رسولَ الله ، والله ما زِلْتُ حَرِيصاً على اتِّباعِكَ من يوم أنَخْتَ بِنَا ، حَتَّى كانَ ما كانَ ، وأبى اللهُ إلا ما تَرى مِنْ تأخُّرِ إسلامي ، وقد ماتَ عامَّةُ النَّفَرِ الذينَ كانوا مَعِي ، فأينَ مدخَلَهُم يا رسولَ الله ؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ كُلُّ مَنْ ماتَ على غَيرِ دينِ الإسْلامِ فَهُوَ في النَّارِ .

فقالَ : الحمد لله الَّذي أنْقَذَني ؛ فأسْلَمَ ، وحَسُنَ إسْلاَمُهُ ، وكانَ لَهُ عِندَ أبي بَكْرٍ مَكَانٌ .

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِسُلُوكِ مَنَاهِجِ المتقين وَخصَّنَا بالتَّوْفيق المُبِيْنْ واجْعَلْنَا بِفَضْلِكَ من عِبَادِكَ المُخْلِصِيْنْ الذِيْنَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِم ولا هُمْ يَحْزَنُونَ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلى مُحمَّدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

عَنْ أبِيْ مُوْسَى الأَشْعَري قال : أَرْسَلَنِي أَصْحَابي إلى رَسُولِ الله ﷺ أسْأَلُهُ لَهُمُ الحُمْلاَنَ إذْ هُمْ مَعَهُ في جَيْشِ العُسْرَةِ ، فَقُلْتُ : يا نَبِيَّ الله إنَّ أَصْحَابي أَرْسَلُوني إلَيْكَ لِتَحْمِلَهُمْ فقال : واللهِ لا أَحْمِلُكُمْ عَلى شَيْءٍ ، وَوَافَقْتُهُ وهُوَ غَضْبَانُ وَلاَ أَشْعُرُ .

فَرَجَعْتُ حَزِيناً مِنْ مَنْعِ رسُولِ الله ﷺ ومِنْ مَخَافَةِ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ وَجَدَ في نَفْسِهِ عليَّ ، فَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابي فأخْبَرْتُهُمُ الَّذي قالَ رسُولُ الله ﷺ فَلَمْ أَلْبَثْ إلاَّ سُوَيْعَة إذْ سَمِعْتُ بِلالاً يُنَادي أَيْ عَبْدَ الله بْنَ قَيْسٍ ؛ فَأَجَبْتُهُ .

فقال : أُجِبْ رَسُولَ الله ﷺ يَدْعُوكَ ، فَلَمَّا أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ قالَ : خُذْ هَذَيْنِ القَرِينَيْنِ ، وهَذَيْنِ القَرِينَيْنِ ، وهَذَيْنِ القَرِينَيْنِ - لِستَّةِ أَبْعِرَةٍ ابْتَاعَهُنَّ حينَئِذٍ مِنْ سَعْدٍ - فانْطَلِقْ بِهِنَّ إِلَى أَصْحابِكَ .

فَقُلْ : إنَّ الله يَحْمِلُكُمْ على هَؤُلاءِ ، فارْكَبُوهُنَّ ؛ فَانْطَلَقْتُ إلى أَصْحابي بِهِنَّ ، فقُلْتُ : إنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَحْمِلُكُمْ على هؤُلاءِ .

ولكِنْ والله لا أَدَعُكُمْ حتَّى يَنْطَلِقَ مَعِي بَعْضُكُمْ إلى مَنْ سَمِعَ مَقالَةَ رَسُولِ الله ﷺ حينَ سَأَلْتُهُ لكُمْ ، ومَنْعَهُ في أَوَّلِ مَرَّةٍ ، ثُمَّ إعْطاءَهُ إِيَّايَ بَعْدَ ذَلِكَ ، لا تَظُنُّوا أَنِّي حَدَّثْتُكُمْ شَيْئاً لَمْ يَقُلْهُ .

فقالوا لي : والله إنَّكَ عِندَنا لمُصَدَّقٌ ، ولَنَفْعَلَنَّ ما أَحْبَبْتَ ؛ (فانْطَلَق أَبُو مُوسى بنَفَرٍ مِنْهُمْ حتَّى أَتُوا الذين سَمِعُوا قَوْلَ رسُولِ الله ﷺ وَمَنْعَهُ إِيَّاهُمْ ثُمَّ إعطاءَهُمْ بَعْدُ ، فحدَّثُوهُم بِمَا حدَّثَهُمْ بِهِ أَبُو مُوسى سَواءً .

عن كعب بن مالك قال : خَرَجْنَا في حُجَّاجِ قَوْمِنَا من المُشْرِكين ، وقد صَلَّينَا وَفَقِهْنَا ، ومَعَنَا البَرَاءُ بن مَعْرُور ، سَيِّدنا وكَبِيرنا ، فَلَمَّا وَجَّهنَا لِسفرنا ، وخَرَجْنَا مِن المَدينة .

قالَ البَرَاءُ لَنَا : يا هؤُلاءِ ، إنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأياً ، فَوالله ما أَدْرِي أَتُوافِقُونَنِي عَليهِ ، أَمْ لا ؟ قُلْنَا : ومَا ذَاكَ ؟ قالَ : قَدْ رَأَيْتُ أن لا أَدَعَ هذِه البَنِيَّة مِنِّي بظَهْرٍ - يعَني الكَعْبَة - وأَنْ أُصَلِّي إليهَا .

فقُلْنَا : والله ما بَلَغَنا أن نَبِيَّنا ﷺ يصَلِّي إلاَّ إلى الشَّامِ ، وما نُرِيدُ أن نُخَالِفَه ، فقالَ : إنِّي لمصَلٍّ إليها ، فقُلْنَا لهُ : لَكِنَّا لا نَفْعَل ، فكُنَّا إذا حَضَرت الصَّلاةُ صَلَّينا إلى الشَّامِ ، وصَلَّى إلى الكَعْبَة ، حتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ .

وقَدْ كُنَّا عِبْنَا عليهِ ما صَنَعَ ، وأَبى إلاَّ الإقَامَةَ على ذَلِكَ ؛ فَلمَّا قَدِمنَا مكة قالَ لي : يا ابنَ أخي ، انطلِقْ بنَا إلى رسولِ الله ﷺ حتَّى نَسْأَلَهُ عَمَّا صَنَعْتُ في سَفَرِي هذَا ؛ فإنَّهُ والله لَقَدْ وَقَعَ في نَفْسِي مِنْهُ شَيء ، لِمَا رَأَيْتُ من خِلافِكُم إيَّايَ فيهِ .

فَخَرَجْنَا نَسأَلُ عن رسولِ الله ﷺ وكُنَّا لا نَعْرِفهُ ، ولم نَرَهُ قبلَ ذلكَ ، فَلَقِيْنَا رجلاً من أَهْلِ مكَّة ، فسَأَلنَاهُ عن رسولِ الله ﷺ فقالَ : هل تَعْرِفَانِهِ ؟ فَقُلْنَا : لا .

قالَ : فَهَلْ تَعرِفان العبَّاسَ بن عَبدِ المطَّلب عمُّه ؟ قُلْنَا : نَعَم – وقَدْ كُنَّا نَعْرِفُ العبَّاسَ ، كان لا يَزَالُ يقدمُ علينَا تَاجِراً – قالَ : فإِذَا دَخَلْتُمَا المَسْجِدَ ؛ فَهُوَ الرَّجلُ الجالِسُ معَ العبَّاسِ ؛ فَدَخَلْنَا المَسْجِدَ ، فإذا العبَّاسُ جالِسٌ ، ورسولُ الله ﷺ جالِسٌ مَعَهُ ، فَسَلَّمْنَا ، ثُمَّ جَلَسْنَا إليهِ .

فقالَ رسولُ الله ﷺ لِلْعَبَّاس هَلْ تَعْرِفُ هَذينِ الرَّجلين يا أَبَا الفَضْلِ ؟ قالَ : نَعَمْ ، هذا البَرَاءُ بن مَعْرُور ، سَيِّدُ قَومِهِ ، وهذا كَعْبُ بن مَالك ؛ فواللهِ ما أَنْسَى قولَ رسولِ الله ﷺ : الشَّاعِر ؟ قالَ : نَعَمْ .

فقالَ لهُ البَرَاءُ بن مَعْرُور : يا نَبِيَّ الله ، إنِّي خَرَجتُ في سَفَرِي هَذَا ، وقَدْ هَدانِي اللهُ لِلْإِسْلامِ ، فَرَأَيْتُ أَنْ لا أَجْعَلَ هذِهِ البَنِيَّة مِنِّي بِظَهْرٍ ، فَصَلَّيتُ إِليهَا ، وقد خَالَفَنِي أَصْحَابِي في ذَلِكَ ، حتَّى وَقَعَ في نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ شيء ؛ فمَاذَا تَرى يا رسولَ الله ؟

قالَ : قد كُنْتَ على قِبْلَةٍ لو صَبرتَ عليْهَا ؛ فرجَعَ البَرَاءُ إلى قِبْلَةِ رسولِ الله ﷺ وصَلَّى مَعَنَا إِلَى الشَّامِ . وأَهْلُه يَزْعمونَ أَنَّهُ صَلَّى إلى الكَعْبَةِ حتَّى مَـــاتَ ، وَلَيْسَ ذَلكَ كما قَالوا ، نَحْنُ أَعْلَمُ بهِ مِنْهُم . والله أعلم وصلى الله على محمد اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيْلَ الأَبْرَارِ ، واجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِالعَفْوِ وَالعِتْقِ مِنْ النَّارِ ، وَاغْفِرْ لَنَـا وَلِوَالِـدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ الأَحْـيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

فَصْلٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خَرجَ النَّبيُّ ﷺ في سَاعَةٍ لا يَخرُجُ فيهَا ، ولا يَلْقَاهُ فيهَا أَحدٌ ، فأَتَاهُ أَبو بَكْرٍ ، فَقَالَ : ما جَاءَ بِكَ يا أَبَا بَكْرٍ ، فقَالَ : خَرَجْتُ أَلْقَى رسول الله ﷺ وأَنْظُرُ في وَجهِهِ والتَّسليم عليهِ .

فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ عُمَر ؛ فقالَ : ما جَاءَ بِكَ يا عُمَر ؟ قالَ : الجُوعُ يا رسولَ الله ! فقالَ النَّبيُّ ﷺ : وأَنَا قَدْ وجدتُ بعضَ ذَلِكَ ، فانْطَلَقُوا إلى مَنْزِلِ أبي الهَيْثَم ابن التَّيهان الأَنْصَاري – وكانَ رَجُلاً كَثِير النَّخْلِ والشَّجَرِ والشَّاءِ ، ولَمْ يكُنْ له خَدَمٌ – فَلَمْ يَجِدوهُ .

فقَالوا لامْرَأَتِهِ : أينَ صَاحِبُكِ ؟ فَقَالَتْ : انْطَلَقَ يَسْتَعذِبُ لنَا المَاءَ ، فَلَمْ يَلبَثُوا أَنْ جَاءَ أبو الهَيْثَم بِقِرْبَةٍ يزعِبُهَا ، فَوَضَعَهَا ثُمَّ جاءَ يَلتَزِم النَّبيَّ ﷺ ويُفَدِّيهِ بأَبِيهِ وأُمِّهِ .

ثُمَّ انْطَلَقَ بهم إلى حَدِيقَتِهِ ، فَبَسَطَ لَهُم بِسَاطاً ، ثُمَّ انْطَلَقَ إلى نَخْلَةٍ ، فجاءَ بقنو ، فَوَضَعَهُ ، فقَالَ النَّبيُّ ﷺ : أفَلاَ تنقَّيتَ لنا من رَطْبِهِ ، فقالَ يا رسولَ الله إِنِّي أردتُ أَنْ تَخْتَاروا – أو تَخَيَّروا – من رَطْبِه وبسرِهِ .

فأَكَلُوا وشَرِبُوا مِنْ ذَلِكَ المَاءِ ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : والَّذي نَفْسي بيدِهِ هَذا مِنَ النَّعِيم الَّذي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يوم القِيامَة : ظِلٌّ بارِدٌ طَيِّب ، وماءٌ بارِدٌ ، فانْطَلَقَ أبو الهَيْثَم يَصْنَعُ لهُم طَعَاماً فقالَ النَّبيُّ ﷺ : لا تَذْبَحَنَّ لنَا ذَاتَ دَرّ ، فَذَبَحَ لهم عَنَاقاً – أو جَدْياً – فأَتَاهُم بها فأَكلوا .

فقالَ النَّبيُّ ﷺ : هَلْ لَكَ خَادِمٌ ؟ قالَ : لا ، قالَ : فإِذَا أَتَانا سَبْيٌ فإتِنَا، فَأُتِي النَّبيُّ ﷺ برأسَين ليسَ مَعَهُمَا ثَالِثٌ ؛ فأَتَاهُ أَبُو الهَيْثَم ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : اخْتَر مِنْهُمَا ، فقالَ : يا نَبيَّ الله اخْتَرْ لي ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : إِنَّ المُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ ، خُذْ هَذَا ، فإِنِّي رَأَيْتُهُ يُصَلِّي ، واسْتَوصِ بِهِ مَعْروفاً ، فانْطَلِقَ أبو الهَيْثَم إلى امْرَأَتِهِ ، فأَخْبَرَهَا بقولِ رسولِ الله ﷺ .

فَقَالَتْ امرَأَتُهُ : ما أَنْتَ بِبَالِغ ما قَالَ فيهِ النبي ﷺ إلاَّ أَنْ تعتقَه ، قالَ : فهو عَتِيقٌ ، فقالَ النبي ﷺ : إِنَّ الله تعالى لم يَبْعَثْ نَبِيّاً ولا خَلِيفَةً إِلاَّ ولَهُ بِطَانَتَان : بِطَانَةٌ تأمُرُهُ بالمَعْروف ، وتَنْهَاهُ عن المُنْكَر ، وبِطَانَةٌ لا تَأْلُوهُ خَبالاً ، ومَن يُوَقَّ بِطَانَةَ السُّوءِ فَقَدْ وُقِي . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

اللهم إنا نسأَلك رحمة مِن عندك تهْدِي بها قُلُوبَنَا ، وتَجمعُ بها شَمْلَنَا ،

وتَلمُ بها شَعَثَنَا ، وترفع بها شاهدنا ، وتَحَفَظُ بها غائِبَنَا ، وتزكى بها أعمالنا ، وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم الراحمين .

اللهم ارْزُقْنَا مِن فَضْلِكَ ، وأَكْفِنَا شَرَّ خَلْقَكَ ، وأَحْفَظْ عَلَيْنَا دِيْنَنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

(فصــــــل)

عن أنس بن مالك قال : لمَّا افتتَحَ رَسُولُ الله ﷺ خَيْبَر قالَ الحَجَّاجُ بن عِلاط : يا رسولَ الله إنَّ لي بمكَّة مَالاً وإنَّ لي بها أَهْلاً وإنِّي أُرِيدُ أَنْ آتِيهم ، أَفَأَنَا في حِلٍّ إنْ أَنَا نِلتُ مِنْكَ أَوْ قُلتُ شَيْئاً .

فأُذِنَ لَهُ رسولُ الله ﷺ أَنْ يَقُولَ ما شَاءَ ، فأَتَى امْرَأَتَهُ حينَ قَدِمَ فَقَالَ : اجْمَعِي لي ما كانَ عِنْدَكِ ، فإنِّي أُرِيدُ أَنْ أَشْتَري مِنْ غَنَائم محمَّد وأُصحَابِهِ ، فإنَّهُم قد استُبِيحُوا وأُصِيبَتْ أَمْوَالهم .

وفَشَى ذَلِكَ بمَكَّة فانقَمَعَ المُسْلِمُونَ وأَظْهَرَ المُشْرِكُونَ فَرَحاً وسُرُوراً. وبَلَغَ الخَبَرُ العَبَّاسَ ، فعُقِرَ وجَعَل لا يَسْتَطِيعُ أن يَقُوم ... فأَخَذَ ابْناً يقَالُ له قُثَم، واسْتَلْقَى ، وَوَضَعَهُ على صَدْرِهِ ، وهُوَ يَقُول :

حبي قُثَم شَبيه ذي الأنف الأشَم نبيّ ذي النّعم يزعم من زَعَم

ثُمَّ أَرْسَلَ غُلاماً لهُ إلى الحجَّاجِ بن عِلاط ، فقَالَ : ويلَكَ ما جِئْتَ بهِ ! وماذَا تَقُول ؟ فمَا وَعَدَ الله خَير ممَّا جِئْتَ به ، فقالَ الحجَّاجُ بن عِلاط : اقرأ على أَبي الفَضْلِ السَّلام ، وقُلْ لَهُ فليخل لي في بَعْضِ بُيوتِه لآتِيهِ فإنَّ الخَبَرَ على ما يَسُرُّه .

فجاءَ غُلامُهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ الدَّار قالَ : ابْشِر يا أَبَا الفَضْل ، فوثَبَ العَبَّاسُ فَرِحاً حتَّى قَبَّل بينَ عَيْنَيْهِ ، فأَخْبَرَهُ ما قَالَ الحجَّاج فأَعْتَقَهُ .

ثُمَّ جاءَهُ الحجَّاجُ فأَخْبَرَهُ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَدْ افتتَحَ خَيْبَرَ وغَنِم أَمْوالهم ، وجَرَتْ سِهامُ الله في أَمْوَالِهم ، واصْطَفَى رسول الله ﷺ صَفيَّة بنت

حُيَيّ واتَّخذَهَا لنَفْسِه ، وخيَّرَهَا أن يعتقَهَا وتَكُون زَوْجَةً ، أو تلحقُ بأَهْلِهَا ، فاخْتَارَتْ أنْ يعْتِقَهَا وتَكُون زَوْجَتَهُ .

ولكِنِّي جِئْتُ لمَالٍ كانَ ها هُنَا أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَهُ فأَذْهَب به ، فاسْتَأْذَنْتُ رسولَ الله ﷺ فأذِنَ لي أَنْ أَقُولَ ما شِئْتُ ، فاخْفِ عليَّ ثَلاثاً ، ثُمَّ اذْكُرْ ما بَدَا لَكَ ، فَجَمعت امرَأتُه ما كانَ عِنْدَهَا من حليٍّ أو مَتَاع فَجَمَعتْهُ ودَفعَتْهُ إليهِ ، ثُمَّ انشَمَرَ بِهِ .

فَلمَّا كانَ بَعْد ثَلاثٍ أَتَى العَبَّاسُ امرَأةَ الحَجَّاج ، فقالَ : ما فَعَلَ زَوْجكِ؟ فأَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ ذَهَبَ يوم كَذَا وكَذَا ، وقَالَتْ : لا يَحْزنْكَ الله يا أَبَا الفَضْل ، لقَدْ شَقَّ علينَا الّذي بَلَغَكَ ، قالَ : أَجَل ، لا يحزنني الله ، ولم يَكنْ بحمدِ الله إلاَّ مَا أَحْبَبْنَا ؛ فَتَحَ الله خَيْبَر على رسُولِهِ ، وجَرَتْ فيهَا سِهَامُ الله ، واصْطَفَى رسولُ الله ﷺ صَفِيَّةَ لنَفْسِهِ .

فإنْ كانَت لكِ حَاجَة في زَوْجكِ فالْحَقِي بِهِ ، قالَتْ : أَظُنُّكَ والله صَادِقاً ؟ قالَ : فإنِّي لَصادِق ، والأمْرُ على ما أَخْبَرْتُكِ ، ثُمَّ ذَهَبَ حتَّى أَتَى مَجَالِسَ قُرَيشٍ ، وهُمْ يَقولُونَ إذا مرَّ بهم : لا يُصِيبكَ إلا خَيرٌ يا أَبَا الفَضْلِ .

قالَ لمْ يُصبْني إلاَّ خَيرٌ بحمدِ الله ، أخبرَني الحَجَّاجُ بن عَلاطٍ أنَّ خَيْبَرَ فَتَحهَا الله على رَسُولِهِ ، وجَرَتْ فيهَا سِهَام الله ، واصْطَفى صَفِيَّةَ لنَفْسِهِ ، وقد سَأَلَنِي أن أُخْفِي عنهُ ثَلاثاً ، وإنمَّا جاءَ ليَأْخُذَ مالَه ، وما كانَ لهُ من شَيءٍ هَاهُنَا، ثُمَّ يَذْهَب .

فَردَّ الله الكَآبَة الّتي كانَتْ بالمُسْلِمين على المُشْرِكين ، وخَرَجَ المُسْلِمُونَ من كانَ دَخَلَ بيتَهُ مُكْتَئِباً حتَّى أَتَى العَبَّاسُ فأَخْبَرَهُم الخَبَرَ ، فَسُرَّ المُسْلِمُونَ ، ورَدَّ ما كانَ من كَآبَةٍ أو غَيْظٍ أو حُزْنٍ على المُشْرِكين . والله أعلم

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيْلَ عِبَادِكَ الأَبْرَارِ وَوَفِّقْنَا لِلتَّوْبَةِ والأَسْتِغْفَارِ وَاحْطُطْ عَنَّا ثِقَلَ الأَوْزَارِ وآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وفِي الآخِرَةِ حَسَنَة وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ يَا عَزِيْزُ يَا غَفَّارُ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

(فصـــــــل)

عن جرير بن عبدالله البجلي قال : كَانَ رَجُلٌ معْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَري، وكانَ ذَا صَوْتٍ ونِكَايَة في العَدُوِّ ، فَغَنِمُوا مَغْنَماً فَأَعْطَاهُ أَبُو مُوسَى بَعْضَ سَهْمِهِ ، فأَبَى أَنْ يَقبله إلاَّ جَمِيعاً ، فَجَلَدَهُ أَبُو موسَى عِشْرينَ سَوْطاً ، وحَلَقَهُ ، فَجَمَعَ الرَّجلُ شَعْرَهُ ، ثُمَّ تَرحَّلَ إلى عُمَر بن الخَطَّاب ، حتَّى قَدِمَ عَليهِ .

فَدَخَلَ على عُمَر بن الخَطَّاب ، وكُنْتُ أَقْرَب النَّاسِ من عُمَر ، فأَدخَل على عُمَر شَعره ، ثُمَّ ضَرَبَ به صَدْرَ عُمَر بن الخَطَّاب ، ثُمَّ قالَ : أَمَا وَاللهِ لولاَ النَّار ؛ فقالَ عُمَر : صَدَقَ واللهِ لولاَ النَّار .

فقَال : يا أَميرَ المُؤمِنين ، إنِّي كُنتُ ذَا صَوْتٍ ونِكَايَة ، فأَخْبَرَهُ بأمرِهِ ، وقَالَ : ضَرَبَنِي أَبُو مُوسَى عِشرِينَ سَوْطاً ، وحَلَقَ رَأسِي ، وهُوَ يَرى أَنَّهُ لا يُقتَصُّ مِنهُ .

فقالَ عُمَر - رضِوان اللهِ عَلَيْهِ - : لأَنْ يَكُونَ النَّاسُ كُلّهم على صَرَامَةِ هَذَا أَحبَّ لي من جَمِيعِ ما أَفَاءَ اللهُ عَلَيْنا .

فَكَتَبَ عُمَر إلى أَبِي مُوسَى : سَلامٌ عَلَيْكَ ، أَمَّا بَعْد ؛ فإِنَّ فُلاناً أَخْبَرَنِي بكَذَا وكَذَا ، فإِنْ كُنْتَ فَعلتَ ذاكَ في مَلأٍ مِنَ النَّاسِ ، فَعزَمْتُ عَلَيْكَ لمَا قَعدتَ لهُ في مَلأ مِنَ النَّاسِ حتَّى يَقْتَصَّ مِنْكَ .

فَقَدِمَ الرَّجُل ، فقالَ لَهُ النَّاسُ : اعْفُ عَنْهُ ، فقَالَ : لا واللهِ لا أَدعهُ لأَحَدٍ من النَّاسِ ، فلَمَّا قَعَدَ أَبُو مُوسَى لِيَقْتَصَّ منهُ رَفعَ الرَّجُلُ رَأسَهُ إلى السَّماءِ ثُمَّ قالَ : اللَّهُمَّ إنِّي قَدْ عَفَوْتُ عنهُ . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبة وسلم .

(فصـــــــل)

عن ابن عباس قال : خَرَجَ عُمَر بن الخَطَّاب إلى الشَّامِ حتَّى إذَا كانَ بسَرْغٍ لَقِيهُ أَهْلُ الأَجْنَادِ : أَبُو عُبَيْدة بن الجَرَّاح وأَصْحَابه ؛ فَأَخْبَروه أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بالشَّامِ .

فقَالَ عُمَر : ادْعُ لي المُهَاجِرينَ الأوَّلِين ، فَدَعوْتُهم ، فاستَشارَهُم وأخبَرَهُم أنَّ الوَبَاءَ قَد وَقَعَ بالشَّامِ ، فاخْتَلَفوا ؛ فقالَ : بعضُهُم : قَدْ خَرجتَ لأمْرٍ ولا نَرى أن تَرْجِعَ عَنْهُ ، وقالَ بَعْضُهُم : مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ ، وأصْحَاب رسولِ الله ﷺ ولا نَرَى أن تُقْدِمَهُم على هَذَا الوَبَاء .

فقالَ : ارتَفِعُوا عَنِّي ، ثُمَّ قالَ : ادْعُ لي الأنْصَار ؛ فدَعوْتُهم لَهُ فاستَشارَهُم ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ المُهَاجِرين ، واختَلَفُوا كاخْتِلافِهِم ، فقَالَ : ارْتَفِعُوا عَنِّي .

ثُمَّ قالَ : ادْعُ لي مَنْ كَانَ هَهُنَا من مَشْيَخَةَ قُرَيْش مِنْ مُهَاجِرَة الفَتْحِ ، فَدَعوْتُهُم ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيهِ رَجُلان ؛ فقَالُوا : نَرى أنْ تَرْجِعَ بالنَّاسِ ولا تُقْدِمُهُم على هَذَا الوَبَاء .

فَنَادَى عُمَر في النَّاسِ : إنِّي مُصْبِحٌ على ظَهْرٍ ، فأصْبِحُوا عَلَيْهِ ، فقالَ أبُو عُبَيْدَة بن الجَرَّاح : أفِرَاراً من قَدَرِ الله ؟ فقالَ عُمَر : لَوْ غَيْرك قَالَها يا أبَا عُبَيْدة – وكانَ عُمَر يَكْرَهُ خِلافَه – ، نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله .

أرَأيْتَ لَوْ كانَتْ لَكَ إبِل ، فَهَبَطْتَ وَادياً لَهُ عُدْوَتَانِ ؛ إحداهُمَا خَصِبَةٌ ، والأخْرَى جَدْبَةٌ ، ألَيْسَ إنْ رَعَيْتَ الخَصِبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ الله ، وإنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بقَدَرِ الله .

فجاءَ عبدُ الرَّحمن بن عَوْف ، وكانَ مُتَغَيِّباً في بَعْضِ حَاجَتِهِ ، فقالَ : إنَّ عِنْدِي من هَذَا عِلْماً ؛ سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقُولُ : إذَا سَمِعتُم بِهِ بأرضٍ فَلاَ تَقْدمُوا عليهِ ، وإذَا وَقَعَ بأرضٍ وأنْتُم بهَا ، فَلا تَخْرُجُوا فِرَاراً منهُ ؛ فَحمدَ الله عُمَر بن الخطَّاب ، ثُمَّ انْصَرَفَ . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

اللّهُمَّ حَبّبْ إلَيْنَا الإيْمانَ وَزَيِّنْهُ في قُلوبِنَا وكَرِه إلَيْنَا الكُفْرَ والفُسوقَ والعِصْيانَ واجْعَلنا مِنَ الرَّاشِدِين وَاغْفِرْ لَنا ولِوالِدَيْنَا وجمِيْع المُسْلمينَ

اللهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وعَلِّمْنَا مَا مَا يَنْفَعُنَا ، ووَفِّقْنَا للعملَ بِمَا فَهَّمْتَنَا ، اللهُمَّ إنْ كُنَّا مُقصرِّيْنَ في حِفْظِ حَقِّكَ ، والوفاء بعَهْدِكَ ، فأنْتَ

تعلَمَ صِدْقنا في رَجَاءِ رفدِك ، وخالِص وُدِّكَ ، اللهُمّ أنت أعْلَمُ بنا مِنا ، فَبكَمَالِ جُوْدِكَ تجَاوَزْ عَنَّا ، وَاغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدِيْنَا ولجَمِيْعِ المُسْلِمِينَ ، الأَحْيَاءِ مِنْهم والمَيِّتِينَ ، برَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ، وصلى الله على محُمَّدٍ وعلى آله وصَحْبِهِ أجمعين .

(فصـــل)

عن أنس بن مالك قال : كُنَّا عِندَ عُمَر بن الخَطَّاب - رِضْوَانُ الله عَليـــه - إذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، فَقَالَ : يا أَمِيرَ المؤْمنين ، هَذَا مَقَام العَائِذِ بِكَ ، قالَ : وما لَكَ ؟ قالَ : أَجْرَى عَمْرو بن العَاص بِمِصْرَ الخَيْلَ فأقْبَلَتْ فَرَسِي ، فَلَمَّا رَآهَا النَّاسُ قَامَ مُحمَّد بن عَمْرو فقالَ : فَرَسِي وربِّ الكَعْبَة ؛ فلمَّا دنَا مِنِّي عَرَفْتُهُ ، فقُلتُ : فَرَسِي وربِّ الكَعْبَة ، فَقَامَ إليَّ فضَرَبني بِالسَّوطِ ، ويَقُول : خُذْهَا وأَنَا ابنُ الأكْرَمِين .

فوَالله ما زَادَهُ عُمَر على أنْ قالَ له : اجْلِس ، ثُمَّ كَتَبَ إلى عَمْرو إذَا جَاءَكَ كِتابي هَذَا فأَقْبِل ، وأَقْبِل معكَ بابْنِكَ مُحمَّد ؛ فَدَعَا عَمْرو ابنَهُ فقالَ : أأَحْدَثْتَ حَدَثاً ؟ أَجَنيتَ جِنَايَةً ؟ قالَ : لاَ ، قالَ : فمَا بَالُ عُمَر يكتُبُ فِيكَ .

فَقَدِمَ على عُمَر ؛ فَوالله إنَّا عِندَ عُمَر حَتَّى إذا نَحْنُ بعَمْرو وقَد أَقْبَل في إزَارٍ ورِدَاء ، فَجَعَلَ عُمَر يَلْتَفِتُ هَل يَرَى ابنَهُ ، فإذَا هُوَ خَلفَ أَبِيهِ ، فقالَ : أَيْنَ المِصْرِيّ ؟ فقالَ : ها أَنَاذَا ، قالَ : دُونَكَ الدِّرَّةَ فاضْرِب ابنَ الأكْرَمِين ، اضْرب بن الأكْرَمِين ، فضَرَبَهُ حَتَّى أثْخَنَهُ .

ثُمَّ قالَ : أَحِلْهَا على صَلْعَةِ عَمْرو ! فوالله ما ضَرَبَكَ إلاَّ بفَضْلِ سُلْطَانِهِ ، فقالَ : يا أَميرَ المُؤمنين قد ضَربتُ من ضَربَني ، قالَ : أما والله لو ضَرَبْتَهُ ما حِلْنَا بينَكَ وبينَهُ حتَّى تكون أنتَ الَّذي تَدَعهُ ، أيَا عَمْرو متَى اسْتَعْبَدتُمُ النَّاسَ ، وقَد وَلَدَتهم أُمَّهم أَحْراراً ثُمَّ التفَتَ إلى المِصْرِيّ ، فقالَ : انْصَرِف رَاشداً ، فإنْ رَابَكَ ريبٌ فاكْتُبْ إليَّ .

كَتَبَ عُمَرُ بن الخَطَّاب إلى عَمْرو بن العَاص - عامَ الرَّمادَة - : « بِسْم الله الرَّحمن الرَّحِيم ، من عبدِ الله عُمَر أَمِير المُؤْمِنِين ، إلى العَاصِي ابن العَاصِي ،

سَلامٌ عليكَ ، أَمَّا بَعْد : أَفَتَرَاني هَالِكاً ومَنْ قِبَلي وتَعِيشُ أَنتَ ومَنْ قِبلكَ ؟ فَيَا غَوْثَاهُ - ثَلاثاً - » .

فَكَتَبَ إليهِ عَمرو بن العاص : « بِسْمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحِيم ، لعَبدِ اللهِ عُمَر أَمِير المؤْمِنين ، من عَمْرو بن العَاصِ ، سَلامٌ عَلَيْكَ ؛ فإنِّي أَحْمُدُ إليكَ اللهَ الَّذِي لا إله إلاَّ هُوَ ، أَمَّا بَعْد : (فقَدْ) أَتَاكَ الغَوثُ فَلبِّثْ لَبِّث ، لأَبْعَثَنَّ إليكَ بِعيرٍ أَوَّلها عندكَ وَآخِرُهَا عِنْدِي » .

فلمَّا قَدِم أَوَّل الطَّعَامِ كَلَّم عُمرُ بن الخطَّاب الزُّبيرَ بن العوَّام فقالَ لَهُ : تَعْتَرِضُ للعِيْر فَتُميلها إلى أَهْلِ البَادِيةِ فَتَقْسِمها بينَهُم ؛ فَوالله لَعَلَّكَ أَلاَّ تكُونَ أَصَبْتَ بعد صُحْبَتكَ رسولَ الله ﷺ شَيْئاً أَفْضَلَ منهُ ؛ فأَبَى الزُّبَير واعْتَلَّ .

وأَقْبَلَ رَجُلٌ من أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ فقالَ عُمَر : لكنَّ هَذَا لا يَأبَى ؛ فَكَلَّمه عُمَر فَفعَلَ وخَرَجَ ، فقالَ لهُ عُمَر : أَمَّا لَقِيتَ من الطَّعَام فَمِلْ بِهِ إلى أَهْلِ البَادِية .

فأَمَّا الظّرُوف فاجْعَلهَا لُحُفاً يَلبسُونَها ، وأَمَّا الْإبَل فانْحَرهَا لهُم يأكلونَ من لُحُومِهَا ، ويَحْمِلونَ من وَدَكِهَا ، ولا تَنْتَظِر أن يقولُوا نَنْتَظِر بها الحَيَا ، وأَمَّا الدَّقِيق فَيَصْطَنِعونَ ويُحْرِزُونَ حتَّى أمرُ الله لهُم بالفَرَج .

وكان عُمَر يَصْنَعُ الطَّعَامَ ويَنَادِي مُنَادِيهُ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُر طَعَاماً فَيأكُل فَلْيَفْعَلْ ، ومَنْ أَحَبَّ أَنْ يأخُذَ ما يَكْفيهِ وأَهلَه فلْيَأتِ ، فَلْيَأخُذهُ .

اللهمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلجمِيْعِ المُسْلِمِينَ الأَحْيَاءِ مِنْهُم وَالميِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصـــــل)

عن عبدالله بن عمر قال : قَدِمتْ رِفْقَةٌ مِنَ التُّجَّار ، فَنَزَلُوا المُصَلَّى ، فقالَ عُمَر لعبدِ الرَّحمنِ بن عَوْف : هَلْ لَكَ أن نحرِسَهُمَ اللَّيْلَةَ مِن السَّـــرقِ ؟ (قالَ : نَعَم) ، فَبَاتَا يَحْرُسَانِهِم ويُصَلِّيان ما كَتَبَ اللهُ لهُمَا ، فَسَمِعَ عُمَر بُكَاءَ

صَبيٌّ فَتَوَجَّهَ نحوَه فقالَ لأُمِّهِ : اتقي اللهَ وأَحْسني إلى صَبِيِّك .

ثُمَّ عادَ مَكَانِهِ ، فَسَمِعَ بكاءَهُ فأتَى أُمّه فقالَ (لهَا مثل ذَلِك ، ثُمَّ عادَ إلى مَكَانِهِ ، فَلمَّا كانَ آخرِ اللَّيل سَمِعَ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فأتَى إلى أُمِّهِ فقالَ لهَا :) وَيْحَكِ ، إنِّي لأرَاكِ أُمّ سوْءٍ ، مَالي أَرَى ابنكِ لا يَقِرّ مُنْذُ اللَّيلَة (مِنَ البُكَاءِ)؟

قَالَتْ : يا عبدَ اللهِ قد أبْرَمتني منذُ اللَّيلة ، إنِّي أُريغُه عن الفِطَام فيأبَى ، قالَ : ولمَ ؟ قالَتْ : لأنَّ عُمَر لا يَفْرِضُ إلاَّ لِلفُطُمِ ، قالَ : وكَمْ لَهُ ؟ قالَتْ : كَذَا وكَذَا شَهْراً ، قالَ : ويحَكِ لا تُعْجِلِيهِ (عن الفِطَام) .

فَصَلَّى الفَجْرَ وما يَسْتَبِينُ النَّاس قراءَتَه من غَلَبَةِ البُكَاءِ ، فَلمَّا سَلَّم قالَ : يا بُؤساً لِعُمَر ، كَمْ قَتَلَ من أولادِ المُسْلِمِين ! ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِياً ؛ فَنَادَى : أَلا ، لا تُعْجِلوا صِبْيَانَكم عن الفِطَامِ ، فَإنَّا نَفرِض لِكُلِّ مَوْلُودٍ في الإسْلام ، وكَتَبَ بذَلِكَ إلى الآفَاقِ ، إنَّا نَفْرِضُ لِكُلِّ مَوْلُودٍ في الإسْلام .

وعن أسلم العَدوي مَوْلَى عُمر قال : بَيْنَمَا أَنَا مَعَ عُمَرَ بن الخطَّاب وهُوَ يعسُّ بالمدِينَةِ إذا أَعْيَا فاتَّكأَ على جَانِبِ جِدَارٍ في جَوفِ اللَّيلِ ، وإذَا امْرَأَةٌ تَقُولُ لابْنَتِهَا : يا بنتَاه قُومِي إلى ذَلِكَ اللَّبَن فامْذُقِيهِ بالمَاءِ .

قالَتْ لهَا : يا أُمَّتاهُ أو مَا عَلِمتِ بمَّا كانَ مِنْ عزمَةِ أميرِ المُؤْمِنين ؟ قالَتْ : ومَا كانَ من عزَمَتِهِ يا بُنَيَّة ؟ قالَتْ : إنَّهُ أَمَرَ مُنَاديه ، فَنَادَى لا يُشَابُ اللَّبَن بالماءِ .

فقَالَتْ لهَا : يا بُنيَّة قُومِي إلى اللَّبنِ فامْذُقِيهِ بالماءِ فإنَّهُ بمَوضعٍ لا يَراكِ عُمَر ، ولا مُنَادِي عُمَر ، فقالَتْ الصَّبِيَّة لِأُمِّهَا : يا أُمَّتاه ، واللهِ ما كُنتُ لِأُطيعَهَ في المَلأ ، وأَعصِيهِ في الخَلاَءِ ، وعُمَر يَسْمع ذلك كُلَّه ، فقالَ : يا أَسْلَم عَلِّمِ البَابَ ، واعرِف المَوْضِع ، ثُمَّ مَضَى في عَسَسِهِ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ قالَ : يا أَسْلَمَ امضِ إلى المَوْضِعِ فانْظُرْ مَنِ القَائِلَة ومَن المَقُول لهَا ، وهَلْ لهُمِ من بَعْلٍ ، فأتَيْتُ المَوْضعَ فَنَظَرتُ فإذَا الجَارية أيِّمٌ لا

بَعْلَ لهَا ، وإذا تيكَ أُمّهَا ليسَ لهَا بَعْلٌ .

فأتَيْتُ عُمر وأَخْبَرْتُهُ ، فَدَعَى عُمَرُ وَلَدَهُ فَجمَعَهُمْ ، فقالَ : هَلْ فيكُم من يَحْتَاج إلى امْرَأةٍ فأُزَوِّجه ، لو كانَ بأبيكُم حَركة إلى النِّسَاءِ ما سَبَقَهُ منكُم أحَدٌ إلى هَذِهِ الجَارِيَة .

فقالَ عبدالله : لي زَوْجةٌ ، وقالَ عَبدالرَّحمن : لي زَوْجَةٌ ، وقالَ عَاصِم : يا أَبَتَاه ، لا زَوْجَةَ لِي ، فَزَوِّجني ، فَبَعَثَ إلى الجَارِية ، فَزَوَّجَهَا من عَاصِم ؛ فَوَلَدَتْ لَهُ بِنتاً ، وولَدت البَنْتُ عُمَر بن عَبد العَزِيز – رحمهُ الله – . والله أعلم

اللَّهم وَفِّقْنا لِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ رُسُلِكَ وَأَوْلِيَائِكَ وعِبَادِكَ الصالحين واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْــلٌ)

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قالَ سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ في غَزْوَةِ تَبُوكَ .

قال كَعْبُ بْنِ مَالِكٍ : لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ في غَزْوَةٍ غَزَاهَا قطّ إلاَّ في غَزْوَةِ تَبُوكَ ، غَيْرَ أَنّي قَدْ تَخَلَّفْتُ في غَزْوَةِ بَدْرٍ ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَداً تَخَلَّفَ عَنْهُ إنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ ، وَالمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ الله بَيْنَهُمْ ، وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ .

وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رسُولِ الله ﷺ لَيْلَةَ العَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الأسْلامِ، وَمَا أُحِبُّ أن لِي بهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ ، وإنْ كانَتْ بَدْراً أذْكَرُ في النَّاسِ مِنْهَا .

وَكانَ مِنْ خَبَرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ في غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قطّ أَقْوَى ، وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ ، والله مَا جَمَعْتُ قِبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا في تِلْكَ الْغَزْوَةِ .

وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله ﷺ يُرِيد غَزْوَةً إلاَّ وَرَّى بِغَيْرِهَا حَتَّى كانَتْ تِلْكَ

الْغَزْوَةُ فَغَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ ، واسْتَقْبَلَ سَفَراً بَعِيداً وَمَفَازِزَ ، وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيراً ، فَجَلاَ لِلمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمُ ٱلَّذِي يُرِيدُ .

وَالمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَكَثِيرٌ لاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ ، يُرِيدُ بِذٰلِكَ ٱلدِّيوَانَ ، قالَ كَعْبٌ : فَقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إلاَّ ظَنَّ أَنَّ ذٰلِكَ سَيَخْفَى مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَغزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلاَلُ فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ ، فَتَجهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ ، وَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً ، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي : أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذٰلِكَ إذا أَرَدْتُ ، وَلَمْ يَزَلْ ذٰلِكَ يَتَمَادَى بِي حَتَّى أَسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الجْدُّ .

فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَادِياً وَالمُسْلِمُونَ معه ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئاً ، ثُمَّ غَدَوْتُ فرجَعْتُ ، وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً ، فَلَمْ يَزَلْ ذٰلِكَ يَتَمَادَى بِي حَتَّى أَسْرَعُوا ، وتَفَارَطَ الْغَزْوُ ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ .

فَيَالَيْتَنِي فَعَلْتُ ، ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ لِي ذٰلِكَ وَطَفِقْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحْزُنُنِي أَنِّي لاَ أَرَى لِي أُسْوَةً إِلاَّ رَجُلاً مَغْمُوضاً عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ أَوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ .

وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ ، فَقَالَ وهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ : مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ : يَا رَسُولَ اللهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : بِئْسَمَا قُلْتَ ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْراً ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذٰلِكَ ، فَرَأَى رَجُلاً مُبَيِّضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ ، فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الأَنْصَارِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ المُنافِقُونَ .

قالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قافِلاً مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَثِّي فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَداً وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذٰلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي .

فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ ظَلَّ قادِماً رَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُوَ مِنْهُ بِشَيْءٍ أبداً فَأَجْمَعْتُ صَدَقَةً ، وَصَبَّحَ رَسُولُ الله ﷺ قَادِماً ، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالمَسْجِدِ ، فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ .

فَلَمّا فَعَلَ ذٰلِكَ جَاءَهُ المُخَلَّفُونَ ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ ، وَآسْتَغْفَرَ لَهُمْ ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ حَتى جِئْتُ .

فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ ، ثُمَّ قالَ : تَعَالَ فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لِي : مَاخَلَّفَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ آبْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ قُلْتُ : يَارَسُولَ الله : إِنِّي وَالله لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً .

وَلكِنِّي وَالله لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ ، وَلَئِنْ حَدّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدْ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى الله عَزَّ وَجَلَّ . وفي رواية : عَفْوَ الله .

والله مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ . قالَ : فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : أَمَّا هٰذَا فَقَدْ صَدَق ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ الله فِيكَ ، فَقُمْتُ وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ ، فَأَتَّبَعُونِي .

فَقَالُوا : والله مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْباً قَبْلَ هٰذَا ، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لاَ تَكُونَ آعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ بِمَا آعْتَذَرَ إِلَيْهِ المُخَلَّفُونَ ، فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ آسْتِغْفَارُ رَسُولِ الله ﷺ لَكَ ، قالَ : فَوَالله مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إلى رَسُولِ الله ﷺ فَأُكْذِبَ نَفْسِي .

قالَ : ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَقِيَ هٰذَا معي أَحَدٌ ؟ قَالُوا : نَعَمْ لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ ، وَقِيلَ لَهُمَا مَا قِيلَ لَكَ . قالَ قُلْتُ : مَنْ هُمَا ؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيُّ ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ .

قالَ : فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْراً فِيهِمَا أُسْوَةٌ ، قالَ فَمَضَيْتُ حَتَّى ذَكَرُوهُمَا لِي قالَ : وَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةَ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ .

قالَ : فَأَجْتَنَبَنَا النَّاسُ ، أَوْ قالَ : تَغَيَّرُوا لَنَا حَتّي تَنَكَّرَت لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضُ ، فَمَا هِيَ بِالأَرْضِ التِي أَعْرِفُ فَلَبِثْنَا عَلَى ذٰلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً ، فَأَمَّا صَاحِبَايَ ، فاستكانا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِما يَبْكِيَانِ .

وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ فَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ ، وَآتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَأُسَلِّمُ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي : هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ أَمْ لَا ؟ .

ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيباً مِنْهُ وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ ، فَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذٰلِكَ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ .

فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمَنَّ أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ؟ قالَ : فَسَكَتَ ، فَسَكَتَ ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ ، فَسَكَتَ ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ ، فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ .

فَبَيْنَما أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِطَعَامٍ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ : مِنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ؟ قَالَ : فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءَنِي ، فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَاباً مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ ، وَكُنْتُ

كَاتِباً فَقَرَأْتُهُ ، فَإِذَا فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغنَا أَنّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ .

قالَ : فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا : وهٰذِهِ أَيْضاً مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهَا حَتى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ ، وَٱسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ ، وَإِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْتِينِي ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ .

قالَ : فَقُلْتُ : أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ ؟ قالَ : لَا . بَلِ ٱعْتَزِلْهَا فَلَا تَقْرَبْهَا ، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذٰلِكَ . قالَ : فَقُلْتُ لِٱمْرَأَتِي : ٱلْحَقِي بِأَهْلِكِ ، فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ في هٰذَا الأَمْرِ .

قالَ : فَجَاءَتِ إِمْرَأَةُ هِلَالِ ٱبْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ : إِنّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٍ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ ؟ قالَ: لَا ، وَلٰكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكِ . قالَتْ : إِنَّهُ وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلى شَيْءٍ ، وَوَٱللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كانَ إِلى يَوْمِهِ هٰذَا .

قالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي : لَوِ ٱسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَدْ أَذِنَ لِٱمْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ . قالَ : فَقُلْتُ : وَٱللهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ٱسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا ؟ وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ .

قالَ : فَلَبِثْتُ بِذٰلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ ، فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينِ نَهَى عَنْ كَلَامِنَا .

قالَ : ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الصُّبْحِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا .

فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الحَالِةِ الَّتِي ذَكَرَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَّا قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي ، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ ! أَبْشِرْ .

قالَ فَخَرَرْتُ ساجداً ، وعَلِمْتُ أَنْ قَدْ جاءَ فَرَجٌ ، قالَ : وَأَذِنَ رسولُ الله ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ ٱللهِ عَلَيْنا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ ، فَذَهَبَ الناسُ يُبَشِّرونَنا، فَذَهَبَ قِبَلَ صاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَساً ، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ مِنْ قِبَلِي ، وَأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ .

فَلَمَّا جاءَنِي ٱلَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُني نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ ، وَٱسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا ، وَٱنْطَلَقْتُ أَتَيَمَّمُ رَسُولَ الله ﷺ .

فَتَلَقانِي النَّاسُ فَوجاً فَوْجاً يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ ، وَيَقُولُونَ : وَلْيَهْنِكَ تَوْبَةُ ٱللهِ عَلَيْكَ حَتَّى دَخَلْنَا المَسْجِدَ ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ حَوْلَهُ النَّاسُ ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي ، والله مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ .

فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ . قالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ ، قالَ : وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ ، قالَ : أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ . قالَ فَقُلْتُ : أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ الله ، أَمْ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ ؟ قالَ : بَلْ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ ، وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمرٍ .

قالَ : وَكُنَّا نَعْرِفُ ذلِكَ . قالَ : فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ يَا رَسُولَ الله : إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَتَخَلَّعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى الله وَإِلَى رَسُولِهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ .

قالَ : فَقُلْتُ فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ . قال : وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ إِنَّمَا أَنْجَانِي ٱللهُ بِالصِّدْقِ ، وَإِنَّ من تَوْبَتِي أَنْ لاَ أُحَدِّثَ إِلاَّ صِدْقاً مَا بَقِيتُ، قالَ : فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَحَداً أَبْلَاهُ الله في صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ إِلَى يَوْمِي هٰذَا ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي ٱللهُ فِيمَا بَقِيَ.

قالَ : فأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ في سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . وَعَلَى الثَّلَاثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ ٱتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ لله ﴾ .

قَالَ كَعْبٌ : وَاللهِ مَا أَنْعَمَ ٱللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللهُ لِلْأِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ ، فَأَهْلِكَ كما هَلَكَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ شَرَّ مَا قالَ لِأَحَدٍ فَقَالَ :

﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا ٱنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

قَالَ كَعْبٌ : كُنَّا خُلِّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةَ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ ، واسْتَغْفَرَ لَهُمْ ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللهُ تَعَالَى فِيهِ بِذلِكَ .

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَهُ مَا خُلِّفْنَا عَنِ الْغَزْوِ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا ، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ ، واعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، فَقَبِلَ مِنْهُ . رواه البخاري ومسلم ، واللفظ له ، ورواه أبو داود والنسائي بنحوه مفرّقاً مختصراً ، وروى الترمذي قطعة من أوّله ، ثم قال وذكر الحديث .

اللهم وَفِّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إليه القَوْم وأَيْقِظْنَا من سِنَةِ الغَفْلَةِ والنَّوم وأرزقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ اليَوْمِ الذي يَرْبَحُ فيه المُتَّقُونَ اللهم وعامِلنَا بإحْسَانِكَ وَجُدْ علينا بِفَضْلِكَ وامْتِنَانِكَ واجعلنا مِن عِبادِكَ الذين لا خَوفٌ عليهم ولا هم يحزنون اللهم ارحم ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ واجعلْ رَغْبَتَنَا فيما لَدَيْكَ ، ولا تَحْرِمنا بذُنوبنا ، ولا تَطْرُدْنَا بعُيوبنا ، واغفر لنا وَلِوالدينا وَلِجميع المُسْلمين الأحياء مِنْهم والمَيتين برَحْمَتِكَ يَا أَرْحَم الرَّاحِمِينْ وصلّى اللّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينْ .

قال بعضهم :

إن أُولي العِلْم بِما في الفِتَنْ — تَهَيَّبُوها مِن قَدِيمِ الزَّمَنْ
فاسْتَعصَمُوا اللهَ وكانَ التُّقَى — أَوْفى لَهُمْ فِيها مِنَ آوفى الجُنَنْ
واجتَمَعُوا في حُسْنِ تَوفيقِهِ — وافْتَرَقُوا في كُلِّ سَعيٍ حَسَنْ
فعالِمٌ مُسْتَجِدٌّ عامِلٌ — يَسْلُكُ بالنّاسِ سَواءَ السُّنَنْ
يَنْثُرُ مِنْ فِيهِ لَهُمْ جَوهراً — من عِلْمِهِ ليسَ لَهُ مِنْ ثَمَنْ
يَقْسِمُهُ طُلاَّبُهُ بَيْنَهُم — قِسْمَةَ تَعدِيلٍ بِقَدْرِ الفِطَنْ
وبُهْمَةٌ مُخْتَرِطٌ سَيْفَهُ — يُغْمِدُهُ في هامِ أَهْلِ الوَثَنْ
يَلْبَسُ مِنْ إيمانِهِ لأْمَةً — فَضْفاضَةً يَغْنَى بِهَا عَن مِجَنْ
وحَابِسٌ في بَيْتِهِ نَفسَهُ — مُعْتَزِلٌ مُستَمْسِكٌ بالسُّنَنْ
يَأْخُذُ مِنْ دُنياهُ قُوتاً لَهُ — مُقْتَنِعاً مِثْلَ عِذارِ الرَّسَنْ
قَد جَعَلَ البَيْتَ كَقَبْرٍ لَهُ — وبُرْدُه فيهِ لَهُ كالمَفَنْ
فهوَ خَفيفُ الظَّهرِ لكِنَّهُ — أَثْقَلُ في مِيزانه مِن حَضَنْ
وهارِبٌ شُحّاً عَلى دِينِهِ — إلى البَرارِي ورُؤسِ القُنَنْ
يأنَسُ بالوَحْدَةِ في بِيدِها — أَكْثَرَ مِن تَأنِيسِهِ بالسَّكَنْ
لا يَرْهَبُ الأَسَدَ ومَن لم يَخُنْ — سَيِّدَهُ في عَهْدِهِ لم يُخَنْ
وتائِبٌ مِنْ ذَنْبِهِ مُشْفِقٌ — يَبكي بُكاءَ الوَاكِفاتِ الهُتُنْ
تَخالُهُ بَيْنَ يَدَي رَبِّهِ — في ظُلَمِ اللَّيلِ كمِثْلِ الغُصُنْ
إنْ مَهَّدَ النَّاسُ لِدُنْياهُم — شمَّرَ في تَمهِيدِهِ لِلْجَنَنْ
كأنَّما الأَرضُ لَهُ أَيكَةٌ — وهوَ بِهَا قُمْرِيَّةٌ في فَنَنْ
وصَامِتٌ في قَلْبِهِ مِقْوَلٌ — بالذِّكْرِ للهِ طَويلٌ لَسِنْ
تَراهُ كالأَبْلَهِ في ظاهِرٍ — وهوَ مِنَ أَذْكى النَّاسِ فيما يَظُنْ
قَدْ نَوَّرَ اللهُ لَهُ قَلْبَهُ — بالذِّكْرِ في السِّرِّ لهُ والعَلَنْ

فإنْ يَبِنْ بالفِكْرِ عن صَحبِهِ ... فَجِسمُهُ بينَهُم لم يَبِنْ
إنْ لَغَوا جَليسٌ لَهُمْ ... لم يلِجِ اللَّغوُ لهُ في أُذُنْ
في مَلَكُوتِ اللهِ سُبحانَهُ ... تَجولُ أَلبابُ لُبابِ الفِطَنْ
فَهُمْ خُصوصُ اللهِ في أرضِهِ ... حقّاً ، بِهِمْ تُدرأُ عنّا المِحَنْ
سَمَوا بِفَضْلِ اللهِ نحو التي ... مَنْ حَلَّ في جِيْرَتِها قد أَمِنْ
ونَزَّهُوا الأنفسَ عن مَنْزِلٍ ... نازِلُهُ مُسْتَوفِزٌ للظَّعَنْ
وسَمَّرُوا الخيلَ لِيومٍ بهِ ... يُنكَبُ مَنْ يركَبُ فوقَ الهُجُنْ
فَلَيتَني كنتُ لَهُمْ خادِماً ... وليتَني إذْ لم أكُنْ لم أكُنْ
ومَنْ سِواهُمْ فَرِجالٌ رَجَوا ... أَنْ يَعْبُرُوا البَحرَ بِغيرِ السُّفُنْ
وإنَّما قَصَّرَ بي عَنْهُمُ ... حُبّي لِدارٍ مُلِئَتْ بالفِتَنْ
لاغارَتِ الدُّنيا ولا أَنْجَدَتْ ... فالعاقِلُ الحُرُّ بِها مُمْتَحَنْ
تَميلُ للأحمَقِ مِنْ أهلِها ... وهيَ على عاقِلِهِمْ تَضْطَغِنْ
يا عَجَباً مِن غفلَتي بعدَ أنْ ... نادَانيَ الشَّيْبُ ألا فارْحَلَنْ !
وأُدْرِكِ الفائتَ مِن قبلِ أَنْ ... يَفْجَأَكَ الموتُ فَلا تُنظَرَنْ
أقبحُ مَنْ ترمُقُهُ مُقْلَةٌ ... مُبْصِرَةٌ ، شَيخٌ خَليعُ الرَّسَنْ
تَقْتادُهُ الدَّهرَ دواعي الهَوى ... إلى الصِّبا مِثْلَ اقْتِيادِ البُدُنْ
يأمُلُ آمالَ فَتى يافعٍ ... كأنَّهُ ليسَ بِشَيخٍ يَفَنْ
ليسَ جَمالُ الشَّيخِ إلاّ التُّقى ... والمحوُ للسُّوءِ بِفِعْلٍ حَسَنْ
شُغِلْتُ بالوَصْفِ ولو أنَّني ... أشْغَلُ بالمَوصُوفِ كُنْتُ الفَطِنْ
ولَمْ أَبِعْ رُشْداً بِغَيٍّ ولَمْ ... أَرْضَ بِعَقْلي مثلَ هٰذا الغَبَنْ
إنَّا إلى اللهِ لقدْ حاقَ بي ... ما يُورِثُ الخِزْيَ غَداً والحَزَنْ
والحَمْدُ للهِ فَفي كَفِّهِ ... مَنْحٌ لِمَنْ شاءَ وفيها المِنَنْ
وَهْوَ الّذي أرْجو فإن لمْ يكُنْ ... عِنْدَ رَجائي فيهِ طَوْلاً فَمَنْ ؟

اللهم احفظنا بالاسلام قَائِمين ، واحفظنا بالاسلام قاعِدِيْن ، واحفظنا بالاسلام راقِدين ، ولا تشمت بنا الأعداءَ ولا الحاسدين ، اللهم قَوِّ إيمانَنَا بِفَهْمِ آيَاتِكَ ، وارزقنا العَمَلَ بِهَا ، وَزِدْنا عِلْما يَنْفَعُنا ، وَأَصْلِح نِيَّاتِنَا ، وَوَفِّقْنَا لِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ ، وارْزُقْنَا حُبَّكَ ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، وَحُبَّ العَمَلِ الذِي يُقَرِّبُنَا إلى حُبِّكَ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياءِ منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبَعْدُ فقد رَأَيْتُ أنه مِن المناسب أن أختِمَ هذا الكتاب المُحتوي على كثيرٍ مِن الأحكام والآداب بِمَنْظُومَةِ الآداب لابن عبدِ القَوي لاشْتِمَالِهَا عَلَى كَثِيرٍ مِن الآداب الشرعِيَّةِ وأسأل اللَّهَ الحَيَّ القَيُّومَ العَلِيَّ العَظِيْمَ القَوِيَّ العَزِيْزَ الحكيمَ ذَا الجَلاَلِ والاكرام الواحِدَ الأحدَ الفردَ الصمدَ الذي لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُوْلَدْ ولم يَكنْ له كفواً أَحَدٌ أن يَنْفَعَ بِهَا نَفْعَاً عاماً مَن قَرَأَهَا وَمَن سَمِعَهَا وَمَنْ حَضَرَهَا وَأَن يَفْتَحَ لَنَا ولاخْوَانِنَا المُسْلِمين بابَ القَبُولِ والإجَابَةِ اللهم صلى على محمد وآله وسلم آمين يارب العالمين .

من منظومة الآداب لابن عبد القوي رحمه الله

بحمْدِكَ ذِي الاكْرَامِ مَا رُمْتُ أبْتَدي
كَثِيْراً كَمَا تَرْضَى بِغَيْرِ تَحَدُّدِ
وَصَلِّ على خَيْرِ الأَنَامِ وآلِهِ
وأَصْحَابِهِ مِن كُلِّ هَادٍ وَمُهْتَدِي

وبَعــدُ فــإنّي سَــوْفَ أَنْــظِمُ جُـمْـلَةً
مِن الأَدَبِ المـأْثُـوْرِ عَن خَيْـرِ مُـرْشِـدِ
مِن السُّنَّــةِ الغَـراءِ أَوْ مِن كِتَــابِ مَنْ
تَـقَــدَّسَ عَنْ قَــوْلِ الـغُــواةِ وَجُحَّــدِ
ومِن قَــوْلِ أهـلِ العِلْمِ مِن عُلَمَــائِنـا
أئِمَــةِ أَهْــلِ السِلْمِ مِن كُــلِّ أَمْجَــدِ
لَـعَــلَّ إلــهَ العَــرْشِ يَـنْفَعُنَـا بِـهِ
وَيُنْـزِلُنَـا في الحشْــرِ في خَيْرِ مَقْعَـدِ
الأَمَن لَــه في العِلْمِ والـدِّيْنِ رَغْبَــةٌ
لِيُصْــغِ بِقَلْبٍ حَــاضِــرٍ مُتَــرَصِّــدِ
وَيَقْبَـلَ نُصْحاً مِن شَفِيْقٍ على الـوَرَى
حَـرِيْصٍ على زَجْرِ الأَنَـامِ عَنِ الرَّدِي
فَعِنْــدِيَ مِن عِلْمِ الحَــدِيْث أَمَــانَــةٌ
سَـأَبْـذِلُهَا جُهْـدِي فـاهْـدِي واهْتَــدِيْ
ألا كُــلُّ مَن رَامَ السَّــلامَــةَ فَلْيَصُـنْ
جَــوَارِحَهُ عن مَــا نَهَى اللّهُ يَهْتَــدِي
يَكُبُّ الفَتَى في النَّـارِ حَصْدُ لِسَــانِـهِ
وارْسَــالُ طَـرْفِ المَـرءِ أنْكَى فَقَيِّــدِ
وَطَـرْفُ الفَتَى يَا صَاحِ رَائِـدُ فَرْجِـهِ
وَمُتْعِبُـهُ فَاغْضُضْــهُ ما اسْـطَعْتَ تَهْتَدِي
وَيَـحْــرُمُ بُهْـتٌ واغْـتِـيَــابٌ نَـمِـيْـمَــةٌ
وإفْــشَــاءُ سِــرٍ ثُـمَّ لَـعْـنُ مُـقَــيَّــدِ

وَفُحْشٌ وَمَكْـر وَالبِـذا وَخَـدِيْعَـةٌ
وَسُخْـرِيَّـةٌ والهُـزْؤُ والـكِـذْبَ قَيِّـدِ
بِغَيْـرِ خِـدَاعِ الكـافِـرِيْنَ بِحَرْبِهِم
وَللعـرْس أَوْ إصْـلَاحِ أَهْـلِ التَّنَكُّـدِ
وَيـحْـرُمُ مِـزْمَـارٌ وَشُـبَّـابَـةٌ وَمَـا
يُضَـاهِيْهِمَا مِنْ آلَـةِ اللَّهْـوِ والـرَّدِي
وَلَـوْ لَمْ يُقَـارِنْـهَـا غِنَـاءٌ جَمِيْعُهَـا
فَـمِنْـهَـا ذَوُوْ الأَوْتَـارِ دُوْنَ تَـقَـيُّـدِ
ولا بـأسَ بـالشِّعْـرِ المُبَاحِ وَحِفْـظِهِ
وَصَنْعَتِـهِ مَـنْ رَدَّ ذَلِـكَ يَعْتَـدِي
فقـد سَمِـعَ المُخْتَـارُ شِعْرَ صَحَـابَةٍ
وَتَشْبِيْبَهُم مِن غَيْـرِ تَعِيِيْنِ خُـرَّدِ
وَحَـظْرَ الهِجَا والمَـدْحِ بالـزورِ والخَنَـا
وَتَـشْـبِـيْبِـهِ بـالأَجْـنَبِـيَّـاتِ أَكِّـدِ
وَوَصْفِ الزِّنَا والخَمْرِ والمُرْدِ والنِسَا الْـ
ـفَتِيَّـاتِ أَوَ نَـوْحِ التَّسَـخُّطِ مُـوْرِدِ
وَأَوْجِبْ عَن المَحْضُـورِ كَفَّ جَـوَارِحٍ
وَنَـدْبٌ عن المَكـروهِ غَيْـرَ مُشَـدِّدِ
وَأْمُـرْكَ بـالمَعْـروفِ والنَّهْيِ يـا فَتَى
عن المُنْكَـر اجْعَـلْ فَـرْضَ عَيْنٍ تُسَـدَّدِ
على عَـالِمٍ بـالحَـظْرِ والفِعْـلِ لَمْ يَقُم
سِـوَاهُ بِـهِ مَـعْ أَمْنِ عُـدْوَانِ مُعْتَـدِي

وَلو كَانَ ذَا فِسْقٍ وَجَهْلٍ وفي سِوَى الْـ
لَذِيْ قِيْلَ فَـرْضٌ بـالكِفَـايَـةِ فـاحْــدُدِ
وبــالعُلَمَا يَخْتَصُّ مَـا اخْتَصَّ عِلمُــهُ
بِــهِم وَبِـمَنْ يَـسْـتَـنْـصِــرُوْنَ بِــهِ قَــدِ
وَأَضْـعَـفُــه بــالـقَلْبِ ثُــمَّ لِـسَــانِــهِ
وأَقْــوَاهُ انْكَــارُ الفَتَى الجَلْدِ بــالـيَــدِ
وأنْكِــرْ عَلى الصِبْيَــانِ كُــلَّ مُحَــرَّمٍ
لِتَـأْدِيْبِهِم والعِلْمِ في الشَّرْعِ بـالـرَّدِي
وبـالأسْهَـلِ ابْـدَأْ ثُمَّ زِدْ قَـدْرَ حَــاجَـةٍ
فـإنْ لَمْ يَزُلْ بـالنَّـافِـذِ الأَمْـرَ فـاصْـدُدِ
إذَا لَمْ يَخَفْ في ذَلِـكَ الأَمْـرَ حَيْفُــهُ
إِذَا كَــانَ ذَا الانْكَــارِ حَتْـمَ التَّــأَكُّــدِ
ولا غُــرْمَ في دَفِّ الصَّنُـوْجِ كَسَــرْتَـهُ
وَلَا صُــوَرٍ أَيْــضَــاً وَلَا آلَــةِ الــدَّدِ
وآلَــةِ تَـنْـجِـيْـمٍ وَسِــحْــرٍ وَنَـحْــوِهِ
وَكُتُبٍ حَــوَتْ هَـذَا وَأَشْبَــاهَــهُ أَقْــدُدِ
« وَقُـلْتُ كَــذَاكَ الـسِّـيْـنَـمَــاءُ وَمِثْلُهُ
بِــلا رَيْبَ مِـذْيَــاعٌ وَتِلْفَازُ مُعْتَـدِي »
« وَأَوْرَاقُ أَلْعــابٍ بهـا ضَــاعَ عُمْرُهُم
وكُــوْرَاتِـهِــم مَــزِّقْ هُـدِيْـتَ وَقَــدِّدِ »
« كَــذَا بَكَمَــاتٌ والـصْلِيْـبُ وَمِــزْمَــرٌ
وآلـةُ تَصْـوِيْــرٍ بهـا الشَّــرُّ مُـرْتَــدِي »

«كَـذَلِـكَ دُخَّـانٌ وشِيْشَـةُ شُـرْبِـهِ
وآلـةُ تَـطْفَـاةٍ لَـهُ اكْـسِـرْ وَبَـدِّدِ»

«وَمِنْ بَعْدِ ذا فاسْمَعْ كَلاماً لِنَاظِمٍ
يَسُوقُ لَكَ الآدَابَ عن خَيْرِ مُرْشِدِ»

وَبَيْضٍ وَجَـوْزِ لِلْقِمَـارِ بِقَـدْرِ مَـا
يُـزِيْـلُ عن المَنْكُـورِ مَقْصَدَ مُفْسِـدِ

ولا شَقِ زِقِّ الخَمْـرِ أَوْ كَسْـرِ دِنّـهِ
إذا عَـجَـزَ الانْـكَـارُ دُوْنَ الـتَّـقَـدُّدِ

وَإنْ يَـتَـأَتَى دُوْنَـهُ دَفْـعُ مُـنْـكَـرٍ
ضَمِنْتَ الـذي يُنْقَى بِتَغْسِيْلِهِ قَـدِ

وَهِجْـرانُ مَن أَبْدَى المَعَـاصِيَ سُنَّةٌ
وَقَـدْ قِيْـلَ إنْ يَـرْدَعْهُ أَوْجِبْ وَأَكِّـدِ

وَقِيْـلَ عَلَى الاطْـلاَقِ مَـا دَامَ مُعْلِنـاً
وَلاَقِـهْ بِـوَجْـهٍ مُكْفَهِـرٍ مُعَـرْبَدِ

وَيَـحْـرُمُ تَـجْـسِيْسٌ عَلَى مُتَـسَـتِّـرٍ
بِفِسْقٍ ومَـاضِي الفِسْقِ إنْ لَم يُجَـدِّدِ

وَهِجْـرَانُ مَنْ يَـدْعُـو لِأَمْـرٍ مُضِـلٍ أَوْ
مُـفَـسِّـقٍ احْـتِـمْـهُ بِـغَـيْـرِ تَـرَدُدِ

على غَيْرِ مَنْ يَقْوَى عَلَى دَحْضِ قَوْلِه
وَيَـدْفَـعُ إضْـرَارَ الـمُضِـلِ بِـمِـذْوَدِ

وَيَـقْضِي أُمُـورَ الـنـاسِ فِي أَتِـيَـانِـهِ
ولا هَـجْـرَ مَـعْ تَسْلِيْمِـهِ الـمُتَـعَـوِّدِ

وَحَظْرُ انْتِفَا التَّسْلِيْمِ فَوقَ ثَلاَثَةٍ
على غَيْرِ مَن قُلْنَا بِهَجْرٍ فَأَكِّدِ
وَكُنْ عَالِماً إنَّ السلامَ لَسُنَّةٌ
وَرَدُّكَ فَرْضٌ لَيْسَ نَدْبٌ بِأَوْطَدِ
وَيُجْزِىءُ تَسْلِيْمُ امْرِىءٍ مِن جَمَاعَةٍ
وَرَدُّ فَتىً مِنهُم على الكُلِّ يا عَدِي
وَتَسْلِيْمُ نَزْرٍ والصَّغِيْرِ وَعَابِرٍ
سُبَيْلٍ وَرُكْبَانٍ عَلى الضِدِّ أَيِّدِ
وإنْ سَلَّمَ المَأْمُوْرُ بالرَّدِ مِنهُمُ
فَقَدْ حَصَلَ المَسْنُونُ إذْ هُوَ مُبْتَدِي
وَسَلِّمْ إذَا مَا قُمْتَ عَن حَضْرَةِ امْرِىءٍ
وَسَلِّمْ إذا مَا جِئْتَ بَيْتَكَ تَهْتَدِي
وافْشَاؤُكَ التَّسْلِيْمَ يُوْجِبُ مَحَبَّةً
مِن الناسِ مَجْهُولاً وَمَعْرُوْفاً أقْصُدِ
وَتَعْرِيْفُهُ لَفْظُ السلامِ مُجَوَّزٌ
وَتَنْكِيْرُهُ أَيْضاً على نَصِّ أَحْمَدِ
وقَد قِيْلَ نَكِّرْهُ وَقِيْلَ تَحِيَّةً
كَلِلْمَيْتِ والتَّوديْعِ عَرِّفْ كَرَدِّدِ
وَسُنَّةٌ اسْتِئْذَانُه لِدُخُوْلِهِ
على غيرِهِ مِن أقْرَبِيْنَ وَبُعَّدِ
ثَلاثاً وَمَكْرُوْهٌ دُخُولٌ لِهَاجِمٍ
ولا سِيْمَا مِن سَفْرَةٍ وَتَبَعُّدِ

وَوَقْفَتُهُ تِلْقَاءَ بَابٍ وَكُوَّةٍ
فَإِنْ لَم يُجَبْ يَمْضِي وإِنْ يَخْفَ يَزْدَدِ
وَتَحْرِيْكُ نَعْلَيْهِ واظْهَارُ حِسِّهِ
لِدَخْلَتِهِ حَتَّى لِمَنْزِلِهِ اشْهَدِ
وَكُلُّ قِيَامٍ لاَ لِوَالٍ وَعَالِمٍ
وَوَالِدِهِ أو سَيِّدٍ كُرْهَهُ امْهَدِ
وَصَافِحْ لِمَنْ تَلْقَاهُ مِن كُلِّ مُسْلِمٍ
تَنَاثَرْ خَطَايَاكُمْ كَمَا في المُسَنَّدِ
وَلَيْسَ لِغَيْرِ اللَّهِ حَلٌّ سُجُوْدُنَا
وَيُكْرَهُ تَقْبِيْلُ الثَّرَى بِتَشَدُّدِ
وَيُكْرَهُ مِنْكَ الانْحِنَاءُ مُسَلِّماً
وَتَقْبِيْلُ رَأْسِ المَرْءِ حَلٌّ وفي اليَدِ
وحَلٌّ عِنَاقٌ لِلْمُلاَقِي تَدَيُّناً
وَيُكْرَهُ تَقْبِيْلُ الفَمِ أَفْهَمْ وَقَيِّدِ
وَنَزْعُ يَدٍ مِمَّنْ يُصَافِحُ عَاجِلاً
وَأَنْ يَتَنَاجَى الجَمْعُ مِن دُوْنِ مُفْرَدِ
وَأَنْ يَجْلِسَ الإِنْسَانُ عِنْدَ مُحَدِّثٍ
بِسِرٍ وَقِيْلَ احْضِرْ وإِنْ يَأْذَنْ اقْعُدِ
وَمَرْأَى عَجُوزٍ لم تُرِدْ وَصِفَاحُهَا
وَخُلْوَتُهَا اكْرَهْ لا تَحِيْتُهَا أَشْهَدِ
وَتَشْمِيْتُهَا واكْرَهْ كِلاَ الخِصْلَتَيْنِ
لِلشَّبَابِ من الصِّنفَيْنِ بُعْدَى وَأَبْعَدِي

وَيَحْـرُمُ رَأْيُ المُرْدِ مَـعْ شَهْوَةٍ فَقَطْ
وَقِيْـلَ وَمَـعْ خَـوْفٍ وَلِلْكُـرْهِ جَـوِّدِ
وَكُنْ واصِـلَ الأَرْحَـامِ حَتَّى لِكَـاشِحٍ
تُـوَفَّـرَ فِي عُـمْـرٍ وَرِزْقٍ وَتَـسْـعَـدِ
وَيَـحْسُـن تَحْسِيْنٌ لِخُلْقٍ وَصُـحْبَـةٍ
ولا سِـيَّـمَـا لِـلْوَالِـدِ الـمُـتَـأَكِّـدِ
وَلَـوْ كَـانَ ذَا كُفْـرٍ وَأَوْجَبَ طَـوْعَـهُ
سِـوَى فِي حَـرَامٍ أَوْ لأَمْـرٍ مُؤَكَّـدِ
كَـتَـطْلاَبِ عِلْمٍ لاَ يَـضُـرُّهُـمَـا بِـهِ
وَتَـطْلِيْـقِ زَوْجَـاتٍ بِـرَأْيٍ مُـجَـرَّدِ
وَأَحْسِنْ إلى أَصْحَـابِهِ بَعْـدَ مَـوْتِـهِ
فَـهـذَا بَقَـايَـا بِـرِّهِ الـمُـتَـعَـوَّدِ
وَيُـكْـرَهُ فِي الـحَـمَّـامِ كُـلُّ قِـرَاءَةٍ
وَذِكْـرٍ لِسَـانٍ والسَّـلامُ لِمُبْـتَـدِي
وغَيـر بِغَيْـرِ الأَسْـوَدِ الشَّيْبَ وَأَبْقِـهِ
وَلِلْقَـزَعِ اكْـرَهْ ثُمَّ تَـدْ لِيْسَ نُهَـدِ
وَيُشْـرَعُ إِيْكَـاءُ السِقَـا وَغِـطَا الإِنَـا
وإِيْـجَـافُ أَبْـوَابٍ وَطَـفْءُ لِـمُـوْقَـدِ
وَتَـقْلِيْـمُ أَظْـفَـارٍ وَنَـتْـفُ لإِبْـطِه
وَحَلْقـاً وَلِلتَّنْـوِيْـرِ لِلْعَـانَـةِ أَقْـصِـدِ
وَيَحْسُنُ خَفْضُ الصَّوتِ من عَاطِسٍ وأَنْ
يُغَـطِّي وَجْهـاً لاسْتِتَـارٍ مِن الـرَّدِي

وَيَحْمَـدُ جَهْـراً وَلْيُشَمِّتْـهُ سَـامِـعٌ
لِتَحْمِيْـدِهِ والْيُبْـدِ رَدَّ الـمُـعَـوَّدِ
وَقُـلْ لِلْفَتَى عُـوْفِيْتَ بَعْـدَ ثَـلاَثَـةٍ
وَلِلطِّفْلِ بُـوْرِكْ فِيْـكَ وَأْمُرْهُ يَحْمَـدِ
وَغَطِّ فَماً واكْظُمْ تُصِبْ في تَثَـاؤُبٍ
فَـذَلِـكَ مَسْنُـونٌ لأَمْـرِ المُـرَشِّـدِ
وَلاَ بَـأْسَ شَـرْعـاً أَنْ يَـطِبَّـكَ مُسْلِمٌ
وشَكْوَى الذي تَلْقَى وبـالحَمْد فـابْتَدِي
وَتَـرْكُ الـدَّوا أَوْلَى وَفِعْـلُكَ جَـائِـزٌ
ولـم تَـتَـيَقَـنْ فيـه حُـرْمَـةَ مُفْـرَدِ
وَرَجِّحْ عَلَى الخَوْفِ الرَّجا عِنْدَ يَأْسِـهِ
ولاَقِ بِـحُسْنِ الـظَّنِّ رَبَّـكَ تَسْعَـدِ
وَيُشْـرَعُ لِلْمُـرْضَى العِيَـادَةُ فَـأْتِهِمْ
تَخُضْ رَحْمَـةً تَغْمُـرْ مَجَـالِسَ عُـوَّدِ
فَسَبْعُـونَ ألفـاً مِن مَـلاَئِكَـةِ الـرِّضَـا
تُصَلِّي على مَن عَـادَ مُمْسىً إلى الغَدِ
وانْ عَـادَهُ فـي أَوَّلِ اليَـوْمِ وَاصَلَتْ
عليـهِ إلى اللَّيْـلِ الصَّـلاةِ فـأَسْنِـدِ
فَمِنْهُمْ مُغِبـاً عُـدْهُ خَفِّفْ وَمِنْهُـمْ الْـ
لَذِيْ يُـورِثُ التَّـطْوِيْـلَ مِن مُـتَـوَرِّدِ
وَفَكِـرْ وَرَاعِ في العِيَـادَةِ حَـالَ مَـن
تَـعُـوْدُ وَلاَ تُـكْـثِـرْ سُؤآلاً تُـنَـكَّـدِ

وَمَكْـرُوْهٌ اسْتِـأَمَـانُنَـا أَهْـلَ ذِمَّـةٍ
لِإحْـرَازِ مَـالٍ أَوْ لِـقِسْـمَتِـهِ اشْـهَـدِ
وَمَكْـرُوْهٌ اسْتِـطْبَـابُـهُـم لَا ضَـرُوْرَةً
ومـا رَكَّـبُـوْهُ مِـن دَوَاءٍ مُـوَصَّـدِ
وانْ مَـرِضَتْ أُنْثَى وَلَمْ يَجِـدُوْا لَهَـا
طَبِيْبـاً سِـوَى فَحْـلٍ أَجِـزْهُ وَمَـهِّـدِ
وَيَـكْـرَهُ حَـقْـنُ الـمَـرْءِ إِلَّا ضَـرُوْرَةً
وَيَـنْـظُرُ مَـا يَحْتَـاجُـهُ حَـاقِنٌ قَـدِ
كَـقَـابِـلَةٍ حِـلٌ لَـهَـا نَـظَرٌ إِلَـى
مَكَـانِ ولَادَاتِ النِـسَـا في الـتَّـوَلُّـدِ
وَيُكْـرَهُ إِنْ لَمْ يَسْـرِ قَـطْعُ بَـوَاسِـرٍ
وَبَطِّ الأَذى حِـلٌ كَـقَـطْعٍ مُـجَـوِّدِ
لِأَكِلَةٍ تَسْـرِي بِـعضْـوِ أَبِـنْـهُ إِنْ
تَـخَـافَـنَّ عُـقْـبَـاهُ وَلَا تَـتَـرَدَّدِ
وَقَبْـلَ الأَذَى لَا بَعْـدَهُ الكَيَّ فَـاكْـرَهَنْ
وَعَـنْـهُ عَلَى الاطْـلَاقِ غَيْـرَ مُقَيَّـدِ
وَفِيْهَا عَدَا الأَغْنَامِ قَدْ كَرِهُوْا الخِصَـا
لِتَعْـذِيْبِـهِ المَـنْهِي عَنـهُ بِمُسْنَـدِ
وَقَـطْعُ قُـرُوْنٍ وَالآذَنِ وَشَـقُّـهَـا
بِـلا ضَـرَرٍ تَغْـيِيْـرُ خَلْقٍ مُـعَـوَّدِ
وَيَحْسُنُ في الإِحْـرَامِ والحِلِّ قَتْـلُ مَـا
يَـضُـرُ بِـلا نَفْـعٍ كَنِـمْـرٍ وَمَـرْثَـدِ

وَغِـرْبَـانِ غَيْـرِ الـزَّرْعِ أَيْضـاً وَشِبْهُهَـا
كَـذَا حَشَـراتُ الأَرْضِ دُوْنَ تَقَيُّـدِ
كَـبـقٍ وَبُـرْغُـوثٍ وَفَـأرٍ وَعَـقْـرَبٍ
وَدَبْـرو حَـيَّـاتٍ وشِبْـهِ الـمُـعَـدَّدِ
وَيُكْـرَهُ قَتْـلُ النَّمْـلِ إلاَّ مَـعَ الأَذى
بِـهِ واكْرَهَنْ بـالنَّـارِ إِحْـرَاقَ مُفْسِـدِ
ولـو قِيْـلَ بـالتَّحْرِيْمِ ثُمَّ أُجِيْـزَ مَعْ
أَذىً لـم يَـزُلْ إلاَّ بِـهِ لَمْ أُبَـعِّـدِ
وَقَـدْ جـوَّزَ الأَصْحَـابُ تَشْمِيْسَ قَـزِّهِمْ
وَتَـدْخِيـنَ زُنْبُـورٍ وَشَيـاً بِـمَـوْقِـدِ
وَيُكْـرَهُ لِنَهْيِ الشَّرْعِ عن قَتْلِ ضِفْدعٍ
وَصِـرْدَانِ طَيْـرٍ قَتْـلُ ذَيْنِ وَهُـدْهُـدِ
وَيُـكْـرَه قَتْـلُ الـهِـرِّ إلاَّ مَـعَ الأَذى
وَإِنْ مُلِكَتْ فـاحْظِرْ إذاً غَيْـرَ مُفْسِدِ
وَقَـتْلُكَ حَـيَّـاتِ الـبُيـوتِ وَلَـمْ تَـقُـلْ
ثَـلاثَـا لَـهُ اذْهَبْ سَـالِماً غَيْـرَ مُعْتَـدِ
وذَا الـطُّفْـيَتَيْنِ أَقْتُـلْ وابْتَـرَ حَيَّـةٍ
ومـا بَعْـدَ إِيْـذَانٍ تُـرَى أَوْ بِفَـدْفَـدِ
ومـا فِيْـهِ إِضْـرَارٌ وَنَفْـعٌ كَبَـاشَـقٍ
وكَلْبٍ وَفَهْـدٍ لاقْتَصـادِ التَّصَيُّـدِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ مُلْكـاً فَـأَنْتَ مُخَيَّـرٌ
وانْ مُلِكَتْ فـاحْظِرْ وانْ تُؤْذِ فـاقْـدُدِ

وَيُكْـرَهُ نَفْـخُ في الغَـدَا وَتَنَفُسٌ
وَجَـوْلَانُ أَيْـدٍ فـي طَعَـام مُـوَحَّـدِ
فإِنْ كَانَ أنْواعاً فلاَ بَأْسَ فالذي
نُهِيْ في اتِّحادٍ قَدْ عُفِي في التَّعَدُّدِ
وَأَخْـذٌ واعْـطَاءٌ وأَكْـلٌ وشُـرْبُـهُ
بِيُسْرَاهُ فَاكْرَهْهُ ومُتَّكِئاً ذُدِ
وأَكْلُكَ بالثِّنْتَيْنِ والأَصْبُعِ اكْرَهَنْ
وَمَعْ أَكْلِ شَيْنِ العُرْفِ إتْيَانَ مَسْجِدِ
وَيُكْرَهُ باليُمْنَى مُبَاشَرَةُ الأَذَى
وَأَوْساخِهِ مَعْ نَثْرِ مَا أَنْفِهِ الرَّدِي
كذا خَلْعُ نَعْلَيْهِ بِهَا واتِّكَاؤُهُ
على يَدِهِ اليُسْرَى وَرَا ظَهْرِهِ أَشْهَدِ
وَيُكْرَهُ في التَّمْرِ القِرَانُ وَنَحْوُهُ
وقِيْلَ مَعَ التَّشْرِيْك لَا في التَّفَرُدِ
وَكُنْ جَالِساً فَوْقَ اليَسَارِ وَنَاصِبَ الْـ
يَمِيْنِ وَبَسْمِلْ ثُمَّ في الانْتِهَا أَحْمَدِ
وَيُكْرَهُ سَبْقُ القَوْمِ لِلأَكْلِ نَهْمَةً
وَلَكِنَّ رَبَّ البَيْتِ إنْ شَاءَ يَبْتَدِي
ولا بَأْسَ عِنْدَ الأَكْلِ مِن شِبَعِ الفَتَى
وَمَكْرُوْهٌ الإِسْرَافُ والثُّلْثُ أَكِّدِ
وَيَحْسُنُ تَصْغِيْرُ الفَتَى لُقْمَةَ الغَدَا
وَبَعْدَ ابْتِلَاعٍ ثَنِّ والمَضْغَ جَوِّدِ

وَيَحْسُنُ قَبْـلَ المَسْحِ لَعْقُ أَصَـابِعٍ
وَأَكْـلُ فُـتَـاتٍ سَـاقِطٍ بِـتَـشَـرُّدِ
وَتَخْلِيْـلُ مَا بَيْنَ المَـواضِـعِ بَعْـدَهُ
وأَلْقِ وَجَـانِبْ مَـا نَهَى اللَّهُ تَهْتَـدِي
وَغَسْـلُ يَدٍ قَبْـلَ الـطَّعَـامِ وَبَعْـدَهُ
وَيُكْـرَهُ بـالمَـطْعُـومِ غَيْـرَ مُقَيَّـدِ
وَكُـلْ طَيِّبـاً أَوْ ضِـدَّهُ وَأَلْبَس الـذِي
تُـلاقِيْـهِ مِن حِـلٍّ ولا تَـتَـقَـيَّـدِ
ومـا عِفْتَـهُ فـاتْـرُكْـهُ غَيْـرَ مُعَنِفٍ
ولا عَـائِبٍ رِزْقاً وبـالشَّـارِعْ اقْتَـدِي
ولا تَشْـرَبَنْ مِن في السِّقَاءِ وثُلْمَـةِ الْـ
إِنَـا وانْـظُرَنْ فِـيْـهِ وَمَـصـاً تَـزَرُّدِ
وَنَـحِّ الانا عَن فِيْكَ واشْـرَبْ ثَـلاَثَـةً
هُـوْ اهْنَا وَأَمْـرَا ثم أَرْوَى لِمَنْ صُـدِي
ولا تَكْـرَهَنَّ الشُّرْبَ مِن قَـائِمٍ وَلَا انْ
يَعَـالُ الفَتَى في الأَظْهَـرِ المُتَـأَكِّـدِ
وَيُكْـرَهُ لُبْسٌ فـيـه شُهْـرَةُ لَابِسٍ
وَوَاصِـفُ جِـلْدٍ لا لِـزَوْجٍ وَسَـيِّـدِ
وأنْ كـانَ يُبْـدِي عَـوْرَةً لِسِـوَاهُمَـا
فَـذَلِـكَ مَـحْـظُورٌ بِـغَـيْـرِ تَرَدُّدِ
وَخَيْرُ خِـلاَلِ المَرْءِ جَمْعاً تَـوَسُّطُ الْـ
أُمُـورِ وَحَـالٌ بَـيْـنَ أَرْدَى وَأَجْـوَدِ

وَلُبْس مِثَــالِ الحَيِّ فـاحْضِـرْ بـأَجْــود
ومــا لَمْ يُـدَسْ مِنْهَــا لِــوَهْنٍ فَشَــدِّدِ
وأَحْســنُ مَـلْبُــوسٍ بَـيَــاضٌ لِـمَيِّــتٍ
وَحَــيٍّ فَـبَـيِّضْ مُــطْلَقــاً لاَ تُــسَــوِّدِ
وَلاَ بَـأْسَ بـالمَصْبُـوغِ مِن قَبْـلِ غَسْلِهِ
مَـعَ الجَهْلِ في أَصْبَـاغِ أَهْـلِ التَّهَـوُّدِ
وَقِيْـلَ اكْـرَهَنْــهُ مِثْـلَ مُسْتَعْمَــلِ الانـا
وانْ تَعْلَمِ التَّنْجِيْسَ فــاغْسِلْهُ تَـهْتَـدِي
وَأَحْمَــرَ قَــانٍ والمُعَصْفَــرَ فــاكْـرَهَنْ
لِلُبْس رِجَــالٍ حَسْبُ في نَصِّ أَحْمَـدِ
وَلاَ تَكْـرَهَنْ في نَصِّ مـا قَـدْ صَبَغْتَـهُ
مِن الــزَّعْفَـرانِ البَحْتِ لَـوْنَ المُــوَرَّدِ
وَلَيْسَ بِلُبْسِ الصُـوْفِ بَـأْسٌ ولا القَبَـا
ولا لِلنِّسَــا والبُـرْنُسِ افْهَمْــهُ واقْتَـدِي
ولُبْسُ الحَـرِيْرِ احْـظِرْ عَلى كُلِ بَـالِـغٍ
سِـوَى لِضَنىً أَوْ قَتْلٍ أَوْ حَـرْبِ جُحَّدِ
وَيَــحْــرُمُ بَـيْــعٌ لِـلرِّجَــال لِـلِبْسِـهِــمْ
وَتَخَيِيْــطُهُ والنَّسْــجُ في نَصِّ أَحْـمَــدِ
وَيَـحْــرُمُ لُبْسٌ مِــن لُجَيْنٍ وَعَـسْجَـدٍ
سِوَى مَا قَدِ اسْتَثْنَيْتُهُ في الـذِي ابْتُدِي
وَيَحْــرُمُ سَتْرٌ أَوْ لِبَــاسُ الفَتَى الـذي
حَـوَى صُـوْرَةً لِلْحَيِّ في نَصِّ أَحْمَــدِ

وفي السِّتْرِ أَوْ مَا هُوْ مَظِنَّةُ بِذْلِةٍ
لِيُكْرَه كَكَتْبٍ لِلْقُرَانِ المُمَجَّدِ
وَلَيْسَ بِمَكْرُوْهٍ كِتَابَةُ غَيْرِهِ
مِنَ الذِكْرِ فِيْمَا لَمْ يُدَسْ وَيُمَهَّدِ
وَحَلَّ لمَنْ يَسْتَأْجِرُ البَيْتَ حَكُهُ التَّ
تَصَاوِيْرَ كَالحَمَّام لِلدَّاخِلِ اشْهَدِ
وفي نَصِّهِ اكْرَهْ لِلرِّجَالِ وللنِّسَا الرَّ
رَقِيْقَ سِوَى لِلزَّوْجِ يَخْلُو وَسَيِّدِ
وَيُكْرَهُ تَقْصِيْرُ اللِّبَاس وَطُولُهُ
بِلا حَاجَةٍ كِبْراً وَتَرْكُ المُعَوَّدِ
وأَطْوَلُ ذَيْلِ المَرْءِ لِلْكَعْبِ والنِّسَا
بِلاَ الأزْرِ شِبْراً أَوْ ذِرَاعاً لِتَزْدَدِ
وأَشْرَفُ مَلْبُوسٍ إلى نِصْفِ سَاقِهِ
ومَا تَحْتَ كَعْبٍ فاكْرَهَنْهُ وصَعِّدِ
ولِلرُّصْغِ كُمُّ المُصْطَفَى فإنْ ارْتَخَى
تَنَاهَى إِلى أقْصى أَصَابِعِهِ قَدِ
ولا بَأْسَ في لُبْسِ السَّراوِيْلِ سِتْرَةً
أَتَمَّ مِن التَّأْزِيْرِ فَالْبَسْهُ واقْتَدِ
بِسُنَّةِ ابْراهِيْمَ فِيْهِ وَأَحْمَدٍ
وَأَصْحَابِهِ والأُزْرُ أَشْهَرُ أكِّدِ
وَيَحْسُنُ تَنْظِيْفُ الثِّيَابِ وَطِيُّهَا
وَيُكْرَهُ مَعْ طَوْلِ الغِنَا لُبْسُكَ الرَّدِي

ولا بَـأْسَ في لُبْسِ الفِرَاء واشْتِـرَائِهَـا
جُـلُودَ حَـلَالٍ مَـوتُـه لَـمْ يُـوَطَّـدِ
وكاللَّحْم الأوْلَى احْـظِرَنْ جِلْدَ ثَعْلَبٍ
وعـنـه لِيُلْبَسْ والصـلاةَ بِـهِ اصْـدُدِ
وَمَنْ يَـرتَضِي أَدْنَى اللِّبَاس تَـواضُعاً
سَيُكْسَى الثِّيَابَ العَبْقَرِيَّـاتِ في غَـدِ
وَيَحْسُنُ حمْـدُ اللَّهِ في كُـلِّ حَـالَـةٍ
ولا سِيَّمَـا فـي لُبْسِ ثَـوبٍ مُجَـدَّدِ
وَكُـنْ شَـاكِـرا لِلّهِ وارْضَ بِقَـسْـمِـهِ
تُـثَـبْ وَتُـزَدْ رِزْقـاً وارْغَـامَ حُـسَّـدِ
وَقُـلْ لِأَخٍ ابْـلِ وَأَخْلِقِ وَيُخْـلِفُ الْـ
إلَـهُ كـذَا قُـلْ عِشْ حَمِيْـداً تُسَـدَّدِ
ولا بَـأْسَ في الخَاتَـامِ مِن فِضَّةٍ وَمِنْ
عَـقِيْـقٍ وَبَلُّوْرٍ وَشِـبْـهِ المُعَدَّدِ
وَيُكْـرَهُ مِن صُفْرٍ رَصَاصٍ حَدِيْـدِهِمْ
وَيَـحْـرُمُ لِلذُّكْـرَان خَـاتَـمُ عَسْجَـدِ
وَيَحْسُنُ في اليُسْرَى كَأَحْمَدْ وَصَحْبِهِ
وَيُكْـرَهُ في الـوُسْـطَى وسَبَابَـةِ اليَـدِ
وَمَن لَمْ يَضَعْهُ في الدُّخُول إلى الخَلَا
فَعَنْ كُتْب قُـرآنٍ وذِكْـرٍ بِـهِ أَصْـدُدِ
وَيَحْسُنْ في اليُمْنَى ابْتِـدَاءُ إِنْتِعَاله
وفي الخَلْع عَكْسٌ وَاكْرَهِ العَكْسَ تَرْشُدِ

وَيُكْـرَهُ مَشْي المَـرْءِ في فَـرْدِ نَعْـلِهِ
اخْتِيَاراً أَصِـخْ حَتَّى لإِصْلاحِ مُفْسِـدِ
ولا بـأسَ في نَعْلٍ يُصَلي بِـهِ بِـلاَ
أَذَىً وافْتَقِـدْهَـا عنـدَ أَبْوابِ مَسْجِـدِ
ويَحْسُنُ الاسْتِـرْجَاعُ في قَـطْعِ نَعْلِهِ
وَتَخْصِيْصُ حَـافٍ بالـطَّرِيْقِ المُمَهَّـدِ
وقَـدْ لَبِسَ السِّبْتِيَّ وَهُـوَ الـذي خَلاَ
مِن الشَّعْرِ مَعْ أَصْحَابِهِ بِهِمُ اقْتَـدِي
وَيُكْـرَهُ سِنْـدِيُّ النِّعَـالِ لِعُجْبِـهِ
بِصَـرَّارِهَـا زِيَّ اليَـهُـوْدِ فَـأَبْعِـدِ
وَسِـرْ حـافيـاً أَوْ حـاذيـاً وامْشِ وارْكَبَنْ
تَـمَعْـدَدْ واخْشَـوْشَنْ ولا تَـتَعَـوَّدِ
ويُكْـرَهُ في المَشْي المُـطَيْطَا وَنَحْـوُهَـا
مَـظِنَّةَ كِبْـرٍ غَيْـرَ في حَـرْبِ جُحَّـدِ
وَيُكْـرَهُ لُبْسُ الخُفِ والأُزْرِ قَـائِـمـاً
كـذاكَ الْتِصَـاقُ اثْنَيْنِ عُـرْيـاً بمَـرْقَـد
وثِنْتَيْنِ وافْـرُقْ في المَضَـاجِـعِ بيْنَهُمْ
وَلَـوْ إِخْـوَةً مِن بَعْـدِ عَشْـرٍ تُسَـدَّدِ
وَيُكْـرَهُ نَـوْمُ المَـرْءِ مِن قَبْـلِ غسْلِهِ
مِن الـدُّهْنِ والأَلْبَـانِ لِلْفَـمِ واليَـدِ
وَنَـوْمُكَ بَعْـدَ الفَجْـرِ والعَصْـرِ أَوْ على
قَفَـاكَ وَرَفْعُ الـرِجْلِ فَـوقَ اخْتِهَا امْـدُدِ

وَيُكْــرَهُ نَــومٌ فَــوقَ سَـطْحٍ ولَمْ يُحَطْ
عليــهِ بِتَحْجِيْــرٍ لِخَــوفٍ مِن الــرَّدِي
وَيُكْــرَهُ بَيْنَ الــظِلِّ والشَمْسِ جِلْسَــةٌ
ونَــوْمٌ عــلى وَجْـهِ الفَـتَى الـمُتَـمَــدِّدِ
وقُـلْ في انْتِبَاهٍ والصَّبَـاحِ وفي المَسَـا
ونَـوْمٍ مِن المَـرْوِيِّ مَـا شِئْتَ تَـرْشُــدِ
وَيَحْسُنُ عنــدَ النَّـومِ نَفْضُ فِــرَاشِـهِ
وَنَــوْمٌ على اليُمْنَى وكُحْــلٌ بــأَثْـمُــدِ
وَخُـذْ لَـكَ مِن نُصْحِي أُخَيَّ نَصِيْحَــةً
وَكُنْ حَــازِمــاً واحْضِــرْ بِقَلْبٍ مُؤَيَّــدِ
ولا تَنْكِـحَنْ إِنْ كُـنْتَ شَـيْخــاً فُتَيَّـةً
تَعِشْ في ضِرَارِ العَيْشِ أَو تَرْضَ بالرَّدِي
ولا تَنْكِحَنْ مَن تَسْـمُ فَــوْقَــكَ رُتبَــةً
تَكُنْ أبــداً في حُكْمِهَــا فــي تَنَـكُــدِ
ولا تَــرْغَـبَنْ فــي مَــالِهَــا وَأَثَــاثِهَــا
إذا كُـنْـتَ ذا فَـقْــرٍ تُــذَلَّ وَتُـضْـهَــدِ
ولا تَسْكُنَنْ في دَارِهَــا عنــد أَهْـلِهَــا
تَـسَـمَّــعْ إِذَنْ أَنْــوَاعَ مِــن مُـتَـعَــدِّدِ
فـلا خَيْرَ فِيْمَنْ كَـانَ في فَضْلِ عِـرسِه
يَــرُوْحُ على هُــوْنٍ إِلَيْـهَــا وَيَغْـتَـدِي
ولا تُـنْكِــرَنْ بَــذْلَ الـيَسِـيْـرِ تَنَكُــداً
وَسَــامِحْ تَنَــلْ أَجْــراً وحُسْنَ التَّــوَدُدِ

ولا تَسْأَلَنْ عن مَا عَهِدْتَ وَغُضَّ عن
عَـوارٍ إذا لَمْ يَـذْمُمِ الشَّـرْعَ تَـرْشُـدِ
وَكُـنْ حَـافِـظَاً إنَّ الـنِـسَـاءَ وَدَائـعٌ
عَـوانٍ لَـدَيْنَـا احْفَظْ وَصِيَّةَ مُـرْشِـدِ
ولا تُكْثِـرْ الانكـارَ تُـرْمَى بِتُهْـمَـةٍ
ولا تَـرْفَعنَّ السَّوْطَ عن كُـلِ مُعْتَـدِ
ولا تَـطْمَعَنْ في أنْ تُقِيْمَ اعْـوِجَاجِهَا
فَـمَـا هِيَ إلاَّ مِـثْـلُ ضِـلْعٍ مُـرَدَّدِ
وَسُكْنَى الفَتَى في غُـرْفَـةٍ فَـوْقَ سِكَـةٍ
تَـؤُلُ إلَى تُـهْمَـى البَـرِيءِ الـمُشَـدَّدِ
وإيَّـاكَ يَـا هَـذَا وَرَوْضَـةَ دِمْـنَـةٍ
سَتَرْجِعُ عَن قُـرْبٍ إلى أَصْلِهَا الـرَّدِي
ولا تَنْكِحَنْ فـي الفَـقْـرِ إلاَّ ضَـرُوْرَةً
وَلُـذْ بِـوِجَـاءِ الصَّـومِ تُهْـدَى وَتَهْتَـدِي
وكُنْ عَـالِمـاً إنَّ الـنِّسَـا لُـعبٌ لـنَـا
فَحَسِّنْ إذَنْ مَهْـمَـا اسْتَـطَعْتَ وَجَـوِّدِ
وخيْـرُ النِسَا مَن سَـرَّتِ الـزَّوْجَ مَـنْـظراً
وَمَـنْ حَفِـظَتْـهُ فـي مَغِيْـبٍ وَمَـشْهَـدِ
قَـصِيْـرَةُ أَلْـفَـاظٍ قَصِيْرَةُ بَـيْـتِهَـا
قَصِيْـرَةِ طَـرْفِ العَيْنِ عَن كُـلِّ أَبْـعَـدِ
عَلَيْـكَ بِذَاتِ الـدِّيْنِ تَظْفَـرُ بالمنى الْـ
وَدُوْدِ الـوَلُـودِ الأَصْـلِ ذَاتِ التَّعَبُّـدِ

حَسِيْبَــةَ أَصْـــلٍ مِن كِــرَامٍ تَفُــزْ إِذَنْ
بِــولْــدٍ كِــرَامٍ والبَكَــارَةَ فَــاقْصِــدِ
وَوَاحِــدَةٌ أَدْنَى إلى العَــدْلِ فــاقْتَنِــعْ
وانْ شِئْتَ فَــابْلُغْ أرْبَعــاً لاَ تَــزَيَّــدِ
وَمَن عَفَّ تَقْــوىً عن مَحَارِمِ غَيْــرِهِ
يُـعَفْ أَهْـلُه حقــاً وانْ يَــزْنِ يَـفْسُــدِ
فَكَــابِدَ إلى أَنْ تَبْلُغَ النفسُ عُــذْرَهَــا
وكنْ في اقْتِبَاسِ العلمِ طَـلاَّعَ انْجُـدِ
ولا يَذْهَبَنَّ الـعُـمُــرُ مِـنْــكَ سَـبَـهْـللا
ولا تُغْبَنَنْ بــالنَّعْـمَتَـيْنِ بَــلْ اجْـهِـدِ
فَمَنْ هَجــرَ اللَّذاتِ نَــالَ المُنَى وَمَنْ
أَكَبَّ على الــلَّذَاتِ عَضَّ عَلى الـيَــدِ
وفي قَمْـعِ أَهْـوَاءِ النُفُـوسِ اعْتِـزَازُهَــا
وفي نَيْلِهَــا مــا تَشْتَهِـيْ ذِلَ سَــرْمَــدِ
فــلا تَشْتَغِلْ إلا بِمَــا يُكْسِبُ العُــلاَ
ولا تَــرْضَ لِلنَّفْسِ النَّفِيْسَــةِ بــالــرَّدِي
وفي خَلْوةِ الإنْــسَــانِ بــالعِـلْمِ أُنْسُــهُ
وَيَسْلَمُ دِيْـنُ المَــرْءِ عــنــدَ التَــوَحُــدِ
وَيَسْلَمُ مِــن قِـيْــلٍ وقَــالٍ ومِــن أَذَى
جَـلِيْسٍ وَمِـن وَاشٍ بَـغِـيْضٍ وَحُــسَّــدِ
وَكُنْ حِلْسَ بيْتٍ فَهُــوَ سَتْــرٌ لِـعَــورةٍ
وَحِــرْزُ الفَتى عن كُــلِّ غَــاوٍ وَمُفْسِـدِ

وَخَيْـرُ جَلِيْسِ الـمَـرْءِ كُتْبٌ تُفِيْـدُهُ
عُـلُومـاً وآدابـاً كَـعَـقْـلٍ مُـؤَيَّـدِ
وخَـالِطْ إذَا خَـالَـطَتَ كُـلَّ مُـوَفَّقٍ
مِـن العُلَمَـا أهْـلِ التُّـقَى والـتَّعَـبُّـدِ
يُفِيْـدُكَ مِن عِلْمٍ وَيَنْهَـاكَ عنَ هَـوَى
فَصَـاحِبْه تُهْـدَى مِن هُـدَاهُ وَتَـرْشُـدِ
وإيَّـاكَ والهَمَّـازَ إنْ قُمْتَ عنـه والْـ
بَـذِيَّ فـإنَّ المَـرْءَ بـالمَـرْءِ يَقْتَـدِي
ولا تَصْحَبِ الحَمْقَى فَذُوْ الجَهْلِ انْ يَرُمْ
صَـلاحاً لأمْرٍ يَـا أخَـا الحَـزْمِ يُفْسِـدِ
وَخَـيْـرُ مَقَـامٍ قُـمْتَ فِيْـهِ وَخَـصْـلَةٍ
تَـحَـلَيْتَـهَـا ذِكْـرُ الإلـهِ بِـمَسْجِـدِ
وكُفَّ عن العَـوَرا لِسَـانَـكَ والـيَكُـنْ
دَواماً بِـذِكْـرِ اللّهِ يَـا صَـاحِبِيْ نَـدي
وَحَصِّنْ عن الفَحْشَـا الجَـوارِحَ كُلَّهـا
تَكُنْ لَـكَ في يَومِ الجَـزَا خَيْـرَ شُهَّـدِ
وحـافِظْ على فِعْـلِ الفُـرُوْضِ بِـوَقْتِهَـا
وخُـذْ بِنَصِيْبٍ في الـدُجَـا مِن تَهَجُّـدِ
ونَـادِ إذَا مَـا قُمْتَ بـالـلَّيـل سَـامعـاً
قَـرِيْبـاً مُجِيْبـاً بـالفَـواضِـلِ يَبْتَـدِي
وَمُـدَّ إلـيـهِ كَـفَّ فَـقْـرِكَ ضَـارِعـاً
بِـقَلْبٍ مُنِيْبٍ وادْعُ تُـعْطَ وَتَـسْـعَـدِ

ولا تَـنْـسأَ مَنَّ الـعِلْمَ واسْـهَـرْ لِنيْـلِهِ
بلا ضَجَرٍ تَحْمِـدْ سُرَى اللَّيـلِ في غَدِ
ولا تَـطْلُبَـنَّ العِـلمَ لِـلْمَـالِ والـرِّيَـا
فـإِنَّ مِـلاَكَ الأَمْـرِ في حُسْنِ مَقْصَـدِ
وكُنْ عَـامِـلاً بـالعِلْمِ فِيْمَا اسْتَـطَعْتَـهُ
لِيُهْـدَى بِكَ المَرْءُ الذي بِـكَ يَقْتَـدِي
حَـرِيْصـاً على نَفْـعِ الـوَرَى وَهُــدَاهُم
تَنَــلْ كُـلَّ خَيْـرٍ فـي نَعِيْمٍ مُـؤَبَّـدِ
وكُنْ صَـابِـراً بـالفَقْـرِ وادَّرِعِ الـرِّضَـا
بِمَــا قَـدَّرَ الـرحمنُ واشْكُرْهُ تُحْمَــدِ
فَمَـا العِـزَ إلا في القَنَــاعَـةِ والــرِضَـا
بـــأَدْنَى كَفَــافٍ حَـاصِــلٍ والـتَّـزَهُــدِ
فَمَنْ لَمْ يُقَنِّعْــهُ الـكَفَـافُ فـمـا إلى
رِضَــاهُ سَبِيْــلٌ فــاقْتَـنِـعْ وَتَـقَـصَّـدِ
فَـمَنْ يَتَغَـنَّى يُـغْـنِـهِ اللهُ والـغِـنَـى
غِنَى النَّفْسِ لا عَنْ كَثْــرةِ المُتَـعَــدِّدِ
وإيَّـاكَ والاعْجَابَ والكِبْرَ تُحْظَ بـالسَّـ
سَعَـادَةِ في الـدَّارَيْنِ فــارْشُـدْ وَأَرشِــدِ
وهَـا قَدْ بَـذَلْتُ النُّصْحَ جُهْدِي وإنَّنِي
مُـقِـرٌ بِتَـقْصِيْـرِي وبــاللهِ أهْـتَـدِي
تَقَضَّتْ بِحَـمْـدِ اللهِ لَـيْسَـتْ ذَمِيْمَــةً
وَلَـكِنَّهـا كـالـدُّرِ في عِقْـدِ خُـرَّدِ

يَحَارُ لَهَا قَلْبُ اللَّبِيْبُ وَعَارِف
كَرِيْمَانِ إنْ جَالاَ بِفِكْرٍ مُنَضَّدِ
فَمَا رَوْضَةٌ حُفَّتْ بِنَوْرِ رَبِيْعِهَا
بِسَلْسَالِهَا العَذْبِ الزُّلاَلِ المُبَرَّدِ
بِأَحْسَنَ مِن أَبْيَاتِهَا وَمَسائِلٍ
أَحَاطَتْ بِهَا يَوماً بِغَيْرِ تَرَدُّدِ
فَخُذْهَا بِدَرْسٍ لَيْسَ بِالنَّومِ تُدْرِكَنْ
لأَهْلِ النهى والفَضْلِ في كُلِّ مَشْهَدِ
وقَدْ كَمُلَتْ والحمدُ لِلَّهِ وحْدَهُ
على كُلِّ حَالٍ دَائماً لم يُصَدِّدِ

اللهم يا حي يا قيوم ياذا الجلال والاكرام ثبت محبتك في قلوبنا وقوها والهمنا يا مولانا ذكرك وشكرك وأمنا من عذابك يوم تبعث عبادك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

اللهم اليك بدعائنا توجهنا .وبفنائك أنخنا واياك أملنا ولما عندك من الكرم والجود والاحسان طلبنا ومن عذابك أشفقنا ولغفرانك تعرضنا فاغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ المُفْلِحين وأَلْبِسْنَا خِلَعَ الايْمَانِ واليَقِيْن وَخُصَّنَا مِنْكَ بالتَّوْفِيْقِ المُبين وَوَفِّقْنَا لِقَوْلِ الحَقِ واتِّبَاعِهِ وَخَلِّصْنَا مِنَ البَاطِل وابْتِدَاعِهِ وَكُنْ لنَا مُؤَيِّدا وَلاَ تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدا وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشاً رَغدَا وَلاَ تُشْمِتْ بِنَا عَدوَّاً وَلاَ حَاسِدَاً وارْزُقْنَا عِلْماً نافِعاً وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاَ وَفَهْماً ذَكِياً وَطَبْعاً صفِيَا وَشِفَاً مِنْ كُلِّ دَاء واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَميع المُسْلِمين بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين وصَلَّى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْن .

[قصص ومواعظ رائعة ومطالب عالية

عن عمارة بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ابْتَاعَ فرساً مِن أعرابي فاسْتَتْبَعَهُ النبيُ ﷺ لِيَقْضِيَهُ ثَمَنَ فرسِهِ .

فأَسْرَعَ النبيُ ﷺ المشيَ وأَبْطأَ الأَعْـرابي . فَطَفِقَ رِجَـالٌ يَعْتَرضُونَ الأَعْرَابِيَّ فَيُساوِمُون بالفَرسِ ولا يَشْعُرونَ أَنَّ النبيَّ ﷺ ابْتَاعَهُ .

حتى زَادَ بَعْضُهم الأَعْرَابِيَّ في السَّومِ على ثَمنِ الفَرسِ الذي ابْتَاعَهُ به النبيْ ﷺ .

فنَـادَى الأعـرابيُ النبيَّ ﷺ فقـال : إنْ كُنْتَ مُبْتاعاً هَذَا الفرسَ فابْتَعْهُ وإلاَّ بِعْتُه .

فقامَ النبي ﷺ حِيْنَ سَمِعَ نِدَاء الأَعْرابي فقال : أَوَلَيْسَ قَدْ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ ؟ قال الأعرابي : لاَ وَاللهِ ما بِعْتُكَ .

فقال النبيُ ﷺ : بَلَى قد ابْتَعْتُهُ مِنْكَ . فَطَفِقَ النَاسُ يَلُوذُون بالنبي ﷺ والأعرابي وهُما يَتَرَاجَعَان فطفِقَ الأَعرابِيْ يَقُولُ : هَلُمَّ شَهِيْداً يَشْهَدُ أَنِي بايَعْتُكَ .

فَمَنْ جَاء مِن المُسْلِمِيْن قال لِلأَعْرابي : وَيْلَكَ إنَّ النبيَّ ﷺ لم يَكُنْ لِيَقُولَ إلاَّ حَقاً .

حتى جَاء خُزَيمَـةُ فاسْتَمَـعَ لِمراجَعَـةِ النبي ﷺ ومُـرَاجَعَةِ الأَعْرَابي وطَفِقَ الأَعْرَابي يَقُولُ : هَلُمَّ شَهيداً أَنِّي بَايَعْتُكَ .

فقال خُزَيْمةُ أنا أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَايَعْتَهُ . فأَقْبَلَ النبيُ ﷺ على خُزَيْمَةَ فقال : بِمَ تَشْهَدُ ؟ قال : بتَصْدِيقِكَ يا رَسُولَ اللهِ .

فَجَعلَ النَبيُ ﷺ شهادةَ خُزَيمةَ شَهادَةَ رَجُلين .

وقد روي في بعض طرق هذا الحديث أن النبي ﷺ قال لخُزَيْمَةَ : بِمَ تَشهدُ ولم تَكُنْ مَعَنا ؟ قال : يارَسُولَ اللهِ أنا أُصَدِقُكَ بخَبَرِ السماءِ أفلاَ أُصَدِّقُكَ بما تَقُولُ ؟

قال الخطابي : ووجه هذا الحديث أن النبي ﷺ حكم على الأعرابي بعِلْمِهِ إذ كان النبي ﷺ صادقاً باراً وجَرَت شَهَادَةُ خُزَيمة في ذلك مجرى التوكيد لقوله له ﷺ والاستظهار بها على خصمه .

فصارت في التقدير مع قول رسول الله ﷺ كشهادة رجلين في سائر القضايا . رحمه الله والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(**فصل**) قال الواقدي عن أشياخ له : إن شيبةَ بنَ عثمان كان يُحَدِّثُ عن إسلامِهِ فيقول : ما رأيتُ أعجبَ مِمَّا كُنَّا فيه مِن لُزُومِ مَا مَضى عليه آباؤنا من الضّلالات .

فلما كان عام الفتْح ودخل النبي ﷺ عُنوةً قُلْتُ : أسِيْرُ مَعَ قُريش إلى هَوازنَ بحُنَين فَعَسى إن اختلطوا أن أُصِيْبَ مِن مُحمدٍ غِرَّةً فأثأرُ مِنه فأكونُ أنا الذي قُمْتُ بثأرِ قُريش كُلِّها ، وأقولُ : ولو لم يَبْقَ مِن العَرب والعَجَم أحَدٌ إلا إتبع محمداً ما اتبعتُه أبداً .

فلما اختلطَ الناسِ اقْتَحم رسولُ الله ﷺ عن بَغْلَتِه وأصْلَتَ السيفَ فَدَنوتُ أُرِيْدُ ما أرِيدُ منه وَرَفَعْتُ سَيفي ، فَرُفِعَ لي شُواظٌ من نارٍ كالبَرْق حَتّى كَادَ يَمْحَشُني فَوَضَعْتُ يَدِي على بَصرَي خوفاً عليه ، فالْتَفَتُ إلى رسول الله ﷺ وناداني : ياشَيْبَ ادْنُ مني .

فَدَنَوتُ منه فمسحَ صَدْرِي وقال : « اللهمُ أعِذْهُ مِن الشيطان » .

فوالله لَهُوَ كانَ سَاعَتئِذٍ أحَبَّ إليَّ مِن سمعي وبصَري ونفسي وأذْهبَ الله عز وجل ما كان بي .

ثم قال : ادْنُ فَقَاتِلْ . فَتَقَدَّمْتُ أمَامَه أضْرِبُ بسَيْفِي ، الله يَعْلَمُ أني أحِبُّ أن أقِيَهُ بنفسي كُلَّ شيء ، ولو لَقيتُ تلكَ الساعةَ أبِي لو كان حياً لأوْقَعْتُ بهِ السيف .

فلما تراجع المسلمون وكَروُا كَرَّة رجلٍ واحدٍ قَرَّبْتُ بَغْلَةَ رسولِ الله ﷺ فاستوى عليها فَخَرَجَ في أثرهم حتى تَفَرَقُوا في كُلِ وجه ، ورَجَعَ إلى مُعَسْكَرهِ فَدَخَل خِبَاءَهُ ، فَدَخَلْتُ عليه فقال : ياشَيْب ، الذي أرادَ الله بكَ خيرٌ مما أرَدْتَ بنفسِكَ .

ثم حدَّثني بكل ما أضْمَرتُ في نفسي مما لم أكُنْ أذكُرُهُ لأحَدٍ قط . فَقُلْتُ : فإني أشْهَدُ أن لا إله إلا الله وأنكَ رسولُ الله . ثم قُلْتُ : اسْتَغْفِرْ لي يارسول الله . فقال : غَفَر الله لَك .

(**فصل**) وعن أنسَ بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « كم مِن ضَعِيف مُتَضَعّف ذِي طِمْرَيْن لو أقْسَمَ على الله لأبره منهم البراءُ بنُ مالك » .

وإن البَرَاءَ لَقِي زَحْفاً مِن المشركين وقد أوجَعَ المشركونَ في المسلمين .

فقالوا له : يابَراءُ إن رسول الله ﷺ قال إنكَ لو أقْسَمْتَ على الله لأبَرَّكَ فأقْسِمْ على الله فقال : أقْسَمْتُ عليكَ يارَب لما مَنَحْتَنا أكْتَافَهِم فمُنِحُوا أكْتَافَهُم .

ثم التَقَوا على قَنْطَرةِ السُوس فأوجَعُوا في المسلمين فقالُوا : أقْسِمْ على ربكَ ، فقال : أقْسَمْتُ عَلَيْكَ يارَب لَمَا مَنَحْتَنَا أكتافَهم وألحَقْتَني بنبيــــك ﷺ فمُنحُوا أكتافَهم وقُتِلَ البَرَاءُ شَهِيْدَا .

(**فصل**) أرسَل عمر إلى الكوفة من يسأل عن سعد فكان الناس يثنون عليه خيرا حتى سئل عنه رجل من بني عبس .

فقال : أما إذا أنشدتمونا عن سعد فإنه كان لا يخرج في السرية ولا يعدل بالرعية ولا يقسم بالسوية .

فقال سعد : اللهم إن كان كاذباً قام رياء وسمعة فأطل عمره وعظم فَقْرَه وعرضه للفتن .

فكان يرى وهو شيخ كبير قد تَدَلَّى حاجباه من الكبر يتعرض للجواري يغمزُهُنَّ في الطرقات ، ويقول : شيخ كبير مَفْتُون أصابتني دعوة سَعْد .

وكذا سعيد بن زيد كان مجاب الدعوة فقد روى أن أرْوَى بنتِ أوس اسْتَعْدَتْ مروانَ على سعيد وقالت : سَرَقَ مِن أرضي وأدخله في أرضه .

فقال سعيد : اللهم إن كانت كاذبةً فأذهب بَصرَهَا وأقْتُلها في أرضها فذهبَ بَصرُهَا وماتَتْ في أرضها .

(**فصل**) قال إبراهيمِ بن أدهم : مَرِضَ بعضُ العُبَّاد فدَخَلْنَا عليه نَعُوده ، فجعل يَتَنَفس ويَتَأَسَف ، فقلتُ له : على ماذا تتأسف ؟ قال : على ليلة نمتُها ، ويوم أفطرتُه ، وساعةٍ غفلتُ فيها عن ذكر الله عز وجل .

وبكى بعضُ العباد عند موته ، فقيل له ما يُبكيك ؟ فقال: أن يصومَ الصائمونَ ولَسْتُ فيهم ، ويذكر الذاكرونَ ولَسْتُ فيهم، ويُصلي المصلون ولستُ فيهم . تأمل ياأخي هَذِه الأمَاني لله دَرُّه .

عن ابن أبي مُلَيكة قال : لما كان يوم الفتح رَكِبَ عِكْرَمَةُ بن أبي جهل البحر هَارباً فَخَبَّ بهم البَحْرُ ، فَجَعلَتِ الصَّارِي (أي الملاحون) يَدْعُونَ الله ويُوحِّدُونَهُ .

فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا مَكَانٌ لا ينفع فيه إلا الله .

قال : هذا إلهُ محمـــدٍ الذي يدْعونا إليه ، فارْجِعُوا بنـــا . فَرَجَعَ فأسْلَم .

وعن مصعب بن سعد ، عن عِكرمة بن أبي جهل قال : قال النبي ﷺ يومَ جئته : مَرْحَباً بالراكب المُهَاجر ، مَرْحَباً بالراكب المهاجر ، قلت : والله يارسول الله لا أدعُ نَفَقَةً أنْفَقْتُها عَليكَ إلا أنْفَقْتُ مِثلها في سبيل الله .

وعن عبدالله بن أبي مُليكة أن عِكرمةَ بن أبي جَهْلٍ كان إذا اجْتَهَد في اليمين قال : لا والـذي نجّا ني يومَ بَدرٍ وكان يَضَعُ المُصْحَفَ على وَجْهِهِ ويقول : كِتَابُ رَبِي ، كتابُ رَبي .

استُشهدَ عِكْرمةُ يومَ اليَرْمُوك في خِلافةِ أبي بكر ، فَوَجَدُوا فيه بِضْعاً وسبعينَ مِن بَين ضَرْبَةٍ وطَعْنَةٍ ورَمْيَةٍ .

(**فصل**) قال الزبير : وحدثني عمي مصعب بن عبدالله قال : جاء الاسلام ودارُ النّدوة بيد حكيم بن حِزام فباعها بعدُ مِن معاوية بن أبي سفيان بمائة ألف درهم .

فقال له عبدالله بن الزبير : بِعْتَ مَكْرمةَ قريش ؟ فقال حَكِيْمُ : ذهبتِ المكارمُ إلا التقوى ، يابنَ أخي إني اشتَريْتُ بها داراً في الجنة أشهدكَ أني قد جعلتُها في سبيل الله .

وعن أبي بكر بن سليمان قال : حجّ حكيم بن حزام معه مائة بَدَنة قد أهداها وجَلَّلهَا الحِبَرة وكَفَّهَا عن أعجازها وَوَقَّفَ مائةَ وَصيفٍ يومَ عرفةَ في أعناقِهم أطْوقَةُ . الفِضَّةِ قد نُقشَ في رُؤُوسِها : « عُتَقاء الله [عزّ وجل] عن حكَيم بن حِزام » . وأعْتَقَهم وأهدى ألفَ شـــاة .

وعن محمد بن سعد يرفعه : أن حكيم بن حزام بكى يوماً ،

فقال له ابنُه : مايُبْكِيكَ ؟ قال : خِصَالٌ كلُّها أبْكَاني : أما أولها فَبُطءُ إسلامي حتى سُبقتُ في مَواطِنَ كلُّها صَالحة ، ونجوتُ يومَ بَدْرٍ وأُحُدٍ فَقُلْتُ : لا أخْرُجُ أبداً مِن مكة ولا أوْضِعُ مَعَ قُريش مابَقِيْت .

فأقمتُ بمكـة ويأبى الله [عزّ وجل] أن يشرح صدري للاسلام وذلك أني أنظرُ إلى بقايا مِن قريش لهم أسنان متمسكين بما هم عليه مِن أمر الجاهلية فأقْتَدِي بهم ، ويااليتَ أني لم أقْتَدِ بهم فما أهْلَكَنَا إلا الإقتداءُ بآبانا وكُبرائنا .

فلما غَزَا النبي ﷺ مكـة جَعَلْتُ أفكِّرُ ، فخرجتُ أنا وأبو سفيان نستَرْوِحُ الخَبرَ فلقي العباسُ أبا سفيان فذهبَ به إلى النبي ﷺ ورَجَعْتُ فَدَخَلْتُ بَيْتي ، فأغلقْتُه عَليَّ ودَخَلَ النبيُّ ﷺ مكةَ فآمَنَ الناسَ ، فجئتُه فأسْلَمْتُ وخَرَجْتُ مَعَه إلى حُنَين .

وعن عُروةَ أن حَكِيم بنَ حِزام أعْتقَ في الجاهلية مائةَ رقَبَة ، وفي الاسلام مائةَ رقَبة وحَمَلَ على مِائة بعير .

قال ابن سعد : قال محمد بن عمر : قدم حكيم بن حزام المدينة ونزلها وبنى بها داراً ، ومات بها سنة أربع وخمسين وهو ابن مائة وعشرين سنة رحمه الله والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(**فصل**) عن أبي بَرْزة الأسلمي أن جُلَيْبِيْباً كان امرأ من الأنصار ، وكان أصحاب النبي ﷺ إذا كان لأحدهم أيّم (أي لا زَوْجَ لها) لم يزوجها حتى يُعلِمَ النبي ﷺ : هَلْ لَهُ فِيهَا حَاجَةٌ أمْ لا ؟

فقال رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ لِرَجُلٍ مِن الأنصار : يافُلَانُ زَوِّجْني ابْنَتَكَ . قال : نَعَمْ ونعْمَةُ عَيْنٍ . قال : إني لَسْتُ لِنَفْسِي

أرْيدُها قال : لِمَنْ ؟ قال : لِجُلَيْبِيْبْ . قال : يارسولَ ﷺ حَتى أستأمِرَ (أي أشاوِرُها) وأمَّها .

فأتاها فقال : إن رسول الله ﷺ يَخْطُبُ ابنَتَكِ . قالتْ : نَعمَ ونِعْمَةُ عَيْن ، زَوجْ رسولَ الله ﷺ .

قال : إنه لَيْسَ لنَفْسه يُريدُهَا . قَالتْ : فلِمَنْ ؟ قال : لجُلَيْبيب . قالت : حَلْقَى ألجُلَيْبيب ؟ لا لَعَمْرُ الله لا. أزَوِجُ جُلَيَبيباً .

فلما قَامَ أبُوهَا لِيأتي النبي ﷺ قَالت الفتاةُ مِن خِدْرِها لأبَوَيْهَا: مَن خَطَبني إليكُمَا ؟ قالا : رسولُ الله ﷺ . قالت : أفَترُدُونَ على رسول الله ﷺ أمْرَهُ ؟ ادْفَعُوني إلى رسولُ الله فإنَّهُ لَنْ يُضَيِّعَني .

فَذَهَبَ أبُوها إلى النبي ﷺ فقال : شأنَكَ بِها . فزوَّجَهَا جُلَيبياً .

قال اسحاق بن عبد الله بنُ أبي طلحة لِثَابت : أتَدْري ما دَعَا لها به النبي ﷺ ؟ قال : وما دَعَا لها به النبي عليه السلام ؟ قال : اللهم صُبّ عَليها الخَيرَ صَبّاً ولا تجْعَلْ عَيشَهَا كَدّاً كَداً .

قال ثَابتُ : فَزَوَّجَهَا إيَّاهُ ، فبينما رسولُ الله ﷺ في مَغزَى له قال : هَلْ تَفقَدُونَ مِن أحَدٍ ؟ قالوا : نَفْقِدُ فُلاناً ونَفقِدُ فُلاناً ونَفْقِدُ فلاناً ، ثم قال هل تفقدون من أحَد قالوا نَفقِدُ فُلاناً ونَفْقِدُ فُلانا ثُمَّ قَالَ هَل تَفْقِدُوْنَ مِن أحَدٍ قَالُوْا لَا ، قال لكنِّي أفْقِدُ جُليْبياً فَطَلبُوْه في القتَلَى فَنَظروُا فوجَدُوْهُ إلى جَنْبِ سَبْعَةٍ قد قتلهُمِ ثم قَتَلُوه ، فَيَنْبَغي للإنسان تَفقُدُ أصْحَابَه قال بَعْضُهم :

ما كان عَيْباً لَوْ تَفَقَدْتِني وَقُلْتَ هَلْ أتْهَمَ أوْ أنْجدَا
فَعَادَةُ السَّادَةِ مِن قَبلُنا تَفَقُدُ الأتباعِ وَالأعْبُدَا
هذا سُلَيْمَانُ عَلى مُلْكِهِ وَهُوَ بأخْبَارٍ لَهُ يُقْتَدِي
تَفَقدَ الطَّيْرَ وَأجْنَاسَهَا فَقَالَ مَالي لَا أرَى الهُدْهَدا
والمُصْطَفى أيضًا كما سَمِعْتُم بِهِ في قِصَّةِ القتْلى كَمَا قَدْ أتَى

فقال رسولَ الله ﷺ : هذا مِني وأنا مِنه ، أقَتَلَ سَبْعَةً ثم قَتَلُوه هَذَا مِنِّي وأنا مِنْهُ أقتَلَ سَبْعَةً ثم قَتَلُوْه هذا مني وأنا منه .

فَوَضَعهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ على سَاعِدَيه ثم حَفَرُوْا لَهُ ما لَهُ سَرِيْر إلاَّ سَاعِدَي رَسُولِ الله ﷺ حَتّى وَضَعَهُ في قَبْره .

لِلهِ دَرُّ هذهِ الأَنْفُسِ فما أعَزَّها وهَذِهِ الهمَم فما أرْفَعَها !

وَلَمَّا رَأَوا بَعْضَ الحياةِ مَذَلَّةً عَليهِم وعِزَّ الموتِ غيرَ مُحَرَّمِ
أبَوْا أنْ يَذُوقُوا العَيْشَ والذَمُّ واقعٌ عليه وماتُوا مِيْتَةً لَمْ تُذَمَّمِ
ولا عَجَبٌ لِلأُسْدِ إنْ ظَفِرَتْ بها كِلاَبُ الأعَادِي مِن فَصِيحٍ وأعْجَمِ
فَحَرْبَةُ وحْشِيٍّ سَقَتْ حَمزةَ الرَّدَى وحَتْفُ عَليٍّ في حُسَامِ ابنِ مُلْجَمِ

« **فَصْلٌ** » : روى مسلم في أفراده من حديث أنس بن مالك قال : انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بَدْر حتى سبقوا المشركين ، وجاء المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنةٍ عَرْضُها السمواتُ والأرض .

قال : عُمَيْر بن الحمام الأنصاري : يارسول الله جنةٍ عَرْضُها السموات والأرض ؟! قال ، نعم . قال : بَخٍ بَخٍ يارسول الله . فقال : ما يحملك على قولك بَخٍ بَخٍ ؟ قال [لا] والله يارسول الله إلا رَجاءَ أن أكونَ من أهلها ، قال : فإنكَ من أهلها .

قال : فأخرَجَ تَمراتٍ مِن قَرْنه فَجعَلَ يأكُلُهنَّ ثم قال : إنْ

أنا حَييْتُ حتى آكُلَ تَمراتي هذه إنها لَحياةٌ طويلة . فَرَمَى بها كان مَعَهُ مِنَ التمر ثم قاتل حتى قُتل .

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ القَبُولِ وَالاجَابَةِ وارْزُقْنَا الاقْبَالَ عَلى طَاعَتِكَ وَالانَابَةَ وَبَارِكْ في أَعْمَالِنَا وَأَعْمَارِنَا وَأَجْزِلْ لَنَا الأَجْرَ والاثَابَةَ وَآتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنة وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ)

قال الوَاقِدي : لَمَّا أَرادَ عَمْرُو بنُ الجَمُوح الخرُوجَ إلَى أُحُدٍ ، مَنعُهُ بَنُوه ، وقَالُوا : قَدْ عذَرَكَ اللهُ . فَجَاءَ إِلَى النبي ﷺ فقال : إن بَنِيَّ يُرِيْدُوْنَ حَبْسِي عن الخُرُوج مَعَكَ وإِنِّي لأَرْجُوْ أَنْ أطأ بعرجَتِي [هَذِهِ] في الجَنَّةِ ، فقالَ : « أمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللهُ » ثم قال لِبَنِيْهِ : لا عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَمْنَعُوهُ لَعَلَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ . فخلَّوْا سَبِيْلَهُ .

قالَتِ امْرَأَتُهُ هِنْدُ بِنْتُ عَمْرِو بِن خُزَام : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُوَلِّياً ، قَدْ أَخَذَ دَرَقَتَه وهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ لا تَرُدَّنِي إِلَى خَرْبَى وَهِيَ مَنَازِلُ بَنِيْ سَلِمَة .

قال أبو طلحة : فنظرتُ إليه حين انكشف المسلمون ثم ثابوا ، وهو في الرَّعيل الأول ، لكأني أنظر إلى ظَلع في رجله وهو يقول : أنا والله مشتاق إلى الجنة !

ثم أنظر إلى ابنه خَلاَّد [وهو] يَعْدو [معه] في إثْره حتى قتلا جميعاً .

وفي الحديث أنه دُفن عمرو بن الجَمُوح وعبدالله بن عُمر وأبو جابر في قبر واحد ، فَخرَّب السيلُ قُبورهم ، فحفر عنهم بعد ست وأربعين سنة فوجدوا لم يتغيروا كأنهم ماتوا بالأمس .

(**فَصْــلٌ**) عن أنس بن مالـك قال : كنا جُلوساً مع رسول الله ﷺ فقال : يَطْلُعُ الآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ الجَنَّة ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَار تَنْطُفُ لِحيَتُهُ مِنْ وَضُوئِهِ قَدْ عَلَّقَ نَعْلَيْهِ بيَدِهِ الشِّمَالِ .

فَلَمَّا كانَ الغَـدُ قال النبي ﷺ : مِثْلَ ذلكَ ، فَطَلَعَ ذلك الرَّجُلُ مِثْلَ المرَّةِ الأولى .

فلمَّا كان اليومُ الثالثُ قال النبي ﷺ مِثْلَ مقالته أيضا فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى فلما قام النبي ﷺ تَبعَهُ عبدالله ابنُ عمـرو ، فقـال:إني لاحَيْتُ أبي ، فأقسمتُ أني لا أدخُـلُ عليه ثلاثاً، فإن رأيْتَ أن تُؤْوِيَني إليكَ حتى تَمْضِيَ فَعَلْتَ . قال : نعم .

قال أنسٌ : فكَانَ عبدالله يُحَدِّثُ أنَّهُ باتَ معهُ تلكَ الثَّلاثَ الليالي فَلَمْ يَرَهُ يَقُـومُ مِن الليلِ شَيْئاً غير أنهُ إذا تَعَارَّ تَقَلَّبَ على فِرَاشِهِ ذكرَ الله عز وجل ، وكبر حتى لِصَلاةِ الفجر .

قال عبدالله : غَيْرَ أني لم أسمعهُ يقولُ إلا خَيْراً ، فلمَّا مَضَتِ الثَّلاثُ الليالي ، وكِدْتُ أنْ أحْتَقِرَ عَمَلَهُ .

قُلْتُ : يا عبدالله لم يَكُنْ بَيْني وبَيْنَ أبي غَضَبٌ ولا هُجْرَةٌ ، ولكن سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ لكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ : يَطْلُعُ عليكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِن أهل الجنة ، فَطَلَعْتَ أنتَ الثلاثَ المَرَّاتِ ، فأرَدْتُ أن آوِيَ إليكَ .

فأنْـظُرَ مَا عَمَلُكَ ، فَأقْتَـدِيَ بكَ ، فلم أرَكَ عَمِلْتَ كبيرَ عَمَلٍ ، فَمَا الذي بَلَغَ بكَ ما قال رسول الله ﷺ ؟

قال : مَاهُوَ إلا مَارَأيْتَ ، فلمَّا وَلَّيْتُ دَعَاني فقالَ : ماهُوَ إلا مارأيْتَ غيرَ أني لا أجدُ في نفسي لأحَدٍ مِن المسلمَين غِشًّا ولا أحْسُدُ أجداً على خَيْرٍ أعطاهُ الله إيَّاهُ .

فقال عبدالله : هذه التي بَلَغَتْ بكَ ، رواه أحمد بإسناد على شرط البخاري ومسلم والنسائي والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم

(**فَصْلٌ**) عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً فيهم رجل يقال له : حُدَيْر . وكانت تلك السنة قد أصابتهم سَنة مِن قِلةِ الطعام ، فزوّدَهمُ رسولُ الله ﷺ ونَسِيَ أنْ يُزَوِّدَ حُديراً .

فخرجَ حُديرٌ صابراً محتسباً وهو في آخر الركب يقول : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ويقول : نِعْمَ الزّاد هُوَ يَارَب . فهو يردّدها وهو في آخر الركب .

قال : فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له : إن ربِّي أرسَلَني إليك يُخْبِرُكَ أنكَ زَوَّدْتَ أصَحابَكَ ونسيتَ أنْ تُزَوِّدَ حُدَيْراً ، وهو في آخر الركَب يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله

فدعا النبي ﷺ رجلاً فدفع إليه زاد حُدير وأمره إذا إنتهى إليه حفظَ عليه ما يُقُول ، وإذا دفع إليه الزاد حَفِظَ عليه ما يَقُول ، ويقول له : إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ورحمةَ الله ، ويُخْبِرُكَ أنه كان نَسِيَ أنْ يَزُوِّدكَ ، وإن ربِّي تبارك وتعالى أرسل إليّ جبريل يذكرّني بك ، فذكّره جبريل وأعلمه مكانك .

فانتهى إليه وهو يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول : نِعْمَ الزاد هذا يارب . قال : فدنا منه ثم قال له : إن رسول الله ﷺ يُقرئك السلام ورحمةَ الله وقد أرسلني إليك بزادٍ مَعي ، ويقول : إني إنما نَسِيتُكَ فأرسلَ إليّ جبريل مِن السماء يُذَكِّرُني بك . قال : فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ .

ثم قال : الحمد لله رب العالمين ، ذَكَرني ربي مِن فوق سبع سموات ، ومِن فوق عرشه ، ورحِم جُوعي وضعفي ، يارب كما لم تنس حُديراً فاجعلْ حُديْراً لا يَنْسَاك .

قال : فحفظ ما قال ورجع إلى النبي ﷺ فأخبره بما سمع منه حين أتاه ، وبما قال حين أخبره ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيتَ لكلامه ذلك نوراً ساطعاً ما بين السماء والأرض .

عن محمد بن سعد قال : كان ذو البجادَيْن يتيماً لا مال له . فمات أبوه ولم يورثه شيئاً ، وكفله عمه حتى أيسر .

فلما قدم النبي المدينة جَعَلت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يَقْدِرُ عليه من عمه حتى مَضَتْ السُنُون والمشاهد .

فقال لِعَمِّهِ : ياعَمُّ إني قد انْتَظَرْتُ إسْلاَمَك فلا أراك تريد محمداً ، فأذن لي في الاسلام .

فقال : والله لئن اتَّبَعْتَ محمداً لا أتْرُكُ بيدكَ شَيئاً كُنْتُ أعْطَيتُكَهُ إلا نَزَعْته منك ، حتى ثَوبَيْك .

قال : فأنا والله مُتَّبِعٌ محمداً وتاركُ عِبادَةَ الحَجَرِ ، وهذا ما بيدي فَخُذْهُ ، فأخذ ما أعطاه حتى جَرَّدَهُ مِن إزاره .

فأتى أمَّهُ فقَطَّعَتْ بجَاداً لها باثنين فأتَزَرَ بواحدٍ وارْتَدَى بالآخر ثم أقبل إلى المدينة وكان بورِقَانِ فاضطَجَعَ في المسجد في السَّحَر .

وكان رسولُ الله ﷺ يَتصفَّحُ الناسَ إذا انْصرفَ مِن الصُّبْحِ فَنَظَرَ إليه فقال : مَنْ أنْتَ ؟ فانْتَسَبَ لَهُ ، وكان اسمه عبدُ العزّى . فقال : أنْتَ عبدُ الله ذُوْ البجَادَين .

ثم قال : انْزِلْ مِنيَ قَرِيْباً . فكان يكون في أضْيَافِهِ حتى قرأ قرآناً كثيراً .

فلما خرج النبي ﷺ إلى تَبُوكَ قال : ادْعُ لي بالشهادةِ . فَرَبَطَ النبي ﷺ على عَضُدِه لِحَى سَمُرة وقال : اللهمَ إني أحرم دَمَهُ على الكفار .

فقال : ليسَ هذا أرَدْتُ .

قال النبي ﷺ : إنك إذا خَرَجْتَ غازياً فأخَذَتْكَ الحُمَّى فَقَتَلَتْكَ فأنْتَ شهيْد ، أو وَقَصَتْكَ دَابَّتُكَ فأنْتَ شَهِيد . فأقامُوا بتَبُوكَ أياماً ثم تُوفِّيَ .

قال بلالُ بْنُ الحارث : حَضَرْتُ رسولَ الله ﷺ ومَعَ بلال المؤذنُ شُعْلَةٌ مِن نار عندَ القبرِ وَاقِفاً بها .

وإذا رسولَ الله ﷺ وهو يقول : «أدْنيا إليّ أخَاكُما . فلما هَيأه لِشِقِّهِ في اللَّحْدِ قال : اللهم إني قد أمْسَيتُ عنه راضياً فارْضَ عنه» .

فقال ابنُ مسعود : لَيْتَني كُنْتُ صَاحبَ اللَّحْدِ .

وعن أبي وائل ، عن عَبدالله قال : والله لكأني أرى رَسول الله ﷺ في غزوة تَبُوك وهو في قَبْرِ عبدالله ذِي البِجادينِ ، وأبُو بكر وعُمر يقول : أدْنِيَا إلي أخَاكُمَا .

وأخَذَهُ مِن القِبْلَةِ حتى أسْكَنَهُ في لَحْدِه ثم خَرَجَ النبيُ ﷺ وَوَلَّيَاهُمَا العَمَلَ .

فلمَا فرغَ مِن دَفْنه اسْتَقْبَل القبلةَ رَافعاً يديه يقول : « اللهم إني أمسيتُ عنه راضياً فارْضَ عنه » .

وكان ذلك ليلاً فوالله لوددتُ أني مَكَانه ، ولقد أسلمتَ قَبْلَهُ بخَمس عَشْرَ سَنَة والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(**فصل**) عن محمد بن سعد قال : أتى وَاثِلةُ رسول الله ﷺ فصلى معه الصبح . وكان رسول الله ﷺ إذا صلى وانصرف تَصَفَّحَ أصْحَابَهُ . فلما دَنا من واثلةَ قال : مِنْ أنْتَ ؟ فأخبره .

فقال : ما جَاءَ بكَ ؟ قال : جِئْتُ أبايعُ . فقال رسول الله ﷺ : فيما أحْبَبْتَ وكَرِهْتَ ؟ قال : نعم . قال : فِيما أطَقْتَ ؟ قال: نَعَمْ . فأسلم وبَايَعَهُ .

وكان رسول الله ﷺ يَتَجَهزُ يومئذ إلى تَبُوكَ فَخَرَجَ واثلةُ إلى أهْلِهِ فَلَقِيَ أبَـاهُ الأسقعَ فلما رَأى حَالَه قال : قَدْ فعلتها؟ قال: نعم. قال أبوه : والله لا أكَلِمُكَ أبَدَاً .

فأتى عمه فَسَلَّمَ عليه فقال : قَدْ فَعَلْتَهَا ؟ قال : نَعَمْ . قال: فلامَهُ أيْسَرَ مِن مَلامَةِ أبيه وقال : لم يَكُنْ يَنْبَغِي لَكَ أن تَسْبِقْنَا بأمرٍ .

فَسَمِعَتْ أخْتُ واثِلَةَ كَلامَـهُ فَخَـرجَتْ إليه وسَلَّمَتْ عليه بتَحِيَةِ الإسلام . فقال وَاثِلةُ : أنَى لَكِ هذا يا أخَيَّةُ ؟ قالت : سَمِعْتُ كَلامَكَ وكلامَ عمك فأسْلَمْتُ .

فقـال : جَهزِّي أخَاكِ جَهازَ غَازٍ فإنَّ رسولَ الله ﷺ على جَنَاحِ سَفَرٍ . فَجَهزَتْهُ فلحِقَ برسولِ الله ﷺ قَدْ تَحَمَّلَ إلى تَبُوكَ وبَقِيَ غُبَّرَاتٌ مِن الناسِ وهم على الشُخُوص .

فَجَعَلَ يُنادِي بسُوقِ بَنِي قَينُقَاع : مَن يَحْمِلُني و له سَهْمِي؟ قال : وكُنْتُ رَجُلا لا رُحلةَ بِيَ .

قال : فَدَعَـاني كَعْبُ بنُ عُجْـرةَ فقال : أنَا أحْمِلُكَ عُقْبةً بالليل وعُقْبةً بالنهار وَيَدُكَ أسْوَةُ يَدِي وسَهْمُكَ لِي . قال واثلة : نعم.

قال واثلة : جَزاهُ الله خيراً لقد كان يَحْمِلُني ويَزيْدُني وآكُلُ مَعَـهُ ويَرفَعُ لي حتى إذا بَعَثَ رسول الله ﷺ خالدَ بنَ الوَليد إلى أكَيْدِرِ بن عبدالملك بدَوْمَة الجَنْدَل .

(**فصـل**) خَرجَ كَعبُ في جَيْش خَالِد وخَرجْتُ مَعَهُ فأصَبْنا فَيْئاً كَثيْراً فَقَسمَـه خَالِـدُ بيننا فأصابني ستُ قَلائص فأقْبلْتُ أسُوْقُها حتى جئْتُ بها خَيْمةَ كَعْبِ بن عَجْرَةَ فَقُلْتُ : اخْرُجْ رَحمك الله فانْظُر إلى قَلائِصِك فاقْبضْهَا .

فَخَرجَ وهُوَ يَبْتَسِمُ ويَقُولُ : بَارَكَ الله لَكَ فِيها ما حَمَلْتُك وأنا أرِيْدُ أنْ آخُذَ مِنْكَ شَيئاً .

عن بشر بن عبدالله عن واثِلَةَ بن الأسْقَع رضي الله عنه قال: كُنَّا أصحابَ الصفّةِ في مسجد رسول الله ﷺ وما فِينا رَجُلٌ لهُ ثَوْبٌ .

ولَقَدْ اتَّخذَ العَرقُ في جُلُودنا طُرُقاً مِن الغُبار ، إذْ خَرجَ علينا رسول الله ﷺ فقال : « لِيَبْشِرْ فُقَراءُ المهاجرين » ثلاثاً .

(**فَصْلٌ** عن نعيم بن ربيعة بن كعب قال : كنتُ أخدِمُ رسولَ الله ﷺ وأقومُ له في حَوائِجه نهارِي أجمع ، حتى يُصَلي رسول الله ﷺ العشاء الآخرة .

فأجلسُ على بابه إذا دَخلَ بيتَه ، أقولُ : لَعلهَا أنْ تَحْدُثُ لرسول الله ﷺ حاجَةٌ . فما أزالُ أسْمَعُه سُبحانَ الله ، سُبْحانَ الله ، سبحانَ الله وبحمده حتى أمَلَّ فأرجعُ أو تَغلُبني عَيني فأرقُد .

فقـال لي يومـاً لما رأى مِن خَفّتي (أي العناية والخدمة) له وخِدْمَتي إيَّاه ، يارَبيْعَةُ سَلْني أُعْطِك . قال : فقلتُ : أنْظُر في أمْرِي يارسول الله ثم أعْلِمُكَ ذلك .

فقال : ففكرتُ في نفسي فعلمتُ أن الدنيا مُنْقَطِعَةٌ وزائلةٌ

وأنَّ لي فيهـا رزقـاً سَيأتيني ، قال : فقلتُ أسأل رسول الله ﷺ لآخِرَتي فإنه مِن الله عزَّ وجلِ بالمنزلِ الذي هو به .

فجئتُه فقال : ما فَعلْتَ يارَبيعَةُ ؟ فقلتُ : أسألُك يارسولَ الله أن تَشْفَعَ لي إلى رَبكَ فَيعْتِقَني مِن النار .

فقال : مَنْ أمَرَكَ بهذا ياربيعة ؟ فقلتُ : لا والذي بَعَثَكَ بالحق ما أمرني به أحَدٌ ولكنكَ لمَّا قُلْتَ سَلْني أعْطِكَ وكُنْتَ من الله بالمنـزل الذي أنتَ به نَظَرْتُ في أمري فَعَرفتُ أن الدنيا مُنْقَطِعة وزائلةٌ وأنَّ لي فيها رِزْقاً سَيأْتيني .

فقلتُ أسأل رسولَ الله ﷺ لآخِرَتي . قال : فَصَمَتَ رسولُ الله ﷺ طَويْلاً ثم قال لي: إني فاعِلٌ فَأعِنِّي على نَفْسكَ بكثرةِ السُجُود .

(**فَصْلٌ**) وأخرجا في الصحيحين ، من حديث قيس بن عبادة قال : كنت جالساً في مسجد المدينة في ناس فيهم بعض أصحاب النبي ﷺ .

فجاء رَجلٌ في وَجْهِهِ أثَرُ خُشُوع ، فقال بعضُ القوم : هذا رَجُلٌ مِن أهلِ الجنة . فصلى ركعتين تَجوَّزَ فيهما . ثم خَرَجَ فاتْبعتُه فدخل مَنزلَه فَدَخَلْتُ فأخْبَرتُه .

فقالَ : لا يَنْبَغي لأحَدٍ أن يَقولَ ما لا يعلم ، وسأحَدثُكَ لِمَ ذَاكَ ؟ رَأيْتُ رُؤْياً على عهد رسول الله ﷺ فَقَصَصْتُهَا عليه .

رأيتُني في رَوْضَةٍ ، وَسَطَ الروضةِ عَمُودٌ مِن حَدِيد ، أسْفَلُه في الأرض وأعلاهُ في السماء ، في أعلاه عُرْوَةٌ .

فقيلَ لي إرْقَه . فَقُلْتُ : لا أسْتَطيعُ . فجاءني مِنْصَفٌ ، يَعْني خَادماً ، فقال بثيابي مِن خَلْفِي ، فأخَذْتُ بالعُروَةِ .

فَقَصَصْتُهـا على رَسـول الله ﷺ فقـال : تِلْكَ الـروضـةُ الاسلام ، وذاكَ العَمُودُ عَمُودُ الاســـلام ، وتلك العُروةُ ، العُروة

الوثقى ، وأنْتَ على الإســلام حتى تمــوت ، والرجلُ عبدالله ابن سلام .

وعن أبي بُردة بن أبي موسى قال : قدمتُ المدينة فأتيتُ، عبدالله بن سلام ، فإذا رجلٌ مُتَخَشِّعٌ ، فجلستُ إليه فقال : يابنَ أخِي إنكَ جَلَسْتَ إلينا وقَدْ حَانَ قِيامُنا ، أفَتأْذَنُ ؟

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصــــل]

بعث عمر بن الخطاب عمير بن سعد عاملاً على حمص فمَكَثَ حَولاً لا يأتيه خبره فقال عمر لكاتبه : أكتب إلى عمير فوالله ما أراه إلا قد خاننا : إذا جاءك كتابي هذا فأقبِلْ وأقْبِلْ بما جَبَيْتَ مِن فَيءِ المسلمين حِينَ تنظر في كتابي هذا .

قال : فأخذ عمير جِرابَه فوضعَ فيه زَادَهُ وقَصْعَتَهُ وعلقّ إدواتَه وأخَذَ عَنزَتَهُ ثم أقبل يمشي مِن حمصٍ حتى قدم المدينة .

قال : فقدم وقد شحُبَ لَونُه واغبَرَّ وجْهُهُ وطالتْ شَعْرَتُه فَدَخلَ على عمر فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله .

قال عمر : ما شأنك ؟ قال : ما ترى مِن شأني ألَسْتَ تراني صحيحَ البدن ظاهرَ الدم ، مَعِي الدنيا أجُرُّهَا بقُرونها ؟

قال عمر : وما مَعَك ؟ وظنَّ عمر أنه جَاءَهُ بمال . قال : مَعِي جِرَابي أجْعَل فيه زادي ، وقَصْعَتي آكــلُ فيهــا ، وإدواتِي أحمل فيها وضوئي وشرابي ، وعنَزتي أتوكأ عليها وأجاهد بها عدواً إن عَرَضَ لي ، فوالله ما الدنيا إلاتَبعٌ لِمَتاعِي .

قال عمر : فجئْتَ تَمْشِي ؟ قال : نعم . قال : أما كان لك أحَدٌ يَتبرعُ لَكَ بدابَّة تَركَبُها ؟ قال : ما فَعَلُوا وما سَألْتُهم ذلك . فقال عمر : بئسَ المُسْلِمونَ خَرَجْتَ مِن عِندهم .

فقال عُمَيْرُ : اتقِّ الله ياعُمر قد نَهاكَ الله عن الغِيبةِ وقد رَأيْتُهم يُصَلون صلاةَ الغَداة . قال عمر : فأينَ بِعْثَتُكَ وأيَّ شيءٍ صَنَعْت ؟ قال : وما سؤالك ياأمير المؤمنين ؟

قال عمر : سبحان الله . فقال عمير : أما إني لولا أخْشَى أن أغُمَّكَ ما أخْبَرْتُكَ : بَعَثْتَني حتى أتَيْتُ البلدَ فجمعتُ صُلحاء أهلها فوليّتهم جبَاية فَيئهم حتى إذا جَمَعُوهُ وضَعْتُه مَوَاضِعَه ولو نالكَ منه شيء لأتيتُكَ به .

قال : فما جئتنا بشيء ؟ قال لا . قال : جَدِّدُوا لعُمير عَهْداً . قال : إن ذلكَ شيءٌ لا أعْمَلهُ لك ولا لأحدٍ بعدك ، والله ما سَلمتُ بَلْ لم أسْلَم ، لَقَدْ قُلْتُ لِنصراني أخْزَاكَ الله ، فهذا ما عَرَّضْتَني له ياعمر ، وإن أشْقَى أيامي يَومٌ خُلِّفْتُ مَعَكَ .

ثم استأذنه فأذن له فرجع إلى منزله وبينه وبين المدينة أميال . فقال عمر حين إنصرف عمير : ما أراه إلا قد خَانَنا .

فَبَعَثَ رجلاً يقال له الحارث وأعطاه مائة دينار وقال : انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنَّكَ ضَيْف فإن رأيتَ أثرَ شيء فأقْبِلْ . وإن رأيتَ حالا شديداً فادْفَعْ إليه هذه المائةَ الدينار .

فانطلقَ الحارثُ فإذا هو بعُمَير جالس يَفلي قَمِيْصَه إلى جَنْب الحَائِط فقال له عُمير : انزلْ رحمكَ الله . فَنَزَلَ ثم سَألَهُ فقال : مِنَ أينَ جِئْتَ ؟ فقال : مِن المَدينة .

فقال : كيفَ تركتَ أميرَ المؤمنين ؟ فقال صالحاً . قال : فكيف تركتَ المسلمين ؟ قال : صالحين . قال : ألَيْسَ يُقيم الحدود ؟

قال : بلى ضرب ابناً له على فاحشة فماتَ من ضربه . فقال عمير : اللهم أعِنْ عمر فإني لا أعلمه إلا شديداً حبُّه لك .

قال : فَنزَلَ به ثلاثةَ أيام وليَسَ لهم إلا قُرْصَةٌ مِن شَعِيرٍ كانوا يَخُصُّونَهُ بها ويَطْوُوْنَ حتى أتاهُم الجَهْدُ . فقال له عُميرُ : إنكَ قَدْ أجَعْتَنَا فإنْ رَأيْتَ أن تَتَحَّول عَنَّا فافْعَلْ .

قال : فأخْـرجَ الدَّنانِيرَ فَدَفَعَها إليه فقال : بَعَثَ بها أميرُ المؤمنينَ فاسْتَعِنْ بها . قال : فَصَـــاحَ وقال : لا حَاجَةَ لِي فيها فَرُدَّهَا .

فَقَـالت لَهُ إمـرأتـه : إن احْتَجْتَ إليهـا وإلا فَضَعْهَـا في مَوَاضِعِهَا .

فقـال عُمَيرُ : والله مالي شَيَءُ أجْعَلُها فيه . فَشَقَّت المرأةُ أسْفَل دِرْعِها فاعْطَتْهُ خِرْقَةً فَجَعَلَها فيها ثم خَرَجَ فَقَسَّمَهَا بين أبناءِ الشُهَداءِ والفُقَراء .

ثم رَجَعَ والرسولُ يَظُنُ أنهُّ يُعْطِيْه منها شيئاً فقال لَهُ عُمَيْرُ : أقْرِىءِ مِني أمير المؤمنين السلام .

فَرجَعَ الحارثُ إلى عُمَرَ فقال : مارَأيْتَ ؟ قال : رَأيْتُ يا أمِيرَ المؤمنين حالاً شديداً . قال : فما صَنَعَ بالدنانيرِ ؟ قال : لا أدْري .

قال : فَكَتَبَ إليه عُمَرُ : إذا جَاءكَ كِتابِي هَذا فلا تَضَعْه مِن يَدِكَ حتى تُقبل .

فأقْبَـلَ إلى عُمـرِ فَدَخَـلَ عليه فقال له عُمَرُ : ما صَنَعْتَ بالدنانيرِ ؟ قال : صَنَعْتُ ما صَنَعْت وما سُؤالك عنها ؟ قال : أنْشُدُ عليكَ لَتُخبرّني ما صنعت بها .

قال : قدّمتُها لِنَفْسِي . قال : رَحِمَكَ الله . فأمَرَ لَهُ بوَسْقٍ مِن طَعَامٍ وثَوبَيْنِ . فقال : أمَّا الطَّعَامُ فلا حَاجَةَ لِي فيه قَدْ تَركْتُ في المنزل صاعينِ من شعيرٍ .

إلى أن آكُلَ ذلكَ قَدْ جَاءَ الله بالرزق ولم يأخُذْ الطَّعَامَ . وأما

الثَّوبان فإنَّ أمَّ فلان عَارِيَة . فأخَذَهُما وَرَجَعَ إلى مَنْزِلِهِ .

فلم يلبث أن هلك رحمه الله فبلغ ذلك عمر فشق عليه وترحم عليه وخرج يمشي ومعه المشّاؤون إلى بَقيع الغَرْقَد .

فقال لأصحابه : ليتَمنّ كل رجل منكم أمنية . فقال رجل : يا أمير المؤمنين وددت أن عندي مالاً فأعتق لوجه الله كذا وكذا .

وقال آخر : وددت أن عندي مالاً فأنفق في سبيل الله .

وقال آخر : وددت أن لي قوة فأميح بدلو زمزم لحجاج بيت الله .

فقال عمر بن الخطاب : وددت أن لي رجلاً مِثْلَ عمير بن سعدٍ أسْتَعِينُ به في أعْمَالِ المسلمين . رحمه الله ورضي الله عنه .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصل يَحْتوِيْ على قِصَصٍ مُفِيْدَة]

عن ابن قمادين قال : لم يكن أحد من كُبراء قريش ، الذين تأخّر إسلامهم فأسلموا يوم فتح مكة ، أكثر صلاةً ولا صوماً ولا صدقـــــةً .

ولا أقبـلَ على ما يَعنيه من أمـر الآخـرة ، من سهيلِ بن عمرو، حتى إن كان لقد شَحُبَ لَونُه . وكان كَثِيرَ البُكَاء رَقيقاً عندَ قِراءةِ القرآن .

لقَد رُئِي يَختلفُ إلى مُعَاذِ بنِ جَبل حتى يُقرِئَهُ القُرآن وهو بمكة ، حتى خَرَجَ مُعاذُ من مكة .

فقال له ضِرارُ بنُ الخطّاب : يا أبا يَزيد ، تَخْتَلِفُ إلى هذا الخَزْرَجِيّ يُقْرِئُكَ القرآنَ ؟ ألا يَكونُ اخْتِلافُكَ إلى رَجُلٍ مِن قَومِكَ مِن قريش ؟

فقال : ياضِرَار هَذا الذي صَنَعَ بنا ما صَنَع (يشير إلى الكبر والعجب) حتى سبقنَا كلَّ السَبْق .

أيْ لَعَمْري أخْتَلفُ [إليه] لقد وَضَعَ الاسلامُ أمْرَ الجاهلية ورفَعَ الله بالإسلام قوماً كانوا لا يُذْكَرُون في الجاهلية فلَيْتَنا كُنَّا مَعَ أولئك فَتَقَدَّمْنَا .

وعن الحسن قال : حَضَر بابَ عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه سُهَيْلُ بنُ عمرو ، والحارثُ وبلال ، وتلْكَ الموالي الذين شهدوا بدراً . فَخَرجَ آذنُ عمر فأذنَ لهم ، وتَركَ هَؤلاء .

فقال أبوُ سُفيان : لم أرَ كاليوم قَطّ ، يأذَنُ لِهَؤلاء العَبيد ونحنُ على بَابه لا يَلْتَفتْ إلينا ؟

فقال سُهَيْلُ بنُ عمرو : وكان رَجُلاً عَاقلاً : أيُّها القوم إني والله لقد أرىَ الذي في وُجُوهِكُم ، إنْ كُنْتُم غِضاباً فاغْضَبُوا على أنفسكم .

دُعِيَ القومُ ودُعيتُم فأسْرَعُوا وأبْطَأتُم ، فكيفَ بِكم إذا دُعُوا يَومَ القِيَامَةِ وتُركْتُم ؟

أما والله لَمَا سَبقُوكُم إليه مِن الفَضْل مِمَّا لا تَرَوْن أشَدُّ عليكم فَوْتاً مِن بَابِكم هذا الذي كنتم تنَافِسُونَهُم عَليه . قال : ونَفَضَ ثَوبَهُ وانْطَلقَ .

قال الحسن : وصدق والله سهيل ، لا يَجعل الله عبداً أسْرَعَ إليه كَعَبدٍ أبْطَأ عنه » .

وعن أبي قُدامة السرخسي قال : قام العمري للخليفة على الطريق فقال له : فَعْلتَ وفَعَلْتَ . فقال له : ماذا تريد ؟ قال : تَعْمَلُ بكذا وتعمل بكذا . فقال له هارون : نَعَمْ ياعَمّ ، نَعَمْ ياعَمّ .

وعن سعيد بن سليمان قال : كنت بمكة في زقاق الشطوى وإلى جنبي عبدالله بن عبدالعزيز العمري وقد حج هارون الرشيد.

فقال له إنسان : يا أبا عبدالرحمن هو ذا أمير المؤمنين يسعى قد أخلى له المسعى . قال العمري للرجل : لا جزاك الله عني خيراً، كلفتني أمراً كنتُ عنه غنياً . ثم تَعَلَّقَ نعليه (أي لبسهما) .

وقـام فتبعتـه وأقْبَـلَ هارون الرشيد مِن المروة يريد الصفا فصاح به : يا هارون ! فلما نظر إليه قال : لَبَيّكَ ياعَمّ . قال : ارْقَ الصّفا . فلما رَقيَه .

قال : ارْمِ بطَرْفِكَ إلى البيت . قال : قد فَعَلْتُ . قال : كـم هُم ؟ قال : ومَن يُحصيهم ؟ قال : فكم في الناس مِثْلُهُم ؟ قال : خَلْقٌ لا يُحصيهم إلا الله .

قال : اعْلَمَ أيُها الرجلُ أنَّ كُلَّ واحدٍ منهم يُسْأَلُ عن خاصَّةِ نفسِهِ وأنْتَ وَحْدَكَ تُسألُ عنهم كلّهم فانظرِ كيفَ تكون ؟ قال : فبكى هارون وجَلَسَ وجَعَلُوا يُعطُونَه مِنديلاً مِنديلاً للدموع .

قال العُمري : وأخرى أقولهِا . قال : قُلْ ياعَم . قال : والله إن الرجل لَيُسْرِفُ في مالِهِ فيستحقُّ الحَجْرَ عليه ، فكيفَ بمن يُسْرِفُ في مال المسلمين ؟ ثم مَضَى وهارون يبكي » .

قال محمد بن خلف : سمعت محمد بن عبدالرحمن يقول : بلغني أن هارون الـرشيد قال : إني لأحبّ أن أحجّ كل سنة ما يمنعني إلا رجل من ولَدِ عمر ثم يُسمعني ما أكره .

وقد روى لنا من طريق آخر أنه لَقِيهُ في المسعى فأخذ بلجام دابتّـه فأهْوت إليه الأجناد فكفّهم عنه الرشيد فكلمه فإذا دموع الرشيد تسيل على مَعَرفة دابتّه .

ثم انصرف . وأنه لقيه مرّةً فقال : يا هارون فَعَلْتَ وفَعلْتَ. فَجعَلَ يَسمعُ منه ويقول : مَقْبُولٌ منكَ ياعَمّ ، على الرأس والعين . فقال : يا أمير المؤمنين مِنْ حَالِ الناس كَيْتَ وكيْت فقال : عن غير علمي وأمري وخرج العمري إلى الرشيد مرّة ليعظَه فلما نزل الكوفة زحف العسكر حتى لو كان نزل بهم مائة ألف من العدوّ ما زادوا على هيبته . ثم رجع ولم يصِلْ إليه .

وعن أبي يحيى الزهري قال : قال عبدالله بن عبدالعزيز العُمري عند موته : بنعمة ربي أحدّث أني لم أصبح أملك إلا سبعةَ دراهم مِن لحَاءِ شَجَرٍ فَتَلْتُه بيدي ، وبنعمة ربي أحدّث : لو أن الدنيا أصبحت تحت قدميّ ما يمنعني أخذَها إلا أن أزيل قدمي عنها ؛ ما أزلتها .

اسْتَسْقى مُوسى بنُ نُصَيرٍ في الناس في سنة ٩٣ حينَ أقْحَطُوا بإفريقية فأمرهم بصيام ثلاثة أيام ثم خرج بهم ومَيَّز أهل الذمة عن المسلمين وفَرَّقَ بينَ البهَائِمِ وأولادها ثم أمَرَ بالبُكاء وارْتِفَاعِ الضَّجيْجِ وهو يَدْعُو الله تعالى حتى انتَصفَ النهار ثم نَزَل فقيْل لَهُ ألا دَعَوتَ لأمير المؤمنين ؟ فقال : هذا مَوْطِنٌ لا يُذْكَر فيه إلا الله عَزَّ وجَل فسَقَاهُم الله عَزَّ وجَل لما قال ذلك .

كتب زر بن حُبَيْش إلى عبدالملك بن مروان كتاباً يَعِظُهُ فيه فكان في آخر : ولا يُطمِعَكَ يا أمير المؤمنين في طُول الحياة ما يَظْهَرُ مِن صحة بدنك فأنتَ أعلم بنفسكَ واذكُرْ مَا تَكلَّم به الأولون .

إذَا الرجَالُ وَلَدَتْ أوْلادُهَا ... وبليت مِن كِبَرٍ أجْسَادُهَا
وجَعَلَتْ أسْقَامُهَا تَعْتَادُهَا ... فذِي زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا

فلما قرأ عبدالملك الكتبَ بَكَى حتى بَلَّ طرفَ ثوبه بدُمُوعِهِ ثم قال : صَدَق زِرٌ ولو كَتَبَ إلينا بِغَيرِ هذا كَانَ أرْفَقَ بنا

آخـــــر :

إذَا رَأيْتَ بُرُوقَ الشَّيْبِ قَـدْ بَسَمَتْ بِمَفْرِقٍ فَمُحَيَّا العَيْشِ قَدْ كَلَحَا
يَلْقَى المَشِيْبَ بِاجْلَالٍ وَتَكْرِمَةٍ مَنْ قَدْ أَعَدَّ مِنَ الأَعْمَالِ مَاصَلَحَا

اللهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ العِبَادَ فَضْلُه وَنعْمَاؤُهُ ، وَوَسِعَ البَرِيَّةَ جُوْدُه وَعَطَاؤُه ، نَسْأَلُ مِنْكَ الجُوْدَ وَالاحْسَانَ ، وَالعَفْوَ وَالغُفْرَان ، وَالصَّفْحَ وَالأمَان ، وَالعِتْقَ مِنْ النِّيْرَانِ ، وَتَوْبَةً تَجْلُو أَنْوَارُها ظُلُمَاتُ الاساءَةِ وَالعِصْيَانِ ، يَا كَرِيْمُ يـا مَنَّانُ ، واغفِرْ لَنَا وَلِوَالِـدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ ، بِرَحْمَتِـكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ

[فصـــــــل]

وعن الفضـل بن الـربيع قال : حج أمير المؤمنين الرشيد فأتـاني فخـرجت مسرعاً فقلت : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتـك . فقال : ويحك قدْ حَاكَ في نفسي شيء فانظر لي رجلاً أسأله . فقلت : هاهنا سفيان بن عيينة .

فقال : امض بنا إليه . فأتيناه فقرعت الباب فقال من ذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين . فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك . فقال له : خذ لما جئناك له رحمك الله .

فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم . فقال: أبـا عبـاس اقض دينه فلما خرجنا قال : ما أغنى عني صاحبك شيئا، انظر لي رجلا أسأله .

فقلت له : هاهنا عبدالرزاق بن همام . قال : امض بنا إليه فأتيناه فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين .

فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك . قال : خذ لما جئناك له .

فحادثه ساعة ثم قال له : عليكِ دين ؟ قال : نعم . قال:

أبا عباس اقض دينه . فلما خرجنا قال : ما أغنى صاحبك شيئاً انظر لي رجلاً أسأله » .

قلت : هاهنا الفُضَيْلُ بن عياض . قال : امض بنا إليه . فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها . فقال : اقرع البـاب . فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين . فقال : مالي ولأمير المؤمنين ؟ فقلت : سبحان الله أما عليك طاعة ؟

أليس قد روى النبي ﷺ أنه قال « ليس للمؤمن أن يُذل نفسه » فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ المصباح ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت .

فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كفُّ هارون قبلي إليه . فقال : يالها من كف ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل .

فقلت في نفسي : ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي . فقال له : خذ لما جئناك له رحمك الله .

فقال : إن عمر بن عبدالعزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبدالله ، ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم : إني قد ابتُليت بهذا البلاء فأشيروا عليَّ . فعدَّ الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة .

فقال له سالم بن عبدالله : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فَصُم عن الدنيا وليكن إفطارك من الموت .

وقـال له محمـد بن كعب القرظي : إن أردت النجاة من عذاب الله ، فليكن كبـير المسلمـين عنـدك أبـاً وأوسـطهم أخاً وأصغرهم عندك ولداً فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك .

وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله عز وجل فأحِبَّ للمسلمين ما تُحبّ لنفسك واكره لهم ما تكرَهُ لنفسك ثم مُت إذا شئت .

وإني أقول لك إني أخاف عليك أشدّ الخوف يوم تزل فيه الأقدام فهل معك رحِمك الله مَن يشير عليك بمثل هذا ؟

فَبَكَى هارون بكاء شديداً حتى غُشي عليه فقلت له : ارفق بأمير المؤمنين . فقال : يابنْ أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفُق به أنا ثم أفاق فقال له : زدْني رحمك الله .

فقال : يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملاً لعمر بن عبدالعزيز شكا إليه . فكتب إليه عمر : ياأخي أذكّرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد وإياك أن يُنصرَف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء .

قال : فلمّا قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبدالعزيز فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعتَ قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله عز وجل .

قال : فبكى هارون بكاءً شديداً ثم قال له : زدني رحمك الله . فقال : يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أمّرني على إمارة فقال له النبي ﷺ «إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل» .

فبكى هارون بكاء شديداً وقال له : زدني رحمك الله فقال : يا حَسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة ، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعلْ ، وإياك

أن تصبح وتُمسى وفي قلبك غشٌ لأحد من رعيتك فإن النبي ﷺ قال : « من أصبح لهم غاشاً لم يرحْ رائحة الجنة » .

فبكى هارون وقال له : عليك دَينْ ؟ قال : نعم دَين لربي يحاسبني عليه ، فالـويل لي إن سألني ، والويل لي إن ناقشني ، والويل لي إن لم أُلْهَمَ حجّتي قال : إنما أعني دَيْن العباد .

قال : إن ربي لم يأمـرني بهذا ، أمر ربي أنْ أوحّده وأطيع أمره، فقال عزّ وجل ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدُون ، ما أريدُ منهم من رزْقٍ وما أريد أن يُطعمونِ إن الله هو الرزّاق ذو القُوّة المَتينُ ﴾ .

فقال له : هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوَّ بها على عبادتك . فقال : سبحان الله أنا أدُلُّكَ على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا ؟ سلمك الله ووفقك .

ثم صمت فلم يكلمنـا فخـرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قال هارون : أبا عباس إذا دَلَلْتَنِي على رجل فدُلّني على مثل هذا ، هذا سيد المسلمين .

فدخلت عليه إمرأة من نسائه فقال : ياهذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به . فقال لها : مثَلِيَ ومثَلكم كمثَل قَوْمٍ كان لهم بعير يأكلون من كسْبه فلما كبرِ نْحَروه فأكلُوا لحمه .

فلَما سمع هارون هذا الكلام قال : ندخل فعسى أن يقبل المال فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة ، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت ياهذا قد أتعبتَ الشيخَ منذ الليلة فانصرف رحمكَ الله فانصرف . تأمل يا أخي هل يُوجَد في

زَمَنِنا مَن يَردُ حُطَامَ الدنيا إذا عُرِضَ عليه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . والله أعلم وصلىَ الله على محمد وآله وسلم .

اللّهُـمَّ اخْتِمْ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ لِبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ في جَمِيْعِ الأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الغَرْقَى وَيَا مُنْجِيَ الهَلْكَى وَيَا دَائِمَ الإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَنِلْنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَتِكَ في جَنَّاتِ النَّعِيمِ واغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

[فصـــــــل]

دخل سليمان بن عبدالملك المدينة فأقام بها ثلاثا فقال : أما هاهنا رجل ممن أدرك أصحاب رسول الله ﷺ يحدثنا ؟ فقيل له هاهنا رجل يقال له أبو حازم .

فبعث إليه فجاء فقال سليمان : يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟ فقال له أبو حازم : وأيَّ جَفَاءٍ رأيتَ مني ؟ فقال له : أتاني وجوه المدينة كلهم ولم تأتني .

فقال : ما جرى بيني وبينك معرفة اتيك عليها ، قال : صدق الشيخ يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم آخرتكم فأنتم تكرهون أن تنقلوا من العمران إلى الخراب ، قال : صدقت .

يا أبا حازم فكيف القدوم على الله تعالى ؟ قال : أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله فرحاً مسروراً ، وأما المسيء فكالابق يقدم على مولاه خائفاً محزوناً .

فبكى سليمان وقال : ليت شعريّ ما لنا عند الله يا أبا حازم فقال أبو حازم : إعرض نفسك على كتاب الله فإنك تعلم ما لك عند الله .

قال : يا أبا حازم وأنى أصيب تلك المعرفة من كتاب الله قال عند قوله تعالى ﴿ إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم ﴾ .

قال : يا أبا حازم فأين رحمة الله ، قال : قريب من المحسنين .

قال : يا أبا حازم مَن أعقل الناس ؟ قال : مَن تعلم الحكمة وعلمها الناس .

قال : فمن أحمق الناس ؟ قال : من حط نفسه في هوى رجل وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره .

قال : فما أسمع الدعاءِ ؟ قال : دعاء المخبتين. قال : فما أزكا الصدقة ؟ قال : جهد المقل .

قال : يا أبا حازم ما تقول فيما نحن فيه . قال : اعفني من هذا . قال سليمان : نصيحة تلقيها .

قال أبو حازم : إن ناساً أخذوا هذا الأمر عنوة مِن غير مشاورة المسلمين ولا إجماع مِن رأيهم فسفكوا فيها الدماء على طلب الدنيا ثم ارتحلوا عنها فليت شعري ما قالوا وما قيل لهم .

فقال بعض جلسائهم : بئس ما قلتَ يا شيخ .

فقال أبو حازم : كَذَبْتَ إن الله أَخَذَ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه .

قال سليمان : يا أبا حازم إصحبنا تُصيبُ منا ونُصيب منَكَ قال : أعوذ بالله مِن ذلك . قال : ولم . قال : أخاف أن أركن إليكم شَيئاً قليلا فَيُذِيقني ضِعْفَ الحياة وضعفَ الممات .

قال : فأشِرْ عَليَّ . قال : اتق الله أَنْ يَراكَ حيثُ نهاكَ أو يفقدكَ حيثُ أمركَ .

قال : يا أبا حازم ادع لنا بخير فقال : اللهم إن كان سليمان وليكَ فيَسره للخير وإن كان غيرَ ذلك فَخُذْ إلى الخير بناصيته .

فقال : يا غلام هَات مائة دينار ثم قال : خُذْ هَذا يا أبا حازم ، قال : لا حاجَة لي بها لي ولغيري في هذا المال أسْوة فإن واسيت بَيننا وإلا فلا حاجة لي فيها إني أخاف أن يكون لِما سَمِعْتَ مِن كلامي أيْ ثَمَناً له .

فكأن سليمان أعْجبَ بأبي حازم فقال الزُهْري : إنه لجَاري منذ ثلاثين سنة ما كلمتُهَ قَط .

فقال أبو حازم : إنك نسَيِتَ الله فنسيتني ، قال الزهري : اتَشْتُمني ؟

قال سليمان : بل أنْتَ شتَمتَ نفسَكَ أما علمتَ أن للجار على الجار حَقا .

قال أبو حازم : إن بني إسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء و كانت العلماء تفر بدينها من الأمراء .

فلما رأى قوم من أراذل الناس تعلموا العلم وأتوا به الأمراء استغنت الأمـراء عن العلماء واجتمع القوم على المعصية فَسَقَطُوا وهلكوا .

ولو كان علماؤنا هؤلاء يصونون علمهم لكانت الأمراء تهابهم وتعظمهم . فقال الزهري : كأنك إيَّايَّ تريد وبي تعرض ، قال: هو ما تسمع » أهـ .

أحضر الرشيد رجلا ليوليه القضاء فقال له : إني لا أحسن القضاء ولَسْتُ بفقيه .

قال الرشيد : فيك ثلاث خلال : لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة .

وفيك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطؤه .

وأنت تشاور في أمرك ومن شاور كثر صوابه ، وأما الفقه فَنَظُمُ إليكَ مَن تَتَفَقَّهُ عليه فولاه فما وجد فيه مَطْعَنا » .

دخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبدالعزيز فقال له : عِظْني يا يزيد .

قال : اعلم يا أمير المؤمنين أنك أول خليفة تموت فبكى.عمر ثم قال : زدني يايزيد .

قال : يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم إلا أبٌ مَيِّت فبكى عمر وقال : زدني يايزيد قال : يا أمير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزلة فسقط عمر مَغْشياً عليه رحمه الله » .

وقال الرشيد لابن السِّماك : عظني وكان في يد الرشيد شربة من ماء فقال : ياأمير المؤمنين أرَأيْتَ لو حُبسَتْ عَنْكَ هذه الشَّرْبَةَ أكُنْتَ تفديها بملكك ؟ قال : نعم . قال : فلو حُبِسَ عَنْكَ خُروجُهَا أكُنْتَ تَفْدِيها بمُلْكِكَ ؟ قال : نعم .

قال : لا خير في ملك لا يُسَاوِي شَرْبَةَ ماء ولا بَوْلَة فبكى الرشيد .

وقال علي رضى الله عنه لأسْقُفٍ قد أسلم : عِظني فقال : ياأمير المؤمنين

قال : إن كان الله معك فمن تخاف . قال : أحسنت زدني .

قال : هب إن الله غفر ذنوب المسيئين أليس قد فاتهم ثواب المحسنين . قال : حسبي حسبي .

وقال سليمان بن عبدالملك لحميد الطويل : عظني . قال : ياأمير المؤمنين إن كُنْتَ إذا عَصَيْتَ الله تعالى ظَنَنْتَ أنه يَراكَ فقد إجْتَرَأتَ على رب عظيم وإنْ كنتَ تظن أنه لا يراكَ فقد كَفرْتَ برب كريم . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[فصـــــــل]

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله وعين سهرت في سبيل الله وعين يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله » يعني دمعة مثل رأس الذباب .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : أفرس الناس ثلاثة : عزيز مصر حين قال لامرأته (أكرمي مثواه) ، والمرأة التي قالت لأبيها عن موسى (يا أبتي استأجره إنّ خير من استأجرت القوي الأمين)، وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

قال شقيق البلخي لحاتم الأصم : قد صحبتني مدة فماذا تَعَلَّمْتَ مني ؟ قال : ثمان مسائل .

الأولى : نظرت إلى الخلق فإذا كان لِشخْص محبوبٌ ، عندما يصل إلى القبر يفارقه ، فجعلت محبوبي حسناتي لتكونَ معي في القبر .

والثانية : نظرت إلى قول الله تعالى ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ فاجتهدت في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى .

وأما الثالثة : فإني رأيت كل من معه شيء له قيمة عنده يحفظه ، فنظرت في قوله تعالى ﴿ماعندكم ينفد وما عند الله باق﴾ فكلما وقع معي شيء له قيمة وجَّهْتُه إليه ليبقى عنده .

وأما الرابعة : فإني رأيت الناس يرجعون إلى المال والحسب والشرف ، فنظرتُ إلى قول الله تعالى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ فعملت بالتقوى لأكون عنده كريما .

وأما الخامسة : فإني رايتُ الناس يتحاسدون فنظرتُ في قول الله تعالى ﴿نحن قسمنا بينهم مَعِيْشتهم﴾ فتركتُ الحسد .

وأما السادسة : فإني رأيتهم يتعادون فنظرت في قول الله تعالى ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾ فتركتُ عداوتهم واتَّخَذْتُ الشيطان عدوا .

والسابعة : رأيتهم يذلون أنفسهم في طلب الرزق فنظرت في قول الله تعالى ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ فاشتَغَلْتُ بما له علي وتركت ما لي عنده .

وأما الثامنة : فإني رأيتهم متوكلين على تجارتهم وصنائعهم وصحة أبدانهم فتوكلتُ على الله تعالى .

[فـــــائدة]

إعلم أن ذكر الله تارة يكون لعظمته فيتولد منه الهيبة فالإجلال ، وتارة يكون لقدرته فيتولد منه الخوف والحزن ، وتارة لنعمته فيتولد منه الحمد والشكر ولذلك قيل ذكر النعمة شكرها ، وتارة لأفعاله الباهرة فيتولد منه العِبَر ، فحق على المؤمن أن لا يَنْفَكَّ أبداً من ذكره على أحد هذه الأوجه .

سأل بعضهم وكيعاً عن مقدمه هو وابن إدريس وحفص على هارون الرشيد فقال : كان أول مَن دَعَا به أنا .

فقال لي هارون : يا وكيع إن أهل بلدك طلبوا مني قاضياً وسَمُّوْكَ لي فِيْمَنْ سَمَّوْا وقد رأيت أن أشْرِكَكَ في أمانَتي .

فقلتُ : يا أمير المؤمنين أنا شيخ كبير وإحْدَى عَينَيَّ ذَاهِبَة والأخرى ضَعِيْفَة . فقال هارون : اللهم غفراً خذ عهدك أيها الرجل وامض .

فقلت : ياأمير المؤمنين والله لئن كُنْتُ صادقاً إنه لَيَنْبَغي أن لا يُقْبَلَ مني ولَئِن كُنْتُ كاذباً فما يَنْبَغِي أن تُولي القَضَاءَ كَذَّابًا فقال : اخْرُج فَخرجْتُ .

ودخل ابنُ إدريس فسمعنا وقع ركبتيه على الأرض حِينَ بَرَكَ وما سَمِعْناه يُسَلِّمُ إلا سَلاماً خَفِيًّا .

فقال له هارون : أتدري لما دَعَوتُكَ ؟ قال : لا . قال : إن أهْلَ بَلدكَ طَلَبُوا مني قاضياً وإنهم سَمُّوكَ لي فِيْمَنْ سَمَّوا .

وقد رأيتُ أن أشْرِكَكَ في أمانتي وأدْخِلُكَ في صَالح ما أدْخل فيه مِن أمر هذه الأمة فَخُذْ عَهْدَكَ وامْض .

فقال له ابنُ إدريس : وأنا وَدِدْتُ أني لم أكُنْ رَأيتُكَ فَخَرَجَ .

ثم دَخَل حَفْصُ فَقَبلَ عَهْدَهُ فأتى خَادِمٌ مَعَهُ ثلاثةُ أكياس في كل كِيس خَمسةُ آلاف .

فقال إنَّ أمير المؤمنين يُقرِؤكَ السلامَ ويقولُ لكم قَدْ لَزِمَتْكم في شخوصكم مَؤُنَةٌ فاسْتَعِيْنُوا بهذه في سَفرَكم .

قال وكيعُ فقلتُ : أقرىء أمير المؤمنين السلامَ وقُل له قَدْ وَقَعَتْ مني بحَيْثُ يحبُ أميرُ المؤمنين وأنا مُسْتَغْن عنها .

وأما ابنُ إدريس فصَاحَ به مُرَّ مِن هَاهُنَا أيْ رُدَّهَا وقبلها حَفْصُ .

وخَرَجَتِ الرقعةُ إلى ابن إدريس مِن بيننا .عافانا الله وإياكَ

سألْنَاكَ لأن تدخل في أعمالنا فلم تفعل ووصلناك من أموالنا فلم تقبل .

فإذا جاءك ابني المأمون فحدثه إن شاء الله .

فقال للرسول : إذا جاءنا مع الجماعة حدثناه إن شاء الله» .

قام صالح بن عبدالجليل بين يدي المهدي ، فقال : إنه لما سُهِّلَ عَلينا ما توعَّرَ على غَيْرنا مِن الوصول إليك ، قُمْنَا مَقَامَ الأدَاءِ عنهم ، وعن رسول الله ﷺ .

بإظهار ما في أعْنَاقِنَــا مِنْ فَرِيْضَــةِ الأمرِ والنَّهْي ، عِنْــدَ انْقِطَاع عُذْر الكتمان ، ولا سِيَّما حِيْنَ اتسَمْت بمِيْسَم التّواضُعِ وَوَعَدْتَ الله وحَمَلَةَ كتابه بإيثار الحق على ما سواه .

فجمعنا وإيَّاكَ مَشْهَدٌ مِن مشاهد التمحيص ، ليتم مُؤدينا على موعود الأداء وقابلنا على موعود القبول ، أو يزيدنا تمحيص الله إيانا في اختلاف السر والعلانية ويُحَلِّيْنَا حِليةَ الكذابين .

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون من حجب الله عنه العلم عذبه الله على الجهل وأشد منه من أقبل عليه العلم وأدبر عنه ، ومَن أهدى الله إليه علماً فلم يعمل به ، فقد رغب عن هدية الله وقصر بها .

فاقْبَلْ مَا أهْدَى الله إليكَ مِن ألسنَتِنا قبول تحقيق وعمل ، لا قبول سمعة ورياء ، فإنه لا يعدمك منا إعلام لما تجهل أو مواطئة على ما تعمل أو تذكير من غفلة .

فقد وطَّن الله عز وجل نبيه ﷺ على نزولها تعزية عما فات وتمحيصاً مِن التمادِي ودَلالةً مِن المخرج فقال جل وعلا ﴿ وإما يَنْزَغَنَّكَ من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله ﴾ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا بِتَذْكِيْرِكَ مُنْتَفِعِيْنَ وَلِكِتَابِكَ وَرَسُولِك مُتَّبِعِيْنَ وَعَلى طَاعَتِكَ

مُجْتَمِعِيْنَ وَتَوَفَّنا رَبَّنا مُسْلِمِيْنَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِين وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصلَّى اللَّهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

« نظم الكبائر لابن عبدالقوي »

وكُنْ عَالِماً إنَّ الذُّنُوبَ جَمِيْعَهَا بِكُبْرى وصُغْرَى قُسِّمَتْ فِي المُجَوَّدِ

فَمَا فِيْهِ حَدٌّ في الدُّنَا أَوْ تَوَعُّدُ
بِأُخْرَى فَسِمْ كُبْرَى عَلَى نَصِّ أَحْمَدِ

وَزَادَ حَفِيْدُ المَجْدِ أَوْ جَا وَعِيْدُهُ
بِنَفْيٍ لإِيْمَانٍ وَلَعْنٍ لِمُبْعَدِ

كَشِرْكٍ وَقَتْلِ النَّفْسِ إِلَّا بِحَقِّهَا
وَأَكْلِ الرِّبَا والسِّحْرِ مَعْ قَذْفِ نُهَّدِ

وأَكْلُكَ أَمْوَالَ اليَتَامَى بِبَاطِلٍ
تَوَلِّيْكَ يَوْمَ الزَّحْفِ فِي حَرْبِ جُحَّدِ

كَذَاكَ الزِّنَا ثُمَّ اللِّوَاطُ وَشُرْبُهُم
خُمُوراً وَقَطْعٌ لِلطَّرِيْقِ المُمَهَّدِ

وَسَرْقَةُ مَالِ الغَيْرِ أَوْ أَكْلُ مَالِهِ
بِبَاطِلِ صُنْعِ القَوْلِ والفِعْلِ واليَدِ

شَهَادَةُ زُوْرٍ ثُمَّ عَقٌّ لِوَالِدِ
وَغِيْبَةُ مُغْتَابٍ نَمِيْمَةُ مُفْسِدِ

يَمِيْنٌ غَمُوسٌ تَارِكٌ لِصَلَاتِهِ
مُصَلٍّ بِلَا طُهْرٍ لَهُ بِتَعَمُّدِ

مُصَلٍّ بِغَيْرِ الوَقْتِ أَوْ غَيْرِ قِبْلَةٍ
مُصَلٍّ بِلَا قُرْآنِهِ المُتَأَكِّدِ

قُنُوطُ الفَتى مِن رَحْمَةِ اللهِ ثُمَّ قُلْ
إِسَاءَةُ ظَنٍّ بالألهِ المُوَحَّدِ

وأمْـنُ لِـمَـكْـرِ الـلهِ ثُمَّ قَطيْـعَةُ
لِـذِيْ رَحِمٍ والكِبْـرُ والخُيَـلاَ اعْـدُ د
كَـذَا كَـذِبٌ إنْ كَـانَ يَـرْمِي بِفْتِنَـةٍ
أَوْ المُفْتَرِيْ يَوْماً على المُصْطَفى أَحْمَدِ
قِـيَـادَةُ دَيُّـوثٍ نِـكَـاحُ مُـحَـلِّلٍ
وَهِـجْـرَةُ عَـدْلٍ مُـسْـلِمٍ وَمُـوَحِّـدِ
وَتَرْكُ لِحَـجٍ مُـسْتَـطِيْعـاً وَمَنْعُـهُ
زَكَـاةً وَحُـكْـمُ الـحَـاكِـمِ الـمُـتَـقَـلِّدِ
بِـحَـقٍّ لِـخَـلْقٍ وارْتِـشَـاهُ وَفِـطْرُهُ
بِـلا عُـذْرِهِ في صَـوْمِ شَهْـرِ التَّعَبُّـدِ
وَقَـوْلٌ بِـلاَ عِلْمٍ عَـلَى الـلهِ رَبِّنَـا
وَسَـبٌ لأَصْـحَـابِ الـنَّبِيِّ مُـحَـمَّـدِ
مُـصِـرٌ على الـعِصْيَـانِ تَـرْكُ تَنَـزُهٍ
مِن البَـوْلِ في نَصِّ الحَدِيْثِ المُسَـدَّدِ
واتْيَـانُ مَنْ حَـاضَتْ بِفَـرْجٍ وَنَشْزُهَـا
عَلَى زَوْجِهَـا مِن غَيْـرِ عُـذْرٍ مُمَهَّـدِ
وإلْحَـاقُهَـا بِـالـزَّوْجِ مَنْ حَمَلَتْـهُ مِنْ
سِـوَاهُ وَكِـتْـمَـانُ الـعُـلُومِ لِـمُـجْـتَـدِ
وَتَصْـوِيْـرُ ذِيْ رُوْحٍ واتْيَـانُ كَـاهِـنٍ
واتْـيَـانُ عَـرَّافٍ وَتَـصْـدِيْـقُـهُـمْ زِدِ
سُجُـودٌ لِغَيْـرِ اللهِ دَعْـوَةُ مَنْ دَعَـا
إلى بِـدْعَـةٍ أَوْ لِلضَّـلاَلَـةِ مَـا هُـدِي
غُـلُولٌ وَنَـوْحٌ والـتَّـطَيُّـرُ بَـعْـدَهُ
وَأَكْـلٌ وَشُـرْبٌ في لُجَيْنٍ وَعَسْجَـدِ

وَجَـوْزٌ لِمُـوْصٍ فِي الـوَصَايَـا وَمَنْعُـهُ
لِـمِـيْـرَاثِ وُرَّاثٍ إِبَـاقٍ لأَعْـبُـدِ
وإِتْيَـانُهَـا فِي الـدُّبْـرِ بَيْـعُ لِـحُـرَّةٍ
وَمَنْ يَسْتَحِـلُّ البَيْتَ قِبْلَةَ مَسْجِـدِ
وَمِـنْهَـا اكْـتِسَـابُ لِـلْرِّبَـا وَشَـهَـادَةٌ
عَلَيْـهِ وَذُوْ الـوَجْهَيْنِ قُـلْ لِلتَّـوَعُّـدِ
وَمَـنْ يَـدَّعِـيْ أَصْـلاً وَلَيْسَ بِـأَصْلِهِ
يَقُـولُ أَنَـا ابْنُ الفَـاضِـلِ المُتَمَجِّـدِ
فَـيَـرْغَـبُ عَـن آبَـائِـهِ وَجُـدُوْدِهِ
وَلا سِيَّمَـا أَنْ يَنْتَسِـبْ لِمُحَمَّـدِ
وَغِشٌّ إِمَـامٍ لِـلرَّعِـيَّـةِ بَـعْـدَهُ
وُقُـوْعٌ عَلَى العَجْمَا البَهِيْمَـةِ يُفْسِـدِ
وَتَـرْكُ لِـتَـجْمِـيْـعٍ إِسَـاءَةُ مَـالِـكٍ
إِلى القِنِّ ذَا طَبْـعٍ لَـهُ فِي المُعَبَّـدِ

« موعظـة »

اخْوَانِي انَكُمْ فِي دَارٍ هِيَ مَحَلُّ العِبَرِ وَالآفَاتِ ، وأَنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَالطَّرِيْقُ كَثِيْرَةُ المَخَافَاتِ ، فَتَزَوَّدُوا مِنْ دُنْيَاكُمْ قَبْلَ المَمَاتِ ، وَتَدَارَكُوا هَفَوَاتِكُمْ قَبْلَ الفَواتِ ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ وَرَاقِبُوا اللهَ فِي الخَلَواتِ ، وَتَفكَّرُوا فِيْمَا أَرَاكُمْ مِنْ الآيَاتِ ، وَبَادِرُوْا بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، واسْتَكْثِرُوا فِي أَعْمَارِكُمْ القَصِيْرَةِ مِنْ الحَسَنَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُنَادِيْ بِكُمْ مُنَادِ الشَّتَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكُمْ هَادِمُ اللَّذَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يَتَصَاعَدَ مِنْكُمْ الأَنِيْنُ وَالزَّفَرَاتُ قَبْلَ أَن تَنْقَطِعَ قُلُوبُكُم عِنْدَ فِرَاقِكُمْ حَسَرَاتٍ ، قَبْلَ أَنْ يَغْشَاكُمْ مِنْ غَمِّ المَوْتِ الغَمَرَاتُ ، قَبْلَ أَنْ تُزْعَجُوا مِنْ هَذِهِ الحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ تَتَمَنَّوا رُجُوعَكُمْ إِلى الدُّنْيَا وَهَيْهَاتَ .

شـــعرا :

مَا دَارُ دُنْيـاً لِلْمُقِيـمِ بِدَارِ ... وبها النُفوسُ فَرِيْسَـةُ الأَقْـدَارِ
مَا بَيْنَ لَيـلٍ عَاكِفٍ ونَهـارِهِ ... نَفَسَـانِ مُرْتَشِفَانِ لِلأَعْمَـارِ
طُولُ الحياة إذا مَضَى كَقَصِيْرِهَا ... واليُسْرُ لِلأَنْسَـانِ كَالإِعْسَـارِ
والعَيشُ يَعْقِبُ بالمرارَةِ حُلْـوَهُ ... والصَّفْـوُ فِيه مُخَلَّف الأَكْـدَارِ
وكَأَنَّمَا تَقْضِيْ بُنِيَّـاتُ الرَّدَى ... لِفَنائِنَا وَطَـراً مِن الأَوْطَـارِ
والمَرْءُ كَالطَّيْفِ المُطِيْفِ وعُمْرُهُ ... كَالنَّوم بَيْنَ الفَجْـرِ والأَسْحَارِ
خطْبٌ تَضَاءَلَتَ الخُطُـوبُ لِهَوْلِهِ ... أَخْطَـارُهُ تَعْلُو عَلَى الأَخْطَـارِ
نُلْقِى الصَّوارِمَ والرِمَاحَ لِهَـولِهِ ... ونَلُوْذُ مِن حَـرْبٍ إِلَى اسْتِشْعَارِ
إنَّ الذِيْنَ بَنَوا مَشِيْداً وانْثَنَوا ... يَسْعَونَ سَعْيَ الفاتِكِ الجَبَّـارِ
سُلِبوا النَّضَارَةَ والنَّعِيْمَ فَأُصْبَحُوا ... مُتَوَسِّدِيْنَ وَسَـائِدَ الأَحْجَـارِ
تَرَكُوا دِيارَهُمُ على أَعْدَاهِـم ... وتُوُسِّدُوا مَـدَراً بِغَيرِ دِثَـارِ
خَلَطَ الحِمَامُ قَوِيَّهُمْ بِضَعِيْفِهم ... وغَنِّيهِمْ سَاوَى بِذِي الإِقْتَـارِ
والخَوْفُ يُعْجِلُنا عَلَى آثارِهِـم ... لا بُدَّ مِن صُبْحِ المُجِـدِّ السَّارِي
وتَعَاقُبُ المَلَوَيْن فِينَـا نَاثِـرٌ ... بِأَكَرِّ مَا نَظَمَا مِن الأَعْمَـارِ

ثم إعْلَمْ يَا أخِي أنَّ الدُنْيَا لَا تُذَمُّ لِذَاتِها وكَيْفَ يُذَمُّ مامَنَّ اللهُ به عَلى عِبادِهِ وما هُوَ ضَرُوْرَةٌ في بَقَاءِ الآدَمِي وسَبَبٌ في إعَانَتِهِ على تَحْصِيْلِ العِلْمِ والعِبَادَةِ مِن مَطْعَمٍ ومَشْرَبٍ ومَلْبَسٍ ومَسْجِدٍ يُصَلَى فِيه وإنَما المَذمومُ أخْذُ الشَّيءِ مِن غَيرِ حِلِّهِ أوْ تَنَاوُلُهُ عَلى وَجْهِ السَّرَفِ لا عَلَى مِقْدارِ الحَاجَةِ ويُصَرِّفُ النفسَ فيه بِمُقْتَضَى رُعونَاتِهَا لاَ بإذْنِ الشرعِ فالعَاقِلُ يَجْعَلُهَا مَطِيَّةً لَلآخِرةِ فَيُنْفِقُهَا في سبيلِ اللهِ في المشاريعِ الدِينيةِ مِن طِباعَةِ مَصَاحِفَ وكُتبٍ دِينيةٍ وعِمَارةِ مَسَاجِد وَبذلٍ للفقراءِ الذينَ لَا مَوَارِدَ لَهُمْ ونَفَقَات على طلبة العِلْمِ الشَرعي .

وعن عَلي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه سَمَعَ رَجُلاً يَسُبُّ الدنيا فقال له : إنها لَدَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَها ، ودَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عنها ، ودَارُ غِنَى لِمَنْ تَزَوَّدَ منها .

مَسْجِدُ أحْبَابِ الله ، ومَهْبَطُ وحْيِهِ ومُصَلَّى مَلائِكَتِهِ ومَتْجَرُ أولِيَآئِهِ .

اكتَسَبُوا فيها الرَّحْمةَ ورَبِحُوْا فيها الجَنَّةَ ، فَمَنْ ذَا يَذُمُ الدنيا وقَدْ آذَنَتْ بِفِراقها ، ونادَتْ بعَيْبِها ، ونَعَتْ نَفْسَهَا وأهْلَهَا ، فَمَثَّلَتْ بِبَلَائِها وشَوَّقَتْ بِسُرَورها إلَى أهلِ السرور .

فَذَمَّهَا قومٌ عِنْدَ النَّدامَةِ ومَدَحَهَا آخَرُوْنَ ، حَدَّثَتْهُمْ فصَدقوا وذَكَّرتْهُم فَذَكَرُوْا .

فيا أيُّها المُغْتَرُ بالدنيا المُغْتَرُّ بغُرُوْرِهَا ، مَتَى اسْتَلأَمَتْ إليكَ الدُنيا ، بل مَتَى غَرَتْكَ أبِمَضَاجِعِ آبائِكَ تَحْتَ الثرى ، أمْ بِمَصَارِعِ أُمَّهَاتِكَ مِن البَلَى .

كَم قَلَّبْتَ بِكَفِيْكَ ومَرَّضْتَ بِيَدِكَ تَطْلُبُ له الشِفَاءَ وتَسْأَلُ له الأطِبَاء فلم تَظفُر بِحَاجَتِكَ ولَمْ تُسْعَفْ بِطِلْبَتِكَ قَدْ مَثَلَتْ لَكَ الدُنيا بِمَصرَعِهِ مَصْرَعَكَ غَداً ولا يُغْنِي عَنْكَ بُكاءُكَ ولا يَنْفَعُكَ أحْبَابُكَ .

وقال ابنُ رَجَب رحمه الله على كلام علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

فَبَيَّنَ أمِيْرُ المؤمنين رضى الله عنه أن الدنيا لا تُذَمُّ مُطْلَقَا وأنها تُحمَدُ بالنسبة إلى مَن تزودَ منها الأعْمال الصَّالِحة وأن فيها مَسَاجِدُ الأنبياءِ ومَهْبَطُ الوَحْيِ .

وهي دَارُ التِجَارَةِ لِلْمُؤْمِنين إكتَسبُوا فيها الرحمَةَ وربحُوا بها الجنَّةَ فَهِيَ نِعمَ الدارُ لِمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُه .

وأما ما ذُكِرَ مِن أنها تَغرُ وتَخْدَعُ فإنها تُنَادِي بِمَواعِظها وتنصَحُ بعِبَرها وتُبدِي عُيُوبَها بما تُرى مِن أهْلِهَا مِن مَصَارِعِ الهلكى .

وتَقَلُبِ الأحوال مِن الصِّحة إلى السُقم ومِن الشَبِيْبَةِ إلى الهَرَم ومِن الغِنَى إلى الفقْر ومِن العِز إلى الذُل ولكن مُحِبّها قَدْ أعماهُ وأصَمَّهُ حُبُّهَا . انتهى ا هـ .

موعظه

عِبَادَ اللهِ لا شَيء أَغْلى عَليكُمْ مِن أعمارِكُمْ وَأَنْتُم تُضَيِّعُونَهَا فيما لا فَائِدَةَ فيه . وَلَا عَدُوَّ أعدَى لَكُمْ مِنْ إبْلِيْسَ وَأَنْتُمْ تُطِيْعُونَهُ ، ولا أَضَرَّ عَليكُمْ مِن مُوافَقَةِ النَّفْسِ الامَّارَةِ بالسُّوءِ وأَنتُم تُصَادِقُونَهَا ، لَقَدْ مَضَى مِن أعمارِكُمْ الاطَايِبُ ، فما بَقِيَ بعد شَيْبِ الذوائِبِ .

يا حاضِرَ الجسم والقلبُ غائبٌ ، اجتماعُ العَيْبِ مَعَ الشَّيبِ مِن أعظَمِ المَصَائِب ، يَمْضِي زَمَنُ الصِّبَا في لَعِبٍ وسَهْوٍ وَغَفْلَةٍ ، يا لَهَا مِن مَصَائِب ، كَفَى زاجراً واعظاً تشيْبُ منه الذَوَائِب ، يا غافلاً فاتَه الأَرْبَاحُ وَأَفْضَلُ المَنَاقِبِ ، أَيْنَ البُكاءُ والحَزَنُ والقلقُ لِخَوفِ العظيمِ الطالبِ أَيْنَ الزَّمَانُ الذي فَرَّطْتَ فيهِ ولمْ تخشَ العَواقِبَ ، أَيْنَ البُكَاء دَماً عَلى أوقَات قُتِلَتْ عندَ التَّلَفِزْيُون والمِذياعِ والكُرَةِ والسِيْنَماءِ والفيديُوْ والخَمْرِ والدُّخَانِ والمَلاعِبْ .

كَمْ في يومِ الحَسْرةِ والنَّدامَةِ مِن دَمْعٍ سَاكِبْ على ذُنُوبٍ قَد حَوَاها كِتَابُ الكَاتِبْ ، مَنْ لَكَ يَومَ يَنْكَشِفُ عَنْكَ غِطَاؤكَ في مَوقِفِ المُحَاسِبْ ، إذا قيلَ لَكَ مَا صَنَعْتَ في كُلِّ وَاجِبْ ، كَيْفَ تَرْجُو النجاةَ وأنتَ تَلْهُوْ بِأسِرِ المَلاَعِبْ ، لقد ضَيَّعتكَ الأَمَاني بالظن الكاذِب ، أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الموتَ صَعْبٌ شَدِيْدُ المَشَارِبْ ، يُلْقِي شَرَّهُ بكأسِ صُدُوْرِ الكَتَائِبْ ، وأَنَّهُ لا مَفَرَّ مِنْهُ لِهَارِبْ فانظرْ لِنَفْسِكَ واتَّقِ اللهَ أَنْ تَبْقَى سَلِيْماً مِن النَّوائِبِ فقدْ بَنَيْتَ كَنَسجِ العنكبوتِ بَيْتاً أَيْنَ الذينَ عَلَوا فوقَ السُّفنِ والمراكِبِ أينَ الذينَ عَلَوْ على مُتونِ النجائِبِ ، هَجَمت عليهِمْ المنايَا فأصبحوا تَحْتَ النصَائِبْ وأنتَ في أَثَرِهِمْ عن قريبٍ عَاطِب ، فانظرْ وَتَفَكَّرْ واعْتَبِرْ وَتَدَبَّرْ قبلَ هُجُومِ مَن لا يَمنعُ عنه حَرَسٌ ولا بابٌ ولا يَفوتُهُ هَرَبُ هارِب . وصلى الله على محمد واله وصحبه أجمعين .

« موعظــة »

إخْوَانِي إنّ فِي مَوَاعِظِ الأَيَّامِ واللَّيَالِي لَعِبْرَةً لِذَوِيْ البَصَائِرِ رَكَائِبُ أمْوَاتٍ تُزْعَجُ عن مَقْصُوْرَاتِ القُصُوْرِ ثمَّ تُحْمَلُ إلَى مَضَائِقِ القُبُورِ ، فَكَمْ قَدْ شَاهَدْتُمْ مِنْ شَخْصِيَّاتٍ في الأَرْضِ ، قَدْ وُضِعَتْ ، وكَمْ قَدْ عَايَنْتُمْ مِنْ أبْدَانٍ نَاعِمَةٍ في الأكْفانِ قَدْ لُفَّتْ وإلَى مَضِيْقِ الأَلْحادِ قَدْ زُفَّتْ فَيا لَهَا مِنْ غَايَةٍ يَسْتَبِقُ إلَيْهَا العِبَادُ وَيَا لَهُ مِنْ مِضْمَارٍ يَتَنَاوَبُهُ جَوادٌ بَعْدَ جَواد وَيا لَهُ مِنْ هَوْلٍ شَدِيْدٍ يَعْقِبُهُ أَهْوَالٌ شِدَادٌ فِتْنَةُ قُبُوْرٍ وَحَشْرٌ في مَوْقِفٍ مَهِيْلٍ مَوْقِفٌ فِيهِ تَنْقَطِعُ الأَنْسَابُ وَتَخْضَعُ فِيهِ الرِّقَابُ وتَنْسَكِبُ فِيْهِ العَبَراتُ وتَتَصَاعَدُ فِيْهِ الزَّفَرَاتُ ذَلِكَ مَوْقِفٌ تُنْشَرُ فِيْهِ الدَّوَاوِيْنُ ، وتُنْصَبُ فِيْهِ المَوَازِيْنُ ، وَيُمَدُّ فِيْهِ الصِّرَاطُ ، وحِيْنَئِذٍ يَقَعُ الامْتِيَازُ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ومُكَرْدَسٌ في النَّارِ .

شِعْــرًا :

مَالِيْ أراكَ على الذُنُوبِ مُوَاظباً ... أأَخَذْتَ مِن سُوءِ الحِسَابِ أَمَانَا
لَا تَغْفُلَنَّ كَأَنَّ يَوْمَكَ قَدْ أَتَـى ... وَلَعَلَّ عُمْرَكَ قد دَنَا أَوْ حَانَـا
وَمَضَى الحَبِيْبُ لِحَفْرِ قَبْرِكَ مُسْرِعاً ... وَأَتَى الصَّدِيقُ فأَنْذَر الجِيْرَانَـا
وَأَتَـوا بَغَسَّال وَجَـاءُوا نَحْـوَهُ ... وَبَـدَا بِغَسْلِكَ مَيِّتـاً عُرْيَانـا
فَغُسِلْتَ ثُمَّ كُسِيتَ ثُوباً لِلْبلَـى ... ودَعَوا لِحَمْلِ سَرِيْرَكَ الإخْوَانَا
وأتَـاكَ أهْلُكَ لِلْوَدَاعِ فَوَدَّعُـوا ... وَجَرتْ عَلَيْكَ دُمُوعُهُمْ غُدْرَانَا
فَخَفِ الإلـهَ فإنَّـه مَنْ خافَـه ... سَكَنَ الجِنَانَ مُجَاوِراً رِضْوَاناً
جَنّـاتِ عَدْنٍ لَا يَبْـدُ نَعِيْمُهَـا ... أَبداً يُخَالِـطُ رُوْحَـهُ رَيْحَانَـاً
ولِمَن عَصَى نَاراً يُقَالُ لَهَا لَظَى ... تَشْوِيْ الوُجُوهَ وتُحْرِقُ الأَبْدَانَا
نَبْكِيْ وَحُق لَنَا الْبُكَى يَاقَومَنَا ... كَيْ لَا يُؤاخِذُنَا بِمَا قَدْ كَانَـا

مَوْعِظَة :

عِبَادَ اللهِ مَضَى رِجَالٌ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ كَانُوا يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ خَشْيَةَ العَارِفِينَ

الموقِنِينَ لِذَلِكَ كَانَتْ أَقْوَالُهُمْ وأفْعَالُهُم مَوْزُوْنَةٌ بِمَا لِلشَّرْعِ مِن مَوَازِيْنَ كانُوا يَزِنُونَ كَلَامَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَلْفُظُوا بِهِ لِأَنَّهُم يُوْقِنُوْنَ أنَّ خَالِقَهُمْ سَمِعَهَا وشَهِدَ عَلَيْهَا وهُوَ تَعَالَى خَيرُ شَاهِدٍ .

كَانُوا إِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ يَقِفُونَ فِي مَحَارِيْبِهِمْ بَاكِيْنَ مُتَضَرِّعِيْنَ لَهُم أَنِيْنٌ كَأَنِيْنِ المَرْضَى ولَهُمْ حَنِيْنٌ كَحَنِيْنِ الثُّكْلَى وكَانُوا رُبَّمَا مَرُّوْا بالآيةِ مِن كِتَابِ اللهِ فَجَعَلُوْا يُرَدِّدُوْنَهَا بقَلْبٍ حَزِيْنٍ فأَثَّرتْ عَلَيْهِم ومَرِضُوْا بَعْدَهَا مَاتَ أُولَئِكَ السَّلَفُ الصَّالِحُ الذِيْنَ تَتجافَى جُنُوبُهُم عن المَنَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وطمعاً .

ومَاتَتْ تِلْكَ الخَشْيَةُ واعْقَبَهَا قَسْوَةٌ أَذْهَلَتِ العِبَادَ عن طَاعةِ اللهِ فَصَارُوْا يَأْتُون ويَذَرُوْنَ ما يَذَرُوْنَ دُوْنَ سُؤالٍ عن سَخَطِ اللهِ ورِضَاه .

وغَدَتْ جَوارِحُهُم مُطْلَقَةً في كُلِّ مَا يُغْضِبُ الله وصَارَتْ أَفْعَالُهُم فَوْضَى لَيْسَ لَهَا ضَوَابطُ وَلَا قُيُودٌ العَينُ تَجُولُ فِي المَنَاظِرِ المُحرَّمَةِ مِن نِسَاءٍ سَافِرَاتٍ إلى سِيْنَماءٍ إلى تَلْفِزْيُونٍ إلى الفِدْيُوْ مُعَلِّمِ الفَسَادِ إلى كُوْرَة إلى مَجَلَّةٍ في طَيِّها الشُّرُورُ إلى صُورةٍ مُجَسَّدَةٍ وغَيرِ مُجَسَّدَةٍ إلى كُتُبٍ هَدَّامَةٍ لِلْأَخْلَاقِ إلَى غَيْرِ ذلكَ مِن المُحَرَّمَاتِ التي تَجْرَحُ القُلُوب .

والفَرْجُ يَسْرَحُ كَمَا شَاءَ إلى الفَوَاحِشِ الدِّيْنُ ضَعِيْفٌ وَالخُلُقُ فَاسِدٌ والاذنُ لا تَشْبَعُ مِن سَمَاعِ مَا يُسْخِطُ رَبَّهَا والبَطْنُ يَسْتَزِيْدُ مِن سُحْتِ الأَقْوَاتِ .

وأما اليَدُ فَحَدِّثْ ولَا حَرَجَ فِي تَعَدِّي الحُدُوْدِ وأمَّا اللِّسَانُ فَلَيْلُهُ ونَهارُهُ يَتَحرَّكُ وَيَتَقَلَّبُ فِي مُنْكَرِ القَوْلِ وزُوْرِهِ وَلَا كَأَنَّ رَبَّهُ السَّمِيْعُ البَصِيْرُ العَلِيْمُ مَوْجُوْدٌ وَتَرَاهُ يَطْعَنُ في أعْرَاضِ الغَوَافِلِ ويُمَزِّقُ جُلُودَهُم في السَّبِ والغِيْبَةِ والبُهْتِ والكَذِبِ ولا يَعِفُّ عَن عِرْضِ أَيِّ بَشَرٍ .

ويَحْلِفُ باللهِ العَلِي العَظِيم كُلَّ يَوم مَرَّاتٍ ولا يَهُمُّهُ أَبَرَّ في يَمِيْنِهِ أَمْ فَجَرَ وأَمَّا وُعُودُهُ وعُهُوْدُهُ وَعُقُوْدُهُ فَتُهْمَلُ وَلَا كأَنَّهُ مُكَلَّفٌ باحْتِرَامِهَا فَهَذَا وأَمْثَالُهُ قد

انْهَمَكُوا في المَعَاصِي وتَوَغَّلُوْا فِيْهَا وصَارَتْ عِنْدَهُم عَادَاتٌ وشَيءُ طَبِيْعِيٌ مَألُوفٌ لَهُمْ .

وَلِذَلِكَ إذَا مَرَرْتَ بِهِمْ أَوْ مَرَرْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ اسْتَوْحَشْتَ مِنْ سَمَاعِ الأَغانِيْ والرَّقصِ والمُطْرِبِيْنَ والسَّبِ واللَّعْنِ والقَذْفِ والاسْتِهْزَاءِ بِالدِّينِ وأَخَذْتَ فِي العَجَبِ بَيْنَ هَؤلآءِ وَأُولَئِكَ الذينَ في أَوْقَاتِ التَّجَلِّياتِ في حَنَادِسِ الظُلم يُنَاجُوْنَ رَبَّهُمْ رَاغِبِيْنَ في رِضْوَانِ العَزِيْزِ الجَبَارِ خَائِفِيْنَ مِنْ سَخَطِ المُنْتَقِمِ القَهَّارِ مُتفكِّرِيْنَ في سُرْعَةِ حُلُولِ المَنَايَا التي تُسَارِعُ الأَيَّامَ واللَّيَالِيْ في اقْتِرَابِهَا ومُوْقِنِيْنَ بأَنَّهُمْ مُحَاسَبُوْنَ على الفَتِيْلِ والنَّقِيْرِ والقِطْمِيْرِ عَالِمِينَ بأَنَّهُم مُكَلَّفُوْنَ بِوَاجِبَاتِ عُبُوْدِيَّةٍ مَا قَامُوا بِالقَلِيْلِ مِنْهَا وهُمْ عَنْهَا مَسْؤُلُونَ وعلى مَا قَدَّمُوْهُ مِن خَيْرٍ وشَرٍّ قَادِمُوْنَ .

وَهَلْ حَالُ هَؤلآءِ السُّعَدَاءِ في جَانِبِ أُولَئِكَ التُعَسآءِ الأشْقِيَآءِ إلَّا كَحَالِ المُصَابِ بالجُنُونِ في جَانِبِ أَوْفَرِ الناسِ عَقْلاً وأكْمَلِهِمْ وَقَاراً فأكْثِرْ يَا أَخِيْ مِنْ قَوْلِكَ الحَمْدُ للهِ الذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلاَهُمْ اللهُ يُعَافِيْهِمْ وَلاَ يَبْلاَنَا قَالَ تعالى « قُلْ إن الخَاسِرِيْنَ الذِينَ خَسِرُوْا أَنْفُسَهُم وأَهْلِيْهِم يومَ القِيَامَةِ ألاَ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِيْنُ »

وَكُـلُّ كَـسْـرٍ فَـإِنَّ اللهَ يَـجْـبُـرُهُ
وَمَـا لِكَسْـرِ قَنَـاةِ الـدِّيْنِ جُبْـرَانُ

فَتَنَبَّهْ أَيُّهَا المُؤْمِنُ واعْلَمْ أَنَّكَ مَسْؤُلٌ عَن كُلِّ مَا تَعْمَلُ لا مُهْمَلٌ كالأَنْعَامِ فانْهَجْ نَهْجَ الإسْتِقَامَةِ وَرَاقِبْ رَبَّكَ في مَصَادِرِكَ وَمَوَارِدِكَ لِتَقِفْ عِنْدَ الحُدُوْدِ قَالَ بَعْضُ المُرشِدِيْنِ إلى مَعَالِمِ الرُشْدِ ضَارِباً لِذَلِكَ مَثَلاً .

واعْلَمْ أَنَّ الانسانَ فِي تَقَلُّبِهِ في أَطْوَارِ حَيَاتِهِ كَمَثَلِ غَرِيْبٍ أَلْقَتْ بِهِ المَقَادِيْرُ إلى قَوْمٍ اسْتَقْبَلُوهُ بِتَرْحَابٍ وتَكْرِيْمٍ وكانَ ذَلِكَ النَّازِلُ فاقِدَ القُوَى غَيرَ عَالِمٍ بِمَا عَلَيْهِ القَوْمُ مِن الشُؤُنِ ولا يَدْرِي مِنْ أَيْنَ أَتَى وَلا إلى أَيْنَ يَذْهَبُ .

فَقَامَ القَوْمُ بواجِبَاتِ خِدْمَتِهِ وإِكْرَامِه حَتَّى قَوِيَتْ حَوَاسُّهُ وَجَوَارِحُهُ وَمَدَارِكُهُ وأَخَذَ يَعْمَلُ كَمَا يَعْمَلُ القَوْمُ فَجَاءَ رَجُلٌ مِن عُقَلائِهِم قَائِلاً يَا هَذَا إِنَّ هَذِهِ الدارَ التِي تَوَطَّنَهَا مُكْرِمُوْكَ ما هِيَ دَارُ إِقَامَةٍ ولا هِيَ مَمْلُوكَةٌ لِأَحَدٍ مِن الخَلقِ ولكِنَّهُمْ أَمْثَالُكَ نُزَلَاء مَنْ كَانُوْا يَعْمُرُوْنَ هَذِهِ الدارَ قَبْلَهُم ثُمَّ رَحَلُوْا وَتَرَكُوْهَا وَمَا كَانَ رَحِيْلُهُم إِلى مَكَانٍ بَعِيْدٍ ولَكِنَّهُ كَانَ إِلى سِجْنٍ ضَيِّقٍ وَمَكانٍ مُظْلِمٍ لَوْ أَرْسَلْتَ بِبَصَرِكَ لَرَأَيْتَهُ وقَدْ فَقَدُوْا تِلْكَ القُوَى وتَنَاسَوْا ذَلِكَ النَّعِيْمَ .

ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ إِلى مَكَانٍ قَفْرٍ وأَعْنِي به المَقْبَرَةَ وقَالَ لَهُ هَذَا مُرَاحُ القَوْمِ وَمَسْقَطُ رؤُسِهِمْ وإِنَّ الطَّرِيْقَ التِي تُوْصِلُكَ إِلى هَؤلَاءِ القَومِ هِيَ الطَّرِيْقُ التي سَلَكَهَا مُكْرِمُوْكَ وإِنَّهَا لَطَرِيْقٌ ذَاتُ عَقَبَاتٍ مُهْلِكَةٍ وَلَهَا أَوْحَالٌ مَنْ تَوَرَّطَهَا هَلَكَ وَلا مَخْلَصَ مِن تِلْكَ الأَوْحَالِ إلا بتَجَنُّبِ تِلْكَ العَقَبَاتِ أَوْ تَجَاوُزِهَا عَدْواً .

فإِنْ رُمْتَ السَّلَامَةَ فَسِرْ فَرِيْداً مُتَحَفِّظاً مِن تَخَاصُمِ القَوْمِ وتَنَازُعِهِم ومِنْ مَلَاهِيْهِمْ وَأَلْعَابِهِمْ ولا تُصْغِ لِمَنْ يُنَادِيْكَ مِن خَلْفِكَ فإِنَّ الذِي يُنَادِيْكَ مِن خَلْفِكَ فِي طَرِيْقِ النَّجَاةِ هُوَ أَجْهَلُ مِنْكَ بِهَا ولا تُخَالِفْ مَنْ نَادَاكَ مِن الأَمَامِ فَإِنَّهُمْ أَدْرَى مِنْكَ بمَفَاوِزِ الطَّرِيْقِ .

وإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَبِهَ عَلَيْكَ الطُّرُقُ وأَصْوَاتُ المُنَادِيْنَ فإِنَّ طَرِيْقَ السَّلامَةِ لَهَا أَعْلَامٌ ومَصَابِيْحُ نَيِّرَةٌ عَلَى رَأسِ كُلِّ مَرْحَلَةٍ مِنْ مَرَاحِلِها وأَمَّا بَاقِي الطُّرُقِ فإِنَّهَا مُظْلِمَةٌ مُوْحِشَةٌ مُهْلِكَةٌ وَمَا هِيَ إلا طَرِيْقٌ وَاحِدَةٌ وَلَكِنَّهاذَاتُ شُعَبٍ وَمَسَارِبٍ كَثِيْرَةٍ .

فاحْذَرْ انْ تَتَهَاوَنَ بِنَفْسِكَ كَمَا تَهَاوَنَ القَوْمُ بِنُفُوسِهِمْ فَهَلَكُوْا وَهُمْ لا يَشْعُرُوْنَ فإِنْ كَانَ النَازِلُ الغَرِيْبُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِتَعَقُّلِ النَّصَائِحِ وَذَا قَابِلِيَةٍ تَقْبَلُ

الارْشَادَ وقَفَ عَلَى أَفْوَاهِ الطَرِيْقِ وفَتَحَ عَيْنَيْهِ واسْتَعْمَلَ فِكْرَهُ وتَبَصَّرَ في أَمْرِهِ وتَدَبَّرَ عَوَاقِبَ مَا عَلَيه القَومُ وأَخَذَ لِنَفْسِهِ بأَحْوَطِ الأَحْوَالِ وأَقْرَبِهَا إِلَى السَّلاَمَةِ وَجَعَلَ عَيْنَهُ مُتَّجِهَةً لِلنَّظَرِ إِلى مَنَازِلِ الرَّاحِلِيْنَ التِي لا أَنِيْسَ بِهَا ولا جَلِيْسَ .

وَتَأَمَّلَ سُرْعَةَ الرَّحِيْلِ وقِصَرَ أَوْقَاتِ الاقَامَةِ وتَجَنَّبَ الأَلْعَابَ والمَلاَهِي وسَلَكَ سَبِيْلَ المُهْتَدِيْنَ وإِنْ كَانَ ضَيِّقَ الحَضِيْرَةِ قَاصِرَ النَّظَرِ ضَعِيْفَ الهِمَّةِ ضَائِعَ العَقْلِ سَيِّءَ التَّصَوُّرِ فَاقِدَ الفِكْرِ خَبِيْثَ الاسْتِعْدَادِ لَئِيْمَ الطَّبْعِ لا يَجِدُ بُداً مِن مُنَازَعَةِ اللاَّعِبِيْنَ وَمُسَابَقَةِ اللاَّهِيْنَ وَتَغَافَلَ عن عَاقِبَةِ أَمْرِهِ وسُوْءِ مَصِيْرِهِ وتَبَاعَدَ عن صِيَاحِ النَّاصِحِيْنَ وأَصْغَى إِلَى مُدَاهَنَةِ الغَاوِيْنَ أَصْبَحَ مِن النادِمِيْنَ .

وَمَا ضَرَبْنَا لَكَ هَذَا المَثَلَ إلا لِتَعْلَمَ أَنَّكَ أَنْتَ الغَرِيْبُ الذي نَزَلْتَ يَوْمَ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ بقَوْمِكَ وأَنْتَ ضَعِيْفُ القُوَى لا تَعْلَمُ شَيْئاً كَمَا قَالَ تَعالَى « والله أخرجَكُم مِن بُطونِ أُمَّهَاتِكُم لا تَعْلَمُون شيئاً وجَعَلَ لَكُم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ لعلكم تَشْكُرون » فَفَرِحَ بِكَ قَوْمُكَ وأَكْرَمُوكَ إِلى أَنْ قَوِيَتْ الآتُ أَعْمَالِكَ وصِرْتَ تُحْسِنُ الرَّحِيْلَ وَحْدَكَ .

ونُرِيْدُ بالرَّحِيْلِ هُنَا سُلُوكَ إِحْدَى الطَّرِيْقَيْنِ إِمَّا طَرِيقَ الكَمَالاتِ وإِمَّا طَرِيْقَ النَّقَائِصِ لِأَنَّهُما مَسَارِبَ المكلفِيْنَ الذينَ لا بُدَّ لَهُمْ مِن السَّيْرِ فِيْهَا لِلوُصُوْلِ إِلى أَحَدَ الغَايَتَيْنِ فَإِنَّهُ مَا مِن طَرِيْقٍ إلا وَلَهَا غَايَةٌ يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَسِيْرُ سَالِكِهَا .

وَمَا نُرِيْدُ بالرَّجُلِ العَاقِلِ المُرْشِدِ إِلاَّ صَاحِبَ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أَوْ النَّائِبِ عَنْهُ فِي تَبْلِيْغِهَا وَمَا نُرِيْدُ بِمَنْ يُنَادِيْكَ مِنَ الأَمَامَ إِلاَّ السَّلَفُ

الصَّالِحُ الَّذِينَ سَبقُوْنا بِالإِيْمانِ وَبَيَّنُوْا لَنا طَرِيْقَ النَّجاةِ أَوِ الأَتْقِيَاءِ المُقْتَفُوْنَ لآثارِهِمْ الَّذِيْنَ ثَبَتَتِ اسْتِقامَتُهُمْ .

وَمَا نُرِيْدُ بِالَّذِيْنَ يُنادُوْنَكَ مِنْ خَلْفِكَ إِلاَّ الَّذِيْنَ لاَ قَدَمَ لَهُمْ فِي طَرِيْقِ النُّبُوَّةِ فَلَمْ يَسْلُكُوْا سَبِيْلَ المُهْتَدِيْنَ بَلْ اعْتَمَدُوْا فِي ارْشَادِهِمْ عَلَى مَقالٍ لاَ حَالَ مَعَهُ وَلاَ عَمَلَ وَهَذا لا تَصْلُحُ مُتَابَعَتُهُ لأَنَّهُمْ أجْهَلُ النَّاسِ بِطَرِيْقِ الاسْتِقَامَةِ .

وَمَا أَهْلُ الاسْتِقَامَةِ إِلاَّ الَّذِيْنَ رَاقَبُوْا قُلُوْبَهُمْ وأَمْسَكُوْا أَلسِنَتَهُمْ وَطَهَّرُوْا أَقْلامَهُمْ فَلاَ عَزْمَ لَهُمْ إِلاَّ عَلَى أَعْمَالِ البِرِّ والمُوَاسَاةِ وَلاَ يَقُوْلُوْنَ إِلاَّ الحَقَّ المُنْجِيْ وَلاَ يَكْتُبُوْنَ إِلاَّ مَا لَوْ سُئِلُوا عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لأَحْسَنُوْا الإِجابَةَ وَالَّذِيْنَ يَذْكُرُوْنَ اللّهَ كَثِيْراً وإِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالبَكَّاؤُونَ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ المُقْتَفُونَ لآثَارِهِ ﷺ المُخلصُونَ لله في جميع أَعْمَالِهِمْ .

شِعْـرَا :

لعَمْرِيَ إنَّ المجْدَ وَالفَخْرَ وَالعُلاَ ... وَنَيْلَ الأَمانِيْ وَاكْتِسَابَ الفَضَائِـلِ
لِمَنْ يُخْلِصُ الأَعْمَالَ لِلّهِ وَحْـدَهُ ... وَيَدْعُـوْ إِلَيْـهِ بالضُّحَى وَالأَصَائِـلِ

اللهم اجْعَلْنَا مِن عِبادِكَ المُحْبتين ، الغُرِ المُحَجَّلِيْن الوَفدِ المُتقَبلِيْن .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ حَيَاةً طَيِّبَةً ، ونَفْسَاً تَقِيَّة ، وعِيْشَةٍ نَقِيَّة ، ومِيْتَةً سَوِيَّة ، وَمَرَداً غَيْرَ مُخْزِي ولا فَاضِح .

اللهم اجْعَلْنَا مِن أهلِ الصَّلاحِ والنَّجَاحِ والفَلاَحْ ، ومِن المُؤَيَّدِيْن بِنَصْرِكَ وَتَأْيِيْدِكَ وَرِضَاكَ يَارَبَّ العالمِين .

اللهم افْتَحْ لِدُعَائِنَا بابَ القَبُولِ والإِجَابَةْ واغْفِرْ لَنَا ولِوَالِدينا وجميعِ المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

موعظة

عِبادَ اللهِ يجبُ عليكُمْ أنْ تَعْلمُوا أنكُمْ ما دُمْتُمْ في هذِهِ الدارِ فأنتُمْ في دارٍ

المُعامَلاتِ ، وأنَّ لكُمْ داراً أُخْرَى أَبَدِيَّةً ، فيها تَسْتَوْفُونَ مَا لكُمْ على هذهِ المعاملاتِ مِنْ جَزَآءٍ ، فإنْ أحسنتُمْ هُنَا أو أسأْتُمْ ، كانَ جَزَاؤُكُمْ هُنَاكَ إحْساناً أو إساءاتٍ ، هكذا وعدَكُمْ ربُّكُمْ ، وهو عليمٌ بكلِّ الأعمال ، وعلى جَزائِكُمْ عليها قديرٌ ، قال اللهُ تعالَى (يومَ يَبْعثُهُمْ اللهُ جميعاً ، فينبِّؤُهُمْ بما عَمِلوا ، أحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوْه) وقالَ (وَنَضعُ الموازينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ ، فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً، وإن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أتَيْنَا بِهَا، وَكَفَى بنا حاسِبين) وَقَالَ (يَوْمَ تأتِيْ كلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ، وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وهم لا يُظْلَمون)مِنْ هَذا قطْعاً تعْلَمُ أنَّ شأنَ هَذِهِ المُعَامَلاَتِ عَظِيمٌ ، عِظَماً لا يَعْرِفُ قَدْرَهُ إلا الرَّجُلُ العَاقِلُ ، البَعيدُ النَّظَرِ الحَكِيمُ ، فإنَّ عليها يَترتَّبُ غضَبُ اللهِ ، وعقابُهُ أوْ رِضَاهُ ، والنعِيمُ المُقيمُ ، وشَيْءٌ هذا قَدْرُهُ لا يتوقَّفُ ولا يَتردَّدُ في بَذْلِ العِنَايةِ بهِ رجُلٌ بَصيرٌ ، وهذه المعاملاتُ تارةٍ تكونُ بينكُمْ وبينَ اللهِ ، وتارةً تكونُ معَ عِبادِ اللهِ ، فأمَّا المعامِلةُ معَ اللهِ جلَّ وعَلا فبأنْ تسمَعَ وَتُطيعَ فيمَا أمَرَ ونَهَى ، وأمَّا معاملتُكَ معَ عِبادِ اللهِ المؤمنينَ ، فبِأنْ تُحِبَّ لهُمْ ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وذلك بأنْ تجْعَلَ نفسكَ مِيزَاناً في مُعامَلَةِ كبيرِهمْ وصَغيرِهِمْ ، أنتَ تكرَهُ إساءَتَهُمْ لَكَ ، وتُحِبُّ إحْسَانَهُمْ ، فَاحذَرْ إسَاءَتَهُمْ ، وعامِلْهُمْ بالإحْسَان ، وكما تَكْرَهُ أنْ يَمسُّوا مَالكَ بسُوءٍ ، فَلْتَكُنْ أمْوالُهُمْ مِنْكَ في أمَانٍ ، وكَمَا تَكْرَهُ أنْ يَتعرَّضُوا لأوْلادكَ وأهْلِكَ وَشَخْصِكَ بشَرٍّ ، فكُنْ لهم خَيْرَ حفيظٍ ونَصِيْر وكما تُحِبُّ أنْ يُرِيْحُوكَ إذا جاوَرُوكَ، فَأرِحْهُمْ عندَ مُجَاوَرَتِكَ لَهمْ، وَكَمَا تُحِبُّ أنْ يَنْصَحُوْكَ وَيْصدُقُوكَ في وُعُودِهْم وعُقُودِهِمْ وأخْبارِهِمْ ، فاسْبِقْهُمْ أنتَ إلى ذلِكَ ، وكما تُحِبُّ أنْ يفرَحُوا لِفَرَحِكَ ، ويَحْزَنُوا لِحُزْنِكَ ، فَكُنْ أنتَ كذلِكَ مَعَهُمْ ، وكما تُحِبُّ أنْ لا يتكلمُوا فيكَ إلا بخَيْر ، فلا تكُنْ أنتَ معهم بضِدِّ ذلِكَ ، وَقِسْ على ذلِكَ ما يتعلقُ بالمَوْضُوعِ ، وأمَّا مُعامَلتُكَ معَ نَفْسِكَ ، فهِيَ أنْ تعَوِّدَهَا دائماً على الخَيْرِ بِلا ضَجَرٍ .

شِعْـــرًا :

يَاأَيُّهَـــا الــــذِي قَدْ غَرَّهُ الْأَمَلُ وَدُوْنَ مَا يا مَل التنْغِيْصُ وَالأَجَلُ
أَلَا تَرى إنَّمـــا الدُنْيَـــا وزَيْنَتَهَـــا كَمَنْزِلِ الرَّكْبِ حَلُّوْا ثُمت ارْتَحَلُوا
حُتُوفُهَا رَصَدٌ وَعيْشُهَـــا نَكَـــدُ وَصفْوُهَـــا كَدَرٌ وَمُلْكُهَـــا دُوَلُ
تَظَـلُّ تُفْـزِعُ بالرُّوْعَـاتِ سَاكِنَهَـــا فَمَـــا يَلَـــذُ لَهُ عَيْشٌ وَلا جَذَلُ
كَأنَّـــه لِلْمَنَايَـــا وَالـــرَّدَى غَرَضٌ تَظَـلُّ فيـهِ سِهَام الـوَقْتِ تَنْتَظِـلُ
وَالنَّـفسُ هَارِبَـــةٌ والموتُ يَتَبَعُهَـــا وَكل عَثْرةِ رِجْلٍ عِنْدَهَا جَلَـــلُ
وَالمَرْءُ يسعىَ بِمَـا يَسْعَـى لِوَارِثـِهِ وَالقَبْرُ وَارِثُ مَا يَسْعَى لَهُ الرَّجُلُ

اللهم إنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وعَلاَنِيَتَنَا وتَسْمَعُ كَلاَمَنَا وتَرَى مَكَانَنَا لاَيخْفَى عَليكَ شَيْءٌ مِن أَمْرِنَا نَحْنُ البُؤَسَاءُ الفُقَرَاءُ إليكَ المستغيثونَ المستجيرونَ بِكَ نَسْأَلكَ أَنْ تُقَيِّضَ لِدِيْنِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ ويُزِيلُ مَا حَدَثَ مِن البِدَعِ والمُنْكَراتِ ويُقِيْمُ عَلَمَ الجِهَادِ ويَقْمَعُ أَهْلَ الزَّيْغِ والكُفْرِ والعِنَادِ ونَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لنَا ولِوَالِدِيْنَا وجميعِ المسلمين برحْمَتِكَ يا أَرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين

[نختم هذا الكتاب بنبذة من زهده ﷺ]

كان رسول الله ﷺ أزهد الناس ، ويكفيك في تعريف ذلك أن فقره ﷺ كان فقر اختياري لا فقر اضطراري .

لأنه ﷺ فُتِحَتْ عليه الفتوحُ وجُلِبَتْ إليه الأموالُ ، ومات ودِرْعُهُ مَرهونةٌ عند يهودي في نفقة عياله ، وهو يدعو : اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً .

وقالت عائشة رضى الله عنها : ما شبعَ رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تِباعاً مِن خُبز حتى مَضى لِسَبيْلِه ، ولو شاء لأعطاهُ الله ما لا يخطر ببالٍ .

وعنها قالت : ما تركَ رسول الله ﷺ دِيناراً ولا شاة ولا درهماً ولا بعيراً ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذُو كبدٍ إلا شطر شعير في رَفٍّ لي .

وقال لي : إني عَرَضَ عَليَّ ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً ، فقلتُ لا يارب أجُوعُ يوماً وأشبعُ يوماً ، فأما اليومُ الذي أجُوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك ، وأما اليوم الذي أشبعُ فيه فأحْمَدُكَ وأثْني عليك .

وعنها قالت : إنْ كُنَّا آلُ محمد لنمْكُثُ شهرا ما نَسْتَوقِدُ نارا ، إن هو إلا التمرُ والماء .

وعنها قالت : لم يمتل جَوفُ النبي ﷺ شِبَعاً قط ، ولم يَبُثْ إلى أحدٍ شكوى .

وكانت الفاقة أحَبَّ إليه من الغِنَى ، وإنْ كان لَيظَلُّ جائعا يَلْتَوى طُولَ لَيلته مِن الجوع ، فلا يَمْنَعُه مِن صِيام يوم ولو شاء لَسَأَلَ ربه جميع كُنُوز الأرض وثِمارِهَا ورغد عيشها .

ولقد كنتُ أبكي له رحمةً مما أرى به وأمْسَحُ بيدي على بطنه مما به من الجوع ، وأقول نفسي لك الفداء ، لو تَبَلَّغْتَ مِن الدنيا بما يَقُوتُكَ .

فيقول يا عائشة مَا لي ولِلدُنْيَا إخواني أولو العَزْمِ من الرسل صَبَرُوْا على مَا هُو أشَدُّ من هذا فَمَضَوْا على حالهم فقَدِمُوا على ربهم وأكرمَ مآبهُم وأجْزَل ثوابَهم .

وأجدني اسْتَحِي إن تَرَفَّهْتُ في مَعِيشَتي أن يُقَصرَّني غداً دُونَهم .

وما مِن شيءٍ أحب إلي مِن اللحُوقِ بإخواني وأخلائي ، قالت : فما أقام بعد إلا شهرا ثم توفى ﷺ .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما رفع رسول الله ﷺ قطُّ غَدَاءً لِعَشاءٍ ولا عَشاءَ قَطُّ لِغَداء .

ولا اتخذ من شيء زوجين لا قميصين ولا ردائين ولا إزارين ، ومن النعال ولا رئى قط فارغا في بيته إما يخصف نعلا لرجل مسكين أو يخيط ثوبا لأرملة .

وعن أنس بن مالك أن فاطمة عليها السلام جَاءَتْ بكِسرةٍ خُبْزٍ إلى النبي ﷺ ، فقال : ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟

قالت : قرص خَبَزْته فلم تطب نفسي حتى أتيتُك بهذه الكسرة ، فقال : أما إنه أوَّلُ طعامٍ دَخل فَمَ أبيْكِ مُنْذُ ثلاثة أيام .

وروى مسلم عن النعمان قال : ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا ، فقال : لقد رأيتُ رسول يظل يلتوي ما يجد من الدقل ما يَمْلأُ بطنَه .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : إن كان ليمر بآل رسول الله ﷺ الأهِلَّة ما يُسْرَجُ في بيت أحد منهم سراج ولا يوقد فيه نار إن وجدوا زيتا إدهنوا به وإن وجدوا ودكاً أكلوه رواه أبو يعلي ورواته ثقاة .

عن عبدالله بن مسعود قال : نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه ، قلنا يارسول الله لو اتخذنا لك وطاء .

فقال : ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب أستظل تحت شجرة ثم راح وتركها ، رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه .

قال عمر بن الخطاب : دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير فجلستُ فإذا عليه إزارُهُ وليس عليه غيره وإذا الحصيرُ قد أثَّرَ في جَنْبِهِ .

وإذا أنا بقَبْضَةٍ مِن شعير نحو الصاع وقرظ في ناحية الغرفة ، وإذا إهاب معلق (الإهاب : الجلد) فابتدرت عيناي .

فقال : ما يُبْكِيكَ يا ابن الخطاب ؟ فقلتُ : يانبي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك ، وهذه خِزَانَتُكَ لا أرى إلا ما أرى .

وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنتَ نبي الله وصفوتُه وهذه خزانتك .

قال : يابن الخطاب أمَا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ، رواه ابن ماجه بإسناد صحيح والحاكم وقال على شرط مسلم .

روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت توفي رسول الله ﷺ وما في رَفِّي مِن شيْءٍ يَأيكلُهُ إلا شطرُ شعير في رَفٍ لِيْ فَأكلتُ منه حتى طالَ عَليَّ فَكِلْتُهُ ففَنِي .

عن ابن عباس أن النبيّ ﷺ كان يبيت الليالي المتابعة طاوياً ، وأهله لا يجدون عشاءً ، وكان عامّة خبزهم الشعير .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يشدُّ صُلْبَه بالحجر من الغَرَث أي الجوع .

بينما عائشة ، رضي الله عنها تُحَدِّثُ ذات يوم إذ بَكَتْ . قيل لها : ما يبيكيك يا أُمّ المؤمنين ؟ قالت : ما ملأت بطني من طعام ، فشئت أن أبكي إلا بكيت أذكر رسول الله ﷺ وما كان فيه من الجهد .

وعنها أيضاً أن رسول الله ﷺ كانت تأتي عليه أربعة أشهر ما يشبع من خبز بُرّ .

وعنها أيضاً : قالت : ما شبع آل محمد ثلاثاً من خُبْز بُرّ حتى قبِض ، وما رُفع عن مائدته كسرةٌ فضلاً ، حتى قُبِضَ .

عن الحسن (البصري) قال : خطب رسول الله ﷺ فقال : « والله ما أَمْسَى في آل محمد صاعٌ من طعام » ، وإنها لتسعة أبيات (بيوت زوجاته) . والله ما قالها استقلالاً لرزق الله ، ولكن أراد أن تتأسّى به أمّته .

عن أبن عباس قال : والله لقد كان يأتي على آل محمد ﷺ الليالي ما يجدون فيها عَشاءً .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما شبَع رسولُ الله ﷺ في يوم مرتين حتى لحق بالله ، ولا رفعنا له فَضْلَ طعامٍ عن شبَعٍ حتى لحق بالله ، إلاّ أن نَرْفعه لغائبٍ . فقيل لها : ما كانت معيشتكم ؟ قالت : الأسودان : الماء والتمر . وقالتْ : وكان لنا جيرانٌ من الأنصار ، لهم ربائب يسقوننا من لبنها ، جزاهم الله خيراً .

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ لم يجمع له غداءً ولا عَشاءً من خبز ولحم إلاّ على ضَفَفَ .

عن أنسَ بن مالك قال : شهدت للنبي ﷺ وليمةً ما فيها خبزٌ ولا لحم .

عن أنس بن مالك قال : ما أعلم رسول الله ﷺ رأى رغيفاً مرقّقاً بعينه حتى لحق بربّه ، ولا شاة سميطاً قط .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما اجتمع في بطن النبيّ ﷺ طعامان في يوم قطّ ، إن أكل لحماً لم يزد عليه ، وإن كان تمراً لم يزد عليه ، وإن أكل خبزاً لم يزد عليه . وكان رجلاً مِسقاماً ، وكانت العرب تَنْعَتُ له فيتداوى بما تَنْعَتْ له العرب ، وكانت العجم تنعت له فيتداوى .

عن أبي نضر قال : سمعتُ عائشة رضي الله عنها تقول : إنيّ لجالسةٌ مع رسول الله ﷺ في البيت . فأهدى لنا أبو بكر رِجْلَ شاةٍ فإني لأقطعها مع رسول الله ﷺ في ظلمة البيت . فقال لها قائل : أما كان لكم سراج ؟ فقالت : لو كان لنا ما يُسْرَج به اكلناه .

عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خُبْزٍ وزيتٍ في يومٍ مرّتين .

عن عائشة قالت : بلغني أن الرجل منكم يأكل من ألوان الطعام حتى يلتمس لذلك دواءً يمرئه . فذكرتُ نبيّكم ﷺ فذاك الذي أبكاني : خرج من الدنيا ولم يملأ بطنه في يومٍ من طعامين : كان إذا شبع من التمر لم يشبع من الخبز . وإذا شبع من الخبز لم يشبع من التمر .

عن أنس بن مالك قال : ما يُرفع بين يدي رسول الله ﷺ شيءٌ قط ، ولا حُملت معه طِنْفسة يجلس عليها .

أخبرني الأعرج عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يجوع . قلت لأبي هريري : وكيف ذلك الجوع ؟ قال : لكثرة مَنْ يغشاه وأضيافه ، وقومٍ يلزمونه لذلك ، فلا يأكل طعاماً أبداً إلاّ ومعه أصحابه ، وأهل الحاجة يتبعونه من المسجد . فلما فتح الله خيبر ، اتّسع الناسُ بعض الاتّساع ، وفي الأمْرِ بَعْدُ ضيقٌ والمعاش شديد . هي بلادٌ ظَلفٌ لا زرع فيها . إنما طعامَ أهلها التمر ، وعلى ذلك أقاموا .

ورُويَ عن جابر رضى الله عنه قال : حضرنا عرسَ علي وفاطمة فما كان عرساً كانَ أحسنَ منه حَشَونا الفِراش يعني من الليف .

وأوتينا بتمر وزيت فأكلنا وكان فراشها ليلة عرسها إهاب كبش ، رواه البزار . الإهاب : الجِلْد .

عن عامر الشعبي قال : قال علي رضى الله عنه : لقد تزوجتُ فاطمة ، وما لها ولي فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار ، وما لي ولها خادم غيرها .

وعن علي رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لما زوَّجَهُ فاطمة بَعَثَ معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف ورَحَيَيْنْ وسِقَاءٍ وجَرَّتَين .

فقال علي لفاطمة ذَاتَ يومٍ : والله سَنَوْتُ حتى اشْتَكَيْتُ صَدري

(المعنى تعبتُ من إخـراج المـاء مِن البئـر) وقد جَاء الله بسَبْي فاذْهَبي فاسْتَخْدِمِيْهِ (أيْ اطْلُبى منه خادِمًا) .

فقالت : وأنا والله لقد طَحَنْتُ حتى مَجلَتْ يَدِيَ من العمل فأتَتِ النبي ﷺ فقال : ما جاءَ بكِ ومَا حَاجَتَكِ أيْ بُنَيَّة ، قالت : جئتُ لأسَلِّمَ عَليكَ واسْتحْيَتْ أن تَسْأَلَهُ فَرَجَعَتْ .

فقال علي : ما فَعَلْتِ ؟ قالت : اسْتَحْيَتُ أن أسأله ، فأتياه جَمِيعًا فقال عليٌّ : يا رسول الله والله لقد سَنَوتُ حتى اشتكيتُ صَدري .

وقالت فاطمة : لقد طحَنْتُ حتى مَجلَتْ يَداي ، وقد جاءكَ الله عز وجل بسبي وسعة فأخْدِمْنَا .

فقال : والله لا أعْطِيْكُما وَأدَعُ أهل الصُّفَّةِ تَطْوى بُطونُهم لا أجدُ مَا أنفق عليهم ، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم .

فرجَعَا وأتاهما النبَي ﷺ ، وقد دخلا في قطيفتهما إذا غَطَيَا رُؤُسَهُمَا تكَشَّفَتْ أقدامُهما ، وإذا غَطَيَا أقدامَهما تكَشَّفَتْ رُؤسُهما فثارا فقال : مَكَانكما .

ثم قال : ألا أخْبرُكما بخَيرٍ مما سألتماني ، قالا : بَلىَ . قال : كلمات عَلَّمَنيهُنَّ جبْريل تُسبحـانِ في دُبُـرِ كُلِّ صَلاةٍ عَشْرًا ، وتحْمَدانِ عَشْرًا ، وتُكَبرانِ عَشْرًا .

وإذَا أويْتُما إلى فراشِكُما ، فسبحا ثلاثا وثلاثين وأحمدا ثلاثا وثلاثين ، وكبرا أربعا وثلاثين , قال : فوالله ما تَرَكْتُهُنَّ منذ عَلَمِنيْهُنَّ رسول الله ﷺ .

عن بريدة قال : سمع النبي ﷺ رجُلاً يقول : اللهم أني أسألك بأني أشهد أنكَ أنتَ الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

فقـال رسـول الله ﷺ : والـذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى أخرجه أبو داود والترمذي .

وعن أنس رضى الله عنه قال : دعا رجل فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمـد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاكرام يا حي ياقيوم .

فقال النبي ﷺ : أتدرون بما دعا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ، أخرجه أصحاب السُّنَنِ .

عن سعد بن أبي وقاص قال قال : قال رسول الله ﷺ : « دعوة ذِى النون إذْ دَعَى وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إني كنت من الظالمين » .

فإنـه لم يدع بها رجـل مسلم في شيء قط إلا استجاب له ، رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال صحيح الاسناد .

وعن معاوية بن أبي سُفيان قال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول مَن دَعَا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه (لا إله إلا الله والله أكبر لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله) رواه الطبراني بإسناد حسن .

وعن معاذ بن جبل قال : سمع رسول الله ﷺ رجلا وهو يقول (ياذا الجلال والاكرام) فقال « قد اسْتُجِيْبَ لَكَ فَسَلْ » رواه الترمذي .

اللهم اجعلنا مُكْثِرينَ لِذِكرِك مُؤَدِّيْنَ لحَقِّك حافظين لأمرك راجين لِوَعْدِكَ راضين في جميع حالاتنا عَنك

راغبين في كُلِّ أمُورنا إليكَ مُؤَمِّلينَ لِفَضْلِك شاكرين لِنِعَمِك .

يا مَن يحب العفو والإحسان ، ويأمر بهما أعفُ عنا ، وأحْسِنْ إلينا .

فإنكَ بالذي أنت له أهلٌ من عَفوك أحق منا بالذي نحن له أهل مِن عُقُوبتك .

اللهم ثَبِّتْ رَجَاءَكَ في قلوبنا ، واقطعه عَمَّنْ سِوَاك ، حتى لا نَرْجُوا غيرَكَ ولا نستعين إلا إياك ، يا أرحم الراحمين ، ويا أكرم الأكرمين .

اللهم هب لنا اليقين والعافية ، وإخلاص التوكل عليك ، والاستغناء عن خلقك .

واجعل خير أعمالنا ما قارب آجالنا .

اللهم أغننا بما وفقتنا له من العلم ، وزينا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وجَمِّلْنَا بالعافية .

اللهم افتح مَسَامِعَ قلوبنا لِذِكرك وارزُقنا طاعتَك وطاعةَ رسولك ووفقنا للعمل بكتابك وسنة رسولك .

اللهم إنا نسألك الهدى ، والتُّقَى والعَافِيَةَ والغِنى ، ونعوذ بكَ مِن دَرَكِ الشقَاءِ ، ومن جهْدِ البَلاء ومن سُوْءِ القَضَاء ومن شَماتَةِ الأعداء .

اللهم لك الحَمْدُ كُلَّه ، ولك الملكَ كُلَّه ، وبيَدِكَ الخير كلّه ، وإليك يَرْجِعُ الأمر كله عَلانِيتُه وسِرُه ، أهلُ الحمدِ والثناءِ أنْتَ ، لا إله إلا أنت سُبحانك إنك على كل شيء قدير .

اللهم اغفر لنا جميع ما سَلَفَ منا مِن الذنوب ، واعْصَمْنَا فيما بَقى مِن أعمارنا ، ووفقنا لِعَمَلٍ صَالحٍ تَرضَى به عنا .

اللهم يا سامعِ كل صوت ، ويا بارىء النفوس بعد الموت ، يامَن لا تشتَبهُ عليه الأصواتِ ، ياعظيم الشأن ، يا واضح البرهان ، يا مَن هو كل يوم في شأن ، اغفر لنا ذنوبنا إنكَ أنتَ الغفور الرحيم .

اللهم ياعظيم العفو ، ياواسع المغفرة ، ياقريب الرحمة ، ياذ الجلال والاكرام ، هب لنا العافية في الدنيا والآخرة .

اللهم ياحيُّ وياقيوُم فَرِّغْنَا لما خَلَقْتَنَا له ، ولا تُشْغِلْنَا بما تَكَفَّلْتَ لنا به ، واجعلنا مِمَّن يُؤمِنُ بلقَائِك ، ويَرْضَى بقَضَائِك ، ويقنعُ بعطائك ، ويخشَاكَ حَقَّ خَشْيَتِك .

اللهم اجْعَلْ رِزْقَنَا رَغَدًا ، ولا تشمِتْ بنَا أحَدًا .

اللهم رَغِّبْنَا فيما يبقى ، وزهدنا فيما يَفْنى ، وهب لنا اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه ، ولا يُعَوَّلُ في الدين إلا عليه .

اللهم إنا نسألك بعزك الذي لا يرام وملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفينا شر ما أهمنا وما لا نهتم به وأن تعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

اللهم ياعليم ياحليم ياقوي ياعزيز ياذَ المن والعطا والعز والكبرياء يامَن تَعْنُوْا له الوجُوه وتخشع له الأصوات .

وفقنا لصالح الأعمال وأكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شيء قدير .

اللهم إنـا نسـألـك رحمـةً مِن عندكَ تهْدِي بها قُلُوْبَنَا ، وتَجْمعُ بها

شَمْلَنَا ، وتَلمُّ بها شَعَثَنَا ، وترفع بها شاهدنا ، وتَحفَظُ بها غائِبَنَا ، وتزكى بها أعمالن ، وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم الراحمين .

اللهم ارزقنا من فضلك ، وأكفنا شر خلقك ، وأحفظ علينا دِيْنَنَا وصحةَ أبداننا .

اللـلهم ياهـادِي المضلينْ ويا راحم المـذنبـين ، ومُقِيْلَ عثـرات العاثرين ، نسألك أن تُلْحِقنا بعبادك الصالحين الذين أنعمتَ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين .

اللهم ياعالم الخفيات ، ويارفيع الدرجات ، ياغافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .

نسـألك أن تذيقنا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، ياأرحم الراحمين وأرأف الرائفين وأكرمَ الأكرمين .

اللهم اعْتقْنَا مِن رقِّ الذُنُوبْ ، وخَلِّصْنَا مِن أشَر النُّفوسْ ، وأذْهِبْ عَنَّا وَحْشَةَ الإِسَاءَةْ ، وطَهِّرْنا مِن دَنَسِ الذنوبَ ، وباعِدْ بَيْنَنا وبَيْنَ الخَطَايَا وأجِرْنا مِن الشيطان الرجيم .

اللهم طَيِّبْعنـا لِلقَائِكْ ، وأهِّلْنَا لِوَلائِكْ وأدْخِلْنَا مَعَ المَرْحُوْمِيْنَ مِن أوْلِيَائِكْ ، وتَوفَّنَا مُسْلِمين والحِقنَا بالصالحين .

اللهم أعِنَّا على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْن عِبَادَتِكْ ، وتِلاَوَةِ كِتَابِكْ ، واجْعَلْنَا من حِزْبِكَ المُفْلِحِينَ ، وأيِّدْنَا بجُنْدِكَ المَنْصُورين ، وارْزُقْنَا مُرافَقَةَ الذيْنَ أنْعَمْتَ عليهم مِن النبيينَ والصِّديقين والشهداء والصَّالحين .

اللهم يا فالقَ الحب والنَّـوَى ، يا مُنْشِيء الأجْسَادِ بَعْـدَ البـلَى يا مُؤْيِ المُنْقَطِعِيْنَ إليهْ ، يا كَافي المُتَوكِّلينَ عليه ، انقطَعَ الرَّجَاءُ إلا منْكْ ، وخابَت

الظُّنُون إلا فِيْكَ ، وضَعُفَ الاعْتِمَاد إلا عَلَيْكَ نسألُكَ أنْ تُمْطِرَ مَحْلَ قُلُوبِنا مِن سَحَائِبِ بِرِّكْ واحْسَانِكْ وأن توفقنا لِموجباتِ رحمتك وعَزَائِم مغفرتك إنك جواد كريم رؤوف غفور رحيم .

اللهم نسألك قلباً سليماً ، ولساناً صادقاً ، وعملاً متقبلاً ، ونسألك بركة الحياة وخير الحياة ، ونعوذ بكَ من شر الحياة ، وشر الوفاة .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ نَفْساً مُطْمَئِنَّةً ، تُؤمِنُ بلقَائِكْ وتَرْضَى بِقَضائِكْ ، وتَقْنَعُ بِعَطَائِكْ ، يا أَرْأَفَ الرائفين ، وأرحم الراحمين .

اللهم إنـا نَسْـأَلُـكَ التوفيق لما تُحِبُّه مِن الأعمال ، ونسأَلُكَ صِدْقَ التوكل عليكْ ، وحُسْنَ الظَنِّ بِكَ يَارَبَّ العالمين .

اللهم اجعلنا مِن عِبادِكَ المُخْبِتين ، الغُرِّ المُحجَّلِين الوَفْدِ المُتَقَبَّلِين .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ حَياةً طَيِّبةً ، ونَفْساً تَقِيَّة ، وعِيْشَةٍ نَقِيَّة ، ومِيْتَةً سَوِيَّة ، ومَرَداً غَيْرَ مُخْزِي ولا فاضح .

اللهم اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح ، ومن المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك .

مـــوعظة

قَالَ ابْنُ الجَوْزِيّ رَحِمَهُ اللهُ : الحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ المَعَاصِيْ فَإِنَّهَا سَيِّئَةُ العَواقِبِ ، والحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ الذُّنُوبِ خُصُوصاً ذُنُوبُ الخَلَوَاتِ ، فَإِنّ المبارَزَة لِلّهِ تَعَالَى تُسْقِطُ العَبْدَ مِنْ عَيْنِهِ سُبْحَانَهُ وَلاَ يَنَالُ لَذَةَ المَعَاصِيْ إلَّا دَائِمُ الغَفْلَةِ ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ اليَقظَانُ فَإِنَّهُ لاَ يَلْتَذُّ بِهَا ، لأَنَّهُ عِنْدَ التِذَاذِهِ يَقِفُ بازائِهِ عِلْمُهُ بِتَحْرِيْمِهَا وَحَذَرُهُ مِنْ عُقُوبَتِهَا ، فَإِنْ قَوِيتْ مَعْرِفَتُه رَأَى بِعَيْنِ عِلْمِهِ قُرْبَ النَّاهِيْ وَهُوَ اللهُ فَيَتَنَغَصُ عَيْشُهُ في حَالِ التِذَاذِهِ فَإِنْ غَلَبَهُ

سُكْرُ الهَوى كَانَ القَلْبُ مُتنَغِّصاً بِهَذِهِ المُراقَبَاتِ وَإِنْ كَانَ الطَّبْعُ في شَهْوَتِهِ فَمَا هِيَ إلا لَحْظَةٌ ثُمَّ خِزْيٌ دَائِمٌ وَنَدَم مُلاَزِمٌ وَبُكَاءٌ مُتواصِلٌ وأَسَفٌ عَلى مَا كَانَ مَعَ طُوْلِ الزَّمَانِ حَتَّى إِنَّهُ لَوْ تَيقَّنَ العَفْوَ وَقَفَ بِإزَائِهِ حِذَارَ العِتَابِ فَأُفٍّ للذُّنُوبِ مَا أَقْبَحَ آثارَهَا وَأَسْوَءَ أَخْبَارَهَا انْتَهى .

فَيَا أَيُّها المُسْلِمُونَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُم وَحَافِظُوا عَلى صَلاتِكُم وَقُومُوا لِلَّهِ خَاضِعِيْنَ خَاشِعِيْنَ لِتَفُوزُوا بِرِضْوَانِ اللهِ وَتَكُونُوا مِن المُفْلِحِيْنَ .

اللهُمَّ قَوِّى إِيْمَانَنا بِكَ وَبِمَلاَئِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبُرُسُلِكَ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ في قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا صِيَانَةَ أَوْقَاتِنَا وَحِفْظَهَا عَنْ المَعَاصِيْ وَوَفِّقْنَا لِشَغْلِهَا بِالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

إِعْلَمْ وِفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ وجَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ أَنَّهُ لَم يُؤْثَرْ عَنْ أَحدٍ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَتَابِعِيْهِمْ بِإِحْسَانٍ تَعْظِيْمَ أَحدٍ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ المُوَالِيْنَ لأَهْلِ البَدَعِ المُنَادِيْنَ بِمُوَالاتهِمْ ، لأَنَّ أَهْلَ البِدَعِ مَرْضَى قُلُوْب ، وَيُخْشَى عَلَى مَنْ خَالَطَهُمْ أَوْ اتَّصَلَ بِهِمْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ مِنْ مَا بِهِمْ مِنَ هَذا الدَّاءِ العُضَال ، لِأَنَّ المَرِيْضَ يُعْدِيْ الصَّحِيْحَ وَلَا عَكْس ، فَالْحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ جَمِيْعِ أَهْلِ البَدعِ وَمِنْ أَهْلِ البِدَعِ الذِيْنَ يَجَبُ البُعْدُ عَنْهُمْ وَهِجْرَانُهُمْ ، الجَهْمِيَّةُ ، وَالرَّافِضَةُ والمُعْتَزِلَةُ والْمَاتُرِيْدِيَّةُ ، وَالخَوَارِجُ والصُّوْفِيَّةُ والأَشَاعَرة ، وَمَنْ عَلَى طَرِيْقَتِهِمْ مِنَ الطَّوَائِف المُنْحَرِفَةِ عَنْ طَرِيْقَةِ السَّلَف ، فَيَنْبَغِيْ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحذَرَهُمْ وَيُحَذِرَّ عَنْهُمَ وصلى الله على محمد وآله وسلم .

عبدالعزيز بن محمد بن سلمان

فَائِدَةٌ عَظِيْمَةُ النَّفْعِ

قَالَ أَحَدُ العُلَماءِ رَحِمهُ الله تَعالى عليكَ يَا أَخِي بمُحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ وَقَهْرِه ، وذَلكَ لِخَصْلَتَيْنِ أَحَدُهُما أَنَّه عَدُوٌّ مظِلٌ مُبين ، لا مَطْمَعَ فيه بمُصَالِحَة وَاتِّقَاء شَرِّه أَبدَا ، لأَنَّهُ لَا يُرْضِيهِ وَيُقْنِعُهُ إِلاَّ هَلاَكُكَ أَصْلاً فَلَا وَجْه إذاً لِلأَمْنِ مِنْ هَذَا العَدُوْ وَالغَفْلَةِ عَنْه ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلا ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوْا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِين** ﴾ وقال تَعالَى ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمُ عَدُوٌّ فاتَّخِذُوْهُ عَدُوًّا** ﴾ وَالخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّهُ مَجْبُولٌ عَلَى عَدَاوَتِكَ ، ومُنْتَصِبٌ لِمُحَارَبَتِكَ ، في اللَّيْلِ والنَّهَارِ يَرْمِيْكَ بِسِهَامِهِ ، وَأَنْتَ غافِلٌ عَنْهُ ، ثُمَّ هوُلَهُ مَعَ جَمِيْعِ المؤمِنِيْنَ عَدَاوَةٌ عَامَةٌ ، وَمَعَ المُجْتَهِدِ في العِبَادَة وَالعِلْمِ عَدَاوَةٌ خاصَةٌ ، وَمَعَهُ عَلَيْكَ أَعْوَانٌ نَفْسُكَ الأَمَارَّةِ بالسُّوْء ، والهَوَى ، والدُّنْيا ، وَهُوَ فارِغٌ وَأَنْتَ مَشْغُوْل ، وَهُوَ يرَاكَ وَأَنْتَ لَا تَراه ، وأَنْتَ تَنْسَاهُ وَهَوَ لَا يَنْسَاكَ ، فَإِذاً لابُدَّ من مُحارَبتِهِ ، وَقَهْرِهِ ، وَإِلاَّ فَلَا تَأْمَنِ الفَسَادَ وَالهَلاكَ وَالدَّمار ، وَمُحَارَبَتُهُ بالإِسْتِعَاذَةِ بالله والإِكْثَارِ من ذِكْرِهِ .

شِعْـــرًا :

مَالِـيْ أَراكَ على الذُنُـوبِ مُوَاظِباً ... أَأَخَذْتَ مِن سُوءِ الحِسَابِ أَمَانَا
لَا تَغْفُلَـنَّ كَأَنَّ يَوْمَكَ قَدْ أَتَـــى ... وَلَعَـلَّ عُمْـرَكَ قد دَنَـا أَوْ حَانَـا
وَمَضَى الحَبِيْبُ لِحَفْرِ قَبْرِكَ مُسْرِعاً ... وَأَتَـى الصَّدِيـقُ فأَنْذَر الجِيْرَانَــا
وَأَتَــوا بَغَسَّال وَجَــاءوُا نَحْـوَهُ ... وَبَــدَا بِغَسْلِكَ مَيِّتـاً عُرْيَانـــا
فَغُسِلْتَ ثُمَّ كُسيْتَ ثُوباً لِلْبَلَــى ... ودَعَـوا لِحَمْـلِ سَرِيْـرَكَ الإِخْوَانَا
وأَتَـاكَ أَهْلُكَ لِلْوَدَاعِ فَوَدَّعُـــوا ... وَجَـرتْ عَلَيْكَ دُمُوعهُـمْ غُدْرَانَا
فَخَفِ الإِلـهَ فإِنَّه مَنْ خَافَــــه ... سَكَـنَ الجِنَـانَ مُجَاوراً رِضْوَاناً
جَنَّــاتِ عَدْنٍ لَا يَبْـدُ نَعِيْمُهَـــا ... أَبَداً يُخَالَــطُ رُوْحَــهُ رَيْحَانَـاً
ولِمَن عَصَى نَاراً يُقَالُ لَهَا لَظَـى ... تَشْوِيْ الوُجُـوهَ وتُحْـرِقُ الأَبْدَانَا
نَبْكِـيْ وَحُـق لَنَـا الْبُكَـى يَاقَومَنَا ... كَيْ لَا يُؤَاخِذُنَـا بِمَـا قَدْ كَانَــا

مَوْعِظَة :

عِبَادَ اللهِ إنَّ طَاعَةَ اللهِ صَلَاحٌ في الأَرْضِ لِهَذَا أمرَ عزَّ وَجلَّ بالطاعَاتِ ، وَهَذه الطاعَاتُ تُرْضِي الله سُبْحَانَهُ لِأنهَا شُكْرٌ لَهُ عَلَى نِعَمِهِ المُتَوالِيَات ، فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَحثَّ عليْهَا وَأَنْ نَأمُرَ مَنْ تَرَكَ الطَّاعَةَ أَنْ يَعُودَ إليها إذَا كَانَتْ مِنْ فَرَائِض الدِّيْن كالصَّلاةِ وَالزكاةِ وَالصِّيَام وَالحجِّ ، وَأنْ نُنْكِرَ على مَنْ رَأيْنَاه يَقْتَرِفُ مَعْصِيَةً مِنَ المَعَاصِي ، لأَنَّ المَعَاصِيْ بِكُلِّ أَنْوَاعِهَا شُرُورٌ وَأَضْرَارٌ وَفَسَادٌ وَلَهَا شُؤْمٌ قَدْ يَعُمُّ الدُّنيا وَيَفْعَلُ الأَفاعِيْلَ العِظَامَ في بَنِيْ الانْسَانِ، وَمِنْ آثارِهَا المُضِرَّةُ بالقَلْبِ وَالبَدنِ : أَنَّهَا إفْسَادٌ لِلعَقْلِ فَإنَّ العَقْلَ نُورٌ والمَعْصِيَةُ تُطْفِىءُ نُورَ العَقْلِ، ومنها أنَّ المَعَاصِي مَدَدٌ مِنَ الإنْسَانِ يَمُدُّ بها عَدُوَّه عليه وَجَيْشٌ يُقَوِّيْهِ بِهِ على حَرْبِهِ، وَمِنْهَا أَنَّهَا تُوْهِنُ القَلْبَ وَالبَدَنَ، وَمِنْهَا أَنَّهَا تَزْرَعُ أَمْثَالِهَا مِنَ المَعَاصِيْ، وَمِنْهَا أَنَّهَا تَمْحَقُ بَرَكَةَ العُمْرِ، وَمِنْهَا أَنَّهَا تُسَبِّبُ شَمَاتَة الأَعْدَاءِ، وَمِنْهَا أَنَّهَا تَعَسِّرُ على الانْسَانِ أُمُورَهُ ، وَمِنْهَا أَنَّهَا تسبِّبُ الوَحْشَة بيْنَ العَاصِي وبينَ أَهْلِ الخَيْرِ، وَمِنْهَا أَنَّهَا تُذْهِبُ الحَيَاءَ، ومنها أَنْ تَسْتَدْعِي نِسْيَانَ اللهِ لِعَبْدِهِ وَتَرْكِهِ ، وَمِنْهَا أَنها تُطْفِىءُ مِنَ القَلْب نَارَ الغَيْرَةِ، وَمنهَا أَنَّهَا تُضْعِفُ في القَلْبِ تَعْظِيْمَ الرَّبِّ، وَمِنْهَا أَنَّهَا تُعْمِي بَصِيْرَةَ القَلْبِ وَتَطْمِسُ نُورَهُ، وَمِنْهَا أَنَّهَا تُسقِطُ الجَاهَ وَالمُنْزِلَةَ عِنْدَ اللهِ إلى مَالا نِهَايَةَ لَهُ مِنَ الأَضْرَارِ لِهَذَا يَجبُ عَلَيْنَا أَنْ نَنْهيَ عَنْ المَعَاصِيْ لا سِيَّمَا إذا كَانَتْ مِنْ كِبَارِ المَعَاصِيْ ، ولا تَنْسَ أَنَّ بَني اسْرَائِيْلَ لَعَنَهُم اللهُ لَمَّا فَقَدُوا الغَيرَةَ على انتِهَاكِ الحُرمَاتِ وَلَا تَنَاهَوْ عَنْ المُنْكرِ ، وَتَأمَّلْ أَحْوَالَ الأُمَم وَمَا حَلَّ بهَا مِنْ العُقوبَاتِ بِأسْبَابِ الذُّنُوب قالَ تَعالَى ﴿ فَكُلًا أَخَذْنا بذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَنْ أَرْسَلنَا عليهِ حَاصِباً ومنهُم مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ومنهم مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ ومِنهُم مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُم وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهم يَظْلِمُون ﴾ .

« مـوعظـــة »

عِبادَ اللَّهِ سُرُوْرَ المُؤمنين يومَ يَعْبرُوْن القَنَاطِرَ ويأمَنُونَ العَوائِرَ فَذلكَ يومُ عِيدِهم ومَادَامُوا في دَارِ الغُرُوْرِ فلا غِبْطَةَ ولا سُرُوْرَ .

وَأيُّ سُرُوْرٍ لِمن الموتُ مَعْقُودٌ بناصِيتِهِ والذُنوبُ رَاسِخَةٌ في آنِيَتِهِ والنَّفْسُ تَقُودُهُ إلى هَوَاهَا والدنيا تتَزَيَّنُ في عَيْنِهِ بِمُشْتَهَاها .

والشَّيْطَانُ مُسْتَبْطِنٌ فقَارَ ظَهْرِهِ لا يَفْتُر عن الوَسْوَسَةِ في صدره ونفسِهِ ومالِهِ بعَرْضِهِ لِلْحَوادث ولا يَدْرِي في كل نَفَسٍ ما عَلَيه حَادِث .

قال بَعْضُهُم :

إني بُلِيْتُ بـأرْبَـعٍ مَـا سُـلِّطُوْا ... إلَّا لأجـل شـقَاوَتـي وعَنَـائـي
إبْليـس والـدُنيـاونَفْسِـي والهـوى ... كَيْـفَ الخَـلاصُ وكُلُّـهُمْ أعْـدَائي

ومن وَرَائِهِ المُغِير ومَسْأَله مُنْكَرٍ ونكِير ويَتَوَسَّدُ التُرابَ إلى يَوم النشور ﴿ يومَ يَقُومُ الناسُ لرب العالمين ﴾ يَومٌ لا يُبْلَغُ وصْفُ أهْوَالِهِ ولا شرْحُ أحواله ما لا يَسَعُ المؤمن بِهِ أنْ يَسْتَقِرَّ لَهُ قَرَارٌ ولا يَخْلُدُ إلى هَذِهِ الدار ولاَ يكُوْنُ لَهُ هَمٌّ في هَذه الدنيا إلَّا التَّقرُّبُ بأنْوَاعِ القُرَب واجْتِنَابُ الفَوَاحِشِ والريبَ وإقامة الدين الذي في إقامَتِهِ النَّجَاةُ وفي تَضْيِيْعِهِ العَطَبُ العَظِيم .

يَـومُ القِيامَـةِ لوْ عَـلِمْتَ بِهَوْلِهِ ... لَفـرَرْتَ مِـن أهْـلٍ ومِـنْ أوْطَـانِ
يَـوْمٌ تَشَـقَّقَتِ السَّـمَاءُ لِهَوْلِهِ ... وتَشِـيْبُ مِنْـهُ مَفَـارِقُ الـوِلْـدَانِ
يَـوْمٌ عَبُـوسٌ قَمطَـرِيـرٌ شَـرُّهُ ... فـي الخَلْقِ مُنْتَشِرٌ عَظِيْمُ الشَأنِ
يَـوْمٌ يَجـيءُ المُتَّقُـونَ لِـربِهِـمْ ... وَفْـدًا على نُجُـبٍ مِـنَ العِقْيَـانِ
ويَجِيءُ فيـه المجـرمُـونَ إلىَ لَظَـى ... يَتَلَمَّظُـوْنَ تَلَمُّـظَ العَطْشَـانِ
والجَنَّـةُ العُـلْيا ونَـارُ جَهَـنَّمٍ ... دَارَان لِلْخَصْمَيْنِ دَائمَتَـان

اللَّهُمَّ اخْتِمْ بِالأعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أعْمَارَنا، وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا، وَسَهِّل لِبُلوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا، وَحَسِّنْ في جَمِيعِ الأحْوَالِ أعْمالَنَا، يَا مُنْقِذَ الغَرْقَى، وَيَا مُنْجِي

الهَلْكَى ۚ وَيَا دَائِمَ الإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ ۚ وَأَنِلْنَا مِنْ كَرَمِكَ وجُوْدِكَ مَا تَقَرُّ به عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَتِكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۚ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ ۚ وَصَلَى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ .

مَوْعِظَـةٌ

عِبَادَ اللهِ طَلَبُ الرِّزْقِ الحَلَالِ فَرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَالْتَمِسْ الرِّزْقَ أَيُّهَا المُسْلِمُ مِنْ حِلِّهِ وَإِيَّاكَ وَمَا نَهَاكَ اللهُ عَنْهُ وَحَرَّمَهُ فَمَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيْلٌ ؛ أَيُّهَا المُسْلِمُ إِنَّ جَمْعَكَ لِلْمَالِ مِنْ حِلِّهِ عِبَادَةٌ إِذَا كُنْتَ تُرِيْدُ بِهِ إِعْفَافَ نَفْسِكَ ، وَالقِيَامَ بِمَا أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ مِنَ الحُقُوْقِ ، واحْذَرْ مِنْ تَرْكِ العَمَلِ ، وَافْعَلْ الأَسْبَابَ التِيْ بِهَا يَحْصُلُ الرِّزْقَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، واعْلَمْ أَنَّ مَنْ تَرَكَ العَمَلَ وَغَلَبَ عَلَيْهِ الكَسَلُ حَتَّى صَارَ كَلًّا عَلَى الخَلْقِ يَعُدُّهُ أَهْلُهُ ثُقْلًا وَيَرَاهُ صَاحِبُهُ بَغِيْضاً ، ولَا يَلْقَاهُ أَحَدٌ إِلَّا وَكَرِهَ لُقْيَاهُ قَالَ تَعَالَى حَاثاً عَلَى طَلَبِ الرِّزْقِ ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيْهِم تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ والمُؤْمِنُ المُحْتَرِفُ الكَسُوْبُ الذِيْ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ مُكْرَمٌ مَحْبُوبٌ مُحْتَرَمٌ ، عِنْدَ أَهْلِهِ ، وَالأَوْلَادُ ، وَكَانَ نُوْحٌ وَدَاوُدُ يَحْتَرِفَانِ التِّجَارَةَ وَمُحَمَّدٌ صَلى اللهُ عليه وَسَلَّمَ رَعَى الغَنَمَ ، وَمُوْسَى كَانَ أَجِيْراً عِنْدَ صَاحِبِ مَدْيَنَ وَكَانَ ادْرِيْسُ خَيَّاطاً ، وَمَا أَبْعَدَ هَذِهِ الأَعْمَالِ الشَّرِيْفَةِ عَنْ الكَسَلِ وَالبَطَالَةِ وَكَانَ السَّلَفُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عُمَّالاً مُكْتَسِبِيْنَ ، فَكُلُّهُمْ مَا بَيْنَ غَنِيِّ شَرِيْفٍ وَفَقِيْرٍ شَرِيْفٍ عَفِيْفٍ ، لَا تَشْغَلُهُمْ الدُّنْيَا عَنْ الآخِرَةِ وَلَا يَمْنَعُهُمْ الدِّيْنُ عَنْ طَلَبِ الكَسْبِ ، وَالقِيَامِ بِالوَاجِبَاتِ ، وَهُمْ مَعَ هَذَا مِنْ أَقْوَى النَّاسِ تَوَكُّلاً عَلَى اللَّهِ وَرِضىً بِمَا قَدَّرَ اللَّهُ وَقَضَاهُ وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ :

وَكُنْ بالذِّيْ قَدْ خُطَّ باللَّوْحِ رَاضِياً فَلَا مَهْرَبٌ مِّمَا قَضَاهُ وخَطَّهُ
وَانَّ مَعَ الرِّزْقِ اشْتِراطُ الْتِمَاسِهِ وَقَدْ يَتَعَدَّى إنْ تَعَدَّيْتَ شَرْطَهُ
فَلَوْ شَاء أَلْقَى فِي فَمِ الطَّيْرِ قُوْتَهُ وَلَكِنَّهُ أوحَى إلى الطَّيْرِ لَقْطَهُ

مَوْعِظَة : إخْوَانِي ، تَفَكَّرُوا في مَصَارِعِ الذينَ سَبَقُوا ، وتَدَبَّرُوا مَصِيْرَهُمْ أينَ انْطَلَقُوا ؟ واعْلَمُوا أنَّ القَومَ انْقَسَمُوا وَافْتَرقُوا ، قَومٌ مِنْهُمْ سَعِدُوْا ومْنِهُمْ قَومٌ شَقُوْا .

إِخْوَانِي : إِلَى كَمْ هذِهِ الْغَفَلَةِ وأَنْتمُ مُطَالَبُونَ بِغَير مُهْلَةْ ، فَباللهِ عَلَيكُمْ تَعَاهَدُوا أَيَّامَكمُ بِتَحْصِيْلِ العُدَدِ ، وأَصْلِحُوا مِن أَعْمَالِكَمُ مَا فَسَدَ ، وَكُوْنُوا مِن آجَالكمُ عَلَى رَصَدٍ ، فَقَدَ آذَنَتْكُم الدُنْيَا بالذَّهَابِ ، وأَنتمُ تَلْعَبُونَ بِالآجِلِ وَبْينَ أيْدِيْكَمُ يَوْمُ الحِسَاب .

شِعْـرا :

وَالْمَرْءُ مِثْلُ هِلالَ عِنـدَ طَلْعَتِـهِ يَبْدُو ضَئِيلاً لَطِيفاً ثُمَّ يَتَّسِقُ
يَزْدَادُ حَتَّى إذَا مَا تَمَّ أَعْقَبَهُ كِرُّ الجَدِيْدَيْنِ نَقْصاً ثُمَّ يَنْمَحِقُ
كَانَ الشَّبَابُ رِدَاءً قَدْ بُهْجَتَ بِهِ فَقَدْ تَطَايَرَ مِنهُ لِلْبِلى خِـرَقُ
وَباتَ مُنْشَمِراً يَحْدُوْ المَشِيْبُ بِهِ كَاللَّيلِ يَنْهَضُ فِي أَعْجَازِه الفَلَقُ
عَجِبْتُ والدَّهْرُ لا تَفْنَى عَجَائِبُهُ لِلرَّاكِنِيْنَ إلَى الدُنيا وَقَدْ صَدقُوا
وَطَالَ مَا نُغِّصُوا بالفَجْعِ ضَاحِيَةٍ وَطَالَ بِالفَجْعِ والتَّنْغِيْصِ ما طُرِقُوْا
دَارٌ تَغُـرُّ بِهَـا الآمالُ مُهْلِكَـةٌ وَذُوْ التَّجَارُبِ فِيْهَا خَائفٌ فَرِقُ
يَا لِرِّجالِ لِمَخْدُوْعٍ بِزُخْرُفِهَا بَعْدَ البَيَانِ وَمَغْرُرْرٌ بهَا يَثِقُ
أَقُولُ والنَّفْسُ تَدْعُوني لِبَاطِلهَا أَيْنَ المُلُوكُ مُلُوكُ النَاس والسَّوَقُ
أَيْنَ الذِينَ إلى لَذَّاتِهَا رَكَنُوا قَدْ كَانَ فِيْهَا لَهُم عيْشٌ وَمُرْتَفَقُ
أَمْسَتْ مَسَاكِنُهُمْ قَفْراً مُعَطَّلَةً كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا قَبْلَهَا خُلِقُوْا

يَا أَهْلَ لَذَّاتِ دَارٍ لَا بَقَاءَ لَهَا   إِنَّ اغْتِراراً بِظِلٍّ زَائِلٍ حُمُقٌ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَا تُعَذِّبْنَا وَوَفِّقْنَا وَلَا تَخْذُلْنَا وَلَا تَسْلِبْ الإِيْمَانَ مِنَّا لا مَلْجَأَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا مُعَوَّلَ لَنَا إِلَّا عَلَيْكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ

اللهُمَّ يَا مَنْ فَتَحَ بَابَهُ لِلطَّالِبِيْنَ ، وَاظْهَرَ غِنَاهُ لِلرَّاغِبِيْنَ نَسْأَلُكَ أَنْ تَسْلُكَ بِنَا سَبِيْلَ عِبَادِكَ الصَّادِقِيْنَ ، وَأَنْ تُلْحِقَنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ، اللهُمَّ أَحْيِي قُلُوباً أَمَاتَهَا البُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، ولا تُعَذِّبْهَا بِأَلِيْمِ عِقَابِكَ ، يَا كَرِيْمُ يَا مَنَّانُ ، يَا مَنْ جَادَ عَلَى عِبَادِهِ بِالانْعَامِ وَالافضَالِ ، اللهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وإِحْسَانِكَ وتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وغُفْرَانِكَ ، وارْزُقْنَا مَا رَزَقْتَ أَوْلِيَاءَكَ ، مِنْ نَعِيْمِ قُرْبِكِ ، وَلَذَّةِ مُنَاجَاتِكَ ، وصِدْقِ حُبِّكَ ، واغْفِرَ لَنَا ولِوَالِدِيْنَا ولِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْن بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وصَلى اللهُ على محمَّدٍ وآله وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

خَاتِمَةٌ ، وَصِيَّةٌ ، نَصِيْحَةٌ

إِعْلَمِ وَفَّقَنَا اللهُ وإِيَّاكَ وجَمْيعَ المسلمين لِمَا يُحِبُّهُ اللهُ ويَرضَاهُ أَنَّ مِمَّا يَجِبُ الاعْتِنَاءُ بِهِ حِفْظًا وعَمَلًا كلام الله جَلَّ وعَلَا وكَلام رسوله ﷺ .

وأنه يَنْبغِي لِمَنْ وَفَّقَهُ الله تعالى أَنْ يَحُثَّ أَوْلَادَه على حِفْظِ القُرآن وما تَيَسَّرَ مِن أَحَاديث النبي ﷺ المتفق على صحَّتِهَا عنه كالبُخاري و مُسْلم .

ومِن الفقه مُخْتَصَرِ المُقْنِع لِيَتَيَسَّرَ لَهُ استِخْرَاجُ المسائل ويَجْعَلُ لأَوْلَادِهِ مَا يَحُثُهُم على ذَلِكَ .

فَمَثَلًا يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ القُرآنَ على صَدْرِه حِفْظًا صَحِيْحًا عَشَرَةَ آلافٍ أَوْ أَزْيَد أَوْ أَقل حَسَبَ حَالِهِ في الغِنَى .

ومِن الأَحَادِيث عُقودَ اللُّؤلُؤ والمَرجَان فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الإمَامَانِ البُخَارِي ومُسلم ، يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّةَ آلاف (٦٠٠٠) .

فإنْ عَجزوا عن حِفْظِهَا فالعُمدة في الحديث يَجْعَلُ لِمَنْ حَفظها ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) أَوْ الأربعِين النّواوِيَّة ويَجْعَل لِمَنْ يَحْفَظُهَا أَلْفاً (١٠٠٠).

ويَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ مُخْتَصرَ المقنع في الفِقه أَلْفين (٢٠٠٠) مِن الريالات فالغَيْبُ سَبَبٌ لِحفظِ المسائل وسَبَبٌ لِسُرعَةِ استِخْرَاج ما أُرِيْدَ مِن ذَلِكَ وما أَشكَل مَعْنَاه أَوْ يُدخِلهُم فى مَدَارِسِ تَحفِيْظِ القُرآن في بُيُوتِ الله أو البُيُوتِ المُعَدَّةِ لِذَلِكَ فَمَدَارِسُ تَعْلِيْم القُرآنِ وَالسُنَّةِ هِيَ مَدَارِسُ التَّعْلِيْم العَالِي المُمْتَازِ البَاقِي النّافِعِ في الدُنْيا والآخرةِ أو يُدْخِلُهم في حَلقات تحفيظ القُرآن الموجودة في المساجد.

فَمَنْ وَفَّقَهُ الله لِذَلِكَ وعَمِلَ أولادُهُ بذَلِكَ كان سَبَباً لحُصُولِ الأجر مِن الله وسبَباً لِبرّهِم بِهِ ودُعَائِهم لَهُ إذَا ذَكرُوا ذَلِكَ منه ولَعَلَّهُ أَنْ يَكُون سَبَباً مُبارَكاً يَعْمَلُ بِهِ أَوْلَادُهُ مَعَ أولادِهم فَيَزِيْدُ الأجْرُ لَهُ ولَهُم نَسْأَلُ الله أَنْ يُوفّقَ الجَمِيعَ لِحُسْنِ النّيَةِ إنَّهُ القادِرُ عَلَى ذَلِكَ وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

وَلَمْ أَرَى لِلْخَلائِقِ مِنْ مُـــرَبٍ ... كَعِلْمِ الشّرْعِ يُؤْخَذُ عن ثِقَـاتِ
بِبَيْتِ الله مَدْرَسَــةِ الأَوَالِـي ... لِمَنْ يَهْوَى العُلُـوْمَ الرّاقِيَـاتِ

آخر:

أَيْقِظْ جُفُونَكَ يا مِسْكِيْنُ مِن سِنَةٍ ... وَانْظُر بِعَقْلِكَ ما في الأَرْضِ مِن عِبَرِ
بالأَمْسِ كُنْتَ مَعَ الصّبْيَانِ في لَعِبٍ ... غَضَّ الشّبَابِ قَلِيْلِ الهَمِّ والفِكَرِ
وَقَدْ كَبِرْتَ وحَانَ الشّيْبُ مِنْكَ ولا ... أَرَاكَ تَنْظُرُ يَا مَغْرُوْرُ في الكِبَرِ
تَبْغتَ ويْحَكَ دُنْيَا لا بَقَاءَ لَهَـا ... تُمْسِي وتُصْبِحُ مَسْرُوراً عَلَى النُكُرِ
أَمَا اعْتَبَرْتَ بِمَا شَيّعْتَ مِن سَلَفٍ ... إلَى القُبُورِ مِن الأَشْيَاخِ والصّغَرِ
وأَنْتَ في كُلِّ يَومٍ زَائِداً أَمَلاً ... والدَّهْرُ يَهْدِمُ مِنْكَ العُمْرَ فابْتَدِرِ
يَا مَن مَضَى عُمْرهُ المكْنُونِ في سَفَهٍ ... وفي المُحَالِ وَفي اللّذَّاتِ والبَطَرِ
أَيْنَ الشّبَابُ الذي قَدْ كُنْتَ تَحْمِدُهُ ... مَضَى سَرِيْعاً كَمِثْلِ اللّمْحِ في البَصَرِ
وقَدْ أَتَى لَكَ شَيْبٌ لا زَوَالَ لَهُ ... إلاَّ بِمَوْتِكَ يَا مَغْرُوْرُ فانْتَظِـرِ

إنَّ الرَّحِيْلَ حَقِيْقٌ فاسْتَعِدَّ لَهُ ... وَقَدْ أَتَاكَ نَذيرُ الشَّيْبِ فازْدَجِرِ
بَادِرْ متابَكَ يَا مِسْكِيْنُ فِي عَجَلٍ ... قَبْلَ المَنُون وبَادِرْ فُسْحَةَ العُمُرِ
حَافِظْ عَلى الخمسِ في الأوْقَاتِ إنَّ لَهَا ... فَضْلاً وَقُلْ يَا إلهي نَجِّ مِن سَقَرِ
طُوْبَى لِعَبْدٍ تِقِيٍّ خَائِف وَجِلٍ ... خَافَ الذُّنُوبَ وَبَاعَ النومَ بالسَّهَرِ
وقامَ بالليْلِ لِلرَّحمنِ مُبتهلاً ... يَتْلُو الكِتَابَ وَدَمْعُ العَيْنِ كَالْمَطَرِ
إنْ كُنْتَ تَبْغِيْ جنانَ الخُلْدِ تَسْكُنُهَا ... مَعَ الحِسَانِ ذَوَاتِ الْغُنْجِ والْحَورِ
تُسقَى بِهَا سَلْسَبِيْلاً طَابَ شَارِبُهَا ... مِن كَفِّ غَانِيَةٍ أَضْوَى مِنَ القَمَرِ
في قُبَّةٍ مِنْ لُجَيْن جَلَّ صَانِعُهَا ... قَدْ خَصَّهَا بَاخْتِلالِ النَّخْلِ والنَّهَرِ
والطَّيْرُ فِيهَا عَلَى الأَغْصَانِ عَاكِفَةٌ ... أَصْوَاتُهَا كَحَنِيْنِ العُوْدِ والوَتَرِ
وَالحُوْرُ يَمْشِيْنَ فِي حُلْيٍ وَفِي حُلَلٍ ... كَمَا أَتَى فِي بَيَانِ الذِكْرِ والسُّوَرِ
وَاعْكِفْ عَلَى سُنَّةِ الهادِيْ وتَابعِهِ ... وَاتْبَعْ طَرِيْقَتَهُم تَقْفُوْا عَلى الأَثَرِ
واعْلَمْ بأنَّكَ عَنْ أَهْلِيْكَ مُرْتَحِلٌ ... عَمَّا قَلِيْلٍ لِبَيْتِ الدُّوْدِ والمَدَرِ
لاَ تَأْمَنَنَّ مِن الدُّنْيَا وزَهْرَتِهَا ... لأَنَّهَا كَسِرَاجٍ لاَحَ لِلْبَصَرِ
أَيْنَ الأَحِبَّةُ وَالجِيْرَانُ مَا صَنَعُوْا ... صَارُوْا لَنَا خَبَراً مِنْ أَعْظَمِ الخَبَرِ
أَيْنَ المُلوكُ الذِي عَاشَرْتَهمْ زَمَناً ... صَارُوْا جَمِيْعاً إلَى الأَجْدَاثِ والحُفَرِ
أَيْنَ القُصُورُ الَّتِيْ كَانَتْ مُعَمَّرةٌ ... حُصُوْنُهَا مُلِئَتْ بالبُسْطِ وَ السُرُرِ
أَيْنَ الوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُنَعَّمَةٌ ... أَيْنَ الخُدُوْدُ الَّتِيْ تَسْبِي أُولِي النَّظَرِ
صَارُوْا جَمِيْعاً إلَى ضِيْقِ القُبُورِ وَقَدْ ... صَارَتْ مَحَاسِنُهُم مِن أَقْبَحِ الصُّوَرِ
ونَحْنُ عَمَّا قَلِيْلٍ لاَحِقُونَ بِهِمْ ... فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ واحْذَرْ غَايَةَ الحَذَرِ

آخَرُ :

يَامُحِبَّ الدُنيا الغَرُوْرِ أغْتِرَاراً ... رَاكِباً في طِلابِهَا الأَخْطَارَا
يَبْتَغِي وَصْلَهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ ... وَتَرى أُنْسَهُ فَتُبْدِيْ نِفَارَا
خَابَ مَن يَبْتَغي الوِصَالَ لَدَيْهَا ... جَارَةٌ لَمْ تَزَلْ تُسْيءُ الجِوَارَا

كَمْ مُحبٍ أزرْتَـهُ أُنساً فَلَمَّـــا حَاوَلَ الـــزَّوْرَ صَيَّرَتْــهُ ازوِرَارًا
شِيْبَ حُلْوُ اللذَّاتِ مِنهَا بمُـرٍ إنْ حَلَتْ مَرَّةً أمــــرَّتْ مِرَارًا
فِي اكْتِسَابِ الحَلالِ مِنها حِسَابٌ وَاكْتِسَابُ الحَرامِ يُصْلِي النارَا
وَلِبَاغِـي الأَوْطَـارِ مِنها عَنَـاءٌ سَوْفَ يَقْضِي وَمَا قَضَى الأَوْطَارَا
كُلُ لَذِاتها مُنَــغصَّةُ الْعَــيْشِ وَأَرْبَاحُهَـــا تَعُــــودُ خَسَارَا
وَلَيــالِي الهُمـــوُم فِيها طِوَالٌ ولَيَالِـــي السُّرُوْرِ تَمْضِي قِصَارَا
وَكَفَـى أنَّهَـا تَظُـــنُّ وَإنْ جَادَتْ بِتَـــرْرٍ أَفْـــتَتْ بِهِ الأَعْمَـــارَا
وَإذَا مَا سَقَاْ خُمُـــورَ الأمَانِـــي صَبَّرَتْ بَعْدَهَا المنَايَــا خِمَـــارَا
كَمْ مَلِــيْكٍ مُسَلَّـــطٍ ذَلَّلَتْـــهُ بَعْدَ عِزٍ فَمَا أطَـــاقَ انْـــتِصَارَا
وَنَعِيْـــمٍ قَدْ أعْقَبَتْــهُ بِبُـــؤسٍ وَمَغَـــانٍ قَدْ غَادَرَتْهَــا قِفَـــارَا
أيُّهَـــا المُسْتَعِيْـــرُ مِنْهَـــا مَتاعَـــاً عَنْ قَلِيْـلٍ تَستَرْجِــعُ المُسْتَعَـــارَا
عَدِّ عَنْ وَصْلِ مَنْ يُعْيِـــرُكَ مَا يَفْنَى وَيَبْقَى اثْماً وَيَكْسِبُ عَارَا
قَدْ أرَتْكَ الأَمْثَالَ فِي سَالِفِ الدَّ هْرِ وَمَـــا قُدْرَاتُكَ فِيْكَ اعْتِبَـــارَا
وَجَدِيْـــرٌ بالعُـــذْرِ مَنْ قَدَّمَ الاْ عْذَارَ فِيْمَـــا جَنَــــاهُ وَالأَنْذَارَا
فَتَعَـــزَّضْ مِنْهَـــا بِخُلَّـــةِ صِدْقٍ وَالْتَمِسْ غَيْـــرَ هَذِهِ الــدَّارِ دَارَا
والبِـــدارَ البِـــدارَ بالعَمَـــلِ الصَّا لِحِ مَا دُمْتَ تَستَطِيْـــعُ البِــدَارَا

اللّٰهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الايْمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلى قَوْلِكَ الثَّابِتْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفي الآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ وَتوفَّنَا مُسْلِمِيْنَ وَالْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ يَا أكْرَمَ الأكْرَمِيْنَ وَيَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ .

فهرس الجزء السادس من موارد الظمآن

فهرس الجزء السادس من موارد الظمآن

فهرس الجزء السادس من موارد الظمآن

فهرس الجزء السادس من موارد الظمآن

فهرس الجزء السادس من موارد الظمآن

مطابع الخالد للأوفست
EL-KHALED OFFSET PRINTING PRESS
ص.ب ٣٠١٨ الرياض ١١٤٧١ - تلفون ٤٧٩٣٥٦٩-٤٧٩١٠٩٦
P.O. Box3018 Riyadh11471 - Tel.4793569/4791096